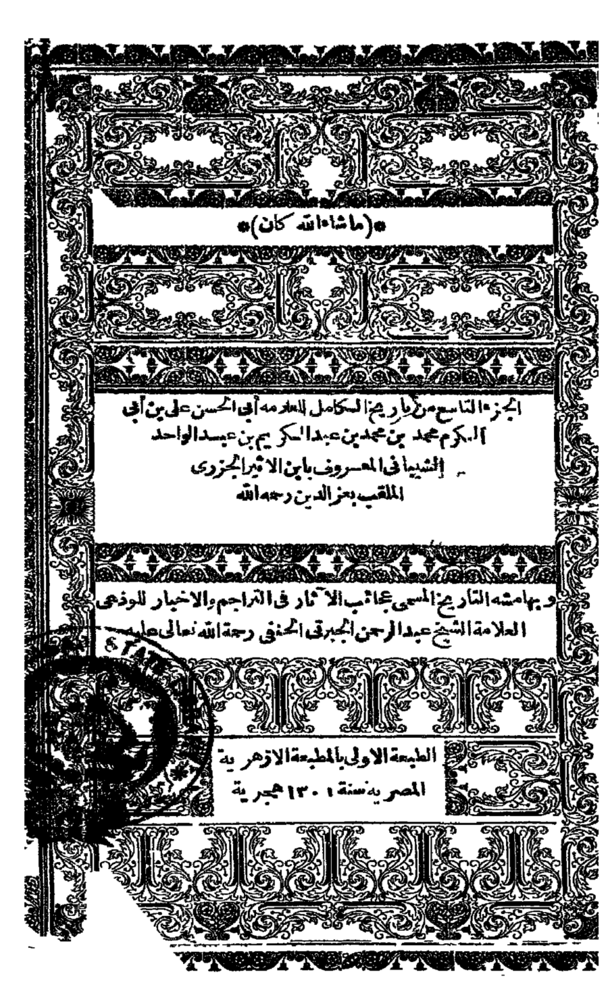




(ما شاء الله كان)

الجزء التاسع من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير الجزري الملقب بعز الدين رحمه الله

وبهامشه التاريخ المسمى عجائب الآثار في التراجم والاخبار للوحيد العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الحنفي رحمة الله تعالى عليه

الطبعة الاولى بالمطبعة الازهرية المصرية سنة ١٣٠١ هجرية



(ثم دخلت سنة سبعين وثلثمائة)

(ذكر اقطاع مؤيد الدولة همذان)

في هذه السنة أرسل الصاحب أبو القاسم اسمعيل بن عباد الى عضد الدولة بهمذان رسولا من عند أخيه مؤيد الدولة يبذل له الطاعة والموافقة فالتقاه عضد الدولة بنفسه وا كرمه واقطع أخاه مؤيد الدولة همذان وغيرها وأقام عند عضد الدولة الى ان عاد الى بغداد فرده الى مؤيد الدولة فاقطعه اقطاعا كثيرة وسير معه عسكرا يكونون عند مؤيد الدولة في خدمته

(ذكر قتل أولاد حسنويه سوى بدر)

لما خلع عضد الدولة على بدر واخويه عاصم وعبد الملك وفضل بدرا عليهما وولاه الاكراد حسده أخواه فشقا العصا ونزعا من الطاعة واستمال عاصم جماعة الاكراد المخالفين فاجتمعوا عليه فسير اليه عضد الدولة عسكرا فاوقعوا بعاصم ومن معه فانهزموا واسر عاصم وادخل همذان على جمل ولم يعرف له خبر بعد ذلك اليوم وقتل أولاد حسنويه الا بدرا فانه ترك على حاله وأقر على عمله وكان عاقلا لبيبا حازما كريما حليما وسيرد من أخباره ما يعلم به ذلك ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك عضد الدولة قلعة سندة وغيرها)

وتولى عضد الدولة على قلاع ابي عبد الله المرى بنواحي الجبل وكان منزله اماكن نفيسة وكان قديم البيت فقبض عليه وعلى أولاده واعتقلهم

(وفي خامسه) نادوا بخروج العساكر الارنؤدية الى العرضي وكل من بقي منهم ولم يكن معه ورقة من كبيره فدمه هدر وصار الوالي بعد ذلك كلما صادف شخصا عسكريا من غير ورقة قبض عليه وغيبه واستمر يفتش عليهم ويتجسس على اماكنهم ليلا ونهارا ويقبض على من يجده متخلفا والقصد من ذلك تمييز الارنؤدية من غيرهم المتداخلين فيهم وكذلك من مر على المتقيدين بابواب المدينة وذلك باتفاق بين المصرلية والارنؤدية لاجل تمييزهم من بعضهم وخروج غيرهم (وفيه) أطلعوا السيد علي القبطان أخا علي باشا الى القلعة (وفي سادسه) خرج البرديسي الى جهة شلقان ولم يخرج ابراهيم بك ولم ينتقل من بيته فنصب خيامه على موازاة خيام الالفي وباقي الامراء الى الجبل والارنؤدية

فبقوا

فبقوا كذلك الى ان أطلقهم الصاحب بن عباد فيما بعد واستخدم ابنه أبا طاهر واستكتبه وكان حسن الخط واللفظ

(ذكر الحرب بين عسكر العزيز وابن جراح وعزل قسام عن دمشق)

في هذه السنة سيرت العساكر من مصر لقتال المفرج بن جراح وسبب ذلك ان ابن جراح عظم شأنه بارض فلسطين وكثر جمعه وقويت شوكته وبالغ في العيث والفساد وتخريب البلاد فجهز العزيز بالله العساكر وسيرها وجعل عليها القائد يلتكين التركى فسار الى الرملة واجتمع اليه من العرب من قيس وغيرها جمع كثير وكان مع ابن جراح جمع يرمون بالنشاب ويقاتلون قتال الترك فالتقوا ونشبت الحرب بينهما وجعل يلتكين كمينا فخرج على عسكر ابن جراح من وراء ظهورهم عند اشتداد الحرب فانهزموا وأخذتهم سيوف المصريين ومضى ابن جراح منهزما الى انطاكية فاستجار بصاحبها فاجاره وصادف خروج ملك الروم من القسطنطينية في عساكر عظيمة يريد بلاد الاسلام فخاف ابن جراح وكاتب بكجور بحمص والتجأ اليه واما عسكر مصر فانهم نازلوا دمشق مخادعين لقسام لم يظهروا له الا انهم جاؤا لاصلاح البلد وكف الايدى المتطرقة الى الاذى وكان القائد أبو محمود قد مات سنة سبعين وهو والى البلد ولا حكم له وانما الحكم لقسام فلما مات قام بعده في الولاية جيش بن الصمصامة وهو ابن أخت أبي محمود فخرج الى يلتكين وهو يظن انه يريد اصلاح البلد فامره ان يخرج هو ومن معه وينزلوا بظاهر البلد ففعلوا وحذر قسام وأمر من معه بمباشرة الحرب فقاتلوا دفعات عدة فقوى عسكر يلتكين ودخلوا اطراف البلد وملكوا الشاغور واحرقوا ونهبوا فاجتمع مشايخ البلد عند قسام وكلموه في ان يخرجوا الى يلتكين ويأخذوا أمانا لهم وله فانخذل وذل وخضع بعد تجبره وتكبره وقال افعلوا ما شئتم وعاد أصحاب قسام اليه فوجدوه خائفا ملقيا بيده فاخذ كل لنفسه وخرج شيوخ البلد الى يلتكين فطلبوا امنه الامان لهم ولقسام فاجابهم اليه وقال أريد اتسلم البلد اليوم فقالوا افعل ما تؤمر فارسل واليا يقال له ابن خطلخ ومعه خيل ورجل وكان مبدأ هذه الحرب والحصر في المحرم سنة سبعين لعشر بقين منه والدخول الى البلد لثلاث بقين منه ولم يعرض لقسام ولا لاحد من أصحابه وأقام قسام في البلد يومين ثم استتر فاخذ كل ما في داره وما حولها من دور أصحابه وغيرهم ثم خرج الى الخيام فقصد حاجب يلتكين وعرفه نفسه فاخذه وحمله الى يلتكين فحمله يلتكين الى مصر فاطلقه العزيز واستراح الناس من تحكمه عليهم وتغلبه بمن تبعه من الاحداث من أهل العيث والفساد

(ذكر عدة حوادث)

وفيها توفى على بن محمد الاحدب المزور وكان يكتب على خط كل واحد فلا يشك المكتوب عنه انه خطه وكان عضد الدولة اذا أراد الايقاع بين الملوك أمره ان يكتب على خط بعضهم اليه في الموافقة على من يريد افساد الحال بينهما ثم يتوصل ليصل

جهة البحر وقد كان الباشا ارسل الى محمد على وكبار الارنؤدية وغيرهم من قبائل العربان ومشايخ البلاد المشهورين مكاتبات قبل خروجه من الاسكندرية يستميلهم اليه ويعدهم ويمنيهم ان قاموا بنصرته ويحذرهم ويخوفهم ان استمروا على الخلاف وموافقة العصاة المتغلبين فنقل الارنؤدية ذلك الى المصرلية وأطلعوهم على المكاتبات سرا فيما بينهم واتفقوا على رد جواب المراسلة من الارنؤدية بالموافقة على القيام معه اذا حضر الى مصر وخرج الامراء لملاقاته والسلام عليه فيكون هو وعساكره من أمامهم والارنؤدية المصرية من خلفهم فياخذونهم مواسطة فيستاصلونهم والموعد بشلقان وسهلوا له أمر الامراء المصرلية وأنهم في قلة لا يبلغون ألفا ولو بلغوا ذلك فمن المنضمين اليهم من خلاف قبيلتهم وهم أيضا معنا في الباطن ودبروا له تدبيرا ومناصحات تروج على الابالسة منها أن يختار من عسكره قدر كذا من الموصوفين بالشجاعة والمعرفة بالسباحة والقتال في البحر ويجعلهم في السفن قبالته في البحر وان يعدوا بالعساكر البرية الى البر الشرقي من مكان كذا ويجعل الخيالة والرجالة معه على صفة ذكروها له ولما وصل الى الرحمانية ارسل

المكتوب اليه فيفسد الحال وكان هذا الاحدب ربما اختمت يده لهذا السبب وفيها
زادت الفرات زيادة عظيمة جاوزت المالوف وغرق كثير من الغلات وغرقت الصراة
وخربت قناطرها العتيقة والجديدة واشفى اهل الجانب الغربي من بغداد على الغرق
وبقيت الزيادة بها وبدجلة ثلاثة اشهر ثم نقصت وفيها زفت ابنة عضد الدولة الى
الخليفة الطائع ومعها من الجواهر شيء لا يحصى وفيها ورد على عضد الدولة هدية من
صاحب اليمن فيها قطعة واحدة من عنبر وزنها ستة وخمسون رطلا وحج بالناس أبو الفتح
احمد بن عمر بن يحيى العلوى وخطب بمكة والمدينة للعزيز بالله صاحب مصر العلوى وفيها
توفى أبو بكر احمد بن على الرازى امام الفقهاء الحنفية فى زمانه وطلب ليلى قضاء القضاة
فامتنع وهو من أصحاب الكرخى وفيها توفى الزبير بن عبد الواحد بن موسى أبو يعلى
البغدادى سمع البغوى وابن صاعد وسافر الى أصبهان وخراسان واذربيجان وغيرها وسمع
فيها الكثير وتوفى بالموصل هذه السنة ومحمد بن جعفر بن الحسين بن محمد أبو بكر المفيد
المعروف بغندر توفى بمفازة بخارا وأبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس وأبو محمد على
ابن الحسن الاصبهانى والحسن بن بشر الآمدى وفيها توفى القائد أبو محمد ابراهيم بن
جعفر والى دمشق للعزيز وقام بعده جيش بن الصمصامة

(ثم دخلت سنة احدى وسبعين وثلثمائة)

(ذكر عزل ابن سيمجور عن خراسان)

فى هذه السنة عزل أبو الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور عن قيادة جيوش خراسان
واستعمل عوضه حسام الدولة أبو العباس تاش وكان سبب ذلك ان الامير نوح بن
منصور لما ملك خراسان وما وراء النهر وهو صبى استوزر أبا الحسين العتبى فقام فى حفظ
الدولة القيام المرضى وكان محمد بن سيمجور قد استوطن خراسان وطالت أيامه فيها فلا
يطيع الاوامر يدفعه فعزله أبو الحسين العتبى عنها واستعمل مكانه حسام الدولة أبا
العباس تاش وسيره من بخارا الى نيسابور فى هذه السنة فاستقر بها ودبر خراسان ونظر فى
أمورها واطاعه جندها

(ذكر استيلاء عضد الدولة على جرجان)

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة استولى عضد الدولة على بلاد جرجان وطبرستان واجلى
عنها صاحبها قابوس بن وشمكير وسبب ذلك ان عضد الدولة لما استولى على بلاد اخيه
فخر الدولة انهزم فخر الدولة فلحق بقابوس كما ذكرناه وبلغ ذلك عضد الدولة فارسل الى
قابوس يبذل له الرغائب من البلاد والاموال والعهود وغير ذلك ليسلم اليه أخاه فخر
الدولة فامتنع قابوس من ذلك ولم يجب اليه فجهز عضد الدولة اخاه مؤيد الدولة وسيره
ومعه العساكر والاموال والعدد الى جرجان وبلغ الخبر قابوس فسار اليه فلقيه بنواحى
استراباذ فاقتتلوا من بكرة الى الظهر فانهزم قابوس واصحابه فى جمادى الاولى وقصد
قابوس بعض قلاعه التى فيها ذخائره وأمواله فأخذ منها أراد وسار نحو نيسابور فلما وردها

له الاورنؤد مكاتبة سرا بان يعدى الى البر الشرقى ويبنوا
له صواب ذلك وهو يعتقد
نصحهم فعدى الى البر الشرقى
فلما حضر الى الشلقان رتب
عساكره وجعلهم طوابير
يجعل كل بينباشا فى طابور
يعملوا متاريس ونصبوا
المدافع واوقفوا المراكب بما
فيها من العساكر والمدافع
بالبحر على موازاة العرضى
فخرج الالفى كما ذكر بمن معه
من الامراء المصرلية والعساكر
الاورنؤدية وارسل الى الباشا
بالانتقال والتاخر فلم يجد بدا
من ذلك فتاخر الى زفيتة
ونزل ونصب هنالك وطاقه
ومتاريسه وفى وقت تلك
الحركة تسلل حسين بيك
الافرنجى ومن معه من العساكر
بالغلايين والمراكب
واستعلوا على مراكب الباشا
واحتاطوا بها وضربوا عليهم
بالبنادق والمدافع وساقوهم
الى جهة مصر واخذوهم
أسرى وذهبوا بهم الى الجيزة
بعدما قتلوا من كان فيهم من
العساكر المحاربين وكبيرهم
يسمى مصطفى باشا اخذوه
اسيرا ايضا وكان بالمراكب
اناس كثيرة من التجار وصحبتهم
بضائع واسباب رومية كان
الباشا عوقهم بسكندرية
فنزلوا فى المراكب ليصلوا
ببضائعهم وطمعا فى عدم
دفعهم الجمرك فوقعوا
ايضا فى الشرك وارتبكوا فيمن ارتبك ولما تاخر الباشا

لحق به فخر الدولة وانضم اليهما من تفرق من أصحابهما وكان وصولهم اليها عند ولاية حسام الدولة أبي العباس تاش خراسان فكتب حسام الدولة الى الامير أبي القاسم نوح ابن منصور يعرفه خبر وصولهما وكتبا أيضا الى نوح يعرفانه حالهما ويستنصرانه على مؤيد الدولة فوردت كتب نوح على حسام الدولة يأمره باجلالهما واكرامهما وجمع العساكر والمسير معهما واعادتهما الى ملكهما وكتب وزيره أبو الحسين بذلك أيضا

(ذكر مسير حسام الدولة وقابوس الى جرجان)

فلما وردت الكتب من الامير نوح على حسام الدولة بالمسير بعساكر خراسان جميعها مع فخر الدولة وقابوس جمع العساكر وحشد فاجتمع بنيسابور عساكر سدت الفضاء وساروا نحو جرجان فنازلوها وحصروها وبها مؤيد الدولة ومعه من عساكره وعساكر أخيه عضد الدولة جمع كثير الا انهم لا يقاربون عساكر خراسان فحصرهم حسام الدولة شهرين يغاديهم القتال ويراوحهم وضاقت الميرة على أهل جرجان حتى كانوا يأكلون نخالة الشعير معجونة بالطين فلما اشتد عليهم الامر خرجوا من جرجان في شهر رمضان على عزم صدق القتال اما لهم واما عليهم فلما رآهم أهل خراسان ظنوها كما تقدم من الدفعات يكون قتال ثم تحاجز فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فرأوا الامر خلاف ما ظنوه وكان مؤيد الدولة قد كاتب بعض قواد خراسان يسمى فائق الخاصة وأطمعه ورغبه فأجابه الى الانهزام عند اللقاء وسيرد من أخبار فائق هذا ما يعرف به محله من الدولة فلما خرج مؤيد الدولة هذا اليوم حمل عسكره على فائق وأصحابه فانهزم هو ومن معه وتبعه الناس وثبت فخر الدولة وحسام الدولة في القلب واشتد القتال الى آخر النهار فلما رأوا تلاحق الناس في الهزيمة لحقوا بهم وغنم أصحاب مؤيد الدولة منهم ما لا يعلمه الا الله تعالى وأخذوا من الاقوات شيئا كثيرا وعاد حسام الدولة وفخر الدولة وقابوس الى نيسابور وكتبوا الى بخارا بالخبر فأتاهم الجواب بتمنيهم ويعدهم بانفاذ العساكر والعود الى جرجان والري وأمر الامير نوح سائر العساكر بالمسير الى نيسابور فأتوها من كل حدب ينسلون فاجتمع بظاهر نيسابور من العساكر أكثر من المرة الاولى وحسام الدولة ينتظر تلاحق الامداد ليسير بهم فأتاهم الخبر بقتل الوزير أبي الحسين العتبي فتفرق ذلك الجمع وبطل ذلك التدبير وكان سبب قتله ان أبا الحسن بن سيمجور وضع جماعة من المماليك على قتله فوثبوا به فقتلوه فلما قتل كتب الرضي نوح بن منصور الى حسام الدولة يستدعيه الى بخارا ليدبر دولته ويجمع ما انتشر منها بقتل أبي الحسين فسار عن نيسابور اليها وقتل من ظفر به من قتلة أبي الحسين وكان قتله سنة اثنتين وسبعين

(ذكر قتل الامير أبي القاسم امير صقلية وهزيمة الفرنج)

في هذه السنة في ذي القعدة سار الامير أبو القاسم امير صقلية من المدينة يريد الجهاد وسبب ذلك ان ملكا من ملوك الفرنج يقال له بردويل خرج في جموع كثيرة من الفرنج

فمن منزلته واستقر باراضي زفيتة أحاطت به المصريون والعربان وحلقوا حوله ووقفوا العرضية بالرصد فكل من خرج عن الدائرة خطفوه ومن الحياة أعدموه وأرسل اليه الالفي على كاشف الكبير فقال له حضرة والدكم الالفي يسلم عليكم ويسأل عن هذه العساكر المصحوبين بركابكم وما الموجب لكثرتها وهذه هيئة المنابذين لا المسالمين والعادة القديمة أن الولاة لا يأتون الا باتباعهم وخدمهم المختصين بخدمتهم وقد ذكروا لكم ذلك وانتم باسكندرية فقال نعم وانما هذه العساكر متوجهة الى الحجاز تقوية لشريف باشا على الخارجي وعندما نستقر بالقلعة نعطيهم جماكيهم وتشهلهم ونرسلهم فقال انهم اعدوا لكم قصر العيني تقيمون به فان القلعة خربها الفرنسيس وغيروا أوضاعها فلا تصلح لسكناكم كما لا يخفاكم ذلك واما العسكر فلا يدخلون معكم بل ينفصلون عنكم ويذهبون الى بركة الحاج فيمكثون هناك حتى نشهل لهم احتياجاتهم ونرسلهم ولسنا نقول ذلك خوفا منهم وانما البلدة في قحط وغلاء والعساكر العثمانية منحرفو الطباع ولا يستقيم حالهم مع الارنؤدية ويقع بينهم ما يوجب الفشل والتعب لنا ولكم فقال اذا ارحل

الى صقلية فحصر قلعة مالطة وملكها واصاب سريتين للمسلمين فسار الامير ابو القاسم بعساكره ليرحله عن القلعة فلما قاربها خاف وجبن فجمع وجوه اصحابه وقال لهم انى راجع من مكانى هذا فلا تكسروا على رأيى فرجع هو وعساكره وكان اسطول الكفار يساير المسلمين فى البحر فلما رأوا المسلمين راجعين ارسلوا الى بردويل ملك الروم يعلمونه ويقولون له ان المسلمين خائفون منك فالحق بهم فانك تظفر بهم فجرد الفرنجي عسكره من اثقالهم وسار جريدة وجد فى السير فادركهم فى العشرين من المحرم سنة اثنتين وسبعين فتعبى المسلمون للقتال واقتتلوا واشتدت الحرب بينهم فحمل طائفة من الفرنج على القلب والاعلام فشقوا العسكر ووصلوا اليها وقد تفرق كثير من المسلمين عن اميرهم واختل نظامهم فوصل الفرنج اليه فاصابته ضربة على ام رأسه فقتل وقتل معه جماعة من اعيان الناس وشجعانهم ثم ان المنهزمين من المسلمين رجعوا مصممين على القتال ليتفرقوا او يموتوا واشتد حينئذ الامر وعظم الخطب على الطائفتين فانهزم الفرنج اقبح هزيمة وقتل منهم نحو اربعة آلاف قتيل واسر من بطارقتهم كثير وتبعوهم الى ان ادركهم الليل وغنموا من اموالهم كثيرا وافلت ملك الفرنج هاربا ومعه رجل يهودى كان خصيصا به فوقف فرس الملك فقال له اليهودى اركب فرسى فان قتلت فانت لولدى فركبه الملك وقتل اليهودى فنجا الملك الى خيامه وبها زوجته واصحابه فاخذهم وعاد الى رومية ولما قتل الامير ابو القاسم كان معه ابنه جابر فقام مقام ابيه ورحل بالمسلمين لوقتهم ولم يمكنهم من تمام الغنيمة فتركوا كثيرا منها وسأله اصحابه ان يقيم الى ان يجمع السلاح وغيره ويعمر به الخزائن فلم يفعل وكانت ولاية ابى القاسم على صقلية اثنتى عشرة سنة وخمسة اشهر وخمسة ايام وكان عادلا حسن السيرة كثير الشفقة على رعيته والاحسان اليهم عظيم الصدقة ولم يخلف دينارا ولا درهما ولا عقارا فانه كان قد وقف جميع املاكه على الفقراء وابواب البر

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة وقع حريق بالكرخ ببغداد فاحترق فيها مواضع كثيرة هلك فيها خلق كثير من الناس وبقى الحريق اسبوعا وفيها قبض عضد الدولة على القاضى ابى على المحسن بن على التنوخى والزمه منزله وعزله عن اعماله التى كان يتولاها وكان حنفى المذهب شديد التعصب على الشافعى يطلق لسانه فيه قاتله الله وفيها افرج عضد الدولة عن ابى اسحق ابراهيم بن هلال الصابى الكاتب وكان القبض عليه سنة سبع وستين وكان سبب قبضه انه كان يكتب عن بختيار كتبا فى معنى الخلف الواقع بينه وبين عضد الدولة فكان ينصح صاحبه فمما كتبه عن الخليفة الطائع الى عضد الدولة فى المعنى وقد لقب عز الدولة بشاهنشاه يتزحزح له عن سنن المساواة فنقم عليه عضد الدولة ذلك وهذا من اعجب الاشياء فانه كان ينبغى ان يعظم فى عينه لنصحه لصاحبه فلما اطلقه امره بعمل كتاب يتضمن اخبارهم ومحاسنهم فعمل التاجى فى دولة الديلم وفيها ارسل عضد الدولة القاضى ابا بكر محمد بن الطيب الاشعرى المعروف بابن الباقلانى الى ملك

وأرجع الى عسكري تهيئا وان فعلتم ذلك حصل لكم الضرر فقال ان العسكر لهم عندى اربعمائة وثمانون كيسا احضروها من حسابى معكم ندفعها لهم وينتقلون الى البركة كما قلتم ورجع على كاشف الى الامراء بذلك الجواب وحضر عابدى بك من طرف الباشا الى الامراء وهو كبير العساكر الانكشارية فكلموه وكلمهم وميلوه وخدعوه وذهب الى الباشا وعاد اليهم فكان آخر كلامهم له ان يتناوبنه فى غد اما ان الباشا يحضر عندنا فى جماعته المختصين به وينزل بخيمتنا واما الحرب بيننا وبينه وانتظروا عابدى بك فلم يرجع لهم بجواب وهى العلامة بينهم وبينه واشتغل هو تلك الليلة مع اصحابه وثبطهم وحل عزائمهم فلما اصبح الصباح ركب الامراء المصرلية بعساكرهم وحملوها طوابير وزحفوا الى عرضى الباشا من كل جهة فامر عساكره بالركوب والمحاربة فلم يتحركوا وقالوا لم تأمر بالمحاربة وليس معك فرمان بذلك واخواننا المصريون اخذوا من آخرهم ولم تعطنا جامكية ولا نفقة ولا طاقة لنا بحرب المصريين على هذا الوجه فلما تحقق خذلانهم له فى ذلك الوقت الضيق ركب فى خاصته وذهب الى الامراء وترك

كذبت فقال له هذا لا يكون

الروم فى جواب رسالة وردت منه فلما وصل الى الملك قيل له ليقبل الارض بين يديه فلم يفعل فقيل لاسبيل الى الدخول الامع تقبيل الارض فاصر على الامتناع فعمل الملك بابا صغيرا يدخل منه القاضى منحنيا ليوهم الحاضرين انه قبل الارض فلما رأى القاضى الباب علم ذلك فاستدبره ودخل منه فلما جازه استقبل الملك وهو قائم فعظم عنده محله وفيها افتتح المارستان العضدى غربى بغداد ونقل اليه جميع ما يحتاج اليه من الادوية وفى هذه السنة توفى الامام ابو بكر احمد بن ابراهيم بن اسمعيل الاسماعيلى الجرجانى الفقيه الشافعى وكان عالما بالحديث وغيره من العلوم والامام محمد بن احمد ابن عبد الله بن محمد ابو زيد المروزى الفقيه الشافعى الزاهد يروى صحيح البخارى عن الفربرى وتوفى فى رجب وابو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازى شيخ الصوفية فى وقته صحب الجريرى وابن عطاء وغيرهما وفيها توفى ابو الحسن على بن ابراهيم الصوفى المعروف بالحصرى

(ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة)

(ذكر ولاية بكجور دمشق)

قد ذكرنا سنة ست وستين ولاية بكجور حمص لابى المعالى بن سيف الدولة بن حمدان فلما وليها عمرها وكان بلد دمشق قد خربه العرب وأهل العيث والفساد مدة تحكم قسام عليها وانتقل أهله الى اعمال حمص فعمرت وكثر أهلها والغلات فيها ووقع الغلاء والقحط بدمشق فحمل بكجور الاقوات من حمص اليها وتردد الناس فى حمل الغلات وحفظ الطرق وحماها وكتب العزيز بالله بمصر وتقرب اليه فوعده ولاية دمشق فبقى كذلك الى هذه السنة ووقعت وحشة بين سعد الدولة ابى المعالى بن سيف الدولة وبين بكجور فارسل سعد الدولة يامره بان يفارق بلده فارسل بكجور الى العزيز بالله يطلب نجاز ما وعده من امارة دمشق وكان الوزير ابن كلس يمنع العزيز من ولايته الى هذه الغاية وكان القائد يلتكين قد ولى دمشق بعد قسام كما ذكرناه وهو مقيم بها فاجتمع المغاربة بمصر على الوثوب بالوزير ابن كلس وقتله فدعته الضرورة الى ان يستحضر يلتكين من دمشق فامره العزيز باحضاره وتسليم دمشق الى بكجور فقال ان بكجور ان وليها عصا فيها فلم يصغ الى قوله وارسل الى يلتكين يامره بقصد مصر وتسليم دمشق الى بكجور ففعل ذلك ودخلها فى رجب من هذه السنة ووليها فاساء السيرة الى اصحاب الوزير ابن كلس والمتعلقين به حتى انه صلب بعضهم وفعل مثل ذلك فى اهل البلد وظلم الناس وكان لا يخلو من اخذ مال وقتل وصلب وعقوبة فبقى كذلك الى سنة ثمان وسبعين وثلثمائة وسنذكر هناك عزله ان شاء الله تعالى

(ذكر وفاة عضد الدولة)

فى هذه السنة فى شوال اشتدت علة عضد الدولة وهو ما كان يعتاده من الصرع فضعفت قوته عن دفعه فخنقه فمات منه ثامن شوال ببغداد وحمل الى مشهد أمير المؤمنين على

خيامه واثقاله فاستقبلوه وآرساوه تحقيقة عثمان بك الخازندار ورضوان كتخدا البرديسى وأحمد اغاشويكار الى خيام اعدوها له عند خيام البرديسى وحضر اليه كتخدا الجاويشية وكاتب حوالة والوالى وباقى أرباب خدم الديوان وذهب بعض خدمه وفراشينه الى قصر العينى ليفرشوه ويرتبوه وينظموه واحضر وامصطفى باشا الذى كان فى المراكب وما كان بصحبته من لوازم الباشا الى القصر المذكور وأشيع صلح الامراء مع الباشا ثم ان الالفى أرسل الى كبار عسكر الباشا فطلبهم ليعطيهم جماكيهم فلما حضروا عنده وعدتهم سبعة عرف منهم ستة من المطرودين فى الفتن السابقة داروا ورجعوا الى اسكندرية لما سمعوا بعلى باشا وبخهم ولعنهم وقال لهم اطلقنا كم وأعتقنا كم وعفونا عنكم وسفرنا كم وكاتبكم عدتم لتاخذوا بثاركم ثم أمر بضرب اعناقهم ففعل بهم ذلك ورموا فى البحر ما عدا سابعهم فانه لم يكن من الذين حضروا الى مصر وتعارف محمد على معه فشفع فيه وتركوه مع الارنؤد واحضر وامتاع الباشا وحملته وطبلخاناته من عرضيه الى عرضى الامراء وأمروا أولئك العساكر بالرحيل فرحلوا مع حسين بك الوشاش الالفى وصالح بك الالفى وقد كان

نزل الى الشرقية وتحضر عند
من العربان ثم وجمع مع
خشداشينه مع العسكر الى
شرقية بلبيس ليوصلوهم
الى الصالحية والله اعلم ماذا فعل
بهم وعدتهم الفان وخمسمائة
وانتقل الامراء والباشا الى
منية السيرج في ثامنه واشيع
ركوب الباشا بالموكب الى
قصر العيني على طريق
بولاق يوم الاثنين عاشره
وجمع المحتسب خيول
الطواحين وخرج كثير من
الناس في ذلك اليوم الى
جهة بولاق لاجل الفرجة
وانتظروا ذلك فلم يحصل
وقيل انهم أخروه الى يوم
الاربعاء ثاني عشره فلما كان
يوم الاربعاء المذكور وصل
في صبحها التنابيه لاختيارية
الوجاقات بالحضور والركوب
مع الباشا فلما كان وقت
الضحوة الكبرى تواترت
الاخبار انهم أركبوا الباشا
وسفروه الى جهة بلبيس
والصالحية وكان من خبره أنه
لما حضر الى مخيم الامراء
أرسل اليه عثمان بك
البرديسي كتخداه رضوان
كاشف المعروف بالغرباوي
بهدية وألف نصفية ذهب
وبلغه السلام ولاطفه وقال
الباشا له ولمن حضر من الامراء
انا عندما تقلدت ولاية مصر
قلت للدولة ان أول حوائجي
اليه فرو لرضاء الامراء المصرلية لان لهم في عنقي جميلا

عليه السلام فدفن به وكانت ولايته بالعراق خمس سنين ونصفا ولما توفي جلس ابنه
صمصام الدولة ابو كاليجار المرزبان فأتاه الطائع لله معزيا وكان عمر عضد الدولة سبعا
واربعين سنة وكان قد سير ولده شرف الدولة أبا الفوارس الى كرمان مالكا لها قبل أن
يشتد مرضه وقيل انه لما احتضر لم ينطلق لسانه الا بتلاوة ما أغنى عني ماليه هلك عني
سلطانيه وكان عاقلا فاضلا حسن السياسة كثير الاصابة شديد الهيبة بعيد الهمة ثاقب
الرأي محبا للفضائل وأهلها باذلا في مواضع العطاء مانعا في أماكن الحزم ناظرا في
عواقب الامور قيل لما مات عضد الدولة بلغ خبره بعض العلماء وعنده جماعة من
أعيان الفضلاء فتذاكروا الكلمات التي قالها الحكماء عند موت الاسكندر وقد
ذكرتها في اخباره فقال لهم بعضهم لو قلتم انتم مثلها لكان ذلك يؤثر عنكم فقال احدهم
لقد وزن هذا الشخص الدنيا بغير مثقالها واعطاها فوق قيمتها وطلب الربح فيها فخسر
روحه فيها وقال الثاني من استيقظ للدنيا فهذا نومه ومن حلم فيها فهذا انتباهه وقال
الثالث ما رأيت عاقلا في عقله ولا غافلا في غفلته مثله لقد كان ينقض جانبا وهو يظن
انه مبرم ويغرم وهو يظن انه غانم وقال الرابع من جد للدنيا هزلت به ومن هزل
راغبا عنها جدت له وقال الخامس ترك هذا الدنيا شاغرة ورحل عنها بلا زاد ولا راحلة
وقال السادس ان ماء اطفأ هذه النار لعظيم وان ريحا زعزعت هذا الركن لعصوف
وقال السابع انما سلبك من قدر عليك وقال الثامن اما انه لو كان معتبرا في حياته
لما صار عبرة في مماته وقال التاسع الصاعد في درجات الدنيا الى استفال والنازل في
دركاتها الى تعال وقال العاشر كيف غفلت عن كيد هذا الامر حتى نفذ فيك وهلا
اتخذت دونه جنة تقيك ان في ذلك لعبرة للمعتبرين وانك لآية للمستبصرين وبنى على
مدينة النبي صلى الله عليه وسلم سورا وله شعر حسن فمن شعره لما ارسل اليه أبو تغلب بن
حمدان يعتذر من مساعدته بختيارا ويطلب الامان فقال عضد الدولة

أأفاق حين وطئت ضيق خناقه * يبغي الامان وكان يبغي صارما
فلأركبن عزيمة عضدية * تاجية تدع الانوف رواغما

وقال ابياتا منها بيت لم يفلح بعده وهي هذه

ليس شرب الكاس الا في المطر * وغناء من جوار في السحر
غانيات سالبات للنهى * ناغمات في تضاعيف الوتر
مبرزات الكاس من مطلعها * ساقيات الراح من فاق البشر
عضد الدولة وابن ركنها * ملك الاملاك غلاب القدر

وهذا البيت هو المشار اليه وحكي عنه انه كان في قصره جماعة من الغلمان يحمل
اليهم مشاهراتهم من الخزانة فامر ابا نصر خواشاذه ان يتقدم الى الخازن بان يسلم
جامكية الغلمان الى نقيبهم في شهر قد بقي منه ثلاثة أيام قال أبو نصر فانسيت ذلك
أربعة ايام فسالني عضد الدولة عن ذلك فقلت انسيته فاغلظ لي فقلت امس استهل
الشهر والساعة نحمل المال وما ههنا ما يوجب شغل القلب فقال المصيبة بما لا تعلمه

من

من الغلط أكثر منها في التفريط ألا تعلم انا اذا أطلقنا لهم مالهم قبل محله كان الفضل لنا عليهم فاذا أخرنا ذلك عنهم حتى استهل الشهر الآخر حضروا عند عارضهم وطالبوه فيعدهم فيحضرون نمضي اليوم الثاني فيعدهم ثم يحضرونه في اليوم الثالث ويبسطون ألسنتهم فتضيع المنة وتحصل الجراءة ونكون الى الخساوة اقرب منا الى الربح وكان لا يعول في الامور الا على الكفاة ولا يجعل للشفاعات طريقا الى معارضتهم ممن ليس من جنس الشافع ولا فيما يتعلق به حكي عنه ان مقدم جيشه اسفار بن كردويه شفع في بعض ابناء العدول ليتقدم الى القاضي ليسمع تزكيته ويعدله فقال ليس هذا من اشغالك انما الذي يتعلق بك الخطاب في زيادة قائد ونقل مرتبة جندي وما يتعلق بهم واما الشهادة وقبولها فهي الى القاضي وليس لنا ولا لك الكلام فيه ومتى عرف القضاة من انسان ما يجوز معه قبول شهادته فعلوا ذلك بغير شفاعة وكان يخرج في ابتداء كل سنة شيئا كثيرا من الاموال للصدقة والبر في سائر بلاده ويامر بتسليم ذلك الى القضاة ووجوه الناس ليصرفوه الى مستحقيه وكان يوصل الى العمال المتعطلين ما يقوم بهم ويحاسبهم به اذا عملوا وكان محبا للعلوم وأهلها مقربا لهم محسنا اليهم وكان يجلس معهم يعارضهم في المسائل فقصده العلماء من كل بلد وصنفوا له الكتب ومنها الايضاح في النحو والحجة في القراآت والملكي في الطب والتاجي في التاريخ الى غير ذلك وعمل المصالح في سائر البلاد كالبيمارستانات والقناطر وغير ذلك من المصالح العامة الا انه احدث في آخر أيامه رسوما جائرة في المساحة والضرائب على بيع الدواب وغيرها من الامتعة وزاد على ما تقدم ومنع من عمل الثلج والقز وجعلهما متجرا للخاص وكان يتوصل الى أخذ المال بكل طريق ولما توفي عضد الدولة قبض على نائبه ابي الريان من العقد فاخذ من كمه رقعة فيها

أيا واثقا بالدهر عند انصرافه * رويدك اني بالزمان أخو خبر
و يا شامتا مهلا فكم ذي شماتة * تكون له العقبى بقاصمة الظهر

(ذكر ولاية صمصام الدولة العراق وملك اخيه شرف الدولة بلاد فارس)

لما توفي عضد الدولة اجتمع القواد والامراء على ولده أبي كاليجار المرزبان فبايعوه وولوه الامارة ولقبوه صمصام الدولة فلما ولي خلع على أخويه أبي الحسين أحمد وأبي طاهر فيروزشاه وأقطعهما فارس وأمرهما بالجد في السير ليسبقا أخاهما شرف الدولة أبا الفوارس شيرزيل الى شيراز فلما وصلا الى ارجان أتاهما خبر وصول شرف الدولة الى شيراز فعادا الى الاهواز وكان شرف الدولة بكرمان فلما بلغه خبر وفاة أبيه سار مجدا الى فارس فملكها وقبض على نصر بن هرون النصراني وزير أبيه وقتله لانه كان يسيء صحبته أيام أبيه واصلح أمر البلاد وأطلق الشريف أبا الحسين محمد بن عمر العلوي والنقيب أبا أحمد الموسوي والد الشريف الرضي والقاضي أبا محمد بن معروف وأبا نصر خواشاذه وكان عضد الدولة حبسهم وأظهر مشاقة أخيه صمصام الدولة وقطع خطبته وخطب لنفسه وتلقب بتاج الدولة وفرق الاموال وجمع الرجال وملك البصرة واقطعها

عندما حضرت ، و اليهما ربا من طرابلس فا و وفد وأكرموني وأقمت معهم مدة طويلة في غاية الحظ والاكرام ولا انسى معروفهم فانهم باتهم أيضا يراعون له ذلك ولا ينسون عشرته معه وخصوصا صداقته لسيده مراد بك فانه كان معه كالاخوين ولا يأنس الا بمجالسته وركوبه معه الى الصيد وغيره ولو وقع منهما وقع مكاتبة الارنود والعربان وغيرهم فقال هذا شئ قد كان ونحن أولاد اليوم وأقام ثلاثة أيام بالخيام التي اجلسوه بها في عرضي البرديسي ورتب له طعاما في الغداء والعشاء من طعامه ولم يجتمع به أحد من الامراء الكبار سوى عثمان بك يوسف المعروف بالخازندار وأحمد أغا شويكار وأرباب الخدم واما الذنب الذي نقموه عليه فهو انهم ذكروا ان في الليلة التي بات بها في عرضي البرديسي كان خرج من خيامه فارس على فرس يعدو بسرعة فصهلت الخيل وانزعج العرضي وجروا خلفه فلم يلحقوه فسألوا الباشا عن ذلك فقال اعله حرامي اراد ان يسرق شيئا وخرج هاربا فلما حصل ذلك أجلسوا حوله عدة من المماليك المسلحين فسأل عنهم فقيل له انهم جلوس بقصد المحافظة من السراق ثم انهم قبضوا على هدان نشاه .. السانين مسافر الى قبلي وادعوا انهم

أخاه أبا الحسين فبقى كذلك ثلاث سنين الى ان قبض عليه شرف الدولة على ما نذكره ان شاء الله تعالى فلما سمع صمصام الدولة بما فعله شرف الدولة سير اليه جيشا واستعمل عليهم الامير أبا الحسن بن دبعش حاجب عضد الدولة فجهز تاج الدولة عسكرا واستعمل عليهم الامير أبا الاعز دبيس بن عفيف الاسدى فالتقيا بظاهر قرقوب واقتتلوا فانهزم عسكر صمصام الدولة وأسر دبعش فاستولى حينئذ أبو الحسين بن عضد الدولة على الاهواز وأخذ ما فيها وفى رامهرمز وطمع فى الملك وكانت الوقعة فى ربيع الاول سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة

(ذكر قتل الحسين بن عمران بن شاهين)

فى هذه السنة قتل الحسين بن عمران بن شاهين صاحب البطيحة قتله أخوه أبو الفرج واستولى على البطيحة وكان سبب قتله انه حسده على ولايته ومحبة الناس له فاتفق ان اختهما مرضت فقال أبو الفرج لاخيه الحسين أن أختنا مشفية فلو عدتها ففعل وسار اليها ورتب أبو الفرج فى الدار نفرا يساعدونه على قتله فلما دخل الحسين الدار تخلف عنه أصحابه ودخل أبو الفرج معه وبيده سيفه فلما خلا به قتله ووقعت الصيحة فصعد الى السطح وأعلم العسكر بقتله ووعدهم الاحسان فسكتوا وبذل لهم المال فاقروه فى الامر وكتب الى بغداد يظهر الطاعة ويطلب تقليده الولاية وكان متهورا جاهلا

(ذكر عود ابن سيمجور الى خراسان)

لما عزل ابو الحسن بن سيمجور عن قيادة جيوش خراسان ووليها أبو العباس سار ابن سيمجور الى سجستان فاقام بها فلما انهزم أبو العباس عن جرجان على ما ذكرناه ورأى الفتنة قد رفعت رأسها سار عن سجستان نحو خراسان وأقام بقهستان فلما سار أبو العباس الى بخارا وخلت منه خراسان كاتب ابن سيمجور فائقا يطلب موافقته على الاستيلاء على خراسان فاجابه الى ذلك واجتمعا بنيسابور واستوليا على تلك النواحى وبلغ الخبر الى أبى العباس فسار عن بخارا فى جمع كثير الى مرو وترددت الرسل بينهم فاصطلحوا على ان تكون نيسابور وقيادة الجيوش لابى العباس وتكون بلخ لفائق وتكون هراة لابى على بن أبى الحسن بن سيمجور وتفرقوا على ذلك وقصد كل واحد منهم ولايته

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة توفى نقيب النقباء أبو تمام الزينبي وولى النقابة بعده ابنه أبو الحسن وتوفى محمد بن جعفر المعروف بزوج الحرة فى صفر ببغداد وتوفى فى جمادى الاولى منصور ابن أحمد بن هرون الزاهد وهو ابن خمس وستين سنة

(ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة)

وتجهزوا ومعهم مكاتبات من الباشا خطابا الى عثمان بك حسن يقنا بطلبه للحضور الى مصر ليكون معينا له ويعده بامارة مصر ونحو ذلك فلما كان يوم الاربعاء المذكور حضر اليه الجماعة فسلموا عليه وأذن لهم بالجلوس فجلسوا وهم سكوت ينظرون الى بعضهم فنظر لهم الباشا وقال خيرا فتكلم رضوان كتخدا البرديسى وقال ألسنا اصطلحنا مع حضرة افندينا وصفا خاطره معنا قال نعم قال له هل وقع من حضرتكم لأحد مكاتبة قبل ذلك قال لا قال لعلكم ارسلتم مكاتبة الى قبلى قال لم يكن ذلك أبدا فاخرج له مكتوبا وناوله اياه فلما رآه قال نعم هذا انما كنا كتبناه باسكندرية فقالوا له انا وجدناه أمس مع الهجان المسافر به الى جهة البساتين قبض عليه الحافظون بتلك الجهة فى ساعته وتاريخه قريب فسكت متفكرا فقاموا على اقدامهم وقالوا يريدون يعنى تفضلوا فقال الى أين فقالوا الى غزة فانه لا أمان لكم بعد ذلك ولم يمهلوه الكلام يقوله ولا عذر يبديه حتى انهم لم يمهلوه لحين ركوبه مختص به بل قدموا له فرسا ببعض المماليك واركبوه وفى حال ركوبه رأى الامراء المستعدين للذهاب معه وقوفا فى انتظاره فقال لهم ان صحبنى احد منكم فقد له المم يكونون

(ذكر

(ذكر موت مؤيد الدولة وعود فخر الدولة الى مملكته)

فى هذه السنة فى شعبان توفى مؤيد الدولة أبو منصور بويه بن ركن الدولة بجرجان وكانت علته الخوانيق وقال له الصاحب بن عباد لو عهدت الى أحد فقال أنا فى شغل عن هذا ولم يعهد بالملك الى احد وكان عمره ثلاثا وأربعين سنة وجلس صمصام الدولة للعزاء ببغداد فاتاه الطائع لله معزيا فلقيه فى طيارة ولما مات مؤيد الدولة تشاور أكابر دولته فيمن يقوم مقامه فاشار الصاحب اسمعيل بن عباد باعادة فخر الدولة الى مملكته اذ هو كبير البيت ومالك تلك البلاد قبل مؤيد الدولة ولما فيه من آيات الامارة والملك فكتب اليه واستدعاه وهو بنيسابور وارسل الصاحب اليه واستخلفه لنفسه واقام فى الوقت خسرو فيروز بن ركن الدولة ليسكن الناس الى قدوم فخر الدولة فلما وصلت الاخبار الى فخر الدولة سار الى جرجان فلقيه العسكر بالطاعة وجلس فى دست ملكه فى رمضان بغير منة لاحد فسبحان من اذا اراد امرا كان ولما عاد الى مملكته قال له الصاحب يا مولانا قد بلغك الله وبلغنى فيك ما املته ومن حقوق خدمتى لك اجابتى الى ترك الجندية وملازمة دارى والتوفر على امر الله فقال لا تقل هذا فما اريد الملك الا لك ولا يستقيم لى امر الا بك واذا كرهت ملابسة الامور كرهتها أنا أيضا وانصرفت فقبل الارض وقال الامر لك فاستوزره واكرمه وعظمه وصدر عن رأيه فى جليل الامور وصغيرها وسيرت الخلع من الخليفة الى فخر الدولة والعهد واتفق فخر الدولة وصمصام الدولة فصارا يدا واحدة

(ذكر عزل ابى العباس عن خراسان وولاية ابن سيمجور)

لما عاد أبو العباس من بخارا الى نيسابور كما ذكرناه استوزر الامير نوح عبد الله بن عزير وكان ضدا لابى الحسين العتبى ولابى العباس فلما ولى الوزارة بدأ بعزل ابى العباس من خراسان واعادة ابى الحسن بن سيمجور اليها فكتب من بخراسان من القواد اليه يسألونه ان يقر ابا العباس على عمله فلم يجبهم الى ذلك فكتب ابو العباس الى فخر الدولة بن بويه يستمده فامده بمال كثير وعسكر فاقاموا بنيسابور واتاهم أبو محمد عبد الله بن عبد الرزاق معاضدا لهم على ابن سيمجور وكان أبو العباس حينئذ بمرو فلما سمع أبو الحسن بن سيمجور وفائق بوصول عسكر فخر الدولة الى نيسابور قصدوهم فانحاز عسكر فخر الدولة وابن عبد الرزاق واقاموا ينتظرون أبا العباس ونزل ابن سيمجور ومن معه بظاهر نيسابور ووصل أبو العباس فيمن معه واجتمع بعسكر الديلم ونزل بالجانب الآخر وجرى بينهم حروب عدة أيام وتحصن ابن سيمجور بالبلد وانفذ فخر الدولة الى أبى العباس عسكرا آخر اكثر من ألفى فارس فلما رأى ابن سيمجور قوة أبى العباس انحاز عن نيسابور فسار عنها البلا وتبعه عسكر أبى العباس فغنموا كثيرا من أموالهم ودوابهم واستولى أبو العباس على نيسابور وواسل الامير نوح بن منصور يستميله ويستعطفه ولج ابن عزير فى عزله ووافقه على ذلك والدة الامير نوح وكانت تحكم فى دولة ولدها وكانوا يصدرون عن رأيها فقال

متباهين علي في الخيل والتهال فاجابوه الى ذلك وسار معه محمد بك المنفوخ وسليمان بك صهر ابراهيم بك على الشرط وركب اتباعه خيول الطواحين التى كانوا أعدوها للركوب وكان الطحانون ينتظرون متى ينقضى الركوب ويأخذون خيرهم فلما تحقق سفرهم طارت عقول الطحانين وذهبوا الى ديوان البرديسى يشكون اليه عطل مطاحن البلد فقال لهم دونكم هاهى أمامكم اذهبوا فخذوها فخرجوا خلفهم وأمسك كل طحان فى فرسه أو افراسه وأنزل عنها راكبها واخذوها ورجعوا مسرورين بخيولهم ولم يقدروا على منعهم لانهم صاروا أذلاء مقهورين وركبوا ابدلها جمالا وجهز البرديسى طبلخانة الباشا ومهاترته وطقمه وغالب متاعه وأشيع ركوبه وذهابه وأصبح يوم الخميس ثالث عشره فدخل الامراء والعساكر الارنؤدية وأكابرهم وهم فرحون مسرورون وخلفهم الطبول والزمور وركب حسين بك الافرنجى المعروف باليهودى وأمامه العسكر المختصون به بطبلهم مثل طبل الفرنسيس وعلى رؤسهم برانيط من نحاس اصفر وهم نصارى وأروام وقروود وخلف البرديسى نوبة الباشا ومهاترته وجميعهم يطبلون ويزمرون ولم يدخل الالفى معهم

بعض أهل العصر في ذلك

شيئان يعجز ذو الرياضة عنهما * رأى النساء وامرة الصبيان
أما النساء فميلهن الى الهوى * وأخو الصبا يجرى بغير عنان

(ذكر انهزام أبي العباس الى جرجان ووفاته)

لما انهزم ابن سيمجور أقام أبو العباس بنيسابور يستعطف الامير نوحا ووزيره ابن عزير وترك اتباع ابن سيمجور واخراجه من خراسان فتراجع الى ابن سيمجور أصحابه المنهزمون وعادت قوته وأتته الامداد من بخارا وكاتب شرف الدولة أبا الفوارس بن عضد الدولة وهو بفارس يستمده فامده بالفى فارس مراغمة لعمه فخر الدولة فلما كثف جمعه قصد أبا العباس فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا الى آخر النهار فانهزم أبو العباس وأصحابه وأسر منهم جماعة كثيرة وقصد أبو العباس جرجان وبها فخر الدولة فاكرمه وعظمه وترك له جرجان ودهستان واستراباذ صافية له ولمن معه وسار عنها الى الرى وأرسل اليه من الاموال والآلات ما يجل عن الوصف وأقام أبو العباس بجرجان هو وأصحابه وجمع العساكر وسار نحو خراسان فلم يصل اليها وعاد الى جرجان وأقام بها ثلاث سنين ثم وقع بها وباء شديد ومات فيه كثير من أصحابه ثم مات هو أيضا وكان موته سنة سبع وسبعين وقيل انه مات مسموما وكان أصحابه قد أساؤا السيرة مع أهل جرجان فلما مات ثار بهم أهلها ونهبوهم وجرت بينهم وقعة عظيمة أجلت عن هزيمة الجرجانية وقتل منهم خلق كثير وأحرقت دورهم ونهبت أموالهم وطلب مشايخهم الامان فكفوا عنهم وتفرق أصحابه فسار أكثرهم الى خراسان واتصلوا بابى على بن ابى الحسن بن سيمجور وكان حينئذ صاحب الجيش مكان ابيه وكان والده قد توفى فجأة وهو يجامع بعض حظاياه فمات على صدرها فلما مات قام بالامر بعده ابنه ابو على واجتمع اخوته على طاعته منهم اخوه ابو القاسم وغيره فنازعه فائق الولاية وسنذكر ذلك سنة ثلاث وثمانين عند ملك الترك بخارا ان شاء الله تعالى

(ذكر قتل ابى الفرج محمد بن عمران وملك ابى المعالى ابن اخيه الحسن)

فى هذه السنه قتل ابو الفرج محمد بن عمران بن شاهين صاحب البطيحة وولى ابو المعالى ابن اخيه الحسن وسبب قتله ان ابا الفرج قدم الجماعة الذين ساعدوه على قتل اخيه ووضع من حال مقدمى القواد فجمعهم المظفر بن على الحاجب وهو اكبر قواد ابيه عمران واخيه الحسن وحذرهم عاقبة امرهم فاجتمعوا على قتل ابى الفرج فقتله المظفر واجلس أبا المعالى مكانه وتولى تدبيره بنفسه وقتل كل من كان يخافه من القواد ولم يترك معه الا من يثق به وكان أبو المعالى صغيرا

(ذكر استيلاء المظفر على البطيحة)

لما طالت ايام على المظفر بن على الحاجب وقوى أمره طمع فى الاستقلال بامر البطيحة فوضع كتابا عن لسان صمصام الدولة اليه يتضمن التعويل عليه فى ولاية البطيحة

وسلمه

بل ركب من مرضيه بامرائه وكشافه فذهب الى عرب بلى بالجزيرة فطرقهم على حين غفلة وقتل منهم اناسا ونهب مواشيهم ونعمهم وضرب أيضا زفيتة واجهور ونحو عشرين بلدا وحرقوا أكثرهم وأخذوا زرعهم ومتاعهم بسبب انه لما كان الباشا كاتب مشايخ البلاد والعربان اغتروا به وعند ما حل بالقرب منهم قبحوا فى حق المصرلية وأتباعهم وطردوهم وأسمعوهم أفحش الكلام وقامت عربان الشرقية وتعصبوا على صالح بك الالفى فاوجب تحامل المصرلية عليهم حتى جازوهم به عند ما فرغوا من أمر الباشا (وفى تلك الليلة أعنى ليلة الجمعة رابع عشره) حصل خسوف القمر جزئى بعد رابع ساعة من الليل ومقدار المنخسف أربع اصابع وثلث وانجلى فى سابع ساعة الا شيئا يسيرا (وفى ذلك اليوم) أرسل البرديسى الى شيخ السادات ... كرة صحبة واحد كاشف من أتباعه يطلب عشرين ألف ريال سلفة فلاطفه ورده بلطف فرجع الى مخدومه وأبقى ببيت الشيخ جماعة من العسكر توبخه على الرجوع من غير قضاء حاجة وامره بالعود ثانيا فعاد اليه فى خامس ساعة من الليل وصحبته جماعة أخرى من العسكر فازعجوا اهل ... ت وأوساعت عديلة هانم ابنة ابراهيم بك الى المعينين

وسلمه الى وكان غريب وامره ان يأتيه اذا كان القوّاد والاجناد عنده ففعل ذلك وأتاه وعليه أثر الغبار وسلم اليه الكتاب فقبله وقصوقراه بحضر من الاجناد واجاب بالسمع والطاعة وعزل ابا المعالى وجعله مع والدته واجرى عليهما ابرايةٍ ثم اخرجهما الى واسط وكان يصلهما بما ينفقانه واستبد بالامر واحسن السيرة وعدل فى الناس مدة ثم انه عهد الى ابن أخته أبى الحسن على بن نصر الملقب بمهذب الدولة وكان يلقب حينئذ بالامير المختار وبعده الى أبى الحسن على بن جعفر وهو ابن أخته الاخرى وانقرض بيت عمران بن شاهين وكذلك الدنيا دول وما أشبه حاله بحال باذخاله ملك وانتقل الملك الى ابن اخته ممهد الدولة بن مروان

(ذكر عصيان محمد بن غانم)

وفيها عصا محمد بن غانم البرزيكانى بناحية كوردز من أعمال قم على فخر الدولة وأخذ بعض غلات السلطان وامتنع بحصن الهفتجان وجمع البرزيكانى الى نفسه فسارت اليه العساكر فى شوّال لقتاله فهزمها واعيدت اليه من الرى مرة أخرى فهزمها فارسل فخر الدولة الى أبى النجم بدر بن حسنويه ينكر ذلك عليه ويأمره باصلاح الحال معه ففعل وراسله فاصطلحوا اول سنة اربع وسبعين وبقى الى سنة خمس وسبعين فسار اليه جيش لفخر الدولة فقاتله فاصابه طعنة وأخذ اسيرا فمات من طعنته

(ذكر انتقال بعض صنهاجة من افريقية الى الاندلس وما فعلوه)

فى هذه السنة انتقل اولاد زيرى بن مناد وهم زاوى وجلالة وماكسن اخوة بلكين الى الاندلس وسبب ذلك انهم وقع بينهم وبين أخيهم حماد حروب وقتال على بلاد بينهم فغلبهم حماد فتوجهوا الى طنجة ومنها الى قرطبة فانزلهم محمد بن أبى عامر وسربهم وأجرى عليهم الوظائف واكرمهم وسالهم عن سبب انتقالهم فاخبروه وقالوا له انما اخترناك على غيرك واحببنا ان نكون معك تحت امرك فى سبيل الله فاستحسن ذلك منهم ووعدهم ووصلهم فاقاموا أياما ثم دخلوا عليه وسالوه انجاز ما وعدهم به من الغزو فقال انظروا ما أردتم من الجند نعطيكم فقالوا ما يدخل معنا بلاد العدو غيرنا الا الذين معنا من بنى عمنا وصنهاجة وموالينا فاعطاهم الخيل والسلاح والاموال وبعث معهم دليلا وكان الطريق ضيقا فاتوا أرض جليقية فدخلوها ليلا وكمنوا فى بستان بالقرب من المدينة وقتلوا كل من به وقطعوا اشجاره فلما اصبحوا خرج جماعة عن البلد فضربوا عليهم وأخذوهم وقتلوهم جميعهم فرجعوا وتسامع العدو فركبوا فى أثرهم فلما احسوا بذلك كمنوا وراء ربوة فلما جاوزهم العدو خرجوا عليهم من ورائهم وضربوا فى ساقتهم وكبروا فلما سمع العدو تكبيرهم ظنوا أن العدد كثير فانهزموا وتبعهم صنهاجة فقتلوا خلقا كثيرا وغنموا دوابهم وسلاحهم وعادوا الى قرطبة فعظم ذلك عند ابن أبى عامر ورأى من شجاعتهم ما لم يره من جند الاندلس فاحسن اليهم وجعلهم بطانته

وأرسلت الى ابيها الان منزلـ... ثارهم ان لا يعملوا قلة أدب

بجواره فاهتم لذلك وأرسل خليل بك الى البرديسى فكان من ذلك بعد علاج وسعى ورفة المعينين (وفى ليلة الخميس عشرينه) وصلت اخبار ومكاتبات من الامراء الذين ذهبوا بصحبة الباشا يخبرون فيها بموت الباشا بالقرين فضربوا مدافع كثيرة بعد العشاء ونصف الليل ومضمون ما ذكروه فى المراسلة ان الباشا أراد ان يكبسهم بمن معه ليلا وكان معهم سائس يعرف بالتركى فحضر اليهم وأخبرهم فتحذروا منهم فلما كبسوهم وقعت بينهم محاربة وقتل منهم عدة من المماليك وخازندار محمد بك المنفوخ وانجرح المنفوخ أيضا جرحا بليغا وأصيب الباشا وصاحبه من غير قصد والليل ليس له صاحب فقضى عليه وكان ذلك مقدورا وفى الكتاب مسطورا وانكم ترسلوا لنا أمانا بالحضور الى مصر والا ذهبنا الى الصعيد هذا ما قالوه والواقع انهم لما سافروا معه كان بصحبته خمسة وأربعون نفسا لا غير والعساكر التى كانت سافرت قبله ذهبت الى الصالحية اوذهبت حيث شاء الله وكان امامه عسكر المغاربة وخلفه الامراء المصرلية فلما وصلوا الى اراضى القرين ونزلوا هنالك

عمل المغاربة بقمع الخدم مشاجرة وجسموها الى ان

(ذكر غزو ابن أبي عامر الى الفرنج بالاندلس)

لما رأى اهل الاندلس فعل صنهاجة حسدوهم ورغبوا في الجهاد وقالوا للمنصور بن ابي عامر لقد نشطنا هؤلاء للغزو فجمع الجيوش الكثيرة من سائر الاقطار وخرج الى الجهاد وكان رأى في منامه تلك الليالي كأن رجلا اعطاه الاسبراج فاخذه من يده وأكل منه فعبره على ابن أبي جمعة فقال له اخرج الى بلد اليون فانك ستفتحها فقال من اين أخذت هذا فقال لان الاسبراج يقال له في المشرق الهليون فلذلك الرؤيا قال لك هاليون فخرج اليها ونازلها وهي من اعظم مدائنهم واستمد اهلها الفرنج فأمدوهم بجيوش كثيرة واقتتلوا ليلا ونهارا فكثر القتل فيهم وصبرت صنهاجة صبرا عظيما ثم خرج قومص كبير من الفرنج لم يكن لهم مثله فجال بين الصفوف وطلب البراز فبرز اليه جلالة بن زيري الصنهاجي فحمل كل واحد منهما على صاحبه فطعنه الفرنجي فمال عن الطعنة وضربه بالسيف على عاتقه فأبان عاتقه فسقط الفرنجي الى الارض وحمل المسلمون على النصارى فانهزموا الى بلادهم وقتل منهم ما لا يحصى وملك المدينة وغنم ابن أبي عامر غنيمة عظيمة لم ير مثلها واجتمع من السبي ثلاثون الفا وامر بالقتلى فنضد بعضها على بعض وامر مؤذنا فاذن فوق القتلى المغرب وخرب مدينة قاموه ورجع سالما هو ومعسكره

(ذكر وفاة يوسف بلكين وولاية ابنه المنصور)

في هذه السنة لسبع بقين من ذي الحجة توفي يوسف بلكين بن زيري صاحب أفريقية بوارقلين وسبب مضيه اليها ان خزرون الزناتي دخل سجلماسة وطرد عنها نائب يوسف بلكين ونهب ما فيها من الاموال والعدد وتغلب على فاس زيري بن عطية الزناتي فرحل يوسف اليها فاعتل في الطريق بقولنج وقيل خرج في يده بثرة فمات منها فاوصى بولاية ابنه المنصور وكان المنصور بمدينة اشير فجلس للعزاء بابيه وأتاه أهل القيروان وسائر البلاد يعزونه بابيه ويهنونه بالولاية فاحسن الى الناس وقال لهم ان ابي يوسف وجدي زيري كانا يأخذان الناس بالسيف وانا لا آخذهم الا بالاحسان ولست ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب يعني ان الخليفة بمصر لا يقدر على عزله بكتاب ثم سار الى القيروان وسكن برقادة وولى الاعمال واستعمل الامراء وارسل هدية عظيمة الى العزيز بالله بمصر قيل كانت قيمتها ألف ألف دينار ثم عاد الى اشير واستخلف على جباية الاموال بالقيروان والمهدية وجميع افريقية انسانا يقال له عبد الله بن الكاتب

(ذكر امر باذ الكردي خال بني مروان وملكه الموصل)

في هذه السنة قوي امر باذ الكردي واسمه أبو عبد الله الحسين بن دوستك وهو من الاكراد الحميدية وكان ابتداء امره أنه كان يغزو بثغور ديار بكر كثيرا وكان عظيم الخلقة له بأس وشدة فلما ملك عضد الدولة الموصل حضر عنده فلما رآى عضد الدولة خافه وقال ما أظنه يبقى على فهرب حين خرج من عنده وطلبه عضد الدولة بعد خروجه

فصار بوابا السلاح فقامت الاجناد المصريه من خلفهم فصار الباشا ومن معه في الوسط واحتاطوا عليهم بالقتال فقر من اتباعه أربعة عشر نفسا الى الوادي وثلاثة عشر رموا بانفسهم في ساقية قريبة منهم من حلاوة الروح وضرب الباشا بعض المماليك منهم بقرابينة فاصابته وقتل معه ابن اخته حسن بك وكتخداه وباقي الثمانية عشر فلما سقط الباشا وبه رمق رأى احد الامراء فقال له في عرضك يا فلان ان مت كفنا بداخل الخرج فكفني فيه وادفني ولا تتركني مرميا فلما انقضى ذلك اعطى ذلك الامير لبعض العرب دنانير واعطاه الكفن الذي اوصاه عليه وقال له اذهب الى مقتلهم وخذ الباشا فكفنه وادفنه في تربة فقال أنا لا اعرفه فقال هو الذي لحيته عظيمة من دونهم ففعل كما امره وحفروا الباقيهم حفرا وواروهم فيها وانقضى امرهم هذا اخبار بعض تلك البلاد المشاهدين للواقعة وكل ذلك وبال فعله وسوء سريرته وخبث ضميره فلقد بلغنا انه قال لعسكره ان بلغت مرادي من الامراء المصريين وظفرت بهم وبالارنؤود ابحت لكم المدينة والرعية ثلاثة ايام تفعلون بها ما شئتم والدليل على ذلك ما فعله بالاسكندرية مدة اقامته بها من الجور والظلم ومصادرات الناس في اموالهم وبضائعهم تسلط مما ذكره تلبيهم بالجور والخنف والفسق وتذليله لاهل العلم واهانته لهم حتى انه كان يسمى

ليقبض

ليقبض عليه وقال له باس وشدة وفيه شر ولا يجوز الابقاء على مثله فاخبر بهرام به فكف
عن طلبه وحصل بثغور ديار بكر واقام بها الى ان استفحل امره وقوي وملك ميافارقين
وكثيرا من ديار بكر بعد موت عضد الدولة ووصل بعض اصحابه الى نصيبين فاستولى
عليها فجهز صمصام الدولة اليه العساكر مع ابي سعد بهرام بن اردشير فواقعه فانهزم
بهرام واسر جماعة من أصحابه وقوي امر باذ فارسل صمصام الدولة اليه أبا القاسم سعد بن
محمد الحاجب في عسكر كثير فالتقوا بباجلايا على نهر الخابور الحسينية من بلد كواشي
واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم سعد واصحابه واستولى باذ على كثير من الديلم فقتل وأسر
ثم قتل الاسرى صبرا وفي هذه الوقعة يقول ابو الحسين البشنوي

ببباجلايا جلونا عنه غمته ✽ ونحن في الروع جلاؤن للكرب

يعني باذا وسنذكر سبيه سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ان شاء الله تعالى ولما هزم
باذ الديلم وسعدا وفعل بهم ما تقدم ذكره سبقه سعد فدخل الموصل وسار باذ في اثره فثار
العامة بسعد لسوء سيرة الديلم فيهم فنجا منهم بنفسه ودخل باذ الى الموصل واستولى
عليها وقويت شوكته وحدث نفسه بالتغلب على بغداد وازالة الديلم عنها وخرج من حد
المتطرفين وصار في عداد أصحاب الاطراف فخافه صمصام الدولة وأهمه أمره وشغله عن
غيره وجمع العساكر ليسيرها اليه فانقضت السنة وقد حدثني بعض أصدقائنا من
الاكراد الحميدية ممن يعتني بأخبارهم ان باذا كنيته أبو شجاع واسمه باذ وان أبا عبد الله
الحسين بن دوستك هو أخو باذ وكان ابتداء أمره انه كان يرعى الغنم وكان كريما جوادا
وكان يذبح الغنم التي له ويطعم الناس فظهر عنه اسم الجود فاجتمع عليه الناس وصار
يقطع الطريق وكلما حصل له شيء أخرجه فكثر جمعه وصار يغزو ثم انه دخل ارمينية
فملك مدينة أرجيش وهي أول مدينة ملكها فقوي بها وسار منها الى ديار بكر فملك
مدينة آمد ثم ملك مدينة ميافارقين وغيرهما من ديار بكر وسار الى الموصل فملكها
كما ذكرناه

✽(ذكر عدة حوادث)✽

في هذه السنة استعمل العزيز بالله الخليفة العلوي على دمشق واعمالها بكجور التركي
مولى قرعويه أحد غلمان سيف الدولة بن حمدان وكان له حمص فسار منها الى دمشق
وظلم أهلها وعسفهم واساء السيرة فيهم وقد ذكرناه سنة اثنتين وسبعين مستقصى
وفيها وزر أبو محمد علي بن العباس بن فسانجس لشرف الدولة وفيها في ربيع الاول
انقض كوكب عظيم أضاءت له الدنيا وسمع له مثل دوي الرعد الشديد وفيها غلت
الاسعار بالعراق وما يجاوره من البلاد وعدمت الاقوات فمات كثير من الناس جوعا
وفيها وزر أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان لصمصام الدولة وفيها وردا لقرامطة
الى قريب بغداد وطمعوا في موت عضد الدولة فصولحوا على مال أخذوه وعادوا وفيها
في جمادى الآخرة توفي سعيد بن سلام أبو عثمان المغربي بنيسابور ومولده بالقيروان
ودخل الشام فصحب الشيوخ منهم أبو الخير الاقطع وغيره وكان من أرباب الاحوال

الشيخ محمد المسيري الذي هو ابجل مذكور في الثغر بالمزور واذا دخل عليه مع امثاله وكان جالسا اتكأ ومد رجليه قصدا
لاهانتهم ✽(وخبر علي باشا
المترجم المذكور مختصرا)✽
انه كان اصله من الجزائر مملوك
محمد باشا حاكم الجزائر فلما
مات محمد باشا وتولى مكانه
صهره ارسله بمراسلة الى حسين
قبطان باشا وكان اخوه
المعروف بالسيد علي مملوك
للدولة ومذكورا عند قبطان
باشا ومتولي الرياسة فنوه
بذكره فقلده قبطان باشا
ولاية طرابلس واعطاه
فرمانات وبرق فذهب اليها
وجيش له جيوشا ومراكب
وأغار على متوليها وهو أخو
حمودة باشا صاحب تونس
وحاربه عدة شهور حتى ملكها
بمخامرة أهلها لعلمهم انه
متوليها من طرف الدولة
وهرب أخو حمودة باشا عند
أخيه بتونس فلما استولى
علي باشا المذكور على
طرابلس اباحها لعسكره
ففعلوا بها أشنع وأقبح من
التمرلنكية من النهب
وهتك النساء والفسق
والفجور وسبي حريم متوليها
وأخذهن أسرى وفضحهن
بين عسكره ثم طالبهم بالاموا
وأخذ أموال التجار وفرد على
اهل البلد وأخذ أموالهم ثم
ان المنفصل حشد وجمع
جموعا ورجع الى طرابلس
وحاصره أشد المحاصرة وقام
معه المتعرضون له من أهل
البلدة والمقروصون من علي باشا فلما رأى الغلبة على نفسه نزل الى المراكب بما جمعه من الاموال والذخائر وأخذ

(ثم دخلت سنة اربع وسبعين وثلثمائة)

(ذكر عود الديلم الى الموصل وانهزام باذ)

لما استولى باذ الكردى على الموصل اهتم صمصام الدولة ووزيره ابن سعدان بامره فوقع الاختيار على انفاذ زيار بن شهرا كويه وهو أكبر قوادهم فامره بالمسير الى قتاله وجهزه وبالغ فى أمره وأكثر معه الرجال والعدد والاموال وسار الى باذ فخرج اليهم والتقيهم فى صفر من هذه السنة فاجلت الوقعة عن هزيمة باذ وأصحابه وأسر كثير من عسكره وأهله وحملوا الى بغداد فشهروا بها وملك الديلم الموصل وأرسل زيار عسكرا مع سعد الحاجب فى طلب باذ فسلكوا على جزيرة ابن عمر وأرسل عسكرا آخر الى نصيبين فاختلفوا على مقدميهم فلم يطاوعوهم على المسير اليه وكان باذ بديار بكر قد جمع خلقا كثيرا فكتب وزير صمصام الدولة الى سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان وبذل له تسليم ديار بكر اليه فسير اليها جيشا فلم يكن لهم قوة باصحاب باذ فعادوا الى حلب وكانوا قد حصروا ميافارقين فلما شاهد سعد ذلك من عسكره اعمل الحيلة فى قتل باذ فوضع رجلا على ذلك فدخل الرجل خيمة باذ ليلا وضربه بالسيف وهو يظن انه يضرب رأسه فوقعت الضربة على ساقه فصاح وهرب ذلك الرجل فمرض باذ من تلك الضربة واشفى على الموت وكان قد جمع معه من الرجال خلقا كثيرا فراسل زيار وسعدا يطلب الصلح فاستقر الحال بينهم واصطلحوا على ان تكون ديار بكر لباذ والنصف من طور عبدين ايضا وانحدر زيار الى بغداد واقام سعد بالموصل

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قلد ابو طريف عليان بن ثمال الخفاجى حماية الكوفة وهى اول امارة بنى ثمال وفيها خطب ابو الحسين بن عضد الدولة بالاهواز لفخر الدولة وخطب له ابو طاهر بن عضد الدولة بالبصرة ونقشا اسمه على السكة وفيها خطب لصمصام الدولة بعمان وكانت لشرف الدولة ونائبه بها استاذهرمز فصار مع صمصام الدولة فلما بلغ الخبر الى شرف الدولة ارسل اليه جيشا فانهزم استاذهرمز واخذ اسيرا وعادت عمان الى شرف الدولة وحبس استاذهرمز فى بعض القلاع وطولب بمال كثير وفيها توفى على بن كامة مقدم عسكر ركن الدولة وفيها افرج شرف الدولة عن ابى منصور بن صالحان واستوزره وقبض على وزيره ابى محمد بن فسانجس وفيها ارسل شرف الدولة رسولا الى القرامطة فلما عاد قال ان القرامطة سالونى عن الملك فاخبرتهم بحسن سيرته فقالوا من ذلك انه استوزر ثلاثة فى سنة لغير سبب فلم يغير شرف الدولة بعد هذا على وزيره ابى منصور بن صالحان وفى هذه السنة توفى ابو الفتح محمد بن الحسين الازدى الموصلى الحافظ المشهور وقيل فى سنة تسع وستين وكان ضعيفا فى الحديث

(ثم دخلت سنة خمس وسبعين وثلثمائة)

(ذكر الفتنة ببغداد)

نه غلامين جبليين من أولاد الاعيان شبه الرهائن
هرب الى اسكندرية وحضر
الى مصر والتجا الى مراد بك
ا كرمه وانزله منزلا حسنا
عنده بالجيزة وصار خصيصا به
يتبعه بجيشه الى مصر ولم
يرجع الى القبطان علمه
انه صار محقوتا فى الدولة لان
من قواعد دولة العثمانيين
نهم اذا امروا اميرا فى ولاية
ولم يفلح مقتوه وسلبوه وربما
تلوه وخصوصا اذا كان
ذا مال ثم حج المترجم فى سنة
سبع ومائتين وألف من
القلزم وأودع ذخائره عند
شوان كاشف المعروف
كاشف الفيوم لقرابة بينهما
ن بلادهما ولما كان بالحجاز
وصل الحجاج الطرابلسية
رأوه وصحبته الغلامان
ذهبوا الى امير الحاج الشامى
عرفوه عنه وعن الغلامين
انه يفعل بهما الفاحشة
ارسل معهم جماعة من
تباعه فى حصة مهملة
كبسوا عليه على حين غفلة
وجدوه راقدا ومعه أحد
الغلامين فسبه الطرابلسية
لعنوه وقطعوا لحيته وضربوه
السلاح وجرحوه جرحا بالغا
اهانوه وأخذوا منه
الغلامين وكادوا يقتلونه
ولا جماعة من جماعة امير
الحاج ثم رجع الى مصر من
بحر ايضا واقام فى منزلته
عند مراد بك زيادة عن ست سنوات الى ان حضر الفرنسيس

في هذه السنة جرت فتنة ببغداد بين الديلم وكان سببها ان اسفار بن كردويه وهو من اكابر القواد استنفر من صمصام الدولة واستمال كثيرا من العسكر الى طاعة شرف الدولة واتفق رأيهم على ان يولوا الامير بهاء الدولة ابا نصر بن عضد الدولة العراق نيابة عن أخيه شرف الدولة وكان صمصام الدولة مريضا فتمكن اسفار من الذى عزم عليه واظهر ذلك وتاخر عن الدار وراسله صمصام الدولة يستميله ويسكنه فما زاده الا تماديا فلما رأى ذلك من حاله راسل الطائع يطلب منه الركوب معه وكان صمصام الدولة قد ابل من مرضه فامتنع الطائع من ذلك فشرع صمصام الدولة واستمال فولاذ زماندار وكان موافقا لاسفار الا انه كان يانف من متابعته لكبر شانه فلما راسله صمصام الدولة اجابه واستحلفه على ما اراد وخرج من عنده وقاتل اسفار فهزمه فولاذ واخذ الامير ابو نصر اسيرا واحضر عند اخيه صمصام الدولة فرق له وعلم انه لاذنب له فاعتقله مكرما وكان عمره حينئذ خمس عشرة سنة وثبت أمر صمصام الدولة وسعى اليه بابن سعدان الذى كان وزيره فعزله وقيل انه كان هواه معهم فقتل ومضى اسفار الى الاهواز واتصل بالامير أبي الحسين بن عضد الدولة وخدمه وسار باقي العسكر الى شرف الدولة

(ذكر اخبار القرامطة)

في هذه السنة ورد اسحق وجعفر البحريان وهما من الستة القرامطة الذين يلقبون بالسادة فملكا الكوفة وخطبا لشرف الدولة فانزعج الناس لذلك لما في النفوس من هيبتهم وباسهم وكان لهم من الهيبة ما ان عضد الدولة وبختيارا قطعاهم الكثير وكان نائبهم ببغداد الذى يعرف بابي بكر بن شاهويه يتحكم تحكم الوزراء فقبض عليه صمصام الدولة فلما ورد القرامطة الكوفة كتب اليهما صمصام الدولة يتلطفهما ويسألهما عن سبب حركتهما فذكرا ان قبض نائبهم هو السبب في قصدهم بلاده وبثا أصحابهما وجبيا المال ووصل ابو قيس الحسن بن المنذر الى الجامعين وهو من أكابرهم فارسل صمصام الدولة العساكر ومعهم العرب فعبروا الفرات اليه وقاتلوه فانهزم عنهم وأسر أبو قيس وجماعة من قوادهم فقتلوا فعاد القرامطة وسيروا جيشا آخر في عدد كثير وعدة فالتقواهم وعساكر صمصام الدولة بالجامعين ايضا فاجلت الوقعة عن هزيمة القرامطة وقتل مقدمهم وغيره وأسر جماعة ونهب سوادهم فلما بلغ المنهزمون الى الكوفة رحل القرامطة وتبعهم العسكر الى القادسية فلم يدركوهم وزال من حينئذ ناموسهم

(ذكر الافراج عن ورد الرومي وما صار أمره اليه ودخول الروس في النصرانية)

في هذه السنة افرج صمصام الدولة عن وردا الرومي وقد تقدم ذكر حبسه فلما كان الآن افرج عنه واطلقه وشرط عليه اطلاق عدد كثير من اسارى المسلمين وان يسلم اليه سبعة حصون من بلد الروم برساتيقها وان لا يقصد بلاد الاسلام لاهو ولا أحد من أصحابه ما عاش وجهزه بما يحتاج اليه من مال وغيره فسار الى بلاد الروم واستمال

الى الديار المصرية فقاتل مع الامراء وتغرب معهم في قبلي وغيره ثم انفصل عنهم وذهب من خلف الجبل وسار الى الشام فارسله الوزير يوسف باشا بعد الكسرة بمكاتبات الى الدولة فلم يزل حتى وقعت هذه الحوادث وقامت العسكر على محمد باشا واخرجوه ووصل الخبر الى اسلامبول فطلب ولاية مصر على ظن بقاء حبل الدولة العثمانية واوامرها بمصر وليس بها الا طاهر باشا والارنؤد وجعل على نفسه قدرا عظيما من المال ووصل الى اسكندرية وبلغه انعكاس الامر وموت طاهر باشا وطرد الينكجرية وانضمام طائفة الارنؤد للمصرلية وتمكنهم من البلدة فاراد أن يدبر أمرا ويصطاد العقاب بالغراب فيحوز بذلك سلطنة مجددة ومنقبة مؤبدة فلم تنفعه التدابير ولم تسعفه المقادير فكان كالباحث على حتفه بظلفه والجادع بيده مارن أنفه ولم يعلم انها القاهرة كم قهرت جبابرة وكادت فراعنة

اذا لم يكن عون من الله للفتى

فاول ما يجنى عليه اجتهاده

وكان صفته أبيض اللون عظيم اللحية والشوارب أشقرهما قليل الكلام بالعربي يحب اللهو والخلاعة ولما انقضى امره وارسل سليمان بك ومحمد بك مكاتبات الى شاهين بك ونظرائه بما

فى طريقه خلقا كثيرا من البوادى وغيرهم واطمعهم فى العطاء والغنيمة وسار حتى نزل ملطية فتسلمها وقوى بها وبما فيها من مال وغيره وقصد ورديس بن لاون فتراسلا واستقر الامر بينهما على ان تكون قسطنطينية وما جاورها من شماليِّ الخليج لورديس وهذا الجانب من الخليج لوردوتحالفا واجتمعا فقبض ورديس على ورد وحبسه ثم انه ندم فاطلقه عن قريب وعبر ورديس الخليج وحصر القسطنطينية وبها الملكان ابنا ارمانوس وهما بسيل وقسطنطين وضيق عليهما فراسلا ملك الروسية واستنجداه وزوجاه باخت لهما فامتنعت من تسليم نفسها الى من يخالفها فى الدين فتنصر وكان هذا أول النصرانية بالروس وتزوجها وسار الى لقاء ورديس فاقتتلوا وتحاربوا فقتل ورديس واستقر الملكان فى ملكهما وراسلا وردا وأقراه على ما بيده فبقى مدة يسيرة ومات قيل انه مات مسموما وتقدم بسيل فى الملك وكان شجاعا عادلا حسن الرأى ودام ملكه وحارب البلغار خمسا وثلاثين سنة وظفر بهم واجلى كثيرا منهم من بلادهم واسكنها الروم وكان كثير الاحسان الى المسلمين والميل اليهم

(ذكر ملك شرف الدولة الاهواز)

فى هذه السنة سار شرف الدولة ابو الفوارس بن عضد الدولة من فارس يطلب الاهواز وارسل الى اخيه أبى الحسين وهو بها يطيب نفسه ويعده الاحسان وان يقره على ما بيده من الاعمال واعلمه أن مقصده العراق وتخليص أخيه الامير أبى نصر من محبسه فلم يثق أبو الحسين الى قوله وعزم على منعه وتجهز لذلك فاتاه الخبر بوصول شرف الدولة الى ارجان ثم الى رامهرمز فتسلل اجناده الى شرف الدولة ونادوا بشعاره فهرب أبو الحسين نحو الرى الى عمه فخر الدولة فبلغ أصبهان وأقام بها واستنصر عمه فاطلق له مالا ووعده بنصره فلما طال عليه الامر قصد التغلب على أصبهان ونادى بشعار أخيه شرف الدولة فثار به جندها وأخذوه اسيرا وسيروه الى الرى فحبسه عمه وبقى محبوسا الى أن مرض عمه فخر الدولة مرض الموت فلما اشتد مرضه ارسل اليه من قتله وكان يقول شعرا فمن قوله

هب الدهر ارضانى وأعتب صرفه * واعقب بالحسنى وفك من الاسر
فمن لى بايام الشباب التى مضت * ومن لى بما قد فات فى الحبس من عمرى

وأما شرف الدولة فانه سار الى الاهواز وملكها وأرسل الى البصرة فملكها وقبض على اخيه ابى طاهر وبلغ الخبر الى صمصام الدولة فراسله فى الصلح فاستقر الامر على أن يخطب لشرف الدولة بالعراق قبل صمصام الدولة ويكون صمصام الدولة نائبا عنه ويطلق أخاه الامير بهاء الدولة أبا نصر ويسيره اليه وصلح الحال واستقام وكان قواد شرف الدولة يحبون الصلح لاجل العود الى أوطانهم وخطب لشرف الدولة بالعراق وسيرت اليه الخلع والالقاب من الطائع لله الى ان عادت الرسل الى شرف الدولة ليحلفوه ألفت اليه البلاد مقاليدها كواسط وغيرها وكاتبه القواد بالطاعة فعاد عن الصلح وعزم على قصد بغداد والاستيلاء على الملك ولم يحلف لاخيه وكان معه الشريف ابو الحسن محمد

ذكروا أن يأخذوا لهم أمانا من ابراهيم بك والبرديسى فكتبوا لهم امانا بعد امتناع منهما واظهار التغير والغضب والتاسف على التفريط منهما فى قتله (وفى يوم الخميس) المذكور عملوا ديوانا واحضروا صالح أغا قابجى باشا الذى حضر أولا ونزل ببيت رضوان كتخدا ابراهيم بك وقرؤا الفرمان الذى معه وهو يتضمن ولاية على باشا والاوامر المعتادة لا غير وليس فيها ما كان ذكره على باشا من الجمارك والالتزام وغيره وتكلم الشيخ الامير فى ذلك المجلس وذكر بعض كلمات ونصائح فى اتباع العدل وترك الظلم وما يترتب عليه من الدمار والخراب وشكا الامراء المتآمرون من أفعال بعضهم البعض وتعدى الكشاف النازلين فى الاقاليم وجورهم على البلاد وانه لا يحصل لهم من التزامهم وحصصهم ما يقوم بنفقاتهم فاتفق الحال على ارسال مكاتبات للكشاف بالحضور والكف عن البلاد واما مصطفى باشا فانهم انزلوه فى مركب مع اتباع الباشا الذين كانوا بقصر العينى وسفروهم الى حيث شاء الله (وفيه) وصل الالفى من سرحته الى مصر القديمة فاقام فى قصره الذى عمره هناك وهو قصر البارودى يومين ثم عدى الى الجيزة ودخل اتباعه بالمنهوبات من

محمد بن عمر يشير عليه بقصد العراق و يحثه عليه و يطمعه فيه فوافقه على ذلك وسنذكر باقي خبره سنة ست وسبعين ان شاء الله تعالى

❁(ذكر انهزام عساكر المنصور من صاحب سجلماسة)❁

قد ذكرنا استيلاء خزرون وزيري الزناتيين على سجلماسة وفاس وموت يوسف بلكين لما قصدهما فلما مات تمكنا من تلك البلاد فلما استقر المنصور سير جيشا كثيفا اليهما ليردهما الى طاعته فلما صار الجيش قريب فاس خرج اليهم صاحبها زيري ابن عطية الزناتي المعروف بالقرطاس في عساكره فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عسكر المنصور وقتل منهم خلق كثير واسر جماعة كثيرة و ثبت قدمه في ولايته

❁(ذكر عدة حوادث)❁

في هذه السنة خرج بعمان طائر من البحر كبيرا كبر من الفيل ووقف على تل هنالك وصاح بصوت عال ولسان فصيح قد قرب قد قرب قد قرب ثلاثا ثم غاص في البحر فعل ذلك ثلاثة أيام ثم غاب ولم ير بعد ذلك وفيها جدد صمصام الدولة ببغداد على الثياب الابريسم والقطن المبيعة ضريبة مقدارها عشر الثمن فاجتمع الناس في جامع المنصور وعزموا على قطع الصلاة وكاد البلد يفتتن فاعفوا من ذلك وفيها توفي ابن مؤيد الدولة بن بويه فجلس صمصام الدولة للعزاء فاتاه الطائع لله معزيا وفيها توفي ابو علي الحسن بن الحسين بن أبي هريرة الفقيه الشافعي المشهور وأبو القاسم عبد العزيز بن عبد الله الداركي وكان رئيس أصحاب الشافعي بالعراق وتوفي في شوال وله نيف وسبعون سنة وأبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح الفقيه المالكي ومولده سنة سبع وثمانين ومائتين وسئل أن يلي قضاء القضاة فامتنع والوليد بن أحمد بن محمد بن الوليد أبو العباس الزوزني الصوفي المحدث كان من العلماء في الحقائق وله تصانيف حسنة

❁(ثم دخلت سنة ست وسبعين وثلثمائة)❁

❁(ذكر ملك شرف الدولة العراق وقبض صمصام الدولة)❁

في هذه السنة سار شرف الدولة أبو الفوارس بن عضد الدولة من الاهواز الى واسط فملكها فارسل اليه صمصام الدولة أخاه ابا نصر يستعطفه باطلاقه وكان محبوسا عنده فلم يتعطف له واتسع الخرق على صمصام الدولة وشغب عليه جنده فاستشار أصحابه في قصد اخيه والدخول في طاعته فنهوه عن ذلك وقال بعضهم الرأي أننا نصعد الى عكبرا فنعلم بذلك من هو لنا ممن هو علينا فان رأينا عدتنا كثيرة قاتلناهم واخرجنا الاموال وان عجزنا سرنا الى الموصل فهي وسائر بلاد الجبل لنا فيقوى أمرنا ولا بد ان الديلم والاتراك تجري بينهم منافسة ومحاسدة و يحدث اختلال فنبلغ الغرض وقال بعضهم الرأي اننا نسير الى قرميسين نكاتب عمك فخر الدولة ونستنجده ونسير على طريق خراسان واصبهان الى فارس فنتغلب عليها على خزائن شرف الدولة وذخائره فما هناك ممانع ولا مدافع فاذا فعلنا ذلك لا يقدر شرف الدولة على المقام بالعراق

الجمال والابقار والاغنام ومعهم الجمال محملة بالقمح الاخضر والفول والشعير لعدم البرسيم فانهم رعوا اماو جدوه في حال ذهابهم وفي رجوعهم لم يجدوا خلاف الغلة فرعوها وجعلوا باقيها على الجمال ولو شاء ربك ما فعلوه (وفي ثاني عشرينه) وقعت معركة بين الارنؤدية وعسكر الشكرو بالقرب من الناصرية بسبب حمل برسيم وضربوا على بعضهم بنادق رصاص وقتل بينهم انفار واستمروا على مضاربة بعضهم البعض نحو سبعة أيام وهم يترصدون لبعضهم في الطرقات (وفي خامس عشرينه) حضر واد يوانا وقرؤا فرمانا وصل من الدولة مع الططر خطابا لعلي باشا والامراء بتشهيل أربعة آلاف عسكري وسفرهم الى الحجاز لمحاربة الوهابيين وارسال ثلاثين ألف أردب غلال الى الحرمين وانهم وجهوا أربع باشات من جهة بغداد بعساكر وكذلك أحمد باشا الجزار ارسلوا له فرمانا بالاستعداد والتوجه لذلك فان ذلك من اعظم ما تتوجه اليه الهمم الاسلامية وامثال ذلك من الكلام والترقق وفيه بعض القول بالحسب والمروأة بتجهيز المطلوب من الغلال وان لم تكن متيسرة عندكم تبذلوا الهمة في تحصيلها من النواحي والجهات باثمانها على طرف الميري بالسعر الواقع (وفيه)

فيعود حينئذ يقع الصلح فاعرض صمصام الدولة عن الجميع وسار في طيار الى اخيه شرف الدولة في خواصه فوصل الى أخيه شرف الدولة فلقيه وطيب قلبه فلما خرج من عنده قبض عليه وارسل الى بغداد من يحتاط على دار المملكة وسار فوصل الى بغداد في شهر رمضان فنزل بالشفيعي واخوه صمصام الدولة معه تحت الاعتقال وكانت امارته بالعراق ثلاث سنين واحد عشر شهرا

(ذكر الفتنة بين الاتراك والديلم)

في هذه السنة جرت فتنة بين الديلم والاتراك الذين مع شرف الدولة ببغداد وسببها أن الديلم اجتمعوا مع شرف الدولة في خلق كثير بلغت عدتهم خمسة عشر ألف رجل وكان الاتراك في ثلاثة آلاف فاستطال عليهم الديلم فجرت منازعة بين بعضهم في دار واصطبل ثم صارت الى المحاربة فاستظهر الديلم لكثرتهم وأرادوا اخراج صمصام الدولة واعادته الى ملكه وبلغ شرف الدولة الخبر فوكل بصمصام الدولة من يقتله ان هم الديلم باخراجه ثم ان الديلم لما استظهروا على الاتراك تبعوهم فتشوشت صفوفهم فعادت الاتراك عليهم من امامهم وخلفهم فانهزموا وقتل منهم زيادة على ثلاثة آلاف ودخل الاتراك البلد فقتلوا من وجدوه منهم ونهبوا أموالهم وتفرق الديلم فبعضهم اعتصم بشرف الدولة وبعضهم سار عنه فلما كان الغد دخل شرف الدولة بغداد والديلم المعتصمون به معه فخرج الطائع لله ولقيه وهناه بالسلامة وقبل شرف الدولة الارض وأخذ الديلم يذكرون صمصام الدولة فقيل لشرف الدولة اقتله والا ملكوه الامر ثم ان شرف الدولة اصلح بين الطائفتين وحلف بعضهم لبعض وحمل صمصام الدولة الى فارس فاعتقل في قلعة هناك فرد شرف الدولة على الشريف محمد بن عمر جميع أملاكه وزاده عليها وكان خراج أملاكه كل سنة ألفي ألف وخمسمائة ألف درهم ورد على النقيب ابي أحمد الموسوي أملاكه وأقر الناس على مراتبهم ومنع الناس من السعايات ولم يقبلها فامنوا وسكنوا ووزر له أبو منصور بن صالحان

(ذكر ولاية مهذب الدولة البطيحة)

في هذه السنة توفي المظفر بن علي وولي بعده ابن أخته أبو الحسن علي بن نصر بالعهد المذكور وكتب الى شرف الدولة يبذل له الطاعة ويطلب التقليد فاجيب الى ذلك ولقب بمهذب الدولة فاحسن السيرة وبذل الخير والاحسان فقصده الناس وأمن عنده الخائف وصارت البطيحة معقلا لكل من قصدها واتخذها الاكابر وطنا وبنوا فيها الدور الحسنة ووسعهم بره واحسانه وكاتب ملوك الاطراف وكاتبوه وزوجه بهاء الدولة ابنته وعظم شانه الى أن قصده القادر بالله فحماه وبقي عنده الى أن أتته الخلافة على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفي أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفي المنجم لعضد الدولة وكان مولده

تقييد ضبط مخلفات علي باشا صالح افندي ورضوان كتخدا وناظر القاضي ويا شكاتب (وفيه) حضر الامراء الذين توجهوا بصحبة الباشا الى الشرقية وفي هذا اليوم حضر عثمان كاشف البواب الذي كان بالمنوفية وترك خيامه واثقاله واعوانه على ما هم عليه وحضر في قلة من اتباعه (وفيه) نقلوا عسكر التكرور من ناحية قناطر السباع الى جهة اخرى واخرجوا واسكانا كثيرة من دورهم جهة الناصرية وازعجوهم من مواطنهم واسكنوا بها عساكر وطجية (وفيه) انزلوا السيد علي القبطان من القلعة الى بيت علي بك ايوب كما كان وهذا السيد علي هو اخو علي باشا المقتول كما ذكر واصله مملوك وليس بشريف كما يتبادر الى الفهم من لفظة سيد انها وصف خاص للشريف بل هي منقولة من لغة المغاربة فانهم يعبرون عن الامير بالسيد بمعنى المالك وصاحب السيادة (وفي سادس عشرينه) انزلوا المحمل الحاج من القلعة مطويا من غير هيئة واشيع في الناس دورانه الى بيت ابراهيم بك صحبة احد الكشاف وطائفة من المماليك واتفق الراي على سفره من طريق بحر القلزم صحبة محمد جاويش مستحفظان ومعه الكسوة والصرة وكان حضر الكثير من حجاج الجهة القبلية بجمالهم

بالرى سنة احدى وتسعين ومائتين وفيها كان بالموصل زلزلة شديدة تهدم بها كثير من المنازل وهلك كثير من الناس وفيها قتل المنصور بن يوسف صاحب افريقية عبد الله الكاتب وقام على ولاية الاعمال بافريقية عوضه يوسف بن ابى محمد وكان والى قفصة قبل ذلك وفيها كان بالعراق غلاء شديد جلا لشدته اكثر أهله وفيها توفى أحمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول التنوخى الازرق الانبارى الكاتب وأحمد بن الحسين ابن على أبو حامد المروزى و يعرف بابن الطبرى الفقيه الحنفى تفقه ببغداد على أبى الحسن الكرخى وولى قضاء القضاة بخراسان ومات فى صفر وكان عابدا محدثا ثقة واسحق بن المقتدر بالله أبو محمد والد القادر ومولده سنة سبع عشرة وثلثمائة وصلى عليه ابنه القادر وهو حينئذ أمير وأبو على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسى النحوى صاحب الايضاح قيل كان معتزليا وقد جاوز تسعين سنة وابو احمد محمد بن احمد بن الحسين بن الغطريف الجرجانى توفى فى رجب وهو عالى الاسناد فى الحديث

(ثم دخلت سنة سبع وسبعين وثلثمائة)

(ذكر الحرب بين بدر بن حسنويه وعسكر شرف الدولة)

فى هذه السنة جهز شرف الدولة عسكرا كثيفا مع قراتكين الجهشيارى وهو مقدم عسكره وكبيرهم وامرهم بالمسير الى بدر بن حسنويه وقتاله وسبب ذلك ان شرف الدولة كان حنقا على بدر لانحرافه عنه وميله الى عمه فخر الدولة فلما استقر ملكه ببغداد واطاعه الناس شرع فى امر بدر وكان قراتكين قد جاوز الحد فى التحكم والادلال وحماية الناس على نواب شرف الدولة فراى ان يخرجه فى هذا الوجه فان ظفر ببدر شفى غيظه منه وان ظفر به بدر استراح منه فسار واتحو بدر وتجهز بدر وجمع العساكر وتلاقيا على الوادى بقرميسين فلما اقتتلوا انهزم بدر حتى توارى عنه وظن قراتكين واصحابه انه مضى على وجهه فنزلوا عن خيولهم وتفرقوا فى خيامهم فلم يلبثوا الا ساعة حتى كر بدر راجعا اليهم واكب عليهم واعجلهم عن الركوب وقتل منهم مقتلة عظيمة واحتوى على جميع ما فى عسكرهم ونجا قراتكين فى نفر من غلمانه فبلغ جسر النهروان واقام به حتى اجتمع اليه المنهزمون ودخل بغداد واستولى بدر بعد ذلك على اعمال الجبل وما والاها وقويت شوكته واما قراتكين فانه لما عاد من الهزيمة زاد ادلاله وتجنيه واغرى العسكر بالشغب والتوثب على الوزير ابى منصور بن صالحان فلقوه بما يكره فلاطفهم ودفعهم واصلح شرف الدولة بين الوزير وبين قراتكين وشرع فى اعمال الحيلة على قراتكين فلم تمض غير ايام حتى قبض عليه وعلى جماعة من اصحابه وكتابه واخذ اموالهم وشغب الجند لاجله فقتله شرف الدولة فسكنوا وقدم عليهم طغان الحاجب فصلحت طاعته

(ذكر مسير المنصور بن يوسف لحرب كتامة)

فى هذه السنة جمع المنصور صاحب افريقية عساكره وسار الى كتامة قاصدا حربها

جمالهم ودوابهم بالرميلة بابخس الاثمان لعدم العلف بعد ما كلفوها بطول السنة وما قاسوه أيضا فى الايام التى اقاموها بمصر فى الانتظار والتوهم

(شهر ذى القعدة سنة ١٢١٨)

استهل بيوم الاثنين (فيه) أنزلوا حسين قبطان ومن معه من عسكر الارنؤد من القلعة وكانوا نحو الاربعمائة فذهبوا الى بولاق وسكنوا بها بعدما أخرجوا السكان من دورهم بالقهر عنهم ولم يبق بالقلعة من أجناسهم سوى الطبجية المتقيدين بخدمة المصرلية (وفيه) ألبس ابراهيم بك كتخداه رضوان خلعة وأشيع انه قلده دفتردارية مصر وذهب الى البرديسى فخلع عليه أيضا وكذلك الالفى وذلك اكراما له وتنويها بذكره جزاء فعله ومجيئه بالباشا وتحيله عليه (وفى ليلة الجمعة خامسه) وصلت مكاتبات من يحيى بك البرديسى حاكم رشيد يخبر فيها بوصول محمد بك الالفى الكبير الى ثغر رشيد يوم الاربعاء ثالثه وقد طلع على أبى قير وحضر الى ادكو ثم الى رشيد فى يوم الاربعاء المذكور وقصده الاقامة برشيد ستة أيام فلما وصلت تلك الاخبار عملوا شنكا وضربوا

وسبب ذلك أن العزيز بالله العلوي بمصر كان قد ارسل داعيا له الى كتامة يقال له ابو الفهم واسمه حسن بن نصر يدعوهم الى طاعته وغرضه ان تميل كتامة اليه ويرسل اليه جندا يقاتلون المنصور ويأخذون افريقية منه لما رأى من قوته فدعاهم ابو الفهم فكثر تبعه وقاد الجيوش وعظم شأنه وعزم المنصور على قصده فأرسل الى العزيز بمصر يعرفه الحال فأرسل العزيز رسولين الى المنصور ينهاه عن التعرض لابي الفهم وكتامة وأمرهما ان يسيرا الى كتامة بعد الفراغ من رسالة المنصور فلما وصلا الى المنصور وابلغاه رسالة العزيز اغلظ القول لهما وللعزيز ايضا واغلظا له فامرهما بالمقام عنده بقية شعبان ورمضان ولم يترك هما يمضيان الى كتامة وتجهز لحرب كتامة وأبي الفهم وسار بعد عيد الاضحى فقصد مدينة ميلة وأراد قتل اهلها وسبي نسائهم وذراريهم فخرجوا اليه يتضرعون ويبكون فعفا عنهم وخرب سورها وسار منها الى كتامة والرسولان معه فكان لايمر بقصر ولا منزل الا هدمه حتى بلغ مدينة سطيف وهي كرسي عزهم فاقتتلوا عندها قتالا عظيما فانهزمت كتامة وهرب أبو الفهم الى جبل وعر فيه ناس من كتامة يقال لهم بنو ابراهيم فارسل اليهم المنصور يتهددهم ان لم يسلموه فقالوا هو ضيفنا ولا نسلمه ولكن أرسل أنت اليه فخذه ونحن لا نمنعه فارسل فاخذه وضربه ضربا شديدا ثم قتله وسلخوه وأكلت صنهاجة وعبيد المنصور لحمه وقتل معه جماعة من الدعاة ووجوه كتامة وعاد الى أشير ورد الرسولين الى العزيز فاخبراه بما فعل بابي الفهم وقالا جئنا من عند شياطين يأكلون الناس فارسل العزيز الى المنصور يطيب قلبه وأرسل اليه هدية ولم يذكر له أبا الفهم

(ذكر معاودة باذ القتال)

في هذه السنة تجدد لباذ الكردي طمع في بلاد الموصل وغيرها وسبب ذلك ان سعدا الحاجب الذي تقدم ذكره توفي بالموصل فسير اليها شرف الدولة ابا نصر خواشاذه وجهز اليه العساكر وكتب يستمده من شرف الدولة العساكر والاموال فتأخرت الاموال عنه فاحضر العرب من بني عقيل واقطعهم البلاد ليمنعوا عنها وانحدر باذ فاستولى على طور عبدين ولم يقدر على النزول الى الصحراء وأرسل اخاه في عسكر فقاتلوا العرب فقتل اخوه وانهزم عسكره واقام بعضهم مقابل بعض فبينما هم كذلك اتاهم الخبر بموت شرف الدولة فعاد خواشاذه الى الموصل واظهر موته واقامت العرب بالصحراء تمنع باذا من النزول اليها وباذ بالجبل وكان خواشاذه يصلح امره ليعاود حرب باذ فاتاه ابراهيم وابو الحسين ابنا ناصر الدولة على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة بايع الطائع لله لشرف الدولة جلوسا عاما وحضره اعيان الدولة وخلع عليه وحلف كل واحد منهما لصاحبه وفيها ولد الامير ابو علي الحسن بن فخر الدولة في رجب وفيها سار الصاحب بن عباد الى طبرستان فاصلحها ونفى المتغلبين عنها وفتح

مدافع كثيرة بعد الغروب وكذلك بعد العشاء وقت طلوع النهار من جميع الجهات من الجيزة ومصر القديمة وبيت البرديسي والقلعة وأظهروا البشر والفرح وشرعوا في تشهيل الهدايا والتقادم وأضمر وافي نفوسهم السوء له ولجماعته المتآمرين حسدا لرآسته عليهم ونحوهم بحضوره فهاجت حفائظهم وكتموا حقدهم وتناجوا فيما بينهم وبيتوا أمرهم مع كبار العسكر وأرسل البرديسي كتابا الى مملوكه يحيي بك تابعه حاكم رشيد يأمره فيه بقتل الالفي هناك وركب هو الى النيل وعدى شاهين بك ومحمد بك المنفوخ واسمعيل بك صهر ابراهيم بك وعمر بك الابراهيمي الى برانبرة ليلة الاحد ونصبوا خيامهم ليستعدوا الى السفر من آخر الليل صحبة الالفي الصغير وعدى ايضا قبلهم حسين بك الوشاش الالفي ونصب خيامه بحرى منهم فلما كان في خامس ساعة من الليل أرسلوا الى حسين بك يطلبونه اليهم فحضر مع مماليكه وقد رتبوا جماعة منهم تأتي بخيول ومشاعل من جهة القصر فقالوا له أين الخيول فانا راكبون في هذا الوقت للملاقاة وها هو أخوك الالفي قد ركب وهو مقبل فنظر فرأى المشاعل والخيول فلم يشك في صحة ذلك ولم يخطر بباله ما دبروه له فأمر مماليكه أن يذهبوا الى خيولهم ويركبوا

عدة حصون منها حصن قريم وماد فى سنته وفيها عصى الامير ابو منصور بن كور بكم صاحب قزوين على فخر الدولة فلاطفه فخر الدولة وبذل له الامان والاحسان فعاد الى طاعته ووقع افى رمضان حدثت فتنة شديدة بين الديلم والعامة بمدينة الموصل قتل فيها مقتلة عظيمة ثم اصلح الحال بين الطائفتين وفيها تاخر المطر حتى انتصف كانون الثانى وغلت الاسعار بالعراق وما يجاوره من البلاد واستسقى الناس مرتين فلم يسقوا حتى جاء المطر سابع عشر كانون الثانى وزال القنوط وتتابعت الامطار

●(ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وثلثمائه)●

●(ذكر القبض على شكر الخادم)●

فى هذه السنة قبض شرف الدولة على شكر الخادم وكان اخص الناس عند والده عضد الدولة واقربهم اليه يرجع الى قوله ويعول عليه وكان سبب قبضه انه كان ايام والده يقصد شرف الدولة ويؤذيه وهو الذى تولى ابعاده الى كرمان من بغداد وقام بامر صمصام الدولة فحقد عليه شرف الدولة ذلك فلما ملك شرف الدولة العراق اختفى شكر فطلبه أشد الطلب فلم يوجد وكان له جارية حبشية قد تزوجها فطلبها اليه فاقامت عنده مدة تخدمه وكان قد علق بقلبها غيره فصارت تاخذ الماكول وغيره وتحمله الى حيث شاءت فاحس بها شكر فلم يحتملها فضربها فخرجت غضبى الى باب دار شرف الدولة فاخبرت بحال شكر فاخذه واحضر عند شرف الدولة فاراد قتله فشفع فيه نحرير الخادم فوهبه له واستاذنه فى الحج فاذن له فسار الى مكة ثم منها الى مصر فنال هناك منزلة كبيرة وسيرد خبره ان شاء الله تعالى

●(ذكر عزل بكجور عن دمشق)●

فى هذه السنة عزل بكجور عن دمشق وسبب ذلك انه اساء السيرة فى دمشق وفعل الافعال الذميمة وكان الوزير يعقوب بن كلس منحرفا عنه يسىء الرأى فيه واضاف الى ذلك ما فعله باصحابه بدمشق على ما ذكرناه فلما بلغه فعله بدمشق تحرك فى عزله وقبح ذكره عند العزيز بالله فاجابه الى ذلك فجهزت العساكر من مصر مع القائد منير الخادم فساروا الى الشام فجمع بكجور العرب وغيرها وخرج فلقى العسكر المصرى عند داريا وقاتلهم فاشتد القتال بينهم فانهزم بكجور وعسكره وخاف من وصول نزال والى طرابلس وكان قد كوتب من مصر بمساعدة منير فلما انهزم بكجور خاف ان يجىء نزال فيؤخذ فارسل يطلب الامان ليسلم البلد اليهم فاجابوه الى ذلك فجمع ماله جميعه وسار واحتفى اثره لئلا يغدر المصريون به وتوجه الى الرقة فاستولى عليها وتسلم منير البلد ففرح اهله وسرهم ولايته وسنذكر سنة احدى وثمانين باقى اخباره وقتله ان شاء الله تعالى

●(ذكر ظفر الاصفر بالقرامطه)●

فى هذه السنة جمع انسان يعرف بالاصفر من بنى المنتفق جمعا كثيرا وكان بينه وبين جمع

ويأتوه بفرسه فاسرعوا الى ذلك وبقى هو وحده ينتظر فرسه فجاءوه وغدروه وقتلوا بينهم وارسلوا الى السبر دبسو بالخبر وكان محمد على واحمد بك والارنؤدية عدوا قبلى الجيزة ليلا وكمنوا بمكان ينتظرون الاشارة ويتحققون وقوع الفتنة بينهم فلما علموا ذلك حضروا الى القصر واحاطوا به وكان طبجى الالفى عامرا ايضا فعطل فوالى المدافع واستمر فى ترتيب الامراء على القصر الى آخر الليل فحضر الى الالفى من أيقظه واعلمه بقتل حسين بك واحاطتهم بالقصر فاراد الاستعداد للحرب وطلب الطبجى فلم يجده واعلموه بما فعل بالمدافع فامر بالتحميل وركب فى جماعته الحاضرين وخرج من الباب الغربى وسار مقبلا فركب خلفه الامراء المذكورون وساروا مقدار ملقتين حتى تعبت خيولهم ولم يكن معهم خيول كثيرة لانهم لم يكونوا يظنون خروجه من القصر واشتغل اكثر اتباعهم بالنهب لانه عند ما ركب الالفى وخرج من القصر دخله العسكر والاجناد ونهبوا ما فيه من الاثقال والامتعة والفرش وغيرها وكان كاتبه المعلم غالى ساكنا بالجيزة وكذلك كثير من اتباعه ومقدميه فذهبوا الى دورهم فنهبوها وأخذوا ما عند كاتبه المذكور من الاموال ثم نهبوا دور

من القرامطة وقعة شديدة قتل فيها مقدم القرامطة وانهزم اصحابه وقتل منهم واسر كثير وسار الاصفر الى الاحساء فتحصن منه القرامطة فعدل الى القطيف فاخذ ما كان فيها من عبيدهم واموالهم ومواشيهم وسار بها الى البصرة

●(ذكر نكتة حسنة)●

في هذه السنة اهدى الصاحب بن عباد اول المحرم الى فخر الدولة دينارا وزنه ألف مثقال وكان على أحد جانبيه مكتوب

واحمر يحكي الشمس شكلا وصورة ● فاوصافه مشتقة من صفاته
فان قيل دينارا فقد صدق اسمه ● وان قيل ألف كان بعض سماته
بديع ولم يطبع على الدهر مثله ● ولا ضربت اضرابه لسراته
فقد ابرزته دولة فلكية ● اقام بها الاقبال صدر قناته
وصار الى شاهانشاه انتسابه ● على انه مستصغر لعفاته
يخبر أن يبقى سنين كوزنه ● لتستبشر الدنيا بطول حياته
تأنق فيه عبده وابن عبده ● وغرس اياديه وكافي كفاته

وكان على الجانب الآخر سورة الاخلاص ولقب الخليفة الطائع لله ولقب فخر الدولة واسم جرجان لانه ضرب بها (قوله دولة فلكية يعني ان لقب فخر الدولة كان فلك الامة وقوله وكافي كفاته فان الصاحب كان لقبه كافي الكفاة)

●(ذكر عدة حوادث)●

في هذه السنة تتابعت الامطار وكثرت البروق والرعود والبرد الكبار وسالت منه الاودية وامتلأت الانهار والآبار ببلاد الجبل وخربت المساكن وامتلأت الاقناء طينا وحجارة وانقطعت الطرق وفيها قصد نصر بن الحسن بن الفيرزان بالدامغان على فخر الدولة واجتاز به أحمد بن سعيد الشيبي الخراساني مقبلا من الري ومعه عسكر من الديلم لمحاربته فلما رأى الجد في أمره راسل فخر الدولة وعاود طاعته فاجابه الى قبول ذلك منه واقره على حاله وفيها توفي الامير أبو علي بن فخر الدولة في رجب وفيها وقع الوباء بالبصرة والبطائح من شدة الحر فمات خلق كثير حتى امتلأت منهم الشوارع وفي شعبان كثرت الرياح العواصف وجاءت وقت العصر خامس شعبان ريح عظيمة بفم الصلح فهدمت قطعة من الجامع واهلكت جماعة من الناس وغرقت كثيرا من السفن الكبار والمملوءة واحتملت زورقا منحدرا فيه دواب وعدة من السفن والقت الجميع على مسافة من موضعها وفيها توفي أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب المفيد كان محدثا مكثرا ومولده سنة اربع وثمانين ومائتين وأبو حامد محمد بن محمد بن أحمد بن اسحق الحاكم النيسابوري في ربيع الاول وهو صاحب التصانيف المشهورة

●(ثم دخلت سنة تسع وسبعين وثلثمائة)●

●(ذكر قتل صمصام الدولة)●

كان

الجيزة من آخرها ولم يتركوا بها جليلا ولا حقيرا حتى عروا ثياب النساء وفعلوا بها مثل ما فعلوا بدمياط واصبح الناس بالمدينة يوم الاحد لا يعلمون شيئا من ذلك الا انهم سمعوا الصراخ ببيت حسين بك جهة التبانة وقيل انه قتل ببر الجيزة فصار الناس في تعجب وحيرة واختلفت رواياتهم ولم يفتحوا دكاكينهم ونقلوا أسبابهم منها وظلوا غالب اليوم لم يعلموا سر قتل حسين بك الا من صراخ اهل بيته وكل ذلك وقع وابراهيم بك جالس في بيته ويسال ممن يدخل اليه عن الخبر واحضر محمود جاويش المعين للسفر بالحمل وصيرفي الصرة والكتبة واشتغل معهم ذلك اليوم في عدد مال الصرة وحسابها ولوازم ذلك وبعد العصر اشيع المرور بالحمل واجتمع الناس للفرجة فرواه من الجمالية الى قراميدان قبل الغروب واصبح يوم الاثنين ثامنه ركب ابراهيم بك وامراؤه الى قراميدان وسلم الحمل واجتمع الناس للفرجة على العادة فرواه من الشارع الاعظم الى العادلية وامامه الكسوة في اناس قليلة وطبل وأشاير وعينوا للذهاب معه أربعمائة مغربي من الحجاج رتبوا لهم جامكية ثلاثين نفرا من عسكر الارنؤد

كان نحرير الخادم يشير على شرف الدولة بقتل اخيه صمصام الدولة وشرف الدولة يعرض عن كلامه فلما اعتل شرف الدولة واشتدت علته الح عليه نحرير وقال له الدولة معه على خطر فان لم تقتله فاسمله فارسل فى ذلك محمدا الشيرازى الفراش فمات شرف الدولة قبل ان يصل الفراش الى صمصام الدولة فلما وصل الفراش الى القلعة التى بها صمصام الدولة لم يقدم على سمله فاستشار ابا القاسم العلاء بن الحسن الناظر هناك فاشار بذلك فسمله وكان صمصام الدولة يقول ما اعمانى الا العلاء لانه امضى فى حكم سلطان قد مات

(ذكر وفاة شرف الدولة وملك بهاء الدولة)

فى هذه السنة مستهل جمادى الآخرة توفى الملك شرف الدولة ابو الفوارس شيرزيل ابن عضد الدولة مستسقيا وحمل الى مشهد أمير المؤمنين على عليه السلام فدفن به وكانت امارته بالعراق سنتين وثمانية أشهر وكان عمره ثمانيا وعشرين سنة وخمسة اشهر ولما اشتدت علته سير ولده ابا على الى بلاد فارس واصحبه الخزائن والعدد وجماعة كثيرة من الاتراك فلما ايس أصحابه منه اجتمع اليه أعيانهم وسألوه ان يملك أحدا فقال أنا فى شغل عما تدعونى اليه فقالوا له ليامر أخاه بهاء الدولة أبا نصر أن ينوب عنه الى ان يعافى ليحفظ الناس لئلا تثور فتنة ففعل ذلك وتوقف بهاء الدولة ثم أجاب اليه فلما مات جلس بهاء الدولة فى المملكة وقعد للعزاء وركب الطائع لله أمير المؤمنين الى العزاء فى الزبزب فتلقاه بهاء الدولة وقبل الارض بين يديه وانحدر الطائع لله الى داره وخلع على بهاء الدولة خلع السلطنة واقر بهاء الدولة ابا منصور بن صالحان على وزارته

(ذكر مسير الامير ابى على بن شرف الدولة الى فارس وما كان منه مع صمصام الدولة)

لما اشتد مرض شرف الدولة جهز ولده الامير أبا على وسيره الى فارس ومعه والدته وجواريه وسير معه من الاموال والجواهر والسلاح أكثرها فلما بلغ البصرة أتاهم الخبر بموت شرف الدولة فسير ما معه فى البحر الى ارجان وسار هو مجدا الى ان وصل اليها واجتمع معه من بها من الاتراك وسار الى شيراز وكاتبهم متوليها وهو ابو القاسم العلاء بن الحسن بالوصول اليه ليسلمها اليهم وكان المرتبون فى القلعة التى بها صمصام الدولة وأخوه ابو طاهر قد اطلقوهما ومعهما فولاذ وساروا الى سيراف واجتمع على صمصام الدولة كثير من الديلم وسار الامير أبو على الى شيراز ووقعت الفتنة بها بين الاتراك والديلم وخرج الامير أبو على من داره الى معسكر الاتراك فنزل معهم واجتمع الديلم وقصدوا ليأخذوه ويسلموه الى صمصام الدولة فرأوه قد انتقل الى الاتراك فكشفوا القناع ونابذوا الاتراك وجرى بينهم قتال عدة أيام ثم سار أبو على والاتراك الى فسا فاستولوا عليها وأخذوا ما بها من مال وقتلوا من بها من الديلم وأخذوا أموالهم وسلاحهم فقووا بذلك وسار أبو على الى ارجان وعاد الاتراك الى شيراز فقاتلوا صمصام

وأما ما كان من أمر الالفى الكبير فانه لما حضر الى رشيد يوم الاربعاء ثالثه كما تقدم قابله يحيى بك وعمل له شنكا وطعاما وما يليق به وسأل عن مدة اقامته برشيد فقال له اريد الاقامة ستة أيام حتى نستريح ونزل ببيت مصطفى عبد الله التاجر ولم يكن معه الا خاصة مماليكه وجوخداريته ستة عشر فاستأذنه يحيى بك فى ارسال الخبر الى مصر ليأتى الامراء الى ملاقاته فلم يرض بذلك ثم انه لم يقم برشيد الا ليلة واحدة وانزل امتعته فى أربع مراكب من الرواحل وانتقل آخر الليل الى بيت البطر وشى القنصل وأمر بتنقيل المتاع الى مراكب النيل وأهدى له البطروشى غرابا من صناعة الانكليز مليح الشكل نزل هو به وسار الى مصر وكان قصده الحضور بغتة فعند ما يصلهم الخبر يصبحون يجدونه فى الجيزة ويأبى الله الا ما يريد فلم يسعفه الريح وكان تأخيره سببا لنجاته ولما وصل الخبر بحضوره وعملوا الشنك جهز له الالفى الصغير بعض الاحتياجات وأرسلها فى الذهبية والقنجة صحبة الخواجا محمود حسن وخلافه فنزلوا من بولاق وانحدروا بعد الظهر من يوم السبت فاجتمعوا به عند نادر نصف الليل فلما أصبح الصباح حضر اليه سليمان كاشف

الدولة ومن معه من الديلم ونهبوا البلد وعادوا الى أبي على بارجان واقاموا معه مدية ثم وصل رسول من بهاء الدولة الى أبي على وادى الرسالة وطيب قلبه ووعده ثم انه راسل الاتراك سرا واستمالهم الى نفسه واطمعهم فحسنوا لابي على المسير الى بهاء الدولة فسار اليه فلقيه بواسط منتصف جمادى الآخرة سنة ثمانين وثلثمائة فانزله واكرمه وتركه عدة أيام وقبض عليه ثم قتله بعد ذلك بيسير وتجهز بهاء الدولة للمسير الى الاهواز لقصد بلاد فارس

(ذكر الفتنة ببغداد بين الاتراك والديلم)

وفي هذه السنة ايضا وقعت الفتنة ببغداد بين الاتراك والديلم واشتد الامر ودام القتال بينهم خمسة ايام وبهاء الدولة في داره يراسلهم في الصلح فلم يسمعوا قوله وقتل بعض رسله ثم انه خرج الى الاتراك وحضر القتال معهم فاشتد حينئذ الامر وعظم الشر ثم انه شرع في الصلح ورفق بالاتراك وراسل الديلم فاستقر الحال بينهم وحلف بعضهم لبعض وكانت مدة الحرب اثني عشر يوما ثم ان الديلم تفرقوا فمضى فريق بعد فريق وأخرج بعضهم وقبض على البعض فضعف أمرهم وقويت شوكة الاتراك واشتدت طالهم

(ذكر سير فخر الدولة الى العراق وما كان منه)

وفي هذه السنة سار فخر الدولة بن ركن الدولة من الري الى همذان عازما على قصد العراق والاستيلاء عليها وكان سبب حركته ان الصاحب بن عباد كان يحب العراق لاسيما بغداد ويؤثر التقدم بها ويرصد أوقات الفرصة فلما توفي شرف الدولة علم ان الفرصة قد أمكنت فوضع على فخر الدولة من يعظم عنده ملك العراق ويسهل امرها عليه ولم يباشر هو ذلك خوفا من خطر العاقبة الى أن قال له فخر الدولة ما عندك في هذا الامر فاحال على ان سعادته تسهل كل صعب وعظم البلاد فتجهز وسار الى همذان واتاه بدر بن حسنويه وقصده دبيس بن عفيف الاسدي فاستقر الامر على أن يسير الصاحب ابن عباد وبدر الى العراق على الجادة ويسير فخر الدولة على خوزستان فلما سار الصاحب حذر فخر الدولة من ناحيته وقيل له ربما استماله اولاد عضد الدولة فاستعاده اليه وأخذه معه الى الاهواز فملكها واساء السيرة مع جندها وضيق عليهم ولم يبذل المال فخابت ظنون الناس فيه واستشعر منه ايضا عسكره وقالوا هكذا يفعل بنا اذا تمكن من ارادته فتخاذلوا وكان الصاحب قد أمسك نفسه تأثرا بما قيل عنه من اتهامه فالامور بسكوته غير مستقيمة فلما سمع بهاء الدولة بوصولهم الى الاهواز سير اليهم العساكر والتقواهم وعساكر فخر الدولة فاتفق ان دجلة الاهواز زادت ذلك الوقت زيادة عظيمة وانفتحت البثوق منها فظنها عسكر فخر الدولة مكيدة فانهزموا فقلق فخر الدولة من ذلك وكان قد استبد برأيه فعاد حينئذ الى رأي الصاحب فاشار ببذل المال واستصلاح الجند وقال له ان الرأي في مثل هذه الاوقات اخراج المال وترك مضايقة الجند فان أطلقت المال ضمنت لك حصول أضعافه بعد سنة فلم يفعل ذلك

وتفرق

البواب وقابله ورجع معه الى منوف العلا فاقام هناك يوم الاحد وبات هناك ودخل الحمام وسار منها بعد طلوع النهار وهم يسحبون المراكب باللبان لمخالفة الريح فلم يزل سائرا الى الظهيرة فلاقاه عدة من عسكر الارنؤد الموجهة اليه في أربعة مراكب في مضيق الترعة فسلم عليهم فردوا عليه السلام فسألهم بعض أتباعه بالتركي وقال لهم أين تريدون فقالوا نريد الالفي فقال لهم ها هو الالفي فسكتوا ثم تلاغى الملاحون مع بعضهم فاعلموهم الخبر فنقلوه الى الالفي فكذب ذلك وقال هذا شئ لا يكون ولا يصح ان اخواننا يفعلون ذلك معي وأنا سافرت وتغربت سنة لاجل راحتنا ولعلها حادثة بينهم وبين العسكر ثم ان طائفة منهم أدركت الغراب الذي قدمه له البطروشي وكان متأخرا عن المراكب فصعدوا اليه وأخذوا ما فيه من المتاع فاخبروه بذلك ونظر فرآهم يفعلون ذلك فارسل اليهم بعض من معه من الاتراك ليستخبر عن شأنهم وامرهم ولم ينتظر رجوعه بالجواب ولكنه اخذ بالحزم ونزل في الحال الى القنجة مع المماليك وصحبته الخواجا محمود حسن وامرهم ان يمسكوا المقاذيف ففعلوا ذلك وهو يستحثهم حتى خرجوا من الترعة الى

وتفرق عنه كثير من عسكر الاهواز واتسع الخرق عليه وضاقت الامور به فعاد الى الري وقبض في طريقه على جماعة من القواد الرازيين وملك أصحاب بهاء الدولة الاهواز

(ذكر هرب القادر بالله الى البطيحة)

في هذه السنة هرب القادر بالله من الطائع لله الى البطيحة فاحتمى فيها وكان سبب ذلك ان اسحق بن المقتدر والد القادر لما توفي جرى بين القادر وبين اخت له منازعة في ضيعة وطال الامر بينهما ثم ان الطائع لله مرض مرضا اشفي منه ثم ابل فسعت اليه باخيها القادر وقالت له انه شرع في طلب الخلافة عند مرضك فتغير رايه فيه فانفذ أبا الحسن ابن النعمان وغيره للقبض عليه وكان بالحريم الطاهري فاصعدوا وافى الماء اليه وكان القادر قد رأى في منامه كأن رجلا يقرأ عليه الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فهو يحكي هذا المنام لاهله ويقول انا خائف من طالب يطلبني ووصل أصحاب الطائع لله اليه واستدعوه فأراد لبس ثيابه فلم يمكنوه من مفارقتهم فاخذه النساء منهم قهرا وخرج عن داره واستتر ثم سار الى البطيحة فنزل على مهذب الدولة فاكرم نزله ووسع عليه وحفظه وبالغ في خدمته ولم يزل عنده الى ان أتته الخلافة فلما وليها جعل علامته حسبنا الله ونعم الوكيل

(ذكر عود بني حمدان الى الموصل)

في هذه السنة ملك أبو طاهر ابراهيم وأبو عبد الله الحسين ابنا ناصر الدولة بن حمدان الموصل وسبب ذلك أنهما كانا في خدمة شرف الدولة ببغداد فلما توفي وملك بهاء الدولة استأذنا في الاصعاد الى الموصل فاذن لهما فاصعدا ثم علم القواد الغلط في ذلك فكتب بهاء الدولة الى خواشاذه وهو يتولى الموصل يامره بدفعهما عنها فارسل اليهما خواشاذه يامرهما بالعود عنه فاعادا جوابا جميلا وجدا في السير حتى نزلا بالدير الاعلى بظاهر الموصل وثار أهل الموصل بالديلم والاتراك فنهبوهم وخرجوا الى بني حمدان وخرج الديلم الى قتالهم فهزمهم المواصلة وبنو حمدان وقتل منهم خلق كثير واعتصم الباقون بدار الامارة وعزم اهل الموصل على قتلهم والاستراحة منهم فمنعهم بنو حمدان عن ذلك وسيروا خواشاذه ومن معه الى بغداد واقاموا بالموصل وكثر العرب عندهم

(ذكر خلاف كتامة على المنصور)

وفي هذه السنة خرج انسان آخر من كتامة يقال له ابو الفرج لا يعرف من اى موضع هو وزعم ان أباه ولد القائم العلوي جد المعز لدين الله فعمل ا كثر مما عمله أبو الفهم واجتمعت اليه كتامة واتخذ البنود والطبول وضرب السكة وجرت بينه وبين نائب المنصور وعساكره بمدينة ميلة وسطيف حروب كثيرة ووقعات متعددة فسار المنصور اليه في عساكره وزحف هو الى المنصور في عساكر كتامة فكان بينهما حرب شديدة

البحر فلاقاهم طائفة انبرى في سفينتين وفيهم قراج باش تابع البرديسي وكان بعد عنهم فاعماهم الله عنه وكانهم لم يظنوه اياه ولم يزل يجد في السير حتى وصل الى شبر الشهابية فنظر الى رجل سائس واعلمه انه مرسل من بيت سليمان كاشف البوابيجي الواقع فعند ذلك تحقق الخبر وطلع الى البر وامر بتعريق القنجة ومشى مع المماليك على اقدامهم وتخلف عنه الخواجا محمود حسن بشبراقا بر الواي يجدون السير حتى وصلوا الى ناحية قرنفيل ودخل الى مجمع عرب الحويطات والتجأ الى امرائهم فاجاروه وليبث دعوته واركبته فرسا واصحبت معه شخصين هجانين وركب معهما وسار الى قرب الخانكه ليلا والمماليك معه مشاة فقابلهم جماعة من عرب بلي وكبيرهم يقال له سعد ابراهيم فاحتاطوا به فاشتغل المماليك بحربهم فتركهم وسار مع الهجانة الى ناحية الجبل ومضى فسمع الاجناد القريبون منهم وفيهم البرديسي صوت البنادق بين العرب والمماليك فاسرعوا اليهم وسألوهم عن سيدهم فقالوا انه كان معنا وفارقنا الساعة فامر البرديسي من معه من المماليك والاجناد أن يسرعوا خلفه ويتفرقوا في الطرق وكل من ادركه فليقتله في الحال فذهبوا خلفه فلم

فانهزم أبو الفرج وكتامة وقتل منهم مقتلة عظيمة واختفى ابو الفرج فى غار فى جبل فوثب عليه غلامان كانا له فاخذاه واتيا به المنصور فسره ذلك وقتله شر قتلة وشحن المنصور بلاد كتامة بالعساكر وبث عماله فيها ولم يدخلها عامل قبل ذلك فجبوا أموالها وضيقوا على أهلها ورجع المنصور الى مدينة أشير فاتاه سعيد بن خزرون الزناتى وكان أبوه قد تغلب على سجلماسة سنة خمس وستين وثلثمائة وصار فى طاعة المنصور واختص به وعلت منزلته عنده فقال له المنصور يوما يا سعيد هل تعرف أحدا أكرم منى وكان قد وصله بمال كثير فقال نعم انا أكرم منك فقال المنصور وكيف ذلك قال لانك جدت على بالمال وانا جدت عليك بنفسى فاستعمله المنصور على طبنة وزوج ابنه ببعض بنات سعيد فلامه على ذلك بعض أهله فقال كان أبى وجدى يستتبعانهم بالسيف وأما انا فبرمحى ورميته بكيس حتى تكون مودتهم طبعا واختيارا ورجع سعيد الى أهله وبقى الى سنة احدى وثمانين ثم عاد الى المنصور زائرا فاعتل سعيد أياما وتوفى أول رجب ثم قدم فلفل بن سعيد على المنصور فاحسن اليه وحمل اليه مالا كثيرا فرده الى طبنة ولاية ابيه

(ذكر خلاف عم المنصور عليه)

وفى هذه السنة أيضا خالف أبو البهار عم المنصور بن يوسف بلكين صاحب أفريقية عليه لشئ جرى عليه من المنصور ولم يحمله له لعزة نفسه فسار المنصور اليه بتاهرت ففارقها عمه الى الغرب بمن معه من أهلها وأصحابه ودخل عسكر المنصور تاهرت فانتهبوها ثم طلب أهلها الامان فامنهم ثم سار فى طلب عمه حتى جاوز تاهرت بسبع عشرة مرحلة ولقى العسكر شدة وقصد عمه زيرى بن عطية صاحب فاس فاكرمه وأعلى محله وبقى جنده يغيرون على نواحى المنصور وفى سنة احدى وثمانين وثلثمائة قصدوا النواحى المجاورة لفاس فاوقعوا باصحاب المنصور بها واستولوا عليها ثم ندم أبو البهار فسار الى المنصور معتذرا مما جرى منه فقبله المنصور وأحسن اليه وأكرمه وحمل اليه كل ما يحتاج اليه من مال وغيره

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قبض بهاء الدولة على أبى الحسن محمد بن عمر العلوى الكوفى وكان قد عظم شأنه مع شرف الدولة واتسع جاهه وكثرت أمواله فلما ولى بهاء الدولة سعى به أبو الحسن المعلم اليه وأطمعه فى أمواله وملكه وعظم ذلك عنده وقبض عليه وفيها اسقط بهاء الدولة ما كان يؤخذ من المراعى من سائر السواد وفيها ولد الامير ابو طالب رستم ابن فخر الدولة وفيها خرج ابن الجراح الطائى على الحجاج بين سميراء وفيد ونازلهم فصالحوه على ثلثمائة ألف درهم وشئ من الثياب فاخذها وانصرف وفيها بنى جامع القطيعة ببغداد وفيها توفى محمد بن أحمد بن العباس بن احمد بن جلاد أبو العباس السلمى النقاش كان من متكلمى الاشعرية وعنه أخذ أبو على بن شاذان الكلام

يبشر به احد منهم وخرج عليه مع نفر ابراهيم بجماعة قليلة من طريق يعرفها فرمى لهم ما معه من الذهب والجوهر والمكرك الذى على ظهره فاشتغلوا به وتركهم وسار وغاب امره وفى حال جلوسه عند العرب مر عليهم طائفة من الاجناد سائرين لانهم لما فعلوا فعلتهم فى الجيزة لم يبق لهم شغل الا هو واخذوا فى الاحتياط عليه ما امكن فارسلوا عسكرا فى المراكب وانبثت طوائفهم فى الجهات البحرية شرقا وغربا فذهبت طائفة منهم الى الشرقية وطائفة الى القليوبية وكذلك المنوفية والغربية والبحيرة وسلكوا طريق الجبل الموصلة الى قبلى وذهب حسين بك ورستم بك الى صالح بك لالق الذى بالشرقية وذهب شاهين بك الى سليمان كاشف البواب من البر الغربى يقطع عليه الطريق وذهب على بك أيوب ومحمد على على جهة القليوبية ليلحقه بمنوف للماوصل الى دجوة تعوق بسبب قلة المعادى فلما وصل الى منوف فوجدوه عدى الى الجهة الاخرى فاخذوا متروكاته التى تركها وهى بعض خيول وجمال وخمسين زلعة سمن مسلى وعملوا على اهل البلد أربعة آلاف ريال قبضوها منهم ورجعوا وكان عند ما بلغه الخبر الاجمالى لم يكذب الخبر وذلك بعد

وكان ثقة فى الحديث

(ثم دخلت سنة ثمان وثلثمائة)

(ذكر قتل باذ)

فى هذه السنة قتل باذ الكردى صاحب ديار بكر وكان سبب قتله أن أبا طاهر والحسين ابنى حمدان لما ملكا بلاد الموصل طمع فيها باذ وجمع الاكراد فاكثر ومن أطاعه الاكراد البشنوية أصحاب قلعة فنك وكانوا كثيرا فى ذلك يقول الحسين البشنوى الشاعر لبنى مروان يعتد عليهم بنجدتهم خالهم باذا من قصيدة

البشنوية أنصار لدولتكم * وليس فى ذا خفا فى العجم والعرب
أنصار باذ بارجيش وشيعته * بظاهر الموصل الحدباء فى العطب
بياجلايا جلوتا عنه غمغمة * ونحن فى الروع جلاؤن للكرب

وكاتب أهل الموصل فاستمالهم فاجابه بعضهم فسار اليهم ونزل بالجانب الشرقى فضعفا عنه وراسلا أبا الذواد محمد بن المسيب أمير بنى عقيل واستنصراه فطلب منهما جزيرة ابن عمر ونصيبين وبلدا وغير ذلك فاجاباه الى ما طلب واتفقا وسار اليه أبو عبد الله بن حمدان وأقام أبو طاهر بالموصل يحارب باذا فلما اجتمع أبو عبد الله وأبو الذواد سارا الى بلد وعبرا دجلة وصارا مع باذ على أرض واحدة وهو لا يعلم فاتاه الخبر بعبورهما وقد قارباه فاراد الانتقال الى الجبل لئلا يأتيه هؤلاء من خلفه وأبو طاهر من أمامه فاختلط أصحابه وأدركه الحمدانية فناوشوهم القتال وأراد باذ الانتقال من فرس الى آخر فسقط واندقت ترقوته فاتاه ابن أخته أبو على بن مروان وأراده على الركوب فلم يقدر فتركوه وانصرفوا واحتموا بالجبل ووقع باذ بين القتلى فعرفه بعض العرب فقتله وحمل رأسه الى بنى حمدان وأخذ جائزة سنية وصلبت جثته على دار الامارة فثار العامة وقالوا رجل غاز ولا يحل فعل هذا به وظهر منهم محبة كثيرة له وأنزلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه

(ذكر ابتداء دولة بنى مروان)

لما قتل باذ سار ابن أخته أبو على بن مروان فى طائفة من الجيش الى حصن كيفا وهو على دجلة وهو من أحصن المعاقل وكان به امرأة باذ وأهله فلما بلغ الحصن قال لزوجة خاله قد أنفذنى خالى اليك فى مهم فظنته حقا فلما صعد اليها أعلمها بهلاكه وأطمعها فى التزوج بها فوافقته على ملك الحصن وغيره ونزل وقصد حصنا حصنا حتى ملك ما كان لخاله وسار الى ميافارقين وسار اليه أبو طاهر وأبو عبد الله ابنا حمدان طمعا فيه ومعهما رأس باذ فوجدا أبا على قد أحكم أمره فتصافوا واقتتلوا وظفر أبو على وأسر أبا عبد الله بن حمدان فاكرمه وأحسن اليه ثم أطلقه فسار الى أخيه أبى طاهر وهو بآمد يحصرها فاشار عليه بمصالحة ابن مروان فلم يفعل واضطر أبو عبد الله الى موافقته وسارا الى ابن مروان فواقعاه فهزمهما وأسر أبا عبد الله أيضا فأساء اليه وضيق عليه الى أن كاتبه صاحب مصر وشفع اليه فأطلقه ومضى الى مصر وتقلد منها ولاية حلب وأقام

ثلاث ساعات فعدى فى الحال الى الجهة الغربية بأثقاله وعساكره فوجد أمامه شاهين بك فارسل يطلب منه أمانا فاجابه الى ذلك وارسل الى مصر من يأتى بالامان واطمأن شاهين بك فارتحل سليمان كاشف ليلا فلما أصبح شاهين بك وجده قد ارتحل فرجع بخفى حنين وعدى الى القليوبية فبلغه خبر الالفى وما وقع له مع العرب فطلبهم فاخبروه انه غاب عنهم فى الجبل من الطريق الفلانى فقبض عليهم واحضرهم صحبته مشنوقين فى عمائمهم ووجد الماليك فقبض عليهم وأرسلهم الى البرديسى وأما مراكبه فانه عندما نزل الى القنجة وفارقها أدركها العسكر الذين قابلوه فى المراكب ونهبوا ما فيها وكان بها شئ كثير من الاموال وظرائف الانكليز والامتعة والجوخ والاسلحة والجواهر فانه لما وصل الى القرار الى أكرمه اكراما كثيرا وأهدى اليه تحفا غريبة وكذلك أكابرهم وأعطاه جملة كبيرة من المال على سبيل الامانة يرسل لهم بدلها آلات وأشياء من مصر واشترى هو لنفسه أشياء بأربعة آلاف كيس يدفعها الى القنصل بمصر وأرسل لهم بالة رالى بوليصة وأهدى له صورة نفسه من جوهر ونظارات وآلات وغير ذلك

وأما الالفي الصغير فانه ذهب الى جهة قبلي وفرد القرد والكاف على البلاد ومن عصى عليه أو توانى في دفع المطلوب نهبهم وحرقهم وأما صالح بك الالفي فانه لما وصل اليه الخبر وقدوم الموجهين اليه ركب في الحال من زنكلون وترك حملته واثقاله فلم يدركوه ايضا (وفي يوم الثلاثاء) احضروا مماليك الالفي الكبير وخشداشينه الى بيت البرديسي وارسل ابراهيم بك والبرديسي مكاتبات الى الامراء بقبلي وهم سليمان بك الخازندار حاكم جرجا وعثمان بك حسن بقنا ومحمد بك المعروف بالغربية الابراهيمي يوصونهم ويحذرونهم من التفريط في الالفي الصغير والكبير ان وردا عليهما وأما شاهين بك فانه عدى الى الشرقية واجتهد في التفتيش ثم رجع في يوم الثلاثاء المذكور وادعى العرب المتهمون بانهم يعرفون طريقه وانهم أدركوه فاعطاهم جوهرا كثيرا وتركوه وأحضروا صحبتهم حقا من خشب وجدوه مرميا في بعض الطرق فأحضر البرديسي مماليك الالفي وأراهم ذلك الحق فقالوا نعم كان مع استاذنا وفي داخله جوهر ثمين وأرسلوا عدة من المماليك والهجانة الى الطريق التي ذكرها العرب وأحضر البرديسي ابن شديد وساله

بتلك الديار الى ان توفي واما ابو طاهر فانه لما وصل الى نصيبين قصده ابو الذواد فاسره وعليا ابنه والمزعفر امير بني نمير وقتلهم صبرا واقام ابن مروان بديار بكر وضبطها واحسن الى اهلها والان جانبهم فطمع فيه اهل ميافارقين فاستطالوا على اصحابه فامسك عنهم الى يوم العيد وقد خرجوا الى المصلى فلما تكاملوا في الصحراء وافى الى البلد واخذ ابا الصقر شيخ البلد فالقاه من على السور وقبض على من كان معه واخذ الاكراد ثياب الناس خارج البلد واغلق ابواب البلد وامر اهله ان ينصرفوا حيث شاؤا ولم يمكنهم من الدخول فذهبوا كل مذهب وكان قد تزوجت الناس بنت سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان فاتته من حلب فعزم على زفافها بآمد فخاف شيخ البلد واسمه عبد البر أن يفعل بهم مثل فعله باهل ميافارقين فاحضر ثقاته وحلفهم على كتمان سره وقال لهم قد صح عزم الامير على ان يفعل بكم مثل فعله باهل ميافارقين وهو يدخل من باب الماء ويخرج من باب الجهاد فقفوا له في الدركاه وانثروا عليه هذه الدراهم ثم اعتمدوا ايها وجهه فانه سيغطيه بكمه فاضربوه بالسكاكين في مقتله ففعلوا وجرت الحال كما وصف وتولى قتله انسان يقال له ابن دمنة كان فيه اقدام وجراءة فاختبط الناس وماجوا فرمي برأسه اليهم فاسرعوا السير الى ميافارقين وحدث جماعة من الاكراد نفوسهم بملك البلد فاتراب بهم مستحفظ ميافارقين لاسراعهم وقال ان كان الامير حيا فادخلوا معه وان كان قتل فاخوه مستحق لموضعه فما كان باسرع من ان وصل ممهد الدولة ابو منصور بن مروان أخو أبي علي الى ميافارقين ففتح له باب البلد فدخله وملكه ولم يكن له فيه الا السكة والخطبة لما نذكره وأما عبد البر فاستولى على آمد وزوج ابن دمنة الذي قتل أبا علي ابنته فعمل له ابن دمنة دعوة وقتله وملك آمد وعمر البلد وبنى لنفسه قصرا عند السور واصلح أمره مع ممهد الدولة وهادى ملك الروم وصاحب مصر وغيرهما من الملوك وانتشر ذكره واما ممهد الدولة فانه كان معه انسان من أصحابه يسمى شروة متحكما في مملكته وكان لشروة غلام قد ولاه الشرطة وكان ممهد الدولة يبغضه ويريد قتله ويتركه احتراما لصاحبه ففطن الغلام لذلك فافسد ما بينهما فعمل شروة طعاما بقلعة الهتاخ وهي اقطاعه ودعا اليه ممهد الدولة فلما حضر عنده قتله وذلك سنة اثنتين واربعمائة وخرج من الدار الى بني عم ممهد الدولة فقبض عليهم وقيدهم واظهر ان ممهد الدولة أمره بذلك ومضى الى ميافارقين وبين يديه المشاعل ففتحوا له ظنا منهم أنه ممهد الدولة فملكها وكتب الى أصحاب القلاع يستدعيهم وأنفذ انسانا الى ارزن ليحضر متوليها ويعرف بخواجه أبي القاسم فسار خواجه نحو ميافارقين ولم يسلم القلعة الى القاصد اليه فلما توسط الطريق سمع بقتل ممهد الدولة فعاد الى ارزن وأرسل الى أسعرد فاحضر أبا نصر بن مروان أخا ممهد الدولة وكان أخوه قد ابعده عنه وكان يبغضه لمنام رآه وهو انه رأى كان الشمس سقطت في حجره فنازعه أبو نصر عليها واخذها فابعده لهذا وتركه باسعرد مضيقا عليه فلما استدعاه خواجه قال له دبير تفلح قال نعم وكان شروة قد أنفذ الى أبي نصر فوجدوه قد سار الى ارزن فعلم حينئذ

انتقاض أمره وكان مروان والد ممهد الدولة قد أضر وهو بآرزن عند قبر ابنه أبي علي هو وزوجته فأحضر خواجه أبا نصر عندهما وحلفه على القبول منه والعدل وأحضر القاضي الشهود على اليمين وملكه آرزن ثم ملك سائر بلاد ديار بكر فدامت أيامه وأحسن السيرة وكان مقصد العلماء من سائر الآفاق وكثروا ببلاده وممن قصده أبو عبد الله الكازروني وعنه انتشر مذهب الشافعي بديار بكر وقصده الشعراء وأكثروا مدحه وأجزل جوائزهم وبقي كذلك من سنة اثنتين وأربعمائة الى سنة ثلاث وخمسين فتوفي فيها وكان عمره نيفا وثمانين سنة وكانت الثغور معه آمنة وسيرته في رعيته أحسن سيرة فلما مات ملك بلاده ولده

(ذكر ملك آل المسيب الموصل)

لما انهزم أبو طاهر بن حمدان من أبي علي بن مروان كما ذكرناه سار الى نصيبين في قلة سار من أصحابه وكانوا قد تفرقوا فطمع فيه أبو الذواد محمد بن المسيب أمير بني عقيل وكان صاحب نصيبين حينئذ كما ذكرناه فثار بأبي طاهر فأسره وأسر ولده وعدة من قواده وقتلهم وسار الى الموصل فملكها وأعمالها وكاتب بهاء الدولة يسأله أن ينفذ اليه من يقيم عنده من أصحابه يتولى الامور فسير اليه قائدا من قواده وكان بهاء الدولة قد سار من العراق الى الاهواز على ما نذكره ان شاء الله تعالى وأقام نائب بهاء الدولة وليس له من الامر شئ ولا يحكم الا فيما يريده أبو الذواد وسيرد من ذكره وذكر عقبه ما نقف عليه ان شاء الله تعالى

(ذكر مسير بهاء الدولة الى الاهواز وما كان منه ومن صمصام الدولة)

في هذه السنة سار بهاء الدولة عن بغداد الى خوزستان عازما على قصد فارس واستخلف ببغداد أبا نصر خواشاذه ووصل الى البصرة ودخلها وسار عنها الى خوزستان فأتاه نعي أخيه أبي طاهر فجلس للعزاء به ودخل ارجان فاستولى عليها وأخذ ما فيها من الاموال فكان ألف ألف دينار وثمانية آلاف ألف درهم ومن الثياب والجواهر ما لا يحصى فلما علم الجند بذلك شغبوا شغبا متتابعا فأطلقت تلك الاموال كلها لهم ولم يبق منها الا القليل ثم سارت مقدمته وعليها أبو العلاء بن الفضل الى النوبندجان وبها عساكر صمصام الدولة فهزمهم وبث أصحابه في نواحي فارس فسير اليهم صمصام الدولة عسكرا وعليهم فولاذ زماندار فواقعهم فانهزم أبو العلاء وعاد مهزوما وكان سبب الهزيمة انه كان بين العسكرين واد وعليه قنطرة وكان أصحاب أبي العلاء يعبرون القنطرة ويغيرون على أثقال الديلم عسكر صمصام الدولة فوضع فولاذ كمينا عند القنطرة فلما عبر أصحاب بهاء الدولة خرجوا عليهم فقتلوهم جميعهم وراسل فولاذ أبا العلاء وخدعه ثم سار اليه وكبسه فانهزم من بين يديه وعاد الى ارجان مهزوما وغلت الاسعار بها ولما بلغ الخبر الى صمصام الدولة سار عن شيراز الى فولاذ وترددت الرسل في الصلح فتم على أن يكون لصمصام الدولة بلاد فارس وارجان ولبهاء الدولة خوزستان والعراق وان يكون لكل

فأخبره انه لم يكن حاضرا في جمعه وان أمه أو خالته هي التي أعطته الفرس والجبانة فوبخه ولامه فقال له هذه عادة العرب من قديم الزمان يجيرون طنيبهم ولا يخفرون ذمتهم فحبسه أياما ثم أطلقه وقيل انه مر عليه علي بك أيوب ومحمد علي ومن معهم من العسكر وهو في خيش العرب وهو يراهم وأعماهم الله عن تفتيش الخيش وعن السؤال أيضا (وفي ذلك اليوم) خرج عثمان بك يوسف وحسين بك الوالي وأحمد أغا شويكار الى جهة الشرقية ومرزوق بك الى القليوبية يفتشون على الالفي (وفيه) شرعوا في تشهيل تجريدة الى الالفي الصغير وأميرها شاهين بك وصحبته محمد بك المنفوخ وعمر بك وابراهيم كاشف (وفي يوم الجمعة ثاني عشره) سافرت قافلة الحاج بالمحمل الى السويس (وفي يوم السبت) حضر علي بك أيوب ومحمد علي من سرحتهما على غير طائل (وفيه) سافر قنصل الانكليز من مصر بسبب هذه الحادثة فانه لما وقع ذلك اجتمع بابراهيم بك والبرديسي وتكلم معهما ولامهما على هذه الفعلة وكلمهما كلاما كثيرا منه انه قال لهما هذا الذي فعلتماه لاجل نهب مال القرالي ومطلوب مني أربعة آلاف كيس وهي البوليصة الموجهة

واحد منهما اقطاع في بلد صاحبه وحلف كل واحد منهما لصاحبه وعاد بهاء الدولة الى الاهواز ولما سار بهاء الدولة عن بغداد ثار العيارون بجانبي بغداد ووقعت الفتن بين أهل السنة والشيعة وكثر القتل بينهم وزالت الطاعة وأحرق عدة محال ونهبت الاموال واخربت المساكن ودام ذلك عدة شهور الى ان عاد بهاء الدولة الى بغداد

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قبض بهاء الدولة على وزيره أبي منصور بن صالحان واستوزر ابا نصر سابور بن اردشير قبل مسيره الى خوزستان وكان المدبر لدولة بهاء الدولة ابا الحسن بن المعلم واليه الحكم وفيها توفي ابو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس وزير العزيز صاحب مصر وكان كامل الاوصاف متمكنا من صاحبه فلما مرض عاده العزيز صاحب مصر وقال وددت انك تباع فابتاعك بملكي فهل من حاجة توصي بها فبكى وقبل يده ووضعها على عينه وقال أما فيما يخصني فانك ارعى لحقي من أن أوصيك بمخلفي ولكن فيما يتعلق بدولتك سالم الحمدانية ما سالموك واقنع منهم بالدعوة وان ظفرت بالمفرج فلا تبق عليه فلما مات حزن العزيز عليه وحضر جنازته وصلى عليه والحده بيده في قصره واغلق الدواوين عدة ايام واستوزر بعده اباعبد الله الموصلي ثم صرفه وقلد عيسى بن نسطورس النصراني فمال الى النصارى وولاهم واستناب بالشام يهوديا يعرف بمنشا ففعل مع اليهود مثل ما فعل عيسى بالنصارى وجرى على المسلمين تحامل عظيم وفيها في ربيع الاول قلد الشريف ابو أحمد والد الرضي نقابة العلويين والمظالم وامارة الحج وحج بالناس أبو عبد الله احمد بن محمد بن عبد الله العلوي نيابة عن النقيب ابي أحمد الموسوي وفيها توفي أبو بكر محمد بن عبد الرحمن الفقيه الحنفي ومولده سنة عشرين وثلثمائة وفيها توفي ابو عبد الله محمد بن عبد البر النمري بالاندلس والد الامام أبي عمر بن عبد البر

(ثم دخلت سنة احدى وثمانين وثلثمائة)

(ذكر القبض على الطائع لله)

في هذه السنة قبض الطائع لله قبض بهاء الدولة وهو الطائع لله ابو بكر عبد الكريم بن الفضل المطيع لله بن جعفر المقتدر بالله بن المعتضد بالله بن ابي أحمد الموفق بن المتوكل وكان سبب ذلك أن الامير بهاء الدولة قلت عنده الاموال فكثر شغب الجند فقبض على وزيره سابور ولم يغن عنه ذلك شيئا وكان ابو الحسن بن المعلم قد غلب على بهاء الدولة وحكم في مملكته فحسن له القبض على الطائع واطمعه في ماله وهون عليه ذلك وسهله فاقدم عليه بهاء الدولة وارسل الى الطائع وساله الاذن في الحضور في خدمته ليجدد العهد به فاذن له في ذلك وجلس له كما جرت العادة فدخل بهاء الدولة ومعه جمع كثير ولما دخل قبل الارض واجلس على كرسي فدخل بعض الديلم كانه يريد يقبل يد الخليفة فجذبه فانزله عن سريره والخليفة يقول انا لله وانا اليه راجعون وهو يستغيث ولا يلتفت اليه وأخذ ما في دار الخليفة من الذخائر فمشوا به في الحال ونهب الناس

بعضهم

لايمكن أن أقيم ببلدة هذا شأنها وطريقتنا لا نقيم الا في البلدة المستقيمة الحال ثم نزل مغضبا وسافر وأراد أيضا قنصل الفرنسيس السفر فمنعاه (وفي يوم السبت) طلبت العسكر جماكيهم من الامراء وشددوا في الطلب واستقلوا الامراء في أعينهم وتكلموا مع محمد علي وأحمد بك وصادق اغا كلاما كثيرا فسعوا في الكلام مع الامراء المصرلية فوعدوهم الى يوم الثلاثاء ومات بقطر المحاسب كاتب البرديسي يوم الاحد فلما كان يوم الثلاثاء اجتمع العسكر ببيت محمد علي وحصل بعض قلقة فوقهم على القبط بمائتي ألف ريال منها خمسون على غالي كاتب الالفي وثلاثون على تركة بقطر المحاسب والمائة والعشرون موزعة عليهم فسكن الاضطراب قليلا (وفي يوم الثلاثاء) المذكور رجع مرزوق بك من القليوبية (وفي يوم الاربعاء سابع عشره) توفي ابراهيم افندي الروزنامجي وفيه حصل رجات وقلقات بسبب العسكر وجماكيهم وأرادوا أخذ القلعة فلم يتمكنوا من ذلك وقفل الناس دكاكينهم وقتلوا رجلا نصرانيا عند حارة الروم وخطفوا بعض

بعضهم بعضا وكان من جملتهم الشريف الرضى فبادر بالخروج فسلم وقال ابياتا من جملتها

من بعدما كان رب الملك مبتسما * الى أدنوه فى النجوى ويدنيني
أمسيت ارحم من قد كنت اغبطه * لقد تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكني * ياقرب ماعاد بالضراء يبكيني
هيهات أغتر بالسلطان ثانية * قد ضل ولاج ابواب السلاطين

ولما حمل الطائع الى دار بهاء الدولة اشهد عليه بالخلع وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وثمانية شهور وستة أيام وحمل الى القادر بالله لما ولى الخلافة فبقى عنده الى ان توفى سنة ثلاث وتسعين ليلة الفطر وصلى عليه القادر بالله وكبر عليه خمسا وكان مولده سنة سبع عشرة وثلثمائة وكان أبيض مربوعا حسن الجسم وكان انفه كبيرا جدا وكان شديد القوة كثير الاقدام اسم امه عتب وعاشت الى أن ادركت ايامه ولم يكن له من الحكم فى ولايته مايعرف به حال يستدل به على سيرته

(ذكر خلافة القادر بالله)

لما قبض على الطائع تذكر بهاء الدولة من يصلح للخلافة فاتفقوا على القادر بالله وهو ابو العباس أحمد بن اسحق بن المقتدر بن المعتضد وامه ام ولد اسمها دمنة وقيل تمنى وكان بالبطيحة كما ذكرناه فارسل اليه بهاء الدولة خواص اصحابه ليحضروه الى بغداد ليتولى الخلافة فانحدروا اليه وشغب الديلم ببغداد ومنعوا من الخطبة فقيل على المنبر اللهم اصلح عبدك وخليفتك القادر بالله ولم يذكروا اسمه وأرضاهم بهاء الدولة ولما وصل الرسل الى القادر بالله كان تلك الساعة يحكى مناما رآه تلك الليلة وهو ماحكاه هبة الله بن عيسى كاتب مهذب الدولة قال كنت احضر عند القادر بالله كل اسبوع مرتين فكان يكرمني فدخلت عليه يوما فوجدته قد تأهب تأهبا لم تجربه عادته ولم ارمنه ما ألفته من اكرامه واختلفت فى الظنون فسألته عن سبب ذلك فان كان لزلة منى اعتذرت عن نفسى فقال بل رأيت البارحة فى منامى كأن نهركم هذا نهر الصليق قد اتسع فصار مثل دجلة دفعات فسرت على حافته متعجبا منه ورأيت قنطرة عظيمة فقلت من قد حدث نفسه بعمل هذه القنطرة على هذا البحر العظيم ثم صعدتها وهى محكمة فبينا انا عليها أتعجب منها اذ رأيت شخصا قد تأملنى من ذلك الجانب فقال اتريد ان تعبر قلت نعم فمد يده حتى وصلت الى فأخذنى وعبرنى فهالنى وتعاظمنى فعله قلت من أنت قال على بن أبى طالب وهذا الامر صائر اليك ويطول عمرك فيه فاحسن الى ولدى وشيعتى فما انتهى القادر الى هذا القول حتى سمعنا صياح الملاحين وغيرهم وسألنا عن ذلك واذاهم الواردون اليه لاصعاده ليتولى الخلافة فخاطبته بامرة المؤمنين وبايعته وقام مهذب الدولة بخدمته أحسن قيام وحمل اليه من المال وغيره مايحمل لكبار الملوك الخلفاء وشيعه فسار القادر بالله الى بغداد فلما دخل

(وفى يوم السبت عشرينه) حضر سليمان كاشف البواب بالامان ودخل الى مصر (وفى يوم الاحد) أفرجوا عن كشاف الالفى المحبوسين (وفيه) حضر عثمان بك يوسف من ناحية الشرقية واستمر هنالك حسين بك الوالى و رستم بك وذهب المنفوخ واسمعيل بك الى ناحية شرق اطفيح لانه اشيع ان الالفى ذهب عند عرب المعازة فقبضوا على جماعة منهم وحبسوهم وأرسلوا مائة هجان الى جميع النواحى واعطوهم دراهم يفتشون على الالفى (وفيه) شرعوا فى عمل فردة على أهل البلد وتصدى لذلك المحروقى وشرعوا فى كتب قوائم لذلك ووزعوها على العقار والاملاك اجرة سنة يقوم بدفع نصفها المستأجر والنصف الثانى يدفعه صاحب الملك (وفى يوم الاربعاء رابع عشرينه) سرح كتاب الفردة والمهندسون ومع كل جماعة شخص من الاجناد وطافوا بالاخطاط يكتبون قوائم الاملاك و يصقعون الاجر فنزل بالناس مالا يوصف من الكدر مع ماهم فيه من الغلاء ووقف الحال وذلك خلاف ماقرروه على قرى الارياف فلما كان

جبل انحدر بهاء الدولة واعيان الناس لاستقباله وسار وافى بخدمته فدخل دار الخلافة ثاني عشر رمضان وبايعه بهاء الدولة والناس وخطب له ثالث عشر رمضان وجدد أمر الخلافة وعظم ناموسها وسيرد من أخباره ان شاء الله تعالى ما يعلم به ذلك وحمل اليه بعض ما نهب من دار الخلافة وكانت مدة مقامه في البطيحة سنتين واحد عشر شهرا ولم يخطب له في جميع خراسان كانت الخطبة فيها للطائع لله

(ذكر ملك خلف بن احمد كرمان)

في هذه السنة أنفذ خلف بن احمد صاحب سجستان وهو ابن بانو بنت عمرو بن الليث الصفار ابنه عمرا الى كرمان فملكها وكان سبب ذلك انه كان لما قوى أمره وجمع الاموال الكثيرة حدثت نفسه بملك كرمان ولم يتهيأ له ذلك لهدنة كانت بينه وبين عضد الدولة فلما مات عضد الدولة وملك شرف الدولة واستقر أمره وانتظم وامن ملكه لم يتحرك بشيء من ذلك فلما توفي شرف الدولة واضطرب ملوك بني بويه ووقع الخلف بين صمصام الدولة وبهاء الدولة قوي طمعه وانتهز الفرصة وجهز ولده عمرا وسيره في عسكر كثير الى كرمان وبها قائد يقال له تمرتاش كان قد استعمله شرف الدولة فلم يشعر تمرتاش الا وعمرو قد قاربه فلم يكن له ولمن معه حيلة الا الدخول الى بردسير وحملوا ما امكنهم حمله وغنم عمرو الباقي وملك كرمان ما عدا بردسير وصادر الناس وجبى الاموال فلما وصل الخبر الى صمصام الدولة وهو صاحب فارس جهز العساكر وسيرها الى تمرتاش وقدم عليهم قائدا يقال له ابو جعفر وامره بالقبض على تمرتاش عند الاجتماع به لانه اتهمه بالميل الى اخيه بهاء الدولة فسار ابو جعفر فلما اجتمع بتمرتاش انزله عنده بعلة الاجتماع على ما يفعلانه وقبض عليه وحمله الى شيراز فسار أبو جعفر بالعسكر جميعه يقصد عمرو ابن خلف ليحاربه فالتقوا بدارزين واقتتلوا فانهزم أبو جعفر والديلم وعادوا على طريق جيرفت وبلغ الخبر الى صمصام الدولة وأصحابه فانزعجوا لذلك ثم اجمعوا أمرهم على انفاذ العباس بن احمد في عسكر اكثر من الاول فسيروه في عدد كثير وعدة ظاهرة فسار حتى بلغ عمرا فالتقوا بقرب السيرجان واقتتلوا فكانت الهزيمة على عمرو بن خلف واسر جماعة من قواده وأصحابه وكان هذا في المحرم سنة اثنتين وثمانين وعاد عمرو الى أبيه بسجستان مهزوما فلما دخل عليه لامه ووبخه ثم حبسه أياما ثم قتله وتولى غسله والصلاة عليه ودفنه في القلعة فسبحان الله ما كان أقسى قلب هذا الرجل مع علمه ومعرفته ثم ان صمصام الدولة عزل العباس عن كرمان واستعمل عليها استاذ هرمز فلما وصل الى كرمان خافه خلف بن احمد فكاتبه في تجديد الصلح واعتذر عن فعله فاستقر الصلح وانفذ خلف قاضيا كان بسجستان يعرف بأبي يوسف كان له قبول عند العامة والخاصة ووضع عليه انسانا يكون معه وأمره ان يسقيه سما اذا صار عند استاذ هرمز ويعوده سريعا ويشيع بان استاذ هرمز قتله فسار ابو يوسف الى كرمان فصنع له استاذ هرمز طعاما فحضره واكل منه فلما عاد الى منزله سقاه ذلك الرجل سما فمات منه وركب جنازة وسار مجدا الى خلف فجمع له خلف وجوه الناس ليتسمعوا الله قد كان استاذ هرمز

وباتوا على ذلك وهم ما بين مصدق ومكذب (وفي يوم الخميس) خامس عشر ينسه اشيع ابطال الفردة مع سعي الكتبة والمهندسين في التصقيع والكتابة وذهبوا الى نواحي باب الشعرية ودخلوا درب مصطفى فضج الفقراء والعامة والنساء وخرجوا طوائف يصرخون وبايديهم دفوف يضربون عليها ويندبن ويتعبن ويقلن كلاما على الامراء مثل قولهن ايش تاخذ من تفليسي يا بردبسي وصبغن أيديهن بالنيلة وغير ذلك فاقتدى بهن خلافهن وخرجوا أيضا ومعهم طبول وبيارق وأغلقوا الدكاكين وحضر الجمع الكثير الى الجامع الازهر وذهبوا الى المشايخ فركبوا معهم الى الامراء ورجعوا ينادون بابطالها وسر الناس بذلك وسكن اضطرابهم وفي وقت قيام العامة كان كثير من العسكر منتشرين في الاسواق فداخلهم الخوف وصاروا يقولون لهم نحن معكم سواء وانتم رعية ونحن عسكر ولم نرض بهذه الفردة وعملوها تناصلى المبري ليست عليكم أنتم أناس فقراء فلم يتعرض لهم أحد وحضر كتخدا محمد علي برسالة من جهته الى الجامع الازهر وقال مثل ذلك ونادى به في الاسواق ففرح الناس وانحرفت طباعهم عن الامراء ومالوا الى

قتل

قتل القاضي أبا يوسف و بكى خلف واظهر الجزع عليه ونادى في الناس بغزو كرمان وأخذ بثار أبي يوسف فاجتمع الناس واحتشدوا فسيرهم مع ولده طاهر فوصلوا الى نرماسير وبها عسكر الديلم فهزموهم واخذوا البلد منهم ولحق الديلم بجيرفت فاجتمعوا بها وجعلوا ببردسير من يحميها وهي أصل بلاد كرمان ومصرها فقصدها طاهر وحصرها ثلاثة أشهر فضاق باهلها وكتبوا الى استاذهرمز يعلمونه حالهم وانه ان لم يدركهم سلموا البلد فركب الخطر وسار مجدا في مضايق وجبال وعرة حتى أتى بردسير فلما وصل اليها رحل طاهر ومن معه عنها وعادوا الى سجستان واستقرت كرمان للديلم وكان ذلك سنة أربع وثمانين وثلثمائة

﴿ذكر عصيان بكجور على سعد الدولة بن حمدان وقتله﴾

لما وصل بكجور الى الرقة منهزما من عساكر مصر بدمشق وأقام على ما ذكرناه واستولى على الرحبة وما يجاورها الرقة راسل الملك بهاء الدولة بن بويه بالانضمام اليه وكاتب أيضا باذ الكردي المتغلب على ديار بكر والموصل بالمسير اليه وراسل سعد الدولة ابن سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب بأن يعود الى طاعته على قاعدته الاولة ويقطعه منه مدينة حمص كما كانت له فليس فيهم من أجابه الى شيء مما طلب فبقي في الرقة يراسل جماعة رفقاءه من مماليك سعد الدولة ويستميلهم فاجابوه الى الموافقة على قصد بلد سعد الدولة وأخبروه انه مشغول بلذاته وشهواته عن تدبير الملك فأرسل حينئذ بكجور الى العزيز بالله صاحب مصر يطمعه في حلب ويقول له انها دهليز العراق ومتى اخذت كان ما بعدها اسهل منها ويطلب الانجاد بالعساكر فاجابه العزيز الى ذلك وارسل الى نزال والي طرابلس والى ولاة غيرها من البلاد الشامية يامرهم بتجهيز العساكر مع نزال الى بكجور والتصرف على ما يامرهم به من قتال سعد الدولة وقصد بلاده وكتب عيسى بن نسطورس النصراني وزير العزيز الى نزال يامره بمدافعة بكجور واطماعه في المسير اليه فاذا تورط في قصد سعد الدولة تخلى عنه وكان السبب في فعل عيسى هذا ببكجور انه كان بينه وبين بكجور عداوة مستحكمة وولي الوزارة بعد وفاة ابن كلس فكتب الى نزال ما ذكرناه فلما وصل أمر العزيز الى نزال بانجاد بكجور كتب اليه يعرفه ما أمر به من نجدته بنفسه وبالعساكر معه وقال له بكجور مسيرك من الرقة يوم كذا ومسيري أنا من طرابلس يوم كذا ويكون اجتماعنا على حلب يوم كذا وتابع رسله اليه بذلك فسار مغترا بقوله الى بالس فامتنعت عليه فحصرها خمسة أيام فلم يظفر بها فسار عنها وبلغ الخبر بمسير بكجور الى سعد الدولة فسار عن حلب ومعه لؤلؤ الكبير مولى ابيه سيف الدولة وكتب الى بكجور يستميله ويدعوه الى الموافقة ورعاية حق الرق والعبودية ويبذل له ان يقطعه من الرقة الى حمص فلم يقبل منه ذلك وكان سعد الدولة قد كاتب الوالي بانطاكية لملك الروم يستنجده فسير اليه جيشا كثيرا من الروم وكاتب أيضا من مع بكجور من العرب يرغبهم في الاقطاع والعطاء الكثير

العسكر وكانت هذه الفعلة من جملة الدسائس الشيطانية فان محمد علي لما نوش العساكر على محمد باشا خسرو وأزال دولته وأوقع به ما تقدم ذكره بعونة طاهر باشا والارنؤد ثم بالاتراك عليه حتى أوقع به أيضا وطهر أمر أحمد باشا وعرف انه ان تم له الامر وغا أمر الاتراك لا يبقون عليه فعاجله وأزاله بعونة الامراء المصرلية واستقر معهم حتى أوقع باشتراكهم قتل الدفتردار والكتخدا ثم محاربة محمد باشا بدمياط حتى أخذوه أسيرا ثم التحيل على علي باشا الطرابلسي حتى أوقعوه في فخهم وقتلوه ونهبوه كل ذلك وهو يظهر المصافاة والمصادقة للمصريين وخصوصا البرديسي فانه تآخى معه وجرح كل منهما نفسه ولحس من دم الآخر واغتر به البرديسي وراج سوقه عليه وصدقه وتعضد به واصطفاه دون خشداشينه وتحصن بعساكره واقامهم حوله في الابراج وفعل بعونتهم ما فعله بالالفي وأتباعه وشردهم وقص جناحه بيده وشتت البواقي وفرقهم بالنواحي في طلبهم فعند ذلك استقلوهم في أعينهم وزالت هيبتهم من قلوبهم وعلموا خيانتهم وسفهوا رأيهم واستضعفوا جانبهم وشنعوا عليهم وفتحوا باب الشر بطلب العلوفة مع الايجام خوفا من قيام أهل

والعفو من مساعدتهم بكجور فمالوا اليه ووعدوه الهزيمة بين يديه فلما التقى العسكران اقتتلوا واشتد القتال فلما اختلط الناس في الحرب وشغل بعضهم ببعض عطف العرب على سواد بكجور فنهبوه واستأمنوا الى سعد الدولة فلما رأى بكجور ذلك اختار من شجعان أصحابه أربعمائة رجل وعزم على ان يقصد موقف سعد الدولة ويلقي نفسه عليه فاماله واما عليه فهرب واحد ممن حضر الحال الى لؤلؤ الكبير وعرفه ذلك فطلب لؤلؤ من سعد الدولة ان يتحرك من موقفه ويقف مكانه فاجابه الى ذلك بعد امتناع فحمل بكجور ومن معه فوصلوا الى موقف لؤلؤ بعد قتال شديد عجب الناس منه واستعظموه كلهم فلما رأى لؤلؤا ألقى نفسه عليه وهو يظنه سعد الدولة وضربه على رأسه فسقط الى الارض فظهر حينئذ سعد الدولة وعاد الى موقفه ففرح به أصحابه وقويت نفوسهم واحاطوا ببكجور وصدقوه القتال فمضى منهزما هو وطائفة أصحابه وتفرقوا وبقي منهم معه سبعة أنفس وكثر القتل والاسر في الباقين ولما طال الشوط ببكجور ألقى سلاحه وسار فوقف فرسه فنزل عنه وسار راجلا فلحقه نفر من العرب فاخذوا ما عليه وقصد بعض العرب فنزل عليه وعرفه نفسه وضمن له حمل بعير ذهبا ليوصله الى الرقة فلم يصدقه لبخله المشهور عنه فتركه في بيته وتوجه الى سعد الدولة فعرفه ان بكجور عنده فحكمه سعد الدولة في مطالبه فطلب مائتي فدان ملكا ومائة الف درهم ومائة جمل تحمل له حنطة وخمسين قطعة ثيابا فاعطاه ذلك أجمع وزيادة وسير معه سرية فتسلموا بكجور وأحضروه عند سعد الدولة فلما رآه أمر بقتله فقتل ولقي عاقبة بغيه وكفره احسان مولاه فلما قتله سعد الدولة سار الى الرقة فنازلها وبها سلامة الرشيقي ومعه أولاد بكجور وابو الحسن علي بن الحسين المغربي وزير بكجور فسلموا البلد اليه بامان وعهود أكدوها واخذوها عليه لاولاد بكجور واموالهم وللوزير المغربي ولسلامة الرشيقي ولاموالهم فلما خرج أولاد بكجور باموالهم ورأى سعد الدولة ما معهم فاستعظمه واستكثره وكان عنده القاضي ابن ابي الحصين فقال سعد الدولة ما كنت أظن ان بكجور يملك هذا جميعه فقال له القاضي لم لا تأخذه فهو ملك لانه مملوك لا يملك شيئا ولا حرج عليك ولا حنث فلما سمع هذا أخذ المال جميعه وقبض عليهم وهرب الوزير المغربي الى مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام وكتب أولاد بكجور الى العزيز يسألونه الشفاعة فيهم فارسل اليه يشفع فيهم ويأمره ان يسيرهم الى مصر ويتهدده ان لم يفعل فاهان الرسول وقال له قل لصاحبك انا سائر اليه وسير مقدمته الى حمص ليلحقهم

(ذكر وفاة سعد الدولة بن حمدان)

فلما برز سعد الدولة ليسير الى دمشق لحقه قولنج فعاد الى حلب ليتداوى فزال ما به وعوفي وعزم على العود الى معسكره وحضر عنده احدى سراريه فواقعها فسقط عنها وقد فلج وبطل نصفه فاستدعى الطبيب فقال له أعطني يدك لآخذ مجسك فاعطاه اليسرى فقال أعطني اليمين فقال لا تركت لي اليمين يمينا يعني نكثه باولاد بكجور وهو الذي أهلكه وقد ذكر ذلك وندم عليه حيث لم تنفعه الندامة وعاش بعد ذلك ثلاثة

ايام

البلد مسهم ولعلهم يلهم الباطني اليهم فاضطروهم الى عمل هذه الفردة ونسب فعلها للبرديسي فثارت العامة وحصل ما حصل وعند ذلك تبرأ محمد على والعسكر من ذلك وساعدوهم في رفعها عنهم فالت قلوبهم اليهم ونسوا قبائحهم وابتهلوا الى الله في ازالة الامراء وكرهوهم وجهروا بالدعاء عليهم وتحقق العسكر منهم ذلك وانحرف الامراء على الرعية باطنا بل اظهر البرديسي الغيظ والانحراف من أهل مصر وخرج من بيته مغضبا الى جهة مصر القديمة وهو يلعن أهل مصر ويقول لابد من تقريرها عليهم ثلاث سنوات وأفعل بهم وأفعل حيث لم يمتثلوا الاوامر ثم اخذوا يدبرون على العسكر وارسلوا الى جماعتهم المتفرقين في الجهات القبلية والبحرية يطلبونهم للحضور فارسلوا الى حسين بك الوالي ورستم بك من الشرقية واسمعيل بك صهر ابراهيم بك ومحمد بك المنفوخ ليأتيا من شرق اطفيح والفريقان كانوا لرصد الالفي وانتظاره وارسلوا الى سليمان بك حاكم الصعيد بالحضور من اسيوط بمن حوله من الكشاف والامراء والى يحيى بك حاكم رشيد واحمد بك حاكم دمياط واصعدوا محمد باشا المحروس الى القلعة وعلم

أيام ومات بعد أن عهد الى ولده ابى الفضائل ووصى الى لؤلؤ به وبسائر اهله فلما توفى قام ابو الفضائل واخذ له لؤلؤ العهد على الاجناد وتراجعت العساكر الى حلب وكان الوزير ابو الحسن المغربى قد سار من مشهد على عليه السلام الى العزيز بمصر واطمعه فى حلب فسير جيشا وعليهم منجوتكين احد امرائه الى حلب فسار اليها فى جيش كثيف فحصرها وبها ابو الفضائل ولؤلؤ فكتبا الى بسيل ملك الروم يستنجدانه وهو يقاتل البلغار فارسل بسيل الى نائبه بانطاكية يامره بانجاد ابى الفضائل فسار فى خمسين الفا حتى نزل على الجسر الجديد بالعاصى فلما سمع منجوتكين الخبر سار الى الروم ليلقاهم قبل اجتماعهم بابى الفضائل وعبر اليهم العاصى واوقعوا بالروم فهزموهم وولوا الادبار الى انطاكية وكثر القتل فيهم وسار منجوتكين الى انطاكية فنهب بلدها وقراها واحرقها وانفذ ابو الفضائل الى بلد حلب فنقل ما فيه من الغلال واحرق الباقى اضرارا بعساكر مصر وعاد منجوتكين الى حلب فحصرها فارسل لؤلؤ الى ابى الحسن المغربى وغيره وبذل لهم مالا ليردوا منجوتكين عنهم هذه السنة بعلة تعذر الاقوات ففعلوا ذلك وكان منجوتكين قد ضجر من الحرب فاجابهم اليه وسار الى دمشق ولما بلغ الخبر الى العزيز غضب وكتب بعود العسكر الى حلب وابعاد المغربى وانفذ الاقوات من مصر فى البحر الى طرابلس ومنها الى العسكر فنازل العسكر حلب واقاموا عليها ثلاثة عشر شهرا فقلت الاقوات بحلب وعاد الى مراسلة ملك الروم والاعتضاد به وقال له متى اخذت حلب أخذت انطاكية وعظم عليك الخطب وكان قد توسط بلاد البلغار فعاد وجد فى السير وكان الزمان ربيعا وعسكر مصر قد ارسل الى منجوتكين يعرفه الحال واتته جواسيسه بمثل ذلك فامر بما كان بناه من سوق وحمام وغير ذلك وسار كالمنهزم عن حلب ووصل ملك الروم فنزل على باب حلب وخرج اليه ابو الفضائل ولؤلؤ وعادا الى حلب ورحل بسيل الى الشام ففتح حمص وشيزر ونهبها وسار الى طرابلس فنازلها فامتنعت عليه وأقام عليها نيفا واربعين يوما فلما ايس منها عاد الى بلاد الروم ولما بلغ الخبر الى العزيز عظم عليه ونادى فى الناس بالنفير لغزو الروم وبرز من القاهرة وحدث به أمراض منعته وادركه الموت على ما نذكره ان شاء الله تعالى

●(ذكر عدة حوادث)●

فى هذه السنة عزل المنصور صاحب افريقية نائبه فى البلاد يوسف واستعمل بعده على البلاد اباعبدالله محمد بن أبى العرب وفيها توفى القائد جوهر بعد عزله وهذا جوهر هو الذى فتح مصر للعز العلوى وفيها قبض بهاء الدولة على وزيره أبى نصر سابور بالاهواز واستوزر اباالقاسم عبدالعزيز بن يوسف وفيها أيضا قبض بهاء الدولة على أبى نصر خواشاذه وأبى عبدالله بن طاهر بعد عوده من خوزستان وكان سبب قبضهما ان ابا نصر كان شحيحا فلم يواصل ابن المعلم بخدمه وهداياه فشرع فى القبض عليه وفيها هرب فولاذ زماندر من عند صمصام الدولة الى الرى وكان سبب هربه أنه تحكم على صمصام الدولة تحكما عظيما أنف منه فاراد القبض عليه فعلم به فهرب منه وفيها كتب أهل

الارنؤدية منهم ذلك فبادروا واجتمعوا بالازبكية فى يوم الاحد ثامن عشرينه فارتاع الناس واغلقوا الحوانيت والدروب وذهب جمع من العسكر الى ابراهيم بك واحتاطوا ابهم بماته بالداودية وكذلك بيت البرديسى بالناصرية وتفرقوا على بيوت باقى الامراء والكشاف والاجناد وكان ذلك وقت العصر والبرديسى عنده عدة كبيرة من العسكر المختصين به ينفق عليهم ويدر عليهم الارزاق والجماكى والعلوفات ومنهم الطبجية وغيرهم وعمر قلعة الفرنسيس التى فوق تل العقارب بالناصرية وجددها بعد تخريبها ووسعها وانشابها اماكن وشحنها بآلات الحرب والذخيرة والجبخانه وقيدبها طبجية وعساكر من الارنؤدية وذلك خلاف المتقيدين بالابراج والبوابات التى انشاها فيما بينه بالناصرية جهة قناطر السباع والجهة الاخرى كما سبق ذكر ذلك فلما علم بوصول العساكر حول دائرته وكان جالسا صحبة عثمان بك يوسف فقام وقال له كن انت فى مكانى هنا حتى اخرج وارتب الامر وارجع اليك وتركه وركب الى خارج فضربوا عليه بالرصاص فخرج على وجهه بخاصته وهجنه ولوازمه الخفيفة وذهب الى ناحية

الرحبة الى بهاء الدولة يطلبون انفاذ من يسلمون اليه الرحبة فانفذ ثمار تكين الحفصى الى الرحبة فتسلمها وسار منها الى الرقة وبها بدر غلام سعد الدولة بن حمدان فجرت بينهما وقعات فلم يظفر بها وبلغه اختلاف ببغداد فعاد فخرج عليه بعض العرب فاخذوه أسيرا ثم افتدى منهم بمال كثير وفيها حلف بهاء الدولة للقادر بالله على الطاعة والقيام بشروط البيعة وحلف له القادر بالوفاء والخلوص وأشهد عليه أنه قلده ما وراء بابه وفيها كثرت الفتن بين العامة ببغداد وزالت هيبة السلطنة وتكرر الحريق فى المحال واستمر الفساد وفيها توفى قاضى القضاة عبيد الله بن أحمد بن معروف أبو محمد ومولده سنة ست وثلثمائة وكان فاضلا عفيفا نزها وكان معتزليا ومحمد بن ابراهيم بن على بن عاصم بن زادان أبو بكر المعروف بابن المقرى الاصبهانى وله ست وتسعون سنة وهو راوى مسند أبى يعلى الموصلى عنه

(ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة)

(ذكر عود الديلم الى الموصل)

كان بهاء الدولة قد أنفذ أبا جعفر الحجاج بن هرمز فى عسكر كثير الى الموصل فملكها آخر سنة احدى وثمانين فاجتمعت عقيل وأميرهم أبو الذواد محمد بن المسيب على حربه فجرى بينهم عدة وقائع ظهر من أبى جعفر فيها بأس شديد حتى انه كان يضع له كرسيا بين الصفين ويجلس عليه فهابه العرب واستمد من بهاء الدولة عسكرا فامده بالوزير أبى القاسم على بن أحمد وكان مسيره أول هذه السنة فلما وصل الى العسكر كتب بهاء الدولة الى أبى جعفر بالقبض عليه فعلم أبو جعفر انه ان قبض عليه اختلف العسكر وظفر به العرب فتراجع فى امره وكان سبب ذلك ان ابن المعلم كان عدواله فسعى به عند بهاء الدولة فامر بقبضه وكان بهاء الدولة اذا يسمع ما يقال له ويفعل به وعلم الوزير الخبر فشرع فى صلح أبى الذواد وأخذ رهائنه وا لعود الى بغداد فاشار عليه أصحابه باللحاق بأبى الذواد فلم يفعل أنفة وحسن عهد فلما وصل الى بغداد رأى ابن المعلم قد قبض وقتل وكفى شره ولما أتاه خبر قبض ابن المعلم وقتله ظهر عليه الانكسار فقال له خواصه ما هذا الهم وقد كفيت شر عدوك فقال ان ملكا قرب رجلا كما قرب بهاء الدولة ابن المعلم ثم فعل به هذا لحقيق بان تخاف ملابسته وكان بهاء الدولة قد أرسل الشريف أبا أحمد الموسوى رسولا الى أبى الذواد فاسره العرب ثم أطلقوه فورد الى الموصل وانحدر الى بغداد

(ذكر تسليم الطائع الى القادر وما فعله معه)

فى هذه السنة فى رجب سلم بهاء الدولة الطائع لله الى القادر بالله فانزله حجرة من خاص حجره ووكل به من ثقات خدمه من يقوم بخدمته وأحسن ضيافته وكان يطلب الزيادة فى الخدمة كما كان أيام الخلافة فيؤمر له بذلك حكى عنه ان القادر بالله أرسل اليه طيبا فقال من هذا يتطيب أبو العباس يعنى القادر فقالوا نعم فقال قولوا له عنى فى الموضع

مصر القديمة وذلك فى وقت الغروب وكان العسكر نقبوا نقبا من الجنينة التى خلف داره ودخلوا منه وحصلوا بالدار فوجدوه قد خرج بمن معه من المماليك والاجناد فقاتلوا من وجدوه واوقعوا النهب فى الدار وانضم اليهم اجناسهم المتقيدون بالدار وقبضوا على عثمان بك يوسف ومماليكه وشلحوهم ثيابهم وصحبوهم بينهم عرايا مكشوفى الرؤس وتسلمهم طائفة منهم على تلك الصورة وذهبوا بهم الى جهة الصليبية فاودعوهم بدار هناك (وفى سابع) ساعة من الليل ارسل محمد على جماعة من العسكر ومعهم فرمان وصل من احمد باشا خورشيد حاكم الاسكندرية بولايته على مصر فذهبوا به الى القاضى واطلعوه عليه وامروه ان يجمع المشايخ فى الصباح ويقرأه عليهم ليحيط علم الناس بذلك فلما أصبح أرسل اليهم فقالوا الاتصح الجمعية فى مثل هذا اليوم مع قيام الفتنة فارسله اليهم واطلعوا عليه واشيع ذلك بين الناس واما ابراهيم بك فانه استمر مقيما ببيته بالداودية وامر مماليكه واتباعه ان يجلسوا بروس الطرق الموصلة اليه فجلس منهم جماعة وفيهم عمر بك تابعه بسبيل الدهيشة المقابل لباب زويلة وكذلك ناحية

الفلانى كتدوج فيه مما كنت استعمله فليرسل الى بعضه ويأخذ الباقى لنفسه ففعل ذلك وارسل اليه يوما القادر بالعدسية فقال ما هذا فقالوا عدس وسلق فقال أوقد أكل أبو العباس من هذا قالوا نعم قال واوله عنى لما اردت ان آكل عدسية لم اختفيت فما كانت العدسية تعوزك ولم تقلدت هذا الامر فامر حينئذ القادر ان يفرد له جارية من طباخاته تطبخ له ما يلتمسه كل يوم فاقام على هذا الى ان توفى

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قبض بهاء الدولة على أبى الحسن بن المعلم وكان قد استولى على الامور كلها وخدمه الناس كلهم حتى الوزراء فاساء السيرة مع الناس فشغب الجند فى هذا الوقت وشكوا منه وطلبوا منه تسليمه اليهم فراجعهم بهاء الدولة ووعدهم كف يده عنهم فلم يقبلوا منه فقبض عليه وعلى جميع أصحابه فظن ان الجند يرجعون فلم يرجعوا فسلمه اليهم فسقوه السم مرتين فلم يعمل فيه شيئا فخنقوه ودفنوه وفيها فى شوال تجددت الفتنة بين أهل الكرخ وغيرهم واشتد الحال فركب أبو الفتح محمد بن الحسن الحاجب فقتل وصلب فسكن البلد وفيها غلت الاسعار ببغداد فبيع الرطل الخبز بأربعين درهما وفيها قبض بهاء الدولة على وزيره أبى القاسم على بن أحمد المذكور وكان سبب قبضه ان بهاء الدولة اتهمه بمكاتبة الجند فى أمر ابن المعلم واستوزر أبا نصر بن سابور وأبا منصور بن صالحان جمع بينهما فى الوزارة وفيها قبض صمصام الدولة على وزيره أبى القاسم العلاء بن الحسن بشيراز وكان غالبا على أمره وبقى محبوسا الى سنة ثلاث وثمانين فاخرجه صمصام الدولة واستوزره وكان مدبر الامر مدة حبسه أبو القاسم المدلجى وفيها نزل ملك الروم بارمينية وحصر خلاط وملازكرد وارجيش فضعفت نفوس الناس عنه ثم هادنه أبو على الحسن بن مروان مدة عشر سنين وعاد ملك الروم وفيها فى شوال ولد الامير أبو الفضل بن القادر بالله وفيها سار بغراخان ايلك ملك الترك بعساكره الى بخارا فسير اليه الامير نوح بن منصور جيشا كثيرا ولقيهم ايلك وهزمهم فعادوا الى بخارا مفلولين وهو فى أثرهم فخرج نوح بنفسه وسائر عسكره ولقيه فاقتتلوا قتالا شديدا اجلت المعركة عن هزيمة ايلك فعاد منهزما الى بلاساغون وهى كرسى مملكته وفيها توفى أبو عمرو محمد بن العباس بن حسنويه الخراز ومولده سنة خمس وتسعين ومائتين

(ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة)

(ذكر خروج أولاد بختيار)

فى هذه السنة ظهر أولاد بختيار من محبسهم واستولوا على القلعة التى كانوا معتقلين بها وكان سبب حبسهم ان شرف الدولة أحسن اليهم بعد والده وأطلقهم وأنزلهم بشيراز واقطعهم فلما مات شرف الدولة حبسوا فى قلعة ببلاد فارس فاستمالوا مستحفظها ومن معه من الديلم فافرجوا عنهم وأنفذوا الى أهل تلك النواحى وأكثرهم رجالة فجمعوهم

وجه سويقة لاجين والداودية وصار العسكر يضربون عليهم وهم كذلك ودخل عليهم الليل فلم يزالوا على ذلك الى الصباح واضمحل حالهم وقتل الكثير من المماليك والاجناد ووصل اليهم خبر خروج البرديسى فعند ذلك طلبوا الفرار والنجاة بارواحهم وعلم ابراهيم بك بخروج البرديسى وانه ان استمر على حاله أخذ فركب فى جماعته فى ثانى ساعة من النهار وخرجوا على وجوههم والرصاص يأخذهم من كل ناحية فلم يزل سائرا حتى خرج الى الرميلة وهدم فى طريقه اربعة متاريس وأصيب بعض مماليك وخيول وخدامين واصيب رضوان كتخداه وطلعت روحه عند الرميلة فانزلوه عند باب العزب واخذوا ما معه من جيوبه ثم شالوه الى داره ودفنوه وقبضوا على عمر بك تابع الاشقر الابراهيمى من سبيل الدهشة هو ومماليكه وأما الذين بالقلعة من الامراء فانهم اصبحوا يضربون بالمدافع والقنابر على بيوت الارنؤد بالازبكية الى الضوة الكبرى فلما تحققوا خروج ابراهيم بك والبرديسى ومن امكنه الهروب لم يسعهم الا انهم ابطلوا الرمى وتهيؤا للفرار ونزلوا من باب الجبل ولحقوا بابراهيم بك وعند نزولهم ارادوا اخذ محمد باشا وعلى باشا القبطان

تحت القلعة وعرف صمصام الدولة الحال فسير أبا علي بن استاذهرمز في عسكر فلما قاربهم تفرق من معهم من الرجالة وتحصن بنو بختيار وكانوا ستة ومن معهم من الديلم بالقلعة وحصرهم أبو علي وراسل أحد وجوه الديلم وأطمعه في الاحسان فاصعدهم الى القلعة سرا فملكوها واخذوا أولاد بختيار أسرى فامر صمصام الدولة بقتل اثنين منهم وحبس الباقين ففعل ذلك بهم

(ذكر ملك صمصام الدولة خوزستان)

في هذه السنة ملك صمصام الدولة خورستان وكان سبب نقض الصلح أن بهاء الدولة سير أبا العلاء عبد الله بن الفضل الى الاهواز وتقدم اليه بان يكون مستعدا لقصد بلاد فارس واعلمه انه يسير اليه العساكر متفرقين فاذا اجتمعوا عنده سار بهم الى بلاد فارس بغتة فلا يشعر صمصام الدولة الا وهم معه في بلاده فسار أبو العلاء ولم يتهيا لبهاء الدولة امداده بالعساكر وظهر الخبر فجهز صمصام الدولة عسكره وسيرهم الى خوزستان وكتب أبو العلاء الى بهاء الدولة بالخبر ويطلب امداده بالعساكر فسير اليه عسكرا كثيرا ووصلت عساكر فارس فلقيهم أبو العلاء فانهزم هو واصحابه وأخذ أسيرا وحمل الى صمصام الدولة فالبس ثيابا مصبغة وطيف به وسالت فيه والدة صمصام الدولة فلم يقتله واعتقله ولما سمع بهاء الدولة بذلك أزعجه وأقلقه وكانت خزائنه قد خلت من الاموال فارسل وزيره أبا نصر بن سابور الى واسط ليحصل ما أمكنه وأعطاه رهونا من الجواهر والاعلاق النفيسة ليقترض عليها من مهذب الدولة صاحب البطيحة فلما وصل الى واسط تقرب منها الى مهذب الدولة وترك ما معه من الرهون بحاله وأرسل بهاء الدولة ورهنها واقترض عليها

(ذكر ملك الترك بخارا)

في هذه السنة ملك مدينة بخارا شهاب الدولة هرون بن سليمان ايلك المعروف ببغراخان التركي وكان له كاشغر وبلاساغون الى حد الصين وكان سبب ذلك ان أبا الحسن بن سيمجور لما مات وولي ابنه أبو علي خراسان بعده كاتب الامير الرضي نوح ابن منصور يطلب ان يقر على ما كان أبوه يتولاه فاجيب الى ذلك وحملت اليه الخلع وهو لا يشك انها له فلما بلغ الرسول طريق هراة عدل اليها وبها فائق فاوصل الخلع والعهد بخراسان اليه فعلم أبو علي انهم مكروا به وان هذا دليل سوء يريدونه به فلبس فائق الخلع وسار عن هراة نحو أبي علي فبلغه الخبر فسار جريدة في نخبة أصحابه وطوى المنازل حتى سبق خبره فاوقع بفائق فيما بين بوشنج وهراة فهزم فائقا وأصحابه وقصد وامرو الروذ وكتب أبو علي الى الامير نوح يجدد طلب ولاية خراسان فاجابه الى ذلك وجمع له ولاية خراسان جميعها بعد ان كانت هراة لفائق فعاد أبو علي الى نيسابور ظافرا وجبى أموال خراسان فكتب اليه نوح يستنزله عن بعضها ليصرفه في أرزاق جنده فاعتذر اليه ولم يفعل وخاف عاقبة المنع فكتب الى بغراخان المذكور

وابراهيم باشا فقام عليهم عسكر من اخلاطهم ونهب المغاربة القصر بخانه وما فيها من الذهب والفضة والسبائك حتى العدد والطارق وتسلم العسكر القلعة من غير مانع ولم تثبت المصرلية للحرب نصف يوم في القلعة ولم ينفع اهتمامهم بها طول السنة من التعمير والاستعداد وما شحنوها به من الذخيرة والجبخانه وآلات الحرب وملؤا ماجلها من الصهاريج بالماء الحلو وقام احمد بك الكلارجي وعبد الرحمن بك الابراهيمي وسليم اغا مستحفظان من وقت مجيئهم الى مصر متقيدين ومرتبطين بها ليلا ونهارا لا ينزلون الى بيوتهم الا ليلة في الجمعة بالنوبة اذا نزل احدهم اقام الآخران وطلع محمد علي اليها ونزل وبجانبه محمد باشا خسرو ورفقاؤه وامامهم المنادى ينادى بالامان حسبما رسم محمد باشا ومحمد علي واشيع في الناس رجوع محمد باشا الى ولايته مصر فبادر الصروقي الى المشايخ فركبوا الى بيت محمد علي يهنون الباشا بالسلامة والولاية وقدم له الصروقي هدية واقام على ذلك بقية يوم الاثنين ويوم الثلاثاء فكان مدة حبسه ثمانية اشهر كاملة فانه حضر الى مصر بعد كسرته بدمياط في آخر ربيع الاول وهو آخر

يدعوه الى ان يقصد بخارا ويملكها على السامانية واطمعه فيهم واستقر الحال بينهما على ان يملك بغراخان ما وراء النهر كله ويملك ابو علي خراسان فطمع بغراخان في البلاد وتجددله اليها حركة واما فائق فانه أقام بمرو الروذ حتى انجبر كسره واجتمع اليه أصحابه وسار نحو بخارا من غير اذن فارتاب الامير نوح له فسير اليه الجيوش وامرهم بمنعه فلما لقوه قاتلوه فانهزم فائق واصحابه وعاد على عقبيه وقصد ترمذ فكتب الامير نوح الى صاحب الجوزجان من قبله وهو أبو الحرث أحمد بن محمد الفريغوني وأمره بقصد فائق فجمع جمعا كثيرا وسار نحوه فاوقع بهم فائق فهزمهم وغنم أموالهم وكاتب أيضا بغراخان بطمعه في البلاد فسار نحو بخارا وقصد بلاد السامانية فاستولى عليها شيئا بعد شيء فسير اليه نوح جيشا كثيرا واستعمل عليهم قائدا كبيرا من قواده اسمه أنج فلقيهم بغراخان فهزمهم وأسر انج وجماعة من القواد فلما ظفر بهم قوى طمعه في البلاد وضعف نوح وأصحابه وكاتب الامير نوح أبا علي بن سيمجور يستنصره ويامره بالقدوم اليه بالعساكر فلم يجبه الى ذلك ولا لبى دعوته وقوى طمعه في الاستيلاء على خراسان وسار بغراخان نحو بخارا فلقيه فائق واختص به وصار في جملته ونازلوا بخارا فاختفى الامير نوح وملكها بغراخان ونزلها وخرج نوح منها مستخفيا فعبر النهر الى آمل الشط واقام بها ولحق به أصحابه فاجتمع عنده منهم جمع كثير واقاموا هناك وتابع نوح كتبه الى أبي علي ورسله يستنجده ويخضع له فلم يصغ الى ذلك واما فائق فانه استاذن بغراخان في قصد بلخ والاستيلاء عليها فاقره بذلك فسار نحوها ونزلها

(ذكر عود نوح الى بخارا وموت بغراخان)

لما نزل بغراخان بخارا وأقام بها استوخمها فلحقه مرض ثقيل فانتقل عنها نحو بلاد الترك فلما فارقها ثار أهلها بساقة عسكره ففتكوا بهم وغنموا أموالهم ووافقهم الاتراك الغزية على النهب والقتل لعسكر بغراخان فلما سار بغراخان عن بخارا ادركه أجله فمات ولما سمع الامير نوح بمسيره عن بخارا بادر اليها فيمن معه من اصحابه فدخلها وعاد الى دار ملكه وملك آبائه وفرح أهلها به وتباشروا بقدومه واما بغراخان فانه لما مات عاد اصحابه الى بلادهم وكان دينا خيرا عادلا حسن السيرة محبا للعلماء وأهل الدين مكرما لهم وكان يحب ان يكتب عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وولي امر الترك بعده أيلك خان

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة كثر شغب الديلم على بهاء الدولة ونهبوا دار الوزير أبي نصر بن سابور واختفى منهم واستعفى ابن صالحان من الانفراد بالوزارة فاعفي واستوزر أبا القاسم علي بن أحمد ثم هرب وعاد سابور الى الوزارة بعد ان أصلح الديلم وفيها جلس القادر بالله لاهل خراسان بعد عودهم من الحج وقال لهم في معنى الخطبة له وحملوا رسالة وكتبا الى صاحب خراسان في المعنى وفيها عقد النكاح للقادر على بنت بهاء الدولة بصداق

يوم من ذي القعدة وخرج الام[illegible] على اسواطل من مصر [illegible] يأخذوا شيئا مما جمعوه وكنز من المال وغيره الاما كا[ن] في جيوبهم اوكان منه[م] خارج البلد مثل [illegible] كاشف ابي دياب فانه كا[ن] مقيما بقصر العيني اوالقائم منهم جهة قبلي وبحري واما من كان داخل البلد فانه يخلص له سوى ما كان [في] جيبه فقط ونهب العسكر اموالهم وبيوتهم وذخائرهم وامتعتهم وفرشهم وسبوا حريمهم وسراريهم وجواريهم وعبيدهم ومن بينهم من شعورهن وتسلطوا على بعض بيوت الاعيان من الناس المجاورين لهم ومن لهم بهم ادنى تسبب اوشبهة بل وبعض الرعية الا من تداركه الله برحمته اوالتجا الى بعض منهم اوصالح على بيته بدراهم يدفعها لمن التجا اليه منهم ووقع في تلك الليلة واليومين بعدها مالا يوصف من تلك الامور وخربوا اكثر البيوت واخذوا اخشابها ونهبوا ما كان بحواصلهم من الغلال والسمن والادهان وكان شيئا كثيرا وصاروا يبيعونه على من يشتري به من الناس ولولا اشتغالهم بذلك لما نجا من الامراء المصرلية الذين كانوا بالبلدة أحد ولو رجع الامراء عليهم وهم مشتغلون بالنهب لتمكنوا منهم ولكن غلب

مبلغه مائة ألف دينار وكان العقد بحضرته والولى النقيب ابو أحمد الحسين بن موسى والد الرضى وماتت قبل النقلة وفيها كان بالعراق غلاء شديد بيعت الكارة الدقيق بمائتين وستين درهما والكر الحنطة بستة آلاف وستمائة درهم غيائية وفيها بنى أبو النصر سابور بن اردشير ببغداد دار العلم ووقف فيها كتبا كثيرة على المسلمين المنتفعين بها وفيها توفى أبو الحسن على بن محمد بن سهل الماسرجسى الفقيه الشافعى شيخ أبى الطيب الطبرى بنيسابور وابو بكر محمد بن العباس الخوارزمى الشاعر وأبو طالب عبد السلام بن الحسن المامونى وهو من أولاد المامون وكان فاضلا حسن الشعر

(ثم دخلت سنة اربع وثمانين وثلثمائة)

(ذكر ولاية محمود بن سبكتكين خراسان واجلاء ابى على عنها)

فى هذه السنة ولى الامير نوح محمود بن سبكتكين خراسان وكان سبب ذلك ان نوحا لما عاد الى بخارا على ما تقدم ذكره سقط فى يد أبى على وندم على ما فرط فيه من ترك معونته عند حاجته اليه واما فائق فانه لما استقر نوح ببخارا حدثت نفسه بالمسير اليه والاستيلاء عليه والحكم فى دولته فسار عن بلخ الى بخارا فلما علم نوح بذلك سير اليه الجيوش لترده عن ذلك فلقوه واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم فائق واصحابه ولحقوا بابى على فرح بهم وقوى جنانه بقربهم واتفقوا على مكاشفة الامير نوح بالعصيان فلما فعلوا ذلك كتب الامير نوح الى سبكتكين وهو حينئذ بغزنة يعرفه الحال ويامره بالمسير اليه لنجدته وولاه خراسان وكان سبكتكين فى هذه الفتن مشغولا بالغزو غير ملتفت الى ما هم فيه فلما اتاه كتاب نوح ورسوله أجابه الى ما أراد وسار نحوه جريدة واجتمع به وقررا بينهما ما يفعلانه وعاد سبكتكين فجمع العساكر وحشد فلما بلغ أبا على وفائقا الخبر جعاوراسلا فخر الدولة بن بويه يستنجدانه ويطلبان منه عسكرا فاجابهما الى ذلك وسير اليهما عسكرا كثيرا وكان وزيره الصاحب بن عباد هو الذى قرر القاعدة فى ذلك وسار سبكتكين من غزنة ومعه ولده محمود نحو خراسان وسار نوح فاجتمع هو وسبكتكين فقصدوا ابا على وفائقا فالتقوا بنواحى هراة واقتتلوا فانحاز دارا بن قابوس بن وشمكير من عسكر أبى على الى نوح ومعه أصحابه فانهزم اصحاب ابى على وركبهم اصحاب سبكتكين يأسرون ويقتلون ويغنمون وعاد ابو على وفائق نحو نيسابور واقام سبكتكين ونوح بظاهر هراة حتى استراحوا وساروا نحو نيسابور فلما علم بهم ابو على سار هو وفائق نحو جرجان وكتبا الى فخر الدولة يخبرهما فارسل اليهما الهدايا والتحف والاموال وانزلهما بجرجان واستولى نوح على نيسابور واستعمل عليها وعلى جيوش خراسان محمود بن سبكتكين ولقبه سيف الدولة ولقب أباه سبكتكين ناصر الدولة فاحسنا السيرة وعاد نوح الى بخارا وسبكتكين الى هراة واقام محمود بنيسابور

(ذكر

الظنون وذهبت نخوتهم فى الفارغ وجازاهم الله بنيتهم وظلمهم وغرورهم وخصوصا ما فعلوه مع على باشا من الحيل حتى وقع فى أيديهم ثم رذلوه وأهانوه وقتلوا عسكره ونهبوا أمواله ثم طردوه وقتلوه فانه وان كان خبيثا لم يعمل معهم ما يستحق ذلك كله وأعظم منه ما فعلوه مع أخيهم الالفى الكبير بعد ما سافر لحاجتهم وراحتهم وصالح عليهم ورتب لهم ما فيه راحتهم وراحة الدولة معهم بواسطة الانكليز وغاب فى البحر المحيط سنة وقاسى هول الاسفار والقراتين فى البحار فجازوه بالتشريد والتشتيت والنهب وقتل اتباعه وسبهم ولعنهم واتخذوهم أعداء واخصاما من غير جرم ولا سابقة عداوة معهم الا الحسد والحقد وحذرا من رآسته عليهم وكانت هذه الفعلة سببا لنفور قلوب العسكر منهم واعتقادهم خيانتهم وقلتهم فى اعينهم فان الالفى واتباعه كانوا مقدار النصف منهم ونصف النصف متفرق فى الاقاليم مغمورون فى غفلاتهم ومشتغلون بما هم فيه من مغارم الفلاحين وطلب الكلف فلما أرسلوا لهم لم يحضروا ولم يسهل بهم ترك ذلك ولم يستعجلوا الحركة

ذكر عود الاهواز الى بهاء الدولة

فى هذه السنة ملك بهاء الدولة الاهواز وكان سببه أنه انفذ عسكرا اليها عدتهم سبعمائة رجل وقدم عليهم طغان التركى فلما بلغوا السوس رحل عنها أصحاب صمصام الدولة فدخلها عسكر بهاء الدولة وانتشروا فى أعمال خوزستان وكان أكثرهم من الترك فعلت كلمتهم على الديلم وتوجه صمصام الدولة الى الاهواز ومعه عساكر الديلم وتميم واسد فلما بلغ تستر رحل ليلا ليكبس الاتراك من عسكر بهاء الدولة فضل الادلاء فى الطريق فاصبح على بعد منهم ورآهم طلائع الاتراك فعادوا بالخبر فحذروا واجتمعوا واصطفوا وجعل مقدمهم واسمه طغان كمينا فلما التقوا واقتتلوا خرج الكمين على الديلم فكانت الهزيمة وانهزم صمصام الدولة ومن معه من الديلم وكانوا ألوفا كثيرة استأمن منهم اكثر من الفى رجل وغنم الاتراك من اثقالهم شيئا كثيرا وضرب طغان للمستأمنة خيما يسكنونها فلما نزلوا اجتمع الاتراك وتشاوروا وقالوا هؤلاء اكثر من عدتنا ونحن نخاف ان يثوروا بنا واستقر رأيهم على قتلهم فلم يشعر الديلم الا وقد القيت الخيام عليهم ووقع الاتراك فيهم بالعمد حتى اتوا عليهم فقتلوا كلهم وورد الخبر على بهاء الدولة وهو بواسط قد اقترض مالا من مهذب الدولة فلما سمع ذلك سار الى الاهواز وكان طغان والاتراك قد ملكوها قبل وصوله اليها واما صمصام الدولة فانه لبس السواد وسار الى شيراز فدخلها فغيرت والدته ما عليه من السواد واقام ينتهز العود الى اخيه بهاء الدولة بخوزستان

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة عقد النكاح لمهذب الدولة على ابنة بهاء الدولة وللامير ابى منصور بويه ابن بهاء الدولة على ابنة مهذب الدولة وكان الصداق من كل جانب مائة ألف دينار وفيها قبض بهاء الدولة على أبى نصر خواشاذه وفيها عاد الحجاج من الثعلبية ولم يحج من العراق والشام احد وسبب عودهم ان الاصيفر أمير العرب اعترضهم وقال ان الدراهم التى ارسلها السلطان عام أول كانت نقرة مطلية واريد العوض فطالت المخاطبة والمراسلة وضاق الوقت على الحجاج فرجعوا وفيها توفى ابو القاسم النقيب الزينبى وولى النقابة بعده ابنه ابو الحسن وفيها ولى نقابة الطالبيين ابو الحسن النهرسابسى وعزل عنها ابو احمد الموسوى وكان ينوب عنه فيها ابناه المرتضى والرضى وفيها توفى عبد الله بن محمد بن نافع بن مكرم ابو العباس البستى الزاهد وكان من الصالحين بقى من نيسابور رماشيا وبقى سبعين سنة لا يستند الى حائط ولا الى مخدة وعلى ابن الحسين بن حمويه بن زيد أبو الحسين الصوفى سمع الحديث وحدث وصحب ابا الخير الاقطع وغيره وعلى بن عيسى بن على بن عبد الله ابو الحسن النحوى المعروف بالرمانى ومولده سنة ست وتسعين ومائتين روى عن ابن دريد وغيره وله تفسير كبير ومحمد بن العباس بن احمد بن القزاز ابو الحسن سمع الكثير وكتب الكثير وخطه حجة فى صحة النقل وجودة الضبط وابو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى الكاتب

سكاو باتهم من القرى الى ان حصل ما حصل ونزل بهم ما نزل ولم يقع لهم منذ ظهورهم أشنع من هذه الحادثة وخصوصا كونها على يد هؤلاء وكانوا يرون فى أنفسهم ان الشخص منهم يدرس برجله الجماعة من العسكر واحسنوا ظنهم فيهم واعتقدوا انهم صاروا أتباعهم وجندهم مع انهم كانوا قادرين على ازالتهم من الاقليم وخصوصا عندما خرجوا من المدينة لملاقاة على باشا واخرجوا جميع العسكر وحازوهم الى جهة البحر وحصنوا ابواب البلد بمن يثقون به من اجنادهم ورسموا لهم رسوما امتثلوها فلو ارسلوا لهم بعد ايقاعهم بعلى باشا اقل اتباعهم وامروهم بالرحلة لما وسعتهم المخالفة حتى ظن كثير ممن له ادنى فطنة حصول ذلك فكان الامر بخلاف ذلك ودخلوا بعد ذلك وهم بصحبتهم ضاحكين من غفلة القوم ومستبشرين برجوعهم ودخولهم الى المدينة ثانيا وعند ذلك تحقق لذوى الفطن سوء رأيهم وعدم فلاحهم وزادوا فى الطنبور نغمة بما صنعوه مع الالفى وكان العسكر يهابون جانبه ويخافون اتباعه ويخشونهم وخصوصا لما سمعوا بوصوله على الهيئة ولة لهم داخلهم من ذلك امر عظيم استمر فى اختلاطهم

والحسن بن علي بن علي بن محمد بن ابي الفهم ابو علي التنوخي القاضي ومولده سنة سبع وعشرين وثلثمائة وكان فاضلا وفيها توفي أبو اسحق ابراهيم بن هلال الصابي الكاتب المشهور وكان عمره احدى وتسعين سنة وكان قد زمن وضاقت به الامور وقلت عليه الاموال وفيها اشتداخر العيارين ببغداد ووقعت الفتنة بين اهل الكرخ واهل باب البصرة واحترق كثير من المال ثم اصطلحوا

* (ثم دخلت سنة خمس وثمانين وثلثمائة) *

* (ذكر عود ابي علي الى خراسان) *

لما عاد الامير نوح الى بخارا وسبكتكين الى هراة وبقي محمود بنيسابور طمع ابو علي وفائق في خراسان فسار محمود عن جرجان الى نيسابور في ربيع الاول فلما بلغ محمودا خبرهما كتب الى ابيه بذلك وبرز ونزل بظاهر نيسابور واقام ينتظر المدد فعاجلاه فصبر لهما فقاتلاه وكان في قلة من الرجال فانهزم عنهما نحو ابيه وغنم اصحابهما منه شيئا كثيرا واشار اصحاب ابي علي عليه باتباعه واعجاله ووالده عن الجمع والاحتشاد فلم يفعل واقام بنيسابور وكاتب الامير نوحا يستميله و يستقيل من عثرته وزلته وكذلك كاتب سبكتكين بمثل ذلك واحال بما جرى على فائق فلم يجيباه الى ما اراد وجمع سبكتكين العساكر فاتوه على كل صعب وذلول وسار نحو ابي علي فالتقوا بطوس في جمادى الآخرة فاقتتلوا عامة يومهم واتاهم محمود بن سبكتكين في عسكر ضخم من ورائهم فانهزموا وقتل من اصحابهم خلق كثير ونجا ابو علي وفائق فقصدا ابيورد فتبعهم سبكتكين واستخلف ابنه محمودا بنيسابور فقصدا مرو ثم آمل الشط وراسلا الامير نوحا يستعطفانه فاجاب ابا علي الى ما طلب من قبول عذره ان فارق فائقا ونزل بالجرجانية ففعل ذلك فحذره فائق وخوفه من مكيدتهم به ومكرهم فلم يلتفت لامر يريده الله عز وجل ففارق فائقا وسار نحو الجرجانية فنزل بقرية بقرب خوارزم تسمى هزاراسف فارسل اليه أبو عبد الله خوارزمشاه من اقام له ضيافة ووعده أنه يقصده ليجتمع به فسكن الى ذلك فلما كان الليل أرسل اليه خوارزمشاه جمعا من عسكره فاحاطوا به واخذوه أسيرا في رمضان من هذه السنة فاعتقله في بعض دوره وطلب أصحابه فاسر اعيانهم وتفرق الباقون واما فائق فانه سار الى ايلك خان بما وراء النهر فاكرمه وعظمه ووعده ان يعيده الى قاعدته وكتب الى نوح يشفع في فائق وان يولي سمرقند فاجابه الى ذلك واقام بها

* (ذكر خلاص أبي علي وقتل خوارزمشاه) *

لما أسر أبو علي بلغ خبره الى مامون بن محمد والي الجرجانية فقلق لذلك وعظم عليه وجمع عساكره وسار نحو خوارزمشاه وعبر الى كاث وهي مدينة خوارزمشاه فحصروها وقاتلوها وفتحوها عنوة وأسروا أبا عبد الله خوارزمشاه واحضروا أبا علي ففكوا عنه قيده وأخذوه وعادوا الى الجرجانية واستخلف مامون بخوارزم بعض اصحابه وصارت

يوما وليلة الى ان اجلاه البرديسي ومن معه بشؤم رايهم وفساد تدبيرهم وفرقوا جمعهم في النواحي حرصا على قتل الالفي واتباعه فعند ذلك زالت هيبتهم من قلوب العسكر واوقعوا بهم ما اوقعوه ولا يحيق المكر السيئ الا باهله

* (شهر ذي الحجة الحرام استهل يوم الثلاثاء سنة ١٢١٨) *

فيه قلدوا علي آغا الشعراوي واليا على مصر (وفيه) نهبوا بيت محمد آغا المحتسب وقبضوا عليه وحبسوه (وفي ليلة الاربعاء) انزلوا محمد باشا خسرو وابراهيم باشا الى بولاق وسفروهما الى بحري ومعهما جماعة من العسكر وكانت ولايته هذه الولاية الكذابة شبيهة بولاية احمد باشا الذي تولى بعد قتل طاهر باشا يوما ونصفا وكان قد اعتقد في نفسه رجوعه لولاية مصر حتى انه لما نزل من القلعة الى بيت محمد علي نظر الى بيته من الشباك مهدوما منخربا فطلب في ذلك الوقت المهندسين وامرهم بالبناء وذلك من وساوسه ويقال ان السبب في سفره اخوة طاهر باشا فانهم داخلهم غيظ شديد ورأى محمد علي نفرتهم وانقباضهم من ذلك وعلم انه لا يستقيم حاله معهم وربما تولد بذلك شر فعجل بسفره وذهابه (ومن الاتفاقات العجيبة ايضا) ان طاهر باشا

في جملة ما بيده واحضر خوارزمشاه وقتله بين يدي أبي علي بن سيمجور

(ذكر قبض أبي علي بن سيمجور وموته)

لما حصل أبو علي عند مامون بن محمد بالجرجانية كتب الى الامير نوح يشفع فيه ويسال الصفح عنه فاجيب الى ذلك وأمر أبا علي بالمسير الى بخارا فسار اليها فيمن بقي معه من أهله وأصحابه فلما بلغوا بخارا لقيهم الامراء والعساكر فلما دخلوا على الامير نوح أمر بالقبض عليهم وبلغ سبكتكين ان ابن عزير وزير الامير نوح يسعى في خلاص أبي علي فارسل اليه يطلب أبا علي اليه فحبسه فمات في حبسه سنة سبع وثمانين وثلثمائة وكان ذلك خاتمة امره وآخر حال بيت سيمجور جزاء لكفران احسان مولاهم فتبارك الحي الدائم الباقي الذي لا يزول ملكه وكان ابنه ابو الحسن قد لحق بفخر الدولة بن بويه فاحسن اليه واكرمه فسار عنه سرا الى خراسان لهوى كان له بها وظن ان امره يخفى فظهر حاله فاخذ اسيرا وسجن عند والده واما ابو القاسم اخو ابي علي فانه اقام في خدمة سبكتكين مدة يسيرة ثم ظهر منه خلاف الطاعة وقصد نيسابور فلم يتم له ما أراد وعاد محمود بن سبكتكين اليه فهرب منه وقصد فخر الدولة وبقي عنده وسيرد باقي اخباره ان شاء الله تعالى

(ذكر وفاة الصاحب بن عباد)

في هذه السنة مات الصاحب ابو القاسم اسمعيل بن عباد وزير فخر الدولة بالري وكان واحد زمانه علما وفضلا وتدبيرا وجودة رأي وكرما عالما بانواع العلوم عارفا بالكتابة وموادها ورسائله مشهورة مدونة وجمع من الكتب ما لم يجمعه غيره حتى انه كان يحتاج في نقلها الى أربعمائة جمل ولما مات وزر بعده لفخر الدولة أبو العباس أحمد ابن ابراهيم الضبي الملقب بالكافي ولما حضره الموت قال لفخر الدولة قد خدمتك خدمة استفرغت فيها وسعي وسرت سيرة جلبت لك حسن الذكر فان اجريت الامور على ما كانت عليه نسب ذلك الجميل اليك وتركت انا وان عدلت عنه كنت انا المشكور ونسبت الطريقة الثانية اليك وقدح ذلك في دولتك فكان هذا نصحه له الى ان مات فلما توفي انفذ فخر الدولة من احتاط على ماله وداره ونقل جميع ما فيها اليه فقبح الله خدمة الملوك هذا فعلهم مع من نصح لهم فكيف مع غيره ونقل الصاحب بعد ذلك الى اصبهان وكثيرا ما بين فعل فخر الدولة مع ابن عباد وبين العزيز بالله العلوي مع وزيره يعقوب بن كلس وقد تقدم وكان الصاحب بن عباد قد احسن الى القاضي عبد الجبار بن احمد المعتزلي وقدمه وولاه قضاء الري واعمالها فلما توفي قال عبد الجبار لا ارى الترحم عليه لانه مات من غير توبة ظهرت منه فنسب عبد الجبار الى قلة الوفاء ثم ان فخر الدولة قبض على عبد الجبار وصادره فباع في جملة ما باع الف طيلسان والف ثوب صوف رفيع فلم لا نظر لنفسه وتاب عن اخذ مثل هذا وادخاره من غير حله ثم ان فخر الدولة قبض على اصحاب ابن عباد وابطل كل مسامحة كانت منه وقرر هو ووزراؤه

لما غدر بمحمد باشا اقام بعده اثنين وعشرين يوما وكذلك لما غدر المصرلية بالالفي لم يقيموا بعد ذلك الا مثل ذلك (وفيه) صعد عابدي بك اخو طاهر باشا بالقلعة واقام بها (وفي ليلة الخميس ثالثه) اطلقوا عثمان بك يوسف وسافر الى جماعته جهة قبلي يقال انه افتدى نفسه منهم بمال واطلقوه ومعه خمسة مماليك واعطوه خمسة جمال واربعة هجن وخيلا (وفيه) افرجوا عن محمد اغا المحتسب وابقوه في الحسبة على مصلحة عملوها عليه وقام بدفعها وركب وشق في المدينة وعمل تسعيرة ونادى بها في الشوارع والاسواق واما الامراء فانهم باتوا اول ليلة جهة البساتين وفي ثاني يوم ذهبوا الى حلوان وحضر اليهم حسين بك الوالي ورستم بك من الشرقية ومروا من تحت القلعة وانفصلوا من العسكر الذين كانوا معهم في المطرية وتركوا لهم المحملة ووصل اليهم أيضا يحيى بك من ناحية رشيد وأحمد بك من دمياط وذهبوا اليهم ووصل يحيى بك من ناحية الجيزة وأحضر معه عربانا كثيرة من المنادي وبني علي وغيرهم ونزلوا باقليم الجيزة ونهبوا البلاد وأكلوا الزروعات واستمروا على ذلك وانتشروا الى ان صارت اوائلهم بزاوية المصلوب واواخرهم بالجيزة (وفيه) كتبوا مكاتبات

المصادرات فى البلاد فاجتمع له منها شئ كثير ثم غرق بعد وفاته فى اقرب مدة وحصل بالوزر وسوء الذكر

❁(ذكر ايقاع صمصام الدولة بالاتراك)❁

فى هذه السنة امر صمصام الدولة بقتل من بفارس من الاتراك فقتل منهم جماعة وهرب الباقون فعاثوا فى البلاد وانصرفوا الى كرمان ثم منها الى بلاد السند واستأذنوا ملكها فى دخول بلاده فاذن لهم وخرج الى تلقيهم ووافق اصحابه على الايقاع بهم فلما رآهم جعل اصحابه صفين فلما حصل الاتراك فى وسطهم اطبقوا عليهم وقتلوهم فلم يفلت منهم الا نفر جرحى وقعوا بين القتلى وهربوا تحت الليل

❁(ذكر وفاة خواشاذه)❁

فى هذه السنة توفى أبو نصر خواشاذه بالبطائح وكان قد هرب اليها بعد ان قبض وكاتبه بهاء الدولة وفخر الدولة وصمصام الدولة وبدر بن حسنويه كل منهم يستدعيه ويبذل له ما يريده وقال له فخر الدولة اعلك تسئ الظن بما قدمته فى خدمة عضد الدولة وما كنا لنؤاخذك بطاعة من قدمك ومناصحته وقد علمت ما عملته مع الصاحب بن عباد وتركنا ما فعله معنا فعزم على قصده فادركه اجله قبل ذلك وتوفى وكان من اعيان قواد عضد الدولة

❁(ذكر عود عسكر صمصام الدولة الى الاهواز)❁

فى هذه السنة جهز صمصام الدولة عسكره من الديلم وردهم الى الاهواز مع العلاء ابن الحسن واتفق ان طغان نائب بهاء الدولة بالاهواز توفى وعزم من معه من الاتراك على العود الى بغداد وكتب من هناك الى بهاء الدولة بالخبر فاقلقه ذلك وازعجه فسير ابا كاليجار المرزبان بن شهفيروز الى الاهواز نائبا عنه وانفذ ابا محمد الحسن بن مكرم الى الفتكين وهو برامهرمز قد عاد من بين يدى عسكر صمصام الدولة اليها يامره بالمقام بموضعه فلم يفعل وعاد الى الاهواز فكتب الى ابى محمد بن مكرم بالنظر فى الاعمال وسار بعدهم بهاء الدولة نحو خوزستان فكاتبه العلاء وسلك طريق اللين والخداع ثم سار على نهر المسرقان الى ان حصل بخان طوق ووقعت الحرب بينه وبين ابى محمد بن مكرم والفتكين وزحف الديلم بين البساتين حتى دخلوا البلد وانزاح عنه ابن مكرم والفتكين وكتبا الى بهاء الدولة يشيران عليه بالعبور اليها فتوقف عن ذلك ووعدهما به وسير اليهما غلاما من الاتراك فعبروا وحملوا على الديلم من خلفهم فافرج لهم الديلم فلما توسطوا بينهم اطبقوا عليهم فقتلوهم فلما عرف بهاء الدولة ذلك ضعفت نفسه وعزم على العود ولم يظهر ذلك فامر باسراج الخيل وحمل السلاح ففعل ذلك وسار نحو الاهواز يسيرا ثم عاد الى البصرة فنزل بظاهرها فلما عرف ابن مكرم خبر بهاء الدولة عاد الى عسكر مكرم وتبعهم العلاء والديلم فاجلوهم عنها فنزلوا براملان بين عسكر مكرم وتستر وتكررت الوقائع بين الفريقين مدة وكان بيد الاتراك أصحاب بهاء الدولة

لا يتعرضون لاحد من من نساء الامراء المصر ليقبلنهم العساكر الكائنة بقبلى وان قتل منهم احد اقتصوا من حريمهم واولادهم بمصر (وفى يوم الجمعة) حضر محمد بك المبدول بامان ودخل الى مصر (وفى يوم الاحد سادسه) اصعدوا عمر بك وبقية الكشاف وبعض الاجناد المصرية الى القلعة (وفيه) عدى كثير من العسكر الى بر الجيزة ووقع بينهم وبين العرب بعض مناوشات وقتل اناس كثيرة من الفريقين (وفى سابعه) ظهر محمد بك الالفى الكبير من اختفائه وكان متواريا بشرقية بلبيس براس الوادى عند شخص من العرب يسمى عشيبة فاقام عنده مدة هذه الايام وخلص اليه صالح تابعه بما معه من المال وكان البرديسى استدل على مكانه واحضر اناسا من العرب وجعل لهم مالا كثيرا عليه واخذوا فى التحيل عليه فحصلت هذه الحوادث وجوزى البرديسى بخروجه من مصر كما ذكر وكانوا فى تلك المدة يشيعون عليه اشاعات مرة بموته ومرة القبض عليه وغير ذلك فلما حصل ما حصل وانحلت طرق من المراصدين علمان حينئذ وركب فى عدة من الهجانة وصحبته صالح بك تبعه ومروا من خلف الجبل وذهب الى شرق اطفيح ونزل

من تستر الى رامهرمز ومع الديلم منها الى ارجان وأقاموا بستة اشهر ثم رجعوا الى الاهواز ثم عبر بهم النهر الى الديلم واقتتلوا نحو شهرين ثم رحل الاتراك وتبعهم العلاء فوجدهم قد سلكوا طريق واسط فكف عنهم واقام بعسكر مكرم

(ذكر حادثة غريبة بالاندلس)

فى هذه السنة سير المنصور محمد بن ابى عامر أمير الاندلس لهشام المؤيد عسكرا الى بلاد الفرنج للغزاة فنالوا منهم وغنموا وأوغلوا فى ديارهم وأسروا غرسية وهو ملك الفرنج ابن ملك من ملوكهم يقال له شانجة وكان من اعظم ملوكهم وامنعهم وكان من القدر أن شاعر المنصور يقال له أبو العلاء صاعد بن الحسن الربعى قد قصده من بلاد الموصل وأقام عنده وامتدحه قبل هذا التاريخ فلما كان الآن اهدى أبو العلاء الى المنصور أيلا وكتب معه أبياتا منها

يا حرز كل مخوف وامان كل مشرد ومعز كل مذلل
جدواك ان تخصص به فلاهله * وتعم بالاحسان كل مؤمل

يقول فيها

مولاى مؤنس غربتى متخطفى * من ظفر أيامى ممنع معقلى
عبد رفعت بضبعه وغرسته * فى نعمة اهدى اليك بايل
سميته غرسية وبعثته * فى حبله ليتاح فيه تفاؤلى
فلئن قبلت فتلك اسنى نعمة * اسدى بها ذو نعمة وتطول

فسمى هذا الشاعر الايل غرسية تفاؤلا باسر ذلك غرسية فكان أسره فى اليوم الذى اهدى فيه الايل فانظر الى هذا الاتفاق ما أعجبه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ورد الوزير ابو القاسم على بن احمد الابرقوهى من البطيحة الى بهاء الدولة بعد عوده من خوزستان وكان قد التجا الى مهذب الدولة فارسل بهاء الدولة يطلبه يستوزره فحضر عنده فلم يتم له ذلك فعاد الى البطيحة وكان الفاضل وزير بهاء الدولة معه بواسط فلما علم الحال استاذن فى الاصعاد الى بغداد فاذن له فاصعد فعاد بهاء الدولة وطلبه ليرجع اليه فغالطه ولم يعد وفى هذه السنة فى ذى الحجة توفى أبو حفص عمر بن أحمد بن محمد بن أيوب المعروف بابن شاهين الواعظ مولده فى صفر سنة سبع وتسعين ومائتين وكان مكثرا من الحديث ثقة وفيها فى ذى القعدة توفى الامام أبو الحسن على بن عمر بن احمد بن مهدى المعروف بالدارقطنى الامام المشهور وفيها فى ربيع الاول توفى محمد بن عبد الله بن سكرة الهاشمى من ولد على بن المهدى بالله وكان منحرفا عن على بن أبى طالب عليه السلام وكان خبيث اللسان يتقى سفهه ومن جيد شعره

فى وجه انسانة كلفت بها * أربعة ما اجتمعن فى أحد
الوجه بدر والصدغ غالية * والريق خمر والثغر من برد

عند ضرب المعازة وتواتر الخبر بذلك (وفى تاسعه) وصل احمد باشا خورشيد الى منوف فتقيد السيد أحمد المحروقى وجرجس الجوهرى بتصليح بيت ابراهيم بك بالداودية وفرشه (وفى ليلة الاثنين رابع عشره) وصل الباشا الى ثغر بولاق فضربوا شنكا ومدافع وخرج العساكر فى صبحها والوجاقلية وركب ودخل من باب النصر وامامه كبار العساكر بزينتهم ولم يلبس الشعار القديم بل ركب بالتخفيفة وعليه قبوط مجرور وخلفه النوبة التركية ودخل الى الدار التى أعدت له بالداودية وقدموا له التقادم وعملوا بها تلك الليلة شنكا وسواريخ (وفى يوم الثلاثاء خامس عشره) مر الوالى وأمامه المنادى وبيده فرمان من الباشا ينادى به على الرعية بالامن والامان والبيع والشراء *(وفى منتصفه) حضر عبد الرحمن بك الابراهيمى وكان فى دشيش بناحية بحرى فطلب أمانا وحضر الى مصر (وفى يوم الجمعة) تحول الباشا من الداودية الى الازبكية وسكن ببيت البكرى حيث كان حريم محمد باشا فركب قبل الظهر فى موكب وذهب الى المشهد الحسينى وصلى الجمعة هناك ورجع الى الازبكية (وفيه) فتحوا طلب مال الميرى

وفيها توفى يوسف بن عمر بن مسروق ابو الفتح القواس الزاهد فى ربيع الاول وله خمس وخمسون سنة

(ثم دخلت سنة ست وثمانين وثلثمائة)

(ذكر وفاة العزيز بالله وولاية ابنه الحاكم وما كان من الحروب الى أن استقر امره)

فى هذه السنة توفى العزيز أبو منصور نزار بن المعز ابى تميم معد العلوى صاحب مصر لليلتين بقيتا من رمضان وعمره اثنتان واربعون سنة وثمانية أشهر ونصف بمدينة بلبيس وكان برز اليها للغزو الروم فلحقه عدة امراض منها النقرس والحصا والقولنج فاتصلت به الى ان مات وكانت خلافته احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفا ومولده بالمهدية من أفريقية وكان اسمر طويلا اصهب الشعر عريض المنكبين عارفا بالخيل والجوهر قيل انه ولى عيسى بن نسطورس النصرانى كتابته واستناب بالشام يهوديا اسمه منشا فاعتز بهما النصارى واليهود وآذوا المسلمين فعمد أهل مصر وكتبوا قصة وجعلوها فى يد صورة عملوها من قراطيس فيها بالذى اعز اليهود بمنشا والنصارى بعيسى بن نسطورس وأذل المسلمين بك الا كشفت ظلامتى واقعدوا تلك الصورة على طريق العزيز والرقعة بيدها فلما رآها أمر باخذها فلما قرأ ما فيها ورأى الصورة من قراطيس علم ما أريد بذلك فقبض عليهما وأخذ من عيسى ثلثمائة ألف دينار ومن اليهودى شيئا كثيرا وكان يحب العفو ويستعمله فمن حلمه انه كان بمصر شاعر اسمه الحسن بن بشر الدمشقى وكان كثير الهجاء فهجا يعقوب بن كلس وزير العزيز وكاتب الانشاء من جهته أبا نصر عبد الله الحسين القيروانى فقال

قل لابى نصر صاحب القصر * والمتأتى لنقض ذا الامر
انقض عرا الملك للوزير تفز * منه بحسن الثناء والذكر
واعط وامنع ولا تخف احدا * فصاحب القصر ليس فى القصر
وليس يدرى ماذا يراد به * وهو اذا ما درى فما يدرى

فشكاه ابن كلس الى العزيز وانشده الشعر فقال له هذا شئ اشتركنا فيه فى الهجاء فشاركنى فى العفو عنه ثم قال هذا الشاعر أيضا وعرض بالفضل القائد

تنصرفا لتنصر دين حق * عليه زماننا هذا يدل
وقل بثلاثة عزوا وجلوا * وعطل ما سواهم فهو عطل
فيعقوب الوزير أب وهذا الـ * ـعزيز ابن وروح القدس فضل

فشكاه أيضا الى العزيز فامتعض منه الا انه قال اعف عنه فعفا عنه ثم دخل الوزير على العزيز فقال لم يبق للعفو عن هذا معنى وفيه غض من السياسة ونقض لهيبة الملك فانه قد ذكرك وذكرنى وذكر ابن زبارج نديمك وسبك بقوله

زبارجى نديم * وكلسى وزير نعم على قدر الكلـ * ـب يصلح الساجور

فغضب العزيز وأمر بالقبض عليه فقبض عليه لوقته ثم بدا للعزيز اطلاقه فارسل

من السنة القابلة لضرورة النفقة فأغتم الملتزمون لذلك لضيق الحال وتعطل الاسباب وعدم الامن وتوالى طلب الفرد من البلاد فلو فضل للملتزم شئ لا يصل اليه الا بغاية المشقة وركوب الضرر ولوثوب الخلائق من العربان والفلاحين والاجناد والعساكر على بعضهم البعض من جميع النواحى القبلية والبحرية ثم ان الروزنامجى والقلمية و بعض المشايخ واجتمعوا فى ذلك فانحط الامر بعد ذلك على طلب نصف مال الميرى من سنة تسعة عشر وبواقى سنة سبعة عشر وثمانية عشر وكذلك باقى الحلوان الذى تأخر على المفلسين وكتبوا التنابيه بذلك وقالوا من لم يقدر على الدفع فليعرض تقسيطه على المزاد هذا والاجناد والعرب محيطة ببر الجيزة والعسكر من داخل الاسوار لا يجسرون على الخروج اليهم وحجزوا المراكب الواردة بالغلال وغيرها حتى لم يبق بالسواحل شئ من تلك الغلة أبدا ووصل سعر الاردب القمح ان وجد خمسة عشر ريالا (وفى يوم الاحد عشرينه) وصل العسكر الذين كانوا صحبة سليمان بك حاكم الصعيد فدخلوا الى البلدة وأزعجوا كثيرا من الناس وسكنوا البيوت بمصر القديمة بعد ما أخرجوهم منها وأخذوا فرشهم ومتاعهم

اليه

اليه يستدعيه وكان للوزير عين في القصر فاخبره بذلك فامر بقتله فقتل فلما وصل رسول العزيز في طلبه اراه رأسه مقطوعا فعاد اليه فاخبره فاغتم له ولما مات العزيز ولى بعده ابنه أبو على المنصور ولقب الحاكم بامر الله بعهد من ابيه فولى وعمره احدى عشرة سنة وستة أشهر وأوصى العزيز الى ارجوان الخادم وكان يتولى امر داره وجعله مدبر دولة ابنه الحاكم فقام بامره وبايع له وأخذ له البيعة على الناس وتقدم الحسن بن عمار شيخ كتامة وسيدها وحكم في دولته واستولى عليها وتلقب بامين الدولة وهو أول من تلقب في دولة العلويين المصريين فاشار عليه ثقاته بقتل الحاكم وقالوا لا حاجة الى من يتعبد نافلم يفعل احتقارا له واستصغارا لسنه وانبسطت كتامة في البلاد وحكموا فيها ومدوا أيديهم الى أموال الرعية وحريمهم وأرجوان مقيم مع الحاكم في القصر يحرسه واتفق معه شكر خادم عضد الدولة وقد ذكرنا قبض شرف الدولة عليه ومسيره الى مصر فلما اتفقا وصارت كلمتهما واحدة وكتب أرجوان الى منجوتكين يشكو ما يتم عليه من ابن عمار فتجهز وسار من دمشق نحو مصر فوصل الخبر الى ابن عمار فاظهر ان منجوتكين قد عصى على الحاكم وندب العساكر الى قتاله وسير اليه جيشا كثيرا وجعل عليهم أبا تميم سليمان بن جعفر بن فلاح الكتامي فساروا اليه فلقوه بعسقلان فانهزم منجوتكين واصحابه وقتل منهم ألفا رجل واسر منجوتكين وحمل الى مصر فابقى عليه ابن عمار واطلقه استمالة للمشارقة بذلك واستعمل ابن عمار على الشام أبا تميم الكتامي واسمه سليمان بن جعفر فسار الى طبرية فاستعمل على دمشق اخاه عليا فامتنع أهلها عليه فكاتبهم ابو تميم يتهددهم فخافوا وأذعنوا بالطاعة واعتذروا من فعل سفهائهم واخرجوا الى على فلم يعبابهم وركب ودخل البلد فاحرق وقتل وعاد الى معسكره وقدم عليهم أبو تميم فاحسن اليهم وأمنهم واطلق المحبوسين ونظر في أمر الساحل واستعمل اخاه عليا على طرابلس وعزل عنها جيش بن الصمصامة الكتامي فمضى الى مصر واجتمع مع أرجوان على الحسن بن عمار فانتهز ارجوان الفرصة ببعد كتامة عن مصر مع أبي تميم فوضع المشارقة على الفتك بمن بقي بمصر منهم وبابن عمار معهم فبلغ ذلك ابن عمار فعمل على الايقاع بارجوان وشكر العضدي فاخبرهما عيون لهما على ابن عمار بذلك فاحتاطا ودخلا قصر الحاكم باكين وثارت الفتنة واجتمعت المشارقة ففرق فيهم المال ووافقوا ابن عمار ومن معه فانهزم واختفى فلما ظفر ارجوان اظهر الحاكم واجلسه وجدد له البيعة وكتب الى وجوه القواد والناس بدمشق بالايقاع بابي تميم فلم يشعر الا وقد هجموا عليه ونهبوا خزائنه فخرج هاربا وقتلوا من كان عنده من كتامة وعادت الفتنة بدمشق واستولى الاحداث ثم ان ارجوان أذن للحسن بن عمار في الخروج من استتاره واجراه على اقطاعه وأمره باغلاق بابه وعصى أهل صور وأمروا عليهم رجلا ملاحا يعرف بالعلاقة وعصى أيضا المفرج بن دغفل بن الجراح ونزل على الرملة وعاث في البلاد واتفق ان الدوقس صاحب الروم نزل على حصن أفامية فاخرج ارجوان جيش بن الصمصامة في عسكر ضخم فسار حتى نزل بالرملة فاطاعه

وكذلك فعلوا ببولاق ومصر عندما حضر الذين كانوا ببحري (وفيه) قلدوا الحسبة لشخص عثمانلى من طرف الباشا وعزلوا محمد اغا المحتسب وكذلك عزلوا على اغا الشعراوى وقلدوا الزعامة لشخص آخر من اتباع الباشا وقلدوا آخر أغات مستحفظان (وفى ليلة الثلاثاء ثانى عشرينه) خرجت عساكر كثيرة وعدت الى البر الغربي ووقعت في صبحها حروب بينهم وبين المصرلية والعربان وكذلك في ثانى يوم ودخلت عساكر جمة كثيرة وعملوا لهم متاريس عند ترسة والمنصورية وتترسوا بها والمصرلية والعربان يرمحون من خارج وهم لا يخرجون اليهم من المتاريس واستمروا على ذلك الى يوم الاحد سابع عشرينه (وفى ذلك اليوم) ضربوا مدافع ورجع محمد على والكثير من العساكر واشيع ترفع المصرلية الى فوق ووقع بين العربان اختلاف واشاعوا انصرتهم على المصرلية وانهم قتلوا منهم أمراء وكشافا ومماليك وغير ذلك (وفى ذلك اليوم) شنقوا شخصا بباب زويلة وآخر بالحبانية وهما من الفلاحين ولم يكن لهما ذنب قيل انه وجد معهما بارود اشترياه لمنع الصائلين عليهم من العرب فقالوا انكم تأخذونه الى المحاربين لنا وكان شيئا

واليها وظفر فيها بابي تميم فقبض عليه وسير عسكرا الى صور وعليهم أبو عبد الله الحسين ابن ناصر الدولة بن حمدان فغزاها برا وبحرا فارسل العلاقة الى ملك الروم يستنجده فسير اليه عدة مراكب مشحونة بالرجال فالتقوا بحرا كبب المسلمين على صور فاقتتلوا وظفر المسلمون وانهزم الروم وقتل منهم جمع فلما انهزموا انخذل أهل صور وضعفت نفوسهم فملك البلد ابو عبد الله بن حمدان ونهبه وأخذت الاموال وقتل كثير من جنده وكان اول فتح كان على يد ارجوان وأخذ العلاقة أسيرا فسيره الى مصر فسلخ وصلب بها وأقام بصور وسار جيش بن الصمصامة لقصد المفرج بن دغفل فهرب من بين يديه وأرسل يطلب العفو فامنه وسار جيش أيضا الى عسكر الروم فلما وصل الى دمشق تلقاه أهلها مذعنين فاحسن الى رؤساء الاحداث واطلق المؤن واباح دم كل مغربي يتعرض لاهلها فاطمانوا اليه وسار الى افامية فصاف الروم عندها فانهزم هو وأصحابه ما عدا بشارة الاخشيدي فانه ثبت في خمسمائة فارس ونزل الروم الى سواد المسلمين يغنمون ما فيه والدوقس واقف على رايته وبين يديه ولده وعدة غلمان فقصده كردي يعرف باحمد بن الضحاك من أصحاب بشارة ومعه خشت فظنه الدوقس مستامنا فلم يحترز منه فلما دنا منه حمل عليه وضربه بالخشت فقتله فصاح المسلمون قتل عدو الله وعادوا ونزل النصر عليهم فانهزمت الروم وقتل منهم مقتلة عظيمة وسار جيش الى باب انطاكية يغنم ويسبي ويحرق وعاد الى دمشق فنزل بظاهرها وكان الزمان شتاء فساله اهل دمشق ليدخل البلد فلم يفعل ونزل ببيت لهيا واحسن السيرة في أهل دمشق واستخص رؤساء الاحداث واستحجب جماعة منهم وجعل يبسط الطعام كل يوم لهم ولمن يجيء معهم من اصحابهم فكان يحضر كل انسان منهم في جمع من اصحابه واشياعه وامرهم اذا فرغوا من الطعام ان يحضروا الى حجرة له يغسلون ايديهم فيها فصبر على ذلك برهة من الزمان فامر اصحابه ان رؤساء الاحداث اذا دخلوا الحجرة لغسل ايديهم ان يغلقوا باب الحجرة عليهم ويضعوا السيف في اصحابهم فلما كان الغد حضروا الطعام وقام الرؤساء الى الحجرة فاغلقت الابواب عليهم وقتل من اصحابهم نحو ثلاثة آلاف رجل ودخل دمشق فطافها فاستغاث الناس وسالوه العفو فعفا عنهم واحضر اشراف اهلها وقتل رؤساء الاحداث بين ايديهم وسير الاشراف الى مصر واخذ اموالهم ونعمهم ثم مرض بالبواسير وشدة الضربان فمات وولي بعده ابنه محمد وكانت ولايته هذه تسعة اشهر ثم ان ارجوان بعد هذه الحادثة راسل بسيل ملك الروم وهادنه عشر سنين واستقامت الامور على يد ارجوان وسير ايضا جيشا الى برقة وطرابلس الغرب ففتحها واستعمل عليها انسا الصقلبي ونصح الحاكم وبالغ في ذلك ولازم خدمته فثقل مكانه على الحاكم فقتله سنة تسع وثمانين وكان خصيا أبيض وكان لارجوان وزير نصراني اسمه فهد بن ابراهيم فاستوزره الحاكم ثم ان الحاكم رتب الحسين بن جوهر موضع أرجوان ولقبه قائد القواد ثم قتل الحسين بن عمار المقدم ذكره ثم قتل الحسين بن جوهر ولم يزل يقيم الوزير بعد الوزير ويقتلهم ثم جهز يارختكين

السكر جهة قبة الغورى

قليلا (وفيه) نزل جماعة من ومعهم نحو ثلاثين نفرا بجمالهم فقرطوا القمح المزروع وكان قد بدا اصلاحه فطارت عقول الفلاحين واجتمعوا وتكاثروا عليهم وقبضوا على ثلاثة أشخاص منهم وهرب الباقون فدخلوا بهم المدينة ومعهم الاجمال وصحبتهم طبل وأطفال ونساء وذهبوا تحت بيت الباشا فامر بقتل شخص منهم لانه شامي وليس بارنؤدي ولا انكشاري فقتلوه بالازبكية فوجدوا على وسطه ستمائة بندقي ذهب وثلثمائة محبوب ذهب والله اعلم وانقضت السنة وما حصل بها من الحوادث (وأما من مات فيها ممن له ذكر) * مات الفقيه العلامة والنحرير الفهامة الشيخ أحمد الامام اليونسي المعروف بالعريشي الحنفي حضر من بلدته خان يونس في سنة ثمان وسبعين ومائة وألف وحضر أشياخ الوقت وأكب على حضور الدروس وأخذ المعقول على مثل الشيخ أحمد البيلي والشيخ محمد الجناجي والصبان والفرماوي وغيرهم وتفقه على الشيخ عبد الرحمن العريشي ولازمه وبه تخرج وحضر على الشيخ الوالد في الدر المختار من أول كتاب البيوع الى كتاب الاجارة بقراءته وذلك سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف ولم يزل

للسير الى حلب وحصرها وسير معه العساكر الكثيرة فسار منها الفافه حسان بن المفرج الطائى فلما رحل من غزة الى عسقلان كبس حسان ووالده وأوقعا به وبمن معه واسراه وقتلاه وقتل من الفريقين قتلى كثيرة وحصر الرملة ونهبوا النواحى وكثر جمعهما وملكوا الرملة وما والاها فعظم ذلك على الحاكم وأرسل يعاتبهما وسبق السيف العذل فارسلا الى الشريف أبى الفتوح الحسن بن جعفر العلوى الحسنى أمير مكة وخاطباه بامير المؤمنين وطلباه اليهما ليبايعا له بالخلافة فحضر واستناب بمكة وخوطب بالخلافة ثم ان الحاكم راسل حسانا وأباه وضمن لهما الاقطاع الكثيرة والعطاء الجزيل واستمالهما فعدلا عن أبى الفتوح وورداه الى مكة وعادا الى طاعة الحاكم ثم ان الحاكم جهز عسكرا الى الشام واستعمل عليهم على بن جعفر بن فلاح فلما وصل الى الرملة أزاح حسان بن المفرج وعشيرته عن تلك الارض وأخذما كان له من الحصون بجبل الشراة واستولى على أمواله وذخائره وسار الى دمشق واليا عليها فوصل اليها فى شوال سنة تسعين وثلثمائة وأما حسان فانه بقى شريدا نحو سنتين ثم أرسل والده الى الحاكم فامنه وأقطعه فسار حسان اليه بمصر فأكرمه وأحسن اليه وكان المفرج والد حسان قد توفى سمه وما وضع الحاكم عليه من سمه فبموته ضعف أمر حسان على ماذكرناه

(ذكر استيلاء عسكر صمصام الدولة على البصرة)

فى هذه السنة سار قائد كبير من قواد صمصام الدولة اسمه اشكرستان الى البصرة فاجلى عنها نواب بهاء الدولة وسبب ذلك ان الاتراك لما عادوا عن العلاء كما ذكرناه كان هذا لشكرستان مع العلاء فأتاهم من الديلم الذين مع بهاء الدولة أربعمائة رجل مستأمنين فأخذهم لشكرستان وسار بهم وبمن معه الى البصرة فكثر جمعه فنزلوا قريب البصرة بين البساتين يقاتلون أصحاب بهاء الدولة ومال اليهم بعض أهل البصرة ومقدمهم أبو الحسن بن أبى جعفر العلوى وكانوا يحملون اليهم الميرة وعلم بهاء الدولة بذلك فانفذ من يقبض عليهم فهرب كثير منهم الى اشكرستان فقوى بهم وجمعوا السفن وحملوه فيها ونزلوا الى البصرة فقاتلوا أصحاب بهاء الدولة بها وأخرجوهم عنها وملك لشكرستان البصرة وقتل من أهلها كثيرا وهرب كثير منهم وأخذ كثيرا من أموالهم فكتب بهاء الدولة الى مهذب الدولة صاحب البطيحة يقول أنت أحق بالبصرة فسير اليها جيشا مع عبد الله بن مرزوق فاجلى لشكرستان عن البصرة وقيل انه سار عن البصرة بغير حرب ودخلها ابن مرزوق وقيل انما فارقها بعد أن حارب فيها وضعف عن المقام بين يديه وصفت البصرة لمهذب الدولة ثم ان اشكرستان عمل على العود الى البصرة فهجم عليها فى السفن ونزل أصحابه بسوق الطعام واقتتلوا فاستظهر لشكرستان وكاتب بهاء الدولة يطلب المصالحة ويبذل الطاعة ويخطب له بالبصرة فاجابه مهذب الدولة الى ذلك وأخذ ابنه رهينة وكان لشكرستان يظهر طاعة صمصام الدولة وبهاء الدولة ومهذب الدولة وعسف أهل البصرة مدة فتفرقوا ثم انه أحسن اليهم وعدل فيهم فعادوا

لازم الشيخ عبد الرحمن ملازمة كلية وسافر صحبته الى اسلامبول فى سنة تسعين لبعض المقتضيات وقرأ هناك الشفاء والحكم بقراءة المترجم وعاد صحبته الى مصر ولم يزل ملازما له حتى حصل للعريشى ما حصل ودنت وفاته فاوصى اليه بجميع كتبه واستقر عوضه فى مشيخة رواق الشوام وقرأ الدروس فى محله وكان فصيحا مستحضرا متضلعا من المعقولات والمنقولات وقصدته الناس فى الافتاء واعتمدوا أجوبته وتداخل فى القضايا والدعاوى واشتهر ذكره واشترى دارا واسعة بسوق الزلط بحارة المقس خارج باب الشعرية وتجمل بالملابس وركب البغال وصار له أتباع وخدم وهرعت الناس والعامة والخاصة فى دعاويهم وقضاياهم وشكاويهم اليه وتقلد نيابة القضاء ببعض قضاة العساكر أشهرا ولما حضرت الفرنساوية الى مصر وهرب القاضى الرومى بصحبة كتخدا الباشا كما تقدم تعين المترجم للقضاء بالمحكمة الكبيرة والبسه كلهبر سارى عسكر الفرنساوية خلعة ثمينة وركب بصحبة قائمقام فى موكب الى المحكمة وفوضوا اليه أمر النواب بالاقاليم ولما قتل كلهبر الحرف عليه الفرنساوية لكون القاتل ظهر من رواق الشوام وعزلوه ثم تبينت براءته من ذلك الى

(ذكر ولاية المقلد الموصل)

في هذه السنة ملك المقلد بن المسيب مدينة الموصل وكان سبب ذلك ان أخاه أبا الذواد توفي هذه السنة فطمع المقلد في الامارة فلم تساعده عقيل على ذلك وقلدوا أخاه عليا لانه أكبر منه فشرع المقلد واستمال الديلم الذين كانوا مع أبي جعفر الحجاج بالموصل فمال اليه بعضهم وكتب الى بهاء الدولة يضمن منه البلد بألفي ألف درهم كل سنة ثم حضر عند أخيه علي وأظهر له ان بهاء الدولة قد ولاه الموصل وسأله مساعدته على أبي جعفر لانه قد منعه عنها فساروا ونزلوا على الموصل فخرج اليهم كل من استماله المقلد من الديلم وضعف الحجاج وطلب منهم الامان فأمنوه وواعدهم يوما يخرج اليهم فيه ثم انه انحدر في السفن قبل ذلك اليوم فلم يشعروا به الا بعد انحداره فتبعوه فلم ينالوا منه شيئا ونجا بماله منهم وسار الى بهاء الدولة ودخل المقلد البلد واستقر الامر بينه وبين أخيه على ان يخطب لهما ويقدم علي لكبره ويكون له معه نائب يجبي المال واشتركا في البلد والولاية وسار علي الى البر وأقام المقلد وجرى الامر على ذلك مديدة ثم تشاجروا واختصموا وكان ما نذكره ان شاء الله وكان المقلد يتولى حماية غربي الفرات من أرض العراق وكان له ببغداد نائب فيه تهور فجرى بينه وبين أصحاب بهاء الدولة مشاجرة فكتب الى المقلد يشكو فانحدر من الموصل في عساكره وجرى بينه وبين أصحاب بهاء الدولة حرب انهزموا فيها وكتب الى بهاء الدولة يعتذر وطلب انفاذ من يعقد عليه ضمان القصر وغيره وكان بهاء الدولة مشغولا بمن يقاتله من عسكر أخيه فاضطر الى المغالطة ومد المقلد يده فأخذ الاموال فبرز نائب بهاء الدولة ببغداد وهو حينئذ أبو علي بن اسمعيل وخرج الى حرب المقلد فبلغ الخبر اليه فانفذ أصحابه ليلا فاقتتلوا وعادوا الى المقلد فلما بلغ الخبر الى بهاء الدولة بمجيء أصحاب المقلد الى بغداد انفذ أبا جعفر الحجاج الى بغداد وأمره بمصالحة المقلد والقبض على أبي علي بن اسمعيل فسار الى بغداد في آخر ذي الحجة فلما وصل اليها راسله المقلد في الصلح فاصطلحا على ان يحمل الى بهاء الدولة عشرة آلاف دينار ولا يأخذ من البلاد الا رسم الحماية ويخطب لابي جعفر بعد بهاء الدولة وان يخلع على المقلد الخلع السلطانية ويلقب بحسام الدولة ويقطع الموصل والكوفة والقصر والجامعين واستقر الامر على ذلك وجلس القادر بالله له ولم يف المقلد من ذلك بشيء الا بحمل المال واستولى على البلاد ومد يده في المال وقصده المتصرفون والاماثل وعظم قدره وقبض أبو جعفر على أبي علي ثم هرب أبو علي نائب بهاء الدولة واستتر وسار الى البطيحة مستترا ملتجئا الى مهذب الدولة

(ذكر وفاة المنصور بن يوسف وولاية ابنه باديس)

في هذه السنة توفي المنصور بن يوسف بلكين أمير افريقية أوائل ربيع الاول خارج صبرة ودفن بقصره وكان ملكا كريما شجاعا حازما ولم يزل مظفرا منصورا حسن السيرة محبا للعدل والرعية أوسعهم عدلا وأسقط البقايا عن أهل افريقية وكانت مالا جليلا

ولما

ان رتبوا الديوان في آخر مدتهم ورسم عبدالله جاويش متونا ختيار قاضي بالقرعة فلم تقم الاعلى المترجم فتولاه أيضا وخلعوا عليه وركب مثل الاول الى المحكمة واستمر بها الى أن حضرت العثمانيون وقاضيهم فانفصل عن ذلك ولازم بيته مع مخالطة فصل الخصومات والحكومات والافتاء ثم قصد الحج في هذه السنة فخرج مع الركب وتمرض في حال رجوعه وتوفي ودفن بينبع رحمه الله

(ومات) الشيخ الامام العمدة الفقيه الصالح المحقق الشيخ علي المعروف بالخياط الشافعي حضر أشياخ الوقت وتفقه على الشيخ عيسى البراوي ولازم دروسه وبه تخرج واشتهر بالعلم والصلاح وأقرأ الدروس الفقهية والمعقولية وانتفع به الطلبة وانقطع للعلم والافادة ولما وردت ولاية جدة لمحمد باشا توسون طلب انسانا معروفا بالعلم والصلاح فذكر له الشيخ المترجم فدعاه اليه وأكرمه وواساه وأحبه وأخذه صحبته الى الحجاز وتوفي هناك رحمه الله

(ومات) رئيس المبجل المهذب صاحبنا محمد افندي باش جرت الروزنامه وأصله تربية محمد افندي كاتب كبير الينكجرية وتمهر في صنعة الكتابة وقوانين الروزنامه وكان لطيف الطبع سليم الصدر محبوبا للناس مشهورا بالذوق وحسن الاخلاق مهذبا في نفسه

ولما توفى ولى بعده ابنه باديس و يكنى أبا مناد فلما استقر فى الامر سار الى سردانية وأتاه الناس من كل ناحية للتعزية والتهنئة وأراد بنوز يرى أعمام أبيه ان يخالفوا عليه فخدعهم أصحاب أبيه وأصحابه وكان مولد باديس سنة أربع وسبعين وثلثمائة وأتته الخلع والعهد بالولاية من الحاكم بامر الله من مصر فقرئ العهد وبايع العاكم هو و جماعة بنى عمه والاعيان من القواد وفيها ثار على باديس رجل صنهاجي اسمه خليفة بن مبارك فاخذ وحمل الى باديس فاركب حمارا وجعل خلفه رجل اسود يصفعه وطيف به ولم يقتل احتقارا به وسجن وفيها استعمل باديس عمه حماد بن يوسف بلكين على أشير وأقطعه اياها وأعطاه من الخيل والسلاح والعدد شيئا كثيرا فخرج اليها وهذا حماد هو جد بنى حماد الذين كانوا ملوك افريقية والقلعة المنسوبة اليهم مشهورة بافريقية ومنهم أخذها عبد المؤمن بن على

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قبض بهاء الدولة على الفاضل وزيره وأخذ ماله واستوزر بهاء الدولة سابور بن اردشير فاقام نحو شهرين وفرق الاموال ووقع بها القواد فقصد البصغف بهاء الدولة ثم هرب الى البطيحة وبقى منصب الوزارة فارغا واستوزر أبو العباس بن سرجس وفيها استكتب القادر بالله ابا الحسن على بن عبد العزيز بن حاجب النعمان وفيها توفى أحمد بن ابراهيم بن محمد بن اسحق أبو حامد بن أبى اسحق المزكى النيسابورى فى شعبان وكان اماما ومولده سنة ثلاث وعشرين وفيها توفى على بن عمر بن محمد بن الحسن أبو اسحق الحميرى المعروف بالسكرى وبالحربى وبالكيال ومولده سنة ست وتسعين ومائتين وفيها توفى أبو الاغر دبيس بن عفيف الاسدى بخوزستان وأبو طالب محمد بن على بن عطية المكى صاحب قوت القلوب روى انه صنف قوت القلوب وكان قوته عروق البردى

(ثم دخلت سنة سبع وثمانين وثلثمائة)

(ذكر موت الامير نوح بن منصور وولاية ابنه منصور)

فى هذه السنة توفى الامير الرضا نوح بن منصور السامانى فى رجب واختل بموته ملك آل سامان وضعف أمرهم ضعفا ظاهرا وطمع فيهم أصحاب الاطراف فزال ملكهم بعد مدة يسيرة ولما توفى قام بالملك بعده ابنه أبو الحرث منصور بن نوح وبايعه الامراء والقواد وسائر الناس وفرق فيهم بقايا الاموال فاتفقوا على طاعته وقام بامر دولته وتدبيرها بكتوزون ولما بلغ خبر موته الى ايلك خان سار الى سمرقند وانضم اليه فائق الخاصة فسيره جريدة الى بخارا فلما سمع بمسيره الامير منصور تحير فى أمره وأعجله عن التجهز فسار عن بخارا وقطع النهر ودخل فائق بخارا وأظهر انه انما قصد المقام بخدمة الامير منصور ورعاية حق اسلافه عليه اذ هو مولاهم وأرسل اليه مشايخ بخارا ومقدمهم فى العود الى بلده وملكه وأعطاه من نفسه مايطمئن اليه من العهود والمواثيق فعاد

متواضعا يسقى فى حوائج اخوانه وقضاء مصالحهم المتعلقة به فاترهم فانه كان مترفها فى ماكله وملبسه واقتنى كتبا نفيسة ومصاحف وتجتمع ببيته الاحباب ويدير عليهم سلاف انسه المستطاب مع الحشمة والوقار وعدم الملل والنفار ولما اختلفت الاحوال وترادفت الفتن ضاق صدره من ذلك واستوحش من مصر وأحوالها فقصد الهجرة باهله وعياله الى الحرمين وعزم على الاقامة هناك فلما حصل هناك رأى فيها الاختلاف والخلل كذلك بسبب ظلم الشريف غالب وأتباعه واغارة الوهابيين على الحرمين وفتن العربان فلم يستحسن الاقامة هناك واشتاق لوطنه فعزم على العود الى مصر فمرض بالطريق وتوفى ودفن بالينبع رحمه الله

(ومات) الامير حسين بك الذى عرف بالوشاش وهو من مماليك محمد بك الالفى وكان يعرف أولا بكاشف الشرقية لانه كان تولى كشوفيتها وكان صعب المراس شديد الباس قوى الجنان قلبه مع نحافة جسمه أعظم من جبل لبنان لايهاب كثرة الجنود وتخشى سطوته الاسود ولما أجمعوا على خيانة الالفى وأتباعه قال لهم ابراهيم بك الكبير على مابلغنا لا يتم مرامكم بدون البداءة بالمترجم فان امكنكم ذلك والا فلا تفعلوا

إليها ودخلها وولي فائق أمره وحكم في دولته وولي بكتوزون امرة الجيوش بخراسان وكان محمود بن سبكتكين حينئذ مشغولا بمحاربة أخيه اسمعيل على ما نذكره ان شاء الله تعالى وسار بكتوزون الى خراسان فوليها واستقرت القواعد بها

(ذكر موت سبكتكين وملك ولده اسمعيل)

وفي هذه السنة توفي ناصر الدولة سبكتكين في شعبان وكان مقامه ببلخ وقد ابتنى بها دورا ومساكن فمرض وطال مرضه وانزاح الى هواء غزنة فسار عن بلخ اليها فمات في الطريق فنقل ميتا الى غزنة ودفن فيها وكان مدة ملكه نحو عشرين سنة وكان عادلا خيرا كثير الجهاد حسن الاعتقاد ذا مروأة تامة وحسن عهد ووفاء لا جرم بارك الله في بيته ودام ملكهم مدة طويلة جازت مدة ملك السامانية والسلجوقية وغيرهم وكان ابنه محمود أول من لقب بالسلطان ولم يلقب به أحد قبله ولما حضرته الوفاة عهد الى ولده اسمعيل بالملك بعده فلما مات بايع الجند لاسمعيل وحلفوا له واطلق لهم الاموال وكان أصغر من أخيه محمود فاستضعفه الجند فاشتطوا في الطلب حتى أفنى الخزائن التي خلفها أبوه

(ذكر استيلاء أخيه محمود بن سبكتكين على الملك)

لما توفي سبكتكين وبلغ الخبر الى ولده يمين الدولة محمود بنيسابور وجلس للعزاء ثم أرسل الى أخيه اسمعيل يعزيه بأبيه ويعرفه ان أباه انما عهد اليه لبعده عنه ويذكره ما يتعين من تقديم الكبير وطلب منه الوفاق وانفاذ ما يخصه من تركة أبيه فلم يفعل وترددت الرسل بينهما فلم تستقر القاعدة فسار محمود عن نيسابور الى هراة عازما على قصد أخيه بغزنة واجتمع بعمه بغراجق بهراة فساعده على أخيه اسمعيل وسار نحو بست وبها أخوه نصر فتبعه وأعانه وسار معه الى غزنة وبلغ الخبر الى اسمعيل وهو ببلخ فسار عنها مجدا فسبق اخاه محمودا اليها وكان الامراء الذين مع اسمعيل كاتبوا أخاه محمودا يستدعونه ووعدوه الميل اليه فجد في المسير والتقى هو واسمعيل بظاهر غزنة واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم اسمعيل وصعد الى قلعة غزنة فاعتصم بها فحصره أخوه محمود واستنزله بامان فلما نزل اليه أكرمه وأحسن اليه وأعلى منزلته وشركه في ملكه وعاد الى بلخ واستقامت الممالك له وكانت مدة ملك اسمعيل سبعة أشهر وهو فاضل حسن المعرفة له نظم ونثر وخطب في بعض الجمعات فكان يقول بعد الخطبة للخليفة رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين

(ذكر وفاة فخر الدولة بن بويه وملك ابنه مجد الدولة)

في هذه السنة توفي فخر الدولة أبو الحسن علي بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه بقلعة طبرق في شعبان وكان سبب ذلك انه أكل لحما مشويا وأكل بعده عنبا فاخذه المغص ثم اشتد مرضه فمات منه فلما مات كانت مفاتيح الخزائن بالري عند امّ ولده مجد الدولة

فطلبوا

شيئا فلم يزالوا يدبرون عليه ويتملقون له ويظهرون له خلاف ما يبطنون حتى تمكنوا من غدره على الصورة المتقدمة وسبب تلقيبه بالوشاش انه كان طلع له لاقاة الحجاج بمنزلة الوش في سنة ورود الفرنساوية فلما لاقى الحجاج وامير الحاج صالح بك رجع صحبتهم الى الشام وحصل منه بعد ذلك المواقف الهائلة مع الفرنساوية مع أستاذه ومنفردا في الجهات القبلية والشامية ولما انجلت الحوادث وارتحلت الفرنساوية من الديار المصرية واستقرت المصريون بعد حوادث العثمانية تأمر المترجم في سنة ثمان عشرة مع صنجقه المتأمرين وظهر شأنه واشتهر ذكره فيما بينهم ونفذت أوامره فيهم وتعصب عليهم وناكدهم وعاندهم وأغار على ما بأيديهم حتى ثقلت وطأته عليهم فلم يزالوا يحتالون عليه حتى أوقعوه في حبال صيدهم وهو لا يخطر بباله خيانتهم وغدروه بينهم كما ذكر *(ومات)* الامير رضوان كتخدا ابراهيم بك وهو أغنى مماليكه رباه واعتقه وجعله جوخداره وكان يعرف أولا برضوان الجوخدار واستمر في الجوخدارية مدة طويلة ولما رجع مع أستاذه في أواخر سنة خمس ومائتين وألف بعد موت اسمعيل بك ثم أتباعه الى مصر أرخى لحيته وتقلد كتخدائية أستاذه

فطلبوا له كفنا فلم يجد وهو تعذر النزول الى البلد لشدة شغب الديلم فاشتروا له من قيم الجامع ثوبا كفنوه فيه وزاد شغب الجند فلم يمكنهم دفنه فبقي حتى انتن ثم دفنوه وحين توفي قام بملكه بعده ولده مجد الدولة ابو طالب رستم وعمره اربع سنين اجلسه الامراء في الملك وجعلوا اخاه شمس الدولة بهمذان وقرميسين الى حدود العراق وكان المرجع الى والدة ابي طالب في تدبير الملك وعن رايها يصدر وبين يديها في مباشرة الاعمال ابو طاهر صاحب فخر الدولة وابو العباس الضبي الكافي

●(ذكر وفاة مامون بن محمد وولاية ابنه علي)●

وفيها توفي مامون بن محمد صاحب خوارزم والجرجانية فلما توفي اجتمع اصحابه على ولده علي وبايعوه واستقر له ما كان لابيه وراسل يمين الدولة محمود بن سبكتكين وخطب اليه اخته فزوجه واتفقت كلمتهما وصارا يدا واحدة الى ان مات علي وقام بعده اخوه ابو العباس مامون بن مامون واستقر في الملك فارسل الى يمين الدولة يخطب اخته ايضا فاجابه الى ذلك وزوجه فداما ايضا على الاتفاق والاتحاد مدة وسيرد من اخباره سنة سبع واربعمائة ان شاء الله تعالى ما نقف عليه

●(ذكر وفاة العلاء بن الحسن وما كان بعده)●

في هذه السنة توفي ابو القاسم العلاء بن الحسن نائب صمصام الدولة بخوزستان وكان موته بعسكر مكرم وكان شهما شجاعا حسن التدبير ونفذ صمصام الدولة ابا علي بن استاذهرمز ومعه المال ففرقه في الديلم وسار الى جنديسابور فدفع اصحاب بهاء الدولة عنها وجرت له معهم وقائع كثيرة كان الظفر فيها له وازاح الاتراك عن خوزستان وعادوا الى واسط وخلت لابي علي البلاد ورتب العمال وجبى الاموال وكاتب الاتراك بهاء الدولة واستمالهم فاتاه بعضهم فاحسن اليهم واستمر حال ابي علي في اعمال خوزستان ثم ان ابا محمد بن مكرم والاتراك عادوا من واسط واستعد ابو علي للحرب وجرى بينهم وقائع ولم يكن للاتراك قوة على الديلم فعزموا على العود الى واسط ثانيا واتفق مسير بهاء الدولة من البصرة الى القنطرة البيضاء وكان ما نذكره ان شاء الله

●(ذكر القبض على علي بن المسيب وما كان بعد ذلك)●

في هذه السنة قبض المقلد على اخيه علي وكان سبب ذلك ما ذكرناه من الاختلاف الواقع بين اصحابهما بالموصل واشتغل المقلد بما ذكرناه بالعراق فلما خلا وجهه وعاد الى الموصل عزم على الانتقام من اصحاب اخيه ثم خافه وعمل الحيلة في قبض اخيه فاحضر عسكره من الديلم والاكراد واعلمهم انه يريد قصد دقوقا وحلفهم على الطاعة وكانت داره ملاصقة دار اخيه فنقب في الحائط ودخل اليه وهو سكران فاخذه وادخله الخزانة وقبض عليه وارسل الى زوجته يامرها باخذ ولديه قرواش وبدران واللحاق بتكريت قبل ان يسمع اخوه الحسن الخبر ففعلت ذلك وخلصت وكانت في الحلة التي له على اربعة فراسخ من تكريت وسمع الحسن الخبر فبادر الى الحلة

وتزوج ببعض سراريه وسكن دار عبدى بك بناحية سويقة العزى ثم انتقل منها الى دار ملك على بركة الفيل تجاه بيت شكرفره وعمرها وصارت له وجاهة بين الامراء والاعيان وباشر فصل الخصومات والدعاوى وازدحم الناس ببيته واشتهر ذكره وعظم شانه وقصدته ارباب الحاجات واخذ الرشوات والجعالات وكان يقرأ ويكتب ويناقش ويحاجج ويعاشر الفقهاء ويباحثهم ويميل بطبعه اليهم ويحب مجالستهم ولا يمل منهم وعنده حلم وسعة صدر وتؤدة وتأن في الامور واذا ظهر له الحق لا يعدل عنه وعنده دهقنة ومداهنة وقوة حزم ولما حضر علي باشا الطرابلسي على الصورة المتقدمة كان المترجم هو المتعين في الارسال اليه فلم يزل يتحيل عليه حتى انخدع له وادخل راسه الجراب وصدق تمويهاته وحضر به الى مصر واوردوه بعد الموارد وحاز بذلك منقبة بين اقرانه ونوه بعد بشانه وخلعوا عليه الخلع وعرضوا عليه الامارة فاباها واستمر على حالته معدودا في ارباب الرياسة وتاتي الامراء الى داره ولم يزل حتى ثارت العسكر على من بالبلدة من الامراء وحصروا ابراهيم بك ببيته وخرج في ثاني يوم هاربا والمترجم خلفه والرصاصي باخذهم من كل

ليقبض اولاد اخيه فلم يجدهم واقام المقلد بالموصل يستدعى رؤساء العرب ويخلع عليهم واجتمع عنده زهاء الفى فارس وسار الحسن فى حلل اخيه ومعه اولاد اخيه على وحرمه ويستنفرهم على المقلد واجتمع معهم نحو عشرة آلاف وراسل المقلد يؤذنه بالحرب فسار عن الموصل وبقى بينهم منزل واحد ونزل بازاء العلث فحضره وجوه العرب واختلفوا عليه فمنهم من اشار بالحرب منهم رافع بن محمد بن مقن ومنهم من اشار بالكف عن القتال وصلة الرحم منهم غريب بن محمد بن مقن وتنازع هو واخوه فبينما هم فى ذلك قيل للمقلد ان اختك رهيلة بنت المسيب تريد لقاءك وقد جاءتك فركب وخرج اليها فلم تزل معه حتى اطلق اخاه عليا ورد اليه ماله ومثله معه وانزله فى خيم ضربها له فسر الناس بذلك وتحالفا وعاد على الى حلته وعاد المقلد الى الموصل وتجهز للسير الى ابى الحسن على بن مزيد الاسدى لانه تعصب لاخيه على وقصد ولاية المقلد بالاذى فسار اليه ولما خرج على من حبسه اجتمع العرب اليه واشاروا عليه بقصد اخيه المقلد فسار الى الموصل وبها اصحاب المقلد وامتنعوا عليه فافتتحها فسمع المقلد بذلك فعاد اليه واجتاز فى طريقه بحلة اخيه الحسن فخرج اليه ورأى كثرة عسكره فخاف على اخيه على منه فاشار عليه بالوقوف ليصلح الامر وسار الى اخيه على وقال له ان الاعور يعنى المقلد قد اتاك بحده وحديده وانت غافل وامره بافساد عسكر المقلد فكتب اليهم فظفر المقلد بالكتب فاخذها وسار مجدا الى الموصل فخرج اليه أخواه على والحسن وصالحاه ودخل الموصل وهما معه ثم خاف على فهرب من الموصل ليلا وتبعه الحسن وترددت الرسل بينهم فاصطلحوا على ان يدخل أحدهما البلد فى غيبة الآخر وبقوا كذلك الى سنة تسع وثمانين ومات على سنة تسعين وقام الحسن مقامه فقصده المقلد ومعه بنو خفاجة فهرب الحسن الى العراق وتبعه المقلد فلم يدركه فعاد ولما استقر أمر المقلد بعد أخيه على سار الى بلد على بن مزيد الاسدى فدخله ثانية والتجأ ابن مزيد الى مهذب الدولة فتوسط ما بينه وبين المقلد وأصلح الامر معه وسار المقلد الى دقوقا فملكها

(ذكر ملك جبرئيل دقوقا)

فى هذه السنة ملك جبرئيل بن محمد دقوقا وهذا جبرئيل كان من الرجالة الفرس ببغداد وخدم مهذب الدولة بالبطيحة فهم بالغزو وجمع جمعا كثيرا واشتروا السلاح وسار فاجتاز فى طريقه بدقوقا فوجد المقلد بن المسيب يحاصرها فاستغاث أهلها بجبرئيل فحماهم ومنع عنهم وكان بدقوقا رجلان نصرانيان قد تمكنا فى البلد وحكما فيه واستعبدا أهله فاجتمع جماعة من المسلمين الى جبرئيل وقالوا له انك تريد الغزو ولست تدرى اتبلغ غرضا أم لا وعندنا من هذين النصرانيين من قد تعبدنا وحكم علينا فلو اقمت عندنا وكفيتنا امرهما ساعدناك على ذلك فاقام وقبض عليهما واخذ مالهما وقوى أمره فملك البلد فى شهر ربيع الاول وثبت قدمه واحسن معاملة اهل البلد وعدل فيهم وبقى

ناحية فاصيب فى دماغه فمال عن جواده واستند على الخدم وذلك جهة الدرب الاحمر فلم يزل فى غشوته حتى خرجت روحه بالرميلة فانزلوه عند باب العزب واحتاط به المتقيدون بالباب واخذوا ما فى جيوبه ثم احضروا له تابوتا وحملوه فيه الى داره فغسلوه وكفنوه ودفنوه بالقرافة سامحه الله فانه كان من خيار جنسه لولا طمع فيه ولقد بلوته سفرا وحضرا يافعا وكهلا فلم ار ما يشينه فى دينه عفوفا طاهر الذيل وقورا محتشما فصيح اللسان حسن الرأى قليل الفضول جيد النظر *(ومات)* الاجل العمدة الشريف السيد ابراهيم افندى الروزنامجى وهو ابن اخى السيد محمد المكاحى الروزنامجى المتوفى سنة سبع ومائتين والف واصلهم روميون الجنس وكان فى الاصل جرجيا ثم عمل كاتب كشيده وكان يسكن دارا صغيرة بجوار دار عمه واستمر على ذلك خامل الذكر فلما توفى عمه السيد محمد انتدب عثمان افندى العباسى المنفصل عن الروزنامه سابقا بعد العود اليها عن شوق وتطلع لما وطنه شغور المنصب عن المتاهل اليه سواه فلم تساعده الاقدار لشدة مراسه وسال ابراهيم بك عن شخص من اهل بيت المتوفى فذكر له السيد ابراهيم

مدنة على اختلاف الاحوال ثم ملكها المقلد وملكها بعده محمد بن عناز ثم أخذها بعده
قرواش ثم انتقلت الى فخر الدولة أبي غالب فعاد هذا جبرئيل حينئذ الى دقوقا
واجتمع مع أمير من الاكراد يقال له موصك بن جكويه ودفعا عمال فخر الدولة عنها
وأخذاها فقصدهما بدران بن المقلد وغلبهما وأخذها منهما

❁(ذكر عدة حوادث)❁

في هذه السنة خرج أبو الحسن علي بن مزيد عن طاعة بهاء الدولة فسير اليه عسكرا فهرب
من بين أيديهم الى مكان لا يقدرون على الوصول اليه فيه ثم أرسل بهاء الدولة واصلح
حاله معه وعاد الى طاعته وفيها توفي أبو الوفاء محمد بن المهندسي الحاسب وفيها في المحرم
توفي عبيد الله بن محمد بن حمدان أبو عبد الله العكبري المعروف بابن بطة الحنبلي وكان
مولده في شوال سنة أربع وثلثمائه وكان زاهدا عابدا عالما ضعيفا في الروايه وفيها
في ذي القعدة توفي أبو الحسن محمد بن أحمد بن اسمعيل المعروف بابن سمعون الواعظ
الزاهد له كرامات وكان مولده سنة ثلثمائة وفيها تاسع ذي الحجة توفي الحسن بن عبد الله
ابن سعيد أبو أحمد العسكري الراوية العلامة صاحب التصانيف الكثيرة في الادب
واللغة والامثال وغيرها

❁(ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وثلثمائة)❁

❁(ذكر عود أبي القاسم السيمجوري الى نيسابور)❁

قد ذكرنا مسير أبي القاسم بن سيمجور أخي أبي علي الى جرجان ومقامه بها فلما مات
فخر الدولة أقام عند ولده مجد الدولة واجتمع عنده جماعة كثيرة من أصحاب أخيه
وكان قد أرسل الى شمس المعالي يستدعيه من نيسابور ليسلمها اليه فسار اليه حتى وافى
جرجان فلما بلغها رأى أبا القاسم قد سار عنها فعاد شمس المعالي الى نيسابور فكتب
ثقة من بخارا الى أبي القاسم يغريه ببكتوزون ويأمره بقصد خراسان واخراج
بكتوزون عنها للعداوة بينهما فسار أبو القاسم من جرجان نحو نيسابور وسير سرية الى
أسفراين وبها عسكر لبكتوزون فقاتلوهم واجلوهم عن اسفراين واستولى أصحاب
أبي القاسم عليها وسار أبو القاسم الى نيسابور فالتقى هو وبكتوزون بظاهرها في
ربيع الاول واقتتلوا واشتد القتال بينهم فانهزم أبو القاسم وقتل من أصحابه وأسر خلق
كثير وسار أبو القاسم الى قهستان وأقام بها حتى اجتمع اليه أصحابه وسار الى بوشنج
واستولى عليها وتصرف فيها فسار اليه بكتوزون وترددت الرسل بينهما حتى اصطلحا
وتصاهرا وعاد بكتوزون الى نيسابور

❁(ذكر استيلاء محمود بن سبكتكين على نيسابور وعودهم عنها)❁

لما فرغ محمود من أمر أخيه وملك غزنة وعاد الى بلخ رأى بكتوزون قد ولي خراسان على
ما ذكرناه فارسل الى الامير منصور بن نوح يذكر طاعته والمحاماة عن دولته ويطلب
خراسان فاعاد الجواب يعتذر عن خراسان ويأمره باخذ ترمذ وبلخ وما وراءها من أعمال

المرقوم وخوله وعدم تحمله لاعباء ذلك المنصب فقال
لابد من ذلك قطعا لطمع
المتطلعين والتزم بمراعاته
ومساعدته وطلبه ونقله من
حضيض الخمول الى اوج
السعادة والقبول فتقلد ذلك
وساس الامور بالرفق والسير
الحسن واشترى دارا عظيمة
بدرب الاغوات وسكنها واستمر
على ذلك الى ان وردا الفرنساوية
الى مصر فخرج مع من خرج
هاربا الى الشام ثم رجع مع
من رجع ولم يزل حتى تمرض
وتوفي في يوم الاربعاء سادس
عشر القعدة من السنة رحمه
الله تعالى

(واستهلت سنة تسعة عشر
ومائتين والف)

فكان ابتداء المحرم بيوم
الخميس فيه ركب الوالي
العثملي وشق من وسط المدينة
فمر على سوق الغورية فانزل
شخصا من ابناء التجار
المحتشمين وكان يتلو في
القرآن فامر الاعوان فسحبوه
من حانوته وبطحوه على
الارض وضربوه عدة عصي
من غير جرم ولا ذنب وقع منه
ثم تركه وسار الى الاشرفية
فانزل شخصا من حانوته
وفعل به مثل ذلك فانزعج
اهل الاسواق واغلقوا
حوانيتهم واجتمع الكثير
منهم وذهبوا الى بيت الباشا
يشكون فعل الوالي وسمع
المشايخ بذلك فركبوا ايضا الى بيت الباشا وكلموه فاظهر

بست وهراة فلم يقنع بذلك واعاد الطلب فلم يجبه الى ذلك فلما تيقن المنع سار الى نيسابور وبها بكتوزون فلما بلغه خبر مسيره نحوه رحل عنها فدخلها محمود وملكها فلما سمع الامير منصور بن نوح سار عن بخارا نحو نيسابور فلما علم محمود بذلك سار عن نيسابور الى مرو الروذ ونزل عند قنطرة راعول ينتظر ما يكون منهم

❊(ذكر عود قابوس الى جرجان)❊

في هذه السنة عاد شمس المعالي قابوس بن وشمكير الى جرجان وملكها ولما ملك فخر الدولة بن بويه جرجان والرى اراد ان يسلم جرجان الى قابوس فرده عن ذلك الصاحب ابن عباد وعظمها في عينه فاعرض عن الذى اراده ونسى ما كان بينهما من الصحبة بخراسان وانه بسببه خرجت البلاد عن يد قابوس والملك عقيم وقد ذكرنا كيف اخذت منه ومقامه بخراسان وانفاذ ملوك السامانية الجيوش في نصرته مرة بعد أخرى فلم يقدر الله تعالى عود ملك اليه ولما ولى سبكتكين خراسان اجتمع به ووعده ان يسير معه الجيوش ليرده الى مملكته فمضى الى بلخ ومرض ومات فلما كانت هذه السنة بعد موت فخر الدولة سير شمس المعالي قابوس الاصبهبد شهريار بن شروين الى جبل شهريار وعليه رستم بن المرزبان خال مجد الدولة بن فخر الدولة فاقتتلا فانهزم رستم واستولى اصبهبد على الجبل وخطب لشمس المعالي وكان باتى بن سعيد بناحية الاستنداريه وله ميل الى شمس المعالي فسار الى آمل وبها عسكر لمجد الدولة فطردهم عنها واستولى عليها وخطب لقابوس وكتب اليه بذلك ثم ان أهل جرجان كتبوا الى قابوس يستدعونه فسار اليهم من نيسابور وسار اصبهبد وباتى بن سعيد الى جرجان وبها عسكر لمجد الدولة فالتقوا واقتتلوا فانهزم عسكر مجد الدولة الى جرجان فلما بلغوها صادفوا مقدمة قابوس قد بلغتها فايقنوا بالهلاك وانهزموا من أصحاب قابوس هزيمة ثانية وكانت قرحا على قرح ودخل شمس المعالي جرجان في شعبان من هذه السنة وبلغ المنهزمون الرى فجهزت العساكر من الرى نحو جرجان فساروا وحصروها فغلت الاسعار بالبلد وضاقت الامور بالعسكر أيضا وتوالت عليهم الامطار والرياح فاضطروا الى الرحيل فتبعهم شمس المعالي فلحقهم وواقعهم فاقتتلوا وانهزم عسكر الرى وأسر من أعيانهم جماعة كثيرة وقتل أكثر منهم فاطلق شمس المعالي الاسرى واستولى على تلك الاعمال ما بين جرجان واستراباذ ثم ان الاصبهبد حدث نفسه بالاستقلال والتفرد عن قابوس واغتر بما اجتمع عنده من الاموال والذخائر فسارت اليه العساكر من الرى وعليها المرزبان خال مجد الدولة فهزموا اصبهبد واسروه ونادوا بشعار شمس المعالي لوحشة كانت عند المرزبان من مجد الدولة وكتب الى شمس المعالي بذلك وانضافت مملكة الجبل جميعها الى ممالك جرجان وطبرستان فولاها شمس المعالي ولده منوجهر ففتح الرويان وسالوس وراسل قابوس يمين الدولة محمودا وهاداه وصالحه واتفقا على ذلك

الحنق والغيظ على الوالي ثم قاموا وخرجوا من عنده فتبعهم بعض المتكلمين في بيت الباشا وقال لهم ان الباشا يريد قتل الوالي والمناسب منكم الشفاعة فرجعوا الى الباشا وشفعوا في الوالي وارسل سعيد اغا الوكيل واحضروا له المضروب وأخذ بخاطره وطيب نفسه بكلمات ورجع الجميع كما ذهبوا وظنوا عزل الوالي فلم يعزل (وفيه) رجع المصرلية والعربان وانتشروا باقليم الجيزة حتى وصلوا الى انبابة وضربوها ونهبوها وخرج اهلها على وجوههم وصعدوا الى البر الشرقي وأخذ العسكر في اهبة التشهيل والخروج لمحاربتهم (وفي يوم الجمعة ثانيه) سافر السيد على القبطان الى جهة رشيد وخرج بصحبته جماعة كثيرة من العساكر الذين غنموا الاموال من المنهوبات فاشتروا بضائع وأسبابا ومتاجر ونزلوا بصحبته وتبعهم غيرهم من الذين يريدون الخلاص والخروج من مصر فركب محمد على الى وداع السيد على المذكور ورد كثيرا من العساكر المذكورة ومنعهم من السفر (وفي سادسه) خرج محمد على واكابر العسكر بعساكرهم وعدوا الى بر انبابة ووصلوا ونصبوا وطاقهم وعملوا لهم عدة متاريس وركبوا عليها

❊(ذكر

(ذكر مسير بهاء الدولة الى واسط وما كان منه)

فى هذه السنة عاد ابو على بن اسمعيل الى طاعة بهاء الدولة وهو بواسط فوزر له ودبر أمره واشار عليه بالمسير الى أبى محمد بن مكرم ومن معه من الجند ومساعدتهم ففعل ذلك وسار على كره وضيق فنزل بالقنطرة البيضاء وثبت أبو على بن استاذ هرمز وعسكره وجرى لهم معه وقائع كثيرة وضاق الامر ببهاء الدولة وتعذرت عليه الاقوات فاستمد بدر بن حسنويه فانفذ اليه شيئا قام ببعض ما يريده واشرف بهاء الدولة على الخطر وسعى اعداء أبى على بن اسمعيل به حتى كاد يبطش به فتجدد من امر ابنى بختيار وقتل صمصام الدولة ما يأتى ذكره وأتاه الفرج من حيث لم يحتسب وصلح أمر أبى على عنده واجتمعت الكلمة عليه وسيأتى شرح ذلك ان شاء الله تعالى

(ذكر قتل صمصام الدولة)

فى هذه السنة فى ذى الحجة قتل صمصام الدولة بن عضد الدولة وسبب ذلك أن جماعة كثيرة من الديلم استوحشوا من صمصام الدولة لانه أمر بعرضهم واسقاط من ليس بصحيح النسب فاسقط منهم مقدار الف رجل فبقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون واتفق أن أبا القاسم وأبا نصر ابنى عز الدولة بختيار كانا مقبوضين فخدعا الموكلين بهما فى القلعة فافرجوا عنهما فجمعا لفيفا من الاكراد واتصل خبرهما بالذين اسقطوا من الديلم فاتوهم وقصدوا الى ارجان فاجتمعت عليهما العساكر وتحير صمصام الدولة ولم يكن عنده من يدبره وكان أبو جعفر استاذ هرمز مقيما بنسا فاشار عليه بعض من عنده بتفريق ما عنده من المال فى الرجال والمسير الى صمصام الدولة وأخذه الى عسكره بالاهواز وخوف ان لم يفعل ذلك فشح بالمال فثار به الجند ونهبوا داره وهربوا فاختفى فاخذ وأتى به الى ابنى بختيار فحبس ثم احتال فنجا واما صمصام الدولة فانه اشار عليه اصحابه بالصعود الى القلعة التى على باب شيراز والامتناع بها الى أن يأتى عسكره ومن يمنعه فاراد الصعود اليها فلم يمكنه المستحفظ بها وكان معه ثلثمائة رجل فقالوا له الرأى أننا نأخذك ووالدتك ونسير الى أبى على بن استاذ هرمز واشار بعضهم بقصد الاكراد وأخذهم والتقوى بهم ففعل ذلك وخرج معهم بخزائنه وامواله فنهبوه وأرادوا اخذه فهرب وسار الى الدودمان على مرحلتين من شيراز وعرف أبو نصر بن بختيار الخبر فبادر الى شيراز ووثب رئيس الدودمان واسمه طاهر بصمصام الدولة فاخذه وأتاه ابو نصر ابن بختيار وأخذه منه فقتله فى ذى الحجة فلما حمل رأسه اليه قال هذه سنة سنها أبوك يعنى ما كان من قتل عضد الدولة بختيار وكان عمر صمصام الدولة خمسا وثلاثين سنة وسبعة أشهر ومدة امارته بفارس تسع سنين وثمانية أيام وكان كريما حليما وأما والدته فسلمت الى بعض قواد الديلم فقتلها وبنى عليها دكة فى داره فلما ملك بهاء الدولة فارس اخرجها ودفنها فى تربة بنى بويه

(ذكر هرب ابن الوثاب)

المدافع واستعدوا للحرب فلما كان يوم الاحد حادى عشره كبس المماليك والعربان وقت الغلس على متاريس العسكر وحملوا على متاريس حملة واحدة فقتلوا منهم وهرب من بقى وألقوا بانفسهم فى البحر فاستعد من كان بالمتاريس الاخر وتابعوا رمى المدافع وخرجوا للحرب ووقع بينهم مقتلة عظيمة ابلى فيها الفريقان نحو أربع ساعات ثم انجلت الحرب بينهم وترفع المصرلية والعربان وانكفوا عن بعضهم وفى وقت الظهر أرسلوا سبعة رؤس من الذين قتلوا من المصرلية فى المعركة وشقوا بهم المدينة ثم علقوهم بباب زويلة وفيهم رأس حسين بك الوالى وكاشفين ومنهم حسن كاشف الساكن بحارة عابدين ومملوكان وعلقوا عند رأس حسين بك الوالى المذكور صليبا من جلد زعموا انهم وجدوه معه وأصيب اسمعيل بك صهر ابراهيم بك ومات بعد ذلك ودفن بابى صير (وفى ثانى عشره) حصلت اعجوبة ببيت بالقربية به بغلة تدور بالطاحون فزنقوها بالادارة فاسقطت حملا ليس فيه روح فوضعوه فى مقطف ومروا به من وسط المدينة وذهبوا به الى بيت القاضى وأشيع ذلك بين الناس وعاينوه (وفى يوم السبت سابع عشره) حضر على كاشف المعروف بالشغب

في هذه السنة هرب ابو عبد الله بن جعفر المعروف بابن الوثاب من الاعتقال في دار الخلافة وكان هذا الرجل يقرب بالنسب من الطائع فلما خلع الطائع هرب هذا وصار عند مهذب الدولة فارسل القادر بالله في أمره فاخرج فسار الى المدائن وأتى خبره الى القادر فاخذه وحبسه فهرب هذه السنة ومضى الى كيلان وادعى انه هو الطائع لله وذكر من امور الخلافة ما كان يعرفه وزوجه محمد بن العباس مقدم كيلان وشد منه واقام له الدعوة واطاعه أهل نواح أخر وأدوا اليه العشر على عادتهم وورد من هؤلاء القوم جماعة يحجون فاحضرهم القادر وكشف لهم حاله وكتب على ايديهم كتابا في المعنى فلم يقدح ذلك فيه وكان أهل كيلان يرجعون الى القاضي ابي القاسم بن كج فكوتب من بغداد في المعنى فكشف لهم الامر فاخرجوا أبا عبد الله عنهم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عظم أمر بدر بن حسنويه وعلا شأنه ولقب من ديوان الخليفة ناصر الدين والدولة وكان كثير الصدقات بالحرمين وبكثر الخرج على العرب بطريق مكة ليكفوا عن اذى الحجاج ومنع اصحابه من الفساد وقطع الطريق فعظم محله وسار ذكره وفيها نظر أبو علي بن ابي الريان في الوزارة بواسط وفيها مات ابو القاسم عبد العزيز بن يوسف الحكار

(ثم دخلت سنة تسع وثمانين وثلثمائة)

(ذكر القبض على الامير منصور بن نوح وملك اخيه عبد الملك)

في هذه السنة قبض على الامير منصور بن نوح بن منصور الساماني صاحب بخارا وماوراء النهر وملك أخوه عبد الملك وسبب قبضه ما ذكرناه من قصد محمود بن سبكتكين بكتوزون بخراسان وعوده من نيسابور الى مرو الروذ فلما نزلها سار بكتوزون الى الامير منصور وهو بسرخس فاجتمع به فلم ير من اكرامه وبره ما كان يؤمله فشكا ذلك الى فائق فقابله فائق باضعاف شكواه فاتفقا على خلعه من الملك واقامة اخيه مقامه واجابهما الى ذلك جماعة من اعيان العسكر فاستحضره بكتوزون بعلة الاجتماع لتدبير ما هم بصدده من أمر محمود فلما اجتمعوا به قبضوا عليه وأمر بكتوزون من سمله فاعماه ولم يراقب الله ولا احسانه واليه واقاموا أخاه عبد الملك مقامه في الملك وهو صبي صغير وكانت مدة ولاية منصور سنة وسبعة أشهر وماج الناس بعضهم في بعض وارسل محمود الى فائق وبكتوزون يلومهما ويقبح فعلهما وقويت نفسه على لقائهما وطمع في الاستقلال بالملك فسار عنهما عازما على القتال

(ذكر استيلاء يمين الدولة محمود بن سبكتكين على خراسان)

لما قبض الامير منصور سار محمود نحو فائق وبكتوزون ومعهما عبد الملك بن نوح فلما سمعوا بمسيره ساروا اليه فالتقوا بمرو آخر جمادى الاولى واقتتلوا أشد قتال رآه الناس الى الليل فانهزم بكتوزون وفائق ومن معهما فاما عبد الملك وفائق فانهما لحقا ببخارا

وقصد

وصولا من جهة الالفي ووصل الى جهة البساتين وارسل الى المشايخ يعلمهم بحضوره لبعض اشغال فركب المشايخ الى الباشا واخبروه بذلك فاذن بحضوره فحضر ليلا ودخل الى بيت الشيخ الشرقاوي فلما أصبح النهار اخذ الشيخ ذلك وركب معه المشايخ والسيد عمر النقيب وذهبوا به الى بيت الباشا فوجدوه راكبا في بولاق فانتظروه حصة الى ان حضر فتركوا عنده على كاشف المذكور ورجعوا الى بيوتهم واختلى به الباشا حصة وقابله بالبشر ثم خلع عليه فروة سمور وقدم له مركوبا بعدة كاملة وركب الى بيته وامامه جملة من العسكر مشاة وقدم له محمد على أيضا حصانا (وفيه) شرعوا في عمل شركفلك للعرب بالازبكية (وفي يوم الاثنين تاسع عشره) ورد ططري وعلى يده بشارة للباشا بتقليده ولاية مصر ووصول القابجي الذي معه التقاليد والطوخ الثالث الى رشيد وطوخان لمحمد علي وحسن بك أخي طاهر باشا واحمد بك فضربوا مدافع وذهب المشايخ والاعيان للتهنئة (وفي يوم الثلاثاء) قتل الباشا ثلاثة اشخاص أحدهم رجل سروجي وسبب ذلك ان الرجل السروجي

وقصد بكتوزون نيسابور وقصد ابو القاسم بن سيمجور قهستان فرأى محمود أن يقصد بكتوزون وأبا القاسم ويعجلهما عن الاجتماع والاحتشاد فسار الى طوس فهرب منه بكتوزون الى نواحي جرجان فارسل محمود خلفه اكبر قواده وأمرائه وهو ارسلان الجاذب في عسكر جرار فاتبعه حتى الحقه بجرجان وعاد فاستخلفه محمود على طوس وسار الى هراة فلما علم بكتوزون بمسير محمود عن نيسابور عاد اليها فملكها فقصده محمود فاجفل من بين يديه اجفال الظليم واجتاز بمرو فنهبها وسار عنها الى بخارا واستقر ملك محمود بخراسان فازال عنها اسم السامانية وخطب فيها للقادر بالله وكان الى هذا الوقت لا يخطب له فيها انما كان يخطب للطائع لله واستقل بملكها منفردا وتلك سنة الله تعالى يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء وولي محمود قيادة جيوش خراسان أخاه نصرا وجعله بنيسابور على ما كان يليه آل سيمجور للسامانية وسار هو الى بلخ مستقر والده فاتخذها دار ملك واتفق أصحاب الاطراف بخراسان على طاعته كآل فريغون أصحاب الجوزجان ونحن نذكرهم ان شاء الله تعالى وكالشار الشاه صاحب غرشتان ونحن نذكرهنا أخباره هذا الشار فاعلم ان هذا اللقب وهو الشار لقب كل من يملك بلاد غرشتان ككسرى للفرس وقيصر للروم والنجاشي للحبشة وكان الشار ابو نصر قد اعتزل الملك وسلمه الى ولده الشاه وفيه لوثة وهوج واشتغل والده أبو نصر بالعلوم ومجالسة العلماء ولما عصا ابو علي بن سيمجور على الامير نوح ارسل الى غرشتان من حصرها واجلى عنها الشاه الشار ووالده ابا نصر فقصدا حصنا منيعا في آخر ولايتهما فتحصنا به الى ان جاء سبكتكين الى نصرة الامير نوح فنزلا اليه واعاناه على ابي علي وعادا الى ملكهما فلما ملك الآن يمين الدولة محمود خراسان اطاعاه وخطبا له ثم ان يمين الدولة بعد هذا أراد الغزوة الى الهند فجمع لها وتجهز وكتب الى الشاه الشار يستدعيه ليشهد معه غزوته فامتنع وعصى فلما فرغ من غزوته سير اليه الجيوش ليملكوا بلاده فلما دخلوا البلاد طلب والده أبو نصر الامان فأجيب الى ذلك وحمل الى يمين الدولة فاكرمه واعتذر ابو نصر بعقوق ولده وخلافه عليه فأمره بالمقام بهراة متوسعا عليه الى ان مات سنة اثنتين واربعمائة واما ولده الشاه فانه قصد ذلك الحصن الذي احتمى به على ابي علي فاقام به ومعه أمواله وأصحابه فحصره عسكر يمين الدولة في حصنه ونصبوا عليه المجانيق والحوا عليه بالقتال ليلا ونهارا فانهدمت اسوار حصنه وتسلق العسكر اليه فلما ايقن بالعطب طلب الامان والعسكر يقاتله فلم يزل كذلك حتى أخذ اسيرا وحمل الى يمين الدولة فضرب تاديبا له ثم اودع السجن الى ان مات وكان موته قبل موت والده ورأيت عدة مجلدات من كتاب التهذيب للازهري في اللغة بخطه وعليه ما هذه نسخته يقول محمد بن احمد بن الازهري قرأ علي الشار ابو نصر هذا الجزء من اوله الى آخره وكتبه بيده صح فهذا يدل على اشتغاله وعلمه بالعربية فان من يصحب مثل الازهري ويقرأ كتابه التهذيب يكون فاضلا

(ذكر انقراض دولة السامانية وملك الترك ما وراء النهر)

له أخ اخبر عنه بعض الاجناد المصرلية فارسل لاخيه فاشترى له بعض ثياب وقفا لات وأرسلها مع ذلك الرجل فقبضوا عليه وسالوه فاخبرهم فاحضروا ذلك الرجل المروجي واحضروا أيضا رجلا بيطارا منة وجهها الى بولاق معه مسامير ونعالات فقبضوا عليه واتهموه انه يعدى الى البر الآخر ليعمل لاخصامهم نعالات للخيل فامر الباشا بقتله وقتل المروجي والرجل الذي معه الثياب فقتلوهم ظلما (وفي يوم الاربعاء) حضر القابجي الذي على يده البشرى وهو خازندار الباشا وكان ارسله حين كان بسكندرية ويسمونها القصدة ولم يحضر معه اطواخ ولا غير ذلك فضربوا له شنكا ومدافع (وفيه) خلع الباشا على السيد أحمد المحروقي فروة سمور وأقره على ما هو عليه أمين الضربخانة وشاهبندر وكذلك خلع على جرجس الجوهري واقره باش مباشر الاقباط على ما هو عليه (وفيه) رجع علي كاشف الشغب بجواب الرسالة الى الالفي (وفيه) تحقق الخبر بموت يحيى بك وكان مجروحا من المعركة السابقة (وفي يوم الخميس) عمل الباشا الديوان وحضر المشايخ والوجاقلية وقرؤا المرسوم بحضرة الجمع ومضمونه اننا كنا صفحنا ورضينا عن

في هذه السنة انقرضت دولة آل سامان على يد محمود بن سبكتكين وايلك الخان التركي واسمه ابو نصر احمد بن علي ولقبه شمس الدولة فاما محمود فانه ملك خراسان كما ذكرناه وبقي بيده عبد الملك بن نوح ماوراء النهر فلما انهزم من محمود قصد بخارا واجتمع بها هو وفائق وبكتوزون وغيرهما من الامراء والا كابر فقويت نفوسهم وشرعوا في جمع العساكر وعزموا على العود الى خراسان فاتفق اذ مات فائق وكان موته في شعبان من هذه السنة فلما مات ضعفت نفوسهم ووهنت قوتهم فانه كان هو المشار اليه من بينهم وكان خصيا من موالي نوح بن نصر وبلغ خبرهم الى ايلك الخان فسار في جمع الاتراك الى بخارا واظهر لعبد الملك المودة والموالاة والحمية له فظنوه صادقا ولم يحترسوا منه وخرج اليه بكتوزون وغيره من الامراء والقواد فلما اجتمعوا قبض عليهم وسار حتى دخل بخارا يوم الثلاثاء عاشر ذي القعدة من هذه السنة فلم يدر عبد الملك ما يصنع لقلة عدده فاختفى ونزل ايلك الخان دار الامارة وبث الطلب والعيون على عبد الملك حتى ظفر به فاودعه باوزكند فمات بها وكان آخر ملوك السامانية وانقضت دولتهم على يده كأن لم تغن بالامس كدأب الدول قبلها ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار وحبس معه أخوه أبو الحرث منصور بن نوح الذي كان في الملك قبله وأخواه أبو ابراهيم اسمعيل وأبو يعقوب ابنا نوح واعمامه ابو زكريا وأبو سليمان وغيرهم من آل سامان وافرد كل واحد منهم في حجرة وكانت دولتهم قد انتشرت وطبقت كثيرا من الارض من حدود حلوان الى بلاد الترك بما وراء النهر وكانت من أحسن الدول سيرة وعدلا وهذا عبد الملك هو عبد الملك بن نوح بن منصور بن نوح بن نصر بن أحمد بن اسمعيل كلهم ملكوا وكان منهم من ليس مذكورا في هذا النسب عبد الملك بن نوح بن نصر ملك قبل أخيه منصور بن نوح المذكور وكان منهم ايضا منصور بن نوح بن منصور أخو عبد الملك هذا الاخير الذي زال الملك في ولايته ولي قبله

❁(ذكر ملك بهاء الدولة فارس وخوزستان)❁

في هذه السنة دخل الديلم الذين مع ابي علي بن استاذ هرمز بالاهواز في طاعة بهاء الدولة وكان سبب ذلك ان ابني بختيار لما قتلا صمصام الدولة كما تقدم وملكا بلاد فارس كتبا الى أبي علي بن استاذ هرمز بالخبر ويذكران تعويلهما عليه واعتضادهما به ويأمرانه بأخذ اليمين لهما على من معه من الديلم والمقام بمكانه والجد بمحاربة بهاء الدولة فخافهما ابو علي لما كان أسلفه اليهما من قتل أخويهما وأسرهما فجمع الديلم الذين معه واخبرهم الحال واستشارهم فيما يفعل فاشاروا بطاعة ابني بختيار ومقاتلة بهاء الدولة فلم يوافقهم على ذلك ورأى ان يراسل بهاء الدولة ويستميله ويحالفهم فقالوا انا نخاف الاتراك وقد عرفت ما بيننا وبينهم فسكت عنهم وتفرقوا وراسله بهاء الدولة يستميله ويبذل له وللديلم الامان والاحسان وترددت الرسل وقال بهاء الدولة ان ثاري وثاركم عند من قتل اخي فلا عذر لكم في التخلف عن الاخذ بثاره واستمال الديلم

الامراء المصرية على موجب الشروط التي شرطناها عليهم بشفاعة على باشا والصدر الاعظم نخانوا العهود ونقضوا الشروط وطغوا وبغوا وظلموا وقتلوا الحجاج وغدروا على باشا المولى عليهم وقتلوه ونهبوا امواله ومتاعه فوجهنا عليهم العساكر في ثمانين مركبا بحرية وكذلك احمد باشا الجزار بعساكر برية للانتقام منهم ومن العسكر الموالين لهم فورد الخبير بقيام العساكر عليهم ومحاربتهم لهم وقتلهم واخراجهم فعند ذلك رضينا من العسكر لجبرهم ماوقع منهم من الخلل الاول وصفحنا عنهم صفحا كليا وأطلقنا لهم السفر والاقامة متى شاؤا وأينما أرادوا من غير حرج عليهم وولينا حضرة احمد باشا خورشيد كامل الديار المصرية لما علمنا فيه من حسن التدبير والسياسة ووفور العقل والرآسة الى غير ذلك وعملوا شنكا وحراقة وسواريخ بالازبكية ثلاث ليال ومدافع تضرب في كل وقت من الاوقات الخمسة من القلعة وغيرها (وفيه) تواترت الاخبار بان الامراء القبالي حملوا وحسات وقصدهم التعدية الى البر الشرقي (وفي يوم الاحد خامس عشرينه) عدى الكثير منهم على جهة حلوان وانتقل الكثير من العسكر من بر الجيزة الى بر

فاجابوه الى الدخول فى طاعته وانفذوا جاعة من اعيانهم الى بهاء الدولة فخلفوه واستوثقوا منه وكتبوا الى اصحابهم المقيمين بالسوس بصورة الحال وركب بهاء الدولة من الغد الى باب السوس رجاء ان يخرج من فيه الى طاعته فخرجوا اليه فى السلاح وقاتلوه قتالا شديدا المرء قاتلوا امثاله فضاق صدره فقيل له ان هذه عادة الديلم ان يشتد قتالهم عند الصلح لئلا يظن بهم ثم كفوا عن القتال وارسلوا من يحلفهم ونزلوا الى خدمته واختلط العسكران وساروا الى الاهواز فقرر أبو على بن اسمعيل أمورها وقسم الاقطاعات بين الاتراك والديلم ثم ساروا الى رامهرمز فاستولوا عليها وعلى أرجان وغيرها من بلاد خوزستان وسار أبو على بن اسمعيل الى شيراز فنزل بظاهرها فخرج اليه ابنا بختيار فى أصحابهما فحاربوه فلما اشتدت الحرب مال بعض من معهما اليه ودخل بعض أصحابه البلد ونادوا بشعار بهاء الدولة وكان النقيب ابو أحمد الموسوى بشيراز قد وردها رسولا من بهاء الدولة الى صمصام الدولة فلما قتل صمصام الدولة كان بشيراز فلما سمع النداء بشعار بهاء الدولة ظن ان الفتح قد تم فقصد الجامع وكان يوم الجمعة وأقام الخطبة لبهاء الدولة ثم عاد ابنا بختيار واجتمع اليهما أصحابهما فخاف النقيب فاختفى وحمل فى سلة الى أبى على بن اسمعيل ثم ان أصحاب ابنى بختيار قصدوا أبا على وأطاعوه فاستولى على شيراز وهرب ابنا بختيار فاما أبو نصر فانه لحق ببلاد الديلم وأما الثانى وهو أبو القاسم فلحق ببدر بن حسنويه ثم قصد البطيحة ولما ملك أبو على شيراز كتب الى بهاء الدولة بالفتح فسار اليها ونزلها فلما استقر بها أمر بنهب قرية الدودمان واحراقها وقتل كل من كان بها من أهلهم فاستأصلهم واخرج اخاه صمصام الدولة وجدد أكفانه وحمل الى التربة بشيراز فدفن بها وسير عسكرا مع أبى الفتح استاذ هرمز الى كرمان فملكها وأقام بها نائبا عن بهاء الدولة الى ههنا آخر ما فى ذيل الوزير أبى شجاع رحمه الله

(ذكر مسير باديس الى زناتة)

فى هذه السنة منتصف صفر أمر باديس بن المنصور صاحب افريقية نائبه محمد بن أبى العرب بالتجهز والاستكثار من العساكر والعدد والمسير الى زناتة وسبب ذلك ان عمه يطوفت كتب اليه يعلمه أن زيرى بن عطية الملقب بالقرطاس وقد تقدم ذكره نزل عليه بتاهرت محاصرا فامر محمدا بالتجهز اليه فسار فى عساكر كثيرة حتى وصل الى أشير وبها حماد بن يوسف عم باديس كان قد أقطعه اياها باديس فرحل حماد معه فوصل الى تاهرت واجتمعا بيطوفت وبينهم وبين زيرى بن عطية مرحلتان فزحفوا اليه فكانت بينهم حروب عظيمة وكان أكثر عسكر حماد يكرهونه لقلة عطائه فلما اشتد القتال انهزموا فتبعهم جميع العسكر فاراد محمد بن أبى العرب أن يرد الناس فلم يقدر على ذلك وعمت الهزيمة وملك زيرى بن عطية مالهم وعددهم ورجعت العساكر الى أشير وبلغ خبر الهزيمة الى باديس فرحل فلما قارب طبنة بعث فى طلب فلفل بن سعيد

مصر فخاف أهل المطرية وقليوبها وخلوا عنها وهربوا الى البلاد وحضر كثير منهم الى مصر خوفا من وصول القبالى (وفى يوم الخميس حادى عشرينه ٣) سافر الشيخ الشرقاوى الى مولد سيدى أحمد البدوى واقتدى به كثير من العامة وسخاف العقول وكان المحروقى وجرجس الجوهرى مسافرين ايضا وشهلوا احتياجاتهم واستأذنوا الباشا فاذن لهم فلما تبين لهم تعدية المصرلية الى الجهة الشرقية امتنعوا من السفر ولم يمتنع الشيخ الشرقاوى ومن تابعه (وفى يوم الثلاثاء سابع عشرينه) وصل فريق منهم الى جهة قبة باب النصر والعادلية من خلف الجبل ورمحوا خلف باب النصر من خارج وباب الفتوح ونواحى الشيخ قمر والدمرداش ونهبوا الوايلى وما جاوره وعبروا الدور وعروا النساء واخذوا دوابهم وغلالهم وزروعهم وخرج أهل تلك القرى على وجوههم ومعهم بعض شوالى وقصاع ودخل الكثير منهم الى مصر (وفى يوم الاربعاء) جمع الباشا ومحمد على العسكر واتفقوا على الخروج والمحاربة وأخرجوا المدافع والشر كفلكات الى خارج باب النصر وشرعوا فى عمل متاريس وفى آخر النهار ترفع المصرلية والعرب وتفرقوا فى اقليم الشرقية

فخاف فارسل يعتذر اليه وطلب عهدا باقطاع مدينة طبنة فكتب له وسار باديس فلما ابعد قصد فلفل مدينة طبنة وغلب على ما حولها وقصد باغاية فحصرها وباديس سائر الى أشير فلما سمع زيري بن عطية بانه قد قرب منه رحل الى تاهرت فقصده باديس فسار زيري الى الغرب فلما سمع باديس برحيله استعمل عمه يطوفت على أشير واعطاه أموالا وعددا وعاد الى أشير فبلغه ما فعل فلفل بن سعيد فارسل اليه العساكر وبقي يطوفت ومعه اعمامه واولاد اعمامه فلما ابعد عنهم باديس عصوا وخالفوا عليه منهم ماكسن وزاوي وغيرهما وقبضوا على يطوفت واخذوا جميع ما معه من المال فهرب من ايديهم وعاد الى باديس وأما فلفل بن سعيد فانه لما وصل اليه العسكر المسير الى قتاله لقيهم وقاتلهم وهزمهم وقتل فيهم وسار يطلب القيروان فسار عند ذلك باديس الى باغاية فلقيه أهلها فعرفوه ما قاسوه من قتال فلفل وأنه حصرهم خمسة واربعين يوما فشكرهم ووعدهم الاحسان وسار يطلب فلفلا فوصل الى مرمجنة وسار فلفل اليه في جمع كثير من البربر وزناتة ومعه كل من في نفسه حقد على باديس وأهل بيته فالتقوا بوادي اغلان وكان بينهم حرب عظيمة لم يسمع بمثلها وطال القتال بينهم وصبر الفريقان ثم انزل الله تعالى نصره على باديس وصنهاجة وانهزم البربر وزناتة هزيمة قبيحة وانهزم فلفل فابعد في الهزيمة وقتل من زويلة تسعة آلاف قتيل سوى من قتل من البربر وعاد باديس الى قصره وفرح أهل القيروان لانهم خافوا أن يأتيهم فلفل ثم ان عمومة باديس اتصلوا بفلفل وصاروا معه على باديس فلما سمع باديس بذلك سار اليهم فلما وصل قصر الافريقي وصله ان عمومته فارقوا فلفلا ولم يبق معه سوى ماكسن بن زيري وذلك أول سنة تسعين وثلثمائة

(ذكر ملك الحاكم طرابلس الغرب وعودها الى باديس)

كان لباديس نائب بطرابلس الغرب فكاتب الحاكم بامر الله بمصر وطلب ان يسلم اليه طرابلس ويلتحق به فارسل اليه الحاكم يانس الصقلي وكان خصيصا بالحاكم وهو المتولي لبلاد برقة فوصل يانس وتسلم طرابلس واقام بها وذلك سنة تسعين فارسل باديس الى يانس يساله عن سبب وصوله الى طرابلس وقال له ان كان الحاكم استعملك عليها فارسل العهد لاقف عليه فقال يانس انما ارسلني معينا ونجدة ان احتيج الى ومثلي لا يطالب منه عهد بولاية محل من دولة الحاكم فسير اليه جيشا فلقيهم يانس خارج طرابلس فقتل في المعركة وانهزم اصحابه ودخلوا طرابلس فتحصنوا بها وكان قد قتل منهم في المعركة كثير ونزل عليهم الجيش وحصرهم وأرسلوا الى الحاكم يستمدونه فجهز جيشا عليهم يحيي بن علي الاندلسي وسيرهم الى طرابلس واطلق لهم مالا على برقة فلم يجد يحيي فيها مالا فاختلت حاله فسار الى فلفل وكان قد دخل الى طرابلس واستولى عليها فاقام معه فيها واستوطنها من ذلك الوقت وسنذكر باقي خبرهم سنة ثلاث وتسعين وفي سنة احدى وتسعين سار ماكسن بن زيري عم ابي باديس الى

والقليوبية وهم يسعون في الفساد ويهلكون الحصاد فاوجدوه مدروسا من البيادر أخذوه أو قائما على ساقه زرعوه أو غير مدروس أحرقوه أو كان من المتاع نهبوه أو من المواشي ذبحوه وأكلوه وذهب منهم طائفة الى بلبيس فحاصروا بها كاشف الشرقية يومين ونقبوا عليه الحيطان حتى غلبوه وقتلوا من معه من العسكر وأخذوه أسيرا ومعه اثنان من كبار العسكر ثم نهبوا البلد وقتلوا من أهلها نحو المائتين وحضر ابو طويلة شيخ العائذ عند الامراء ولامهم وكلهم على هذا النهب وقال لهم هذه الزروعات غالبها للعرب والذي زرعه الفلاح في بلاد الشرق شركة مع العرب وان هبود العرب المصاحبين لكم ليس لهم رأس مال في ذلك فكفوهم وامنعوهم ويأتيكم كفايتكم وأما النهب فانه يذهب هدرا فلما سمع كبار العرب المصاحبين لهم من المنادي وغيرهم قوله هبود العرب اغتاظوا منه وكادوا يقتلونه ووقع بين العربان منافسة واختلاف وكذلك حصروا كاشف القليوبية فدخل بمن معه جامع قليوب وتترس به وحارب ثلاث ليال وأصيب كثير من العساكر بين له ثم تركوه ففر بمن بقي معه الى البحر ونزل في قارب وحضر الى مصر وأخذوا احملته ومتاعه

أشيرو بها ابن أخيه حماد بن يوسف بلكين فكان بينهما حروب شديدة قتل فيها ماكسن واولاده محسن و باديس وحباسة وتوفى زيرى بن عطية بعد قتل ماكسن بتسعة أيام

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عاشر ربيع الاول انقض كوكب عظيم ضحوة نهار وفيها عمل اهل باب البصرة يوم السادس والعشرين من ذي الحجة زينة عظيمة وفرحا كثيرا وكذلك عملوا ثامن عشر المحرم مثل ما يعمل الشيعة في عاشوراء وسبب ذلك ان الشيعة بالكرخ كانوا ينصبون القباب وتعلق الثياب للزينة اليوم الثامن عشر من ذي الحجة وهو يوم الغدير وكانوا يعملون يوم عاشوراء من المآتم والنوح واظهار الحزن ما هو مشهور فعمل أهل باب البصرة في مقابل ذلك بعد يوم الغدير بثمانية أيام مثلهم وقالوا هو يوم دخل النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه الغار وعملوا بعد عاشوراء بثمانية ايام مثل ما يعملون يوم عاشوراء وقالوا هو يوم قتل مصعب بن الزبير وتوفي هذه السنة أحمد بن محمد بن عيسى ابو محمد السرخسي المقرى الفقيه الشافعي وهو من أصحاب ابي اسحق المروزي وله رواية الحديث أيضا وكان شيخ خراسان في زمانه وقرأ القرآن على ابن مجاهد والادب على ابن الانبري ومات وله ست وتسعون سنة وعبيد الله ابن محمد بن اسحق بن سليمان أبو القاسم البزاز المعروف بابن حبابة وكان شيخ الحنابلة في زمانه

(ثم دخلت سنة تسعين وثلثمائة)

(ذكر خروج اسمعيل بن نوح وما جرى له بخراسان)

في هذه السنة خرج ابو ابراهيم اسمعيل بن نوح من محبسه وكان قد حبسه ايلك الخان لما ملك بخارا مع جماعة من أهله وسبب خلاصه انه كان تأتيه جارية تخدمه وتتعرف احواله فلبس ما كان عليها وخرج فظنه الموكلون الجارية فلما خرج استخفى عند عجوز من اهل بخارا فلما سكن الطلب عنه سار من بخارا الى خوارزم وتلقب المنتصر واجتمع اليه بقايا القواد السامانية والاجناد فكثف جمعه وسير قائدا من أصحابه في عسكر الى بخارا فبيت من بها من اصحاب ايلك الخان فهزمهم وقتل منهم وكبس جماعة من أعيانهم مثل جعفر تكين وغيره وتبع المنهزمين نحو ايلك الخان الى حدود سمرقند فلقي هناك عسكرا جرارا جعلهم ايلك الخان يحفظون سمرقند فانضاف اليهم المنهزمون ولقوا عسكر المنتصر فانهزموا ايضا عسكر ايلك الخان وتبعهم عسكر المنتصر فغنموا اثقالهم فصلحت أحوالهم بها وعادوا الى بخارا فاستبشر أهلها بعود السامانية ثم ان ايلك جمع الترك وقصد بخارا فانحاز من بها من السامانية وعبروا النهر الى آمل الشط فضاقت عليهم فساروا هم والمنتصر نحو ابيورد فملكها وجبوا أموالها وساروا نحو نيسابور وبها منصور بن سبكتكين نائبا عن أخيه محمود فالتقوا قريب نيسابور في ربيع الآخر فاقتتلوا فانهزم منصور وأصحابه وقصدوا هراة وملك المنتصر نيسابور

وجبخاناته وطلبوا مشايخ النواحي مثل شيخ الزوامل والعائد وقليوب والزموهم بالكلف وفردوا على القرى الفرد والكلف الشاقة مثل ألف ريال والفين وثلاثة وعينوا بطلبها العرب وعينوا لهم خدما وحق طرق خلاف المقرر عشرين ألف فضة وأزيد ومن استعظم شيئا من ذلك أو عصى عليهم حاربوا القرية ونهبوها وسبوا نساءها وقتلوا أهلها وحرقوا جرونهم وقل الواردون الى المدينة بالغلال وغيرها فقلت من الرقع وازدحم الناس على ما يوجد من القليل فيها واحتاج العسكر الى الغلال لاخبازهم لانهم لم يكن عندهم شيء مدخر فاخذوا ما وجدوه في العرصات فزاد الكرب ومنعوا من يشترى زيادة على ربع من الكيل ولا يدركه الا بعد مشقة بستين نصفا واذا احضر البعض من الناس غلة من فرزعته القريبة لا يمكنه ايصالها الى داره الا بالحجوزة والمصانعة والمغرم اقلقات الابواب واتباعهم فيحجزون ما يرونه داخل البلد من الغلة متعللين بانهم يريدون وضعها في العرصات القريبة منهم فيعطونها للفقراء بالبيع فيعطونهم دراهم ويطلقونهم (وفي أواخره) طلبوا واجلة إ كياس لنفقة العسكر فوزعوا

وكثر جمعه وبلغ يمين الدولة الخبر فسار مجدا نحو نيسابور فلما قارب ها سار عنها المنتصر الى اسفرايين فلما أزعجه الطلب سار نحو شمس المعالى قابوس بن وشمكير ملتجئا اليه ومستكثرا به فأكرم مورده وحمل اليه شيئا كثيرا وأشار على المنتصر بقصد الرى اذ كانت الحرب بها من يذب عنها لاشتغال أصحابها باختلافهم ووعده بان ينجده بعسكر جرار مع أولاده فقبل مشورته وسار نحو الرى فنازلها فضعف من بها عن مقاومته الا انهم حفظوا البلد منه ودسوا الى أعيان عسكره كأبى القاسم بن سيمجور وغيره وبذلوا لهم الاموال ليردوه عنهم ففعلوا ذلك وصغروا أمر الرى عنده وحسنوا له العود الى خراسان فسار نحو الدامغان وعاد عنه عسكر قابوس ووصل المنتصر الى نيسابور فى آخر شوال سنة احدى وتسعين وثلثمائة فجبى له الاموال بها فأرسل اليه يمين الدولة جيشا فلقوه فانهزم المنتصر وسار نحو ابيورد وقصد جرجان فرده شمس المعالى عنها فقصد سرخس وجبى أموالها وسكنها فسار اليه منصور بن سبكتكين من نيسابور فالتقوا بظاهر سرخس واقتتلوا فانهزم المنتصر وأصحابه وأسر أبو القاسم على بن محمد بن سيمجور وجماعة من أعيان عسكره وحملوا الى المنصور فسيرهم الى غزنة وذلك فى ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين وسار المنتصر تائها حتى وافى الاتراك الغزية ولهم ميل الى آل سامان فحركتهم الحمية واجتمعوا معه وساروا بهم نحو ايلك الخان وكان ذلك فى شوال سنة ثلاث وتسعين فلقيهم ايلك بنواحى سمرقند فهزموه واستولوا على أمواله وسواده وأسروا جماعة من قواده وعادوا الى أوطانهم واجتمعوا على اطلاق الاسرى تقربا الى ايلك الخان بذلك فعلم المنتصر فاختار من أصحابه جماعة يثق بهم وسار بهم فعبر النهر ونزل بآمل الشط فلم يقبله مكان وكلما قصد مكانا رده اهله خوفا من معرته فعاد وعبر النهر الى بخارا وطلب واليها لايلك الخان فلقيه واقتتلوا فانهزم المنتصر الى دبوسية وجمع بها ثم عاودهم فهزمهم وخرج اليه خلق كثير من فتيان سمرقند وصاروا فى جملته وحمل له اهلها مالا وغيره والآلات والثياب والدواب وغير ذلك فلما سمع ايلك الخان بحاله جمع الاتراك وسار اليه فى قضه وقضيضه والتقوا بنواحى سمرقند واشتدت الحرب بينهم فانهزم ايلك الخان وكان ذلك فى شعبان سنة اربع وتسعين وغنموا أمواله ودوابه وعاد ايلك الخان الى بلاد الترك فجمع وحشد وعاد الى المنتصر فوافق عوده تراجع الغزية الذين كانوا مع المنتصر الى اوطانهم وقد زحف جمعه فاقتتلوا بنواحى اسروشنة فانهزم المنتصر واكثر الترك فى اصحابه القتل وسار المنتصر منهزما حتى عبر النهر وسار الى الجوزجان فنهب أموالها وسار يطلب مرو فسير يمين الدولة العساكر ففارق مكانه وساروهم فى اثره حتى أتى بسطام فارسل اليه قابوس عسكرا أزعجه عنها فلما ضاقت عليه المذاهب عاد الى ماوراء النهر فعبر أصحابه وقد ضجروا وسئموا من السهر والتعب والخوف ففارقه كثير منهم الى بعض اصحاب ايلك الخان فاعلموهم بمكانه فلم يشعر المنتصر الا وقد أحاطت به الخيل من كل جانب فطاردهم ساعة ثم ولاهم الدبر وسار فنزل بحلة من العرب فى طاعة يمين الدولة وكان يمين الدولة قد أوصاهم بطلبه فلما رأوه أمهلوه حتى أظلم الليل

البناء وميا سير التجار والمتزمين وطلبوا ايضا مال الجهات والتحرير وباقى مسميات المظالم عن سنة تاريخه معجلة (وفى يوم الخميس تاسع عشرينه) خرج الكثير من العسكر ورتبوا انفسهم ثلاث فرق فى ثلاث جهات ووردوا الخيول الا القليل ووقع بينهم مناوشات قتل فيها أنفار من الفريقين

(شهر صفر الخير سنة ١٢١٩)

استهل بيوم الجمعة (فيه) نادوا على الفلاحين والخدامين البطالين بالخروج من مصر وكل من وجد بعد ثلاثة ايام وليس بيده ورقة من سيده يستاهل الذى يجرى عليه (وفى ثانيه) طاف الاعوان وجمعوا عدة من الناس البطالين وغيرهم ليسخروهم فى عمل المتاريس وجر المدافع (وفى خامسه) قبض الوالى على شخص يشترى طربوشا عتيقا من سوق العصر بسويقة لاجين واتهمه انه يشترى الطرابيش للاخصام من غير حجة ولا بيان ورمى رقبته عند باب الخرق ظلما (وفى سابعه) نزل الارنؤد من القلعة وتسلمها الباشا وطلع اليها وضربوا لطلوعه عدة مدافع ورجع الى داره آخر النهار (وفيه) أشيع قدوم سليمان بك الى كرجا ووصوله الى بنى سويف رق

ثم وثبوا عليه فاخذوه وقتلوه وكان ذلك شاعة أمره وانما أوردت حادثة هذه السنة لترد متتابعة فلو تفرقت فى السنين لم تعلم على هذه الصورة لقلتها

(ذكر محاصرة يمين الدولة سجستان)

فى هذه السنة سار يمين الدولة الى سجستان وصاحبها خلف بن احمد فحصره بها وكان سبب ذلك ان يمين الدولة لما اشتغل بالحروب التى ذكرناها سير خلف بن احمد ابنه طاهرا الى قهستان فملكها ثم سار منها الى بوشنج فملكها وكانت هى وهراة لبغراجق عم يمين الدولة فلما فرغ يمين الدولة من تلك الحروب استاذنه عمه فى اخراج طاهر بن خلف من ولايته فاذن له فى ذلك فسار اليه فلقيه طاهر بنواحى بوشنج فاقتتلوا فانهزم طاهر وتبع بغراجق فى طلبه فعطف عليه طاهر فقتله ونزل اليه واخذ رأسه فلما سمع يمين الدولة بقتل عمه عظم عليه وكبر لديه وجمع عساكره وسار نحو خلف بن احمد فتحصن منه خلف بحصن اصبهبذوه وحصن يناطح النجوم علوا وارتفاعا فحصره فيه وضيق عليه فذل وخضع وبذل أموالا جليلة لينفس عن خناقه فاجابه يمين الدولة الى ذلك وأخذ رهنه على المال

(ذكر قتل ابن بختيار بكرمان واستيلاء بهاء الدولة عليها)

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة قتل الامير أبو نصر بن بختيار الذى كان قد استولى على بلاد فارس وسبب قتله انه لما انهزم من عسكر بهاء الدولة بشيراز سار الى بلاد الديلم وكاتب الديلم بفارس وكرمان من هناك يستميلهم وكاتبوه واستدعوه فسار الى بلاد فارس واجتمع عليه جمع كثير من الزط والديلم والاتراك وتردد فى تلك النواحى ثم سار الى كرمان فلم يقبله الديلم الذين بها وكان المقدم عليهم أبو جعفر بن استاذ هرمز فجمع وقصد اباجعفر فالتقيا فانهزم ابوجعفر الى السيرجان ومضى ابن بختيار الى جيرفت فملكها وملك اكثر كرمان فعظم الامر على بهاء الدولة فسير اليه الموفق على بن اسمعيل فى جيش كثير وسار مجدا حتى اطل على جيرفت فاستأمن اليه من بها من أصحاب ابن بختيار ودخلها فانكر عليه من معه من القواد سرعة سيره وخوفوه عاقبة ذلك فلم يصغ اليهم وسال عن حال ابن بختيار فاخبر انه على ثمانية فراسخ من جيرفت فاختار ثلثمائة رجل من شجعان اصحابه وسار بهم وترك الباقين مع السواد بجيرفت فلما بلغ ذلك المكان لم يجده ودل عليه فلم يزل يتبعه من منزل الى منزل حتى لحقه بدارزين فسار ليلا وقدر وصوله اليه عند الصبح فادركه فركب ابن بختيار واقتتلوا قتالا شديدا وسار الموفق فى نفر من غلمانه فاتى ابن بختيار من ورائه فانهزم ابن بختيار واصحابه ووضع فيهم السيف فقتل منهم الخلق الكثير وغدر بابن بختيار بعض اصحابه وضربه بلت فالقاه وعاد الى الموفق ليخبره بقتله فارسل معه من ينظر اليه فرآه وقد قتله غيره وحمل رأسه الى الموفق واكثر الموفق القتل فى اصحاب ابن بختيار واستولى على بلاد كرمان واستعمل عليها أبا موسى سياهجيل وعاد الى بهاء الدولة فخرج بنفسه ولقيه واكرمه

عقيبه الالفى الصغير أيضا (وفيه) هجم طائفة من الخيالة فى طلوع الفجر على المذبح السلطانى واخذوا ثورين أحدهما من المذبح والآخر من بعض الغيطان وهرب الجزارون (وفى يوم السبت تاسعه) طلع الباشا الى القلعة وسكن بها وضربوا له عدة مدافع (وفيه) حضر كاشف الشرقية المقبوض عليه ببلبيس ومعه اثنان وقد أفرج عنهم الامراء المصرلية وأطلقوهم فلما وصلوا الى الباشا خلع عليهم وألبسهم فراوى جبرا لخاطرهم (وفيه) وصل الخبر بوقوع حرب بين العسكر والمصرلية والعربان وحضر عدة جرحى وكانت الواقعة عند الخصوص وبهتيم وجلا أهل تلك القرى وخرجوا منها وحضروا الى مصر باولادهم وقصاعهم فلم يجدوا لهم ماوى ونزل الكثير منهم بالرميلة (وفيه) حضر اناس من الذين ذهبوا الى مولد السيد البدوى وفيهم عرايا ومجاريح وقتلى وقد وقفت لهم العرب وقطعت عليهم الطرق فتفرقوا فرقا فى البر والبحر وحصر العرب طائفة كبيرة منهم بالقرطيين وحصل لهم ما الاخير فيه واما الشيخ الشرقاوى فانه ذهب الى المحلة الكبيرة وأقام بها أياما ثم ذهب مشرقا الى بلده القرين (وفيه) حضر مصطفى اغا الارنؤدى هجانا برسالة

وعظمه ثم قبض عليه بعد أيام ومن أعجب ما يذكر أن الموفق أخبره منجم انه يقتل ابن بختيار يوم الاثنين فلما كان قبل الاثنين بخمسة أيام قال للمنجم قد بقي خمسة ايام وليس لنا علم به فقال له المنجم ان لم تقتله فاقتلني عوضه والا فاحسن الي فلما كان يوم الاثنين أدركه وقتله واحسن الى المنجم احسانا كثيرا

(ذكر القبض على الموفق أبي علي بن اسمعيل)

قد ذكرنا مسيره الى قتال ابن بختيار وقتله ابن بختيار فلما عاد اكرمه بهاء الدولة ولقيه بنفسه فاستعفى الموفق من الخدمة فلم يعفه بهاء الدولة فالح كل واحد منهما فاشار أبو محمد بن مكرم على الموفق بترك ذلك فلم يقبل فقبض عليه بهاء الدولة واخذ امواله وكتب الى وزيره سابور ببغداد بالقبض على انساب الموفق فعرفهم ذلك سرا فاحتالوا لنفوسهم وهربوا واستعمل بهاء الدولة أبا محمد بن مكرم على عمان ثم ان بهاء الدولة قتل الموفق سنة أربع وتسعين وثلثمائة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة استعمل بهاء الدولة أبا علي الحسن بن استاذ هرمز على خوزستان وكانت قد فسدت احوالها بولاية أبي جعفر الحجاج لها ومصادرته لاهلها فعمرها أبو علي ولقبه بهاء الدولة عميد الجيوش وحمل الى بهاء الدولة منها اموالا جليلة مع حسن سيرة في اهلها وعدل وفيها ظهر في سجستان معدن الذهب فكانوا يحفرون التراب ويخرجون منه الذهب الاحمر وفيها توفي الشريف أبو الحسن محمد بن عمر العلوي ودفن بالكرخ وعمره خمس وسبعون سنة وهو مشهور بكثرة المال والعقار والقاضي أبو الحسن ابن قاضي القضاة أبي محمد بن معروف والقاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا المعروف بابن طرار الجريري بفتح الجيم منسوب الى محمد بن جرير الطبري لانه كان يتفقه على مذهبه وكان عالما بفنون العلوم كثير الرواية والتصنيف فيها

(ثم دخلت سنة احدى وتسعين وثلثمائة)

(ذكر قتل المقلد وولاية ابنه قرواش)

في هذه السنة قتل حسام الدولة المقلد بن المسيب العقيلي غيلة قتله مماليك له ترك وكان سبب قتله ان هؤلاء الغلمان كانوا قد هربوا منه فتبعهم وظفر بهم وقتل منهم وقطع وأعاد الباقين فخافوه على نفوسهم فاغتنم بعضهم غفلته وقتله بالانبار وكان قد عظم امره وراسل وجوه العساكر ببغداد وأراد التغلب على الملك فاتاه الله من حيث لا يشعر ولما قتل كان ولده الاكبر قرواش غائبا وكانت أمواله وخزائنه بالانبار فخاف نائبه عبد الله بن ابراهيم بن شهرويه بادرة الجند فراسل أبا منصور بن قراد اللديد وكان بالسندية فاستدعاه اليه وقال له أنا اجعل بينك وبين قرواش عهدا وازوجه ابنتك واقاسمك على ما خلفه أبوه وتساعده على عمه الحسن ان قصده وطمع فيه فاجابه الى ذلك وحمى الخزائن والبلد وأرسل عبد الله الى قرواش يحثه على الوصول فوصل

في ضد الالفي وفيها طلب اتباعه الذين بمصر فلم يأذنوا في الذهاب اليه واحتجوا بعدم تحقق صداقته للعثمانية (وفيه) ورد الخبر بتوجه سليمان بك الخازندار حاكم جرجا الى جهة بحري وانه وصل الى بني سويف وان الالفي الصغير في اثره بحري منية ابن خصيب والالفي الكبير مستقر باسيوط يقبض في الاموال الديوانية والغلال وأشيع صلحه مع عشيرته سرا وظاهر خلاف ذلك مع العثمانية (وفي يوم الاحد عاشره) أحضروا جماعة من الوجاقلية عند كتخدا الباشا فلما استقروا في الجلوس كلموهم وطلبوا منهم سلفة وحبسوا رضوان كاشف الذي بباب الشعرية وطلبوا منه عشرين كيسا وكذلك طلبوا من باقي الاعيان مثل مصطفى أغا الوكيل وحسن أغا محرم ومحمد افندي سليم وابراهيم كتخدا الرزاز وخلافهم مبالغ مختلفة المقادير وعملوا على الاقباط ألف كيس وحلف الباشا انها لا تنقص عن ذلك وفردوا على البنادر مثل دمياط ورشيد وفوه ودمنهور والمنصورة وخلافها مبالغ أكياس ما بين ثمانين كيسا ومائة كيس وخمسين كيسا وغير ذلك لنفقة العسكر وأحضر الباشا الروزنامجي واتهمه في التقصير (وفي يوم الاثنين)

وقاسمه

وقاسمه على المال واقام قراد عنده ثم ان الحسن بن المسيب جمع مشايخ عقيل وشكا
قرواش اليهم وما صنع مع قراد فقالوا له خوفه منك حمله على ذلك فبذل من نفسه الموافقة
له والوقوف عند رضاه وسفر المشايخ بينهما فاصطلحا واتفقا على ان يسير الحسن الى
قرواش شبه المحارب ويخرج هو وقراد لقتاله فاذا التقى بعضهم ببعض عادوا جميعا على
قراد فاخذوه فسار الحسن وخرج قرواش وقراد لقتاله فلما تراءى الجمعان جاء بعض
اصحاب قراد اليه فاعلمه الحال فهرب على فرس له وتبعه قرواش والحسن فلم يدركاه وعاد
قرواش الى بيت قراد فاخذ ما فيه من الاموال التي اخذها من قرواش وهي بحالها
وسار قرواش الى الكوفة فاوقع بخفاجة عندها وقعة عظيمة فساروا بعدها الى الشام
فاقاموا هناك حتى احضرهم ابو جعفر الحجاج على ما نذكره ان شاء الله

ذكر البيعة لولي العهد

في هذه السنة في ربيع الاول امر القادر بالله بالبيعة لولده ابي الفضل بولاية العهد
واحضر حجاج خراسان واعلمهم ذلك ولقبه الغالب بالله وكان سبب البيعة له ان
ابا عبد الله بن عثمان الواثقي من ولد الواثق بالله امير المؤمنين كان من اهل نصيبين
فقصد بغداد ثم سار عنها الى خراسان وعبر النهر الى هرون بن ايلك بغرا خاقان وصحبه
الفقيه ابو الفضل التميمي واظهر انه رسول من الخليفة الى هرون يامره بالبيعة لهذا
الواثقي فانه ولي عهد فاجابه خاقان الى ذلك وبايع له وخطب له ببلاده ونفق عليه
وبلغ ذلك القادر بالله فعظم عليه وراسل خاقان في معناه فلم يصغ الى رسالته فلما توفي
هرون خاقان وولي بعده احمد قراخاقان كاتبه الخليفة في معناه فامر بابعاده فحينئذ
بايع الخليفة لولده بولاية العهد واما الواثقي فانه خرج من عند احمد قراخاقان وقصد
بغداد فعرف بها وطلب فهرب منها الى البصرة ثم الى فارس وكرمان ثم الى بلاد الترك
فلم يتم له ما اراد وراسل الخليفة الملوك يطلبه فضاقت عليه الارض وسار الى خوارزم
واقام بها ثم فارقها فاخذه يمين الدولة محمود بن سبكتكين فحبسه في قلعة الى ان
توفي بها

ذكر استيلاء طاهر بن خلف على كرمان وعوده عنها

في هذه السنة سار طاهر بن خلف بن احمد صاحب سجستان الى كرمان طالبا ملكها
وكان سبب مسيره اليها انه كان قد خرج عن طاعة ابيه وجرى بينهما حروب كان الظفر
فيها لابيه ففارق سجستان وسار الى كرمان وبها عساكر بهاء الدولة وهي له على
ما ذكرناه فاجتمع من بها من العساكر الى المقدم عليهم ومتولي امر البلد وهو ابو موسى
سياهجيل فقالوا له ان هذا الرجل قد وصل وهو ضعيف والرأي ان تبادره قبل ان
يقوى امره ويكثر جمعه فلم يفعل واستهان به فكثر جمع طاهر وصعد الى الجبال
وبها قوم من العصاة على السلطان فاحتمى بهم وقوي فنزل الى جيرفت فملكها وملك
غيرها وقوي طمعه في الباقي فقصده ابو موسى والديلم فهزمهم واخذ بعض ما بقي

والمتنسب الى بيت الست نفيسة زوجا
مرادبك وطلبها فركبت
معهما وصحبتها امرأتان
فطلعا بهن الى القلعة وكذلك
ارسلوا بالتفتيش على باقي
نساء الامراء فاختفى غالبهن
وقبضوا على بعضهن وذلك
كله بعد عصر ذلك اليوم فلما
حصلت الست نفيسة بين
يديه قام اليها واجلها ثم امرها
بالجلوس وقال لها على طريق
اللوم يصح ان جاريتك منور
تتكلم مع صادق اغا وتقول
له يسعى في امر المماليك العصاة
ونلتزم له بالمكسور من
جامكية العسكر فاجابته ان
ثبت ان جاريتي قالت ذلك
فانا المأخوذة به دونها فاخرج
من جيبه ورقة وقال لها وهذه
واشار الى الورقة فقالت وما
هذه الورقة ارنيها فاني اعرف
ان اقرأ لانظر ما هي فادخلها
ثانيا في جيبه ثم قالت له انا
بطول ما عشت بمصر وقدري
معلوم عند الاكابر وخلافهم
والسلطان ورجال الدولة
وحريمهم يعرفوني اكثر من
معرفتي بك ولقد مرت بنا
دولة الفرنسيس الذين هم
اعداء الدين فما رأيت منهم
الا التكريم وكذلك سيدي
محمد باشا كان يعرفني ويعرف
قدري ولم نر منه الا المعروف
واما انت فلم توافق فعلك
فعل اهل دولتك ولا غيرهم فقال ولكن ايضا لا تفعلي غ

بايديهم فكاتبوا بهاء الدولة فسير اليهم جيشا عليهم ابو جعفر بن استاذهرمز فسار الى كرمان وقصدهم وبها طاهر فجرى بين طلائع العسكرين حرب وعاد طاهر الى سجستان وفارق كرمان فلما بلغ سجستان اطلق الماسورين ودعاهم الى قتال ابيه معه وحلف لهم انهم اذا نصروه وقاتلوا معه اطلقهم ففعلوا ذلك وقاتل اباه فهزمه وملك طاهر البلاد ودخل ابوه الى حصن له منيع فاحتمى به واحب الناس طاهرا لحسن سيرته وسوء سيرة والده واطلق طاهر الديلم ثم ان اباه راسل أصحابه ليفسدهم عليه فلم يفعلوا فعدل الى مخادعته وراسله يظهر له الندم على ما كان منه ويستميله بانه ليس له ولد غيره وانه يخاف ان يموت فيملك بلاده غير ولده ثم استدعاه اليه جريدة ليجتمع به ويعرفه احواله فتواعدا تحت قلعة خلف فاتاه ابنه جريدة ونزل هو اليه كذلك وكان قد كمن بالقرب منه كمينا فلما لقيه اعتنقه وبكى خلف وصاح في بكائه فخرج الكمين وأسروا طاهرا فقتله أبوه بيده وغسله ودفنه ولم يكن له ولد غيره فلما قتل طمع الناس في خلف لانهم كانوا يخافون ابنه لشهامته وقصده حينئذ محمود بن سبكتكين فملك بلاده على ما نذكره واما العتبي فذكر في سبب فتحها غير هذا وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة ثار الاتراك ببغداد بنائب السلطان وهو أبو نصر سابور فهرب منهم ووقعت الفتنة بين الاتراك والعامة من أهل الكرخ وقتل بينهم قتلى كثيرة ثم ان اهل السنة من أهل بغداد ساعدوا الاتراك على اهل الكرخ فضعفوا عن الجميع فسعى الاشراف في اصلاح الحال فسكنت الفتنة وفيها ولد الامير أبو جعفر عبد الله ابن القادر وهو القائم بامر الله وفيها في ربيع الاول توفي أبو القاسم عيسى بن علي ابن عيسى وكان فاضلا عالما بعلوم الاسلام وبالمنطق وكان يجلس للحديث وروى الناس عنه وفيها توفي القاضي أبو الحسن الجزري وكان على مذهب داود الظاهري وكان يصحب عضد الدولة قديما وفيها توفي أبو عبد الله الحسين بن الحجاج الشاعر بطريق النيل وحمل الى بغداد وديوانه مشهور وفيها توفي بكران بن أبي الفوارس خال الملك جلال الدولة بواسط وفيها توفي جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات المعروف بابن حنزابة الوزير ومولده سنة ثمان وثلثمائة وكان سار الى مصر وولي وزارة كافور وروى حديثا كثيرا

(ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وثلثمائه)

(ذكر وقعة يمين الدولة بالهند)

في هذه السنة اوقع يمين الدولة محمود بن سبكتكين بجيبال ملك الهند وقعة عظيمة وسبب ذلك انه لما اشتغل بامر خراسان وملكها وفرغ منها ومن قتال خلف بن احمد وخلا وجهه من ذلك أحب ان يغزو الهند غزوة تكون كفارة لما كان منه من قتال

المسلمين

المناسب فقالت له وأي مناسبة في أخذك لي من بيتي بالوالي مثل ارباب الجرائم فقال انا ارسلته لكونه اكبر اتباعي فارساله من باب التعظيم ثم اعتذر اليها وامرها بالتوجه الى بيت الشيخ المحيمي بالقلعة واجلسوها عنده بجماعة من العسكر واصبح الخبر شائعا بذلك فتكدرت خواطر الناس لذلك وركب القاضي ونقيب الاشراف والشيخ السادات والشيخ الامير وطلعوا الى الباشا وكلموه في أمرها فقال لاباس عليها واني انزلتها بيت الشيخ المحيمي مكرمة حسما للفتنة لانها حصل منها ما يوجب الحجر عليها فقالوا نريد بيان الذنب وبعد ذلك اما العفو أو الانتقام فقال انها سعت مع بعض كبار العسكر تستميلهم الى المماليك العصاة ووعدتهم بدفع علوفاتهم وحيث انها تقدر على دفع العلوفة فينبغي انها تدفع العلوفة فقالوا له ان ثبت عليها ذلك فانها تستحق ما تامرون به فيحتاج أن تتفحص على ذلك فقام اليها الفيومي والمهدي وخاطباها في ذلك فقالت هذا كلام لا أصل له وليس لي في المصرلية زوج حتى انى أخاطر بسببه فان كان قصده مصادرتي فلم يبق عندي شيء وعلى ديون كثيرة فعادوا اليه وتكلموا معه وراددهم فقال

المسلمين فتني عنانه نحو تلك البلاد فنزل على مدينة برشور فاتاه عدو الله جيبال ملك الهند في عساكر كثيرة فاختار يمين الدولة من عساكره والمطوعة خمسة عشر الفا وسار نحوه فالتقوا في المحرم من هذه السنة فاقتتلوا وصبر الفريقان فلما انتصف النهار انهزم الهند وقتل فيهم مقتلة عظيمة واسر جيبال ومعه جماعة كثيرة من اهله وعشيرته وغنم المسلمون منهم اموالا جليلة وجواهر نفيسة واخذ من عنق عدو الله جيبال قلادة من الجوهر العديم النظير قومت بمائتي الف دينار واصيب امثالها في اعناق مقدمي الاسرى وغنموا خمسمائة الف راس من العبيد وفتح من بلاد الهند بلادا كثيرة فلما فرغ من غزواته احب ان يطلق جيبال ليراه الهنود في شعار الذل فاطلقه بمال قرره عليه فادى المال ومن عادة الهند انهم من حصل منهم في ايدي المسلمين اسيرا لم تنعقد له بعدها رياسة فلما راى جيبال حاله بعد خلاصه حلق راسه ثم القى نفسه في النار فاحترق بنار الدنيا قبل نار الآخرة

(ذكر غزوة اخرى الى الهند ايضا)

فلما فرغ يمين الدولة من امر جيبال راى ان يغزو غزوة اخرى فسار نحو ويهند فاقام عليها محاصرا لها حتى فتحها قهرا وبلغه ان جماعة من الهند قد اجتمعوا بشعاب تلك الجبال عازمين على الفساد والعناد فسير اليهم طائفة من عسكره فاوقعوا بهم واكثروا القتل فيهم ولم ينج منهم الا الشريد الفريد وعاد الى غزنة سالما ظافرا

(ذكر الحرب بين قرواش وعسكر بهاء الدولة)

في هذه السنة سير قرواش بن المقلد جمعا من عقيل الى المدائن فحصروها فسير اليهم ابو جعفر نائب بهاء الدولة جيشا فازالوهم عنها فاجتمعت عقيل وابو الحسن مزيد في بني اسد وقويت شوكتهم فخرج الحجاج اليهم واستنجد خفاجة واحضرهم من الشام فاجتمعوا معه واقتتلوا بنواحي باكرم في رمضان فانهزمت الديلم والاتراك واسر منهم خلق كثير واستبيح عسكرهم فجمع ابو جعفر من عنده من العسكر وخرج الى بني عقيل وابن مزيد فالتقوا بنواحي الكوفة واشتد القتال بينهم فانهزمت عقيل وابن مزيد وقتل من اصحابهم خلق كثير واسر مثلهم وسار الى حلل ابن مزيد فاوقع بمن فيها فانهزموا ايضا فنهبت الحلل والبيوت والاموال وراوا فيها من العين والمصاغ والثياب ما لا يقدر قدره ولما سار ابو جعفر عن بغداد اختلت الاحوال بها وعاد امر العيارين ظهر واشتد الفساد وقتلت النفوس ونهبت الاموال واحرقت المساكن فبلغ ذلك بهاء الدولة فسير الى العراق لحفظه ابا علي بن ابي جعفر المعروف باستاذ هرمز ولقبه عميد الجيوش وارسل الى ابي جعفر الحجاج وطيب قلبه ووصل ابو علي الى بغداد فاقام السياسة ومنع المفسدين فسكنت الفتنة وامن الناس وفيها توفي محمد بن جعفر ابو بكر الفقيه الشافعي المعروف بابن الدقاق صاحب الاصول

(ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة)

لافنديناهنا امر غير مناسب ويترتب عليه مفاسد وبعد ذلك يتوجه علينا اللوم فان كان كذلك فلا علاقة لنا بشئ من هذا الوقت او نخرج من هذه البلدة وقام قائما على حيله يريد الذهاب فامسكه مصطفى اغا الوكيل وخلافه وكلموا الباشا في اطلاقها وانها تقيم ببيت الشيخ السادات فرضي بذلك وانزلوها ببيت الشيخ السادات وكانت صديقة هانم ابنة ابراهيم بك عندما وصلها الخبر ذهبت الى بيته ايضا (وفيه) شنقوا شخصا على السبيل بباب الشعرية شكا منه اهل حارته وانه يتعاطى القيادة ويجمع بين الرجال والنساء وغير ذلك (وفي يوم الخميس رابع عشره) كتبوا اوراقا والصقوها بالاسواق بطلب ميري سنة تاريخه المعجلة بالكامل وكانوا قبل ذلك طلبوا نصفها ثم اضطرهم الحال بطلب الباقي وعملوا قوائم بتوزيع خمسة آلاف كيس استقر منها على طائفة القبطة خمسمائة كيس بعد الالف وجملة على الملتزمين خلاف ما اخذ منهم قبل ذلك وعلى الست نفيسة وبقية نساء الامراء ثمانمائة كيس (وفيه) خطف العرب جراية العسكر من عند الزاوية الحمراء (وفيه) وصل

(ذكر ملك يمين الدولة سجستان)

فى هذه السنة ملك يمين الدولة محمود بن سبكتكين سجستان وانتزعها من يد خلف بن احمد قال العتبى وكان سبب اخذها ان يمين الدولة لما رحل عن خلف بعد أن صالحه كما تقدم ذكره سنة تسعين عهد خلف الى ولده طاهر وسلم اليه مملكته وانعكف هو على العبادة والعلم وكان عالما فاضلا محبا للعلماء وكان قصده ان يوهم يمين الدولة انه ترك الملك واقبل على طلب الآخرة ليقطع طمعه عن بلاده فلما استقر طاهر فى الملك عق اباه واهمل امره فلاطفه ابوه ورفق به ثم انه تمارض فى حصنه المذكور واستدعى ولده ليوصى اليه فحضر عنده غير محتاط ونسى اساءته فلما صار عنده قبض عليه وسجنه وبقى فى السجن الى ان مات فيه واظهر عنه انه قتل نفسه ولما سمع عسكر خلف وصاحب جيشه بذلك تغيرت نياتهم فى طاعته وكرهوه وامتنعوا عليه فى مدينته واظهروا طاعة يمين الدولة وخطبوا له وارسلوا اليه يطلبون من يتسلم المدينة ففعل وملكها واحتوى عليها فى هذه السنة وعزم على قصد خلف وأخذ ما بيده والاستراحة من مكره فسار اليه وهو فى حصن الطاق وله سبعة اسوار محكمة يحيط بها خندق عميق عريض لا يخاض الا من طريق على جسر يرفع عند الخوف فنازله وضايقه فلم يصل اليه فامر بطم الخندق ليمكن العبور اليه فقطعت الاخشاب وطم بها وبالتراب فى يوم واحد مكانا يعبرون فيه ويقاتلون منه وزحف الناس ومعهم الفيول واشتدت الحرب وعظم الامر وتقدم أعظم الفيول الى باب السور فاقتلعه بنابيه والقاه وملكه أصحاب يمين الدولة وتأخر أصحاب خلف الى السور الثانى فلم يزل أصحاب يمين الدولة يدفعونهم عن سور سور فلما رأى خلف اشتداد الحرب وان أسواره تملك عليه وان اصحابه قد عجزوا وان الفيلة تحطم الناس طار قلبه خوفا وفرقا فارسل يطلب الامان فاجابه يمين الدولة الى ما طلب وكف عنه فلما حضر عنده اكرمه واحترمه وأمره بالمقام فى أى البلاد شاء فاختار أرض الجوزجان فسير اليها فى هيئة حسنة فاقام بها نحو أربع سنين ونقل الى يمين الدولة عنه انه يراسل ايلك الخان يغريه بقصد يمين الدولة فنقله الى جردين واحتاط عليه هنالك الى ان ادركه اجله فى رجب سنة تسع وتسعين فسلم يمين الدولة جميع ما خلفه الى ولده أبى حفص وكان خلف مشهورا بطلب العلم وجمع العلماء وله كتاب صنفه فى تفسير القرآن من أكبر الكتب

(ذكر الحرب بين عميد الجيوش ابى على وبين ابى جعفر الحجاج)

فى هذه السنة كانت الحرب بين ابى على بن ابى جعفر استاذ هرمز و بين ابى جعفر الحجاج وسبب ذلك ان ابا جعفر كان نائبا عن بهاء الدولة بالعراق فجمع وغزا واستناب بعده عميد الجيوش ابا على فاقام ابو جعفر بنواحى الكوفة ولم يستقر بينه وبين ابى على صلح وكان ابو جعفر قد جمع جمعا من الديلم والاتراك وخفاجة فجمع ابو على ايضا جمعا كثيرا وسار اليه والتقوا بنواحى النعمانية فاقتتلوا قتالا عظيما وارسل ابو على بعض عسكره

بسليمان ملك الخازندار وغدى الى جهة طرابلس الغرب بعدة من العسكر خلاف المرابطين هنالك قبل ذلك من العسكر والمغاربة فقصد المرور من خلف الجبل والدوق بجماعته جهة الشرق فى آخر الليل فوقف له العسكر وضربوا عليه بالمدافع الكثيرة واستمر الضرب من الفجر الى عصر يوم الجمعة وتغذى بمن معه على حمايه وقتلوا منه مملوكا واحدا وحضروا برأسه الى تحت القلعة (وفيه) رجع الكثير من عسكر الارنؤد وغيرهم ودخلوا الى المدينة يطلبون العلوفة واستمر من بقى منهم ببهتيم و بلقس ومسطرد وقد أخرجوا أهاليها منها ونهبوها واستولوا على ما فيها من غلال وأتبان وغير ذلك وكرنكوا فيها ونقبوا الحيطان لرمى بنادق الرصاص من الثقوب وهم مستترون من داخلها ونصبوا خيامهم فى اسطحة الدور وجعلوا المتاريس من خارج البلدة وعليها المدافع فلا يخرجون الى خارج ولا يبرزون الى ميدان الحرب وكل من قرب منهم من الخيالة المقاتلين رموا عليه بالمدافع والرصاص ومنعوا عن انفسهم واستمروا على ذلك (وفيه) وردت مكاتبات الى التجار من الحجاز وأخبروا بان الحجاج أدركوا الحج والوقوف بعرفة ودخلوا

قبل الوقوف بيومين واخبروا أيضا بوفاة شريف باشا الى رحمة الله تعالى وكان من خيار دولة العثمانيين ووردت أخبار أيضا من البلاد الشامية بوفاة أحمد باشا الجزار فى سادس عشرين المحرم (وفى يوم السبت سادس عشره) ارسلوا تنابيه الى أرباب الحرف والصنائع بطلب دراهم وزعت عليهم مجموعها خمسمائة كيس فضج الناس وتكدروا مع ماهم فيه من وقف الحال وغلاء الاسعار فى كل شئ واصبحوا على ذلك يوم الاحد فلم يفتحوا الحوانيت وانتظروا مايفعل بهم وحضر منهم طائفة الى الجامع الازهر ومر الاغا والوالى ينادون بالامان وفتح الدكاكين فلم يفتح منهم الا القليل (وفيه) سرح سليم كاشف المحرجى الى جهة بحرى واشيع وصول الالفى الصغير الى المنية واصبح يوم الاثنين اجتمع الكثير من غوغاء العامة والاطفال بالجامع الازهر ومعهم طبول وصعدوا الى المنارات يصرخون ويطبلون وتحلقوا بمقصورة الجامع يدعون ويتضرعون ويقولون يالطيف وأغلقوا الاسواق والدكاكين ووصل الخبر الى الباشا بل سمعهم من القلعة فارسل قاصدا الى

عسكره فاتوا أبا جعفر من ورائه فانهزم ابو جعفر ومضى منهزما فلما أمن ابو على سار من العراق بعد الهزيمة الى خوزستان و بلغ السوس وأتاه الخبر ان ابا جعفر قد عاد الى الكوفة فرجع الى العراق وجرى بينه و بين ابى جعفر منازعات ومراجعات الى ان آل الامر الى الحرب فاستنجد كل واحد منهم بنى عقيل وبنى خفاجة و بنى أسد فبينما هم كذلك ارسل بهاء الدولة الى عميد الجيوش ابى على يستدعيه فسار اليه الى خوزستان لاجل ابى العباس بن واصل صاحب البطيحة

(ذكر عصيان سجستان وفتحها ثانية)

لما ملك يمين الدولة سجستان عاد عنها واستخلف عليها اميرا كبيرا من أصحابه يعرف بقنجى الحاجب فاحسن السيرة فى اهلها ثم ان طوائف من اهل العيث والفساد قدموا عليهم رجلا يجمعهم وخالفوا على السلطان فسار اليهم يمين الدولة وحصرهم فى حصن أرك ونشبت الحرب فى ذى الحجة من هذه السنة فظهر عليهم وظفر بهم وملك حصنهم وأكثر القتل فيهم وانهزم بعضهم فسير فى آثارهم من يطلبهم فادركوهم فاكثروا القتل فيهم حتى خلت سجستان منهم وصفت له واستقر ملكها عليه فاقطعها أخاه نصرا مضافة الى نسابور

(ذكر وفاة الطائع لله)

فى هذه السنة فى شوال منها توفى الطائع لله المخلوع ابن المطيع لله وحضر الاشراف والقضاة وغيرهم دار الخلافة للصلاة عليه والتعزية وصلى عليه القادر بالله وكبر عليه خمسا وتكلمت العامة فى ذلك فقيل ان هذا انما يفعل بالخلفاء وشيع جنازته ابن حاجب النعمان ورثاه الشريف الرضى فقال

ما بعد يومك ما يسلو به السالى * ومثل يومك لم يخطر على بالى

وهى طويلة

(ذكر وفاة المنصور بن أبى عامر)

فى هذه السنة توفى ابو عامر محمد بن أبى عامر المعافرى الملقب بالمنصور امير الاندلس مع المؤيد هشام بن الحكم وقد تقدم ذكره عند ذكر المؤيد وكان أصله من الجزيرة الخضراء من بيت مشهور بها وقدم قرطبة طالبا للعلم وكانت له همة فتعلق بوالدة المؤيد فى حياة أبيه المستنصر فلما ولى هشام كان صغيرا فتكفل المنصور لوالدته القيام بامره واخماد الفتن الثائرة عليه واقرار الملك عليه فولته امره وكان شهما شجاعا قوى النفس حسن التدبير فاستمال العساكر وأحسن اليهم فقوى امره وتلقب بالمنصور وتابع الغزوات الى الفرنج وغيرهم وسكنت البلاد معه فلم يضطرب منها شئ وكان عالما محبا للعلماء يكثر مجالستهم ويناظرهم وقد اكثر العلماء ذكر مناقبه وصنفوا لها تصانيف كثيرة ولما مرض كان متوجها الى الغزو فلم يرجع ودخل بلاد العدو وقاتل منهم وعاد وهو مثقل فتوفى بمدينة سالم وكان قد جمع الغبار الذى وقع على درعه فى غزواته شيئا

صالحا فاضرا أن يجعل في كفنه تبركا به وكان حسن الاعتقاد والسيرة عادلا كانت أيامه أعياد النصارى تهاوامن الناس فيها رحمه الله وله شعر جيد وكانت امه تغيبه ولما مات ولي بعده ابنه المظفر أبو مروان عبد الملك فجرى مجرى أبيه

(ذكر محاصرة فلفل مدينة قابس وما كان منه)

في هذه السنة سار يحيى بن علي الاندلسي وفلفل من طرابلس الى مدينة قابس في عسكر كبير فحصروها ثم رجعوا الى طرابلس ولما رأى يحيى بن علي ماهو عليه من قلة المال واختلال حاله وسوء مجاورة فلفل وأصحابه له رجع الى مصر الى الحاكم بعد أن أخذ فلفل واصحابه خيوله وما اختاروه من عددهم بين الشراء والغصب فاراد الحاكم قتله ثم عفا عنه وأقام فلفل بطرابلس الى سنة اربعمائة فمرض وتوفي وولي اخوه ورو فاطاعته زناتة واستقام امره فرحل باديس الى طرابلس لحرب زناتة فلما بلغهم رحيله فارقوها وملكها باديس فقراهلها وارسل ورو اخو فلفل الى باديس يطلب أن يكون هو ومن معه من زناتة في امانه ويدخلون في طاعته ويجعلهم عمالا كما شاء فامنهم واحسن اليهم واعطاهم نفزاوة وقسطيلية على ان يرحلوا من اعمال طرابلس ففعلوا ذلك ثم ان خزرون بن سعيد اخا ورو جاء الى باديس ودخل في طاعته وفارق اخاه فاكرمه باديس واحسن اليه ثم ان اخاه خالف على باديس وسار الى طرابلس فحصرها وسار اليه خزرون ليمنعه عن حصارها وكان ذلك سنة ثلاث واربعمائة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في رمضان طلع كوكب كبير له ذؤابة وفي ذي القعدة انقض كوكب كبير ايضا كضوء القمر عند تمامه وانمحق نوره وبقي جرمه يتموج وفيها اشتدت الفتنة ببغداد وانتشر العيارون والمفسدون فبعث بهاء الدولة عميد الجيوش ابا علي بن استاذ هرمز الى العراق ليدبر امره فوصل الى بغداد فزينت له وقمع المفسدين ومنع السنية والشيعة من اظهار مذاهبهم ونفى بعد ذلك ابن المعلم فقيه الامامية فاستقام البلد وفيها في ذي الحجة ولد الامير أبو علي الحسن بن بهاء الدولة وهو الذي ملك الامر وتلقب بشرف الدولة وفيها هرب الوزير أبو العباس الضبي وزير مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه من الري الى بدر بن حسنويه فاكرمه وقام بالوزارة بعده الخطير أبو علي وفيها ولى الحاكم بامر الله على دمشق وقيادة العساكر الشامية أبا محمد الاسود واسمه تضولت فقدم اليها ونزل في قصر الامارة فاقام واليا عليها سنة وشهرين ومن اعماله فيها أنه اطاف انسانا مغربيا وشهره ونادى عليه هذا جزاء من يحب أبا بكر وعمر ثم اخرجه عنها وفيها توفي عثمان بن جني النحوي مصنف اللمع وغيرها ببغداد وله شعر بارد والقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني بالري وكان اماما فاضلا ذا فنون كثيرة والوليد بن بكر بن مخلد الاندلسي الفقيه المالكي وهو محدث مشهور وفيها توفي أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامي الشاعر البغدادي ومن شعره يصف الدرع وهي هذه الابيات

فقراء وما كفاهم ماهم فيه من القحط والكساد ووقف الحال حتى تطلبوا منهم مغارم لجوامك العسكر وما علاقتهم بذلك فرجع الرسول بذلك وحضر الاغا ومعه عدة من العسكر وجلس بالغورية وهو يأمر الناس بفتح الحوانيت ويتوعد من يتخلف فلم يحضر أحد ولم يسمعوا القوله وفي وقت العصر وجع القاصد ومعه فرمان برفع الغرامة عن المذكورين ونادى المنادي بذلك فاطمأن الناس وتفرقوا وذهبوا الى بيوتهم وخرج الاطفال يرمحون ويصرخون ويفرحون (وفي ذلك اليوم) عدى محمد علي وجمع كثير من العسكر والمغاربة الى بر الجيزة وبرزوا الى الخارج فنزل عليهم جملة من العرب فحاربوهم فقتل بينهم أنفار وانجرح منهم كذلك ثم ترفعوا عنهم فرجعوا ومعهم رأس من العرب ومع المغاربة قتيل منهم في تابوت وهم يقولون طردناهم وخطفوا بعض مواش وأغنام في طريقهم من الرعيان فقتلوهم وأخذوها منهم (وفي تاسع عشره) احضر كتخدا الباشا كاتب البهار وأمره باحضار ستمائة فرق بن فاعتذر اليه بعدم وجود ذلك فقال انما اخذها باثمانها فقال له

يارب

يارب سابغة حبتني نعمة * كافاتها بالسوء غير مفند
أضحت تصون عن المنايا مهجتي * وظللت أبذلها لكل مهند

وله من احسن المديح فى عضد الدولة

وكنت وعزمي والظلام وصارمي * ثلاثة أشباح كما اجتمع النسر
وبشرت آمالي بملك هو الورى * ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

وقدم الموصل فاجتمع بالخالديين من الشعراء منهم أبو الفرج الببغاء وأبو الحسين التلعفري فامتحنوه وكان صبيا فبرز عند الامتحان وفيها توفي محمد بن العباس الخوارزمي الاديب الشاعر وكان فاضلا وتوفي بنيسابور وفيها توفي محمد بن عبد الرحمن ابن زكريا أبو طاهر المخلص المحدث المشهور وأول سماعه سنة اثنتي عشرة وثلثمائة

(ثم دخلت سنة اربع وتسعين وثلثمائة)

(ذكر استيلاء أبي العباس على البطيحة)

في هذه السنة في شعبان غلب أبو العباس بن واصل على البطيحة واخرج منها مهذب الدولة وكان ابتداء حال أبي العباس انه كان ينوب عن طاهر بن زيرك الحاجب في الجهبذة وارتفع معه ثم اشفق منه ففارقه وسار الى شيراز واتصل بخدمة فولاذ وتقدم عنده فلما قبض على فولاذ عاد أبو العباس الى الاهواز بحال سيئة تخدم فيها ثم اصعد الى بغداد فضاق الامر عليه فخرج منها وخدم أبا محمد بن مكرم ثم انتقل الى خدمة مهذب الدولة بالبطيحة فجرد معه عسكرا وسيره الى حرب لشكرستان حين استولى على البصرة ومضى الى سيراف واخذ ما بها لابي محمد بن مكرم من سفن ومال واتى أسافل دجلة فتغلب عليها وخلع طاعة مهذب الدولة فارسل اليه مهذب الدولة مائة سميرية فيها مقاتلة فغرق بعضها واخذ ابو العباس ما بقي منها وعدل الى الابلة فهزم ابا سعد بن ما كولا وهو يصحب لشكرستان فانهزم ايضا لشكرستان من بين يديه واستولى ابن واصل على البصرة ونزل دار الامارة وامن الديلم والاجناد وقصد لشكرستان مهذب الدولة فاعاده الى قتال ابي العباس في جيش فلقيه ابو العباس وقاتله فانهزم لشكرستان وقتل كثير من رجاله واستولى ابو العباس على ثقله وامواله واصعد الى البطيحة وارسل الى مهذب الدولة يقول له قد هزمت جندك ودخلت بلدك فخذ لنفسك فسار مهذب الدولة الى بشامني وصار عند ابي شجاع فارس بن مردان وابنه صدقة فغدر به واخذا امواله فاضطر الى الهرب وسار الى واسط فوصلها على اقبح صورة فخرج اليه اهلها فلقوه واصعدت زوجته ابنة الملك بهاء الدولة الى بغداد واصعد مهذب الدولة اليها فلم يمكن من الوصول اليها واما ابن واصل فانه استولى على اموال مهذب الدولة وبلاده وكانت عظيمة ووكل بدار زوجته ابنة بهاء الدولة من يحرسها ثم جمع كل ما فيها وارسله الى ابيها واضطرب عليه اهل البطائح واختلفوا فسير سبعمائة فارس الى الجازرة لاصلاحها فقاتلهم اهلها فظفروا بالعسكر وقتلوا فيهم كثيرا وانتشر

وقد عرفتك أن هذا القدر لا يوجد وان أردت فارسل معي من تريد ونكشف على حواصل التجار والخانات فطافوا على الخانات وفتحوا الحواصل فلم يجدوا الا اسبعين فرقا وأكثرها عليه نشانات كبار العسكر من مشترواتهم فرجعوا من غير شئ ثم نودي في اثر ذلك بالامان (وفيه) وقعت معركة بسوق الصاغة بين بعض العسكر الذين يحضرون في أيام الاسواق في الدلالين والباعة ويعاملون عليهم دلالتهم وصناعتهم ومعايشهم وضربوا على بعضهم بالرصاص ففزع الناس وحصلت كرشة وظن من لا يعلم الحقيقة من العسكر انها قومة فهربوا يمينا وشمالا وطلبوا النجاة والتوارى ووافق مرور أغات الانكشارية في ذلك الوقت فانزعج هو ومن معه وطلب الهرب ثم انكشف الغبار وظهر شخص عسكري مطروح وبه رمق وآخر مجروح فرجع الاغا وأمر بحمله في تابوت ونادى بالامان (وفي يوم الجمعة ثاني عشرينه) قبل المغرب ضربوا مدافع كثيرة من القلعة وكذلك في صبحها يوم السبت ولم يظهر لذلك سبب سوى ما يقولونه من التمويهات من وصول الاطواخ وعساكر ودلالة برية تارة و بحرية أخرى (وفيه) أشيع وقوع

الامر إلى أبي العباس بن واصل فعاد الى البصرة خوفا ان ينتشر الامر عليه بها وترك البطائح شاغرة ليس فيها أحد يحفظها ولما سمع بهاء الدولة بحال أبي العباس وقوته خافه على البلاد فسار من فارس الى الاهواز لتلافي امره واحضر عنده عميد الجيوش من بغداد وجهز معه عسكرا كثيفا وسيرهم الى أبي العباس فاتى الى واسط وعمل ما يحتاج اليه من سفن وغيرها وسار الى البطائح وفرق جنده في البلاد لتقرير قواعدها وسمع ابو العباس بمسيره اليه فاصعد اليه من البصرة وارسل يقول له ما احوجك تتكلف الانحدار وقد اتيتك فخذ لنفسك ووصل الى عميد الجيوش وهو على تلك الحال من تفرق العسكر عنه فلقيه فيمن معه بالصليق فانهزم عميد الجيوش ووقع من معه بعضهم على بعض ولقي عميد الجيوش شدة الى ان وصل الى واسط وذهب ثقله وخيامه وخزائنه فاخبره خازنه انه قد دفن في الخيمة ثلاثين الف دينار وخمسين الف درهم فانفذ احضرها فقوي بها ونذكر باقي خبر البطائح سنة خمس وتسعين

‏(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قلد بهاء الدولة النقيب أبا احمد الموسوي والد الشريف الرضي نقابة العلويين بالعراق وقضاء القضاة والحج والمظالم وكتب عهده بذلك من شيراز ولقب الطاهر ذا المناقب فامتنع الخليفة من تقليده قضاء القضاة وامضى ما سواه وفيها خرج الاصيفر المنتفقي على الحاج وحصرهم بالبطانية وعزم على أخذهم وكان فيهم أبو الحسن الرفاء وأبو عبد الله الدجاجي وكانا يقرآن القرآن باصوات لم يسمع مثلها فحضرا عند الاصيفر وقرآ القرآن فترك الحاج وعاد وقال لهما قد تركت لكما الف ألف دينار

‏(ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثلثمائة)

‏(ذكر عود مهذب الدولة الى البطيحة)

قد ذكرنا انهزام عميد الجيوش من أبي العباس بن واصل فلما انهزم اقام بواسط وجمع العساكر عازما على العود الى البطائح وكان أبو العباس قد ترك بها نائبا له فلم يتمكن من المقام بها ففارقها الى صاحبه فارسل عميد الجيوش اليها نائبا من أهل البطائح فعسف الناس وأخذ الاموال ولم يلتفت الى عميد الجيوش فارسل الى بغداد واحضر مهذب الدولة وسير معه العساكر في السفن الى البطيحة فلما وصلها لقيه أهل البلاد وسروا بقدومه وسلموا اليه جميع الولايات واستقر عليه لبهاء الدولة كل سنة خمسون الف دينار ولم يعرض اليه ابن واصل فاشتغل عنه بالتجهز الى خوزستان وحفر نهرا الى جانب النهر العضدي بين البصرة والاهواز وكثر ماؤه وكان قد اجتمع عنده جمع كثير من الديلم وأنواع الاجناد ولما كثر ماله وذخائره وما استولى عليه من البطيحة فقوي طمعه في الملك وسار هو وعسكره الى الاهواز في ذي القعدة فجهز اليه بهاء الدولة جيشا في الماء فالتقوا بنهر السدرة فاقتتلوا وقاتلهم أبو العباس وسار الى الاهواز

بالقس ومدافع ووصل منهم جوجي دخلوا البلد وحضر من المصرلية طائفة ناحية شلقان وقطعوا الطريق على السفار في البحر وأخذوا مركبين وأحرقوا مراكب وامتنع الواصلون والذاهبون وارتفعت الغلال من الرقع والعرصات وغلا سعرها فخرج اليهم مراكب يقال لها الشلنبات وضربوا عليهم بالمدافع وأجلوهم عن ذلك الموضع ووصل بعض مراكب من المعوقين (وفي يوم الثلاثاء سادس عشرينه) أرسل الباشا الى المشايخ فذهبوا اليه فاستشارهم في خروجه الى الحرب وخروجهم صحبته مع الرعية فلم يصوبوا رأيه في ذلك وقالوا له اذا انهزم العسكر تأمر غيرهم بالخروج واذا كانت الهزيمة علينا وأنت معنا من يخرج بعد ذلك وانفض المجلس على غير طائل (وفي أواخره يوم الاربعاء ويوم الخميس) وقع بينهم مساجلات ومحاربات ومغالبات واحترقت جبخانة العثمانيين وقيل أخذ باقيها ورجع منهم قتلى ومجاريح وانجرح عابدي بك أخو طاهر باشا واحترق أشخاص من الطبجية ودخل لهدار الباشا والوالي وأمامهما رأس واحدة بشوارب كأنه من المماليك

وتبعه من كان قد لقيه من العسكر فالتقوا بظاهر الاهواز وانضاف الى عسكر بهاء الدولة العساكر التي بالاهواز فاستظهر أبو العباس عليهم ورحل بهاء الدولة الى قنطرة اربق عازما على المسير الى فارس ودخل أبو العباس الى دار المملكة واخذ ما فيها من الامتعة والآلات المتخلف عن بهاء الدولة الا انه لم يمكنه المقام لان بهاء الدولة كان قد جهز عسكر السير في البحر الى البصرة فخاف ابو العباس من ذلك وراسل بهاء الدولة وصالحه وزاد في اقطاعه وحلف كل واحد منهما لصاحبه وعاد الى البصرة وحمل معه كل ما اخذه من دار بهاء الدولة ودور الاكابر والقواد والتجار

(ذكر غزوة بهاطية)

في هذه السنة غزا يمين الدولة بهاطية من اعمال الهند وهي وراء المولتان وصاحبها يعرف بجيرا وهي مدينة حصينة عالية السور يحيط بها خندق عميق فامتنع صاحبها بها ثم انه خرج الى ظاهرها فقاتل المسلمين ثلاثة ايام ثم انهزم في الرابع وطلب المدينة ليدخلها هو واصحابه فسبقهم المسلمون الى باب البلد فملكوه عليهم واخذتهم السيوف من بين ايديهم ومن خلفهم فقتل المقاتلة وسبيت الذرية واخذت الاموال واما بجيرا فانه لما عاين الهلاك أخذ جماعة من ثقاته وسار الى رؤس تلك الجبال فسير اليه يمين الدولة سرية فلم يشعر بهم بجيرا الا وقد احاطوا به وحكموا السيوف في أصحابه فلما أيقن بالعطب اخذ خنجرا معه فقتل به نفسه واقام يمين الدولة بهاطية حتى اصلح امرها ورتب قواعدها وعاد عنها الى غزنة واستخلف بها من يعلم من اسلم من اهلها ما يجب عليهم تعليمه ولقي في عوده شدة شديدة من الامطار وكثرتها وزيادة الانهار وغرق منه ومن عسكره شئ عظيم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة كان بافريقية غلاء شديد بحيث تعطلت المخابز والحمامات وهلك الناس وذهبت الاموال من الاغنياء وكثر الوباء فكان يموت كل يوم ما بين خمسمائة الى سبعمائة وفيها وصل قرواش وابو جعفر الحجاج الى الكوفة فقبضا على ابي علي عمر ابن محمد بن عمر العلوي واخذ منه قرواش مائة الف دينار وحمله معه الى الانبار وفيها توفي اسحق بن محمد بن حمدان بن محمد بن نوح ابو ابراهيم المهلبي وفيها توفي محمد بن علي ابن الحسين بن الحسن بن ابي اسمعيل العلوي الهمذاني الفقيه الشافعي رحمه الله تعالى

(ثم دخلت سنة ست وتسعين وثلثمائة)

(ذكر غزوة المولتان)

في هذه السنة غزا السلطان يمين الدولة المولتان وكان سبب ذلك ان واليها أبا الفتوح نقل عنه خبث اعتقاده ونسب الى الالحاد وانه قد دعا أهل ولايته الى ما هو عليه فاجابوه فرأى يمين الدولة أن يجاهده ويستنزله عما هو عليه فسار نحوه فرأى الانهار التي في طريقه كثيرة الزيادة عظيمة المد وخاصة سيحون فانه منع جانبه من العبور فارسل

أخرجوا عساكر ومعهم مدافع وجبخانه أيضا محملة على نيف وثلاثين جملا (وفيه) ضيقوا على نساء الامراء في طلب الغرامة وألزموا بقبضها وتحصيلها الست نفيسة وعديلة هانم ابنة ابراهيم بك فوزعتاها بمعرفتهما على باقي النساء وأرسلوا عساكر يلازمون بيوتهن حتى يدفعن ما التزمن به فاضطر أكثرهن لبيع متاعهن فلم يجدن من يشتري لعموم المضايقة والكساد وانقضى هذا الشهر والحال على ما هو عليه من استمرار الحروب والمحاصرات بين الفريقين وانقطاع الطرق برا وبحرا وتسلط العربان واستغنامهم تغافل الحكام وانفكاك الاحكام وكذلك تسلط الفلاحين المقاومين من سعد وحرام على بعضهم البعض بحسب المقدرة والقوة والضعف وجهل القائمين المتأمرين بطرائق سياسة الاقليم ولا يعرفون من الاحكام الا أخذ الدراهم باي وجه كان وتمادي قبائح العسكر بما لا تحيط به الاوراق والدفاتر بحيث انه لا يخلو يوم من زعجان ورجفات وكرشات في غالب الجهات اما لاجل امرأة أو امرد او خلف شئ أو تنازع وطلب شر بادنى سبب مع العامة والباعة أومشاحنه

الى اندبال يطلب اليه أن ياذن له فى العبور ببلاده الى المولتان فلم يجبه الى ذلك فابتدأ به قبل المولتان وقال نجمع بين غزوتين لانه لا غزو الا التعقيب فدخل بلاده وجاسها وأكثر القتل فيها والنهب لاموال اهلها والاحراق لابنيتها ففر اندبال من بين يديه وهو فى اثره كالشهاب فى اثر الشيطان من مضيق الى مضيق الى ان وصل الى قشمير ولما سمع أبو الفتوح بخبر اقباله اليه علم عجزه عن الوقوف بين يديه والعصيان عليه فنقل أمواله الى سرنديب واخلى المولتان فوصل يمين الدولة اليها ونازلها فاذا اهلها فى ضلالهم يعمهون فحصرهم وضيق عليهم وتابع القتال حتى افتتحها عنوة والزم أهلها عشرين ألف درهم عقوبة لعصيانهم

(ذكر غزوة كوا كير)

ثم سار عنها الى قلعة كوا كير وكان صاحبها يعرف ببيدا وكان بها ستمائة صنم فافتتحها واحرق الاصنام فهرب صاحبها الى قلعته المعروفة بكالنجار فسار خلفه اليها وهو حصن كبير يسع خمسمائة ألف انسان وفيه خمسمائة فيل وعشرون الف دابة وفى الحصن ما يكفى الجميع مدة فلما قاربها يمين الدولة وبقى بينهما سبعة فراسخ رأى من الغياض المانعة من سلوك الطريق ما لا حد عليه فامر بقطعها ورأى فى الطريق واديا عظيم العمق بعيد القعر فامر ان يطم منه مقدار ما يسع عشرين فارسا فطموه بالجلود المملوأة ترابا ووصل الى القلعة فحصرها ثلاثة واربعين يوما وراسله صاحبها فى الصلح فلم يجبه ثم بلغه من خراسان اختلاف بسبب قصد ايلك الخان لها فصالح ملك الهند على خمسمائة فيل وثلاثة آلاف منا فضة ولبس خلعة يمين الدولة بعد أن استعفى من شد المنطقة فانه اشتد عليه فلم يجبه يمين الدولة الى ذلك فشد المنطقة وقطع اصبعه الخنصر وانفذها الى يمين الدولة توثقة فيما يعتقدونه وعاد يمين الدولة الى خراسان لاصلاح ما اختلف فيها وكان عازما على الوغول فى بلاد الهند

(ذكر عبور عسكر ايلك الخان الى خراسان)

كان يمين الدولة لما استقر له ملك خراسان وملك ايلك الخان ما وراء النهر قد راسله ووافقه وتزوج ابنته وانعقدت بينهما مصاهرة ومصالحة فلم تزل السعاة حتى افسدوا ذات بينهما وكتم ايلك الخان ما فى نفسه فلما سار يمين الدولة الى المولتان اغتنم ايلك الخان خلو خراسان فسير سباشى تكين صاحب جيشه فى هذه السنة الى خراسان فى معظم جنده وسير أخاه جعفر تكين الى بلخ فى عدة من الامراء وكان يمين الدولة قد جعل بهراة اميرا من اكابر امرائه يقال له ارسلان الجاذب فامره اذا ظهر عليه مخالف ان يحاز الى غزنه فلما عبر سباشى تكين الى خراسان سار ارسلان الى غزنة وملك سباشى هراة واقام بها وأرسل الى نيسابور من استولى عليها واتصلت الاخبار بيمين الدولة وهو بالهند فرجع الى غزنة لا يلوى على دار ولا يركن الى قرار فلما بلغها فرق فى عساكره الاموال وقوادهم واصلح ما أراد اصلاحه واستمد الاتراك الخلجية فجاء منهم خلق

مع السوقة والمتسببين بسبب ابدال دراهم فضة كاملة الصارفة من صيارف أو باعة أو غير ذلك وتعطل أسباب المعايش وغلو الاسعار فى كل شئ وقلة المجلوب ومنع السبل ووصل سعر الاردب القمح ستة عشر ريالا والفول والشعير أكثر من ذلك لقلته وعزته واذا حضر منه شئ أخذوه لاحتياج العليق قهرا بابخس الثمن عند وصوله الساحل وأجرة طحين الويبة من القمح ستة وأربعون نصفا مع ما يسرقه الطحانون منها ويخلطونه فيها وأجرة خبزها عشرون نصفا بحيث حسب ثمن الاردب بعد غربلته وأجرته ونقله وكلفته وطحينه وخبيزه الى ان يصير خبزا أربعة وعشرون ريالا فسبحان اللطيف الخبير المدبر ومن خفى لطفه كثرة الخبز وأصناف الكعك والفطير فى الاسواق وسعر الرطل من اللحم الجفيط بما فيه من العظم والكبد تسعة أنصاف والجاموسى سبعة أنصاف الرطل والراوية الماء ثلاثون نصفا والسمن القنطار بالفسين وأربعمائة نصف وشح الارز وقل وجوده وغلا ثمنه ووصل سعر الاردب الى خمسة وعشرين ريالا والجبن القريش بثمانية عشر نصفا الرطل وأما الخضارات فعز وجودها وغلا ثمنها

كثير وسار بهم نحو بلخ وبها جعفر تكين أخو ايلك الخان فعبر الى ترمذ ونزل يمين الدولة بلخ وسير العساكر الى سباشي تكين بهراة فلما قاربوه سار نحو مرو ليعبر النهر فلقيه التركمان الغزية فقاتلوه فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ثم سار نحو ابيورد لتعذر العبور عليه فتبعه عسكر يمين الدولة كلما رحل نزلوا حتى ساقه الخوف من الطلب الى جرجان فاخرجه منها ثم عاد الى خراسان فعارضه يمين الدولة فمنعه عن مقصده واسر أخو سباشي تكين وجماعة من قواده ونجاه وفي خف من أصحابه فعبر النهر وكان ايلك الخان قد عبر اخاه جعفر تكين الى بلخ ليلفت يمين الدولة عن طلب سباشي فلم يرجع وجعل دأبه اخراج سباشي من خراسان فلما اخرجه منها عاد الى بلخ فانهزم من كان بها مع جعفر تكين وسلمت خراسان ليمين الدولة

❊(ذكر الحرب بين عسكر بهاء الدولة والاكراد)❊

في هذه السنة سير عميد الجيوش عسكرا الى البندنيجين وجعل المقدم عليهم قائدا كبيرا من الديلم فلما وصلوا اليها ساراليهم جمع كثير من الاكراد فاقتتلوا فانهزم الديلم وغنم الاكراد رحالهم ودوابهم وجردوا المقدم عليهم من ثيابه فاخذ قميصا من رجل سوادي وعاد راجلا حافيا ولم يكن مقامهم غير أيام قليلة

❊(ذكر عدة حوادث)❊

في هذه السنة قلد الشريف الرضي نقابة الطالبيين بالعراق ولقب بالرضي ذي الحسبين ولقب أخوه المرتضى ذا المجدين فعل ذلك بهاء الدولة وفيها توفي أبو احمد عبد الرحيم بن علي بن المرزبان الاصبهاني قاضي خراسان وكان اليه أمر البيمارستان ببغداد وفيها مستهل شعبان طلع كوكب كبير يشبه الزهرة عن يسرة قبلة العراق له شعاع على الارض كشعاع القمر وبقي الى منتصف ذي القعدة وغاب وفيها توفي أبو سعد اسمعيل بن أحمد بن ابراهيم بن اسمعيل الاسماعيلي الامام الفقيه الشافعي بجرجان في ربيع الآخر ومحمد بن اسحق بن محمد بن يحيى بن منده أبو عبد الله الحافظ الاصبهاني المشهور له التصانيف المعروفة

❊(ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثلثمائة)❊

❊(ذكر هزيمة ايلك الخان)❊

لما أخرج يمين الدولة عساكر ايلك الخان من خراسان راسل ايلك الخان قدرخان بن بغراخان ملك الختل لقرابة بينهما وذكر له حاله واستعان به واستنصره واستنفر الترك من اقاصي بلادها وسار نحو خراسان واجتمع هو وايلك الخان فعبرا النهر وبلغ الخبر يمين الدولة وهو بطخارستان فسار وسبقهما الى بلخ واستعد للحرب وجمع الترك الغزية والخلج والهند والافغانية والغزنوية وخرج عن بلخ فعسكر على فرسخين بمكان فسيح يصلح للحرب وتقدم ايلك الخان وقدرخان في عساكرهما فنزلوا بازائه واقتتلوا يومهم ذلك الى الليل فلما كان الغد برز بعضهم الى بعض واقتتلوا واعتزل يمين الدولة الى

بحيث ان الرطل من البامية تباع فيها من الخشب الذي يرى من وقت طلوعها الى أن بلغت حد الكثرة بثمانية انصاف كل رطل والرطل قباني اثنتا عشرة أوقية وعز وجود البن وغلا سعره حتى بلغ في هذا الشهر الرطل سبعين نصفا والسكر العادة الصعيدي خمسة وأربعون نصفا الرطل الواحد والعسل الابيض الغير الجيد ثلاثون نصفا والعسل الاسود خمسة عشر نصفا والعسل القطر عشرون نصفا الرطل والصابون أربعة وعشرون نصفا كل ذلك بالرطل القباني الذي عمله محمد باشا فلا جزاه الله خيرا والشيرج بالفين فضة القنطار وورد الكثير من الحطب الرومي ورخص سعره الى مائة وعشرين نصفا الحملة بعد ثلثمائة نصف وأما انواع البطيخ والعبدلاوي فلم يشتره اكثر الناس لقلته وغلو ثمنه فانه بيعت الواحدة بعشرين نصفا فاقل فاكثر والخيار بخمسة انصاف الرطل من وقت طلوعه الى أن بلغ حد الكثرة وبقي بحال لاتقبله الطبيعة البشرية فعند ذلك بيع بنصفين وأما الفاكهة فلا يشتريها الا الافراد الاغنياء أو مريض يشتهيها أو امرأة وحمى لتلوها فان رطل الخوخ بخمسة عشر نصفا والتفاح الاخضر كذلك وقس على ذلك وذلك لقلة

ثم ترجل يلتقي ويتقدم يبطر الحرب ونزل عن دابته وعفر وجهه على الصعيد تواضعا لله تعالى وساله النصر والظفر ثم نزل وحمل في فيلته على قلب ايلك الخان فازاله عن مكانه ووقعت الهزيمة فيهم وتبعهم أصحاب يمين الدولة يقتلون و يأسرون و يغنمون الى ان عبروا بهم النهر واكثر الشعراء تهنئة يمين الدولة بهذا الفتح

(ذكر غزوة الى الهند)

فلما فرغ يمين الدولة من الترك سار نحو الهند للغزاة وسبب ذلك ان بعض أولاد ملوك الهند يعرف بنواسه شاه كان قد أسلم على يده واستخلفه على بعض ما افتتحه من بلادهم فلما كان الآن بلغه أنه ارتد عن الاسلام ومالأ أهل الكفر والطغيان فسار اليه مجدا فحين قاربه فر الهندي من بين يديه واستعاد يمين الدولة تلك الولاية واعادها الى حكم الاسلام واستخلف عليها بعض أصحابه وعاد الى غزنة

(ذكر حصر أبي جعفر الحجاج بغداد)

في هذه السنة جمع أبو جعفر الحجاج جمعا كثيرا وأمده بدر بن حسنويه بجيش كثير فسار بالجميع وحصر بغداد وسبب ذلك ان أبا جعفر كان نازلا على قلج حامي طريق خراسان وكان قلج مباينا لعميد الجيوش فاجتمعا لذلك فتوفي قلج هذه السنة فجعل عميد الجيوش على حماية الطريق أبا الفتح بن عناز وكان عدوا لبدر بن حسنويه فحقد ذلك بدر فاستدعى أبا جعفر الحجاج وجمع له جمعا كثيرا منهم الامير هندي بن سعدي وأبو عيسى شاذي بن محمد وورام بن محمد وغيرهم وسيرهم الى بغداد وكان الامير أبو الحسن علي بن مزيد الاسدي قد عاد من عند بهاء الدولة بخوزستان مغضبا فاجتمع معهم فزادت عدتهم على عشرة آلاف فارس وكان عميد الجيوش عند بهاء الدولة لقتال أبي العباس بن واصل فسار أبو جعفر ومن اجتمع معه الى بغداد ونزلوا على فرسخ منها واقاموا شهرا وببغداد جمع من الاتراك ومعهم أبو الفتح بن عناز فحفظوا البلد فبينما هم كذلك أتاهم خبر انهزام أبي العباس وقوة بهاء الدولة ففت ذلك في اعضاد أبي جعفر ومن معه فتفرقوا فعاد ابن مزيد الى بلده وسار ابو جعفر وابو عيسى الى حلوان وراسل أبو جعفر في اصلاح حاله مع بهاء الدولة فاجابه الى ذلك فحضر عنده بتستر فلم يلتفت اليه لئلا يستوحش عميد الجيوش

(ذكر قصد بدر ولاية رافع بن مقن)

كان أبو الفتح بن عناز لاجئا الى رافع بن محمد بن مقن ونزل عليه حين أخذ بدر بن حسنويه منه حلوان وقرميسين فارسل بدر الى رافع يذكره مودة ابيه وحقوقه عليه و يعتب عليه حيث آوى خصمه ويطلب اليه أن يبعده ليدوم له على العهد والود القديم فلم يفعل رافع ذلك فارسل بدر جيشا الى اعمال رافع بالجانب الشرقي من دجلة فنهبوها وقصدوا داره بالمطيرة فنهبوها واحرقوها وساروا الى قلعة البردان وهي لرافع أيضا ففتحوها وقهروا واحرقوا ما كان بها من الغلات وطم بئرها فسار أبو الفتح الى عميد الجيوش ببغداد فخلع

العلوف وخراب البساتين وغلو علف البهائم وحوز المسببين وأخذ الرشوات منهم وتركهم وما يدينون واما الاقباط فانها كثرت وانحل سعرها عما كانت

(شهر ربيع الاول سنة ١٢١٩)

استهل بيوم السبت (فيه) وقع هرج ومرج واشاعات ثم تبين ان طائفة من العربان والمماليك وصلوا الى خارج باب النصر وظاهر الحسينية وناحية الزاوية الحمراء وجزيرة بدران جهة الحلي ورمحوا على من صادفوه بتلك النواحي وحالوا بين العسكر الخارجين و بين عرضيهم واخذوا ما معهم من الجراية والعليق والجبخانة فنزل الباشا ومعه عساكره وذهب الى جهة بولاق ثم الى ناحية الزاوية الحمراء وأغلقوا أبواب المدينة ثم رجع الباشا بعد العصر ودخل من باب العدوي وطلع الى القلعة وهو لابس برنسا ثم تكرر بينهم وقائع وخروج عساكر ودخول خلافهم ونزول الباشا وطلوعه (وفي رابعه) حضر الشيخ عبد الله الشرقاوي من غيبته بالقرين بعد ذهابه الى الحلة من طندتا (وفي يوم الخميس سادسه) حضر هجانة بمكاتبة من عند الالفي الكبير خطابا الباشا وفيها الاخبار بعزمه على الحضور الى مصر هو

عليه

عليه واكرمه ووعده نصره

﴿ذكر قتل أبي العباس بن واصل﴾

في هذه السنة قتل أبو العباس بن واصل صاحب البصرة وقد تقدم ذكر ابتداء حاله وارتفاعه واستيلائه على البطيحة وما أخذه من الاموال وما هزم من جيوش السلطان وغير ذلك مما هو مذكور في مواضعه فلما عظم امره سار بهاء الدولة من فارس الى الاهواز ليحفظ خوزستان منه وكان في البطائح مقابل عميد الجيوش فلما فرغ منه سار الى الاهواز وبها بهاء الدولة فملكها على ما ذكرناه وعاد عنها على صلح مع بهاء الدولة الى البصرة وقد ذكرناه أيضا ثم تجدد ما اوجب عوده الى الاهواز فعاد اليها في جيشه وبهاء الدولة مقيم بها فلما قاربها رحل بهاء الدولة عنها لقلة عسكره وتفرقهم بعضهم بفارس وبعضهم بالعراق وقطع قنطرة اربق وبقي النهر يحجز بين الفريقين فاستولى أبو العباس على الاهواز وأتاه مدد من بدر بن حسنويه ثلاثة آلاف فارس فقوي بهم وعزم بهاء الدولة على العود الى فارس فمنعه أصحابه فاصلح أبو العباس القنطرة وجرى بين العسكرين قتال شديد دام الى العصر ثم عبر أبو العباس على القنطرة بعد أن أصلحها والتقى العسكران واشتد القتال فانهزم أبو العباس وقتل من اصحابه كثير وعاد الى البصرة مهزوما منتصف رمضان سنة ست وتسعين وثلثمائة فلما عاد منهزما جهز بهاء الدولة اليه العساكر مع وزيره ابي غالب فسار اليه ونزل عليه محاصرا له وجرى بين العسكرين القتال وضاق الامر على الوزير وقل المال عنده واستمد بهاء الدولة فلم يمده ثم ان أبا العباس جمع سفنه وعساكره واصعد الى عسكر الوزير وهجم عليه فانهزم الوزير وكاد يتم على الهزيمة فاستوقفه بعض الديلم وثبته وحملوا على ابي العباس فانهزم هو واصحابه واخذ الوزير سفنه فاستأمن اليه كثير من اصحابه ومضى ابو العباس منهزما وركب مع حسان ابن ثمال الخفاجي هاربا الى الكوفة ودخل الوزير البصرة وكتب الى بهاء الدولة بالفتح ثم ان ابا العباس سار من الكوفة وقطع دجلة ومضى عازما على اللحاق ببدر بن حسنويه فبلغ خانقين وبها جعفر بن العوام في طاعة بدر فانزله واكرمه واشار عليه بالمسير في وقته وحذره الطلب فاعتل بالتعب وطلب الاستراحة ونام وبلغ خبره الى ابي الفتح بن عناز وهو في طاعة بهاء الدولة وكان قريبا منهم فسار اليهم بخانقين وهو بها فحصره واخذه وسار به الى بغداد فسيره عميد الجيوش الى بهاء الدولة فلقيهم في الطريق قاصد من بهاء الدولة يأمره بقتله فقتل وحمل راسه الى بهاء الدولة وطيف به بخوزستان وفارس وكان بواسط عاشر صفر

﴿ذكر مسير عميد الجيوش الى حرب بدر وصلحه معه﴾

كان في نفس بهاء الدولة على بدر بن حسنويه حقد لما اعتمده في بلاده لاشتغاله عنه بابي العباس بن واصل فلما قتل ابو العباس أمر بهاء الدولة عميد الجيوش بالمسير الى بلاده واعطاه مالا انفقه في الجند فجمع عسكرا وسار يريد بلاده فنزل جنديسابور

وعثمان بك حسن ويلمس ان يحضروا له الجيزة وقصر العيني لينظر في هذا الامر والفساد الواقع بمصر فكتب له الباشا جوابا ملخصه على ما نقل الينا انك في السابق عرفتنا أنك مذعن للطاعة وأرسلنا لك بالاذن والاقامة بجرجا وما عرفنا موجب هذا الحضور فان كنت طائعا وممتثلا فارجع الى جرجا موضع ما كنت وليتك الولاية والحكم بالاقليم القبلي وأرسل المال والغلال ونحو ذلك من الكلام وسافروا بالجواب يوم السبت ثامنه (وفيه) ترفع الامراء المصرلية الى ناحية مشتهر وبنها وانتقلوا من منزلتهم واشاع العسكر ذهابهم وهروبهم (وفيه) وردت مكاتبات من الحجاز واخبروا فيها بموت محمود جاويش الذي سافر بالمحمل وكذلك الحاج يوسف صير في الصرة وان طائفة من الوهابيين حاصروا جدة ولم يملكوها وان ببلاد الحجاز غلاء شديدا لمنع الوارد عنهم والاردب القمح بثلاثين ريالا فرانسا عنها من الفضة العددية خمسة آلاف واربعمائة (وفي يوم السبت ثامنه) أرسلوا فعلة وجمالا لعمل متاريس وأبنية بناحية طرا وكذلك بالجيزة وارسلوا هنالك مراكب مسومية يسمونها التلنبات

فارسل اليه بدران انك لم تقدر على ان تأخذ ما تغلب عليه بنو عقيل من اعمالكم و بينهم و بين بغداد فرسخ حتى صالحتهم فكيف تقدر على اخذ بلادي وحصوني مني ومعي من الاموال ما ليس معك مثلها وانا معك بين امرين ان حاربتك فالحرب سجال ولا نعلم لمن العاقبة فان انهزمت انا لم ينفعك ذلك لاني احتمي بقلاعي ومعاقلي وانفق اموالي واذا عجزت فانا رجل مصراوي صاحب مصر ابعد ثم اقرب وان انهزمت انت لم تجتمع وتلقى من صاحبك العسف والرأى ان احمل اليك مالا ترضى به صاحبك ونصطلح فاجابه الى ذلك وصالحه واخذ منه ما كان اخرجه على تجهيز الجيش وعاد عنه

(ذكر الحرب بين قرواش وابي علي بن ثمال الخفاجي)

في المحرم جرت وقعة بين معتمد الدولة ابي المنيع قرواش بن المقلد العقيلي وبين ابي علي ابن ثمال الخفاجي وكان سببها ان قرواش جمع جمعا كثيرا وسار الى الكوفة وابو علي غائب عنها فدخلها ونزل بها وعرف ابو علي الخبر فسار اليه فالتقوا واقتتلوا فانهزم قرواش وعاد الى الانبار مغلولا وملك ابو علي الكوفة واخذ اصحاب قرواش فصادرهم

(ذكر خروج ابي ركوة على الحاكم بمصر)

في هذه السنة ظفر الحاكم بابي ركوة ونحن نذكر ههنا خبره اجمع كان ابو ركوة اسمه الوليد وانما كني ابا ركوة لركوة كان يحملها في اسفاره سنة الصوفية وهو من ولد هشام بن عبد الملك بن مروان ويقرب في النسب من المؤيد هشام بن الحاكم الاموي صاحب الاندلس وان المنصور بن ابي عامر لما استولى على المؤيد واخفاه عن الناس تتبع أهله ومن يصلح منهم للملك فطلبه فقتل البعض وهرب البعض وكان ابو ركوة ممن هرب وعمره حينئذ قد زاد على العشرين سنة وقصد مصر وكتب الحديث ثم سار الى مكة واليمن وعاد الى مصر ودعا بها الى القائم فاجابه بنو قرة وغيرهم وسبب استجابتهم أن الحاكم بامر الله كان قد اسرف في مصر في قتل القواد وحبسهم واخذ اموالهم وسائر القبائل معه في ضنك وضيق ويودون خروج الملك عن يده وكان الحاكم في الوقت الذي دعا ابو ركوة بني قرة قد آذاهم وحبس منهم جماعة من اعيانهم وقتل بعضهم فلما دعاهم ابو ركوة انقادوا له وكان بين بني قرة وبين زناتة حروب ودماء فاتفقوا على الصلح ومنع انفسهم من الحاكم فقصد بني قرة وفتح مكتبا يعلم الصبيان الخط وتظاهر بالدين والنسك وامهم في صلواتهم فشرع في دعوتهم الى ما يريد فاجابوه وبايعوه واتفقوا عليه وعرفهم حينئذ نفسه وذكر لهم ان عندهم في الكتب انه يملك مصر وغيرها ووعدهم ومناهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا فاجتمعت بنو قرة وزناتة على بيعته وخاطبوه بالامامة وكانوا بنواحي برقة فلما سمع الوالي ببرقة خبره كتب الى الحاكم ينهيه اليه ويستاذنه في قصدهم واصلاحهم فامره بالكف عنهم واطراحهم ثم ان ابا ركوة جمعهم وسار الى برقة واستقر بينهم ان يكون الثلث من الغنائم له والثلثان لبني قرة وزناتة فلما قاربها خرج اليه واليها فالتقوا فانهزم عسكر الحاكم وملك ابو ركوة

(وفي يوم الثلاثاء) خرج محمد علي وحسن بك اخو طاهر باشا الى جهة القليوبية وصحبتهم عساكر كثيرة وأدوات وعدى طائفة من الامراء الى بر المنوفية وهرب حاكم المنوفية من منوف (وفي ثالث عشره) ورد الخبر بوصول مراكب داوات من القلزم الى السويس وفيها الحجاج والمحمل واخبروا بمحاصرة الوهابيين لمكة والمدينة وجدة وان اكثر اهل المدينة ماتوا جوعا لعزة الاقوات والاردب القمح بخمسين فرانسا ان وجد والاردب الارز بمائة فرانسا وقس على ذلك (وفي خامس عشره يوم السبت) وصلت مراكب وفيها طائفة من العسكر وهم الذين يسمونهم النظام الجديد الذين يقلدون محاربة الافرنج واشاعوا انهم خمسة آلاف وعشرة آلاف ووصل صحبتهم الآغا الذي كان حضر بالهدية والبشارة للباشا بالتقليد والاطواخ ورجع الى اسكندرية فحضر ايضا وضربوا لوصوله مدافع وشنكا جهة بولاق وارسلوا له خيولا و برقا وطبلخانات وأركبوه من بولاق وشق من وسط المدينة وامامه وخلفه اتباع الباشا والوالي والجنيات وعسكر النظام الجديد وهم دون المائة شخص والآغا المذكور ومعه أوراق في أكياس حرير ملون وخلفه آخر

برقة

برقة وقوى هو ومن معه بما اخذوا من الاموال والسلاح وغيره ونادى بالكف عن الرعية والنهب واظهر العدل وامر بالمعروف فلما وصل المنهزمون الى الحاكم عظم عليه الامر واهمته نفسه وملكه وعاود الاحسان الى الناس والكف عن اذاهم وندب عسكرا نحو خمسة آلاف فارس وسيرهم وقدم عليهم قائدا يعرف بينال الطويل وسيره فبلغ ذات الحمام وبينها وبين برقة مفازة فيها منزلان لا يلقى السالك الماء الا فى آبار عميقة يصعب بها وشدة فسير ابو ركوة قائدا فى الف فارس وامرهم بالمسير الى ينال ومن معه ومطاردتهم قبل الوصول الى المنزلين المذكورين وامرهم اذا عادوا أن يغوروا الآبار ففعلوا ذلك وعادوا فحينئذ سار ابو ركوة فى عساكره ولقيهم وقد خرجوا من المفازة على ضعف وعطش فقاتلهم فاشتد القتال فحمل ينال على عسكر ابى ركوة فقتل منهم خلقا كثيرا وابو ركوة واقف لم يحمل هو ولا عسكره فاستأمن اليه جماعة كثيرة من كتامة لما نالهم من الاذى والقتل من الحاكم واخذوا الامان لمن بقى من اصحابهم ولحقهم الباقون فحمل حينئذ بهم على عساكر الحاكم فانهزمت واسر ينال وقتل واسر اكثر عسكره وقتل منهم خلق كثير وعاد الى برقة وقد امتلأت ايديهم من الغنائم وانتشر ذكره وعظمت هيبته واقام ببرقة وترددت سراياه الى الصعيد وارض مصر وقام الحاكم من ذلك وقعد وسقط فى يده وندم على ما فرط وفرح جند مصر واعيانها وعلم الحاكم ذلك فاشتد قلقه واظهر الاعتذار عن الذى فعله وكتب الناس الى ابى ركوة يستدعونه وممن كتب اليه الحسين بن جوهر المعروف بقائد القواد فسار حينئذ من برقة الى الصعيد وعلم الحاكم فاشتد خوفه وبلغ الامر به كل مبلغ وجمع عساكره واستشارهم وكتب الى الشام يستدعى العساكر بغاية وفرق الاموال والدواب والسلاح وسيرهم وهم اثنا عشر الف رجل بين فارس وراجل سوى العرب واستعمل عليهم الفضل بن عبد الله فلما قاربوا ابا ركوة لقيهم فى عساكره ورام مناجزة المصريين والفضل يحاجزه ويدافع ويراسل اصحاب ابى ركوة يستميلهم ويبذل لهم الرغائب فاجابه قائد كبير من بنى قرة يعرف بالماضى وكان يطالعه باخبار القوم وما هم عازمون فيدبر الفضل امره على حسب ما يعلمه منه وضاقت الميرة على العساكر فاضطر الفضل الى اللقاء فالتقوا واقتتلوا بكوم شريك فقتل بين الفريقين قتلى كثيرة ورأى الفضل من جمع ابى ركوة ما هاله وخاف المناجزة فعاد الى عسكره وراسل بنو قرة العرب الذين فى عسكر الحاكم يستدعونهم اليهم ويذكرونهم احسان الحاكم اليهم فاجابوهم واستقر الامر أن يكون الشام للعرب ومصر لابى ركوة ومن معه مصر وتواعدوا ليلة يسير فيها ابو ركوة الى الفضل فاذا وصل اليه انهزمت العرب ولا يبقى دون مصر مانع فكتب الماضى الى الفضل بذلك فلما كان ليلة الميعاد جمع الفضل رؤساء العرب ليفطروا عنده واظهر انه صائم وطاولهم الحديث وتركهم فى خيمة واعتزلهم ووصى اصحابه بالحذر ورام العرب العود الى خيامهم فعللهم وطاولهم ثم احضر الطعام واحضرهم فاكلوا وتحدثوا وسير الفضل سرية الى طريق ابى ركوة فلقوا العسكر الوارد مع عنده فاقتتلوا ووصل الخبر الى العسكر وارتج

راكب ومعه بقجة يقال ان بداخلها خلعة برسم الباشا وآخر معه صندوق صغير وعليه دواة كتابة منقوشة بالفضة وخلفهم الطبلخانات فلما وصلوا الى القلعة ضربوا لوصولهم مدافع كثيرة من القلعة وعمل الباشا ديوانا فى ذلك الوقت بعد العصر وقرؤا التقليد المذكور (وفى ذلك اليوم) وصلت طائفة من العربان الى جهة بولاق وجزيرة بدران وناحية المذبح وخطفوا ما خطفوه وذهبوا بما اخذوه (وفيه) ورد الخبر بوصول الالفى الكبير الى ناحية بنى سويف وعثمان بك حسن فى مقابلته بالبر الشرقى (وفى يوم الاثنين) وصل قاصد من الالفى بمكتوب خطابا للمشايخ العلماء مضمونه انه لا يخفاكم اننا كنا سافرنا سابقا القصد راحتنا وراحة البلاد ورجعنا باوامر وحصل لنا ما حصل ثم توجهنا الى جهة قبلى واستقر بنا باسيوط بعد حصول الحادث بين اخواننا الامراء والعسكر وخروجهم من مصر وأرسلنا الى افندينا الباشا بذلك فانعم علينا بولاية جرجا ونكون تحت الطاعة فامتثلنا ذلك وعزمنا على التوجه حسب الامر فبلغنا مصادرة الحريم والتعرض لهم بما لا يليق من الغرائم وتسليط العساكر عليهم ولزومهم لهم فثنينا العزم

وأراد العرب الركوب فنعهم وارسل الى أصحابهم من العرب فأمرهم بالركوب والقتال ولم يكن عندهم علم بما فعل رؤساؤهم فركبوا واشتد القتال ورأى بنو قرة الامر على خلاف ما قرروه ثم ركب الفضل ومعه رؤساء العرب وقد فاتهم ما عزموا عليه فباشروا الحرب وغاصوا فيها ووردأبو ركوة مددا لاصحابه فلما رآه الفضل رد أصحابه وعاد الى المدافعة وجهز الحاكم عسكرا آخر بستة آلاف فارس وعبروا الى الجيزة فسمع أبو ركوة بهم فسار مجدا فى عسكره ليوافقهم عند مصر وضبط الطرق لئلا يسمع الفضل ولم يمكن الماضى ان يكاتبه فساروا وأرسل اليه من الطريق يعرفه الخبر وقطع أبو ركوة مسيرة خمس ليال فى ليلتين وكبسوا عسكر الحاكم بالجيزة وقتلوا نحو ألف فارس وخاف اهل مصر ولم يبرز الحاكم من قصره وأمر الحاكم من عنده من العساكر بالعبور الى الجيزة ورجع أبو ركوة فنزل عند الهرمين ثم انصرف من يومه وكتب الحاكم الى الفضل كتابا ظاهرا يقول فيه ان أبا ركوة انهزم من عساكرنا ليقرأه على القواد وكتب اليه سرا يعلمه الحال فاظهر الفضل البشارة بانهزام أبى ركوة تسكينا للناس ثم سار أبو ركوة الى موضع يعرف بالسبخة كثير الاشجار وتبعه الفضل وكمن أبو ركوة بين الاشجار وطارد عسكر الفضل ورجع عسكره القهقرى ليستجروا عسكر الفضل ويخرج الكمين عليهم فلما رأى الكمناء رجوع عسكر أبى ركوة ظنوها الهزيمة لاشك فيها فولوا ينعون وركبهم أصحاب الفضل وعلوهم بالسيوف فقتل منهم ألوف كثيرة وانهزم أبو ركوة ومعه بنو قرة وساروا الى حالهم فلما بلغوها ثبطهم الماضى عنه فقالوا له قد قاتلنا معك ولم يبق فينا قتال فخذ لنفسك وانج فسار الى بلد النوبة فلما بلغ الى حصن يعرف بحصن الجبل للنوبة أظهر انه رسول من الحاكم الى ملكهم فقال له صاحب الحصن الملك عليل ولابد من استخراج أمره فى مسيرك اليه وبلغ الفضل الخبر فارسل الى صاحب القلعة بالخبر على حقيقته فوكل به من يحفظه وارسل الى الملك بالحال وكان ملك النوبة قد توفى وملك ولده فامر بان يسلم الى نائب الحاكم فتسلمه رسول الفضل وسار به فلقيه الفضل وأكرمه وأنزله فى مضاربه وحمله الى مصر فاشهر بها وطيف به وكتب أبو ركوة الى الحاكم رقعة يقول فيها يامولانا الذنوب عظيمة واعظم منها عفوك والدماء حرام مالم يحللها سخطك وقد احسنت واسات وما ظلمت الا نفسى وسوء عملى أوبقنى وأقول

فررت فلم يغن الفرار ومن يكن * مع الله لم يعجزه فى الارض هارب
ووالله ما كان الفرار لحاجة * سوى فزع الموت الذى أنا شارب
وقد قادنى جرمى اليك برمتى * كما خر ميت فى رحا الموت سارب
وأجمع كل الناس أنك قاتلى * فيارب ظن ربه فيك كاذب
وما هو الا الانتقام وينتهى * وأخذك منه واجب لك واجب

ولما طيف به ألبس طرطورا وجعل خلفه قرد يصفعه كان معلما بذلك ثم حمل الى ظاهر القاهرة ليقتل ويصلب فتوفى قبل وصوله فقطع رأسه وصلب وبالغ الحاكم فى اكرام الفضل الى حد أنه عاده فى مرضة مرضها دفعتين فاستعظم الناس ذلك ثم انه عمل فى قتل

الفضل

واستقرنا الله تعالى فى الحضور الى مصر لننظر فى هذه الاحوال فان التعرض للحريم والعرض لاتهضمه النفوس وكلام كثير من هذا المعنى فلما وصلتهم المكاتبة أخذوها الى الباشا واطلعوه عليها فقال فى الجواب انه تقدم انهم تركوا نساءهم للفرنسيس واخذوا منهم اموالا وانى كنت اعطيت لهم جرجا ولعثمان بك قنا وما فوق ذلك من البلاد وكان فى عزمى ان أكاتب الدولة واطلب لهم اوامر ومراسيم بما فعلته لهم وبراحتهم فحيث انهم لم يرضوا بفعلى وغرتهم امانيهم فليأخذوا على نواصيهم (وفيه) شرعوا فى حفر خندق قبلى الامام الليث بن سعد ومتاريس (وفى ذلك اليوم) أرسل محمد على الى مصطفى أغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجى فلما حضرا اليه عوقهما الى الليل ثم ارسلهما الى القلعة بعد العشاء ماشيين ومعهما عدة من العسكر فحبسا بها (وفى يوم الخميس عشرينه) عمل الباشا ديوانا وحضر المشايخ والوجاقلية واظهر زينته وتفاخره فى ذلك الديوان وأوقف خيوله المسومة بالحوش وخيول شعير الدر واصطفت العساكر بالابواب والحوش والديوان ووقفت اصناف الديوان باختلاف أشكالهم والسعاة بالطاسات

الفضل لما هو فى فقته

ذكر القبض على مجد الدولة وعوده الى ملكه

فى هذه السنة قبضت والدة مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه صاحب الرى و بلد الجبل عليه وكان سبب ذلك ان الحكم كان اليها فى جميع اعمال ابنها فلما وزر له الخطير أبو على ابن على بن القاسم استمال الامراء ووضعهم عليها والشكوى عليها وخوف ابنها منها فصار كالمحجور عليه فخرجت من الرى الى القلعة فوضع عليها من يحفظها فعملت الحيلة حتى هربت الى بدر بن حسنويه واستعانت به فى ردها الى الرى وجاءها ولدها شمس الدولة وعساكر همذان وسار معها بدر الى الرى فحصروها وجرى بين الفريقين قتال كثير مدة ثم استظهر بدر ودخل البلد واسر مجد الدولة فقيدته والدته وسجنته بالقلعة وأجلست أخاه شمس الدولة فى الملك وصار الامر اليها وعاد بدر الى بلده وبقى شمس الدولة فى الملك نحو سنة فرأت والدته منه تنكرا وتغيرا وان أخاه مجد الدولة الين عريكة وأسلس جانبا فاعادته الى الملك وسار شمس الدولة الى همذان وكره بدر هذه الحالة الا انه اشتغل بولده هلال عن الحركة فيها وصارت هى تدبر الامر وتسمع رسائل الملوك وتعطى الاجوبة وأرسل شمس الدولة الى بدر يستمده فسير اليه جندا فاخذهم وسار بهم الى قم فحصروها فمنعها أهلها ثم ان العساكر دخلوا اطرافها ونهبوا فاشتغلوا بالنهب فأكب عليهم العامة وقتلوا منهم نحو سبعمائة رجل وانهزم الباقون الى معسكرهم ثم قبض هلال بن بدر على أبيه فتفرق ذلك الجمع كله

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة اشتد الغلاء بالعراق فضج العامة وشغب الجند وكانت فتنة وفيها توفى عبد الصمد الزاهد ودفن عند قبر أحمد وكان غاية فى الزهد والورع وفيها هبت على الحاج ريح سوداء بالثعلبية أظلمت لها الارض ولم ير الناس بعضهم بعضا وأصابهم عطش شديد ومنعهم ابن الجراح الطائى من المسير ليأخذ منهم مالا فضاق الوقت عليهم فعادوا ولم يحجوا وفيها مات على بن أحمد أبو الحسن الفقيه المالكى المعروف بابن القصاب

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وثلثمائة

ذكر غزوة بهيم نغر

لما فرغ يمين الدولة من الغزوة المتقدمة وعاد الى غزنة واستراح هو وعسكره استعد لغزوة أخرى فسار فى ربيع الآخر من هذه السنة فانتهى الى شاطئ نهر هندمند فلاقاه هناك ابرهمن بال بن انندبال فى جيوش الهند فاقتتلوا مليا من النهار وكادت الهند تظفر بالمسلمين ثم ان الله تعالى نصرهم عليهم فظفر بهم المسلمون فانهزموا على أعقابهم وأخذهم المسلمون بالسيف وتبع يمين الدولة أثر ابرهمن بال حتى بلغ قلعة بهيم نغر وهى على جبل عال وكان الهند قد جعلوها خزانة لصنمهم الاعظم فينقلون اليها أنواع الذخائر

المذهبة على رؤسهم وخرج الباشا بالشعار والهيئة وعلى رأسه الطلخان بالطراز الى الديوان الكبير المعروف بديوان الغورى وقد اعدوا له كرسيا بغاشية جوخ أحمر وبساط مفروشا خلاف الموضع القديم فجلس عليه وزعقت الجاويشية وأحضر التقليد فقرأه ديوان افندى بحضور الجمع الكبير ثم قرأ فرمانين آخرين مضمون أحدهما أكثر كلاما من الثانى ملخصه الولاية وحكاية الحال الماضية من ولاية على باشا وشفاعته فى الامراء المصرية بشرط توبتهم ورجوعهم ثم عودهم الى البغى والفجور وغدرهم على باشا المذكور وظلمهم الرعية بمعونة العسكر ثم قيام الرعية والعسكر عليهم حتى قتلوهم وأخرجوهم من مصر فعند ذلك صفحنا عن العسكر وعفونا عما تقدم منهم وأمرناهم بان يلازموا الطاعة ويكونوا مع أحمد باشا خورشيد بالحفظ والصيانة والرعاية لكافة الرعية والعلماء وابعاد اهل الفساد والمعتدين وطردهم وتشهيل لوازم الحج والحرمين من الصرة والغلال ونحو ذلك من الكلام المحفوظ المعتاد المنمق ولما انقضى امر قراءة الاوراق قام الباشا الى مجلسه الداخل ودخل اليه المشايخ

قرنا بعد قرن واعلاق الجواهر وهم يعتقدون ذلك دينا وعبادة فاجتمع فيها على طول الازمان ما لم يسمع بمثله فنازلهم يمين الدولة وحصرهم وقاتلهم فلما راى الهنود كثرة جمعهم وحرصهم على القتال وزحفهم اليهم مرة بعد اخرى خافوا وجبنوا وطلبوا الامان وفتحوا باب الحصن وملك المسلمون القلعة وصعد يمين الدولة اليها في خواص اصحابه وثقاته فاخذ منها من الجواهر ما لا يحد ومن الدراهم تسعين الف الف درهم شاهية ومن الاواني الذهبيات والفضيات سبعمائة الف وار بعمائة مناوكان فيها بيت مملوء من فضة طوله ثلاثون ذراعا وعرضه خمسة عشر ذراعا الى غير ذلك من الامتعة وعاد الى غزنة بهذه الغنائم ففرش تلك الجواهر في صحن داره وكان قد اجتمع عنده رسل الملوك فادخلهم اليه فراوا ما لم يسمعوا بمثله

(ذكر حال ابى جعفر بن كاكويه)

هو ابو جعفر بن دشمنزيار وانما قيل كاكويه لانه كان ابن خال والدة مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه وكاكويه هو الخال بالفارسية وكانت والدة مجد الدولة قد استعملته على اصبهان فلما فارقت ولدها فسد حاله فقصد الملك بهاء الدولة واقام عنده مدة ثم عادت والدة مجد الدولة الى ابنها بالرى فهرب ابو جعفر وسار اليها فاعادته الى اصبهان واستقر فيها قدمه واعظم شانه وسياتي من اخباره ما يعلم به صحة ذلك ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الاول وقع ثلج كثير ببغداد وواسط والكوفة والبطائح الى عبادان وكان ببغداد نحو ذراع وبقى في الطرق نحو عشرين يوما وفيها وقعت الفتنة ببغداد في رجب وكان اولها أن بعض الهاشميين من باب البصرة أتى ابن المعلم فقيه الشيعة في مسجده بالكرخ فآذاه ونال منه فثار به اصحاب ابن المعلم واستنفر بعضهم بعضا وقصدوا ابا حامد الاسفرايني وابن الاكفاني فسبوهما وطلبوا الفقهاء ليوقعوا بهم فهربوا وانتقل ابو حامد الاسفرايني الى دار القطن وعظمت الفتنة ثم ان السلطان اخذ جماعة وسجنهم فسكنوا وعاد ابو حامد الى مسجده واخرج ابن المعلم من بغداد فشفع فيه على بن مزيد فاعيد وفيها وقع الغلاء بمصر واشتد وعظم الامر وعدمت الاقوات ثم تعقبه وباء كثير أفنى كثيرا من اهلها وفيها زلزلت الدينور زلزلة شديدة خربت المساكن وهلك خلق كثير من أهلها وكان الذين دفنوا ستة عشر الف سوى من بقى تحت الهدم ولم يشاهد وفيها امر الحاكم بامر الله صاحب مصر بهدم بيعة قمامة وهى بالبيت المقدس وتسميها العامة القيامة وفيها الموضع الذى دفن فيه المسيح عليه السلام فيما يزعمه النصارى واليها يحجون من اقطار الارض وأمر بهدم البيع في جميع مملكته فهدمت وأمر اليهود والنصارى اما ان يسلموا او يسيروا الى بلاد الروم ويلبسوا الغيار فاسلم كثير منهم ثم أمر بعمارة البيع ومن اختار العود الى دينه عاد فارتد كثير من النصارى وفيها توفى

ابو

فخلع عليهم فراوى سمور وكذلك الوجاقلية والكتبة والسيد احمد المحروقي ثم عملوا شنكا ومدافع كثيرة وطبولا واحضر في ذلك الوقت المعلم جرجس وكبار الكتبة وعدتهم اثنان وعشرون قبطيا ولم تجر عادة باحضارهم فخلع عليهم ايضا ثم نزلوا الى بيت المحروقي فتغدوا عنده ثم عوقهم الى العصر ثم طلبهم الباشا الى القلعة فحبسهم تلك الليلة واستمروا في الترسيم وطلب منهم الف كيس (وفي يوم السبت ثاني عشرينه) افرجوا عن مصطفى اغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجي على ثلثمائة كيس (وفيه) حضر محمد على وحسن بك اخو طاهر باشا وطلعا الى القلعة فخلع عليهما الباشا وهنأه بالولاية واستقر بمحمد على والى جرجا وحسن بك والى الغربية وضربوا لذلك مدافع كثيرة وشنكا وعملوا تلك الليلة حراقة وسواريخ من الازبكية وجهة الموسكى والحال انهم لا يقدرون ان يتعدوا بر الجيزة ولا شلقان فان طوائف عسكر الالفي وصلوا الى بر الجيزة واخذوا منها الكلف والامراء البحرية منتشرون ببر الغربية والمنوفية (وفيه) هرب شخص من كبار الارنؤد يقال له ادريس أغا كان بجماعته جهة برشوم التين فركب الى المصرلية ولحق بهم وتبعه جماعته وهم نحو

أبو العباس أحمد بن ابراهيم الضبي وزير مجد الدولة ببروجرد وكان سبب مجيئه اليها أن ام مجد الدولة بن بويه اتهمته انه سم اخاه فمات فلما توفي أخوه طلبت منه مائتي دينار لتنفقها في مأتمه فلم يعطها فاخرجته فقصد بروجرد وهي من أعمال بدر بن حسنويه فبذل بعد ذلك مائتي الف دينار ليعود الى عمله فلم يقبل منه فاقام بها الى ان توفي وأوصى ان يدفن بمشهد الحسين عليه السلام فقيل للشريف أبي احمد والد الشريف الرضي ان يبيعه بخمسمائة دينار موضع قبره فقال من يرتجوا جدي لا يباع وأمر ان يعمل له قبر وسير معه من اصحابه خمسين رجلا فدفنه بالمشهد وتوفي بعده بيسير ابنه أبو القاسم سعد وأبو عبد الله الجرجاني الحنفي بعد أن فلج وابو الفرج عبد الواحد بن نصر المعروف بالببغا الشاعر وديوانه مشهور والقاضي أبو عبد الله الضبي بالبصرة والبديع أبو الفضل احمد بن الحسين الهمذاني صاحب المقامات المشهورة وله شعر حسن وقرأ الادب على ابى الحسين بن فارس مصنف المجمل وتوفي أبو بكر أحمد بن على بن لال الفقيه الشافعي الهمذاني بنواحي عكا بالشام كان انتقل الى هنالك

(ثم دخلت سنة تسع وتسعين وثلثمائة)

(ذكر ابتداء حال صالح بن مرداس)

لما قتل عيسى بن خلاط أبا علي بن ثمال بالرحبة وملكها اقام فيها مدة ثم قصده بدران ابن المقلد العقيلي فاخذ الرحبة منه وبقيت لبدران فامر الحاكم بامر الله نائبه بدمشق لؤلؤا البشاري بالمسير اليها فقصد الرقة أولا وملكها ثم سار الى الرحبة وملكها ثم عاد الى دمشق وكان بالرحبة رجل من أهلها يعرف بابن محكان فملك البلد واحتاج الى من يجعله ظهره ويستعين به على من يطمع فيه فكاتب صالح بن مرداس الكلابي فقدم عليه واقام عنده مدة ثم ان صالحا تغير عن ذلك فسار الى ابن محكان وقاتله على البلد وقطع الاشجار ثم اصطلحا وتزوج ابنة ابن محكان ودخل صالح البلد الا انه كان أكثر مقامه بالحلة ثم ان ابن محكان راسل أهل عانة فاطاعوه ونقل أهله وماله اليهم وأخذ رهائنهم ثم خرجوا عن طاعته واخذوا ماله واستعادوا رهائنهم وردوا أولاده فاجتمع ابن محكان وصالح على قصد عانة فسارا اليها فوضع صالح على ابن محكان من يقتله فقتل غيلة وسار صالح الى الرحبة فملكها وأخذ أموال ابن محكان واحسن الى الرعية واستقر على ذلك الا ان الدعوة للمصريين

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قتل ابو علي بن ثمال الخفاجي وكان الحاكم بامر الله صاحب مصر قد ولاه الرحبة فسار اليها فخرج اليه عيسى بن خلاط العقيلي فقتله وملك الرحبة ثم ملكها بعده غيره فصار أمرها الى صالح بن مرداس الكلابي صاحب حلب وفيها صرف ابو عمر ابن عبد الواحد الهاشمي عن قضاء البصرة وكان قد علا اسناده في رواية السنن لابي داود السجستاني ومن طريقه سمعناه وولي القضاء بعده أبو الحسن بن أبي الشوارب

المائة وخمسين شخصا (وفيه) أرسل الباشا أغاة الانكشارية ليقبض على على كاشف من اتباع الالفي من بيته بسوق الانماطيين فارسل الى الارنؤد فارسلوا له جماعة منعوا الاغا من أخذه وجلسوا عنده فارسل الباشا من طرفه جماعة اقاموا محافظين عليه في بيته ثم ان سلطان اغا كبير الارنؤد الذى التجأ اليهم المذكور حضر اليه وأخذه الى داره بالازبكية وصحبته الامير مصطفى البردقيسى الالفي أيضا (وفي يوم الاثنين) وصل شخص رومى بمراسلة من عند الالفي الى الباشا فعندما قرأ الباشا المراسلة أمر بقتله حالا فرموا عنقه برحبة القلعة وحضر أيضا مملوك بمراسلة من عند عثمان بك حسن يذكر فيها حضوره مع الالفي وانه اغتر بكلامه وتمويهاته عليه وان بيده اوامر شريفة من الدولة ومن حضرة الباشا بالحضور ثم ظهر انه لم يكن بيده شئ وان عثمان بك ممتثل لما يأمره به الباشا وأمثال ذلك فكتب له جوابا وخلع على ذلك المملوك ورجع سالما (وفي يوم الاربعاء سادس عشرينه) افرجوا عن النصارى الاقباط بعد ماقرروا عليهم ألف كيس خلاف البراني وقدره مائتان وخمسون كيسا ونزلوا الى بيوتهم بعد العشاء الاخيرة

فقال العصفري الشاعر

عندي حديث ظريف * بمثله يتغنى * من قاضيين يعزى * هذا وهذا ابنهما
فهذا يقول اكرهونا * وذا يقول استرحنا * ويكذبان ونهذى * فمن يصدق منا

وفيها توفي أبو داود بن سيار دبن باجعفر ودفن عند قبر النذور بنهر المعلى وقبته مشهورة وابو محمد النامي الفقيه الشافعي وهو القائل

ياذا الذي قاسمني في البلا * فاختار أن يسكنه أولا
ما وطنت نفسي ولكنها * تسري اليكم منزلا منزلا

(ثم دخلت سنة اربعمائة)
(ذكر وقعة نارد ين بالهند)

في هذه السنة تجهز يمين الدولة الى الهند عازما على غزوه فسار اليها واخترقها واستباحها وكسر اصنامها فلما رأى ملك الهند انه لا قوة له به راسله في الصلح والهدنة على مال يؤديه وخمسين فيلا وان يكون له في خدمته الفا فارس لا يزالون فقبض منه ما بذله وعاد عنه الى غزنة

(ذكر الخلف بين بدر بن حسنويه وابنه هلال)

في هذه السنة كانت حرب بين بدر بن حسنويه الكردي وبين ابنه هلال وكان سبب الوحشة بينهما أن أم هلال كانت من الشاذنجان فاعتزلها أبوه عند ولادته فنشأ هلال مبعدا عنه لا يميل اليه وكانت نعمة بدر لابنه الآخر أبي عيسى فلما كان في بعض الايام خرج هلال مع أبيه متصيدا فرأيا سبعا وكان بدر اذا رأى سبعا قتله بيده فتقدم هلال الى الاسد بغير اذن ابيه فقتله فاغتاظ ابوه وقال كانك قد فتحت فتحا واي شرق بين السبع والكلب ورأى ابعاده عنه لشدته فاقطعه الصامغان وسهل ذلك على هلال ليتفرد بنفسه عن أبيه فاول ما فعله انه اساء مجاورة ابن الماضي صاحب شهرزور وكان موافقا لابيه بدر فنهى بدر ابنه هلالا عن معارضته فلم يسمع قوله وأرسل الى ابن الماضي يتهدده فاعاد رسالة ابنه في معناه وتهدده ان تعرض لشئ هوله فكان جواب نهيه أنه جمع عسكره وحصر شهرزور ورفعها وقتل ابن الماضي وأهله وأخذ أموالهم فورد على بدر من ذلك ما ازعجه وأقلقه واظهر السخط على هلال وشرع هلال يفسد جند أبيه ويستميلهم ويبذل لهم فكثر أصحاب هلال لاحسانه اليهم وبذله المال لهم وأعرض الناس عن بدر لامساكه المال فسار كل واحد منهما الى صاحبه فالتقيا على باب الدينور فلما تراءى الجمعان انحاز الاكراد الى هلال فاخذ بدر أسيرا وحمل الى ابنه فاشير على هلال بقتله وقالوا لا يجوز ان تستبقيه بعد ما اوحشته فقال ما بلغ من عقوقي له أن أقتله وحضر عند أبيه وقال له أنت الامير وأنا مدبر جيشك فخادعه ابوه بان قال له لا يسمعن هذا منك أحد فيكون هلاك كنا جميعا وهذه القلعة لك والعلامة في تسليمها كذا وكذا واحفظ المال الذي بها فانك الامير ما دام الناس يظنون بقائك

في الفرانيس (وفيه) وصل الى برانبابة فرموا عليهم مدافع من المراكب وبولاق ورفعوا القلة من الرقع وأشيع أن الالفي الكبير وصل الى الشوبك وعثمان بك حسن وصل الى حلوان وبعض ابراهيم بك والبرديسي وباقي الامراء الى ناحية بنها بعدما طافوا المنوفية والغربية وقبضوا الكلف والفرد وخرج بشير من العسكر الى معسكرهم ناحية شلقان وما وازاها الى الشرق وخرج أيضا عدة من العسكر الى ناحية طرا والجيزة (وفيه) أرسل الالفي الصغير ورقة لشخص من كبار العسكر مقطوع الانف كان من اتباع محمد علي كان بمصر يطالبه لحضور اليه ويعده بالاكرام وان يكون كما كان في منزلته عنده فاخذ الورقة والرسول الى الباشا فامر بقتل المرسال وهو رجل فلاح فقطعوا رأسه بالرميلة وأنعم على مقطوع الانف بعشرين الف نصف فضة وشكره وقبل ذلك بايام وصلت جماعة من العربان وأخبروا بورود عساكر من الدلاة وغيرهم معونة لمن بمصر واختلفت الروايات في عددهم فالمكثرون كذا في العثمانية يقولون عشرة آلاف والمقل من غيرهم يقولون ألفان او ثلاثة (وفي يوم الاربعاء) تواترت الاخبار بشروعهم من

وأراد بدر ان تفرد لى قلعة اتفرغ فيها للعبادة ففعل ذلك واعطاه جملة من المال فلما استقر بدر بالقلعة عمرها وحصنها وراسل ابا الفتح بن عناز وابا عيسى شاذى بن محمد وهو باساداباذ يقول لكل واحد منهما ليقصد اعمال هلال ويشعثها فسار ابو الفتح الى قرميسين فملكها وسار ابو عيسى الى سابورخواست فنهب حلل هلال ومضى الى نهاوند وبها ابو بكر بن رافع فاتبعه هلال اليها ووضع السيف فى الديلم فقتل منهم اربعمائة نفس منهم تسعون اميرا واسلم ابن رافع ابا عيسى الى هلال فعفا عنه ولم يؤاخذه على فعله وأخذه معه وارسل بدر الى الملك بهاء الدولة يستنجده فجهز فخر الملك ابا غالب فى جيش وسيره الى بدر فسار حتى وصل الى سابورخواست فقال هلال لابى عيسى شاذى قد جاءت عساكر بهاء الدولة فما الراى قال الراى ان تتوقف عن لقائهم وتبذل لبهاء الدولة الطاعة وترضيه بالمال فان لم يجيبوك فضيق عليهم وانصرف بين ايديهم فانهم لا يستطيعون المطاولة ولا تظن هذا العسكر كمن لقيته بباب نهاوند فان اولئك ذللهم ابوك على ممر السنين فقال غششتنى ولم تنصحنى واردت بالمطاولة ان يقوى أبى واضعف انا وقتله وسار ليكبس العسكر ليلا فلما وصل اليهم وقع الصوت فركب فخر الملك فى العساكر وجعل عند اثقالهم من يحميها وتقدم الى قتال هلال فلما راى هلال صعوبة الامر ندم وعلم ان أبا عيسى بن شاذى نصحه فندم على قتله ثم ارسل الى فخر الملك يقول له انى ما جئت لقتال وحرب انما جئت لاكون قريبا منك وانزل على حكمك فترد العسكر عن الحرب فانى ادخل فى الطاعة فمال فخر الملك الى هذا القول وارسل الرسول الى بدر ليخبره بما جاء به فلما راى بدر الرسول سبه وطرده وارسل الى فخر الملك يقول له ان هذا مكر من هلال لما راى ضعفه والراى ان لا تنفس خناقه فلما سمع فخر الملك الجواب قويت نفسه وكان يتهم بدرا بالميل الى ابنه وتقدم الى الجيش بالحرب فقاتلوا فلم يكن باسرع من ان اتى بهلال اسيرا فقبل الارض وطلب ان لا يسلمه الى ابيه فاجابه الى ذلك وطلب علامته بتسليم القلعة فاعطاهم العلامة فامتنعت امه ومن بالقلعة من التسليم وطلبوا الامان فامنهم فخر الملك وصعد القلعة ومعه اصحابه ثم نزل منها وسلمها الى بدر واخذ ما فيها من الاموال وغيرها وكانت عظيمة قيل كان بها اربعون الف بدرة دراهم واربعمائة بدرة ذهبا سوى الجواهر النفيسة والثياب والسلاح وغير ذلك واكثر الشعراء من ذكر هذا فمن قال مهيار

فظنوك تعبا بحمل العراق * كأن لم يروك حملت الجبالا
ولو لم تكن فى العلو السماء * لما كان غنمك منها هلالا
سريت اليه فكنت السرار * له ولبدر ابيه كمالا

وهى كثيرة

(ذكر عود المؤيد الى امارة الاندلس وما كان منه)

قد ذكرنا سبب خلعه وحبسه فلما كان هذه السنة اعيد الى خلافته واسمه هشام

الصالحية وانتقل الامراء البحرية الى بلبيس وركب منهم عدة وافرة لملاقاة العسكر الواردين وخرج محمد على وحسن بك فى جمع كثير من العسكر الخيالة والرجالة الى جهة الشرقية ببلبيس ونقلوا عرضيهم من ناحية البحر وردوا الكثير من اثقالهم الى المدينة (وفى يوم الخميس) احضر الباشا طائفة اليهود وحبسهم وطلب منهم الف كيس واستمروا فى الحبس (وفيه) رجع الالفى الصغير من ناحية انبابة الى جهة الشيمى باستدعاء من سيده واشاع العثمانية انهم ذهبوا ورجعوا من حيث أتوا لعجزهم وعدم قدرتهم عليهم وكان فى ظنهم امورا لا تتم لهم كما ظنوا ولحقتهم جميع العساكر من الجهة الشامية (وفيه) ارسلوا ملاقاة للعساكر الواردين وفيها قومانية وجبخانه ولوازم على ستين جملا ومعهم ثمانمائة فعندما توسطوا البرية احاط بهم العربان واخذوهم (وفيه) تعصب أشخاص من كبار العسكر باتباعهم وذهبوا الى المصريين وانضموا اليهم فمنهم من ذهب الى قبلى ومنهم من ذهب الى بحرى (وفيه) عدى الالفى الكبير والصغير الى البر الشرقى عند عثمان بك وترفعت مراكبهم الى قبلى (وفيه) حضر عابدي بك وحسن بك من البحر الى بولاق

ابن الحاكم بن عبد الرحمن الناصر وكان عوده تاسع ذى الحجة وكان الحكم فى دولته هذه الى واضح العامرى واحضر اهل قرطبة اليه فوعدهم ومناهم وكتب الى البربر الذين مع سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ودعاهم الى طاعته والوفاء ببيعته فلم يجيبوه الى ذلك فامر اجناده واهل قرطبة بالحذر والاحتياط فاحبه الناس ثم نقل اليه ان نفرا من الامويين بقرطبة قد كاتبوا سليمان وواعدوه ليكون بقرطبة فى السابع والعشرين من ذى الحجة ليسلموا اليه البلد فاخذهم وحبسهم فلما كان الميعاد قدم البربر الى قرطبة فركب الجند واهل قرطبة وخرجوا اليهم مع المؤيد فعاد البربر وتبعهم عساكره فلم يلحقوهم وتردد الرسل بينهم فلم يتفقوا على شئ ثم ان سليمان والبربر راسلوا ملك الفرنج يستمدونه وبذلوا له تسليم حصون كان المنصور بن أبى عامر قد فتحها منهم فارسل ملك الفرنج الى المؤيد يعرفه الحال ويطلب منه تسليم هذه الحصون لئلا يمد سليمان بالعساكر فاستشار أهل قرطبة فى ذلك فاشاروا بتسليمها اليه خوفا من ان يمدوا سليمان واستقر الصلح فى المحرم سنة احدى واربعمائة فلما أيس البربر من انجاد الفرنج رحلوا فنزلوا قريبا من قرطبة فى صفر سنة احدى واربعمائة وجعلت خيلهم تغير يمينا وشمالا وخربوا البلاد وعمل المؤيد وواضح العامرى سورا وخندقا على قرطبة أمام السور الكبير ثم نازل سليمان قرطبة خمسة وأربعين يوما فلم يملكها فانتقل الى الزهراء وحصرها وقاتل من بها ثلاثة أيام ثم ان بعض الموكلين بحفظه سلم اليه الباب الذى هو موكل بحفظه فصعد البربر السور وقاتلوا من عليه حتى ازالوهم وملكوا البلد عنوة وقتل أكثر من به من الجند وصعد أهله الجبل واجتمع الناس بالجامع فاخذهم البربر وذبحوهم حتى النساء والصبيان والقوا النار فى الجامع والقصر والديار فاحترق أكثر ذلك ونهبت الاموال ثم ان واضحا كاتب سليمان يعرفه أنه يريد الانتقال عن قرطبة سرا ويشير عليه بمنازلتها بعد مسيره منها ونما الخبر الى المؤيد فقبض عليه وقتله واشتد الامر بقرطبة وعظم الخطب وقلت الاقوات وكثر الموت وكانت الاقوات عند البربر أقل منها بالبلد لانهم كانوا قد خربوا البلاد وجلا اهل قرطبة وقتل المؤيد كل من مال الى سليمان ثم ان البربر وسليمان لازموا الحصار والقتال لاهل قرطبة وضيقوا عليهم وفى مدة هذا الحصار ظهر بطليطلة عبيد الله بن محمد بن عبد الجبار وبايعه أهلها فسير اليهم المؤيد جيشا فحصروهم فعادوا الى الطاعة وأخذ عبيد الله اسيرا وقتل فى شعبان سنة احدى وأربعمائة ثم ان أهل قرطبة قاتلوا فى بعض الايام البربر فقتل منهم خلق كثير وغرق فى النهر مثلهم فرحلوا عنها وساروا الى اشبيلية فحصروها فارسل المؤيد اليها جيشا فحماها ومنع البربر عنها وراسل سليمان نائب المؤيد بسرقسطة وغيرها يدعوهم اليه فاجابوه واطاعوه فسار البربر وسليمان عن اشبيلية الى قلعة رباح فملكوها وغنموا ما فيها واتخذوها دارا ثم عادوا الى قرطبة فحصروها وقد خرج كثير من أهلها وصار كرها من الجوع والخوف واشتد القتال عليها وملكها سليمان عنوة وقهرا وقتلوا من وجدوا فى الطرق ونهبوا البلد واحرقوه فلم يحص القتلى لكثرتهم ونزل

وانتقل محمد على الى تلك الجهة وقعت بينهم وبين المصرلية وانهزموا وذهبوا الى تلك الجهة (وفى يوم الاحد غايته) افرجوا عن طائفة اليهود بعد أن قرروا عليهم ما ئتى كيس خلاف البرانى (وفيه) حضر خازندار الباشا من الديار الرومية الى ساحل بولاق وصحبته أمتعة ولوازم للباشا واشياء فى صناديق

●(استهل شهر ربيع الثانى بيوم الاثنين سنة ١٢١٩) فيه ركب الخازندار المذكور وطلع الى القلعة من وسط المدينة ونزل لملاقاته اغوات الباشا والجاويشية والشفاسية وحضر صحبته نحو خمسين عسكريا ومشوا امامه وخلفه والصناديق التى حضرت معه خلفه محملة على الجمال والجاويشية امامه يضربون على طبلات حكم العادة فى ركوباتهم ومعه عدة كبيرة من اتباع الباشا وامامه الجنيبات والخيول (وفيه) وصلت مراكب من الديار الحجازية الى السويس وفيها حجاج ومغاربة ولم يصل منهم الا القليل واكثرهم قتله العسكر الذى بقى بمكة بعد موت شريف باشا ومن انضم اليهم من اجناسهم وقد حصل منهم غاية الضرر والفساد والقتل حتى فى داخل الحرم لان الشريف غالب اضمهم اليه

البربر فى الدور التى لم تحرق فنال أهل قرطبة من ذلك ما لم يسمع بمثله وأخرج المؤيد من القصر وحمل الى سليمان ودخل سليمان قرطبة منتصف شوال سنة ثلاث وار بعمائة وبويع له بها ثم ان المؤيد جرى له مع سليمان أقاصيص طويلة ثم خرج الى شرق الاندلس من عنده وكان ممن قتل فى هذا الحصر أبو الوليد بن الفرضى مظلوما رحمه الله

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة أرسل الحاكم بامر الله من مصر الى المدينة ففتح بيت جعفر الصادق وأخرج منه مصحف وسيف وكساء وقعب وسرير وفيها نقص الماء بدجلة حتى أصلحت ما بين أوانا وقريب بغداد حتى جرت السفن بها وفيها مرض أبو محمد بن سهلان فاشتد مرضه فنذران عوفى بنى سورا على مشهد أمير المؤمنين على عليه السلام فعوفى فامر ببناء سوره عليه فبنى فى هذه السنة تولى بناءه أبو اسحق الارجانى وفيها ولد عدنان بن الشريف الرضى وفيها توفى النقيب أبو احمد الموسوى والد الرضى بعد ان اضر ووقف بعض أملاكه على البر وصلى عليه ابنه الاكبر المرتضى ودفن بداره ثم نقل الى مشهد الحسين عليه السلام وكان مولده سنة أربع وثلثمائة وفيها توفى ايضا أبو جعفر الحجاج بن هرمز بالاهواز وعمدة الدولة أبو اسحق بن معز الدولة بن بويه بمصر وفيها مرض الخليفة القادر بالله واشتد مرضه فارجف عليه فجلس للناس وبيده القضيب فدخل اليه أبو حامد الاسفراينى فقال لابن حاجب النعمان اسال أمير المؤمنين ان يقرأ شيئا من القرآن ليسمع الناس قراءته فقرأ لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم الآيات الثلاث وفيها توفى أبو العباس النامى الشاعر وأبو الفتح على بن محمد البستى الكاتب الشاعر صاحب الطريقة المشهورة فى التجنيس فمن شعره

يا أيها السائل عن مذهبى * لتقتدى فيه بمنهاجى
منهاجى العدل وقمع الهوى * فهل لمنهاجى من هاجى

(ثم دخلت سنة احدى واربعمائة)

(ذكر غزوة يمين الدولة بلاد الغور وغيرها)

بلاد الغور تجاور غزنة وكان الغورية يقطعون الطريق ويخيفون السبيل وبلادهم جبال وعرة ومضايق غلقة وكانوا يحتمون بها ويعتصمون بصعوبة مسالكها فلما كثر ذلك منهم أنف يمين الدولة محمود بن سبكتكين ان يكون مثل اولئك المفسدين جيرانه وهم على هذه الحال من الفساد والكفر فجمع العساكر وساروا اليهم وعلى مقدمته التونتاش الحاجب صاحب هراة وارسلان الجاذب صاحب طوس وهما اكبر امرائه فسارا فيمن معهما حتى انتهوا الى مضيق قد شحن بالمقاتلة فتناوشوا الحرب وصبر الفريقان فسمع يمين الدولة الحال فجد فى السير اليهم وملك عليهم مسالكهم فتفرقوا وساروا الى عظيم الغورية المعروف بابن سورى فانتهوا الى مدينته التى تدعى اهنكران فبرز من المدينة

ورتب لهم جامكية واستمروا معه على هذا الحال الفظيع (وفيه) انبهم امر العسكر الدلاة القادمين من الجهة الشامية واضطربت الروايات عن اخبارهم فمنهم من قال ان المصرلية وقفوا لهم بالطرق وقاتلوهم ورجع من نجا منهم بنفسه ومنهم من قال انهم لما بلغهم قطع الطريق عليهم رجعوا من حيث أتوا وبعضهم طلب الامان وانضم اليهم ومنهم من قال ان فرقة منهم ذهبت من فم الرمانة من طريق دمياط وقيل انهم حضروا بثمانين رأسا منهم الى بلبيس (وفى يوم الاربعاء) خرج الوالى بعدة من العسكر وصحبته مدافع وجبخانه واستقر بزاوية الدمرداش (وفى يوم الخميس رابعه) هجم الامراء القبالى وهم الالفى واتباعه وعثمان بك حسن ومن انضم اليهم على طرا وملكوا منها البرج الذى من ناحية الجبل بعد ما ضربوا عليه من أعلى الجبل وتعدوا الى ناحية البساتين وتركوا طرا ومن فيها خلف ظهورهم وتحاربوا مع طوابير العسكر وكانوا انفارا قليلة ونظرهم الباشا من قلعته فزعق على السلحدار فركب فى عدة من الشفاسية وخرج اليهم فعندما واجهوهم لم يثبتوا وولوا بعد ما سقط منهم أنفار (وفيه) وصل جواب من الامراء القبالى الى

فى عشرة آلاف مقاتل فقاتلهم المسلمون الى أن انتصف النهار فرأوا أشجع الناس وأقواهم على القتال فامر يمين الدولة أن يولوهم الادبار على سبيل الاستدراج ففعلوا فلما رأى الغورية ذلك ظنوه هزيمة فاتبعوهم حتى ابعدوا عن مدينتهم فحينئذ عطف المسلمون عليهم ووضعوا السيوف فيهم فابادوهم قتلا واسرا وكان فى الاسرى كبيرهم وزعيمهم ابن سورى ودخل المسلمون المدينة وملكوها وغنموا ما فيها وفتحوا تلك القلاع والحصون التى لهم جميعها فلما عاين ابن سورى ما فعل المسلمون بهم شرب سما كان معه فمات وخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين واظهر يمين الدولة فى تلك الاعمال شعار الاسلام وجعل عندهم من يعلمهم شرائعه وعاد ثم سار الى طائفة اخرى من الكفار فقطع عليهم مفازة من رمل ولحق عسكره عطش شديد كادوا يهلكون فلطف الله سبحانه وتعالى بهم وأرسل عليهم مطرا سقاهم وسهل عليهم السير فى الرمل فوصل الى الكفار وهم جمع عظيم ومعهم ستمائة فيل فقاتلهم أشد قتال صبر فيه بعضهم لبعض ثم ان الله نصر المسلمين وهزم الكفار وأخذ غنائمهم وعاد سالما مظفرا منصورا

﴿ذكر الحرب بين ايلك الخان وبين أخيه﴾

وفى هذه السنة سار ايلك الخان فى جيوش قاصدا قتال أخيه طغان خان فلما بلغ اوزكند سقط من الثلج ما منعهم من سلوك الطرق فعاد الى سمرقند وكان سبب قصده أن أخاه أرسل الى يمين الدولة يعتذر ويتنصل من قصد أخيه ايلك الخان بلاد خراسان ويقول انى ما رضيت ذلك منه ويلزم أخاه وحده الذنب وتبرأ هو منه فلما علم اخوه ايلك الخان ذلك ساءه وحمله على قصده

﴿ذكر الخطبة للمصريين العلويين بالكوفة والموصل﴾

فى هذه السنة ايضا خطب قرواش بن المقلد أمير بنى عقيل للحاكم بامر الله العلوى صاحب مصر باعماله كلها وهى الموصل والانبار والمدائن والكوفة وغيرها وكان ابتداء الخطبة بالموصل الحمد لله الذى انجلت بنوره غمرات العصب وانهدت بقدرته أركان النصب واطلع بنوره شمس الحق من الغرب فارسل القادر بالله أمير المؤمنين القاضى أبابكر بن الباقلانى الى بهاء الدولة يعرفه ذلك وان العلويين والعباسيين انتقلوا من الكوفة الى بغداد فاكرم بهاء الدولة القاضى أبابكر وكتب الى عميد الجيوش يامره بالمسير الى حرب قرواش واطلق له مائة ألف دينار ينفقها فى العسكر وخلع على القاضى أبى بكر وولاه قضاء عمان والسواحل وسار عميد الجيوش الى حرب قرواش فارسل يعتذر وقطع خطبة العلويين وأعاد خطبة القادر بالله

﴿ذكر الحرب بين بنى مزيد وبين دبيس﴾

كان أبو الغنائم محمد بن مزيد مقيما عند بنى دبيس فى جزيرتهم بنواحى خوزستان لمصاهرة بينهم فقتل ابو الغنائم احد وجوههم ولحق باخيه ابى الحسن على بن مزيد

المشايخ يذكرون فيه انهم يخاطبون الباشا فى اخماد الحرب وصلحه معهم فان ذلك اصلح له ويكونون معه على ما يحب وما يأمر به ويرتاح من علوفة العسكر التى اوجبت له المصادرات وسلب الاموال وخراب الاقاليم وأن يختار من العسكر طائفة معلومة معدودة يقيمون بمصر ويأمر الباقى بالسفر الى بلادهم فلما خاطبوه بذلك واطلعوه على المكاتبة أبى وقال ليس لهم عندى الا الحرب (وفى يوم الجمعة) حصلت ايضا بينهم محاربة واصيب من المراكب الحربية التى يسمونها الشلنبات اثنتان غرقت احداهما واحرقت الثانية واتهم الباشا الطبجية فقتل منهم خمسة اثنان بالقلعة وثلاثة بالرميلة (وفى يوم السبت) حضر محمد على من بحرى وذهب الى جهة القرافة فاقام بمقام عقبة بن عامر الجهنى ووقع فى ذلك اليوم محاربات أيضا (وفى يوم الاحد) اشيع حضور الامراء القبالى الى ناحية بهتيم وانهم ارسلوا الى المطرية بالجلاء عنها ورمحت العرب نواحى بولاق والجهات البرانية وضربوا عليهم مدافع وفى ذلك اليوم قطر الباشا وكبار العسكر الى جهة البساتين فلم يروا احدا من المصرلية فركب محمد على واخذ معه عدة وافرة ودخلوا تلك الجهة فلم يروا

فتبعوه فلم يدركوه وانحدر اليهم سند الدولة ابو الحسن بن مزيد فى الف فارس واستنجد عميد الجيوش فانحدر اليه ع الافى ز برية فى ثلاثين ديلميا وسار ابن مزيد اليهم فلقيهم واقتتلوا فقتل ابو الغنائم وانهزم ابو الحسن بن مزيد فوصل الخبر بهزيمته الى عميد الجيوش وهو منحدر فعاد

❁(ذكر وفاة عميد الجيوش وولاية فخر الملك العراق)❁

فى هذه السنة توفى عميد الجيوش ابو على بن استاذ هرمز ببغداد وكانت ولايته ثمان سنين واربعة أشهر وسبعة عشر يوما وكان عمره تسعا واربعين سنة وتولى تجهيزه ودفنه الشريف الرضى ودفنه بمقابر قريش ورثاه الرضى وغيره وكان أبوه ابو جعفر استاذ هرمز من حجاب عضد الدولة وجعل عضد الدولة عميد الجيوش فى خدمة ابنه صمصام الدولة فلما قتل اتصل بخدمة بهاء الدولة فلما استولى الخراب على بغداد وظهر العيارون وانحلت الامور بها أرسله اليها فاصلح الامور وقمع المفسدين وقتلهم فلما مات استعمل بهاء الدولة مكانه بالعراق فخر الملك أبا غالب فاصعد الى بغداد فلقيه الكتاب والقواد وأعيان الناس وزينوا له البلاد ووصل بغداد فى ذى الحجة ومدحه مهيار وغيره من الشعراء ومن محاسن اعمال عميد الجيوش انه حمل اليه مال كثير قد خلفه بعض التجار المصريين وقيل له ليس للميت وارث فقال لا يدخل خزانة السلطان مال ليس لها يترك الى ان يصح خبره فلما كان بعد مدة جاء اخ للميت بكتاب من مصر بانه مستحق للتركة فقصد باب عميد الجيوش ليوصل الكتاب فرآه يصلى على روشن داره فتنه بعض الحجاب فاوصل الكتاب اليه فقضى حاجته فلما علم التاجر أن الذى أخذ الكتاب كان عميد الجيوش عظم الامر عنده فاظهر ذلك فاستحسنه الناس ولما وصل التاجر الى مصر اظهر الدعاء له فضج الناس بالدعاء له والثناء عليه فبلغه الخبر فسره ذلك

❁(ذكر عدة حوادث)❁

فى هذه السنة اشتد الغلاء بخراسان جميعها وعدم القوت حتى اكل الناس بعضهم بعضا فكان الانسان يصيح الخبز الخبز ويموت ثم تبعه وباء عظيم حتى عجز الناس عن دفن الموتى وفيها مات ابو الفتح محمد بن عناز بحلوان وكانت امارته عشرين سنة وقام بعده ابنه ابو الشوك فسيرت اليه العساكر من بغداد لقتاله ولقيهم ابو الشوك وقاتلهم قتالا شديدا وانهزم ابو الشوك الى حلوان واقام بها الى أن اصلح حاله مع الوزير ابى غالب لما قدم العراق وفيها توفى ابو عبد الله محمد بن معن بن مقلد بن جعفر بن عمرو بن المهيا العقيلى وفى مقلد يجتمع آل المسيب وآل معن وكان عمره مائة وعشر سنين وكان بخيلا شديد البخل وشهد مع القرامطة أخذ الحجر الاسود وفيها توفى الامير ابو نصر احمد ابن ابى الحرث محمد بن فريغون صاحب الجوزجان وكان صهر يمين الدولة على اخته وكان هو وابوه قبله يحبون العلماء ويحسنون اليهم وفيها انقض كوكب كبير لم ير اكبر منه وفيها زادت دجلة احدى وعشرين ذراعا وغرق كثير من بغداد والعراق

واذا بكمين قد خرج عليهم من جانب الجبل فاوقع معهم وقعة قوية حتى اثخنوهم وقتل منهم من قتل حتى لحقوا بالمشاة الرجالة فضربوا عليهم طلقا وولوا مدبرين فصار محمد على يستحثهم ويردهم ويحرضهم فلم يسمعوا له ورجعوا وفيهم جرحى كثيرة طلعوا بطائفة منهم الى القلعة ودخل الباقون الى المدينة وطلبوا طائفة المزينين لمداواة الجرحى بالقلعة واخذوا فى ذلك اليوم برج الدير الذى كان بايدى العسكر جهة البحر بطرا وقتلوا من به من العسكر واعطوا لمن بقى الامان وهم نحو الثلاثين شخصا (وفى يوم الاثنين ثامنه) وصل المصرلية الذين كانوا جهة الشرق ووصلت مقدماتهم الى جهة العادلية وناحية الشيخ قمر بل وعند الكيمار خارج باب النصر فاغلقوا باب النصر وباب الفتوح والعدوى وهربت سكان الحسينية وحصلت كرشة بالجمالية ولم يخرج اليهم احد من العسكر بل اخذوا يضربون بالمدافع من أعلى السور ودخل محمد بك المنفوخ الى الحسينيه وجلس بمسجد البيومى وانتشر المماليك والاتباع على الدكاكين والقهاوى واستمر ضرب المدافع الى بعد الظهر ثم ان

وتفجرت البثوق ولم يحج هذه السنة من العراق احد وفيها توفى ابراهيم بن محمد بن عبيد ابو مسعود الدمشقى الحافظ سافر الكثير فى طلب الحديث وله عناية بصحيحى البخارى ومسلم وتوفى أيضا خلف بن محمد بن على بن حمدون ابو محمد الواسطى كان فاضلا وله اطراف الصحيحين أيضا

(ثم دخلت سنة اثنتين واربعمائة)

(ذكر ملك يمين الدولة قصدار)

فى هذه السنة استولى يمين الدولة على قصدار وملكها وسبب ذلك ان مالكها كان قد صالحه على قطيعة يؤديها اليه ثم قطعها اغترارا بحصانة بلده وكثرة المضايق فى الطريق واحتمى بايلك الخان وكان يمين الدولة يريد قصدها فيتقى ناحية ايلك الخان فلما فسد ذات بينهما صمم العزم وقصدها وتجهز واظهر انه يريد هراة فسار من غزنة فى جمادى الاولى فلما استقل على الطريق سار نحو قصدار فسبق خبره وقطع تلك المضايق والجبال فلم يشعر صاحبها الا وعسكر يمين الدولة قد احاط به ليلا فطلب الامان فاجابه وأخذ منه المال الذى كان قد اجتمع عنده واقره على ولايته وعاد

(ذكر اسر صالح بن مرداس وملكه حلب وملك اولاده)

فى هذه السنه كانت وقعة بين ابى نصر بن لؤلؤ صاحب حلب وبين صالح بن مرداس وكان ابن لؤلؤ من موالى سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان فقوى على ولد سعد الدولة وأخذ البلد منه وخطب للحاكم صاحب مصر ولقبه الحاكم مرتضى الدولة ثم فسد ما بينه وبين الحاكم فطمع فيه ابن مرداس وبنو كلاب وكانوا يطالبونه بالصلات والخلع ثم انهم اجتمعوا هذه السنة فى خمسمائة فارس ودخلوا مدينة حلب فامر ابن لؤلؤ باغلاق الابواب والقبض عليهم فقبض على مائة وعشرين رجلا منهم صالح بن مرداس وحبسهم وقتل مائتين واطلق من لم يفكر به وكان صالح قد تزوج بابنة عم له تسمى جابرة وكانت جميلة فوصفت لابن لؤلؤ فخطبها الى ابن اخوتها وكانوا فى حبسه فذكروا له ان صالحا قد تزوجها فلم يقبل منهم وتزوجها ثم اطلقهم وبقى صالح بن مرداس فى الحبس فتوصل حتى صعد من السور والقى نفسه من أعلى القلعة الى تلها واختفى فى مسيل ماء ووقع الخبر بهربه فارسل ابن لؤلؤ الخيل فى طلبه فعادوا ولم يظفروا به فلما سكن عنه الطلب سار بقيده وابنة حديد فى رجليه حتى وصل قرية تعرف بالياسرية فرأى ناسا من العرب فعرفوه وحملوه الى أهله بمرج دابق فجمع الفى فارس فقصد حلب وحاصرها اثنين وثلاثين يوما فخرج اليه ابن لؤلؤ فقاتله فهزمهم صالح واسر ابن لؤلؤ وقيده بقيده الذى كان فى رجله وابنته وكان لابن لؤلؤ أخ فنجا وحفظ مدينة حلب ثم ان ابن لؤلؤ بذل لابن مرداس مالا على ان يطلقه فلما استقر الحال بينهما أخذ رهائنه واطلقه فقالت ام صالح لابنها قد أعطاك الله مالا كنت تؤمله فان رأيت ان تتم صنيعك باطلاق الرهائن فهو المصلحة فانه ان اراد الغدر بك لا يمنعه من عندك

فاطلقوهم

المصرلية ترفعوا عن الحسينية الى الشبكية فبطل الرمى ودخل الوالى وامامه ثلاثة رؤس تبين انها رؤس مغاربة من مقاطيع الحجاج الارضى كانوا مطروحين خارج القاهرة (وفيه) طلب جماعة من المماليك السيد بدرا المقدسى فخرج اليهم من داره خارج باب الفتوح فاخذوه عند البرديسى وابراهيم بك فاسر اليه ابراهيم بك بان يكون سفيرا بينهم وبين الباشا فى الصلح معهم وانه لا يستقيم حاله مع العسكر ولا يرتاح معهم وليعتبر بما فعلوه مع محمد باشا وأما نحن فنكون معه على ما ينبغى من الطاعة والخدمة وحضر فى أواخر النهار فلما أصبح يوم الثلاثاء ركب وطلع الى الباشا وبلغه ذلك فقال له الباشا على سبيل الاختبار والمسايرة قولك صحيح ومن يرجع اليهم بالجواب فقال انا فقيدها عليه ثم قام من عنده فارسل خلفه وعوقه عند الخازندار فذهب اليه فى ثانى يوم شيخ السادات والسيد عمر النقيب وترجوا فى اطلاقه فامتنع وقال أخاف عليه أن يقتله العسكر ولا باس عليه ولا يصلح اطلاقه فى هذا الوقت وبعد خمسة أيام يكون خيرا فانه مقيم عند الخازندار فى اكرام وفى مكان أحسن من داره وهذا رجل اختيار يفعل هذه الفعال

فاطلقهم فلما دخل البلد حمل ابن لؤلؤ اليها كثر مما استقر وكان قد تقرر عليه مائتا الف دينار ومائة ثوب واطلاق كل اسير عنده من بنى كلاب فلما انفصل الحال ورحل صالح اراد ابن لؤلؤ قبض غلامه فتح وكان دزدارا القلعة لانه اتهمه بالممالأة على الهزيمة وكان خلاف ظنه فاطلع على ذلك غلاما له اسمه سرور واراد ان يجعله مكان فتح فاعلم سرور بعض اصدقائه يعرف بابن غانم وسبب اعلامه انه حضر عنده وكان يخاف ابن لؤلؤ لكثرة ماله فشكا الى سرور ذلك فقال له سيكون امر تامن معه فسأله فكتمه فلم يزل يخدعه حتى اعلمه الخبر وكان بين ابن غانم وبين فتح مودة فصعد اليه بالقلعة متنكرا فاعلمه الخبر واشار عليه بمكاتبة الحاكم صاحب مصر وامر ابن لؤلؤ اخاه ابا الجيش بالصعود الى القلعة بحجة افتقاد الخزائن فاذا صار فيها قبض على فتح وارسل الى فتح يعلمه انه يريد افتقاد الخزائن ويامره بفتح الابواب فقال فتح انى قد شربت اليوم دواء واسال تاخير الصعود فى هذا اليوم فانى لا اثق فى فتح الابواب لغيرى وقال للرسول اذا لقيته فارده فلما علم ابن لؤلؤ الحال ارسل والدته الى فتح ليعلم سبب ذلك فلما صعدت اليه اكرمها واظهر لها الطاعة فعادت واشارت على ابنها بترك معاقبته ففعل وارسل اليه يطلب جوهرا كان له بالقلعة فغالطه فتح ولم يرسله فسكت على مضض لعلمه ان المحاققة لا تفيد لحصانة القلعة واشارت والدة ابن لؤلؤ عليه بان يتمارض ويظهر شدة المرض ويستدعى فتحا لينزل اليه ليجعله وصيا فاذا حضر قبضه ففعل ذلك فلم ينزل فتح واعتذر وكاتب الحاكم واظهر طاعته وخطب له واظهر العصيان على استاذه واخذ من الحاكم صيدا وبيروت وكل ما فى حلب من الاموال وخرج ابن لؤلؤ من حلب الى انطاكية وبها الروم فاقام عندهم وكان صالح بن مرداس قدما لأ فتحا على ذلك فلما عاد عن حلب استصحب معه والدة ابن لؤلؤ ونساءه وتركهن بمنبج وتسلم حلب نواب الحاكم وتنقلت بايديهم حتى صارت بيد انسان من الحمدانية يعرف بعزيز الملك فقدمه الحاكم واصطنعه وولاه حلب فلما قتل الحاكم وولى الظاهر عصى عليه فوضعت ست الملك اخت الحاكم فراشاله على قتله فقتله وكان للمصريين بالشام نائب يعرف بانوشتكين البربرى وبيده دمشق والرملة وعسقلان وغيرها فاجتمع حسان امير بنى طى وصالح بن مرداس امير بنى كلاب وسنان بن عليان وتحالفوا واتفقوا على ان يكون من حلب الى عانة لصالح ومن الرملة الى مصر لحسان ودمشق لسنان فسار حسان الى الرملة فحصرها وبها انوشتكين فسار عنها الى عسقلان واستولى عليها حسان ونهبها وقتل اهلها وذلك سنة اربع عشرة واربعمائة ايام الظاهر لاعزاز دين الله خليفة مصر وقصد صالح حلب وبها انسان يعرف بابن ثعبان يتولى امرها للمصريين وبالقلعة خادم يعرف بموصوف فاما اهل البلد فسلموه الى صالح لاحسانه اليهم ولسوء سيرة المصريين معهم وصعد ابن ثعبان الى القلعة فحصره صالح بالقلعة فغار الماء الذى بها فلم يبق لهم ما يشربون فسلم الجند القلعة اليه وذلك سنة اربع عشرة وملك من بعلبك الى عانة واقام بحلب ست سنين فلما كانت

ويرجع من عندهم بكلا
ثم يطلب العود اليهم ثانيه
(وفى ليلة الثلاثاء المذكور
حضر محمد على عند الباشا بعد
الغروب وقبض منه خمسين
كيسا وقيل ثمانين ورجع
الى معسكره فجمع العسكر
وتكلم معهم وفرق عليهم
الدراهم واتفق معهم على
الركوب والهجوم على
من بطرا فى تلك الليلة على
حين غفلة وكان كاتبهم قبل
ذلك بلاطفهم ويظهر العجز
ويطلب معهم الصلح وامثال
ذلك وفى ظن اولئك صدقه
وعدم قدرتهم على مقاومتهم
وملاقاتهم فلما مضى نحو
خمس ساعات من الليل ركب
محمد على فى نحو اربعة آلاف
فرسانا ورجالا فلما قربوا
من الحرس فى آخر السادسة
ترجلوا وقسموا انفسهم ثلاثة
طوابير ذهب قسم منهم جهة
الدير والثانى جهة المتاريس
والثالث جهة الخيل
والجماعة وهم صالح بك الالفى
ومن معه فى غفلتهم ونومهم
مطمئنين وكذلك حرسهم
فلم يشعروا الا وقد صدموهم
فاستيقظ القوم وبادروا الى
الهرب والنجاة فملكوا منهم
الدير وابراج طرا وكان بها
عسكر العثمانيين الى هذا
الوقت محصورين وقد اشرفوا
على طلب الامان واخذوا
مدفعين كانا بالمتاريس وبعض امتعة وثمان هجن وثلاثة

سنة عشرين واربعمائة جهز الظاهر صاحب مصر جيشا وسيرهم الى الشام لقتال صالح وحسان وكان مقدم العسكر انوشتكين البربرى فاجتمع صالح وحسان على قتاله فاقتتلوا بالاقحوانة على الاردن عند طبرية فقتل صالح وولده الاصغر ونفذ رأسهما الى مصر ونجا ولده ابو كامل نصر بن صالح فجاء الى حلب وملكها وكان لقبه شبل الدولة فلما علمت الروم بانطاكية الحال تجهزوا الى حلب فى عالم كثير فخرج اهلها فحاربوهم فهزموهم ونهبوا اموالهم وعادوا الى انطاكية وبقى شبل الدولة مالكا لحلب الى سنة تسع وعشرين واربعمائة فارسل اليه الدزبرى العساكر المصرية وصاحب مصر حينئذ المستنصر بالله فلقيهم عند حماة فقتل فى شعبان وملك الدزبرى حلب فى رمضان سنة تسع وعشرين وملك الشام جميعه وعظم امره وكثر ماله وارسل يستدعى الجند الاتراك منا لبلاد فبلغ المصريين عنه انه عازم على العصيان فتقدموا الى اهل دمشق بالخروج عن طاعته ففعلوا فسار منها نحو حلب فى ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وتوفى بعد ذلك بشهر واحد وكان ابو علوان ثمال بن صالح ابن مرداس الملقب بمعز الدولة بالرحبة فلما بلغه موت الدزبرى جاء الى حلب فملكها تسليما من اهلها وحصر امرأة الدزبرى واصحابه بالقلعة احد عشر شهرا وملكها فى صفر سنة اربع وثلاثين فبقى فيها الى سنة اربعين فانفذ المصريون الى محاربته ابا عبد الله بن ناصر الدولة بن حمدان فخرج اهل حلب الى حربه فهزمهم واختنق منهم بالباب جماعة ثم انه رحل عن حلب وعاد الى مصر واصابهم سيل ذهب بكثير من دوابهم واثقالهم فانفذ المصريون الى قتال معز الدولة خادما يعرف برفق فخرج اليه فى اهل حلب فقاتلوه فانهزم المصريون واسر رفق ومات عندهم وكان اسره سنة احدى واربعين فى ربيع الاول ثم ان معز الدولة بعد ذلك ارسل الهدايا الى المصريين واصلح امره معهم ونزل لهم عن حلب فانفذوا اليها ابا على الحسن بن على بن ملهم ولقبوه مكين الدولة فتسلمها من ثمال فى ذى القعدة سنة تسع واربعين وسار ثمال الى مصر فى ذى الحجة وسار اخوه ابو ذؤابة عطية بن صالح الى الرحبة واقام ابن ملهم بحلب فجرى بين بعض السودان واحداث حلب حرب وسمع ابن ملهم ان بعض اهل حلب قد كاتب محمود بن شبل الدولة نصر بن صالح يستدعونه ليسلموا البلد اليه فقبض على جماعة منهم وكان منهم رجل يعرف بكامل بن نباتة فخاف فجلس يبكى وكان يقول لكل من سأله عن بكائه ان اصحابنا الذين اخذوا قد قتلوا وانا خائف على الباقين فاجتمع اهل البلد واشتدوا وراسلوا محمودا وهو منهم على مسير يوم يستدعونه وحصروا ابن ملهم وجاء محمود وحصر معهم فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين ووصلت الاخبار الى مصر فسيروا ناصر الدولة ابا على بن ناصر الدولة بن حمدان فى عسكر بعد اثنين وثلاثين يوما من دخول محمود حلب فلما قارب البلد خرج محمود عن حلب الى البرية واختفى الاحداث جميعهم وكان عطية بن صالح نازلا بقرب البلد وقد كره فعل محمود ابن اخيه فقبض ابن ملهم على مائة وخمسين من الاحداث ونهب وسط البلد واخذ اموال الناس

عشر فرسا وقتل بينهم بعض اشخاص والجرح كذلك ووجع محمد على والعسكر على الفور من آخر الليل ومعه خمسة رؤس فيها رأس واحدة لم يعلم رأس من هى والباقى رؤس عربان أو سياس او غير ذلك وزعموا ان تلك الرأس هى رأس صالح بك وارسلوا المبشرين آخر الليل الى الاعيان ليأخذوا البقاشيش واشاعوا انهم قبضوا على الالفى الصغير واحضروه معهم حيا والباقى رموا بانفسهم الى البحر ولما طلع محمد على الى الباشا خلع عليه الفروة التى حضرت له من الدولة وعلقوا تلك الرؤس على السبيل بالرميلة وضربوا شنكا من القلعة ومدافع واظهروا السرور وداروا بالاسواق يضربون بالطنابير وشمخ المغرضون بآنافهم على المعرضين للمصر ليلة ثم تبين عدم صحة تلك الاشاعة وان تلك الرأس رأس بعض الاجناد ولم يمسك الالفى كما قالوا (وفى يوم الاربعاء عاشره) وصل من بحرى ثلاث شلنبات كان الباشا أرسل بطلبها عوضا عما تلف فعندما وصلوا الى جهة بالوس وهناك مركز للمصرلية على جرف عال أقعدوا به طبجية ليمنعوا من يمر بالمراكب فضربوا عليهم وضرب من فى المراكب الحربية ايضا على من فى البر فكان ضرب من فى البر يصيب من فى البحر

وأما ناصر الدولة فلم يمكن أصحابه من دخول البلد ونهبه وسار في طلب محمود فالتقيا بالفنيدق في رجب فانهزم أصحاب ابن حمدان وثبت هو وجرح وحمل الى محمود أسيرا فأخذه وسار الى حلب فملكها وملك القلعة في شعبان سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة واطلق ابن حمدان فسار هو وابن ملهم الى مصر فجهز المصريون معز الدولة ثمال بن صالح الى ابن اخيه فحصره في حلب في ذي الحجة من السنة فاستنجد محمود خاله منيع بن شبيب بن وثاب النميري صاحب حران فجاء اليه فلما بلغ ثمالا مجيئه سار عن حلب الى البرية في المحرم سنة ثلاث وخمسين وعاد منيع الى حران فعاد ثمال الى حلب وخرج اليه محمود ابن اخيه فاقتتلوا وقاتل محمود قتالا شديدا ثم انهزم محمود فمضى الى أخواله بني نمير بحران وتسلم ثمال حلب في ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين وخرج الى الروم فغزاهم ثم توفي بحلب في ذي القعدة سنة اربع وخمسين وكان كريما حليما وأوصى بحلب لاخيه عطية بن صالح فملكها ونزل به قوم من التركمان مع ابن خان التركماني فقوي بهم فاشار اصحابه بقتلهم فامر اهل البلد بذلك فقتلوا منهم جماعة ونجا الباقون فقصدوا محمودا بحران واجتمعوا معه على حصار حلب فحصرها وملكها في رمضان سنة أربع وخمسين وقصد عمه عطية الرقة فملكها ولم يزل بها حتى اخذها منه شرف الدولة مسلم بن قريش سنة ثلاث وستين وسار عطية الى بلد الروم فمات بالقسطنطينية سنة خمس وستين وارسل محمود التركمان مع اميرهم ابن خان الى ارتاح فحصرها واخذها من الروم سنة ستين وسار محمود الى طرابلس فحصرها واخذ من اهلها مالا وعاد وارسله محمود في رسالة الى السلطان ألب أرسلان ومات محمود في حلب سنة ثمان وستين في ذي الحجة ووصى بها بعده لابنه شبيب فلم ينفذ اصحابه وصيته لصغره وسلموا البلد الى ولده الاكبر واسمه نصر وجده لامه الملك العزيز ابن الملك جلال الدولة بن بويه وتزوجها عند دخولهم مصر لما ملك طغرلبك العراق وكان نصر يدمن شرب الخمر فحمله السكر على ان خرج الى التركمان الذين ملكوا أباه البلد وهم بالحاضر يوم الفطر فلقوه وقبلوا الارض بين يديه فسبهم واراد قتلهم فرماه احدهم بنشابة فقتله وملك أخوه سابق وهو الذي كان أبوه اوصى له بحلب فلما صعد القلعة استدعى احمد شاه مقدم التركمان وخلع عليه واحسن اليه وبقي فيها الى سنة اثنتين وسبعين فقصده تتش بن ألب ارسلان فحصره بحلب اربعة اشهر ونصفا ثم رحل عنه ونازله شرف الدولة فاخذ البلد منه على ما نذكره ان شاء الله تعالى فهذه جميع اخبار بني مرداس اتيت بها متتابعة لئلا تجهل اذا تفرقت

◉(ذكر قتل جماعة من خفاجة)◉

لما فتح الملك فخر الدولة دير العاقول أتاه سلطان وعلوان ورجب اولاد ثمال الخفاجي ومعهم اعيان عشائرهم وضمنوا حماية سقي الفرات ودفع عقيل عنها وساروا معه الى بغداد فاكرمهم وخلع عليهم وأمرهم بالمسير مع ذي السعادتين الحسن بن منصور الى الانبار فساروا فلما صاروا بنواحي الانبار أفسدوا وعاثوا فقبض ذو السعادتين على

وضربهم لا يصيبهم لعلوا الجرف عليهم فاحترقت جفنة احدى الشلنديات واحترق ما فيها بها وغرقت الثانية ويقال ان الثالثة تمكن من المراكب الحربية بل هي مركب معاش وكان حضر في خفارتهم عدة من المراكب المسافرين فخافوا ورجعوا وقبضوا على بعض قوارب يسير بها غلال فاخذوا ما فيها فلما شاع ذلك بالمدينة رفعوا ما كان موجودا من الغلة بالعرصات وشحت الغلال وعدم الفول والشعير وبيع ربع الويبة من الفول بتسعين نصفا وقل وجود الخبز من الاسواق وخطف بعض العسكر ما وجدوه من الخبز ببعض الافران وأخذوا الدقيق من الطواحين وصار بعض العسكر يدخل بعض البيوت ويطلبون منهم الاكل والعليق لدوابهم وفي يوم الخميس والجمعة اشتد الحال وبيع ربع الويبة من القمح بسبعين نصفا وثمانين نصفا وعدم الفول واشترى بعض من وجده ربعا بمائة نصف فضة فيكون الاردب على ذلك الحساب بالفين وأربعمائة نصف وخرج عساكر كثيرة ووقعت حروب بين الفريقين ورجع القبليون الى طرا وحاربوا عليها وكانوا شرعوا في عمارة ما تهدم من ابراجها ونقلوا

تفر منهم ثم اطلقهم واستحلفهم على الطاعة والكف عن الاذى فاشار كاتب نصرانى من أهل دقوقا على سلطان بن ثمال بالقبض على ذى السعادتين وان يظهر أن عقيلا قد أغاروا فاذا خرج عسكر ذى السعادتين انفرد به فاخذه فوصل الى ذى السعادتين الخبر ثم ان سلطانا ارسل اليه يقول له ان عقيلا قد قاربوا الانبار و يطلب منه انفاذ العسكر فقال ذو السعادتين انا اركب وآخذ العساكر ثم دافعه الى ان فات وقت السير فانتقض على سلطان مادبره فارسل يقول قد اخذت جماعة من عقيل ثم ان ذا السعادتين صنع طعاما كثيرا وحضر عنده سلطان وكاتبه النصرانى وجماعة من أعيان خفاجة فامر اصحابه بقتل كثير منهم وقبض على سلطان وكاتبه وجماعة ونهب بيوتهم وما فيها وحبس سلطانا ومن معه ببغداد حتى شفع فيهم أبو الحسن بن مزيد وبذل مالا عنهم فاطلقوا وذكر ابن نباتة وغيره هذه الحادثة

(ذكر القدح فى نسب العلويين المصريين)

فى هذه السنة كتب ببغداد محضر يتضمن القدح فى نسب العلويين خلفاء مصر وكتب فيه المرتضى وأخوه الراضى وابن البطحاوى العلوى وابن الازرق الموسوى والزكى أبو يعلى عمر بن محمد ومن القضاة والعلماء ابن الاكفانى وابن الخرزى وأبو العباس الابيوردى وأبو حامد الاسفراينى والكشفلى والقدورى والصيمرى وأبو عبد الله بن البيضاوى وأبو الفضل النسوى وابو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة وغيرهم وقد ذكرنا الاختلاف فيهم عند ابتداء دولتهم سنة ست وتسعين ومائتين

(ذكر اخذ بنى خفاجة الحجاج)

فى هذه السنة سارت خفاجة الى واقصة ونزحوا ماء البركى والزيان والقوا فيهما الحنظل ووصل الحجاج من مكة الى العقبة فلقيهم خفاجة ومنعوهم الماء ثم قاتلوهم فلم يكن فيهم امتناع فاكثروا القتل وأخذوا الاموال ولم يسلم من الحجاج الا اليسير فبلغ الخبر فخر الملك الوزير ببغداد فسير العساكر فى اثرهم وكتب الى ابى الحسن على بن مزيد يأمره بطلب العرب والاخذ منهم بثار الحاج والانتقام فسار خلفهم فلحقهم وقد قاربوا البصرة فاوقع بهم فقتل منهم وأسر جمعا كثيرا واخذ من أموال الحاج ما رآه وكان الباقى قد اخذه العرب وتفرقوا وأرسل الاسرى وما استرده من امتعة الحاج الى الوزير فحسن موقعه منه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة توفى أبو الحسن بن اللبان الفرضى فى ربيع الاول وتوفى فى شهر رمضان عثمان بن عيسى أبو عمرو الباقلانى العابد وكان مجاب الدعوة رحمة الله عليه

(ثم دخلت سنة ثلاث واربعمائة)

(ذكر قتل قابوس)

فى هذه السنه قتل شمس المعالى قابوس بن وشمكير وكان سبب قتله انه كان مع كثرة

اليها الذخيرة والقومانية والجبخانه والعسكر وأخذوا جمال السقائين لنقل الماء الى الصهريج الذى ببرج ظفر اودار الاغاوالوالى على المخازن ببولاق ومصر واخذوا منها ماوجدوه من الغلة وامروا ببيعه على الناس بخمسين نصفا الربع وأخذوا الانفسهم ماوجدوه من الشعير والفول (وفى يوم السبت) قلدوا حسن اغا محتسب الحسبة فافتتح السوقة واجتهدوا فى تكثير العيش والكعك والمأكولات بقدر امكانهم واجتهدوا ايضا فى القبض على الغلال المخزونة و بيعها للخبازين واما اللحم الضانى فانه انعدم بالكلية لعدم ورود الاغنام (وفيه) شح ورود الغلة فى العرصات وذهب اناس الى برانبابة فاشتروا الربيع بثمانين نصفا وأزيد من ذلك والفول بمائة وعشرين وعلق اكثر الناس على بهائمهم ماوجدوه من اصناف الحبوب مثل الحمص والعدس وهم المياسير من الناس واما غيرهم فاقتصروا على التبن واما العنب والتين فى وقت وفرتهما فلم يظهر منهما الا القليل و بيع الرطل من العنب باربعة عشر نصفا والتين بسبعة انصاف وذلك بعدسلوك الطريق ومشى السفن (وفى يوم الأحد رابع عشره) اجتمعت العساكر الكثيرة للعرب

فضائله ومناقبه عظيم السياسة شديد الاخذ قليل العفو يقتل على الذنب اليسير فضجر اصحابه منه واستطالوا أيامه واتفقوا على خلعه والقبض عليه وكان حينئذ غائبا عن جرجان نخفى عليه الامر فلم يشعر ذات ليلة الا وقد أحاط العسكر بباب القلعة التى كان بها وانتهبوا أمواله ودوابه وأرادوا استنزاله من الحصن فقاتلهم هو ومن معه من خواصه وأصحابه فعادوا ولم يظفروا به ودخلوا جرجان واستولوا عليها وعصوا عليه بها و بعثوا الى ابنه منوجهر وهو بطبرستان يعرفونه الحال ويستدعونه ليولوه أمرهم فاسرع السير نحوهم خوفا من خروج الامر عنه فالتقوا واتفقوا على طاعته ان هو خلع اباه فاجابهم الى ذلك على كره وكان أبوه شمس المعالى قد سار نحو بسطام عند حدوث هذه الفتنة لينظر فيما تسفر عنه فاخذوا منوجهر معهم عازمين على قصد والده وازعاجه من مكانه فسار معهم مضطرا فلما وصل الى ابيه اذن له وحده دون غيره فدخل عليه وعنده جمع من اصحابه الحامين عنه فلما دخل عليه تشاكيا ما هما فيه وعرض عليه منوجهر أن يكون بين يديه فى قتال أولئك القوم ودفعهم وان ذهبت نفسه فرأى شمس المعالى ضد ذلك وسهل عليه حيث صار الملك الى ولده فسلم اليه خاتم الملك وودعه وصاباه بما يفعله واتفقا على ان ينتقل هو الى قلعة جناشك يتفرغ للعبادة الى ان يأتيه اليقين و ينفرد منوجهر بتدبير الملك وسار الى القلعة المذكورة مع من اختاره لخدمته وسار منوجهر الى جرجان وتولى الملك وضبطه وداري أولئك الاجناد وهم نافرون خائفون من شمس المعالى مادام حيا فما زالوا يحتالون و يجيلون الرأى حتى دخلوا الى منوجهر وخوفوه من ابيه مثل ما جرى لهلال بن بدر مع ابيه وقالوا انه مهما كان والدك فى الحياة لا نامن نحن ولا انت واستأذنوه فى قتله فلم يرد عليهم جوابا فمضوا اليه الى الدار التى هو فيها و قد دخل الى الطهارة متخففا فاخذوا ما عنده من كسوة وكان الزمان شتاء وكان يستغيث أعطونى ولو جل دابة فلم يفعلوا فمات من شدة البرد وجلس ولده للعزاء ولقب القادر بالله منوجهر فلك المعالى ثم ان منوجهر راسل يمين الدولة ودخل فى طاعته وخطب له على منابر بلاده وخطب اليه ان يزوجه بعض بناته ففعل فقوى جنانه وشرع فى التدبير على اولئك الذين قتلوا أباه فابادهم بالقتل والتشريد وكان قابوس غزير الادب وافر العلم له رسائل وشعر حسن وكان عالما بالنجوم وغيرها من العلوم فمن شعره

قل للذى بصروف الدهر عيرنا * هل عاند الدهر الا من له خطر

اما ترى البحر يطفو فوقه جيف * وتستقر باقصى قعره الدرر

فان تكن نشبت ايدى الخطوب بنا * ومسنا من توالى صبرها ضرر

ففى السماء نجوم غير ذى عدد * وليس يكسف الا الشمس والقمر

(ذكر موت ايلك الخان وولاية أخيه طغان خان)

فى هذه السنة توفى ايلك الخان وهو يتجهز للعود الى خراسان ليأخذ بثاره من يمين الدولة

عند شبرا ورموا على بعضهم بالمدافع والقرابين والبنادق من ضحوة النهار ثم التحم الحرب بين الفريقين واشتد الجلاد بينهما الى بعد منتصف النهار وصبر الفريقان وقتل بينهما عدة كبيرة من العسكر الارنؤد وطائفة المماليك والعربان فقتل من أكابر العسكر اربعة أو خمسة ودخلوا بهم المدينة وانكشف القتال وانحاز الى معسكرهما و بعد هجعة من الليل اجتمع العسكر من الانكشارية والارنؤدية وغيرهم وكبسوا على متاريس شبرا وبها حسين بك المعروف بالافرنجى وعلى بك أيوب ومعهما عسكر من الارنؤد الذين انضموا اليهما ومنهم الرماة والطبجية فاجلوهم من المتاريس وملكوها منهم ووقع بينهم قتلى كثيرة وقتل من عسكر حسين بك المذكور نحو مائة وستين نفرا وعدة من مماليكه وقتل بك ابو بخلاف الجرحى وزحفوا على باقى المتاريس فملكوا منهم متاريس شلقان وباسوس وانهزم المصرلية الى جهة الشرق بالخانكة والى زعبل وقيل ان العسكر المنضمين اليهم المتقيدين بالمتاريس هم الذين خامروا عليهم وانهزموا عن المتاريس حتى كانوا هم السبب فى هزيمتهم فلما اصبح النهار حضروا بسبعة رؤوس فيها ثلاثة

وكاتب قدرخان وطغان خان ليساعده على ذلك فلما توفى ولى بعده اخوه طغان فراسل يمين الدولة وصالحه وقال له المصلحة للاسلام والمسلمين ان تشتغل أنت بغزو الهند واشتغل انا بغزو الترك وان يترك بعضنا بعضا فوافق ذلك هواه فاجابه اليه وزال الخلاف واشتغلا بغزو الكفار وكان ايلك الخان خيرا عادلا حسن السيرة محبا للدين واهله معظما للعلم واهله محسنا اليهم

ذكر وفاة بهاء الدولة وملك سلطان الدولة

فى هذه السنة خامس جمادى الآخرة توفى بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة بن بويه وهو الملك حينئذ بالعراق وكان مرضه تتابع الصرع مثل مرض أبيه وكان موته بارجان وحمل الى مشهد أمير المؤمنين على عليه السلام فدفن عند أبيه عضد الدولة وكان عمره اثنتين وأربعين سنة وتسعة أشهر ونصفا وملكه اربعا وعشرين سنة ولما توفى ولى الملك بعده ابنه سلطان الدولة أبو شجاع وسار من أرجان الى شيراز وولى أخاه جلال الدولة أبا طاهر بن بهاء الدولة البصرة وأخاه أبا الفوارس كرمان

ذكر ولاية سليمان الاندلس الدولة الثانية

فى هذه السنة ملك سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الاموى ولقب المستعين وهذه غير ولايته منتصف شوال على ما ذكرناه سنة أربعمائة وبايعه الناس وخرج أهل قرطبة اليه يسلمون عليه فانشد متمثلا

اذا ما رأونى طالعا من ثنية * يقولون من هذا وقد عرفونى

يقولون لى اهلا وسهلا ومرحبا * ولو ظفروا بى ساعة قتلونى

وكان سليمان أديبا شاعرا بليغا وأريق فى أيامه دماء كثيرة لا تحد وقد تقدم ذكر ذلك سنة أربعمائة وكان البربر الحاكمين فى دولته لا يقدر على خلافهم لانهم كانوا عامة جنده وهم الذين قاموا معه حتى ملكوه وقد تقدم ذكر ذلك

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة خلع سلطان الدولة على ابى الحسن على بن مزيد الاسدى وهو أول من تقدم من أهل بيته وفيها قلد الرضى الموسوى صاحب الديوان المشهور نقابة العلويين ببغداد وخلع عليه سوادوه واول طالبى خلع عليه السواد وفيها توفى ابو بكر الخوارزمى واسمه محمد بن موسى الفقيه الحنفى وابو الحرث محمد بن محمد بن عمر العلوى نقيب الكوفة وكان يسير بالحاج عشر سنين وابو عبد الله الحسن بن حامد بن على بن مروان الفقيه الحنبلى وله تصانيف فى الفقه والقاضى ابو بكر محمد بن الطيب المتكلم الاشعرى وكان مالكى المذهب ورثاه بعضهم فقال

انظر الى جبل تمشى الرجال به * وانظر الى القبر ما يحوى من الصلف

وانظر الى صارم الاسلام منغمدا * وانظر الى درة الاسلام فى الصدف

وفيها قتل ابو الوليد عبد الله بن محمد المعروف بابن الفرضى الاندلسى بقرطبة قتله البربر

من الاجناد المقسين وثلاثة بشوارب وراس اسود فعلقوها بباب زويلة ومن الثلاثة اجناد راس له لحية طويلة شائبة شبيهة بلحية ابراهيم بك الكبير فقال بعض الناس هذه رأس ابراهيم بك بلاشك واشيع ذلك بينهم فاجتمع الناس من كل ناحية للنظر اليه ووصل الخبر الى الباشا فاحضر عبد الرحمن بك والمزين الذى كان يحلق له لمعرفتهما به وآخرين وطلب الراس فاحضروها وتاملوها فمنهم من اثبتت عليه ومنهم من انكرها العلامات يعرفها به وهى الصلع وسقوط بعض الاسنان ثم اعيدت الى مكانها على ذلك الاشتباه ثم انهم عملوا اشنكا ومدافع لذلك ثم طلبها محمد على ايضا وفعل مثل ذلك وردها أيضا ثم رفعوها فى الليل واستمر الفرح والشنك يومين والناس بين ناف ومثبت ومسلم ومنكر ومعاند ومكابر حتى وردت خدم من معسكرهم واخبروا بحياة ابراهيم بك وانه بوطاقه جهة الشرق فزال الشك وارسل المصريون الى بيوتهم اوراقا (وفى ليلة الاثنين المذكور) وقع خسوف قمرى وطلع من المشرق منخسفا آخذا فى الانجلاء ومقدار المنخسف منه عشرة اصابع وتم انجلاؤه فى ثانى ساعة من الليل وكان باول برج الدلو (وفى ليلة الخميس) وصل

(ثم دخلت سنة أربع وأربعمائة)

(ذكر فتح يمين الدولة ناردين)

في هذه السنة سار يمين الدولة الى الهند في جمع عظيم وحشد كثير وقصد واسطة البلاد من الهند فسار شهر بن حتى قارب مقصده ورتب اصحابه وعساكره فسمع عظيم الهند به فجمع من عنده من قواده وأصحابه وبرز الى جبل هناك صعب المرتقى ضيق المسالك فاحتمى به وطاول المسلمين وكتب الى الهنود يستدعيهم من كل ناحية فاجتمع عليه منهم كل من يحمل سلاحا فلما تكاملت عدته نزل من الجبل وتصاف هو والمسلمون واشتد القتال وعظم الامر ثم ان الله تعالى منح المسلمين اكتافهم فهزموهم وأكثروا القتل فيهم وغنموا مامعهم من مال وفيل وسلاح وغير ذلك ووجد في بيت بد عظيم حجرا منقورا دلت كتابته على انه مبنى منذ أربعين ألف سنة فعجب الناس لقلة عقولهم فلما فرغ من غزوته عاد الى غزنة وأرسل الى القادر بالله يطلب منه منشورا وعهدا بخراسان ومابيده من الممالك فكتب له ذلك ولقب نظام الدين

(ذكر ما فعله خفاجة دفعة أخرى)

في هذه السنة جاء سلطان بن ثمال واستشفع بأبي الحسن بن مزيد الى فخر الملك ليرضى عنه فاجابه الى ذلك فأخذ عليه العهود بلزوم مايحمد أمره فلما خرج وصلت الاخبار بانهم نهبوا سواد الكوفة وقتلوا طائفة من الجند وأتى أهل الكوفة مستغيثين فسير فخر الملك اليهم عسكرا وكتب الى ابن مزيد وغيره بمحاربتهم فساروا اليهم وأوقعوا بهم بنهر الرمان وأسر محمد بن ثمال وجماعة معه ونجا سلطان وأدخل الاسرى الى بغداد فشهروا وحبسوا وهب على المنهزمين من بني خفاجة ريح شديدة حارة فقتلت منهم نحو خمسمائة رجل وأفلت منهم جماعة ممن كانوا أسروا من الحجاج وكان يرعون ابلهم وغنمهم فعادوا الى بغداد فوجد بعضهم نساءهم قد تزوجن وولدن واقتسمت تركاتهم

(ذكر استيلاء طاهر بن هلال على شهرزور)

قد ذكرنا حال شهرزور وأن بدر بن حسنويه سلمها الى عميد الجيوش فجعل فيها نوابه فلما كان الآن سار طاهر بن هلال بن بدر الى شهرزور وقاتل من بها من عسكر فخر الملك وأخذها منهم في رجب فلما سمع الوزير الخبر أرسل الى طاهر يعاتبه ويأمره باطلاق من أسر من أصحابه ففعل ولم تزل شهرزور بيد طاهر الى ان قتله أبو الشوك وأخذها منه وجعلها لأخيه مهلهل

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة سار أبو الحسن علي بن مزيد الاسدي الى أبي الشوك على عزم محاربته فاصطلحا من غير حرب وتزوج ابنه أبو الاغر دبيس بن علي باخت أبي الشوك وفيها توفي القاضي أبو الحسن علي بن سعيد الاصطخري وهو شيخ من شيوخ المعتزلة ومشهور بهم وكان عمره قد زاد على ثمانين سنة وله تصانيف في الرد على الباطنية

امیراخور الصغیر من الديار الرومية وطلع الى بولاق صبحها وركب الى القلعة فانزله الباشا ببيت رضوان كتخدا ابراهيم بك بدرب الجماميز ولم يعلم مابيده من الاوامر ثم تبين أن من الاوامر التي معه اخراج خمسمائة من العسكر الى بندر ينبع البحر يقيمون بها محافظين لها من الوهابيين ويدفع لهم جامكية سنة كاملة وذخيرتها ومايحتاجون اليه من مؤنة وغلال وجبخانه (وفي يوم الثلاثاء) قرؤا تلك الاوامر وفيها انه تعين محمد باشا ابو مرق بعساكر الشام الى الحجاز فاحضر الباشا كبار العسكر وعرض عليهم ذلك الامر وقال لهم انه ورد لي اذن عام في تقليد من اقلده فمن احب منكم قلدته امرية طوخا وطوخين فامتنعوا من ذلك وقالوا نحن لانخرج من مصر ولا نتقلد منصبا خارجا عنها ووصلت الاخبار في هذه الايام ان الوهابيين ملكوا الينبع (وفيه) وردت الاخبار بان الالفي عدى الى البر الشرقي وكان قبل ذلك عدى الى البر الغربي وانتشرت عساكره الى الجسر الاسود ثم رجعوا وعدوا الى البر الشرقي (وفي يوم الاربعاء سابع عشره) ركب الامراء المصرلية وانتقلوا من الخانكة ورو

(ثم دخلت سنة خمس وأربعمائة)

(ذكر غزوة تانيشر)

قد ذكر يمين الدولة ان بناحية تانيشر فيلة من جنس فيلة الصيلمان الموصوفة فى الحرب وان صاحبها غال فى الكفر والطغيان والعناد للمسلمين فعزم على غزوه فى عقر داره وان يذيقه شربة من كأس قتاله فسار فى الجنود والعساكر والمتطوعة فلقى فى طريقه أودية بعيدة القعر وعرة المسالك وقفارا فسيحة الاقطار والاطراف بعيدة الاكناف والماء بها قليل فلقوا شدة وقاسوا مشقة الى ان قطعوها فلما قاربوا مقصدهم لقوا نهرا شديد الجرية صعب المخاضة وقد وقف صاحب تلك البلاد على طرفه يمنع من عبوره ومعه عساكره وفيلته التى كان يدل بها فامر يمين الدولة شجعان عسكره بعبور النهر واشغال الكافر بالقتال ليتمكن باقى العسكر من العبور ففعلوا ذلك وقاتلوا الهنود وشغلوهم عن حفظ النهر حتى عبر سائر العسكر فى المخاضات وقاتلوهم من جميع جهاتهم الى آخر النهار فانهزم الهند وظفر المسلمون وغنموا ما معهم من أموال وفيلة وعادوا الى غزنة موفورين ظافرين

(ذكر قتل بدر بن حسنويه واطلاق ابنه هلال وقتله)

فى هذه السنة قتل بدر بن حسنويه أمير الجبل وكان سبب قتله انه سار الى الحسين بن مسعود الكردى ليملك عليه بلاده فحصر حصن كوسجد فضجر أصحاب بدر منه لهجوم الشتاء فعزموا على قتله فاتاه بعض خواصه وعرفه ذلك فقال من هم الكلاب حتى يفعلوا ذلك وأبعدهم فعاد اليه فلم يأذن له فقال من وراء الخركاه الذى اعلمتك قد قوى العزم عليه فلم يلتفت اليه وخرج فجلس على تل فثاروا به فقتله طائفة منهم تسمى الجورقان ونهبوا عسكره وتركوه وساروا فنزل الحسين بن مسعود فرآه ملقى على الارض فامر بتجهيزه وحمله الى مشهد على عليه السلام ليدفن فيه ففعل ذلك وكان عادلا كثير الصدقة والمعروف كبير النفس عظيم الهمة ولما قتل هرب الجورقان الى شمس الدولة ابى طاهر بن فخر الدولة بن بويه فدخلوا فى طاعته وكان طاهر بن هلال بن بدر هاربا من جده بنواحى شهرزور فلما عرف بقتله بادر يطلب ملكه فوقع بينه وبين شمس الدولة حرب فاسر طاهر وحبس وأخذ ما كان قد جمعه بعد أن ملك ما تباعد عن أبيه هلال وكان عظيما وحمله الى همذان وسار الكردية والشاذنجان الى أبى الشوك فدخلوا فى طاعته وحين قتل كان ابنه هلال محبوسا عند الملك سلطان الدولة كما ذكرناه فلما قتل بدر واستولى شمس الدولة بن فخر الدولة بن بويه على بعض بلاده فلما علم سلطان الدولة بذلك أطلق هلالا وجهزه وسيره ومعه العساكر ليستعيد ما ملكه شمس الدولة من بلاده فسار الى شمس الدولة فالتقيا فى ذى القعدة واقتتل العسكران فانهزم أصحاب هلال وأسر هو فقتل ايضا وعادت العساكر التى كانت معه الى بغداد على اسوإ حال وكان ممن أسر معه أبو المظفر انوشتكين الاعرابى وكان فى مملكة بدر سابور خواست

والدينور

من خلاف الجبل بصلاتهم واثقالهم وذهبوا الى جهة قبلى وخاب سعيهم ولم ينالوا غرضهم وكان فى ظنهم انهم اذا اتصلوا بالقرب من المدينة خرج اليهم الكثير من العسكر وانضم اليهم لمقدمات سبقت منهم ومراسلات وكلام وقع بينهم وبين اتباعهم ومماليكهم المجتمعين عند اكابرهم وذبهم عنهم وعن بيوتهم وحريمهم بل واخراج بعض الاتباع والمماليك بمطلوبات الى اسيادهم خفية وليلا حتى استقر فى اذهان كثير من العقلاء بل الآن كثير من البنباشيات ورؤساء العسكر مع المصرلية وعندما تحقق العسكر ذهابهم دخلوا الى المدينة باثقالهم وحمولهم وانتشروا بها حتى ملؤا الازقة والطرق والبيوت وقدمت السفن الموسوقة بواحدات الغلال بالرقع وتخلف منهم اناس كانوا منضمين اليهم طلبوا امانا بعد ذلك وحضروا بعد ذلك الى مصر وقدمت عساكر ودلاة فى المراكب ودخلوا البيوت بمصر وبولاق واخرجوا منها اهلها وسكنوها واذا سكنوا دارا اخربوها وكسروا اخشابها واحرقوها لوقودهم فاذا صارت خرابا تركوها وطلبوا غيرها ففعلوا بها كذلك وهذا دأبهم من حين قدومهم الى مصر حتى عم الخراب سائر النواحى وخصوصا بيوت الامراء والاعيان وبواقى دور بركة

والدينور وبروجرد ونهاوند واسداباذ وقطعة من اعمال الاهواز وما بين ذلك من القلاع والولايات

(ذكر الحرب بين على بن مزيد وبين بني دبيس)

في هذه السنة في المحرم كانت الحرب بين أبي الحسن على بن مزيد الاسدى وبين مضر ونبهان وحسان وطراد بني دبيس وسببه أنهم كانوا قد قتلوا أبا الغنائم بن مزيد أخا أبي الحسن في حرب بينهم وقد تقدم ذكرها وحالت الايام بينه وبين الاخذ بثاره فلما كان الآن تجهز لقصدهم وجمع العرب والشاذنجان والجوانية وغيرهما من الاكراد وسار اليهم فلما قرب منهم خرجت زوجته ابنة دبيس وقصدت أخاها مضر بن دبيس ليلا وقالت له قد أتاكم ابن مزيد فيما لا قبل لكم به وهو يقنع منكم بابعاد نبهان قاتل اخيه فابعدوه وقد تفرقت هذه العساكر فاجابها أخوها مضر الى ذلك وامتنع اخوه حسان فلما سمع ابن مزيد بما فعلته زوجته انكره وأراد طلاقها فقالت له خفت ان أكون في هذه الحرب بين فقد اخ حميم أو زوج كريم ففعلت ما فعلت رجاء الاصلاح فزال ما عنده منها وتقدم اليهم وتقدموا اليه بالحلل والبيوت فالتقوا واقتتلوا واشتد القتال لما بين الفريقين من الذحول فظفر ابن مزيد بهم وهزمهم وقتل حسان ونبهان ابنى دبيس واستولى على البيوت والاموال ولحق من سلم من الهزيمة بالحويزة ولما ظفر بهم راى عندهم مكاتبات فخر الملك يأمرهم بالجد في امره ويعدهم النصرة فعاتبه على ذلك وحصل بينهما نفرة ودعت فخر الملك الضرورة الى تقليد ابن مزيد الجزيرة الدبيسية واستثنى مواضع منها الطيب وقرقوب وغيرهما وبقي ابو الحسن هناك الى جمادى الاولى ثم ان مضر بن دبيس جمع جمعا وكبس ابا الحسن ليلا فهرب في نفر يسير واستولى مضر على حلله وامواله وكل ماله ولحق ابو الحسن ببلد النيل منهزما

(ذكر ملك شمس الدولة الرى وعوده عنها)

لما ملك شمس الدولة بن فخر الدولة ولاية بدر بن حسنويه واخذ ما في قلاعه من الاموال عظم شانه واتسع ملكه فسار الى الرى وبها اخوه مجد الدولة فرحل عن الرى ومعه والدته الى دنباوند وخرجت عساكر الرى الى شمس الدولة مذعنة بالطاعة ودخل الرى وملكها وخرج منها يطلب اخاه ووالدته فشغب الجند عليه وزاد خطبهم وطالبوه مطالبات اتسع الخرق بها فعاد الى همذان وارسل الى اخيه ووالدته يأمرهما بالعود الى الرى فعادا

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في شعبان توفي ابو الحسن احمد بن على البتى الكاتب الشاعر ومن شعره في تكة

لم لا اتيه ومضجعي * بين الروادف والخصور
واذا نسجت فانني * بين الترائب والنحور

يضرب بأدناها المثل وفي ذلك يقول صاحبنا العلامة الشيخ حسن العطار واما بركة الفيل فقد رميت بكل خطب جليل واورثت العين بوحشتها بكاء وعويلا والقلب بذكر ما سلف من مباهجها حزنا طويلا تبدلت مغردات اطيارها بنواعب الغربان ومحاسن غزلانها بكل علج تقشعر منه الابدان ومشيد قصورها بخرائب وتلال واكابر امرائها بصعاليك واراذل ولقد تذكرت ماضي عيش بها سلف ومعهد انس كأن الكآبة بعده خلف فقلت متذكرا اوائك الايام التي مرت كاضغاث احلام (شعر)

عللاني بذكر خشف رخيم
واسقياني والروض بنت الكروم

وصفا لي زمان انس مضى لي
بحبيب غض وراح قديم

حيث ما الدهر طوعنا والاماني
في قياد والوهم في تهويم

والربا في نضارة وزهو
حل فيه من الغمام المقيم

خافضات به الغصون رؤسا
مثقلات من در طل نظيم

واصفرار الغدير فيها ولوع
برقيب الوصل من مرور النسيم

وترى الورد كالملوك لديه
كل غصن يهوى بقد قويم

بسط الروض نحوه وشى بسط * ساكها الطل في ابتداع وسيم

والقد نشأت صغيرة ❊ باكف ربات الخدور

وله نوادر كثيرة منها انه شرب فقاعا في دار فخر الملك فلم يستطبه فجلس مفكرا فقال له القاضي في اى شئ تفكر فقال في دقة صنعتك كيف امكنك الخراء في هذه الكيزان الضيقة كلها وفي رمضان منها قتل القاضي ابو القاسم يوسف بن احمد بن كج الفقيه وكان من أئمة اصحاب الشافعي وكان قاضي الدينور قتله طائفة من عامتها خوفا منه وتوفي ابو نصر عمر بن عبد العزيز بن نباتة السعدي الشاعر والقاضي ابو محمد بن الاكفاني قاضي بغداد وولي بعده قضاء القضاة ابو الحسن بن ابي الشوارب البصري وتوفي ابو احمد عبد السلام بن الحسن البصري الاديب وابو القاسم هبة الله بن عيسى كاتب مهذب الدولة بالبطيحة وهو من الكتاب المفلقين ومكاتباته مشهورة وكان ممدحا وممن مدحه ابن الحجاج وتوفي أيضا عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس أبو سعيد الادريسي الاستراباذي الحافظ نزيل سمرقند وهو مصنف تاريخ سمرقند وتوفي أيضا الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري صاحب التصانيف الحسنة المشهورة وأبو الحسن بن عياض وكان يلقب الناصر وكان يتولى الاهواز وقام ولده بسنكير مقامه وأبو علي الحسين بن الحسين بن حكان الهمذاني الفقيه الشافعي وكان اماما عالما

❊(ثم دخلت سنة ست وأربعمائة)❊

❊(ذكر الفتنة بين باديس وعمه حماد)❊

في هذه السنة ظهر الاختلاف بين الامير باديس صاحب افريقية وعمه حماد حتى آل الامر بينهما الى الحرب التي لا بقيا بعدها وسبب ذلك ان باديس أبلغ عن عمه حماد قوارص وأمورا أنكرها فاغضى عليها حتى كثر ذلك عليه وكان لباديس ولد اسمه المنصور أراد ان يقدمه و يجعله ولي عهده فارسل الى عمه حماد يقول له بان يسلم بعض ما بيده من الاعمال التي أقطعه الى نائب ابنه المنصور وهي مدينة تيجس وقصر الافريقي وقسنطينة وسير الى تسليم ذلك هاشم بن جعفر وهو من كبار قواده وسير معه عمه ابراهيم ليمنع أخاه حمادا من أمر ان أراده فسارا الى ان قاربا حمادا ففارق ابراهيم هاشما وتقدم الى أخيه حماد فلما وصل اليه حسن له الخلاف على باديس ووافقه على ذلك وخلعا الطاعة وأظهرا العصيان وجمعا الجموع الكثيرة فكانوا ثلاثين ألف مقاتل فبلغ ذلك باديس فجمع عساكره وسار اليهما ورحل حماد وأخوه ابراهيم الى هاشم بن جعفر والعسكر الذين معه وهو بقلعة شقبنارية فكان بينهم حرب انهزم ابن جعفر ولجأ الى باجة وغنم حماد ماله وعدده فرحل باديس الى مكان يسمى قبر الشهيد فأتاه جمع كثير من عسكر عمه حماد ووصلت كتب حماد وابراهيم الى باديس أنهما ما فارقا الجماعة ولا خرجا عن الطاعة فكذبهما ما ظهر من افعالهما من سفك الدماء وقتل الاطفال واحراق الزروع والمساكن وسبي النساء ووصل حماد الى باجة فطلب أهلها منه الامان فامنهم واطمأنوا الى عهده فدخلها يقتل و ينهب و يحرق و يأخذ الاموال وتقدم باديس اليه بعساكره فلما كان في صفر سنة ست وأربعمائة

ووصل

الحبق النهر وفيها طراز ❊ وبدا الزهور رقش الرسوم

وبكاء الحمام هيج عندي ❊ فرط شوق الى الزمان القديم

زمن بالسرور لم يك الا ❊ حلما مر وتقاضى حالم

فيه كانت تجلى بدور جمال ❊ اشرقت عن نجوم ليل بهيم

من بني الترك ذي الجمال المفدى ❊ ايضاهي في الحسن ريم الروم

كل ظبي تراه يزهو و يرنو ❊ بقوام القنا وطرف الريم

برهة باجتلاء المدام يحييك ❊ ويحييك بعد بالتكليم

اسروني واطلقوا دمع جفني ❊ وأثاروا في القلب نار الجحيم

يا زمانا ببركة الفيل ولى ❊ فيه قد كنت ثاو يا في نعيم

لا عدمناك من زمان تقضى ❊ بين ساق وشادن وتغيم

قلت وهكذا الدنيا طبعت على هذا الشأن من سره زمان ساءته ازمان والعاقل في تقلبات الايام عبر ماشوهد منها وماغبر (وفي يوم الثلاثاء ثالث عشرينه) طلع المشايخ عند الباشا وشفعوا في السيد بدر المقدسي فاطلقه ونزل الى داره (وفي يوم الخميس خامس عشرينه) قلدوا على اغا الوالي على العسكر المعين الى الينبع اميرا وضربوا له مدافع وفرح الناس بعزله من الولاية فانه كان اخبث من تقلد الولاية من العثمانية وكان الباشا راعي خاطره ولا يقبل فيه شكوى وتعين

ووصل حماد الى مدينة أشير وبها له وفيها نائبه واسمه خلف الحميري فمنعه خلف من دخولها وصار في طاعة باديس فسقط في يد حماد فانها كانت معوّله لحصانتها وقوتها ووصل باديس الى مدينة المسيلة ولقيه أهلها وفرحوا به وسير جيشا الى المدينة التي أحدثها حماد ففر بوها الا انهم لم يأخذوا مال أحد وهرب الى باديس جماعة كثيرة من جند القلعة التي له وفيها أخوه ابراهيم فأخذ ابراهيم أبناءهم وذبحهم على صدور أمهاتهم فقيل انه ذبح بيده منهم ستين طفلا فلما فرغ من الاطفال قتل الامهات وتقارب باديس وحماد والتقوا مستهل جمادى الاولى واقتتلوا أشد قتال وأعظمه ووطن أصحاب باديس أنفسهم على الصبر أو الموت لما كان حماد يفعله لمن يظفر به واختلط الناس بعضهم ببعض وكثر القتل ثم انهزم حماد وعسكره لا يلوي على شئ وغنم عسكر باديس أثقاله وأمواله وفي جملة ما غنم منه عشرة آلاف درقة مختارة لمط ولولا اشتغال العسكر بالنهب لاخذ حماد أسيرا وسار حتى وصل الى قلعته تاسع جمادى الاولى وجاء الى مدينة دكمة فتجنى على أهلها فوضع السيف فيهم فقتل ثلثمائة رجل فخرج اليه فقيه منها وقال له يا حماد اذا لقيت الجيوش انهزمت واذا قاومتك الجموع فررت وانما قدرتك وسلطانك على أسير لا قدرة له عليك فقتله وحمل جميع ما في المدينة من طعام وملح وذخيرة الى القلعة التي له وسار باديس خلفه وعزم على المقام بناحيته وأمر بالبناء وبذل الاموال لرجاله فاشتد ذلك على حماد وأنكر رجاله وضعفت نفسه وتفرق منه أصحابه ثم مات ورو بن سعيد الزناتي المتغلب على ناحية طرابلس واختلفت كلمة زناتة فمالت فرقة مع أخيه خزرون وفرقة مع ابن ورو فاشتد ذلك أيضا على حماد وكان يطمع ان زناتة تغلب على بعض البلاد فيضطر باديس الى الحركة اليهم

(ذكر وفاة باديس وولاية ابنه المعز)

لما كان يوم الثلاثاء سلخ ذي القعدة سنة ست وأربعمائة أمر باديس بعرض العساكر فرأى ما سره وركب آخر النهار ونزل ومعه جماعة من اصحابه ففارقوه الى خيامهم فلما كان نصف الليل توفي وخرج الخادم في الوقت الى حبيب بن ابي سعيد وباديس بن ابي حمامة وايوب بن يطوفت وهم اكبر قواده فاعلمهم بوفاته وكان بين حبيب وباديس ابن حمامة عداوة فخرج حبيب مسرعا الى باديس وخرج باديس اليه أيضا فالتقيا في الطريق فقال كل واحد منهما لصاحبه قد عرفت الذي بيننا والاولى ان نتفق على اصلاح هذا الخلل فاذا انقضى رجعنا الى المنافسة فاجتمعا مع أيوب وقالوا ان العدو قريب منا وصاحبنا بعيد منا ومتى لم نقدم واسا نرجع اليه في امورنا لم نامن العدو ونحن نعلم ميل صنهاجة الى المعز وغيرهم الى كرامت بن المنصور اخي باديس فاجتمعوا على تولية كرامت ظاهرا فاذا وصلوا الى موضع الامن ولوا المعز بن باديس وينقطع الشر فاحضروا كرامت وبايعوه وولوه في الحال واصبحوا وليس عند احد من العسكر خبر من ذلك وعزموا ان يقولوا للناس بكرة ان باديس قد شرب دواء فلما اصبحوا اغلق

السفر معه عدة من العسكر من اخلاط مصر البطالين اروام وخلافهم (وفيه) قلد وامناصب كشوفية الاقاليم لاشخاص من العثمانية (وفي ثامن عشرينه) تشاجر شخص من العسكر مع شخص حكيم فرنساوي عند حارة الافرنج بالموسكي فاراد العسكري قتل الفرنساوي فعاجله الفرنساوي فضربه فقتله وفر هاربا فاجتمع العسكر وارادوا نهب الحارة فوصل الخبر الى محمد علي فركب في الوقت ومنع العسكر من النهب واغلق باب الحارة وقبض على وكيل قنصل الفرنساوية واخذه معه وحبسه عنده حتى سكن العسكر (وفي ثالث الليلة أيضا) مر جماعة من العسكر بخط الدرب الاحمر فارادوا أخذ قنديل من قناديل السوق فقام عليهم الخفير يريد منعهم فذبحوه وأخذوا القنديل فاصبح الناس فرأوا الخفير مذبوحا وسمعوا القصة من سكان الدور بالخطة ووجدوا أيضا عسكريا مقتولا جهة الموسكي وغير ذلك حوادث كثيرة في كل يوم من اخذ النساء والمردان والامتعة والمبيعات من غير ثمن وانقضى الشهر (وفيه) استقر الامراء المصرلية جهة صول والبرنبل وماقابلهما من البر الغربي واستمر عثمان بك حسن والبرديسي

وأتباعهما بالبر الشرقي وشرعوا في بناء متاريس
وقلاع بساحل البحر من
الجهتين وارسل الباشا الى
جهة دمياط ورشيد يطلب
عدة مراكب وشلنبات
لاستعداد الحروب واجتهد
في ملء صهاريج القلعة
وطلبوا السقائين والزموهم
بذلك فشح الماء بالمدينة
وغلا سعره لذلك وثقلوا العليق
حتى بلغ ثمن الراوية أربعين
نصفا بعد المشقة في تحصيله
لانه لم يبق الا الروايا اللاتي
لاكابر الناس فيمنعها
العطاش عند مرورها قهرا
ويدفعون ثمنها بالزيادة
واتفق شدة الحر وتوالي
هبوب الرياح الحارة وجفاف
الجو وتأخير زيادة النيل

(شهر جمادى الاولى سنة ١٢١٩)

استهل بيوم الثلاثاء (في ذلك
اليوم) كان مولد المشهد
الحسيني ونزل الباشا وزار
المشهد ودخل عند شيخ
السادات باستدعاء وتغدى
عنده ثم ركب راجعا قبل
الظهر الى القلعة ولم يقع في
ليالي المولد حظ للناس ولا
انشراح صدور كالعادة
بسبب أذية العسكر واختلاطهم
بهم وتكديرهم عليهم في
الحوانيت والاسواق حتى
انهم في آخر الليلة التي كان
من عادتهم يسهر ونها مع
ليال قبلها الى الصباح أغلقوا الحوانيت واطفؤا

أهل مدينة المهدية ابوابها وكتمانودي فيهم بموت باديس فشاع الخبر وخاف الناس
خوفا عظيما واضطربوا لموته واظهروا ولاية كرامت فلما رأى ذلك عبيد باديس
ومن معهم انكروه فخلا حبيب باكابرهم وعرفهم الحال فسكنوا ومضى كرامت الى
مدينة اشير ليجمع صنهاجة وتلكاتة وغيرهم واعطوهم من الخزائن مائة ألف دينار
وأما المعز فانه كان عمره ثمان سنين وستة اشهر وأياما تقريبا الان مولده كان في جمادى
الاولى سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ولما وصل اليه الخبر بموت ابيه اجلسه من عنده
للعزاء ثم ركب في الموكب وبايعه الناس فكان يركب كل يوم ويطعم الناس كل يوم
بين يديه واما العساكر فانهم رحلوا من مدينة المحمدية الى المعز وجعلوا باديس في
تابوت بين يدي العسكر والطبول والبنود على رأسه والعساكر تتبعه ميمنة وميسرة
وكان وصولهم الى المنصورية رابع المحرم سنة سبع وأربعمائة ووصلوا الى المهدية
والمعز بها ثامن المحرم فركب المعز ووقف حبيب يعلمه بهم ويذكر له أسماءهم
ويعرفه بقوادهم وأكابرهم فرحل المعز من المهدية فوصل الى المنصورية منتصف
المحرم وهذا المعز أول من حمل الناس بافريقية على مذهب مالك وكان الاغلب عليهم
مذهب أبي حنيفة وأما كرامت فانه لما وصل الى مدينة أشير اجتمع عليه قبائل
صنهاجة وغيرهم فأتاه حماد في ألف وخمسمائة فارس فتقدم اليه كرامت بسبعة آلاف
مقاتل فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فرجع بعض أصحاب كرامت الى بيت المال
فانتهبوه وهربوا فتمت الهزيمة عليه وعلى أصحابه ووصل الى مدينة اشير فاشار عليه
قاضيها واعيان اهلها بالمقام ومنع حماد منها ففعل ونازلهم حماد وطلب كرامت
ليجتمع به فخرج اليه فاعطاه مالا وأذن له في المسير الى المعز وقتل حماد من اهل اشير
كثيرا حيث أشاروا على كرامت بحفظ البلد ومنع حماد منه ووصل كرامت الى المعز في
المحرم هذه السنة فاكرمه واحسن اليه وفي آخر ذي الحجة سير الحاكم الخلع من مصر
الى المعز ولقبه شرف الدولة ولم يذكر ما كان منه الى الشيعة من القتل والاحراق
وسار المعز الى حماد لثمان بقين من صفر سنة ثمان واربعمائة بالعساكر لمنعه عن
البلاد فانه كان يحاصر باغاية وغيرها فلما قاربه رحل عن باغاية والتقوا آخر ربيع
الاول فاقتتلوا فكانت الاساءة حتى انهزم حماد وأصحابه ووضع اصحاب المعز فيهم
السيف وغنموا اموالهم من عدد ومال وغير ذلك فنادى المعز من أتى برأس فله اربعة
دنانير فاتى بشئ كثير وأسر ابراهيم اخو حماد ونجا حماد وقد اصابته جراحة وتفرق عنه
أصحابه ورجع المعز وورد رسول من حماد اليه يعتذر ويقر بالخطا ويسال العفو فاجابه
المعز ان كنت على ما قلته فارسل ولدك القائد الينا واستعمل المعز على جميع العرب
المجاورة لابراهيم عمه كرامت فعاد جواب حماد انه اذا وصله كتاب اخيه ابراهيم
بالعلامات التي بينهم انه قد أخذ له عهد المعز بعث ولده القائد أو حضر هو بنفسه
فحضر ابراهيم واخذ العهود على المعز وأرسل اليه يعرفه ذلك ويشكر المعز على احسانه
اليه ووصل المعز الى قصره آخر جمادى الاولى ولما وصل اطلق عمه ابراهيم وخلع

عليه واعطاه الاموال والدواب وجميع ما يحتاج اليه فلما سمع حماد ذلك أرسل ولده القائد الى المعز وكان وصوله للنصف من شعبان فأكرمه واعطاه شيئا كثيرا واقطعه المسيلة وطبنة وغيرهما وعاد الى ابيه في شهر رمضان ورضي الصلح وحلف عليه واستقرت الامور بينهما وتصاهروا وزوج المعز أخته بعبد الله بن حماد فازدادوا اتفاقا وامنا وكان بافريقية والغرب غلاء بسبب الجراد واختلاف الملوك ولما استقر الصلح والاتفاق سير المعز الجيوش الى القبائل من البربر وغيرهم فان الحروب بينهم كانت بسبب الاختلاف كثيرة والدماء مسفوكة فلما رأوا عساكر السلطان رجعوا الى السكون وترك الحروب ومن أبى قوتل فقتل المفسدون وأصلح ما بين القبائل ووصل من جزيرة الاندلس زاوي بن زيري بن مناد عم ابي المعز وأهله وولده وحشمه وكان قد أقام بالاندلس مدة طويلة وقد ذكرنا سبب دخوله الاندلس وملك بالاندلس غرناطة وقاسى حروبا كثيرة ووصل معه من الاموال والعدد والجواهر شيء كثير لا يحد فاكرمهم المعز وحمل لهم شيئا عظيما واقامات زائدة واقطاعات مواصلة كان ينبغي ان يكتب وفاة باديس وما بعده سنة سبع واربعمائة وانما اتبعنا بعض اخبارهم بعضا

ذكر غزوة محمود الى الهند

في هذه السنة غزا محمود بن سبكتكين الهند على عادته فضل ادلاؤه الطريق ووقع هو وعسكره في مياه فاضت من البحر فغرق كثير ممن معه وخاض الماء بنفسه أياما حتى تخلص وعاد الى خراسان

ذكر قتل فخر الملك ووزارة ابن سهلان

وفيها قبض سلطان الدولة على نائبه بالعراق ووزيره فخر الملك أبي غالب وقتل سلخ ربيع الاول وكان عمره اثنتين وخمسين سنة واحد عشر شهرا وكان نظره بالعراق خمس سنين وأربعة شهور واثني عشر يوما وكان كافيا حسن الولاية والآثار ووجد له ألف ألف دينار عينا سوى ما نهب وسوى الاعراض وكان قبضه بالاهواز والمامات ونقل الى مشهد امير المؤمنين علي عليه السلام فدفن هناك قيل كان ابن علكار وهو من كبار قوادهم قد قتل انسانا ببغداد فكانت زوجته تكتب الى فخر الملك أبي غالب تتظلم منه ولا يلتفت اليها فلقيته يوما وقالت له تلك الرقاع التي كنت اكتبها اليك صرت اكتبها الى الله تعالى فلم يمض على ذلك غير قليل حتى قبض هو وابن علكار فقال له فخر الملك قد برز جواب رقاع تلك المرأة ولما قبض فخر الملك استوزر سلطان الدولة أبا محمد الحسن بن سهلان فلقب عميد اصحاب الجيوش وكان مولده برامهرمز في شعبان سنة احدى وستين وثلثمائة

ذكر قتل طاهر بن هلال بن بدر

في هذه السنة اطلق شمس الدولة بن فخر الدولة بن بويه طاهر بن هلال بن بدر واستحلفه على الطاعة له واجتمع معه طوائف فقوي بهم وحارب ابا الشوك فهزمه

القناديل من بعد اذان العشاء وذهبوا الى دورهم (وفيه) قرروا فردة غلال على البلاد قمح وشعير وتبن أعلى واوسط وادنى الاعلى خمسة عشر اردبا وخمسة عشر حمل تبن والاوسط عشرة والادنى خمسة على ان اقليم القليوبية لم يبق به الا خمسة وعشرون قرية فيها بعض سكان والباقي خراب ليس فيها ديار ولا نافخ نار ومجموع المطلوب ثمانية آلاف اردب خلاف التبن وذلك برسم ترحيلة على باشا الى الينبع ثم قرروا فردة أخرى كذلك أيضا وقدرها الف وخمسمائة كيس رومية (وفي يوم الجمعة رابعه) جمع الباشا المشايخ في ديوان خاص بسبب مكتوب حضر من الامراء المصريين خطابا للمشايخ مضمونه انهم يسعون بينهم وبين الباشا فيما يكون فيه الراحة للبلاد والعباد وانه يخرج هذه العساكر فانهم ان داموا بالاقليم كملوا خرابه وهتكوا باعيانهم وظلمهم وفسقهم وطلب العلوفات التي لا يفي ببعضها خراج الاقليم واما نحن فاننا مطيعون السلطنة وخدامون بلا جامكية ولا علوفة وان لم يفعل ذلك يعطينا جهة قبلي نتعيش فيها وان ارادوا الحرب فليخرجوا النا بعيدا عن الابنية ويحاربونا في الميدان والله يعطي النصر لمن يشاء

وقتل سعدى اخو ابى الشوك ثم انهزم ابو الشوك منه مرة ثانية ومضى منهزما الى حلوان وبذل له ابو الحسن بن مزيد الاسدى المعاونة فلم يمكن فيه معاودة الحرب واقام طاهر بالنهروان وصالح ابا الشوك وتزوج اخته فلما امنه طاهر وثب عليه ابو الشوك فقتله بثار اخيه سعدى وحمله اصحابه فدفنوه بمشهد باب التبن

(ذكر عدة حوادث)

فيها توفى الشريف الرضى محمد بن الحسين بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر ابو الحسن صاحب الديوان المشهور وشهد جنازته الناس كافة ولم يشهدها اخوه لانه لم يستطع ان ينظر الى جنازته فاقام بالمشهد الى ان اعاده الوزير فخر الملك الى داره ورثاه كثير من الشعراء منهم اخوه المرتضى فقال

يا للرجال لفجعة جذمت يدى * ووددتها ذهبت على براسى
مازلت آبى وردها حتى اتت * فحسوتها فى بعض ما انا حاسى
ومطلتها زمنا فلما صممت * لم يثنها مطلى وطول مكاسى
لا تنكروا من فيض دمعى عبرة * فالدمع خير مساعد ومواسى
واها لعمرك من قصير طاهر * ولرب عمر طال بالارجاس

وفيها توفى ابو طالب احمد بن بكر العبدى النحوى مصنف شرح الايضاح وابو احمد عبد السلام بن ابى مسلم الفرضى والامام ابو حامد احمد بن محمد بن احمد الاسفراينى امام اصحاب الشافعى وكان يحضر درسه اربعمائة متفقه وكان يدرس بمسجد عبد الله بن المبارك بقطيعة الفقهاء وكان عمره احدى وستين سنة واشهرا وفيها توفى ابو جعفر استاذ هرمز بن الحسن والد عميد الجيوش بشيراز وكان عمره مائة وخمس سنين وتوفى شهاب الدولة ابو درع رافع بن محمد بن مقرن وله شعر حسن منه

مازلت ابكى فى الديار تاسفا * لبين خليل او فراق حبيب
فلما عرفت الربع لا شك أنه * هو الربع فاضت مقلتى بغروب
وجربت دهرى ناسيا فوجدته * اخا غير لا تنقضى وخطوب
وعاشرت ابناء الزمان فلم اجد * من الناس خدنا حافظا لمغيب
ولم يبق منهم حافظ لذمامه * ولا ناصر يرعى جوار قريب

وفيها توفى الشار ابو نصر الذى كان صاحب غرشستان من خراسان فى قبض يمين الدولة وقد ذكرنا سبب ذلك وفيها فى صفر قلد الشريف المرتضى أبو القاسم أخو الرضى نقابة العلويين والحج والمظالم بعد موت أخيه الرضى وفيها وقعت فتنة ببغداد بين أهل الكرخ و بين أهل باب الشعير ونهبوا القلائين فانكر فخر الملك على أهل الكرخ ومنعوا من النوح يوم عاشوراء ومن تعليق المسوح وفيها وقع بالبصرة وما جاورها وباء شديد عجز الحفارون عن حفر القبور وفيها فى حزيران جاء مطر شديد فى بلاد العراق وكثير من البلاد

الى آخر ما قالوه فقال الباشا للمشايخ اكتبوا لهم ما اخذوا جهة امننا ومقبلا فقالوا نحن لا نكتب شيئا اكتبوا انتم مثل ما تعرفون وانفض المجلس (وفيه) عزم جماعة من اكابر العسكر على السفر الى بلادهم وهم احمد بك رفيق محمد على وصادق اغا وخلافهما واخذوا فى تشهيل انفسهم وبيع متاعهم ونزلوا الى بولاق عند عمر اغا ونزل محمد على لوداعهم ببيت عمر اغا فاجتمع العسكر واحاطوا بهم ومنعوهم من السفر قائلين لهم اعطونا علوفاتنا المنكسرة والا عطلناكم ولا ندعكم تسافرون باموال مصر ومنهوباتها فاخذوا خواطرهم ووعدوهم على ايام وامتنعوا من السفر (وفى يوم الثلاثاء ثامنه) تقلد شخص من العثمانيين الزعامة عوضا عن على اغا الذى تولى باشة السفر لينبع (وفى عاشره) اجتمع العسكر وطلبوا علوفاتهم من الباشا فدفعوا للارنؤد جامكية شهر (وفى ليلة الجمعة حادى عشر جمادى الاولى الموافق لثانى عشر مسرى القبطى) اوفى النيل المبارك سبعة عشر ذراعا وكسر سد الخليج فى صبح يوم السبت بحضر الباشا والقاضى ومحمد على و باقى كبار العسكر وجميع العسكر وكان جمعا وولا

(ثم دخلت سنة سبع وأربعمائة)

(ذكر قتل خوارزمشاه وملك يمين الدولة خوارزم وتسليمها الى التونتاش)

في هذه السنة قتل خوارزمشاه أبو العباس مأمون بن مأمون وملك يمين الدولة خوارزم وسبب ذلك ان أبا العباس كان قد ملك خوارزم والجرجانية كما ذكرناه وخطب الى يمين الدولة فزوجه أخته ثم ان يمين الدولة أرسل اليه يطلب أن يخطب له على منابر بلاده فاجابه الى ذلك وأحضر أمراء دولته واستشارهم في ذلك فاظهروا الامتناع ونهوه عنه وتهددوه بالقتل ان فعله فعاد الرسول وحكى ليمين الدولة ماشاهده ثم ان أمراءه خافوه حيث ردوا امره فقتلوه غيلة ولم يعلم قاتله وأجلسوا مكانه أحد اولاده وعلموا ان يمين الدولة يسوءه ذلك وربما طالبهم بثاره فتعاهدوا على مقاتلته ومقارعته واتصل الخبر بيمين الدولة فجمع العساكر وسار نحوهم فلما قارب بهم جعلهم صاحب جيشهم ويعرف بالبتكين البخاري وامرهم بالخروج الى لقاء مقدمة يمين الدولة والايقاع بمن فيها من الاجناد فسار وامعه ووقاتلوا مقدمة يمين الدولة واشتد القتال بينهم واتصل الخبر بيمين الدولة فتقدم نحوهم في سائر جيوشه فلحقهم وهم في الحرب فثبت الخوارزمية الى أن انتصف النهار وأحسنوا القتال ثم انهم انهزموا وركبهم أصحاب يمين الدولة يقتلون ويأسرون ولم يسلم الا القليل ثم ان البتكين ركب سفينة لينجو فيها فجرى بينه و بين من معه منافرة فقاموا عليه وأوثقوه وردوا السفينة الى ناحية يمين الدولة وسلموه اليه فاخذه وسائر القواد المأسورين معه وصلبهم عند قبر أبي العباس خوارزمشاه وأخذ الباقين من الاسرى فسيرهم الى غزنة فوجا بعد فوج فلما اجتمعوا بها أفرج عنهم واجرى لهم الارزاق وسيرهم الى أطراف بلاده من ارض الهند يحمونها من الاعداء و يحفظونها من اهل الفساد واخذ خوارزم واستناب بها حاجبه التونتاش

(ذكر غزوة قشمير وقنوج وغيرهما)

في هذه السنه غزا يمين الدولة بلاد الهند بعد فراغه من خوارزم فسار منها الى غزنة ومنها الى الهند عازما على غزو قشمير اذ كان قد استولى على بلاد الهند ما بينه وبين قشمير وأتاه من المتطوعة نحو عشرين ألف مقاتل مما وراء النهر وغيره من البلاد وسار اليها من غزنة ثلاثة أشهر سيرا دائما وعبر نهر سيحون وحيلوم وهما نهران عميقان شديدا الجرية فوطئ أرض الهند وأتاه رسل ملوكها بالطاعة و بذل الاتاوة فلما بلغ درب قشمير أتاه صاحبها واسلم على يده وسار بين يديه الى مقصده فبلغ ماجون في العشرين من رجب وفتح ما حولها من الولايات الفسيحة والحصون المنيعة حتى بلغ حصن هودب وهو آخر ملوك الهند فنظر هودب من اعلى حصنه فرأى من العساكر ما هاله وأرعبه وعلم انه لا ينجيه الا الاسلام فخرج في نحو عشرة آلاف ينادون بكلمة الاخلاص طلبا للخلاص فقبله يمين الدولة وسار عنه الى قلعة كلجند وهو من أعيان الهند وشياطينهم

وضرب الجميع بنادقهم ورمى الماء بالخليج وركبوا القوارب والمراكب ودخلوا فيهم يضربون بالبنادق وكذلك من كان منهم بالقواطين والبيوت وكان الموسم خاصا بهم دون اولاد البلد لانهم وكذلك سكنوا بيوت الخليج مع قحابهم من النساء ومات في ذلك اليوم عدة اشخاص نساء ورجالا اصيبوا من بنادقهم ومما وقع انه اصيب شخص من اولاد البلد برصاصة منهم ومات وحضر أهله يصرخون وارادوا أخذه ليواروه فمنعهم الوالي وطلب منهم ثلاثة آلاف درهم فضة ولم يمكنهم من شيله حتى صالحوه على الف وخمسمائة وكذلك من كان منهم بالقواطين والبيوت اذن لهم في اخذه ومواراته ونظر بعضهم الى اعلى بيوت الخليج فرأى امرأة جالسة في الطاقة فضربها برصاصة فاصابتها في دماغها وماتت من ساعتها وغير ذلك مما لم نحقق اخباره (وفي يوم الاحد ثالث عشره) خرج علي باشا الوالي المسافر الى الينبع خارج البلد واقام بجهة العادلية وارتحل يوم السبت تاسع عشره ومعه مائة عسكري لاغير وذهب الى جهة السويس (وفيه) ارسل الباشا الى المشايخ والوجاقلية وتكلم معهم في توزيع فردة على اهل مصر لغلاق جامكية

وكان على طريقه غياض ملتفة لا يقدر السالك على قطعها الا بمشقة فسير كليجند عساكره وفيوله الى أطراف تلك الغياض يمنعون من سلوكها فترك يمين الدولة عليهم من يقاتلهم وسلك طريقا مختصرة الى الحصن فلم يشعروا به الا وهو معهم فقاتلهم قتالا شديدا فلم يطيقوا الصبر على حد السيوف فانهزموا وأخذهم السيف من خلفهم ولقوا نهرا عميقا بين أيديهم فاقتحموه فغرق أكثرهم وكان القتلى والغرقى قريبا من خمسين الفا وعمد كليجند الى زوجته فقتلها ثم قتل نفسه بعدها وغنم المسلمون أمواله وملكوا حصونه ثم سار نحو بيت متعبد لهم وهو من مهرة الهند وهو من أحصن الابنية على نهر ولهم به من الاصنام كثير منها خمسة اصنام من الذهب الاحمر مرصعة بالجواهر وكان فيها من الذهب ستمائة الف وتسعون الفا وثلثمائة مثقال وكان بها من الاصنام المصوغة من النقرة نحو مائتي صنم فاخذ يمين الدولة ذلك جميعه واحرق الباقي وسار نحو قنوج وصاحبها راجيبال فوصل اليها في شعبان فرأى صاحبها قد فارقها وعبر الماء المسمى كنك وهو ماء شريف عندهم يرون انه من الجنة وان من غرق نفسه فيه طهر من الآثام فاخذها يمين الدولة واخذ قلاعها واعمالها وهي سبع على الماء المذكور وفيها قريب من عشرة آلاف بيت صنم يذكرون انها عملت من مائتي الف سنة الى ثلثمائة الف كذبا منهم وزورا ولما فتحها اباحها عسكره ثم سار الى قلعة البراهمة فقاتلوه وثبتوا فلما عضهم السلاح علموا أنهم لا طاقة لهم فاستسلموا للسيف وقتلوا ولم ينج منهم الا الشريد ثم سار نحو قلعة آسى وصاحبها جندبال فلما قاربها هرب جندبال واخذ يمين الدولة حصنه ومافيه ثم سار الى قلعة شروه وصاحبها جندرآى فلما قاربه نقل ماله وفيوله نحو جبال هناك منيعة يحتمي بها وعمى خبره فلم يدر اين هو فنازل يمين الدولة حصنه فافتتحه وغنم مافيه وسار في طلب جندرآى جريدة وقد بلغه خبره فلحق به في آخر شعبان فقاتله فقتل أكثر جند جندرآى واسر كثيرا منهم وغنم مامعه من مال وفيل وهرب جندرآى في نفر من اصحابه فنجا وكان السبي في هذه الغزوة كثيرا حتى ان احدهم كان يباع باقل من عشرة دراهم ثم عاد الى غزنة ظافرا ولما عاد من هذه الغزوة أمر ببناء جامع غزنة فبنى بناء لم يسمع بمثله ووسع فيه وكان جامعها القديم صغيرا وانفق ماغنمه في هذه الغزاة في بنائه

(ذكر حال ابن فولاذ)

في هذه السنة عظمت شوكة ابن فولاذ وكبر شأنه وكان ابتداء أمره انه كان وضيعا فصحب دولة بني بويه وصلاحيته وارتفع قدره واجتمع اليه الرجال فلما كان الآن طلب من مجد الدولة ووالدته أن يقطعاه قزوين لتكون له ولمن معه من الرجال فلم يفعلا واعتذرا اليه فقصد أطراف ولاية الرى وأظهر العصيان وجعل يفسد ويغير ويقطع السبيل وملك ما يليه من القرى فعجزا عنه فاستعانا باصبهبذ المقيم بفريم فاتاهما في رجال الجبل وجرى بينهم وبين ابن فولاذ عدة حروب وجرح ابن فولاذ وولى منهزما حتى بلغ الدامغان

فقام

العسكر فدافعوا بما امكنهم من المدافعة فقال هذا الذي تطلبه انما تأخذه على سبيل القرض ثم ترده اليهم فقالوا له لم يبق بايدي الناس مايقرضونه ويكفي الناس ماهم فيه من الغلاء ووقف الحال وغير ذلك فالتفت الى الوجاقلية وقال كيف يكون العمل فقال أيوب كتخدا العمل جمعية مع السيد أحمد المحروقي ويحصل خير فركن الباشا على ذلك ثم اجتمعوا مع المذكور واتفقوا انهم يطلبونها بكيفية ليس فيها شناعة ولا بشاعة وهي انهم قرروا على الوجاقلية قدرا من الاكياس وكتبوا بها قناييه باسماء أشخاص منها ماجعلوا عليه عشرين كيسا وعشرة وخمسة وأقل وأكثر وكذلك وزعوا على أشخاص من تجار البن وخان الخليلي ومغاربة الغورية وأهل الغورية وخلافهم ومن تراخى في الدفع قبضوا عليه وأودعوه في أضيق الحبوس ووضعوا الحديد في يديه ورجليه ورقبته ومنهم من يوقفونه على قدميه والجنزير مربوط بالسقف وأرسلوا العسكر الى بيوتهم يجلسوا بها ياكلون ويسكرون ويطلبون من النساء المصروف خلاف الاكل الذي يطلبونه ويشترونه وهو ثمن الشراب والدخان والفاكهة بل ويأتون بالقحاب معهم ويضربون بالبندق والرصاص بطول

فقام حتى عاد أصحابه اليه ورجع اصبهبذ الى بلاده وكتب ابن فولاذ الى منوجهر بن قابوس يطلب أن ينفذ له عسكر الملك البلاد ويقيم له الخطبة فيها ويحمل اليه المال فانفذ له الفي رجل فسار بهم حتى نزل بظاهر الرى واعاد الاغارة ومنع المسير عنها فضاقت الاقوات بها فاضطر مجد الدولة ووالدته الى مداراته واعطائه ما يلتمسه فاستقر بينهم أن يسلما اليه مدينة اصبهان فسار اليها وأعاد عسكر منوجهر اليه وزال الفساد وعاد الى طاعة مجد الدولة

❁(ذكر ابتداء الدولة العلوية بالاندلس وقتل سليمان)❁

وفي هذه السنة ولى الاندلس على بن حمود بن ابى العيش بن ميمون بن احمد بن على بن عبيد الله بن عمر بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب عليه السلام وقيل في نسبه غير ذلك مع اتفاق على صحة نسبه الى أمير المؤمنين على عليه السلام وكان سبب ذلك ان الفتى خيران العامرى لم يكن راضيا بولاية سليمان بن الحاكم الاموى لانه كان من اصحاب المؤيد على ما ذكرناه قبل فلما ملك سليمان قرطبة انهزم خيران في جماعة كثيرة من الفتيان العامريين فتبعهم البربر واقعهم فاشتد القتال بينهم وجرح خيران عدة جراحات وترك على انه ميت فلما فارقوه قام يمشى فاخذه رجل من البربر الى داره بقرطبة وعالجه فبرأ وأعطاه مالا وخرج متهاسرا الى شرق الاندلس فكثر جمعه وقويت نفسه وقاتل من هناك من البربر وملك المرية واجتمع اليه الاجناد وأزال البربر عن البلاد المجاورة له فغلظ أمره وعظم شأنه وكان على ابن حمود بمدينة سبتة بينه وبين الاندلس عدوة المجاز يملكها وكان اخوه القاسم ابن حمود بالجزيرة الخضراء مستوليا عليها وبينهما المجاز وسبب ملكهما انهما كانا من جملة اصحاب سليمان بن الحاكم فقودهما على المغاربة ثم ولاهما هذه البلاد وكان خيران يميل الى دولة المؤيد ويرغب فيها ويخطب له على منابر بلاده التى استولى عليها لانه كان يظن حياته حيث فقد من القصر فحدث لعلى بن حمود طمع في ملك الاندلس لما رأى من الاختلاف فكتب الى خيران يذكر له ان المؤيد كان كتب له بولاية العهد والاخذ بثاره ان هو قتل فدعا لعلى بن حمود بولاية العهد وكان خيران يكاتب الناس ويامرهم بالخروج على سليمان فوافقه جماعة منهم عامر بن فتوح وزير المؤيد وهو بمالقة وكاتبوا على بن حمود وهو بسبتة ليعبر اليهم ليقوموا معه ويسيروا الى قرطبة فعبر الى مالقة في سنة خمس واربعمائة فخرج عنها عامر بن فتوح وسلمها اليه ودعا بولاية العهد وسار خيران ومن اجابه اليه فاجتمعوا بالمنكب وهى ما بين المرية ومالقة سنة ست واربعمائة وقرروا ما يفعلونه وعادوا يتجهزون لقصد قرطبة فتجهزوا وجمعوا من وافقهم وساروا الى قرطبة وبايعوا عليا على طاعة المؤيد الاموى فلما بلغوا اغرناطة وافقهم اميرها وسار معهم الى قرطبة فخرج سليمان والبربر اليهم فالتقوا واقتتلوا على عشرة فراسخ من قرطبة ونشب القتال بينهم فانهزم سليمان والبربر وقتل منهم خلق كثير

الليل والنهار وأمثال ذلك (وفي يوم الخميس رابع عشرينه) أرسل الباشا عسكرا للقبض على الامير على المدفى صهر ابن الشيخ الجوهرى وحبسه فركب اليه المشايخ وكلموه في شأنه وقالوا انه رجل وجاقلى من خيار الناس وما السبب في القبض عليه وما ذنبه الموجب لذلك فقال انه رجل قبيح ولى عليه دعوة شرعية واذا كان من خيار الناس ومن الوجاقلية لاى شئ يعمل كتخدا عند صالح بك الالفى وانه عند هروب مخدومه من الشرقية اخذ ما كان معه من المال على أربعة جمال ودخل بها الى داره وعندى بينة تشهد عليه بذلك فانا أطالبه بالمال الذى عنده وقاموا ونزلوا من غير طائل (وفي يوم السبت سادس عشرينه) توفى الشيخ موسى الشرقاوى الشافعى وكان من أعيان العلماء الشافعية (وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه) أحضروا المحمل من السويس فنزل كتخدا الباشا والاغا والوالى وأكابر العسكر وعدة كبيرة من العسكر وعملوا له الموكب وشقوا به البلد وخلفه الطبل والزمر (وفي أواخره) وصلت قوافل البن من السويس فحجزها الباشا وأخذها وأعطى أصحاب البن وثائق بثمن البن لاجل ووكل في بيعه وحول به العسكر يأخذونه من أصل

واخذ سليمان اسيرا فحمل الى على بن حمود ومعه اخوه وابوه الحاكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ودخل على بن حمود قرطبة في المحرم سنة سبع ودخل خيران وغيره الى القصر طمعا في ان يجدوا المؤيد حيا فلم يجدوه ورأوا شخصا مدفونا فنبشوه وجمعوا له الناس واحضروا بعض فتيانه الذين رباهم وعرضوه عليه ففتشه وفتش أسنانه لانه كان له سن سوداء كان يعرفها ذلك الفتى فاجمع هو وغيره على انه المؤيد فخوفا على انفسهم من على فاخبروا خيران أنه المؤيد وكان ذلك الفتى يعلم ان المؤيد حي فاخذ على بن حمود سليمان وقتله سابع المحرم سنة سبع وقتل اباه واخاه ولما حضر ابوه بين يدى على ابن حمود قال له ياشيخ قتلتم المؤيد فقال والله ما قتلناه وانه لحي فحينئذ اسرع في قتله وكان شيخا صالحا منقبضا لم يتدنس بشئ من احوال ابنه واستولى على بن حمود على قرطبة ودعا الناس الى بيعته فبويع واجتمع له الملك واقب المتوكل على الله ثم ان خيران اظهر الخلاف عليه لاشياء منها انه كان طامعا ان يجد المؤيد فلم يجده ومنها انه نقل اليه ان عليا يريد قتله فخرج عن قرطبة واظهر الخلاف عليه

(ذكر ظهور عبد الرحمن الاموى)

لما خالف خيران عليا ارسل يسال عن بنى أمية فدل على عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك ابن عبد الرحمن الناصر الاموى وكان قد خرج من قرطبة مستخفيا ونزل بجيان وكان اصلح من بقى من بنى امية فبايعه خيران وغيره ولقبوه المرتضى وراسل خيران منذر بن يحيى التجيبى أمير سرقسطة والثغر الاعلى وراسل اهل شاطبة وبلنسية وطرطوشة والبونت فاجابوا كلهم الى بيعته والخلاف على على بن حمود فاتفق عليه أكثر الاندلس واجتمعوا بموضع يعرف بالرياحين في الاضحى سنة ثمان واربعمائة ومعهم الفقهاء والشيوخ وجعلوا الخلافة شورى واتفقوا على بيعته وساروا معه الى صنهاجة والنزول على غرناطة واقبل المرتضى على اهل بلنسية وشاطبة واظهر الجفاء لمنذر بن يحيى التجيبى ولخيران ولم يقبل عليهما فندما على ما كان منهما وسار حتى وصل الى غرناطة فوصل اليها ونزل عليها وقاتلوها أياما قتالا شديدا فغلبهم اهل غرناطة وأميرهم زاوى بن زيرى الصنهاجى وانهزم المرتضى وعسكره واتبعهم صنهاجة يقتلون ويأسرون وقتل المرتضى في هذه الهزيمة وعمره اربعون سنة وهو أصغر من أخيه هشام وسار اخوه هشام الى البونت واقام بها الى ان خوطب بالخلافة ولم يزل على بن حمود بعد هذه الهزيمة يقصد بلاد خيران والعامريين مرة بعد اخرى

(ذكر قتل على بن حمود العلوى)

فلما كان في ذى القعدة سنة ثمان واربعمائة تجهز على بن حمود للسير الى جيان لقتال من بها من عسكر خيران فلما كان الثامن والعشرون منه برزت العساكر الى ظاهر قرطبة بالبنود والطبول ووقفوا ينتظرون خروجه فدخل الحمام ومعه غلمانه فقتلوه فلما طال على الناس انتظاره بحثوا عن امره فدخلوا عليه فرأوه مقتولا فعاد العسكر الى

البلد

صلوفاتهم فيلغ ثمن العجوز تسعمائة كيس وانهمك المشترون على الشراء ومنعوا القبانية من الوزن الا بحضور المقيدين بذلك وانقضى هذا الشهر وحوادثه وما وقع فيه من عكوسات العسكر من الخطف والقتل والدعاوى الكذب وشهاداتهم الزور لبعضهم فيما يدعونه وتواطئهم على ذلك فيذهب الخبيث منهم فيكتب له عرضحال ويشكو من بعض مساتير الناس انه غصبه في مدة سابقة قبل ذلك وطلق منه زوجته قهرا بعد أن كان صرف عليها مبلغ دراهم كثيرة في المهر والنفقة والكسوة ويكتبون له عليه علامة الباشا ويأخذ صحبته أشخاصا معينين من أقرانه فيحضرون المدعى عليه الى المحكمة فلا يثبت عليه ذلك فيكتب له القاضى أعلاما بعدم صحة الدعوى بدراهم يدفعها على ذلك الاعلام فيذهبون الى ديوان الباشا ويخبرون الكتخدا ببطلان الدعوى ويطلعون على الاعلام بحضرة الخصم وهو يظن البراح والخلاص من تلك الدعوة الباطلة فيقول الكتخدا للخصم أعط المباشرين خدمتهم خمسة أكياس واذهب وامثال ذلك فان وجد شافعا أو مغيثا توسط له او تشفع في تخفيف ذلك قليلا اوضعفه او دفع عنه وانقذه والا حبس كثيره وذاق

البلد وكان لقبه المتوكل على الله وقيل الناصر لدين الله وكان اسمر اعين اكحل خفيف الجسم طويل القامة حازما عازما عادلا حسن السيرة وكان قد عزم على اعادة اموال اهل قرطبة اليهم التى اخذها البربر فلم تطل ايامه وكان يحب المدح ويجزل العطاء عليه ثم ولى بعده أخوه القاسم وهو أكبر من على بعشرة أعوام وكان عمر على ثمانيا واربعين سنة بنوه يحيى وادريس وامه قرشية وكنيته أبو الحسن وكانت ولايته سنة وتسعة اشهر

(ذكر ولاية القاسم بن حمود العلوى بقرطبة)

قد ذكرنا قتل أخيه على بن حمود سنة سبع واربعمائة فلما قتل بايع الناس أخاه القاسم ولقب المامون فلما ولى واستقر ملكه كاتب العامريين واستمالهم واقطع زهير اجيان وقلعة رباح وبياسة وكاتب خيران واستعطفه فلما اليه واجتمع به ثم عاد عنه الى المرية وبقى القاسم مالكا لقرطبة وغيرها الى سنة اثنتى عشرة واربعمائة وكان وادعا لينا يحب العافية فامن الناس معه وكان يتشيع الا انه لم يظهر شيئا من ذلك فسار عن قرطبة الى أشبيلية فخالفه يحيى ابن اخيه فيها

(ذكر دولة يحيى بن على بن حمود وما كان منه ومن عمه)

لما سار القاسم بن حمود عن قرطبة الى اشبيلية سار ابن اخيه يحيى بن على من مالقة الى قرطبة فدخلها بغير مانع فلما تمكن بقرطبة دعا الناس الى بيعته فاجابوه فكانت البيعة مستهل جمادى الاولى من سنة اثنتى عشرة واربعمائة ولقب بالمعتلى وبقى بقرطبة يدعى له بالخلافة وعمه القاسم باشبيلية يدعى له بالخلافة الى ذى القعدة سنة ثلاث عشرة واربعمائة فسار يحيى عن قرطبة الى مالقة ووصل الخبر الى عمه فركب وجد فى السير ليلا ونهارا الى ان وصل الى قرطبة فدخلها ثامن عشر ذى القعدة سنة ثلاث عشرة وكان مدة مقامه باشبيلية قد استمال العساكر من البربر وقوى بهم وبقى القاسم بقرطبة شهورا ثم اضطرب أمرها وسار ابن اخيه يحيى بن على الى الجزيرة الخضراء وغلب عليها وبها اهل عمه وماله وغلب اخوه ادريس بن على صاحب سبتة على طنجة وهى كانت عدة القاسم التى يلجأ اليها ان رأى ما يخاف بالاندلس فلما ملك ابنا اخيه بلاده طمع فيه الناس وتسلط البربر على قرطبة فاخذوا اموالهم فاجتمع اهلها وبرزوا الى قتاله عاشر جمادى الاولى سنة اربع عشرة فاقتتلوا قتالا شديدا ثم سكنت الحرب وامن بعضهم بعضا الى منتصف جمادى الاولى من السنة والقاسم بالقصر يظهر التودد لاهل قرطبة وانه معهم وباطنه مع البربر فلما كان يوم الجمعة منتصف جمادى الآخرة صلى الناس الجمعة فلما فرغوا تنادوا السلاح السلاح فاجتمعوا ولبسوا السلاح وحفظوا البلد ودخلوا قصر الامارة فخرج عنها القاسم واجتمع معه البربر وقاتلوا أهل البلد وضيقوا عليهم وكانوا أكثر من اهله فبقوا كذلك نيفا وخمسين يوما والقتال متصل فخاف أهل قرطبة وسألوا البربر فى ان يفتحوا لهم الطريق ويؤمنوهم على انفسهم واهليهم فابوا الا ان يقتلوهم فصبروا حينئذ على القتال وخرجوا من البلد ثانى عشر شعبان وقاتلوهم

العذاب حتى يدفع ما قرروه عليه الكتخدا واتفق ان جماعة من سكان المحجر شكوا انظار جامع وسبيل ومدرسة متخربة من أيام الفرنسيس ومعطلة الشعائر والايراد فامر الكتخدا باحضار النظار وهم ناس فقراء وعواجز وسالهم فاخبروا بتعطيل الايراد فاحضروا مباشرين الاوقاف فحاسبوهم فلم يطلع عليهم شئ فقال الكتخدا اعطوا المباشرين خدمتهم فلما فرغوا من ذلك بعد مشقة عظيمة قالوا هاتوا حصول الخزينة فقالوا وما يكون حصول الخزينة قالوا ثلاثون كيسا على كل ناظر عشرة اكياس فبهت الجماعة وتحيروا فى امرهم ولم يعلموا ما يقولون وفى الحال جذبوهم الى الحبس وفيهم رجل من جماعة المشهدية عاجز لا يقدر على القيام فسعى عليه حريمه وخشداشينه وصالحوا عليه بكيسين وخلصوه وأما الاثنان الآخران فاستمرا فى الحبس والحديد مدة طويلة وامثال ذلك (وفى أواخره) افرجوا عن السيد على المدنى بعد ما قرروا عليه أربعة آلاف ريال خلاف البرانى وأمثال ذلك كثير

(شهر جمادى الثانية سنة ١٢١٩)

١٥ يخ مل سح استهل بيوم الخميس فيه حضر القاضى الجديد الى

قتال مستقتل فنصرهم الله على البربر ومن بغى عليه لينصرنه الله وانهزم البربر هزيمة عظيمة ولحق كل طائفة منهم ببلد فاستولوا عليه واما القاسم بن حمود فانه سار الى اشبيلية وكتب الى اهلها في اخلاء الف دار ليسكنها البربر فعظم ذلك عليهم وكان بها ابناه محمد والحسن فثار بهما أهلها فاخرجوهما عنهم ومن معهما وضبطوا البلد وقدموا على أنفسهم ثلاثة من شيوخهم وكبرائهم وهم القاضي ابو القاسم محمد بن اسمعيل بن عباد اللخمي ومحمد بن يريم الالهاني ومحمد بن محمد بن الحسن الزبيدي وكانوا يدبرون أمر البلد والناس ثم اجتمع ابن يريم والزبيدي وسالوا ابن عباد أن ينفرد بتدبير امورهم فامتنع والحوا عليه فلما خاف على البلد بامتناعه أجابهم الى ذلك وانفرد بالتدبير وحفظ البلد فلما رأى القاسم ذلك سار فى تلك البلاد ثم انه نزل بشريش فزحف اليه يحيى ابن اخيه على ومعه جمع من البربر فحصروه ثم أخذوه اسيرا فحبسه يحيى فبقى فى حبسه الى ان توفى يحيى وملك اخوه ادريس فلما ملك قتله وقيل بل مات حتف انفه وحمل الى ابنه محمد وهو بالجزيرة الخضراء فدفنه وكانت مدة ولاية القاسم بقرطبة مذ تسمى بالخلافة الى ان اسره ابن اخيه ستة اعوام وبقى محبوسا ست عشرة سنة الى ان قتل سنة احدى وثلاثين واربعمائة وكان له ثمانون سنة وله من الولد محمد والحسن امهما أميرة بنت الحسن بن القاسم المعروف بقنون ابن ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس ابن الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب عليه السلام وكان اسمر اعين أكحل مصفر اللون طويلا خفيف العارضين

(ذكر عود بنى امية الى قرطبة وولاية المستظهر)

لما انهزم البربر والقاسم بن على من اهل قرطبة على ما ذكرناه اتفق رأى اهل قرطبة على رد بنى أمية فاختاروا عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر الاموى فبايعوه بالخلافة ثالث عشر رمضان من سنة أربع عشرة واربعمائة وعمره حينئذ اثنتان وعشرون سنة وتلقب بالمستظهر بالله فكانت ولايته شهرا واحدا وسبعة عشر يوما وقتل وكان سبب قتله انه اخذ جماعة من اعيان قرطبة فحبسهم لميلهم الى سليمان بن المرتضى عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر وأخذ أموالهم فسعوا عليه من السجن والبوا الناس فاجابهم صاحب الشرطة وغيره واجتمعوا وقصدوا السجن فاخرجوا من فيه وكان ممن وافقهم على ذلك أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن الاموى فى جماعة كثيرة فظفروا بالمستظهر فقتلوه فى ذى القعدة ولم يعقب وكنيته ابو المطرف وامه ام ولد وكان أبيض اشقر أعين شثن الكفين رحب الصدر وكان أديبا خطيبا بليغا رقيق الطبع له شعر جيد وكان وزيره ابا محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم وكان سليمان بن المرتضى قد مات قبل قتله بعشرة ايام

(ذكر ولاية محمد بن عبد الرحمن)

لما قتل المستظهر بايع الناس بقرطبة محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر

وكنيته

بجهة بولاق وركب فى يوم الجمعة فطلع الى القلعة وسلم على الباشا ورجع الى المحكمة وكان عندما وصل الى رشيد أرسل الى الباشا ليأمر له بعمارة المحكمة فالزم الباشا اصحابها بالعمارة وامرهم بالاجتهاد فى ذلك (وفيه) فقد اللحم وشح وجوده وكذلك السكر والعسل وأما العسل الابيض فبلغ الرطل خمسين نصفا ان وجد لعدم الوارد من ناحية قبلى وقلة المرعى بالجهة البحرية واستقر الالفى الكبير جهة اللاهون وبقية الجماعة جهة المنية واسيوط وعثمان بك حسن بجبل الطير بالبر الشرقى (وفى خامسه) أشيع سفر محمد على الى بلاده وكذلك احمد بك وغيرهم من اكابرهم وشرعوا فى بيع جمالهم وبلادهم ومتاعهم وكثر لغط الناس بسبب ذلك وكثر افساد العساكر وخطفهم واغلق اهل الاسواق الدكاكين وخاف الناس المرور وتطيروا منهم وخصوصا الانكشارية (وفى يوم الثلاثاء سادسه) مر محمد على وخلفه عدة كبيرة من العسكر وهو ماش على اقدامه وكذلك حسن بك اخو طاهر باشا وعابدى بك واغات الانكشارية والوالى وجلس منهم جماعة جهة الغورية وخان الخليلى ساعة ثم ذهبوا وكانهم يطمنون الناس وامام بعضهم المناداة

وكنيته أبو عبد الرحمن الاموى فى ذى القعدة سنة أربع عشرة واربعمائة وخطبوا
له بالخلافة ولقبوه المستكفى بالله وكان همه لا يعدو فرجه وبطنه وليس له هم ولا فكر
فى سواهما وبقى بها ستة عشر شهرا واياما وثار عليه اهل قرطبة فى ربيع الاول سنة
ست عشرة واربعمائة فخلعوه وخرج عن قرطبة ومعه جماعة من أصحابه حتى صار الى
اعمال مدينة سالم فضجر منه بعض اصحابه فسوى له دجاجة وجعل فيها شيئا من البيش
فاكلها فمات فى ربيع الآخر من هذه السنة وكان فى غاية التخلف وله أخبار يقبح
ذكرها وكان ربعة أشقر ازرق مدور الوجه ضخم الجسم وكان عمره نحو خمسين سنة
ولما توفى اعاد اهل قرطبة دعوة المعتلى بالله يحيى بن على بن حمود العلوى بها

(ذكر عود يحيى العلوى الى قرطبة وقتله)

لما مات ابو عبد الرحمن الاموى وصح عند أهل قرطبة خبر موته سعى معهم بعض اهلها
ليحيى بن على بن حمود العلوى ليعيدوه الى الخلافة وكان بمالقة يخطب لنفسه بالخلافة
فكتبوا اليه وخاطبوه بالخلافة وخطبوا له فى رمضان سنة ست عشرة وأربعمائة
فاجابهم الى ذلك وأرسل اليهم عبد الرحمن بن عطاف اليفرنى واليا عليهم ولم يحضر هو
باختياره فبقى عبد الرحمن فيها الى محرم سنة سبع عشرة فسار اليه مجاهد وخيران
العامريان فى ربيع الاول منها فى جيش كثير فلما قاربوا قرطبة ثار أهلها بعبد الرحمن
فاخرجوه وقتلوا من أصحابه جماعة كثيرة ونجا الباقون وأقام خيران ومجاهد بها نحو
شهر ثم اختلفا فخاف كل واحد منهما صاحبه فعاد خيران عن قرطبة لسبع بقين من
ربيع الآخر من السنة الى المرية وبقى بها الى سنة ثمان عشرة وتوفى وقيل سنة تسع
عشرة وصارت المرية بعده لصاحبه زهير العامرى فخالف حبوس بن ماكسن
الصنهاجى البربرى وأخوه على طاعة يحيى بن على العلوى وبقى مجاهد مدة ثم سار الى
دانية وقطعت خطبة يحيى منها واعيدت خطبة الاموى بن على ما نذكره فيما بعد
ان شاء الله وبقى يتردد عليها بالعساكر واتفق البربر على طاعته وسلموا اليه ما بايديهم
من الحصون والمدن فقوى وعظم شانه وبقى كذلك مدة ثم سار الى قرمونة فأقام بها
محاصر الاشبيلية طامعا فى اخذها فاتاه الخبر يوما ان خيلا لاهل اشبيلية قد أخرجها
القاضى ابو القاسم بن عباد الى نواحى قرمونة فركب اليهم ولقيهم وقد كمنوا له فلم يكن
باسرع من ان قتل وذلك فى المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة وخلف من الولد
الحسن وادريس لامى ولد وكان اسمر اعين أكحل طويل الظهر قصير الساقين وقورا
هينا لينا وكان عمره اثنتين واربعين سنة وأمه بربرية

(ذكر أخبار أولاد يحيى وأولاد اخيه وغيرهم وقتل ابن عمار)

نذكر ههنا ما كان من اخبار أولاده وأولاد اخيه وغيرهم من العلويين متتابعا لئلا
ينقطع الكلام وليأخذ بعضه ببعض لما قتل يحيى بن على رجع أبو جعفر أحمد بن
أبى موسى المعروف بابن بقية ونجا الخادم الصقلبى وهما مدبرا دولة العلويين فاتيا

بالتركى بالامن والامان وفتح الدكاكين وكل من تعرض
لكم اقتلوه وفى اثر مرورهم
وقع الخطف والتعرية (وفى
ذلك اليوم) أواخر النهار مرت
مركبان فيهما عسكر ارنؤد
بالخليج المرخم ومعهم امراة
وبتلك الجهة عسكر انكشارية
ساكنون بيت المجنون
فضربوا عليهم رصاصا من
الشبابيك فقتل منهم جماعة
وهرب من نجا وعرف العوم
فتحزب الارنؤد وجاء منهم
طائفة لذلك البيت فلم يجدوا
به احدا فارسل محمد على الى
حسن بك وتكلم معه فى شان
ذلك (وفى صبحها يوم الاربعاء)
قتلوا ثلاثة وقيل خمسة ناحية
الموسكى يقال انه بسبب تلك
الحادثة وقيل بسبب آخر
(وفيه) سافر جماعة من
العسكر واخذوا المراكب
وارسلوا الى سكندرية
ودمياط ورشيد وغيرها
بطلب المراكب فشحت
المراكب ووقف حال
المسافرين وتعطلوا عن
الرواح والمجىء وغلا سعر
القمح والسمن وعدم اللحم
وكذلك باقى الاسباب
والماكولات زيادة عن الواقع
واذا وصلت مراكب نزل فى
المركب الكبيرة الخمسة انفار
او العشرة والحال انها تسع
المائة وساروا ينهبون فى
طريقهم ما يصادفونه من
المسافرين ويقتلونهم ويطلبون من البلاد الكلف

بالنا كل وغير ذلك (وفي يوم السبت سابع عشره) سافر احمد بك وعلي بك اخو طاهر باشا (وفيه) قلد الباشا سلحداره ولاية جرجا وبرز خيامه جهة دير العدوية (وفي يوم الخميس ثاني عشرينه) وصلت مراكب من الشاليات الحربية فضربوا لها مدافع من القلعة (وفي يوم الاحد) تعدى جماعة من العسكر وخطفوا عمائم الناس واتفق ان الشيخ ابراهيم السجيني مر من جهة الداودية وهو راكب بهيئته فاخذوا طيلسانه من على كتفه وعمامة تابعه وقتلوا من بعضهم انفارا (وفي يوم الاثنين) نزل الاغا ونادى على العسكر بالخروج والسفر الى التجريدة وكل من كان مسافرا الى بلاده فليسافر (وفيه) هربت زوجة عثمان بك البرديسي مع العرب الى زوجها بقبلي فلما بلغ الخبر الباشا احضر اخاها والمحروقي وسألهما عنها فقالا لا نعلم بهروبها فعوق أخاها عنده ثم أطلقه بشفاعة المحروقي

(شهر رجب الفرد سنة ١٢١٩)

استهل بيوم السبت فيه انتقل العسكر المسافرون من دير العدوية الى ناحية طرا وسافر منهم عدة مراكب وسافر قبل ذلك بايام كاشف بني سويف ويقال له محمد افندي

مالقة وهي دار مملكتهم فخاطبا اخاه ادريس بن علي وكان له سبتة وطنجة وطلباه فاتى الى مالقة وبايعاه بالخلافة على ان يجعل حسن بن يحيى المقتول مكانه بسبتة فاجابهما الى ذلك فبايعاه وسار حسن بن يحيى ونجا الى سبتة وطنجة وتلقب ادريس بالمتأيد بالله فبقي كذلك الى سنة ثلاثين او احدى وثلاثين واربعمائة فسير القاضي ابو القاسم بن عباد ولده اسمعيل في عسكر ليتغلب على تلك البلاد فاخذ قرمونة واخذ ايضا أشبونة واستجة فارسل صاحبها الى ادريس والى باديس بن حبوس صاحب صنهاجة فاتاه صاحب صنهاجة بنفسه وامده ادريس بعسكر يقوده ابن بقية مدبر دولته فلم يجسروا على اسمعيل بن عباد فعادوا عنه فسار اسمعيل مجدا الياخذ على صنهاجة الطريق فادركهم وقد فارقهم عسكر ادريس قبل ذلك بساعة فارسلت صنهاجة من ردهم فعادوا وقاتلوا اسمعيل بن عباد فلم يلبث أصحابه أن انهزموا وأسلموه فقتل وحمل راسه الى ادريس وكان ادريس قد أيقن بالهلاك وانتقل عن مالقة الى جبل يحتمي به وهو مريض فلما أتاه الرأس عاش بعده يومين ومات وترك من الولد يحيى ومحمدا وحسنا وكان يحيى بن علي المقتول قد حبس ابني عمه محمدا والحسن ابني القاسم بن حمود بالجزيرة فلما مات ادريس أخرجهما الموكل بهما ودعا الناس اليهما فبايعهما السودان خاصة قبل الناس لميل أبيهما اليهم فملك محمد الجزيرة ولم يتسم بالخلافة وأما الحسن بن القاسم فانه تنسك وترك الدنيا وحج وكان ابن بقية قد أقام يحيى بن ادريس بعد موت والده بمالقة فسار اليها نجا الصقلي من سبتة هو والحسن بن يحيى فهرب ابن بقية ودخلها الحسن ونجا فاستمالا ابن بقية حتى حضر فقتله الحسن وقتل ابن عمه يحيى ابن ادريس وبايعه الناس بالخلافة ولقب بالمستنصر بالله ورجع نجا الى سبتة وترك مع الحسن المستنصر نائبا له يعرف بالشطيفي فبقي حسن كذلك نحوا من سنتين ثم مات سنة اربع وثلاثين واربعمائة فقيل ان زوجته ابنة عمه ادريس سمته اسفا على اخيها يحيى فلما مات المستنصر اعتقل الشطيفي ادريس بن يحيى وسار نجا من سبتة الى مالقة وعزم على محو امر العلويين وان يضبط البلاد لنفسه واظهر البربر على ذلك فعظم عندهم فقتلوه وقتلوا الشطيفي واخرجوا ادريس بن يحيى وبايعوه بالخلافة وتسمى بالعالي وكان كثير الصدقة يتصدق كل جمعة بخمسمائة دينار ورد كل مطرود عن وطنه واعاد عليهم املاكهم وكان متادبا حسن اللقاء له شعر جيد الا انه كان يصحب الارذال ولا يحجب نساءه عنهم وكل من طلب منهم حصنا من بلاده اعطاه فاخذ منه صنهاجة عدة حصون وطلبوا وزيره ومدبر امره صاحب ابيه موسى بن عفان ليقتلوه فسلمه اليهم فقتلوه وكان قد اعتقل ابني عمه محمدا والحسن ابني ادريس بن علي في حصن ايرش فلما راى ثقته بايرش اضطراب آرائه خالف عليه وبايع ابن عمه محمد بن ادريس ابن علي وثار بادريس بن يحيى من عنده من السودان وطلبوا محمدا فجاء اليهم فسلم اليه ادريس الامر وبايع له سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة فاعتقله محمد وتلقب بالمهدي وولى اخاه الحسن عهده ولقبه السامي وظهرت من المهدي شجاعة وجراءة

فهابه البربر وخافوه فراسلوا الموكل بادريس بن يحيى فاجابهم الى اخراجه واخرجه وبايع له وخطب له بسبتة وطنجة بالخلافة وبقى الى ان توفى سنة ست واربعين ثم ان المهدى راى من اخيه السامى ما انكره فنفاه عنه فسار الى العدوة الى جبال غمارة واهلها ينقادون للعلويين ويعظمونهم فبايعوه ثم ان البربر خاطبوا محمد بن القاسم بالجزيرة واجتمعوا اليه وبايعوه بالخلافة وتسمى بالمهدى ايضا فصار الامر فى غاية الاخلوقة والفضيحة اربعة كلهم يسمى امير المؤمنين فى رقعة من الارض مقدارها ثلاثون فرسخا فى مثلها ثم بعث البربر عنه وعاد الى الجزيرة فمات بعد ايام فولى الجزيرة ابنه القاسم ولم يتسم بالخلافة وبقى محمد بن ادريس بمالقة الى ان مات سنة خمس واربعين وكان ادريس بن يحيى المعروف بالعالى عند بنى يفرن بتاكرنا فلما توفى محمد ابن ادريس بن على قصد ادريس بن يحيى مالقة فملكها ثم انتقلت الى صنهاجة

(ذكر ولاية هشام الاموى قرطبة)

لما قطعت دعوة يحيى بن على العلوى عن قرطبة سنة سبع عشرة واربعمائة على ما ذكرناه قبل اجمع اهلها على خلع العلويين لميلهم الى البربر واعادة الخلافة بالاندلس الى بنى امية وكان راسهم فى ذلك ابا الحزم جهور بن محمد بن جهور فراسلوا اهل الثغور والمتغلبين هنالك فى هذا فاتفقوا معهم فبايعوا ابا بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الاموى وكان مقيما بالبنت مذ قتل اخوه المرتضى فبايعوه فى ربيع الاول سنة ثمان عشرة وتلقب بالمعتد بالله وكان اسن من المرتضى ونهض الى الثغور فتردد فيها وجرى له هنالك فتن واضطراب شديد من الرؤساء الى ان اتفق امرهم على ان يسير الى قرطبة دار الملك فسار اليها ودخلها ثامن ذى الحجة سنة عشرين وبقى بها حتى خلع ثانى ذى الحجة سنة اثنتين وعشرين وكان سبب خلعه ان وزيره اباعاصم سعيدا القزاز لم يكن له قديم رياسة وكان يخالف الوزراء المتقدمين ويتسبب الى اخذ اموال التجار وغيرهم وكان يصل البربر ويحسن اليهم ويقربهم فنفر عنه اهل قرطبة فرضوا عليه من قتله فلما قتلوه استوحشوا من هشام فخلعوه بسببه فلما خلع هشام قام امية بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر وتسور القصر مع جماعة من الاحداث ودعا الى نفسه فبايعه من سواد الناس كثير فقال له بعض اهل قرطبة نخشى عليك ان تقتل فى هذه الفتنة فان السعادة قد ولت عنكم فقال بايعونى اليوم واقتلونى غدا فاتفق اهل قرطبة واعيانهم اليه والى المعتد بالله وامروهما بالخروج عن قرطبة فودع المعتد اهله وخرج الى حصن محمد بن الشور بجبل قرطبة فبقى معه الى ان غدر اهل الحصن بمحمد بن الشور فقتلوه واخرجوا المعتد الى حصن آخر حبسوه فيه فاحتال فى الخروج منه ليلا وسار الى سليمان بن هود الجذامى فاكرمه وبقى عنده الى ان مات فى صفر سنة ثمان وعشرين ودفن بناحية لاردة وهو آخر ملوك بنى امية بالاندلس واما امية فانه اختفى بقرطبة فنادى اهل قرطبة بالاسواق والارباض ان لا يبقى احد من بنى امية بها ولا يتركهم عنده احد

بخروج العسكر المسافرين وكثر اذى العسكر للناس وخطفوا الحمير وتعطلت اشغال الناس فى السعى الى مصالحهم ونقل بضائعهم (وفى يوم الاربعاء) سافرت التجريدة برا وبحرا وتأخر محمد على عن السفر الى بلاده كما كان أشيع ذلك واشتهر انه مسافر الى جهة قبلى وورد الخبر باستقرار كاشف بنى سويف بها ولم يكن بها احد من المصرلية (وفى يوم الاحد تاسعه) نزل الباشا الى وليمة عرس مدعوا ببيت السيد محمد بن الدواخلى بحارة الجعيدية وكفر الطماعين ونزل فى حال مروره ببيت السيد عمر افندى نقيب الاشراف فجلس عنده ساعة وقدم له حصانين (وفى حادى عشره) نزل الباشا فى التبديل ومر من سوق السمكرية فراى عسكريا يشترى كوز صفيح فاعطاه خمسة انصاف فابى السمكرى الا بعشرة فابى ولم يدفع له الا خمسة فرآه الباشا فقال له اعطه ثمنه فقال له وايش دخلك وهو لم يعرفه فقال له اما تخاف من الباشا فقال الباشا على زبى فضربه الباشا وقتله ومضى (وفى يوم الاثنين سابع عشره) احضروا اربعة رؤس ووضعوها تجاه باب زويلة واشاعوا انهم من مقتلة وقعت بينهم وبين

نفر ج امية فمن خرج وانقطع خبره مدة ثم اراد العود اليها فعاد طمعا في ان يسكنها فارسل اليه شيوخ قرطبة من منعه عنها وقيل قتل وغيب وذلك في جمادى الآخرة سنة اربع وعشرين ثم انحل عقد الجماعة وانتشر وافترقت البلاد على مانذكره

﴿ذكر تفرق ممالك الاندلس﴾

ثم ان الاندلس اقتسمه اصحاب الاطراف والرؤساء فتغلب كل انسان على شيء منه فصاروا وامثال ملوك الطوائف وكان ذلك اضر شيء على المسلمين فطمع بسببه العدو الكافر خذله الله فيهم ولم يكن لهم اجتماع الى ان ملكه امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين على مانذكره ان شاء الله فاما قرطبة فاستولى عليها ابو الحزم جهور بن محمد بن جهور المقدم ذكره وكان من وزراء الدولة العامرية قديم الرياسة موصوفا بالدهاء والعقل ولم يدخل في شيء من الفتن قبل هذا بل كان يتصاون عنها فلما خلاله الجو وامكنته الفرصة وثب عليها فتولى امرها وقام بحمايتها ولم ينتقل الى رتبة الامارة ظاهرا بل دبرها تدبيرا لم يسبق اليه واظهر انه حام للبلد الى ان يجيء من يستحقه ويتفق عليه الناس فيسلمه اليه ورتب البوابين والحشم على ابواب قصور الامارة ولم يتحول هو من داره اليها وجعل ما يرتفع من الاموال السلطانية بايدي رجال رتبهم لذلك وهو المشرف عليهم وصير اهل الاسواق جندا وجعل ارزاقهم ربح اموال تكون بايديهم دينا عليهم فيكون الربح لهم وراس المال باقيا عليهم وكان يتعهدهم في الاوقات المتفرقة لينظر كيف حفظهم لها وفرق السلاح عليهم فكان احدهم لايفارقه سلاحه حتى يعجل حضوره ان احتاج اليه وكان جهور يشهد الجنائز ويعود المرضى ويحضر الافراح على طريقة الصالحين وهو مع ذلك يدبر الامر تدبير الملوك وكان مأمون الجانب وأمن الناس في أيامه وبقي كذلك الى ان مات في صفر سنة خمس وثلاثين وأربعمائة وقام بامرها بعده ابنه أبو الوليد محمد بن جهور على هذا التدبير الى أن مات فغلب عليها الامير الملقب بالمأمون صاحب طليطلة فدبرها الى ان مات بها وأما اشبيلية فاستولى عليها القاضي أبو القاسم محمد بن اسمعيل بن عباد اللخمي وهو من ولد النعمان ابن المنذر وقد ذكرنا سبب ذلك في دولة يحيى بن علي بن حمود قبل هذا وفي هذا الوقت ظهر أمر المؤيد هشام بن الحاكم وكان قد اختفى وانقطع خبره وكان ظهوره بمالقة ثم سار منها الى المرية فخافه صاحبها زهير العامري فاخرجه منها فقصد قلعة رباح فاطاعه أهلها فسار اليهم صاحبه اسمعيل بن ذي النون وحاربهم فضعفوا عن مقاومته فاخرجوه فاستدعاه القاضي أبو القاسم محمد بن اسمعيل بن عباد اليه باشبيلية واذاع أمره وقام بنصره وكان رؤساء الاندلس في طاعته فاجابه الى ذلك صاحب بلنسية ونواحيها وصاحب قرطبة وصاحب دانية والجزائر وصاحب طرطوشة واقروا بخلافته وخطبوا له وجددت بيعته بقرطبة في المحرم سنة تسع وعشرين وأربعمائة ثم ان ابن عباد سير جيشا الى زهير العامري لانه لم يخطب للمؤيد فاستنجد زهير حبوس بن ماكسن

ووصل ايضا جملة اسرى طلعوا بهم الى القلعة (وفي يوم الاربعاء) طلع محمد علي الى القلعة فخلع عليه الباشا فروة سمور على سفره الى قبلي وبرز بوطاقه الى الخارج (وفي يوم الاربعاء سادس عشرينه) اتهموا قادري اغا بانه يكاتب الامراء المصرلية القبالي ومنعوه من السفر الى قبلي وامروه بان يسافر الى بلاده فركب في عسكره وذهب الى بولاق وفتح وكالة علي بك الجديدة ودخل فيها بعسكره وامتنع بها وانضم اليه كثير من العسكر فضرالبه محمد علي وكلهم وكذلك حضر اليهم الباشا ببولاق فلم يمتثلوا وقالوا لانسافر ولانذهب الا ان ادنا واعطونا المنكسر من علوفاتنا فتركوهم ونادوا على خبازين بولاق لايبيعون عليهم الخبز ولا المأكولات فارسل قادري اغا الى المحتسب وقال له نحن نأخذ العيش بثمنه فان منعتموه من الاسواق طلعنا الى البيوت واخذنا مافيها من الخبز ويترتب على ذلك ما يترتب من الافساد فاخبروا الباشا بذلك فاطلقوا لهم بيع الخبز وغيره واستمر على ذلك اياما (وفيه) شرعوا في قبض فردة على البلاد وكتبوا دفاترها الاعلى ثلاثون الف فضة ودون ذلك ويشبهها على كل بلد جلاد وسمن واغنام وقمح

وثمين وشعير (وفى اواخره) حصلت نوة وتتابع مروز الغيوم وحصل رعد هائل ودخل الليل فكثر الرعد والبرق وتبعه المطر ثم حضر اناس بعد ايام من جهة شرقية بلبيس واخبروا انه نزل بناحية مشتول صواعق اهلكت نحو العشرين من بنى آدم وابقارا واغناما وعميت اعين اشخاص من الناس (وفى هذا الشهر) شرعوا فى عمل كسوة الكعبة بيد السيد احمد المحروقى فقيدبها وكيله بذلك وشرعوا فى عملها فى بيت الملا بحارة المقاصيص

(شهر شعبان سنة ١٢١٩)

استهل بيوم الاحد فى رابعه حضر محسن بك طوخان وطلع الى القلعة ونزل الى الباشا ولبس خلعة من خلع الباشا وقفا وركب ونزل من القلعة وأمامه الجاوبشية والسعاة والازمون وضربت له النوبة بمعنى انه صار عوضا عن اخيه (وفى يوم الخميس) نزل قادرى اغا ومن معه من العسكر فى المراكب وسافر جهة بحرى وسافر خلفهم عدة من الدلاة (وفيه) اشيع ابطال القردة فى هذا الوقت ثم قرروا مطلوبات دون ذلك (وفى يوم الخميس ثانى عشره) نودى بخروج العسكر الى السفر بجهة قبلى ولا يتأخر منهم من كان مسافرا فشرعوا فى الخروج وقضاء حوائجهم وصاروا يلفقون جبر الناس

الصنهاجى صاحب غرناطة فسار اليه بجيشه فعادت عساكر ابن عباد ولم يكن بين العسكرين قتال وأقام زهير فى بياسة وعاد حبوس الى مالقة فمات فى رمضان من هذه السنة وولى بعده ابنه باديس واجتمع هو وزهير ليتفقا كما كان زهير وحبوس فلم تستقر بينهما قاعدة واقتتلا فقتل زهير وجمع كثير من أصحابه أواخر سنة تسع وعشرين ثم فى سنة احدى وثلاثين التقى عسكر ابن عباد وعليهم ابنه اسمعيل مع باديس بن حبوس وعسكر ادريس العلوى على ماذكرناه عند أخبار العلويين فيما تقدم الا انهم اقتتلوا قتالا شديدا فقتل اسمعيل ثم مات بعده أبوه القاضى ابو القاسم سنة ثلاث وثلاثين وولى بعده ابنه أبو عمرو عباد بن محمد ولقب بالمعتضد بالله فضبط ما ولى واظهر قضاة المؤيد هذا قول ابن أبى الفياض فى المؤيد وقال غيره ان المؤيد لم يظهر خبره منذ عدم من قرطبة عند دخول على بن حمود اليها وقتله سليمان وانما كان هذا من تمويهات ابن عباد وحيله ومكره واعجب من اختفاء حال المؤيد ثم تصديق الناس ابن عباد فيما اخبر به من حياته أن انسانا حضر بأظهر بعد موت المؤيد بعشرين سنة وادعى انه المؤيد فبويع بالخلافة وخطب له على منابر جميع بلاد الاندلس فى أوقات متفرقة وسفكت الدماء بسببه واجتمعت العساكر فى أمره ولما اظهر ابن عباد موت هشام المؤيد واستقل بامر اشبيلية وما اضاف اليها بقى كذلك الى ان مات من ذبحة لحقته لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة احدى وستين وأربعمائة وولى بعده ابنه أبو القاسم محمد بن عباد ابن القاضى أبى القاسم ولقب بالمعتمد على الله فاتسع ملكه وشمخ سلطانه وملك كثيرا من الاندلس وملك قرطبة أيضا وولى عليها ابنه الظافر بالله فبلغ خبر ملكه لها الى يحيى بن ذى النون صاحب طليطلة فحسده عليها فضمن له حرير بن عكاشة أن يحصل ملكها له وسار الى قرطبة وأقام بها يسعى فى ذلك وهو ينتهز الفرصة فاتفق ان فى بعض الليالى جاء مطر عظيم ومعه ريح شديدة ورعد وبرق فثار حرير فيمن معه ووصل الى قصر الامارة فلم يجد من يمانعه فدخل صاحب الباب الى الظافر واعلمه فخرج بمن معه من العبيد والحرس وكان صغير السن وحمل عليهم ودفعهم عن الباب ثم انه عثر فى بعض كراته فسقط فوثب بعض من يقاتله وقتله ولم يبلغ الخبر الى الاجناد واهل البلد الا والقصر قد ملك وتلاحق بحرير أصحابه وأشياعه وترك الظافر ملقى على الارض عريانا فمر عليه بعض أهل قرطبة فأبصره على تلك الحال فنزع رداءه وألقاه عليه وكان أبوه اذا ذكره يتمثل

ولم أدر من ألقى عليه رداءه * على انه قد سل عن ماجد محض

ولم يزل المعتمد يسعى فى اخذها حتى عاد ملكها وترك ولده المأمون فيها فأقام بها حتى أخذها جيش أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وقتل فيها بعد حروب كثيرة يأتى ذكرها ان شاء الله تعالى سنة أربع وثمانين وأخذت اشبيلية من أبيه المعتمد فى السنة المذكورة وبقى محبوسا فى اغمات الى ان مات بها رحمه الله وكان هو وأولاده جميعهم الرشيد والمأمون والراضى والمعتمد وأبوه وجده علماء فضلاء شعراء واما بطليوس

فقام بها سابور الفتى العامرى وتلقب بالمنصور ثم انتقلت بعده الى ابى بكر محمد بن عبد الله بن سلمة المعروف بابن الافطس اصله من بربر مكناسة لكنه ولد ابوه بالاندلس ونشؤا بها وتخلقوا بخلق اهلها وانتسبوا الى تجيب وشا كلهم الملك فلما توفى صارت بعده الى ابنه ابى محمد عمر بن محمد واتسع ملكه الى اقصى المغرب وقتل صبرا مع ولدين له عند تغلب امير المسلمين على الاندلس واما طليطلة فقام بامرها ابن يعيش فلم تطل مدته وصارت رياسته الى اسمعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن مطرف بن ذى النون ولقبه الظافر بحول الله واصله من البربر وولد بالاندلس وتادب بآداب اهلها وكان مولد اسمعيل سنة تسعين وثلثمائة وتوفى سنة خمس وثلاثين واربعمائة وكان طالبا بالادب وله شعر جيد وصنف كتابا فى الآداب والاخبار وولى بعده ابنه يحيى فاشتغل بالخلاعة والمجون واكثر مهاداة الافرنج ومصانعتهم ليتلذذ باللعب وامتدت يده الى اموال الرعية ولم تزل الفرنج تاخذ حصونه شيأ بعد شئ حتى اخذت طليطلة فى سنة سبع وسبعين واربعمائة وصار هو ببلنسية واقام بها الى ان قتله القاضى بن جحاف الاحنف وفيه يقول الرئيس ابو عبد الرحمن محمد بن طاهر

ايها الاحنف مهلا * فلقد جئت عويصا

اذ قتلت الملك يحيى * وتقمصت القميصا

رب يوم فيه تجزى * لا تجد فيه محيصا

واما سرقسطة والثغر الاعلى فكان بيد منذر بن يحيى التجيبى ثم توفى وولى بعده ابنه يحيى ثم صارت بعده لسليمان بن احمد بن محمد بن هود الجذامى وكان يلقب بالمستعين بالله وكان من قواد منذر على مدينة لاردة وله وقعة مشهورة بالافرنج بطليطلة سنة اربع وثلاثين واربعمائة ثم توفى وولى بعده ابنه المقتدر بالله وولى بعده ابنه يوسف بن احمد المؤتمن ثم ولى بعده ابنه احمد المستعين بالله على لقب جده ثم ولى بعده ابنه عبد الملك عماد الدولة ثم ولى بعده ابنه المستنصر بالله وعليه انقرضت دولتهم على رأس الخمسمائة فصارت بلادهم جميعها لابن تاشفين ورايت بعض اولادهم بدمشق سنة تسعين وخمسمائة وهو فقير جدا وهو قيم الربوة فسبحان من لا يزول ولا تغيره الدهور واما طرطوشة فوليها لبيب الفتى العامرى واما بلنسية فكان بها المنصور ابو الحسن عبد العزيز ابن عبد الرحمن بن محمد بن المنصور بن ابى عامر المعافرى ثم انضاف اليه المرية وما كان اليها وبعده ابنه محمد ودام فيها الى ان غدر به صهره المامون بن اسمعيل بن ذى النون واخذ منه رياسة بلنسية فى ذى الحجة سنة سبع وخمسين واربعمائة فانتزح الى المرية واقام بها الى ان خلع على ما نذكره ان شاء الله تعالى واما السهلة فملكها عبود بن رزين واصله بربرى ومولده بالاندلس فلما هلك ولى بعده ابنه عبد الملك وكان اديبا شاعرا ثم ولى بعده ابنه عز الدولة ومنه ملكها الملثمون واما دانية والجزائر فكانت بيد الموفق ابى الحسن مجاهد العامرى وسار اليه من قرطبة الفقيه ابو محمد عبد الله المعيطى ومعه خلق كثير فاقامه مجاهد شبه خليفة يصدر عن رايه وبايعه فى جمادى الآخرة سنة خمس

واربعمائة

والجمال (وفى يوم الجمعة) وصل قاصد من الديار الرومية وعلى يده فرمان جواب عن مراسلة الباشا بارسال باشة الينبع لما افتتحها من الوهابيين وانه اعطاه ذخيرة شهرين وبان يرسل اليهم يحتاجه من الذخيرة وكذلك محمد باشا والى جدة يعطى له ما يحتاجه من الذخيرة لاجل حفظ الحرمين والوصية برعية مصر ودفع المخالفين وأمثال ذلك فعمل الباشا الديوان فى ذلك اليوم وقرؤا الفرمان وضربوا عدة مدافع (وفيه) مات الشيخ جاب (وفى يوم السبت رابع عشره) سافر محمد على (وفيه) هرب على كاشف السلحدار الالفى ومن بعض من جماعته فلما وصل الخبر الى الباشا ارسل الى بيوتهم فلم يجد فيها احدا فسمروها وقبضوا على الجيران ونهبوا بعض البيوت (وفى سابع عشره) سافر حسن باشا ايضا ونادوا على العسكر بالخروج (وفى تاسع عشره) حضر طائفة من الدلاة نحو المائتين وخمسين نفرا فانزلهم الباشا بقصر العينى (وفى يوم الثلاثاء المذكور سابع عشره) عمل السيد احمد المحروقى وليمة ودعا الباشا الى داره فنزل اليه وتغدى عنده وجلس نحو ساعتين ثم ركب وطلع الى القلعة فارسل المحروقى خلفه هدية عظيمة وهى بقج قماش هندى وتفاصيل ومصوغات

واربعمائة فاقام المعيطى بدانية مع مجاهد ومن انضم اليه نحو خمسة أشهر ثم سار هو ومجاهد فى البحر الى الجزائر التى فى البحر وهى ميورقة بالياء ومنورقة بالنون ويابسة ثم بعث المعيطى بعد ذلك مجاهدا الى سردانية فى مائة وعشرين مركبا بين كبير وصغير ومعه ألف فرس ففتحها فى ربيع الاول سنة ست واربعين واربعمائة وقتل بها خلقا كثيرا من النصارى وسبى مثلهم فسار اليه الفرنج والروم من البر فى آخر هذه السنة فاخرجوه منها ورجع الى الاندلس والمعيطى قد توفى فغاص مجاهد فى تلك الفتن الى أن توفى وولى بعده ابنه على بن مجاهد وكانا جميعا من أهل العلم والمحبة لاهله والاحسان اليهم وجلبا اهم من اقاصى البلاد وادانيها ثم مات ابنه على فولى بعده ابنه ابو عامر ولم يكن مثل أبيه وجده ثم ان دانية وسائر بلاد بنى مجاهد صارت الى المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود فى شهر رمضان سنة ثمان وسبعين واربعمائة واما مرسية فوليها بنو طاهر واستقامت رياستها لابى عبد الرحمن منهم المدعو بالرئيس ودامت رياسته الى ان اخذها منه المعتمد بن عباد على يد وزيره أبى بكر بن عمار المهرى فلما ملكها عصى على المعتمد فيها فوجه اليه عسكرا مقدمهم أبو محمد عبد الرحمن بن رشيق القشيرى فحصروه وضيقوا عليه حتى هرب منها فلما دخلها القشيرى عصى فيها ايضا على المعتمد الى ان دخل فى طاعة الملثمين وبقى أبو عبد الرحمن بن طاهر بمدينة بلنسية الى ان مات بها سنة سبع وخمسمائة ودفن بمرسية وقد نيف على تسعين سنة وأما المرية فملكها خيران العامرى وتوفى كما ذكرنا ووليها بعده زهير العامرى واتسع ملكه الى شاطبة الى ما يجاورها ووصل طليطلة ودام الى ان قتل كما تقدم وصارت مملكته الى المنصور ابى الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور بن أبى عامر فولى بعده ابنه محمد فلما توفى عبد العزيز ببلنسية اقام ابنه محمد بالمرية وهو يدبر بلنسية فانتهز الفرصة فيها المامون يحيى بن ذى النون واخذها منه وبقى بالمرية الى ان اخذها منه صهره ذو الوزارتين أبو الاحوص المعتصم معن بن صمادح التجيبى ودانت له اورقة وبياسة وجيان وغيرها الى ان توفى سنة ثلاث واربعين وولى بعده ابنه أبو يحيى محمد ابن معن وهو ابن أربع عشرة سنة فكفله عمه ابو عتبة بن محمد الى ان توفى سنة ست واربعين فبقى أبو يحيى مستضعفا لصغره واخذت بلاده البعيدة منه ولم يبق له غير المرية وما يجاورها فلما كبر اخذ نفسه بالعلوم ومكارم الاخلاق فامتد صيته واشتهر ذكره وعظم سلطانه والتحق باكابر الملوك ودام بها الى ان نازله جيش الملثمين فمرض فى اثناء ذلك وكان القتال تحت قصره فسمع يوما صياحا وجلبة فقال نغص علينا كل شئ حتى الموت وتوفى فى مرضه ذلك لثمان بقين من ربيع الاول سنة اربع وثمانين واربعمائة ودخل أولاده وأهله البحر فى مركب الى بجاية قاعدة مملكة بنى حماد من افريقية وملك الملثمون المرية وما معها واما مالقة فملكها بنو على بن حمود فلم تزل فى مملكة العلويين يخطب لهم فيها الى ان اخذها منهم ادريس بن حبوس صاحب غرناطة سنة سبع واربعين وانقضى أمر العلويين بالاندلس واما غرناطة فملكها

جوهرة وشمعدانات فضة وذهب وقصائف وخيولة ولكبار اتباعه صحبة ولده وترجمانه وكتخدا وخلع عليهم الباشا فراوى سمور (وفى يوم الاحد ثانى عشرينه) توفى السيد احمد المحروقى فجاة وكان جالسا مع اصحابه حصة من الليل فاخذته رعدة فدثروه ومات فى الحال فى سادس ساعة من الليل فسبحان الحى الذى لا يموت وركب ابنه وطلع الى الباشا فوعده الباشا بخير وارسل القاضى وديوان افندى وختم على بيته وحواصله ثم حضروا فى ثانى يوم فضبطوا موجوداته وكتبوها فى دفاتر واودعوها فى مكان وختموا عليها وارسلوا علم ذلك الى الدولة صحبة صالح افندى وكان على اهبة السفر فعوقوه حتى حرروا ذلك وسافر فى يوم الجمعة سابع عشرينه (وفى يوم الاربعاء خامس عشرينه) احضروا احدى وعشرين راسا لا يعلم ماهى وهى متغيرة محشوة بالتبن واشاعوا انها من ناحية المنية وانهم حاربوا عليها وملكوها ولم يظهر لتلك اثر بين (وفى يوم السبت ثامن عشرينه) البس الباشا ابن السيد احمد المحروقى فروة سمور وقفطانا على دار الضرب وعلى ما كان ابوه عليه من خدمة الدولة والالتزام ونزل من القلعة صحبة القاضى الى

حبوس بن ماكسن الصنهاجى ثم مات سنة تسع وعشرين وأربعمائة وولى بعده ابنه باديس فلما توفى ولى بعده ابن أخيه عبد الله بن بلكين وبقى الى أن ملكها منه الملثمون فى رجب سنة أربع وثمانين وأربعمائة وانقرضت دول جميعهم وصارت الاندلس جميعها للملثمين وملكهم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين واتصلت مملكته من المغرب الاقصى الى آخر بلاد المسلمين بالاندلس (نعود الى سنة سبع وأربعمائة)

(ذكر الحرب بين سلطان الدولة وأخيه أبى الفوارس)

قد ذكرنا ان الملك سلطان الدولة لما ملك بعد أبيه بهاء الدولة ولى أخاه أبا الفوارس ابن بهاء الدولة كرمان فلما وليها اجتمع اليه الديلم وحسنوا له محاربة أخيه وأخذ البلاد منه فتجهز وتوجه الى شيراز فلم يشعر سلطان الدولة حتى دخل أبو الفوارس الى شيراز فجمع عساكره وسار اليه فحاربه فانهزم أبو الفوارس وعاد الى كرمان فتبعه اليها فخرج منها هاربا الى خراسان وقصد يمين الدولة محمود بن سبكتكين وهو ببست فاكرمه وعظمه وحمل اليه شيئا كثيرا وأجلسه فوق دارا بن قابوس بن وشمكير فقال دارا نحن أعظم محلا منهم لان أباه وأعمامه خدموا آبائى فقال محمود لكنهم أخذوا الملك بالسيف أراد بهذا نصرة نفسه حيث أخذ خراسان من السامانية ووعد محمود أن ينصره ثم ان أبا الفوارس باع جوهرتين كانتا على جبهة فرسه بعشرة آلاف دينار فاشتراهما محمود وحملهما اليه وقال له من غلطكم تتركون هذا على جبهة الفرس وقيمتهما ستون ألف دينار ثم ان محمودا سير جيشا مع أبى الفوارس الى كرمان مقدمهم أبو سعد الطائى وهو من أعيان قواده فسار الى كرمان فملكها وقصد بلاد فارس وقد فارقها سلطان الدولة الى بغداد فدخل شيراز فلما سمع سلطان الدولة عاد الى فارس فالتقوا هناك واقتتلوا فانهزم أبو الفوارس وقتل كثير من أصحابه وعاد باسوا الحال وملك سلطان الدولة بلاد فارس وهرب أبو الفوارس سنة ثمان وأربعمائة الى كرمان فسير سلطان الدولة الجيوش فى اثره فأخذوا كرمان منه فلحق بشمس الدولة بن فخر الدولة بن بويه صاحب همذان ولم يمكنه العود الى يمين الدولة لانه أساء السيرة مع أبى سعد الطائى ثم فارق شمس الدولة ولحق بمهذب الدولة صاحب البطيحة فاكرمه وأنزله داره وأنفذ اليه أخوه جلال الدولة من البصرة مالا وثيابا وعرض عليه الانحدار اليه فلم يفعله وترددت الرسل بينه وبين سلطان الدولة فأعاد اليه كرمان وسيرت اليه الخلع والتقليد بذلك وحملت اليه الاموال فعاد اليها

(ذكر قتل الشيعة بافريقية)

فى هذه السنة فى المحرم قتلت الشيعة بجميع بلاد افريقية وكان سبب ذلك ان المعز ابن باديس ركب ومشى فى القيروان والناس يسلمون عليه ويدعون له فاجتاز بجماعة فسأل عنهم فقيل هؤلاء رافضة يسبون أبا بكر وعمر فقال رضى الله عن أبى بكر وعمر فانصرفت العامة من فورها الى درب المقلى من القيروان وهو تجتمع به الشيعة فقتلوا

الحكمة ثم رجع الى بيته (وفى ذلك اليوم بعد العصر) وقع ربع بجوار حمام المصبغة جهة السكة كين على الحمام فهدم ليوان المسلخ فمات من به من النساء والاطفال والبنات ثلاثة عشر وخرج الاحياء من داخله وهن عرايا ينفضن غبرات الاتربة والموت وحضر الاغا والوالى ومنعوا من رفع القتلى الابدراهم ونهبوا متاع النساء وقبضوا على الشيخ محمد العصى مباشر وقف الغورى ليلا وازعجوه لان ثلث الحمام جار فى الوقف والحال ان الحمام لم يسقط وانما هدمه ماسقط عليه وكذلك طلبوا ملاك الربع وهما الشيخ عمر الغريانى وشركاؤه فذهبوا الى بيت الشيخ الشرقاوى والتجؤا اليه ثم ان القاضى كلم الباشا فى امر المردومين وذكر له طلب الحكام دراهم على رفعهم واجتماع مصيبتين على اهاليهم والتمس منه ابطال ذلك الامر فكتب فرمانا بمنع ذلك ونودى به فى البلدة ومحصل (وفى ليلة الاثنين) عمل موسم الرؤية لثبوت هلال رمضان وركب المحتسب ومشايخ الحرف على العادة من بيت القاضى ولم يثبت الهلال تلك الليلة ونودى انه من شعبان وانقضى شهر شعبان وقادرى اغا غاص جهة شابور فى قرية وصالح اغا ومن معه من

منهم وكان ذلك شهوة العسكر واتباعهم طمعا فى النهب وانبسطت ايدى العامة فى الشيعة وأغراهم عامل القيروان وحرضهم وسبب ذلك انه كان قد أصلح امور البلد فبلغه ان المعز بن باديس يريد عزله فاراد فساده فقتل من الشيعة خلق كثير واحرقوا بالنار ونهبت ديارهم وقتلوا فى جميع أفريقية واجتمع جماعة منهم الى قصر المنصور قريب القيروان فتحصنوا به فحصرهم العامة وضيقوا عليهم فاشتد عليهم الجوع فاقبلوا يخرجون والناس يقتلونهم حتى قتلوا عن آخرهم ولجأ من كان منهم بالمهدية الى الجامع فقتلوا كلهم وكانت الشيعة تسمى بالمغرب المشارقة نسبة الى ابى عبد الله الشيعى وكان من المشرق واكثر الشعراء ذكر هذه الحادثة فمن فرح مسرور ومن باك حزين

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول احترقت قبة مشهد الحسين والاروقة وكان سببه انهم اشعلوا شمعتين كبيرتين فسقطتا فى الليل على التأزير فاحترق وتعدت النار وفيه أيضا احترق نهر طابق ودار القطن وكثير من باب البصرة واحترق جامع سر من رأى وفيها تشعث الركن اليمانى من البيت الحرام وسقط حائط بين يدى حجرة النبى صلى الله عليه وسلم ووقعت القبة الكبيرة على الصخرة بالبيت المقدس وفيها كانت فتنة كبيرة بين اهل السنة والشيعة بواسط فانتصر اهل السنة وهرب وجوه الشيعة والعلويين الى على بن مزيد فاستنصروه وفيها فى رجب مات محمد بن احمد بن القاسم بن اسمعيل ابو الحسين الضبى القاضى المعروف بابن المحاملى وكان من اعيان الفقهاء الشافعية وكبار المحدثين مولده سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ومحمد بن الحسين بن محمد بن الهيثم ابو عمر البسطامى الواعظ الفقيه الشافعى ولى قضاء نيسابور

﴿ثم دخلت سنة ثمان واربعمائة﴾

﴿ذكر خروج الترك من الصين وموت طغان خان﴾

فى هذه السنة خرج الترك من الصين فى عدد كثير يزيدون على ثلثمائة الف خركاه من اجناس الترك منهم الخطائية الذين ملكوا ما وراء النهر وسيرد خبر ملكهم ان شاء الله تعالى وكان سبب خروجهم ان طغان خان لما ملك تركستان مرض مرضا شديدا وطال به المرض فطمعوا فى البلاد لذلك فساروا اليها وملكوا بعضها وغنموا وسبوا وبقى بينهم وبين بلاساغون ثمانية ايام فلما بلغه الخبر كان بها مريضا فسأل الله تعالى ان يعافيه لينتقم من الكفرة ويحمى البلاد منهم ثم يفعل به بعد ذلك ما اراد فاستجاب الله له وشفاه فجمع العساكر وكتب الى سائر بلاد الاسلام يستنفر الناس فاجتمع اليه من المتطوعة مائة الف وعشرون الفا فلما بلغ الترك خبر عافيته وجمعه العساكر وكثرة من معه عادوا الى بلادهم فسار خلفهم نحو ثلاثة اشهر حتى ادركهم وهم آمنون لبعد المسافة فكبسهم وقتل منهم زيادة على مائتى الف رجل وأسر نحو مائة

على حصاره وصحبتهم اخلاط من العربان وجلا أهل شابور عنها وخرجوا على وجوههم مما نزل بهم من النهب وطلب الكلف وغير ذلك من العاصى منهم والطائع فان كلا من الفريقين تسلطوا على نهب البلاد وطلب الكلف وغيرها واذا مرت بهم مركب نهبوها واخذوا ما فيها فامتنع ورود المراكب وزاد الغلاء وامتنع وجود السمن واذا وجد بيع العشرة ارطال بخمسمائة نصف فضة وستمائة ولا يوجد وبيع الرطل من البصل فى بعض الايام بثمانية انصاف والاردب الفول بثمانية عشر ريالا والقمح بستة عشر ريالا والرطل الشمع الدهن باربعين نصفا والشيرج بخمسة وثلاثين نصفا ولما زيت الزيتون فنادر الوجود وقس على ذلك

﴿شهر رمضان سنة ١٢١٩﴾

استهل يوم الثلاثاء فى ثانيه حضر صالح اغا الذى كان يحاصر قادرى اغا وحضر بواله مدافع وتحقق ان قادرى طلب امانا فارسلوه مع من معه الى دمياط وذلك بعد ان ضيقوا عليه وحضر اليه كاشف البحيرة وضايقه من الجهة الاخرى وفرغت ذخيرته فعند ذلك أرسل الى كاشف البحيرة فامنه (وفى سابعه) وصل جماعة من الانكليز الى مصر وهم نحو سبعة عشر

الف وغنم من الدواب والخركاهات وغير ذلك من الاوانى الذهبية والفضية ومعمول الصين مالا عهد لاحد بمثله وعاد الى بلاساغون فلما بلغها عاوده مرضه فمات منه وكان عادلا خيرا دينا يحب العلم واهله ويميل الى اهل الدين ويصلهم ويقربهم وما اشبه قصته بقصة سعد بن معاذ الانصارى وقد تقدمت فى غزوة الخندق وقيل كانت هذه الحادثة مع احمد بن على قراخان اخى طغان خان وانها كانت سنة ثلاث واربعمائة

●(ذكر ملك اخيه ارسلان خان)●

لما مات طغان خان ملك بعده اخوه ابو المظفر ارسلان خان ولقبه شرف الدولة فخالف عليه قدرخان يوسف بن بغراخان هرون بن سليمان الذى ملك بخارا وقد تقدم ذكره وكان ينوب عن طغان خان بسمرقند فكاتب يمين الدولة يستنجده على ارسلان خان فعقد على جيحون جسرا من السفن وضبطه بالسلاسل فعبر عليه ولم يكن يعرف هنالك قبل هذا واعانه على ارسلان خان ثم ان يمين الدولة خافه فعاد الى بلاده فاصطلح قدرخان وارسلان خان على قصد بلاد يمين الدولة واقتسامها وسارا الى بلخ وبلغ الخبر الى يمين الدولة فقصدهما واقتتلوا وصبر الفريقان ثم انهزم الترك وعبروا جيحون فكان من غرق منهم اكثر ممن نجا وورد رسول متولى خوارزم الى يمين الدولة يهنئه بالفتح عقيب الوقعة فقال له من اين علمتم فقال من كثرة القلانس التى جاءت على الماء وعبر يمين الدولة فشكا اهل تلك البلاد الى قدرخان ما يلقون من عسكر يمين الدولة فقال قد قرب الامر بيننا وبين عدونا فان ظفرنا منعناه عنكم وان ظفر عدونا فقد استرحتم منا ثم اجتمع هو وقدرخان واكلا طعاما وكان قدرخان عادلا حسن السيرة كثير الجهاد فمن فتوحه ختن وهى بلاد بين الصين وتركستان وهى كثيرة العلماء والفضلاء وبقى كذلك الى سنة ثلاث وعشرين واربعمائة فتوفى فيها وكان يديم الصلاة فى الجماعة ولما توفى خلف ثلاث بنين منهم ابو شجاع ارسلان خان وكان له كاشغر وختن وبلاساغون وخطب له على منابرها وكان لقبه شرف الدولة ولم يشرب الخمر قط وكان دينا مكرما للعلماء واهل الدين فقصدوه من كل ناحية فوصلهم واحسن اليهم وخلف ايضا بغراخان بن قدرخان وكان له طراز واسبيجاب فقصد اخوه ارسلان واخذ مملكته فتحاربا فانهزم ارسلان خان واخذ اسيرا فاودعه الحبس وملك بلاده ثم ان بغراخان عهد بالملك لولده الاكبر واسمه حسين جغرى تكين وجعله ولى عهده وكان لبغراخان امرأة له منها ولد صغير فغاظها ذلك فعمدت اليه وسمته فمات هو وعدة من اهله وخنقت اخاه ارسلان خان بن قدرخان وكان ذلك سنة تسع وثلاثين واربعمائة وقتلت وجوه اصحابه وملكت ابنه واسمه ابراهيم وسيرته فى جيش الى مدينة تعرف ببرسخان وصاحبها يعرف بينال تكين فظفر به ينال تكين وقتله وانهزم عسكره الى امه واختلف اولاد بغراخان فقصدهم طفغاج خان صاحب سمرقند

●(ذكر ملك طفغاج خان وولده)●

وكان

شخصا وفيهم قسيال كبير وآخر كان بصحبة على باشا الطرابلسى (وفى عاشره) سافر صالح اغا الى جهة بحرى قيل ليأتى بصالح افندى الدفتردار فانه لم يزل عاصيا عن الحضور الى مصر (وفيه) ركب الباشا فى التبديل ونزل من جهة التبانة فوجد فى طريقه عسكريا يأخذ حمل تبن من صاحبه قهرا فكلمه وهو لم يعرفه فاغلظ فى الجواب فقتله ثم نزل الى جهة باب الشعرية وخرج على ناحية قناطر الاوز فوجد جماعة من العسكر غاصبين قصعة زبد من رجل فلاح وهو يصيح فادركهم وهم سبعة وفيهم شخص ابن بلد امرد لابس ملابس العسكر فامر بقتلهم فقبضوا على ثلاثة منهم وفيهم ابن البلد وقتلوهم وهرب الباقون ثم نزل الى ناحية قنطرة الدكة وقتل شخصين ايضا وبناحية بولاق كذلك وبالجملة فقتل فى ذلك اليوم نيفا وعشرين شخصا واراد بذلك الاخافة فانكف العسكر عن الايذاء قليلا وتواجد السمن وبعض الاشياء مع غلو الثمن (وفيه) تواترت الاخبار بوقوع حرب بين العسكر والامراء المصريين فى المنية وقتل من الامراء صالح بك الالفى ومراد بك من الصناجق الجدد المقلدين الامارة خارج مصر وهو زوج امرأة قاسم بك وخازندار

وكان طفغاج خان ابو المظفر ابراهيم بن نصر ايلك يلقب عماد الدولة وكان بيده سمرقند وفرغانة وكان ابوه زاهدا متعبدا وهو الذى ملك سمرقند فلما مات ورثه ابنه طفغاج وملك بعده وكان طفغاج متدينا لا يأخذ مالا حتى يستفتى الفقهاء فورد عليه ابو شجاع العلوى الواعظ وكان زاهدا فوعظه وقال له انك لا تصلح للملك فاغلق طفغاج بابه وعزم على ترك الملك فاجتمع عليه اهل البلد وقالوا قد اخطأ هذا والقيام بامورنا متعين عليك فعند ذلك فتح بابه ومات سنة ستين واربعمائة وكان السلطان الب ارسلان قد قصد بلاده ونهب أيام عمه طغرلبك فلم يقابل الشر بمثله وارسل رسولا الى القائم بامر الله سنة ثلاث وخمسين يهنئه بعوده الى مستقره ويسأل التقدم الى الب ارسلان بالكف عن بلاده فاجيب الى ذلك وارسل اليه الخلع والالقاب ثم فلج سنة ستين وكان فى حياته قد جعل الملك فى ولده شمس الملك فقصده اخوه طغان خان بن طفغاج وحصره بسمرقند فاجتمع اهلها الى شمس الملك وقالوا له قد خرب اخوك ضياعنا وأفسدها ولو كان غيره لساعدناك ولكنه اخوك فلا ندخل بينكما فوعدهم المناجزة وخرج من البلد نصف الليل فى خمسمائة غلام معدين وكبس أخاه وهو غير محتاط فظفر به فهزمه وكان هذا وأبوهما حى ثم قصده هرون بغراخان بن يوسف قدرخان وطغرل قراخان وكان طفغاج قد استولى على ممالكهما وقاربا سمرقند فلم يظفرا بشمس الملك فصالحاه وعادا فصارت الاعمال المتاخمة لجيحون لشمس الملك وأعمال الخاهر فى أيديهما والحد بينهما خجندة وكان السلطان ألب ارسلان قد تزوج ابنة قدرخان وكانت قبله عند مسعود بن محمود بن سبكتكين وتزوج شمس الملك ابنة ألب ارسلان وزوج بنت عمه عيسى خان من السلطان ملكشاه وهى خاتون الجلالية أم الملك محمود الذى ولى السلطنة بعد أبيه وسنذكر ذلك ان شاء الله تعالى ثم اختلف ألب ارسلان وشمس الملك وسنذكره سنة خمس وستين عند قتل ألب ارسلان ثم مات شمس الملك فولى بعده اخوه خضر خان ثم مات فولى ابنه أحمد خان وهو الذى قبض عليه ملكشاه ثم أطلقه وأعاده الى ولايته سنة خمس وثمانين وسنذكره هناك ان شاء الله تعالى ثم ان جنده ثاروا به فقتلوه وملك بعده محمود خان وكان جده من ملوكهم وكان أصم فقصده طغان خان بن قراخان صاحب طراز فقتله واستولى على الملك واستناب بسمرقند أبا المعالى محمد بن زيد العلوى البغدادى فولى ثلاث سنين ثم عصى عليه فحاصره طغان خان واخذه وقتله وقتل خلقا كثيرا معه ثم خرج طغان خان الى ترمذ يريد خراسان فلقيه السلطان سنجر وظفر به وقتله وصارت اعمال ماوراء النهر له فاستناب بها محمد خان بن كمشتكين بن ابراهيم ابن طفغاج خان فاخذها منه عمر خان وملك سمرقند ثم هرب من جنده وقصد خوارزم فظفر به السلطان سنجر فقتله وولى سمرقند محمد خان وولى بخارا محمد تكين بن طغاتكين

(ذكر كاشغر وتركستان)

واما كاشغر وهى مدينة تركستان فانها كانت لارسلان خان بن يوسف قدرخان كما

ولم تزل الحرب قائمة بين الفريقين وارسلوا بطلب ذخيرة وعلوفة فارسلوا لهم بقسماطا وغيره (وفى عشرينه) حضر الى الباشا بعض الرواد واخبره أن طائفة من عرب أولاد على نزلوا ناحية الاهرام بالجيزة وهم مارون يريدون الذهاب الى ناحية قبلى فركب فى عسكره اليهم فوجدهم قد ارتحلوا ووجد هنالك قبيلة يقال لهم الجوابيص نازلين بنجوعهم هنالك وهم جماعة مرابطون من خيار العرب لم يعهد منهم ضرر ولا أذية لاحد فقتل منهم جماعة ونهب نجوعهم وجمالهم واغنامهم واحضر صحبته عدة اشخاص منهم وعدى الى مصر ونهبوا بهائمهم وقد باع الاغنام والمعز للجزارين قهرا وكذلك الجمال باعوا منها جملة بالرميلة (وفى سادس عشرينه) نهب العربان قافلة التجار الواصلة من السويس وهى نيف واربعة آلاف جمل من البن والبهار والقماش وأصيب فيها كثير من فقراء التجار وسلبت اموالهم واصبحوا لا يملكون شيئا (وفيه) حضر صالح أغا وصحبته جانم افندى الدفتردار فاسكنه الباشا بالقلعة وذكر جانم افندى المذكور ومن معه الباشا انهم رأوا هلال رمضان ليلة الاثنين صاموه بالاسكندرية وكذلك ...

ذكرنا ثم صارت بعده لمحمود بغراخان صاحب طراز والشاش خمسة عشر شهرا ثم مات فولي بعده طغرلخان بن يوسف قدرخان فاستولى على الملك وملك بلاساغون وكان ملكه ست عشرة سنة ثم توفي وملك ابنه طغرلتكين واقام شهرين ثم اتى هرون بغراخان اخو يوسف طغرلخان بن طفغاج بغراخان وصبر كاشغر وقبض على هرون واطاعه عسكره وملك كاشغر وختن وما يتصل به الى بلاساغون واقام مالكا تسعا وعشرين سنة وتوفي سنة ست وتسعين واربعمائة فولي ابنه احمد بن ارسلان خان وارسل رسولا الى الخليفة المستظهر بالله يطلب منه الخلع والالقاب فارسل اليه ماطلب واقبه نور الدولة

(ذكر وفاة مهذب الدولة وحال البطيحة بعده)

في هذه السنة في جمادى الاولى توفي مهذب الدولة ابو الحسن علي بن نصر ومولده سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وهو الذي نزل عليه القادر بالله وكان سبب موته انه افتصد فانتفخ ساعده ومرض منه واشتد مرضه فلما كان قبل وفاته بثلاثة ايام تحدث الجند باقامة ولده أبي الحسين احمد مقامه فبلغ ابن أخت مهذب الدولة وهو ابو محمد عبد الله بن يني فاستدعى الديلم والاتراك ورغبهم ووعدهم واستحلفهم لنفسه وقرر معهم القبض على ابي الحسين بن مهذب الدولة وتسليمه اليه فمضوا اليه ليلا وقالوا له انت ولد الامير ووارث الامر من بعده فلو قمت معنا الى دار الامارة ليظهر امرك وتجتمع الكلمة عليك لكان حسنا فخرج من داره معهم فلما فارقها قبضوا عليه وحملوه الى ابي محمد فسمعت والدته فدخلت الى مهذب الدولة قبل موته بيوم فاعلمته الخبر فقال اي شئ اقدر اعمل وانا على هذه الحال وتوفي من الغد وولي الامر ابو محمد وتسلم الاموال والبلد وامر بضرب ابي الحسين بن مهذب الدولة فضرب ضربا شديدا توفي منه بعد ثلاثة ايام من موت أبيه وبقي ابو محمد اميرا الى منتصف شعبان وتوفي بالذبحة وكان قد قال قبل موته رأيت مهذب الدولة في المنام وقد امسك حلقي ليخنقني ويقول قتلت ابني احمد وقابلت نعمتي عليك بذلك فمات بعد ايام فكان ملكه اقل من ثلاثة اشهر فلما توفي اتفق الجماعة على تامير ابي عبد الله الحسين بن بكر الشرابي وكان من خواص مهذب الدولة فصار امير البطيحة وبذل للملك سلطان الدولة بذولا فاقره عليها وبقي الى سنة عشر واربعمائة فسير اليه سلطان الدولة صدقة بن فارس المازياري فملك البطيحة واسر ابا عبد الله الشرابي فبقي عنده اسيرا الى ان توفي صدقة وخلص على مانذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر وفاة علي بن مزيد وامارة ابنه دبيس)

في هذه السنة في ذي القعدة توفي ابو الحسن علي بن مزيد الاسدي وقام بعده ابنه نور الدولة ابو الاغر دبيس وكان ابوه قد جعله ولي عهده في حياته وخلع عليه سلطان الدولة واذن في ولايته فلما توفي والده اختلفت العشيرة على دبيس فطلب اخوه المقلد بن ابي الحسن على الامارة وسار الى بغداد وبذل للاتراك بذولا كثيرة ليعاضدوه فسار معه

وكذلك صاموه في رشيد وقوة وغالب بلاد بحري وحضر ايضا الشيخ سليمان الفيومي قبل ذلك بايام وحكى ذلك فلم يعمل به القاضي وقال ان رؤى الهلال ليلة الاربعاء افطرنا وان لم ير فهو من رمضان فلما كان بعد عصر ذلك اليوم ضربت مدافع من القلعة فاشتبه على الناس الامر وذهب جماعة الى القاضي وسالوه فقال لاعلم لي بذلك وارسل في الساعة جماعة من اتباعه وباش كاتب الى منارة المارستان فصعدوا اليها وطلع معهم آخرون وترقبوا رؤية الهلال فلم يروه واخبروا القاضي بذلك فامر بالصوم ونادوا به واوقدوا المنارات والقناديل وصلوا التراويح بالمساجد وتحقق الناس الصيام من الغد فلما كان بعد العشاء الاخيرة ضربت مدافع كثيرة من القلعة وسواريخ وشنك فوقع الارتباك فارسل القاضي ينادي بالصوم وذكروا ان هذا المسموع شنك لاخبار وردت على المنية وحضر المبشر بذلك لابن السيد احمد المحروقي وخلع عليه خلعة وكذلك بقية الاعيان وبعد حصة مر الوالي ينادي بالفطر والعيد فزاد الارتباك وركب بعض المشايخ الى القاضي وساله فاخبر أنه لم يامر بذلك ولم يثبت لديه رؤية الهلال وان

منهم جمع كثير وكسوا ديسا بالنعمانية ونهبوا احلته فانهزم الى نواحى واسط وعاد الاتراك الى بغداد وقام الاثير الخادم بامر دبيس حتى ثبت قدمه ومضى المقلد أخوه الى بنى عقيل ونذكر باقى اخباره موضعها ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ضعف امر الديلم ببغداد وطمع فيهم العامة فانحدروا الى واسط فخرج اليهم عامتها واتراكها فقاتلوهم فدفع الديلم عن انفسهم وقتلوا من اتراك واسط وعامتها خلقا كثيرا وعظم امر العيارين ببغداد فافسدوا ونهبوا الاموال وفيها توفى الحاجب ابو طاهر سباشى المشطب وكان كثير المعروف وابو الحسن الهمانى وكان متولى البصرة وغيرها وهو الذى مدحه مهيار بقوله *استنجدا لصبر فيكم وهو مغلوب* وفيها قدم سلطان الدولة بغداد وضرب الطبل فى اوقات الصلوات الخمس ولم تجر به عادة انما كان عضد الدولة يفعل ذلك فى اوقات ثلاث صلوات وفيها هرب ابن سهلان من سلطان الدولة الى هيت واقام عند قرواش وولى سلطان الدولة موضعه ابا القاسم جعفر بن ابى الفرج بن فسانجس ومولده ببغداد سنة خمس وخمسين وثلثمائة وفيها كانت ببغداد فتنة بين اهل الكرخ من الشيعة وبين غيرهم من اهل السنة اشتدت وفيها استتاب القادر بالله المعتزلة والشيعة وغيرهما من ارباب المقالات المخالفة لما يعتقده من مذاهبهم ونهى عن المناظرة فى شئ منها ومن فعل ذلك نكل به وعوقب

(ثم دخلت سنة تسع واربعمائة)

(ذكر ولاية ابن سهلان العراق)

فى هذه السنة عرض سلطان الدولة على الرخجى ولاية العراق فقال ولاية العراق تحتاج الى من فيه عسف وخرق وليس غير ابن سهلان وانا اخلفه ههنا فولاه سلطان الدولة العراق فى المحرم فسار من عند سلطان الدولة فلما كان ببعض الطريق ترك ثقله والكتاب واصحابه وسار جريدة فى خمسمائة فارس مع طراد بن دبيس الاسدى يطلب مهارش ومضرا ابنى دبيس وكان مضر قد قبض قديما عليه بامر فخر الملك فكان يبغضه لذلك واراد ان يأخذ جزيرة بنى اسد منه ويسلمها الى طراد فلما علم مضر ومهارش قصده لهما سارا عن المذار فتبعهما والحر شديد فكاد يهلك هو ومن معه عطشا فكان من لطف الله به ان بنى اسد اشتغلوا بجمع اموالهم وابعادها وبقى الحسن بن دبيس فقاتل قتالا شديدا وقتل جماعة من الديلم والاتراك ثم انهزموا ونهب ابن سهلان اموالهم وصان حرمهم ونساءهم فلما نزل فى خيمته قال الآن ولدتنى امى وبذل الامان لمهارش ومضر واهلهما واشرك بينهما وبين طراد فى الجزيرة ورحل وانكر على سلطان الدولة فعله ذلك ووصل الى واسط والفتن بها قائمة فاصلحها وقتل جماعة من اهلها وورد عليه الخبر باشتداد الفتن ببغداد فسار اليها فدخلها واخر شهر ربيع الآخر فهرب منه العيارون ونفى جماعة من العباسيين وغيرهم ونفى ابا عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة وانزل

غدا من رمضان فخرجوا من عنده يقولون ذلك للناس ويأمرونهم بالصوم وانحط الامر على ذلك وطافت المسحرون على العادة فلما كان فى سادس ساعة من الليل أرسل الباشا الى القاضى وطلبه فطلع اليه فعرفه بشهادة الجماعة الواصلين من بحرى واحضرهم بين يديه فشهدوا برؤية هلال أول الشهر ليلة الاثنين وهم نحو العشرين شخصا فاوسع القاضى الا قبول شهادتهم وخصوصا لكونهم أتراكا ونزل القاضى ينادى بالفطر وبامر بطفى القناديل من المنارات واصبح كثير من الناس لا علم له بما حصل آخرا فى جوف الليل وبالجملة فكانت هذه الحادثة من النوادر وتبين ان خبر المنية لا أصل له بل هو من جملة اختلاقاتهم وانقضى شهر رمضان وكان لا بأس به فى قصر النهار لانه كان فى غاية الانقلاب الشتوى والراحة بسبب غياب العسكر وقلتهم بالبلدة وبعدهم ولم يحصل فيه من المكدورات العامة خصوصا على الفقراء سوى غلاء الاسعار فى كل شئ كما تقدم ذكر ذلك فى شعبان

(شهر شوال سنة ١٢١٩)

استهل بيوم الاربعاء (فى ثالثه) سافر السيد محمد بن المحروقى وجرجس الجوهرى ومعهما جملة من العسكر

الديلم اطراف الكرخ وباب البصرة ولم يكن قبل ذلك ففعلوا من الفساد مالم يشاهد مثله فمن ذلك ان رجلا من المستورين اغلق بابه عليه خوفا منهم فلما كان اول يوم من شهر رمضان خرج لحاجته فرآهم على حال عظيم من شرب الخمر والفساد فاراد الرجوع الى بيته فاكرهوه على الدخول معهم الى دار نزلوها والزموه بشرب الخمر فامتنع فصبوها فى فيه قهرا وقالوا له قم الى هذه المراة فافعل بها فامتنع فالزموه فدخل معها الى بيت فى الدار واعطاها دراهم وقال هذا اول يوم فى رمضان والمعصية فيه تتضاعف واحب ان تخبريهم انى قد فعلت فقالت لا كرامة ولا عزازة انت تصون دينك عن الزنا وانا اريد ان اصون امانتى فى هذا الشهر عن الكذب فصارت هذه الحكاية سائرة فى بغداد ثم ان ابا محمد بن سهلان افسد الاتراك والعامة فاصعد الاتراك الى واسط فلقوا بها سلطان الدولة فشكوا اليه فسكنهم ووعدهم الاصعاد الى بغداد واصلاح الحال واستحضر سلطان الدولة ابن سهلان فخافه ومضى الى بنى خفاجة ثم اصعد الى الموصل فاقام بها مدة ثم انحدر الى الانبار ومنها الى البطيحة فارسل سلطان الدولة الى البطيحة رسولا يطلبه من الشرابى فلم يسلمه فسير اليها عسكرا فانهزم الشرابى واصعد ابن سهلان الى البصرة فاتصل بالملك جلال الدولة وكان الرخجى قد خرج مع ابن سهلان الى الموصل ففارقه بها واصلح حاله مع سلطان الدولة وعاد اليه

(ذكر غزوة يمين الدولة الى الهند والافغانية)

فى هذه السنة سار يمين الدولة الى الهند غازيا واحتشد وجمع واستعد واعدا اكثر مما تقدم وسبب هذا الاهتمام انه لما فتح قنوج وهرب صاحبها منه ويلقب راى قنوج ومعنى راى هو لقب الملك كقيصر وكسرى فلما عاد الى غزنة ارسل بيدا اللعين وهو اعظم ملوك الهند مملكة واكثرهم جيشا وتسمى مملكته كجوراهة رسلا الى راى قنوج واسمه راجيبال يوبخه على انهزامه واسلام بلاده للمسلمين وطال الكلام بينهما وآل امرهما الى الاختلاف وتاهب كل واحد منهما لصاحبه وسار اليه فالتقوا واقتتلوا فقتل راجيبال واتى القتل على اكثر جنوده فازداد بيدا بما اتفق له شرا وعتوا وبعد صيت فى الهند وعلوا وقصده بعض ملوك الهند الذى ملك يمين الدولة بلاده وهزمه واباد اجناده وصار فى جملته وخدمه والتجا اليه فوعده باعادة مملكته اليه وحفظه ناله عليه واعتذر بهجوم الشتاء وتتابع الانداء فنمت هذه الاخبار الى يمين الدولة فازعجته وتجهز للغزو وقصد بيدا واخذ مملكته منه وسار عن غزنة وابتدا فى طريقه بالافغانية وهم كفار يسكنون الجبال ويفسدون فى الارض ويقطعون الطريق بين غزنة وبينه فقصد بلادهم وسلك مضايقها وفتح مغالقها وخرب عامرها وغنم اموالهم واكثر القتل فيهم والاسر وغنم المسلمون من اموالهم الكثير ثم استقل على المسير وبلغ الى مكان لم يبلغه فيما تقدم من غزواته وعبر نهر كنك ولم يعبره قبلها فلما جازه راى قفلا قد بلغت عدة احماله الف عدد فغنمها وهى من العود والامتعة الفائقة وجد به السير فاتاه فى الطريق خبر ملك من ملوك الهند يقال له بروجيبال قد سار من بين يديه ملتجئا الى بيدا ليحتمى

الى جهة القليوبية بسبب القافلة المنهوبة (وفى سادسه) طلبوا المال الميرى عن سنة عشرين معجلة بسبب تشهيل الحج وكتبوا التنابيه بطلب النصف حالا وعينوا بها عساكر عثمانية جاويشية وشفاصية فدهى الملتزمون بذلك مع ان اكثرهم افلس وباق عليهم بواق من سنة تاريخه وماقبلها لخراب البلاد وتتابع الطلب والعرد والتعايين والشكاوى والتساويف ووقوف العربان بسائر النواحى وتعطيل المراكب عن السفر لعدم الامن وغصبهم ما يرد من السفائن والمعاشات ليرسلوا فيها الذخيرة والعسكر والجبخانه معونة المحاربين على المنية (وفى عاشره) طلبوا طائفة من المزينين وارسلوهم الى قبلى لمداواة الجرحى (وفيه) تواترت الاخبار بحصول مقتلة عظيمة بين المتحاربين وان العسكر حملوا على المنية حملة قوية من البر والبحر وملكوا جهة منها وحضر المبشرون بذلك ليلة الاربعاء اواخر رمضان كما تقدم وعملوا الشنك لذلك الخبر فورد بعد ذلك بنحو ساعتين برجوع الاخصام ثانيا ومقاتلتهم حتى هزموهم واجلوهم عن ذلك وذلك هو الحامل على المغالطة والمناداة فى سابع ساعة بثبوت العيد وافطار

به

به عليه فطوى المراحل فلحق بروجيبال ومن معه رابع عشر شعبان وبينه وبين الهنود نهر عميق فعبر اليهم بعض أصحابه وشغلهم بالقتال ثم عبر هو وباقى العسكر اليهم فاقتتلوا عامة نهارهم وانهزم بروجيبال ومن معه وكثر فيهم القتل والاسر واسلموا أموالهم واهاليهم فغنمها المسلمون واخذوا منهم الكثير من الجواهر وأخذ ما يزيد على مائتى فيل وسار المسلمون يقتصون آثارهم وانهزم ملكهم جريحا وتحير فى أمره وارسل الى يمين الدولة يطلب الامان فلم يؤمنه ولم يقنع منه الا بالاسلام وقتل من عساكره ما لا يحصى وسار بروجيبال ليلحق بيدا فانفرد به بعض الهنود فقتله فلما رأى ملوك الهند ذلك تابعوا رسلهم الى يمين الدولة يبذلون له الطاعة والاتاوة وسار يمين الدولة بعد الوقعة الى مدينة بارى وهى من أحصن القلاع والبلاد وأقواها فرآها من سكانها خالية وعلى عروشها خاوية فامر بهدمها وتخريبها وعشر قلاع معها متناهية الحصانة وقتل من اهلها خلقا كثيرا وسار يطلب بيدا الملك فلحقه وقد نزل الى جانب نهر واجرى الماء من بين يديه فصار وحلا وترك عن يمينه وشماله طريقا يبسا يقاتل منه اذا أراد القتال وكان عدة من معه ستة وخمسين ألف فارس ومائة ألف واربعة وثمانين الف راجل وسبعمائة وستة وار بعين فيلا فارسل يمين الدولة طائفة من عسكره للقتال فاخرج اليهم بيدا امثالهم ولم يزل كل عسكر يمد أصحابه حتى كثر الجمعان واشتد الضرب والطعان فادركهم الليل وحجز بينهم فلما كان الغد بكر يمين الدولة اليهم فرأى الديار منهم بلاقع وركب كل فرقة منهم طريقا مخالفا الطريق الاخرى ووجد خزائن الاموال والسلاح بحالها فغنموا الجميع واقتفى آثار المنهزمين فلحقوهم فى الغياض والآجام واكثروا فيهم القتل والاسر ونجا بيدا فريدا وحيدا وعاد يمين الدولة الى غزنة منصورا

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قبض سلطان الدولة على وزيره ابن فسانجس واخوته وولى وزارته ذا السعادتين أبا غالب الحسن بن منصور ومولده بسيراف سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة وفيها توفى القادر بالله وولى عهد أبيه القادر بالله فى شهر رمضان وتوفى أيضا أبو احمد عبد الله بن محمد بن ابى علان قاضى الاهواز ومولده سنة احدى وعشرين وثلثمائة وله تصانيف حسنة وكان معتزليا وفى هذه السنة مات عبد الغنى بن سعيد بن بشر بن مروان الحافظ المصرى صاحب المؤتلف والمختلف ومولده سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وتوفى رجاء بن عيسى بن محمد ابو العباس الانصناوى وانصنا من قرى مصر وهو من الفقهاء المالكية وسمع الحديث الكثير

(ثم دخلت سنة عشر واربعمائة)

فى هذه السنة قبض الملك جلال الدولة ابو طاهر بن بهاء الدولة على وزيره ابى سعد عبد الواحد بن على بن ماكولا وكان ابن عمه أبو جعفر محمد بن مسعود كاتبا فاضلا وكان يعرض الديلم لعضد الدولة ولابى سعد شعر منه

الناس ذلك اليوم (وفى يوم السبت ثامن عشره) نزل الباشا الى قراميدان وحضر القاضى والدفتردار وامير الحاج فسلمه الباشا المحمل ونزلوا بقطع الكسوة امام امير الحاج وركب امامه الاغا والوالى والمحتسب وناظر الكسوة بهيئة محتقرة من غير نظام ولا ترتيب ومن خلفهم المحمل على جمل صغير اعرج (وفيه) ارسل العسكر يطلبون العلوفة او المعونة فعمل الباشا فردة على الاعيان وعلى اتباعه وجمع لهم خمسمائة كيس وعين للسفر بذلك صالح اغا وعدة عساكر وجبخانه وذخيرة (وفى عشرينه) حج ابن المحروقى وجرجس الجوهرى واحضر امعهما بعض احمال قليلة بعد ما صرفا اضعافها فى مصالح وكساوى العرب وغير ذلك (وفيه) ورد الخبر بوصول دفتردار جديد الى ثغر سكندريه وهو احمد افندى الذى كان بمصر سابقا وعمل قبطانا بالسويس فى ايام محمد باشا وشريف افندى فكتب الباشا عرضا للدولة بانهم راضون على جانم افندى الدفتردار وان اهل البلد ارتاحوا عليه وطلبوا ابقاءه دون غيره وختم عليه القاضى والمشايخ والاختيارية وبعثوه الى الدولة وارسلوا الى الدفتردار الواصل بعدم المجى * ويذهب الى قبرص حتى يرجع

وان اقاتى للشجاع لهين ‌* ولكن حمل الضيم منه شديد

إذا كان قلب القرن يذ ومن الوغى ‌* فان جنانى جلمد وحديد

وفيها توفى وثاب بن سابق النميرى صاحب حران وأبو الحسن بن أسد الكاتب وأبو بكر محمد بن عبد السلام الهاشمى القاضى بالبصرة وأبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز التميمى الفقيه الحنبلى البغدادى عم أبى محمد قال أبو الفضل سمعت أبا الحسن بن القصاب الصوفى قال دخلت أنا وجماعة الى البيمارستان ببغداد فرأينا شابا مجنونا شديد الهوس فولعنا به فرد بفصاحة وقال انظروا الى شعور مطررة واجساد معطرة وقد جعلوا اللهو صناعة واللعب بضاعة وجانبوا العلم رأسا فقلت أتعرف شيئا من العلم فنسألك قال نعم ان عندى علما جما فاسألونى فقال بعضنا من السكريم فى الحقيقة قال من رزق أمثالكم وانتم لا تساوون نومة فاضحكنا فقال آخر من أقل الناس شكرا فقال من عوفى من بلية ثم رآها فى غيره فترك الاعتبار فان الشكر عليها واجب فابكانا بعد ان اضحكنا فقلنا ما الظرف قال خلاف ما انتم عليه ثم قال اللهم ان لم ترد على فردّ يدى لاصفع كل واحد منهم صفعة فتركناه وانصرفنا وفيها مات الاصيفر المنتفقى الذى كان يؤذى الحاج فى طريقهم وأبو بكر احمد بن موسى بن مردويه الحافظ الاصبهانى وعبد الصمد بن بابك ابو القاسم الشاعر قدم على الصاحب بن عباد فقال انت ابن بابك فقال انا ابن بابك فاستحسن قوله

(ثم دخلت سنة احدى عشرة واربعمائة)

(ذكر قتل الحاكم وولاية ابنه الظاهر)

فى هذه السنة ليلة الاثنين لثلاث بقين من شوال فقد الحاكم بامر الله أبو على المنصور ابن العزيز بالله نزار بن المعز العلوى صاحب مصر بها ولم يعرف له خبر وكان سبب فقده أنه خرج يطوف ليلة على رسمه واصبح عند قبر الفقاعى وتوجه الى شرقى حلوان ومعه ركابيان فاعاد احدهما مع جماعة من العرب الى بيت المال وامر لهم بجائزة ثم عاد الركابى الآخر وذكر انه خلفه عند العين والمقصبة وبقى الناس على رسمهم يخرجون كل يوم يلتمسون رجوعه الى سلخ شوال فلما كان ثالث ذى القعدة خرج مظفر الصقلبى صاحب المظلة وغيره من خواص الحاكم ومعهم القاضى فبلغوا حلوان ودخلوا فى الجبل فبصروا بالحمار الذى كان عليه راكبا وقد ضربت يداه بسيف فأثر فيهما وعليه سرجه ولجامه فاتبعوا الاثر فانتهوا به الى البركة التى شرقى حلوان فرأوا ثيابه وهى سبع قطع صوف وهى مزررة بحالها لم تحل وفيها اثر السكاكين فعادوا ولم يشكوا فى قتله وقيل كان سبب قتله ان اهل مصر كانوا يكرهونه لما يظهر منه من سوء أفعاله فكانوا يكتبون اليه الرقاع فيها سبه وسب اسلافه والدعاء عليه حتى انهم عملوا من قراطيس صورة امرأة وبيدها رقعة فلما رآها ظن انها امرأة تشتكى فامر باخذ الرقعة منها فقرأها وفيها كل لعن وشتيمة قبيحة وذكر حرمه بما يكره فامر بطلب المرأة

فقيل

الجواب فاستمر باسكندرية (وفى اواخره) تواترت الاخبار بان جماعة من الامراء القبالى ومن معهم من العربان حضروا الى ناحية الفشن وحضر ايضا كاشف الفيوم مجروحا ومعه بعض عسكر ودلاة فى هيئة مشوهة وتتابع ورود كثير من افراد العسكر الى مصر واشيع انتقالهم من امام المنية الى البر الشرقى بعد وقائع كثيرة ومحاربات (وفى يوم الخميس غايته) برز امير الحاج المسافر بالمحمل وخرج الى خارج ومعه الصرة اوما تيسر منها وعين للسفر معه عثمان اغا الذى كان كتخدا محمد باشا بجماعة من العسكر لاجل المحافظة ليوصلوه الى السويس ويسافر من القلزم مثل عام اول (وفيه) ورد الخبر بضياع ثلاث داوات بالقلزم وانها تلفت بالقرب من الحسانى وتلف بها كثير من اموال التجار وصرر النقود وكان بها قاضى المدينة احمد افندى المنفصل عن قضاء مصر فغرق وطلعت اولاده ورجعوا الى مصر بعد ايام وسافروا الى بلادهم (وورد) الخبر بان القبليين قتلوا حسين بك المعروف باليهودى بعد ان تحققوا خيانته ومخامرته وانقضى هذا الشهر

(شهر القعدة الحرام سنة ١٢١٩)

فقيل انها من قراطيس فامر باحراق مصر ونهبها ففعلوا ذلك وقاتل اهلها اشد قتال وانضاف اليهم في اليوم الثالث الاتراك والمشارقة فقويت شوكتهم وارسلوا الى الحاكم يسألونه الصفح ويعتذرون فلم يقبل فصاروا الى التهديد فلما رأى قوتهم امر بالكف عنهم وقد احرق بعض مصر ونهب بعضها وتتبع المصريون من أخذ نساءهم وابناءهم فابتاعوا ذلك بعد أن فضحوهن فازداد غيظهم منه وحنقهم عليه ثم انه أوحش اخته وارسل اليها راسلات قبيحة يقول فيها بلغني ان الرجال يدخلون اليك وتهددها بالقتل فارسلت الى قائد كبير من قواد الحاكم يقال له ابن دواس وكان ايضا يخاف الحاكم تقول له انني أريد ان القاك فحضرت عنده وقالت له قد جئت اليك في أمر تحفظ فيه نفسك ونفسي وأنت تعلم ما يعتقده أخي فيك وانه متى تمكن منك لا يبقي عليك وانا كذلك وقد انضاف الى هذا ما تظاهر به مما يكرهه المسلمون ولا يصبرون عليه واخاف ان يثوروا به فيهلك هو ونحن معه وتنقلع هذه الدولة فاجابها الى ما تريد فقالت انه يصعد الى هذا الجبل غدا وليس معه غلام الا الركابي وصبي وينفرد بنفسه فتقيم رجلين تثق بهما يقتلانه ويقتلان الصبي وتقيم ولده بعده وتكون أنت مدبر الدولة وأزيد في اقطاعك مائة ألف دينار فاقام رجلين واعطتهما هي ألف دينار ومضيا الى الجبل وركب الحاكم على عادته وسار منفردا اليه فقتلاه وكان عمره ستا وثلاثين سنة وتسعة اشهر وولايته خمسا وعشرين سنة وعشرين يوما وكان جوادا بالمال سفاكا للدماء قتل عددا كثيرا من اماثل دولته وغيرهم فكانت سيرته عجيبة منها انه أمر في صدر خلافته بسب الصحابة رضي الله عنهم وان تكتب على حيطان الجوامع والاسواق وكتب الى سائر عماله بذلك وكان ذلك سنة خمس وتسعين وثلثمائة ثم أمر بعد ذلك بمدة بالكف عن السب وتاديب من يسبهم او يذكرهم بسوء ثم امر في سنة تسع وتسعين بترك صلاة التراويح فاجتمع الناس بالجامع العتيق وصلى بهم امام جميع رمضان فاخذه وقتله ولم يصل احد التراويح الى سنة ثمان وأربعمائة فرجع عن ذلك وأمر باقامتها على العادة وبنى الجامع واشهده واخرج الى الجوامع والمساجد من الآلات والمصاحف والستور والحصر ما لم ير الناس مثله وحمل اهل الذمة على الاسلام او المسير الى مأمنهم او لبس الغيار فاسلم كثير منهم ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلقاه فيقول له انني اريد العود الى ديني فيأذن له ومنع النساء من الخروج من بيوتهن وقتل من خرج منهن فشكى اليه من لا قيم لها يقوم بامرها فامر الناس ان يحملوا كل ما يباع في الاسواق الى الدروب ويبيعوه على النساء وأمر من يبيع ان يكون معه شبه المغرفة بساعد طويل يمده الى المرأة وهي من وراء الباب وفيه ما تشتريه فاذا رضيت وضعت الثمن في المغرفة وأخذت ما فيها لئلا يراها فنال الناس من ذلك شدة عظيمة ولما فقد الحاكم ولي الامر بعده ابنه أبو الحسن علي ولقب الظاهر لاعزاز دين الله وأخذت له البيعة وردت النظر في الامور جميعها الى الوزير ابي القاسم علي بن احمد الجرجراي

(ذكر ملك مشرف الدولة العراق)

(فيه) قرر الباشا فردة على البلاد فجعل على كل بلد من البلاد العال مائة الف فضة والدون منه بحسبه وعين لذلك الشخا المقار كتخدا الالفي على الغربية وعلى كاشف الصابونجي على المنوفية وحسن اغا نجاتي المحتسب على الدقهلية وذلك خلاف ما تقرر على البنادر من عشرين كيسا وثلاثين وخمسين ومائة واقل واكثر (وفي ليلة الجمعة ثامنه) حضروا بعلي اغا يحيي المعروف بالسبع قاعات ميتا من سملوط وقد كانوا ارسلوه ليكون كتخدا لحسن بك اخي طاهر باشا وكان المحروقي ارسله الى بشبيش فتوعك هنالك فطلب الباشا رجلا من الرؤساء يجعله كتخدا لحسن بك فاشاروا عليه بعلي اغا هذا فطلبه من المحروقي فارسل باحضاره فحضر في اليوم الذي مات فيه المحروقي وسافر بعد أيام الى قبلي فزاد به المرض هنالك ومات بسملوط فاحضروه الى مصر بعد موته بخمسة أيام وخرجوا بجنازته في يوم الجمعة من بيته المجاور لبيت المحروقي وصلوا عليه بالازهر ودفن الى رحمة الله تعالى (وفي ثاني عشره) علقوا ثلاثة رؤس بباب زويلة لا يدرى أحد من هم (وفي خامس عشره) تواترت الاخبار بوقوع حرب بين العسكر والامراء القبالي وملك العسكر جهة من المنية

في هذه السنة في ذي الحجة عظم أمر أبي علي مشرف الدولة بن بهاء الدولة وخوطب بامير الامراء ثم ملك العراق وأزال عنه أخاه سلطان الدولة وكان سببه ان الجند شغبوا على سلطان الدولة ومنعوه من الحركة واراد ترتيب اخيه مشرف الدولة في الملك فاشير على سلطان الدولة بالقبض عليه فلم يمكنه ذلك وأراد سلطان الدولة الانحدار الى واسط فقال الجند اما ان تجعل عندنا ولدك او اخاك مشرف الدولة فراسل أخاه بذلك فامتنع ثم أجاب بعد معاودة ثم انهما اتفقا واجتمعا ببغداد واستقر بينهما انهما لا يستخدمان ابن سهلان وفارق سلطان الدولة بغداد وقصد الاهواز واستخلف أخاه مشرف الدولة على العراق فلما انحدر سلطان الدولة ووصل الى تستر استوزر ابن سهلان فاستوحش مشرف الدولة فانفذ سلطان الدولة وزيره ابن سهلان ليخرج أخاه مشرف الدولة من العراق فجمع مشرف الدولة عسكرا كثيرا منهم اتراك واسط وأبو الاغر دبيس بن علي ابن مزيد والتقى بابن سهلان عند واسط فانهزم ابن سهلان وتحصن بواسط وحاصره مشرف الدولة وضيق عليه فغلت الاسعار حتى بلغ الكر من الطعام ألف دينار قاسانية وأكل الناس الدواب حتى الكلاب فلما رأى ابن سهلان ادبار اموره سلم البلد واستحلف مشرف الدولة وخرج اليه وخوطب حينئذ مشرف الدولة بشاهنشاه وكان ذلك في آخر ذي الحجة ومضت الديلم الذين كانوا بواسط في خدمته وساروا معه فحلف لهم واقطعهم واتفق هو وأخوه جلال الدولة أبو طاهر فلما سمع سلطان الدولة ذلك سار من الاهواز الى ارجان وقطعت خطبته من العراق وخطب لاخيه ببغداد آخر المحرم سنة اثنتي عشرة وأربعمائة وقبض على ابن سهلان وكحل ولما سمع سلطان الدولة بذلك ضعفت نفسه وسار الى الاهواز في أربعمائة فارس فقلت عليهم الميرة فنهبوا السواد في طريقهم فاجتمع الاتراك الذين بالاهواز وقاتلوا أصحاب سلطان الدولة ونادوا بشعار مشرف الدولة وساروا منها فقطعوا الطريق على قافلة وأخذوها وانصرفوا

(ذكر ولاية الظاهر لاعزاز دين الله)

لما قتل الحاكم على ما ذكرناه بقي الجند خمسة أيام ثم اجتمعوا الى أخته واستبطأوا الملك وقالوا قد تأخر مولانا ولم تجر عادته بذلك فقالت قد جاءتني رقعته بانه يأتي بعد غد فتفرقوا وبعثت الاموال الى القواد على يد ابن دواس فلما كان اليوم السابع البست أبا الحسن علي ابن أخيها الحاكم أفخر الملابس وكان الجند قد حضروا للميعاد فلم يرعهم الا وقد أخرج أبو الحسن وهو صبي والوزير بين يديه فصاح يا عبيد الدولة مولاتنا تقول لكم هذا مولاكم أمير المؤمنين فسلموا عليه فقبل ابن دواس الارض والقواد الذين أرسلت اليهم الاموال ودعوا له فتبعهم الباقون ومشوا معه ولم يزل راكبا الى الظهر فنزل ودعا الناس من الغد فبايعوه ولقب الظاهر لاعزاز دين الله وكتبت الكتب الى البلاد بمصر والشام باخذ البيعة له وجمعت أخت الحاكم الناس ووعدتهم واحسنت اليهم ورتبت الامور ترتيبا حسنا وجعلت الامر بيد ابن دواس

وقالت

بعدما اصطدموا عليها من البر والبحر فوصل الاخصام وحالوا بينهم وبين عسكرهم والمتاريس وأجلوهم وقتل من قتل بين الفريقين واحترق عدة مراكب من مراكب العسكر وما فيها من المتاع والجبخانه وأرسلوا بطلب ذخيرة وجبخانه وثياب وغير ذلك وانتشر عسكر القبليين الى جهة بحري حتى وصلوا الى زاوية المصلوب وصاروا من في بوش والفشن ... بني سويف وكذلك من بالفيوم وشرع الباشا واجتهد في تجهيز المطلوبات وتشهيل الاحتياجات (وفيه) حضرت سعاة من ثغر سكندرية وأخبروا بورود عدة مراكب انجليزية الى المينا وسألوا أهل الثغر عن مراكب فرنسيس وردت المينا أم لا ثم قضوا بعض أشغالهم وذهبوا (وفي ليلة الاربعاء رابع عشره) وقعت حادثة وهو ان كاشفا من أكابر الارنؤد سكن ببيت ابن السكري الذي بالقرب من الحلوجي ويتردد عليه رجل من المنتسبين الى الفقهاء يسمى الشيخ أحمد البرافي خبيث الافعال يصلي اماما بالمذكور فرأى ما رابه منه مع فراشه فضربه بالخنجر والتبابيت حتى ظن هلاكه وأخرجه أتباعه وحملوه الى منزله في خامس ساعة من الليل وبه بعض رمق ومات بعد ذلك واخبر المشايخ بذلك

وقالت له اننا نريد ان نرد جميع احوال المملكة اليك ونزيد في اقطاعك ونشرفك بالخلع فاختر يوما يكون لذلك فقبل الارض ودعا وظهر الخبر به بين الناس ثم احضرته واحضرت القواد معه واغلقت ابواب القصر وارسلت اليه خادما وقالت له قل للقواد ان هذا قتل سيدكم واضربه بالسيف ففعل ذلك وقتله فلم يختلف رجلان وباشرت الامور بنفسها وقامت هيبتها عند الناس واستقامت الامور وعاشت بعدالحاكم اربع سنين وماتت

(ذكر الفتنة بين الاتراك والاكراد بهمذان)

في هذه السنة زاد شغب الاتراك بهمذان على صاحبهم شمس الدولة بن فخر الدولة وكان قد تقدم ذلك منهم غير مرة وهو يحلم عنهم بل يعجز فقوى طمعهم فزادوا في التوثب والشغب وارادوا اخراج القواد القوهية من عنده فلم يجبهم الى ذلك فعزموا على الايقاع بهم بغير امره فاعتزل الاكراد مع وزيره تاج الملك ابي نصر بن بهرام الى قلعة برجين فسار الاتراك اليهم فحصروهم ولم يلتفتوا الى شمس الدولة فكتب الوزير الى ابي جعفر بن كاكويه صاحب اصبهان يستنجده وعين له ليلة يكون قدوم العساكر اليه فيها بغتة ليخرج هو ايضا تلك الليلة ليكبسوا الاتراك ففعل ابو جعفر ذلك وسير الى فارس وضبطوا الطرق لئلا يسبقهم الخبر وكبسوا الاتراك سحرا على غفلة ونزل الوزير والقوهية من القلعة فوضعوا فيهم السيف فاكثروا القتل واخذوا المال ومن سلم من الاتراك نجا فقيرا وفعل شمس الدولة بمن عنده في همذان كذلك واخرجهم فمضى ثلثمائة منهم الى كرمان وخدموا أبا الفوارس بن بهاء الدولة صاحبها

(ذكر القبض على ابي القاسم المغربي وابن فهد)

في هذه السنة قبض معتمد الدولة قرواش بن المقلد على وزيره ابي القاسم المغربي وعلى ابي القاسم سليمان بن فهد بالموصل وكان ابن فهد يكتب في حداثته بين يدي الصابي وخدم المقلد بن المسيب واصعدا الى الموصل واقتنى بها ضياعا ونظر فيها لقرواش فظلم اهلها وصادرهم ثم سخط قرواش عليهما فحبسهما وطالب سليمان بالمال فادعى الفقر فقتل واما المغربي فانه خدع قرواشا ووعده بمال له في الكوفة وبغداد فامر بحمله وترك وفي قرواش وابن فهد والبرقعيدي وابي جابر يقول الشاعر وهو ابن الزمكدم ماد حالابن قرواش هاجيا للباقين

وليل كوجه البرقعيدي ظلمة • وبرد اغانيه وطول قرونه
سريت ونومي فيه نوم مشرد • كعقل سليمان بن فهد ودينه
على اولق فيه التفات كانه • ابو جابر في خطبه وجنونه
الى ان بدا ضوء الصباح كانه • سنا وجه قرواش وضوء جبينه

وهذه الابيات قد اجمع اهل البيان على انها غاية في الجودة لم يقل خير منها في معناها

(ذكر الحرب بين قرواش وغريب بن معن)

والتدريس بسبب ذلك وبسبب اولاد سعد الخادم سدنة ضريح سيدي أحمد البدوي وقد كانوا شكوا بعضهم بعضا وتعين بسبب ذلك كاشف على احمد بن الخادم وهجم داره وقبض على بناته ونسائه ونبشوا داره وحفروا أرضها للتفتيش على المال وطالت قصتهم من اواخر الشهر الماضي لوقت تاريخه وتكلم المشايخ مرارا مع الباشا في أمرهم وهو يغالط طمعا في المال وقد كان سمع نهمتهم بكثرة المال وان محمد باشا خسرو اخذ منهم سابقا في ايام ولايته مائة وخمسة وثمانين الف ريال خلاف حق الطريق وذلك من مصطفى الخادم وهو الذي يشكو الآن قسيمه ويقول انه هو الذي شكاني وتسبب في مصادرتي وهو مثلي في الايراد وعنده مثل ما عندي فلما حضروا الدار وفتشوا وقرروا نساءه وأتباعه فلم يظهر له شئ فادرجوا هذه القضية في دعوة المقتول وامتنعوا من حضورهم الازهر وأشيع امتناعهم من التدريس والافتاء فحضر اليهم سعيد أغا الوكيل وتلطف بهم وطلب منهم تسكين هذه الفتنة وانه يتكفل بتمام المطلوب واستمر الحال على ذلك الى يوم الثلاثاء تاسع عشره فحضر

في هذه السنة في ربيع الاول اجتمع غريب بن معن ونور الدولة دبيس بن علي بن مزيد الاسدي واتاهم عسكر من بغداد فقاتلوا قرواشا ومعه رافع بن الحسين عند كرخ سر من راى فانهزم قرواش ومن معه واسر في المعركة ونهبت خزائنه واثقاله واستجار رافع بغريب ففتحوا تكريت عنوة وعاد عسكر بغداد اليها بعد عشرة ايام ثم ان قرواشا خلص وقصد سلطان بن الحسين بن ثمال امير خفاجة فسار اليهم جماعة من الاتراك فعاد قرواش وانهزم ثانيا هو وسلطان وكانت الوقعة بينهم غربي الفرات ولما انهزم قرواش مد نواب السلطان ايديهم الى اعماله فارسل يسأل الصفح عنه ويبذل الطاعة

(ذكر عدة حوادث)

فيها اغارت زناتة بافريقية على دواب المعز بن باديس صاحب البلاد ليأخذوها فخرج اليهم عامل مدينة قابس فقاتلهم فهزمهم وفيها في ربيع الآخر نشأت سحابة بافريقية ايضا شديدة البرق والرعد فامطرت حجارة كبيرة ما رأى الناس اكبر منها فاهلكت كل من أصابه شئ منها وفيها توفي أبو بكر محمد بن عمر العنبري الشاعر وديوانه مشهور ومن قوله

ذنبي الى الدهر أني لم امد يدي ◆ في الراغبين ولم اطلب ولم اسل
وأنني كلما نابت نوائبه ◆ ألفيتني بالرزايا غير محتفل

(ثم دخلت سنة اثنتي عشرة واربعمائة)

(ذكر الخطبة لمشرف الدولة ببغداد وقتل وزيره ابي غالب)

في هذه السنة في المحرم قطعت خطبة سلطان الدولة من العراق وخطب لمشرف الدولة فطلب الديلم من مشرف الدولة ان ينحدروا الى بيوتهم بخوزستان فاذن لهم وامر وزيره ابا غالب بالانحدار معهم فقال له اني ان فعلت خاطرت بنفسي ولكن ابذلها في خدمتك ثم انحدر في العساكر فلما وصل الى الاهواز نادى الديلم بشعار سلطان الدولة وهجموا على ابي غالب فقتلوه فسار الاتراك الذين كانوا معه الى طراد بن دبيس الاسدي بالجزيرة التي لبني دبيس ولم يقدروا ان يدفعوا عنه فكانت وزارته ثمانية عشر شهرا وثلاثة ايام وعمره ستين سنة وخمسة اشهر فاخذ ولده ابو العباس وصودر على ثلاثين الف دينار فلما بلغ سلطان الدولة قتله اطمان وقويت نفسه وكان قد خافه وانفذ ابنه ابا كاليجار الى الاهواز فملكها

(ذكر وفاة صدقة صاحب البطيحة)

في هذه السنة مرض صدقة صاحب البطيحة فقصدها ابو الهيجاء محمد بن عمران بن شاهين ليملكها وكان ابو الهيجاء بعد موت أبيه قد تغرق في البلاد تارة بمصر وتارة عند بدر ابن حسنويه وتارة بينهما فقصد الوزير أبو غالب انه قد عليه لادب كان فيه فكاتبه بعض اهل البطيحة ليسلموا البلد فسار اليهم فسمع به صدقة قبل موته بيومين فسير اليه جيشا فقاتلوه فانهزم أبو الهيجاء وأخذ أسيرا فاراد استبقاءه فمنعه سابور بن المرزبان بن

كتخدا الباشا وسعيد أغا وصالح أغا الى بيت الشيخ الشرقاوي واجتمع هناك الكثير من المتعممين وتكلموا كثيرا ورعوا المراتب وقالوا لا بد من حضور الخصم القاتل والمرافعة معه الى الشرع ورفع الظلم عن اولاد المخادم وعن الفلاحين وأمثال ذلك وهم يقولون في الجواب سمعا وطاعة في كل ما تأمرون به وانقضى المجلس على ذلك وذهبوا حيث اتوا فلما كان العصر من ذلك اليوم حضر سعيد أغا وصحبته القاتل الى المحكمة وأرسلوا الى المشايخ فحضروا بالمجلس واقيمت الدعوى وحضر ابن المقتول وادعى بقتل أبيه وذكر أنه خبر قبل خروج روحه أن القاتل له الكاشف صاحب المنزل فسئل فانكر ذلك وقال انه كان اماما عنده يصلي به الاوقات وانه لم يات الينا تلك الليلة التي حصل له فيها هذا الحادث فطلب القاضي من ابن المقتول بينة تشهد بقول أبيه فلم يجدوا الا شخصا سمع من المقتول ذلك القول وافتى المالكي انه يعتبر قول المقتول في مثل ذلك لانه في حالة يستحيل عليه فيها الكذب وذلك نص مذهبهم ولا بد من بينة تشهد على قوله فطلب القاضي الشطر الثاني فلم يوجد على أن هناك من كان حاضرا بالمجلس وقت الضرب ومشاهد الحادثة

مروان وقتله بيده ثم توفى صدقة بعد قتله فى صفر فاجتمع أهل البطيحة على ولاية سابور ابن المرزبان فوليهم وكتب الى مشرف الدولة يطلب ان يقرر عليه ما كان على صدقة من الحمل ويستعمل على البطيحة فاجابه الى ذلك وزاد فى القرار عليه واستقر فى الامر ثم ان ابا نصر شيرزاد بن الحسن بن مروان زاد فى المقاطعة فلم يدخل سابور فى الزيادة فولى ابو نصر البطيحة وسار اليها وفارقها سابور الى جزيرة بنى دبيس واستقر ابو نصر فى الولاية وأمنت به الطرق

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة توفى على بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب المشهور واليه انتهى الخط ودفن بجوار أحمد بن حنبل وكان يقص بجامع بغداد ورثاه المرتضى وقيل كان موته سنة ثلاث عشرة واربعمائة وفيها حج الناس من العراق وكان قد انقطع سنة عشر وسنة احدى عشرة فلما كان هذه السنة قصد جماعة من أعيان خراسان السلطان محمود ابن سبكتكين وقالوا له أنت أعظم ملوك الاسلام وأثرك فى الجهاد مشهور والحج قد انقطع كما ترى والتشاغل به واجب وقد كان بدر بن حسنويه وفى أصحابك كثير اعظم منه يسير الحاج بتدبيره وماله عشرين فاجعل لهذا الامر حظا من اهتمامك فتقدم الى أبى محمد الناصحى قاضى قضاة بلاده بان يسير بالحاج وأعطاه ثلاثين الف دينار يعطيها للعرب سوى النفقة فى الصدقات ونادى فى خراسان بالتاهب للحج فاجتمع خلق عظيم وساروا وحج بهم ابو الحسن الاقساسى فلما بلغوا فيد حصرهم العرب فبذل لهم الناصحى خمسة آلاف دينار فلم يقنعوا وصمموا العزم على أخذ الحاج وكان مقدمهم رجلا يقال له جماز بن عدى بضم العين من بنى نبهان فركب فرسه وعليه درعه وسلاحه وجال جولة يرهب بها وكان من سمرقند شاب يوصف بجودة الرمى فرماه بسهم فقتله وتفرق أصحابه وسلم الحاج فحجوا وعادوا سالمين وفيها قلد أبو جعفر السمنانى الحسبة والمواريث ببغداد والموتى وتوفى هذه السنة ابو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله المالينى الصوفى بمصر فى شوال وهو من المكثرين فى الحديث ومحمد بن أحمد بن محمد بن رزق البزاز المعروف بابن رزقويه شيخ الخطيب ابى بكر ومولده سنة خمس وعشرين وثلثمائة وكان فقيها شافعيا وأبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى الصوفى النيسابورى صاحب طبقات الصوفية وأبو على الحسن بن على الدقاق النيسابورى الصوفى شيخ ابى القاسم القشيرى وأبو الفتح بن ابى الفوارس

(ثم دخلت سنة ثلاث عشرة واربعمائة)

(ذكر الصلح بين سلطان الدولة ومشرف الدولة)

فى هذه السنة اصطلح سلطان الدولة وأخوه مشرف الدولة وحلف كل واحد منهما لصاحبه وكان الصلح بسعى من ابى محمد بن مكرم ومؤيد الملك الرخجى وزير مشرف الدولة على ان يكون العراق جميعه لمشرف الدولة وفارس وكرمان لسلطان الدولة

وكتم الشهادة خوفا على نفسه وانفض المجلس واهمل الامر حتى ياتوا بالبينة (وفى يوم الاحد) عزم على السفر محمد افندى حاكم اسنا سابقا بمراكب الذخيرة والجبخانه واللوازم وصحبته عدة من العسكر لمحافظتها

(شهر الحجة الحرام اختتام سنة ١٢١٩)

استهل بيوم الاحد (فى سابعه) وردت اخبار بوقوع حرب بين العسكر والمصريين القبليين وهو ان العسكر جاؤا على المنية على حين غفلة وملكوها فاجتمعت عليهم الغز والعربان وكبسوا عليهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأخرجوهم منها وأجلوهم عنها ثانيا وذلك فى سابع عشرين القعدة (وفى يوم الاحد ثامنه) طلع يوسف افندى الذى كان تولى نقابة الاشراف فى ايام محمد باشا ثم عزل عنها الى القلعة فقبض عليه صالح اغا قوش وضربه ضربا مبرحا وأهانه اهانة زائدة وانزلوه اواخر النهار وحبسوه ببيت عمر افندى النقيب ثم تشفع فيه الشيخ السادات فافرجوا عنه ثالث الليلة وذهب الى داره ليلا وذلك بسبب دعوى تصدر فيها المذكور وتكلم كلاما فى حق الباشا فعقدوا عليه ذلك وفعلوا معه ما فعلوا ولم ينتطح فيها عنزان (وفى ثالث عشره) طلع المشايخ

(ذكر قتل المعز وزيره وصاحب جيشه)

فى هذه السنة قتل المعز بن باديس صاحب افريقية وزيره وصاحب جيشه أبا عبد الله محمد بن الحسن وسبب ذلك انه أقام سبع سنين لم يحمل الى المعز من الاموال شيئا بل يجبيها ويرفعها عنده وطمع طمعا عظيما لا يصبر على مثله بكثرة اتباعه ولان اخاه عبد الله بطرابلس الغرب يجاور زناتة وهم اعداء دولته فصار المعز لا يكاتب ملكا ولا يراسله الا و يكتب أبو عبد الله معه عن نفسه فعظم ذلك على المعز فقتله (يحكى عن أبى عبد الله) انه قال سهرت ليلة أفكر فى شئ أحدثه فى الناس واخرجه عليهم من الخدم التى التزمتها فنمت فرأيت عبد الله بن محمد الكاتب وكان وزير الباديس والد هذا المعز وكان عظيم القدر والمحل وهو يقول لى اتق الله أبا عبد الله فى الناس كافة وفى نفسك خاصة فقد اسهرت عينيك واتعبت حافظيك وقد بدا لى منك ما خفى عليك وعن قليل ترد على ما وردنا وتقدم على ما قدمنا فاكتب عنى ما اقول فانى لا اقول الا حقا فاملى على هذه الابيات

وليت وقد رأيت مصير قوم * هم كانوا السماء وكنت أرضا
سموا درج العلا حتى اطمانوا * وهدبهم فعاد الرفع خفضا
وأعظم أسوة لك بى لانى * ملكت ولم امش طولا وعرضا
فلا تغتر بالدنيا وأقصر * فان اوان أمرك قد تقضى

قال فانتبهت مرعوبا ورسخت الابيات فى حفظى فلم يبق بعد هذا المنام غير شهرين حتى قتل ولما وصل خبر قتله الى اخيه عبد الله بطرابلس بعث الى زناتة فعاهدهم وأدخلهم مدينة طرابلس فقتلوا من كان فيها من صنهاجة وسائر الجيش وأخذوا المدينة فلما سمع المعز ذلك أخذ اولاد عبد الله ونفرا من اهله فحبسهم ثم قتلهم بعد أيام لان نساء المقتولين بطرابلس استغاثوا الى المعز فى قتلهم فقتلهم

(ذكر عدة حوادث)

وفيها كان بافريقية غلاء شديد ووباء عظيم لم يكن مثلها فى تعذر الاقوات الا انه لم يمت فيها احد بسبب الجوع ولم يجد الناس كبير مشقة وفيها فى شهر رمضان استوزر مشرف الدولة أبا الحسين بن الحسن الرخجى ولقبه مؤيد الملك وامتدحه مهيار وغيره من الشعراء و بنى مارستانا بواسط وأكثر فيه من الادوية والاشربة ورتب له الخزان والاطباء ووقف عليه الوقوف الكثيرة وكان يعرض عليه الوزارة فيأباها فلما قتل أبو غالب الزمه بها مشرف الدولة فلم يقدر على الامتناع وفيها توفى أبو الحسن على بن عيسى السكرى شاعر السنة ومولده ببغداد فى صفر سنة سبع وخمسين وثلثمائة وكان قد قرأ الكلام على القاضى أبى بكر بن الباقلانى وانما سمى شاعر السنة لانه اكثر مدح الصحابة ومناقضات شعراء الشيعة وفيها توفى ابو على عمر بن محمد بن عمر العلوى وأخذ السلطان ماله جميعه وفيها توفى ابو عبد الله بن المعلم فقيه الامامية

لى الباشا يهنؤنه بالعيد فاخرج لهم ورقة حضرت اليمن محمد أفندى حاكم اسنا سابقا الذى سافر الذخيرة آنفا واستمر ينبو ويسوف ولم يقدر على الذهاب الى قبلى ومضمون تلك الورقة ان البرديسى قتل الالفى غيلة ولم يكن لهذا الكلام صحة (وفيه) وردت أخبار بقدوم طائفة من الدلاة على طريق الشام وبالغوا فى عددهم فيقولون اثنا عشر الف وأكثر وانهم وصلوا الى الصالحية وانهم طالبون علوفة وذخيرة فشرعوا فى تشهيل ملاقاة المذكورين وطلبوا من تجار البهار خمسمائة كيس وزعوها وشرعوا فى جمعها (وفيه) وصلت طائفة من القبائل والعرب الى بلاد الجيزة وطلبوا من البلاد دراهم وكلفا ومن عصى عليهم من البلاد ضربوه وعدى كتخدا الباشا وجملة من العساكر الى بر الجيزة وشرعوا فى تحصينها وعملوا بها متاريس وتردد الكتخدا فى النزول والتعدية الى هناك والرجوع ثم انه عدى فى رابع عشره وأقام هناك واحضروا ثلاثة رؤس من العرب فى ذلك اليوم وفى يوم الجمعة رجع الكتخدا واشيع رجوع المذكورين (وفيه) فرضوا فردة اخرى على البلاد لاجل عسكر الدلاة القادمين وجعلوا على كل بلد عشرين اردب فول وعشرين خروفا وعشرين رطل سمن وعشرين

ورثاه

ورثاه المرتضى

●(ثم دخلت سنة اربع عشرة واربعمائة)●

●(ذكر استيلاء علاء الدولة على همذان)●

فى هذه السنة استولى ابو جعفر بن كاكويه على همذان وملكها وكذلك غيرها مما يقاربها وسبب ذلك ان فرهاذ بن مرداويج الديلمى مقطع بروجرد قصده سماء الدولة ابو الحسن بن شمس الدولة بن بويه صاحب همذان وحصره فالتجا فرهاذ الى علاء الدولة فحماه ومنع عنه وسارا جميعا الى همذان فحصراها وقطعا الميرة عنها فخرج اليهما من بها من العسكر فاقتتلوا فرحل علاء الدولة الى جرباذقان فهلك من عسكره ثلثمائة رجل من شدة البرد فسار اليه تاج الملك القوهى مقدم عسكر همذان فحصره بها فصانع علاء الدولة الاكراد الذين مع تاج الملك فرحلوا عنه فخلص من الحصار وشرع يتجهز ليعاود حصار همذان فاكثر من الجموع وسار اليها فلقيه سماء الدولة فى عساكره ومعه تاج الملك فاقتتلوا فانهزم عسكر همذان ومضى تاج الملك الى قلعة فاحتمى بها وتقدم علاء الدولة الى سماء الدولة فترجل له وخدمه واخذه وانزله فى خيمته وحمل اليه المال وما يحتاج اليه وسار وهو معه الى القلعة التى بها تاج الملك فحصره وقطع الماء عن القلعة فطلب تاج الملك الامان فامنه فنزل اليه ودخل معه همذان ولما ملك علاء الدولة همذان سار الى الدينور فملكها ثم الى سابور خواست فملكها أيضا وجمع تلك الاعمال وقبض على أمراء الديلم الذين بهمذان وحبسهم بقلعة عند اصبهان وأخذ أموالهم واقطاعهم وأبعد كل من فيه شر من الديلم وترك عنده من يعلم انه لا شر فيه وأكثر القتل فقامت هيبته وخافه الناس وضبط المملكة وقصد حسام الدولة أبا الشوك فارسل اليه مشرف الدولة يشفع فيه فعاد عنه

●(ذكر وزارة أبى القاسم المغربى لمشرف الدولة)

فى هذه السنة قبض مشرف الدولة على وزيره مؤيد الملك الرخجى فى شهر رمضان وكانت وزارته سنتين وثلاثة أيام وكان سبب عزله ان الاثير الخادم تغير عليه لانه صادر ابن شعيا اليهودى على مائة ألف دينار وكان متعلقا بالاثير فسعى فى عزله واستوزر بعده أبا القاسم الحسين بن على بن الحسين المغربى ومولده بمصر سنة سبعين وثلثمائة وكان أبوه من أصحاب سيف الدولة بن حمدان فسار الى مصر فتولى بها فقتله الحاكم وهرب ولده أبو القاسم الى الشام وقصد حسان بن المفرج بن الجراح الطائى وحمله على مخالفة الحاكم والخروج عن طاعته ففعل ذلك وحسن له ان يبايع أبا الفتوح الحسن ابن جعفر العلوى أمير مكة فاجابه اليه واستقدمه الى الرملة وخوطب بامير المؤمنين فانفذ الحاكم الى حسان مالا جليلا وأفسد معه حال أبى الفتوح فاعاده حسان الى وادى القرى وسار أبو الفتوح منه الى مكة ثم قصد أبو القاسم العراق واتصل بفخر الملك فاتهمه القادر بالله لانه من مصر فابعده فخر الملك فقصد قرواشا بالموصل فكتب

رطل بن وعشرة قناطير ١٣٧ قمش وربع اردب وسلمن ارز أبيض ومثله برغل وكلفة المطبخ الفضة وذلك خلاف حق الطريق والاستعجالات المتتابعة وكلها بعفروات وحق طرقات (وفى يوم الاربعاء ثامن عشره) حضر ططرى من ناحية قبلى وأخبر ان العسكر دخلوا الى المنية وملكوها وضربوا مدافع كثيرة من القلعة وعملوا شنكا وأظهر العثمانية واغراضهم الفرح والسرور وكانهم ملكوا مالطة وبالغوا فى الاخبار والروايات الكذب فى القتلى وغير ذلك والحال ان الاخصام خرجوا منها وزحموها ولم يبقوا بها ما ينقره الطير ولم يقع بينهم كبير قتال بل ان العسكر لما دهموها من الناحية القبلية ولم يكن بها الا القليل من المصريين وباقيهم خارجها من الناحية الاخرى فتضاربوا مع من بها وهزموهم فولى أصحابهم وتركوهم بالبلدة فدخلوها فلم يجدوا بها شيئا (وفى يوم الخميس) وصل أغات المقرر وهو عبد أسود وطلع الى القلعة بموكب وعملوا له شنكا ومدافع وقرؤا المقرر فى ذلك اليوم بحضرة الجمع (وفى يوم الاحد ثانى عشرينه) وصلت طائفة من العرب بناحية الجيزة فوصل الخبر الى الكاشف الذى بها وهو دملى عثمان كاشف الذى قبل الشيخ أحمد

له ثم عادعنه وتنقلت به الحال الى ان وزر بعد مؤيد الملك الرخجي وكان خبيثا محتالا حسودا اذا دخل عليه ذو فضيلة ساله عن غيرها ليظهر للناس جهله وفيها في المحرم قدم مشرف الدولة الى بغداد ولقيه القادر بالله في الطيار وعليه السواد ولم يلق قبله احدا من ملوك بني بويه وفيها قتل أبو محمد بن سهلان قتله تبكير بن عياض عند ايذج

﴿ذكر الفتنة بمكة﴾

في هذه السنة كان يوم النفر الاول يوم الجمعة فقام رجل من مصر باحدى يديه سيف مسلول وفي الاخرى دبوس بعد ما فرغ الامام من الصلاة فقصد ذلك الرجل الحجر الاسود كأنه يستلمه فضرب الحجر ثلاث ضربات بالدبوس وقال الى متى يعبد الحجر الاسود ومحمد وعلي فليمنعني مانع من هذا فاني أريد أن أهدم البيت فخاف أكثر الحاضرين وتراجعوا عنه وكاد يفلت فثار به رجل فضربه بخنجر فقتله وقطعه الناس وأحرقوه وقتل ممن اتهم بمصاحبته جماعة وأحرقوا وثارت الفتنة وكان الظاهر من القتلى أكثر من عشرين رجلا غير ما اختفى منهم والح الناس ذلك اليوم على المغاربة والمصريين بالنهب والسلب وعلى غيرهم في طريق منى الى البلد فلما كان الغد ماج الناس واضطربوا واخذوا اربعة من اصحاب ذلك الرجل فقالوا نحن مائة رجل فضربت اعناق هؤلاء الاربعة وتقشر بعض وجه الحجر من الضربات فاخذ ذلك الفتات وعجن بلك واعيد الى موضعه

﴿ذكر فتح قلعة من الهند﴾

في هذه السنة اوغل يمين الدولة محمود بن سبكتكين في بلاد الهند فغنم وقتل حتى وصل الى قلعة على راس جبل منيع ليس له مصعد الا من موضع واحد وهي كبيرة تسع خلقا وبها خمسمائة فيل وفي راس الجبل من الغلات والمياه وجميع ما يحتاج الناس اليه فحصرهم يمين الدولة وأدام الحصار وضيق عليهم واستمر القتال فقتل منهم كثير فلما راوا ما حل بهم اذعنوا له وطلبوا الامان فامنهم واقر ملكهم فيها على خراج ياخذه منه واهدى له هدايا كثيرة منها طائر على هيئة القمري من خاصيته اذا احضر الطعام وفيه سم دمعت عيناهذا الطائر وجرى منها ماء وتحجر فاذا حك وجعل على الجراحات الواسعة الحمها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فيها توفي القاضي عبد الجبار بن احمد المعتزلي الرازي صاحب التصانيف المشهورة في الكلام وغيره وكان موته بمدينة الري وقد جاوز تسعين سنة وابو عبد الله الكشفلي الفقيه الشافعي وابو جعفر محمد بن احمد الفقيه الحنفي النسفي وكان زاهدا مصنفا وهلال ابن محمد بن جعفر ابو الفتح الحفار ومولده سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وكان عالما بالحديث عالي الاسناد

﴿ثم دخلت سنة خمس عشرة واربعمائة﴾

ذكر

البراقي المتقدم ذكره فانه بعد تلك الحادثة قلدوه كشوفية البحيرة وذهب اليها واقام بها قليلا بلغه ذلك ركب على الفور في نحو خمسة وعشرين خيالا ورمحوا عليهم فانهزموا امامهم فطمع فيهم وذهب خلفهم الى ناحية برنشت فخرج عليه كمين آخر واحتاطوا به وقتلوه وقطعوا رأسه وستة أنفار معه وذهبوا بروسهم على مزاريق واقتص الله منه فكان بينه وبين قتله المذكور دون الشهر وكان مشهورا فيهم بالشجاعة والاقدام (وفيه) اجتهدوا في تشهيل علوفة وذخيرة وجبخانه وسفروها مع جملة من العسكر نحو الخمسمائة في يوم الاثنين ثالث عشرينه (وفي يوم الاربعاء خامس عشرينه) وصل الدلاة الى الخانكه فحضر منهم طائفة ودخلوا الى مصر فردوهم الى اصحابهم حتى يكونوا بصحبتهم في الدخول (وفي يوم الخميس) نزل كتخدا الباشا وصالح اغا قوش وخرجوا الى جهة العادلية لملاقاة الدلاة المذكورين وكبيرهم يقال له ابن كور عبد الله (وفي يوم الجمعة) دخل الدلاة المذكورون وصحبتهم الكتخدا وصالح اغاقوش وكاشف الشرقية وكاشف القليوبية وطوائف العسكر ومعهم نقاقير وطبول وهم نحو الالفين وخمسمائة اجناس مختلفة واشكال مجتمعة

(ذكر الخلاف بين مشرف الدولة والاتراك وعزل الوزير المغربي)

في هذه السنة تأكدت الوحشة بين الاثير عنبر الخادم ومعه الوزير ابن المغربي وبين الاتراك فاستأذن الاثير والوزير ابن المغربي الملك مشرف الدولة في الانتزاح الى بلد يامنان فيه على انفسهما فقال انا اسير معكما فساروا جميعا ومعهم جماعة من مقدمي الديلم الى السندية وبها قرواش فانزلهم ثم ساروا كلهم الى أوانا فلما علم الاتراك ذلك عظم عليهم وانزعجوا منه وارسلوا المرتضى وأبا الحسن الزينبي وجماعة من قواد الاتراك يعتذرون ويقولون نحن العبيد فكتب اليهم أبو القاسم المغربي انني تاملت ما لكم من الجامكيات فاذا هي ستمائة ألف دينار وعملت دخل بغداد فاذا هو اربعمائة ألف دينار فان اسقطتم مائة ألف دينار تحملت بالباقي فقالوا نحن نسقطها فاستشعر منهم أبو القاسم المغربي فهرب الى قرواش فكانت وزارته عشرة أشهر وخمسة ايام فلما بعد خروج الاتراك فسالوا الملك والاثير الانحدار معهم فاجابهم الى ذلك وانحدروا جميعهم

(ذكر الفتنة بالكوفة ووزارة ابي القاسم المغربي لابن مروان)

في هذه السنة وقعت فتنة بالكوفة بين العلويين والعباسيين وسببها ان المختار أبا على ابن عبيد الله العلوي وقعت بينه وبين الزكي أبي على النهرسابسي وبين أبي الحسن على ابن أبي طالب بن عمر مباينة فاعتضد المختار بالعباسيين فساروا الى بغداد وشكوا ما يفعل بهم النهرسابسي فتقدم الخليفة القادر بالله بالاصلاح بينهم مراعاة لابي القاسم الوزير المغربي لان النهرسابسي كان صديقه وابن أبي طالب كان صهره فعادوا واستعان كل فريق بخفاجة فاعان كل فريق من الكوفيين طائفة من خفاجة فجرى بينهم قتال فظهر العلويون وقتل من العباسيين ستة نفر واحرقت دورهم ونهبت فعادوا الى بغداد ومنعوا من الخطبة يوم الجمعة وثاروا وقتلوا ابن أبي العباس العلوي وقالوا ان أخاه كان في جملة الفتكة بالكوفة فبرز أمر الخليفة الى المرتضى بامره بصرف ابن أبي طالب عن نقابة الكوفة وردها الى المختار فانكر الوزير المغربي ما يجرى على صهره ابن أبي طالب من العزل وكان عند قرواش بسر من رأى فاعترض ارحاء كانت للخليفة بدرزيجان فارسل الخليفة القاضي أبا جعفر السمناني في رسالة الى قرواش يامره بابعاد المغربي عنه ففعل فسار المغربي الى ابن مروان بديار بكر وغضب الخليفة على النهرسابسي وبقي تحت السخط الى سنة ثمان عشرة واربعمائة فشفع فيه الاتراك وغيرهم فرضي عنه وحلفه على الطاعة فحلف

(ذكر وفاة سلطان الدولة وملك ولده ابي كاليجار وقتل ابن مكرم)

في هذه السنة في شوال توفي الملك سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة ابي نصر بن عضد الدولة بشيراز وكان عمره اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر وكان ابنه أبو كاليجار بالاهواز فطلبه الاوحد أبو محمد بن مكرم ليملك بعد أبيه وكان هواه معه وكان الاتراك يريدون عمه أبا الفوارس بن بهاء الدولة صاحب كرمان فكاتبوه يطلبونه اليهم أيضا

فذهبوا بهم الى ناحية مصر القديمة ونواحي الآثار وانقضت السنة وما حصل بها من الغلاء وتتابع المظالم والفرد على البلاد واحداث الباشا له مرتبات وشهريات على جميع البلاد والقبض على افراد الناس بادنى شبهة وطلب الاموال منهم وحبسهم واشتد الضنك في آخر السنة وعدم القمح والفول والشعير وغلا ثمن كل شئ ولولا اللطف على الخلائق بوجود الذرة حتى لم يبق بالرقع والعرصات سواه واستمرت سواحل الغلال خالية من الغلة هذا العام من العام الماضي وبطول هذه السنة وامتنع الوارد من الجهة القبلية وبطلت ٢ وقل وجودها وغلا ثمنها ومع ذلك اللطف حاصل من المولى جل شانه ولم يقع قحط ولا موت من الجوع كما راينا في الغلوات السابقة من عدم الخبز في الاسواق وخطف اطباق العيش والكعك واكل القشور وما يتساقط في الطرقات من قشور الخضراوات وغير ذلك وكان النيل من المعتاد وكثرة مجيء الغلال من جميع النواحي حتى من الشام والروم بخلاف هذه السنة

الشراقي في السفة

٢ هكذا بياض بالاصل في جميع النسخ التي بايدينا وهكذا في المحلات الآتية هكذا بهامش النسخة المطبوعة

فتاخر ابو كاليجار عنها فسبقه عمه أبو الفوارس اليها فملكها وكان أبو المكارم بن أبي محمد ابن مكرم قد أشار على أبيه لما رأى الاختلاف ان يسير الى مكان يأمن فيه على نفسه فلم يقبل قوله فسار وتركه وقصد البصرة فندم أبوه حيث لم يكن معه فقال له العادل أبو منصور بن مافنة المصلحة ان تقصد سيراف وتكون مالك أمرك وابنك أبو القاسم بعمان فتحتاج الملوك اليك فركب سفينة ليمضي اليها فاصابه برد فبطل عن الحركة وأرسل العادل بن مافنة الى كرمان لاحضار ابي الفوارس فسار اليه العادل وأبلغه رسالة ابن مكرم باستدعائه فسار مجدا ومعه العادل فوصلوا الى فارس وخرج ابن مكرم يلقى أبا الفوارس ومعه الناس فطالبه الاجناد بحق البيعة فاحالهم على ابن مكرم فتضجر ابن مكرم فقال له العادل الرأى ان تبذل مالك وأموالنا حتى تمشي الامور فانتهره فسكت وتلوم ابن مكرم بايصال المال الى الاجناد فشكوه الى ابي الفوارس فقبض عليه وعلى العادل بن مافنة ثم قتل ابن مكرم واستبقى ابن مافنة فلما سمع ابنه ابو القاسم بقتله صار مع الملك ابي كاليجار واطاعه وتجهز ابو كاليجار وقام بامره ابو مزاحم صندل الخادم وكان مربيه وسار وابا العساكر الى فارس فسير عمه ابو الفوارس عسكرا مع وزيره ابي منصور الحسن بن علي الفسوي لقتاله فوصل ابو كاليجار والوزير متهاون به لكثرة عسكره فاتوه وهو نائم وقد تفرق عسكره في البلد يبتاعون ما يحتاجون اليه وكان جاهلا بالحرب فلما شاهدوا اعلام ابي كاليجار شرع الوزير يرتب العسكر وقد داخلهم الرعب فحمل عليهم أبو كاليجار وهم على اضطراب فانهزموا وغنم ابو كاليجار وعسكره أموالهم ودوابهم وكل مالهم فلما انتهى خبر الهزيمة الى عمه ابي الفوارس سار الى كرمان وملك ابو كاليجار بلاد فارس ودخل شيراز

(ذكر عود ابي الفوارس الى فارس واخراجه عنها)

ولما ملك ابو كاليجار بلاد فارس ودخل شيراز جرى على الديلم الشيرازية من عسكره ما أخرجهم عن طاعته وتغيروا معه انهم كانوا اقتتلوا مع عمه وكان جماعة من الديلم بمدينة فسا في طاعة ابي الفوارس وهم يريدون ان يصلحوا احالهم مع ابي كاليجار ويصيروا معه فارسل اليهم الديلم الذين بشيراز يعرفونهم ما يلقون من الاذى ويأمرونهم بالتمسك بطاعة ابي الفوارس ففعلوا ذلك ثم ان عسكر ابي كاليجار طالبوه بالمال وشغبوا عليه فاظهر الديلم الشيرازية ما في نفوسهم من الحقد فعجز عن المقام معهم فسار عن شيراز الى النوبندجان ولقي شدة في طريقه ثم انتقل عنها لشدة حرها ووخامة هوائها ومرض أصحابه فاتى شعب بوان فاقام به فلما سار عن شيراز ارسل الديلم الشيرازية الى عمه ابي الفوارس يحثونه على المجيء اليهم ويعرفونه بعد أبي كاليجار عنهم فسار اليهم فسلموا اليه شيراز وقصد الى أبي كاليجار بشعب بوان ليحاربه ويخرجه عن البلاد فاختار العسكران الصلح فسفروا فيه فاستقر لابي الفوارس كرمان وفارس ولابي كاليجار خوزستان وعاد ابو الفوارس الى شيراز وسار ابو كاليجار الى ارجان ثم ان وزير ابي الفوارس خبط الناس وافسد قلوبهم وصادرهم واجتاز بهمال لابي كاليجار والديلم

الماضية ولم ترفيها وأيناه والتلم والعرى وانقطاع الطريق وتعطيل المتاجر ومن قبلي وبحري وجهات الارزاق وغلو الاثمان ومع قلة المأكولات مع شبع الانفس وعدم القحط وتيسير الامور فسبحان المدبر الفعال وبلغ سعر الاردب القمح الى ثمانية عشر ريالا والفول مثل ذلك والذرة باثني عشر ريالا والسمن أربعمائة واكثر أرطال والعسل النحل خمسة وثلاثين نصفا الرطل والاسود عشرين نصفا والارز بستة وثلاثين ريالا الاردب وقس على ذلك (واما من مات في هذه السنة من الاعيان) فقد مات العمدة العلامة والنحرير الفهامة الفقيه النبيه الاصولي النحوي المنطقي الشيخ موسى السرسي الشافعي أصله من سرس الليانة بالمنوفية وحضر الى الازهر ولازم الاستفادة وحضور الاشياخ من الطبقة الثانية كالشيخ عطية الاجهوري والشيخ عيسى البراوي والشيخ محمد الفرماوي وغيرهم ومهر وانجب في المعقولات والمنقولات واقراء الدروس وأفاد الطلبة وانطوى الى الشيخ حسن الكفراوي مدة ورافقه في الافتاء والقضايا بهم الى شيخنا

الذين

الذين معه فأخذه فيه ثم بعث العادل بن مافنة صندلا الخادم على العود الى شيراز وكان قد فارق بها نعمة عظيمة وصار مع ابى كاليجار وكان الديلم يطيعونه فعادت الحال الى أشد ما كانت عليه فسار كل واحد من أبى كاليجار وعمه ابى الفوارس الى صاحبه والتقوا واقتتلوا فانهزم ابو الفوارس الى دارابجرد وملك ابو كاليجار فارس وعاد ابو الفوارس فجمع الاكراد فاكثر فاجتمع معه منهم نحو عشرة آلاف مقاتل فالتقوا بين البيضاء واصطخر فاقتتلوا اشد من القتال الاول فعاد ابو الفوارس المنهزم فعاد الى كرمان واستقر ملك ابى كاليجار بفارس سنة سبع عشرة وأربعمائة وكان أهل شيراز يكرهونه

ذكر خروج زناتة والظفر بهم

فى هذه السنة خرج بافريقية جمع كثير من زناتة فقطعوا الطريق وأفسدوا بقسطيلية ونفزاوة وأغاروا وغنموا واشتدت شوكتهم وكثر جمعهم فسير اليهم المعز بن باديس جيشا من عبيده وأمرهم أن يجدوا السير ويسبقوا اخبارهم ففعلوا ذلك وكتموا خبرهم وطووا المراحل حتى أدركوهم وهم آمنون من الطلب فوضعوا فيهم السيف فقتل منهم خلق كثير وعلق خمسمائة رأس فى اعناق الخيول وسيرت الى المعز وكان يوم دخولها يوما مشهودا

ذكر عود الحجاج على الشام وما كان من الظاهر اليهم

فى هذه السنة عاد الحجاج من مكة الى العراق على الشام لصعوبة الطريق المعتاد وكانوا لما وصلوا الى مكة بذل لهم الظاهر العلوى صاحب مصر اموالا جليلة وخلعا نفيسة وتكلف شيئا كثيرا واعطى لكل رجل فى الصحبة جملة من المال ليظهر لاهل خراسان ذلك وكان على تسيير الحجاج الشريف ابو الحسن الاقساسى وعلى حجاج خراسان حسنك نائب يمين الدولة بن سبكتكين فعظم ما جرى على الخليفة القادر بالله وعبر حسنك دجلة عندنا وانا وسار الى خراسان وتهدد القادر بالله ابن الاقساسى فمرض فمات ورثاه المرتضى وغيره وارسل الى يمين الدولة فى المعنى فسير يمين الدولة الخلع التى خلعت على صاحبه حسنك الى بغداد فاحرقت

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة تزوج السلطان مشرف الدولة بابنة علاء الدولة بن كاكويه وكان الصداق خمسين الف دينار وتولى العقد المرتضى وفيها قلد القاضى ابو جعفر السمنانى قضاء الرصافة وباب الطاق وفيها توفى ابو الحسن على بن محمد السمسمى الاديب وابن الدقاق النحوى وابو الحسين بن بشران المحدث وعمره سبع وثمانون سنة والقاضى ابو محمد بن ابى حامد المروروذى قاضى البصرة بها وابو الفرج احمد بن عمر المعروف بابن المسلمة الشاهد وهو جد رئيس الرؤساء واحمد بن محمد بن احمد بن القاسم ابو الحسن المحاملى الفقيه الشافعى تفقه على ابى حامد وصنف المصنفات المشهورة وعبيد الله بن عمر بن على

وصار من خاصة ملازميه وتخلق باخلاقه وألزم أولاده بحضور دروسه المعقولية وغيرها دون غيره لحسن القائه وجودة تفهيمه وتقريره واشتهر ذكره وراش جناحه وراج أمره بانتسابه للشيخ المذكور واشترى أملاكا واقتنى عقارا بمصر وبيلده مرس ومنوف ومزارع وطواحين ومعاصر واشترى دارا نفيسة بدرب عبد الحق بالازبكية وعدد الازواج واشترى الجوارى والعبيد والحبشيات الحسان وكان حلو المفاكهة حسن المعاشرة عذب الكلام مهذب النفس جميل الاخلاق ودودا قليل الادعاء محبا لاخوانه مستحضرا للفروع الفقهية وكان يكتب على غالب الفتاوى عن لسان الشيخ العروسى ويعتمده فى النقول والاجوبة عن المسائل الغامضة والفروع المشكلة وله كتابات وتحقيقات ولم يزل مشتغلا بشأنه حتى تعلل أياما بدار بميدان القطن مطلة على الخليج وتوفى يوم السبت سادس عشرين جمادى الاولى من السنة (ومات) الجناب المكرم والمشير المفخم الوزير الكبير والدستور الشهير احمد باشا الشهير بالجزار واصله من بلاد البشناق وخدم عند المرحوم على باشا حكيم اوغلى وعمل عنده شقاسيا وحضر

ابن محمد بن الاشرس ابو القاسم المقرى الفقيه الشافعى

ثم دخلت سنة ست عشرة واربعمائة

ذكر فتح سومنات

فى هذه السنة فتح يمين الدولة فى بلاد الهند عدة حصون ومدن وأخذ الصنم المعروف بسومنات وهذا الصنم كان اعظم اصنام الهند وهم يحجون اليه كل ليلة خسوف فيجتمع عنده ما ينيف على مائة الف انسان وتزعم الهنود ان الارواح اذا فارقت الاجساد اجتمعت اليه على مذهب التناسخ فينشئها فيمن شاء وان المد والجزر الذى عنده انما هو عبادة البحر على قدر استطاعته وكانوا يحملون اليه كل علق نفيس ويعطون سدنته كل مال جزيل وله من الموقوف ما يزيد على عشرة آلاف قرية وقد اجتمع فى البيت الذى هو فيه من نفيس الجوهر ما لا يحصى قيمته ولاهل الهند نهر كبير يسمى كنك يعظمونه غاية التعظيم ويلقون فيه عظام من يموت من كبرائهم ويعتقدون انها تساق الى جنة النعيم وبين هذا النهر وبين سومنات نحو مائتى فرسخ وكان يحمل من مائه كل يوم الى سومنات ما يغسل به ويكون عنده من البرهميين كل يوم الف رجل لعبادته وتقديم الوفود اليه وثلثمائة رجل يحلقون رؤس زواره ولحاهم وثلثمائة رجل وخمسمائة أمة يغنون ويرقصون على باب الصنم ولكل واحد من هؤلاء شئ معلوم كل يوم وكان يمين الدولة كلما فتح من الهند فتحا وكسر صنما يقول الهنود ان هذه الاصنام قد سخط عليها سومنات ولو انه راض عنها لاهلك من قصدها بسوء فلما بلغ ذلك يمين الدولة عزم على غزوه واهلاكه ظنا منه ان الهنود اذا فقدوه ورأوا كذب ادعائهم الباطل دخلوا فى الاسلام فاستخار الله تعالى وسار من غزنة عاشر شعبان من هذه السنة فى ثلاثين ألف فارس من عساكره سوى المتطوعة وسلك سبيل الملتان فوصلها منتصف شهر رمضان وفى طريقه الى الهند برية قفر لا ساكن فيها ولا ماء ولا ميرة فتجهز هو وعسكره على قدرها ثم زاد بعد الحاجة عشرين ألف جمل تحمل الماء والميرة وقصد انهلوارة فلما قطع المفازة رأى فى طرفها حصونا مشحونة بالرجال وعندها آبار قد غوروها ليتعذر عليه حصرها فيسر الله تعالى فتحها عند قربه منها بالرعب الذى قذفه فى قلوبهم وتسلمها وقتل سكانها وأهلك أوثانها وامتاروا منها الماء وما يحتاجون اليه وسار الى انهلوارة فوصلها مستهل ذى القعدة فرأى صاحبها المدعو بهيم قد أجفل عنها وتركها وأمعن فى الهرب وقصد حصنا له يحتمى به فاستولى يمين الدولة على المدينة وسار الى سومنات فلقى فى طريقه عدة حصون فيها كثير من الاوثان شبه الحجاب والنقباء لسومنات على ما سول لهم الشيطان فقاتل من بها وفتحها وخربها وكسر أصنامها وسار الى سومنات فى مفازة قفرة قليلة الماء فلقى فيها عشرين ألف مقاتل من سكانها لم يدينوا للملك فارسل اليهم السرايا فقاتلوهم فهزموهم وغنموا اموالهم وامتاروا من عندهم وساروا حتى بلغوا دبولوارة وهى على مرحلتين من سومنات وقد ثبت اهلها له ظنا منهم ان

صحبته الى مصر فى ولايته الثانية ومائة والف فتشوقت نفسه الى الحج واستاذن مخدومه فاذن له فى ذلك وأوصى عليه امير الحاج اذ ذاك صالح بك القاسمى فاخذه صحبته وأكرمه وواساه رعاية لخاطر على باشا ورجع معه الى مصر فوجد مخدومه قد انفصل من ولاية مصر وسافر الى الديار الرومية ووصل نعيه بعد اربعة أشهر من ذهابه فاستمر المترجم بمصر وتزيا بزى المصريين وخدم عند عبد الله بك تابع على بك بلوط قبان وتعلم الفروسية على طريق الاجناد المصرية فارسل على بك عبد الله بك بتجريدة الى عرب البحيرة فقتلوه فرجع المترجم مع باقى أصحابه الى مصر فقلده على بك كشوفية البحيرة وقال له ارجع الى الذين قتلوا أستاذك وخلص ثاره فذهب اليهم وخادعهم واحتال عليهم وجمعهم فى مكان وقتلهم وهم نيف وسبعون كبيرا وبذلك سمى الجزار ورجع منصورا وأحبه على بك لنجابته وشجاعته وتنقل عنده فى الخدم والمناصب والامريات ثم قلده الصنجقية وصار من جملة امرائه ولما خرج على بك منفيا خرج صحبته ورافقه فى الغربة والتنقلات والوقائع ولم يزل حتى رجع على بك

أن سومنات يمنعهم و يدفع عنهم فاستولى عليها وقتل رجالها وغنم أموالها وسار عنها الى سومنات فوصلها يوم الخميس منتصف ذي القعدة فرأى حصنا حصينا مبنيا على ساحل البحر بحيث تبلغه أمواجه وأهله على الاسوار يتفرجون على المسلمين واثقين ان معبودهم يقطع دابرهم ويهلكهم فلما كان الغد وهو الجمعة زحف وقاتل من به فرأى الهنود من المسلمين قتالا لم يعهدوا مثله ففارقوا السور فنصب المسلمون عليه السلاليم وصعدوا اليه وأعلنوا بكلمة الاخلاص وأظهروا شعار الاسلام فحينئذ اشتد القتال وعظم الخطب وتقدم جماعة الهنود الى سومنات فعفروا له خدودهم وسألوه النصر وأدركهم الليل فكف بعضهم عن بعض فلما كان الغد بكر المسلمون اليهم وقاتلوهم فاكثروا في الهنود القتل وأجلوهم من المدينة الى بيت صنمهم سومنات فقاتلوا على بابه أشد قتال وكان الفريق منهم بعد الفريق يدخل الى سومنات فيعتنقونه ويبكون ويتضرعون اليه ويخرجون فيقاتلون الى أن يقتلوا حتى كاد الفناء يستوعبهم فبقي منهم القليل فدخلوا البحر الى مركبين لهم لينجوا فيهما فادركهم المسلمون فقتلوا بعضا وغرق بعض وأما البيت الذي فيه سومنات فهو مبني على ست وخمسين سارية من الساج المصفح بالرصاص وسومنات من حجر طوله خمسة أذرع ثلاثة مدورة ظاهرة وذراعان في البناء وليس بصورة مصورة فاخذه يمين الدولة فكسره وأحرق بعضه وأخذ بعضه معه الى غزنة فجعله عتبة الجامع وكان بيت الصنم مظلما وانما الضوء الذي عنده من قناديل الجوهر الفائق وكان عنده سلسلة ذهب فيها جرس وزنها مائتا من كلما مضى طائفة معلومة من الليل حركت السلسلة فيصوت الجرس فيقوم طائفة من البرهميين الى عبادتهم وعنده خزانة فيها عدة من الاصنام الذهبية والفضية وعليها الستور المعلقة المرصعة بالجوهر كل واحد منها منسوب الى عظيم من عظمائهم وقيمة ما في البيوت يزيد على عشرين ألف الف دينار فاخذ الجميع وكانت عدة القتلى تزيد على خمسين الف قتيل ثم ان يمين الدولة ورد عليه الخبر أن بهيم صاحب انهلوارة قد قصد قلعة تسمى كندهة في البحر بينها وبين البر من جهة سومنات أربعون فرسخا فسار اليها يمين الدولة من سومنات فلما حاذى القلعة رأى رجلين من الصيادين فسألهما عن خوض البحر هنالك فعرفاه انه يمكن خوضه لكن ان تحرك الهواء يسيرا غرق من فيه فاستخار الله تعالى وخاضه هو ومن معه فخرجوا سالمين فرأوا بهيم وقد فارق قلعته وأخلاها فعاد عنها وقصد المنصورة وكان صاحبها قد ارتد عن الاسلام فلما بلغه خبر مجيء يمين الدولة فارقها واحتمى بغياض أشبة فقصده يمين الدولة من موضعين فاحاط به وبمن معه فقتلوا أكثرهم وغرق منهم كثير ولم ينج منهم الا القليل ثم سار الى بهاطية فاطاعه أهلها ودانوا له فرحل الى غزنة فوصلها عاشر صفر من سنة سبع عشرة وأربعمائة

---

* (ذكر وفاة مشرف الدولة وملك أخيه جلال الدولة) *

في هذه السنة في ربيع الاول توفي الملك مشرف الدولة أبو علي بن بهاء الدولة بمرض حاد

وصحبته صالح بك من الجهة القبلية وقتل خشداشينه وغيرهم ثم عزم على غدر صالح بك وأسر بذلك الى خاصته ومنهم المترجم فلم يسهل به ذلك وتذكر ما بينه وبين صالح بك من المعروف السابق فاسر به اليه وحذره فلما اختلى صالح بك بعلي بك عرض له بذلك فحلف له علي بك انه باق على مصافاته وكذب الخبر الى أن كان ما كان من قتلهم وغدرهم لصالح بك كما تقدم واحجام المترجم وتأخره عن مشاركته لهم في دمه ونافقهم له بعد الانفصال فتجسم له الامر فتنكر وخرج هاربا من مصر في صورة شخص جزائرلي وتفقده علي بك واحاط بداره وكان يسكن ببيت شكر فره بالقرب من جامع ازبك اليوسفي فلم يجدوه وسار المذكور الى اسكندرية وسافر الى الروم ثم رجع الى البحيرة واقام بعرب الهنادي وتزوج هنالك ولما ارسل علي بك الجبارين الى ابن حبيب والهنادي حارب المترجم معهم ثم سار الى بلاد الشام فاستقر هنالك في هياج وتنقلات ومحاربات واشترى مماليك واجتمع لديه عصبة واشتهر أمره في تلك النواحي ولم يزل على ذلك الى ان مات الظاهر عمر في سنة تسع وثمانين ومائة وألف ووصل حسن باشا الجزائرلي الى عكا فطلب من يكون كفؤا للاقامة

وعمره ثلاث وعشرون سنة وثلاثة أشهر وملكه خمس سنين وخمسة وعشرون يوما وكان كثير الخير قليل الشر عادلا حسن السيرة وكانت والدته في الحياة وتوفيت سنة خمس وعشرين ولما توفي مشرف الدولة خطب ببغداد بعد موته لاخيه ابي طاهر جلال الدولة وهو بالبصرة وطلب الى بغداد فلم يصعد اليها وانما بلغ الى واسط وأقام بها ثم عاد الى البصرة فقطعت خطبته وخطب لابن اخيه الملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة في شوال وهو حينئذ صاحب خوزستان والحرب بينه وبين عمه أبي الفوارس صاحب كرمان بفارس فلما سمع جلال الدولة بذلك أصعد الى بغداد فانحدر عسكرها ليردوه عنها فلقوه بالسيب من اعمال النهروان فردوه فلم يرجع فردوه بالنشاب ونهبوا بعض خزائنه فعاد الى البصرة وأرسلوا الى الملك أبي كاليجار ليصعد الى بغداد ليملكوه فوعدهم الاصعاد ولم يمكنه لاجل صاحب كرمان ولما أصعد جلال الدولة كان وزيره أبا سعد بن ماكولا

❁(ذكر ملك نصر الدولة بن مروان مدينة الرها)❁

وفي هذه السنة ملك نصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر مدينة الرها وكان سبب ملكها ان الرها كانت لرجل من بني نمير يسمى عطيرا وفيه شر وجهل واستخلف عليها نائبا له اسمه أحمد بن محمد فاحسن السيرة وعدل في الرعية فمالوا اليه وكان عطير يقيم بحلته ويدخل البلد في الاوقات المتفرقة فرأى ان نائبه يحكم في البلد ويأمر وينهى فحسده فقال له يوما قد أكلت مالي واستوليت على بلدي وصرت الامير وانا النائب فاعتذر اليه فلم يقبل عذره وقتله فانكرت الرعية قتله وغضبوا على عطير وكاتبوا نصر الدولة بن مروان ليسلموا اليه البلد فسير اليهم نائبا كان له بآمد يسمى زنك فتسلمها وأقام بها ومعه جماعة من الاجناد ومضى عطير الى صالح بن مرداس وسأله الشفاعة له الى نصر الدولة فشفع فيه فاعطاه نصف البلد ودخل عطير الى نصر الدولة بميافارقين فاشار أصحاب نصر الدولة بقبضه فلم يفعل وقال لا أغدر به وان كان أفسد وأرجو ان أكف شره بالوفاء وتسلم عطير نصف البلد ظاهرا وباطنا وأقام فيه مع نائب نصر الدولة ثم ان نائب نصر الدولة عمل طعاما ودعاه فاكل وشرب واستدعى ولدا كان لاحمد الذى قتله عطير وقال تريد ان تاخذ بثار ابيك قال نعم قال هذا عطير عندي في نفر يسير فاذا خرج فتعلق به في السوق وقل له يا ظالم قتلت ابي فانه سيجرد سيفه عليك فاذا فعل فاستنفر الناس عليه واقتله وانا من ورائك ففعل ما امره وقتل عطيرا ومعه ثلاثة نفر من العرب فاجتمع بنو نمير وقالوا هذا فعل زنك ولا ينبغي لنا ان نسكت عن ثارنا ولئن لم نقتله ليغير جنا من بلادنا فاجتمعت نمير وكمنوا له بظاهر البلد كمينا وقصد فريق منهم البلد فاغاروا على ما يقاربه فسمع زنك الخبر فخرج فيمن عنده من العساكر وطلب القوم فلما جاوز الكمين خرجوا عليه فقاتلهم فاصابه حجر مقلاع فسقط وقتل وكان قتله سنة ثمان عشرة واربعمائة في اولها وخلصت المدينة لنصر الدولة ثم ان صالح بن مرداس شفع في ابن عطير وابن شبل النمير بين ليرد الرها اليهما فشفعه وسلمها اليهما وكان فيها برجان احدهما

اكبر

بخفقتها فذكروا له المترجم فاستدعاه وقلده الوزارة وأعطاه الاطواخ والبيرق وأقام بحصن عكا وعمر أسوارها وقلاعها وأنشأ بها البستان والمسجد واتخذ له جندا كثيفا واستكثر من شراء المماليك وأغار على تلك النواحي وحارب جبل الدروز مرارا وغنم منهم أموالا عظيمة ودخلوا في طاعته وضرب عليهم وعلى غيرهم الضرائب وجبيت اليه الاموال من كل ناحية حتى ملأ الخزائن وكنز الكنوز وصار يصانع أهل الدولة ورجال السلطنة ويتابع ارسال الهدايا والاموال اليهم وتقلد ولاية بلاد الشام وولى على البلاد نوابا وحكاما من طرفه وطلع بالحج الشامي مرارا وأخاف النواحي وعاقب على الذنب الصغير بالقتل والحبس والتمثيل وقطع الآناف والآذان والاطراف ولم يغفر زلة عالم لعلمه او ذي جاه لوجاهته وسلب النعم عن كثير جدا من ذوي النعم واستأصل أموالهم ومات في حبسه ما لا يحصى من الاعيان والعلماء وغيرهم ومنهم من أطال حبسه سنين حتى مات واتفق انه استراب من بعض سراريه ومماليكه فقتل من قويت فيه الشبهة وحرقهم ونفى الباقي الجميع ذكورا وإناثا بعد أن مثل بهم وقطع آنافهم وأخرجهم من

اكبر من الآخر فاخذ ابن عطير البرج الكبير واخذ ابن شبل البرج الصغير واقاما فى البلد الى ان باعه ابن عطير من الروم على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر غرق الاسطول بجزيرة صقلية﴾

فى هذه السنة خرج الروم الى جزيرة صقلية فى جمع كثير وملكوا ما كان للمسلمين فى جزيرة قلورية وهى مجاورة لجزيرة صقلية وشرعوا فى بناء المساكن ينتظرون وصول مراكبهم وجموعهم مع ابن اخت الملك فبلغ ذلك المعز بن باديس فجهز اسطولا كبيرا اربعمائة قطعة وحشد فيها وجمع خلقا كثيرا وتطوع جمع كثير بالجهاد رغبة فى الاجر فسار الاسطول فى كانون الثانى فلما قرب من جزيرة قوصرة وهى قريب من بر افريقية خرج عليهم ريح شديدة ونوء عظيم فغرق اكثرهم ولم ينج الا اليسير

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة ظهر امر العيارين ببغداد وعظم شرهم فقتلوا النفوس ونهبوا الاموال وفعلوا ما ارادوا واحرقوا الكرخ وغلا السعر بها حتى بيع الكر الحنطة بمائتى دينار قاسانية وفيها قبض جلال الدولة على وزيره ابى سعد بن ما كولا واستوزر ابن عمه ابا على ابن ما كولا وفيها ارسل القادر بالله القاضى ابا جعفر السمنانى الى قرواش يامره بابعاد الوزير ابى القاسم المغربى وكان عنده فابعده فقصد نصر الدولة بن مروان بميافارقين وقد تقدم السبب فيه وفيها توفى الوزير ابو منصور محمد بن الحسن بن صالحان وزير مشرف الدولة ابى الفوارس وعمره ست وسبعون سنة وقاضى القضاة ابو الحسن احمد بن محمد بن ابى الشوارب ومولده فى ذى القعدة سنة تسع عشرة وثلثمائة وكان عفيفا نزها وقيل توفى سنة سبع عشرة وبسيل ملك الروم وملك بعده اخوه قسطنطين وفيها ورد رسول محمود بن سبكتكين الى القادر بالله ومعه خلع قد سيرها الظاهر لاعزاز دين الله العلوى صاحب مصر ويقول انا الخادم الذى ارى الطاعة فرضا وينكر ارسال هذه الخلع اليه وانه سيرها الى الديوان ليرسم فيها بما يرى فاحرقت على باب النوبى فخرج منها ذهب كثير تصدق به على ضعفاء بنى هاشم وفيها توفى سابور بن اردشير وزير بهاء الدولة وكان كاتبا سديدا وعمل دار الكتب ببغداد سنة احدى وثمانين وثلثمائة وجعل فيها اكثر من عشرة آلاف مجلد وبقيت الى ان احترقت عند مجىء طغرلبك الى بغداد سنة خمسين واربعمائة وفيها توفى عثمان الخركوشى الواعظ النيسابورى وكان صالحا خيرا وكان اذا دخل على محمود بن سبكتكين يقوم ويلتقيه وكان محمود قد قسط على نيسابور مالا ياخذه منهم فقال له الخركوشى بلغنى انك تكدى الناس وضاق صدرى فقال وكيف قال بلغنى أنك تاخذ اموال الضعفاء وهذه كدية فترك القسط واطلقه وفيها بطل الحج من العراق وخراسان

﴿ثم دخلت سنة سبع عشرة واربعمائة﴾

﴿ذكر الحرب بين عسكر علاء الدولة والجوزقان﴾

مكاو طردهم وشردهم وسخط على من آواهم أو ثاواهم ولو فى أقصى البلاد وحضر الكثير منهم الى مصر وخدموا عند الامراء وانضوى نحو العشرين شخصا منهم وخدموا عند على بك كتخدا الجاويشية فلما بلغ المترجم ذلك تغير خاطره من طرفه وقطع حبل وداده بعد ان كان يراسله ويواصله دون غيره من أمراء مصر وكان ذلك سبب استيحاشه منه الى أن مات ولما فعل بهم ذلك تعصب عليه مملوكاه سليم باشا الكبير وسليمان باشا الصغير وهو الموجود الآن وانضم اليهما المتأخرون من خشداشينهما وغيرهم غيظا على ما فعله بخشداشينهم وعلمهم بوحدته وانفراده وحاصروه بعكا ولم يكن معه الا القليل من العساكر البرانيين والفعلة والصناع الذين يستعملهم فى البناء فالبسهم طراطير مثل الدلاة وأصعدهم الى الاسوار مع الرماة والطبجية ورآهم المخالفون عليه فتعجبوا وقالوا انه يستخدم الجن وكبس عليهم فى غفلة من الليل وخاربهم وظهر عليهم وأذعنوا الطاعته وتفرق عنهم المساعدون لهم ثم تتبعهم واقتص منهم وكاد البلاد وقهر العباد ونصبت الدولة فخاخا لصيده مرارا فلم يتمكنوا من ذلك فلم يسعهم بعد ذلك الا مسالمته ومسايرته وثبت قدمه وطار

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين عساكر علاء الدولة بن كاكويه وبين الاكراد الجوزقان وكان سببها ان علاء الدولة استعمل ابا جعفر ابن عمه على سابور خواست وتلك النواحي فضم اليه الاكراد الجوزقان وجعل معه على الاكراد ابا الفرج البابوني منسوب الى بطن منهم فجرى بين ابي جعفر وابي الفرج مشاجرة ادت الى المنافرة فاصلح بينهما علاء الدولة واعادهما الى عملهما فلم يزل الحقد يقوى والشر يتجدد فضرب ابو جعفر ابا الفرج بلت كان في يده فقتله فنفر الجوزقان بأسرهم ونهبوا وأفسدوا فطلبهم علاء الدولة وسير عسكرا واستعمل عليهم ابا منصور ابن عمه أخا ابي جعفر الاكبر وجعل معه فرهاذ بن مرداويج وعلي بن عمران فلما علم الجوزقان ذلك أرسلوا الى علي بن عمران يسألونه ان يصلح حالهم مع علاء الدولة وقصده جماعة منهم فشرع في الاصلاح فطالبه أبو جعفر وفرهاذ بالجماعة الذين قصدوه ليسلمهم اليهما وأرادا أخذهم منه قهرا فانتقل الى الجوزقان واحتمى كل منهم بصاحبه وجرى بين الطائفتين قتال غير مرة كان في آخره لعلي بن عمران والجوزقان فانهزم فرهاذ وأسر أبو منصور وابو جعفر ابنا عم علاء الدولة فاما ابو جعفر فقتل قصاصا بابي الفرج واما ابو منصور فسجن فلما قتل ابو جعفر علم علي بن عمران ان الامر قد فسد مع علاء الدولة ولا يمكن اصلاحه فشرع في الاحتياط

(ذكر الحرب بين قرواش وبني اسد وخفاجة)

في هذه السنة اجتمع دبيس بن علي بن مزيد الاسدي وابو الفتيان منيع بن حسان امير بني خفاجة وجمعا عشائرهما وغيرهم وانضاف اليهما عسكر بغداد على قتال قرواش ابن المقلد العقيلي وكان سببه ان خفاجة تعرضوا الى السواد وما بيد قرواش منه فانحدر من الموصل لدفعهم فاستعانوا بدبيس فسار اليهم واجتمعوا وأتاهم عسكر بغداد فالتقوا بظاهر الكوفة وهي لقرواش فجرى بين مقدمته ومقدمتهما مناوشة وعلم قرواش انه لا طاقة له بهم فسار ليلا جريدة في نفر يسير وعلم اصحابه بذلك فتبعوه منهزمين فوصلوا الى الانبار وسارت اسد وخفاجة خلفهم فلما قاربوا الانبار فارقها قرواش الى حلله فلم يمكنهم الاقدام عليه واستولوا على الانبار ثم تفرقوا

(ذكر الفتنة ببغداد وطمع الاتراك والعيارين)

في هذه السنة كثر تسلط الاتراك ببغداد فاكثروا مصادرات الناس واخذوا الاموال حتى انهم قسطوا على الكرخ خاصة مائة الف دينار وعظم الخطب وزاد الشر واحرقت المنازل والدروب والاسواق ودخل في الطمع العامة والعيارون فكانوا يدخلون على الرجل فيطالبونه بذخائره كما يفعل السلطان بمن يصادره فعمل الناس الابواب على الدروب فلم تغن شيئا ووقعت الحرب بين الجند والعامة فظفر الجند ونهبوا الكرخ وغيره فاخذ منه مال جليل وهلك اهل الستر والخير فلما رأى القواد وعقلاء الجند ان الملك ابا كاليجار لا يصل اليهم وان البلاد قد خربت وطمع فيهم المجاورون من العرب والاكراد راسلوا جلال الدولة في الحضور الى بغداد فحضر على ما نذكره سنة ثمان

هيبته في جميع الممالك الاسلامية الافرنجية والثغور واشتهر ذكره وراسله ملوك النواحي وراسلهم وهادوه وهاداهم وبنى بعكة صهاريج وملأها بالزيت والسمن والعسل والشيرج والارز وأنواع الغلة وزرع ببستانه سائر أصناف الفواكه والنخيل والاعناب الكثيرة وجدد دولته ثانيا واشترى مماليك وجواري بدلا عن الذين أبادهم وبالجملة فكان من غرائب الدهر وأخباره لا يفي القلم بتسطيرها ولا يسعف الفكر بتذكارها ولو جمع بعضها جاءت مجلدات ولو لم يكن له من المناقب الا استظهاره على الفرنساوية وثباته في محاربتهم له أكثر من شهرين لم يغفل فيها لحظة لكفاه وكان يقول ان الفرنساوية لو اجتهدوا في ازالة جبل عظيم لازالوه في أسرع وقت وقد تقدم بعض خبر ذلك في محله وكان يقول انا المنتظر وانا احمد المذكور في الجفور الذي يظهر بين القصرين واستخرج له كثير من الذين يدعون معرفة الاستخراج عبارات وتأويلات ورموزا واشارات ويقولون المراد بالقصرين مكانان جهة الشام أو المحلان أو نحو ذلك من الوساوس ولم يزل حتى توفي في آخر هذا العام على فراشه وكان سليمان باشا تابعه غالبا بالحجاز في امارة

عشرة واربعمائة

ذكر اصعاد الاثير الى الموصل والحرب الواقعة بين بنى عقيل

فى هذه السنة اصعد الاثير عنبر الى الموصل من بغداد وكان سببه ان الاثير كان حاكما فى الدولة البويهية ماضى الحكم نافذ الامر والجند من اطوع الناس له واسمعهم لقوله فلما كان الآن زال ذلك وخالفه الجند فزالت طاعته عنهم فلم يلتفتوا اليه فخافهم على نفسه فسار الى قرواش فندم الجند على ذلك وسألوه ان يعود فلم يفعل واصعد الى الموصل مع قرواش فاخذ املاكه واقطاعه بالعراق ثم ان نجدة الدولة بن قراد ورافع بن الحسين جمعا جمعا كثيرا من عقيل وانضم اليهم بدران اخو قرواش وساروا يريدون حرب قرواش وكان قرواش لما سمع خبرهم قد اجتمع هو وغريب بن معن والاثير عنبر واتاه مدد من ابن مروان فاجتمع فى ثلاثة عشر الف مقاتل فالتقوا عند بلد واقتتلوا وثبت بعضهم لبعض وكثر القتل ففعل ثروان بن قراد فعلا جميلا وذلك انه قصد غريبا فى وسط المصاف واعتنقه وصالحه وفعل ابو الفضل بدران بن المقلد باخيه قرواش كذلك فاصطلح الجميع واعاد قرواش الى اخيه بدران مدينة نصيبين

ذكر احراق خفاجة الانبار وطاعتهم لابى كاليجار

فى هذه السنة سار منيع بن حسان امير خفاجة الى الجامعين وهى لنور الدولة دبيس فنهبها فسار دبيس فى طلبه الى الكوفة ففارقها وقصد الانبار وهى لقرواش وكان استعادها بعد ما ذكرناه قبل فلما نازلها منيع قاتله اهلها فلم يكن لهم بخفاجة طاقة فدخل خفاجة الانبار ونهبوها واحرقوا اسواقها فانحدر قرواش اليهم ليمنعهم وكان مريضا ومعه غريب والاثير عنبر الى الانبار ثم تركها ومضى الى القصر فاستطمع خفاجة وعادوا الى الانبار فاحرقوها مرة ثانية وسار قرواش الى الجامعين فاجتمع هو ونور الدولة دبيس بن مزيد فى عشرة آلاف مقاتل وكانت خفاجة فى الف فلم يقدر قرواش فى ذلك الجيش العظيم على هذه الالف وشرع اهل الانبار فى بناء سور على البلد واعادهم قرواش واقام عندهم الشتاء ثم ان منيع بن حسان سار الى الملك ابى كاليجار فاطاعه فخلع عليه واتى منيع الخفاجى الى الكوفة فخطب فيها لابى كاليجار وازال حكم عقيل عن سقى الفرات

ذكر الصلح بافريقية بين كتامة وزناتة وبين المعز بن باديس

فى هذه السنة وردت رسل زناتة وكتامة الى المعز بن باديس صاحب افريقية يطلبون منه الصلح وان يقبل منهم الطاعة والدخول تحت حكمه وشرطوا انهم يحفظون الطريق واعطوا على ذلك عهودهم ومواثيقهم فاجابهم الى ما سألوا وجاءت مشيخة زناتة وكتامة اليه فقبلهم وانزلهم ووصلهم وبذل لهم اموالا جليلة

ذكر وفاة حماد بن المنصور وولاية ابنه القائد

فى هذه السنة توفى حماد بن بلكين عم المعز بن باديس صاحب افريقية وكان خرج

انه مفارق الدنيا احضر اسمعيل باشا والى مرعش وكان بحبسه يتوقع منه المكروه فى كل وقت فاقامه وكيلا عنه الى حضور سليمان باشا من الحج واعطاه الدفاتر وعرفه بعلوفة العسكر واوصاه فلما انقضى نحبه ودفنوه صرف النفقة واتفق مع طه الكردى وصالح الدولة وتحصن بعكا وحضر سليمان باشا فامتنعا عليه ولم يمكنه الدخول اليها فاستمر اسمعيل باشا الى ان اخرجه اتباع المتر جم بحيلة وملكوا سليمان باشا بعد امور تحقق كيفيتها وذلك فى السنة التالية (ومات) عين الاعيان ونادرة الزمان شاه بندر التجار والمرتقى بهمته الى سنام الفخار النبيه الحبيب والحسيب النسيب السيد احمد بن احمد الشهير بالمحروقى الحريرى كان والده حريريا بسوق العنبر بين بمصر وكان رجلا صالحا منور الشيبة معروفا بصدق اللهجة والديانة والامانة بين اقرانه وولد له المترجم فكان يدعو له كثيرا فى صلاته وسائر تحركاته فلما ترعرع خالط الناس وكتب وحسب وكان على غاية من الحذق والنباهة واخذ واعطى وباع واشترى وشارك وتداخل مع التجار وحاسب على الالوف والتحد بالسيد احمد بن عبد السلام وسافر معه الى الحجاز واحبه

من قلعته منيزها فمرض ومات وحمل الى القلعة فدفن بها وولي بعده ابنه القائد وعظم على المعزمونه لان الامر بينهما كان قد صلح واستقامت الامور للعز بعده واذعن له اولاده جميعا بالطاعة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة كان بالعراق برد شديد جمد فيه الماء في دجلة والانهار الكبيرة فاما السواقي فانها جمدت كلها وتأخر المطر وزيادة دجلة فلم يزرع في السواد الا القليل وفيها بطل الحج من خراسان والعراق وفيها انقض كوكب عظيم استنارت له الارض فسمع له دوي عظيم كان ذلك في رمضان وفيها مات أبو سعد بن ما كولا وزير جلال الدولة في محبسه وأبو حازم عمر بن احمد بن ابراهيم العبدري النيسابوري الحافظ وهو من مشايخ خطيب بغداد وأبو الحسن علي بن أحمد بن عمر الحمامي المقري مولده سنة ثمان وعشرين وثلثمائة

(ثم دخلت سنة ثمان عشرة واربعمائة)

(ذكر الحرب بين علاء الدولة واصبهبد ومن معه وما تبع ذلك من الفتن)

في هذه السنة في ربيع الاول كانت حرب شديدة بين علاء الدولة بن كاكويه وبين الاصبهبد ومن معه وكان سببها ما ذكرناه من خروج علي بن عمران عن طاعة علاء الدولة فلما فارقه اشتد خوفه من علاء الدولة فكاتب اصبهبد صاحب طبرستان وكان مقيما بالري مع ولكين بن وندرين وحثه على قصد بلاد الجبل وكاتب ايضا منوجهر بن قابوس بن وشمكير واستمده واوهم الجميع ان البلاد في يده لا دافع له عنها وكان اصبهبد معاديا لعلاء الدولة فسار هو وولكين الى همذان فملكاها وملكا اعمال الجبل واجليا عنها عمال علاء الدولة واتاهم عسكر منوجهر وعلي بن عمران فازدادوا قوة وساروا كلهم الى اصبهان فتحصن علاء الدولة بها واخرج الاموال فحصر وجرى بينهم قتال استظهر فيه علاء الدولة وقصده كثير من ذلك العسكر وهو يبذل لمن يجيء اليه المال الجزيل ويحسن اليهم فاقاموا اربعة ايام وضاقت عليهم الميرة فعادوا عنها وتبعهم علاء الدولة واستمال الجوزقان فمال اليه بعضهم وتبعهم الى نهاوند فالتقوا عندها واقتتلوا قتالا كثر فيه القتلى والاسرى فظفر علاء الدولة وقتل ابنين لولكين في المعركة واسر الاصبهبد وابنان له ووزيره ومضى ولكين في نفر يسير الى جرجان وقصد علي بن عمران قلعة كنكور فتحصن بها فسار اليه علاء الدولة فحصره بها وبقي اصبهبد محبوسا عند علاء الدولة الى ان توفي في رجب سنة تسع عشرة واربعمائة ثم ان ولكين بن وندرين سار بعد خلاصه من الوقعة الى منوجهر بن قابوس واطمعه في الري وملكها وهون عليه امر البلاد لاسيما مع اشتغال علاء الدولة بمحاصرة علي بن عمران وانضاف الى ذلك ان ولد ولكين كان صهر علاء الدولة على ابنته وقد أقطعه علاء الدولة مدينة قم فعصى عليه وصار مع أبيه وارسل اليه يحثه على قصد البلاد فسارا اليها ومعهما عساكر

وامتزج به امتزاجا كليا بحيث صارا كالتوأمين اوروح حلت بدنين ومات عمدة التجار العرايشي وهو بالحجاز وهو اخو السيد احمد ابن عبد السلام في تلك السنة فاحرز مخلفاته وامواله ودفاتر شركائه فتقيد المترجم بمحاسبة التجار والشركاء والوكلاء ومحاققتهم فوفر عليه الكوكا من الاموال واستأنف الشركات والمعاوضات وعد ذلك من سعادة مقدم المترجم ومرافقته له وزادت محبته له ورغبته فيه وكان لابن عبد السلام شهرة ووصلة باكابر الامراء كابيه وخصوصا مراد بك فيقضي له ولامرائه لوازمهم اللازمة لهم ولاتباعهم واحتياجاتهم من التفاصيل والاقمشة الهندية وغيرها وينوب عنه المترجم في غالب اوقاته وحركاته ولشدة امتزاج الطبيعة بينهما صار يحاكيه في الفاظه ولغته وجميع اصطلاحاته في الحركات والسكنات والخطرات واشتهر ذكره عند التجار والاعيان والامراء واتحدا بمحمد اغا البارودي كتخدا مراد بك اتحادا زائدا واتحفاه بالهدايا وخصصاه بالمزايا فراج به عند مخدومه شأنهما وارتفع بالزيادة قدرهما ولما تأمر اسمعيل بك واستوزر ايضا البارودي استقر حالهما كذلك بل واكثر الى ان حصل الطاعون

منوجهر حتى نزلوا على الرى وقاتلوا مجد الدولة بن بويه ومن معه وجرى بين الفريقين وقائع استظهر فيها أهل الرى فلما رأى علاء الدولة ذلك صالح على بن عمران فلما بلغ ولكين الصلح بين علاء الدولة وعلى بن عمران رحل عن الرى من غير بلوغ غرض فتوجه علاء الدولة الى الرى وراسل منوجهر ووبخه وتهدده واظهر قصد بلاده فسمع ان على بن عمران قد كاتب منوجهر واطمعه ووعده النصرة وحثه على العود الى الرى فعاد علاء الدولة عن قصد بلاد منوجهر وتجهز لقصد على بن عمران فارسل ابن عمران الى منوجهر يستمده فسير اليه ستمائة فارس وراجل مع قائد من قواده وتحصن ابن عمران وجمع عنده الذخائر بكنكور وقصده علاء الدولة وحصره وضيق عليه ففنى ما عنده فارسل يطلب الصلح فاشترط علاء الدولة ان يسلم قلعة كنكور والذين قتلوا ابا جعفر ابن عمه والقائد الذى سيره اليه منوجهر فاجابه الى ذلك وسيرهم اليه فقتل قتلة ابن عمه وسجن القائد وتسلم القلعة واقطع عليا عوضا عنها مدينة الدينور وارسل منوجهر الى علاء الدولة فصالحه فاطلق صاحبه

(ذكر عصيان البطيحة على ابى كاليجار)

فى هذه السنة عصى اهل البطيحة على الملك ابى كاليجار وقدمهم ابو عبد الله الحسين ابن بكر الشرابى الذى كان قديما صاحب البطيحة وقد تقدم خبره وكان سبب هذا الخلاف ان الملك ابا كاليجار سير وزيره ابا محمد بن بابشاذ الى البطيحة فعسف الناس واخذ أموالهم وامر الشرابى فوضع على كل دار بالصليق قسطا وكان فى صحبته ففعل ذلك فتفرقوا فى البلاد وفارقوا اوطانهم فعزم من بقى على ان يستدعوا من يتقدم عليهم فى العصيان على ابى كاليجار وقتل الشرابى وكانوا ينسبون كل ما يجرى عليهم من الشرابى فعلم الشرابى بذلك فحضر عندهم واعتذر اليهم وبذل من نفسه مساعدتهم على ما يريدونه فرضوا به وحالفوه وحالفهم وامرهم بكتمان الحال وعاد الى الوزير فاشار عليه بارسال أصحابه الى جهات ذكرها ليحصلوا الاموال فقبل منه ثم اشار عليه باحدار سفنه الى مكان ذكره ليصلح ما فسد منها ففعل فلما تم له ذلك وثب هو واهل البطيحة عليه واخرجوه من عندهم وكان عندهم جماعة من عسكر جلال الدولة فى الحبس فاخرجوهم واستعانوا بهم واتفقوا معهم وفتحوا السواقى وعادوا الى ما كانوا عليه ايام مهذب الدولة وقاتلوا كل من قصدهم وامتنعوا فتم لهم ذلك ثم قصده ابن المعبرانى فاستولى على البطيحة وفارقها الشرابى الى دبيس بن مزيد فاقام عنده مكرما

(ذكر صلح ابى كاليجار مع عمه صاحب كرمان)

فى هذه السنة استقر الصلح بين ابى كاليجار وبين عمه ابى الفوارس صاحب كرمان وكان ابو كاليجار قد سار الى كرمان لقتال عمه واخذ كرمان منه فاحتمى منه بالجبال وحمى الحر على ابى كاليجار وعسكره فكثرت الامراض فتراسلا فى الصلح فاصطلحا على ان يكون كرمان لابى الفوارس وبلاد فارس لابى كاليجار ويحمل الى عمه كل سنة

وفاته بالسيد احمد بن عبد السلام فى شعبان فاستقر المترجم فى مظهره ومنصبه شاه بندر التجار وبواسطة البارودى ايضا وسعايته وسعادة طالعه وسكن داره العظيمة التى عمرها بجوار الفحامين بحل دكة الحسبة القديم وتزوج بزوجاته واستولى على حواصله ومخازنه واستقل بها من غير شريك ولا وارث وعند ذلك زادت شهرته وعظم شانه ووجاهته ونفذت كلمته على اقرانه ولم يزل طالعه يسمو وسعده يزيد وينمو وعاد مراد بك والامراء المصريون بعد موت اسمعيل بك وانقلاب دولته الى امارة مصر فاختص بخدمته وقضاء سائر أشغاله وكذلك ابراهيم بك وباقى الامراء وقدم لهم الهدايا والطرائف وواسى الجميع اعلاهم وادونهم بحسن الصنع حتى جذب اليه قلوب الجميع ونافس الرجال وانعطفت اليه الآمال وعامل تجار النواحى والامصار من سائر الجهات والاقطار واشتهر ذكره بالاراضى الحجازية وكذا بالبلاد الشامية والرومية واعتمدوه وكاتبوه وراسلوه وأودعوه الودائع واصناف التجارات والبضائع وزوج ولده السيد محمدا وعمل له مهما عظيما افتخر فيه الى الغاية ودعا الامراء والاكابر والاعيان وارسل اليه ابراهيم بك ومراد

عشرين ألف دينار ولما عاد ابو كاليجار الى الاهواز جعل امور دولته الى العادل بن مافنة فاجابه بعد امتناع وكان مولد العادل بكازرون سنة ستين وثلثمائة وشرط العادل ان لا يعارض فى الرأى بفعله فاجيب الى ذلك

(ذكر الخطبة لجلال الدولة ببغداد واصعاده اليها)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى خطب للملك جلال الدولة ابى طاهر بن بهاء الدولة ببغداد واصعد اليها من البصرة فدخلها ثالث شهر رمضان وكان سبب ذلك ان الاتراك لما رأوا ان البلاد تخرب وان العامة والعرب والاكراد قد طمعوا وانهم ليس عندهم سلطان يجمع كلمتهم قصدوا دار الخلافة وارسلوا يعتذرون الى الخليفة من انفرادهم بالخطبة لجلال الدولة اولا ثم برده ثانيا وبالخطبة لابى كاليجار ويشكرون الخليفة حيث لم يخالفهم فى شئ من ذلك وقالوا ان أمير المؤمنين صاحب الامر ونحن العبيد وقد أخطانا ونسال العفو وليس عندنا الآن من يجمع كلمتنا ونسال ان ترسل الى جلال الدولة ليصعد الى بغداد ويملك الامر ويجمع الكلمة ويخطب له فيها ويسالون ان يحلفه الرسول السائر لاحضاره لهم فاجابهم الخليفة الى ما سالوا وراسله هو وقواد الجند فى الاصعاد واليمين للخليفة والاتراك فحلف لهم واصعد الى بغداد وانحدر الاتراك اليه فلقوه فى الطريق وأرسل الخليفة اليه القاضى أبا جعفر السمنانى فاعاد تجديد العهد عليه للخليفة والاتراك ففعل ولما وصل الى بغداد نزل النجمى فركب الخليفة فى الطيار وانحدر يلتقيه فلما رآه جلال الدولة قبل الارض بين يديه وركب فى زبزبه ووقف قائما فامره الخليفة بالجلوس فخدم وجلس ودخل الى دار المملكة بعد ان مضى الى مشهد موسى بن جعفر فزار وقصد الدار فدخلها وأمر بضرب الطبل اوقات الصلوات الخمس فراسله الخليفة فى منعه فقطعه غضبا حتى اذن له فى اعادته ففعل وأرسل جلال الدولة مؤيد الملك اباعلى الرخجى الى الاثير عنبر الخادم وهو عند قرواش وقد ذكرنا ذلك يعرفه اعتضاده به واعتماده عليه ومحبته له ويعتذر اليه عن الاتراك فعذرهم وقال هم اولاد واخوة

(ذكر وفاة ابى القاسم بن المغربى وابى الخطاب)

اما ابو القاسم بن المغربى فتوفى هذه السنة بميافارقين وكان عمره ستا واربعين سنة ولما أحس بالموت كتب كتبا عن نفسه الى كل من يعرفه من الامراء والرؤساء الذين بينه وبين الكوفة ويعرفهم ان حظية له توفيت وانه قد سير تابوتها الى مشهد امير المؤمنين على عليه السلام وخاطبهم فى المراعاة لمن فى صحبته وكان قصده ان لا يتعرض احد لتابوته بمنع ويتطوى خبره فلما توفى سار به اصحابه كما أمرهم واوصلوا الكتب فلم يعرض احد اليه فدفن بالمشهد ولم يعلم به أحد الا بعد دفنه ولابى القاسم شعر حسن فمنه هذه الابيات

وما ظبية ادماء تحنو على طلا * ترى الانس وحشا وهى تأنس بالوحش

غدت

الى آخرها الخلعة المحملة على الجمال الكثيرة وكذلك باقى الامراء ومعها الاجواس التى سارت تسمع من البعد ويقدمها جمل عليه طبل نقارية وذلك خلاف هدايا التجار وعظماء الناس والنصارى الاروام والاقباط الكتبة وتجار الافرنج والاتراك والشوام والمغاربة وغيرهم وخلع الكثيرة على البقاشيش والانعامات والكساوى ولا يشغله امر عن امر آخر يقضيه أو فرض ينفذه ويقضيه كما قيل

أخو عزمات لا يريد على الذى يهم به من مقطع الامر صاحبا اذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا

(وحج) فى سنة اثنتى عشرة ومائتين والف وخرج فى تجمل زائد وجمال كثيرة وتختروانات ومواهى ومسطحات وفراشين وخدم وهجن وبغال وخيول وكان يوم خروجه يوما مشهودا اجتمع الكثير من العامة والنساء وجلسوا بالطريق للفرجة عليه ومن خرج معه لتشييعه ووداعه من الاعيان والتجار الراكبين والراجلين معه منهم وبايديهم البنادق والاسلحة وغير ذلك وبعث بالبضائع والذخائر والقومانية والاحمال الثقيلة على طريق البحر لرساة الينبع وجدة وعند رجوع الركب وصل الفرنساوية الى برمصر ووصلهم الخبر بذلك وارسل

غدت فارتعت ثم انثنت لرضاعه * فلم تلف شيئا من قوائمه الحمش

فطافت بذاك القاع ولهى فصادفت * سباع الفلا ينهشنه أيما نهش

باوجع منى يوم ظلت انامل * تودعنى بالدر من شبك النقش

واجمالهم تحدى وقد خيل الهوى * كأن مطاياهم على ناظرى تمشى

واعجب ما فى الامر أن عشت بعدهم * على أنهم ما خلفوا لى من بطش

واما أبو الخطاب حمزة بن ابراهيم فانه مات بكرخ سامرا مقتولا غريبا قد زال عنه أمره وجاهه وكان مولده سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ورثاه المرتضى كان سبب اتصاله ببهاء الدولة معرفة النجوم وبلغ منه منزلة لم يبلغها امثاله فكان الوزراء يخدمونه وحمل اليه فخر الملك مائة ألف دينار فاستقلها وصار أمره الى ما صار من الضيق والفقر والغربة

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة سقط فى العراق جميعه برد كبار يكون فى الواحدة رطل أو رطلان وأصغره كالبيضة فاهلك الغلات ولم يصح منها الا القليل وفيها آخر تشرين الثانى هبت ريح باردة بالعراق جمد منها الماء والخل وبطل دوران الدواليب على دجلة وفيها انقطع الحج من خراسان والعراق وفيها انقضت الدار المعزية وكان معز الدولة بن بويه بناها وعظمها وغرم عليها ألف ألف دينار واول من شرع فى تخريبها بهاء الدولة فانه لما عمر داره بسوق الثلاثاء نقل اليها من انقاضها واخذ سقفا منها واراد ان ينقله الى شيراز فلم يتم ذلك فبذل فيه من يحك ذهبه ثمانية آلاف دينار ونقضت الآن وبيع أنقاضها وفيها توفى هبة الله بن الحسن بن منصور أبو القاسم اللالكائى الرازى سمع الحديث الكثير وتفقه على أبى حامد الاسفراينى وصنف كتبا وابو القاسم طباطبا الشريف العلوى وله شعر جيد فمنه ان صديقا له كتب اليه رقعة فاجابه على ظهرها هذه الابيات

وقرأت الذى كتبت وما زا * ل تحيى ومؤنسى وسميرى

وغدا الفال بامتزاج السطور * حاكيا بامتزاج ما فى الضمير

واقتران الكلام لفظا وخطا * شاهدا باقتران ود الصدور

وتبركت باجتماع الكلاميـ * ـن رجاء اجتماعنا فى سرور

وتفاءلت بالظهور على الوا * شى فصارت اجابتى فى الصدور

(ثم دخلت سنة تسع عشرة وأربعمائة)

(ذكر الحرب بين بدران وعسكر نصر الدولة)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى سار بدران بن المقلد العقيلى فى جمع من العرب الى نصيبين وحصرها وكانت لنصر الدولة بن مروان فخرج اليه عسكر نصر الدولة الذين بها وقاتلوه فهزمهم واستظهر عليهم وقتل جماعة من اهل نصيبين والعسكر فسير نصر الدولة عسكرا آخر نجدة لمن بنصيبين فارسل اليهم بدران عسكرا فلقوهم فقاتلوهم

ابراهيم بك الى صالح بك امير الحاج يطلبه مع الحجاج الى بلبيس كما تقدم وذهب بصحبتهم المترجم وجرى عليه ما ذكر من نهب العرب متاعه وحوله وكان شيئا كثيرا حتى ما عليه من الثياب وانحصر بطريق القرين فلم يجد عند ذلك بدا من مواجهة الفرنساوية فذهب الى سارى عسكر بونابارته وقابله فرحب به واكرمه ولامه على فراره وكونه للمماليك فاعتذر اليه بجهل الحال فقبل عذره واجتهد له فى تحصيل المنهوبات وارسل فى طلب المتعدين واستخلص ما امكن استخلاصه له ولغيره وارسلهم الى مصر واصحب معهم عدة من العساكر لخفارتهم ويقدمهم طبلهم وهم مشاة بالاسلحة بين ايديهم حتى ادخلوهم الى بيوتهم ولما رجع سارى عسكر الى مصر تردد عليه واحله محل القبول وارتاح اليه فى لوازمه وتصدى للامور وقضايا التجار وصار مرعى الجانب عنده ويقبل شفاعاته ويفصل القوانين بين يديه ويبديها كابرهم ولما رتبوا الديوان تعين من الرؤساء فيه وكاتبوا التجار واهل الحجاز وشريف مكة بواسطته واستمر على ذلك حتى سافر بونابارته ووصل بعدة الشرعضى العثمانية والامراء المصرية فخرج فيمن

وهزموهم وقتلوا اكثرهم فازعج ذلك ابن مروان واقلقه فسير عسكرا آخر ثلاثة آلاف فارس فدخلوا نصيبين واجتمعوا بمن فيها وخرجوا الى بدران فاقتتلوا فانهزم بدران ومن معه بعد قتال شديد وقت الظهر وتبعهم عسكر ابن مروان ثم عطف عليهم بدران واصحابه فلم يثبتوا له فاكثر فيهم القتل والاسر وغنم الاموال فعاد عسكر ابن مروان مفلولين فدخلوا نصيبين فاجتمعوا بها واقتتلوا مرة اخرى وكانوا على السواء ثم سمع بدران بان اخاه قرواشا قد وصل الى الموصل فرحل خوفا منه لانهما كانا مختلفين

❁(ذكر شغب الاتراك ببغداد على جلال الدولة)❁

في هذه السنة ثار الاتراك ببغداد على جلال الدولة وشغبوا وطالبوا الوزير ابا علي بن ماكولا بما لهم من العلوفة والادرار ونهبوا داره ودور كتاب الملك وحواشيه حتى المغنين والمخنثين ونهبوا صياغات اخرجها جلال الدولة لتضرب دنانير ودراهم وتفرق فيهم وحصروا جلال الدولة في داره ومنعوه الطعام والماء حتى شرب اهله ماء البئر واكلوا ثمرة البستان فسالهم ان يمكنوه من الانحدار فاستاجروا له ولاهله ولاثقاله سفنا فجعل بين الدار والسفن سرادقا ليجتاز حرمه فيه لئلا يراهم العامة والاجناد فقصد بعض الاتراك السرادق فظن جلال الدولة انهم يريدون الحرم فصاح بهم يقول لهم بلغ امركم الى الحرم وتقدم اليهم وبيده طبر فصاح صغار الغلمان والعامة جلال الدولة يا منصور ونزل احدهم عن فرسه واركبه اياه وقبلوا الارض بين يديه فلما رأى قواد الاتراك ذلك هربوا الى خيامهم بالرملة وخافوا على نفوسهم وكان في الخزانة سلاح كثير فاعطاه جلال الدولة اصاغر الغلمان وجعلهم عنده ثم ارسل الى الخليفة ليصلح الامر مع اولئك القواد فارسل اليهم الخليفة القادر بالله فاصلح بينهم وبين جلال الدولة وحلفوا فقبلوا الارض بين يديه ورجعوا الى منازلهم فلم يمض غير ايام حتى عادوا الى الشغب فباع جلال الدولة فرشه وثيابه وخيمه وفرق ثمنها فيهم حتى سكنوا

❁(ذكر الاختلاف بين الديلم والاتراك بالبصرة)❁

في هذه السنة ولي التغير ابو الفتح محمد بن اردشير البصرة استعمله عليها جلال الدولة فلما وصل الى المشان منحدرا اليها وقع بينه وبين الديلم الذين بالمشان وقعة استظهر عليهم وقتل منهم وكانت الفتن بالبصرة بين الاتراك والديلم وبها الملك العزيز ابو منصور ابن جلال الدولة فقوى الاتراك بها فاخرجوا الديلم فمضوا الى الابلة وصار وامع بختيار ابن علي فسار اليهم الملك العزيز بالابلة ليعيدهم ويصلح بينهم وبين الاتراك فكاشفوه وحملوا عليه ونادوا بشعار ابي كاليجار فعاد منهزما في الماء الى البصرة ونهب بختيار نهر الدير والابلة وغيرهما من السواد واعانه الديلم ونهب الاتراك ايضا وارتكبوا المحظور ونهبوا دار بنت الاوحد بن مكرم زوجة جلال الدولة

❁(ذكر استيلاء ابي كاليجار على البصرة)❁

لما بلغ الملك ابا كاليجار ما كان بالبصرة سير جيشا الى بختيار وامره ان يقصد البصرة

بخروج الافاتهم وحصل بعد ذلك الحروب واجتهد المترجم في ايام الحرب وساعد وتصدى بكل همته وصرف اموالا جمة في المهمات والمؤن الى ان كان ما كان من ظهور الفرنساوية وخروج الهاربين من مصر ورجوعهم فلم يسعه الا الخروج معهم والجلاء عن مصر فنهب الفرنساوية داره وما يتعلق به ولما استقر يوسف باشا الوزير بجهة الشام آنسه المترجم وعاضده واجتهد في حوائجه واقترض الاموال وكاتب التجار وبذل همته وساعده بما لا يدخل تحت طوق البشر وراسل خواصه بمصر مرسرا فيطالعونه بالاخبار والاسرار الى ان حصل العثمانيون بمصر فصار المترجم هو المشار اليه في الدولة والتزم بالاقطاعات والبلاد وحضر الوزير الى داره وقدم اليه التقادم والهدايا وباشر الامور العظيمة والقضايا الجسيمة وما يتعلق بالدول والدواوين والمهمات السلطانية وازدحم الناس ببابه وكثرت عليه الاتباع والاعوان والقواسة والفراشون وصاكرومية ومترجمون وكلارجية ووكلاء وحضرت مشايخ البلاد والفلاحون الكثيرة بالهدايا والتقادم والاغنام والجمال والخيول وضاقت دارهم فاتخذ دورا بجواره وانزل بها

فبلغ هذا فساروا اليها وبها الملك العزيز بن جلال الدولة فقاتلهم ليمنعهم فلم يكن له بهم قوة فانهزم منهم وفارق البصرة وكاد يهلك هو ومن معه عطشا فمن الله عليهم بمطر جود فشربوا منه وأصعدوا الى واسط وملك عسكر ابي كاليجار البصرة ونهب الديلم اسواقها وسلم منها البعض بمال بذلوه لمن يحميهم وتتبعوا اموال أصحاب جلال الدولة من الاتراك وغيرهم فلما بلغ جلال الدولة الخبر اراد الانحدار الى واسط فلم يوافقه الجند وطلبوا منه مالا يفرق فيهم فلم يكن عنده شيء فشرع في مصادرات الناس وأخذ اموالهم لاسيما ارباب الاموال فصادر جماعة

(ذكر وفاة صاحب كرمان واستيلاء أبي كاليجار عليها)

في هذه السنة في ذي القعدة توفي قوام الدولة أبو الفوارس بن بهاء الدولة صاحب كرمان وكان قد تجهز لقصد بلاد فارس وجمع عسكرا كثيرا فادركه اجله فلما توفي نادى أصحابه بشعار الملك ابي كاليجار وارسلوا اليه يطلبونه اليهم فسار مجدا وملك البلاد بغير حرب ولا قتال وأمن الناس معه وكانوا يكرهون عمه أبا الفوارس لظلمه وسوء سيرته وكان اذا شرب ضرب أصحابه وضرب وزيره يوما مائتي مقرعة وحلفه بالطلاق انه لا يتأوه ولا يخبر بذلك احدا فقيل انهم سموه فمات

(ذكر استيلاء منصور بن الحسين على الجزيرة الدبيسية)

كان منصور بن الحسين الاسدي قد ملك الجزيرة الدبيسية وهي تجاور خوزستان ونادى بشعار جلال الدولة واخرج صاحبها طراد بن دبيس الاسدي سنة ثمان عشرة وأربعمائة فمات طراد عن قريب فلما مات طراد سار ابنه ابو الحسن علي الى بغداد يسأل ان يرسل جلال الدولة معه عسكرا الى بلده ليخرج منصورا منه ويسلمه اليه وكان منصور قد قطع خطبة جلال الدولة وخطب للملك ابي كاليجار فسير معه جلال الدولة طائفة من الاتراك فلما وصلوا الى واسط لم يقف علي بن طراد حتى تجتمع معه سائر من عسكر واسط وسار عجلا واتفق ان اباصالح كوركير كان قد هرب من جلال الدولة وهو يريد اللحاق بابي كاليجار فسمع هذا الخبر فقال لمن معه المصلحة أننا نعين منصورا ولا نمكن عسكر جلال الدولة من اخراجه وتقديم هذا الفعل يدا عند ابي كاليجار فاجابوه الى ذلك فساروا الى منصور واجتمع معه والتقوا هم وعسكر جلال الدولة الذين مع علي بن طراد بسبرود فاقتتلوا فانهزم عسكر جلال الدولة وقتل علي بن طراد وجماعة كثيرة من الاتراك وهلك كثير من المنهزمين بالعطش واستقر ملك منصور بها

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة سار الدزبري وعساكر مصر الى الشام فاوقعوا بصالح بن مرداس وابن الجراح الطائي فهزمهما وقتل صالحا وابنه الاصغر وملك جميع الشام وقيل سنة عشرين وفيها توفيت ام مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه وهي التي كانت تدبر المملكة وترتب الامور وفيها عزل الحسن بن علي بن جعفر ابو علي بن ماكولا من وزارة جلال

الوافدين وجعل بها مضايف وجيوسا وغير ذلك (ولما) قصد يوسف باشا الوزير السفر من مصر وكلمه على تعلقاته وخصوصياته وحضر محمد باشا خسرو فاختص به أيضا اختصاصا كليا وسلم اليه المقاليد الكلية والجزئية وجعله امير الضربخانه وزادت صولته وشهرته وطار صيته واتسعت دائرته وصار بمنزلة شيخ البلد بل اعظم ونفذت اوامره في الاقليم المصري والرومي والحجازي والشامي وادرك من العز والجاه والعظمة مالم يتفق لامثاله من اولاد البلد وكان ديوان بيته اعظم الدواوين بمصر وتغرب وجهاء الناس لخدمته والوصول لسدته ووهب واعطى وراعى جانب كل من انتمى اليه واغدق عليه وكان يرسل الكساوي في رمضان للاعيان والفقهاء والتجار وفيها الشالات الكشميري ويهب المواهب وينعم الانعامات ويهادي أحبابه ويسعفهم ويواسيهم في المهمات وعمل عدة أعراس وولائم وزاره محمد باشا المذكور في داره مرتين أو ثلاثة باستدعاء وقدم له التقادم والهدايا والتحايف والرخوت المثمنة والخيول والتعابي من الاقمشة الهندية والمقصبات ولما ثارت العسكر على محمد باشا وخرج فارا كان بعصبته في ذلك الوقت فركب أيضا بيد القرار معه واختلفت

الدولة وولى الوزارة بعده أبو طاهر الحسن بن طاهر ثم عزل بعد اربعين يوما وولى بعده ابو سعد بن عبد الرحيم وفيها توفى قسطنطين ملك الروم وانتقل الملك الى بنت له وقام بتدبير الملك والجيوش زوجها وهو ابن خالها وفيها توفى الوزير ابو القاسم جعفر بن محمد بن فسانجس بارىق وفيها عدمت الارطاب بالعراق للبرد الذى تقدم فى السنة قبلها وكان يحمل من الاماكن البعيدة الشئ اليسير منه وفيها انقطع الحج من العراق فمضى بعض حجاج خراسان الى كرمان وركبوا فى البحر الى جدة وحجوا وتوفى فى هذه السنة محمد بن محمد بن ابراهيم بن مخلد أبو الحسن التاجر وهو آخر من حدث من اسمعيل بن محمد الصفار ومحمد بن عمرو الرزاز وعمر بن الحسن الشيبانى وكان له مال كثير فسافر الى مصر خوف المصادرة فاقام بها سنة ثم عاد الى بغداد فاخذ ماله فى التقسيط على الكرخ الذى ذكرناه سنة ثمان عشرة واربعمائة فافتقر فلما مات لم يوجد له كفن فارسل له القادر بالله ما يكفن فيه

(ثم دخلت سنة عشرين واربعمائة)

(ذكر ملك يمين الدولة الرى وبلد الجبل)

فى هذه السنة سار يمين الدولة محمود بن سبكتكين نحو الرى فانصرف منوجهر بن قابوس من بين يديه وهو صاحب جرجان وطبرستان وحمل اليه اربعمائة ألف دينار واتزالا كثيرة وكان مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه صاحب الرى قد كاتبه يشكو اليه جنده وكان متشاغلا بالنساء ومطالعة الكتب ونسخها وكانت والدته تدبر مملكته فلما توفيت طمع جنده فيه واختلت أحواله فحين وصلت كتبه الى محمود سير اليه جيشا وجعل مقدمهم حاجبه وامره ان يقبض على مجد الدولة فلما وصل العسكر الى الرى ركب مجد الدولة يلتقيهم فقبضوا عليه وعلى أبى دلف ولده فلما انتهى الخبر الى يمين الدولة بالقبض عليه سار الى الرى فوصلها فى ربيع الآخر ودخلها واخذ من الاموال ألف ألف دينار ومن الجواهر ما قيمته خمسمائة ألف دينار ومن الثياب ستة آلاف ثوب ومن الآلات وغيرها ما لا يحصى واحضر مجد الدولة وقال له أما قرأت شاهنامه وهو تاريخ الفرس وتاريخ الطبرى وهو تاريخ المسلمين قال بلى قال ما حالك حال من قرأها أما لعبت بالشطرنج قال بلى قال فهل رأيت شاها يدخل على شاه قال لا قال فما حملك على ان سلمت نفسك الى من هو اقوى منك ثم سيره الى خراسان مقبوضا ثم ملك قزوين وقلاعها ومدينة ساوه وآبه ويافت وقبض على صاحبها ولكين بن وندرين وسيره الى خراسان ولما ملك محمود الرى كتب الى الخليفة القادر بالله يذكر انه وجد لمجد الدولة من النساء الحرائر ما يزيد على خمسين امرأة ولدن له نيفا وثلاثين ولدا ولما سئل عن ذلك قال هذه عادة سلفى وصلب من أصحابه الباطنية خلقا كثيرا ونفى المعتزلة الى خراسان واحرق كتب الفلاسفة ومذاهب الاعتزال والنجوم وأخذ من الكتب ما سوى ذلك مائة حمل وتحصن منه منوجهر بن قابوس بن وشمكير بجبال حصينة وعرة المسالك فلم يشعر الا وقد اطل عليه يمين الدولة فهرب منه الى غياض حصينة وبذل خمسمائة ألف

دينار

بينهما الطريق فصادفه طائفة من العسكر فقبضوا عليه وعروا ثيابه وثياب ولده ومن معه وأخذوا منه جوهرا كثيرا ونقودا ومتاعا فلحقه عمر بك الارنؤدى الساكن ببولاق وادركه وخلصه من أيديهم وأخذه الى داره وجاء وقابل به محمد على وغيره وذهب الى داره واستقر بها الى ان انقضت الفتنة وظهر طاهر باشا فساس أمره معه حتى قتل وحضر الامراء المصريون فتداخل معهم وقدم لهم وهاداهم واتحد بهم وبعثمان بك البرديسى فابقوه على حالته وعجز مطلوبات الجميع ولم يتضضع للزعمات ولم يتقهقر من المفزعات حتى انهم لما أرادوا تقليد الستة عشر صنجقا فى يوم احضره البرديسى ثلث الليلة وأخبره بما اتفقوا عليه ووجده مشغول البال متحيرا فى ملزوماتهم فهون عليه الامر وسهله وقضى له جميع المطلوبات واللوازم للستة عشر أميرا فى ثلث الليلة وما أصبح النهار الا وجميع المطلوبات من خيول ورخوت وفراوى وكساوى ومزركشات وذهب وفضة برسم الانعامات والبقاشيش ومصروف الجيب حاضر لديه بين يديه حتى تعجب هو والحاضرون من ذلك وقال له مثلك من يخدم الملوك وأعطاه فى ذلك اليوم فارسكور زيادة عما

دينار ليه لهم فاجابه الى ذلك فارسل المال اليه فسار عنه الى نيسابور ثم توفي منوجهر عقيب ذلك وولي بعده ابنه انوشروان فاقره محمود على ولايته وقرر عليه خمسمائة ألف دينار أخرى وخطب لمحمود في اكثر بلاد الجبل الى حدود ارمينية وافتتح ابنه مسعود زنجان وابهر وخطب له علاء الدولة باصبهان وعاد محمود الى خراسان واستخلف بالري ابنه مسعودا فقصد اصبهان وملكها من علاء الدولة وعاد عنها واستخلف بها بعض أصحابه فثار به أهلها فقتلوه فعاد اليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة نحو خمسة آلاف قتيل وسار الى الري فاقام بها

❊(ذكر ما فعله السالار ابراهيم بن المرزبان بعد عود يمين الدولة عن الري)❊

هذا السالار هو ابراهيم بن المرزبان بن اسمعيل بن وهسوذان بن محمد بن مسافر الديلمي وكان له من البلاد سرجهان وزنجان وابهر وشهرزور وغيرها وهي ما استولى عليها بعد وفاة فخر الدولة بن بويه فلما ملك يمين الدولة محمود بن سبكتكين الري سير المرزبان بن الحسن بن خراميل وهو من أولاد ملوك الديلم وكان قد التجأ الى يمين الدولة فسيره الى بلاد السالار ابراهيم ليملكها فقصدها واستمال الديلم فمال اليه بعضهم واتفق عود يمين الدولة الى خراسان فسار السالار ابراهيم الى قزوين وبها عسكر يمين الدولة فقاتلهم فاكثر القتل فيهم وهرب الباقون واعانه أهل البلد وسار السالار ايضا الى مكان بقرب سرجهان تطيف به الانهار والجبال فتحصن به فسمع مسعود بن يمين الدولة وهو بالري بما فعل فسار مجدا الى السالار فجرى بينهما وقائع كان الاستظهار فيها للسالار ثم ان مسعودا راسل طائفة من جند السالار واستمالهم واعطاهم الاموال فمالوا اليه ودلوه على عورة السالار وجعلوا طائفة من عسكره في طريق غامضة حتى جعلوه من ورائهم وكبسوا السالار اول رمضان وقاتله مسعود من بين يديه واولئك من خلفه فاضطرب السالار ومن معه وانهزموا وطلب كل انسان منهم مهربا واختفى السالار في مكان فدلت عليه امرأة سوادية فاخذه مسعود وحمله الى سرجهان وبها ولده فطلب منه ان يسلمها فلم يفعل فعاد عنها وتسلم باقي قلاعه وبلاده واخذ امواله وقرر على ابنه المقيم بسرجهان مالا وعلى كل من جاوره من مقدمي الاكراد وعاد الى الري

❊(ذكر ملك ابي كاليجار مدينة واسط ومسير جلال الدولة الى الاهواز ونهبها وعوده الى واسط)❊

في هذه السنة اصعد الملك ابو كاليجار الى مدينة واسط فملكها وكان ابتداء ذلك ان نور الدولة دبيس بن علي بن مزيد صاحب الحلة والنيل ولم تكن الحلة بنيت ذلك الوقت خطب لابي كاليجار في اعماله وسببه ان ابا حسان المقلد بن ابي الاغر الحسن بن مزيد كان بينه وبين نور الدولة عداوة فاجتمع هو ومنيع امير بني خفاجة وارسلا الى بغداد يبذلان مالا يتجهز به العسكر لقتال نور الدولة فاشتد الامر على نور الدولة فخطب لابي

بيده ولما ثارت العسكر على الامراء المصريين وأخرجوهم من مصر واحضروا أحمد باشا خورشيد من سكندرية وقلدوه ولاية مصر وكان كبعض الاغوات مختصر الحال هيأ له رقم الوزارة والتخوت والخلع واللوازم في أسرع وقت وأقرب مدة ولم يزل شانه في الترفع والصعود وطالعه مقارنا للسعود وحاله مشهور وذكره منشور حتى فاجأته المنية وحالت بينه وبين الامنية وذلك انه لما دعا الباشا في يوم الثلاثاء سابع عشر شهر شعبان نزل الى داره وتغدى عنده وأقام نحو ساعتين ثم ركب وطلع الى القلعة فارسل في أثره هدية جليلة صحبة ولده والسيد أحمد الملا ترجمانه وهي بقج قماش هندي وتفاصيل ومصوغات مجوهرة وشمعدانات فضة وتحايف وخيول مرختة وبدونها برسمه ورسم كبار اتباعه ومضى على ذلك خمسة أيام فلما كان ليلة الاحد ثاني عشرين شعبان المذكور جلس حصة من الليل مع اصحابه يحادثهم ويملي الكتبة المراسلات والحسابات فاخذته رعدة وقال اني اجد بردا فدثروه ساعة ثم ارادوا ايقاظه ليدخل الى حريمه فحركوه فوجدوه خامدا قد فارق الدنيا من تلك الساعة التي دثروه فيها فبكته والامر حتى ركب ولده السيد

محمد الى الباشا في طلوع النهار واخبره ثم رجع الى
داره وحضر ديوان افندي
والقاضي وختموا على خزائنه
وحواصله واشهروا موته
وجهزوه وكفنوه وصلوا عليه
بالازهر في مشهد حافل ثم
رجعوا به الى زاوية العربي
تجاه داره ودفنوه مع السيد
احمد بن عبد السلام وانقضى
امره ثم ان الباشا ألبس ولده
السيد محمد فروة وقفطانا على
الضربخانه وما كان عليه
والده من خدمة الدولة
والالتزام ونزل من القلعة
صحبة القاضي ثم ذهب الى
داره بارك الله فيه واعانه على
وقته *(ومات)* الامير
المبجل على اغا يحيي واصله
مملوك يحيي كاشف تابع
أحمد بك السكري الذي كان
كتخدا عند عثمان بك
الفقاري الكبير المتقدم
ذكرهما ولما ظهر على بك
وأرسل محمد بك ومن معه
الى جهة قبلي بعد قتل صالح
بك كان الامير يحيي في جملة
الامراء الذين كانوا باسيوط
ووقع لهم ما تقدم ذكره من
الهزيمة وتشتتوا في البلاد
فذهب الامير يحيي الى
اسلامبول وصحبته مملوكه
المترجم وأقام هناك الى أن
مات فحضر الامير على تابعه الى
مصر في ايام محمد بك وتزوج
بنت استاذه وسكن بحارة السبع قاعات واشتهر بها وعمل كتخدا

كاليجار ووالده يطمعه في البلاد ثم اتفق انه ملك البصرة على ما ذكرناه فقوى طمعه
فسار من الاهواز الى واسط وبها الملك العزيز بن جلال الدولة ومعه جمع من الاتراك
ففارقها العزيز وقصد النعمانية فعبر عليه نور الدولة الشوق من بلده فهلك كثير من
اثقالهم وغرق جماعة منهم وخطب في البطيحة لابي كاليجار وورد اليه نور الدولة
وارسل ابو كاليجار الى قرواش صاحب الموصل وعنده الاثير عنبر يطلب منه ان ينحدر
الى العراق ليبقى جلال الدولة من الفريقين فانحدر الى الكحيل فمات به الاثير عنبر
ولم ينحدر معه قرواش وجمع جلال الدولة عساكره واستنجد ابا الشوك وغيره وانحدر
الى واسط ولم يكن بين العسكرين قتال وتتابعت الامطار حتى هلكوا واشتد الامر على
جلال الدولة لفقره وقلة الاموال وغيرها عنده فاستشار اصحابه فيما يفعل فاشاروا ان
يقصد الاهواز وينهبها ويأخذ ما بها من اموال ابي كاليجار وعسكره فسمع ابو كاليجار ذلك
فاستشار ايضا اصحابه فقال بعضهم ما عدل جلال الدولة عن القتال الا لضعف فيه
والرأى ان تسير الى العراق فتأخذ من اموالهم ببغداد أضعاف ما يأخذون منا فاتفقوا
على ذلك فأتاهم جاسوس من أبي الشوك يخبرهم بمسير عساكر محمود بن سبكتكين الى
طخرو انهم يريدون العراق ويشير بالصلح واجتماع الكلمة على دفعهم عن البلاد
فانفذ ابو كاليجار الكتاب الى جلال الدولة وقد سار الى الاهواز واقام ينتظر
الجواب ظنا منه ان جلال الدولة يعود بالكتاب فلم يلتفت جلال الدولة ومضى الى
الاهواز فنهبها وأخذ من دار الامارة مائتي ألف دينار واخذوا مالا يحصى ودخل
الاكراد والاعراب وغيرهم الى البلد فاهلكوا الناس بالنهب والسبي وأخذت والدة
ابي كاليجار وابنته وام ولده وزوجته فماتت امه وحمل من عداها الى بغداد ولما سمع
ابو كاليجار الخبر سار ليلقى جلال الدولة فتخلف عنه دبيس بن مزيد خوفا على اهله
وحلله من خفاجة والتقى ابو كاليجار وجلال الدولة آخر ربيع الاول سنة احدى
وعشرين فاقتتلوا ثلاثة أيام وانهزم أبو كاليجار وقتل من أصحابه ألفا رجل ووصل
الى الاهواز باسوا حال فأتاه العادل بن مافنة بمال فحسنت حاله وأما جلال الدولة فانه
عاد واستولى على واسط وجعل ابنه العزيز بها واصعد الى بغداد ومدحه المرتضى
ومهيار وغيرهما وهنؤه بالظفر

(ذكر حال دبيس بن مزيد بعد الهزيمة)

لما عاد دبيس بن مزيد الاسدي وفارق أبا كاليجار وصل الى بلده وكان قد خالف عليه
قوم من بني عمه ونزلوا الجامعين فاتاهم وقاتلهم فظفر بهم وأسر منهم جماعة منهم شبيب
وسرايا ووهب بنو حماد بن مزيد وأبو عبد الله الحسين بن أبي الغنائم بن مزيد وحملهم
الى الجوسق ثم ان المقلد بن أبي الاغر بن مزيد وغيره اجتمعوا ومعهم عسكر من جلال
الدولة وقصدوا دبيسا وقاتلوه فانهزم منهم وأسر من بني عمه خمسة عشر رجلا فقتل
المعتقلون بالجوسق وهم شبيب وأصحابه الى حلله فحرسوها وسار دبيس منهزما الى

السندية الى حصدة الدولة أبي منصور كامل بن قراد فاستصحبه الى أبي سنان غريب ابن مقن حتى أصلح أمره مع جلال الدولة وعسكره وتكفل به وضمن عنه عشرة آلاف دينار سابورية اذا أعيد الى ولايته فاجيب الى ذلك وخلع عليه فعرف المقلد الحال ومعه جمع من خفاجة فنهبوا مطيراباذ والنيل وسورا أقبح نهب واستاقوا مواشيها واحرقوا منازلها وعبر المقلد دجلة الى أبي الشوك واقام عنده الى أن احكم امره

(ذكر عصيان زناتة ومحاربتهم بافريقية)

في هذه السنة تجمعت زناتة وعاودت الخلاف على المعز بافريقية فبلغ ذلك المعز فجمع عساكره وسار اليهم بنفسه فالتقوا بموضع يعرف بجمديس الصابون ووقعت الحرب بين الطائفتين واشتد القتال فانهزمت زناتة وقتل منهم عدد كثير واسر مثلهم وعاد المعز ظافرا غانما

(ذكر ما فعله يمين الدولة وولده بعده بالغز)

في هذه السنة أوقع يمين الدولة بالاتراك الغز وفرقهم في بلاده لانهم كانوا قد أفسدوا فيها وهؤلاء كانوا أصحاب ارسلان بن سلجوق التركي وكانوا بمفازة بخارا فلما عبر يمين الدولة النهر الى بخارا هرب علي تكين صاحبها منه على ما ذكره وحضر ارسلان بن سلجوق عند يمين الدولة فقبض عليه وسجنه ببلاد الهند وأسرى الى خركاهاته فقتل كثيرا من أصحابه وسلم منهم خلق كثير فهربوا منه ولحقوا بخراسان فافسدوا فيها ونهبوا هذه السنة فارسل اليهم جيشا فسبوا وهموا واجلوهم عن خراسان فسار منهم اهل الفي خركاة فلحقوا باصبهان فكتب يمين الدولة الى علاء الدولة بانفاذهم اوانفاذ رؤسهم فامر نائبه ان يعمل طعاما ويدعوهم اليه ويقتلهم فارسل اليهم واعلمهم انه يريد اثبات اسمائهم ليستخدمهم وكمن الديلم في البساتين فحضر جمع كثير منهم فلقيهم مملوك تركي لعلاء الدولة فاعلمهم الحال فعادوا فاراد نائب علاء الدولة أن يمنعهم من العود فلم يقبلوا منه فحمل ديلمي من قواد الديلم على انسان منهم فرماه التركي بسهم فقتله ووقع الصوت بذلك فخرجت الديلم وانضاف اليهم أهل البلد فجرى بينهم حرب فهزموهم فقلع الترك خركاهاتهم وساروا ولم يجتازوا على قرية الا نهبوها الى ان وصلوا الى همذان باذربيجان فراعاهم وتفقدهم وبقي بخراسان اكثر من قصد اصبهان فاتوا جبل بلخان وهو الذي عنده خوارزم القديمة فنزل كثير منهم من الجبل الى البلاد فنهبوا واخربوا وقتلوا فجرد محمود بن سبكتكين اليهم ارسلان الجاذب امير طوس فسار اليهم ولم يزل يتبعهم نحو سنتين في جموع كثيرة من العساكر فاضطر محمود الى قصد خراسان بسببهم فسار يطلبهم من نيسابور والى دهستان فساروا الى جرجان ثم عاد عنهم وجعل ابنه مسعودا بالري على ما ذكرناه فاستخدم بعضهم ومقدمهم يغمر فلما مات محمود ابن سبكتكين سار مسعود ابنه الى خراسان وهم معه فلما ملك غزنة سالوه فيمن بقي منهم بجبل بلخان فاذن لهم في العود على شرط الطاعة والاستقامة ثم ان مسعودا قصد

عند سليمان اغا الوالى الى ان تقلد سليمان اغا المذكور أغاوية مستحفظان فصار المترجم مقبولا عنده ويتوسط الناس عنده في القضايا والدعاوى واشتهر ذكره من حينئذ وارتاح الناس عليه في غالب المقتضيات وباشر فصل الحكومات بنفسه وكان قليل الطمع لين الجانب ولما تقلد مخدومه الصنجقية بقي معه على حالته في القبول والكتخدائية وزادت شهرته وتداخل في الامور الجسيمة عند الامراء ولما حضر حسن باشا وخرج مخدومه من مصر مع من خرج وظهر شان اسمعيل بك والعلويين استوزره حسن بك الجداوي وعظم امره أيضا في ايامه مع مباشرته لوازم مخدومه الاول وقضاء اشغاله مرا واشترى دار مصطفى اغا الجراكسة التي بجوار العريني بالقرب من الفحامين وانتقل من السبع قاعات وسكن بها وسافر مرارا الى الجهة القبلية سفيرا بين الامراء البحرية والقبلية في المراسلات والمصالحات وكذلك في بعض المقتضيات بالبلاد البحرية ولم يزل وافر الحرمة حتى كانت دولة العثمانيين ونما أمر السيد احمد المحروقي فانضوى اليه لقرب داره منه فقيده ببعض الخدم وجبي الاموال من البلاد الجسيمة فارسله قبل

بلاد الهند عند عصيان أحمد ينالتكين فعاودوا الفساد فسير تاش فراش فى عسكر كثير الى الرى لاخذها من علاء الدولة فلما بلغ نيسابور ورأى سوء فعلهم دعا مقدميهم وقتل منهم نيفا وخمسين رجلا فيهم يغمر فلم ينتهوا وساروا الى الرى وبلغ مسعودا ماهم عليه من الشر والفساد فاخذ حللهم وسيرها الى الهند وقطع أيدى كثير منهم وارجلهم وصلبهم (هذه اخبار عشيرة ارسلان بن سلجوق) واما أخبار طغرلبك وداود واخيهما بيغو فانهم كانوا بما وراء النهر وكان من أمرهم ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى لانهم صاروا ملوكا تجيء أخبارهم على السنين ولما اوقع تاش فراش حاجب السلطان مسعود بالغز ساروا الى الرى يزعمون انهم يريدون اذربيجان واللحاق بمن مضى منهم اولا الى هناك ويسمون العراقية وكان اسم امراء هذه الطائفة كوكتاش وبوقا وقزل ويغمر وناصغلى فوصلوا الى الدامغان فخرج اليهم عسكرها واهل البلد ليمنعوهم عنه فلم يقدروا فصعدوا الجبل وتحصنوا به ودخل الغز البلد ونهبوه وانتقلوا الى سمنان ففعلوا فيها مثل ذلك ودخلوا خوار الرى ففعلوا امثاله ونهبوا اسحق اباذ وما يجاورها من القرى وساروا الى مشكويه من اعمال الرى فنهبوها وتجهز ابو سهل الحمدونى وتاش فراش وكاتبا الملك مسعودا وصاحب جرجان وطبرستان بالحال وطلبا النجدة واخذ تاش ثلاثة آلاف فارس وما عنده من الفيلة والسلاح وسار الى الغز ليواقعهم وبلغهم خبره فتركوا نساءهم واموالهم وماغنموا من خراسان وهذه البلاد المذكورة وساروا جريدة فالتقوا فركب تاش الفيل ووقعت الحرب بين الفريقين فكانت اولا لتاش ثم ان الغز اسروا مقدم الاكراد الذين مع تاش وارادوا قتله فقال لهم استبقونى حتى آمر الاكراد الذين مع تاش بترك قتالكم وتركوه وعاهدوه على اطلاقه فارسل الى الاكراد يقول لهم ان قاتلتم قتلت فقتروا فى القتال وحملت الغز وكانوا خمسة آلاف على تاش فراش وعسكره فانهزم الاكراد وثبت تاش واصحابه فقتل الغز الفيل الذى تحته فسقط فقتلوه وقطعوه اخذا بثار من قتل منهم وقتل معه عدد كثير من الخراسانية واكابر القواد وغنموا بقية الفيلة واثقال العسكر وساروا الى الرى فاقتتلوا هم وابو سهل الحمدونى ومن معه من الجند واهل البلد فصعد هو ومن معه قلعة طبرك ودخل الغز البلد ونهبوا عدة محال نهبا واجتاحوا الاموال ثم اقتتلوا هم وابو سهل فاسر منهم ابن اخت ايغمر امير الغز وقائدا كبيرا من قوادهم فبذلوا فيهما اعادة ما أخذوا من عسكر تاش واطلاق الاسرى وحمل ثلاثين ألف دينار فقال لا أفعل الا بامر السلطان وخرج الغز عن البلد ووصل عسكر من جرجان فلما قربوا من الرى سار اليهم الغز فكبسوهم واسروا مقدمهم واسروا معه نحوا الفى رجل وانهزم الباقون وعادوا وكان هذا سنة سبع وعشرين واربعمائة

(ذكر وصول علاء الدولة الى الرى واتفاقه مع الغز وعودهم الى الخلاف عليه)

لما فارق الغز الرى الى اذربيجان علم علاء الدولة ذلك فسار اليها ودخلها وهو يظهر طاعة السلطان مسعود بن سبكتكين فارسل الى أبى سهل الحمدونى يطلب منه ان يقرر

الذى

موته الى الجهة بشبيش فعرض بها فلما قام حسن بك اخو طاهر باشا على التجريدة الموجهة الى ناحية قبلى طلبوا رجلا من المصريين يكون رئيسا عاقلا يكون كتخداه فاشاروا على المترجم فطلبه الباشا من السيد احمد بروقى فارسل اليه بالحضور فحضر فى اليوم الذى توفى فيه طاهر وتوقف فاقام اياما حتى امر ى اشتغاله وسافر وهو متوعك وتوفى بسمالوط فى ثالث القعدة وحضروا برمته فى ليلة الجمعة ثامنه وخرجوا بجنازته من بيته وصلوا عليه بالازهر ودفنوه بالقرافة رحمه الله تعالى وغفر له

(واستهلت سنة عشرين ومائتين والف)

فكان ابتداء المحرم يوم الاثنين ولما نزل الدلاة جهة البساتين وتلك النواحى فاكلوا زروعات الناس ونهبوا دورا بدير الطين وطلبوا علوفات زائدة ورتب لهم الباشا الجرايات والعليق والجامكية وقدرها ستمائة كيس فى كل شهر (وفى ثامنه) سافر أناس كثيرة لزيارة مولد سيدى أحمد البدوى المعتاد وسافر ايضا الشيخ الشرقاوى وحضر هناك كاشف الغربية وحصل منه قبائح كثيرة وقبض على بخلائق كثيرة وبلصهم وحبسهم وخوزق اناسا كثيرة من غير

الذى عليه بمال يؤديه فامتنع من اجابته مخافة علاء الدولة فارسل الى الغز يستدعيهم ليعطيهم الاقطاع ويتقوى بهم على الحمدونى فعاد منهم نحو الف وخمسمائة مقدمهم قزل وسار الباقون الى اذربيجان فلما وصل الغز الى علاء الدولة احسن اليهم وعسك بهم واقاموا عنده ثم ظهر على بعض القواد الخراسانية الذين عنده انه دعا الغز الى موافقته على الخروج عليه والعصيان فارسل اليه علاء الدولة واحضره وقبض عليه وحبسه فى قلعة طبرك فاستوحش الغز لذلك ونفروا فاجتهد علاء الدولة فى تسكينهم فلم يفعلوا وعاودوا الفساد والنهب وقطع الطريق وعاد علاء الدولة راسل أباسهل الحمدونى وهو بطبرستان وقرر معه امر الرى ليكون فى طاعة مسعود فاجابه الى ذلك وسار الى نيسابور وبقى علاء الدولة بالرى

(ذكر ما كان من الغز الذين باذربيجان ومفارقتها)

قد ذكرنا ان طائفة من الغز وصلوا الى اذربيجان فاكرمهم وهسوذان وصاهرهم رجاء نصرهم وكف شرهم وكان اسماء مقدميهم بوقا وكوكتاش ومنصور ودانا وكان ما امله بعيدا فانهم لم يتركوا الشر والفساد والقتل والنهب وساروا الى مراغة فدخلوها سنة تسع وعشرين واحرقوا جامعها وقتلوا من عوامها مقتلة كثيرة ومن الاكراد الهذبانية كذلك وعظم الامر واشتد البلاء فلما راى الاكراد ما حل بهم وباهل البلاد شرعوا فى الصلح والاتفاق على دفع شرهم فاصطلح ابو الهيجاء بن ربيب الدولة وهسوذان صاحب اذربيجان واتفقت كلمتهما واجتمع معهما اهل تلك البلاد فانتصفوا من الغز فلما راوا اجتماع اهل البلاد على حربهم انصرفوا عن اذربيجان وتعذر عليهم المقام بها ثم انهم افترقوا فسارت طائفة الى الذين على الرى ومقدمهم بوقا وسارت طائفة منهم ومقدمهم منصور وكوكتاش الى همذان فحصروها وبها ابو كاليجار بن علاء الدولة بن كاكويه فاتفق هو واهل البلاد على قتالهم ودفعهم عن انفسهم وبلدهم فقتل بين الفريقين جماعة كثيرة وطال مقامهم على همذان فلما راى ابو كاليجار بن علاء الدولة ذلك وضعفه عن مقاومتهم راسل كوكتاش وصالحه وصاهره واما الذين قصدوا الرى فانهم حصروها وبها علاء الدولة بن كاكويه واجتمع معهم فناخسرو بن مجد الدولة وكامرو الديلمى صاحب ساوة فكثر جمعهم واشتدت شوكتهم فلما راى علاء الدولة انهم كلما جاء امرهم ازداد قوة وضعف هو خاف على نفسه وفارق البلد فى رجب ليلا ومضى هاربا الى اصبهان واحتفل أهل البلد وغرقوا وعدلوا عن القتال الى الاحتيال للهرب وغاداهم الغز من الغد بالقتال فلم يثبتوا لهم ودخلوا البلد ونهبوا نهبا فاحشا وسبوا النساء وبقوا كذلك خمسة أيام حتى نجا الحرم الى الجامع وتفرق الناس فى كل مذهب ومهرب وكان السعيد من نجا بنفسه وكانت هذه الوقعة بعد التى تقدمتها مستاصلة حتى قيل ان بعض الجمع لم يكن بالجامع الا خمسين نفسا ولما فارق علاء الدولة الرى تبعه جمع من الغز فلم يدركوه فعدلوا الى

(وفيه) الشيخ قدوم محمد على وحسن باشا الى مصر وذلك انهما لما سمعا بوصول طائفة الدلاة وان احمد باشا ارسل اليهم وطلبهم ليتعاضد بهم ويقوى بهم مساعده على الارنؤدية عزموا على الرجوع الى مصر ليتلافوا امرهم قبل استفحال الامر (وفى يوم الخميس حادى عشره) طلب الباشا المشايخ وعمر افندى النقيب والوجاقلية وارباب الديوان فلما اجتمعوا قال لهم ان محمد على وحسن باشا راجعان من قبلى من غير اذن وطالبان شرا فاما ان يرجعا من حيث أتيا ويقاتلا المماليك واما ان يذهبا الى بلادهما او اعطيهما ولايات ومناصب فى غير اراضى مصر ومعى امر من السلطان ووكيل مفوض ودستور مكرم اعزل من اشاء واولى من اشاء واعطى من اشاء وامنع من اشاء ثم اخرج من جيبه ورقة صغيرة فى كيس حرير اخضر واخبرهم انها بخط السلطان بما ذكر فانتم تسكونون معى وتقيمون عندى صحبة كبار الوجاقلية فقالوا له ان الشيخ الشرقاوى والشيخ البكرى والشيخ المهدى غائبون عن مصر فقال نرسل لهم بالحضور فكتبوا لهم اوراقا من الباشا وارسلوها اليهم مع السعاة يستعجلونهم للحضور ثم اتفقوا على ان يبيت عنده بالقلعة فى كل ليلة اثنان من

كرج فنهبوها وفعلوا فيها الافاعيل القبيحة ومضى طائفة منهم ومقدمهم ناصغلى الى قزوين فقاتلهم أهلها ثم صالحوهم على سبعة آلاف دينار وصاروا في طاعته وكان بارمية طائفة منهم فساروا الى بلد الارمن فاوقعوا بهم واثخنوا فيهم واكثروا القتل وغنموا وسبوا وعادوا الى ارمية واعمال ابي الهيجاء الهذباني فقاتلهم اكرادها لما انكروه من سوء مجاورتهم فقتل خلق كثير ونهب الغز سواد البلاد هنالك وقتلوا من الاكراد كثيرا

﴿ذكر ملك الغز همذان﴾

قد ذكرنا حصار الغز همذان وصلحهم مع صاحبها أبي كاليجار بن علاء الدولة بن كاكويه فلما كان الآن وملك الغز الري عاودوا حصار همذان وساروا اليها من الري ما مقدمهم قزل وجماعته واجتمع معهم من بها من الغز فلما سمع ابو كاليجار بهم علم انه لا قدرة له عليهم فسار عنها ومعه وجوه التجار وأعيان البلد وتحصن بكنكور ودخل الغز همذان سنة ثلاثين وأربعمائة واجتمع عليها من مقدميهم كوكتاش وبوقا وقزل ومعهم فناخسرو بن مجد الدولة بن بويه في عدة كثيرة من الديلم فلما دخلوها نهبوها نهبا منكرا لم يفعلوه بغيرها من البلاد غيظا منهم وحنقا عليهم حيث قاتلوهم اولا وأخذوا الحرم وضربت سراياهم الى اسداباذ وقرى الدينور واستباحوا تلك النواحي وكان الديلم اشد عليهم فخرج اليهم ابو الفتح بن ابي الشوك صاحب الدينور فواقعهم واستظهر عليهم واسر منهم جماعة فراسله امراؤهم في اطلاقهم فامتنع الا على صلح وعهود فاجابوه وصالحوه فاطلقهم ثم ان الغز بهمذان راسلوا أبا كاليجار بن علاء الدولة وصالحوه وطلبوا اليه ان ينزل اليهم ليدبر أمرهم ويصدرون عن رأيه وارسلوا اليه زوجته التي تزوجها منهم فنزل اليهم فلما صار معهم وثبوا عليه فانهزم ونهبوا ماله وما كان معه من دواب وغيرها فسمع ابوه فخرج من اصبهان الى اعماله بالجبل ليشاهدها فوقع بطائفة كثيرة من الغز فظفر بهم وقتل منهم فاكثر واسر منهم ودخل اصبهان منصورا

﴿ذكر قتل الغز بمدينة تبريز وفراقهم اذربيجان الى الهكارية﴾

في سنة اثنتين وثلاثين قتل وهسوذان بن مملان جمعا كثيرا من الغز بمدينة تبريز وكان سبب ذلك انه دعا جمعا كثيرا منهم الى طعام صنعه لهم فلما طعموا وشربوا قبض على ثلاثين رجلا منهم من مقدميهم فضعف الباقون فاكثر فيهم القتل فاجتمع الغز المقيمون بارمية وساروا نحو بلاد الهكارية من أعمال الموصل فقاتلهم اكرادها وقاتلوهم قتالا عظيما فانهزم الاكراد وملك الغز حللهم وأموالهم ونساءهم وأولادهم وتعلق الاكراد بالجبال والمضايق وسار الغز في أثرهم فواقعوهم فظفر بهم الاكراد فقتلوا منهم ألفا وخمسمائة رجل واسروا جماعة فيهم سبعة من امرائهم ومائة نفس من وجوههم وغنموا اسلاحهم ودوابهم وما معهم من غنيمة استردوها وسلك الغز طريق

الجبال

المتعممين واثنان من الوجاقلية وأعدوا لهم مكانا بالقصر بجانبه وأمر بأن يذهب الدلاة والعسكر الباقية الى ناحية طرا والجيزة واخذوا مدافع وجبخانه ووصل محمد علي وحسن باشا الى ناحية طرا ومعهم عساكرهم فلم يجسر الدلاتية على ممانعتهم وكادهم محمد على مكايد منها انه أرسل اليهم يقول انما جئنا في طلب العلائف ولسنا مخالفين ولا معاندين فقال الدلاتية لبعضهم اذا كان الامر كذلك فلا وجه للتعرض لهم واخلوا من طريقهم ودخل الكثير من طوائف عساكرهم ورجع الدلاتية الى اماكنهم بدير الطين وقصر العيني والآثار ونزل كتخدا الباشا وعمر بك الارنؤدي فتكلما مع الدلاتية فقالوا ان القوم لم يكن عندهم خلاف ولا تعدوا اذا كنتم تمنعون وتحاربون من يطلب حقه فكذلك تفعلون معنا اذا خدمنا كم زمنا ثم طلبنا علائفنا فرجع الكتخدا وعمر بك الارنؤدي وتتابع دخول أولئك في كل يوم طائفة بعد اخرى وسكنوا الدور والبيوت (وفي يوم الاربعاء) ذهب اليهم سعيد أغا وقابجي باشا الاسودان وسلما على محمد علي وحسن باشا ثم رجعا (وفي يوم الجمعة تاسع عشره) دخل محمد علي بعد العصر وذهب الى بيته

الجبال فتمزقوا وتفرقوا وسمع ابن ربيب الدولة الخبر فسير في آثارهم من يفني باقيهم ثم توفي قزل أمير الغز المقيم بالري وخرج ابراهيم ينال أخو السلطان طغرلبك الى الري فلما سمع به الغز المقيمون بها اجفلوا من بين يديه وفارقوا بلاد الجبل خوفا منه وقصدوا ديار بكر والموصل في سنة ثلاث وثلاثين

﴿ذكر دخول الغز ديار بكر﴾

في سنة ثلاث وثلاثين فارق الغز اذربيجان وسبب ذلك ان ابراهيم ينال وهو اخو طغرلبك سار الى الري فلما سمع الغز الذين بها خبره أجفلوا من بين يديه وفارقوا بلاد الجبل خوفا منه وقصدوا اذربيجان ولم يمكنهم المقام بها لما فعلوا باهلها ولان ابراهيم ينال وراءهم وكانوا يخافونه لانهم كانوا له ولاخويه طغرلبك وداود رعية فأخذوا بعض الاكراد وعرفهم الطريق فاخذبهم في جبال وعرة على الزوزان وخرجوا الى جزيرة ابن عمر فسار بوقا وناصغلي وغيرهما الى ديار بكر ونهبوا قردي وبازبدى والحسنية وفيشابور وبقي منصور بن غزغلي بالجزيرة من الجانب الشرقي فراسله سليمان بن نصر الدولة بن مروان المقيم بالجزيرة في المصالحة والمقام باعمال الجزيرة الى أن ينكشف الشتاء ويسير مع باقي الغز الى الشام فتصالحا وتحالفا واضمر سليمان الغدر به فعمل له طعاما احتفل فيه ودعاه فلما دخل الجزيرة قبض عليه وحبسه وانصرف أصحابه متفرقين في كل جهة فلما علم بذلك قرواش سير جيشا كثيفا اليهم واجتمع معهم الاكراد البشنوية أصحاب فنك وعسكر نصر الدولة فتبعوا الغز فلحقوهم وقاتلوهم فبذل الغز جميع ما غنموه على ان يؤمنوهم فلم يفعلوا فقاتلوا قتال من يخاف الموت فجرحوا من العرب كثيرا وافترقوا وكان بعض الغز قد قصد نصيبين وسنجار للغارة فعادوا الى الجزيرة وحصروها وتوجهت العرب الى العراق ليشتوا بها فاخربت الغز ديار بكر ونهبوا وقتلوا فاخذ نصر الدولة منصورا أمير الغز من ابنه سليمان وراسل الغز وبذل لهم مالا واطلاق منصور ليفارقوا اعماله فاجابوه فاطلق منصورا وأرسل بعض المال فغدروا وزادوا في الشر وسار بعضهم الى نصيبين وسنجار والخابور فنهبوا وعادوا وسار بعضهم الى جهينة وأعمال الفرج فنهبوها فدخل قرواش الموصل خوفا منهم

﴿ذكر ملك الغز مدينة الموصل﴾

لما خرجوا من أذربيجان الى جزيرة ابن عمر وهي من اعمال نصر الدولة بن مروان سار بعضهم الى ديار بكر مع امرائهم المذكورين وسار الباقون الى البقعاء ونزلوا برقعيد فارسل اليهم قرواش صاحب الموصل من ينظر فيهم ويخبر عليهم فلما رأوا ذلك تقدموا الى الموصل فارسل اليهم يستعطفهم ويلين لهم وبذل لهم ثلاثة آلاف دينار فلم يقبلوا فاعاد مراسلتهم ثانية فطلبوا خمسة عشر ألف دينار فالتزمها واحضر أهل البلد واعلمهم الحال فبينما هم مهتمين بجمع المال وصل الغز الى الموصل ونزلوا بالحصباء فخرج اليهم قرواش واجنادهم والعامة فقاتلوهم عامة نهارهم وأدركهم الليل فافترقوا

بالازبكية ودخل حسن باشا في صبحها ودخلت طوائفهم واخذوا الحمير والبغال وجمال السقائين لينقلوا عليها متاعهم ودخلوا البيوت وأزعجوا السكان وأخرجوهم من مساكنهم وفتحوا البيوت المسدودة وكثرت اختلاطهم بالاسواق ومنع الباشا المشايخ والوجاقلية من الذهاب الى محمد علي والسلام عليه واستمر الامر على القلقلة والقلقة والتوحش وأخذ محمد علي في التدبير على احمد باشا وخلعه

(شهر صفر الخير سنة ١٢٢٠)

استهل يوم الاربعاء والامر على ما هو عليه وسعيد أغا ساع ويجتهد في اجراء الصلح ويركب تارة الى الباشا وتارة الى محمد علي والى حسن باشا ويطلع من المشايخ في كل ليلة اثنان وكذلك اثنان من الوجاقلية يبيتون بمكان في دار الضرب وينزلون في الصباح ولم يعقل لذلك معنى وفي كل وقت يقع التشاحن بين افراد العسكر في الطرقات ويقتلون بعضهم بعضا وحضر سليمان كاشف البواب ومر من خلف الجيزة وذهب الى جهة وردان وطلب الاموال من البلاد والكلف وعدى خازنداره الى بر المنوفية ومعه عدة كثيرة من العربان بطلب الاموال من البلاد ومن عصي عليهم من البلاد ضربوهم ونهبوهم وحرقوا

إبراتهم وكاشف المنوفية داخل منوف لا يقدر على الخروج الى خارج وحضر ايضا محمد بك الالفي الى ناحية ابي صير الملق وانتشرت طوائفه وعربانه باقليم الجيزة ومصر مشحونة باخلاط العسكر واجناسهم المختلفة داخل المدينة وخارجها والدالاتية جهة مصر القديمة وقصر العيني والآثار ودير الطين يا كلون الزروعات ويخطفون ما يجدونه مع الفلاحين والمارين ويأخذون ما معهم ويخطفون النساء والاولاد بل ويلوطون في الرجال الاختيارية (وفي اوله) حضر سكان مصر القديمة نساء ورجالا الى جهة الجامع الازهر يشكون ويستغيثون من أفعال الدالاتية ويخبرون أن الدالاتية قد أخرجوهم من مساكنهم واوطانهم قهرا عنهم ولم يتركوهم يأخذون ثيابهم ومتاعهم بل ومنعوا النساء ايضا عندهم وما خلص منهم الا من تسلق ونط من الحيطان وحضروا على هذه الصورة فركب المشايخ الى الباشا وخاطبوه في امرهم فكتب فرمانا خطابا للدالاتية بالخروج من الدور وتركها الى أصحابها فلم يمتثلوا ولم يسمعوا لذلك وخوطب الباشا ثانيا واخبروه بعصيانهم فقال انهم مقيمون ثلاثة أيام ثم يسافرون وزاد الضجيج والجمع فاجتمع المشايخ في

فلما كان الغد عادوا الى القتال فانهزمت العرب وأهل البلد وهرب قرواش في سفينة نزلها من داره وخرج من جميع ماله الا الشئ اليسير ودخل الغز البلد فنهبوا كثيرا منه ونهبوا جميع ما لقرواش من مال وجوهر وحلي وثياب وأثاث ونجا قرواش في السفينة ومعه نفر فوصل الى السن وأقام بها وأرسل الى الملك جلال الدولة يعرفه الحال ويطلب النجدة وأرسل الى دبيس بن مزيد وغيره من امراء العرب والاكراد يستمدهم ويشكو ما نزل به وعمل الغز باهل الموصل الاعمال الشنيعة من القتل وهتك الحريم ونهب المال وسلم عدة محال منها سكة ابي نجيح والجصاصة وجارسوك وشاطئ نهر وباب القصابين على مال ضمنوه فكفوا عنهم

(ذكر وثوب أهل الموصل بالغز وما كان منهم)

قد ذكرنا ملك الغز الموصل فلما استقروا بها قسطوا على أهلها عشرين ألف دينار وأخذوها ثم تتبعوا الناس وأخذوا كثيرا من أموالهم بحجة أموال العرب ثم قسطوا أربعة آلاف دينار اخرى فحضر جماعة من الغز عند ابن فرغان الموصلي وطالبوا انسانا بحضرته واساؤا الادب والقول وجرى بين بعض الغز وبعض المواصلة مشاجرة فجرحه الغز وقطع شعره وكان للموصلي والدة سليطة فلطخت وجهها بالدم وأخذت الشعر بيدها وصاحت المستغاث بالله وبالمسلمين قد قتل لي ابن وهذا دمه وابنة وهذا شعرها وطافت في الاسواق فثار الناس وجاؤا الى ابن فرغان فقتلوا من عنده من الغز وقتلوا من ظفروا به منهم ثم حصروهم في دار فقاتلوا من سطحه فنقب الناس عليهم الدار وقتلوهم جميعهم غير سبعة انفس منهم أبو علي ومنصور فخرج منصور الى الحصباء ولحق به من سلم منهم وكان كوكتاش قد فارق الموصل في جمع كثير فارسلوا اليه يعلمونه الحال فعاد اليهم ودخل البلد عنوة في الخامس والعشرين من رجب سنة خمس وثلاثين ووضعوا السيف في أهله وأسروا كثيرا ونهبوا الاموال وأقاموا على ذلك اثني عشر يوما يقتلون وينهبون وسلمت سكة أبي نجيح فان أهلها احسنوا الى الامير منصور فرعى لهم ذلك والتجاء من سلم اليها وبقي القتلى في الطريق فانتنوا العدم من يواريهم ثم طرحوا بعد ذلك كل جماعة في حفيرة وكانوا يخطبون للخليفة ثم لطغرلبك ولما طال مقامهم بهذه البلاد وجرى منهم ما ذكرناه كتب الملك جلال الدولة بن بويه الى طغرلبك يعرفه ما يجري منهم وكتب اليه نصر الدولة بن مروان يشكو منهم فكتب الى نصر الدولة يقول له بلغني ان عبيدنا قصدوا بلادك وانك صانعتهم بمال بذلته لهم وأنت صاحب ثغر ينبغي ان تعطي ما تستعين به على قتال الكفار ويعده انه يرسل اليهم يرحلهم من بلده وكانوا يقصدون بلاد الارمن وينهبون ويسبون حتى ان الجارية الحسناء بلغت قيمتها خمسة دنانير وأما الغلمان فلا يرادون وكتب طغرلبك الى جلال الدولة يعتذر بان هؤلاء التركمان كانوا لنا عبيدا وخدما ورعايا وتبعا يمتثلون الامر ويخدمون الباب ولما نهضنا لتدبير خطب آل محمود بن سبكتكين وانتدبنا الكفاية

صبيحة يوم الخميس بالازهر وتركوا قراءة الدروس

ام خوارزم اذ عادوا الى الرى فعاثوا فيها وأفسدوا فزحفنا بجنودنا من خراسان اليهم مقدرين انهم يلجؤن الى الامان و يلوذون بالعفو والغفران فاذا كان لهم الهيبة وزجرتهم الحشمة ولابد من ان نردهم الى راياتنا خاضعين ونذيقهم من باسنا جزاء المتمردين قربوا ام بعدوا أغاروا أم أنجدوا

(ذكر ظفر قرواش صاحب الموصل بالغز)

قد ذكرنا انحدار قرواش الى السن ومراسلته سائر أصحاب الاطراف فى طلب النجدة منهم فاما الملك جلال الدولة فلم ينجده لزوال طاعته عن جنده الاتراك واما دبيس بن مزيد فسار اليه واجتمعت عليه كافة عقيل وأتته امداد أبى الشوك وابن ورام وغيرهما فلم يدركوا الوقعة فان قرواشا لما اجتمعت عقيل ودبيس عنده سار الى الموصل و بلغ الخبر الى الغز فتاخروا الى تلعفر وبوماريه و تلك النواحى وراسلوا الغز الذين كانوا بديار بكر ومقدمهم ناصغلى وبوقا وطلبوا منهم المساعدة على العرب فساروا اليهم وسمع قرواش بوصولهم فلم يعلم اصحابه لئلا يفشلوا ويجبنوا وسار حتى نزل على العجاج وسارت الغز فنزلوا براس الايل من الفرج وبينهما نحو فرسخين وقد طمع الغز فى العرب فتقدموا حتى شارفوا احلل العرب ووقعت الحرب فى العشرين من شهر رمضان من اول النهار فاستظهرت الغز وانهزمت العرب حتى صار القتال عند حللهم ونساؤهم يشاهدن القتال فلم يزل الظفر للغز الى الظهر ثم انزل الله نصره على العرب وانهزمت الغز واخذهم السيف وتفرقوا وكثر القتل فيهم فقتل ثلاثة من مقدميهم وملك العرب حلل الغز وخركاهاتهم وغنموا اموالهم فعمتهم الغنيمة وادركهم الليل فحجز بينهم وسير قرواش رؤس كثير من القتلى فى سفينة الى بغداد فلما قاربتها اخذتها الاتراك ودفنوها ولم يتركوها تصل انفة وحمية للجنس وكفى الله اهل الموصل شرهم وتبعهم قرواش الى نصيبين وعاد عنهم فقصدوا ديار بكر فنهبوها ثم مالوا على الارمن والروم فنهبوهم ثم قصدوا بلاد اذربيجان وكتب قرواش الى الاطراف يبشر بالظفر بهم وكتب الى ابن ربيب الدولة صاحب ارمية يذكر له انه قتل منهم ثلاثة آلاف رجل فقال للرسول هذا عجب فان القوم لما اجتازوا ببلادى اتفق على قنطرة لابد لهم من عبورها فامرت بعدهم فكانوا نيفا وثلاثين الفا مع لفيفهم فلما عادوا بعد هزيمتهم لم يبلغوا خمسة آلاف رجل فاما ان يكونوا قتلوا أو هلكوا ومدح الشعراء قرواشا بهذا الفتح وممن مدحه ابن شبل بقصيدة منها

باتى الذى أرست نزار بيتها * فى شامخ من عزة المتخير

وهى طويلة (هذه أخبار الغز العراقيين) وانما اوردناها متتابعة لان دولتهم لم تطل حتى نذكر حوادثها فى السنين وانما كانت سحابة صيف تقشعت عن قريب واما السلجوقية فنحن نذكر حوادثهم فى السنين ونذكر ابتداء أمرهم سنة اثنتين وثلاثين ان شاء الله تعالى

وخرجت سربة من الاولاد الصغار يصرخون بالاسواق ويامرون الناس بغلق الحوانيت وحصل بالبلدة ضجة ووصل الخبر الى الباشا بذلك فارسل كتخداءه الى الازهر فلم يجد به أحدا وكان المشايخ انتقلوا بعد الظهر الى بيوتهم لاغراض نفسانية وفشل مستمر فيهم فلما لم ير أحدا ذهب الى بيت الشيخ الشرقاوى وحضر هناك السيد عمر افندى وخلافه فكلموه وأوهموه ثم قام وانصرف وفى حال خروجه رجمه الاولاد بالحجارة وسبوه وشتموه و بقى الامر على السكوت الى يوم الجمعة عاشره والمشايخ تاركون الحضور الى الازهر وغالب الاسواق والدكاكين مغلقة واللغط والوسوسة دائران وبطل طلوع المشايخ والوجاقلية ومبيتهم بالقلعة وفى ذلك اليوم نزل أحمد باشا من القلعة ودخل بيت سعيد أغا وذلك انه ورد قاصد من اسلامبول وعلى يده تقليد لمحمد على بولاية جدة فامتنع من طلوع القلعة فوقع الاتفاق على ان الباشا ينزل الى بيت سعيد أغا ويخلع على محمد على هناك فلما حضر الباشا هناك وحضر محمد على وحسن باشا وأخوه عابدى بك وتقلد محمد على باشا ولاية جدة ولبس فروة وقاووقا وخرج بريم

(ذكر عدة حوادث)

وفي هذه السنة سير الظاهر جيشا من مصر مقدمهم أنوشتكين البربدي فقتل صالح بن مرداس وملك نصر بن صالح مدينة حلب وقد تقدم ذكره في سنة اثنتين وأربعمائة وفيها سقط في البلاد برد عظيم وكان أكثره بالعراق وارتفعت بعده ريح شديدة سوداء فقلعت كثيرا من الاشجار بالعراق فقلعت شجرا كبارا من الزيتون من شرقي النهروان والقته على بعد من غربيها وقلعت نخلة من اصلها وحملتها الى دار بينها وبين موضع هذه الشجرة ثلاث دور وقلعت سقف مسجد الجامع ببعض القرى وفيها في ذي القعدة تولى أبو عبد الله بن ماكولا قضاء القضاة وفيها توفي أبو الحسن علي بن عيسى الربعي النحوي عن نيف وتسعين سنة وأخذ النحو عن أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي وكان فكها كثير الدعابة فمن ذلك انه كان يوما على شاطئ دجلة ببغداد والملك جلال الدولة والمرتضى والرضى كانا معه في سمارية ومعهما عثمان بن جني النحوي فناداه الربعي أيها الملك ما أنت صادق في تشيعك بعلي بن أبي طالب يكون عثمان الى جانبك وعلي يعني نفسه ههنا فأمر بالسمارية فقربت الى الشاطئ وحمله معه وقيل ان هذا القول كان للشريف الرضى وأخيه المرتضى ومعهما عثمان بن جني فقال ما أعجب احوال الشريفين يكون عثمان معهما وعلي يمشي على الشط وفيها أيضا توفي أبو المسك عنبر الملقب بالاثير وكان قد اصعد الى الموصل مغاضبا لجلال الدولة فلقيه قرواش واهله وقبلوا الارض بين يديه فاقام عندهم وكان خصيا لبهاء الدولة ابن بويه وكان قد بلغ مبلغا عظيما لم يحصل أمير ولا وزير في دولة بني بويه من تقبيل يده والارض بين يديه وكان قد استقر بينه وبين قرواش وابي كاليجار قاعدة ان يصعد أبو كاليجار من واسط وينحدر الاثير وقرواش من الموصل لقصد جلال الدولة وكان الاثير قد انحدر من الموصل فلما وصل مشهد الكحيل توفي فيه وفيها انقض كوكب عظيم كالرعد في رجب أضاءت منه الارض وسمع له صوت عظيم كالرعد وتقطع أربع قطع وانقض بعده بليلتين كوكب آخر دونه وانقض بعدهما كوكب اكبر منهما واكثر ضوأ وفيها كانت ببغداد فتنة قوي فيها امر العيارين واللصوص فكانوا يأخذون العملات ظاهرا وفيها قطعت الجمعة من جامع براثا وسببه انه كان يخطب فيها انسان يقول في خطبته بعد الصلاة على النبي وعلى اخيه امير المؤمنين علي بن أبي طالب مكلم الجمجمة ومحيي البشري الالهي مكلم الفتية اصحاب الكهف الى غير ذلك من الغلو المبتدع فأقام الخليفة خطيبا فرجمه العامة فانقطعت الصلاة فيه فاجتمع جماعة من اعيان الكرخ مع المرتضى واعتذروا الى الخليفة بان سفهاء لا يعرفون عملوا ذلك وسألوا اعادة الخطبة فاجيبوا الى ما طلبوا واعيدت الصلاة والخطبة فيه وفيها توفي ابن ابي الهبيش الزاهد المقيم بالكوفة وهو من ارباب الطبقات العالية في الزهد وقبره يزار الى الآن وقد زرته وفيها توفي منوجهر بن قابوس بن وشمكير وملك ابنه انوشروان

الركوب ثارت عليه العسكر وطالبوا منه العلوفة فقال لهم هاهو الباشا عندكم وركب هو وذهب الى داره بالازبكية وصار يفرق وينثر الذهب بطول الطريق ثم ان العسكر ساروا الى احمد باشا ومنعوه من الركوب فلم يزل الى بعد الغروب فلاطفهم حسن باشا ووعدهم ثم ذهب مع حسن باشا الى داره واشيع في المدينة حبسه وفرح الناس وباتوا مسرورين فلما طلع النهار يوم السبت تبين انه طلع ثانيا الى القلعة في آخر الليل وطلع صحبته عابدي بك فاغتم الناس ثانيا (وفي ذلك اليوم) طلب الباشا من ابن المحروقي وجرجس الجوهري الفي كيس واشيع انه عازم على عمل فردة على أهل البلد وطلب اجرة الاملاك بموجب قوائم الفرنساويه (وفيه) ركب الدلاة وذهبوا الى قليوب ودخلوها واستولوا عليها وعلى دورها وربطوا خيولهم على اجرانها وطلبوا من أهلها النفقات والكلف وجعلوا على الدور دراهم يطلبونها منهم في كل يوم وقرروا على دار شيخ البلد الشواربي كل يوم مائة قرش وحبسوا حريمهم عن الخروج وكان الشواربي بمصر فوصل اليه الخبر بذلك واستمروا على ذلك حتى أخذوا النساء والبنات والاولاد وصاروا يبيعونهم فيما بينهم وبعد أيام ارسل

(ثم)

(ثم دخلت سنة احدى وعشرين واربعمائة)

(ذكر ملك مسعود بن محمود بن سبكتكين همذان)

في هذه السنة سير مسعود بن يمين الدولة محمود جيشا الى همذان فملكوها واخرجوا نواب علاء الدولة بن كاكويه عنها وسار هو الى أصبهان فلما قاربها فارقها علاء الدولة فغنم مسعود ما كان له بها من دواب وسلاح وذخائر فان علاء الدولة اعجل عن اخذه فلم يأخذ الا بعضه وسار الى خوزستان فبلغ الى تستر ليطلب من الملك ابي كاليجار نجدة ومن الملك جلال الدولة و يعود الى بلاده يستنقذها فبقي عند ابي كاليجار مدة وهو عقيب انهزامه من جلال الدولة ضعيف ومع هذا فهو يعده النصرة وتسيير العساكر اذا اصطلح هو وجلال الدولة فبينما هو عنده اذ اتاه خبر وفاة يمين الدولة محمود ومسير مسعود الى خراسان فسار علاء الدولة الى بلاده على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر غزوة للمسلمين الى الهند)

في هذه السنة غزا احمد بن ينالتكين النائب عن محمود بن سبكتكين ببلاد الهند مدينة للهنود هي من اعظم مدنهم يقال لها نرسي ومع احمد نحو مائة الف فارس وراجل وشن الغارة على البلاد ونهب وسبي وخرب الاعمال واكثر القتل والاسر فلما وصل الى المدينة دخل من أحد جوانبها ونهب المسلمون في ذلك الجانب يوما من بكرة الى آخر النهار ولم يفرغوا من نهب سوق العطارين والجوهريين حسب وباقي أهل البلد لم يعلموا بذلك لان طوله منزل من منازل الهنود وعرضه مثله فلما جاء المساء لم يجسر احد على المبيت فيه لكثرة أهله فخرج منه ليامن على نفسه وعسكره وبلغ من كثرة مانهب المسلمون انهم اقتسموا الذهب والفضة كيلا ولم يصل الى هذه المدينة عسكر للمسلمين قبله ولا بعده فلما فارقه أراد العود اليه فلم يقدر على ذلك منه أهله عنه

(ذكر ملك بدران بن المقلد نصيبين)

قد ذكرنا محاصرة بدران نصيبين وانه رحل عنها خوفا من قرواش فلما رحل شرع في اصلاح الحال معه فاصطلحا ثم جرى بين قرواش ونصر الدولة بن مروان نفرة كان سببها ان نصر الدولة كان قد تزوج ابنة قرواش فآثر عليها غيرها فارسلت الى أبيها تشكو منه فارسل يطلبها اليه فسيرها فاقامت بالموصل ثم ان ولد مستحفظ جزيرة ابن عمر وهي لابن مروان هرب الى قرواش وأطمعه في الجزيرة فارسل الى نصر الدولة يطلب منه صداق ابنته وهو عشرون الف دينار ويطلب الجزيرة لنفقتها ويطلب نصيبين لاخيه بدران ويحتج بما خرج بسببها عام اول وترددت الرسل بينهما في ذلك فلم يستقر حال فسير جيشا لمحاصرة الجزيرة وجيشا مع اخيه بدران الى نصيبين فحصرها بدران واتاه قرواش فحصرها معه فلم يملك واحدا من البلدين وتفرق من كان معه من العرب والاكراد فلما راى بدران تفرق الناس عن اخيه سار الى نصر الدولة بن مروان ميافارقين يطلب منه نصيبين فسلمها اليه وارسل من صداق ابنة قرواش خمسة عشر الف

اليوم محمد علي وقرر لهم الكلف على البلاد فصاروا يقبضونها ومن عصى عليهم ضربوه ونهبوه وأرسلوا الى بلدة يقال لها أبو الغيط فامتنعت عليهم وخرج اهلها ودفنوا متاعهم بالجزيرة المقابلة للقرية فركبوا عليهم وحاربوهم فقتل من الفلاحين زيادة عن مائة شخص ودلهم بعض الناس من الفلاحين على خباياهم بالجزيرة فذهبوا اليها واستخرجوها وكانت اشياء كثيرة والامر لله وحده لاشريك له والمشايخ تاركون الحضور الى الازهر وغالب الاسواق والدكاكين مغلقة وبطل طلوع المشايخ والوجاقلية وميتهم بالقلعة فحضر الاغا الى نواحي الازهر ونادى بالامان وفتح الدكاكين في العصر فقال الناس وأي شئ حصل من الامان وهو يريد سلب الفقراء ويأخذ اموالهم ويعمل عليهم غرامات وبواقي هرج ومرج فلما أصبح يوم الاحد ثاني عشره ركب المشايخ الى بيت القاضي واجتمع به الكثير من المتعممين والعامة والاطفال حتى امتلأ الحوش والمقعد بالناس وصرخوا بقولهم شرع الله بيننا وبين هذا الباشا الظالم ومن الاولاد من يقول يالطيف ومنهم من يقول يارب يامتجلي اهلك العجلي ومنهم من يقول حسبنا الله ونعم الوكيل وغير

دينارواصطلحا

(ذكر ملك ابى الشوك دقوقا)

وفيها حصر ابو الشوك دقوقا وبها مالك بن بدران بن المقلد العقيلى فطال حصاره وكان قد ارسل اليه يقول له ان هذه المدينة كانت لابى ولابد لى منها والصواب ان تنصرف عنها فامتنع من تسليمها فحصره بها ثم استظهر وملك البلد فطلب منه مالك الامان على نفسه وماله واصحابه فامنه على نفسه حسب فلما خرج اليه مالك قال له ابو الشوك قد كنت سالتك ان تسلم البلد طوعا وتحقن دماء المسلمين فلم تفعل فقال لو فعلت لعيرتنى العرب واما الآن فلا عار على فقال ابو الشوك ان من اتمام الصنيعة تسليم مالك واصحابك اليك فاعطاه ما كان له اجمع فاخذه وعاد سالما

(ذكر وفاة يمين الدولة محمود بن سبكتكين وملك ولده محمد)

فى هذه السنة فى ربيع الآخر توفى يمين الدولة ابو القاسم محمود بن سبكتكين ومولده يوم عاشوراء سنة ستين وثلثمائة وقيل انه توفى احد عشر صفر وكان مرضه سوء مزاج واسهالا وبقى كذلك نحو سنتين وكان قوى النفس لم يضع جنبه فى مرضه بل كان يستند الى مخدته فاشار عليه الاطباء بالراحة وكان يجلس للناس بكرة وعشية فقال اتريدون ان اعتزل الامارة فلم يزل كذلك حتى توفى قاعدا فلما حضره الموت أوصى بالملك لابنه محمد وهو ببلخ وكان اصغر من مسعود الا أنه كان معرضا عن مسعود لان امره لم يكن عنده نافذا وسعى بينهما اصحاب الاغراض فزادوا اباه نفورا منه فلما اوصى بالملك لولده محمد توفى فخطب لمحمد من اقاصى الهند الى نيسابور وكان لقبه جلال الدولة وارسل اليه اعيان دولة ابيه يخبرونه بموت ابيه ووصيته له بالملك ويستدعونه ويحثونه على السرعة ويخوفونه من اخيه مسعود فحين بلغه الخبر سار الى غزنة فوصلها بعد موت ابيه باربعين يوما فاجتمعت العساكر على طاعته وفرق فيهم الاموال والخلع النفيسة فاسرف فى ذلك

(ذكر ملك مسعود وخلع محمد)

لما توفى يمين الدولة كان ابنه مسعود باصبهان فلما بلغه الخبر سار الى خراسان واستخلف باصبهان بعض اصحابه فى طائفة من العسكر فحين فارقها ثار اهلها بالوالى عليهم بعده فقتلوه وقتلوا من معه من الجند واتى مسعودا الخبر فعاد اليها وحصرها وفتحها عنوة وقتل فيها فاكثر ونهب الاموال واستخلف فيها رجلا كافيا وكتب الى اخيه محمد يعلمه بذلك وانه لا يريد من البلاد التى وصى له ابوه بها شيئا وانه يكتفى بما فتحه من بلاد طبرستان وبلد الجبل واصبهان وغيرها ويطلب منه الموافقة وان يقدمه فى الخطبة على نفسه فاجابه محمد جواب مغالط وكان مسعود قد وصل الى الرى فاحسن الى اهلها وسار منها الى نيسابور ففعل مثل ذلك وأما محمد فانه أخذ على عسكره العهود والمواثيق على المناصحة له والشد منه وسار فى عساكره الى أخيه مسعود محاربا له وكان بعض عساكره يميل الى أخيه مسعود لكبره وشجاعته ولانه قد اعتاد التقدم على الجيوش وفتح البلاد

ذلك وطلبوا من القاضى ان يرسل باحضار المتكلمين فى الدولة الى مجلس الشرع فارسل الى سعيد اغا الوكيل وبشير اغا الذى حضر قبل تاريخه وعثمان اغا قبى كتخدا والدفتردار والشهدانجى فحضر الجميع واتفقوا على كتابة عرضحال بالمطلوبات فعملوا ذلك وذكروا فيه تعدى طوائف العسكر والايذاء منهم للناس واخراجهم من مساكنهم والمظالم والفرد وقبض مال الميرى المعجل وحق طرق المباشرين ومصادرة الناس بالدعاوى الكاذبة وغير ذلك واخذوه معهم ووعدوه برد الجواب فى ثانى يوم وفى ثالث الليلة ارسل الباشا مراسلة الى القاضى يرقق فيها الجواب ويظهر الامتثال ويطلب حضوره اليه من المقدم العلماء ليعمل معهم مشورة فلما وصلته التذكرة حضر بها الى السيد عمر افندى واستشاروا فى الذهاب ثم اتفقوا على عدم التوجه اليه وغلب على ظنهم انها منه خديعة وفى عزمه شئ آخر لانه حضر بعد ذلك من اخبرهم انه كان اعد اشخاصا لاغتيالهم فى الطريق وينسب ذلك الفعل لاوباش العسكران لو عوتب بعد ذلك (فلما اصبحوا يوم الاثنين) اجتمعوا ببيت القاضى وكذلك

و بعضها لخوافه لقوة نفسه وكان محمد قد جعل مقدم جيشه عمه يوسف بن سبكتكين فلما
هم بالركوب في داره بغزنة ليسير سقطت قلنسوته من رأسه فتطير الناس من ذلك
وأرسل اليه التونتاش صاحب خوارزم وكان من أعيان أصحاب أبيه محمود يشير عليه
بموافقة أخيه وترك مخالفته فلم يصغ الى قوله وسار فوصل الى تكناباذ أول يوم من
رمضان واقام الى العيد فعيد هناك فلما كان ليلة الثلاثاء ثالث شوال ثار به جنده
فأخذوه وقيدوه وحبسوه وكان مشغولا بالشرب واللعب عن تدبير المملكة والنظر
في أحوال الجند والرعايا وكان الذي سعى في خذله على خويشاوند صاحب أبيه
واعانه على ذلك عمه يوسف بن سبكتكين فلما قبضوا عليه نادوا بشعار أخيه مسعود
ورفعوا محمدا الى قلعة تكناباذ وكتبوا الى مسعود بالحال فلما وصل الى هرات لقيته
العساكر مع الحاجب على خويشاوند فلما لقيه الحاجب على قبض عليه وقتله وقبض
بعد ذلك أيضا على عمه يوسف وهذه عاقبة الغدر وهما سعيا له في رد الملك اليه وقبض
أيضا على جماعة من أعيان القواد في أوقات متفرقة وكان اجتماع الملك له واتفاق
الكلمة عليه في ذي القعدة واخرج الوزير أبا القاسم أحمد بن الحسن الميمندي الذي
كان وزير ابيه من محبسه واستوزره ورد الامر اليه وكان ابوه قد قبض عليه سنة اثنتى
عشرة واربعمائة لامور انكرها وقيل شره في ماله واخذ منه لما قبض عليه مالا
واعراضا بقيمة خمسة آلاف الف دينار وكان وصول مسعود الى غزنة ثامن جمادى
الآخرة من سنة اثنتين وعشرين واربعمائة فلما وصل اليها وثبت ملكه بها اتته رسل
الملوك من سائر الاقطار الى بابه واجتمع له ملك خراسان وغزنة وبلاد الهند والسند
وسجستان وكرمان ومكران والرى واصبهان وبلاد الجبل وغير ذلك وعظم سلطانه
وخيف جانبه

(ذكر بعض سيرة يمين الدولة)

كان يمين الدولة محمود بن سبكتكين عاقلا دينا خيرا عنده علم ومعرفة وصنف له كثير
من الكتب في فنون العلوم وقصده العلماء من اقطار البلاد وكان يكرمهم ويقبل
عليهم ويعظمهم ويحسن اليهم وكان عادلا كثير الاحسان الى رعيته والرفق بهم كثير
الغزوات ملازما للجهاد وفتوحه مشهورة مذكورة وقد ذكرنا منها ما وصل الينا على
بعد الدهر وفيه ما يستدل به على بذل نفسه لله تعالى واهتمامه بالجهاد ولم يكن فيه
ما يعاب الا انه كان يتوصل الى اخذ الاموال بكل طريق فمن ذلك انه بلغه ان انسانا
من نيسابور كثير المال عظيم الغنى فاحضره الى غزنة وقال له بلغنا انك قرمطى
فقال لست بقرمطى ولي مال يؤخذ منه ما يراد واعفى من هذا الاسم فاخذ منه مالا
وكتب معه كتابا بصحة اعتقاده وجدد عمارة المشهد بطوس الذي فيه قبر على بن موسى
الرضا والرشيد واحسن عمارته وكان ابوه سبكتكين اخربه وكان اهل طوس يؤذون
من يزوره فمنعهم عن ذلك وكان سبب فعله انه راى أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليه
السلام في المنام وهو يقول له الى متى هذا فعلم انه يريد أمر المشهد فامر بعمارته وكان

اجتمع الكثير من العامة فمنعوهم من الدخول الى بيت القاضي وقفلوا بابه وحضر اليهم أيضا سعيد اغا
والجماعة وركب الجميع
وذهبوا الى محمد على وقالوا له
انا لانريد هذا الباشا حاكما
علينا ولابد من عزله من
الولاية فقال ومن تريدونه
يكون واليا قالوا له لانرضى
الا بك وتكون واليا علينا
بشروطنا لما نتوسمه فيك
من العدالة والخير فامتنع أولا
ثم رضي واحضروا له كركا
وعليه قفطان وقام اليه
السيد عمر والشيخ الشرقاوى
فالبساه وذلك وقت العصر
ونادوا بذلك في تلك الليلة في
المدينة وأرسلوا الى أحمد باشا
الخبر بذلك فقال انى مولى
من طرف السلطان فلا اعزل
بامر الفلاحين ولا انزل من
القلعة الا بامر من السلطنة
وأصبح الناس وتجمعوا
أيضا فركب المشايخ ومعهم
الجم الغفير من العامة
وبايديهم الاسلحة والعصى
وذهبوا الى بركة الازبكية
حتى ملؤها وارسل الباشا الى
مصر العتيقة فحمل جمالا
من البقسماط والذخيرة
والجبخانه واخذ الامان
عرصة الرميلة وطلع عمر بك
الارنؤدى الساكن ببولاق
عند الباشا بالقلعة ثم ان محمد
على باشا والمشايخ كتبوا مراسلة
الى عمر بك وصالح أغا قوش
المعضدين لاحمد باشا المخلوع
يذكرون لهما ما اجتمع عليه رأى الجمهور من عزل الباشا ولا ينبغى مخالفتهم ومعاندهم

ربعة مليح الاون حسن الوجه صغير العينين أحمر الشعر وكان ابنه محمد يشبهه وكان ابنه مسعود ممتلئ البدن طويلا

(ذكر عود علاء الدولة الى أصبهان وغيرها وما كان منه)

لما ملك محمود بن سبكتكين طمع فناخسرو بن مجد الدولة بن بويه في الري وكان قد هرب منها لما ملكها عسكر يمين الدولة محمود وقصد قصران وهي حصينة فامتنع بها فلما توفي يمين الدولة وعاد ابنه مسعود الى خراسان جمع هذا فناخسرو جمعا من الديلم والاكراد وغيرهم وقصدوا الري فخرج اليه نائب مسعود بها ومن معه من العسكر فقاتلوه فانهزم منهم وعاد الى بلده وقتل جماعة من عسكره ثم ان علاء الدولة بن كاكويه لما بلغه وفاة يمين الدولة كان بخوزستان عند الملك أبي كاليجار كما ذكرنا وقد أيس من نصره وتفرق بعض من عنده من عسكره وأصحابه والباقون على عزم مفارقته وهو خائف من مسعود ان يسير اليه من أصبهان فلا يقوى هو وأبو كاليجار به فأتاه من الفرج بموت يمين الدولة ما لم يكن في حسابه فلما سمع الخبر سار الى أصبهان فملكها وملك همذان وغيرها من البلاد وسار الى الري فملكها وامتد الى أعمال انوشروان بن منوجهر بن قابوس فأخذ منه خوار الري ودنباوند فكتب انوشروان الى مسعود يهنئه بالملك ويسأله تقرير الذي عليه بمال يحمله فأجابه الى ذلك وسير اليه عسكرا من خراسان فساروا الى دنباوند وقد فاستعادوها وساروا نحو الري فأتاهم المدد والعساكر وممن أتاهم علي بن عمران فكثر جمعهم فحصروا الري وبها علاء الدولة فاشتد القتال في بعض الايام فدخل العسكر الري قهرا والفيلة معهم فقتل جماعة من أهل الري والديلم ونهبت المدينة وانهزم علاء الدولة وتبعه بعض العسكر وجرحه في رأسه وكتفه فالقى لهم دنانير كانت معه فاشتغلوا بها عنه فنجا وسار الى قلعة فردجان على خمسة عشر فرسخا من همذان فأقام بها الى أن برأ من جراحته وكان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى وخطب بالري وأعمال انوشروان لمسعود فعظم شأنه

(ذكر الحرب بين عسكر جلال الدولة وأبي كاليجار)

في هذه السنة في شوال سير جلال الدولة عسكرا الى المذار وبها عسكر أبي كاليجار فالتقوا واقتتلوا فانهزم عسكر أبي كاليجار واستولى أصحاب جلال الدولة على المذار وعملوا بأهلها كل محذور فلما سمع أبو كاليجار الخبر سير اليهم عسكرا كثيفا فاقتتلوا بظاهر البلد فانهزم عسكر جلال الدولة وقتل أكثرهم وثار أهل البلد بمن فيه منهم فقتلوهم ونهبوا أموالهم لقبح سيرتهم كانت معهم وعاد من سلم من المعركة الى واسط

(ذكر الحرب بين قرواش وغريب بن مقن)

في هذه السنة في جمادى الاولى اختلف قرواش وغريب بن مقن وكان سبب ذلك ان غريبا جمع جمعا كثيرا من العرب والاكراد واستمد جلال الدولة فأمده بجملة صالحة من العسكر فسار الى تكريت لحصرها وهي لابي المسيب رافع بن الحسين وكان قد

توجه

لما يترتب على ذلك من الفساد العظيم وخراب الاقليم فاوصلا يقولان في الجواب أرونا سندا شرعيا في ذلك فاجتمع المشايخ في يوم الخميس سادس عشره ببيت القاضي ونظموا سؤالا وكتب عليه المفتون وأرسلوه اليهم فلم يمتثلوا ذلك واستمروا على خلافهم وعنادهم ونزل كثير من اتباع الباشا بمتاعهم الى المدينة وانفصل عنه طائفة الينكجرية ولم يبق معه الا طوائف الارنؤود المغرضون لصالح اغا قوش وعمر اغا (وفي هذه الايام) حضر محمد بك الالفي ومن معه من امرائه وعربانه وانتشروا بجهة الجيزة واستقر الالفي بالمنصورية قرب الاهرام وانتشرت اتباعه الى الجسر الاسود وأرسل مكاتبة الى السيد عمر افندي والشيخ الشرقاوي ومحمد علي باشا يطلب له جهة يستقر فيها هو واتباعه فكتبوا له بان يختار له جهة يرتاح فيها ويتأنى حتى تسكن الفتنة القائمة بمصر واستمر أحمد باشا المخلوع ومن معه على الخلاف والعناد وعدم النزول من القلعة ويقول لا انزل حتى يأتيني أمر من السلطان الذي ولاني وارسل تذكرة الى القاضي يذكر فيها ان العسكر الذين عنده بالقلعة لهم جامكية منكسرة في المدة الماضية وانهم كانوا محولين على مال الجهات ورفع المظالم سنة

توجها الى الموصل وسار قرواش النجدة فجمعا وحشدا وسار المحدر بن فين معهما فبلغا الدكة وغريب يحاصر تكريت وقد ضيق على من بها واهلها يطلبون منه الامان فلم يؤمنهم فحفظوا نفوسهم وقاتلوا اشد قتال فلما بلغه وصول قرواش ورافع سار اليهم فالتقوا بالدكة واقتتلوا فغدر بغريب بعض من معه ونهبوا اسواده وسواد الاجناد الجلالية فانهزم وتبعهم قرواش ورافع ثم كفوا عنه وعن اصحابه ولم يتعرضوا الى حلته وماله فيها وحفظوا ذلك اجمع ثم انهم تراسلوا واصطلحوا وعادوا الى ما كانوا عليه من الوفاق

(ذكر خروج ملك الروم الى الشام وانهزامه)

في هذه السنة خرج ملك الروم من القسطنطينية في ثلثمائة الف مقاتل الى الشام فلم يزل بعساكره حتى بلغوا قريب حلب وصاحبها شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس فنزلوا على يوم منها فلحقهم عطش شديد وكان الزمان صيفا وكان اصحابه مختلفين عليه فمنهم من يحسده ومنهم من يكرهه وممن كان معه ابن الدوقس وهو من اكابرهم وكان يريد هلاك الملك ليملك بعده فقال للملك الراى ان تقيم حتى تجيء الامطار وتكثر المياه فقبح ابن الدوقس هذا الراى واشار بالاسراع قصدا لشر يتطرق اليه ولتدبير كان قد دبره عليه فسار ففارقه ابن الدوقس وابن لؤلؤ في عشرة آلاف فارس وسلكوا طريقا آخر فخلا بالملك بعض اصحابه واعلمه ان ابن الدوقس وابن لؤلؤ قد حالفا أربعين رجلا هو احدهم على الفتك به فاستشعر من ذلك وخاف ورحل من يومه راجعا ولحقه ابن الدوقس وساله عن السبب الذي اوجب عوده فقال له قد اجتمعت علينا العرب وقربوا منا وقبض في الحال على ابن الدوقس وابن لؤلؤ وجماعة معهما فاضطرب الناس واختلفوا ورحل الملك وتبعهم العرب واهل السواد حتى الارمن يقتلون وينهبون واخذوا من الملك اربعمائة بغل محملة مالا وثيابا وهلك كثير من الروم عطشا ونجا الملك وحده ولم يسلم معه من امواله وخزائنه شيء البتة وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وقيل في عدده غير ذلك وهو ان جمعا من العرب ليس بالكثير عبر على عسكره وظن الروم انها كبسة فلم يدروا ما يفعلون حتى ان ملكهم لبس خفا اسود وعادة ملوكهم لبس الخف الاحمر فتركه ولبس الاسود ليعمي خبره على من يريده وانهزموا وغنم المسلمون جميع ما كان معهم

(ذكر مسير ابى على بن ماكولا الى البصرة وقتله)

لما استولى الملك جلال الدولة على واسط وجعل ولده فيها وسير وزيره أبا على بن ماكولا الى البطائح والبصرة ليملكها فملك البطائح وسار الى البصرة في الماء واكثر من السفن والرجال وكان بالبصرة ابو منصور بختيار بن علي نائبا لابي كاليجار فجهز جيشا في اربعمائة سفينة وجعل عليهم أبا عبد الله الشرابي الذي كان صاحب البطيحة وسيره فالتقى هو والوزير ابو على فعند اللقاء والقتال هبت ريح شمال كانت على البصريين

فتقبضونها وترسلونها وتعينوا النا ولهم نرجا ومصاريف الى حين حضور جواب من الدولة وليس في اقامتنا بالقلعة ضرر أو خراب على الرعية فاننا لا نريد اضرارهم فاجابه القاضي بقوله أما ما كان من الجامكية الحولة فانها لازمة عليكم من ايراد المدة التي قبضتموها في المدة السابقة ومن قبيل ماذكرتموه من عدم ضرر الرعية فان اقامتكم بالقلعة هو عين الضرر فانه حضر يوم تاريخه نحو الاربعين الف نفس ٣ بالمحكمة وطالبون نزولكم أو محاربتكم فلا يمكننا دفع قيام هذا الجمهور وهذا آخر المراسلات بيننا وبينكم والسلام فاجابوه بمعنى الجواب الاول واجتهد السيد عمر افندي النقيب وحرض الناس على الاجتماع والاستعداد وركب هو والمشايخ الى بيت محمد على باشا ومعهم الكثير من المشايخ والعامة والوجاقلية والكل بالاسلحة والعصي والنبابيت ولازموا السهر بالليل في الشوارع والحارات ويسرحون احزابا وطوائف ومعهم المشاعل ويطوفون بالجهات والنواحي وجهات السور ثم اتفقوا على محاصرة القلعة

٣ قوله نحو الاربعين ألف في بعض النسخ نحو من ألف وتعين ألف نفس بالمحاكمة وليتامل في ذلك كله كذا بهامش الاصل

وممعونة للوزير فانهزم البصريون وعادوا الى البصرة فعزم بختيار على الهرب الى عبادان فمنعه من سلم عنده من عسكره فأقام متجلدا واشار جماعة على الوزير أبي على ان يعجل الانحدار ويغتنم الفرصة قبل ان يعود بختيار يجمع فلما قاربهم وهو في ألف وثلثمائة عدد من السفن سير بختيار ما عنده من السفن وهي نحو ثلاثين قطعة وفيها المقاتلة وكان قد سير عسكرا آخر في البر وكان له في فم نهر أبي الخصيب نحو خمسمائة قطعة فيها ماله وجميع عسكره من المال والاثاث والاهل فلما تقدمت سفنه صاح من فيها وأجابه من في السفن التي فيها أهلوهم وأموالهم وورد عليهم العسكر الذين في البر فقال الوزير لمن أشار عليه بمعاجلة بختيار الم تزعموا انه في خف من العسكر وان معاجلته أولى واري الدنيا مملوءة عساكر فهونوا عليه الامر فغضب وأمر باعادة السفن الى الشاطئ الى الغد ويعود الى القتال فلما أعاد سفنه ظن اصحابه أنه قد انهزم فصاحوا الهزيمة فكانت هي وقيل بل لما اعاد سفنه لحقهم من في سفن بختيار وصاحوا الهزيمة الهزيمة وأجابهم من في البر من عسكر بختيار ومن في سفنهم التي فيها أموالهم فانهزم أبو على حقا وتبعه اصحاب بختيار واهل السواد ونزل بختيار في الماء واستصرخ الناس وسار في آثارهم يقتل ويأسر وهم يغرقون فلم يسلم من السفن كلها أكثر من خمسين قطعة وسار الوزير ابو على منهزما فأخذ اسيرا واحضر عند بختيار فأكرمه وعظمه وجلس بين يديه وقال له ما الذي تشتهي ان افعل معك قال ترسلني الى الملك أبي كاليجار فارسله اليه فاطلقه فاتفق ان غلاما له وجارية اجتمعا على فساد فعلم بهما وعرفا انه قد علم حالهما فقتلاه بعد اسره بنحو من شهر وكان قد احدث في ولايته رسوما جائرة وسن سننا سيئة منها جباية سوق الدقيق ومقالي الباذنجان وسميريات المشارع ودلالة ما يباع من الامتعة وأجر الحمالين الذين يرفعون التمور الى السفن وما يعطيه الذباحون لليهود ويجرى في ذلك مناوشة بين العامة والجند

(ذكر استيلاء عسكر جلال الدولة على البصرة وأخذها منهم)

لما انحدر الوزير ابو على بن ماكولا الى البصرة على ماذكرناه لم يستصحب معه الاجناد البصريين الذين مع جلال الدولة تأنيسا للديلم الذين بالبصرة فلما اصيب على ماذكرنا تجهز هؤلاء البصريون وانحدروا الى البصرة فوصلوا اليها وقاتلوا من بها من عسكر أبي كاليجار فانهزم عسكر أبي كاليجار ودخل عسكر جلال الدولة البصرة في شعبان واجتمع عسكر أبي كاليجار بالابلة مع بختيار فاقاموا بها يستعدون للعود وكتبوا الى أبي كاليجار يستمدونه فسير اليهم عسكرا كثيرا مع وزيره ذي السعادات أبي الفرج ابن فسانجس فقدموا الى الابلة واجتمعوا مع بختيار ووقعا شروع في قتال من بالبصرة من أصحاب جلال الدولة فسير بختيار جمعا كثيرا في عدة من السفن فقاتلوهم فنصر أصحاب جلال الدولة عليهم وهزموهم فوبخهم بختيار وسار من وقته في العدد الكثير والسفن الكثيرة فاقتتلوا واشتد القتال فانهزم بختيار وقتل من أصحابه جماعة

كثيرة

فلو تسلل عصحل باشا عساكره فى جهات الرميلة والحطابة والطرق النافذة مثل باب القرافة والحصرية وطريق الصليبة وناحية بيت آقبردى وجلسوا بالمحمودية والسلطان حسن وعملوا متاريس فى تلك الجهات وذلك فى تاسع عشره ومنعوا من يطلع ومن ينزل من القلعة واغلق اهل القلعة الابواب ووقفوا على الاسوار يبكت بعضهم بعضا بالكلام ويترامون بالبنادق وصعدوا على منارة السلطان حسن يرمون منها الى القلعة (وفى يوم الاربعاء ثانى عشرينه) ركب السيد عمر افندى والمشايخ ومعهم جمع كثير من الناس الى الازبكية وبعد ركوبهم حضر الجمع الكثير من العامة والعصب وطوائف الاجناد والوجاقلية وعصب النواحى واهل الحسينية والعطوف والقرافة والرميلة والحطابة والصليبة وجميع الجهات ومعهم الطبول والبيارق حتى غصت بهم الازقة فحضروا الى جهات الجامع الازهر ثم رجعوا الى الازبكية ولحقوا بالمشايخ وخرج المشايخ من عند محمد على باشا وذهبوا الى حسن بك اخى طاهر باشا ثم رجعوا واستمر الحال على ذلك الى ليلة الجمعة فنزل بين المغرب والعشاء عدة من العسكر كبيرة وفتحوا باب القلعة بالرميلة وأرادوا الهجوم على المتاريس

كثيرة وأخذه وقتل من غير قصد لقتله وأخذوا كثيرا من سفنه وعاد كل فريق الى موضعه وعزم الاتراك من اصحاب جلال الدولة على مباكرة الحرب واتمام الهزيمة وطالبوا العامل الذى على البصرة بالمال فاختلفوا وتنازعوا فى الاقطاعات فاصعد ابن المعبرانى صاحب البطيحة فسار اليه جماعة من الاتراك الواسطيين ليردوه فلم يرجع فتبعوه وخاف من بقى بعضهم من بعض ان لا يناصحوهم ويسلموهم عند الحرب فتفرقوا واستأمن بعضهم الى ذى السعادات وقد كان خائفا منهم فجاءه ما لم يقدره من الظفر ونادى من بقى بالبصرة بشعار أبى كاليجار فدخلها عسكره وأرادوا نهبها فمنعهم ذو السعادات

❁(ذكر غزو فضلون الكردى الخزر وما كان منه)❁

كان فضلون الكردى هذا بيده قطعة من أذربيجان قد استولى عليها وملكها فاتفق انه غزا الخزر هذه السنة فقتل منهم وسبى وغنم شيئا كثيرا فلما عاد الى بلده ابطأ فى سيره وأمل الاستظهار فى أمره ظنا منه انه قد دوخهم وشغلهم عما لحقهم فاتبعوه مجدين وكبسوه وقتلوا من اصحابه والمطوعة الذين معه اكثر من عشرة آلاف قتيل واستردوا الغنائم التى أخذت منهم وغنموا أموال العساكر الاسلامية وعادوا

❁(ذكر البيعة لولى العهد)❁

فى هذه السنة مرض القادر بالله وارجف بموته فجلس جلوسا عاما واذن للخاصة والعامة فوصلوا اليه فلما اجتمعوا قام الصاحب أبو الغنائم فقال خدم مولانا أمير المؤمنين داعون له باطالة البقاء وشاكرون لما بلغهم من نظره لهم وللمسلمين باختيار الامير أبى جعفر لولاية العهد فقال الخليفة للناس قد اذنا فى العهد له وكان أراد ان يبايع له قبل ذلك فثناه عنه ابو الحسن بن حاجب النعمان فلما عهد اليه القيت الستارة وقعد ابو جعفر على السرير الذى كان قائما عليه وخدمه الحاضرون وهنؤه وتقدم ابو الحسن ابن حاجب النعمان فقبل يده وهناه فقال ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال يعرض له بافساده رأى الخليفة فيه فاكب على تقبيل قدمه وتعفير خده بين يديه والاعتذار فقبل عذره ودعى له على المنابر يوم الجمعة لتسع بقين من جمادى الاولى

❁(ذكر عدة حوادث)❁

فى هذه السنة استوزر جلال الدولة أبا سعد بن عبد الرحيم بعد ابن ماكولا ولقبه عميد الدولة وفيها توفى ابو الحسن بن حاجب النعمان ومولده سنة أربعين وثلثمائة وكان خصيصا بالقادر بالله حاكما فى دولته كلها وكتب له وللطائع أربعين سنة وفيها ظهر متلصصة ببغداد من الاكراد فكانوا يسرقون دواب الاتراك فنقل الاتراك خيلهم الى دورهم ونقل جلال الدولة دوابه الى بيت فى دار المملكة وفيها توفى أبو الحسن ابن عبد الوارث النحوى بفسا وهو نسيب أبى على الفارسى وفيها توفى ابو محمد

فتابعوا عليهم بالرمى فلم يزالوا يترامون الى بعد العشاء الاخيرة ثم رجعوا وعند ما سمع الناس صوت الرمى ذهبوا أرسالا الى جهات المتاريس ثم عادوا بعد رجوع المذكورين الى القلعة كل ذلك وحسن باشا طاهر ومن معه من الارنؤد براءون من بالقلعة من اجناسهم لان غالبهم منهم فلما كان يوم الجمعة رابع عشر ينه طلع عابدى بك اخو حسن باشا الى القلعة ونزل عمر بك وامروا برفع المتاريس وتفرق من بها واشيع نزول الباشا من الغد وبات الناس على ذلك ليلة السبت وهم على ما هم عليه من التجمع والسروح والحيرة (وفى صبح يوم السبت) مر ثلاثة من العسكر العثمانى بناحية قرجوش فصادفوا غلاما حماميا من اللاونجية خرج ليشترى قهوة فارادوا أخذه ففر منهم فضربوه برصاصة وقتلوه وذلك فى صلاة الضحى فتبعهم الناس فوصلوا الى النحاسين وعطفوا على خان الخليلى وارادوا الخلوص الى جهة المشهد الحسينى فاغلقوا فى وجوههم البوابة فضربوا على المتبعين لهم فقتلوا شخصا وجرحوا آخر وخرجوا من القبو الى ناحية الصنادقية وفرغ ما معهم من البارود وقطعوا الى ربع وكالة الشبراوى فاجتمع

الحسن بن يحيي العلوى النهر ابسى الملقب بالكافى وكان موته بالكوفة وفيها فى رجب جاء فى غزنة سيل عظيم أهلك الزرع والضرع وغرق كثيرا من الناس لا يحصون وخرب الجسر الذى بناه عمرو بن الليث وكان هذا الحادث عظيما وفيها فى رمضان تصدق مسعود بن محمود بن سبكتكين فى غزنة بالف ألف درهم وادر على الفقراء من العلماء والرعايا ادرارات كثيرة

(ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة)

(ذكر ملك مسعود بن محمود بن سبكتكين التيز ومكران)

فى هذه السنة سير السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين عسكرا الى التيز فملكها وما جاورها وسبب ذلك ان صاحبها معدان توفى وخلف ولدين أبا العساكر وعيسى فاستبد عيسى بالولاية والمال فسار ابو العساكر الى خراسان وطلب من مسعود النجدة فسير معه عسكرا وأمرهم باخذ البلاد من عيسى او الاتفاق مع أخيه على طاعته فوصلوا اليها ودعوا عيسى الى الطاعة والموافقة فابى وجمع جمعا كثيرا بلغوا ثمانية عشر ألفا وتقدم اليهم فالتقوا فاستأمن كثير من أصحاب عيسى الى أخيه ابى العساكر فانهزم عيسى ثم عاد وحمل فى نفر من أصحابه فتوسط المعركة فقتل واستولى ابو العساكر على البلاد ونهبها ثلاثة أيام فاجحف باهلها

(ذكر ملك الروم مدينة الرها)

فى هذه السنة ملك الروم مدينة الرها وكان سبب ذلك ان الرها كانت بيد نصر الدولة ابن مروان كما ذكرناه فلما قتل عطير الذى كان صاحبها شفع صالح بن مرداس صاحب حلب الى نصر الدولة ليعيد الرها الى ابن عطير والى ابن شبل بينهما نصفين فقبل شفاعته وسلمها اليهما وكان له فى الرها برجان حصينان احدهما أكبر من الآخر فتسلم ابن عطير الكبير وابن شبل الصغير وبقيت المدينة معهما الى هذه السنة فراسل ابن عطير ارمانوس ملك الروم وباعه حصته من الرها بعشرين ألف دينار وعدة قرى من جملتها قرية تعرف الى الآن بسن ابن عطير وتسلموا البرج الذى له ودخلوا البلد فملكوه وهرب منه اصحاب ابن شبل وقتل الروم المسلمين وخربوا المساجد وسمع نصر الدولة الخبر فسير جيشا الى الرها فحصروها وفتحوها عنوة واعتصم من بها من الروم بالبرجين واحتمى النصارى بالبيعة التى لهم وهى من أكبر البيع واحسنها عمارة فحصرهم المسلمون بها واخرجوهم وقتلوا أكثرهم ونهبوا البلد وبقى الروم فى البرجين وسير اليهم عسكرا نحو عشرة آلاف مقاتل فانهزم اصحاب ابن مروان من بين ايديهم ودخلوا البلد وما جاورهم من بلاد المسلمين وصالحهم ابن وثاب النميرى على حران وسروج وحمل اليهم خراجا

(ذكر ملك مسعود بن محمود كرمان وعود عسكره عنها)

وفيها سارت عساكر خراسان الى كرمان فملكوها وكانت للملك ابى كاليجار فاحتمى

الناس وكسروا باب الربع فنزلوا يريدون الهروب فقتلهم الناس وذهبت ارواحهم الى النار (وفى ذلك اليوم) ركب السيد عمر افندى فى قلة من الناس وذهب الى بيت حسن بك اخى طاهر باشا وكان هناك عمر بك الذى نزل من القلعة فوقع بينه وبين السيد عمر مناقشة فى الكلام طويلة ومن جملة ما قال كيف تعزلون من ولاه السلطان عليكم وقد قال الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فقال له اولوا الامر العلماء وحملة الشريعة والسلطان العادل وهذا رجل ظالم وجرت العادة من قديم الزمان ان أهل البلد يعزلون الولاة وهذا شئ من زمان حتى الخليفة والسلطان اذا سار فيهم بالجور فانهم يعزلونه ويخلعونه ثم قال وكيف تحصروننا وتمنعون عنا الماء والاكل وتقاتلوننا نحن كفرة حتى تفعلوا معنا ذلك قال نعم قد أفتى العلماء والقاضى بجواز قتالكم ومحاربتكم لانكم عصاة فقال ان القاضى هذا كافر فقال اذا كان قاضيكم كافرا فكيف بكم وحاشاه الله من ذلك انه رجل شرعى لا يميل عن الحق وانفصل المجلس على ذلك وخاطبه الشيخ السادات فى مثل ذلك فلم يتحول عن الخلاف والعناد هذا والامر

عسكره

عسكره بمدينة بردسير وحصرهم الخراسانيون فيها وجرى بينهم عدة وقائع وارسلوا الى الملك ابى كاليجار يطلبون المدد فسير اليهم العادل بهرام بن مافنة فى عسكر كثيف ثم ان الذين ببردسير خرجوا الى الخراسانية فواقعوهم واشتد القتال وصبر والهم فاجلت الوقعة عن هزيمة الخراسانية وتبعهم الديلم حتى ابعدوا ثم عادوا الى بردسير ووصل العادل عقيب ذلك الى جيرفت وسير عسكره الى الخراسانية وهم باطراف البلاد فواقعوهم فانهزم الخراسانية ودخلوا المفازة عائدين الى خراسان واقام العادل بكرمان الى ان اصلح امورها وعاد الى فارس

(ذكر وفاة القادر بالله وشئ من سيرته وخلافة القائم بامر الله)

فى هذه السنة فى ذى الحجة توفى الامام القادر بالله امير المؤمنين وعمره ست وثمانون سنة وعشرة اشهر وخلافته احدى واربعون سنة وثلاثة اشهر وعشرون يوما وكانت الخلافة قبله قد طمع فيها الديلم والاتراك فلما وليها القادر بالله اعاد جدتها وجدد ناموسها والقى الله هيبته فى قلوب الخلق فاطاعوه احسن طاعة واتمها وكان حليما كريما خيرا يحب الخير واهله ويامر به وينهى عن الشر ويبغض اهله وكان حسن الاعتقاد صنف فيه كتابا على مذهب السنة ولما توفى صلى عليه ابنه القائم بامر الله وكان القادر بالله ابيض حسن الجسم كث اللحية طويلها يخضب وكان يخرج من داره فى زى العامة ويزور قبور الصالحين كقبر معروف وغيره واذا وصل اليه حال امر فيه بالحق قال القاضى الحسين بن هرون كان بالكرخ ملك ليتيم وكان له فيه قيمة جيدة فارسل الى ابن حاجب النعمان وهو حاجب القادر يامرنى ان افك عنه الحجر ليشترى بعض اصحابه ذلك الملك فلم افعل فارسل يستدعينى فقلت لغلامه تقدمنى حتى الحقك وخفته فقصدت قبر معروف ودعوت الله ان يكفينى شره وهناك شيخ فقال لى على من تدعو فذكرت له ذلك ووصلت الى ابن حاجب النعمان فاغلظ لى فى القول ولم يقبل عذرى فاتاه خادم برقعة ففضها وقراها وتغير لونه ونزل من الشدة فاعتذر الى ثم قال كتبت الى الخليفة قصتى فقلت لا وعلمت ان ذلك الشيخ كان الخليفة وقيل كان يقسم افطاره كل ليلة ثلاثة اقسام فقسم كان يتركه بين يديه وقسم يرسله الى جامع الرصافة وقسم يرسله الى جامع المدينة يفرق على المقيمين فيهما فاتفق ان الفراش حمل ليلة الطعام الى جامع المدينة ففرقه على الجماعة فاخذوا الا شابا فانه رده فلما صلوا المغرب خرج الشاب وتبعه الفراش فوقف على باب فاستطعم فاطعموه كسيرات فاخذها وعاد الى الجامع فقال له الفراش ويحك الا تستحى ينفذ اليك خليفة الله بطعام حلال فترده وتخرج وتاخذ من الابواب فقال والله ما رددته الا انك عرضته على قبل المغرب وكنت غير محتاج اليه فلما احتجت طلبت فعاد الفراش فاخبر الخليفة بذلك فبكى وقال له راع مثل هذا واغتنم اخذه واقم الى وقت الافطار وقال ابو الحسن الابهرى ارسلنى بهاء الدولة الى القادر بالله فى رسالة فسمعته ينشد

وسهرهم وطوافهم بالليل واتخاذهم الاسلحه والنبابيت حتى ان الفقير من العامه كان يبيع ملبوسه او يستدين ويشترى به سلاحا وحضرت عسكر بان كثيرة من نواحى الشرق وغيره (وفى يوم الاثنين) ركب السيد عمر وصحبته الوجاقلية وامامه الناس بالاسلحة والعدد والاجناد واهل خان الخليلى والمغاربة شئ كثير جدا ومعهم بيارق ولهم جلبة وازدحام بحيث كان اولهم بالموسكى وآخرهم جهة الازهر وانفصل الامر على رجوع عمر بك الى القلعة ونزول عابدى بك بعد ان هضوا اشغالهم وعبوا ذخيرتهم واحتياجهم من الماء والزاد والغنم ليلا ونهارا فى مدة الثلاثة ايام المذكورة وقد كانوا اشرفوا على طلب الامان وتبين انهم انما فعلوا ذلك من باب المكر والخديعة واتفق الحال على اعادة المحاصرة وصعد المغرضون الى القلعة ونزل اشخاص من المغرضين لاهل البلد اليهم ورجع السيد عمر الى منزله واخذ فى اسباب الاحاطة بالقلعة كالاول وذلك بعد العشاء ليلة الثلاثاء ووقع الاهتمام فى صبحها بذلك وجمعوا الفعلة والعربجية وشرعوا فى طلوع طائفة من العسكر والعرب وغيرهم الى الجبل واصعدوا المدافع ورتبوا

سبق القضاء بكل ماهو كائن * والله ياهذا الرزقك ضامن
تعنى بما يفنى وتترك مابه * تعنى كانك للحوادث آمن
اوماترى الدنيا ومصرع اهلها * فاعمل ليوم فراقها يا خائن
واعلم بانك لاابالك فى الذى * اصبحت تجمعه لغيرك خازن
ياعامر الدنيا اتعمر منزلا * لم يبق فيه مع المنية ساكن
الموت شئ انت تعلم انه * حق وانت بذكره متهاون
ان المنية لاتؤامر من اتت * فى نفسه يوما ولاتستاذن

فقلت الحمد لله الذى وفق اميرالمؤمنين لانشاد مثل هذه الابيات فقال بل لله المنة اذ الزمنا بذكره ووفقنا لشكره الم تسمع قول الحسن البصرى فى أهل المعاصى هانوا عليه فعصوه ولوعزوا عليه لعصمهم ومناقبه كثيرة

(ذكر خلافة القائم بامرالله)

لما مات القادر بالله جلس فى الخلافة ابنه القائم بامرالله ابوجعفر عبدالله وجددت له البيعة وكان ابوه قدبايع له بولاية العهد سنة احدى وعشرين كماذكرناه واستقرت الخلافة له وأول من بايعه الشريف ابوالقاسم المرتضى وأنشده

فاما مضى جبل وانقضى * فمنك لنا جبل قدرسا
واما فجعنا ببدر التمام * فقد بقيت منه شمس الضحى
لنا حزن فى محل السرور * وكم ضحك فى خلال البكى
فيا صارما أغمدته يد * لنا بعدك الصارم المنتضى

وهى اكثر من هذا وارسل القائم بامرالله قاضى القضاة أبا الحسن الماوردى الى الملك أبى كاليجار ليأخذ عليه البيعة ويخطب له فى بلاده فأجاب وبايع وخطب له فى بلاده وأرسل اليه هدايا جليلة واموالا كثيرة

(ذكر الفتنة ببغداد)

فى هذه السنة فى ربيع الاول تجددت الفتنة ببغداد بين السنية والشيعة وكان سبب ذلك ان الملقب بالمذكور أظهر العزم على الغزاة واستاذن الخليفة فى ذلك فاذن له وكتب له منشورا من دار الخلافة واعطى علما فاجتمع له لفيف كثير فساروا واجتازوا بباب الشعير وطاق الحرانى وبين يديه الرجال بالسلاح فصاحوا بذكر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وقالوا هذا يوم معاوى فنافرهم اهل الكرخ ورموهم وثارت الفتنة ونهبت دور اليهود لانهم قيل عنهم انهم اعانوا اهل الكرخ فلما كان الغد اجتمع السنة من الجانبين ومعهم كثير من الاتراك وقصدوا الكرخ فاحرقوا وهدموا الاسواق واشرف اهل الكرخ على خطة عظيمة وانكر الخليفة ذلك انكارا شديدا ونسب اليهم تحريق علامته التى مع الغزاة فركب الوزير فوقعت فى صدره آجرة فسقطت عمامته وقتل من اهل الكرخ جماعة واحرق وخرب فى هذه الفتنة سوق العروس وسوق الصفارين

عدة بغال انقل الاحتياجات والخبز وروايا الماء تطلع وتنزل فى كل يوم مرتين وطلع اليهم الكثير من باعة الخبز والكعك والقهاوى وغير ذلك

(شهر ربيع الاول استهل بيوم الخميس سنة ١٢٢٠)

والامر على ذلك مستمر من تجمع الناس وسهرهم بالليل فى سائر الاخطاط (وفى ليلة الثلاثاء سادسه) تحرك العسكر وطلبوا العلوفة من محمد على فقال لهم ليس لكم عندى علوفة حتى ينزل احمد باشا من القلعة وتحاسبه وتاخذوا علائفكم منه فلم يمتثلوا وتركوا المتاريس التى حوالى القلعة فتفرقوا وذهبوا فذهب جماعة من الرميلة وترصدوا فى مواضعهم (وفى ليلة الخميس ثامنه) حضرت طائفة من العسكر الساكنين بناحية الظفر وقت الغروب وضربوا على من بالمتاريس من الاجناد والرعية على حين غفلة وخطفوا عمائم واسلحة واجلوهم عن المتاريس وجلسوا به فتسامع أهل الرميلة فاجتمعوا وحضروا اليهم وكبيرهم حجاج الخضرى وسميل جودة وهجموا عليهم وقتلوا منهم أنفارا وانحاز باقيهم الى الوكالة فاغلقوها عليهم فضربوا النار كهدا وداف عنهم واخرجوهم ثم ارسل الى محمد على وأمرهم بالهروب من

وسوق الانماط وسوق الدقاقين وغيرها واشتد الامر فقتل العامة الكلالكي وكان ينظر في المعونة واحرقوه ووقع القتال في اصقاع البلد من جانبيه واقتتل اهل الكرخ ونهر طابق والقلائين وباب البصرة وفي الجانب الشرقي اهل سوق الثلاثاء وسوق يحيى وباب الطاق والاساكفة والرهادرة ودرب سليمان فقطع الجسر ليفرق بين الفريقين ودخل العيارون البلد وكثر الاستقفاء بها واوالعملات ليلا ونهارا واظهر الجند كراهة الملك جلال الدولة وارادوا قطع خطبته ففرق فيهم مالا وحلف لهم فسكنوا ثم عاودوا الشكوى الى الخليفة منه وطلبوا ان يامر بقطع خطبته فلم يجبهم الى ذلك فامتنع حينئذ جلال الدولة من الجلوس وضرب به النوبة اوقات الصلوات وانصرف الطبالون لانقطاع الجاري لهم ودامت هذه الحال الى عيد الفطر فلم يضرب بوق ولا طبل ولا اظهرت الزينة وزاد الاختلاط ثم حدث في شوال فتنة بين أصحاب الأكسية وأصحاب الخلعات وهما شيعة وزاد الشر ودام الى ذي الحجة فنودي في الكرخ باخراج العيارين فخرجوا واعترض أهل باب البصرة قوما من قم أرادوا زيارة مشهد علي والحسين عليهما السلام فقتلوا منهم ثلاثة نفر وامتنعت زيارة مشهد موسى بن جعفر

(ذكر ملك الروم قلعة افامية)

في هذه السنة ملك الروم قلعة افامية بالشام وسبب ملكها ان الظاهر خليفة مصر سير الى الشام الدزبري وزيره فملكه وقصد حسان بن المفرج الطائي فالح في طلبه فهرب منه ودخل بلد الروم ولبس خلعة ملكهم وخرج من عنده وعلى رأسه علم فيه صليب ومعه عسكر كثير فسار الى افامية فكبسها وغنم ما فيها وسبى أهلها وأسرهم وسير الدزبري الى البلاد يستنفر الناس للغزو

(ذكر الوحشة بين بارسطغان وجلال الدولة)

اجتمع أصاغر الغلمان هذه السنة الى جلال الدولة وقالوا له قد هلكنا فقرا وجوعا وقد استبد القواد بالدولة والاموال عليك وعلينا وهذا بارسطغان ويلدرك قد أفقرانا وأفقراك أيضا فلما بلغهما ذلك امتنعا من الركوب الى جلال الدولة واستوحشا وأرسل اليهما الغلمان يطالبونهما بعلوفهم فاعتذرا بضيق أيديهما عن ذلك وسارا الى المدائن فندم الاتراك على ذلك وأرسل اليهما جلال الدولة مؤيد الملك الرخجي والمرتضى وغيرهما فرجعا وزاد تعصب الغلمان على جلال الدولة الى ان نهبوا من داره فرشا وآلات ودواب وغير ذلك فركب وقت الهاجرة الى دار الخلافة ومعه نفر قليل من الركابية والغلمان وجمع كثير من العامة وهو سكران فانزعج الخليفة من حضوره فلما علم الحال أرسل اليه يأمره بالعود الى داره ويطيب قلبه فقبل قربوس سرجه ومسح حائط الدار بيده وأمرها على وجهه وعاد الى داره والعامة معه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قبل قاضي القضاة أبو عبد الله بن ماكولا شهادة أبي الفضل محمد بن

ثالث الحجة (وفي يوم الجمعة) قتل العسكر شخصا بناحية المظفر وآخر بناحية قنطرة الامير حسين (وفي يوم السبت عاشره) حصل من بعض افراد العسكر قبائح وقتلوا بعض الغاروجاورين وبغلين وقبض العامة ايضا على اشخاص منهم وقتلوا منهم ايضا وحضر طائفة من الارنؤد وملكوا سبيل اسكندر بباب الخرق وحضر ايضا طائفة ببيت السيد عمر افندي النقيب فقام فيهم الحرس الواقفون عند باب البيت فهرب منهم طائفة خيالة ودخل منهم البعض فحجزوهم ووقع في الناس هوزعات وكرشات ثم احضر حسن اغا نجاتي المحتسب وأمر الافندي بالمناداة فمر وامامه المنادي يقول حسبما رسم السيد عمر الافندي والعلماء لجميع الرعايا بان يأخذوا حذرهم واسلحتهم ويحترسوا في اماكنهم واخطاطهم واذا تعرض لهم عسكري باذية قابلوه بمثلها والا فلا يتعرضوا له واخذ الناس يعملون متاريس في رؤس الاخطاط ثم تركوا ذلك وحضر أيضا شخص من طرف محمد علي ونادى بمثل ذلك ومعه أيضا شخص ينادي بالتركي بمعنى ذلك وفي الليلة الماضية حضر كتخدا احمد علي ليلا ومعه فرمان أرسله احمد باشا المخلوع الى

عبد العزيز بن الهادى والقاضى أبى الطيب الطبرى وأبى الحسين بن المهتدى وشهد عنده أبو القاسم بن بشران وكان قد ترك الشهادة قبل ذلك وفيها فوض مسعود بن محمود بن سبكتكين امارة الرى وهمذان والجبال الى تاش فراش وكتب له الى عامل نيسابور بانفاق الاموال على حشمه ففعل ذلك وسار الى عمله وأساء السيرة فيه وفيها فى رجب أخرج الملك جلال الدولة دوابه من الاصطبل وهى خمس عشرة دابة وسيبها فى الميدان بغير ساءس ولا حافظ ولا علف فعل ذلك لسببين أحدهما عدم العلف والثانى ان الاتراك كانوا يلتمسون دوابه و يطلبونها كثيرا فضجر منهم فاخرجها وقال هذه دوابى منها خمس لمركوبى والباقى لاصحابى ثم صرف حواشيه وفراشيه وأتباعه وأغلق باب داره لانقطاع الجارى له فثارت لذلك فتنة بين العامة والجند وعظم الامر وظهر العيارون وفيها عزل عميد الدولة وزير جلال الدولة ووزر بعده أبو الفتح محمد ابن الفضل بن اردشير فبقى أياما ولم يستقم أمره فعزل ووزر بعده ابو اسحق ابراهيم بن أبى الحسين وهو ابن أخى أبى الحسين السهلى وزير ماءمون صاحب خوارزم فبقى فى الوزارة خمسة وخمسين يوما وهرب وفيها توفى عبد الوهاب بن على بن نصر ابو نصر الفقيه المالكى بمصر وكان ببغداد ففارقها الى مصر عن ضائقة فأغناه المغاربة

(ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين واربعمائة)

(ذكر وثوب الاجناد بجلال الدولة واخراجه من بغداد)

فى هذه السنة فى ربيع الاول تجددت الفتنة بين جلال الدولة و بين الاتراك فاغلق بابه فجاءت الاتراك ونهبوا داره وسلبوا الكتاب وارباب الديوان ثيابهم وطلبوا الوزير ابا اسحق السهلى فهرب الى حلة كمال الدولة غريب بن محمد وخرج جلال الدولة الى عكبرا فى شهر ربيع الآخر وخطب الاتراك ببغداد للملك ابى كاليجار وارسلوا اليه يطلبونه وهو بالاهواز فمنعه العادل بن مافنة عن الاصعاد الى ان يحضر بعض قوادهم فلما راوا امتناعه من الوصول اليهم أعادوا خطبة جلال الدولة وساروا اليه وسالوه العود الى بغداد واعتذروا فعاد اليها بعد ثلاثة واربعين يوما ووزر له ابو القاسم بن ماكولا ثم عزل ووزر بعده عميد الدولة ابو سعد بن عبد الرحيم فبقى وزيرا اياما ثم استتر وسبب ذلك ان جلال الدولة تقدم اليه بالقبض على ابى المعمر ابراهيم بن الحسين البساسيرى طمعا فى ماله فقبض عليه وجعله فى داره فثار الاتراك وارادوا منعه وقصدوا دار الوزير واخذوه وضربوه واخرجوه من داره حافيا ومزقوا ثيابه واخذوا عمامته وقطعوها واخذوا خواتيمه من يده فدميت اصابعه وكان جلال الدولة فى الحمام فخرج مرتاعا فركب وظهر لينظر ما الخبر فلما رأى الوزير قبل الارض وذكر ما فعل به فقال جلال الدولة انا ابن بهاء الدولة وقد فعل بى اكثر من هذا ثم اخذ من البساسيرى الف دينار واطلق واختفى الوزير

(ذكر انهزام علاء الدولة بن كاكويه من عسكر مسعود بن محمود بن سبكتكين)

البلاد يطلبهم الحضور ويذكر لهم انه يعينهم على معاونته صيانة لعرض السلطنة واقامة لناموسها وناموس الدين وان الفلاحين محاصرونه ومانعون عنه الاكل والشرب فلما وصل ذلك الفرمان اليهم بقليوب أرسلوه الى محمد على وأرسله محمد على الى السيد عمر افندى النقيب (وفى يوم الاحد حادى عشره) وقعت أيضا مناوشات وتعدى بعض العسكر ودخلوا باب زويلة ووصلوا الى العقادين فخرجت عليهم طائفة المغاربة وغيرهم فتترس منهم جماعة بجامع القاكهانى فحصروهم به وقبضوا على نحو العشرة انفار فاخذهم السيد محمد المحروقى ودافع عنهم العامة وقتل من الفريقين بعض انفار وحضر عابدى بك وطلبهم فسلموهم اليه ورجع وفى تلك الليلة ايضا ذهب جماعة من العسكر الى جهة الرميلة يطلبون انفارا منهم ساكنين بتلك الناحية فاخذ أهل الرميلة سلاحهم وحبسوهم عندهم فذهبت امرأة من المتزوجات بهم فاخبرتهم فحضر منهم طائفة أوائل النهار وطلبوهم فلم يسلموا فيهم وحاربوهم وهزموهم الى جهة الصليبة وقتل بينهم انفار ورجع العسكر واختلطت القضية واشتبه أمرها على أهل البلد ولا يعرف كلا الفريقين

قد ذكرنا انهزام علاء الدولة ابى جعفر من الرى ومسيره عنها فلما وصل الى قلعة فردجان اقام بها اندمل جراحه ومعه فرهاذ بن مرداويج كان قد جاءه مداله وتوجهوا منها الى بروجرد فسير تاش فراش مقدم عسكر خراسان جيشا الى علاء الدولة واستعمل عليهم على بن عمران فسار يقص اثر علاء الدولة فلما قارب بروجرد صعد فرهاذ الى قلعة سليوه ومضى ابو جعفر الى سابور خواست ونزل عند الاكراد الجوزقان وملك عسكر خراسان بروجرد وراسل فرهاذ الاكراد الذين مع على بن عمران واستمالهم فصاروا معه وارادوا ان يفتكوا بعلى فبلغه الخبر فركب ليلا فى خاصته وسار نحو همذان ونزل فى الطريق بقرية تعرف بكسب وهى منيعة فاستراح فيها فلحقه فرهاذ وعسكره والاكراد الذين صاروا معه وحصروه فى القرية فاستسلم وايقن بالهلاك فارسل الله تعالى ذلك اليوم مطرا وثلجا فلم يمكنهم المقام عليه لانهم كانوا بجريدة بغير خيام ولا آلة الشتاء فرحلوا عنه وراسل على بن عمران الامير تاش فراش يستنجده ويطلب العسكر الى همذان ثم اجتمع فرهاذ وعلاء الدولة ببروجرد واتفقا على قصد همذان وسير علاء الدولة الى اصبهان وبها ابن اخيه يطلبه وامره باحضار السلاح والمال ففعل وسار فبلغ خبره على بن عمران فسار اليه من همذان جريدة فكبسه بجرباذقان واسره واسر كثيرا من عسكره وقتل منهم وغنم ما معه من سلاح ومال وغير ذلك ولما سار على عن همذان دخلها علاء الدولة وملكها ظنا منه ان عليا منهزما وسار علاء الدولة من همذان الى كرج فاتاه خبر ابن اخيه فقت فى عضده وكان على بن عمران قد سار بعد الوقعة الى اصبهان طامعا فى الاستيلاء عليها وعلى مال علاء الدولة واهله فتعذر عليه ذلك ومنعه اهلها والعسكر الذى فيها فعاد عنها فلقيه علاء الدولة وفرهاذ فاقتتلوا فانهزم منهما واخذوا ما معه من الاسرى الا ابا منصور ابن اخى علاء الدولة فانه كان قد سيره الى تاش فراش وسار على من المعركة منهزما نحو تاش فراش فلقيه بكرج فعاتبه على تأخره عنه واتفقا على المسير الى علاء الدولة وفرهاذ وكان قد نزل بجبل عند بروجرد متحصنا فيه فافترق تاش وعلى وقصداه من جهتين احدهما من خلفه والآخر من الطريق المستقيم فلم يشعر الا وقد خالطه العسكر فانهزم علاء الدولة وفرهاذ وقتل كثير من رجالهما فمضى علاء الدولة الى اصبهان وصعد فرهاذ الى قلعة سليوه فتحصن بها

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة توفى قدرخان ملك الترك بما وراء النهر وفيها ورد احمد بن محمد المنكدرى الفقيه الشافعى رسولا من مسعود بن محمود بن سبكتكين الى القائم بامر الله معزيا له بالقادر بالله وفيها نقل تابوت القادر بالله الى المقبرة بالرصافة وشهده الخلق العظيم وحجاج خراسان وكان يوما مشهودا وفيها كان بالبلاد غلاء شديد واستسقى الناس فلم يسقوا وتبعه وباء عظيم وكان عاما فى جميع البلاد بالعراق والموصل والشام وبلد الجبل وخراسان وغزنة والهند وغير ذلك وكثر الموت فدفن فى اصبهان فى عدة ايام

الصاحب من العدو فتارة يتشابك العسكر مع اهل البلد وكذلك أهل البلد معهم وتارة يتشابك فرقة منهم مع الكائنين بالقلعة وتارة الفريقان يساعد بعضهم بعضا واذا وقع بين الكائنين بنواحى الرميلة مع العسكر فرح من بالقلعة واغروا اولاد البلد بهم ومنهم من يغرى العسكر على اولاد البلد ويقولون لهم بلسانهم وبالعربى اضربوا الفلاحين ونحو ذلك وبالجملة فهى قضية مشكلة بين اوباش مختلفة وطباع معوجة متفرقة ومضت ليالى المولد الشريف ولم يشعر بها أحد (وفيه) حضر كبار الدلاة فخلع عليهم محمد على باشا خلعا وكساوى وسافروا ثم ارتحلوا من قليوب يريدون الذهاب الى محاربة الالفى واتباعه ومن معهم من العرب فانهم افحشوا فى نهب البلاد ونهب الاموال مالم يسمع بمثله ولم يتقدم نظيره فساروا على البلاد والقرى ياخذون الكلف وينهبون ويقتلون ويفسقون فى النساء والاولاد ولم يذهبوا الى ما وجهوا اليه (وفى ليلة الاربعاء رابع عشره) حضر كتخدا محمد على وجرجس الجوهرى الى بيت السيد عمر وحضر ايضا الشيخ الشرقاوى والشيخ الامير والقاضى وتشاوروا على امر ورأى رآه محمد على باشا واما على باشا السلحدار الذى

اربعون الف ميت وكثر الجدرى فى الناس فاحصى بالموصل انه مات به اربعة آلاف صبى ولم تخل دار من مصيبة لعموم المصائب وكثرة الموت وممن جدر القائم بامر الله وسلم وفيها اجمع نائب نصر الدولة بن مروان بالجزيرة جمعا ينيف على عشرة آلاف رجل وغزا من يقاربه من الارمن واوقع بهم واثخن فيهم وقتلهم وسبى كثيرا وعاد ظافرا منصورا وفيها كان بين اهل تونس من افريقية خلف فسار المعز بن باديس اليهم بنفسه فاصلح بينهم وسكن الفتنة وعاد وفيها اجتمع ناس كثير من الشيعة بافريقية وساروا الى اعمال نفطة فاستولوا على بلد منها وسكنوه فجرد اليهم المعز عسكرا فدخلوا البلاد وحاربوا الشيعة وقتلوهم اجمعين وفيها خرجت العرب على حاج البصرة ونهبوهم وحج الناس من سائر البلاد الا من العراق وفيها توفى ابو الحسن بن رضوان المصرى النحوى فى رجب وفيها قتل الملك ابو كاليجار صندلا الخصى وكان قد استولى على المملكة وليس لابى كاليجار معه غير الاسم وفيها توفى على بن احمد بن الحسن بن محمد ابن نعيم ابو الحسن النعيمى البصرى حدث عن جماعة وكان حافظا شاعرا فقيها على مذهب الشافعى

(ثم دخلت سنة اربع وعشرين واربعمائة)

❊(ذكر عود مسعود الى غزنة والفتن بالرى وبلد الجبل)❊

فى هذه السنة فى رجب عاد الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين من نيسابور الى غزنة وبلاد الهند وكان سبب ذلك انه لما كان قد استقر له الملك بعد ابيه اقر بها كان قد فتحه ابوه من الهند نائبا يسمى احمد ينالتكين وقد كان ابوه محمود استنابه بها ثقة بجلده ونهضته فرست قدمه فيها وظهرت كفايته ثم ان مسعودا بعد فراغه من تقرير قواعد الملك والقبض على عمه يوسف والمخالفين له سار الى خراسان عازما على قصد العراق فلما ابعد عصى ذلك النائب بالهند فاضطر مسعود الى العود فارسل الى علاء الدولة بن كاكويه وامره على أصبهان بقرار يؤديه كل سنة وكان علاء الدولة قد ارسل يطلب ذلك فاجابه اليه واقر ابن قابوس بن وشمكير على جرجان وطبرستان على مال يؤديه اليه وسير ابا سهل الحمدونى الى الرى للنظر فى امور هذه البلاد الجبلية والقيام بحفظها وعاد الى الهند فاصلح الفاسد واعاد المخالف الى طاعته وفتح قلعة حصينة تسمى سرستى على مانذكره وقد كان ابوه حصرها غير مرة فلم يتهيأ له فتحها ولما سار ابو سهل الى الرى احسن الى الناس واظهر العدل فازال الاقساط والمصادرات وكان تاش فراش قد ملا البلاد ظلما وجورا حتى تمنى الناس الخلاص منهم ومن دولتهم وخربت البلاد وتفرق اهلها فلما ولى الحمدونى واحسن وعدل عادت البلاد فعمرت والرعية امنت وكان الارجاف شديدا بالعراق لما كان الملك مسعود بنيسابور فلما عاد سكن الناس واطمانوا

❊(ذكر ظفر مسعود بصاحب ساوة وقتله)❊

فيها

وانضم اليه كثير منهم ووعدهم بعلائفهم وصار يراسل احمد باشا سرا ويرسل اليه الخبز واللحم والسكر والذخيرة على الجمال من باب صغير دخوه من عرب اليسار من داخل (وفى ليلة السبت) أجمع رأى على باشا السلحدار على مكيدة يصنعها وهو انه يركب فمن معه ويهجم على المتاريس من جهة الصليبة وارسل الى عمه دومه يعلمه بذلك وانه اذا هجم من تلك الناحية يساعده هو من القلعة برمى المدافع والقنابر على البلد والمتاريس فتنزعج الناس ويتم لهم ما مكروه وكتب رجب اغا وسليمان اغا وهما كبيرا عسكر على باشا المذكور تذكرة من عندهما خطابا بالسيد عمر افندى النقيب وباقى المشايخ مضمونها انهما يريدان الحضور الى جهة القلعة ويسعيان فى امر يكون فيه الراحة للفريقين وتسكين الفتنة ويلتمسان من الخاطبين انهم يرسلون الى من بالمتاريس من العامة بان يخلوا لهما طريقا ولا يتعرضون لهما فحضر الى السيد عمر افندى النقيب من اخبره بذلك الاتفاق بعد الفجر قبل حضور التذكرة فارسل الى من بالنواحى والجهات وايقظهم وحذرهم

فيها قبض عسكر السلطان مسعود بن محمود على شهريوش بن ولكين فامر به مسعود فقتل وصلب على سور ساوة وكان سبب ذلك ان شهريوش كان صاحب ساوة وقم وتلك النواحي فلما اشتغل مسعود باخيه محمد بعد موت والده جمع شهريوش جمعا وسار الى الري محاصرا لها فلم يتم ما اراده وجاءت العساكر فعاد عنها ثم هذه السنة اعترض الحجاج الواردين من خراسان وجمعهم واذاهم واخذ منهم ما لم تجر به عادة واساء اليهم وبلغ ذلك الى مسعود فتقدم الى تاش فراش والى ابي الطيب طاهر بن عبد الله خليفته معه بطلب شهريوش وقصده اين كان واستنفاذ الوسع في قتاله فسارت العساكر في اثره فاحتمى بقلعة تقارب قم تسمى فستق وهي حصينة عالية المكان وثيقة البنيان فاحاطوا به واخذوه وكتبوا الى مسعود في امره فامرهم بصلبه على سور ساوة

٭(ذكر استيلاء جلال الدولة على البصرة وخروجها عن طاعته)٭

في هذه السنة سارت عساكر جلال الدولة مع ولده الملك العزيز فدخلوا البصرة في جمادى الاولى وكان سبب ذلك ان بختيار متولي البصرة توفي فقام بعده ظهير الدين ابو القاسم خال ولده لجلد كان فيه وكفاية وهو في طاعة الملك ابي كاليجار ودام كذلك فقيل لابي كاليجار ان ابا القاسم ليس لك من طاعته غير الاسم ولو رمت عزله لتعذر عليك وبلغ ذلك ابا القاسم فاستعد للامتناع وارسل ابو كاليجار اليه ليعزله فامتنع واظهر طاعة جلال الدولة وخطب له وارسل الى ابنه وهو بواسط يطلبه فانحدر اليه في عساكره التي كانت معه بواسط ودخلوا البصرة واقاموا بها واخرجوا عساكر ابي كاليجار منها وبقي الملك العزيز بالبصرة مع ابي القاسم الى ان دخلت سنة خمس وعشرين وليس له معه امر والحكم الى ابي القاسم ثم انه اراد القبض على بعض الديلم فهرب ودخل دار الملك العزيز مستجيرا فاجتمع الديلم اليه وشكوا من ابي القاسم وصادف شكواهم صدرا وغر احنقا عليه لسوء صحبته فاجابهم الى ما ارادوه من اخراجه عن البصرة واجتمعوا وعلم ابو القاسم بذلك فامتنع بالابلة وجمع اصحابه وجرى بين الفريقين حروب كثيرة اجلت عن خروج العزيز عن البصرة وعوده الى واسط وعود ابي القاسم الى طاعة ابي كاليجار

٭(ذكر اخراج جلال الدولة من دار المملكة واعادته اليها)٭

في هذه السنة في رمضان شغب الجند على جلال الدولة وقبضوا عليه ثم اخرجوه من داره ثم سالوه ليعود اليها فعاد وسبب ذلك انه استقدم الوزير ابا القاسم من غير ان يعلموا فلما قدم ظنوا انه انما ورد للتعرض الى اموالهم ونعمهم فاستوحشوا واجتمعوا الى داره وهجموا عليه واخرجوه الى مسجد هناك فوكلوا به فيه ثم انهم اسمعوه ما يكره ونهبوا بعض ما في داره فلما وكلوا به جاء بعض القواد في جماعة من الجند ومن انضاف اليه من العامة والعيارين فاخرجه من المسجد واعاده الى داره فنقل جلال الدولة ولده وحرمه وما بقي له الى الجانب الغربي وعبر هو في الليل الى الكرخ فلقيه اهل الكرخ

فاستعدوا وانتظروا وراقبوا النواحي فنظروا الى ناحية القرافة فرأوا الجمال التي تحمل الذخيرة الواصلة من علي باشا الى القلعة ومعها اتفار من الخدم والعسكر وعدتهم ستون جملا فخرج عليهم حجاج الخضري ومن معه من اهالي الرميلة فضربوهم وحاربوهم واخذوا منهم تلك الجمال وقتلوا شخصين من العسكر وقبضوا على ثلاثة وحضروا بهم وبرؤس المقتولين الى بيت السيد عمر فارسلهم الى محمد علي باشا فامر بقتل الآخرين فلما رأى من بالقلعة ذلك فعندها رموا بالمدافع والقنابر على البلد وبيت محمد علي وحسن باشا وجهة الازهر ولم يزالوا يراسلون الرمي من اول النهار الى بعد الظهر فلم ينزعج اهل البلد من ذلك لما الفوه من ايام الفرنسيس وحروبهم السابقة ثم رموا كذلك من العشاء الى سادس ساعة من الليل فلم يجبهم احد ولم يرموا عليهم شيئا من الجبل مع استعدادهم لذلك واصبحوا يوم الاحد فراسلوا الرمي بطول النهار وكذلك ليلة الاثنين ويوم الاثنين هذا وفي كل ليلة يطلع الى الجبل اربعة عشر جملا تحمل قرب الماء على كل بعير اربع قرب وستة اقفاص خبز على ثلاثة جمال تقلتين في كل ... واصعدوا

بالدعاء فنزل بدار المرتضى وعبر الوزير أبو القاسم معه ثم ان الجند اختلفوا فقال بعضهم نخرجه من بلادنا ونملك غيره وقال بعضهم ليس من بنى بويه غيره وغير ابى كاليجار وذلك قد عاد الى بلاده ولا بد من مداراة هذا فارسلوا اليه يقولون له نريد ان تنحدر عنا الى واسط وانت ملكنا وتترك عندنا بعض أولادك الاصاغر فاجابهم الى ذلك وارسل سرا الى الغلمان الاصاغر فاستمالهم والى اكل واحد من الاكابر وقال انما اثق بك واسكن اليك واستمالهم ايضا فعبروا اليه وقبلوا الارض بين يديه وسالوه العود الى دار الملك فعاد وحلف لهم على اخلاص النية والاحسان اليهم وحلفوا له على المناصحة واستقر فى داره

❁(ذكر عدة حوادث)❁

فى هذه السنة توفى الوزير احمد بن الحسن الميمندى وزير مسعود بن سبكتكين ووزر بعده ابو نصر احمد بن على بن عبد الصمد وكان وزير هرون التونتاش صاحب خوارزم ووزر بعده لهرون ابنه عبد الجبار وفيها ثار العيارون ببغداد وأخذوا أموال الناس ظاهرا وعظم الامر على أهل البلد وطمع المفسدون الى حد أن بعض القواد الكبار أخذ أربعة من العيارين فجاء عقيدهم وأخذ من أصحاب القائد أربعة وحضر باب داره ودق عليه الباب فكلمه من داخل فقال العقيد قد أخذت من اصحابك أربعة فان أطلقت من عندك أطلقت أنا من عندى والا قتلتهم وأحرقت دارك فاطلقهم القائد وفيها تأخر الحاج من خراسان وفيها خرج حجاج البصرة بخفير فغدر بهم ونهبهم وفيها فى جمادى الاولى توفى أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن البيضاوى الفقيه الشافعى عن نيف وثمانين سنة وفيها فى شوال توفى أبو الحسن بن السماك القاضى عن خمس وتسعين سنة

(ثم دخلت سنة خمس وعشرين وأربعمائة)

(ذكر فتح قلعة سرستى وغيرها من بلد الهند)

فى هذه السنة فتح السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين قلعة سرستى وما جاورها من بلد الهند وكان سبب ذلك ما ذكرناه من عصيان نائبه بالهند أحمد ينالتكين عليه ومسيره اليه فلما عاد أحمد الى طاعته أقام بتلك البلاد طويلا حتى أمنت واستقرت وقصد قلعة سرستى وهى من أمنع حصون الهند وأحصنها فحصرها وقد كان ابوه حصرها غير مرة فلم يتهيأ له فتحها فلما حصرها مسعود راسله صاحبها وبذل له مالا على الصلح فاجابه الى ذلك وكان فيها قوم من التجار المسلمين فعزم صاحبها على أخذ اموالهم وحملها الى مسعود من جملة القرار عليه فكتب التجار رقعة فى نشابة ورموا بها اليه يعرفونه فيها ضعف الهنود بها وانه ان صابرهم ملكها فرجع عن الصلح الى الحرب فطم خندقها بالشجر وقصب السكر وغيره وفتح الله عليه وقتل كل من فيها وسبى ذراريهم واخذ ما جاورها من البلاد وكان عازما على طول المقام والجهاد فاتاه من خراسان خبر الغز فعاد على ما نذكره ان شاء الله تعالى

بمنجنيقاتهم وجمالا وقتابر وضربوا عليهم فى ذلك اليوم ضربا قليلا واستمر ذلك ليلة الثلاثاء ويوم الثلاثاء فاكثروا الرمى وسقطت قنابر وجمال فى عدة اماكن مع الضرر القليل وباتوا على ذلك ليلة الاربعاء ويومه وليلة الخميس ويومه الى آخر النهار وبطل الرمى تلك الليلة فقال الناس انهم تركوا ذلك احتراما لليلة الجمعة (وفى تلك الليلة) حضر جماعة من اهل الاطارف ليلا وحرقوا باب الجبل واوقدوا فيه النار فظن اهل الجبل ان اهل القلعة يريدون الخروج فضربوا عليهم مدافع فتنبه من بالقلعة واسرعوا الى جهة باب الجبل وضربوا بالرصاص فلما تحقق من بالجبل القضية رموا عليهم ايضا وتسامع الناس كثرة ضرب الرصاص فلم يعلموا الحقيقة ورجع من اتى الى الباب من غير طائل فلما طلع النهار ظهر الامر وفى اليوم الثانى بعد الظهر تسلق جماعة من العسكر القلعاوية على سلالم صنعوها من حبال ونزلوا الى جهة المصر لاخذ شئ من الاكل والشرب وهم نحو العشرين فتنبه الناس لهم واجتمعوا بالخطة واخذوا ما أخذوه من أهل الدور من الخبز والدقيق وقرب ماء وصعدوا من حيث اتوا واعادوا الرمى بالمدافع والقنابر من عصر يوم الجمعة

(ذكر

وليلة السبت واستمروا على ذلك وسقط بسبب ذلك حيطان
وبعض من ابنية الدور ونزح كثير من الناس وبعدوا عن جهات الضرب وخصوصا جهة الازهر وذهبوا الى ناحية الحسينية والاطارف وخرجت النساء هاربات الى تلك النواحي وبولاق وانزعجوا من اوطانهم (وفي يوم الاحد) ارسل كتخدا محمد على باشا الى السيد عمر وأشار عليه بارسال العتالين والشيالين الى ناحية قلعة الفرنساوية التي بقنطرة الليمون لرفع المدفع الكبير الذي هنالك وارسلوا اشخاصا من الانكليز يتقيدون بذلك فجمعوا الرجال والابقار وذهبوا الى هنالك واحضروه واخرجوه من باب البرقية يريدون وضعه عند باب الوزير حيث مجرى السيل ليرموا به على برج القلعة واستمروا في جره يومين (وفي ذلك اليوم) نزل أيضا ستة اشخاص يريدون اخذ الماء من صهريج جهة الحطابة فضرب عليهم من هنالك من المتترسين فهربوا وطلعوا من حيث نزلوا (وفي ليلة الثلاثاء) نصبوا المدفع المذكور وضربوا به وضربوا أيضا من أعلى الجبل ومن بالقلعة يضربون على البلد ويواصلون الضرب بالمدافع والقنابر والبنبات الكبار والآلات المحرقة واستمروا على ذلك

(ذكر حصر قلعة بالهند ايضا)

لما ملك مسعود قلعة سرستي رحل عنها الى قلعة نغسى فوصل اليها عاشر صفر وحصرها فرآها عالية لا ترام يرتد البصر دونها وهو حسير الا انه اقام عليها يحصرها فخرجت عجوز ساحرة فتكلمت باللسان الهندي طويلا واخذت مكنسة فبلتها بالماء ورشته منها الى جهة عسكر المسلمين فمرض واصبح ولا يقدر ان يرفع راسه وضعفت قوته ضعفا شديدا فرحل عن القلعة لشدة المرض فحين فارقها زال ما كان به واقبلت الصحة والعافية اليه وسار نحو غزنة

(ذكر الفتنة بنيسابور)

لما اشتد أمر الاتراك بخراسان على ما نذكره تجمع كثير من المفسدين واهل العيث والشر وكان اول من اثار الشر اهل ابيورد وطوس واجتمع معهم خلق كثير وساروا الى نيسابور لينهبوها وكان الوالي عليها قد سار عنها الى الملك مسعود فخافهم خوفا عظيما وأيقنوا بالهلاك فبينما هم يترقبون البوار والاستئصال وذهاب الانفس والاموال اذ وصل اليهم أمير كرمان في ثلثمائة فارس قدم متوجها الى مسعود أيضا فاستغاث به المسلمون وسالوه ان يقيم عندهم ليكف عنهم الاذى فاقام عليهم وقاتل معهم وعظم الامر واشتدت الحرب وكان الظفر له ولاهل نيسابور فانهزم أهل طوس وابيورد ومن تبعهم واخذتهم السيوف من كل جانب وعمل بهم أمير كرمان اعمالا عظيمة وأثخن فيهم واسر كثيرا منهم وصلبهم على الاشجار وفي الطرق فقيل انه عدم من أهل طوس عشرون الف رجل ثم ان امير كرمان احضر زعماء قرى طوس واخذ اولادهم واخوانهم وغيرهم من اهليهم رهائن فاودعهم السجون وقال ان اعترض منكم واحد الى اهل نيسابور او غيرهم او قطع طريقا قتلت اولادكم واخوانكم ورهائنكم ماخوذون بجناياتكم فسكن الناس وفرج الله عن اهل نيسابور بما لم يكن في حسابهم

(ذكر الحرب بين علاء الدولة وعسكر خراسان)

في هذه السنة اجتمع علاء الدولة بن كاكويه وفرهاذ بن مرداويج واتفقا على قتال عسكر مسعود بن محمود بن سبكتكين وكانت العساكر قد خرجت من خراسان مع ابي سهل الحمدوني فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا صبر فيه الفريقان ثم انهزم علاء الدولة وقتل فرهاذ واحتمى علاء الدولة بجبال بين اصبهان وجرباذقان ونزل عسكر مسعود بكرج وارسل ابو سهل الى علاء الدولة يقول له ابذل المال وراجع الطاعة لنقره على ما بقي من البلاد ويصلح حاله مع مسعود فترددت الرسل فلم يستقر بينهم امر فسار ابو سهل الى اصبهان فملكها وانهزم علاء الدولة من بين يديه لما خاف الطلب الى ايذج وهي للملك ابي كاليجار ولما استولى ابو سهل على اصبهان نهب خزائن علاء الدولة وامواله وكان ابو علي بن سينا في خدمة علاء الدولة فاخذت كتبه وحملت الى غزنة

فجعلت فى خزائن كتبها الى ان احرقها عساكر الحسين بن الحسين الغورى على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر الحرب بين نور الدولة دبيس واخيه ثابت)

فى هذه السنة كانت حرب شديدة بين دبيس بن على بن مزيد واخيه ابى قوام ثابت بن على بن مزيد وسبب ذلك ان ثابتا كان يعتضد بالبساسيرى ويتقرب اليه فلما كان سنة اربع وعشرين واربعمائة سار البساسيرى معه الى قتال اخيه دبيس فدخلوا النيل واستولوا عليه وعلى اعمال نور الدولة فسير نور الدولة اليهم طائفة من اصحابه وقتلوهم فانهزموا فلما راى دبيس هزيمة اصحابه سار عن بلده وبقى ثابت فيه الى الآن فاجتمع دبيس وابو المغرا عنان بن المقراد بنو اسد وخفاجة واعانه ابو كامل منصور بن قراد وساروا جريدة لاعادة دبيس الى بلده واعماله وتركوا حللهم بين خصا وحربى فلما ساروا القيهم ثابت عند جرجرايا وكانت بينهم حرب قتل فيها جماعة من الفريقين ثم تراسلوا واصطلحوا اليه وعود دبيس الى اعماله ويقطع اخاه ثابتا اقطاعا وتحالفوا على ذلك وسار البساسيرى نجدة لثابت فلما وصل الى النعمانية سمع بصلحهم فعادا الى بغداد

(ذكر ملك الروم قلعة بركوى)

هذه قلعة متاخمة للاروم فى يد ابى الهيجاء بن ربيب الدولة ابن اخت وهسوذان بن مملان فتنافر هو وخاله فارسل خاله الى الروم فاطمعهم فيها فسير الملك اليها جمعا كثيرا فملكوها فبلغ الخبر الى الخليفة فارسل الى ابى الهيجاء وخاله من يصلح بينهما ليتفقا على استعادة القلعة فاصطلحا ولم يتمكنا من استعادتها واجتمع اليهما خلق كثير من المتطوعة فلم يقدروا على ذلك لثبات قدم الروم بها

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة استوزر جلال الدولة عميد الدولة ابا سعد بن عبد الرحيم وهى الوزارة الخامسة وكان قبله فى الوزارة ابن ماكولا ففارقها وسار الى عكبرا فرده جلال الدولة الى الوزارة وعزل ابا سعد فبقى اياما ثم فارقها الى اوانا وفيها استخلف البساسيرى فى حماية الجانب الغربى ببغداد لان العيارين اشتد امرهم وعظم فسادهم وعجز عنهم نواب السلطان فاستعملوا البساسيرى لكفايته ونهضته وفيها توفى ابو سنان غريب ابن محمد بن مقن فى شهر ربيع الآخر فى كرخ سامرا وكان يلقب سيف الدولة وكان قد ضرب دراهم سماها السيفية وقام بالامر بعده ابنه ابو الريان وخلف خمسمائة الف دينار وامر فنودى قد احللت كل من لى عنده شئ فحللوه فى كذلك فحللوه وكان عمره سبعين سنة وفيها توفى بدران بن المقلد وقصد ولده عمه قرواشا فاقر عليه حاله وماله وولاية نصيبين وكان بنو نمير قد طمعوا فيها وحصروها فسار اليهم ابن بدران فدفعهم عنها وفيها توفى ارمانوس ملك الروم وملك بعده رجل صيرفى ليس من بيت

الملك

وأصيب كثير من الدور والحيطان والابنية واصابت اشخاصا فقتلتهم ووقع بعض البنيات فيلغو وتها بعيا فيها قنطار بن

(شهر ربيع الثانى سنة ١٢٢٠)

استهل يوم الجمعة (فيه) وردت أخبار من ثغر سكندرية بورود قابجى وهو صالح أغا الذى كان سابقا بمصر ببيت رضوان كتخدا ابراهيم بك وعلى يده جوابات بالراحة فحصلت ضجة فى الناس وفرحوا وزمروا طول ذلك اليوم وعملوا شنكا تلك الليلة التى هى ليلة السبت ورموا سواريخ فى سائر النواحى وضربوا بنادق وقرابين بالازبكية وخارج باب الفتوح وباب النصر والمدافع التى على أبراج الابواب ولما سمع من بالقلعة ومن بمصر القديمة ظنوا أن العساكر الذين فى قلوبهم مرض تحاربوا مع أهل البلد فرموا من القلعة بالمدافع والبنب وحضر على باشا ومن معه من جهة مصر القديمة ونزل من القلعة طائفة من العسكر جهة عرب اليسار وتترسوا هناك فاجتمع عليهم جماعة وأهل الرميلة ومن معهم من عسكر محمد على وتحاربوا مع المتترسين الواصلين وضربوا من القلعة الى عمار بيهم وعلى أهل البلد وكذلك من بالجبل ومن

الملك وانما بنت قسطنطين اختارته وفيها كثرت الزلازل بمصر والشام وكان اكثرها بالرملة فان أهلها فارقوا منازلهم عدة أيام وانهدم منها نحو ثلثها وهلك تحت الهدم خلق كثير وفيها كان بافريقية مجاعة شديدة وغلاء وفيها قبض قرواش على البرجمي العيار وغرقه وكان سبب ذلك ان قرواشا قبض على ابن القلعي عامل عكبرا فضر البرجمي العيار عند قرواش مخاطبا في امره لمودة بينهما فاخذه قرواش وقبض عليه فبذل مالا كثيرا ليطلقه فلم يفعل وغرقه وكان هذا البرجمي قد عظم شانه وزاد شره وكبس عدة مخازن بالجانب الشرقي وكبس دار المرتضى ودار ابن عديسة وهي مجاورة دار الوزير وثار العامة بالخطيب يوم الجمعة وقالوا اما ان تخطب للبرجمي والا فلا تخطب لسلطان ولا غيره واهلك الناس ببغداد وحكاياته كثيرة وكان مع هذا فيه فتوة وله مروأة لم يعرض الى امرأة ولا الى من يستسلم اليه وفيها هبت ريح سوداء بنصيبين فقلعت من بساتينها كثيرا من الاشجار وكان في بعض البساتين قصر مبني بجص وآجر وكلس فقلعته من أصله وفيها كثر الموت بالخوانيق في كثير من البلاد العراق والشام والموصل وخوزستان وغيرها حتى كانت الدار يسد بابها الموت اهلها وفيها في ذي القعدة انقض كوكب هال منظره الناس وبعده بليلتين انقض شهاب آخر اعظم منه كانه البرق ملاصق الارض وغلب على ضوء المشاعل ومكث طويلا حتى غاب أثره وفيها توفي أبو العباس الابيوردي الفقيه الشافعي قاضي البصرة وابو بكر محمد بن احمد بن غالب البرقاني المحدث الامام المشهور وكانت وفاته في رجب والحسين بن عبد الله بن يحيى ابو علي البندنيجي الفقيه الشافعي وهو من اصحاب أبي حامد الاسفرايني وعبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحرث بن اسد ابو الفرج التميمي الفقيه الحنبلي

٭(ثم دخلت سنة ست وعشرين واربعمائة)٭

٭(ذكر حال الخلافة والسلطنة ببغداد)٭

في هذه السنة انحل امر الخلافة والسلطنة ببغداد حتى ان بعض الجند خرجوا الى قرية يحيى فلقيهم اكراد فاخذوا دوابهم فعادوا الى قراح الخليفة القائم بامر الله فنهبوا شيئا من ثمرته وقالوا للعمال انتم عرفتم حال الاكراد ولم تعلمونا فسمع الخليفة الحال وعظم عليه ولم يقدر جلال الدولة على اخذ اولئك الاكراد لعجزه ووهنه واجتهد في تسليم الجند الى نائب الخليفة فلم يمكنه ذلك فتقدم الخليفة الى القضاة بترك القضاء والامتناع عنه والى الشهود بترك الشهادة والى الفقهاء بترك الفتوى فلما رأى جلال الدولة ذلك سال اولئك الاجناد ليجيبوه الى ان يحملهم الى ديوان الخلافة ففعلوا فلما وصلوا الى دار الخلافة أطلقوا وعظم أمر العيارين وصاروا يأخذون الاموال ليلا ونهارا ولا مانع لهم لان الجند يحمون على السلطان ونوابه والسلطان عاجز عن قهرهم وانتشر العرب في البلاد فنهبوا النواحي وقطعوا الطريق وبلغوا الى اطراف بغداد حتى وصلوا

بالانجزية يضربون على القلعة المدافع والسوار يخ ونزل أيضا طائفة وهجموا على الانجزية وارادوا سد فلوة المدفع الكبير فضربوا عليهم وقتل كبيرهم ومعه آخر واخذوا سلاحهما ورؤسهما واحضروهما الى السيد عمر وحصل بالبلدة تلك الليلة من ضرب النار من كل ناحية ما هو عجيب من المستغربات واختلط الشنك بالحرب وصار الضرب من الجبل على القلعة بالبنب والمدافع والسوار يخ وكذلك من القلعة على البلد وعلى الانجزية ومنها على القلعة والمحاربين مع بعضهم البعض والشنك من كل جهة واجتماع الناس والعامة بالاخطاط والنواحي وضربوا طبولا ومزامير وتقرزانات وكانت ليلة من الغرائب وأصبحوا على الحال الذي هم عليه من الرمي بالمدافع والبنب (وفي يوم الاحد) سافرت أنفار من الوجاقلية وغيرهم لملاقاة صالح اغا وصحبتهم طائفة من العسكر ارسلها محمد علي باشا في مركب مخفارته وقد كانوا اتفقوا على سفر بعض المتعممين ثم بطل ذلك وارسل السيد عمر افندي باشجاويش والسيد عثمان البكري وسلحدار محمد علي والخواجة عمر الملطيلي وبكتاش واحمداوده باشا (وفي ليلة الثلاثاء) اشيع وصول

الى جامع المنصور واخذوا ثياب النساء فى المقابر

(ذكر اظهار احمد ينالتكين العصيان وقتله)

فى سنة خمس وعشرين عاد مسعود بن محمود من الهند لقتال الغز كما ذكرناه فعاد احمد ينالتكين الى اظهار العصيان ببلاد الهند وجمع الجموع وقصد البلاد بالاذى فسير اليه مسعود جيشا كثيفا وكانت ملوك الهند تمنعه من الدخول الى بلادهم وسد منافذ هربه ولما وصل الجيش المنفذ اليه قاتلهم فانهزم ومضى هاربا الى الملتان وقصد بعض ملوك الهند بعدية بهاطية ومعه جمع كثير من عساكره الذين سلموا فلم يكن لذلك الملك قدرة على منعه وطلب منه سفنا ليعبر نهر السند فاحضر له السفن وكان فى وسط النهر جزيرة ظنها احمد ومن معه متصلة بالبر من الجانب الآخر ولم يعلموا ان الماء محيط بها فتقدم ملك الهند الى اصحاب السفن بانزالهم فى الجزيرة والعود عنهم ففعلوا ذلك وبقى احمد ومن معه فيها وليس معهم طعام الا ما معهم فبقوا بها تسعة أيام ففنى زادهم واكلوا دوابهم وضعفت قواهم فارادوا خوض الماء فلم يتمكنوا منه لعمقه وشدة الوحل فيه فعبر الهندى اليهم عسكره فى السفن وهم على تلك الحال فاوقعوا بهم وقتلوا أكثرهم واخذوا ولد احمد اسيرا فلما رآه احمد على تلك الحالة قتل نفسه واستوعب اصحابه القتل والاسر والغرق

(ذكر ملك مسعود جرجان وطبرستان)

كان الملك مسعود قد اقر دارا بن منوجهر بن قابوس على جرجان وطبرستان وتزوج ايضا بابنة أبى كاليجار القوهى مقدم جيش دارا والقيم بتدبير أمره استمالة فلما سار الى الهند منعوا ما كان استقر عليهم من المال وراسلوا علاء الدولة بن كاكويه وفرهاذ بالاجتماع على العصيان والمخالفة وقوى عزمهم على ذلك ما بلغهم من خروج الغز بخراسان فلما عاد مسعود من الهند وأجلى الغز وهزمهم سار الى جرجان فاستولى عليها وملكها وسار الى آمل طبرستان وقد فارقها أصحابها واجتمعوا بالغياض والاشجار الملتفة الضيقة المدخل الوعرة المسالك فسار اليهم واقتحمها عليهم فهزمهم وأسر منهم وقتل ثم راسله دارا وأبو كاليجار وطلبوا منه العفو وتقرير البلاد عليهم فاجابهم الى ذلك وحملوا من الاموال ما كان عليهم وعاد الى خراسان

(ذكر مسير ابن وثاب والروم الى بلد ابن مروان)

فيها جمع ابن وثاب النميرى جمعا كثيرا من العرب وغيرهم واستنجد من بالرها من الروم فسار معه منهم جيش كثيف وقصد بلد نصر الدولة بن مروان ونهب وأخرب فجمع ابن مروان جموعه وعساكره واستمد قرواشا وغيره واتته الجنود من كل ناحية فلما رأى ابن وثاب ذلك وانه لا يتم له غرض عاد عن بلاده وأرسل ابن مروان الى ملك الروم يعاتبه على نقض الهدنة وفسخ الصلح الذى كان بينهما وراسل أصحاب الاطراف يستنجدهم للغزاة فكثر جمعه من الجند والمتطوعة وعزم على قصد الرها ومحاصرتها

القابجى الى بولاق ليلا فخرج كثير من العامة للاقاته افواجا واصطفوا فى الاسواق للفرجة عليه واستمروا على ذلك الرج بطول النهار ولم يصل احد ثم تبين عدم وصوله وانه وصل الى ثغر رشيد وفى ذلك اليوم وقت الشروق حصلت زلزلة عظيمة وارتجت الارض نحو اربع درجات (وفى يوم الاربعاء) سافر جماعة من المتعممين وهم السيد محمد الدواخلى وابن الشيخ الامير والشيخ بدوى الهيثمى وابن الشيخ العروسى واستمر الحال على ذلك اليوم ويوم الخميس والجمعة ولم يبطل رمى المدافع والبنب ليلا ونهارا فى غالب الاوقات ماعدا ليلة الجمعة ويومها الى العصر (وفى ليلة الاثنين) وصل الخبر بوصول القابجى الى قليوب وانه طالع الى برنوة وسار من هناك وحضر فى ذلك اليوم المشايخ الذين كانوا ذهبوا للاقاته فلما اشيع ذلك اجتمع الناس وطوائف العامة وخرجوا من آخر الليل وهم بالاسلحة والعدد والطبول الى خارج باب النصر ووقفوا بالشوارع والسقائف للفرجة وكذلك النساء والصبيان وازدحموا ازدحاما زائدا ووصل الاغا المذكور وصحبته سلحدار الوزير الى زاوية دمرداش ونزلا هناك وعمل لهما اسمعيل الطبجى الفطور فاكلا وشربا القهوة وركبا والجرت

فوردت رسل ملك الروم يعتذر ويحلف انه لم يعلم بما كان وارسل الى عسكره الذين بالرها واقدم عليهم ينكر ذلك واهدى الى نصر الدولة هدية سنية فترك ما كان عازما عليه من الغزو وفرق العساكر المجتمعة عنده

(ذكر عدة حوادث)

فيها خرج ابو سعد وزير جلال الدولة الى ابي الشوك مفارقا للوزارة ووزر بعده ابو القاسم وكثرت مطالبات الجند فهرب فاخرج وحمل الى دار المملكة مكشوف الرأس في قميص خفيف وكانت وزارته هذه شهرين وثمانية ايام وعاد ابو سعد بن عبد الرحيم الى الوزارة وفيها في ذي الحجة وثب الحسن بن ابي البركات بن ثمال الخفاجي بعمه علي ابن ثمال امير بني خفاجة فقتله وقام بامارة بني خفاجة وفيها جمعت الروم وسارت الى ولاية حلب فخرج اليهم صاحبها شبل الدولة بن صالح بن مرداس فتصافوا واقتتلوا فانهزمت الروم وتبعهم الى عزاز وغنم غنائم كثيرة وعاد سالما وفيها قصدت خفاجة الكوفة ومقدمهم الحسن بن ابي البركات بن ثمال فنهبوها وارادوا تخريبها ومنعوا النخل من الماء فهلك شيء كثير وفيها هرب الزكي ابو علي النهرسابسي من محبسه وكان قرواش قد اعتقله بالموصل فبقي سنتين الى الآن ولم يحج هذه السنة من العراق احد وفي هذه السنة توفي احمد بن كليب الاديب الشاعر الاندلسي وحديثه مع أسلم بن احمد ابن سعيد مشهور وكان يهواه فقال فيه

أسلمني في هوا ... ه اسلم هذا الرشا

غزال له مقلة ... يصيب بها من يشا

وشى بيننا حاسد ... سيسئل عما وشى

ولو شاء ان يرتشي ... على الوصل روحي ارتشى

ومات كمدا من هواه وتوفي في جمادى الاولى منها احمد بن عبد الملك بن احمد بن شهيد الاديب الاندلسي ومن شعره

ان الكريم اذا نالته مخمصة ... ابدى الى الناس شبعا وهو طيان

يحني الضلوع على مثل اللظى حرقا ... والوجه غمر بماء البشر ملآن

وله ايضا

كتبت لها انني عاشق ... على مهرق الشم بالناظر

فردت على جواب الهوى ... ياحور عن مائه حائر

منعمة نمقت بالجفون ... فدلت على دقة الخاطر

كأن فؤادي اذا اعرضت ... تعلق في مخلبي طائر

وفيها توفي ابو المعالي بن سخطة العلوي النقيب بالبصرة وابو محمد بن معية العلوي بها ايضا وابو علي الحسين بن احمد بن شاذان المحدث الاشعري مذهبا وكان مولده ببغداد سنة سبع وثلاثين وثلثمائة وحمزة بن يوسف الجرجاني وكان من اهل الحديث

(ثم دخلت سنة سبع وعشرين واربعمائة)

(ذكر شغب الجند بجلال الدولة)

في هذه السنة ثار الجند ببغداد بجلال الدولة وارادوا اخراجه منها فاستنظرهم ثلاثة ايام

الطوائف والتوفقاء من العامة وهم يضربون بالبنادق والقرابين والمدافع من اعلى سور باب النصر والفتوح واستمر مرورهم نحو ثلاث ساعات وخرج كتخدا محمد علي واكابر الارنؤد وطائفة من العسكر كبيرة والوجاقلية وكثير من الفقهاء العاملين رؤس العصب واهالي بولاق ومصر القديمة والنواحي والجهات مثل اهل باب الشعرية والحسينية والعطوف وخط الخليفة والقرافتين والرميلة والحطابة والحبالة وكبيرهم حجاج الخضري وبيده سيف مسلول وكذلك ابن شمعة شيخ الجزارين وحلافه ومعهم طبول وزمور والمدافع والقنابر والبنبات نازلة من القلعة فلم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى الازبكية فنزلوا ببيت محمد علي باشا وحضر المشايخ والاعيان وقرؤا المرسوم الذي معه ومضمونه الخطاب لمحمد علي باشا والي جدة سابقا ووالي مصر حالا من ابتداء عشرين ربيع اول حيث رضي بذلك العلماء والرعية وان احمد باشا معزول عن مصر وان يتوجه الى سكندرية بالاعزاز والاكرام حتى يأتيه الامر بالتوجه الى بعض الولايات وسكن صالح أغا القابجي المذكور ببيت الخواجا محمود حسن بالازبكية وسكن السلحدار عند السيد محمد بن

فلم ينظروه ورموه بالآجر فاصابه بعضهم واجتمع الغلمان فردوهم منه فخرج من باب لطيف في عمارية متنكرا وصعد راجلا منها الى دار المرتضى بالكرخ وخرج من دار المرتضى وسار الى رافع بن الحسين بن مقن بتكريت وكسر الاتراك ابواب داره ودخلوها ونهبوها وقلعوا كثيرا من ساجها وابوابها فارسل الخليفة اليه وقرر امر الجند واعاده الى بغداد

(ذكر الحرب بين ابي سهل الحمدوني وعلاء الدولة)

في هذه السنة سار طائفة من العساكر الخراسانية التي مع الوزير ابي سهل الحمدوني باصبهان يطلبون الميرة وضع عليهم علاء الدولة من اطمعهم في الامتيار من النواحي القريبة منه فساروا اليها ولا يعلمون قربه منهم فلما أتاه خبرهم خرج اليهم واوقع بهم وغنم مامعهم وقوى طمعه بذلك فجمع جمعا من الديلم وغيرهم وسار الى اصبهان وبها ابو سهل في عساكر مسعود بن سبكتكين فخرجوا اليه وقاتلوه فغدر الاتراك بعلاء الدولة فانهزم ونهب سواده فسار الى بروجرد ومنها الى الطرم فلم يقبله ابن السلار وقال لا قدرة لي على مباينة الخراسانية فتركه وسار عنه

(ذكر وفاة الظاهر وولاية ابنه المستنصر)

في هذه السنة في منتصف شعبان توفي الظاهر لاعزاز دين الله ابو الحسن علي بن ابي علي المنصور الحاكم الخليفة العلوي بمصر وكان عمره ثلاثا وثلاثين سنة وكانت خلافته خمس عشرة سنة وتسعة اشهر وسبعة عشر يوما وكان له مصر والشام والخطبة له بافريقية وكان جميل السيرة حسن السياسة منصفا للرعية الا انه مشتغل بلذاته محب للدعة والراحة قد فوض الامور الى وزيره ابي القاسم علي بن احمد الجرجرائي لمعرفته بكفايته وامانته ولما مات ولي بعده ابنه أبو تميم معد ولقب المستنصر بالله ومولده بالقاهرة سنة عشرين واربعمائة وفي ايامه كانت قصة البساسيري وخطب له ببغداد سنة خمسين واربعمائة وكان الحاكم في دولته بدر بن عبد الله الجمالي الملقب بالافضل امير الجيوش وكان عادلا حسن السيرة وفي سنة تسع وسبعين وصل الحسن بن الصباح الاسماعيلي في زي تاجر الى المستنصر بالله وخاطبه في اقامة الدعوة له بخراسان وبلاد العجم فاذن له في ذلك فعاد ودعا اليه سرا وقال للمستنصر من امامي بعدك فقال ابني نزار والاسماعيلية يعتقدون امامة نزار وسيرد كيف صرف الامر عنه سنة سبع وثمانين ان شاء الله تعالى

(ذكر فتح السويداء ونقض الرها)

في رجب من هذه السنة اجتمع ابن وثاب وابن عطير وتصاهرا وجمعا وامدهما نصر الدولة بن مروان بعسكر كثيف فساروا باجمعهم الى السويداء وكان الروم قد احدثوا عمارتها في ذلك الوقت واجتمع اليها أهل القرى المجاورة لها فحصرها المسلمون وفتحوها عنوة وقتلوا فيها ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل وغنموا مافيها وسبوا خلقا كثيرا

المعروف (وفي يوم الثلاثاء) ركب السيد عمر في جمع كثير من العسكر من أولاد البلد والمغاربة والصعائدة والاتراك والسكل بالاسلحة وذهب الى عند محمد علي باشا وجلس عنده حصة وذهب الى القاضي وسلم عليه وذهب الى السلحدار أيضا وسلم عليه ورجع (وفيه) بطل الرمي من القلعة وكذلك ابطلوا الرمي عليها من الجبل والتخزية مع بقاء المحاصرة والمتاريس حول القلعة من الجهات ومنع الواصل اليهم واستقرار من بالجبل ويطلع اليهم في كل يوم الجمال الحاملة للخبز وقرب الماء واللوازم وأما الدلاة فاستقروا بمحلة أبي علي وطلبوا الفرد والكلف من البلاد ووصل محمد بك الالفي الى دمنهور البحيرة فتمنعوا عليه فحاصر البلد وضرب عليها وضربوا عليه أياما كثيرة (وفيه) وقع بباب الشعرية مناوشة بين العسكر وأولاد البلد بسبب سكن البيوت وكذلك جهة باب اللوق وبولاق ومصر القديمة وقتل بينهم أنفار نتل أيضا المتكلم بمصر القديمة وحصلت زعجات في الناس (وفي يوم الاربعاء) مر بعض اولاد البلد بجهة الخرنفش نضر به بعض عسكر حجو لساكن بيت شاهين كاشف فقتلوه فثارت اهل الناحية وتضاربوا بالرصاص واجتمع

وقصدوا

وقصدوا الرها فحصروها وقطعوا الميرة عنها حتى بلغ المكوك الحنطة دينارا واشتد الامر فخرج البطريق الذى فيها متخفيا ولحق بملك الروم وعرفه الحال فسير معه خمسة آلاف فارس فعادبهم فعرف ابن وثاب ومقدم عساكر نصر الدولة الحال فكمنالهم فلما قاربوهم خرج الكمين عليهم فقتل من الروم خلق كثير واسر مثلهم واسر البطريق وحمل الى باب الرها وقالوا لمن فيها امان تفتحوا البلد لنا واما قتلنا البطريق والاسرى الذين معه ففتحوا البلد للعزعن حفظه وتحصن اجناد الروم بالقلعة ودخل المسلمون المدينة وغنموا ما فيها وامتلأت ايديهم من الغنائم والسبى وا كثروا القتل وارسل ابن وثاب الى آمد مائة وستين راحلة عليها رؤس القتلى واقام محاصر القلعة ثم ان حسان بن الجراح الطائى سار فى خمسة آلاف فارس من العرب والروم نجدة لمن بالرها وسمع ابن وثاب بقربه فسار اليه مجدا ليلقاه قبل وصوله فخرج من الرها من الروم الى حران فقاتلهم اهلها وسمع ابن وثاب الخبر فعاد مسرعا فوقع على الروم فقتل منهم كثيرا وعاد المنهزمون الى الرها

(ذكر غدو السناسنة واخذ الحاج واعادة ما اخذوه)

فى هذه السنة ودخل خلق كثير من اذربيجان وخراسان وطبرستان وغيرها من البلاد يريدون الحج وجعلوا طريقهم على ارمينية وخلاط فوردوا الى آفى ووسطان فثار بهم الارمن من تلك البلاد واعانهم السناسنة وهم من الارمن ايضا الا انهم لهم حصون منيعة تجاور خلاط وهم صلح مع صاحب خلاط ولم تزل هذه الحصون بايديهم متفردين بها الا انهم متعاهدون الى سنة ثمانين وخمسمائة فلكها المسلمون منهم وازالوهم عنها على ما نذكره ان شاء الله تعالى فلما اتفقوا مع الارمن من رعية البلاد واخذوا الحاج فقتلوا منهم كثيرا واسروا وسبوا ونهبوا الاموال وحملوا ذلك اجمع الى الروم وطمع الارمن فى تلك البلاد فسمع نصر الدولة بن مروان الخبر فجمع العساكر وعزم على غزوهم فلما سمعوا ذلك ثوروا واجدوا فيه وراسله ملك السناسنة وبذل اعادة جميع ما اخذ اصحابه واطلاق الاسرى والسبى فاجابهم الى الصلح وعادعنهم لحصانة قلاعهم وكثرة المضايق فى بلادهم ولانهم بالقرب من الروم فخاف ان يمنعه نجدوهم و يمتنعوا بهم فصالحهم

(ذكر الحرب بين المعز وزناتة)

فى هذه السنة اجتمعت زناتة بافريقية وزحفت فى خيلها ورجلها يريدون مدينة المنصورة فلقيهم جيوش المعز بن باديس صاحبها بموضع يقال له الجفنة قريب من القيروان فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزمت عساكر المعز ففارقت المعركة وهم على حامية ثم عاودوا القتال وحرض بعضهم بعضا فصبرت صنهاجة وانهزمت زناتة هزيمة قبيحة وقتل منهم عدد كثير واسر خلق عظيم وتعرف هذه الوقعة بوقعة الجفنة وهى مشهورة لعظمها عندهم

الناقضة من بين السورين وصعدوا الى البيوت ونقبوا نقوبا وصاروا يضربون على الناس من الطيقان واجتمع الناس وانزعجوا ونودوا متاريس عند راس الخرنفش ورجوش وناحية الباطلية براس الدرب وتحاربوا وقتل بينهم اشخاص من الفريقين ونهب العسكر عدة دور وتسلقوا على بيت حسن ولى عاموك عثمان الجهامى الحكيم وذبحوه ونهبوا بيته الذى براس الخرنفش وكذلك رجل زيات وعبد صالح اغا الجلى وحسن ابن كاتب الجردة وكانت واقعة شنيعة استمرت الى العصر وحضر الاغا وكتخدا محمد على فلم تسكن الفتنة وحضر ايضا اسمعيل الطبجى ثم سكن الحال بعد اضطراب شديد وبات الناس على ذلك وسبب هذه الحادثة ان رجلا عسكريا اشترى من رجل خردجى ملاعق ثم ردها من الغد فلم يرض وتسابا فضربه العسكرى فصاح الخردجى وقال ما يحل من الله يضرب النصرانى الشريف فاجتمع عليه الناس وقبضوا عليه وسحبوه الى بيت النقيب فلما قربوا من البيت ضربوه وقتلوه واخرجوه الى تل البرقية ورموه هنالك فحصل بسبب ذلك ما ذكر (وفيه) ارسلوا صورة المكاتبة الواردة

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى رجب انقض كوكب عظيم غلب نوره على نور الشمس وشوهد فى آخره مثل التنين يضرب الى السواد وبقى ساعة وذهب وفيها كانت ظلمة عظيمة اشتدت حتى ان الانسان كان لا يبصر جليسه واخذ بانفاس الخلق فلو تأخر انكشافها لهلك اكثرهم وفيها قبض على الوزير ابى سعد بن عبد الرحيم وزير جلال الدولة وهى الوزارة السادسة وفيها فى رمضان توفى رافع بن الحسين بن مقن وكان حازما شجاعا وخلف بتكريت ما يزيد على خمسمائة الف دينار فملكها ابن اخيه خميس بن تغلب وكان طريدا فى ايام عمه وحمل الى جلال الدولة ثمانين الف دينار فاصلح بها الجند وكانت يده قد قطعها بعض عبيد بنى عمه كان يشرب معه فجرى بينه وبين آخر خصومة فجردوا سيوفهم فقام رافع ليصلح بينهم فضرب العبد يده فقطعها غلطا ولرافع فيها شعر ولم تمنعه من قتال عمل له كفا أخرى يمسك بها العنان ويقاتل وله شعر جيد من ذلك قوله

لهاريقة أستغفر الله انها * ألذ وأشهى فى النفوس من الخمر
وصارم طرف لا يزايل جفنه * ولم أر سيفا قط فى جفنه يفرى
فقلت لها والعيس تحدج بالضحى * أعدى لفقدى ما استطعت من الصبر
سأنفق ريعان الشبيبة آنفا * على طلب العلياء أو طلب الاجر
أليس من الخسران ان لياليا * تمر بلا نفع وتحسب من عمرى

وفيها فى صفر أمر القائم بامر الله بترك التعامل بالدنانير المغربية وأمر الشهود أن لا يشهدوا فى كتاب ابتياع ولا غيره يذكر فيها هذا الصنف من الذهب فعدل الناس الى القادرية والسابورية والقاسانية

(ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وأربعمائة)

(ذكر الفتنة بين جلال الدولة وبين بارسطغان)

فى هذه السنة كانت الفتنة بين جلال الدولة وبين بارسطغان وهو من أكابر الامراء ويلقب حاجب الحجاب وكان سبب ذلك ان جلال الدولة نسبه الى فساد الاتراك والاتراك نسبوه الى أخذ الاموال فخاف على نفسه فالتجأ الى دار الخلافة فى رجب من السنة الخالية وترددت الرسل بين جلال الدولة والقائم بامر الله فى أمره فدافع الخليفة عنه وبارسطغان راسل الملك أبا كاليجار فارسل أبو كاليجار جيشا فوصلوا الى واسط واتفق معهم عسكر واسط واخرجوا الملك العزيز بن جلال الدولة فاصعد الى ابيه وكشف بارسطغان القناع فاستتبع اصاغر المماليك ونادوا بشعار ابى كاليجار واخرجوا جلال الدولة من بغداد فسار الى اوانا ومعه البساسيرى واخرج بارسطغان الوزير ابا الفضل العباس بن الحسن بن فسانجس فنظر فى الامور نيابة عن الملك ابى كاليجار وارسل بارسطغان الى الخليفة يطلب الخطبة لابى كاليجار فاحتج بعهود جلال الدولة فاكره الخطباء على الخطبة لابى كاليجار ففعلوا وجرى بين الفريقين مناوشات وسار الاجناد الواسطيون

الى

مع صالح آغا الى الباشا فلم يمتثل وامتنع من النزول وقال انا منزول بخطوط شريفة واوامر منيفة ولا انعزل بورقة مثل هذه وطلب الاجتماع بصالح آغا والسيد ادريس يخاطبهم مشافهة وينظر فى كلامهم وكيفية مجيئهم فلم يرضوا بطلوع المذكورين اليه (وفى يوم الخميس) وقع بين حجاج الخضرى والعسكر مقاتلة جهة طيلون وقتل بينهم اشخاص (وفيه) تواترت الاخبار بقدوم الامراء المصريين القبليين الى جهة مصر (وفيه) اجتمع الشيخ الشرقاوى والشيخ الامير وغالب المتعممين وقالوا ايش هذا الحال وما تداخلنا فى هذا الامر والفتن واتفقوا انهم يتباعدون عن الفتنة وينادون بالامان وان الناس يفتحون حوانيتهم ويجلسون بها وكذلك يفتحون ابواب الجامع الازهر ويتقيدون بقراءة الدروس وحضور الطلبة وركبوا الى محمد على وقالوا له انت صرت حاكم البلدة والرعية ليس لهم مقارشة فى عزل الباشا ونزوله من القلعة وقد اتاك الامر فنفذه كيف شئت واخبروه برأيهم فاجابهم الى ذلك وركب الاغا وصحبته بعض المتعممين ونادوا فى المدينة بالامن والامان والبيع والشراء وان الناس يتركون حمل الاسلحة بالنهار واذا وقع

الى بارسطغان ببغداد فكانوا معه وتنقلت الحال بين جلال الدولة وبارسطغان فعاد جلال الدولة الى بغداد ونزل بالجانب الغربي ومعه قرواش بن المقلد العقيلي ودبيس ابن على بن مزيد الاسدى وخطب لجلال الدولة به وبالجانب الشرقى لابى كاليجار واعان ابو الشوك وابو الفوارس منصور بن الحسين بارسطغان على طاعة ابى كاليجار ثم سار جلال الدولة الى الانبار وسار قرواش الى الموصل وقبض بارسطغان على ابن فسانجس فسار منصور بن الحسين الى بلده ووافى الخبر الى بارسطغان بعود الملك ابى كاليجار الى فارس ففارقه الديلم الذين جاؤا نجدة له فضعف امره فدفع ماله وحرمه الى دار الخلافة وانحدر الى واسط وعاد جلال الدولة الى بغداد وأرسل البساسيرى والمرشد وبنى خفاجة فى اثره فتبعهم جلال الدولة ودبيس بن على بن مزيد فلحقوه بالخيزرانية فقاتلوه فسقط عن فرسه فاخذ أسيرا وحمل الى جلال الدولة فقتله وحمل رأسه وكان عمره نحو سبعين سنة وسار جلال الدولة الى واسط فملكها واصعد الى بغداد فضعف أمر الاتراك وطمع فيهم الاعراب واستولوا على اقطاعاتهم فلم يقدروا على كف ايديهم عنها وكانت مدة بارسطغان من حين كاشف جلال الدولة الى ان قتل ستة أشهر وعشرة أيام

(ذكر الصلح بين جلال الدولة وابى كاليجار والمصاهرة بينهما)

فى هذه السنة ترددت الرسل بين جلال الدولة وابن أخيه ابى كاليجار سلطان الدولة فى الصلح والاتفاق وزوال الخلف وكان الرسل اقضى القضاة أبا الحسن الماوردى وابا عبد الله المردوسى وغيرهما فاتفقا على الصلح وحلف كل واحد منهما لصاحبه وأرسل الخليفة القائم بامر الله الى ابى كاليجار الخلع النفيسة ووقع العقد لابى منصور ابن ابى كاليجار على ابنة جلال الدولة وكان الصداق خمسين ألف دينار قاسانية

(ذكر عدة حوادث)

فيها توفى ابو القاسم على بن الحسين بن مكرم صاحب عمان وكان جوادا ممدحا وقام ابنه مقامه وفيها توفى الامير ابو عبد الله الحسين بن سلامة امير تهامة باليمن وولى ابنه بعده فعصى عليه خادم كان لوالده وأراد ان يملك فجرى بينهما حروب كثيرة عادت ايامها ففارق أهل تهامة اوطانهم الى غير مملكة ولد الحسين هربا من الشر وتفاقم الامر وفيها توفى مهيار الشاعر وكان مجوسيا فاسلم سنة أربع وتسعين وثلثمائة وصحب الشريف الرضى وقال له ابو القاسم بن برهان يا مهيار قد انتقلت باسلامك فى النار من زاوية الى زاوية قال كيف قال لانك كنت مجوسيا فصرت تسب اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى شعرك وفيها توفى ابو الحسين القدورى الفقيه الحنفى والحاجب أبو الحسين هبة الله بن الحسين المعروف بابن أخت الفاضل وكان من أهل الادب وله شعر جيد وابو على بن ابى الريان بمطيراباذ ومولده سنة أربع وخمسين وثلثمائة وقد مدحه الرضى وابن نباتة وغيرهما وفيها عاود المعز بن باديس حرب زناتة بافريقية فهزمهم

من بعض العسكر قباحة رفعوا أمره الى محمد على وان كان من الرعية رفعوه الى بيت السيد عمر النقيب واذا دخل الليل حملوا الاسلحة وسهروا فى اخطاطهم على العادة وتحفظوا على اماكنهم فلما سمع الناس ذلك انكروه وقالوا ايش هذا الكلام حيث نصير طعمة للعسكر بالنهار وخفراء بالليل والله لا نترك حمل اسلحتنا ولا نمتثل لهذا الكلام ولا هذه المناداة ومر الاغا ببعض العامة المتسلحين فقبض عليهم واخذ سلاحهم فازدادوا قهرا وباتوا على ذلك واجتمعوا عند السيد عمر النقيب وراجعوه فى ذلك فاعتذر وأخبر بان هذا الامر على خلاف مراده (وفى ليلة الجمعة) المذكورة حصل خسوف قمر كلى وكان ابتداؤه من بعد العشاء الاخيرة بنصف ساعة وانجلى فى سابع ساعة وأصبح يوم الجمعة فحضر عند السيد عمر كتخدا بك وعابدى بك فى جمع من العسكر وجلسوا عنده ساعة وذكروا له ان فى عصرها يرسلون الى الباشا الكائن بالقلعة ويجتمعون عليه بالنزول فان أبى جدوا فى قتاله ومحاربته وذكروا انه ممالئ الامراء القبالى وهو الذى أرسل بحضورهم ومطمعهم فى المملكة فلزم الاجتهاد فى انزاله من القلعة ثم يتفرغون لمحاربة القادمين

واكثر القتل فيهم وخرب مساكنهم وقصورهم وفى شعبان توفى ابو على بن سينا الحكيم الفيلسوف المشهور وصاحب التصانيف السائرة على مذاهب الفلاسفة وكان موته باصبهان وكان يخدم علاء الدولة اباجعفر بن كاكويه ولاشك ان اباجعفر كان فاسد الاعتقاد فلهذا اقدم ابن سينا على تصانيفه فى الالحاد والرد على الشرائع فى بلده

(ثم دخلت سنة تسع وعشرين واربعمائة)

(ذكر محاصرة الابخاز تفليس وعودهم عنها)

فى هذه السنة حصر ملك الابخاز مدينة تفليس وامتنع أهلها عليه فاقام عليهم محاصرا ومضيقا فنفدت الاقوات وانقطعت الميرة فانفذ أهلها الى اذربيجان يستنفرون المسلمين ويسالونهم اعانتهم فلما وصل الغز الى اذربيجان وسمع الابخاز بقربهم وبما فعلوا بالارمن رحلوا عن تفليس مجفلين خوفا ولما رأى وهسوذان صاحب اذربيجان قوة الغز وانه لاطاقة له بهم لاطفهم وصاهرهم واستعان بهم وقد تقدم ذكر ذلك

(ذكر مافعله طغرلبك بخراسان)

فى هذه السنة دخل ركن الدين ابوطالب طغرلبك محمد بن ميكائيل بن سلجوق مدينة نيسابور وملكها وكان سبب ذلك ان الغز السلجوقية لما ظهروا بخراسان وافسدوا ونهبوا وخربوا البلاد وسبوا على ماذكرناه وسمع الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين الخبر فسير اليهم حاجبه سباشى فى ثلاثين الف مقاتل فسار اليهم من غزنة فلما بلغ خراسان ثقل على ماسلم من البلاد بالاقامات فخرب السالم من تخريب الغز فاقام مدة سنة على المدافعة والمطاولة لكنه كان يتبع أثرهم اذا بعدوا ويرجع عنهم اذا اقبلوا استعمالا للمحاجزة واشفاقا من المحاربة حتى اذا كان فى هذه السنة وهو بقرية بظاهر سرخس والغز بظاهر مرو ومع طغرلبك وقد بلغهم خبره ساروا اليه وقاتلوه يوما وصلوا فلما جنهم الليل اخذ سباشى ماخف من مال وهرب فى خواصه وترك خيمه ونيرانه على حالها قيل فعل ذلك مواطاة للغز على الهزيمة فلما اسفر الصبح عرف الباقون من عسكره خبره فانهزموا واستولى الغز على ماوجدوه فى معسكرهم من سوادهم وقتلوا من الهنود الذين تخلفوا مقتلة عظيمة واسرى داود اخو طغرلبك وهو والد السلطان الب ارسلان الى نيسابور وسمع ابوسهل الحمدونى ومن معه بها ففارقوها ووصل داود ومن معه اليها فدخلوها بغير قتال ولم يغيروا شيئا من امورها ووصل بعدهم طغرلبك ثم وصلت اليهم رسل الخليفة فى ذلك الوقت وكان قد ارسل اليهم والى الذين بالرى وهمذان وبلد الجبل ينهاهم عن النهب والقتل والاخراب ويعظهم فاكرموا الرسل وعظموهم وخدموهم وخاطب داود طغرلبك فى نهب البلد فمنعه فامتنع واحتج بشهر رمضان فلما انسلخ رمضان صمم داود على نهبه فمنعه طغرلبك واحتج عليه برسل الخليفة وكتابه فلم يلتفت داود اليه وقوى عزمه على النهب فاخرج طغرلبك سكينا وقال له والله لئن نهبت شيئا لاقتلن نفسى فكف عن ذلك وعدل الى التقسيط فقسط على اهل

نيسابور

ويضربون اليهم بالعصا ثم قاموا من عنده وذهبوا الى بيت القاضى وحضر حجو اغا الذى كان يحارب بالخرنفش فرجع صحبته كتخدا بك عند السيد عمر لياخذ بخاطره وصحبته طائفة من العسكر فوقفوا متفرقين ودخل منهم طائفة الى بيت الشيخ الشرقاوى وباقيهم بالشارع وتجمع حولهم اهالى البلد بالاسلحة فاتفق بينهم انطلاق بندقية اماخطأ اوقصدا فهاجت الناس وماجت واجتمعوا من كل ناحية وخرج جاويشية النقابة الى نواحى الدائرة ينادون فى الناس ويقولون عليكم بيت السيد عمر النقيب يامسلمين انجدوا اخوانكم وحصلت من تلك البندقية التى انطلقت فزعة عظيمة وصاح السيد عمر على الناس من الشباك يامرهم بالسكون والهجوع فلم يسمعوا له ونزل الى اسفل ووقف بباب داره يصيح بالناس فلا يزدادون الا اختباطا واقبلوا طوائف من كل جهة فصار يامرهم بالمرور والخروج الى جهة باب البرقية ولم يزالوا على ذلك الى بعد صلاة الجمعة حتى سكن الحال واقام حجو والكتخدا حتى تغديا مع السيد عمر وركبا وذهبا ونودى فى مصر ذلك اليوم بالامان وفتح الحوانيت والبيع والشراء ولا يرفعون معهم السلاح بل يحملونه معهم فى

نيسابور نحو ثلاثين الف دينار وفرقها فى اصحابه واقام طغرلبك بدار الامارة وجلس على سرير الملك مسعود وصار يقعد للمظالم يومين فى الاسبوع على قاعدة ولاة خراسان وسير اخاه داود الى سرخس فملكها ثم استولوا على سائر بلاد خراسان سوى بلخ وكانوا يخطبون للملك مسعود على سبيل المغالطة وكانوا ثلاثة اخوة طغرلبك وداود وبيغو وكان ينال واسمه ابراهيم اخا طغرلبك وداود لامهما ثم خرج مسعود من غزنة وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر مخاطبة جلال الدولة بملك الملوك)

فى هذه السنة سال جلال الدولة الخليفة القائم بامر الله ليخاطب بملك الملوك فامتنع ثم اجاب اليه اذا افتى الفقهاء بجوازه فكتب فتوى الى الفقهاء فى ذلك فافتى القاضى ابو الطيب الطبرى والقاضى ابو عبد الله الصيمرى والقاضى ابن البيضاوى وابو القاسم الكرخى بجوازه وامتنع منه قاضى القضاة ابو الحسن الماوردى وجرى بينه وبين من افتى بجوازه مراجعات وخطب لجلال الدولة بملك الملوك وكان الماوردى من اخص الناس بجلال الدولة وكان يتردد الى دار المملكة كل يوم فلما افتى بهذه الفتيا انقطع ولزم بيته خائفا واقام منقطعا من شهر رمضان الى يوم عيد النحر فاستدعاه جلال الدولة فحضر خائفا فادخله وحده وقال له قد علم كل احد انك من اكثر الفقهاء مالا وجاها وقربا منا وقد خالفتهم فيما خالف هواى ولم تفعل ذلك الا لعدم المحاباة منك واتباع الحق وقد بان لى موضعك من الدين ومكانك من العلم وجعلت جزاء ذلك اكرامك بان ادخلتك الى وحدك وجعلت اذن الحاضرين اليك ليتحققوا عودى الى ما تحب فشكره ودعا له واذن لكل من حضر بالخدمة والانصراف

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قتل شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس صاحب حلب قتله الدزبرى وعساكر مصر وملكوا حلب وفيها انكر العلماء على ابى يعلى بن الفراء الحنبلى ما ضمنه كتابه من صفات الله سبحانه وتعالى المشعرة بانه يعتقد التجسيم وحضر ابو الحسن القزوينى الزاهد بجامع المنصور وتكلم فى ذلك تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وفيها صالح ابن وثاب النميرى صاحب حران الروم الذين بالرها لعجزه عنهم وسلم اليهم ربض الرها وكان تسلمه على ما ذكرناه اولا فنزلوا من الحصن الذى للبلد اليه وكثر الروم بها وخاف المسلمون على حران منهم وعمر الروم الرها العمارة الحسنة وحصنوها وفيها هادن المستنصر بالله الخليفة العلوى صاحب مصر ملك الروم وشرط عليه اطلاق خمسة آلاف اسير وشرط الروم عليه ان يعمر وابيعة قمامة فارسل الملك اليها من عمرها واخرج عليها مالا جليلا وفى هذه السنة سارت عساكر المعز بن باديس بافريقية الى بلد الزاب ففتحوا مدينة تسمى بورس وقتلوا من البربر خلقا كثيرا وفتح من بلاد زناتة قلعة تسمى كروم وفيها توفى اسحق بن ابراهيم بن مخلد ابو الفضل

حوانيتهم تصذرا من غدر العسكر وفتحوا ابواب الازهر (وفى يوم السبت) فتح الناس بعض الحوانيت ونزل المشايخ الى الجامع الازهر وقرؤا بعض الدروس فتفرق هم الناس وزموا الاسلحة واخذوا يسبون المشايخ ويشتمونهم لتخذيلهم اياهم وشمخ عليهم العسكر وشرعوا فى اذيتهم وتعرضوا لقتلهم واضرارهم (وفى يوم الاحد) قتلوا اشخاصا فى جهات متفرقة وضج الناس واغلقوا الدكاكين وكثرت شكاويهم واقلقوا السيد عمر النقيب وهو يعتذر اليهم ويقول لهم اذهبوا الى الشيخ الشرقاوى والشيخ الامير فهما اللذان امرا الناس برمى السلاح فلما زادت الشكوى نادوا فى الناس بالعود الى حمل السلاح والحذر (وفيه) وصل الامراء القبليون الى قرب الجيزة وعدى منهم طائفة الى البر الشرقى جهة دير الطين والبساتين وهم عباس بك ومحمد بك المنفوخ ورشوان كاشف وهدموا قلاع طرا وساووها بالارض (وفى يوم الاثنين) ركب محمد على وخرج الى جهة مصر القديمة وصحبته حسن باشا واخوه عابدى بك فنزل بقصر بلفيه واقاموا الى العصر وخرج كثير من العسكر الى ناحية مصر القديمة ثم ركب محمد على وحسن باشا واخوه فى

المعروف بابن الباقرحى فى ربيع الآخر

(ثم دخلت سنة ثلاثين وأربعمائة)

(ذكر وصول الملك مسعود من غزنة الى خراسان واجلاء السلجوقية عنها)

فى صفر من هذه السنة وصل الملك مسعود الى بلخ من غزنة وزوج ابنه من ابنة بعض الملوك الخانية كان يتقى جانبه واقطع خوارزم لشاهملك الجندى فسار اليها وبها خوارزمشاه اسمعيل بن التونتاش فجمع أصحابه والتقى شاهملك وقاتله ودامت الحرب بينهما مدة شهر وانهزم اسمعيل والتجا الى طغرلبك وأخيه داود السلجوقية وملك شاهملك خوارزم وكان مسير مسعود من غزنة أول سنة ثمان وعشرين وسبب خروجه ماوصل اليه من أخبار الغز وما فعلوه بالبلاد وأهلها من الاخراب والقتل والسبى والاستيلاء وأقام ببلخ حتى أراحوا واستراح وفرغ من أمر خوارزم والخانية ثم امد سباشى الحاجب بعسكر ليتقوى بهم ويهتم بأمر الغز واستئصالهم فلم يكن عنده من الكفاية ما يقهرهم بل أخلد الى المطاولة التى هى عادته وسار مسعود بن سبكتكين من بلخ بنفسه وقصد سرخس فتجنب الغز لقاءه وعدلوا الى المراوغة والمخاتلة واظهروا العزم على دخول المفازة التى بين مرو وخوارزم فبينما عساكر مسعود تتبعهم وتطلبهم اذ لقوا طائفة منهم فقاتلوهم وظفروا بهم وقتلوا منهم ثم انه واقعهم بنفسه فى شعبان من هذه السنة وقعة استظهر فيها عليهم فابعدوا عنه ثم عاودوا القرب منه بنواحى مرو فواقعهم وقعة أخرى قتل منهم نحو ألف وخمسمائة قتيل وهرب الباقون فدخلوا البرية التى يحتمون بها وثار أهل نيسابور بمن عندهم منهم فقتلوا بعضا وانهزم الباقون الى أصحابهم بالبرية وعدل مسعود الى هراة ليتأهب فى العساكر للسير خلفهم وطلبهم اين كانوا فعاد طغرلبك الى الاطراف النائية عن مسعود فنهبها وأثخن فيها وكان الناس قد تراجعوا اليها وخلوا أيديهم من الغنائم فحينئذ سار مسعود بطلبه فلما قاربه انزاح طغرلبك من بين يديه الى استوا وأقام بها وكان الزمان شتاء ظنا منه ان الثلج والبرد يمنع عنه فطلبه مسعود اليها ففارقه طغرلبك وسلك الطريق على طوس واحتمى بجبال منيعة ومضايق صعبة المسالك فسير مسعود فى طلبه وزيره احمد بن محمد بن عبد الصمد فى عساكر كثيرة فطوى المراحل اليه جريدة فلما رأى طغرلبك قربه منه فارق مكانه الى نواحى أبيورد وكان مسعود قد سار ليقطعه من جهة ان أرادها فلقى طغرلبك مقدمته فواقعهم فانتصر واعليه واستأمن من أصحابه جماعة كثيرة ورأى الطلب له من كل جانب فعاود دخول المفازة الى خوارزم وأوغل فيها فلما فارق الغز خراسان قصد مسعود جبلا من جبال طوس منيعا لايرام وكان أهله قد وافقوا الغز وأفسدوا معهم فلما فارق الغز تلك البلاد تحصن هؤلاء بجبلهم ثقة منهم بحصانته وامتناعه فسرى مسعود اليهم جريدة فلم يرعهم الا وقد خالطهم فتركوا اهلهم وأموالهم وصعدوا الى قلة الجبل واعتصموا بها وامتنعوا وغنم عسكر مسعود أموالهم وما ادخروه ثم أمر مسعود أصحابه ان يزحفوا اليهم فى قلة الجبل وباشر هو القتال بنفسه فزحف

الناس

اخر النهار وساقوا الى جهة البساتين ومعهم العساكر أفواجا فلما قربوا من الامراء المصريين تقهقروا الى خلف ورجعوا الى جهة قبلى وقيل عدوا الى بر الجيزة وانضموا اليهم الى باشا الذى بالجيزة واستمر محمد على ومن معه بمصر القديمة وتراموا بالمدافع (وفى يوم الثلاثاء) حضر ايضا جماعة من القبليين الى الجيزة وتراموا بالمدافع والبنب من البرين ذلك اليوم وليلة الاربعاء (وفيه) عدى طائفة الدلاة الكائنين بالبر الغربى وانضم اليهم المقيمون بجزيرة بدران وحضروا الى بولاق وهجموا على البيوت واخرجوا سكانها قهرا عنهم وازعجوهم من اوطانهم وسكنوها وربطوا خيولهم بخانات القبار ووكالة الزيت فحضر الكثير من اهالى بولاق الى بيت السيد عمر وتظلموا وتشكوا فارسل الى كتخدا بك يخبره بذلك فلم يمتنعوا واستمروا على فعلهم وقبائحهم (وفيه) طلب محمد على باشا دراهم سلفة من النصارى والتجار وقرروا فردة على البلاد والبنادر وهى أول طلبة طلبها بعد رآسته (وفيه) أرسلوا بنائين وخمسمائة فاعل لبناء ماتهدم من حصون طرا (وفى يوم الخميس حادى عشر ينه) وردت أخبار بوصول قبطان باشا الى ثغر سكندرية وأبى

الناس اليهم وقاتلوهم قتالا لم يروا مثله وكان الزمان شتاء والثلج على الجبل كثيرا فهلك من العسكر في مخارم الجبل وشعابه كثير ثم انهم ظفروا باهله واكثروا فيهم القتل والاسر وفرغوا منهم وأراحوا المسلمين من شرهم وساروا الى نيسابور في جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين وأربعمائة ليريح ويستريح وينتظر الربيع ليسير خلف الغز ويطلبهم في المفاوز التي احتموا بها وكانت هذه الوقعة واجلاء الغز عن خراسان سنة احدى وثلاثين على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك أبي الشوك مدينة خولنجان)

كان حسام الدولة ابو الشوك قد فتح قرميسين من اعمال الجبل وقبض على صاحبها وهو من الاكراد القوهية فسار أخوه الى قلعة ارنبة فاعتصم بها من أبي الشوك وجعل أصحابه في مدينة خولنجان يحفظونها منه أيضا فلما كان الآن سير أبو الشوك عسكرا الى خولنجان فحصروها فلم يظفروا منها بشئ فامر العسكر فعاد فأمن من في البلد بعود العسكر عنها ثم جهز عسكرا آخر جريدة فلم يعلم بهم احد وسيرهم ليومهم وأمرهم بنهب ربض قلعة ارنبة وقتل من ظفروا به والاعتمام لوقتهم الى خولنجان ليسبقوا خبرهم اليها ففعلوا ذلك ووصلوا اليها ومن بها غير متأهبين فاقتتلوا شيئا من قتال ثم استسلم من بالمدينة اليهم فتسلموها وتحصن من كان بها من الاجناد في قلعة في وسط البلد فحصرها أصحاب ابي الشوك فملكوها في ذي القعدة من هذه السنة

(ذكر الخطبة العباسية بحران والرقة)

في هذه السنة خطب شبيب بن وثاب النميري صاحب حران والرقة للامام القائم بامر الله وقطع خطبة المستنصر بالله العلوي وكان سببها ان نصر الدولة بن مروان كان قد بلغه عن الدزبري نائب العلويين بالشام انه يتهدده ويريد قصد بلاده فراسل قرواشا صاحب الموصل وطلب منه عسكرا وراسل شبيبا النميري يدعوه الى الموافقة ويحذره من المغاربة فاجابه الى ذلك وقطع الخطبة العلوية وأقام الخطبة العباسية فارسل اليه الدزبري يتهدده ثم أعاد الخطبة العلوية بحران في ذي الحجة من السنة

(ذكر عدة حوادث)

فيها توفي مؤيد الملك ابو علي الحسين بن الحسن الرخجي وكان وزير الملوك بني بويه ثم ترك الوزارة وكان في عطلته يتقدم على الوزراء وفيها أيضا توفي ابو الفتوح الحسن بن جعفر العلوي أمير مكة وفيها توفي الوزير ابو القاسم بن ماكولا محبوسا بهيت وكان مقامه في الحبس سنتين وخمسة اشهر ومولده سنة خمس وستين وثلثمائة وكان وزير جلال الدولة وهو والد الامير ابي نصر مصنف كتاب الاكمال في المؤتلف والمختلف وكان جلال الدولة سلمه الى قرواش فحبسه بهيت وفيها سقط الثلج ببغداد لست بقين من ربيع الاول فارتفع على الارض شبرا ورماه الناس عن السطوح الى الشوارع وجمد الماء ستة أيام متوالية وكان اول ذلك الثالث والعشرين من كانون الثاني وتوفي

قيز وتقيتمراكب كثيرة لا يعلم المرضاون أخبارهم بها فاجتمع المشايخ واتفقوا على كتابة عرضحال يرسلونه اليه مع بعض المتعممين ثم اختلفت آراؤهم في ذلك فلما كان يوم الاثنين ورد الخبر بورود سلحدار قبطان المذكور الى شلقان فاعرضوا عن ذلك (وفيه) وقع بين طائفة من العسكر الكائنين ببولاق واهل البلد مناوشة بسبب نقب البيوت وقتل بينهم أنفار واستظهر عليهم اهل بولاق (وفي يوم الثلاثاء) وصل السلحدار الى بولاق وركب من هناك الى المكان الذي اعدله وصحبته مكاتبة الى احمد باشا المخلوع ومضمونها الامر بالنزول من القلعة ساعة وصول الجواب اليه من غير تأخير وحضوره الى الاسكندرية وجواب آخر الى محمد علي بابقائه في القائمقامية حيث ارتضاه الكافة والعلماء والوصية بالسلوك والرفق بالرعية والكلام المحفوظ المعتاد الذي لا اصل له وأن يقلد من قبله باشا على عسكر بعين ارساله الى البلاد الحجازية ويشهل له جميع احتياجاته من الجبخانه وسائر الاحتياجات واللوازم فارسلوا الى احمد باشا المخلوع بجوابه فقال حتى يطلع الى السلحدار الواصل ويخاطبني مشافهة (وفي صبيح يوم الاربعاء)

هذه السنة ابو نعيم احمد بن عبد الله بن احمد بن اسحق الاصبهانى الحافظ وابو الرضا الفضل بن منصور بن الظريف الفارقى الامير الشاعر له ديوان حسن وشعره جيد فمنه

ومخطف الخصر مطبوع على صلف ✻ عشقته ودواعى البين تعشقه
وكيف اطمع منه فى مواصلة ✻ وكل يوم لنا شمل يفرقه
وقد تسامح قلبى فى مواصلتى ✻ على السلو ولكن من يصدقه
أهابه وهو طلق الوجه مبتسم ✻ وكيف يطمعنى فى السيف رونقه

✻(ثم دخلت سنة احدى وثلاثين وأربعمائة)✻

فى هذه السنة فتح الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين قلعة بخراسان كانت بيد الغز وقتل فيها جماعة منهم وكانت بينه وبينهم وقعات أجلت عن فراقهم خراسان الى البرية وقد ذكرناه سنة ثلاثين

✻(ذكر ملك الملك أبى كاليجار البصرة)✻

فى هذه السنة سير الملك أبو كاليجار عساكره مع العادل ابى منصور بن مافنة الى البصرة فملكها فى صفر وكانت بيد الظهير أبى القاسم وقد ذكرنا أنه وليها بعد بختيار وانه عصى على أبى كاليجار مرة وصار فى طاعة جلال الدولة ثم فارق طاعته وعاد الى طاعة الملك أبى كاليجار وكان يترك محاققته ومعارضته فيما يفعله ويضمن الظهير أن يحمل الى أبى كاليجار كل سنة سبعين ألف دينار وكثرت أمواله ودامت أيامه وثبت قدمه وطار اسمه واتفق انه تعرض الى أملاك أبى الحسن بن أبى القاسم بن مكرم صاحب عمان وأمواله وكاتب أبو الحسن الملك أبا كاليجار وبذل له زيادة ثلاثين ألف دينار فى ضمان البصرة كل سنة وجرى الحديث فى قصد البصرة فصادف قلبا موغرا من الظهير ففات الاجابة وجهز الملك العساكر مع العادل أبى منصور فسار اليها وحصرها وسارت العساكر من عمان أيضا فى البحر وحصرت البصرة وملكت وأخذ الظهير وقبض عليه وأخذ جميع ماله وقرر عليه مائة ألف وعشرة آلاف دينار يحملها فى احد عشر يوما بعد تسعين ألف دينار أخذت منه قبلها ووصل الملك أبو كاليجار الى البصرة فاقام بها ثم عاد الى الاهواز وجعل ولده عز الملوك فيها ومعه الوزير ابو الفرج ابن فسانجس ولما سار أبو كاليجار عن البصرة أخذ معه الظهير الى الاهواز

✻(ذكر ما جرى بعمان بعد موت أبى القاسم بن مكرم)✻

لما توفى أبو القاسم بن مكرم خلف أربعة بنين أبو الجيش والمهذب وأبو محمد وآخر صغير فولى بعده ابنه أبو الجيش وأقر على بن هطال المنوجانى صاحب جيش أبيه على قاعدته وأكرمه وبالغ فى احترامه فكان اذا جاء اليه قام له فانكر هذه الحال عليه أخوه المهذب فطعن على ابن هطال وبلغه ذلك فاضمر له سوأ واستاذن أبا الجيش فى ان يحضر أخاه المهذب لدعوة عملها له فاذن له فى ذلك فلما حضر المهذب عنده خدمه وبالغ فى خدمته فلما أكل وشرب وانتشا وعمل السكر فيه قال له ابن هطال ان أخاك أبا الجيش

قبض اهالى الفلوق على خيال مقبل من جهة مصر القديمة يريد الطلوع الى القلعة من آخر النهار ووجدوا معه أوراقا فاخذوه الى محمد على باشا فوجدوا فى ضمنها خطابا الى الباشا المخلوع من محمد على باشا وياسين بك الكائنين بالجيزة مضمونها أنه فى صبح يوم الجمعة نطلق من الجيزة سبعة سواريخ تكون اشارة بيننا وبينكم فعند ماترونها تضربون بالمدافع والبنب على بيت محمد على ونحن نعدى الى مصر القديمة ويصل البرديسى من خلف الجبل الى جهة العادلية ويأتى باقى المصريين من ناحية طرا ويقوم من بالبلدة على من فيها فيشغلون الجهات ويتم المرام بذلك فلما اطلع محمد على على ذلك وكان القاضى حاضرا اعتمده اشتد غيظه على ذلك الرجل ووجده من الاكراد فاستجار بالقاضى فلم يجره وامر به فأخذوه وقتلوه ورموه ببركة الازبكية (وفى يوم الخميس) احضروا سبعة رؤس وعلقوها على السبيل المواجه لباب زويلة ذكروا انها من ناحية دمنهور ووصل احداها ورقة مكتوبة انها راس شاهين بك الالفى واخرى سعداوه وهى متغيرة جدا ومحشوة تبنا ولا يظهر لها خلق ولم يكن لذلك صحة (وفيه) اخبر الاخباريون بان الالفى ارتحل من دمنهور ولم ينل منها غرضه

فيه

فيه ضعف وعجز عن الامر والرأى ان تقوم معك وتصير أنت الامير وخدعه فمال الى هذا الحديث فاخذ ابن هطال خطه بما يفوّض اليه و بما يعطيه من الاعمال اذا عمل معه هذا الامر فلما كان الغد حضر ابن هطال عند أبى الجيش وقال له ان أخاك كان قد افسد كثيرا من اصحابك عليك وتحدث معى واستمالنى فلم اوافقه فلهذا كان يذمنى ويقع فى وهذا خطه بما استقر هذه الليلة فلما رأى خط اخيه امره بالقبض عليه ففعل ذلك واعتقله ثم وضع عليه من خنقه والقى جثته الى منخفض من الارض واظهر انه سقط فمات ثم توفى أبو الجيش بعد ذلك بيسير واراد ابن هطال ان يأخذ أخاه ابا محمد فيوليه عمان ثم يقتله فلم تخرجه اليه والدته وقالت له انت تتولى الامور وهذا صغير لا يصلح لها ففعل ذلك وأساء السيرة وصادر التجار واخذ الاموال وبلغ ما كان منه مع بنى مكرم الى الملك أبى كاليجار والعادل أبى منصور بن مافنة فاعظما الامر واستكبراه وشد العادل فى الامر وكاتب نائبا كان لابى القاسم بن مكرم بجبال عمان يقال له المرتضى وامره بقصد ابن هطال وجهز العساكر من البصرة لتسير الى مساعدة المرتضى فجمع المرتضى الخلق وتسارعوا اليه وخرجوا عن طاعة ابن هطال وضعف امره واستولى المرتضى على اكثر البلاد ثم وضعوا خادما كان لابن مكرم وقد التحق بابن هطال على قتله وساعده على ذلك فراش كان له فلما سمع العادل بقتله سير الى عمان من اخرج ابا محمد بن مكرم ورتبه فى الامارة وكان قد استقر ان الامر لابى محمد فى هذه السنة

(ذكر الحرب بين ابى الفتح بن ابى الشوك و بين عمه مهلهل)

فى هذه السنة كان بين ابى الفتح بن ابى الشوك وبين عمه مهلهل حرب شديدة وكان سبب ذلك ان ابا الفتح كان نائبا عن والده فى الدينور وقد عظم محله وافتتح عدة قلاع وحمى اعماله من الغز وقتل فيهم فاعجب بنفسه وصار لا يقبل امر والده فلما كان هذه السنة فى شعبان سار الى قلعة بلوار ليفتحها وكان فيها زوجة صاحبها وكان من الاكراد فعلمت انها تعجز عن حفظها فراسلت مهلهل بن محمد بن عناز وهو بمحله فى نواحى الصامغان واستدعته لتسلم اليه القلعة فسأل الرسول عن ابى الفتح هل هو بنفسه على القلعة ام عسكره فاخبره انه عاد عنها و بقى عسكره فسار مهلهل اليها فلما وصل رأى ابا الفتح قد عاد الى القلعة فقصدهم وضعا نوهم ابا الفتح انه لم يرد هذه القلعة ثم رجع عائدا وتبعه ابو الفتح ولحقه وتراءت الفئتان فعاد مهلهل اليه فاقتتلوا فرأى ابو الفتح من اصحابه تغير انفسهم فولى منهزما وتبعه أصحابه فى الهزيمة وقتل عسكر مهلهل من كان فى عسكر ابى الفتح من الرجالة وساروا فى اثر المنهزمين يقتلون و يأسرون ووقف فرس ابى الفتح به فاسر وأحضر عند عمه مهلهل فضربه عدة مقارع وقيده وحبسه عنده وعاد ثم ان ابا الشوك جمع عساكره وسار الى شهرزور وحصرها وقصد بلاد اخيه ليخلص ابنه ابا الفتح فطال الامر ولم يخلص ابنه وحمل مهلهل اللجاج على ان استدعى علاء الدولة بن

وقيل انه قتل وفى رواية وقع الى الجوهر بباقى اتباعه الى جهة المنوات فى اسواحل واخذمنه شيئا كثيرا وهو ما جمعه فى هذه السرحة وذلك خلاف ما جمعه فى العام الماضى عندما كان كاشفا بمنوف ومن ذلك انه لما قتل موسى خالد اخذ منه مالا كثيرا وذلك خلاف ما دل عليه من خباياه (وفى تلك الليلة) طلع السلحدار المذكور وصحبته صالح اغا القابجى الذى وصل قبله الى القلعة واجتمع باحمد باشا المخلوع وتكلما معه فقال انا لست بعاص ولا مخالف للاوامر وانما الصالح اغا وعمر اغا على الف ونحو خمسمائة كيس باقية ولم يبق عندى شئ سوى ما على جسدى من الثياب وقد اخذ العسكر الهاربون موجوداتى جميعا فاذا طيبتم خواطرهم انزلت فى الحال فنزلا بذلك الجواب ثم ترددوا فى الكلام والعقد والابرام ولم يحسن السكوت على شئ (وفيه) وصل الامراء القبالى الى حلوان وعلى بك ايوب دخل الى الجيزة وصحبته من بها وسليمان بك خارجها (وفى يوم الجمعة) عدى ياسين بك من الجيزة الى متاريس الروضة ولم يكن بها سوى الضعيفة فطلعوا اليهم وقبضوا على بعضهم واخذوا منهم ثلاثة مدافع وسفوا قاليسة

كا كويه الى بلاد ابى الفتح فدخل الديلم روقرميسين وأساء الى اهلها وظلمهم وملكها وكان ذلك سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة

❊(ذكر شغب الاتراك على جلال الدولة ببغداد)❊

فى هذه السنة شغب الاتراك على الملك جلال الدولة ببغداد واخرجوا خيامهم الى ظاهر البلد ثم اوقعوا النهب فى عدة مواضع فخافهم جلال الدولة فعبر خيامه الى الجانب الغربى وترددت الرسل بينهم فى الصلح واراد الرحيل من بغداد فمنعه أصحابه فراسل دبيس بن مزيد وقرواشا صاحب الموصل وغيرهما وجمع عنده العساكر فاستقرت القواعد بينهم وعاد الى داره وطمع الاتراك وآذوا الناس ونهبوا وقتلوا وفسدت الامور بالكلية الى حد لا يرجى صلاحه

❊(ذكر عدة حوادث)❊

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة ولد للخليفة القائم بامر الله ولده ابو العباس وهو ذخيرة الدين وفيها توفى شبيب بن وثاب النميرى صاحب الرقة وسروج وحران وفيها توفى أبو نصر بن مشكان كاتب الانشاء لمحمود بن سبكتكين ولولده مسعود وكان من الكتاب المفلقين رأيت له كتابة فى غاية الجودة

❊(ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة)❊

❊(ذكر ابتداء الدولة السلجوقية وسياقة أخبارهم متتابعة)

فى هذه السنة اشتد ملك السلطان طغرلبك محمد واخيه جغرى بك داود ابنى ميكائيل ابن سلجوق بن تقاق فنذكر أولا حال آبائه ثم نذكر حاله كيف تقلب حتى صار سلطانا على انى قد ذكرت أكثر أخبارهم متقدمة على السنين وانما أوردناها ههنا مجموعة لترد سياقا واحدا فهى أحسن فاقول فاما تقاق فمعناه القوس الجديد وكان شهما ذا راى وتدبير وكان مقدم الاتراك الغز ومرجعهم اليه لا يخالفون له قولا ولا يتعدون أمرا فاتفق يوما من الايام أن ملك الترك الذى يقال له بيغو جمع عساكره واراد المسير الى بلاد الاسلام فنهاه تقاق عن ذلك وطال الخطاب بينهما فيه فاغلظ له ملك الترك الكلام فلطمه تقاق فشج رأسه فاحاط به خدم ملك الترك وارادوا أخذه فمانعهم وقاتلهم واجتمع معه من اصحابه من منعه فتفرقوا عنه ثم صلح الامر بينهما واقام تقاق عنده وولد له سلجوق واما سلجوق فانه لما كبر ظهرت عليه أمارات النجابة ومخايل التقدم فقربه ملك الترك وقدمه ولقبه سباشى ومعناه قائد الجيش وكانت امرأة الملك تخوفه من سلجوق لما ترى من تقدمه وطاعة الناس له والانقياد اليه واغرته بقتله وبالغت فى ذلك وسمع سلجوق الخبر فسار بجماعته كلهم ومن يطيعه من دار الحرب الى ديار الاسلام وسعد بالايمان ومجاورة المسلمين وازداد حاله علوا وامرة وطاعة واقام بنواحى جند وادام غزو كفار الترك وكان ملكهم يأخذ الخراج من المسلمين فى تلك الديار وطرد سلجوق عماله منها وصفت للمسلمين ثم ان بعض ملوك السامانية كان

فثارت رجة بمصر المدفع الكبير وآخر رموه الى البحر القديم والروضة وضربوا بالمدافع والرصاص ورجع الواصلون من الجيزة الى اماكنهم وحضر الالفى الى جهة الطرانة (وفيه) حضر صالح اغا القابجى الى السيد عمر النقيب واخبره انهم تواعدوا مع احمد باشا فى عصر غد من يوم السبت اما ان ينزل او يستمر على عصيانه فلما كان يوم السبت فى الميعاد فرجوا عن ضعفاء الرعية الكائنين بالقلعة وكذلك النساء بعدما اخذوا ما معهم من الامتعة والثياب وابقوا عندهم الشبان والاقوياء للمعاونة فى الاشغال واظهروا المخالفة وامتنعوا من النزول وباتوا على ذلك وكثر اللغط فى الناس وانقضى شهر ربيع الثانى على ذلك

❊(شهر جمادى الاولى سنة ١٢٢٠)❊

استهل بيوم الاحد (فيه) ضربوا ثلاثة مدافع من القلعة وقت الشروق وكانها اشارة وعلامة لاصحابهم (وفى يوم الاثنين) سبح جماعة من الجيزة الى جهة انبابة وكان ببولاق طائفة من العسكر يتراحمون بجهة ديوان العشور فضربوا عليهم مدافع فحصل ببولاق ضجة وركب محمد على باشا اواخر النهار وذهب الى بولاق

هرون بن ايلك الخان قد استولى على بعض اطراف بلاده فارسل الى سلجوق يستمده فامده بابنه ارسلان في جمع من اصحابه فقوى بهم السامانى على هرون واسترد ما أخذه منه وعاد ارسلان الى ابيه وكان لسلجوق من الاولاد ارسلان وميكائيل وموسى وتوفى سلجوق بجند وكان عمره مائة سنة وسبع سنين ودفن هناك وبقى أولاده فغزا ميكائيل بعض بلاد الكفار الاتراك فقاتل وباشر القتال بنفسه فاستشهد فى سبيل الله وخلف من الاولاد بيغو وطغرلبك محمدا وجغرى بك داود فاطاعهم عشائرهم ووقفوا عند امرهم ونهيهم ونزلوا بالقرب من بخارا على عشرين فرسخا منها فخافهم أمير بخارا فاساء جوارهم واراد اهلاكهم والايقاع بهم فالتجؤا الى بغراخان ملك تركستان واقاموا فى بلاده واحتموا به وامتنعوا واستقر الامر بين طغرلبك وأخيه داود أنهما لا يجتمعان عند بغراخان انما يحضر عنده احدهما ويقيم الآخر فى أهله خوفا من مكر يمكر بهم فبقوا كذلك ثم ان بغراخان اجتهد فى اجتماعهما عنده فلم يفعلا فقبض على طغرلبك وأسره فثار داود فى عشائره ومن يتبعه وقصد بغراخان ليخلص أخاه فانفذ اليه بغراخان عسكرا فاقتتلوا فانهزم عسكر بغراخان وكثر القتل فيهم وخلص أخاه من الاسر وانصرفوا الى جند وهى قريب بخارا فاقاموا هناك فلما انقرضت دولة السامانية وملك ايلك الخان بخارا عظم محل ارسلان بن سلجوق عم داود وطغرلبك بما وراء النهر وكان على تكين فى حبس ارسلان خان فهرب وهو أخو ايلك الخان ولحق ببخارا واستولى عليها واتفق مع ارسلان بن سلجوق فامتنعا واستفحل امرهما وقصدهما أيلك أخو ارسلان خان وقاتلهما فهزماه وبقيا ببخارا وكان على تكين يكثر معارضة يمين الدولة محمود بن سبكتكين فيما يجاوره فى بلاده ويقطع الطريق على رسله المترددين الى ملوك الترك فلما عبر محمود جيحون على ما ذكرناه هرب على تكين من بخارا واما ارسلان بن سلجوق وجماعته فانهم دخلوا المفازة والرمل فاحتموا من محمود فرأى محمود قوة السلجوقية وما لهم من الشوكة وكثرة العدد فكاتب ارسلان بن سلجوق واستماله ورغبه فورد اليه فقبض يمين الدولة عليه فى الحال ولم يمهله وسجنه فى قلعة ونهب خركاهاته واستشار فيما يفعل باهله وعشيرته فاشار ارسلان الجاذب وهو من أكبر خواص محمود بان يقطع أباهيم لئلا يرموا بالنشاب أو يغرقوا فى جيحون فقال له ما انت الا قاسى القلب ثم أمر بهم فعبروا نهر جيحون ففرقهم فى نواحى خراسان ووضع عليهم الخراج فجار العمال عليهم وامتدت الايدى الى اموالهم وأولادهم فانفصل منهم اكثر من الفى رجل وساروا الى كرمان ومنها الى اصبهان وجرى بينهم وبين صاحبها علاء الدولة بن كاكويه حرب قد ذكرناها فساروا من اصبهان الى اذربيجان وهؤلاء جماعة ارسلان فاما اولاد اخوته فان عليا تكين صاحب بخارا اعمل الحيل فى الظفر بهم فارسل الى يوسف بن موسى بن سلجوق وهو ابن عم طغرلبك محمد وجغرى بك داود ووعده الاحسان وبالغ فى استمالته وطلب منه الحضور عنده ففعل ففوض اليه على تكين التقدم على جميع الاتراك الذين فى ولايته واقطعه أقطاعا كثيرة ولقبه بالامير

ونزل ببيت عمر بك الارنؤدي وضج جملة من العسكر وصعدوا اليلاو طلعوا ناحية بشقيل وحضروا الى جهة انبابة يوم الثلاثاء وتحاربوا مع من بها حتى اجلوهم عنها وعملوا هناك متاريس فى مقابلتهم واستمروا على ذلك يتضاربون بالمدافع (وفى يوم السبت) سابعه طلع بشير اغا القابجى وصالح اغا والسلحدار الى القلعة وتكلموا مع احمد باشا ومن معه وقد كانت وردت مكاتبات من قبطان باشا فى امر احمد باشا ثم نزلوا وصحبتهم كتخدا احمد باشا الى بيت سعيد اغا الوكيل وركبوا معه الى بيت محمد على باشا واختلوا مع بعضهم ثم طلع صالح اغا وار بعة من عظمائهم ثم نزلوا ثم طلعوا وترددوا فى الذهاب والاياب ومرادة الخطاب وبات الكتخدا اسفل وطلب القلعاويون شروطا وعلائفهم الماضية وغير ذلك وانتهى الكلام بينهم على نزول احمد باشا المخلوع فى يوم الاثنين وتسليم القلعة والجبخانه (واصبح يوم الاثنين) فطلبوا جمالا لحمل اثقالهم فارسلوا الى السيد عمر فجمع لهم من جمال الشواغرية مائتى جمل فنقلوا عليها متاعهم وفرشهم وانزل الباشا حريمه الى بيت مصطفى اغا الوكيل ونزل كثير من عساكرهم وخدمهم وهم متغيروا الصور

اينانج بيغو وكان الباعث له على ما فعله به ان يستعين به وبعشيرته واصحابه على
طغرلبك وداود ابني عمه ويفرق كلمتهم ويضرب بعضهم ببعض فعلموا مراده فلم يطعه
يوسف الى شئ مما اراده منه فلما راى على تكين ان مكره لم يعمل فى يوسف ولم يبلغ به
غرضا أمر بقتله فقتل يوسف تولى قتله أمير من أمراء على تكين اسمه ألب قرا فلما قتل
عظم ذلك على طغرلبك واخيه داود وجميع عشائرهما ولبسوا ثياب الحداد وجمعا من
الاتراك من قدروا على جمعه للاخذ بثاره وجمع على تكين أيضا جيوشه وسيرها اليهم
فانهزم عسكره على تكين وكان قد ولد السلطان ألب ارسلان بن داود اول محرم سنة
عشرين واربعمائة قبل الحرب فتبركوا به وتيمنوا بطلعته وقيل فى مولده غير ذلك فلما
كان سنة احدى وعشرين قصد طغرلبك وداود ألب قرا الذى قتل يوسف ابن عمهما
فقتلاه واوقعا بطائفة من عسكر على تكين فقتلا منها نحو الف رجل فجمع على تكين
عسكره وقصدهم هو واولاده ومن حمل السلاح من اصحابه وتبعهم من اهل البلاد خلق
كثير فقصدوهم من كل جانب واوقعوا بهم وقعة عظيمة قتل كثير من عساكر السلجوقية
واخذت اموالهم واولادهم وسبوا كثيرا من نسائهم وذراريهم فالجاتهم الضرورة الى
العبور الى خراسان فلما عبروا جيحون كتب اليهم خوارزمشاه هرون بن التونتاش
يستدعيهم ليتفقوا معه وتكون ايديهم واحدة فسار طغرلبك واخوه داود ويبغو اليه
وخيموا بظاهر خوارزم سنة ست وعشرين ووثقوا به واطمانوا اليه فغدر بهم فوضع
عليهم الامير شاه ملك فكبسهم ومعه عسكر من هرون فاكثر القتل فيهم والنهب
والسبى وارتكب من الغدر خطة شنيعة فساروا عن خوارزم بمجموعهم الى مفازة نسا
وقصدوا مرو فى هذه السنة ايضا ولم يتعرضوا لاحد بشر وبقى اولادهم وذراريهم
فى الاسر وكان الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين هذه السنة بطبرستان قد ملكها
كما ذكرناه فراسلوه وطلبوا منه الامان وضمنوا انهم يقصدون الطائفة التى تفسد فى
بلاده ويدفعونهم عنها ويقاتلونهم ويكونون من أعظم اعوانه عليهم وعلى غيرهم
فقبض على الرسل وجهز عسكرا جرارا اليهم مع ايلتغدى حاجبه وغيره من الامراء
الاكابر فساروا اليهم والتقوا عند نسا فى شعبان من السنة واقتتلوا وعظم الامر وانهزم
السلجوقية وغنمت اموالهم فجرى بين عسكر مسعود منازعة فى الغنيمة ادت الى
القتال واتفق فى تلك الحال ان السلجوقية لما انهزموا قال لهم داود ان العسكر الآن
قد نزلوا واطمانوا وامنوا الطلب والراى ان نقصدهم لعلنا نبلغ منهم غرضا فعادوا
فوصلوا اليهم وهم على تلك الحال من الاختلاف وقتال بعضهم بعضا فاوقعوا بهم
وقتلوا منهم واسروا واستردوا ما اخذوا من اموالهم ورحالهم وعاد المنهزمون من العسكر
الى الملك مسعود وهو بنيسابور فندم على رده طاعتهم وعلم ان هيبتهم قد تمكنت من
قلوب عساكره وانهم قد طمعوا بهذه الهزيمة وتجرؤا على قتال العساكر السلطانية بعد
الخوف الشديد وخاف من اخوات هذه الحادثة فارسل اليهم يتهددهم ويتوعدهم
فقال طغرلبك لامام صلاته اكتب الى السلطان قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك

من

وذهب اكثرهم بعزالهم الى بولاق ونهبوا بيوت الرعايا
التى بالقلعة واخذوا ما وجدوه
فيها من المتاع وطلع حسن
اغا سرششمه بجملة من العسكر
الى القلعة وانقضى ذلك اليوم
ولم ينقض نزولهم وحضر
الوالى ايضا وقت العشاء الى
بيت السيد عمر وطلب خمسين
جملا فلم يتيسر الا بعضها
(واصبح يوم الثلاثاء) فانزلوا
باقى متاعهم ونزل الباشا
المخلوع من باب الجبل فى رابع
ساعة من النهار على جهة باب
النصر ومر من خارجه الى
جهة الخروبى وذهب الى
بولاق وصحبته كتخدا محمد
على باشا وعمر بك وصالح
اغا قوش وانزل صحبته مدافع
تعوق بعضها عند النخزية
لضعف الاكاديش وسكن
بيت السيد عمر النقيب
وسكن صالح اغا بيت شيخ
السادات وذلك عاشر جمادى
الاولى واطمان الناس بعض
الاطمئنان مع بقاء التحرز
وارسل السيد عمر فنادى
تلك الليلة باستمرار الناس
على التحرز والسهر وضبط
الجهات فان القوم لا امان لهم
وانحشروا فى داخل المدينة
والوكائل والبيوت ولا يتركون
قبائحهم واما الامراء المصرلية
فانهم وصلوا الى التبين واجتمعوا
هنالك ماعدا على بك ايوب
وسليمان بك وعباس بك فانهم
بالجيزة مع على باشا وياسين بك واما الدلاتية الانجاس فانهم

من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير ولا تزد على هذا فكتب ما قال فلما ورد الكتاب على مسعود امر فكتب اليهم كتاب مملوء من المواعيد الجميلة وسير معه الخلع النفيسة وأمرهم بالرحيل الى آمل الشط وهي مدينة على جيحون ونهاهم عن الشر والفساد وأقطع دهستان لداود ونسا لطغرلبك وفراوة ليبغو ولقب كل واحد منهم بالدهقان فاستخفوا بالرسول والخلع وقالوا للرسول لو علمنا ان السلطان يبقى علينا اذا قدر لاطعناه ولكنا نعلم انه متى ظفر بنا اهلكنا لما عملناه وأسلفناه فنحن لا نطيعه ولا نثق اليه وأفسدوا ثم كفوا وتركوا ذلك فقالوا ان كان لنا قدرة على الانتصاف من السلطان والا فلا حاجة بنا الى اهلاك العالم ونهب اموالهم وارسلوا الى مسعود يجددون له باظهار الطاعة له والكف عن الشر ويسالونه ان يطلق عمهم ارسلان بن سلجوق من الحبس فاجابهم الى ذلك فاحضره عنده ببلخ وامره بمراسلة بني اخيه بيغو وطغرلبك وداود يامرهم بالاستقامة والكف عن الشر فارسل اليهم رسولا يامرهم بذلك وارسل معه اشغا وامره بتسليمه اليهم فلما وصل الرسول وادى الرسالة وسلم اليهم الاشغا نفروا واستوحشوا وعادوا الى امرهم الاول في الغارة والشر فاعاده مسعود الى محبسه وسار الى غزنة فقصد السلجوقية بلخ ونيسابور وطوس وجوزجان على ما ذكرناه واقام داود بمدينة مرو وانهزمت عساكر السلطان مسعود منهم مرة بعد مرة واستولى الرعب على اصحابه لاسيما بعده الى غزنة فتوالت كتب نوابه وعماله اليه يستغيثون به ويشكون اليه ويذكرون ما يفعل السلجوقية في البلاد وهو لا يجيبهم ولا يتوجه اليهم واعرض عن خراسان والسلجوقية واشتغل بامور بلاد الهند فلما اشتد امرهم بخراسان وعظمت حالهم اجتمع وزراء مسعود وارباب الرأي في دولته وقالوا له ان قلة المبالاة بخراسان من اعظم سعادة السلجوقية وبها يملكون البلاد ويستقيم لهم الملك ونحن نعلم وكل عاقل انهم اذا تركوا على هذه الحال استولوا على خراسان سريعا ثم ساروا منها الى غزنة وحينئذ لا ينفعنا حركاتنا ولا نتمكن من البطالة والاشتغال باللعب واللهو والطرب فاستيقظ من رقدته وابصر رشده بعد غفلته وجهز العساكر الكثيرة مع اكبر امير عنده يعرف بسباشي وكان حاجبه وقد سيره قبل الى الغز العراقية وقد تقدم ذكر ذلك وسير معه اميرا كبيرا اسمه مرداويج بن بشو وكان سباشي جبانا فاقام بهراة ونيسابور ثم اغار بغتة على مرو وبها داود فسار مجدا فوصل اليها في ثلاثة ايام فاصابت جيوشه ودوابه التعب والكلال فانهزم داود بين يديه ولحقه العسكر فحمل عليه صاحب جوزجان فقاتله داود فقتل صاحب جوزجان وانهزمت عساكره فعظم قتله على سباشي وكل من معه ووقعت عليهم الذلة وقويت نفوس السلجوقية وزاد طمعهم وعاد داود الى مرو فاحسن السيرة في أهلها وخطب له فيها أول جمعة في رجب سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ولقب في الخطبة بملك الملوك وسباشي يمادي الايام ويرحل من منزل الى منزل والسلجوقية يراوغونه مراوغة الثعلب فقيل انه كان يفعل ذلك جبنا وخورا وقيل بل راسله

مستمرون على نهب البلاد وسلب الاموال وأذية العباد ونهبوا كاشف الغربية وهجموا على سمنود وهي مدينة عظيمة فنهبوا بيوتها واسواقها واخذوا ما فيها من الودائع والاموال وسبوا النساء وفعلوا فعالا شنيعة تقشعر منها الابدان ثم انتقلوا الى المحلة الكبرى وهم الآن بها واما محمد بك الالفي فانه حاصر دمنهور مدة مديدة فلم يتمكن منها ثم ارتحل عنها ورجع مقبلا ووصل الى ناحية الطرانة واما قبطان باشا فانه لم يزل مقيما على ساحل ابي قير (وفي يوم الخميس) وصلت الاخبار بذهاب قبطان باشا الى سكندرية (وفي يوم الاحد) خامس عشره نزل احمد باشا المخلوع الى المراكب من بولاق وسافر الى جهة بحري بعياله واتباعه المختصين به وتخلف عنه كتخداه وعمر بك وصالح قوش والدفتردار وكثير من اتباعه ولم يسهل بهم مفارقة ارض مصر وغنائمها مع انهم مجتهدون في خرابها (وفيه) وصل الالفي الكبير والصغير الى بر الجيزة (وفي يوم الاثنين) اتفق جماعة من الارنؤد وقصدوا الذهاب الى بر الجيزة فوصل خبرهم الى محمد علي باشا فارسل اليهم عسكرا ومعهم جو فلحقهم عند المعادي بحري بولاق فقتلوا منهم نحو عشرين وهرب

السلجوقية واستمالوه ورغبوه فنفس عنهم وتراخى فى تتبعهم والله أعلم ولما طال مقام سباشى وعساكره والسلجوقية بخراسان والبلاد منهوبة والدماء مسفوكة قلت الميرة والاقوات على العساكر خاصة فاما السلجوقية فلا يبالون بذلك لانهم يقنعون بالقليل فاضطر سباشى الى مباشرة الحرب وترك المحاجزة فسار الى داود وتقدم داود اليه فالتقوا فى شعبان سنة ثمان وعشرين على باب سرخس ولداود منجم يقال له الصومعى فاشار على داود بالقتال وضمن له الظفر وأشهد على نفسه انه ان أخطا فدمه مباح له فاقتتل العسكران فلم يثبت عسكر سباشى وانهزم واقبح هزيمة وساروا أخزى مسير الى هراة فتبعهم داود وعسكره الى طوس يأخذونهم باليد وكفوا عن القتل وغنموا أموالهم فكانت هذه الوقعة هى التى ملكت السلجوقية بعدها خراسان ودخلوا قصبات البلاد فدخل طغرلبك نيسابور وسكن الشاذياخ وخطب له فيها فى شعبان بالسلطان المعظم وفرقوا النواب فى النواحى وسار داود الى هراة ففارقها سباشى ومضى الى غزنة فعاتبه مسعود وجبهه وقال له ضيعت العساكر وطاولت الايام حتى قوى أمر العدو وصفا لهم شربهم وتمكنوا من البلاد ما أرادوا فاعتذر بان القوم تفرقوا ثلاث فرق كلما تبعت فرقة سارت بين يدى وخلفى الفريقان فى البلاد يفعلون ما أرادوا فاضطر مسعود الى المسير الى خراسان فجمع العساكر وفرق فيهم الاموال العظيمة وسار عن غزنة فى جيوش يضيق بها الفضاء ومعه من الفيلة عدد كثير فوصل الى بلخ وقصده داود اليها أيضا ونزل قريبا منها فدخلها يوما جريدة فى طائفة يسيرة على حين غفلة من العساكر فاخذ الفيل الكبير الذى على باب دار الملك مسعود وأخذ معه عدة جنائب فعظم قدره فى النفوس وازداد العسكر هيبة له ثم سار مسعود من بلخ أول شهر رمضان سنة تسع وعشرين وأربعمائة ومعه مائة ألف فارس سوى الاتباع وسار على جوزجان فاخذ واليها الذى كان بها للسلجوقية فصلبه وسار منها فوصل الى مرو الشاهجان وسار داود الى سرخس واجتمع هو وأخواه طغرلبك وبيغو فارسل مسعود اليهم رسولا فى الصلح فسار فى الجواب بيغو فاكرمه مسعود وخلع عليه وكان مضمون رسالته انا لا نثق بالمصالحة بعد ما فعلنا هذه الافعال التى سخطتها كل فعل منها موبق مهلك وآيسوه من الصلح فسار مسعود من مرو الى هراة وقصد داود مرو فامتنع أهلها عليه فحصرها سبعة أشهر وضيق عليهم وألح فى قتالهم فملكها فلما سمع مسعود هذا الخبر سقط فى يديه وسار من هراة الى نيسابور ثم منها الى سرخس وكلما تبع السلجوقية الى مكان ساروا منه الى غيره ولم يزل كذلك فادركهم الشتاء فاقاموا بنيسابور ينتظرون الربيع فلما جاء الربيع كان الملك مسعود مشغولا بلهوه وشربه فتقضى الربيع والامر كذلك فلما جاء الصيف عاتبه وزراؤه وخواصه على اهماله أمر عدوه فسار من نيسابور الى مرو يطلب السلجوقية فدخلوا البرية فدخلها وراءهم مرحلتين والعسكر الذين له قد ضجروا من طول سفرهم وبيكارهم وسئموا الشد والترحل فانهم كان لهم فى السفر نحو ثلاث سنين بعضها مع سباشى وبعضها مع الملك مسعود فلما دخل البرية نزل منزلا قليل

الماء

باقيهم وتفرقوا (وفيه) بنى حاج الخضرى حائطا وبوابة على الرميلة عند عرصات الغلة (وفى يوم الاربعاء) سابع عشره قبض محمد على باشا على جرجس الجوهرى ومعه جماعة من الاقباط فحبسهم ببيت كتخداه وطلب حسابه من ابتداء سنة خمس عشرة واحضر المعلم غالى الذى كان كاتب الالفى بالصعيد والبسه منصبه فى رآسة الاقباط وكذلك خلع على السيد محمد ابن المحروقى خلع الاستمرار على ما كان عليه ابوه من أمانة الضربخانة وغيرها (وفى تلك الليلة) قتل شخص كبير بيكباشى تحت بيت الباشا بالازبكية وضربوا المونة مدفعا وذلك لامر نقموه عليه (وفيه) سافر كتخدا بك الى جهة المنوفية وقبض على كاشفها واخذ ما معه من الاموال التى جمعها من منهوبات البلاد ودل على ودائعه واخذها ايضا ووجد له غلالا كثيرة ومواشى وغير ذلك (وفى يوم الجمعة عشرينه) الموافق لحادى عشر مسرى اوفى النيل المبارك اذرعه ونودى بذلك واشيع فى ذلك اليوم وصول فرقة من الامراء المصريين من خلف الجبل وبات الناس مستعدين للفرجة على موسم الخليج على العادة قام الباشا باخراج الخيام والنظام الى ناحية الجسر وعمل الحراقة ثم أمر بكسر السد ليلا فما طلع النهار الا والماء يجرى

الماء والحر شديد فلم يكف الماء السلطان وحده واشيه وكان داود في معظم السلجوقية بازائه وغيره من عشيرته مقابل ساقة عساكره يقتطفون من تخلف منهم فاتفق لما يريده الله تعالى ان حواشي مسعود اخذوا ماء وجمع من العسكر على الماء وازدحموا وجرى بينهم فتنة حتى صار بعضهم يقاتل بعضا وبعضهم ينهب بعضا فاستوحش لذلك امراء العسكر ومشى بعضهم الى بعض في التخلي عن مسعود فعلم داود وما هم فيه من الاختلاف فتقدم اليهم وحمل عليهم وهم في ذلك التنازع والقتال والنهب فولوا منهزمين لا يلوي أول على آخر وكثر القتل فيهم والسلطان مسعود ووزيره ينادياهم ويأمرانهم بالعود فلا يرجعون وتمت الهزيمة على العسكر وثبت مسعود فقيل له ما تنتظر قد فارقك اصحابك وأنت في برية مهلكة وبين يديك عدو وخلفك عدو ولا وجه للمقام فمضى منهزما ومعه نحو مائة فارس فتبعه فارس من السلجوقية فعطف عليه مسعود فقتله وصار لا يقف على شيء حتى اتى غرشستان واما السلجوقية فانهم غنموا من العسكر المسعودي ما لا يدخل تحت الاحصاء وقسمه داود على اصحابه وآثرهم على نفسه ونزل في سرادق مسعود وقعد على كرسيه ولم يزل عسكره ثلاثة ايام عن ظهور دوابهم لا يفارقونها الا لما لا بد لهم منه من مأكول ومشروب وغير ذلك خوفا من عود العسكر واطلق الاسرى واطلق خراج سنة كاملة وسار طغرلبك الى نيسابور فملكها ودخل اليها آخر سنة احدى وثلاثين وأول سنة اثنتين وثلاثين ونهب اصحابه الناس فقيل عنه انه رأى لوزينجا فاكله وقال هذا قطماج طيب الا انه لا ثوم فيه ورأى الغز الكافور فظنوه ملحا وقالوا هذا ملح مر ونقل عنهم اشياء من هذا كثيرا وكان العيارون قد عظم ضررهم واشتد امرهم وزادت البلية بهم على اهل نيسابور فهم ينهبون الاموال ويقتلون النفوس ويرتكبون الفروج الحرام ويفعلون كل ما يريدونه لا يردعهم عن ذلك رادع ولا يزجرهم زاجر فلما دخل طغرلبك البلد خافه العيارون وكفوا عما كانوا يفعلون وسكن الناس واطمأنوا واستولى السلجوقية حينئذ على جميع البلاد فسار بيغو الى هراة فدخلها وسار داود الى بلخ وبها التونتاق الحاجب واليا عليها لمسعود فارسل اليه داود يطلب منه تسليم البلد اليه ويعرفه عجز صاحبه عن نصرته فحبس التونتاق الرسل فنازله داود وحصر المدينة فارسل التونتاق الى مسعود وهو بغزنة يعرفه الحال وما هو فيه من ضيق الحصار فجهز مسعود العساكر الكثيرة وسيرها فجاءت طائفة منهم الى الرخج وبها جمع من السلجوقية فقاتلوهم فانهزم السلجوقية وقتل منهم ثمانمائة رجل واسر كثير وخلا ذلك الصقع منهم وسار طائفة منهم الى هراة وبها بيغو فقاتلوه ودفعوه عنها ثم ان مسعودا سير ولده مودودا في عسكر كثير مددا لهذه العساكر فقتل مسعود وهو بخراسان على ما نذكره ان شاء الله تعالى فساروا عن غزنة سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة فلما قاربوا بلخ سير داود طائفة من عسكره فاوقعوا بطلائع مودود فانهزمت الطلائع وتبعهم عسكر داود فلما احس بهم عسكر مودود رجعوا الى ورائهم واقاموا فلما سمع التونتاق صاحب بلخ الخبر اطاع داود وسلم اليه البلد ووطئ بساطه

في الخليج ولم يذهب الباشا ولا القاضي ولا احد من الناس ولم يشعروا بذلك وكان قد بلغهم وورود الامراء فتأخروا عن الخروج وهم ظنوا خروج جميع العسكر الى خارج المدينة وفي وقت الشروق من ذلك اليوم وصل طائفة من الامراء الى ناحية المذبح وكسروا بوابة الحسينية ودخلوا من باب الفتوح في كبكبة عظيمة وخلفهم نقاقير كثيرة وجمال واحمال فشقوا من بين القصرين حتى وصلوا الى الاشرفية وشخص لهم الناس وضجوا بالسلام عليهم ويقولون نهار مبارك وسعيد والحمد لله على السلامة وشخص الناس وبهتوا وخمنوا التخامين فلما وصلوا عطفة الخراطين افترقوا فرقتين فدخل عثمان بك حسن وشاهين بك المرادي واحمد كاشف سليم وعباس بك وغيرهم كشاف واجناد ومماليك وعبيد كثيرة نحو الالف وخلف كل طائفة نقاقير وهجن وبايديهم البنادق والسيوف والاسلحة ومروا بالجامع الازهر وذهبوا الى بيت السيد عمر والشيخ الشرقاوي فامتنع السيد عمر من مقابلتهم فدخلوا الى بيت الشيخ الشرقاوي وحضر عندهم السيد عمر فطلبوا منهم النجدة وقيام الرعية فقالوا لهم هذا لا يصح ولم يكن بيننا وبينكم موعد ولا استعداد والاولى ذهابكم

(ذكر قبض السلطان مسعود وقتله وملك اخيه محمد)

قد ذكرنا عود مسعود بن محمود بن سبكتكين الى غزنة من خراسان فوصلها في شوال سنة احدى وثلاثين واربعمائة وقبض على سباشي وغيره من الامراء كما ذكرناه وانبت غيرهم وسير ولده مودودا الى خراسان في جيش كثيف ليمنع السلجوقية عنها فسار مودود الى بلخ ليرد عنها داود اخا طغرلبك وجعل ابوه مسعود معه وزيرا ابا نصر احمد بن محمد بن عبد الصمد يدبر الامور وكان مسيرهم من غزنة في ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين وسار مسعود بعدهم بسبعة ايام يريد بلاد الهند ليشتو بها على عادة والده فلما سار اخذ معه اخاه محمدا مسمولا واستصحب الخزائن وكان عازما على الاستنجاد بالهند على قتال السلجوقية ثقة بعهودهم فلما عبر سيحون وهو نهر كبير نحو دجلة وعبر بعض الخزائن اجتمع انوشتكين البلخي وجمع من الغلمان الدارية ونهبوا ما تخلف من الخزانة واقاموا اخاه محمدا ثالث عشر ربيع الآخر وسلموا عليه بالامارة فامتنع من قبول ذلك فتهددوه واكرهوه فاجاب وبقي مسعود فيمن معه من العسكر وحفظ نفسه فالتقى الجمعان منتصف ربيع الآخر فاقتتلوا وعظم الخطب على الطائفتين ثم انهزم عسكر مسعود وتحصن هو في رباط ماريكلة فحصره اخوه فامتنع عليه فقالت له امه ان مكانك لا يعصمك ولأن تخرج اليهم بعهد خير من ان يأخذوك قهرا فخرج اليهم فقبضوا عليه فقال له اخوه محمد والله لا قابلتك على فعلك بي ولا عاملتك الا بالجميل فانظر اين تريد ان تقيم حتى احملك اليه ومعك اولادك وحرمك فاختار قلعة كيكي فانفذه اليها محفوظا وامر باكرامه وصيانته وارسل مسعود الى اخيه محمد يطلب منه مالا ينفقه فانفذ له خمسمائة درهم فبكى مسعود وقال كان بالامس حكمي على ثلاثة آلاف حمل من الخزائن واليوم لا املك الدرهم الفرد فاعطاه الرسول من ماله الف دينار فقبلها وكانت سبب سعادة الرسول لانه لما ملك مودود بن مسعود بالغ في الاحسان اليه ثم ان محمدا فوض امر دولته الى ولده احمد وكان فيه خبط وهوج فاتفق هو وابن عمه يوسف بن سبكتكين وابن علي خويشاوند على قتل مسعود ليصفو الملك له ولوالده فدخل الى ابيه فطلب خاتمه ليختم به بعض الخزائن فاعطاه فسار بها الى القلعة واعطوا الخاتم لمستحفظها وقالوا معنا رسالة الى مسعود فادخلهم اليه فقتلوه فلما علم محمد بذلك ساءه وشق عليه وانكره وقيل ان مسعودا لما حبس دخل عليه ولدا اخيه محمد واسم احدهما عبد الرحمن والآخر عبد الرحيم فمد عبد الرحمن يده فاخذ القلنسوة من راس عمه مسعود فمد عبد الرحيم يده وأخذ القلنسوة من أخيه وأنكر عليه ذلك وسبه وقبلها وتركها على راس عمه فنجا بذلك عبد الرحيم من القتل والاسر لما ملك مودود بن مسعود على ما نذكره ان شاء الله تعالى ثم ان محمدا أغرا ولده أحمد بقتل عمه مسعود فامر بذلك وأرسل اليه من قتله وألقاه في بئر وسد رأسها وقيل بل ألقي في بئر حيا وسد رأسها فمات والله أعلم فلما مات كتب محمد الى ابن اخيه مودود وهو بخراسان يقول ان والدك قتل قصاصا قتله أولاد أحمد ينالتكين بلا رضا مني فاجاب

مودود

والالماظت بناويكم العساكر وقتلونا معكم فعند ذلك ركبوا وتوجهوا من باب البرقية وبعد خروجهم حضر في اثرهم حسن بك الارنؤدي في عدة وافرة من العسكر وهم مشاة وخرج خلفهم فوجدهم خرجوا الى الخلاء فرجع على اثره واما الفرقة الاخرى فانهم وصلوا الى باب زويلة وتقدموا قليلا الى جهة الدرب الاحمر فضرب عليهم العسكر الساكنون هناك بالرصاص فرجعوا القهقرى الى داخل باب زويلة وارادوا الدخول الى جامع المؤيد والكرنكة بتلك الناحية فضرب عليهم المغاربة والمرابطون هناك فاصيب منهم اشخاص وقوى جاش العسكر الذين جهة الدرب الاحمر لما سمعوا ضرب الرصاص وتنبه غيرهم ايضا واجتمعوا لمعاونتهم وانصرع منهم ثلاثة اشخاص ووقعوا الى الارض فلما عاينوا ذلك ولوا الادبار وتبعهم العسكر يضربون في اقفيتهم فلم يزالوا في سيرهم الى النحاسين وقد اغلق الناس بوابة الكعكيين وكذلك بوابة الخراطين وبوابة البندقانيين وكان محو الساكن بالخرنفش عند ما سمع بدخولهم لحقه الفزع والخوف فخرج من بيته بعسكره يريد الفرار وخرج من عطفة الخرنفش وذهب الى جهة باب النصر لظنه انه لا يمكنه الخروج من باب

مودود يقول أطال الله بقاء الامير القاسم ورزق ولده امثاله توءا حسدة لا يعيش بعد فقد ركب امرا عظيما واقدم على اراقة دم ملك مثل والدى الذى لقبه أمير المؤمنين سيد الملوك والسلاطين وستعلمون فى أى حتف تورطتم وأى شر تأبطتم وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون

نفلق هاما من رجال اعزة ٭ علينا وهم كانوا اعق واظلما

وطمع جند محمد فيه وزالت عنهم هيبته فمدوا ايديهم الى اموال الرعايا فنهبوها فخربت البلاد وجلا اهلها لاسيما مدينة برشاوور فانهم اهلكوا اهلها ونهبت اموالهم وكان المملوك بها يباع بدينار ويباع الخمر كل منا بدينار ثم رحل محمد عنها لليلتين بقيتا من رجب وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى وكان السلطان مسعود شجاعا كريما ذا فضائل كثيرة محبا للعلماء كثير الاحسان اليهم والتقرب بهم صنفوا له التصانيف الكثيرة فى فنون العلوم وكان كثير الصدقة والاحسان الى اهل الحاجة تصدق مرة فى شهر رمضان بالف الف درهم واكثر الادرارات والصلات وعمر كثيرا من المساجد فى ممالكه وكانت صنائعه ظاهرة مشهورة تسير بها الركبان مع عفة عن أموال رعاياه واجاز الشعراء بجوائز عظيمة اعطى شاعرا على قصيدة الف دينار واعطى آخر بكل بيت الف درهم وكان يكتب خطا حسنا وكان ملكه عظيما فسيحا ملك اصبهان والرى وهمذان وما يليها من البلاد وملك طبرستان وجرجان وخراسان وخوارزم وبلاد الراون وكرمان وسجستان والسند والرخج وغزنة وبلاد الغور والهند وملك كثيرا منها واطاعه اهل البر والبحر ومناقبه كثيرة وقد صنفت فيها التصانيف المشهورة فلا حاجة الى الاطالة بذكرها

٭(ذكر ملك مودود بن مسعود وقتله عمه محمدا)٭

لما قتل الملك مسعود وصل الخبر الى ابنه مودود وهو بخراسان فعاد مجدا فى عساكره الى غزنة فتصاف هو وعمه محمد فى ثالث شعبان فانهزم محمد وعسكره وقبض عليه وعلى ولده احمد وانوشتكين الخصى البلخى وابن على خويشاوند فقتلهم وقتل اولاد عمه جميعهم الا عبد الرحيم لانكاره على اخيه عبد الرحمن ما فعله بعمه مسعود وبنى موضع الوقعة قرية ورباطا وسماها فتح آباذ وقتل كل من له فى القبض على والده صنع وعاد الى غزنة فدخلها فى ثالث وعشرى شعبان سنة اثنتين وثلاثين واستوزر ابا نصر وزير ابيه واظهر العدل وحسن السيرة وسلك سيرة جده محمود وكان داود اخو طغرلبك قد ملك مدينة بلخ واستباحها كما ذكرناه ومودود متابله فتجدد قتل مسعود فعاد ليقضى الله امرا كان مفعولا فلما تجدد هذا الظفر لمودود ثار اهل هراة بمن عندهم من الغز السلجوقية فاخرجوهم وحفظوها لمودود واستقر الامر لمودود بغزنة ولم يبق له هم الا امر اخيه محدود فان اباه قد سيره الى الهند سنة ست وعشرين ليخاف ان يخالف عليه فاتاه خبره انه قصد لهاوور وملتان فملكهما واخذ الاموال وجمع بهما العساكر واظهر الخلاف على اخيه فندب اليه مودود جيشا ليمنعوه ويقاتلوه وعرض محدود عسكره

الفتوح الذى دخلوا منه فلما وصل الى باب النصر وجده مغلقا وامتنع المرابطون عليه من فتحه فعاد على اثره وذهب الى باب الفتوح فلم يجد به أحدا فاطمان حينئذ وعلم سوء رأيهم فاغلقه وأجلس عنده جماعة من أتباعه ورجع على اثره الى جهة بين القصرين فصادف ادبار الجماعة والعسكر فى اقفيتهم بالرصاص فعند ذلك قوى جأشه وضرب فى وجوههم هو ومن معه من العسكر فاختبل القوم وسقط فى ايديهم وعلموا انه قد احيط بهم فنزلوا من خيولهم ودخل منهم جماعة كثيرة جامع البرقوقية وذهب منهم طائفة كبيرة بخيولهم نحو المائة الى جهة باب النصر فوجدوه مغلقا فنزلوا أيضا من خيولهم ودخلوا العطوف ونطوا من السور الى الخلاء وتفرق منهم جماعة اختفوا فى الجهات وبعض الوكائل والبيوت واما الحصر الذين دخلوا جامع البرقوقية واغلقوا على أنفسهم الباب احاطت بهم العسكر واحرقوا الباب وتسوروا أيضا عليهم جماعة من العطفة التى بظاهر البرقوقية وقبضوا عليهم وعروهم ثيابهم واخذوا ما معهم من الذهب والنقود والاسلحة الثمينة وذبحوا منهم نحو الخمسين مثل الاغنام وهبوا الخوف ذلك العدد بالحياة وهم

للسير وحضر عيد الاضحى فبقى بعده ثلاثة ايام واصبح ميتا بابها ولا يدرى كيف كان موته واطاعت البلاد باسرها مودود ورسخت قدمه وثبت ملكه ولما سمعت الغز السلجوقية ذلك خافوه واستشعروا منه وراسلهم ملك الترك بما وراء النهر بالانقياد والمتابعة

(ذكر الخلف بين جلال الدولة وقرواش صاحب الموصل)

في هذه السنة اختلف جلال الدولة ملك العراق وقرواش بن المقلد العقيلي صاحب الموصل وكان سبب ذلك ان قرواشا كان قد انفذ عسكرا سنة احدى وثلاثين فحصروا خميس بن ثعلب بتكريت وجرى بين الطائفتين حرب شديدة في ذي القعدة منها فارسل خميس ولده الى الملك جلال الدولة وبذل بذولا كثيرة ليكف عنه قرواشا فاجابه الى ذلك وارسل الى قرواش يامره بالكف عنه فغالط ولم يفعل وسار بنفسه ونزل عليه يحاصره فتأثر جلال الدولة منه ثم انه ارسل كتبا الى الاتراك ببغداد يفسدهم واشار عليهم بالشغب على الملك واثارة الفتنة معه فوصل خبرها الى جلال الدولة واشياء اخر كانت هذه هي الاصل فارسل جلال الدولة ابا الحرث ارسلان البساسيري في صفر من سنة اثنتين وثلاثين ليقبض على نائب قرواش بالسندية فسار ومعه جماعة من الاتراك وتبعه جمع من العرب فراى في طريقه جمالا لبنى عيسى فتسرع اليها الاتراك والعرب فاخذوا منها قطعة واوغل الاتراك في الطلب وبلغ الخبر الى العرب فركبوا وتبعوا الاتراك وجرى بين الطائفتين حرب انهزم فيها الاتراك واسر منهم جماعة وعاد المنهزمون فاخبروا البساسيري بكثرة العرب فعاد ولم يصل الى مقصده وسار طائفة من بنى عيسى فكمنوا بين صرصر وبغداد ليفسدوا في السواد فاتفق ان وصل بعض اكابر القواد الاتراك فخرجوا عليه فقتلوه وجماعة من اصحابه وحملوا الى بغداد فارتج البلد واستحكمت الوحشة بين جلال الدولة وقرواش فجمع جلال الدولة العساكر وسار الى الانبار وهي لقرواش على عزم اخذها منه وغيرها من اقطاعه بالعراق فلما وصلوا الى الانبار اغلقت وقاتلهم اصحاب قرواش وسار قرواش من تكريت الى خصة على عزم القتال فلما نزل الملك جلال الدولة على الانبار قلت عليهم العلوفة فسار جماعة من العسكر والعرب الى الحديثة ليمتاروا منها فخرج عليهم عندها جمع كثير من العرب فاوقعوا بهم فانهزم بعضهم وعادوا الى العسكر ونهبت العرب ما معهم من الدواب التي تحمل الميرة وبقى المرشد ابو الوفاء وهو المقدم على العسكر الذين ساروا لاحضار الميرة وثبت معه جماعة ووصل الخبر الى جلال الدولة ان المرشد ابا الوفاء يقاتل واخبر بسلامته وصبره للعرب وانهم يقاتلونه وهو يطلب النجدة فسار الملك اليه بعسكر فوصلوا وقد عجز العرب عن الوصول اليه وعادوا عنه بعد ان حملوا عليه وعلى من معه عدة حملات صبر لها في قلة من معه ثم اختلفت عقيل على قرواش فراسل جلال الدولة وطلب رضاه وبذل له بذلا اصلحه به وعاد الى طاعته فتحالفا وعاد كل الى مكانه

عرايا مكشوفوا الرؤس حفاة الاقدام موثوقوا الايدى يضربونهم ويصفعونهم على اقفيتهم ووجوههم ويسبونهم ويشتمونهم ويبصقون على وجوههم حتى ذهبوا بهم وبرؤس القتلى الى بيت الباشا بالازبكية وكان قد استعد للفرار وتحير في امره ونزل الى اسفل يريد الركوب واذا بالعسكر داخلون عليه ومعهم الرؤس والاسرى في ايديهم فعند ذلك سكن جاشه وامتلأ فرحا ولما مثل بين يديه احمد بك تابع البرديسي الذى كان اميرا بدمياط وحسن شبكة ومن معهما قال لاحمد بك يا احمد بك وقعت في الشرك فطلب ماء فحلوا كتافه واتوه بماء يشرب فنظر لمن حوله وخطف يطقانا من وسط بعض الواقفين وهاج فيهم واراد قتل محمد على باشا وقتل انفارا فقام الباشا وهرب الى فوق وتكاثروا عليه وقتلوه ووضعوا باقى الجماعة في جنازير وفى ارجلهم القيود وربطوهم بالحوش وهم على الحالة التى حضروا فيها من العرى والحقارة والذلة (وفى ثانى يوم) احضروا الجزارين وامروهم بسلخ الرؤس بين يدى المعتقلين وهم ينظرون الى ذلك واحضروا جماعة من الاسكافية فحشوها تبنا وخيطوها

(ذكر

(ذكر ملك ابي الشوك دقوقا)

كانت دقوقا لابي الماجد المهلهل بن محمد بن عناز فسير اليها اخوه حسام الدولة ابو الشوك ولده سعديا فحاصرها فقاتلهم من بها ثم سار ابو الشوك اليها بنفسه فحصرها ونقب سورها ودخلها عنوة ونهب اصحابه بعض البلد واخذوا سلاح الاكراد وثيابهم واقام حسام الدولة بالبلد ليلة وعاد خوفا على البندنيجين وحلوان فان اخاه سرخاب بن محمد بن عناز كان قد اغار على عدة مواضع من ولايته وحالف ابا الفتح بن ورام والجاوانية عليه فاشفق من ذلك وارسل الى جلال الدولة يطلب منه نجدة فسير اليه عسكرا امتنع بهم

(ذكر الحرب بين عسكر مصر والروم)

في هذه السنة كانت وقعة بين عسكر المصريين مع الدزبري و بين الروم فظفر المسلمون وكان سبب ذلك ان ملك الروم قد هادنه المستنصر بالله العلوي صاحب مصر على ما ذكرناه فلما كان الآن شرع يراسل ابن صالح بن مرداس ويستميله وراسله قبله صالح ليتقوى به على الدزبري خوفا ان ياخذ منه الرقة فبلغ ذلك الدزبري فتهدد ابن صالح فاعتذر وجحد ثم ان جمعا من بني جعفر بن كلاب دخلوا ولاية فامية فعاثوا فيها ونهبوا عدة قرى فخرج عليهم جمع من الروم فقاتلوهم واوقعوا بهم وفتكوا فيهم وازالوهم عن بلادهم و بلغ ذلك الناظر بحلب فاخرج من بها من تجار الفرنج وارسل الى المتولي بانطاكية يامره باخراج من عنده من تجار المسلمين فاغلظ للرسول واراد قتله ثم تركه فارسل الناظر بحلب الى الدزبري يعرفه الحال وان القوم على التجهز لقصد البلاد فجهز الدزبري جيشا وسيره على مقدمته فاتفق انهم لقوا جيش الروم وقد خرجوا لمثل ما خرج اليه هؤلاء والتقى الفريقان بين مدينة حماة وفامية واشتد القتال بينهم ثم ان الله نصر المسلمين واذل الكافرين فانهزموا وقتل منهم عدة كثيرة واسر ابن عم الملك فبذلوا في فدائه مالا جزيلا وعدة وافرة من اسراء المسلمين وانكف الروم عن الاذى بعدها

(ذكر الخلاف بين المعز و بني حماد)

في هذه السنة خالف اولاد حماد على المعز بن باديس صاحب افريقية وعادوا الى ما كانوا عليه من العصيان والخلاف عليه فسار اليهم المعز وجمع العساكر وحشدها وحصر قلعتهم المعروفة بقلعة حماد وضيق عليهم واقام عليهم نحو سنتين

(ذكر صلح ابي الشوك وعلاء الدولة)

وفيها سار مهلهل اخو ابي الشوك الى علاء الدولة بن كاكويه واستصرخه واستعان به على اخيه ابي الشوك فسار معه فلما بلغ قرميسين رجع ابو الشوك الى حلوان فعرف علاء الدولة رجوعه فسار يتبعه حتى بلغ المرج وقرب من ابي الشوك فعزم ابو الشوك على قصد قلعة السيروان والتحصن بها ثم تجلد وارسل الى علاء الدولة انني لم

(وفي ليلة الاثنين) خرج عابدي بك بعساكر الارنؤد برا وبحرا الى جهة طرا فالتقى مع من بها من المصريين وكان بها ابراهيم بك الكبير وابنه مرزوق بك وامراؤهم فقتل من عسكر الارنؤد عدة كبيرة وولوا منهزمين وحضروا الى مصر وغرق من مراكبهم مركبان في ليلة الثلاثاء (وفي تلك الليلة) قتلوا المعتقلين ما عدا حسن شبكة ومعه اثنان قيل انهم حملوا الى انفسهم ثلثمائة كيس فابقوهم وقتلوا الباقي قتلا شنيعا وعذبوهم في القتل من اول الليل الى آخره ثم قطعوا رؤسهم وحشوها تبنا وسقوها في مركب وارسلوها الى سكندرية وعدتهم ثلاثة وثمانون رأسا وفيهم من غير جنسهم واناس جربجية ملتزمون واختيارية التجؤا اليهم ووافقوهم في الحضور وبعثوا من وصلهم الى اسلامبول وكتبوا في المراسلة انهم حاربوهم وقاتلوهم وحاصروهم حتى افنوهم واستاصلوهم ولم يبقوا منهم باقية وهذه الرؤس رؤس اعيانهم واكابرهم فكان عدة من قتل في هذه الحادثة من المعروفين المنصبين مراد بك تابع عثمان بك حسن وقيطاس بك تابع البرديسي وسليم بك الغريب واحمد بك الدمياطي وعلي بك تابع خليل بك ونحو الخمسة

انصرف من بين يديك الامراقيسة لك واعظاما لقدرك واستعطافا لك فاذا اضطررتني الى ما لا اجد بدا منه كان العذر قائما لي فيه فان ظفرت بك طمع فيك الاعداء وان ظفرت بي سلمت قلاعي و بلادي الى الملك جلال الدولة فاجابه علاء الدولة الى الصلح على ان يكون له الدينور وعاد فلحقه المرض في طريقه وتوفي على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة كان بافريقية غلاء شديد وسببه عدم الامطار فسميت سنة الغبار ودام ذلك الى سنة اربع وثلاثين فخرج الناس فاستسقوا وفيها توفي قزل امير الغز العراقية بالري ودفن بناحية من اعمالها وفيها توفي صاعد بن محمد ابو العلاء النيسابوري ثم الاستوائي قاضي نيسابور وكان عالما فقيها حنفيا انتهت اليه رياسة الحنفية بخراسان

(ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين واربعمائة)

(ذكر وفاة علاء الدولة بن كاكويه)

في هذه السنة في المحرم توفي علاء الدولة ابو جعفر بن دشمنزيار المعروف بابن كاكويه بعد عوده من بلد الى الشوك وانما قيل له كاكويه لانه ابن خال مجد الدولة بن بويه والخال بلغتهم كاكويه وقام باصبهان ابنه ظهير الدين ابو منصور فرامرز مقامه وهو اكبر اولاده واطاعه الجند بها فسار ولده ابو كاليجار كرشاسف الى نهاوند فقام بها وحفظها وضبط اعمال الجبل واخذها لنفسه فامسك عنه اخوه ابو منصور فرامرز ثم ان مستحفظا لعلاء الدولة بقلعة نطنز ارسل ابو منصور اليه يطلب شيئا مما عنده من الاموال والذخائر فامتنع واظهر العصيان فسار اليه ابو منصور واخوه الاصغر ابو حرب لياخذا القلعة منه كيف امكن فصعد ابو حرب اليها ووافق المستحفظ على العصيان فعاد ابو منصور الى اصبهان وارسل ابو حرب الى الغز السلجوقية بالري يستنجدهم فسار طائفة منهم الى قاجان فدخلوها ونهبوها وسلموها الى ابي حرب وعادوا الى الري فسير اليها ابو منصور عسكرا ليستنقذها من اخيه فجمع ابو حرب الاكراد وغيرهم وجعل عليهم صاحبا له وسيرهم الى اصبهان ليملكوها بزعمه فسير اليهم اخوه ابو منصور عسكرا فالتقوا وانهزم عسكر ابي حرب واسر جماعة منهم وتقدم اصحاب ابي منصور فحصروا ابا حرب فلما راى الخذل وخاف نزل منها متخفيا وسار الى شيراز الى الملك ابي كاليجار صاحب فارس والعراق فحسن له قصد اصبهان واخذها من اخيه فسار الملك اليها وحصرها و بها الامير ابو منصور فامتنع عليه وجرى بين الفريقين عدة وقائع كان آخر الامر الصلح على ان يبقى ابو منصور باصبهان ويقرر عليه مال وعاد ابو حرب الى قلعة نطنز واشتد الحصار عليه فارسل الى اخيه يطلب المصالحة فاصطلحا على ان يعطي اخاه بعض ما في القلعة ويبقى بها على حاله ثم ان ابراهيم ينال خرج الى الري

شبكتوا اثنان معه دون اتباعه وباقيهم اشخاص مجهولة فيهم فرنساوية وارنؤدية ولم يتفق للامراء المصرية اقبح ولا اشنع من هذه الحادثة وربط الله على قلوبهم واعمى ابصارهم وغل ايديهم (وفي يوم الاربعاء) حضر طائفة الدلاة الى ناحية الخانكة بعدما طافوا اقاليم الغربية والمنوفية والشرقية والدقهلية وفعلوا افعالا شنيعة من النهب والسلب والقتل والاسر والفسق وما لا يسطر ولا يذكر ولا يمكن الاحاطة ببعضه (وفيه) افرجوا عن جرجس الجوهري ومن معه على اربعة آلاف وثمانمائة كيس وان يبقى على حاله فشرع في توزيعها على باقي الاقباط وعلى نفسه وعلى كبرائهم وصيارفهم ماعدا فلتيوس وغالي وحولت عليه الحوالات وحصل لهم كرب شديد وضج فقراؤهم واستغاثوا (وفي يوم الجمعة) خرج عدة كبيرة من العسكر الى ناحية الشرق لمحاربة الدلاة واميرهم عمر بك تابع عثمان بك الاشقر ومحمد بك المبدول وكثير من الاجناد المصرية وحسن باشا الارنؤدي (وفي يوم السبت) رجع القرابة المشاة وذهب الخيالة خلفهم متباعدين عنهم بمرحلة وكان شاهم

على ما قدمناه ذكره وارسل الى ابى منصور فرامرز يطلب منه الموادعة فلم يجبه وسار فرامرز الى همذان و بروجرد فملكهما ثم اصطلح هو واخوه كرشاسف واقطعه همذان وخطب لابى منصور على منابر بلاد كرشاسف واتفقت كلمتهما وكان المدبر لامرهما الكيا ابو الفتح الحسن بن عبد الله وهو الذى سعى فى جمع كلمتهما

(ذكر ملك طغرلبك جرجان وطبرستان)

فى هذه السنة ملك طغرلبك جرجان وطبرستان وسبب ذلك ان انوشروان بن منوجهر بن قابوس بن وشمكير صاحبها قبض على ابى كاليجار بن ويهان القوهى صاحب جيشه وتزوج امه بمساعدة امه عليه فعلم حينئذ طغرلبك ان البلاد لامانع له عنها فسار اليها وقصد جرجان ومعه مرداويج بن بسو فلما نازلها فتح له المقيم بها فدخلها وقرر على اهلها مائة الف دينار صلحا وسلمها الى مرداويج بن بسو وقرر عليه خمسين الف دينار كل سنة من جميع الاعمال وعاد الى نيسابور وقصد مرداويج انوشروان بسارية وكان بها فاصطلحا على ان ضمن انوشروان له ثلاثين الف دينار واقيمت الخطبة لطغرلبك فى البلاد كلها وتزوج مرداويج بوالدة انوشروان وبقى انوشروان يتصرف بامر مرداويج لايخالفه فى شئ البتة

(ذكر احوال ملوك الروم)

قد ذكرنا هنا احوال الروم من عهد بسيل الى الآن فنقول من عادة ملوك الروم ان يركبوا ايام الاعياد الى البيعة المخصوصة بذلك العيد فاذا اجتاز الملك بالاسواق شاهده الناس وبايديهم المداخن يبخرون فيها فركب والد بسيل وقسطنطين فى بعض الاعياد وكان لبعض اكابر الروم بنت جميلة فخرجت تشاهد الملك فلما رآها استحسنها فامر من يسال عنها فلما عرفها خطبها وتزوجها واحبها وولدت منه بسيل وقسطنطين وتوفى وهما صغيران فتزوجت بعده بمدة طويلة نقفور فكره كل واحد منهما صاحبه فعملت على قتله فراسلت الشمشقيق فى ذلك فقصد قسطنطينية متخفيا فادخلته الى دار الملك واتفقا وقتلاه ليلا واحضرت البطارقة متفرقين واعطتهم الاموال ودعتهم الى تمليك نقفور ففعلوا ولم تصبح الا وقد فرغت مما تريد ولم يجر خلاف وتزوجت الشمشقيق واقامت معه سنة فخافها واحتال عليها واخرجها الى دير بعيد وجعل ولديها معها فاقامت فيه سنة ثم احضرت راهبا ووهبته مالا وامرته بقصد قسطنطينية والمقام بكنيسة الملك والاقتصار على قدر القوت فاذا وثق به الملك واراد القربان من يده ليلة العيد سقاه سما ففعل الراهب ذلك فلما كان ليلة العيد سارت ومعها ولداها ووصلت قسطنطينية فى اليوم الذى توفى فيه الشمشقيق فملك ولدها بسيل ودبرت هى الامر لصغره فلما كبر بسيل قصد بلد البلغار وتوفيت وهو هناك فبلغه وفاتها فامر خادما له ان يدبر الامور فى غيبته ودام قتاله لبلغار اربعين سنة فظفروا به فعاد منهزما واقام بالقسطنطينية يتجهز للعود فعاد اليهم فظفر بهم وقتل ملكهم وسبى

ان الدلاة المذكورين اذا وردوا القرية نهبوها واخذوا ماوجدوه فيها واخذوا الاولاد والبنات وارتحلوا فياتى خلفهم العرب التابعون خلفهم فيطلبون الكلاف والعليق وينهبون ايضا ماامكنهم ثم يرتحلون ايضا خلفهم فتنزل بعدهم التجريدة فيفعلون أدهى من الفريقين من النهب والسلب حتى ثياب النساء واخذ الدلاة من عرب العائد خمسمائة جمل وذهبوا على طريق رأس الوادى (وفيه) ورد الخبر بوصول كتخدا بك الى منوف وقبض على كاشفها وأخذ منه ماجمعه ثم انه فرد على البلاد التى وجدها بعض العمار أموالا من ألف ريال فاز يد وحصر ذلك فى قائمة وهى نحو الستين بلدا وارسل يستأذن فى ذلك ويطلب عدم الرفع عن شئ منها ليحصل قدرا يستعان به على علائف العسكر وجامكيتهم وليكمل خراب الاقليم وانقضى شهر جمادى الاولى

(شهر جمادى الثانية سنة ١٢٢٠)

استهل بيوم الاثنين (فى ثانيه) وصل ولدا محمد على باشا الى ساحل بولاق فركب أغوات الباشا واستقبلوهما واحضروهما الى الازبكية وعملوا لهما شنكا تلك الليلة (وفى ثالثه) طلع محمد على باشا الى

اهله واولاده وملك بلاده ونقل اهلها الى الروم واسكن البلاد طائفة من الروم وهؤلاء البلغار غير الطائفة المسلمة فان هؤلاء اقرب الى بلاد الروم من المسلمين بنحو شهرين وكلاهما يسمى بلغار وكان بسيل هذا لاحسن السيرة ودام ملكه نيفا وسبعين سنة وتوفى ولم يخلف ولدا فملك أخوه قسطنطين وبقى الى ان توفى ولم يخلف غير ثلاث بنات فملكت الكبرى وتزوجت ارمانوس وهو من اقارب الملك وملكته فبقى مدة وهو الذى ملك الرها من المسلمين وكان لارمانوس صاحب له يخدمه قبل ملكه من أولاد بعض الصيارف اسمه ميخائيل فلما ملك حكمه فى داره فمالت زوجة قسطنطين اليه وعملا الحيلة فى قتل ارمانوس فمرض ارمانوس فادخلاه الى الحمام كارها وخنقاه واظهرا انه مات فى الحمام وملكت زوجته ميخائيل وتزوجته على كره من الروم وعرض لميخائيل صرع لازمه وشوه صورته فعهد بالملك بعده الى ابن اخت له اسمه ميخائيل أيضا فلما توفى ملك ابن اخته وأحسن السيرة وقبض على أهل خاله واخوته وهم اخواله وضرب الدنانير فى هذه السنة وهى سنة ثلاث وثلاثين ثم أحضر زوجته بنت الملك وطلب منها ان تترهب وتنزع نفسها من الملك فابت فضربها وسيرها الى جزيرة فى البحر ثم عزم على القبض على البطرك والاستراحة من تحكمه عليه فانه كان لا يقدر على مخالفته فطلب اليه ان يعمل له طعاما فى دير ذكره بظاهر القسطنطينية ليحضر عنده فاجابه الى ذلك وخرج الى الدير ليعمل ما قال الملك فارسل الملك جماعة من الروس والبلغار ووافقهم على قتله سرا فقصدوه ليلا وحصروه فى الدير فبذل لهم مالا كثيرا وخرج متخفيا وقصد البيعة التى يسكنها وضرب الناقوس فاجتمع الروم عليه ودعاهم الى عزل الملك فاجابوه الى ذلك وحصروا الملك فى دار فارسل الملك الى زوجته واحضرها من الجزيرة التى نفاها اليها ورغب فى أن تردعنه فلم تفعل واخرجته الى بيعة يترهب فيها ثم ان البطرك والروم نزعوا زوجته من الملك وملكوا أختها الصغيرة واسمها تذورة وجعلوا معها خادم ابيها يدبرون الملك وكحلوا ميخائيل ووقعت الحرب بالقسطنطينية بين من يتعصب له و بين من يتعصب لتذورة والبطرك فظفر أصحاب تذورة بهم ونهبوا أموالهم ثم ان الروم افتقروا الى ملك يدبرهم فكتبوا أسماء جماعة يصلحون للملك فى رقاع ووضعوها فى بنادق طين وأمروا من يخرج منها بندقة وهو لا يعرف باسم من فيها فخرج اسم قسطنطين فملكوه وتزوجته الملكة الكبيرة واستنزلت اختها الصغيرة تذورة عن الملك بمال بذلته لها واستقر فى الملك سنة أربع وثلاثين فخرج عليه فيها خارجى من الروم اسمه ارميناس ودعا الى نفسه فكثر جمعه حتى زادوا على عشرين الفا فاهمهم قسطنطين امره وسير اليه جيشا كثيفا فظفروا بالخارجى وقتلوه وحملوا راسه الى القسطنطينية واسر من اعيان اصحابه مائة رجل فشهروا فى البلد ثم اطلقوا واعطوا نفقة وامروا بالانصراف الى اى جهة ارادوا

(ذكر فساد حال الدزبرى بالشام وما صار الامر اليه بالبلاد)

فى هذه السنة فسد امر انوشتكين الدزبرى نائب المستنصر بالله صاحب مصر بالشام وقد

وابطل ابنه الكبير بها

(وفى رابعه) رجع [illegible]ى ومن اصحبته من [illegible]لية من جهة الشرق [illegible] وصلوا خلف الدلاة الى [illegible]د العائد ثم رجعوا وذهب الدلاة الى جهة الشام معهم من المال والغنائم والجمال والاحمال وعدتها أكثر من أربعة آلاف جمل وما نهبوه من البلاد واسروه من النساء والصبيان وغير ذلك وكانوا من نقمة الله على خلقه ولم يحصل من مجيئهم وذهابهم الا زيادة الضرر ولم يحصل للباشا المخلوع الذى استدعاهم لنصرته الا الخذلان وكان فى عزمه وظنه أنهم يصيرون اعوانه وأنصاره ويستعين بهم وبطائفة الينكجرية على ازالة الطائفة الاخرى فانعكس بقدومهم واورثه الله ذلهم وتخلوا عنه وخذلوه وضاع عليه ما صرفه عليهم فى استدعائهم وملاقاتهم وخلعهم وتقدماتهم ومصارفهم وعلائفهم وخرجهم ولم ينفعوه بنافعة بل كانوا من الضرر الصرف عليه وعلى الاقليم وكان كلما خوطب أو عوتب فى أمر او فعل يقول اصبروا حتى تاتى الدلاة ويحصل بعد ذلك الغنائم فلم يحصل بوصولهم الا الفساد العام وانتقضت دولته وانعكست قضيته

وقد كان كبيرا على مخدومه بما يراه من تعظيم الملوك له وهيبة الروم منه وكان الوزير ابو القاسم الجرجرائى يقصده ويحسده الا انه لا يجد طريقا الى الوقيعة فيه ثم اتفق انه سعى بكاتب للدزبرى اسمه ابو سعد وقيل عنه انه يستميل صاحبه الى غير جهة المصريين فكوتب الدزبرى بابعاده فلم يفعل واستوحشوا منه ووضع الجرجرائى حاجب الدزبرى وغيره على مخالفته ثم ان جماعة من الاجناد قصدوا مصر وشكوا الى الجرجرائى منه فعرفهم سوء رأيه فيه واعادهم الى دمشق وامرهم بافساد الجند عليه ففعلوا ذلك واحس الدزبرى بما يجرى فاظهر ما فى نفسه واحضر نائب الجرجرائى عنده وامر باهانته وضربه ثم انه اطلق لطائفة من العسكر يلزمون خدمته ارزاقهم ومنع الباقين فحرك ما فى نفوسهم وقوى طمعهم فيه بما كوتبوا به من مصر فاظهروا الشغب عليه وقصدوا قصره وهو بظاهر البلد وتبعهم من العامة من يريد النهب فاقتتلوا فعلم الدزبرى ضعفه وعجزه عنهم ففارق مكانه واستصحب اربعين غلاما له وما امكنه من الدواب والاثاث والاموال ونهب الباقى وسار الى بعلبك فمنعه مستحفظها واخذ ما امكنه اخذه من مال الدزبرى وتبعه طائفة من الجند يقفون اثره وينهبون ما يقدرون عليه وسار الى مدينة حماة فمنع عنها وقوتل وكاتب المقلدين منقذ الكنانى الكفرطابى واستدعاه فاجابه وحضر عنده فى نحو الفى رجل من كفرطاب وغيرها فاحتمى به وسار الى حلب ودخلها واقام بها مدة وتوفى فى منتصف جمادى الاولى من هذه السنة فلما توفى فسد امر بلاد الشام وانتشرت الامور بها وزال النظام وطمعت العرب وخرج بنواحيه فخرج حسان بن المفرج الطائى بفلسطين وخرج معز الدولة بن صالح الكلابى بحلب وقصدها وحصرها وملك المدينة وامتنع اصحاب الدزبرى بالقلعة وكتبوا الى مصر يطلبون النجدة فلم يفعلوا واشتغل عساكر دمشق ومقدمهم الحسين بن احمد الذى ولى امر دمشق بعد الدزبرى بحرب حسان ووقع الموت فى الذين فى القلعة فسلموها الى معز الدولة بالامان

❊(ذكر عدة حوادث)❊

فى هذه السنة سير الملك ابو كاليجار من فارس عسكرا فى البحر الى عمان وكان قد عصى من بها فوصل العسكر الى صحارى مدينة عمان فملكوها واستعادوا الخارجين عن الطاعة واستقرت الامور بها وعادت العساكر الى فارس وفيها قصد ابو نصر بن الهيثم اصليق من البطائح فملكها ونهبها ثم استقر امرها على مال يؤديه الى جلال الدولة وفيها توفى ابو منصور بهرام بن مافنة وهو الملقب بالعادل وزير الملك ابى كاليجار ومولده سنة ست وستين وثلاثمائة وكان حسن السيرة وبنى دار الكتب بفيروزآباذ وجعل فيها سبعة آلاف مجلد فلما مات وزر بعده مهذب الدولة ابو منصور هبة الله بن احمد الفسوى وفيها وصل جماعة من البلغار الى بغداد يريدون الحج فاقيم لهم من الديوان الاقامات الوافرة فسئل بعضهم من أى الامم هم البلغار فقال هم قوم تولدوا بين الترك والصقالبة

(وفيه) شرعوا فى عمل دفتر فردة على البلاد التى بقى فيها بعض الرمق (وفى خامسه) حضر كتخدا بك ليلا وأشار بابطال ذلك الدفتر لما فيه من الاشاعة والشناعة واتفق مع الباشا والمتكلمين انه يفعل ذلك باجتهاده ورأيه ورجع فى تلك الليلة وشرع فى التحصيل مع الجور والعسف الزائد كما هو شأنهم (وفيه) سافر ايضا جانم أفندى الدفتردار وسافر صحبته قابجى باشا الاسود المسمى بشير اغا (وفيه) سافر بعض كبرائهم الى جهة السويس ليأتى بالمحمل (وفى يوم الجمعة) ورد احمد افندى من سكندرية وهو الذى كان اتى بالدفتردارية فى العام السابق ومنعه احمد باشا خورشيد من الورود وكتبوا فى شأنه عرضحال من المشايخ والوجاقلية بمنعه وابقاء جانم أفندى واستمر بالاسكندرية الى هذا الوقت وحضر الآن بمراسلة من قبطان باشا واحضر صحبته تقرير السعيد اغا على الوكالة وابقائه على ما هو عليه ونظر الخاصكية لسليمان اغا فضة (وفى يوم الاحد رابع عشره) تغيب جرجس الجوهرى فيقال انه هرب ولم يظهر خبره وطلب محمد على فلتيوس وغالى وجرجس الطويل (وفى يوم

الاثنين) حضر محمد كتخدا الالفى بجواب من مخدومه

و بلدهم في أقصى الترك وكانوا كفارا فاسلموا عن قريب وهم على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه وفيها توفي ميخائيل ملك الروم وملك بعده ابن أخيه ميخائيل أيضا وفيها في جمادى الآخرة توفي أبو الحسن محمد بن جعفر الجهرمي الشاعر وهو القائل

يا ويح قلبي من تقلبه * أبدا يحن الى معذبه
قالوا كتمت هواه عن جلد * لو أن لي رمقا لبحت به
بأبي حبيبا غير مكترث * عني ويكثر من تعتبه
حسبي رضاه من الحياة وما * ألقى وموتي من تغضبه

وكان بينه وبين المطرز مهاجاة

(ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وأربعمائة)

(ذكر ملك طغرلبك مدينة خوارزم)

قد تقدم ان خوارزم كانت من جملة مملكة محمود بن سبكتكين فلما توفي وملك بعده ابنه مسعود كانت له وكان فيها التونتاش حاجب أبيه محمود وهو من أكابر أمرائه يتولاها لمحمود ومسعود بعده ولما كان مسعود مشغولا بقصد أخيه محمد لاخذ الملك قصد الامير علي تكين صاحب ما وراء النهر اطراف بلاده وشعثها فلما فرغ مسعود من أمر أخيه واستقر الملك له كاتب التونتاش في سنة اربع وعشرين بقصد اعمال علي تكين واخذ بخارا وسمرقند وامده بجيش كثيف فعبر جيحون وفتح من بلاد علي تكين ما أراد وانحاز علي تكين من بين يديه واقام التونتاش بالبلاد التي فتحها فرأى دخلها لا يفي بخرجها فصانع عساكره لانه كان يريد أن يكون في جمع كثير يمتنع بهم على الترك فكاتب مسعودا في ذلك واستأذنه في العود الى خوارزم فاذن له فلما عاد كمنه علي تكين على غرة وكبسه فانهزم علي تكين وصعد الى قلعة دبوسية فحصره التونتاش وكاد يأخذه فراسله علي تكين واستعطفه وضرع اليه فرحل عنه وعاد الى خوارزم واصاب التونتاش في هذه الوقعة جراحة فلما عاد الى خوارزم مرض منها وتوفي وخلف من الاولاد ثلاثة بنين هرون ورشيدا واسمعيل فلما توفي ضبط البلد وزيره ابو نصر احمد بن محمد بن عبد الصمد وحفظ الخزائن وغيرها واعلم مسعودا الخبر فولى ابنه الاكبر هرون خوارزم وسيره اليها وكان عنده واتفق ان الميمندي وزير مسعود توفي فاستحضر أبا نصر بن محمد بن عبد الصمد واستوزره فاستناب أبو نصر عند هرون ابنه عبد الجبار وجعله وزيره فجرى بينه وبين هرون منافرة أسرها هرون في نفسه وحسن له أصحابه القبض على عبد الجبار والعصيان على مسعود فاظهر العصيان في شهر رمضان سنة خمس وعشرين واراد قتل عبد الجبار فاختفى منه فقال أعداء أبيه للملك مسعود ان أبا نصر قد واطأ هرون على العصيان وانما اختفى ابنه حيلة ومكرا فاستوحش منه الا انه لم يظهر ذلك له وعزم مسعود على الخروج من غزنة الى خوارزم فسار من غزنة والزمان شتاء فلم يمكنه قصد خوارزم فسار الى جرجان طالبا أنوشروان بن منوجهر ليقابله على

ما ظهر

ابل محمد علي باشا وذهب الى بيته انقضاء اشغاله (وفيه) قلت القافلة والجمل وأراد الباشا نهب قافلة التجار فصالحوا على اجماع الجميع بالف كيس ودخل الجمل في ذلك اليوم صحبة المسفر (وفيه) طلب الباشا حسن أغا المحتسب والامير ابراهيم الرزاز وطلب ان يقلد حسن اغا كتخدا الحج والامير ابراهيم دويدار بشرط ان يكلفا انفسهما من مالهما لما تقدم بعدم قدرتهما على ذلك فحبسهما وطلب من كل واحد منهما خمسمائة كيس وعزل حسن اغا وقلد عوضه آخر يسمى قاضي اوغلي على الحسبة (وفي يوم الثلاثاء) ظهر الخبر عن جرجس الجوهري بانه ركب من دير مصر العتيقة وذهب الى الامراء المصرلية بناحية التبين (وفي يوم الاربعاء سابع عشره) توفي الشيخ محمد الحريري مفتي الحنفية (وفي يوم الجمعة تاسع عشره) توفي حسن افندي ابن عثمان الاماحي الخطاط (وفيه) قلدوا علي جلبي ابن أحمد كتخدا على كشوفية القليوبية ولبس القفطان وركب بالملازمين (وفيه) سافر محمد كتخدا الالفي عائدا الى مخدومه وذهب صحبته السلحدار وموسى البارودي (وفي عشرينه) تقلد الحسبة شخص يقال له عبد الله قاضي أوغلي وكذلك تقلد قبله

ما ظهر منه عند اشتغال مسعود بقتال أحمد ينالتكين ببلاد الهند فلما كان ببلاد جرجان أتاه كتاب عبد الجبار بن أبي نصر بقتل هرون واعادة البلد الى طاعته وكان عبد الجبار في بدء استتاره يعمل على قتل هرون ووضع جماعة على القتل به فقتلوه عند خروجه الى الصيد وقام عبد الجبار بحفظ البلد فلما وقف مسعود على كتاب عبد الجبار علم ان الذي قيل عن أبيه كان باطلا فعاد الى الثقة به وبقي عبد الجبار أياما يسيرة فوثب به غلمان هرون فقتلوه وولوا البلد اسمعيل بن التونتاش وقام بأمره شكر خادم أبيه وعصوا على مسعود فكتب مسعود الى شاه ملك بن علي أحد أصحاب الاطراف بنواحي خوارزم بقصد خوارزم وأخذها فسار اليها فقاتله شكر واسمعيل ومنعوه عن البلد فهزمهما وملك البلد فسارا الى طغرلبك وداود السلجقيين والتجآ اليهما وطلبا المعونة منهما فسار داود معهما الى خوارزم فلقيهم شاه ملك وقاتلهم فهزمهم ولما جرى على مسعود من القتل ما جرى وملك مودود دخل شاه ملك في طاعته وصافاه وتمسك كل واحد منهما بصاحبه ثم ان طغرلبك سار الى خوارزم فحصرها وملكها واستولى عليها وانهزم شاه ملك بين يديه واستصحب أمواله وذخائره ومضى في المفازة الى دهستان ثم انتقل منها الى طبس ثم الى اطراف كرمان ثم الى اعمال التيز ومكران فلما وصل الى هناك علم خلاصه وبعده وأمن في نفسه فعرف خبره ارتاش اخو ابراهيم ينال وهو ابن عم طغرلبك فقصده في أربعة آلاف فارس فاوقع به واسره واخذ ما معه ثم عاد به فسلمه الى داود وحصل هو بما غنم من امواله وعاد بعد ذلك الى باذغيس المقاربة لهراة واقام على محاصرة هراة لانهم الى هذه الغاية كانوا ممتنعين على الامتناع والاعتصام ببلدهم والثبات على طاعة مودود بن مسعود فقاتلهم أهل هراة وحفظوا بلدهم مع خراب سوادهم وانما حملهم على ذلك الحرب خوفا من الغز

ذكر قصد ابراهيم ينال همذان وما كان منه

قد ذكرنا خروج ابراهيم ينال من خراسان الى الري واستيلاءه عليها فلما استقر امرها سار عنها وملك البلاد المجاورة لها ثم انتقل الى بروجرد فملكها ثم قصد همذان وكان بها ابو كاليجار كرشاسف بن علاء الدولة صاحبها ففارقها الى سابور خواست ونزل ابراهيم ينال على همذان واراد دخولها فقال له اهلها ان كنت تريد الطاعة وما يطلبه السلطان من الرعية فنحن باذلوه وداخلون تحته فاطلب اولا هذا المخالف عليك الذي كان عندنا يعنون كرشاسف فاما الآن من عوده الينا فاذا ملكته او دفعته كما لك فكف عنهم وسار الى كرشاسف بعد ان اخذ من اهل البلد مالا فلما قارب سابور خواست صعد كرشاسف الى القلعة فتحصن بها وحصر ابراهيم البلد فقاتله اهله خوفا من الغز فلم يكن لهم طاقة على دفعهم فملك البلد قهرا ونهب الغز أهله وفعلوا الافاعيل القبيحة بهم ثم عادوا عنها فغزوه الى الري فرأوا طغرلبك قد وردها ولما فارق ابراهيم والغز همذان نزل كرشاسف اليها فاقام بها الى ان وصل طغرلبك الى الري فسار اليه ابراهيم على ما نذكره

الزعامة وهو حليق اللحية وتقلد محمد من مماليك اسمعيل بك ويعرف بالالفي وهو زوج هانم ابنة بنت اسمعيل بك أغا ويدعى قفطان (وفيه) أفرجوا عن حسن أغا المحتسب وابراهيم الرزاز وقرروا على الاول خمسة وستين كيسا وعلى الثاني خمسة عشر كيسا يقومان بدفعها (وفيه) أنزلوا قوائم على البلاد والحصص التي كانت تحت الترام جرجس الجوهري الى المزاد فاشتراها القادرون والراغبون (وفي حادي عشرينه) قلدوا ياسين بك كشوفية بني سويف والفيوم وكذلك لبسوا كاشفا على منفلوط وغيرها (وفي أواخره) حضر محمد كتخدا الالفي والسلحدار وذكر ا مطلوبات الالفي وهو انه يطلب كشوفية الفيوم وبني سويف والجيزة والبحيرة وما في بلد الترام وانه يأتي الى الجيزة ويقيم بها ويكون تحت طاعة محمد علي باشا وتشاوروا في ذلك اياما واما باقي الامراء المصرليين فانهم انتقلوا من مكانهم وترفعوا الى جهة قبلي بناحية بياضة ثم اتفق الرأي على ان يعطوهم من فوق جرجا وينزل بها الحاكم المولى عليها من العثمانية وان المصريين القبالي يقسموا بينهم البلاد ويقوموا بدفع المال والغلال الميرية وكل ذلك لا أصل له ولا حقيقة

ان شاء الله تعالى

(ذكر خروج طغرلبك الى الرى وملك بلد الجبل)

فى هذه السنة خرج طغرلبك من خراسان الى الرى بعد فراغه من خوارزم وجرجان وطبرستان فلما سمع اخوه ابراهيم ينال بقدومه سار اليه فلقيه وتسلم طغرلبك الرى منه وتسلم غيرها من بلد الجبل وسار ابراهيم الى سجستان واخذ طغرلبك أيضا قلعة طبرك من مجد الدولة بن بويه واقام عنده مكرما وامر طغرلبك بعمارة الرى وكانت قد خربت فوجد فى دار الامارة مراكب ذهب مجوهرة وبرنيتين صينيتين مملوءتين جوهرا ومالا كثيرا وغير ذلك وكان كامرو يهادى طغرلبك وهو بخراسان ويخدمه وخدم اخاه ابراهيم لما كان بالرى فلما حضر عنده واهدى له هدايا كثيرة من انواع شئ وهو يظن ان طغرلبك يزيد فى اقطاعه ويرعى له ما تقدم من خدمته له فخاب ظنه وقرره على ما بيده كل سنة سبعة وعشرين الف دينار ثم سار الى قزوين فامتنع عليه اهلها فزحف اليهم ورماهم بالسهام والحجارة فلم يقدروا ان يقفوا على السور وقتل من اهل البلد برشق واخذ ثلاثمائة وخمسين رجلا فلما رأى كامرو ومرداويج بن بسو ذلك خافوا ان يملك البلد عنوة وينهب فمنعوا الناس من القتال واصلحوا الحال على ثمانين الف دينار وصار صاحبها فى طاعته ثم انه ارسل الى كوكتاش وبوقا وغيرهما من امراء الغز الذين تقدم خروجهم يمنيهم ويدعوهم الى الحضور فى خدمته فلما وصل رسوله اليهم ساروا حتى نزلوا على نهر بنواحى زنجان ثم اعادوا رسوله وقالوا له قل له قد علمنا ان غرضك ان تجمعنا لتقبض علينا والخوف منك ابعدنا عنك وقد نزلنا ههنا فان اردتنا قصدنا خراسان او الروم ولا نجتمع بك ابدا وارسل طغرلبك الى ملك الديلم يدعوه الى الطاعة ويطلب منه مالا ففعل ذلك وحمل اليه مالا وعروضا وارسل ايضا الى سلار الطرم يدعوه الى خدمته ويطالبه بحمل مائتى الف دينار فاستقر الحال بينهما على الطاعة وشئ من المال وارسل سرية الى اصبهان وبها ابو منصور فرامرز بن علاء الدولة فاغارت على اعمالها وعادت سالمة وخرج طغرلبك من الرى واظهر قصد اصبهان فراسله فرامرز وصانعه بمال فعاد عنه وسار الى همذان فملكها من صاحبها كرشاسف بن علاء الدولة وكان قد نزل اليه وهو بالرى بعد ان راسله طغرلبك غير مرة وسار معه من الرى الى ابهر وزنجان فاخذ منه همذان وتفرق اصحابه عنه وطلب منه طغرلبك تسليم قلعة كنكور فارسل الى من بها بالتسليم فلم يفعلوا وقالوا للرسل طغرلبك قل انما حبك والله لو قطعته قطعا ما سلمناها اليك فقال له طغرلبك ما امتنعوا الا بامرك ورأيك فاصعد اليهم واقم معهم ولا تفارق موضعك حتى آذن لك ثم عاد الى الرى واستناب بهمذان ناصرا العلوى وكان كرشاسف قد قبض عليه فاخرجه طغرلبك وولاه الرى وامره بمساعدة من يجعله فى البلد وكان معه مرداويج بن بسو نائبه فى جرجان وطبرستان فمات وقام ولده جستان مقامه فسار طغرلبك الى جرجان فعزل جستان عنها واستعمل على جرجان اسفار وهو من خواص منوجهر بن قابوس فلما فرغ امر جرجان وطبرستان سار الى دهستان

بحصرها

من الطرفين وكتبوا اللائق مكاتبات بذلك وأن يكون فى قبضهم (وفى أواخره) أيضا احتاج محمد على باشا الى باقى علوفة العسكر فتكلم مع المشايخ فى ذلك وأخبرهم بان العسكر باق لهم ثلاثة آلاف كيس لا نعرف لتحصيلها طريقة فانظروا رأيكم فى ذلك وكيف يكون العمل ولم يبق الا هذه النوبة ومن هذا الوقت اذا قبض العسكر باقى علائفهم سافروا الى بلادهم ولم يبق منهم الا المحتاج اليهم وأرباب المناصب ولا يأخذون بعد ذلك علائف فكثر التروى فى ذلك واتفق الناس بالفردة وتقرير اموال على اهل البلد وانحط الامر بعد ذلك على قبض ثلث الفائظ من الحصص والالتزام فضج الناس وقالوا هذه تصير عادة ولم يبق للناس معايش فقال نكتب فرمانا ونلتزم بعدم عود ذلك ثانيا ونرقم فيه لعن الله من يفعلها مرة أخرى ونحو ذلك من التمويهات الكاذبة الى أن رضى الناس واستقر أمرها وشرعوا فى تحريرها وطلبها

(شهر رجب الفرد سنة ١٢٢٠)

استهل بيوم الاربعاء (وفى حادى عشره) سافر محمد كتخدا الالفى بالجواب المتقدم الى مخدومه بعد أن قضى أشغاله واحتياجاته من أمتعة

فحصرها وبها صاحبها كاميار معتصما بالحصانتها

(ذكر مسير عساكر طغرلبك الى كرمان)

وسير طغرلبك طائفة من اصحابه الى كرمان مع اخيه ابراهيم ينال بعد ان دخل الرى وقيل ان ابراهيم لم يقصد كرمان وانما قصد سجستان وكان مقدم العساكر التى سارت الى كرمان غيره فلما وصلوا الى اطراف كرمان نهبوا ولم يقدموا على التوغل فيها فلم يروا من العساكر من يكفهم فتوسطوها وملكوا عدة مواضع منها ونهبوها فبلغ الخبر الى الملك أبى كاليجار صاحبها فسير وزيره مهذب الدولة فى العساكر الكثيرة وامره بالجد فى المسير ليدركهم قبل أن يملكوا جيرفت وكانوا يحاصرونها فطوى المراحل حتى قاربهم فرحلوا عن جيرفت ونزلوا على ستة فراسخ منها وجاء مهذب الدولة فنزلها وارسل ليحمل الميرة الى العسكر فخرجت الغز الى الجمال والبغال والميرة لياخذوها وسمع مهذب الدولة ذلك فسير طائفة من العسكر لمنعهم فتواقعوا واقتتلوا وتكاثر الغز فسمع مهذب الدولة الخبر فسار فى العساكر الى المعركة وهم يقتتلون وقد ثبتت كل طائفة لصاحبتها واشتد القتال الى حد ان بعض الغز رمى فرس بعض اصحاب ابى كاليجار بسهم فوقع فيه وطعنه صاحب الفرس برمح فاصاب فرس الغزى وحمل الغزى على صاحب الفرس فضربه ضربة قطعت يده وحمل عليه صاحب الفرس وهو على هذه الحالة فضربه بسيفه فقطعه قطعتين وسقطا الى الارض قتيلين والفرسان قتيلين وهذه حالة لم يدون عن مقدمى الشجعان احسن منها فلما وصل مهذب الدولة الى المعركة انهزم الغز وتركوا ما كانوا ينهبونه ودخلوا المفازة وتبعهم الديلم الى راس الحد وعادوا الى كرمان فاصلحوا ما افسد منها

(ذكر الوحشة بين القائم بامر الله امير المؤمنين وجلال الدولة)

فى هذه السنة افتتحت الجوالى فى المحرم ببغداد فانفذ الملك جلال الدولة فاخذ ما تحصل منها وكانت العادة ان يحمل ما يحصل منها الى الخلفاء لا تعارضهم فيها الملوك فلما فعل جلال الدولة ذلك عظم الامر فيه على القائم بامر الله واشتد عليه وارسل مع اقضى القضاة ابى الحسن الماوردى فى ذلك وتكررت الرسائل فلم يصغ جلال الدولة لذلك واخذ الجوالى فجمع الخليفة الهاشميين بالدار والرجالة وتقدم باصلاح الطيار والزبازب وارسل الى اصحاب الاطراف والقضاة بما عزم عليه واظهر العزم على مفارقة بغداد فلم يتم ذلك وحدث وحشة من الجهتين فاقتضت الحال ان الملك يترك معارضة النواب الامامية فيها فى السنة الآتية

(ذكر محاصرة شهرزور وغيرها)

فى هذه السنة سار ابو الشوك الى شهرزور فحصرها ونهبها واحرقها وخرب قراها وسوادها وحصر قلعة تيرانشاه فدفعه ابو القاسم بن عياض عنها ووعده ان يخلص ولده ابا الفتح من اخيه مهلهل وان يصلح بينهما وكان مهلهل قد سار من شهرزور لما

وخيام وشروج وغير ذلك وخروج ياسين بك وباقى الكشاف المسافرون الى الجيزة وطلبوا المراكب حتى عز وجودها وامتنع ورودها من الجهة البحرية (وفى ثالث عشره) سافر المذكورون بعساكرهم وسافر أيضا على باشا سلحدار أحمد باشا خورشيد المنفصل الى سكندرية وأما قبطان باشا فانه لم يزل بثغر سكندرية (وفى منتصفه) برز طاهر باشا الذاهب الى البلاد الحجازية بعساكره الى خارج باب النصر (وفيه) وردت الاخبار بان الوهابيين استولوا على المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم بعد محاصرها نحو سنة ونصف من غير حرب بل تحلقوا حولها وقطعوا عنها الوارد وبلغ الاردب الحنطة بها مائة ريال فرانسه فلما اشتد بهم الضيق سلموها ودخلها الوهابيون ولم يحدثوا بها حدثا غير منع المنكرات وشرب التنباك فى الاسواق وهدم القباب ماعدا قبة الرسول صلى الله عليه وسلم (وفى تاسع عشره) وقع بالازبكية معركة بين العسكر قتل بها واحد من اعيانهم واثنان آخران وجملة سائس وبغل وفرس وحمار (وفى خامس عشرينه) ورد الخبر بسفر القبطان واحمد باشا خورشيد من ثغر سكندرية (وفيه) حضر اهل رشيد

بلغه ان اخاه ابا الشوك يريد قصدها وقصد نواحي سندة وغيرها من ولايات أبي الشوك فنهبها واحرقها وهلكت الرعية في الجهتين ثم ان ابا الشوك راسل ابا القاسم بن عياض يتنجزه ما وعده به من تخليص ولده والشروط التي تقررت بينهما فاجابه بان مهلهلا غير مجيب اليه فعند ذلك سار أبو الشوك من حلوان الى الصامغان ونهبها ونهب الولاية التي لمهلهل جميعها فانزاح مهلهل من بين يديه وترددت الرسل بينهما فاصطلحا على دغل ودخل وعاد ابو الشوك

(ذكر خروج سكين بمصر)

في هذه السنة في رجب خرج بمصر انسان اسمه سكين كان يشبه الحاكم صاحب مصر فادعى انه الحاكم وقد رجع بعد موته فاتبعه جمع ممن يعتقد رجعة الحاكم فاغتنموا خلو دار الخليفة بمصر من الجند وقصدوها مع سكين نصف النهار فدخلوا الدهليز فوثب من هناك من الجند فقال لهم أصحابه انه الحاكم فارتاعوا لذلك ثم ارتابوا به فقبضوا على سكين ووقع الصوت واقتتلوا فتراجع الجند الى القصر والحرب قائمة فقتل من أصحابه جماعة وأسر الباقون وصلبوا أحياء ورماهم الجند بالنشاب حتى ماتوا

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة كانت زلزلة عظيمة بمدينة تبريز هدمت قلعتها وسورها ودورها واسواقها واكثر دار الامارة وسلم الامير لانه كان في بعض البساتين فاحصى من هلك من اهل البلد فكانوا قريبا من خمسين الفا ولبس الامير السواد والمسوح لعظم المصيبة وعزم على الصعود الى بعض قلاعه خوفا من توجه الغز السلجوقية اليه وأخبر بذلك أبو جعفر بن الرقي العلوي النقيب بالموصل وفيها قتل قرواش كاتبه ابا الفتح بن المفرج صبرا وفيها توفي عبد الله بن أحمد ابو ذر الهروي الحافظ أقام بمكة وتزوج من العرب واقام بالسروات وكان يحج كل سنة يحدث في الموسم ويعود الى أهله وصحب القاضي ابا بكر الباقلاني وفيها توفي عمر بن ابراهيم بن سعيد الزهري من ولد سعد بن أبي وقاص وكان فقيها شافعيا

(ثم دخلت سنة خمس وثلاثين واربعمائة)

(ذكر اخراج المسلمين والنصارى الغرباء من القسطنطينية)

في هذه السنة اخرج ملك الروم الغرباء من المسلمين والنصارى وسائر الانواع من القسطنطينية وسبب ذلك انه وقع الخبر بالقسطنطينية أن قسطنطين قتل ابنتي الملك المتقدم اللتين قد صار الملك فيهما الآن فاجتمع اهل البلد وأثاروا الفتنة وطمعوا في النهب فاشرف عليهم قسطنطين وسالهم عن السبب في ذلك فقالوا قتلت الملكتين وافسدت الملك فقال ما قتلتهما واخرجهما حتى رآهما الناس فسكنوا ثم انه سال عن سبب ذلك فقيل له انه فعل الغرباء وأشاروا بابعادهم وامر فنودي ان لا يقيم احد ورد البلد منذ ثلاثين سنة فمن اقام بعد ثلاثة أيام كحل فخرج منها أكثر من مائة ألف انسان

ويشكون الى السيد عمر النقيب والمشايخ ويذكرون ان محمد على باشا ارسل يطلب منهم اربعين الف ريال فرانسه على ثلاثة عشر نفرا من التجار بقائمة (وفيه) حضر محمود بك الذى كان المتيسة وتواترت الاخبار بوصول الغز المصريين الى اسيوط وملكوها واما الالفي فانه بجهة الفيوم ووقع بينه وبين جماعة ياسين بك محاربة وظهر عليهم وأرسل ياسين بك يطلب عسكرا وذخيرة (وفى خامس عشرينه) ركب المشايخ والسيد عمر النقيب الى محمد على وترجوا عنده فى اهل رشيد فاستقرت غرامتهم على عشرين الف فرانسه وسافروا على ذلك واخذوا فى تحصيلها (وفيه) طلب بترك الدير واحتجوا عليه بهروب جرجس الجوهرى وانحط الامر على المصالحة بمائة واربعين كيسا وزعها النصارى على بعضهم ودفعوها

(شهر شعبان سنة ١٢٢٠)

استهل بيوم الجمعة (فيه) امر محمد على باشا برفع حصص الالتزام التى على النساء وكتبوا فوائظ زادها وانحط الامر على المصالحات بقدر حالهن وغير ذلك امور كثيرة وجزئيات وتحيلات على استنضاح الاموال لا يمكن ضبطها (وفى اواخره) زوج محمد على حسن الشماشرجى تابعه بنت سليم كاشف

ولم

ولم يبق بها أكثر من اثنى عشر نفسا ضمهم الروم فتركهم

(ذكر وفاة جلال الدولة وملك ابى كاليجار)

فى هذه السنة فى سادس شعبان توفى الملك جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه ببغداد وكان مرضه ورما فى كبده وبقى عدة أيام مريضا وتوفى وكان مولده سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة وملكه ببغداد ست عشرة سنة واحد عشر شهرا ودفن بداره ومن صلح سيرته وضعفه واستيلاء الجند والنواب عليه ودوام ملكه الى هذه الغاية علم ان الله على كل شئ قدير يؤتى الملك من يشاء وينزعه عمن يشاء وكان يزور الصالحين ويقرب منهم وزار مرة مشهدى على والحسين عليهما السلام وكان يمشى حافيا قبل ان يصل الى كل مشهد منهما نحو فرسخ يفعل ذلك تدينا ولما توفى انتقل الوزير كمال الملك بن عبد الرحيم وأصحاب الملك الاكابر الى باب المراتب وحريم دار الخلافة خوفا من نهب الاتراك والعامة دورهم فاجتمع قواد العسكر تحت دار المملكة ومنعوا الناس من نهبها ولما توفى كان ولده الاكبر الملك العزيز ابو منصور بواسط على عادته فكاتبه الاجناد بالطاعة وشرطوا عليه تعجيل ما جرت به العادة من حق البيعة فترددت المراسلات بينهما فى مقداره وتأخيره لفقده وبلغ موته الى الملك أبى كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة فكاتب القواد والاجناد ورغبهم فى المال وكثرته وتعجيله فمالوا اليه وعدلوا عن الملك العزيز وأما الملك العزيز فانه اصعد الى بغداد لما قرب الملك أبو كاليجار منها على ما نذكره سنة ست وثلاثين عازما على قصد بغداد ومعه عسكره فلما بلغ النعمانية غدر به عسكره ورجعوا الى واسط وخطبوا لابى كاليجار فلما رأى ذلك مضى الى نور الدولة دبيس بن مزيد لانه بلغه ميل جند بغداد الى ابى كاليجار وسار من عند دبيس الى قرواش بن المقلد فاجتمع به بقرية خصة من أعمال بغداد وسار معه الى الموصل ثم فارقه وقصد ابا الشوك لانه حموه فلما وصل الى ابى الشوك غدر به والزمه بطلاق ابنته ففعل وسار عنه الى ابراهيم ينال أخى طغرلبك وتنقلت به الاحوال حتى قدم بغداد فى تغرير عازما على استمالة العسكر وأخذ الملك فثار به أصحاب الملك أبى كاليجار فقتل بعض من عنده وسار وهو مختف فقصد نصر الدولة ابن مروان فتوفى عنده بميافارقين وحمل الى بغداد ودفن عند أبيه بمقابر قريش فى مشهد باب التبن سنة احدى واربعين وقد ذكر الشيخ ابو الفرج بن الجوزى انه آخر ملوك بنى بويه وليس كذلك فانه ملك بعده ابو كاليجار ثم الملك الرحيم بن ابى كاليجار وهو آخرهم على ما نراه واما الملك ابو كاليجار فلم تزل الرسل تتردد بينه وبين عسكر بغداد حتى استقر الامر له وحلفوا وخطبوا له ببغداد فى صفر من سنة ست وثلاثين واربعمائة على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر حال ابى الفتح مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين)

فى هذه السنة سير الملك ابو الفتح مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين عسكرا مع

الاسيوطى وهى بنت بنت عبد الرحمن بك تابع عثمان بك الجرجاوى وهى ربيبة احمد كاشف تابع سليم كاشف المذكور فعقدوا عقدها وعملوا لها مهما بيبت امها هانم بحارة عابدين واحتفل بذلك محمد على وامر بان يعمل لها زفة مثل زفف الامراء المتقدمين ونبهوا على ارباب الحرف فعملوا لهم عربات وملاعب ومخريات قاموا بكلفها من مالهم الموزع على افرادهم وداروا بالزفة يوم الخميس غاية شعبان وحضر محمد على الى مدرسة الغورية مع اولاده ليرى ذلك وعمل له السيد محمد المحروقى ضيافة فى ذلك اليوم واحضر اليه الغداء بالمدرسة ولما انقضى امر الزفة شرعوا فى عمل موكب المحتسب ومشايخ الحرف لرؤية رمضان وحضروا الى بيت القاضى ولم يثبت الهلال تلك الليلة وانقضى شهر شعبان

(واستهل شهر رمضان يوم السبت سنة ١٢٢٠)

وفى هذا اليوم شح وجود اللحم وغلا سعره لعدم المواشى وتوالى الظلم والعسف والفرد والكلف على القرى والبلاد حتى بلغ الرطل اللحم الجفيط المزيل خمسة وعشرين نصفا ان وجدوا والجاموسى اثنى عشر نصفا وامتنع وجود الضانى بالاسواق بالكلية راسا ولما استهل رمضان انكب

حاجب له الى نواحي خراسان فارسل اليهم داود اخوطغرلبك وهو صاحب خراسان ولده الب ارسلان في عسكر فالتقوا واقتتلوا فكان الظفر للملك الب ارسلان وعاد عسكر غزنة منهزما وفيها ايضا في صفر سار رجع من الغز الى نواحي بست وفعلوا ما عرف منهم من النهب والشر فسير اليهم ابو الفتح مودود عسكرا فالتقوا بولاية بست واقتتلوا قتالا شديدا انهزم الغز فيه وظفر عسكر مودود واكثروا فيهم القتل والاسر

(ذكر ملك مودود عدة حصون من بلاد الهند)

في هذه السنة اجتمع ثلاثة ملوك من ملوك الهند وقصدوا لهاوور وحصروها فجمع مقدم العساكر الاسلامية بتلك الديار من عنده منهم وأرسل الى صاحبه مودود يستنجده فسير اليه العساكر فاتفق ان بعض أولئك الملوك فارقهم وعاد الى طاعة مودود فرحل الملكان الآخران الى بلادهما فسارت العساكر الاسلامية الى أحدهما ويعرف بدوبال هريانه فانهزم منهم وصعد الى قلعة له منيعة هو وعساكره فاحتموا بها وكانوا خمسة آلاف فارس وسبعين ألف راجل وحصرهم المسلمون وضيقوا عليهم وأكثروا القتل فيهم فطلب الهنود الامان على تسليم الحصن فامتنع المسلمون من اجابتهم الى ذلك الا بعد أن يضيفوا اليه باقي حصون ذلك الملك الذي لهم فحملهم الخوف وعدم الاقوات على اجابتهم الى ما طلبوا وتسلموا الجميع وغنم المسلمون الاموال وأطلقوا ما في الحصون من أسرى المسلمين وكانوا نحو خمسة آلاف نفر فلما فرغوا من هذه الناحية قصدوا ولاية الملك الثاني واسمه تابت بالرى فتقدم اليهم ولقيهم فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزمت الهنود وأجلت المعركة عن قتل ملكهم وخمسة آلاف قتيل وجريح وأسر ضعفاؤهم وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ودوابهم فلما رأى باقي الملوك من الهند ما لقي هؤلاء أذعنوا بالطاعة وحملوا الاموال وطلبوا الامان والاقرار على بلادهم فاجيبوا الى ذلك

(ذكر الخلف بين الملك أبي كاليجار وفرامرز بن علاء الدولة)

في هذه السنة نكث الامير أبو منصور فرامرز بن علاء الدولة بن كاكويه صاحب أصبهان العهد الذي بينه و بين الملك أبي كاليجار وسير عسكرا الى نواحي كرمان فملكوا منها حصنين وغنموا ما فيهما فارسل الملك أبو كاليجار اليه في اعادتهما وازالة الاعتراض عنهما فلم يفعل فجهز عسكرا وسيره الى أبرقوه فحصرها وملكها فانزعج فرامرز لذلك وجهز عسكرا كثيرا وسيره اليهم فسمع الملك أبو كاليجار بذلك فسير عسكرا ثانيا مددا لعسكره الاول والتقى العسكران فاقتتلوا وصبروا ثم انهزم عسكر أصبهان وأسر مقدمهم الامير اسحق بن ينال واسترد نواب أبي كاليجار ما كانوا أخذوه من كرمان

(ذكر أخبار الترك بما وراء النهر)

في هذه السنة في صفر أسلم من كفار الترك الذين كانوا يطرقون بلاد الاسلام بنواحي بلاساغون وكاشغر ويغيرون و يعيثون عشرة آلاف خركاة وضحوا يوم عيد الاضحى بعشرين

الناس على من يوجد من جوارين العسم الخشن وكذلك شخ ويجعلوا السمن وعدم بالكلية واذا وجد منه شئ خطفه العسكر وذهبوا به الى سوق انبابه يوم السبت أول رمضان ونهبوا ما وجدوه مع الفلاحين من الزبد والجبن وغير ذلك وزاد فحشهم وقبحهم وتسلطهم على ايذاء الناس وكثروا بالبلد وانحشروا من كل جهة وتسلطوا على تزوج النساء قهرا اللاتي مات ازواجهن من الامراء المصرلية ومن أبت عليهم أخذوا ما بيدها من الالتزام والايراد وأخرجوها من دارها ونهبوا متاعها فلا يسعها الا الاجابة والرضا بالقضاء وتزوج بعضهم بزوجة حسن بك الجداوى وهي بنت أحمد بك شنن وأمثالها ولم ينفعهن الهروب ولا الاختفاء ولا الالتجاء وتزيوا بزي المصريين في ملابسهم وركبوا الخيول المسومة بالسروج المذهبة والقلاعيات والرخوت المكلفة وأحدق بهم الخدم والاتباع والقواسة والسراس والمقدمون ووصل كل صعلوك منهم لما لا يخطر على باله أو يتوهمه أو يتخيله ولا في عالم الرؤيا مع انحراف الطبع والجهل المركب وعمى البصيرة والفظاظة والقساوة والتجارى وعدم الدين والحياء والخشية والمروءة ومنهم من تزوج الاثنتين والثلاث وصار له

بعشرين ألف رأس غنم وكفى الله المسلمين شرهم وكانوا يصيفون بنواحي بلغار ويشتون بنواحي بلاساغون فلما اسلموا تفرقوا في البلاد فكان في كل ناحية ألف خركاة وأقل وأكثر لامنهم فانهم انما كانوا يجتمعون ليحمى بعضهم بعضا من المسلمين وبقي من الاتراك من لم يسلم تتر وخطا وهم بنواحي الصين وكان صاحب بلاساغون وبلاد الترك شرف الدولة وفيه دين وقد قنع من اخوته وأقاربه بالطاعة وقسم البلاد بينهم فاعطى أخاه أصلان تكين كثيرا من بلاد الترك واعطى أخاه بغراخان طراز واسبيجاب واعطى عمه طغاز خان فرغانة باسرها واعطى ابن علي تكين بخارا وسمرقند وغيرهما وقنع هو ببلاساغون وكاشغر

﴿ذكر أخبار الروس والقسطنطينية﴾

في هذه السنة في صفر ايضا ورد الى القسطنطينية عدد كثير من الروس في البحر وراسلوا قسطنطين ملك الروم بما لم تجر به عادتهم فاجتمعت الروم على حربهم وكان بعضهم قد فارق المراكب الى البر وبعضهم فيها فالقى الروم في مراكبهم النار فلم يهتدوا الى اطفائها فهلك كثير منهم بالحرق والغرق وأما الذين على البر فقاتلوا وابلوا وصبروا ثم انهزموا فلم يكن لهم ملجأ فمن استسلم أولا استرق وسلم ومن امتنع حتى أخذ قهرا قطع الروم أيمانهم وطيف بهم في البلد ولم يسلم منهم الا اليسير مع ابن ملك الروسية وكفى الروم شرهم

﴿ذكر طاعة المعز بافريقية للقائم بامر الله﴾

في هذه السنة أظهر المعز ببلاد افريقية الدعاء للدولة العباسية وخطب للامام القائم بامر الله امير المؤمنين ووردت عليه الخلع والتقليد ببلاد افريقية وجميع ما يفتحه وفي اول الكتاب الذي مع الرسل من عبد الله ووليه ابي جعفر القائم بامر الله امير المؤمنين الى الملك الاوحد ثقة الاسلام وشرف الامام وعمدة الانام ناصر دين الله قاهر اعداء الله ومؤيد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابي تميم المعز بن باديس بن المنصور ولي امير المؤمنين بولاية جميع المغرب وما افتتحه بسيف امير المؤمنين وهو طويل وارسل اليه سيف وفرس وأعلام على طريق القسطنطينية فوصل ذلك يوم الجمعة فدخل به الى الجامع والخطيب ابن الفاكاه على المنبر يخطب الخطبة الثانية فدخلت الاعلام فقال هذا لواء الحمد يجمعكم وهذا معز الدين يسمعكم واستغفر الله لي ولكم وقطعت الخطبة للعلويين من ذلك الوقت واحرقت أعلامهم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة جرت حرب بين ابن الهيثم صاحب البطيحة وبين الاجناد من الغز والديلم فاحرق الجامدة وغيرها وخطب الجند للملك ابي كاليجار وفيها ارسل الخليفة القائم بامر الله اقضى القضاة ابا الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي الفقيه الشافعي الى السلطان طغرلبك قبل وفاة جلال الدولة وامره ان يقرر الصلح بين طغرلبك والملك جلال الدولة وابي كاليجار فسار اليه وهو بجرجان فلقيه طغرلبك على اربعة فراسخ

عدة دهور (وفيه) تواترت الاخبار بما حصل لياسين بك وانه بعد انهزامه هرب بجماعة قليلة وذهب عند سليمان بك المرادي وانضم اليه (وفي ثالث عشره) نهبوا بيت ياسين بك المذكور واخذوا ما فيه وفقوا محمد افندي أباه وانزلوه في مركب وذهبوا به الى بحري وقيل انهم قتلوه (وفيه) وردت الاخبار بانه غرق بمينا الاسكندرية احد عشر غليونا من الكبار وذلك انه في أواخر شعبان هبت ريح غريبة عاصفة ليلا فقطعت مراسي المراكب ودفعتها الرياح الى البر فانكسرت وتلف ما فيها من الاموال والانفس ولم ينج منها الا القليل وكذلك تلف ثمانية وعشرون مركبا واصلة من بلاد الشام الى دمياط ببضائع التجار (وفيه) حضر جماعة من الالفية الى بر الجيزة وطلبوا كلفا من اقليم الجيزة وقبضوها ورجعوا الى الفيوم ومضى في اثرهم عربان أولاد علي من ناحية البحيرة وعاثوا باراضي الجيزة فعينوا لهم طاهر باشا الذي كان مسافرا الى بلاد الحجاز وخرج بعساكره وخيامه وموكبه الى خارج باب النصر ونصب وطاقه وصار يضرب في كل ليلة مدافعه وطبله ونوبته واستمر مقيما على ذلك نحو ثلاثة شهور وهم يجمعون له الاموال

اجلالا لرسالة الخليفة وعاد الماوردي سنة ست وثلاثين واخبر عن طاعة طغرلبك للخليفة وتعظيمه لاوامره ووقوفه عندها وفيها توفي عبد الله بن احمد بن عثمان بن الفرج ابن الازهر ابو القاسم بن ابي الفتح الازهري الصيرفي المعروف بابن السوادي شيخ الخطيب ابي بكر وكان اماما في الحديث ومن تلامذته الخطيب البغدادي

(ثم دخلت سنة ست وثلاثين واربعمائة)

(ذكر قتل الاسماعيلية بما وراء النهر)

في هذه السنة اوقع بغراخان صاحب ما وراء النهر بجمع كثير من الاسماعيلية وكان سبب ذلك ان نفرا منهم قصدوا ما وراء النهر ودعوا الى طاعة المستنصر بالله العلوي صاحب مصر فتبعهم جمع كثير واظهروا مذاهب انكرها اهل تلك البلاد وسمع ملكها بغراخان خبرهم واراد الايقاع بهم فخاف ان يسلم منه بعض من اجابهم من اهل تلك البلاد فاظهر لبعضهم انه يميل اليهم ويريد الدخول في مذاهبهم واعلمهم ذلك واحضرهم مجالسه ولم يزل حتى علم جميع من اجابهم الى مقالتهم فحينئذ قتل من بحضرته منهم وكتب الى سائر البلاد بقتل من فيها ففعل بهم ما امر وسلمت تلك البلاد منهم

(ذكر الخطبة للملك ابي كاليجار واصعاده الى بغداد)

قد ذكرنا ما توفي الملك جلال الدولة ما كان من مراسلة الجند الملك ابا كاليجار والخطبة له فلما استقرت القواعد بينه وبينهم ارسل اموالا فرقت على الجند ببغداد وعلى اولادهم وارسل عشرة آلاف دينار للخليفة ومعها هدايا كثيرة فخطب له ببغداد في صفر وخطب له ايضا ابو الشوك في بلاده ودبيس بن مزيد ببلاده ونصر الدولة بن مروان بديار بكر ولقبه الخليفة محيي الدين وسار الى بغداد في مائة فارس من اصحابه لئلا تخافه الاتراك فلما وصل الى النعمانية لقيه دبيس بن مزيد ومضى الى زيارة المشهدين بالكوفة وكربلاء ودخل الى بغداد في شهر رمضان ومعه وزيره ذو السعادات ابو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن فسانجس ووعده الخليفة القائم بامر الله ان يستقبله فاستعفى من ذلك واخرج عميد الدولة ابا سعد بن عبد الرحيم واخاه كمال الملك وزيري جلال الدولة من بغداد فمضى ابو سعد الى تكريت وزينت بغداد لقدومه وامر فقلع على اصحاب الجيوش وهم البساسيري والنشاووري والهمام ابو اللقاء وجرى من ولاة العرض تقديم لبعض الجند وتاخير فشغب بعضهم وقتلوا واحدا من ولاة العرض برأي من الملك ابي كاليجار ونزل في سميريه عند الخوف من انخراق الهيبة واصعد بقم الصلح وفي رمضان منها توفي ابو القاسم علي بن احمد الجرجرائي وزير الظاهر والمستنصر الخليفتين وكان فيه كفاية وشهامة وامانة وصلى عليه المستنصر بالله

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة نزل الامير ابو كاليجار كرشاسف بن علاء الدولة من كنكور وقصد همذان

ويفردون القرد على الاقاليم ويقولون برسم تشهيل العسكر المسافر للخوارج واستخلاص البلاد الحجازية من ايديهم ولم يزالوا يحتجون بعدم اخذ النفقة وفي كل يوم يتسلون شيئا بعد شيء ويدخلون الى المدينة ويتفرقون الى الجهات حتى لم يبق منهم الا القليل ثم انهم ارتحلوا من مخيمهم بجهة العرب وطردهم من الجيزة فلما عدوا الى الجيزة دخلوا الى دورها وسكنوها غصبا من اهلها واستولوا على فراشهم ومتاعهم ولم يخرج منهم احد للعرب ولم يتعدوا خارج السور وبطل امر السفرة المذكورة (وفي تاسع عشره) ارسل محمد علي من قبض على الاغا الشهعدانجي وعثمان اغا كتخدا بك سابقا وقت المغرب وانزلوهما الى بولاق في مركب وذهبوا بهما يقال انهم قتلوهما ومعهما اثنان ايضا من كبار العسكر ولم يعلم سبب ذلك وانزلوا حصصهم في المزاد (وفيه) فتحوا طلب الميري من الملتزمين من سنة احدى وعشرين مع ان سنة تاريخه لم يستحق منها الثلث وكانوا افتتحوها معجلة لقدر الاحتياج وقبضوا نصفها وطلبوا النصف الآخر بعد مدار بعة اشهر واما هذه فطلبوها بالكامل قبل اوانها بسنة وخصوصا في شهر رمضان مع ما الناس فيه من

فلكها

فملكها وأزاح عنها نواب السلطان طغرلبك وخطب للملك أبي كاليجار وصار في طاعته وفيها أمر الملك أبو كاليجار ببناء سور مدينة شيراز فبني وأحكم بناؤه وكان دوره اثني عشر ألف ذراع وعرضه ثمانية أذرع وله احد عشر بابا وفرغ منه سنة اربعين واربعمائة وفيها نقل تابوت جلال الدولة من داره الى مشهد باب التبن الى تربة له هناك وفيها استوزر السلطان طغرلبك وزيره ابا القاسم علي بن عبد الله الجويني وهو اوّل وزير وزر له ثم وزر له بعده رئيس الرؤساء ابو عبد الله الحسين بن علي بن ميكائيل ثم وزر له بعده نظام الملك ابو محمد الحسن بن محمد الدهستاني وهو اوّل من لقب نظام الملك ثم وزر له بعده عميد الملك الكندري وهو اشهرهم وانما اشتهر لان طغرلبك في ايامه عظمت دولته ووصل الى العراق وخطب له بالسلطنة وسيرد من اخباره ما فيه كفاية فلا حاجة الى ذكرها ههنا وفيها توفي الشريف المرتضى أبو القاسم علي أخو الرضي في آخر ربيع الاوّل ومولده سنة خمس وخمسين وثلثمائة وولي نقابة العلويين بعده أبو احمد عدنان ابن أخيه الرضي وفيها توفي القاضي أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد الصيمري وهو شيخ أصحاب أبي حنيفة في زمانه ومن جملة تلامذته القاضي ابو عبد الله الدامغاني ومولده سنة احدى وخمسين وثلثمائة وولي بعده قضاء الكرخ القاضي أبو الطيب الطبري مضافا الى ما كان يتولاه من القضاء بباب الطاق وفيها توفي القاضي أبو الحسن عبد الوهاب بن منصور بن المشتري قاضي خوزستان وفارس وكان شافعي المذهب وفيها ايضا توفي ابو الحسين محمد بن علي البصري المتكلم المعتزلي صاحب التصانيف المشهورة

(ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وأربعمائة)

(ذكر وصول ابراهيم ينال الى همذان وبلد الجبل)

في هذه السنة امر السلطان طغرلبك اخاه ابراهيم ينال بالخروج الى بلد الجبل وملكها فسار اليها من كرمان وقصد همذان وبها كرشاسف بن علاء الدولة ففارقها خوفا ودخلها ينال فملكها والتحق كرشاسف بالاكراد الجوزقان وكان ابو الشوك حينئذ بالدينور فسار عنها الى قرميسين خوفا واشفاقا من ينال فقوي طمع ينال حينئذ في البلاد وسار الى الدينور فملكها ورتب امورها وسار منها يطلب قرميسين فلما سمع ابو الشوك به سار الى حلوان وترك بقرميسين من في عسكره من الديلم والاكراد الشاذنجان ليمنعوها ويحفظوها فوافاهم ينال بجريدة فقاتلوه فدفعوه عنها فانصرف عنهم وعاد بحركاته وحاله فقاتلوه فضعفوا عنه وعجزوا عن منعه فملك البلد في رجب عنوة وقتل من العساكر جماعة كثيرة واخذ اموال من سلم من القتل وسلاحهم وطردهم ولحقوا بابي الشوك ونهب البلد وقتل وسبي كثيرا من اهله ولما سمع ابو الشوك ذلك سير اهله وامواله وسلاحه من حلوان الى قلعة السيروان واقام هو يتقي عسكره ثم ان ينال سار الى الصيمرة في شعبان فملكها ونهبها واوقع بالاكراد المجاورين لها من الجوزقان فانهزموا وكان كرشاسف بن علاء الدولة نازلا عندهم فسار هو

ضيق المعاش وغلو الاسعار في كل شئ بل وعدم وجود الاقوات ووقوف العسكر خارج المدينة يخطفون ما ياتي به الفلاحون من السمن والجبن والتبن والبيض وغير ذلك ومن دونهم العرب ومثل ذلك في البحر والمراكب حتى امتنع وجود المجلوبات برا وبحرا وطلبوا المراكب لسفر العساكر بالتجاريد فتسامع القادمون فوقفوا عن القدوم خوفا من النهب والتسخير ولم يبق بسواحل البحر مركب ولا قارب وبطل ديوان العشور ووصل سعر العشرة أرطال السمن ستمائة نصف فضة ان وجدوا العشرة من البيض بخمسة عشر نصف فضة ان وجد والدجاجة باربعين نصفا والرطل الصابون بستين نصفا ولم يزل يتزايد حتى وصل الرطل الى مائة وعشرين والراوية الماء باربعين نصفا والرطل القشطة بستين نصفا والرطل من السمك الطري بستة عشر نصفا والقديد المملوح بعشرة انصاف وقد كان يباع بنصفين و بالعدد من غير وزن والحوت الفسيخ باربعين نصفا وقس على ذلك (وفي عشرينه) رجع خازندار طاهر باشا الى جهة العادلية ثانيا ومعه جملة من العسكر وصاروا يضربون في كل ليلة مدفعين واستمر طاهر باشا بالجيزة (وفيه) كتب محمد

وهم الى بلد شهاب الدولة ابي الفوارس منصور بن الحسين ثم ان ابراهيم ينال سار الى حلوان وقد فارقها ابو الشوك ولحق بقلعة السيروان فوصل اليها ابراهيم آخر شعبان وقد جلا اهلها عنها وتفرقوا في البلاد فنهبها واحرقها واحرق دار ابي الشوك وانصرف بعد ان اجتاحها ودرسها وتوجه طائفة من الغز الى خانقين في اثر جماعة من اهل حلوان كانوا ساروا باهليهم واولادهم واموالهم فادركوهم وظفروا بهم وغنموا اموالهم وانتشر الغز في تلك النواحي فبلغوا ماي دشت وما يليها فنهبوها وأغاروا عليها فلما سمع الملك ابو كاليجار هذه الاخبار ازعجته واقلقته وكان نحو زستان فعزم على المسير ودفع ينال ومن معه من الغز عن البلاد فامر عسا كره بالتجهز للسفر اليهم فعجزوا عن الحركة لكثرة ما مات من دوابهم فلما تحقق ذلك سار نحو بلاد فارس فحمل العسكرا ثقالهم على الحمير

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في المحرم خطب للملك أبي كاليجار باصبهان واعمالها وعاد الامير ابو منصور ابن علاء الدولة الى طاعته وكان سبب ذلك انه لما عصى على الملك ابي كاليجار وقصد كرمان على ما ذكرناه والتجأ الى طاعة طغرلبك لم يبلغ ما كان يؤمله من طغرلبك فلما عاد طغرلبك الى خراسان خاف ابو منصور من الملك أبي كاليجار فراسله في العود الى طاعته فاجابه الى ذلك واصطلحا وفيها اصطلح ابو الشوك وأخوه مهلهل وكانا متقاطعين من حين أسر مهلهل ابا الفتح بن ابي الشوك وموت ابي الفتح في سجنه فلما كان الآن وخافا من الغز تراسلا في الصلح واعتذر مهلهل وأرسل ولده ابا الغنائم الى ابي الشوك وحلف له ان ابا الفتح توفي حتف أنفه من غير قتل وقال هذا ولدي تقتله عوضه فرضي ابو الشوك واحسن الى ابي الغنائم ورده الى أبيه واصطلحا واتفقا وفيها في جمادى الاولى خلع الخليفة على ابي القاسم علي بن الحسن بن المسلمة واستوزره ولقبه رئيس الرؤساء وهو ابتداء حاله وكان السبب في ذلك ان ذا السعادات ابن فسانجس وزير الملك ابي كاليجار كان يسيء الرأي في عميد الرؤساء وزير الخليفة فطلب من الخليفة ان يعزله فعزله واستوزر رئيس الرؤساء نيابة ثم خلع عليه وجلس في الدست وفيها في شعبان سار سرخاب بن محمد بن عناز اخو أبي الشوك الى البندنيجين وبها سعدي بن ابي الشوك ففارقها سعدي ولحق بابيه ونهب سرخاب بعضها وكان ابو الشوك قد اخذ بلده مرخاب ما عدا دزديلوية وهما متباينان لذلك وفيها في آخر رمضان توفي ابو الشوك فارس بن محمد بن عناز بقلعة السيروان وكان مرض لما سار الى السيروان من حلوان ولما توفي غدر الاكراد بابنه سعدي وصاروا مع عمه مهلهل فعند ذلك مضى سعدي الى ابراهيم ينال وأتى بالغز على ما نذكره ان شاء الله تعالى وفيها قتل عيسى بن موسى الهذباني صاحب اربل وكان خرج الى الصيد فقتله ابنا أخ له وسارا الى قلعة اربل فملكاها وكان سلار بن موسى اخو المقتول نازلا على قرواش

على باشا مكاتبة الى الامراء القبالي وارسل بها مصطفى اغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجي ليصطلح واعلى أمر (وفيه) وصل ايضا جماعة من الالفية الى جهة سقارة وبلاد الجيزة وطلبوا منها كلفة ودراهم فامر محمد على بخروج العساكر فتلكؤوا واحتجوا بطلب العلوفة فعزم على الخروج بنفسه فلما كان ليلة الاربعاء سادس عشر ينه طلب كبار العساكر وركب معهم الى مصر القديمة وشرعوا في التعدية بطول الليل وهم محمد على وعسكره وخواصه وعابدى بك وحمر بك وصالح قوش والدلاة وكبيرهم وعلى كاشف الذى تزوج بنت شنن واتباعه في تجمل وكبير الدلاة وطائفته وركب الجميع وقت الشروق وبرزوا الى الفضاء وانفرد كل كبير بعسكره جهة طوايبروسة وقطروا على البعد منهم فرأوا خيالة من العربان وغيرهم متفرقين كل جماعة في ناحية فحمل كل طابور على جماعة منهم فانهزموا امامهم فساقوا خلفهم فخرج عليهم كائن من خلفهم ووقع بينهم الضراب وحمل على كاشف وآخر يقال له اوزى في جماعتهم فرأوه مجلا فظنوه محمد على فاحتاطوا به وتكاثروا عليه وأخذوه أسيرا هو ومن معه وفر من نجا منهم ووقعت فيهم الهزيمة ورجع

ابن المقلد صاحب الموصل لنفرة كانت بينه وبين اخيه فلما قتل سار قرواش مع السلار الى اربل فملكها وسلمها الى السلار وعاد قرواش الى الموصل وفيها كانت ببغداد فتنة بين اهل الكرخ وباب البصرة وقتال اشتد قتل فيه جماعة وفيها وقع البلاء والوباء فى الخيل فهلك من عسكر الملك ابى كاليجار اثنا عشر الف فرس وعم ذلك البلاد وفيها توفى على بن محمد بن نصر ابو الحسن الكاتب بواسط صاحب الرسائل المشهورة

(ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين واربعمائة)

(ذكر ملك مهلهل قرميسين والدينور)

فى هذه السنة ملك مهلهل بن محمد بن عناز مدينة قرميسين والدينور وسبب ذلك ان ابراهيم ينال كان قد استعمل عنده ودهمن حلوان على قرميسين بدر بن طاهر بن هلال فلما ملك مهلهل بعد موت اخيه ابى الشوك سار الى مايدشت ونزل بها ثم توجه نحو قرميسين فانصرف عنها بدر فملكها مهلهل وسير ابنه محمدا الى الدينور وبها عساكر ينال فاقتتلوا فقتل بين الفريقين جماعة وانهزم اصحاب ينال وملك محمد البلد

(ذكر اتصال سعدى بن ابى الشوك بابراهيم ينال وما كان منه)

فى هذه السنة فى شهر ربيع الاول فارق سعدى بن ابى الشوك عمه مهلهلا ولحق بابراهيم ينال فصار معه وسبب ذلك ان عمه تزوج امه واهمل جانبه واحتقره وكذلك ايضا قصر فى مراعاة الاكراد الشاذنجان فراسل سعدى ابراهيم ينال فى اللحاق به فاذن له فى ذلك ووعده ان يملكه ما كان لابيه فسار اليه فى جماعة من الاكراد الشاذنجان فقوى بهم فاكرمه ينال وضم اليه جمعا من الغز وسيره الى حلوان فملكها وخطب فيها لابراهيم ينال فى شهر ربيع الاول واقام بها اياما ورجع الى مايدشت فسار عمه مهلهل الى حلوان فملكها وقطع منها خطبة ينال فلما سمع سعدى بذلك سار الى حلوان ففارقها عمه مهلهل الى ناحية بلوطة وملك سعدى حلوان وسار الى عمه سرخاب فكبسه ونهب ما كان معه وسير جمعا الى البندنيجين فاستولوا عليها وقبضوا على نائب سرخاب بها ونهبوا بعضها وانهزم سرخاب فصعد الى قلعة دزدبلوية ثم عاد سعدى الى قرميسين فسير عمه مهلهل ابنه بدرا الى حلوان فملكها فجمع سعدى واكثر وعاد الى حلوان ففارقها من كان بها من اصحاب عمه الا من كان بالقلعة وملكها سعدى وكان قد صحبه كثير من الغز فسار بهم منها الى عمه مهلهل وترك بها من يحفظها فلما علم عمه بقربه منه سار بين يديه الى قلعة تيرانشاه بقرب شهرزور فاحتمى بها وملك الغز كثيرا من النواحى والمواشى وغنموا كثيرا من الاموال والدواب فلما راى سعدى تحصن عمه منه خاف على من خلفه بحلوان فعاد عازما على محاصرة القلعة فمضى وحصرها وقاتله من بها من اصحاب عمه ونهب الغز حلوان وفتكوا فيها وافتضوا الابكار واحرقوا المساكن وتفرق الناس وفعلوا فى تلك النواحى جميعها اقبح فعل ولما سمع اصحاب الملك

الجميع القهقرى وصلوا الى بره من غير تأخير وذهب من الارقود طائفة الى الاخصام وانضموا اليهم (وفى هذه الايام) وقع بين اهل الازهر منافسات بسبب امور واغراض نفسانية يطول شرحها وتحزبوا حزبين حزب مع الشيخ عبد الله الشرقاوى وحزب مع الشيخ محمد الامير وهم الاكثر وجعلوا الشيخ الامير ناظرا على الجامع وكتبوا له تقريرا بذلك من القاضى وختم عليه المشايخ والشيخ السادات والسيد عمر افندى النقيب وكانت النظارة شاغرة من ايام الفرنسيس وكان يتقلدها احد الامراء فلما خرج الامراء من مصر صارت تابعة للشيخة لوقت تاريخه فانفعل لذلك الشيخ الشرقاوى ولما فعلوا ذلك اجتهد الشيخ الامير فى النظر لخدمة الجامع بنفسه وبابنه واحضر الخدمة وكنسوا الجامع وغسلوا صحنه ومسحوه وفرشوا المقصورة بالحصر الجدد وعلقوا قناديل البوائك وصار كل يوم يقف على الخدمة ويامرهم بالتنظيف وغسل الميضاة والمراحيض وامر بغلق الابواب من بعد صلاة العشاء ماعدا الباب الكبير ورتب واله بوابا وطردوا من يبيت به من الاغراب الذين يلتفون بالحصر ويلوثونها ببولهم وغائطهم ونحو ذلك (وفى ليله الاحد التى هى ليلة العيد) عدى طائفة من

الى كاليجار ووزيره هذه الاخبار ندبوا العساكر الى الخروج الى مهلهل ومساعدته على ابن اخيه ودفعه عن هذه الاعمال فلم يفعلوا ثم ان سعدى اقطع ابا الفتح بن ورام البندنيجين واتفقوا جميعا على قصد عمه سرخاب بن محمد بن عناز وحصره بقلعة دزديلويه فسار اليه معهما من العساكر فلما قاربوا القلعة دخلوا فى مضيق هناك من غير ان يحملوا لهم طليعة طمعا فيه وادلالا بقوتهم وكان سرخاب قد جعل على راس الجبل على فم المضيق جمعا من الاكراد فلما دخلوا المضيق لقيهم سرخاب وكان قد نزل من القلعة فاقتتلوا وعادوا ليخرجوا من المضيق فتقطرت بهم خيلهم فسقطوا عنها ورماهم الاكراد الذين على الجبل فوهنوا واسر سعدى وابو الفتح بن ورام وغيرهما من الرؤس وتفرق الغز والاكراد من تلك النواحى بعد ان كانوا قد توطنوها وملكوها

(ذكر حصار طغرلبك اصبهان)

فى هذه السنة حصر طغرلبك مدينة اصبهان وبها صاحبها ابو منصور فرامرز بن علاء الدولة فضيق عليه ولم يظفر من البلد بطائل ثم اصطلحوا على مال يحمله فرامرز بن علاء الدولة لطغرلبك وخطب له باصبهان واعمالها

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة خرج من الترك من بلد التبت خلق لا يحصون كثرة فراسلوا ارسلان خان صاحب بلاساغون يشكرونه على حسن سيرته فى رعيته ولم يكن منهم تعرض الى مملكته ولكنهم اقاموا بها وراسلهم ودعاهم الى الاسلام فلم يجيبوا ولم ينفروا منه وفيها توفى ابو الحسن الخيشى النحوى فى ذى الحجة وله نيف وتسعون سنة وفيها انحدر علاء الدين ابو الغنائم ابن الوز بردى السعادات الى البطائح وحصرها وبها صاحبها ابو نصر بن الهيثم وضيق عليه واجتمع مع جمع كثير وفيها فى ذى القعدة توفى عبد الله بن يوسف ابو محمد الجوينى والد امام الحرمين ابى المعالى وكان اماما فى الشافعية تفقه على ابى الطيب سهل بن محمد الصعلوكى وكان عالما بالادب وغيره من العلوم وهو من بنى سنبس بطن من طى

(ثم دخلت سنة تسع وثلاثين واربعمائة)

(ذكر صلح الملك ابى كاليجار والسلطان طغرلبك)

فى هذه السنة ارسل الملك ابو كاليجار الى السلطان ركن الدين طغرلبك فى الصلح فاجابه اليه واصطلحا وكتب طغرلبك الى اخيه ينال يامره بالكف عما وراء ما بيده واستقر الحال بينهما ان يتزوج طغرلبك بابنة ابى كاليجار ويتزوج الامير ابو منصور بن ابى كاليجار بابنة الملك داود اخى طغرلبك وجرى العقد فى شهر ربيع الآخر من هذه السنة

(ذكر القبض على سرخاب اخى ابى الشوك)

فى هذه السنة قبض الاكراد اللرية وجماعة من عسكر سرخاب عليه لانه اساء السيرة

الاخصام وحصل فى العسكر

العسكر الى بر الجيزة وانضموا الى ارنجاج واختلافات وعملوا شنكا فى تلك الليلة فى الازبكية بعدما اثبتوا هلال شوال بعد العشاء الاخيرة وقد كانوا اسرجوا المساجد وصلوا التراويح ثم اطفؤا المنارات فى ثالث ساعة من الليل

(شهر شوال سنة ١٢٢٠)

استهل بيوم الاحد المذكور وجميع الامور مرتبكة والحال على ما هو عليه من الاضطراب ولم يحصل فى شهر رمضان للناس جمع حواس ولا حظوظ ولا امن وانكف الناس عن المرور فى الشوارع ليلا خوفا من اذية العسكر وفى كل وقت يسمع الانسان اخبارا ونكات وقبائح من افاعيلهم من الخطف والقتل واذية الناس (وفى رابعه) قلدوا مناصب كشوفات الاقاليم وتهيؤا للذهاب وعملوا قوائم فرد ومظالم على البلاد خلاف ما تقدم وخلاف ما ياخذه الكشاف لانفسهم وما ياخذونه قبل نزولهم وذلك انه عندما يترشح الشخص منهم لتقليد المنصب يرسل من طرفه معينين الى الاقليم الذى سيتولى عليه باوراق البشارات وحق طرق باسم المعينين اما عشر بن الفا او اكثر او اقل فاذا قبضوا ذلك اتبعوها باوراق اخرى ويسمونها اوراق تقبيل اليد وفيها مثل

معهم ووترهم فقبضوا عليه وحملوه الى ابراهيم ينال فقلع احدى عينيه وطالبه باطلاق سعدى بن ابى الشوك فلم يفعل وكان ابو العسكر بن سرخاب قد غاضبه لما قبض على سعدى واعتزله كراهية لفعله فلما اسر ابوه سرخاب سار الى القلعة واخرج سعدى ابن عمه وفك قيوده واحسن اليه واطلقه واخذ عليه العهود برد ما مضى والسعى فى خلاص والده سرخاب فسار سعدى واجتمع عليه خلق كثير من الاكراد ووصل الى ابراهيم ينال فلم يجد عنده الذى اراد ففارقه وعاد الى الدسكرة وكاتب الخليفة ونواب الملك ابى كاليجار بالعود الى الطاعة واقام بها

(ذكر ملك ابراهيم ينال قلعة كنكور وغيرها)

فى هذه السنة سار ابراهيم ينال الى قلعة كنكور وبها عكبر بن فارس صاحب كرشاسف ابن علاء الدولة يحفظها له فامتنع عكبر بها الى ان فنيت ذخائره وكانت قليلة فلما نفدت الذخائر عمد الى بيوت الطعام التى فى القلعة وملأها ترابا وحجارة وسد ابوابها وترك من داخل الابواب شيئا من طعام وعلى راس التراب والحجارة كذلك ايضا وراسل ابراهيم فى تسليم القلعة اليه على ان يؤمنه على من بها من الرجال وما بها من الاموال فارسل اليه ابراهيم يمتنع عليه من ترك المال فاخذ عكبر رسول ابراهيم فطوفه على البيوت التى فيها الطعام وفتح مواضع من المسدود فرآها مملوءة فظنها طعاما وقال له عكبر ما راسلت صاحبك خوفا من المطاولة ولا اشفاقا من نفاد الميرة لكننى احببت الدخول فى طاعته فان بذل لى الامان على ما طلبته لى وللامير كرشاسف واموالهم ولمن بالقلعة سلمت اليه وكفيته مؤنة المقام فلما عاد الرسول الى ابراهيم واخبره اجابه الى ما طلب ونزل عكبر وتسلمها ابراهيم فلما صعد الى القلعة انكشفت الحيلة وسار عكبر ومن معه الى قلعة سرماج وصعد اليها ولما ملك ينال كنكور عاد الى همذان فسير جيشا لاخذ قلاع سرخاب واستعمل عليهم قريبا له اسمه أحمد وسلم اليه سرخابا ليفتح به قلاعه فسار به الى قلعة كلكان فامتنعت عليه فساروا الى قلعة دزديلويه فحصروها وامتدت طائفة منهم الى البندنيجين فنهبوها فى جمادى الآخرة وفعلوا الافاعيل القبيحة من النهب والقتل وافتراش النساء والعقوبة على تخليص الاموال فمات منهم جماعة لشدة الضرب وسارت طائفة منهم الى ابى الفتح بن ورام فانصرف عنهم خوفا منهم وترك حلله بحالها وقصد ان يشتغلوا بنهب حلله فيعود عليهم فلم يعرجوا على النهب وتبعوه فلشدة خوفه ان يظفروا به ويأخذوه قاتلهم فظفر بهم وقتل وأسر جماعة منهم وغنم ما معهم ورجع الباقون وأرسل الى بغداد يطلب نجدة خوفا من عودهم فلم يجدوه لعدم الهيبة وقلة امساك الامر فعبر بنو ورام دجلة الى الجانب الغربى ثم ان الغز أسروا الى سعدى بن أبى الشوك فى رجب وهو نازل على فرسخين من باجسرى وكبسوه فانهزم هو ومن معه لا يلوى الاخ على أخيه ولا الوالد على ولده فقتل منهم خلق كثير وغنم الغز اموالهم ونهبوا اثقالهم الا ما كان سعدى قد انزل مالا من قلعة السيروان فوصله تلك الليلة فغنمه الغز الا قليلا منه سلم معه ونجا سعدى من الوقعة بجريعة الذقن ونهب الغز

ذلك او اكثر او اقل ثم كذلك اوراق لبس القفطان ونحو ذلك وقد يتفق بعد ذلك جميعه انه يتولى خلافه ويستأنف العمل الى غير ذلك هذا وكتخدا بك مستمر فى سرحاته بالاقاليم وجمع الاموال والعسف والجور مرة بالمنوفية ومرة بالغربية ومرة بالشرقية ولا يقرر الا الاكياس من الشهريات والمغارم وحق الطرق والاستعجالات المترادفة مما لا يحيط بدفتر ولا كتاب (وفى ثامنه) توفى ابراهيم افندى كاتب البهارودترك ولدا صغيرا فقلدوا مملوكه حسنا فى منصبه وكيلا عن ولده (وفى هذه الايام) كثر تحرك العسكر والمناداة عليهم بالخروج الى نواحى طرا والجيزة وذلك بسبب ان بعض الالفية عدى الى ناحية الشرق واخذوا كلفا من البلاد وبعضهم وصل الى وردان بالبر الغربى (وفى عاشره) حضر جملة من الدلاتية وغيرهم من ناحية الشام فمنهم من حضر فى البحر على دمياط ومنهم من حضر فى البر وعدى طاهر باشا الذى كان مسافرا على جدة (وفيه ايضا) سافرت القافلة المتوجهة الى السويس وصحبتها نحو المائتين من العسكر وعليهم كبير من طرف طاهر باشا بدلا عنه ومسافر صحبتهم حسن افندى القاضى المنفصل ليكون

العسكرة و باجسرى والمارونية وقصر سابور و جميع تلك الاعمال ووصل الخبر الى بغداد بان ابراهيم ينال عازم على قصد بغداد فارتاع الناس واجتمع الامراء والقواد الى الامير أبي منصور ابن الملك ابي كاليجار ليجتمعوا و يسيروا اليه و يمنعوه واتفقوا على ذلك فلم يخرج غير خيم الامير أبي منصور والوزير وتفرق سير وتخلف الباقون وهلك من أهل تلك النواحي المنهوبة خلق كثير فمنهم من قتل ومنهم من غرق ومنهم من قتله البرد ووصل سعدى الى ديالى ثم سار منها الى أبي الاغر دبيس بن مزيد فاقام عنده ثم ان ابراهيم ينال سار الى السيروان فحصر القلعة وضيق على من بها وأرسل سرية فنهبت البلاد وانتهت الى مكان بينه و بين تكريت عشرة فراسخ ودخل بغداد من اهل طريق خراسان خلق كثير وذكروا من حالهم ما أبكى العيون ثم سلمها اليه مستحفظها بعد ان أمنه على نفسه وماله وأخذ منها ينال من بقايا ما خلفه سعدى شيئا كثيرا ولما فتحها استخلف فيها مقدما كبيرا من اصحابه يقال له سخت كمان وانصرف الى حلوان وعاد منها الى همذان ومعه بدر ومالك ابنا مهلهل فاكرمهما ثم ان صاحب قلعة سرماج توفي وهو من ولد بدر بن حسنويه وسلمت القلعة بعده الى ابراهيم ينال وسير ابراهيم ينال وزيره الى شهرزور فاخذها وملكها فهرب منه مهلهل فابعد في الهرب ثم نزل أحمد على قلعة تيرانشاه وحاصرها ونقب عليها عدة نقوب ثم ان مهلهلا راسل أهل شهرزور يعدهم بالمسير اليهم في جمع كثير ويامرهم بالوثوب بمن عندهم من الغز ففعلوا وقتلوا منهم وسمع أحمد بن طاهر فعاد اليهم واوقع بهم ونهبهم وقتل كثيرا منهم ثم ان الغز المقيمين بالبندنيجين ومن معهم ساروا الى براز الروز وتقدموا الى نهر السليل فاقتتلوا هم وابو دلف القاسم بن محمد الجاواني قتالا شديدا ظفر فيها أبو دلف وانهزم الغز واخذ ما معهم وسار في ذي الحجة جمع من الغز الى بلد علي بن القاسم الكردي فاغاروا وعاثوا فاخذ عليهم المضيق واوقع بهم وقتل كثيرا منهم وارتجع ما غنموه من بلده

(ذكر استيلاء ابي كاليجار على البطيحة)

في هذه السنة اشتد الحصار من عسكر الملك ابي كاليجار على ابي نصر بن الهيثم صاحب البطيحة فجنح الى الصلح فاشتط عليه أبو الغنائم ابن الوزير ذي السعادات ثم استامن نفر من اصحاب أبي نصر وملاحيه الى أبي الغنائم واخبروه بضعف ابي نصر وعزمه على الانتقال من مكانه فحفظ الطرق عليه فلما كان خامس صفر جرت وقعة كبيرة بين الفريقين واشتد القتال فظفر أبو الغنائم وقتل من البطائحيين جماعة كثيرة وغرق منهم سفن كثيرة وتفرقوا في الآجام ومضى ابن الهيثم ناجيا بنفسه في زبزب وملكت داره ونهب ما فيها

(ذكر ظهور الاصفر وامره)

في هذه السنة ظهر الاصفر التغلبي براس عين وادعى انه من المذكورين في الكتب واستغوى قوما بمخاريق وضعها وجمع جمعا وغزا نواحي الروم فظفر وغنم وعاد وظهر

حديثه

قاضيا بمكة حسب القانون (وفي خامس عشره) وصلت قوافل التجار من السويس فارسل محمد على وفتح الحواصل واراد اخذ بضائع التجار وفروق البن فانزعج التجار بوكائل الجمالية وغيرها وذلك بعد ان دفعوا عشورها ونولونها واجرها وما جعلوه عليها من المغارم السابقة وانحط الامر على المصالحة عن كل فرق خمسون ريالا ولم ينتطح في ذلك شاتان (وفي حادي عشرينه) حضر كتخدا بك الى مصر بعد ما جمع الاموال من الاقاليم وفعل ما فعله من الفرد والمظالم الخارجة عن الحد (وفي يوم الاربعاء خامس عشرينه) توفي عثمان افندي العباسي

(شهر ذي القعدة ١٢٢٠)

استهل بيوم الثلاثاء والاجتهاد حاصل بخروج العسكر للتجريدة في كل يوم ونصبوا عرضيهم ببر الجيزة وناحية طرا من ابتداء شعبان كما تقدم وفي كل يوم يخرجون طوائف و يعودون كذلك (وفي يوم الاربعاء تاسعه) حضر مصطفى اغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجي وعلى جاويش الفلاح الذين كانوا توجهوا الى قبلي لاجل الصلح وحضر صحبتهم نيف وثلاثون مركبا من السفار والمتسببين فيها غلال وادهان وجلود بقر وغير ذلك ولم يعلم حقيقة ما حصل

حديثه وقوى ناموسه وعاود الغزو في عدد أكثر من العدد الاول ودخل نواحي الروم فاوغل وغنم أضعاف ما غنمه أولا حتى بيعت الجارية الجميلة بالثمن البخس وتسامع الناس به فقصدوه وكثر جمعه واشتدت شوكته وثقلت على الروم وطأته فارسل ملك الروم الى نصر الدولة بن مروان يقول له انك عالم بما بيننا من الموادعة وقد فعل هذا الرجل هذه الافاعيل فان كنت قد رجعت عن المهادنة فعرفنا لندبر أمرنا بحسبه واتفق في ذلك الوقت أن وصل رسول من الاصفر الى نصر الدولة أيضا ينكر عليه ترك الغزو والميل الى الدعة فسمع ذلك أيضا واستدعى ثقة ومامن بني نمير وقال لهم ان هذا الرجل قد أثار الروم علينا ولا قدرة لنا عليهم وبذل لهم بذلا على الفتك به فساروا اليه فقربهم ولازموه فركب يوما غير متحرز فابعدوهم معه فعطفوا عليه واخذوه وحملوه الى نصر الدولة بن مروان فاعتقله وتلافى امر الروم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة تجددت الهدنة بين صاحب مصر وبين الروم وحمل كل واحد منهما لصاحبه هدية عظيمة وفيها كان ببغداد والموصل وسائر البلاد العراقية والجزرية غلاء عظيم حتى اكل الناس الميتة وتبعه وباء شديد مات فيه كثير من الناس حتى خلت الاسواق وزادت اثمان ما يحتاج اليه المرضى حتى بيع المن من الشراب بنصف دينار ومن اللوز بخمسة عشر قيراطا والرمانة بقيراطين والخيارة بقيراط واشباه ذلك وفيها جمع الامير ابو كاليجار فناخسرو بن مجد الدولة بن بويه جمعا وسار الى آمد فدخلها وساعده اهلها واوقع بمن كان فيها من اصحاب طغرلبك فقتل واسر وعرف طغرلبك ذلك فسار عن الري قاصدا اليه ومتوجها الى قتاله وفيها توفي عميد الدولة ابو سعد محمد ابن الحسين بن عبد الرحيم بجزيرة ابن عمر في ذي القعدة وله شعر حسن ووزر لجلال الدولة عدة دفعات وفيها سير المعز بن باديس صاحب افريقية اسطولا الى جزائر القسطنطينية فظفر وغنم وعاد وفيها اقتتلت طوائف من تلكاتة فقاتل بعضهم بعضا وكان بينهم حرب صبروا فيها فقتل منهم خلق كثير وفيها قبض الملك ابو كاليجار على وزيره محمد بن جعفر بن ابي الفرج الملقب بذي السعادات بن فسانجس وسجنه وهرب ولده ابو الغنائم وبقي الوزير مسجونا الى ان مات في شهر رمضان سنة اربعين وقيل ارسل اليه ابو كاليجار من قتله وعمره احدى وخمسون سنة والوزير ذي السعادات مكاتبات حسنة وشعر جيد منه

اودعكم واني ذو اكتئاب ❊ وارحل عنكم والقلب آبي
وان فراقكم في كل حال ❊ لأوجع من مفارقة الشباب
اسير وما ذممت لكم جوارا ❊ ولاملت منازلكم ركابي
واشكر كلما اوطنت دارا ❊ ليالينا القصار بلا اجتناب
واذكر كم اذا هبت جنوب ❊ فتذكر في غرارات التصابي
لكم مني المودة في اقتراب ❊ وانتم الف نفسي في اقترابي

(وفي يوم الجمعة) حادي عشره نودي على العسكر بالخروج من القشلة التركي والعربي والتحذير من التاخير (وفي يوم الاحد) رجع مصطفى اغا جوخدار ثانيا بحجاج من طريق البر (وفي يوم الاثنين رابع عشره) اخرجوا المحمل والكسوة وعين للسفر بهما من القلزم مصطفى جاويش العنقيلي ومعه صراف الصرة دفعوا له ربعها وثمنا وهذا لم يتفق نظيره (وفي يوم الثلاثاء خامس عشره) ورد نحو السبعين ططريا ومعهم البشارة لمحمد علي باشا بوصول الالواح الى رودس ووصل معهم ايضا مراسيم بمنصب الدفتردارية لاحمد افندي الملقب بمجدد وهو الذي كان وصل في العام الاول بالدفتردارية الى اسكندرية في ايام احمد باشا خورشيد وجانم افندي الدفتردار ومنعوه عنها وكتبوا في شانه عرضا للدولة بعدم قبوله وان اهل البلد راضون على جانم افندي فلما حصل ما حصل لخورشيد باشا وعزل من مصر وعزل ايضا جانم افندي حضر ايضا احمد افندي المذكور بمراسيم اخر وفيها الوكالة لسعيد اغا محدده له ونظر الخاصكية لحافظ سليمان واستمر من ذلك الوقت بمصر فوصل اليه الامر بتقليد الدفتردارية وكان حسين افندي الروزنامجي

وهواطول من هذا ولما قبض ذو السعادات استوزر أبو كاليجار كمال الملك أبا المعالى بن عبد الرحيم وفيها توفى أبو القاسم عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيوب المعروف بالمطرز الشاعر وله شعر جيد فمن قوله فى الزهد

ياعبد كم لك من ذنب ومعصية * ان كنت ناسيها فالله أحصاها
لابد ياعبد من يوم تقوم به * ووقفة لك يدمى القلب ذكراها
اذا عرضت على قلبى تذكرها * وساء ظنى فقلت استغفر الله

وفيها مات أبو الخطاب الجبلى الشاعر ومضى الى الشام ولقى المعرى وحاضره وله شعر منه قوله

ما حكم الحب فهو ممتثل * وما جناه الحبيب محتمل
تهوى وتشكو الضنا وكل هوى * لا ينحل الجسم فهو منتحل

وفيها توفى أبو محمد الحسن بن محمد بن الحسن الخلال الحافظ ومولده سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة سمع أبا بكر القطيعى وغيره ومن أصحابه الخطيب أبو بكر الحافظ وفيها قتل الفقيه أحمد الولوالجى وهو من أعيان الفقهاء الحنفية الا انه كان يكثر الوقيعة فى الأئمة والعلماء وسلك طريق الرياضة وفسد دماغه فقتل بين مرو وسرخس فى ذى الحجة

(ثم دخلت سنة أربعين وأربعمائة)

(ذكر رحيل عسكر ينال عن تيرانشاه وعود مهلهل الى شهرزور)

قد ذكرنا فى السنة المتقدمة استيلاء أحمد بن طاهر وزير ينال على شهرزور ومحاصرته قلعة تيرانشاه ولم يزل يحاصرها الى الآن فوقع فى عسكره الوباء وكثر الموت فأرسل الى صاحبه ينال يستمده ويطلب انجاده ويعرفه كثرة الوباء عنده فأمره بالرحيل عنها فسار الى مايدشت فلما سمع مهلهل ذلك سير أحد أولاده الى شهرزور فملكها وانزعج الغز الذين بالسيروان وخافوا ثم سار جمع من عسكر بغداد الى حلوان وحصروا قلعتها فلم يظفروا بها فنهبوا تلك الاعمال وأتوا على ما تخلف من الغز فخربت الاعمال بالكلية وسار مهلهل ومعه أهله وأمواله الى بغداد فأنزلهم بباب المراتب بدار الخلافة خوفا من الغز وعاد الى حاله وبينه وبين بغداد ستة فراسخ وسار جمع من عسكر بغداد الى البندنيجين وبها جمع من الغز مع عكبر بن أحمد بن عياض فتواقعوا واقتتلوا فانهزم عسكر بغداد وقتل منهم جماعة وأسر جماعة قتلوا أيضا صبرا

(ذكر غزو ابراهيم ينال الروم)

فى هذه السنة غزا ابراهيم ينال الروم فظفر بهم وغنم وكان سبب ذلك ان خلقا كثيرا من الغز مما وراء النهر قدموا عليه فقال لهم بلادى تضيق عن مقامكم والقيام بما تحتاجون اليه والرأى ان تمضوا الى غزو الروم وتجاهدوا فى سبيل الله وتغنموا وأنا سائر على اثركم ومساعد لكم على امركم ففعلوا وساروا بين يديه وتبعهم فوصلوا الى ملازكرد وأرزن الروم وقاليقلا وبلغوا طرابزون وتلك النواحى كلها ولقيهم عسكر

عظيم

هو المتقلد لذلك فلما كان يوم تديوان جمع سيد على صالح اغا قابجى باشا وسعيد اغا ونقيب الاشراف وبعض المشايخ وألبس احمد افندى خلعة الدفتردارية وشرطوا عليه انه لا يحدث حوادث كثيرة فان حصل منه شئ عزلوه وعرضوا فى شانه وقبل ذلك على نفسه (وفى يوم الجمعة ثامن عشره) ارتحلت القافلة وصحبتها الكسوة والصمل اواخر النهار من ناحية قايتباى بالصحراء وذهبوا الى جهة السويس ليسافروا من القلزم (وفيه) وصلت الاخبار بان بونابارته كبير الفرنسيس ركب فى جمع كبير واغار على بلاد النمساويه وحاربهم حربا عظيما وظهر عليهم وملك تختهم وقلاعهم وطلب ملكهم بعدما هرب من حصونه فاعاده لمملكته بعدما شرط عليه شروطه وملك غير ذلك من القرانات والحصون ثم سار الى بلاد الموسقو ووقع بينه وبينهم هدنة على ثلاثة اشهر (وفى يوم الاربعاء ثالث عشرينه) خرج حسن باشا طاهر الى ناحية مصر القديمة (وفى يوم السبت سادس عشرينه) حضر مبشرون بحصول مقتلة عظيمة وانهم اخذوا من الاخصام جملة عسكر اسرى ورؤس فضربوا مدافع لذلك واظهروا السرور (وفى يوم الاحد) وصلت الرؤس

عظيم للروم والابخاز يبلغون خمسين الفا فاقتتلوا واشتد القتال بينهم وكانت بينهم عدة وقائع تارة يظفر هؤلاء وتارة هؤلاء وكان آخر الامر الظفر للمسلمين فاكثروا القتل في الروم وهزموهم وأسروا جماعة كثيرة من بطارقتهم وممن أسر قاريط ملك الابخاز فبذل في نفسه ثلثمائة ألف دينار وهدايا بمائة ألف فلم يجبه الى ذلك ولم يزل يجوس تلك البلاد وينهبها الى ان بقي بينه وبين القسطنطينية خمسة عشر يوما واستولى المسلمون على تلك النواحي فنهبوها وغنموا ما فيها وسبوا أكثر من مائة ألف رأس وأخذوا من الدواب والبغال والغنائم والاموال ما لا يقع عليه الاحصاء وقيل ان الغنائم حملت على عشرة آلاف عجلة وان في جملة الغنيمة تسعة عشر ألف درع وكان قد دخل بلاد الروم جمع من الغز يقدمهم انسان نسيب طغرلبك فلم يؤثر كبير أثر وقتل من أصحابه جماعة وعاد ودخل بعده ابراهيم ينال ففعل هذا الذي ذكرناه

(ذكر موت الملك ابي كاليجار وملك ابنه الملك الرحيم)

في هذه السنة توفي الملك أبو كاليجار المرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه رابع جمادى الاولى بمدينة جناب من كرمان وكان سبب مسيره اليها انه كان قد ولي ولاية كرمان حرباوخراباعلي بهرام بن لشكرستان الديلمي وقرر عليه مالا فتراخى بهرام في تحرير الامر واخلد الى المغالطة والمدافعة فشرع حينئذ أبو كاليجار في اعمال الحيلة عليه واخذ قلعة بردسير من يده وهي معقله الذي يحتمي به ويعول عليه فراسل بعض من بها من الاجناد وأفسدهم فعلم بهم بهرام فقتلهم وزاد نفوره واستشعاره وأظهر ذلك فسار اليه الملك أبو كاليجار في ربيع الآخر فبلغ قصر مجاشع فوجد في حلقه خشونة لم يبال بها وشرب وتصيدوا كل من كبد غزال مشوي واشتدت علته ولحقه حمى وضعف عن الركوب ولم يمكنه المقام لعدم الميرة بذلك المنزل فحمل في محفة على اعناق الرجال الى مدينة جناب فتوفي بها وكان عمره أربعين سنة وشهورا وكان ملكه بالعراق بعد وفاة جلال الدولة أربع سنين وشهرين ونيفا وعشرين يوما ولما توفي نهب الاتراك من العسكر الخزائن والسلاح والدواب وانتقل ولده أبو منصور فلاستون الى مخيم الوزير أبي منصور وكانت منفردة عن العسكر فاقام عنده وأراد الاتراك نهب الوزير والامير فمنعهم الديلم وعادوا الى شيراز فملكها الامير أبو منصور واستتر الوزير فصعد الى قلعة خرمة فامتنع بها فلما وصل خبر وفاته الى بغداد وبها ولده الملك الرحيم أبو نصر خره فيروز أحضر الاجناد واستحلفهم وراسل الخليفة القائم بامر الله في معنى الخطبة له وتلقيبه بالملك الرحيم وترددت الرسل بينهما في ذلك الى ان أجيب الى ملتمسه سوى الملك الرحيم فان الخليفة امتنع من اجابته وقال لا يجوز أن يلقب باخص صفات الله تعالى واستقر ملكه بالعراق وخوزستان والبصرة وكان بالبصرة أخوه أبو علي بن أبي كاليجار وخاف أبو كاليجار من الاولاد الملك الرحيم والامير أبا منصور فلاستون وأبا طالب كامرو وأبا المظفر بهرام وأبا علي كيخسرو وأبا سعد خسرو

والاسرى وهي احدى وعشرون رأسا وذراع مقطع وسبعة عشر أسيرا ليس فيهم من يعرف ولا من جنس الاجناد وغالبهم فلاحون فاعطى محمد علي لكل أسير نصف دينار وأطلقهم ووضعوا الرؤس والذراع عند باب زويلة (وفيه) وصلت القافلة من السويس ووصل أيضا صحبتهم جنرال من الانكليز راكب في تخت وحملته ومتاعه على نحو سبعين جملا فذهب عند قنصلهم فلما كان يوم الاربعاء ثانيه ركب في التخت وذهب عند محمد علي بالازبكية فتلقاه وعمل له شنكا ومدافع وقدم له هدية وتقادم ثم رجع الى مكانه

(شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٢٢٠)

استهل بيوم الخميس (فيه) حضر مصطفى اغا الوكيل وعلي كاشف الصابونجي من الجهة القبلية وقد تقدم انهما ذهبا وعادا ثم رجعا ثانيا على الهجن لتقرير الصلح ثم رجعا ولم يظهر أثر لذلك الصلح وحكى الناس عنهما أن المذكورين لما ذهبا الى اسيوط وجدا ابراهيم بك قد انتقل الى ناحية طهطا واجتمعا بعثمان بك حسن والبرديسي فلم يرضيا بالتوجيه الذي وجهه اليهم وهو من حدود جرجا وقالوا لا يكفينا الا من حدود المنية فان

شاه وثلاثة بنين اصاغر فاستولى ابنه ابو منصور على شيراز فسير اليه الملك الرحيم أخاه اباسعد فى عسكر فملكوا شيراز وخطبوا للملك الرحيم وقبضوا على الامير أبى منصور ووالدته وكان ذلك فى شوال

(ذكر محاصرة العساكر المصرية مدينة حلب)

فى جمادى الآخرة وصلت عساكر مصر الى حلب فى جمع كثير فحصروها وبها معز الدولة أبو علوان ثمال بن صالح الكلابى فجمع جمعا كثيرا بلغوا خمسة آلاف فارس وراجل فلما نزلوا على حلب خرج اليهم ثمال وقاتلهم قتالا شديدا اصبر فيه لهم الى الليل ثم دخل البلد فلما كان الغد اقتتلوا الى آخر النهار وصبر أيضا ثمال وكذلك أيضا اليوم الثالث فلما رأى المصريون صبر ثمال وكانوا ظنوا ان أحدا لا يقوم بين أيديهم رحلوا عن البلد فاتفق ان تلك الليلة جاء مطر عظيم لم ير الناس مثله فجاءت المدود الى منزلهم فبلغ الماء ما يقارب قامتين ولو لم يرحلوا لغرقوا ثم رحلوا الى الشام الاعلى

(ذكر الخلف بين قرواش والاكراد الحميدية والهذبانية)

فى هذه السنة اختلف قرواش والاكراد الحميدية والهذبانية وكان للحميدية عدة حصون تجاور الموصل منها العقر وماقاربها وللهذبانية قلعة اربل واعمالها وكان صاحب العقر حينئذ أبا الحسن بن عيسكان الحميدى وصاحب اربل أبو الحسن بن موسك الهذبانى وله أخ اسمه أبو على بن موسك فاعانه الحميدى على أخذ اربل من أخيه أبى الحسن فملكها منه وأخذ صاحبها أبا الحسن أسيرا وكان قرواش وأخوه زعيم الدولة أبو كامل بالعراق مشغولين فلما عادا الى الموصل وقد سخطا هذه الحالة لم يظهراها وارسل قرواش يطلب من الحميدى والهذبانى نجدة له على نصر الدولة بن مروان فاما أبو الحسن الحميدى فسار اليه بنفسه وأما أبو على الهذبانى فارسل أخاه واصطلح قرواش ونصر الدولة وقبض على أبى الحسن الحميدى ثم صانعه على اطلاق أبى الحسن الهذبانى الذى كان صاحب اربل وأخذ اربل من أخيه أبى على وتسليمها اليه فان امتنع أبو على كان عونا عليه فاجاب الى ذلك ورهن عليه أهله وأولاده وثلاث قلاع من حصونه الى ان يتسلم اربل واطلق من الحبس وكان اخ له قد استولى على قلاعه فخرج اليها وأخذها منه وعاد الى قرواش واخيه زعيم الدولة فوثقا به واطلقا أهله ثم انه راسل أبا على صاحب اربل فى تسليمها فاجاب الى ذلك وحضر بالموصل ليسلم اربل الى أخيه أبى الحسن فقال الحميدى لقرواش واخيه انى قد وفيت بعهدى فتسلمان الى حصونى فسلما اليه قلاعه وسار هو وأبو الحسن وأبو على الهذبانى الى اربل ليسلماها الى أبى الحسن فغدرا به فى الطريق وكان قد احس بالشر فتخلف عنهما وسير معهما اصحابه ليتسلموا اربل فقبضا على اصحابه وطلبوه ليقبضوه فهرب الى الموصل وتأكدت الوحشة حينئذ بين الاكراد وقرواش وأخيه وتقاطعوا واضمر كل منهم الشر لصاحبه

(ذكر عدة حوادث)

فى

القرنشاوية كانوا اعطوا حكم البلاد القبلية من حدود المنيشلراد بلشبعة رده فكيف انه يكفينا نحن الجميع من سوجا وشرطوا أيضا انه ان استقر الصلح على مطلوبهم لابد من اخلاء الاقليم من هذه العساكر الذين لا يحصل منهم الا الضرر والخراب والدمار والفساد ولا يبقى الباشا منهم الا مقدار ألفى عسكرى وقالوا انه أيضا اذا لم يعطنا مطلوبنا فهو لا يستغنى عن أناس من العسكر يقيمون بالبلاد التى يحصل علينا بها فنحن أولى له وأحسن منهم ونقوم بما على البلاد من المال والغلال وعند ذلك يحصل الامن وتسير المسافرون فى المراكب وترد المتاجر والغلال ويحصل لذاوله الراحة وأما اذا استمر الحال على هذا المنوال فانه لم يزل متعبا من كثرة العسكر ونفقاتهم وكذلك سائر البلاد على انه ان لم يرض بذلك فهاهى البلاد بايدينا والامر مستمر معنا ومعهم على التعب والنصب (وفى رابعه) ورد الخبر بان جماعة من كبار العسكر وفيهم سليمان أغا الارنودى الذى تولى كشوفية منفلوط ومعهم عدة وافرة من العسكر عدوا من المنية الى البر الشرقى بالمطاهرة بسبب ما عندهم من القحط وعدم الاقوات لاحاطة المصريين بهم فلما دخلوا الى

في هذه السنة سار الملك الرحيم من بغداد الى خوزستان فلقيه من بها من الجند واطاعوه وفيهم كرشاسف بن علاء الدولة الذي كان صاحب همذان وكنكور فانه كان انتقل الى الملك ابي كاليجار بعد ان استولى ينال على اعماله ولما مات ابو كاليجار سار الملك العزيز ابن الملك جلال الدولة الى البصرة طمعا في ملكها فلقيه من بها من الجند وقاتلوه وهزموه فعاد عنها وكان قبل ذلك عند قرواش ثم عند ينال ولما اجتمع باستقامة الامور للملك الرحيم انقطع أمله ولما سار الملك الرحيم عن بغداد كثرت الفتن بها ودامت بين اهل باب الازج والاساكفة وهم السنية فاحرقوا عقارا كثيرا وفيها سار سعدي بن ابي الشوك من حلة دبيس بن مزيد الى ابراهيم ينال بعد ان راسله وتوثق منه وتقرر بينهما انه كل ما يملكه سعدى مما ليس بيد ينال ونوابه فهو له فسار سعدى الى الدسكرة وجرى بينه وبين من بها من عسكر بغداد حرب انهزم وامنه وملكها وما يليها فسير اليها عسكران من بغداد فقتل مقدمهم وهزمهم وسار من الدسكرة وتوسط تلك الاعمال بالقرب من بعقوبا ونهب اصحابه البلاد وخطب لابراهيم ينال وفيها كان ابتداء الوحشة بين معتمد الدولة قرواش بن المقلد بين اخيه زعيم الدولة ابي كامل ابن المقلد فانضاف قريش بن بدران بن المقلد الى عمه قرواش وجمع جمعا وقاتل عمه ابا كامل فظفر ونصر وانهزم ابو كامل ولم يزل قريش يغري قرواشا باخيه حتى تأكدت الوحشة وتفاقم الشر بينهما وفيها خطب للامير ابي العباس محمد بن القائم بامر الله بولاية العهد ولقب ذخيرة الدين وولي عهد المسلمين وفيها في رمضان قتل الامير قسنقر بهمذان قتله الباطنية لانه كان كثير الغزو اليهم والقتل فيهم والنهب لاموالهم والتخريب لبلادهم فلما كان الآن قصد انسانا من الزهاد ليزوره فوثب عليه جماعة من الاسماعيلية فقتلوه وفيها توفي ابو الحسن محمد بن الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله وكان من الصالحين ورواة الحديث واوصى ان يدفن بجوار احمد بن حنبل ومولده سنة ثلاث واربعين وثلاثمائة وابو طالب محمد بن محمد بن غيلان البزاز ومولده سنة سبع واربعين وثلاثمائة روى عن ابي بكر الشافعي وغيره وتوفي في شوال وهو راوي الاحاديث المعروفة بالغيلانيات التي خرجها الدارقطني له وهي من اعلى الحديث واحسنه وعبيد الله بن عمر بن احمد بن عثمان ابو القاسم الواعظ المعروف بابن شاهين ومولده سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وفيها كان الغلاء والوباء عاما في البلاد جميعها بمكة والعراق والموصل والجزيرة والشام ومصر وغيرها من البلاد وفيها قبض بمصر على الوزير فخر الملك صدقة بن يوسف وقتل وكان اولا امره يهوديا فاسلم واتصل بالدزبري وخدمه بالشام ثم خافه فعاد الى مصر وخدم الجرجرائي الوزير ونفق عليه فلما توفي الجرجرائي استوزره المستنصر الى الآن ثم قتله واستوزر القاضي ابا محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري في ذي القعدة

(ثم دخلت سنة احدى واربعين واربعمائة)

(ذكر ظهور الخلاف بين قرواش واخيه ابي كامل وصلحهما)

بلدة الطاهرة وملكوها ووصل اليهم بعض الامراء والاجناد المصرية واحاطوا بهم وحاربوهم اياما حتى ظهروا عليهم وقتلوا منهم وهرب من هرب وهو القليل واسروا الباقي وفيهم سليمان أغا المذكور فالتجأ الى بعض الاجناد فحماه من القتل وقابل به كبار الامراء فانعموا عليه بكسوة ودراهم وسلاح واقام معهم اياما ثم استأذنهم للعود وحضر الى مصر وجلس بداره (وفيه) ورد الخبر ايضا بموت الامير شتلك بك المعروف بالالفي الصغير مبطونا (وفيه) ايضا حضر حجاج الخضري الرميلاتي الى مصر وقد كان خرج من مصر بعد حادثة خورشيد باشا خوفا من العسكر وذهب الى بلده بالمنوات ثم ذهب عند الالفي واقام في معسكره الى هذا الوقت ثم ان الالفي طرده لنكتة حصلت منه فرجع الى بلده وارسل الى السيد عمر فكتب له أمانا من الباشا فحضر بذلك الامان وقابل الباشا وخلع عليه ونادوا له في خطته باقيه على ما هو عليه في حرفته وصناعته ووجاهته بين اقرانه فصار يمشي في المدينة وصحبته عسكري ملازم له (وفي يوم الجمعة تاسعه) كان يوم الوقوف بعرفة وفي ذلك اليوم ركب محمد علي بالابهة الكاملة وصلى الجمعة بالمشهد الحسيني ولم

فى هذه السنة ظهر الخلف بين معتمد الدولة قرواش و بين اخيه زعيم الدولة ابى كامل
ظهورا آل الى الحاربة وقد تقدم سبب ذلك فلما اشتد الامر وفسد الحال فسادا لا يمكن
اصلاحه جمع كل منهما جمعا لمحاربة صاحبه وسار قرواش فى المحرم وعبر دجلة بنواحى
بلد وجاءه سليمان بن نصر الدولة بن مروان وابو الحسن بن عيسكان الحميدى وغيرهما
من الاكراد وساروا الى معلثايا فاخربوا المدينة ونهبوها ونزلوا بالمغيثة وجاء ابو
كامل فيمن معه من العرب وآل المسيب فنزلوا بمرج بابنيثا و بين الطائفتين نحو فرسخ
واقتتلوا يوم السبت ثانى عشر المحرم وافترقوا من غير ظفر ثم اقتتلوا يوم الاحد كذلك
ولم يلابس الحرب سليمان بن مروان بل كان ناحية ووافقه أبو الحسن الحميدى وساروا
عن قرواش وفارقه جمع من العرب وقصدوا أخاه فضعف أمر قرواش و بقى فى حلته
وليس معه الا نفر يسير فركبت العرب من اصحاب أبى كامل لقصده فمنعهم واسفر
الصبح يوم الاثنين وقد اسرع بعضهم ونهب بعضا من عرب قرواش وجاء ابو كامل الى
قرواش واجتمع به ونقله الى حلته واحسن عشرته ثم أنفذه الى الموصل محجورا عليه
وجعل معه بعض زوجته فى دار وكان مما افت فى عضد قرواش وأضعف نفسه أنه كان
قد قبض على قوم من الصيادين بالانبار لسوء طريقتهم وفسادهم فهرب الباقون منهم
و بقى بعضهم بالسندية فلما كان الآن سار جماعة منهم الى الانبار وتسلقوا السور
ليلة خامس المحرم من هذه السنة وقتلوا حارسا وفتحوا الباب ونادوا بشعار أبى كامل
فانضاف اليهم اهلوهم واصدقاؤهم ومن له هوى فى أبى كامل فكثروا وثار بهم اصحاب
قرواش فاقتتلوا فظفروا وقتلوا من أصحاب معتمد الدولة قرواش جماعة وهرب الباقون
فبلغه خبر استيلاء أخيه ولم يبلغه عود أصحابه ثم ان المسيب وامراء العرب كافوا أبا
كامل ما عجز عنه واشتطوا عليه فخاف ان يؤول الامر بهم الى طاعة قرواش واعادته
الى مملكته فبادرهم اليه وقبل يده وقال له انى وان كنت أخاك فانى عبدك وما جرى
هذا الا بسبب من افسد رأيك فى واشعرك الوحشة منى والآن فانت الامير وانا الطائع
لامرك والتابع لك فقال له قرواش بل أنت الاخ والامر لك مسلم وأنت أقوم به منى
وصلح الحال بينهما وعاد قرواش الى التصرف على حكم اختياره وكان ابو كامل قد اقطع
بلال بن غريب بن مقن حربى وأوانا فلما اصطلح ابو كامل وقرواش ارسلا الى حربى
من منع بلالا عنها فتظاهر بلال بالخلاف عليهما وجمع الى نفسه جمعا وقاتل اصحاب
قرواش واخذ حربى واوانا بغير اختيارهما فانحدر قرواش من الموصل اليها وحصرها
واخذها

(ذكر مسير الملك الرحيم الى شيراز وعوده عنها)

فى هذه السنة فى المحرم سار الملك الرحيم من الاهواز الى بلاد فارس فوصلها وخرج عسكر
شيراز الى خدمته ونزل بالقرب من شيراز ليدخل البلد ثم ان الاتراك الشيرازيين
والبغداديين اختلفوا وجرى بينهم مناوشة استظهر فيها البغداديون وعادوا الى العراق
فاضطر الملك الرحيم الى المسير معهم لانه لم يكن يثق الى الاتراك الشيرازية وكان ديلم

بلاد

كب من وقت ولايته بالمينة الاقى هذا اليوم وفى عصر ثالث
له ضر بواعدة مدافع من
لعة اعلاما بالعيد وكذلك
صبحها وفى كل وقت من
وقات الخمسة مدة ايام
تشريق (وفى رابع عشره)
ضر جاهين بك الالفى ومعه
والف من العربان الى
بر الجيزة واخذوا الكلف
غناما من البلاد ودراهم
شيخ بذلك وامروا بخروج
عساكر اليهم وركب محمد
باشا فى يوم الخميس وخرج
ناحية بولاق وانزلوا من
قلعة جبخانه ومدافع
غفقوا يخطفون الحمير من
سواق ان وجدوها وعدى
طائفة من العساكر الخيالة
بر الجيزة وعدى طاهر
شا الى برانبابة وصحبته
عساكر كثيرة وازعجوا اهل
قريه واخرجوهم من دورهم
سكنوا بها واطلقوا بهائم
خيولهم على المزارع فاكلوها
جميعها ولم يبقوا منها ولا
عودا أخضر فى ايام قليلة
فيه) اختفى حاج الخضرى
ضا بسبب ما داخله من
وهم والخوف من العسكر
فى عشرينه) شرع عساكر
حسن باشا فى التعدية من
دية معادى الخبيرى الى
بر الآخر (وفى يوم الاحد
مس عشرينه) عدى حسن
شا ايضا (وفى يوم الاثنين)
دى فى الاسواق على العساكر الذين لم يكونوا فى قوائم العسكر

بلاد فارس قد مالوا الى اخيه فولاستون وهو بقلعة اصطخر فهو ايضا عدو غرم فاضطر الى صحبة البغداديين فعاد في ربيع الاول من هذه السنة الى الاهواز وأقام بها واستخلف بارجان اخويه ابا سعد وابا طالب ووقع الخلف بفارس فان الامير ابا منصور فولاستون كان قد خلص وصار بقلعة اصطخر واجتمع معه جماعة من أعيان العسكر الفارسي فلما عاد الملك الرحيم الى الاهواز انبسط في البلاد وقصده كثير من العساكر واستولى على بلاد فارس ثم سار الى ارجان عازما على قصد الاهواز واخذها

(ذكر الحرب بين البساسيري وبني عقيل)

في هذه السنة سار جمع من بني عقيل الى بلد العجم من أعمال العراق وبادوريا فنهبوهما وأخذوا من الاموال الكثير وكانا في أقطاع البساسيري فسار من بغداد بعد عوده من فارس اليهم فالتقواهم وزعيم الدولة أبو كامل بن المقلد واقتتلوا قتالا شديدا ابلى الفريقان فيه بلاء حسنا وصبرا صبرا جميلا وقتل جماعة من الفريقين

(ذكر الوحشة بين طغرلبك وأخيه ابراهيم ينال)

في هذه السنة استوحش ابراهيم ينال من أخيه السلطان طغرلبك وكان سبب ذلك ان طغرلبك طلب من ابراهيم ينال ان يسلم اليه مدينة همذان والقلاع التي بيده من بلد الجبل فامتنع من ذلك واتهم وزيره أباعلي بالسعي بينهما في الفساد فقبض عليه وأمر به فضرب بين يديه وسمل احدى عينيه وقطع شفتيه وسار عن طغرلبك وجمع جمعا من عسكره والتقيا وكان بين العسكرين قتال شديد فانهزم ينال وعاد منهزما فسار طغرلبك في اثره فملك قلاعه وبلاده جميعها وتحصن ابراهيم ينال بقلعة سرماج وامتنع على أخيه فحصره طغرلبك فيها وكانت عساكره قد بلغت مائة ألف من أنواع العسكر وقاتله فملكها في أربعة أيام وهي من أحصن القلاع وأمنعها واستنزل ينال منها مقهورا وأرسل الى نصر الدولة بن مروان يطلب منه اقامة الخطبة له في بلاده فأطاعه وخطب له في سائر ديار بكر وراسل ملك الروم طغرلبك وأرسل اليه هدية عظيمة وطلب منه المعاهدة فأجابه الى ذلك وأرسل ملك الروم الى ابن مروان يسأله أن يسعى في فداء ملك الابخاز المقدم ذكره فارسل نصر الدولة شيخ الاسلام أباعبد الله بن مروان في المعنى الى السلطان طغرلبك فأطلقه بغير فداء فعظم ذلك عنده وعند ملك الروم وأرسل عوضه من الهدايا شيئا كثيرا وعمر واصبحد القسطنطينية وأقام وافيه الصلاة والخطبة لطغرلبك ودان حينئذ الناس كلهم له وعظم شأنه وتمكن ملكه وثبت ولما نزل ينال الى طغرلبك أكرمه وأحسن اليه ورد عليه كثيرا مما أخذ منه وخيره بين أن يقطعه بلادا يسير اليها وبين أن يقيم معه فاختار المقام معه

(ذكر الحرب بين دبيس بن مزيد وعسكر واسط)

في هذه السنة كانت حروب شديدة بين نور الدولة دبيس بن مزيد وبين الاتراك الواسطيين وسبب ذلك ان الملك الرحيم أقطع نور الدولة حماية نهر الصلة ونهر الفضل وهما من

بلادهم ومن وجد منهم بعد ثلاثة ايام قتل وكذلك كتبوا فرمانات وارسلوها الى البلاد بمعنى ذلك ومن كان من اهل البلد او المغاربة او الاتراك بصورة العسكر ومتزيا بزيهم فلينزع ذلك وليرجع الى زيه الاول (وفيه) ايضا نودي على المعاملة الناقصة لا تنقص الا بنقص ميزانها لان المعاملة فحش نقصها جدا وخصوصا الذهب البندقي الذي كان احسن اصناف العملة في الوزن والعيار والجودة فان العسكر تسلطوا عليه بالقص فيقصون من الشخص الواحد مقدار الربع او اكثر او اقل ويدفعونه في المشتروات ولا يقدر المتسبب على رده او طلب ارش نقصه وكذلك الصيرفي لا يقدر على رده او وزنه وقتل بذلك قتلى كثيرة واغلق الصيارف حوانيتهم وامتنعوا من الوزن خوفا من شرهم وكذلك نودي على التعامل في بيع البن بالريال المعاملة وهو تسعون نصفا وقد كان الاصطلاح في بيع البن بالفرانسة فقط وبلغ صرف الفرانسة مائة وثمانين نصفا ضعف الاول وعز وجوده لرغبة الناس فيه لسلامته من الغش والنقص لان جميع معاملة الكفار

٣ قوله السير هكذا في نسخ وفي بعض النسخ القبسيز ولم نقف بعد المراجعة عليها كذا بهامش النسخة المطبوعة

أقطاع الواسطيين فسار اليها وولبها أجمع عسكر واسط فلك فتحفظوا واجتمعوا وساروا الى نور الدولة ليقاتلوه ويدفعوه عنها وأرسلوا اليه يتهددونه فأعاد الجواب يقول ان الملك أقطعني هذا فترسل اليه أما وأنتم فباي شئ أمر رضينا به فسبوه وساروا المجدين اليه فأرسل الى طريقهم طائفة من عسكره فلقوهم وكمن لهم فلما التقوا استجرهم العرب الى ان جاوزوا الكمين وخرج عليهم الكمين فأوقعوا بهم وقتلوا منهم جماعة كثيرة وأسروا كثيرا وجرح مثلهم وتمت الهزيمة على الواسطيين وغنم نور الدولة أموالهم ودوابهم وساروا الى واسط فنزلوا بالقرب منها وأرسل الواسطيون الى بغداد يستنجدون جندها ويبذلون للبساسيري ان يدفع عنهم نور الدولة ويأخذ نهر الصلة ونهر الفضل لنفسه

(ذكر وفاة مودود بن مسعود وملك عمه عبد الرشيد)

في هذه السنة في العشرين من رجب توفي أبو الفتح مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وعمره تسع وعشرون سنة وملكه تسع سنين وعشرة أشهر وكان موته بغزنة وكان قد كاتب أصحاب الاطراف في سائر البلاد ودعاهم الى نصرته وامداده بالعساكر وبذل لهم الاموال الكثيرة وتقويض أعمال خراسان ونواحيها اليهم على قدر مراتبهم فاجابوا الى ذلك فمنهم أبو كاليجار صاحب أصبهان فانه جمع عساكره وسار في المفازة فهلك كثير من عسكره ومرض وعاد ومنهم خاقان ملك الترك فانه سار الى ترمذ ونهب وخرب وصادر أهل تلك الاعمال وسارت طائفة أخرى مما وراء النهر الى خوارزم وسار مودود من غزنة فلم يسر غير مرحلة واحدة حتى عارضه قولنج اشتد عليه فعاد الى غزنة مريضا وسير وزيره أبا الفتح عبد الرزاق بن احمد الميمندي الى سجستان في جيش كثيف لاخذها من الغز واشتدت العلة بمودود فتوفي وقام في الملك بعده ولده فبقي خمسة ايام ثم عدل الناس عنه الى عمه علي بن مسعود وكان مودود لما ملك قبض على عمه عبد الرشيد بن محمود وسجنه في قلعة ميدين بطريق بست فلما توفي كان وزيره قد قارب هذه القلعة فنزل عبد الرشيد الى العسكر ودعاهم الى طاعته فاجابوه وعادوا معه الى غزنة فلما قاربها هرب عنها علي بن مسعود وملك عبد الرشيد واستقر الامر له ولقب شمس دين الله سيف الدولة وقيل جمال الدولة ودفع الله شر مودود عن داود وهذه السعادة التي تقتل الاعداء بغير سلاح ولا اجناد

(ذكر استيلاء البساسيري على الانبار)

في هذه السنة ايضا في ذي القعدة ملك البساسيري الانبار ودخلها اصحابه وكان سبب ملكها ان قرواشا اساء السيرة في اهلها ومديده الى اموالهم فسار جماعة من اهلها الى البساسيري ببغداد وسالوه ان ينفذ معهم عسكرا يسلمون اليه الانبار فاجابهم الى ذلك وسير معهم جيشا فتسلموا الانبار ولحقهم البساسيري وأحسن الى اهلها وعدل فيهم ولم يمكن احدا من اصحابه ان يأخذ الرطل الخبز بغير ثمنه واقام فيها الى ان اصلح حالها وقرر

سالمة من الغش والنقص بخلاف معاملات المسلمين فان الغالب على جميعها الزيف والخلط والغش والنقص فلما انطبعوا على ذلك ونظروا الى معاملات الكفار وسلامتها تسلطوا عليها بالقطع والتنقيص والتقصيص تتميما للغش والخسران والانحراف عن جميع الاديان وقال صلى الله عليه وسلم الدين المعاملة ومن غشنا فليس منا فيأخذون الريالات الفرانسه الى دار الضرب ويسبكونها ويزيدون عليها ثلاثة ارباعها نحاسا ويضربونها قروشا يتعاملون بها ثم ينكشف حالها في مدة يسيرة وتصير نحاسا احمر من اقبح المعاملات شكلا ووضعا لا فرق بينها وبين الفلوس النحاس التي كانت تصرف بالارطال في الدول المصرية السابقة في الكم والكيف بل تلك اجل من هذه في الشكل وقد شاهدنا كثيرا منها وعليها أسماء الملوك المتقدمين ووزن الواحد منها نصف أوقية وكان الدرهم المتعامل به اذ ذاك من الفضة الخالصة على وزن الدرهم الشرعي ستة عشر قيراطا ويصرف بثلاثة ارطال من الفلوس النحاس فيكون صرف الدرهم الواحد اثنين وسبعين فلسا تستعمل في جميع المشتروات والمرتبات والعالم

قواعدها وعاد الى بغداد

ذكر انهزام الملك الرحيم من عسكر فارس

في هذه السنة عاد الملك الرحيم من الاهواز الى رامهرمز في ذي القعدة فلما وصل الى وادي الملح لقيه عسكر فارس واقتتلوا قتالا شديدا فغدر بالملك الرحيم بعض عسكره وانهزم هو وجميع العسكر ووصل الى بصنى ومعه اخواه ابو سعد وابو طالب وسار منها الى واسط وسار عسكر فارس الى الاهواز فملكوها وخيموا بظاهرها

ذكر عدة حوادث

وفيها وصل عسكر من مصر الى حلب وبها صاحبها ثمال بن صالح بن مرداس فخافهم لكثرتهم فانصرف عنها فملكها المصريون وفيها في ذي القعدة ارتفعت سحابة سوداء مظلمة ليلا فزادت ظلمتها على ظلمة الليل وظهر في جوانب السماء كالنار المضطرمة وهبت معها ريح شديدة قلعت رواشن دار الخليفة وشاهد الناس من ذلك ما ازعجهم وخوفهم فلزموا الدعاء والتضرع فانكشفت في باقي الليل وفيها في شعبان سار البساسيري من بغداد الى طريق خراسان وقصد ناحية الدزدار وملكها وغنم ما فيها وكان سعدي بن أبي الشوك قد ملكها وقد عمل لها سورا وحصنها وجعلها معقلا يتحصن فيه ويدخر بها كل ما يغنمه فاخذه البساسيري جميعه وفيها منع أهل الكرخ من النوح وفعل ما جرت عادتهم بفعله يوم عاشوراء فلم يقبلوا وفعلوا ذلك فجرى بينهم وبين السنية فتنة عظيمة قتل فيها وجرح كثير من الناس ولم ينفصل الشر بينهم حتى عبر الاتراك وضربوا خيامهم عندهم فكفوا حينئذ ثم شرع أهل الكرخ في بناء سور على الكرخ فلما رآهم السنية من القلائين ومن يجري مجراهم شرعوا في بناء سور على سوق القلائين واخرج الطائفتان في العمارة مالا جليلا وجرت بينهما فتن كثيرة وبطلت الاسواق وزاد الشر حتى انتقل كثير من الجانب الغربي الى الجانب الشرقي فاقاموا به وتقدم الخليفة الى أبي محمد بن النسوي بالعبور واصلاح الحال وكف الشر فسمع أهل الجانب الغربي ذلك فاجتمع السنية والشيعة على المنع منه وأذنوا في القلائين وغيرها بحي على خير العمل وأذنوا في الكرخ الصلاة خير من النوم واظهروا الترحم على الصحابة فبطل عبوره وفيها توفي أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله الصوري الحافظ كان اماما صحب عبد الغني بن سعيد وتخرج به ومن تلامذته الخطيب أبو بكر وفيها توفي الملك العزيز أبو منصور بن جلال الدولة وقد ذكرنا تنقل الاحوال به فيما تقدم وله شعر حسن وفيها توفي احمد بن محمد بن احمد ابو الحسن العتيقي نسب الى جد له يسمى عتيقا ومولده سنة سبع وستين وثلثمائة وفيها توفي ابو القاسم عبد الوهاب ابن أقضى القضاة ابي الحسن الماوردي وكانت شهادته سنة احدى وثلاثين وأربعمائة وقبلها القاضي في بيت النوبة ولم يفعل ذلك مع غيره وانما فعل معه هذا احتراما لابيه

واللوازم البيوت والجزئيات والمحقرات فلما زالت الدولة القلاوونية وظهرت دولة الجراكسة واستقر الملك المؤيد شيخ في سلطنة مصر وبدا الاختلال اختصر الدرهم المتعامل به وجعله نصف درهم وهو ثمانية قراريط وسمي نصف مؤيدي ولم تزل تتناقص حتى صارت في آخر الدولة الجركسية اقل من ربع الدرهم واختل أمر الفلوس النحاس والمرتبات والوظائف بالاوقاف المشروط فيها صرف المعاليم بالفلوس ولم يزل الحال يختل ويضعف بسبب الجور والطمع والغش وغباوة اولى الامر وعمى بصائرهم عن المصالح العامة التي بها قوام النظام حتى تلاشى امر الدراهم جدا في الوزن والعيار وصار الدرهم المعبر عنه بالنصف أقل من العشر الدرهم وفيه من الفضة الخالصة نحو الربع فيكون في النصف الذي هو الآن بدل الدرهم الاصلي من الفضة الخالصة اقل من ربع العشر فيكون في النصف الواحد من معاملتنا الآن الذي وزنه خمس قمحات قيراط وربع ثلث قيراط من الفضة وذلك بدل عن ستة عشر قيراطا وهو الدرهم الاصلي الخالص فانظر الى هذا الخسران الحق الذي اعدمت به البركة في كل شيء فان الدرهم الفضة الآن

(ثم دخلت سنة اثنتين واربعين واربعمائة)

(ذكر ملك طغرلبك اصبهان)

كان أبومنصور بن علاء الدولة صاحب اصبهان غير ثابت على طريقة واحدة مع السلطان طغرلبك كان يكثر التلون معه تارة يطيعه وينحاز اليه وتارة ينحرف عنه ويطيع الملك الرحيم فاضمرله طغرلبك سوأ فلما عاد هذه الدفعة من خراسان لاخذ البلاد الجبلية من اخيه ابراهيم ينال واستولى عليها على ماذكرناه عدل الى اصبهان عازما على اخذها من ابى منصور فسمع ذلك فتحصن ببلده واحتمى باسواره ونازله طغرلبك في المحرم واقام على محاصرته نحو سنة وكثرت الحروب بينهما الا ان طغرلبك قد استولى على سواد البلد وارسل سرية من عسكره نحو فارس فبلغوا الى البيضاء فاغاروا على السواد هناك وعادوا غانمين ولما طال الحصار على اصبهان واهلها ضاق الامر بصاحبها واهلها وارسلوا اليه يبذلون له الطاعة والمال فلم يجبهم الى ذلك ولم يقنع منهم الا بتسليم البلد فصبروا حتى نفدت الاقوات وامتنع الصبر وانقطعت المواد واضطر الناس حتى نقضوا الجامع واخذوا اخشابه لشدة الحاجة الى الحطب فحيث بلغ بهم الحال الى هذا الحد خضعوا له واستكانوا وسلموا البلد اليه فدخله واخرج اجناده منه واقطعهم في بلاد الجبل واحسن الى الرعية واقطع صاحبها أبامنصور ناحيتي يزد وابرقوية وتمكن من اصبهان ودخلها في المحرم من سنة ثلاث واربعين واستطابها ونقل ما كان له بالري من مال وذخائر وسلاح اليها وجعلها دار مقامه وخرب قطعة من سورها وقال انما يحتاج الى الاسوار من تضعف قوته فأما من حصنه عساكره وسيفه فلا حاجة له اليها

(ذكر عود عساكر فارس من الاهواز وعود الملك الرحيم اليها)

في هذه السنة في المحرم عادت عساكر فارس التي مع الامير أبي منصور صاحبها عن الاهواز الى فارس وسبب هذا العود ان الاجناد اختلفوا وشغبوا واستطالوا وعاد بعضهم الى فارس بغير أمر صاحبهم وأقام بعضهم معه وسار بعضهم الى الملك الرحيم وهو بالاهواز يطلبونه ليعود اليهم فعاد فيمن عنده من العساكر وارسل الى بغداد يامر العساكر التي فيها بالحضور عنده ليسير بهم الى فارس فلما وصل الى الاهواز لقيه العساكر مقرين بالطاعة واخبروه بطاعة عساكر فارس وانهم ينتظرون قدومه فدخل الاهواز في شهر ربيع الآخر فتوقف بالاهواز ينتظر عساكر بغداد ثم سار عنها الى عسكر مكرم فملكها واقام بها

(ذكر استيلاء زعيم الدولة على مملكة اخيه قرواش)

في هذه السنة في جمادى الاولى استولى زعيم الدولة ابو كامل بركة بن المقلد على اخيه قرواش وحجر عليه ومنعه من التصرف على اختياره وسبب ذلك ان قرواشا كان قد انف من تحكم اخيه في البلاد وانه قد صار لا حكم له فعمل على الانحدار الى بغداد ومفارقة

الامر كذلك فاذا فرضنا ان انسانا اكتسب الف درهم من دراهمنا هذه فكأنه اكتسب خمسة وعشرين لاغير وهو ربع عشرها على انه اذا حسبناقيمة الخمسة وعشرين في وقتنا هذا من كل درهم ثلاثون نصفا فانها تبلغ سبعمائة وخمسين ويذهب الباقي وهو مائتان وخمسون هدرا وأما الذهب فان الدينار كان وزنه في الزمن الاول مثقالا من الذهب الخالص ثم صار في الدولة الفاطمية ومابعدها عشرين قيراطا وكان يصرف بثلاثين درهما من الفضة فلما نقص الدرهم زاد صرف الدينار الى ان استقر وزن الدينار في أوائل القرن الماضي ثلاثة عشر قيراطا ونصفا ويصرف بتسعين نصفا وهو المعبر عنه بالاشرفي والطرلي المعروف بالفندقلي يصرف بمائة وكانا جيدين في العيار وكذلك الانصاف العددية كانت اذذاك جيدة العيار والوزن وكان الريال يصرف بخمسين نصفا والريال الكلب باثنين واربعين نصفا ثم صار الدينار وهو المحبوب الجنزرلي بمائة وخمسين والفندقلي بمائة وعشرين والفرانسه بستين ثم حدث المحبوب الزرقي ايام السلطان احمد بدلا عن الجنزرلي وغلا صرف الجنزرلي

ومفارقة أخيه وسار عن الموصل فشق ذلك على بركة وعظم عنده ثم ارسل اليه نفرا من اعيان اصحابه يشيرون عليه بالعود واجتماع الكلمة ويحذرونه من الفرقة والاختلاف فلما بلغوه ذلك امتنع عليهم فقالوا انت ممنوع عن فعلك والراى لك القبول والعود ما دامت الرغبة اليك فعلم حينئذ انه يمنع قهرا فاجاب الى العود على شرط ان يسكن دار الامارة بالموصل وسار معهم فلما قارب حلة أخيه زعيم الدولة لقيه وأنزله عنده فهرب أصحابه واهله خوفا فامنهم زعيم الدولة وحضر عنده وخدمه واظهر له الخدمة وجعل عليه من يمنعه من التصرف على اختياره

●(ذكر استيلاء الغز على مدينة فسا)●

وفيها في جمادى الاولى سار الملك الب ارسلان بن داود اخى طغرلبك من مدينة مرو بخراسان وقصد بلاد فارس في المفازة فلم يعلم به احد ولا اعلم عمه طغرلبك فوصل الى مدينة فسا فانصرف النائب بها من بين يديه ودخلها الب ارسلان فقتل من الديلم بها الف رجل وعددا كثيرا من العامة ونهبوا ما قدره ألف ألف دينار واسروا ثلاثة آلاف انسان وكان الامر عظيما فلما فرغوا من ذلك عادوا الى خراسان ولم يلبثوا خوفا من طغرلبك ان يرسل اليهم ويأخذ ما غنموه منهم

●(ذكر استيلاء الخوارج على عمان)●

في هذه السنة استولى الخوارج المقيمون بجبال عمان على مدينة تلك الولاية وسبب ذلك ان صاحبها الامير ابا المظفر ابن الملك أبي كاليجار كان مقيما بها ومعه خادم له قد استولى على الامور وحكم على البلاد وأساء السيرة في أهلها فاخذ أموالهم فنفروا منه وأبغضوه وعرف انسان من الخوارج يقال له ابن راشد الحال فجمع من عنده منهم وقصد المدينة فخرج اليه الامير أبو المظفر في عساكره فالتقوا واقتتلوا فانهزمت الخوارج وعادوا الى موضعهم واقام ابن راشد مدة يجمع ويحتشد ثم سار ثانيا وقاتله الديلم فاعانه أهل البلد لسوء سيرة الديلم فيهم فانهزم الديلم وملك ابن راشد البلد وقتل الخادم وكثيرا من الديلم وقبض على الامير ابى المظفر وسيره الى جباله مستظهرا عليه وسجن معه كل من خط بقلم من الديلم وأصحاب الاعمال وأخرب دار الامارة وقال هذه احق دار بالخراب وأظهر العدل وأسقط المكوس واقتصر على ربع عشر ما يرد اليهم وخطب لنفسه وتلقب بالراشد بالله ولبس الصوف وبنى موضعا على شكل مسجد وقد كان هذا الرجل تحرك أيضا ايام أبي القاسم بن مكرم فسير اليه أبو القاسم من منعه وحصره وأزال طمعه

●(ذكر دخول العرب الى أفريقيه)●

في هذه السنة دخلت العرب الى أفريقية وسبب ذلك ان المعز بن باديس كان خطب للقائم بامر الله الخليفة العباسي وقطع خطبة المستنصر العلوي صاحب مصر سنة اربعين وأربعمائة فلما فعل ذلك كتب اليه المستنصر العلوي يتهدده فاغلظ المعز

وكان في وزن المشخص وعياره ووزن الزر ثلاثة عشر قيراطا ونصف الى ان زاد الاختلال في أيام على بك والمعلم رزق واستيلائه على دار الضرب والقروش واستعمل ضرب القروش واستكثر منها وزاد في غشها لكثرة المصاريف على العساكر والتجار بدو النفقات واستقر الاشرفي المعروف بالزر بمائة وعشرة والطرلى بمائة وستة وار بين والمشخص بمائتين والريال الفرانسه بخمسة وثمانين مدة من أيام على بك وغش وجود القروش المفردة وضعفها وأجزائها حتى لم يبق بايدى الناس من التعامل الاهي وعز باقي الاصناف المذكورة وطلبت للسبك والادخار وصياغة الحلى فترقت في المصارفة والابدال فلما زالت دولة على بك وتملك محمد بك أبو الذهب نادى بابطال تلك القروش بانواعها راسا فخسر الناس خسارة عظيمة من أموالهم وباعوها بالارطال للسبك واقتصروا على ضرب الانصاف العددية والمحبوب الزر والنصفيات لاغير ونقصوا من وزنها وعيارها ونقصت قيمتها وغلت في المصارفة وزاد الحال بتوالى الحوادث والفتن والغلاء والغرامات وضيق المعاش وكساد البضائع وتساهلوا في زيادة المصارفة وخصوصا في عن السلم والمبايعات وخلاص

فى الجواب ثم ان المستنصر استوزر الحسن بن على اليازورى ولم يكن من أهل الوزارة انما كان من أهل التبانة والفلاحة فلم يخاطبه المعز كما كان يخاطب من قبله من الوزراء كان يخاطبهم بعبده فخاطب اليازورى بصنيعته فعظم ذلك عليه وعاتبه فلم يرجع الى ما يحب فاكثر الوقيعة فى المعز وأغرى به المستنصر وشرعوا فى ارسال العرب الى الغرب فاصلحوا بنى زغبة ورياح وكان بينهم حروب وحقود وأعطوهم مالا وامروهم بقصد بلاد القيروان وملكوهم كل ما يفتحونه ووعدوهم بالمدد والعدد فدخلت العرب الى أفريقية وكتب اليازورى الى المعز اما بعد فقد أرسلنا اليكم خيولا فحولا وحملنا عليها رجالا كهولا ليقضى الله امرا كان مفعولا فلما حلوا أرض برقة وما والاها وجدوا بلادا كثيرة المرعى خالية من الاهل لان زناتة كانوا أهلها فاباده المعز فاقامت العرب بها واستوطنتها وعاثوا فى أطراف البلاد وبلغ ذلك المعز فاحتقرهم وكان المعز لما راى تقاعد صنهاجة عن قتال زناتة اشترى العبيد واوسع لهم فى العطاء فاجتمع له ثلاثون الف مملوك وكانت العرب زغبة قد ملكت مدينة طرابلس سنة ست واربعين فتتابعت رياح والاثبج وبنو عدى الى افريقية وقطعوا السبيل وعاثوا فى الارض وأرادوا الوصول الى القيروان فقال مؤنس بن يحيى المرداسى ليس المبادرة عندى براى فقالوا كيف تحب ان تصنع فاخذ بساطا فبسطه ثم قال لهم من يدخل الى وسط البساط من غير أن يمشى عليه قالوا لا نقدر على ذلك قال فهكذا القيروان خذوا شيئا فشيئا حتى لا يبقى الا القيروان فخذوها حينئذ فقالوا انك لشيخ العرب واميرها وانت المقدم علينا ولسنا نقطع امرا دونك ثم قدم امراء العرب الى المعز فاكرمهم وبذل لهم شيئا كثيرا فلما خرجوا من عنده لم يجازوه بما فعل من الاحسان بل شنوا الغارات وقطعوا الطريق وافسدوا الزروع وقطعوا الثمار وحاصروا المدن فضاق بالناس الامر وساءت احوالهم وانقطعت اسفارهم ونزل بافريقية بلاء لم ينزل بها مثله قط فحينئذ احتفل المعز وجمع عساكره فكانوا ثلاثين الف فارس ومثلها رجالة وسار حتى اتى جندران وهو جبل بينه و بين القيروان ثلاثة ايام وكانت عدة العرب ثلاثة آلاف فارس فلما رأت العرب عساكر صنهاجة والعبيد مع المعز هالهم ذلك وعظم عليهم فقال لهم مؤنس بن يحيى ما هذا يوم فرار فقالوا اين نطعن هؤلاء وقد لبسوا الكزاغندات والمغافر قال فى أعينهم فسمى ذلك اليوم يوم العين والتحم القتال واشتدت الحرب فاتفقت صنهاجة على الهزيمة وترك المعز مع العبيد حتى يرى فعلهم ويقتل اكثرهم فعند ذلك يرجعون على العرب فانهزمت صنهاجة وثبت العبيد مع المعز فكثر القتل فيهم فقتل منهم خلق كثير وارادت صنهاجة الرجوع على العرب فلم يمكنهم ذلك واستمرت الهزيمة وقتل من صنهاجة امة عظيمة ودخل المعز القيروان مهزوما على كثرة من معه واخذت العرب الخيل والخيام وما فيها من مال وغيره وفيه يقول بعض الشعراء

وان ابن باديس لأفضل مالك * ولكن لعمرى ما لديه رجال
ثلاثون الفا منهم غلبتهم * ثلاث آلاف ان ذا لمحال

ولما

الحقوق من المماطلين واقترن بذلك تغافل الحكام وجورهم وعدم التفاتهم لمصالح الرعية وطمعهم وتركهم النظر فى العواقب الى أن تجاوزت فى وقتنا هذا الحدود وبلغت فى المصارفة اكثر من الضعف وصار صرف المحبوب مائتين وخمسة بل وعشرة والريال الفرانسه بمائة وخمسة وسبعين بل وثمانين والمشخص البندقى باربعمائة واكثر والمجر بثلثمائة وستين والفندقلى بثلثمائة وعشرين وهو الجديد ويزيد القديم لجودة عياره عن الجديد وتتفاوت المثلية فى المحبوب بجودة العيار فاذا أبدل السليمى الموجود الآن بالمحمودى زيد فى مصارفته أربعون نصفا واكثر بحسب الرغبة والاحتياج وتتفاوت أيضا المحمودى بمثله فيزيد أبو وردة عن الراغب ويزيد الراغب عن الذى فيه حرف العين و يكون المحبوب بانقى تحويل المعاملة بدلا عن المشخص الواحد مع ان وزنهما سبعة وعشرون قيراطا ووزن المشخص ثمانية عشر قيراطا فالتفاوت بينهما تسعة قراريط وهى ما فيه من الخلط وغير ذلك مما يطول شرحه و يعسر تحقيقه وضبطه ولم يزل أمر المعاملة وزيادة صرفها وايتلاف نقودها واضطرابها يستمر او كل قليل ينادون عليها منادا ة بحسب أغراضهم

ولما كان يوم النحر من هذه السنة جمع المعز سبعة وعشرين الف فارس وسار الى العرب جريدة وسبق خبره وهجم عليهم وهم فى صلاة العيد فركبت العرب خيولهم وحملت فانهزمت صنهاجة فقتل منهم عالم كثير ثم جمع المعز وخرج بنفسه فى صنهاجة وزناتة فى جمع كثير فلما اشرف على بيوت العرب وهو قبلى جبل جندران انتشب القتال واشتعلت نيران الحرب وكانت العرب سبعة آلاف فارس فانهزمت صنهاجة وولى كل رجل منهم الى منزله وانهزمت زناتة وثبت المعز فيمن معه من عبيده ثباتا عظيما لم يسمع بمثله ثم انهزم وعاد الى المنصورية واحصى من قتل من صنهاجة ذلك اليوم فكانوا ثلاثة آلاف وثلثمائة ثم اقبلت العرب حتى نزلت بمصلى القيروان ووقعت الحرب فقتل من المنصورية ورقادة خلق كثير فلما رأى ذلك المعز اباحهم دخول القيروان لما يحتاجون اليه من بيع وشراء فلما دخلوا استطالت عليهم العامة ووقعت بينهم حرب كان سببها فتنة بين انسان عربى وآخر عامى وكانت الغلبة للعرب وفى سنة اربع واربعين بنى سور زويلة والقيروان وفى سنة ست واربعين حاصرت العرب القيروان وملك مؤنس بن يحيى مدينة باجة واشار المعز على الرعية بالانتقال الى المهدية لعجزه عن حمايتهم من العرب وشرعت العرب فى هدم الحصون والقصور وقطعوا الثمار وخربوا الانهار واقام المعز والناس ينتقلون الى المهدية الى سنة تسع واربعين فعندها انتقل المعز الى المهدية فى شعبان فتلقاه ابنه تميم ومشى بين يديه وكان ابوه قد ولاه المهدية سنة خمس واربعين فاقام بها الى ان قدم ابوه الآن وفى رمضان من سنة تسع واربعين نهبت العرب القيروان وفى سنة خمسين خرج بلكين ومعه من العرب لحرب زناتة فقاتلهم فانهزمت زناتة وقتل منها عدد كثير وفى سنة ثلاث وخمسين وقعت الحرب بين العرب وهوارة فانهزمت هوارة وقتل منها الكثير وفى سنة ثلاث وخمسين قتل اهل تقيوس من العرب مائتين وخمسين رجلا وسبب ذلك ان العرب دخلت المدينة متسوقة فقتل رجل من العرب رجلا متقدما من اهل البلد لانه سمعه يثنى على المعز ويدعو له فلما قتل ثار اهل البلد بالعرب فقتلوا منهم العدد المذكور وكان ينبغى ان ياتى كل شئ من ذلك فى السنة التى حدث فيها وانما اوردناه متتابعا ليكون حسن لسياقته فانه اذا انقطع وتخللته الحوادث فى السنين لم يفهم

●(ذكر عدة حوادث)●

فيها سار المهلهل بن محمد بن عناز اخو ابى الشوك الى السلطان طغرلبك فاحسن اليه واقره على اقطاعه ومن جملته السيروان ودقوقا وشهرزور والصامغان وشفعه فى اخيه سرخاب بن محمد بن عناز وكان محبوسا عند طغرلبك وسار سرخاب الى قلعة الماهكى وهى له واقطع سعدى بن ابى الشوك الراوندين وفيها قبض المستنصر بمصر على ابى البركات عم ابى القاسم الجرجرائى واستوزر القاضى ابا محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازورى ويازور من اعمال الرملة وفيها توفى محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدى بالله أبو الحسين ومولده سنة اربع وثمانين وثلثمائة وفيها فى

لاتسمع ولاتقبل ولا يلتفت اليها الان أصل الكدر منبعث عنهم ومنحدر من مجراة خباثتهم وفسادهم (وفى آخره) أذن الباشا لولده الكبير بالذهاب لزيارة سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه بطندتا وعين صحبته اتباعا وعسكرا وهجنا وقرر له دراهم على البلاد الف ريال فما دونها خلاف الكلف وكذلك سافر حريمات ورئيسهن حريم مصطفى أغا الوكيل فى هيئة لم يسبق مثلها الا فى تختروانات وعربات ومواهى وأحمال وجمال وعسكر وخدم وفراشين وفرضوا لهن ايضا مقررات على البلاد وكلفا ونحو ذلك واظن ان هذه المحدثات من اهوال القيامة ●وانقضت السنة وما حصل فيها من الحوادث والانذارات ●(ومات)● فيها الامام العلامة والبحر الفهامة صدر المدرسين وعمدة المحققين مفتى الحنفية بالديار المصرية الشيخ محمد عبد المعطى ابن الشيخ احمد الحريرى الحنفى ولد سنة ثلاث واربعين ومائة والف ونشا فى عفة وصلاح وحفظ القرآن وجوده وحفظ المتون وحضر أشياخ العصر وجود الخط وكان ينسخ بالاجرة وكتب كتبا كثيرة وخطه فى غاية الصحة والجودة وتنوع البراق الادبيات كالريحانة وخبايا الزوايا وخزانة الادب والتى

شعبان توفى أبو الحسن على بن عمر القزوينى الزاهد وكان من الصالحين آروى الحديث والحكايات والاشعار وروى عن ابن نباتة شيئا من شعره فمن ذلك قول ابن نباتة

واذا عجزت عن العدو فداره * وامزج له ان المزاج وفاق
فالنار بالماء الذى هو ضدها * تعطى النضاج وطبعها الاحراق

وفيها فى ذى القعدة توفى أبو القاسم عمر بن ثابت النحوى الضرير المعروف بالثمانينى

(ثم دخلت سنة ثلاث واربعين واربعمائة)

(ذكر نهب سرق والحرب الكائنة عندها وملك الرحيم رامهرمز)

فيها فى المحرم اجتمع جمع كثير من العرب والاكراد وقصدوا سرق من خوزستان ونهبوها ونهبوا دورق مقدمهم مطارد بن منصور ومذكور بن نزار فارسل اليهم الملك الرحيم جيشا ولقوهم بين سرق ودورق فاقتتلوا فقتل مطارد واسر ولده وكثر القتل فيهم واستنقذوا ما نهبوه ونجا الباقون على اقبح صورة من الجراح والنهب فلما تم هذا الفتح للملك الرحيم انتقل من عسكر مكرم متقدما الى قنطرة اربق ومعه دبيس بن مزيد والبساسيرى وغيرهما ثم ان الامير ابا منصور صاحب فارس وهزارسب بن بنكير ومنصور بن الحسين الاسدى ومن معهما من الديلم والاتراك ساروا من ارجان يطلبون تستر فسبقهم الرحيم اليها وحال بينهم وبينها والتقت الطلائع فكان الظفر لعسكر الرحيم ثم ان الارجاف وقع فى عسكر هزارسب بوفاة الامير ابى منصور بن الملك ابى كاليجار بمدينة شيراز فسقط فى ايديهم وعادوا وقصد كثير منهم الملك الرحيم فصاروا معه فسير قطعة من الجيش الى رامهرمز وبها اصحاب هزارسب وقد افسدوا فى تلك الاعمال فلما وصل اليها عسكر الرحيم خرج أولئك الى قتالهم فاقتتلوا قتالا شديدا أكثر فيه القتل والجراح ثم انهزم أصحاب هزارسب فدخلوا البلد وحصروا فيه ثم ملك البلد عنوة ونهب واسر جماعة من العساكر التى فيه وهرب كثير منهم الى هزارسب وهو بايذج وملك الملك الرحيم البلد فى ربيع الاول من هذه السنة

(ذكر ملك الملك الرحيم اصطخر وشيراز)

فى هذه السنة سير الملك الرحيم اخاه الامير ابا سعد فى جيش الى بلاد فارس وكان سبب ذلك ان المقيم فى قلعة اصطخر وهو ابو نصر بن خسرو كان له اخوان قبض عليهما هزارسب بن بنكير بامر الامير ابى منصور فكتب الى الملك الرحيم يبذل له الطاعة والمساعدة ويطلب ان يسير اليه اخاه ليملكه بلاد فارس فسير اليه اخاه ابا سعد فى جيش فوصل الى دولتاباذ فاتاه كثير من عساكر فارس الديلم والترك والعرب والاكراد وساروا منها الى قلعة اصطخر فنزل اليه صاحبها ابو نصر فلقيه واصعده الى القلعة وحمل له وللعساكر التى معه الاقامات والخلع وغيرها ثم ساروا منها الى قلعة بهندر فحصروها واتاه كتب بعض مستحفظى البلاد الفارسية بالطاعة منها مستحفظ دارابجرد وغيرها ثم سار الى شيراز فملكها فى رمضان فلما سمع اخوه الامير ابو منصور وهزارسب ومنصور بن الحسين

الاسدى

ثم تحنف وحضر على اشياخ المذهب مثل الشيخ محمد الدلجى والشيخ محمد العدوى ولازم الشيخ حسن المقدسى ملازمة كلية وانتسب اليه وعرف به وحضر عليه وتلقى عنه غالب الكتب المشهورة فى المذهب وحضر باقى العلوم على الشيخ الملوى والحفنى والشيخ على العدوى وغيرهم وكان يكتب الاجوبة على الفتاوى عن لسانه ولما توفى شيخه المذكور تقرر مكانه فى وظيفة الخطابة والامامة بجامع عثمان كتخدا بالازبكية وسكن بالدار المشروطة لمن بها السكنى برحاب الجامع المذكور وكانت خطبه فى غاية الخفة والاختصار ولوعظه وقع فى النفوس لخلوه عن التصنع ولما مات الشيخ احمد الدمنهورى فى سنة اثنتين وتسعين ومائة والف وحصل ما حصل للشيخ عبد الرحمن العريشى كما تقدم تعين المترجم لمشيخة الحنفية والفتوى عوضا عن المذكور قبل وفاته بايام قليلة وكان أهلا لذلك وكفا له وسار فيها سيرا حسنا بحشمة واشتهر ذكره وقصدته الناس للفتوى والافادة واقبلت عليه الدنيا وسكن دارا مشرفة على الازبكية جارية فى وقف عثمان كتخدا واشترى أيضا دارا انفيسة بالجودرية

الاسدى ذلك سار وافق عسكرهم الى الملك الرحيم فهزموه على ما نذكره ان شاء الله تعالى وفارق الاهواز الى واسط ثم عطفوا من الاهواز الى شيراز لاجلاء الامير ابى سعد عنها فلما قاربوها لقيهم ابو سعد وقاتلهم فهزمهم فالتجؤا الى جبل قلعة بهندر وتكررت الحروب بين الطائفتين الى منتصف شوال فتقدمت طائفة من عسكر ابى سعد فقاتلوا عامة النهار ثم عادوا فلما كان الغد التقى العسكران جميعا واقتتلوا فانهزم عسكر الامير ابى منصور وظفر ابو سعد وقتل منهم خلقا كثيرا واستأمن اليه كثير منهم وصعد ابو منصور الى قلعة بهندر واحتمى بها واقام الى ان عاد الى ملكه على ما نذكره ان شاء الله تعالى ولما فارق الامير ابو منصور الاهواز اعيدت الخطبة للملك الرحيم وارسل من بها من الجند يستدعونه اليهم

(ذكر انهزام الملك الرحيم بالاهواز)

لما انصرف الامير ابو منصور وهزارسب ومن معهم من منزلهم قريب تستر على ما ذكرناه مضوا الى ايذج واقاموا فيها وخافوا الملك الرحيم واستضعفوا نفوسهم عن مقاومته فاتفق رايهم على ان راسلوا السلطان طغرلبك وبذلوا له الطاعة وطلبوا منه المساعدة فارسل اليهم عسكرا كثيرا وكان قد ملك اصبهان وفرغ باله منها وعرف الملك الرحيم ذلك وقد فارقه كثير من عسكره منهم البساسيرى ونور الدولة دبيس بن مزيد والعرب والاكراد وبقى فى الديلم الاهوازية وطائفة قليلة من الاتراك البغداديين كانوا وصلوا اليه أخيرا فقرر رأيه على أن عاد من عسكر مكرم الى الاهواز لانها احصن وينتظر بالمقام فيها وصول العساكر ورأى ان يرسل اخاه الامير ابا سعد الى فارس حيث طلب الى اصطخر على ما ذكرناه وسير معه جماعة صالحة من العساكر ظنا منه ان أخاه اذا وصل الى فارس وملكت قلعة اصطخر انزعج الامير ابو منصور وهزارسب ومن معهما واشتغلوا بتلك النواحى عنه فازداد قلقا وضعفا فلم يلتفت اولئك الى الامير ابى سعد بل ساروا مجدين الى الاهواز فوصلوها اواخر ربيع الآخر ووقعت الحرب بين الفريقين يومين متتابعين كثر فيهما القتال واشتد فانهزم الملك الرحيم وسار فى نفر قليل الى واسط ولقى فى طريقه مشقة وسلم واستقر بواسط فيمن لحق به من المنهزمين ونهبت الاهواز واحرق فيها عدة محال وفقد فى الوقعة الوزير كمال الملك ابو المعالى بن عبد الرحيم وزير الملك الرحيم فلم يعرف له خبر

(ذكر الفتنة بين العامة ببغداد واحراق المشهد على ساكنيه السلام)

فى هذه السنة فى صفر تجددت الفتنة ببغداد بين السنة والشيعة وعظمت أضعاف ما كانت قديما فكان الاتفاق الذى ذكرناه فى السنة الماضية غير مامون الانتقاض لما فى الصدور من الاحن وكان سبب هذه الفتنة ان أهل الكرخ شرعوا فى عمل باب السماكين واهل القلائين فى عمل ما بقى من باب مسعود ففرغ اهل الكرخ وعملوا ابراجا كتبوا عليها بالذهب محمد وعلى خير البشر وانكر السنة ذلك وادعوا ان المكتوب

كالتدريس فى مدرسة المحمودية والصرغتمشية والمحمدية وغيرها فكان يباشر الاقراء بنفسه فى بعضها والبعض ولده العلامة الشيخ ابراهيم ولم يزل يقرئ ويملى ويفيد حتى فى حال انقطاعه وذلك انه لما مات احد اغا غانم وحصل بين عتقائه منازعة ثم اتفقوا على تحكيم المترجم بينهم والتمسوا منه أن يذهب صحبتهم الى قوة ليصلح بينهم فلما ذهب الى بولاق واراد النزول فى السفينة اعتمد على بعض الواقفين فعثرت رجله فقبض ذلك الرجل على معصمه فانكسر عظمه لنحافة جسمه فعادوا به الى داره واحضروا له من عالجه حتى برئ بعد شهور وفرحوا بعافيته ودعاه بعض احبابه بناحية قناطر السباع فركب وذهب اليه وكانت اول ركباته بعد برئه فلما طلع الى المجلس واراد الصعود الى مرتبة الجلوس زلقت رجله فانكسر عظم ساقه وتبادر الحاضرون وحملوه وذهبوا به الى داره واحضروا له المعالج فلم يحسن المعالجة وتألم تألما كثيرا واستمر ملازما للفراش نحو سبع سنوات ثم توفى يوم الاربعاء سابع عشر رجب من السنة عن سبعة وثمانين سنة ودفن

محمد وعلى خير البشر فمن رضى فقد شكر ومن ابى فقد كفر وانكر اهل الكرخ الزيادة وقالوا ما تجاوزنا ما جرت به عادتنا فيما نكتبه على مساجدنا فارسل الخليفة القائم بامر الله ابا تمام نقيب العباسيين ونقيب العلويين وهو عدنان بن الرضى لكشف الحال وانهائه فكتبا بتصديق قول الكرخيين فامر حينئذ الخليفة ونواب الرحيم بكف القتال فلم يقبلوا وانتدب ابن المذهب القاضى والزهيرى وغيرهما من الحنابلة اصحاب عبد الصمد بحمل العامة على الاغراق فى الفتنة فامسك نواب الملك الرحيم عن كفهم غيظا من رئيس الرؤساء لميله الى الحنابلة ومنع هؤلاء السنة من حمل الماء من دجلة الى الكرخ وكان نهر عيسى قد انفتح بثقه فعظم الامر عليهم وانتدب جماعة منهم وقصدوا دجلة وحملوا الماء وجعلوه فى الظروف وصبوا عليه ماء الورد ونادوا الماء للسبيل فاغروا بهم السنة وتشدد رئيس الرؤساء على الشيعة فمحوا خير البشر وكتبوا عليهما السلام فقالت السنة لا نرضى الا ان يقلع الآجر الذى عليه محمد وعلى وان لا يؤذن حى على خير العمل وامتنع الشيعة من ذلك ودام القتال الى ثالث ربيع الاول وقتل فيه رجل هاشمى من السنة فحمله اهله على نعش وطافوا به فى الحربية وباب البصرة وسائر محال السنة واستنفروا الناس للاخذ بثاره ثم دفنوه عند احمد بن حنبل وقد اجتمع معهم خلق كثير اضعاف ما تقدم فلما رجعوا من دفنه قصدوا مشهد باب التبن فاغلق بابه فنقبوا فى سوره وتهددوا البواب فخافهم وفتح الباب فدخلوا ونهبوا ما فى المشهد من قناديل ومحاريب ذهب وفضة وستور وغير ذلك ونهبوا ما فى الترب والدور وادركهم الليل فعادوا فلما كان الغد كثر الجمع فقصدوا المشهد واحرقوا جميع الترب والازاج واحترق ضريح موسى وضريح ابن ابنه محمد بن على والجوار والقبتان الساج اللتان عليهما واحترق ما يقابلهما ويجاورهما من قبور ملوك بنى بويه معز الدولة وجلال الدولة ومن قبور الوزراء والرؤساء وقبر جعفر بن ابى جعفر المنصور وقبر الامين محمد بن الرشيد وقبر امه زبيدة وجرى من الامر العظيم ما لم يجر فى الدنيا مثله فلما كان الغد خامس الشهر عادوا وحفروا قبر موسى بن جعفر ومحمد بن على لينقلوهما الى مقبرة احمد بن حنبل فحال الهدم بينهم وبين معرفة القبر فجاء الحفر الى جانبه وسمع ابو تمام نقيب العباسيين وغيره من الهاشميين والسنة الخبر فجاؤا ومنعوا عن ذلك وقصد اهل الكرخ الى خان الفقهاء الحنفيين فنهبوه وقتلوا مدرس الحنفية ابا سعد السرخسى واحرقوا الخان ودور الفقهاء وتعدت الفتنة الى الجانب الشرقى فاقتتل اهل باب الطاق وسوق يحيى والاساكفة وغيرهم ولما انتهى خبر احراق المشهد الى نور الدولة دبيس بن مزيد عظم عليه واشتد وبلغ منه كل مبلغ لانه واهل بيته وسائر اعماله من النيل وتلك الولاية كلهم شيعة فقطعت فى اعماله خطبة الامام القائم بامر الله فروسل فى ذلك وعوتب فاعتذر بان اهل ولايته شيعة واتفقوا على ذلك فلم يمكنه ان يشق عليهم كما ان الخليفة لم يمكنه كف السفهاء الذين فعلوا بالمشهد ما فعلوا واعاد الخطبة الى حالها

بنجيربة الازيكية وتعين بصدق المشيخة والافتاء وقته المحقق العلامة المستعد الشيخ ابراهيم ادام الله النفع بحياته وحفظ عليه اولاده وللترجم مآثر وتقييدات ومنظومات وضوابط وتخميسات فمن ذلك قوله

مشبه به مع المشبه
اداة تشبيه ووجه شبه
والخامس المشبه النبيه
فقد حوى اركانه التشبيه

وله تخميس على البيتين المشهورين

قد قلت لما وهى جسمى واقلقنى
ما حل بى من سقام اتحلت بدنى
وما ومالى به دهرى من الحزن
يا رب ان كان عمر يمضى يقربنى
زلفى اليك فباب العفو اوسع لى
او كان من اجل عصيانى الذى عظما
وسوء ما قلته جهرا ومكتتما
فالعفو عن عصى من شيمة الكرما
او كان من اجل تمحيص الذنوب فما
يحتاج عفوك للاسقام والعلل

وله تخميس ايضا على المنفرجة وتخميس على قصيدة الشيخ عبد الله الشبراوى المشهورة واوله

ان نفسى وغيها والتمنى
صيرت دابى المعاصى وفنى
ثم انى ناديت من حسن ظنى
رب انى تعاظم الذنب منى
غير انى وجدت عفوك اعظم

الى آخرها وله غير ذلك سامحه الله

(ذكر عصيان بني قرة على المستنصر بالله بمصر)

في هذه السنة في شعبان عصى بنو قرة بمصر على المستنصر بالله الخليفة العلوي وكان سبب ذلك انه امر عليهم رجلا منهم يقال له المقرب وقدمه فنفروا من ذلك وكرهوه واستعفوا منه فلم يعزله عنهم فكاشفوا بالخلاف والعصيان واقاموا بالجيزة مقابل مصر وتظاهروا بالفساد فعبر اليهم المستنصر بالله جيشا يقاتلهم و يكفهم فقاتلهم بنو قرة فانهزم الجيش وكثر القتل فيهم فانتقل بنو قرة الى طرف البر فعظم الامر على المستنصر بالله وجمع العرب من طيء وكلب وغيرهما من العساكر وسيرهم في اثر بني قرة فادركوهم بالبحيرة فواقعوهم في ذي القعدة واشتد القتال وكثر القتل في بني قرة وانهزموا وعاد العسكر الى مصر وتركوا في مقابل بني قرة طائفة منهم لترد بني قرة ان ارادوا التعرض الى البلاد وكفى الله شرهم

(ذكر وفاة زعيم الدولة وامارة قريش بن بدران)

في هذه السنة في شهر رمضان توفي زعيم الدولة ابو كامل بركة بن المقلد بتكريت وكان انحدر اليها في حلة قاصدا نحو العراق لينازع النواب به عن الملك الرحيم و ينهب البلاد فلما بلغها انتقض عليه جرح كان اصابه من الغز لما ملكوا الموصل فتوفي ودفن بمشهد الخضر بتكريت واجتمعت العرب من أصحابه على تأمير علم الدين أبي المعالي قريش بن بدران بن المقلد فعاد بالحلل والعرب الى الموصل وارسل الى عمه قرواش وهو تحت الاعتقال يعلمه بوفاة زعيم الدولة وقيامه بالامارة وانه يتصرف على اختياره ويقوم بالامر نيابة عنه فلما وصل قريش الى الموصل جرى بينه و بين عمه قرواش منازعة ضعف فيها قرواش وقوي ابن أخيه ومالت العرب اليه واستقرت الامارة له واعاده الى ما كان عليه من الاعتقال الجميل والاقتصار به على قليل من الحاشية والنساء والنفقة ثم نقله الى قلعة الجراحية من اعمال الموصل فاعتقل بها

(ذكر عدة حوادث)

ظهر ببغداد يوم الاربعاء سابع صفر وقت العصر كوكب غلب نوره على نور الشمس له ذؤابة نحو ذراعين وسار سيرا بطيئا ثم انقض والناس يشاهدونه وفيها في رمضان ورد رسل السلطان طغرلبك الى الخليفة جوابا عن رسالة الخليفة اليه وشكر الانعام الخليفة عليه بالخلع و الالقاب وأرسل معه طغرلبك الى الخليفة عشرة آلاف دينار عينا وأعلاقا نفيسة من الجواهر والثياب والطيب وغير ذلك وأرسل خمسة آلاف دينار للحاشية وألفي دينار لرئيس الرؤساء وأنزل الخليفة الرسل بباب المراتب وأمر باكرامهم ولما جاء العيد أظهر اجناد بغداد الزينة الرائقة والخيول النفيسة والتجافيف المحسنة وأرادوا اظهار قوتهم عند الرسل وفيها عاد الغز اصحاب الملك داود أخي طغرلبك عن كرمان وسبب عودهم ان عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة سار منها الى خراسان فالتقى هو والملك داود واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم داود

(ومات) الاجل الامثل المفوه المتقي النبيه الفصيح المتكلم عثمان افندي ابن سعد العباسي الانصاري من ولد آخر الخلفاء العباسية بمصر المتوكل على الله ووالده يعرف بالانصاري من جهة النساء من بيت السيادة والخلافة ولد بمصر و بها نشأ واشتغل بالعلم على فضلاء الوقت ومهر في الفنون بذكائه وعاني الحساب والنجوم فاخذ منها حظا وتولى كتابة شرقي ديوان بعض الامراء ولامه بعض محبيه في ذلك فاعتذر انه انما اقدم عليه صيانة لبعض بلاده وضياعه التي استولت عليها أيدي الظلمة فلا محيد له عن عشرتهم واجتمع بشيخنا الشيخ محمود الكردي واراد السلوك في طريق الخلوتية وترك شرب الدخان ولازمه كثيرا وتلقن الاسم الاول والاوراد واقلع عما كان عليه حتى لاحت عليه انوار ملازمته واعتقده جدا و بعد وفاة الاستاذ رجع الى حالته وشرب الدخان ثم ولي خليفة على غلال الحرمين فباشرها بشهامة ثم ولي روزنامة مصر بصرامة وقوة مراس وشدة ومخادعة وراج امره واتسع حاله وزادت حشمته وذلك بعد عزل احمد افندي الى كتبة وقبل وفاة السيد محمد افندي الكماخي الروزنامجي ونقل امره على باقي الكتبة والناس.

فاقتضى الحال عوده وأصحابه من كرمان وفيها ايضا عاد السلطان طغرلبك عن أصبهان الى الرى وفيها توفى أبو كاليجار كرشاسف بن علاء الدولة بن كاكويه بالاهواز وكان قد استخلفه بها الامير أبو منصور عند عوده عنها الى شيراز فلما توفى خطب للملك الرحيم بالاهواز وفيها توفى أبو عبد الله الحسين بن المرتضى الموسوى وفيها فى ربيع الاول توفى ابو الحسن محمد بن محمد البصروى الشاعر وهو منسوب الى قرية تسمى بصرى قريب عكبرا وكان صاحب نادرة قال له رجل شربت البارحة ماء كثيرا فاحتجت الى القيام كل ساعة كانى جدى فقال له لم تصغر نفسك (ومن شعره)

ترى الدنيا وزينتها فتصبو * وما يخلو من الشهوات قلب
فضول العيش أكثرها هموم * وأكثر ما يضرك ما تحب
فلا يغررك زخرف ما تراه * وعيش لين الاعطاف رطب
اذا ما بلغة جاءتك عفوا * فخذها فالغنى مرعى وشرب
اذا اتفق القليل وفيه سلم * فلا ترد الكثير وفيه حرب

(ثم دخلت سنة اربع واربعين واربعمائة)

*(ذكر قتل عبد الرشيد صاحب غزنة وملك فرخزاد)

فى هذه السنة قتل عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان سبب ذلك ان حاجبا لمودود ابن اخيه مسعود اسمه طغرل وكان مودود قد قدمه ونوه باسمه وزوجه اخته فلما توفى مودود وملك عبد الرشيد اجرى طغرل على عادته فى تقدمه وجعله حاجب حجابه فاشار عليه طغرل بقصد الغز وإجلائهم من خراسان فتوقف استبعادا لذلك فالح عليه طغرل فسيره فى الف فارس فسار نحو سجستان وبها ابو الفضل نائبا عن بيغو فاقام طغرل على حصار قلعة طاق وارسل الى ابى الفضل يدعوه الى طاعة عبد الرشيد فقال له اننى نائب عن بيغو وليس من الدين والمروءة خيانته فاقصده فاذا فرغت منه سلمت اليك فاقام على حصار طاق اربعين يوما فلم يتمها له فتحها وكتب ابو الفضل الى بيغو يعرفه حال طغرل فسار الى سجستان ليمنع عنها طغرل ثم ان طغرل ضجر من مقامه على حصار طاق فسار نحو مدينة سجستان فلما كان على نحو فرسخ منها كمن بحيث لا يراه أحد املا ان يجد او فرصة ينتهزها فسمع أصوات دبادب وبوقات فخرج وسال بعض من على الطريق فاخبره ان بيغو قد وصل فعاد الى أصحابه وأخبرهم وقال لهم ليس لنا الا ان نلقى القوم ونموت تحت السيوف أعزة فانه لا سبيل لنا الى الهرب لكثرتهم وقلتنا فخرجوا من مكمنهم فلما رآهم بيغو سال أبا الفضل عنهم فاخبره انه طغرل فاستقل من معه وسير طائفة من أصحابه لقتالهم فلما رآهم طغرل لم يعرج عليهم بل أقحم فرسه نهرا هناك فعبره وقصد بيغو ومن معه فقاتلهم وهزمهم طغرل وغنم ما معهم ثم عطف على الفريق الآخر فصنع بهم مثل ذلك وانهزم بيغو وابو الفضل نحو هراة وتبعهم طغرل نحو فرسخين وعاد الى المدينة فملكها وكتب الى عبد الرشيد بما كان منه ويطلب الامداد ليسير الى خراسان فامده بعدة كثيرة من

تألبوا عليه وعزلوه فضاق صدره وزاد قلقه وحدث فيه بعض رعونة وتردد لمشاهد الاولياء فى الليل والنهار يبتهل ويدعو ويفرق خبزا ودراهم ويأوى اليه المجاذيب والذين يدعون الصلاح والولاية فيكرمهم برهة ويرون له مرائى ومنامات واخباريات فيزداد هوسه ثم لما يطول الحال ينقطع عنهم ويبدلهم بآخرين وهكذا وكان ينام مع بعضهم فى الحريم ويترجم بعضهم بمكاشفات وشطحيات ويقول فلان يطلع على خطرات القلوب وفلان يصعد الى السماء ومن كرامات فلان كذا ثم يرجع عن ذلك ولما مات السيد محمد اعيد فى كتابة الروزنامه ايضا واستمر بها ثمانية عشر شهرا وكانت اعادته فى سنة ثمان بعد المائتين ثم انحرف عليه ابراهيم بك الكبير وعزله وكان يظن أن الامر يؤل اليه فلم يتم له ذلك واحضر ابراهيم بك السيد ابراهيم ابن اخى المتوفى وقلده ذلك فعندها ايس المترجم منها واختلفت الامور بحدوث الفتن وتقلب الدول والاحوال ولازم شانه وبيته بعد رجوعه من هجرته الى الشام فى حادثة الفرنسيس واعترته الامراض واجتمعت لديه كتب كثيرة فى سائر العلوم وبيعت باسرها فى تركته توفى يوم الاربعاء خامس

القرسان فوصلوا اليه فاشتد به وأقام مدة ثم حدث نفسه بالعود الى غزنة والاستيلاء
عليها فاعلم أصحابه ذلك وأحسن اليهم واستوثق منهم ورحل الى غزنة طاويا المراحل
كاتما أمره فلما صار على خمسة فراسخ من غزنة ارسل الى عبد الرشيد هذا دعاله يعلمه
ان العسكر خالفوا عليه وطلبوا الزيادة في العطاء وانهم عادوا بقلوب متغيرة مستوحشة
فلما وقف على ذلك جمع اصحابه واهل ثقته واعلمهم الخبر فحذروه منه وقالوا له ان الامر
قد اعجل عن الاستعداد وليس غير الصعود الى القلعة والتحصن بها فصعد الى قلعة غزنة
وامتنع بها ووافى طغرل من الغد الى البلد ونزل في دار الامارة وراسل المقيمين بالقلعة في
تسليم عبد الرشيد ووعدهم ورغبهم ان فعلوا وتهددهم ان امتنعوا فسلموه اليه فاخذه
طغرل فقتله واستولى على البلد وتزوج ابنة مسعود كرها وكان في الاعمال الهندية
امير يسمى خرخيز ومعه عسكر كثير فلما قتل طغرل عبد الرشيد واستولى على الامر كتب
اليه ودعاه الى الموافقة والمساعدة على ارتجاع الاعمال من ايدى الغز ووعده على ذلك
وبذل البذول الكثيرة فلم يرض فعله وانكره وامتعض منه واغلظ له في الجواب
وكتب الى ابنة مسعود بن محمود زوجة طغرل ووجوه القواد ينكر ذلك عليهم ويوبخهم
على اغضائهم وصبرهم على ما فعله طغرل من قتل ملكهم وابن ملكهم ويحثهم على
الاخذ بثاره فلما وقفوا على كتبه عرفوا اغلاطهم ودخل جماعة منهم على طغرل
ووقفوا بين يديه فضربه احدهم بسيفه وتبعه الباقون فقتلوه وورد خرخيز الحاجب بعد
خمسة ايام واظهر الحزن على عبد الرشيد وذم طغرل ومن تابعه على فعله وجمع وجوه
القواد واعيان اهل البلد وقال لهم قد عرفتم ما جرى مما خرقت به الديانة والامانة وانا
تابع ولا بد للامر من سائس فاذكروا ما عندكم من ذلك فاشاروا بولاية فرخزاد بن
مسعود بن محمود وكان محبوسا في بعض القلاع فاحضر واجلس بدار الامارة واقام
خرخيز بين يديه يدبر الامور واخذ من اعان على قتل عبد الرشيد فقتله فلما سمع داود
اخو طغرلبك صاحب خراسان قتل عبد الرشيد جمع عساكره وسار الى غزنة فخرج
اليه خرخيز ومنعه وقاتله فانهزم داود وغنم ما كان معه ولما استقر ملك فرخزاد وثبت
قدمه جهز جيشا جرارا الى خراسان فاستقبلهم الامير كاسارغ وهو من اعظم الامراء
فقاتلهم وصبر لهم فظفروا به وانهزم اصحابه عنه واخذ اسيرا واسر معه كثير من عسكر
خراسان ووجوههم وامرائهم فجمع الب ارسلان عسكرا كثيرا وسير والده داود في ذلك
العسكر الى الجيش الذي اسروا كاسارغ فقاتلهم وهزمهم واسر جماعة من اعيان
العسكر فاطلق فرخزاد الاسرى وخلع على كاسارغ واطلقه

(ذكر وصول الغز الى فارس وانهزامهم عنها)

في هذه السنة وصل اصحاب السلطان طغرلبك الى فارس وبلغوا الى شيراز ونزلوا
بالبيضاء واجتمع معهم العادل ابو منصور الذي كان وزير الامير ابي منصور الملك ابي
كاليجار ودبر امرهم فقبضوا عليه واخذوا منه ثلاث قلاع وهي قلعة كبرة وقلعة جويم

عشرين شوال من السنة (ومات) العمدة الامام
الصالح الناسك العلامة
والبحر الفهامة الشيخ محمد
ابن سيير بن محمد بن محمود
ابن جيش الشافعي المقدسي
ولد في حدود الستين وقدم به
والده الى مصر فقرأ القرآن
واشتغل بالعلم وحضر
دروس الشيخ عيسى البراوي
فتفقه عليه وحلت عليه
انظاره وحصل طرفا جيدا
من العلوم على الشيخ عطية
الاجهوري ولازمه ملازمة
كلية وبعد وفاة شيخه اشتغل
بالحديث فسمع صحيح مسلم
على الشيخ احمد الراشدي
واتصل بشيخنا الشيخ محمود
الكردي فلقنه الذكر ولازمه
وحصلت له منه الانوار وانجمع
عن الناس ولاحت عليه
لوائح النجابة والبسه التاج
وجعله من جملة خلفاء
الخلوتية وأمره بالتوجه الى
بيت المقدس فقدمه وسكن
بالحرم وصار يذكر الطلبة
بالعلوم ويعقد حلقة الذكر
وله فهم جيد مع حدة الذهن
وأقبلت عليه الناس بالمحبة
ونشر له القبول عند الامراء
والوزراء وقبلت شفاعته
مع انجماعه عنهم وعدم
قبول هداياهم واخبرني
بعض من يحبه انه يفهم من
كلام الشيخ ابن العربي
ويقرره تقريرا جيدا ويميل
الى سماعه وحج من بيت المقدس واصيب في العقبة بجراحة في عضده وسلب ما عليه وتحمل تلك المشقات

وقلعة بهندر فاقاموا بها وسار من الغز نحو مائتي رجل الى الامير ابي سعد اخي الملك الرحيم وصاروا معه وراسل ابو سعد الذين بالقلاع المذكورة فاستمالهم فاطاعوه وسلموا القلاع اليه وصاروا في خدمته واجتمع العسكر الشيرازي وعليهم الظهير ابو نصر واوقعوا بالغز بباب شيراز فانهزم الغز واسر تاج الدين نصر بن هبة الله بن احمد وكان من المقدمين عند الغز فلما انهزم الغز سار العسكر الشيرازي الى فسا وكان قد تغلب عليها بعض السفل وقوى امره لاشتغال العساكر بالغز فازالوا المتغلب عليها واستعادوها

(ذكر الحرب بين قريش واخيه المقلد)

في هذه السنة جرى خلف بين علم الدين قريش بن بدران وبين اخيه المقلد وكان قريش قد نقل عمه قرواشا الى قلعة الجراحية من اعمال الموصل وسجنه بها وارتحل يطلب العراق فجرى بينه وبين اخيه المقلد منازعة ادت الى الاختلاف فسار المقلد الى نور الدولة دبيس بن مزيد ملتجئا اليه فحمل اخاه الغيظ منه على ان نهب حلته وعاد الى الموصل واختلت احواله واختلفت العرب عليه واخرج نواب الملك الرحيم ببغداد الى ما كان بيد قريش من العراق بالجانب الشرقي من عكبرا والعلث وغيرهما من قبض غلته وسلم الجانب الغربي من اوانا ونهر بيطر الى ابي الهندي بلال بن غريب ثم ان قريشا استمال العرب واصلحهم فاذعنوا له بعد وفاة عمه قرواش فانه توفي هذه الايام وانحدر الى العراق ليستعيد ما اخذ منه فوصل الى الصالحية وسير بعض اصحابه الى ناحية الحظيرة وما والاها فنهبوا ما هنالك وعادوا فلقوا كامل بن محمد بن المسيب صاحب الحظيرة فاوقع بهم وقاتلهم فارسلوا الى قريش يعرفونه الحال فسار اليهم في عدة كثيرة من العرب والاكراد فانهزم كامل وتبعه قريش فلم يلحقه فقصد حلل بلال بن غريب وهي خالية من الرجال فنهبها وقاتله بلال وابلى بلاء حسنا فجرح ثم انهزم وراسل قريش نواب الملك الرحيم يبذل الطاعة ويطلب تقرير ما كان له عليه فاجابوه الى ذلك على كره لقوته وضعفهم واشتغال الملك الرحيم بخوزستان عنهم فاستقر امره وقوى شانه

(ذكر وفاة قرواش)

في هذه السنة مستهل رجب توفي معتمد الدولة ابو المنيع قرواش بن المقلد العقيلي الذي كان صاحب الموصل محبوسا بقلعة الجراحية من اعمال الموصل على ما ذكرناه قبل وحمل ميتا الى الموصل ودفن بتل توبة من مدينة نينوى شرقي الموصل وكان من رجال العرب وذوي العقل منهم وله شعر حسن فمن ذلك ما ذكره ابو الحسن علي بن الحسن الباخرزي في دمية القصر من شعره

لله در النائبات فانها * صدأ النفوس وصيقل الاحرار
ما كنت الا زبرة فطبعنني * سيفا واطلق شفرتي وغراري

وذكر له ايضا

ورجع الى مصر فقرأ على شيخه الشيخ محمد ابو جلس مدة ثم اذن له بالرجوع الى بلده وسمع اشياء كثيرة في مبادئ عمره واقتبس من الاشياخ فوائد جمة حتى قبل اشتغاله بالعلم وفي سنة ١١٨٢ كتب الى شيخنا السيد مرتضى يستجيزه فكتب له أسانيده العالية في كراسة وسماها قلنسوة التاج وقد تقدم ذكرها في ترجمة السيد مرتضى ولم يزل يملي ويفيد ويدرس ويعيد واشتهر ذكره في الآفاق وانعقد على اعتقاده وانفراده الاتفاق وسطعت أنواره وعمت اسراره وانتشرت في الكون اخباره وازدحمت على سدته زواره الى ان اجاب الداعي وفقته النواعي وذلك سابع عشرين شهر شعبان من السنة ولم يخلف بعده مثله وبه ختمت دائرة المسلكين من الخلوتية ورجال السادة الصوفية وحسن به ختم هذا الجزء الثالث من كتاب عجائب الآثار في التراجم والاخبار لغاية سنة عشرين ومائتين والف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام وسنفيد ان شاء الله تعالى ما يتجدد بعدها من الحوادث من ابتداء سنة احدى وعشرين التي نحن بها الآن ان امتد الاجل واسعف الامل ونرجو من الكريم المتعال صلاح الاحوال وانقشاع الهموم وصلاح العموم انه على كل شئ قدير وبالاجابة جدير والله أعلم

من

من كان يحمد او يذم مورثا * للمال من آبائه وجدوده
انى امرؤ لله شكر وحده * شكرا كثيرا جالبا لمزيده
لى اشقر سمح العنان مغاور * يعطيك ما يرضيك من مجهوده
ومهند عضب اذا جردته * خلت البروق تموج فى تجريده
ومثقف لدن السنان كانما * ام المنايا ركبت فى عوده
وبذا حويت المال الا انى * سلطت جودى على تبديده

قيل انه جمع بين اختين فى نكاحه فقيل له ان الشريعة تحرم هذا فقال واى شئ عندنا تجيزه الشريعة وقال مرة ما فى رقبتى غير خمسة او ستة من البادية قتلتهم واما الحاضرة فلا يعبأ الله بهم

(ذكر استيلاء الملك الرحيم على البصرة)

فى هذه السنة فى شعبان سير الملك الرحيم جيشا مع الوزير والبساسيرى الى البصرة وبها اخوه ابو على بن ابى كاليجار فحصروه بها فاخرج عسكره فى السفن لقتالهم فاقتتلوا عدة ايام ثم انهزم البصريون فى الماء الى البصرة واستولى عسكر الرحيم على دجلة والانهار جميعا وسارت العساكر على البر من المنزلة وصاروا الى البصرة فلما قاربوها لقيهم رسل مضر وربيعة يطلبون الامان فاجابوهم الى ذلك وكذلك بذلوا الامان لسائر اهلها ودخلها الملك الرحيم فسر به اهلها وبذل لهم الاحسان فلما دخل البصرة وردت اليه رسل الديلم بخوزستان يبذلون الطاعة ويذكرون انهم ما زالوا عليها فشكرهم على ذلك واقام بالبصرة ليصلح امرها واما اخوه ابو على صاحب البصرة فانه مضى الى شط عثمان فتحصن به وحفر الخندق فمضى الملك الرحيم اليه وقاتلهم فملك الموضع ومضى ابو على ووالدته الى عبادان وركبوا البحر الى مهروبان وخرجوا من البحر واكتروا دواب وساروا الى ارجان عازمين على قصد السلطان طغرلبك واخرج الملك الرحيم كل من بالبصرة من الديلم اجناد اخيه واقام غيرهم ثم ان الامير ابا على وصل الى السلطان طغرلبك وهو باصبهان فاكرمه واحسن اليه وحمل اليه مالا وزوجه امرأة من اهله واقطعه اقطاعا من اعمال جرباذقان وسلم اليه قلعتين من تلك الاعمال ايضا وسلم الملك الرحيم البصرة الى البساسيرى ومضى الى الاهواز وترددت الرسل بينه وبين منصور بن الحسين وهزارسب حتى اصطلحوا وصار الى ارجان وتسلمها الملك الرحيم

(ذكر ورود سعدى العراق)

وفيها فى ذى القعدة ورد سعدى بن ابى الشوك فى جيش من عند السلطان طغرلبك الى نواحى العراق فنزل مايدشت وسار منها جريدة فيمن معه من الغز الى ابى دلف الجاوانى فنذر به ابو دلف وانصرف من بين يديه ولحقه سعدى فنهبه واخذ ماله وافلت ابو دلف بحشاشة نفسه ونهب اصحاب سعدى البلاد حتى بلغوا النعمانية فاسرفوا فى النهب والغارة وفتكوا فى البلاد وافتضوا الابكار واخذوا الاموال والاثاث فلم يتركوا شيئا

بسم الله الرحمن الرحيم

(سنة احدى وعشرين ومائتين والف)

استهل شهر المحرم بيوم الخميس حسابا ويوم السبت هلالا ووافق ذلك انتقال الشمس لبرج الحمل فاتحدت السنة القمرية والشمسية وهو يوم النوروز السلطانى واول سنة الفرس وهو التاريخ الجلالى اليزدجردى وتاريخهم فى هذه السنة الف ومائة وستة وسبعون وكان طالع التحويل الواقع فى يوم الجمعة فى خامس ساعة ونصف من النهار سبع درجات ونصفا من برج السرطان وصاحبه فى حيز العاشر منصرف عن تربيع المشترى ومقارنة عطارد والمشترى فى السابع والمريخ مع الزهرة فى العاشر وهى راجعة وكيوان فى الرابع وهو دليل على ثبات دولة القائم وتعب الرعية والحكم لله العلى الكبير (وفى ثالثه) فى ليلة الثلاثاء وصل الى بولاق قابجى وعلى يده تقرير لمحمد على باشا بولاية مصر وصحبة التقرير خلعة وهى فروة سمور فلما اصبح النهار عمل محمد على باشا ديوانا بمنزله بالازبكية وحضر السيد عمر النقيب والمشايخ والاعيان وحضر ذلك الاغا من بولاق

وقصد البندنيجين وبلغ خبره الى خاله خالد بن عمر وهو نازل على الزربرو مطر ابني علي ابن معن العقيليين فارسل اليه ولده مع أولاد الزربر ومطر يشكون اليه ما عاملهم به عمه مهلهل وقريش بن بدران فلقوه بحلوان وشكوا اليه حالهم فوعدهم المسير اليهم وانقاذهم ممن قصدهم فعادوا من عنده فلقيهم نفر من أصحاب مهلهل فواقعوهم فظفر بهم العقيليون واسروهم وبلغ الخبر مهلهلا فسار الى حلل الزربر ومطر في نحو خمسمائة فارس فاوقع بهم على تل عكبرا ونهبهم وانهزم الرجال فلقي خالد ومطر والزربر سعدي بن أبي الشوك على تامرا فاعلموه الحال وحملوه على قتال عمه فتقدم الى طريقه والتقى القوم وكان سعدي في جمع كثير فظفر بعمه وأسره وانهزم أصحابه في كل جهة واسر أيضا مالك ابن عمه مهلهل واعاد الغنائم التي كانت معهم على أصحابها وعاد الى حلوان ووصل الخبر الى بغداد فارتج الناس بها وخافوا وبرز عسكر الملك الرحيم ليقصدوا حلوان لمحاربة سعدي ووصل اليهم أبو الاغر دبيس بن مزيد الاسدي ولم يصنعوا شيئا

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قبض عيسى بن خميس بن مقن على اخيه ابي غشام صاحب تكريت بها وحبسه في سرداب بالقلعة واستولى على تكريت وفيها زلزلت خوزستان وارجان وايذج وغيرها من البلاد زلازل كثيرة وكان معظمها بارجان فخرب كثير من بلادها وديارها وانفرج جبل كبير قريب من ارجان وانصدع فظهر في وسطه درجة مبنية بالآجر والجص قد خفيت في الجبل فتعجب الناس من ذلك وكان بخراسان أيضا زلزلة عظيمة خربت كثيرا وهلك بسببها كثير وكان أشدها بمدينة بيهق فاتى الخراب عليها وخرب سورها ومساجدها ولم يزل سورها خرابا الى سنة أربع وستين وأربعمائة فامر نظام الملك ببنائه فبني ثم خربه أرسلان ارغو بعد موت السلطان ملكشاه وقد ذكرناه ثم عمره مجد الملك البلاساني وفيها عمل محضر ببغداد يتضمن القدح في نسب العلويين أصحاب مصر وانهم كاذبون في ادعائهم النسب الى علي عليه السلام وعزوهم فيه الى الديصانية من المجوس والقداحية من اليهود وكتب فيه العلويون والعباسيون والفقهاء والقضاة والشهود وعمل به عدة نسخ وسير في البلاد وأشيع بين الحاضر والباد وفيها شهد الشيخ أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن الصباغ مصنف الشامل عند قاضي القضاة أبي عبد الله الحسين بن علي بن ماكولا وفيها حدثت فتنة بين السنية والشيعة ببغداد وامتنع الضبط وانتشر العيارون وتسلطوا وجبوا الاسواق وأخذوا ما كان يأخذه أرباب الاعمال وكان مقدمهم الطقطقي والزيبق واعاد الشيعة الاذان بحي على خير العمل وكتبوا على مساجدهم محمد وعلي خير البشر وجرى القتال بينهم وعظم الشر وفيها زوج نور الدولة دبيس بن مزيد ابنته من بهاء الدولة منصور ابن أبي البركات ابن البساسيري وفيها في ربيع الاول توفي القاضي أبو جعفر السمناني بالموصل كان اماما في الفقه على مذهب أبي حنيفة والاصول على مذهب الاشعري وروى الحديث

في موكب ودخل من باب النصر وشق من وسط المدينة وامامه الاغا والوالي والمحتسب والاغوات والجاويشية وخلفه النوبة التركية فلما وصلوا الى باب الخرق عطفوا على جهة الازبكية فلما قرئ التقليد ضربوا مدافع كثيرة من الازبكية والقلعة وعملوا تلك الليلة شنكا وحراقات ونفوطا وسواريخ كثيرة وطبولا وزمورا بالازبكية (وفي سابعه) وصلت الاخبار بوقوع حروب بين العساكر والعربان والامراء المصرية بناحية جزيرة الهواء وقتل شخص من كبار العسكر يسمى كور يوسف وغيره ووصل الى مصر عدة جرحى وهرب من العسكر طائفة وانضموا الى الامراء المصريين وأرسل حسن بن شابه تجدد الباشا بارسال عساكر اليه وفي ذلك اليوم نادوا في الاسواق بعدم المشي في الاسواق من أذان العشاء وخرج افندا بك الى بولاق في آخر النهار ونصب وطاقه ببر انبابة وخرج سليمان أغا بجملة من العسكر وذهب الى ناحية طرا (وفي ثامنه) عدى كتخدا بك الى البر الغربي وانتقل طاهر باشا الى الجيزة وأقام بها محافظا (وفيه) امر الباشا بجمع الاجناد المصرية والوجاقلية وأمرهم بالتعدية الى البر الغربي

من الدارقطني وغيره وفي هذا الشهر توفي أيضاً أبو علي الحسن بن علي بن المذهب الواعظ وهو راوي مسند أحمد بن حنبل

(ثم دخلت سنة خمس وأربعين وأربعمائة)

(ذكر الفتنة بين السنية والشيعة ببغداد)

في هذه السنة في المحرم زادت الفتنة بين أهل الكرخ وغيرهم من السنية وكان ابتداؤها أواخر سنة أربع وأربعين فلما كان الآن عظم الشر واطرحت المراقبة للسلطان واختلط بالفريقين طوائف من الأتراك فلما اشتد الأمر اجتمع القواد واتفقوا على الركوب إلى المحال وإقامة السياسة بأهل الشر والفساد وأخذوا من الكرخ إنساناً علوياً وقتلوه فثار نساؤه ونشرن شعورهن واستغثن فتبعهن العامة من أهل الكرخ وجرى بينهم وبين القواد ومن معهم من العامة قتال شديد وطرح الأتراك النار في أسواق الكرخ فاحترق كثير منها وألحقتها بالأرض وانتقل كثير من الكرخ إلى غيرها من المحال وندم القواد على ما فعلوه وأنكر الإمام القائم بأمر الله ذلك وصلح الحال وعاد الناس إلى الكرخ بعد أن استقرت القاعدة بالديوان بكف الأتراك أيديهم عنهم

(ذكر استيلاء الملك الرحيم على أرجان ونواحيها)

في هذه السنة في جمادى الأولى استولى الملك الرحيم على مدينة أرجان وأطاعه من كان بها من الجند وكان المقدم عليهم فولاذ بن خسرو الديلمي وكان قد تغلب على ما جاورها من البلاد إنسان متغلب يسمى خشنام فأنفذ إليه فولاذ جيشاً فأوقعوا به وأجلوه عن تلك النواحي وأضافوا إلى طاعة الرحيم وخاف هزارسب بن بنكير من ذلك لأنه كان مباينا للملك الرحيم على ما ذكرناه فأرسل يتضرع ويتقرب ويسأل التقدم إلى فولاذ بإحسان مجاورته فأجيب إلى ذلك

(ذكر مرض السلطان طغرلبك)

في هذه السنة وصل السلطان طغرلبك إلى أصبهان مريضاً فقوي الإرجاف عليه بالموت ثم عوفي ووصل إليه الأمير أبو علي ابن الملك أبي كاليجار الذي كان صاحب البصرة ووصل إليه أيضاً هزارسب بن بنكير بن عياض صاحب إيذج فإنه كان قد خاف الملك الرحيم لما استولى على البصرة وأرجان فأكرمهما طغرلبك وأحسن ضيافتهما ووعدهما النصرة والمعونة

(ذكر عود سعدي بن أبي الشوك إلى طاعة الرحيم)

قد ذكرنا سنة أربع وأربعين وصول سعدي إلى العراق وأسره عمه فلما أسره سار ولده بدر بن المهلهل إلى السلطان طغرلبك وتحدث معه في مراسلة سعدي ليطلق أباه فسلم إليه طغرلبك ولداً كان لسعدي عنده رهينة وأرسل معه رسولاً يقول فيه إن أردت فدية عن أسيرك فهذا ولدك قد رددته عليك وإن أبيت إلا الخلاف ومفارقة الجماعة

وكانه تخوف من اقامتهم بالمدينة وقال لهم من أراد منكم الذهاب الى الاخصاص فليذهب والا يستمر معنا (وفي هذه الايام) كان مولد سيدي أحمد البدوي والجمع بطندتا المعروف بمولد الشرنبابلية وهو مع غالب أهل البلاد بالذهاب اليه وأكثروا الجمال والحمير بأغلى الاجرة لان ذلك صار عند أهل الاقليم موسما وعيدا لا يتخلفون عنه اما للزيارة أو للتجارة أو للنزاهة أو للفسوق ويجتمع به العالم الاكبر من الى الاقليم البحري والقبلي وخرج [illegible] أكثرهم الى البلد بمجموعهم فكان الواقفون من الابواب يفتشون الاحمال فوجدوا مع بعضهم أشياء من أسباب الاجناد المصريين وملابسهم ونحو ذلك فوقع بسبب ذلك ايذاء لمن وجدوا معه شيئا من ذلك ولحق الناس ضرر بتفتيش متاعهم فكان من الناس من يأخذ معه [illegible] من العسكر من طرف الاغا يسايرهم [illegible] الى روجهم من غير تفتيش ويمنعون المتقيدين بالابواب عن التعرض لهم وتفتيش متاعهم وأحمالهم (وفي تاسعه) وصل الخبر بان عابدين بك لما بلغه خروج الالفي من الفيوم ذهب اليها صحبة الدلاة فلم يجد بها أحدا فدخلها وأرسل المبشرين الى مصر بانه ملك الفيوم فضربوا مدافع لذلك وانبث المبشرون

فابلغاك عن فعالك فلما وصل بدر والرسول الى همذان تخلف بدر وسار الرسول اليه فاعتعض من قوله وخالف طغرلبك وسار الى حلوان واراد اخذها فلم يمكنه وتردد بين روشنقباذ والبردان وكاتب الملك الرحيم وصار في طاعته فسار اليه ابراهيم بن اسحق وسخت كمان وهما من اعيان عسكر طغرلبك في عسكر مع بدر بن المهلهل فاوقعوا به فانهزم هو واصحابه وعاد الغز عنهم الى حلوان وسار بدر الى شهرزور في طائفة من الغز ومضى سعدى الى قلعة روشنقباذ

(ذكر عود الامير ابي منصور الى شيراز)

في هذه السنة في شوال عاد الامير ابو منصور فولاستون ابن الملك ابي كاليجار الى شيراز مستوليا عليها وفارقها اخوه الامير ابو سعد وكان سبب ذلك ان الامير ابا سعد كان قد تقدم معه في دولته انسان يعرف بعميد الدين ابي نصر بن الظهير فحكم معه واطرح الاجناد واستخف بهم واوحش ابا نصر بن خسرو صاحب قلعة اصطخر الذي كان قد استدعى الامير ابا سعد وملكه فلما فعل ذلك اجتمعوا على مخالفته وتألبوا عليه واحضر ابو نصر بن خسرو الامير ابا منصور بن ابي كاليجار اليه وسعى في اجتماع الكلمة عليه فاجابه كثير من الاجناد لكراهتهم لعميد الدين فقبضوا عليه ونادوا بشعار الامير ابي منصور واظهروا طاعته واخرجوا الامير ابا سعد عنهم فعاد الى الاهواز في نفر يسير ودخل الامير ابو منصور الى شيراز مالكا لها مستوليا عليها وخطب فيها لطغرلبك وللملك الرحيم ولنفسه بعدهما

(ذكر ايقاع البساسيري بالاكراد والاعراب)

وفيها في شوال وصل الخبر الى بغداد بان جمعا من الاكراد وجمعا من الاعراب قد افسدوا في البلاد وقطعوا الطريق ونهبوا القرى طمعا في السلطنة بسبب الغز فسار اليهم البساسيري جريدة وتبعهم الى البوازيج فاوقع بطوائف كثيرة منهم وقتل فيهم وغنم اموالهم وانهزم بعضهم فعبروا الزاب عند البوازيج فلم يدركهم واراد العبور اليهم وهم بالجانب الآخر وكان الماء زائدا فلم يتمكن من عبوره فنجوا

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفي الشريف ابو تمام محمد بن محمد بن على الزينبي نقيب النقباء وقام بعده في النقابة ابنه ابو على وفيها توفي ابو اسحق ابراهيم بن محمد بن احمد البرمكي وكان مكثرا من الحديث سمع ابن مالك القطيعي وغيره وانما قيل البرمكي لانه سكن محلة ببغداد تعرف بالبرامكة وقيل كان من قرية عند البصرة تعرف بالبرمكية

(ثم دخلت سنة ست واربعين واربعمائة)

(ذكر فتنة الاتراك ببغداد)

في هذه السنة في المحرم كانت فتنة الاتراك ببغداد وكان سببها انهم تخلف لهم على الوزير

الذى

يطوفون على بيوت الاعيان يشرونهم بذلك ويأخذون على ذلك الدراهم والبقاشيش ثم لما بلغ عابدين بك ما حصل لاخيه حسن باشا من الهزيمة رجع اليه واقام معه ناحية الرقق (وفي عاشره) وصل الالفي الى ناحية كرداسة وانتشرت عساكره وعربانه باقليم الجيزة فلم يخرج لهم احد من الجيزة مع كونهم بمرأى منهم ويسمعون نقاقيرهم وطبولهم ووطاحو افرخيولهم (وفيه) ارسل الالفي مكتوبا خطابا الى السيد عمر افندي مكرم النقيب والمشايخ مضمونه نخبركم ان سبب حضورنا الى هذه الجهة انما هو لطلب القوت والمعاش فان الجهة التي كنا بها لم يبق فيها شيء يكفينا ويكفي من معنا من الجيش والاجناد ونرجو من مراحم افندينا بشفاعتكم أن ينعم علينا بما نتعيش به كما رجوناه منه في السابق فلما كان في صبحها يوم الاثنين حادي عشره ركب السيد عمر الى الباشا واخبره بذلك وأطلعه على المراسلة فقال ومن أتى به فقال له تابع مصطفى كاشف المورلي وقد ترك متبوعه بالبر الآخر فقال له أكتب له بالحضور حتى نتروى معه مشافهة وفي ذلك الوقت حضر الى الباشا من أخبره بان طائفة من المصريين وجيوشهم وصلوا الى بر انبابة تفرج اليهم طائفة من

الذى للملك الرحيم مبلغ كثير من رسومهم فطالبوه وألحوا عليه فاختفى فى دار الخلافة فحضر الاتراك بالديوان وطالبوه وشكوا ما يلقونه منه من المطال بعطائهم فلم يجابوا الى اظهاره فعدلوا عن الشكوى منه الى الشكوى من الديوان وقالوا ان ارباب المعاملات قد سكنوا بالحريم وأخذوا الاموال واذا طلبناهم بها يحتمون بالمقام بالحريم وانتصب الوزير والخليفة لمنعنا عنهم وقد هلكنا فتردد الخطاب منهم والجواب عنه فقاموا نافرين فلما كان الغد ظهر الخبر انهم على عزم حصر دار الخلافة فانزعج الناس لذلك واخفوا اموالهم وحضر البساسيرى دار الخلافة وتوصل الى معرفة خبر الوزير فلم يظهر له على خبر فطلب من داره ودور من يتهم به وكبست الدور فلم يظهروا له على خبر وركب جماعة من الاتراك الى دار الروم فنهبوها واحرقوا البيع والقلايات ونهبوا فيها دار ابى الحسن ابن عبيد وزير البساسيرى وقام اهل نهر المعلى وباب الازج وغيرهما من المحال فى منافذ الدروب لمنع الاتراك وانخرق الامر ونهب الاتراك كل من ورد الى بغداد فغلت الاسعار وعدمت الاقوات وارسل اليهم الخليفة ينهاهم فلم ينتهوا فاظهر انه يريد الانتقال من بغداد فلم يزجروا هذا جميعه والبساسيرى غير راض بفعلهم وهو مقيم بدار الخليفة وتردد الامر الى ان ظهر الوزير وقام لهم بالباقى مما لهم من ماله واثمان دوابه وغيرها ولم يزل الوالى خبط وعسف فعاد طمع الاكراد والاعراب اشد منه اولا وعاودوا الغارة والنهب والقتل فخربت البلاد وتفرق اهلها وانحدر اصحاب قريش بن بدران من الموصل طامعين فكبسوا حلل كامل بن محمد بن المسيب وهى بالبردان فنهبوها وبها دواب وجمال بخاتى للبساسيرى فاخذوا الجميع ووصل الخبر الى بغداد فازداد خوف الناس من العامة والاتراك وعظم انحلال امر السلطنة بالكلية وهذا من ضرر الخلاف

(ذكر استيلاء طغرلبك على اذربيجان وغزو الروم)

فى هذه السنة سار طغرلبك الى اذربيجان فقصد تبريز وصاحبها الامير ابو منصور وهسوذان بن محمد الروادى فاطاعه وخطب له وحمل اليه ما ارضاه به واعطاه ولده رهينة فسار طغرلبك عنه الى الامير ابى الاسوار صاحب جنزة فاطاعه ايضا وخطب له وكذلك سائر تلك النواحى ارسلوا اليه يبذلون الطاعة والخطبة وانفاذ العساكر اليه فابقى بلادهم عليهم واخذ رهائنهم وسار الى ارمينية وقصد ملازكرد وهى للروم فحصرها وضيق على اهلها ونهب ما جاورها من البلاد واخربها وهى مدينة حصينة فارسل اليه نصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر الهدايا الكثيرة والعساكر وقد كان خطب له قبل هذا الوقت واطاعه واثر السلطان طغرلبك فى غزو الروم آثارا عظيمة ونال منهم من النهب والقتل والاسر شيئا كثيرا وبلغ فى غزوته هذه الى ارزن الروم وعاد الى اذربيجان لما هجم الشتاء من غير ان يملك ملازكرد واظهر انه يقيم الى ان ينقضى الشتاء ويعود يتم غزاته ثم توجه الى الرى فاقام بها الى ان دخلت سنة سبع واربعين وعاد نحو العراق على ما نذكره ان شاء الله تعالى

العسكر المرابطين هناك وتحاربوا معهم بشرق الغنم ووقع بينهم بعض قتلى وجرحى فركب من فوره وذهب الى بولاق فنزل بالساحل وجلس هناك ساعة ثم ركب عائدا الى داره بعد ان منع من تعدية المراكب الى بر انبابة ثم امرهم بالتعدية لربما احتاجوها وكان كذلك فانهم رجعوا منهزمين فلولم يجدوا المعادى لحصل لهم هول كبير (وفى يوم الثلاثاء) حضر مصطفى كاشف المورلى المرسل من طرف الالفى وصحبته على جربجى بن موسى الجيزاوى الى بيت السيد عمر فركب صحبته الى الباشا وكتبوا له جوابا ورجع من ليلته ثم حضر فى يوم الخميس رابع عشره بجواب آخر ومضمونه اننا ارسلنا لكم نرجو منكم أن تسعوا بيننا بما فيه الراحة لنا ولكم وللفقراء والمساكين واهالى القرى فاجبتمونا باننا نتعدى على القرى ونطلب منهم المغارم ونرعى زرعهم وننهب مواشيهم والحال انه والله العظيم ونبيه الكريم ان هذا الامر لم يكن على قصدنا ومرادنا مطلقا وانما الموجب لحضورنا الى هذا الطرف ضيق الحال والمقتضى للعصبية التى نصبها من العربان وغيرهم ارسال التجاريد والعساكر علينا فلازم لنا ان نجمع الينا من يساعدنا فى المدافعة عن

﴿ذكر محاربة بني خفاجة وهزيمتهم﴾

في هذه السنة في رجب قصد بنو خفاجة الجامعين وأعمال نور الدولة دبيس ونهبوا وفتكوا في أهل تلك الأعمال وكان نور الدولة شرقي الفرات وخفاجة غربيها فأرسل نور الدولة الى البساسيري يستنجده فسار اليه فلما وصل عبر الفرات من ساعته وقاتل خفاجة وأجلاهم عن الجامعين فانهزموا منه ودخلوا البر فلم يتبعهم وعاد عنهم فرجعوا الى الفساد فاستعد لسلوك البر خلفهم أين قصدوا وعطف نحوهم فاصطدم بهم فدخلوا البر أيضا فتبعهم فلحقهم بخفان وهو حصن بالبر فأوقع بهم وقتل منهم ونهب أموالهم وجمالهم وعبيدهم وإماءهم وشردهم كل مشرد وحصر خفان ففتحه وخربه وأراد تخريب القائم به وهو بناء من آجر وكلس وصانع عنه صاحبه ربيعة بن مطاع بمال بذله فتركه وعاد الى البلاد وهذا القائم قيل انه كان علما يهتدى به السفن لما كان البحر يجيء الى النجف ودخل بغداد ومعه خمسة وعشرون رجلا من خفاجة عليهم البرانس وقد شدهم بالحبال الى الجمال وقتل منهم جماعة وصلب جماعة وتوجه الى حربي فحصرها وقرر على أهلها تسعة آلاف دينار وأمنهم

﴿ذكر استيلاء قريش بن بدران على الانبار والخطبة لطغرلبك بأعماله﴾

في شعبان من هذه السنة حصر الامير أبو المعالي قريش بن بدران صاحب الموصل مدينة الانبار وفتحها وخطب لطغرلبك فيها وفي سائر أعماله ونهب ما كان فيها للبساسيري وغيره ونهب حلل أصحابه بالخالص وفتحوا بثوقه فامتعض البساسيري من ذلك وجمع جموعا كثيرة وقصد الانبار وحربي فاستعادهما على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر وفاة القائد بن حماد وما كان من أهله بعده﴾

في هذه السنة في رجب توفي القائد بن حماد وأوصى الى ولده محسن وأوصاه بالاحسان الى عمومته فلما مات خالف ما أمره به وأراد عزل جميعهم فلما سمع عمه يوسف بن حماد بما عزم عليه خالفه وجمع جمعا عظيما وبنى قلعة في جبل منيع وسماها الطيارة ثم ان محسنا قتل من عمومته أربعة فازداد يوسف نفورا وكان ابن عمه بلكين بن محمد في بلده افريون فكتب اليه محسن يستدعيه فسار اليه فلما قرب منه أمر محسن رجالا من العرب أن يقتلوه فلما خرجوا قال لهم أميرهم خليفة بن مكن ان بلكين لم يزل محسنا الينا فكيف نقتله فأعلموه ما أمرهم به محسن فخاف فقال له خليفة لا تخف وان كنت تريد قتل محسن فأنا أقتله لك فاستعد بلكين لقتاله وسار اليه فلما علم محسن بذلك وكان قد فارق القلعة عاد هاربا اليها فأدركه بلكين فقتله وملك القلعة وولي الامر وكان ملكه القلعة سنة سبع وأربعين وأربعمائة

﴿ذكر ابتداء الوحشة بين البساسيري والخليفة﴾

في شهر رمضان من هذه السنة ابتدأت الوحشة بين الخليفة والبساسيري وسبب ذلك ان أبا الغنائم وأبا سعد ابني المحلبان صاحبي قريش بن بدران وصلا الى بغداد سرا

فامتعض

أنفسنا فهم يجمعون أصناف العساكر من الاقطار الرومية والمصرية فإن بقينا وقاتلناهم كذلك ينهبون البلاد والعباد للاتفاق عليهم ونحن كذلك نجمع الينا من يساعدنا في المنع ونفعل كفعلهم لننفق على من حولنا من المساعدين لنا وكل ذلك يؤدي الى الخراب والدمار وظلم الفقراء والقصد منكم بل الواجب عليكم السعي في راحة الفريقين وهو ان يكفوا الحرب ويغزوا لناحية نرتاح فيها فان أرض الله واسعة تسعنا وتسعهم ويعطوننا عهدا بكفالة بعض من نعتمد عليه من عندنا وعندهم ويكتب بذلك محضر لصاحب الدولة وننتظر رجوع الجواب وعند وصوله يكون العمل بمقتضاه فعند ذلك اقتضى الرأي أن يقطعوه اقليم الجيزة وكتبوا له جوابا بذلك من غير عقد ولا عهد ولا كفالة كما أشار وسلموا الجواب لمصطفى كاشف ورجع به وفي أثناء ذلك طلب أجناد الالفي كلفا من بلد برطيس وأم دينار ومنية عقبة فامتنعوا عليهم فضربوهم وحاربوهم ونهبوهم وسبب ذلك ان العساكر الاتراك أغروهم وأرسلوا يقولون لهم اذا طلبوا منكم كلفة أو دراهم لا تدفعوا لهم واطردوهم وحاربوهم وانهبوهم واذا سمعنا بحربكم

فامتعض البساسيرى من ذلك وقال هؤلاء وصاحبهم كبسوا محلل أصحابى ونهبوا وقتلوا البشوق واسرفوا فى اهلاك الناس وأراد أخذهم فلم يمكن منهم فمضى الى الحربى وعاد ولم يقصد دار الخلافة على عادته فنسب ذلك الى رئيس الرؤساء واجتازت به سفينة لبعض اقارب رئيس الرؤساء فمنعها وطالب بالضريبة التى عليها واسقط مشاهرات الخليفة من دار الضرب وكذلك مشاهرات رئيس الرؤساء وحواشى الدار وأراد هدم دور بنى المطلبان فمنع منه فقال ما اشكوا الامن رئيس الرؤساء الذى قد خرب البلاد واطمع الغز وكاتبهم ودام ذلك الى ذى الحجة فسار البساسيرى الى الانبار واحرق ناحيتى دمما والفلوجة وكان ابو الغنائم بن المطلبان بالانبار قد اتاها من بغداد وورد نور الدولة دبيس الى البساسيرى معاونا له على حصرها ونصب البساسيرى عليها المجانيق فهدم برجا ورماهم بالنفط فاحرق اشياء كان قد اعدها أهل البلد لقتاله ودخلها قهرا فاسر مائة نفس من بنى خفاجة واسر ابا الغنائم بن المطلبان فاخذ وقد القى نفسه فى الفرات ونهب الانبار واسر من اهلها خمسمائة رجل وعاد الى بغداد وبين يديه ابو الغنائم على جمل وعليه قميص احمر وعلى راسه برنس وفى رجليه قيد واراد صلبه وصلب من معه من الاسرى فساله نور الدولة ان يؤخر ذلك حتى يعود واتى البساسيرى الى مقابل التاج فقبل الارض وعاد الى منزله وترك أبا الغنائم لم يصلبه وصلب جماعة من الاسرى فكان هذا اول الوحشة

❁(ذكر وصول الغز الى الدسكرة وغيرها)❁

فى شوال من هذه السنة وصل ابراهيم بن اسحق وهو من الامراء الغزية السلجوقية الى الدسكرة وكان معه سعد بن حلوان فلما وصل اليها قاتله اهلها ثم ضعفوا وعجزوا وهربوا متفرقين ودخل الغز البلد فنهبوه أقبح نهب وضربوا النساء واولادهن واستخرجوا بذلك اموالا كثيرة وساروا الى روشنقباذ لغصبها وهى بيد سعدى واموالها فيها وفى قلعة البردان وكان سعدى قد فارق طاعة السلطان طغرلبك على ما ذكرناه فلم يقصدها واجلى أهل تلك البلاد وخربت القرى ونهبت أموال اهلها وسار طائفة أخرى من الغز الى نواحى الاهواز وأعمالها فنهبوها واجتاحوا أهلها وقوى طمع الغز فى البلاد وانخذل الديلم ومن معهم من الاتراك وضعفت نفوسهم ثم سير طغرلبك الامير أبا على ابن الملك ابى كاليجار الذى كان صاحب البصرة فى جيش من الغز الى خوزستان ليملكها فوصل سابور خواست وكاتب الديلم الذين بالاهواز يدعوهم الى طاعته ويعدهم الاحسان ان اجابوا والعقوبة ان امتنعوا فمنهم من أطاع ومنهم من خالف فسار الى الاهواز فملكها واستولى عليها ولم يعرض لاحد فى مال ولا غيره فلم يوافقه الغز على ذلك ومدوا أيديهم الى النهب والغارة والمصادرة ولقى الناس منهم عنتا وشدة

❁(ذكر عدة حوادث)❁

فى هذه السنة كثرت الصراصر ببغداد حتى كان يسمع لها بالليل دوى كدوى الجراد

معهم أتينا كم وساعدنا كم فاقتروا بذلك وصدقوهم فلما حصل لهم ما حصل لم يسعفوهم ولم يخرجوا من اوكارهم حتى جرى عليهم المقدور (وفى يوم السبت ثالث عشرينه) كتب الباشا مراسيم وأرسلها الى كشاف الاقاليم والكائنين بالبلاد من الاجناد المصرية بان يجتمعوا باسرهم ويذهبوا الى ساحل السبكية للمحافظة عليها من وصول الاخصام اليها ولمنعهم من تعدية البحر اليها لانهم اذا حصلوا بها تعدى شرهم الى بلاد المنوفية باسرها واشيع عزم الباشا على الركوب بنفسه وذهابه الى تلك الجهة ويكون سيره على طريق القليوبية ويلحق بهم وكتخدا بك وطاهر باشا يسيران على الساحل الغربى تجاههم ثم بطل ذلك وارسل الى حسن باشا سرششمه بان يحضر بمن معه من العسكر من عند حسن باشا طاهر من ناحية بنى سويف وكذلك عساكر كور يوسف الذى قتل فى المعركة كما ذكر (وفى ذلك اليوم) وصل رسول أيضا من عند الالفى بمكاتبات واجتمع بالسيد عمر النقيب والمكاتبات خطابا له ولبقية المشايخ وللباشا ولسعيد أغا دار السعادة وصالح بك القاصجى بمعنى ما تقدم صحبة أحمد ابى دهب العطار فكتبوا له جوابا بالمعنى الاول

اذاطار وفيها في ذي الحجة توفي أبو حسان المقلد بن بدران اخو قريش بن بدران صاحب الموصل وفيها في شوال توفي قسطنطين ملك الروم زوج تدورة بنت قسطنطين الموسومة بالملك وامامك قسطنطين هذا حيث تزوجها وفيها توفي عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن أبو عبد الله الاصبهاني المعروف بابن اللبان الفقيه الشافعي وهو من اصحاب ابي حامد الاسفرايني وروى الحديث عن ابن المقري والمخلص وغيرهما وتوفي فيها أحمد بن عمر بن روح أبو الحسن النهرواني وله شعر جيد فمنه انه سمع رجلا يتغنى وهو يقول

وما طلبوا سوى قتلي * فهان على ما طلبوا

فاستوقفه وقال له اضف اليه

على قلبي الاحبة بالتمادي في الهوى غلبوا
وبالهجران من عيني طيب النوم قد سلبوا
وما طلبوا سوى قتلي * فهان على ما طلبوا

(ثم دخلت سنة سبع واربعين واربعمائة)

(ذكر استيلاء الملك الرحيم على شيراز وقطع خطبة طغرلبك فيها)

في هذه السنة في المحرم سار قائد كبير من الديلم يسمى فولاذ وهو صاحب قلعة اصطخر الى شيراز فدخلها واخرج عنها الامير ابا منصور فولاستون ابن الملك ابي كاليجار فقصد فيروز آباذ واقام بها وقطع فولاذ خطبة السلطان طغرلبك في شيراز وخطب للملك الرحيم ولاخيه ابي سعد وكاتبهما يظهر لهما الطاعة فعلما أنه يخدعهما بذلك فسار اليه أبو سعد وكان بارجان ومعه عساكر كثيرة واجتمع هو واخوه الامير أبو منصور على قصد شيراز ومحاصرتها على قاعدة استقرت بينهما من طاعة أخيهما الملك الرحيم فتوجها نحوهما فمن معهما من العساكر وحصرا فولاذ فيها وطال الحصار الى أن عدم القوت فيها وبلغ السعر سبعة ارطال حنطة بدينار ومات أهلها جوعا وكان من بقي فيها نحو ألف انسان وتعذر المقام في البلد على فولاذ فخرج هاربا مع من في صحبته من الديلم الى نواحي البيضاء وقلعة اصطخر ودخل الامير أبو سعد والامير أبو منصور شيراز وعساكرهما وملكوها واقاموا بها

(ذكر قتل أبي حرب بن مروان صاحب الجزيرة)

في هذه السنة قتل الامير أبو حرب سليمان بن نصر الدولة بن مروان وكان والده قد سلم اليه الجزيرة وتلك النواحي ليقيم بها ويحفظها وكان شجاعا مقداما فاستبد بالامر واستولى عليها وجرى بينه وبين الامير موسك بن المجلي بن زعيم الاكراد البختية وله حصون منيعة شرقي الجزيرة نفرة ثم راسله أبو حرب واستماله وسعى ان يزوجه ابنة الامير ابي طاهر البشنوي صاحب قلعة فنك وغيرها من الحصون وكان ابو طاهر هذا ابن اخت نصر الدولة بن مروان فلم يخالف ابو طاهر صاحب فنك أبا حرب في الذي اشار به من تزويج الامير موسك فزوجه ابنته ونقلها اليه فاطمأن حينئذ موسك وسار الى سليمان

الشتيوي ناظر جامع الباسطية وكل ذلك امور صورية وملاعبات من الطرفين لاحقيقة لها (وفي يوم الثلاثاء) وصل الجماعة المذكورون الذين استدعاهم الباشا بعساكرهم وخلعوا الباشا على أحد كبارهم عوضا عن كور يوسف المقتول (وفيه) وصل الخبر بان طائفة من الاجناد المصرية ومن بصحبتهم من العربان صدوا الجابر السبكية ولم يمنعهم المحافظون بل هربوا من وجوههم فامر الباشا بسفر العساكر وطلب دراهم سلفة من الاعيان لاجل نفقة العساكر وفرضوا على البلاد ثلاثة آلاف كيس ويكون على العال منها مائة الف فضة وفيها الاوسط والدون (وفي يوم الخميس) نودي في الاسواق بخروج العساكر (وفي يوم السبت) سافر طاهر باشا الى منوف على جرائد الخيل وسافر بعده كتخداه بالحملة واحتاجوا الى جمال فاخذوا جمال السقائين والشواغرية (وفيه) حضر عمر بك الارنؤدي من ناحية بني سويف واخبر الواردون من الناحية ان رجب أغا وطائفة من العسكر خامروا عليه وانضموا الى الامراء القبليين وهم نحو السبعمائة فعند ذلك حضر عمر بك المذكور في تطريدة

فغدر به وقبض عليه وحبسه ووصل السلطان طغرلبك الى تلك الاعمال لما توجه الى غزو الروم على ما ذكرناه فارسل الى نصر الدولة يشفع في موسك فاظهر انه توفي فشق ذلك على حميه ابي طاهر البشنوي وارسل الى نصر الدولة وابنه سليمان فقال لهما حيث اردتما قتله فلم جعلتماه ابنتي طريقا الى ذلك وقلدتموني العار وتنكر لهما وخافه ابو حرب فوضع عليه من سقاه سما فقتله وولي بعده ابنه عبيد الله فاظهر له ابو حرب المودة استصلاحا له وتبرأ اليه من كل ما قيل عنه واستقر الامر بينهما على الاجتماع وتجديد الايمان فنزلوا من فنك وخرج اليهم ابو حرب من الجزيرة في نفر قليل فقتلوه وعرف والده ذلك فاقلقه وازعجه وارسل ابنه نصرا الى الجزيرة ليحفظ تلك النواحي وياخذ بثار اخيه وسير معه جيشا كثيفا وكان الامير قريش بن بدران صاحب الموصل لما سمع قتل ابي حرب انتهز الفرصة وسار الى الجزيرة ليملكها وكاتب البختية والبشنوية واستمالهم فنزلوا اليه واجتمعوا معه على قتال نصر بن مروان فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا كثر فيه القتلى وصبر الفريقان فكانت الغلبة اخيرا لابن مروان وجرح قريش جراحة قوية بزوبين رمي به وعاد عنه وثبت امر ابن مروان بالجزيرة وعاود مراسلة البشنوية والبختية واستمالهم لعله يجد فيهم طمعا فلم يطيعوه

❁(ذكر نهب الاتراك ببغداد باهل البساسيري والقبض عليه ونهب دوره وأملاكه وتأكد الوحشة بينه وبين رئيس الرؤساء)❁

في هذه السنة ثارت فتنة ببغداد بالجانب الشرقي بين العامة وثار جماعة من اهل السنة واظهروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وحضروا الديوان وطلبوا أن يؤذن لهم في ذلك وان يتقدم الى أصحاب الديوان بمساعدتهم فاجيبوا الى ذلك وحدث من ذلك شر كثير ثم ان أبا سعد النصراني صاحب البساسيري حمل في سفينة ستمائة جرة خمرا ليحدرها الى البساسيري بواسط في ربيع الآخر فحضر ابن سكرة الهاشمي وغيره من الاعيان في هذا الباب وتبعهم خلق كثير وحاجب باب المراتب من قبل الديوان وقصدوا السفينة وكسروا جرار الخمر واراقوه وبلغ ذلك البساسيري فعظم عليه ونسبه الى رئيس الرؤساء وتجددت الوحشة فكتب فتاوى أخذ فيها خطوط الفقهاء الحنفية بان الذي فعل من كسر الجرار واراقة الخمر تعد غير واجب وهي ملك رجل نصراني لا يجوز وتردد القول في هذا المعنى فتأكدت الوحشة من الجانبين ووضع رئيس الرؤساء الاتراك البغداديين على ثلب البساسيري والذم له ونسب كل ما يجري عليهم من نقص اليه فطمعوا فيه وسلكوا في هذا المعنى زيادة على ما أراد رئيس الرؤساء وعادت الايام الى رمضان فحضروا دار الخليفة واستأذنوا في قصد دور البساسيري ونهبها فاذن لهم في ذلك فقصدوها ونهبوها وأحرقوها ونكلوا بنسائه وأهله ونوابه ونهبوا دوابه وجميع ما يملكه ببغداد وأطلق رئيس الرؤساء لسانه في البساسيري وذمه ونسبه الى مكاتبة المستنصر صاحب مصر وأفسد الحال مع الخليفة الى حد لا يرجى صلاحه وأرسل الى

ليبرئ نفسه من ذلك وحضر ايضا محو كبير العسكر المحاصرين بالمنية يطلب علوفة للعسكر (وفيه) اراد كتخدا بك وهو المعروف بدبوس أوغلي ان يركب من انبابة ويحمل احماله ليسير الى جهة بحري فثارت عليه العسكر وطالبوه بعلائفهم وسفهوا عليه ومنعوه من الركوب فاراد التعدية الى بر بولاق فمنعوه ايضا وجذبوا لجيته فاقام يومه وليلته ثم قال لهم وما الفائدة في مكثي معكم دعوني اذهب الى الباشا واسعى في مطلوبكم ولم يزل حتى تخلص منهم وعدى الى مصر ولم يرجع اليهم (وفي يوم السبت الذي هو غايته) وصلت عساكر الدلاة الذين كانوا بناحية بني سويف والفيوم الى بر انبابة وضربوا لهم مدافع لوصولهم (وفيه) ارسل كبار العسكر الذين بناحية منوف مكاتبة الى الباشا يذكرون ان العساكر يطلبون مرتباتهم وارزاقهم وسعن فانهم لا يحاربون ولا يقاتلون بالجوع (وفي هذه الايام) وصل الكثير من العساكر القبلية ودخلوا البلدة وكثروا بها (وفي هذه الايام) ايضا وصلت الاخبار من الديار الحجازية بمسالمة الشريف غالب للوهابيين وذلك لشدة ما حصل لهم من المضايقة الشديدة وقطع الجالب عنهم من كل ناحية

الملك الرحيم بأمره بابعاد البساسيري فأبعده وكانت هذه الحالة من أعظم الاسباب في ملك السلطان طغرلبك العراق وقبض الملك الرحيم وسيرد من ذلك ما تراه ان شاء الله تعالى

﴿ذكر وصول طغرلبك الى بغداد والخطبة له بها﴾

قد ذكرنا قبل مسير طغرلبك الى الري بعده ودعه من غزو الروم للنظر في ذلك الطرف فلما فرغ من الري عاد الى همذان في المحرم من هذه السنة واظهر أنه يريد الحج واصلاح طريق مكة والمسير الى الشام ومصر وازالة المستنصر العلوي صاحبها وكاتب اصحابه بالدينور وقرميسين وحلوان وغيرها فأمرهم باعداد الاقوات والعلوفات فعظم الارجاف ببغداد ووقت في اعضاد الناس وشغب الاتراك ببغداد وقصدوا ديوان الخلافة ووصل السلطان طغرلبك الى حلوان وانتشر اصحابه في طريق خراسان فأجفل الناس الى غربي بغداد واخرج الاتراك خيامهم الى ظاهر بغداد وسمع الملك الرحيم بقرب طغرلبك من بغداد فأصعد من واسط اليها وفارقه البساسيري في الطريق لمراسلة وردت من القائم في معناه الى الملك الرحيم ان البساسيري خلع الطاعة وكاتب الاعداء يعني المصريين وان الخليفة له على الملك عهود وله على الخليفة مثلها فان آثره فقد قطع ما بينهما وان أبعده وأصعد الى بغداد تولى الديوان تدبير أمره فقال الملك الرحيم ومن معه نحن لأوامر الديوان متبعون وعنه منفصلون وكان سبب ذلك ما ذكرو سار البساسيري الى بلد نور الدولة دبيس بن مزيد لمصاهرة بينهما واصعد الملك الرحيم الى بغداد وراسل طغرلبك رسولا الى الخليفة يبالغ في اظهار الطاعة والعبودية والى الاتراك البغداديين يعدهم الجميل والاحسان فأنكر الاتراك ذلك وراسلوا الخليفة في المعنى وقالوا انا فعلنا بالبساسيري ما فعلناه وهو كبيرنا ومقدمنا بتقدم امير المؤمنين ووعدنا امير المؤمنين بابعاد هذا الخصم عنا ونراه قد قرب منا ولم يمنع من المجيء وسألوا التقدم عليه في العود فغولطوا في الجواب وكان رئيس الرؤساء يؤثر مجيئه ويختار انقراض الدولة الديلمية ثم ان الملك الرحيم وصل الى بغداد منتصف رمضان وأرسل الى الخليفة يظهر له العبودية وانه قد سلم أمره اليه ليفعل ما تقتضيه العواطف معه في تقرير القواعد مع السلطان طغرلبك وكذلك قال من مع الرحيم من الامراء فأجيبوا بأن المصلحة ان يدخل الاجناد خيامهم من ظاهر بغداد وينصبوها بالحريم ويرسلوا رسولا الى طغرلبك يبذلون له الطاعة والخطبة فأجابوا الى ذلك وفعلوه وارسلوا رسلا اليه فأجابهم الى ما طلبوا ووعدهم الاحسان اليهم وتقدم الخليفة الى الخطباء بالخطبة لطغرلبك بجوامع بغداد فخطب له يوم الجمعة لثمان بقين من رمضان من السنة وأرسل طغرلبك يستأذن الخليفة في دخول بغداد فأذن له فوصل الى النهروان وخرج الوزير رئيس الرؤساء الى لقائه في موكب عظيم من القضاة والنقباء والاشراف والشهود والخدم وأعيان الدولة وصحبه أعيان الامراء من عسكر الرحيم فلما علم طغرلبك بهم أرسل الى

ثمنه وصل ثمن الاردب المصري من الارز خمسمائة

ثم بلغ الاردب البر ثلثمائة بخمسة عشر وقس على ذلك السمن والعسل وغير ذلك فلم يسع لشريف الاسالمتهم والدخول في طاعتهم وسلوك طريقتهم واخذ العهد على دعاتهم وكبيرهم بداخل الكعبة وأمر بمنع المنكرات والتجاهر بها وشرب الاراجيل بالتنباك في المسعى وبين الصفا والمروة وبالملازمة على الصلوات في الجماعة ودفع الزكاة وترك لبس الحرير والمقصبات وابطال المكوس والمظالم وكانوا خرجوا عن الحدود في ذلك حتى ان الميت يأخذون عليه خمسة فرانسه وعشرة بحسب حاله وان لم يدفع أهله القدر الذي يتقرر عليه فلا يقدرون على رفعه ودفنه ولا يتقرب اليه الغاسل ليغسله حتى يأتيه الاذن وغير ذلك من البدع والمكوس والمظالم التي أحدثوها على المبيعات والمشترات على البائع والمشتري ومصادرات الناس في أموالهم ودورهم فيكون الشخص من سائر الناس جالسا بداره فما يشعر الا على حين غفلة منه الا والاعوان يأمرونه باخلاء الدار وخروجه منها ويقولون ان سيد الجميع محتاج اليها فاما ان يخرج منها جملة وتصير من أملاك الشريف واما ان يصالح عليها بمقدار

طر يقهم الامراء ووزيره أبا نصر الكندرى فلما وصل رئيس الرؤساء الى السلطان ابلغه رسالة الخليفة واستحلفه للخليفة وللملك الرحيم وامراء الاجناد وسار طغرلبك ودخل بغداد يوم الاثنين لخمس بقين من الشهر ونزل بباب الشماسية ووصل اليه قريش بن بدران صاحب الموصل وكان فى طاعته قبل هذا الوقت على ما ذكرناه

❊(ذكر ثوب العامة ببغداد بعسكر السلطان طغرلبك وقبض الملك الرحيم)❊

لما وصل السلطان طغرلبك بغداد دخل عسكره البلد للامتيار وشراء ما يريدونه من اهلها وأحسنوا معاملتهم فلما كان الغد وهو يوم الثلاثاء جاء بعض العسكر الى باب الازج واخذوا واحدا من اهله ليطلب منه تبنا وهو لا يفهم ما يريدون فاستغاث عليهم وصاح العامة بهم ورجموهم وهاجوا عليهم وسمع الناس الصياح فظنوا ان الملك الرحيم وعسكره قد عزموا على قتال طغرلبك فارتج البلد من أقطاره وأقبلوا من كل حدب ينسلون يقتلون من الغز من وجد فى محال بغداد الا أهل الكرخ فانهم لم يتعرضوا الى الغز بل جمعوهم وحفظوهم وبلغ السلطان طغرلبك ما فعله أهل الكرخ من حماية أصحابه فأمر باحسان معاملتهم فارسل عميد الملك الوزير الى عدنان بن الرضى نقيب العلويين يأمره بالحضور فحضر فشكره عن السلطان وترك عنده خيلا بأمر السلطان تحرسه وتحرس المحلة وأما عامة بغداد فلم يقنعوا بما عملوا حتى خرجوا ومعهم جماعة من العسكر الى ظاهر بغداد يقصدون العسكر السلطانى فلو تبعهم الملك الرحيم وعسكره لبلغوا ما أرادوا ولكن تخلفوا ودخل أعيان أصحابه الى دار الخلافة وأقاموا بها نفيا للتهمة عن أنفسهم ظنا منهم ان ذلك ينفعهم وأما عسكر طغرلبك فلما رأوا فعل العامة وظهورهم من البلد قاتلوهم فقتل بين الفريقين جمع كثير وانهزمت العامة وجرح فيهم وأسر كثير ونهب الغز درب يحيى ودرب سليم وبه دور رئيس الرؤساء ودور أهله فنهب الجميع ونهبت الرصافة وترب الخلفاء واخذ منها من الاموال ما لا يحصى لان اهل تلك الاصقاع نقلوا اليها اموالهم اعتقادا منهم انها محترمة ووصل النهب الى اطراف نهر المعلى واشتد البلاء على الناس وعظم الخوف ونقل الناس اموالهم الى باب النوبى وباب العامة وجامع القصر فتعطلت الجمعات لكثرة الزحمة وارسل طغرلبك من الغد الى الخليفة يعتب وينسب ما جرى الى الملك الرحيم واجناده ويقول ان حضروا برئت ساحتهم وان تأخروا عن الحضور ايقنت ان ما جرى انما كان وضع منهم وارسل للملك الرحيم واعيان اصحابه امانا لهم فتقدم اليهم الخليفة بقصده فركبوا اليه وأرسل الخليفة معهم رسولا يبرئهم مما خامر خاطر السلطان فلما وصلوا الى خيامه نهبهم الغز ونهبوا رسول الخليفة معهم واخذوا دوابهم وثيابهم ولما دخل الملك الرحيم الى خيمة السلطان امر بالقبض عليه وعلى من معه فقبضوا كلهم آخر شهر رمضان وحبسوا ثم حمل الرحيم الى قلعة السيروان وكانت ولاية الملك الرحيم على بغداد ست سنين وعشرة ايام ونهب ايضا قريش بن بدران صاحب الموصل ومن معه

غنها أو أقل أو أكثر ٢٠٠ فعاهده على ترك ذلك كله واتباع ما أمر الله تعالى به فى كتابه العزيز من اخلاص التوحيد لله وحده واتباع سنة الرسول عليه الصلاة والسلام وما كان عليه الخلفاء الراشدون والصحابة والتابعون والائمة المجتهدون الى آخر القرن الثالث وترك ما حدث فى الناس من الالتجاء لغير الله من المخلوقين الاحياء والاموات فى الشدائد والمهمات وما احدثوه من بناء القباب على القبور والتصاوير والزخارف وتقبيل الاعتاب والخضوع والتذلل والمناداة والطواف والنذور والذبح والقربان وعمل الاعياد والمواسم لها واجتماع أصناف الخلائق واختلاط النساء بالرجال وباقى الاشياء التى فيها شركة المخلوقين مع الخالق فى توحيد الالوهية التى بعثت الرسل الى مقاتلة من خالفها ليكون الدين كله لله فعاهده على منع ذلك كله وعلى هدم القباب المبنية على القبور والاضرحة لانها من الامور المحدثة التى لم تكن فى عهده بعد المناظرة مع علماء تلك الناحية واقامة الحجة عليهم بالادلة القطعية التى لا تقبل التاويل من الكتاب والسنة واذعانهم لذلك فعند ذلك أمنت السبل وسلكت الطرق بين مكة والمدينة وبين مكة وجدة والطائف

من العرب وتحامـلوا باقاحتى بخيمة بدر بن المهلهل فالقوا عليـه الزلالى حتى اخفوه بها من الغز ثم علم السلطان ذلك فارسل اليه وخلع عليه وامره بالعود الى اصحابه وحاله تسكيناله وأرسل الخليفة الى السلطان ينكر ماجرى من قبض الرحيم وأصحابه ونهب بغداد ويقول انهم انما خرجوا اليك بامرى وامانى فان اطلقتهم والا فانا افارق بغداد فانى انما اخترتك واستدعيتك اعتقادا منى ان تعظيم الاوامر الشريفة تزداد وحرمة الحريم تعظم وارى الامر بالضد فاطلق بعضهم واخذ جميع اقطاعات عسكر الرحيم وامرهم بالسعى فى ارزاق يحصلونها لانفسهم فتوجه كثير منهم الى البساسيرى ولزموه فكثر جمعه ونفق سوقه وامر طغرلبك باخذ اموال الاتراك البغداديين وارسل الى نور الدولة دبيس يامره بابعاد البساسيرى عنه ففعل فسار الى رحبة مالك بالشام على ماتذكره وكاتب المستنصر صاحب مصر بالدخول فى طاعته وخطب نور الدولة لطغرلبك فى بلاده وانتشر الغز السلجوقية فى سواد بغداد فنهبوا من الجانب ا   بى من تكريت الى النيل ومن الشرقى الى النهروانات واسافل الاعمال واسرفوا فى   ب حتى بلغ ثمن الثور ببغداد خمسة قراريط الى عشرة والحمار بقيراطين الى خمسة وخرب السواد واجلى اهله عنه وضمن السلطان طغرلبك البصرة والاهواز من هزارسب بن بنكير بن عياض بثلثمائة الف وستين الف دينار واقطعه ارجان وامره ان يخطب لنفسه بالاهواز دون الاعمال التى ضمنها واقطع الامير اباعلى بن ابى كاليجار الملك قرميسين واعمالها وامر أهل الكرخ ان يؤذنوا فى مساجدهم سحر الصلاة خير من النوم وامر بعمارة دار المملكة فعمرت وزيد فيها وانتقل اليها فى شوال

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة وقعت الفتنة بين الفقهاء الشافعية والحنابلة ببغداد ومقدم الحنابلة ابو على بن الفراء وابن التميمى وتبعهم من العامة الجم الغفير وانكروا الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ومنعوا من الترجيع فى الاذان والقنوت فى الفجر ووصلوا الى ديوان الخليفة ولم ينفصل حال واتى الحنابلة الى مسجد بباب الشعير فنهوا امامه عن الجهر بالبسملة فاخرج مصحفا وقال ازيلوها من المصحف حتى لا اتلوها وفيها كان بمكة غلاء شديد وبلغ الخبز عشرة ارطال بدينار مغربى ثم تعذر وجوده فاشرف الناس والحاج على الهلاك فارسل الله تعالى عليهم من الجراد ماملأ الارض فتعوض الناس به ثم عاد الحاج فسهل الامر على اهل مكة وكان سبب هذا الغلاء عدم زيادة النيل بمصر عن العادة فلم يحمل منها الطعام الى مكة وفيها ظهر باليمن انسان يعرف بابى كامل على بن محمد الصليحى واستولى على اليمن وكان معلما فجمع الى نفسه جمعا وانتمى الى صاحب مصر وتظاهر بطاعته فكثر جمعه وتبعه واستولى على البلاد وقوى على ابن ساول وابن الكر يدى المقيمين بها على طاعة القائم بامر الله وكان يتظاهر بمذهب الباطنية وفيها خطب محمود الخفاجى للمستنصر العلوى صاحب مصر بشفاثا والعين

توالجلت الاسعار وكثر وجود الماء ومات وما يطلبه عربان الشرق الى الحرمين من الغلال والاغنام والاسمان والاعسال حتى بيع الاردب من الحنطة باربع ريالات واستمر الشريف غالب يأخذ العشور من التجار واذا نوقش فى ذلك يقول هؤلاء مشركون وأنا آخذ من المشركين لامن الموحدين

(شهر صفر الخير ١٢٢١)

استهل بيوم الاحد فيه سافر عوبك الى الجهة القبلية وفيه ورد من اسلامبول شخص قابجى وصحبته على يديه مرسومات بالجمارك وغيرها ومنها ضبط تركة الموتى المقتولين والمقبورين وكذلك تركة السيد أحمد المحروقى وآخر يسمى الشريف محمد البرلى والقصد تحصيل الدراهم باى جهة كانت ووصل أيضا آخر متعين لجمرك الاسكندرية وآخر لدمياط ولرشيد أيضا (وفيه) عزم الباشا على السفر لمحاربة الالفى واشيع عنه ذلك وانزلوا مدافع من القلعة وجبخانه وآلات حربية (وفى رابعه) قوى عزمه على ذلك وأشيع انه مسافر يوم السبت واشار على السيد عمر افندى النقيب بان ينوب عنه ويكون قائمقامه فى الاحكام مدة غيابه فلم يقبل السيد عمر ذلك وامتنع ثم فترت همته عن ذلك وتبين ان الايهامات لا أصل لها

وصار فى طاعته وفيها فى شوال توفى قاضى القضاة ابو عبدالله الحسين بن على بن ما كولا ومولده سنة ثمان وستين وثلثمائة وبقى فى القضاء سبعا وعشرين سنة وكان شافعيا ورعا نزها امينا وولى بعده ابو عبدالله محمد بن على بن الدامغانى الحنفى وفيها فى ذى القعدة توفى ذخيرة الدين ابو العباس محمد ابن امير المؤمنين ومولده فى جمادى الآخرة سنة احدى وثلاثين واربعمائة وفيها قبض الملك الرحيم قبل وصول طغرلبك الى بغداد على الوزير ابى عبدالله عبدالرحمن بن الحسين بن عبدالرحيم وطرح فى بثق دار المملكة وطم عليه وكان وزيراً متحكما فى دولته وفيها فى المحرم توفى القاضى ابو القاسم على بن المحسن بن على التنوخى ومولده بالبصرة سنة خمس وستين وثلثمائة وخلف ولداً صغيرا وهو ابو الحسن محمد بن على ثم توفى فى شوال سنة اربع وتسعين واربعمائة وانقرض بيته بموته قال القاضى ابو عبدالله بن الدامغانى دخلت على ابى القاسم قبل موته بقليل فاخرج الى ولده هذا من جارية وهو يبكى فقلت تعيش ان شاء الله وتربيه فقال هيهات والله ما يتربى الا يتيما وانشد

ارى ولد الفتى كلا عليه ✽ لقد سعد الذى امسى عقيما

فاما ان تربيه عدوا ✽ واما ان تخلفه يتيما

فتربى يتيما كما قال وفى جمادى الاولى توفى ابو محمد الحسن بن رجاء الدهان اللغوى وفى جمادى الآخرة فيها توفى ابو القاسم منصور بن حمزة بن ابراهيم الكرخى من كرخ جدان الفقيه الشافعى وفى رجب توفى ابو نصر احمد بن محمد الثابتى الفقيه الشافعى وهما من شيوخ اصحاب ابى حامد الاسفراينى وفى شعبان توفى ابو البركات حسين بن على بن عيسى الربعى النحوى وكان ينوب عن الوزراء ببغداد

✽(ثم دخلت سنة ثمان واربعين واربعمائة)✽

✽(ذكر نكاح الخليفة ابنة داود اخى طغرلبك)✽

فى هذه السنة فى المحرم جلس أمير المؤمنين القائم بامر الله جلوسا عاما وحضر عميد الملك الكندرى وزير طغرلبك وجماعة من الامراء منهم ابو على ابن الملك ابى كاليجار وهزارسب بن بنكير بن عياض الكردى وابن ابى الشوك وغيرهم من الامراء الاتراك من عسكر طغرلبك وقام عميد الملك وزير طغرلبك وبعده دبوس ثم خطب رئيس الرؤساء وعقد العقد على ارسلان خاتون واسمها خديجة ابنة داود اخى السلطان طغرلبك وقبل الخليفة بنفسه النكاح وحضر العقد نقيب النقباء ابو على بن ابى تمام وعدنان بن الشريف الرضى نقيب العلويين واقضى القضاة الماوردى وغيرهم واهديت خاتون الى الخليفة فى هذه السنة ايضا فى شعبان وكانت والدة الخليفة قد سارت ليلا وتسلمتها واحضرتها الى الدار

✽(ذكر الحرب بين عبيد المعز بن باديس وعبيد ابنه تميم)✽

فى هذه السنة وقعت الحرب بين عبيد المعز المقيمين بالمهدية وعبيد ابنه تميم بسبب منازعة

(وفى يوم الخميس) ارسل الباشا الى الخانات والوكائل اعوانا ختموا على حواصل التجار بما فيها واخلوها من البن والبهار وذلك بعد ان امنهم وقبض منهم عشورها ومكوسها بالسويس فلما وصلت القافلة واستقرت البضائع بالحواصل فعل بهم ذلك ثم صالحوا وافرج عنهم (وفيه) ورد الخبر بان الالفى ارتحل من ناحية الجسر الاسود والطرانة وقصد جهة البحيرة (وفى يوم السبت) ركب صالح اغا قجى باشا ونزل الى بولاق ليسافر الى الديار الرومية فركب لوداعه الباشا وسعيد اغا والسيد عمر النقيب فشيعوه الى بولاق حتى نزل الى المراكب وخلع عليه الباشا فروة سمور ممتنة بعد ان وفاه خدمته وهاداه بهدايا واصحب معه هدايا للدولة وارباب وعرفه بقضايا واغراض يقضيها له هناك وودعوه ورجعوا الى بيوتهم بعد الغروب (وفى يوم الثلاثاء) عاشره سافر صالح اغا السلحدار الى جهة بحرى على طريق المنوفية وصحبته عساكر وقرروا له مقادير من الاكياس على كل بلد من البلاد الرائجة عشرون كيسا فما فوقها وما دونها ومن كل صنف مقادير ايضا (وفيه) فرضوا ايضا على البلاد غلال قمح وفول وشعير كل بلد عشرون اردبا فما فوقها وما دونها وهذه

أدت الى المقاتلة فقامت عامة زويلة وسائر من بها من رجال الاسطول مع عبيد تميم فأخرجوا عبيد المعز وقتل منهم كثير ومضى الباقون منهم يريدون المسير الى القيروان فوضع عليهم تميم العرب فقتلوا منهم جماعة كثيرا وهذه النوبة هي سبب قتل تميم من قتل من عبيد أبيه لما ملك

﴿ذكر ابتداء الدولة الملثمين﴾

في هذه السنة كان ابتداء أمر الملثمين وهم عدة قبائل ينسبون الى حمير اشهرها لمتونة ومنها امير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين وجدالة ولمطة وكان اول مسيرهم من اليمن أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه فسيرهم الى الشام وانتقلوا الى مصر ودخلوا المغرب مع موسى بن نصير وتوجهوا مع طارق الى طنجة فاحبوا الانفراد فدخلوا الصحراء واستوطنوها الى هذه الغاية فلما كان هذه السنة توجه رجل منهم اسمه الجوهر من قبيلة جدالة الى افريقية طالبا الحج وكان محبا للدين وأهله فمر بفقيه بالقيروان وعنده جماعة يتفقهون قيل هو ابو عمران الفاسي في غالب الظن فاصغى الجوهر اليه وأعجبه حالهم فلما انصرف من الحج قال للفقيه ما عندنا في الصحراء من هذا شئ غير الشهادتين والصلاة في بعض الخاصة فابعث معي من يعلمهم شرائع الاسلام فارسل معه رجلا اسمه عبد الله بن ياسين الكزولي وكان فقيها صالحا فسار معه حتى أتيا قبيلة لمتونة فنزل الجوهر عن جمله وأخذ بزمام جمل عبد الله بن ياسين تعظيما لشريعة الاسلام فاقبلوا الى الجوهر يهنؤنه بالسلامة وسألوه عن الفقيه فقال هذا حامل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء يعلمكم ما يلزم في دين الاسلام فرحبوا بهما وانزلوهما وقالوا تذكر لنا شريعة الاسلام فعرفهم عقائد الاسلام وفرائضه فقالوا أما ما ذكرت من الصلاة والزكاة فهو قريب وأما قولك من قتل يقتل ومن سرق يقطع ومن زنى يجلد أو يرجم فامر لا نلتزمه اذهب الى غيرنا فرحلا عنهم فنظر اليهما شيخ كبيرة قال لابد وان يكون لهذا الجمل في هذه الصحراء شان يذكر في العالم فانتهى الجوهر والفقيه الى جدالة قبيل الجوهر فدعاهم عبد الله بن ياسين والقبائل الذين يجاورونهم الى حكم الشريعة فمنهم من أطاع ومنهم من أعرض وعصى ثم ان المخالفين لهم تحيزوا وتجمعوا فقال ابن ياسين للذين أطاعوا قد وجب عليكم ان تقاتلوا هؤلاء الذين خالفوا الحق وانكروا شرائع الاسلام واستعدوا لقتالكم فاقيموا لكم راية وقدموا عليكم أميرا فقال له الجوهر أنت الامير فقال لا انما أنا حامل أمانة الشريعة ولكن انت الامير فقال الجوهر لو فعلت هذا تسلط قبيلي على الناس ويكون وزر ذلك على فقال له ابن ياسين الرأى ان تولى ذلك ابا بكر بن عمر رأس لمتونة وكبيرها وهو رجل سيد مشكور الطريقة مطاع في قومه فهو يستجيب لنا لحب الرياسة وتتبعه قبيلته فنتقوى بهم فاتيا أبا بكر بن عمر وعرضا ذلك عليه فأجاب فعقدوا له البيعة وسماه ابن ياسين امير المسلمين وعادوا الى جدالة وجمعوا اليهم من حسن اسلامه وحرضهم عبد الله بن ياسين على الجهاد في سبيل

الله

بالشرفية ابتدءت من الغلال على البلاد في هذه الدولة (وفيه) ورد الخبر بان الالفي توجه الى ناحية دمنهور البحيرة يوم الاربعاء رابعه وانهم امتنعوا عليه فحاصرهم لانهم استعدوا لذلك والبلد مضافة الى السيد عمر النقيب فكان يرسل اليهم ويحذرهم منه ويرسل اليهم ويمدهم بآلات الحرب والبارود ويحرضهم على الاستعداد للحرب فحصنوا البلدة وبنوا سورها وجعلوا فيها أبراجا وبدنات وركبوا عليها المدافع الكثيرة وأحضروا لهم ما يحتاجون اليه من الذخيرة والجبخانه وما يكفيهم سنة وحفروا حولها خنادق وهي في مرتفع مرتفعة (وفيه) عزل الباشا محمد آغا كتخدا بك من كتخدائيته بسبب أمور نقمها عليه وحبسه وطلب منه ألف كيس وقلد في الكتخدائية خازنداره وهو المعروف بدبوس أوغلى (وفي ليلة الاحد ثامنه) عدى سارى عسكر الى برانبابة بوطاقه وهو دبوس أوغلى الكتخدا المذكور وذلك في أواخر النهار وضربوا مدافع كثيرة لتعديته واخذ العسكر في تشهيل امورهم ولوازمهم وانفق عليهم الباشا نفقة هذا والطلب والتوزيع بالاكياس مستمر لا ينقطع عن اعيان الناس والتجار والافندية الكتبة وجماعة الصرفجانه والملتزمين

الله وسماهم مرابطين وتجمع عليهم من خالفهم فلم يقاتلهم المرابطون بل استعان ابن ياسين وابو بكر بن عمر على اولئك الاشرار بالمصلحين من قبائلهم فاستمالوهم وقربوهم حتى حصلوا منهم نحوالفي رجل من اهل البغي والفساد فتركوهم في مكان وخندقوا عليهم وحفظوهم ثم اخرجوهم قوما بعد قوم فقتلوهم فحينئذ دانت لهم اكثر قبائل الصحراء وهابوهم فقويت شوكة المرابطين هذا وعبد الله بن ياسين مشتغل بالعلم وقد صار عنده منهم جماعة يتفقهون ولما استبد بالامر هو وابو بكر بن عمر عن الجوهر الجدالي وبقي لاحكم له تداخله الحسد وشرع سرا في فساد الامر فعلم بذلك منه وعقد له مجلس وثبت عليه ما نقل عنه فحكم عليه بالقتل لانه نكس البيعة وشق العصا واراد محاربة اهل الحق فقتل بعد ان صلى ركعتين واظهر السرور بالقتل طلبا للقاء الله تعالى فاجتمعت القبائل على طاعتهم ومن خالفهم قتلوه فلما كان سنة خمسين واربعمائة قحطت بلادهم فامر ابن ياسين ضعفاءهم بالخروج الى السوس واخذ الزكاة فخرج منهم نحو تسعمائة رجل فقدموا سجلماسة وطلبوا الزكاة فجمعوا لهم شيئا له قدر وعادوا ثم ان الصحراء ضاقت عليهم وارادوا اظهار كلمة الحق والعبور الى الاندلس ليجاهدوا الكفار فخرجوا الى السوس الاقصى فجمع لهم اهل السوس وقاتلوهم فانهزم المرابطون وقتل عبد الله بن ياسين الفقيه وعاد ابو بكر بن عمر فجمع جيشا وخرج الى السوس في الفي راكب فاجتمع من بلاد السوس وزناتة اثنا عشر الف فارس فارسل اليهم وقال افتحوا لنا الطريق لنجوز الى الاندلس ونجاهد اعداء الاسلام فابوا من ذلك فصلى ابو بكر ودعا الله تعالى وقال اللهم ان كنا على الحق فانصرنا والا فارحنا من هذه الدنيا ثم قاتلهم وصدق هو واصحابه القتال فنصرهم الله تعالى وهزم اهل السوس ومن معهم واكثر القتل فيهم وغنم المرابطون اموالهم واسلابهم وقويت نفسه ونفوس اصحابه وساروا الى سجلماسة فنزلوا عليها وطلبوا من اهلها الزكاة فامتنعوا عليهم وسار اليهم صاحب سجلماسة فقاتلهم فهزموه وقتلوا ودخلوا سجلماسة واستولوا عليها وكان ذلك سنة ثلاث وخمسين واربعمائة

(ذكر ولاية يوسف بن تاشفين)

لما ملك ابو بكر بن عمر سجلماسة استعمل عليها يوسف بن تاشفين اللمتوني وهو من بني عمه الاقربين ورجع الى الصحراء فاحسن يوسف السيرة في الرعية ولم ياخذ منهم سوى الزكاة فاقام بالصحراء مدة ثم عاد ابو بكر بن عمر الى سجلماسة فاقام بها سنة والخطبة والامر والنهي له واستخلف عليها ابن اخيه ابا بكر بن ابراهيم بن عمرو جهز مع يوسف بن تاشفين جيشا من المرابطين الى السوس ففتح على يديه وكان يوسف رجلا دينا خيرا حازما داهية مجربا وبقوا كذلك الى سنة اثنتين وستين واربعمائة وتوفي ابو بكر بن عمر بالصحراء فاجتمعت طوائف المرابطين على يوسف بن تاشفين وملكوه عليهم ولقبوه امير المسلمين وكانت الدولة في بلاد المغرب لزناتة الذين ثاروا في ايام الفتن وهي دولة

بالجمالية وكل من كان له اوفى حلاقة او خدمة او تجارة او صنعة ظاهرة او فاقة اوله شهرة قديمة او من مساتير الناس وغالب الاحيان الحصل لك الشو القاضي فيه السيد عمر افندي النقيب وقد حكمت عليه الصورة التي ظهر فيها وانعكس الحال والوضع وساءت الظنون والامر لله وحده (وفي يوم الخميس تاسع عشره) ارتحل عرضي الصدر يدقمن انبابة وذهبوا الى جهة الوراريق (وفي هذه الايام) كان بين مشايخ العلم منافسات ومنافرات ومحاسدات وذلك من اوائل شهر رمضان وتعصبات بسبب مشيخة الجامع ونظر اوقافه واوقاف عبد الرحمن كتخدا فاتفق ان الشيخ عبد الرحمن العريشي ابن الشيخ عبد الرؤف عمل وليمة ودعاهم اليها فاجتمعوا في ذلك اليوم وتصالحوا في الظاهر (وفي يوم الاثنين) هبت رياح جنوبية حارة واثارت غبارا وزوابع ولواقح ثم غيمت السماء غيما متقطعا وارعدت وامطرت فكان الغبار والزوابع والشمس طالعة والمطر نازل وذلك بعد العصر وحصل مثل ذلك أيضا في يوم الثلاثاء ولكن بعد الظهر (وفي تلك الليلة بعد الغروب) اخرج الباشا محمد أفندي المنفصل عن الكتخدائية

رديئة مذمومة سيئة السيرة لا سياسة ولا ديانة وكان امير المسلمين وطائفته على نهج السنة واتباع الشريعة فاستغاث به اهل المغرب فسار اليها وافتتحها حصنا حصنا وبلدا بلدا باسرعمي فاحبه الرعايا وصلحت احوالهم ثم انه قصد موضع مدينة مراكش وهو قاع صفصف لا عمارة فيه وهو موضع متوسط في بلاد المغرب كالقيروان في افريقية ومراكش تحت جبال المصامدة الذين هم اشد اهل المغرب قوة وامنعهم معقلا فاختط هناك مدينة مراكش ليقوى على قمع اهل تلك الجبال ان هموا بفتنة واتخذها مقرا فلم يتحرك احد بفتنة وملك البلاد المتصلة بالمجاز مثل سبتة وطنجة وسلا وغيرها وكثر عساكره وخرجت جماعة قبيلة لمتونة وغيرهم موضيقوا حينئذ لثامهم وكانوا قبل ان يملكوا يتلثمون في الصحراء من الحر والبرد كما يفعل العرب والغالب على الوانهم السمرة فلما ملكوا البلاد ضيقوا اللثام وقيل كان سبب اللثام لهم ان طائفة من لمتونة خرجوا غائرين على عدو لهم فخالفهم العدو الى بيوتهم ولم يكن بها الا المشايخ والصبيان والنساء فلما تحقق المشايخ انه العدو امروا النساء ان يلبسن ثياب الرجال ويتلثمن ويضيقنه حتى لا يعرفن ويلبسن السلاح ففعلن ذلك وتقدم المشايخ والصبيان امامهن واستدار النساء بالبيوت فلما اشرف العدو ورأى جمعا عظيما فظنه رجالا فقال هؤلاء عند حرمهم يقاتلون عنهن قتال الموت والرأى ان نسوق النعم ونمضي فان اتبعونا قاتلناهم خارجا عن حريمهم فبينما هم في جمع النعم من المراعي اذ قد اقبل رجال الحي فبقي العدو بينهم وبين النساء فقتلوا من العدو فاكثروا وكان من قتل النساء اكثر فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه فلا يعرف الشيخ من الشاب فلا يزيلونه ليلا ولا نهارا ومما قيل في اللثام

قوم لهم درك العلا في حمير * وان انتموا صنهاجة فهم هم
لما حووا احراز كل فضيلة * غلب الحيا عليهم فتلثموا

ونذكر باقي اخبار امير المسلمين في مواضعها ان شاء الله تعالى

(ذكر تبييض الى الغنائم بن المحلبان)

في هذه السنة بيض علاء الدين ابو الغنائم بن المحلبان بواسط وخطب فيها للعلوي بن المصريين وكان سبب ذلك ان رئيس الرؤساء سعى له في النظر على واسط واعمالها فاجيب الى ذلك فحمد رد اليها فصار عنده جماعة من اعيانها وجمع جماعة عظيمة وقوى بالبطائحيين وخرج على ابي نصر الغربي من واسط فخندقوا وبنى عليه سورا واتخذ زبية من سفن اصعدت الى البطائحية فسار اليه عميد العراق ابو نصر فاقتتلوا فانهزم ابن المحلبان واسر من اصحابه عدد كثير ووصل ابو نصر الى السور فقتله العامة من على السور ثم سلم لعبدو مراتبه بضم الخندق وتخريب السور ثم اصعد الى بغداد فلما فار بها عاد اليه بنو فساعدوه ونهب قرية عبد الله وقتل كل اعجمي رآه بواسط واعاد خطبة المصريين وامر اهل كل شيء بعمارة ما يليهم من السور ومضى منصور بن الحسين الى

من طريق البر (وفي اواخره) بعث عساكر من الارنؤد وكانوا كثيرين ونزلوا ببولاق ومصر القديمة وغالبهم الذين كانوا بصحبة حسن باشا طاهر واخيه عابدين بك وسبب مجيئهم انهم طلبوا علائفهم من حسن باشا وكان قد ظهر له فيهم المخامرة عليه وميلهم الى الانحصار فامتنع من دفع علائفهم وقال لهم اذهبوا الى مصر واطلبوا علائفكم من الباشا وارسل اليه يعرفه بحالهم ونفاقهم فلما تراسلوا في الحضور منعهم الباشا من الدخول الى البلد ووعدهم بايصال علائفهم اليهم وهم خارج المدينة وبعد ان يقبضوا اماكنهم يعودون الى مرابطهم كما كانوا فاقاموا بناحية بولاق وارسل الباشا فجمع عسر بان الحويطات والعائد وغيرهم فاقاموا بناحية شبرا ومنية السيرج وهم جمعية كبيرة استمروا في تجمعهم اربعة ايام وارسل الى الاجناد والجربجية وامرهم بالتهيؤ وتشضروا اشتد بهم رجوح به حسين اغا الشماشرجي في كان منهم مقدرة وعنده حصان يركبه او جمل يحمل عليه متاعه خرج بنفسه او لا تباعه بدلا منه واعطاهم وخدموا احتياجاته ولوازمه وبرزوا

المدار وارسل الى بغداد يطلب المدد فكتب اليه عميد العراق ورئيس الرؤساء يامرانه ان يقصدوا سطا هو وابن الهيثم وان يحاصراها فاقبلا اليها فعين معهما وحصرها وقطع الماء والبر وكان هذا الحصار سنة تسع واربعين فاشتد فيها الغلاء حتى بيع التمر والخبز وكروش البقر كل خمسة ارطال بدينار واذا وجد الخبازي باعوه كل عشرين رطلا بدينار ثم ضعفوا وضجروا من الحصار فخرج ابن فسانجس ليقاتل فلم يثبت وقتل جماعة من اصحابه وانهزموا الى سور البلد واستامن جماعة من الواسطيين الى منصور بن الحسين وفارق ابن فسانجس واسطا ومضى الى قصر ابن أخضر وسار اليه طائفة من العسكر ليقاتلوه فادركوه بقرب النيل فاسروه واهله وحمل الى بغداد فدخلها في صفر سنة تسع واربعين وشهر على جمل وعليه قميص أحمر وعلى رأسه طرطور بودع وصلب

(ذكر الوقعة بين البساسيري وقريش)

في هذه السنة سلخ شوال كانت وقعة بين البساسيري ومعه نور الدولة دبيس بن مزيد وبين قريش بن بدران صاحب الموصل ومعه قتلمش وهو ابن عم السلطان طغرلبك وهو جد هؤلاء الملوك اولاد قلج ارسلان ومعه ايضا سهم الدولة ابو الفتح بن عمرو وكانت الحرب عند سنجار فاقتتلوا واشتد القتال بينهم فانهزم قريش وقتلمش وقتل من اصحابهما الكثير ولقي قتلمش من أهل سنجار العنت وبالغوا في اذاه واذى اصحابه وجرح قريش بن بدران وأتى الى نور الدولة جريحا فاعطاه خلعة كانت قد نفذت من مصر فلبسها وصار في جملتهم وساروا الى الموصل وخطبوا للخليفة مصر بها وهو المستنصر بالله وكانوا قد كاتبوا الخليفة المصري بطاعتهم فارسل اليهم الخلع من مصر للبساسيري ولنور الدولة دبيس بن مزيد ولجابر بن ناشب ولمقبل بن بدران اخي قريش ولابي الفتح ابن ورام ونصير بن عمر وابي الحسن بن عبد الرحيم ومحمد بن حماد وانضاف اليهم قريش ابن بدران

(ذكر مسير السلطان طغرلبك الى الموصل)

لما طال مقام السلطان طغرلبك ببغداد وعم الخلق ضرر عسكره وضاقت عليهم مساكنهم فان العساكر نزلوا فيها وغلبوهم على اقواتهم وارتكبوا منهم كل محظور أمر الخليفة القائم بامر الله وزيره رئيس الرؤساء ان يكتب الى عميد الملك الكندري وزير السلطان طغرلبك يستحضره فاذا حضر قال له عن الخليفة ليعرف السلطان ما الناس فيه من الجور والظلم ويعظه ويذكره فان ازال ذلك وفعل ما امر الله به والا فيساعد الخليفة على الانتزاح عن بغداد ليبعد عن المنكرات فكتب رئيس الرؤساء الى الكندري يستدعيه فحضر فابلغه ما امر به الخليفة وخرج توقيع من الخليفة الى السلطان فيه مواعظ فمضى الى السلطان وعرفه الحال فاعتذر بكثرة العساكر وعجزه عن تهذيبهم وضبطهم وامر عميد الملك ان يبكر بالجواب الى رئيس الرؤساء ويعتذر بما ذكره فلما كان تلك الليلة راى السلطان في منامه النبي صلى الله عليه وسلم عند الكعبة وكانه يسلم

أرسل الى العساكر المذكورين بأمر كبارهم بالسفر الى بلادهم فامتنعوا وقالوا لا نسافر حتى نقبض المنكسر لنا من علائفنا فعند ذلك دس الى اصاغرهم من خدعهم واستمالهم حتى تفرقوا في خدمة المستوطنين ولم يبق مع كبارهم المعاندين الا القليل فلم يسعهم بعد ذلك الا الامتثال وارتحلوا في غايته من بولاق وسافر معهم الشعاشير جي المذكور ومن بصحبته من المصريين وحولهم العربان وساروا على طريق دمياط وهم اثنان وخمسون شخصا من كبارهم طائفة الارنؤد وحصل من العرب في مدة تجمعهم ما لا خير فيه وكذلك في مدة اقامتهم من الخطف والتعرية وقطع الطريق على المسافرين

(شهر ربيع الاول سنة ١٢٢١)

استهل بيوم الثلاثاء وفي ليلة الاحد سادسه حصل رعد كثير وبرق بين المغرب والعشاء بدون مطر والغيم قليل متقطع وذلك سابع عشر بشنس وثاني عشر ايار والشمس في ثالث درجة من برج الجوزاء وذلك من النوادر في مثل هذا الوقت (وفي يوم الاحد المذكور) ضربوا مدافع من القلعة لبشارة وردت من الجهة القبلية وذلك ان رجب أغا وياسين بك الذين

على النبي وهومعرض عنه ملم يلتفت اليه وقال له يحكمك الله في بلاده وعباده فلا تراقبه فيهم ولا تستحي من جلاله عز وجل في سوء معاملتهم وتغتر بامهاله عند الجور عليهم فاستيقظ فزعا واحضر عميد الملك وحدثه مارأى وارسله الى الخليفة يعرفه انه يقابل مارسم به بالسمع والطاعة واخرج الجند من دور العامة وامر ان يظهر من كان مختفيا وازال التوكيل عمن كان وكل به فبينما هو على ذلك وقد عزم على الرحيل عن بغداد للتخفيف عن اهلها وهو يتردد فيه اذ أتاه الخبر بهذه الوقعة المتقدمة فتجهز وسار عن بغداد عاشر ذي القعدة ومعه خزائن السلاح والمنجنيقات وكان مقامه ببغداد ثلاثة عشر شهرا وايام لم يلق الخليفة فيها فلما بلغوا أوانا نهبها العسكر ونهبوا عكبرا وغيرهما ووصل الى تكريت فحصرها وبها صاحبها نصر بن علي بن خميس فنصب على القلعة علما اسود وبذل مالا فقبله السلطان ورحل عنه الى البوازيج ينتظر جمع العساكر ليسير الى الموصل فلما رحل عن تكريت توفي صاحبها وكانت امه أميرة بنت غريب ابن مقن فخافت ان يملك البلدة اخوه أبو الغنائم فقتلته وسارت الى الموصل فنزلت على دبيس بن مزيد فتزوجها قريش بن بدران ولما رحلت عن تكريت استخلفت بها ابا الغنائم بن المحلبان فراسل رئيس الرؤساء واستعطفه فصلح ما بينهما وسلم تكريت الى السلطان ورحل الى بغداد واقام السلطان بالبوازيج الى أن دخلت سنة تسع واربعين فأتاه اخوه ياقوتي في العساكر فسار بهم الى الموصل واقطع مدينة بلد لهزارسب بن بنكير فاجفل اهل البلاد الى بلد فاراد العسكر نهبهم فمنعهم السلطان وقال لا يجوز ان تعرضوا الى بلد هزارسب فلجوا وقالوا نريد الاقامة فقال السلطان لهزارسب ان هؤلاء قد احتجوا بالاقامة فاخرج أهل البلد الى معسكرك لتحفظ نفوسهم ففعل ذلك واخرجهم اليه فصار البلد بعد ساعة قفرا وفرق فيهم هزارسب مالا واركب من يعجز عن المشي وسيرهم الى الموصل ليامنوا وتوجه السلطان الى نصيبين فقال له هزارسب قد عادت الايام ورأى ان اختار من العسكر الف فارس اسير بهم الى البرية فلعلي انال من العرب غرضا فاذن له في ذلك فسار اليهم فلما قاربهم كمن لهم كمينين وتقدم الى الحلل فلما راوه قاتلوه فصبر لهم ساعة ثم انزاح بين ايديهم كالمنهزم فتبعوه فخرج الكمينان فانهزمت العرب وكثر فيهم القتل والاسر وكان قد انضاف اليهم جماعة من بني نمير اصحاب حران والرقة وملك الاجمال وحمل الاسرى الى السلطان فلما احضروا بين يديه قال لهم هل وطئت لكم ارضا واخذت لكم بلادا قالوا لا قال فلم اتيتم لحربي واحضر الفيل فقتلهم الا صبيا امرد فلما امتنع الفيل من قتله عفا عنه السلطان

(ذكر عود نور الدولة دبيس بن مزيد وقريش بن بدران الى طاعة طغرلبك)

لما ظفر هزارسب بالعرب وعاد الى السلطان طغرلبك ارسل اليه نور الدولة وقريش يسالانه ان يتوسط لهما عند السلطان ويصلح امرهما معه فسعى في ذلك واستعطف السلطان عليهما فقال اما هما فقد عفوت عنهما واما البساسيري فذنبه الى الخليفة ونحن متبعون امر الخليفة فيه فرحل البساسيري عند ذلك الى الرحبة وتبعه الاتراك

أضف الى الأمراء المصرية القبليين المنية ليمنعا من يصل اليها من مراكب الذخيرة فلما سافر عمر بك بمراكب الذخيرة ووصل الى حسن باشا طاهر ببني سويف أصحب معه عابدين بك وعدة من العسكر في عدة مراكب فلما وصلوا الى محل المتاريس ترامو بالمدافع والرصاص واقتحموا المرور وساعدهم الريح فخلصوا الى المنية وطلعوا اليها ودخلها عابدين بك وقتل فيما بينهم أشخاص وارسلوا بذلك المبشرين فاخبروا بذلك وبالتوافق الاخبار وان ياسين بك قتل هو وخلافه ورأسه وصلت مع رؤس كثيرة فعملوا لذلك شنكا وضربت مدافع كثيرة ولم يكن لقتل ياسين بك صحة ثم وصل عمر بك وابن وافي وقد نزلا في شكتربة لها عدة مقاديف ودفعوا في قوة التيار حتى وصلوا الى مصر ولم يصل معهم رؤس كما اخبر المبشرون (وفيه) قرروا فرضة على البلاد وهي دراهم وغلال وعينوا لذلك كشافا فسافروا ومعهم عدة من العسكر وبصحبتهم نقاقير وسافر أيضا شاه زندار الباشا وصحبته علي جلبي وهو ابن أحمد كتخدا علي فالده الباشا كشرفية شرقية بلبيس وأخذ صحبته أكثر رفقائه وأصحابه من أولاد البلد فسافروا في حين غفلة الى ناحية الدقهلية

البغداديون ومقبل بن المقلد وجماعة من عقيل وطلب دبيس وقريش ان يرسل طغرلبك اليهما ابا الفتح بن ورام فارسله فعاد من عندهما واخبر بطاعتهما وانهما يطلبان ان يمضي هزارسب اليهما ليحلفهما فامره السلطان بالمضي اليهما فسار واجتمع بهما واشار عليهما بالحضور عند السلطان فخافا وامتنعا فانفذ قريش ابا السداد هبة الله ابن جعفر وانفذ دبيس ابنه بهاء الدولة منصورا فانزلهما السلطان واكرمهما وكتب لهما باعمالهما وكان لقريش نهر الملك وبادوريا والانبار وهيت ودجيل ونهر بيطر وعكبرا واوانا وتكريت والموصل ونصيبين واعاد الرسل الى اصحابهم

(ذكر قصد السلطان ديار بكر وما فعله بسنجار)

لما فرغ طغرلبك من العرب سار الى ديار بكر التي هي لابن مروان وكان ابن مروان يرسل اليه كل يوم الهدايا والملح فسار السلطان الى جزيرة ابن عمر فحصرها وهي لابن مروان فارسل اليه ابن مروان يبذل له مالا ليصلح حاله ويذكر له ما هو بصدده من حفظ ثغور المسلمين وما يعانيه من جهاد الكفار ولما كان السلطان يحاصر الجزيرة سار جماعة من الجيش الى عمرا كمن وفيه اربعمائة راهب فذبحوا منهم مائة وعشرين راهبا وافتدى الباقون انفسهم بستة مكاكيك ذهبا وفضة ووصل ابراهيم ينال اخو السلطان اليه فلقيه الامراء والناس كلهم وحملوا اليه الهدايا وقال لعميد الملك الوزير من هؤلاء العرب حتى تحملهم نظراء السلطان وتصلح بينهم فقال مع حضورك يكون ما تريد فانت نائب السلطان ولما وصل ابراهيم ينال ارسل هزارسب الى نور الدولة ابن مزيد وقريش يعرفهما وصوله ويحذرهما منه فسارا من جبل سنجار الى الرحبة فلم يلتفت البساسيري اليهما فانحدر نور الدولة الى بلده بالعراق واقام قريش عند البساسيري بالرحبة ومعه ابنه مسلم بن قريش وشكا قتلمش ابن عم السلطان اليه ما لقي من اهل سنجار في العام الماضي لما انهزم وانهم قتلوا رجالا واسروا العساكر اليهم فاحاطت بهم وصعد اهلها على السور وسبوا واخرجوا جماجم من كانوا اقتلوا وقلانسهم وتركوها على رؤس القصب ففتحها السلطان عنوة وقتل اميرها علي بن مرجا وخلقا كثيرا من رجالها وسبي نساءهم وخربت وسال ابراهيم ينال في الباقين فتركهم فسلمها هي والموصل والبلاد الى ابراهيم ينال ونادى في عسكره من تعرض لنهب صلبته فكفوا عنهم وعاد السلطان الى بغداد على ما نذكره وكان ينبغي ان نذكر هذه الحادثة سنة تسع واربعين واغا ذكرناها هذه السنة لان الابتداء بها كان فيها فاتبعنا بعضها بعضا وذكرنا انها كانت سنة تسع واربعين

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة انقطعت الطرق عن العراق لخوف النهب فغلت الاسعار وكثر الغلاء وتعذرت الاقوات وغيرها من كل شئ واكل الناس الميتة ولحقهم وباء عظيم فكثر الموت حتى دفن الموتى بغير غسل ولا تكفين فبيع رطل لحم بقيراط واربع دجاجات

(وفي عاشره) وصلت الاخبار بان الالفي ارتحل من البحيرة ورجع الى ناحية وردان وعدى من جيشه وهربانه طائفة الى جزيرة السبكية وهرب من كان مرابطا فيها من الاجناد المصرية وغيرهم وطلبوا من اهالي السبكية دراهم وغلالا وفر غالب اهلها منها وجلوا عنها وتفرقوا في بلاد المنوفية (وفي ثاني عشره) يوم الجمعة عمل المولد النبوي ونصبوا بالازبكية صواري تجاه بيت الباشا والشيخ محمد سعيد البكري وقد سكن بدار مطلة على البركة داخل درب عبد الحق واقام هناك ليالي المولد اظهارا لبعض الرسوم (وفيه) علقوا تسعة رؤس على السبيل المواجه لباب زويلة ذكروا انها من قتلى دمنهور وهي رؤس مجهولة ووضعوا بجانبهم بيرقين ملطخين بالدماء (وفيه) طلب الباشا دراهم سلفة من الملتزمين والتجار وغيرهم بموجب دفتر احمد باشا خورشيد الذي كان قبضها في عام أول قبل القومة والخرابة فعينوا مقاديرها وعينوا لطلبها المعينين بالطلب الحثيث من غير مهلة ومن لم يجدوه بان كان غائبا أو متغيبا دخلوا داره وطالبوا أهله أو جاره أو شريكه فضاق ذرع الناس وذهبوا أفواجا الى السيد عمر أفندي النقيب فيتضجر ويتاسف ويتقلق ويهون عليهم الامر ويعاسبي

بدينار وورد لان شراباً بدينار وسفرجلة بدينار ورمانة بدينار وكل شئ كذلك وكان بمصر ابنه او باشد بد فبكار يوت في اليوم الف نفس ثم عم ذلك سائر البلاد من الشام والجزيرة والموصل والحجاز واليمن وغيرها وفيها في جمادى الاولى ولدت جارية ذخيرة الدين ابن الخليفة الذي ذكرنا وفاته قبل ولداذ كرا سمى عبدالله وكنى ابا القاسم وهو المقتدى وفيها في العشر الثاني من جمادى الآخرة ظهر وقت العصر في السماء ذؤابة بيضاء طولها نحو عشرة اذرع في راى العين وعرضها ذراع وبقيت كذلك الى نصف رجب واضمحلت وفيها امر الخليفة بان يؤذن بالكرخ والمشهد وغيرها الصلاة خير من النوم وان يترك حى على خير العمل ففعلوا ما امرهم به خوف السلطنة وقوتها وفيها توفى على بن احمد بن على ابو الحسن المؤدب المعروف بالفالى من اهل مدينة فالة بالقرب من ايذج روى الحديث والادب وله شعر حسن فمنه قوله

تصدر للتدريس كل مهوس * بليد تسمى بالفقيه المدرس
فحق لاهل العلم ان يتمثلوا * ببيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

وفي هذه السنة توفى محمد بن الحسين بن محمد بن سعدون ابو طاهر البزاز الموصلي ولد بالموصل ونشا ببغداد وروى عن ابن حبابة والدارقطني وابن بطة وغيرهم وكان موته بمصر وفيها توفى اميرك الكاتب البيهقي في شوال وكان من رجال الدنيا ومحمد بن عبد الواحد بن عمر بن الميمون الدارمي الفقيه الشافعي

(ثم دخلت سنة تسع واربعين واربعمائة)

(ذكر عود السلطان طغرلبك الى بغداد)

لما سلم السلطان طغرلبك الموصل واعمالها الى اخيه ابراهيم ينال عاد الى بغداد فلما وصل الى القفص خرج رئيس الرؤساء الى لقائه فلما قارب القفص لقيه عميد الملك وزير السلطان في جماعة من الامراء وجاء رئيس الرؤساء الى السلطان فابلغه سلام الخليفة واستيحاشه فقبل الارض وقدم رئيس الرؤساء جاما من ذهب فيه جواهر والبسه فرجية جاءت معه من عند الخليفة ووضع العمامة على مخدته فخدم السلطان وقبل الارض ووصل الى بغداد ولم يمكن أحدا من النزول في دور الناس وطلب السلطان الاجتماع بالخليفة فاذن له في ذلك وجلس الخليفة يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة جلوسا عاما وحضر وجوه عسكر السلطان وأعيان بغداد وحضر السلطان في الماء وأصحابه حوله في السميريات فلما خرج من السميرية اركب فرسا من مراكب الخليفة فحضر عند الخليفة والخليفة على سرير عال من الارض نحو سبعة أذرع وعليه بردة النبي صلى الله عليه وسلم وبيده القضيب الخيزران فقبل السلطان الارض وقبل يده واجلس على كرسي فقال الخليفة لرئيس الرؤساء قل له ان امير المؤمنين شاكر لسعيك حامد لفعلك مستانس بقربك وقد ولاك جميع ما ولاه الله من بلاده ورد اليك مراعاة عباده فاتق

سافر السيد محمد الهروقي الى سد ترعة الفرعونية وذلك ان الترعة المذكورة لما اجتهد في سدها الصير بوري في سنة اثنتي عشرة ومائتين والف كما تقدم ثم انفتحت من محل آخر ينفذ الى ناحية الترعة المسماة بالفيض وكان ذلك باشارة ابو بكر الصغير لعدم انقطاع الماء عن ري بلاده فتهورت ايضا هذه الناحية واتسعت وقوي اندفاع الماء اليها في مدة هذه السنين حتى جف البحر الشرقي والشرقي وانقطع ماء النيل في الناحية الشرقية وظهرت فيه الملوحة من حدود المنصورة وتعطلت مزارع الارز وشرقت بلاد البحر الشرقي وشربوا الاجاج ومياه الآبار والسواقي وكثر تشكي اهالي البلاد فحصل العزم على سدها في هذا العام وتقيد بذلك السيد محمد الهروقي وذو الفقار كتخدا وطلبوا المراكب لنقل الاحجار من الجبل وذهب ذو الفقار الى جهة السد وجمع العمال والفلاحين وسيقت اليه المراكب المملوءة بالاحجار من اول شهر صفر الى وقت تاريخه وجبوا الاموال من البلاد لاجل النفقة على ذلك ثم سافر السيد الهروقي ايضا وبذل جهده ورموا بها من الاحجار ما يضيق به الفضاء

الله فيما ولاك واعرف نعمته عليك في ذلك واجتهد في نشر العدل وكف الظلم واصلاح الرعية فقبل الارض وأمر الخليفة بافاضة الخلع عليه فقام الى موضع لبسها فيه وعاد وقبل يد الخليفة ووضعها على عينيه وخاطبه الخليفة بملك المشرق والمغرب وأعطى العهد وخرج وأرسل الى الخليفة خدمة كثيرة منها خمسون ألف دينار وخمسون مملوكا اتراكا من أجود ما يكون ومعهم خيولهم وسلاحهم الى غير ذلك من الثياب وغيرها

●(ذكر الحرب بين هزارسب وفولاذ)●

كان السلطان قد ضمن هزارسب بن بنكير بن عياض البصرة وارجان وخوزستان وشيراز فتجرد رسول تكين ابن عم السلطان ومعه فولاذ لهزارسب وقصدا ارجان ونهباها وكان هزارسب مع طغرلبك بالموصل والجزيرة فلما فرغ السلطان من تلك الناحية رده هزارسب الى بلاده وأمره بقتال رسول تكين وفولاذ فسار الى البصرة وصادر بها تاج الدين بن سخطة العلوي وابن سمحا اليهودي بمائة ألف وعشرين ألف دينار وسار منها الى قتال فولاذ ورسول تكين فلقيهما وقاتلهما قتالا شديدا فقتل فولاذ وأسر رسول تكين ابن عم السلطان فابقى عليه هزارسب فسأل رسول تكين هزارسب ليرسله الى دار الخلافة ليشفع فيه الخليفة ففعل ذلك ووصل بغداد مع أصحاب هزارسب فاجتاز بدار رئيس الرؤساء فهجموا ودخلوها واستدعى طعاما اجتيازا للحرمة فأمر الخليفة باحضار عميد الملك وأعلمه بحال رسول تكين ليخاطب السلطان في أمره فلما حضر عميد الملك وقيل له ذلك قال ان السلطان يقول ان هذا الاخ ما له يستحق بها المراعاة وقد قابل احساني بالعصيان ويجب تسليمه ليتحقق الناس منزلتي وتتضاعف هيبتي فاستقر الامر بعد مراجعة على ان يقيده وخرج توقيع الخليفة ان منزلة ركن الدين يعني طغرلبك عندنا اقتضت ما لم نفعله مع غيره لانه لم تجر العادة بتقييد أحد في الدار العزيزة ولابد ان يكون الرضا في جواب ما فعل فراسله رئيس الرؤساء حتى رضي وقد كانت دار الخلافة ايام بني بويه ملجأ لكل خائف منهم من وزير وعميد وغير ذلك ففي الايام السلجوقية سلك غير ذلك وكان أول شئ فعلوه هذا

●(ذكر القبض على الوزير اليازوري بمصر)●

في هذه السنة في ذي الحجة قبض بمصر على الوزير ابي محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري وقرر عليه أموال عظيمة منه ومن أصحابه ووجد له مكاتبات الى بغداد وكان في ابتداء أمره قد حج فلما قضى حجه أتى المدينة وزار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقط على منكبيه قطعة من الخلوق الذي على حائط الحجرة فقال له أحد القوام أيها الشيخ اني أبشرك بولي الجاه والكرامة اذا بلغته تلي ولاية عظيمة وهذا الخلوق دليل على ذلك فلم يحل عليه الحول حتى ولي الوزارة واحسن الى ذلك الرجل وراعاه وكان يتفقه على مذهب ابي حنيفة وكان قاضيا بالرملة يكرم العلماء ويحسن اليهم ويجالسهم

من الكثرة وتعطل بسبب ذلك المسافرون لقلة المراكب وخفاف البحر الغربي والخوف من السلوك فيه من قطاع الطريق والعربان فكانت المراكب المعاشات التي تأتي بالسفار وبضائع التجار يأتون بشحناتهم الى حد السد ومحل العمل والشغل فيرسون هنالك ثم ينقلون ما بها من الشحنة والبضائع الى البر وينقلونها الى السفن والقوارب التي تنقل الاحجار ويأتون بها الى ساحل بولاق فيخرجون ما فيها الى البر وتذهب تلك السفن والقوارب الى اشغالها في نقل الحجر ولا يخفى ما يحصل في البضائع من الاتلاف والضياع والسرقة وزيادة الكلف والاجر وغير ذلك وطال أمد هذا الامر (وفي أواخره) نزل الباشا المكشف على الترعة فغاب يومين وليلتين ثم عاد الى مصر

●(شهر ربيع الثاني سنة ١٢٢١)●

فيه وردت سعاة من الاسكندرية وأخبروا بورود أربع مراكب وفيها عساكر من النظام الجديد وصحبتهم ططريات وبعض اشخاص من الانكليز ومعهم مكاتبة خطابا الى الالفي وبشارة بالرضا والعفو للامراء المصرية من الدولة بشفاعة الانكليز فلما وصلوا اليه بناحية حوش ابن عيسى بالبحيرة

وكان ابتداء امره كابتداء امر رئيس الرؤساء الشهادة والقضاء وكانت سعادتهما متفقة ونهايتهما متقاربة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة زاد الغلاء ببغداد والعراق حتى بيعت الكارة الدقيق السميد بثلاثة عشر دينارا والكارة من الشعير والذرة بثمانية دنانير واكل الناس الميتة والكلاب وغيرها وكثر الوباء حتى عجز الناس عن دفن الموتى فكانوا يجعلون الجماعة في الحفيرة وفيها في ربيع الاول توفي أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري الاديب وله نحو ست وثمانين سنة وعلمه أشهر من ان يذكر الا ان اكثر الناس يرمونه بالزندقة وفي شعره ما يدل على ذلك (حكي) انه قال يوما لابي يوسف القزويني ما هجوت أحدا فقال له القزويني هجوت الانبياء فتغير وجهه وقال ما أخاف أحدا سواك (وحكي عنه) القزويني انه قال ما رأيت شعرا في مرثية الحسين بن علي يساوي ان يحفظ فقال القزويني بلى قد قال بعض أهل سوادنا

رأس ابن بنت محمد ووصيه * للمسلمين على قناة يرفع
والمسلمون بمنظر وبمسمع * لا جازع منهم ولا متفجع
ايقظت اجفانا وكنت لها كرى * وانمت عينا لم تكن بك تهجع
كحلت بمنظرك العيون عماية * واصم نعيك كل اذن تسمع
ما روضة الا تمنت انها * لك مضجع ولخط قبرك موضع

وفيها أصلح دبيس بن علي بن مزيد ومحمود بن الاخرم الخفاجي حال المهامع السلطان فعاد دبيس الى بلاده فوجدها خرابا لكثرة من مات بها من الوباء الجارف ليس بها أحد وفيها كثر الوباء ببخارا حتى قيل انه مات في يوم واحد ثمانية عشر الف انسان من اعمال بخارا وهلك في هذه الولاية في مدة الوباء الف الف وستمائة الف وخمسون ألفا وكان بسمرقند مثل ذلك ووجد ميت وقد دخل تركي يأخذ لحافا عليه فمات التركي وطرف اللحاف بيده وبقيت أموال الناس سائبة وفيها نهبت دار أبي جعفر الطوسي بالكرخ وهو فقيه الامامية واخذ ما فيها وكان قد فارقها الى المشهد الغربي وفيها في صفر توفي ابو عثمان اسمعيل بن عبد الرحمن الصابوني مقدم أصحاب الحديث بخراسان وكان فقيها خطيبا اماما في عدة علوم وفيها في ربيع الاول توفي اياز بن ايماق ابو النجم غلام محمود بن سبكتكين واخباره معه مشهورة وفيها مات ابو أحمد عدنان بن الشريف الرضي نقيب العلويين وفيها توفي ابو الحسين عبد الوهاب بن احمد بن هرون الغساني المعروف بابن الجندي

(ثم دخلت سنة خمسين واربعمائة)

(ذكر مفارقة ابراهيم ينال الموصل واستيلاء البساسيري عليها واخذها منه)

في هذه السنة فارق ابراهيم ينال الموصل نحو بلاد الجبل فنسب السلطان طغرلبك

الامير بقدومهم وعمل لهم شنكا وضرب لهم مدافع كثيرة ثم شلهم وأرسلهم الى الامراء القبليين وصحبتهم أحد صناجقه وهو أمين بك ومحمد كاشف تابع ابراهيم بك الكبير ثم انه أرسل عدة مكاتبات بذلك الخبر الى المشايخ وغيرهم بمصر وكذلك الى مشايخ العربان مثل الحويطات والعائد وشيخ الجزيرة وباقي المشاهير فاحضر ابن شديد وابن شعير الاوراق التي أتتهم من الالفي الى الباشا وفيها ونعلمكم ان محمد علي باشا ربما رحل الى ناحية السويس فلا تحملوا أثقاله وان فعلتم ذلك فلا نقبل لكم عذرا ولما سمع الباشا ذلك قال انه مجنون وكذاب (وفيه) فتح الباشا الطلب بفائظ البلاد والحصص من الملتزمين والفلاحين وأمر الروزنامجي وطائفته بتحرير ذلك عن السنة القابلة فضج الملتزمون وترددوا الى السيد عمر النقيب والمشايخ فخاطبوا الباشا فاعتذر اليوم باحتياج الحال والمصاريف ثم استقر الحال على قبض ثلاثة أرباعه النصف على الملتزمين والربع على الفلاحين وان يحسب الريال في القبض منهم بثلاثة وثمانين نصفا ويقبض باثنين وتسعين وعلى كل ما تقرر بالي خمسة انصاف

رحيله الى العصيان فارسل اليه رسولا يستدعيه وصحبته الفرجية التي خلعها عليه الخليفة وكتب الخليفة اليه ايضا كتابا في المعنى فرجع ابراهيم الى السلطان وهو ببغداد فخرج الوزير الكندري لاستقباله وارسل الخليفة اليه الخلع ولما فارق ابراهيم الموصل قصدها البساسيري وقريش بن بدران وحاصراها فملكا البلد ليومه وبقيت القلعة وبها الخازن واردم وجماعة من العسكر فحاصراها اربعة اشهر حتى اكل من فيها دوابهم فخاطب ابن موسك صاحب اربل قريشا حتى امنهم فخرجوا فهدم البساسيري القلعة وعفى اثرها وكان السلطان قد فرق عسكره في النوروز وبقي جريدة في الفي فارس حين بلغه الخبر فسار الى الموصل فلم يجد بها احدا كان قريش والبساسيري قد فارقاها فسار السلطان الى نصيبين ليتتبع آثارهم ويخرجهم من البلاد ففارقه اخوه ابراهيم ينال وسار نحو همذان فوصلها في السادس والعشرين من رمضان سنة خمسين وكان قد قيل ان المصريين كاتبوه والبساسيري قد استماله واطمعه في السلطنة والبلاد فلما عاد الى همذان سار السلطان في اثره

(ذكر الخطبة بالعراق للعلوي المصري وما كان الى قتل البساسيري)

لما عاد ابراهيم ينال الى همذان سار طغرلبك خلفه ورد وزيره عميد الملك الكندري وزوجته الى بغداد وكان مسيره من نصيبين في منتصف شهر رمضان ووصل الى همذان وتحصن بالبلد وقاتل اهلها بين يديه وارسل الى الخاتون زوجته وعميد الملك الكندري يامرهما باللحاق به فمنعهما الخليفة من ذلك تمسكا بهما وفرق غلالا كثيرة في الناس وسار من كان ببغداد من الاتراك الى السلطان بهمذان وسار عميد الملك الى دبيس بن مزيد فاحترمه وعظمه ثم سار من عنده الى هزارسب وسارت خاتون الى السلطان بهمذان فارسل الخليفة الى نور الدولة دبيس بن مزيد يامره بالوصول الى بغداد فورد اليها في مائة فارس ونزل في النجمي ثم عبر الى الاتابين وقوي الارجاف بوصول البساسيري فلما تحقق الخليفة وصوله الى هيت امر الناس بالعبور من الجانب الغربي الى الجانب الشرقي فارسل دبيس بن مزيد الى الخليفة والى رئيس الرؤساء يقول الراي عندي خروجكما من البلد معي فانني اجتمع انا وهزارسب فانه بواسط على دفع عدونا فاجيب ابن مزيد بان يقيم حتى يقع الفكر في ذلك فقال العرب لا تطيعني على المقام وانا اتقدم الى ديالى فاذا انحدرتم سرت في خدمتكم وسار واقام بديالى ينتظرهما فلم ير لذلك اثرا فسار الى بلاده ثم ان البساسيري وصل الى بغداد يوم الاحد ثامن ذي القعدة ومعه اربعمائة غلام على غاية الضر والفقر وكان معه ابو الحسن بن عبد الرحيم الوزير فنزل البساسيري بمشرعة الروايا ونزل قريش بن بدران وهو في مائتي فارس عند مشرعة باب البصرة وركب عميد العراق ومعه العسكر والعوام واقاموا بازاء عسكر البساسيري وعادوا وخطب البساسيري بجامع المنصور للمستنصر بالله العلوي صاحب مصر وامر فاذن بحي على خير العمل وعقد الجسر وعبر عسكره الى الزاهر وخيموا فيه وخطب في

أو بعد المعينين من طرف الكاشف في الناحية واذا كان التوجيه بالطلب من كاشف الناحية كانت أشنع في التغريم والكلف لترادف الارسال وتكرار حق الطريق (وفي سادسه) حضر احمد كاشف سليم من الجهة القبلية وسبب حضوره أن الباشا لما بلغته هذه الاخبار أرسل الامراء القبليين يستدعي منهم بعض عقلائهم مثل أحمد اغا شويكار وسليم اغا مستحفظان ليتشاور معهم في الامر فلم يجب واحد منهم الى الحضور ثم اتفقوا على ارسال احمد كاشف لكونه ليس معدودا من أفرادهم وبينه وبين الباشا نسب لان ربيبته تحت حسن الشماشرجي فحضر واختلى به الباشا مرارا ثم أمره بالعود فسافر في يوم الثلاثاء رابع عشره وأصحب معه هدية الى ابراهيم بك والبرديسي وعثمان بك حسن وغيرهم من الامراء وهي عدة خيول وقلاعيات وثياب وامتعة وغير ذلك (وفي سادسه) ايضا قبض الباشا على ابراهيم اغا الوالي وحبسه مع ارباب الجرائم وسبب ذلك ان البصاصين شاهدوا احمالا فيها ثياب من ملابس الاجناد اعدها بعض تجار النصارى ليرسلها الى جهة قبلي لتباع على اجناد الامراء المصريين ومماليكهم وبريح فيها وسئل الحاملون لها فاخبروا ان

الجمعة من وصوله بجامع الرصافة للمصري وجرى بين الطائفتين حروب في اثناء الاسبوع وكان عميد العراق يشير على رئيس الرؤساء بالتوقف عن المناجزة ويرى المحاجزة ومطاولة الايام انتظارا لما يكون من السلطان ولما يرا من المصلحة بسبب ميل العامة الى البساسيري اما الشيعة فللمذهب واما السنية فلما فعل بهم الاتراك وكان رئيس الرؤساء لقلة معرفته بالحرب ولما عنده من البساسيري يرى المبادرة الى الحرب فاتفق ان في بعض الايام حضر القاضي الهمذاني عند رئيس الرؤساء واستاذنه في الحرب وضمن له قتل البساسيري فاذن له من غير علم عميد العراق فخرج ومعه الخدم والهاشميون والعجم والعوام الى الحلبة وابعدوا والبساسيري يستجرهم فلما ابعدوا حمل عليهم فعادوا منهزمين وقتل منهم جماعة ومات في الزحمة جماعة من الاعيان ونهب باب الازج وكان رئيس الرؤساء واقفا دون الباب فدخل الدار وهرب كل من في الحريم ولما بلغ عميد العراق فعل رئيس الرؤساء لطم على وجهه كيف استبد برايه ولا معرفة له بالحرب ورجع البساسيري الى معسكره واستدعى الخليفة عميد العراق وامره بالقتال على سور الحريم فلم يرعهم الا الزعقات وقد نهب الحريم وقد دخلوا بباب النوبي فركب الخليفة لابسا السواد وعلى كتفه البردة وبيده سيف وعلى راسه اللواء وحوله زمرة من العباسيين والخدم بالسيوف المسلولة فرأى النهب قد وصل الى باب الفردوس من داره فرجع الى ورائه ومضى نحو عميد العراق فوجده قد استامن الى قريش فعاد وصعد المنظرة وصاح رئيس الرؤساء يا علم الدين يعني قريشا امير المؤمنين يستدنيك فدنا منه فقال له رئيس الرؤساء قد أنالك الله منزلة لم ينلها أمثالك وأمير المؤمنين يستذم منك على نفسه وأهله وأصحابه بذمام الله تعالى وذمام رسوله صلى الله عليه وسلم وذمام العربية فقال قد أذم الله تعالى له قال ولي ولمن معه قال نعم وخلع قلنسوته فاعطاها الخليفة واعطى مخصرته رئيس الرؤساء ذماما فنزل اليه الخليفة ورئيس الرؤساء من الباب المقابل لباب الحلبة وصارا معه فارسل اليه البساسيري اتخالف ما استقر بيننا وتنقض ما تعاهدنا عليه فقال قريش لا وكانا قد تعاهدا على المشاركة في الذي يحصل لهما وان لا يستبد احدهما دون الآخر بشيء فاتفقا على ان يسلم قريش رئيس الرؤساء الى البساسيري لانه عدوه ويترك الخليفة عنده فارسل قريش رئيس الرؤساء الى البساسيري فلما رآه قال مرحبا بمهلك الدول ومخرب البلاد فقال العفو عند المقدرة فقال البساسيري فقد قدرت فما عفوت وانت صاحب طيلسان وركبت الافعال الشنيعة مع حرمي واطفالي فكيف أعفو أنا وأنا صاحب سيف وأما الخليفة فانه حمله قريش راكبا الى معسكره وعليه السواد والبردة وبيده السيف وعلى راسه اللواء وانزله في خيمة واخذ ارسلان خاتون زوجة الخليفة وهي ابنة اخي السلطان طغرلبك فسلمها الى ابي عبد الله بن جردة ليقوم بخدمتها ونهبت دار الخلافة وحريمها اياما وسلم قريش الخليفة الى ابن عمه مهارش بن المجلي وهو رجل فيه دين وله مروءة فحمله في هودج وسار به الى حديثة عانة فتركه بها وسار من كان مع الخليفة من

اربابها فعلوا ذلك باطلاع الوالي المذكور على مصلحة اخذها منهم ووصل خبر ذلك الى الباشا فاحضره وقبض عليه وحبسه ثم اطلقه بعد ايام على مصلحة تقررت عليه بشفاعة امراة من القهارمة المتقربين وعاد الى منصبه واخذت البضاعة وضاعت على اصحابها وغرموهم زيادة على ذلك غرامة وكذلك اتهم الذي حجزها بانه اختلس منها اشياء وحبس واخذت منه مصلحة فتحصل من هذه القضية جملة من المال مع انها في خلال المراسلة والمهاداة ونودي بعد ذلك بان من اراد أن يرسل شيئا او متجرا ولو الى النو يس فليستاذن على ذلك ويأخذ ورقة من باب الباشا فان لم يفعل وضاع عليه فلا لوم عليه (وفي) يوم الثلاثاء رابع عشره ورد ساعي وصحبته مكتوب من حاكم الاسكندرية خطابا الى الدفتردار يخبره بوصول قبطان باشا الى الثغر وفي اثره واصل باشا متولي على مصر واسمه موسى باشا وصحبتهم مراكب بها عساكر من الصنف الذي يسمى النظام الجديد وكان ورود القبطان الى الثغر ليلة الجمعة عاشره وطلعوا الى البر بالاسكندرية يوم السبت حادي عشره فلما قرا الدفتردار الورقة ارسل الى السيد عمر النقيب يحضره اليه وركب بصحبته الباشا

خدمه وأصحابه الى السلطان طغرلبك مستنفرين فلما وصل الخليفة الى الانبار شكا البرد فانفذ الى مقدمها يطلب منه ما يلبسه فارسل له جبة فيها قطن ومحافا وأما البساسيرى فانه ركب يوم عيد النحر وعبر الى المصلى بالجانب الشرقى وعلى رأسه الالوية المصرية فاحسن الى الناس وأجرى الجرايات على المتفقهة ولم يتعصب لمذهب وأفرد لوالدة الخليفة القائم بامر الله دارا وكانت قد قاربت تسعين سنة وأعطاها جاريتين من جواريها للخدمة واجرى لها الجراية واخرج محمود بن الاخرم الى الكوفة وسقى الفرات أميرا واما رئيس الرؤساء فاخرجه البساسيرى آخر ذى الحجة من محبسه بالحريم الطاهرى مقيدا وعليه جبة صوف وطرطور من لبد أحمر وفى رقبته مخنقة جلود بعير وهو يقرأ قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء الآية وبصق أهل الكرخ فى وجهه عند اجتيازه بهم لانه كان يتعصب عليهم وشهر الى حد النجمى وأعيد الى معسكر البساسيرى وقد نصبت له خشبة وأنزل عن الجمل وألبس جلد ثور وجعلت قرونه على رأسه وجعل فى فكيه كلابان من حديد وصلب فبقى يضطرب الى آخر النهار ومات وكان مولده فى شعبان سنة سبعين وثلثمائة وكانت شهادته عند ابن ماكولا سنة اربع عشرة واربعمائة وكان حسن التلاوة للقرآن جيد المعرفة بالنحو واما عميد العراق فقتله البساسيرى وكان فيه شجاعة وله فتوة وهو الذى بنى رباط شيخ الشيوخ ولما خطب البساسيرى للمستنصر العلوى بالعراق ارسل اليه بمصر يعرفه ما فعل وكان الوزير هناك ابا الفرج ابن اخى ابى القاسم المغربى وهو ممن هرب من البساسيرى وفى نفسه ما فيها فاوقع فيه وبرد فعله وخوف عاقبته فتركت اجوبته مدة ثم عادت بغير الذى امله ورجاه وسار البساسيرى من بغداد الى واسط والبصرة فملكهما واراد قصد الاهواز فانفذ صاحبها هزارسب ابن بنكير الى دبيس بن مزيد يطلب منه ان يصلح الامر على مال يحمله اليه فلم يجب البساسيرى الى ذلك وقال لابد من الخطبة للمستنصر والسكة باسمه فلم يفعل هزارسب ذلك ورأى البساسيرى ان طغرلبك يمد هزارسب بالعساكر فصالحه وأصعد الى واسط فى مستهل شعبان من سنة احدى وخمسين وفارقه صدقة بن منصور بن الحسين الاسدى ولحق بهزارسب وكان قد ولى بعد أبيه على ما نذكره وأما أحوال السلطان طغرلبك وابراهيم ينال فان السلطان كان فى قلة من العسكر كما ذكرناه وكان ابراهيم قد اجتمع معه كثير من الاتراك وحلف لهم انه لا يصالح أخاه طغرلبك ولا يكلفهم المسير الى العراق وكانوا يكرهونه لطول مقامهم وكثرة اخراجاتهم فلم يقو به طغرلبك وأتى الى ابراهيم محمد واحمد ابنا اخيه ارتاش فى خلق كثيرة فازداد بهم قوة وازداد طغرلبك ضعفا فانزاح من بين يديه الى الرى وكاتب الب ارسلان وياقوتى وقاروت بك أولاد أخيه داود وكان داود قد مات على ما نذكره سنة احدى وخمسين ان شاء الله تعالى وملك خراسان بعده ابنه الب ارسلان فارسل اليهم طغرلبك يستدعيهم اليه فجاؤا بالعساكر الكثيرة فلقى ابراهيم بالقرب من الرى فانهزم ابراهيم ومن معه واخذ اسيرا هو ومحمد وأحمد ولدا اخيه

فارقاه ولما بلغ الالفى ورود هذه الدونانمه وحضرت اليه المبشرون وهو بالبحيرة امتلأ فرحا وأرسل عدة مكاتبات الى مصر صحبة السعاة فقبضوا على السعاة وحضروا بهم الى الباشا فاخفاها ووصل غيرها الى أربابها على غير يد السعاة وصورتها الاخبار بحضور الدونانمه صحبة قبطان باشا والنظام الجديد وولاية موسى باشا على مصر وانفصال محمد على باشا من الولاية وان مولانا السلطان عفا عن الامراء المصريين وان يكونوا كعادتهم فى امارة مصر واحكامها والباشا المتولى يستقر بالقلعة كعادته وان محمد على باشا يخرج من مصر ويتوجه الى ولايته التى تقلدها وهى ولاية سلانيك وان حضرة قبطان باشا أرسل يستدعى اخواننا الامراء من ناحية قبلى فانه يسهل بحضورهم فتكونون مطمئنين الخاطر واعلموا اخوانكم من الاولداشات والرعية بان يضبطوا أنفسهم ويكونوا مع العلماء فى الطاعة وما بعد ذلك الا الراحة والخير والسلام (وفى يوم الجمعة) سابع عشره ورد قاصد من طرف قبودان باشا الى بولاق فارسل اليه الباشا من قابله واركبه وحضر به الى بيت الباشا واراد ان ينزله بمنزل الدفتردار فابى تعنتا فى الدفتردار من نزوله عنده

فامر به فخنق بوتر قوسه تاسع جمادى الآخرة سنة احدى وخمسين وقتل ولدا أخيه معه وكان ابراهيم قد خرج على طغرلبك مرارا فعفا عنه واغا قتله فى هذه الدفعة لانه علم ان جميع ما جرى على الخليفة كان بسببه فلهذا لم يعف عنه ولما قتل ابراهيم أرسل طغرلبك الى هزارسب بالاهواز يعرفه ذلك وعنده عميد الملك الكندرى فسار الى السلطان فجهزه هزارسب تجهيز مثله

(ذكر عود الخليفة الى بغداد)

لما فرغ السلطان من أمر اخيه ابراهيم ينال عاد يطلب العراق ليس له هم الا اعادة القائم بامر الله الى داره فارسل الى البساسيرى وقريش فى اعادة الخليفة الى داره على ان لا يدخل طغرلبك العراق ويقنع بالخطبة والسكة فلم يجب البساسيرى الى ذلك فرحل طغرلبك الى العراق فوصلت مقدمته الى قصر شيرين فوصل الخبر الى بغداد فانحدر حرم البساسيرى وأولاده ورحل أهل الكرخ بنسائهم وأولادهم فى دجلة وعلى الظهر ونهب بنو شيبان الناس وقتلوا كثيرا منهم وكان دخول البساسيرى وأولاده بغداد سادس ذى القعدة سنة خمسين وخرجوا منها سادس ذى القعدة سنة احدى وخمسين وثار أهل باب البصرة الى الكرخ فنهبوه وأحرقوا درب الزعفرانى وهو من أحسن الدروب وأعمرها ووصل طغرلبك الى بغداد وكان قد أرسل من الطريق الامام ابا بكر احمد بن محمد بن ايوب المعروف بابن فورك الى قريش بن بدران يشكره على فعله بالخليفة وحفظه على صيانته ابنة أخيه امراة الخليفة ويعرفه انه قد ارسل أبا بكر بن فورك للقيام بخدمة الخليفة واحضاره واحضار ارسلان خاتون ابنة أخيه امرأة الخليفة ولما سمع قريش بقصد طغرلبك العراق أرسل الى مهارش يقول له أودعنا الخليفة عندك ثقة باما نتك ليتكف بلاء الغز عنا والآن فقد عادوا وهم عازمون على قصدك فارحل أنت وأهلك الى البرية فانهم اذا علموا ان الخليفة عندنا فى البرية لم يقصدوا العراق وتحكم عليهم بما نريد فقال مهارش كان بينى وبين البساسيرى عهود ومواثيق نقضها وان الخليفة قد استحلفنى بعهود ومواثيق لا مخلص منها وسار مهارش ومعه الخليفة حادى عشر ذى القعدة سنة احدى وخمسين واربعمائة الى العراق وجعلا طريقهما على بلد بدر بن مهلهل ليامنا من يقصدهما ووصل ابن فورك الى حلة بدر بن مهلهل وطلب منه ان يوصله الى مهارش فجاء انسان سوادى الى بدر واخبره انه رأى الخليفة ومهارشا بتل عكبرا فسر بذلك بدر ورحل ومعه ابن فورك وخدماه وحمل له بدر شيئا كثيرا ووصل اليه ابن فورك رسالة طغرلبك وهدايا كثيرة أرسلها معه ولما سمع طغرلبك بوصول الخليفة الى بلد بدر أرسل وزيره الكندرى والامراء والحجاب وبعث معهم الخيام العظيمة والسرادقات والتحف من الخيل بالمراكب الذهب وغير ذلك فوصلوا الى الخليفة وخدموه ورحلوا ووصل الخليفة الى النهروان فى الرابع والعشرين من ذى القعدة وخرج السلطان الى خدمته فاجتمع به وقبل الارض بين يديه وهنأه

فاتر لو بيت الروزنامجى واقام يوم السبت والاحد ولم يظهر ما دار بينهما ثم سافر فى يوم الاثنين وذهب بصحبته سليم المعروف بقبى لركغى وشرع الباشا فى عمل آلات حرب وجمال ومدافع وجمعوا الحدادين بالقلعة واصطفوا بنبابات كثيرة واحتياجات ومهمات الى القلعة وظهر منه علامات العصيان وعدم الامتثال وجمع اليه كبار العسكر وشاورهم وتناجى معهم فوافقوه على ذلك لان ما من أحد منهم الا وصار له عدة بيوت وزوجات والتزام بلاد وسيادة لم يتخيلها ولم تخطر بذهنه ولا بفكره ولا يسهل به الانسلاخ عنها والخروج منها ولو خرجت روحه وأخبر المخبرون ان الالفى أرسل هدية الى قبودان باشا وفيها ثلاثون حصانا منها عشرة برختوتها ومن الغنم ار بعة آلاف رأس وجملة أبقار وجواميس ومائة حمل محملة بالذخيرة وغير ذلك من النقود والثياب والاقمشة برسم كبار اتباعه ثم ان الباشا أحضر السيد عمر والخاصة وعرفهم بصورة الامر الوارد بعزله وولاية موسى باشا وان الامراء المصريين عرضوا للسلطنة فى طلب العفو وعودهم الى اربابهم وخروج العساكر التى أفسدت الاقليم من ارض مصر وشرعوا فى

بالسلامة وأظهر الفرح بسلامته واعتذر من تأخره بعصيان ابراهيم وانه قتله عقوبة لما جرى منه من الوهن على الدولة العباسية وبوفاة أخيه داود بخراسان وانه اضطر الى التريث حتى يرتب أولاده بعده في المملكة وقال أنا أمضي خلف هذا الكلب يعني البساسيري وأقصد الشام وافعل في حق صاحب مصر ما أجازي به فعله وقلده الخليفة بيده سيفا وقال لم يبق مع امير المؤمنين من داره سواه وقد تبرك به أمير المؤمنين فكشف قشاء الخركاه حتى رآه الامراء فخدموا وانصرفوا ولم يبق ببغداد من اعيانها من يستقبل الخليفة غير القاضي ابي عبد الله الدامغاني وثلاثة نفر من الشهود وتقدم السلطان في المسير فوصل الى بغداد وجلس في باب النوبي مكان الحاجب ووصل الخليفة فقام طغرلبك واخذ بلجام بغلته حتى صار على باب حجرته وكان وصوله يوم الاثنين لخمس بقين من ذي القعدة سنة احدى وخمسين وعبر السلطان الى معسكره وكانت السنة مجدبة ولم ير الناس فيها مطرا الا في تلك الليلة وهنأ الشعراء الخليفة والسلطان بهذا الامر ودام البرد بعد قدوم الخليفة نيفا وثلاثين يوما ومات بالجوع والعقوبة عدد لا يحصى وكان أبو علي بن شبل ممن هرب من طائفة من الغز فوقع به غيرهم فاخذوا ماله فقال

خرجنا من قضاء الله خوفا * فكان فرارنا منه اليه

وأشقى الناس ذو عزم توالت * مصائبه عليه من يديه

تضيق عليه طرق العذر منا * ويقسو قلب راحمه عليه

* (ذكر قتل البساسيري) *

انفذ السلطان بعد استقرار الخليفة في داره جيشا عليهم خمارتكين الطغرائي في ألفي فارس نحو الكوفة فاضاف اليهم سرايا بن منيع الخفاجي وكان قد قال السلطان ارسل معي هذه العدة حتى أمضي الى الكوفة وأمنع البساسيري من الاصعاد الى الشام وسار السلطان طغرلبك في اثرهم فلم يشعر دبيس بن مزيد والبساسيري الا والسرية قد وصلت اليهم ثامن ذي الحجة من طريق الكوفة بعد ان نهبوها واخذ نور الدولة دبيس رحله جميعه واحدره الى البطيحة وجعل أصحاب نور الدولة دبيس يرحلون باهليهم فيتبعهم الاتراك فتقدم نور الدولة ليرد العرب الى القتال فلم يرجعوا فمضى ووقف البساسيري في جماعته وحمل عليه الجيش فاسر من أصحابه أبو الفتح بن ورام وأسر منصور وبدران وحماد بنو نور الدولة دبيس وضرب فرس البساسيري بنشابة وأراد قطع تجفافه ليسهل عليه النجاة فلم ينقطع وسقط عن الفرس ووقع في وجهه ضربة ودل عليه بعض الجرحى فاخذه كمشتكين دواتي عميد الملك الكندري وقتله وحمل رأسه الى السلطان ودخل الجند في الظعن فساقوه جميعه واخذت أموال اهل بغداد واموال البساسيري مع نسائه واولاده وهلك من الناس الخلق العظيم وامر السلطان بحمل رأس البساسيري الى دار الخلافة فحمل اليها فوصل منتصف ذي الحجة سنة احدى وخمسين فنظف وغسل وجعل على قناة وطيف به وصلب قبالة باب النوبي وكان في أسر البساسيري

انفسهم القيام بخدمة الدولة والحرمين الشريفين وارسال غلالها ودفع الخزينة وتأمين البلاد فحصل عندهم الرضا واجيبوا الى سؤالهم على هذه الشروط وان المشايخ والعلماء يتكفلون بهم و يضمنون عهدهم بذلك فاعملوا فكركم ورأيكم في ذلك ثم انفصلوا من مجلسه (وفيه) ارسل الباشا فجمع الاخشاب التي وجدها ببولاق في الشوادر والحواصل والوكائل وطلعوا بجميع ذلك الى القلعة لعمل العربات والعجل برسم المدافع والقنابر (وفي يوم الثلاثاء حادي عشر بنه) كان مولد المشهد الحسيني المعتاد وحضر الباشا لزيارة المشهد ودعاه شيخ السادات وهو الناظر على المشهد والمتقيد لعمل ذلك فدخل اليه وتغدى عنده ثم ركب وعاد الى داره وأكثر من الركوب والطواف بشوارع المدينة والطلوع الى القلعة والنزول منها والذهاب الى بولاق وهو لابس برنسا (وفي يوم الخميس ثالث عشرينه) حضر ديوان افندي وعبد الله اغا بكتاش الترجمان عند السيد عمر ومعهما صورة عرض يكتب عن لسان المشايخ الى الدولة في شان هذه الحادثة فتناجوا مع بعضهم حصة من النهار ثم ركبوا وحضروا في ثاني يوم عند الشيخ عبد الله الشرقاوي وامروا المشايخ

جماعة من النساء المتعلقات بدار الخلافة فاخذن وأكرمن وحملن الى بغداد ومضى نور الدولة دبيس الى البطيحة ومعه زعيم الملك أبو الحسن عبد الرحيم وكان من حق هذه الحوادث المتأخرة ان تذكر في سنة احدى وخمسين وانما ذكرناها ههنا لانها كالحادثة الواحدة ليتلو بعضها بعضا وكان البساسيري مملوكا تركيا من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة تقلبت به الامور حتى بلغ هذا المقام المشهور واسمه ارسلان وكنيته أبو الحرث وهو منسوب الى بسا مدينة بفارس والعرب تجعل عوض الباء فاء فتقول فساوي النسبة اليها فساوي ومنها أبو علي الفارسي النحوي وكان سيد هذا المملوك اولا من بسا فقيل له البساسيري لذلك وجعل العرب الباء فاء فقيل فساسيري

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة اقر السلطان طغرلبك هملان بن وهسوذان بن مملان على ولاية ابيه باذربيجان وفيها مات شهاب الدولة أبو الفوارس منصور بن الحسين الاسدي صاحب الجزيرة عند خوزستان واجتمعت عشيرته على ولده صدقة وفيها توفي الملك الرحيم آخر ملوك بني بويه بقلعة الري وكان طغرلبك سجنه اولا بقلعة السيروان ثم نقله الى قلعة الري فتوفي بها وفيها عصى أبو علي بن أبي الجبر بالبطائح وكان متقدم بعض نواحيها فارسل اليه طغرلبك جيشا مع عميد العراق أبي نصر فهزمهم أبو علي وفيها يوم النوروز أرسل السلطان مع وزيره عميد الملك الى الخليفة عشرة آلاف دينار سوى ما اضيف اليها من الاعلاق النفيسة وفيها في صفر توفي أبو الفتح بن شيطا القاري الشاهد وكانت شهادته سنة خمس وأربعين واربعمائة وفيها في شهر ربيع الاول توفي القاضي أبو الطيب الطبري الفقيه الشافعي وله مائة سنة وسنتان وكان صحيح السمع والبصر سليم الاعضاء يناظر ويفتي ويستدرك على الفقهاء وحضر عميد الملك جنازته ودفن عند قبر أحمد وله شعر حسن وفي سلخه توفي قاضي القضاة أبو الحسين علي بن محمد بن حبيب الماوردي الفقيه الشافعي وكان اماما وله تصانيف كثيرة منها الحاوي وغيره في علوم كثيرة وكان عمره ستا وثمانين سنة وفي آخر هذه السنة توفي أبو عبد الله الحسين بن علي الرفاء الضرير الفرضي وكان اماما فقيها على مذهب الشافعي وفيها في شوال كانت زلزلة عظيمة بالعراق والموصل ووصلت الى همذان ولبثت ساعة فخربت كثيرا من الدور وهلك فيها الجم الغفير وفيها توفي أبو محمد عبد الله بن علي بن عياض المعروف بابن أبي عقيل وكان قد سمع الكثير من الحديث ورواه وتوفي ايضا القاضي أبو الحسن علي بن هندي قاضي حمص وكان وافر العلم والادب

(تم الجزء التاسع ويليه الجزء العاشر وأوله)

(ثم دخلت سنة احدى وخمسين واربعمائة)

بتقليم العرضحال وترصيعه ووضع اسمائهم وختومهم عليه ليرسله الباشا الى الدولة فلم تسعهم المخالفة وقدموا صورته ثم بيضوه في كاغد كبير

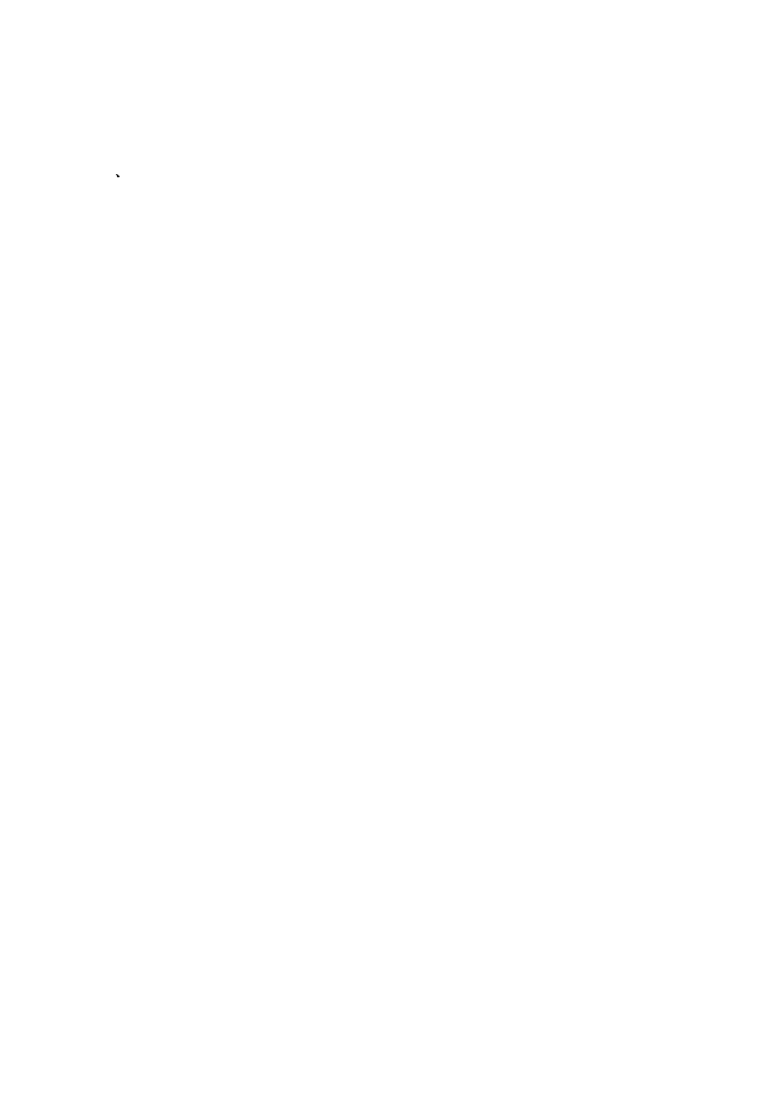
(فهرسة الجزء التاسع من تاريخ الكامل لابن الاثير)

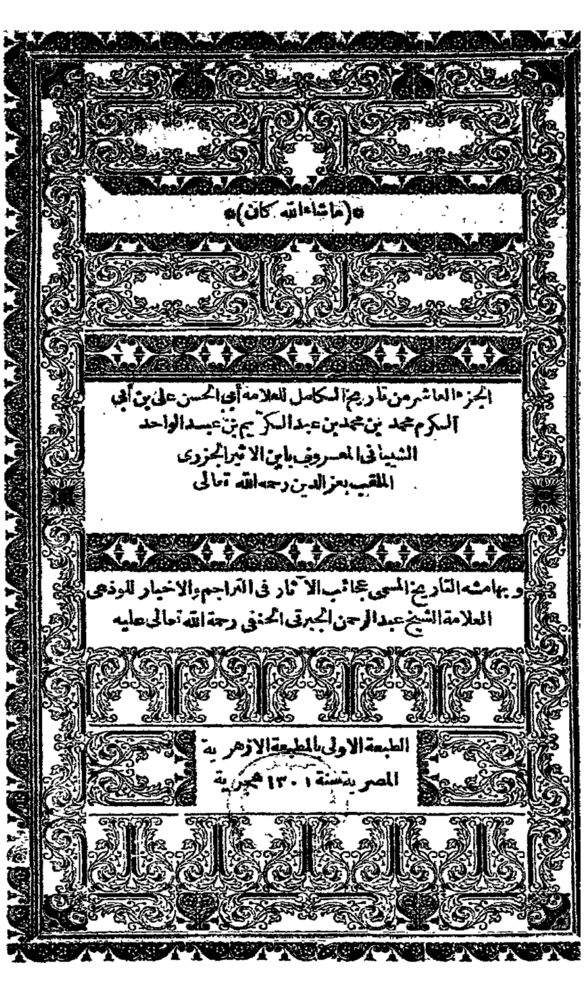
١٧٨

(تمت)

(فهرسة الجزء التاسع من عجائب الآثار)

(تمت)





(ما شاء الله كان)

الجزء العاشر من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن علي بن أبي
الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد
الشيباني المعروف بابن الاثير الجزري
الملقب بعز الدين رحمه الله تعالى

وبهامشه التاريخ المسمى عجائب الآثار في التراجم والاخبار للمؤرخ
العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الحنفي رحمة الله تعالى عليه

الطبعة الاولى بالمطبعة الازهرية
المصرية سنة ١٣٠١ هجرية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

●(ثم دخلت سنة احدى وخمسين وأربعمائة)●

●(ذكر وفاة فرخزاد صاحب غزنة وملك أخيه ابراهيم)

في هذه السنة في صفر توفي الملك فرخزاد بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان قد ثار به مماليكه سنة خمسين واتفقوا على قتله فقصدوه وهو في الحمام وكان معه سيف فأخذه وقاتلهم ومنعهم عن نفسه حتى أدركه أصحابه وخلصوه وقتلوا أولئك الغلمان وصار بعد أن نجا من هذه الحادثة يكثر ذكر الموت ويحتقر الدنيا ويزدريها وبقي كذلك الى هذه السنة فاصابه قولنج فمات منه وملك بعده أخوه ابراهيم ابن مسعود بن محمود فاحسن السيرة فاستعد لجهاد الهند ففتح حصونا امتنعت على أبيه وجده وكان يصوم رجبا وشعبان ورمضان

●(ذكر الصلح بين الملك ابراهيم وجغرى بك داود)●

في هذه السنة استقر الصلح بين الملك ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين وبين داود بن ميكائيل بن سلجوق صاحب خراسان على أن يكون كل واحد منهما على ما بيده ويترك منازعة الآخر في ملكه وكان سبب ذلك ان العقلاء من الجانبين نظروا فرأوا ان كل واحد من الملكين لا يقدر على أخذ ما بيد الآخر وليس يحصل غير انفاق الاموال واتعاب العساكر ونهب البلاد وقتل النفوس فسعوا في الصلح فوقع الاتفاق واليمين وكتبت النسخ بذلك فاستبشر الناس وسرهم لما أشرفوا عليه من العافية

(وصورته بالحرف)
بسم الله الرحمن الرحيم الرؤف
الحليم الحمد لله ذي الجلال
على جميع الشؤن والاحوال
نرفع اليك اكفا من بحر جودك
مغترفة وتتوجه الى كعبة
فضلك بقلوب بخالص
الوحدانية معترفة ان تديم
بهجة الزمان ورونق عنوان
اليمن والامان بدوام وزير
تخضع لمهابته الرقاب وتدنو
لهمة سطوته المهمات
الصعاب منتهى آمال المقاصد
والوسائل ومحط رحال
المطالب من كل سائل حضرة
صدر الصدور ومدبر مهمات
الامور الصدر الاعظم محمد
على باشا أدام الله دعائم العز
بقيامه وفسح للانام في ايامه
محفوفا بعناية الرب الكريم
محفوظا بآيات القرآن
العظيم آمين امابعد رفع راكف
القصد والرجاء ومد ساعد
الخضوع والالتجاء فاننا
ننهي لمسامعكم العلية وشيم
اخلاقكم المرضية بانه قد
قدم حضرة الدستور المكرم
والمشير المفخم مدبر مهمات
الاسكلات البحرية خادم
الدولة العلية الوزير قبودان

ذكر

(ذكر وفاة داود وملك ابنه ألب ارسلان)

في هذه السنة في رجب توفي جغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق اخو السلطان طغرلبك وقيل كان موته في صفر سنة اثنتين وخمسين وعمره نحو سبعين سنة وكان صاحب خراسان وهو مقابل آل سبكتكين ومقاتلهم ومانعهم عن خراسان فلما توفي ملك بعده خراسان ابنه السلطان ألب ارسلان وخلف داود عدة أولاد ذكور ومنهم السلطان ألب ارسلان وياقوتي وسليمان وقاروت بك فتزوج أم سليمان السلطان طغرلبك بعد أخيه داود ووصى له بالملك بعده وكان من أمره ما نذكره وكان خيرا عادلا حسن السيرة معترفا بنعمة الله تعالى عليه شاكرا عليها فمن ذلك انه أرسل الى أخيه طغرلبك مع عبد الصمد قاضي سرخس يقول له بلغني اخرابك البلاد التي فتحتها وملكتها وجلا أهلها عنها وهذا ما لا خفاء به في مخالفة أمر الله تعالى في عباده وبلاده وأنت تعلم ما فيه من سوء السمعة وايحاش الرعية وقد علمت اننا لقينا أعداءنا ونحن في ثلاثين رجلا وهم في ثلثمائة فغلبناهم وكنا في ثلثمائة وهم في ثلاثة آلاف فغلبناهم وكنا في ثلاثة آلاف وهم في ثلاثين ألفا فدفعناهم وقاتلنا بالامس شاه ملك وهو في اعداد كثيرة متوافرة فقهرناه وأخذنا مملكته بخوارزم وهرب من بين أيدينا الى خمسمائة فرسخ من موضعه فظفرنا به وأسرناه وقتلناه واستولينا على ممالك خراسان وطبرستان وسجستان وصرنا ملوكا متبوعين بعد ان كنا أصاغر تابعين وما تقتضي نعم الله علينا ان نقابلها بهذه المقابلة فقال طغرلبك قل له في الجواب يا أخي أنت ملكت خراسان وهي بلاد عامرة فخربتها ووجب عليك مع استقرار قدمك عمارتها وانا وردت بلادا خربها من تقدمني واجتاحها من كان قبلي فما أتمكن من عمارتها والاعداء محيطة بها والضرورة تقود الى طرقها بالعساكر ولا يمكن دفع مضرتها عنها وله مناقب كثيرة تركناها خوف التطويل

(ذكر حريق بغداد)

في هذه السنة احترقت بغداد الكرخ وغيره وبين السورين واحترقت فيه خزانة الكتب التي وقفها اردشير الوزير ونهبت بعض كتبها وجاء عميد الملك الكندري فاختار من الكتب خيرها وكان بها عشرة آلاف مجلد واربعمائة مجلد من اصناف العلوم منها مائة مصحف بخطوط بني مقلة وكان العامة قد نهبوا بعضها لما وقع الحريق فازالهم عميد الملك وقعد يختارها فنسب ذلك الى سوء سيرته وفساد اختياره وشتان بين فعله وفعل نظام الملك الذي عمر المدارس ودون العلم في بلاد الاسلام جميعها ووقف الكتب وغيرها

(ذكر انحدار السلطان الى واسط وما فعل العسكر واصلاح دبيس)

في هذه السنة انحدر السلطان طغرلبك الى واسط بعد فراغه من أمر بغداد فرآها قد نهبت وحضر عنده هزارسب بن بنكير واصلح معه حال دبيس بن مزيد واحضره معه الى

باشا الى ثغر سكندرية فارسل كتخدا البوابين سعيد أغا وصحبته الامر الشريف ٣ الواجب القبول والتشريف المعنون بالرسم الهمايوني العالي دامت مسراته على ممر الدهور والاعوام والايام والليالي فاوضح مكنونه وافصح مضمونه بانه قد تطاولت العداوة بين الوزير محمد علي باشا وبين الامراء المصريين فتعطلت مهمات الحرمين الشريفين من غلال ومرتبات وتنظيم امير الحاج على حكم سوابق العادات والحال انه ينبغي تقديم ذلك على سائر المطلوبات وان هذا التأخير سببه كثرة العساكر والعلوفات وترتب على ذلك لكامل الرعية بالاقاليم المصرية الدمار والاضمحلال وانهت الامراء المصرية هذه الكيفية لحضرة السدة السنية وانهم يتعهدون بالتزام جميع مرتبات الحرمين الشريفين من غلال وعوائد ومهمات واخراج امير الحاج على حكم اسلوب المتقدمين مع الامتثال لكامل ما يرد من الاوامر الشريفة الى ولاة الامور بالديار المصرية وانهم يقومون في كل سنة بدفع الاموال الميرية الى خزينة الدولة العلية ان حصل لهم العفو عن جرائمهم الماضية والرضا بدخولهم مصر المحمية والتمسوا من حضرة الدولة العلية قبول ذلك منهم وبلوغهم مأمولهم فصدر لهم الامر الهمايوني الشريف المطاع المنيف بعزل الوزير المشار اليه لتقرر العداوة معه ووجهت له ولاية سيلانيك

خدمة السلطان واصعد في صحبته الى بغداد وكذلك صدقة بن منصور بن الحسين وضمن واسطا ابو علي بن فضلان بمائتي الف دينار وضمن البصرة الاغر ابو سعد سابور ابن المظفر وعبر السلطان الى الجانب الشرقي من دجلة وسار الى قريب البطائح فنهب العسكر ما بين واسط والبصرة والاهواز واصعد السلطان الى بغداد في صفر سنة اثنتين وخمسين ومعه ابو الفتح بن ورام وهزارسب بن بنكير بن عياض ودبيس بن مزيد وابو علي ابن الملك ابي كاليجار وصدقة بن منصور بن الحسين وغيرهم واجتمع السلطان بالخليفة وامر الخليفة بعمل طعام كثير حضره السلطان والامراء واصحابهم وعمل السلطان ايضا سماطا احضر فيه الجماعة وخلع عليهم وسار الى بلاد الجبل في شهر ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين وجعل ببغداد شحنة الامير برسق وضمنها ابو الفتح المظفر بن الحسين ثلاث سنين باربعمائة الف دينار

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عزل ابو الحسين بن المهتدي من الخطابة بجامع المنصور لانه خطب للعلوي ببغداد في الفتنة واقيم مقامه بها الشريف ابو علي الحسن بن عبد الودود بن المهتدي بالله وفيها توفي علي بن محمد بن ابراهيم الزوزني ابو الحسن صحب ابا الحسن الحصري وروى عن ابي عبد الرحمن السلمي وهو الذي نسب اليه رباط الزوزني المقابل لجامع المنصور وفيها في جمادى الاولى توفي محمد بن علي بن الفتح بن محمد بن علي ابو طالب العشاري ومولده في المحرم سنة ست وستين وثلثمائة وسمع الدارقطني وغيره

(ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين واربعمائة)

(ذكر عود ولي العهد الى بغداد مع ابي الغنائم بن المحلبان)

في جمادى الآخرة ورد عدة الدين ابو القاسم المقتدي بامر الله ولي العهد ومعه جدته أم الخليفة وخرج الناس لاستقباله وجلس في الزبزب وعلى رأسه أبو الغنائم بن المحلبان وقدم له بباب الغربة فرس فحمله ابن المحلبان على كتفه وأركبه وسلمه الى مجلس الخليفة فشكره وخرج ابن المحلبان فركب في الزبزب وانحدر الى دار افردت له بباب المراتب ودخل الى الخليفة واجتمع به وكان سبب مسير ولي العهد مع ابن المحلبان انه دخل داره فوجد زوجة رئيس الرؤساء وأولادها بها وهم مطلوبون من البساسيري فعرفوه ان رئيس الرؤساء أمرهم بقصده فادخلهم الى أهله وأقام لهم من حملهم الى ميافارقين فساروا مع قرواش لما أصعد من بغداد ولم يعلم بهم ثم لقيه أبو الفضل محمد بن عامر الوكيل وعرفه ما عليه ولي العهد ومن معه من ايثار الخروج من بغداد وما هم عليه من تناقص الحال فبعث ابن المحلبان زوجته فاتتهم سرا فتركهم عنده ثمانية أشهر وكان يحضر ابن البساسيري واصحابه ويعمل لهم الدعوات وولي العهد ومن معه مستترون عنده يسمعون ما يقولون وتشك فيهم مما اكترى لهم وسارهو في صحبتهم الى قريب سنجار ثم حملوا الى حران وسار مع صاحبها الى الزمام منيع بن وثاب النميري حين

أيديهم ولا يقصر الى الوزير محمد باشا وقبلتم توبتهم وان العلماء والوجاقلية والرؤساء والوجهاء بالديار المصرية الداعين لحضرة مولانا الخنكار يبلغ المأمولات المرضية ان تعهدوا بهم وكفلوهم بعمل لهم المساعدة الكافية لكم التماسهم من أعتاب حضرة الدولة العلية فامركم مطاع وواجب القبول والاتباع غير اننا نلتمس من شيم الاخلاق المرضية والمراحم العلية العفو عن تعهدنا وكفالتنا لهم فان شرط الكفيل قدرته على المكفول ونحن لا قدرة لنا على ذلك لما تقدم من الافعال الشهيرة والاحوال والتطورات الكثيرة التي منها خيانة المرحوم السيد علي باشا والي مصر سابقا بعد واقعة ميرميران طاهر باشا وقتل الحجاج القادمين من البلاد الرومية وسلب الاموال بغير اوجه شرعية والصغير لا يسمع كلام الكبير والكبير لا يستطيع تنفيذ الامر على الصغير وغير ذلك مما هو معلوم لنا ومشاهد لنا خصوصا ما وقع في العام الماضي من اقدامهم على مصر المحمية وهجومهم علينا في وقت الفجرية بالاهم عنها حضرة المشار اليه وقتل منهم جملة كثيرة فكانت واقعة شهيرة فهذا شيء لا ينكر فحينئذ لا يمكننا التكفل والتعهد لاننا لا نطلع على ما في السرائر وما هو مستكن في الضمائر فنرجو عدم المؤاخذة قصد

قصد الرحبة وفتح قرقيسيا وعقد لعدة الدين على بنت منيع وانحدروا الى بغداد

﴿ذكر ملك محمود بن شبل الدولة حلب﴾

في هذه السنة في جمادى الآخرة حصر محمود بن شبل الدولة بن صالح بن مرداس الكلابي مدينة حلب وضيق عليها واجتمع معه جمع كثير من العرب فأقام عليها فلم يتسهل له فتحها فرحل عنها ثم عاودها فحصرها فملك المدينة عنوة في جمادى الآخرة بعد ان حصرها وامتنعت القلعة عليه وأرسل من بها الى المستنصر بالله صاحب مصر ودمشق يستنجدونه فأمر ناصر الدولة أبا محمد الحسين بن الحسن بن حمدان الامير بدمشق ان يسير بمن عنده من العساكر الى حلب يمنعها من محمود فسار الى حلب فلما سمع محمود بقربه منه خرج من حلب ودخلها عسكر ناصر الدولة فنهبوها ثم ان الحرب وقعت بين محمود وناصر الدولة بظاهر حلب واشتد القتال بينهم فانهزم ناصر الدولة وعاد منهزما الى مصر وملك محمود حلب وقتل عمه معز الدولة واستقام أمره بها وهذه الوقعة تعرف بوقعة الفنيدق وهي مشهورة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة خلع السلطان طغرلبك على محمود بن الاخرم الخفاجي وردت اليه امارة بني خفاجة وولاية الكوفة وسقي الفرات وضمن خواص السلطان هناك بأربعة آلاف دينار كل سنة وصرف عنها رجب بن منيع وفيها توفي أبو محمد النسوي صاحب الشرطة ببغداد وقد جاوز ثمانين سنة وفيها سد بثوق النهروانات وشرع العميد أبو الفتح في عمارة بثوق الكرخ وفيها في ذي القعدة توفيت خاتون زوجة السلطان طغرلبك بزنجان فوجد عليها وجدا شديدا وحمل تابوتها الى الري فدفنت بها وفيها ثالث جمادى الآخرة انقض كوكب عظيم القدر عند طلوع الفجر من ناحية المغرب الى ناحية المشرق فطال لبثه وفيها جمع عطية بن صالح بن مرداس جمعا وحصر الرحبة وضيق على أهلها فملكها في صفر من هذه السنة وفيها توفيت والدة الخليفة القائم بأمر الله واسمها قطر الندى وقيل بدر الدجى وقيل علم وهي جارية أرمينية وفيها توفي محمد بن الحسين بن محمد بن الحسن أبو علي المعروف بالجازري النهرواني وكان مكثرا من الرواية (الجازري بالجيم وبعد الالف زاي ثم راء) وفيها توفي أبو منصور الفقيه الجيلي بالباء الموحدة وبعد الالف ياء قحتها نقطتان ومحمد بن عبيد بن أحمد بن محمد أبو عمرو بن أبي الفضل الفقيه المالكي

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة﴾

﴿ذكر وزارة ابن دارست للخليفة﴾

لما عاد الخليفة الى بغداد استخدم أبا تراب الاثيري في الانهاء وحضور المواكب ولقبه حاجب الحجاب وكان قد خدمه بالحديثة وقرب منه فخاطب الشيخ أبو منصور بن يوسف في وزارة أبي الفتح منصور بن أحمد بن دارست وقال انه يخدم بغير اقطاع ويحمل مالا

في الامور التي لاقدرة لنا عليها الا اننا لانقدر على دفع المفسدين والطغاة والمتمردين الذين اهلكوا الرعايا ودمروهم فانتم خلفاء الله على خليقته وامناؤه على بريته ونحن ممتثلون لولاة اموركم في جميع ماهو موافق الشريعة المحمدية على حكم الاعز من رب البرية في قوله سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فلا تسعنا المخالفة فيما يرضي الله ورسوله فان حصل منهم خلاف ذلك نكل الامر فيهم الى مالك الممالك لان أهل مصر قوم ضعاف وقال عليه الصلاة والسلام أهل مصر الجند الضعيف ما كادهم أحد الا كفاهم الله مؤنته وقال أيضا وكل راع مسئول عن رعيته يوم القيامة ونفيد أيضا حضرة المسامع العلية من خصوص القرض والسلف التي حصل منها الثقلة للاهالي من حضرة محسوبكم الوزير محمد علي باشا فانه اضطر اليها لاجل اغراء العساكر وتقويتهم على دفع الاشقياء والمفسدين والطغاة المتمردين امتثالا لاوامر الدولة العلية في دفعهم والخروج من حقهم واجتهد في ذلك غاية الاجتهاد رغبة في حلول انظار الدولة العلية فالامر مفوض اليكم والملك امانة الله تحت ايديكم فنسأل الله الكريم المنان أن يديم العز والامتنان لسدة السلطان مع دعه نترنم بها في النفوس عظمته وسطوة تسري بها في القلوب مهابته وان

فاجيب الى ذلك فاحضر من الاهواز الى بغداد وخلع عليه خلعة الوزارة منتصف ربيع الآخر وجلس في منصبه ومدحه الشعراء فممن مدحه وهنأه أبو الحسن الخباز بقصيدة منها

امن الملك بالامين أبي الفتح ● وصدت عن صفوه الاقذاء
دولة أصبحت وأنت ولي الـرأى ● فيها الدولة غـراء

وهي طويلة وكان ابن دارست في أول أمره تاجر الملك أبي كاليجار

●(ذكر موت المعز بن باديس وولاية ابنه تميم)●

في هذه السنة توفي المعز بن باديس صاحب افريقية من مرض أصابه وهو ضعف الكبد وكانت مدة ملكه سبعا وأربعين سنة وكان عمره لما ملك احدى عشرة سنة وقيل ثماني سنين وستة أشهر وكان رقيق القلب خاشعا متجنبا لسفك الدماء الا في حد حليما يتجاوز عن الذنوب العظام حسن الصحبة مع عبيده وأصحابه مكرما لاهل العلم كثير العطاء لهم كريما وهب مرة مائة ألف دينار للمستنصر الزناتي وكان عنده وقد جاءه هذا المال فاستكثره فامر به فافرغ بين يديه ثم وهبه له فقيل له لم أمرت باخراجه من أوعيته قال لئلا يقال لو رآه ما سمحت نفسه به وكان له شعر حسن ولما مات رثاه الشعراء فمنهم أبو الحسن بن رشيق فقال

لكل حي وان طال المدى هلك ● لاعز مملكة يبقى ولا ملك
ولي المعز على اعقابه فرمى ● أوكاد ينهد من أركانه الفلك
مضى فقيدا وأبقى في خزائنه ● هام الملوك وما أدراك ما ملكوا
ما كان الا حساما سله قدر ● على الذين بغوا في الارض وانهمكوا
كانه لم يخض للموت بحر وغى ● خضر البحار اذا قيست به برك
ولم يجد بقناطير مقنطرة ● قد أرعيت باسمه ابريزها السكك
روح المعز وروح الشمس قد قبضا ● فانظر باي ضياء يصعد الفلك

ولما توفي ملك بعده ابنه تميم وكان مولد تميم بالمنصورية التي هي مقره منتصف رجب سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وولاه المهدية في صفر سنة خمس وأربعين فاقام بها الى ان وافاه أبوه المعز لما انتزح عن القيروان من العرب وقام بخدمة أبيه وأظهر من طاعته وبره ما بان به كذب ما كان ينسب اليه ولما استبد بالملك بعد أبيه سلك طريقه في حسن السيرة ومحبة أهل العلم الا انه كان أصحاب البلاد قد طمعوا بسبب العرب وزالت الهيبة والطاعة عنهم في أيام المعز فلما مات ازداد طمعهم واظهر كثير منهم الخلاف فممن أظهر الخلاف القائد حمو بن مليل صاحب سفاقس واستعان بالعرب وقصد المهدية ليحاصرها فخرج اليه تميم وصافه فاقتتلوا فانهزم حمو وأصحابه وكثر القتل فيهم ومضى حمو ونجا بنفسه وتفرقت خيله ورجاله وكان ذلك سنة خمس وخمسين وسار تميم الى سوسة وكان أهلها قد خالفوا أباه المعز وعصوا عليه فملكها وعفا

يبقى دولته على الانام وان يحسن البدء والختام بجاه سيدنا محمد خير البرية وآله وصحبه ذوي المناقب والرأي القيم

وكتبوا من ذلك نسختين احداهما الى القبطان وأخرى الى السلطان وكتبوا عليهما الامضاء والختوم وأرسلوهما (وفي ليلة الاثنين ثالث عشرينه) وصل شاكر أغا سلحدار الوزير الى بولاق فتلقوه وأركبوه الى بيت الباشا فلما أصبح النهار أرسلوا أوراقا وصلت صحبة السلحدار المذكور احداها خطابا للمشايخ وأخرى الى شيخ السادات وثالثة الى السيد عمر النقيب وكلها على نسق واحد وهي من قبودان باشا وعليها الختم الكبير وهي بالعربي وفرمان رابع باللغة التركية خطابا للجميع ومضمون الكل الاخبار بعزل محمد علي باشا عن ولاية مصر وولايته سلانيك وولاية لسيد موسى باشا المنفصل عنها مصر وان يكون الجميع تحت الطاعة والامتثال للاوامر والاجتهاد في المعاونة وتسهيل محمد علي باشا فيما يحتاج اليه من السفن ولوازم السفر ليتوجه هو وحسن باشا الحجر جا من طريق دمياط لاعزاز والاكرام وصحبتهما جميع العساكر من غير تأخير حسب الاوامر السلطانية ثم انهم اجتمعوا في عصر ذلك اليوم بمنزل السيد عمر وركبوا الى الباشا فلما استقروا بالمحاضرة لهم وصلات اليكم المراسلات الواردة صحبة السلحدار والوائم

عن أهلها

(ذكر وفاة قريش صاحب الموصل وامارة ابنه شرف الدولة)

فى هذه السنة توفى قريش بن بدران صاحب الموصل ونصيبين أصابه خروج الدم من فيه وأنفه وعينيه وأذنيه فحمله ابنه شرف الدولة الى نصيبين حتى حفظ خزائنه بها وتوفى هناك وسمع فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير حاله فسار من دارا الى نصيبين وجمع بنى عقيل على ان يؤمروا ابنه أبا المكارم مسلم بن قريش عليهم وكان القائم بامره جابر بن ناشب فزوجه فخر الدولة باخت مسلم وزوج مسلما بابنة نصر بن منصور

(ذكر وفاة نصر الدولة بن مروان)

فى هذه السنة توفى نصر الدولة أحمد بن مروان الكردى صاحب ديار بكر ولقبه القادر بالله نصر الدولة وكان عمره نيفا وثمانين سنة وامارته اثنتين وخمسين سنة واستولى على الامور وبلاده استيلاء تاما وعمر الثغور وضبطها وتنعم تنعما لم يسمع بمثله عن أحد من أهل زمانه وملك من الجوارى المغنيات ما اشترى بعضهن بخمسة آلاف دينار وأكثر من ذلك وملك خمسمائة سرية سوى توابعهن وخمسمائة خادم وكان فى مجلسه من الآلات ما تزيد قيمته على مائتى ألف دينار وتزوج من بنات الملوك جملة وأرسل طباخين الى الديار المصرية وغرم على ارسالهم جملة وافرة حتى تعلموا الطبخ من هناك وأرسل الى السلطان طغرلبك هدايا عظيمة من جملتها الجبل الياقوت الذى كان لبنى بويه اشتراه من الملك العزيز أبى منصور بن جلال الدولة وأرسل معه مائة ألف دينار سوى ذلك ووزر له أبو القاسم بن المغربى وفخر الدولة بن جهير ورخصت الاسعار فى أيامه وتظاهر الناس بالاموال ووفد اليه الشعراء وأقام عنده العلماء والزهاد وبلغه ان الطيور فى الشتاء تخرج من الجبال الى القرى فتصاد فامر ان يطرح لها الحب من الاهراء التى له فكانت فى ضيافته طول عمره ولما مات اتفق وزيره فخر الدولة بن جهير وابنه نصر فرتب نصرا فى الملك بعد أبيه وجرى بينه وبين أخيه سعيد حروب شديدة كان الظفر فى آخرها لنصر فاستقر فى الامارة بميافارقين وغيرها وملك أخوه سعيد آمد

(ذكر عدة حوادث)

فى رجب خلع على الكامل أبى الفوارس طراد بن محمد الزينبى وقلد نقابة النقباء ولقب الكامل ذا الشرفين وفيها تولى شمس الدين أسامة بن أبى عبد الله بن على نقابة العلويين ببغداد ولقب المرتضى وفيها فى جمادى الاولى انكسفت الشمس جميعها فظهرت الكواكب واظلمت الدنيا وسقطت الطيور الطائرة وفيها فى شهر رمضان توفى شكر العلوى الحسينى أمير مكة وله شعر حسن فمنه

قوض خيامك عن أرض تضام بها * وجانب الذل ان الذل يجتنب
وارحل اذا كان فى الاوطان منقصة * فالمندل الرطب فى أوطانه حطب

وفيها توفى أبو القاسم على بن محمد بن يحيى الشمشاطى بدمشق وكان عالما بالهندسة

فيما تراه تكم فى ذلك قال الشيخ الشرقاوى ليس رأى والرأى ما تراه ونحن الجميع على رأيك فقال لهم فى غد أبعث اليكم صورة تكتبونها فى رد الجواب وأرسل اليهم من الغد صورة مضمونها ان الاوامر الشريفة وصلت الينا وتلقيناها بالطاعة والامتثال الا ان أهل مصر ورعيتها قوم ضعاف ورعاع وعساكر المسكر من الخروج فيحصل لاهل البلدة الضرر وخراب الدور وهتك الحرمات وأنتم أهل الشفقة والرحمة والتلطف ونحو ذلك من التزويقات والتمويهات وأصدروها اليه وفى أثناء ذلك محمد على باشا آخذ فى الاهتمام والتهويل واظهار الحركة والخروج لمحاربة الالفى وبرزت العساكر الى ناحية بولاق وخارج البلدة وعدوا بالخيام الى البر الغربى وتقدم الى مشايخ الحارات بالتعريف على كل من كان متصفا بالجندية ويكتبوا أسماءهم ومحل سكنهم ففعلوا ذلك ثم كتبت لهم أوراق بالامر بالخروج وعليها ختم الباشا ومسطور فى ورقة الامر بان المأمور يصحب معه شخصين أو ثلاثة على ان أكثرهم لا يملك حمارا يركبه ولا ما يحمل عليه متاعه ولا ما يصرفه على نفسه فضلا عن غيره وكذلك أمر الوجاقلية جليلهم وحقيرهم بالخروج للمحاربة (وفيه) شرع الباشا فى تقرير فرضة على البلاد البحرية وهى القليوبية والمنوفية والغربية والدقهلية والمزاحمتين الى

آخر مجرى النيل ورتبوها أعلى وأدنى وأوسط وهي فالاعلى ثلاثون اردبا وثلاثون واسافل الغضر
وارشب أرز وثلاثون رطلا من الجبن ومن السمن كذلك وغير هذه الاصناف كالتبن والجلة وغير ذلك والاوسط عشرون اردبا وما يتبعها مما ذكر والادنى اثنا عشر ومع ذلك القبض والطلب مستمر في نقط الملتزمين بعضه من فوائضهم وبعضه من فلاحيهم مع ما يتبع ذلك من حق الطرق والخدم وتوالى الاستعجالات (وفي ليلة الثلاثاء ثامن عشرينه) سافر شاكر أغا السلحدار بالاجوبة

(شهر جمادى الاولى سنة ١٢٢١)

استهل بيوم الخميس في ثانيه احترق معمل البارود بناحية المدابغ فحصل منه رجة عظيمة وصوت هائل مثل المدفع العظيم سمعه القريب والبعيد ومات به عدة أشخاص ويقال انهم رموا بنبقة من القلعة بقصد التجربة على جهة بولاق فسقطت في المعمل المذكور وحصل ما ذكر (وفي ثالثه) يوم السبت وقت الزوال ركب الباشا من داره بريد السفر لمحاربة الالفي ونزل الى بولاق وعدى الى بر انبابة لتجهيز العرضي وأرسل أوراقا لتجمع العربان وعين لذلك حسن أغا محرم وعلى كاشف الشرقية (وفي ليلة الاثنين خامسه) حضر سليم أغا كتخدا الذي تقدم سفره صحبة سعيد أغا كتخدا البوابين مرسلا الى

والرياضيات من علوم الفلاسفة واليه ينسب الرباط الذي عند جامع دمشق

(ثم دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة)

(ذكر نكاح السلطان طغرلبك ابنة الخليفة)

في هذه السنة عقد للسلطان طغرلبك على ابنة الخليفة القائم بامر الله وكانت الخطبة تقدمت سنة ثلاث وخمسين مع أبي سعد قاضي الري فانزعج الخليفة من ذلك وأرسل في الجواب أبا محمد التميمي وأمره ان يستعفي فان أعفي والاتمم الامر على ان يحمل السلطان ثلثمائة ألف دينار ويسلم واسط واعمالها فلما وصل الى السلطان ذكر لعميد الملك الوزير ما ورد فيه من الاستعفاء فقال لا يحسن أن يرد السلطان وقد سأل وتضرع ولا يجوز مقابلته أيضا بطلب الاموال والبلاد فهو يفعل اضعاف ما طلب منه فقال التميمي الامر لك ومهما فعلته فهو الصواب فبنى الوزير الامر على الاجابة وطالع به السلطان فسر به وجمع الناس وعرفهم ان همته سمت به الى الاتصال بهذه الجهة النبوية وبلغ من ذلك ما لم يبلغه سواه من الملوك وتقدم الى عميد الملك الوزير ان يسير ومعه ارسلان خاتون زوجة الخليفة وان يصحبها مائة ألف دينار برسم الحمل وما شاكلها من الجواهر وغيرها ووجه معه فرامرز بن كاكويه وغيره من وجوه الامراء واعيان الري فلما وصل الى الامام القائم بامر الله وأوصل خاتون زوجة الخليفة الى دارها وأنهى حضوره وحضور من معه وذكر حال الوصلة فامتنع الخليفة من الاجابة اليها وقال ان اعفينا والا خرجنا من بغداد فقال عميد الملك كان الواجب الامتناع من غير اقتراح وعند الاجابة الى ما طلب فالامتناع سعي على دم وأخرج خيامه الى النهروان فاستوقفه قاضي القضاة والشيخ أبو منصور بن يوسف وأنهيا الى الخليفة عاقبة انصرافه على هذا الوجه وصنع له ابن دارست وزير الخليفة دعوة فحضر عنده فرأى على مسجد مكتوبا معاوية خال علي فامر بحكه وكتب من الديوان الى خمارتكين الطغرائي كتابا يتضمن الشكوى من عميد الملك فورد الجواب عليه بالرفق وكتب الخليفة الى عميد الملك نحن نرد الامر الى رأيك ونعول على امانتك ودينك فحضر يوما عند الخليفة ومعه جماعة من الامراء والحجاب والقضاة والشهود فاخذ المجلس لنفسه ولم يتكلم سواه وقال للخليفة اسأل مولانا امير المؤمنين التطول بذكر ما شرف به العبد المخلص شاهنشاه ركن الدين فيما رغب فيه ليعرفه الجماعة فغالطه وقال قد سطر في المعنى ما فيه كفاية فانصرف عميد الملك مغيظا ورحل في السادس والعشرين من جمادى الآخرة واخذ المال معه الى همذان وعرف السلطان ان السبب في اتفاق الحال من خمارتكين الطغرائي فتغير السلطان عليه فهرب في ستة غلمان وكتب السلطان الى قاضي القضاة والشيخ أبي منصور بن يوسف يعتب ويقول هذا جزائي من الخليفة الذي قتلت أخي في خدمته وانفقت أموالي في نصرته واهلكت خواصي في محبته وأطال العتاب وعاد الجواب اليه بالاعتذار واما الطغرائي فانه أدرك ببروجرد فقال أولاد

ابراهيم ينال السلطان ان هذا قتل أبانا ونسال ان تمكن من قتله واعانهم عميد الملك فاذن لهم فى قتله فساروا الى طريقه وقتلوه وجعل مكانه ساوتكين وبسط الكندرى سانه وطلب طغرلبك ابنة اخيه زوجة الخليفة لتعاد اليه وجرى ما كان يفضى الى الفساد الكلى فلما راى الخليفة شدة الامر أذن فى ذلك وكتب الوكالة باسم عميد الملك وسيرت الكتب مع ابى الغنائم بن المحلبان وكان العقد فى شعبان سنة اربع وخمسين بظاهر تبريز وهذا لم يجر للخلفاء مثله فان بنى بويه مع تحكمهم ومخالفتهم لعقائد الخلفاء لم يطمعوا فى مثل هذا ولا ساموهم فعله وحمل السلطان أموالا كثيرة وجواهر نفيسة للخليفة ولولى العهد وللجهة المطلوبة ولوالدتها وغيرهم وجعل بعقوبا وما كان بالعراق للخاتون زوجة السلطان التى توفيت للسيدة ابنة الخليفة

(ذكر عزل ابن دارست ووزارة ابن جهير)

فى هذه السنة عزل ابو الفتح محمد بن منصور بن دارست من وزارة الخليفة وسببه انه وصل معه انسان يهودى يقال له ابن علان فضمن اعمال الوكلاء التى لخاص الخليفة بستة آلاف كر غلة ومائة ألف دينار فصح منها الفا كر وثلاثون ألف دينار وانكسر الباقى فظهر عجز ابن دارست ووهنه فعزل وعاد الى الاهواز فتوفى بها سنة سبع وستين وكان فخر الدولة ابو نصر بن جهير وزير نصر الدولة بن مروان قد ارسل يخطب الوزارة وبذل فيها بذولا كثيرة فاجيب اليها وأرسل كامل طراد الزينبى الى ميافارقين كانه رسول فلما عاد سار معه ابن جهير كالمودع له فتمم السير معه وخرج ابن مروان فى أثره فلم يدركه فلما وصل الى بغداد خرج الناس الى استقباله وخلع عليه خلع الوزارة يوم عرفة ولقب فخر الدولة واستقر فى الوزارة ومدحه وهناه ابن الفضل وغيره من الشعراء

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة عم الرخص جميع الاصقاع فبيع بالبصرة الف رطل من التمر بثمانية قراريط وفيها توفى القاضى ابو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعى بمصر وفيها سار السلطان طغرلبك الى قلعة الطرم من بلاد الديلم وقرر على مسافر ملكها مائة الف دينار والف ثوب وفيها مات ابو علوان ثمال بن صالح بن مرداس الملقب معز الدولة بحلب وقام اخوه عطية مقامه وتوفى الحسن بن على بن محمد ابو محمد الجوهرى ومولده سنة ثلاث وستين وثلثمائة وكان من الائمة المكثرين من سماع الحديث وروايته وهو آخر من حدث عن ابى بكر القطيعى والابهرى وابن شاذان وغيرهم

(ثم دخلت سنة خمس وخمسين واربعمائة)

(ذكر ورود السلطان بغداد ودخوله بابنة الخليفة)

فى هذه السنة فى المحرم توجه السلطان طغرلبك من ارمينية الى بغداد واراد الخليفة ان يستقبله فاستعفاه من ذلك وخرج الوزير ابن جهير فاستقبله وكان مع السلطان من الامراء ابو على ابن الملك ابى كاليجار وسرخاب بن بدر وهزارسب وابو منصور فرامرز بن

قبودان باشا من طرف محمد على باشا فرجع بجواب الرسالة وحصلها ان القبودان و لم يقبل هذه الاعذار ولا ما تفوه من التمويهات التى لا أصل لها ولابد من تنفيذ الاوامر وسفر الباشا ونزوله هو وحسن باشا وعساكرهما وخروجهم من مصر وذهابهم الى ناحية دمياط وسفرهم الى الجهة المامورين بالذهاب اليها ولا شئ غير ذلك أبدا (وفى ليلة الخميس ثامنه) حضر على كاشف الشرقية وذلك انه تقنطر من فوق جواده وكسرت رجله وأحضروه محمولا (وفى يوم الخميس المذكور) وصل الكثير من طوائف عرب الحويطات ونصف حرام من ناحية شبرا الى بولاق وضربوا الحضورهم مدافع (وفيه) ركب طوائف الدلاتية وتقدموا الى جهة بحرى واشيع ركوب محمد على باشا ذلك اليوم فلم يركب (وفى ثانى عشره) ورد الخبر بوصول موسى باشا الى ثغر سكندرية يوم الاحد حادى عشره والمذكور ارسل من طرفه قاصدا وعلى يده مرسوم خطابا لاحمد افندى الدفتردار بان يكون قائمقامه ويامره بضبط الايراد والمصرف فلم يقبل الدفتردار ذلك وقال لم يكن بيدى قبض ولا صرف ولا علاقة لى بذلك (وفى يوم الاحد) طافت جماعة قواسة على بيوت الاعيان يبشرونهم بان العساكر الكائنين بناحية الرحمانية ركبوا على مرضى الالفى

كا كويه فنزل عسكره فى الجانب الغربى فزادبهم اذى ووصل عميد الملك الى الخليفة وطالب بالجهة وبات بالدار فقيل له خطك موجود بالشرط وان المقصود بهذه الوصلة الشرف لا الاجتماع وانه ان كانت مشاهدة فتكون فى دار الخلافة فقال السلطان نفعل هذا ولكن نفرد له من الدور والمساكن ما يكفيه ومعه خواصه وحجابه ومماليكه فانه لا يمكنه مفارقتهم فحينئذ نقلت الى دار المملكة فى منتصف صفر فجلست على سرير ملبس بالذهب ودخل السلطان اليها وقبل الارض وخدمها ولم تكشف الخمار عن وجهها ولا قامت هى له وحمل لها شيئا كثيرا من الجواهر وغيرها وبقى كذلك يحضر كل يوم يخدم وينصرف وخلع على عميد الملك وعمل السمط عدة ايام وخلع على جميع الامراء وظهر عليه سرور عظيم وعقد ضمان بغداد على ابى سعيد القاينى بمائة وخمسين الف دينار فاعاد ما كان اطلقه رئيس العراقين من المواريث والمكوس وقبض على الاعرابى سعد ضامن البصرة وعقد ضمان واسط على ابى جعفر بن صقالب بمائتى الف دينار

(ذكر وفاة السلطان طغرلبك)

فى هذه السنة سار السلطان من بغداد فى ربيع الاول الى بلد الجبل فوصل الى الرى واستصحب معه ارسلان خاتون ابنة اخيه زوجة الخليفة لانها شكت اطراح الخليفة لها فاخذها معه فمرض وتوفى يوم الجمعة ثامن شهر رمضان وكان عمره سبعين سنة تقريبا وكان عقيما لم يلد ولدا وكان وزيره الكندرى على سبعين فرسخا فاتاه الخبر فسار ووصل اليه فى يومين وهو بعد لم يدفن فدفنه وجلس له الوزير فخر الدولة بن جهير ببغداد للعزاء حكى عنه الكندرى انه قال رأيت وأنا بخراسان فى المنام كأنى رفعت الى السماء وأنا فى ضباب لا أبصر معه شيئا غير انى اشم رائحة طيبة وانى أنادى انك قريب من البارى جلت قدرته فاسأل حاجتك لتقضى فقلت فى نفسى اسأل طول العمر فقيل لك سبعون سنة فقلت يارب ما يكفينى فقيل لك سبعون سنة فقلت يارب لا يكفينى فقيل لك سبعون سنة فلما مات حسب عميد الملك عمره على التقريب فكان سبعين سنة وكانت مملكته بحضرة الخلافة سبع سنين وأحد عشر شهرا واثنى عشر يوما وأما الاحوال بالعراق بعد وفاته فانه كتب من ديوان الخلافة الى شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل الى نور الدولة دبيس بن مزيد والى هزارسب والى بنى ورام والى بدر بن مهلهل بالاستدعاء الى بغداد وأرسل لشرف الدولة تشريفا وعمل أبو سعد القاينى ضامن بغداد سورا على قصر عيسى وجمع الغلات فانحدر ابراهيم بن شرف الدولة الى أوانا وسلم اصحابه الانبار وانتشرت البادية فى البلاد وقطعوا الطرقات وقدم الى بغداد دبيس بن مزيد وخرج الوزير ابن جهير لاستقباله وقدم أيضا ورام وتوفى ببغداد أبو الفتح بن ورام مقدم الاكراد الجاوانية فحمل الى جرجرايا وفارق شرف الدولة مسلم بغداد ونهب النواحى فسار نور الدولة والاكراد وبنو خفاجة الى قتاله ثم أرسل اليه من

ديوان

وقعت بينهم مقتلة كبيرة وقتلوا منه جملة فيهم اربع صناجق ونهبوا منه زيادة عن ثمانمائة جمل باحمالها وعدة هجن محملة بالاموال ورجعت العساكر ومعهم نحو الثمانين رأسا ومائة اسير وغير ذلك وان الالفى هرب بمفرده الى ناحية الجبل وقيل الى الاسكندرية فكانوا يطوفون على الاعيان بهذا الكلام ويأخذون منهم البقاشيش ثم ظهر ان هذا الكلام لا اصل له وتبين ان طائفة من العرب يقال لهم الجوابيص وهم طائفة مرابطون ليس يقع منهم اذية ولا ضرر لاحد مطلقا نزلوا بالجبل بتلك الناحية فدهمهم العسكر وخطفوا منهم ابلا واغناما وقتل فيما بينهم انفار من الفريقين المدافعين عن انفسهم (وفى ذلك اليوم) أيضا ركب حسن اغا الشماشيرجى الى المنصورية قرية بالجيزة ومعه طائفة من العسكر وهى بالقرب من الاهرام فضربوا القرية ونهبوا منها أغناما ومواشى واحضروها الى العرضى بانبابة وحضر خلفهم أصحاب الاغنام وفيهم نساء يصرخن ويبكين وصادف ذلك ان السيد عمر النقيب عدى الى العرضى فشاهدهم على هذه الحالة فكلم ابراهيم اغا فى شأنهم فامر برد الاغنام التى للنساء والفقراء الصارخين وذهبوا بالباقى للطبخ (وفى ثانى عشره) وردت الاخبار بان العسكر الكائنين بالرحمانية ومرقص رجعوا الى الجيزة ونصبوا اعرضيهم

ديوان الخليفة رسول معه خلعة له وكوتب بالرضا عنه وانحدر اليه نور الدولة دبيس فعمل له شرف الدولة سماطا كثيرا وكان في الجماعة الاشرف أبو الحسين بن فخر الملك أبي غالب بن خلف كان قصد شرف الدولة مستجديا فمضغ لقمة فمات من ساعته وحكى عنه بعض من صحبه انه سمعه ذلك اليوم يقول اللهم اقبضني فقد ضجرت من الاضاقة فلما توفي ورفع من السماط خاف شرف الدولة ان يظن من حضر أنه تناول طعاما مسموما قصد به غيره فقال يا معشر العرب لا يبرح منكم أحد ونهض وجلس مكان ابن فخر الملك المتوفى وجعل يأكل من الطعام الذي بين يديه فاستحسن الجماعة فعله وعادوا عنه وخلع على دبيس وولده منصور وعاد الى حلته ولما رأى الناس ببغداد انتشار الاعراب في البلاد ونهبها حملوا السلاح لقتالهم وكان ذلك سببا لكثرة العيارين وانتشار المفسدين

(ذكر شئ من سيرته)

كان عاقلا حليما من اشد الناس احتمالا وأكثرهم كتمانا لسره ظفر بمطالعات كتبها بعض خواصه الى الملك أبي كاليجار فلم يطلعه على ذلك ولا تغير عليه حتى أظهره بعد مدة طويلة لغيره وحكى عنه اقضى القضاة الماوردي قال لما أرسلني القائم بامر الله اليه سنة ثلاث وثلاثين كتبت كتابا الى بغداد اذكر فيه سيرته وخراب بلاده واطعن عليه بكل وجه فوقع الكتاب من غلامي فحمل اليه فوقف عليه وكتمه ولم يحدثني فيه بشئ ولا تغير عما كان عليه من اكرامي وكان رحمه الله يحافظ على الصلوات ويصوم الاثنين والخميس وكان لبسه الثياب البياض وكان ظلوما غشوما قاسيا وكان عسكره يغصبون الناس اموالهم وأيديهم مطلقة في ذلك نهارا وليلا وكان كريما فمن كرمه ان أخاه ابراهيم ينال اسر من الروم لما غزاهم بعض ملوكهم فبذل في نفسه اربعمائة ألف دينار فلم يقبل ابراهيم منه وحمله الى طغرلبك فارسل ملك الروم الى نصر الدولة بن مروان حتى خاطب طغرلبك في فكاكه فلما سمع طغرلبك رسالته أرسل الرومي الى ابن مروان بغير فداء وسير معه رجلا علويا فنفذ ملك الروم الى طغرلبك ما لم يحمل في الزمان المتقدم وهو الف ثوب ديباج وخمسمائة ثوب أصناف وخمسمائة رأس من الكراع الى غير ذلك وأنفذ مائتي ألف دينار ومائة لبنة فضة وثلثمائة شهري وثلثمائة حمار مصرية والف عنز بيض الشعر سود العيون والقرون وأنفذ الى ابن مروان عشرة أمناء مسكا وعمر ملك الروم الجامع الذي بناه مسلمة بن عبد الملك بالقسطنطينية وعمر منارته وعلق فيه القناديل وجعل في محرابه قوسا ونشابة وأشاع المهادنة

(ذكر ملك السلطان الب ارسلان)

لما مات السلطان طغرلبك أجلس عميد الملك الكندري في السلطنة سليمان بن داود جغري بك أخي السلطان طغرلبك وكان طغرلبك قد عهد اليه بالملك وكانت والدة سليمان عند طغرلبك فلما خطب له بالسلطنة اختلف الامراء فمضى باغي سيان واردم

هنالك وحضر الالفي بجماعتهم فركبوا الهاربه وكانوا جماعة عظيمة فركب الالفي بجيوشه وحاربهم ووقع بينه وبينهم وقعة عظيمة انجلت عن نصرته عليهم وانهزام العسكر وقتل من الدلاة وغيرهم مقتلة عظيمة ولم يزل الواقف هزيمتهم الى البحر والقوا بانفسهم فيه وامتلأ البحر من طراطير الدلاتية وهرب كتخدا بك وطاهر باشا الى بر المنوفية وعدوا في المراكب واستولى الالفي وجيوشه على خيولهم وخيامهم وجمالاتهم وبخانتهم وأرسل برؤس القتلى والاسرى الى القبودان وأشيع خبر هذه الواقعة في الناس وتحدثوا بها وانزعج الباشا والعسكر انزعاجا عظيما وعدى الى بر بولاق وطاف الوالي واصحاب الدرك ينادون على العساكر بالخروج الى العرضي ويكتبون أسماءهم وحضر الباشا الى داره واكثر من الركوب والذهاب والمجيء والطواف حول المدينة والشوارع ويذهب الى بولاق ومصر القديمة ويرجع ليلا ونهارا وهو راكب رهوانا تارة أو فرسا أو بغلة ومرتد ببرنس ابيض مثل المغاربة والعسكر امامه وخلفه ووصل مجاريح كثيرة واخبروا بالواقعة المذكورة ومات من جماعة الالفي أحمد بك الصنداوي فقط وانجرح امين بك وغيره بجرح سلامة (وفي يوم الاربعاء حادي عشرينه) وصلت العساكر المهزومة وكبراؤهم الى بولاق وفيهم مجاريح

الى قزوين وخطبا لعضد الدولة الب ارسلان محمد بن داود جغرى بك وهو حينئذ صاحب خراسان ومعه نظام الملك وزيره والناس مائلون اليه فلما رأى عميد الملك الكندرى انعكاس الحال عليه امر بالخطبة بالرى للسلطان الب ارسلان وبعده لاخيه سليمان

(ذكر خروج جومن طاعة تميم بن المعز بافريقية)

فى هذه السنة خالف حو بن مليك صاحب مدينة سفاقس بافريقية على الامير تميم بن المعز ابن باديس فجمع اصحابه واستعان بالعرب وساروا الى المهدية فسمع تميم الخبر فسار اليه بعسا كره ومعه ايضا طائفة من العرب من زغبة ورياح ووصل حوالى سلقطة والتقى الفريقان بها وكان بينهما حرب شديدة فانهزم حو ومن معه واخذتهم السيوف فقتل اكثر رجاله واصحابه ونجا بنفسه وتفرقت رجاله وعاد تميم مظفرا منصورا ثم قصد بعد هذه الحادثة مدينة سوسة وكان اهلها قد خالفوا عليه فملكها وعفا عنهم وحقن دماءهم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى المحرم قبض بمصر على الوزير ابى الفرج بن المغربى وفيها دخل الصليحى صاحب اليمن الى مكة مالكا لها فاحسن السيرة فيها وجلب اليها الاقوات ورفع جور من تقدم وظهرت منه افعال جميلة وفيها فى ربيع الآخر انقض كوكب عظيم وكان له ضوء كثير وفيها فى شعبان كان بالشام زلزلة عظيمة خرب منها كثير من البلاد وانهدم سور طرابلس وفيها ملك امير الجيوش بدر دمشق للمستنصر صاحب مصر فوصل اليها فى الثالث والعشرين من ربيع الآخر واقام بها واختلف هو والجند فثاروا به ووافقهم العامة فضعف عنهم ففارقها فى رجب سنة ست وخمسين وفيها توفى سعيد بن نصر الدولة ابن مروان صاحب آمد من ديار بكر وزهير بن الحسين بن على ابو نصر الجذامى الفقيه الشافعى تفقه على ابى حامد الاسفراينى وسمع الحديث الكثير ورواه وكان موته بسرخس

(ثم دخلت سنة ست وخمسين واربعمائة)

(ذكر القبض على عميد الملك وقتله)

فى هذه السنة قبض السلطان الب ارسلان على الوزير عميد الملك ابى نصر منصور بن محمد الكندرى وزير طغرلبك وسبب ذلك ان عميد الملك قصد خدمة نظام الملك وزير الب ارسلان وقدم بين يديه خمسمائة دينار واعتذر وانصرف من عنده فسار اكثر الناس معه فخوف السلطان من غائلة ذلك فقبض عليه وانفذه الى مرو الروذ واقى عليه سنة فى الاعتقال ثم نفذ اليه غلامين فدخلا عليه وهو محموم فقالا له تب مما انت عليه ففعل ودخل فودع اهله وخرج الى مسجد هناك فصلى ركعتين واراد الغلامان خنقه فقال لست بلص وخرق خرقة من طرف كمه وعصب عينيه فضربوه بالسيف وكان قتله فى ذى الحجة ولف فى قميص دبيقى من ملابس الخليفة وخرقة كانت البردة التى عند الخلفاء فيها وحملت جثته الى كندر فدفن عند ابيه وكان عمره يوم قتل نيفا واربعين سنة وكان سبب اتصاله بالسلطان طغرلبك ان السلطان لما ورد نيسابور وطلب رجلا يكتب له

ويكون

آخر النهار وهم عدد كثير وقد انضاف اليهم من كان ببر المنوفية ولم يحضر المعركة لما داخلهم من الخوف ثم انهم طلعوا الى بولاق وانتشروا فى النواحى وذهب منهم الكثير الى مصر القديمة وحضر كثير منهم ودخلوا المدينة ودخلوا البيوت وازعجوا كثيرا من الناس الساكنين بناحية قناطر السباع وسويقة اللالا والناصرية وغير ذلك من النواحى واخرجوهم من دورهم وقد كانت الناس استراحت منهم مدة غيابهم (وفى يوم الاربعاء ثامن عشرينه) الموافق لثامن مسرى القبطى اوفى النيل اذرعه وركب الباشا فى صبحيته يوم الخميس الى قنطرة السد وحضر القاضى والسيد عمر النقيب وكسر الجسر بحضرتهم وجرى الماء فى الخليج جريانا ضعيفا بسبب علو ارضه وعدم تنظيفه من الاتربة المتراكمة فيه ويقال انهم قطعوه قبل الوفاء لاشتغال بال الباشا وتطيره وخوفه من حادثة تحدث فى مثل يوم هذا الجمع وخصوصا وقد وصل الى برالجيزة الكثير من اجناد الالفى

(شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٢١)

استهل بيوم السبت فى سادسه حضر طاهر باشا الى برانبابة

ه يكون فصيحا بالعربية فدل عليه الموفق والد أبي سهل وأعطته السعادة وكان فصيحا فاضلا وانتشر من شعره ماقاله في غلام تركى صغير السن كان واقفا على رأسه يقطع بالسكين قصبة فقال عميد الملك فيه

أنا مشغول بحبه * وهو مشغول بلعبه لو أراد الله خيرا * وصلاحا لمحبه
نقلت رقة خديه * الى قسوة قلبه صانه الله فما أكثر اعجابي بعجبه

ومن شعره ان كان بالناس ضيق من مناقشتى * فالموت قد وسع الدنيا على الناس
مضيت والشامت المغبون يتبعني * كل لكاس المنايا شارب حاسى

وقال أبو الحسن الباخرزى يخاطب الب ارسلان عند قتل الكندرى

وعمك أدناه وأعلى محله * و بوّاه من ملكه كنفا رحبا
قضى كل مولى منكما حق عبده * فخوله الدنيا وخولته العقبى

وكان عميد الملك خصيا قد خصاه طغرلبك لانه أرسله يخطب عليه امرأة ليتزوجها فتزوجها هو وعصى عليه فظفر به وخصاه وأقره على خدمته وقيل بل أعداؤه أشاعوا عنه انه تزوجها فخصى نفسه ليخلص من سياسة السلطنة فقال فيه على بن الحسن الباخرزى

قالوا محا السلطان عنه بعزة * سمة الفحول وكان قرما صائلا
قلت اسكتوا فالآن زاد فحولة * لما اعتدى عن أنثييه عاطلا
فالفحل يأنف أن يسمى بعضه * أنثى لذلك جذه مستأصلا

يعنى بالانثى واحدة الانثيين وكان شديد التعصب على الشافعية كثير الوقيعة فى الشافعى رضى الله تعالى عنه بلغ من تعصبه انه خاطب السلطان فى لعن الرافضة على منابر خراسان فاذن فى ذلك فامر بلعنهم واضاف اليهم الاشعرية فانف من ذلك أئمة خراسان منهم الامام أبو القاسم القشيرى والامام أبو المعالى الجوينى وغيرهما ففارقوا خراسان وأقام امام الحرمين بمكة أربع سنين الى ان انقضت دولته يدرس و يفتى فلهذا لقب امام الحرمين فلما جاءت الدولة النظامية أحضر من انتزح منهم وأكرمهم وأحسن اليهم وقيل انه تاب من الوقيعة فى الشافعى فان صح فقد أفلح والافعلى نفسها براقش تجنى ومن العجب ان ذكره دفن بخوارزم لما خصى ودمه مسفوح بمرو وجسده مدفون بكندر ورأسه ماعدا قحفه مدفون بنيسابور ونقل قحفه الى كرمان لان نظام الملك كان هنالك فاعتبروا يا أولى الابصار ولما قرب للقتل قال للقاصد اليه قل لنظام الملك بئسما عودت الاتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ومن حفر قليبا وقع فيه ولم يخلف عميد الملك غير بنت

(ذكر ملك الب ارسلان ختلان وهراة وصغانيا)

لما توفى طغرلبك وملك الب ارسلان عصى عليه أمير ختلان بقلعته ومنع الخراج فقصده السلطان فرأى الحصن منيعا على شاهق فقام عليه وقاتله فلم يصل منه الى

ونصب خيامه هنالك وعدى هو فى قلة الى بولاق وذهب الى داره بالازبكية وكان من امرائه لما حصلت له الهزيمة فذهب الى المنوفية وقد اغتاظ عليه الباشا وأرسل يقول له لاتريني وجهك بعد الذى حصل وترددت بينهما الرسل ثم أرسل اليه يامره بالذهاب الى رشيد فذهب الى فوة ثم حضر شاهين بك الالفى الى الرحمانية فارسل الباشا الى طاهر باشا يامره بالذهاب الى شاهين بك و يطرده من الرحمانية فذهب اليه فى المراكب فضرب عليه شاهين بك بالمدافع فكسر بعض مراكبه فرجع على اثره وركب من البر حتى عدى بحر الرحمانية ثم حضر الى مصر ووصل بعده الكثير من العسكر فامرهم الباشا بالعود فعاد الكثير منهم فى المراكب وحضر ايضا اسمعيل اغا الطوبجى كاشف المنوفية وقد داخل الجميع الخوف من الالفى واما الالفى فانه بعد انفصال الحرب من الحيلة رجع الى دمنهور وذلك بعد ان ذهب اعيانها الى قبودان باشا وقابلوه وامنهم ورجعوا على امانه فافترقوا فرقتين فرقة منهم اطمانت ورضيت بالامان والاخرى لم تطمئن بذلك وارسلوا الى السيد عمر والباشا فرجع اليهم الجواب بامرونهم باستمرارهم على الممانعة ومحاربتهم ياتى لحربهم فامتثلوا ذلك وتبعتهم الفرقة الاخرى وارسل اليهم القبودان يدعوهم الى الطاعة و يضمن لهم عدم تعدى

براده ففى بعض الايام باشر الب ارسلان القتال بنفسه وترجل وصعد فى الجبل فتبعه الخلق وتقدموا عليه فى الموقف وألحوا فى الزحف والقتال وكان صاحب القلعة على شرافة من سورها يحرض الناس على القتال فاتته نشابة من العسكر فقتلته وتسلم الب ارسلان القلعة وصارت فى جملة ممالكه وكان عمه فخر الملك بيغو بن ميكائيل فى هراة فعصى أيضا عليه وطمع فى الملك لنفسه فسار اليه الب ارسلان فى العساكر العظيمة فحصره وضيق عليه وادام القتال ليلا ونهارا فتسلم المدينة وخرج عمه اليه فابقى عليه وأكرمه وأحسن صحبته وسار من هناك الى صغانيان وأميرها اسمه موسى وكان قد عصى عليه فلما قاربه الب ارسلان صعد موسى الى قلعة على رأس جبل شاهق ومعه من الرجال الكماة جماعة كثيرة فوصل السلطان اليه وباشر الحرب لوقته فلم ينتصف النهار حتى صعد العسكر الجبل وملكوا القلعة قهرا وأخذ موسى اسيرا فامر بقتله فبذل فى نفسه أموالا كثيرة فقال السلطان ليس هذا أوان تجارة واستولى على تلك الولاية باسرها وعاد الى مرو ثم منها الى نيسابور

(ذكر عود ابنة الخليفة الى بغداد والخطبة للسلطان الب ارسلان ببغداد)

فى هذه السنة أمر السلطان الب ارسلان السيدة ابنة الخليفة بالعود الى بغداد وأعلمها انه لم يقبض على عميد الملك الا لما اعتمده من نقلها من بغداد الى الرى بغير رضا الخليفة وأمر الامير ايتكين السليمانى بالمسير فى خدمتها الى بغداد والمقام بها شحنة وانفذ ابا سهل محمد بن هبة الله المعروف بابن الموفق للمسير فى الصحبة وأمر بالمخاطبة فى اقامة الخطبة له فمات فى الطريق مجدرا وهذا ابو سهل من رؤساء اصحاب الشافعى بنيسابور وكان يحضر طعامه فى رمضان كل ليلة اربعمائة متفقه ويصلهم ليلة العيد بكسوة ودنانير تعمهم فلما سمع بموته ارسل العميد ابا الفتح المظفر بن الحسين فمات ايضا فى الطريق فالزم السلطان رئيس العراقين بالمسير فوصلوا بغداد منتصف ربيع الآخر وخرج عميد الدولة بن الوزير فخر الدولة بن جهير لتلقيهم واقترح السلطان ان يخاطب بالولد المؤيد فاجيب الى ذلك ولقب ضياء الدين عضد الدولة وجلس الخليفة جلوسا عاما سابع جمادى الاولى وشافه الرسل بتقليد الب ارسلان السلطنة وسلمت الخلع بمشهد من الخلق وارسل اليه من الديوان لاخذ البيعة النقيب طراد الزينبى فوصلوا اليه وهو بنقجوان من اذربيجان فلبس الخلع وبايع للخليفة

(ذكر الحرب بين الب ارسلان وقتلمش)

سمع الب ارسلان ان شهاب الدولة قتلمش وهو من السلجوقية ايضا وهو جد الملوك اصحاب قونية وقيصرية واقصرا وملطيه يومنا هذا قد عصى عليه وجمع جموعا كثيرة وقصد الرى ليستولى عليها فجهز الب ارسلان جيشا عظيما وسيرهم على المفازة الى الرى فسبقوا قتلمش اليها وسار الب ارسلان من نيسابور اول المحرم من هذه السنة فلما وصل الى دامغان ارسل الى قتلمش ينكر عليه فعله وينهاه عن ارتكاب هذه الحال

لاتى عليهم فلم يرضوا بذلك فعند ذلك استفتى العلماء فى حربهم حتى يذعنوا للطاعة فافتوه بذلك فعند ذلك ارسل الى الالفى امره بحربهم فحاصرهم جار بهم واستمر ذلك (وفى يوم الجمعة سابعه) ورد الخبر بموت الكاشف الذى بدمنهور (وفى يوم الخميس ثالث عشره) وصلت قافلة من السويس وصحبتها المحمل فادخلوه وشقوا به من المدينة وخلفه طبل وزمر وأمامه اكابر العسكر وأولاد الباشا ومصطفى جاويش المتسفر عليه ولقد أخبرنى مصطفى جاويش المذكور انه لما ذهب الى مكة وكان الوهابى حضر الى الحج واجتمع به فقال له الوهابى ما هذه العويدات التى تأتون بها وتعظمونها بينكم يشير بذلك القول الى المحمل فقال له جرت العادة من قديم الزمان بها يجعلونها علامة واشارة لاجتماع الحجاج فقال لا تفعلوا ذلك ولا تأتوا به بعد هذه المرة وان اتيتم به مرة أخرى فانى أكسره (وفى ليلة الاربعاء) حضر الافندى المكتوبجى من طرف القبودان الى بولاق فارسل له الباشا حصانا فركبه وحضر الى بيت الباشا بالازبكية فى صبح يوم الاربعاء المذكور فاحضر الباشا الدفتردار وسعيد اغا وختلوا ببعضهم ولم يعلم ما دار بينهم (وفى يوم الخميس عشرينه) اركب من بالجيزة من الامراء المصريين وعدتهم ستة من المتامرين الجدد الذين أمرهم الالفى ويامره

ويامره بتركها فانه يرعى له القرابة والرحم فاجاب قتلمش جواب مغتر بمن معه من الجموع ونهب قرى الري واجرى الماء على وادي الملح وهي سبخة فتعذر سلوكها فقال نظام الملك قد جعلت لك من خراسان جندا ينصرونك ولا يخذلونك ويرمون دونك بسهام لا تخطى وهم العلماء والزهاد فقد جعلتهم بالاحسان اليهم من اعظم اعوانك وقرب السلطان من قتلمش فلبس نظام الملك السلاح وعبى الكتائب واصطف العسكران وكان قتلمش يعلم علم النجوم فوقف ونظر فرأى ان طالعه في ذلك اليوم قد قارنه نحوس لا يرى معها ظفرا فقصد الحاجزة وجعل السبخة بينه وبين الب ارسلان ليمتنع من اللقاء فسلك الب ارسلان طريقا في الماء وخاض غمرته وتبعه العسكر فطلع منه سالما هو وعسكره فصاروا مع قتلمش واقتتلوا فلم يثبت عسكر قتلمش لعسكر السلطان وانهزموا ساعتهم ومضى منهزما الى قلعة كردكوه وهي من جملة حصونه ومعاقله واستولى القتل والاسر على عسكره فاراد السلطان قتل الاسرى فشفع فيهم نظام الملك فعفا عنهم واطلقهم ولما سكن الغبار ونزل العسكر وجد قتلمش ميتا ملقى على الارض لا يدرى كيف كان موته قيل انه مات من الخوف والله اعلم فبكى السلطان لموته وقعد لعزائه وعظم عليه فقده فسلاه نظام الملك ودخل الب ارسلان الى مدينة الري آخر المحرم من السنة ومن العجب ان هذا قتلمش كان يعلم علم النجوم قد أتقنه مع انه تركي ويعلم غيره من علوم القوم ثم ان اولاده من بعده لم يزالوا يطلبون هذه العلوم الاولية ويقربون اهلها فنالهم بهذا غضاضة في دينهم وسيرد من اخبارهم ما يعلم منه ذلك وغيره من احوالهم

●(ذكر فتح الب ارسلان مدينة آني وغيرها من بلاد النصرانية)●

ثم سار السلطان من الري اول ربيع الاول وسار الى اذربيجان فوصل الى مرند عازما على قتال الروم وغزوهم فلما كان بمرند اتاه أمير من أمراء التركمان كان يكثر غزو الروم اسمه صغدكين ومعه من عشيرته خلق كثير قد ألفوا الجهاد وعرفوا تلك البلاد وحثه على قصد بلادهم وضمن له سلوك الطريق المستقيم اليها فسار معه فسلك بالعساكر في مضايق تلك الارض ومخارمها فوصل الى نقجوان فأمر بعمل السفن لعبور نهر أرس فقيل له ان سكان خوي وسلماس من اذربيجان لم يقوموا بواجب الطاعة وانهم قد امتنعوا ببلادهم فسير اليهم عميد خراسان ودعاهم الى الطاعة وتهددهم ان امتنعوا فاطاعوا وصاروا من جملة حزبه وجنده واجتمع عليه هناك من الملوك والعساكر ما لا يحصى فلما فرغ من جمع العساكر وسفن سار الى بلاد الكرج وجعل مكانه في عسكره ولده ملكشاه ونظام الملك وزيره فسار ملكشاه ونظام الملك الى قلعة فيها جمع كثير من الروم فنزل أهلها منها وتخطفوا من العسكر وقتلوا منهم فئة كثيرة فنزل نظام الملك وملكشاه وقاتلوا من بالقلعة وزحفوا اليهم فقتل امير القلعة وملكها المسلمون وساروا منها الى قلعة سرماري وهي قلعة فيها المياه الجارية والبساتين فقاتلوها

فذهبوا عند استاذهم بناحية دمنهور ونزلوا بالقرب منه (وفي خامس عشرينه) رسلمان أغا صالح من ناحية الجيزة راجعا من عند الامراء القبالي وصحبته هدايا من طرفهم للقبودان وفيها خيول وعبيد وطواشية وسكر ولم يجيبوا الى الحضور لمنافسة عثمان بك البرديسي وحقده الكامن للالفي ولكون هذه الحركة وهي مجيء القبودان وموسى باشا باجتهاده وسفارته وتدبيره كما سيتلى عليك فيما بعد وفيه ظهرت فحوى النتيجة القياسية وانعكاس القضية وهو ان القبودان لما لم يجد في المصرلية الاسعاف وتحقق ما هم عليه من التنافر والخلاف وتكررت ما بينه وبين الفريقين المراسلات والمكاتبات فعند ذلك استانف مع محمد علي باشا المصادقة وعلم ان الاروج له معه الموافقة فارسل اليه المكتوبجي واستوثق منه والتزم له باضعاف ما وعده من الكذابين معجلا ومؤجلا على ممر السنين والالتزام بجميع المامورات والعدول عن المخالفات فوقع الاتفاق على تقرير ما علوم وارسل الى محمد علي باشا يامره بكتابة عرضحال خلاف الاولين ويرسله صحبة ولده علي بك القبودان فعند ذلك لخصوا عرضحال وختم عليه الاشياخ والاختيارية والوجاقلية وارسله صحبة ابنه ابراهيم بك وأصحب معه هدية تقدمة وخيولا واقمشة هندية وغير ذلك وتلفت طبخة

وملكوها وانزلوا منها أهلها وكان بالقرب منها قلعة أخرى ففتحها ملكشاه وأراد تخريبها فنهاه نظام الملك عن ذلك وقال هي ثغر للمسلمين وشحنها بالرجال والذخائر والاموال والسلاح وسلم هذه القلاع الى امير نفجوان وسار ملكشاه ونظام الملك الى مدينة قريم شين وفيها كثير من الرهبان والقسيسين وملوك النصارى وعامتهم يتقربون الى أهل هذه البلد وهي مدينة حصينة سورها من الاحجار الكبار الصلبة المشدودة بالرصاص والحديد وعندها نهر كبير فاعد نظام الملك لقتالها ما يحتاج اليه من السفن وغيرها وقاتلها وواصل قتالها ليلا ونهارا وجعل العساكر عليها يقاتلون بالنوبة فضجر الكفار وأخذهم الاعياء والكلال فوصل المسلمون الى سورها ونصبوا عليه السلالم وصعدوا الى اعلاه لان المعاول كانت من نقبه لقوة حجره فلما رأى أهلها المسلمين على السور فت ذلك في أعضادهم وسقط في ايديهم ودخل ملكشاه البلد ونظام الملك وأحرقوا البيع وخربوها وقتلوا كثيرا من أهلها وأسلم كثير فنجوا من القتل واستدعى الب ارسلان اليه ابنه ونظام الملك وفرح بما يسره الله من الفتح على يد ولده وفتح ملكشاه في طريقه عدة من القلاع والحصون واسر من النصارى ما لا يحصون كثرة وساروا الى سبيذشهر فجرى بين اهلها وبين المسلمين حروب شديدة استشهد فيها كثير من المسلمين ثم ان الله تعالى يسر فتحها فملكها الب ارسلان وسار منها الى مدينة اعال لال وهي حصينة عالية الاسوار شاهقة البنيان وهي من جهة الشرق والغرب على جبل عال وعلى الجبل عدة من الحصون ومن الجانبين الآخرين نهر كبير لا يخاض فلما رآها المسلمون علموا عجزهم عن فتحها والاستيلاء عليها وكان ملكها من الكرج وهكذا ما تقدم من البلاد التي ذكرنا فتحها وعقد السلطان جسرا على النهر عريضا واشتد القتال وعظم الخطب فخرج من المدينة رجلان يستغيثان ويطلبان الامان والتمسا من السلطان ان يرسل معهما طائفة من العسكر فسير جماعة صالحة فلما جازوا الفصيل أحاط بهم الكرج من أهل المدينة وقاتلوهم فاكثروا القتل فيهم ولم يتمكن المسلمون من الهزيمة لضيق المسلك وخرج الكرج من البلد وقصدوا العسكر واشتدا لقتال وكان السلطان ذلك الوقت يصلي فأتاه الصريخ فلم يبرح حتى فرغ من صلاته وركب وتقدم الى الكفار فقاتلهم وكبر المسلمون عليهم فولوا منهزمين فدخلوا البلد والمسلمون معهم ودخلها السلطان وملكها واعتصم جماعة من أهلها في برج من ابراج المدينة فقاتلهم المسلمون فامر السلطان بالقاء الحطب حول البرج واحراقه ففعل ذلك وأحرق البرج ومن فيه وعاد السلطان الى خيامه وغنم المسلمون من المدينة ما لا يحد ولا يحصى ولما جن الليل عصفت ريح شديدة وكان قد بقي من تلك النار التي حرق بها البرج بقية كثيرة فاطارتها الريح فاحترقت المدينة باسرها وذلك في رجب سنة ست وخمسين وملك السلطان قلعة حصينة كانت الى جنب تلك المدينة وأخذها وسار منها الى ناحية قرس ومدينة آني وبالقرب منها ناحيتان يقال لهما سيل ورده ونورة فخرج أهلهما مذعنين بالاسلام وخربوا البيع وبنوا المساجد وسار منها الى مدينة آني فوصل اليها فرآها مدينة حصينة شديدة

الأثر والتدابير ولم يضعفه المقادير (ومضمون ١٦ العرضحال وملخصه) ان محمد على باشا كافل الاقليم وحافظ ثغوره ومؤمن سبله وقامع المعتدين وان الكافة من الخاصة والعامة والرعية راضية بولايته واحكامه وعدله والشريعة مقامة في ايامه ولا يرتضون خلافة لما رأوا فيه من عدم الظلم والرفق بالضعفاء واهل القرى والارياف وعمارها باهلها ورجوع الشاردين منها في ايام المماليك المصرية المعتدين الذي كانوا يتعدون عليهم ويسلبون اموالهم وزرعهم ويكلفونهم باخذ القرض والكلف الخارجة عن الحدود واما الآن فجميع أهل القطر المصري آمنون مطمئنون بولاية هذا الوزير ويرجون من مراحم الدولة العلية ان يبقيه واليا عليهم ولا يعزله عنهم لما تحققوه فيه من العدل وانصاف المظلومين وايصال الحقوق لاربابها ودفع المفسدين من العربان الذين كانوا يقطعون الطرق على المسافرين ويتعدون على أهل القرى ويأخذون مواشيهم وزرعهم ويقتلون من عصى عليهم منهم واما الآن فلم يكن شئ من ذلك وجميع اهل البلاد في غاية من الراحة والامن بوجوده ويحسن سياسته وعدله وامتثاله للاحكام الشرعية ومحبته للعلماء واهل القرآن ولا دعائهم له وبمحبتهم ونحو ذلك من الكلمات التي عنها يسألون

الامتناع لالتزام ثلاثة أرباعها على نهرا رس والربع الآخر عميق شديد الجرية لو طرحت فيه الحجارة الكبار لدحاها وحملها والطريق اليها على خندق عليه سور من الحجارة الصم وهي بلدة كبيرة عامرة كثيرة الاهل فيها ما يزيد على خمسمائة بيعة فحصرها وضيق عليها الا ان المسلمين قد أيسوا من فتحها لما رأوا من حصانتها فعمل السلطان برجا من خشب وشحنه بالمقاتلة ونصب عليه المجنيق ورماة النشاب فكشفوا الروم عن السور وتقدم المسلمون اليه لينقبوه فأتاهم من لطف الله ما لم يكن في حسابهم فانهدمت قطعة كبيرة من السور بغير سبب فدخلوا المدينة وقتلوا من اهلها ما لا يحصى بحيث ان كثيرا من المسلمين عجزوا عن دخول البلد من كثرة القتلى واسر والنحو امما قتلوا وسارت البشرى بهذه الفتوح في البلاد ففرح المسلمون وقرئ كتاب الفتح ببغداد في دار الخلافة فبرز خط الخليفة بالثناء على الب ارسلان والدعاء له ورتب فيها أميرا في عسكر جرار وعاد عنها وقد راسله ملك الكرج في الهدنة فصالحه على اداء الجزية كل سنة فقبل ذلك ولما رحل السلطان عائدا قصد اصبهان ثم سار منها الى كرمان فاستقبله أخوه قاورت بك بن جغرى بك داود ثم سار منها الى مرو فزوج ابنه ملكشاه بابنة خاقان ملك ما وراء النهر وزفت اليه في هذا الوقت وزوج ابنه ارسلان شاه بابنة صاحب غزنة واتحد البيتان البيت السلجوقي والبيت المحمودي واتفقت الكلمة

❊(ذكر عدة حوادث)❊

في هذه السنة في ربيع الاول ظهر بالعراق وخوزستان وكثير من البلاد جماعة من الاكراد خرجوا يتصيدون فرأوا في البرية خيما سودا وسمعوا منها لطما شديدا وعويلا كثيرا وقائلا يقول قد مات سيدوك ملك الجن واي بلد لم يلطم اهله عليه ويعملون له العزاء قلع اصله واهلك اهله فخرج كثير من النساء في البلاد الى المقابر يلطمن وينحن وينشرن شعورهن وخرج رجال من سفلة الناس يفعلون ذلك وكان ذلك ضحكة عظيمة ولقد جرى في ايامنا نحن في الموصل وما والاها من البلاد الى العراق وغيره نحو هذا وذلك ان الناس سنة ستمائة أصابهم وجع كثير في حلوقهم ومات منه كثير من الناس فظهر ان امرأة من الجن يقال لها ام عنقود مات ابنها عنقود وكل من لا يعمل له مأتما اصابه هذا المرض فكثر فعل ذلك وكانوا يقولون يا ام عنقود اعذرينا قد مات عنقود ما درينا وكان النساء يلطمن وكذلك الاوباش وفيها ولي أبو الغنائم المعمر بن محمد بن عبيد الله العلوي نقابة العلويين ببغداد وامارة الموسم ولقب بالطاهر ذي المناقب وكان المرتضى أبو الفتح أسامة قد استعفى من النقابة وصاهر بني خفاجة وانتقل معهم الى البرية وتوفي اسامة بمشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام في رجب سنة اثنتين وسبعين وفيها في جمادى الآخرة توفي ابو القاسم عبد الواحد بن علي بن برهان الاسدي النحوي المتكلم كان له اختيار في الفقه وكان عالما بالنسب ويمشي في الاسواق مكشوف الراس ولم يقبل من احد شيئا وكان موته في جمادى الآخرة وقد جاوز ثمانين سنة وكان يميل

ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولما كتبوا ذلك لم يطلع عليه الا بعض الافراد المتصدرين ١٧ ويكتب كاتبه جميع الاسماء تحته بخطه ولا يمكنون البواقي الذين يضعون امضاءهم واسماءهم من قراءته بل يطلب منهم الخاتم فيختمون به تحت اسمه اذ لا يمكنه الشذوذ والمخالفة لحرصه على دوام ناموسه وقبوله عند سلطانه ودائرة أهل دولته وان كان متورعا وليس له كبير صورة فيهم ولا صدارة مثلهم وابى ان يسلم خاتمه ليفعل به كغيره ختموه بختم موافق لاسمه تحت امضائه وهذا هو السبب في عدم نقلي هذه الصورة بل فهمت المضمون فقط والله ولي التوفيق (وفي هذه الايام) تخاصم عرب الحويطات والعيايدة وتجمع الفريقان حول المدينة وتحاربوا مع بعضهم مرارا وانقطعت السبل بسبب ذلك وانتصر الباشا للحويطات وخرج بسببهم الى العادلية ثم رجع ثم انهم اجتمعوا عند السيد عمر النقيب واصلح بينهم

❊(شهر رجب سنة ١٢٢١)❊

استهل بيوم الاحد فيه وصل القاضي الجديد ويسمى عارف أفندي وهو ابن الوزير خليل باشا المقتول وانفصل محمد أفندي سعيد حفيد علي باشا المعروف بحكيم أوغلي وكان انسانا لا بأس به مهذبا في نفسه وسافر الى قضاء المدينة المنورة من القلزم بصحبة القباطلة (وفي يوم الجمعة) سادسه سافر ابراهيم بك ابن الباشا

٣ يخ مل عا

الى مذهب مرجئة المعتزلة ويعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار وفيها انقض كوكب عظيم وكثر نوره فصار أكثر من نور القمر وسمع له دوي عظيم ثم غاب

(ثم دخلت سنة سبع وخمسين واربعمائة)

❁(ذكر الحرب بين بني حماد والعرب)❁

في هذه السنة كانت حرب بين الناصر بن علناس بن حماد ومن معه من رجال المغاربة من صنهاجة ومن زناتة ومن العرب عدي والاثبج وبني رياح وزغبة وسليم ومع هؤلاء المعز بن زيري الزناتي على مدينة سبتة وكان سببها ان حماد بن بلكين جد الناصر كان بينه وبين باديس بن المنصور من الخلاف وموت باديس محاصرا قلعة حماد ما هو مذكور ولولا تلك القلعة لاخذ سريعا وانما امتنع هو واولاده بعده بها وهي من امنع الحصون وكذلك ما استمر بين حماد والمعز بن باديس ودخول حماد في طاعته ما تقدم ذكره وكذلك أيضا ما كان بين القائد بن حماد وبين المعز وكان القائد يضمر الغدر وخلع طاعة المعز والعجز يمنعه من ذلك فلما رأى القائد قوة العرب وما نال المعز منهم خلع الطاعة واستبد بالبلاد وبعده ولده محسن وبعده ابن عمه بلكين بن محمد بن حماد وبعده ابن عمه الناصر بن علناس بن محمد بن حماد وكل منهم متحصن بالقلعة وقد جعلوها دار ملكهم فلما رحل المعز من القيروان وصبرة الى المهدية تمكنت العرب ونهبت الناس وخربت البلاد وانتقل كثير من اهلها الى بلاد بني حماد لكونها جبالا وعرة يمكن الامتناع بها من العرب فعمرت بلادهم وكثرت أموالهم وفي نفوسهم الضغائن والحقود من باديس ومن بعده من ولده يرثه صغير عن كبير وولي تميم بن المعز بعد ابيه واستبد كل من هو ببلده وقلعته بمكانه وتميم صابر يداري ويتجلد واتصل بتميم ان الناصر بن علناس يقع فيه في مجلسه ويذمه وانه عزم على المسير اليه ليحاصره بالمهدية وانه حالف بعض صنهاجة وزناتة وبني هلال ليعينوه على حصار المهدية فلما صح ذلك عنده ارسل الى امراء بني رياح فحضروا اليه وقال انتم تعلمون ان المهدية حصن منيع كثرة في البحر لا يقاتل منه في البر غير اربعة ابراج يحميها اربعون رجلا وانما جئت بكم لهذه العساكر اليكم فقالوا الذي تقول حق ونحب منك المعونة فاعطاهم المال والسلاح من الرماح والسيوف والدروع والدرق فجمعوا قومهم وتحالفوا واتفقوا على قتال الناصر وارسلوا الى من مع الناصر من بني هلال يقبحون عندهم مساعدتهم للناصر ويخوفونهم منه ان قوي وانه يهلكهم بمن معه من زناتة وصنهاجة وانهم انما يستمرون المقام والاستيلاء على البلاد اذا تم الخلاف وضعف السلطان فاجابهم بنو هلال الى ذلك وقالوا اذا جعلوا اول حملة تحملونها علينا فنحن ننهزم بالناس ونعود عليهم فلما تمت الخديعة واجابهم الى ذلك واستقر الامر ارسل المعز بن زيري الزناتي الى من مع الناصر من زناتة بمثل ذلك فوعدوه ايضا ان ينهزموا فحينئذ رحلت رياح وزناتة جميعها وسار اليهم الناصر بصنهاجة وزناتة وبني هلال فالتقت

بالمدينة وسافر صحبته محمد أغا الانا الذي كان ١٨ سلحدار محمد باشا خسرو (وفي يوم السبت) أرسل الباشا الى الشيخ عبد الله الشرقاوي ترجمانه يأمره بلزوم داره وانه لا يخرج منها ولا الى صلاة الجمعة وسبب ذلك امور وضغائن ومنافسات بينه وبين اخوانه كالسيد محمد الدواخلي والسيد سعيد الشامي وكذلك السيد عمر النقيب فاغروا به الباشا ففعل به ما ذكر فامتثل الامر ولم يجد ناصرا واهمل أمره (وفيه) تواترت الاخبار بوقوع معركة عظيمة بين العسكر والالفي وذلك أن الالفي لم يزل محاصرا دمنهور وهم ممتنعون عليه الى الآن وسد خليج الاشرفية ومنع الماء عن البحيرة والاسكندرية لضرورة مرور الماء من ناحية دمنهور ليعدل عليهم المراد من الحصار فارسل الباشا بربر باشا الخازندار ومعه عثمان أغا ومعهم عدة كثيرة من العساكر في المراكب فوصلوا الى خليج الاشرفية من ناحية الرحمانية وعليه جماعة من الالفية يحرسونه فاجلوهم عنها وفتحوا فم الخليج فجرى فيه الماء ودخلوا فيه بمراكبهم فسد الالفية الخليج من أعلى عليهم وحصروهم بين سدين فسد مع الالفية ثم خليج باسفل ... ثم تحدروه من اسفل ... الماء من الخليج ووقف ... على الارض وصادمتهم الالفية فاوقعوا معهم وقعة عظيمة وذلك عند قرية ... العساكر

العساكر بمدينة سبتة فخمات رياح على بنى هلال وحمل المعز على زناتة فانهزمت الطائفتان وتبعهم عساكر الناصر منهزمين ووقع فيهم القتل فقتل فيمن قتل القاسم بن علناس اخو الناصر وكان مبلغ من قتل من صنهاجة وزناتة اربعة وعشرين الفا وسلم الناصر فى نفر يسير وغنمت العرب جميع ما كان فى العسكر من مال وسلاح ودواب وغير ذلك فقسموها على ما استقر بينهم وبهذه الوقعة تم للعرب ملك البلاد فانهم قدموها فى ضيق وفقر وقلة دواب فاستغنوا وكثرت دوابهم وسلاحهم وقل الحامى عن البلاد وارسلوا الالوية والطبول وخيم الناصر بدوابها الى تميم فردها وقال يقبح بى ان آخذ سلب ابن عمى فارضى العرب بذلك

(ذكر بناء مدينة بجاية)

لما كانت هذه الوقعة بين بنى حماد والعرب وقويت العرب وهزم تميم بن المعز لذلك واصابه حزن شديد فبلغ ذلك الناصر وكان له وزير اسمه ابو بكر بن ابى الفتوح وكان رجلا جيدا يحب الاتفاق بينهم ويهوى دولة تميم فقال للناصر المشورة ان لا تقصد ابن عمك وان تتفقوا على العرب فانكما لو تفقتما لاخرجتما العرب فقال الناصر لقد صدقت ولكن لا مرد لما قدر فاصلح ذات بيننا فارسل الوزير رسولا من عنده الى تميم يعتذر ويرغب فى الاصلاح فقبل تميم قوله واراد ان يرسل رسولا الى الناصر فاستشار اصحابه فاجتمع رأيهم على محمد بن البعبع وقالوا ان هذا رجل غريب وقد احسنت اليه وحصل له منك الاموال والاملاك فاحضره واعطاه مالا ودواب وعبيدا وارسله فسار مع الرسول حتى وصل الى بجاية وكانت حينئذ منزلا فيه رعية من البربر فنظر اليها محمد بن البعبع وقال فى نفسه ان هذا المكان يصلح ان يكون به مرسى ومدينة وسار حتى وصل الى الناصر فلما اوصل الكتاب وادى الرسالة قال للناصر معى وصية اليك واحب ان تخلى المجلس فقال الناصر انا لا اخفى عن وزيرى شيئا فقال بهذا امرنى الامير تميم فقام الوزير ابو بكر وانصرف فلما خرج قال له ان الامير يقول لك ان وزيرك يحفظ عليك هواه مع الامير تميم لا يخفى عنه من امورك شيئا وتميم مشغول مع عبيده قد استبد بهم واطرح صنهاجة وغيرهم ولولا وصلت بعسكرك ما بت الا فيها لبغض الجند والرعية لتميم واما اشير عليك بعملك به المهدية وغيرها وذكر له عمارة بجاية واشار عليه ان يتخذها دار ملك ويقرب من بلاد افريقية وقال له انا انتقل اليك باهلى واولادى واقيم عندك فاجابه الناصر الى ذلك وارتاب بوزيره وسار مع الرسول الى بجاية وترك الوزير بالقلعة فلما وصل الناصر والرسول الى بجاية اراه موضع المرسى والبلد ودار السلطانة وغير ذلك فامر الناصر من ساعته بالبناء والعمارة وسير بذلك وشرع فى رد الرسول وامره بالعود الى المهدية فقال للناصر ان هذا الرسول جاءنا وقد شرع فى بناء بجاية فيرد الى تميم بجواب كتبه ففعل مع الرسول وقد ارتاب به تميم حيث تحدث بالمجلس مع الناصر فيما لم يرد عليه وحضوره مع الناصر فيها ذكر الرسول فلما

يقال لها منية القران فانهزموا الى سنور وقصدوا بها فاطلوا بهم واستمروا على محاربتهم حتى افترق الفريقان فيما بعد (وفيه) ايضا وصلت الاخبار بان ياسين بك لم يزل يحارب من بمدينة الفيوم حتى ملكها وقتل من بها ولم ينج منهم الا القليل وكانوا ارسلوا يستنجدون بارسال العسكر فلم يلحقوهم (وفيه) وردت الاخبار من الجهة القبلية بان الامراء المصريين اخلوا منفلوط وملوى وترفعوا الى اسيوط وجزيرة منقباط وتحصنوا بها وذلك لما أخذ النيل فى الزيادة وخشوا من ورود العساكر عليهم بتلك النواحى فلا يمكنهم التحصن فيها فترفعوا الى اسيوط فلما فعلوا ذلك اشاعوا هروبهم وذكروا ان عابدين بك وحسن بك حارباهم وطرداهم الى ان هربوا الى اسيوط ولما خلت تلك النواحى منهم رجع كاشف منفلوط وملوى وخلافهما الذين كانوا طردوهم فى العام الماضى وفروا من مقاتلتهم (وفيه) شرع الباشا فى تجهيز عساكر وتسفيرهم الى جهة بحرى وقبلى وحجزوا المراكب للعسكر فتعطلت سبل المسافرين وذلك عندما اطمان خاطره من قضية القبودان والعزل (وفيه) شرع ايضا فى تقرير فرضة عظيمة على البلاد والقرى والبنادر ونحوها على الروم والاقباط والشوام وسائر النصارى ونساء الاعيان والملتزمين وغيرهم وقدرها ستة آلاف

من الناصر ان يرسل معه بعض ثقاته ليشاهد الاخبار و يعود بها فارسل معه رسولا يثق به فكتب معه انني لما اجتمعت بتميم لي سالني عن شئ قبل سؤاله عن بناء بجاية وقد عظم امرها عليه واتهمني فانظر الى من تثق به من العرب ترسلهم اليه وضع كذا في ما تراليوم مسرعا وقد اخذت عهود زويلة وغيرها على طاعتك وسير الكتاب فلما قرأه الناصر سلمه الى الوزير فاستحسن الوزير ذلك وشكره واثنى عليه وقال لقد نصح وبالغ في الخدمة فلا تؤخر عنها انفاذ العرب ليحضر معهم ومضى الوزير الى داره وكتب نسخة الكتاب وارسل الكتاب الذي بخط الرسول الى تميم وكتابا منه يذكر له الحال من اوله الى آخره فلما وقف تميم على الكتاب تعجب من ذلك و بقي يتوقع له سببا يأخذه به الا انه جعل عليه من يحرسه في الليل والنهار من حيث لا يشعر فاتى بعض اولئك الحرس الى تميم واخبره ان الرسول صنع طعاما واحضر عنده الشريف الفهري وكان هذا الشريف من رجال تميم وخواصه فاحضره تميم فقال كنت واصلا اليك وحدثه ان ابن البعبع الرسول دعاني فلما حضرت عنده قال انا في ذمامك احب ان تعرفني مع من اخرج من المهدية فمنعته من ذلك وهو خائف فاوقفه تميم على الكتاب الذي بخطه وامره باحضاره فاحضره الشريف فلما وصل الى باب السلطان لقيه رجل بكتاب العرب الذين سيرهم الناصر ومعهم كتاب الناصر اليه يامره بالحضور عنده فاخذ الكتاب وخرج الامير تميم فلما رآه ابن البعبع سقطت الكتب منه فاذا عنوان احدها من الناصر بن علناس الى فلان فقال له تميم من اين هذه الكتب فسكت فاخذها وقرأها فقال الرسول ابن البعبع العفو يا مولانا فقال لا عفا الله عنك وامر به فقتل وغرقت جثته

(ذكر ملك الب ارسلان جند وصيران)

في هذه السنة عبر الب ارسلان جيحون وسار الى جند وصيران وهما عند بخارا وقبر جده سلجوق بجند فلما عبر النهر استقبله ملك جند واطاعه واهدى له هدايا جليلة فلم يغير الب ارسلان عليه شيئا واقره على ما بيده وعاد عنه بعد ان احسن اليه واكرمه ووصل الى كركانج خوارزم وسار منها الى مرو

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة ابتدئ بعمارة المدرسة النظامية ببغداد وفيها انقض كوكب عظيم وصار له شعاع كثيرا كثر من شعاع القمر وسمع له صوت مفزع وفيها توفي محمد بن احمد ابو الحسين بن الآبنوسي روى عن الدارقطني وغيره

(ثم دخلت سنة ثمان وخمسين واربعمائة)

(ذكر عهد الب ارسلان بالسلطنة لابنه ملكشاه)

في هذه السنة سار الب ارسلان من مرو الى راذكان فنزل بظاهرها ومعه جماعة امراء دولته فاخذ عليهم العهود والمواثيق لولده ملكشاه بانه السلطان بعده واركبه ومشى بين يديه يحمل الغاشية وخلع السلطان على جميع الامراء وامرهم بالخطبة له في جميع البلاد

كيتي وقالت بوثم مقلمة القبودان وذكروا ٢٠ انها سلفة لمدة ستة أيام ثم ترد الى اربابها ولاصحة لذلك (وفي ليلة الاثنين) وصل كتخدا القبودان الى ساحل بولاق فضربوا لقدومه مدافع وعملوا له شنكا وارسل له في صبحها خيولا صحبة ابنه طوسون ومعهما كابر الدولة والاغا والوالي والاغوات فركب في موكب عظيم ودخلوا به من باب النصر وشق من وسط المدينة وعمل الباشا الديوان واجتمع عنده السيد عمر والمشايخ المتصدرون ماعدا الشيخ عبد الله الشرقاوي ومن يلوذ به فسال عليه القاضي وعلى من تاخر فقيل له الآن يحضر ولعل الذي اخره ضعفه ومرضه ثم انهم انتظروا باقي الوجهاء وارسلوا لهم جملة مراسيل فلما حضروا قرؤا المرسوم الوارد صحبة الكتخدا المذكور (ومضمونه) بقاء محمد علي باشا واستمراره على ولاية مصر حيث ان الخاصة والعامة راضية باحكامه وعدله بشهادة العلماء واشراف الناس وقبلنا رجاءهم وشهادتهم وانه يقوم بالشروط التي منها طلوع الحج ولوازم الحرمين وايصال العلائف والغلال لاربابها على النسق القديم وليس له تعلق بثغر رشيد ولا دمياط ولا اسكندرية فانه يكون ايرادها من الجمارك يضبط الى الترسخانة السلطانية باسلامبول ومن الشروط أيضا ان يرضي خواطر الامراء المصريين ويمتنع من محاربتهم البلاد

في تنظيمهم جهات يتعيشون بها وهذا من قبيل تحلية البضاعة واتفق المجلس وضربوا مدافع كثيرة من القلعة

البلاد التي يحكم عليها ففعل ذلك واقطع البلاد فاقطع ما ذندران للامير اينانج بيغو وبلخ لاخيه سليمان بن داود جغري بك وخوارزم لاخيه ارسلان ارغو ومرو لابنه الآخر ارسلان شاه وصغانيان وطخارستان لاخيه الياس وولاية بغشور ونواحيها لمسعود بن ارتاش وهو من اقارب السلطان وولاية اسفزار لمودود بن ارتاش

(ذكر استيلاء تميم على مدينة تونس)

في هذه السنة سير تميم صاحب افريقية عسكرا كثيفا الى مدينة تونس وبها احمد بن خراسان قد اظهر عليه الخلاف وسبب ذلك ان المعز بن باديس ابا تميم لما فارق القيروان والمنصورية ورحل الى المهدية على ما ذكرناه استخلف على القيروان وعلى دبس قائد بن ميمون الصنهاجي واقام بها ثلاث سنين ثم غلبته هوارة عليها فسلمها اليهم وخرج الى المهدية فلما ولي الملك تميم بن المعز بعد ابيه رده اليها واقام عليها الى الآن ثم ظهر الخلاف على تميم والتجا الى طاعة الناصر بن علناس بن حماد فسير اليه تميم الآن عسكرا كثيرا فلما سمع بهم قائد بن ميمون علم انه لا طاقة له بهم فترك القيروان وسار الى الناصر فدخل عسكر تميم القيروان وخربوا دور القائد وسار العسكر الى قابس وبها ابن خراسان فحصروه بها سنة وشهرين ثم اطاع ابن خراسان تميما وصالحه واما قائد فانه اقام عند الناصر ثم ارسل الى امراء العرب فاشترى منهم امارة القيروان فاجابوه الى ذلك فعاد اليها فبنى سورها وحصنها

(ذكر ملك شرف الدولة الانبار وهيت وغيرهما)

في هذه السنة سار شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران صاحب الموصل الى السلطان الب ارسلان فاقطعه الانبار وهيت وحربي والسن والبوازيج ووصل الى بغداد فخرج الوزير فخر الدولة بن جهير في الموكب فلقيه ونزل شرف الدولة بالحريم الطاهري وخلع عليه الخليفة

(ذكر عدة حوادث)

في العشر الاول من جمادى الاولى ظهر كوكب كبير له ذؤابة طويلة بناحية المشرق عرضها نحو ثلاث اذرع وهي ممتدة الى وسط السماء وبقي الى السابع والعشرين من الشهر وغاب ثم ظهر ايضا آخر الشهر المذكور عند غروب الشمس كوكب قد استدار نوره عليه كالقمر فارتاع الناس وانزعجوا ولما اظلم الليل صار له ذوائب نحو الجنوب وبقي عشرة ايام ثم اضمحل وفيها في جمادى الآخرة كانت بخراسان والجبال زلزلة عظيمة بقيت تتردد اياما تصدعت منها الجبال واهلكت خلقا كثيرا وانخسف منها عدة قرى وخرج الناس الى الصحراء فاقاموا هناك وفيها في جمادى الاولى وقع حريق بنهر معلى فاحترق من باب الحريد الى آخر السوق الجديد من الجانبين وفيها ولدت صبية بباب الازج بالدار اسين ووقبتين ووجهين واربع ايد على بدن واحد وفي جمادى الآخرة توفي الامام ابو بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي ومولده سنة سبع وثمانين

والازبكية وبولاق واشيع عمل زينة بالبلدة وشرع الناس في اسبابها وبعضهم علق على داره تعاليق ثم بطل ذلك وطاف المبشرون من اتباعهم على بيوت الاعيان لاخذ البقاشيش واذن الباشا بدخول المراكب الى الخليج والازبكية ثم عملوا شنكا وحراقات وسواريخ ثلاثة ايام بلياليها بالازبكية

(شهر شعبان سنة ١٢٢١)

فيه تكلم القاضي مع الباشا في شان الشيخ عبد الله الشرقاوي والافراج عنه وياذن له في الركوب والخروج من داره حيث يريد فقال انا لا ذنب لي في التحجير عليه وانما ذلك من تنافسهم مع بعضهم واستاذنه في مصالحتهم فاذن له في ذلك فعمل القاضي له مولية ودعاهم وتغدوا عنده وصالحهم وقرؤا بينهم الفاتحة وذهبوا الى دورهم والذي في القلب مستقر فيه (وفيه) وردت الاخبار من الديار الرومية بقيام الرومنلي وتعصبهم على منع النظام الجديد والحوادث فوجهوا عليهم عسكر النظام فتلاقوا معهم وتحاربوا فكانت الهزيمة على النظام وهلك بينهم خلائق كثيرة ولم يزالوا في اثرهم حتى قربوا من دار السلطنة فترددت بينهم الرسل وصالحوهم على شروط منها عزل اشخاص من مناصبهم ونفي آخرين ومنهم الوزير وشيخ الاسلام والكتخدا

وثلثمائة وكان اماما في الحديث والفقه على مذهب الشافعي وله فيه مصنفات احداها السنن الكبير عشر مجلدات وغيره من التصانيف الحسنة كان عفيفا زاهدا ومات بنيسابور وفي شهر رمضان منها توفي ابو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي ومولده سنة ثمانين وثلثمائة وعنه انتشر مذهب احمد رضي الله عنه وكان اليه قضاء الحريم بغداد بدار الخلافة وهو مصنف كتاب الصفات أتى فيه بكل عجيبة وترتيب ابوابه يدل على التجسيم المحض تعالى الله عن ذلك وكان ابن تميمي الحنبلي يقول لقد خرى ابو يعلى الفراء على الحنابلة خرية لا يغسلها الماء

(ثم دخلت سنة تسع وخمسين واربعمائة)

(ذكر عصيان ملك كرمان على الب ارسلان وعوده الى طاعته)

في هذه السنة عصى ملك كرمان وهو قرا ارسلان على السلطان الب ارسلان وسبب ذلك انه كان له وزير جاهل سولت له نفسه الاستبداد بالبلاد عن السلطان وأن صاحبه إذا عصى احتاج الى التمسك به فحسن لصاحبه الخلاف على السلطان فاجاب الى ذلك وخلع الطاعة وقطع الخطبة فجمع الب ارسلان فسار الى كرمان فلما قارب بها وقعت طليعته على طليعة قرا ارسلان فانهزمت طليعة قرا ارسلان بعد قتال فلما سمع قرا ارسلان وعسكره بانهزام طليعتهم خافوا وتحيروا فانهزموا لا يلوي احد على آخر فدخل قرا ارسلان الى جيرفت وامتنع بها وارسل الى السلطان الب ارسلان يظهر الطاعة و يسأل العفو عن زلته فعفا عنه وحضر عند السلطان فاكرمه و بكى وابكى من عنده فاعاده الى مملكته ولم يغير عليه شيئا من حاله فقال للسلطان ان لي بنات تجهيزهن اليك وامورهن اليك فاجابه الى ذلك واعطى كل واحدة منهن مائة الف دينار سوى الثياب والاقطاعات ثم سار منها الى فارس فوصل الى اصطخر وفتح قلعتها واستنزل واليها فحمل اليه الوالي هدايا عظيمة جليلة المقدار من جملتها قدح فيروزج فيه منوان من المسك مكتوب عليه اسم جمشيد الملك واطاعه جميع حصون فارس و بقي قلعة يقال لها بهنزاد فسار نظام الملك اليها وحصرها تحت جبلها وأعطى كل من رمى بسهم واصاب قبضة من الدنانير ومن رمى حجرا و باغنيا ففتح القلعة في اليوم السادس عشر من نزوله ووصل السلطان اليه بعد الفتح فعظم محل نظام الملك عنده فاعلى منزلته وزاد في تحكيمه

(ذكر عدة حوادث)

في المحرم منها توفي الاغر أبو سعد ضامن البصرة على باب السلطان بالري وعقدت البصرة وواسط على هزارسب بثلثمائة الف دينار وفي صفر منها وصل الى بغداد شرف الملك ابو سعد المستوفي وبنى على مشهد ابي حنيفة رضي الله عنه مدرسة لاصحابه وكتب الشريف ابو جعفر بن البياضي على القبة التي احدثها

الم تران العلم كان مشتتا * فجمعه هذا المغيب في اللحد
كذلك كانت هذه الارض ميتة * فانشرها فضل العميد ابي سعد

...ة الاوضع النظام والحوادث ورجوع ٢١ الوجاقات على عادتهم وتقلد أغات الينكرية الصدارة واشياء لم تثبت حقيقتها (وفيه) حضر عابدين بك أخو حسن باشا من الجهة القبلية (وفي عاشره) تواترت الاخبار بوقوع وقائع بالناحية القبلية واختلاف العساكر ورجوع من كان بناحية منفلوط وعصيان المقيمين بالمنية بسبب تأخر علائفهم ورجع حسن باشا الى ناحية المنية فضرب عليه من بها فانحدر الى بني سويف (وفيه) حضر اسمعيل الطوبجي كاشف المنوفية باستدعاء فارسله الباشا بمال الى الجهة القبلية ليصالح العساكر (وفيه) وردت الاخبار من ثغر الاسكندرية بسفر قبودان باشا وموسى باشا الى اسلامبول واخذ القبودان بصحبته ابن محمد علي باشا وكان نزولهم وسفرهم في يوم السبت خامسه واستمر كتخدا القبودان بمصر متخلفا حتى يستغلق مال المصالحة (وفيه) شرعوا في تقرير فرضة على البلاد ايضا (وفيه) حضر محمود بك من ناحية قبلي (وفي سادس عشره) سافر كتخدا القبودان بعدما استغلق المطلوب (وفيه) وصل الى ثغر بولاق قابجي وعلى يده تقرير لمحمد علي باشا بالاستمرار على ولاية مصر وخلعة وسيف فاركبوه من بولاق الى الازبكية في موكب حفل وشقوا به من وسط المدينة وحضر المشايخ والاعيان والاختيارية ونصب الباشا وفيها

وفيها في جمادى الاولى وصلت ارسلان خاتون اخت السلطان الب ارسلان وهي زوجة الخليفة الى بغداد واستقبلها فخر الدولة بن جهير الوزير على فراسخ وفيها في ذي القعدة احترقت تربة معروف الكرخي رحمة الله عليه وسبب حريقها ان قيمها كان مريضا فطبخ لنفسه ماء الشعير فاتصلت النار بخشب وبواري كانت هناك فاحرقته واتصل الحريق فامر الخليفة اباسعد الصوفي شيخ الشيوخ بعمارتها وفيها في ذي القعدة فرغت عمارة المدرسة النظامية وتقرر التدريس بها للشيخ ابي اسحق الشيرازي فلما اجتمع الناس لحضور الدرس وانتظروا مجيئه تأخر فطلب فلم يوجد وكان سبب تأخره انه لقيه صبي فقال له كيف تدرس في مكان مغصوب فتغيرت نيته عن التدريس بها فلما ارتفع النهار وايس الناس من حضوره اشار الشيخ ابومنصور بن يوسف بابي نصر بن الصباغ صاحب كتاب الشامل وقال لا يجوز ان ينفصل هذا الجمع الاعن مدرس ولم يبق ببغداد من لم يحضر غير الوزير فجلس ابونصر للدرس وظهر الشيخ ابو اسحق بعد ذلك ولما بلغ نظام الملك الخبر اقام القيامة على العميد ابي سعد ولم يزل يرفق بالشيخ ابي اسحق حتى درس بالمدرسة وكان مدة تدريس ابن الصباغ عشرين يوما وفيها في ذي القعدة قتل الصليحي امير اليمن بمدينة المهجم قتله احد امرائها واقيمت الدعوة العباسية هناك وكان قد ملك مكة على ما ذكرناه سنة خمس وخمسين وامن الحاج في ايامه فاثنوا عليه خيرا وكسا البيت بالحرير الابيض الصيني ورد حلي البيت اليه وكان بنو حسن قد اخذوه وحملوه الى اليمن فابتاعه الصليحي منهم وفيها توفي عمر بن اسمعيل بن محمد ابو علي الطوسي قاضيها وكان يلقب العراقي لطول مقامه ببغداد وتفقه على ابي طاهر الاسفرايني الشافعي وابي محمد الشاشي وغيرهما

(ثم دخلت سنة ستين واربعمائة)

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة كانت حرب بين شرف الدولة بن قريش وبين بني كلاب بالرحبة وهم في طاعة العلوي المصري فكسرهم شرف الدولة واخذ اسلابهم وارسل اعلاما كانت معهم عليها اسمات المصري الى بغداد فكسرت وطيف بها في البلد وارسلت الخلع الى شرف الدولة وفيها في جمادى الاولى كانت بفلسطين ومصر زلزلة شديدة خربت الرملة وطلع الماء من رؤس الآبار وهلك من اهلها خمسة وعشرون الف نسمة وانشقت الصخرة بالبيت المقدس وعادت باذن الله تعالى وعاد البحر من الساحل مسيرة يوم فنزل الناس الى ارضه يلتقطون منه فرجع الماء عليهم فاهلك منهم خلقا كثيرا وفيها في رجب ورد ابو العباس الخواني بغداد عميدا من جهة السلطان وفيها عزل فخر الدولة ابن جهير من وزارة الخليفة فخرج من بغداد الى نور الدولة دبيس بن مزيد بالفلوجة وارسل الخليفة الى ابي يعلى والد الوزير ابي شجاع يستحضره ليوليه الوزارة وكان يكتب لهزارسب بن بنكير فسار فادركه اجله في الطريق فمات ثم شفع نور الدولة في فخر الدولة

قضاياه بحوش البيت للجمع والحضور وقرئت المرسومات وهما فرمانان أحدهما يتضمن تقرير الباشا على ولاية مصر بقبول شفاعة أهل البلدة والمشايخ والاشراف والثاني يتضمن الاوامر السابقة وباجراء لوازم الحرمين وطلوع الحج وارسال غلال الحرمين والوصية بالرعية وتشهيل غلال وقدرها ستة آلاف أردب وتسفيرها على طريق الشام معونة للعساكر المتوجهين الى الحجاز (وفيه) الامر ايضا بعدم التعرض للامراء المصريين وراحتهم وعدم محاربتهم لانه تقدم العفو عنهم ونحو ذلك وانقضى المجلس وضربوا مدافع كثيرة من القلعة والازبكية

(واستهل شهر رمضان بيوم الاربعاء سنة ١٢٢١)

وانقضى بخير ولم يقع فيه من الحوادث سوى توالي الطلب والفرض والسلف التي لاترد وتجريد العسكر الى محاربة الالفي واستمرار الالفي بالجيزة ومحاصرة دمنهور واستمرار أهل دمنهور على الممانعة وصبرهم على المحاصرة وعدم الطاعة مع متاركة المحاربة (وفيه) ورد الخبر بموت عثمان بك البرديسي في أوائل رمضان بمنفلوط وكذلك سليم بك أبو دياب بني عدي (وفي أواخره) تقدم محمد على باشا الى السيد عمر النقيب بتوزيع جملة اكياس على أناس من مياسير الناس على سبيل السلفة

ابن جهير قاعيدا الى الوزارة سنة احدى وستين في صفر وفيها كان بمصر غلاء شديد وانقضى سنة احدى وستين واربعمائة وفيها حاصر الناصر بن علناس مدينة الاربس بافريقية ففتحها وامن أهلها وفيها في المحرم توفي الشيخ ابو منصور بن عبد الملك بن يوسف ورثاه ابن الفضل وغيره من الشعراء وعم مصابه المسلمين وكان من اعيان الزمان فمن افعاله انه تسلم المارستان العضدي وكان قد دثر واستولى عليه الخراب فجدد عمارته وجعل فيه ثمانية وعشرين طبيبا وثلاثة من الخزان الى غير ذلك واشترى له الاملاك النفيسة بعد ان كان ليس به طبيب ولا دواء وكان كثير المعروف والصلات والخير ولم يكن يلقب في زمانه احد بالشيخ الاجل سواه وفي المحرم أيضا توفي ابو جعفر الطوسي فقيه الامامية بمشهد امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

(ثم دخلت سنة احدى وستين واربعمائة)

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في صفر اعيد فخر الدولة بن جهير الى وزارة الخليفة على ما ذكرناه فلما عاد مدحه ابن الفضل فقال

قد رجع الحق الى نصابه * وانت من كل الورى اولى به

ما كنت الا السيف سلته يد * ثم اعادته الى قرابه

وهي طويلة وفي شعبان احترق جامع دمشق وكان سبب احتراقه انه وقع بدمشق حرب بين المغاربة أصحاب المصريين والمشارقة فضربوا دارا مجاورة للجامع بالنار فاحترقت واتصلت بالجامع وكانت العامة تعين المغاربة فتركوا القتال واشتغلوا باطفاء النار من الجامع فعظم الخطب واشتد الامر واتى الحريق على الجامع فدثرت محاسنه وزال ما كان فيه من الاعمال النفيسة

(ثم دخلت سنة اثنتين وستين واربعمائة)

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة اقبل ملك الروم من القسطنطينية في عسكر كثيف الى الشام ونزل على مدينة منبج ونهبها وقتل اهلها وهزم محمود بن صالح بن مرداس وبني كلاب وابن حسان الطائي ومن معهما من جموع العرب ثم ان ملك الروم ارتحل وعاد الى بلاده ولم يمكنه المقام لشدة الجوع وفيها سار امير الجيوش بدر من مصر في عساكر كثيرة الى مدينة صور وحصرها وكان قد تغلب عليها القاضي عين الدولة بن ابي عقيل فلما حصره أرسل القاضي الى الامير قرلو مقدم الاتراك المقيمين بالشام يستنجده فسار في اثني عشر الف فارس فحصر مدينة صيدا وهي لامير الجيوش بدر فرحل حينئذ بدر فعاد الاتراك فعاودوا حصر صور برا وبحرا سنة وضيق على أهلها حتى أكلوا الخبز كل رطل بنصف دينار ولم يبلغ غرضه فرحل عنها وفيها صارت دار ضرب الدنانير ببغداد في يد وكلاء الخليفة وسبب ذلك ان البهرج كثر في أيدي الناس على السكك السلطانية وضرب

(واستهل شهر شوال بيوم الجمعة سنة ١٢٢١) ولم يقع في شهر رمضان هذا الترتيب الذي في هلاله أولا وآخرا كما حصل فيما تقدم وكذلك حصل به سكون وطمانينة من عربدة العساكر ولا توالي الطلب والسلف والدعاوي الباطلة في المدينة والارياف وعسف ارباب المناصب في القرى وعملوا شنكا للعيد بمدافع كثيرة في الاوقات الخمسة ثلاثة أيام العيد (وفيه) فحصوا طلب الميري على السنة القابلة وجدوا في التحصيل ووجهوا بالطلب العساكر والقواسة والاتراك بالعصي المفضضة وضيقوا على الملتزمين (وفي عاشره) أخرج الباشا خياما ونصب عرضي بناحية شبرا ومنية السيرج والتمس من السيد عمر توزيع اربعمائة كيس برأيه ومعرفته فضاق صدره وشرع في توزيعها على التجار ومساتير الناس حيث لم يمكنه التخلف ولا التباعد عن ذلك (وفي يوم الجمعة) ثاني عشرينه وصل حسن باشا طاهر من الجهة القبلية ودخل داره وخرج محمد علي باشا الى جهة الحلي يريد السفر الى الالفي ووصلت عربان الالفي وعساكره الى بر الجيزة وطلبوا الكلف من البلاد (وفي يوم الاحد) رابع عشرينه عدى محمد علي باشا الى بر انبابة (وفي يوم الاثنين) خامس عشرينه عدى محمد علي باشا وغالب العسكر الى بر بولاق واشاعوا ان الاخصام

اسم ولي العهد على الدينار وسمي الاميري ومنع من التعامل بسواه وفيها ورد رسول صاحب مكة محمد بن أبي هاشم ومعه ولده الى السلطان ألب ارسلان يخبره باقامة الخطبة للخليفة القائم بامر الله وللسلطان بمكة واسقاط خطبة العلوي صاحب مصر وترك الاذان بحي على خير العمل فاعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار وخلعا نفيسة واجرى له كل سنة عشرة آلاف دينار وقال اذا فعل امير المدينة مهنا كذلك اعطيناه عشرين ألف دينار وكل سنة خمسة آلاف دينار وفيها تزوج عميد الدولة بن جهير بابنة نظام الملك بالري وعاد الى بغداد وفيها في شهر رمضان توفي تاج الملوك هزارسب بن بنكير بن عياض باصبهان وهو عائد من عند السلطان الى خوزستان وكان قد علا أمره وتزوج باخت السلطان وبغى على نور الدولة دبيس بن مزيد وأغرى السلطان به ليأخذ بلاده فلما مات سار دبيس الى السلطان ومعه شرف الدولة مسلم صاحب الموصل فخرج نظام الملك فلقيهما وتزوج شرف الدولة باخت السلطان التي كانت امرأة هزارسب وعادا الى بلادهما من همذان وفيها كان بمصر غلاء شديد ومجاعة عظيمة حتى أكل الناس بعضهم بعضا وفارقوا الديار المصرية فورد بغداد منهم خلق كثير هربا من الجوع وورد التجار ومعهم ثياب صاحب مصر وآلات نهبت من الجوع وكان فيها أشياء كثيرة نهبت من دار الخلافة وقت القبض على الطائع لله سنة احدى وثمانين وثلثمائة ومما نهب أيضا في فتنة البساسيري وخرج من خزائنهم ثمانون ألف قطعة بلور كبار وخمسة وسبعون ألف قطعة من الديباج القديم واحد عشر ألف كزاغند وعشرون ألف سيف محلى وقال ابن الفضل يمدح القائم بامر الله ويذكر الحال بقصيدة فيها

قد علم المصري ان جنوده * سنو يوسف منها وطاعون عمواس
أقامت به حتى استراب بنفسه * وأوجس منه خيفة أي ايجاس

في ابيات وفيها توفي أبو الجوائز الحسن بن علي بن محمد الواسطي كان اديبا شاعرا حسن القول فمن قوله

واحسرتي من قولها * خان عهودي ولها
وحق من صيرني * وقفا عليها ولها
ماخطرت بخاطري * الا كستني ولها

وتوفي محمد بن احمد ابو غالب بن بشران الواسطي الاديب وانتهت الرحلة اليه في الادب وله شعر حسن في الزهد

يا شائد القصور كهلا * أقصر فقصر الفتى الممات
لم يجتمع شمل أهل قصر * الا قصاراهم الشتات
وانما العيش مثل ظل * منتقل ماله ثبات

وفيها توفي القاضي أبو الحسين محمد بن ابراهيم بن حزم قاضي دمشق وأبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي العباس الخطيب بدمشق

هربوا من وجوههم فلم يذهبوا خلفهم بل رجعوا على اثرهم ونهبوا كفر حكيم ٢٥ وماجاوره من القرى حتى أخذوا النساء والبنات والصبيان والمواشي ودخلوا بهم الى بولاق والقاهرة ويبيعونهم فيما بينهم من غير تحاش كأنهم سبايا الكفار (واستهل شهر القعدة سنة ١٢٢١ بيوم السبت) ووصل الحجاج الطرابلسية وعدوا الى بر مصر (وفي يوم الاحد) ثانيه وصلت قوافل الصعيد من ناحية الجبل وبها أحمال كثيرة وبضائع مع عرب المعازة وغيرهم فركب الباشا ليلا وكبسهم على حين غفلة ونهبهم وأخذ جمالهم واحمالهم ومتاعهم حتى أولاد العربان والنساء والبنات ودخلوا بهم الى المدينة يقودونهم اسرى في ايديهم ويبيعونهم فيما بينهم كما فعلوا باهل كفر حكيم وما حوله (وفي ذلك اليوم) ضربوا مدافع كثيرة من القلعة بورود اشخاص من الططر ببشارة الى الباشا وتقريره على السنة الجديدة (وفي يوم السبت) ثامنه اداروا كسوة الكعبة والمحمل وركب معها المتسفر عليها من القلزم وهو شخص يقال له محمود أغا الجزيري وركب امامه الاغا والوالي والمحتسب وطائفة الدلاة وكثير من العسكر (وفي يوم الاثنين) عاشره وصلت الاخبار بوصول الالفي الى ناحية الاخصاص وانتشار جيوشه باقليم الجيزة وكان الباشا معزوما ذلك

(ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربعمائة)

ذكر الخطبة للقائم بأمر الله والسلطان بحلب

في هذه السنة خطب محمود بن صالح بن مرداس بحلب لامير المؤمنين القائم بأمر الله والسلطان ألب ارسلان وسبب ذلك انه رأى اقبال دولة السلطان وقوتها وانتشار دعوتها فجمع أهل حلب وقال هذه دولة جديدة ومملكة شديدة ونحن تحت الخوف منهم وهم يستحلون دماءكم لاجل مذاهبكم والرأى أن نقيم الخطبة قبل ان يأتي وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل فأجاب المشايخ الى ذلك ولبس المؤذنون السواد وخطبوا للقائم بأمر الله والسلطان فأخذت العامة حصر الجامع وقالوا هذه حصر علي بن أبي طالب فليأت أبو بكر بحصر يصلي عليها الناس وأرسل الخليفة الى محمود الخلع مع نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي فلبسها ومدحه ابن سنان الخفاجي وأبو الفتيان بن حيوس وقال أبو عبد الله بن عطية يمدح القائم بأمر الله ويذكر الخطبة بحلب ومكة والمدينة

كم طائع لك لم تجلب عليه ولم ... تعرف لطاعته غير التقى سببا
هذا البشير بإذعان الحجاز وذا ... داعي دمشق وذا المبعوث من حلبا

ذكر استيلاء السلطان ألب ارسلان على حلب

في هذه السنة سار السلطان ألب ارسلان الى حلب وجعل طريقه على ديار بكر فخرج اليه صاحبها نصر بن مروان وخدمه بمائة ألف دينار وحمل اليه اقامة عرف السلطان أنه قسطها على البلاد فأمر بردها ووصل الى آمد فرآها ثغرا منيعا فتبرك به وجعل يمر يده على السور ويمسح بها صدره وسار الى الرها فحصرها فلم يظفر منها بطائل فسار الى حلب وقد وصلها نقيب النقباء أبو الفوارس طراد بالرسالة القائمية والخلع فقال له محمود صاحب حلب أسألك الخروج الى السلطان واستعفاءه لي من الحضور عنده فخرج نقيب النقباء وأخبر السلطان بأنه قد لبس الخلع القائمية وخطب فقال أي شيء تساوي خطبتهم وهم يؤذنون حي على خير العمل ولابد من الحضور ودوس بساطي فامتنع محمود من ذلك فاشتد الحصار على البلد وغلت الاسعار وعظم القتال وزحف السلطان يوما وقرب من البلد فوقع حجر منجنيق في فرسه فلما عظم الامر على محمود خرج ليلا ومعه والدته منيعة بنت وثاب النميري فدخلا على السلطان وقالت له هذا ولدي فافعل به ما تحب فتلقاهما بالجميل وخلع على محمود وأعاده الى بلده فأنفذ الى السلطان مالا جزيلا

ذكر خروج ملك الروم الى خلاط وأسره

في هذه السنة خرج ارمانوس ملك الروم في مائتي ألف من الروم والفرنج والعرب والروس والبجناك والكرج وغيرهم من طوائف تلك البلاد فجاؤا في تجمل كثير وزي عظيم وقصد بلاد الاسلام فوصل الى ملازكرد من أعمال خلاط فبلغ السلطان ألب ارسلان الخبر وهو بمدينة خوي من اذربيجان قد عاد من حلب وسمع ما فيه ملك

بالخروج ولا يتخلف أحد الخامس ساعة من الليل وعدى بمن معه الى برانبابة (وفي ليلة الاربعاء) وقع بين الالفي والعسكر معركة وانحاز العسكر وتترسوا بداخل الكفور والبلاد ووصل منهم جرحى الى البلد واستمر الامر على ذلك وهم يهابون البروز الى الميدان وأخصامهم لا يحاربون المتاريس والحيطان (وفي يوم الثلاثاء) ثامن عشره ركب الالفي بجيوشه وتوجه الى ناحية قناطر شبرامنت فلما عاينهم الباشا ومن معه مارين ركب بعسكره من ناحية كفر حكيم وما حوله وساروا الى جهة الجيزة ونصب وطاقه بها وباتوا تلك الليلة وعملوا شنكا في صبحها وهم يشيعون هروب الالفي والحال انه مر في جيش كثيف وصورة هائلة وقد رتب جنوده وعساكره طوابير وبين يديه النظام الذي رتبه على هيئة عسكر الفرنسيس ومعهم طبول بكيفية تروعت عقولهم والباشا واقف بجيوشه ينظر اليه تارة بعينه وتارة بالنظارة ويقول هذا طهماز الزمان ويتعجب وقال لطائفة الدلاة تقدموا لمحاربته وأنا أعطيكم كذا وكذا من المال فلم يجسروا على التقدم لما سبق لهم معه (وفي يوم الخميس) حضر اشخاص من العرب الى الباشا وأخبروه بان الالفي قدمات يوم وصوله الى

الروم

الروم من كثرة الجموع فلم يتمكن من جمع العساكر لبعدها وقرب العدو فسير الاثقال مع زوجته ونظام الملك الى همذان وسار هو فيمن عنده من العساكر وهم خمسة عشر الف فارس وجد في السير وقال لهم انني اقاتل محتسبا صابرا فان سلمت فنعمة من الله تعالى وان كانت الشهادة فان ابني ملكشاه ولي عهدي فساروا فلما قارب العدو جعل له مقدمة فصادفت مقدمته عند خلاط مقدم الروسية في نحو عشرة آلاف من الروم فاقتتلوا فانهزمت الروسية واسر مقدمهم وحمل الى السلطان فجدع انفه وانفذ بالسلب الى نظام الملك وامره ان يرسله الى بغداد فلما تقارب العسكران ارسل السلطان الى ملك الروم يطلب منه المهادنة فقال لا هدنة الا بالري فانزعج السلطان لذلك فقال له امامه وفقيهه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري الحنفي انك تقاتل عن دين وعد الله بنصره واظهاره على سائر الاديان وارجو ان يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح فالقهم يوم الجمعة بعد الزوال في الساعة التي تكون الخطباء على المنابر فانهم يدعون للمجاهدين بالنصر والدعاء مقرون بالاجابة فلما كان تلك الساعة صلى بهم وبكى السلطان فبكى الناس لبكائه ودعا ودعوا معه وقال لهم من اراد الانصراف فلينصرف فما ههنا سلطان يأمر وينهى والقى القوس والنشاب واخذ السيف والدبوس وعقد ذنب فرسه بيده وفعل عسكره مثله ولبس البياض وتحنط وقال ان قتلت فهذا كفني وزحف الى الروم وزحفوا اليه فلما قاربهم ترجل وعفر وجهه على التراب وبكى واكثر الدعاء ثم ركب وحمل وحملت العساكر معه فحصل المسلمون في وسطهم وحجز الغبار بينهم فقتل المسلمون فيهم كيف شاؤا وانزل الله نصره عليهم فانهزم الروم وقتل منهم ما لا يحصى حتى امتلأت الارض بجثث القتلى واسر ملك الروم اسره بعض غلمان كوهرائين فاراد قتله ولم يعرفه فقال له خادم مع الملك لا تقتله فانه الملك وكان هذا الغلام قد عرضه كوهرائين على نظام الملك فرده استحقارا له فاثنى عليه كوهرائين فقال نظام الملك عسى ان يأتينا بملك الروم اسيرا فكان كذلك فلما اسر الغلام الملك احضره عند كوهرائين فقصد السلطان واخبره باسر الملك فامر باحضاره فلما احضر ضربه السلطان الب ارسلان ثلاث مقارع بيده وقال له الم ارسل اليك في الهدنة فابيت فقال دعني من التوبيخ وافعل ما تريد فقال السلطان ما عزمت ان تفعل بي ان اسرتني فقال افعل القبيح قال له فما تظن انني افعل بك قال اما ان تقتلني واما ان تشهرني في بلاد الاسلام والاخرى بعيدة وهي العفو وقبول الاموال واصطناعي نائبا عنك قال ما عزمت على غير هذا ففدى نفسه بالف الف دينار وخمسمائة ألف دينار وان يرسل اليه عساكر الروم اي وقت طلبها وان يطلق كل اسير في بلاد الروم واستقر الامر على ذلك وانزله في خيمة وارسل اليه عشرة آلاف دينار يتجهز بها فاطلق له جماعة من البطارقة وخلع عليه من الغد فقال ملك الروم اين جهة الخليفة فدل عليها فقام وكشف رأسه واومأ الى الارض بالخدمة وهادنه السلطان خمسين سنة وسيره الى بلاده وسير معه عسكرا أوصلوه الى مأمنه وشيعه السلطان فرسخا وأما الروم

الملك الصطة وذلك ليلة الاربعاء تاسع عشر ة وقد نزل به خلط دموي فتقايا ثم مات وذلك بناحية المرقة بالقرب من دهشور وان مماليكه اجتمعوا وامروا عليهم شاهين بك وذلك باشارة استاذهم وان طائفة ولا دعلي انفصلوا عنهم ورجعوا الى بلادهم وآخرين يطلبون الامان فاشتبه الحال وشاع الخبر وصارت الناس ما بين مصدق ومكذب واستمر الاشتباه والاضطراب أياما حتى ان الباشا خلع على ذلك المخبر بعدان تحقق خبره فروة سمور وركب جاوشا من وسط المدينة والناس ما بين مصدق ومكذب ويظنون ان ذلك من مكايده وتحيلاته لامور يدبرها الى ان حضر بعض الخدم الى دوره واخبر بحقيقة الحال كما ذكر فعند ذلك زال الاشتباه وعد ذلك من تمام سعد محمد علي باشا الدنيوي حتى انه قال في مجلس خاصته الآن ملكت مصر ولما مات الالفي ارتحلت اجناده ومماليكه وأمراؤه وارتفعوا الى ناحية قبلي فسبحان الحي الذي لا يموت قال الشاعر

فقل للشامتين بنا أفيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا

ثم ان الباشا ارسل الى امرائه مكاتبة يستميلهم ويطلبهم للصلح ويدعوهم للانضمام اليه ويعدهم ان يعطيهم فوق مأمولهم ونحو ذلك وارسل تلك المكاتبة صحبة قادري اغا الذي كان طرده الالفي ونفاه واخذ محمد علي باشا في الاهتمام والركوب واللحوق بهم وفي

فلما بلغهم خبر الوقعة وثب ميخائيل على المملكة فملك البلاد فلما وصل أرمانوس الملك الى قلعة دوقية بلغه الخبر فلبس الصوف وأظهر الزهد وأرسل الى ميخائيل يعرفه ما تقرر مع السلطان وقال ان شئت ان تفعل ما استقر وان شئت امسكت فاجابه ميخائيل بايثار ما استقر وطلب وساطته وسؤال السلطان فى ذلك وجمع أرمانوس ما عنده من المال فكان مائتى ألف دينار فارسله الى السلطان وطبقا ذهبا عليه جواهر بتسعين ألف دينار وحلف له انه لا يقدر على غير ذلك ثم ان أرمانوس استولى على أعمال الارمن وبلادهم ومدح الشعراء السلطان وذكروا هذا الفتح فاكثروا

(ذكر ملك اتسز الرملة وبيت المقدس)

فى هذه السنة قصد اتسز بن أوق الخوارزمى وهو من أمراء السلطان ملكشاه بلد الشام فجمع الاتراك وسار الى فلسطين ففتح مدينة الرملة وسار منها الى البيت المقدس وحصره وفيه عساكر المصريين ففتحه وملك ما يجاورهما من البلاد ما عدا عسقلان وقصد دمشق فحصرها وتابع النهب لاعمالها حتى خربها وقطع الميرة عنها فضاق الامر بالناس فصبروا ولم يمكنوه من ملك البلد فعاد عنه وادام قصد أعماله وتخريبها حتى قلت الاقوات عندهم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة توفى ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فوران الفورانى الفقيه الشافعى مصنف كتاب الابانة وغيرها وفى هذه السنة فى ذى الحجة توفى الخطيب ابو بكر احمد بن على بن ثابت البغدادى صاحب التاريخ والمصنفات الكثيرة ببغداد وكان امام الدنيا فى زمانه وممن حمل جنازته الشيخ ابو اسحق الشيرازى وتوفى ايضا فيها فى شهر رمضان ابو يعلى محمد بن الحسين بن حمزة الجعفرى فقيه الامامية وحسان بن سعيد بن حسان بن محمد بن عبد الله المنيعى المخزومى من اهل مرو الروذ كان كثير الصدقة والمعروف والعبادة والقنوع بالقليل من القوت والاعراض عن زينة الدنيا وبهجتها وكان السلاطين يزورونه ويتبركون به واكثر من بناء المساجد والخانقاهات والقناطر وغير ذلك من مصالح المسلمين وتوفيت أيضا كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية وهى التى تروى صحيح البخارى توفيت بمكة واليها انتهى علو الاسناد للصحيح الى ان جاء ابو الوقت

(ثم دخلت سنة اربع وستين واربعمائة)

(ذكر ولاية سعد الدولة كوهرائين شحنكية بغداد)

فى ربيع الاول من هذه السنة ورد ايتكين السليمانى شحنة بغداد من عند السلطان الى بغداد فقصد دار الخلافة وسال العفو عنه وأقام أياما فلم يجب الى ذلك وكان سبب غضب الخليفة عليه انه كان قد استخلف ابنه عند مسيره الى السلطان وجعله شحنة ببغداد فقتل أحد المماليك الدارية فانفذ قميصه من الديوان الى السلطان ووقع الخطاب فى عزله وكان نظام الملك يعنى بالسليمانى فاضاف الى أقطاعه تكريت

الى يوم ينادى على العسكر بالمدينة بالخروج وقوى نشاطهم ورفعوا وثقهم وسعوا فى قضاء اشغالهم وخطفوا الجمال والحمير وحضر الباشا الى بيته بالازبكية وبات به ليلة الاحد وصرح بسفره يوم الخميس وخرج الى العرضى ثانيا وطلب السلف والمال ومضى الخميس والجمعة ولم يسافر (وفى ليلة السبت تاسع عشرينه) نزل به حادر وتحرك عنده خلط وحصل له اسهال وقىء واشاع الناس موته يوم السبت وتناقلوه وكاد العسكر ينهبون العرضى ثم حصلت له افاقة وخرج السيد عمر والمشايخ للسلام عليه يوم الاحد وليهنؤه بالعافية وكذلك خرجوا لوداعه قبل ذلك مرارا (وفيه) حضر قادرى بجوابات الرسالة من امراء الالفى احدها للباشا وعليه ختم شاهين بك وباقى خشداشينه الكبار وآخر خطابا لمصطفى كاشف اغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجى ومن كان كاتبهم بالمعنى السابق يذكرون فى جوابهم ان كان سيدهم قد مات وهو شخص واحد فقد خلف رجالا وأمراء وهم على طريقة استاذهم فى الشجاعة والرأى والتدبير ونحو ذلك وليس كل مدع تسلم له دعواه ومن امثال المغاربة ما كل حمراء لحمة ولا كل بيضاء شحمة وذكروا فى الجواب ايضا انه ان اصطلح مع كبرائهم الكائنين بقبلى وهم ابراهيم بك فمكتوب

فيكوتب والبها من ديوان الخلافة بالتوقف عن تسليمها فلما رأى نظام الملك والسلطان اصرار الخليفة على الاستقالة من ولاية شحنكية بغداد سير سعد الدولة كوهرائين الى بغداد شحنة وعزل السلطان عنها اتباعا لما امر به الخليفة القائم بامر الله ولما ورد سعد الدولة خرج الناس لتلقيه وجلس له الخليفة

(ذكر تزويج ولى العهد بابنة السلطان)

فى هذه السنة ارسل الامام القائم بامر الله عميد الدولة بن جهير ومعه الخلع للسلطان ولولده ملكشاه وكان السلطان قد ارسل يطلب من الخليفة ان يأذن فى ان يجعل ولده ملكشاه ولى عهده فأذن وسيرت له الخلع مع عميد الدولة وأمر عميد الدولة ان يخطب ابنة السلطان الب ارسلان من سفرى خاتون لولى العهد المقتدى بامر الله فلما حضر عند السلطان خطب ابنته فاجيب الى ذلك وعقد النكاح بظاهر نيسابور وكان عميد الدولة الوكيل فى قبول النكاح ونظام الملك الوكيل من جهة السلطان فى العقد وكان النثار جواهر وعاد عميد الدولة من عند السلطان الى ملكشاه وكان ببلاد فارس فلقيه باصبهان فافاض عليه الخلع فلبسها وسار الى والده وعاد عميد الدولة الى بغداد فدخلها فى ذى الحجة

(ذكر ولاية أبى الحسن بن عمار طرابلس)

فى هذه السنة فى رجب توفى القاضى ابو طالب بن عمار قاضى طرابلس وكان قد استولى عليها واستبد بالامر فيها فلما توفى قام مكانه ابن اخيه جلال الملك ابو الحسن بن عمار وضبط البلد احسن ضبط ولم يظهر لفقده اثر لكفايته

(ذكر ملك السلطان الب ارسلان قلعة فضلون بفارس)

فى هذه السنة سير السلطان الب ارسلان وزيره نظام الملك فى عسكر الى بلاد فارس وكان بها حصن من أمنع الحصون والمعاقل وفيه صاحبه فضلون وهو لا يعطى الطاعة فنازله وحصره ودعاه الى طاعة السلطان فامتنع فقاتله فلم يبلغ بقتاله غرضا لعلو الحصن وارتفاعه فلم يطل مقامهم عليه حتى نادى أهل القلعة بطلب الامان ليسلموا الحصن اليه فعجب الناس من ذلك وكان السبب فيه ان جميع الآبار التى بالقلعة غارت مياهها فى ليلة واحدة فقادتهم ضرورة العطش الى التسليم فلما طلبوا الامان امنهم نظام الملك وتسلم الحصن والتجأ فضلون الى قلة القلعة وهى أعلى موضع فيها وفيه بناء مرتفع فاحتمى فيها فسير نظام الملك طائفة من العسكر الى الموضع الذى فيه أهل فضلون وأقاربه ليحملوهم اليه ويتبعوا اموالهم فسمع فضلون الخبر ففارق موضعه مستخفيا فيمن عنده من الجند وسار ليمنع عن أهله فاستقبله طلائع نظام الملك فخافهم فتفرق من معه واختفى فى نبات الارض فوقع فيه بعض العسكر فاخذه اسيرا وحمله الى نظام الملك فأخذه وسار به الى السلطان فامنه واطلقه

(ذكر عدة حوادث)

الكبير وعثمان بك حسن وباقى امرائهما كنا مثلهم وان كان يريد صلحنا دونهم فيعطينا ما كان يطلبه أستاذنا من الاقاليم ونحو ذلك

(واستهل شهر ذى الحجة بيوم الاثنين سنة ١٢٢١) فيه ارتحل الباشا بالعرضى الى ساقية مكى بالجيزة متوجها لقبلى (وفيه) طلبوا المراكب من كل ناحية وعزوجودها وامتنعت الواردون ومراكب المعاشات والتجارات مع استمرار الطلب للغارم والسلف ونحو ذلك وفى منتصفه وردت مكاتبات من وزير الدولة العثمانية وفيها الخبر بوقوع الغزو بين العثمانى والموسكوب والامر بالتيقظ والتحفظ وتحصين الثغور فربما اغاروا على بعضها على حين غفلة وكذلك وردت أخبار بمعنى ذلك من جا كم ازميروجا كم رودس وان الانكليز معاونون لطائفة الموسكوب لاستمرار عداوتهم مع الفرنساوية لكون الفرانساوية متصادقين مع العثمانى والخبر عن مجمل القضية ان بونابارته أمير جيش الفرانساوية وعساكرهم خرجوا فى العام الماضى واغاروا على القرانات والممالك الافرنجية واستولوا على النيمسة التى هى اعظم القرانات وبينهم وبين الموسكوب مصادقة ونسب فارسل الموسكوب جندا كثيفا مساعدة للنيمساوية مع كبير من قرانتهم فقاتلا قوامع بونابارته بعد استيلائه على تخت النيمسة فهزمهم أيضا وأسر

في هذه السنة توفي القاضي أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الصمد بن المهتدي بالله الخطيب بجامع المنصور وكان قد أضر ومولده سنة أربع وثمانين وثلثمائة وكان اليه قضاء واسط وخليفته عليها ابو محمد بن السمال

(ثم دخلت سنة خمس وستين وأربعمائة)

(ذكر قتل السلطان الب ارسلان)

في اول هذه السنة قصد السلطان الب ارسلان واسمه محمد وانما غلب عليه الب ارسلان ما وراء النهر وصاحبه شمس الملك تكين فعقد على جيحون جسرا وعبر عليه في نيف وعشرين يوما وعسكره يزيد على مائتي ألف فارس فأتاه أصحابه بمستحفظ قلعة يعرف بيوسف الخوارزمي في سادس شهر ربيع الاول وحمل الى قرب سريره مع غلامين فتقدم ان تضرب له أربعة أوتاد وتشد أطرافه اليها فقال له يوسف يا مخنث مثلي يقتل هذه القتلة فغضب السلطان الب ارسلان وأخذ القوس والنشاب وقال للغلامين خلياه ورماه السلطان بسهم فأخطأه ولم يكن يخطئ سهمه فوثب يوسف يريده والسلطان على سدة فلما رأى يوسف يقصده قام من السدة ونزل عنها فعثر فوقع على وجهه فبرك عليه يوسف وضربه بسكين كانت معه في خاصرته وكان سعد الدولة واقفا فجرحه يوسف أيضا جراحات ونهض السلطان فدخل الى خيمة أخرى وضرب بعض الفراشين يوسف بمرزبة على رأسه فقتله وقطعه الاتراك وكان اهل سمرقند لما بلغهم عبور السلطان النهر وما فعل عسكره بتلك البلاد لا سيما بخارا اجتمعوا وختموا ختمات وسالوا الله ان يكفيهم أمره فاستجاب لهم ولما جرح السلطان قال ما من وجه قصدته وعدو أردته الا استعنت بالله عليه ولما كان أمس صعدت على تل فارتجت الارض تحتي من عظم الجيش وكثرة العسكر فقلت في نفسي انا ملك الدنيا وما يقدر احد علي فعجزني الله تعالى باضعف خلقه وانا استغفر الله تعالى واستقيله من ذلك الخاطر فتوفي عاشر ربيع الاول من السنة فحمل الى مرو ودفن عند ابيه ومولده سنة اربع وعشرين وأربعمائة وبلغ من العمر اربعين سنة وشهورا وقيل كان مولده سنة عشرين وأربعمائة وكانت مدة ملكه منذ خطب له بالسلطنة الى ان قتل تسع سنين وستة اشهر واياما ولما وصل خبر موته الى بغداد جلس الوزير فخر الدولة بن جهير للعزاء به في صحن السلام

(ذكر نسب الب ارسلان وبعض سيرته)

هو الب ارسلان محمد بن داود جغري بك بن ميكائيل بن سلجوق وكان كريما عادلا عاقلا لا يسمع السعايات واتسع ملكه جدا ودان له العالم وبحق قيل له سلطان العالم وكان رحيم القلب رفيقا بالفقراء كثير الدعاء بدوام ما انعم الله به عليه اجتاز يوما بمرو على فقراء الخرائين فبكى وسال الله تعالى ان يغنيه من فضله وكان يكثر الصدقة فيتصدق في رمضان بخمسة عشر الف دينار وكان في ديوانه اسماء خلق كثير من الفقراء في جميع ممالكه عليهم الادارات والصلات ولم يكن في جميع بلاده جناية ولا

عظماءهم وسار بجيوشه الى الروسية واستولى على عدة أساكل وكلما استولى على جهة قرر بها حكامها وشرطا عليهم شروطه التي منها معاداة الانكليز ومنابذتهم ومراسلة العثماني ومراسلته هو أيضا ورأى العثماني قوة بأسه فصادقه وأرسل اليه من طرفه ايلجي الى اسلامبول فدخلها في أبهة عظيمة وأنزلوه منزلا حسنا وأرسل صحبته هدايا وقوبل بأعظم منها وكذلك ارسل الى خصوص بونابارته تحفا وهدايا وتاجا من الجوهر فعند ذلك انتبذ الموسكوب ونقض الهدنة بينه وبين العثماني وطلب المحاربة لخوفه العثماني لما يعلمه من القوة والكثرة وسعى الانكليز بينهما بالصلح واجتهد في ذلك حتى أمضاه بشروط قبيحة وصارت البناصورتها وظهر لنا منها اثنا عشر شرطا ونصها الاول ان امراء القلاع والبغازات يحتاج ان يتغيروا باذن الانكليز والموسكوب الثاني مشيخة السبع جزائر من الآن فصاعدا تكون تابعة غير الموسكوب الثالث تعريفة الديوان في بلاد العثماني هي التي كانوا يأخذونها قبل النظام الجديد الرابع الدولة العلية تسمح للموسكوب في طريق ثلثمائة ألف مقاتل يدخلون الى أي محل أرادوه من بلاد العثماني وذلك مدة اتفاق الانكليز والموسكوب وهو تسعة سنين الخامس يكون مفتوحا للعمارة الموسكوبية ان تدخل

مصادرة فقد قنع من الرعايا بالخراج الاصلي يؤخذ منهم كل سنة دفعتين رفقا بهم وكتب اليه بعض السعاة سعاية في نظام الملك وزيره وذكر ماله في ممالكه من الرسوم والاموال وتركت على مصلاه فأخذها فقرأها ثم سلمها الى نظام الملك وقال له خذ هذا الكتاب فان صدقوا في الذي كتبوه فهذب اخلاقك واصلح احوالك وان كذبوا فاغفر لهم زلتهم واشغلهم بمهم يشتغلون به عن السعاية بالناس وهذه حالة لا يذكر عن احد من الملوك احسن منها وكان كثيرا ما يقرأ عليه تواريخ الملوك واحكام الشريعة ولما اشتهر بين الملوك حسن سيرته ومحافظته على عهوده اذعنوا له بالطاعة والموافقة بعد الامتناع وحضروا عنده من اقاصي ما وراء النهر الى اقصى الشام وكان شديد العناية بكف الجند عن اموال الرعية بلغه ان بعض خواص مماليكه سلب من بعض الرستاقية ازارا فأخذ المملوك وصلبه فارتدع الناس عن التعرض الى مال غيرهم ومناقبه كثيرة لا يليق بهذا الكتاب اكثر من هذا القدر منها وخلف الب ارسلان من الاولاد ملكشاه وهو الذي صار السلطان بعده واياز وتكش وبوري برش وتتش وارسلان ارغو وسارة وعائشة وبنتا اخرى

(ذكر ملك السلطان ملكشاه)

لما جرح السلطان الب ارسلان اوصى بالسلطنة لابنه ملكشاه وكان معه وامران يحلف له العسكر فحلفوا جميعهم وكان المتولي للامر في ذلك نظام الملك وارسل ملكشاه الى بغداد يطلب الخطبة له فخطب له على منابرها واوصى الب ارسلان ابنه ملكشاه ايضا ان يعطي اخاه قاورت بك ابن داود اعمال فارس وكرمان وشيئا عينه من المال وان يزوج بزوجته وكان قاورت بك بكرمان واوصى ان يعطي ابنه اياز بن الب ارسلان ما كان لابيه داود وهو خمسمائة الف دينار وقال كل من لم يرض بما اوصيت له فقاتلوه واستعينوا بما جعلته له على حربه وعاد ملكشاه من بلاد ما وراء النهر فعبر العسكر الذي قطع النهر في نيف وعشرين يوما في ثلاثة ايام وقام بوزارة ملكشاه نظام الملك وزاد الاجناد في معايشهم سبعمائة الف دينار وعادوا الى خراسان وقصدوا نيسابور وراسل ملكشاه جماعة الملوك اصحاب الاطراف يدعوهم الى الخطبة له والانقياد اليه واقام اياز ارسلان ببلخ وسار السلطان ملكشاه في عساكره من نيسابور الى الري

(ذكر ملك صاحب سمرقند مدينة ترمذ)

في هذه السنة في ربيع الآخر ملك التكين صاحب سمرقند مدينة ترمذ وسبب ذلك انه لما بلغه وفاة الب ارسلان وعود ابنه ملكشاه عن خراسان طمع في البلاد المجاورة له فقصد ترمذ اول ربيع الآخر وفتحها ونقل ما فيها من ذخائر وغيرها الى سمرقند وكان اياز ابن الب ارسلان قد سار عن بلخ الى الجوزجان فخاف اهل بلخ فارسلوا الى التكين يطلبون منه الامان فامنهم وخطبوا له فيها وورد اليها فنهب عسكره شيئا من اموال الناس وعاد الى ترمذ فثار اوباش بلخ بجماعة من اصحابه فقتلوهم فعاد اليهم وامر باحراق المدينة

لمينة الترسخانه باسلامبول لاجل انهم ياخذون من هناك كامل الذي يلزمهم السادس جميع الرعايا والحمايات التى للموسكوب من جديد وقديم لهم الاقامة والتجارة وشراء الاملاك في كامل بلاد العثمانى السابع كامل مراكب الموسكوب التجارية التى كانوا عن بعض الاسباب نزلوا بيارقها يقدرون أن يتوجهوا بها الى قنصولية الموسكوب باسلامبول وحالا تعطى لهم بطانات جديدة الثامن كامل الاروام الموجودين في بلاد العثمانى ويريدون أن يدخلوا في حماية الموسكوب يمكنهم بكل حرية التاسع البراتلية والفرماتلية يحصلون على قوتهم التى كانوا بها سابقا العاشر الجى الفرنساوية ملزوم يسافر من اسلامبول بعد واحد وثلاثين يوما الحادى عشر مراكب الاروام والعثمانى لا يسافرون بها لبلاد فرانسا مادام الحرب بين الموسكوب والفرانساوية فلما تقررت هذه الشروط واطلع عليها الفرانساوى فكانه لم يرض بها وقال للعثمانى لم يبق بيدك مملكة وأشار عليه بنقضها وتكفل بمساعدته ومقاومتهم فركن اليه ونقض تلك الشروط فعند ذلك نبذوا صداقة العثمانى واظهروا مخاصمته ووافقهم على ذلك الانكليز لكونه صادق الفرنساوية وأغاروا على بعض النواحي وأخذوا الكتن وغيرها وشرع أهل الاسكندرية في تحصين قلاعها وأبراجها وكذلك أبو

فخرج اليه اعيان اهلها وسالوه الصفح واعتذروا فعفا عنهم لكنه اخذ من اموال التجار شيئا عظيما فلما وصل الخبر الى اياز عاد من الجوزجان الى بلخ فوصل غرة جمادى الاولى فاطاعه اهلها وسار عنها الى ترمذ في عشرة آلاف فارس في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة فلقيهم عسكر التكين فانهزم اياز فغرق من عسكره في جيحون اكثرهم وقتل كثير منهم ولم ينج الا القليل

(ذكر قصد صاحب غزنة سكلكند)

وفي هذه السنة ايضا في جمادى الاولى وردت طائفة كثيرة من عسكر غزنة الى سكلكند وبها عثمان عم السلطان ملكشاه ويلقب بامير الامراء فاخذوه اسيرا وعادوا به الى غزنة مع خزائنه وحشمه فسمع الامير كمشتكين بلكابك وهو من اكابر الامراء فتبع آثارهم وكان معه انوشتكين جد ملوك خوارزم في زماننا فنهبوا مدينة سكلكند

(ذكر الحرب بين السلطان ملكشاه وعمه قاورت بك)

لما بلغ قاورت بك وهو بكرمان وفاة اخيه الب ارسلان سار طالبا للري يريد الاستيلاء على الممالك فسبقه اليها السلطان ملكشاه ونظام الملك وسار منها اليه فالتقوا بالقرب من همذان في شعبان وكان العسكر يميلون الى قاورت بك فحملت ميسرة قاورت على ميمنة ملكشاه فهزموها وحمل شرف الدولة مسلم بن قريش وبهاء الدولة منصور بن دبيس بن مزيد وهما مع ملكشاه ومن معهما من العرب والاكراد على ميمنة قاورت بك فهزموها وتمت الهزيمة على اصحاب قاورت بك ومضى المنهزمون من اصحاب السلطان ملكشاه الى حلل شرف الدولة وبهاء الدولة فنهبوها غيظا منهم حيث هزموا عسكر قاورت بك ونهبوا ايضا ما كان لنقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي رسول الخليفة وجاء رجل سوادي الى السلطان ملكشاه فاخبره ان عمه قاورت بك في بعض القرى فارسل من اخذه واحضره فامر سعد الدولة كوهرائين فخنقه واقر كرمان بيد اولاده وسير اليهم الخلع واقطع العرب والاكراد اقطاعات كثيرة لما فعلوه في الوقعة وكان السبب في حضور شرف الدولة وبهاء الدولة عند ملكشاه ان السلطان الب ارسلان كان ساخطا على شرف الدولة فارسل الخليفة نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي الى شرف الدولة بالموصل فاخذه وسار به الى الب ارسلان ليشفع فيه عند الخليفة فلما بلغ الزاب وقف على ملطفات كتبها وزيره ابو جابر بن صقلاب فاخذها شرف الدولة فغرقها وسار مع طراد فبلغهما الخبر بوفاة الب ارسلان ومسير ابنه ملكشاه فتمما اليه واما بهاء الدولة فانه كان قد سار بمال ارسله به ابوه الى السلطان فحضر الحرب بهذا السبب

(ذكر تفويض الامور الى نظام الملك)

ثم ان عسكر ملكشاه بسطوا ومدوا ايديهم في اموال الرعية وقالوا ما يمنع السلطان ان يعطينا الاموال الا نظام الملك فنال الرعية اذى شديد فذكر ذلك نظام الملك للسلطان فبين له ما في هذا الفعل من الوهن وخراب البلاد وذهاب السياسة فقال له افعل في هذا

بحر وأرسل الهدايا من يده بيد ... وعملوا جمعيات ببيت كتخدا بك وبيت السيد عمر النقيب واتفقوا على ارسال ثلاث المراسلات الى محمد علي باشا بالجهة القبلية صحبة ديوان افندي (وفي عشرينه) اجتمعوا بالازهر لقراءة صحيح البخاري في اجزاء صغار (وفيه) حضر ديوان افندي بمكاتبات وفيها طلب جماعة من الفقهاء ليسعوا في اجراء الصلح بين الامراء المصريين وبين الباشا فوقع الاتفاق على تعيين ثلاثة أشخاص وهم ابن الشيخ الامير وابن الشيخ العروسي والسيد محمد الدواخلي فسافروا في يوم الاحد سادس عشرينه ووصلت الاخبار بان الانكليز حضروا في اثني عشر مركبا وعبروا ببغاز اسلامبول وكانوا محترسين فضربوا عليهم بالمدافع من الجهتين فلم يكترثوا ولم يفزعوا ولم يتأخروا ولم يصب الضرب الا مركبا واحدة من الاثني عشر وعبروا ثلمتها في الحال ولم يزالوا سائرين حتى رسوا بير اسلامبول فهاج كل اهلها وصرخوا وانزعجوا انزعاجا عظيما وايقنوا باخذ الانكليز البلدة ولو ارادوا حرقها لاحرقوها عن آخرها فعند ذلك نزل اليهم السيد علي باشا القبطان وهو أخو علي باشا الذي كان أخذ بسيرامع البرديسي من برج مغيزل برشيد فتكلم معهم وصالحهم وخرجوا من البغاز سالمين

ماتراه مصلحة فقال له نظام الملك مايمكنني ان أفعل الابامرك فقال السلطان قدرددت الامور كلها كبيرها وصغيرها اليك فانت الوالد وحلف له وأقطعه اقطاعا زائدا على ما كان من جملته طوس مدينة نظام الملك وخلع عليه ولقبه القابا من جملتها أتابك ومعناه الامير الوالد فظهر من كفايته وشجاعته وحسن سيرته ماهو مشهور فمن ذلك ان امرأة ضعيفة استغاثت اليه فوقف يكلمها وتكلمه فدفعها بعض حجابه فانكر ذلك عليه وقال انما استخدمتك لامثال هذه فان الامراء والاعيان لاحاجة بهم اليك ثم صرفه عن حجبته

•(ذكر قتل ناصر الدولة بن حمدان)•

في هذه السنة قتل ناصر الدولة أبو علي الحسن بن حمدان وهو من أولاد ناصر الدولة بن حمدان بمصر وكان قد تقدم فيها تقدما عظيما ونذكرههنا الاسباب الموجبة لقتله فانها فتبع بعضها بعضا في حروب وتجارب وكان أول ذلك انحلال امر الخلافة وفساد احوال المستنصر بالله العلوي صاحبها وسببه ان والدته كانت غالبة على امره وقد اصطنعت اباسعيد ابراهيم التستري اليهودي وصار وزيرها فاشار عليها بوزارة ابي نصر الفلاحي فولته الوزارة واتفقا مدة ثم صار الفلاحي ينفرد بالتدبير فوقع بينهما وحشة نخاف الفلاحي ان يفسد أمره مع أم المستنصر فاصطنع الغلمان الاتراك واستمالهم وزاد في أرزاقهم فلما وثق بهم وضعهم على قتل اليهودي فقتلوه فعظم الامر على أم المستنصر وأغرت به ولدها فقبض عليه وأوساءت من قتله تلك الليلة وكان بينهما في القتل تسعة أشهر ووزر بعده أبو البركات حسن بن محمد فوضعه على الغلمان الاتراك فافسد أحوالهم وشرع يشتري العبيد للمستنصر واستكثر منهم فوضعته أم المستنصر ليغري العبيد المجردين بالاتراك نخاف عاقبة ذلك وعلم انه يورث شرا وفسادا فلم يفعل فتنكرت له وعزلته عن الوزارة وولي بعده الوزارة ابو محمد اليازوري من قرية من قرى الرملة اسمها يازور فامرته أيضا بذلك فلم يفعل واصلح الامور الى ان قتل ووزر بعده ابو عبد الله الحسين بن البابلي فامرته بما أمرت به غيره من الوزراء من اغراء العبيد بالاتراك ففعل فتغيرت نياتهم ثم ان المستنصر ركب ليشيع الحجاج فاجرى بعض الاتراك فرسه فوصل به الى جماعة العبيد المحدثين وكانوا يحيطون بالمستنصر فضرب به أحدهم فجرحه فعظم ذلك على الاتراك ونشبت بينهم الحرب ثم اصطلحوا على تسليم الجارح اليهم واستحكمت العداوة فقال الوزير للعبيد خذوا حذركم فاجتمعوا في محلتهم وعرف الاتراك ذلك فاجتمعوا الى مقدميهم وقصدوا ناصر الدولة بن حمدان وهو أكبر قائد بمصر وشكوا اليه واستمالوا المصامدة وكتامة وتعاهدوا وتعاقدوا فقوي الاتراك وضعف العبيد المحدثون فخرجوا من القاهرة الى الصعيد ليجتمعوا هناك فانضاف اليهم خلق كثير يزيدون على خمسين ألف فارس وراجل نخاف الاتراك وشكوا الى المستنصر فعاد الجواب انه لاعلم له بما فعل العبيد وانه لاحقيقة له فظنوا

•غيوظائف بعفوهم مع المقدرة وانقضت السنة بحوادثها (واما من مات بها من العلماء والامراء ممن له ذكر) مات العمدة الفاضل صدر المدرسين وعمدة المحققين الفقيه الورع الشيخ محمد الحفنى الشافعي تخرج على الشيخ عطية الاجهوري وغيره من اشياخ العصر المتقدمين كالحفني والعدوي ومسكنه بخطة السيدة نفيسة ويأتي الى الازهر في كل يوم فيقرأ دروسه ثم يعود الى داره متقللا في معيشته منعزلا عن مخالطة غالب الناس وهو آخر الطبقة وتمرض شهورا بمنزله الذي بالمشهد النفيسي وكان دائما يسأل عن الشيخ سليمان البجيرمي وكان يقول لاأموت حتى يموت البجيرمي لانه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال له أنت آخر اقرانك موتا ولم يكن من اقرانه سوى البجيرمي فلذلك كان يسأل عنه ثم مات البجيرمي بقرية تسمى مصطيه ومات هو بعده بنحو ثلاثة أشهر وكانت وفاته في يوم الاثنين خامس عشرين ذي الحجة ولم يحضروا بجنازته الى الازهر بل صلى عليه بالمشهد النفيسي ودفن هناك رحمة الله تعالى عليه•ومات الشيخ الفقيه المحدث خاتمة المحققين وعمدة المدققين بقية السلف وعمدة الخلف الشيخ سليمان ابن محمد بن عمر البجيرمي

• يخ مل عا الشافعي الازهري المنتهي نسبه الى الشيخ جمعة الزيدي المدفون ببجيرم نسبة الى زيدة

قوله حيلة عليهم ثم قوى الخبر بقرب العبيد منهم بكثرتهم فاحتفل الاتراك وكتامة
والمصامدة وكانت عدتهم ستة آلاف فالتقوا بموضع يعرف بكوم الريش واقتتلوا
فانهزم الاتراك ومن معهم الى القاهرة وكان بعضهم قد كمن في خمسمائة فارس فلما
انهزم الاتراك خرج الكمين على ساقة العبيد ومن معهم وحملوا عليهم حملة منكرة
وضربت البوقات فارتاع العبيد وظنوها مكيدة من المستنصر وانه قد ركب في باقي
العسكر فانهزموا وعاد عليهم الاتراك وحكموا فيهم السيوف فقتل منهم وغرق نحو
اربعين ألفا وكان يوما مشهودا وقويت نفوس الاتراك وعرفوا حسن رأى المستنصر
فيهم وتجمعوا وحشدوا واقتضاعفت عدتهم وزادت واجباتهم للانفاق فيهم فخلت
الخزائن واضطربت الامور وتجمع باقي العسكر من الشام وغيره الى الصعيد فاجتمعوا
مع العبيد فصاروا خمسة عشر ألف فارس وراجل وساروا الى الجيزة فخرج عليهم
الاتراك ومن معهم واقتتلوا في الماء عدة أيام ثم عبر الاتراك النيل اليهم مع ناصر الدولة
ابن حمدان فاقتتلوا فانهزم العبيد الى الصعيد وعاد ناصر الدولة والاتراك منصورين ثم
ان العبيد اجتمعوا بالصعيد في خمسة عشر الف فارس وراجل فقلق الاتراك لذلك فحضر
مقدموهم دار المستنصر لشكوى حالهم فامرت ام المستنصر من عندها من العبيد
بالهجوم على المقدمين والفتك بهم ففعلوا ذلك وسمع ناصر الدولة الخبر فهرب الى ظاهر
البلد واجتمع الاتراك اليه ووقعت الحرب بينهم وبين العبيد ومن تبعهم من مصر
والقاهرة وحلف الامير ناصر الدولة بن حمدان انه لا ينزل عن فرسه ولا يذوق طعاما حتى
ينفصل الحال بينهم فبقيت الحرب ثلاثة ايام ثم ظفر بهم ناصر الدولة واكثر القتل فيهم
ومن سلم هرب وزالت دولتهم من القاهرة وكان بالاسكندرية جماعة كثيرة من العبيد فلما
كانت هذه الحادثة طلبوا الامان فامنوا واخذت منهم الاسكندرية وبقي العبيد الذين
بالصعيد فلما خلت الدولة للاتراك طمعوا في المستنصر وقل ناموسه عندهم وطلبوا
الاموال فخلت الخزائن فلم يبق فيها شئ البتة واختل ارتفاع الاعمال وهم يطالبون
واعتذر المستنصر بعدم الاموال عنده فطلب ناصر الدولة العروض فاخرجت اليهم
وقومت بالثمن البخس وصرفت الى الجند فيل ان واجب الاتراك كان في الشهر عشرين
الف دينار فصار الآن في الشهر اربعمائة الف دينار واما العبيد بالصعيد فانهم افسدوا
وقطعوا الطريق واخافوا السبيل فسار اليهم ناصر الدولة في عسكر كثير فمضى العبيد
من بين يديه الى الصعيد الاعلى فادركهم فقاتلهم وقاتلوه فانهزم ناصر الدولة منهم وعاد
الى الجيزة بمصر واجتمع اليه من سلم من أصحابه وشغبوا على المستنصر واتهموه بتقوية
العبيد والميل اليهم ثم جهزوا جيشا وسيروه الى طائفة من العبيد بالصعيد وقاتلوهم
فقتل تلك الطائفة من العبيد فوهن الباقون وزالت دولتهم وعظم امر ناصر الدولة
وقويت شوكته وتفرد بالامر دون الاتراك فامتنعوا من ذلك وعظم عليهم وفسدت
نياتهم له فشكوا ذلك الى الوزير وقالوا كلما اخرج من الخليفة مال أخذ اكثره له
ولحاشيته ولا يصل الينا منه الا القليل فقال الوزير انما وصل الى هذا وغيره بكم فلو

بالقرب من منية ابن خصيم وينتهي نسب الشيخ جمعة المذكور الى سيدي محمد بن الحنفية ولد ببجيرم قرية من الغربية سنة احدى وثلاثين[٣] ومائة وألف وحضر الى مصر صغيرا دون البلوغ ورباه قريبه الشيخ موسى البجيرمي وحفظ القرآن ولازم الشيخ المذكور حتى تأهل لطلب العلوم وحضر على الشيخ العشماوي في الصحيحين وأبي داود والترمذي والشفاء والمواهب وشرح المنهج لشيخ الاسلام وشرحي المنهاج لكل من الرملي وابن حجر وحضر دروس الشيخ الحفني وأجازه الملوي والجوهري والمدابغي وأخذ عن الديربي وغيره وحضر أيضا دروس الشيخ علي الصعيدي والسيد البليدي وشارك كثيرا من الاشياخ كالشيخ عطية الاجهوري وغيره وكان انسانا حسنا جيد الاخلاق منجمعا عن مخالطة الناس مقبلا على شانه وقد انتفع به أناس كثيرون وكف بصره سنينا وعمر وتجاوز المائة سنة ومن تآليفه بايدي الطلبة حاشية على المنهج وأخرى على الخطيب وغير ذلك وقبل وفاته سافر الى مصطيه بالقرب من بجيرم

[٣] قوله سنة احدى وثلاثين الخ هكذا في النسخ لكن لا يطابق قوله الآتي وتجاوز المائة اذ لا يتاتى مجاوزته المائة إلا ان يكون ولد قبل هذا التاريخ بنحو عشر سنوات اه مصحح

فارقتموه

فارقتموه لم يتم له أمر فاتفق رأيهم على مفارقة ناصر الدولة واخراجه من مصر فاجتمعوا
وشكوا الى المستنصر وسألوه ان يخرج عنهم ناصر الدولة فارسل اليه يامره بالخروج
ويتهدده ان لم يفعل فخرج من القاهرة الى الجيزة ونهبت داره ودور حواشيه واصحابه
فلما كان الليل دخل ناصر الدولة مستخفيا الى القائد المعروف بتاج الملوك شادى
فقبل رجله وقال اصطنعنى فقال أفعل فاتفقه على قتل مقدم من الاتراك اسمه الدكز
والوزير الخطير وقال ناصر الدولة لشادى تركب فى اصحابك وتسير بين القصرين فاذا
امكنتك الفرصة فيهما فاقتلهما وعاد ناصر الدولة الى موضعه الى الجيزة وفعل شادى
ما امره فركب الدكز الى القصر فرأى شادى فى جمعه فانكره واسرع فدخل القصر
ففاته ثم اقبل الوزير فى موكبه فقتله شادى وارسل الى ناصر الدولة يامره بالركوب
فركب الى باب القاهرة فقال الدكز للمستنصر ان لم تركب والا هلكت انت ونحن
فركب ولبس سلاحه وتبعه خلق عظيم من العامة والجند واصطفوا للقتال فحمل
الاتراك على ناصر الدولة فانهزم وقتل من اصحابه خلق كثير ومضى منهزما على وجهه
لا يلوى على شئ وتبعه فل اصحابه فوصل الى بنى سنبس فاقام عندهم وصاهرهم فقوى
بهم وتجهزت العساكر اليه ليبعدوه فساروا حتى قربوا منه وكانوا ثلاث طوائف فاراد
أحد المقدمين ان يفوز بالظفر وحده دون اصحابه فعبر فيمن معه الى ناصر الدولة وحمل
عليه فقاتله فظفر به ناصر الدولة فاخذه اسيرا واكثر القتل فى اصحابه وعبر العسكر
الثانى ولم يشعروا بما جرى على اصحابهم فحمل ناصر الدولة عليهم ورفع رؤس القتلى على
الرماح فوقع الرعب فى قلوبهم فانهزموا وقتل اكثرهم وقويت نفس ناصر الدولة وعبر
العسكر الثالث فهزمهم واكثر القتل فيهم واسر مقدمهم وعظم أمره ونهب الريف
فاقطعه وقطع الميرة عن مصر براو بحرا فغلت الاسعار بها وكثر الموت بالجوع وامتدت
ايدى الجند بالقاهرة الى النهب والقتل وعظم الوباء حتى ان اهل البيت الواحد كانوا
يموتون كلهم فى ليلة واحدة واشتد الغلاء حتى حكى ان امرأة اكلت رغيفا بالف دينار
فاستبعد ذلك فقيل انها باعت عروضا قيمتها ألف دينار بثلثمائة دينار واشترت بها
حنطة وحملها الحمال على ظهره فنهبت الحنطة فى الطريق فنهبت هى مع الناس
فكان الذى حصل لها مما عملته رغيفا واحدا وقطع ناصر الدولة الطريق براو بحرا
فهلك العالم ومات اكثر اصحاب المستنصر وتفرق كثير منهم فراسل الاتراك من
القاهرة ناصر الدولة فى الصلح فاصطلحوا على ان يكون تاج الملوك شادى نائبا عن ناصر
الدولة بالقاهرة يحمل المال اليه ولا يبقى معه لاحد حكم فلما دخل تاج الملوك الى
القاهرة تغير عن القاعدة واستبد بالاموال دون ناصر الدولة ولم يرسل اليه منها شيئا فسار
ناصر الدولة الى الجيزة واستدعى اليه شادى وغيره من مقدمى الاتراك فخرجوا اليه الا
اقلهم فقبض عليهم كلهم ونهب ناحيتى مصر واحرق كثيرا منها فسير اليه المستنصر
عسكرا فكبسوه فانهزم منهم ومضى هاربا فجمع جمعا وعاد اليهم فقاتلهم فهزمهم
وقطع خطبة المستنصر بالاسكندرية ودمياط وكانا معه وكذلك جميع الريف وارسل

فتوفى بها ليلة الاثنين وقت السحر ثالث عشر رمضان من السنة المذكورة ٣٠ ودفن هناك رحمة الله تعالى عليه ومات

الاجل العلامة والفاضل
الفهامة فريد عصره علما
وعملا ووحيد دهره تفصيلا
وجملا الشيخ مصطفى
العقباوى المالكى نسبة لمنية
عقبة بالجيزة حضر الى الازهر
صغيرا ولازم السيد حسنا البقلى
ثم الشيخ محمدا العقاد المالكى
ثم الشيخ محمدا عبادة العدوى
ملازمة كلية حتى تمهر
فى مذهبه فى المنقولات وفى
المعقولات وحضر دروس
أشياخ العصر كالشيخ
الدردير والشيخ محمد البيلى
والشيخ الامير وغيرهم
وتصدر لالقاء الدروس وانتفع
به الطلبة واشتهر فضله وكان
انسانا حسن الاخلاق مقبلا
على الافادة والاستفادة
لا يتداخل فيما لا يعنيه
ويأتيه من بلدته ما يكفيه
قانعا متورعا متواضعا ومن
مناقبه انه كان يحب إفادة
العوام حتى انه كان اذا ركب
مع المكارى يعلمه عقائد
التوحيد وفرائض الصلاة
الى ان توفى يوم الخميس تاسع
عشر جمادى الآخرة ولم
يخلف بعده مثله رحمه الله
تعالى وعفا عنا وعنه * ومات
الاجل المعظم المبجل
المحقق المدقق المفضل العالم
العامل الفاضل الكامل
الشيخ على النجارى المعروف

بالقبانى الشافعى مذهبا المكى مولدا المدنى اصلا ابن العالم الفاضل الشيخ احمد تقى الدين ابن السيد تقى الدين المنتهى

الى الخليفة ببغداد يطلب خلعا ليخطب له بمصر واضمحل أمر المستنصر وبطل ذكره وتفرق الناس من القاهرة وارسل ناصر الدولة اليه أيضا يطلب المال فرآه الرسول جالسا على حصير وليس حوله غير ثلاثة خدم ولم ير الرسول شيأ من آثار المملكة فلما أدى الرسالة قال أما يكفى ناصر الدولة ان اجلس فى مثل هذا البيت على مثل هذا الحصير فبكى الرسول وعاد الى ناصر الدولة فاخبره الخبر فاجرى له كل يوم مائة دينار وعاد الى القاهرة وحكم فيها واذل السلطان واصحابه وكان الذى حمله على ذلك أنه كان يظهر التسنن بين أهله ويعيب المستنصر وكان المغاربة كذلك فاعانوه على ما اراد وقبض على ام المستنصر وصادرها بخمسين ألف دينار وتفرق عن المستنصر أولاده وكثير من أهله الى الغرب وغيره من البلاد فمات كثير منهم جوعا وانقضت سنة اربع وستين وما قبلها بالفتن وانحط السعر سنة خمس وستين ورخصت الاسعار وبالغ ناصر الدولة فى اهانة المستنصر وفرق عنه عامة اصحابه وكان يقول لاحدهم انى أريد أن أوليك عمل كذا فيسير اليه فلا يمكنه من العمل ويمنعه من العود وكان غرضه بذلك ان يخطب للخليفة القائم بامر الله ولا يمكنه مع وجودهم ففطن لفعله قائد كبير من الاتراك اسمه الدكز وعلم انه متى تم ما اراد تمكن منه ومن اصحابه فاطلع على ذلك غيره من قواد الاتراك فاتفقوا على قتل ناصر الدولة وكان قد امن لقوته وعدم عدوه فتواعدوا ليلة على ذلك فلما كان سحر الليلة التى تواعدوا فيها على قتله جاؤا الى باب داره وهى التى تعرف بمنازل العز وهى على النيل فدخلوا من غير استئذان الى صحن داره فخرج اليهم ناصر الدولة فى رداء لانه كان آمنا منهم فلما دنا منهم ضربوه بالسيوف فسبهم وهرب منهم يريد الحرم فلحقوه فضربوه حتى قتلوه واخذوا رأسه ومضى رجل منهم يعرف بكوكب الدولة الى فخر العرب أخى ناصر الدولة وكان فخر العرب كثير الاحسان اليه فقال للحاجب استأذن لى على فخر العرب وقل صنيعتك فلان على الباب فاستأذن له فاذن له وقال لعله قد دهمه أمر فلما دخل عليه اسرع نحوه كانه يريد السلام عليه وضربه بالسيف على كتفه فسقط الى الارض فقطع رأسه واخذ سيفه وكان ذا قيمة وافرة واخذ جارية له اردفها خلفه وتوجه الى القاهرة وقتل أخوهما تاج المعالى وانقطع ذكر الحمدانية بمصر بالكلية فلما كان سنة ست وستين واربعمائة ولى الامر بمصر بدر الجمالى امير الجيوش وقتل الدكز والوزير ابن كدينة وجماعة من المسلحية وتمكن من الدولة الى ان مات وولى بعده ابنه الافضل وسيرد ذكرهم ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة أقيمت الدعوة العباسية بالبيت المقدس وفيها توفى الامير ليث بن منصور صدقة بن الحسين بالدامغانى والشريف أبو الغنائم عبد الصمد بن على بن محمد بن المأمون ببغداد وكان مرته فى شوال ومولده سنة أربع وسبعين وثلثمائة وكان عالى الاسناد فى الحديث وفيها فى ذى الحجة توفى الشريف ابو الحسين محمد بن على بن عبد الله

ابن

نسبه الى ابى سعيد الخدرى وهو سعد بن مالك بن سنان بن ثيم الله بن ثعلبة الابجارى احد بطون الخزرج و ينتهى نسب أخواله الى السيد احمد الناسك بن عبد الله بن ادريس بن عبد الله بن الحسن الانور ابن سيدنا الحسن السبط رضى الله تعالى عنه ولد المترجم بمكة سنة اربع وثلاثين ومائة وقدم الى مصر مع ابيه وأخيه السيد حسن سنة احدى وسبعين ومائة فليلة وصولهم مرض أخوه المذكور وتوفى صبح ثالث يوم فجزع والده لذلك جزعا شديدا وتشاءم به وعزم على السفر الى مكة ثانيا ولم يتيسر له ذلك الااواخر شوال من السنة المذكورة وبقى المترجم واشتغل بتحصيل العلوم وشراء الكتب النافعة واستكتابها ومشاركة اشياخ العصر فى الافادة والاستفادة مع مباشرة شغل تجارتهم من بيع الارساليات التى ترد اليهم من اولاد أخيه من جدة ومكة وشراء مايشترى وارساله لهم الى ان مرض وانقطع ببيته الذى بخطة عابدين قريبا من الاستاذ الحنفى سنة تسع ومائتين وكان عالما ماهرا واديبا شاعرا تخرج على والده وعلى غيره بمكة وعلى كثير من اشياخ العصر المتقدمين كالشيخ العشماوى [٣] والشيخ الحفنى والشيخ العدوى

[٣] قوله العشماوى فى بعض النسخ العماوى اهـ

ابن عبد الصمد بن المهتدى بالله المعروف بابن الغريق وكان يدعى راهب بنى العباس وهو آخر من حدث عن الدارقطنى وابن شاهين وغيرهما وكان موته ببغداد وفيها قتل ناصر الدولة أبو على الحسين بن حمدان بمصر قتله الدكز التركى وقد تقدم شرحه مستوفى وفيها توفى الامام ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى النيسابورى مصنف الرسالة وغيرها وكان اماما فقيها اصوليا مفسرا كاتبا ذا فضائل جمة وكان له فرس قد اهدى اليه فركبه نحو عشرين سنة فلما مات الشيخ لم يأكل الفرس شيئا فعاش اسبوعا ومات وفيها ايضا توفى على بن الحسن بن على بن الفضل ابو منصور الكاتب المعروف بابن صر بعر وكان نظام الملك قال له انت ابن صردر لا صر بعر فبقى ذلك عليه وهو من الشعراء المجيدين وهجاه ابن البياضى فقال

لئن نبز الناس قدما اباك * فسموه من شعره صر بعرا
فانك تنثر ما صره * عقوقا له وتسميه شعرا

وهذا ظلم من ابن البياضى فانه كان شاعرا محسنا ومن شعر ابن صردر قوله

تزاورن عن اذرعات يمينا * نواشز ليس يطعن البرينا
كلفن بنجد كأن الرياض * اخذن لنجد عليها يمينا
واقسمن يحملن الا نحيلا * اليه ويبلغن الا حزينا
فلما استمعن زفير المشوق * ونوح الحمام تركن الحنينا
اذا جئتما بانة الواديين * فارخوا النسوع وحلوا الوضينا
فثم علائق من اجلهن * ملأ الدجى والضحى قد طوينا
وقد انبأتهم مياه الجفون * بان بقلبك داء دفينا

(ثم دخلت سنة ست وستين واربعمائة)

(ذكر تقليد السلطان ملكشاه السلطنة والخلع عليه)

فى هذه السنة فى صفر ورد كوهرائين الى بغداد من عند السلطان وجلس له الخليفة القائم بامر الله ووقف على رأسه ولى العهد المقتدى بامر الله وسلم الخليفة الى كوهرائين عهد السلطان ملكشاه بالسلطنة وقرأ الوزير اوله وسلم اليه ايضا لواء عقده الخليفة بيده ولم يمنع يومئذ احد من الدخول الى دار الخلافة فامتلأ صحن السلام بالعامة حتى كان الانسان تهمه نفسه ليتخلص وهنا الناس بعضهم بعضا بالسلامة

* (ذكر غرق بغداد)*

فى هذه السنة غرق الجانب الشرقى وبعض الغربى من بغداد وسببه ان دجلة زادت زيادة عظيمة وانفتح القورج عند المسناة المعزية وجاء فى الليل سيل عظيم وطفح الماء من البرية مع ريح شديدة وجاء الماء الى المنازل من فوق ونبع من البلاليع والآبار بالجانب الشرقى وهلك خلق كثير تحت الهدم وشدت الزواريق تحت التاج خوف الغرق وقام الخليفة يتضرع ويصلى وعليه البردة وبيده القضيب واتى اتكين

وغيرهم وتخرج فى الادب على والده وعلى الشيخ على بن تاج الدين المكى وعلى الشيخ عبد الله الادكاوى وغيره وله مؤلفات منها نفح الاكمام على منظومته فى علم الكلام ومنها تقريره على الرملى وهو مجلد ضخم ومنها شرح بديعيته التى سماها مراقى الفرج فى مدح عالى الدرج وله ديوان شعر صغير غالبه جيد وكان فى مدة انقطاعه لا يشتغل بغير المطالعة وتحصيل الكتب الغريبة وقيد ولده السيد سلامة باشتغال تجارتهم وولده السيد أحمد بملازمته واسماعه فيما يريد مطالعته وكانت داره فى غالب الاوقات لا تخلو من المترددين الى ان توفى ليلة السابع والعشرين من رجب من السنة المذكورة وعمره سبع وثمانون سنة وصلى عليه بالازهر ودفن بمقبرة اخيه بباب الوزير وخلف ولديه المذكورين وكان وجيها لطيفا محبوبا للنفوس ورعا رحمة الله تعالى عليه *ومات صاحبنا الاجل المعظم والوجيه المكرم الامير ذو الفقار البكرى نسبة ونسابة وهو مملوك السيد محمد ابن على افندى البكرى الصديقى اشتراه سيده المذكور عام احدى وسبعين ومائة وألف وربَّاه وادبه واعتقه وزوجه ابنته ونشأ فى عز ورفاهية وسيادة وعفة وطيب خيم وعلو همة ولما توفى سيده اتحد بولده السيد محمد افندى وهو اخو زوجته اتحادا كليا بحيث صارا كالاخوين لا يصبر احدهما عن الآخر ساعة واحدة وسكنهما

السلياني من مكيرافقال للوزير ان الملاحين يؤذون الناس في المعابر فاحضرهم وتهددهم بالقتل وامر باخذ ما جرت به العادة وجمع الناس واقيمت الخطبة الجمعة في الطيار مرتين وغرق من الجانب الغربي مقبرة احمد ومشهد باب التبن وتهدم سوره فاطلق شرف الدولة الف دينار تصرف في عمارته ودخل الماء من شبابيك البيمارستان العضدي ومن عجيب ما يحكى في هذا الغرق ان الناس في العام الماضي كانوا قد انكروا كثرة المغنيات والخمور فقطع بعضهم أوتار عود مغنية كانت عند جندي وثار بها الجندي الذي كانت عنده فضربه فاجتمعت العامة ومعهم كثير من الائمة منهم ابو اسحق الشيرازي واستغاثوا الى الخليفة وطلبوا هدم المواخير والحانات وتبطيلها فوعدهم ان يكاتب السلطان في ذلك فسكنوا وتفرقوا ولازم كثير من الصالحين الدعاء بكشفه فاتفق ان غرقت بغداد ونال الخليفة والجند من ذلك امر عظيم وعمت مصيبته كافة الناس فرأى الشريف ابو جعفر بن موسى بعض الحجاب الذين يقولون نحن نكاتب السلطان ونسعى في تفريق الناس ويقول اسكنوا الى ان يرد الجواب فقال له ابو جعفر قد كتبنا وكتبتم فجاء جوابنا قبل جوابكم يعني انهم شكوا ما حل بهم الى الله تعالى وقد اجابهم بالغرق قبل ورود جواب السلطان

(ذكر ملك السلطان ملكشاه ترمذ والهدنة بينه و بين صاحب سمرقند)

قد ذكرنا ان خاقان التكين صاحب سمرقند ملك ترمذ بعد قتل السلطان الب ارسلان فلما استقامت الامور للسلطان ملكشاه سار الى ترمذ وحصرها وطم العسكر خندقها ورماها بالمجانيق فخاف من بها فطلبوا الامان فامنهم وخرجوا منها وسلموها وكان بها اخ لخاقان التكين فاكرمه السلطان وخلع عليه واحسن اليه واطلقه وسلم قلعة ترمذ الى الامير ساوتكين وامره بعمارتها وتحصينها وعمارة سورها بالحجر المحكم وحفر خندقها وتعميقه ففعل ذلك وسار السلطان ملكشاه يريد سمرقند ففارقها صاحبها وانفذ يطلب المصالحة و يضرع الى نظام الملك في اجابته الى ذلك و يعتذر من تعرضه الى ترمذ فاجيب الى ذلك واصطلحوا وعاد ملكشاه عنه الى خراسان ثم منها الى الري واقطع بلخ وطخارستان لاخيه شهاب الدين تكش

(ذكر عدة حوادث)

فيها توفي زعيم الدولة ابو الحسن بن عبد الرحيم بالنيل فجاءة وله سبعون سنة وقد تقدم من اخباره ما فيه كفاية وفيها توفي اياز أخو السلطان ملكشاه وكفي شره كما كفي شر عمه قاورت ملك وفيها في ربيع الاول توفي القاضي ابو الحسين بن ابي جعفر السمناني حمو قاضي القضاة ابي عبد الله الدامغاني وولي ابنه ابو الحسن ما كان اليه من القضاء بالعراق والموصل وكان مولده سنة اربع وثمانين وثلثمائة بسمنان وكان هو وابوه من المغالين في مذهب الاشعري ولابيه فيه تصانيف كثيرة وهذا مما يستطرف ان يكون حنفي اشعريا وفيها في جمادى الآخرة توفي عبد العزيز احمد بن محمد بن علي

بولعدفى بيتهم الكبير بالازبكية ولما توفي السيد محمد افندي اشتغل المترجم بالسكنى في الدار الى ان حضر الفرنساوية فخرج مع من خرج من مصر الى ناحية الشام ونهبت كتبه وداره ثم رجع بامان في أيام الفرنساوية فوجد الدار قد سكنها الفرنساوية فاشترى دارا غيرها بخطة عابدين وجددها نظامه ولما حصلت حادثة عسكر الاروام العثمانية مع الامراء المصريين التي خرج فيها ابراهيم بك والبرديسي وأمراؤهم نهبت داره المذكورة أيضا فيما نهب فانتقل الى ناحية الازهر ثم سكن بحارة السبع قاعات بالاجرة واقتنى كتبا شراء واستكتابا وجمع عدة أجزاء متفرقة من تاريخ مرآة الزمان لابن الجوزي وخطط المقريزي وغيرها الى ان اخترمته المنية ومات فجاءة يوم الثلاثاء في ثاني عشرين رجب من السنة قبيل الغروب وصلى عليه في صبحها بالازهر في مشهد حافل ودفن بتربة البكرية ظاهر قبة الامام الشافعي وكان انسانا حسنا محبوبا لجميع الناس وجيه الذات مليح الصفات حسن المفاكهة والمعاشرة متوقد الفطنة صادق الفراسة ساكن الجأش وقورا اديبا محتشما وخلف من بعده السيد محمد المعروف بالغزاوي المرزوق له من ابنة سيده المذكور لسكونه ولد بغزة حين كانوا بالشام أنشأه الله انشاء صالحا و بارك فيه

ابو

ابو محمد الكتاني الدمشقي الحافظ وكان مكثرا في الحديث ثقة وممن سمع منه الخطيب ابو بكر البغدادي

(ثم دخلت سنة سبع وستين وأربعمائة)

(ذكر وفاة القائم بامر الله وذكر بعض سيرته)

في هذه السنة ليلة الخميس ثالث عشر شعبان توفي القائم بامر الله أمير المؤمنين رضي الله عنه واسمه عبد الله ابو جعفر بن القادر بالله أبي العباس أحمد ابن الامير اسحق بن المقتدر بالله ابي الفضل جعفر بن المعتضد بالله ابي العباس احمد وكان سبب موته انه كان قد اصابه ماشرا فافتصد ونام منفردا فانفجر فصاده وخرج منه دم كثير ولم يشعر فاستيقظ وقد ضعف وسقطت قوته فايقن بالموت فاحضر ولي العهد ووصاه بوصايا واحضر النقيبين وقاضي القضاة وغيرهم مع الوزير ابن جهير واشهدهم على نفسه انه جعل ابن ابنه ابا القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بامر الله ولي عهده ولما توفي غسله الشريف ابو جعفر ابن ابي موسى الهاشمي وصلى عليه المقتدي بامر الله وكان عمره ستا وسبعين سنة وثلاثة اشهر وخمسة ايام وخلافته اربعا واربعين سنة وثمانية اشهر وايام وقيل كان مولده ثامن عشر ذي الحجة سنة احدى وتسعين وثلثمائة وعلى هذا يكون عمره ستا وسبعين سنة وتسعة اشهر وخمسة وعشرين يوما وامه ام ولد تسمى قطر الندى ارمنية وقيل رومية ادركت خلافته وقيل اسمها علم وماتت في رجب سنة اثنتين وخمسين واربعمائة وكان القائم جميلا مليح الوجه ابيض مشربا بحمرة حسن الجسم ورعا دينا زاهدا عالما قوي اليقين بالله تعالى كثير الصبر وكان للقائم عناية بالادب ومعرفة حسنة بالكتابة ولم يكن يرتضي اكثر ما يكتب من الديوان فكان يصلح فيه اشياء وكان مؤثرا للعدل والانصاف يريد قضاء حوائج الناس لا يرى المنع من شيء يطلب منه قال محمد بن علي بن عامر الوكيل دخلت يوما الى المخزن فلم يبق أحد الا اعطاني قصة فامتلأت اكمامي منها فقلت في نفسي لو كان الخليفة أخي لاعرض عن هذه كلها فالقيتها في بركة والقائم ينظر ولا أشعر فلما دخلت اليه أمر الخدم باخراج الرقاع من البركة فاخرجت ووقف عليها ووقع فيها باغراض أصحابها ثم قال لي يا عامي ما حملك على هذا فقلت خوف الضجر منها فقال لا تعد الى مثلها فانا ما أعطيناهم من أموالنا شيئا انما نحن وكلاء ووزر للقائم أبو طالب محمد بن أيوب وأبو الفتح بن دارست ورئيس الرؤساء وأبو نصر بن جهير وكان قاضيه ابن ماكولا وأبو عبد الله الدامغاني

(ذكر خلافة المقتدي بامر الله)

لما توفي القائم بامر الله بويع المقتدي بامر الله عبد الله بن محمد بن القائم بالخلافة وحضر مؤيد الملك بن نظام الملك والوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة والشيخ أبو اسحق وأبو نصر بن الصباغ ونقيب النقباء طراد والنقيب الطاهر المعمر بن محمد وقاضي القضاة أبو عبد الله الدامغاني وغيرهم من الاعيان والاماثل فبايعوه وقيل كان

ومات الامير الكبير والضرغام الشهير محمد بك الالفي المرادي جلبه بعض التجار الى مصر في سنة تسع وثمانين ومائة والف فاشتراه أحمد جاويش المعروف بالمجنون فاقام بيته اياما فلم تعجبه أوضاعه لكونه كان جماحا سفيها مازحا فطلب منه بيع نفسه فباعه لسليم أغا الغزاوي المعروف بتمرلنك فاقام عنده شهورا ثم اهداه الى مراد بك فاعطاه في نظيره ألف اردب من الغلال فلذلك سمي بالالفي وكان جميل الصورة فاحبه مراد بك وجعله جوخداره ثم أعتقه وجعله كاشفا بالشرقية وعمر دارا بناحية الخطة المعروفة بالشيخ ضلام وانشا هنالك حماما بتلك الخطة عرفت به وكان صعب المراس قوي الشكيمة وكان بجواره على اغا المعروف بالتوكلي فدخل عليه وتشفع عنده في أمر فقبل رجاءه ثم نكث فحنق منه واحتد ودخل عليه في داره يعادره ويعاتبه فرد عليه بغلظة فامر الخدم بضربه فبطحوه وضربوه بالعصي المعروفة بالنبابيت فتالم لذلك ومات بعد يومين فشكوه الى استاذه مراد بك فنفاه الى بحري فعسف بالبلاد مثل فوة ومطوبس وبارنبال ورشيد واخذ منهم ارزا واموالا فتشكوا منه الى أستاذه وكان يحبه لذلك وفي اثناء ذلك وقع خلاف بمصر بين الامراء ونفوا سليمان بك الاغا وأخاه ابراهيم بك ومصطفى بك كما ذكر ذلك في محله وارسل اليه مراد بك وأمره ان يتعين

اوّل من بايعه الشريف أبو جعفر بن ابى موسى الهاشمى فانه لما فرغ من غسل القائم بايعه وانشده

* اذا سيد منا مضى قام سيد *

ثم ارتج عليه فقال المقتدى * قؤول بما قال الكرام فعول *

فلما فرغوا من البيعة صلى بهم العصر ولم يكن للقائم من أعقابه ذكر سواه فان الذخيرة أبا العباس محمد بن القائم توفى ايام أبيه ولم يكن له غيره فايقن الناس بانقراض نسله وانتقال الخلافة من البيت القادرى الى غيره ولم يشكوا فى اختلال الاحوال بعد القائم لان من عدا البيت القادرى كانوا يخالطون العامة فى البلد ويجرون مجرى السوقة فلو اضطر الناس الى خلافة احدهم لم يكن له ذلك القبول ولا تلك الهيبة فقدر الله تعالى ان الذخيرة أبا العباس كان له جارية اسمها ارجوان وكان يلم بها فلما توفى ورأت ما نال القائم من المصيبة واستعظمه من انقراض عقبه ذكرت انها حامل فتعلقت النفوس بذلك فولدت بعد موت سيدها بستة أشهر المقتدى فاشتد فرح القائم وعظم سروره وبالغ فى الاشفاق عليه والمحبة له فلما كان حادثة البساسيرى كان للمقتدى قريب اربع سنين فاخفاه اهله وحمله أبو الغنائم بن المحلبان الى حران كما ذكرنا ولما عاد القائم الى بغداد أعيد المقتدى اليه فلما بلغ الحلم جعله ولى عهد ولما ولى الخلافة اقر فخر الدولة بن جهير على وزارته بوصية من القائم بذلك وسير عميد الدولة بن فخر الدولة ابن جهير الى السلطان ملكشاه لاخذ البيعة وكان مسيره فى شهر رمضان وارسل معه من انواع الهدايا ما يجل عن الوصف

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى شوال وقعت نار ببغداد فى دكان خباز بنهر المعلى فاحترقت من السوق مائة وثمانون دكانا سوى الدور ثم وقعت نار فى المامونية ثم فى الظفرية ثم فى درب المطبخ ثم فى دار الخليفة ثم فى حمام السمرقندى ثم فى باب الازج ودرب خراسان ثم فى الجانب الغربى فى نهر طابق ونهر القلائين والقطيعة وباب البصرة واحترق ما لا يحصى وفيها ارسل المستنصر بالله العلوى صاحب مصر الى صاحب مكة ابن ابى هاشم رسالة وهدية جليلة وطلب منه ان يعيد له الخطبة بمكة حرسها الله تعالى وقال ان أيمانك وعهودك كانت للقائم وللسلطان الب ارسلان وقد ماتا فخطب له بمكة وقطع خطبة المقتدى وكانت مدة الخطبة العباسية بمكة اربع سنين وخمسة اشهر ثم اعيدت فى ذى الحجة سنة ثمان وستين وفيها كانت حرب شديدة بين بنى رياح وزغبة ببلاد افريقية فقويت بنو رياح على زغبة فهزموهم واخرجوهم من البلاد وفيها جمع نظام الملك والسلطان ملكشاه جماعة من اعيان المنجمين وجعلوا النيروز اول نقطة من الحمل وكان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت وصار ما فعله السلطان مبدأ التقاويم وفيها أيضا عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من أعيان المنجمين فى عمله منهم

على مصطفى بك ويذهب بها الى سكندرية منفيا ثم يعود هو الى مصر ففعل ورجع المترجم الى مصر فعند ذلك قلدوه الصنجقية وذلك فى سنة اثنتين وتسعين ومائة والف واشتهر بالفجور فخافته الناس وتحاموا شدته وسكن أيضا بدار بناحية قيصون وذلك عندما اتسعت دائرته وهدم داره القديمة ايضا ووسعها وأنشاها انشاء جديدا واشترى المماليك الكثيرة وامر منهم امراء وكشافا فنشؤا على طبيعة استاذهم فى التعدى والعسف والفجور ويخافون من تجبره عليهم والتزم باقطاع فرشوط وغيرها من البلاد القبلية ومن البلاد البحرية محلة دمنة وميت مزوبروغيرها وتقلد كشوفية شرقية بلبيس ونزل اليها وكان يغير على ما بتلك الناحية من اقطاعات وغيرها واخاف جميع عربان تلك الجهة وجميع قبائل الناحية ومنعهم من التعدى والجور على الفلاحين بتلك النواحى حتى خافه الكثير من العربان والقبائل وكانوا يخشونه وصادهم باشراك منهم وقبض على الكثير من كبرائهم وحبسهم فى الجنازير وصادرهم فى أموالهم ومواشيهم وفرض عليهم المغارم والجمال ولم يزل على حالته وسطوته الى ان حضر حسن باشا الجزايرلى الى مصر فخرج المترجم مع عشيرته الى ناحية قبلى ثم رجع معهم فى اواخر سنة خمس ومائتين بعد الالف بعد الطاعون الذى مات فيه اسمعيل بك وذلك بعد

عمر بن ابراهيم الخيامى وأبو المظفر الاسفزارى وميمون بن النجيب الواسطى وغيرهم وخرج عليه من الاموال شئ عظيم وبقى الرصد دائرا الى ان مات السلطان سنة خمس وثمانين واربعمائة فبطل بعد موته

(ثم دخلت سنة ثمان وستين واربعمائة)

(ذكر ملك الاقسيس دمشق)

قد ذكرنا سنة ثلاث وستين ملك اقسيس الرملة والبيت المقدس وحصره مدينة دمشق فلما عاد عنها جعل يقصدها مع اعماله كل سنة عند ادراك الغلات فياخذها فيقوى هو وعسكره ويضعف اهل دمشق وجندها فلما كان رمضان سنة سبع وستين سار الى دمشق فحصرها واميرها المعلى بن حيدرة من قبل الخليفة المستنصر فلم يقدر عليها فانصرف عنها فى شوال فهرب اميرها المعلى فى ذى الحجة وكان سبب هربه انه اساء السيرة مع الجند والرعية وظلمهم فكثر الدعاء عليه وثار به العسكر واعانهم العامة فهرب منهما الى بانياس ثم منها الى صور ثم اخذ الى مصر فحبس بها فمات محبوسا فلما هرب من دمشق اجتمعت المصامدة وولوا عليهم انتصار بن يحيى المصمودى المعروف برزين الدولة وغلت الاسعار بها حتى أكل الناس بعضهم بعضا ووقع الخلف بين المصامدة وأحداث البلد وعرف اقسيس ذلك فعاد الى دمشق فنزل عليها فى شعبان من هذه السنة فحصرها فعدمت الاقوات فبيعت الغرارة اذا وجدت باكثر من عشرين دينارا فسلموها اليه بامان وعوض انتصار عنها بقلعة بانياس ومدينة يافا من الساحل ودخلها هو وعسكره فى ذى القعدة وخطب بها يوم الجمعة لخمس بقين من ذى القعدة للمقتدى بامر الله الخليفة العباسى وكان آخر ما خطب فيها للعلويين المصريين وتغلب على اكثر الشام ومنع الاذان بحى على خير العمل ففرح اهلها فرحا عظيما وظلم اهلها واساء السيرة فيهم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ملك نصر بن محمود بن مرداس مدينة منبج واخذها من الروم وفيها قدم سعد الدولة كوهرائين شحنة الى بغداد من عسكر السلطان ومعه العميد ابو نصر ناظرا فى اعمال بغداد وفيها وثب الجند بالبطيحة على اميرها ابى نصر بن الهيثم وخالفوا عليه فهرب منهم وخرج من ملكه والذخائر والاموال التى جمعها فى المدة الطويلة ولم يصحبه من ذلك جميعه شئ وصار نزيلا على كوهرائين شحنة العراق وفيها انفجر البثوق بالفلوجة وانقطع الماء من النيل وغيره من تلك الاعمال من بلاد دبيس بن مزيد فجلا اهل البلاد ووقع الوباء فيهم ولم يزل كذلك الى ان سده عميد الدولة بن جهير سنة اثنتين وسبعين وفى هذه السنة توفى ابو على الحسن بن القاسم بن محمد المقرى المعروف بغلام الهراس الواسطى بها وكان محدثا علامة فى كثير من العلوم وفى شعبان توفى القاضى ابو الحسين محمد بن محمد البيضاوى الفقيه الشافعى وكان يدرس الفقه بدرب السلولى

اقامتهم بالصعيد زيادة عن اربع سنوات فى تلك المدة ترزن عقله وانهضمت نفسه وتعلق قلبه بمطالعة الكتب والنظر فى جزئيات العلوم والفلكيات والهندسيات واشكال الرمل والزايرجات والاحكام النجومية والتقاويم ومنازل القمر وأنوائها ويسال عمن له المام بذلك فيطلبه ليستفيد منه واقتنى كتبا فى انواع العلوم والتواريخ واعتكف بداره القديمة ورغب فى الانفراد وترك الحالة التى كان عليها قبل ذلك واقتصر على مماليكه والاقطاعات التى بيده واستمر على ذلك مدة من الزمان فثقل هذا الامر على أهل دائرته وبدا يصغر فى اعين خشداشينه ويضعف جانبه وضقوا بما كثونه وتجاسروا عليه وطمعوا فيما لديه وتطلع أدونهم للترفع عليه فلم يسهل به ذلك واستعمل الامر الاوسط وسكن بدار أحمد جاويش المجنون بدرب سعادة وعمر القصر الكبير بمصر القديمة بشاطئ النيل تجاه المقياس وانشا ايضا قصرا فيما بين باب النصر والدمرداش وجعل غالب اقامته فيهما واكثر من شراء المماليك وصار يدفع فيهم الاموال الكثيرة للجلابين ويدفع لهم اموالا مقدما يشترونهم بها وكذلك الجوارى حتى اجتمع عنده نحو الالف مملوك خلاف الذى عند كشافه وهم نحو الاربعين كشفا الواحد منهم دائرته قدر دائرة صنجق من

ج يخ مل عا

بالكرخ وهو زوج ابنة القاضي ابى الطيب الطبرى وعبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود ابو الحسن بن ابى طلحة الداودى راوى صحيح البخارى ولد سنة اربع وسبعين وثلثمائة وسمع الحديث وتفقه للشافعى على ابى بكر القفال وابى حامد الاسفراينى وصحب اباعلى الدقاق وأباعبد الرحمن السلمى وكان عابدا خيرا قصده نظام الملك فجلس بين يديه فوعظه وكان فى قوله ان الله تعالى سلطك على عباده فانظر كيف تجيبه اذا سالك عنهم فبكى وكان موته ببوشنج وفيها توفى ابو الحسن على بن احمد بن محمد ابن متويه الواحدى المفسر مصنف الوسيط والبسيط والوجيز فى التفسير وهو نيسابورى امام مشهور وأبو الفتح منصور بن أحمد بن دارست وزير القائم توفى بالاهواز ومحمد بن القاسم بن حبيب بن عبدوس أبو بكر الصفار النيسابورى الفقيه الشافعى تفقه على ابى محمد الجوينى وسمع من الحاكم أبى عبد الله وأبى عبد الرحمن السلمى وغيرهما وفيها توفى مسعود بن المحسن بن الحسن بن عبد الرزاق أبو جعفر البياضى الشاعر له شعر مطبوع فمنه قوله

يامن لبست لبعده ثوب الضنا * حتى خفيت به عن العواد
وانست بالسهر الطويل فانسيت * اجفان عينى كيف كان رقادى
ان كان يوسف بالجمال مقطع الا * يدى فانت مفتت الاكباد

(ثم دخلت سنة تسع وستين واربعمائة)

(ذكر حصر اقسيس مصر وعوده عنها)

فى هذه السنة سار الاقسيس من دمشق الى مصر وحصرها وضيق على اهلها ولم يبق غير ان يملكها فاجتمع اهلها مع ابن الجوهرى الواعظ فى الجامع وبكوا وتضرعوا ودعوا فقبل الله دعاءهم فانهزم الاقسيس من غير قتال وعاد على اقبح صورة بغير سبب فوصل الى دمشق وقد تفرق اصحابه فرأى اهلها قد صانوا مخلفيه وامواله فشكرهم ورفع عنهم الخراج ثلث السنة واتى البيت المقدس فرأى اهله قد قبحوا على اصحابه ومخلفيه وحصروهم فى محراب داود عليه السلام فلما قارب البلد تحصن اهله منه وسبوه فقاتلهم ففتح البلد عنوة ونهبه وقتل من اهله فاكثر حتى قتل من التجا الى المسجد الاقصى وكف عمن كان عند الصخرة وحدها هكذا يذكر الشاميون هذا الاسم اقسيس والصحيح انه اتسز وهو اسم تركى وقد ذكر بعض مؤرخى الشام ان اتسز لما وصل الى مصر جمع امير الجيوش بدر الجمالى العساكر واستمد العرب وغيرهم من اهل البلاد فاجتمع معه خلق كثير واقتتلوا فانهزم اتسز وقتل اكثر اصحابه وقتل اخ له وقطعت يد اخ آخر وعاد منهزما الى الشام فى نفر قليل من عسكره فوصل الى الرملة ثم سار منها الى دمشق وحكى لى من اثق به عن جماعة من فضلاء مصر ان اتسز لما وصل الى مصر ونزل بظاهر القاهرة اساء اصحابه السيرة فى الناس وظلموهم واخذوا اموالهم وفعلوا الافاعيل القبيحة فارسل رؤساء القرى وقدموها الى الخليفة المستنصر بالله العلوى يشكون اليه ما نزل

الامراء السابقين وكل مدة قليلة يزوج من يختاره من مماليكه لمن تصلح له من الجوارى ويجهزهم بالجهاز الفاخر ويسكنهم الدور الواسعة ويعطيهم الاقطاعات والمناصب وقلد كشوفية الشرقية لبعض مماليكه ترفعا لنفسه عن ذلك وينزل هو اليهم ايضا على سبيل التروح وبنى له قصرا خارج بلبيس وآخر بالدماهين واخمد شوكة عربان الشرق وجبى منهم الاموال والجمال واخمد ناموسهم الذى كان يغشى ابدان الفلاحين وارواحهم واضعف شوكتهم واخفى صولتهم وكان يقيم بناحية الشرق شهورا ثلاثة اواربعة ثم يعود الى مصر واصطنع قصرا من خشب مفصلا قطعا ويركب بشناكل واغر به متينة قوية يحمل على عدة جمال فاذا اراد النزول فى محطة تقدم الفراشون وركبوه خارج الصيوان فيصير مجلسا لطيفا يصعد اليه بثلاث درج مفروش بالطنافس والوسائد يسع ثمانية اشخاص وهو مسقوف وله شبابيك من الاربع جهات تفتح وتغلق بحسب الاختيار وحوله الاسرة من كل جانب وكل ذلك من داخل دهليز الصيوان وكان له داران بالازبكية احداهما كانت لرضوان بك بلفيا والاخرى للسيد احمد بن عبد السلام فبداله فى سنة اثنتى عشرة ومائتين والف ان ينشئ دارا عظيمة خلاف ذلك بالازبكية فاشترى قصر ابن السيد

بهم فاعاد الجواب بانه عاجز عن دفع هذا العدو فقالوا له نحن نرسل اليك من عندنا من الرجال المقاتلة يكونون معك ومن ليس له سلاح نعطيه من عندك سلاحا وعسكر هذا العدو قد أمنوا وتفرقوا فى البلاد فنثور بهم فى ليلة واحدة ونقتلهم وتخرج أنت اليه فمن اجتمع عندك من الرجال فلا يكون له ملك قوة فاجابهم الى ذلك وارسلوا اليه الرجال وثاروا كلهم فى ليلة واحدة بمن عندهم فاوقعوا بهم وقتلوهم عن آخرهم ولم يسلم منهم الا من كان عنده فى عسكره وخرج اليه العسكر الذى عند المستنصر بالقاهرة فلم يقدر على الثبات لهم فولى منهزما وعاد الى الشام وكفى اهل مصر شره وظلمه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ورد بغداد ابو نصر ابن الاستاذ ابى القاسم القشيرى حاجا وجلس فى المدرسة النظامية يعظ الناس وفى رباط شيخ الشيوخ وجرى له مع الحنابلة فتن لانه تكلم على مذهب الاشعرى ونصره وكثر اتباعه والمتعصبون له وقصد خصومه من الحنابلة ومن تبعهم سوق المدرسة النظامية وقتلوا جماعة وكان من المتعصبين للقشيرى الشيخ ابو اسحق وشيخ الشيوخ وغيرهما من الاعيان وجرت بين الطائفتين امور عظيمة وفيها تزوج الامير على بن ابى منصور بن فرامرز بن علاء الدولة ابى جعفر بن كاكويه ارسلان خاتون بنت داود عمة السلطان ملكشاه التى كانت زوجة القائم بامر الله وفيها كان بالجزيرة والعراق والشام وباء عظيم وموت كثير حتى بقى من كثير الغلات ليس لها من يعملها لكثرة الموت فى الناس وفيها مات محمود بن مرداس صاحب حلب وملك بعده ابنه نصر فمدحه ابن حيوس بقصيدة يقول فيها

ثمانية لم تفترق مذ جمعتها ‎*‎ فلا افترقت ماذب عن ناظر شفر
ضميرك والتقوى وجودك والغنى ‎*‎ ولفظك والمعنى وعزمك والنصر
وكان لمحمود ابو نصر سعية ‎*‎ وغالب ظنى ان سيخلفها نصر

فقال والله لو قال سيضعفها نصر لاضعفتها له وأمر له بما كان يعطيه ابوه وهو الف دينار فى طبق فضة وكان على بابه جماعة من الشعراء فقال بعضهم

على بابك المعمور منا عصابة ‎*‎ مفاليس فانظر فى امور المفاليس
وقد قنعت منك العصابة كلها ‎*‎ بعشر الذى اعطيته لابن حيوس
وما بيننا هذا التفاوت كله ‎*‎ ولكن سعيد لا يقاس بمنحوس

فقال لو قال بمثل الذى اعطيته لاعطيتهم ذلك وامر لهم بمثل نصفه وفيها توفى اسبهدوست ابن محمد بن الحسن أبو منصور الديلمى الشاعر وكان قد لقى ابن الحجاج وابن نباتة وغيرهما وكان يتشيع وتركه وقال فى ذلك

واذا سئلت عن اعتقادى قلت ما ‎*‎ كانت عليه مذاهب الابرار
وأقول خير الناس بعد محمد ‎*‎ صديقه وانيسه فى الغار

وفيها توفى رئيس العراقين ابو احمد النهاوندى الذى كان عميد بغداد والشريف ابو جعفر

سعودتى الذى بخطة الساكن فيما بينه وبين قنطرة الدكة من احمد أغا شويكار وهدمه واوقف فى شيادته على العمارة كتخدا هذا القفاز ارسله قبل مجيئه من ناحية الشرقية ورسم له صورة وضعه فى كاغد كبير فاقام جدرانه وحيطانه وحضر هو فى أثناء ذلك فوجده قد اخطأ الرسم فاغتاظ وهدم غالب ذلك وهندسه على مقتضى عقله واجتهد فى بنائه واوقف اربعة من كبار امرائه على تلك العمارة كل امير فى جهة من جهاته الاربع يحثون الصناع ومعهم اكثر أتباعهم ومماليكهم وعملوا عدة قمن لحرق الاحجار وعمل النورة وكذلك ركب طواحين الجبس لطحنه وكل ذلك بجانب العمارة وقطعوا الاحجار الكبار ونقلوها فى المراكب من طرا الى جنب العمارة بالازبكية ثم نشروها بالمناشير الواحا كبارا للتبليط الارض وعمل الدرج والفسحات واحضروا لها الاخشاب المتنوعة من بولاق واسكندرية ورشيد ودمياط واشترى بيت حسن كتخدا الشعراوى المطل على بركة الرطلى من عتقائه وهدمه ونقل اخشابه وانقاضه الى العمارة وكذا نقلوا اليه انواع الرخام والاعمدة ولم يزل الاجتهاد فى العمل حتى تم على المنوال الذى اراده ولم يجعل له خرجات ولا حومدانات بارزة عن اصل البناء ولا رواشن بل جعله سادجا حرصا على المتانة وطول البقاء ثم ركبوا على فرجاته

ابن أبي موسى الهاشمي الحنبلي ورزق الله بن محمد بن احمد بن على ابو سعد الانبارى الخطيب الفقيه الحنفي سمع الحديث الكثير وكان ثقة حافظا وطاهر بن احمد بن بابشاذ النحوى المصرى توفى فى رجب سقط من سطح جامع عمرو بن العاص بمصر فمات لوقته وعبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن احمد المعروف بابن هزارمرد الصريفيني راوية احاديث على بن الجعد وهو آخر من رواها وكان ثقة صالحا ومن طريقه سمعناها

(ثم دخلت سنة سبعين وأربعمائة)

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ورد مؤيد الملك بن نظام الملك الى بغداد من العسكر وفيها اصطلح تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية مع الناصر بن علناس وهو من بنى حماد عمهم جده وزوجه تميم ابنته بلارة وسيرها اليه من المهدية فى عسكر واصحبها من الحلى والجهاز مالا يحد وحمل الناصر ثلاثين الف دينار فاخذ منها تميم دينارا واحدا ورد الباقى وفيها استعمل تميم ابنه مقادا على مدينة طرابلس الغرب وكان ببغداد فى هذه السنة فتنة بين اهل سوق المدرسة وسوق الثلاثاء بسبب الاعتقاد فنهب بعضهم بعضا وكان مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداد بالدار التى عند المدرسة فارسل الى العميد والشحنة فحضروا ومعهم الجند فضربوا الناس فقتل بينهم جماعة وانفصلوا وفى هذه السنة فى ربيع الاول توفى القاضى ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن البيضاوى الفقيه الشافعى وكان القاضى ابو الطيب الطبرى جده لامه وفيها توفى احمد بن محمد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن النقور ابو الحسين البزاز فى رجب وكان مكثرا من الحديث ثقة فى الرواية واحمد بن عبد الملك بن على ابو صالح المؤذن النيسابورى كان يعظ و يؤذن وكان كثير الرواية حافظا ومولده سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وعبد الرحمن بن محمد بن اسحق بن محمد بن يحيى بن منده الاصبهانى ابو القاسم بن ابى عبد الله الحافظ له تصانيف كثيرة منها تاريخ اصبهان وله طائفة ينتمون اليه فى الاعتقاد من اهل اصبهان يقال لهم العبدرحمانية وفى شوال منها توفيت ابنة نظام الملك زوجة عميد الدولة بن جهير نفساء بولد مات من يومه ودفنا بدار الخلافة ولم تجر بذلك عادة لاحد فعل ذلك اكراما لابيها وجلس الوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة زوجها للعزاء فى دار بباب العامة ثلاثة ايام

(ثم دخلت سنة احدى وسبعين وأربعمائة)

(ذكر عزل ابن جهير من وزارة الخليفة)

فى هذه السنة عزل فخر الدولة ابو نصر بن جهير من وزارة الخليفة المقتدى بامر الله ووزر بعده ابو شجاع محمد بن الحسين وكان السبب فى ذلك ان ابا نصر بن القشيرى ورد الى بغداد على ما تقدم ذكره وجرى له الفتن مع الحنابلة لما ذكر مذهب الاشعرية ونصره وعاب من سواهم وفعلت الحنابلة ومن معهم ما ذكرناه فنسب اصحاب نظام الملك ما جرى الى الوزير فخر الدولة والى الخدم وكتب ابو الحسن محمد بن على بن ابى الصقر

الواسطى

المطلة على البركة والبستان والرحبة الشبابيك الخرط المصنعة وركبوا عليها شرائح الزجاج ووضع به التحف والاشياء والتحف العظيمة التى أهداها اليه الافرنج وعملوا بقاعة الجلوس سفلى فسقية عظيمة لسلسبيل من الرخام قطعة واحدة ونوفرة كبيرة حولها نوفرات من الصفر يخرج الماء من أفواهها وجعل بها حمامين علويا وسفليا وبنوا بدائر حوشه عدة كبيرة من الطباق السكنى المماليك وجعله دورا واحدا ولما تم البناء والبياض والدهان فرشه بانواع الفرش والوسائد والمساند والستائر المقصبات وجعل خلفه بستانا عظيما وانشابه جملونا مستطيلا متسعا بدكك واعمدة وهو من الجهة البحرية ينتهى آخره الى الدور المتصلة بقنطرة الدكة واهدى اليه أيضا الافرنج فسقية رخام فى غاية العظم فيها صورة أسماك مصورة يخرج من افواهها الماء جعلها بالبستان وتجز البناء والعمل وسكن به هو وعياله وحريمه فى آخر شهر شعبان من سنة اثنتى عشرة واستهل شهر رمضان فاوقدوا فيها الوقدات والاحمال المثلثة بالقناديل بدائر الحوش والرحبة الخارجة وكذلك بقاعة الجلوس أحمال النجف والشموع والعجب والغيارات الزجاج وهنته الشعراء وقضم مولانا الاستاذ الفاضل الشيخ

الواسطي الفقيه الشافعي الى نظام الملك

يا نظام الملك قد حل ببغداد النظام ... وبنى القاطن فيها * مستهان مستضام
وبها اودى له قتلى غلام وغلام ... والذي منهم تبقى * سالما فيه سهام
يا قوام الدين لم يبق ببغداد مقام ... عظم الخطب وللحرب * اتصال ودوام
فمتى لم تحسم الداء * اياديك الحسام ... ويكف القوم في بغداد قتل وانتقام
فعلى مدرستة فيها * ومن فيها السلام ... واعتصام بحريم * لك من بعد حرام

فلما سمع نظام الملك ما جرى من الفتن وقصد مدرسته والقتل بجوارها مع ان ابنه مؤيد الملك فيها عظم عليه فاعاد كوهرائين الى شحنكية العراق وحمله رسالة الى الخليفة المقتدي بامر الله تتضمن الشكوى من بني جهير وسال عزل فخر الدولة من الوزارة وامر كوهرائين باخذ اصحاب بني جهير وايصال المكروه اليهم والى حواشيهم فسمع بنو جهير الخبر فسار عميد الدولة الى المعسكر يريد نظام الملك ليستعطفه وتجنب الطريق وسلك الجبال خوفا ان يلقاه كوهرائين ويناله فيه اذى فلما وصل كوهرائين الى بغداد اجتمع بالخليفة وابلغه رسالة نظام الملك فامر فخر الدولة بلزوم منزله ووصل عميد الدولة الى المعسكر السلطاني ولم يزل يستصلح نظام الملك حتى عاد الى ما الفه منه وزوجه بابنة بنت له وعادا الى بغداد في العشرين من جمادى الاولى فلم يرد الخليفة اياه الى وزارته وامرهما بملازمة منازلهما واستوزر اباشجاع محمد بن الحسين ثم ان نظام الملك راسل الخليفة في اعادة بني جهير الى الوزارة وشفع في ذلك فاعيد عميد الدولة الى الوزارة واذن لابيه فخر الدولة في فتح بابه وكان ذلك في صفر سنة اثنتين وسبعين

(ذكر استيلاء تتش على دمشق)

في هذه السنة ملك تاج الدولة تتش بن الب ارسلان دمشق وسبب ذلك ان اخاه السلطان ملكشاه اقطعه الشام وما يفتحه في تلك النواحي سنة سبعين واربعمائة فاتى حلب وحصرها ولحق اهلها مجاعة شديدة وكان معه جمع كثير من التركمان فانفذ اليه الاقسيس صاحب دمشق يستنجده ويعرفه ان عساكر مصر قد حصرته بدمشق وكان امير الجيوش بدر قد سير عسكرا من مصر ومقدمهم قائد يعرف بنصر الدولة فحصر دمشق فارسل اقسيس الى تاج الدولة تتش يستنصره فسار الى نصرة الاقسيس فلما سمع المصريون بقربه اجفلوا من بين يديه شبه المنهزمين وخرج الاقسيس اليه يلتقيه عند سور البلد فاغتاظ منه تتش حيث لم يبعد في تلقيه وعاتبه على ذلك فاعتذر بامور لم يقبلها تتش فقبض عليه في الحال وقتله من ساعته وملك البلد واحسن السيرة في اهله وعدل فيهم وقد ذكر ابن الهمذاني وغيره من العراقيين ان ملك تتش دمشق كان هذه السنة وذكر الحافظ ابو القاسم بن عساكر الدمشقي في كتاب تاريخ دمشق ان ملكه اياها كان سنة اثنتين وسبعين

(ذكر عدة حوادث)

حسن العطار تاريخ القاعة الجلوس في بيتين نقشوهما بالازميز على اسكفة

باب القاعة وموهوهما بالذهب وهما

شموس التهاني قد اضاءت بقاعة ... محاسنها للعين تزداد بالالف
على بابها قال السرور مؤرخا ... سما اسعادا تى تجدد بالالف

وازدحمت خيول الامراء ببابه فاقام على ذلك الى منتصف شهر رمضان وبدا له السفر الى الشرقية فابطلوا الوقدة واطفؤا السرج والشموع فكان ذلك فالا فكانت مدة سكناه به ستة عشر يوما بلياليها وانما اطنبنا في ذكر ذلك ليعتبر اولوا الالباب ولا يجتهد العاقل في تعمير الخراب وفي اثناء غيبته بالشرقية وصلت الفرنساوية الى الاسكندرية ثم الى مصر وجرى ما جرى مما سبق ذكره وذهب مع عشيرته الى قبلي وعند وصول الفرنساوية الى برانبابة بالبر الغربي وتحاربوا مع المصريين ابلى المترجم وجنده في تلك الواقعة بلاء حسنا وقتل من كشافه ومماليكه عدة وافرة ولم يزل مدة اقامة الفرنساوية بمصر ينتقل في الجهات القبلية والبحرية والشرقية والغربية ويعمل معهم مكايد ويصطاد منهم بالمصايد ولما وصل عرضي الوزير الى ناحية الشام ذهب اليه وقابله وانعم عليه وكان معه رؤساء من الفرنساوية وعدة اسرى واسد عظيم اصطاده في سروحه فشكره الوزير وخلع عليه الخلع السنية واقام بعرضيه

في هذه السنة ولد الملك بركيارق ابن السلطان ملكشاه وفيها في المحرم وصل سعد الدولة كوهرائين الى بغداد وضرب الطبل على باب داره اوقات الصلاة وكان قد طلب ذلك من قبل فلم يجب اليه لانه لم تجربه عادة وفيها توفي سيف الدولة ابو النجم بدر بن ورام الكردي الجاواني في شهر ربيع الاول ودفن بطسفونج وفي رجب توفي ابو علي بن البناء المقرى الحنبلي وله مصنفات كثيرة وسليم الجوري بناحية جو رمن دجيل وكان زاهدا يعمل ويأكل من كسبه ولم يكلف احدا حاجة وأقام بطنزة من ديار بكر وهي كثيرة الفواكه فلم يأكل بها فاكهة البتة

(ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين واربعمائة)

(ذكر فتوح ابراهيم صاحب غزنة في بلاد الهند)

في هذه السنة غزا الملك ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين بلاد الهند فحصر قلعة اجوده وهي على مائة وعشرين فرسخا من لهاوور وهي قلعة حصينة في غاية الحصانة كبيرة تحوي عشرة آلاف رجل من المقاتلة فقاتلوه وصبروا تحت الحصر وزحف اليهم غير مرة فرأوا من شدته ما ملأ قلوبهم خوفا ورعبا فسلموا القلعة اليه في الحادي والعشرين من صفر هذه السنة وكان في نواحي الهند قلعة يقال لها قلعة روبال على رأس جبل شاهق وتحتها غياض اشبة وخلفها البحر وليس عليها قتال الا من مكان ضيق وهو مملوء بالفيلة المقاتلة وبها من رجال الحرب الوف كثيرة فتابع عليهم الوقائع والح عليهم بالقتال بجميع انواع الحرب وملك القلعة واستنزلهم منها وفي موضع يقال له دره نوره أقوام من أولاد الخراسانيين الذين جعل اجدادهم فيها افراسياب التركي من قديم الزمان ولم يتعرض اليهم احد من الملوك فسار اليهم ابراهيم ودعاهم الى الاسلام أولا فامتنعوا من اجابته وقاتلوه فظفر بهم واكثر القتل فيهم وتفرق من سلم في البلاد وسبي واسترق من النسوان والصبيان مائة الف وفي هذه القلعة حوض للماء يكون قطره نحو نصف فرسخ لا يدرك قعره يشرب منه أهل القلعة وجميع ما عندهم من دابة ولا يظهر فيه نقص وفي بلاد الهند موضع يقال له وره وهو بين خليجين فقصده الملك ابراهيم فوصل اليه في جمادى الاولى وفي طريقه عقبات كثيرة وفيها اشجار ملتفة فاقام هناك ثلاثة أشهر ولقي الناس من الشدة شدة ولم يفارق الغزو حتى أنزل الله نصره على اوليائه وذله على اعدائه وعاد الى غزنة سالما مظفرا وهذه الغزوات لم اعرف تاريخها واما الاولى فكانت هذه السنة فلهذا اوردتها متتابعة في هذه السنة

(ذكر ملك شرف الدولة مسلم مدينة حلب)

في هذه السنة ملك شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي صاحب الموصل مدينة حلب وسبب ذلك ان تاج الدولة تتش بن الب أرسلان حصرها مرة بعد اخرى فاشتد الحصار باهلها وكان شرف الدولة يواصلهم بالغلات وغيرها ثم ان تتش حصرها هذه السنة واقام عليها اياما ورحل عنها وملك بزاعة والبيرة واحرق ربض عزاز وعاد الى دمشق

الطرق فيزوغ منهم و يكبسهم في غفلاتهم وينال منهم ولما وصل الوزير وحصل انتقاض الصلح وانحصر المصريون والعثمانيون بداخل المدينة وقع له مع الفرنساوية الوقائع الهائلة فكان يكر ويفر هو وحسن بك الجداوي ويعمل الحيل والمكايد وقتل من كشافه في تلك الحروب رجال معدودة منهم اسمعيل كاشف المعروف بابي قطية احترق هو وجنده ببيت أحمد أغا شويكار الذي كان انشاه برصيف الخشاب وكانت الفرنساوية قد عملوا تحته لغم بارود في أسفل جدرانه ولم يعلم به أحد فلما تترس فيه اسمعيل كاشف ومن معه أرسلوا من المهمة النار فالتهب على من فيه واحترقوا باجمعهم وتطايروا في الهواء ولما اصطلح مراد بك مع الفرنساوية لم يوافقه على ذلك واعتزله ولما اشتد الامر بين الفريقين وشاطت طائفة العثمانيين ومن تبعهم صار يسعى بين الفريقين في الصلح ويمشي مع رسل الفرنساوية في دخولهم بين العسكر وخروجهم ليمنع من يتعدى عليهم من أوباش العسكر خوفا من ازدياد الشر الى ان تم الصلح وخرج المترجم مع العثمانية الى نواحي الشام ثم رجع الى جهة الشرقية فصار يضرب من يصادفه من الفرنسيس و يقتل منهم

فلما

فلما رحل عنها تاج الدولة استدعى أهلها شرف الدولة ليسلموها اليه فلما قاربها امتنعوا من ذلك وكان مقدمهم يعرف بابن الحتيتي العباسي فاتفق أن ولده خرج يتصيد بضيعة له فاسره احد التركمان وهو صاحب حصن بنواحي حلب وارسله الى شرف الدولة فقرر معه أن يسلم البلد اليه اذا اطلقه فاجاب الى ذلك فاطلقه فعاد الى حلب واجتمع بابيه وعرفه ما استقر فاذعن الى تسليم البلد ونادى بشعار شرف الدولة وسلم البلد اليه فدخله سنة ثلاث وسبعين وحصر القلعة واستنزل منها سابقا ووثابا ابني محمود بن مرداس فلما ملك البلد ارسل ولده وهو ابن عمة السلطان الى السلطان يخبره بملك البلد وأنفذ معه شهادة فيها خطوط المعدلين بحلب بضمانه وسال ان يقرر عليه الضمان فاجابه السلطان الى ما طلب واقطع ابن عمته مدينة بالس

(ذكر مسير ملكشاه الى كرمان)

في اول هذه السنة سار السلطان ملكشاه الى بلاد كرمان فلما سمع صاحبها سلطانشاه بن قاورت بك وهو ابن عم السلطان بوصوله اليها خرج الى طريقه ولقيه وحمل له الهدايا الكثيرة وخدمه وبالغ في الخدمة فاقره السلطان على البلاد واحسن اليه وعاد عنه في المحرم سنة ثلاث وسبعين الى اصبهان

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة ولد للخليفة المقتدي بامر الله امير المؤمنين ولد سماه موسى وكناه ابا جعفر وزينت بغداد سبعة ايام وفيها وصل السلطان ملكشاه الى خوزستان متصيدا فوصل معه خمارتكين وكوهراثين في قتل ابن علان اليهودي ضامن البصرة وكان ملتجئا الى نظام الملك وكان بين نظام الملك وبين خمارتكين الشرابي وكوهراثين عداوة فسعيا باليهودي لذلك فامر السلطان بتغريقه فغرق وانقطع نظام الملك عن الركوب ثلاثة ايام واغلق بابه ثم اشير عليه بالركوب فركب وعمل السلطان دعوة عظيمة قدم له فيها أشياء كثيرة وعاتبه على فعله فاعتذر اليه وكان امر اليهودي قد عظم الى حد أن زوجته توفيت فمشى خلف جنازتها كل من في البصرة الا القاضي وكان له نعمة عظيمة واموال كثيرة فاخذ السلطان منه مائة ألف دينار وضمن خمارتكين البصرة كل سنة بمائة الف دينار ومائة فرس وفيها زاد الفرات تسعة اذرع فخربت بعض دواليب هيت وخرب فوهة نهر عيسى وزاد تامرا نيفا وثلاثين ذراعا ووقع على قنطرتي طراستان وخانقين الكسر ويتين فقطعهما وفيها في ذي الحجة توفي نصر بن مروان صاحب ديار بكر وملك بعده ابنه منصور ودبر دولته ابن الانباري وفيها توفي ابو منصور محمد بن عبد العزيز العكبري ومولده سنة اربع وثمانين وثلثمائة وهو من المحدثين المعروفين وكان صدوقا ومحمد بن هبة الله بن الحسن بن منصور ابو بكر بن ابي القاسم الطبري اللالكائي وولد سنة تسع واربعمائة وحدث عن هلال الحفار وغيره وتوفي في جمادى الاولى وفيها توفي ابو الفتيان محمد بن سلطان بن حيوس الشاعر المشهور وحدث عن

فاذا جمعوا جيشهم واتوا الى ربه ليصدوه ويمر من خلف الجبل ويمر بالحاج الى الصعيد فلا يعلم اين ذهب ثم يظهر بالبر الغربي ثم يسير مشرقا ويعود الى الشام وهكذا كان دأبه طول السنة التي تخللت بين الصلحين الى ان تم للعثمانية أمرهم وتعاونوا الانكليز ورجع الوزير على طريق البر وقبطان باشا بصحبة الانكليز من البحر فحضر المترجم وباقي الامراء واستقر الجميع بداخل مصر والانكليز ببر الجيزة وارتحلت الفرنساوية وخلت منهم مصر فعند ذلك قلق المترجم وداخله وسواس وفكر لانه كان صحيح النظر في عواقب الامور فكان لا يستقر له قرار ولم يدخل الى الحريم ولم يبت بداره الا ليلتين على سجادة ومخدة في القاعة السفلى ولم يكن بها حريم (يقول الفقير) ذهبت اليه مرة في ظرف اليومين فوجدته جالسا على السجادة فجلست معه ساعة فدخل عليه بعض أمرائه يستأذنه في زواج احدى زوجات من مات من خشداشينه فنترفيه وشتمه وطرده وقال لي انظر الى عقول هؤلاء المغفلين يظنون انهم استقروا بمصر ويتزوجون ويتأهلون مع ان جميع ما تقدم من حوادث الفرنسيس وغيرها أهون من الورطة التي نحن فيها الآن ولما أطلق الوزير لابراهيم بك الكبير التصرف وألبسه خلعة وجعله شيخ البلد كعادته وان أوراق التصرفات في الاقطاعات والاطيان وغيرها تكون

جده لامه القاضي ابي نصر محمد بن هرون بن الجندي

(ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين واربعمائة)

(ذكر استيلاء تكش على بعض خراسان واخذها منه)

في هذه السنة في شعبان سار السلطان ملكشاه الى الري وعرض العسكر فاسقط منهم سبعة آلاف رجل لم يرض حالهم فمضوا الى اخيه تكش وهو ببوشنج فقوي بهم واظهر العصيان على اخيه ملكشاه واستولى على مرو الروذ ومرو والشاهجان وترمذ وغيرها وسار الى نيسابور طامعا في ملك خراسان وقيل ان نظام الملك قال للسلطان لما امر باسقاطهم ان هؤلاء ليس فيهم كاتب ولا تاجر ولا خياط ولا من له صنعة غير الجندية فاذا اسقطوا لا نامن ان يقيموا منهم رجلا وقالوا هذا السلطان فيكون لنا منهم شغل ويخرج عن ايدينا اضعاف ما لهم من الجاري الى ان نظفر بهم فلم يقبل السلطان قوله فلما مضوا الى اخيه واظهر العصيان ندم على مخالفة وزيره حيث لم ينفع الندم واتصل خبره بالسلطان ملكشاه فسار مجدا الى خراسان فوصل الى نيسابور قبل ان يستولي تكش عليها فلما سمع تكش بقربه منها سار عنها وتحصن بترمذ وقصده السلطان فحصره بها وكان تكش قد اسر جماعة من اصحاب السلطان فاطلقهم واستقر الصلح بينهما ونزل تكش الى اخيه السلطان ملكشاه ونزل عن ترمذ

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة تسلم مؤيد الملك بن نظام الملك تكريت من صاحبها المهرباط وفيها توفي ابو علي بن شبل الشاعر المشهور ومن شعره في الزهد

اهم بترك الذنب ثم يردني * طموح شباب بالغرام موكل
فمن لي اذا اخرت ذا اليوم توبة * بان المنايا الى الشيب تمهل
اعجز ضعفا عن اداء حق خالقي * واحمل وزرا فوق ما يتحمل

وفيها ايضا توفي العميد ابو منصور بالبصرة وفيها توفي عبد السلام بن احمد بن محمد بن جعفر ابو الفتح الصوفي من اهل فارس سافر الكثير وسمع الحديث بالعراق والشام ومصر واصبهان وغيرها وكانت وفاته بفارس ويوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن ابو الهيثم التفكري الزنجاني ولد سنة خمس وتسعين وثلثمائة وسمع من ابي نعيم الحافظ وغيره وتفقه على ابي اسحق الشيرازي وادرك ابا الطيب الطبري وكان من العلماء العاملين المشتغلين بالعبادة

(ثم دخلت سنة اربع وسبعين واربعمائة)

(ذكر خطبة الخليفة ابنة السلطان ملكشاه)

في هذه السنة ارسل الخليفة الوزير فخر الدولة ابا نصر بن جهير الى السلطان يخطب ابنته لنفسه فسار فخر الدولة الى اصبهان الى السلطان يخطب ابنته فامر نظام الملك ان يمضي معه الى خاتون زوجة السلطان في المعنى فمضيا اليها فخاطباها فقالت ان ملك غزنة

وملوك

بخشمه وملامته اغتر هو وباقي الامراء بذلك وازدحم الديوان ببيت ابراهيم بك المرادي وعثمان بك حسن والبرديسي وتناقلوا في الحديث فذكروا ملاطفة الوزير ومحبته لهم واقامته لناموسهم فقال المترجم لا تغتروا بذلك فانما هي حيل ومكايد وكانها تروج عليكم فانظروا في امركم وتفطنوا لما عساه يحصل فان سوء الظن من الحزم فقالوا والله وما الذي يكون قال ان هؤلاء العثمانيين لهم السنين العديدة والازمان المديدة يتمنون نفوذ احكامهم وتملكهم لهذا الاقليم ومضت الاحقاب وامراء مصر قاهرون لهم وغالبون عليهم ليس لهم معهم الا مجرد الطاعة الظاهرة وخصوصا دولتنا الاخيرة وما كنا نفعله معهم من الاهانة ومنع الخزينة وعدم الامتثال لاوامرهم وكل ذلك مكمون في نفوسهم زيادة على ما جبلوا عليه من الطمع والخيانة والشره وقد ولجوا البلاد الآن وملكوها على هذه الصورة وتآمروا علينا فلا يهون بهم ان يتركوها لنا كما كانت بايدينا ويرجعوا الى بلادهم بعد ما ذاقوا حلاوتها فدبروا رايكم وتيقظوا من غفلتكم فلما سمعوا منه ذلك صادق عليه بعضهم وقال بعضهم هذا من وساوسك وقال آخر هذا لا يكون بعد ما كنا نقاتل معهم ثلاث سنوات واشهرا باموالنا وانفسنا وهم لا يعرفون طرائق البلاد ولا سياستها فلا غنى

وملوك الخانية بما وراء النهر طلبوها وخطبوها لاولادهم وبذلوا أربعمائة ألف دينار فان حمل الخليفة هذا المال فهو أحق منهم فعرفتها ارسلان خاتون التى كانت زوجة القائم بامر الله ما يحصل لها من الشرف والفخر بالاتصال بالخليفة وان هؤلاء كلهم عبيده وخدمه ومثل الخليفة لا يطلب منه المال فاجابت الى ذلك وشرطت ان يكون الحمل المعجل خمسين ألف دينار وانه لا يبقى له سرية ولا زوجة غيرها ولا يكون مبيته الا عندها فاجيبت الى ذلك فاعطى السلطان يده وعاد فخر الدولة الى بغداد

(ذكر وفاة نور الدولة بن مزيد وامارة ولده منصور)

فى هذه السنة فى شوال توفى نور الدولة أبو الاعز دبيس بن على بن مزيد الاسدى بمطيراباذ وكان عمره ثمانين سنة وامارته سبعا وخمسين سنة ومازال ممدحا فى كل زمان مذكورا بالتفضل والاحسان ورثاه الشعراء فاكثروا وولى بعده ما كان اليه ابنه أبو كامل منصور ولقبه بهاء الدولة فاحسن السيرة واعتمد الجميل وسار الى السلطان ملكشاه فى ذى القعدة واستقر له الامر وعاد فى صفر سنة خمس وسبعين وخلع الخليفة أيضا عليه

(ذكر محاصرة تميم بن المعز مدينة قابس)

فى هذه السنة حصر الامير تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية مدينة قابس حصارا شديدا وضيق على أهلها وعاثت عساكره فى بساتينها المعروفة بالغابة فافسدوها

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة سار تتش بعد عود شرف الدولة عن دمشق وقصد الساحل الشامى ففتح انطرطوس وبعضا من الحصون وعاد الى دمشق وفيها ملك شرف الدولة صاحب الموصل مدينة حران واخذها من بنى وثاب النميريين وصالحه صاحب الرها ونقش السكة باسمه وفيها اسدظفر القائمى بشق نهر عيسى وكان خرابا منذ ثلاث وعشرين سنة وسد مرارا وتخرب الى ان سده ظفر وفيها ارسل السلطان الى بغداد ليخرج الوزير ابو شجاع الذى وزر للخليفة بعد بنى جهير فارسله الخليفة الى نظام الملك وسير معه رسولا وكتب معه الى نظام الملك كتابا بخطه يامره بالرضا عن ابى شجاع فرضى عنه واعاده الى بغداد وفيها مات ابن السلطان ملكشاه واسمه داود فجزع عليه جزعا شديدا وحزن حزنا عظيما ومنع من اخذه وغسله حتى تغيرت رائحته واراد قتل نفسه مرات فمنعه خواصه ولما دفن لم يطق المقام فخرج يتصيد وامر بالنياحة عليه فى البلد ففعل ذلك عدة ايام جلس له وزير الخليفة فى العزاء ببغداد وفيها توفى عبد الله بن احمد بن رضوان أبو القاسم وهو من اعيان اهل بغداد وكان مرضه شقيقة وبقى ثلاث سنين فى بيت مظلم لا يقدر أن يسمع صوتا ولا يبصر ضوأ وفيها فى ذى الحجة توفى ابو محمد بن ابى عثمان المحدث وكان صالحا يقرئ القرآن بمسجده بنهر القلائين وتوفى على بن احمد بن على أبو القاسم البسرى البندار وولده سنة ست وثمانين وثلثمائة سمع المخلص وغيره وكان ثقة صالحا وفيها توفى ابو اسحق ابراهيم بن عقيل بن حبش القرشى النحوى

لم هنا وقال آخر غير ذلك ثم قالوا له وما رأيك الذى تراه فقال الرأى عندى ان قبلتموه ان نمضى باجمعنا الى بر الجيزة ونتصب خيامنا هنالك ونجعل الانكليز واسطة بيننا وبين الوزير والقبطان ونتمم الشروط التى نرتاح نحن وهم عليها بكفالة الانكليز ولا نرجع الى البر الشرقى ولا ندخل مصر حتى يخرجوا منها ويرجعوا الى بلادهم ويبقى منهم من يبقى مثل من يقلدونه الولاية والدفتردارية ونحو ذلك وكان ذلك هو الرأى ووافق عليه البعض ولم يوافق البعض الآخر وقال كيف ننابذهم ولم يظهر لنا منهم خيانة ونذهب الى الانكليز وهم أعداء الدين فيحكم العلماء بردتنا وخيانتنا لدولة الاسلام على انهم ان قصدوا بناشيئا لقنا باجمعنا عليهم وفينا ولله الحمد الكفاية وعند ذلك تتوسط بيننا وبينهم الانكليز فتكون لنا المندوحة والعذر فقال المترجم أما الاستنكاف من الالتجاء للانكليز فان القوم لم يستنكفوا من ذلك واستعانوا بهم ولولا مساعدتهم لما ادركوا هذا الحصول ولا قدروا على اخراج الفرنساوية من البلاد وقد شاهدنا ما حصل فى العام الماضى لما حضروا بدون الانكليز على ان هذا قياس مع الفارق فان تلك مساعدة حرب واما هذه فهى وساطة مصلحة لا غير واما انتظار حصول المنابذة فقد

 لا يمكن التدارك بعد الوقوع لامور والرأى لكم فسكتوا وتفرقوا على كتمان ما دار

(ثم دخلت سنة خمس وسبعين واربعمائة)

(ذكر وفاة جمال الملك بن نظام الملك)

في هذه السنة في رجب توفي جمال الملك منصور بن نظام الملك وورد الخبر بوفاته الى بغداد في شعبان فجلس اخوه مؤيد الملك للعزاء وحضر فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الملك معزيين وارسل الخليفة اليه في اليوم الثالث فاقامه من العزاء وكان سبب موته ان مسخرة كان للسلطان ملكشاه يعرف بجعفرك يحاكي نظام الملك ويذكره في خلواته مع السلطان فبلغ ذلك جمال الملك وكان يتولى مدينة بلخ واعمالها فسار من وقته يطوي المراحل الى والده والسلطان وهما باصبهان فاستقبله اخواه فخر الملك ومؤيد الملك فاغلظ لهما القول في اغضائهما على ما بلغه عن جعفرك فلما وصل الى حضرة السلطان رأى جعفرك يساره فانتهره وقال مثلك يقف هذا الموقف وينبسط بحضرة السلطان في هذا الجمع فلما خرج من عند السلطان أمر بالقبض على جعفرك وامر باخراج لسانه من قفاه وقطعه فمات ثم سار مع السلطان وابيه الى خراسان واقاموا بنيسابور مدة ثم ارادوا العود الى اصبهان وتقدمهم نظام الملك فاحضر السلطان عميد خراسان وقال له ايما احب اليك رأسك أم رأس جمال الملك فقال بل رأسي فقال ائن لم تعمل في قتله لاقتلنك فاجتمع بخادم يختص بخدمة جمال الملك وقال له سرا الاولى ان تحفظوا نعمتكم ومناصبكم وتدبروا في قتل جمال الملك فان السلطان يريد ان ياخذه ويقتله ولان تقتلوه انتم سرا اصلح لكم من ان يقتله السلطان ظاهرا فظن الخادم ان ذلك صحيح فجعل له سما في كوز فقاع فطلب جمال الملك فقاعا فاعطاه الخادم ذلك الكوز فشربه فمات فلما علم السلطان بموته سار مجدا حتى لحق نظام الملك فاعلمه بموت ابنه وعزاه وقال انا ابنك وانت اولى من صبر واحتسب

(ذكر الفتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة)

ورد الى بغداد هذه السنة الشريف ابو القاسم البكري المغربي الواعظ وكان اشعري المذهب وكان قد قصد نظام الملك فاحبه ومال اليه وسيره الى بغداد واجرى عليه الجراية الوافرة فوعظ بالمدرسة النظامية وكان يذكر الحنابلة ويعيبهم ويقول وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا والله ما كفر احمد ولكن اصحابه كفروا ثم انه قصد يوما دار قاضي القضاة ابي عبد الله الدامغاني بنهر القلائين فجرى بين بعض اصحابه وبين قوم من الحنابلة مشاجرة ادت الى الفتنة وكثر جمعه فكبس دور بني الفراء واخذ كتبهم واخذ منها كتاب الصفات لابي يعلى فكان يقرأ بين يديه وهو جالس على الكرسي للوعظ فيشنع به عليهم وجرى له معهم خصومات وفتن ولقب البكري من الديوان بعلم السنة ومات ببغداد ودفن عند قبر ابي الحسن الاشعري

(ذكر مسير الشيخ ابي اسحق الى السلطان في رسالة)

في هذه السنة في ذي الحجة ارسل الخليفة المقتدي بامر الله الشيخ ابا اسحق الشيرازي الى

حضرته

بينهم ولما لم يوافقوا المترجم على ما اشار به عليهم اخذ يدبر في خلاص نفسه فانضم الى محمود افندي رئيس الكتاب لقربه من الوزير وقبوله عنده واوهمه النصيحة للوزير بتحصيل مقادير عظيمة من الاموال من جهة الصعيد ان قلده الوزير امارة الصعيد فانه يجمع له اموالا جمة من تركات الاغنياء الذين ماتوا بالطاعون في العام الماضي وخلافه ولم يكن لهم ورثة وغير ذلك من الجهات التي لا يحيط بها خلافه والمال والغلال الميرية فلما عرف الرئيس الوزير بذلك لم يكن باسرع من اجابته لوجهين الاول طمعا في تحصيل المال والثاني لتفريق جمعهم فانهم كانوا يحسبون حسابه دون باقي الجماعة لكثرة حشمه وشدة احترازه فانه كان اذا ذهب عند الوزير لا يذهب في الغالب الا وحوله جميع جنوده ومماليكه وعندما اجاب الوزير الى سفره كتب له فرمانا بامارة الجهة القبلية واطلق له الاذن ورخص له في جميع ما يؤدي اليه اجتهاده من غير معارض وتم للرئيس القصد وفي الوقت حضر المترجم فاخذ المرسوم ولبس الخلعة بنفسه وودع الوزير والرئيس وركب في الوقت والساعة وخرج مسافرا وجعل رئيس افندي وكيلا عنه وسفيرا بينه وبين الوزير بعد ما اسكنه في داره ولم يشعر بذلك احد ولم ير الوزير وجهاً بعد ذلك وعندما

حضرته وحمله رسالة الى السلطان ملكشاه ونظام الملك تتضمن الشكوى من العميد
أبي الفتح بن أبي الليث عميد العراق وامره ان ينهي ما يجري على البلاد من النظار فسار
فكان كلما وصل الى مدينة من بلاد العجم يخرج اهلها اليه بنسائهم واولادهم
يتمسحون بركابه ويأخذون تراب بغلته للبركة وكان في صحبته جماعة من اعيان بغداد
منهم الامام أبو بكر الشاشي وغيره ولما وصل الى ساوة خرج جميع اهلها وساله
فقهاؤها كل منهم ان يدخل بيته فلم يفعل ولقيه اصحاب الصناعات ومعهم ما ينثرونه
على محفته فخرج الخبازون ينثرون الخبز وهو ينهاهم فلم ينتهوا وكذلك اصحاب
الفاكهة والحلواء وغيرهم وخرج اليه الاساكفة وقد عملوا مداسات لطافا تصلح لارجل
الاطفال ونثروها فكانت تسقط على رؤس الناس فكان الشيخ يتعجب ويذكر ذلك
لاصحابه بعد رجوعه ويقول ما كان حظكم من ذلك النثار فقال له بعضهم ما كان حظ
سيدنا منه فقال اما انا فغطيت بالمحفة وهو يضحك فاكرمه السلطان ونظام الملك وجرى
بينه وبين امام الحرمين ابي المعالي الجويني مناظرة بحضرة نظام الملك وأجيب الى
جميع ما التمسه ولما عاد أهين العميد وكسر عما كان يعتمده ورفعت يده عن جميع
ما يتعلق بحواشي الخليفة ولما وصل الشيخ الى بسطام خرج اليه السهلكي شيخ
الصوفية بها وهو شيخ كبير فلما سمع الشيخ ابو اسحق بوصوله خرج اليه ماشيا فلما رآه
السهلكي ألقى نفسه من دابة كان عليها وقبل يد الشيخ أبي اسحق فقبل أبو اسحق رجله
واقعده في موضعه وجلس ابو اسحق بين يديه وأعطى كل واحد منهما من تعظيم صاحبه
كثيرا واعطاه شيئا من حنطة ذكر انها من عهد ابي يزيد البسطامي ففرح بها ابو اسحق

(ذكر حصر شرف الدولة دمشق وعوده عنها)

في هذه السنة جمع تاج الدولة تتش جمعا كثيرا وسار عن بغداد وقصد بلاد الروم انطاكية
وما جاورها فسمع شرف الدولة صاحب حلب الخبر فخافه فجمع أيضا العرب من عقيل
والاكراد وغيرهم فاجتمع معه جمع كثير فراسل الخليفة بمصر يطلب منه ارسال
نجدة اليه ليحصر دمشق فوعده ذلك فسار اليها فسمع تتش الخبر فعاد الى دمشق
فوصلها أول المحرم سنة ست وسبعين ووصل شرف الدولة أواخر المحرم وحصر المدينة
وقاتله أهلها وفي بعض الايام خرج اليه عسكر دمشق وقاتلوه وحملوا على عسكره حملة
صادقة فانكشفوا وتضعضعوا وانهزمت العرب وثبت شرف الدولة واشرف على
الاسر وتراجع اليه اصحابه فلما رأى شرف الدولة ذلك ورأى ايضا ان مصر لم يصل اليه
منها عسكر واتاه عن بلاده الخبر ان اهل حران عصوا عليه فرحل عن دمشق الى بلاده
واظهر انه يريد البلاد بفلسطين فرحل اولا الى مرج الصفر فارتاع اهل دمشق وتتش
واضطربوا ثم انه رحل من مرج الصفر مشرقا في البرية وجد في مسيره فهلك من المواشي
الكثير مع عسكره ومن الدواب شئ كثير وانقطع خلق كثير

(ذكر عدة حوادث)

الشيخ ذلك حضر الى الوزير من اعترض عليه في هذه الفعلة واشار عليه بنقض ذلك فارسل يستدعيه لامر
تذكره وعلى من تأخره فلم
يدركوه الا وقد قطع مسافة
بعيدة ورجعوا على غير طائل
وذهب هو الى اسيوط وشرع
في جبي الاموال وارسل
للوزير دفعة من المال واغناما
وعبيدا ومواشية وقال لا يتم
لعرض على ذلك الا نحو ثلاثة
شهور وسافر طائفة من
الانكليز الى سكندرية
وكذلك حسين باشا القبطان
ونصبوا الصلح بين القضاخ
وأرسل القبطان يطلب
طائفة منهم فاوقع بهم ما اوقع
وقبض الوزير على من بمصر
من الامراء وحبسهم وجرى
ما هو مسطور في محله وعينوا
على المترجم طاهر باشا
بعساكر وحصلت المقاتلة
وقتل من قتل والتجأ من بقي
الى الانكليز ولم يندمل الجرح
بعد تفريحه وذهب الجميع
الى الناحية القبلية وارسلوا
لهم التجاريد وتصدى المترجم
لحروبهم ثم حضر الى ناحية
بحري ونزل بظاهر الجيزة
وسار الى ناحية البحيرة بعد
حروب ووقائع فاجتهد محمد باشا
خسرو في اخراج تجريدة
عظيمة وسارى عسكرها
كتخداه وهو يوسف كتخدا
بك وهي التجريدة التي
سماها العوام تجريدة الحمير
لانهم جمعوا من جملة ذلك حمير
الحمارة والتراسين وحمير السكاف والسقائين وحملوا على اهل بولاق ألف حمار وكذلك مصر ومصر القديمة

في هذه السنة قدم مؤيد الملك بن نظام الملك الى بغداد من اصبهان فخرج عميد الدولة ابن جهير الى لقائه ونزل بالمدرسة النظامية وضرب على بابه الطبول اوقات الصلوات الثلاث فاعطى مالا جليلا حتى قطعه وارسل الطبول الى تكريت وفيها توفى ابو عمرو عبد الوهاب بن محمد بن اسحق بن منده الاصبهانى فى جمادى الآخرة باصبهان وكان حافظا فاضلا والامير ابو نصر على ابن الوزير ابى القاسم هبة الله بن على بن جعفر بن ما كولا مصنف كتاب الاكمال ومولده سنة عشرين واربعمائة وكان فاضلا حافظا قتله مماليكه الاتراك بكرمان واخذوا ماله

(ثم دخلت سنة ست وسبعين واربعمائة)

(ذكر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة ومسير والده فخر الدولة الى ديار بكر)

فى هذه السنة فى صفر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة ووصل يوم عزل رسول من السلطان ونظام الملك الى الخليفة يطلبان ان يرسل اليهما بنى جهير فاذن لهم فى ذلك وساروا بجميع اهلهم ونسائهم الى السلطان فصادفوا منه ومن نظام الملك الاكرام والاحترام وعقد السلطان لفخر الدولة بن جهير على ديار بكر وخلع عليه واعطاه الكوسات وسير معه العساكر وامره ان يقصدها ويأخذها من بنى مروان وان يخطب لنفسه ويذكر اسمه على السكة فسار اليها ولما فارق بنو جهير بغداد رتب فى الديوان ابو الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء وكان قبل ذلك على ابنية الدار وغيرها

(ذكر عصيان اهل حران على شرف الدولة وفتحها)

فى هذه السنة عصى اهل حران على شرف الدولة مسلم بن قريش واطاعوا قاضيهم ابن حلبة واراد هو وابن عطير النميرى تسليم البلد الى جبق امير التركمان وكان شرف الدولة على دمشق يحاصر تاج الدولة تتش بها فبلغه الخبر فعاد الى حران وصالح ابن ملاعب صاحب حمص واعطاه سلمية ورفنية وبادر بالمسير الى حران فحصرها ورماها بالمنجنيق فخرب من سورها بدنة وفتح البلد فى جمادى الاولى واخذ القاضى ومعه ابنين له فصلبهم على السور

(ذكر وزارة ابى شجاع محمد بن الحسين للخليفة)

فى هذه السنة عزل الخليفة ابا الفتح بن رئيس الرؤساء من النيابة فى الديوان واستوزر ابا شجاع محمد بن الحسين وخلع عليه خلع الوزارة فى شعبان ولقبه ظهير الدين ومدحه الشعراء فاكثروا فممن مدحه وهناه ابو المظفر محمد بن العباس الابيوردى بالقصيدة المشهورة التى اولها

هاتيها من قبل الظباء العين * فسكت بسر فؤادى المكنون

ومنها

ويلتقوا يلتقون معهم الناس ويكبسون البيوت ويأخذون ما يجدونه وكان يأتى بعض معاكيس العسكر عند الدور ويضع أحدهم فمه عند الباب ويقول زر فينهق الحمار فيأخذونه فلما تم مرادهم من جمع الحمير اللازمة لهم سافروا الى ناحية البحيرة فكانت بينهم واقعة عظيمة بمرأى من الانكليز وكانت الغلبة له على العسكر وأخذ منهم جملة أسرى وانهزم الباقون شر هزيمة وحضروا الى مصر فى أسوا حال وهذه الكسرة كانت سببا لحصول الوحشة بين الباشا والعسكر فانه غضب عليهم وامرهم بالخروج من مصر فطلبوا علائقهم فقال باى شئ تستحقون العلائف ولم يخرج من ايديكم شئ فامتنعوا من الخروج وكان المشار اليه فيهم محمد على سرششمه فاراد الباشا اصطياده فلم يتمكن منه لشدة احتراسه فخار به فوقع له ما ذكر فى محله وخرج الباشا هاربا الى دمياط ومن ذلك الوقت ظهر اسم محمد على ولم يزل ينمو ذكره بعد ذلك واما المترجم فانه بعد كسرته للعسكر ذهب ناحية دمنهور وذهبت كشافه وامراؤه الى المنوفية والغربية والدقهلية وطلبوا منهم المال والكلف ثم رجعوا الى البحيرة ثم بعد هذه الوقائع سافر المترجم مع الانكليز الى بلادهم واختار من مماليكه خمسة عشر شخصا اخذهم صحبته واقام عوضه احد مماليكه المسمى بشتك بك وسمى الالفى الصغير فانهل

فانهل اسراب الدموع كانها * نخ يتابعها نظير الدين

(ذكر قتل أبي المحاسن بن أبي الرضا)

في هذه السنة في شوال قتل سيد الرؤساء أبو المحاسن بن كمال الملك أبي الرضا وكان قد قرب من السلطان ملكشاه قربا عظيما وكان أبوه يكتب بالطغراء فقال ابو المحاسن للسلطان سلم الى نظام الملك واصحابه وانا اسلم اليك منهم الف الف دينار فانهم يأكلون الاموال ويقتطعون الاعمال وعظم عنده ذخائرهم فبلغ ذلك نظام الملك فعمل سماطا عظيما وأقام عليه مماليكه وهم الوف من الاتراك واقام خيلهم وسلاحهم على حيالهم فلما حضر السلطان قال له انني قد خدمتك وخدمت اباك وجدك ولي حق خدمة وقد بلغك اخذي لعشر اموالك وصدق هذا انا آخذه واصرفه الى هؤلاء الغلمان الذين جمعتهم لك واصرفه ايضا الى الصدقات والصلات والوقوف التي اعظم ذكرها وشكرها واجرها لك واموالي وجميع ما املكه بين يديك وانا اقنع بمرقعة وزاوية فامر السلطان بالقبض على ابي المحاسن وان تسمل عيناه وانفذه الى قلعة ساوة وسمع ابوه كمال الملك الخبر فاستجار بدار نظام الملك فسلم وبذل مائتي الف دينار وعزل عن الطغراء ورتب مكانه مؤيد الملك بن نظام الملك

(ذكر استيلاء مالك بن علوى على القيروان واخذها منه)

في هذه السنة جمع مالك بن علوى الصخرى العرب فاكثر وسار الى المهدية فحصرها فقام الامير تميم بن المعز قياما تاما ودفعه عنها ولم يظفر منها بشئ فسار مالك منها الى القيروان فحصرها وملكها فجرد اليه تميم العساكر العظيمة فحصروه بها فلما رأى مالك أنه لا طاقة له بتميم خرج عنها وتركها فاستولى عليها عسكر تميم وعادت الى ملكه كما كانت

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عم الرخص جميع البلاد فبلغ الكر الحنطة الجيدة ببغداد عشرة دنانير وفيها في جمادى الآخرة توفي الشيخ ابو اسحق الشيرازي وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة واكثر الشعراء مراثيه فمنهم ابو الحسن الخباز وابو البند نيجي وغيرهما وكان رحمة الله عليه واحد عصره علما وزهدا وعبادة وسخاء وصلى عليه في جامع القصر وجلس اصحابه للعزاء في المدرسة النظامية ثلاثة ايام ولم يتخلف احد عن العزاء وكان مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداد فرتب في التدريس ابا سعد عبد الرحمن بن المامون المتولي فلما بلغ ذلك نظام الملك انكره وقال كان يجب ان تغلق المدرسة بعد الشيخ ابي اسحق سنة وصلى عليه بباب الفردوس وهذا لم يفعل على غيره وصلى عليه الخليفة المقتدي بامر الله وتقدم في الصلاة عليه ابو الفتح بن رئيس الرؤساء وهو ينوب في الوزارة ثم صلى عليه بجامع القصر ودفن بباب ابرز

(ثم دخلت سنة سبع وسبعين واربعمائة)

(ذكر الحرب بين فخر الدولة بن جهير وابن مروان وشرف الدولة)

واره على مماليكه وامرائه وامرهم بطاعته واوصاه وصايا وسافر وغاب سنة وشهرا او بعض ايام لانه تسافر في منتصف شهر شوال سنة سبع عشرة وحضر في اول شهر القعدة سنة ثمان عشرة وجرى في مدة غيابه من الحوادث التي تقدم من ذكرها ما يغني عن اعادتها من خروج محمد باشا خسرو وتولية طاهر باشا ثم قتله ودخول الامراء المصريين وتحكمهم بمصر سنة ثمان عشرة وتامير صناجق من أتباع المترجم وماجرى بها من الوقائع بتقدير الله تعالى البارز بتدبير محمد علي ونفاقه وحيله فانه سعى أولا في نقض دولة مخدومه محمد باشا خسرو بتواطئه مع طاهر باشا وخازنداره محمد باشا المحافظ القلعة ثم الاغراء على طاهر باشا حتى قتل ثم معاونته للامراء المصريين ودخولهم وتملكهم واظهار المساعدة الكلية لهم ومصادقتهم وخدمتهم ومعاونتهم والرمح في غفلتهم وخصوصا عثمان بك البرديسي فانه كان مخرفا غشوما يحب الترؤس فاظهر له الصداقة والمؤاخاة والمصافاة حتى قضى منهم اغراضه من قتل الدفتردار والكتخدا وعلي باشا الطرابلسي ومحاربة محمد باشا وأخذه اسيرا من دمياط واخيه السيد علي القبطان برشيد ونسبة جميع هذه الافعال والقبائح اليهم فلما انقضى ذلك كله لم يبق الا الالفي وجماعته والبرديسي الذي

قد تقدم ذكر مسير فخر الدولة بن جهير في العساكر السلطانية الى ديار بكر فلما كانت هذه السنة سير السلطان اليه أيضا جيشا فيهم الامير ارتق بن اكسب وامرهم بمساعدته وكان ابن مروان قد مضى الى شرف الدولة وساله نصرته على ان يسلم اليه آمد وحلف كل واحد لصاحبه وكل منهما يرى ان صاحبه كاذب لما كان بينهما من العداوة المستحكمة واجتمعا على حرب فخر الدولة وسارا الى آمد وقد نزل فخر الدولة بنواحيها فلما رأى فخر الدولة اجتماعهما مال الى الصلح وقال لا اوثر ان يحصل بالعرب بلاء على يدي فعرف التركمان ما عزم عليه فركبوا ليلا واتوا الى العرب واحاطوا بهم في ربيع الاول والتحم القتال واشتد فانهزمت العرب ولم يحضر هذه الوقعة الوزير فخر الدولة ولا ارتق وغنم التركمان حلل العرب ودوابهم وانهزم شرف الدولة وحمى نفسه حتى وصل الى فصيل آمد وحصره فخر الدولة ومن معه فلما رأى شرف الدولة انه محصور خاف على نفسه فراسل الامير ارتق وبذل له مالا وساله ان يمن عليه بنفسه ويمكنه من الخروج من آمد وكان هو على حفظ الطرق والحصار فلما سمع ارتق ما بذل له شرف الدولة اذن له في الخروج فخرج منها في الحادي والعشرين من ربيع الاول وقصد الرقة وأرسل الى ارتق بما كان وعده به وسار ابن جهير الى ميافارقين ومعه من الامراء الامير بهاء الدولة منصور بن مزيد وابنه سيف الدولة صدقة ففارقوه وعادوا الى العراق وسار فخر الدولة الى خلاط ولما استولى العسكر السلطاني على حلل العرب وغنموا اموالهم وسبوا حريمهم بذل سيف الدولة صدقة بن منصور بن مزيد الاموال وافتك اسرى بني عقيل ونساءهم واولادهم وجهزهم جميعهم وردهم الى بلادهم ففعل امرا عظيما واسدى مكرمة شريفة ومدحه الشعراء في ذلك فاكثروا فمنهم محمد بن محمد بن خليفة السنبسي يذكر ذلك في قصيدة

كما أحرزت شكر بني عقيل * بآمد يوم كظهم الحذار
غداة رمتهم الاتراك طرا * بشهب في حوافلها ازورار
فما جبنوا ولكن فاض بحر * عظيم لا تقاومه البحار
فحين تنازلوا تحت المنايا * وفيهن الرزية والدمار
مننت عليهم وفككت عنهم * وفي اثناء حبلهم انتشار
ولولا انت لم ينفك منهم * اسير حين اعلقه الاسار

في ابيات كثيرة وذكر أيضا البندنيجي ابياتا فاحسن ولولا خوف التطويل لذكرت ابياته

(ذكر استيلاء عميد الدولة على الموصل)

لما بلغ السلطان ان شرف الدولة انهزم وحصر بآمد لم يشك في اسره فخلع على عميد الدولة بن جهير وسيره في جيش كثيف الى الموصل وكاتب امراء التركمان بطاعته وسير معه من الامراء آقسنقر قسيم الدولة جد ملوكنا اصحاب الموصل وهو الذي أقطعه السلطان بعد ذلك حلب وكان الامير ارتق قد قصد السلطان وعاد صحبة عميد الدولة

هو تخشداشه محمد علي ويغار منه ويعلم انه اذا حضر لا يبقى له معه ذكر وتخمد انفاسه فيتناجيا ويتساوقا امر المترجم ويتذاكرا تعاظم وكبله وخشداشينه وتقصهم عليه ما يرمونه مع غياب استاذهم فكيف بهم اذا حضر ويوهمه المساعدة والمعاضدة ويكون خادما له وعساكره جنده الى ان حضر المترجم فاوقعا به ما تقدم ذكره ونجا بنفسه واختفى عند عشيبة البدوي بالوادي فلما خلا الجو من الالفي وجماعته فاوقع محمد علي عند ذلك بالبرديسي وعشيرته ما اوقع وظهر بعد ذلك المترجم من اختفائه وذهب الى ناحية قبلي هو وعلوكه صالح بك واجتمعت عليه امراؤه واجناده واستقل امره واصطلح مع عشيرته والبرديسي على ما في نفوسهما وما زال منجمعا عن مخالطتهم وجرى ما جرى من مجيئهم حوالى مصر وحروبهم مع العساكر في ايام خورشيد احمد باشا وانفصالهم عنها بدون طائل لتغاشلهم واختلاف آرائهم وفساد تدبيرهم ورجعوا الى ناحية قبلي ثم عادوا الى ناحية بحري بعد حروب ووقائع مع حسن باشا ومحمد علي وعساكرهم ثم لما حصلت المفاقة بينهما وبين خورشيد احمد باشا وانتصر محمد علي بالسيد عمر مكرم النقيب والمشايخ والقاضي واهل البلدة والرعايا وهاجت الحروب بين الباشا وأهل البلدة كما هو مذكور كانت الامراء

من

من الطريق فسار عميد الدولة حتى وصل الى الموصل فارسل الى أهلها يشير عليهم بطاعة السلطان وترك عصيانه ففتحوا له البلد وسلموه اليه وسار السلطان بنفسه وعساكره الى بلاد شرف الدولة ليملكها فاتاه الخبر بخروج أخيه تتكش بخراسان على ما نذكره ورأى شرف الدولة قد خلص من الحصر فارسل مؤيد الملك بن نظام الملك الى شرف الدولة وهو مقابل الرحبة فاعطاه العهود والمواثيق واحضره عند السلطان وهو بالبوازيج فخلع عليه آخر رجب وكانت امواله قد ذهبت فاقترض ما خدم به وحمل للسلطان خيلا وانفة من جملتها فرسه بشار وهو فرسه المشهور الذى نجا عليه من المعركة ومن آمد ايضا وكان سابقا الا يجارى فامر السلطان بان يسابق به الخيل فجاء سابقا فقام السلطان قائما لما تداخله من العجب وارسل الخليفة النقيب طرادا الزينبي فى لقى شرف الدولة فلقيه بالموصل فزاد أمر شرف الدولة قوة وصالحه السلطان وأقره على بلاده وعاد الى خراسان لحرب أخيه

(ذكر عصيان تتكش على اخيه السلطان ملكشاه)

قد تقدم ذكره وذكر مصالحته للسلطان فلما كان الآن ورأى بعد السلطان عنه عاود العصيان وكان أصحابه يؤثرون الاختلاط فحسنوا له مفارقة طاعة أخيه فاجابهم وسار معهم فملك مرو الروذ وغيرها الى قلعة تقارب سرخس وهى لمسعود ابن الامير ياخز وقد حصنها جهده فحصروه بها ولم يبق غير أخذها منه فاتفق أبو الفتوح الطوسى صاحب نظام الملك وهو بنيسابور وعميد خراسان وهو وأبو على على أن يكتب أبو الفتوح ملطفا الى مسعود بن ياخز وكان خط ابى الفتوح اشبه شئ بخط نظام الملك يقول فيه كتبت هذه الرقعة من الرى يوم كذا ونحن سائرون من الغد نحوك فاحفظ القلعة ونحن نكبس العدو فى ليلة كذا واستدعيا فيجا يثقون به واعطياه دنانير صالحة وقالا سر نحو مسعود فاذا وصلت الى المكان الفلانى فاقم به ونم وأخف هذا الملطف فى بعض حيطانه فستأخذك طلائع تتكش فلا تعترف لهم حتى يضربوك فاذا فعلوا ذلك وبالغوا فاخرجه لهم وقل انك فارقت السلطان بالرى ولك منا الحباء والكرامة ففعل ذلك وجرى الامر على ما وصفا واحضر بين يدى تتكش وضرب وعرض على القتل فاظهر الملطف وسلمه اليهم واخبرهم انه فارق السلطان ونظام الملك بالرى فى العساكر وهو سائر فلما وقفوا على الملطف وسمعوا كلام الرجل ساروا من وقتهم وتركوا خيامهم ودوابهم والقدور على النار فلم يصبروا على ما فيها وعادوا الى قلعة ونج وكان هذا من الفرج العجيب فنزل مسعود واخذ ما فى المعسكر وورد السلطان الى خراسان بعد ثلاثة اشهر ولولا هذا الفعل لنهب تتكش الى باب الرى ولما وصل السلطان قصد تتكش واخذه وكان قد حلف له بالايمان انه لا يؤذيه ولا يناله منه مكروه فافتاه بعض من حضر بان يجعل الامر الى ولده احمد ففعل ذلك فامر احمد بكحله فكحل وسجن

(ذكر فتح سليمان بن قتلمش انطاكية)

المصريون بناحية التبين والترجم منعزل عنهم بناحية الطرانة والسيد عمر يراسله ويعده ويذكر له بان هذا القيام من اجلك واخراج هذه الاوباش ويعود الامر اليكم كما كان وانت المعنى بذلك لظننا فيك الخير والصلاح والعدل فيصدق هذا القول ويساعده بارسال المال ليصرفه فى مصالح المقاتلين والمحاربين ومحمد على يداهن السيد عمر سرا ويتملق اليه ويأتيه ويراسله ويأتى اليه فى اواخر الليل وفى اواسطه مترددا عليه فى غالب أوقاته حتى تم له الامر بعد المعاهدة والمعاقدة والايمان الكاذبة على سيره بالعدل واقامة الاحكام والشرائع والاقلاع عن المظالم ولا يفعل امرا الا بمشورته ومشورة العلماء وانه متى خالف الشروط عزلوه واخرجوه وهم قادرون على ذلك كما يفعلون الآن فيتورط المخاطب بذلك القول ويظن صحته وان كل الوقائع زلابية وكل ذلك سر لم يشعر به خلافهم الى ان عقد السيد عمر مجلسا عند محمد على واحضر المشايخ والاعيان وذكر لهم ان هذا الامر وهذه الحروب ما دامت على هذه الحالة لا تزداد الا فشلا ولا بد من تعيين شخص من جنس القوم للولاية فانظروا من تجدونه وتختارونه لهذا الامر ليكون قائم مقام حتى يتعين من طرف الدولة من يتعين فقال الجميع الرأى ما تراه فاشار الى محمد على فاظهر التمنع وقال انا لا أصلح لذلك

في هذه السنة سار سليمان بن قتلمش صاحب قونية واقصرا واعمالها من بلاد الروم الى الشام فملك مدينة انطاكية من ارض الشام وكانت بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وسبب ملك سليمان المدينة ان صاحبها الفردوس الرومي كان قد سار عنها الى بلاد الروم ورتب بها شحنة وكان الفردوس مسيئا الى اهلها والى جنده ايضا حتى انه حبس ابنه فاتفق ابنه والشحنة على تسليم البلد الى سليمان بن قتلمش وكاتبوه يستدعونه فركب البحر في ثلثمائة فارس وكثير من الرجالة وخرج منه وسار في جبال وعرة ومضايق شديدة حتى وصل اليها للموعد فنصب السلاليم باتفاق من الشحنة ومن معه وصعد السور واجتمع بالشحنة واخذ البلد في شعبان فقاتله اهل البلد فهزمهم مرة بعد اخرى وقتل كثيرا من اهلها ثم عفا عنهم وتسلم القلعة المعروفة بالقسيان واخذ من الاموال ما يجاوز الاحصاء واحسن الى الرعية وعدل فيهم وامرهم بعمارة ما خرب ومنع اصحابه من النزول في دورهم ومخالطتهم ولما ملك سليمان انطاكية ارسل الى السلطان ملكشاه يبشره بذلك وينسب هذا الفتح اليه لانه من اهله وممن يتولى طاعته فاظهر ملكشاه البشارة به وهناه الناس فممن قال فيه الابيوردي من قصيدة مطلعها

لمعت كناصية الحصان الاشقر * نار بمعتلج الكثيب الاعفر
وفتحت انطاكية الروم التي * نشزت معاقلها على الاسكندر
وطئت مناكبها جيادك فانثنت * تلقي اجنتها بنات الاصفر

وهي طويلة

(ذكر قتل شرف الدولة وملك اخيه ابراهيم)

قد تقدم ذكر ملك سليمان بن قتلمش مدينة انطاكية فلما ملكها ارسل اليه شرف الدولة مسلم بن قريش يطلب منه ما كان يحمله اليه الفردوس من المال و يخوفه معصية السلطان فاجابه اما طاعة السلطان فهي شعاري ودثاري والخطبة له والسكة في بلادي وقد كاتبته بما فتح الله على يدي بسعادته من هذا البلد واعمال الكفار واما المال الذي كان يحمله صاحب انطاكية قبلي فهو كان كافرا وكان يحمل جزية رأسه واصحابه وانا بحمد الله مؤمن ولا احمل شيئا فنهب شرف الدولة بلد انطاكية فنهب سليمان ايضا بلد حلب فلقيه اهل السواد يشكون اليه نهب عسكره فقال انا كنت اشد كراهية لما يجري ولكن صاحبكم احوجني الى ما فعلت ولم تجر عادتي بنهب مال مسلم ولا اخذ ما حرمته الشريعة وامر اصحابه باعادة ما اخذوه منهم فاعاده ثم ان شرف الدولة جمع الجموع من العرب والتركمان وكان ممن معه جبق امير التركمان في اصحابه وسار الى انطاكية ليحصرها فلما سمع سليمان الخبر جمع عساكره وسار اليه فالتقيا في الرابع والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين واربعمائة في طرف من اعمال انطاكية واقتتلوا فمال تركمان جبق الى سليمان فانهزمت العرب وتبعهم شرف الدولة منهزما فقتل

ولست من الوزراء ولا من الامراء ولا من أكابر الدولة فقالوا جميعا قد اخترناك لذلك برأي الجميع والكافة والعبرة رضا اهل البلاد وفي الحال احضروا فروة والبسوها له وبادر كواله وهنوه وجهروا بخلع خورشيد أحمد باشا من الولاية واقامة المذكور في النيابة حتى ياتي المتولي او ياتي له تقرير بالولاية ونودي في المدينة بعزل الباشا واقامة محمد علي في النيابة الى ان كان ما هو مسطور قبل ذلك في محله فلما بلغ المترجم ذلك وكان ببر الجيزة وبراسل السيد عمر مكرم والمشايخ فانقبض خاطره ورجع الى البحيرة واراد دمنهور فامتنع عليه اهلها وحاربوه وحاربهم ولم ينل منهم غرضا والسيد عمر يقويهم ويعدهم ويرسل اليهم البارود وغيره من الاحتياجات وظهر للمترجم تلاعب السيد عمر مكرم معه وكونه كان يقويه على نفسه فقبض على السفير الذي كان بينهما وحبسه وضربه واراد قتله ثم اطلقه ثم عاد الى بر الجيزة وسكنت الفتنة واستقر الامر لمحمد علي باشا وحضر قبطان باشا الى ساحل أبي قير ووصل سلحداره الى مصر وانزل احمد باشا المخلوع عن الولاية من القلعة الى بولاق ليسافر ومنع محمد علي من الذهاب والمجيء الى المصريين واوقف اشخاصا براو بحرا يرصدون من ياتي من قبلهم او يذهب اليهم بشيء من متاع وملبوس وسلاح وغير ذلك ومن عثروا

فقتل بعدان صبر وقتل بين يديه اربعمائة غلام من أحداث حلب وكان قتله يوم الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين وذكرته ههنا لتتبع الحادثة بعضها بعضا وكان احول وكان قد ملك من السندية التي على نهر عيسى الى منبج من الشام وما والاها من البلاد وكان في يده ديار ربيعة ومضر من أرض الجزيرة والموصل وحلب وما كان لابيه وعمه قرواش وكان عادلا حسن السيرة والامن في بلاده عام والرخص شامل وكان يسوس بلاده سياسة عظيمة بحيث يسير الراكب والراكبان فلا يخافان شيئا وكان له في كل بلد وقرية عامل وقاض وصاحب خبر بحيث لا يتعدى احد على احد ولما قتل قصد بنو عقيل اخاه ابراهيم بن قريش وهو محبوس فاخرجوه وملكوه امرهم وكان قد مكث في الحبس سنين كثيرة بحيث انه لم يمكنه المشي والحركة لما اخرج ولما قتل شرف الدولة سار سليمان بن قتلمش الى حلب فحصرها مستهل ربيع الاول سنة ثمان وسبعين فاقام عليها الى خامس ربيع الآخر من السنة فلم يبلغ منها غرضا فرحل عنها

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في صفر انقض كوكب من المشرق الى المغرب كان حجمه كالقمر وضوءه كضوئه وسار مدى بعيدا على مهل وتؤدة في نحو ساعة ولم يكن له شبيه من الكواكب وفيها ولد السلطان سنجر بن ملكشاه في الخامس والعشرين من رجب بمدينة سنجار من ارض الجزيرة مقارب الموصل بينهما يومان عند نزول السلطان بها وسماه احمد وانما قيل له سنجر باسم المدينة التي ولد فيها وامه ام ولد وفي هذه السنة في جمادى الاولى توفي الشيخ ابو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن الصباغ الفقيه الشافعي صاحب الشامل والكامل وكفاية المسائل وغيرها من التصانيف بعد ان اضر عدة سنين وكان مولده سنة اربعمائة والقاضي ابو عبد الله الحسين بن علي البغدادي المعروف بابن البقال وهو من شيوخ أصحاب الشافعي وكان اليه القضاء بباب الازج ولما انقطع الحج على سبيل التجريد وا اسمعيل بن مسعدة بن اسمعيل بن احمد بن ابراهيم ابو القسم الاسماعيلي الجرجاني ومولده سنة اربع واربعمائة وكان اماما فقيها شافعيا محدثا اديبا وداره مجمع العلماء

(ثم دخلت سنة ثمان وسبعين واربعمائة)

(ذكر استيلاء الفرنج على مدينة طليطلة)

في هذه السنة استولى الفرنج لعنهم الله على مدينة طليطلة من بلاد الاندلس واخذوها من المسلمين وهي من أكبر البلاد واحصنها وسبب ذلك ان الاذفونش ملك الفرنج بالاندلس كان قد قوي شانه وعظم ملكه وكثرت عساكره مذ تفرقت بلاد الاندلس وصار كل بلد بيد ملك فصاروا مثل ملوك الطوائف فحينئذ طمع الفرنج فيهم واخذوا كثيرا من ثغورهم وكان قد خدم قبل ذلك صاحبها القادر بالله بن المامون بن يحيي

عليه بشئ قبضوا عليه وأخذوا ما معه وعاقبوه فامتنع الباعة والمتسببون وغيرهم من الذهاب اليهم بشئ مطلقا فضاق خناق المترجم فاحتال بان ارسل محمد كتخداه يطلب الصلح مع الباشا فسر لذلك وفرح واعتقد صحة ذلك وانعم على الكتخدا وعين هدية جليلة لمخدومه من ملابس وفراوي واسلحة وخيام ونقود وغير ذلك وعندها قضى الكتخدا اشغاله من مطلوبات مخدومه واحتياجاته له ولاتباعه وامرائه ووسق مراكب وذهب بها جهارا من غير ان يتعرض له احد وذهب بصحبته السلحدار وموسى البارودي ثم عاد الكتخدا ثانيا وبصحبته السلحدار وموسى البارودي وذكروا انه يطلب كشوفية الفيوم وبني سويف والجيزة والبحيرة ومائتي بلد من الغربية والمنوفية والدقهلية يستغل فائظها ويجعل اقامته بالجيزة ويكون تحت الطاعة فلم يرض الباشا بذلك وقال اننا صالحنا باقي الامراء واعطيناهم من حدود جرجا بالشروط التي شرطناها عليهم وهو داخل في ضمنهم فرجع محمد كتخداه بالجواب بعد ان قضى اشغاله واحتياجاته ولوازمه من امتعة وخيام وسروج وغير ذلك وتمت حيلته وقضى اغراضه وذهب الى الفيوم وتحاوب جنده مع جند ياسين بك وانخذل فيها ياسين بك ثم عاد شاهين بك الالفي بجنده كذبر بعدشه ور الى بر الجيزة وخرج محمد على باشا

ابن ذي النون وعرف من ابن يؤتى البلد وكيف الطريق الى ملكه فلما كان الآن جمع الاذفونش عساكره وسار الى مدينة طليطلة فحصرها سبع سنين واخذها من القادر فازداد قوة الى قوته وكان المعتمد على الله ابو عبد الله محمد بن عباد اعظم ملوك الاندلس من المسلمين وكان يملك اكثر البلاد مثل قرطبة واشبيلية وكان يؤدي الى الاذفونش ضريبة كل سنة فلما ملك الاذفونش طليطلة ارسل اليه المعتمد الضريبة على عادته فردها عليه ولم يقبلها منه فارسل اليه يتهدده ويتوعده انه يسير الى مدينة قرطبة ويتملكها الا ان يسلم اليه جميع الحصون التي في الجبل ويبقى السهل للمسلمين وكان الرسول في جمع كثير كانوا نحو خمسمائة فارس فانزله محمد بن عباد وفرق اصحابه على قواد عسكره ثم امر كل من عنده منهم رجل ان يقتله واحضر الرسول وصفعه حتى خرجت عيناه وسلم من الجماعة ثلاثة نفر فعادوا الى الاذفونش فاخبروه الخبر وكان متوجها الى قرطبة ليحاصرها فلما بلغه الخبر عاد الى طليطلة ليجمع آلات الحصار ورحل المعتمد الى اشبيلية

(ذكر استيلاء ابن جهير على آمد)

في المحرم من هذه السنة ملك ابن جهير مدينة آمد وسبب ذلك ان فخر الدولة بن جهير كان قد انفذ اليها ولده زعيم الرؤساء أبا القاسم ومعه جناح الدولة المعروف بالمقدم السالار وارادوا اقلع كرومها وبساتينها ولم يطمع مع ذلك في فتحها لحصانتها فاهم أهلها الجوع وتعذرت الاقوات وكادوا يهلكون وهم صابرون على الحصار وغير مكترثين به فاتفق ان بعض الجند نزل من السور لحاجة لهم وتركوا اسلحتهم مكانها فصعد الى ذلك المكان عدد من العامة تقدمهم رجل من السواد يعرف بابي الحسن فلبس السلاح ووقف على ذلك المكان ونادى بشعار السلطان وفعل من معه كفعله وطلبوا زعيم الرؤساء فاتاهم وملك البلد واتفق اهل المدينة على نهب بيوت النصارى لما كانوا يلقون من نواب بني مروان من الجور والحكم وكان اكثرهم نصارى فانتقموا منهم

(ذكر ملكه ايضا ميافارقين)

وفي هذه السنة ايضا في سادس جمادى الآخرة ملك فخر الدولة ميافارقين وكان مقيما على حصارها فوصل اليه سعد الدولة كوهرائين في عسكر نجدة له فجد في القتال فسقط من سورها قطعة فلما رأى اهلها ذلك نادوا بشعار ملكشاه وسلموا البلد الى فخر الدولة واخذ جميع ما استولى عليه من اموال بني مروان وانفذه الى السلطان مع ابنه زعيم الرؤساء فتحدر وهو وكوهرائين الى بغداد وسار زعيم الرؤساء منها الى اصبهان فوصلها في شوال واوصل ما معه الى السلطان

(ذكر ملك جزيرة ابن عمر)

في هذه السنة ارسل فخر الدولة جيشا الى جزيرة ابن عمر وهي لبني مروان ايضا فحصروها فثار اهل بيت من اهلها يقال لهم بنو وهبان وهم من اعيان اهلها وقصدوا بابا للبلد

وهي بنت حسن بك شنن رآه الاخصام متجملا فقتلوه الباشا فاساطوا به واخذوه اسيرا ثم قتلوه ورجع الباشا الى برمصر واجتهد في تشهيل تجريدة أخرى وكل ذلك مع طول المدى (وفي اثناء ذلك) مات يشتك بك المعروف بالالفي الصغير مبطونا بناحية قبلي ثم ان المترجم خرج من الفيوم في اوائل المحرم من السنة المذكورة وكان حسن باشا طاهر بناحية جزيرة الهواء بمن معه من العساكر فكانت بينهما واقعة عظيمة انهزم فيها حسن باشا الى الرقق وادركه أخوه عابدين بك فاقام معه بالرقق كما تقدم وحضر الالفي الى برالجيزة وانبابة وخرجت اليهم العساكر فكانت بينهم واقعة بسوق الغنم ظهر عليهم فيها ايضا ثم سار وعبر واعدى من عسكره وجنده جملة الى السبكية فاخذوا منها ما اخذوه وعادوا الى أستاذهم بالطرانة ثم انه انتقل وارتحل الى البحيرة وحرب دمنهور وحاصرتها وكانوا قد حصنوها غاية التحصين فلم يقدر عليها فعاد الى ناحية وردان ثم رجع الى حوش ابن عيسى لانه بلغه وصول مراكب وبها امين بك تابعه وعدة عساكر من النظام الجديد واشخاص من الانكليز لانه كان مع ما هو فيه من التنقلات والحروب يراسل الدولة والانكليز وارسل بالخصوص امين بك الى [illegible] صغيرا

صغيرا يقال له باب البويبة لا يسلكه الا الرجالة لانه يصعد اليه من ظاهر البلد بدرج فكسروه وادخلوا العسكر فملكه وانقرضت دولة بني مروان فسبحان من لا يزول ملكه وهؤلاء بنو وهبان الى يومنا هذا كلما جاء الى الجزيرة من يحصرها يخرجون من البلد ولم يبق منهم من له شوكة ولا منزلة يفعل بها شيئا وانما بتلك الحركة يؤخذون الى الآن

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الاول وصل أمير الجيوش في عساكر مصر الى الشام فحصر دمشق وبها صاحبها تاج الدولة تتش فضيق عليه وقاتله فلم يظفر منها بشيء فرحل عنها عائدا الى مصر وفيها كانت الفتنة بين اهل الكرخ وسائر المحال من بغداد واحرقوا من نهر الدجاج درب الآجر وما قاربه وارسل الوزير أبو شجاع جماعة من الجند ونهاهم عن سفك الدماء تحرجا من الاثم فلم يمكنهم تلافي الخطب فعظم وفيها كانت زلزلة شديدة بخوزستان وفارس وكان أشدها بارجان فسقطت الدور وهلك تحتها خلق كثير وفيها في ربيع الاول هاجت ريح عظيمة سوداء بعد العشاء وكثر الرعد والبرق وسقط على الارض رمل احمر وتراب كثير وكانت النيران تضطرم في اطراف السماء وكان اكثرها بالعراق وبلاد الموصل فالقت النخيل والاشجار وسقط معها صواعق في كثير من البلاد حتى ظن الناس ان القيامة قد قامت ثم انجلى ذلك نصف الليل وفيها في ربيع الآخر توفي امام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ومولده سنة سبع عشرة واربعمائة وهو الامام المشهور في الفقه والاصولين وغيرهما من العلوم وسمع الحديث من أبي محمد الجوهري وغيره وفيها في ذي الحجة توفي محمد بن احمد بن عبد الله بن احمد بن الوليد أبو علي المتكلم كان احد رؤساء المعتزلة وائمتهم ولزم بيته خمسين سنة لم يقدر على ان يخرج منه من عامة بغداد وأخذ الكلام عن أبي الحسين البصري وعبد الجبار الهمذاني القاضي ومن جملة تلامذته ابن برهان وهو أكبر منه وفي هذه السنة توفي القاضي أبو الحسن هبة الله بن محمد بن السيبي قاضي الحريم بنهر معلى ومولده سنة أربع وتسعين وثلثمائة وكان يذاكر الامام المقتدي بامر الله وولي ابنه أبو الفرج عبد الوهاب بين يدي قاضي القضاة بن الدامغاني وفيها في جمادى الاولى توفي أبو العز بن صدقة وزير شرف الدولة ببغداد وكان قد قبض عليه شرف الدولة وسجنه بالرحبة فهرب منها الى بغداد فمات بعد وصوله الى مامنه باربعة أشهر وكان كريما متواضعا عالما تغيره الولاية عن اخوانه وفيها في رجب توفي قاضي القضاة أبو عبد الله بن الدامغاني ومولده سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ودخل بغداد سنة تسع عشرة واربعمائة وكان قد صحب القاضي أبا العلاء بن صاعد وحضر ببغداد مجلس أبي الحسين القدوري وولي قضاء القضاة بعده القاضي أبو بكر بن المظفر بن بكران الشامي وهو من أكبر اصحاب القاضي أبي الطيب الطبري وفيها توفي عبد الرحمن بن مامون بن علي

الانكليز فيه خوامع الدولة بمساعدته وحضروا اليه بطلبه ويفعل لهم بحوش ابن عيسى شكاوا وسلمهم مع امين بك الى الامراء القبليين فلما بلغ محمد علي باشا ذلك راسل الامراء القبليين وداهنهم وارسل لهم الهدايا فراجت أموره عليهم مع ما في صدورهم من الغل للمترجم (وفي) اثر ذلك حضر قبطان باشا الى الاسكندرية ووردت السعاة بخبر وروده وان بعده واصل موسى باشا واليا على مصر وبالعفو عن المصريين وكان من خبر هذه القضية والسبب في حركة القبطان ارساليات الالفي للانكليز ومخاطبة الانكليز الدولة ووزيرها المسمى محمد باشا السلحدار واصله مملوك السلطان مصطفى ولا يخفى الميل الى الجنسية فاتفق انه اختلى بسليمان اغا تابع صالح بك الوكيل الذي كان يوسف باشا الوزير قلده سلحدارا وارسله الى اسلامبول وساله عن المصريين هل بقي منهم غير الالفي فقال له جميع الرؤساء موجودون وعددهم له وهم ومماليكهم يبلغون الفين وزيادة فقال اني ارى ان ابقاءهم ورجوعهم على شروط نشترطها عليهم أولى من تمادي العداوة بينهم وبين هذا الذي ظهر من العسكر وهو رجل جاهل متحيل وهم لا يسهل بهم اجلاؤهم عن أوطانهم وأولادهم وسيادتهم التي ورثوها عن اسلافهم وتمادي الحال والحروب بينهم وبينه واحتياج الفريقين الى جمع العساكر وكثرة

أبو سعد المتولي مدرس النظامية وهو من اصحاب القاضي حسين المروزي وتمم كتاب الابانة

(ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة)

(ذكر قتل سليمان بن قتلمش)

لما قتل سليمان بن قتلمش شرف الدولة مسلم بن قريش على ما ذكرناه ارسل الى ابن الحتيتي العباسي مقدم اهل حلب يطلب منه تسليمها اليه فانفذ اليه واستمهله الى ان يكاتب السلطان ملكشاه وأرسل ابن الحتيتي الى تتش صاحب دمشق يعده ان يسلم اليه حلب فسار تتش طالبا لحلب فعلم سليمان بذلك فسار نحوه مجدا فوصل الى تتش وقت العصر على غير تعبية فلم يعلم به حتى قرب منه فعبى اصحابه وكان الامير ارتق ابن أكسب مع تتش وكان منصور المشهد حربا الا وكان الظفر له وقد ذكرنا فيما تقدم حضوره مع ابن جهير على آمد واطلاقه شرف الدولة من آمد فلما فعل ذلك خاف ان ينهى ابن جهير ذلك الى السلطان ففارق خدمته ولحق بتاج الدولة تتش فاقطعه البيت المقدس وحضر معه هذه الحرب فابلى فيها بلاء حسنا وحرض العرب على القتال فانهزم اصحاب سليمان وثبت هو في القلب فلما رأى انهزام عسكره اخرج سكينا معه فقتل نفسه وقيل بل قتل في المعركة واستولى تتش على عسكره وكان سليمان بن قتلمش في السنة الماضية في صفر قد انفذ جثة شرف الدولة الى حلب على بغل ملفوفة في ازار وطلب من اهلها ان يسلموها اليه وفي هذه السنة في صفر ارسل تتش جثة سليمان في ازار ليسلموها اليه فاجابه ابن الحتيتي انه يكاتب السلطان ومهما امره فعل فحصر تتش البلد واقام عليه وضيق على اهله وكان ابن الحتيتي قد سلم كل برج من ابراجها الى رجل من اعيان البلد لحفظه وسلم برجا فيها الى انسان يعرف بابن الرعوي ثم ان ابن الحتيتي اوحشه بكلام اغلظ له فيه وكان هذا الرجل شديدا لقوة وراى ما الناس فيه من الشدة فدعاه ذلك الى ان ارسل الى تتش يستدعيه وواعده ليلة يرفع الرجال الى السور في الحبال فاتى تتش للميعاد الذي ذكره فاصعد الرجال في الحبال والسلاليم وملك تتش المدينة واستجار ابن الحتيتي بالامير ارتق فشفع فيه واما القلعة فكان بها سالم بن مالك بن بدران وهو ابن عم شرف الدولة مسلم بن قريش فاقام تتش يحصر القلعة سبعة عشر يوما فبلغه الخبر بوصول مقدمة اخيه السلطان ملكشاه فرحل منها

(ذكر ملك السلطان حلب وغيرها)

كان ابن الحتيتي قد كاتب السلطان ملكشاه يستدعيه ليسلم اليه حلب لما خاف تاج الدولة تتش فسار اليه من اصبهان في جمادى الآخرة وجعل على مقدمته الامير برسق و بوزان وغيرهما من الامراء وجعل طريقه على الموصل فوصلها في رجب وسار منها فلما وصل الى حران سلمها اليه ابن الشاطر فاقطعها السلطان محمد بن شرف الدولة

النفقات والدلائف والمصاريف فيجمعونها ... من أى وجه كان ويؤدى ذلك الى خراب الاقليم فالاولى والمناسب صرف هذا المنصب واخراجه وتوابعه خلافهم فما رأيك في ذلك فقال له سليمان لا رأى عندي في ذلك وخاف ان يكون كلامه له باطنا خلاف الظاهر وادرك منه ذلك فحلف له عند ذلك الوزير ان كلامه وخطابه له على ظاهره وحقيقته لكن لا بد من مصلحة للخزينة العامرة فقال له سليمان اغا اذا كان كذلك ابعثوا الى الالفي باحضار كتخداه محمد اغا لانه رجل يصلح للمخاطبة لمثل ذلك ففعل وحضر المذكور في اقرب وقت وتمموا الامر على مصلحة ألف وخمسمائة كيس كفلها محمد كتخدا المذكور يدفعها لقبطان باشا عند وصوله بيد سليمان أغا المذكور وكفالته أيضا لمحمد كتخدا بعد اتمام الشروط التي قررها لمخدومه ومن جملتها اطلاق بيع المماليك وشرائهم وجلب الجلابين لهم الى مصر كعادتهم فانهم كانوا منعوا اذ ذاك من نحو ثلاث سنوات وغير ذلك وسافر كل من سليمان اغا الوكيل ومحمد كتخدا بصحبة قبودان باشا حتى طلع واعلى ثغر سكندرية فركب بصحبة سلحدار القبودان فتلاقوا مع المترجم بالجيرة وأعلموه بما حصل فامتلأ فرحا وسرورا وقال لسليمان أغا اذهب الى اخواننا بقبلي واعرض عليهم الامر ولا يخفى اننا الآن ثلاثة وسار

وسار الى الرها وهي بيد الروم فحصرها وملكها وكانوا قد اشتروها من ابن عطير وتقدم ذكر ذلك وسار الى قلعة جعبر فحصرها يوما وليلة وملكها وقتل من بها من بني قشير وأخذ جعبر من صاحبها وهو شيخ أعمى وولدين له وكانت الاذية بهم عظيمة يقطعون الطرق ويلجؤن اليها ثم عبر الفرات الى مدينة حلب فملك في طريقه مدينة منبج فلما قارب حلب رحل عنها أخوه تتش وكان قد ملك المدينة كما ذكرناه وسار عنها يسلك البرية ومعه الامير أرتق فاشار بكبس عسكر السلطان وقال انهم قد وصلوا وبهم وبدوابهم من التعب ما ليس عندهم معه امتناع ولو فعل لظفر بهم فقال تتش لا أكسر جاه أخي الذي أنا مستظل بظله فانه يعود بالوهن على أولا وسار الى دمشق ولما وصل السلطان الى حلب تسلم المدينة وسلم اليه سالم بن مالك القلعة على ان يعوضه عنها قلعة جعبر وكان سالم قد امتنع بها أولا فامر السلطان ان يرمى اليه رشقا واحدا بالسهام فرمى الجيش فكادت الشمس تحتجب لكثرة السهام فصانع عنها بقلعة جعبر وتسلمها وسلم السلطان اليه قلعة جعبر فبقيت بيده وبيد أولاده الى ان أخذها منهم نور الدين محمود بن زنكي على ما نذكره ان شاء الله تعالى وأرسل اليه الامير نصر بن علي ابن منقذ الكناني صاحب شيزر فدخل في طاعته وسلم اليه لاذقية وكفرطاب وفامية فاجابه الى المسالمة وترك قصده وأقر عليه شيزر ولما ملك السلطان حلب سلمها الى قسيم الدولة آقسنقر فعمرها وأحسن السيرة فيها وأما ابن الحتيتي فانه كان واثقا باحسان السلطان ونظام الملك اليه فانه استدعاهما فلما ملك السلطان البلد طلب أهله ان يعفيهم من ابن الحتيتي فاجابهم الى ذلك واستصحبه معه وأرسله الى ديار بكر فافتقر وتوفي بها على حال شديدة من الفقر وقتل ولده بانطاكية قتله الفرنج لما ملكوها

(ذكر وفاة بهاء الدولة منصور بن مزيد وولاية ابنه صدقة)

في هذه السنة في ربيع الاول توفي بهاء الدولة أبو كامل منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الاسدي صاحب الحلة والنيل وغيرهما مما يجاورهما ولما سمع نظام الملك خبر وفاته قال مات أجل صاحب عمامة وكان فاضلا قرأ على علي بن برهان فبرع حتى انه كتب في الذي استفاده منه وله شعر حسن فمنه

فان أنا لم أحمل عظيما ولم أقد * لهاما ولم أصبر على فعل معظم
ولم أجر الجاني وأمنع حوزه * علام أنادي للفخار وأنتمي

وله في صاحب له يكنى أبا مالك يرثيه

فان كان أودى خدننا ونديمنا * أبو مالك فالنائبات تنوب
فكل ابن أنثى لا محالة ميت * وفي كل حي للمنون نصيب
ولو رد حزن أو بكاء لهالك * بكيناه ما هبت صبا وجنوب

ولما توفي ارسل الخليفة الى ولده سيف الدولة صدقة نقيب العلويين أبا الغنائم يعزيه وسار سيف الدولة الى السلطان ملكشاه فخلع عليه وولاه ما كان لابيه واكثر الشعراء

فرق كبيرنا ابراهيم بك وجماعته والمرادية وكبيرهم هناك عثمان بك البرديسي وانا واتباعي فيكون ما يخص كل طائفة خمسمائة كيس فاذا استلمت منهم الالف كيس ورجعت الى سلكت الخمسمائة كيس فركب المذكور وذهب اليهم واجتمع بهم واخبرهم بصورة الواقع وطلب منهم ذلك القدر فقال البرديسي حيث ان الالفي بلغ من قدره انه يخاطب الدول والقرانات ويراسلهم ويتمم أغراضه منهم ويولي الوزراء ويعزلهم بمراده ويتعين قبودان باشا في حاجته فهو يقوم بدفع المبلغ بتمامه لانه صار الآن هو الكبير ونحن الجميع اتباع له وطوائف خلفه بما فيه والدنا وكبيرنا ابراهيم بك وعثمان بك حسن وخلافه فقال سليمان اغا هو على كل حال واحد منكم واخوكم ثم انه اختلى مع ابراهيم بك الكبير وتكلم معه فقال ابراهيم بك انا ارضى بدخولي اي بيت كان واعيش ما بقي من عمري مع عيالي واولادي تحت امارة اي من كان من عشيرتنا اولى من هذا الشتات الذي نحن فيه ولكن كيف افعل في الرفيق المخالف وهذا الذي حصل لنا كله بسوء تدبيره ونحسه وعشت انا ومراد بك المدة الطويلة بعد موت استاذنا وانا اتغاضى عن افعاله وافعال اتباعه واساءتهم في زلاتهم كل ذلك حذرا وخوفا من وقوع الشر والقتل والعداوة الى ان مات

مر الى بهاء الدولة

ذكر وقعة الزلاقة بالاندلس وهزيمة الفرنج

قد تقدم ذكر ملك الفرنج طليطلة وما فعله المعتمد بن عباد برسول الاذفونش ملك الفرنج وعود المعتمد الى اشبيلية فلما عاد اليها وسمع مشايخ قرطبة بما جرى ورأوا قوة الفرنج وضعف المسلمين واستعانة بعض ملوكهم بالفرنج على بعض اجتمعوا وقالوا هذه بلاد الاندلس قد غلب عليها الفرنج ولم يبق منها الا القليل وان استمرت الاحوال على ما نرى عادت نصرانية كما كانت وساروا الى القاضي عبد الله بن محمد بن ادهم فقالوا له الا تنظر الى ما فيه المسلمون من الصغار والذلة واعطائهم الجزية بعد أن كانوا يأخذونها وقد رأينا رأيا نعرضه عليك قال ما هو قالوا نكتب الى عرب افريقية ونبذل لهم اذا وصلوا الينا قاسمناهم اموالنا ونخرج معهم مجاهدين في سبيل الله قال نخاف اذا وصلوا الينا يخربون بلادنا كما فعلوا بافريقية ويتركون الفرنج ويبدؤن بكم والمرابطون اصلح منهم واقرب الينا قالوا له فكاتب امير المسلمين وارغب اليه ليعبر الينا او يرسل بعض قواده وقدم عليهم المعتمد بن عباد وهم في ذلك فعرض عليه القاضي ابن ادهم ما كانوا فيه فقال له ابن عباد انت رسولي اليه في ذلك فامتنع وانما اراد ان يبرئ نفسه من تهمة فالح عليه المعتمد فسار الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين فابلغه الرسالة واعلمه ما فيه المسلمون من الخوف من الاذفونش وكان امير المسلمين بمدينة سبتة ففي الحال امر بعبور العساكر الى الاندلس وارسل الى مراكش في طلب من بقي من عساكره فاقبلت اليه تتلو بعضها بعضا فلما تكاملت عنده عبر البحر وسار فاجتمع بالمعتمد بن عباد باشبيلية وكان قد جمع عساكره ايضا وخرج من اهل قرطبة عسكر كثير وقصده المطوعة من سائر بلاد الاندلس ووصلت الاخبار الى الاذفونش فجمع فرسانه وسار من طليطلة وكتب الى امير المسلمين كتابا كتبه له بعض ادباء المسلمين يغلظ له القول ويصف ما معه من القوة والعدد والعدد وبالغ الكاتب في الكتاب فامر امير المسلمين ابا بكر بن القصيرة ان يجيبه وكان كاتبا مفلقا فكتب فاجاد فلما قرأه على امير المسلمين قال هذا كتاب طويل احضر كتاب الاذفونش واكتب في ظهره الذي يكون ستراه فلما عاد الكتاب الى الاذفونش ارتاع لذلك وعلم انه بلي برجل له عزم وحزم فازداد استعدادا فرأى في منامه كأنه راكب فيلا وبين يديه طبل صغير وهو ينقر فيه فقص رؤياه على القسيسين فلم يعرفوا تأويلها فاحضر رجلا مسلما عالما بتعبير الرؤيا فقصها عليه فاستعفاه من تعبيرها فلم يعفه فقال تأويل هذه الرؤيا من كتاب الله العزيز وهو قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل السورة وقوله تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ويقتضي هلاك هذا الجيش الذي تجمعه فلما اجتمع جيشه ورأى كثرته اعجبته فاحضر ذلك المعبر وقال له بهذا الجيش ألقى اله محمد صاحب كتابكم فانصرف المعبر وقال لبعض المسلمين هذا الملك هالك وكل من معه

وخالف هؤلاء الجماعة الحسانين وترامى البرديسي عليهم مع غياب اخيه الالفي وداخله الغرور وركن الى ابناء جنسه وصادقوهم واغتر بهم وقطع وجه وفعل بالالفي الذي هو خشداشه واخوه ما فعل ولا يسمع لنصح ناصح اولا وآخرا ومازال سليمان اغا يتفاوض معهم في ذلك اياما الى ان اتفق مع ابراهيم بك على دفع نصف المصلحة ويقوم المترجم بالنصف الثاني فقال سلموني القدر اذهب به واخبر بما حصل فقالوا حتى ترجع اليه وتعلمه وتطيب خاطره على ذلك لئلا يقبضه ثم يطالبنا بغيره فلما رجع اليه واخبره بما دار بينهم قال أما قولهم اني اكون اميرا عليهم فهذا لا يتصور ولا يصح اني اتعاظم على مثل والدي ابراهيم بك وعثمان بك حسن ولا على من هو في طبقتي من خشداشيني على ان هذا لا يعيبهم ولا ينقص مقدارهم بان يكون المتآمر عليهم واحدا منهم ومن جنسهم وذلك امر لم يخطر لي ببال او ارضى بادنى من ذلك ويأخذوا على عهدا بما اشترطه على نفسي انا اذا اقعدنا الى اوطاننا ان لا اداخلهم في شيء ولا اقارشهم في امر وان يكون كبيرنا والدنا ابراهيم بك على عادته ويسمح لي باقامتي بالجيزة ولا اعارضهم في شيء واقنع بايرادي الذي كان بيدي سابقا فانه يكفيني وان اعتقدوا غدري لهم في المستقبل بسبب ما فعلوه معي

وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات الحديث وفيه واعجاب المرء
بنفسه وسار امير المسلمين والمعتمد بن عباد حتى أتوا ارضا يقال لها الزلاقة من بلد
بطليوس وأتى الاذفونش فنزل موضعا بينه وبينهم ثمانية عشر ميلا فقيل لامير المسلمين
ان ابن عباد ربما لم ينصح ولا يبذل نفسه دونك فارسل اليه امير المسلمين يأمره ان يكون
في المقدمة ففعل ذلك وسار وقد ضرب الاذفونش خيامه في لحف جبل والمعتمد في
سفح جبل يتراءون و ينزل أمير المسلمين وراء الجبل الذى عنده المعتمد وظن الاذفونش
ان عساكر المسلمين ليس الا الذى يراه وكان الفرنج فى خمسين الفا فتيقنوا الغلب وارسل
الاذفونش الى المعتمد فى ميقات القتال وقصده المكر فقال غدا الجمعة وبعده
الاحد فيكون اللقاء يوم الاثنين فقد وصلنا على حال تعب واستقر الامر على هذا
وركب ليلة الجمعة سحرا وصبح بجيشه جيش المعتمد بكرة الجمعة غدرا وظنا منه
ان ذلك المخيم هو جميع عسكر المسلمين فوقع القتال بينهم فصبر المسلمون فاشرفوا على
الهزيمة وكان المعتمد قد ارسل الى امير المسلمين يعلمه بمجىء الفرنج للحرب فقال
احملوني الى خيام الفرنج فساروا اليها فبينما هم فى القتال وصل امير المسلمين الى خيام
الفرنج فنهبها وقتل من فيها فلما رأى الفرنج ذلك لم يتمالكوا أن انهزموا واخذهم
السيف وتبعهم المعتمد من خلفهم ولقيهم امير المسلمين من بين يديهم ووضع فيهم
السيف فلم يفلت منهم احد ونجا الاذفونش فى نفر يسير وجعل المسلمون من رؤس
القتلى أكواما كثيرة فكانوا يؤذنون عليها الى ان جيفت فاحرقوها وكانت الوقعة يوم
الجمعة فى العشر الاول من شهر رمضان سنة تسع وسبعين واصاب المعتمد جراحات
فى وجهه وظهرت ذلك اليوم شجاعته ولم يرجع من الفرنج الى بلادهم غير ثلثمائة فارس
وغنم المسلمون كل مالهم من مال وسلاح ودواب وغير ذلك وعاد ابن عباد الى اشبيلية
ورجع امير المسلمين الى الجزيرة الخضراء وعبر الى سبتة وسار الى مراكش فاقام بها
الى العام المقبل وعاد الى الاندلس وحضر معه المعتمد بن عباد فى عسكره وعبد الله
ابن بلكين الصنهاجى صاحب غرناطة فى عسكره وساروا حتى نزلوا على ليط وهو
حصن منيع بيد الفرنج فحصروه حصرا شديدا فلم يقدروا على فتحه فرحلوا عنه بعد مدة
ولم يخرج اليهم احد من الفرنج لما اصابهم فى العام الماضى فعاد ابن عباد الى اشبيلية
وعاد امير المسلمين على غرناطة وهى طريقه ومعه عبد الله بن بلكين فغدر به امير
المسلمين واخذ غرناطة منه واخرجه منها فرأى فى قصوره من الاموال والذخائر مالم
يحوه ملك قبله بالاندلس ومن جملة ما وجده سبحة فيها اربعمائة جوهرة فقومت كل
جوهرة بمائة دينار ومن الجواهر ماله قيمة جليلة الى غير ذلك من الثياب والعدد
وغيرها واخذ معه عبد الله واخاه تميما ابنى بلكين الى مراكش فكانت غرناطة اول
ما ملكه من بلاد الاندلس وقد ذكرنا فيما تقدم سبب دخول صنهاجة الى الاندلس
وعود من عاد منهم الى المعز بافريقية وكان آخر من بقى منهم بالاندلس هذا عبد الله
واخذت مدينته ورحل الى العدوة ولما رجع امير المسلمين الى مراكش اطاعه من

من قتلهم حسين بك تابعي وتعصبهم وحرصهم على قتلي واهد اى انا واتباعي فبعض ما نحن فيه الآن أنساني
ذلك كله فان حسين بك
المذكور مملوكي وليس هو
ابي ولا ابني من صلبي وانما
هو مملوكي اشتريته بالدراهم
واشتري غيره ومملوكيه
وقد قتل لي عدة امراء
ومماليك فى الحروب فافرضه
من جملتهم ولا يصيبني وصيبهم
الا ما قدره الله علينا وعلى ان
الذى فعلوه بي لم يكن لسابق
ذنب ولا جرم حصل منى
فى حقهم بل كنا جميعا
اخوانا وتذكروا اشارتي عليهم
السابقة فى الالتجاء الى الانكليز
وندموا على مخالفتي بعد الذى
وقع لهم ورجعوا الى ثم أجمع
رأيهم على سفري الى بلاد
الانكليز فامتثلت ذلك
وتجشمت المشاق وخاطرت
بنفسي وسافرت الى بلاد
الانكلترة وقاسيت أهوال
البحار سنة وأشهرا كل ذلك
لاجل راحتي وراحتهم
وحصل ما حصل فى غيابي
ودخلوا مصر من غير قياس
وبنوا قصورهم على غير اساس
واطمانوا الى عدوهم
وتعاونوا به على هلاك صديقهم
وبعد أن قضى غرضه منهم
غدرهم وأحاط بهم وأخرجهم
من البلدة وأهانهم وشردهم
واحتال عليهم ثانيا يوم قطع
الخليج فراحت حيلته عليهم
أيضا وارسلت اليهم فنصحتهم
فاستغشوني وخالفوني ودخل الكثير منهم البلد واحصروا فى أزقتها وجرى عليهم ماجرى من القتل الشنيع والامر

كان لم يطعه من بلاد السوس وورغة وقلعة مهدي وقال له علماء الاندلس انه ليست طاعته بواجبة حتى يخطب للخليفة ويأتيه تقليد منه بالبلاد فارسل الى الخليفة المقتدي بامر الله ببغداد فأتاه الخلع والاعلام والتقليد ولقب بامير المسلمين وناصر الدين

(ذكر دخول السلطان الى بغداد)

في هذه السنة دخل السلطان ملكشاه بغداد في ذي الحجة بعد ان فتح حلب وغيرها من بلاد الشام والجزيرة وهي اول قدمة قدمها ونزل بدار المملكة وركب من الغد الى الحلبة ولعب بالجوكان والكرة وارسل الى الخليفة هدايا كثيرة فقبلها الخليفة ومن الغد ارسل نظام الملك الى الخليفة خدمة كثيرة فقبلها وزار السلطان ونظام الملك مشهد موسى بن جعفر وقبر معروف واحمد بن حنبل وابي حنيفة وغيرها من القبور المعروفة فقال ابن زكرويه الواسطي يهنئ نظام الملك بقصيدة منها

زرت المشاهد زورة مشهودة * ارضت مضاجع من بها مدفون

فكانك الغيث استهل بتربها * وكانها بك روضة ومعين

فازت قداحك بالثواب وانجحت * ولك الاله على النجاح ضمين

وهي مشهورة وطلب نظام الملك الى دار الخلافة ليلا فمضى في الزبزب وعاد من ليلته ومضى السلطان ونظام الملك الى الصيد في البرية فزارا المشهدين مشهد امير المؤمنين علي ومشهد الحسين عليهما السلام ودخل السلطان البر فاصطاد شيئا كثيرا من الغزلان وغيرها وامر ببناء منارة القرون بالسبيعي وعاد السلطان الى بغداد ودخل الى الخليفة فخلع عليه الخلع السلطانية ولما خرج من عنده لم يزل نظام الملك قائما يقدم اميرا اميرا الى الخليفة وكلما قدم اميرا يقول هذا العبد فلان بن فلان واقطاعه كذا وكذا وعدة عسكره كذا وكذا الى ان اتى على آخر الامراء وفوض الخليفة الى السلطان امر البلاد والعباد وامره بالعدل فيهم وطلب السلطان ان يقبل يد الخليفة فلم يجبه فسال ان يقبل خاتمه فاعطاه اياه فقبله ووضعه على عينه وامره الخليفة بالعود فعاد وخلع الخليفة ايضا على نظام الملك ودخل نظام الملك الى المدرسة النظامية وجلس في خزانة الكتب وطالع فيها كتبا وسمع الناس عليه بالمدرسة جزء حديث واملى جزأ آخر واقام السلطان ببغداد الى صفر سنة ثمانين وسار منها الى اصبهان

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في المحرم جرى بين اهل الكرخ واهل باب البصرة فتنة قتل فيها جماعة من جملتهم القاضي ابو الحسن ابن القاضي ابي الحسين بن الغريق الهاشمي الخطيب اصابه سهم فمات منه ولما قتل تولى ابنه الشريف ابو تمام ما كان اليه من الخطابة وكان العميد كمال الملك الدهستاني ببغداد فسار بخيله ورجله الى القنطرة العتيقة واعان اهل الكرخ ثم جرت بينهم فتنة ثانية في شوال منها فاعان الحجاج على اهل الكرخ فانهزموا

القطيع ولم يبق الا من تخلف منهم او ذهب من غير الطريق ثم انه الآن ايضا اسلمهم ويداهنهم ويهاديهم ويضاحكهم ويبطعهم مما فيه النجاح لهم وما اظن ان الغفلة استحكمت فيهم الى هذا الحد فارجع اليهم وذكرهم بما سبق لهم من الوقائع فلعلهم يتنبهون من سكراتهم ويرسلون معك الثلثين او النصف الذي سمح به والدنا ابراهيم بك وهذا القدر ليس فيه كبير مشقة فانهم اذا وزعوا على كل امير عشرة اكياس وعلى كل كاشف خمسة اكياس وكل جندي او مملوك كيسا واحدا اجتمع المبلغ وزيادة وانا افعل مثل ذلك مع قومي والحمد لله لسواهم ولا نحن مفاليس وثمرة المال قضاء مصالح الدنيا وما نحن فيه الآن من اهم المصالح وقل لهم البدار قبل فوات الفرصة والخصم ليس بغافل ولا مهمل والعثمانيون عبيد الدرهم والدينار فلما فرغ من كلامه ودعه سليمان اغا ورجع الى قبلي فوجد الجماعة اصروا على عدم دفع شيء ورجع ابراهيم بك ايضا الى قولهم ورأيهم ولما القى لهم سليمان اغا العبارات التي قالها صاحبهم وانه يكون تحت امرهم ونهيهم ويرضى مادني المعاش معهم ويسكن الجيزة الى آخر ما قال قالوا هذا والله كله كلام لا اصل له ولا ينسى ثاره وما فعلناه في حقه وحق اتباعه ولو اعتزل عنا وسكن قلعة الجبل فهو الالق الذي

وبلغ الناس الى درب اللؤلؤ وكاد اهل الكرخ يهلكون فخرج ابو الحسن بن برغوث العلوى الى مقدم الاحداث من السنة فساله العفو فعاد عنهم وورد الناس وفيها زاد الماء بدجلة تاسع عشر حزيران وجاء المطر يومين ببغداد وفيها فى ربيع الاول ارسل العميد كمال الملك الى الانبار فتسلمها من بنى عقيل وخرجت من ايديهم وفيها فى ربيع الآخر فرغت المنارة بجامع القصر واذن فيها وفيها فى جمادى الاولى ورد الشريف أبو القاسم على بن ابى يعلى الحسنى الدبوسى الى بغداد فى تجمل عظيم لم ير مثله لفقيه ورتب مدرسا بالنظامية بعد أبى سعد المتولى وفيها أمر السلطان ان يزاد فى اقطاع وكلاء الخليفة تهر بروزى من طريق خراسان وعشرة آلاف دينار من معاملة بغداد وفيها اقطع السلطان ملكشاه محمد بن شرف الدولة مسلم مدينة الرحبة واعمالها وحران وسروج والرقة والخابور وزوجه باخته زليخا خاتون فتسلم البلاد جميعها ما عدا حران فان محمد بن الشاطر امتنع من تسليمها فلما وصل السلطان الى الشام نزل عنها ابن الشاطر فسلمها السلطان الى محمد وفيها وقع ببغداد صاعقتان فكسرت احداهما اسطوانتين وأحرقت قطنا فى صناديق ولم تحترق الصناديق وقتلت الثانية رجلا وفيها كانت زلازل بالعراق والجزيرة والشام وكثير من البلاد فخربت كثيرا من البلاد وفارق الناس مساكنهم الى الصحراء فلما سكنت عادوا وفيها عزل فخر الدولة ابن جهير عن ديار بكر وسلمها السلطان الى العميد أبى على البلخى وجعله عاملا عليها وفيها اسقط اسم الخليفة المصرى من الحرمين الشريفين وذكر اسم الخليفة المقتدى بامر الله وفيها أسقط السلطان المكوس والاجتيازات بالعراق وفيها حصر تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية مدينتى قابس وسفاقس فى وقت واحد وفرق عليها العساكر وفيها فى ربيع الاول توفى أبو الحسن بن فضال المجاشعى النحوى المقرى وفى ربيع الآخر توفى شيخ الشيوخ أبو سعد الصوفى النيسابورى وهو الذى تولى بناء الرباط بنهر المعلى وبنى وقوفه وهو رباط شيخ الشيوخ الآن وبنى وقوف المدرسة النظامية وكان عالى الهمة كثير التعصب لمن يلتجئ اليه وجدد تربة معروف الكرخى بعدان احترقت وكانت له منزلة كبيرة عند السلطان وكان يقال نحمد الله الذى أخرج رأس ابى سعد من مرقعة ولو اخرجه من قباء لملكنا وفيها توفى ابو على محمد بن احمد التسترى البصرى وكان خيرا حافظا للقرآن ذا مال كثير وهو آخر من روى سنن ابى داود السجستانى عن ابى عمر الهاشمى وفيها توفى الشريف ابو نصر الزينبى العباسى نقيب الهاشميين وهو محدث مشهور عالى الاسناد

(ثم دخلت سنة ثمانين واربعمائة)

(ذكر زفاف ابنة السلطان الى الخليفة)

فى المحرم نقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه الى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملا مجللة بالديباج الرومى وكان أكثر الاحمال الذهب والفضة وثلاث عماريات وعلى اربعة وسبعين

شاع ذكره فى الآفاق ولا تخاطب الدولة غيره وقد كنا فى فيئته لا نطيق عفريتا من عفاريته فكيف يكون هو وعفاريته الجميع ومن ينشئه خلافهم وداخلهم الحقد وزاد فى وساوسهم الشيطان فقال لهم سليمان أغا اقضوا شغلكم فى هذا الحين حتى تنجلى عنكم الاعداء الاغراب ثم اقتلوه بعد ذلك وتستريحوا منه فقالوا هيهات بعد ان يظهر علينا فانه يقتلنا واحدا بعد واحد ويخرجنا الى البلاد ثم يرسل يقتلنا وهو بعيد المكر فلا نأمن اليه مطلقا وغرهم الخصم بتمويهاته وارسل اليهم هدايا وخيولا وسروجا واقمشة هذا ورسل القبودان تذهب وتأتى بالمخاطبات والمراسلات حتى عموا الامر كما تقدم (وفى اثناء ذلك) ينتظر القبودان جوابا كافيا ومهداره مقيم أيضا عند المترجم والمترجم يشاغل القبودان بالهدايا والاغنام والذخيرة من الارز والغلال والسمن والعسل وغير ذلك الى ان رجع اليه سليمان أغا بخفى حنين محزونا مهموما متحيرا فيما وقع فيه من الورطة مكسوف البال مع القبودان ووزير الدولة وكيف يكون جوابه للمذكورين والقبودان جعل فى الابرة خيطين ليتبع الاروج فلما وصل اليه سليمان أغا واخبره ان الجماعة القبايل بين لا راحة عندهم وامتنعوا من الدفع ومن الحضور وان المترجم يقوم

بغلا عجالة بانواع الديباج الملكي واجراسها وقلائدها من الذهب والفضة وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقا من فضة لايقدر مافيها من الجواهر والحلى وبين يدى البغال ثلاثة وثلاثون فرسا من الخيل الرائقة عليها مراكب الذهب مرصعة بانواع الجوهر ومهد عظيم كثير الذهب وسار بين يدى الجهاز سعد الدولة كوهرائين والامير برسق وغيرهما ونثر اهل نهر معلى عليهم الدنانير والثياب وكان السلطان قد خرج عن بغداد متصيدا ثم ارسل الخليفة الوزير ابا شجاع الى تركان خاتون زوجة السلطان وبين يديه نحو ثلثمائة موكبية ومثلها مشاعل ولم يبق فى الحريم دكان الا وقد اشعل فيها الشمعة والاثنتان واكثر من ذلك وارسل الخليفة مع ظفر خادمه محفة لم ير مثلها حسنا وقال الوزير لتركان خاتون سيدنا ومولانا امير المؤمنين يقول ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقد اذن فى نقل الوديعة الى داره فاجابت بالسمع والطاعة وحضر نظام الملك فمن دونه من اعيان دولة السلطان وكل منهم معه من الشمع والمشاعل الكثير وجاء نساء الامراء الكبار ومن دونهم كل واحدة منهن منفردة فى جماعتها وتجملها وبين ايديهن الشمع الموكبيات والمشاعل يحمل ذلك جميعه الفرسان ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان بعد الجميع فى محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر اكثر شئ وقد احاط بالمحفة مائتا جارية من الاتراك بالمراكب العجيبة وسارت الى دار الخلافة وكانت ليلة مشهودة لم ير ببغداد مثلها فلما كان الغد احضر الخليفة أمراء السلطان لسماط امر بعمله حكى ان فيه اربعين الف منا من السكر وخلع عليهم كلهم وعلى كل من له ذكر فى العسكر وارسل الخلع الى الخاتون زوجة السلطان والى جميع الخواتين وعاد السلطان من الصيد بعد ذلك

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ولد للسلطان ابن من تركان خاتون وسماه محمودا وهو الذى خطب له بالمملكة بعد وفيها سلم السلطان ملكشاه مدينة حلب والقلعة الى مملوكه آقسنقر فوليها واظهر فيها العدل وحسن السيرة وكان زوج داية السلطان ملكشاه وهى التى تحضنه وتربيه وماتت بحلب سنة اربع وثمانين وفيها استبق ساعيان احدهما للسلطان فضلى والآخر للامير قماج مرعوشى فسبق ساعى السلطان وقد تقدم ذكر الفضلى والمرعوشى ايام معز الدولة بن بويه وفيها جعل السلطان ولى عهده ولده اباشجاع احمد ولقبه ملك الملوك عضد الدولة وتاج الملة عدة امير المؤمنين وارسل الى الخليفة بعد مسيره من بغداد ليخطب له ببغداد بذلك فخطب له فى شعبان ونثر الذهب على الخطباء وفيها فى شعبان انحدر سعد الدولة كوهرائين الى واسط لمحاربة مهذب الدولة بن ابى الجبر صاحب البطائح ولما فارق بغداد كثرت فيها الفتن وفيها فى ذى القعدة ولد للخليفة من ابنة السلطان ولد سماه جعفرا وكناه ابا الفضل وزين البلد لاجل ذلك وفيها استولى العميد كمال الملك ابو الفتح الدهستانى عميد العراق على مدينة هيت اخذها

صلحا

مع القدر الذى يقدر عليه والذى يبقى ويتجمع عليه يقوم بدفعه فاغتاظ القبودان وقال أنت تضحك على ذقنى فان وزير الدولة وقد تحركنا هذه الحركة على ظن ان الجماعة على قلب رجل واحد حصل من المماليك العصيان والمخالفة ولم يكن فيهم مكافاة لمقاومته اساعدناهم بجيش من النظام الجديد وغيره وحيث انهم متنافرون ومتحاسدون ومتباغضون فلا خير فيهم وصاحبك هذا لا يكفى فى المقاومة وحده ويحتاج الى كثير المعاونة وهى لاتكون الا بكثرة المصاريف * ولما ظهر لسليمان أغا الغيظ والتغير من القبودان خاف على نفسه ان يبطش به وعرف منه ان المانع له من ذلك غياب السلحدار عند الترجمان لانه قال له واين سلحدارى قال هو عند الالفى بالبحيرة فقال اذهب فائتنى به واحضر صحبته وكان موسى باشا المتولى قد حضر أيضا فصادق سليمان أغا بقوله ذلك وخلاصه من بين يديه فركب فى الوقت وخرج من الاسكندرية وقفاه الا أن بعد عنها مقدار غلوة الا والسلحدار قادم الى سكندرية فساله الى اين يذهب فقال ان مخدومك ارسلنى فى شغل وها انا راجع اليكم وذهب عند الترجمان ولم يرجع (وفى اثناء هذه الايام) كان الترجمان يحارب دمنهور وبعث اليه محمد على باشا التجريدة العظيمة التى بذل فيها جهده وفيها جميع عساكر الدلاة

وطاهر باشا ومن معه من عساكر الارنؤود والاتراك وعسكر المغاربة فقاربهم وكسرهم وهزمهم شر هزيمة

صلحا ومضى اليها وعاد عنها في ذي القعدة وفيها وقعت فتنة بين اهل الكرخ وغيرها من المحال قتل فيها كثير من الناس وفيها كسفت الشمس كسوفا كليا وفيها توفي الامير ابو منصور قتلغ امير الحاج وحج اميرا اثنتي عشرة سنة وكانت له في العرب عدة وقعات وكانوا يخافونه ولما مات قال نظام الملك مات اليوم الف رجل وولي امارة الحاج خمج الدولة خمارتكين وفيها في جمادى الاولى توفي اسمعيل بن عبد الله بن موسى بن سعد ابو القاسم الساوي سمع الحديث الكثير من ابي سعيد الصيرفي وغيره وروى عنه الناس وكان ثقة وطاهر بن الحسين ابو الوفاء البندنيجي الهمداني كان شاعرا اديبا وكان يمدح لا لعرض الدنيا ومدح نظام الملك بقصيدتين كل واحدة منهما تزيد على اربعين بيتا احداهما ليس فيها نقطة والاخرى جميع حروفها منقوطة وفيها توفيت فاطمة بنت علي المؤدب المعروفة ببنت الاقرع الكاتبة كانت من احسن الناس خطا على طريقة ابن البواب وسمعت الحديث واسمعته وفيها في ذي القعدة توفي غرس النعمة ابو الحسن محمد بن الصابي صاحب التاريخ وظهر له مال كثير وكان له معروف وصدقة

(ثم دخلت سنة احدى وثمانين واربعمائة)

(ذكر الفتنة ببغداد)

في هذه السنة في صفر شرع اهل باب البصرة في بناء القنطرة الجديدة ونقلوا الآجر في اطباق الذهب والفضة وبين ايديهم الدبادب واجتمع اليهم اهل المحال وكثر عندهم اهل باب الازج في خلق لا يحصى واتفق ان كوهرائين سار في سميرية واصحابه يسيرون على شاطئ دجلة بسيره فوقف اهل باب الازج على امرأة كانت تسقي الناس من مزملة لها على دجلة فحملوا عليها على عادة لهم وجعلوا يكسرون الجرار ويقولون الماء للسبيل فلما رأت سعد الدولة كوهرائين استغاثت به فامر بابعادهم عنها فضربهم الاتراك بالمقارع فسل العامة سيوفهم وضربوا وجه فرس حاجبه سليمان وهو اخص اصحابه فسقط عن الفرس فحمل كوهرائين الحنق على ان خرج من السميرية اليهم راجلا فحمل احدهم عليه فطعنه باسفل رمحه فالقاه في الماء والطين فحمل اصحابه على العامة فقاتلوهم وحرصوا على الظفر بالذي طعنه فلم يصلوا اليه واخذ ثمانية نفر فقتل احدهم وقطع اعصاب ثلاثة نفر وارسل قباءه الى الديوان وفيه اثر الطعنة والطين يستنفر على اهل باب الازج ثم ان اهل الكرخ عقدوا لانفسهم طاقا آخر على باب طاق الحراني وفعلوا كفعل اهل باب البصرة

(ذكر اخراج الاتراك من حريم الخلافة)

في هذه السنة في ربيع الآخر امر الخليفة باخراج الاتراك الذين مع الخاتون زوجته ابنة السلطان من حريم دار الخلافة وسبب ذلك ان تركيا منهم اشترى من طواف فاكهة فتماكسا فشتم الطواف التركي فاخذ التركي صنجة من الميزان وضرب بها راس

حتى القوا بانفسهم في البحر ورجعوا في اسوا حال فلو تجاسر المترجم وتبعهم لطرب الباقون من البلدة وخرجوا جميعا على وجوههم من شدة ما داخلهم من الرعب ولكن لم يرد الله ذلك ولم يجسروا للخروج عليه بعد ذلك ولما تحقق عنه عشيرته ولم يلبوا دعوته واتلفوا الطبخ وسافر القبودان وموسى باشا من ثغر سكندرية على الصورة المذكورة استانف المترجم امرا آخر وارسل الانكليز يلتمس منهم المساعدة وان يرسلوا له طائفة من جنودهم ليقوى بهم على محاربة الخصم كما التمس منهم في العام الماضي فاعتذروا له بانهم صلح مع العثماني وليس في قانون الممالك اذا كانوا اصلحا ان يتعدوا على المتصادقين معهم ولا يوجهون نحوها عساكر الا باذن منهم او بالتماس المساعدة في امرهم فغاية ما يكون المكالمة والترجي ففعلوا وحصل ما تقدم ذكره ولم يتم الامر فلما خاطبهم بعد الذي جرى صادف ذلك وقوع الغرة بينهم وبين العثماني فارسلوا الى المترجم يعدون بانفاذ ستة آلاف لمساعدته فاقام بالبحيرة ينتظر حضورهم نحو ثلاثة شهور وكان ذلك اوان القيظ وليس ثم زروع ولا نباتات فضاقت على جيوشهم الناحية وقد طال انتظاره للانكليز فتشكى العربان

الطواف فشجه فاجتمعت العامة وكادوا يكونون بينهم وبين الاتراك شر واستغاثوا وشنعوا فامر الخليفة باخراج الاتراك فاخرجوا عن آخرهم في ساعة واحدة على اقبح صورة وقت العشاء الآخرة

ذكر ملك الروم مدينة زويلة وعودهم عنها

في هذه السنة فتح الروم مدينة زويلة من افريقية وهي بقرب المهدية وسبب ذلك ان الامير تميم بن المعز بن باديس صاحبها اكثر غزو بلادهم في البحر فخربها وشتت اهلها فاجتمعوا من كل جهة واتفقوا على انشاء الشواني لغزو المهدية ودخل معهم البيسانيون والجنويون وهما من الفرنج فاقاموا يعمرون الاسطول اربع سنين واجتمعوا بجزيرة قوصرة في اربعمائة قطعة فكتب اهل قوصرة كتابا على جناح طائر يذكرون وصولهم وعددهم وحكمهم على الجزيرة فاراد تميم ان يسير عثمان بن سعيد المعروف بالمهر مقدم الاسطول الذي له ليمنعهم من النزول فمنعه من ذلك بعض قواده اسمه عبد الله بن منكوت لعداوة بينه وبين المهر فجاءت الروم وأرسوا وطلعوا الى البر ونهبوا وخربوا واحرقوا ودخلوا زويلة ونهبوها وكانت عساكر تميم غائبة في قتال الخارجين عن طاعته ثم صالح تميم الروم على ثلاثين ألف دينار ورد جميع ما حووه من السبي وكان تميم يبذل المال الكثير في الغرض الحقير فكيف في الغرض الكبير حكي عنه انه بذل للعرب لما اساؤوا ولوا على حصن له يسمى قناطة ليس بالعظيم اثني عشر الف دينار حتى هدمه فقيل له هذا سرف في المال فقال هو شرف في الحال

ذكر وفاة الناصر بن علناس وولاية ولده المنصور

في هذه السنة مات الناصر بن علناس بن حماد وولي بعده ابنه المنصور فاقتفى آثار ابيه في الحزم والعزم والرياسة ووصله كتب الملوك ورسلهم بالتعزية بابيه والتهنئة بالملك منهم يوسف بن تاشفين وتميم بن المعز وغيرهما

ذكر وفاة ابراهيم ملك غزنة وملك ابنه مسعود

في هذه السنة توفي الملك المؤيد ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان عادلا كريما مجاهدا وقد ذكرنا من فتوحه ما وصل الينا وكان عاقلا ذا راي متين فمن آرائه ان السلطان ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي جمع عساكره وسار يريد غزنة ونزل باسفراين فكتب ابراهيم بن مسعود كتابا الى جماعة من أعيان أمراء ملكشاه يشكرهم ويعتد لهم بما فعلوا من تحسين قصد ملكشاه بلاده ليتم لنا ما استقر بيننا من الظفر به وتخليصهم من يده ويعدهم الاحسان على ذلك وأمر القاصد بالكتب ان يتعرض لملكشاه في الصيد ففعل ذلك فاخذوا حضر عند السلطان فساله عن حاله فانكره فامر السلطان بجلده فجلد فدفع الكتب اليه بعد جهد ومشقة فلما وقف ملكشاه عليها تحيل من أمرائه وعاد ولم يقل لاحد من أمرائه في هذا الامر شيئا خوفا ان يستوحشوا منه وكان يكتب بخطه كل سنة مصحفا ويبعثه مع الصدقات الى مكة وكان

المشفقون عليه وغيرهم لشدة ماهم فيه من الجهد وفي كل حين يعدهم بالفرج ويقول لهم اصبروا ولم يبق الا القليل فلما اشتد بهم الجهد اجتمعوا اليه وقالوا له اما أن تنتقل معنا الى ناحية قبلي فان ارض الله واسعة واما ان تاذن لنا في الرحيل في طلب القوت فما وسعه الا الرحيل مكظوما مقهورا من معاندة الدهر في بلوغ المآرب الاول مجيء القبودان وموسى باشا على هذه الهيئة والصورة ورجوعهما على غير طائل الثاني عدم ملكه دمنهور وكان قصده ان يجعلها معقلا ويقيم بها حتى تاتيه النجدة الثالث تاخر مجيء النجدة حتى قحطوا واضطروا الى الرحيل الرابع وهو اعظمها مجانبة اخوانه وعشيرته وخذلانهم له وامتناعهم عن الانضمام اليه فارتحل من البحيرة بجيوشه ومن يصحبه من العربان حتى وصل الى الاخصاص فنادى محمد علي باشا على العساكر بالخروج ولا يتاخر منهم واحد فخرجوا أفواجا ليلا ونهارا حتى وصلوا الى ساحل بولاق وعدوا الى بر انبابة وجيشوا بظاهرها وقد وصل المترجم الى كفر حكيم يوم الثلاثاء ثامن عشر القعدة وانتشرت جيوشه بالبر الغربي ناحية انبابة والجيزة وركب الباشا واصناف العساكر ووقفوا على ظهور خيولهم واصطفت الرجالة ببنادقهم واسلحتهم ومر المترجم في هيئة عظيمة هائلة وجيوش تسد الفضاء

يقول

يقول لو كنت مع أبي مسعود بعد وفاة جدي محمود لما انفصمت عرى مملكتنا ولكني الآن عاجز عن أن استرد ما أخذوه واستولى عليه ملوك قد اتسعت مملكتهم وعظمت عساكرهم ولما توفي ملك بعده ابنه مسعود ولقبه جلال الدين وكان قد زوجه أبوه بابنة السلطان ملكشاه وأخرج نظام الملك في هذا الاملاك والزفاف مائة ألف دينار

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة حج الوزير أبو شجاع وزير الخليفة واستناب ابنه ربيب الدولة أبا منصور ونقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي وفيها أسقط السلطان ما كان يؤخذ من الحجاج من الخفارة وفيها جمع آقسنقر صاحب حلب عسكره وسار الى قلعة شيزر فحصرها وصاحبها ابن منقذ وضيق عليها ونهب ربضها ثم صالحه صاحبها وعاد الى حلب وفيها توفي أبو بكر أحمد بن أبي حاتم عبد الصمد بن أبي الفضل الغورجي الهروي والقاضي محمود بن محمد بن القاسم أبو عامر الازدي المهلبي راويا جامع الترمذي عن أبي محمد الجراحي رواه عنهما أبو الفتح الكروخي وتوفي عبد الله بن محمد بن علي بن محمد أبو اسمعيل الانصاري الهروي شيخ الاسلام ومولده سنة خمس وتسعين وثلثمائة وكان شديد التعصب في المذاهب ومحمد بن اسحق بن ابراهيم بن مخلد الباقرحي ومولده في شعبان وهو من أهل الحديث والرواية وفي المحرم توفيت ابنة الغالب بالله بن القادر ودفنت عند قبر أحمد وكانت ترجع الى دين ومعروف كثير لم يبلغ أحد في فعل الخير ما بلغت وفي شعبان توفي عبد العزيز الصحراوي الزاهد وفيها توفي الملك أحمد ابن السلطان ملكشاه بمرو وكان ولي عهد أبيه في السلطنة وكان عمره احدى عشرة سنة وجلس الناس ببغداد للعزاء سبعة أيام في دار الخلافة ولم يركب احد فرسا وخرج النساء ينحن في الاسواق واجتمع الخلق الكثير في الكرخ للتفرج والمناحات وسود اهل الكرخ أبواب عقودهم اظهارا للحزن به

(ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين واربعمائة)

ذكر الفتنة ببغداد بين العامة

في هذه السنة في صفر كبس أهل باب البصرة الكرخ فقتلوا رجلا وجرحوا آخر فاغلق أهل الكرخ الاسواق ورفعوا المصاحف وحملوا ثياب الرجلين وهي بالدم ومضوا الى دار العميد كمال الملك أبي الفتح الدهستاني مستغيثين فارسل الى النقيب طراد بن محمد يطلب منه احضار القاتلين فقصد طراد دار الامير بوزان بقصر ابن المأمون فطالبه بوزان بهم ووكل به فارسل الخليفة الى بوزان يعرفه حال النقيب طراد ومحله ومنزلته فخلى سبيله واعتذر اليه فسكن العميد كمال الملك الفتنة وكف الناس بعضهم عن بعض ثم سار الى السلطان فعاد الناس الى ما كانوا فيه من الفتنة ولم ينقض يوم الا عن قتلى وجرحى

ذكر ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر

وهم مرتبون طوابير ومعهم طبول وصحبته قبائل العرب من اولاد علي والهنادي وعربان الشرق في كبكبة زائدة والباشا والعسكر وقوف ينظرون اليهم من بعيد وهو يتعجب ويقول هذا طهماز الزمان والايش يكون ثم يقول للدلاة والخيالة تقدموا وحاربوا وانا أعطيكم كذا وكذا من المال ويذكر لهم مقادير عظيمة ويرغبهم فلم يتجاسروا على الاقدام وصاروا باهتين ومتعجبين ويتناجون فيما بينهم ويتشاورون في تقدمهم وتأخرهم وقد أصابوه بأعينهم ولم يزل سائرا حتى وصل الى قريب قناطر شبرامنت فنزل على علوة هناك وجلس عليها وزاد به الهاجس والقهر ونظر الى جهة مصر وقال يا مصر انظري الى أولادك وهم حولك مشتتين متباعدين مشردين واستوطنك اجلاف الاتراك واليهود واراذل الارنؤد وصاروا يقبضون خراجك ويحاربون اولادك ويقاتلون ابطالك ويقاومون فرسانك ويهدمون دورك ويسكنون قصورك ويفسقون بولدانك وحورك ويطمسون بهجتك ونورك ولم يزل يردد هذا الكلام وأمثاله وقد تحرك به خلط دموي وفي الحال تقايأ دما وقال قضي الامر وخلصت مصر لمحمد علي وما ثم من ينازعه ويغالبه وجرى حكمه على المماليك المصرية غضبا أ ظن ان تقوم لهم راية بعد اليوم ثم انه احضر امراءه وامر عليهم شاهين بك واوصاه بحشد اشينه

في هذه السنة ملك السلطان ملكشاه ماوراء النهر وسبب ذلك ان سمرقند كان قد ملكها أحمدخان بن خضرخان أخو شمس الملك الذي كان قبله وهو ابن أخي تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه وكان صبيا ظاهر القبيح السيرة يكثر مصادرة الرعية فنفروا منه وكتبوا الى السلطان سرا يستدعونه ويسألونه القدوم عليهم ليملك بلادهم وحضر الفقيه أبو طاهر بن علك الشافعي عند السلطان شاكيا وكان يخاف من احمدخان لكثرة ماله فاظهر السفر للتجارة والحج فاجتمع بالسلطان وشكا اليه وأطمعه في البلاد فتحركت دواعي السلطان الى ملكها فسار من أصبهان وكان قد وصل اليه وهو فيها رسول ملك الروم ومعه الخراج المقرر عليه فأخذه نظام الملك معهم الى ماوراء النهر وحضر فتح البلاد فلما وصل الى كاشغر اذن له نظام الملك في العود الى بلاده وقال أحب ان يذكر عنك في التواريخ ان ملك الروم حمل الجزية واوصلها الى باب كاشغر لينهي الى صاحبه سعة ملك السلطان ليعظم خوفه منه ولا يحدث نفسه بخلاف الطاعة وهذا يدل على همة عالية تعلو على العيوق ولما سار السلطان من أصبهان الى خراسان جمع العساكر من البلاد جميعها فعبر النهر بجيوش لا يحصرها ديوان ولا تدخل تحت الاحصاء فلما قطع النهر قصد بخارا وأخذ ما على طريقه ثم سار اليها وملكها وما جاورها من البلاد وقصد سمرقند ونازلها وكانت الملطفات قد قدمها الى أهل البلد يعدهم النصر والخلاص مما هم فيه من الظلم وحصر البلد وضيق عليه وأعانه أهل البلد بالاقامات وفرق أحمدخان صاحب سمرقند ابراج السور على الامراء ومن يثق اليه من اهل البلد وسلم برجا يقال له برج العيار الى رجل علوي كان مختصا به فنصح في القتال فاتفق ان ولد هذا العلوي أخذ أسيرا ببخارا فهدد الاب بقتله فتراخى عن القتال فسهل الامر على السلطان ملكشاه ورمى من السور عدة ثلم بالمنجنيقات وأخذ ذلك البرج فلما صعد عسكر السلطان الى السور هرب أحمدخان واختفى في بيوت بعض العامة فغمز عليه وأخذ وحمل الى السلطان وفي رقبته حبل فأكرمه السلطان وأطلقه وأرسله الى اصبهان ومعه من يحفظه ورتب بسمرقند الامير العميد أبا طاهر عميد خوارزم وسار السلطان قاصدا الى كاشغر فبلغ الى يوزكند وهو بلد يجري على بابه نهر وأرسل منها رسلا الى ملك كاشغر يأمره باقامة الخطبة وضرب السكة باسمه ويتوعده ان خالف بالمسير اليه ففعل ذلك وأطاع وحضر عند السلطان فأكرمه وعظمه وتابع الانعام عليه واعاده الى بلده ورجع السلطان الى خراسان فلما بعد عن سمرقند لم يتفق اهلها وعسكرها المعروفون بالجكلية مع العميد ابي طاهر نائب السلطان عندهم حتى كادوا يثبون عليه فاحتال حتى خرج من عندهم ومضى الى خوارزم

(ذكر عصيان سمرقند)

كان مقدم العسكر المعروف بالجكلية واسمه عين الدولة قد خاف السلطان لهذا الحادث فكاتب يعقوب تكين اخا ملك كاشغر وعملكته تعرف بآب باشي وبيده قلعتها

عادية عدوهم وأوصاهم انه اذا مات يحملونه الى وادي البهنسا ويدفنونه بجوار قبور الشهداء فمات في تلك الليلة وهي ليلة الاربعاء تاسع عشر ذي القعدة فلما مات غسلوه وكفنوه وصلوا عليه وحملوه على بعير وساروا الى البهنسا ودفنوه هناك بجوار الشهداء وانقضى نحبه فسبحان من له سرمدية الابقاء وفي الحال حضر المبشر الى محمد علي باشا وبشره بموت المترجم فلم يصدقه واستغرب ذلك وحبس البدوي الذي أتاه بالبشارة أربعة أيام وذلك لان اتباعه كانوا كتموا أمر موته ولم يذيعوه في عرضيه والذي اشاع الخبر واتى بالبشارة رفيق البدوي الذي حمله على بعيره ولما ثبت موته عند الباشا امتلأ فرحا وسروا وكذلك خاصته ورفعوا رؤسهم واحضر ذلك المبشر فالبسه فروة سمور واعطاه مالا وامره ان يركب بتلك الخلعة ويشق بها من وسط المدينة ليراه اهل البلدة وشاع ذلك الخبر في الناس من وقت حضور المبشر وهم يكذبون ذلك الخبر ويقولون هذا من جملة تحيلاته فانه لما سافر الى بلاد الانكليز لم يعلم بسفره احد ولم يظهر سفره الا بعد مضي اشهر فلذلك امر الباشا ذلك المبشر ان يركب بالخلعة ويمر بها من وسط المدينة ومع ذلك استمروا في شكهم نحو

واستحضره

شهرين حتى قويت عندهم القرائن بما حصل وبعد ذلك فانه لما مات تفرقت قبائل العربان التي كانت مجتمعة حوله

واستحضره فحضر عنده بسمرقند واقام ثم ان يعقوب علم ان امره لا يستقيم معه فوضع عليه الرعية الذين كان اساء اليهم حتى ادعوا عليه دماء قوم كان قتلهم واخذ الفتاوى عليه وقتله واتصلت الاخبار بالسلطان ملكشاه بذلك فعاد الى سمرقند

(ذكر فتح سمرقند الفتح الثاني)

لما اتصلت الاخبار بعصيان سمرقند بالسلطان ملكشاه وقتل عين الدولة مقدم الجكلية عاد الى سمرقند فلما وصل الى بخارا هرب يعقوب المستولي على سمرقند ومضى الى فرغانة ولحق بولايته ووصل جماعة من عسكره الى السلطان مستامنين فلقوه بقرية تعرف بالطواويس ولما وصل السلطان الى سمرقند ملكها ورتب بها الامير ابر وسار في اثر يعقوب حتى نزل بيوزكند وارسل العساكر الى سائر الاكناف في طلبه وارسل السلطان الى ملك كاشغر وهو اخو يعقوب ليجد في امره ويرسله اليه فاتفق ان عسكر يعقوب شغبوا عليه ونهبوا خزائنه واضطروه الى ان هرب على فرسه ودخل الى اخيه بكاشغر مستجيرا به فسمع السلطان بذلك فارسل الى ملك كاشغر يتوعده ان لم يرسله اليه ان يقصد بلاده ويصير هو العدو فخاف ان يمنع السلطان وانف ان يسلم اخاه بعد ان استجار به وان كانت بينهما عداوة قديمة ومنافسة في الملك عظيمة لما يلزمه فيه العار فاداه اجتهاده الى ان قبض على اخيه يعقوب واظهر انه كان في طلبه فظفر به وسيره مع ولده وجماعة من اصحابه وكلهم بيعقوب وارسل معهم هدايا كثيرة للسلطان وامر ولده انه اذا وصل الى قلعة بقرب السلطان ان يسمل يعقوب ويتركه فان رضي السلطان بذلك والا سلمه اليه فلما وصلوا الى القلعة عزم ابن ملك كاشغر ان يعمل عمه وينفذ فيه ما امره به ابوه فتقدم فكتفه والقاه على الارض ليفعلوا به ذلك فبينما هم على تلك الحال وقد احموا الميل ليسملوه اذ سمعوا ضجة عظيمة فتركوه وتشاوروا بينهم وظهر عليهم انكسار ثم ارادوا بعد ذلك سمله ومنع منه بعض فقال لهم يعقوب اخبروني عن حالكم وما يقلقكم الذي تريدونه مني واذا فعلتم بي شيئا ربما ندمتم عليه فقيل له ان طغرل بن ينال اسرى من ثمانين فرسخا في عشرات الوف من العساكر وكبس اخاك بكاشغر فاخذه اسيرا ونهب عسكره وعاد الى بلاده فقال لهم هذا الذي تريدون تفعلونه بي ليس مما تتقربون به الى الله تعالى وانما تفعلونه اتباعا لامر اخي وقد زال امره ووعدهم الاحسان فاطلقوه فلما رأى السلطان ذلك ورأى طمع طغرل ابن ينال ومسيره الى كاشغر وقبض صاحبها وملكه لها مع قربه منه خاف ان يختل بعض امره وتزول هيبته وعلم انه متى قصد طغرل سار من بين يديه فان عاد عنه رجع الى بلاده وكذلك يعقوب اخو صاحب كاشغر وانه لا يمكنه المقام لسعة البلاد وراءه وخوف الموت بها فوضع تاج الملك على ان يسعى في اصلاح امر يعقوب معه ففعل ما امره به السلطان فاتفق هو ويعقوب وعاد الى خراسان وجعل يعقوب مقابل طغرل يمنعه من القوة وملك البلاد وكل منهما يقوم في وجه الآخر

وبعضهم ارسل يطلب امانا من الباشا وغير ذلك مما تقدم ذكره وخبره في ضمن ما تقدم وكان محمد علي باشا يقول مادام هذا الالفي موجودا لا يهنا لي عيش ومثالي انا وهو مثال بهلوان يلعب على الحبل لكن هو في رجليه قبقاب فلما اتاه المبشر بموته قال بعد ان تحقق ذلك الآن طابت لي مصر وما عدت احسب لغيره حسابا (وكان المترجم) اميرا جليلا مهيبا محتشما مدبرا بعيد الفكر في عواقب الامور صحيح الفراسة اذا نظر في سحنة انسان عرف حاله واخلاقه بمجرد النظر اليه قوي الشكيمة صعب المراس عظيم الباس ذا غيرة حتى على من ينتمي اليه او ينسب الى طرفه يحب علو الهمة في كل شئ حتى ان التجار الذين يعاملهم في المشتروات لا يساومهم ولا يفاصلهم في اثمانها بل يكتبون الاثمان بانفسهم كما يحبون ويريدون في قوائم ويأخذها الكاتب ليعرضها عليه فيمضي عليها ولا ينظر فيها ويرى ان النظر في مثل ذلك والمماقة فيه عيب ونقص يخل بالامرية ولا تمضي السنة الا والجميع قد استوفوا حقوقهم ويستأنفوا احتياجات العام الجديد ولذلك راج حال المعاملين له ورواج ما عندهم بالكثرة وبحبهم عليه ومكاسبهم

(ذكر عود ابنة السلطان زوجة الخليفة الى ابيها)

وفي هذه السنة ارسل السلطان الى الخليفة يطلب ابنته طلبا لابد منه وسبب ذلك انها ارسلت تشكو من الخليفة وتذكر انه كثير الاطراح لها والاعراض عنها فاذن لها في المسير فسارت في ربيع الاول وسار معها ابنها من الخليفة ابو الفضل جعفر بن المقتدي بامر الله ومعهما اسار ار باب الدولة ومشى مع محفتها سعد الدولة كوهرائين وخدم دار الخلافة الا كابر وخرج الوزير يشيعهم الى النهروان وعاد وسارت الخاتون الى اصبهان فاقامت بها الى ذى القعدة وتوفيت وجلس الوزير ببغداد للعزاء سبعة ايام واكثر الشعراء مراثيها ببغداد وبعسكر السلطان

(ذكر فتح عسكر مصر عكا وغيرها من الشام)

في هذه السنة خرجت عساكر مصر الى الشام في جماعة من المقدمين فحصروا مدينة صور وكان قد تغلب عليها القاضي عين الدولة بن أبي عقيل وامتنع عليهم ثم توفي ووليها أولاده فحصرهم العسكر المصري فلم يكن لهم من القوة ما يمتنعون بها فسلموها اليهم ثم سار العسكر منها الى مدينة صيدا ففعلوا بها كذلك ثم ساروا الى مدينة عكا فحصروها وضيقوا على اهلها فافتتحوها وقصدوا مدينة جبيل فملكوها أيضا واصلحوا أحوال هذه البلاد وقرروا قواعدها وساروا عنها الى مصر عائدين واستعمل امير الجيوش على هذه البلاد الامراء والعمال

(ذكر الفتنة بين أهل بغداد ثانية)

وفي هذه السنة في جمادى الاولى كثرت الفتن ببغداد بين اهل الكرخ وغيرها من المحال وقتل بينهم عدد كثير واستولى اهل المحال على قطعة كبيرة من نهر الدجاج فنهبوها واحرقوها فنزل شحنة بغداد وهو خمارتكين النائب عن كوهرائين على دجلة في خيله ورجله ليكف الناس عن الفتنة فلم ينتهوا وكان أهل الكرخ يجرون عليه وعلى اصحابه الجرايات والاقامات وفي بعض الايام وصل اهل باب البصرة الى سويقة غالب فخرج من اهل الكرخ من لم تجر عادته بالقتال فقاتلوهم حتى كشفوهم فركب خدم الخليفة والحجاب والنقباء وغيرهم من اعيان الحنابلة كابن عقيل والكلوذاني وغيرهما الى الشحنة وساروا معه الى اهل الكرخ فقرأ عليهم مثالا من الخليفة يامرهم بالكف ومعاودة السكون وحضور الجماعة والجمعة والتدين بمذهب اهل السنة فاجابوا الى الطاعة فبينما هم كذلك اتاهم الصارخ من نهر الدجاج بان اهل السنة قد قصدوهم والقتال عندهم فضوا مع الشحنة ومنعوا من الفتنة وسكن الناس وكتب اهل الكرخ على ابواب مساجدهم خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ومن عند هذا اليوم ثار اهل الكرخ وقصدوا شارع ابن ابي عوف ونهبوه وفي جملة ما نهبوه دار ابى الفضل بن خيرون المعدل فقصد الديوان مستنفرا ومعه الناس ورفع العامة الصلبان وهجموا على الوزير في حجرته واكثروا من الكلام الشنيع

يمع ذلك براسيهم في جملة أحبابه والمنتسبين اليه بارسال الغلال لمؤنة بيوتهم وعيالهم وكساوى العيد ويتصرف لاتباعه ولمن انتمى اليه ويحب لهم رفعة القدر عن غيرهم مع انه اذا حصل من احد منهم هفوة تخل بالمروءة نفسه وزجره فترى كشافه وعماليكه مع شدة مراسهم وقوة نفوسهم وصعوبتهم يخافونه خوفا شديدا ويهابون خطابه • ومن عجيب امره ومناقبه التي انفرد بها عن غيره امتثال جميع قبائل العربان الكائنين بالقطر المصري لامره وتخيرهم وطاعتهم له لا يخالفونه في شئ وكان له معهم سياسة غريبة ومعرفة باحوالهم وطباعهم فكانما هو مربي فيهم او ابن خليفتهم أو صاحب رسالتهم يقومون ويقعدون لامره مع انه يصادرهم في اموالهم وجمالهم ومواشيهم ويحبسهم ويطلقهم ويقتل منهم ومع ذلك لا ينفرون منه وقد تزوج كثيرا من بناتهم فالتي تعجبه يبقيها حتى يقضي وطره منها والتي لا توافق مزاجه يسرحها الى اهلها ولم يبق في عصمته غير واحدة وهي التي أعجبته فمات عنها فلما بلغ العرب موته اجتمعت بنات العرب وصرن يندبنه بكلام عجيب تناقلته ارباب المغاني يغنون به على آلات اللهو المطربة وركبوا عليه ادوارا وقوافي وغير ذلك والعجب منه رحمه الله انه لما كان في دولتهما السابقة وينزل في كل سنة الى وقتل

وقتل ذلك اليوم رجل هاشمي من اهل باب الازج بسهم اصابه فثار العامة هنالك بعلوي كان مقيما بينهم فقتلوه وحرقوه وجرى من النهب والقتل والفساد امور عظيمة فارسل الخليفة الى سيف الدولة صدقة بن مزيد فارسل عسكرا الى بغداد فطلبوا المفسدين والعيارين فهربوا منهم فهدمت دورهم وقتل منهم ونفي وسكنت الفتنة وامن الناس

(ذكر حيلة لامير المسلمين ظهرت ظهورا فريبا)

كان بالمغرب انسان اسمه محمد بن ابراهيم الكزولي سيد قبيلة كزولة ومالك جبلها وهو جبل شامخ وهي قبيلة كبيرة وبينه وبين امير المسلمين يوسف بن تاشفين مودة واجتماع فلما كان هذه السنة ارسل يوسف الى محمد بن ابراهيم يطلب الاجتماع به فركب اليه محمد فلما قاربه خافه على نفسه فعاد الى جبله واحتاط لنفسه فكتب اليه يوسف وحلف له انه ما اراد به الا الخير ولم يحدث نفسه بغدر فلم يركن محمد اليه فدعا يوسف حجاما واعطاه مائة دينار وضمن له مائة دينار اخرى ان هو سار الى محمد بن ابراهيم واحتال على قتله فسار الحجام ومعه مشاريط مسمومة فصعد الجبل فلما كان الغد خرج ينادي لصناعته بالقرب من مسكن محمد فسمع محمد الصوت فقال هذا الحجام من بلدنا فقيل انه غريب فقال اراه يكثر الصياح وقد ارتبت بذلك ائتوني به فاحضر عنده فاستدعى حجاما آخر وامره ان يحجمه بمشاريطه التي معه فامتنع الحجام الغريب فامسك وحجم فمات وتعجب الناس من فطنته فلما بلغ ذلك يوسف ازداد غيظه ولج في السعي في اذى يوصله اليه فاستمال قوما من اصحاب محمد فمالوا اليه فارسل اليهم جرارا من عسل مسموم فحضروا عند محمد وقالوا قد وصل الينا قوم معهم جرار من عسل احسن ما يكون واردنا اتحافك به واحضروها بين يديه فلما رآها امر باحضار خبز وامر اولئك الذين اهدوا اليه العسل ان يأكلوا منه فامتنعوا واستعفوه من اكله فلم يقبل منهم وقال من لم يأكل قتل بالسيف فاكلوا فماتوا عن آخرهم فكتب الى يوسف بن تاشفين انك قد اردت قتلي بكل وجه فلم يقدرك الله بذلك فكف عن شرك فقد اعطاك الله المغرب باسره ولم يعطني غير هذا الجبل وهو في بلادك كالشامة البيضاء في الثور الاسود فلم تقنع بما اعطاك الله عز وجل فلما رأى يوسف ان سره قد انكشف وانه لا يمكنه في امره شيء لحصانة جبله اعرض عنه وتركه

(ذكر ملك العرب مدينة سوسة واخذها منهم)

في هذه السنة نقض ابن علوي ما بينه وبين تميم بن المعز بن باديس امير افريقية من العهد وسار في جمع من عشيرته العرب فوصل الى مدينة سوسة من بلاد افريقية واهلها غادون لم يعلموا به فدخلها عنوة وجرى بينه وبين من بها من العسكر والعامة قتال قتل من الفئتين جماعة وكثر القتل في اصحابه والاسر وعلم انه لا يتم له مع تميم حال ففارقها وخرج منها الى حلته من الصحراء وكان بافريقية هذه السنة غلاء شديد وبقي

ثرقية بلبيس ويتحكم في عربانها ويسومهم سوء العذاب بالقبض عليهم ووضعهم في الزناجير ويتعاون على البعض منهم بالبعض الآخر ويأخذ منهم الاموال والخيول والاباعر والاغنام ويفرض عليهم الفرض الزائدة ويمنعهم من التسلط على فلاحي البلاد ثم انه لما رجع من بلاد الانكليز وتعصب عليه البرديسي والعسكر واحاطوا به من كل جانب فاختفى منهم وهرب الى الوادي عند عشيرة البدوي فآواه واخفاه وكتم امره والبرديسي ومن معه يبالغون في الفحص والتفتيش وبذل الاموال والرغائب لمن يدل عليه او يأتي به فلم يطمعوا في شيء من ذلك ولم يفشوا سره وقيدوا بالطرق الموصلة له انفارا منهم تحرس الطريق من طارق يأتي على حين غفلة وهذا من العجائب حتى كان كثير من الناس يقولون انه يسحرهم او معه سر يسخرهم به فلما مات تفرق الجميع ولم يجتمعوا على احد بعده وذهبوا الى اماكنهم وبعضهم طلب من الباشا الامان واما مماليكه واتباعه فلم يفلحوا بعده وذهبوا الى الامراء القبليين فوجدوا طباعهم متنافرة عنهم ولم يحصل بينهم التئام ولا صفا كدر الفريقين من الآخر فانعزلوا عنهم الى ان جرى ما جرى من صلحهم مع الباشا واوقع بهم ما سيتلى عليك بعد ان شاء الله تعالى وبعد موت

كذلك الى سنة اربع وثمانين وصلحت احوال اهلها واخصبت البلاد ورخصت الاسعار واكثر اهلها الزرع

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قطعت الحرامية الطريق على قفل كبير بولاية حلب فركب آقسنقر في جماعة من عسكره وتبعهم ولم يزل حتى اخذهم وقتلهم فامنت الطرق بولايته وفيها ورد العميد الاغر ابو المحاسن عبد الجليل بن علي الدهستاني الى بغداد عميدا وعزل اخوه كمال الملك على ماذكرناه وفيها درس الامام ابو بكر الشاشي في المدرسة التي بناها تاج الملك مستوفي السلطان بباب ابرز من بغداد وهي المدرسة التاجية المشهورة وفيها عمرت منارة جامع حلب وفيها توفي الخطيب ابو عبد الله الحسين بن احمد بن عبد الواحد بن ابي الحديد السلمي خطيب دمشق في ذي الحجة وفيها توفي احمد بن محمد بن صاعد بن محمد ابو نصر النيسابوري رئيسها ومولده سنة عشر واربعمائة وكان من العلماء وعاصم بن الحسن بن محمد بن علي بن عاصم العاصمي البغدادي من اهل الكرخ كان ظريفا كيسا له شعر حسن فمنه

ماذا على متلون الاخلاق * لو زارني فابثه اشواقي
وابوح بالشكوى اليه تذللا * وافض ختم الدمع من آماقي
فعساه يسمح بالوصال لمدنف * ذي لوعة وصبابة مشتاق
اسر الفؤاد ولم يرق لموثق * ماضره لو جاد بالاطلاق
ان كان قد لسبت عقارب صدغه * قلبي فان رضابه درياقي

وقال أيضا

قد بت من ذبت شوقا من محبته * وصرت من هجره فوق الفراش لقا
سمعته يتغنى وهو مصطبح * افديه مصطبحا منه ومغتبقا
واخلفتك ابنة البكري ماوعدت * واصبح الحبل منها واهيا خلقا

والصحيح انه توفي سنة ثلاث وثمانين وفيها في جمادى الآخرة توفي الشريف ابو القاسم العلوي الدبوسي المدرس بالنظامية ببغداد وكان فاضلا فصيحا

(ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين واربعمائة)

(ذكر وفاة فخر الدولة ابي نصر بن جهير)

في هذه السنة في المحرم توفي فخر الدولة ابو نصر محمد بن محمد بن جهير الذي كان وزير الخليفة بمدينة الموصل ومولده بها سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وتروج الى ابي العقارب شيخها ونظر في املاك جارية قرواش المعروفة بسرهنك ثم خدم بركة بن المقلد حتى قبض على اخيه قرواش وحبسه ومضى بهدايا الى ملك الروم فاجتمع هو ورسول نصر الدولة ابن مروان فتقدم فخر الدولة عليه فنازعه رسول ابن مروان فقال فخر الدولة لملك الروم انا احق بالتقدم عليه لان صاحبه يؤدي الخراج الى صاحبي فلما عاد الى قريش بن

بدران

المترجم بنحو الاربعين يوما وصلت نجدة الانكليز الى ثغر الاسكندرية وطلعوا اليه فبلغهم عند ذلك موت المذكور فلم يسهل بهم الرجوع فارسلوا رسلهم الى الجماعة المصريين ظانين أن فيهم أثر الهمة والنخوة يطلبونهم للحضور ويساعدهم الانكليز على ردهم لمملكتهم وأوطانهم وكان محمد علي باشا حين ذلك بناحية قبلي يحاربهم فطلبهم للصلح معه وأرسل اليهم بعض فقهاء الازهر وخادعهم وثبطهم فقعدوا عن الحركة وجرى ماجرى على طائفة الانكليز كما سيتلى عليك خبره ثم عليهم بعد ذلك وكان أمر الله مفعولا (وكان للمترجم) ولوع ورغبة في مطالعة الكتب خصوصا العلوم الغريبة مثل الجفريات والجغرافيا والاسطرنوميا والاحكام النجومية والمناظرات الفلكية وماتدل عليه من الحوادث الكونية ويعرف أيضا مواضع المنازل واسماءها وطبائعها والخمسة المتحيرة وحركات الثوابت ومواقعها كل ذلك بالنظر والمشاهدة والتلقي على طريقة العرب من غير مطالعة في كتاب ولا حضور درس واذا طالع احد بحضرته في كتاب أو أسمعه ناضله مناضلة متضلع وناقشه مناقشة متطلع وله أيضا معرفة بالاشكال الرملية واستخراجات الضمائر بالقواعد الحرفية وكان له في ذلك صابات ومنها ما اخبرني به بعض اتباعه انه لما وصل الى ثغر سكندرية راجعا من

بدران اراد القبض عليه فاستجار بابي الشداد وكانت عقيل تجير على امرائها وسار الى حلب فوزر لمعز الدولة ابي ثمال بن صالح ثم مضى الى ملطية ومنها الى ابن مروان فقال له كيف امنتني وقد فعلت برسولي ما فعلت عند ملك الروم فقال حملني على ذلك نصح صاحبي فاستوزره فعمر بلاده ووزر بعد نصر الدولة لولده ثم سار الى بغداد وولي وزارة الخليفة على ما ذكرناه وتولى اخذ ديار بكر من بني مروان على ما ذكرناه ايضا ثم اخذها منه السلطان فسار الى الموصل فتوفي بها

(ذكر نهب العرب البصرة)

وفي هذه السنة في جمادى الاولى نهب العرب البصرة نهبا قبيحا وسبب ذلك انه ورد الى بغداد في بعض السنين رجل اشقر من سواد النيل يدعي الادب والنجوم ويستجري الناس فلقبه اهل بغداد تليا وكان نازلا في بعض الخانات فسرق ثيابا من الديباج وغيره واخفاها في جلد ماء وسار بها فرآها الذين يحفظون الطريق فأخذوه من السفر ايها الله وحملوه الى المقدم عليهم فاطلقه لحرمة العلم فسار الى أمير من امراء العرب من بني عامر وبلاده متاخمة الاحساء وقال له أنت تملك الارض وقد فعل اجدادك بالحاج كذا وكذا واوقعاتهم مشهورة مذكورة في التواريخ وحسن له نهب البصرة واخذها فجمع من العرب ما يزيد على عشرة آلاف مقاتل وقصد البصرة وبها العميد عصمة وليس معه من الجند الا اليسير لكون الدنيا آمنة من ذاعر ولان الناس في جنة من هيبة السلطان فخرج اليهم في أصحابه وحاربهم ولم يمكنهم من دخول البلد فاتاه من اخبره ان اهل البلد يريدون ان يسلموه الى العرب فخاف ففارقهم وقصد الجزيرة التي هي مكان القلعة بنهر معقل فلما علم أهل البلد بذلك فارقوا ديارهم ونصروا ودخل العرب حينئذ البصرة وقد فريت نفوسهم وملكوها ونهبوا ما فيها نهبا شنيعا فكانوا ينهبون نهارا واصحاب العميد عصمة ينهبون ليلا واحرقوا مواضع عدة وفي جملة ما أحرقوا داران للكتب احداهما وقفت قبل ايام عضد الدولة بن بويه فقال عضد الدولة هذه مكرمة سبقنا اليها وهي أول دار وقفت في الاسلام والاخرى وقفها الوزير أبو منصور بن شاه مردان وكان بها نفائس الكتب واعيانها واحرقوا ايضا النحاسين وغيرها من الاماكن وخربت وقوف البصرة التي لم يكن لها نظير من جملتها وقوف على الجمال الدائرة على شاطئ دجلة وعلى الدواليب التي تحمل الماء وترقيه الى قني الرصاص الجارية الى المصانع وهي على فراسخ من البلد وهي من عمل محمد بن سليمان الهاشمي وغيره وكان فعل العرب بالبصرة أول خرق جرى في أيام السلطان ملكشاه فلما فعلوا ذلك وبلغ الخبر الى بغداد انحدر سعد الدولة كوهرائين وسيف الدولة صدقة بن مزيد الى البصرة لاصلاح امورها فوجدوا العرب قد فارقوها ثم ان تليا اخذ بالبحرين وارسل الى السلطان فشهره ببغداد سنة اربع وثمانين على جمل وعلى راسه طرطور وهو يصفع بالدرة والناس يشتمونه ويسبونه ثم امر به فصلب

بلاد الانكليز رسم شكلا وتأمل فيه وقطب وجهه ثم قال الى ارى حادثا في ٧٠ طريقنا وربما اني افترق منكم واغيب عنكم نحو اربعين يوما فلذلك احب ان يخفي امره ويأتي على حين غفلة وكان البرديسي قد اقام بالثغر رقيبا يوصل خبر وروده فلما وصل ارسل ذلك الرقيب ساعيا في الحال وكان ما ذكرناه في سياق التاريخ من غدرهم وقتلهم حسين بك ابو شاش بابو القرقي وهروب بشتك بك من القصر وارسال العسكر للاغاة المترجم على حين غفلة ليقتلوه وهروبه واختفاؤه ثم ظهوره واجتماعهم عليه بعد انقضاء تلك المدة وقريب منه وكان رحمه الله ذا سمع بانسان فيه معرفة بشيء من هذه الاشياء احضره ومارسه فيها فان رأى فيه فائدة او مزية اكرمه وواساه وصاحبه وقربه اليه وادناه وكان له مع جلسائه مباسطة مع الحشمة والترفع عن الهذيان والمجون وكان غالب اقامته بقصوره التي عمرها خارج مصر وهو القصر الكبير بمصر القديمة تجاه المقياس بشاطئ النيل والقصر الآخر الكائن بالقرب من زاوية الدمرداش والقصر الذي بجانب قنطرة المغربي على الخليج الناصري وكان اذا خرج من داره لبعض تلك القصور لا يمر من وسط المدينة واذا رجع كذلك فسئل عن سبب ذلك فقال استحي ان امر من وسط الاسواق واهل الحوانيت والمارة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قدم الامام ابو عبد الله الطبري بغداد في المحرم بمنشور من نظام الملك بتوليته تدريس المدرسة النظامية ثم ورد بعده في شهر ربيع الآخر من السنة ابو محمد عبد الوهاب الشيرازي وهو ايضا معه منشور بالتدريس فاستقر أن يدرس يوما والطبري يوما

(ثم دخلت سنة اربع وثمانين واربعمائة)

(ذكر عزل الوزير ابي شجاع ووزارة عميد الدولة بن جهير)

في هذه السنة في ربيع الاول عزل الوزير ابو شجاع من وزارة الخليفة وكان سبب عزله ان انسانا يهوديا ببغداد يقال له ابو سعد بن سمحا كان وكيل السلطان ونظام الملك فلقيه انسان يبيع الحصر فصفعه صفعة ازالت عمامته عن راسه فاخذ الرجل وحمل الى الديوان وسئل عن السبب في فعله فقال هو وضعني على نفسه فسار كوهرائين ومعه ابن سمحا اليهودي الى العسكر يشكيان وكانا متفقين على الشكاية من الوزير ابي شجاع فلما ساروا اخرج توقيع الخليفة بالزام اهل الذمة بالغيار ولبس ما شرط عليهم امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهربوا كل مهرب واسلم بعضهم فمن اسلم ابو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن موصلايا الكاتب وابن اخيه ابو نصر هبة الله ابن الحسن بن علي صاحب الخبر اسلما على يدي الخليفة ونقل ايضا عنه الى السلطان ونظام الملك انه يكسر اغراضهم ويقبح افعالهم حتى انه لما ورد الخبر بفتح السلطان سمرقند قال وما هذا مما يبشر به كانه قد فتح بلاد الروم هل أتى الا الى قوم مسلمين موحدين فاستباح منهم ما لا يستباح من المشركين فلما وصل كوهرائين وابن سمحا الى العسكر وشكيا من الوزير الى السلطان ونظام الملك واخبراهما بجميع ما يقول عنهما ويكسر من اغراضهما ارسلا الى الخليفة في عزله فعزله وامره بلزوم بيته وكان عزله يوم الخميس فلما أمر بذلك أنشد

تولاها وليس له عدو ** وفارقها وليس له صديق

فلما كان الغد يوم الجمعة خرج من داره الى الجامع راجلا واجتمع الخلق العظيم عليه فأمر ان لا يخرج من بيته ولما عزل استنيب في الوزارة ابو سعد بن موصلايا كاتب الانشاء وارسل الخليفة الى السلطان ونظام الملك يستدعي عميد الدولة بن جهير ليستوزره فسير اليه فاستوزره في ذي الحجة من هذه السنة وركب اليه نظام الملك فهناه بالوزارة في داره واكثر الشعراء تهنئته بالعود الى الوزارة

(ذكر ملك امير المسلمين بلاد الاندلس التي للمسلمين)

في هذه السنة في رجب ملك امير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب بلاد المغرب من بلاد الاندلس ما هو بيد المسلمين قرطبة واشبيلية وقبض على المعتمد بن عباد صاحبها وملك غيرها من الاندلس ولقد جرى للرشيد بن المعتمد حادثة شبيهة بحادثة الامين محمد بن

هرون

يظلمون الى واخرجوهم على نفسي والمترجم اخبار ونبير ووقائع لو سطرت لكانت سيرة مستقلة خصوصا وقائعه وسياحته ثلاث سنوات وثلاثة اشهر ايام اقام الفرنساوية بالقطر المصري ورحلته بعد ذلك الى بلاد الانكليز وغيابه بها ستة شهور وقد تهذبت اخلاقه بما اطلع عليه من عمارة بلادهم وحسن سياسة احكامهم وكثرة اموالهم ورفاهيتهم وصنائعهم وعدلهم في رعيتهم مع كفرهم بحيث لا يوجد فيهم فقير ولا مستجد ولا ذو فاقة ولا محتاج وقد اهدوا له هدايا وجواهر وآلات فلكية واشكال هندسية واسطرلابات وكرات ونظارات وفيها ما اذا نظر الانسان فيها في الظلمة يرى اعيان الاشكال كما يراها في النور ومنها مخصوص النظر في الكواكب فيرى بها الانسان الكوكب الصغير عظيم الجرم وحوله عدة كواكب لا تدرك بالبصر الحديد ومن انواع الاسلحة الحربية اشياء كثيرة واهدوا له آلة موسيقى تشبه الصندوق بداخله اشكال تدور بحركات فيظهر منها اصوات مطربة على ايقاع الانغام وضروب الالحان وبها نشانات وعلامات لتبديل الانغام بحسب ما يشتهي السامع الى غير ذلك نهب ذلك جميعه العسكر الذين أرسلهم اليه البرديسي ليقتلوه وطفقوا يبيعونه في اسواق البلد واغلبه تكسر وتلف وتبدد (واخبرني) بعض

هرون الرشيد قال أبو بكر عيسى بن اللبانة الداني من مدينة دانية كنت يوما عند الرشيد ابن المعتمد في مجلس أنسه سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة فجرى ذكر غرناطة وملك أمير المسلمين لها وقد ذكرنا أخذها في وقعة الزلاقة فلما ذكرناها تفجع وتلهف واسترجع وذكر قصرها فدعونا للقصر بالدوام وللملك بتراخي الايام فأمر عند ذلك أبا بكر الاشبيلي بالغناء فغنى

يا دار مية بالعلياء فالسند * أقوت وطال عليها سالف الأبد

فاستحالت مسرته وتجهمت أسرته ثم أمر بالغناء من ستارته فغنى

ان شئت ان لا ترى صبرا لمصطبر * فانظر الى أي حال أصبح الطلل

فتأكد تطيره واشتد ارتداد وجهه وتغيره وأمر مغنية أخرى بالغناء فغنت

يا لهف نفسي على مال أفرقه * على المقلين من أهل المروآت

ان اعتذاري الى من جاء يسألني * ما ليس عندي من احدى المصيبات

قال ابن اللبانة فتلافيت الحال بأن قلت فقلت

محل مكرمة لا هد مبناه * وشمل مأثرة لا شتته الله

البيت كالبيت لكن زاد ذا شرفا * ان الرشيد مع المعتد ركناه

ثاو على أنجم الجوزاء مقعده * وراحل في سبيل الله مثواه

حتم على الملك ان يقوى وقد وصلت * بالشرق والغرب يمناه ويسراه

بأس توقد فاحمرت لواحظه * ونائل شب فاخضرت عذاراه

فلعمري قد بسطت من نفسه وأعدت عليه بعض أنسه على أني وقعت فيما وقع فيه الكل بقولي البيت كالبيت وأمر اثر ذلك بالغناء فغنى

ولما قضينا من منى كل حاجة * ولم يبق الا أن تزم الركائب

فاتفقنا أن هذا الطير تعقب التغير فلما أراد أمير المسلمين ملك الاندلس سار من مراكش الى سبتة وأقام بها وسير العساكر مع سير بن أبي بكر وغيره الى الاندلس فعبروا الخليج فأتوا مدينة مرسية فملكوها وأعمالها وأخرجوا صاحبها أبا عبد الرحمن بن طاهر منها وساروا الى مدينة شاطبة ومدينة دانية فملكوهما وكانت بلنسية قد ملكها الفرنج قديما بعد ان حصروها سبع سنين فلما سمعوا بوقعة الزلاقة فارقوها فملكها المسلمون أيضا وعمروها وسكنوها فصارت الآن للمرابطين وكانوا قد ملكوا غرناطة نوبة الزلاقة فقصدوا مدينة اشبيلية وبها صاحبها المعتمد بن عباد فحصروه بها وضيقوا عليه فقاتل أهلها قتالا شديدا وظهر من شجاعة المعتمد وشدة بأسه وحسن دفاعه عن بلده ما لم يشاهد من غيره ما يقاربه فكان يلقي نفسه في المواقف التي لا يرجى خلاصه منها فيسلم بشجاعته وشدة نفسه ولكن لما انقضت المدة لم تغن العدة وكانت الفرنج قد سمعوا بقصد عساكر المرابطين بلاد الاندلس فخافوا أن يملكوها ثم يقصدوا بلادهم فجمعوا فأكثروا وساروا ليساعدوا المعتمد ويعينوه على المرابطين فسمع سير بن أبي بكر مقدم المرابطين بمسيرهم ففارق اشبيلية وتوجه الى لقاء الفرنج فلقيهم وقاتلهم وهزمهم وعاد الى

فمن خرج للاقامة عنده خوف العلية انه لما طلع اليها وقابله سليمان بك ٧٧ البواب أخلى له الحمام في تلك الليلة وكان ؛ بلغه كافة افعاله بالمنوفية من العسف والتكاليف وكذا باقي اخوانه وافعالهم بالاقاليم فكان مسامرتهم معه تلك الليلة في ذكر العدالة الموجبة لعمار البلاد ويقول لسليمان بك في التمثيل الانسان الذي يكون له ماشية يقتات هو وعياله من لبنها وسمنها وجبنها يلزمه أن يرفق بها في العلف حتى تدر وتسمن وتنتج له النتاج بخلاف ما اذا أجاعها وأجحفها وأتعبها وأشقاها وأضعفها حتى اذا حلبها لا تحلب لبنا ولا دهنا فقال هذا ما اعتدناه وربينا عليه فقال ان أعطاني الله سيادة مصر والامارة في هذا القطر لامنعن هذه الوقائع وأجري فيه العدل ليكثر خيره وتعمر بلاده وترتاح أهله ويكون احسن بلاد الله ولكن الاقليم المصري ليس له بخت ولا سعد وأهله تراهم مختلفين في الاجناس متنافري القلوب منهمرين في الطباع فلم يمض على هذا الكلام الا بقية الليل وساعات من النهار حتى احاطوا به وفر هاربا ونجا بنفسه وجرى ما تقدم ذكره من اختفائه وظهوره وانتقاله الى الجهة القبلية واجتماع الجيوش عليه وحكمت عليه الصورة التي ظهر فيها وحصل له ما حصل (وأخبرني) من اجتمع عليه في الجيزة وسامره وقال يا فلان والله يخيل لي ان اقتل نفسي

اشبيلية فقصرها ولم يزل الحصار دائما والقتال مستمرا الى العشرين من رجب من هذه السنة فعظم الحرب ذلك اليوم واشتد الامر على أهل البلد ودخله المرابطون من واديه ونهب جميع ما فيه ولم يبقوا على سبد ولا لبد وسلبوا الناس ثيابهم فخرجوا من مساكنهم يسترون عوراتهم بايديهم وسبي المخدرات وانتهكت الحرمات فاخذ المعتمد أسيرا ومعه أولاده الذكور والاناث بعد ان استأصلوا جميع مالهم فلم يصحبهم من مالكهم بلغة زاد وقيل ان المعتمد سلم البلد بامان وكتب نسخة الامان والعهد واستحلفهم به لنفسه وأهله وماله وعبيده وجميع ما يتعلق باسبابه فلما سلم اليهم اشبيلية لم يفوا له وأخذوهم أسرى وما لهم غنيمة وسير المعتمد وأهله الى مدينة اغمات فحبسوا فيها وفعل أمير المسلمين بهم أفعالا لم يسلكها احد ممن قبله ولا يفعلها أحد ممن يأتي بعده الا من رضي لنفسه بهذه الرذيلة وذلك أنه سجنهم فلم يجر عليهم ما يقوم بهم حتى كان بنات المعتمد يغزلن للناس باجرة ينفقونها على أنفسهم وذكر ذلك المعتمد في أبيات ترد عند ذكر وفاته فابان أمير المسلمين بهذا الفعل عن صغر نفس ولؤم قدرة وهذه اغمات مدينة في سفح جبل بالقرب من مراكش وسيرد من ذكر المعتمد عند موته سنة ثمان وثمانين ما يعرف به محله قال أبو بكر بن اللبانة زرت المعتمد بعد أسره باغمات وقلت أبيات عند دخولي اليه منها

لم أقل في الثقاف كان ثقافا * كنت قلبا به وكان شغافا
يمكث الزهر في الكمام ولكن * بعد مكث الكمام يدنو قطافا
واذا ما الهلال غاب بغيم * لم يكن ذلك المغيب انكسافا
انما أنت درة للمعالي * ركب الدهر فوقها اصدافا
حجب البيت منك شخصا كريما * مثل ما تحجب الدنان السلافا
أنت للفضل كعبة ولو أني * كنت استطيع لالتزمت الطوافا

قال وجرت بيني وبينه مخاطبات ألذ من غفلات الرقيب وأشهى من رشفات الحبيب وأدل على السماح من فجر على صباح ولما أخذ المعتمد وأهله قتل ولداه الفتح ويزيد بين يديه صبرا فقال في ذلك

يقولون صبرا لا سبيل الى الصبر * سابكي وأبكي ما تطاول من عمري
أفتح لقد فتحت لي باب رحمة * كما بيزيد الله قد زاد في أجري
هوى بكما المقدار عني ولم أمت * فادعى وفيا قد نكصت الى الغدر
ولو عدتما لاخترتما العود في الثرى * اذا أنتما أبصرتماني في الاسر
أبا خالد أورثتني البث خالدا * أبا نصر مذ ودعت ودعني نصري

وكان المعتمد يكاتبه فضلاء البلاد وهو مخصوص بالنثر والنظم يتوجعون له ويذمون الزمان وأهله حيث منه منكوب فمن ذلك ما قاله عبد الجبار بن أبي بكر بن حمديس وكتبه اليه يذكر مسيرهم عن اشبيلية الى أغمات

جرى لك جد بالكرام عثور * وجار زمان كنت منه تجير

ولكن لا تهونوا على وقد صرت الآن واحدا بين الرفقة من الاعداء وهؤلاء قومي وعشيرتي فعلوا بي ما فعلوا وتجنبوني وعادوني من غير جرم ولا ذنب سبق مني في حقهم واشقوني واشقوا انفسهم وملكوا البلاد لاعدائي واعدائهم وسعيت واجتهدت في مراضاتهم ومصالحتهم والنصح لهم فلم يزدهم ذلك الا نفورا وتباعدا عني ثم هذه الجنود ورئيسهم الذين لجوا البلاد وذاقوا حلاوتها وشبعوا بعد جوعهم وترفهوا بعد ذلهم يعيشون على ويحاربوني ويكيدوني ويقاتلوني ثم ان هؤلاء العربان المجتمعين على اصنامهم واسوءهم وافاضيهم واراضيهم وكذلك جندي ومماليكي وكل منهم يطلب مني رياسة وامارة ويظنون بغفلتهم ان البلاد تحت حكمي ويظنون اني مقصر في حقهم فتارة اعاملهم باللطف وتارة ازجرهم بالعنف فانا بين الكل مثل الفريسة والجميع حولي مثل الكلاب الجياع يريدون نهشي واكلي وليس بيدي كنوز قارون فانفق على هؤلاء الجموع منها فيضطر في الحال الى التعدي على عباد الله واخذ أموالهم واكل مزارعهم ومواشيهم فان قدر الله لي بالظفر عوضت عليهم ذلك ورفقت بحالهم وان كانت الاخرى فالله يلطف بنا وبهم ولا بد ان يترحموا علينا ويترضوا عن ظلمنا وجورنا بالنسبة لما يحل بهم بعدنا

(وبالجملة) فكان آخر من ادركنا من الامراء المصريين شهامة وصرامة وتوقرا ٧٩ في عواقب الامور وكان وحيدا في نفسه فريدا في ابناء جنسه وبموته اضمحلت دولتهم وتفرقت جمعيتهم وانكسرت شوكتهم وزادت نفرتهم وما زالوا في نقص وادبار وذلة وهوان وصغار ولم تقم لهم بعده راية وانقرضوا وطردوا الى اقصى البلاد في النهاية * واما مماليكه وصناجقه فانهم تركوا نصيحته ونسوا وصيته وانضموا الى عدوهم وصادقوه ولم يزل بهم حتى قتلهم وابادهم عن آخرهم كما سيتلى عليك خبر ذلك فيما بعد (وكانت) صفة المترجم معتدل القامة ابيض اللون مشربا بحمرة جميل الصورة مدور اللحية أشقر الشعر قد وخطه الشيب مليح العينين مقرون الحاجبين معجبا بنفسه مترفها في زيه وملبسه كثيرا الفكر كتوما لا يبيح بسر ولا لاعز احبابه الا انه لم يسعفه الدهر وجنى عليه بالقهر وخاب أمله وانقضى اجله وخانه الزمان وذهب في خبر كان ومات وله من العمر نحو الخمسة والخمسين سنة غفر الله له * ومات الامير عثمان بك البرديسي المرادي وسمي البرديسي لانه تولى كشوفية برديس بقبلي فعرف بذلك واشتهر به تقلد الامرية والصنجقية في سنة عشر وما ئتين والف وتزوج بيت احمد كتخدا علي زوجة اخت علي كاشف الشرقية وعمل لها مهما وذلك قبل ان

لقد اصبحت بيض الظباء في خدودها * اثار التراك الضرب وهي ذكور
ولما رحلتم بالندى في اكفكم * وقلقل رضوى منكم وثبير
رفعت لساني بالقيامة قد أتت * الا فانظروا كيف الجبال تسير

وقال شاعره ابن اللبانة في حادثته أيضا

تبكي السماء بدمع رائح غادي * على البهاليل من أبناء عباد
على الجبال التي هدت قواعدها * وكانت الارض منها تحت أوتاد
عريسة دخلتها النائبات على * اساود منهم فيها وآساد
وكعبة كانت الآمال تعمرها * فاليوم لا عاكف فيها ولا بادي

ولما استقصى عسكر أمير المسلمين ملوك الاندلس وأخذ بلادهم جمع ملوكهم وسيرهم الى بلاد الغرب وفرقهم فيها ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا أعزة اهلها اذلة ولما فرغ سير من اشبيلية سار الى المرية فنازلها وكان صاحبها محمد بن معن بن صمادح فقال لولده مادام المعتمد باشبيلية فلا نبالي بالمرابطين فلما سمع بملكهم لها وما جرى للمعتمد مات في تلك الايام غما وكمدا فلما مات سار ولده الحاجب واهله في مراكب ومعهم كل مالهم وقصدوا بلاد بني حماد فاحسنوا اليهم وكان عمر بن الافطس صاحب بطليوس ممن اعان سيرا على المعتمد فلما فتحت اشبيلية رجع ابن الافطس الى بلده فسار اليه سير وحاربه فغلبه واخذ بلده منه واخذه اسيرا هو وولداه الفضل فقتلهما فقال عمر حين ارادوا قتله قدموا ولدي قبلي للقتل ليكونا في صحيفتي فقتل ولداه قبله وقتل هو بعده واحتوى سير على ذخائرهم واموالهم ولم يترك من ملوك الاندلس سوى بني هود فانه لم يقصد بلادهم وهي شرق الاندلس وكان صاحبها حينئذ المستعين بالله بن هود وهو من الشجعان الذين يضرب المثل بهم وكان قد اعد كل ما يحتاج اليه في الحصار وترك عنده ما يكفيه عشرة سنين بمدينة روطة وكانت قلعة حصينة وكانت رعيته تحاذه ولم يزل يهادي امير المسلمين قبل ان يقصد بلاد الاندلس ويملكها ويواصله ويكثر مراسلته فرعى له ذلك حتى انه اوصى ابنه علي بن يوسف عند موته بترك التعرض لبلاد بني هود وقال اتركهم بينك وبين العدو فانهم شجعان

(ذكر ملك الفرنج جزيرة صقلية)

في هذه السنة استولى الفرنج لعنهم الله على جميع جزيرة صقلية اعادها الله تعالى الى الاسلام والمسلمين وسبب ذلك ان صقلية كان الامير عليها سنة ثمان وثمانين وثلثمائة ابا الفتوح يوسف بن عبد الله بن محمد بن ابي الحسين ولاه عليها العزيز العلوي صاحب مصر وافريقية فاصابه هذه السنة فالج فتعطل جانبه الايسر وضعف الجانب الايمن فاستناب ابنه جعفرا فبقي كذلك ضابطا للبلاد حسن السيرة في اهلها الى سنة خمس واربعمائة فخالف عليه اخوه علي واعانه جمع من البربر والعبيد فاخرج اليه اخوه جعفر جندا من المدينة فاقتتلوا سابع شعبان وقتل من البربر والعبيد خلق كثير

وهرب من بقي منهم واخذ على اسيرا فقتله اخوه جعفر وعظم قتله على ابيه فكان بين
خروجه وقتله ثمانية ايام وامر جعفر حينئذ ان ينفى كل بربرى بالجزيرة فنفوا الى افريقية
وامر بقتل العبيد فقتلوا عن آخرهم وجعل جنده كلهم من اهل صقلية فقل العسكر
بالجزيرة وطمع اهل الجزيرة فى الامراء فلم يمض الا يسير حتى ثار به اهل صقلية واخرجوه
وخلعوه وارادوا قتله وسبب ذلك انه ولى عليهم انسانا صادرهم واخذ الاعشار من
غلاتهم واستخف بقوادهم وشيوخ البلد وقهر جعفر اخوته واستطال عليهم فلم يشعر
الا وقد زحف اليه اهل البلد كبيرهم وصغيرهم فحصروه فى قصره فى المحرم سنة عشر
وار بعمائة واشرفوا على اخذه فخرج اليهم ابوه يوسف فى محفة وكانوا له محبين فلطف
بهم ورفق فبكوا رحمة له من مرضه وذكروا له ما احدث ابنه عليهم وطلبوا ان يستعمل
ابنه احمد المعروف بالاكحل ففعل ذلك وخاف يوسف على ابنه جعفر منهم فسيره فى مركب
الى مصر وسار ابوه يوسف بعده ومعهما من الاموال ستمائة الف دينار وسبعون الفا
وكان ليوسف من الدواب ثلاثة عشر الف حجرة سوى البغال وغيرها ومات بمصر وليس
له الا دابة واحدة ولما ولى الاكحل اخذ امره بالحزم والاجتهاد وجمع المقاتلة وبث
سراياه فى بلاد الكفرة فكانوا يحرقون ويغنمون ويسبون ويخربون البلاد واطاعه
جميع قلاع صقلية التى للمسلمين وكان للاكحل ابن اسمه جعفر كان يستنيبه اذا سافر
فخالف سيرة ابيه ثم ان الاكحل جمع اهل صقلية وقال احب ان اشليكم على الافريقيين
الذين قد شاركوكم فى بلادكم والراى اخراجهم فقالوا قد صاهرناهم وصرنا شيئا واحدا
فصرفهم ثم ارسل الى الافريقيين فقال لهم مثل ذلك فاجابوه الى ما اراد فجمعهم حوله
فكان يحمى املاكهم ويأخذ الخراج من املاك اهل صقلية فسار من اهل صقلية
جماعة الى المعز بن باديس وشكوا اليه ما حل بهم وقالوا نحب ان نكون فى طاعتك
والا سلمنا البلاد الى الروم وذلك سنة سبع وعشرين واربعمائة فسير معهم ولده عبد الله
فى عسكر فدخل المدينة وحصر الاكحل فى الخالصة ثم اختلف اهل صقلية واراد
بعضهم نصرة الاكحل فقتله الذين احضروا عبد الله بن المعز ثم ان الصقليين رجع
بعضهم على بعض وقالوا ادخلتم غيركم عليكم والله لا كانت عاقبة امركم فيه الى خير فعزموا
على حرب عسكر المعز فاجتمعوا وزحفوا اليهم فاقتتلوا فانهزم عسكر المعز وقتل منهم
ثمانمائة رجل ورجعوا فى المراكب الى افريقية وولى اهل الجزيرة عليهم حسنا
الصمصام اخا الاكحل فاضطربت احوالهم واستولى الاراذل وانفرد كل انسان
ببلد واخرجوا الصمصام فانفرد القائد عبد الله بن منكوت بمازر وطرابنش وغيرهما
وانفرد القائد على بن نعمة المعروف بابن الحواس بقصريانة وجرجنت وغيرهما
وانفرد ابن الثمنة بمدينة سرقوسة وقطانية وتزوج باخت ابن الحواس ثم انه جرى بينها
وبين زوجها كلام اغلظ كل منهما لصاحبه وهو سكران فامر ابن الثمنة بفصدها فى
عضديها وتركها لتموت فسمع ولده ابراهيم فحضر واحضر الاطباء وعالجها الى ان عادت
قوتها ولما اصبح ابوه ندم واعتذر اليها بالسكر فاظهرت قبول عذره ثم انها طلبت منه بعد

بتقليد الصنجقية وسكن بدار وعلى كتخدا الطويل بالازبكية واشتهر ذكره وصار معدودا من جملة الامراء ولما قتل
عثمان بك البرديسى المرادى
بساحل ابو قير ورجع من
رجع الى قبلى كان الالفى
هو المتعين بالرياسة على
المرادية فلما سافر الالفى
الى بلاد الانكليز تعين المترجم
بالرياسة على خشداشينه مع
مشاركة بشتك بك الذى
عرف بالالفى الصغير فلما
حضروا الى مصر فى سنة ثمان
عشرة بعد خروج محمد باشا
خسرو وقتل طاهر باشا
انضم اليه محمد على باشا وكان
ذلك من شيمة العساكر
وتواخى معه وصادقه ورمح
فى ميدان غفلته وتحالفا
وتعاهدا وتعاقدا على المحبة
والمصافاة وعدم خيانة احدهما
للآخر وان يكون محمد على
باشا وعساكره الارنؤد اتباعا
له وهو الامير المتبوع فى نفخ
جاشه لانه كان طائش العقل
مقبل الشبيبة فاغتر بظاهر
محمد على باشا لانه حين عمل
شغله فى محمد باشا خسرو ومحمد باشا
بعده طاهر باشا دعا الامراء
المصريين وادخلهم الى
مصر وانتسب الى ابراهيم
بك الكبير لكونه رئيس
القوم وكبيرهم وعين لابراهيم
بك خرجا وعلوفة مثل اتباعه
سيره واختبره فلم ترج سلعته
لديه ووجده حريصا على دوام
التراحم والالفة والمحبة وعدم
التفاشل فى مشيخته وانها ساعد جنسه متحرزا من وقوع ما يوجب التقاطع والتنافر فى قبيلته فلما أيس منه مال

مدة

مدة ان تزور اخاها فاذن لها وسير معها التحف والهدايا فلما وصلت ذكرت لاخيها ما فعل
بها فحلف انه لا يعيدها اليه فارسل ابن الثمنة يطلبها فلم يردها اليه فجمع ابن الثمنة
عسكره وكان قد استولى على أكثر الجزيرة وخطب له بالمدينة وسار وحصر ابن الحواس
بقصريانة فخرج اليه فقاتله فانهزم ابن الثمنة وتبعه الى قرب مدينة قطانية وعاد عنه
بعد ان قتل من أصحابه فاكثر فلما رأى ابن الثمنة ان عساكره قد تمزقت سولت له نفسه
الانتصار بالكفار لما يريده الله تعالى فسار الى مدينة مالطة وهي بيد الفرنج قد ملكوها
لما خرج بردويل الفرنجي الذي تقدم ذكره سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة واستوطنها
الفرنج الى الآن وكان ملكها حينئذ رجار الفرنجي في جمع الفرنج فوصل اليهم ابن
الثمنة وقال انا املككم الجزيرة فقالوا ان فيها جندا كثيرا ولا طاقة لنا بهم فقال انهم
مختلفون واكثرهم يسمع قولي ولا يخالفون أمري فساروا معه في رجب سنة اربع
واربعين واربعمائة فلم يلقوا من يدافعهم فاستولوا على ما مروا به في طريقهم وقصد
بهم الى قصريانة فحصروها فخرج اليهم ابن الحواس فقاتلهم فهزمه الفرنج فرجع
الى الحصن فرحلوا عنه وساروا في الجزيرة واستولوا على مواضع كثيرة وفارقها كثير
من اهلها من العلماء والصالحين وسار جماعة من اهل صقلية الى المعز بن باديس
وذكروا له ما الناس فيه بالجزيرة من الخلف وغلبة الفرنج على كثير منها فعمر اسطولا
كبيرا وشحنه بالرجال والعدد وكان الزمان شتاء فساروا الى قوصرة فهاج عليهم البحر
فغرق أكثرهم ولم ينج الا القليل وكان ذهاب هذا الاسطول مما أضعف المعز وقوى عليه
العرب حتى اخذوا البلاد منه فملك حينئذ الفرنج أكثر البلاد على مهل وتؤدة لا يمنعهم
أحد واشتغل صاحب افريقية بما دهمه من العرب ومات المعز سنة ثلاث وخمسين
واربعمائة وولي ابنه تميم فبعث أيضا اسطولا وعسكرا الى الجزيرة وقدم عليه ولديه
أيوب وعليا فوصلوا الى صقلية فنزل أيوب والعسكر المدينة ونزل علي جرجنت ثم انتقل
ايوب الى جرجنت فامر علي بن الحواس ان ينزل في قصره وارسل هدية كثيرة فلما اقام
ايوب فيها احبه اهلها فحسده ابن الحواس فكتب اليهم ليخرجوه فلم يفعلوا فسار اليه في
عسكره وقاتله فخرج اهل جرجنت مع ايوب وقاتلوا معه فبينما ابن الحواس يقاتل أتاه
سهم غرب فقتله فملك العسكر عليهم ايوب ثم وقع بعد ذلك بين اهل المدينة وبين عبيد
تميم فتنة ادت الى القتال ثم زاد الشر بينهم فاجتمع ايوب وعلي أخوه ورجعا في
الاسطول الى افريقية سنة احدى وستين وصحبهم جماعة من اعيان صقلية والاسطولية
ولم يبق للفرنج ممانع فاستولوا على الجزيرة ولم يثبت بين ايديهم غير قصريانة وجرجنت
فحصرهما الفرنج وضيقوا على المسلمين بهما فضاق الامر على اهلهما حتى اكلوا الميتة
ولم يبق عندهم ما يأكلونه فاما اهل جرجنت فسلموها الى الفرنج وبقيت قصريانة بعدها
ثلاث سنين فلما اشتد الامر عليهم اذعنوا الى التسليم فتسلمها الفرنج لعنهم الله سنة أربع
وثمانين واربعمائة وملك رجار جميع الجزيرة واسكنها الروم والفرنج مع المسلمين ولم
يترك لاحد من اهلها حماما ولا دكانا ولا طاحونا ومات رجار بعد ذلك قبل التسعين

عنه وانضم الى المترجم واستفه واحتوى على عقله وصاحبه وصادقه وصار يختلي معه ويتعاقر معه الشراب ويسامره
ويسايره حتى باح له بما في
ضميره من الحقد لاخوانه
وتطلب الانفراد بالرياسة
فصار يقوي عزمه ويزين يدق
اغراته ويعده بالمعاونة
والمساعدة على اتمام قصده
ولم يزل به حتى رسخ في ذهن
المترجم نصحه وصدقه كل
ذلك توصلا لما هو كامن
في نفسه من اهلاك الجميع ثم
أشار عليه ببناء ابراج حول
داره التي سكن بها بالناصرية
فلما اتمها اسكن بها طائفة
من عساكره كانهم محافظون
لما عساه أن يكون ثم سار
معه الى حرب محمد باشا خسرو
بدمياط فحاربوه وأتوا به أسيرا
وحبسوه ثم فعلوا بالسيد علي
القبطان مثل ذلك ثم كائنة
علي باشا الطرابلسي وقتله
وقد تقدم خبر ذلك كله
وجميعه ينسب فعله للمصريين
ولم يسبق الا الايقاع بينهم
فكان وصول الالفي عقب
ذلك فاوقعوا به وبجنده
ما تقدم ذكره وتفاشلوا
وتفرقوا بعد جمعهم وقلوا بعد
الكثرة ثم أشار على المترجم
الصادق الناصح بتفريق
اكثر الجمع الباقي في النواحي
والجهات البعض منهم لرصد
الالفي والقبض عليه وعلى
جنده والبعض الآخر لظلم
الفلاحين في البلاد ولم يبق
بالمدينة غير المترجم وابراهيم بك الكبير وبعض أمرائه فعند ذلك سلط محمد علي

والاربعمائة وملك بعده ولده رجار فسلك طريق ملوك المسلمين من الجنائب والحجاب والسلاحية والجاندارية وغير ذلك وخالف عادة الفرنج فانهم لا يعرفون شيئا منه وجعل له ديوان المظالم ترفع اليه شكوى المظلومين فينصفهم ولو من ولده واكرم المسلمين وقربهم ومنع عنهم الفرنج فاحبوه وعمر اسطولا كبيرا وملك الجزائر التي بين المهدية وصقلية مثل مالطة وقوصرة وجربة وقرقنة وتطاول الى سواحل افريقية فكان منه ما نذكره ان شاء الله

(ذكر وصول السلطان الى بغداد)

في هذه السنة في شهر رمضان وصل السلطان الى بغداد وهي المرة الثانية ونزل بدار المملكة ونزل أصحابه متفرقين ووصل اليه أخوه تاج الدولة تتش وقسيم الدولة آقسنقر صاحب حلب وغيرهما من زعماء الاطراف وعمل الميلاد ببغداد وتأنقوا في عمله فذكر الناس انهم لم يروا ببغداد مثله ابدا واكثر الشعراء وصف تلك الليلة فمن قال المطرز

وكل نار على العشاق مضرمة * من نار قلبي او من ليلة السذق
نار تجلت بها الظلماء واشتبهت * بسدفة الليل فيه غرة الفلق
وزارت الشمس فيها البدر واصطلحا * على الكواكب بعد الغيظ والحنق
مدت على الارض بسطا من جواهرها * ما بين مجتمع وار ومفترق
مثل المصابيح الا انها نزلت * من السماء بلا رجم ولا حرق
أعجب بنار ورضوان يسعرها * ومالك قائم منها على فرق
في مجلس ضحكت روض الجنان له * لما جلى ثغره عن واضح يقق
وللشموع عيون كلما نظرت * تظلمت من يديها انجم الغسق
من كل مرهفة الاعطاف كالغصن الـ * ـمياد لكنه عار من الورق
اني لاعجب منها وهي وادعة * تبكي وعيشتها من ضربة العنق

وفي هذه المرة أمر بعمارة جامع السلطان فابتدئ في عمارته في المحرم سنة خمس وثمانين واربعمائة وعمل قبلته بهرام منجمه وجماعة من أصحاب الرصد وابتدأ بعده نظام الملك وتاج الملك والامراء الكبار بعمل دور لهم يسكنونها اذا قدموا بغداد فلم تطل مدتهم بعدها وتفرق شملهم بالموت والقتل وغير ذلك في باقي سنتهم ولم تغن عنهم عساكرهم وما جمعوا شيئا فسبحان الدائم الذي لا يزول أمره

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة وصل ابن أبي هاشم من مكة مستغيثا من التركمان وفي آخرها مرض نظام الملك ببغداد فعالج نفسه بالصدقة فكان يجتمع بدرسته من الفقراء والمساكين من لا يحصى وتصدق عنه الاعيان والامراء من عسكر السلطان فعوفي وأرسل له الخليفة خلعا نفيسة وفيها في تاسع شعبان كان بالشام وكثير من البلاد زلازل كثيرة وكان أكثرها بالشام ففارق الناس مساكنهم وانهدم بانطاكية كثير من المساكن وهلك

العساكر بطلب علائفهم المنكسرة فهزوا منها فاراد المترجم أن يفرض على فقراء البلدة فرضة بعد أن استشار الاخ النصوح وطافت الكتاب في الحارات والازقة يكتبون اسماء الناس ودورهم ففزعوا وصرخوا في وجوه العسكر فقالوا نحن ليس لنا عندكم شئ ولا نرضى بذلك وعلامنا عند امرائكم ونحن مساعدون لكم فعند ذلك قاموا على ساق وخرجت نساء الحارات وبايديهم الدفوف يغنون ويقولون ايش تأخذ من تفليسي يا برديسي وصاروا يخطفون على المصريين ويترضون عن العسكر وفي الحال أحاطت العسكر ببيوت الامراء ولم يشعر البرديسي الا والعسكر الذين اقامهم بالابراج التي بناها حوله ليسكنوا الهعزا ومنعة يضربون عليه ويحاربونه ويريدون قتله وتسلقوا عليه فلم يسع الجميع الا الهروب والفرار وخرجوا خروج الضب من الوجار وذهب المترجم الى الصعيد مذؤما مدحورا مذموما مطرودا وجوزي مجازاة من ينتصر بعدوه ويعول عليه ويقص اجنحته برجليه وكالباحث على حتفه بظلفه والجادع بظفره مارن انفه ولم يزل في هياج وحروب كما سطر في السياق ولم ينتصر في معركة ولم يزل مصرا على معاداة أخيه الالفي وحاقدا عليه وعلى اتباعه حريصا على زوالهم واعظمها قضية القبودان وموسى باشا الى

تحتها

تحتها عالم كثير وخرب من سورها اتسعون برجا فأمر السلطان ملكشاه بعمارتها وفيها فى شوال توفى أبو طاهر عبد الرحمن بن محمد بن علك الفقيه الشافعى وهو من رؤساء الفقهاء الشافعية وهو الذى تقدم ذكره فى فتح سمرقند ومشى أرباب الدولة السلطانية كلهم فى جنازته الا نظام الملك فانه اعتذر بعلو السن وأكثر البكاء عليه ودفن عند الشيخ أبى اسحق بباب أبرز وزار السلطان قبره وتوفى محمد بن عبد الله بن الحسين أبو بكر الناصح الحنفى قاضى الرى وكان من اعيان الفقهاء الحنفية يميل الى الاعتزال وكان موته فى رجب وفيها فى شعبان توفى ابو الحسن على بن الحسين بن طاوس المقرى بمدينة صور

(ثم دخلت سنة خمس وثمانين واربعمائة)

(ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج بجيان)

فى هذه السنة جمع اذفونش عساكره وجموعه وغزا بلاد جيان من الاندلس فلقيه المسلمون وقاتلوه واشتد الحرب فكانت الهزيمة اولا على المسلمين ثم ان الله تعالى رد لهم الكرة على الفرنج فهزموهم واكثروا القتل فيهم ولم ينج الا الاذفونش فى نفر يسير وكانت هذه الوقعة من اشهر الوقائع بعد الزلاقة واكثر الشعراء ذكرها فى اشعارهم

(ذكر استيلاء تتش على حمص وغيرها من ساحل الشام)

لما كان السلطان ببغداد قدم اليه اخوه تاج الدولة تتش من دمشق وقسيم الدولة آقسنقر من حلب وبوزان من الرها فلما اذن لهم السلطان فى العود الى بلادهم امر قسيم الدولة وبوزان ان يسيرا مع عساكرهما فى خدمة اخيه تاج الدولة حتى يستولى على ما للخليفة المستنصر العلوى بساحل الشام من البلاد ويسيروهم معه الى مصر ليملكها فساروا اجمعون الى الشام ونزل على حمص وبها ابن ملاعب صاحبها وكان الضرر به وبأولاده عظيما على المسلمين فحصروا البلد وضيقوا على من به فملكه تاج الدولة واخذ ابن ملاعب وولديه وسار الى قلعة عرقة فملكها عنوة وسار الى قلعة افامية فملكها أيضا وكان بها خادم للمصرى فنزل بالامان فأمنه ثم سار الى طرابلس فنازلها فرأى صاحبها جلال الملك بن عمار جيشا لا يدفع الا بحيلة فارسل الى الامراء الذين مع تاج الدولة واطمعهم ليصلحوا حاله فلم ير فيهم مطمعا وكان مع قسيم الدولة آقسنقر وزير له اسمه زرين كمر فراسله ابن عمار فرأى عنده لينا فتحفه واعطاه فسعى مع صاحبه قسيم الدولة فى اصلاح حاله ليدفع عنه وحمل له ثلاثين ألف دينار وتحفا بمثلها وعرض عليه المناشير التى بيده من السلطان بالبلد والتقدم الى النواب بتلك البلاد بمساعدته والشد معه والتحذير من محاربته فقال آقسنقر لتاج الدولة تتش لا اقاتل من هذه المناشير بيده فاغلظ له تاج الدولة وقال هل انت الا تابع لى فقال آقسنقر انا تابعك الا فى معصية السلطان ورحل من الغد عن موضعه فاضطر تاج الدولة الى الرحيل فرحل غضبان وعاد بوزان أيضا الى بلاده فانتقض هذا الامر

غير ذلك وكان ظاهر المساعدة وباطنا الشامى ثانى التدبير وقد اوجده الله جل جلاله وجعله سببا لزوال عزهم ودولتهم واختلال أمرهم وخراب دورهم وهتك اعراضهم ومذلتهم وتشتيت جمعهم ولم يزل على خبثه حتى مرض ومات بعنقلوط ودفن هناك * ومات الامير بشتك بك وهو الملقب بالالفى الصغير وهو مملوك محمد بك الالفى الكبير أمره وجعله وكيلا عنه مدة غيابه فى بلاد الانكليز وكان قبل ذلك سلحداره وأمر كشافه ومماليكه وجنده بطاعته وامتثال أمره فلما حضر الامراء المصريون فى سنة ثمان عشرة أقام هو بقصر مراد بك بالجيزة فسلم بحسن السياسة وداخله الغرور واعجب بنفسه وشمخ على نظرائه وعلى اعمامه الذين هم خشداشون لاستاذه بل وعلى ابراهيم بك الكبير الذى هو بمنزلة جده وكان مراد بك الذى هو استاذ استاذه يراعى حقه ويتأدب معه ويقبل يده فى مثل الاعياد ويقول هو اميرنا وكبيرنا وكذلك استاذ المترجم كان اذا دخل على ابراهيم بك قبل يده ولا يجلس بحضرته الا بعد أن يأذن له فلم يقتف المترجم فى ذلك اسلافه بل سلك مسلك التعاظم والتكبر على الجميع واستعمل العسف فى امور مع الترفع على الجميع واذا اعقدوا أمرا يبدونه حله أو حلوا شيئا يبدونه عقده فضاق لذلك خناق الجميع منه وكرهوه وكرهوا استاذه وكان هو من جملة اسباب

(ذكر ملك السلطان اليمن)

وكان ممن حضر أيضا عند السلطان ببغداد جبق أمير التركمان وهو صاحب قرميسين وغيرها فأمره السلطان أن يسير هو وجماعة من امراء السلطان كانوا معه الى الحجاز واليمن ويكون أمرهم الى سعد الدولة كوهرائين ليفتحوا البلاد هنالك فاستعمل عليهم سعد الدولة أميرا اسمه ترشك فساروا حتى وردوا اليمن فاستولوا عليها وأساؤا السيرة في أهلها ولم يتركوا فاحشة ولا سيئة الا ارتكبوها وملكوا عدن وظهر على ترشك الجدري فتوفى في سابع يوم من وصوله اليها وكان عمره سبعين سنة فعاد أصحابه الى بغداد وحملوه ودفنوه عند قبر أبي حنيفة رحمة الله عليه

(ذكر مقتل نظام الملك)

في هذه السنة عاشر رمضان قتل نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن اسحق الوزير بالقرب من نهاوند وكان هو والسلطان في اصبهان وقد عاد الى بغداد فلما كان بهذا المكان بعد ان فرغ من افطاره وخرج في محفته الى خيمة حرمه أتاه صبي ديلمي من الباطنية في صورة مستميح أو مستغيث فضربه بسكين كانت معه فقضى عليه وهرب فعثر بطنب خيمة فادركوه فقتلوه وركب السلطان الى خيمه فسكن عسكره وأصحابه وبقي وزير السلطان ثلاثين سنة سوى ما وزر للسلطان الب ارسلان صاحب خراسان أيام عمه طغرلبك قبل أن يتولى السلطنة وكان قد علت سنه فانه كان مولده سنة ثمان واربعمائة وكان سبب قتله ان عثمان بن جمال الملك بن نظام الملك كان قد ولاه جده نظام الملك رياسة مرو وأرسل السلطان اليها شحنة يقال له قودن وهو من أكبر مماليكه ومن أعظم الامراء في دولته فجرى بينه وبين عثمان منازعة في شئ فحملت عثمان حداثة سنه وتمكنه وطمعه بجده على ان قبض عليه واخرق به ثم أطلقه فقصد السلطان مستغيثا شاكيا فارسل السلطان الى نظام الملك رسالة مع تاج الدولة ومجد الملك البلاساني وغيرهما من أرباب دولته يقول له ان كنت شريكي في الملك ويدك مع يدي في السلطنة فلذلك حكم وان كنت نائبي وبحكمي فيجب ان تلزم حد التبعية والنيابة وهؤلاء أولادك قد استولى كل واحد منهم على كورة عظيمة وولي ولاية كبيرة ولم يقنعهم ذلك حتى تجاوزوا أمر السياسة وطمعوا الى ان فعلوا كذا وكذا وأطال القول وأرسل معهم الامير يلبرد وكان من خواصه وثقاته وقال له تعرفني ما يقول فربما كتم هؤلاء شيئا فحضروا عند نظام الملك وأوردوا عليه الرسالة فقال لهم قولوا للسلطان ان كنت ما علمت اني شريكك في الملك فاعلم فانك ما نلت هذا الامر الا بتدبيري ورأيي أما يذكر حين قتل أبوه فقمت بتدبير أمره وقمعت الخوارج عليه من أهله وغيرهم منهم فلان وفلان وذكر جماعة من خرج عليه وهو ذلك الوقت يتمسك بي ويلزمني ولا يخالفني فلما قدت الامور اليه وجمعت الكلمة عليه وفتحت له الامصار القريبة والبعيدة وأطاعه القاصي والداني أقبل يتجنى لي الذنوب ويسمع في السعايات قولوا له عني ان ثبات تلك القلنسوة معذوق

بقتلوهم من استاذهم وانعراف قلوبهم عنه فلما رجع استاذه وظهر من اختفائه وبلغه افعاله مقتوا بعده ولم يزل ممقوتا عنده حتى مات مبطونا في حياة استاذه بناحية قبلي في ثلاثا السنة *ومات غير هؤلاء ممن له ذكر مثل سليمان بك المعروف بابو دياب بناحية قبلي أيضا ومات أيضا أحمد بك المعروف بالهنداوي الالفي في واقعة الفيلة ومات أيضا صالح بك الالفي وهو أيضا ممن تأمر في غياب أستاذه وعند حضور أستاذه من بلاد الانكليز كان هو متوليا كشوفية الشرقية وغائبا هنالك فارسلوا له تجريدة ليقتلوه وكان بناحية شلشلمون فوصله الخبر فترك خيامه وأحماله وأثقاله وهرب واختفى فلما وقعت حادثة الامراء مع العسكر وخرجوا من مصر هاربين وظهر الالفي من الوادي ذهب اليه وامده بما معه من الاموال وذهب مع أستاذه الى قبلي ولم يزل حتى مات أيضا في هذه السنة وغير أولئك كثير لم تحضرني اسماؤهم ولا وفاتهم

(ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائتين والف)

وكان ابتداء المحرم يوم الاربعاء فيه وصل القابجي الذي على يده التقرير لمحمد علي باشا على ولاية مصر وطلع الى بولاق (وفيه) وردت مكاتبات من الجهة القبلية فيها انهم كبسوا على عرضي الالفية وصحبتهم سليمان بك البواب وحاربوهم وهزموهم

بهذه الدواة وان اتفقا فهما رباط كل رغيبة وسبب كل غنيمة ومتى اطبقت هذه زالت تلك فان عزم على تغيير فليتزود للاحتياط قبل وقوعه وليأخذ الحذر من الحادث امام طروقه واطال فيما هذا سبيله ثم قال لهم قولوا للسلطان عنى مهما اردتم فقد اهمنى ما لحقنى من توبيخه وفت فى عضدى فلما خرجوا من عنده اتفقوا على كتمان ما جرى من السلطان وان يقولوا له ما مضمونه العبودية والتنصل ومضوا الى منازلهم وكان الليل قد انتصف ومضى يلبرد الى السلطان فاعلمه ما جرى وبكر الجماعة الى السلطان وهو ينتظرهم فقالوا له من الاعتذار والعبودية ما كانوا اتفقوا عليه فقال لهم السلطان انه لم يقل هذا وانما قال كيت وكيت فاشاروا حينئذ بكتمان ذلك رعاية لحق نظام الملك وسابقته فوقع التدبير عليه حتى تم عليه من القتل ما تم ومات السلطان بعده بخمسة وثلاثين يوما وانحلت الدولة ووقع السيف وكان قول نظام الملك شبه الكرامة له واكثر الشعراء مراثيه فمن جيد ما قيل فيه قول شبل الدولة مقاتل بن عطية

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة ٭ يتيمة صاغها الرحمن من شرف

عزت فلم تعرف الايام قيمتها ٭ فردها غيرة منه الى الصدف

ورأى بعضهم نظام الملك بعد قتله فى المنام فسأله عن حاله فقال كان يعرض على جميع عملى لولا الحديدة التى اصبت بها يعنى القتل

٭(ذكر ابتداء حاله وشئ من اخباره)٭

اما ابتداء حاله فكان من ابناء الدهاقين بطوس فزال ما كان لابيه من مال وملك وتوفيت امه وهو رضيع فكان ابوه يطوف به على المرضعات فيرضعنه حسبة حتى شب وتعلم العربية وسر الله فيه يدعوه الى علو الهمة والاشتغال بالعلم فتفقه وصار فاضلا وسمع الحديث الكثير ثم اشتغل بالاعمال السلطانية ولم يزل الدهر يعلو به ويخفض حضرا وسفرا وكان يطوف بلاد خراسان ووصل الى غزنة فى صحبة بعض المتصرفين ثم لزم ابا على بن شاذان متولى الامور ببلخ لداود والد السلطان الب ارسلان فحسنت حاله معه وظهرت كفايته وامانته وصار معروفا عندهم بذلك فلما حضرت ابا على بن شاذان الوفاة اوصى الملك الب ارسلان به وعرفه حاله فولاه شغله ثم صار وزيرا له الى ان ولى السلطنة بعد عمه طغرلبك واستمر على الوزارة لانه ظهرت منه كفاية عظيمة وآراء سديدة قادت السلطنة الى الب ارسلان فلما توفى الب ارسلان قام بامر ابنه ملكشاه وقد تقدم ذكر هذه مجمل مستوفى مشروحا وقيل ان ابتداء امره انه كان يكتب للامير تاجر صاحب بلخ وكان الامير يصادره فى راس كل سنة وياخذ ما معه ويقول له قد سمنت يا حسن ويدفع اليه فرسا ومقرعة ويقول هذا يكفيك فلما طال ذلك عليه اخذ اولاده مخرا لمد وقصد الملك وهرب الى جغرى بك داود والد الب ارسلان فوقف فرسه فى الطريق فقال اللهم انى سائث فرسا تخلصنى عليه فسار غير بعيد فلقيه تركمانى وتحته فرس جواد فقال له نظام الملك انزل عن فرسك فنزل عنه فاخذه التركمانى

ونهبوا اعلاتهم وقطعوا منهم عدة رؤس وهى واصلة فى طريق البحر وصادفت هذه البشارة مع بشارة ورود القابجى ووصوله فعمل لذلك شنك وضرب لذلك مدافع كثيرة من القلعة فى كل وقت من الاوقات الخمسة ثلاثة ايام آخرها الجمعة ثم انه مضى مدة ايام ولم تحضر الرؤس التى اخبروا عنها واختلفت الروايات فى ذلك (وفى يوم الثلاثاء سابعه) عملوا جمعية ببيت القاضى حضرها المشايخ والاعيان وذكروا انه لما وردت الاوامر بتحصين الثغور فارسل الباشا سليمان اغا ومعه طائفة من العسكر وارسل الى اهالى الثغور والمحافظين عليها مكاتبات بانهم ان كانوا يحتاجون الى عساكر فيرسل لهم الباشا عساكر زيادة على الذين ارسلهم فاجابوا بان فيهم الكفاية ولا يحتاجون الى عساكر زيادة تأتيهم من مصر فانهم اذا كثروا فى البلد تأتى منهم المفاسد والافساد فعملوا هذه الجمعية لاثبات هذا القول وخلاص عهدة الباشا لئلا يتوجه عليه اللوم من السلطنة وينسب اليه التفريط (وفى تاسعه) وردت مكاتبات مع السعاة من ثغر سكندرية وذلك يوم الخميس وقت العصر وفيها الاخبار بورود مراكب الانكليز وعدتها اثنان واربعون مركبا فيها عشرون قطعة كبارا والباقى صغار فطلبوا الحاكم واالقنصل وتكلموا معهم وطلبوا الطلوع الى الثغر فقالوا لهم

واتاه بفرسه فركبه وقال له لا تنسني يا حسن قال نظام الملك فقويت نفسي بذلك وعلمت انه ابتداء سعادة فسار نظام الملك الى مرو ودخل على داود فلما رآه اخذ بيده وسلمه الى ولده الب ارسلان وقال له هذا حسن الطوسي فتسلمه واتخذه والدا لا تخالفه وكان الامير تاجر لما سمع بهرب نظام الملك سار في اثره الى مرو فقال لداود هذا كاتبي ونائبي قد اخذ اموالي فقال له داود حديثك مع محمد يعني الب ارسلان وكان اسمه محمدا فلم يتجاسر تاجر على خطابه فتركه وعاد واما اخباره فانه كان عالما دينا جوادا عادلا حليما كثير الصفح عن المذنبين طويل الصمت كان مجلسه عامرا بالقراء والفقهاء واغمة المسلمين واهل الخير والصلاح امر ببناء المدارس في سائر الامصار والبلاد واجرى لها الجرايات العظيمة واملى الحديث بالبلاد ببغداد وخراسان وغيرها وكان يقول اني لست من اهل هذا الشان لما تولاه ولكني احب ان اجعل نفسي على قطار نقلة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا سمع المؤذن امسك عن كل ما هو فيه وتجنبه فاذا فرغ لا يبدا بشئ قبل الصلاة وكان اذا غفل المؤذن ودخل الوقت يامره بالاذان وهذا غاية حال المنقطعين الى العبادة في حفظ الاوقات ولزوم الصلوات واسقط المكوس والضرائب وازال لعن الاشعرية من المنابر وكان الوزير عميد الملك الكندري قد حسن للسلطان طغرلبك التقدم بلعن الرافضة فامر بذلك فاضاف اليهم الاشعرية ولعن الجميع فلهذا فارق كثير من الائمة بلادهم مثل امام الحرمين وابي القاسم القشيري وغيرهما فلما ولي الب ارسلان السلطنة اسقط نظام الملك ذلك جميعه واعاد العلماء الى اوطانهم وكان نظام الملك اذا دخل عليه الامام ابو القاسم القشيري والامام ابو المعالي الجويني يقوم لهما ويجلس في مسنده كما هو واذا دخل ابو علي الفارمذي يقوم اليه ويجلسه في مكانه ويجلس هو بين يديه فقيل له في ذلك فقال ان هذين وامثالهما اذا دخلوا علي يقولون لي أنت كذا وكذا يثنون علي بما ليس في فيزيدني كلامهم عجبا وتيها وهذا الشيخ يذكر لي عيوب نفسي وما أنا فيه من الظلم فتنكسر نفسي لذلك وارجع عن كثير مما أنا فيه وقال نظام الملك كنت أتمنى أن يكون لي قرية خالصة ومسجد أتفرد فيه لعبادة ربي ثم بعد ذلك تمنيت أن يكون لي قطعة أرض اتقوت بريعها ومسجد اعبد الله فيه وأما الآن فانا أتمنى ان يكون لي رغيف كل يوم ومسجد أعبد الله فيه وقيل كان ليلة يا كل الطعام وبجانبه اخوه ابو القاسم وبالجانب الآخر عميد خراسان والى جانب العميد انسان فقير مقطوع اليد فنظر نظام الملك فراى العميد يتجنب الاكل مع المقطوع فامره بالانتقال الى الجانب الآخر وقرب المقطوع اليه فاكل معه وكانت عادته ان يحضر الفقراء طعامه ويقربهم اليه ويدنيهم واخباره مشهورة كثيرة قد جمعت لها المجاميع السائرة في البلاد

❁(ذكر وفاة السلطان وذكر بعض سيرته)❁

سار السلطان ملكشاه بعد قتل نظام الملك الى بغداد ودخلها في الرابع والعشرين من شهر

لا نمكنكم من الطلوع الا برسوم سلطاني فقالوا لم يكن معنا امر السلطان وانما جيئنا لمحافظة الثغر من الفرنسيس فانهم ربما طرقوا البلاد على حين غفلة وقد أحضرنا صحبتنا خمسة آلاف من العسكر نقيمهم بالابراج لحفظ البلدة والقلعة والثغر فقالوا لهم لم يكن معنا اذن وقد أتقنا مراسيم بمنع كل من وصل عن الطلوع من أي جنس كان فقالوا لا بد من ذلك فامال تسمحوا لنا في الطلوع بالرضا والتسليم واما بالقهر والحرب والمهلة في رد الجواب باحد الامرين اربعة وعشرون ساعة ثم تشددون على الممانعة فكتبوا بذلك الى مصر فلما وصلت تلك المكاتبات اجتمع كتخدا بك وحسن باشا وبونابارته الخازندار وطاهر باشا والدفتردار والروزنامجي وباقي اعيانهم وذلك بعد الغروب وتشاوروا في ذلك ثم أجمع رأيهم على ارسال الخبر بذلك الى محمد علي باشا ويطلبونه للحضور هو ومن بصحبته من العساكر ليستعدوا لما هو أولى واحق بالاهتمام ففعلوا ذلك وانصرفوا الى منازلهم بعد حصة من الليل وارسلوا تلك المكاتبة اليه في صبح يوم الجمعة صحبة هجانين وشاع الخبر وكثر لغط الناس في ذلك ولما انقضت الاربعة وعشرون ساعة التي جعلها الانكليز أجلا بينهم وبين أهل الاسكندرية وهم في الممانعة ضربوا عليهم بالقنابر والمدافع الهائلة من البحر فهدموا جانبا

شهر رمضان ولقبه وزير الخليفة عميد الدولة بن جهير وظهرت من تاج الملك كفاية عظيمة وكان السلطان قد أمر أن تفصل خلع الوزارة لتاج الملك وكان هو الذى سعى بنظام الملك فلما فرغ من الخلع ولم يبق غير لبسها والجلوس فى الدست اتفق ان السلطان خرج الى الصيد وعاد ثالث شوال مريضا وأنشب الموت اظفاره فيه ولم يمنع عنه سعة ملكه وكثرة عساكره وكان سبب مرضه انه أكل لحم صيد فحم وافتصد ولم يستوف اخراج الدم فثقل مرضه وكانت حمى محرقة فتوفى ليلة الجمعة النصف من شوال ولما ثقل نقل ارباب دولته أموالهم الى حريم دار الخلافة ولما توفى سترت زوجته تركان خاتون المعروفة بخاتون الجلالية موته وكتمته وأعادت جعفر ابن الخليفة من ابنة السلطان الى أبيه المقتدى بامر الله وسارت من بغداد والسلطان معها محمولا وبذلت الاموال للامراء سرا واستحلفتهم لابنها محمود وكان تاج الملك يتولى ذلك لها وارسلت قوام الدولة كربوقا الذى صار صاحب الموصل الى اصبهان بخاتم السلطان فاستنزل مستحفظ القلعة وتسلمها وأظهر ان السلطان أمره بذلك ولم يسمع بسلطان مثله لم يصل عليه احد ولم يلطم عليه وجه وكان مولده سنة سبع وأربعين واربعمائة وكان من أحسن الناس صورة ومعنى وخطب له من حدود الصين الى آخر الشام ومن أقاصى بلاد الاسلام فى الشمال الى آخر بلاد اليمن وحمل اليه ملوك الروم الجزية ولم يفته مطلب وانقضت ايامه على امن عام وسكون شامل وعدل مطرد ومن أفعاله انه لما خرج عليه أخوه تكش بخراسان اجتاز بمشهد على بن موسى الرضا بطوس فزاره فلما خرج قال لنظام الملك باى شئ دعوت قال دعوت الله ان ينصرك فقال اما أنا فلم ادع بهذا بل قلت اللهم انصر اصلحنا للمسلمين وانفعنا للرعية وحكى عنه ان سوادياً لقيه وهو يبكى فاستغاث به وقال كنت ابتعت بطيخا بدريهمات لا املك سواها فغلبنى عليه ثلاثة نفر من الاتراك فاخذوه منى فقال السلطان له اقعد ثم أحضر فراشا وقال قد اشتهيت بطيخا وكان ذلك عند أول استوائه وأمره بطلبه من العسكر فغاب ثم عاد ومعه البطيخ فامره باحضار من وجده عنده فاحضره فسأله السلطان من أين لك ذلك البطيخ فقال غلمانى جاؤنى به فامران يجيئهم اليه فمضى وأمرهم بالهرب وعاد فقال لم اجدهم فقال للسوادى خذ هذا مملوكى قد وهبته لك عوضا عن بطيخك أو يحضر الذين أخذوه والله لئن اطلقته لاضربن عنقك فاخذه السوادى فاشترى الغلام نفسه منه بثلثمائة دينار فعاد السوادى الى السلطان وقال قد بعته نفسه بثلثمائة دينار فقال ارضيت بذلك قال نعم قال امض مصاحبا للسلامة وقال عبد السميع بن داود العباسى شاهدت ملكشاه وقد اتاه رجلان من أرض العراق السفلى من قرية الحدادية يعرفان بابنى غزال فلقياه فوقف لهما فقالا ان مقطعنا الامير خمارتكين قد صادرنا بالف وستمائة دينار وقد كسر ثنيتى أحدنا وأراهما السلطان وقد قصدناك لتقتص لنا منه فان أخذت بحقنا كما أوجب الله عليك والا فالله يحكم بيننا قال فرأيت السلطان وقد نزل عن دابته وقال ليمسك كل واحد منكما بطرف كمى واسحبانى الى خواجه حسن يعنى نظام الملك فامتنعا من ذلك

من البرج الكبير وكذلك الابراج الصغار والسور فعند ذلك طلبوا الامان فرفعوا عنهم الضرب ودخلوا البلدة وذلك يوم الجمعة التالى (وفى ليلة الاثنين ثالث عشره) وردت مكاتبة من رشيد بذلك الخبر على سبيل الاجمال من غير معرفة حقيقة الحال بل بالعلم بانهم طلعوا الى الثغر ودخلوا البلدة وعدم علمهم بالكيفية وتغيب الحال واشتبه الامر (وفيه حضر) قنصل الفرنساوية الى مصر وكان بالاسكندرية فلما وردت مراكب الانكليز انتقل الى رشيد فلما بلغه طلوعهم الى البر حضر الى مصر وذكر انه يريد السفر الى الشام هو وباقى الفرنساوية القاطنين بمصر (وفى ليلة الخميس سادس عشره) وردت مكاتبة من الباشا يذكر فيها انه تحارب مع المصريين وظهر عليهم واخذ منهم اسيوط وقبض على انفار منهم وقتل فى المعركة كثير من كشافهم ومماليكهم فعملوا فى ذلك اليوم شنكا وضربوا مدافع كثيرة من القلعة والازبكية ثلاثة ايام فى الاوقات الخمسة آخرها السبت واشاعوا أيضا ان الاسكندرية ممتنعة على الانكليز وانهم طلعوا الى راس التين والعجمى فخرج عليهم أهل البلاد والعساكر وحاربوهم وأجلوهم عن البر ونزلوا الى المراكب منهزمين وأخرقوا منهم مركبين وانه وصل اليوم عمارة العثمانيين والفرنساوية

واعتذر فاقسم عليهما الا فعلا فاخذ كل واحد منهما بكم من كميه ومشى معهما الى نظام الملك فبلغه الخبر فخرج مسرعا فلقيه وقبل الارض وقال ياسلطان العالم ما حملك على هذا فقال كيف يكون حالي غدا عند الله اذا طولبت بحقوق المسلمين وقد قلدتك هذا الامر لتكفيني مثل هذا الموقف فان نال الرعية اذى فانت المطالب فانظر لي ولنفسك فقبل الارض ومشى في خدمته وعاد من وقته وكتب بعزل الامير خمارتكين عن اقطاعه ورد المال عليهما واعطاهما مائة دينار من عنده وأمرهما باثبات البينة انه قلع ثنيتيه ليقلع ثنيتيه فرضيا وانصرفا وقيل انه ورد بغداد ثلاث دفعات فخافه الناس من غلاء الاسعار وتعدي الجند فكانت الاسعار أرخص منها قبل قدومه وكان الناس يخترقون عساكره ليلا ونهارا فلا يخافون أحدا ولم يتعد عليهم احد واسقط المكوس والمؤن من جميع البلاد وعمر الطرق والقناطر والربط التي في المفاوز وحفر الانهار الخراب وعمر الجامع ببغداد وعمل المصانع بطريق مكة وبنى البلد باصبهان وبنى منارة القرون بالسبيعي بطريق مكة وبنى مثلها بما وراء النهر واصطاد مرة صيدا كثيرا فامر بعده فكان عشرة آلاف رأس فامر بصدقة عشرة آلاف دينار وقال انني خائف من الله تعالى كيف ازهقت ارواح هذه الحيوانات بغير ضرورة ولا مأكلة وفرق من الثياب والاموال بين أصحابه مالا يحصى وصار بعد ذلك كلما اصطاد شيئا تصدق بعدده دنانير وهذا فعل من يحاسب نفسه على حركاته وسكناته وقد أكثر الشعراء مراثيه أيضا وقيل ان بعض امراء السلطان كان نازلا بجوار انسان من بعض العلماء اسمه عبد الرحمن في داره فقال يوما ذلك الامير للسلطان وهو سكران ان عبد الرحمن يشرب الخمر ويعبد الاصنام من دون الله تعالى ويحلل الحرام فلم يجبه ملكشاه فلما كان الغد صحا ذلك الامير فاخذ السلطان السيف وقال له اصدقني عن فلان والا قتلتك فطلب منه الامان فامنه فقال ان عبد الرحمن له دار حسناء وزوجة جميلة فاردت ان تقتله فافوز بداره وزوجته فابعده السلطان وشكر الله تعالى على التوقف عن قبول سعايته وتصدق باموال جليلة المقدار

(ذكر ملك ابنه الملك محمود وما كان من حال ابنه الاكبر بركيارق الى ان ملك)

لما مات السلطان ملكشاه كتمت زوجته تركان خاتون موته كاذكرناه وأرسلت الى الامراء سرا فارضتهم واستحلفتهم لولدها محمود وعمره اربع سنين وشهور وأرسلت الى الخليفة المقتدي في الخطبة لولدها أيضا فاجابها وشرط أن يكون اسم السلطنة لولدها والخطبة له ويكون المدبر لعامة الجيوش ورعاية البلد هو الامير أنر ويصدر عن رأي تاج الملك ويكون ترتيب العمال وجباية الاموال الى تاج الملك أيضا وكان تاج الملك هو الذي يدبر الامر بين يدي خاتون فلما جاءت رسالة الخليفة الى خاتون بذلك امتنعت من قبوله فقيل لها ان ولدك صغير ولا يجيز الشرع ولايته وكان المخاطب لها في ذلك الغزالي فاذعنت له واجابت اليه فخطب لولدها ولقب ناصر الدنيا والدين وكانت الخطبة يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال من السنة وخطب له بالحرمين الشريفين ولما

وقاتلوهم في البحر والبر وحرقوا مراكبهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ولم يبق منهم الا القليل واستمر الامر في هذا الخلاط القبلي والبحري عدة ايام ولم يات من الاسكندرية سعاة ولا خبر صحيح (وفيه) وصل الكثير من اهالي الفيوم ودخلوا الى مصر وهم في اسوا حال من الشتات والعري مما فعل بهم ياسين بك فخرجوا على وجوههم وجلوا عن أوطانهم ولم يمكنهم الخروج من بلادهم حتى ارتحل عنهم المذكور يريد الحضور الى ناحية مصر عندما بلغه خبر حضور الانكليز الى ثغر سكندرية (وفي سابع عشره) وصل ياسين بك المذكور الى ناحية دهشور وأرسل مكاتبة خطابا للسيد عمر والقاضي وشيخ المشايخ يذكر فيها انه لما بلغه وصول الانكليز أخذته الحمية الاسلامية وحضر وصحبته ستة آلاف من العسكر ليرابط بهم بالجيزة أو بقليوب ويجاهد في سبيل الله فكتبوا له أجوبة مضمونها ان كان حضوره بقصد الجهاد فينبغي ان يتقدم بمن معه الى الاسكندرية واذا حصل له النصر تكون له اليد البيضاء والمنقبة والذكر والشهرة الباقية فانه لا فائدة باقامته بالجيزة او قليوب وخصوصا قليوب بالبر الشرقي وكان حسن باشا خرج بعرضيه في موكب الى ناحية الحلي قبل ذلك بايام ويرجع الى داره آخر النهار فيبيت بها ثم يخرج في الصباح وعساكره واوباشه ينتشرون بتلك النواحي يعبثون ويخطفون

ولما مات السلطان ملكشاه ارسلت تركان خاتون الى اصبهان في القبض على بركيارق ابن السلطان وهو اكبر اولاده خافته ان ينازع ولدها في السلطنة فقبض عليه فلما ظهر موت ملكشاه وثب المماليك النظامية على سلاح كان لنظام الملك باصبهان فاخذوه وثاروا في البلد واخرجوا بركيارق من الحبس وخطبوا له باصبهان وملكوه وكانت والدة بركيارق زبيدة ابنة ياقوتي بن داود وهي ابنة عم ملكشاه خائفة على ولدها من خاتون أم محمود فاتاها الفرج بالمماليك النظامية وسارت تركان خاتون من بغداد الى اصبهان فطالب العسكر تاج الملك بالاموال فوعدهم فلما وصلوا الى قلعة برجين صعد اليها لينزل الاموال منها فلما استقر فيها عصى على خاتون ولم ينزل خوفا من العسكر فساروا عنه ونهبوا خزائنه فلم يجدوا بها شيئا فانه كان قد علم ما جرى فاستظهر واخفاه ولما وصلت تركان خاتون الى اصبهان لحقها تاج الملك واعتذر بان مستحفظ القلعة حبسه وانه هرب منه اليها فقبلت عذره واما بركيارق فانه لما قاربت خاتون وابنها محمود اصبهان خرج منها هو ومن معه من النظامية وساروا نحو الري فلقيهم ارغش النظامي في عساكره ومعه جماعة من الامراء وصار واياه واحدة وانما حمل النظامية على الميل الى بركيارق كراهتهم لتاج الملك لانه كان عدو نظام الملك والمتهم بقتله فلما اجتمعوا حصروا قلعة طبرك واخذوها عنوة فسيرت خاتون العساكر الى قتال بركيارق فالتقى العسكران بالقرب من بروجرد فانحاز جماعة من الامراء الذين في عسكر خاتون الى بركيارق منهم الامير يلبرد وكمشتكين الجاندار وغيرهما فقوي بهم وجرى الحرب بينهم أواخر ذي الحجة واشتد القتال فانهزم عسكر خاتون وعادوا الى اصبهان وسار بركيارق في اثرهم فحصرهم باصبهان

(ذكر قتل تاج الملك)

كان تاج الملك مع عسكر خاتون وشهد الوقعة فهرب الى نواحي بروجرد فاخذ وحمل الى عسكر بركيارق وهو يحاصر اصبهان وكان يعرف كفايته فاراد ان يستوزره فشرع تاج الملك في اصلاح كبار النظامية وفرق فيهم مائتي ألف دينار سوى العروض فزال ما في قلوبهم فلما بلغ عثمان نائب نظام الملك الخبر ساءه فوضع الغلمان الاصاغر على الاستغاثة وان لا يقنعوا الا بقتل قاتل صاحبهم ففعلوا فانفسخ ما دبره تاج الملك وهجم النظامية عليه فقتلوه وفصلوه اجزاء وكان قتله في المحرم سنة ست وثمانين وحمل الى بغداد احدى اصابعه وكان كثير الفضائل جم المناقب وانما غطى جميع محاسنه ممالأته على قتل نظام الملك وهو الذي بنى تربة الشيخ ابي اسحق الشيرازي وعمل المدرسة التي الى جانبها ورتب بها الشيخ ابا بكر الشاشي وكان عمره حين قتل سبعا واربعين سنة

(ذكر ما فعله العرب بالحجاج والكوفة)

سار الحجاج هذه السنة من بغداد فقدموا الكوفة ورحلوا منها فخرجت عليهم خفاجة

ورد خبر مجيء ياسين بك تأخر عن السفر وعملوا مشورة فاقتضى رأيهم ان حسن باشا يعدي الى البر الغربي ويقيم بالجيزة لئلا يأتي ياسين بك ويملكها فعدى حسن باشا في يوم الاثنين عشرينه واقام بها واعرض عن السفر الى جهة البحيرة (وفيه) وردت الاخبار الصحيحة باخذ الاسكندرية واستيلاء الانكليز عليها يوم الخميس المتقدم تاسع الشهر ودخلوها وملكوا الابراج يوم الاحد صبيحة النهار وسكن سارى عسكرهم بوكالة القنصل وشرطوا مع اهالي البلد شروطا منها انهم لا يسكنون البيوت قهرا عن اصحابها بل بالمؤاجرة والتراضي ولا يمتهنون المساجد ولا يبطلون منها الشعائر الاسلامية واعطوا امين اغا الحاكم امانا على نفسه وعلى من معه من العسكر واذنوا لهم بالذهاب الى اي محل ارادوه ومن كان له دين على الديوان يأخذ نصفه حالا والنصف الثاني مؤجلا ومن اراد السفر في البحر من التجار وغيرهم فليسافر في خفارتهم الى اي جهة اراد ما عدا اسلامبول واما الغرب والشام وتونس وطرابلس ونحوها فعلى السراح لا حرج ذهابا وايابا ومن شروطهم التي

شرطوها مع اهل البلد انهم ان احتاجوا الى قومانية او مال لا يكلفون اهل

وقد طمعوا بموت السلطان و بعد العسكر فاوقعوا بهم وقتلوا أكثر الجند الذين معهم وانهزم باقيهم ونهبوا الحجاج وقصدوا الكوفة فدخلوها وأغاروا عليها وقتلوا في أهلها فرماهم الناس بالنشاب فخرجوا بعد ان نهبوا واخذوا ثياب من لقوه من الرجال والنساء فوصل الخبر الى بغداد فسيرت العساكر منها فلما سمع بهم بنو خفاجة انهزموا فادركهم العسكر فقتل منهم خلق كثير ونهبت أموالهم وضعفت خفاجة بعد هذه الوقعة

(ذكر عدة حوادث)

فيها في ربيع الاول عاد السلطان من بغداد الى أصبهان وأخذ معه الامير أبا الفضل جعفر ابن الخليفة المقتدى بامر الله من ابنة السلطان وتفرق الامراء الى بلادهم ثم عاد الى بغداد فتوفى كما ذكرناه وفيها في جمادى الاولى احترق نهر المعلى فاحترق عقد الحديد الى خربة الهراس الى باب دار الضرب واحترق سوق الصاغة والصيارف والمخلطين والريحانيين وكان الحريق من الظهر الى العصر فاحترق منها الامر العظيم في الزمان القليل واحترق من الناس خلق كثير ثم ركب عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة وجمع السقائين ولم يزل راكبا حتى طفئت النار وفي هذه السنة توفي عبد الباقي بن محمد بن الحسين بن ناقيا الشاعر البغدادي سمع الحديث وكان يتهم بانه يطعن على الشرائع فلما مات كانت يده مقبوضة فلم يطق الغاسل فتحها فبعد جهد فتحت فاذا فيها مكتوب

نزلت بجار لا يخيب ضيفه ٭ ارجى نجاتي من عذاب جهنم
واني على خوفي من الله واثق ٭ بانعامه والله اكرم منعم

وفيها توفي هبة الله بن عبد الوارث بن علي بن احمد ابو القاسم الشيرازي الحافظ احد الرحالين في طلب الحديث شرقا وغربا وقدم الموصل من العراق وهو الذي اظهر سماع الجعديات لابي محمد الصريفيني ولم يكن يعرف ذلك

(ثم دخلت سنة ست وثمانين واربعمائة)

(ذكر وزارة عز الملك بن نظام الملك لبركيارق)

كان عز الملك ابو عبد الله الحسين بن نظام الملك مقيما بخوارزم حاكما فيها وفي كل ما يتعلق بها اليه المرجع في كل امورها السلطانية فلما كان قبل ان يقتل ابوه حضر عنده خدمة له وللسلطان فقتل ابوه ومات السلطان فاقام باصبهان الى الآن فلما حصرها بركيارق وكان اكثر عسكره النظامية خرج من اصبهان هو وغيره من اخوته فلما اتصل ببركيارق احترمه واكرمه وفوض امور دولته اليه وجعله وزيرا له

(ذكر حال تتش بن الب ارسلان)

كان تتش بن الب ارسلان صاحب دمشق وما جاورها من بلاد الشام فلما كان قبل موت اخيه السلطان ملكشاه سار من دمشق اليه ببغداد فلما كان بهيت بلغه موته فاخذ هيت واستولى عليها وعاد الى دمشق يتجهز لطلب السلطنة فجمع العساكر واخرج الاموال وسار نحو حلب وبها قسيم الدولة آقسنقر فرأى قسيم الدولة اختلاف اولاد

الاسكندرية بشئ من ذلك وان محكمة الاسلام تكون مفتوحة لحكم بشرائعها ولا يكلفون اهل الاسلام بقيام دعوى عند الانكليز بغير رضاهم والحمايات من اى بندرة تكون مقبولة عند الانكليز الموجودين في الاسكندرية ويقيمون مامونين رعاية لخاطر أهل الاسكندرية ولم يحصل لهم شئ من المكروه من كامل الوجوه حتى الفرنساوية والجمارك من كل الجهات على كل مائة اثنان ونصف وعلى ذلك انتهت الشروط وليعلم ان هذه الطائفة من الانكليز ومن انضم اليهم وعدتهم على ما قيل ستة آلاف لم تات الى الثغر طمعا في اخذ مصر بل كان ورودهم ومجيئهم مساعدة ومعاونة للالفي على اخصامه باستدعائه لهم واستنجاده بهم قبل تاريخه وسبب تاخرهم في المجئ لما بينهم وبين العثمانى من الصلح فلا يتعدون على ممالكه من غير اذنه محافظتهم على القوانين فلما وقعت النفرة بينهم وبينه بما تقدم فعند ذلك انتهزوا الفرصة وأرسلوا هذه الطائفة وكان الالفي ينتظر حضورهم بالبحيرة فلما طال عليه الانتظار وضاقت عليه البحيرة ارتحل بجيوشه مقبلا وقضى الله موته باقليم الجيزة وحضر الانكليز بعد ذلك الى الاسكندرية فوجدوه قد مات فلم يسعهم الرجوع فارسلوا الى الامراء القبليين يستدعونهم ليكونوا مساعدين لهم على عدوهم ويقولون لهم انما جئنا الى بلادكم باستدعاء

صاحب ملكشاه وصغرهم فعلم انه لا يطيق دفع تتش فصالحه وصار معه وارسل الى باغي سيان صاحب انطاكية والى بوزان صاحب الرها وحران يشير عليهما بطاعة تاج الدولة تتش حتى يروا ما يكون من اولاد ملكشاه ففعلوا وصاروا معه وخطبوا له في بلادهم وقصدوا الرحبة فحصروها وملكوها في المحرم من هذه السنة وخطب لنفسه بالسلطنة ثم ساروا الى نصيبين فحصروها فسب اهلها تاج الدولة ففتحها عنوة وقهرا وقتل من اهلها خلقا كثيرا ونهبت الاموال وفعل فيها الافعال القبيحة ثم سلمها الى الامير محمد بن شرف الدولة العقيلي وسار يريد الموصل واتاه الكافي بن فخر الدولة بن جهير وكان في جزيرة ابن عمر فاكرمه واستوزره

﴿ذكر وقعة المضيع واخذ الموصل من العرب﴾

كان ابراهيم بن قريش بن بدران امير بني عقيل قد استدعاه السلطان ملكشاه سنة اثنتين وثمانين واربعمائة ليحاسبه فلما حضر عنده اعتقله وانفذ فخر الدولة بن جهير الى البلاد فملك الموصل وغيرها وبقي ابراهيم مع ملكشاه وسار معه الى سمرقند وعاد الى بغداد فلما مات ملكشاه اطلقته تركان خاتون من الاعتقال فسار الى الموصل وكان ملكشاه قد اقطع عمته صفية مدينة بلد وكانت زوجة شرف الدولة ولها منه ابنها علي وكانت قد تزوجت بعد شرف الدولة باخيه ابراهيم فلما مات ملكشاه قصدت الموصل ومعها ابنها علي فقصدها محمد بن شرف الدولة واراد اخذ الموصل فافترقت العرب فرقتين فرقة معه واخرى مع صفية وابنها علي واقتتلوا بالموصل عند الكناسة فظفر علي وانهزم محمد وملك علي الموصل فلما وصل ابراهيم الى جهينة وبينه وبين الموصل اربعة فراسخ سمع ان الامير علي ابن اخيه شرف الدولة قد ملكها ومعه امه صفية عمة ملكشاه فاقام مكانه وراسل صفية خاتون وترددت الرسل فسلمت البلد اليه فاقام به فلما ملك تتش نصيبين ارسل اليه يامره ان يخطب له بالسلطنة ويعطيه طريقا الى بغداد لينحدر ويطلب الخطبة بالسلطنة فامتنع ابراهيم من ذلك فسار تتش اليه وتقدم ابراهيم ايضا نحوه فالتقوا بالمضيع من اعمال الموصل في ربيع الاول وكان ابراهيم في ثلاثين الفا وكان تتش في عشرة آلاف وكان آقسنقر على ميمنته وبوزان على ميسرته فحمل العرب على بوزان فانهزم وحمل آقسنقر على العرب فهزمهم وتمت الهزيمة على ابراهيم والعرب واخذ ابراهيم اسيرا وجماعة من امراء العرب فقتلوا صبرا ونهبت اموال العرب وما معهم من الابل والغنم والخيل وغير ذلك وقتل كثير من نساء العرب انفسهن خوفا من السبي والفضيحة وملك تتش بلادهم الموصل وغيرها واستناب بها علي بن شرف الدولة مسلم وامه صفية عمة تتش وارسل الى بغداد يطلب الخطبة وساعده كوهرائين على ذلك فقيل لرسوله انا ننتظر وصول الرسل من العسكر فعاد الى تتش بالجواب

﴿ذكر ملك تتش ديار بكر واذربيجان وعوده الى الشام﴾

فلما فرغ تاج الدولة تتش من امر العرب وملك الموصل وغيرها من بلادهم سار الى

الالفي لمناصفته ومساعدتكم فوجدنا الالفي قد مات وهو شخص واحد منكم وانتم جمع فلا يكون عندكم تاخير في الحضور لقضاء شغلكم فانكم لا تجدون فرصة بعد هذه وتندمون بعد ذلك ان تلكأتم فلما وصلتهم مراسلة الانكليز تفرق رأيهم وكان عثمان بك حسن منعزلا عنهم وهو يدعي الورع وعنده جيش كبير فارسلوا اليه يستدعونه فقال انا مسلم هاجرت وجاهدت وقاتلت في الفرنساوية والآن اختم عملي والتجئ الى الافرنج وانتصر بهم على المسلمين انا لا افعل ذلك وعثمان بك يوسف كان بناحية الهو وكان الباشا يحارب الذين بناحية أسيوط وهم المرادية والابراهيمية والالفي والتقى معهم وانكسر وامنه وقتل منهم اشخاصا فلما ورد عليه خبر الانكليز انفعل لذلك وداخله وهم كبير وأرسل اليهم المشايخ وخلافهم يطلبهم للصلح وكان ما سيتلى عليك قريبا وما كان الا ما أراده المولى جل جلاله من تعسة الانكليز والقطر واهله الا ان يشاء الله (وفيه) وصل مكتوب من محمد علي باشا بطلب مصطفى اغا الوكيل وعلي كاشف الصابونجي ليرسلهم الى الامراء القبالي فتراخوا في الذهاب لكونهم وجدوا تاريخ المكتوب حادي عشر الشهر فعلموا ان ذلك قبل تحقق خبر الانكليز (ثم ورد) منه مكتوب آخر يذكر فيه عزمه على الرجوع الى مصر قريبا فان العساكر يطلبونه بالعلائف ويأمرهم فيه بتحصيل ذلك

وانقليميه ليستلموها عند حضورهم ٩٣ ويشجعهم لمحاربة الانكليز (وفي ثالث عشرينه) ورد مكتوب من اهالي دمنهور

ديار بكر في ربيع الآخر فملك ميافارقين وسائر ديار بكر من ابن مروان وسار منها الى اذربيجان فانتهى خبره الى ابن اخيه ركن الدين بركيارق وكان قد استولى على كثير من البلاد منها الرى وهمذان وما بينهما فلما تحقق الحال سار في عساكره ليمنع عمه عن البلاد فلما تقارب العسكران قال قسيم الدولة آقسنقر ابوزان انما اطعنا هذا الرجل لننظر ما يكون من اولاد صاحبنا والآن فقد ظهر ابنه ونريد أن نكون معه فاتفقا على ذلك وفارقا تتش وصارا مع بركيارق فلما راى تاج الدولة تتش ذلك علم انه لا قوة له بهم فعاد الى الشام واستقامت البلاد لبركيارق فلما قوى امره سار كوهرائين الى العسكر يعتذر من مساعدته لتاج الدولة تتش واعانه برسق وتعصب عليه كمشتكين الجاندار فاخذ اقطاعه واعطى الامير يلبرد زيادة وولى شحنكية بغداد عوض كوهرائين وتفرق عن كوهرائين اصحابه فكان ما ياتي ذكره ان شاء الله تعالى

❊(ذكر حصر عسكر مصر صور وملكهم لها)❊

في هذه السنة في جمادى الآخرة ملك عسكر المستنصر بالله العلوي صاحب مصر مدينة صور وسبب ذلك ما ذكرناه سنة اثنتين وثمانين واربعمائة أن أمير الجيوش بدر اوزير المستنصر سير العساكر الى مدينة صور وغيرها من ساحل الشام وكان من بها قد امتنع من طاعتهم فملكها وقرر أمورها وجعل فيها الامراء وكان قد ولى مدينة صور امير يعرف بمنير الدولة الجيوشي فعصى على المستنصر وأمير الجيوش وامتنع بصور فسيرت العساكر من مصر اليه وكان أهل صور قد أنكروا على منير الدولة عصيانه على سلطانه فلما وصل العسكر المصرى الى صور وحصروها وقاتلوها ثار أهلها ونادوا بشعار المستنصر وأمير الجيوش وسلموا البلد وهجم العسكر المصرى بغير مانع ولا مدافع ونهب من البلد شئ كثير وأسر منير الدولة ومن معه من أصحابه وحملوا الى مصر وقطع على أهل البلد ستون ألف دينار فاجحفت بهم ولما وصل منير الدولة الى مصر ومعه الاسرى قتلوا جميعهم ولم يعف عن واحد منهم

❊(ذكر قتل اسمعيل بن ياقوتى خال بركيارق)❊

في هذه السنة في شعبان قتل اسمعيل بن ياقوتى بن داود وهو خال بركيارق وابن عم ملكشاه وسبب قتله انه كان باذربيجان أميرا عليها فارسلت اليه تركان خاتون زوجة ملكشاه تطمعه ان تتزوج به وتدعوه الى محاربة بركيارق فاجابها الى ذلك وجمع خلقا كثيرا من التركمان وغيرهم وصار أصحاب سرهنك ساوتكين في حيله وأرسلت اليه تركان خاتون كربوقا وغيره من الامراء في عسكر كثير مددا له فجمع بركيارق عساكره وسار الى حرب خاله اسمعيل فالتقوا عند الكرج فانحاز الامير يلبرد الى بركيارق وصار معه فانهزم اسمعيل وعسكره وتوجه الى اصبهان فاكرمته تركان خاتون وخطبت له وضربت اسمه على الدينار بعد ابنها محمود بن ملكشاه وكاد الامر في الوصلة يتم بينهما فامتنع الامراء من ذلك لاسيما الامير أنز وهو مدبر الامر وصاحب الجيش وآثروا خروج

خطابا الى السيد عمر النقيب مضمونه انه لما ذخلت المراكب الانكليزية الى سكندرية هرب من كان بها من العساكر وحضروا الى دمنهور فعند ما شاهدهم الكاشف الكائن بدمنهور ومن معه من العسكر انزعجوا انزعاجا شديدا وعزموا على الخروج من دمنهور فخاطبهم أكابر الناحية قائلين لهم كيف تتركونا وتذهبوا ولم تروا منا خلافا وقد كافينا تقدم من حروب الالفي من اعظم المساعدين لكم فكيف لا تساعد الآن بعضنا بعضا في حروب الانكليز فلم يستمعوا لقولهم لشدة ما داخلهم من الخوف وعبوا متاعهم واخرج الكاشف أثقاله وجبخانته ومدافعه وتركها وعدى وذهب الى فوة من ليلته ثم ارسل في ثاني يوم من اخذ الاثقال فهذا ما حصل اخبرنا كم به واما بونابارته الخازندار الذي سافر لحرب الانكليز فانه نزل على القليوبية وفعل ما أمكنه وقدر عليه بالبلاد من السلب والنهب والجور والتكالف والتساويف حتى وصل الى المنوفية وكذلك طاهر باشا الذي سافر في اثره واسمعيل كاشف المعروف بالطوبجي فرض على البلاد جمالا وخيولا وابقارا وغير ذلك ومن جملة افاعيلهم انهم يوزعون الاغنام المنهوبة على البلاد ويلزمونهم بعلفها اسمعيل

وكلهم يطلبون أغراضهم مضاعفة بما يضاف الى ذلك من حق طرق المعينين وامثال ذلك (وفى يوم الجمعة رابع

اسمعيل عنهم وخافوه وخاف هو أيضا منهم ففارقهم وراسل أخته زبيدة والدة بركيارق
في اللحاق بهم فاذنت له في ذلك فوصل اليهم وأقام عندهم اياما يسيرة فخلا به كمشتكين
الجاندار وآقسنقر وبوزان وبسطوه في القول فاطلعهم على سره وانه يريد السلطنة
وقتل بركيارق فوثبوا عليه فقتلوه واعلموا أخته خبره فسكتت عنه

(ذكر أخذ الحجاج)

في هذه السنة انقطع الحج من العراق لاسباب أوجبت ذلك وسار الحاج من دمشق
مع امير أقامه تاج الدولة تتش صاحبها فلما قضوا حجهم وعادوا سائرين سير امير مكة وهو
محمد بن أبي هاشم عسكرا فلحقوهم بالقرب من مكة ونهبوا كثيرا من اموالهم وجمالهم
فعادوا اليها ولقوه وسألوه ان يعيد عليهم ما أخذ منهم وشكوا اليه بعد ديارهم فاعاد
بعض ما اخذه منهم فلما يئسوا منه ساروا من مكة عائدين على اقبح صورة فلما ابعدوا
عنها ظهر عليهم جموع من العرب في عدة جهات فصانعوهم على مال أخذوه من الحاج
بعد ان قتل منهم جماعة وافرة وهلك فيه بالضعف والانقطاع وعاد السالم على أقبح صورة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في جمادى الاولى قدم الى بغداد اردشير بن منصور ابو الحسين الواعظ
العبادي واكثر الوعظ بالمدرسة النظامية وهو مروزي وقدم بغداد قاصدا الحج
وكان له قبول عظيم بحيث ان الغزالي وغيره من الائمة ومشايخ الصوفية الكبار
يحضرون مجلسه وذرع في بعض المجالس الارض التي فيها الرجال فكان طولها مائة
وخمسة وسبعين ذراعا وعرضها مائة وعشرين ذراعا وكانوا يزدحمون ازدحاما كثيرا
وكان النساء اكثر من ذلك وكان له كرامات ظاهرة وعبادات كثيرة وكان سبب منعه
من الوعظ انه نهى ان يتعامل الناس ببيع القراضة بالصحيح وقال هو ربا فمنع من الوعظ
وأخرج من البلد وفيها وقعت الفتنة ببغداد بين العامة وقصد كل فريق الفريق
الآخر وقطعوا الطرقات بالجانب الغربي وقتل أهل النصرية مصلحيا فارسل كوهرائين
أحرقها واتصلت الفتنة بين أهل الكرخ وباب البصرة وكان للعميد الاغر ابي المحاسن
الدهستاني في اطفاء هذه الفتنة اثر حسن وفيها في شعبان سار سيف الدولة صدقة بن
مزيد الى السلطان بركيارق فلقيه بنصيبين وسار معه الى بغداد ثم الى الموصل فوصلها
في ذي القعدة ومعه وزيره عز الملك بن نظام الملك وخرج عميد الدولة والناس الى لقائه
من عقرقوف وفيها ولد للمستظهر بالله ولد سمى الفضل وكنى أبا منصور ولقب عمدة
الدين وهو المسترشد بالله وفيها في رمضان قتل الامير يلبرد قتله بركيارق وكان من
الامراء الكبار مع أبيه فزاده بركيارق اقطاع كوهرائين وشحنكية بغداد فسار وصل
الى دقوقا اعيد منها لانه تكلم فيما يتعلق بوالدة السلطان بركيارق بكلام شنيع فلما
وصل اليه اصبح مقتولا وفيها في المحرم توفي علي بن أحمد بن يوسف أبو الحسن القرشي
الهكاري المعروف بشيخ الاسلام وكان فاضلا عابدا كثير السماع الا ان الغرائب في

عشرينه) وردت اخبار من
ثغر رشيد يذكرون بان طائفة
من الانكليز وصلت الى
رشيد في صبح يوم الثلاثاء
حادي عشرينه ودخلوا الى
البلد وكان أهل البلدة ومن
معهم من العساكر متنبهين
ومستعدين بالازقة والعطف
وطيقان البيوت فلما حصلوا
بداخل البلدة ضربوا عليهم
من كل ناحية فالقوا ما بايديهم
من الاسلحة وطلبوا الامان
فلم يلتفتوا لذلك وقبضوا عليهم
وذبحوا منهم جملة كثيرة
واسروا الباقين وفر طائفة
الى ناحية دمنهور وكان
كاشفها عندما بلغه ما حصل
برشيد اطمان خاطره ورجع
الى ناحية ديبي ومحلة الامير
وطلع من معه الى البر فصادف
تلك الشرذمة فقتل بعضهم
واخذ ما بقي منهم اسرى
وارسلوا السعاة الى مصر
بالبشارة وضربوا مدافع وعملوا
شنكا وخلع كتخدا بك على
السعاة الواصلين واسرعت
المبشرون من اتباع العثمانيين
وهم القواسة الاتراك بالسعي
الى بيوت الاعيان يبشرونهم
وياخذون منهم البقاشيش
والخلع وصار الناس ما بين
مصدق ومكذب فلما كان
يوم الاحد سادس عشرينه
أشيع وصول رؤس القتلى
ومن معهم من الاسرى الى بولاق فهرع الناس بالذهاب للفرجة ووصل الكثير منهم الى ساحل بولاق وركب

حديثه كثيرة لا يدري ما فيها والامير أبو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر العجلي المعروف بابن ماكولا مصنف كتاب الاكمال قتله غلمانه الاتراك بكرمان ومولده سنة اثنتين وعشرين واربعمائة وكان حافظا وفيها في صفر توفي أبو محمد عاصم الضرير وكان فقيها شافعيا مقرئا نحويا وكان يصلي في رمضان بالامام المقتدي بامر الله وفي جمادى الاولى توفي الامير أبو الفضل جعفر بن المقتدي وأمه ابنة السلطان ملكشاه ومولده في ذي القعدة سنة ثمانين واليه تنسب الجعفريات وفي رجب توفي الشيخ أبو سعد عبد الواحد ابن أحمد بن الحسن الوكيل بالمخزن وكان فقيها شافعيا كثير الاحسان الى أهل العلم وكان محمودا في ولايته وفيها توفي كمال الملك الدهستاني الذي كان عميد بغداد وفي رمضان توفي المشطب بن محمد الحنفي باسكعيل من أرض الموصل وكان الخليفة قد ارسله الى بركيارق وكان بالموصل ومعه تاج الرؤساء أبو نصر بن الموصلايا وكان شيخا كبيرا عالما مكرما عند الملوك وحمل الى العراق ودفن عند أبي حنيفة وفيه توفي القاضي أبو علي يعقوب بن ابراهيم المرزباني قاضي باب الازج وولي مكانه القاضي ابو المعالي عزيزي وكان ابو المعالي شافعيا اشعريا مغاليا وله مع اهل باب الازج اقاصيص وحكايات عجيبة وفيها توفي نصر بن الحسن بن القاسم بن الفضل ابو الليث وابو الفتح التنكتي له كنيتان سافر البلاد شرقا وغربا وروى صحيح مسلم وغيره وكان ثقة ومولده سنة ست واربعمائة وفي ذي الحجة منها توفي ابو الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي الحنبلي الفقيه وكان وافر العلم غزير الدين حسن الوعظ والسمت

(ثم دخلت سنة سبع وثمانين واربعمائة)

(ذكر الخطبة للسلطان بركيارق)

في هذه السنة يوم الجمعة رابع عشر المحرم خطب ببغداد للسلطان بركيارق بن ملكشاه وكان قدمها اواخر سنة ست وثمانين وارسل الى الخليفة المقتدي بامر الله يطلب الخطبة فاجيب الى ذلك وخطب له ولقب ركن الدين وحمل الوزير عميد الدولة بن جهير الخلع الى بركيارق فلبسها وعرض التقليد على الخليفة ليعلم عليه فعلم فيه وتوفي فجاءة على ما نذكره ان شاء الله تعالى وولي ابنه الامام المستظهر بالله الخلافة فارسل الخلع والتقليد الى السلطان بركيارق فاقام ببغداد الى ربيع الاول من السنة وسار عنها الى الموصل

(ذكر وفاة المقتدي بامر الله)

في هذه السنة يوم السبت خامس عشر المحرم توفي الامام المقتدي بامر الله ابو القاسم عبد الله بن الذخيرة بن القائم بامر الله امير المؤمنين فجاءة وكان قد احضر عنده تقليد السلطان بركيارق ليعلم فيه فقرأه وتدبره وعلم فيه ثم قدم اليه طعام فاكل منه وغسل يديه وعنده قهرمانته شمس النهار فقال لها ما هذه الاشخاص التي دخلت علي بغير اذن قالت فالتفت فلم ار شيئا ورأيته قد تغيرت حالته واسترخت يداه ورجلاه وانحلت قوته

بأيضا كبار العسكر ومعهم طوائفهم الا قليلا منهم فطلعوا بهم الى البر وصحبتهم جماعة العسكر المسفرين معهم فأتوا بهم من بحار جمصر ودخلوا بهم من باب النصر وشقوا بهم من وسط المدينة وفيهم فسيال كبير وآخر كبير في السن وهما راكبان على حمارين والبقية مشاة في وسط العسكر ورؤس القتلى معهم على نبابيت وقد تغيرت وانتنت رائحتها وعدتها اربعة عشر راسا والاحياء خمسة وعشرون ولم يزالوا سائرين بهم الى بركة الازبكية وضربوا عند وصولهم شنكا ومدافع وطلعوا بالاحياء مع فسيالهم الى القلعة (وفيه) نبه السيد عمر النقيب على الناس وأمرهم بحمل السلاح والتأهب لجهاد الانكليز حتى مجاوري الازهر وأمرهم بترك حضور الدروس وكذلك أمر المشايخ المدرسين بترك القاء الدروس (وفيه) وصل عابدين بك وعمر بك وأحمد أغا لاظ أوغلي من ناحية قبلي واشيع وصول الباشا بعد يومين (وفي يوم الاثنين) وصل ايضا جملة من الرؤس والاسرى الى بولاق فطلعوا بها على الرسم المذكور وعدتها مائة راس واحد وعشرون راسا وثلاثة عشر اسيرا وفيهم مجروح ومات احدهم على بولاق فقطعوا راسه وشقوها مع الرؤس وشقوا بها من وسط المدينة آخر النهار (وفي يوم الثلاثاء) حصلت جمعية ببيت القاضي وحضر حسن باشا وسقط

وسقط الى الارض فظننتها غشية قد لحقته فحللت ازرار ثوبه فوجدته قد ظهرت عليه امارات الموت ومات لوقته قالت فتماسكت وقلت لجارية عندى ليس هذا وقت اظهار الجزع والبكاء فان صحت قتلتك واحضرت الوزير فاعلمته الحال فشرعوا فى البيعة لولى العهد وجهزوا المقتدى وصلى عليه ابنه المستظهر بالله ودفنوه وكان عمره ثمانا وثلاثين سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر غير يومين وأمه ام ولد ارمنية تسمى ارجوان وتدعى قرة العين ادركت خلافته وخلافة ابنه المستظهر بالله وخلافة ابن ابنه المسترشد بالله ووزر له فخر الدولة ابو نصر بن جهير ثم ابو شجاع ثم عميد الدولة ابو منصور بن جهير وقضاته ابو عبد الله الدامغانى ثم ابو بكر الشامى وكانت ايامه كثيرة الخير واسعة الرزق وعظمت الخلافة اكثر مما كان من قبله وانعمرت ببغداد عدة محال فى خلافته منها البصلية والقطيعة والحلبة والمقتدية والاجمة ودرب القيار وخربة ابن جردة وخربة الهراس والخانونيين وامر بنفى المغنيات والمفسدات من بغداد وبيع دورهن فنفين ومنع الناس ان يدخل احد الحمام الا بمئزر وقلع الهرادى والابراج التى للطيور ومنع من اللعب بها لاجل الاطلاع على حرم الناس ومنع من اجراء ماء الحمامات الى دجلة والزم اربابها بحفر آبار للمياه وامر ان من يغسل السمك المالح يعبر الى النجمى فيغسله هناك ومنع الملاحين ان يحملوا الرجال والنساء مجتمعين وكان قوى النفس عظيم الهمة من رجال بنى العباس

(ذكر خلافة المستظهر بالله)

لما توفى المقتدى بامر الله احضر ولده ابو العباس احمد المستظهر بالله واعلم بموته وحضر الوزير فبايعه وركب الى السلطان بركيارق فاعلمه الحال واخذ بيعته للمستظهر بالله فلما كان اليوم الثالث من موت المقتدى اظهر ذلك وحضر عز الملك بن نظام الملك وزير بركيارق واخوه بهاء الملك وامراء السلطان وجميع ارباب المناصب النقيبان طراد العباسى والمعمر العلوى فى اصحابهما وقاضى القضاة والغزالى والشاشى وغيرهما من العلماء فجلسوا فى العزاء وبايعوا وكان للمستظهر بالله لما بويع ست عشرة سنة وشهران

(ذكر قتل قسيم الدولة آقسنقر وملك تتش حلب والجزيرة وديار بكر وأذربيجان وهمذان والخطبة له ببغداد)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى قتل قسيم الدولة آقسنقر جد ملوكنا بالموصل الآن اولاد الشهيد زنكى بن آقسنقر وسبب قتله ان تاج الدولة تتش لما عاد من اذربيجان منهزما لم يزل يجمع العساكر فكثرت جموعه وعظم حشده فسار فى هذا التاريخ عن دمشق نحو حلب ليطلب السلطنة فاجتمع قسيم الدولة آقسنقر وبوزان وامدهما ركن الدين بركيارق بالامير كربوقا الذى صار بعد صاحب الموصل فلما اجتمعوا ساروا الى طريقه فلقوه عند نهر سبعين قريبا من تل السلطان بينه وبين حلب ستة

وعمر بك والدفتردار وكتخدا بك والسيد عمر النقيب والشيخ الشرقاوى والشيخ الامير وباقى المشايخ فتكلموا فى شأن حادثة الانكليز والاستعداد لحربهم وقتالهم وطردهم فانهم اعداء الدين والملة وقد صاروا ايضا اخصاما للسلطان فيجب على المسلمين دفعهم ويجب ايضا ان يكون الناس والعسكر على حال الالفة والشفقة والاتحاد وان تمتنع العساكر عن التعرض للناس بالايذاء كما هو شأنهم وان يساعدوا بعضهم بعضا على دفع العدو ثم تشاوروا فى تحصين المدينة وحفر خنادق فقال بعضهم ان الانكليز لا يأتون الا من البر الغربى والنيل حاجز بين الفريقين وان الفرنساوية كانوا اعلم بامر الحروب وانهم لم يحفروا الا الخندق المتصل من الباب الحديد الى البر فينبغى الاعتناء باصلاحه ولو لم يكن كوضعهم واتقانهم اذ لا يمكن فعل ذلك واتفقوا على ذلك (وفيه) حضر مكتوب من ثغر رشيد عليه امضاء على بك حاكم رشيد واحمد بك المعروف ببونابارته مؤرخ بيوم الجمعة رابع عشر ينه يذكرون فيه ان الانكليز لما حضروا الى رشيد وحصل لهم ما حصل من القتل والاسر ورجعوا خائبين حصل لباقيهم غيظ عظيم وهم شارعون فى الاستعداد للعود والمحاربة والقصد أن تسعفونا وتمدونا بارسال الرجال والمحاربين والاسلحة والجبخانه بسرعة وعجلة والا فلا لوم علينا

فراسخ واقتتلوا واشتد القتال فصار بعض العسكر الذين مع آقسنقر فانهزموا وتبعهم الباقون فتمت الهزيمة وثبت آقسنقر فاخذ اسيرا واحضر عند تتش فقال له لوظفرت بي ما كنت صنعت قال كنت اقتلك فقال له انا احكم عليك بما كنت تحكم على فقتله صبرا وسار نحو حلب وكان قد دخل اليها كربوقا وبوزان فحفظاها منه وحصرها تتش وجد فى قتالها حتى ملكها سلمها اليه المقيم بقلعة الشريف ومنها دخل البلد واخذهما اسيرين وارسل الى حران والرها ليسلمهما من بهما وكانتا لبوزان فامتنعوا من التسليم اليه فقتل بوزان وارسل رأسه اليهم وتسلم البلدين واما كربوقا فانه ارسله الى حمص فسجنه بها الى ان اخرجه الملك رضوان بعد قتل ابيه تتش وكان قسيم الدولة احسن الامراء سياسة لرعيته وحفظا لهم وكانت بلاده بين رخص عام وعدل شامل وامن واسع وكان قد شرط على اهل كل قرية من بلاده متى اخذ عندهم قفل أو احد من الناس غرم اهلها جميع ما يؤخذ من الاموال من قليل وكثير فكانت السيارة اذا بلغوا قرية من بلاده القوا رحالهم وناموا وحرسهم اهل القرية الى ان يرحلوا فامنت الطرق وأما وفاؤه وحسن عهده فيكفيه فخرا انه قتل فى حفظ بيت صاحبه وولى نعمته فلما ملك تتش حران والرها سار الى الديار الجزرية فملكها جميعها ثم ملك ديار بكر وخلاط وسار الى اذربيجان فملك بلادها كلها ثم سار منها الى همذان فملكها ورأى بها فخر الملك بن نظام الملك وكان بخراسان فسار منها الى السلطان بركيارق ليخدمه فوقع عليه الامير قماج وهو من عسكر محمود ابن السلطان ملكشاه باصبهان فنهب فخر الملك فهرب منه ونجا بنفسه فجاء الى همذان فصادفه تتش بها فاراد قتله فشفع فيه باغيسيان واشار عليه ان يستوزره لميل الناس الى بيته فاستوزره وارسل الى بغداد يطلب الخطبة من الخليفة المستظهر بالله وكان شحنته ببغداد ايتكين جب فلازم الخدمة بالديوان والح فى طلبها فاجيب الى ذلك بعد ان سمعوا ان بركيارق قد انهزم من عسكر عمه تتش على ما نذكره

(ذكر انهزام بركيارق من عمه تتش وملكه اصبهان بعد ذلك)

فى هذه السنة فى شوال انهزم بركيارق من عسكر عمه تتش وكان بركيارق بنصيبين فلما سمع بسير عمه الى اذربيجان سار هو من نصيبين وعبر دجلة من بلد من فوق الموصل وسار الى اربل ومنها الى بلد سرخاب بن بدر الى ان بقى بينه وبين عمه تسعة فراسخ ولم يكن معه غير الف رجل وكان عمه فى خمسين ألف رجل فسار الامير يعقوب بن ابق من عسكر عمه فكبسه وهزمه ونهب سواده ولم يبق معه الا برسق وكمشتكين الجاندار واليارق وهم من الامراء الكبار فساروا الى اصبهان وكانت خاتون أم اخيه محمود قد ماتت على ما نذكره فمنعه من بها من الدخول اليها ثم اذنوا له خديعة منهم ليقبضوا عليه فلما قاربها خرج اخوه الملك محمود فلقيه ودخل البلد واحتاطوا عليه فاتفق ان اخاه محمودا احم وجدر فاراد الامراء ان يكحلوا بركيارق فقال لهم امين الدولة ابن التلميذ الطبيب

بعد ذلك وقد اخبرنا كم وعرفنا كم بذلك فارسلوا فى ذلك اليوم عدة من المقاتلين وكتبوا مكاتبات الى البلاد البحر بان الكائنين ببلاد البحيرة يدعونهم للحضور بالمعادة وكذلك ارسلوا فى ثانى يوم عدة من العسكر (وفى يوم الاربعاء تاسع عشرينه) ركب السيد عمر النقيب والقاضى والاعيان المتقدم ذكرهم ونزلوا الى ناحية بولاق لترتيب أمر الخندق المذكور وصحبتهم قنصل الفرنساوية وهو الذى أشار عليهم بذلك وصحبتهم الجمع الكثير من الناس والاتباع والكل بالاسلحة (وفيه) وصل المشايخ الثلاثة الذين كانوا ذهبوا لاجراء الصلح بين الباشا والامراء القبالى وذهبوا الى دورهم وكان من خبرهم أنهم لما وصلوا الى الباشا بناحية ملوى استأذنوه فى الذهاب فيما أتوا بسببه من السعى فى الصلح فاستمهلهم وتركهم بناحية ملوى واستعد وذهب الى أسيوط وأودع الجماعة بمنفلوط وتلاقى مع الامراء وحاربهم وظهر عليهم وقتل من الامراء فى تلك المعركة سليمان بك المرادى المعروف بريحة بتشديد الياء وسليمان بك الاغا ورجع الامراء القبالى الى ناحية بحرى فعند ذلك حضر المشايخ وكتب مكاتبات الى الامراء وأرسلوها صحبة المشايخ المذكورين الى الامراء وكانوا بالجانب الغربي بناحية ملوى فتفاوضوا

الطبيب ان الملك محمودا قد جدر وما كانه يسلم منه وارا كم تكرهون ان يليكم ويملك
بلاد تاج الدولة فلا تعجلوا على بركيارق فان مات محمود فاقيموه ملكا وان سلم محمود فانتم
تقدرون على كحله فمات محمود وسلخ شوال فكان هذا من الفرج بعد الشدة وجلس بركيارق
للعزاء باخيه وكان مولد محمود في صفر سنة ثمانين واربعمائة وقصده مؤيد الملك بن
نظام الملك فاستوزره في ذي الحجة وكان اخوه عز الملك بن نظام الملك قد مات لما كان
مع بركيارق بالموصل وحمل الى بغداد فدفن بالنظامية وكان اصبح الناس وجها
واحسنهم خلقا وسيرة وكان قد اجرى الناس على ما بايديهم من توقيعات ابيه في
الاطلاقات من خاصه منها ببغداد ما ثناكر غلة وثمانية عشر الف دينار اميري ثم ان
بركيارق جدر بعد اخيه وعوفي وسلم فلما عوفي كاتب مؤيد الملك وزيره الامراء
العراقيين والخراسانيين واستمالهم فعادوا كلهم الى بركيارق فعظم شانه وكثر عسكره

(ذكر وفاة امير الجيوش بمصر)

في هذه السنة في ذي القعدة توفي امير الجيوش بدر الجمالي صاحب الجيش بمصر وقد
جاوز ثمانين سنة وكان هو الحاكم في دولة المستنصر والمرجوع اليه وكان قد استعمله
على الشام سنة خمس وخمسين واربعمائة وجرى بينه وبين الرعية والجند بدمشق
ما خاف على نفسه فخرج منها هاربا وجمع وحشد وقدم الى الشام فاستولى عليه باسره
سنة ست وخمسين ثم خالفه اهل دمشق مرة اخرى فهرب منهم سنة ستين وخرب العامة
والجند قصر الامارة ثم مضى امير الجيوش الى مصر وتقدم بها وصار صاحب الامر قال
علقمة بن عبد الرزاق العليمي قصدت بدر الجمالي بمصر فرايت اشراف الناس
وكبراءهم وشعراءهم على بابه قد طال مقامهم ولم يصلوا اليه قال فبينا انا كذلك اذ خرج
بدر يريد الصيد فخرج علقمة في اثره واقام الى ان رجع من صيده فلما قاربه
وقف على نشز من الارض واوما برقعة في يده وانشا يقول

نحن التجار وهذه اعلاقنا * در وجود يمينك المبتاع
قلب وفتشها بسمعك انما * هي جوهر تختاره الاسماع
كسدت علينا بالشآم وكلما * قل النفاق تعطل الصناع
فاتاك يحملها اليك تجارها * ومطيها الآمال والاطماع
حتى اناخوها ببابك والرجا * من دونك السمسار والبياع
فوهبت ما لم يعطه في دهره * هرم ولا كعب ولا القعقاع
وسبقت هذا الناس في طلب العلا * فالناس بعدك كلهم اتباع
يا بدر اقسم لو بك اعتصم الورى * ولجوا اليك جميعهم ما ضاعوا

وكان على يد بدر بازي فالقاه وانفرد عن الجيش وجعل يستردد الابيات وهو ينشدها الى
ان استقر في مجلسه ثم قال لجماعة غلمانه وخاصته من احبني فليخلع على هذا الشاعر
فخرج من عنده ومعه سبعون بغلا تحمل الخلع والتحف وامر له بعشرة آلاف درهم

معهم فيما أتوا بسببه من أمر الصلح مع الباشا وكف الحروب فقالوا كم من مرة
راسلنا في الصلح ثم يغدرونا ويحاربونا
فاحتجوا عليهم بما اتفقه لهم
من مخالفتهم لأكثر الشروط
التي كان اشترطها عليهم من
ارسال الاموال الميرية
والغلال وتعديهم على الحدود
التي يحددها معهم في الشروط
ثم انهم اختلوا مع بعضهم
وتشاوروا فيما بينهم وكان
عثمان بك حسن منعزلا
عنهم بالبر الشرقي ولم يكن
معهم في الحرب ولا في غيره
وبعد انقضاء الحرب استعلى
الى جهة قبلي وعثمان بك
يوسف كان ايضا بناحية
الهو والكوم الاحمر (وفي
اثناء ذلك) ورد على الباشا
خبر الانكليز واخذهم
الاسكندرية وارسلوا ارسالهم
الى الامراء القبالي فارتبك في امره
وارسل الى المشايخ يستعجلهم
في اجراء الصلح وقبولهم كل
ما اشترطوه على الباشا ولا
يخالفهم في شيء يطلبونه ابدا
ولما وصلتهم رسل الانكليز
اختلفت آراؤهم وارسلوا الى
عثمان بك حسن يخبرونه
ويستدعونه للحضور فامتنع
وتورع وقال انا لا انتصر بالكفار
ووافقه على رأيه ذلك عثمان
بك يوسف واختلفت آراء باقي
الجماعة وهم ابراهيم بك
الكبير وشاهين بك المرادي
وشاهين بك الالفي وباقي
امرائهم فاجتمعوا ثانيا
بالمشايخ وقالوا لهم ما المراد بهذا الصلح فقالوا المراد منه راحة الطرفين ودفع الحروب

فخرج من عنده وفرق كثيرا من ذلك على الشعراء ولما مات بدر قام بما كان اليه ابنه الافضل

(ذكر وفاة المستنصر وولاية ابنه المستعلى)

فى هذه السنة ثامن عشر ذى الحجة توفى المستنصر بالله ابو تميم معد بن ابى الحسن على الظاهر لاعزاز دين الله العلوى صاحب مصر والشام وكانت خلافته ستين سنة واربعة أشهر وكان عمره سبعا وستين سنة وهو الذى خطب له البساسيرى ببغداد وقد ذكرنا ذلك وكان الحسن بن الصباح رئيس هذه الطائفة الاسماعيلية قد قصده فى زى تاجر واجتمع به وخاطبه فى اقامة الدعوة له ببلاد العجم فعاد ودعا الناس اليه سرا ثم اظهرها وملك القلاع كما ذكرناه وقال للمستنصر من امامى بعدك فقال ابنى نزار وهو اكبر اولاده والاسماعيلية الى يومنا هذا يقولون بامامة نزار ولقى المستنصر شدائد واهوالا وانفتقت عليه الفتوق بديار مصر اخرج فيها امواله وذخائره الى ان بقى لا يملك غير سجادته التى يجلس عليها وهو مع هذا صابر غير خاشع وقد اتينا على ذكر هذا سنة سبع وستين واربعمائة وغيرها ولما مات ولى بعده ابنه أبو القاسم احمد المستعلى بالله ومولده فى المحرم سنة سبع وستين واربعمائة وكان قد عهد فى حياته بالخلافة لابنه نزار فخلعه الافضل وبايع المستعلى بالله وسبب خلعه أن الافضل ركب مرة أيام المستنصر ودخل دهليز القصر من باب الذهب راكبا ونزار خارج والمجاز مظلم فلم يره الافضل فصاح به نزار انزل يا ارمنى كلب عن الفرس ما اقل ادبك فحقدها عليه فلما مات المستنصر خلعه خوفا منه على نفسه وبايع المستعلى فهرب نزار الى الاسكندرية وبها ناصر الدولة افتكين فبايعه أهل الاسكندرية وسموه المصطفى لدين الله فخطب الناس ولعن الافضل وأعانه أيضا القاضى جلال الدولة بن عمار قاضى الاسكندرية فسار اليه الافضل وحاصره بالاسكندرية فعاد عنه مقهورا ثم ازداد عسكرا وسار اليه فحصره واخذه واخذ افتكين فقتله وتسلم المستعلى نزارا فبنى عليه حائطا فمات وقتل القاضى جلال الدولة بن عمار ومن اعانه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى ربيع الآخر راى بعض اليهود بالغرب رؤيا انهم سيطيرون فاخبر اليهود بذلك فوهبوا اموالهم وذخائرهم وجعلوا ينتظرون الطيران فلم يطيروا وصاروا ضحكة بين الامم وفى هذا الشهر كانت بالشام زلازل كثيرة متتابعة يطول مكثها الا انها لم يكن الهدم كثيرا وفيها كانت الفتنة بين اهل نهر طابق واهل باب الارحاء فاحترقت نهر طابق وصارت تلولا فلما احترقت عبر يمن صاحب الشرطة فقتل رجلا مستورا فنفر الناس منه وعزل فى اليوم الثالث وفيها توفى محمد بن أبى هاشم الحسينى امير مكة وقد جاوز سبعين سنة ولم يكن له ما يمدح به وكان قد نهب بعض الحجاج سنة ست وثمانين وقتل منهم خلقا كثيرا وفيها فى ربيع الاول قتل السلطان بركيارق

محمد

واجتماع الكلمة ولا يخفى ان الانكليز تخاصمت مع سلطان الاسلام واغارت على ممالكه وطرقت ثغر الاسكندرية ودخلتها وقصدهم اخذ الاقليم المصرى كما فعل الفرنساوية فقالوا انهم اتوا باستدعاء الالفى انصرتنا ومساعدتنا فقالوا الا تصدقوا اقوالهم فى ذلك واذا تملكوا البلاد لا يبقون على احد من المسلمين وحالهم ليس كحال الفرنساوية فان الفرنساوية لا يتدينون بدين ويقولون بالحرية والتسوية واما هؤلاء الانكليز فانهم نصارى على دينهم ولا تخفى عداوة الاديان ولا يصح ولا ينبغى منكم الانتصار بالكفار على المسلمين ولا الالتجاء اليهم ووعظوهم وذكروا لهم الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وان الله هداهم فى طفوليتهم واخرجهم من الظلمات الى النور وقد نشؤا فى كفالة اسيادهم وتربوا فى حجور الفقهاء وبين اظهر العلماء وقرؤا القرآن وتعلموا الشرائع وقطعوا ما مضى من اعمارهم فى دين الاسلام واقامة الصلوات والحج والجهاد ثم يفسدون أعمالهم آخر الامر ويوادون من حاد الله ورسوله ويستعينون بهم على اخوانهم المسلمين ويملكونهم بلاد الاسلام يتحكمون فى اهلها فالعياذ بالله من ذلك وكان بصحبة المشايخ مصطفى افندى كتخدا قاضى العسكر يكلمهم باللغة التركية ويترجم لهم ذلك وهو فصيح مكلام فقالوا اكل ما قلتموه وابديتموه

عمه تتش وغرقه وقتل ولده معه وكان ملكشاه قد اخذه لما خرج عليه وكحله
وحبسه بقلعة تكريت فلما ملك بركيارق احضره اليه ببغداد وسار بمسيره فظفر
بملطفات اليه من اخيه تتش يحثه على اللحاق به وقيل انه اراد المسير الى بلخ لان
اهلها كانوا يريدونه فقتله فلما غرق بقي بسر من رأى فحمل الى بغداد فدفن عند
قبر ابي حنيفة وفيها في جمادى الآخرة كانت وقعة بين الامير انز وتورانشاه بن قاورت
بك وكانت تركان خاتون الجلالية والدة محمود بن ملكشاه قد ارسلته في عسكر
ليأخذ بلاد فارس من تورانشاه ولم يحسن الامير انز تدبير بلاد فارس فاستوحش منه
الاجناد واجتمعوا مع تورانشاه وهزموا انز ومات تورانشاه بعد الكسرة بشهر من سهم
اصابه فيها وفيها استولى اصبهبذ بن ساوتكين على مكة حرسها الله عنوة وهرب
منها الامير قاسم بن ابي هاشم العلوي صاحبها واقام بها الى شوال وجمع الامير قاسم
وكبسه بعسفان وجرى بينهما حرب في شوال من هذه السنة فانهزم اصبهبذ ودخل
قاسم الى مكة ومضى اصبهبذ الى الشام وقدم الى بغداد وفيها في رجب احرق
شحنة بغداد وهو ايتكين جب باب البصرة وسبب ذلك ان النقيب طراد الزينبي كان
له كاتب يعرف بابن سنان فقتل فانفذ النقيب الى الشحنة يستدعي منه من يقيم
السياسة فانفذ حاجبه محمدا فرجمه اهل باب البصرة وادموه فرجع الى صاحبه فشكا
اليه منهم فامر اخاه بقصدهم ومعاقبتهم على فعلهم فسار اليهم في جماعة كثيرة وتبعهم
اهل الكرخ فاحرقوا ونهبوا فارسل الخليفة الى الشحنة يأمره بالكف عنهم فكف
وفيها في رمضان توفيت تركان خاتون الجلالية باصبهان وهي ابنة طفغاج خان وهو
من نسل فراسياب التركي وكانت قد برزت من اصبهان لتسير الى تاج الدولة تتش
لتتصل به فمرضت وعادت وماتت واوصت الى الامير انز والى الامير سرمز شحنة اصبهان
بحفظ المملكة على ابنها محمود ولم يكن بقي بيدها سوى قصبة اصبهان ومعها عشرة
آلاف فارس اتراك وفيها في ذي القعدة توفي ابو الحسين بن الموصلايا كاتب ديوان
الزمام ببغداد

(ثم دخلت سنة ثمان وثمانين واربعمائة)

(ذكر دخول جمع من الترك افريقية وما كان منهم)

في هذه السنة غدر شاهملك التركي بيحيى بن تميم بن المعز بن باديس وقبض عليه وكان
هذا شاهملك من اولاد بعض الامراء الاتراك ببلاد الشرق فناله في بلده امر اقتضى
خروجه منه فسار الى مصر في مائة فارس فاكرمه الافضل امير الجيوش واعطاه اقطاعا
ومالا ثم بلغه عنه اسباب اوجبت اخراجه من مصر فخرج هو واصحابه هاربين فاحتالوا
حتى اخذوا سلاحا وخيلا وتوجهوا الى المغرب فوصلوا الى طرابلس الغرب واهل
البلد كارهون لواليها فادخلوهم البلد واخرجوا الوالي وصار شاهملك امير البلد فسمع
تميم الخبر فارسل العساكر اليها فحصروها وضيقوا على الاتراك ففتحوها ووصل شاهملك

نعلم ولو تحققنا الامن والصدق من مرسلكم ما حصل منا ما لاق وكما ارشدنا وقاتلنا بين يديه ولكنه غدار لا يفي بعهد
ولا بوعد ولا يبر في يمين ولا
يصدق في قول وقد تقدم انه
يصطلح معنا وفي اثر ذلك ياتي
لحربنا ويقتلنا ويمنع عنا من
ياتي الينا باحتياجاتنا من
مصر ويعاقب على ذلك من
ياتي من الباعة والمنتسبين
الى الناحية التي نحن فيها
ولا يخفاكم انه لما اتى
القبودان ومعه الاوامر بالرضا
والعفو الكامل عنا والامر له
بالخروج فلم يمتثل وارسل
الينا وخدعنا وتحيل علينا
بارسال الهدايا وصدقناه
واصطلحنا معه فلما تم له الامر
غدر بنا ومراده بصلحنا
الا تأخرنا عن ذهابنا الى
الانكليز فلا نذهب اليهم ولا
نستعين بهم وان كان مراده
يعطينا بلادا يصالحنا عليها
فها هي البلاد بايدينا وقد
عمها الخراب باستمرار الحروب
من الفريقين وقد تفرق
شملنا وانهدمت دورنا ولم يبق
لنا ما نأسف عليه او نتحمل
المذلة من اجله وقد ماتت
اخواننا ومماليكنا فنحن
نستمر على ما نحن معه عليه
حتى نموت عن آخرنا ويرتاح
قلبه من جهتنا فقال لهم
الجماعة هذه المرة هي الاخرى
وليس بعدها شر ولا حرب بل
بعدها الصداقة والمصافاة
ويعطيكم كل ما طلبتموه من
البلاد وغيرها اذا طلبتم من الاسكندرية الى اسوان لا يمنع ذلك بشرط ان تعدونا وتواعدونا بالمساعدة في حرب الانكليز

معهم الى المهدية فسر به تميم وبر معه وقال ولد لى مائة ولد انتفع بهم وكانوا الا يحضئ فسم سهم فلم تطل الايام حتى جرى منهم امر غير تميم عليهم فعلم شاهملك ذلك وكان داهيا خبيثا فخرج يحيى بن تميم الى الصيد فى جماعة من اعيان اصحابه نحو مائة فارس ومعه شاهملك وكان ابو تميم قد تقدم اليه ان لا يقرب شاهملك فلم يقبل فلما ابعدوا فى طلب الصيد غدر به شاهملك فقبض عليه وسار به وبمن اخذ معه من اصحابه الى مدينة سفاقس وبلغ الخبر تميما فركب وسير العساكر فى اثرهم فلم يدركوهم ووصل شاهملك بيحيى بن تميم الى سفاقس فركب صاحبها واسمه حمو وكان قد خالف على تميم ولقى يحيى ومشى فى ركابه راجلا وقبل يده وعظمه واعترف له بالعبودية فاقام عنده اياما ولم يذكره ابوه بكلمة وكان قد جعله ولى عهده فلما اخذ اقام ابوه مقامه ابنا له آخر اسمه مثنى ثم ان صاحب سفاقس خاف يحيى على نفسه ان يثور معه الجند واهل البلد ويملكوه عليهم فارسل الى تميم كتابا يسأله فى انفاذ الاتراك واولادهم اليه ليرسل ابنه يحيى ففعل ذلك بعد امتناع وقدم يحيى فحجبه ابوه عنه مدة ثم اعاده الى حاله ورضى عنه ثم جهز تميم عسكرا الى سفاقس ويحيى معهم فساروا اليها وحصروها برا وبحرا وضيقوا على الاتراك بها واقاموا عليها شهرين واستولوا عليها وفارقها الاتراك الى قابس وكان تميم لما رضى عن ابنه يحيى عظم ذلك على ابنه الآخر المثنى وداخله الحسد فلم يملك نفسه فنقل عنه الى ابيه ما غير قلبه عليه فامر باخراجه من المهدية باهله واصحابه فركب فى البحر ومضى الى سفاقس فلم يمكنه عاملها من الدخول اليها وقصد مدينة قابس وبها امير يقال له مكين بن كامل الدهمانى فانزله واكرمه فحسن له مثنى الخروج معه الى سفاقس والمهدية واطمعه فيهما وضمن الانفاق على الجند من ماله فجمع مكين من يمكنه جمعه وسار الى سفاقس ومعهما شاهملك التركى واصحابه فنزلوا على سفاقس وقاتلوها وسمع تميم فجرد اليها جندا فلما علم المثنى ومن معه انهم لا طاقة لهم بها ساروا عنها الى المهدية فنزلوا عليها وقاتلوها وكان الذى يتولى القتال من المهدية يحيى بن تميم وظهرت منه شهامة وشجاعة وحزم وحسن تدبير فلم يبلغ اولئك منها غرضا فعادوا خائبين وقد تلف ما كان مع المثنى من مال وغيره وعظم امر يحيى وصار هو المشار اليه

(ذكر قتل احمدخان صاحب سمرقند)

فى هذه السنة فى المحرم قتل احمدخان صاحب سمرقند وكان قد كرهه عسكره واتهموه بفساد الاعتقاد وقالوا هو زنديق وكان سبب ذلك ان السلطان ملكشاه لما فتح سمرقند واسر هذا احمدخان قد وكل به جماعة من الديلم فحسنوا له معتقدهم واخرجوه الى الاباحة فلما عاد الى سمرقند كان يظهر منه اشياء تدل على انحلاله من الدين فلما كرهه اصحابه وعزموا على قتله قالوا للمستحفظ قلعة كاسان وهو طغرل ينال بك ليظهر العصيان ليسير احمدخان معهم من سمرقند الى قتاله فيتمكنوا من قتله فعصى طغرل ينال بك فسار احمدخان والعسكر الى قتاله فلما نازل القلعة تمكن العسكر منه وقبضوا عليه وعادوا الى

وتقلهم من البلاد وايضا تسيرون باجمعكم من البر الغربي والباشا وعساكره من البر الشرقي وعند انقضاء امر الانكليز ورجوعكم الى بر الجيزة ينعقد مجلس الصلح بحضرة المشايخ الكبار والنقيب والوجاقلية واكابر العسكر وان شئتم عقدنا مجلس الصلح بالجيزة قبل التوجه لمحاربة الانكليز ولا شر بعد ذلك ابدا فانخدعوا لذلك وكتبوا اجوبة ورجع بها مصطفى افندى كتخدا القاضى وصحبته يحيى كاشف ثم رجع اليهم ثانيا وسار الفريقان الى جهة مصر وحضر المشايخ واخبروا بما حصل (وفيه) شرعوا فى حفر الخندق المذكور ووزعوا حفره على مياسير الناس واهل الوكائل والخانات والتجار وارباب الحرف والروزنامجى وجعلوا على البعض اجرة مائة رجل من الفعلة وعلى البعض اجرة خمسين وعشرين وكذلك اهل بولاق ونصارى ديوان المكس والنصارى الاروام والشوام والاقباط واشتروا المقاطف والعلقان والفؤس والقزم وآلات الحفر وشرعوا فى بناء حائط مستدير اسفل تل قلعة السبتية (وفى يوم الخميس ثامنه) ورد مكتوب من السيد حسن كريت نقيب الاشراف برشيد والمشار اليه بها يذكر فيه ان الانكليز لما وقع لهم ما وقع برشيد ورجعوا فى هزيمتهم الى الاسكندرية استعدوا وحضروا الى ناحية الحماد قبلى رشيد ومعهم

المدافع الهائلة والعدد ونهبوا لمتاريسهم من ساحل البحر الى الجبل عرضا ١٠١ وذلك ليلة الثلاثاء ثامن عشر ينه فهذا ماحصل أخبرنا كم به ونرجو الاسعاف والامداد بالرجال والجبخانه والعسكر والعدد وعدم التانى والاهمال فلما وصل ذلك الجواب قراه السيد عمر النقيب على الناس وحثهم على التاهب والخروج للجهاد فامتثلوا ولبسوا الاسلحة وجمع اليه طائفة المغاربة واتراك خان الخليلى وكثيرمن العدوية والاسيوطية واولاد البلد وركب فى صبحها الى كتخدابك واستاذنه فى الذهاب فلم يرض وقال حتى ياتى افندينا الباشا ويرى رأيه فى ذلك فسافر من سافر وبقى من بقى وانقضى الشهر وحوادثه (وفيه) وردالخبربان ركب الحاج الشامى رجع من منزلة هدية ولم يحج فى هذا العام وذلك انه لما وصل الى المنزلة المذكورة ارسل الوهابى الى عبدالله باشا امير الحاج يقول له لاتأت الاعلى الشرط الذى شرطناه عليك فى العام الماضى وهوان ياتى بدون المحمل ومايصحبه من الطبل والزمر والاسلحة وكل ما كان مخالفا للشرع فلما سمعوا ذلك رجعوا من غيرحج ولم يتركوا متنا كيرهم

(واستهل شهر صفر بيوم الجمعة سنة ١٢٢٢)

فيه كتبوا مراسلة الى الامراء القبالى وختم عليها كثيرمن مشايخ الازهر وغيرهم وارسلوها اليهم (وفى يوم السبت ثانيه) وردت مكاتبة

الى سمرقند واحضروا القضاة والفقهاء واقاموا خصوما ادعوا عليه الزندقة فجحد فشهد عليه جماعة بذلك فافتى الفقهاء بقتله فخنقوه واجلسوا ابن عمه مسعودامكانه واطاعوه .

(ذكر مافعله يوسف بن ابق ببغداد)

فى هذه السنة فى صفر سير الملك تتش يوسف بن ابق التركمانى شحنة لبغداد ومعه جمع من التركمان فمنع من دخول بغداد وورد اليه صدقة بن مزيد صاحب الحلة وكان يكره تتش ولم يخطب له فى بلاده فلما سمع ابن ابق بوصوله عاد الى طريق خراسان ونهب باجسرا وقاتله العسكر يعقوبا فهزمهم ونهبهم الغش نهب واكثر معه من التركمان وعاد الى بغداد وكان صدقة قد رجع الى الحلة فدخل يوسف بن ابق الى بغداد واراد نهبها والايقاع باهلها فمنعه امير كان معه من ذلك ثم وصل اليه الخبر بقتل تتش فرحل عن بغداد الى الموصل وسار من هناك الى حلب

(ذكر الحرب بين بركيارق وتتش وقتل تتش)

فى هذه السنة فى صفر قتل تتش بن الب ارسلان وكان سبب ذلك انه لما هزم السلطان بركيارق كما ذكرناه سار من موضع الوقعة الى همذان وقد تحصن بها امير آخر فرحل تتش عنها فتبعه امير آخر لاجل اثقاله فعاد عليه تتش فكسره فعاد الى همذان واستامن اليه وصار معه وبلغ تتش مرض بركيارق فسار الى اصبهان فاستاذنه امير آخر فى قصد جرباذقان لاقامة الضيافة ومايحتاج اليه فاذن له فسار اليها ومنها الى اصبهان وعرفهم خبر تتش وعلم تتش خبره فنهب جرباذقان وسار الى الرى وارسل الى الامراء الذين باصبهان يدعوهم الى طاعته ويبذل لهم البذول الكثيرة وكان بركيارق مريضا بالجدرى فاجابوه يعدونه بالانحياز اليه وهم ينتظرون مايكون من بركيارق فلما عوفى ارسلوا الى تتش ليس بيننا غيرالسيف وساروامع بركيارق من اصبهان وهم فى نفريسير فلما بلغوا جرباذقان اقبلت اليهم العساكر من كل مكان حتى صاروا فى ثلاثين الفا فالتقوا بموضع قريب من الرى فانهزم عسكر تتش وثبت هو فقتل قيل قتله بعض اصحاب آقسنقر صاحب حلب اخذا بثار صاحبه وكان قد قبض على فخر الملك بن نظام الملك وهو معه فاطلق واستقام الامر والسلطنة لبركيارق واذا اراد الله امرا هيا اسبابه بالامس ينهزم من عمه تتش ويصل الى اصبهان فى نفر يسير فلا يتبعه احد ولو تبعه عشرون فارسا لاخذوه لانه بقى على باب اصبهان عدة ايام ثم لما دخلها اراد الامراء كحله فاتفق ان اخاه محمودا حم ثانى يوم وصوله وجدر فمات فقام فى الملك مقامه ثم جدر هو واصابه معه سرسام فعوفى وبقى مذ كسره عمه الى ان عوفى وسار عن اصبهان اربعة اشهر لم يتحرك عمه ولا عمل شيئا ولو قصده وهو مريض او وقت مرض اخيه لملك البلاد ولله سر فى ملك وانما * كلام العدا ضرب من الهذيان

(ذكر حال الملك رضوان واخيه دقاق بعد قتل أبيهما)

كان تاج الدولة تتش قد أوصى اصحابه بطاعة ابنه الملك رضوان وكتب اليه من بلد الجبل قبل المصاف الذى قتل فيه يامره أن يسير الى العراق و يقيم بدار المملكة فسار فى عدد كثير منهم ايلغازى بن ارتق وكان قد سار الى تتش فتركه عند ابنه رضوان ومنهم الامير وثاب بن محمود بن صالح بن مرداس وغيرهما فلما قاربوا هيت بلغه قتل ابيه فعاد الى حلب ومعه والدته فملكها وكان بها ابو القاسم الحسن بن على الخوارزمى قد سلمها اليه تتش وحكمه فى البلد والقلعة ولحق برضوان زوج امه جناح الدولة الحسين بن ايتكين وكان مع تتش فسلم من المعركة وكان مع رضوان أيضا أخواه الصغيران أبو طالب وبهرام وكانوا كلهم مع ابى القاسم كالاضياف لتحكمه فى البلد واستمال جناح الدولة المغاربة وكانوا أكثر جند القلعة فلما انتصف الليل نادوا بشعار الملك رضوان واحتاطوا على أبى القاسم وارسل اليه رضوان يطيب قلبه فاعتذر فقبل عذره وخطب لرضوان على منابر حلب واعمالها ولم يكن يخطب له بل كانت الخطبة لابيه بعد قتله نحو شهرين وسار جناح الدولة فى تدبير المملكة سيرة حسنة وخالف عليهم الامير باغيسيان بن محمد بن الب التركمانى صاحب انطاكية ثم صالحهم واشار على الملك رضوان بقصد ديار بكر لخلوها من وال يحفظها فساروا جميعا وقدم عليهم امراء الاطراف الذين كان تتش رتبهم فيها وقصدوا سروج فسبقهم اليها الامير سقمان بن ارتق جد اصحاب الحصن اليوم واخذها ومنعهم عنها وامر اهل البلد فخرجوا الى رضوان وتظلموا اليه مما كرهوا ما يفسدون من غلاتهم ويسألونه الرحيل فرحل عنهم الى الرها وكان بها رجل من الروم يقال له الفارقليط وكان يضمن البلد من بوزان فقاتل المسلمين بمن معه واحتمى بالقلعة وشاهدوا من شجاعته ما كانوا لا يظنونه ثم ملكها رضوان وطلب باغيسيان القلعة من رضوان فوهبها له فتسلمها وحصنها ورتب رجالها وارسل اليهم اهل حران يطلبونهم ليسلموا اليهم حران فسمع ذلك قراجة أميرها فاتهم ابن المفتى وكان هذا ابن المفتى قد اعتمد عليه تتش فى حفظ البلد فاخذه واخذ معه بنى اخيه فصلبهم ووصل الخبر الى رضوان وقد اختلف جناح الدولة و باغيسيان واضمر كل واحد منهما الغدر بصاحبه فهرب جناح الدولة الى حلب فدخلها واجتمع بزوجته ام الملك رضوان وسار رضوان وباغيسيان فعبرا الفرات الى حلب فسمعوا بدخول جناح الدولة اليها ففارق باغيسيان الملك رضوان وسار الى انطاكية ومعه ابو القاسم الخوارزمى وسار رضوان الى حلب واما دقاق بن تتش فانه كان قد سيره ابوه الى عمه السلطان ملكشاه ببغداد وخطب له ابنة السلطان وسار بعد وفاة السلطان مع خاتون الجلالية وابنها محمود الى أصبهان وخرج الى السلطان بركيارق سرا وصار معه ثم لحق بابيه وحضر معه الوقعة التى قتل فيها فلما قتل أبوه أخذه غلام لابيه اسمه ايتكين الحلبي وسار به الى حلب وأقام عند اخيه الملك رضوان فراسله الامير ساوتكين الخادم الوالى بقلعة دمشق سرا يدعوه ليملكه دمشق فهرب من حلب سرا وجد فى السير فارسل أخوه رضوان عدة من الخيالة فلم يدركوه فلما وصل الى دمشق فرح به

مكتوب السيد حسن السابق ويذكرون فيه ان الانكليز ملكوا أيضا كوم الافراح وابو منصور ويستعملون النجدة (وفى ثالث الليلة) اعنى ليلة الاحد وصل محمد على باشا ودخل الى داره بالازبكية فى سادس ساعة من الليل وكان اشيع وصوله قبل ذلك اليوم وخرج السيد عمر النقيب والمشايخ والمحروقى لملاقاته يوم الجمعة فبعضهم ذهب الى الآثار وبات هنالك وبعضهم بات بالقرافة بضريح الامام الشافعى ورجعوا فى ثانى يوم ولم يحصل لهم ملاقاة فلما طلع نهار ذلك اليوم واشيع حضوره الى داره ركب الجميع وذهبوا اليه وسلموا عليه ودار بينهم الكلام فى أمر الانكليز فاظهر الاهتمام وأمر كتخدا بك وحسن باشا بالخروج فى ذلك اليوم فاخرجوا مطلوباتهم وعازقتهم الى بولاق وسخط على أهل الاسكندرية والشيخ المسيرى وأمين أغا حيث مكنوا الانكليز من الثغر وملكوهم البلدة ولم يقبل لهم عذرا فى ذلك ثم قال لولا انا نخرج جميعا للجهاد مع الرعية والعسكر فقال لا بسر على رعية البلد خروج وانما عليهم المساعدة بالمال لعلائف العسكر وانقضى المجلس وركبوا الى دورهم (وفيه) وصل حجاج المغاربة الى مصر من طريق البر واخبروا أنهم حجوا وقضوا

الخادم واظهر الاستبشار ولقيه فلما دخلها ارسل اليه باغيسيان يشير عليه بالتفرد بملك دمشق عن اخيه رضوان واتفق وصول معتمد الدولة طغدكين الى دمشق ومعه جماعة من خواص تتش وعسكره وقد سلم وانه كان قد شهد الحرب مع صاحبه واسر فبقي الى الآن وخلص من الاسر فلما وصل الى دمشق لقيه الملك دقاق وارباب دولته وبالغوا في اكرامه وكان زوج والدة دقاق فمال اليه الملك وحكمه في بلاده وعملوا على قتل الخادم ساوتكين فقتلوه وسار اليهم باغيسيان من انطاكية ومعه ابو القاسم الخوارزمي فجعله وزير الدقاق وحكمه في دولته

(ذكر وفاة المعتمد بن عباد)

في هذه السنة توفي المعتمد بن عباد الذي كان صاحب الاندلس مسجونا باغمات من بلاد المغرب وقد ذكرنا كيف اخذت بلاده منه سنة اربع وثمانين واربعمائة فبقي مسجونا الى الآن وتوفي وكان من محاسن الدنيا كرما وعلما وشجاعة ورياسة تامة واخباره مشهورة وآثاره مدونة وله اشعار حسنة فمنها ما قاله لما اخذ ملكه وحبس

سلت على يد الخطوب سيوفها * فجذذن من جسدي الخصيف الامتنا
ضربت بها ايدي الخطوب وانما * ضربت رقاب الآملين بها المنى
يا آملي العادات من نفحاتنا * كفوا فان الدهر كف اكفنا

وله من قصيدة يصف القيد في رجله

تعطف في ساقي تعطف ارقم * يساورها عضا بانياب ضيغم
واني من كان الرجال بسيبه * ومن سيفه في جنة وجهنم

وقال في يوم عيد

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا * فصرت كالعيد في اغمات ماسورا
قد كان دهرك ان تامره ممتثلا * فردك الدهر منهيا ومامورا
من بات بعدك في ملك يسر به * فانما بات بالاحلام مسرورا

وكان شاعره ابو بكر بن اللبانة ياتيه وهو مسجون فيمدحه لا لجدوى ينالها منه بل رعاية لحقه واحسانه القديم اليه فلما توفي اتاه فوقف على قبره يوم عيد والناس عند قبور اهليهم وانشد بصوت عال

ملك الملوك اسامع فانادي * ام قد عدتك عن الجواب عوادي
لما خلت منك القصور ولم تكن * فيها كما قد كنت في الاعياد
قبلت في هذا الثرى لك خاضعا * وتخذت قبرك موضع الانشاد

واخذ في اتمام القصيدة فاجتمع الناس كلهم عليه يبكون ولو اخذنا في تفصيل مناقبه ومحاسنه لاطال الامر فلنقف عند هذا

(ذكر وفاة الوزير ابي شجاع)

في هذه السنة توفي الوزير ابو شجاع محمد بن الحسين بن عبد الله وزير الخليفة في جمادى

مناسكهم وان مسعود الوهابي وصل الى مكة بجيش كثيف وحج مع الناس بالامن وعدم الضرر ورخاء الاسعار واحضر مصطفى جاويش امير الركب المصري وقال له ما هذه العويدات والطبول التي معكم يعني بالعويدات المحمل فقال هو اشارة وعلامة على اجتماع الناس بحسب عادتهم فقال لا تأت بذلك بعد هذا العام وان أتيت به احرقته وانه هدم القباب وقبة آدم وقباب ينبع والمدينة وابطل شرب التنباك والنارجيلة من الاسواق وبين الصفا والمروة وكذلك البدع (وفي تلك الليلة) أرسل الباشا وطلب السيد عمر في وقت العشاء الاخيرة والزمه بتحصيل الف كيس لنفقة العسكر وان يوزعها بمعرفته (وفي يوم الاثنين رابعه) دخلت طوائف العسكر الواصلين من الجهة القبلية الى المدينة وطلبوا سكنى البيوت كعادتهم ولم يرجعوا الى الدور التي كانوا ساكنين بها واخربوها (وفي يوم الثلاثاء) وردت مكاتبة من رشيد وعليها امضاء السيد حسن كريت يخبر فيها بان الانكليز محتاطون بالثغر ومتحلقون حوله و يضربون على البلد بالمدافع والقنابر وقد هدم الكثير من الدور والابنية ومات كثير من الناس وقد ارسلنا لكم قبل تاريخه نطلب الاغاثة والنجدة فلم تسعفونا بارسال شيء وما عرفنا الاي شيء هذا الحال وما هذا الاهمال فالله الله في

الآخرة واصله من رودراور وولد بالاهواز وقرأ الفقه على الشيخ أبي اسحق الشيرازي وكان عالما بالعربية وله تصانيف منها ذيل تجارب الامم وكان عفيفا عادلا حسن السيرة كثير الخير والمعروف وكان موته بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مجاورا فيها ولما حضره الموت أمر فحمل الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فوقف بالحضرة وبكى وقال يا رسول الله قال الله عز وجل ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئت معترفا بذنوبي وجرائمي ارجو شفاعتك وبكى فاكثر وتوفي من يومه ودفن عند قبر ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم

(ذكر الفتنة بنيسابور)

في هذه السنة في ذي الحجة جمع أمير كبير من أمراء خراسان جمعا كثيرا وسار بهم الى نيسابور فحصرها فاجتمع أهلها وقاتلوه أشد قتال ولازم حصارهم نحو أربعين يوما فلما لم يجد له مطمعا فيها سار عنها في المحرم سنة تسع وثمانين فلما فارقها وقعت الفتنة بها بين الكرامية وسائر الطوائف من أهلها فقتل بينهم قتلى كثيرة وكان مقدم الشافعية ابا القاسم بن امام الحرمين ابي المعالي الجويني ومقدم الحنفية القاضي محمد بن احمد بن صاعد وهما متفقان على الكرامية ومقدم الكرامية محمشاد فكان الظفر للشافعية والحنفية على الكرامية فخربت مدارسهم وقتل كثير منهم ومن غيرهم وكانت فتنة عظيمة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الآخر شرع الخليفة في عمل سور على الحريم واذن الوزير عميد الدولة بن جهير للعامة في التفرج والعمل فزينوا البلد وعملوا القباب وجدوا في عمارته وفيها في شهر رمضان جرح السلطان بركيارق جرحه انسان سيرله من أهل سجستان في عضده ثم أخذ الرجل واعانه رجلان أيضا من أهل سجستان فلما ضرب الرجل الجارح اعترف ان هذين الرجلين وضعاه واعترفا بذلك فضربا الضرب الشديد ليقرا على من امرهما بذلك فلم يقرا فقربا الى الفيل ليجعلا تحت قوائمه وقدم احدهما فقال اتركوني وأنا اعرفكم فتركوه فقال لصاحبه يا أخي لابد من هذه القتلة فلا تفضح أهل سجستان بافشاء الاسرار فقتلا وفيها توجه الامام أبو حامد الغزالي الى الشام وزار القدس وترك التدريس في النظامية واستناب أخاه وتزهد ولبس الخشن وأكل الدون وفي هذه السفرة صنف احياء علوم الدين وسمعه منه الخلق الكثير بدمشق وعاد الى بغداد بعد ما حج في السنة التالية وسار الى خراسان وفيها في ربيع الاول خطب لولي العهد أبي الفضل منصور بن المستظهر بالله وفيها عزل بركيارق وزيره مؤيد الملك ابن نظام الملك واستوزر أخاه فخر الملك وسبب ذلك ان بركيارق لما هزم عمه تتش وقتله ارسل خادما ليحضر والدته زبيدة خاتون من أصبهان فاتفق مؤيد الملك مع جماعة من الامراء واشاروا عليه بتركها فقال لا أريد الملك الا بها وبوجودها عندي فلما

الاسحاق فقد ضاق الخناق وبلغت القلوب الحناجر من توقع المكروه وملازمة المرابطة والسهر على المتاريس ونحو ذلك من الكلام وهي خطاب السيد عمر النقيب والمشايخ ومؤرخة في ثاني شهر صفر (وفي ذلك اليوم) اهتم الباشا وعزم على السفر بنفسه وركب الى بولاق وصحبته حسن باشا وعابدين بك وعمر بك فسافروا في تلك الليلة (وفي يوم الاربعاء) سافر ايضا جوبك وخرج معه بعض المتطوعة من الاتراك وغيرهم تهيؤا واتفقوا مع المسافرين معهم وامدهم الكثير من اخوانهم بالاحتياجات والذخيرة والمؤن ونصبوا لهم بيرقا وخرجوا ومعهم طبل وزمر (وفي يوم الجمعة) ركب ايضا احمد اغا لاظ وشق بعساكره الذين كان بهم بالمنية وتداخل فيهم الكثير من اجناسهم وغيرهم من مغاربة واتراك بادية ومر الجميع من وسط المدينة في عدة وافرة ويذهب الجميع الى بولاق يوهمون انهم مسافرون على قدم الاستعجال بهمة ونشاط واجتهاد فاذا وصلوا الى بولاق تفرقوا ويرجع الكثير منهم ويراهم الناس في اليوم الثاني والثالث بالمدينة ومن تقدم منهم وسافر بالفعل ذهب فريق منهم الى المنوفية وفريق الى الغربية ليجمعوا في طريقهم من أهل البلاد والقرى ما تصل اليه قدرة عسفهم من المال والمغارم والكلف وخطف البهائم وصلت

وصلت اليه وعلمت الحال تنكرت على مؤيد الملك وكان مجد الملك أبو الفضل البلاساني قد صحبها في طريقها وعلم أنه لا يتم له أمر مع مؤيد الملك وكان بين مؤيد الملك واخيه فخر الملك تباعد بسبب جواهر خلفها ابوهما نظام الملك فلما علم فخر الملك تنكر ام السلطان على اخيه مؤيد الملك ارسل وبذل اموالا جزيلة في الوزارة فاجيب الى ذلك وعزل اخوه وولي هو وفي هذه السنة في جمادى الاولى توفي ابو محمد رزق الله ابن عبد الوهاب التميمي الفقيه الحنبلي وكان عارفا بعدة علوم وكان قريبا من السلاطين وفيها في رجب توفي ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون المعروف بابن الباقلاني وهو مشهور ومولده سنة ست واربعمائة وفيها في شعبان توفي قاضي القضاة ابو بكر محمد بن المظفر الشامي وكان من اصحاب أبي الطيب الطبري ولم يأخذ على القضاء اجرا واقر الحق مقره ولم يحاب احدا من خلق الله ادعى عنده بعض الاتراك على رجل شيأ فقال الك بينة قال نعم فلان والمشطب الفقيه الفرغاني فقال لا اقبل شهادة المشطب لانه يلبس الحرير فقال التركي فالسلطان ونظام الملك يلبسان الحرير فقال لو شهدا عندي على باقة بقل لم اقبل شهادتهما وولي القضاء بعده أبو الحسن علي بن قاضي القضاة أبي عبد الله محمد الدامغاني وفيها مات القاضي أبو يوسف عبد السلام بن محمد القزويني ومولده سنة احدى عشرة وأربعمائة وكان مغاليا في الاعتزال وقيل كان زيدي المذهب وفيها توفي القاضي أبو بكر بن الرطبي قاضي دجيل وكان شافعي المذهب وولي بعده أخوه أبو العباس أحمد بن الحسن بن أحمد أبو الفضل الحداد الاصفهاني صاحب أبي نعيم الحافظ روى عنه حلية الاولياء وهو أكبر من أخيه أبي المعالي وأبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد الحميدي الاندلسي ولد قبل العشرين وأربعمائة وسمع الحديث ببلده ومصر والحجاز والعراق وهو مصنف الجمع بين الصحيحين وكان ثقة فاضلا وتوفي في ذي الحجة ووقف كتبه فانتفع بها الناس

(ثم دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمائة)

❊(ذكر قتل يوسف بن ابق والمجن الحلبي)❊

في هذه السنة في المحرم قتل يوسف بن ابق الذي ذكرنا انه سيره تاج الدولة تتش الى بغداد ونهب سوادها وكان سبب قتله انه كان بحلب بعد قتل تاج الدولة وكان بحلب انسان يقال له المجن وهو رئيس الاحداث بها وله اتباع كثير فحضر عند جناح الدولة حسين وقال له ان يوسف بن ابق يكاتب باغيسيان وهو على عزم الفساد واستأذنه في قتله فاذن له وطلب ان يعينه بجماعة من الاجناد ففعل ذلك فقصد المجن الدار التي بها يوسف فكبسها من الباب والسطح وأخذ يوسف فقتله ونهب كل ما في داره وبقي بحلب حاكما فحدثته نفسه بالتفرد بالحكم عن الملك رضوان فقال لجناح الدولة ان الملك رضوان أمرني بقتلك فخذ لنفسك فهرب جناح الدولة الى حمص وكانت له فلما انفرد المجن بالحكم تغير عليه رضوان وأراد منه ان يفارق البلد فلم يفعل وركب في أصحابه

ورعي المزارع وخطف النساء والبنات والصبيان وغير ذلك (وفيه) الآثر ١٠٠ ايضا حسن باشا طاهر وفيه نزل الدلاتية الى بولاق وكذلك الكثير من العسكر وحصل منهم الازعاج في أخذ الحمير والجمال قهرا من أصحابها ونزلوا بخيولهم على ربب البرسيم والغلال الطائبة التي بناحية بولاق وجزيرة بدران وخلافها فرعتها وأكلتها بهائمهم في يوم واحد ثم انتقلوا الى ناحية منية السيرج وشبرا والزاوية الحمراء والمطرية والاميرية فاكلوا زروعات الجميع وخطفوا مواشيهم وفجروا بالنساء وافتضوا الابكار ولاطوا بالغلمان وأخذوهم وباعوهم فيما بينهم حتى باعوا البعض بسوق مسكة وغيره وهكذا تفعل المجاهدون ولشدة قهر الخلائق منهم وقبح أفعالهم تمنوا مجيء الافرنج من أي جنس كان وزوال هؤلاء الطوائف الخاسرة الذين ليس لهم ملة ولا شريعة ولا طريقة يمشون عليها فكانوا يصرخون بذلك بمسمع منهم فيزداد حقدهم وعداوتهم ويقولون أهل هذه البلاد ليسوا مسلمين لانهم يكرهونا ويحبون النصارى ويتوعدونهم اذا خلصت لهم البلاد ولا ينظرون لقبح أفعالهم (وفي يوم الاثنين حادي عشره) حضر جماعة من الططر الذين من عادتهم يأتون بالاخبار والبشارات بالمناصب وقد وصلوا من طريق الشام يشترون ولاية

فلوهم بالحاربة لقفل ثم أمر اصحابه ان ينهبوا ماله واثاثه ودوابه ففعلوا ذلك واختفى وطلب فوجد بعد ثلاثة أيام فاخذ وعوقب وعذب ثم قتل هو وأولاده وكان من السواد يشق الخشب ثم بلغ هذه الحالة

(ذكر وفاة منصور بن مروان)

فى هذه السنة فى المحرم توفى منصور بن نظام الدين بن ناصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر وهو الذى انقرض أمر بنى مروان على يده حين حاربه فخر الدولة بن جهير وكان جكرمش قد قبض عليه بالجزيرة وتركه عند رجل يهودى فمات فى داره وحملته زوجته الى تربة آبائه فدفنته ثم حجت وعادت الى بلد البشنوية فابتاعت ديرا من بلد فنك بقرب جزيرة ابن عمر وأقامت فيه تعبد الله وكان منصور شجاعا شديد البخل له فى البخل حكايات عجيبة فتعسا للطالب الدنيا المعرض عن الآخرة الا تنظر الى فعلها بابن أئمتها بينما هذا منصور ملك من بيت ملك آل أمره الى ان مات فى بيت يهودى نسال الله تعالى ان يحسن اعمالنا ويصلح عاقبة أمرنا فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه

(ذكر ملك تميم مدينة قابس أيضا)

فى هذه السنة ملك تميم بن المعز مدينة قابس واخرج منها اخاه عمرا وسبب ذلك انها كان بها انسان يقال له قاضى بن ابراهيم بن بلمونه فمات فولى اهلها عليهم عمرو بن المعز فاساء السيرة وكان قاضى بن ابراهيم عاصيا على تميم وتميم يعرض عنه فسلك عمرو طريقه فى ذلك فاخرج تميم العساكر الى أخيه عمرو ليأخذ المدينة منه فقال له بعض اصحابه يا مولانا لما كان فيها قاضى توانيت عنه وتركته فلما وليها أخوك جردت اليه العساكر فقال لما كان فيها غلام من عبيدنا كان زواله سهلا علينا واما اليوم وابن المعز بالمهدية وابن المعز بقابس هذا ما لا يمكن السكوت عليه وفى فتحها يقول ابن خطيب سوسة القصيدة المشهورة التى أولها

ضحك الزمان وكان يلقى عابسا * لما فتحت بحد سيفك قابسا
الله يعلم ما حويت ثمارها * الا وكان أبوك قبل الغارسا
من كان فى زرق الاسنة خاطبا * كانت له قلل البلاد عرائسا
فابشر تميم بن المعز بفتكة * تركتك من اكناف قابس قابسا
ولوا فكم تركوا هناك مصانعا * ومقاصرا ومخالدا ومجالسا
فكأنها قلب وهن وساوس * جاء اليقين فذاد عنه وساوسا

(ذكر ملك كربوقا الموصل)

فى هذه السنة فى ذى القعدة ملك قوام الدولة أبو سعيد كربوقا مدينة الموصل وقد ذكرنا ان تاج الدولة تتش أسره لما قتل آقسنقر وبوزان فلما أسره أبقى عليه طمعا فى استصلاح جمية الامير أنز ولم يكن له بلد يملكه اذا قتله كما فعل بالامير بوزان فانه قتله واستولى على بلاده الرها وحران ولم يزل قوام الدولة محبوسا بحلب الى ان قتل تتش

السيد على باشا قبودان باشا وعزل صالح قبودان من رياسة الدونانمه ويذكرون أنه خرج بالدونانمه التى تسمى بالعمارة وصحبته عدة مراكب فرنساوية قاصدين جهة مالطة ليقطعوا على الانكليز الطرق وان هؤلاء الطائفة الواصلين لم يعلموا بورود الانكليز الى الاسكندرية الا عند وصولهم صيدا وذكروا ان سبب عزل صالح القبودان ان الانكليز وردوا بغاز اسلامبول باثنى عشر مركبا وقيل أربعة عشر ودخلوا داخلين والمدافع تضرب عليهم من القلاع المتقابلة فلم يبالوا بذلك حتى حصلوا بداخل المينة تجاه البلد فانزعج أهالى البلد انزعاجا شديدا وصرخت النساء وهاجت المدينة وماجت باناسها ولو ضرب عليها الانكليز لاحترقت عن آخرها لكنهم لم يفعلوا بل استمروا يومهم ورموا مراسيهم ثم اخذوها وولوا راجعين ولسان حالهم يقول ها نحن وجئنا بغازكم الذى تزعمون انه لا أحد يقدر على عبوره وقدرنا عليكم وعفونا عنكم ولو شئنا اخذ دار سلطنتكم لاخذناها أو احرقناها وعندما فعلوا ذلك طلب السلطان قبودان باشا فوجدوه يتعاطى الشراب فى بعض الاماكن فعند ذلك احضروا السيد على وقلدوه رياسة الدونانمه ونزل الى الانكليز وتكلم معهم الى ان خرجوا من البغاز واخرجوا صالح وملك

وملك ابنه الملك رضوان حلبا فارسل السلطان بركيارق رسولا يامر باطلاقه واطلاق اخيه التونتاش فلما أطلقا سارا واجتمع عليهما كثير من العساكر البطالين فاتيا حران فتسلماها وكاتبهما محمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش وهو بنصيبين ومعه ثروان بن وهيب وأبو الهيجاء الكردي يستنصرون بهما على الامير على بن شرف الدولة وكان بالموصل قد جعله بها تاج الدولة تتش بعد وقعة المضيع فسار كربوقا اليهم فلقيه محمد بن شرف الدولة على مرحلتين من نصيبين واستحلفهما لنفسه فقبض عليه كربوقا بعد اليمين وحمله معه وأتى نصيبين فامتنعت عليه فحصرها أربعين يوما وتسلمها وسار الى الموصل فحصرها فلم يظفر منها بشئ فسار عنها الى بلد وقتل بها محمد بن شرف الدولة وغرقه وعاد الى حصار الموصل ونزل على فرسخ منها بقرية باحلافا وترك التونتاش شرقي الموصل فاستنجد على بن مسلم صاحبها بالامير جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر فسار اليه نجدة له فلما علم التونتاش بذلك سار الى طريقه فقاتله فانهزم جكرمش وعاد الى الجزيرة منهزما وصار في طاعة كربوقا واعانه على حصر الموصل وعدمت الاقوات بها وكل شئ حتى ما يوقدونه فاوقدوا القير وحب القطن فلما ضاق بصاحبها على الامر فارقها وسار الى الامير صدقة بن مزيد بالحلة وتسلم كربوقا البلد بعد ان حصره تسعة أشهر وخافه أهله لانه بلغهم ان التونتاش يريد نهبهم وان كربوقا يمنعه من ذلك فاشتغل التونتاش بالقبض على اعيان البلد ومطالبتهم بودائع البلد واستطال على كربوقا فأمر بقتله فقتل في اليوم الثالث وأمن الناس شره وأحسن كربوقا السيرة فيهم وسار نحو الرحبة فمنع عنها فملكها ونهبها واستناب بها وعاد

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة اجتمع ستة كواكب في برج الحوت وهي الشمس والقمر والمشترى والزهرة والمريخ وعطارد فحكم المنجمون بطوفان يكون في الناس يقارب طوفان نوح فاحضر الخليفة المستظهر بالله ابن عيسون المنجم فسأله فقال ان طوفان نوح اجتمعت الكواكب السبعة في برج الحوت والآن فقد اجتمع ستة منها وليس منها زحل فلو كان معها لكان مثل طوفان نوح ولكن أقول ان مدينة او بقعة من الارض يجتمع فيها عالم كثير من بلاد كثيرة فيغرقون فخافوا على بغداد لكثرة من يجتمع فيها من البلاد فاحكمت المسنيات والمواضع التي يخشى منها الانفجار والغرق فاتفق ان الحجاج نزلوا بوادى المياقت بعد نخلة فاتاهم سيل عظيم فاغرق أكثرهم ونجا من تعلق بالجبال وذهب المال والدواب والازواد وغير ذلك فخلع الخليفة على المنجم وفيها في صفر درس الشيخ أبو عبد الله الطبري الفقيه الشافعي بالمدرسة النظامية ببغداد رتبه فيها فخر الملك بن نظام الملك وزير بركيارق وفيها اغارت خفاجة على بلد سيف الدولة صدقة بن مزيد فارسل في اثرهم عسكرا مقدمه ابن عمه قريش بن بدران ابن دبيس بن مزيد فاسرته خفاجة وأطلقوه وقصدوا مشهد الحسين بن على عليهما

قبودان منفيا الى بعض الجهات (وفى ذلك اليوم) طلع الباشا الى القلعة وصحبته قنصل الفرنساوية يهندس معه الاماكن ومواطن الحصار والقنصل المذكور مظهر الاهتمام والاجتهاد ويسهل الامر ويبذل النصح ويكثر من الركوب والذهاب والاياب وامامه الخدم وبايديهم الحراب المفضضة وخلفه ترجمانه واتباعه (وفيه) ارسل الامراء القبليون جوابا عن جواب ارسل اليهم قبل ذلك وعليه ختوم كثيرة باستدعائهم واستعجالهم للحضور فارسلوا هذا الجواب يعتذرون فيه بان السبب في تأخرهم انهم لم يتكاملوا وان اكثرهم متفرقون بالنواحي مثل عثمان بك حسن وغيره وانهم الى الآن لم يثبت عندهم حقيقة الامر لان من الثابت عندهم صداقة الانكليز مع العثمانى من قديم الزمان وان المراسيم التي وردت بالتحذير والتحفظ من الموسكوب ولم يذكر الانكليز فاتفق الحال بان يرسلوا لهم جوابا بالحقيقة صحبة مصطفى افندى كتخدا القاضي ويصحب معه المراسيم التي وردت في شان ذلك وفيها ذكر الانكليز ومنابذتهم للدولة فسافر الكتخدا المذكور في صبحها اليهم وكانوا حضروا الى ناحية المنية واما ياسين بك فانه اذعن للصلح على ان يعطيه الباشا أربعمائة كيس بعد ترداد المراسلات بينه وبين الباشا ثم انه عدى الى ناحية شرق أطفيح وفي ض

السلام فتظاهر روافضه بالفساد والمنكر فوجه اليهم صدقة جيشا فكبسوهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا في المشهد حتى عند الضريح والقى رجل منهم نفسه وهو على فرسه من على السور فسلم هو والفرس وفي هذه السنة في صفر توفي القاضي ابو مسلم وادع بن سليمان قاضي معرة النعمان والمستولي على أمورها وكان رجل زمانه همة وعلما وفيها في ربيع الاول توفي أبو بكر محمد بن عبد الباقي المعروف بابن الخاضبة المحدث وكان عالما وفيها في رمضان توفي أبو بكر عمر بن السمرقندي ومولده سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وفيها في رمضان توفي أبو الفضل عبد الملك بن ابراهيم المقدسي المعروف بالهمذاني وكان عالما في عدة علوم وقد قارب ثمانين سنة

(ثم دخلت سنة تسعين واربعمائة)

(ذكر قتل ارسلان ارغون)

في هذه السنة في المحرم قتل ارسلان ارغون بن الب ارسلان أخو السلطان ملكشاه بمرو وكان قد ملك خراسان وسبب قتله انه كان شديدا على غلمانه كثير الاهانة لهم والعقوبة وكانوا يخافونه خوفا عظيما فاتفق انه الآن طلب غلاما له فدخل عليه وليس معه أحد فانكر عليه تأخره عن الخدمة فاعتذر فلم يقبل عذره وضربه فأخرج الغلام سكينا معه وقتله وأخذ الغلام فقيل له لم فعلت هذا فقال لاريح الناس من ظلمه وكان سبب ملكه خراسان انه كان له أيام أخيه ملكشاه من الاقطاع ما مقداره سبعة آلاف دينار وكان معه ببغداد لما مات فسار الى همذان في سبعة غلمان واتصل به جماعة فسار الى نيسابور فلم يجد فيها مطمعا فسار الى مرو وكان شحنة مرو أميرا اسمه قودن من مماليك ملكشاه وهو الذي كان سبب تنكر السلطان ملكشاه على نظام الملك وقد تقدم ذلك في قتل نظام الملك فمال الى ارسلان أرغون وسلم البلد اليه فاقبلت العساكر اليه وقصد بلخ وبها فخر الملك بن نظام الملك فسار عنها ووزر لتاج الدولة تتش على ما ذكرناه وملك ارسلان ارغون بلخ وترمذ ونيسابور وعامة خراسان وارسل الى السلطان بركيارق والى وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك يطلب ان يقر عليه خراسان كما كانت لجده داود ما عدا نيسابور ويبذل الاموال ولا ينازع في السلطنة فسكت عنه بركيارق لاشتغاله باخيه محمود وعمه تتش فلما عزل السلطان بركيارق مؤيد الملك عن وزارته ووليها أخوه فخر الملك واستولى على الامور مجد الملك البلاساني قطع ارسلان ارغون مراسلة بركيارق وقال لا أرضى لنفسي مخاطبة البلاساني فندب بركيارق حينئذ عمه بوربرس بن الب ارسلان وسيره في العساكر لقتاله وكان قد اتصل بارسلان عماد الملك أبو القاسم بن نظام الملك ووزر له فلما وصلت العساكر الى خراسان لقيهم ارسلان ارغون وقاتلهم وانهزم منهم وسار منهزما الى بلخ واقام بوربرس والعساكر التي معه بهراة ثم جمع ارغون عساكر جمة وسار الى مرو فحصرها اياما وفتحها عنوة وقتل فيها واكثر وقلع ابواب سورها وهدمه فسار اليه بوربرس من هراة فالتقيا ونصافا فانهزم

بوربرس

عليهم الاموال الجسيمة وكان اهل ثلاث البلاد اجتمعوا بصول والبرنبل بمتاعهم واموالهم ومواشيهم فقتل عليهم وطلب منهم الاموال فعصوا عليه فاوقد فيهم النيران وحرق جرونهم ونهبهم (وفي عصر يوم الثلاثاء) حضر جماعة من العرب وصحبتهم ثلاثة انفار من الانكليز قبضوا عليهم من البرية واحضروهم الى مصر فقتلوا بين يدي الباشا وكلهم ثم امر بطلوعهم الى القلعة وفيهم شخص كبير يقال انه من قباطينهم (وفي يوم الخميس رابع عشره) عملوا ديوانا ببيت القاضي اجتمع فيه الدفتردار والمشايخ والوجاقلية وفرقوا فرمانا تقدم حضوره قبل وصول الانكليز الى الاسكندرية مضمونه ضبط تعلقات الانكليز وما لهم من المال والودائع والشركات مع التجار بمصر والثغور (وفي ذلك اليوم) حضر شخصان من السعاة واخبرا بالنصر على الانكليز وهزيمتهم وذلك انه اجتمع الجم الكثير من اهالي بلاد البحيرة وغيرها واهالي رشيد ومن معهم من المتطوعة والعساكر واهل دمنهور وصادف وصول كتخدا بك واسمعيل كاشف الطوبجي الى تلك الناحية فكان بين الفريقين مقتلة كبيرة واسروا من الانكليز طائفة وقطعوا منهم عدة رؤس فخلع الباشا على الساعين جوختين وفي اثر ذلك وصل ايضا شخصان من الاتراك بمكاتبات بتحقيق ذلك الخبر وبالغاق

الاخبار وان الانكليز اجلوا عن معارس رشيد وابى منصور والحماد ولم تزل المقاتلون من اهل القرى خلفهم

بوربرس سنة ثمان وثمانين وسبب هزيمته انه كان معه من جملة العساكر الذين سيرهم معه
بركيارق امير آخر ملكشاه وهو من اكابر الامراء والامير مسعود بن تاجر وكان ابوه مقدم
عسكر داود جد ملكشاه ولمسعود منزلة كبيرة ومحل عظيم عند كافة الناس وكان بين امير
آخر وبين ارسلان مودة قديمة فارسل اليه ارسلان ارغون يستميله ويدعوه الى طاعته
فاجابه الى ذلك ثم ان مسعود بن تاجر قصد امير آخر زائراً له ومعه ولده فاخذهما وقتلهما
فضعف امر بوربرس وانهزم من ارسلان ارغون وتفرق عسكره واسر وحمل الى ارسلان
ارغون وهو اخوه فحبسه بترمذ ثم امر بخنقه بعد سنة من حبسه وقتل اكابر عسكر
خراسان ممن كان يخافه ويخشى تحكمه عليه وصادر وزيره عماد الملك بثلثمائة الف
دينار وقتله وخرب اسوار مدن خراسان منها سور سبزوار وسور مرو الشاهجان وقلعة
سرخس وقهندز نيسابور وسور شهرستان وغير ذلك خربه جميعه سنة تسع وثمانين ثم انه
قتل هذه السنة كما ذكرنا

(ذكر استيلاء عسكر مصر على مدينة صور)

فى هذه السنة فى ربيع الاول وصل عسكر كثير من مصر الى ثغر صور بساحل الشام
فحصرها وملكها وسبب ذلك ان الوالى بها ويعرف بكتيلة اظهر العصيان على
المستعلى صاحب مصر والخروج عن طاعته فسير اليه جيشاً فحصروه بها وضيقوا عليه
وعلى من معه من جندى وعامى ثم افتتحها عنوة بالسيف وقتل بها خلق كثير ونهب منها
المال الجزيل واخذ الوالى اسيراً بغير امان وحمل الى مصر فقتل بها

(ذكر ملك بركيارق خراسان وتسليمها الى اخيه سنجر)

كان بركيارق قد جهز العساكر مع اخيه الملك سنجر وسيرها الى خراسان لقتال عمه
ارسلان ارغون وجعل الامير قماج اتابك سنجر ورتب فى وزارته ابا الفتح على بن
الحسين الطغرائى فلما وصلوا الى الدامغان بلغهم خبر قتله فاقاموا حتى لحقهم
السلطان بركيارق وساروا الى نيسابور فوصل اليها خامس جمادى الاولى من السنة
وملكها بغير قتال وكذلك سائر البلاد الخراسانية وساروا الى بلخ وكان عسكر
ارسلان ارغون قد ملكوا بعد قتله ابناً له صغيراً عمره سبع سنين فلما سمعوا بوصول
السلطان ابعدوا الى جبال طخارستان وارسلوا يطلبون الامان فاجابهم الى ذلك
فعادوا ومعهم ابن ارسلان ارغون فاحسن السلطان لقاءه واعطاه ما كان لابيه من
الاقطاع ايام ملكشاه وكان وصوله الى السلطان فى خمسة عشر الف فارس فما انقضى
يومهم حتى فارقوه واتصلت كل طائفة منهم بامير يتخذ منه وبقى وحده مع خادم لابيه
فاخذته والدة السلطان بركيارق اليها واقامت له من يتولى خدمته وتربيته وسار
بركيارق الى ترمذ فسلمت اليه واقام ببلخ سبعة اشهر وارسل الى ما وراء النهر فقيمت له
الخطبة بسمرقند وغيرها ودانت له البلاد

(ذكر خروج ميرامير ربخراسان محمد)

الى ان توسطوا البرية وغنموا جبخاناتهم واسلحتهم ومدافعهم ومهراسين عظيمين وذكروا انه واصل خلفهم اسرى ورؤس قتلى كثيرة فى صحبة مراكب وانه وصل معهما من جملة المتطوعين رجلان من اهل مكة التجار المقيمين بمصر كانا فى الواقعة بنحو مائة من البدو والمغاربة وغيرهم ينفقان عليهم ويحرضانهم على القتال ويعينان المقاتلين من الاهالى بما فى ايديهما ويقاتلان بانفسهما وبذلا جهدهما فى ذلك وانهما بعد هزم الانكليز وسلبهم فرقا ما غنماه وما بقى معهما من الاشياء على من خرج خلف الانكليز وحضر امعهما وهما السيد احمد النجارى واخوه السيد سلامة فطلبهما الباشا وسالهما عن الخبر فاخبراه بخبر التركيين فانسر الباشا لذلك سروراً عظيماً وشكر فعلهما وانعم عليهما وخلع عليهما ورتب لهما مرتباً ووعدهما بالاستخدام فى مصالحه وخلع على ذينك التركيين فروتى سمور وحضرا بصحبة الساعيين الى منزل السيد عمر النقيب بعد الغروب وتعشوا عنده وطلبوا البقشيش وبعد ان اخذوه توسل التركيان به بان يسعى لهما عند الباشا فى انه ينعم عليهما بمناصب فوعدهما بذلك وترجى الباشا لهما فاضاعف مرتبهما وضم بواقى

في هذه السنة لما كان السلطان بركيارق بخراسان خالف عليه امير اسمه محمد بن سليمان و يعرف باميراميران وهو ابن عم ملكشاه وتوجه الى بلخ واستمد من صاحب غزنة فامده بجيش كثير وفيله وشرط عليه أن يخطب له في جميع ما يفتحه من خراسان فقويت شوكته ومد يده في البلاد فسير اليه الملك سنجر بن ملكشاه جريدة ولا يعلم به أمير اميران فكبسه فجرى بينهما قتال ساعة ثم أسر وحمل الى بين يدي سنجر فامر به فكحل

ذكر عصيان الامير قودن و يارقطاش على السلطان واستعمال حبشي على خراسان

في هذه السنة عصى يارقطاش وقودن على السلطان بركيارق وسبب ذلك ان الامير قودن كان قد صار في جملة الامير قماج فتوفي والسلطان بمرو فاستوحش قودن وأظهر المرض وتأخر بمرو بعد مسير السلطان الى العراق وكان من جملة أمراء السلطان أمير اسمه اكنجي وقد ولاه السلطان خوارزم ولقبه خوارزمشاه فجمع عساكره وسار في عشرة آلاف فارس ليلحق السلطان فسبق العسكر الى مرو في ثلثمائة فارس وتشاغل بالشرب فاتفق قودن وأمير آخر اسمه يارقطاش على قتله فجمعا خمسمائة فارس وكبسوه وقتلوه وساروا الى خوارزم واظهروا ان السلطان قد استعملهما عليها فتسلماها وبلغ الخبر الى السلطان فتمم المسير الى العراق لما بلغه من خروج الامير انر ومؤيد الملك عن طاعته واعاد أميرداذ حبشي بن التونتاق في جيش الى خراسان لقتالهما فسار الى هراة وأقام ينتظر اجتماع العساكر معه فعاجلاه في خمسة عشر ألفا فعلم أميرداذ أنه لا طاقة له بهما فعبر جيحون فسارا اليه وتقدم يارقطاش ليلحقه قودن فعاجله يارقطاش وحده وقاتله فانهزم يارقطاش واخذ أسيرا و بلغ الخبر الى قودن فثار به عسكره ونهبوا خزائنه وما معه فبقي في سبعة نفر فهرب الى بخارا فقبض عليه صاحبها ثم أحسن اليه و بقي عنده وسار من هناك الى الملك سنجر ببلخ فقبله أحسن قبول و بذل له قودن ان يكفيه أموره ويقوم بجمع العساكر على طاعته فقدر انه مات عن قريب واما يارقطاش فبقي اسيرا الى ان قتل اميرداذ وكان من امره ما نذكره ان شاء الله تعالى

ذكر ابتداء دولة محمد بن خوارزمشاه

في هذه السنة أمر بركيارق الامير حبشي بن التونتاق على خراسان كما ذكرناه فلما صفت له وقتل قودن كما ذكرناه قبل ولي خوارزم الامير محمد بن انوشتكين وكان أبوه انوشتكين مملوك أمير من السلجوقية اسمه بلكباك قد اشتراه من رجل من غرشستان فقيل له أنوشتكين غرشجه فكبر وعلا امره وكان حسن الطريقة كامل الاوصاف وكان مقدما مرجوعا اليه وولد له ولد سماه محمدا وهذا وعلمه وخرجه وأحسن تاديبه وتقدم بنفسه و بالعناية الازلية فلما ولي أميرداذ حبشي خراسان كان خوارزمشاه اكنجي قد قتل وقد تقدم ذكره ونظر الامير حبشي فيمن يوليه خوارزم فوقع اختياره

فتح في ذلك اليوم مدافع كثيرة من القلعة والازبكية وبولاق والجيزة وذلك بين الظهر والعصر (وفي يوم الجمعة خامس عشره) حضروا بمصري وعدتهم تسعة عشر شخصا وعدة رؤس في رواحهم من وسط الشارع الاعظم واما الرؤس في رواحها من طريق باب الشعرية وعدتها نيف وثلاثون رأسا موضوعة على نبابيت رشقوها بوسط بركة الازبكية مع الرؤس الاولى صفين على يمين السالك من باب الهواء الى وسط البركة وشماله (وفيه) وصل ثلاث داوات من جدة الى ساحل السويس فيها أتراك وشوام وأجناس آخرون وذكروا ان الوهابي نادى بعد انقضاء الحج ان لا يأتي الى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الذقن وتلا في المناداة قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا واخر جواه ؤلاء الواصلين الى مصر (وفي يوم السبت) وصل ايضا تسعة اشخاص أسرى من الانكليز وفيهم خيال (وفي يوم الاحد) وصل أيضا نيف وستون وفيهم راس واحدة مقطوعة في رواحهم على طريق باب النصر من وسط المدينة وهرع الناس للتفرج عليهم و بعد الظهر أيضا مروا بثلاثة وعشرين أسيرا وثمانية رؤس وبعد العصر بثلاثة وعشرين وأساورا بعة وار بعين أسيرا من ناحية باب الشعرية وطلعوا

على

على محمد بن أنوشتكين فولاه خوارزم ولقبه خوارزمشاه فقصر أوقاته على معدلة ينشرها ومكرمة يفعلها وقرب أهل العلم والدين فازداد ذكره حسنا ومحله علوا والملك السلطان سنجر خراسان أقر محمدا خوارزمشاه على خوارزم وأعمالها فظهرت كفايته وشهامته فعظم سنجر محله وقدره ثم ان بعض ملوك الاتراك جمع جموعا وقصد خوارزم ومحمد غائب عنها وكان معه طغرلتكين بن اكنجي الذي كان أبوه خوارزمشاه قبل عند السلطان سنجر فهرب منه والتحق بالاتراك على خوارزم فلما سمع خوارزمشاه محمد الخبر بادر الى خوارزم وأرسل الى سنجر يستمده وكان بنيسابور فسار في العساكر اليه فلم ينتظر محمد فلما قارب خوارزم هرب الاتراك الى منقشلاغ وطغرلتكين أيضا رحل الى جندخان وكفي خوارزمشاه شرهم ولما توفي خوارزمشاه ولي بعده ابنه اتسز فمد ظلال الامن وأفاض العدل وكان قد قاد الجيوش ايام أبيه وقصد بلاد الاعداء وباشر الحروب فملك مدينة منقشلاغ ولما ولي بعد أبيه قربه السلطان سنجر وعظمه واعتضد به واستصحبه معه في أسفاره وحروبه فظهرت منه الكفاية والشهامة فزاده تقدما وعلوا وهو ابتداء ملك بيت خوارزمشاه تكش وابنه محمد الذي ظهرت التتر عليه على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر الحرب بين رضوان وأخيه دقاق)

في هذه السنة سار الملك رضوان الى دمشق وبها أخوه دقاق عازما على اخذها منه فلما قاربها ورأى حصانتها وامتناعها علم عجزه عنها فرحل الى نابلس وسار الى القدس ليأخذه فلم يمكنه وانقطعت العساكر عنه فعاد ومعه باغيسيان صاحب انطاكية وجناح الدولة ثم ان باغيسيان فارق رضوان وقصد دقاق وحسن له محاصرة أخيه بحلب جزاء لما فعله فجمع عساكر كثيرة وسار ومعه باغيسيان فأرسل رضوان رسولا الى سقمان بن ارتق وهو بسروج يستنجده فأتاه في خلق كثير من التركمان فسار نحو أخيه فالتقيا بقنسرين فاقتتلا فانهزم دقاق وعسكره ونهبت خيامهم وجميع ما لهم وعاد رضوان الى حلب ثم اتفقا على ان يخطب لرضوان بدمشق قبل دقاق وبانطاكية وقيل كانت هذه الحادثة سنة تسع وثمانين

(ذكر الخطبة العلوي المصري بولاية رضوان)

في هذه السنة خطب الملك رضوان في كثير من ولايته للمستعلي بأمر الله العلوي صاحب مصر وسبب ذلك انه كان عنده الامير جناح الدولة وهو زوج أمه فرأى من رضوان تغيرا فسار الى حمص وهي له فلما رأى باغيسيان بعده عن رضوان صالحه وقدم اليه بحلب ونزل بظاهرها وكان لرضوان منجم يقال له الحكيم اسعد وكان يميل اليه فقدمه بعد مسير جناح الدولة فحسن له مذاهب العلويين المصريين واتته رسل المصريين يدعونه الى طاعتهم ويبذلون له المال وانفاذ العساكر اليه ليملك دمشق فخطب لهم بشيزر وجميع الاعمال سوى انطاكية وحلب والمعرة اربع جمع ثم حضر عنده

بالجميع الى القلعة (وفي يوم الاربعاء) وصل الى ساحل بولاق ١١١ مراكب وفيها اسرى وقتلى وجرحى فطلعوا بهم الى البر وساروا بهم على طريق باب النصر وشقوا بهم من وسط المدينة الى الازبكية فرشقوا الرؤس بالازبكية مع الرؤس الاول وهي نحو المائة واثنين واربعين والاحياء والجرحى نحو المائتين وعشرين فطلعوا بهم الى القلعة عند اخوانهم فكان مجموع الاسرى أربعمائة اسير وستة وستين أسيرا والرؤس ثلثمائة ونيف واربعون وفي الاسرى نحو العشرين من قباطينهم وهذه الواقعة حصلت على غير قياس وصادف بناؤها على غير اساس وقد افسد الله رأى كل من طائفة الانكليز والامراء المصرية واهل الاقليم المصري لبروز ما كتبه وقدره في مكنون غيبه على اهل الاقليم من الدمار الحاصل وما سيكون بعد كما ستسمع به ويتلى عليك بعضه اما فساد رأى الانكليز فتعديهم الاسكندرية مع قلتهم وسماعهم بموت الالفي وغرورهم بانفسهم واما الامراء المصريون فلا يخفى فساد رأيهم بحال واما اهالي الاقليم فلانتصارهم لمن يضرهم ويسلب نعمهم وما اصاب من مصيبة فبما كسبت أيدي الناس وما اصابك من سيئة فمن نفسك ولم يخطر في ظن حصول هذا الواقع ولا ان الرعايا والعسكر لهم قدرة على حروب الانكليز

سقمان بن ارتق وباغيسيان صاحب انطاكية فانكر اذلك واستعظماه فاعاد الخطبة العباسية في هذه السنة وارسل الى بغداد يعتذر مما كان منه وسار باغيسيان الى انطاكية فلم يقم بها غير ثلاثة ايام حتى وصل الفرنج اليها وحصروها وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

●(ذكر عدة حوادث)●

في هذه السنة كانت فتنة عظيمة بخراسان بين اهل سبزوار واهل خسروجرد وقتال عظيم قتل بينهم جماعة كثيرة وانهزم اهل خسروجرد وفيها قتل عثمان وكيل دار نظام الملك وكان سبب قتله انه كان كاتب صاحب غزنة بالاخبار من قبل السلطان فاخذ وحبس بترمذ مدة ثم اطلع عليه وهو في الحبس انه كان يكاتبها ايضا فقتل وفي صفر منها قتل عبد الرحمن السميرمي وزير ام السلطان بركيارق قتله باطني غيلة وقتل الباطني بعده وفيها في شعبان ظهر كوكب كبير له ذؤابة واقام يطلع عشرين يوما ثم غاب ولم يظهر وفيها توفي النقيب الطاهر ابو الغنائم محمد بن عبد الله وكان دينا سخيا كريما متعصبا حنفي المذهب وولي النقابة بعده ولده ابو الفتوح حيدرة وفيها توفي ابو القاسم يحيى بن احمد السيبي وهو ابن مائة سنة وسنتين وهو صحيح الحواس وكان مقرئا محدثا حاضر القلب وفيها قتل ارغش النظامي مملوك نظام الملك بالري وكان قد بلغ مبلغا عظيما بحيث انه تزوج ابنة ياقوتي عم السلطان بركيارق قتله باطني وقتل قاتله وقتل برسق في شهر رمضان وهو من اكابر الامراء قتله باطني وكان برسق من اصحاب السلطان طغرلبك وهو اول شحنة كان ببغداد

(ثم دخلت سنة احدى وتسعين واربعمائة)

●(ذكر ملك الفرنج مدينة انطاكية)●

كان ابتداء ظهور دولة الفرنج واشتداد امرهم وخروجهم الى بلاد الاسلام واستيلائهم على بعضها سنة ثمان وسبعين واربعمائة فملكوا مدينة طليطلة وغيرها من بلاد الاندلس وقد تقدم ذكر ذلك ثم قصدوا سنة اربع وثمانين واربعمائة جزيرة صقلية وملكوها وقد ذكرته ايضا وتطرقوا الى اطراف افريقية فملكوا منها شيئا واخذ منهم ثم ملكوا غيره على ما تراه فلما كان سنة تسعين واربعمائة خرجوا الى بلاد الشام وكان سبب خروجهم ان ملكهم بردويل جمع جمعا كثيرا من الفرنج وكان نسيب رجار الفرنجي الذي ملك صقلية فارسل الى رجار يقول له قد جمعت جمعا كثيرا وانا واصل اليك وسائر من عندك الى افريقية افتحها واكون مجاورا لك فجمع رجار اصحابه واستشارهم في ذلك فقالوا وحق الانجيل هذا جيد لنا ولهم وتصبح البلاد بلاد النصرانية فرفع رجله وحبق حبقة عظيمة وقال وحق ديني هذه خير من كلامكم قالوا وكيف ذلك قال اذا وصلوا الي احتاج الى كلفة كثيرة ومراكب تحملهم الى افريقية وعساكر من عندي ايضا فان فتحوا البلاد كانت لهم وصارت المؤنة لهم من صقلية وينقطع عني ما يصل

وخصوصا شهرتهم باتقان الحروب وقد تقدم لك انهم هم الذين حاربوا الفرنساوية واخرجوهم من مصر (ولما شاع) اخذهم الاسكندرية داخل العسكر والناس وهم عظيم وعزم اكثر العسكر على الفرار الى جهة الشام وشرعوا في قضاء اشغالهم واستخلاص اموالهم التي اعطوها للمتضايقين والمستقرضين بالربا وابدال ما بايديهم من الدراهم والقروش والفرانسه التي يثقل حملها بالذهب البندقي والمحبوب الزر محبوب حملها حتى انها زادت في المصارفة بسبب كثرة الطلب لها وبلغ صرف البندقي المنخفض الناقص في الوزن اربعمائة وعشرين نصفا والزر مائتين وعشرين والفرانسه مائتين واستمرت تلك الزيادة بعد ذلك وسيزيد الامر فشا وسعوا في مشترى ادوات الارتحال والامور اللازمة لسفر البر وفارق الكثير منهم النساء وباعوا ما عندهم من الفرش والامتعة حتى ان محمد على باشا لما بلغه حصولهم بالاسكندرية وكان يحارب المصريين ويشدد عليهم فعند ذلك انحلت عزائمه وارسل يصالحهم على ما يريدونه ويطلبونه وثبت في يقينه استيلاء الانكليز على الديار المصرية وعزم على العود متملكا في السير يظن سرعة وورودهم الى المدينة فيشير مشرقا على طريق الشام ويكون له عذر بغيبته في الجملة فلما وصلت الشرذمة

الروس والاسرى واسرعت المبشرون الى الباشا بالخبر فعند ذلك تراجعت اليه نفسه واسرع في الحضور وتراجعت نفوس العساكر وطمعوا عند ذلك في الانكليز وتجاسروا عليهم وكذلك اهل البلاد قويت همهم وتاهبوا للبروز والجهاد وبعضهم اشتروا الاسلحة ونادوا على بعضهم بالجهاد وكثر المتطوعون ونصبوا لهم بيارق واعلاما وجمعوا من بعضهم دراهم وصرفوا على من انضم اليهم من الفقراء وخرجوا في مواكب وطبول وزمور فلما وصلوا الى متاريس الانكليز دهموهم من كل ناحية على غير قوانين حروبهم وترتيبهم وصدقوا في الحملة عليهم والقوا انفسهم في النيران ولم يبالوا برميهم وهجموا عليهم وختلطوا بهم وادهشوهم بالتكبير والصياح حتى ابطلوا رميهم ونيرانهم فالقوا سلاحهم وطلبوا الامان فلم يلتفتوا الى ذلك وقبضوا عليهم وذبحوا الكثير منهم وحضروا بالاسرى والرؤس على الصورة المذكورة وفر الباقون الى من بقي بالاسكندرية وليت العامة شكروا على ذلك او نسب اليهم فعل بل نسب كل ذلك للباشا وعساكره

١٥ بخ مل عا وجورت العامه بضد الجزاء بعد ذلك ولما اصعدوا الاسرى الى القلعة طلع اليهم فتصل

ما يصل من المال من ثمن الغلات كل سنة وان لم يفلحوا رجعوا الى بلادى وتاذيت بهم ويقول تميم غدرت بي ونقضت عهدى وتنقطع الوصلة والاسفار بيننا وبلاد افريقية باقية لنا متى وجدنا قوة اخذناها واحضر رسوله وقال له اذا عزمتم على جهاد المسلمين فافضل ذلك فتح بيت المقدس تخلصونه من ايديهم و يكون لكم الفخر واما افريقية فبيني و بين اهلها ايمان وعهود فتجهزوا وخرجوا الى الشام وقيل ان اصحاب مصر من العلويين لما راوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام الى غزة ولم يبق بينهم و بين مصر ولاية أخرى تمنعهم ودخول الاقسيس الى مصر وحصرها خافوا وارسلوا الى الفرنج يدعونهم الى الخروج الى الشام ليملكوه ويكون بينهم وبين المسلمين والله اعلم فلما عزم الفرنج على قصد الشام ساروا الى القسطنطينية ليعبروا المجاز الى بلاد المسلمين ويسيروا في البر فيكون اسهل عليهم فلما وصلوا اليها منعهم ملك الروم من الاجتياز ببلاده وقال لا امكنكم من العبور الى بلاد الاسلام حتى تحلفوا لي انكم تسلمون الى انطاكية وكان قصده يحثهم على الخروج الى بلاد الاسلام ظنا منه ان الاتراك لا يبقون منهم احدا لما رأى من صرامتهم وملكهم البلاد فاجابوه الى ذلك وعبروا الخليج عند القسطنطينية سنة تسعين و وصلوا الى بلاد قلج ارسلان بن سليمان ابن قتلمش وهي قونية وغيرها فلما وصلوا اليها لقيهم قلج ارسلان في جموعه ومنعهم فقاتلوه فهزموه في رجب سنة تسعين واجتازوا في بلاده الى بلاد ابن الارمني فسلكوها وخرجوا الى انطاكية فحصروها ولما سمع صاحبها باغيسيان بتوجههم اليها خاف من النصارى الذين بها فاخرج المسلمين من اهلها ليس معهم غيرهم وامرهم بحفر الخندق ثم اخرج من الغد النصارى لعمل الخندق ايضا ليس معهم مسلم فعملوا فيه الى العصر فلما ارادوا دخول البلد منعهم وقال لهم انطاكية لكم تهبوها لي حتى انظر ما يكون منا ومن الفرنج فقالوا له من يحفظ ابناءنا ونساءنا فقال انا اخلفكم فيهم فامسكوا واقاموا في عسكر الفرنج فحصروها تسعة اشهر وظهر من شجاعة باغيسيان وجودة رايه وحزمه واحتياطه ما لم يشاهد من غيره فهلك اكثر الفرنج موتا ولو بقوا على كثرتهم التي خرجوا فيها لطبقوا بلاد الاسلام وحفظ باغيسيان اهل نصارى انطاكية الذين اخرجهم وكف الايدي المتطرقة اليهم فلما طال مقام الفرنج على انطاكية راسلوا احد المستحفظين للابراج وهو زراد يعرف بروزبه وبذلوا له مالا واقطاعا وكان يتولى حفظ برج يلي الوادي وهو مبني على شباك في الوادي فلما تقرر الامر بينهم و بين هذا الملعون الزراد جاؤا الى الشباك ففتحوه ودخلوا منه وصعد جماعة كثيرة بالحبال فلما زادت عدتهم على خمسمائة ضربوا البوق وذلك عند السحر وقد تعب الناس من كثرة السهر والحراسة فاستيقظ باغيسيان فسال عن الحال فقيل ان هذا البوق من القلعة ولا شك انها قد ملكت ولم يكن من القلعة وانما كان من ذلك البرج فدخله رعب وفتح باب البلد وخرج هاربا في ثلاثين غلاما على وجهه فجاء نائبه في حفظ البلد فسال عنه فقيل انه هرب فخرج من باب آخر هاربا وكان ذلك معونة للفرنج ولو ثبت ساعة

لملكوا ثم ان الفرنج دخلوا البلد من الباب ونهبوه وقتلوا من فيه من المسلمين وذلك فى جمادى الاولى واما باغيسيان فانه لما طلع عليه النهار رجع اليه عقله وكان كالولهان فرأى نفسه وقد قطع عدة فراسخ فقال لمن معه أين انا فقيل على أربعة فراسخ من انطاكية فندم كيف خاص سالما ولم يقاتل حتى يزيلهم عن البلد أو يقتل وجعل يتلهف ويسترجع على ترك اهله واولاده والمسلمين فلشدة ما لحقه سقط عن فرسه مغشيا عليه فلما سقط الى الارض أراد أصحابه ان يركبوه فلم يكن فيه مسكة قد قارب الموت فتركوه وساروا عنه واجتاز به انسان ارمنى كان يقطع الحطب وهو بآخر رمق فقتله واخذ راسه وحمله الى الفرنج بانطاكية وكان الفرنج قد كاتبوا صاحب حلب ودمشق باننا لا نقصد غير البلاد التى كانت بيد الروم لا نطلب سواها مكرا منهم وخديعة حتى لا يساعدوا صاحب انطاكية

(ذكر مسير المسلمين الى الفرنج وما كان منهم)

لما سمع قوام الدولة كربوقا بحال الفرنج وملكهم انطاكية جمع العساكر وسار الى الشام واقام بمرج دابق واجتمعت معه عساكر الشام تركها وعربها سوى من كان بحلب فاجتمع معه دقاق بن تتش وطغتكين اتابك وجناح الدولة صاحب حمص وارسلان تاش صاحب سنجار وسليمان بن أرتق وغيرهم من الامراء ممن ليس مثلهم فلما سمعت الفرنج عظمت المصيبة عليهم وخافوا لما هم فيه من الوهن وقلة الاقوات عندهم وسار المسلمون فنازلوهم على انطاكية وأساء كربوقا السيرة فيمن معه من المسلمين واغضب الامراء وتكبر عليهم ظنا منه انهم يقيمون معه على هذه الحال فاغضبهم ذلك واضمروا له فى انفسهم الغدر اذا كان قتال وعزموا على اسلامه عند المصدوقة واقام الفرنج بانطاكية بعد ان ملكوها اثنى عشر يوما ليس لهم ما يأكلونه وتقوت الاقوياء بدوابهم والضعفاء بالميتة وورق الشجر فلما رأوا ذلك أرسلوا الى كربوقا يطلبون منه الامان ليخرجوا من البلد فلم يعطهم ما طلبوا وقال لا تخرجوا الا بالسيف وكان معهم من الملوك بردويل وصنجيل وكندفرى والقمص صاحب الرها وبيمنت صاحب انطاكية وهو المقدم عليهم وكان معهم راهب مطاع فيهم وكان داهية من الرجال فقال لهم ان المسيح عليه السلام كان له حربة مدفونة بالقسيان الذى بانطاكية وهو بناء عظيم فان وجدتموها فانكم تظفرون وان لم تجدوها فالهلاك متحقق وكان قد دفن قبل ذلك حربة فى مكان فيه وعفا اثرها وامرهم بالصوم والتوبة ففعلوا ذلك ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع ادخلهم الموضع جميعهم ومعهم عامتهم والصناع منهم وحفروا فى جميع الاماكن فوجدوها كما ذكر فقال لهم ابشروا بالظفر فخرجوا فى اليوم الخامس من الباب متفرقين من خمسة وستة ونحو ذلك فقال المسلمون لكربوقا ينبغى أن تقف على الباب فتقتل كل من يخرج فان امرهم الآن وهم متفرقون سهل فقال لا تفعلوا امهلوهم حتى يتكامل خروجهم فنقتلهم ولم يمكن من معاجلتهم فقتل قوم

او يقومه الاطباء لمعالجة الجرحى ومهد لهم اماكن ومن الكبار منهم والقسيالات فى مكان يليق بهم وفرش لهم فرشات ورتب لهم تراتيب وصرف عليهم نفقات ولوازم واستمر يتعاهدهم فى غالب الايام والجراحية يترددون اليهم فى كل يوم لمداواتهم كما هى عادة الافرنج مع بعضهم اذا وقع فى ايديهم جرحى من المحاربين لهم فعلوا بهم ذلك واكرموا الاسرى واما من وقع منهم فى ايدى العسكر من المردان فانهم اختصوا بهم والبسوهم من ملابسهم وباعوهم فيما بينهم ومنهم من احتال على الخلاص من يد الفاسق بحيلة لطيفة فمن ذلك ان غلاما منهم قال للذى هو عنده ان لى بولصة عند قنصل الفرنساوية وهى مبلغ عشرون كيسا ففرح وقال له ارنيها فاخرج له ورقة بخطهم وهو لا يعرف ما فيها فاخذها منه طمعا فى احرازها لنفسه وذهب مسرعا الى القنصل واعطاها له فلما قرأها قال له لا اعطيك هذا المبلغ الا بيد الباشا و يعطينى بذلك رجعة بختمه لتخلص ذمتى فلما صاروا بين يدى الباشا فاخبره القنصل فامر باحضار الغلام فلما حضر ساله الباشا فقال اريد الخلاص منه واحتلت عليه بهذه الحيلة لا توصل اليك فطيب الباشا خاطر العسكرى بدراهم وارسل الغلام الى اصحابه بالقلعة ولما انقضى امر الحرب من ناحية رشيد والجات الانكليز من

من المسلمين جماعة من الخارجين فجاء اليهم هو ونفسه ومنعهم ونهاهم فلما تكامل خروج الفرنج ولم يبق بالبلد منهم احد ضربوا مصافا عظيما فولى المسلمون منهزمين لما عاملهم به كربوقا اولا من الاستهانة لهم والاعراض عنهم وثانيا من منعهم عن قتل الفرنج وتمت الهزيمة عليهم ولم يضرب احد منهم بسيف ولا طعن برمح ولا رمى بسهم وآخر من انهزم سقمان بن ارتق وجناح الدولة لانهما كانا في الكمين وانهزم كربوقا معهم فلما راى الفرنج ذلك ظنوه مكيدة اذ لم يجر قتال ينهزم من مثله وخافوا ان يتبعوهم وثبت جماعة من المجاهدين وقاتلوا حسبة وطلبا للشهادة فقتل الفرنج منهم الوفا وغنموا ما في العسكر من الاقوات والاموال والاثاث والدواب والاسلحة فصلحت حالهم وعادت اليهم قوتهم

ذكر ملك الفرنج معرة النعمان

لما فعل الفرنج بالمسلمين ما فعلوا ساروا الى معرة النعمان فنازلوها وحصروها وقاتلهم اهلها قتالا شديدا وراى الفرنج منهم شدة ونكاية ولقوا منهم الجد في حربهم والاجتهاد في قتالهم فعملوا عند ذلك برجا من خشب يوازي سور المدينة ووقع القتال عليه فلم يضر المسلمين ذلك فلما كان الليل خاف قوم من المسلمين وتداخلهم الفشل والهلع وظنوا انهم اذا تحصنوا ببعض الدور الكبار امتنعوا بها فنزلوا من السور واخلوا الموضع الذي كانوا يحفظونه فرآهم طائفة اخرى ففعلوا كفعلهم فخلا مكانهم ايضا من السور ولم تزل تتبع طائفة منهم التي تليها في النزول حتى خلا السور فصعد الفرنج اليه على السلاليم فلما علوه تحير المسلمون ودخلوا دورهم فوضع الفرنج فيهم السيف ثلاثة ايام فقتلوا ما يزيد على مائة الف وسبوا السبي الكثير وملكوه واقاموا اربعين يوما وساروا الى عرقة فحصروها اربعة اشهر ونقبوا سورها عدة نقوب فلم يقدروا عليها وراسلهم منقذ صاحب شيزر فصالحهم عليها وساروا الى حمص وحصروها فصالحهم صاحبها جناح الدولة وخرجوا على طريق النواقير الى عكا فلم يقدروا عليها

ذكر الحرب بين الملك سنجر ودولتشاه

كان دولتشاه من ابناء الملوك السلجوقية فاجتمع عليه جمع من عساكر بيغو اخي طغرلبك وكان بطخارستان فاخذوا الواخ وكنج فسار اليهم السلطان سنجر وعساكره فوصل الى بلخ فدخلها في رجب من هذه السنة وخرج منها لقتال دولتشاه فلم يكن لذلك الجموع ما ثبت مقابل عسكر سنجر فقاتلوا شيئا من قتال وانهزموا واخذوا دولتشاه اسيرا واحضر عند سنجر فعفا عنه من القتل وحبسه ثم بعد ذلك كحله وسير سنجر جيشا الى مدينة ترمذ فملكوها وسلمها الى طغرل تكين

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة فتح تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية جزيرة جربة وجزيرة قرقنة ومدينة تونس وكان بافريقية غلاء شديد هلك فيه كثير من الناس وفيها ارسل

عنها ورجعوا الى الاسكندرية نزل الاتراك على الجهاد وما جاورها واستباحوا اهلها ونساءها واموالها ومواشيها زاعمين انها صارت دار حرب بنزول الانكليز عليها وتملكها حتى ان بعض القاهريين كلمهم في ذلك فرد عليه بذلك الجواب فارسلوا الى مصر بذلك وكتبوا في خصوص ذلك سؤالا وكتب عليه المفتون بالمنع وعدم الجواز وحتى يأتي الترياق من العراق يموت الملسوع ومن يقرأ ومن يسمع وعلى انه لم يرجع طالب الفتوى بل اهملت عند المفتي وتركها المستفتي ثم احاطت العساكر ورؤساؤهم برشيد وضربوا على اهلها الضرائب وطلبوا منها الاموال والكلف الشاقة واخذوا ما وجدوه بها من الارز العليق فخرج كبيرها السيد حسن كريت الى حسن باشا وكتخدا بك وتكلم معهما وشنع عليهما وقال اما كفانا ما وقع لنا من الحروب وهدم الدور وكلف العسكر ومساعدتهم ومعاريتنا معهم ومعكم وما قاسيناه من التعب والسهر وانفاق المال وتجازى منكم بعدها بهذه الافاعيل فدعونا نخرج باولادنا وعيالنا ولا نأخذ معنا شيئا ونترك لكم البلدة افعلوا بها ما شئتم فلا طفوه في الجواب واظهروا له الاهتمام بالمناداة والمنع وكتب المذكور ايضا مكاتبات بمعنى ذلك وارسلها الى الباشا والسيد عمر مكرم فكتبوا فرمانات وارسلوها اليهم بالكف والمنع وهيهات ولما وصل من وصل بالقتلى والاسرى

الخليفة رسولا الى السلطان بركيارق مستنفرا على الفرنج ومبالغا فى تعظيم الامر وتداركه قبل ان يزداد قوة وفى هذه السنة فى شعبان توفى ابو الحسن احمد بن عبد القادر ابن محمد بن يوسف ومولده سنة اثنتى عشرة وار بعمائة وكان فاضلا فى الحديث وفيها توفى ابو الفضل عبد الوهاب بن ابى محمد التميمى الحنبلى وكان فاضلا فصيحا وفيها فى شوال توفى طراد بن محمد الزينبى وهو عالى الاسناد فى الحديث وولى نقابة العباسيين من بعده ابنه شرف الدين على بن طراد وفيها فى ذى القعدة توفى ابو الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء ابى القاسم بن المسلمة وكان بيته مجمع الفضلاء واهل الدين ومن جملة من كان عنده الى ان توفى الشيخ ابو اسحق الشيرازى وفيها توفى ابو الفرج سهل بن بشر ابن أحمد الاسفراينى وهو من أعيان المحدثين

(ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة)

(ذكر عصيان الامير أنزوقتله)

لما سار السلطان بركيارق الى خراسان ولى الامير أنز بلاد فارس جميعها وكانت قد تغلب عليها الشوانكارة على اختلاف بطونهم وقبائلهم واستعانوا بصاحب كرمان ايران شاه بن قاورت فاجتمعوا وصافوا الامير أنز وكسروه وعاد مفلولا الى اصبهان وأرسل الى السلطان يستأذنه فى اللحاق به الى خراسان فامره بالمقام ببلد الجبل وولاه امارة العراق وكاتب العساكر الذين اووه له بطاعته فاقام باصبهان وسار منها الى أقطاعه باذربيجان وعاد وقد انتشر أمر الباطنية باصبهان فندب نفسه لقتالهم وحصر قلعة على جبل أصبهان واتصل به مؤيد الملك بن نظام الملك وكان ببغداد فسار منها الى الحلة فاكرمه صدقة وسار من عنده الى الامير انز فلما اجتمع بالامير أنز خوفه هو وغيره من السلطان بركيارق وعظموا عليه الاجتماع به وحسنوا له البعد عنه وأشاروا عليه بمكاتبة غياث الدين محمد بن ملكشاه وهو اذ ذاك بكنجة فعزم على المخالفة للسلطان وتحدث فيه فظهر ذلك فزاد خوفه من السلطان فجمع من العساكر المعروفين بالشجاعة نحو عشرة آلاف فارس وسار من اصبهان الى الرى وأرسل الى السلطان يقول انه مملوك ومطيع ان سلم اليه مجد الملك البلاسانى وان لم يسلمه فهو عاص خارج عن الطاعة فبينما هو يفطر وكانت عادته يصوم أياما من الاسبوع فلما قارب الفراغ من الافطار هجم عليه ثلاثة نفر من الاتراك المولدين بخوارزم وهم من جملة خيله فصدم أحدهم المشعل فالقاه وصدم الآخر الشمعة فاطفاها وضربه الثالث بالسكين فقتله وقتل معه جانداره واختلط الناس فى الظلمة ونهبوا خزائنه وتفرق عسكره وبقى ملقى فلم يوجد ما يحمل عليه ثم حمل الى داره باصبهان ودفن بها ووصل خبر قتله السلطان بركيارق وهو بخوار الرى قد خرج من خراسان عازما على قتاله وهو على غاية الحذر من قتاله وعاقبة امره وفرح مجد الملك البلاسانى بقتله وكان له مثل يومه عن قريب وكان عمر أنز سبعا وثلاثين سنة وكان كثير الصوم والصلاة والخير والمحبة للصالحين

ثم الباشا على الواصلين منهم بالخلع والبقاشيش والبسهم شلنجات فضة على رؤسهم فازداد جبروتهم وتعديهم ولما رجع الانكليز الى ناحية الاسكندرية قطعوا السد فسالت المياه وغرقت الاراضى حول الاسكندرية (وفى يوم الاحد سابع عشره) وصل ياسين بك الى ناحية طرا وحضر أبوه الى مصر ودخل كثير من اتباعه الى المدينة وهم لابسون زى المماليك المصرية (وفيه) دفنوا رؤس القتلى من الانكليز وكانوا قطعوا آذانهم ودبغوها وملحوها ليرسلوها الى اسلامبول (وفيه) أرسل الباشا قيالا كبيرا من الانكليز الى الاسكندرية بدلا عن ابن أخى عمر بك وقد كان المذكور سافر الى الاسكندرية قبل الحادثة ليذهب الى بلاده بما معه من الاموال فعوقه الانكليز فارسلوا هذا القبيال ليرسلوا بدله ابن أخى عمر بك (وفى يوم الاثنين ثامن عشره) وصلت خيام ياسين بك وحملاته ونصبوا وطاقه جهة شبرا ومنية السيرج (وفى سادس عشرينه) وصل ياسين بك المذكور وصحبته سليمان أغا صالح وكيل دار السعادة سابقا وهو الذى كان باسلامبول وحضر بصحبته القبودان فى الحادثة السابقة وتأخر عنه واستمر مع الالفى ثم مع أمرائه بعد موته وكان الباشا قد أرسل له يستدعيه بأمان فأجاب الى الحضور بشرط أن يجرى عليه الباشا مرتبه بالضربخانة وقدر

(ذكر

(ذكر ملك الفرنج لعنهم الله البيت المقدس)

كان البيت المقدس لتاج الدولة تتش واقطعه للامير سقمان بن أرتق التركماني فلما ظفر الفرنج بالاتراك على انطاكية وقتلوا فيهم ضعفوا وتفرقوا فلما رأى المصريون ضعف الاتراك ساروا اليه ومقدمهم الافضل بن بدر الجمالي وحصروه وبه الامير سقمان وايلغازي ابنا ارتق وابن عمهما سونج وابن أخيهما ياقوتي ونصب عليه نيفا واربعين منجنيقا فهدموا مواضع من سوره وقاتلهم أهل البلد فدام القتال والحصار نيفا وأربعين يوما وملكوه بالامان في شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائة وأحسن الافضل الى سقمان وايلغازي ومن معهما واجزل لهم العطاء وسيرهم فساروا الى دمشق ثم عبروا الفرات فأقام سقمان ببلد الرها وسار ايلغازي الى العراق واستناب المصريون فيه رجلا يعرف بافتخار الدولة وبقي فيه الى الآن فقصده الفرنج بعد ان حصروا عكا فلم يقدروا عليها فلما وصلوا اليه حصروه نيفا واربعين يوما ونصبوا عليه برجين أحدهما من ناحية صهيون واحرقه المسلمون وقتلوا كل من به فلما فرغوا من احراقه أتاهم المستغيث بان المدينة قد ملكت من الجانب الآخر وملكوها من جهة الشمال منه ضحوة نهار يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان وركب الناس السيف ولبث الفرنج في البلدة اسبوعا يقتلون فيه المسلمين واحتمى جماعة من المسلمين بمحراب داود فاعتصموا به وقاتلوا فيه ثلاثة أيام فبذل لهم الفرنج الامان فسلموه اليهم ووفى لهم الفرنج وخرجوا ليلا الى عسقلان فأقاموا بها وقتل الفرنج بالمسجد الاقصى ما يزيد على سبعين ألفا منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الاوطان وجاور بذلك الموضع الشريف واخذوا من عند الصخرة نيفا واربعين قنديلا من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم وأخذوا تنورا من فضة وزنه أربعون رطلا بالشامي واخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلا نقرة ومن الذهب نيفا وعشرين قنديلا وغنموا منه ما لا يقع عليه الاحصاء وورد المستنفرون من الشام في رمضان الى بغداد صحبة القاضي أبي سعد الهروي فاوردوا في الديوان كلاما أبكى العيون واوجع القلوب وقاموا بالجامع يوم الجمعة فاستغاثوا وبكوا وأبكوا وذكروا ما دهم المسلمين بذلك الشريف المعظم من قتل الرجال وسبي الحريم والاولاد ونهب الاموال فلشدة ما أصابهم افطروا فأمر الخليفة ان يسير القاضي أبو محمد الدامغاني وأبو بكر الشاشي وأبو القاسم الزنجاني وأبو الوفاء بن عقيل وأبو سعد الحلواني وأبو الحسين بن سماك فساروا الى حلوان فبلغهم قتل مجد الملك البلاساني على ما نذكره فعادوا من غير بلوغ ارب ولا قضاء حاجة واختلف السلاطين على ما نذكره فتمكن الفرنج من البلاد فقال أبو المظفر الابيوردي في هذا المعنى ابياتا منها

مزجنا دماء بالدموع السواجم ✻ فلم يبق منا عرضة للمراجم
وشر سلاح المرء دمع يفيضه ✻ اذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فيها بني الاسلام ان وراءكم ✻ وقائع يلحقن الذرى بالمناسم

لك ألف درهم في كل يوم فأجابه الى ذلك وحضر صحبته ياسين بك وقابلا الباشا وخلع عليهما خلعتي سمور وتركا ولعبا مع اجنادهما بوسط البركة بالرماح وظهر من حسن رماحة سليمان اغا ما أعجب الباشا ومن حوله من الاتراك بل اصابوه باعينهم لانه بعد انقضاء ذلك سار مع ياسين بك الى ناحية بولاق يترامحون ويتلاعبون فانفرج طبنجته بيده اليمنى والرمح في يده اليسرى وكان زنادها مرفوعا فطلقت رصاصتها وخرقت كفه اليسار القابض بها على سرع الجواد ونفذت من الجهة الاخرى فرجع الى داره بجراحته واخذله برجمانه وذهب ياسين بك الى بولاق فبات بها في دار حسن الطويل بساحل النيل (وفيه) سافر المتسفر بآذان قتلى الانكليز وقد وضعوها في صندوق وسافر بها على طريق الشام وصحبته أيضا شخصان من اسرى قبطانات الانكليز وكتبوا عرضا بصورة الحال من انشاء السيد اسمعيل الخشاب وباتوا فيه (وفيه) حضر اسمعيل كاشف الطوبجي من ناحية بحري ليقضي بعض الاغراض ثم يعود (وفي يوم الخميس ثامن عشرينه) سافر عمر بك تابع عثمان بك الاشقر وعلى كاشف بن احمد كتخدا الى ناحية القليوبية لاجل القبض على ايوب فوده بسبب رجل يسمى زغلول بسبب انه يقطع الطريق على المسافرين في البحر وكلما مرت بناحية مركب حاربها

اتهويمة فى ظل امن وغبطة * وعيش كنوار الخميلة ناعم
وكيف تنام العين مل جفونها * على هفوات ايقظت كل نائم
واخوانكم بالشام يضحى مقيلهم * ظهور المذاكى أو بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وانتم * تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
وكم من دماء قد ابيحت ومن دمى * توارى حيا محسنها بالمعاصم
بحيث السيوف البيض محمرة الظبا * وسمر العوالى داميات اللهاذم
وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة * تظل لها الولدان شيب القوادم
وتلك حروب من يغب عن غمارها * ليسلم يقرع بعدها سن نادم
سللن بايدى المشركين قواضبا * ستغمد منهم فى الطلى والجماجم
يكاد لهن المستجن بطيبة * ينادى باعلى الصوت يا آل هاشم
ارى امتى لا يشرعون الى العدا * رماحهم والدين واهى الدعائم
ويجتنبون النار خوفا من الردى * ولا يحسبون العار ضربة لازم
أترضى صناديد الاعاريب بالاذى * ويغضى على ذل كماة الأعاجم

ومنها

فليتهم اذ لم يذودوا حمية * عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم
وان زهدوا فى الاجر اذ حمس الوغى * فهلا أتوه رغبة فى الغنائم
لئن اذعنت تلك الخياشيم للبرى * فلا عطسوا الا باجدع راغم
دعونا كم والحرب ترنو ملحة * الينا بالحاظ النسور القشاعم
تراقب فينا غارة عربية * تطيل عليها الروم عض الاباهم
فان أنتم لم تغضبوا بعد هذه * رمينا الى أعدائنا بالجرائم

(ذكر الحرب بين المصريين والفرنج)

فى هذه السنة فى رمضان كانت وقعة بين العساكر المصرية والفرنج وسببها ان المصريين لما بلغهم ما تم على أهل القدس جمع الافضل أمير الجيوش العساكر وحشد وسار الى عسقلان وأرسل الى الفرنج ينكر عليهم ما فعلوا ويتهددهم فاعادوا الرسول بالجواب ورحلوا على اثره وطلعوا على المصريين عقيب وصول الرسول ولم يكن عند المصريين خبر من وصولهم ولا من حركتهم ولم يكونوا على أهبة القتال فنادوا الى ركوب خيولهم ولبسوا أسلحتهم وأعجلهم الفرنج فهزموهم وقتلوا منهم من قتل وغنموا ما فى العسكر من مال وسلاح وغير ذلك وانهزم الافضل فدخل عسقلان ومضى جماعة من المنهزمين فاستتروا بشجر الجميز وكان هناك كثيرا فاحرق الفرنج بعض الشجر حتى هلك من فيه وقتلوا من خرج منه وعاد الافضل فى خواصه الى مصر ونازل الفرنج عسقلان وضايقوها فبذل لهم أهلها قطيعة اثنى عشر ألف دينار وقيل عشرين ألف دينار

فيما أتوها من بضائع التجار وأموالهم أو اتهموا يفتدون أنفسهم منه بما يرضيه من المال فكثر شكى الناس منه فيرسلون الى ايوب فوده كبير الناحية فيتبرأ منه فلما زاد الحال عينوا من ذكر للقبض عليه وقتله فبلغه الخبر فهرب من بلده باناس قلائل ووصلوا الى محله فلم يجدوه فاحاطوا بموجوداته وغلاله وبهائمه وماله من المواشى والودائع بالبلاد فلما جرى ذلك حضر الى السيد عمر وصالح على نفسه بثلثمائة كيس ورجع الحال الى حاله وذلك خلاف ما أخذه المعينون من الكلف والمغارم من البلاد التى مروا عليها واقاموا فيها واحتجوا عليها (وفيه) حضر الكثير من اهل رشيد بحريمهم واولادهم ورحلوا عنها الى مصر (وفيه) حضر كتخدا القاضى من عند الامراء القبالى واخبر انهم محتاجون الى مراكب لحمل الغلال الميرية والذخيرة فهيأ الباشا عدة مراكب وارسلها اليهم ومع هذه الصورة واظهار المصالحة والمسالمة يمنعون ويحجزون من يذهب اليهم من دورهم بثياب ومتاع وكذلك يمنعون المتسببين والباعة الذين يذهبون بالمتاجر والامتعة التى يبيعونها عليهم واذا وقعوا بشخص او غمزوا عليه عند الحاكم او صادفه بعض العيون المترقبة عليه قبضوا عليه ونهبوا ما معه وعاقبوه وحبسوه بل ونهبوا داره وغرموه ولا

دينار ثم عادوا الى القدس

(ذكر ابتداء ظهور السلطان محمد بن ملكشاه)

كان السلطان محمد وسنجر أخوين لام واب أمهما أم ولد ولما مات أبوهما ملكشاه كان محمد معه ببغداد فسار مع أخيه محمود وتركان خاتون زوجة والده الى أصبهان ولما حصر بركيارق أصبهان خرج محمد مختفيا ومضى الى والدته وهى فى عسكر أخيه بركيارق وقصد أخاه السلطان بركيارق وسار معه الى بغداد سنة ست وثمانين وأربعمائة وأقطعه بركيارق كنجة وأعمالها وجعل معه أتابكا له الامير قتلغ تكين فلما قوى محمد قتله واستولى على جميع أعمال اران الذى من جملته كنجة فعرف ذلك الوقت شهامة محمد وكان السلطان ملكشاه قد أخذ تلك البلاد من فضلون بن أبى الاسوار الروادى وسلمها الى سرهنك ساوتكين الخادم واقطع فضلون استراباذ وعاد فضلون ضمن بلاده ثم عصى فيها فلما قوى فارسل السلطان اليه الامير بوزان فحاربه واسره واقطع بلاده لجماعة منهم باغيسيان صاحب انطاكية ولما مات باغيسيان عاد ولده الى ولاية أبيه فى هذه البلاد وتوفى فضلون ببغداد سنة أربع وثمانين وهو على غاية من الاضاقة فى مسجد على دجلة وقد ذكرنا فيما تقدم تنقل الاحوال بمؤيد الملك عبيد الله بن نظام الملك وانه كان عند الامير أنر يحسن له عصيان السلطان بركيارق فلما قتل أنر سار الى الملك محمد فاشار عليه بمخالفة أخيه والسعى فى طلب السلطنة ففعل ذلك وقطع خطبة بركيارق من بلاده وخطب لنفسه بالسلطنة واستوزر مؤيد الملك واتفق قتل مجد الملك البلاسانى واستيحاش العسكر من السلطان بركيارق وفارقوه وساروا نحو السلطان محمد فلقوه بخرقان فصاروا معه وساروا نحو الرى وكان السلطان بركيارق لما فارقه عسكره سار مجدا الى الرى فاتاه بها الامير ينال بن أنوشتكين الحسامى وهو من أكابر الامراء ووصل اليه أيضا عز الملك منصور بن نظام الملك وأمه ابنة ملك الابخاز ومعه عساكر جمة فبلغه مسير أخيه محمد اليه فى العساكر فسار من الرى الى اصبهان فلم يفتح أهلها له الابواب فسار الى خوزستان على ما نذكره وورد السلطان محمد الى الرى ثانى ذى القعدة فوجد زبيدة خاتون والدة أخيه السلطان بركيارق قد تخلفت بعد ابنها فاخذها مؤيد الملك وسجنها فى القلعة واخذ خطها بخمسة آلاف دينار وأراد قتلها واشار عليه ثقاته ان لا يفعل ذلك فلم يقبل منهم وقالوا له العسكر محبون لولدها وانما استوحشوا منه لاجلها ومتى قتلت عدلوا اليه فلا تغتر بهؤلاء الجند فانهم غدروا بمن احسن اليهم أوثق ما كان بهم فلم يصغ الى قولهم ورفعها الى القلعة وخنقت وكان عمرها اثنتين واربعين سنة فلما استقر السلطان بركيارق مؤيد الملك رأى خطها فى تذكرته بخمسة آلاف دينار فكان اعظم الاسباب فى قتله

(ذكر الخطبة ببغداد للملك محمد)

لما قوى أمر السلطان محمد سار اليه سعد الدولة كوهرائين من بغداد وكان قد استوحش

يغفر ذنبه ولا تقال عثرته ويتبرأ منه كل من يعرفه وكذلك قبضوا على القلقات الذين يعوقهم الضوابط المقيدين بابواب المدينة مثل باب النصر وباب الفتوح والبرقية والباب الحديد بمنع النساء عن الخروج خوفا من خروج النساء القبالى وذهابهن الى ازواجهن واتفق انهم قبضوا على شخص فى هذه الايام يريد السفر الى ناحية قبلى ومعه تليس ففتشوه فوجدوا بداخله مراكيب ونعالات صرية ومغربية التى تسمى بالبلغ فقبضوا عليه واتهموه انه يريد الذهاب بذلك الى الامراء واتباعهم فنهبوا منه ذلك وغيره وقبضوا عليه وحبسوه واستمر محبوسا وكذلك اتفق ان الوالى ذهب الى جهة القرافة وقبض على اشخاص من التربية الذين يدفنون الموتى واتهمهم بان بعض اتباع الامراء القبالى يخرجون اليهم بالامتعة لاسيادهم ويخفونها عندهم بداخل القبور حتى يرسلوها الى اسيادهم فى الغفلات وضربهم وهجم على دورهم فلم يجد بها شيئا واجتمع عليه خدام الاضرحة واهل القرافة وشنعوا عليه وكادوا يقتلونه فهرب منهم وحضروا فى صبحها عند السيد عمر والمشايخ يشكون من الوالى وما فعله مع الحفارين ونحو ذلك فاعجب لهذا التناقض (وفيه) وصل مكتوب من كبير الانكليز لدى بالاسكندرية مضمونه طلب اسماء الاسرى من الانكليز والوصية بهم

من السلطان بركيارق فاجتمع هو وكربوقا صاحب الموصل وجكرمش صاحب الجزيرة وسرخاب بن بدر صاحب كنكور وغيرها فساروا الى السلطان محمد فلقوه بقم فردسعد الدولة الى بغداد وخلع عليه وسار كربوقا وجكرمش فى خدمته الى اصبهان ولما وصل كوهرائين الى بغداد خاطب الخليفة فى الخطبة للسلطان محمد فاجاب الى ذلك وخطب له يوم الجمعة سابع عشر ذى الحجة ولقب غياث الدنيا والدين

(ذكر قتل مجد الملك البلاساني)

قد ذكرنا تحكم مجد الملك ابى الفضل اسعد بن محمد فى دولة السلطان بركيارق وتمكنه منها فلما بلغ الغاية التى لا مزيد عليها جاءته نكبات الدنيا ومصائبها من حيث لا يحتسب واما سبب قتله فان الباطنية لما توالى منهم قتل الامراء الاكابر من الدولة السلطانية نسبوا ذلك اليه وانه هو الذى وضعهم على قتل من قتلوه وعظم ذلك قتل الامير برسق فاتهم اولاده زنكى واقبورى وغيرهما مجد الملك بقتله وفارقوا السلطان وسار السلطان الى زنجان لانه بلغه خروج السلطان محمد عليه على ما ذكرناه فطمع حينئذ الامراء فارسل اميرآخر وبلكابك وطغايرك بن اليزن وغيرهم الى الامراء بنى برسق يستحضرونهم اليهم ليتفقوا معهم على مطالبة السلطان بتسليم مجد الملك اليهم ليقتلوه فحضروا عندهم فارسلوا الى السلطان بركيارق وهم بسجاس مدينة قريبة من همذان يلتمسون تسليمه اليهم ووافقهم على ذلك العسكر جميعه وقالوا ان سلم الينا فنحن العبيد الملازمون للخدمة وان منعنا فارقنا واخذناه قهرا فمنع السلطان منه فارسل مجد الملك الى السلطان يقول له المصلحة ان تحفظ امراء دولتك وتقتلنى انت لئلا يقتلنى القوم فيكون فيه وهن على دولتك فلم تطب نفس السلطان بقتله وارسل اليهم يستحلفهم على حفظ نفسه وحبسه فى بعض القلاع فلما حلفوا اسلمه اليهم فقتله الغلمان قبل ان يصل اليهم فسكنت الفتنة ومن العجب انه كان لا يفارقه كفنه سفرا وحضرا ففى بعض الايام فتح خازنه صندوقا فرأى الكفن فقال وما اصنع بهذا ان امرى لا يؤل الى كفن والله ما بقى الاطريحا على الارض فكان كذلك ورب كلمة تقول لقائلها دعنى ولما قتل حمل راسه الى مؤيد الملك بن نظام الملك وكان مجد الملك خيرا كثير الصلاة بالليل كثير الصدقة لاسيما على العلويين وارباب البيوتات وكان يكره سفك الدماء وكان يتشيع الا انه كان يذكر الصحابة ذكرا حسنا ويلعن من يسبهم ولما قتل ارسل الامراء يقولون للسلطان المصلحة ان تعود الى الرى ونحن نمضى الى اخيك فنقاتله ونقضى هذا المهم فسار بعد امتناع وتبعه مائتا فارس لا غير ونهب العسكر سرادق السلطان ووالدته وجميع اصحابه وعاد الى الرى وسار العسكر الى السلطان محمد

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى شعبان وصل الكيا ابو الحسن على بن محمد الطبرى المعروف بالهراس الفقيه الشافعى ولقبه عماد الدين شمس الاسلام برسالة من السلطان بركيارق الى

الخليفة

اثر اسمهم كاهم يفعلون بالاسرى من العسكر ٢٠١ فانهم لما دخلوا الى الاسكندرية اكرموا من كان بها منهم واخذوا لهم بالسعر بمتاعهم واحوالهم الى حيث شاؤا وكذلك من اخذوه اسيرا فى حوايه رشيد

(واستهل شهر ربيع الاول بيوم السبت سنة ١٢٢٢) فيه كتبوا الكبير الانكليز جوابا عن رسالته (وفى يوم السبت خامس عشره) حضر على كاشف الكبير الالفى بكلام من طرف شاهين بك الالفى يعتذر عن التاخير الى هذا الوقت وانهم على صلحهم واتفاقهم الاول وحضورهم الى ناحية البحيرة وبات تلك الليلة فى بيته بمصر ثم اقام ثلاثة ايام ورجع الى مرسله وصحبته سليمان اغا الوكيل (وفيه) حضر عابدين بك اخو حسن باشا من ناحية بحرى وحضر ايضا فى اثره احمد اغا لاظ وغيره من ناحية بحرى وذلك انهم ذهبوا خلف الانكليز الى قرب معدية البحير فخرج عليهم طائفة الانكليز من البر والبحر وضربوا عليهم مدافع ونيرانا كثيرة فولوا راجعين وحضروا الى مصر (وفيه) حضر ايضا القبيال الكبير الانكليزى الذى كان ارسل بدلا عن ابن اخى عمر بك وقيل انه ابن اخى صالح قوش فلما وصل اليهم اجابوا بان المذكور سافر مع من سافر الى الروم

بمتاعهم واموالهم قبل الواقعة وحيث لم يكن المطلوب موجودا فلا وجه لابقاء الانكليزى المذكور فردوه

الخليفة وهو من اصحاب امام الحرمين ابي المعالي الجويني ومولده سنة خمسين واربعمائة واعتنى بامره مجد الملك البلاساني وقام له الوزير عميد الدولة بن جهير لما دخل عليه وفيها قتل أبو القاسم بن امام الحرمين ابي المعالي الجويني بنيسابور وكان خطيبها واتهم العامة أبا البركات الثعلبي بانه هو الذي سعى في قتله فوثبوا به فقتلوه واكلوا لحمه وفيها كان بخراسان غلاء شديد تعذرت فيه الاقوات ودام سنتين وكان سببه ان البرد اهلك الزروع جميعها ولحق الناس بعده وباء جارف فمات منهم خلق كثير عجزوا عن دفنهم لكثرتهم وفيها في شعبان توفي ابو الغنائم الفارقي الفقيه الشافعي بجزيرة ابن عمر وكان اماما فاضلا زاهدا وفيها في صفر توفي ابو عبد الله الحسين بن طلحة النعالي وعمره نحو تسعين سنة وكان عالي الاسناد في الحديث وقيل توفي سنة ثلاث وتسعين وفيها في شعبان توفي ابو غالب محمد بن علي بن عبد الواحد بن الصباغ الفقيه الشافعي تفقه على ابن عمه ابي نصر وكان حسن الخلق متواضعا

(ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين واربعمائة)

❁(ذكر اعادة خطبة السلطان بركيارق ببغداد)

في هذه السنة اعيدت الخطبة للسلطان بركيارق ببغداد وسبب ذلك ان بركيارق سار في العام الماضي من الري الى خوزستان فدخلها وجميع من معه على حال سيئة وكان امير عسكره حينئذ ينال بن انوشتكين الحسامي واتاه غيره من الامراء وسار الى واسط فظلم عسكره الناس ونهبوا البلاد واتصل به الامير صدقة بن مزيد صاحب الحلة ووثب على السلطان قوم ليقتلوه فاخذوا واحضروا بين يديه فاعترفوا ان الامير سرمز شحنة اصبهان وضعهم على قتله فقتل احدهم وحبس الباقون وسار الى بغداد فدخلها سابع عشر صفر وخطب له ببغداد يوم الجمعة منتصف صفر قبل وصوله بيومين وكان سعد الدولة كوهرائين بالشفيعي وهو في طاعة السلطان محمد فسار الى داي مرج ومعه ايلغازي بن ارتق وغيره من الامراء فارسل الى مؤيد الملك والسلطان محمد يستحثهما على الوصول اليه فارسلا اليه كربوقا صاحب الموصل وجكرمش صاحب جزيرة ابن عمر فاما جكرمش فاستاذن كوهرائين في العود الى بلده وقال انه قد اختلت الاحوال فاذن له وبقي مع كوهرائين جماعة من الامراء فاتفقوا على ان يصدروا عن رأي واحد ولا يختلفوا ثم اتفقت آراؤهم على ان كتبوا الى السلطان بركيارق يقولون له اخرج الينا فانا معك مقاتلين وكان الذي اشار بذا كربوقا وقال لكوهرائين انا لم نظفر من محمد ومؤيد الملك بطائل وكان منحرفا عن مؤيد الملك فسار بركيارق اليهم فترجلوا وقبلوا الارض وعادوا معه الى بغداد واعاد الى كوهرائين جميع ما كان اخذ له من سلاح ودواب وغير ذلك واستوزر بركيارق ببغداد الاعز ابا المحاسن عبد الجليل بن علي بن محمد الدهستاني وقبض على عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة وطالبه بالحاصل من ديار بكر والموصل لما تولاها هو وابوه ايام ملكشاه فاستقر الامر على مائة الف دينار وستين الف دينار

بعد ان رفعوا منزلته ورتبته عندهم فلما رجع الى مصر خلى سبيله الباشا ولم يحبسه مع الاسرى بل أطلق له الاذن أيضا في الرجوع الى الاسكندرية أو الى بلاده متى أحب واختار (وفي منتصفه) استوحش الباشا من ياسين بك وضاق خناقه منه وذلك انه لما حضر الى مصر وخلع عليه الباشا ودفع اليه ما كان وعده به من الاكياس وقدم له تقادم وانعامات على انه يسافر الى الاسكندرية لمحاربة الانكليز وطلب مطالب كثيرة له ولاتباعه وأخذ لهم الكساوي والسراويلات وأخذ جميع ما كان عند جبجي باشا من الاقمشة والخيام والجبخانه والاحتياجات من القرب وروايا الماء ولوازم العسكر في سفر البر والاغزة والمحاصرة الى غير ذلك وقلده أيضا كشوفية الشرقية وخرج هو بعرضيه وخيامه الى ناحية الحلي ببولاق فانضم اليه الكثير من العسكر والدلاتية وغيرهم وصار كل من ذهب اليه يكتبه في جملة عسكره فاجتمع عليه كل عاص وأزعر ومخالف وعاق وصرح بالخلاف وتطلعت نفسه للرياسة وكلما أرسل اليه الباشا يرده وينهاه عن فعله يعرض عن ذلك ويداخله الغرور وانتشرت أوباشه يعبثون في النواحي وبث أكابر جنده في القرى والبلدان وعينهم لجمع الاموال والمغارم الخارجة عن المعقول ومن خالفهم نهبوا قريته واحرقوها وأخذوا أهلها

فعند ذلك اخذ الباشا فى التدبير عليه واستمال العسكر المنضمين اليه وحل عرى رباطاته فلما كان فى ليلة

بحماها اليه وخلع الخليفة على السلطان بركيارق

(ذكر الوقعة بين السلطانين بركيارق ومحمد واعادة خطبة محمد ببغداد)

فى هذه السنة سار بركيارق من بغداد الى شهرزور فاقام بها ثلاثة ايام والتحق به عالم كثير من التركمان وغيرهم فسار نحو اخيه السلطان محمد ليحاربه فكاتبه رئيس همذان ليسير اليها ويأخذ اقطاع الامراء الذين مع اخيه فلم يفعل وسار نحو أخيه فوقع الحرب بينهم رابع رجب وهو المصاف الاول بين بركيارق وأخيه السلطان محمد باسبيذروز ومعناه النهر الابيض وهو على عدة فراسخ من همذان وكان مع محمد نحو عشرين الف مقاتل وكان محمد فى القلب ومعه الامير سرخز وعلى ميمنته أمير آخر وابنه اياز وعلى ميسرته مؤيد الملك والنظامية وكان السلطان بركيارق فى القلب ووزيره الاعز ابو المحاسن وعلى ميمنته كوهرائين وعز الدولة بن صدقة بن مزيد وسرخاب بن بدر وعلى ميسرته كربوقا وغيره فحمل كوهرائين من ميمنة بركيارق على ميسرة محمد وبها مؤيد الملك والنظامية فانهزموا ودخل عسكر بركيارق فى خيامهم فنهبوهم وحملت ميمنة محمد على ميسرة بركيارق فانهزمت الميسرة وانضافت ميمنة محمد اليه فى القلب على بركيارق ومن معه فانهزم بركيارق ووقف محمد مكانه وعاد كوهرائين من طلب المنهزمين الذين انهزموا بين يديه وكبا به فرسه فاتاه خراسانى فقتله واخذ رأسه وتفرقت عساكر بركيارق وبقى فى خمسين فارسا واما وزيره الاعز ابو المحاسن فانه اخذ اسيرا فاكرمه مؤيد الملك بن نظام الملك ونصب له خياما وخركاه وحمل اليه الفرش والكسوة وضمنه عمادة بغداد واعاده اليها وأمره بالمخاطبة فى اعادة الخطبة للسلطان محمد ببغداد فلما وصل اليها خاطب فى ذلك فاجيب اليه وخطب له يوم الجمعة رابع عشر رجب

(ذكر قتل سعد الدولة كوهرائين)

فى هذه السنة فى رجب قتل سعد الدولة كوهرائين فى الحرب المذكورة قبل وكان ابتداء امره انه كان خادما للملك أبى كاليجار بن سلطان الدولة بن بويه انتقل اليه من امرأة من قرقوب بخوزستان وكان اذا توجه الى الاهواز حضر عندها واستعرض حوائجها واصاب اهلها منه خيرا كثيرا فارسله أبو كاليجار مع ابنه أبى نصر الى بغداد فلما قبض عليه السلطان طغرلبك مضى معه الى قلعة طبرك فلما مات ابو نصر انتقل الى خدمة السلطان الب ارسلان ووقاه بنفسه لما جرحه يوسف الخوارزمى وكان ألب ارسلان قد اقطعه واسط وجعله شحنة ببغداد فلما قتل ألب ارسلان أرسله ابنه ملكشاه الى بغداد فاحضر له الخلع والتقليد ورأى مالم يره خادم قبله من نفوذ الامر وتمام القدرة وطاعة أعيان الامراء وخدمتهم اياه وكان حليما كريما حسن السيرة لم يصادر أحدا من اهل ولايته ومناقبه كثيرة

(ذكر حال السلطان بركيارق بعد الهزيمة وانهزامه من أخيه سنجر أيضا وقتل أمير داذ حبشى)

بعاء تاسع عشره امر عساكر الارنؤد بالاجتماع والخروج الى ناحية بولاق فخرجوا بجمعهم الى نواحى السبتية والخندق وأما لوابدنه وبين بولاق ومصر (وفى ليلة السبت) ركب الباشا بجنوده وخرج الى تلك الناحية وحصن أبواب المدينة بالعساكر وأيقن الناس بوقوع الحرب بين الفريقين وأرسل الباشا الى ياسين بك يقول له ان تستمر على الطاعة وتطرد عنك هذه اللموم وتكون من جملة كبار العسكر والا تذهب الى بلادك والا فانا واصل اليك ومحاربك فعند ذلك داخله الخوف وانحلت عزائم جيوشه وتفرق الكثير منهم فلما كان بعد الغروب طلب الركوب ولم يعلم عسكره أين يريد فركب الجميع وهم ثلاثة طوابير واشتبهت عليهم الطرق فى ظلام الليل فسار هو بفريق منهم الى ناحية الجبل على طريق حلق الجرة وفرقة سارت الى ناحية بركة الحاج والثالثة ذهبت على طريق القليوبية وفيهم ابوه فلما علم الباشا بركوبهم ركب خلفهم وذهب خلف الطائفة التى توجهت الى ناحية البركة حصة فلما علموا انفرادهم عن اميرهم رجعوا متفرقين فى النواحى ورجع الباشا الى داره ولم يزل ياسين بك فى سيره حتى نزل بمن معه فى التبين لما

لما انهزم السلطان بركيارق من أخيه السلطان محمد سار قليلا وهو في خمسين فارسا ونزل ليلة واستراح وقصد الرى وارسل الى من كان يعلم انه يريده ويؤثر دولته فاستدعاه فاجتمع معه جمع صالح فسار الى اسفراين وكاتب أميرداذ حبشى بن التونتاق وهو بدامغان يستدعيه فاجابه يشير عليه بالمقام بنيسابور حتى يأتيه وكان بيده حينئذ أكثر خراسان وطبرستان وجرجان فلما وصل بركيارق الى نيسابور قبض على رؤسائها وخرج بهم واطلقهم بعد ذلك وعسف بعميد خراسان أبي محمد وأبي القاسم بن أبي المعالى الجوينى فاما أبو القاسم فمات مسموما في قبضه وقد تقدم انه قتل سنة اثنتين وتسعين وعاد بركيارق فاستدعى أميرداذ فاعتذر بقصد السلطان سنجر بلاده في عساكر بلخ وسأل السلطان بركيارق ان يصل اليه ليعينه على الملك سنجر فسار اليه في ألف فارس فلم يعلم بقدومه الا الامراء الكبار من أصحاب سنجر ولم يعلم الاصاغر لئلا ينهزموا وكان مع الاميرداذ عشرون ألف فارس فيهم من رجالة الباطنية خمسة آلاف ووقع المصاف بين بركيارق وأخيه سنجر خارج النوشجان وكان الامير برغش في ميمنة سنجر والامير كندكز في ميسرته والامير رستم في القلب فحمل بركيارق على رستم فطعنه فقتله وانهزم اصحابه وأصحاب سنجر واشتغل العسكر بالنهب فحمل عليهم برغش وكندكز فقتلا المنهزمين وانهزم الرجالة الى مضيق بين جبلين فارسل عليهم الماء فاهلكهم ووقعت الهزيمة على اصحاب بركيارق وكان قد اخذ والدة اخيه سنجر لما انهزم اصحابه اولا فخافت ان يقتلها بامه فاحضرها وطيب قلبها وقال انما اخذتك حتى يطلق اخى سنجر من عنده من الاسرى ولست كفؤا لوالدتى حتى اقتلك فلما اطلق سنجر الاسرى اطلقها بركيارق وهرب اميرداذ الى بعض القرى واخذه بعض التركمان فاعطاه في نفسه مائة ألف دينار فلم يطلقه وحمله الى برغش فقتله وسار بركيارق الى جرجان ثم الى دامغان وسار في البرية ورؤى في بعض المواضع ومعه سبعة عشر فارسا وجمازة واحدة ثم كثر جمعه وصار معه ثلاثة آلاف فارس منهم جاولى سقاوه وغيره وساروا الى اصبهان بمكاتبة من اهلها فسمع السلطان محمد فسبقه اليها فعاد الى سميرم

(ذكر فتح تميم بن المعز مدينة سفاقس)

في هذه السنة فتح تميم بن المعز مدينة سفاقس وكان صاحبها حمو قد عاد فتغلب عليها واستدار بوزير كان عنده قد قصده وهو من كتاب المعز كان حسن الرأى والتدبير فاستقامت به دولته وعظم شأنه فارسل اليه تميم يطلبه ليستخدمه ووعده وبالغ في استمالته فلم يقبل فسير تميم جيشا الى حصار سفاقس وامر الامير الذى جعله مقدم الجيش ان يهدم ما حول المدينة ويحرقه ويقطع الاشجار سوى ما يتعلق بذلك الوزير فانه لا يتعرض اليه ويبالغ في صيانته ففعل ذلك فلما رأى حمو فعل بأملاك الناس ما عدا الوزير اتهمه فقتله فانحل نظام دولته وتسلم عسكر تميم المدينة وخرج حمو منها وقصد مكن بن كامل الدهمانى فاقام عنده فاحسن اليه ولم يزل عنده حتى مات

واستقر بها واما ابوه فانه التجا الى شيخ قليوب الشواربي فاستذله امانا وأحضر في ثاني يوم الى الباشا فالبسه فروة وأمره ان يلحق بابنه فنزل الى بولاق ونزل في مركب مسافرا (وفي يوم الاثنين رابع عشرينه) عين الباشا عسكرا ورؤساء عساكر وخيالة واصحب معهم شديدا وجملة من مراكب الحربيات للحوق بياسين بك ومحاربته ولما نزل ياسين بك بناحية التبين نهب قرى الناحية باسرها مثل التبين وحلوان وطرا والمعصرة والبساتين وفعلوا بها افاعيلهم الشنيعة من السلب والنهب وأخذ النساء ونهب الاجران والغلال والاتبان والمواشى واخذ الكلف الشاقة ومن عجز عن شيء من مطلوباتهم احرقوه بالنار (وفي يوم الخميس) رجع العسكر والعربان الذين كانوا ذهبوا لمحاربة ياسين بك وذلك انهم لما قربوا منه وطاقهم ارتحل الى صول والبرنبل فولوا راجعين وتمموا في ذهابهم وايابهم تدمير القرى (وفيه) ورد قاصد قابجى من اسلامبول وعلى يده مرسوم بالبشارة بولاية السيد على باشا قبودان الدونانمه وتاريخه نحو ثلاثة أشهر فضربوا لقدومه المدافع من القلعة (وفي يوم السبت تاسع عشرينه) رجع سليمان اغا من قبلى الى مصر واخبر بقرب قدوم الامراء المصريين وان شاهين بك وصل الى زاوية المصلوب وابراهيم بك جهة قنا العروس وانهم يستدعون

❊(ذكر عزل عميد الدولة من وزارة الخليفة ووفاته)❊

لما اطلق مؤيد الدولة وزير السلطان محمد الاعز ابا المحاسن وزير بركيارق وضمنه عمادة بغداد امره ان يخاطب الخليفة بعزل وزيره عميد الدولة بن جهير فسار من العسكر وسمع عميد الدولة الخبر فامر الاصبهبذ صباوة بن خمارتكين بالخروج الى طريق الاعز وقتله وكان الاصبهبذ قد حضر الحرب مع بركيارق ولما انهزم العسكر قصد بغداد فخرج الى طريق الاعز ابى المحاسن فلقيه قريبا من يعقوبا فاوقع بمن معه والتجا الاعز الى القرية واحتمى فلما رأى الاصبهبذ صباوة ذلك ارسل اليه يقول له انك وزير السلطان بركيارق وأنا مملوكه فان كنت على خدمته فاخرج الينا حتى نسير الى بغداد ونقيم الخطبة للسلطان وانت الصاحب الذى لا يخالف وان لم تجب الى هذا فبيننا غير السيف فاجابه الاعز الى ذلك واجتمع فعرفه صباوة الذى امره به عميد الدولة من قتله وباتا تلك الليلة وارسل الاعز الى الامير ايلغازى بن ارتق وكان قد ورد فى صحبته وفارقه نحو الراذان فحضر فى الليل فانقطع حينئذ امل صباوة منه وفارقه وسار الاعز الى بغداد وخاطب فى عزل عميد الدولة فعزل فى رمضان واخذ من ماله خمسة وعشرون الف دينار وقبض عليه وعلى اخوته وبقى معزولا الى سادس عشر شوال فتوفى محبوسا فى دار الخلافة ومولده فى المحرم سنة خمس وثلاثين واربعمائة وكان عاقلا كريما حليما الا انه كان عظيم الكبر يكاد يعد كلامه عدا وكان اذا كلم انسانا كلمات يسيرة هنئ ذلك الرجل بكلامه

❊(ذكر ظفر المسلمين بالفرنج)❊

فى ذى القعدة من هذه السنة لقى كمشتكين بن الدانشمند طايلو وانما قيل له ابن الدانشمند لان اباه كان معلما للتركمان وتقلبت به الاحوال حتى ملك وهو صاحب ملطية وسيواس وغيرهما بيمند الفرنجى وهو من مقدمى الفرنج قريب ملطية وكان صاحبها قد كاتبه واستقدمه اليه فورد عليه فى خمسة آلاف فلقيهم ابن الدانشمند فانهزم بيمند واسر ثم وصل من البحر سبعة قامصة من الفرنج وارادوا تخليص بيمند فاتوا الى قلعة تسمى انكورية فاخذوها وقتلوا من بها من المسلمين وساروا الى قلعة أخرى فيها اسمعيل بن الدانشمند وحصروها فجمع ابن الدانشمند جمعا كثيرا ولقى الفرنج وجعل له كمينا وقاتلهم وخرج الكمين عليهم فلم يفلت احد من الفرنج وكانوا ثلثمائة ألف غير ثلاثة آلاف هربوا ليلا وافلتوا مجروحين وسار ابن الدانشمند الى ملطية فملكها واسر صاحبها ثم خرج اليه عسكر الفرنج من انطاكية فلقيهم وكسرهم وكانت هذه الوقائع فى شهور قريبة

❊(ذكر عدة حوادث)❊

فى هذه السنة زاد امر العيارين بالجانب الغربى من بغداد فى شعبان وعظم ضررهم فامر الخليفة كمال الدولة يمن بتهذيب البلد فاخذ جماعة من اعيانهم وطلب الباقين فهربوا

(واستهل شهر ربيع الثانى بيوم الاثنين سنة ١٢٢٢)

اليهم مصطفى أغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجى فيتسافر مصطفى أغا والصابونجى الى جهة قبلى وصحبتهما كتخدا القاضى (وفى سادسه) وصل شخص ططرى وعلى يده مرسوم فعمل الباشا ديوانا وقرأ المرسوم بحضرة الجمع مضمونه ان العرضى الهمايونى الموجه لحرب الموسكوب خرج من اسلامبول وذهب الى ناحية أدرنه وان العساكر سارت لمحاربة الاعداء ويذكرون فيه أن بشائر النصر حاصلة وقد وصل رؤس قتلى واسرى كثيرة وانه بلغ الدولة ورود نحو الاربع عشرة قطعة من المراكب الى ثغر الاسكندرية وان الكائنين بالثغر تراخوا فى حربهم حتى طلعوا الى الثغر فمن اللازم الاهتمام وخروج العساكر لمحاربتهم ودفعهم وطردهم عن الثغر وقد ارسلنا البيورلديات الى سليمان باشا والى صيدا والى يوسف باشا والى الشام بتوجيه العساكر الى مصر للمساعدة وان لزم الحال لحضور المذكورين لتمام المساعدة على دفع العدو الى آخر ما نمقوه وسطروه ومحل القصد من ورود هذه البيورلديات والفرمانات والاغوات والقبيجيات انما هو جر المنفعة لهم بما يأخذونه من خدمهم وحق طريقهم من الدراهم والتقادم والهدايا فان القادم منهم اذا ورد استعد والقدومه فان كان وفيها

وفيها أيضا انحطت الاسعار بالعراق وكان الكر الحنطة قد بلغ سبعين دينارا وربما
زاد كثيرا في بعض الاوقات وانقطعت الامطار ويبست الانهار وكثر الموت حتى عجزوا
عن دفن الموتى فحمل في بعض الاوقات ستة اموات على نعش واحد وعدمت الادوية
والعقاقير وفيها في رجب سار بيمند الفرنجي صاحب انطاكية الى قلعة قامية فحصرها
وقاتل أهلها اياما وافسد زروعها ثم رحل عنها وفيها في آخر رمضان قتل الامير
بلكابك سرمز باصبهان بدار السلطان محمد وكان كثير الاحتياط من الباطنية لا يفارقه
لبس الدرع ومن يمنع عنه ففي ذلك اليوم لم يلبس درعا ودخل دار السلطان في قلة فقتله
الباطنية فقتل واحد ونجا آخر وفيها توفي أبو الحسن البسطامي الصوفي ورباطه مشهور
على دجلة غربي بغداد بازاء أبو الغنائم بن المحلبان وفيها مات أبو نصر بن ابي عبد الله بن
جردة واصله من عكبرا واليه ينسب مسجد ابن جردة وخرابة ابن جردة ببغداد وفيها توفي
أبو علي يحيى بن جزلة الطبيب وكان نصرانيا فاسلم وهو مصنف كتاب المنهاج وفيها في
شوال توفي عبد الرزاق الصوفي الغزنوي المقيم برباط عتاب وحج عدة حجات على التجريد
ولم يخلف ما يكفن فيه فقالت زوجته اذا مت افتضحنا قال لم تفتضح قالت لانك ليس
لك ما تكفن فيه فقال انما افتضح اذا خلفت ما اكفن فيه وفيها في رمضان توفي عز
الدولة أبو المكارم محمد بن سيف الدولة صدقة بن مزيد

(ثم دخلت سنة اربع وتسعين واربعمائة)

(ذكر الحرب بين السلطان بركيارق ومحمد وقتل مؤيد الملك)

في هذه السنة ثالث جمادى الآخرة كان المصاف الثاني بين السلطان بركيارق
والسلطان محمد وقد ذكرنا سنة ثلاث وتسعين انهزام السلطان بركيارق من اخيه
السلطان محمد وتنقله في البلاد الى اصبهان وانه لم يدخلها وسار منها الى خوزستان
واتى عسكر مكرم فاتاه الاميران زنكي والبكي ابنا برسق وصارا معه واقام بها شهرين
وسار منها الى همذان فاتصل به الامير اياز وكان سبب ذلك ان امير آخر قدمات
مذ قريب فاتهم اياز مؤيد الملك بانه سقاه السم وقوى ذلك عنده ان وزير امير آخر
هرب عقيب موته فازداد ظن اياز باتهامه فظفر بالوزير فقتله وكان اياز قد اتخذه امير
آخر ولدا واتصل به العسكر ووصى له بجميع ماله فحين استوحش لهذا السبب كاتب
السلطان بركيارق واتصل به ومعه خمسة آلاف فارس وصار من جملة عسكره وسار
السلطان محمد الى لقاء أخيه فلما تقارب العسكران استامن الامير سرخاب بن كيخسرو
صاحب آوة الى السلطان بركيارق فاكرمه ووقع المصاف ثالث جمادى الآخرة وكان مع
السلطان بركيارق خمسون الفا ومع أخيه السلطان محمد خمسة عشر الفا فالتقوا فاقتتلوا
يومهم اجمع وكان النفر بعد النفر يستامنون من عسكر محمد الى بركيارق فمن حسن اليمن
ومن العجب الدال على الظفران جماعة بركيارق احتاجوا الى ترس فوصل اليه يوم
المصاف بكرة اثنا عشر حملا سلاحا من همذان منها ثمانية احمال ترامس ففرقت فيهم

ذا قدر ومنزلة أهدواله منزلا يليق به وقاموا بالفرش والادوات اللازمة وخصوصا اذا كان حضر في امرهم او
لتقرير المتولي على السنة
الجديدة او بصحبته خلع رضا
وهدايا فانه يقابل بالاعزاز
والتكبير ويشاع خبره قبل
وروده الى الاسكندرية ويأتي
المبشرون بوروده من الططر
قبل خروجه من دار السلطنة
بنحو شهر او شهرين ويأخذون
خدمتهم وبشارتهم بالاكياس
واذا وصل هو ادخلوه في
موكب جليل وحملوا اليه ديوانا
ومدافع وشنكا وانزل في
المنزل المعد له واقامت عليه
التقادم والهدايا من المتولي
واعيان دولته ورتب له
الرواتب والمصاريف لما كله
هو واتباعه لمطبخه وشرابه
خانته ايام مكثه شهرا او شهورا
ثم يعطي من الاكياس قدرا
عظيما وذلك خلاف هدايا
الترحيلة من قدور الشربات
المتنوعة والسكر المكرر
وانواع الطيب كالعود والعنبر
والاقمشة الهندية والمقصبات
لنفسه ورجال دولته وان
كان دون ذلك انزلوه بمنزل
بعض الاعيان باتباعه وخدمه
ومتاعه في اعز مجلس ويقوم
رب المنزل بمصرفهم ولوازمهم
وكلفهم وما تستدعيه شهوات
انفسهم ويرون ان لهم المنة
عليه بنزولهم عنده ولا يرون له
فضلا بل ذلك واجب عليه
وفرض يلزمه القيام به مع
التسامر عليه وعلى اتباعه ويلاث على ذلك شهورا حتى يأخذ خدمته ويقبض اكياسه وبعد ذلك كله يلزم

فلما وصلت نزل السلطان بركيارق وصلى ركعتين شكر الله تعالى ولم يزل القتال بينهم الى آخر النهار فانهزم السلطان محمد وعسكره وأسر مؤيد الملك أسره غلام لمجد الملك البلاساني وأحضر عند السلطان بركيارق فسبه واوقفه على ما اعتمده معه من سب والدته مرة ونسبته الى مذهب الباطنية اخرى ومن حمل اخيه محمد على عصيانه والخروج عن طاعته الى غير ذلك ومؤيد الملك ساكت لا يعيد كلمة فقتله بركيارق بيده والقى على الارض عدة ايام حتى سال الامير اياز في دفنه فاذن فيه فحمل الى تربة ابيه باصبهان فدفن معه وكان بخيلا سيئ السيرة مع الامراء الا انه كان كثير المكر والحيل في اصلاح امر الملك وكان عمره لما قتل نحو خمسين سنة وكان السلطان بركيارق قد استوزر في صفر الاعز ابا المحاسن عبد الجليل بن علي الدهستاني فلما قتل مؤيد الملك أرسل الوزير أبو المحاسن رسولا الى بغداد وهو ابو ابراهيم الاستراباذي لاخذ اموال مؤيد الملك فنزل ببغداد بدار مؤيد الملك وسلم اليه محمد الشرابي وهو وابن خالة مؤيد الملك فاخذت منه الاموال والجواهر بعد مكروه اصابه وعذاب ناله واخذ له ذخائر من مواضع اخر ببلاد العجم منها قطعة بلخش وزنها احد وار بعون مثقالا ولما فرغ السلطان بركيارق من هذه الوقعة سار الى الري فوصل اليه هناك قوام الدولة كربوقا صاحب الموصل ونور الدولة دبيس بن صدقة بن مزيد

●(ذكر حال السلطان محمد بعد الهزيمة واجتماعه باخيه الملك سنجر)●

لما انهزم السلطان محمد سار طالبا خراسان الى اخيه سنجر وهما لام واحدة فاقام بجرجان وراسل اخاه يطلب منه مالا وكسوة وغير ذلك فسير اليه ما طلب وترددت الرسل بينهما حتى تحالفا واتفقا ولم يكن بقي مع السلطان محمد غير امير ين في نحو ثلثمائة فارس فلما استقرت القواعد بينهما سار الملك سنجر من خراسان في عساكره نحو اخيه السلطان محمد فاجتمعا بجرجان وساروا منها الى دامغان فخربها العسكر الخراساني وهرب اهلها الى قلعة كردكوه وخرب العسكر ما قدروا عليه من البلاد وعم الغلاء تلك الاصقاع حتى اكل الناس الميتة والكلاب واكل الناس بعضهم بعضا وساروا الى الري فلما وصلوا اليها انضم اليهم النظامية وغيرهم فكثر جمعهم وعظمت شوكتهم وتمكنت من القلوب هيبتهم

●(ذكر ما فعله السلطان بركيارق ودخوله بغداد)●

لما كان السلطان بركيارق بالري بعد انهزام اخيه محمد اجتمعت عليه العساكر الكثيرة فصار معه نحو مائة الف فارس ثم انهم ضاقت عليهم الميرة فتفرقت العساكر وعاد دبيس بن صدقة الى ابيه وخرج الملك مودود بن اسمعيل بن ياقوتي باذربيجان فسير اليه قوام الدولة كربوقا في عشرة آلاف فارس واستاذن الامير اياز في أن يقصد داره بهمذان يصوم بها شهر رمضان ويعود بعد الفطر فاذن له وتفرقت العساكر لمثل ذلك وبقي في العدد القليل فلما بلغه ان أخويه قد جمعا الجموع وحشدا الجنود وانهما

لصاحبه المنزل ان يقدم له هدية ليخبر ج من عنده شاكرا ومثنيا عليه عند مخدومه واهل دولته اقضية بحبار العقل والنقل في تصورها (وفي يوم الاحد سابعه) وصلت القافلة والحجاج من ناحية القلزم على مرسى السويس وحضر فيها اغوات الحرم والقاضي الذي توجه لقضاء المدينة وهو المعروف بسعد بك وكذلك خدام الحرم المكي وقد طردهم الوهابي جميعا واما القاضي المنفصل فنزل في مركب ولم يظهر خبره وقاضي مكة توجه بصحبة الشاميين واخبر الواصلون انهم منعوا من زيارة المدينة وان الوهابي اخذ كل ما كان في الحجرة النبوية من الذخائر والجواهر وحضر أيضا الذي كان أميرا على ركب الحجاج وصحبته مكاتبة من مسعود الوهابي ومكتوب من شريف مكة واخبروا انه امر بحرق المحمل واضطربت أخبار الاخبار بين من الوهابي بحسب الاغراض ومكاتبة الوهابي بمعنى الكلام السابق في نحو الكراسة وذكر فيها ما ينسبونه الناس اليه من الاقوال المخالفة لقواعد الشرع ويتبرأ عنها (وفيه ورد الخبر) بان ابراهيم بك وصل لبني سويف وان شاهين بك ذهب الى الفيوم لاختلاف وقع بينهم وان أمين بك واحمد بك الالفيين ذهبا الى ناحية الاسكندرية للانكليز (وفيه) كمل تحرير دفاتر الفرضة والمظالم التي ابتدعوها في العام الماضي لما

لما بلغهما قلة من معه جدا في المسير اليه وطويا المنازل ليعاجلاه قبل ان يجمع جموعه وعساكره فلما قاربا سار من مكانه وقد طمع فيه من كان يهابه وايس منه من كان يرجوه فقصد نحو همذان ليجتمع هو واياز فبلغه ان ايازا قد راسل السلطان محمدا ليكون معه ومن جملة أعوانه خوفا على ولايته وهي همذان وغيرها فلما سمع ذلك عاد عنها وقصد خوزستان فلما قرب من تستر كتب الامراء بني برسق يستدعيهم اليه فلم يحضروا لما علموا ان ايازا لم يحضر وللخوف من السلطان محمد فسار نحو العراق فلما بلغ حلوان اتاه رسول الامير اياز يسال التوقف ليصل اليه وسبب ذلك أن ايازا راسل السلطان محمدا في الانضمام اليه والمصير في جملة عسكره فلم يقبله وسير العساكر الى همذان ففارقها منهزما ولحق بالسلطان بركيارق فاقام السلطان بركيارق بحلوان ووصل اليه اياز وساروا جميعهم الى بغداد واخذ عسكر محمد ما تخلف للامير اياز بهمذان من مال ودواب وبرك وغير ذلك فانه اعجل عنه وكان من جملته خمسمائة حصان عربية قيل كان يساوي كل حصان منها ما بين ثلثمائة دينار الى خمسمائة دينار ونهبوا داره وصادروا جماعة من اصحابه وصودر رئيس همذان بمائة الف دينار ولما وصل اياز الى بركيارق تكاملت عدتهم خمسة آلاف فارس وقد ذهبت خيامهم وثقلهم ووصل بركيارق الى بغداد سابع عشر ذي القعدة وأرسل الخليفة الى طريقه امين الدولة بن موصلايا يلتقيه في الموكب ولما كان عيد الاضحى أنفذ الخليفة منبرا الى دار السلطان وخطب عليه الشريف أبو الكرم وصلى صلاة العيد ولم يحضر بركيارق لانه كان مريضا وضاقت الاموال على بركيارق فلم يكن عنده ما يخرجه على نفسه وعلى عساكره فارسل الى الخليفة يشكو الضائقة وقلة المال ويطلب ان يعان بما يخرجه فتقرر الامر بعد المراجعات على خمسين ألف دينار حملها الخليفة اليه ومد بركيارق واصحابه أيديهم الى أموال الناس فعم ضررهم وتمنى أهل البلاد زوالهم عنهم ودعتهم الضرورة الى ان ارتكبوا خطة شنعاء وذلك انه قدم عليهم أبو محمد عبيد الله بن منصور المعروف بابن صليحة قاضي جبلة من بلاد الشام وصاحبها منهزما من الفرنج على ما نذكره ومعه أموال جليلة المقدار فاخذوها منه

(ذكر خلاف صدقة بن مزيد على بركيارق)

في هذه السنة خرج الامير صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد صاحب الحلة عن طاعة السلطان بركيارق وقطع خطبته من بلاده وخطب فيها للسلطان محمد وسبب ذلك ان الوزير الاعز أبا المحاسن الدهستاني وزير السلطان بركيارق أرسل الى صدقة يقول له قد تخلف عندك لخزانة السلطان ألف ألف دينار وكذا وكذا دينارا للسنين كثيرة فان أرسلتها والا سيرنا العساكر الى بلادك وأخذناها منك فلما سمع هذه الرسالة قطع الخطبة وخطب لمحمد فلما وصل السلطان بركيارق الى بغداد على هذه الحال ارسل اليه مرة بعد مرة يدعوه الى الحضور عنده فلم يجب الى ذلك فارسل اليه الامير اياز يشير

على القراريط واقطاعات الاراضي وكذلك أخذ نصف فائظ الملتزمين ١٢٧ وعينوا المعينين لتحصيله من المزارعين وذلك خلاف ما فرضوه على البنادر من الاكياس الكثيرة المقادير (وفي ذلك اليوم) أرسل الاغا والى الشرطة اتباعهما لارباب الصنائع والحرف والبوابين بالوكائل والخانات يأمرونهم بالحضور من الغد الى بيت القاضي فانزعجوا من ذلك ولم يعلموا الاى شئ هذا الطلب وهذه الجمعية وباتوا متفكرين ومتوهمين فلما اصبح يوم الاثنين واجتمع الناس ابرزوا لهم مرسوما قرئ عليهم بسبب زيادة صرف المعاملة وذلك ان الريال الفرانسه وصلت مصارفته الى مائتين وعشرة من الانصاف العددية والمحبوب الى مائتين وعشرين واكثر والمشخص البندقي وصل الى اربعمائة واربعين فضة ونحو ذلك فلما قرؤا عليهم المرسوم وامروهم بعدم الزيادة وان يكون صرف الفرانسه بمائتين فقط والمحبوب بمائتين وعشرين فضة والبندقي باربعمائة وعشرين فلما سمعوا ذلك قالوا نحن ليس لنا علاقة بذلك هذا الامر منوط بالصيارف وانفض المجلس (وفيه) وصلت مكاتبة من ابراهيم بك ومن الرسل مضمونها الاخبار بقدومهم وأرسل ابراهيم بك يستدعي اليه ابنه الصغير وولد ابنته نور الدين ويطلب بعض لوازم وامتعة (وفي يوم السبت

عليه بقصد خدمة السلطان و يضمن له كل ما يريده فقال لا أحضر ولا أطيع السلطان الا اذا سلم وزيره أبا المحاسن الي وان لم يفعل فلا يتصور مني الحضور عنده أبدا و يكون في ذلك ما يكون فان سلمه الي فانا العبد المخلص في العبودية بالحسن والطاعة فيجب الى ذلك فتم على مقاطعته وارسل الى الكوفة وطرد عنها النائب بها عن السلطان واستضافها اليه

(ذكر وصول السلطان محمد الى بغداد ورحيل السلطان بركيارق عنها)

في هذه السنة في السابع والعشرين من ذي الحجة وصل السلطان محمد وسنجر الى بغداد وكان السلطان محمد لما استولى على همذان وغيرها سار الى بغداد فلما وصل الى حلوان سار اليه ايلغازي بن ارتق في عساكره وخدمه واحسن في الخدمة وكان عسكر محمد يزيد على عشرة آلاف فارس سوى الاتباع فلما وصلت الاخبار بذلك كان بركيارق على شدة من المرض يرجف عليه خواصه بكرة وعشيا فهاج أصحابه وخافوا واضطربوا وحاروا وعبروا به في محفة الى الجانب الغربي فنزلوا بالرملة ولم يبق ا بركيارق غير روح يتردد وتيقن اصحابه موته وتشاوروا في كفنه وموضع دفنه فبينما هم كذلك اذ قال لهم اني اجد نفسي قد قويت وحركتي قد تزايدت فطابت نفوسهم وساروا وقد وصل العسكر الآخر فتراءى الجمعان بينهما دجلة وجرى بينهما مراماة وسباب وكان أكثر ما يسبهم عسكر محمد يا باطنية يعيرونهم بذلك ونهبوا البلاد في طريقهم الى ان وصلوا الى واسط ووصل السلطان محمد الى بغداد فنزل بدار المملكة فبرز اليه توقيع الخليفة المستظهر بالله يتضمن الامتعاض من سوء سيرة بركيارق ومن معه والاستبشار بقدومه وخطب له بالديوان ونزل الملك سنجر بدار كوهرائين وكان محمد قد استوزر بعد مؤيد الملك خطير الملك ابا منصور محمد بن الحسين وقدم اليه في المحرم سنة خمس وتسعين الامير سيف الدولة صدقة وخرج الخلق كلهم الى لقائه

(ذكر حال قاضي جبلة)

هو أبو محمد عبيد الله بن منصور المعروف بابن صليحة وكان والده رئيسها ايام كان الروم مالكين لها على المسلمين يقضي بينهم فلما ضعف أمر الروم وملكها المسلمون وصارت تحت حكم جلال الملك ابي الحسن علي بن عمار صاحب طرابلس كان منصور على عادته في الحكم فيها فلما توفي منصور واقام ابنه أبو محمد مقامه واحب الجندية واختار الجند فظهرت شهامته فاراد ابن عمار ان يقبض عليه فاستشعر منه وعصى عليه واقام الخطبة العباسية فبذل ابن عمار لدقاق بن تتش مالا ليقصده ويحصره ففعل وحصره فلم يظفر منه بشيء واصيب صاحبه أتابك طغتكين بنشابة في ركبته وبقي أثرها وبقي أبو محمد بها مطاعا الى ان جاء الفرنج لعنهم الله فحصروها فاظهر ان السلطان بركيارق قد توجه الى الشام وشاع هذا فرحل الفرنج فلما تحققوا اشتغال السلطان عنهم عاودوا حصاره فاظهر ان المصريين قد توجهوا لحربهم فرحلوا ثانيا ثم عادوا

(...) سافر اولاد ابراهيم بك والمطلوبات التي ارسل بطلبها وصحبتهم فراشون وباعة ومتسببون وغير ذلك (وفي يوم الاثنين) ورد سلحدار موسى باشا وعلى يده مرسوم بالعربي وآخر بالتركي مضمونهما جواب رسالة ارسلت الى سليمان باشا بمكاتبة بخبر حادثة الانكليز وملخصها انه ورد علينا جواب من سليمان باشا يخبر فيه بوصول طائفة الانكليز الى ثغر سكندرية ودخولهم اليها بمخامرة أهلها ثم زحفهم الى رشيد وقد حاربتهم أهل البلاد والعساكر وقتلوا الكثير منهم وأسروا منهم كذلك وتؤكد على محمد باشا والعلماء وأكابر مصر بالاستعداد والمحافظة وتحصين الثغور مثل السويس والقصير ومحاربة الكفار واخراجهم وابعادهم عن الثغر وقد وجهنا الكل من سليمان باشا ويوسف باشا بتوجيه ماتريدون من العساكر للمساعدة ونحو ذلك (وفيه) احضروا أربعة رؤس من الانكليز وخمسة أشخاص أحياء فروا بهم من وسط المدينة ذكروا ان كاشف دمنهور حارب ناحية الاسكندرية فقتل منهم وأسر هؤلاء وقيل انهم كانوا يسيرون لبعض أشغالهم نواحي الريف فبلغ الكاشف خبرهم فاحاط بهم وفعل بهم مافعل وارسلهم الى مصر وهم ليسوا من المعتبرين وكانهم مالطية وقيل انهم سالوهم فقالوا نحن متسببون طلعنا ناحية أبي قير وتهنا عن الطريق فصادفونا ونحن فقرا

فقرروا مع النصارى الذين بها ان يراسلوا الفرنج ويواعدوهم الى برج من أبراج البلد ليسلموه اليهم ويملكوا البلد فلما اتتهم الرسالة جهزوا نحو ثلثمائة رجل من أعيانهم وشجعانهم فتقدموا الى ذلك البرج فلم يزالوا يرقون فى الحبال واحدا بعد واحد وكلما صار عند ابن صليحة وهو على السور رجل منهم قتله الى ان قتلهم أجمعين فلما أصبحوا رمى الرؤس اليهم فرحلوا عنه وحصروه مرة أخرى ونصبوا على البلد برج خشب وهدموا برجا من ابراجه وأصبحوا وقد بناه أبو محمد ثم نقب فى السور نقوبا وخرج من الباب وقاتلهم فانهزم منهم وتبعوه فخرج أصحابه من تلك النقوب فاتوا الفرنج من ظهورهم فولوا منهزمين وأسر مقدمهم المعروف بكند اصطبل فافتدى نفسه بمال جزيل ثم علم انهم لا يقعدون عن طلبه وليس له من يمنعهم عنه فارسل الى طغتكين أتابك يلتمس منه انفاذ من يثق به ليسلم اليه ثغر جبلة ويحميه ليصل هو الى دمشق بماله وأهله فاجابه الى ما التمس وسير اليه ولده تاج الملوك بورى فسلم اليه البلد ورحل الى دمشق وساله ان يسيره الى بغداد ففعل وسيره ومعه من يحميه الى ان وصل الى الانبار ولما صار بدمشق أرسل ابن عمار صاحب طرابلس الى الملك دقاق وقال تسلم الى ابن صليحة عريانا وخذ ماله اجمع وأنا أعطيك ثلثمائة ألف دينار فلم يفعل فلما وصل الى الانبار أقام بها أياما ثم سار الى بغداد وبها السلطان بركيارق فلما وصل أحضره الوزير الاعز أبو المحاسن عنده وقال له السلطان محتاج والعساكر يطالبونه بمالهم عنده ونريد منك ثلاثين ألف دينار وتكون لك منة عظيمة تستحق بها المكافأة والشكر فقال السمع والطاعة ولم يطلب ان يحط شيئا وقال ان رحلى ومالى فى الانبار بالدار التى نزلتها فارسل الوزير اليها جماعة فوجدوا فيها مالا كثيرا واعلاقا نفيسة فمن جملة ذلك ألف ومائة قطعة مصاغا عجيب الصنعة ومن الملابس والعمائم التى لا يوجد مثلها اشئ كثير * كان ينبغى ان نذكر هذه الحوادث التى بعد انهزام السلطان محمد الى ههنا بعد قتل الباطنية فانها كانت أواخر السنة وكان قتلهم فى شعبان وانما قدمناه لنتبع بعض الحادثة بعضا لا يفصل بينها شئ وأما تاج الملوك بورى فانه لما ملك جبلة وتمكن منها اساء السيرة هو وأصحابه مع أهلها وفعلوا بهم أفعالا أنكروها فراسلوا القاضى فخر الملك أبا على عمار بن محمد بن عمار صاحب طرابلس وشكوا اليه ما يفعل بهم وطلبوا منه ان يرسل اليهم بعض أصحابه ليسلموا اليه البلد ففعل ذلك وسير اليهم عسكرا فدخلوا جبلة واجتمعوا باهلها وقاتلوا تاج الملوك ومن معه فانهزم الاتراك وملك عسكر ابن عمار جبلة واخذوا تاج الملوك اسيرا وحملوه الى طرابلس فاكرمه ابن عمار واحسن اليه وسيره الى أبيه بدمشق واعتذر اليه وعرفه صورة الحال وانه خاف أن يملك الفرنج جبلة

(ذكر قتل الباطنية)

فى هذه السنة فى شعبان أمر السلطان بركيارق بقتل الباطنية وهم الاسماعيلية وهم الذين كانوا قديما يسمون قرامطة ونحن نبتدئ باول أمرهم الآن ثم بسبب قتلهم فنقول

قصة لا غير فأخذونا وقتلوا منا من قتلوه وابقونا (وفيه) وصلت مكاتبة من ابراهيم بك وارسل الباشا اليهم جوابا صحبة انسان يسمى شريف أغا (وفى يوم الثلاثاء ثالث عشرينه) وردت اخبار من ناحية الشام بانه وقع باسلامبول فتنة بين الينكجرية والنظام الجديد وكانت الغلبة للينكجرية (وعزلوا) السلطان سليم وولوا السلطان مصطفى ابن عمه وهو ابن السلطان عبد الحميد بن أحمد وخطب له ببلاد الشام (وفى يوم الخميس) وصل ططرى من طريق البر بتحقيق ذلك الخبر وخطب الخطباء للسلطان مصطفى على منابر مصر وبلاد مصر وبولاق وذلك يوم الجمعة سادس عشرينه (وفى اواخره) أحدثوا طلب مال الاطيان المسموح الذى لمشايخ البلاد وعمروا به دفترا وشرعوا فى تحصيله وهى حادثة لم يسبق مثلها اضرت بمشايخ البلاد وضيقت عليهم معاشهم ومضايفهم (وفيه) كتبوا أوراقا للبلاد والاقاليم بالبشارة بتولية السلطان الجديد وعينوا بها المعينين وعلى احق الطرق مبالغ لها صورة وكل ذلك من التحيل على سلب اموال الناس (وفيه) كتبوا مراسلة الى الامراء القبليين بالصلح وارسلوا بها ثلاثة من الفقهاء وهم الشيخ سليمان الفيومى والشيخ ابراهيم السجينى والسيد محمد الدواخلى وذلك انه لما رجع شريف اغا الذى كان توجه اليهم بمراسلتهم

ما عرف من أحوالهم أعني هذه الدعوة الاخيرة التي اشتهرت بالباطنية والاسماعيلية في أيام السلطان ملكشاه فانه اجتمع منهم ثمانية عشر رجلا فصلوا صلاة العيد في ساوة ففطن بهم الشحنة فاخذهم وحبسهم ثم سئل فيهم فاطلقهم فهذا أول اجتماع كان لهم ثم انهم دعوا مؤذنا من أهل ساوة كان مقيما باصبهان فلم يجبهم الى دعوتهم فخافوه أن ينم عليهم فقتلوه فهو أول قتيل لهم وأول دم أراقوه فبلغ خبره الى نظام الملك فامر باخذ من يتهم بقتله فوقعت التهمة على نجار اسمه طاهر فقتل ومثل به وجروا برجله في الاسواق فهو أول قتيل منهم وكان والده واعظا وقدم الى بغداد مع السلطان بركيارق سنة ست وثمانين فحظي منه ثم قصد البصرة فولى القضاء بها ثم توجه في رسالة الى كرمان فقتله العامة في الفتنة التي جرت وذكروا انه باطني ثم ان الباطنية قتلوا نظام الملك وهي أول فتكة مشهورة كانت لهم وقالوا قتل نجارا فقتلناه به واول موضع غلبوا عليه وتحصنوا به بلد عند قاين كان مقدمه على مذهبهم فاجتمعوا عنده وقووا به فاجتازت بهم قافلة عظيمة من كرمان الى قاين فخرج عليهم ومعه أصحابه والباطنية فقتل أهل القفل اجمعين ولم ينج منهم غير رجل تركماني فوصل الى قاين فاخبر بالقصة فتسارع أهلها مع القاضي الكرماني الى جهادهم فلم يقدروا عليهم ثم قتل نظام الملك ومات السلطان ملكشاه فعظم أمرهم واشتدت شوكتهم وقويت اطماعهم وكان سبب قوتهم باصبهان ان السلطان بركيارق لما حصر أصبهان وبها أخوه محمود وأمه خاتون الجلالية وعاد عنهم ظهرت مقالة الباطنية بها وانتشرت وكانوا متفرقين في المحال فاجتمعوا وصاروا يسرقون من قدروا عليه من مخالفيهم ويقتلونهم فعلوا هذا بخلق كثير وزاد الامر حتى ان الانسان كان اذا تأخر عن بيته عن الوقت المعتاد تيقنوا قتله وقعدوا للعزاء به فحذر الناس وصاروا لا ينفرد احد واخذوا في بعض الايام مؤذنا أخذه جار له باطني فقام أهله للنياحة عليه فاصعده الباطنية الى سطح داره وأروه اهله كيف يلطمون ويبكون وهو لا يقدر ان يتكلم خوفا منهم

❁(ذكر ما فعل بهم العامة باصبهان)❁

لما عمت هذه المصيبة الناس باصبهان اذن الله تعالى في هتك استارهم والانتقام منهم فاتفق ان رجلا دخل دار صديق له فراى فيها ثيابا ومداسات وملابس لم يعهدها فخرج من عنده وتحدث بما كان فكشف الناس عنها فعلموا انه من المقتولين وثار الناس كافة يبحثون عمن قتل منهم ويستكشفون فظهروا على الدروب التي هم فيها وانهم كانوا اذا اجتاز بهم انسان أخذوه الى دار منها وقتلوه والقوه في بئر في الدار قد صنعت لذلك وكان على باب درب منها رجل ضرير فاذا اجتاز به انسان يسأله ان يقوده خطوات الى باب الدرب فيفعل ذلك فاذا دخل الدرب أخذ وقتل فتجرد للانتقام منهم أبو القاسم مسعود بن محمد الخجندي الفقيه الشافعي وجمع الجم الغفير بالاسلحة وأمر بحفر أخاديد واوقد فيها النيران وجعل العامة يأتون بالباطنية افواجا ومنفردين

يطلبون الشيخ الشرقاوي والشيخ الامير والسيد عمر النقيب لاجراء الصلح على ايديهم فارسلوا الهم المذكورين بدلا عنهم

(وفي هذه الايام) كثر خروج العساكر والدلاة وهم يعدون الى البر الغربي وعدى الباشا بحر النيل الى بر انبابة واقام هناك اياما

❁(واستهل شهر جمادى الاولى سنة ١٢٢٢)❁

فيه شرع الباشا في تعمير القلاع التي كانت انشأتها الفرنساوية خارج بولاق وعمل متاريس بناحية منية عقبة وغيرها ووزع على الجيارة جيرا كثيرا ووسق عدة مراكب وارسلها الى ناحية رشيد ليعمروا هناك سورا على البلد وابراجا وجمعوا البنائين والفعلة والنجارين وانزلوهم في المراكب قهرا (وفي منتصفه) وصل الى مصر نحو الخمسمائة من الدلاتية أتوا من ناحية الشام ودخلوا الى المدينة (وفيه) طلب الباشا من التجار نحو الالفي كيس على سبيل السلفة فوزعت على الاعيان وتجار البن واهل وكالة الصابون ووكالة التفاح ووكالة القرب وخلافها وحجزوا البضائع وأجلسوا العساكر على الحواصل والوكائل يمنعون من يخرج من حاصله او مخزنه شيئا الا بقصد الدفع من اصل المطلوب منهم ثم اردفوا ذلك بطلوبات من افراد الناس المساتير فيكون الانسان جالسا في بيته فما يشعر الا والمعينون واصلون اليه فيلقون

فيلقون فى الدار وجعلوا انسانا على اخاديد النيران وسمعوه ما الكافة فقتلوا منهم خلقا كثيرا

❊(ذكر قلاعهم التى استولوا عليها ببلاد العجم)❊

واستولوا على عدة حصون منها قلعة اصبهان وهذه القلعة لم تكن قديما وانما بناها السلطان ملكشاه وسبب بنائها انه كان قد اتاه رجل من مقدمى الروم فاسلم وصار معه فاتفق انه سار يوما الى الصيد فهرب منه كلب حسن الصيد وصعد هذا الجبل فتبعه السلطان والرومى معه فوجده موضع القلعة فقال له الرومى لو ان عندنا مثل هذا الجبل لجعلنا عليه حصنا ننتفع به فامر ببناء القلعة ومنع منه نظام الملك فلم يقبل قوله فلما فرغت جعل فيها دزدارا فلما انقضت ايام السلطان ملكشاه وصارت اصبهان بيد خاتون ازالت الدزدار وجعلت غيره فيها وهو انسان ديلمى اسمه زيارفيات وسار بالقلعة انسان خوزى فاتصل به احمد بن عطاش وكان الباطنية قد البسوه تاجا وجمعوا له اموالا وقدموه عليهم مع جهله وانما كان ابوه مقدما فيهم فلما اتصل بالدزدار بقى معه ووثق به وقلده الامور فلما توفى الدزدار استولى احمد بن عطاش عليها ونال المسلمين منه ضرر عظيم من اخذ الاموال وقتل النفوس وقطع الطريق والخوف الدائم فكانوا يقولون ان قلعة يدل عليها كلب ويشير به كافر لابد وان يكون خاتمة امرها الشر ومنها ألموت وهى من نواحى قزوين قيل ان ملكا من ملوك الديلم كان كثير التصيد فارسل يوما عقابا وتبعه فرآه قد سقط على موضع هذه القلعة فوجده موضعا حصينا فامر ببناء قلعة عليه فسماها اله موت ومعناه بلسان الديلم تعليم العقاب ويقال لذلك الموضع وما يجاوره طالقان وفيها قلاع حصينة اشهرها ألموت وكانت هذه النواحى فى ضمان شرفشاه الجعفرى وقد استناب فيها رجلا علويا فيه بله وسلامة صدر وكان الحسن بن الصباح رجلا شهما كافيا عالما بالهندسة والحساب والنجوم والسحر وغير ذلك وكان رئيس الرى انسان يقال له ابو مسلم وهو صهر نظام الملك فاتهم الحسن بن الصباح بدخول جماعة من دعاة المصريين عليه فخافه ابن الصباح وكان نظام الملك يكرمه وقال له يوما من طريق الفراسة عن قريب يضل هذا الرجل ضعفاء العوام فلما هرب الحسن من ابى مسلم طلبه فلم يدركه وكان الحسن من جملة تلامذة ابن عطاش الطبيب الذى ملك قلعة اصبهان ومضى ابن الصباح فطاف البلاد ووصل الى مصر ودخل على المستنصر صاحبها فاكرمه واعطاه مالا وامره ان يدعو الناس الى امامته فقال له الحسن فمن الامام بعدك فاشار الى ابنه نزار وعاد من مصر الى الشام والجزيرة وديار بكر والروم ورجع الى خراسان ودخل كاشغر وما وراء النهر يطوف على قوم يضلهم فلما رأى قلعة ألموت واختبر اهل تلك النواحى اقام عندهم وطمع فى اغوائهم ودعاهم فى السر واظهر الزهد ولبس المسح فتبعه اكثرهم والعلوى صاحب القلعة حسن الظن فيه يجلس اليه يتبرك به فلما احكم الحسن امره دخل يوما على العلوى بالقلعة فقال له ابن الصباح اخرج من هذه القلعة فتبسم العلوى وظنه يمزح فامر ابن

و بيدهم فضلة الطلب اما خمسة اكياس او عشرة او اقل او اكثر فاما ان يدفعها او الاقبضوا عليه وحبسوه والى السجن فيحبس ويعاقب حتى يتم المطلوب منه فنزل بالناس امر عظيم وكرب جسيم وفى الناس من كان تاجرا ووقف حاله بتوالى الفتن والمغارم وانقطاع الاسباب والاسفار وافلس وصار يتعيش بالكد والقرض وبيع متاعه واساس داره وعقاره واسمه باق فى دفاتر التجار فما يشعر الا والطلب لاحقه بنحو ما تقدم لكونه كان معروفا فى التجار فيؤخذ ويحبس ويستغيث فلا يغاث ولا يجد شافعا ولا راحما وهذا الشئ خلاف الفرض المتوالية على البلاد والقرى فى خصوص هذه الحادثة وكذلك على البنادر مقادير لها صورة وما يتبعها من حق طرق المعينين والمباشرين وتوالى مرور العساكر آناء الليل واطراف النهار بطلب الكلف واللوازم واشياء يكل القلم عن تسطيرها ويستحى الانسان من ذكرها ولا يمكن الوقوف على بعض جزئياتها حتى خربت القرى وافتقر اهلها وجلوا عنها فكان يجتمع اهل عدة من القرى فى قرية واحدة بعيدة عنهم ثم يلحقها بالهم فتخرب كذلك واما غالب بلاد السواحل فانها خربت وهرب اهلها وهدموا دورها ومساجدها واخذوا اخشابها ومن جملة ما عليهم الشنيعة التى لم يطرق الاسماع نظيرها

الصباح بعض اصحابه باخراج العلوي فاخرجوه الى دامغان واعطاه ماله وملك القلعة
ولما بلغ الخبر الى نظام الملك بعث عسكرا الى قلعة ألموت فحصروه فيها واخذوا عليه
الطرق فضاق ذرعه بالحصر فارسل من قتل نظام الملك فلما قتل رجع العسكر عنها
ثم ان السلطان محمد بن ملكشاه جهز نحوها العساكر فحصرها وسيرد ذكر ذلك ان شاء
الله تعالى * ومنها طبس وبعض قهستان وكان سبب ملكهم لها ان قهستان كان قد
بقي فيها بقايا من بني سيمجور امراء خراسان ايام السامانية وكان قد بقي من نسلهم
رجل يقال له المنور وكان رئيسا مطاعا عند الخاصة والعامة فلما ولي كلسارغ قهستان
ظلم الناس وعسفهم واراد اختا للمنور بغير حل فحمل ذلك المنور على ان التجأ الى
الاسماعيلية وسار معهم فعظم حالهم في قهستان واستولوا عليها * ومن جملتها خور
وخوسف وزوزن وقاين وتون وتلك الاطراف المجاورة لها * ومنها قلعة وسنمكوه
ملكوها وهي بقرب أبهر سنة اربع وثمانين وتأذى بهم الناس لاسيما اهل ابهر
فاستغاثوا بالسلطان بركيارق فجعل عليها من يحاصرها فحوصرت ثمانية اشهر
وأخذت منهم سنة تسع وثمانين وقتل كل من بها عن آخرهم * ومنها قلعة خالنجان على
خمسة فراسخ من اصبهان كانت لمؤيد الملك بن نظام الملك وانتقلت الى جاولي سقاووا
فجعل بها انسانا تركيا فصادقه نجار باطني واهدى له هدية جميلة ولزمه حتى وثق به
وسلم اليه مفاتيح القلعة فعمل دعوة للتركي واصحابه فسقاهم الخمر فاسكرهم واستدعى
ابن عطاش فجاء في جماعة من اصحابه فسلم اليهم القلعة فقتلوا من بها سوى التركي فانه
هرب وقوي ابن عطاش بها وصار له على اهل اصبهان القطائع الكثيرة * ومن قلاعهم
المذكورة استوناوند وهي بين الري وآمل ملكوها بعد ملكشاه نزل منها صاحبها فقتل
واخذت منه * ومنها اردهن وملكها أبو الفتوح ابن اخت الحسن بن الصباح * ومنها
كردكوه وهي مشهورة ومنها قلعة الناظر بخوزستان وقلعة الطنبور وبينها وبين ارجان
فرسخان اخذها ابو حمزة الاسكاف وهو من اهل أرجان سافر الى مصر وعاد داعية لهم
وقلعة خلادخان وهي بين فارس وخوزستان واقام بها المفسدون نحو مائتي سنة
يقطعون الطريق حتى فتحها عضد الدولة بن بويه وقتل من بها فلما صارت الدولة
لملكشاه اقطعها الامير انز فجعل بها دزدارا فانفذ اليه الباطنية الذين بارجان يطلبون منه
بيعها فأبى فقالوا له نحن نرسل اليك من يناظرك حتى يظهر لك الحق فاجابهم الى ذلك
فارسلوا اليه انسانا ديلميا يناظره وكان للدزدار مملوك قد رباه وسلم اليه مفاتيح القلعة
فاستماله الباطني فاجابه الى القبض على صاحبه وتسليم القلعة اليهم فقبض عليه وسلم
القلعة اليهم ثم اطلقه واستولوا بعد ذلك على عدة قلاع هذه اشهرها

* (ذكر ما فعله جاولي سقاووا بالباطنية) *

في هذه السنة قتل جاولي سقاووا خلقا كثيرا منهم وسبب ذلك ان هذا الامير كانت
ولايته البلاد التي بين رامهرمز وأرجان فلما ملك الباطنية القلاع المذكورة
بخوزستان

انهم قرروا فرضة من فرض المقادم على البلاد فكتبوا أوراقا وسموها بشارة الفرضة يتولاها بعض من يكون
متطلعا لمنصب أو منفعة ثم يرتب له خدما وأعوانا ثم يسافر الى الاقليم المعين له وذلك قبل منصب الاصل وفي مقدمته يبعث أعوانه الى البلاد يبشرونهم بذلك ثم يقبضون ما رسم لهم في الورقة من حق الطريق بحسب ما أدى اليه اجتهاده قليلا أو كثيرا وهذه لم يسمع بها يقاربها في ملة ولا ظلم ولا جور وسمعت من بعض من له خبرة بذلك ان المغارم التي قررت على القرى بلغت سبعين ألف كيس وذلك خلاف المصادرات الخارجة (وفي) أواخره قوي عزم الباشا على السفر لناحية الاسكندرية وأمر باحضار اللوازم والخيام وما يحتاج اليه الحال من روايا الماء والقرب وباقي الادوات

* (واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الخميس سنة ١٢٢٤) *

في ثانيه وهو يوم الجمعة ركب الباشا الى بولاق وعدى الى ناحية برانبابة ونصبوا وطاقه هنالك وخرجت طوائف العسكر الى ناحية بولاق وساحل البحر وطفقوا يأخذون ما يجدونه من البغال والحمير والجمال واستمروا على الدخول والخروج والذهاب والمجي والرجوع والتعدية أياما وهم على ذلك النسق من خطف البهائم وامتنعت السقاؤون من نقل الماء من البحر حتى شح الماء وغلا سعره وعطشت الناس وامتنع حمل

بخوزستان وفارس وعظم شرهم وقطعوا الطريق بتلك البلاد واتفق جماعة من أصحابه حتى اظهروا الشغب عليه وفارقوه وقصدوا الباطنية وأظهروا انهم معهم على رأيهم فاقاموا عندهم حتى وثقوا بهم ثم اظهر جاولى ان الامراء بنى برسق يريدون قصده واخذ بلاده وانه عازم على مفارقتها والعبور عنهم والمسير الى همذان فلما اظهر ذلك وسار قال من عند الباطنية من اصحابه لهم الرأى اننا نخرج الى طريقه وناخذه وما معه من الاموال فساروا اليه فى ثلثمائة من اعيانهم وصناديدهم فلما التقوا صار من معهم من أصحاب جاولى عليهم ووضعوا السيف فيهم فلم يفلت منهم سوى ثلاثة نفر صعدوا الى الجبل وهربوا وغنم جاولى ما معهم من دواب وسلاح وغير ذلك

(ذكر قتل صاحب كرمان الباطنى وملك غيره)

كان تيرانشاه بن تورانشاه بن قاورت بك وهو الذى قتل الاتراك الاسماعيلية وليسوا منسوبين الى هذه الطائفة الباطنية انما نسبوا الى امير اسمه اسمعيل وكانوا من اهل السنة قتل منهم الفى رجل صبرا وقطع ايدى الفين ونفق عليه انسان يقال له ابو زرعة كان كاتبا بخوزستان فحسن له مذهب الباطنية فاجاب اليه وكان عنده فقيه حنفى يقال له احمد بن الحسين البلخى كان مطاعا فى الناس فاحضره عنده ليلا واطال الجلوس معه فلما خرج من عنده اتبعه من قتله فلما اصبح الناس دخلوا عليه وفيهم صاحب جيشه فقال لتيرانشاه ايها الملك من قتل هذا الفقيه فقال انت شحنة البلد تسالنى من قتله فقال انا اعرف قاتله ونهض من عنده ففارقه فى ثلثمائة فارس وسار الى اصبهان فارسل فى اثره الفى فارس ليردوه فقاتلهم وهزمهم وسار الى اصبهان وبها السلطان محمود مؤيد الملك فاكرمه السلطان وقال انت والد الملوك وامتعض عسكر كرمان بعد مسيره واجتمعوا وقاتلوا تيرانشاه واخرجوه عن مدينة بردسير التى هى مدينة كرمان فلما فارقها اتفق القاضى والجند واقاموا ارسلانشاه بن كرمانشاه بن قاورت بك وسار تيرانشاه الى مدينة بم من كرمان فحاربه اهلها ومنعوه منها واخذوا ما معه من اموال وجواهر وقصد قلعة سميرم وتحصن بها وفيها امير يعرف بمحمد بهستون فارسل ارسلانشاه جيشا حصروا القلعة فقال محمد بهستون لتيرانشاه انصرف عنى فلست ارى الغدر بك وانا رجل مسلم ومقامك عندى يؤذينى واتهم بك فى دينى فلما عزم على الخروج ارسل محمد بهستون الى مقدم الجيش الذين يحاصرونهم يعلمه بمسير تيرانشاه فجرد عسكرا الى طريقه فخرجوا عليه واخذوه وما معه واخذوا ايضا ابا زرعة فارسل ارسلانشاه فقتلهما وتسلم جميع بلاد كرمان

(ذكر السبب فى قتل بركيارق الباطنية)

لما اشتد امر الباطنية وقويت شوكتهم وكثر عددهم صار بينهم وبين اعدائهم ذحول واحن فلما قتلوا جماعة من الامراء الاكابر وكان اكثر من قتلوا من هو فى طاعة محمد مخالف للسلطان بركيارق مثل شحنة اصبهان سرمز وارغش وكمش النظاميين

ايضا (وفى ثالثه) طلبوا ايضا خيول الطواحين بجر المدافع والعربات حتى تعطلت الطواحين عن طحن الدقيق ولما ذهبوا بها الى العرضى اختاروا منها جيادها واعطوا اربابها عن كل فرس خمسين قرشا وردوا البواقى لاصحابها (وفيه) طلبوا ايضا دراهم من طائفة القبانية والحطابة وباعة السمك القديد المعروف بالفسيخ فكان القدر المطلوب من طائفة القبانية مائة وخمسين كيسا فاغلقوا حوانيتهم وهربوا والتجؤا الى الجامع الازهر وكذلك الحطابة وغيرهم منهم من هرب ومنهم من التجا الى السيد عمر واستمر كذلك ثلاثة ايام وركب السيد عمر وعدى الى الباشا وتشفع فى الطوائف المذكورة فرفعوا عنهم غرامتهم وكتبوا لهم امانا بذلك (وفى خامسه) حضر قابجى من طرف الانكليز وصحبته اشخاص فانزلهم الباشا فى خيمة بجنبه بانبابة فرقدوا بها الى ان اخذوا لهم راحة وناموا فلما استيقظوا فلم يجدوا ثيابهم وضاعا عليهم السراق فشلحوهم فارسلوا الى حارة الفرنساوية فاتوا لهم بثياب وقفوات لبسوها (وفى يوم السبت) مع ليلة الاحد حادى عشره عمل الفرنساوية عيدا ومولدا بحارتهم واولموا بينهم ولائم واوقدوا قناديل كثيرة تلك الليلة وحراقات نفوط وسواريخ وشنكا حصة من الليل وهو عبارة عن مولد بونابارته السنوى (وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره) طلب

وصهره وغيرهم فسب اعداء بركيارق ذلك اليه واتهموه بالميل اليهم فلما ظفر السلطان بركيارق وهزم أخاه السلطان محمدا وقتل مؤيد الملك وزيره انبسط جماعة منهم في العسكر واستغووا كثيرا منهم وادخلوهم في مذهبهم وكادوا يظهرون بالكثرة والقوة وحصل بالعسكر منهم طائفة من وجوههم وزاد أمرهم فصاروا يتهددون من لا يوافقهم بالقتل فصار يخافهم من يخالفهم حتى انهم لم يتجاسر أحد منهم لا أمير ولا متقدم على الخروج من منزله حاسرا بل يلبس تحت ثيابه درعا حتى ان الوزير الاعز أبا المحاسن كان يلبس زردية تحت ثيابه واستاذن السلطان بركيارق خواصه في الدخول عليه بسلاحهم وعرفوه خوفهم ممن يقاتلهم فاذن لهم في ذلك واشاروا على السلطان ان يفتك بهم قبل ان يعجز عن تلافي أمرهم واعلموه ما يتهمه الناس به من الميل الى مذهبهم حتى ان عسكر اخيه السلطان محمد يشنعون بذلك وكانوا في المصاف يكبرون عليهم ويقولون يا باطنية فاجتمعت هذه البواعث كلها فاذن السلطان في قتلهم والفتك بهم وركب هو والعسكر معه وطلبوهم واخذوا جماعة من خيامهم ولم يفلت منهم الا من لم يعرف وكان ممن اتهم بانه مقدمهم الامير محمد بن دشمنزيار بن علاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه صاحب يزد فهرب وسار يومه وليلته فلما كان اليوم الثاني وجد في العسكر قد ضل الطريق ولا يشعر فقتل وهذا موضع المثل أتتك بحائن رجلاه ونهبت خيامه فوجد عنده السلاح المعد واخرج الجماعة المتهمون الى الميدان فقتلوا وقتل منهم جماعة برآء لم يكونوا منهم سعى بهم اعداؤهم وفيمن قتل ولد كيقباذ مستحفظ تكريت فلم يغير والده خطبة بركيارق ولكن شرع في تحصين القلعة وعمارتها ونقض جامع البلد وكان يقاربها لئلا يؤتى منه وجعل بيعة في البلد جامعا وصلى الناس فيه وكتب الى بغداد بالقبض على ابي ابراهيم الاسداباذي الذي كان قد وصل اليها رسولا من بركيارق ليأخذ مال مؤيد الملك وكان من اعيانهم ورؤسهم فاخذ وحبس فلما ارادوا قتله قال هبوا أنكم قتلتموني اتقدرون على قتل من بالقلاع والمدن فقتل ولم يصل عليه أحد والقى خارج السور وكان له ولد كبير قتل بالعسكر معهم وقد كان أهل عانة نسبوا الى هذا المذهب قديما فنهي لهم الى الوزير أبي شجاع أيام المقتدي بامر الله فاحضرهم الى بغداد فسئل مشايخهم عن الدين فقالوا نحن قوم مسلمون وكتب لهم بذلك محضر...

الذي يقال فيهم فانكروا وجحدوا فاطلقهم واتهم أيضا الكيا الهراس المدرس بالنظامية بانه باطني ونقل ذلك عنه الى السلطان محمد فامر بالقبض عليه فارسل المستظهر بالله من استخلصه وشهد له بصحة الاعتقاد وعلو الدرجة في العلم فاطلق

(ذكر حصر الامير برغش قهستان وطبس)

في هذه السنة جمع الامير برغش وهو أكبر أمير مع السلطان سنجر جموعا كثيرة وقواهم بالمال والسلاح وسار الى بلد الاسماعيلية فنهبه وخربه وقتل فيهم فاكثر وحصر طبس وضيق عليها ورماها بالمنجنيق فخرب كثيرا من سورها واضعف من بها ولم يبق الا أخذها فارسلوا اليه الرشا الكثيرة واستنزلوه عما كان يريده منهم فرحل عنهم وتركهم

الباشا حسين افندى الروزنامجي فعدى ١٣٤ اليه بير انبابة فخلع عليه خلعة الدفترداريه وحضر الى داره الجديدة وهو بيت القيام بالقرب من قنطرة درب الجماميز وذهب اليه الناس يهنؤنه وانفصل أحمد افندى عاصم عن الدفترداريه (وفي يوم الخميس خامس عشره) عمل الباشا شنكا بالبر الغربي بين المغرب والعشاء ولما أصبح امر بالارتحال وتمهل حتى تكامل ارتحال العساكر فركب قريب الزوال الى المنصورة (وفي يوم الجمعة سادس عشره) الموافق لسادس مسرى القبطي أوفى النيل أذرعه وذلك بعد ان حصل في الناس ضجر وقلق بسبب تأخر الوفاء ووقفات حصلت في الزيادة قبل الوفاء عدة أيام حتى رفعوا الغلال من العرصات وزادت اثمانها فلما حصل الوفاء اطمأن الناس وتراجعت اليهم انفسهم واظهروا الغلال في العرصات والرقع وركب كتخدا بك في صبح يوم السبت وكذلك القاضي ودبوس اوغلي ابن الباشا والسيد عمر النقيب وكسر السد بحضرتهم وجرى الماء في الخليج (وفيه) وصل قابجي الى ثغر سكندرية وحضر بعد ذلك الى ثغر بولاق من طريق البر الى قبرص وتحرى الوصول الى دمياط ثم حضر الى بولاق وقابل الباشا في طريقه ووصل على يده سكة ضرب المعاملة الجديدة بالضربخانه باسم السلطان الجديد وكذلك الامر بالخطبة والدعاء والاخبار برفع النظام فعاودوا

فعادوا واعمارة ما انهدم من سورها وما شعثه من سلاح واقوات وغير ذلك ثم عاودهم بزغش سنة سبع وتسعين فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ما ملك الفرنج من الشام)

فيها سار كندفري ملك الفرنج بالشام وهو صاحب البيت المقدس الى مدينة عكا بساحل الشام فحصرها فاصابه سهم فقتله وكان قد عمر مدينة يافا وسلمها الى قمص من الفرنج اسمه طنكري فلما قتل كندفري سار اخوه بغدوين الى البيت المقدس في خمسمائة فارس وراجل فبلغ الملك دقاق صاحب دمشق خبره فنهض اليه في عسكره ومعه الامير جناح الدولة في جوعه فقاتله فنصر على الفرنج وفيها ملك الفرنج مدينة سروج من بلاد الجزيرة وسبب ذلك ان الفرنج كانوا قد ملكوا مدينة الرها بمكاتبة من اهلها لان اكثرهم ارمن وليس بها من المسلمين الا القليل فلما كان الآن جمع سقمان بسروج جمعا كثيرا من التركمان وزحف اليهم فلقوه وقاتلوه فهزموه في ربيع الاول فلما تمت الهزيمة على المسلمين سار الفرنج الى سروج فحصروها وتسلموها وقتلوا كثيرا من اهلها وسبوا حريمهم ونهبوا اموالهم ولم يسلم الا من مضى منهزما وفيها ملك الفرنج مدينة حيفا وهي بالقرب من عكا على ساحل البحر ملكوها عنوة وملكوا ارسوف بالامان واخرجوا أهلها منها وفيها في رجب ملكوا مدينة قيسارية بالسيف وقتلوا أهلها ونهبوا ما فيها

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في شهر رمضان تقدم الخليفة المستظهر بالله بفتح جامع القصر وان يصلى فيه صلاة التراويح ولم يكن جرت بذلك عادة وامر بالجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وهذا أيضا لم تجر به عادة وانما ترك الجهر بالبسملة في جوامع بغداد لان العلويين اصحاب مصر كانوا يجهرون بها فترك ذلك مخالفة لهم لا اتباعا لمذهب احمد الامام وامر ايضا بالقنوت على مذهب الشافعي فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون ختم في جامع القصر وازدحم الناس عنده وكان زعيم الرؤساء ابو القاسم علي بن فخر الدولة بن جهير اخو عميد الدولة قد اطلق من الاعتقال فاختلط بالناس وخرج الى ظاهر بغداد من ثلمة في السور وسار الى سيف الدولة صدقة بن مزيد فاستقبله وانزله واكرمه وفيها في المحرم توفي جمال الدولة ابو نصر بن رئيس الرؤساء ابن المسلمة وهو استاذ دار الخليفة وفيه توفي القاضي احمد بن محمد بن عبد الواحد أبو منصور بن الصباغ الفقيه الشافعي واخذ الفقه عن ابن عمه الشيخ أبي نصر بن الصباغ وكان يصوم الدهر وروى الحديث عن القاضي أبي الطيب الطبري وغيره وفيه توفي شرف الملك ابو سعد محمد بن منصور المستوفي الخوارزمي باصبهان وكان مستوفيا في ديوان السلطان ملكشاه فبذل مائة ألف دينار حتى ترك الاستيفاء وبنى مشهدا على قبر أبي حنيفة رحمة الله عليه ومدرسة بباب الطاق ومدرسة بمرو وجميعها للحنفيين وفيها في صفر توفي القاضي ابو المعالي عزيزي وكان شافعيا أشعريا وهو من جيلان وله مصنفات كثيرة حسنة وكان وقعات له مع اهل باب

الجديد وابطاله من اسلامبول ورجوع الوجاقات على قانونها الاول القديم اروصل في نيف وخمسين يوما فاجتمعوا في صبحها يوم الاحد بباب الباشا وأحضروا الاغاة وكبير ودخل من باب النصر وقرئ الفرمان بحضرة الجميع وضربوا شنكا ومدافع من ابراج القلعة ثلاثة أيام في الاوقات الخمسة (ومن الحوادث) انه ظهر في هذه الايام رجل بناحية بنها العسل يدعى بالشيخ سليمان فاقام مدة في عشة بالغيط واعتقد فيه الناس الولاية والسلوك والجذب فاجتمع اليه الكثير من اهل القرى واكثرهم الاحداث ونصبوا له خيمة وكثر جمعه واقبلت عليه أهالي القرى بالنذور والهدايا وصار يكتب الى النواحي أوراقا يستدعي منهم القمح والدقيق ويرسلها مع المريدين يقول فيها الذي نعلم به أهل القرية الفلانية حال وصول الورقة اليكم تدفعون لحاملها خمسة ارادب قمح او قل اوا كثر برسم طعام الفقراء وكراء طريق المعين ثلاثون رغيفا او نحو ذلك فلا يتاخرون عن ارسال المطلوب في الحال وصار الذين حوله ينادون في تلك النواحي بقولهم لا ظلم اليوم ولا تعطوا الظلمة شيئا من المظالم التي يطلبونها منكم ومن اتاكم فاقتلوه فكان كل من ورد من العسكر المعينين الى تلك النواحي بطلب المكلف او الفرض التي يفرضونها فزعوا عليه وطردوه وان عاند قتلوه فثقل امره على

الازج اخبار ظريفة وكان قاضيا عليهم وكانوا يبغضونه و يبغضهم وتوفى أسعد بن مسعود بن على بن محمد أبو ابراهيم العتبي من ولد عتبة بن غزوان نيسابورى ولد سنة أربع وأربعمائة وروى عن أبي بكر الحيرى وغيره وتوفى فى صفر محمد بن احمد بن عبد الباقى ابن الحسن بن محمد بن طوق ابو الفضائل الربعى الموصلى الفقيه الشافعى تفقه على ابى اسحق الشيرازى وسمع الحديث من ابى الطيب الطبرى وغيره وكان ثقة صالحا وتوفى فى ربيع الاول منها محمد بن على بن عبيد الله بن احمد بن صالح بن سليمان بن ودعان ابو نصر القاضى الموصلى وهو صاحب الاربعين الودعانية وقد تكلموا فيها فقيل انه سرقها وكانت تصنيف زيد بن رفاعة الهاشمى والغالب على حديثه المناكير وتوفى فيها فى ربيع الاول نصر بن احمد بن عبد الله بن البطر القارى ابو الخطاب ومولده سنة ثمان وتسعين وثلثمائة سمع ابن رزقويه وغيره وصارت اليه الرحلة لعلو اسناده وكان سماعه صحيحا

(ثم دخلت سنة خمس وتسعين وأربعمائة)

(ذكر وفاة المستعلى بالله وولاية الآمر باحكام الله)

فى هذه السنة توفى المستعلى بالله ابو القاسم احمد بن معد المستنصر بالله العلوى الخليفة المصرى لسبع عشرة خلت من صفر وكان مولده فى العشرين من شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة وكانت خلافته سبع سنين وقريبا من شهرين وكان المدبر لدولته الافضل ولما توفى ولى بعده ابنه ابو على المنصور ومولده ثالث عشر المحرم سنة تسعين وأربعمائة وبويع له بالخلافة فى اليوم الذى مات فيه أبوه وله خمس سنين وشهر وأربعة ايام ولقب الآمر باحكام الله ولم يكن من تسمى بالخلافة قط اصغر منه ومن المستنصر وكان المستنصر اكبر من هذا ولم يقدر يركب وحده على الفرس لصغر سنه وقام بتدبير دولته الافضل بن امير الجيوش احسن قيام ولم يزل كذلك يدبر الامر الى ان قتل سنة خمس عشرة وخمسمائة

(ذكر الحرب بين السلطان بركيارق والسلطان محمد والصلح بينهما)

فى هذه السنة فى صفر كان المصاف الثالث بين السلطان بركيارق ومحمد وقد ذكرنا سنة اربع وتسعين قدوم السلطان محمد الى بغداد ورحيل السلطان بركيارق عنها الى واسط مريضا فاقام السلطان محمد ببغداد الى سابع عشر المحرم من هذه السنة وسار عنها هو واخوه السلطان سنجر عائدين الى بلادهم وسنجر يقصد خراسان والسلطان محمد يقصد همذان فلما سار محمد عن بغداد وصلت الاخبار ان بركيارق قد اعترض خاص الخليفة بواسط وسمع منه فى حق الخليفة ما يقبح نقله فارسل الخليفة واعاد السلطان محمدا الى بغداد وذكر له ما نقل اليه وعزم على الحركة مع محمد الى قتال بركيارق فقال السلطان محمد لا حاجة الى حركة امير المؤمنين فانى اقوم فى هذا القيام المرضى وسار عائدا ورتب ببغداد ابا المعالى المفضل بن عبد الرزاق فى جباية الاموال وايلغازى شحنة وكان لما

الكشاف والعسكر وصار له عدة خيام واخصاص واجتمع لديه من المردان نحو المائة وستين امرد وغالبهم اولاد مشايخ البلاد وكان اذا بلغه ان بالبلدة الفلانية غلاما وسيم الصورة ارسل يطلبه فيحضرونه اليه فى الحال ولو كان ابن عظيم البلدة حتى صاروا يأتون اليه من غير طلب ولا يخفى حال الاقليم المصرى فى التقليد فى كل شئ وهذا من جنس المردان وكذلك ذوو اللحى هم كثيرون ايضا وعمل للمردان عقودا من الخرز الملون فى اعناقهم ولبعضهم اقراطا فى آذانهم ثم ان شيخا من فقهاء الازهر من اهالى بنها يقال له الشيخ عبد الله البنهاوى ادعى دعوى بطين مستأجره من اراضى بنها كان لاسلافه وان الملتزمين بالقرية استولوا على ذلك الطين من غير حق لهم فيه بل باغراء بعض مشايخ القرية والمذكور به رعونة ولم يحسن سبك دعواه وخصوصا كونه مفلسا وخليا من الدراهم التى لابد منها الآن فى الجعالات والبراطيل للوسايط وارباب الاحكام واتباعهم ويظن فى نفسه انه يقضى قضيته يقال المصنف اكراما لعلمه ودرسه فتخاصم مع الملتزمين ومشايخ بلده وانعقدت بسببه مجالس ولم يحصل منها شئ سوى التشفيع عليه من المشايخ الازهرية والسيد عمر النقيب ثم كتب له عرضحال ورفع أمره الى كتخدا بك والباشا فامر الباشا بعقد

دخل

دخل بغداد قد خلف عسكره بطريق خراسان فنهبوا البلاد وخربوها فاخذهم السلطان محمد معه وجد السير الى روذراور واما السلطان بركيارق فقد تقدم سنة اربع وتسعين انه سار من بغداد عند وصول محمد اليها قاصدا الى واسط فلما سمع عسكر واسط بقربه منهم خافوا منه واخذوا نساءهم واولادهم واموالهم وجمعوا السفن جميعها وانحدروا الى الزبيدية فاقاموا هناك ووصل السلطان وهو شديد المرض يحمل في محفة وقد هلك من دواب عسكره ومتاعهم الكثير فانهم كانوا يجدون السير خوفا ان يتبعهم السلطان محمد والامير صدقة صاحب الحلة فكانوا كلما جازوا قنطرة هدموها ليمتنع من يجتاز بها من اتباعهم ولما وصلوا الى واسط عوفي بركيارق ولم يكن له ولاصحابه همة غير العبور من الجانب الغربي الى الجانب الشرقي فلم يجد هناك سفينة وكان الزمان شاتيا شديد البرد والماء زائدا وكان اهل البلدة قد خافوهم فلزموا الجامع وبيوتهم فخلت الطرق والاسواق من مجتاز فيها فخرج القاضي ابو علي الفارقي الى العسكر واجتمع بالامير اياز والوزير واستعطفهما للخلق وطلب انفاذ شحنة لتطمئن القلوب فاجابوه الى ملتمسه وقالوا له نريد ان تجمع لنا من يعبر دوابنا في الماء ويسبح معها فجمع لهم من شباب واسط واعطاهم الاجرة الوافرة فعبروا دوابهم من الخيل والبغال والجمال وكان الامير اياز بنفسه يسوق الدواب ويفعل ما يفعله الغلمان ولم يكن معهم غير سفينة واحدة انحدرت مع السلطان من بغداد فعبروا اموالهم ورحالهم فيها فلما صاروا في الجانب الشرقي اطمأنوا ونهب العسكر البلد فرجع القاضي وجدد الخطاب في الكف عنهم فاجيب الى ذلك فارسل معه من يمنع من النهب ثم ان عسكر واسط ارسلوا الى بركيارق يطلبون الامان ليحضروا الخدمة السلطان فامنهم فحضر اكثرهم عنده وساروا معه الى بلاد بني برسق فحضروا ايضا عنده وخدموه واجتمعت العساكر عليه وبلغه مسير اخيه محمد عن بغداد فسار يتبعه على نهاوند فادركه بروذراور وكان العسكران متقاربين في العدة كل واحد منهما اربعة آلاف فارس من الاتراك فتصافوا اول يوم جميع النهار لم يجر بينهم قتال لشدة البرد وعادوا في اليوم الثاني ثم تواقفوا كذلك ثم كان الرجل يخرج من احد الصفين فيخرج اليه من يقاتله فاذا تقاربا اعتنق كل واحد منهما صاحبه وسلم عليه ويعود عنه ثم خرج الامير بلدجي وغيره من عسكر محمد الى الامير اياز والوزير الاعز فاجتمعوا واتفقوا على الصلح لما قد عم الناس من الضرر والملل والوهن فاستقرت القاعدة ان يكون بركيارق السلطان ومحمد الملك ويضرب له ثلاث نوب ويكون له من البلاد جنزة واعمالها واذربيجان وديار بكر والجزيرة والموصل وان يمده السلطان بركيارق بالعساكر حتى يفتح ما يمتنع عليه منها وحلف كل واحد منهما لصاحبه وانصرف الفريقان من المصاف رابع ربيع الاول وسار بركيارق الى مرج قراتكين قاصدا ساوة والسلطان محمد الى اسداباذ وتفرق العسكران وقصد كل امير اقطاعه ٭

٭(ذكر الحرب بين السلطان بركيارق ومحمد وانفساخ الصلح بينهما)٭

مجلس نبيه بحضرة السيد عمر والمشايخ وقالوا للباشا انه غير محق وطردوه فسافر الى بلده وسافر الباشا ايضا الى جهة البحيرة والاسكندرية فذهب الشيخ عبد الله المذكور الى الشيخ سليمان المذكور واغراه على الحضور الى مصر وانه متى وصل اجتمع عليه المشايخ واهل البلدة وقابلوه ويكون على يده الفتح والفتوح وبركته خساف العقول المحيطون به والمجتمعون حوله على المجيء الى مصر ويكون له شان لان ولايته اشتهرت بالمدينة ولهم فيه اعتقاد عظيم وحب جسيم ومن اوصاف ذلك الشيخ انه لا يتكلم الا بالذكر او الكلام النزر الذي لا بد منه ويتكلم في اكثر اوقاته بالاشارة ثم انه اطاع شياطينه وحضر برجاله وغلمانه ومعه طبول وكاسات على طريق مشايخ اهل العصر والاوان الذين يحسبون انهم يحسنون صنعا ودخلوا الى المدينة على حين غفلة وبايديهم فراقل يفرقعون بها فرقعة متتابعة وصياح وجلبة ومن خلفهم الغلمان والبدايات وشيخهم في وسطهم فما زالوا في سيرهم حتى دخلوا المشهد الحسيني وجلسوا بالمسجد يذكرون ودخل منهم طائفة الى بيت السيد عمر مكرم النقيب وهم يفرقعون بما في ايديهم من الفرقلات فقاموا الى المسجد الى العصر ثم دعاهم انسب من الاجناد يقال له اسمعيل كاشف ابو

في هذه السنة في جمادى الاولى كان المصاف الرابع بين السلطان بركيارق واخيه محمد وكان سببه ان السلطان محمدا سار من روذراور من الوقعة المذكورة الى اسداباذ ومنها الى قزوين ونسب الامراء الذين سعوا في ذلك الصلح الى المخامرة عليه والتقاعد به فوضع رئيس قزوين ان يتوسل اليه باولئك الامراء ليحضر دعوته فاستشفع الرئيس بهم الى السلطان فحضر دعوته بعد ان امتنع ووصى خواصه بحمل السلاح تحت اقبيتهم وحضر الدعوة ومعه الامير اينكين وبسمل فقتل الامير بسمل وهو من اكابر الامراء وكحل الامير اينكين وكان الامير ينال بن انوشتكين الحسامي قد فارق بركيارق واقام مجاهدا للباطنية الذين في القلاع والجبال فقصد الآن السلطان محمدا وسار معه الى الري يضرب النوب الخمس واجتمعت اليه العساكر واقام ثمانية ايام ووافاه اخوه السلطان بركيارق في اليوم التاسع ووقع بينهما المصاف عند الري وكانت عدة العسكرين متقاربة كل عسكر منهما عشرة آلاف فارس فلما اصطفوا حمل الامير سرخاب بن كيخسرو الديلمي صاحب آبه على الامير ينال فهزمه وتبعه في الهزيمة جميع عسكر محمد وتفرقوا ومضى معظمهم نحو طبرستان ولم يقتل في هذا المصاف غير رجل واحد قتل صبرا ومضى قطعة من المنهزمين نحو قزوين ونهبت خزائن محمد ومضى في نفر يسير الى اصبهان وحمل هو عليه بيده ليتبعه اصحابه وسار في طلبه الامير البكي بن برسق والامير اياز الى قم وتتبع السلطان بركيارق اصحاب اخيه محمد واخذ اموالهم

(ذكر حصار السلطان محمد باصبهان)

لما انهزم السلطان محمد من الوقعة التي ذكرناها بالري مضى الى اصبهان في سبعين فارسا والبلد في حكمه وفيه نائبه ومعه من الامراء الامير ينال وغيره من الامراء ودخل المدينة في ربيع الاول وامر بتجديد ما تشعث من السور وهذا السور هو الذي بناه علاء الدولة ابن كاكويه سنة تسع وعشرين واربعمائة عند خوفه من طغرلبك وامر محمد بتعميق الخندق حتى صعد الماء فيه وسلم الى كل امير بابا وكان معه في البلد الف ومائة فارس وخمسمائة راجل ونصب المجانيق ولما علم السلطان بركيارق بمسير اخيه محمد الى اصبهان سار يتبعه فوصلها في جمادى الاولى وعساكره كثيرة تزيد على خمسة عشر الف فارس ومعها مائة الف من الحواشي واقام يحاصر البلد وضيق عليه وكان السلطان محمد يدور كل ليلة على سور البلد ثلاث دفعات فلما زاد الامر في الحصار اخرج الضعفاء والفقراء من البلد حتى خلت المحال وعدمت الاقوات واكل الناس الخيل والجمال وغير ذلك وقلت الاموال فاضطر السلطان محمد الى ان يستقرض من اعيان البلد فاخذ مالا عظيما ثم عاود الجند الطلب فقسط على اهل البلد شيئا آخر واخذه منهم بالشدة والعنف فلم تزل الاسعار تغلو حتى بلغ عشرة امنان من الحنطة بدينار واربعة ارطال لحم بدينار وكل مائة رطل تبن باربعة دنانير ورخصت الامتعة وهانت لعدم الطالب وكانت الاسعار في عسكر بركيارق رخيصة فبقي الحصار على البلد الى عاشر ذي

فتحير في الشيخ المذكور اعتقاد فذهبوا معه الى داره بعطفة عبدالله بك فعشاهم وباتوا عنده الى الصباح ولما طلع النهار ركب الشيخ بغلة ذلك الجندي وذهب بطائفته الى ضريح الامام الشافعي فجلس بالمسجد يضامح اتباعه يذكرون وبلغ خبره كتخدا بك وامثاله فكتب تذكرة وارسلها الى السيد عمر النقيب بطلب الشيخ المذكور ليتبرك به واكد في الطلب وقصده ان يفتك به لقهره منه وعلم السيد عمر ما يراد به فارسل يقول له ان كنت من اهل الكرامة فاظهر سرك وكراماتك والا فاذهب وتغيب وكان صالح اغا قوج لما بلغه خبره ركب في عسكره وذهب الى مقام الشافعي واراد القبض عليه فخوفه الحاضرون وقالوا له لا ينبغي لك التعرض له في ذلك المكان فاذا خرج قدونك واياه فانتظره بقصر شويكار فتباطا الشيخ الى قريب العصر واشاروا عليه بالخروج من الباب القبلي وتفرق عنه الكثير من المجتمعين عليه فذهب الى مقام الليث ابن سعد ثم سار من ناحية الجبل وذهبت بدايانه وغلمانه الى دار اسمعيل كاشف التي باتوا بها ولما سار الى ناحية القصر الحقه الحاج سعودي الحناوي واقتفى اثره وبلغه رسالة السيد عمر ورجع الى السيد عمر فوجد كتخدا بك ورجب اغا حضرا الى السيد عمر يسالانه عنه ولم يكتفوا بالجواب الاول فاخبرهما انه ذهب ولم تلحقه المراسيل فاغتاظوا

ذى الحجة فلما رأى السلطان محمد انه لا قدرة له على الدفع عن البلد وكلما جاء أمره يضعف قوى عزمه على مفارقته وقصد جهة أخرى يجمع فيها العساكر ويعود يدفع الخصم عن الحصار فسار عن البلد فى مائة وخمسين فارسا ومعه الامير ينال واستخلف بالبلد جماعة من الامراء الكبار فى باقى العسكر فلما فارق العسكر والبلد لم يكن فى دوابهم ما يدوم على السير لقلة العلف فى الحصار فنزل على ستة فراسخ فلما سمع بركيارق بمسيره سير وراءه الامير اياز فى عسكر كثير وامره بالجد فى السير فى طلبه فقيل ان محمدا سبقهم فلم يدركوه فرجعوا وقيل بل أدركوه فارسل الى الامير اياز يقول انت تعلم ان لى فى رقبتك عهودا وايمانا ما نقضت ولم يكن منى اليك ما تبالغ فى اذاى فعاد عنه وارسل له خيلا واخذ علمه والجتر وثلاثة احمال دنانير وعاد الى بركيارق فدخل عليه وراء الاعلام اخيه السلطان محمد منكوسة فانكر بركيارق ذلك وقال ان كان قد اساء فلا ينبغى ان يعمل معه هذا فاخبره الخبر فاستحسن ذلك منه فلما فارق محمد اصبهان اجتمع من المفسدين والسوادية ومن يريد النهب ما يزيد على مائة الف نفس وزحفوا الى البلد بالسلاليم والدبابات وطموا الخندق بالتبن والتصقوا بالسور وصعد الناس فى السلاليم فقاتلهم أهل البلد قتال من يريد يحمى حريمه وماله فعادوا خائبين فحينئذ أشار الامراء على بركيارق بالرحيل فرحل ثامن عشر ذى الحجة من السنة واستخلف على البلد القديم الذى يقال له شهرستان ترشك الصوابى فى الف فارس مع ابنه ملكشاه وسار الى همذان وكان هذا من اعجب ما سطر ان سلطانا محصورا قد تقطعت مواده وهو يخطب له فى اكثر البلاد ثم يتخلص من الحصر الشديد و يجوس العساكر الكثيرة التى كل واحد يشرع اليه رمحه ويفوق اليه سهمه

(ذكر قتل الوزير الاعز ووزارة الخطير أبى منصور)

فى هذه السنة ثانى عشر صفر قتل الوزير الاعز أبو المحاسن عبد الجليل بن محمد الدهستانى وزير السلطان بركيارق على اصبهان وكان مع بركيارق محاصر اها فركب هذا اليوم من خيمته الى خدمة السلطان فجاء شاب أشقر قيل انه كان من غلمان أبى سعيد الحداد وكان الوزير قتله فى العام الماضى فانتهز الفرصة فيه وقيل كان باطنيا فجرحه عدة جراحات فتفرق اصحابه عنه ثم عادوا اليه فجرح قريبا منه جراحات اثخنته وعاد الى الوزير فقتله باجرمق وكان كريما واسع الصدر حسن الخلق كثير العمارة ونفر الناس منه لانه دخل فى الوزارة وقد تغيرت القوانين ولم يبق دخل ولا مال ففعل للضرورة ما خافه الناس بسببه وكان حسن المعاملة مع التجار فاستغنى به خلق كثير فكانوا يسالونه ليعاملهم فلما قتل ضاع منهم مال كثير حكى ان بعض التجار باعه متاعا بالف دينار فقال له خذ بها حنطة من الراذان خمسين كرا كل كر بعشرين دينارا فامتنع التاجر من اخذه وقال لا اريد غير الدنانير فلما كان من الغد دخل اليه التاجر فقال له يهنيك يا فلان فقال وما هو فقال خبر حنطتك فقال ما لى حنطة ولا اريدها قال بى

وقالوا نرسل الى كاشف القليوبية بالقبض عليه اينما كان وانصرفوا فاذا هم بين وقصدت العساكر بيت اسمعيل كاشف أبو مناخير فقبضوا على الغلمان واخذوهم الى دورهم ولم ينج منهم الا من كان بعيدا وهرب وتغيب وتفرق أتباعه ذوو اللحى واما الشيخ فسار من طريق الصحراء حتى وصل الى بهتيم وذهب الى نوب فعرف بمكانه الشيخ عبد العزيز قزوق البنهاوى الذى كان أغراه على الحضور الى مصر ولما سقط فى يده تبرأ عنه وذهب الى كتخدا بك وطلب له امانا واخبره انه مختف بضريح الامام الشافعى فاعطاه امانا وذهب اليه واحضره من نوب فلما حضر عند الكتخدا قال له أرخ لحيتك واترك ما انت عليه واقم فى بلدك واعطيك طين تزرعه ولا تتعرض لاحد ولا احد يتعرض لك والشيخ ساكت لا يتكلم وصحبته اربعة نفار من تلاميذهم الذين يخاطبون الكتخدا ويكلمونه ثم راشدا اصاص العسكر فاخذوه وذهبوا به الى بولاق وانزلوه فى مركب وانحدروا به ثم غابوا حصة وانقلبوا راجعين ثم بعد ذلك تبين انهم قتلوه والقوه فى البحر الا واحدا من الاربعة ألقى بنفسه فى البحر وسبح فى الماء وطلع الى البر وهرب وانفض امره (وفيه) ارسل الباشا وهو بالرحمانية يطلب شيخ دسوق فحضر اليه مائة من العسكر فلما اتوا اليه امتنع وقال ما يريد الباشا منى

وقد بيعت كل كر بخمسين دينارا فقال انا لم اتقبل بها فقال الوزير ما كنت لافسخ عقدا عقدته قال فخرجت واخذت ثمن الحنطة الغين وخمسمائة دينار واضفت اليها مثلها وعاملته فقتل فضاع الجميع وكان قد نفق عليه عمل الكيمياء واختص به انسان كيميائي فكان يعده الشهر بعد الشهر والحول بعد الحول وقال له بعض اصحابه وقد احاله عليه بكر حنطة فاسترادها لو كان صادقا في عمله لما كان يسترفد من القدر القليل وقتل ولم يصح له منه شئ ولما قتل الاعز ابو المحاسن وزر بعده الوزير الخطير ابو منصور الميبذي الذي كان وزير السلطان محمد وكان سبب فراقه لوزارة محمد انه كان معه باصبهان وبركيارق يحاصره وقد سلم اليه محمد بابا من ابوابها ليحفظها فقال له الامير ينال بن انوشتكين كنت قد كلفتنا ونحن بالري لتقصد همذان وقلت انا اقيم بالعسكر من مالي واحصل لهم ما يقوم بهم ولا بد من ذلك فقال له الخطير انا افعل ذلك فلما كان الليل فارق البلد وخرج من الباب الذي كان مسلم اليه وقصد بلده ميبذ واقام بقلعتها متحصنا فارسل اليه السلطان بركيارق من حصره فنزل منها مستامنا فحمل على بغل باكاف الى العسكر فوصله في طريقه قتل الوزير الاعز وكتاب السلطان له بالامان وطيب قلبه فلما وصل الى العسكر خلع عليه واستوزره

(حادثة يعتبر بها)

في سنة ثلاث وتسعين بيع رحل بني جهير ودورهم بباب العامة ووصل ثمن ذلك الى مؤيد الملك ثم قتل في سنة اربع وتسعين مؤيد الملك وبيع ماله وتركته واخذ الجميع وحمل الى الوزير الاعز وقتل الوزير الاعز هذه السنة وبيع رحله واقتسمت امواله واخذ السلطان ومن ولي بعده اكثرها وتفرقت ايدي سبا وهذا عاقبة خدمة الملوك

(ذكر الفتنة بين ايلغازي وعامة بغداد)

في هذه السنة في رجب كانت فتنة شديدة بين عسكر الامير ايلغازي بن ارتق شحنة بغداد وبين عامتها وسببها ان ايلغازي كان بطريق خراسان فعاد الى بغداد فلما وصل اتى جماعة من اصحابه الى دجلة فنادوا ملاحا ليعبر بهم فتاخر فرماه احدهم بنشابة فوقعت في مشعره فمات فاخذ العامة القاتل وقصدوا باب النوبي فلقيهم ولد ايلغازي مع جماعة فاستنقذوه ورجم العامة بسوق الثلاثاء فمضى الى ابيه مستغيثا فاخذ حاجب الباب من له في هذه الحادثة عمل فلم يقنع ايلغازي ذلك فعبر باصحابه الى محلة الملاحين المعروفة بمربعة القطانين وتبعهم خلق كثير فنهبوا ما وجدوا وقدروا عليه فعطف عليهم العيارون فقتلوا اكثرهم ونزل من سلم في السفن ليعبر دجلة فلما توسطوها القى الملاحون انفسهم في الماء وتركوهم فغرقوا فكان الغريق اكثر من القتيل وجمع ايلغازي التركمان واراد نهب الجانب الغربي فارسل اليه الخليفة قاضي القضاة والكيا الهراسي المدرس بالنظامية فمنعاه من ذلك فامتنع

(ذكر قصد صاحب البصرة مدينة واسط وعوده عنها)

وفي طلبه وانا ادفعه ان كان غرامة او كلفة . ٤١ فقالوا الاندوي وانما امرنا باحضارك فشاغلهم بالطعام والقهوة ووزع بهائمه وحريمه والذي يخاف عليه وفي الوقت وصلت مراكب وبها عساكر وطلعوا الى البر فركب شيخ البلد خيوله وخيالته واستعد لحربهم وحاربهم وابلى معهم وقتل منهم عدة كبيرة ثم ولى هاربا فدخل العسكر الى البلد ونهبوها واخذوا ما وجدوه في دور اهلها وعبر وامقام السيد الدسوقي وذبحوا من وجدوه من المجاورين وفيهم من طلبة العلم العواجز (وفيه) ركب كتخدا بك ومر على بيت الداودية وبه طائفة من الدلاة فرأى شخصا منهم يرجم دجاجة بحجر ليرميها من سطح دار اخرى فانتهره واراد ضربه فقامت عليه رفقاؤه الدلاتية وقرصوا عليه فولى هاربا منهم فعدوا خلفه ولم يزل راكضا هو واتباعه حتى وصل الى ناحية الازبكية

(واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة ١٢٢٢)

في رابعه وردت مكاتبات من الباشا بوقوع الصلح بينه وبين الانكليز واتفقوا على خروجهم من الاسكندرية وتخلوها وتزولهم منها وارسل يطلب الاسرى من الانكليز (وفي عاشره) ورد قابجي ويسمى نجيب افندي فوصل الى بولاق يوم الاثنين حادي عشره وكان وروده من ناحية دمياط فلما علم ان الباشا بناحية

في

الخبيرة المنسوبة اليه وقابله بدمشو رو بعصبته بكثره وص الباشا فقفطان وسيف وشالجي وخلع لكبار العسكر مثل حسن باشا وطاهر باشا وعابدين بك وعمر بك وصالح قوج فنزل ببيت محمد الطويل التتنجي ببولاق (وفيه) نزلوا بالاسرى من الانكليز الى المراكب ليسافروا الى الاسكندرية (وفي يوم الاربعاء ثالث عشره) وصل المبشر بنزول الانكليز من ثغر الاسكندرية الى المراكب ودخل اليها كتخدا بك ونزل بدار الشيخ المسيري واستمر الباشا مقيما عند السد (وفي يوم السبت سادس عشره) ركب القبجي من بولاق بالموكب وشق من وسط المدينة وذهب الى بيت الباشا وضربوا لقدومه مدافع من القلعة (وفي يوم الاربعاء سابع عشرينه) ولد للباشا مولود من حظية وحضر المبشرون بنزول الانكليز من الاسكندرية ودخول الباشا بها فعملوا شنكا وضربوا مدافع من القلعة ثلاثة ايام في الاوقات الخمسة آخرها السبت (وفي يوم الخميس والجمعة والسبت) وصلت عساكر كثيرة ودخلوا المدينة وطلبوا سكنى البيوت وازعجوا الناس واخرجوهم من اوطانهم وضجت الخلائق وحضر الكثير الى السيد عمر والمشايخ فكتبوا عرضا في شان ذلك وارسلوه الى كتخدا بك فاظهر الاهتمام واحضر عدة من كبار العسكر وكلمهم في ذلك وقال لهم كل من كان ساكنا

وفي هذه السنة في العشرين من شوال قصد الامير اسمعيل صاحب البصرة مدينة واسط للاستيلاء عليها ونحن نبتدئ بذكر اسمعيل وتنقل الاحوال به الى ان ملك البصرة وهو اسمعيل بن سلانجق وكان اليه في ايام ملكشاه شحنكية الري ولما وليها كان اهل الري والرستاقية قد اعيوا من وليهم وعجز الولاة عنهم فسلك معهم طريقا اصلحهم بها وقتل منهم مقتلة عظيمة فتهذبوا بها واوصل من شعورهم الى السلطان ما عمل منه مقاود وشكالا للدواب ثم عزل عنها ثم ان السلطان بركيارق اقطع البصرة للامير قماج فارسل اليها هذا الامير اسمعيل نائبا عنه فلما فارق قماج بركيارق وانتقل الى خراسان حدثته نفسه بالتغلب على البصرة والاستبداد فانحدر مهذب الدولة بن ابي الجبر من البطيحة اليه ليحاربه ومعه معقل بن صدقة بن منصور بن الحسين الاسدي صاحب الجزيرة الدبيسية فاقبلا في جمع كثير من السفن والخيل ووصلوا الى مطارا فبينما معقل يقاتل قريبا من القلعة التي بناها بمطارا وجددها اسمعيل واحكمها اتاه سهم غرب فقتله فعاد ابن ابي الجبر الى البطيحة واخذ اسمعيل سفنه وفي السنة احدى وتسعين فاستمد ابن ابي الجبر كوهرائين فامده بابي الحسن الهروي وعباس بن ابي الجبر فلقيهما فكسرهما واسرهما واطلق عباسا على مال اوسله ابوه واصطلحا واما الهروي فبقي في حبسه مدة ثم اطلقه على خمسة آلاف دينار فلم يصح له منها شئ وقوي حال اسمعيل فبنى قلعة بالابلة وقلعة بالشاطئ مقابل مطارا وصار يخوف الجانب وامن البصريون به واسقط شيئا من المكوس واتسعت امارته باشتغال السلاطين وملك المشان واستضافها الى ما بيده فلما كان هذه السنة كاتبه بعض عسكر واسط بالتسليم اليه فقوي طمعه في واسط فاصعد في السفن الى نهرابان وراسلهم في التسليم فامتنعوا من ذلك وقالوا ارسلناك وقد راينا غير ذلك الراي فاصعد الى الجانب الشرقي فخيم تحت النخيل وسفنه بين يديه وخيم جند واسط حذاءه وراسلهم ووعدهم وهم لا يجيبونه واتفقت العامة مع الجند وشتموه اقبح شتم فلما ايس منهم عاد الى البصرة وساروا بازائه من الجانب الآخر فوصل الى العمر وعبر طائفة من اصحابه فوق البلد وهو يظن ان البلد خال وان الناس قد خرجوا منه فلما رأى كثرة من بازائه فيوقع الحريق في البلد فاذا رجع الاتراك عادهو ومن ورائهم فكان ضنه خائبا لان العامة كانوا على دجلة اولهم في البلد وآخرهم مع الاتراك بازائه فلما عبر اصحابه عاد الاتراك عليهم ومعهم العامة فقتلوا منهم ثلاثين رجلا واسروا خلقا كثيرا والقى الباقون انفسهم في الماء فنجا من ذلك مصيبة لم يظنها وصار اعيان اصحابه ماسورين وعاد الى البصرة وكان عوده من سعادته فانه كان قد قصد الامير ابو سعد محمد بن مضر بن محمود البصرة ذلك الوقت وله اعمال واسعة منها نصف عمان وجنابة وسيراف وجزيرة بني نفيس وكان سبب قصده اياها انه كان قد صار مع اسمعيل انسان يعرف بجعفرك وآخر اسمه زنجويه ولثالث بابي الفضل الابلي فاطمعوه في ان يعمل مراكب يرسل فيها مقاتلة في البحر الى هذا ابي سعد وغيره فعمل نيفا وعشرين قطعة فلما علم ابو سعد الحال ارسل جماعة كثيرة من

اصحابه فى نحو خمسين قطعة فاتوا الى دجلة البصرة وذلك فى السنة الخالية فاقاموا بها يحاربون وظفروا بطائفة من اصحاب اسمعيل وقتلوا صاحب قلعة الابلة وكاتبوا بنى برسق بخوزستان يطلبون ان يرسلوا عسكرا ليساعدوهم على اخذ البصرة فتمادى الجواب وركن الطائفتان الى الصلح على ان يسلم اليهم اسمعيل جعفرك ورفيقه ويقطعهم مواضع ذكروها من اعمال البصرة فلما رجعوا الى الجزيرة لم يفعل شيأ من ذلك واخذ مركبين للقوم من اصحاب ابى سعد فحمله ذلك على ان سار بنفسه فى قطع كثيرة تزيد على مائة قطعة بين كبيرة وصغيرة ووصل الى فوهة نهر الابلة وخرج عسكر اسمعيل فى عدة مراكب ووقع القتال بينهم وكان البحريون فى نحو عشرة آلاف واسمعيل فى سبعمائة واصعد البحريون فى دجلة فاحرقوا عدة مواضع وتفرق عسكر اسمعيل فبعضه بالابلة و بعضه بنهر الدير و بعضه فى مواضع أخر فلما ضعف اسمعيل عن مقاومة ابى سعد طلب من وكيل الخليفة على ما يتعلق بديوانه من البلاد ان يسعى فى الصلح فارسل اليه فى ذلك فاعاد الجواب يذكر قبح ما عامله به اسمعيل مرة بعد اخرى وتكررت الرسائل بينهم فاجاب الى الصلح فاصطلحا واجتمعا وعاد ابو سعد الى بلاده وحمل كل واحد منهما لصاحبه هدية جميلة

●(ذكر وفاة كربوقا وملك موسى التركمانى الموصل وجكرمش بعده وملك سقمان الحصن)●

فى هذه السنة فى ذى القعدة توفى قوام الدولة كربوقا عند مدينة خوى وكان السلطان بركيارق قد ارسله فى العام الماضى الى اذربيجان كما ذكرناه فاستولى على اكثرها واتى الى خوى فمرض بها ثلاثة عشر يوما وكان معه اصبهبذ صباوة بن خمارتكين وسنقرجه فوصى الى سنقرجه وامر الاتراك بطاعته واخذله على عسكره العهود مات على اربعة فراسخ من خوى ولف فى زلية لعدم ما يكفن فيه ودفن بخوى وسار سنقرجه واكثر العسكر الى الموصل فتسلمها فاقام بها ثلاثة ايام وكان اعيان الموصل قد كاتبوا موسى التركمانى وهو بحصن كيفا ينوب عن كربوقا فيها وسالوه ان يبادر اليهم ليسلموا اليه البلد فسار مجدا فسمع سنقرجه بوصوله فظن انه جاء اليه خدمة له فخرج ليستقبله فى اهل البلد فلما تقاربا نزل كل واحد منهما لصاحبه عن فرسه واعتنقا وبكيا على قوام الدولة فتسايرا فقال سنقرجه لموسى فى جملة حديثه انا مقصودى من جميع ما كان لصاحبنا المخدة والمنصب والاموال والولايات لكم وبحكمكم فقال موسى من نحن حتى يكون لنا مناصب ودستا الامر فى هذا الى السلطان يرتب فيه من يريد ويولى من يختار وجرى بينهما محاورات فجذب سنقرجه سيفه وضربه صفحا على رأسه فجرحه فالقى موسى نفسه الى الارض وجذب سنقرجه فالقاه الى الارض وكان مع موسى ولد منصور ابن مروان الذى كان ابوه صاحب ديار بكر فجذب سكينا وضرب بها رأس سنقرجه فابانه ودخل موسى البلد وخلع على اصحاب سنقرجه وطيب نفوسهم فصارت الولاية له ولما

قبل الخزر ونتج الى العرضى فى دارة ابن تبع الهواء يسكنها ولا عمارة والناس فى مساكنهم فلم يفد كلاما مع ذلك شيئا لان البيوت التى كانوا بها اخربوها وحرقوا اخشابها وتركوها كيمانا وفلك دايم

●(واستهل شهر شعبان بيوم السبت سنة ١٢٢٢)●

فى ثالثه يوم الاثنين وصل الباشا الى ساحل بولاق فضربوا لقدومه مدافع من القلعة وعملوا له شنكا ثلاثة ايام واتفق ان الباشا فى حال رجوعه من الاسكندرية نزل فى سفينة صغيرة وصحبته حسن باشا طاهر وسليمان اغا الوكيل سابقا فانقلبت بهم واشرف ثلاثتهم على الغرق وتعلق بعضهم بحرف السفينة فلحقتهم مركب أخرى انقذتهم من الغرق وطلعوا سالمين وكان ذلك عند زفيتة (وفيه) كتبوا اوراق البشارة بذهاب الانكليز وسفرهم من الاسكندرية وأرسلوها الى البلاد والقرى وعليها حق الطريق أربعة آلاف والفين فضة وصورة ما حصل أنه لما وصل الباشا الى ناحية الاسكندرية راسل الانكليز وحضر اليه انفار منهم واختلى معهم ولم يعلم احد ما دار بينهم من الكلام وذهبوا من عنده واشيع الصلح وفرحت العسكر لانهم لما راوا صورة المتاريس والطوابى والخنادق وجرى المياه بين ذلك بالاوضاع المتقنة هالهم ذلك ثم حضر من عظمائهم اشخاص ولما علم الباشا بوصولهم رتب

مع شمس الدولة جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر الخبر قصد نصيبين وتسلمها وسار موسى قاصدا الى الجزيرة فلما قارب جكرمش غدر بموسى عسكره وصاروا مع جكرمش فعاد موسى الى الموصل وقصده جكرمش وحصره مدة طويلة فاستعان موسى بالامير سقمان بن ارتق وهو يومئذ بديار بكر واعطاه حصن كيفا وعشرة آلاف دينار فسار سقمان اليه فرحل جكرمش عنه وخرج موسى لاستقبال سقمان فلما كان موسى عند قرية تسمى كراثا فوثب عليه عدة من الغلمان القوامية فقتلوه رماه احدهم بنشابة فقتله فعاد اصحابه منهزمين ودفن على تل هناك يعرف الآن بتل موسى ورجع الامير سقمان الى الحصن فملكها وهي بيد اولاده الى يومنا هذا سنة عشرين وستمائة وصاحبها حينئذ غازى بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان بن ارتق وقصد جكرمش الموصل وحصرها اياما ثم تسلمها واصلحها واحسن السيرة فيها واخذ القوامية الذين قتلوا موسى فقتلهم واستولى بعد ذلك على الخابور وملك العرب والاكراد فاطاعوه

•(ذكر حال صنجيل الفرنجي وما كان منه في حصار طرابلس)•

كان صنجيل الفرنجي لعنه الله قد لقى قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش صاحب قونية وكان صنجيل في مائة الف مقاتل وكان قلج ارسلان في عدد قليل فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم كثير واسر كثير وعاد قلج ارسلان بالغنائم والظفر الذي لم يحتسبه ومضى صنجيل مهزوما في ثلثمائة فوصل الى الشام فارسل فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس الى الامير ياخز خليفة جناح الدولة على حمص فالى الملك دقاق بن تتش يقول من الصواب ان يعاجل صنجيل اذ هو في هذه العدة القريبة فخرج الامير ياخز بنفسه وسير دقاق الفي مقاتل واتتهم الامداد من طرابلس فاجتمعوا على باب طرابلس وصافوا صنجيل هناك فاخرج مائة من عسكره الى اهل طرابلس ومائة الى عسكر دمشق وخمسين الى عسكر حمص وبقى هو في خمسين فاما عسكر حمص فانهم انكسروا عند المشاهدة وولوا منهزمين وتبعهم عسكر دمشق واما اهل طرابلس فانهم قاتلوا المائة الذين قاتلوهم فلما شاهد ذلك صنجيل حمل في المائتين الباقية فكسروا اهل طرابلس وقتلوا منهم سبعة آلاف رجل ونازل صنجيل طرابلس وحصرها واتاه اهل الجبل فاعانوه على حصارها وكذلك اهل السواد واكثرهم نصارى فقاتل من بها اشد قتال فقتل من الفرنج ثلثمائة ثم انه هادنهم على مال وخيل فرحل عنها الى مدينة انطرسوس وهى من اعمال طرابلس فحصرها وفتحها وقتل من بها من المسلمين ورحل الى حصن الطوبان وهو يقارب رفنية ومقدمه يقال له ابن العريض فقاتلهم فنصر عليه اهل الحصن واسر ابن العريض منه فارسا من اكابر فرسانه فبذل صنجيل في فدائه عشرة آلاف دينار والف اسير فلم يجبه ابن العريض الى ذلك

•(ذكر ما فعله الفرنج)•

العساكر وتظلموا ديوانا وهياوا واوقف العساكر صفوفا ميمنة وميسرة وعندما وصلوا اضربوا لهم مدافع كثيرة وشنكا وقدم لهم خيولا وهدايا واقمشة هندية وخلع عليهم خلعا وشيلانا كشميرية وغير ذلك ثم ركب معهم في قلة الى حيث منزلة سارى عسكرهم وكبيرهم قنلا في معهم وقدم له الآخر هدايا وطرائف ثم ركب معه الى الاسكندرية وتسلم القلعة وذلك بعد دخول كقدابك بخمسة ايام وكان في اسرى الانكليز انفار من عظمائهم فاحضرهم الباشا مع باقى الاسرى وتم الصلح على رد المذكورين على انهم لم ياتوا طمعا في البلاد كما تقدم ولما نزلوا بالمراكب لم يبعدوا عن الثغر الا مسافة قليلة واستمروا يقطعون على المراكب الواردين على الثغور وذلك لما بينهم وبين العثمانى من المفاقمة (هذا) ما كان من امر الانكليز (واما العساكر) فانهم الخشوا في التعدى على الناس وغصب البيوت من اصحابها فتاتى الطائفة منهم الى الدار المسكونة ويدخلونها من غير احتشام ولا اذن ويهجمون على سكن الحرم بحجة انهم يتفرجون على اعالى الدار فتصرخ النساء ويجتمع اهل الخطة ويكلمونهم فلا يلتفتون اليهم فيعالجونهم مرة بالملاطفة واخرى بكثرة الجمع ان كان بهم قوة او بمعونة ذى مقدرة واذا انفصلوا فلا يخرجون من الدار الا بمصلحة او هدية لما قدروا ويشترطون في ذلك الشيلان الكشميرى

في هذه السنة أطلق الدانشمند بهندالفرنجي صاحب انطاكية وكان قد اسره وقد تقدم ذكر ذلك واخذ منه مائة ألف دينار وشرط عليه اطلاق ابنة باغيسيان الذي كان صاحب انطاكية وكانت في أسره ولما خلص بيمند من اسره عاد الى انطاكية فقويت نفوس أهلها به ولم يستقر حتى ارسل الى أهل العواصم وقنسرين وما جاورها يطالبهم بالاتاوة فورد على المسلمين من ذلك ما طمس المعالم التي بناها الدانشمند وفيها سار صنجيل الى حصن الاكراد فحصره فجمع جناح الدولة عسكره ليسير اليه ويكبسه فقتله باطني بالمسجد الجامع فقيل ان الملك رضوان ربيبه وضع عليه من قتله فلما قتل صبح صنجيل حمص من الغد ونازلها وحصر اهلها وملك اعمالها ونزل القمص على عكا في جمادى الآخرة وضيق عليها وكاد يأخذها ونصب عليها المنجنيقات والابراج وكان له في البحر ست عشرة قطعة فاجتمع المسلمون من سائر السواحل واتوا الى منجنيقاتهم وابراجهم فاحرقوها واحرقوا سفنهم أيضا وكان ذلك نصرا عجيبا اذل الله به الكفار وفيها سار القمص الفرنجي صاحب الرها الى بيروت من ساحل الشام وحصرها وضايقها واطال المقام عليها فلم ير فيها مطمعا فرحل عنها وفيها في رجب خرجت عساكر مصر الى عسقلان ليمنعوا الفرنج عما بقي في أيديهم من البلاد الشامية فسمع بهم بردويل صاحب القدس فسار اليهم في سبعمائة فارس وقاتلهم فنصر الله المسلمين وانهزم الفرنج وكثر القتل فيهم وانهزم بردويل فاختفى في اجمة قصب فاحرقت تلك الاجمة ولحقت النار بعض جسده ونجا منها الى الرملة فتبعه المسلمون وأحاطوا به فتنكر وخرج منها الى يافا وكثر القتل والاسر في أصحابه

(ذكر عود قلعة خفتيذ كان الى سرخاب بن بدر)

في هذه السنة عادت قلعة خفتيذ كان الى الامير سرخاب بن بدر بن مهلهل وكان سبب اخذها منه ان قرابلي وهو من قبيل من التركمان يقال لهم سلغر كان قد اتى الى بلد سرخاب فمنعه من المراعي وقتل جماعة من أصحابه فمضى قرابلي الى التركمان واستجاش بهم وجاء في عسكر كثير فلقيه سرخاب وقاتله فقتل قرابلي من أصحابه الاكراد قريبا من الفي رجل وانهزم سرخاب الى بعض جباله في عشرين رجلا فلما سمع المستحفظان بقلعة خفتيذ كان ذلك وكانا رجلين حدثتهما أنفسهما بالاستيلاء عليها وكان بها ذخائره وأمواله وقد رها يزيد على الفي ألف دينار فتملكاها واجتازبها السلطان بركيارق فانفذا اليه مائتي ألف دينار واستولى التركمان على جميع بلاد سرخاب بن بدر سوى دقوقا وشهرزور فلما كان هذا الوقت قتل أحد المستحفظين الآخر وارسل الى سرخاب يطلب منه الامان ليسلم اليه القلعة فامنه على نفسه وعلى ما حصل بيده من أموالها فسلمها اليه ووفى له

(ذكر قتل قدرخان صاحب سمرقند)

وقد ذكرنا قبل قدوم الملك سنجر مع أخيه السلطان محمد الى بغداد وعوده الى خراسان

فلما

فاذا أحضروا لهم مطلوبهم فلا يعجب كبيرهم ويطالب خلافه أحمر أو أصفر واتفق ان بعضهم دخل عليه يبغي اشيا حمامه فلم يزل به حتى صالحه على شال يأخذه ويترك له داره فاتاه بشال اصفر فاظهر انه لا يريد الا الاحمر الدودة فلم يسعه لا الرضا واراد ان يرد الاصفر ويأتيه بالاحمر فعجزه وقال دعه حتى تأتي بالاحمر فاختار منهما الذي يعجبني فلما أتاه بالاحمر ضمه الى الاصفر واخذ الاثنين ثم انصرف عنه وذلك خلاف ما يأخذونه من الدراهم فاذا انصرفوا وظن صاحب الدار انهم انجلوا عنه فيأتيه بعد يومين أو ثلاثة خلافهم ويقع في ورطة أخرى مثل الاولى او أخف او أعظم منها وبعضهم يدخل الدار ويسكنها بالحيل والملاطفة مع صاحب الدار فيقول له يا أخي يا حبيبي أنا معي ثلاثة انفار وأربعة لا غير ونحن مسافرون بعد عشرة ايام والقصد ان تفسح لنا نقيم في محل الرجال وانت بحريمك في مكانهم اعلى الدار فيظن صدقهم ويرضى بذلك على تخوف وكره فيعبرون ويجلسون كما قالوا في محل الرجال ويربطون خيولهم في الحوش ويعلقون اسلحتهم ويقولون نحن صرنا ضيوفك فاذا اراد أن يرفع فرش المكان يقولون نحن نجلس على الحصير والبلاط واي شئ يصيب الفرش فيتركه حياء وقهرا ثم يطلبون الطعام والشراب فما يسعه الا ان يتكلف لهم ذلك في اوقاته

فلما وصل الى نيسابور خطب لاخيه محمد بخراسان جميعها ولما كان ببغداد طمع
قدرخان جبريل بن عمر صاحب سمرقند فى خراسان لبعده عنها وجمع عساكر تملأ
الارض قيل كانوا مائة الف مقاتل فيهم مسلمون وكفار وقصد بلاد سنجر وكان امير من
امراء سنجر اسمه كندغدى قد كاتب قدرخان بالاخبار واعلمه مرض سنجر وبعده عوده
الى بلاده وانه قد اشفى على الهلاك وقوى طمعه بالاختلاف الواقع بين السلطانين
بركيارق ومحمد وبشدة عداوة بركيارق لسنجر واشار عليه بالسرعة مهما الاختلاف
واقع وانه متى اسرع ملك خراسان والعراق فبادر قدرخان واقدم وقصد البلاد فبلغ
السلطان سنجر الخبر وكان قد عوفى فبادر وسار نحوه قاصدا قتاله ومنعه عن البلاد
وكان من جملة من معه كندغدى المذكور ولا يتهمه بشئ مما فعل فوصل الى بلخ فى
ستة آلاف فارس فبقى بينه وبين قدرخان نحو خمسة ايام فهرب كندغدى الى قدرخان
وحالف كل واحد منهما لصاحبه على الاتفاق والمناصحة وسار من عنده الى ترمذ فملكها
وكان الباعث لكندغدى على ما فعل حسده للامير برغش على منزلته ثم تقدم
قدرخان فلما تدانى العسكران ارسل سنجر يذكر قدرخان العهود والمواثيق القديمة فلم
يصغ الى قوله واذكى سنجر العيون والجواسيس على قدرخان فكان لا يخفى عنه شئ
من خبره فاتاه من اخبره انه نزل بالقرب من بلخ وانه خرج متصيدا فى ثلثمائة فارس فندب
سنجر عند ذلك الامير برغش لقصده فسار اليه فلحقه وهو على تلك الحال فقاتله فلم
يصبر من مع قدرخان فانهزموا واسر كندغدى وقدرخان واحضرهما عند سنجر فاما
قدرخان فانه قبل الارض واعتذر فقال له سنجر ان خدمتنا او لم تخدمنا فما جزاؤك الا
السيف ثم امر به فقتل فلما سمع كندغدى الخبر نجا بنفسه ونزل فى قناة ومشى فيها
فرسخين تحت الارض على ما به من النقرس وقتل فيها حيتين عظيمتين وسبق اصحابه
الى مخرجها وسار منها فى ثلثمائة فارس الى غزنة وقيل بل جمع سنجر عساكر كثيرة
والتقى هو وقدرخان وجرى بينهما مصاف وقتال عظيم كثر فيه القتل فيهم فانهزم
قدرخان وعسكره وحمل اسيرا الى سنجر فقتله وحصر ترمذ وبها كندغدى فطلب
الامان فامنه سنجر ونزل اليه وسلم ترمذ فامره سنجر بمفارقة بلاده فسار الى غزنة فلما
وصل اليها اكرمه صاحبها علاء الدولة وحل عنده المحل الكبير واتفق ان صاحب
غزنة عزم على قصد اوقان وهى جبال منيعة على اربعين فرسخا من غزنة وقد عصى
عليه فيها قوم وتحصنوا بمعاقلها ووعور مسالكها فقاتلهم عسكر علاء الدولة فلم
يظفروا منهم بطائل فتقدم كندغدى منفردا عنهم فابلى بلاء حسنا ونصر عليهم واخذ
غنائمهم وحملها الى علاء الدولة فلم يقبل منها شيأ ووفرها عليه فغضب العسكر وحسدوه
على ذلك وعلى قربه من صاحبهم ونفاقه عليه فاشاروا بقبضه وقالوا انا لا نامن ان يقصد
بعض الاماكن فيفعل فى امر الدولة ما لا يمكن تلافيه فقال قد تحققت قصدكم لكن ان
اقبض عليه فانى اخاف ان آمركم بالقبض عليه فتنكرونه تفضحون به فقالوا الصواب
ان توليه ولاية ويقبض عليه اذا سار اليها فولاه حصنين جرت عادته ان يحبس فيهما من

ويستعملون الاوانى ويطلبون ما يحتاجون اليه مثل الطشت والابريق وغير ذلك ثم تأتيهم رفقاؤهم شيئا
فشيئا ويدخلون ويخرجون
وبايديهم الاسلحة ويضيق
عليهم المكان فيقولون
لصاحب المكان اخل لنا
محلا آخر فى الدار فوق لرفقائنا
فان قال ليس عندنا محل آخر
او قصر فى مطلوب ابتدأوه
بالقسوة فعند ذلك يعلم صاحب
الدار انهم لا انفكاك لهم عن
المكان ولو بما مضت العشرة
ايام او اقل او اكثر وظهرت
قبائحهم وقذروا المكان
واحرقوا البسط والحصر بما
يتساقط عليها من الجمر من
شربهم النارجيلات والتنباك
والدخان وشربوا الشراب
وعربدوا وصرخوا وصفقوا
وغنوا بلغاتهم المختلفة وفاحت
رائحة العرقى فى المنزل فيضيق
صدر الرجل وصدر اهل بيته
ويضيق خاطرهم على
الخروج والنقلة فيطلبون
لانفسهم مسكنا ولو مشتركا
عند جيرانهم او معارفهم
وتخرج النساء فى غفلة بثيابهن
وما يمكنهن حمله ثم يشرعون
فى اخراج المتاع والاوانى
والنحاس والفرش فيحجزونه
منهم ويقولون اذا اخذتم ذلك
فعلى اى شئ نجلس وفى اى
شئ نطبخ وليس معنا فرش
ولا نحاس والذى كان معنا
استهلكناه فى السفر والجهاد
ودفع الكفار عنكم وانتم
مستريحون فى بيوتكم وعند حريمكم فيقع النزاع وينفصل الامر بينهم وبين صاحب الدار

يخاف جانبه فسار اليه فلما قاربهم سار فرس مار اد منه فاحرق جميع ماله ونحر جماله وسار جريدة وكان في مدة مقامه بغزنة يسال عن الطرق وشعبها فانه قدم على قصد تلك الجهة فلما سار سال راعيا عن الطريق التي يريدها فدله فاخذه معه خوفا ان يكون قد غره ولم يزل سائرا الى ان وصل الى قريب هراة فمات هناك وهو من مماليك تتش ابن الب ارسلان الذي كحله اخوه ملكشاه وسجنه بتكريت وقد تقدم ذكر حادثته

(ذكر ملك محمد خان سمرقند)

في هذه السنة احضر السلطان سنجر محمد ارسلان خان بن سليمان بن داود بغراخان من مرو وملكه سمرقند بعد قتل قدرخان وكان هذا محمد خان من اولاد الخانية بما وراء النهر وامه ابنة السلطان ملكشاه فدفع عن ملك آبائه فقصد مرو واقام بها الى الآن فلما قتل قدرخان ولاه سنجر اعماله وسير معه العساكر الكثيرة فعبروا النهر فاطاعه العساكر بتلك البلاد جميعها وعظم شانه وكثرت جموعه الا انه انتصب له امير اسمه صاغو بك وزاحمه في الملك فطمع فيه فجرى له معه حروب احتاج في بعضها الى الاستنجاد بعساكر سنجر على ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى ولما ملك محمد خان البلاد احسن الى الرعايا بوصية من سنجر وحقن الدماء وصار بابه مقصدا وجنابه ملجا

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الاول خرج تاج الرؤساء ابن اخت امين الدولة ابي سعد بن الموصلايا الى الحلة السيفية مستجيرا بسيف الدولة صدقة وسبب ذلك ان الوزير الاعز وزير السلطان بركيارق كان ينسب اليه انه هو الذي يميل جانب الخليفة الى السلطان محمد فسار خائفا واعتزل خاله امين الدولة الديوان وجلس في داره فلما قتل الوزير الاعز على ما ذكرناه عاد تاج الرؤساء من الحلة الى بغداد وعاد خاله الى منصبه وفي ربيع الاول ايضا ورد العميد المهذب ابو المجد اخو الوزير الاعز الى بغداد نائبا عن اخيه ظنا منه ان ايلغازي لا يخالفهم حيث كان بركيارق ومحمد قد اتفقا كما ذكرناه فقبض عليه ايلغازي ولم يتغير عن طاعة محمد وفيها في جمادى الاولى ورد الى بغداد ابن تكش بن الب ارسلان وكان قد استولى على الموصل فخدعه من كان بها حتى يسير عنها الى بغداد ففعل فلما وصل اليها زوجه ايلغازي بن ارتق ابنته وفيها في شهر رمضان استوزر الخليفة سديد الملك ابا المعالي بن عبد الرزاق ولقب عضد الدين وفيها في صفر قتل الرعيون بهيت قاضي البلد ابا علي بن المثنى وكان ورعا فقيها حنفيا من اصحاب القاضي ابي عبد الله الدامغاني وكان هذا القاضي على ما جرت به عادة القضاة هناك من الدخول بين القبائل فنسبوه في ذلك الى التحامل عليهم فقتله احدهم فقدم الباقون على قتله وقد فات الامر وفيها بنى سيف الدولة صدقة بن مزيد الحلة بالجامعين وسكنها وانما كان يسكن هو وآباؤه قبله في البيوت العربية وفي جمادى الاولى قتل المؤيد بن شرف الدولة مسلم بن قريش امير بني عقيل قتله بنو نمير عند هيت قصاصا

اما بترك الدار عافيه او بالمقاسمة والمصالحة بالترجي والوسايط ونحو ذلك وهذا الامر يقع لاعيان الناس والمتعين بالبلدة من الامراء والاجناد المصريين واتباعهم ونحوهم ثم انهم تعدوا الى الحارات والنواحي التي لم يتقدم لهم السكنى بها قبل ذلك مثل نواحي المشهد الحسيني وخلف الجامع المؤيدي والخرنفش والجمالية حتى ضاقت المساكن بالناس لقلتها وصار بعض المحتشمين اذا سكن بجواره عسكري يتحول من داره ولو كانت ملكه بعدا من جوارهم وخوفا من شرهم وتسلقهم على الدار لانهم يصعدون على الاسطح والحيطان ويتطلعون على من بجوارهم ويرمون بالبندقيات والطبنجات ومما اتفق ان كبيرا منهم دخل بطائفته الى منزل بعض الفقهاء المعتبرين وامره بالخروج منها ليسكن هو بها فاخبره انه من مشايخ العلم فلم يلتفت لقوله فتركه ولبس عمامته وركب بغلته وحضر الى اخوانه المشايخ واستغاث بهم فركب معه جماعة منهم وذهبوا الى الدار ودخلوا اليها راكبين بغالهم فعندما شاهدهم العسكر وهم واصلون في كبكبة اخذوا اسلحتهم وسحبوا عليهم السيوف فرجع البعض هاربا وثبت الباقون ونزلوا عن بغالهم وخاطبوا كبيرهم وعرفوه انه ادار العالم الكبير وهذا لا يناسب وان النصارى واليهود يكرمون وفيها

وفيها توفي القاضي البندنيجي الضرير الفقيه الشافعي انتقل الى مكة فجاور بها اربعين سنة يدرس الفقه ويسمع الحديث ويشتغل بالعبادة وفيها توفي ابو عبد الله الحسين ابن محمد الطبري باصبهان وكان يدرس فقه الشافعي بالمدرسة النظامية وقد جاوز تسعين سنة وهو من اصحاب ابي اسحق وفيها توفي الامير منظور بن عمارة الحسيني امير المدينة على ساكنها الصلاة والسلام وقام ولده مقامه وهو من ولد المهنا وقد كان قتل المعمار الذي انفذه مجد الملك البلاساني لعمارة القبة التي على قبر الحسن بن علي والعباس رضي الله عنهما وكان من اهل قم فلما قتل البلاساني قتله منظور بعد ان أمنه وكان قد هرب منه الى مكة فارسل اليه بامانه

(ثم دخلت سنة ست وتسعين واربعمائة)

(ذكر استيلاء ينال على الري واخذها منه ووصوله الى بغداد)

كانت الخطبة بالري للسلطان بركيارق فلما خرج السلطان محمد من اصبهان على ماذكرناه ومعه ينال بن انوشتكين الحسامي استأذنه في قصد الري واقامة الخطبة له بها فاذن له فسار هو واخوه علي بن انوشتكين فوصلا اليها في صفر فاطاع من بها من نواب بركيارق وخطب لمحمد بالري واستولى ينال على البلد وعسف اهله وصادرهم بمائتي الف دينار واقام بها الى النصف من ربيع الاول فورد اليه الامير برسق بن برسق من عند السلطان بركيارق فوقع القتال بينهم على باب الري فانهزم ينال واخوه علي فاما علي فعاد الى ولايته قزوين وسلك ينال الجبال فقتل من اصحابه كثير وتشتتوا فاتى الى بغداد في سبعمائة رجل فاكرمه الخليفة واجتمع هو وايلغازي وسقمان ابنا ارتق بمشهد ابي حنيفة وتحالفوا على مناصحة السلطان محمد وساروا الى سيف الدولة صدقة فحلف لهم ايضا على ذلك وعادوا

(ذكر مافعله ينال بالعراق)

قد ذكرنا وصول ينال بن انوشتكين الى بغداد قبل ولما استقر ببغداد ظلم الناس بالبلاد جميعا وصادرهم واستطال اصحابه على العامة بالضرب والقتل والتقسيط وصادر العمال فارسل اليه الخليفة قاضي القضاة ابا الحسن الدامغاني ينهاه عن ذلك ويقبح عنده مايرتكبه من الظلم والعدوان وتردد ايضا الى ايلغازي وكان ينال قد تزوج هذه الايام باخته وهي التي كانت زوجة تاج الدولة تتش حتى توسط الامر معه فضوا اليه وحلفوه على الطاعة وترك ظلم الرعية وكف اصحابه ومنعهم فحلف ولم يف باليمين ونكث ودام على الظلم وسوء السيرة فارسل الخليفة الى سيف الدولة صدقة وعرفه مايفعله ينال من نهب الاموال وسفك الدماء وطلب منه ان يحضر بنفسه ليكف ينال فسار من حلته في رمضان ووصل بغداد في شوال وضرب خيامه بالنجمي واجتمع هو وينال وايلغازي ونواب ديوان الخليفة وتقررت القواعد على ان ياخذه ويرحل عن العراق فذهب ينال مع صدقة عاشر شوال الى حلته وترك ولده

فسهم وتوهيناتهم وأنتم أولى بذلك لانكم مسلمون فقالوا لهم في الجواب ١٤٧ انتم لستم بمسلمين لانكم كنتم تتمنون تملك النصارى لبلادكم وتقولون انهم خير منا ونحن مسلمون ومجاهدون طردنا النصارى واخرجناهم من البلاد فنحن أحق بالدور منكم ونحو ذلك من القول الشنيع ثم لم يزالوا في معالجتهم الى ثاني يوم ولم ينصرفوا عن الدار حتى دفعوا لهم مائتي قرش وشال كشمير لكبيرهم وفعل مثل ذلك بعدة بيوت دخلها على هذه الصورة وأخذ منها اكثر من ذلك ومنها دار اسمعيل أفندي صاحب الدفتر بالضربخانه وهو رجل معتبر اخذ منه خمسمائة قرش وشال كشمير وفعل مثل ذلك بغيرهم هو وامثاله ولما كثر الناس من التشكي للباشا والكتخدا قال الكتخدا للناس قاتلوا وجاهدوا اشهرا واياما وقاسوا ماقاسوه في الحر والبرد والطل حتى طردوا عنكم الكفار واجلوهم عن بلادكم فلا تسعونهم في السكنى ونحو ذلك من القول (ولما) انقضى هذا الامر واستقر الباشا واطمان خاطره وخلص له الاقليم المصري وثغر الاسكندرية الذي كان خارجا عن حكمه حتى قبل مجيء الانكليز فان الاسكندرية كانت خارجة عن حكمه فلما حصل مجيء الانكليز وخروجهم صار المتفرق حكمه ايضا اذ قوله بدايه انه ابطل مسموح المشايخ والفقهاء ومعافى البلاد التي التزموا

دبيسا ببغداد ليمنعه من الظلم والتعدى فما استقر الامر عليه فبقى ينال الى مستهل
ذى القعدة وسار الى اوانا فنهب وقطع الطريق وصف الناس و بالغ فى الفعل القبيح
واقطع القرى لاصحابه فارسل الخليفة الى صدقة فى ذلك فارسل الف فارس وساروا اليه
ومعهم جماعة من اصحاب الخليفة وايلغازى شحنة بغداد فلما سمع ينال بقربهم منه عبر
دجلة وسار الى باجسرى وشعثها وقصد شهرابان فمنعه اهلها فقاتلهم فقتل بينهم قتلى
ورحل عنهم وسار الى اذربيجان قاصدا الى السلطان محمد وعاد دبيس بن صدقة وايلغازى
شحنة بغداد الى مواضعهم

(ذكر وصول كمشتكين القيصرى شحنة الى بغداد والفتنة بينه وبين ايلغازى وسقمان وصدقة)

فى هذه السنة منتصف ربيع الاول ورد كمشتكين القيصرى الى بغداد شحنة ارسله اليها
السلطان بركيارق وقد ذكرنا فى السنة المتقدمة رحيل بركيارق من اصبهان الى همذان فلما
وصلها ارسل الى بغداد كمشتكين شحنة فلما سمع ايلغازى وهو شحنة ببغداد للسلطان
محمد ارسل الى اخيه سقمان بن ارتق صاحب حصن كيفا يستدعيه اليه ليعتضد به على
منعه وسار الى سيف الدولة صدقة بالحلة واجتمع به وساله تجديد عهد فى دفع من يقصده
من جهة بركيارق فاجابه الى ذلك وحلف له فعاد ايلغازى وورد سقمان فى عساكره
ونهب فى طريقه تكريت وسبب تمكنه منها انه ارسل جماعة من التركمان الى
تكريت معهم احمال جبن وسمن وعسل فباعوا واقاموا وظهروا ان سقمان قد
عاد عن الانحدار فاطمان اهل البلد ووثب التركمان تلك الليلة على الحراس فقتلوهم
وفتحوا الابواب وورد اليها سقمان ودخلها ونهبها ولما وصل الى بغداد نزل بالرملة
واما كمشتكين فوصل اول ربيع الاول الى قرميسين وارسل الى من له هوى مع
بركيارق واعلمهم بقربه منهم فخرج اليه جماعة منهم فلقوه بالبندنيجين واعلموه
الاحوال واشاروا عليه بالمعاجلة فاسرع السير فوصل الى بغداد منتصف ربيع الاول
وفارق ايلغازى داره واجتمع باخيه سقمان واصعدا من الرملة ونهبا بعض قرى دجيل
فسار طائفة من عسكر كمشتكين وراءهما ثم عادوا عنهما وخطب للسلطان بركيارق
ببغداد فارسل كمشتكين القيصرى الى سيف الدولة صدقة ومعه حاجب من ديوان
الخليفة فى طاعة بركيارق فلم يجب الى ذلك وكشف القناع ببغداد فى مخالفته وسار من
الحلة الى جسر صرصر فقطعت خطبة بركيارق ببغداد ولم يذكر على منابرها احد من
السلاطين واقتصر الخطباء على الدعاء للخليفة لا غير ولما وصل سيف الدولة الى صرصر
ارسل الى ايلغازى وسقمان وكانا بحربى يعرفهما انه قد اتى لنصرتهما فعادا ونهبا
دجيلا ولم يبقيا على قرية كبيرة ولا صغيرة واخذت الاموال وافتضت الابكار ونهب
العرب والاكراد الذين مع سيف الدولة نهر ملك الا انهم لم ينقل عنهم مثل التركمان من
اخذ النساء والفساد معهن لكنهم استقصوا فى اخذ الاموال بالضرب والاحراق وبطلت

بها لانها لما ابتدع المغارم والشهريات والقرض التى فرضوها على القرى ومظالم الكشوفية جعل ذلك عاما
على جميع الالتزامات والحصص
التى بايدى جميع الناس حتى
اكابر العسكر واصاغرهم
ما عدا البلاد والحصص التى
للمشايخ خارجة عن ذلك ولا
يؤخذ منها نصف الفائظ ولا
ثلثه ولا ربعه وكذلك من
ينتسب لهم او يحتمى فيهم
و ياخذون الجعالات والهدايا
من اصحابها ومن فلاحيهم
تحت حمايتها وتغيرت صفاتها
واغتروا بذلك واعتقدوا
دوامه واكثروا من شراء
الحصص من اصحابها المحتاجين
بدون القيمة وافتتنوا بالدنيا
وهجر وا مذاكرة المسائل
ومدارسة العلم الا بمقدار حفظ
الناموس مع ترك العمل
بالكلية وصار بيت احدهم
مثل بيت احد الامراء الالوف
الاقدمين واتخذوا الخدم
والمقدمين والاعوان واجروا
الحبس والتعزير والضرب
بالفلقة والكرابيج المعروفة
بزب الفيل واستخدموا كتبة
الاقباط وقطاع الجرائم فى
الارساليات للبلاد وقدروا حق
طرق لاتباعهم وصارت لهم
استجعالات وتحذيرات
وانذارات عن تاخر المطلوب
مع عدم سماع شكاوى
الفلاحين ومخاصمتهم القديمة
مع بعضهم وموجبات التحاسد
والكراهية المجبولة والمركوزة
فى طباعهم الخبيثة وانقلب الوضع فيهم بضده وصار ديدنهم واجتماعهم ذكر الامور الدنيوية والحصص

معايش

معايش الناس وغلت الاسعار فكان الخبز يساوي عشرة أرطال بقيراط فصار ثلاثة ارطال بقيراط وجميع الاشياء كذلك فارسل الخليفة الى سيف الدولة في الاصلاح فلم تستقر قاعدة وعاد ايلغازي وسقمان ومعهما دبيس بن سيف الدولة صدقة من دجيل فنهبوا الرملة فقصدهم جماعة كثيرة من العامة فقاتلهم فقتل من العامة أربعة نفر واخذ منهم جماعة فاطلقوا بعد ان اخذت اسلحتهم وازدادت الامر شدة على الناس فارسل الخليفة قاضي القضاة أبا الحسن بن الدامغاني وتاج الرؤساء بن الموصلايا الى سيف الدولة يأمره بالكف عن الامر الذي هو ملابسه ويعرفه ما الناس فيه ويعظم الامر عليه فاظهر طاعة الخليفة ان أخرج القيصري من بغداد والافليس غير السيف وأرعد وأبرق فلما عاد الرسول استقر الامر على اخراج القيصري من بغداد ففارقها ثاني عشر ربيع الآخر وسار الى النهروان وعاد سيف الدولة الى بلده واعيدت خطبة السلطان محمد ببغداد وسار القيصري الى واسط فخاف الناس منه واراد الانحدار منها ليأمنوا فمنعهم القيصري وخطب لبركيارق بواسط ونهبوا كثيرا من سوادها فلما سمع صدقة ذلك سار الى واسط فدخلها وعدل في اهلها وكف عسكره عن اذاهم ووصل اليها ايلغازي بواسط وفارقها القيصري ونزل متحصنا بدجلة فقيل لسيف الدولة ان هنالك مخاضة فسار اليها بعسكره وقد لبسوا السلاح فلما رآهم عسكر القيصري تفرقوا عنه وبقي في خواص أصحابه فطلب الامان من سيف الدولة فامنه فحضر عنده فاكرمه وقال له قد عجزت قال وتركتنا نحن أخرجتنا من بغداد ثم من واسط ونحن لا نعقل ثم بذل صدقة الامان لجميع عسكر واسط ومن كان مع القيصري سوى رجلين فعادوا اليه فامنهم وعاد القيصري الى بركيارق وأعيدت خطبة السلطان محمد بواسط وخطب بعده لسيف الدولة وايلغازي واستناب كل واحد منهما فيها ولده وعادا عنها في العشرين من جمادى الاولى وأمن أهل واسط عما كانوا يخافونه فاما ايلغازي فانه أصعد الى بغداد وأما سيف الدولة صدقة فانه عاد الى الحلة وأرسل ولده الاصغر منصورا مع ايلغازي الى المستظهر بالله يسأله الرضا عنه فانه كان قد سخط بسبب هذه الحادثة فوصل الى بغداد وخاطب في ذلك فاجيب اليه

ذكر استيلاء صدقة على هيت

كانت مدينة هيت لشرف الدولة مسلم بن قريش اقطعه اياها السلطان الب ارسلان ولم تزل معه حتى قتل فتصرف فيها عمداء بغداد الى ان مات السلطان ملكشاه ثم أخذها اخوه تتش بن الب ارسلان فلما استولى السلطان بركيارق اقطعها لبهاء الدولة ثروان ابن وهب بن وهيبة واقام هو وجماعة من بني عقيل عند سيف الدولة صدقة وكانا متصافيين وكان صدقة يزوره كثيرا متنكرا وكان سبب ذلك ان صدقة زوج بنتا من ابن عمه وكان ثروان قد خطبها فلم يجبه الى ذلك فتحالفت عقيل وهم في حلة سيف الدولة ان يكونوا يدا واحدة عليه فانكر صدقة ذلك وجمع ثروان عقيب ذلك وعاد

واستدعاء عظمائهم في جمعياتهم وولائمهم والاعتناء بشأنهم والتفاخر بترددهم والتردد عليهم والمهاداة فيما بينهم الى غير ذلك مما يطول شرحه واوقع مع ذلك زيادة عما هو بينهم من التنافر والتحاسد والتحاقد على الرياسة والتفاقم والتكالب على سفاسف الامور وحظوظ الانفس على الاشياء الواهية مع ماجبلوا عليه من الشح والشكوى والاستجداء وفراغ الاعين والتطلع للسلوكي في ولائم الاغنياء والفقراء والمعاتبة عليها ان لم يدعوا اليها والتعريض بالطلب واظهار الاحتياج لكثرة العيال والاتباع واتساع الدائرة وارتكابهم الامور المخلة بالمروءة المسقطة للعدالة كالاجتماع في سماع الملاهي والاغاني والقيان والآلات المطربة واعطاء الجوائز والنقوط عند مناداة الخلبوص وقوله واعلاماه في السامر وهو يقول في سائر الجمع بمجمع من النساء والرجال من عوام الناس ونحو اصحه برفع الصوت الذي يسمعه القاصي والداني وهو يخاطب رئيسة المغاني يا ستي حضرة شيخ الاسلام والمسلمين مفيد الطالبين الشيخ العلامة فلان منه كذا وكذا من النصيعات الذهب عدد صحماء كثير ومعه قليل نتيجة التفاخر الكذب

مريضا فوكل به صدقة وقال لابد من هيت فارسل ثروان حاجبه وكتب خطه بتسليم البلد اليه وكان بهيت حينئذ محمد بن رافع بن رفاع بن ضبيعة بن مالك بن مقلد بن جعفر وارسل صدقة ابنه دبيسا مع الحاجب ليتسلمها فلم يسلم اليه محمد فعاد دبيس الى أبيه فلما اخذ صدقة واسطا هذه النوبة أصعد في عسكره الى هيت فخرج اليه منصور ابن كثير ابن أخي ثروان ومعه جماعة من أصحابه فلقوا سيف الدولة وحاربوه ساعة من النهار ثم ان جماعة من الربعيين فتحوا لسيف الدولة البلد فدخله أصحابه فلما رأى ذلك منصور ومن معه سلموا البلد اليه فلما كان يوم نزوله وخلع على منصور وجماعة من وجوه أصحابه وعاد الى حلته واستخلف عليه ابن عمه ثابت بن كامل

(ذكر الحرب بين بركيارق ومحمد)

في هذه السنة ثامن جمادى الآخرة كان المصاف الخامس بين السلطان بركيارق والسلطان محمد وكانت كنجة وبلاد اران جميعها للسلطان محمد وبها عسكره ومقدمهم الامير غزغلى فلما طال مقام محمد باصبهان محصورا توجه غزغلى والامير منصور بن نظام الملك وابن أخيه محمد بن مؤيد الملك بن نظام الملك قاصدين لنصرته ليراهم بعين الطاعة كان آخرهم تقام فيه الخطبة لمحمد زنجان مما يلي اذربيجان فوصلوا الى الري في العشرين من ذي الحجة سنة خمس وتسعين ففارقه عسكر بركيارق ودخلوه واقاموا به ثلاثة ايام ووصلهم الخبر بخروج السلطان محمد من اصبهان وانه وصل الى ساوة فساروا اليه ولحقوه بهمذان ومعه ينال وعلى ابنا انوشتكين الحسامى فبلغ عدتهم ستة آلاف فارس واقاموا بها الى اواخر المحرم فأتاهم الخبر بان السلطان بركيارق قد أتاهم فاختلفوا في رأيهم فسار ينال وعلى ابنا أنوشتكين الى الري على ما ذكرناه وعزم السلطان محمد على التوجه الى شروان فوصل الى اردبيل فارسل اليه الملك مودود بن اسمعيل بن ياقوتى صاحب بعض اذربيجان وكانت قبله لابيه اسمعيل بن ياقوتى وهو خال السلطان بركيارق وكانت اخته زوجة السلطان محمد وهو مطالب السلطان بركيارق بثأر ابيه وقد تقدم قتله اول دولة بركيارق وقال له ينبغي ان تقدم الينا لتجتمع كلمتنا على طاعتك وقتال خصمنا فسار اليه محمد اوتصيد في طريقه بين اردبيل وبيلقان وانفرد عن عسكره فوثب عليه نمر وهو غافل فجرح السلطان محمدا في عضده فاخذ سكينا وشق بها جوف النمر فالقاه عن فرسه ونجا ثم ان مودود بن اسمعيل توفي في النصف من ربيع الاول وعمره اثنتان وعشرون سنة ولما بلغ بركيارق اجتماع السلطان محمد والملك مودود سار غير متوقف فوصل بعد موت مودود وكان عسكر مودود قد اجتمعوا على طاعة السلطان محمد وحلفوا له وفيهم سكمان القبطى ومحمد بن باغيسيان الذى كان ابوه صاحب انطاكية وقزل ارسلان بن السبع الاحمر فلما وصل بركيارق وقعت الحرب بينهما على باب خوى من اذربيجان عند غروب الشمس ودامت الى العشاء الآخرة فاتفق ان الامير اياز أخذ معه خمسمائة فارس مستريحين

والازدراء بمقام العلم بين العوام والاوباش الناس الذين اقتدوا بهم في فعل المحرمات الواجب عليهم النهي عنها بكل ذلك من غير احتشام ولا مبالاة مع التضاحك والقهقهة المسموعة من البعد في كل مجمع ومواظبتهم على المزليات والمضحكات والفاظ الكناية المعبر عنها عند اولاد البلد بالانقاط والتنافس في الاحداث الى غير ذلك (وفيه) فتحوا الطلب من الملتزمين ببواقي الميرى على اربع سنوات ماضية (وفي عاشره) فتحوا ايضا دفتر الطلب بميرى السنة القابلة ووجهوا الطلب بها الى العسكر فدهى الناس بدواه متوالية منها خراب القرى بتوالى المظالم والمغارم والكلف وحق الطرق والاستعجالات والقساويف والبشارات حكاو اهل القرية النازل بهم ذلك ينتقلون الى القرية الهمية اشتى من الاشنع وقد بطلت الحماية ايضا حينئذ ثم نزلوا بالبنادر بفرض عظيمة لم تقدر من الاكياس الكثيرة وذلك عقب فرصة البشارة شل دمياط ورشيد والمحلة والمنصورة مائة كيس وخمسون كيسا ومائة وخمسون واكثر واقل (وفي اثناء ذلك) قرروا ايضا فردة غلال وسمن وشعير وفول على البلاد والقرى وان لم يجد الاعيان لصاحبه شيئا من الدراهم فلاحين اخذوا مواشيهم وابقارهم لتاتى اربابها ويدفعوا

وحمل

وحمل بهم وقد اعيا العسكر من الجهتين على عسكر السلطان محمد فكسرهم وولوا الادبار لا يلوى أحد على أحد فاما السلطان بركيارق فانه قصد جبلا بين مراغة وتبريز كثير العشب والماء فاقام به أياما وسار الى زنجان وأما السلطان محمد فانه سار مع جماعة من أصحابه الى ارجيش من بلاد ارمينية على اربعين فرسخا من الوقعة وهي من اعمال خلاط من جملة اقطاع الامير سكمان القطبي وسار منها الى خلاط واتصل به الامير على صاحب ارزن الروم وتوجه الى آني وصاحبها منوجهر اخو افضلون الروادي ومنها سار الى تبريز من اذربيجان وسنذكر باقي أخبارهم سنة سبع وتسعين عند صلحهم ان شاء الله تعالى وكان الامير محمد بن مؤيد الملك ابن نظام الملك مع السلطان محمد في هذه الوقعة فرمنهزما ودخل ديار بكر وانحدر منها الى جزيرة ابن عمر وسار منها الى بغداد وكان في حياة أبيه يقيم ببغداد في سوق المدرسة فاتصلت الشكاوى منه الى أبيه فكتب الى كوهرائين بالقبض عليه فاستجار بدار الخلافة وتوجه سنة اثنتين وتسعين الى مجد الملك البلاساني ووالده حينئذ بكنجة عند السلطان محمد قبل ان يخطب لنفسه بالسلطنة وتوجه بعد قتل مجد الملك الى والده وقد صار وزير السلطان محمد وخطب لمحمد بالسلطنة وبقي بعد قتل والده واتصل بالسلطان محمد وحضر معه هذه الحرب فانهزم

❊(ذكر عزل سديد الملك وزير الخليفة ونظر أبي سعد بن الموصلايا في الوزارة)❊

في هذه السنة منتصف رجب قبض على الوزير سديد الملك أبي المعالي وزير الخليفة وحبس في دار بدار الخلافة وكان أهله قد وردوا عليه من أصبهان فنقلوا اليه وكان محبسه جميلا وسبب عزله جهله بقواعد ديوان الخلافة فانه قضى عمره في اعمال السلاطين وليس لهم هذه القواعد ولما قبض عاد أمين الدولة بن الموصلايا الى النظر في الديوان ومن عجيب ما جرى من الكلام الذي وقع بعد أيام ان سديد الملك كان يسكن في دار عميد الدولة بن جهير وجلس فيها مجلسا عاما يحضره الناس لوعظ المؤيد عيسى الغزنوي فانشدوا أبياتا ارتجلها

سديد الملك سدت وخضت بحرا ❊ عميق اللج فاحفظ فيه روحك
وأحي معالم الخيرات واجعل ❊ لسان الصدق في الدنيا فتوحك
وفي الماضين معتبر فاسرح ❊ مروحك في السلامة أو جموحك

ثم قال سديد الملك من شرب من مرقة السلطان احترقت شفتاه ولو بعد زمان ثم أشار الى الدور وقرأ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم فقبض على الوزير بعد أيام

❊(ذكر ملك الملك دقاق مدينة رحبة)❊

في هذه السنة في شعبان ملك الملك دقاق بن تتش صاحب دمشق مدينة رحبة وكانت بيد انسان من قبل زمن ملك السلطان ألب ارسلان فلما قتل كربوقا استولى عليها قايماز ونفذ كبش تابكه اليه وحصر مدة بها ثم رحل عنه ومن قايماز منه

على الجزارين ويرمونها عليهم قهرا باقصى القيمة ويلزمونهم باحضار الثمن فان تراخوا وعجزوا شددوا عليهم بالحبس والضرب (وفي يوم الخميس ثالث عشره) مر الباشا في ناحية سويقة العزى سائرا الى ناحية بيت بلغيا وهناك المكتب فوق السبيل الذي بين الطريقين تجاه من باقي من تلك الناحية فطلع الى ذلك المكتب شخصان من العسكر برصدان الباشا في مروره فيقفا في مقابلا لذلك المكتب طلقا في وجهه بندقيتين فأخطأتاه واصابت احدى الرصاصتين فرس فارس من الملازمين حوله فسقط ونزل الباشا عن جواده على مصطبة حانوت مغلقة وأمر الخدم باحضار الكامنين بذلك المكتب فطلعوا اليهما وقبضوا عليهما ثم حضر كبيرهم من دار قريبة من ذلك المكان واعتذر الى الباشا بانهما مجنونان وسكرانان وأمره باخراجهما وسفرهما من مصر وركب وذهب الى داره (وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه) اجتمع عسكر الارنؤد والترك على بيت محمد على باشا وطلبوا علائفهم فوعدهم بالدفع فلم يقنعوا وانصرفوا وضربوا بنادق كثيرة ولم يزالوا واقفين

ما تقرر عليهم ويأخذونها ويتركونها بالجوع والعطش فعند ذلك يبيعونها

ثم انصرفوا وتفرقوا وركبت ابتدأ رعب الناس وعزا الى اهل الغورية والعقادين والاسواق بامرهم برفع

السنة في صفر وقام مقامه غلام تركي اسمه حسن فابعد عنه كثيرا من جنده وخطب لنفسه وخاف من دقاق فاستظهر وأخذ جماعة من السلارية الذين يخافهم فقبض عليهم وقتل جماعة من أعيان البلد وحبس آخرين وصادرهم فتوجه دقاق اليه وحصره فسلم العامة البلد اليه واعتصم حسن بالقلعة فامنه دقاق فسلم القلعة اليه فاقطعه اقطاعا كثيرا بالشام وقرر أمر الرحبة وأحسن الى أهلها وجعل فيها من يحفظها ورحل عنها الى دمشق

(ذكر اخبار الفرنج بالشام)

كان الافضل أمير الجيوش بمصر قد أنفذ مملوكا لابيه لقبه سعد الدولة ويعرف بالطواشي الى الشام لحرب الفرنج فلقيهم بين الرملة ويافا ومقدم الفرنج يعرف ببغدوين لعنه الله تعالى وتصافوا واقتتلوا فحملت الفرنج حملة صادقة فانهزم المسلمون وكان المنجمون يقولون لسعد الدولة انك تموت مترديا فكان يحذر من ركوب الخيل حتى انه ولي بيروت وأرضها مفروشة بالبلاط فقلعه خوفا ان تزلق به فرسه أو يعثر فلم ينفعه الحذر عند نزول القدر فلما كانت هذه الوقعة انهزم فتردى به فرسه فسقط ميتا وملك الفرنج خيمه وجميع ما للمسلمين فأرسل الافضل بعده ابنه شرف المعالي في جمع كثير فالتقوا هم والفرنج بيازور بقرب الرملة فانهزم الفرنج وقتل منهم مقتلة عظيمة وعاد من سلم منهم مفلولين فلما رأى بغدوين شدة الامر وخاف القتل والاسر ألقى نفسه في الحشيش واختفى فيه فلما أبعد المسلمون خرج منه الى الرملة وسار شرف المعالي بن الافضل من المعركة ونزل على قصر بالرملة وبه سبعمائة من أعيان الفرنج وفيهم بغدوين فخرج متخفيا الى يافا وقاتل ابن الافضل من بقي خمسة عشر يوما ثم أخذهم فقتل منهم أربعمائة صبرا وأسر ثلثمائة الى مصر ثم اختلف اصحابه في مقصدهم فقال قوم نقصد البيت المقدس ونتملكه وقال قوم نقصد يافا ونملكها فبينما هم في هذا الاختلاف اذ وصل الى الفرنج خلق كثير في البحر قاصدين زيارة البيت المقدس فندبهم بغدوين للغزو معه فساروا الى عسقلان وبها شرف المعالي فلم يكن يقوى بحربهم فلطف الله تعالى بالمسلمين فرأى الفرنج البحر يه حصانة عسقلان وخافوا البيات فرحلوا الى يافا وعاد ولد الافضل الى ابيه وسير رجلا يقال له تاج العجم في البر وهو من اكبر مماليك ابيه وجهز معه أربعة آلاف فارس وسير في البحر رجلا يقال له القاضي ابن قادوس في الاسطول على يافا ونزل تاج العجم على عسقلان فاستدعاه ابن قادوس اليه ليتفقا على حرب الفرنج فقال تاج العجم ما يمكنني ان انزل اليك الا بأمر الافضل ولم يحضر عنده ولا اعانه فارسل القادوسي الى قاضي عسقلان وشهودها واعيانها واخذ خطوطهم بانه اقام على يافا عشرين يوما واستدعى تاج العجم فلم يأته ولا أرسل رجلا فلما وقف الافضل على الحال أرسل من قبض على تاج العجم وأرسل رجلا لقبه جمال الملك فاسكنه عسقلان وجعله مقدم العساكر الشامية وخرجت هذه السنة وبيد الفرنج لعنهم الله

بعضهم من الحوانيت ففعلوا واغلقوها فلما كان قبيل الغروب وصل الى بيت الباشا طائفة الفلاتية وضربوا أيضا بنادق فضرب عليهم عسكر الباشا كذلك فقتل من الدلاة أربعة أنفار وانجرح بعضهم فانكفوا ورجعوا وبات الناس متخوفين وخصوصا نواحي الازهر واغلقوا البوابات من بعد الغروب وسهروا خلفها بالاسلحة ولم تفتح الا بعد طلوع الشمس واصبح يوم الثلاثاء والحال على ما هو عليه من الاضطراب ونقل الباشا امتعته الثمينة تلك الليلة الى القلعة وكذلك في ثاني يوم ثم انه طلع الى القلعة في ليلة الاربعاء وشيعه حسن باشا الى القلعة ورجع الى داره ويقال ان طائفة من العسكر الذين معه بالدار ارادوا غدره تلك الليلة وعلم ذلك منهم باشارة بعضهم لبعض رمزا ففطن لهم وخرج مستخفيا من البيت ولم يعلم بخروجه الا بعض خواصه الملازمين له وأكثرهم أقاربه وبلدياته ولما تحققوا خروجه من الدار ووصوله الى القلعة صرف بونابرته الخزندار الحاضرين في الحال ونقل الامتعة والخزينة في الحال وكذلك الخيول والسروج وخرجت عساكره يحملون ما بقي من المتاع والفرش والاواني الى القلعة وأشيع في البلدة ان العسكر نهبوا بيت الباشا وزاد اللغط والاضطراب ولم يعلم أحد من الناس حقيقة الحال حتى ولا كبار العسكر وزاد تخوف الناس من العسكر

البيت المقدس وفلسطين ما عدا عسقلان ولهم أيضا يافا وارسوف وقيسارية وحيفا وطبرية ولاذقية وانطاكية ولهم بالجزيرة الرها وسروج وكان صنجيل يحاصر مدينة طرابلس الشام والمواد تأتيها وبها فخر الملك بن عمار وكان يرسل أصحابه في المراكب يغيرون على البلاد التي بيد الفرنج ويقتلون من وجدوا وقصد بذلك أن يخلوا السواد عن يزرع لتقل المواد عن الفرنج فيرحلوا عنه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة سادس المحرم توفيت بنت امير المؤمنين القائم بامر الله التي كانت زوجة السلطان طغرلبك وكانت موصوفة بالدين وكثرة الصدقة وكان الخليفة المستظهر بالله قد ألزمها بيتها لانه أبلغ عنها انها تسعى في ازالة دولته وفيها في شعبان ايضا استوزر المستظهر بالله زعيم الرؤساء أبا القاسم بن جهير واستقدمه من الحلة من عند سيف الدولة صدقة وقد ذكرنا في السنة المتقدمة مسيره اليها فلما قدم الى بغداد خرج كل ارباب الدولة فاستقبلوه وخلع عليه الخلع التامة واجلس في الديوان ولقب قوام الدين وفيها ايضا قتل ابو المظفر بن الخجندي بالري وكان يعظ الناس فقتله رجل علوي حين نزل من كرسيه وقتل العلوي ودفن الخجندي بالجامع واصل بيت الخجندي من مدينة خجندة بما وراء النهر وينسبون الى المهلب بن ابي صفرة وكان نظام الملك قد سمع ابا بكر محمد بن ثابت الخجندي يعظ بمرو فأعجبه كلامه وعرف محله من الفقه والعلم فحمله الى اصبهان وصار مدرسا بمدرستها فنال جاها عريضا ودنيا واسعة وكان نظام الملك يتردد اليه ويزوره وفيها جمع ساغربك بما وراء النهر جموعا كثيرة وهو من اولاد الخانية وقصد محمدخان الذي ملكه السلطان سنجر سمرقند وتلك البلاد ليملكها فضعف محمدخان عنه فارسل الى السلطان سنجر يستنجده فسار الى سمرقند فبعد عنه ساغربك وتحصن واحتمى منه وارسل يطلب الامان من سنجر والعفو فاجابه الى ما طلب وحضر ساغربك عنده وقرر الصلح بينه وبين محمدخان وحلف كل واحد منهما لصاحبه وعاد الى خراسان فوصل الى مرو في ربيع الاول سنة سبع وتسعين واربعمائة وفيها توفي ابو المعالي الصالح ساكن باب الازج وكان من الاولياء له كرامات ظاهرة

(ثم دخلت سنة سبع وتسعين واربعمائة)

(ذكر ملك بلك بن بهرام بن ارتق مدينة عانة)

في هذه السنة في المحرم استولى بلك بن بهرام بن ارتق وهو ابن اخي ايلغازي بن ارتق على مدينة عانة والحديثة وكان له مدينة سروج فاخذها الفرنج منه فسار عنها الى عانة واخذها من بني يعيش بن عيسى بن خلاط فقصد بنو يعيش سيف الدولة صدقة بن مزيد ومعهم من يخفهم فسألوه لا صعاد معهم الى عانة ليتسلموها منه فنفذ معهم وصعدهم فرحل التركمان وبهرام عنها واخذ صدقة رهائنهم وعاد الى الحلة فرجع بلك [illegible] الى عانة [illegible] القارب من التركمان فاخذها واستولى على خاصة [illegible]

ونهب منهم عدة وبدلك ونهب ما فيها من شاش وثياب وقتل اشخاص واصبح يوم الخميس وباب القلعة مفتوح والعساكر مرابطون به وواقفون باسلحتهم وطلع افراد من كبار العسكر بدون سلاحهم ونزلوا واستمر الحال على ذلك يوم الجمعة والعسكر والناس في اضطراب وكل طائفة متخوفة من الاخرى والارنؤد فرقتان فرقة تميل الى الاتراك وفرقة تميل الى جنسها والدلاة تميل الى الاتراك وتكره الارنؤد وهم كذلك والناس متخوفة من الجميع ومنهم من يختشي من قيام الرعية ويتظاهر التردد لهم وقد صاروا متسلطين بهم في المساكن والحارات وتاهلوا وتزوجوا منهم (وفي يوم السبت) طلع المتقيدون بالمشيخة الى القلعة وتكلموا وتشاوروا في تسكين هذه الحال بأي وجه كان ثم نزلوا (وفي ليلة الاحد) كانت رؤية هلال رمضان فلم يعمل الرسم المعتاد وهو الاجتماع ببيت القاضي وما يعمل به من الحراقات والنفوط والشنك وركوب المحتسب ومشايخ الحرف والزمور والطبول واجتماع الناس للفرجة بالاسواق والشوارع وبيت القاضي فبطل ذلك كله ولم تثبت الرؤية تلك الليلة واصبح يوم الاحد والناس مفطرون فلما كان وقت الضحوة نودي بالامساك ولم تطلع (واستهل شهر رمضان بيوم الاثنين سنة ١٢٢٢)

وملكهم وغنم بهم وسبى جميع حرمهم وانحدر طالباهيت من الجانب الشامي فبلغ الى قريب منها ثم رجع من يومه ولما سمع صدقة جهز العساكر ثم أعادهم عند عوده بالك

ذكر غارة الفرنج على الرقة وقلعة جعبر

في هذه السنة في صفر أغار الفرنج من الرها على مرج الرقة وقلعة جعبر وكانوا المناشر جوا من الرها في سرية وافترقتين وانعدوا يوما واحدا تكون الغارة على البلدين فيه ففعلوا ما استقر بينهم وأغاروا واستاقوا المواشي وأسروا من وقع بأيديهم من المسلمين فكانت القلعة والرقة لسالم بن مالك بن بدران بن المقلد بن المسيب سلمها اليه السلطان ملكشاه سنة تسع وسبعين وقد ذكرناه فيها

ذكر الصلح بين السلطان بركيارق ومحمد

في هذه السنة في ربيع الآخر وقع الصلح بين السلطانين بركيارق ومحمد ابني ملكشاه وكان سببه ان الحروب تطاولت بينهما وعم الفساد فصارت الاموال منهوبة والدماء مسفوكة والبلاد مخربة والقرى محرقة والسلطنة مطموعا فيها محكوما عليها وأصبح الملوك مقهورين بعد ان كانوا قاهرين وكان الامراء الاكابر يؤثرون ذلك ويختارونه ليدوم تحكمهم وانبساطهم وادلالهم وكان السلطان بركيارق حينئذ بالري والخطبة له بها وبالجبل وطبرستان وخوزستان وفارس وديار بكر والجزيرة وبالحرمين الشريفين وكان السلطان محمد باذربيجان والخطبة له فيه وببلاد ارانية وارمينية واصبهان والعراق كلها الا تكريت واما اعمال البطائح فيخطب ببعضها لبركيارق وببعضها لمحمد واما البصرة فكان يخطب فيها لهما جميعا واما خراسان فان السلطان سنجر كان يخطب له في جميعها وهي من حد جرجان الى ما وراء النهر ولاخيه السلطان محمد فلما رأى السلطان بركيارق المال عنده معدوما والطمع من العسكر زائدا ارسل القاضي ابا المظفر الجرجاني الحنفي وابا الفرج احمد بن عبد الغفار الهمذاني المعروف بصاحب قراتكين الى اخيه محمد في تقرير قواعد الصلح فساروا اليه وهو بالقرب من مراغة فذكرا له ما ارسلا فيه ورغباه في الصلح وفضائله وما شمل البلاد من الخراب وطمع عدو الاسلام في اطراف الارض فأجاب الى ذلك وارسل فيه رسلا واستقر الامر وحلف كل واحد منهما لصاحبه وتقررت القاعدة ان السلطان بركيارق لا يعترض اخاه محمدا في الطبل وان لا يذكر معه على سائر البلاد التي صارت له وان لا يكاتب احدهما الآخر بل تكون المكاتبة من الوزيرين ولا يعارض احد من العسكر في قصد ايهما شاء وان يكون للسلطان محمد من النهر المعروف باسبيذروذ الى باب الابواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام ويكون له من بلاد العراق بلاد سيف الدولة صدقة فاجاب بركيارق الى هذا وزال الخلف والشغب وارسل السلطان محمد الى اصحابه باصبهان يأمرهم بالانصراف عن البلد وتسليمه الى اصحاب اخيه وسار السلطان بركيارق الى اصبهان فلما سلمه اليه اصحاب اخيه دعاهم الى ان يكونوا معه وفي خدمته فامتنعوا وساروا والحرم

وفي ليلته بين العصر والمغرب ضربوا مدافع كثيرة من القلعة وأردفوا ذلك بالبنادق الكثيرة المتتابعة وكذلك العسكر الكائنون بالبلدة فعلوا كفعلهم من كل ناحية ومن أسطحة الدور والمساكن وكان شيئا هائلا واستمر ذلك الى بعد الغروب وذلك شنك لقدوم رمضان في دخوله وانقضائه (وفي رابعه) انكشفت القضية عن طلب مبلغ ألفي كيس بعد جمعيات ومشاورات تارة ببيت السيد عمر النقيب وتارة في أمكنة أخرى كبيت السيد المحروقي وخلافه حتى رتبوا ذلك وقسموه فوزع منه جانب على رجال دائرة الباشا وجانب على المشايخ الملتزمين بقبض مسموحهم في فرض حصصهم التي احتلوها وهي مبلغ مائتي كيس ووزعت على القراريط على كل قيراط ثلاثة آلاف نصف فضة على سبيل القرض لأجل أن ترد وتحسب لهم في الكشوفات من رفع المظالم ومال الجهات يأخذونها من فلاحيهم وفرض من ذلك مبالغ على أرباب الحرف وأهل الغورية ووكالة الصابون ووكالة القرب والتجار الآفاقية واستقر ديوان الطلب ببيت ابن الصاوي بما يتعلق بالفقهاء والتحصيل الضرجي بالمطلوب من طائفة الأتراك وأهل خان الخليلي والمرجع في الدايب والدفع والرفع الى السيد عمر النقيب واجتمع الكثير من أهل الحرف كالعصرماتية وأمثالهم والتجؤوا

خدمة

خدمة صاحبهم فسماهم اهل العسكرين جميعا اهل الوفاء وتوجهوا من اصبهان ومعهم
حريم السلطان محمد اليه واكرمهم بركيارق وحمل لاهل اخيه المال الكثير ومن
الدواب ثلثمائة جمل ومائة وعشرين بغلا تحمل الثقل وسير معهم العساكر يخدمونهم
ولما وصلت رسل السلطان بركيارق الى الخليفة المستظهر بالله بالصلح وما استقرت
القواعد عليه حضر ايلغازي بالديوان وسأل في اقامة الخطبة لبركيارق فاجيب الى
ذلك وخطب له بالديوان يوم الخميس تاسع عشر جمادى الاولى وخطب له من الغد
بالجامع وخطب له ايضا بواسط ولما خطب ايلغازي ببغداد لبركيارق وصار في جملته
ارسل الامير صدقة الى الخليفة يقول كان امير المؤمنين ينسب الى كل ما تجدد من
ايلغازي من اخلال بواجب الخدمة وشرط الطاعة ومن اطراح المراقبة والآن فقد
ابدى صفحته للشقاق الذي امتد به ولا صبر لي على ذلك بل اسير لاخراجه عن بغداد
فلما سمع ايلغازي ذلك شرع في جمع التركمان وورد صدقة بغداد فنزل مقابل التاج وقبل
الارض ونزل في خيمه بالجانب الغربي ففارق ايلغازي بغداد الى بعقوبا وارسل الى
صدقة يعتذر من طاعته لبركيارق بالصلح الواقع وان اقطاعه حلوان وغيرها في جملة
بلاد ديوان بغداد التي هو شحنة فيها فقد صارت له فلذلك الذي ادخله في طاعته فرضي
عنه صدقة وعاد الى الحلة وفي ذي القعدة سيرت الخلع من الخليفة للسلطان بركيارق
وللامير اياز وللوزير بركيارق وهو الخطير وعهد بالسلطنة وحلفوا جميعهم للخليفة
وعادوا

(ذكر ملك الفرنج جبيل وعكا من الشام)

في هذه السنة وصلت مراكب من بلاد الفرنج الى مدينة لاذقية وفيها التجار والاجناد
والحجاج وغير ذلك واستعان بهم صنجيل الفرنجي على حصار طرابلس فحصروها معه
برا وبحرا وضايقوها وقاتلوها اياما فلم يروا فيها مطمعا فرحلوا عنها الى مدينة جبيل
فحصروها وقاتلوا عليها قتالا شديدا فلما رأى اهلها عجزهم عن الفرنج اخذوا امانا
وسلموا البلد اليهم فلم تف الفرنج لهم بالامان واخذوا اموالهم واستنقذوها بالعقوبات
وانواع العذاب فلما فرغوا من جبيل ساروا الى مدينة عكا استنجدهم الملك بغدوين
ملك الفرنج صاحب القدس على حصرها فنازلوها وحصروها برا وبحرا وكان
الوالي بها اسمه بنا ويعرف بزهر الدولة الجيوشي نسبة الى ملك الجيوش الافضل
فقاتلهم اشد قتال فزحفوا اليه غير مرة فعجز عن حفظ البلد فخرج منه وملك الفرنج
البلد بالسيف قهرا وفعلوا باهله الافعال الشنيعة وسار الوالي به الى دمشق فاقام بها ثم
عاد الى مصر واعتذر الى الافضل فقبل عذره

(ذكر غزو سقمان وجكرمش الفرنج)

لما استطال الفرنج خذلهم الله بما ملكوه من بلاد الاسلام واتفق لهم اشتغال
عساكر الاسلام وملوكه بقتال بعضهم بعضا تفرقت حينئذ بالمسلمين الآراء واختلفت

الى الجامع الازهر واقاموا به ليالي واياما الى ان قمعهم الشوا وانبث المعينون بالطلب وبايديهم الاوراق بمقدار
المبلغ المطلوب من الشخص
وعليها حق الطريق وهم
قواسة ترك وعسكر وولاة
وقواسة بلدي ودهى الناس
بهذه الداهية في الشهر المبارك
فيكون الانسان نائما في بيته
ومتفكرا في قوت عياله
فيدهمه الطلب ويأتيه
المعين قبل الشروق فيزعجه
ويصرخ عليه بل ويطلع
الى جهة حريمه فيتنبه
كالملهوج من غير اصطباح
ويلاطف المعين ويعده
ويأخذ بخاطره ويدفع له كراء
طريقه المرسوم له في الورقة
المعين بها المبلغ المطلوب قبل
كل شيء فما يفارقه الا ومعين
آخر واصل اليه على النسق
المتقدم وهكذا (وفيه)
حضر محمد كتخدا شاهين بك
الالفي بجواب عن مراسلة
ارسلها له الباشا الى مخدومه
وقد تمادت ومع الباشا
في مصالحته مع شاهين بك
وحصل الاتفاق على حضور
شاهين بك الى الجيزة ويتراضى
مع الباشا على ما يريد وسافر في
ثاني عشره وصحبته صالح اغا
السلحدار (وفي يوم الخميس
ثامن عشره) قصد الباشا
نفي رجب اغا الارنؤدي
وارسل اليه يأمره بالخروج
والسفر بعد ان قطع خرجه
واعطاه علوفته فامتنع من الخروج وقال ان لي عنده خمسون كيسا ولا اسافر حتى اقبضها وذلك انه في حياة

الاهواء وتفرقت الاموال وكانت حران لمملوك من مماليك ملكشاه اسمه قراجه فاستخلف عليها انسانا يقال له محمد الاصبهاني وخرج في العام الماضي فعصى الاصبهاني على قراجه وأعانه أهل البلد لظلم قراجه وكان الاصبهاني جلدا شهما فلم يترك بحران من أصحاب قراجه سوى غلام تركي يعرف بجاولي وجعله اصفهسلار العسكر وانس به فخلا معه يوما للشرب فاتفق جاولي مع خادم له على قتله فقتلاه وهو سكران فعند ذلك سار الفرنج الى حران وحصروها فلما سمع معين الدولة سقمان وشمس الدولة جكرمش ذلك وكان بينهما حرب وسقمان يطالبه بقتل ابن أخيه وكل منهما يستعد للقاء صاحبه وانا اذكر سبب قتل جكرمش له ان شاء الله تعالى أرسل كل منهما الى صاحبه يدعوه الى الاجتماع معه لتلافي امر حران ويعلمه انه قد بذل نفسه لله تعالى وثوابه فكل واحد منهما اجاب صاحبه الى ما طلب منه وسارا فاجتمعا على الخابور وتحالفا وسارا الى لقاء الفرنج وكان مع سقمان سبعة آلاف فارس من التركمان ومع جكرمش ثلاثة آلاف فارس من الترك والعرب والاكراد فالتقوا على نهر البليخ وكان المصاف بينهم هناك فاقتتلوا فأظهر المسلمون الانهزام فتبعهم الفرنج نحو فرسخين فعاد عليهم المسلمون فقتلوهم كيف شاؤا وامتلأت أيدي التركمان من الغنائم ووصلوا الى الاموال العظيمة لان سواد الفرنج كان قريبا وكان بيمند صاحب انطاكية وطنكري صاحب الساحل قد انفردا وراء جبل ليأتيا المسلمين من وراء ظهورهم اذا اشتدت الحرب فلما خرجا رأيا الفرنج منهزمين وسوادهم منهوبا فأقاما الى الليل وهربا فتبعهم المسلمون وقتلوا من أصحابهما كثيرا وأسروا كذلك وافلتا في ستة فرسان وكان القمص بردويل صاحب الرها قد انهزم مع جماعة من قمامصتهم وخاضوا نهر البليخ فوحلت خيولهم فجاء تركماني من أصحاب سقمان فأخذهم وحمل بردويل الى خيم صاحبه وقد سار فيمن معه لاتباع بيمند فرأى أصحاب جكرمش ان اصحاب سقمان قد استولوا على مال الفرنج ويرجعون هم من الغنيمة بغير طائل فقالوا لجكرمش اي منزلة تكون لنا عند الناس وعند التركمان اذا انصرفوا بالغنائم دوننا وحسنوا له أخذ القمص فأنفذ فأخذ القمص من خيم سقمان فلما عاد سقمان شق عليه الامر وركب اصحابه للقتال فردهم وقال لهم لا يقوم فرح المسلمين في هذه الغزاة بغمهم باختلافنا ولا أوثر شفاء غيظي بشماتة الاعداء بالمسلمين ورحل لوقته واخذ سلاح الفرنج وراياتهم وألبس اصحابه لبسهم واركبهم خيلهم وجعل يأتي حصون شيحان وبها الفرنج فيخرجون ظنا منهم ان اصحابهم نصروا فيقتلهم ويأخذ الحصن منهم فعل ذلك بعدة حصون. واما جكرمش فانه سار الى حران فتسلمها واستخلف بها صاحبه وسار الى الرها فحصرها خمسة عشر يوما وعاد الى الموصل ومعه القمص الذي اخذه من خيام سقمان ففاداه بخمسة وثلاثين الف دينار ومائة وستين اسيرا من المسلمين وكان عدة القتلى من الفرنج يقارب اثني عشر الف قتيل

(ذكر وفاة دقاق وملك ولده)

الكبير اتفق مع الباشا بان يذهب عند الالفي وينضم اليه ويحيل في اغتياله وقتله فان فعل ذلك وقتله وجب عليه اعطاء خمسين كيسا فذهب عند الالفي وانضم اليه واظهر انه راغب في خدمته وكره الباشا وظلمه فرحب به وقبله وأكرمه مع التصنع منه فلما طال به الامد ولم يتمكن من قصده رجع الى الباشا فلما امره بالذهاب أخذ يطالبه بالخمسين كيسا فامتنع الباشا وقال جعلت له ذلك في نظير شيء يفعله ولم يخرج من يده فعله فلا وجه لطلبه به واستمر رجب اغا في عناده وذلك انه لا يهون بهم مفارقة مصر التي صاروا فيها امراء واكابر بعد ان كانوا يحتطبون في بلادهم ويتكسبون بالصنائع الدنيئة ثم انه جمع جيشه اليه من الارنؤد بناحية سكنه وهو بيت حسن كتخدا الجربان بباب اللوق فارسل اليه الباشا من يحاربه مثل حسن اغا سرششمه ناحية قنطرة باب الخرق وحضر ايضا الجم الكثير من الاتراك وكبرائهم من جهة المدابغ وعمل كل منهم متاريس من الجهتين وتقدموا قليلا حتى قربوا من مساكن الارنؤد تجاه بيت البارودي فلم يتجاسروا على الاقدام عليهم من الطريق بل دخلوا من البيوت التي في صفهم ونقبوا من بيت الى آخر حتى انتهوا الى اول منزل من مساكنهم فنقبوا البيت الذي يسكن به الشيخ محمد سعد البكري ونفذوا منه الى المنزل الذي بجواره في

فى هذه السنة فى شهر رمضان توفى الملك دقاق بن تتش بن الب أرسلان صاحب دمشق وخطب اتابكه طغتكين لولد له صغير له سنة واحدة و جعل اسم المملكة فيه ثم قطع خطبته وخطب لبكتاش بن تتش عم هذا الطفل فى ذى الحجة وله من العمر اثنتا عشرة سنة ثم ان طغتكين أشار عليه بقصد الرحبة فخرج اليها فملكها وعاد فمنعه طغتكين من دخول البلد فمضى الى حصون له واعاد طغتكين خطبة الطفل ولد دقاق وقيل ان سبب استيحاش بكتاش من طغتكين ان والدته خوفته منه وقالت انه زوج والدة دقاق وهى لا تتركه حتى تقتلك و يستقيم الملك لولدها فخاف ثم انه حسن له من كان يحسد طغتكين مفارقة دمشق وقصد بعلبك وجمع الرجال والاستنجاد بالفرنج والعود الى دمشق واخذها من طغتكين فخرج من دمشق سرا فى صفر سنة ثمان وتسعين ولحقه الامير ايتكين الحلبى وهو من جملة من قرر مع بكتاش ذلك و هو صاحب بصرى فعاثا فى نواحى حوران ولحق بهما كل من يريد الفساد وراسلا بغدوين ملك الفرنج يستنجدانه فاجابهما الى ذلك وسارا اليهما فجتمعا به وقررا القواعد معه واقاما عنده مدة فلم يريا منه غير التحريض على الافساد فى اعمال دمشق وتخريبها فلما يئسا من نصره عادا من عنده وتوجها فى البرية الى الرحبة فملكها بكتاش وعاد عنها واستقام امر طغتكين بدمشق واستبد بالامر واحسن الى الناس و بث فيهم العدل فسروا به سرورا كثيرا

ذكر استيلاء صدقة على واسط

فى هذه السنة فى شوال انحدر سيف الدولة صدقة بن مزيد من الحلة الى واسط فى عسكر كثير وامر فنودى بها فى الاتراك من اقام فقد برئت منه الذمة فاوجع عدة منهم الى بركيارق وجماعة الى بغداد وصار مع صدقة جماعة منهم ثم انه احضر مهذب الدولة بن ابى الجبر صاحب البطيحة وضمنه البلد الى آخرها آخر السنة بخمسين الف دينار وعاد الى الحلة واقام مهذب الدولة بواسط الى سادس ذى القعدة وانحدر الى بلده

ذكر عدة حوادث

فى هذه سنة فى ربيع الاول هرب سديد الدولة ابو المعالى من الاعتقال وهو الذى كان وزير الخليفة ولما اطلق هرب الى الحلة السيفية ومنها الى السلطان بركيارق فولاه الاشراف على ممالكه وفيها توفى عميد الدولة ابو سعد الحسن بن المرصلايا وكان اقدر ضر وكان بليغا فصيحا وكان ابتداء خدمته للقائم بامر الله سنة ثنتين وثلاثين واربعمائة فخدم الخلفاء خمسا وستين سنة كل يوم تزداد منزلته حتى ناب عن الوزارة وكان نصرانيا فاسلم سنة اربع وثمانين وكان كثير الصدقة جميل العشرة صحيح [illegible] موقف املاكه على ابواب البر ومكاتبته مشهورة حسنة ولم يمت حتى ابن حفيده ابى نصر ولقب بقدم الحضرتين ولد مدة من لاثنين وفيها كانت ببغداد بين عامة فتن كثيرة وانتشر العيارون وفيها قتل ابو نعيم بن ساوة الطبيب الواسطى وكان

المعروف بابى دفية اللاصق لمسكن طائفة من الارنؤد وعبثوا فى الدار وازعجوا اهلها بقبيح افعالهم فانهم عندما يدخلون فى اول بيت يصعدون الى الحريم بصورة منكرة من غير دستور ولا استئذان و ينقبون من مساكن الحريم العليا فيهدمون الحائط ويدخلون منه الى محل حريم الدار الاخرى ويصعد طائفة منهم الى السطح وهم يرمون بالبندق فى الهواء فى حال مشيهم وسيرهم وهكذا ولا يخفى ما يحصل للنساء من الانزعاج وهن يصرخن وهم يأخذون و يجرين الى الحارات الاخرى مثل حارة قواديس و باب قيصرة وغيرها بقدر الدور المذكورة بغاية الخوف والرعب والمشقة ووقفت نساء كرائب الامتعة والثياب والفرش و يكسرون الصناديق ويأخذون ما فيها ويأكلون ما فى القدور من الاطعمة فى شهر رمضان من غير حشمة وتقدمت حادثة اثر قبحها وهى بيت ابى دفية المذكور من الصناديق المكسرة ونشارها وتلويثها والمراتب التى فتقوها واخذوا ما فيها ولم يسلم لاصحاب الاماكن سوى ما كان لهم خارج دورهم و بعيدا عنها او نقلوه قبل الحادثة واصيب محمد افندى ابودفية برصاص أطلقوا ابعضهم من النقب الذى نقب عليهم نعندئ كتفه وحدثت دعل العسكر التى اتت من ناحية المدابغ

بالبيوت الاخرى واستمر واعلى هذه الافعال ثلاثة أيام بلياليها فلما كان ليلة الاثنين ثاني عشره
حضر بك كبير الارنؤد الساكن
ببولاق وصالح قوج الى
رجب اغا المذكور واركباه
واخذاه الى بولاق وبطل
الحرب بينهم ورفعوا المتاريس
في صبحها وانكشفت الواقعة
عن نهب البيوت ونقبها
وازعاج أهلها ومات فيها
بينهم أنفار قليلة وكذلك مات
اناس وانجرح أناس من اهل
البلد (وفي يوم السبت) وصل
شاهين بك الالفي الى دهشور
ووصل صحبته مراكب بها
غلال وهدية من ابراهيم بك
وعثمان بك المرادي المعروف
بالمنفوخ برسم الباشا وهي
نحو الثلاثين حصانا ومائة
قنطار بن قهوة ومائة قنطار سكر
واربع خصيان وعشرون
جاريه سوداء فلما وصل
شاهين بك الى دهشور حضر
محمد كتخداه وعلى كاشف
الكبير فارسل الباشا اليه
محمد بك تماما هديته وصحبتهما ولده
وديوان افندي (وفي خامس
عشرينه) سافر رجب أغا
وتخلف عنه كثير من عساكره
واتباعه وذهب من ناحية
دمياط (وفيه) حضر ديوان
افندي من دهشور وابن
الباشا أيضا وخلع شاهين بك
على ابن الباشا فروة وقدم له
تقدمة وسلاحا نفيسا انكليزيا
(وفي ثامن عشرينه) وصل
شاهين بك الى شبرامنت وقدام الباشا من بحر الى الجيزة وينتقل منها الكاشف والعسكر فعدى الجميع

ذكر

من الحذاق في الطب وله فيه اصابات حسنة وفيها عزل السلطان سنجر وزيره الخطير أبا
الفتح الطغرائي وسبب ذلك ان الامير برغش وهو اصفهسلار العسكر السنجري التي
اليه ملطف فيه لايتم لك امر مع هذا السلطان ووقع الى سنجر لايتم لك امر مع الامير
برغش مع كثرة جموعه فجمع برغش اصحاب العمائم وعرض عليهم الملطفين فاتفقوا على
كاتب الطغرائي وظهرت عليه فقتل وقبض سنجر على الطغرائي واراد قتله فمنعه
برغش وقال له حق خدمة فابعده الى غزنة وفيها جمع برغش كثيرا من عساكر خراسان
واتاه كثير من المتطوعة وسار الى قتال الاسماعيلية فقصد طبس وهي لهم فخربها
وماجاورها من القلاع والقرى واكثر فيهم القتل والنهب والسبي وفعل بهم الافعال
العظيمة ثم ان أصحاب سنجر أشاروا بان يؤمنوا ويشرط عليهم انهم لا يبنون حصنا
ولا يشترون سلاحا ولا يدعون أحدا الى عقائدهم فسخط كثير من الناس هذا الامان
وهذا الصلح ونقموه على سنجر ثم ان برغش بعد عوده من هذه الغزاة توفي وكانت خاتمة
امره الجهاد رحمه الله وفي هذه السنة توفي أبو بكر علي بن احمد بن زكريا الطريثيثي وكان
صوفيا محدثا مشهورا وفي رجب توفي القاضي أبو الحسين احمد بن محمد الثقفي قاضي
الكوفة ومولده في ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وهو من ولد عروة بن
مسعود ومن تلاميذ القاضي الدامغاني وولي القضاء بعده ابنه أبو البركات وفي ربيع
الآخر توفي أبو عبد الله الحسين بن علي بن البسري البندار المحدث ومولده سنة اربع
واربعمائة

(ثم دخلت سنة ثمان وتسعين واربعمائة)

(ذكر وفاة السلطان بركيارق)

في هذه السنة ثاني شهر ربيع الآخر توفي السلطان بركيارق بن ملكشاه وكان قد
مرض باصبهان بالسل والبواسير فسار منها في محفة طالبا بغداد فلما وصل الى بروجرد
ضعف عن الحركة فقام بها وبعين يوما فاشتد مرضه فلما ايس من نفسه خلع على ولده
ملكشاه وعمره حينئذ اربع سنين وثمانية اشهر وخلع على الامير اياز واحضر جماعة
الامراء واعلمهم انه قد جعل ابنه ولي عهده في السلطنة وجعل الامير ايازا اتابكه
وامرهم بالطاعة لهما ومساعدتهما على حفظ السلطنة لولده والذب عنها فاجابوا كلهم
بالسمع والطاعة وبذل النفوس والاموال في حفظ ولده وسلطنته عليه واستحلفهم على
ذلك فحلفوا وامرهم بالمسير الى بغداد فساروا فلما كانوا على اثنى عشر فرسخا من بروجرد
وصلهم خبر موته وكان بركيارق قد تخلف عنهم في عزم العود الى اصبهان فعاجلته منيته
فلما سمع الامير اياز بموته ووزيره الخطير الميبذي وغيره بان يسيروا مع تابوته الى
اصبهان فحمل اليها ودفن في تربة جددتها له سريته ثم ماتت بعد ايام فدفنت بازائه
واحضر اياز السرادق والخيام والجتر والشمسة وجميع ما يحتاج اليه السلطان
فجعله برسم ولده ملكشاه

(ذكر عمره وشئ من سيرته)

لما توفى بركيارق كان عمره خمسا وعشرين سنة ومدة وقوع اسم السلطنة عليه اثنتى عشرة سنة وأربعة أشهر وقاسى من الحروب واختلاف الامور عليه ما لم يقاسه أحد واختلفت به الاحوال بين رخاء وشدة وملك وزواله واشرف فى عدة نوب بعد اسلام النعمة على ذهاب المهجة ولما قوى امره فى هذا الوقت واطاعه المخالفون وانقادوا له ادركته منيته ولم يهزم فى حروبه غير مرة واحدة وكان امراؤه قد طمعوا فيه للاختلاف الواقع حتى انهم كانوا يطلبون نوابه ليقتلوهم فلا يمكنه الدفع عنهم وكان متى خطب له ببغداد وقع الغلاء ووقفت المعايش والمكاسب وكان اهلها مع ذلك يحبونه ويختارون سلطانه وقد ذكرنا من تقلب الاحوال به ما وقفت عليه ومن اعجب ما احدث وله اصبهان هاربا من عمه تتش فملكه عسكر اخيه محمود وصاحبها من خوف ليقبضوا عليه فاتفق ان اخاه محمودا مات فاضطروا الى ان يملكوه وهذا من احسن الفرج بعد الشدة وكان حليما كريما صبورا عاقلا كثير المداراة حسن القدرة لا يبالغ فى العقوبة وكان عفوه اكثر من عقوبته

(ذكر الخطبة لملكشاه بن بركيارق)

فى هذه السنة خطب لملكشاه بن بركيارق بالديوان يوم الخميس سلخ ربيع الآخر وخطب له بجوامع بغداد من الغد يوم الجمعة وكان سبب ذلك ان ايلغازى شحنة بغداد سار فى المحرم الى السلطان بركيارق وهو باصبهان يحثه على الوصول الى بغداد ورحل مع بركيارق فلما مات بركيارق سار مع ولده ملكشاه والامير اياز الى بغداد فوصلوها سابع عشر ربيع الآخر ولحقهم فى طريقهم برد شديد لم يشاهدوا مثله بحيث انهم لم يقدروا على الماء لجموده وخرج الوزير ابو القاسم على بن جهير فلقيهم من ديالى وكانوا خمسة آلاف فارس وحضر ايلغازى والامير صفا برلك بالديوان وخاطبوا فى اقامة الخطبة لملكشاه بن بركيارق فاجيب اليها وخطب له ولقب بالقاب جده ملكشاه وهى جلال الدولة وغيرها من الالقاب ونثرت الدنانير عند الخطبة له

(ذكر حصر السلطان محمد جكرمش بالموصل)

لما اصطلح السلطان بركيارق والسلطان محمد كما ذكرناه فى السنة الخالية وسلم محمد مدينة اصبهان الى بركيارق وسار اليها اقام محمد بتبريز من اذربيجان الى ان وصل اصحابه الذين باصبهان فلما وصلوا استوزر سعد الملك ابا المحاسن لحسن اثره كان فى حفظ اصبهان واقام الى صفر من هذه السنة وسار الى مراغة ثم الى اربل يريد قصد جكرمش صاحب الموصل ليأخذ بلاده فلما سمع جكرمش بذلك جدد سور الموصل ورم ما احتاج الى اصلاح وامر اهل السواد بدخول البلد واذن لاصحابه فى نهب من لم يدخل وحصر محمد المدينة وارسل الى جكرمش يذكر له ما استقر بينه وبين اخيه وان فى جملة ما استقر ان تكون الموصل وبلاد الجزيرة له وعرض عليه الكتب من بركيارق ليؤذنه

الى البر الشرقى وقبضوا على كاشف الكبير الالفى القصر وما حوله وما بعده من الجبخانه والمدافع وآلات الحرب وغيرها

(واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٢)

ولم يعمل العسكر شنكهم ليلة العيد من رميهم الرصاص والبارود الكثير المزعج من سائر النواحى والبيوت والاسطحة لانقباض نفوسهم وانما ضربوا مدافع من القلعة مدة ثلاثة ايام العيد فى الاوقات الخمسة (وفى خامسه) اعتنى الباشا بتعمير القصر لسكن شاهين بك بالجيزة وكان العسكر اخربوه وكذلك بيوت الجيزة ولم يتركوا بها دارا عامرة الا قليلا فرسم لبعض المعمارجية بعمارة القصر فجمعوا البنائين والنجارين والخراطين وحملوا الاخشاب من بولاق وغيره وهدموا بيت ابى الشوارب وحضر والجمال والحمير لنقل اخشابه وانقاضه واشتروا منه خشبا عظيمة فى غاية الغلو والثمن ليس لها نظير فى هذا الوقت والاوان (وفى سابعه) حضر شاهين بك الى بر الجيزة وبات بالقصر وضربوا لقدومه مدافع كثيرة من الجيزة وعمل له على برطيل موسى الجبالى وليمة وفرض مصروفها وكلفتها على اهل البلدة وعضده الباشا اقليم الفيوم بتمامه التزاما وكشوفية واطلق له فيه التصرف وانعم عليه ايضا بثلاثين بلدة من اقليم البهنسا مع كشوفيتها وعشرة بلاد من بلاد الجيزة من البلاد التى ينتقيها ويختارها وتقيد مع كشوفية الجيزة وكتبوا له

والايمان على تسليمها اليه وقال له ان اطعت فانا لا آخذها منك بل أقرها بيدك وتكون الخطبة لى بها فقال جكرمش ان كتب السلطان وردت الى بعد الصلح تامرنى ان لا اسلم البلد الى غيره فلما رأى محمد امتناعه باكره القتال وزحف اليه بالنقابين والدبابات وقاتل أهل البلد أشد قتال وقتلوا خلقا كثيرا لمحبتهم لجكرمش لحسن سيرته فيهم فأمر جكرمش ففتح فى السور ابواب لطاف يخرج منها الرجالة يقاتلون فكانوا يكثرون القتل فى العسكر ثم زحف محمد مرة فنقب فى السور أصحابه وادركهم الليل فاصبحوا وقد عمره اهل البلد وشحنوه بالمقاتلة وكانت الاسعار عندهم رخيصة فى الحصار كانت الحنطة تساوى كل ثلاثين مكوكا دينارا والشعير خمسون مكوكا بدينار وكان بعض عسكر جكرمش قد اجتمعوا بتل يعفر فكانوا يغيرون على اطراف العسكر ويمنعون الميرة عنهم فدام القتال عليهم الى عاشر جمادى الاولى فوصل الخبر الى جكرمش بوفاة السلطان بركيارق فاحضر اهل البلد واستشارهم فيما يفعله بعد موت السلطان فقالوا اموالنا وارواحنا بين يديك وانت اعرف بشانك فاستشر الجند فهم اعرف بذلك فاستشارهم فقالوا لما كان السلطان حيا قد كنا على الامتناع ولم يتمكن احد من طروق بلدنا وحيث توفى فليس للناس اليوم سلطان غير هذا والدخول تحت طاعته اولى فارسل الى محمد يبذل الطاعة ويطلب وزيره سعد الملك ليدخل اليه فحضر الوزير عنده واخذ بيده وقال المصلحة ان تحضر الساعة عند السلطان فانه لا يخالفك فى جميع ما تلتمسه واخذ بيده وقام فسار معه جكرمش فلما رآه أهل الموصل قد توجه الى السلطان حملوا يبكون ويصعدون ويحثون التراب على رؤسهم فلما دخل على السلطان محمد قبل عليه واكرمه وعانقه ولم يمكنه من الجلوس وقال ارجع الى رعيتك فان قلوبهم اليك وهم متطلعون الى عودك فقبل الارض وعاد ومعه جماعة من خواص السلطان وسال السلطان من الغد ان يدخل البلد تتزين له فامتنع من ذلك فعمل سماطا بظاهر الموصل عظيما وحمل الى السلطان من الهدايا والتحف ولوزيره أشياء جليلة المقدار

(ذكر وصول السلطان الى بغداد وصلحه مع ابن أخيه والامير اياز)

لما وصل خبر وفاة السلطان بركيارق الى اخيه السلطان محمد وهو يحاصر الموصل جلس للعزاء واصلح جكرمش صاحب الموصل كما ذكرناه وسار الى بغداد ومعه سكمان القطبى وهو ينسب الى قطب الدولة اسمعيل بن ياقوتى بن داود واسمعيل ابن عم ملكشاه وسار معه جكرمش وغيرهما من الامراء وكان سيف الدولة صدقة صاحب الحلة قد جمع خلقا كثيرا من العساكر فبلغت عدتهم خمسة عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل وأرسل ولديه بدران ودبيسا الى السلطان محمد يستحثه على المجىء الى بغداد فاستصحبهما معه الى بغداد فلما سمع الامير اياز بمسيره اليه خرج هو والعسكر الذين معه من الدور ونصبوا الخيام بالزاهر خارج بغداد وجمع الامراء واستشارهم فيما يفعله فبذلوا له الطاعة واليمين على قتاله وحربه ومنعه عن السلطنة والاتفاق معه على طاعة ملكشاه بن

بذلك تقاسيط ديوانية وضم له كشوفية البحيرة بتمامها الى حد الاسكندرية وأطلق له التصرف فى جميع ذلك بمرسومات نافذة فى سائر البر الغربى (وفى صبح يوم الاربعاء) تاسعه ركب السيد عمر افندى النقيب والمشايخ وطلعوا الى القلعة باستدعاء ارسالية ارسلت اليهم فى تلك الليلة فلما طلعوا الى القلعة ركب معهم ابن الباشا طوسون بك ونزل الجميع وساروا الى ناحية مصر القديمة وكان شاهين بك عدى الى البر الشرقى فى بعض ثلة من الكشاف والمماليك والهوّارة فسلموا عليه وكان بصحبتهم طائفة من الدلاة ساروا امام القوم بطبلاتهم وسفافيرهم ومن خلفهم طائفة من الهوّارة ومن خلفهم الكشاف والمماليك والسيد عمر النقيب والمشايخ ثم شاهين بك وبجانبه ابن الباشا وخلفهم الطوائف والاتباع والخدم وخلفهم النقاقير فساروا الى ناحية جهة القرافة وزاروا ضريح الامام الشافعى ثم ركبوا وساروا الى القلعة وطلعوا من باب العزب الى سراية الديوان وانفصل عنهم المشايخ ونزلوا الى دورهم وقابلوا الباشا وسلم شاهين بك عليه فخلع عليه الباشا فروة سمور ثمينة وسيفا وخنجرا مجوهرا وتعابى وقدم له خيولا بسروجها وعزم عليه ابن الباشا فاذن له ان يتوجه صحبته الى سرايته فركب معه

بركيارق وكان أشدهم في ذلك ينال وصباوو فانهم بالغوا في الاطماع في السلطنة لمحمد والمنع له من السلطنة فلما تفرقوا قال له وزيره الصفي أبو المحاسن يا مولانا ان حياتي مقرونة بثبات نعمتك ودولتك وانا اكثر التزاما بك من هؤلاء ولي من الراي ما ليس لهم فلا تلتفت الى كلامهم فقصدهم ان يسلكوا طريقا وان يقيموا سوق الفتنة بك واكثرهم يساويك في المنزلة وانما يقدمهم من منازعتك قلة العدد والمال والصواب مصالحة السلطان محمد وطاعته وهو يقرك على اقطاعك ويزيدك عليه مهما اردت فتردد راي الامير اياز في الصلح والمباينة الا ان حركته في المباينة ظاهرة وجمع السفن التي ببغداد عنده وضبط المشارع من متطرق الى عسكره والى البلد ووصل السلطان محمد الى بغداد يوم الجمعة لثمان بقين من جمادى الاولى ونزل عند الجانب الغربي بباب [illegible] ببغداد وخطب له بالجانب الغربي ولملكشاه بن بركيارق بالجانب الشرقي واما جامع المنصور فان الخطيب قال فيه اللهم اصلح سلطان العالم وسكت وخاف الناس من امتداد الشر والنهب فركب اياز وعسكره وهم عازمون على الحرب وساروا الى ان اشرف على عسكر السلطان محمد وعاد الى مخيمه فدعا الامراء الى اليمين مرة ثانية على اطاعة ملكشاه فاجاب البعض وتوقف البعض وقالوا قد حلفنا مرة ولا فائدة في اعادة اليمين لانا ان وفينا بالاولى وفينا بالثانية وان لم نف بالاولى فلا نفي بالثانية فرأى اياز حينئذ ووزيره الصفي [illegible] بالعبور الى السلطان محمد في الصلح وتسليم السلطنة اليه وترك منازعته فعبر يوم السبت لسبع بقين من الشهر الى عسكر محمد واجتمع بوزيره سعد الملك ابي المحاسن سعد بن محمد فعرفه ما جاء فيه فحضر عند السلطان محمد واقتضى الصفي [illegible] واعتذر عما كان منه ايام بركيارق فاجابه محمد الى ما التمسه [illegible] واجاب الى ما التمسه منه من اليمين فلما كان الغد حضر [illegible] ولصفي وزير اياز عند السلطان محمد فقال له وزيره سعد الملك ان اياز يخاف تقدم منه وهو يطلب العهد لملكشاه ابن اخيك ولنفسه وللامراء الذين معه فقال السلطان اما ملكشاه فانه ولدي ولا فرق بيني وبينه واما اياز والامراء فاحلف لهم الا ينال الحسامي وصباوو واستحلفه الكيا الهراس مدرس النظامية ببغداد وحضر [illegible] اليمين فلما كان من الغد حضر الامير اياز عند السلطان محمد فلقيه وزير السلطان وكان ذلك اليوم وصل سيف الدولة صدقة [illegible] ذلك الوقت ودخلا جميعا الى السلطان [illegible] وحسن لهما وقبلا [illegible] ووقف احدهما عن يمينه والآخر عن [illegible] واقام السلطان ببغداد الى شعبان وسار الى اصبهان [illegible] ان شاء الله تعالى

(ذكر قتل الامير اياز)

في هذه السنة ثامن عشر جمادى الآخرة قتل الامير اياز [illegible] السلطان محمد وسبب ذلك ان اياز لما سلم السلطنة الى السلطان محمد [illegible] في جملته واستحلفه [illegible]

وتغدى عنده ثم ركب بصحبته ونزلا من القلعة وذهب عند حسن باشا القبطان ايضا وسلم عليه وخلع عليه ايضا وقدم له خيولا وركب بصحبته وذهبوا عند طاهر باشا ابن اخت الباشا فسلم عليه ايضا وقدم له تقادم ثم ركب عائدا الى الجيزة وذهب الى خيمته بشبرامنت واستمر مقيما بالخيم حتى تتم عمارة القصر وتردد كشافهم واجنادهم الى بيوتهم بالمدينة فيبيتون الليلة والليلتين ويرجعون الى خيمهم (وفيه) قطع الباشا رواتب طوائف من الدلاة وامروا بالسفر الى بلادهم (وفي يوم الجمعة) انتقل الالفية بمرضيهم وخيامهم الى بحري الجيزة (وفي يوم الاحد ثاني عشره) وصل [illegible] الالفية وهم احمد بك وشاهين بك وحسين بك ومراد بك فطلعوا الى القلعة وخلع عليهم الباشا فراوي وقلدهم سيوفا وقدم لهم تقادم ثم نزلوا الى حسن باشا فسلموا عليه وخلع عليهم ايضا فراوي ثم ذهبوا الى بيت صالح آغا السلحدار فقدم لهم عدة خيول ثم ذهبوا الى البيوت التي اعدت لهم [illegible] وذهبوا في الصباح الى الجيزة (وفي يوم الثلاثاء خامس عشره) عملت وليمة وعقدوا لاحمد بك الالفي على عديلة هانم بنت ابراهيم بك الكبير والوكيل في العقد [illegible] وكيل عن احمد بك ودفع الصداق الباشا من

كان ثامن جمادى الآخرة عمل دعوة عظيمة في داره وهي دار كوهرائين ودعا السلطان اليها وقدم له شيئا كثيرا من جملته الجبل البلخش الذي اخذ من تركة مؤيد الملك بن نظام الملك وقد تقدم ذكر ذلك وحضر مع السلطان سيف الدولة صدقة بن مزيد وكان من الاتفاق ان ديار اياز تقدم الى غلمانه ليلبسوا السلاح من خزانته ليعرضهم على السلطان فدخل عليهم رجل من اهل همذان يتقرب معهم ويضحكون منه مع كونه يتصوف فقالوا له لابد من ان نلبسك درعا ونعرضك فالبسوه الدرع تحت قميصه وتناولوه بايديهم وهو يسالهم ان يكفوا عنه فلم يفعلوا فلشدة ما عملوا به هرب منهم ودخل بين خواص السلطان معتصما بهم فرآه السلطان مذعورا وعليه لباس عظيم فاستراب به فقال لغلام له بالتركية ايلمسه من غير ان يعلم احد ففعل فرأى الدرع تحت قميصه فاعلم السلطان بذلك فاستشعر وقال اذا كان اصحاب العمائم قد لبسوا السلاح فكيف الاجناد وقوى استشعاره لكونه في داره وفي قبضته فنهض وفارق الدار وعاد الى داره فلما كان ثالث عشر الشهر استدعى السلطان الامير صدقة واياز وجكرمش وغيرهم من الامراء فلما حضروا ارسل اليهم انه بلغنا ان قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش قصد ديار بكر ليتملكها ويسير منها الى الجزيرة وينبغي ان تجتمع آراؤكم على من يسير اليه ليمنعه ويقاتله فقال الجماعة ليس لهذا غير الامير اياز فقال اياز ينبغي ان اجتمع انا وسيف الدولة صدقة بن مزيد على هذا الامر والدفع لهذا القاصد فقيل ذلك للسلطان فاعاد الجواب يستدعي اياز وصدقة والوزير سعد الملك ليحضروا الامر في حضرته فنهضوا ليدخلوا اليه وكان قد اعد جماعة من خواصه ليقتلوا اياز اذا دخل اليه فلما دخلوا ضرب احدهم راسه فابانه فاما صدقة فغطى وجهه بكمه واما الوزير فانه غشي عليه ولف اياز في مسح والقى على الطريق عند دار المملكة وركب عسكر اياز فنهبوا ما قدروا عليه من داره فارسل السلطان من منعهم من نهب وتفرق اصحابه من يومهم وكان زوال تلك النعمة العظيمة والدولة الكبيرة في لحظة بسبب هزل ومزاح فلما كان من الغد كفنه قوم من المطوعة ودفنوه في المقابر المجاورة لقبر ابي حنيفة رحمه الله وكان عمره قد جاوز اربعين سنة وهو من جملة مماليك السلطان ملكشاه ثم صار بعد موته في جملة امير آخر فتخذه ولدا وكان غزير المروءة شجاعا حسن الراي في الحرب واما وزيره الصفي فانه اختفى ثم حمل الى دار الوزير سعد الملك ثم قتل في رمضان وعمره ست وثلاثون سنة وكان من بيت رياسة بهمذان

•(ذكر وفاة سقمان بن ارتق)•

كان فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس قد كاتب سقمان يستدعيه الى نصرته على الفرنج وبذل له المعونة بالمال والرجال فبينما هو يتجهز للمسير اتاه كتاب طغتكين صاحب دمشق يخبره انه مريض قد اشفى على الموت وانه يخاف ان مات وليس بدمشق من يحميها ان يملكها الفرنج ويستدعيه ليوصي اليه وبما يعتمده في حفظ البلد فلما

رای

عندمو قدره ثمانية آلاف ريال (وفيه) اتفقوا على ارسال نعمان بك ومحمد كتخدا وعلي كاشف الصابونجي الى ابراهيم بك الكبير لاجراء الصلح (وفيه) ايضا ارادوا اجراء عقد زينب هانم ابنة ابراهيم بك على نعمان بك فامتنعت وقالت لا يكون ذلك الا عن اذن ابي وهو مسافر اليه فليستاذنه ولا اخالف أمره فاجيبت الى ذلك واراد شاهين بك ان يعقد لنفسه على زوجة حسين بك المقتول المعروف بالوشاش وهو خشداشه وهي ابنة السقطي فاستاذن الباشا فقال اني اريد ان ازوجك ابنتي وتكون صهري وهي واصلة عن قريب ارسلت بحضورها من بلادي قوله دن تاتم حضورها جهزت لك سرية وزوجتك اياها (وفي يوم الاربعاء) نزل الباشا من القلعة وذهب الى ضرب النشاب واستدعى شاهين بك من الجيزة وعمل معه ميدانا وتراعوا وتسابقوا ولعبوا بالرماح والسيوف ثم طلع الجميع الى القلعة واستمر شاهين بك عند الباشا الى بعد الظهر ثم نزل مع نعمان بك الى بيت عديلة هانم فمكثا الى قبيل المغرب ثم ارسل اليهما الباشا فطلعا الى القلعة فباتا عنده ونزلا في الصبح وعديا الى الجيزة قال الشاعر

أمور تضحك السفهاء منها • ويبكي من عواقبها اللبيب

(وفيه) تقلد حسن اغا سر ششمه

رأى ذلك أسرع في السير عازما على أخذ دمشق وقصد الفرنج طرابلس وابادهم منها
فوصل الى القريتين واتصل خبره بصنجيل فخاف عاقبة ما صنع والقوة عسكره وزاد
مرضه ولامه اصحابه على ما فرط في تدبيره وتخوفوه عاقبته. ثم انفصل وقالوا له قد رأيت
سيدك تاج الدولة لما استدعاه الى دمشق أبيته كيف قتله حين وقعت عينه عليه
فبينما هم يدبرون الرأي بأي حيلة يردونه أتاهم الخبر بأنه وصل القريتين ومات ومعه
أصحابه وعادوا به فأتاهم فرج لم يحتسبوه وكان مرضه الذي مات به الخوانيق يعتريه دائما
فأشار عليه أصحابه بالعود الى حصن كيفا فامتنع وقال ان أسير فان عوفيت تممت
ما عزمت عليه ولا يراني الله متثاقلا عن قتال الكفار خوفا من الموت وان ادركني
حلي كنت شهيدا سائرا في جهاد فساروا فاعتقل لسانه يومين ومات في صفر وبقي
ابنه ابراهيم في أصحابه وجعل في تابوت وحمل الى الحصن وكان حازما ذا رأي كثير
الخير وقد ذكرنا سبب أخذه الحصن كيفا وأما ملكه ماردين فان كربوقا خرج من الموصل
فقصد آمد وحارب صاحبها فاستنجد صاحبها وهو تركماني بسقمان فحضر عنده وصاف
كربوقا وكان عماد الدين زنكي بن آقسنقر حينئذ صبيا قد حضر مع كربوقا ومعه جماعة
كثيرة من أصحاب أبيه فلما اشتد القتال ضعف رجالة فألقى أصحاب آقسنقر زنكي ولد
صاحبهم بين أرجل الخيل وقالوا قاتلوا عن ابن صاحبكم فقاتلوا حينئذ قتالا شديدا
فانهزم سقمان وأسروا ابن أخيه ياقوتي بن ارتق فحبسه كربوقا بقلعة ماردين وكان
صاحبها انسانا مغنيا للسلطان بركيارق فطلب منه ماردين واعطاه وقصبة اياها
فبقي ياقوتي في حبسه مدة فمضت زوجة ارتق الى كربوقا وسألته اطلاقه فأطلقه فنزل
عند ماردين وكنت قد أعجبته فقال ليحصل في قلعته ولاستيلائه عليها وكان من عند
ماردين من الأكراد قد طمعوا في صاحبها المغني وأغاروا على عمل ماردين عدة
دفعات فراسله ياقوتي يقول قد صار بيننا مودة وصداقة واريد ان اعمر بلدك وامنع
عنه الاكراد واغير على الاماكن وآخذ الاموال انفقها في بلدك وأقيم في ربضه فأذن
في ذلك فصار يغير من باب خلاط الى بغداد وصار ينزل معه بعض اجناد القلعة
طلبا للكسب وهو يكرمهم ولا يتعرض لهم فامنوا اليه فاتفق انه في بعض الأوقات نزل
معه أكثرهم فلما عادوا من الغارة قبض عليهم وقيدهم ووقفهم تحت القلعة ونادى
من بها من أهليهم ان فتحتم الباب والا ضربت اعناقهم فامتنعوا فقتل انسانا منهم
فسلموا القلعة من بها اليه وبقي بها ثم تجمع جمعا وسار الى نصيبين واغار على بلد جزيرة
ابن عمر وهي لجكرمش فلما عاد اصحابه بالغنيمة اتاهم جكرمش وكان ياقوتي قد اصابه
مرض عجز معه عن لبس السلاح وركوب الخيل فحمل على فرسه وركبه واصابه سهم
فسقط منه فأتاه جكرمش وهو يجود بنفسه فبكى عليه وقال له ما حملك على ما صنعت
يا ياقوتي فلم يجبه فمات ومضت زوجة ارتق الى ابنها سقمان وجمعت التركمان وطلبت
بثأر ابن ابنها وحصر سقمان نصيبين وهي لجكرمش فسير جكرمش الى سقمان مالا
كثيرا ارضاه به ورضي وقيل انه قتل في الحرب ولا يعرف قاتله وملك ماردين بعده

امارة دمياط عوضا عن احمد بك تبوكلي وقلد عبد الله كاشف الدرندلي امارة المنصورة عوضا عن مزبر اغا) وفي يوم
الاربعاء ثالث عشرينه)
وصل قابجي ومعه مرسومات
يتضمن أحدها التقرير لمحمد
علي باشا على ولاية مصر وآخر
بالدفتردارية باسم ولده ابراهيم
وآخر بالعفو عن جميع
العسكر جزاء عن اخراجهم
الانكليز من ثغر الاسكندرية
وآخر بالتأكيد في التشهيل
والسفر لمحاربة الخوارج
بالحجاز واستخلاص الحرمين
والوصية بالرعية والتجار
وصحبته أيضا خلع وشلنجات
فاركبوه في موكب في صبح
يوم الخميس وطلع الى
القلعة وقرئت المراسيم
المذكورة بحضرة الباشا
والمشايخ وكبار العسكر
وشاهين بك وخشداشينه
الالفية وضربوا مدافع وشنكا
(وفيه) سافر ابراهيم بك ابن
الباشا على طريق القليوبية
وصحبته طائفة من مباشري
الاقباط رئيسهم جرجس
جوهري وهو كبيرهم وافندية
من افندية الروزنامه وكتبة
مسلمين للكشف على الاطيان
التي رويت من ماء النيل
والشراقي فانزلوا بالقرى
النزل من الكشاف وحق
الطرقات وقرروا على كل
فدان روي من ماء النيل اربعمائة
وخمسين نصف فضة تقبض
الديوان وذلك خلاف ما التزم
والمضاف والبراني وما في ذلك من الحوادث والكلف المتكررة ●(واستهل شهر ذي القعدة

باقوتي اخوه هو وصار في طاعة جكرمش واستخلف بها أميرا اسمه على أيضا فارسل على الوالي بماردين الى سقمان يقول له ابن أخيك يريد أن يسلم ماردين الى جكرمش فسار سقمان بنفسه وسلمها اليه على ابن أخيه وطلب اعادة القلعة اليه فقال انما أخذتها لئلا يخرب البيت فأقطعه جبل جور ونقله اليه وكان جكرمش يعطي عليا كل سنة عشرين ألف دينار فلما أخذها سقمان ماردين منه ارسل على الى جكرمش يطلب منه المال فقال انما كنت اعطيتك احتراما لماردين وخوفا من مجاور تك والآن فاصنع ما انت صانع فلا قدرة لك على

●(ذكر حال الباطنية هذه السنة بخراسان)●

وفي هذه السنة ارتجع كثير من الاسماعيلية من صر يثيث من بعض اعمال بيهق وشاعت الغارة في تلك النواحي واكثروا القتل في اهلها والنهب لاموالهم والسبي لنسائهم ولم يقفوا على المدة المتقدمة وفي هذه السنة اشتد امرهم وقويت شوكتهم ولم يكفوا ايديهم عمن يريدون قتله لاشتغال السلاطين عنهم فمن جملة فعلهم ان قفل الحاج تجمع هذه السنة مما وراء النهر وخراسان والهند وغيرها من البلاد فوصلوا الى جوار الري فاتاهم الباطنية وقت السحر فوضعوا فيهم السيف وقتلوهم كيف شاؤا وغنموا اموالهم ودوابهم ولم يتركوا شيئا وقتلوا هذه السنة ابا جعفر بن المشاط وهو من شيوخ الشافعية اخذ الفقه عن الخجندي وكان يدرس بالري ويعظ الناس فلما نزل من كرسيه اتاه باطني فقتله

●(ذكر حال الفرنج هذه السنة مع المسلمين بالشام)●

في هذه السنة في شعبان كانت وقعة بين طنكري الفرنجي صاحب انطاكية وبين الملك رضوان صاحب حلب انهزم فيها رضوان وسببها ان طنكري حصر حصن ارتاح وبها نائب الملك رضوان فضيق الفرنج على المسلمين فارسل النائب بالحصن الى رضوان يعرفه ما هو فيه من الحصر الذي اضعف نفسه ويطلب النجدة فسار رضوان في عسكر كثير من الخيالة وسبعة آلاف من الرجالة منهم ثلاثة آلاف من المتطوعة فساروا حتى وصلوا الى قنسرين وبينهم وبين الفرنج قليل فلما رأى طنكري كثرة المسلمين ارسل الى رضوان يطلب الصلح فاراد ان يجيب فمنعه اصبهبذ صباوو وكان قد قصده وصار معه بعد قتل اياز ومنع من الصلح واصطفوا للحرب فانهزمت الفرنج من غير قتال ثم قالوا نعود ونحمل عليهم حملة واحدة فان كانت لنا والا انهزمنا فحملوا على المسلمين فلم يثبتوا وانهزموا وقتل منهم واسر كثير واما الرجالة فانهم كانوا قد دخلوا معسكر الفرنج لما انهزموا واشتغلوا بالنهب فقتلهم الفرنج ولم ينج الا الشريد فاخذ اسيرا وهرب من في ارتاح الى حلب وملكه الفرنج لعنهم الله تعالى وهرب اصبهبذ صباوو الى طغتكين اتابك بدمشق فصار معه ومن اصحابه

●(ذكر حرب الفرنج والمصريين)●

بيوم الاربعا سنة ١٢٢٣)● (وفيه) فرضوا على مساتير الناس سلفا اكياس ويحسب لهم مايؤخذ منهم من اصل مايتقرر على حصصهم من المغارم في المستقبل وعينوا العساكر بطلبها فتغيب غالبهم وتوارى لعدم ما بايديهم وخلوا كياسهم من المال والتجا الكثير منهم الى ذوي الجاه ولازموا اعتابهم حتى شفعوا فيهم وكشفوا عنهم (وفي عاشره) ورد الخبر من الجهة القبلية بان الامراء المصريين تحاربوا مع ياسين بك بناحية المنية وذلك عن امر الباشا وهزموه فدخل الى المنية ونهبوا حملته ومتاعه (وفي اثر ذلك) حضر ابو ياسين بك الى مصر وعينت عساكر الى جهة قبلي واميرها بونابارته الخازندار وتقدمهم سليمان بك الالفي في آخرين (وفي عشرينه) تعين أيضا عدة عساكر الى ناحية بحري وفيهم عمر بك تابع الاشقر المصرلي لمحافظة رشيد وآخرين الى الاسكندرية ثم تعوق عمر بك عن السفر وسبب ذلك انه ورد قائف الانكليز الى ثغر سكندرية واخبر بخروج عمارة الفرنسيس الى البحر بسيسليه وربما استولوا عليها وكذلك مالطه فلما ورد هذا الخبر حضر البطروش قنصل الانكليز المقيم برشيد الى مصر باهله وعياله (وفي اواخره) جمعوا عدة كبيرة من البنائين والحجارين والفعلة بباب الاشغال لعمارة اسوار وقلاع الاسكندرية وابي قير والسواحل في

(واستهل شهر ذي الحجة بيوم الجمعة سنة ١٢٢٢) في ثاني عشره ورد الخبر بان

في ذي الحجة من هذه السنة كانت وقعة بين الفرنج والمسلمين كانوا فيها على السواء وسببها ان الافضل وزير صاحب مصر كان قد سير ولده شرف المعالي في السنة الخالية الى الفرنج فقهرهم واخذ الرملة منهم ثم اختلف المصريون والعرب وادعى كل واحد منهما ان الفتح له فاتاهم سرية الفرنج فتقاعد كل فريق منهما بالآخر حتى كاد الفرنج يظهرون عليهم فرحل عند ذلك شرف المعالي الى ابيه بمصر فسير ولده الآخر وسناء الملك حسين في جماعة من الامراء منهم جمال الملك النائب بعسقلان للمصريين وارسلوا الى طغتكين اتابك بدمشق يطلبون منه عسكرا فارسل اليهم اصبهبذ صباوو ومعه الف وثلثمائة فارس وكان المصريون في خمسة آلاف وقصدهم بغدوين الفرنجي صاحب القدس وعكا ويافا في الف وثلثمائة فارس وثمانية آلاف راجل فوقع المصاف بينهم بين عسقلان ويافا فلم تظهر احدى الطائفتين على الاخرى فقتل من المسلمين الف ومائتان ومن الفرنج مثلهم وقتل جمال الملك مقدم عسقلان فلما رأى المسلمون انهم قد تكافؤا في النكاية قطعوا الحرب وعادوا الى عسقلان وعاد صباوو الى دمشق وكان مع الفرنج جماعة من المسلمين منهم بكتاش بن تتش وكان طغتكين قد عدل في الملك الى ولد اخيه دقاق وهو طفل وقد ذكرناه فدعاه ذلك الى قصد الفرنج والكون معهم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عظم فساد التركمان بطريق خراسان من اعمال العراق وكانوا قبل ذلك ينهبون الاموال ويقطعون الطريق الا انهم عندهم مراقبة فلما كانت هذه السنة اطرحوا المراقبة وعملوا الاعمال الشنيعة فاستعمل ايلغازي بن ارتق وهو شحنة العراق على تلك البلاد ابن اخيه بلك بن بهرام بن ارتق وامره بحفظه وحياطته ومنع الفساد عنه فقام في ذلك القيام المرضي وحمى البلاد وكف الايدي المتطاولة وتوجه الى حصن خانيجار وهو من اعمال سرخاب بن بدر فحصره وملكه وفيها في شعبان جعل السلطان محمد قسيم الدولة سنقر البرسقي شحنة بالعراق وكان موصوفا بالخير والدين وحسن العهد لم يفارق محمدا في حروبه كلها وفيها اقطع السلطان محمد الكوفة للامير قايماز ووصى صدقة بحمايته من خفاجة فاجاب الى ذلك وفيها في شهر رمضان وصل السلطان محمد الى اصبهان فامن اهلها وشكروا نظره لما كانوا فيه من الخبط والعسف والمصادرة وشمل الناس بره وعمهم بالاحسان وعوده من سيرتها وتمكن وعدل في اهلها وازال عنهم ما يكرهون وكف الايدي المتطرقة اليهم من جند وغيرهم فصار كلمة الجندي وبد الجندي قاصرة عن الرعية من هيبة السلطان وعدله وفيها كثر الجدري في كثير من البلدان لاسيما العراق فانه كان به كثيرا ومات به من الصبيان ما لا يحصى وتبعه وباء كثير ومات منه خلق كثير وفي هذه السنة توفي حمد بن محمد بن حمدون ابو علي البرداني الحافظ ومولده سنة ست وعشرين واربعمائة سمع ابن غيلان والبرمكي والعشاري وغيرهم وتوفي ابو المعالي ثابت بن

سليمان بك الالفي لما وصل الى المنية ونزل بفنائها خرج اليه ياسين بك بجموعه وعساكره وعربانه فوقع بينهما وقعة عظيمة وانهزم ياسين بك وولى هاربا الى المنية فتبعه سليمان بك في قلة وعدى الخندق خلفه فاصيب من كمين بداخل الخندق ووقع ميتا بعد ان نهب جميع متاع ياسين بك ورحله واثقاله وتشتت جموعه وانحصر هو وبعض عسكره وعربانه وهو في ضيق بداخل المنية وكانت الواقعة يوم الاربعاء سادس شهره فلما ورد الخبر بذلك الباشا اظهر انه اغتم على سليمان بك وتأسف على موته واظهر العزاء عليه [illegible] بالجيزة وفي يومهم وصل الباشا يلوم على مراءاة المصريين وافندهم وكيف ان سليمان بك يخاطر بنفسه ويلقي بنفسه داخل الخندق ويقول انا ارسلت اليه احذره واقول له انه [illegible] لا بد [illegible] رأس ياسين بك [illegible] على ما بيده من [illegible] فلم [illegible] ذلك يحققون [illegible] حربه وتقدم عسكر [illegible] لا ترك [illegible] وصبرهم [illegible] صورة لا [illegible] لم يستمع [illegible] ويغتر بنفسه وايضا ينبغي لكبير الجيش التأخر عن عسكره فان الكبير [illegible] القوم بخلاف ذلك يلقون بانفسهم في

بندار بن ابراهيم البقال وهو ولده سنة ست عشرة واربعمائة سمع أبا بكر البرقاني وأبا علي ابن شاذان وكانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة وفي رابع جمادى الاولى توفي أبو الحسن محمد بن علي بن أبي الصقر الفقيه الشافعي ومولده سنة تسع واربعمائة وكان اديبا شاعرا فمن قوله

من قال لي جاه ولي حشمة * ولي قبول عند مولانا
ولم يعد ذاك بنفع على * صديقه لا كان من كانا

وفيها ايضا توفي أبو نصر بن أخت ابن الموصلايا وكان كاتبا لطيفة جيد الكتابة وكان عمره سبعين سنة ولم يخلف وارثا لانه أسلم وأهله نصارى فلم يرثوه وكان يبخل الا انه كان كثير الصدقة وأبو القاسم عيسى بن عبد الله بن القاسم الغزنوي كان واعظا شاعرا كاتبا قدم بغداد ووعظ بها ونصر مذهب الاشعري وكان له قبول عظيم وخرج منها فمات باسفراين

(ثم دخلت سنة تسع وتسعين واربعمائة)

(ذكر خروج منكبرس على السلطان محمد)

في هذه السنة في المحرم أظهر منكبرس ابن الملك بوربرس بن الب ارسلان وهو ابن عم السلطان محمد العصيان للسلطان محمد والخلاف عليه وسبب ذلك انه كان مقيما باصبهان فلحقته ضائقة شديدة وانقطعت المواد عنه فخرج منها وسار الى نهاوند فاجتمع عليه بها جماعة من العسكر وظاهره على امره جماعة من الامراء وتغلب على نهاوند وخطب لنفسه بها وكاتب الامراء بني برسق يدعوهم الى طاعته ونصرته وكان السلطان محمد قد قبض على زنكي بن برسق فكاتب زنكي اخوته وحذرهم من طاعة منكبرس وما فيها من الاذى وأمرهم بتدبير الامر في القبض عليه فلما أتاهم كتاب اخيهم بذلك ارسلوا الى منكبرس يبذلون له الطاعة والموافقة فسار اليهم وساروا اليه فاجتمعوا به وقبضوا عليه بالقرب من اقطاعهم وهي بلد خوزستان وتفرق اصحابه واخذوا منكبرس الى اصبهان فحبسه السلطان مع بني عمه تكش واخرج زنكي بن برسق واعاده الى مرتبته واستنزل واخوته عن اقطاعهم وهي ليشتر وسابورخواست وغيرهما مما بين الاهواز وهمذان واقطعهم عوضها الدينور وغيرها واتفق أن ظهر بنهاوند ايضا في هذه السنة رجل من السواد ادعى النبوة فاطاعه خلق كثير من السوادية واتبعوه وباعوا املاكهم ودفعوا اليه ثمنها فكان يخرج ذلك جميعه وسمى اربعة من اصحابه أبا بكر وعمر وعثمان وعلي وقتل بنهاوند فكان اهلها يقولون ظهر عندنا في مدة شهرين اثنان ادعى احدهما النبوة والآخر المملكة فلم يتم لواحد منهما امره

(ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج)

في هذه السنة في صفر كانت وقعة بين طغتكين أتابك صاحب دمشق وبين قمص كبير من قمامصة الفرنج وسبب ذلك انه تكررت الحروب والغارات بين عسكر دمشق

المماليك ولما ارسل جماعة سليمان بك يخبرون بموت كبيرهم وانهم مجتمعون على حالتهم ومقيمون بعرضيهم وعطتهم على المنية وانهم منتظرون من يقيمه الباشا رئيسا مكانه فعند ذلك ارسل الباشا الى شاهين بك يعزيه ويلتمس منه ان يختار من خشداشينه من يقلده الباشا امارة سليمان بك فتشاور شاهين بك مع خشداشينه فلم يرض احد من الكبار ان يتقلد ذلك ثم وقع اختيارهم على شخص من المماليك يسمى يحيى وارسلوه الى الباشا فخلع عليه وامره بالسفر الى المنية فاخذ في قضاء اشغاله وعدى الى بر الجيزة (وفي منتصفه) ورد الخبر بان بونابارته الخ زندار وصل الى المنية بعد الواقعة وياسين بك محصور بها فارسل اليه يستدعيه الى الطاعة واطلعه على المكاتبات والمراسيم التي بيده من الباشا خطابا له وللامراء الحاضرين والغائبين المصرية وفي ضمنها انه ان ابى ياسين بك عن الدخول في الطاعة واستمر على عناده وعصيانه فان بونابارته والامراء المصرية يحاربونه فعند ذلك نزل ياسين بك على حكم بونابارته وحضر عنده بعد ان استوثق منه بالامان ووصلت الاخبار بذلك الى مصر وخرجت عربان المحصورون بالمنية بعد ان صالحوا على انفسهم فقفلوا لهم طريقا وذهبوا الى أماكنهم واستلم بونابارته المنية فاقام بها يومين وارتحل منها وحضر الى ويغدون

وبغدوين فتارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء وفي آخر الامر بنى بغدوين حصنا بينه وبين دمشق نحو يومين فخاف طغتكين من عاقبة ذلك وما يحدث به من الضرر فجمع عسكره وخرج الى مقاتلتهم فسار بغدوين ملك القدس وعكا وغيرهما الى هذا الحصن ليمنع عنه ويساعده على المسلمين فعرفه القمص صاحب الحصن غناه عنه وانه قادر على مقارعة المسلمين ان قاتلوه فعاد بغدوين الى عكا وتقدم طغتكين الى الفرنج واقتتلوا واشتد القتال فانهزم اميران من عسكر دمشق فتبعهما طغتكين وقتلهما وانهزم الفرنج الى حصنهم فاحتموا به فقال طغتكين من احسن قتالهم وطلب مني امرا فعلته معه ومن اتاني بحجر من حجارة الحصن اعطيته خمسة دنانير فبذل الرجالة نفوسهم وصعدوا الى الحصن وخربوه وحملوا حجارته الى طغتكين فوفى لهم بما وعدهم وامر بالقاء الحجارة في الوادي واسر من بالحصن فامر بهم فقتلوا كلهم واستبقى الفرسان اسراء وكانوا مائتي فارس ولم ينج ممن كان في الحصن الا القليل وعاد طغتكين الى دمشق منصورا فزين البلد اربعة ايام وخرج منها الى رفنية وهو من حصون الشام وقد تغلب عليه الفرنج وصاحبه ابن اخت صنجيل المقيم على حصار طرابلس فحصره طغتكين وملكه وقتل به خمسمائة رجل من الفرنج

(ذكر الحرب بين عبادة وخفاجة)

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين عبادة وخفاجة وسببها ان رجلا من عبادة اخذ منه جماعة خفاجة جملين فجاء اليهم وطلبهما فلم يردوهما فاخذ منهم غارة احد عشر بعيرا فلحقته خفاجة وقتلوا من اصحابه رجلا وقتلوا بين ... وكان ذلك بالموقف من الحلة السيفية ففرق بينهم اهلها فجمعت عبادة خيرها واعدت وتجهزت الى العراق للاخذ بثارها وساروا مع جماعة من امرائهم فبلغت عدتهم سبعمائة فارس وكانت خفاجة دون هذه العدة فراسلهم خفاجة يبذلون الدية ويصالحون فلم تجب الى ذلك عبادة واشار به سيف الدولة صدقة فلم تقبل عبادة فالتقوا واقتتلوا بالقرب من الكوفة ومع عبادة الابل والغنم بين البيوت فكمنت خفاجة ثلثمائة فارس وقاتلوهم مطاردة من غير جد في القتال فداموا كذلك ثلاثة ايام ثم اشتد بينهم القتال واختلطوا حتى تركوا الرماح وتضاربوا بالسيوف فبينما هم كذلك وقد اعيى الفريقان من القتال اذ طلع كمين خفاجة وهم مستريحون فانهزمت عبادة ونصرت عليهم خفاجة وقتل من وجوههم عدة اثنا عشر رجلا ومن خفاجة جماعة وغنمت خفاجة من الاموال من الخيل والابل والغنم والعبيد والاماء وكان الامير صدقة بن مزيد قد عاضد خفاجة سرا فلما وصل المنهزمون اليه هنأهم صدقة بالسلامة فقال له بعضهم ما زلت اقاتل واضارب واطاعن في النفر منهم حتى رأيت فرسا اشقر فقصدت احدهم وعلمت انهم اجلبوا علينا بخيلك ورجلك انت لا بخفاجة فعذره ... وعلموا بذلك فلم يجبه صدقة

(ذكر ملك صدقة البصرة)

مصر (وفي ليلة الثلاثاء تاسع عشره) حضر ياسين بك الى ثغر بولاق وركب في صبحه واوصله الى القلعة فعوقه الباشا واراد قتله فتعصب له عمر بك الارنؤدي وصالح قوج وغيرهما وطلعوا في يوم الجمعة وقد رتب الباشا عساكره وجنده واوقفهم بالابواب الداخلة والخارجة وبين يديه وتكلم عمر بك وصالح آغا مع الباشا في امره وان يقيم بمصر فقال الباشا لا يمكن ان يقيم بمصر واساعة اقتله وانظر اي شيء يكون فلم يسع المتعصبين له الا الامتثال ثم احضره وخلع عليه فروة وانعم عليه باربعين كيسا ونزلوا بصحبته بعد الظهر الى بولاق وسافر الى دمياط ليذهب الى قبرس ومعه عائلته (وفي يوم الاحد) حضر بونابارته ... ارنيدار من لندرة الى مصر وانقضت سنة

(واما من مات فيها ممن له ذكر) فمات الشيخ العلامة بقية العلماء والفضلاء والصالحين وورع القديم الشيخ احمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن علاء الدين العماوي المصري الشافعي الازهري ولد بمنية ... بالمنوفية سنة ١١٣٨ ونشأ بها وحفظ القرآن والمتون على الشيخ ... المصري ثم انتقل الى مصر وجاور بالمدرسة الشيخونية بالصليبة وشرع في الحديث على الشيخ احمد العماوي وحضر دروس مشايخ الازهر كالشيخ محمد ... والشيخ علي ... والشيخ ... الدري والشيخ سليمان الزيات

في هذه السنة في جمادى الاولى انحدر سيف الدولة من الحلة الى البصرة فملكها وقد ذكرنا فيما تقدم تمكن اسمعيل بن ارسلانجق من البصرة ونواحيها وأقام بها عشر سنين نافذ الامر وازداد قوة وتمكنا بالاختلاف الواقع بين السلاطين واخذ الاموال السلطانية وكان قد راسل صدقة واظهر له انه في طاعته وهو وافقه فلما استقر الامر للسلطان محمد واراد ان يرسل الى البصرة مقطعا يأخذها من اسمعيل فخاطب صدقة في معناه حتى تقرر البصرة عليه فنفذ السلطان عميدا اليها يتولى ما يتعلق بالسلطان هناك فمنعه اسمعيل ولم يمكنه من عمله ونقل ما خرج به من حد المجاملة فامر السلطان صدقة بقصده واخذ البصرة منه فتحرك لذلك فاتفق ظهور منكبرس وخلافه على السلطان وانه على قصد واسط فسر اسمعيل بذلك وزاد انبساطه وارسل صدقة حاجباله وكان قبله قد خدم باوحده الى اسمعيل يأمره بتسليم الشرطة واعمالها الى مهذب الدولة بن أبي الجبر لانها كانت في ضمانه فوصل الى الشرطة واخذ منها أربعمائة دينار فاحضره اسمعيل وحبسه واخذ الدنانير منه فلما رأى صدقة ما كشفته سار من حلته واظهر انه يريد قصد الرحبة ثم جد السير الى البصرة فلم يشعر اسمعيل الا بقربه منه ففرق اصحابه في القلاع التي استجدها بمطارا ونهر معقل وغيرهما واعتقل وجوه العباسيين والعلويين وقاضي البصرة ومدرسها واعيان أهلها ونازلهم صدقة فجرى قتال بين طائفة من عسكره ومقدمة من البصر بين قتل فيه أبو النجم بن أبي القاسم الوراني وهو ابن خال سيف الدولة صدقة فمدح به سيف الدولة ورثى به أبو النجم بن أبي القاسم قول بعضهم

من يا خبر من يحمى حريم حمى *	فقد القنت به الدنيا مع الدين
ركبت للبصرة الغراء في نخب *	غر كجيش علي يوم صفين
هوى أبو نجم كنجم لمنيربها *	لكنه كان رجما للشياطين

واقام صدقة محاصرا لاسمعيل بالبصرة فشرع على سيف الدولة صدقة بعض اصحابه بالعود عنها واعلموه انهم لا يقدرون بها اثر فشارعليهم بالمقام وقالوا ان رحلنا كانت كسرة وكان رأى سيف الدولة المقام وقال ان تعذر على فتح البصرة لم يطعني أحد واستهزئ في الناس ثم ان اسمعيل خرج من البلد وقاتل صدقة فقصد بعض اصحاب صدقة الى مكان آخر من البلد ودخلوه وقتلوا من السوادية الذين جمعهم اسمعيل خلقا كثيرا وانهزم اسمعيل الى قلعته بالجزيرة فادركه بعض أصحاب سيف الدولة واراد قتله فقد واحد غلمانه بنفسه فوقعت الضربة فيه فتحته فنهبت البصرة وغنم من معهم من عرب البر وغيرهم شيئا كثيرا ولم يسلم منهم الا المحلة المجاورة لقبر طلحة والمربد فان العباسيين دخلوا المدرسة النظامية وامتنعوا بها وحموا المربد وعمت المصيبة لاهل البلد سوى من ذكرنا وامتنع اسمعيل بقلعته فاتفق ان المهذب بن أبي الجبر انحدر في سفن كثيرة واخذ قلعة التي لاسمعيل بمطارا وقتل بها خلقا من اصحاب اسمعيل وحمل الى صدقة كثيرا فضاقت به نفس اسمعيل لذلك ارسل الى صدقة يطلب الامان على نفسه واهله وامواله فاجابه الى ذلك واجله سبعة أيام فاخذ كل ما يمكنه حمله مما يعز عليه وما لم يقدر

والشيخ الملوي والشيخ المدابغي والشيخ الغنيمي والشيخ محمد الحفني وأخيه الشيخ يوسف وعبد الكريم الزيات والشيخ عمر الطحلاوي والشيخ سالم النفراوي والشيخ عمر الشنوانى والشيخ احمد رزة والشيخ سليمان البسوسي والشيخ على الصعيدي واقرأ الدروس وافاد الطلبة ولازم الاقراء وكان منجمعا عن الناس قانعا راضيا بما قسم له لا يزاحم على الدنيا ولا يتداخل في امورها واخبرني ولده العلامة الفاضل الشيخ مصطفى انه ولد بصيرا فاصابه الجدري فذهب بصره في صغره فاخذه ابوه الشيخ صالح الذهبي ودعا له فقال في دعائه اللهم كما اعميت بصره نور بصيرته فاستجاب الله دعاءه وكان قوى الادراك ويمشى وحده من غير قائد ويركب من غير خادم ويذهب في نحو هذه المسافة البعيدة ويأتي الى الازهر ولا يخطئ الطريق ويتحرى مماساة مايصيبه من راكب أوجمل أوحمار مقبل عليه أوشئ معترض في طريقه أقوى من ذي بصر فكان يضرب به المثل في ذلك مع شدة التعجب كما قال القائل

ما عماء العيون مثل عمى القلب * فوزاهر العمى والبلاء

فعماء العيون تغميض عين * وعماء القلوب فيه واشقاء

ولم يزل ملازما على حالته من الانجماع والاشتغال بالعلم والعمل به وتلاوة القرآن وقيام الليل فكان يقرأ كل ليلة نصف القرآن الى ان توفى يوم الثلاثاء حادى عشر ربيع على

على جملة اهلكه بالماء وغيره ونزل الى سيف الدولة وامن سيف الدولة أهل البصرة من كل اذى ورتب عندهم شحنة وعاد الى الحلة ثالث جمادى الآخرة وكان مقامه بالبصرة ستة عشر يوما واما اسمعيل فانه لما سار صدقة الى الحلة قصد هو الباسيان الى ان وصله ماله في المراكب وسار نحو فارس وصار يتعنت اصحابه وزوجته وقبض على جماعة من خواصه وقال لهم انتم سقيتم ولدى اقراسياب السم حتى مات وكان قد مات في صفر من هذه السنة ففارقه كثير منهم حتى زوجته فارقته وسارت الى بغداد واخذته الحمى وقويت عليه فلما بلغ رامهرمز انفرد في خيمته ولم يظهر لاصحابه يوما وليلة فظهر لهم موته فنهبوا ماله وتفرقوا فارسل الامير برامهرمز فردهم واخذ ما معهم من امواله ودفن بالقرب من ايذج وكان عمره قد جاوز خمسين سنة وكانت سيرته قد حسنت في اهل البصرة اخيرا

ذكر حصر رضوان نصيبين وعوده عنها

في هذه السنة في شهر رمضان حصر الملك رضوان بن تتش نصيبين وسبب ذلك انه عزم على حرب الفرنج واجتمع معه من الامراء ايلغازي بن ارتق الذي كان شحنة بغداد والاصبهبذ صباوو والبي بن ارسلان تاش صاحب سنجار وهو صهر جكرمش صاحب الموصل فقال ايلغازي الرأي ان نقصد بلاد جكرمش وما والاها فنملكها ونتقوى بعسكرها والاموال ووافقه الى قصد نصيبين في عشرة آلاف فارس فحصروها في رمضان وكان قد جعل فيها اميرين من اصحابه في عسكر فتحصنوا بالبلد وقاتلوا من وراء السور ورمى البي بن ارسلان تاش بنشابة فجرح جرحا شديدا فعاد الى سنجار واما جكرمش فانه بلغه الخبر بنزولهم على نصيبين وهو بالجهة التي بالقرب من سنجار يتداوى بها من مرضه فرحل الى الموصل وقد اجفل اليها اهل السواد فخيم على باب البلد عازما على حرب رضوان واستعمل الخديعة فكاتب اعيان عسكر رضوان ورغبهم حتى افسدهم وتقدم الى اصحابه بنصيبين بخدمة الملك رضوان واخراج الاقامة اليه مع الاحتراز منه وارسل الى رضوان يبذل له خدمته والدخول في طاعته ويقول له ان السلطان محمدا قد حصرني ولم يبلغ مني غرضا فترحل عن نصيبين فخاف من ايلغازي الذي قد عرفت اناته وقلة وفائه وصرف اعتماده ومثلك ارجاء والاموال والسلاح ما تحتاج اليه ورضوان قد تغيرت نيته مع ايلغازي وذلك الخبر وعزم على قبضه واستدعاه يوما وهو بهذه البلاد متخفر وقد سار الى الفرنج في حرب وانصحبه خدمة جكرمش [illegible] فلما حضر قبض عليه وقيده [illegible] الى قلعة [illegible] تتابعوا واجتماع كلمة المسلمين [illegible] ايلغازي [illegible] لامكان من [illegible] البلاد [illegible] ايلغازي قد قوي نفسه بكثرة من جمع عنده [illegible] رضوان قد واعد قوما من اصحابه بقبض عليه فسار ... رضوان ...

الأول من هذه السنة وله من العمر اربع وثمانون سنة وصلى عليه بجامع ابن طولون ودفن بجوار المشهد المعروف بالسيدة سكينة رضي الله عنها بجانب الشيخ البرماوي رحمه الله وبارك في ولده الشيخ مصطفى واعانه على وقته ومات العمدة الفاضل حاوي الكمالات والفضائل الشيخ محمد بن يوسف ابن بنت الشيخ محمد بن سالم الحفناوي الشافعي ولد سنة ١١٦٣ وتربى في حجر جده وتخلق باخلاقه وحفظ القرآن والالفية والمتون وحضر دروس جده واخي جده الشيخ يوسف الحفناوي وحضر اشياخ الوقت كالشيخ علي العدوي وشيخ جده لدردير والشيخ عطيه الاجهوري والشيخ عيسى البراوي ونحوهم وتمهر ونجب [illegible] في حلوتيه عن جده وبعد [illegible] ولما توفي جده [illegible] الدروس في محله بالازهر وكان من صغره على احسن طريقة رقة نفس وتباعد عن سفساف الامور الدنيئة ولازم الاشتغال بالعلم وفتح بيت جده وعمل به ميعاد الذكر [illegible] وكان عظيم النفس مع [illegible] الاخلاق والبشاشة مع [illegible] ورقة مع تجنبه [illegible] وله بعض تعليقات وحواش وشعر [illegible] ولم يزل على حالته الى [illegible] في يوم سبت رابع شهر [illegible] الاول من السنة وصلى عليه بالازهر في مشهد حافل ودفن مع جده في تربة واحدة بقبرة المجاورين ولم يخلف

وقيدوه فلما سمع التركمان الحال انتهروا الخلاف والامتعاض ففارقوا رضوان والتجؤوا الى سور المدينة واصعدوا ايلغازي الى قلعتها وخرج من بنصيبين من العسكر فاعانوه فلما راى التركمان ذلك تفرقوا ونهبوا ما قدروا عليه من المواشي وغيرها ورحل رضوان من وقته وسار الى حلب وكان جكرمش قد رحل من الموصل قاصدا لحرب القوم فلما بلغ تل يعفر اتاه المبشرون بانصراف رضوان على اختلاف وافتراق فرحل عند ذلك الى نصيبين ووصلت اليه رسل رضوان تستدعى منه النجدة ويعتذر عليه ما فعل بايلغازي فاجابه بالمعاضدة ولم يف له بما وعده ونازل سنجار ليشتفي غيظه من صهره الي بن ارسلان تاش بما اعتمده من معاداته ومظاهرة أعدائه وكان الي على شدة من المرض بالسهم الذى أصابه على نصيبين فلما نزل جكرمش عليها أمر الي أصحابه ان يحملوه اليه فحملوه في محفة فحضر عنده وأخذ يعتذر مما كان منه وقال جئت مذنبا فافعل بي ما تراه فرق له واعاده الى بلده فلما عاد قضى نحبه فلما مات عصى على جكرمش من كان بسنجار وتمسكوا بالبلد فقاتلهم بقية رمضان وشوال الاول ولم يظفر منهم بشئ فجاء تمرك أخو ارسلان تاش عم الي فاصلح حاله مع جكرمش وبذل له الخدمة فعاد الى الموصل

●(ذكر ملك طغتكين بصرى)●

قد ذكرنا سنة سبع وتسعين حال بكتاش بن تتش وخروجه من دمشق واتصاله بالفرنج ومعه ايتكين الحلبي صاحب بصرى وسيرهما الى الرحبة وعودهما عنها فلما ضعفت أحوالهما سار طغتكين الى بصرى فحصرها وبها أصحاب ايتكين فراسلوا طغتكين وبذلوا له التسليم اليه بعد أجل قرروه بينهم فاجابهم الى ذلك فرحل عنهم الى دمشق فلما انقضى الاجل هذه السنة تسلمها وأحسن الى من بها ووفى لهم بما وعدهم وبالغ في اكرامهم فكثر الثناء عليه والدعاء له ومالت النفوس اليه وأحبوه

●(ذكر ملك الفرنج حصن افامية)●

في هذه السنة ملك الفرنج حصن افامية من بلد الشام وسبب ذلك ان خلف بن ملاعب الكلابي كان متغلبا على حمص وكان الضرر به عظيما ورجاله يقطعون الطريق فكثر الحرامية عنده فاخذها منه تتش بن الب ارسلان وابعده عنها فتقلبت به الاحوال الى أن دخل الى مصر فلم يلتفت اليه من بها فاقام بها واتفق ان المتولى لافامية من جهة الملك رضوان ارسل الى صاحب مصر وكان يميل الى مذهبهم يستدعى منهم من يسلم اليه الحصن وهو من امنع الحصون وطلب ابن ملاعب منهم ان يكون هو المقيم به وقال انني ارغب في قتال الفرنج واوثر الجهاد فسلموه اليه واخذوا رهائنه فلما ملكه خلع طاعتهم ولم يرع حقهم فارسلوا اليه يتهددونه بما يفعلونه بولده الذي عندهم فاعاد الجواب انني لا أنزل من مكاني وابعثوا الى ببعض أعضاء ولدى حتى آكله فايسوا من رجوعه الى الطاعة واقام بافامية يخيف السبيل ويقطع الطريق واجتمع عنده كثير من المفسدين فكثرت امواله ثم ان الفرنج ملكوا سرمين وهي من اعمال حلب واهله

ذكروا رحمه الله ومات الشيخ العلامة الفقيه والعمدة المجيد محمد الحصافي الشافعي الفقيه النحوي الفرضي تلقى العلوم وحضر أشياخ الطبقة الاولى ودرس العلوم بالازهر وأفاد الطلبة وقرأ الكتب المفيدة وعاش طول عمره منعكفا في زوايا الخمول منعزلا من الدنيا وهي منعزلة عنه واضيا بما قسم الله له قانعا بميسوره مولاه لا يسعى في ولاية ولا يتهالك على شئ من امور الدنيا ولم يزل على حالته حتى توفي يوم الاثنين ثالث عشر شوال من السنة ● ومات العمدة الفاضل الشيخ محمد عبد الفتاح المالكي من أهالي كفر حشاد بالمنوفية قدم من بلده صغيرا فجاور بالازهر وحضر على أشياخ الوقت ولازم دروس الشيخ الامير وبه تخرج وتفقه عليه وعلى غيره من علماء المالكية وتمهر في المعقولات والنجب وصارت له ملكة واستحضار ثم سافر الى بلده واقام بها يفيد ويفتي ويرجعون اليه في قضاياهم ودعاويهم فيقضي بينهم ولا يقبل من احد جعالة ولا هدية فاشتهر ذكره بالاقليم واعتقدوا فيه الصلاح والعفة وانه لا يقضي الا بالحق ولا يأخذ رشوة ولا جعالة ولا يحابي في الحق فمتثلوا لقضاياه واوامره فكان اذا قضى قاض من قضاة البلدان بين خصمين رجعا الى المترجم وانهيا اليه دعواهم فان راى القضاء صحيحا موافقا للشرع امضاه وامتثل الخصم الآخر ولا يمانع بعد ذلك،

غلاة فى التشيع فلما ملكه الفرنج تفرق اهله فتوجه القاضى الذى به الى ابن ملاعب واقام عنده فاكرمه واحبه ووثق به فاعمل القاضى الحيلة عليه وكتب الى ابى طاهر المعروف بابن الصائغ وهو من اعيان اصحاب الملك رضوان ووجوه الباطنية ودعاتهم ووافقهم على الفتك بابن ملاعب وان يسلم افامية الى الملك رضوان فظهر شئ من هذا فاتى الى ابن ملاعب اولاده واصحابه وكانوا قد تسللوا اليه من مصر وقالوا له قد بلغنا عن هذا القاضى كذا وكذا والرأى ان تعاجله وتحتاط لنفسك فان الامر قد اشتهر وظهر فاحضره ابن ملاعب فاتاه فى كمه مصحف لانه راى امارات الشر فقال له ابن ملاعب ما بلغه عنه فقال له ايها الامير قد علم كل احد انى اتيتك خائفا جائعا فامنتنى واغنيتنى ورزقتنى فصرت ذا مال وجاه فان كان بعض من حسدنى على منزلتى منك وما غمرنى من نعمتك سعى بى اليك فان لك ان تاخذ جميع ما معى واخرج كما جئت وحلف له على ذلك واجتهد فقبل عذره وامنه وعاود القاضى مكاتبة ابى طاهر بن الصائغ واشار عليه ان يوافق رضوان على انفاذ ثلثمائة رجل من اهل سرمين وينفذ معهم خيلا من خيول الفرنج وسلاحا من اسلحتهم ورؤسا من رؤس الفرنج ياتون الى ابن ملاعب ويظهرون انهم غزاة ويشكون من سوء معاملة الملك رضوان واصحابه لهم وانهم فارقوه فلقيهم طائفة من الفرنج فظفروا بهم ويحملون جميع ما معهم اليه فاذا اذن لهم فى المقام اتفقت آراؤهم على عمل الحيلة عليه ففعل ابن الصائغ ذلك ووصل القوم الى افامية وقدموا الى ابن ملاعب ما معهم من الخيل وغيرها فقبل ذلك منهم وامرهم بالمقام عنده وانزلهم فى ربض افامية فلما كان فى بعض الليالى نام الحراس بالقلعة فقام القاضى ومن بالحصن من اهل سرمين ودلوا الحبال وصعدوا واشتغلوا القلعة بقتلهم وقصدوا اولاد ابن ملاعب وبنى عمه واصحابه فقتلوهم واتى القاضى وجماعة معه الى ابن ملاعب وهو مع امرأته فاحس بهم فقال من انت فقال ملك الموت جئت لقبض روحك فناشده الله فلم يرجع عنه وجرحه وقتله وقتل اصحابه وهرب ابناه فقتل احدهما والتحق الآخر بابى الحسن بن منقذ صاحب شيزر فحفظه لعهد كان بينهما ولما سمع ابن الصائغ بذلك سار اليه وهو لا يشك انه يتسلمه فقال له القاضى ان وافقتنى واقمت معى فانت على الرحب والسعة ونحن بحكمك والا فارجع من حيث جئت فيئس ابن الصائغ منه وكان مع ولد لابن ملاعب بدمشق عند طغتكين فصار يسعى ابيه فولاه طغتكين حصنا وضمن على نفسه حفظ الطرق فلم يفعل وقطع الطريق وتوجه القوافل وسافروا الى دمشق فاحضروا طغتكين منه فهرب الى الفرنج واستدعاهم الى حصن افامية وقال ليس فيه غير قوت شهر واحد فحصروه بتج ملكه الفرنج فحصروا القاضى ثم قتلوه وقتلوا ابا الصائغ فقتلوه وكانوا قد اخذوه ثم قتلوه كذلك ابن الصائغ قتله رضوان بافامية وقد قيل ان ابن منقذ صاحب شيزر قتله وقد سبق ذكر هذا وبعض ما فيه وجهلة بعدوه رضوان وقد تقدم ذلك والله اعلم

ذلك البلد ويفتى لما اقتضاه الشيخ لعلمه انه لا غرض له دنيويا وانما الخير عنده الحق خلاف ما يفعله الخصم الآخر ولم يزل على حالته حتى كانت المولد المعتاد بطندتا فذهب ابن الشيخ الامير الى هنالك فاتى لزيارة ابن شيخه ونزل فى الدار التى هو نازل فيها فانهدمت الجهة التى هو بها وسقطت عليه فمات شهيدا مردوما ومعه ثلاثة انفار من اهالى قرية العكروت وذلك فى اوائل شهر الحجة ولم يخلف بعده مثله رحمه الله ● ومات الامير محمد غادار السعادة العثمانى الحبشى قدم الى مصر بعد مجئ يوسف باشا الوزير فى ايامه ونزل بدرب الجماميز فى البيت الذى كان نزل به شريف افندى الدفتردار بعد انتقاله منه وفتح باب التفتيش على جهات اوقاف الحرمين وغيرها واصناف الناس وحضر اليه كتبة الاوقاف وجلسوا لمقارفة المصروفات عليهم وطلب السندات ويهولون عليهم بالاغا المذكور وياخذون منهم الدراهم ثم ينهون اليه الامر على حسب اغراضهم ويغرمونه ويأخذون لانفسهم فى ثم تتبع ذلك مردغا ينهم وشدد على المباشرين واهل الناس وكبر رتبته فلا يعد ودافى لرتبة فصار عنده المواكب والاجتماعات فى مهمات الامور ولم يزل على ذلك حتى تقدم ذكر ذلك فى موارده ثم انه مرض بعلة ارتدت اشهر ومات فى يوم الاثنين رابع شهر صفر

(ذكر نهب العرب البصرة)

قد ذكرنا تسليم السلطان لأمير صدقة على البصرة وأنه استناب بها مملوكا كان لجده دبيس بن مزيد اسمه التونتاش وجعل معه مائة وعشرين فارسا فاجتمعت ربيعة والمنتفق ومن انضم اليهم من العرب وقصدوا البصرة في جمع كثير فقاتلهم التونتاش فأسروه وانهزم أصحابه ولم يقدر من بها على حفظها فدخلوها بالسيف واحرقوا القعدة واحرقوا الاسواق والدور الحسان ونهبوا ما قدروا عليه واقاموا ينهبون ويحرقون اثنين وثلاثين يوما وتشرد اهله في السواد ونهبت خزانة كتب كانت موقوفة وقفها القاضي ابو الفرج ابن ابي البقاء وبلغ الخبر صدقة فارسل عسكرا فوصلوا وقد فارقها العرب ثم ان السلطان محمدا ارسل شحنة وعميدا الى البصرة واخذها من صدقة وعاد اهلها اليها وشرعوا في عمارتها

(ذكر حال طرابلس الشام مع الفرنج)

كان صنجيل الفرنجي لعنه الله قد ملك مدينة جبلة واقام على طرابلس يحصرها فحيث لم يقدر ان يملكها بنى بالقرب منها حصنا وبنى تحته ربضا واقام مراصدا لها ومنتظرا وجود فرصة فيها فخرج فخر الملك ابو علي بن عمار صاحب طرابلس فاحرق ربضه ووقف صنجيل على بعض سقوفه المحترقة ومعه جماعة من القمامصة والفرسان فانخسف بهم فمرض صنجيل من ذلك عشرة ايام ومات وحمل الى القدس فدفن فيه ثم ان ملك الروم امر اصحابه باللاذقية ان يحملوا الميرة الى هؤلاء الفرنج الذين على طرابلس فحملوها في البحر فخرج اليها فخر الملك بن عمار واسطوله فجرى بينهم وبين الروم قتال شديد فظفر المسلمون بقطعة من الروم فاخذوها واسروا من كان بها وعادوا ولم تزل الحرب بين اهل طرابلس والفرنج خمس سنين الى هذا الوقت فعدمت الاقوات به وخاف اهله على نفوسهم واولادهم وحرمهم فجلا الفقراء وافتقر الاغنياء وظهر من ابن عمار صبر عظيم وشجاعة ورأي سديد ومما اضر بالمسلمين فيها ان صاحبها استنجد سقمان بن ارتق فجمع العساكر وسار اليه فمات في الطريق على ما ذكرناه واذا اراد الله امرا هيأ اسبابه وجرى ابن عمار الجرايات على الجند والضعفاء فلما قلت الاموال عنده شرع يقسط على الناس ما يخرجه في باب الجهاد فاخذ من رجلين من الاغنياء مالا مع غيرهما فخرج الرجلان الى الفرنج وقالا ان صاحبنا صادرنا فخرجنا اليكم لنكون معكم وذكرا انه تأتيه الميرة من عرقة والجبل فجعل الفرنج جمعا على ذلك الجانب يحفظه من دخول شيء الى البلد فارسل ابن عمار وبذل للفرنج مالا كثيرا ليسلموا الرجلين اليه فلم يفعلوا فوضع عليهما من قتلهما غيلة وكانت طرابلس من اعظم بلاد الاسلام واكثرها تجملا وثروة فباع اهلها من الحلي والاواني الغريبة ما لا حد عليه حتى بيع كل مائة درهم نقرة بدينار وسيأتي بين هذه الحالة وبين حال الروم ايام السلطان الب ارسلان وقد ذكرت ظفره بهم سنة ثلاث وستين واربعمائة وقد كان بعض اصحابه وهو كمشتكين دواتي عميد

وومات الامير سليمان بك المرادي وهو من الامراء الذين تأمروا بعد موت مراد بك وكان ظالما غشوما يعرف بريحه بتشديد الياء وسبب تسميته بذلك انه كان اذا اراد قتل انسان ظلما يقول لاحد اعوانه خذه وريحه فيأخذه ويقتله ومات في واقعة اسيوط الاخيرة اخذت جبهة المدفع دماغه وقطع ذراعه وعرفوا قتله بخاتمه الذي في اصبعه في ذراعه المقطوع • ومات سليمان بك الآغا الذي قتل في واقعة ياسين بك بالمنية عند الخندق وغير هؤلاء والله اعلم

(واستهلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف)

فكان اول المحرم يوم الاحد فيه برز القابجي المسمى يحيى بك الى السفر على طريق البر وخرج الباشا لوداعه وهذا القابجي كان حضر بالاوامر بخروج العساكر الى البلاد الحجازية وخلاص البلاد من ايدي الوهابية وفي راسه التي حضر بها التأكيد والحث على ذلك فلم يزل الباشا يخادعه ويعده ويعرفه ان هذا الامر لا يتم بالعجلة ويحتاج الى استعداد كبير وانشاء مراكب في القلزم وغير ذلك من الاستعدادات وعمل الباشا ديوانا جمع فيه الدفتردار والمعلم غالي والسيد عمر والمشايخ وقال لهم لا يخفاكم ان الحرمين استولى عليهما الوهابيون ومنعوا احكامهم بها وقد وردت علينا الاوامر الملك

الملك هرب منه خوفا ان يقبض على صاحبه عميد الملك وسار الى الرقة فادركها وصار ومعه كثير من التركمان فيهم الافشين وأحمدشاه فقتلاه وارسلا رأسه الى الب ارسلان ودخل الافشين بلاد الروم وقاتل الفردوس صاحب انطاكية فهزمه وقتل من الروم خلقا كثيرا وسار ملك الروم من القسطنطينية الى ملطية فدخل الافشين بلاده ووصل الى عمورية وقتل في غزاته مائة ألف آدمي ولما عاد الى بلاد الاسلام وتفرق من معه خرج عليه عسكر الرها وهي حينئذ للروم ومعهم بنو نمير من العرب فقاتلهم ومعه مائتا فارس فهزمهم ونهبهم ونهب بلاد الروم فارسل ملك الروم رسولا الى القائم بامر الله يسأله الصلح فارسل الى الب ارسلان في ذلك فصالح الروم على مائة ألف دينار وأربعة آلاف ثوب أصنافا وثلثمائة رأس بغال فشتان بين الحالتين وأقول شتان بين حال أولئك المرتدين الذين استعزهم وبين حال الناس في زمننا هذا وهو سنة ست عشرة وستمائة مع الفرنج أيضا والتتر وسترى ذلك مشروحا ان شاء الله تعالى نعم الفرق نسأل الله تعالى ان ييسر للاسلام وأهله قائما يقوم بنصرهم ويدفع عنهم [illegible] من خلقه وما ذلك على الله بعزيز

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة ورد الى بغداد انسان من الملثمين ملوك المغرب وقصد الى دار الخلافة [illegible] وكان معه انسان يقال له الفقيه من الملثمين أيضا ووعظ الفقيه في جامع القصر وحضره له الجمع العظيم وكان يعظ وهو ملثم لا يظهر منه غير عينيه وكان هذا الملثم قد حضر مع ابن الافضل امير الجيوش بمصر وقعته مع الفرنج [illegible] وكان سبب مجيئه الى بغداد ان المغاربة كانوا يعتقدون في العلويين اصحاب مصر الاعتقاد القبيح فكانوا اذا ارادوا الحج يعدلون عن مصر وكان امير الجيوش بدر والد الافضل [illegible] فلم يميلوا اليه ولا قربوه [illegible] منهم فلما ولى ابنه الافضل احسن اليهم واستعان بهم على حرب الفرنج وكان هذا من جملة من قاتل معه [illegible] مصر [illegible] لى بلاده [illegible] الى دمشق [illegible] مع الفرنج [illegible] فقتل في بعض [illegible] الآخر [illegible] في [illegible] من المغرب الى وسط السماء وكان يرى قريبا من الشمس [illegible] وفيها حصر ملك قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش صاحب بلاد الروم الى الرها [illegible] الفرنج فارسل [illegible] كمشتكين بن [illegible] بكر [illegible] اليه [illegible] مرض مرضا شديدا [illegible] في [illegible] المقرى امام مسجد [illegible] وفي [illegible] بن محمد [illegible]

السلطانية المرة بعد المرة للخروج اليهم وهاربتهم ومطردتهم [illegible]

عن الحرمين الشريفين ولا تخفى عنكم الحوادث والوقائع التي كانت سببا في التأخير عن المبادرة في امتثال الاوامر والآن حصل المدد وسفر قاصي باشا التا كيد والحث على خروج العساكر وسفرهم وقد حسبت المصاريف اللازمة في هذا الوقت فبلغت اربعة وعشرين الف كيس فاعملوا رايكم في تحصيلها فحصل ارتباك واضطراب وشاع ذلك في الناس وزاد بهم الوسواس ثم اتفقوا على كتابة عرضحال [illegible] (وفي [illegible]) [illegible] وعلى كاشف [illegible] المرسل فطلعوا الى القلعة وقابلوا الباشا [illegible] على معروف بن [illegible] [illegible] ونزلا الى دوره [illegible] ترددوا [illegible] ونزلوا [illegible] [illegible] الامر [illegible] [illegible] وشروطهم [illegible] [illegible] (يوم [illegible]) [illegible] [illegible] [illegible] ان يرجعوا الى [illegible] بالجيزة [illegible] وكانوا [illegible] وكانت [illegible] شاهين بك

[illegible] شاهين بك [illegible] بك وذهبوا الى ناحية دمنهور

ابن على بن الحسين بن الخازن صاحب الخط الجيد وعمره سبعون سنة قيل انه كتب خمسمائة ختمة وفيها فى المحرم توفى القاضى ابو الفرج عبيد الله بن الحسن قاضى البصرة وله ثلاث وثمانون سنة وكان من الفقهاء الشافعية المشهورين تفقه على الماوردى وابى اسحق واخذ النحو عن الرقى والدهان وابن برهان وكان عفيفا مقدما عند الخلفاء والسلاطين وفيها فى المحرم توفى سهل بن احمد بن على الارغيانى أبو الفتح الحاكم تفقه على الجوينى وبرز ثم ترك المناظرة وبنى رباطا واشتغل بالعبادة وقراءة القرآن وفيها فى صفر توفى الامير مهارش بن مجلى وله نحو ثمانين سنة وهو الذى كان الخليفة القائم عنده بالحديثة وكان كثير الصلاة والصوم يحب الخير وأهله ولما توفى ملك الحديثة بعده ابنه سليمان

(ثم دخلت سنة خمسمائة)

❁(ذكر وفاة يوسف بن تاشفين وملك ابنه على)❁

فى هذه السنة توفى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك الغرب والاندلس وكان حسن السيرة خيرا عادلا يميل الى أهل الدين والعلم ويكرمهم ويصدر عن رأيهم ولما ملك الاندلس على ما ذكرناه جمع الفقهاء واحسن اليهم فقالوا له ينبغى ان تكون ولايتك من الخليفة لتجب طاعتك على الكافة فارسل الى الخليفة المستظهر بالله أمير المؤمنين رسولا ومعه هدية كثيرة وكتب معه كتابا يذكر ما فتح الله من بلاد الفرنج وما اعتمده من نصرة الاسلام ويطلب تقليدا بولاية البلاد فكتب له تقليد من ديوان الخلافة بما أراد ولقب أمير المسلمين وسيرت اليه الخلع فسر بذلك سرورا كثيرا وهو الذى بنى مدينة مراكش للمرابطين وبقى على ملكه الى سنة خمسمائة فتوفى وملك بعده البلاد ولده على بن يوسف وتلقب أيضا أمير المسلمين فازداد فى اكرام العلماء والوقوف عند اشارتهم وكان اذا وعظه أحدهم خشع عند استماع الموعظة ولان قلبه لها وظهر ذلك عليه وكان يوسف بن تاشفين حليما كريما دينا خيرا يحب أهل العلم والدين ويحكمهم فى بلاده وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام فمن ذلك ان ثلاثة نفر اجتمعوا فتمنى أحدهم ألف دينار يتجر بها وتمنى الآخر عملا يعمل فيه لامير المسلمين وتمنى الآخر زوجته النفزاوية وكانت من أحسن النساء ولها الحكم فى بلاده فبلغه الخبر فاحضرهم وأعطى متمنى المال ألف دينار واستعمل الآخر وقال للذى تمنى زوجته يا جاهل ما حملك على هذا الذى لا تصل اليه ثم أرسله اليها فتركته فى خيمة ثلاثة أيام تحمل اليه كل يوم طعاما واحدا ثم احضرته وقالت له ما أكلت هذه الايام قال طعاما واحدا فقالت كل النساء شىء واحد وأمرت له بمال وكسوة وأطلقته

❁(ذكر قتل فخر الملك بن نظام الملك)❁

فى هذه السنة قتل فخر الملك أبو المظفر على بن نظام الملك يوم عاشوراء وكان أكبر اولاده وقد ذكرنا سنة ثمان وثمانين واربعمائة وزارته للسلطان بركيارق فلما فارق وزارته

والقتل اولاد على الى حوش ابن عيسى وذلك أواخر المحرم ثم ان شاهين بك ركب بمن معه وحاربوهم ووقع بينهم مقتلة عظيمة وقتل فيها شخصان من كبار الاجناد الالفية وهما عثمان كاشف وآخر ونحو ستة مماليك وقتل جملة كثيرة من العرب وانكشف الحرب عن هزيمة العرب واسروا منهم نحو الاربعين وغنموا منهم غنائم كثيرة من اغنام وجمال وتفرقوا وتشتتوا وذهبوا الى ناحية قبلى ولم يزالوا وذلك فى شهر صفر.

❁(واستهل شهر ربيع الثانى سنة ١٢٢٣)❁

فى عاشره حضر شاهين بك وباقى الالفية (وفى عشرينه) ورد الخبر بموت شاهين بك المرادى فخلع الباشا على سليم بك المحرمجى وجعله كبيرا ورئيسا على المرادية عوضا عن شاهين بك وسافر الى قبلى (وفيه) أيضا حضر امين بك الالفى من غيبته وكان مسافرا مع الانكليز الذين كانوا حضروا الى الاسكندرية ورشيد وحصل لهم ما حصل فلم يزل غائبا حتى بلغه صلح خشداشينه مع الباشا فحضر وطلع على ردته فارسلوا له الملاقاة والخيول واللوازم وحضر فى التاريخ المذكور (وفيه) زوج الباشا شاهين بك العمرية تقتهم زوجة الباشا ونفقتها وفرش له سبعة مجالس بقصر الجيزة وجميع ادواتها ... قصد

قصد نيسابور وأقام عند الملك سنجر بن ملكشاه ووزرله وأصبح يوم عاشوراء صائما وقال لاصحابه رأيت الليلة فى المنام الحسين بن على عليهما السلام وهو يقول عجل الينا وليكن افطارك عندنا وقد اشتغل فكرى به ولا محيد عن قضاء الله وقدره وقالوا له يحميك الله والصواب ان لاتخرج اليوم والليلة من دارك فاقام يومه يصلى ويقرأ القرآن وتصدق بشئ كثير فلما كان وقت العصر خرج من الدار التى كان بها يريد دار النساء فسمع صياح متظلم شديد الحرقة وهو يقول ذهب المسلمون فلم يبق من يكشف مظلمة ولا يأخذ بيد ملهوف فاحضره عنده رحمة له فقال ما حالك فدفع اليه رقعة فبينما فخر الملك يتأملها اذ ضربه بسكين فقضى عليه فمات فحمل الباطنى الى سنجر فقرره فاقر على جماعة من اصحاب السلطان كذبا وقال انهم وضعوه على قتله واراد ان يقتل بيده وسعايته فقتل من ذكر وكان مكذوبا عليهم ثم قتل الباطنى بعدهم وكان عمر فخر الملك ستا وستين سنة

●(ذكر ملك صدقة بن مزيد تكريت)●

فى هذه السنة فى صفر تسلم الامير سيف الدولة صدقة بن منصور بن مزيد قلعة تكريت وقد ذكرنا فيما تقدم انها كانت لبنى مقن العقيليين وكانت الى آخر سنة سبع وعشرين واربعمائة بيد رافع بن الحسين بن مقن فمات ووليها ابن اخيه ابو منعة خميس بن تغلب بن حماد ووجد بها خمسمائة الف دينار سوى المصاغ وتوفى سنة خمس وثلاثين واربعمائة ووليها ولده ابو غشام فلما كان سنة اربع واربعين وثب عليه عيسى اخوه فحبسه وملك القلعة والاموال فلما اجتاز به طغرلبك سنة ثمان واربعين صالحه على بعض المال فرحل عنه وخافت زوجته اميرة بعد موته ان يعود ابو غشام يملك القلعة فقتلته وكان قد بقى فى محبس اربع سنين واستنابت فى القلعة ابا الغنائم بن المحلبان فسلمها الى اصحاب السلطان طغرلبك وسارت الى الموصل فقتلها ابن ابى غشام بابيه واخذ شرف الدولة مسلم بن قريش ماله ورد طغرلبك امر القلعة الى [illegible] يعرف بابى العباس الرازى فمات بها بعد ستة اشهر فملكها المهرباط وهو ابو جعفر محمد بن احمد بن خشنام من بلد الغور فاقام بها احدى وعشرين سنة ومات ووليها ابنه سنة واحدة [illegible] كوهرائين ثم ملكها بعد وفاة ملكشاه قسيم الدولة آقسنقر صاحب حلب ثم صارت للامير كمشتكين [illegible] فجعل بها رجلا يعرف بابى [illegible] ثم عادت الى كوهرائين [illegible] ثم اخذها منه مجد الملك البلاسانى وولى فيها كيقباذ بن هزارسب الديلمى فاقام بها اثنتى عشرة سنة فحسنت [illegible] واحسن السيرة فلما اجتاز به سقمان بن ارتق سنة ست وتسعين [illegible] بينهما [illegible] ثم ان السلطان محمدا بعد موت [illegible] اقطعها للامير آقسنقر البرسقى شحنة بغداد فسار اليها [illegible] عن سبعة اشهر حتى ضاق على كيقباذ الامر فراسل صدقة بن مزيد [illegible] فى صفر هذه السنة وتسلمها منه [illegible] برسقى [illegible] نزوله من القلعة

وكذلك تزوج سليمان بك [illegible] وسكن بيت [illegible] ان عمرت له الدار وفرشت على طرف الباشا وكذلك تزوج عمر بك بجارية من جوارى الست نفيسة المرادية وجهزتها جهازا نفيسا من مالها وتزوج ايضا على كاشف الكبير الالفى بزوجة استاذه

●(شهر جمادى الاولى سنة ١٢٢٣)●

(فيه) سافر مرزوق بك بعد تقرير الصلح بينه وبين الامراء المصريين القبالى وقلده الباشا مرزوق بك ولاية جرجا وامارة الصعيد والبسه الخلعة وشرط عليه ارسال المال والغلال الميرية فعند ذلك سافرت [illegible] وسافرت [illegible] ووصل الى السواحل مراكب الغلال والاشياء التى تجلب من الجهة القبلية

●(واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٢٣)●

فيه [illegible] الاتراك [illegible] وعزل كبيرهم [illegible] والى [illegible] ببولاق وقلد ذلك [illegible] اقاربه [illegible] كبيرا [illegible] الدلاة [illegible] من ذلك [illegible] ولاتية [illegible] فى منتصف الشهر وخرج بصحبته عدة كبيرة من الدلاة (وفى اواخره) وردت الاخبار من [illegible] بان الينكجرية عصبت وقامت على السلطان سليم

ثم عزلوه وأجلسوا مكانه السلطان مصطفى وابطلوا النظام الجديد وقتلوا دفتردار النظام الجديد وكتخدا الدولة

ثمانية ايام وكان عمره ستين سنة واستتاب صدقة بها ورام بن ابي فراس بن ورام وكان كيقباذ ينسب الى الباطنية وكان موته من سعادة صدقة فانه لو اقام عنده لعرض صدقة لظنون الناس في اعتقاده ومذهبه

(ذكر الحرب بين عبادة وخفاجة)

في هذه السنة في ربيع الاول كانت حرب بين عبادة وخفاجة ظفرت عبادة واخذت بثأرها من خفاجة وكان سبب ذلك ان سيف الدولة صدقة ارسل ولده بدران في جيش الى ... بلاده ... في البرية يحميها من خفاجة لانهم يؤذون اهل تلك النواحي فقربوا منه وتهددوا اهل البلاد فكتب الى ابيه يشكو منهم ويعرفه حالهم فاحضر ... وكانت خفاجة قد فعلت بهم العام الماضي ما ذكرناه فلما حضروا عنده قال لهم ... مع عسكره ... فخرجوا ... من خفاجة فساروا في مقدم عسكره فادركوا حلة من ... من بني ... وهم غارون لم يشعروا بهم فقالوا من انتم فقالت عبادة نحن اصحاب الديون ... فقتلوهم وصبرت خفاجة فيمن شاهدهم في القتال ... الجيش ... وقتلت منهم عبادة جماعة وكان فيهم عشرة من وجوههم ... وامر العسكران يؤثروا عبادة بما غنموه من ... بما اخذ منهم في العام الماضي واصاب خفاجة من مفارقة البلاد ونهب اموالها وقتل رجالها امر عظيم وانتزحت الى نواحي البصرة واقامت ... بلاد خفاجة ولما انهزمت خفاجة وتفرقت ونهبت اموالها ... امرأة منهم ... صدقة ... سبيتنا وسلبتنا وقتلتنا وغربتنا واضعت حرمتنا ... في نفسك ... صورة ... فتناله الغيظ واحتمل ... واعطاها ... حتى قابل الله صدقة في نفسه واولاده ... ما نذكره

(ذكر مسير جاولي سقاوة الى الموصل ... صاحبها جكرمش)

في هذه السنة في ... سار جاولي سقاوة الى الموصل والاعمال التي بيد جكرمش وكان جاولي ... البلاد التي بين خوزستان وفارس واقام ... وعمر ... في اهلها وقطع ايديهم وجدع انوفهم ... فلما تمكن السلطان محمد من السلطنة خافه جاولي وارسل السلطان اليه الامير مودود بن ... فقصده ... جاولي وحصره مودود ثمانية اشهر ... جاولي الى ... مودود ... فارسل ... معه امير ... ولي ... جاولي ... وكان جكرمش ... الى ... ولي ... الى ...

الى بغداد واقام بها الى اول ربيع الاول وسار الى الموصل وجعل طريقه على البوازيج فملكها ونهبها اربعة ايام بعد ان امن اهلها وحلف لهم انه يحميهم فلما ملكها سار الى اربل واما جكرمش فانه لما بلغه مسيره الى بلاده كتب في جمع العساكر فاتاه كتاب ابي الهيجاء بن موسك الكردي الهذباني صاحب اربل يذكر استيلاء جاولي على البوازيج ويقول له ان لم تعجل المجيء اليه اجتمع عليه وغيره والا اضطررت الى موافقته والمسير معه فبادر جكرمش وعبر الى شرقي دجلة وسار في عسكر الموصل قبل اجتماع عساكره ووصل اليه ابو الهيجاء بعسكره مع اولاده فاجتمعوا بقرية باكلبا من اعمال اربل ولقيهم جاولي وهو في الف فارس وكان جكرمش في الفي فارس ولا شك انه يأخذ جاولي باليد فلما اصطفوا للحرب حمل جاولي من القلب على قلب جكرمش فانهزم من فيه وبقي جكرمش وحده لا يقدر على الهزيمة لفالج كان به فهو لا يقدر يركب وانما يحمل في محفة فلما انهزم اصحابه قاتل عنه ركابي اسود قتالا عظيما فقتل وقتل معه واحد من اولاد الملوك وثبت [illegible] بن داود [illegible] احمد فقاتل بين يديه فطعن فجرح وانهزم فمات بالموصل ولم يقدر اصحاب جاولي على الوصول الى جكرمش حتى قتل الركابي الاسود فحينئذ اخذوه اسيرا واحضروه عند جاولي فامر بحفظه وحراسته وكانت عساكر جكرمش التي استدعاها قد وصلت الى الموصل بعد مسيره بيومين فساروا جرائدا ليدركوا الحرب فلقيهم المنهزمون ليقضي الله امرا كان مفعولا

●(ذكر حصر جاولي سقاوو الموصل وموت جكرمش)●

لما انهزم العسكر واسر جكرمش وصل الخبر الى الموصل فاقعدوا ولده زنكي بن جكرمش وهو صبي عمره احدى عشرة سنة وخطبوا له [illegible] [illegible] عسكره واجابوا الى ذلك وكان مستحفظ القلعة مملوكا لجكرمش اسمه غزغلي فقام في ذلك المقام المرضي وفرق الاموال التي جمعها جكرمش والخيول وغير ذلك على الجند وكاتب سيف الدولة صدقة وقلج ارسلان والبرسقي شحنة بغداد بالبدار اليهم ومنع جاولي عنهم ووعدوا كلا منهم ان يسلموا البلد اليه فاما صدقة فلم يجبهم الى ذلك ووفى طاعة السلطان واما البرسقي وقلج ارسلان فسنذكرهما ثم نزل جاولي حصر الموصل ومعه كرموي بن خراسان التركماني وغيره من الامراء وكثر جمعه وامر بحمل جكرمش كل يوم على بغل وينادي صحبه بالموصل يسلموا البلد ويخلصوا صاحبهم [illegible] ويأمرهم بذلك فلم يسمعوا منه وكان يحبسه في جب ويوكل به من يحفظه لئلا يسرق فخرج في بعض الايام ميتا وعمره ستون سنة وكان قد شاخ واصابه الفالج وكان قد شيد سور الموصل و[illegible] وحفر خندقها وحصنها غاية تحصينه وكان مع جكرمش رجل من اعيان الموصل يقال له ابو طالب بن كسيرات [illegible] [illegible]

[illegible] جكرمش [illegible] [illegible] وكان اولادا [illegible]

السلطان سليم في المكان الذي هو مختف به وقتلوه بالخناجر والسكاكين حتى مات واحضروه ميتا الى مصطفى باشا البيرقدار وقالوا له هاهو السلطان سليم الذي تطلبه فلما رآه ميتا بكى وتأسف (ثم انه عزل السلطان مصطفى واحضر محمودا أخاه ابن عبد الحميد واجلسه على تخت الملك) ونودي باسمه وكان ذلك يوم الخميس خامس جمادى الثانية من السنة وعمره ثلاث وعشرون سنة * ومات السلطان سليم وعمره احدى وخمسون سنة لانه ولد سنة ١١٦٣ ومدة ولايته عشرين سنة تنقص شهرا فلما وردت هذه الاخبار وتواترت في مكاتبات التجار والسفار خطب بعض الخطباء يوم الجمعة سادس عشرينه باسم السلطان محمود وبعضهم [illegible] في دعائه ولم يذكر الاسم (وفيه) قوي عزم الباشا على السفر الى جهة دمياط ورشيد والاسكندرية بسبب لوازم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (فلما كان [illegible]) سابع عشرينه [illegible] [illegible] اصاب [illegible]

[illegible] وتكشف [illegible] [illegible] حتى [illegible] اخبر القائم فتح الناس ورفعوا

حضروا الحرب مع جكرمش واسرهم جاولي فارسل الى ابي الهيجاء يطلب ابن كسيرات فاطلقه وسيره اليه فاطلق جاولي ابن ابي الهيجاء فلما حضر ابن كسيرات عند جاولي ضمن له فتح الموصل وبلاد جكرمش وتحصيل الاموال فاعتقله اعتقالا جميلا وكان قاضي الموصل ابو القاسم بن ودعان عدوا لابي طالب فارسل الى جاولي يقول له ان قتلت ابا طالب سلمت الموصل اليك فقتله وارسل رأسه اليه فاظهر الشماتة به واخذ كثيرا من امواله وودائعه فقال له لا اراك غضبا لابي طالب ولتفرده بما اخذ من ماله فقتلوه وكان بينهما شهر واحد وقد رأينا كثيرا وسمعنا مالا نحصيه من قرب وفاة احد المتعاديين بعد صاحبه

(ذكر الحرب بين ملك القسطنطينية والفرنج)

في هذه السنة كانت وحشة مستحكمة بين ملك الروم صاحب القسطنطينية وبين بيمند الفرنجي فسار بيمند الى بلاد ملك الروم ونهبها وعزم على قصده فارسل ملك الروم الى الملك قلج ارسلان بن سليمان صاحب قونية واقصرا وغيرهما من تلك البلاد يستنجده فامده بجمع من عسكره فقوي بهم وتوجه الى بيمند فالتقوا وتصافوا واقتتلوا وصبر الفرنج لشجاعتهم وصبر الروم ومن معهم لكثرتهم ودامت الحرب ثم انجلت الوقعة عن هزيمة الفرنج واتى القتل على اكثرهم واسر كثير منهم والذين سلموا عادوا الى بلادهم بالشام وعاد عسكر قلج ارسلان الى بلادهم عازمين على المسير الى صاحبهم بديار الجزيرة فاتاهم خبر قتله على ما نذكره ان شاء الله تعالى فتركوا الحركة واقاموا

(ذكر ملك قلج ارسلان الموصل)

قد ذكرنا ان اصحاب جكرمش كتبوا الى صدقة وقسيم الدولة البرسقي والملك قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش صاحب بلاد الروم يستدعون كلا منهم ليسلموا البلاد اليه فاما صدقة فلم يجبهم [illegible] طاعة السلطان واما قلج ارسلان فانه سار في عسكره فجمع [illegible] فلما وصل الى نصيبين رحل عن الموصل واما البرسقي فانه [illegible] بعد [illegible] الى الموصل فوصلها بعد رحيل جاولي عنها فنزل بجانب الشرقي فلم يلتفت احد اليه ولا راسلوه بكلمة واحدة فعاد في باقي يومه ثم ان قلج ارسلان لما وصل الى نصيبين اقام بها حتى اجتمع [illegible] جاولي [illegible] من الموصل الى سنجار [illegible] واتصل به الامير ابراهيم [illegible] وجماعة من [illegible] جكرمش فصار معه اربعة آلاف فارس وكان قد كاتب الملك رضوان يستدعيه الى الشام [illegible] بالشام [illegible] فسار الى الرحبة وراسل اهل الموصل وعسكر جكرمش [illegible] قلج ارسلان [illegible] نصيبين [illegible] واستحلفهم [illegible] واحضروه [illegible] الى الموصل [illegible] في الخامس والعشرين من رجب ونزل [illegible] جكرمش واصحابه [illegible] عليهم وجلس على التخت [illegible] نفسه [illegible] الى العسكر واخذ القلعة

الغلال من الرقع والعرصات والسواحل ١٧٨ ١ وارتفعت الخلائق بسبب شحة النيل في العام الماضي وهيفان الزرع وتنوع المظالم وخراب الريف وجلاء اهله واجتمع في ذلك اليوم المشايخ عند الباشا فقال لهم ادعوا الله وأمروا الفقراء والضعفاء والاطفال بالخروج الى الصحراء وادعوا الله فقال له الشيخ الشرقاوي ينبغي ان ترفعوا الظلم وترجعوا الله فقال انا لست بظالم وحدي وانتم اظلم مني فاني رفعت عن حصصكم الفرض والمغارم اكراما لكم وانتم تأخذونها من الفلاحين وعندي دفتر محرر فيه ما في ايديكم من الحصص يبلغ الفي كيس ولابد اني افحص عن ذلك وكل من وجدته يأخذ العرضة المرفوعة من فلاحيه ارفع الحصة عنه [illegible] ذلك ثم اتفقوا على الخروج [illegible] في صبح يوم [illegible] الى [illegible] يصلون صلاة الاستسقاء ويدعون الله ويستغفرونه ويتضرعون اليه في زيادة النيل [illegible] السيد عمر ومشايخ [illegible] الازهر وغيرهم والاطفال واجتمع عالم كثير وذهبوا الى الجامع المذكور بمصر العتيقة [illegible] وتكامل الجمع [illegible] الشيخ [illegible] المنبر [illegible] صلاة الاستسقاء ودعا الله وا [illegible] من

من غزغلي مملوك جكرمش وجعل له فيها دزدارا وازال الرسوم المحدثة في الظلم وعدل في
الناس وتألفهم وقال من سعى الي باحد قتلته فلم يسع احد باحد واقر القاضي ابا محمد
عبد الله بن القاسم بن الشهرزوري على القضاء بالموصل وجعل الرياسة لابي البركات
محمد بن محمد بن خميس وهو والد شيخنا ابي الربيع سليمان وكان في جملة قلج ارسلان الامير
ابراهيم بن ينال التركماني صاحب آمد ومحمد بن جبق التركماني صاحب حصن زياد وهو
خرتبرت فاما ابراهيم بن ينال فكان سبب ملكه لمدينة آمد ان تاج الدولة تتش حين
ملك ديار بكر سلمها اليه فبقيت بيده واما محمد بن جبق فكان سبب ملكه حصن
زياد ان هذا الحصن كان بيد الفلادروس الرومي ترجمان ملك الروم وكانت الرها
وانطاكية من اعماله فلما ملك سليمان بن قتلمش والد هذا قلج ارسلان انطاكية
وملك فخر الدولة بن جهير ديار بكر ضعف الفلادروس عن الاقامة فاحتاج الى حصن
زياد من الميرة والاقامة فاخذه جبق واسلم الفلادروس على يد السلطان ملكشاه
وامره على الرها حتى مات واخذها الامير بزان بعده وكان بالقرب من
حصن زياد حصن آخر بيد انسان من الروم اسمه افرنجي وكان يقطع الطريق ويكثر
قتل المسلمين فارسل اليه جبق هدية وخطب اليه مودته وان يعين كل واحد منهما
صاحبه فاجابه الى ذلك فكان جبق يعين افرنجي على قطع الطريق ويغيره وكذلك
افرنجي يعين جبق فلما وثق كل واحد بصاحبه ارسل اليه جبق انه يريد قصد بعض
الاماكن وطلب ان يرسل اليه اصحابه فارسلهم اليه فجمع رؤوسهم في الطريق وتقدم
بقتلهم وحملهم الى قلعة افرنجي وقال لاهلها والله لئن لم تسلموا الي افرنجي لاضربن
اعناقهم ولآخذن الحصن عنوة ولاقتلنكم على دم واحد [illegible] الحصن وسلموا
اليه افرنجي فسلمه واخذ [illegible] سلاحه وكان عظيما ومات جبق فولي بعده ابنه محمد

ذكر قتل قلج ارسلان وملك جاولي الموصل

قد ذكرنا مسير قلج ارسلان الى الموصل الى نصيبين ومسير جاولي من الموصل الى سنجار ثم الى
الرحبة فوصلها في رجب وحصرها الى الرابع والعشرين من شهر رمضان وكان
صاحبها انسان يعرف بمحمد بن السباق وهو من بني شيبان [illegible]
[illegible] واخذ ولده رهينة وحمله معه الى دمشق فلما توفي [illegible] في قدم
[illegible] وولده وحلوا به فلما [illegible] الدمشقيين [illegible] في بعض
[illegible] قلج ارسلان الموصل [illegible] جاولي وحصره ارسل الى المشرف [illegible]
[illegible] لاجتماعه [illegible] وشرط عليه انه اذا ملك بلاده [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الماء الى حد الزيادة الاولى واستمر الجبر الى ان قد بلغ الماء (وفي يوم الاثنين) ثم جاءوا ايضا واشار بعض
الناس باحضار النصارى ايضا فحضروا وحضر المسلم فالى ومن يصحبه من الكتبة الاقباط وجلسوا في ناحية من المسجد يشربون الدخان وانفض الجمع ايضا (وفي تلك الليلة) التي هي ليلة الثلاثاء زاد الماء ونودي بالوفاء وفرح الناس وطفق النصارى يقولون ان الزيادة لم تحصل الا بحضورنا (فلما) كانت ليلة الاربعاء طاف المنادون بالرايات الحمر ونادوا بالوفاء وعمل الشنك والوقدة تلك الليلة على العادة (وفي صبحها) حضر الباشا والقاضي واجتمع الناس وكسروا السد وجرى الماء في الخليج جريا ضعيفا لعلو ارض الخليج وعدم تنظيفه من الاتربة المتراكمة فيه من مدة سنين وكان ذلك يوم الاربعاء غرة شهر رجب [illegible] القبطي

(واستهل شهر رجب بيوم الاربعاء سنة ١٢٣٣)

في ثانيه يوم الخميس وصل الى بولاق [illegible] افندي وهو [illegible] [illegible] محمد بن عبد [illegible] بيت ابن سباعي [illegible] بالقلعة [illegible] ايام في الاوقات [illegible] (وفي ليلة [illegible]) سامر محمد علي

وطلبوهم فخذل من فى البلد ودخله اصحاب جاولى فى اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان ونهبوه الى الظهر ثم امر برفع النهب ونزل اليه محمد الشيبانى صاحب البلد واطاعه وصار معه ثم ان قلج ارسلان لما فرغ من امر الموصل سار عنها الى جاولى ليحاربه وجعل ابنه ملكشاه فى دار الامارة وعمره احدى عشرة سنة ومعه امير يدبره وجماعة من العسكر وكانت عدة عسكره اربعة آلاف فارس بالعدة الكاملة والخيل الجيدة وسمع العسكرية قوة جاولى فاختلفوا وكان اول من خالف عليه ابراهيم بن ينال صاحب آمد فانه فارق خيامه واثقاله وعاد من الخابور الى بلده وكذلك غيره وعمل قلج ارسلان على المطاولة لما بلغه من قوة جاولى وكثرة جموعه وارسل الى بلاده يطلب عساكره لانها كانت عند ملك الروم نجدة له على قتال الفرنج كما ذكرناه فلما وصل الى الخابور بلغت عدته خمسة آلاف وكان مع جاولى اربعة آلاف من جملتهم الملك رضوان وجماعة من عسكره الا ان شجعانها كثير واغتنم جاولى قلة عسكر قلج ارسلان فقاتله قبل وصول عساكره اليه فالتقوا فى العشرين من ذى القعدة فحمل قلج ارسلان على القوم بنفسه حتى خالطهم فضرب يد صاحب العلم فابانها ووصل الى جاولى بنفسه فضربه بالسيف فقطع الكزاغند ولم يصل الى بدنه وحمل اصحاب جاولى على اصحابه فهزموهم واستباحوا اثقالهم وسوادهم فلما رأى قلج ارسلان انهزام عسكره علم انه ان اسر فعل به فعل من لم يترك للصلح موضعا لانه قد نازع السلطان فى بلاده واسم السلطنة فالقى نفسه فى الخابور وحمى نفسه من اصحاب جاولى بالنشاب فانحدر به الفرس الى ماء عميق فغرق وظهر بعد ايام فدفن بالشمسانية وهى من قرى الخابور وسار جاولى الى الموصل ولما وصل اليها فتح اهلها له بابها ولم يتمكن من بها من اصحاب قلج ارسلان من منعه ونزل بظاهر البلد واخذ كل واحد من اصحاب جكرمش الذى حضر الوقعة مع قلج ارسلان الى جهة ولما ملك جاولى الموصل اعاد خطبة السلطان محمد وصادر جماعة من بها من اصحاب جكرمش وسار الى جزيرة ابن عمر وبها حبشى بن جكرمش ومعه امير من غسان ابيه اسمه غزغلى فحصره مدة ثم انهم صالحوه وحملوا اليه ستة آلاف دينار وغيرها من الدواب والثياب ورحل عنهم الى الموصل وارسل ملكشاه بن قلج ارسلان الى السلطان محمد

(ذكر احوال الباطنية باصبهان وقتل ابن عطاش)

فى هذه السنة ملك السلطان محمد القلعة التى كان الباطنية ملكوها بقرب من اصبهان واسمها شاه دز وقتل صاحبها احمد بن عبد الملك بن عطاش وولده وكانت هذه القلعة قد بناها ملكشاه واستولى عليها بعده احمد بن عبد الملك بن عطاش وسبب ذلك انه اتصل بدزدار كان لها فلما مات استولى احمد عليها وكان الباطنية باصبهان قد البسوه تاجا وجمعوا له اموالا وانما فعلوا ذلك به لتقدم ابيه عبد الملك فى مذهبهم فانه كان اديبا بليغا حسن الخط سريع البديهة عفيفا وابتلى بحب هذا المذهب وكان هذا ابنه احمد جاهلا لا يعرف شيئا وقيل لابن الصباح صاحب قلعة الموت

لمادا

بالقاهرة البحرى ونزل فى المراكب وأرسل قبل نزوله بايام بتسهيل الاقامات والكلف على البلاد من كل صنف خمسة عشر واخلوا لمن معه بيوت البنادر مثل المنصورة ودمياط ورشيد والمحلة والاسكندرية وفرض الفرض والمغارم على البلاد على حكم القراريط التى كانوا ابتدعوها فى العام الماضى على كل قيراط سبعة آلاف وسبعمائة نصف فضة وسماها كلفة الذخيرة وأمر بكتابة دفتر لذلك فكتب اليه الروزنامجى ان الخراب استولى على كثير من البلاد فلا يمكن تحصيل هذا الترتيب فارسل من المنصورة يامر بتحرير العامر بدفتر مستقل والخراب بدفتر آخر فلما فعل الروزنامجى ذلك دخل فيها بلادا بها بعض الرمق اتخلاص من الفرضة وفيها اماهو لنفسه فلما وصلت اليه أمر بتوزيع ذلك الخراب على اولاده اتباعه واغراضه وعدتها مائة وستون بلدة وامر الروزنامجى بكتابة تقاسيطها بالاسماء التى عينها له فلم يمكن الروزنامجى ان يتلافى ذلك لتظهر حيانته ووزعت وارتفعت عن اصحابها وكذلك حصل باقليم البحيرة لما عمها الخراب وتعطل خراجها وطلبوا الميرى من الملتزمين فتظلموا واعتذروا بعموم الخراب رفعوا ايديهم وفرقها الباشا على اتباعه واستولوا عليها وطلبوا الفلاحين الشاردة والمتسحبة من البلاد الابعد وأمروهم بسكناها وزادوا فى

الطنبور فقماشتوهوا انهم صاروا يثنيهون أولاد البلاد ارباب الصنائع الذين لهم نسبة قديمة بالقرى وذلك باغراء اتباعهم واعوانهم فيكون الشخص منهم جالسا فى حانوته وصناعته فما يشعر الا والاعوان محيطون به يطلبونه الى مخدومهم فان امتنع أو تلكأ سحبوه بالقهر وادخلوه الى الحبس وهو لا يعرف له ذنبا فيقول وما ذنبى فيقال له عليك مال الطين فيقول وأى شئ يكون الطين فيقولون له طين فلاحتك من مدة سنين لم تدفعه وقدره كذا وكذا فيقول لا اعرف ذلك ولا اعرف البلد ولا رأيتها فى عمرى لا انا ولا أبى ولا جدى فيقال له أنت فلان الشبراوى أو المنياوى مثلا فيقول لهم هذه نسبة قديمة مرت الى من جدى وخالى او جدى فلا يقبل منه و يحبس و يضرب حتى يدفع ما الزموه به او يجد شافعا يصالح عليه وقد وقع ذلك لكثير من المتسببين والتجار وصناع الحرير وغيرهم * ولم يزل الباشا فى سيره حتى وصل الى دمياط وفرض على اهلها اكياسا واخذ من حكامها هدايا وتقادم ثم رجع الى سمنود وركب فى البر الى المحلة وقبض ما فرضه عليها وهو خمسون كيسا نقصت سبعة اكياس عجزوا عنها بعد الحبس والعقاب وقدم له حاكمها اربعين جملا واربعين حصانا خلاف الاقمشة الحلاوية مثل الزردخانات والمقاطع الحرير ومما يصنع بالمحلة من انواع الثياب ولا متعة صناعة من بقى بها من

لماذا تعظم ابن عطاش مع جهله قال لمكان ابيه لانه كان أستاذى وصار لابن عطاش عدد كثير وباس شديد واستفحل أمره بالقلعة فكان يرسل اصحابه لقطع الطريق وأخذ الاموال وقتل من قدروا على قتله فقتلوا خلقا كثيرا لا يمكن احصاؤهم وجعلوا له على القرى السلطانية واملاك الناس ضرائب يأخذونها ليكفوا عنها الاذى فتعذر بذلك انتفاع السلطان بقراه والناس باملاكهم وتمشى لهم الامر بالخلف الواقع بين السلطانين بركيارق ومحمد فلما صفت السلطنة لمحمد ولم يبق له منازع لم يكن عنده امر اهم من قصد الباطنية وحربهم والانتصاف للمسلمين من جورهم وعسفهم فرأى البداءة بقلعة اصبهان التى بايديهم لان الاذى بها أكثر وهى متسلطة على سرير ملكه فخرج بنفسه فحاصرهم فى سادس شعبان وكان قد عزم على الخروج اول رجب فساء ذلك من يتعصب لهم من العسكر فارجفوا ان قلج ارسلان بن سليمان قد ورد بغداد وملكها واتفقوا فى ذلك مكاتبات ثم اظهروا ان خللا قد تجدد بخراسان فتوقف السلطان لتحقيق الامر فلما ظهر بطلانه عزم عزيمة مثله وقصدهم وصعد جبلا يقابل القلعة من غربيها ونصب له التخت فى اعلاه واجتمع له من اصبهان وسوادها لحربهم الامم العظيمة للذحول التى يطالبونهم بها واحاطوا بجبل القلعة ودوره اربعة فراسخ ورتب الامراء لقتالهم فكان يقاتلهم كل يوم أمير فضاق الامر بهم واشتد الحصار عليهم وتعذرت عندهم الاقوات فلما اشتد الامر عليهم كتبوا فتوى فيها ما يقول السادة الفقهاء أئمة الدين فى قوم يؤمنون بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر وان ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حق وصدق وانما يخالفون فى الامام هل يجوز للسلطان مهادنتهم وموادعتهم وان يقبل طاعتهم ويحرسهم من كل اذى فاجاب اكثر الفقهاء بجواز ذلك وتوقف بعضهم فجمعوا للمناظرة ومعهم ابو الحسن على بن عبد الرحمن السمنجانى وهو من شيوخ الشافعية فقال بمحضر من الناس يجب قتالهم ولا يجوز اقرارهم بمكانهم ولا ينفعهم التلفظ بالشهادتين فانهم يقال لهم اخبرونا عن امامكم اذا اباح لكم ما حظره الشرع او حظر عليكم ما اباحه الشرع اتقبلون امره فانهم يقولون نعم وحينئذ تباح دماؤهم بالاجماع وطالت المناظرة فى ذلك ثم ان الباطنية سألوا السلطان ان يرسل اليهم من يناظرهم وعينوا على اشخاص من العلماء منهم القاضى ابو العلاء صاعد بن يحيى شيخ الحنفية باصبهان وقاضيها وغيره فصعدوا اليهم وناظروهم وعادوا كما صعدوا وانما كان قصدهم التعلل والمطاولة فلج حينئذ السلطان فى حصرهم فلما رأوا عين الحاقة اذعنوا الى تسليم القلعة على ان يعطوا عوضا عنها قلعة خالنجان وهى على سبعة فراسخ من اصبهان وقالوا انا نخاف على دمائنا واموالنا من العامة فلا بد من مكان نحتمى به منهم فاشير على السلطان باجابتهم الى ما طلبوا فسألوا ان يؤخرهم الى النوروز ليرحلوا الى خالنجان ويسلموا قلعتهم وشرطوا ان لا يسمع قول متنصح فيهم ومن قال عنهم شيئا سلمه اليهم وان من اتاهم منهم رده اليهم فاجابهم اليه وطلبوا ان يحمل اليهم من

الاقامة ما يكفيهم يوما بيوم فاجيبوا اليه في كل هذا وقصدهم المطاولة انتظارا لفتق ينفتق او حادث يتجدد ورتب لهم وزير السلطان سعد الملك ما يحمل اليهم كل يوم من الطعام والفاكهة وجميع ما يحتاجون اليه فجعلوا هم يرسلون ويبتاعون من الاطعمة ما يجمعونه ليمتنعوا في قلعتهم ثم انهم وضعوا من اصحابهم من يقتل اميرا كان يبالغ في قتالهم فوثبوا عليه وجرحوه وسلم منهم فحينئذ أمر السلطان باخراب قلعة خالنجان وجدد الحصار عليهم فطلبوا ان ينزل بعضهم ويرسل السلطان معهم من يحميهم الى ان يصلوا الى قلعة الناظر بارجان وهي لهم وينزل بعضهم ويرسل معهم من يوصلهم الى طبس وان يقيم البقية منهم في ضرس من القلعة الى ان يصل اليهم من يخبرهم بوصول اصحابهم فينزلون حينئذ ويرسل معهم من يوصلهم الى ابن الصباح بقلعة الموت فاجيبوا الى ذلك فنزل منهم الى الناظر والى طبس وساروا وتسلم السلطان القلعة وخربها ثم ان الذين ساروا الى قلعة الناظر وطبس وصل منهم من أخبر ابن عطاش بوصولهم فلم يسلم الضرس الذي بقي بيده ورأى السلطان منه الغدر والعود عن الذي قرره فامر بالزحف اليه فزحف الناس عامة ثاني ذي القعدة وكان قد قل عنده من يمنع ويقاتل فظهر منهم صبر عظيم وشجاعة زائدة وكان قد استأمن الى السلطان انسان من اعيانهم فقال لهم انى ادلكم على عورة لهم فاتى بهم الى جانب لذلك الضرس لا يرام فقال لهم اصعدوا من ههنا فقيل انهم قد ضبطوا هذا المكان وشحنوه بالرجال فقال ان الذي ترون اسلحة وكزاغندات قد جعلوها كهيئة الرجال لقلتهم عندهم وكان جميع من بقي ثمانين رجلا فزحف الناس من هناك فصعدوا منه وملكوا الموضع وقتل اكثر الباطنية واختلط جماعة منهم مع من دخل فخرجوا معهم واما ابن عطاش فانه أخذ اسيرا فترك اسبوعا ثم انه أمر به فشهر في جميع البلد وسلخ جلده فتجلد حتى مات وحشي جلده تبنا وقتل ولده وحمل رأساهما الى بغداد والقت زوجته نفسها من رأس القلعة فهلكت وكان معها جواهر نفيسة لم يوجد مثلها فهلكت ايضا وضاعت وكانت مدة البلوى بابن عطاش اثنتي عشرة سنة

(ذكر الخلف بين سيف الدولة صدقة ومهذب الدولة صاحب البطيحة)

في هذه السنة اختلف سيف الدولة صدقة بن مزيد ومهذب الدولة السعيد بن ابي الخير صاحب البطيحة وضعف حماد بن ابي الخير الى صدقة واظهر معاداة ابن عمه مهذب الدولة ثم اتفقا وكان سبب ذلك ان صدقة لما اقطعه السلطان محمد مدينة واسط ضمنها منه مهذب الدولة واستناب في الاعمال اولاده واصحابه فمدوا ايديهم في الاموال وفرطوا فيها وفرقوها فلما انقضت السنة طالبه صدقة بالمال وحبسه ثم سعى في خلاصه بدران ابن صدقة وهو صهره مهذب الدولة فاخرجه من الحبس واعاده الى بلده البطيحة وضمن حماد بن ابي الخير واسنه قد فضل على مهذب الدولة كثير من امره فآل الامر الى الاختلاف بعد الائتلاف فان المصطنع اسمعيل جد حماد واختص محمد داو لد مهذب الدولة اخوان

الصنايع ثم ارتحل منها ورجع الى ٨٢ بحر منوف وذهب الى رشيد والاسكندرية ولما استقر بها ارسل هدية الى الدولة وارسل الى مصر فطلب عدة قناطير من البن والاقمشة الهندية وسبعمائة اردب ارز ابيض اخذت من بلاد الارز وارسل الهدية صحبة ابراهيم افندي المهردار وحضر اليه وهو بالاسكندرية نجيب من طرف مصطفى باشا البيرقدار الوزير برسالة ورجع بالجواب على اثره ولم يعلم ما دار بينهما (وفي منتصفه) اي شعبان حضر محمد على باشا من غيبته وطلع على ساحل بولاق ليلة الخميس خامس عشره وذهب الى داره بالازبكية ثم طلع في ثاني يوم الى القلعة وضربوا لحضوره مدافع

(واستهل شهر رمضان بيوم الجمعة سنة ١٢٢٣)

فيه وردت الاخبار بحرق القمامة القدسية وظهر حريقها من كنيسة الاروام (وفيه) سافر عدة من العسكر والدلاة وعمر بك الالفي ومعه طائفة من المماليك الى الجيزة بسبب عربان اولاد على فانهم كانوا بعد الحوادث المتقدمة نزلوا بالاقليم وشاركوا وزرعوا مثل ما كان عليه الهنادي والجهنة فلما اصطلح الالفية مع الباشا توسط شاهين بك في صلح الهنادي والجهنة على قدوم ذلك مما كان بينهم وبين استاذه من المنابذة ونزل صحبتهم في الامرة وغمرهم بارضهم كانوا نزلا وطردوا اولاد على وحاربهم ومكن الهنادي والجهنة ورجع الى الجيزة

وهنا

فراسل اولاد على الباشا بوساطة بعض اهل الدولة وعملوا للباشا مائة الف ريال على رجوعهم للجيزة واخراج المنادى فاجابهم طمعا فى المال فخنق اولئك وعصوا وحاربوا اولاد على ونهبوا ونالوا منهم بعدان كانوا ضيقوا عليهم وحصلت اختلافات وامتنع اولاد على من دفع المال الذى قرروه على انفسهم واجتمعوا بحوش ابن عيسى فارسل اليهم الباشا عمر بك المذكور ومن معه فحاربوهم مع المنادى فظهر عليهم اولاد على وهزموهم وقتل من الدلاة اكثر من مائة وكذلك من العسكر ونحو الخمسة عشر من المماليك فامر الباشا بسفر عساكر ايضا وصحبتهم ذهن بك وخلافه وسافرت طائفة من العرب الى ناحية الفيوم فارسلوا لهم عدة من العسكر (وفى اواخره) سافر ايضا شاهين بك وباقى الالفية خلاف احمد بك فانه اقام بالجيزة (وفيه) نودى على المعاملة بان يكون صرف الريال الفرنسا بمائتين وعشرين وكان يبلغ فى مصارفته الى مائتين واربعين والمحبوب بمائتين وخمسين فنودى على صرفه بمائتين واربعين وذلك كله من عدم الفضة العددية بايدى الناس والصيارف لتحكيرهم عليها ليأخذها تجار الشام بفرط فى مصارفتها تضم للميرى فيدور الشخص على صرف القرش الواحد ولا يجد صرفه الا بعد جهد شديد ويصرفه الصراف او خلافه للمضطر بنقص

وهما ابنا ابى الجبر وكانت اليهما رياسة اهلهما وجماد تحت امرهما فلما هلك المصطنع وقام ابنه والسيد المظفر والد محمد مقامه وهلك المختص محمد وقام ابنه مهذب الدولة مقامه وصارا يتنازعان ابن الهيثم صاحب البطيحة ويقاتلانه الى ان اخذه مهذب الدولة ايام كوهرائين وسلمه الى كوهرائين فحمله الى اصبهان فهلك فى طريقها فعظم امر مهذب الدولة وصيره كوهرائين امير البطيحة فصار ابن عمه وجماعته تحت حكمه وكان حماد شابا فاكرمه مهذب الدولة وزوجه بنته وزاد فى اقطاعه فكثر ماله فسار يحسد مهذب الدولة ويضمر بغضه وربما ظهر فى بعض الاوقات وكان مهذب الدولة يداريه بجهده فلما هلك كوهرائين انتقل حماد عن مهذب الدولة واظهر ما فى نفسه فاجتهد مهذب الدولة فى اعادته الى ما كان فلم يفعل فسكت عنه فجمع النفيس بن مهذب الدولة جمعا وقصد حماد اذ هرب منه الى سيف الدولة بالحلة فاعاده صدقة ومعه جماعة من الجند فحشد مهذب الدولة فارسل حماد الى صدقة يعرفه ذلك فارسل اليه كثيرا من الجند فقوى عزم مهذب الدولة على المحاربة لئلا يظن به العجز فاشار عليه اهله بترك الخروج من موضعه لحصانته فلم يفعل وسير سفنه واصحابه فى الانهر فجعل حماد واخوه له الكمناء واندفعوا من بين ايديهم فطمع اصحاب مهذب الدولة وتبعوهم فخرج عليهم الكمناء فلم يسلم منهم الا من لم يحضر اجله فقتل منهم واسر خلق كثير فقوى طمع حماد وارسل الى صدقة يستنجده فارسل اليه مقدم جيشه سعيد بن حميد العمرى وغيره من المقدمين وجمعوا السفن ليقاتلوا مهذب الدولة فراوا امراءكما فلم يمكنهم الدخول اليه وكان حماد بخيلا ومهذب الدولة جوادا فارسل الى سعيد بن حميد الاقامات الوافرة والصلات الكثيرة واستماله فمال اليه واجتمع به وتقرر الامر على ان ارسل مهذب الدولة ابنه النفيس الى صدقة فرضى عنه واصلح بينهم وبين حماد ابن عمهم وعادوا الى حال حسنة من الاتفاق وكان صلحهم فى ذى الحجة سنة خمسمائة

(ذكر قتل وزير السلطان ووزارة احمد بن نظام الملك)

فى شوال من هذه السنة قبض السلطان محمد على وزيره سعد الملك ابى المحاسن واخذ ماله وصلبه على باب اصبهان وصلب معه اربعة نفر من اعيان اصحابه والمنتمين اليه اما الوزير فنسب الى خيانة السلطان واما الاربعة فنسبوا الى اعتقاد الباطنية وكانت مدة وزارته سنتين وتسعة اشهر وكان فى ابتداء حاله يصحب تاج الملك ابا الغنائم ويتعلق بعده ثم استعمله مؤيد الملك بن نظام الملك فجعله على ديوان الاستيفاء وخدم السلطان محمدا لما حصره اخوه السلطان بركيارق باصبهان خدمة حسنة ولما فارقها محمد حفظها حفظ التام وقام المقام العظيم فاستوزره محمد ووسع له فى الاقطاع وحكمه فى دولته ثم نكبه وهذا آخر خدمة الملوك ومن احسن ما قال عبد الملك بن مروان انعم الناس عيشا من له ما يكفيه وزوجة ترضيه ولا يعرف ابوابنا هذه الخبيثة فتؤذيه ولما قبض الوزير استشار السلطان فيمن يجعله وزيرا فذكر له جماعة فقال السلطان ان آبائى ادروا على

نظام الملك البركة ولهم عليه الحق الكثير واولاده أغذياء نعمتنا ولا معدل عنهم فامر لأبي نصر احمد هذا بالوزارة ولقب القاب ابيه قوام الدين نظام الملك صدر الاسلام وكان سبب قدومه الى باب السلطان انه لما رأى انقراض دولة أهل بيته لزم داره بهمذان فاتفق ان رئيس همذان وهو الشريف أبو هاشم آذاه فسار الى السلطان شاكيا منه ومتظلما فقبض السلطان على الوزير وأحمد هذا في الطريق فلما وصل اليه ذكره وخلع عليه خلع الوزارة وحكمه ومكنه وقوى أمره وهذا من الفرج بعد الشدة فانه حضر شاكيا فصار حاكما

•(ذكر عدة حوادث)•

في هذه السنة في صفر عزل الوزير أبو القاسم علي بن جهير وزير الخليفة فقصد دار سيف الدولة صدقة ببغداد ملتجئا اليها وكانت ملجأ لكل ملهوف فارسل اليه صدقة من أخذه اليه الى الحلة وكانت وزارته ثلاث سنين وخمسة اشهر واياما وامر الخليفة بنقض داره التي بباب العامة وفيها عبرة فان اباه ابا نصر بن جهير بناها بانقاض املاك الناس واخذ بسببها اكثر ما دخل فيها فخربت عن قريب ولما عزل استنيب قاضي القضاة ابو الحسن بن الدامغاني ثم تقررت الوزارة في المحرم من سنة احدى وخمسمائة لابي المعالي هبة الله بن محمد بن المطلب وخلع عليه فيه وفيها في شوال توفي الامير ابو الفوارس سرخاب بن بدر بن مهلهل المعروف بابن ابي الشوك الكردي وكانت له اموال كثيرة وخيول لا تحصى وولي الامرة بعده ابو منصور بن بدر وقام مقامه وبقيت الامارة في بيته مائة وثلاثين سنة وقد تقدم من اخباره ما فيه كفاية وفي هذه السنة توفي ابو الفتح احمد ابن محمد بن احمد بن سعيد الحداد الاصبهاني ابن اخت عبد الرحمن بن ابي عبد الله بن منده ومولده سنة ثمان واربعمائة وكان مكثرا من الحديث مشهورا بالرواية وفيها توفي ابو محمد جعفر بن احمد بن الحسين السراج البغدادي في صفر وهو مكثر من الرواية وله تصانيف حسنة واشعار لطيفة وهو من اعيان الزمان وعبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب ابو محمد الشيرازي الفقيه ولي التدريس بالنظامية ببغداد سنة ثلاث وثمانين واربعمائة وكان يروي الحديث ايضا وابو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن احمد الصيرفي المعروف بابن الطيوري البغدادي ومولده سنة احدى عشرة واربعمائة وكان مكثرا من الحديث ثقة صالحا عابدا وابو المكرم المبارك بن الفاخر بن محمد بن يعقوب النحوي سمع الحديث من ابي الطيب الطبري والجوهري وغيرهما وكان اماما في النحو واللغة

(ثم دخلت سنة احدى وخمسمائة)

•(ذكر قتل صدقة بن مزيد)•

في هذه السنة في رجب قتل الامير سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد الاسدي امير العرب وهو الذي بنى الحلة السيفية بالعراق وكان قد عظم شأنه وعلا

أصفين او ثلاثة (وفيه) سافر ايضا حسن الشماشرجي ولحق بالمجردين (وفي اواخره) ورد الخبر بان محو بك كاشف البحيرة قبض على السيد حسين نقيب الاشراف بدمنهور واهانه وضربه وصادره واخذ منه الفي ريال بعد ان حلف انه ان لم يات بها في مدة اربع وعشرين ساعة والاقتله فوقع في عرض النصارى المباشرين فدفعوها عنه حتى تخلص بالحياة وكذلك قبض على رجل من التجار وقرر عليه جملة كثيرة من المال فدفع الذي حصلته يده وبقي عليه باقي ما قرره عليه فلم يزل في حبسه حتى مات تحت العقوبة فطلب أهله رمته فحلف لا يعطيها لهم حتى يكون ابنه في الحبس مكانه (ومن الحوادث السماوية) أن في سابع عشرين رمضان غيمت السماء بناحية الغربية والمحلة الكبرى وأمطرت بردا في مقدار بيض الدجاج واكبر واصغر فهدمت دورا وأصابت أنعاما غير انها قتلت الدودة من الزرع البدري

•(واستهل شهر شوال بيوم الاحد سنة ١٢٢٣)•

في اواخره حضر شاهين بك الالفي من ناحية البحيرة وذلك بعد ارتحال اولاد علي من الاقليم (وفيه) أيضا حضر سليمان كاشف البواب من ناحية قبلي وصحبته عدة من المماليك واربعة من الكشاف فقابل الباشا وخلع عليه وانزله ببيت طفان بسويقة العزي وسكن بها قدره

وحضر مطرودا من اخوانه المراهبة ﴿واستهل شهر القعدة بيوم ١٨٥ الاثنين سنة ١٢٢٤﴾

قد رم واتسع جاهه واستجار به صغار الناس وكبارهم فاجارهم وكان كثير العناية بامور السلطان محمد والتقوية له والشد منه على اخيه بركيارق حتى انه جاهر بركيارق بالعداوة ولم يبرح على مصافاة السلطان محمد وزاده محمد اقطاعا من جملته مدينة واسط واذن له فى اخذ البصرة ثم افسد ما بينهما العميد ابو جعفر محمد بن حسين البلخى وقال فى جملة ما قال عنه ان صدقة قد عظم امره وزاد حاله وكثر ادلاله وتبسطه فى الدولة وحمايته كل من يفر اليه من عند السلطان وهذا لا تحتمله الملوك لا ولادهم ولو ارسلت بعض اصحابك الى بلاده وامواله ثم انه تعدى ذلك حتى طعن فى اعتقاده ونسبه واهل بلده الى مذهب الباطنية وكذب وانما كان مذهبه التشيع لا غير ووافق ارغون السعدى ابا جعفر العميد وانتهى ذلك الى صدقة وكانت زوجة ارغون بالحلة واهله ولم يؤاخذهم بشئ مما كان له ايضا هناك من بقايا خراج بلده فامر صدقة ان يخلص ذلك اليه باجمعه ويسلم الى زوجته واما سبب قتله فان صدقة كان كهفا لكل من يستجير به كل خائف من خليفة وسلطان وغيرهما وكان السلطان محمد قد سخط على ابى دلف سرخاب بن كيخسرو صاحب ساوة وآبة فهرب منه وقصد صدقة فاستجار به فاجاره فارسل السلطان يطلب من صدقة ان يسلمه الى نوابه فلم يفعل واجاب انى لا امكن منه بل احامى عنه واقول ما قاله ابو طالب لقريش لما طلبوا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم

ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن ابنائنا والحلائل

وظهر منه امور انكرها السلطان فتوجه الى العراق ليتلافى هذا الامر فلما سمع صدقة استشار اصحابه فى الذى يفعله فاشار عليه ابنه دبيس بان ينفذه الى السلطان ومعه الاموال والخيل والتحف ليستعطف له السلطان واشار سعيد بن حميد صاحب جيش صدقة بالمغار به وجمع الجند وتفريق المال فيهم واستطال فى القول فمال صدقة الى قوله وجمع العساكر واجتمع اليه عشرون الف فارس وثلاثون الف راجل فارسل اليه المستظهر بالله يحذره عاقبة امره وينهاه عن الخروج عن طاعة السلطان ويعرض له توسط الحال فاجاب صدقة انى على طاعة السلطان لكن لا آمن على نفسى فى الاجتماع به وكان الرسول بذلك عن الخليفة نقيب النقباء على بن طراد الزينبى ثم ارسل السلطان اقضى القضاة ابا سعيد الهروى الى صدقة يطيب قلبه ويزيل خوفه ويامره بالانبساط على عادته ويعرفه عزمه على قصد الفرنج ويامره بالتجهز للغزاة معه فاجاب ان السلطان قد افسد اصحابه قلبه على وغيروا لى ما كان عليه فى حقى من الانعام وذكر ما سلف من خدمته ومناصحته وقال سعيد بن حميد صاحب جيشه لم يبق لنا الى صلح السلطان مطمع ولترين خيولنا بحلوان وامتنع صدقة من الاجتماع بالسلطان ووصل السلطان الى بغداد فى العشرين من ربيع الآخر ومعه وزيره نظام الملك احمد بن نظام الملك وسير ابرسق شحنة بغداد فى جماعة من الامراء الى صرصر فتزلوا بها وكان وصول السلطان جريدة لا يبلغ عسكره الفى فارس فلما تيقن بغداد مكاتبة صدقة وصل الى الامراء يامرهم بالوصول اليه والجد فى السير فلما ذلك قد ردنا اليه من كل

فيه عزل الباشا السيد المحروق عن نظارة الضربخانة ونصب بها شخصا من اقاربه (وفى ثالث عشره) نزل والى الشرطة وامامه المناداة على ما يستقرضه الناس من العسكر بالربا والزيادة على ان يكون على كل كيس ستة عشر قرشا فى كل شهر لا غير والكيس عشرون ألف نصف فضة وهو الكيس الرومى وذلك بسبب ما انكسر على المحتاجين والمضطرين من الناس من كثرة الربا والضيق المعاش وانقطاع المكاسب وغلو الاسعار وزيادة المكوس فيضطر الشخص الى الاستدانة فلا يجد من يداينه من أهل البلد فيستدين من احد العسكر ويحسب عليه على كل كيس خمسين قرشا فى كل شهر واذا قصرت يد المديون عن الوفاء أضاف الزيادة على الاصل وبطول الزمن تفحش الزيادة ويؤل الامر لكشف حال المديون وجرى ذلك على كثير من مساتير الناس وباعوا املاكهم ومتاعهم ولبعض من ضاق به الحال ولم يجد شيئا خرج هاربا وترك اهله وعياله خوفا من العسكرى وميلا فى منعه وربما قتله فعرض بعض المديونين الى الباشا فامر بكتابة هذا البيورلدى ونزل به والى الشرطة ونادى به فى الاسواق فعد ذلك من غرائب الاحكام حيث ينادى على الربا جهارا

جانب ثم وصل كتاب صدقة الى الخليفة فى جمادى الاولى يذكر انه واقف عند ما يرسم له و يقرره من حاله مع السلطان ومهما امرته من ذلك امتثله فانفذ الخليفة الكتاب الى السلطان فقال السلطان انا ممتثل ما يامر به الخليفة ولا مخالفة عندى فارسل الخليفة الى صدقة يعرفه اجابة السلطان الى ما طلب منه و يامره بانفاذ ثقته ليستوثق له و يحلف السلطان على ما يقع الاتفاق عليه فعاد صدقة عن ذلك الراى وقال اذا رحل السلطان عن بغداد امددته بالمال والرجال وما يحتاج اليه فى الجهاد واما الآن وهو ببغداد وعسكره بنهر الملك فما عندى مال ولا غيره وان جاولى سقاوو وايلغازى بن ارتق قد ارسلا الى بالطاعة لى والموافقة معى على محاربة السلطان وغيره ومتى اردتهما وصلا الى فى عساكرهما وورد الى السلطان قرواش بن شرف الدولة وكرماوى بن خرسان التركمانى وأبو عمران فضل بن ربيعة بن حازم بن الجراح الطائى وآباؤه كانوا اصحاب البلقاء والبيت المقدس منهم حسان بن المفرج الذى مدحه التهامى وكان هذا تارة مع الفرنج وتارة مع المصريين فلما رآه طغتكين اتابك على هذه الحال طرده من الشام فلما طرده التجأ الى صدقة وعاقده فاكرمه صدقة واهدى له هدايا كثيرة منها سبعة آلاف دينار عينا فلما كانت هذه الحادثة بين صدقة والسلطان فارق الحلة ثم هرب الى السلطان فلما وصل خلع عليه وعلى اصحابه وانزله بدار صدقة ببغداد فلما سار السلطان الى قتال صدقة استاذنه فضل فى اتيان البرية ليمنع صدقة من الهرب ان اراد ذلك فاذن له فعبر بالانبار وكان آخر العهد به وانفذ السلطان فى جمادى الاولى الى واسط الامير محمد بن بوقا التركمانى فاخرج عنها نائب صدقة وأمن الناس كلهم الا اصحاب صدقة فتفرقوا ولم ينهب احد وانفذ خيله الى بلد قوسان وهو من اعمال صدقة فنهبه اقبح نهب واقام عدة ايام فارسل صدقة اليه ثابت ابن سلطان وهو ابن عم صدقة ومعه عسكر فلما وصلوا اليها خرجت منها الاتراك واقام ثابت بها وبينه وبينهم دجلة ثم ان ابن بوقا عبر جماعة من الجند ارتضاهم وعرف شجاعتهم فوقفوا على موضع مرتفع على نهر سالم يكون ارتفاعه نحو خمسين ذراعا فقصدهم ثابت وعسكره لم يقدروا يقربون الترك من النشاب والمدد ياتيهم من ابن بوقا وجرح ثابت فى وجهه وكثر الجراح فى اصحابه فانهزم هو ومن معه وتبعهم الاتراك فقتلوا منهم واسروا ونهب طائفة من الترك مدينة واسط واختلط بهم رجالة ثابت فنهبت معهم فسمع ابن بوقا الخبر فركب اليهم ومنعهم وقد نهبوا بعض البلد ونادى فى الناس بالامان واقطع السلطان اواخر جمادى الاولى مدينة واسط لقسيم الدولة البرسقى وامر ابن بوقا بقصد بلد صدقة ونهبه فنهبوا فيه ما لا يحد واما السلطان محمد فانه سار عن بغداد الى الزعفرانية ثانى جمادى الآخرة فارسل اليه الخليفة وزيره مجد الدين بن المطلب يامره بالتوقف وترك العجلة خوفا على الرعية من القتل والنهب واشار قاضى اصبهان بذلك واتباع امر الخليفة فاجاب السلطان الى ذلك فارسل الخليفة الى صدقة نقيب النقباء على ابن طراد وجمال الدولة مختصا الخادم فسارا الى صدقة فابلغاه رسالة الخليفة يامره بطاعة

فى الاسواق من غير احتشام ولا مبالاة لانهم لا يرون ذلك عيبا فى عقيدتهم (وفى رابع عشرينه) غضب الباشا على محو بك الكبير الذى كان كاشفا بالبحيرة ونفاه الى ابى قير واخذ امواله وانعم ببيته وهو بيت حسين اغا شنن بحارة عابدين وما بها من الخيل والجمال والجوار والخيام والمتاع على محو بك الصغير الاورفلى

(واستهل شهر ذى الحجة بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٣)

فيه وصلت الاخبار من اسلامبول بوقوع فتنة عظيمة وانه لما حصل ما حصل فى منتصف السنة من دخول مصطفى باشا البيرقدار على الصورة المذكورة وقتل السلطان سليم وتولية السلطان محمود وخذلان الينكجرية وقتلهم ونفيهم وتحكم مصطفى باشا فى أمور الدولة واستمر من بقى منهم تحت الحكم فاجمعوا امرهم ومكروا مكرهم وحذره بعضهم مصطفى باشا من المذكورين فلم يكترث بذلك واستهون امرهم واحتقر جانبهم وقال اى شئ هؤلاء مناولرى يعنى انهم بياعون الفاكهة فكان حاله كما قيل

فلا تحتقر كيد العدو فربما
تموت الافاعى من سموم العقارب

ثم انهم تحزبوا وحضروا الى سرايته على حين غفلة بعد السحور ليلة السابع والعشرين من رمضان وجماعته وطائفته متفرقون فى اماكنهم فخرقوا ابواب السرايه وكبسوا عليه فقتل من قتل من اتباعه وهرب من هرب على جبهة

السلطان وينهاه عن المخالفة فاعتذر صدقة وقال ما خالفت الطاعة ولا قطعت الخطبة
في بلدي وجهز ابنه دبيسا للسير معهما الى السلطان فبينما الرسل وصدقة في هذا
الحديث اذ ورد الخبر ان طائفة من عسكر السلطان قد عبروا من مطيراباذ وان الحرب
بينهم وبين اصحاب صدقة قائمة على ساق فتجلد صدقة لاجل الرسل وهو يشتهي الركوب
الى اصحابه خوفا عليهم وكان الرسل اذا سمعوا ذلك ينكرونه لانهم قد تقدموا الى العسكر
عند عبورهم عليهم انه لا يتعرض احد منهم الى حرب حتى نعود فان الصلح قد قارب
فقال صدقة للرسول كيف اثق ارسل ولدي الآن وكيف آمن عليه وقد جرى ما ترون
فان تكفلتم برده الى انفذته فلم يقدروا على كفالته فكتبا الى الخليفة يعتذرون
انفاذ ولده بما جرى وكان سبب هذه الوقعة ان عسكر السلطان لما راوا الرسل اعتقدوا
وقوع الصلح فقال بعضهم الرأي اننا ننهب شيئا قبل الصلح فاجاب البعض وامتنع
البعض فعبر من اجاب النهر ولم يتاخر من لم يجب انلا ينسب الى خور وجبن وانلا يتم على من
عبروه فيكون عاره واذاه عليهم فعبر وابدهم ايضا فاتاهم اصحاب صدقة وقاتلوهم
فكانت الهزيمة على الاتراك وقتل منهم جماعة كثيرة واسر جماعة من اعيانهم وكثير من
غيرهم وغرق جماعة منهم الامير محمد بن باغيسيان الذي كان ابوه صاحب انطاكية
وكان عمره نيفا وعشرين سنة وكان محبا للعلماء واهل الدين وبنى باقطاعه من
اذربيجان عدة مدارس ولم يجسر الاتراك يعرفون السلطان بما اخذ منهم من الاموال
والدواب خوفا منه حيث فعلوا ذلك بغير امره وطمع العرب بهذه الهزيمة وظهر منهم
الفخر والتيه والطمع واظهروا انهم باعوا كل اسير بدينار وان ثلاثة باعوا اسيرا
بخمسة قراريط واكلوا بها خبزا وهريسة وجعلوا ينادون من يتغدى باسير ويتعشى
بآخر فظهر من الاتراك اضطراب عظيم واعاد الخليفة مكاتبة صدقة بتقرير امر الصلح
فاجاب انه لا يخالف ما يؤمر به وكتب صدقة ايضا الى السلطان يعتذر مما نقل عنه
ومن الحرب التي كانت بين اصحابه وبين الاتراك وان جند السلطان عبرت الى اصحابه
فمنعوا عن انفسهم بغير علمه وانه لم يحضر الحرب ولم ينزع يداه ن طاعة ولا قطع خطبته
من بلده ولم يكن صدقة كاتبه قبل هذا الكتاب فارسل الخليفة نقيب النقباء
واباسعد الهروي الى صدقة فقصد السلطان اولا واخذا يده بالامان لمن يقصده من
اقارب صدقة فلما وصلا الى صدقة وقالا له عن الخليفة ان اصلاح قلب السلطان
موقوف على اطلاق الاسرى ورد جميع ما اخذ من العسكر المنهزم فاجاب اولا بالخضوع
والطاعة ثم قال لو قدرت على الرحيل من بين يدي السلطان لفعلت لكن ورائي من
ظهري وظهر ابي وجدي ثلثمائة امرأة ولا يحملهن مكان ولو علمت انني اذا جئت
السلطان مستسلما قبلني واستخدمني لفعلت لكني اخاف انه لا يقيل عثرتي ولا يعفو
عن زلتي واما النهب فان الخلق كثير وعندي من لا اعرفه وقد نهبوا ودخلوا البر فلا
طاقة لي عليهم ولكن ان كان السلطان لا يعارضني فيما في يدي ولا فيمن اجوبه وان
يقرر خاص بن كيغمر وعلى اقطاعه مبادرة وان يتقدم الى ابن بوقا بالكف عن نهب من

واختنق مصطفى باشا في سرداب فلم يجدوه واوقدوا بالسراية الحرق والهدم

والنهب وخاف السلطان لان
سراية الوزير تجاه باب السراية
السلطانية ففتح باب السراية
التي بناحية البحر وارسل
يستعجل قاضي باشا بالحضور
وكذلك قبودان باشا حضرا
الى السراية واشتد الحرب
بين الفريقين واكثر
الينكجرية من الحريق في
البلدة حتى احرقوا منها جانبا
كبيرا فلما عاين السلطان
ذلك هاله وخاف من عموم
حريق البلدة وهو ومن معه
محصورون بالسراية يوم
وليلة فلم يسعه الا الاخذ في الامر
فراسل كبار الينكجرية
وصالحهم وابطلوا الحرب
وشرعوا في اطفاء الحريق
وخرج قاضي باشا هاربا
وكذلك قبودان باشا وهو
عبد الله رازافندي الذي
كان في ايام الوزير بمصر ثم
انهم اخرجوا مصطفى باشا من
المكان الذي اختنق فيه ميتا
من تحت الردم وسحبوه من
رجليه الى خارج وعلقوه في
شجرة ومثلوا به واكثروا
على رمته من العثرية وعند
وقوع هذه الحادثة وتجيء
قاضي باشا وكان من اغراض
السلطان مصطفى المنفصل
خاف السلطان ان قاضي باشا
ان غلب على الينكجرية فيعزله
ويولي اخاه ويرده الى السلطنة
فقتل السلطان محمود اخاه

مصطفى خنقا ثم لما سكن الحال عينوا على قاضي باشا وقتلوه و... ذلك عبد الله افندي راز قبودان باشا وكا

بلادي وان يخرج وزير الخليفة بخلافه بما اتفق اليه من الايمان على المحافظة فيما بيني وبينه فحينئذ اخدم بالمال وأدوس بساطه بعد ذلك فعادوا بهذا ومعهم أبو منصور بن معروف ورسول صدقة فردهم الخليفة وارسل السلطان معهم قاضي اصبهان أبا اسمعيل فاما ابو اسمعيل فلم يصل اليه رعاد من الطريق وأصر صدقة على القول الاول فحينئذ سار السلطان ثامن رجب من الزعفرانية وسار صدقة في عساكره الى قرية مطر وأمر جنده بلبس السلاح واستأمن ثابت بن سلطان بن دبيس بن علي بن مزيد وهو ابن عم صدقة الى السلطان محمد وكان يحسد صدقة وهو الذي تقدم ذكره انه كان بواسط فاكرمه السلطان واحسن اليه ووعده الاقطاع ووردت العساكر الى السلطان منهم بنو برسق وعلاء الدولة ابو كاليجار كرشاسب بن علي بن فرامرز ابي جعفر بن كاكويه وآباؤه كانوا أصحاب اصبهان وفرامرز هو الذي سلمها الى طغرلبك وقتل ابوه مع تتش وعبر عسكر السلطان دجلة ولم يعبر هو وصار وامع صدقة على ارض واحدة بينهما نهر والتقوا تاسع عشر رجب وكانت الريح في وجوه اصحاب السلطان فلما التقوا صارت في ظهورهم وفي وجوه اصحاب صدقة ثم ان الاتراك رموا بالنشاب فكان يخرج في كل رشقة عشرة آلاف نشابة فلم يبق منهم الا في فرس او فارس وكان اصحاب صدقة كلما حملوا منعهم النهر من الوصول الى الاتراك والنشاب ومن عبر منهم لم يرجع وتقاعدت عبادة وخفاجة وجعل صدقة ينادي يا آل خزيمة يا آل ناشرة يا آل عوف ووعد الاكراد بكل جميل لما ظهر من شجاعتهم وكان راكبا على فرسه المهلوب ولم يكن لاحد مثله فجرح الفرس ثلاث جراحات واخذه الامير احمديل بعد قتل صدقة فسيره الى بغداد في سفينة فمات في الطريق وكان لصدقة فرس آخر قد ركبه حاجبه ابو نصر بن تفاحة فلما رأى الناس وقد غشوا صدقة هرب عليه فناداه صدقة فلم يجبه وحمل صدقة على الاتراك فضربه غلام منهم على وجهه فشوهه وجعل يقول انا ملك العرب انا صدقة فاصابه سهم في ظهره وادركه غلام اسمه برغش كان اشل فتعلق به وهو لا يعرفه وجذبه عن فرسه فسقطا الى الارض هو والغلام فعرفه صدقة فقال يا برغش ارفق فضربه بالسيف فقتله واخذ راسه وحمله الى البرسقي فحمله الى السلطان فلما رآه عانقه وامر لبرغش بصلة وبقي صدقة طريحا الى ان سار السلطان فدفنه انسان من المدائن وكان عمره تسعا وخمسين سنة وكانت امارته احدى وعشرين سنة وحمل راسه الى بغداد وقتل من اصحابه ما يزيد على ثلاثة آلاف فارس فيهم جماعة من اهل بيته وقتل من بني شيبان خمسة وتسعون رجلا واسر ابنه دبيس بن صدقة واسر سرخاب بن كيخسرو الديلمي الذي كانت هذه الحرب بسببه فاحضر بين يدي السلطان فطلب الامان فقال قد عاهدت الله اني لا اقتل اسيرا فان ثبت عليك انك باطني قتلتك واسر سعيد بن حميد العمري صاحب جيش صدقة وهرب بدران بن صدقة الى الحلة فاخذ من المال وغيره ما امكنه وسير امه ونساءه الى البطيحة الى مهذب الدولة ابي العباس احمد بن ابي الجبر وكان بدران صهر مهذب الدولة على ابنته

بعد ترعة الفرعونية وتعين لذلك شخص يسمى عثمان السلانكلي الذي كان باشر اعلى جسر الاسكندرية (وفي منتصفه) سافر الباشا وصحبته حسن باشا لمباشرة الترعة التي يريدون سدها وأمر بسوق الاحجار وافردوا لذلك عدة كثيرة من المراكب تشحن بالاحجار والاخشاب الكثيرة وترجع فارغة وتعود موسوقة في كل يوم مرة وامر بجمع الرجال من القرى للعمل (وفيه) ايضا شرع الباشا في انشاء ابنية بساحل شبرا الشهيرة الآن بشبرا المكاسة واشيع ان قصده انشاء سواقي وعمائر وبساتين ومزارع واخذ في الاستيلاء على ما يحاذي ذلك من القرى بالاطيان والرزق والاقطاعات من ساحل شبرا الى جهة بركة الحاج عرضا (وفي سابع عشره) خرجت عساكر كثيرة الى البر الغربي بقصد الذهاب الى الفيوم صحبة شاهين بك والالفية بسبب اولاد علي الذين كانوا بالبحيرة (وفي ثاني عشرينه) وصل واحد ططري واشيع انه طلع من بولاق وذهب الى بيت الباشا وعلى يده مرسومان احدهما تقرير للباشا على ولاية مصر والثاني يذكر فيه ان يوسف باشا المعدني الصدر السابق تعين بالسفر على جهة الشام لتنظيم بلاد العرب والحجاز وتهيب

ونهب من الاموال ما لا حد له وكان له من الكتب المنسوبة الخط شئ كثير الوف مجلدات وكان يحسن يقرأ ولا يكتب وكان جوادا حليما صدوقا كثير البر والاحسان ما برح ملجأ لكل ملهوف يلقى من يقصده بالبر والتفضل ويبسط قاصديه ويزورهم وكان عادلا والرعايا معه في امن ودعة وكان عفيفا لم يتزوج على امرأته ولا تسرى عليها فما ظنك بغير هذا ولم يصادر احدا من نوابه ولا اخذهم باساءة قديمة وكان اصحابه يودعون اموالهم في خزانته ويدلون عليه ادلال الولد على الوالد ولم يسمع برعية احبت اميرها كحب رعيته له وكان متواضعا محتملا يحفظ الاشعار ويبادر الى النادرة رحمه الله فقد كان من محاسن الدنيا وعاد السلطان الى بغداد ولم يصل الى الحلة وارسل الى البهجة امان الزوجة صدقة وامرها بالظهور فاصعدت الى بغداد فاطلق السلطان ابنها دبيسا وانفذ معه جماعة من الامراء الى لقائها فلما لقيها ابنها بكيا بكاء شديدا ولما وصلت الى بغداد احضرها السلطان واعتذر من قتل زوجها وقال وددت انه حمل الى حتى كنت افعل معه ما يعجب الناس به من الجميل والاحسان لكن الاقدار غلبتني واستحلف ابنها دبيسا انه لا يسعى بفساد

(ذكر وفاة تميم بن المعز صاحب افريقية وولاية ابنه يحيى)

في هذه السنة في رجب توفي تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية وكان شهما شجاعا ذكيا له معرفة حسنة وكان حليما كثير العفو عن الجرائم العظيمة وله شعر حسن فمنه انه وقع حرب بين طائفتين من العرب وهما عدي ورياح فقتل رجل من رياح ثم اصطلحوا واهدروا دمه وكان صلحهم مما يضر به وببلاده فقال ابياتا يحرض على الطلب بدمه وهي

متى كانت دماؤكم تطل * اما فيكم بثار مستقل

اغانم ثم سالم ان فشلتم * فما كانت اوائلكم تذل

ونمتم عن طلاب الثار حتى * كأن العز فيكم مضمحل

وما كسرتم فيها العوالي * ولا بيض تفل ولا تسل

فعمد اخوة المقتول فقتلوا اميرا من عدي واشتد بينهم القتال وكثرت القتلى حتى اخرجوا بني عدي من افريقية قيل انه اشترى جارية بثمن كثير فبلغه ان مولاها الذي باعها ذهب عقله واسف على فراقها فاحضره تميم بين يديه وارسل الجارية الى داره ومعها من الكسوات والاواني الفضة وغيرها ومن الطيب وغيره شئ كثير ثم امر مولاها بالانصراف وهو لا يعلم بذلك فلما وصل الى داره ورآها على تلك الحال وقع مغشيا عليه لكثرة سروره ثم افاق فلما كان الغد اخذ ثمن وجميع ما كان معها ووجهه الى دار تميم فانتهره وامره باعادة جميع ذلك الى داره وكان له في البلاد اصحاب اخبار يجرد عليهم ارزاقا سنية ليطالعوه باحوال اصحابه لئلا يظلموا الناس فكان بالمهدية تاجر له ثروة فذكر في بعض الايام التجار تميما ودعوا له وذلك التاجر حاضر فترحم على ابيه المعز

انه يقوم عند علي باشا باللوازم ومونة ما يحتاج اليه من ادوات وتجهيز فيه ونحو ذلك ولم يظهر لذلك الكلام اثر ولما اصبح النهار وحضر فلك القابجي في موكب الى بيت الباشا وحضر الاشياخ والاعيان وكان الباشا ثانيا في الترجمة كما تقدم وعوضه كتخدا بك وا كابر دولتهم وقرئت المراسيم تحقق الخبر وانقضت السنة وحوادثها التي لا يمكن ضبط جزئياتها لعدم الوقوف على حقيقتها (فمن الحوادث العامة) توالي الفرض والمظالم المتوالية واحداث انواع المظالم على كل شئ والتزايد فيها واستمرار الغلاء في جميع اسعار المبيعات والمآكل والمشارب بسبب ذلك وفقر اهل القرى وبيعهم لمواشيهم في المغارم فقل اللحم والسمن والجبن واخذوا مواشيهم واغنامهم من غير ثمن في الكلف ثم رميها على الجزارين باغلى ثمن ولا يذبحونها الا في المذبح ويؤخذ منهم اسقاطها وجلودها ورؤسها ورواتب الباشا واهل دولته ثم يذهبون بما يبقى لهم لحوانيتهم فتباع على اهل البلد باغلى ثمن حتى يخلص للجزار راس ماله واذا عثر على جزار ذبح شاة اشتراها في غير المذبح قبض عليه واشهره واخذ ما في حانوته من اللحم من غير ثمن ثم يحبس ويضرب ويغرم مالا ولا يعرف ذنبه ويسمى خائنا وفلاتيا

ومنها انقطاع الحج الشامي والمصري معتلين بمنع الوهابي الناس عن الحج والحال ليس كذلك فانه لم يمنع احدا ياتي

ولم يذكره فرفع ذلك الى تميم فاحضره الى قصره وسأله هل ظلمتك فقال لا قال فهل ظلمك بعض اصحابي قال لا قال فلم اطلقت لسانك امس بذمي فسكت فقال لولا ان يقال شره في ماله لقتلتك ثم امر به فصفع في حضرته قليلا ثم اطلقه فخرج واصحابه ينتظرونه فسألوه عن خبره فقال اسرار الملوك لا تذاع فصارت بافريقية مثلا ولما توفي كان عمره تسعا وسبعين سنة وكانت ولايته ستا واربعين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما وخلف من الذكور ما يزيد على مائة ومن البنات ستين بنتا ولما توفي ملك بعده ابنه يحيى بن تميم وكانت ولادته بالمهدية لاربع بقين من ذي الحجة سنة سبع وخمسين واربعمائة وكان عمره حين ولي ثلاثا واربعين سنة وستة أشهر وعشرين يوما ولما ولي فرق اموالا جزيلة واحسن السيرة في الرعية

(ذكر ملك يحيى قلعة قليبية)

لما ملك يحيى بن تميم بعد ابيه جرد عسكرا كثيفا الى قلعة قليبية وهي من احصن قلاع افريقية فنزل عليها وحصرها حصارا شديدا ولم يبرح حتى فتحها وحصنها وكان ابوه تميم قد رام فتحها فلم يقدر على ذلك ولم يزل مظفرا منصورا لم يهزم له جيش

(ذكر قدوم ابن عمار بغداد مستنفرا)

في هذه السنة في شهر رمضان ورد القاضي فخر الملك أبو علي بن عمار صاحب طرابلس الشام الى بغداد قاصدا باب السلطان محمد مستنفرا على الفرنج طالبا تسيير العساكر لازاحتهم والذي حثه على ذلك انه لما طال حصر الفرنج لمدينة طرابلس على ما ذكرناه ضاقت عليه الاقوات وقلت واشتد الامر عليه وعلى أهل البلد فنصرهم الله عليهم سنة خمسمائة بميرة في البحر من جزيرة قبرس وانطاكية وجزائر البنادقة فاشتدت قلوبهم وقووا على حفظ البلد بعد ان كانوا استسلموا فلما بلغ فخر الملك انتظام الامور للسلطان محمد وزوال كل مخالف رأى لنفسه وللمسلمين قصده والانتصار به فاستناب بطرابلس ابن عمه ذا المناقب وأمره بالمقام بها ورتب معه الاجناد برا وبحرا واعطاهم جامكية ستة أشهر سلفا وجعل كل موضع الى من يقوم بحفظه بحيث أن ابن عمه لا يحتاج الى فعل شيء من ذلك وسار الى دمشق فاظهر ابن عمه الخلاف له والعصيان عليه ونادى بشعار المصريين فلما عرف فخر الملك ذلك كتب الى أصحابه يامرهم بالقبض عليه وحمله الى حصن الخوابي ففعلوا ما أمرهم وكان ابن عمار قد استصحب معه من الهدايا ما لم يوجد عند ملك مثله من الاعلاق النفيسة والاشياء الغريبة والخيل الرائقة فلما وصل لقيه عسكرها وطغتكين اتابك وخيم على ظاهر البلد وسأله طغتكين الدخول اليه فدخل يوما واحدا الى الطعام وادخله حمامه وسار عنها ومعه ولد طغتكين يشيعه فلما وصل الى بغداد أمر السلطان كافة الامراء بتلقيه واكرامه وارسل اليه شبارته وفيها دسته الذي يجلس عليه ليركب فيها فلما نزل اليها قعد بين يدي موضع السلطان فقال له من بها من خواص السلطان قد مرنا ان يكون جلوسك في دست السلطان فلما دخل على السلطان

التجمع على الطريقة المشروعة وانما يمنع من يأتي بخلاف ذلك من البدع التي لا يجيزها الشرع مثل المحمل والطبل والزمر وحمل الاسلحة وقد وصل طائفة من حجاج المغاربة وحجوا ورجعوا في هذا العام وما قبله ولم يتعرض لهم احد بشيء ولما امتنعت قوافل الحج المصري والشامي وانقطع عن أهل المدينة ومكة ما كان يصل اليهم من الصدقات والعلائف والصرر التي كانوا يتعيشون منها خرجوا من أوطانهم باولادهم ونسائهم ولم يمكث الا الذي ليس له ايراد من ذلك واتوا الى مصر والشام ومنهم من ذهب الى اسلامبول يشتكون من الوهابي ويستغيثون بالدولة في خلاص الحرمين لتعود لهم الحالة التي كانوا عليها من اجراء الارزاق واتصال الصلات والنيابات والخدم في الوظائف التي باسماء رجال الدولة كالفراشة والكناسة ونحو ذلك ويذكرون ان الوهابي استولى على ما كان بالحجرة الشريفة من الذخائر والجواهر ونقلها واخذها فيرون ان أخذه لذلك من الكبائر العظام وهذه الاشياء أرسلها ووضعها خساف العقول من الاغنياء والملوك والسلاطين الاعاجم وغيرهم اما حرصا على الدنيا وكراهة ان ياخذه من يأتي بعدهم او لنوائب الزمن فتكون مدخرة ومحفوظة لوقت الاحتياج اليها فيستعان بها على الجهاد ودفع الاعداء فلما تقادمت عليها الازمنة وتوالت عليها السنين

اجلسه

اجلسه واكرمه واقبل عليه بحديثه وسير الخليفة خواصه وجماعة ارباب المناصب فلقوه وانزله الخليفة واجرى عليه الجراية العظيمة وكذلك ايضا فعل السلطان وفعل معه ما لم يفعل مع الملوك الذين معهم امثاله وهذا جميعه ثمرة الجهاد في الدنيا ولاجر الآخرة اكبر ولما اجتمع بالسلطان قدم هديته وساله السلطان عن حاله وما يعانيه في مجاهدة الكفار ويقاسيه من ركوب الخطوب في قتالهم فذكر له حاله وقوة عدوه وطول حصره وطلب النجدة وضمن انه اذا سيرت العساكر معه اوصل اليهم جميع ما يلتمسونه فوعده السلطان بذلك بحضر دار الخلافة وذكر ايضا نحو ما ذكره عند السلطان وحمل هدية جميلة نفيسة وأقام الى أن رحل السلطان عن بغداد في شوال فاحضره عنده بالنهروان وقد تقدم الى الامير حسين بن أتابك قتلغتكين ليسير معه العساكر التي سيرها الى الموصل مع الامير مودود لقتال جاولي سقاوو ليمضوا معه الى الشام وخلع عليه السلطان خلعا نفيسة واعطاه شيئا كثيرا وودعه وسار ومعه الامير حسين فلم يجد ذلك نفعا وكان ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى ثم ان فخر الملك بن عمار عاد الى دمشق منتصف المحرم سنة اثنتين وخمسمائة فقام بها اياما وتوجه منها مع العسكر من دمشق الى جبلة فدخلها واطاعه اهلها واما اهل طرابلس فانهم راسلوا الافضل امير الجيوش بمصر يلتمسون منه واليا يكون عندهم ومعه الميرة في البحر فسير اليهم شرف الدولة بن ابي الطيب واليا ومعه الغلة وغيرها مما يحتاج اليه البلاد في الحصار فلما صار فيها قبض على جماعة من اهل ابن عمار واصحابه وأخذ ما وجده من ذخائره وآلاته وغير ذلك وحمل الجميع الى مصر في البحر

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في شعبان أطلق السلطان محمد الضرائب والمكوس ودار البيع والاجتيازات وغير ذلك مما يناسبه بالعراق وكتبت به الالواح وجعلت في الاسواق وفيها في شهر رمضان ولي القاضي ابو العباس بن الرطبي الحسبة ببغداد وفيها ايضا عزل الخليفة وزيره مجد الدين بن المطلب برسالة من السلطان بذلك ثم اعيد الى الوزارة باذن السلطان وشرط عليه شروطا منها العدل وحسن السيرة وان لا يستعمل أحدا من أهل الذمة وفيها عاد الاصبهبذ صباوو من دمشق وكان هرب عند قتل اياز فلما قدم اكرمه السلطان واقطعه رحبة مالك بن طوق وفيها سابع شوال خرج السلطان الى ظاهر بغداد عازما على العود الى اصبهان وكان مقامه هذه المرة خمسة شهور وسبعة عشر يوما وفيها في ذي الحجة احترقت خرابة ابن جردة فهلك فيها كثير من الناس واما الامتعة والاموال واثاث البيوت فنهبت نهبا لا حد له وخلص خلق بنقب نقبوه في سور المقبرة الى مقبرة باب ابرز وكان بها جماعة من اليهود فلم ينقلوا شيئا لتمسكهم بسبتهم وكان بعض اهله قد عبروا الى الجانب الغربي للفرجة على عادتهم في السبت الذي يلي العيد فعادوا فوجدوا بيوتهم قد خربت واهلهم قد احترقوا واموالهم قد هلكت فتبع ذلك

والاعوام الكثيرة وهي في الزيادة ارتصدت معنى لاحقيقة وارتسم في الاذهان موهمة تمنا ولها وانها صارت مالا للنبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لاحد أخذها ولا انفاقها والنبي عليه الصلاة والسلام منزه عن ذلك ولم يدخر شيئا من عرض الدنيا في حياته وقد اعطاه الله الشرف الاعلى وهو الدعوة الى الله تعالى والنبوة والكتاب واختار ان يكون نبيا عبدا ولم يختر أن يكون نبيا ملكا (وثبت) في الصحيحين وغيرهما انه قال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا (وروى) الترمذي بسنده عن ابي أمامة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت لا يارب ولكن أشبع يوما واجوع يوما أو قال ثلاثا او نحو ذلك فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك ثم ان كانوا وضعوا هذه الذخائر والجواهر صدقة على الرسول وعترته فهو فاسد لقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدقة لا تنبغي لآل محمد انما هي اوساخ الناس ومنع بني هاشم من تناول الصدقة وحرمها عليهم والمراد الانتفاع في حال الحياة لا بعدها فان المنان او جده المولى سبحانه وتعالى من امور الدنيا لا من امور الآخرة قال تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد وهو من جملة السبعة التي ذكرها الله

حريق في صدة اماكن منها درب القيار وقراح ابن رزين فارتاع الناس لذلك وابطلوا معايشهم واقاموا ليلا ونهارا يحرسون بيوتهم في الدروب وعلى السطوح وجعلوا عندهم الماء المعد لاطفاء النار فظهران سبب هذا الحريق ان جارية احبت رجلا فوافقته على المبيت عندها في دار مولاها سرا واعدت له ما يسرقه اذا خرج ويأخذها هي ايضا معه فلما اخذها طرحا النار في الدار وخرجا فاظهر الله عليهما وبحل الفضيحة لهما فاخذا وحبسا وفيها جمع بغدوين ملك الفرنج عسكره وقصد مدينة صور وحصرها وامر ببناء حصن عندها على تل المعشوقة واقام شهرا محاصرا لها فصانعه واليها على سبعة آلاف دينار فاخذها ورحل عن المدينة وقصد مدينة صيدا فحصرها برا وبحرا ونصب عليها البرج الخشب ووصل الاسطول المصري في الدفع عنها والحماية لمن فيها فقاتلهم اسطول الفرنج فظهر المسلمون عليهم فاتصل بالفرنج مسير عسكر دمشق نجدة لاهل صيدا فرحلوا عنها بغير فائدة وفيها ظهر كوكب عظيم له ذوائب فبقي ليالي كثيرة ثم غاب * وتوفي في هذه السنة في شعبان ابراهيم بن عباس بن مهدي ابو اسحق القشيري الدمشقي سمع الحديث الكثير من الخطيب البغدادي وغيره وتوفي في ذي القعدة ابو سعيد اسمعيل بن عمرو بن محمد النيسابوري المحدث كان يقرأ الحديث الغريب قرأ صحيح مسلم على عبد الغافر الفارسي عشرين مرة

*(ثم دخلت سنة اثنتين وخمسمائة)

(ذكر استيلاء مودود وعسكر السلطان على الموصل وولاية مودود)

في هذه السنة في صفر استولى مودود والعسكر الذي ارسله السلطان معه على مدينة الموصل واخذوها من اصحاب جاولي سقاوو وقد ذكرنا سنة خمسمائة استيلاء جاولي عليها وما جرى بينه وبين جكرمش والملك قلج ارسلان وهلاكهما على يده وصار معه بعد ذلك العسكر الكثير والعدة التامة والاموال الكثيرة وكان السلطان محمد قد جعل اليه ولاية كل بلد يفتحه فاستولى على كثير من البلاد والاموال وكان سبب اخذ البلاد منه انه لما استولى عليها وعلى الاموال الكثيرة منها لم يحمل الى السلطان منها شيئا فلما وصل السلطان الى بغداد لقصد بلاد سيف الدولة صدقة ارسل الى جاولي يستدعيه اليه بالعساكر وكرر الرسل اليه فلم يحضر وغالط في الانحدار اليه واظهر انه يخاف ان يجتمع به ولم يقنع بذلك حتى كاتب صدقة واظهر له انه معه ومساعده على حرب السلطان واطمعه في الخلاف والعصيان فلما فرغ السلطان من امر صدقة وقتله كما ذكرناه تقدم الى الامراء بني برسق وسكمان القطبي ومودود بن التونتكين وآقسنقر البرسقي ونصر بن مهلهل بن ابي الشوك الكردي وابي الهيجاء صاحب اربل بالمسير الى الموصل وبلاد جاولي واخذها منه فتوجهوا نحو الموصل فوجدوا جاولي عاصيا قد شيد سور الموصل واحكم ما بناه جكرمش واعد الميرة والاقوات والآلات واستظهر على الاعيان بالموصل فحبسهم واخرج من اهلها ما يزيد على عشرين الفا ونادى متى اجتمع

الفنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب فهذه السبعة بها تكون الحياة والقبح وليست هي في نفسها امورا مذمومة بل قد تكون معينة على الآخرة اذا صرفت في محلها (وعن مطرف) عن ابيه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ الهاكم التكاثر قال يقول ابن آدم مالي مالي فهل لك يا ابن آدم من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت الى غير ذلك ومحبة الرسول بتصديقه واتباع شريعته وسنته لا بمخالفة اوامره وكنز المال بحجرته وحرمان مستحقه من الفقراء والمساكين وباقي الاصناف الثمانية وان قال المدخر اكنزها لنوائب الزمان استعان بها على مجاهدة الكفار والمشركين عند الحاجة اليها قلنا قد رأينا شدة احتياج ملوك زماننا واضطرارهم في مصالحات المتغلبين عليهم من قرانات الافرنج وخلو خزائنهم من الاموال التي افنوها بسوء تدبيرهم وتفاخرهم ورفاهيتهم فيصالحون المتغلبين بالمقادير العظيمة في ... عدى الفرق من الافرنج المسالمين وهم واحتالوا على تحصيل المال من رعاياهم بزيادة المكوس تماميان

طامعان على الحديث فى هذا الامرة قتلتهما وخرج من البلد ونهب السواد وترك بالبلد زوجته ابنة برسق واسكنها القلعة ومعها الف وخمسمائة فارس من الاتراك سوى غيرهم وسوى الرجالة ونزل العسكر عليها فى شهر رمضان سنة احدى وخمسمائة وصادرت زوجته من بقى بالبلد وعسفت نساء الخارجين عنه وبالغت فى الاحتراز عليهم فاوحشهم ذلك ودعاهم الى الانحراف عنها وتوكل أهل البلد قتالا امتنا بها فتمادى الحصار باهلها من خارج والظلم من داخل الى آخر المحرم والجند بها يمنعون طامعا من القرب من السور فلما طال الامر على الناس اتفق نفر من الجصاصين ويقدمهم جصاص يعرف بسعدى على تسليم البلد وتحالفوا على التساعد وأتوا وقت صلاة الجمعة والناس بالجامع وصعدوا برجا واغلقوا ابوابه وقتلوا من به من الجند وكانوا نياما فلم يشعروا بشئ حتى قتلوا وأخذوا اسلاحهم والقوهم الى الارض وملكوا برجا آخر ووقعت الصيحة وقصدهم مائتا فارس من العسكر ورموهم بالنشاب وهم يقاتلون وينادون بشعار السلطان فزحف عسكر السلطان اليهم ودخلوا البلد من ناحيتهم وملكوه ودخله الامير مودود ونودى بالسكون والامن وان يعود الناس الى دورهم واملاكهم واقامت زوجة جاولى بالقلعة ثمانية أيام وراسلت الامير مودود فى ان يفرج لها عن طريقها وان يحلف لها على الصيانة والحراسة ففعل وخرجت الى اخيها برسق بن برسق ومعها اموالها وما استولت عليه وولى مودود الموصل وما يضاف اليها

(ذكر حال جاولى مدة الحصار)

واما جاولى فانه لما وصل عسكر السلطان الى الموصل وحصرها سار عنها واخذ معه القمص صاحب الرها الذى كان قد اسره سقمان واخذه منه جكرمش وقد ذكرنا ذلك وسار الى نصيبين وهى حينئذ للامير ايلغازى بن ارتق وراسله وساله الاجتماع به واستدعاه الى معاضدته وان يكونا يدا واحدة واعلمه ان خوفهما من السلطان ينبغى ان يجمعهما على الاحتماء منه فلم يجبه ايلغازى الى ذلك ورحل عن نصيبين ورتب بها ولده وامره بحفظها من جاولى وان يقاتله ان قصده وسار الى ماردين فلما سمع جاولى ذلك عدل عن نصيبين وقصد دارا وارسل الى ايلغازى ثانيا فى المعاونة وسار بعد الرسول فبينما رسوله عند ايلغازى بماردين لم يشعر الا وجاولى معه فى القلعة وحده فقصدان يتالفه ويستميله فلما رآه ايلغازى قام اليه وخدمه ولما راى جاولى محسنا الظن فيه غير مستشعر منه لم يجد الى دفعه سبيلا فنزل معه وعسكرا بظاهر نصيبين وساراً منها الى سنجار وحاصراها مدة فلم يجبهما صاحبها الى صلح فتركاها وسارا نحو الرحبة وايلغازى يظهر لجاولى المساعدة ويبطن الخلاف و ينتظر فرصة لينصرف عنه فلما وصلا الى عرابان من الخابور هرب ايلغازى ليلا وقصد نصيبين

(ذكر اطلاق جاولى للقمص الفرنجى)

لما هرب ايلغازى من جاولى سار جاولى الى الرحبة فلما وصل الى ماكسين اطلق

والمصادرات والطلبات والاستيلاء على الاموال بغير حق حتى افتقر والتجار وهو ربا باهم ولم ياخذوا من هذه المدخرات شيئا بل ربما كان عندهم او عند خوفهم جوهر نفيس من بقايا المدخرات فيرسلونه هدية الى الحجرة ولا ينتفعون به فى مهماتهم فضلا عن اعطائه لمستحقه من المحتاجين واذا صار فى ذلك المكان لا ينتفع به احد الا من يختلسه العبيد الخصيون الذين يقال لهم اغوات الحرم والفقراء من اولاد الرسول واهل العلم والمحتاجون وابناء السبيل يموتون جوعا وهذه الذخائر محجورة عليها ومنوعون منها الى ان حضر الوهابى واستولى على المدينة واخذ تلك الذخائر فيقال انه عبى اربعة سحاحير من الجواهر المحلاة بالالماس والياقوت العظيمة القدر ومن ذلك اربع شمعدانات من الزمرد وبدل الشمعة قضيب الماس مستطيل يضيء نورها فى الظلام ونحو مائة سيف قرابها ملبسة بالذهب الخالص ومنزل عليها الماس وياقوت ونصابها من الزمرد واليشم ونحو ذلك وسلاحها من الحديد الموصوف كل سيف منها لا قيمة له وعليها دمغات باسم الملوك والخلفاء السابقين وغير ذلك ومنها ان لما عزم على عمارة القراة التى تنقل الماء الى القلعة وقد خربت وتلاشى امرها

 ... وتهدمت ... درها ونقل ابه ... عليها من نحو عشرين سنة فقيد بعمارتها محمد

القمص الفرنجي الذي كان أسيرا بالموصل واخذه معه واسمه بردويل وكان صاحب الرها وسروج وغيرهما وبقي في الحبس الى الآن وبذل الاموال الكثيرة فلم يطلق فلما كان الآن أطلقه جاولي وخلع عليه وكان مقامه في السجن ما يقارب خمس سنين وقرر عليه ان يفدي نفسه بمال وان يطلق اسرى المسلمين الذين في سجنه وان ينجده متى اراد ذلك منه بنفسه وعسكره وماله فلما اتفقا على ذلك سير القمص الى قلعة جعبر وسلمه الى صاحبها سالم بن مالك حتى ورد عليه ابن خالته جوسلين وهو من فرسان الفرنج وشجعانها وهو صاحب تل باشر وغيرها وكان أسر مع القمص في تلك الوقعة ففدى نفسه بعشرين ألف دينار فلما وصل جوسلين الى قلعة جعبر أقام رهينة عوض القمص وأطلق القمص وسار الى انطاكية واخذ جاولي جوسلين من قلعة جعبر فاطلقه واخذ عوضه اخا زوجته واخا زوجة القمص وسيره الى القمص ليقوى به وليحثه على اطلاق الاسرى وانفاذ المال وما ضمنه فلما وصل جوسلين الى منبج اغار عليها ونهبها وكان معه جماعة من أصحاب جاولي فانكروا عليه ذلك ونسبوه الى الغدر فقال ان هذه المدينة ليست لكم

(ذكر ما جرى بين هذا القمص وبين صاحب انطاكية)

لما اطلق القمص وسار الى انطاكية اعطاه طنكري صاحبها ثلاثين الف دينار وخيلا وسلاحا وثيابا وغير ذلك وكان طنكري قد اخذ الرها من اصحاب القمص حين اسر فطلبه الآن في ردها عليه فلم يفعل فخرج من عنده الى تل باشر فلما قدم عليه جوسلين وقد اطلقه جاولي سره ذلك وفرح به وسار اليهما طنكري صاحب انطاكية بعساكره ليحاربهما قبل ان يقوى امرهما ويجمعا عسكرا ويلحق بهما جاولي وينجدهما فكانوا يقتتلون فاذا فرغوا من القتال اجتمعوا وأكل بعضهم مع بعض وتحادثوا واطلق القمص من اسرى المسلمين مائة وستين أسيرا كلهم من سواد حلب وكساهم وسيرهم وعاد طنكري الى انطاكية من غير فصل حال في معنى الرها فسار القمص وجوسلين فاغار على حصن طنكري صاحب انطاكية والتجأ الى ولاية كوسيل وهو رجل ارمني ومعه خلق كثير من المرتدين وغيرهم وهو صاحب رعبان وكيسوم وغيرهما من القلاع شمالي حلب فانجد القمص بألف فارس من المرتدين والفي راجل فقصدهم طنكري فتنازعوا في امر الرها فتوسط بينهم البطرك الذي لهم وهو عندهم كالامام الذي للمسلمين لا يخالف امره وشهد جماعة من المطارنة والقسيسين ان بيمند خال طنكري قال له لما اراد ركوب البحر والعود الى بلاده أن يعيد الرها الى القمص اذا خلص من الاسر فاعادها عليه طنكري تاسع صفر وعبر القمص الفرات ليسلم الى أصحاب جاولي المال والاسرى فاطلق في طريقه خلقا كثيرا من الاسرى من حران وغيرها وكان بسروج ثلثمائة مسلم ضعفى فعمر اصحاب جاولي مساجدهم وكان رئيس سروج مسلما قد ارتد فسمعه اصحاب جاولي يقول في الاسلام قولا شنيعا فضربوه وجرى

، الذي طبل كأنظر المهمات فعمرها واجرى الماء بها في اواخر الشهر الماضي ومنها احداث عدة مكوس ع اصناف كثيرة منها على بضاعة اللبان عن كل قطعة ثلثمائة نصف فضة وكذلك على صنف الحناء عن كل عدلة عشرة انصاف وكذلك الموزونات كل مائة درهم اربعة دراهم على البائع درهمان وعلى المشتري درهمان وغير ذلك حوادث كثيرة لا نعلمها

(واما من مات بها ممن له ذكر) فمات الاجل المبجل والمحترم المفضل السيد خليل البكري الصديقي ووالدته من ذرية شمس الدين الحنفي وهو أخو الشيخ أحمد البكري الصديقي الذي كان متوليا على سجادتهم ولما مات أخوه لم يولها المترجم لما فيه من الرعونة وارتكابه أمورا غير لائقة بل تولاها ابن عمه السيد محمد افندي مضافة لنقابة الاشراف فتنازع مع ابن عمه المذكور وقسمو البيت الذي هو ساكنهم بالازبكية نصفين وعمر نصيبه عمارة متقنة وزخرفه وأنشا فيه بستانا زرع فيه أصناف الاشجار وانتقل اليه فلما توفي السيد محمد افندي تولى المترجم مشيخة السجادة وتولى نقابة الاشراف السيد عمر مكرم الاسيوطي فلما طرق البلاد الفرنساوية تداخل المترجم فيهم وخرج السيد عمر من مصر هاربا ... به الى الدا وعرف المترجم الفرنساوية ان النقابة كانت لبيتهم بينهم

بينهم وبين الفرنج بسببه نزاع فذكر ذلك للقمص فقال هذا لا يصلح لنا ولا للمسلمين فقتله

(ذكر حال جاولي بعد اطلاق القمص)

لما اطلق جاولي القمص بعا كسين سار الى الرحبة فاتاه ابو الغيم بدران وابو كامل منصور ابنا سيف الدولة صدقة وكانا بعد قتل ابيهما بقلعة جعبر عند سالم بن مالك فتعاهدوا على المساعدة والمعاضدة ووعدهما انه يسير معهما الى الحلة وعزموا ان يقدموا عليهم بكتاش بن تتكش بن الب ارسلان فوصل اليهم وهم على هذا العزم الاصبهبذ صباوو وكان قد قصد السلطان فاقطعه الرحبة وقد ذكرناه فاجتمع بجاولي واشار عليه ان يقصد الشام فان بلاده خالية من الاجناد والفرنج قد استولوا على كثير منها وعرفه انه متى قصد العراق والسلطان بها او قريبا منها لم يامن شرا يصل اليه فقبل قوله واصعد من الرحبة فوصل اليه رسل سالم بن مالك صاحب قلعة جعبر يستغيث به من بني نمير وكانت الرقة بيد ولده علي بن سالم فوثب جوشن النميري ومعه جماعة من بني نمير فقتل عليا وملك الرقة فبلغ ذلك الملك رضوان فسار من حلب الى صفين فصادف تسعين رجلا من الفرنج معهم مال من فدية القمص صاحب الرها قد سيره الى جاولي فاخذه واسر عدة منهم واتى الرقة فصالحه بنو نمير على مال فرحل عنهم الى حلب فاستنجد سالم بن مالك جاولي وساله ان يرحل الى الرقة وياخذها ووعده بما يحتاج اليه فقصد الرقة وحصرها سبعين يوما فضمن له بنو نمير مالا وخيلا فارسل الى سالم اتى في امرهم من هذا وانا بازاء عدو يجب التشاغل به دون غيره واني عازم على الانحدار الى العراق فان تم امري فالرقة وغيرها لك ولا شغل لي عن هذا المهم بحصار خمسة نفر من بني نمير ووصل الى جاولي الامير حسين بن اتابك قتلغتكين وكان ابوه اتابك السلطان محمد فقتله وتقدم ولده هذا عند السلطان واختص به فسيره السلطان مع فخر الملك بن عمار ليصلح الحال مع جاولي ويامر العساكر بالمسير مع ابن عمار الى جهاد الفرنج فحضر عند جاولي وامره بتسليم البلاد وطيب قلبه عن السلطان وضمن الجميل اذا سلم البلاد واظهر الطاعة والعبودية فقال جاولي انا مملوك السلطان وفي طاعته وحمل اليه مالا وثيابا لها مقدار جليل وقال له سر الى الموصل ورحل العسكر عنها فاني ارسل معك من يسلم ولدي اليك رهينة وينفذ السلطان اليها من يتولى امرها وجباية اموالها ففعل حسين ذلك وسار ومعه صاحب جاولي فلما وصلا الى العسكر الذي على الموصل وكانوا لم يفتحوها بعد فامرهم حسين بالرحيل فكلهم اجاب الا الامير مودود فانه قال لا ارحل الا بامر السلطان وقبض على صاحب جاولي واقام على الموصل حتى فتحها كما ذكرناه وتقدم حسين بن قتلغتكين في السلطان فحسن السلطان [illegible] جاولي عنده [illegible] جاولي [illegible] مدينة بالس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible] محمد بن [illegible] [illegible]

والتهم قبضوا منه فقتلوه واباها واستولى على وقفها وايرادها واقرد بسكن البيت وصارله قبول عند الفرنساوية وجعلوه من اعاظم رؤساء الديوان الذى كانوا نظموه لاجراء الاحكام بين المسلمين فكان وافر الحرمة مسموع الكلمة مقبول الشفاعة عندهم فازدحم بيته بالدعاوى والشكاوى واجتمع عنده عماليك من مماليك الامراء المصرية الذين كانوا مختفين ومتغيبين وعدة خدم وقواسة ومقدم كبير وسراجين واجناد واستمر على ذلك الى ان حضر يوسف باشا الوزير فى المرة الاولى التى انتقض فيها الصلح ووقعت الحروب فى البلدة بين العثمانية والفرنساوية والامراء المصرية وقام اهل البلدة فهجموا على داره المذكورة من اعدائه ونهبوه وتمكنوا من جسمه وعروه من ثيابه وسحبوه بينهم مكشوف الرأس من الازبكية الى وكالة ذى الفقار بالجمالية وبها عثمان كتخدا الدولة فشفع فيه الحاضرون واطلقوه بعد ان اشرف على الهلاك واخذه الخواجا احمد بن محرم الى داره وسكن روعه والبسه ثيابا وكرمه وبقى بداره الى ان انقضت ايام الفتنة و [illegible] الفرنسيس [illegible] على [illegible] وهم جوامع البلد واستقر بها الفرنساوية فعند ذلك ذهب اليهم وشكا لهم ما جرى به بسبب موالاته لهم فعوضوه عما نهب له ورجع الى الحالة التى كان عليها معهم وكانت داره اخربها

ونهب البلد واخذ منهم مالا كثيرا

ذكر الحرب بين جاولي والفرنج

وفي هذه السنة في صفر كان المصاف بين جاولي سقاوو وبين طنكري الفرنجي صاحب انطاكية وسبب ذلك ان الملك رضوان كتب الى طنكري صاحب انطاكية يعرفه ما عليه جاولي من الغدر والمكر والخداع ويحذره منه ويعلمه انه على قصد حلب وانه ان ملكها لا يبقى للفرنج معه بالشام مقام وطلب منه النصرة والاتفاق على منعه فاجابه طنكري الى منعه وبرز من انطاكية فارسل اليه رضوان ستمائة فارس فلما سمع جاولي الخبر ارسل الى القمص صاحب الرها يستدعيه الى مساعدته واطلق له ما بقي عليه من مال المفاداة فسار الى جاولي فلحق به وهو على منبج فوصل الخبر اليه وهو على هذه الحال بان الموصل قد استولى عليها عسكر السلطان وملكوا خزائنه وامواله فاشتد ذلك عليه وفارقه كثير من اصحابه منهم اتابك زنكي بن آقسنقر وبكتاش النهاوندي وبقي جاولي في الف فارس وانضم اليه خلق من المطوعة فنزل بتل باشر وقاربهم طنكري وهو في الف وخمسمائة فارس من الفرنج وستمائة من اصحاب الملك رضوان سوى الرجالة فجعل جاولي في ميمنته الامير اقسيان والامير التونتاش الابري وغيرهما وفي الميسرة الامير بدران بن صدقة والاصبهبذ صباوو وسنقر دراز وفي القلب القمص بغدوين وجوسلين الفرنجيين ووقعت الحرب فحمل اصحاب انطاكية على القمص صاحب الرها واشتد القتال فازاح طنكري القلب عن موضعه وحملت ميسرة جاولي على رجالة صاحب انطاكية فقتلت منهم خلقا كثيرا ولم يبق غير هزيمة صاحب انطاكية فحينئذ عمد اصحاب جاولي الى جنائب القمص وجوسلين وغيرهما من الفرنج فركبوها وانهزموا فمضى جاولي وراءهم فلم يرجعوا وكانت طاعته قد زالت عنهم حين اخذت الموصل منه فلما راى انهم لا يعودون معه اهمته نفسه وخاف من المقام فانهزم وانهزم باقي عسكره فاما الاصبهبذ صباوو فسار نحو الشام واما بدران بن صدقة فسار الى قلعة جعبر واما ابن جكرمش فقصد جزيرة ابن عمر واما جاولي فقصد الرحبة وقتل من المسلمين خلق كثير ونهب صاحب انطاكية اموالهم واثقالهم وعظم البلاء عليهم من الفرنج وهرب القمص وجوسلين الى تل باشر والتجا اليهما خلق كثير من المسلمين فقعلا معهم الجميل وداويا الجرحى وكسوا العراة وسيراهم الى بلادهم

ذكر عود جاولي الى السلطان

لما انهزم جاولي سقاوو وقصد الرحبة ولم يكن بها دون ستة فوارس فاتفق ان سرية من عسكر الامير مودود الذين اخذوا الموصل منه اغاروا على قوم من العرب دون الرحبة فقاربوا جاولي وهم لا يشعرون به ولو علموا لاخذوه فلما راى الحال كذلك علم انه لا يقدر ان يقيم في الجزيرة ولا بالشام ولا يقدر على شيء يحفظ به نفسه ويرجع اليه ويقوي به فرصه غير قصد باب السلطان محمد عن رغبة واختيار وكانوا اتفقوا

الفرنساوية فسكن ببيت البارودي بباب الخرق ثم انتقل منه الى بيت عبد الرحمن كتخدا القازدغلي بحارة عابدين وجدد به عمارة وكان له ابنة خرجت عن طورها في ايام الفرنسيس فلما اشيع حضور الوزير والقبودان والانكليز وظهر على الفرنساوية الخروج من مصر فقتل ابنته المذكورة بيدها كم الشرطة فلما استقرت العثمانية بالديار المصرية عزل المترجم عن نقابة الاشراف وتولاها السيد عمر مكرم كما كان قبل الفرنساوية ولما حضر محمد باشا خسرو انهى اليه المكارهون له بانه مرتكب للموبقات ويعاقر الشراب وغير ذلك وان ابنته كانت تذهب الى الفرنسيس بعلمه وانه قتلها خوفا وتبرئة لنفسه من الشهرة التي لا يمكنه سترها ولا يقبل عذره فيها ولا التنصل منها وانه لا يصلح لمشيخة سجادة السادة البكرية وعرفوه ان هناك شخصا من سلسلتهم يقال له الشيخ محمد سعد وهو من جملة اتباع المترجم ولكنه فقير لا يملك شيئا ولا دابة يركبها فقال الباشا انا اواسيه واعطيه فاحضروه له بعد ان البسوه تاجا كبيرا وثيابا وهو رجل مبارك طاعن في السن دابسه فروة سمور وقدم له حصانا معددا وقيد له الف قرش وسكن دارا بناحية باب الخرق وتريش حاله وتحل امر المترجم واشترى دارا بدرب الجماميز بعطفة بالامير

بالامير حسين بن قتلغ تكين فرحل من مكانه وهو خائف حذر قد اخفى شخصه وكتم امره وسار الى عسكر السلطان وكان بالقرب من اصبهان فوصل اليه في سبعة عشر يوما من مكانه لجده في السير فلما وصل المعسكر قصد الامير حسين فحمله الى السلطان فدخل اليه وكفنه تحت يده فامنه واتاه الامراء يهنئونه بذلك وطلب منه السلطان الملك بكتاش ابن تتكش فسلمه اليه فاعتقله باصبهان

❁(ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج والهدنة بعدها)❁

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين طغتكين اتابك والفرنج وسببها ان طغتكين سار الى طبرية وقد وصل اليها ابن اخت بغدوين الفرنجي ملك القدس فتحاربا واقتتلا وكان طغتكين في الفي فارس وكثير من الرجالة وكان ابن اخت ملك الفرنج في اربعمائة فارس والفي راجل فلما اشتد القتال انهزم المسلمون فترجل طغتكين ونادى بالمسلمين وشجعهم فعاودوا الحرب وكسروا الفرنج واسروا ابن اخت الملك وحمل الى طغتكين فعرض طغتكين عليه الاسلام فامتنع منه وبذل في فداء نفسه ثلاثين الف دينار واطلاق خمسمائة اسير فلم يقنع طغتكين منه بغير الاسلام فلما لم يجب قتله بيده وارسل الى الخليفة والسلطان الاسرى ثم اصطلح طغتكين وبغدوين ملك الفرنج على وضع الحرب اربع سنين وكان ذلك من لطف الله تعالى بالمسلمين ولولا هذه الهدنة لكان الفرنج بلغوا من المسلمين بعد الهزيمة الآتي ذكرها امرا عظيما

❁(ذكر انهزام طغتكين من الفرنج)❁

في هذه السنة في شعبان انهزم اتابك طغتكين من الفرنج وسبب ذلك ان حصن عرقة وهو من اعمال طرابلس كان بيد غلام للقاضي فخر الملك ابي علي بن عمار صاحب طرابلس وهو من الحصون المنيعة فعصى على مولاه فضاق به القوت وانقطعت عنه الميرة لطول مكث الفرنج في نواحيه فارسل الى اتابك طغتكين صاحب دمشق وقال له ارسل من يتسلم هذا الحصن مني فقد عجزت عن حفظه ولان ياخذه المسلمون خير لي دنيا وآخرة من ان ياخذه الفرنج فبعث اليه طغتكين صاحبا له اسمه اسرائيل في ثلثمائة رجل فتسلم الحصن فلما نزل غلام ابن عمار منه رماه اسرائيل في الاختلاط بسهم فقتله وكان قصده بذلك ان لا يطلع اتابك طغتكين على ما خلفه بالقلعة من المال واراد طغتكين قصد الحصن للاطلاع عليه وتقويته بالعساكر والاقوات وآلات الحرب فنزل الغيث والثلج مدة شهرين ليلا ونهارا فمنعه فلما زال ذلك سار في اربعة آلاف فارس ففتح حصونا للفرنج منها حصن الاكمة فلما سمع السرداني الفرنجي بمجيء طغتكين وهو على حصار طرابلس توجه في ثلثمائة فارس فلما اشرف اوائل اصحابه على عسكر طغتكين انهزموا وخلوا اثقالهم ورحالهم ودوابهم للفرنج فغنموا وقووا به وزادت نعمتهم ووصل المسلمون الى حمص على اقبح حال من التقطع ولم يقتل منهم احد لانه لم تجر حرب وقصد السرداني الى عرقة فلما نازلها طلب من كان بها الامان

مساطب ولواوين جلوس لطيفة واشترى دارين من دور الامراء المتقدمين بظاهر ذلك وهدمهما وبنى بانقاضهما وانشأ بستانا وباع ما كان تحت يده من حصص الالتزام وسد باثمانها ديونه واقتصر على ايراده فيما يخصه من وقف جده لامه الاستاذ الحنفي وتصدى لمقاومته واذيته انفار من المتظاهرين مثل السيد عمر مكرم النقيب والشيخ محمد وفا السادات وخلافهما حتى انه كان عقد لابنه سيدي احمد على بنت المرحوم محمد افندي البكري فتعصبوا عليه بعد عزله من المشيخة والنقابة وابطلوا العقد وفسخوا النكاح ببيت القاضي وتسلط عليه من له دين او دعوى او مطالبة حتى بيعه حصصه وكان قد اشترى مملوكا في ايام الفرنساوية جميل الصورة فلما حصل له ما حصل ادعى عليه البائع انه اخذه بدون القيمة ولم يدفع له شيئا فلم يثبت عليه ذلك وكان المملوك ذهب من عنده وتم لامر والمصالحة على ان عثمان بك المرادي اخذ ذلك المملوك لنفسه وقد تقدم ذكر قصته في الحوادث سابقة ولم يزل المترجم على حاله خموله حتى تحركت عليه

[illegible]

فاستولى على نفوسهم وتسلم الحصن فلما خرج من فيه قبض على امرا ئيل وقال لا اطلق عنه الا باطلاق فلان وهو اسير كان بدمشق من الفرنج منذ سبع سنين ففودي به واطلقا معا ولما وصل طغتكين الى دمشق بعد الهزيمة ارسل اليه ملك القدس يقول له لا تظن انني انقض الهدنة للذى تم عليك من الهزيمة فالملوك ينالهم اكثر مما نالك ثم تعود امورهم الى الانتظام والاستقامة وكان طغتكين خائفا ان يقصده بعد هذه الكسرة فينال منه ومن بلاده كل ما اراد

* (ذكر صلح السنة والشيعة ببغداد) *

في هذه السنة في شعبان اصطلح عامة بغداد السنة والشيعة وكان الشر منهم على طول الزمان وقد اجتهد الخلفاء والسلاطين والشحن في اصلاح الحال فتعذر عليهم ذلك الى ان اذن الله تعالى فيه وكان بغير واسطة وكان السبب في ذلك ان السلطان محمدا لما قتل ملك العرب صدقة كما ذكرناه خاف الشيعة ببغداد اهل الكرخ وغيرهم لان صدقة كان يتشيع هو واهل بيته فشنع اهل السنة عليهم بانهم نالهم غم وهم لقتله فخاف الشيعة واغضوا على سماع هذا ولم يزالوا خائفين الى شعبان فلما دخل شعبان تجهز السنة لزيارة قبر مصعب بن الزبير وكانوا قد تركوا ذلك سنين كثيرة ومنعوا منه لتنقطع الفتن الحادثة بسببه فلما تجهزوا للمسير اتفقوا على ان يجعلوا طريقهم في الكرخ فاظهروا ذلك فاتفق راى اهل الكرخ على ترك معارضتهم وانهم لا يمنعونهم فصار السنة تسير اهل كل محلة منفردين ومعهم من الزينة والسلاح شئ كثير وجاء اهل باب المراتب ومعهم فيل قد عمل من خشب وعليه الرجال بالسلاح وقصدوا جميعهم الكرخ ليعبروا فيه فاستقبلهم اهله بالبخور والطيب والماء المبرد والسلاح الكثير واظهروا بهم السرور وشيعوهم حتى خرجوا من المحلة وخرج الشيعة ليلة النصف منه الى مشهد موسى بن جعفر وغيره فلم يعترضهم احد من السنة فعجب الناس لذلك ولما عادوا من زيارة مصعب لقيهم اهل الكرخ بالفرح والسرور فاتفق ان اهل باب المراتب انكسر فيلهم عند قنطرة باب حرب فقرا لهم قوم الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الى آخر السورة

* (ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عاد منصور بن صدقة بن مزيد الى باب السلطان فتقبله واكرمه وكان قد هرب بعد قتل والده الى الآن والتحق اخوه بدران بن صدقة بالامير مودود الذى اقطعه السلطان الموصل فاكرمه واحسن صحبته وفيها في نيسان زادت دجلة زيادة عظيمة وتقطعت الطرق وغرقت الغلات الشتوية والصيفية وحدث غلاء عظيم بالعراق بلغت الكارة [illegible] وعدم الخبز [illegible] واكل الناس [illegible] شهر رمضان ووصف [illegible] سوى الحشيش والتوت وفيها في رجب عزل وزير الخليفة ابو المعالي هبة الله

بك المرادي) * ويعرف بباب اللوق لانه كان ساكنا هناك وهو من مماليك مراد بك واصله جركسي الجنس ولما اعتقه مراد بك انعم عليه بكشوفية اقليم الغربية ثم رجع الى مصر وقام بها متطلعا للامارة ويرى انه احق بها من غيره ولما رجع المصريون الى مصر بعد قتل طاهر باشا وكان الالفي غائبا ببلاد الانكليز انضم اليه عثمان بك البرديسي ووافقه على كراهة الالفي الباطنية وكان هو احد المباشرين والضاربين لحسين بك الوشاش بالبراغيث [illegible] وتعديتهم لملاقاة الالفي ثم خرج من مصر مع عشيرته ولم يزل حتى مات في منتصف شهر ربيع الاول من السنة المذكورة والله اعلم

(سنة اربع وعشرين ومائتين والف)

استهل شهر المحرم بيوم الخميس وفي تلك الليلة اعني ليلة الجمعة ثانيه مرت سحابة وداهمة مظلمة في وقت العشاء وحصل فيها رعد مزعج وبرق مستنير شديد [illegible] وامطرت [illegible] ثم تجمعت [illegible] بعد أيام أخبر الواردون من ناحية بلاد [illegible] بالغربية انها امطرت بتلك الناحية في تلك الليلة بردا اين

ابن المطلب ووزرله ابو القاسم على بن ابى نصر بن جهير وفيها فى شعبان تزوج الخليفة
المستظهر بالله ابنة السلطان ملكشاه وهى اخت السلطان محمد وكان الذى خطب
خطبة النكاح القاضى ابو العلاء صاعد بن محمد النيسابورى الحنفى وكان المتولى
لقبول العقد نظام الملك احمد بن نظام الملك وزير السلطان بوكالة من الخليفة وكان
الصداق مائة الف دينار ونثرت الجواهر والدنانير وكان العقد باصبهان وفيها تولى
مجاهد الدين بهروز شحنكية بغداد وكان سبب ذلك ان السلطان محمدا كان قبض على
ابى القاسم الحسين بن عبد الواحد صاحب المخزن وعلى ابى الفرج بن رئيس الرؤساء
واعتقلهم عنده ثم اطلقهم الآن وقرر عليهم مالا يحملونه اليه فارسل مجاهد الدين
بهروز لقبض المال وامره السلطان بعمارة دار المملكة ففعل ذلك وعمر الدار واحسن
الى الناس فلما قدم السلطان الى بغداد ولاه شحنكية العراق جميعه وخلع على سعيد
ابن حميد العمرى صاحب جيش صدقة وولاه الحلة السيفية وكان صارما حازما ذا راى
وجلد وفيها فى شوال ملك الامير سكمان القطبى صاحب خلاط مدينة ميافارقين
بالامان بعد ان حصرها وضيق على اهلها عدة شهور وعدمت الاقوات بها واشتد
الجوع باهلها فسلموها وفى هذه السنة فى صفر قتل قاضى اصبهان عبيد الله بن على
الخطيبى بهمذان وكان قد تجرد فى امر الباطنية تجردا عظيما وصار يلبس درعا حذرا
منهم ويحتاط ويحترز فقصده انسان عجمى يوم جمعة ودخل بينه وبين اصحابه فقتله وقتل
صاعد بن محمد بن عبد الرحمن ابو العلاء قاضى نيسابور يوم عيد الفطر قتله باطنى وقتل
الباطنى ومولده سنة ثمان واربعين واربعمائة وسمع الحديث وكان حنفى المذهب
وفى هذه السنة سار قفل عظيم من دمشق الى مصر فاتى الخبر الى ملك الفرنج فسار اليه
وعارضه فى البر واخذ كل من فيه ولم يسلم منهم الا القليل ومن سلم اخذه العرب وفيها
فى فصح النصارى ثار جماعة من الباطنية فى حصن شيزر على حين غفلة من اهله فى مائة
رجل فملكوه واخرجوا من كان فيه واغلقوا بابه وصعدوا الى القلعة فملكوها وكان
اصحابها بنو منقذ قد نزلوا منها لمشاهدة عيد النصارى وكانوا قد احسنوا الى هؤلاء الذين
افسدوا كل الاحسان فبادر اهل المدينة الى الشرفة فصعدوا منها فى الحبال من
[illegible] بنو منقذ صاحب الحصن فصعدوا اليهم
فكبروا عليهم وقاتلوهم فانخذل الباطنية [illegible] من كل جانب فلم يفلت
منهم احد وقتل من كان على مثل رايهم فى البلد وفيها وصل الى المهدية ثلاثة نفر
غرباء فكتبوا الى اميرها يحيى بن تميم يقولون انهم يعملون الكيمياء فاحضرهم
عنده وامرهم ان يعملوا شيئا يراه من صناعتهم فقالوا نعمل النقرة فحضر ما طلبوا
من آلة وغيرها وقعد معهم هو والشريف ابو الحسن وقائد جيشه اسمه ابراهيم وكانا
يختصان به فلما راى الكيماوية المكان خاليا من جمع ثاروا بهم فضرب احدهم
يحيى بن تميم على راسه فوقعت السكين فى عمامته فلم تصنع شيئا ورفسه يحيى فالقاه على
ظهره ودخل يحيى بابا واغلقه على نفسه فضرب الثانى الشريف فقتله واخذ القائد

كبير او صغير والكبير فى مقدار حجر الطاحون والصغير فى مقدار بعض الحجاج وتهدمت منها دور وقتلت
مواشى وآدمية واهلكت
زروعا كثيرة (وفى يوم
الاحد رابعه) قتل الباشا
حسين بن الكخيرى وهو بترعة
الفرعونية وارسل راسه
الى مصر فعلقت بباب زويلة
(وفى اواخره حضر) الباشا
من ترعة الفرعونية وقد عجز
عن سدها بعد ان بذل جهده
وفرض الفرض العظيمة
على البلاد واشغلوا المراكب
فى نقل الاحجار ليلا ونهارا
والسيد محمد المحروقى متقيد
لذلك ومقيم بسد الآثار
لتشهيل الحجارين وسقها
بالمراكب وقطعها من الجبل
قطعا وصخورا وكانوا
يشقون الجبل بالغام البارود
مثل عمل لافرنج وظهر فى
قطعه كهوف ومغارات
وتجاويف وتحدث الناس بذلك
بانواع الاكاذيب والخرافات
كقولهم [illegible] فى بعضها
[illegible] عليه [illegible] فوجدوه
[illegible] اشخاصا
[illegible] الى غير ذلك
(وفيه) حضر قصاد من
قبودان باشا بتابع عوائده
بالاسكندرية فقال لهم ان
الاسكندرية ينبغى ان
تذهب الى الباشا بالترعة
وتقابله فذهب اليه وقابله
[illegible] ثالث الليلة
واصبح ميتا فاخرجوه الى المقبرة
ثم حضر قصاد آخر بخبر بوصول [illegible] يحيى وعلى يده مرسوم [illegible] الدولة مع الانكليز والموسكوب وانفتاح

ابراهيم السيف فقاتل السكيماوية ووقع الصوت فدخل اصحاب الامير يحيى فقتلوا السكيماوية وكان زيهم زي اهل الاندلس فقتل جماعة من اهل البلد على مثل زيهم وقيل للامير يحيى ان هؤلاء رآهم بعض الناس عند المقدم بن خليفة واتفق ان الامير ابا الفتوح بن تميم اخا يحيى وصل تلك الساعة الى القصر في اصحابه قد لبسوا السلاح فمنع من الدخول فثبت عند الامير يحيى ان ذلك بوضع منهما فاحضر المقدم بن خليفة وامر اولاد اخيه فقتلوه قصاصا لانه قتل اباهم واخرج الامير ابا الفتوح وزوجته بلارة بنت القاسم بن تميم وهي ابنة عمه ووكل بهما في قصر زياد بين المهدية وسفاقس فبقي هناك الى ان مات يحيى ومات بعده ابنه علي سنة تسع وخمسمائة فسير ابا الفتوح وزوجته بلارة الى ديار مصر في البحر فوصلا الى اسكندرية على ما نذكره ان شاء الله وفيها في المحرم قتل عبد الواحد بن اسمعيل بن احمد بن محمد ابو المحاسن الروياني الطبري الفقيه الشافعي مولده سنة خمس عشرة واربعمائة وكان حافظا للمذهب ويقول لو احترقت كتب الشافعي لامليتها من قلبي وفيها في جمادى الآخرة توفي الخطيب ابو زكريا يحيى بن علي التبريزي الشيباني اللغوي صاحب التصانيف المشهورة وله شعر ليس بالجيد وفيها في رجب توفي السيد أبو هاشم زيد الحسني العلوي رئيس همذان وكان نافذ الحكم ماضي الامر وكانت مدة رياسته لها سبعا واربعين سنة وجده لامه الصاحب أبو القاسم بن عباد وكان عظيم المال جدا فمن ذلك انه أخذ منه السلطان محمد في دفعة واحدة سبعمائة الف دينار لم يبع لاجلها ملكا ولا استدان دينارا وقام بعد ذلك بالسلطان محمد عدة شهور في جميع ما يريده وكان قليل المعروف وفيها في ذي الحجة توفي ابو الفوارس الحسن بن علي الخازن الكاتب المشهور بجودة الخط وله شعر منه

عفت الدنيا لطالبها * واستراح الزاهد الفطن
عرف الدنيا فلم يرها * وسواه حظه الفتن
كل ملك نال زخرفها * حظه مما حوى كفن
يقتني مالا ويتركه * في كلا الحالين مفتتن
املي كوني على ثقة * من لقاء الله مرتهن
أكره الدنيا وكيف بها * والذي تسخو به وسن
لم تدم قبلي على احد * فلماذا الهم والحزن

وقيل توفي سنة تسع وتسعين واربعمائة وقد ذكرناه هناك

(ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة)

(ذكر ملك الفرنج طرابلس وبيروت من الشام)

في هذه السنة حادي عشر ذي الحجة ملك الفرنج طرابلس وسبب ذلك ان طرابلس كانت قد صارت في حكم صاحب مصر ونائبه فيها والمدد ياتي اليها منه وقد ذكرنا ذلك سنة احدى وخمسمائة فلما كان هذه السنة اول شعبان وصل اصطول كبير

الامر بالسفر والخروج الى فتح الحرمين وطرد الوهابية منهما وان يوسف باشا المنفصل الجبرواهن المذكورين والثاني السابق المعروف بالمعدن تعين بالسفر للحرمين على طريق الشام وكذلك سليمان باشا والي بغداد متعين أيضا بالسفر من ناحيته على الدرعية وأحضر للباشا تقريرا بالولاية مجددا وخلعة وسيفا

(واستهل شهر صفر بيوم السبت سنة ١٢٢٤)

فيه حضر الاغا الواصل الى بولاق فركب لملاقاته اغات الينكجرية والوالي وأرباب العكاكيز فاركبوه في موكب ودخلوا به من باب النصر وطلع الى القلعة وقرؤا المراسيم بحضرة الجمع وبعد الفراغ من قراءتها ضربوا مدافع وشنكا (وفي ذلك اليوم) غيمت السماء بالسحاب وامطرت كثيرا ونزل مطر ببركة الحاج وجدوا فيه سمكا صغيرا من جنس السمك الذي يعرف بالقاروص وصار ينتطط على الارض واحضروا منه الى مصر وشاهدناه وهو في غاية البرودة (وفيه) اهتم الباشا باخراج تجريدة الى الامراء القبليين وذلك انه تقدم بالارسال اليهم يطالبهم بالغلال والاموال الميرية المرارا العديدة وهم يعدون ولا يوفون ووصل اليه من عندهم رضوان كهدا البرديسي وهو بارعة ومعه أجوبة وهدايا وفيها خيول وجوار وعبيد وسكر وخصيان فاغتاظ الباشا من

من بلد الفرنج في البحر ومقدمهم قمص كبير اسمه ريمند بن صنجيل ومراكبه مشحونة بالرجال والسلاح والميرة فنزل على طرابلس وكان نازلا عليها قبله السرداني ابن أخت صنجيل وليس بابن أخت ريمند هذا بل هو قمص آخر فجرت بينهما فتنة أدت الى الشر والقتال فوصل طنكري صاحب انطاكية اليها معونة للسرداني ووصل الملك بغدوين صاحب القدس في عسكره فاصلح بينهم ونزل الفرنج جميعهم على طرابلس وشرعوا في قتالها ومضايقة أهلها من أول شعبان وألصقوا أبراجهم بسورها فلما رأى الجند وأهل البلد ذلك سقط في أيديهم وذلت نفوسهم وزادهم ضعفا تأخر الاسطول المصري عنهم بالميرة والنجدة وكان سبب تأخره أنهم فرغوا منه ومن البعث عليه واختلفوا فيه أكثر من سنة وسار فردته الريح فتعذر عليهم الوصول الى طرابلس ليقضي الله أمرا كان مفعولا وشد الفرنج القتال عليها من الابراج والزحف فهجموا على البلد وملكوه عنوة وقهرا يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة من السنة ونهبوا ما فيها وأسروا الرجال وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الاموال وغنموا من أهلها من الاموال والامتعة وكتب دور العلم الموقوفة ما لا يحد ولا يحصى فان أهلها كانوا من أكثر أهل البلاد أموالا وتجارة وسلم الوالي الذي كان بها وجماعة من جندها كانوا التمسوا الامان قبل فتحها فوصلوا الى دمشق وعاقب الفرنج أهلها بانواع العقوبات وأخذت دفائنهم وذخائرهم من مكامنهم

(ذكر ملك الفرنج جبيل وبانياس)

لما فرغ الفرنج من طرابلس سار طنكري صاحب انطاكية الى بانياس وحصرها وافتتحها وأمن أهلها ونزل مدينة جبيل وفيها فخر الملك بن عمار الذي كان صاحب طرابلس وكان القوت فيها قليلا فقاتلها الى أن ملكها في الثاني والعشرين من ذي الحجة من السنة بالامان وخرج فخر الملك بن عمار سالما ووصل عقيب ملك طرابلس الاسطول المصري بالرجال والمال والغلال وغيرها ما يكفيهم سنة فوصل الى صور بعد أخذها بثمانية أيام للقضاء النازل باهلها وفرقت الغلال التي فيه والذخائر في الجهات المنفذة اليها صور وصيدا وبيروت وأما فخر الملك بن عمار فانه قصد شيزر فأكرمه صاحبها الامير سلطان بن علي بن منقذ الكناني واحترمه وسأله أن يقيم عنده فلم يفعل وسار الى دمشق فأنزله طغتكين صاحبها وأجزل له في الحمل والعطية وأقطعه عمل الزبداني وهو عمل كبير من أعمال دمشق وكان ذلك في المحرم سنة اثنتين وخمسمائة

(ذكر الحرب بين محمد خان وساغربك)

في هذه السنة جمع ساغربك وجمع العساكر الكثيرة من الاتراك وغيرهم وقصد أعمال محمد خان بسمرقند وغيرها فأرسل محمد خان الى سنجر يستنجده فسير اليه الجنود واجتمع معه أيضا كثير من العساكر وسار الى ساغربك فالتقوا بنواحي الخشب واقتتلوا فانهزم

قال أنا لست أطلب اعسانهم وعذاقاتهم حتى أنهم يمسكون على التي بهذه ٢٠ الامور وحيث انهم لا يرجعون عن الكامن في رؤسهم فلابد من خروجي اليهم وها ربتهم وأرسل الى من بمصر من الاكابر يأمرهم بالبروز والخروج فخرج حسن باشا وصالح أغا قوج وطاهر باشا وأحمد بك والكثير من أعيانهم بعساكرهم وعدوا الى بر الجيزة ونصبوا وطاقهم وخيامهم ثم ان رضوان كتخدا البرزلي لاطفه حتى توافق معه على وعد مقدار مسافة ذهاب الجواب ورجوعه أياما معدودة فلما حضر من الترسخانة أخذ في التشهيل والخروج فانتقلت العساكر الى البر الغربي وأخذ يتحث في المطلوبات وخروج الخيام وجمع المراكب وسافر قبودان بولاق الى جهة بحرى يجمع المراكب وفرضوا على القرى غلالا وجمالا ودلك في عقب ما فرضه عليهم في مهمات الترسخانة المتقدمة وخلافها من بشارة القبطان والتقسير بروما في ضمن ذلك من حق طرق المبشرين والمعينين مع ما الناس فيه من القحط والغلاء في الغلال وغيرها وعدم وجود الغلة والذين لا يقدرون على تحصيل الغلة يلزمونهم بدفع ثمنها باقصى القيمة بعد مصالحة المباشرين لذلك واعطائهم الرشوات

٢٦ [illegible]

ساقر بك وعساكره وأخذت السيوف منهم فاخذها وكثر الاسر فيهم والنهب فلا فرغ وامن حربهم وأمن محمد خان من شر ساقر بك عاد العسكر السنجري الى خراسان فعبروا النهر الى بلخ

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في المحرم سير السلطان وزيره نظام الملك أحمد بن نظام الملك الى قلعة الموت لقتال الحسن بن الصباح ومن معه من الاسماعيلية فحصروهم وهجم الشتاء عليهم فعادوا ولم يبلغوا منه غرضا وفيها في ربيع الآخر قدم السلطان الى بغداد وعاد عنها في شوال من السنة أيضا وفيها في شعبان توجه الوزير نظام الملك الى الجامع فوثب به الباطنية فضربوه بالسكاكين وجرح في رقبته فبقي مريضا مدة ثم برأ وأخذ الباطني الذي جرحه فسقي الخمر حتى سكر ثم سئل عن أصحابه فاقر على جماعة بمسجد المامونية فاخذوا وقتلوا وفيها عزل وزير الخليفة وهو ابو المعالي بن المطلب ووزر بعده الزعيم ابو القاسم بن جهير فخرج ابن المطلب من دار الخليفة مستترا هو وأولاده واستجار بدار السلطان وفيها جهز يحيى بن تميم صاحب افريقية خمسة عشر شينيا وسيرها الى بلاد الروم فلقيها اسطول الروم وهو كبير فقاتلوهم واخذوا ست قطع من شواني المسلمين ولم ينهزم بعد ذلك ليحيى جيش في البحر والبر وسير ابنه ابا الفتوح الى مدينة سفاقس والياً عليها فثار به أهلها فنهبوا قصره وهموا بقتله فلم يزل يحيى يعمل الحيلة عليهم حتى فرق كلمتهم وبدد شملهم وملك رقابهم فسجنهم وعفا عن دمائهم وذنوبهم وفيها توفي الامير ابراهيم ينال صاحب آمد وكان قبيح السيرة مشهورا بالظلم جلا كثير من أهلها لجوره وملك بعده ولده وكان اصلح حالا منه وفيها في ثامن ذي القعدة ظهر في السماء كوكب من الشرق له ذؤابة ممتدة الى القبلة وبقي يطلع الى آخر ذي الحجة ثم غاب

(ثم دخلت سنة أربع وخمسمائة)

(ذكر ملك الفرنج مدينة صيدا)

في هذه السنة في ربيع الآخر ملك الفرنج مدينة صيدا من ساحل الشام وسبب ذلك انه وصل في البحر الى الشام ستون مركبا للفرنج مشحونة بالرجال والذخائر مع بعض ملوكهم ليحج البيت المقدس وليغزو بزعمه المسلمين فاجتمع بهم بغدوين ملك القدس وتقررت القاعدة بينهم ان يقصدوا بلاد الاسلام فرحلوا من القدس ونزلوا مدينة صيدا ثالث ربيع الآخر من هذه السنة وضايقوها برا وبحرا وكان الاسطول المصري مقيما على صور فلم يقدر على انجاد صيدا فعمل الفرنج برجا من الخشب واحكموه وجعلوا عليه ما يمنع النار عنه والحجارة وزحفوا به فلما عاين اهل صيدا ذلك ضعفت نفوسهم واشفقوا ان يصيبهم مثل ما اصاب أهل بيروت فارسلوا قاضيها ومعه جماعة من شيوخها الى الفرنج وطلبوا من ملكهم الامان فامنهم على انفسهم واموالهم والعسكر الذي عندهم ومن اراد المقام بها عندهم أمنوه ومن اراد المسير عنهم لم يمنعوه وحلف لهم على شروط

بالمخشورة أيضا ولم يسمع له قول ورجع مريضا (وفي خامسه) حضر علي بك الى البيت وتغيبت آغة مستحفظان وحضر الى البرديسي فطلعا الى القلعة وتقابلا مع الباشا وتخضع له علي بك أيوب وقبل رجله وترجى عنده في عدم خروج التجريدة وكلمه في امر الغلال المنكسرة والجديدة وعلى انهم يقومون بدفع الغلال القديمة بالثمن والجديدة بالكيل وليس عندهم مخالفة والقصد الامهال الى حصاد الغلال فقال انهم اذا حصدوا الغلال اخذوها وفروا الى الجبال واستمر هذا القيل والقال نحو اربعة ايام ثم اشيع في ثامنه الصلح وفرح الناس واستبشر وابذلك لما يترتب وما يحصل من الفساد وأكل الزروعات وخراب البلدان فانهم اكلوا في الاربعة ايام التي ترددوا فيها بالجيزة نيفا وخمسمائة فدان ولما اشيع بالجهة القبلية خروج العساكر للتجريدة انزعجوا وايسوا من زروعاتهم وخرجوا من اوطانهم على وجوههم لايدرون اين يذهبون باولادهم ونسائهم ومواشيهم وتفرقوا في مصر والبلاد البحرية (وفي صبحها) اعيد امر التجريدة واشيع خروج العساكر ثانيا فانقبضت النفوس ثانيا وبالتوالي نكد وطلبت السلف من المساتير والملتزمين وكتبت لدفتر وحولت الاكياس وانبثت المعينون لطلب (وفي عاشره) بطل امر التجريدة وانقضى امر الصلح على شروط على

على ذلك فخرج الموالي وجماعة كثيرة من اعيان اهل البلد في العشرين من جمادى الاولى الى دمشق واقام بالبلد خلق كثير تحت الامان وكانت مدة الحصار سبعة واربعين يوما ورحل بغدوين عنها الى القدس ثم عاد الى صيدا بعد مدة يسيرة فقرر على المسلمين الذين اقاموا بها عشرين الف دينار فافقرهم واستغرق اموالهم

(ذكر استيلاء المصريين على عسقلان)

كانت عسقلان للعلويين المصريين ثم ان الخليفة الآمر باحكام الله استعمل عليها انسانا يعرف بشمس الخلافة فراسل بغدوين ملك الفرنج بالشام وهادنه واهدى اليه مالا وعروضا فامتنع به من احكام المصريين عليه الا فيما يريده من غير مجاهرة بذلك فوصلت الاخبار بذلك الى الآمر باحكام الله صاحب مصر والى وزيره الافضل أمير الجيوش فعظم الامر عليهما وجهزا عسكرا وسيراه الى عسقلان مع قائد كبير من قواده واظهرا انه يريد الغزاة وانفذا الى القائد سرا ان يقبض على شمس الخلافة اذا حضر عندهم ويقيم هو عوضه بعسقلان أميرا فسار العسكر فعرف شمس الخلافة الحال فامتنع من الحضور عند العسكر المصري وجاهر بالعصيان واخرج من كان عنده من عسكر مصر خوفا منهم فلما عرف الافضل ذلك خاف ان يسلم عسقلان الى الفرنج فارسل اليه وطيب قلبه وسكنه واقره على عمله واعاد عليه اقطاعه بمصر ثم ان شمس الخلافة خاف اهل عسقلان فاحضر جماعة من الارمن واتخذهم جندا ولم يزل على هذه الحال الى آخر سنة اربع وخمسمائة فانكر الامر اهل البلد فوثب به قوم من اعيانه وهو راكب فجرحوه فانهزم منهم الى داره فتبعوه وقتلوه ونهبوا داره وجميع ما فيها ونهبوا بعض دور غيره من ارباب الاموال بهذه الحجة وارسلوا الى مصر بجلية الحال الى الآمر والافضل فسرا بذلك واحسنا الى الواصلين بالبشارة وارسلا اليهم واليا يقيم به ويستعمل مع اهل البلد الاحسان وحسن السيرة فتم ذلك وزال ما كانوا يخافونه

(ذكر ملك الفرنج حصن الاثارب وغيره)

في هذه السنة جمع صاحب انطاكية عساكره من الفرنج وحشد الفارس والراجل وسار نحو حصن الاثارب وهو بالقرب من مدينة حلب بينهما ثلاثة فراسخ وحصره ومنع عنه الميرة فضاق الامر على من به من المسلمين فنقبوا من القلعة نقبا قصدوا ان يخرجوا منه الى خيمة صاحب انطاكية فيقتلوه فلما فعلوا ذلك وقربوا من خيمته استامن اليه صبي ارمني فعرفه الحال فاحتاط واحترز منهم وجد في قتالهم حتى ملك الحصن قهرا وعنوة وقتل من اهله الفي رجل وسبي واسر الباقين ثم سار الى حصن زردنا فحصره وملكه وفعل باهله مثل الاثارب فلما سمع اهل منبج بذلك فارقوها خوفا من الفرنج وكذلك اهل بالس وقصد الفرنج البلدين فرأوهما وليس بهما انيس فعادوا عنهما وسار عسكر من الفرنج الى مدينة صيدا فاطلب اهلها منهم الامان فامنوهم وتسلموا البلد فعظم خوف المسلمين منهم وبلغت القلوب الحناجر وايقنوا باستيلاء الفرنج على سائر الشام

وهي اثنا عشر الف اردب وسبعة آلاف اردب بعد مناقشات ومحققات والذي تولى المناقشات معهم مساعدا للباشا شاهين بك الالفي والموعد احد وثلاثون يوما وسافر علي بك ايوب ورضوان بك البرديسي واكرمهما الباشا وخلع عليهما (وفي حادي عشره) قتل الباشا مصطفى اغا تابع حسن بك في قصبة رضوان ظلما وسبب ذلك انه لما نزل قبودان بولاق لجمع المراكب المطلوبة لسفر التجريدة فصادف شخصا من الارنؤد الذين يتسببون في بيع الغلال في مركب ومعه غيره وذلك عند قرية تسمى سهرجت فحجزه ليأخذ منه السفينة فقال كيف تاخذها وفيها غلالي قال انقل غلالك منها على البر واتركها فانها مطلوبة لمهمات الباشا فلم يرض وخاف على تبددها ولم يجد سفينة اخرى لان جميع السفن مطلوبة مثلها وقال له عندما اصل بها الى مصر وانقل منها اغلالي ارسل اليك من يأخذها فقال القبودان لا سبيل لك ذلك وتشاجرا فحنق القبودان على الارنؤدي وسل عليه سيفه ليضرب به فعاجله الارنؤدي وضربه بالبندقية فقتله واراد اتباع القبودان القبض عليه ففر منهم الى البلد فقام عليه جماعة من الدلاة يعينون لقبض الغرضه فاتحد اليهم اصحابه فعواعصبه وتنازع الفريقان وكان مصطفى اغا

لعدم الحامي له والمانع عنه فشرع اصحاب البلاد الاسلامية بالشام في الهدنة معهم فامتنع الفرنج من الاجابة الا على قطيعة ياخذونها الى مدة يسيرة فصالحهم الملك رضوان صاحب حلب على اثنين وثلاثين الف دينار وغيرها من الخيول والثياب وصالحهم صاحب صور على سبعة آلاف دينار وصالحهم ابن منقذ صاحب شيزر على اربعة آلاف دينار وصالحهم على الكردي صاحب حماة على الفي دينار وكانت مدة الهدنة الى وقت ادراك الغلة وحصادها ثم ان مراكب اقلعت من ديار مصر فيها التجار ومعهم الامتعة الكثيرة فوقع عليها مراكب الفرنج فاخذوها وغنموا اموال التجار واسروهم فسار جماعة من اهل حلب الى بغداد مستنفرين على الفرنج فلما وردوا بغداد اجتمع معهم خلق كثير من الفقهاء وغيرهم فقصدوا جامع السلطان واستغاثوا ومنعوا من الصلاة وكسروا المنبر فوعدهم السلطان انفاذ العساكر للجهاد وسير من دار الخلافة منبرا الى جامع السلطان فلما كان الجمعة الثانية قصدوا جامع القصر بدار الخلافة ومعهم اهل بغداد فمنعهم حاجب الباب من الدخول فغلبوه على ذلك ودخلوا الجامع وكسروا شباك المقصورة وهجموا الى المنبر فكسروه وبطلت الجمعة ايضا فارسل الخليفة الى السلطان في المعنى يامره بالاهتمام بهذا الفتق ورتقه فتقدم حينئذ الى من معه من الامراء بالمسير الى بلادهم والتجهز للجهاد وسير ولده الملك مسعودا مع الامير مودود صاحب الموصل وتقدموا الى الموصل ليلحق بهم الامراء ويسيروا الى قتال الفرنج وانقضت السنة وساروا في سنة خمس وخمسمائة وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عزل نظام الملك احمد من وزارة السلطان ووزر بعده الخطير محمد بن الحسين الميبذي وفيها ورد رسول ملك الروم الى السلطان يستنفره على الفرنج ويحثه على قتالهم ودفعهم عن البلاد وكان وصوله قبل وصول أهل حلب وكان أهل حلب يقولون للسلطان اما تتقي الله تعالى ان يكون ملك الروم اكثر حمية منك للاسلام حتى قد ارسل اليك في جهادهم وفيها في رمضان زفت ابنة السلطان ملكشاه الى الخليفة وزينت بغداد وغلقت وكان بها ومحة عظيمة لم يشاهد الناس مثلها وفيها هبت بمصر ريح سوداء اظلمت بها الدنيا واخذت بانفاس الناس ولم يقدر احد يفتح عينيه ومن فتحها لا يبصر يده ونزل على الناس رمل ويئس الناس من الحياة وايقنوا بالهلاك ثم تجلى قليلا وعاد الى الصفرة وكان ذلك من اول وقت العصر الى بعد المغرب وفيها في المحرم توفي الكيا الهراس الطبري واسمه ابو الحسن على بن محمد بن على وكان من أعيان الفقهاء الشافعية اخذ الفقه عن امام الحرمين الجويني ودرس بعده في النظامية ببغداد وتوفي بها ودفن عند تربة الشيخ ابي اسحق ودرس بعده في النظامية الامام ابو بكر الشاشي وفيها توفي ابو الحسين ادريس بن حمزة بن على الرملي الفقيه الشافعي من اهل الرملة تفقه على ابي الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي وعلى الشيخ ابي اسحق الشيرازي

المذكور ملتزم البلدة هناك وقال الباقي بعض ٢٠٤ سنة فيلتفه الخبر فضر اليهم وخاف من وقوع قتل أو طرقهم بالبلدة فيكون سببا لخراب الناحية فقال يا جماعة اذهبوا بنا الى الباشا ليرى رأيه فرضوا بذلك وحضر بجميعهم والقاتل معهم وطلعوا الى ساحل بولاق فعندما وصلوا الى البر هرب القاتل وذهب عند عمر بك الارنؤدي الساكن ببولاق فتبعه الامير مصطفى المذكور فقال له عمر بك اذهب الى الباشا واخبره انه عندي وانت لا بأس عليك ففعل فقال له الباشا ولاي شيء لم تحتفظ عليه وتركه حتى يهرب فاعتذر بعدم قدرته على ذلك من الدلاتية الملتجئ اليهم وكانهم هم الذين اقلتوه فامر بحبسه فارسل الى عمر بك حضر الى الباشا وترجى في اطلاقه فوعده انه في غد يطلقه اذا حضر القاتل فقال انه عند ازمير آغا وهو لا يسلم فيه وركب الى داره فلما كان في الصباح امر بقتل الامير مصطفى المذكور فانزلوه الى الرميلة ورموا رقبته عند باب القلعة ظلما (وفي صبحها) ايضا قتلوا شخصا من الدلاة بسبب هذه الحادثة (وفي ثاني يوم) قتل الارنؤد شخصين من الدلاة ايضا (وفي يوم الخميس ثالث عشره) رسل الباشا وطلب الارنؤدي القاتل للقبودان بن عمر بك وشدد في طلبه وقال ان لم يرسله والا احرقت عليه داره فمتنع من ارساله وجمع اليه طائفة الارنؤد وصالح آغا قوج جاره وركب الباشا

وذهب الى ناحية الشيخ فرج وتحصل ببولاق قلقة وانزعاج ثم ركب الباشا راجعا الى داره بالازبكية وتوقفت العرب وكثرت الارجاف والقلقة بين الارنؤد والدلاتية (وفى خامس عشره) قتل الارنؤد شخصين من الدلاتية أيضا جهة قناطر السباع ثم ان القاتل الذى قتل القبودان التجا الى كبير من كبار الارنؤد فارسل الباشا الى حسن باشا يطلب منه ذلك الـ ...يروأ كد فى طلبه أوانه يقطع رأس القاتل و يرسلها فسكا ته فعل وأرسل اليه براس ملفوفة فى ملاية تسكينا لحدته وبردت القضية وسكنت الحدة وراحت على من راحت عليه (وفى أواخره) امر الباشا بتحرير دفاتر فرضة الاطيان وزادوا فيها عن عام الشراقى الماضى الثلث وربطوها ورتبوها اربع مراتب تزيد كل ضريبة عن الاخرى مائة نصف فضة اعلاه ايبلغ ثمانمائة نصف فضة على ان الفرضة الماضية بقى الكثير منها بالذمم لخراب القرى وعجزهم واختلى انضم ذلك من الافندية والاقباط بجهات متباعدة لافندية بربع أيوب ببولاق و لا نباط بدير مصر العتيقة حتى حرروا ذلك وتمموه ورتبوه فى عدة أيام ووقع ايضا ... فى جانب مهملا سموه التوجيه (وفيه) امر الباشا عمر بك الارنؤدى باسم من مصر ودم حريمه ورواتبه وهو ... كره فلم تسعه المخالفة وحاسب على

ودخل خراسان وولى التدريس بسمرقند وتوفى بها

(ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة)

(ذكر مسير العساكر الى قتال الفرنج)

فى هذه السنة اجتمعت العساكر التى امرها السلطان بالمسير الى قتال الفرنج فكانوا الامير مودود صاحب الموصل والامير سكمان القطبى صاحب تبريز و بعض ديار بكر والامير ايلبكى وزنكى ابنا برسق ولهما همذان وما جاورها والامير احمديل وله مراغة وكوتب الامير ابو الهيجاء صاحب اربل والامير ايلغازى صاحب ماردين والامراء البكجية باللحاق بالملك مسعود ومودود فاجتمعوا ما عدا الامير ايلغازى فانه سير ولده اياز واقام هو فلما اجتمعوا ساروا الى بلد سنجار ففتحوا عدة حصون للفرنج وقتلوا من بها منهم وحصروا مدينة الرها مدة ثم رحلوا عنها من غير ان يملكوها وكان سبب رحيلهم عنها ان الفرنج اجتمعت جميعها فارسها وراجلها وساروا الى الفرات ليعبروها ليمنعوا الرها من المسلمين فلما وصلوا الى الفرات بلغهم كثرة المسلمين فلم يقدموا عليه واقاموا على الفرات فلما راى المسلمون ذلك رحلوا عن الرها الى حران ليطمع الفرنج و يعبروا الفرات اليهم و يقاتلوهم فلما رحلوا عنها جاء الفرنج ومعهم الميرة والذخائر الى الرها فجعلوا فيها كل ما يحتاجون اليه بعد ان كانوا قليلى الميرة وقد اشرفوا على ان يؤخذوا واخذوا كل من فيه عجز وضعف وفقر وعادوا الى الفرات فعبروه الى الجانب الشامى وطرقوا أعمال حلب فافسدوا ما فيها ونهبوها وقتلوا فيها واسروا وسبوا خلقا كثيرا وكان سبب ذلك ان الفرنج لما عبروا الى الجزيرة خرج الملك رضوان صاحب حلب الى ما اخذه الفرنج من اعماله فاستعاد بعضه ونهب منهم وقتل فلما عادوا وعبروا الفرات فعلوا باعماله ما فعلوا واما العسكر السلطانى فانه لما سمع بعود الفرنج وعبورهم الفرات رحلوا الى الرها وحصروها فرأوا امرا محكما قد قويت نفوس اهلها بالذخائر التى تركت عندهم و بكثرة المقاتلين عنهم ولم يجدوا فيها مطمعا فرحلوا عنها وعبروا الفرات فحصروا قلعة تل باشر خمسة واربعين يوما ورحلوا عنها ولم يبلغوا غرضا ووصلوا الى حلب فاغلق الملك رضوان أبواب البلد ولم يجتمع بهم ثم مرض هناك الامير سكمان القطبى فعاد مريضا فتوفى فى بالس فجعله أصحابه فى تابوت وحملوه عائدين الى بلاده فقصدهم ايلغازى لياخذهم ويغنم ما معهم فجعلوا تابوته فى القلب وقاتلوا بين يديه فانهزم ايلغازى وغنموا ماله وساروا الى بلادهم ولما اغلق الملك رضوان أبواب حلب ولم يجتمع بالعساكر السلطانية رحلوا الى معرة النعمان واجتمع بهم طغتكين صاحب دمشق ونزل على الامير مودود فاطلع من الامراء على نيات فاسدة فى حقه فخاف ان يأخذوا منه دمشق فشرع فى مهادنة الفرنج سرا وكانوا قد نكلوا عن قتال المسلمين ولم يتم ذلك وتفرقت العساكر وكان سبب تفرقهم ان الامير برسق بن برسق الذى هو اكبر الامراء كان به نقرس فهو يحمل فى محفة وسكمان القطبى كما ذكرنا

وا واد الامير احمديل صاحب مراغة المودود ليطلب من السلطان ان يقطعهما كان لسكمان من البلاد واتابك طغتكين صاحب دمشق خاف الامراء على نفسه فلم ينصحهم الا انه حصل بينه وبين مودود صاحب الموصل مودة وصداقة فتفرقوا لهذه الاسباب وبقي مودود وطغتكين بالمعرة فساروا منها ونزلوا على نهر العاصي ولما سمع الفرنج بتفرق عساكر الاسلام طمعوا وكانوا اقد اجتمعوا كلهم بعد الاختلاف والتباين وساروا الى فامية فجمع بهم سلطان بن منقذ صاحب شيزر فسار الى مودود وطغتكين وهون عليهما امر الفرنج وحرضهما على الجهاد فرحلوا الى شيزر ونزلوا عليها ونزل الفرنج بالقرب منهم فضيق عليهم عسكر المسلمين الميرة ولزوهم بالقتال والفرنج يحفظون نفوسهم ولا يعطون مصافا فلما رأوا قوة المسلمين عادوا الى فامية وتبعهم المسلمون فتخطفوا من ادركوه في ساقتهم وعادوا الى شيزر في ربيع الاول

(ذكر حصر الفرنج مدينة صور)

لما تفرقت العساكر اجتمعت الفرنج على قصد مدينة صور وحصرها فساروا اليها مع الملك بغدوين صاحب القدس وحشدوا وجمعوا ونازلوها وحصروها في الخامس والعشرين من جمادى الاولى وعملوا عليها ثلاثة ابراج خشب علو البرج سبعون ذراعا وفي كل برج الف رجل ونصبوا عليها المجانيق والصقوا احدها الى سور البلد واخلوه من الرجال وكانت صور للآمر باحكام الله العلوي ونائبه بها عز الملك الاعز فاحضر اهل البلد واستشارهم في حيلة يدفعون بها شر الابراج عنهم فقام شيخ من اهل طرابلس وضمن على نفسه احراقها واخذ معه الف رجل بالسلاح التام ومع كل رجل منهم حزمة حطب فقاتلوا الفرنج الى ان وصلوا الى البرج الملتصق بالمدينة فالقى الحطب من جهاته والقى فيه النار ثم خاف ان يشتغل الفرنج الذين في البرج باطفاء النار ويتخلصوا فرماهم بجريب كان قد اعدها مملوأة من العذرة فلما سقطت عليهم اشتغلوا بما دهاهم من سوء الرائحة والتلويث فتمكنت النار منه فهلك كل من به الا القليل واخذ منه المسلمون ما قدروا عليه بالكلاليب ثم اخذ سلال العنب الكبار وترك فيها الحطب الذي قد سقاه بالنفط والزفت والكتان والكبريت ورماهم بسبعين سلة واحرق البرجين الآخرين ثم ان اهل صور حفروا اسرابا تحت الارض ليسقط فيها الفرنج اذا زحفوا اليهم وليخسف برج ان عملوه وسيروه اليهم فاستأمن نفر من المسلمين الى الفرنج واعلموهم بما عملوه فحذروا منها وارسل اهل البلد الى اتابك طغتكين صاحب دمشق يستنجدونه ويطلبونه ليسلموا البلد اليه فسار في عساكره الى نواحي بانياس وسير اليهم نجدة مائتي فارس فدخلوا البلد فامتنع من فيه بهم واشتد قتال الفرنج خوفا من اتصال النجدات ففنى نشاب الاتراك فقاتلوا بالخشب وفني نفط فظفروا بسرب تحت الارض فيه نفط لا يعلم من خزنه ثم ان عز الملك صاحب صور ارسل الاموال الى طغتكين ليكثر من الرجال ويقصدهم ليملك البلد فارسل طغتكين طائرا فيه رقعة ليعلمه وصول المال ويأمره ان يقيم مركبا بمكان ذكره

المتكسر له ولعسكره من العلائف وكذلك حلوان البلاد التي في تصرفه فبلغ خمسمائة كيس وزعم انها دائرة الباشا وخلافهم وكان الباشا ضبط جملة من حصص الناس واستولى عليها من بلاد القليوبية بجري شبرا واختصها لنفسه فلما استولى على حصص عمر بك ودفع له حلوانها وهي بالمنوفية والغربية والبحيرة عوض بعض من يراعي جانبه من ذلك واخذ عمر بك ومن يلوذ به في تحصيل انفسهم وقضاء حوائجهم

(واستهل شهر ربيع الاول سنة ١٢٢٤)

فيه شرع السيد عمر مكرم نقيب الاشراف في عمل مهم لختان ابن ابنته ودعا الباشا والاعيان وارسلوا اليه الهدايا والتعابي وعمل له زفة يوم الاثنين سادس عشره مشى فيها ارباب الحرف والعربات والملاعيب وجمعيات وعصب وعصايد وخلافهم من اهالي بولاق والكفور والحسينية وغيرها من جميع الاصناف وطبول وزمور وجموع كثيرة فكان يوما مشهودا اكثريت فيه الاماكن للفرجة وكان هذا الفرح هو آخر مصطنعة السيد عمر بمصر فانه حصل له عقيب ذلك ما سيتلى عليك قريبا من النفي والخروج من مصر (وفيه) كمل سد ترعة الفرعونية وسفر عمل فيها رق تايد اسد بالاخشاب والاتربة نحو ستة اشهر وصرف عليها من الاموال مالا يحصى وجرى

لتجى

اتبعه الرجال اليه فسقط الطائر على مركب الفرنج فاخذه رجلان مسلم وافرنجي فقال الفرنجي نطلقه لعل فيه فرجا لهم فلم يمكنه المسلم وحمله الى الملك بغدوين فلما وقف عليه سير مركبا الى المكان الذي ذكره طغتكين وفيه جماعة من المسلمين الذين استامنوا اليه من صور فوصل اليهم العسكر فكلموهم بالعربية فلم يشكوا وهم وركبوا معهم فاخذوهم اسرى وحملوهم الى الفرنج فقتلوهم وطمعوا في اهل صور فكان طغتكين يغير على اعمال الفرنج من جميع جهاتها وقصد حصن الحبيس في السواد من اعمال دمشق وهو للفرنج فحصره وملكه بالسيف وقتل كل من فيه وعاد الى الفرنج الذين على صور وكان يقطع الميرة عنهم في البر فاحضروها في البحر وخندقوا عليهم ولم يخرجوا اليه فسار الى صيدا واغار على ظاهرها فقتل جماعة من البحرية واحرق نحو عشرين مركبا على الساحل وهو مع ذلك يواصل اهل صور بالكتب يامرهم بالصبر والفرنج يلازمون قتالهم وقاتل اهل صور قتال من ايس من الحياة فدام القتال الى اوان ادراك الغلات فخاف الفرنج ان طغتكين يستولي على غلات بلادهم فساروا عن البلد عاشر شوال الى عكا وعاد عسكر طغتكين اليه واعطاهم اهل صور الاموال وغيرها ثم اصلحوا ما تشعث من سورها وخندقها وكان الفرنج قد طموه

(ذكر انهزام الفرنج بالاندلس)

في هذه السنة خرج اذفونش الفرنجي صاحب طليطلة بالاندلس الى بلاد الاسلام بها يطلب ملكها والاستيلاء عليها وجمع وحشد فاكثر وكان قد قوي طمعه فيها بسبب موت امير المسلمين يوسف بن تاشفين فسمع امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين الخبر فسار اليه في عساكره وجموعه فلقيه فاقتتلوا واشتد القتال وكان الظفر للمسلمين وانهزم الفرنج وقتلوا قتلا ذريعا واسر منهم بشر كثير وسبي منهم وغنم من اموالهم ما يخرج عن الاحصاء فخافه الفرنج بعد ذلك وامتنعوا من قصد بلاده وذل اذفونش حينئذ وعلم ان في البلاد حاميا لها وذابا عنها وفي هذه السنة في جمادى الآخرة توفي الامام ابو حامد محمد بن محمد الغزالي الامام المشهور

(ثم دخلت سنة ست وخمسمائة)

في هذه السنة في المحرم سار مودود صاحب الموصل الى الرها فنزل عليها ورعى عسكره زروعها ورحل عنها الى سروج وفعل بها كذلك واهمل الفرنج ولم يحترز منهم فلم يشعر الا وجوسلين صاحب تل باشر قد كبسهم وكانت دواب العسكر منتشرة في المرعى فاخذ الفرنج كثيرا منها وقتلوا كثيرا من العسكر فلما تاهب المسلمون لقتاله عاد عنهم الى سروج وفيها رحل السلطان محمد من بغداد وكان مقامه هذه المرة خمسة اشهر فلما وصل الى اصبهان قبض على زين الملك ابي سعد القمي وسلمه الى الامير كاميار لعداوة بينهما فلما وصل الى الري اركبه كاميار على دابة بمركب ذهب واظهر ان السلطان خلع عليه على حال قرره عليه فحصل بذلك مالا كثيرا من اهل القمي ثم صلبه وكان سبب قبضه

ظهري البحر الشرقي وغزر ماؤه وجرت فيه السفن من دمياط بعد ان كان غاضه وطلت عذوبة النيل بما انعكس فيه ونقص الطمس ماء البحر الملح الى قبلي فارسكور واقام السدهر بلث تابع الاشقر لخفارته وتعهد الخلل وكتم الجسر من النشع والتنفيس وسكن هنالك ولم يفارقه واستمر في هذه الوظيفة والخدمة ولم يقم بمصر (وفي هذا الشهر وما قبله) تنحطت الغلال وغلا سعرها حتى بلغ الاردب القمح الفا وستمائة نصف فضة وعز وجوده بالرقع والعرصات واما السواحل فلا يكاد يوجد بها شيء من الغلة بطول السنة ولولا لطف الله بوجود الذرة لهلكت الخلائق ومع ذلك استمرار المغارم والفرض حتى فرض القمح [illegible] وكذلك التبن والجمال وما ينضاف الى ذلك مما [illegible] غير ذلك مما يطول شرحه (وفيه) نودي على صرف الفرانسه والمحبوب والمحركا نودي في العام الماضي لانه لما نودي بنقص صرفها ومضى نحو الشهرين او [illegible] رجع الصرف الى ما كان عليه وزيادة فاعيد النداء كذلك وسيعود والحال ما دام الكرب والضيق بالناس فاين هذه المناداة والاوامر بالنقص والزيادة ليست من باب الشفقة على الناس ولا الرحمة بهم وانما هي بحسب اعراضهم وزيادة طمعهم فانه اذا توجهت المطالبات بالفرض والمغارم نودي بالنقص ليزيد الفرط وتتوفر

انه كان يكثر الطعن على الخليفة والسلطان وفيها اتى الى بغداد رجل مغربي يعمل الكيمياء يزعم اسمه أبو علي فحمل الى دار الخلافة وكان آخر العهد به وفيها ورد الى بغداد يوسف بن ايوب الهمذاني الواعظ وكان من الزهاد العابدين فوعظ الناس بها فقام اليه رجل متفقه يقال له ابن السقاء فآذاه في مسئلة وعاوده فقال له اجلس فاني أجد من كلامك رائحة الكفر ولعلك تموت على غير دين الاسلام فاتفق بعد مدة ان ابن السقاء خرج الى بلاد الروم وتنصر وفيها في ذي القعدة سمع ببغداد صوت هدة عظيمة ولم يكن بالسماء غيم حتى يظن انه صوت رعد ولم يعلم احد اي صوت كان وفيها توفي بسيل الارمني صاحب الدروب ببلاد ابن لاون فسار طنكري صاحب انطاكية اول جمادى الآخرة الى بلاده طمعا في ان يملكها فمرض في طريقه فعاد الى انطاكية فمات ثامن جمادى الآخرة وملكها بعده ابن اخيه سرخالة واستقام الامر فيها بعد ان جرى بين الفرنج خلف بسببه فاصلح بينهم القسوس والرهبان وفيها توفي قراجة صاحب حمص وكان ظالما وقام ولده قرجان مكانه وكان مثله في قبح السيرة وفي هذه السنة توفي المعمر بن علي ابو سعد بن أبي عمامة الواعظ البغدادي ومولده سنة تسع وعشرين واربعمائة وكان له خاطر حاد ومجون حسن وكان الغالب على وعظه اخبار الصالحين وتوفي احمد بن الفرج بن عمر الدينوري والد شهدة وكان يروي عن ابي يعلى بن الفراء وابن المامون وابن المهتدي وابن النقور وغيرهم وكان حسن السيرة متزهدا وتوفي ابو العلاء صاعد بن منصور بن اسمعيل بن صاعد الخطيب النيسابوري وكان من اعيان الفقهاء وولي قضاء خوارزم وكان يروي الحديث

(ثم دخلت سنة سبع وخمسمائة)

(ذكر قتال الفرنج وانهزامهم وقتل مودود)

في هذه السنة في المحرم اجتمع المسلمون وفيهم الامير مودود بن التونتكين صاحب الموصل وتميرك صاحب سنجار والامير اياز بن ايلغازي وطغتكين صاحب دمشق وكان سبب اجتماع المسلمين ان ملك الفرنج بغدوين تابع الغارات على بلد دمشق ونهبه وخربه اواخر سنة ست وخمسمائة وانقطعت المواد عن دمشق فغلت الاسعار فيها وقلت الاقوات فارسل طغتكين صاحبها الى الامير مودود يشرح له الحال ويستنجده ويحثه على سرعة الوصول اليه فجمع عسكرا وسار فعبر الفرات آخر ذي القعدة سنة ست وخمسمائة فخافه الفرنج وسمع طغتكين خبره فسار اليه ولقيه بسلمية واتفق رأيهم على قصد بغدوين ملك القدس فساروا الى الاردن فنزل المسلمون عند الاقحوانة ونزل الفرنج مع ملكهم بغدوين وجوسلين صاحب جيشهم وغيرهما من المقدمين والفرسان المشهورين ودخلوا بلاد الفرنج مع مودود وجمع الفرنج فالتقوا عند طبرية ثالث عشر المحرم واشتد القتال وصبر الفريقان ثم ان الفرنج انهزموا وكثر القتل فيهم والاسر وممن أسر ملكهم بغدوين فلم يعرف فأخذ سلاحه وأطلق فنجا وغرق منهم في بحيرة طبرية ونهر الاردن كثير وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم

فيها الزيادة ويحصل التشديد والمعاقبة على من يقبض بالزيادة من اهل الاسواق واذا كان الدفع من تراتبهم في علائف العسكر اولوازمهم الكبيرة قبضوها بازيد من الزيادة التي نادوا عليها من غير مبالاة ولا احتشام تناقص ما لنا الا السكوت عنه (وفي أواخره) تواجدت الغلال وانحل سعرها وحضر الفلاحون ببيادر الغلة وانحط السعر والحمد لله

(واستهل شهر ربيع الثاني سنة ١٢٢٤)

في سادسه وردت مراسيم من الروم ببشارة بمولودة ولدت للسلطان وسموها فاطمة وفي المراسيم الامر بالزينة فاقتضى الرأي ان يعملوا شنكا ومدافع من القلعة تضرب في الاوقات الخمسة سبعة أيام وهذا شئ لم يسمع بمثله فيما سبق ان يعملوا للانثى شنكا وزينة او يد كذلك مطلقا وانما يعمل ذلك للمولود الذكر من بدع الاعاجم (وفي يوم الثلاثاء ثامنه) حضر من الامراء المصريين القبالي مرزوق بك ابن ابراهيم بك وسليم اغا مستحفظان وقاسم بك سلحدار مراد بك وعلي بك ايوب حسب الاتفاق المتقدم في تقرير الصلح ولكن لم يكن سليم اغا مذكورا في الحضور بل كان منجمعا وممتنعا عن التداخل في هذه الاحوال والسبب في حضوره ان زوجته توفيت من نحو نصف شهر فحضر لاجل تركتها ومتاعها ومتاعه الذي عندها او بعضها ولما حضر وجد الباشا

ووصل

ووصل الفرنج الى مضيق دون طبر يقتلقيهم عسكر طرابلس وانطاكية فقويت نفوسهم بهم وعاودوا الحرب فاحاط بهم المسلمون من كل ناحية وصعد الفرنج الى جبل غربي طبرية فاقاموا به ستة وعشرين يوما والمسلمون بازائهم يرمونهم بالنشاب فيصيبون من يقرب منهم ومنعوا الميرة عنهم لعلهم يخرجون الى قتالهم فلم يخرج منهم أحد فسار المسلمون الى بيسان ونهبوا بلاد الفرنج بين عكا الى القدس وخربوها وقتلوا من ظفروا به من النصارى وانقطعت المادة عنهم لبعدهم عن بلادهم فعادوا ونزل بمرج الصفر الامير مودود واذن للعساكر في العود والاستراحة ثم الاجتماع في الربيع لمعاودة الغزاة وبقي في خواصه ودخل دمشق في الحادي والعشرين من ربيع الاول ليقيم عند طغتكين الى الربيع فدخل الجامع يوم الجمعة في ربيع الاول ليصلي فيه وطغتكين فلما فرغوا من الصلاة وخرج الى صحن الجامع ويده في يد طغتكين وثب عليه باطني فضربه فجرحه أربع جراحات وقتل الباطني وأخذ رأسه فلم يعرفه أحد فاحرق وكان صائما فحمل الى دار طغتكين واجتهد به ليفطر فلم يفعل وقال لا لقيت الله الا صائما فمات من يومه رحمه الله فقيل ان الباطنية بالشام خافوه وقتلوه وقيل بل خافه طغتكين فوضع عليه من قتله وكان خيرا عادلا كثير الخير (حدثني) والدي قال كتب ملك الفرنج الى طغتكين بعد قتل مودود كتابا من فصوله ان أمة قتلت عميدها يوم عيدها في بيت معبودها لحقيق على الله ان يبيدها ولما قتل تسلم تميرك صاحب سنجار ماله من الخزائن والسلاح وحملها الى السلطان ودفن مودود بدمشق في تربة دقاق صاحبها وحمل بعد ذلك الى بغداد فدفن في جوار أبي حنيفة ثم حمل الى أصبهان

(ذكر الخلاف بين السلطان سنجر ومحمد خان والصلح بينهما)

في هذه السنة كثر الحديث عند سنجر ان محمد خان بن سليمان بن داود قد مد يده الى اموال الرعايا وظلمهم ظلما كثيرا وانه خرب البلاد بظلمه وشره وانه قد صار استخف باوامر سنجر ولا يلتفت الى شيء منها فتجهز سنجر وجمع عساكره وسار يريد قصده بما وراء النهر فخاف محمد خان فارسل الى الامير قماج وهو اكبر امير مع سنجر يسأله ان يصلح الحال بينه وبين سنجر وارسل ايضا الى خوارزمشاه بمثل ذلك وسألهما في ارضاء السلطان عنه واعترف بانه اخطأ فاجاب سنجر الى صلحه على شرط ان يحضر عنده ويطأ بساطه فوصل محمد خان يذكر خوفه لسوء صنيعه ولكنه يحضر الخدمة ويخدم السلطان وبينهما نهر جيحون ثم يعاود بعد ذلك الحضور عنده والدخول اليه فسنو للاجابة الى ذلك والاشتغال بغيره فمتنع ثم اجاب وكان سنجر على شاطئ جيحون من الجانب الغربي وجاء محمد خان الى الجانب الشرقي فترجل وقبل الارض وسنجر راكب وعاد كل واحد منهما الى خيمه ورجعوا الى بلادهم وسكنت الفتنة بينهما

(ذكر عدة حوادث)

استولى على ذلك واخذ المتاع والمصاغ والجواهر والعقار واشنا الحصص واخذ حلوانها وذلك بيد محمود بك الدويدار فلما حضر سليم اغا لم يجد شيأ لا دار ولا عقار ولا نافخ نار فنزل عند على بك ايوب بمنزله بشمس الدولة فحضر اليه محمود بك الدويدار والترجمان واخذا بخاطره وطمناه واخبراه ان الباشا سيعوض عليه ما ذهب منه وزيادة وزرعاله فوق السطوح فلم يسعه الا التسليم (وفيه) سقط سقف القصر الذي انشاه الباشا بشبرا وشرعوا في تعميره ثانيا (وفيه) وصل الخبر بحضور زوجة الباشا وام اولاده وابنه الصغير ومعه اسمعيل وابن بونابارته الخازندار وكثير من اقاربهم واهاليهم حضر الجميع من بلدهم قوله الى اسكندرية ثم لما طابت لهم مصر واستوطنوها وسكنوها وتنعموا فيها ارسلوا الى اهاليهم واولادهم واقاربهم بالحضور فكانوا في كل وقت يأتون افواجا افواجا نساء ورجالا واطفالا فلما وصل خبر وصولهم الى اسكندرية سافر لملاقاتها ابنه ابراهيم بك الدفتردار وذلك حادي عشره (وفي ثالث عشره) حضر المذكور قبل حضورهن ولما وصلوا نزل لملاقاتهم الى بولاق (وفي يوم الاثنين رابع عشره) نبهوا على جميع النساء والخوندات وكل من كانت عندهم في لا بتزام ان يركبن بالـ رهن ويذهبن الى ملاقاة

فى هذه السنة سار قفل عظيم من دمشق الى مصر فاتى الخبر الى بغدوين ملك الفرنج فسار اليه وعارضه فى البر فاخذهم اجمعين ولم ينج منهم الا القليل ومن سلم اخذه العرب وفى هذه السنة توفى الوزير ابو القاسم على بن محمد بن جهير وزير الخليفة المستظهر بالله ووزر بعده الربيب ابو منصور ابن الوزير ابى شجاع محمد بن الحسين وزير السلطان وفيها توفى الملك رضوان بن تاج الدولة تتش بن الب ارسلان صاحب حلب وقام بعده بحلب ابنه الب ارسلان الاخرس وعمره ست عشرة سنة وكانت امور رضوان غير محمودة قتل اخويه ابا طالب وبهرام وكان يستعين بالباطنية فى كثير من اموره لقلة دينه ولما ملك الاخرس استولى على الامور لؤلؤ الخادم ولم يكن للاخرس معه الا اسم السلطنة ومعناه للؤلؤ ولم يكن الب ارسلان اخرس وانما فى لسانه حبسة وتمتمة وامه بنت باغيسيان الذى كان صاحب انطاكية وقتل الاخرس اخوين له احدهما اسمه ملكشاه وهو من ابيه وامه واسم الآخر مباركشاه وهو من ابيه وكان ابوه فعل مثله فلما توفى قتل ولداه مكافاة لما اعتمده مع اخويه وكان الباطنية قد كثروا بحلب فى ايامه حتى خافهم ابن بديع رئيسها واعيان اهلها فلما توفى قال ابن بديع لالب ارسلان فى قتلهم والايقاع بهم فامره بذلك فقبض على مقدمهم ابى طاهر الصائغ وعلى جميع اصحابه فقتل ابا طاهر وجماعة من اعيانهم واخذ اموال الباقين واطلقهم فمنهم من قصد الفرنج وتفرقوا فى البلاد وفى هذه السنة توفى ببغداد ابو بكر احمد بن على بن بدران الحلوانى الزاهد منتصف جمادى الاولى روى الحديث عن القاضى ابى الطيب الطبرى وابى محمد الجوهرى وابى طالب العشارى وغيرهم وروى عنه خلق كثير ومن آخرهم ابو الفضل عبد الله بن الطوسى خطيب الموصل واسمعيل بن احمد بن الحسين بن على ابو على بن ابى بكر البيهقى الامام ابن الامام ومولده سنة ثمان وعشرين واربعمائة وتوفى بمدينة بيهق ولوالده تصانيف كثيرة مشهورة وشجاع بن ابى شجاع فارس بن الحسين بن فارس ابو غالب الذهلى الحافظ ومولده سنة ثلاثين واربعمائة وروى عن ابيه وابى القاسم وابن المهتدى والجوهرى وغيرهم والاديب ابو المظفر محمد بن احمد بن محمد الابيوردى الشاعر المشهور وله ديوان حسن ومن شعره

تنكر لى دهرى ولم يدر اننى * اعز واحداث الزمان تهون
وظل يرينى الخطب كيف اعتداؤه * وبت اريه الصبر كيف يكون

وله ايضا

ركبت طرفى فاذرى دمعه اسفا * عند انصرافى منهم مضمر الياس
وقال حتام تؤذينى فان سنحت * حوائج لك فاركبنى الى الناس

وكانت وفاته باصبهان وهو من ولد عنبسة بن ابى سفيان بن حرب الاموى وتوفى ابو بكر محمد بن احمد بن الحسين بن عمر الشاشى الامام الفقيه الشافعى فى شوال ومولده سنة سبع وعشرين واربعمائة سمع ابا بكر الخطيب وابا يعلى بن الفراء وغيرهم وتفقه على ابى عبد الله محمد بن البكرزورى بديار بكر وعلى ابى اسحق الشيرازى ببغداد وعلى ابى

امرأة الباشا ببولاق وذلك صبح يوم الاربعاء واعتذرت الست نفيسة المرادية بانها مريضة ولا تقدر على الحركة والخروج فلم يقبلوا لها عذرا فلما كان صبح يوم الاربعاء اجتمع السواد الاعظم من النساء بساحل بولاق على الحمارة المكارية وهم ازيد من خمسمائة مكارى حتى ركبت زوجة الباشا وساروا معها الى الازبكية وضربوا لها طبلا وحلوا بعد رجعة مدافع كثيرة من القلعة والازبكية ثم وصلت الهدايا والتقادم واقبلت من كل ناحية الهدايا المختصة بالاولاد والمختصة بالنساء

(واستهل شهر جمادى الاولى سنة ١٢٢٤)

فى ثالثه يوم السبت نزل عمر بك الارنؤدى الى المراكب من بيته من بولاق وسافر على طريق دمياط ليذهب الى بلاده وسافر معه نحو المائة وهم الذين جمعوا الاموال واجتمع لعمر بك المذكور من المال والنوال أشياء كثيرة عباها فى صناديق كثيرة واخذها معه وذلك خلاف ما ارسله لى بلاده فى دفعات قبل تاريخه (وفى يوم الخميس خامس عشره) سافر على بك بوب وسليم أغا مستحفظان لى ناحية قبلى واستمر عمر مرزوق بك وقاسم بك المرادى (وفيه) طلب الباشا الف كيس من المعلم غالى والزمه بهب درزها على المباشرين والكتبة وجمعها فى اقرب زمن (وفيه) حضر سلحدار نعيم

نصر بن الصباغ وفيها توفي أبو نصر المؤتمن بن أحمد بن الحسن الساجي الحافظ المقدسي ومولده سنة خمس وأربعين وأربعمائة وكان مكثرا من الحديث وتفقه على أبي اسحق وكان ثقة

(ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة)

(ذكر مسير آقسنقر البرسقي الى الشام لحرب الفرنج)

في هذه السنة سير السلطان محمد الامير آقسنقر البرسقي الى الموصل واعمالها واليا عليها لما بلغه قتل مودود وسير معه ولده الملك مسعودا في جيش كثيف وامره بقتال الفرنج وكتب الى سائر الامراء بطاعته فوصل الى الموصل واتصلت به عساكرها وفيهم عماد الدين زنكي بن آقسنقر الذي ملك هو واولاده الموصل بعد ذلك وكان له الشجاعة والغاية واتصل به ايضا تميرك صاحب سنجار وغيرهما فسار البرسقي الى جزيرة ابن عمر فسلمها اليه نائب مودود بها وسار منها الى ماردين فنازلها البرسقي حتى اذعن له ايلغازي صاحبها وسير معه عسكرا مع ولده اياز فسار عنها البرسقي الى الرها في خمسة عشر الف فارس فنازلها في ذي الحجة وقاتلها وصبر له الفرنج واصابوا من بعض المسلمين غرة فاخذوا منهم تسعة رجال وصلبوهم على سورها فاشتد القتال حينئذ وحمي المسلمون وقاتلوا فقتلوا من الفرنج خمسين فارسا من اعيانهم واقام عليها شهرين واياما وضاقت الميرة على المسلمين فرحلوا من الرها الى سميساط بعد ان خربوا بلد الرها وبلد سروج وبلد سميساط واطاعه صاحب مرعش على ما نذكره ثم عاد الى شمشاط (١) فقبض على اياز بن ايلغازي حيث لم يحضر ابوه ونهب سواد ماردين

(ذكر طاعة صاحب مرعش وغيرها البرسقي)

في هذه السنة توفي بعض كنود الفرنج ويعرف بكواسيل وهو صاحب مرعش وكيسوم ورعبان وغيرها فتولت زوجته المملكة وتحصنت من الفرنج واحسنت الى الاجناد وراسلت آقسنقر البرسقي وهو على الرها واستدعت منه بعض اصحابه لتطيعه فسير اليها الامير سنقر دراز صاحب الخابور فلما وصل اليها اكرمته وحملت اليه مالا كثيرا وبينا هو عندها اذ جاء جمع من الفرنج فوقعوا باصحابه وهم نحو مائة فارس واقتتلوا قتالا شديدا ظفر فيه المسلمون بالفرنج وقتلوا منهم اكثرهم وعاد سنقر دراز ومعه رسولها الى الملك مسعود والبرسقي واذعنت بالطاعة ولما عرف الفرنج ذلك عاد كثير ممن عندها الى انطاكية

(ذكر الحرب بين البرسقي وايلغازي واسر ايلغازي)

لما قبض البرسقي على اياز بن ايلغازي سار الى حصن كيفا وصاحبها الامير ركن الدولة داود ابن اخيه سقمان فاستنجده فسار معه في عسكره واحضر جمعا كثيرا من التركمان وسار الى البرسقي فلقيه في اواخر السنة واقتتلوا قتالا شديدا صبر فيه فانهزم البرسقي وعسكره وخلص اياز بن ايلغازي من الاسر فوصل رسول السلطان اليه يتهدده

الوزير يوسف باشا وعلى يده مرسوم مضمونه طلب ما كان أحدثه من كان بمصر على اوراق الاقطاعات والرزقات وتقاسيط الالتزام الذي صيره قصر اليد ونزع القدرة ويجعل ايراد ذلك لنفسه فارسل يطلب ذلك من تاريخ سنة ١٢١٧ سبعة عشر ومائتين والف الى وقت تاريخه حسب قدر ذلك فبلغ نيفا وأربعة آلاف كيس (وفيه) شرعوا في تحرير دفتر بنصف فائظ الملتزمين ودفترا آخر بفرض مال على الرزق الاحباسية المرصدة على المساجد والاسبلة والخيرات وجهات البر والصدقات وكذلك الاطيان الاوسية المختصة ايضا بالملتزمين وكتبوا بذلك مراسيم الى القرى والبلاد وعينوا بها معينين وحق طرق من طرف كشاف الاقاليم بالكشف على الرزق المرصدة على المساجد والخيرات وتقدموا الى كل متصرف في شيء من هذه الاطيان وواضع يده عليها بان يأتي بسنده الى الديوان ويجدد سنده ويقوى بمرسوم جديد ديواني فان تأخر عن الحضور في ظرف اربعين يوما رفع عنه ذلك ويعطى منه غيره وذكروا في مرسوم الامر وعلم طرق الاسماع تغيرها بانه حدث اسما ... ن او عزل بعلة توقيعه ومراسيمه وكذلك نوبه ويحتاج الى تجديد تواقيع من نواب المتولي الجديد ونحو ذلك ثم يعلم ان هذه الارصادات والاطيان موضوعة من ايام الملك الناصر يوسف صلاح الدين

وسار الى الشام الى حمية طغتكين صاحب دمشق فاقام عنده اياما وكان طغتكين ايضا قد استوحش من السلطان لانه نسب اليه قتل مودود فاتفقا على الامتناع والالتجاء الى الفرنج والاحتماء بهم فراسلا صاحب انطاكية وحالفاه فحضر عندهما على بحيرة قدس عند حمص وجددوا العهود وعاد الى انطاكية وعاد طغتكين الى دمشق وسار ايلغازي الى الرستن على عزم قصد ديار بكر وجمع التركمان والعود فنزل بالرستن ليستريح فقصده الامير قرجان بن قراجة صاحب حمص وقد تفرق عن ايلغازي اصحابه فظفر به قرجان واسره ومعه جماعة من خواصه وارسل الى السلطان يعرفه ذلك ويساله تعجيل انفاذ العساكر لئلا يغلبه طغتكين على ايلغازي ولما بلغ طغتكين الخبر عاد الى حمص وارسل في اطلاقه فامتنع قرجان وحلف ان لم يعد طغتكين ليقتلن ايلغازي فارسل ايلغازي الى طغتكين ان الملاججة تؤذيني وتسفك دمي والمصلحة عودك الى دمشق فعادوا ينتظر قرجان وصول العساكر السلطانية فتاخرت عنه فخاف ان يخدع اصحابه لطغتكين ويسلموا اليه حمص فعدل الى الصلح مع ايلغازي على ان يطلقه وياخذ ابنه اياز رهينة ويصاهره ويمنعه من طغتكين وغيره فاجابه الى ذلك فاطلقه وتحالفا وسلم اليه ابنه اياز وسار عن حمص الى حلب وجمع التركمان وعاد الى حمص وطالب بولده اياز وحصر قرجان الى ان وصلت العساكر السلطانية فعاد ايلغازي على ما نذكره

❁(ذكر وفاة علاء الدولة بن سبكتكين وملك ابنه وما كان منه مع السلطان سنجر)❁

في هذه السنة في شوال توفي الملك علاء الدولة ابو سعد مسعود بن ابي المظفر ابراهيم بن ابي سعد مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة بها وملك بعده ابنه ارسلانشاه وامه سلجوقية وهي اخت السلطان الب ارسلان بن داود فقبض على اخوته وسجنهم وهرب اخ له اسمه بهرام الى خراسان فوصل الى السلطان سنجر بن ملكشاه فارسل الى ارسلانشاه في معناه فلم يسمع منه ولا اصغى الى قوله فتجهز سنجر للسير الى غزنة واقامة بهرامشاه في الملك فارسل ارسلانشاه الى السلطان محمد يشكو من اخيه سنجر فارسل السلطان الى اخيه سنجر يامره بمصالحة ارسلانشاه وترك التعرض له وقال للرسول ان رأيت اخي وقد قصدهم وسار نحوهم او قارب ان يسير فلا تمنعه ولا تبلغه الرسالة فان ذلك يفت في عضده ويوهنه ولا يعود ولان يملك اخي الدنيا احب الي فوصل الرسول الى سنجر وقد تجهز للعساكر الى غزنة وجعل على مقدمته الامير انز مقدم عسكره ومعه الملك بهرامشاه فساروا حتى بلغوا بست واتصل بهم فيها ابو الفضل نصر بن خلف صاحب سجستان وسمع ارسلانشاه الخبر فسير جيشا كثيفا فهزمان ونهبا وعاد من سلم الى غزنة على سوء حال فخضع حينئذ ارسلانشاه وارسل الى الامير انز يضمن له الاموال الكثيرة ليرده عنه ويحسن للملك سنجر العود عنه فلم يفعل وتجهز السلطان سنجر بعد انز للسير بنفسه فارسل اليه ارسلانشاه امراة عمه نصرت تسأله الصفح والعود عن

الأوقاف في القرن الخامس وسنة من مصاريف بيت المال ليصل الى المستحقين بعض استحقاقهم من بيت المال بسهولة ثم اقتدى به في ذلك الملوك والسلاطين والامراء الى وقتنا هذا فيبنون المساجد والتكايا والربط والخوانق والاسبلة ويرصدون عليها اطيانا يخرجونها من زمامهم او يشترونها فيستغل خراجها او غلالها لتلك الجهة وكذلك يربطون على بعض الاشخاص من طلبة العلم والفقراء على وجه البر والصدقة ليتعيشوا بذلك ويستعينوا به على طلب العلم واذا مات المرصد عليه ذلك قرر القاضي او الناظر خلافه ممن يستحق ذلك ويقيد اسمه في سجل القاضي ودفتر الديوان السلطاني عند الافندي المقيد بذلك الذي يعرف بكاتب الرزق فيكتب له ذلك الافندي سندا بموجب التقرير يقال له الافراج ثم يضع عليه علامته ثم علامة الباشا والدفتردار ولكل اقليم من الاقاليم القبلية والبحرية دفتر مخصوص عليه طرة من خارج مكتوب فيها اسم ذلك الاقليم ليسهل الكشف والتحرير بالمراجعة عند الاشتباه وتحرير مقادير حصص ارباب الاستحقاقات ولم يزل ديوان الرزق الاحباسية محفوظا مضبوطا في جميع الدول المصرية جيلا بعد جيل لا يتطرقه خلل الا ما نزل عنه ربابه لشدة احتياجهم بافراغ لبعض الملتزمين بقدر من الدراهم معجل ويقرر له رزق على نفسه قدرا مؤجلا دون القيمة

تقصده وهي أخت الملك سنجر من السلطان بركيارق وكان علاء الدولة أبو سعد قد قتل زوجها ومنعها من الخروج عن غزنة وتزوجها فسيرها الآن أرسلان شاه فلما وصلت الى أخيها أوصلت ما معها من الاموال والهدايا وكان معها ستون الف دينار وغير ذلك وطلب من سنجر أن يسلم أخاه بهرام اليه وكافته وغرة الصدر من أرسلان شاه فهونت أمره على سنجر وأطمعته في البلاد وسهلت الامر عليه وذكرت له ما فعل بأخوته وكان قتل بعضا وكحل بعضا من غير خروج منهم عن الطاعة فسار الملك سنجر فلما وصل الى بست أرسل نادما من خواصه الى أرسلان شاه في رسالة فقبض عليه في بعض القلاع فسار حينئذ سنجر مجدا فلما سمع بقربه منه أطلق الرسول ووصل سنجر الى غزنة ووقع بينهما المصاف على فرسخ من غزنة بصحراء شهراباذ وكان أرسلان شاه في ثلاثين ألف فارس وخلق كثير من الرجالة ومعه مائة وعشرون فيلا على كل فيل أربعة نفر فحملت الفيلة على القلب وفيه سنجر فكاد من فيه ينهزمون فقال سنجر لغلمانه الاتراك ارموها بالنشاب فتقدم ثلاثة آلاف غلام فرموا الفيلة رشقا واحدا جميعا فقتلوا منها عدة فعدلت الفيلة عن القلب الى الميسرة وبها أبو الفضل صاحب سجستان وجالت عليهم فضعف من في الميسرة فشجعهم أبو الفضل وخوفهم من الهزيمة بعد بلادهم وترجل عن فرسه بنفسه وقصد كبير الفيلة ومتقدمها ودخل تحتها فشق بطنها وقتل فيلين آخرين ورأى الامير أنر وهو في الميمنة ما في الميسرة من الحرب فخاف عليها فحمل من وراء عسكر غزنة وقصد الميسرة واختلط بهم وأعانهم فكانت الهزيمة على الغزنوية وكان ركاب الفيلة قد شدوا أنفسهم عليها بالسلاسل فلما عضتهم الحرب وعمل فيهم السيف القوا أنفسهم فبقوا معلقين عليها ودخل السلطان سنجر غزنة في العشرين من شوال سنة عشر وخمسمائة ومعه بهرام شاه فأما القلعة الكبيرة المشتملة على الاموال وبينها وبين البلد تسعة فراسخ وهي عظيمة لا مطمع فيها ولا طريق عليها وكان أرسلان شاه قد سجن فيها أخاه طاهر الخازن وهو صاحب بهرام شاه واعتقل بها أيضا زوجة بهرام شاه فلما انهزم أرسلان شاه استمال أخوه طاهر المستحفظ بها وبذل له وللاجناد زيادات فسلم القلعة الى سنجر وأما قلعة البلد فان أرسلان شاه كان اعتقل بها رسول سنجر فلما أطلقه بقي فيها نوابه فسلموا القلعة أيضا بغير قتال وكان قد تقرر بين بهرام شاه وبين سنجر أن يجلس بهرام على سرير جده محمود بن سبكتكين وحده وأن تكون الخطبة بغزنة للخليفة وللسلطان محمد وللملك سنجر وبعدهم لبهرام شاه فلما دخلوا غزنة كان سنجر راكبا وبهرام شاه بين يديه راجلا حتى جاء السرير فصعد بهرام شاه فجلس عليه ورجع سنجر وكان يخطب له بالملك ولبهرام شاه بالسلطان على عادة آبائه فكان هذا من العجب ما يسمع به وحصل لاصحاب سنجر من الاموال ما لا يحد ولا يحصى من مال ورعايا وكان في دور ملوكهم عدة دور في حيطانها [illegible] وسواقي مياهها في البساتين من الفضة أيضا فقلع من ذلك أكثره ونهب فسمع سنجر [illegible]

الاصلية في نظير المبلغ الذي تدفعه للفرغ وبهذه وبها حينئذ داخل الزمام وانتزاله في ذلك ٣١٣ بطول القرون الماضية بهذا

الفرنساوية الديار المصرية
فلم يتعرضوا لشيء من ذلك حتى
حضر شريف افندي الدفتردار
بعد دخول يوسف باشا الوزير
ووجه الطلب على الملتزمين بأن
يدفعوا للدولة حلوانا جديدا على
التقسيط والنسق الذي ابتدعوه
للتحيل على تحصيل المال بأي
وجه زاعمين أن أرض مصر
صارت دار حرب بتملك
الفرنساوية وانهم استنقذوها
منهم واستولوا عليها استيلاء
جديدا وصارت جميع أراضيها
ملكا لهم فمن يريد الاستيلاء
على شيء من أرض وغيرها
فليشتره من نائب السلطان
بمبلغ الحلوان الذي قدروه
وطلبوه على التقاسيط وفي
بعضها ما رفع منه الميري الذي
يقبض للخزينة باذن الولاة
بعد المصالحات والتعويض
عن المصاريف والمصارف
الميرية كالعلائف والغلال
وابعض عم ذلك بمراسيم
سلطانية كما يقولون شريفة
بحيث يصير الالتزام مثل
ارزق الاحباسية ويسمونه
[illegible] بند ومنهم من أبقى على
التزامه شيئا قليلا سموه مال الحماية
فلم يسمح بها الى ذلك بل
جعل عليها الدفتردار الميري
الذي كان مقيدا عليها وأقل
أو زيد بحسب واضع اليد
وأكرمه ان كان ممن يكرم
وضعه الى مال الحماية الاصلي أو المستجد فقط وضعهم على اساس صحيح ومبدلوه من مرتباتهم وعلائقهم التي

منع عنه بجهده وصلب جماعة حتى كف الناس ووجد له ما حصل للملك سنجر خمسة تيجان قيمة أحدها تزيد على الفي الف دينار وألف وثلثمائة قطعة مصاغ مرصعة وسبعة عشر سريرا من الذهب والفضة وأقام بغزنة اربعين يوما حتى استقر بهرامشاه وعاد نحو خراسان ولم يخطب بغزنة لسلجوقي قبل هذا الوقت حتى ان السلطان ملكشاه مع تمكنه وكثرة ملكه لم يطمع فيه وكان كلما رام ذلك منع منه نظام الملك واما ارسلانشاه فانه لما انهزم قصد هندوستان واجتمع عليه اصحابه فقويت شوكته فلما عاد سنجر الى خراسان توجه الى غزنة فلما عرف بهرامشاه قصده اياه توجه الى باميان وارسل الى الملك سنجر يعلمه الحال فارسل اليه عسكرا واقام ارسلانشاه بغزنة شهرا واحدا وسار يطلب اخاه بهرامشاه فبلغه وصول عسكر سنجر فانهزم بغير قتال للخوف الذي قد باشر قلوب اصحابه ولحق بجبال أوغنان فسار اخوه بهرامشاه وعسكر سنجر في اثره واخربوا البلاد التي هو فيها وارسلوا الى اهلها يتهددونهم فسلموه بعد المضايقة فاخذه مقدم جيش الملك سنجر واراد حمله الى صاحبه فخاف بهرامشاه من ذلك فبذل له مالا فسلمه اليه فخنقه ودفنه بتربة ابيه بغزنة وكان عمره سبعا وعشرين سنة وكان احسن اخوته صورة وكان قتله في جمادى الآخرة سنة اثنتي عشرة وخمسمائة وانما ذكرناه ههنا لتتصل الحادثة

❁(ذكر عدة حوادث)❁

في هذه السنة في جمادى الآخرة كانت زلزلة شديدة بديار الجزيرة والشام وغيرها فخربت كثيرا من الرها وحران وسميساط وبالس وغيرها وهلك خلق كثير تحت الهدم وفيها قتل تاج الدولة ألب ارسلان بن رضوان صاحب حلب قتله غلمانه بقلعة حلب وأقاموا بعده أخاه سلطانشاه بن رضوان وكان المستولي عليه لؤلؤ الخادم وفيها توفي الشريف النقيب ابو القاسم علي بن ابراهيم بن العباس الحسيني في ربيع الآخر بدمشق

(ثم دخلت سنة تسع وخمسمائة)

❁(ذكر انهزام عسكر السلطان من الفرنج)❁

قد ذكرنا ما كان من عصيان ايلغازي وطغتكين على السلطان وقوة الفرنج فلما اتصل ذلك بالسلطان محمد جهز عسكرا كثيرا وجعل مقدمهم الامير برسق بن برسق صاحب همذان ومعه الامير جيوش بك والامير كنتغدي وعساكر الموصل والجزيرة وأمرهم بالبداءة بقتال ايلغازي وطغتكين فاذا فرغوا منهما قصدوا بلاد الفرنج وقاتلوهم وحصروا بلادهم فساروا في رمضان من سنة ثمان وخمسمائة وكان عسكرا كثيرا العدة وعبروا الفرات آخر السنة عند الرقة فلما قاربوا حلب راسلوا المتولي لامرها لؤلؤ الخادم ومقدم عسكرها المعروف بشمس الخواص يأمرونهما بتسليم حلب ويعرضون عليهما كتب السلطان بذلك فغالطا في الجواب وارسلا الى ايلغازي

وضعوها وقيدوها في نظير جعلها خزينة بندكاه كرشم تقيد لكتابة الاعلامات عبد الله افندي راز التقويم وقاضي باشا وسعى في ذلك الوقت بكاتب الميري وتوجه نحوه الناس لاجل كتابة الاعلامات لثبوت رزقهم الاحباسية وتجديد سنداتها فتعنت عليهم بضروب من التعنت كأن يطلب من صاحب الرزق اثبات استحقاقه فاذا ثبت له لا يخلو اما ان يكون ذلك بالفراغ او الحلول فيكلفه احضار السندات واوراق الفراغات القديمة فربما عدمت او بليت لتقادم السنين اوتركها واضع اليد لاستغنائه عنها بالسند الجديد اوكان القديم مشتملا على غير المفروغ عنه فيقدم بهامشه بالمنزول عنه ويبقى القديم عند صاحب الاصل فان احضره اليه تعلل بشيء آخر واحتج بشبهة أخرى فاذا لم يبق له شبهة طالبه بحلوانها عن مقدارا يرادها ثلاث سنوات والا خمس سنوات وذلك خلاف المعتاد ففدح الناس واستغاثوا بشريف افندي الدفتردار فعزل عبد الله افندي راز المذكور عن ذلك وقيد احد كتابه بكتابة الاعلامات وقرر على كل عشرة انصاف قدرها دونها يرجع في السند الجديد برجعها له ل... يةو.وهـ ..بمران مـ .ـ ن ا يه يكون زيادة في تأكيد الاحباس وحماية له من تطرق الخلل

وطغتكين

وطغتكين يسير بعدهم فساروا اليهم في ألفي فارس ودخلوا حلب فامتنع من بها حينئذ
من عسكر السلطان واظهروا العصيان فسار الامير برسق بن برسق الى مدينة حماة
وهي في طاعة طغتكين وبها ثقله فحصرها وفتحها عنوة ونهبها ثلاثة ايام وسلمها
الى الامير قيرخان صاحب حمص وكان السلطان قد امر ان يسلم اليه كل بلد يفتحونه
فلما رأى الامراء ذلك فشلوا وضعفت نياتهم في القتال بحيث تؤخذ البلاد وتسلم الى
قيرخان فلما سلموا حماة الى قيرخان سلم اليهم اياز بن ايلغازي وكان قد سار ايلغازي
وطغتكين وشمس الخواص الى انطاكية واستجاروا بصاحبها روجيل وسألوه ان
يساعدهم على حفظ مدينة حماة فلما بلغهم فتحها ووصل اليهم بانطاكية بغدوين
صاحب القدس وصاحب طرابلس وغيرهما من شياطين الفرنج اتفق رأيهم على
ترك اللقاء لكثرة المسلمين وقالوا انهم عند هجوم الشتاء يتفرقون واجتمعوا بقلعة
افامية واقاموا نحو شهرين فلما انتصف ايلول ورأوا عزم المسلمين على المقام تفرقوا
فعاد ايلغازي الى ماردين وطغتكين الى دمشق والفرنج الى بلادها وكانت افامية
وكفرطاب للفرنج فقصد المسلمون كفرطاب وحصروها فلما اشتد الحصر على الفرنج
ورأوا الهلاك قتلوا اولادهم ونساءهم واحرقوا اموالهم ودخل المسلمون البلد عنوة
وقهرا واسروا صاحبه وقتلوا من بقي فيه من الفرنج وساروا الى قلعة افامية فرأوها
حصينة فعادوا عنها الى المعرة وهي للفرنج ايضا وفارقهم الامير جيوش بك الى وادي
بزاعة فملكه وسارت العساكر عن المعرة الى حلب وتقدمهم ثقلهم ودوابهم على
جاري العادة والعساكر في اثرها متلاحقة وهم آمنون لا يظنون احدا يقدم على
القرب منهم وكان روجيل صاحب انطاكية لما بلغه حصر كفرطاب سار في
خمسمائة فارس والفي راجل للمنع فوصل الى المكان الذي ضربت فيه خيام
المسلمين على غير علم بها فرآها خالية من الرجال المقاتلة لانهم لم يصلوا اليها فنهب
جميع ما هناك وقتل كثيرا من السوقية وغلمان العسكر ووصلت العساكر
متفرقة فكان الفرنج يقتلون كل من وصل اليهم ووصل الامير برسق في نحو
مائة فارس فرأى الحال فصعد تلا هناك ومعه اخوه زنكي واحاط بهم السوقية
والغلمان واحتموا بهم ومنعوا الامير برسق من النزول فاشار عليه اخوه ومن معه
بالنزول والنجاة بنفسه فقال لا افعل بل اقتل في سبيل الله واكون فداء المسلمين
فغلبوه على رأيه فنجا هو ومن معه فتبعهم الفرنج نحو فرسخ ثم عادوا وتمموا الغنيمة
والقتل واحرقوا كثيرا من الناس وتفرق العسكر واخذ كل واحد جهة ولما سمع
الموكلون بالاسرى المأخوذين من كفرطاب ذلك قتلوهم وكذلك فعل الموكل باياز
بن ايلغازي قتله ايضا وخاف اهل حلب وغيرها من بلاد المسلمين التي بالشام
فانهم كانوا يرجون النصر من جهة هذا العسكر فاتاهم ما لم يكن في الحساب وعادت
العساكر عنهم الى بلادهم واما برسق واخوه زنكي فانهما توفيا في سنة عشر وخمسمائة
وكان برسق خيرا دينا وقد ندم على الهزيمة وهو يتجهز للعود الى الغزاة فاتاه اجله

فاشتغل الناس بذلك وشاع في الاقليم المصري مقابل الثاني من البلاد القبلية والبحرية لتجديد مستنداتهم فطفقوا يكتبون السندات على نسق تقاسيط الالتزام لا على الوضع القديم ويسلم عليها الدفتردار فقط واما الصورة القديمة فكانت تكتب في كاغد كبير بخط عربي مجود وعليها طرة بداخلها اسم والي مصر وممهورة بختمه الكبير وعليها علامة الدفتردار وبداخلها صورة أخرى تسمى التذكرة مستطيلة على صورة التقسيط الفرمة ممهورة ايضا وعليها العلامة والختم وهي متضمنة ما في الكبيرة وعلى ذلك كان استمرار الحال الى هذا الاوان من قرون خلت ومدد مضت (وفيه) احضروا دفتر الاقاليم الجديدة بمساحة الشين الرى والشراقي واضافوا اليه طين الاوسية والرزق وكتبوا بذلك المناشير واخرج المباشرون كشوفاتها باسماء الملتزمين فضج الناس واجتمعوا الى مشايخ الازهر وتشكوا فوعدوهم بالتكلم في شان ذلك بعد التحدث (وفيه) قبض اغات التبديل على شخص من اهل العلم من درب السيد حسن البقلي وحبسه فوصل المشايخ يرجون في اطلاقه فلم يفعل وارسله الى القلعة (وفيه) نفي محمد افندي جبل ناظر المهمات تابع السيد سلامة الجبرى عدا ابه شاقى نعم ووصفه وسبب ذلك ان المذكور ارسل جملة ساقات

(ذكر ملك الفرنج رفنية وأخذها منهم)

في هذه السنة في جمادى الآخرة ملك الفرنج رفنية من أرض الشام وهي لطغتكين صاحب دمشق وقووها بالرجال والذخائر وبالغوا في تحصينها فاهتم طغتكين لذلك وقوى عزمه على قصد بلاد الفرنج بالنهب لها والتخريب فأتاه الخبر عن رفنية بخلوها من عسكر يمنع عنها وليس هناك الا الفرنج الذين رتبوا لحفظها فسار اليها جريدة فلم يشعر من بها الا وقد هجم عليهم البلد فدخله عنوة وقهرا واخذ كل من فيه من الفرنج أسيرا وقتل البعض وترك البعض وغنم المسلمون من سوادهم وكراعهم وذخائرهم ما امتلأت منه ايديهم وعادوا الى بلادهم سالمين

(ذكر وفاة يحيى بن تميم وولاية ابنه علي)

في هذه السنة توفي يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية يوم عيد الاضحى فجأة وكان منجم قد قال له في مولده ان عليه قطعا في هذا اليوم فلا تركب فلم يركب وخرج اولاده واهل دولته الى المصلى فلما انقضت الصلاة حضروا عنده للسلام عليه وتهنئته وقرأ القراء وانشد الشعراء وانصرفوا الى الطعام فقام يحيى من باب آخر ليحضر معهم على الطعام فلم يمش غير ثلاث خطا حتى وقع ميتا وكان ولده علي بمدينة سفاقس فاحضر وعقدت له الولاية ودفن يحيى بالقصر ثم نقل الى التربة بالمنستير وكان عمره اثنتين وخمسين سنة وخمسة عشر يوما وكانت ولايته ثماني سنين وخمسة اشهر وخمسة وعشرين يوما وخلف ثلاثين ولدا فقال عبد الجبار بن محمد بن حمديس الصقلي يرثيه ويهنئ ابنه عليا بالملك

ما أغمد العضب الا جرد الذكر * ولا اختفى قمر حتى بدا قمر
بموت يحيى اميت الناس كلهم * حتى اذا ما علي جاءهم نشروا
ان يعتنوا بسرور من تملكه * فمن منية يحيى بالاسى قبروا
اوفي عن فسن الملك ضاحكة * وعينها من ابيه دمعها همر
شقت جيوب المعالي بالاسى فبكت * في كل افق عليه الانجم الزهر
وقل لابن تميم حزن مادهما * فكل حزن عظيم فيه محتقر
قام الدليل ويحيى لاحياة له * ان المنية لا تبقي ولا تذر

وكان يحيى عادلا في رعيته ضابطا للامور دولته مدبرا لجميع احواله رحيما بالضعفاء والفقراء يكثر الصدقة عليهم ويقرب اهل العلم والفضل وكان عالما بالاخبار وايام الناس والطب وكان حسن الوجه اشهل العين الى الطول ما هو ولما استقر علي في الملك جهز اسطولا الى جزيرة جربة وسببه ان اهلها كانوا يقطعون الطريق ويأخذون التجار فحصرها وضيق على من بها فدخلوا تحت طاعته والتزموا ترك الفساد وضمنوا اصلاح الطريق وكف شرهم عنه فذلك وصلح أمر البحر وأمن المسافرون

(ذكر عدة حوادث)

أفندي المذكور فاقة ضمن روايته انه اخذها وقدمها للباشا وقال له ان السيد سلامة احضر هذه الهدية لافندينا شكرا لانعامه السابق عليه فقبلها الباشا وانعم عليه بعشرة اكياس وامر محمد افندي بان يحيله في وظيفة (وفيه) ايضا شرعوا في تحرير دفتر بنصف فائظ الملتزمين بانواع الاقمشة وباعة النعالات التي هي الصرم والبلغ وجعلوا عليها ختمية فلا يباع منها شئ حتى يعلم بيد الملتزم ويختم وعلى وضع الختم والعلامة قدر مقدر بحسب ثلث البضاعة وثمنها وزاد الضجيج واللغط في الناس (وفي يوم السبت سابع عشره) حضر المشايخ بالازهر على عادتهم لقراءة الدروس فحضر الكثير من النساء والعامة واهل المسجون وهم يصرخون ويستغيثون وابطلوا الدروس واجتمع المشايخ بالقبة وارسلوا الى السيد عمر النقيب فحضر اليهم وجلس معهم ثم قاموا وذهبوا الى بيوتهم ثم اجتمعوا في ثاني يوم وكتبوا عرضحال الى الباشا يذكرون فيه المحدثات من المظالم والبدع وختم الامتعة وطلب مال الاوسية والرزق والمقسمة في الفائظ وكذلك اخذ قريب نية في وحده بلا ذنب وذلك بعد ان جلسوا اجلاسا خاصا في

فى هذه السنة فى رجب قدم السلطان محمد بغداد ووصل اليه اتابك طغتكين صاحب دمشق فى ذى القعدة وسال الرضا عنه فرضى عنه السلطان وخلع عليه ورده الى دمشق وفيها امر الامام المستظهر بالله ببيع البدرية وهى منسوبة الى بدر غلام المعتضد بالله وكانت من احسن دور الخلفاء وكان ينزلها الراضى بالله ثم تهدمت وصارت تلا فامر القادر بالله ان يسور عليها سور لانها مع الدار الامامية ففعل ذلك فلما كان الآن امر ببيعها فبيعت وعمرها الناس وفيها فى شعبان وقعت الفتنة بين العامة وسببها ان الناس لما عادوا من زيارة مصعب اختصموا على من يدخل اولا فاقتتلوا وقتل بينهم جماعة وعادت الفتن بين اهل المحال كما كانت ثم سكنت وفيها اقطع السلطان محمد الموصل وما كان بيد آقسنقر البرسقى للامير جيوش بك وسير ولده الملك مسعودا واقام البرسقى بالرحبة وهى اقطاعه الى ان توفى السلطان محمد وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى وفيها توفى اسمعيل بن محمد بن احمد بن مله الاصبهانى ابو عثمان بن ابى سعيد الواعظ سمع الكثير وحدث ببغداد وغيرها وعبد الله بن المبارك بن موسى السقطى ابو البركات له رحلة وله تصانيف وكان أديبا

(ثم دخلت سنة عشر وخمسمائة)

(ذكر قتل أحمديل بن وهسوذان)

فى هذه السنة اول المحرم حضر اتابك طغتكين صاحب دمشق دار السلطان محمد ببغداد وحضر جماعة الامراء ومعهم احمديل بن ابراهيم بن وهسوذان الروادى الكردى صاحب مراغة وغيرها من اذربيجان وهو جالس الى جانب طغتكين فاتاه رجل متظلم وبيده رقعة وهو يبكى ويساله ان يوصلها الى السلطان فاخذها من يده فضربه الرجل بسكين فجذبه احمديل وتركه تحته فوثب رفيق للباطنى وضرب احمديل سكينا اخرى فاخذتهما السيوف واقبل رفيق لهما وضرب احمديل ضربة اخرى فعجب الناس من اقدامه بعد قتل صاحبيه وظن طغتكين والحاضرون ان طغتكين كان المقصود بالقتل وانه بامر السلطان فلما علموا انهم باطنية زال هذا الوهم

(ذكر وفاة جاولى سقاوو وحال بلاد فارس معه)

فى هذه السنة توفى جاولى سقاوو وكان السلطان ببغداد عازما على المقام بها فاضطر الى المسير الى اصبهان ليكون قريبا من فارس لئلا تختلف عليه وقد ذكرنا حال جاولى بالموصل الى ان ملكت منه واخذها السلطان فلما قصد السلطان ورضى عنه اقطعه بلاد فارس فسار جاولى اليها ومعه ولد السلطان جغرى وهو طفل له من العمر سنتان وامره باصلاحها وقمع المفسدين بها فسار اليها فاول ما اعتمده فيها انه لما توسط بلاد الاسيرابادجى وهو من كبار امراء السلطان ملكشاه ومن جملة بلاده كيل وسرماه وكان متمكنا من تلك البلاد راسله جاولى يدعوه الى خدمة جغرى ولد السلطان وعلم جغرى ان يقول بالفارسية خذوه فلما دخل بلدجى قال جغرى على عادته خذوه فاخذ وقتل

ولما حضروا وتكلموا وتلاقوا ... دوان افندى وقال الباشا يسلم عليكم ويسال عن مطلوباتكم فعرفوه بما سطروه اجمالا وبينوه له تفصيلا فقال ينبغى ذهابكم اليه وتخاطبونه مشافهة فتعتاترون وهو لا يخالف اوامركم ولا يرد شفاعتكم وانما القصد ان تلاطفوه فى الخطاب لانه شاب مغرور جاهل وظالم غشوم ولا تقبل نفسه التحكم وربما حمله غروره على حصول ضرر بكم وعدم انفاذ الغرض فقالوا باللسان واحد لا نذهب اليه ابدا ما دام يفعل هذه الفعال فان رجع عنها وامتنع عن احداث البدع والمظالم عن خلق الله رجعنا اليه وترددنا عليه كما كنا فى السابق فاننا بايعناه على العدل لا على الظلم والجور فقال لهم ديوان افندى وانا قصدى ان تخاطبوه مشافهة ويحصل انفاذ الغرض فقالوا لا نجتمع عليه ابدا ولا نثير فتنة بل نلزم بيوتنا ونقتصر على حالنا ونصبر على تقدير الله علينا وغيرنا واخذ ديوان افندى العرضحال ووعدهم برد الجواب ثم بعد رجوعه اطلقوا قريب السيد حسن البقلى الذى كان محبوسا وعلموا بذلك ثم انتظروا عودة ديوان افندى فابطا عليهم وتاخر عوده الى خامس يوم بعد الجمعية فاجتمع الشيخ ... المهدى والشيخ الدواخلى عند محمد افندى سبل ناصر المهمات وتلاتهم فى نفسهم

ونهبت أمواله وكان ابلدجي من جملة حصونه قلعة اصطخر وهي من أمنع القلاع وأحصنها وكان بها أهله وذخائره وقد استناب في حفظها وزيراله يعرف بالجهرمي فعصى عليه وأخرج اليه اهله وبعض المال ولم تزل في يد الجهرمي حتى وصل جاولي الى فارس فاخذها منه وجعل فيها أمواله وكان بفارس جماعة من أمراء الشوانكارة وهم خلق كثير لا يحصون ومقدمهم الحسن بن المبارز المعروف بخسرو وله فسا وغيرها فراسله جاولي ليحضر خدمة جتري فاجاب انني عبد السلطان وفي طاعته فاما الحضور فلا سبيل اليه لانني قد عرفت عادتك مع بلدجي وغيره ولكنني أحمل الى السلطان ما يؤثره فلما سمع جاولي جوابه علم انه لامقام له بفارس معه فاظهر العود الى السلطان وحمل اثقاله على الدواب وسار كانه يطلب السلطان ورجع الرسول الى خسرو فاخبره فاغتر وقصد الشرب وأمن واما جاولي فانه عاد من الطريق الى خسرو جريدة في نفر يسير فوصل اليه وهو مخمور نائم فكبسه فانبهه اخوه فضلوه فلم يستيقظ فصب عليه الماء البارد فافاق وركب من وقته وانهزم وتفرق اصحابه ونهب جاولي ثقله وأمواله وا كثر القتل في اصحابه ونجا خسرو الى حصنه وهو بين جبلين يقال لاحدهما انج وسار جاولي الى مدينة فسا فتسلمها ونهب كثيرا من بلاد فارس منها جهرم وسار الى خسرو وحصره مدة وضيق عليه فرأى من امتناع حصنه وقوته وكثرة ذخائره ماعلم ان المدة تطول عليه فصالحه ليشتغل بباقي بلاد فارس ورحل عنه الى شيراز فاقام بها ثم توجه الى كازرون فملكها وحصر ابا سعد محمد بن مما في قلعته واقام عليها سنتين صيفا وشتاء فراسله جاولي في الصلح فقتل الرسول فارسل اليه قوما من الصوفية فاطعمهم الهريسة والقطائف ثم امر بهم فخيطت ادبارهم والقوا في الشمس فهلكوا ثم نفد ما عند ابي سعد فطلب الامان فامنه وتسلم الحصن ثم ان جاولي اساء معاملته فهرب فقبض على اولاده وبث الرجال في اثره فرأى بعضهم زنجيا يحمل شيئا فقال ما معك فقال زادي ففتشه فرأى دجاجا وحلواء السكر فقال ما هذا من طعامك فضربه فاقر على ابي سعد وانه يحمل ذلك اليه فقصدوه وهو في شعب جبل فاخذه الجندي وحمله الى جاولي فقتله وسار الى دارابجرد وصاحبها اسمه ابراهيم فهرب صاحبها منه الى كرمان خوفا منه وكان بينه وبين صاحب كرمان صهر وهو ارسلانشاه بن كرمانشاه بن ارسلان بك بن قاورت فقال له لو تعاضدنا لم يقدر علينا جاولي وطلب منه النجدة وسار جاولي بعد هربه منه الى حصار رتيل رننه يعني مضيق رننه وهو موضع لم يؤخذ قهرا قط لانه واد نحو فرسخين وفي صدره قلعة منيعة على جبل عال واهل دارابجرد يتحصنون به اذا خافوا فاقاموا به وحفظوا اعلاه فلما رأى جاولي حصانته سار يطلب البرية نحو كرمان كاتما امره ثم رجع من طريق كرمان الى دارابجرد فظهر انه من عسكر الملك ارسلانشاه صاحب كرمان فلم يشك اهل الحصن انهم مدد لهم مع صاحبهم فاظهروا السرور واذنوا له في دخول المضيق فلما دخله وضع السيف فيمن هنالك فلم ينج غير القليل ونهب اموال أهل دارابجرد وعاد الى مكانه وراسل خسرو يعلمه انه عازم على التوجه الى كرمان

الصنيع ... عليها وتناجوا مع بعضهم ثم انتقلوا الى مصر بيتها وتفرقوا وحضر المهدى والدواخلي الى السيد عمر واخبراه ان محمد افندى ذكر لهم ان الباشا لم يطلب مال الاوسية ولا الرزق وقد كذب من نقل ذلك وقال انه يقول انى لا اخالف اوامر المشايخ وعند اجتماعهم عليه ومواجهته يحصل كل المراد فقال السيد عمر اما انكاره طلب مال الرزق والاوسية فهاهي أوراق من أوراق المباشرين عندي لبعض الملتزمين مشتملة على الفرضة ونصف الفائظ ومال الاوسية والرزق واما الذهاب اليه فلا اذهب اليه ابدا وان كنتم تنقضون الايمان والعهد الذي وقع بيننا فالرأى لكم ثم انفض المجلس واخذ الباشا يدبر في تفريق جمعهم وخذلان السيد عمر لما في نفسه منه من عدم انفاذ اغراضه ومعارضته له في غالب الامور ويخشى صولته ويعلم ان الرعية والعامة تحت امره ان شاء جمعهم وان شاء فرقهم وهو الذي قام بنصره وساعده واعانه وجمع الخاصة والعامة حتى ملكه الاقاليم ويرى انه ان شاء فعل بنقيض ذلك فطفق يجمع اليه بعض افراد من اصحابه الظاهر ويختلي معهم ويضحك اليهم ليغتر بذلك ويرى انه صار من المقربين وسيكون له شان ان وافق ونصح فيفرغ له جراب حقده ويرشده بقدر اجتهاده لما فيه من المعاونة ثم في

ويدعوه

و يدعوه اليه فلم يجد بدا من موافقته فنزل اليه طائعا وسار معه الى كرمان وارسل الى صاحبها القاضي أبا طاهر عبد الله بن طاهر قاضي شيراز يأمره باعادة الشوانكارة لانهم رعية السلطان ويقول انه متى أعادهم عاد عن قصد بلاده والا قصده فاعاد صاحب كرمان جواب الرسالة يتضمن الشفاعة فيهم حيث استجاروا به ولما وصل الرسول الى جاولي احسن اليه واجزل له العطاء وأفسده على صاحبه وجعله عينا له عليه وقرر معه اعادة عسكر كرمان ليدخل البلاد وهم غارون فلما عاد الرسول وبلغ السيرجان وبها عسكر صاحب كرمان ووزيره قدم الجيش أعلم الوزير ما عليه جاولي من المقاربة وانه يفارق ما كرهوه واكثر من هذا النوع وقال لكنه مستوحش من اجتماع العساكر بالسيرجان وان اعداء جاولي طمعوا فيه بهذا العسكر والراي ان تعاد العساكر الى بلادها فعاد الوزير والعساكر وخلت السيرجان وسار جاولي في اثر الرسول فنزل بفرج وهي الحد بين فارس وكرمان فحاصرها فلما بلغ ذلك ملك كرمان احضر الرسول وأنكر عليه اعادة العسكر فاعتذر اليه وكان مع الرسول فراش لجاولي ليعود اليه بالاخبار فارتاب به الوزير فعاقبه فاقر على الرسول فصلب ونهبت أمواله وصلب الفراش وندب العساكر الى المسير الى جاولي فساروا في ستة آلاف فارس وكانت الولاية التي هي الحد بين فارس وكرمان بيد انسان يسمى موسى وكان ذا راى ومكر فاجتمع بالعسكر واشار عليهم بترك الجادة المسلوكة وقال ان جاولي محتاط بها وسلك بهم طريقا غير مسلوكة بين جبال ومضايق وكان جاولي يحاصر فرج وقد ضيق على من بها وهو يدمن الشرب فسير اميرا في طائفة من عسكره ليلقى العسكر المنفذ من كرمان فسار الامير فلم ير احدا فظن انهم قد عادوا فرجع الى جاولي وقال ان العسكر كان قليلا فعاد خوفا منا فاطمأن حينئذ جاولي وادمن شرب الخمر ووصل عسكر كرمان اليه ليلا وهو سكران نائم فايقظه بعض اصحابه واخبره فقطع لسانه فاتاه غيره وايقظه وعرفه الحال فاستيقظ وركب وانهزم وقد تفرق عسكره منهزمين فقتل منهم واسر كثير وادركه خسرو وابن ابي سعد الذي قتل جاولي اباه فسارا معه في اصحابهما فالتفت فلم ير معه احدا من اصحابه الاتراك فخاف على نفسه منهما فقالا له انا لا نغدر بك ولن ترى منا الا الخير والسلامة وسارا معه حتى وصل الى مدينة فسا واتصل به المنهزمون من اصحابه واطلق صاحب كرمان الاسرى وجهزهم وكانت هذه الوقعة في شوال سنة ثمان وخمسمائة وبينما جاولي يدبر الامر ليعاود كرمان ويأخذ بثاره توفي الملك جغرى ابن السلطان محمد وعمره خمس سنين وكانت وفاته في ذي الحجة سنة تسع وخمسمائة ففت ذلك في عضده فوصل ملك كرمان رسولا الى السلطان وهو ببغداد يطلب منه منع جاولي عنه فاجابه السلطان انه لا بد من ارضاء جاولي وتسليم فرج اليه فعاد الرسول في ربيع الاول سنة عشر وخمسمائة فتوفي جاولي فعلم انهم كانوا يخافونه فسمع السلطان وسار عن بغداد الى اصبهان خوفا على فارس من صاحب كرمان

(ذكر فتح جبل وسلات وتونس)

ليلا نهاحضر ديوان افندي وعبد الله بكتاش الترجمان وحضر المهدي والدواخلي الجميع عند السيد عمر وطال بينهم الكلام والمعالجة في طلوعهم ومقابلتهم الباشا وفرق اناك كل من المهدي والدواخلي والسيد عمر مصمم على الامتناع ثم قالوا الابد من كون الشيخ الامير معنا ولا نذهب بدونه فاعتذر الشيخ الامير بانه متوعك ثم قام المهدي والدواخلي وخرجا بصحبة ديوان افندي والترجمان وطلعوا الى القلعة وتقابلوا مع الباشا ودار بينهم الكلام وقال في كلامه انا لا ارد شفاعتكم ولا اقطع رجاءكم والواجب عليكم اذا رأيتم مني انحرافا ان تنصحوني وترشدوني ثم اخذ يلوم على السيد عمر في تخلفه وتعنته ويثني على البواقي وفي كل وقت يعاندني ويبطل احكامي ويخوفني بقيام الجمهور فقال الشيخ المهدي هو ليس الا بنا واذا خلا عنا فلا يسوى بشئ ان هو الا صاحب حرفة او جابي وقف يجمع الايراد ويصرفه على المستحقين فعند ذلك تبين قصد الباشا لهم ووافق ذلك ما في نفوسهم من الحقد للسيد عمر والشيخ الدواخلي حضوره نيابة عن الشيخ الشرقاوي وعن نفسه ثم انهما خرجا من عنده وقاموا مصرين مظهرين خلاف ما هو كامن في نفوسهم من الحقد وحظوظ النفس غير منكرين في المواقع

في هذه السنة حصر عسكر علي بن يحيى صاحب افريقية مدينة تونس وبها احمد بن خراسان وضيق على من بها فصالحه صاحبها على ما اراد وفيها فتح ايضا جبل وسلات بافريقية واستولى عليه وهو جبل منيع ولم يزل اهله طول الدهر يفسدون بالناس ويقطعون الطريق فلما استمر ذلك منهم سير اليهم جيشا فكان اهل الجبل ينزلون الى الجيش ويقاتلون أشد قتال فعمل قائد الجيش الحيلة في الصعود الى الجبل من شعب لم يكن احد يظن انه يصعد منه فلما صار في اعلاه في طائفة من اصحابه ثار اليه اهل الجبل فصبر لهم وقاتلهم فيمن معه اشد قتال وتتابع الجيش في الصعود اليه فانهزم اهل الجبل وكثر القتل فيهم ومنهم من رمى نفسه فتكسر ومنهم من افلت واحتمى جماعة كثيرة بقصر في الجبل فلما احاط بهم الجيش طلبوا ان يرسل اليهم من يصلح حالهم فارسل اليهم جماعة من العرب والجند فثار بهم اولئك بالسلاح فقتلوا بعضهم وطلع الباقون الى اعلى القصر ونادوا اصحابهم من الجيش فاتوهم وقاتلوهم بعضهم من اعلى القصر وبعضهم من اسفله فاتى من فيه من اهل الجبل ايديهم فقتلوا كلهم

(ذكر الفتنة بطوس)

في هذه السنة في عاشوراء كانت فتنة عظيمة بطوس في مشهد علي بن موسى الرضا عليه السلام وسببها ان علويا خاصم في المشهد يوم عاشوراء بعض فقهاء طوس فادى ذلك الى مضاربة وانقطعت الفتنة ثم استعان كل منهما بحزبه فثارت فتنة عظيمة حضرها جميع أهل طوس وأحاطوا بالمشهد وخربوه وقتلوا من وجدوا فقتل بينهم جماعة ونهبت أموال جمة وافترقوا وترك أهل المشهد الخطبة أيام الجمعات فيه فبنى عليه عضد الدين فرامرز بن علي سورا منيعا يحتمي به من بالمشهد على من يريده بسوء وكان بناؤه سنة خمس عشرة وخمسمائة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة وقعت النار في الحظائر المجاورة للمدرسة النظامية ببغداد فاحترقت الاخشاب التي بها واتصل الحريق الى درب السلسلة وتطاير الشرر الى باب المراتب فاحترقت منه عدة دور واحترقت خزانة كتب النظامية وسلمت الكتب لان الفقهاء لما احسوا بالنار نقلوها وفيها توفي عبد الله بن يحيى بن محمد بن بهلول أبو محمد الاندلسي السرقسطي وكان فقيها فاضلا ورد نحوا لعراق سنة خمسمائة وسار الى خراسان فسكن مرو الروذ فمات بها وله شعر حسن فمنه

ومهفهف يختال في ابراده * مرح القضيب اللدن تحت البارح
أبصرت في مرآة فكري خده * فحكيت فعل جفونه بجوارحي
ما كنت حسب ن فعل توهمي * يقوى تعديه فيجرح جارحي
لاغروان جرح التوهم خده * فالسحر يعمل في البعيد النازح

[illegible] السلاف وقال انا لا ارد شفاعتكم ولكن نفسي لا تقبل التحكم والواجب عليكم اذا رأيتموني فعلت شيئا مخالفا ان تنصحوني وتشفعوا فانا لا اردكم ولا امتنع من قبول نصحكم وأما ما تفعلونه من التشنيع والاجتماع بالازهر فهذا لا يناسب منكم وكانكم تخوفوني بهذا الاجتماع وتهييج الشرور وقيام الرعية كما كنتم تفعلون في زمان المماليك فانا لا افزع من ذلك وان حصل من الرعية أمر ما فليس لهم عندي الا السيف والانتقام فقلنا له هذا لا يكون ونحن لا نحب ثوران الفتن وانما اجتماعنا لاجل قراءة البخاري وندعو الله برفع الكرب ثم قال أريد ان تخبروني عمن انتبذ لهذا الامر ومن ابتدأ بالخلف فغالطناه وانه وعدنا ابطال الدمغة وتضعيف الفائظ الى الربع بعد النصف وانكر الطلب بالاوسية والرزق عن اقليم البحيرة ثم قاموا منصرفين وانفتح بينهم باب النفاق واستمر القال والقيل وكل مريص على حظ نفسه وزيادة شهرته وسمعته ومظهر خلاف ما في ضميره

(واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الجمعة سنة ١٢٢٤) فيه حضر ديوان افندي وعبد الله بكتاش الترجمان واجتمع المشايخ ببيت السيد وفيها

وفيها في شعبان توفي أبو القاسم علي بن محمد بن أحمد بن بيان الرزاز ومولده في صفر سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وهو آخر من حدث عن أبي الحسن بن مخلد وأبي القاسم بن بشران وفيها توفي أبو بكر محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني رئيس الشافعية بمرو ومولده سنة ست وأربعين وأربعمائة وسمع الحديث الكثير وصنف وله فيه أمال حسنة وتكلم على الحديث فأحسن ما شاء وفيها توفي محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذاني أبو الخطاب الفقيه الحنبلي ومولده سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة وتفقه على أبي يعلى بن الفراء

(ثم دخلت سنة احدى عشرة وخمسمائة)

(ذكر وفاة السلطان محمد وملك ابنه محمود)

في هذه السنة في الرابع والعشرين من ذي الحجة توفي السلطان محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان وكان ابتداء مرضه في شعبان وانقطع من الركوب وتزايد مرضه ودام وارجف عليه بالموت فلما كان يوم عيد النحر حضر السلطان وحضر ولده السلطان محمود على السماط فنهبه الناس ثم اذن لهم فدخلوا الى السلطان محمد وقد تكلف القعود لهم وبين يديه سماط كبير فأكلوا وخرجوا فلما انتصف ذو الحجة ايس من نفسه فاحضر ولده محمودا وقبله وبكى كل واحد منهما وامره ان يخرج ويجلس على تخت السلطنة وينظر في أمور الناس وعمره اذ ذاك قد زاد على اربع عشرة سنة فقال لوالده انه يوم غير مبارك يعني من طريق النجوم فقال صدقت ولكن على ابيك واما عليك فمبارك بالسلطنة فخرج وجلس على التخت بالتاج والسوارين وفي يوم الخميس الرابع والعشرين احضر الامراء واعلموا بوفاته وقرئت وصيته الى ولده محمود يأمره بالعدل والاحسان وفي يوم الجمعة الخامس والعشرين منه خطب لمحمود بالسلطنة وكان مولد السلطان محمد ثامن عشر شعبان من سنة أربع وسبعين واربعمائة وكان عمره سبعا وثلاثين سنة واربعة اشهر وستة أيام وأول ما دعي له بالسلطنة ببغداد في ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وقطعت خطبته عدة دفعات على ما ذكرناه ولقي من المشاق والاخطار ما لا حد عليه فلما توفي أخوه بركيارق صفت له السلطنة وعظمت هيبته وكثرت جيوشه وأمواله وكان اجتماع الناس عليه اثنتي عشرة سنة وستة اشهر

(ذكر بعض سيرته)

كان عادلا حسن السيرة شجاعا فمن عدله انه اشترى مماليك من بعض التجار واحالهم بالثمن على عامل خوزستان فاعطاهم البعض ومطل بالباقي فحضروا واجتازوا الحكم واخذوا معهم غلمان القاضي فلما رآهم السلطان قال لحاجبه انظر ما حال هؤلاء فسألهم عن حالهم فقالوا لنا خصم يحضر معنا مجلس الحكم فقال من هو فقالوا السلطان وذكروا قصتهم فعظم ذلك عليه واشتد عليه واكره وامر باحضار العامل وامره بايصال ثمنهم والجعل الثقيل ونكل به حتى يمتنع غيره عن مثل فعله ثم انه كان يقول بعد ذلك لقد

نحو ثلاثة ... والطلوع الى الباشا وحنا بانه حلف انه لا يطلع اليه ولا يجتمع به ولا يرى له وجها الا اذا ابطل هذه الاحدوثات وقال ان جميع الناس يتهمونني معه ويزعمون انه لا يفعل أمرا على شيء يفعله الا باتفاق معه وفي ما مضى ومهما تقادم يتزايد الظلم والجور وتكلم كلاما كثيرا فلما لم يجبهم الى الذهاب قالوا اذا يطلع المشايخ وارسلوا الى الشيخ الامير فاعتذر بانه متوعك الجسم ولا يقدر على الحركة ولا الركوب ثم اتفقوا على طلوع الشيخ عبد الله الشرقاوي والمهدي والدواخلي والفيومي وذلك على خلاف غرض السيد عمر وقد ظن انهم يمتنعون لامتناعه للعهد السابق والايمان فلما طلعوا الى الباشا وتكلموا معه وقد فهم كل منهم نية الآخر الباطنية ثم ذاكروه في امر الحدثات فأخبرهم انه يرفع بدعة الدمغة وكذلك يرفع الطلب عن الاطيان الاوسية وتقرير ربع المال فائظ وقاموا على ذلك ونزلوا الى بيت السيد عمر واخبروه بما حصل فقال وعلى كذلك فانو... انه ارسل الي ... بتقرير ربع المال ... فلم ارض وابيت لارفع ذلك بالكلية فانه في ... السابق المطلب احداث الربع قلت لهذه تصير سنة متبعة تخلف انها

٢ قوله قالوا قال الخ هكذا في جميع النسخ ولعل معناه قالوا لا او نحو ذلك كذا بهامش الاصل

[illegible] التاريخ [illegible] النفقة ولا نطلبها في المستقبل [illegible] [illegible]

تقدمت قدماؤه فيما حيث لم احضر معهم مجلس الحكم فيقتدي بي غيري ولا يمتنع احد عن الحضور فيه واداء الحق ومن عدله انه كان له خازن يعرف بابي احمد القزويني قتله الباطنية فلما قتل أمر بعرض الخزانة فعرض عليه فيها درج فيه جوهر كثير نفيس فقال ان هذا الجوهر عرضه علي منذ ايام وهو في ملك اصحابه وسلمه الى خادم ليحفظه وينظر من اصحابه فيسلم اليهم فسأل عنهم وكانوا تجارا غرباء وقد تيقنوا ذهابه وايسوا منه فسكتوا فاحضرهم وسلمه اليهم ومن عدله انه اطلق المكوس والضرائب في جميع البلاد ولم يعرف منه فعل قبيح وعلم الامراء سيرته فلم يقدم احد منهم على الظلم وكفوا عنه ومن محاسن اعماله ما فعله مع الباطنية على ما نذكره

(ذكر حال الباطنية ايام السلطان محمد)

قد تقدم ذكر ما اعتمده من حصر قلاعهم ونحن نذكر ههنا زيادة اهتمامه بامرهم فانه رحمه الله تعالى لما علم ان مصالح البلاد والعباد منوطة بمحو آثارهم واخراب ديارهم وملك حصونهم وقلاعهم جعل قصدهم دأبه وكان في ايامه المقدم عليهم والقيم بامرهم الحسن بن الصباح الرازي صاحب قلعة ألموت وكانت أيامه قد طالت وله منذ ملك قلعة ألموت ما يقارب ستا وعشرين سنة وكان المجاورون له في أقبح صورة من كثرة غزواته عليهم وقتله وأسره رجالهم وسبي نسائهم فسير اليه السلطان العساكر على ما ذكرناه فعادت من غير بلوغ غرض فلما أعضل داؤه ندب لقتاله الامير انوشتكين شيركير صاحب آبة وساوة وغيرهما فملك منهم عدة قلاع منها قلعة كلام ملكها في جمادى الاولى سنة خمس وخمسمائة وكان مقدمها يعرف بعلي بن موسى فامنه ومن معه وسيرهم الى ألموت وملك منهم ايضا قلعة بيرة وهي على سبعة فراسخ من قزوين وامنهم وسيرهم الى ألموت ايضا وسار الى قلعة ألموت فحصرهم ومن معه من العساكر وامده السلطان بعدة من الامراء فحصرهم وكان هو من بينهم صاحب القريحة والبصيرة في قتالهم مع جودة راي وشجاعة فبنى عليها مساكن يسكنها هو ومن معه وعين لكل طائفة من الامراء اشهرا يقيمونها فكانوا يتناوبون ويحضرون وهو ملازم الحصار وكان السلطان ينقل اليه الميرة والذخائر والرجال فضاق الامر على الباطنية وعدمت عندهم الاقوات وغيرها فلما اشتد عليهم الامر نزلوا نساءهم وابناءهم مستامنين ويسالون ان يفرج لهم ولرجالهم عن الطريق ويؤمنوا فلم يجابوا الى ذلك واعادهم الى القلعة قصدا ليموت الجميع جوعا وكان ابن الصباح يجري لكل رجل منهم في اليوم رغيفا وثلاث جوزات فلما بلغ بهم الامر الى الحد الذي لا مزيد عليه بلغهم موت السلطان محمد فقويت نفوسهم وطابت قلوبهم ووصل الخبر الى العسكر المحاصر لهم بعدهم بيوم وعزموا على الرحيل فقال شيركير ان رحلنا عنهم وشاع الامر نزلوا الينا واخذوا ما اعددناه من الاقوات والذخائر والراي ان نقيم على قلعتهم حتى نفتحها وان لم يكن المقام فلا بد من مقام ثلاثة ايام حتى ينفذ ما ثقلنا وما اعددناه ونحرق ما نعجز عن حمله لئلا ياخذه العدو فلما سمعوا قوله عن [illegible] على الاتفاق والاجتماع فلما امسوا رحلوا من غير مشاورة وتولم

وتصدق على ذلك وهذا في علمكم كما لا يخفى فقالوا نعم واما قوله انه رفع الطلب عن الاوسية والرزق فلا اصل لذلك وها هي اوراق البحيرة وجهوا بها الطلب فقالوا انما ذكرنا له ذلك فانكر وكابرناه باوراق الطلب فقال ان السبب في طلب ذلك من اقاليم البحيرة خاصة أن الكشافين لما نزلوا الكشف على اراضي الري والشراقي ليقرروا عليها فرضة الاطيان حصل منهم الخيانة والتدليس فاذا كان في ارض البلدة خمسمائة فدان ري قالوا عليها مائة وعوا الباقي رزقا واوسية فقررت ذلك عقوبة لهم في نظيرة تدليسهم وخيانتهم فقال السيد عمر وهل ذلك امر واجب فعله اليس هو مجرد جور وظلم أحدثه في العام الماضي وهي فرضة الاطيان التي ادعى لزومها لاتمام العلوفة وحلف انه لا يعود لمثلها فقد عاد وزاد وأنتم توافقونه وتسايرونه ولا تصدونه ولا تصدعونه بكلمة وأنا الذي صرت وحدي مخالفا وشاذا ووجه عليهم اللوم في نقضهم العهد والايمان وانفض المجلس وتفرقت الآراء وراج سوق النفاق وتحركت حفائظ الحقد والحسد وكثر سعيهم وتناجيهم بالليل والنهار وراسلوا شاير السيد عمر وطلبه للحضور اليه والاجتماع به وبعده [illegible]

بقى فير يسير كبير ونزل اليه الباطنية من القلعة فداهمهم وقاتلهم وحمى من تخلف من سوقة العسكر واتباعهم ولحق بالعسكر فلما فارق القلعة غنم الباطنية ما تخلف عندهم

(ذكر حصار قابس والمهدية)

في هذه السنة جهز علي بن يحيى صاحب افريقية اسطولا في البحر الى مدينة قابس وحصرها وسبب ذلك ان صاحبها رافع بن مكن الدهماني انشأ مركبا بساحلها ليحمل التجار في البحر وكان ذلك آخر ايام الامير يحيى فلم ينكر يحيى ذلك جريا على عادته في المداراة فلما ولي علي الامر بعد ابيه أنف من ذلك وقال لا يكون لاحد من اهل افريقية ان يناويني في اجراء المراكب في البحر بالتجار فلما خاف رافع ان يمنعه على التجاالى الدين رجار ملك الفرنج بصقلية واعتضد به فوعده رجار أن ينصره ويعينه على اجراء مركبه في البحر وانفذ في الحال اسطولا الى قابس فاجتازوا بالمهدية فحينئذ تحقق علي اتفاقهما وكان يكذبه فلما جاز اسطول رجار بالمهدية أخرج علي اسطوله في اثره فتوافى الجميع الى قابس فلما رأى صاحبها اسطول الفرنج والمسلمين لم يخرج مركبه فعاد اسطول الفرنج وبقي اسطول علي يحصر رافعا بقابس مضيقا عليها ثم عادوا الى المهدية وتمادى رافع في المخالفة لعلي وجمع قبائل العرب وسار بهم حتى نزل على المهدية محاصرا لها وخادع عليا وقال انني انما جئت للدخول في الطاعة وطلب من يسعى في الصلح واعماله تكذب أقواله فلم يجبه عن ذلك بحرف واخرج العساكر وحملوا على رافع ومن معه حملة منكرة فالحقوهم بالبيوت ووصل العسكر الى البيوت فلما رأى ذلك النساء صحن وولولن فغارت العرب وعاودت القتال واشتد حينئذ الامر الى المغرب ثم افترقوا وقد قتل من عسكر رافع بشر كثير ولم يقتل من جند علي غير رجل واحد من الرجالة ثم خرج عسكر علي مرة أخرى فاقتتلوا أشد من القتال الاول وكان الظهور فيه لعسكر علي فلما رأى رافع انه لا طاقة له بهم رحل عن المهدية ليلا الى القيروان فمنعه أهلها من دخولها فقاتلهم أياما قلائل ثم دخلها فارسل علي اليه عسكرا من المهدية فحصروه فيها الى أن خرج عنها وعاد الى قابس ثم ان جماعة من أعيان افريقية من العرب وغيرهم سألوا عليا في الصلح فامتنع ثم أجاب الى ذلك وعاد عليه

(ذكر الوحشة بين رجار والامير علي)

كان رجار صاحب صقلية بينه وبين الامير علي صاحب افريقية مودة وكيدة الى ان اعان رافعا كما تقدم قبل فاستوحش كل منهما من صاحبه ثم بعد ذلك خاطبه رجار بما لم تجر عادتهم به فتأكدت الوحشة فارسل رجار رسالة فيها خشونة فاحترز علي منه وامر بتجديد الاسطول واعداد الاهبة للقاء العدو وكاتب المرابطين بمراكش في الاجتماع معه على الدخول الى صقلية فكف رجار عما كان يعتمده

(ذكر قتل صاحب حلب واستيلاء ايلغازي عليها)

بالفجار بالتبير عليه به وارسل اليه كتخداه ليترفق به وذكر له ان الباشا رتب له كيسا لكل يوم يصليه في هذا الحين ثلثمائة كيس خلاف ذلك فلم يقبل ولم يزل الباشا متعلق الخاطر بسببه ويتجسس ويتفحص عن احواله وعلى من يتردد عليه من كبار العسكر وربما اغرى به بعض الكبار فراسلوه سرا واظهروا له كراهتهم للباشا وانه ان انتبذ لمفاقمته ساعدوه وقاموا بنصرته عليه فلم يخف على السيد عمر مكرهم ولم يزل مصمما ومتمنعا عن الاجتماع به والامتثال اليه ويحفظ عليه والمترددون أيضا ينقلون ويحرفون بحسب الاغراض والاهواء واتفق في اثناء ذلك ان الباشا امر بكتابة عرضحال بسبب المطلوب لوزير الدولة وهي الاربعة آلاف كيس ويذكر فيه انها صرفت في المهمات منها ما صرف في سد ترعة الفرعونية ومبلغه ثمانمائة كيس وعلى تجاريد العساكر لمحاربة الامراء المصرية حتى دخلوا في الطاعة كذلك مبلغا عظيما وما صرف في عمارة القلعة والمجراة التي تنقل المياه اليها مبلغ ايضا وكذلك في حفر الخلجان والترع ونقص المال الميري بسبب شراقي البلاد ونحو ذلك وارسله الى السيد عمر ليضع خطه وختمه عليه فامتنع وقال اما ما صرفه على سد الترعة فان الذي جمعه وجباه من البلاد يزيد على ما صرفه اضعافا كثيرة واما غير ذلك فكله كذب لا اصل

في هذه السنة قتل لؤلؤ الخادم وكان قد استولى على قلعة حلب وأعمالها بعد وفاة الملك رضوان وولي أتابكية ولده الب ارسلان فلما مات اقام بعده في الملك سلطانشاه ابن رضوان وحكم في دولته أكثر من حكمه في دولة أخيه فلما كان هذه السنة سار منها الى قلعة جعبر ليجتمع بالامير سالم بن مالك صاحبها فلما كان عند قلعة نادر نزل يريق الماء فقصده جماعة من أصحابه الاتراك وصاحوا ارنب ارنب وأوهموا انهم يتصيدون ورموه بالنشاب فقتل فلما هلك نهبوا خزانته فخرج اليهم أهل حلب فاستعادوا ما أخذوه وولي أتابكية سلطانشاه بن رضوان شمس الخواص يارقتاش فبقي شهرا وعزلوه وولي بعده أبو المعالي بن الملحي الدمشقي ثم عزلوه وصادروه وقيل كان سبب قتل لؤلؤ أنه أراد قتل سلطانشاه كما قتل أخاه الب ارسلان قبله ففطن به أصحاب سلطانشاه فقتلوه وقيل كان قتله سنة عشر وخمسمائة والله أعلم ثم ان اهل حلب خافوا من الفرنج فسلموا البلد الى نجم الدين ايلغازي فلما تسلمه لم يجد فيه مالا ولا ذخيرة لان الخادم كان قد فرق الجميع وكان الملك رضوان قد جمع فاكثر ففرقه الصغير اولاده فلما رأى ايلغازي خلو البلد من الاموال صادر جماعة من الخدم بمال صانع به الفرنج وهادنهم مدة يسيرة تكون بمقدار مسيره الى ماردين وجمع العساكر والعود فلما تمت الهدنة سار الى ماردين على هذا العزم واستخلف بحلب ابنه حسام الدين تمرتاش

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في رابع عشر صفر انخسف القمر انخسافا كليا وفي هذه الليلة هجم الفرنج على ربض حماة من الشام وقتلوا من أهلها ما يزيد على مائة رجل وعادوا وفيها في يوم عرفة كانت زلزلة بالعراق والجزيرة وكثير من البلاد وخربت ببغداد دور كثيرة بالجانب الغربي وفيها مات احمد العربي ببغداد وكان من عباد الله الصالحين له كرامات وقبره يزار بها وفي هذه السنة في شوال توفي ابو علي محمد بن سعد بن ابراهيم بن نبهان الكاتب وعمره مائة سنة وكان عالي الاسناد روى عن ابي علي بن شاذان وغيره والحسن ابن احمد بن جعفر ابو عبد الله الشقاق الفرضي الحاسب وكان واحد عصره في علم الفرائض والحساب وسمع الحديث من ابي الحسين بن المهتدي وغيره وفيها مات الكرايكس ملك القسطنطينية وملك بعده ابنه يوحنا وسلك سيرته وفيها مات دوقس انطاكية وكفى الله شره

(ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وخمسمائة)

(ذكر ما فعله السلطان محمود بالعراق وولاية البرسقي شحنكية بغداد)

لما توفي السلطان محمد وملك بعده ابنه محمود ودبر دولته الوزير الربيب ابو منصور ارسل الى الخليفة المستظهر بالله يطلب ان يخطب له ببغداد فخطب له في الجمعة ثالث عشر المحرم وكان شحنة بغداد بهروز ثم ان الامير دبيس بن صدقة كان عند السلطان محمد

[margin]

...الكلام بحق واعتاظ ...نفسه وطلبه للاجتماع ...فامتنع فلما اكثر من التراسل ...قال ان كان ولابد فاجتمع معه ...في بيت السادات واما طلوعي اليه فلا يكون فلما قيل له في ...ذلك ازداد حنقه وقال انه بلغ ...منه ان يزدريني ويرذلني ويأمرني ...بالنزول من محل حكمي الى ...بيوت الناس (ولما اصبح يوم الاربعاء سابع عشرينه) ركب الباشا وحضر الى ...بيت ولده ابراهيم بك الدفتردار ...وطلب القاضي والمشايخ ...المذكورين وارسل الى السيد ...عمر رسولا من طرفه ورسولا ...من طرف القاضي يطلبه ...للحضور ليتوافق ويتشارع ...معه فرجع واخبر بانه شرب ...دواء ولا يمكنه الحضور في هذا اليوم وكان قد احضر شيخ السادات الوفائية والشيخ الشرقاوي فعند ذلك احضر الباشا خلعة والبسها الشيخ السادات على نقابة الاشراف وامر بكتابة فرمان بخروج السيد عمر ونفيه من مصر يوم تاريخه فتشفع المشايخ في مهاله ثلاثة ايام حتى يقضي اشغاله فاجاب الى ذلك ثم سالوه ...ان يذهب الى بلده اسيوط ...فقال لا يذهب الى اسيوط ...يذهب اما الى سكندرية ...او دمياط فلما ورد الخبر على ...السيد عمر بذلك قال اما منصب النقابة فاني راغب عنه وزاهد فيه وليس فيه الا التعب واما النفي فهو غاية

مذ

مذ قتل والده على ما ذكرناه فأحسن اليه واقطعه اقطاعا كثيرا فلما توفي السلطان محمد خاطب السلطان محمودا في العود الى بلده الحلة فاذن له في ذلك فعاد اليها فاجتمع عليه خلق كثير من العرب والاكراد وغيرهم وكان آقسنقر البرسقي مقيما بالرحبة وهي اقطاعه وليس بيده من الولايات شيء فاستخلف عليها ابنه عز الدين مسعودا وسار الى السلطان محمد قبل موته عازما على مخاطبته في زيادة اقطاعه فبلغه وفاة السلطان محمد قبل وصوله الى بغداد وسمع مجاهد الدين بهروز بقربه من بغداد فارسل اليه يمنعه من دخولها فسار الى السلطان محمود فلقيه توقيع السلطان بولاية شحنكية بغداد وهو بحلوان وعزل بهروز وكان الامراء عند السلطان يريدون البرسقي ويتعصبون له ويكرهون مجاهد الدين بهروز ويحسدونه لقربه كان عند السلطان محمد وخافوا ان يزداد تقدما عند السلطان محمود وحكما فلما ولي البرسقي شحنكية بغداد هرب بهروز الى تكريت وكانت له ثم ان السلطان ولى شحنكية بغداد الامير منكوبرس وهو من اكابر الامراء وقد حكم في دولة السلطان محمود فلما اعطي الشحنكية سير اليها ربيبه الامير حسين بن ازبك احد الامراء الاتراك وهو صاحب اسداباذ لينوب عنه ببغداد والعراق وفارق السلطان من باب همذان واتصل به جماعة الامراء البكجية وغيرهم فلما سمع البرسقي خاطب الخليفة المستظهر بالله ليأمره بالتوقف الى ان يكاتب السلطان ويفعل ما يرد به الامر عليه فارسل اليه الخليفة فاجاب ان يرسم الخليفة بالعود عدت والا فلا بد من دخول بغداد فجمع البرسقي اصحابه وسار اليه فالتقوا واقتتلوا فقتل اخ لحسين وانهزم هو ومن معه وعادوا الى عسكر السلطان فكان ذلك في شهر ربيع الاول قبل وفاة المستظهر بالله بايام

(ذكر وفاة المستظهر بالله)

في هذه السنة سادس عشر شهر ربيع الآخر توفي المستظهر بالله ابو العباس احمد بن المقتدي بامر الله وكان مرضه التراقي وكان عمره احدى واربعين سنة وستة اشهر وستة ايام وخلافته اربعا وعشرين سنة وثلاثة اشهر واحد عشر يوما ووزراؤه عميد الدولة ابو منصور بن جهير وسديد الملك ابو المعالي المفضل بن عبد الرزاق الاصبهاني وزعيم الرؤساء ابو القاسم بن جهير ومجد الدين ابو المعالي هبة الله بن المطلب ونظام الدين ابو منصور الحسين بن محمد وناب عن الوزارة امين الدولة ابو سعد بن الموصلايا وقاضي القضاة ابو الحسن علي بن الدامغاني ومن في ايامه ثلاثة سلاطين خطب لهم بالحضرة وهم تاج الدولة تتش بن الب ارسلان والسلطان بركيارق ومحمد ابنا ملكشاه ومن غريب الاتفاق انه لما توفي السلطان الب ارسلان توفي بعده القائم بامر الله ولما توفي السلطان ملكشاه توفي بعده المقتدي بامر الله ولما توفي السلطان محمد توفي بعده المستظهر بالله

(ذكر بعض اخلاقه وسيرته)

سالمين وارتاح من هذا الوباء ولكن اريد ان يكون في بلدتي اسكن تحت حلمه اذا لم يأذن لي في الذهاب الى اسيوط فليأذن لي في الذهاب الى الطور او الى درنه فعرفوا الباشا فلم يرض الا بذهابه الى دمياط ثم ان السيد عمر امر بالشاويش ان يأخذ الجاويشية ويذهب بهم الى بيت السادات واخذ في اسباب السفر (وفي يوم الخميس ثامن عشرينه) الموافق لخامس مسرى القبطي اوفى النيل المبارك ونودي بالوفاء تلك الليلة وخرج الناس لاجل الفرجة والنزاهات في الدور المطلة على الخليج فلما كان آخر النهار برزت الاوامر بتأخير الموسم الى ليلة السبت بالروضة فبرد طعام اهل الولائم والضيافات وتضاعفت كلفهم ومصاريفهم وحصلت الجمعية ليلة السبت بالروضة وعند قنطرة السد وعملوا الحراقات والشنك وحضر الباشا واكابر دولته والقاضي وكسر السد بحضرتهم وجرى الماء في الخليج ونقض الجمع (وفي ذلك اليوم) اعتنى السيد محمد المحروقي بامر السيد عمر وذهب الى الباشا وكلمه واخبره بانه قد جعله وكيلا على اولاده وبيته وتعلقاته وجميع ذلك وقال هو آمن من كل شيء وانما لم ارد الا جبر خاطره ولا اؤذيه ثم ارسل السيد المحروقي فحضر ابن ابنة السيد عمر فقابل به الباشا وطمن خاطره ولما رجع قال لابد من سفره الى دمياط وعند ما طلب السيد المحروقي الكلام الى

كان رضي الله عنه لين الجانب كريم الاخلاق يحب اصطناع الناس و يفعل الخير و يسارع الى أعمال البر والمثوبات مشكور المساعي لا يرد مكرمة تطلب منه وكان كثير الوثوق بمن يوليه غير مصغ الى سعاية ساع ولا ملتفت الى قوله ولم يعرف منه تلون وانحلال عزم باقوال اصحاب الاغراض وكانت ايامه أيام سرور الرعية فكانها من حسنها اعياد * وكان اذا بلغه ذلك فرح به وسره واذا تعرض سلطان أو نائب له الى أذى أحد بالغ في انكار ذلك و الزجر عنه وكان حسن الخط جيد التوقيعات لا يقاربه فيها احد يدل على فضل غزير وعلم واسع ولما توفي صلى عليه ابنه المسترشد بالله وكبر اربعا ودفن في حجرة له كان يألفها ومن شعره قوله

أذاب حر الهوى في القلب ما جمدا * لما مددت الى رسم الوداع يدا
وكيف أسلك نهج الاصطبار وقد * أرى طرائق في مهوى الهوى قددا
قد أخلف الوعد بدر قد شغفت به * من بعد ما قد وفى دهري بما وعدا
ان كنت أنقض عهد الحب في خلدي * من بعد هذا فلا عاينته ابدا

(ذكر خلافة الامام المسترشد بالله)

لما توفي المستظهر بالله بويع ولده المسترشد بالله ابو منصور الفضل بن ابي العباس احمد ابن المستظهر بالله وكان ولي عهد قد خطب له ثلاثا وعشرين سنة فبايعه اخواه ابنا المستظهر بالله وهما ابو عبد الله محمد وابو طالب العباس وعمومته بنو المقتدي بامر الله وغيرهم من الامراء والقضاة والائمة والاعيان وكان المتولي لاخذ البيعة القاضي ابو الحسن الدامغاني وكان نائبا عن الوزارة فاقره المسترشد بالله عليها ولم يأخذ البيعة قاض غير هذا واحمد بن ابي دواد فانه اخذها للواثق بالله والقاضي ابو علي اسمعيل بن اسحق اخذها للمعتضد بالله ثم ان المسترشد عزل قاضي القضاة عن نيابة الوزارة واستوزر ابا شجاع محمد بن الربيب ابي منصور وزير السلطان محمود وكان والده خطب في معنى ولده حتى استوزر وقبض على صاحب المخزن ابي طاهر يوسف بن احمد الحزي

(ذكر هرب الامير ابي الحسن اخي المسترشد وعوده)

لما اشتغل الناس ببيعة المسترشد بالله ركب اخوه الامير ابو الحسن بن المستظهر بالله سفينة ومعه ثلاثة نفر وانحدر الى المدائن وسار منها الى دبيس بن صدقة بالحلة فاكرمه دبيس وعلم منه وفاة المستظهر بالله واقام له الاقامات الكثيرة فلما علم المسترشد بالله خبره اهمه ذلك و قلقه وارسل الى دبيس يطلب منه اعادته فاجاب بانني عبد الخليفة وواقف عند امره ومع هذا فقد استذم بي ودخل منزلي فلا اكرهه على امر ابدا وكان الرسول نقيب النقباء شرف الدين علي بن طراد الزينبي فقصد الامير ابا الحسن وتحدث معه في عوده وضمن له عن الخليفة كل ما يريده فاجاب الى العود وقال انني لم افارق اخي لشر اريده وانما الخوف حملني على مفارقته فاذا امنني قصدته وتكفل دبيس باصلاح الحال بنفسه و المسير معه الى بغداد فعاد النقيب واعلم الخليفة الحال

الباشا الشيخ الى الناس بوقوع الرضا وتناقل الناس ذلك وفرح اهل منزله وكثر طلوع الناس ... واستمروا على ذلك حتى وجع الغلام وتبين انه لاشيء فانقلب الفرح بالترح وتعين بالسفر صحبة السيد عمر كتخدا الالفي الى دمياط

(واستهل شهر رجب بيوم الاحد سنة ١٢٢٤)

فيه اجتمع المودعون للسيد عمر ثم حضر محمد كتخدا المذكور فعند وصوله قام السيد عمر وركب في الحال وخرج صحبته وشيعه الكثير من المتعممين وغيرهم وهم يتباكون حوله حزنا على فراقه و كذلك اغتم الناس على سفره وخروجه من مصر لانه كان ركنا وملجا ومقصدا للناس ولتعصبه على نصرة الحق فسار الى بولاق ونزل في المركب وسافر من ليلته باتباعه وخدمه الذين يحتاج اليهم الى دمياط (وفي صبح ذلك اليوم) حضر الشيخ المهدي عند الباشا وطلب وظائف السيد عمر فانعم عليه الباشا بنظر أوقاف الامام الشافعي ونظر وقف سنان باشا ببولاق وحاسب على المنكسر له من الغلال مدة أربع سنوات وامر بدفعه له من خزينته نقدا وقدرها خمسة وعشرون كيسا وذلك في نظير اجتهاده في خيانة السيد عمر حتى اوقعوا به ما ذكر (وفيه) تقيد الخواجا محمود حسن بزرجان باشا بعمارة القصر والمسجد الذي يعرف بالآثار النبوية فعمرها على وضعها القديم وقد كان آل الى الخراب (وفي يوم الثلاثاء) فاجاب

لتسلم البلاد اعلى ثلاثة من الاجناد المصرية المنتسبين لسليمان باشا البواب ٢٢٢ وقلدهم صناجق وامراء الوقت وضم اليهم

فاجابه الى ما طلب منه ثم حدث من امر البرسقى ودبيس ومنكوبرس ما ذكرناه فتأخر الحال واقام الامير ابو الحسن عند دبيس الى ثانى عشر صفر سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ثم سار عن الحلة الى واسط وكثر جمعه وقوى الارجاف بقوته وملك مدينة واسط وخيف جانبه فتقدم الخليفة المسترشد بالله بالخطبة لولى عهده ولده ابى جعفر المنصور وعمره حينئذ اثنتا عشرة سنة فخطب له ثانى ربيع الآخر ببغداد وكتب الى البلاد بالخطبة له وارسل الى دبيس بن مزيد فى معنى الامير ابى الحسن وانه الآن قد فارق جواره ومد يده الى بلاد الخليفة وما يتعلق به وامره بقصده ومعاجلته قبل قوته فارسل دبيس العساكر اليه ففارق واسط وقد تحير هو واصحابه فضلوا الطريق ووصلت عساكر دبيس فصادفوهم عند الصلح فنهبوا اثقاله وهرب الاكراد من اصحابه والاتراك وعاد الباقون الى دبيس وبقى الامير ابو الحسن فى عشرة من اصحابه وهو عطشان وبينه وبين الماء خمسة فراسخ وكان الزمان قيظا فايقن بالتلف وتبعه بدويان فاراد الهرب منهما فلم يقدر فاخذاه وقد اشتد به العطش فسقياه وحملاه الى دبيس فسيره الى بغداد وحمله الى الخليفة بعد ان بذل له عشرين الف دينار فحمل الى الدار العزيزة وكان بين خروجه عنها وعوده اليها احد عشر شهرا ولما دخل على المسترشد بالله قبل قدمه وقبله المسترشد وبكيا وانزله دارا حسنة كان هو يسكنها قبل ان يلى الخلافة وحمل اليه الخلع والتحف الكثيرة وطيب نفسه وامنه

(ذكر مسير الملك مسعود وجيوش بك الى العراق وما كان بينهما وبين البرسقى ودبيس)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى برز البرسقى ونزل باسفل رقة فى عسكره ومن معه واظهر انه على قصد الحلة واجلاء دبيس بن صدقة عنها وجمع دبيس جموعا كثيرة من العرب والاكراد وفرق الاموال الكثيرة والسلاح وكان الملك مسعود ابن السلطان محمد بالموصل مع اتابكه اى ابه جيوش بك فاشار عليهما جماعة ممن عندهما بقصد العراق فانه لا مانع دونه فسارا فى جيوش كثيرة ومع الملك مسعود وزيره فخر الملك ابو على بن عمار صاحب طرابلس وقسيم الدولة زنكى بن آقسنقر جد ملوكنا الآن بالموصل وكان من الشجاعة فى الغاية ومعهم ايضا صاحب سنجار وابو الهيجاء صاحب اربل وكرباوى ابن خراسان التركمانى صاحب البوازيج فلما علم البرسقى قربهم خافهم وكان البرسقى قديما قد جعله السلطان محمد اتابك ولده مسعود على ما ذكرناه وانما كان خوفه من جيوش بك فلما قاربوا بغداد سار اليهم ليقاتلهم ويصدهم فلما علم مسعود وجيوش بك ذلك ارسلوا اليه الامير كرباوى فى الصلح واعلمه انهم انما جاؤا نجدة له على دبيس فاصطلحوا وتعاهدوا واجتمعوا ووصل مسعود الى بغداد ونزل بدار المملكة ووصلهم الخبر بوصول الامير عماد الدين منكبرس المقدم ذكره فى جيش كثير فسار البرسقى من بغداد نحوه ليحاربه ويمنعه عنها فلما علم به منكبرس قصد النعمانية وعبر دجلة هناك واجتمع هو ودبيس بن صدقة وكان دبيس قد خاف من الملك مسعود والبرسقى

عساكر الثوار ثم ولما امر الجميع الى الجهة القبلية بسبب عصيان الامراء المرادية وتوقفهم عن دفع المال والغلال وكذلك عين للسفر ايضا احمد اغا لاظ وصالح قوج وبونابارته وحسن باشا وطابير بك فارتجت البلاد وطلبوا المراكب فتعطل المسافرون الى الجهة القبلية والبحرية وكذلك امتنع مجىء الواصلين بالغلال والبضائع خوفا من التسخير وقد كان حصل بعض الاطمئنان وسلوك الطريق القبلية ووصول المراكب بالغلال والحلويات (وفى عاشره) سافر احمد اغا لاظ وصالح قوج خرجوا بعساكرهم ونزلوا فى المراكب وذهبوا الى قبلى (وفيه) حضر محمد كتخدا الالفى من دمياط راجعا من تشييع السيد عمر ووصوله الى دمياط واستقراره بها (وفى يوم الخميس تاسع عشره) سافر من كان متأخرا الى الجهة القبلية ولم يبق منهم احد (وفى ثالث عشرينه) نادى منادى المعمار على ارباب الاشغال فى العمائر من البنائين والنجارين والفعلة بان لا يشتغلوا فى عمارة احد من الناس كائنا من كان وان يجتمع الجميع فى عمارة الباشا بناحية الجبل (وفى تاسع عشرينه) وردت اخبار عن الحجر بدة ازعجت الباشا واهتم اهتماما عظيما وقصد الذهاب بنفسه وتبعه

فبنى أمره على المحاجزة والملاطفة فاهدى الى مسعود هدية حسنة وللبرسقي وجيوش بك
فلما وصله خبر وصول منكبرس راسله واستماله واستحلفه واتفقا على التعاضد
والتناصر واجتمعا وكل واحد منهما اقوى بصاحبه فلما اجتمعا سار الملك مسعود
والبرسقي وجيوش بك ومن معهم الى المدائن للقاء دبيس ومنكبرس فلما وصلوا
المدائن اتتهم الاخبار بكثرة الجمع معهما فعاد البرسقي والملك مسعود وعبرا نهر صرصر
وحفظا المخاضات عليه ونهب الطائفتان السواد نهبا فاحشا نهر الملك ونهر صرصر
ونهر عيسى وبعض دجيل واستباحوا النساء فارسل المسترشد بالله الى الملك مسعود
والبرسقي ينكر هذه الحال ويامرهم بحقن الدماء وترك الفساد ويامر بالموادعة
والمصالحة وكان الرسل سديد الدولة بن الانباري والامام الاسعد الميهني مدرس
النظامية فانكر البرسقي ان يكون جرى منهما شئ من ذلك وأجاب الى العود الى بغداد
فوصل من أخبره ان منكبرس ودبيسا قد جهزا ثلاثة آلاف فارس مع منصور اخي
دبيس والامير حسين بن زبك ربيب منكبرس وسيراهم وعبر عند درزيجان ليقطعوا
مخاضة عند ديالى الى بغداد لخلوها من عسكر يحميها ويمنع عنها فعاد البرسقي الى بغداد
وعبر الجسر لئلا يخاف الناس ولم يعلمه الخبر وخلف ابنه عز الدين مسعودا على عسكره
بصرصر واستصحب معه عماد الدين زنكي بن آقسنقر فوصل الى ديالى ومنع عسكر
منكبرس من العبور فاقام يومين فاتاه كتاب ابنه عز الدين مسعود يخبره ان الصلح قد
استقر بين الفريقين فانكسر نشاطه حيث جرى هذا الامر ولم يعلم به وعاد نحو بغداد
وعبر الى الجانب الغربي وعبر منصور وحسين فسارا في عسكرهما خلفه فوصلوا بغداد
عند نصف الليل فنزلا عند جامع السلطان وسار البرسقي الى الملك مسعود فاخذ بركه
وماله وعاد الى بغداد فخيم عند القنطرة العتيقة واصعد الملك مسعود وجيوش بك فنزلا
عند البيمارستان واصعد دبيس ومنكبرس فخيما تحت الرقة وأقام عز الدين مسعود
ابن البرسقي عند منكبرس منفردا عن أبيه وكان سبب هذا الصلح ان جيوش بك كان
قد ارسل الى السلطان محمود يطلب الزيادة له وللملك مسعود فوصل كتاب الرسول من
العسكر يذكر انه لقي من السلطان احسانا كثيرا وانه اقطعهم اذربيجان فلما بلغه
رحيلكم الى بغداد اعتقد انكم قد عصيتم عليه فعادهما كان استقر ويقول ان
السلطان قد جهز عسكرا الى الموصل فوقع الكتاب بيد منكبرس فارسله
الى جيوش بك وضمن له اصلاح السلطان له وللملك مسعود وكان منكبرس متزوجا بام
الملك مسعود واسمها سرجهان وكان يؤثر مصلحته لذلك واستقر الصلح وخاف من
البرسقي ان يمنع منه فاتفقا على ارسال العسكر الى درزيجان لينفذ في مقابلته البرسقي
ليخلو العسكر منه ويقع الاتفاق فكان الامر في مسيره على ما تقدم وكان البرسقي محبوبا
الى اهل بغداد لحسن سيرته فيهم فلما استقر الصلح ووصلوا الى بغداد تفرق عن
البرسقي اصحابه وجموعه وجرى كل ما يحدث به نفسه من التغلب على العراق بغير امر
السلطان وسار عن العراق الى الملك مسعود فاقام معه واستقر منكبرس في شحنكية

على جميع كبراء العساكر بالخروج وان لا يتخلف منهم احد حتى اولاده ابراهيم بك الدفتردار وطوسون بك
وانه هو المتقدم عنهم في
الخروج في يوم الخميس
واستعجل التشهيل والطلب
وامر بتحرير دفتر فرضة
ترويجة على اقليم المنوفية
والغربية والشرقية والقليوبية
وذكروا انها من اصل حساب
الشهرية المبتدعة (وفيه)
تقلد حسن أغا الشماشرجي
كشوفية المنوفية وارخى
لحيته على ذلك

*(واستهل شهر شعبان بيوم
الثلاثاء سنة ١٢٢٤)*

فيه عمل مشايخ الوقت عرضحال
في حق السيد عمر بامر الباشا
ليرسله صحبة السلحدار وذكروا
فيه سبب عزله ونفيه عن
مصر وعدوا له مثالب ومعايب
وجنحا وذنوبا منها انه أدخل في
دفتر الاشراف اسماء اشخاص
ممن أسلم من القبط واليهود
ومنها انه اخذ من الالفي في
السابق مبلغا من المال
ليملكه مصر في أيام فتنة
احمد باشا خورشيد ومنها
انه كاتب الامراء المصريين
ايضا في وقت الفتنة حين
كانوا بالقرب من مصر ليحضروا
على حين غفلة في يوم قطع
الخليج وحصل لهم ما حصل
ونصر الله عليهم حضرة الباشا
ومنها انه اراد ايقاع الفتن في
العساكر ليستقص دولة الباشا
ويولي خلافه ويجمع عليه
طوائف المغاربة والصعائدة واخلاط العوام وغير ذلك وذلك على حد من اعان ظالما سلط عليه وكتبوا عليه

بغداد وودع دبيس بن صدقة وعاد الى الحلة بعد ان طالب بدار ابيه بدرب فيروز وكانت قد دخلت في جامع القصر ببغداد فصولح عنها بمال واقام منكبرس ببغداد يظلم ويعسف الرعية ويصادرهم فاختفى ارباب الاموال وانتقل جماعة الى حريم دار الخلافة خوفا منه وبطلت معايش الناس واكثر اصحابه الفساد حتى ان بعض اهل بغداد زفت اليه امرأة تزوجها فعلم بعض اصحاب منكبرس فاتاه وكسر الباب وجرح الزوج عدة جراحات وابتنى بزوجته فكثر الدعاء ليلا ونهارا واستغاث الناس لهذه الحال واغلقوا الاسواق فاخذ الجندي الى دار الخلافة فاعتقل ايام ثم اطلق وسمع السلطان بما يفعله منكبرس ببغداد فارسل اليه يستدعيه ويحثه على اللحوق به وهو يغالط ويدافع وكلما طلبه السلطان لج في جمع الاموال والمصادرات فلما علم اهل بغداد تغير السلطان عليه واستدعاءه اياه طمعوا فيه فسار حينئذ منكبرس عنهم خوفا ان يثوروا به وكفى الناس شره وظهر من كان مستترا

(ذكر وفاة ملك الفرنج وما كان بين الفرنج وبين المسلمين)

في ذي الحجة من سنة احدى عشرة وخمسمائة توفي بغدوين ملك القدس وكان قد سار الى ديار مصر في جمع الفرنج قاصدا ملكها والتغلب عليها وقوي طمعه في الديار المصرية وبلغ مقابل تنيس وسبح في النيل فانتقض جرح كان به فلما احس بالموت عاد الى القدس فمات ووصى ببلاده للقمص صاحب الرها وهو الذي كان اسره جكرمش واطلقه جاولي سقاوو واتفق ان هذا القمص كان قد سار الى القدس يزور بيعة قمامة فلما وصى اليه بالملك قبله واجتمع له القدس والرها وكان اتابك طغتكين قد سار عن دمشق لقتال الفرنج فنزل بين دير ايوب وكفر بصل باليرموك فخفيت عنه وفاة بغدوين حتى سمع الخبر بعد ثمانية عشر يوما وبينهم نحو يومين فاتته رسل ملك الفرنج يطلب المهادنة فاقترح عليه طغتكين ترك المناصفة التي بينهم من جبل عوف والحنانة والصلت والغور فلم يجب الى ذلك واظهر القوة فسار طغتكين الى طبرية فنهبها وما حولها وسار منها نحو عسقلان وكانت للمصريين وبها عسكرهم كانوا قد سيروه لما عاد بغدوين ملك القدس المتوفى عن مصر وكانوا سبعة آلاف فارس فاجتمع بهم طغتكين واعلمه المقدم عليهم ان صاحبهم تقدم اليه بالوقوف عند راي طغتكين والتصرف على ما يحكم به فاقاموا بعسقلان نحو شهرين ولم يؤثروا في الفرنج اثرا فعاد طغتكين الى دمشق فاتاه صريخ بان مائة وثلاثين فارسا من الفرنج اخذوا حصنا من اعماله يعرف بحبس ويعرف بحصن جلدك سلمه اليهم المستحفظ به وقصدوا اذرعات فنهبوها ووصل اليهم تاج الملوك بوري بن طغتكين فانحازوا عنه الى جبل هناك فنازلهم وقدر انه يظفر بهم فطمع فيهم فلما يئس الفرنج قاتلوا قتال مستقتل فنزلوا من جبلهم وحملوا على المسلمين حملة صادقة فهزموهم وقتلوا خلقا كثيرا وعاد من سلم الى دمشق على اسوأ حال فسار طغتكين الى حلب وبها ايلغازي فاستنجده [illegible]

اسماء المشايخ وذهبوا به اليهم ليضعوا ختومهم عليه فامتنع البعض من ذلك وقال هذا كلام لا اصل له ووقع بينهم مباحثات ولام الاعاظم الممتنعين على الامتناع وقالوا لهم انتم لستم باورع منا واثبت لنفسه ورعا وحصل بينهم منافسات ومخالفات ومقابحات ثم غير واصورة العرض وابقى من العامل الاول وكتب عليه بعض الممتنعين وكان من الممتنعين اولا وآخرا السيد احمد الطحطاوي الحنفي فزاد في الحقد عليه وخصوصا شيخ السادات والشيخ الامير وخلافهم واتفق انه دعي في وليمة عند الشيخ الشرقاوي بحضرة خمسة منهم ونافر حضوره عندهم [illegible] دخل له الى مجلس وهم جالسون فسلم عليهم ولم [illegible] ما سبق منه من حقه من [illegible] فتطاول عليه ابن الشيخ الامير ورفع صوته بتوبيخه وشتمه لكونه لم يقبل [illegible] ولده [illegible] في جملة كلام ليس هو [illegible] الادب و [illegible] تلك صنعة للشيخ [illegible] الجهة [illegible] واتفق لاشيخ والمتصدرون على عزل السيد احمد الطحطاوي من [illegible] وحضروا [illegible]

ذوه هذه المسير معه فبينما هو بحلب اتاه الخبر بان الفرنج قصدوا حوران من اعمال دمشق فنهبوا وقتلوا وسبوا وعادوا فاتفق رأى طغتكين وايلغازى على ان يود طغتكين الى دمشق وحماية بلاده ويعود ايلغازى الى ماردين ويجمع العساكر والاجتماع على حرب الفرنج فصالح ايلغازى من يليه من الفرنج على ان يقصدهم فذكره وعبر الى ماردين لجمع العساكر وكان ما نذكره سنة ثلاث عشرة ان شاء الله تعالى

●(ذكر عدة حوادث)●

فى هذه السنة انقطع الغيث وعدمت الغلات فى كثير من البلاد وكان اشده بالعراق فغلت الاسعار واجلى اهل السواد وتقوت الناس بالنخالة وعظم الامر على اهل بغداد بما كان يفعله منكبرس بهم وفيها اسقط المسترشد بالله من الاقطاع المختص به كل جور وامر ان لا يؤخذ الا ما جرت به العادة القديمة واطلق ضمان غزل الذهب وكان صناع السقلاطون والممزج وغيرهم ممن يعمل منه يلقون شدة من العمال عليها واذى عظيما وفيها تأخر مسير الحجاج تأخرا ارجف بسببه بانقطاع الحج من العراق فرتب الخليفة الامير نظر خادم امير الجيوش يمن وولاه من امر الحج ما كان يتولاه امير الجيوش واعطاه من المال ما يحتاج اليه فى طريقه وسيره فادركوا الحج وظهرت كفاية نظر وفيها وصل مركبان كبيران فيهما قوة ونجدة للفرنج بالشام فغرقا وكان الناس قد خافوا ممن فيهما وفيها وصل رسول ايلغازى صاحب حلب وماردين الى بغداد يستنفر على الفرنج ويذكر ما فعلوا بالمسلمين فى الديار الجزرية وانهم ملكوا قلعة عند الرها وقتلوا اميرها ابن عطير فسيرت الكتب بذلك الى السلطان محمود وفيها انقل المستظهر الى الرصافة وجميع من كان مدفونا بدار الخلافة وفيهم جدة المستظهر ام المقتدى وكان وقت بعد المستظهر ورأت البطن الرابع من اولادها وفيها كثر امر العيارين بالجانب الغربى من بغداد فعبر اليهم نائب الشحنة فى خمسين غلاما تركا فقاتلهم فانهزم منهم ثم عبر اليهم من الغد فى مائتى غلام فلم يظفر بهم ونهب العيارون يومئذ قطعتا وفى هذه السنة فى شعبان توفى ابو الفضل بكر بن محمد بن على بن الفضل الانصارى من ولد جابر بن عبد الله وهو من بلد بخارا وكان من اعيان الفقهاء الحنفية حافظا للمذهب وتوفى ابو طالب الحسين بن محمد بن على بن الحسن الزينبى نقيب النقباء ببغداد فى صفر وسنتان من النقابة وليها اخوه طراد وكان من اكابر الحنفية وروى الحديث الكثير وفيها فى ذى الحجة توفى ابو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن منده الاصبهانى المحدث مشهور من بيت الحديث وله فيه تصانيف حسنة وفيها توفى ابو الفضل احمد بن الخازن وكان اديبا ظريفا له شعر حسن فمنه قوله وقد قصد زيارة صديق له فلم يره فدخل غلمانه الى بستان فى الدار وحمام فقال فى ذلك

وافيت منزله فلم ار صاحبا ● الا تلقانى بوجه ضاحك
والبشر فى وجه الغلام نتيجة ● لمقدمات ضياء وجه المالك
ودخلت جنته وزرت جحيمه ● فشكرت رضوانا ورأفة مالك

فيبته ومالمدوا به الى القلعة بعدان مهدوا القضية فالبس فالمقام الشيخ حسين فروة ثم نزلوا ثم طاف بالسلا عليهم ونظموا اهم عليه ايضا شلهم فلما بلغ الخبر السيد احمد الطحطاوى طوى الخلع التى كانوا البسوها له عندما تقلد الافتاء بعد موت الشيخ ابراهيم الحريرى فى جمادى الاولى بقرب عهد وارسلها لهم وكان الشيخ السادات البسه حين ذاك فروة فلما ردها عليه احتد واغتاظ واخذ يسبه ويذكر مساويه جرمه ويقول انظروا الى هذا الخبيث كأنه يجانى مثل الكلب الذى يعود فى قيئه ونحو ذلك (واما السيد احمد) فانه اعتكف فى داره لا يخرج منها الا الى الشيخونية بجواره واعتزلهم وترك الخلطة بهم وتباعد عنهم وهم يبالغون فى ذمه والحط عليه لكونه لم يوافقهم فى شهادة الزور والتحامل لهم على ذلك كله اغراض نفسانية وحسد مع ان السيد عمر كان ظلا ظليلا عليهم وعلى اهل البلدة ويدافع ويرافع عنهم وعن غيرهم ولم تقم لهم بعد خروجه من مصر راية ولم يزالوا بعده فى انحطاط وانخفاض (واما السيد عمر) فان الذى وقع له بعض ما يستحقه ومن اعان ظالما سلط عليه ولا يظلم ربك احدا (وفى ثالث عشره) ... الارنؤد وتنه بهم فى الخروج وتحدث الناس بروايات عن الباشا والامراء المصريين وصلحه معهم وان عثمان (ثم

(ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة)

(ذكر عصيان الملك طغرل على اخيه السلطان محمود)

كان الملك طغرل بن محمد لما توفى والده بقلعة سرجهان وكان مولده سنة ثلاث وخمسمائة فى المحرم واقطعه والده سنة أربع ساوة وآوة وزنجان وجعل أتابكه الامير شيركير الذى تقدم ذكره فى حصار قلاع الاسماعيلية فازداد ملك طغرل بما اقطعه شيركير من قلاعهم فارسل اليه السلطان محمود الامير كنتغدى ليكون اتابكا له ومدبرا لامره ويحمله اليه فلما وصل اليه حسن له مخالفة أخيه وترك المجئ اليه واتفقا على ذلك وسمع السلطان محمود الخبر فارسل شرف الدين انوشروان بن خالد ومعه خلع وتحف وثلاثون الف دينار ووعد أخاه باقطاع كثير زيادة على ماله اذا قصده واجتمع به فلم تقع الاجابة الى الاجتماع وأجاب كنتغدى بانا فى طاعة السلطان واى جهة ارادة قصدناها ومعنا من العساكر ما نقاوم بها من يرسم بقصده فبينما الخوض معهم فى ذلك ركب السلطان محمود من باب همذان فى عشرة آلاف فارس جريدة فى جمادى الاولى وكتم مقصده وعزم على ان يكبس أخاه والامير كنتغدى فرأى احد خواصه تركيا من أصحاب الملك طغرل فاعلم السلطان به فقبض عليه فعلم رفيق كان معه الحال فسار ثلاثين فرسخا فى ليلة ووصل الى الامير كنتغدى وهو سكران فايقظه بعد جهد واعلمه الحال فقصد الملك طغرل فعرفه ذلك واخذه متخفيا وقصد قلعة سميران فضلا عن الطريق الى قلعة سرجهان وكانا قد فرقاها وجعلا لعساكر وكان ضلالهما هداية لهما الى السلامة فان السلطان محمودا جعل طريقه على سميران وقال انها حصنهما الذى فيه الذخائر والاموال واذا علما بوصوله اليها ربما صادفهما فى الطريق فسلما منه بما ظناه عطبا لهما ووصل السلطان الى العسكر فكبسه ونهبه وأخذ من خزانة اخيه ثلاثمائة ألف دينار وذلك المال الذى نفذه له وأقام السلطان محمود بزنجان وتوجه منها الى الرى ونزل طغرل من سرجهان ولحق هو وكنتغدى بكنجة وقصده أصحابه فقويت شوكته وتمكنت الوحشة بينه وبين أخيه محمود

(ذكر الحرب بين سنجر والسلطان محمود)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى كانت حرب شديدة بين سنجر وابن أخيه السلطان محمود ونحن نذكر سياقة ذلك فقد ذكرنا سنة ثمان وخمسمائة مسير السلطان سنجر الى غزنة وفتحها وما كان منه فيها ثم عاد عنها الى خراسان فلما بلغه وفاة أخيه السلطان محمد وجلوس ولده السلطان محمود فى السلطنة وهو زوج ابنة سنجر لحقه حزن عظيم لموت أخيه وأظهر من الجزع والحزن ما لم يسمع بمثله وجلس للعزاء على الرماد وأغلق البلد سبعة أيام وتقدم الى الخطباء بذكر السلطان محمد بمحاسن أعماله من قتال الباطنية واطلاق المكوس وغير ذلك وكان سنجر يلقب بناصر الدين فلما توفى أخوه محمد

وانه أرسل الى ابراهيم بك الكبير ولده بك حسن ومحمد بك المنفوخ ومحمد بك الابراهيمى وصلوا الى الباشا وقابلوه

طوسون باشا فتلقاه وأكرمه وارسل هو أيضا ولده الصغير الى الباشا فاكرمه ووصل الى مصر بعض نساء مريمه وحريم الامراء

(واستهل شهر رمضان بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٤)

وفى أواخره وصل طائفة من الدلاتية من ناحية الشام ودخلوا الى مصر وهم فى حالة رثة كما حضر غيرهم وصحبتهم من الحشيين المعروفين بالخولات الذين يتكلمون بالكلام المؤنث ومعهم دفوف وطنابير (وفى أواخره) حرروا دفتر الاطيان على ضريبة واحدة عن كل فدان خمسة ريالات غير البرانى والخدم ولم يحصل فى ذلك مرجعة ولا كلام ولا مرافعة فى شئ كما وقع فى العام الماضى والذى قبله فى المراجعة بسبب الرى والشراقى وأما فى هذه السنة فليس فيها شراقى خصوصا بالمساحة بكفاية لعموم الرى فان النيل فى هذه السنة زاد زيادة مفرطة وعلا على الاعالى ووقف بزيادته المفرطة الدراوى والاقصاب بقبلى وكذلك غرق مزارع الارز وغيرها وانقطعت وجسور كثيرة ثم انه لا شراقى بسبب سد ترعة الفرعونية فشرقت الناحية ولعدم تحرير

الدفاتر على النسق المطلوب والبشابقة لى ورسم بضبط نيضطع عليهم فقد ورثيهب المعلم غالى وشرذمته أجد

تلقب بمعز الدين وهو لقب ابيه ملكشاه وعزم على قصد بلد الجبل والعراق وما بيد
محمود ابن أخيه فندم على قتل وزيره ابي جعفر محمد بن فخر الملك ابي المظفر بن نظام الملك
وكان سبب قتله انه اوحش الامراء واستخف بهم فابغضوه وكرهوه وشكوا منه الى
السلطان وهو بغزنة وعلمهم انه يؤثر قتله وليس يمكنه فعل ذلك بغزنة وكان سنجر قد
تغير على وزيره لاسباب منها انه اشار عليه بقصد غزنة فلما وصل الى بست ارسل
ارسلان شاه صاحبها الى الوزير وضمن له خمسمائة الف دينار ليثني سنجر عن قصده
فشار عليه بمصالحته والعود عنه وفعل مثل ذلك بما وراء النهر ومنها انه نقل عنه انه
اخذ من غزنة اموالا جليلة عظيمة المقدار ومنها ما ذكر من ابعاده الامراء وغير هذه
الاسباب فلما عاد الى بلخ قبض عليه وقتله واخذ ماله وكان له من الجواهر والاموال
ما لا يحد عليه والذي وجد له من العين الفا الف دينار فلما قتله استوزر بعده شهاب
الاسلام عبد الرزاق ابن اخي نظام الملك ويعرف بابن الفقيه الا انه لم تكن له منزلة
ابن فخر الملك عند الناس في علو المنزلة فلما اتصل به وفاة اخيه ندم على قتله لانه كان
يلح به من الاغراض والملك ما لا يبلغه بكثرة العساكر لميل الناس اليه ومحله عندهم
ثم ان السلطان محمودا أرسل الى عمه سنجر شرف الدين انوشروان بن خالد وفخر الدين
طغايرك بن اليزن ومعهما الهدايا والتحف وبذل له النزول عن مازندران وحمل مائتي
الف دينار كل سنة فوصلا اليه وابلغاه الرسالة فتجهز للمسير الى الري فاشار عليه شرف
الدين انوشروان بترك القتال والحرب فكان جوابه في ذلك ان ولد اخي صبي وقد تحكم
عليه وزيره والحاجب علي فلما سمع السلطان محمود بمسير عمه نحوه ووصول الامير انر في
مقدمته الى جرجان تقدم الى الامير علي بن عمر وهو امير حاجب السلطان محمد وبعده صار
امير حاجب السلطان محمود بالمسير وضم له جمعا كثيرا من العساكر والامراء فاجتمعوا في
عشرة آلاف فارس وساروا الى ان قاربوا مقدمة سنجر التي عليها الامير انر فراسله الامير
علي بن عمر يعرفه وصية السلطان محمد بتعظيم سنجر والرجوع الى امره ونهيه والقبول
منه وانه حين سنجر يخلف السلطنة على ولده السلطان محمود واخذ علينا بذلك العهود
فليس لنا ان نخالفه وحيث جئتم الى البلاد لا نحتمل ذلك ولا نغضي عليه وقد علمت
ان معك خمسة آلاف فارس فانا ارسل اليك اقل منهم لتعلم انكم لا تقاوموننا ولا تقوون
بنا فلما سمع الامير انر ذلك عاد عن جرجان ولحقه بعض عسكر السلطان محمود فاخذوا
قطعة من سواده ونفرا عدة من اصحابه وكان السلطان محمود قد وصل الى الري وهو
بها وعاد الامير علي بن عمر اليه فشكره على فعله واثنى عليه وعلى عسكره الذين معه
وشير على السلطان محمود بلزوم الري والمقام بها وقيل ان عساكر خراسان اذا علموا
بمقامك فيها لا يفارقون حدودهم ولا يتعدون ولايتهم فلم يقبل ذلك وضجر من المقام
وسار الى جرجان ووصل السلطان محمودا الامير منكبرس من العراق في عشرة آلاف
فارس والامير منصور بن صدقة اخو دبيس والامراء البكجية وغيرهم وسار محمود الى
همذان وتوفي بها وزيره الربيب واستوزر ابا طالب السميرمي وبلغه وصول عمه سنجر

الى

افندي اليتيم من طرف الروزنامه وعبدالله بكتاش الترجمان فذهبوا اليه باسيوط واطلعوه عليها فختم عليها
وانقضى شهر رمضان

(واستهل شهر شوال بيوم الخميس سنة ١٢٢٤) في ثالث عشره حضر المعلم غالي واحمد افندي وبكتاش وغيرهم من غيبتهم وحضر ايضا في اثرهم المعلم جرجس الجوهري وقد تقدم انه خرج من مصر هاربا الى الجهة القبلية واختفى مدة ثم حضر بامان الى الباشا وقابله واكرمه ولما حضر نزل في بيته الذي بحارة الوندية وفرشه له المعلم غالي وقام له بجميع لوازمه وذهب الناس من مسلمهم ونصرانيهم وعالمهم وجاهلهم للسلام عليه (وفي يوم الثلاثاء عشرينه) وصل الباشا على حين غفلة الى مصر في تبديرة وقد وصل من اسيوط الى ناحية مصر القديمة في ثلاثين ساعة وصحبته ابنه طوسون وبونابارته الخازندار وسليمان أغا نوكجي بن سابقا لا غير فركبوا حميرا مستنكرين حتى وصلوا الى القلعة من ناحية الجبل وطلع من باب الجبل وعند طلوعه من السفينة امر ملاحيها ان لا يذكروا لاحد وصوله حتى يسمعوا ضرب المدافع من القلعة ثم طلع الى سرايه ودخل الى الحريم فلم يشعروا به الا وهو بالحريم فعند ذلك امر بضرب المدافع واشيع حضوره فركب الكتخدا بك وغيره مسرعين لملاقاته ثم بلغهم طلوعه الى

الى الرى فسار نحوه قاصدا قتاله فالتقيا بالقرب من ساوة ثانى جمادى الاولى من السنة وكان عسكر السلطان محمود قد صرفوا المفازة التى بين يدى عسكر سنجر وهى ثمانية ايام فسبقوهم الى الماء وملكوه عليهم وكان العسكر الخراسانى فى عشرين الفا ومعهم ثمانية عشر فيلا اسم كبيرها بادهو ومن الامراء الكبار ولد الامير ابى الفضل صاحب سجستان وخوارزم شاه محمد والامير انز والامير قماج واتصل به علاء الدولة كرشاسف بن فرامرز بن كاكويه صاحب يزد وهو صهر السلطان محمد وسنجر على اختهما وكان اخص الناس بالسلطان محمد فلما تولى السلطان محمود تأخر عنه فاقطع بلده لقراجة الساقى الذى صار صاحب بلاد فارس فسار حينئذ علاء الدولة الى سنجر وهو من ملوك الديلم وعرف سنجر الاحوال والطريق الى قصد البلاد وما عليه الامراء من اخذ الاموال وما هم عليه من اختلاف الاهواء وحسن قصد البلاد وكان عسكر السلطان محمود ثلاثين الفا ومن الامراء الكبار الامير على بن عمر امير حاجب والامير منكبرس واتابكه غزغلى وبنو برسق وسنقر البخارى وقراجة الساقى ومعه تسعمائة حمل من السلاح واستهان عسكر محمود بعسكر عمه بكثرتهم وشجاعتهم وكثرة خيلهم فلما التقوا ضعفت نفوس الخراسانية لما رأوا كثرة العسكر من القوة والكثرة فانهزمت ميمنة سنجر وميسرته واختلط اصحابه واضطرب امرهم وساروا منهزمين لا يلوون على شئ ونهب من اثقالهم شئ كثير وقتل اهل السواد كثيرا منهم ووقف سنجر بين الفيلة فى جمع من اصحابه وبازائه السلطان محمود ومعه اتابكه غزغلى فاحتاج سنجر الضر ورة عند ما اشتد الخطب عليه ان يقدم الفيلة للحرب وكان من بقى معه قد اشاروا عليه بالهزيمة فقال اما النصر او القتل واما الهزيمة فلا فلما قدمت الفيلة ورآها خيل محمود تراجعت باصحابها على اعقابها فاشفق سنجر على السلطان محمود فى تلك الحال وقال لاصحابه لا تفزعوا الصبى بحملات الفيلة فكفوها عنهم وانهزم السلطان محمود ومن معه فى القلب واسر اتابكه غزغلى فكان يكاتب السلطان ويعده انه يحمل اليه ابن اخيه فوبخه على ذلك فاعتذر بالعجز فقتله وكان ظالما قد بالغ فى ظلم اهل همدان فعجل الله عقوبته ولما تم النصر والظفر للسلطان سنجر ارسل من اعاد المنهزمين من اصحابه ووصل الخبر الى بغداد فى عشرة ايام فارسل الامير دبيس بن صدقة الى المسترشد بالله فى الخطبة للسلطان سنجر فخطب له فى السادس والعشرين من جمادى الاولى وقطعت خطبة السلطان محمود واما السلطان محمود فانه سار من الهزيمة الى اصبهان ومعه وزيره ابو طالب السميرمى والامير على بن عمر وقراجة واما سنجر فانه سار الى همدان فرأى قلة عسكره واجتماع العساكر على ابن اخيه فراسله فى الصلح وكانت والدته تشير عليه بذلك وتقول قد استوليت على غزنة واعمالها وما وراء النهر وملكت ما لا حد عليه وقررت الجميع على اصحابه فاجعل ولد اخيك كاحد اولادك وتزوجه [illegible] هى جدة السلطان محمود فاجاب الى قولها ثم كثرت [illegible]
وكان عند الملك [illegible] بغداد [illegible]

القلعة فرجعوا على اثره وكان الخواجا محمود حسن البزجان خرج الاثاثه قبل وصوله بثلاثة ايام الى ناحية الاثار واخرج مسمطات واغناما واستعدا قدومه استعدادا زائدا وذهب تعبه فى الفارغ الباطل ثم بعد وصول الباشا بثلاثة ايام وصلت طوائف العسكر وخدامهم ومعهم المنهوبات من الغلال والاغنام والفحم والحطب والغال وانواع الثمر وغيره فنشفتى اخشاب الدور وابوابها (وفى يوم الاثنين) وصل حسن باشا وعمه آغا الارنؤد وصالح قوج والدلاتية واتراك ووصل ايضا شاهين بك الالفى وصحبته محمد بك المنفوخ المرادى ومحمد بك الابراهيمى وهم الذين حضروا فى هذه المرة وتخلف الذين اوقيمى [illegible] اخذ امهم بعد الحضور وامر ابراهيم بك تابع الاشقر ومحمد تابع مراد بك الصغير وصحبته عسكر قدمها الى ناحية السرب [illegible] وصل [illegible] من [illegible] [illegible] بينهم [illegible] [illegible]

● [illegible] شهر ذى القعدة ● [illegible] سنة ١٢٢٤ [illegible] حضر [illegible] بن [illegible] عسكر [illegible] [illegible] هم [illegible] وغيرهما [illegible] رئيس [illegible]

فقوى بهم فعاد الرسول وابلغه عن الامراء الذين مع السلطان محمود انهم لا يصالحونه حتى يعود الى خراسان فلم يجب الى ذلك وسار من همذان الى كرج واعاد مراسلة السلطان محمود فى الصلح ووعده ان يجعله ولى عهده فاجاب الى ذلك واستقر الامر بينهما وتحالفا عليه وسار السلطان محمود الى عمه سنجر فى شعبان فنزل على جدته والدة سنجر واكرمه عمه وبالغ فى ذلك وحمل له السلطان محمود هدية عظيمة فقبلها ظاهرا وردها باطنا ولم تقبل منه سوى خمسة افراس عربية وكتب السلطان سنجر الى سائر الاعمال التى بيده خراسان وغزنة وما وراء النهر وغيرها من الولايات بان يخطب للسلطان محمود بعده وكتب الى بغداد بمثل ذلك واعاد عليه جميع ما اخذ من البلاد سوى الرى وقصد باخذها ان تكون له فى هذه الديار لئلا يحدث السلطان محمود نفسه بالخروج

(ذكر غزاة ايلغازى بلاد الفرنج)

فى هذه السنة سار الفرنج من بلادهم الى نواحى حلب فلكوا بزاعة وغيرها واخربوا بلد حلب ونازلوها ولم يكن بحلب من الذخائر ما يكفيها شهرا واحدا وخافهم اهلها خوفا شديدا ولو مكنوا من القتال لم يبق بها احد لكنهم منعوا من ذلك وصانعوا الفرنج اهل حلب على ان قاسموهم على املاكهم التى بباب حلب فارسل اهل البلد الى بغداد يستغيثون ويطلبون النجدة فلم يغاثوا وكان الامير ايلغازى صاحب حلب ببلده ماردين يجمع العساكر والمتطوعة للغزاة فاجتمع عليه نحو عشرين الفا وكان معه اسامة بن المبارك بن شبل الكلابى والامير طغان ارسلان بن المكر صاحب بدليس وارزن وسار بهم الى الشام عازما على قتال الفرنج فلما علم الفرنج قوة عزمهم على لقائهم وكانوا ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف راجل ساروا فنزلوا قريبا من الاثارب بموضع يقال له تل عفرين بين جبال ليس لها طريق الا من ثلاث جهات وفى هذا الموضع قتل شرف الدولة مسلم بن قريش وظن الفرنج ان احدا لا يسلك اليهم لضيق الطريق فاخلدوا الى المطاولة وكانت عادتهم اذا راوا قوة من المسلمين راسلوا ايلغازى يقولون له لا تتعب نفسك بالمسير الينا فنحن واصلون اليك فاعلم اصحابه بما قالوه واستشارهم فيما يفعل فاشاروا بالركوب من وقته وقصدهم ففعل ذلك وسار اليهم فدخل الناس من الطرق الثلاثة ولم تعتقد الفرنج ان احدا يقدم عليهم لصعوبة المسالك اليهم فلم يشعروا الا واوائل المسلمين قد غشيتهم فحمل الفرنج حملة منكرة فولوا منهزمين فلقوا باقى العسكر متتابعة فعادوا معهم وجرى بينهم حرب شديدة واحاطوا بالفرنج من جميع جهاتهم واخذهم السيف من سائر نواحيهم فلم يفلت منهم غير نفر يسير وقتل الجميع واسروا وكان فى جملة الاسرى نيف وسبعون فارسا من مقدميهم فحملوا الى حلب فبذلوا فى نفوسهم ثلثمائة الف دينار فلم يقبل منهم وغنم المسلمون منهم الغنائم الكثيرة واما سيرجل صاحب انطاكية فانه قتل وحمل راسه وكانت الوقعة منتصف شهر ربيع الاول وممن مدح ايلغازى فى هذه الوقعة قول العظيمى

قل ما تشاء فقولك المقبول ۞ وعليك بعد الخالق التعويل

الدار التى هو غاصبها وساكن فيها فاحضره وسلمه المفتاح وهو يقول له تسلم يا اخى دارك واسكنها بارك الله لك فيها وسامحنى وابرئ ذمتى فربما انى اموت ولا ارجع ولان الكثير منهم تولى المناصب والامريات بالجهة القبلية وعندما يتسلم صاحب الدار داره يفرح بخلاصها ويشرع فى عمارتها واعادة ما تهدم منها فيتكلف نفسه ولو بالدين ويعمرها فما هو الا ان تم العمارة والمرمة فى مدة قليلة فما يشعر الا وصاحبه داخل عليه بحصانه وجماله وخدمه فما يسع الشخص الا الرحلة ويتركها لغريمه وقد وقع ذلك لكثير من الناس المغفلين (وفيه) وصلت اخبار بان عمارة الفرنساوية نزلت الى البحر وعدة مراكبهم مائتان وسبعة عشر مركبا لا يعلم قصدهم اى جهة من الجهات وحضر ثلاثة اشخاص من الطير المعدين لتوصيل الاخبار وبيدهم مرسوم مضمونه الامر بالتحفظ على الثغور فعند ذلك امر الباشا بالاستعداد وخروج العساكر الى الثغور (وفى يوم السبت) ثامنه سافر جملة من العسكر الى ناحية بحرى وسافر كبير منهم ومعه جملة من العسكر الى سكندرية وكذلك سافر خلافه الى رشيد والى دمياط والى قبرص والبرلس (وفى ليلة الاثنين ثامن عشره) سافر ابراهيم باشا ليلا وخرج مسافرا الى اسيوط بعد ان كان عزم على الاقامة والاحتياط وقدم ابله بالاحتياجات من احمال واستبشر

الماء والعليق والزوادة والأزواد السيد محمد المحروقي وكان خروجه من مصر ٢٣ على الهجن (وفي ليلة الأحد رابع عشرينه)

واستبشر القرآن حين نصرته * وبكى لفقد رجاله الإنجيل

ثم تجمع من سلم من المعركة مع غيرهم فلقيهم ما بلغ أيضاً فهزمهم وفتح منهم حصن الأثارب وزردنا وعاد إلى حلب وقرر أمرها وأصلح حالها ثم عبر الفرات إلى ماردين

(ذكر وقعة أخرى مع الفرنج)

في هذه السنة سار جوسلين صاحب تل باشر في جمع من الفرنج نحو مائتي فارس من طبرية فكبس طائفة من طيء يعرفون ببني خالد فأخذهم وأخذ غنائمهم وسألهم عن بقية قومهم من بني ربيعة فأخبروه أنهم من وراء الحزن بوادي السلالة بين دمشق وطبرية فقدم جوسلين مائة وخمسين فارساً من أصحابه وسار هو في خمسين فارساً على طريق آخر وواعدهم الصبح ليكبسوا بني ربيعة فوصلهم الخبر بذلك فأرادوا الرحيل فمنعهم أميرهم من بني ربيعة وكانوا في مائة وخمسين فارساً فوصلهم المائة والخمسون من الفرنج معتقدين أن جوسلين قد سبقهم وسيدركهم فضل الطريق وفات [illegible] فاقتتلوا وطعنت العرب خيولهم فعقروا أكثرها رجالة وظهر من [illegible] شجاعة وحسن تدبير وجودة رأي فقتل من الفرنج سبعون وأسر اثنا عشر من مقدميهم بذل كل واحد في فداء نفسه مالاً جزيلاً وعدة من الأسرى وأما جوسلين فإنه ضل الطريق وبلغه خبر الوقعة فسار إلى طرابلس فجمع بها جمعاً وأسرى إلى عسقلان فأغار على بلدها فهزمه المسلمون [illegible]

(ذكر قتل منكوبرس)

في هذه السنة قتل الأمير منكوبرس الذي كان شحنة بغداد وقد تقدم ذكره وكان سبب قتله أنه لما انهزم مع السلطان محمود وعاد إلى بغداد [illegible] من طريق خراسان وأراد دخول بغداد فسير إليه دبيس بن صدقة من منعه فعاد [illegible] بين السلطان سنجر ومحمود فقصد السلطان سنجر ودخل إليه [illegible] له مالاً وأخذ أحداً وسلمه إلى السلطان محمود [illegible] وكان في نفسه منه غيظ شديد لأسباب منها أنه [illegible] والدة السلطان مسعود قهراً قبل انقضاء عدتها [illegible] ومسيره إلى شحنكية بغداد [illegible] من الظلم إلى غير ذلك فقتله صبراً [illegible]

(ذكر قتل الأمير علي بن عمر)

وفي هذه السنة أيضاً قتل الأمير علي بن عمر حاجب السلطان محمود [illegible] مع السلطان محمود وانفردت [illegible] كرله [illegible] محمود [illegible] فهرب إلى قلعة برجين [illegible] وكان [illegible] في مائتي فارس [illegible]

حضر الباشا من السويس وكان وصوله ليلاً وطلع إلى القلعة

(واستهل شهر ذي الحجة بيوم الأحد سنة ١٢٢٤)

فيه شرع الباشا في إنشاء مراكب بحر القلزم فطلب الأخشاب اللائقة لذلك وأرسل المعينين لقطع أشجار التوت والنبق من القطر المصري القبلي والبحري وغيرهما من الأخشاب القوية من الروم ويعمل بساحل بولاق ترعة وورشات وجمعوا الصناع والنجارين والنشارين فيهيئونها [illegible] ويركبها الصناع بالسويس [illegible] ويضعونها في [illegible] [illegible] الأزرق [illegible] (وفيه) [illegible] ذهبت إلى [illegible] [illegible] دقة [illegible] [illegible] الأولى [illegible]

دقة [illegible] من [illegible] زوجي [illegible] [illegible] روحه [illegible]

وابنى أخويه ارغلى بن يلبكى وهندو بن زنكى فارسل اليهم وأخذ عهودهم بامانه وحمايته فلما سار اليهم أرسلوا عسكرا منعوه من قصدهم فلقوه على ستة فراسخ من تستر فاقتتلوا فانهزم هو واصحابه فوقف به فرسه فانتقل الى غيره فتشبث ذيله بسرجه الاول فازاله فعاود التعلق فابطا فادركوه واسروه وكاتبوا السلطان محمودا فى امره فامرهم بقتله فقتل وحمل راسه اليه

(ذكر الفتنة بين المرابطين واهل قرطبة)

فى هذه السنة وقيل سنة اربع عشرة كانت فتنة بين عسكر امير المسلمين على بن يوسف و بين اهل قرطبة وسببها ان امير المسلمين استعمل عليها ابا بكر يحيى بن رواد فلما كان يوم الاضحى خرج الناس متفرجين فمد عبد من عبيد ابى بكر يده الى امراة فامسكها فاستغاثت بالمسلمين فاغاثوها فوقع بين العبيد واهل البلد فتنة عظيمة ودامت جميع النهار والحرب بينهم قائمة على ساق فادركهم الليل فتفرقوا فوصل الخبر الى الامير ابى بكر فاجتمع اليه الفقهاء والاعيان فقالوا المصلحة ان تقتل واحدا من العبيد الذين اثاروا الفتنة فانكر ذلك وغضب منه واصبح من الغد واظهر السلاح والعدد يريد قتال اهل البلد فركب الفقهاء والاعيان والشبان من اهل البلد وقاتلوه فهزموه وتحصن بالقصر فحصروه وتسلقوا اليه فهرب منهم بعد مشقة وتعب فنهبوا القصر واحرقوا جميع دور المرابطين ونهبوا اموالهم واخرجوهم من البلد على اقبح صورة واتصل الخبر بامير المسلمين فكره ذلك واستعظمه وجمع العساكر من صنهاجة وزناتة والبربر وغيرهم فاجتمع له منهم جمع عظيم فعبر اليهم سنة خمس عشرة وخمسمائة وحصر مدينة قرطبة فقاتله اهلها قتال من يريد ان يحمى دمه وحريمه وماله فلما راى امير المسلمين شدة قتالهم دخل السفراء بينهم وسعوا فى الصلح فاجابهم الى ذلك على ان يغرم اهل قرطبة للمرابطين ما نهبوه من اموالهم واستقرت القاعدة على ذلك وعاد عن قتالهم

(ذكر ملك على بن سكمان البصرة)

فى هذه السنة استولى على بن سكمان على البصرة وسبب ذلك ان السلطان محمدا كان قد اقطع البصرة الامير آقسنقر البخارى فاستخلف بها نائبا يعرف بسنقر البياتى فاحسن السيرة الى حد ان الماء بالبصرة ملح فاقام سفنا وجرار الضعفاء والسابلة تحمل لهم الماء العذب فلما توفى السلطان محمد عزم هذا الامير سنقر على القبض على امير اسمه غزغلى مقدم الاتراك الاسماعيلية وهو مذ كورو حج بالناس على البصرة عدة سنين وعلى امير آخر اسمه سنقر البب وهو مقدم الاتراك البلدقية فاجتمعا عليه وقبضاه وقيداه واخذا القلعة وما وجداه له ثم ان سنقر البب اراد قتله فمنعه غزغلى فلم يقبل منه فقتله فوثب غزغلى على سنقر البب فقتله ونادى فى الناس بالسكون واصلحوا وكان امير الحج من البصرة هذه السنة امير اسمه على بن سكمان احد الامراء البلدقية

عطار بسوق الازهر فاخذها الاغا واحضر بها الى بيت الشيخ الشرقاوى بعد العشاء واحضروا زوجها وسالوه فقال انا اخذتها من فلان تابع الشيخ الشرقاوى فانفعل الشيخ وقال ان يكن هو ابنى فانا برىء منه وطلبوه فتغيب واختفى واخذ الاغا المرأة وزوجها وقررهما فاقر الرجل وعرف عن عدة اشخاص يفعلون ذلك وفيهم من مجاورى الازهر فلم يزل يتجسس ويتفحص ويستدل على البعض بالبعض وقبض على اشخاص ومعهم العدد والآلات وحبسهم ايضا بالقلعة عند كتخدا بك وفر ناس من مجاورى الازهر من مصر لما قام بهم من الوهم وفى كل يوم يشاع التنكيل والتعريض للمقبوض عليهم وقتلهم ولم يزل الاغا يتجسس حتى جمعوا ست عشرة عدة وارسلوها الى بيت محمد افندى ناظر المهمات وسالوا الحدادين عمن اصطنع هذه العدد منكم فانكروا وجحدوا وقالوا هذا من صناعة الشام ثم كسروها وابطلوها وطال امر المحبوسين والتفحص عن غيرهم فكان بعض المقبوض عليهم يعرف عن غيره او شريكه فكانت هذه الحادثة من اشنع الحوادث خصوصا بنسبتها لخطة الازهر فكان كل من اشترى شيئا ودفع الثمن للبائع قروشا ذهب بها الى الصيرفى لانه فى ذلك الوقت لم يكن موجودا بايدى الناس خلافها وكانوا يقولون فى ذهابهم الى الصيرفى وكان

وكان في نفس غزغلي عليه حقد حيث تم الحج على يده ولانه خاف أن يأخذ بثأره سنقر البـ
اذ هو مقدم البلدقية فارسل غزغلي الى عرب البرية يأمرهم بقصد الحجاج ونهبهم
فطمعوا بذلك وقصدوا الحجاج فقاتلوهم وحماهم ابن سكمان وابلى بلاء حسنا وجعل
يقاتلهم وهو سائر نحو البصرة الى ان بقي بينه وبين البصرة يومان فارسل اليه غزغلي
يمنعه من قصد البصرة فقصد العوفي أسفل دجلة هذا والعرب يقاتلونه فلما وصل
الى العوفي حمل على العرب حملة صادقة فهزمهم وسار غزغلي الى علي بن سكمان في
عدد كثير وكان علي في قلة فتقاربا واقتتلت الطائفتان فاصابت فرس غزغلي نشابة
فسقط وقتل وسار علي الى البصرة فدخلها وملك القلعة واقر عمال آقسنقر البخاري
ونوابه وكاتبه بالطاعة وكان عند السلطان وساله ان يكون نائبا عنه بالبصرة فلم يجبه
آقسنقر الى ذلك فطرد حينئذ نواب آقسنقر واستولى على البلد وتصرف تصرف
الاصحاب مستبدا واستقر فيه واحسن السيرة الى سنة اربع عشرة فسير السلطان محمود
الامير آقسنقر البخاري في عسكر الى البصرة فاخذها من علي بن سكمان

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة امر السلطان سنجر باعادة مجاهد الدين بهروز الى شحنكية العراق وكان
بها نائب دبيس بن صدقة فعزل عنها وفيها في ربيع الاول توفي ابو [illegible] ربيب الدولة وزير
السلطان محمود ووزر بعده الكمال السميرمي وكان ولد ربيب الدولة وزير المسترشد فعزل
واستعمل بعده عميد الدولة ابو علي بن صدقة ولقب جلال الدين وهذا الوزير هو عم
الوزير جلال الدين ابي الرضا صدقة الذي وزر للراشد ولاتابك زنكي على ما نذكره
وفيها ظهر قبر ابراهيم الخليل وقبور ولديه اسحق ويعقوب عليهم السلام بقرب من
البيت المقدس ورآهم كثير من الناس لم تبل اجسادهم وعندهم في المغارة قناديل من
ذهب وفضة هكذا ذكره حمزة بن اسد التميمي في تاريخه والله اعلم وفيها في المحرم توفي
قاضي القضاة ابو الحسن علي بن محمد الدامغاني ومولده في رجب سنة تسع واربعين
واربعمائة وولي القضاء بباب الطاق من بغداد [illegible] وله من العمر ست وعشرون
سنة وهذا شيء لم يكن لغيره ولما توفي ولي قضاء القضاة الاكمل ابو القاسم علي بن ابي
طالب الحسين بن محمد الزينبي وخلع عليه ثالث صفر وفيها هدم تاج الخليفة في دجلة
للخوف من انهدامه وهذا التاج بناه امير المؤمنين المكتفي سنة تسعين ومائتين وفيها
في آخر المحرم [illegible] وادوا كسر المنبر بجامع القصر [illegible] الخليفة الى دبيس
ابن صدقة ليسعد لانه يرتضي تسيير الحجاج [illegible] وكان خروجهم من بغداد
ثاني عشر ذي القعدة وبراءات عليهم [illegible] وفيها ارسل دبيس بن صدقة
القاضي ابا جعفر عبد الواحد بن احمد الثقفي قاضي الكوفة الى ايلغازي بن ارتق
بماردين يخطب ابنته فزوجها منه [illegible]
وفيها في جمادى الاولى توفي ابو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل شيخ الحنابلة
ببغداد وكان حسن المناظرة [illegible]

احداث بدعة المكس على الشروق وذلك ان بعض المتصدرين من نصارى الاروام انهى الى كتخدا بك امر الشروق وكثرة المستعملين له والدقاقين والباعة وانه اذا جمعت دقاقوه وصناعه في مكان واحد وجعل عليهم مقادير التزم به وضبط رجاله وجمع ماله وايصاله الى الخزينة من يكون ناظرا وقيما عليه كغيره من اقلام المكوس التي يعبرون عنها بالجمارك فيه تحصل من ذلك [illegible] صورة في العام [illegible] ذلك [illegible] الى [illegible] والحق بكتبة فرمان [illegible] واختار الذي جعلوه ناظرا على ذلك [illegible] بن [illegible] ونادوا على جميع صناع الشروق بجمعهم بذلك الخان ومنعوهم من حوانيت الاسواق [illegible] المتفرقة [illegible]

[illegible]

على أبي الوليد فاراد الحنابلة قتله فاستجار بباب المراتب عدة سنين ثم اظهر التوبة حتى تمكن من الظهور وله مصنفات من جملتها كتاب الفنون

(ثم دخلت سنة اربع عشرة وخمسمائة)

(ذكر عصيان الملك مسعود على اخيه السلطان محمود والحرب بينهما)

في هذه السنة في ربيع الاول كان المصاف بين السلطان محمود واخيه الملك مسعود ومسعود حينئذ له الموصل واذربيجان وكان سبب ذلك ان دبيس بن صدقة كان يكاتب جيوش بك اتابك مسعود يحثه على طلب السلطنة للملك مسعود ويعده المساعدة وكان غرضه ان يختلفوا فيناله من الجاه وعلو المنزلة ما ناله أبوه باختلاف السلطانين بركيارق ومحمد ابني ملكشاه على ما ذكرناه وكان قسيم الدولة البرسقي أتابك الملك مسعود قد فارق شحنكية بغداد وقد اقطعه مسعود مراغة مضافة الى الرحبة وبينه وبين دبيس عداوة محكمة فكاتب دبيس جيوش بك يشير عليه بقبض البرسقي وينسبه الى الميل الى السلطان محمود ويبذل له مالا كثيرا على قبضه فعلم البرسقي ذلك ففارقهم الى السلطان محمود فاكرمه واعلى محله وزاد في تقديمه واتصل الاستاذ أبو اسمعيل الحسين بن علي الاصبهاني الطغرائي بالملك مسعود فكان ولده أبو المؤيد محمد ابن أبي اسمعيل يكتب الطغراء مع الملك فلما وصل والده استوزره مسعود بعد ان عزل اباعلي بن عمار صاحب طرابلس سنة ثلاث عشرة بباب خوي فحسن ما كان دبيس يكاتب به من مخالفة السلطان محمود والخروج عن طاعته وظهر ما هم عليه من ذلك وبلغ السلطان محمودا الخبر فكتب اليهم يحذرهم ان خالفوه ويعدهم الاحسان ان أقاموا على طاعته وموافقته فلم يصغوا الى قوله واظهروا ما كانوا عليه وما يسرونه وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة وضربوا له النوب الخمس وكان ذلك على تفرق من عساكر السلطان محمود فقوى طمعهم واسرعوا السير اليه ليلقوه وهو مخف من العساكر فجمع اليه خمسة عشر ألفا فسار ايضا اليهم فالتقوا عند عقبة اسداباذ منتصف ربيع الاول واقتتلوا من بكرة الى آخر النهار وكان البرسقي في مقدمة السلطان محمود وابلى يومئذ بلاء حسنا فانهزم عسكر الملك مسعود آخر النهار واسر منهم جماعة كثيرة من اعيانهم ومقدميهم واسر الاستاذ أبو اسمعيل وزير مسعود فامر السلطان بقتله وقال قد ثبت عندي فساد دينه وعقيدته فكانت وزارته سنة وشهرا وقد جاوز ستين سنة وكان حسن الكتابة والشعر يميل الى صنعة الكيمياء وله فيها تصانيف قد ضيعت من الناس اموالا لا تحصى واما الملك مسعود فانه لما انهزم اصحابه وتفرقوا قصد جبلا بينه وبين الوقعة اثنا عشر فرسخا فاختفى فيه ومعه غلمان صغار فارسل ركابيه عثمان الى اخيه يطلب له الامان فسار الى السلطان محمود واعلمه حال اخيه مسعود فرق له وبذل له الامان وامر آقسنقر البرسقي بالمسير اليه وتطييب قلبه واعلامه بعفوه عنه واحضاره وكان مسعود بعد ارسال ركابيه الامان قد وصل بعض الامراء اليه وحسن له اللحاق

القرية ويطلبون مشايخها ويعطونهم قدرا موزونا ويلزمونهم بالثمن المعين بالمرسوم الذي بيدهم فيقول اهل القرية نحن لا نستعمل الشوق ولا نعرفه ولا يوجد عندنا من يصنعه وليس لنا به حاجة ولا نشتريه ولا ناخذه فيقال لهم ان لم تاخذوه فهاتوا ثمنه فان اخذوه اولم ياخذوه فهم ملزمون بدفع القدر المعين المرسوم ثم كراء طريق المعينين وكلفتهم وعليق دوابهم (ومنها) ايضا النطرون فرقوه وفرضوه على القرى محتجين ايضا باحتياج الحياكة والقزازين اليه لغسل غزل الكتان وبياض قماشه ونحو ذلك واشنع من ذلك كله انهم ارادوا عمل مثل هذا في الشراب المسكر المعروف بالعرقي والزام اهل قرى باخذه ودفع ثمنه ان اخذوه اولم ياخذوه فقيل لهم في ذلك فقالوا ان شربه يقوي ابدانهم على عمل الزرع والزراعة والحرث والكد في القنطرة والنطالة والله درفهم بدون ذلك (ومنها) انه لما شرع في عمل زلاقة تحت باب القلعة المعروف بباب الجبل موصلة الى اعلى الجبل المقطم جمعوا البنائين والحجارين والفعلة لعمل وحفروا عدة فسقات لتخمير الجيرة والطراحين لتحميص ونودي بالمدينة على البنائين والفعلة بان لا يشتغلوا ... من الناس كتنامي ... ويجتمع الجميع في عمارة الابنية بالقلعة والجبل الى ان كمل عملها بالموصل

بالموصل وكانت له ومعها اذربيجان واشار عليه بمكاتبة دبيس بن صدقة ليجتمع به ويكثر جمعه ويعاود طلب السلطنة فسار من مكانه ووصل البرسقي فلم يره فاخبر بمسيره فسار في اثره وعزم على طلبه ولو الى الموصل وجد في السير فادركه على ثلاثين فرسخا من مكانه ذلك ورده عن عزمه واخبره عن اخيه محمود من ماأراد واعاده الى العسكر فامر السلطان محمود العساكر باستقباله وتعظيمه ففعلوا ذلك وامر السلطان ان ينزل عند والدته وجلس له واحضره واعتنقا وبكيا وانعطف عليه محمود ووفى له بما بذله وخلطه بنفسه في كل احواله فعد ذلك من مكارم محمود وكانت الخطبة السلطانية لمسعود باذربيجان وبلد الموصل والجزيرة ثمانية وعشرين يوما واما اتابك جيوش بك فانه سار الى عقبة اسداباذ وانتظر الملك مسعودا فلم يره وانتظره كان آخر فلم يصل اليه فلما ايس منه سار الى الموصل ونزل بظاهرها وجمع الغلات من السواد اليها واجتمع اليه عسكره فلما سمع بما فعله السلطان مع اخيه وانه عنده علم انه لا مقام له على هذه الحال فسار كانه يريد الصيد فوصل الى الزاب وقال لمن معه انني قد عزمت على قصد السلطان محمود والخاطر بنفسي فسار اليه فوصل وهو بهمذان ودخل اليه فطيب قلبه وامنه واحسن اليه واما دبيس فانه كان بالعراق فلما بلغه خبر انهزام الملك مسعود نهب البلاد واخربها وفعل فيها الافاعيل القبيحة الى ان اتاه رسول السلطان محمود وطيب قلبه فلم يلتفت

(ذكر حال دبيس وما كان منه)

لما كان منه ببغداد وسوادها من النهب والقتل والفساد ما لم يجر مثله ارسل اليه الخليفة المسترشد بالله رسالة ينكر عليه ويامره بالكف فلم يفعل فارسل اليه السلطان وطيب قلبه وامره بمنع اصحابه عن الفساد فلم يقبل وسار بنفسه الى بغداد وضرب سرادقه بازاء دار الخلافة واظهر الضغائن التي في نفسه وكيف طيف براس ابيه وتهدد الخليفة وقال انك ارسلت تستدعي السلطان فان اعدته والا فعلت وصنعت فعاد جواب رسالته ان عود السلطان وقد سار عن همذان غير ممكن ولكنا نصلح حالك معه وكان الرسول شيخ الشيوخ اسمعيل فكف عن ان يسير لرسالة في الاتفاق بينه وبين السلطان وعاد عن بغداد في رجب ووصل السلطان في رجب الى بغداد فارسل دبيس زوجته ابنة عميد الدولة بن جهير اليه ومعها مال كثير وهدية نفيسة وسالت الصفح عنه فاجيب الى ذلك على قاعدة امتنع منها ولزم الحرب ونهب جشير السلطان فسار السلطان عن بغداد في شوال الى قصد دبيس بالحلة واستصحب الف سفينة ليعبر فيها فلما سمع دبيس بمسير السلطان ارسل يطلب الامان فامنه وكان قصده ان يغالطه حتى يتجهز فارسل نساءه الى البطيحة وخدامه وسار عن الحلة بعد ان نهبها الى ايلغازي فقصد السلطان الى الحلة فلم ير احدا فبات بها ليلة واحدة وعاد وقصد دبيس عنقة بن معاري وتردد ثم انه ارسل انابة منصور في جيش من قصد جعبر الى العراق ونهبه ووقفوا وانحدر الى البصرة وارسل الى برنقش الزكوي له ان يحضر

منه بحيث يجوز عليه الماشي والراكب من غير مشقة ولا تعب كثير (واما من مات في هذه السنة ممن له ذكر) مات علامة العهد وتحرير الفريد الفقيه المدرس الشيخ ابراهيم ابن الشيخ محمد الحريري الحنفي مفتي مذهب السادات الحنفية كوالده تفقه على والده وحضر في المعقولات على شيخ وقته كالبيلي وسودي والصبان وغيرهم وتنجب ومهر وصارت فيه ملكة جيدة واستحضار الفروع الفقهية وولد في شهر رجب سنة عشرين ومائتين واتقلد منصب والده في الافتاء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

في السنة الثالثة طريقا واسعا مصعدا من الاعلى الى الاسفل ممتدا في المسافة [illegible] لا في الطلوع الى الجبل او الانحدار

وقد سمي [illegible] لا في معاملته وقد [illegible] [illegible] [illegible]

السلطان فلم يتم امره فارسل الى اخيه دبيس يعرفه ذلك ويدعوه الى العراق فسار من قلعة جعبر الى الحلة سنة خمس عشرة فدخلها وملكها وارسل الى الخليفة والسلطان يعتذر ويعد من نفسه الطاعة فلم يجب الى ذلك وسيرت اليه العساكر فلما قاربوه فارق الحلة ودخل الى الازر بروهونهر سنداد ووصل العسكر اليها وهى فارغة قد اجلى اهلها عنها وليس بها اقامة فكانت الميرة تنقل من بغداد وكان مقدم العسكر سعد الدولة يرنقش الزكوى فترك بالحلة خمسمائة فارس و بالكوفة جماعة اخرى تحفظ الطريق على دبيس وارسل الى عسكر واسط يحفظ طريق البطيحة ففعلوا ذلك وعبر عسكر السلطان الى دبيس فبقى بين الطائفتين نهر يخاض فيه مواضع فتراسل يرنقش ودبيس واتفقا على ان يرسل دبيس اخاه منصورا رهينة و يلازم الطاعة ففعل وعاد العسكر الى بغداد سنة ست عشرة

(ذكر خروج الكرج الى بلاد الاسلام وملك تفليس)

فى هذه السنة خرج الكرج وهم الخزر الى بلاد الاسلام وكانوا قديما يغيرون فامتنعوا ايام السلطان ملكشاه الى آخر ايام السلطان محمد فلما كان هذه السنة خرجوا ومعهم قفجاق وغيرهم من الامم المجاورة لهم فتكاتب الامراء المجاورون لبلادهم واجتمعوا منهم الامير ايلغازى ودبيس بن صدقة وكان عنده والملك طغرل بن محمد وأتابكه كنتغدى وكان لطغرل بلد اران ونقجوان الى أرس فاجتمعوا وساروا الى الكرج فلما قاربوا تفليس وكان المسلمون فى عسكر كثير يبلغون ثلاثين الفا التقوا واصطف الطائفتان لقتال فخرج من القفجاق مائتا رجل فظن المسلمون انهم مستأمنون فلم يحترزوا منهم ودخلوا بينهم ورموا بالنشاب فاضطرب صف المسلمين فظن من بعد انها هزيمة فانهزموا وتبع الناس بعضهم بعضا منهزمين ولشدة الزحام صدم بعضهم بعضا فقتل منهم عالم عظيم وتبعهم الكفار عشرة فراسخ يقتلون ويأسرون فقتل اكثرهم واسروا اربعة آلاف رجل ونجا الملك طغرل وايلغازى ودبيس وعاد الكرج فنهبوا بلاد الاسلام وحصروا مدينة تفليس واشتد قتالهم لمن بها وعظم الامر وتفاقم الخطب على اهلها ودام الحصار الى سنة خمس عشرة فملكوها عنوة وكان اهلها لما اشرفوا على الهلاك قد ارسلوا القاضى والخطيب الى الكرج فى طلب الامان فلم تصغ الكرج اليهما فاحرقوا بها ودخلوا البلد قهرا وغلبة واستباحوه ونهبوه ووصل المستنفرون منهم الى بغداد مستصرخين ومستنصرين سنة ست عشرة فبلغهم ان السلطان محمودا بهمدان فقصدوه واستغاثوا به فسار الى اذربيجان واقام بمدينة تبريز شهر رمضان وانفذ عسكرا الى الكرج وسيرد ذكر ما كان منهم ان شاء الله تعالى

(ذكر غزوات ايلغازى هذه السنة)

فى هذه السنة ارسل المسترشد بالله خلعا مع سديد الدولة بن الانبارى لنجم الدين ايلغازى وشكره على ما يفعله من غزو الفرنج ويأمره بابعاد دبيس عنه وسار ابو على بن عمار الذى كان

بمدرسة الشعبانية بحارة الدويدارى ظاهر حارة كتامة المعروفة الآن بالعينية بالقرب من الجامع الازهر وخلف ولده النجيب الاديب سيدى محمد الملقب عبد المعطى بارك الله فيه وأعانه على وقته (ومات) الامام العلامة والعمدة الفهامة شيخ الاسلام والمسلمين الشيخ عبد المنعم ابن شيخ الاسلام الشيخ أحمد العماوى المالكى الازهرى وهو من آخر طبقة الاشياخ من أهل القرن الثانى عشر تفقه على الشيخ الزهار وغيره من علماء مذهبه وحضر الاشياخ المتقدمين كالدفرى والحفنى والصعيدى والشيخ سالم النفراوى والشيخ الصباغ السكندرى والشيخ فارس وقرأ الدروس وانتفع به الطلبة ولم يزل ملازما على القاء الدروس بالازهر على طريقة المتقدمين مع العفة والديانة و الانجماع عن الناس راضيا بحاله قانعا بعيشته ليس بيده من التعلقات الدنيوية سوى النظر على ضريح سيدى أبى السعود أبى العشائر ولم يتجرأ على اقتيام اهليته لذلك وزيادة ولم يضع نفسه في حرف الدنيا وسفساف الامور مع التجمل فى الملبس والمركب واظهار الغنى مع عدم التطلب لما فى ايدى الناس ويصدع بالحق فى المجالس ولا يتردد الى بيوت الحكام والاكابر الافى

كان صاحب طرابلس مع ابن الانباري الى ايلغازي ليقيم عنده بعض الاوقات ويساعده عليه فاعتذر بابعاد دبيس ووعده ثم سار الى الفرنج وكان قد جمع لهم جمعا فالتقوا بموضع اسمه ذات البقل من اعمال حلب فاقتتلوا واشتد القتال وكان الظفر له ثم اجتمع ايلغازي واتابك طغتكين صاحب دمشق وحصروا الفرنج في معرة قنسرين يوما وليلة ثم اشار اتابك طغتكين بالافراج عنهم كيلا يحملهم الخوف على ان يستقتلوا ويخرجوا الى المسلمين فربما ظفروا وكان اكثر خوفه من دبر خيل التركمان وجودة خيل الفرنج فافرج لهم ايلغازي فساروا عن مكانهم وتخلصوا وكان ايلغازي لا يطيل المقام في بلد الفرنج لانه كان يجمع التركمان للطمع فيحضر احدهم ومعه جراب فيه دقيق وشاة ويعد الساعات لغنيمة يتعجلها ويعود فاذا طال مقامهم تفرقوا ولم يكن له من الاموال ما يفرقها فيهم

(ذكر ابتداء امر محمد بن تومرت وعبد المؤمن وملكهما)

في هذه السنة كان ابتداء امر المهدي ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت العلوي الحسني وقبيلته من المصامدة تعرف بهرغة في جبل السوس من بلاد المغرب نزلوا به لما فتحه المسلمون مع موسى بن نصير ونذكر امره وامر عبد المؤمن في هذه السنة الى ان فرغ من ملك المغرب لتقرب بعض الحادثة ببعض وكان ابن تومرت قد رحل في شبيبته الى بلاد المشرق في طلب العلم وكان فقيها فاضلا عالما بالشريعة حافظا للحديث عارفا باصول الدين والفقه متحققا بعلم العربية وكان ورعا ناسكا ووصل في سفره الى العراق واجتمع بالغزالي والكيا واجتمع بابي بكر الطرطوشي بالاسكندرية وقيل انه جرى له حديث مع الغزالي فيما فعله بالمغرب من التملك فقال له الغزالي ان هذا لا يتمشى في هذه البلاد ولا يمكن وقوعه لامثالنا كذا قال بعض مؤرخي المغرب والصحيح انه لم يجتمع به فخرج من هناك وعاد الى المغرب ولما ركب البحر من الاسكندرية مغربا غير المنكر في المركب والزم من به باقامة الصلاة وقراءة القرآن حتى انتهى الى المهدية وملكها حينئذ يحيى بن تميم سنة خمس وخمسمائة فنزل بمسجد قبلي مسجد السبت وليس له سوى ركوة وعصا وتسامع به اهل البلد فقصدوه يقرؤون عليه انواع العلوم وكان اذا مر به منكر غيره وازاله فلما كثر ذلك منه احضره الامير يحيى مع جماعة من الفقهاء فلما رأى سمته وسمع كلامه اكرمه واحترمه وسأله الدعاء ورحل عن المدينة واقام بالمنستير مع جماعة من الصالحين مدة وسار الى بجاية ففعل فيها مثل ذلك فاخرج منها الى قرية قريبة منها اسمها ملالة فلقيه بها عبد المؤمن بن علي فرأى فيه من النجابة والنهضة ما تفرس فيه التقدم والقيام بالامر فسأله عن اسمه وقبيلته فاخبره انه من قيس عيلان ثم من بني سليم فقال ابن تومرت هذا الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم حين قال ان الله ينصر هذا الدين في آخر الزمان برجل من قيس فقيل من اي قيس فقال من بني سليم واستبشر بعبد المؤمن وسر بلقائه وكان مولد عبد المؤمن في مدينة تاجرة من عمل تلمسان وهو

النادر بقدر الضرورة مع الانفة والحشمة ولا يشكو ضرورة ولا حاجة ولا زمانا و ٢٤٤ ولم يزل على حالته حتى مرض اياما وتوفي ليلة الخميس حادي عشر ذي القعدة من اربع وثمانين سنة وخرجوا بجنازته من منزله المسكن بدرب الحلواة بالقرب من باب الرقية فمروا بالجنازة على خطة الجمالية على الحسين على الاشرفية ودخلوا من حارة الخراطين الى الجامع الازهر وصلى عليه في مشهد حافل ودفن على والده بتربة المجاورين وخلف من الاولاد الذكور اربعة رجال ذوي نجابة وصلاح وخطهم لنسب خلاف الذات رحمه الله ونفعنا به (ومات) الفقيه السيد الصالح الورع العالم المحقق الشيخ محمد الشهير بابي غوث الاسنكي ومولده بالبلدة المعروفة بالبهوديه بالبحيرة تفقه على اشياخ العصر ومهر في الفقه والمعقول واقرأ الدروس وانتفع به الطلبة وشهد له بفضله وكان منعزلا عن الناس ورضي بالقليل ولا يتكبر النفس متواضع ولم يتزي بزي الفقهاء ولم يخالط احدا وكان ملازما لزاويته لا يتردد الى احد ولا يسعى حتى توفي الى رحمة الله يوم الاربعاء خامس شهر صفر من السنة ودفن بتربة المجاورين رحمه الله (ومات) العمدة الشريف والنبيل الشهير بشيخ السادات

الفيومي المالكي ولد بالفيوم وحضر الى مصر وحفظ القرآن وجاور برواق الفيمة بالازهر وكان في اول امره يمشي خلف تجار الشيخ الصعيدي وعليه دراعة صوف وشملة صفراء ثم حضر دروسه ودروس الشيخ الدردير وغيرهما واختلط مع المنشدين وكان له صوت شجي فيذهب مع المذكرين الى بيوت الاعيان في الليالي فينشد الانشادات ويقرأ الاعشار فيعجبون به ويكرمونه زيادة على غيره واختلط ببعض الاعيان الذين يقال لهم البرقوقية من ذرية السلطان برقوق وهم نظار على اوقافه فراج امره وكثرت معارفه بالاغوات الطواشية وبهم توصل الى نساء الامراء والسعي في حوائجهن وقضاياهن وصار له قبول زائد عندهن وعند ازواجهن وتجمل بالملابس وركب البغال واحدق به المحدقون وتزوج بامرأة بناحية قنطرة الامير حسين وسكن بدارها فتت ورثتها ولما مات الشيخ محمد العقاد تعين المترجم لمشيخة رواق الفيمة وبنى له محمد بك المعروف بالمبدول دارا عظيمة بحارة عابدين فاشتهر ذكره وعلا شانه بطارميته وسافر في بعض مقتضيات الامراء الى دار السلطنة وعاد الى مصر واقبلت عليه الهدايا من الامراء محمديات والاغوات والاقباط وغيرهم واعتنوا بشانه وزوجته الست زليخا زوجة ابراهيم بك الكبير بنت وتهج

من عائذ قبيل من كومية نزلوا بذلك الاقليم سنة ثمانين ومائة ولم يزل المهدي ملازما للامر بالمعروف والنهي عن المنكر في طريقه الى ان وصل الى مراكش دار مملكة امير المسلمين يوسف بن علي بن تاشفين فرأى فيها من المنكرات اكثر مما عاينه في طريقه فزاد في امره بالمعروف ونهيه عن المنكر فكثر اتباعه وحسنت ظنون الناس فيه فبينما هو في بعض الايام في طريقه اذ رأى اخت امير المسلمين في موكبها ومعها من الجواري الحسان عدة كثيرة وهن مسفرات وكانت هذه عادة الملثمين يسفر نساؤهم وجوههن ويتلثم الرجال فحين رأى النساء كذلك انكر عليهن وأمرهن بستر وجوههن وضرب هو واصحابه دوابهن فسقطت أخت أمير المسلمين عن دابتها فرفع امره الى أمير المسلمين علي بن يوسف فاحضره واحضر الفقهاء ليناظروه فاخذ يعظه ويخوفه فبكى امير المسلمين وأمر أن يناظره الفقهاء فلم يكن فيهم من يقوم له لقوة ادلته في الذي فعله وكان عند أمير المسلمين بعض وزرائه يقال له مالك بن وهيب فقال يا أمير المسلمين ان هذا والله لا يريد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انما يريد اثارة فتنة والغلبة على بعض النواحي فاقتله وقلدني دمه فلم يفعل ذلك فقال اذا لم تقتله فاحبسه وخلده في السجن والا اثار شرا لا يمكن تلافيه فاراد حبسه فمنعه رجل من أكابر الملثمين يسمى بيان بن عثمان فامر باخراجه من مراكش فسار الى اغمات ولحق بالجبل فسار فيه حتى لحق بالسوس الذي فيه قبيلة هرغة وغيرهم من المصامدة سنة أربع عشرة فاتوه واجتمعوا حوله وتسامع به أهل تلك النواحي فوفدوا عليه وحضر اعيانهم بين يديه وجعل يعظهم ويذكرهم بايام الله ويذكر لهم شرائع الاسلام وما غير منها وما حدث من الظلم والفساد وانه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول لاتباعهم الباطل بل الواجب قتالهم ومنعهم عما هم فيه فاقام على ذلك نحو سنة وتابعته هرغة قبيلته وسمى اتباعه الموحدين واعلمهم ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر بالمهدي الذي يملأ الارض عدلا وان مكانه الذي يخرج منه المغرب الاقصى فقام اليه عشرة رجال احدهم عبد المؤمن فقالوا لا يوجد هذا الا فيك فانت المهدي فبايعوه على ذلك فانتهى خبره الى امير المسلمين فجهز جيشا من اصحابه وسيرهم اليه فلما قربوا من الجبل الذي هو فيه قال لاصحابه ان هؤلاء يريدونني واخاف عليكم منهم فالرأي ان أخرج بنفسي الى غير هذه البلاد لتسلموا انتم فقال له ابن توفيان من مشايخ هرغة هل تخاف شيئا من السماء فقال لا بل من السماء تنصرون فقال ابن توفيان فليأتنا كل من في الارض ووافقه جميع قبيلته فقال المهدي ابشروا بالنصر والظفر بهذه الشرذمة وبعد قليل تستأصلون دولتهم وترثون ارضهم فنزلوا من الجبل ولقوا جيش أمير المسلمين فهزموهم وأخذوا اسلابهم وقوي ظنهم في صدق المهدي حيث ظفروا كما ذكر لهم واقبلت اليه افواج القبائل من الحلل التي حوله شرقا وغربا وبايعوه وأطاعته قبيلة هنتاتة وهي من أقوى القبائل فاقبل عليهم واطمأن اليهم واتاه رسل اهل تينملل بطاعتهم وطلبوه اليهم فتوجه الى جبل تينملل واستوطنه وألف لهم كتابا في التوحيد وكتابا في العقيدة

ونهج لهم طريق الادب بعضهم مع بعض والاقتصار على القصير من الثياب القليل
الثمن وهو يحرضهم على قتال عدوهم واخراج الاشرار من بين اظهرهم وأقام بتينملل
وبنى له مسجدا خارج المدينة فكان يصلي فيه الصلوات هو وجمع ممن معه عنده
ويدخل البلد بعد العشاء الآخرة فلما رأى كثرة أهل الجبل وحصانة المدينة خاف ان
يرجعوا عنه فأمرهم ان يحضروا بغير سلاح ففعلوا ذلك عدة أيام ثم انه أمر اصحابه ان
يقتلوهم فخرجوا عليهم وهم غارون فقتلوهم في ذلك المسجد ثم دخل المدينة فقتل فيها
واكثر وسبى الحريم ونهب الاموال فكان عدة القتلى خمسة عشر الفا وقسم المساكن
والارض بين اصحابه وبنى على المدينة سورا وقلعة على رأس جبل عال وفي جبل تينملل
انهار جارية واشجار وزروع والطريق اليه صعب فلا جبل احصن منه وقيل انه لما
خاف أهل تينملل نظر فرأى كثيرا من اولادهم شقرا زرقا والذي يغلب على الآباء
السمرة وكان لامير المسلمين عدة كثيرة من المماليك الفرنج والروم يغلب على الوانهم
الشقرة وكانوا يصعدون الجبل في كل عام مرة ويأخذون ما لهم فيه من الاموال المقررة لهم
من جهة السلطان فكانوا يسكنون بيوت اهله ويخرجون اصحابها منها فلما رأى
المهدي اولادهم سألهم مالي أراكم سمر الالوان وأرى اولادكم شقرا زرقا فأخبروه
خبرهم مع مماليك امير المسلمين فقبح الصبر على هذا وأزرى عليهم وعظم الامر عندهم
فقالوا له فكيف الحيلة في الخلاص منهم وليس لنا بهم قوة فقال اذا حضروا عندكم في
الوقت المعتاد وتفرقوا في مساكنكم فليقم كل رجل منكم الى نزيله فليقتله واحفظوا
جبالكم فانه لا يرام ولا يقدر عليه فصبروا حتى حضر أولئك العبيد فقتلوهم على ما قرر
لهم المهدي فلما فعلوا ذلك خافوا على نفوسهم من أمير المسلمين فامتنعوا في الجبل
وسدوا ما فيه من طريق يسلك اليهم فقويت نفس المهدي بذلك ثم ان أمير المسلمين
أرسل اليهم جيشا فحصروهم في الجبل وضيقوا عليهم ومنعوا عنهم الميرة فقلت
عند اصحاب المهدي الاقوات حتى صار الخبز معدوما عندهم وكان يطبخ لهم كل يوم من
الحساء ما يكفيهم فكان قوت كل واحد منهم ان يغمس يده في ذلك الحساء ويخرجها فما
علق عليها قنع به ذلك اليوم فاجتمع أعيان أهل تينملل وأرادوا اصلاح الحال مع أمير
المسلمين فبلغ الخبر بذلك المهدي بن تومرت وكان معه انسان يقال له أبو عبد الله
الونشريشي يظهر البله وعدم المعرفة بشيء من القرآن والعلم وبزاقه يجري على صدره
وهو كأنه معتوه ومع هذا فالمهدي يقربه ويكرمه ويقول ان لله سرا في هذا الرجل سوف
يظهر وكان الونشريشي يلازم الاشتغال بالقرآن والعلم في السر بحيث لا يعلم احد ذلك
منه فلما كان سنة تسع عشرة وخاف المهدي من أهل الجبل خرج يوما لصلاة الصبح
فرأى الى جانب محرابه انسانا حسن الثياب طيب الريح فأظهر انه لا يعرفه وقال من
هذا فقال انا أبو عبد الله الونشريشي فقال له المهدي ان أمرك لعجب ثم صلى فلما فرغ
من صلاته نادى في الناس فحضروا فقال ان هذا الرجل يزعم انه الونشريشي فانظروه
وحققوا أمره فلما أضاء النهار عرفوه فقال له المهدي ما قصتك فقال انني أتاني الليلة

عبد الله الرومي وتصرف في أوقاف أبيها ومنها عزب البرنجا مرشيد وغيرها فاشتهر بالبلاد القبلية والبحرية وكان مع
قلة بضاعته في العلم مشاركا
بسبب التداخل في القضايا
وكان كريم النفس جدا يجود
بما لديه قليلا مع حسن
المعاشرة والبشاشة والتواضع
والمواساة للكبير والصغير
والجليل والحقير وطعامه
مبذول للواردين ومن اتى في
منزله الى حاجة او زائر لا يمكنه
من الذهاب حتى يغديه و
يعشيه واذا اتاه مسترفد ولم
يجد معه شيئا اقترض
واعطاه فوق مرغوبه ولا يبخل
بجاهه وسعيه على احد كائنا
من كان بعوض وبدونه ومما
اتفق له مرارا انه يركب من
الصباح في حوائج الناس فلا
يعود الا بعد العشاء الاخيرة
فيلاقيه آخر ذو حاجة في
نصف الطريق وآخر فينهي
اليه قصته من شفاعة عند
امير او خلاص مسجون او غير
ذلك فيقف ويستمع قصته
وهو راكب فيقولون له في غد
نذهب اليه في وقته
فيأبى ويقول لصاحب الحاجة
عسى ان يرد في هذا الوقت فيعود
من طريقه مع صاحب
الحاجة الى ذلك الامير ولو
بعدت داره ويقضي حاجته
ويعود بعد حصة من الليل
وهكذا كان شأنه ولا ينتظر
ولا يتوقع جعالة ولا اجرة
فان اتاه بعد ذلك بشيء اخذه
او هدية قبلها قلت او كثرت وشكرهم على ذلك فمالت اليه القلوب ووفدت اليه ذوو الحاجات من كل ناحية

ملك من السماء فغسل قلبي وعلمني الله القرآن والموطا وغيره من العلوم والاحاديث فبكى المهدي بحضرة الناس ثم قال له نحن نمتحنك فقال افعل وابتدأ يقرأ القرآن قراءة حسنة من أي موضع سئل وكذلك الموطا وغيره من كتب الفقه والاصول فعجب الناس من ذلك واستعظموه ثم قال لهم ان الله تعالى قد اعطاني نورا أعرف به أهل الجنة من أهل النار وآمركم ان تقتلوا أهل النار وتتركوا أهل الجنة وقد أنزل الله تعالى ملائكة الى البئر التي في المكان الفلاني يشهدون بصدقي فسار المهدي والناس معه وهم يبكون الى تلك البئر وصلى المهدي عند رأسها وقال يا ملائكة الله ان أبا عبد الله الونشريشي قد زعم كيت وكيت فقال من بها صدق وكان قد وضع فيها رجالا يشهدون بذلك فلما قيل ذلك من البئر قال المهدي ان هذه مطهرة مقدسة قد نزل اليها الملائكة والمصلحة ان تطم لئلا يقع فيها نجاسة أو ما لا يجوز فالقوا فيها من الحجارة والتراب ما طمها ثم نادى في أهل الجبل بالحضور الى ذلك المكان فحضروا للتمييز فكان الونشريشي يعمد الى الرجل الذي يخاف ناحيته فيقول هذا من أهل النار فيلقى من الجبل مقتولا والى الشاب الغر ومن لا يخشى فيقول هذا من أهل الجنة فيترك على يمينه فكان عدة القتلى سبعين ألفا فلما فرغ من ذلك امن على نفسه واصحابه واستقام أمره هكذا سمعت جماعة من فضلاء المغاربة يذكرون في التمييز وسمعت منهم من يقول ان ابن تومرت لما رأى كثرة اهل الشر والفساد في اهل الجبل احضر شيوخ القبائل وقال لهم انكم لا يصح لكم دين ولا يقوى الا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر واخراج المفسد من بينكم فابحثوا عن كل من عندكم من أهل الشر والفساد فانهوهم عن ذلك فان انتهوا والا فاكتبوا اسماءهم وارفعوها الى لانظر في امرهم ففعلوا ذلك وكتبوا له اسماءهم من كل قبيلة ثم امرهم بذلك مرة ثانية وثالثة ثم جمع المكتوبات فاخذ منها ما تكرر من الاسماء فاثبتها عنده ثم جمع الناس قاطبة ورفع الاسماء التي كتبها ودفعها الى الونشريشي المعروف بالبشير وامره ان يعرض القبائل ويجعل أولئك المفسدين في جهة الشمال ومن عداهم من جهة اليمين ففعل ذلك وامر ان يكتف من على شمال الونشريشي فكتفوا وقال ان هؤلاء اشقياء قد وجب قتلهم وامر كل قبيلة ان تقتل اشقياءهم فقتلوا عن آخرهم فكان يوم التمييز ولما فرغ ابن تومرت من التمييز رأى اصحابه الباقين على نيات صادقة وقلوب متفقة على طاعته فجهز منهم جيشا وسيرهم الى جبال اغمات وبها جمع من المرابطين فقاتلوهم فانهزم أصحاب ابن تومرت وكان اميرهم ابو عبد الله الونشريشي وقتل منهم كثير وجرح عمر الهنتاتي وهو من اكبر اصحابه وسكن حسه ونبضه فقالوا مات فقال الونشريشي اما انه لم يمت ولا يموت حتى يملك البلاد وبعد ساعة فتح عينيه وعادت قوته اليه فافتتنوا به وعادوا منهزمين الى ابن تومرت فوعظهم وشكرهم على صبرهم ثم لم يزل بعدها يرسل السرايا في اطراف بلاد المسلمين فاذا رأوا عسكرا تعلقوا بالجبل فامنوا وكان المهدي

فلا يرد احدا ويستقبلهم بالبشاشة وينزلهم في داره ويطعمهم ويكرمهم ويستمرون في ضيافته حتى يقضي حوائجهم ويزودهم ويرجعون الى اوطانهم مسرورين ومجبورين وشاكرين ثم يكاتبونه بما امكنهم من المكافآت واذا وصلت اليه هدية وصادف وصولها حضوره بالمنزل فرقها على من بمجلسه من الحاضرين فبذلك انجذبت اليه القلوب وساد على اقرانه ومعاصريه كما قيل

ببذل وحلم ساد في قومه الفتى
وكونك اياه عليك يسير

ولما حضر حسن باشا الجزايرلي الى مصر وارتحل الامراء المصريون الى الصعيد واحاط بدورهم وطلب الاموال من نسائهم وقبض على اولادهم وجواريهم وامهات اولادهم وانزلهم سوق المزاد التجأ الى المترجم الكثير من نساء الامراء الكبار فآواهن واجهد نفسه في السعي في حمايتهن والرفق بهن ومواساتهن مدة اقامة حسن باشا بمصر وبعدها في امارة اسمعيل بك فلما رجع ازواجهن بعد الطاعون الى امارتهم ازداد قدر المترجم عندهم وقبوله ومحبته ووجاهته واشتهر عندهم بعدم قبوله الرشوة ومكارم الاخلاق والديانة والتورع فكان يدخل الى بيت الامير ويعبر الى محل الحريم ويجلس معهن ويسرون بدخوله عندهن ويقولون زارنا ابونا الشيخ وشاورنا ابانا الشيخ

قد رتب أصحابه مراتب فالاولى يسمون ايت عشرة يعني اهل عشرة واولهم عبد المؤمن ثم ابو حفص الهنتاتي وغيرهما وهم اشرف اصحابه واهل الثقة عنده والسابقون الى متابعته والثانية ايت خمسين يعني اهل خمسين وهم دون تلك الطبقة وهم جماعة من رؤساء القبائل والثالثة ايت سبعين يعني اهل سبعين وهم دون التي قبلها وسمى عامة اصحابه والداخلين في طاعته موحدين فاذا ذكر الموحدون في اخبارهم فانما يعني اصحابه واصحاب عبد المؤمن بعده ولم يزل امر ابن تومرت يعلو الى سنة اربع وعشرين فجهز المهدي جيشا كثيفا يبلغون اربعين الفا اكثرهم رجالة وجعل عليهم الونشريشي وسير معهم عبد المؤمن فنزلوا وساروا الى مراكش فحصروها وضيقوا عليها وبها امير المسلمين علي بن يوسف فبقي الحصار عليها عشرين يوما فارسل امير المسلمين الى متولي سجلماسة يامره ان يحضر ومعه الجيوش فجمع جيشا كثيرا وسار فلما قارب عسكر المهدي خرج اهل مراكش من غير الجهة التي قبل منها فاقتتلوا واشتد القتال وكثر القتل في اصحاب المهدي فقتل الونشريشي اميرهم فجمعوا الى عبد المؤمن وجعلوه اميرا عليهم ولم يزل القتال بينهم عامة النهار وصلى عبد المؤمن صلاة الخوف الظهر والعصر والحرب قائمة ولم تصل بالمغرب قبل ذلك فلما رأى المصامدة كثرة المرابطين وقوتهم اسندوا ظهورهم الى بستان كبير هناك والبستان يسمى عندهم البحيرة فلهذا قيل وقعة البحيرة وعام البحيرة وصاروا يقاتلون من جهة واحدة الى ان ادركهم الليل وقد قتل من المصامدة اكثرهم وحين قتل الونشريشي دفنه عبد المؤمن فطلبه المصامدة فلم يروه في القتلى فقالوا رفعته الملائكة ولما جنهم الليل سار عبد المؤمن ومن سلم من القتلى الى الجبل

(وفاة المهدي وولاية عبد المؤمن)

ثم سير الجيش الى حصن وراءه كثير ... مرض مرضا شديدا فلما اشتد مرضه وسأل عن عبد المؤمن فقيل هو ... وسلم فقال مات احد الارفقة وهو الذي يفتح البلاد ... وسلم الامر اليه ... ولقبه امير المؤمنين ثم مات المهدي وكان عمره احدى وخمسين سنة وقيل خمسا وخمسين سنة ومدة ولايته عشرين سنة وعاد عبد المؤمن الى تينملل ... وكان جوادا مقداما في الحروب ثابتا ... ثم تجهز في سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وسار في جيش كثير وجعل يمشي في الجبل الى ان وصل الى تادلا فمنعه اهلها وقاتلوه فقهرهم وفتحها وسائر البلاد التي تليها ومشى في الجبال يفتح ما امتنع عليه واطاعته صنهاجة الجبل وكان امير المسلمين قد جعل ولي عهده ابنه سير فمات فاحضر امير المسلمين ابنه تاشفين من الاندلس وكان اميرا عليها فلما حضر عنده جعله ولي عهده سنة احدى وثلاثين وجعل معه جيشا وصار يمشي في الصحراء قبالة عبد المؤمن في الجبال وفي سنة اثنتين وثلاثين كان عبد المؤمن في الجبال ... وتاشفين في الوطاة ويخرج من الطائفتين قوم يترامون ... ولم

ما شاع علينا بكذا وكذا ولم يزل مع الجميع على هذه الحالة الى ان طرقت ... الفرنساوية البلاد المصرية واخرجوا منها الامراء وخرج النساء من بيوتهن وذهبن اليه افواجا افواجا حتى امتلأت داره وما حولها من الدور النساء فتصدى لهن الترجمان وتداخل في امرهن ... ودافع عنهن ... واخذ امانا لكثير من الاجناد المصرية وحضرهم الى مصر واقاموا بداره ... ثم ... يحضرون الى داره ... في الديوان الذي رتبوه لاجراء الاحكام بين المسلمين ... والبلاد المصرية ... على مشايخ كل بلدة ... امور ... وشيخ المشايخ ... كبير الفرنساوية ... ولما ... فرتب ... الى ... وسافروا الى بلادهم وحضرت ... في عدة ... ثم ... ولما ... قتل خليل ... رحمه الله ... كذا

يكن بينهما لقاء و يسمى عام النواظر وفي سنة ثلاث وثلاثين توجه عبد المؤمن مع الجبل في الشعراء حتى انتهى الى جبل كرناطة فنزل في ارض صلبة بين شعور ونزل تاشفين قبالته في الوطاة في ارض لا نبات فيها وكان الفصل شاتيا فتوالت الامطار اياما كثيرة لا تقلع فصارت الارض التي فيها تاشفين واصحابه كثيرة الوحل تسوخ فيها قوائم الخيل الى صدورها ويعجز الرجل عن المشي فيها وتقطعت الطرق عنهم فاوقدوا رماحهم وقرابيس سروجهم وهلكوا جوعا وبردا وسوء حال وكان عبد المؤمن واصحابه في ارض خشنة صلبة في الجبل لا يبالون بشئ والميرة تاتيهم اليهم وفي ذلك الوقت سير عبد المؤمن جيشا الى وجرة من اعمال تلمسان ومقدمهم ابو عبد الله محمد بن رقوو وهو من ايت خمسين فبلغ خبرهم الى محمد بن يحيي بن فانو متولي تلمسان فخرج في جيش من الملثمين فالتقوا بموضع يعرف بخندق الخمر فهزمهم جيش عبد المؤمن وقتل محمد بن يحيي وكثير من اصحابه وغنموا ما معهم ورجعوا فتوجه عبد المؤمن بجميع جيشه الى غمارة فاطاعوه قبيلة بعد قبيلة واقام عندهم مدة وما برح يمشي في الجبال وتاشفين يحاذيه في الصحارى فلم يزل عبد المؤمن كذلك الى سنة خمس وثلاثين فتوفي امير المسلمين علي بن يوسف بمراكش وملك بعده ابنه تاشفين فقوى طمع عبد المؤمن في البلاد الا انه لم ينزل الصحراء وفي سنة ثمان وثلاثين توجه عبد المؤمن الى تلمسان فنازلها وضرب خيامه في جبل باعلاها ونزل تاشفين على الجانب الآخر من البلد وكان بينهم مناوشة وبقوا كذلك الى سنة تسع وثلاثين فرحل عبد المؤمن عنها الى جبل تاجرة ووجه جيشا مع عمر الهنتاتي الى مدينة وهران فهاجمها بغتة ودخل هو وجيشه فيها فسمع بذلك تاشفين فسار اليها فخرج منها عمر ونزل تاشفين بظاهر وهران على البحر في شهر رمضان سنة تسع وثلاثين فجاءت ليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة يعظمها اهل المغرب وبظاهر وهران ربوة مطلة على البحر وباعلاها ثنية يجتمع فيها المتعبدون وهو موضع معظم عندهم فسار اليه تاشفين في نفر يسير من اصحابه متخفيا لم يعلم به الا النفر الذين معه وقصد التبرك بحضور ذلك الموضع مع اولئك الجماعة الصالحين فبلغ الخبر الى عمر ابن يحيي الهنتاتي فسار لوقته بجميع عسكره الى ذلك المتعبد واحاطوا به وملكوا الربوة فلما خاف تاشفين على نفسه ان ياخذوه ركب فرسه وحمل عليه الى جهة البحر فسقط من جرف عال على الحجارة فهلك ورفعت جثته على خشبة وقتل كل من كان معه وقيل ان تاشفين قصد حصنا هناك على رابية وله فيه بستان كبير فيه من كل الثمار فاتفق ان عمر الهنتاتي مقدم عسكر عبد المؤمن سير سرية الى ذلك الحصن لعلمهم بضعف من فيه ولم يعلموا ان تاشفين فيه فالقوا النار في بابه فاحترق فاراد تاشفين الهرب فركب فرسه فوثب الفرس من داخل الحصن الى خارج السور فسقط في النار فاخذ تاشفين فاعترف فارادوا حمله الى عبد المؤمن فمات في الحال لان رقبته كانت قد اندقت فصلب وقتل كل من معه وتفرق عسكره ولم يبق لهم جماعة وملك بعده اخوه اسحق بن علي بن يوسف ولما قتل تاشفين ارسل عمر الى عبد المؤمن بالخبر فجاء من

في حادثة مقتل طاهر باشا التجأ اليه اخو الدفتردار وخازندار وغيرهما وذهبوا الى داره واقاموا عنده مدة ماه واساهم حتى سافروا الى بلادهم ولم يزل على حالته حتى نزل به خلط بارد فابطل شقه وعقد لسانه واستمر اياما وتوفي ليلة الاحد خامس عشر ذي الحجة وخرجوا بجنازته من بيته بحارة عابدين وصلي عليه بالازهر في مشهد عظيم جدا مثل مشاهد العلماء الكبار المتقدمين وربما كان جمع النساء خلفه كجمع الرجال في الكثرة ووجدوا عليه ديونا نحو العشرة آلاف ريال سامحه اصحابها ولم يخلف من الاولاد الا ابنتين رحمه الله وسامحه وعفا عنا وعنه آمين

(سنة خمس وعشرين
ومائتين والف)

استهل المحرم بيوم الاثنين فيه وردت الاخبار من الديار الرومية بغلبة الموسكوب واستيلائهم على ممالك كثيرة وانه واقع باسلامبول شدة حصر وغلاء في الاسعار وتخوف وانهم يذيعون في الممالك بخلاف الواقع لاجل التطمين (وفي خامسه) حضر ابراهيم افندي القابجي الذي كان توجه الى الدولة من مدة سابقة وعلى يده مراسيم بطلب ذخيرة وغلال وعملوا لقدومه شنكا ومدافع وطلع في موكب الى القلعة (وفيه) رجع ديوان افندي من ناحية قبلي وصحبته احمد اغا شويكار فاقام بمصر اياما ثم رجع بجواب الى الامراء القبليين (وفي ليلة السبت

تابرة

تاجرة في يومه بجميع عسكره وتفرق عسكر امير المسلمين واحتمى بعضهم بمدينة وهران فلما وصل عبد المؤمن دخلها بالسيف وقتل فيها ما لا يحصى ثم سار الى تلمسان وهما مدينتان بينهما شوط فرس احداهما تاجرت وبها عسكر المسلمين والاخرى اقادير وهي بناء قديم فامتنعت اقادير وغلقت ابوابها وتاهب اهلها للقتال واما تاجرت فكان فيها يحيى بن الصحراوية فهرب منها بعسكره الى مدينة فاس وجاء عبد المؤمن اليها فدخلها لما فر منها العسكر ولقيه اهلها بالخضوع والاستكانة فلم يقبل منهم ذلك وقتل اكثرهم ودخلها عسكره ورتب امرها ورحل عنها وجعل على اقادير جيشا يحصرها وسار الى مدينة فاس سنة اربعين فنزل على جبل مطل عليها وحصرها تسعة اشهر وفيها يحيى ابن الصحراوية وعسكره الدين فروا من تلمسان فلما طال مقام عبد المؤمن عمد الى نهر يدخل البلد فسكره بالاخشاب والتراب وغير ذلك فمنعه من دخول البلد وصار بحيرة تسير فيها السفن ثم هدم السكر فجاء الماء دفعة واحدة فخرب سور البلد وكل ما يجاور النهر من البلد واراد عبد المؤمن ان يدخل البلد فقاتله اهله خارج السور فتعذر عليه ما قدره من دخوله وكان بفاس عبد الله بن خيار الجياني عاملا عليها وعلى جميع اعمالها فاتفق هو وجماعة من اعيان البلد وكاتبوا عبد المؤمن في طلب الامان لاهل فاس فاجابهم اليه ففتحوا له بابا من ابوابها فدخله عسكره وهرب يحيى بن الصحراوية وكان فتحها آخر سنة اربعين وخمسمائة وسار الى طنجة ورتب عبد المؤمن امر مدينة فاس وامر فنودي في أهلها من ترك عنده سلاحا وعدة قتال حل دمه فحمل كل من في البلد ما عنده من سلاح اليه فاخذه منهم ثم رجع الى مكناسة ففعل باهلها مثل ذلك وقتل من بها من الفرسان والاجناد واما العسكر الذي كان على تلمسان فانهم قاتلوا أهلها ونصبوا المجانيق وابراج الخشب وزحفوا بالدبابات وكان المقدم على أهلها الفقيه عثمان فدام الحصار نحو سنة فلما اشتد الامر على اهل البلد اجتمع جماعة منهم وراسلوا الموحدين اصحاب عبد المؤمن بغير علم الفقيه عثمان وادخلوهم البلد فلم يشعر اهله الا والسيف ياخذهم فقتل أكثر اهله وسبيت الذرية والحريم ونهب من الاموال ما لا يحصى ومن الجواهر ما لا تحد قيمته ومن لم يقتل بيع باوكس الاثمان وكان عدة القتلى مائة ألف قتيل وقيل ان عبد المؤمن هو الذي حصر تلمسان وسار منها الى فاس والله اعلم وسير عبد المؤمن سرية الى مكناسة فحصروها مدة ثم سلمها اليهم أهلها بالامان فوفوا لهم وسار عبد المؤمن من فاس الى مدينة سلا ففتحها وحضر عنده جماعة من أعيان سبتة فدخلوا في طاعته فاجابهم الى بذل الامان وكان ذلك سنة احدى واربعين

(ذكر ملك عبد المؤمن مدينة مراكش)

لما فرغ عبد المؤمن من فاس وتلك النواحي سار الى مراكش وهي كرسي مملكة الملثمين وهي من اكبر المدن واعظمها وكان صاحبها حينئذ اسحق بن علي بن يوسف بن تاشفين

ثالث عشره) حصلت زلزلة عجيبة مزعجة وارتجت منها الجهات ثلاث درجات ٢٤٧ مة واليات واستمرت نحو أربع دقائق فانزعج الناس منها من منامهم وصار لهم جلبة وقلقة وخرج الكثير من دورهم هاربين الى الازقة يريدون الخلاص الى الفضاء مع بعده عنهم وكان ذلك في أول الساعة السابعة من الليل واصبح الناس يتحدثون بها فيما بينهم وسقط بسببها بعض حيطان ودور قديمة وتشققت جدران وسقطت منارة بسوس ونصف منارة بام اخنان بالمنوفية وغير ذلك لا نعلمه (وفي عصر يوم السبت) ايضا حصلت زلزلة ولكن دون الاولى فانزعج الناس منها ايضا وهاجوا ثم سكنوا ثم كثر لغط العالم بمعاودتها فمنهم من يقول ليلة الاربعاء ومنهم من يقول خلافه وانها تستمر طويلا واسندوا ذلك لبعض المنجمين ومنهم من اسنده لبعض النصارى واليهود وان رجلا نصرانيا ذهب الى الباشا واخبره بحصول ذلك واكد في قوله وقال له احبسني وان لم يظهر صدق اقتلني وان الباشا حبسه حتى يمضي الوقت الذي عينه ليظهر صدقه من كذبه وكل ذلك من تخيلاتهم واختلاقاتهم واكاذيبهم وما يعلم الغيب الا الله (وفي يوم الاحد) رابع عشره امر الباشا بالاحتياط على بيوت عظماء الاقباط كالمعلم غالي والمعلم جرجس الطويل واخيه وفلتيوس وفرانسيسكو

وهو صبي فنازلها وكان نزوله عليها سنة احدى واربعين فضرب خيامه في غربيها على
جبل صغير وبنى عليه مدينة له ولعسكره وبنى بها جامعا وبنى له بناء عاليا يشرف منه على
المدينة ويرى أحوال أهلها واحوال المقاتلين من أصحابه وقاتلها قتالا كثيرا واقام
عليها احد عشر شهرا فكان من بها من المرابطين يخرجون يقاتلونهم بظاهر البلد
واشتد الجوع على اهله وتعذرت الاقوات عندهم ثم زحف اليهم يوما وجعل لهم كمينا
وقال لهم اذا سمعتم صوت الطبل فاخرجوا وجلس هو باعلى المنظرة التي بناها يشاهد
القتال وتقدم عسكره وقاتلوا وصبروا ثم انهم انهزموا لاهل مراكش ليتبعوهم الى
الكمين الذي لهم فتبعهم الملثمون الى ان وصلوا الى مدينة عبد المؤمن فهدموا
أكثر سورها وصاحت المصامدة بعبد المؤمن ليأمر بضرب الطبل ليخرج الكمين
فقال لهم اصبروا حتى يخرج كل طامع في البلد فلما خرج أكثر اهله امر بالطبل فضرب
وخرج الكمين عليهم ورجع المصامدة المنهزمون الى الملثمين فقتلوهم كيف شاؤا
وعادت الهزيمة على الملثمين فمات في زحمة الابواب ما لا يحصيه الا الله سبحانه وكان شيوخ
الملثمين يدبرون دولة اسحق بن علي بن يوسف لصغر سنه فاتفق ان انسانا من جملتهم يقال
له عبد الله بن أبي بكر خرج الى عبد المؤمن مستامنا واطلعه على عوراتهم وضعفهم
فقوي الطمع فيهم واشتد عليهم البلاء ونصب عليهم المجانيق والابراج وفنيت
اقواتهم وأكلوا دوابهم ومات من العامة بالجوع ما يزيد على مائة الف انسان فانتن
البلد من ريح الموتى وكان بمراكش جيش من الفرنج كان المرابطون قد استنجدوا
بهم فجاؤا اليهم نجدة فلما طال عليهم الامر راسلوا عبد المؤمن يسألون الامان فاجابهم
اليه ففتحوا له بابا من ابواب البلد يقال له باب اغمات فدخلت عساكره بالسيف وملكوا
المدينة عنوة وقتلوا من وجدوا ووصلوا الى دار امير المسلمين فاخرجوا الامير اسحق
وجميع من معه من امراء المرابطين فقتلوا وجعل اسحق يرتعد رغبة في البقاء ويدعو
لعبد المؤمن ويبكي فقام اليه الامير سير بن الحاج وكان الى جانبه مكتوفا فبزق في وجهه
وقال تبكي على أبيك وامك اصبر صبر الرجال فهذا رجل لا يخاف الله ولا يدين بدين
فقام الموحدون اليه بالخشب فضربوه حتى قتلوه وكان من الشجعان المعروفين
بالشجاعة وقدم اسحق على صغر سنه فضربت عنقه سنة اثنتين واربعين وهو آخر ملوك
المرابطين وبه انقرضت دولتهم وكانت مدة ملكهم سبعين سنة وولي منهم اربعة
يوسف وعلي وتاشفين واسحق ولما فتح عبد المؤمن مراكش اقام بها واستوطنها
واستقر ملكه ولما قتل عبد المؤمن من أهل مراكش فاكثر فيهم القتل اختفى كثير
من اهلها فلما كان بعد سبعة ايام امر فنودي بامان من بقي من اهلها فخرجوا فاراد
أصحابه المصامدة قتلهم فمنعهم وقال هؤلاء صناع واهل الاسواق من ننتفع به فتركوا
وامر باخراج القتلى من البلد فاخرجوهم وبنى بالقصر جامعا كبيرا وزخرفه فاحسن عمله
وامر بهدم الجامع الذي بناه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ولقد أساء يوسف بن
تاشفين في فعله بالمعتمد بن عباد وارتكب بسجنه على الحالة المذكورة أقبح مركب

بعدتهم سبعة فاحضروهم في صورة منكرة وسمروا دورهم واخذوا دفاترهم فلما حضروا بين يديه قال لهم اريد
حسابكم وجبت دفاتركم هذه
وأمر بحبسهم فطلبوا منه الامان
وان يأذن لهم في خطابه فأذن
لهم فخاطبه المعلم غالي وخرجوا
من بين يديه الى الحبس ثم
قرر عليهم بواسطة حسين
افندي الروزنامجي سبعة
آلاف كيس بعد ان كان
طالب منهم ثلاثين ألف كيس
(وفي يوم الخميس) ثامن عشره
شاع في الناس حصول زلزلة تلك
الليلة وهي ليلة الجمعة ويكون
ذلك في نصف الليل فتاهب
غالب الناس للطلوع بخارج
البلد فخرجوا بنسائهم
وأولادهم الى شاطئ النيل
ببولاق ونواحي الشيخ قمر
ووسط بركة الازبكية
وغيرها وكذلك خرج الكثير
من العسكر أيضا ونصبوا
خياما في وسط الرميلة
وقراميدان والقرافتين
وقاسوا تلك الليلة من البرد
ما لا يكيف ولا يوصف لان
الشمس كانت ببرج الدلو وهو
وسط الشتاء ولم يحصل شئ
مما اشاعوه وأذاعوه وتوهموه
وتسلق العيارون والحرامية
تلك الليلة على كثير من الدور
والاماكن وفتشوها فلما
أصبح يوم الجمعة كثر التشكي
الى الحكام من ذلك فنادوا
في الاسواق بان لا أحد يذكر
أمر الزلزلة وكل من خرج لذلك
من داره عوقب فانكفوا وتركوا هذا اللغط الفارغ (وفيه) ظهر بالازهر أنفار يقفون بالليل بصحن الجامع

فلا

الازهر فاذا قام انسان لحاجته منفردا أخذوا امامه وأشيع ذلك فاجتهد الشيخ المهدي في الفحص والقبض على فاعل

فلاجرم سلط الله عليه في عقابه من ارى في الاخذ ما لم يره وزاد فتبارك الحي الدائم الملك الذي لا يزول ملكه وهذه سنة الدنيا أف لها ثم أف نسال الله ان يختم أعمالنا بالحسنى ويجعل خير ايامنا يوم نلقاه بمنه وآله

ذكر ظفر عبد المؤمن بدكالة

في سنة ثلاث واربعين وخمسمائة سار بعض المرابطين من الملثمين الى دكالة فاجتمع اليه قبائلها وصاروا يغيرون على اعمال مراكش وعبد المؤمن لا يلتفت اليهم فلما كثر ذلك منهم سار اليهم سنة اربع واربعين فلما سمعت دكالة بذلك انحشروا كلهم الى ساحل البحر في مائتي الف راجل وعشرين الف فارس وكانوا موصوفين بالشجاعة وكان مع عبد المؤمن من الجيوش ما يخرج عن الحصر وكان الموضع الذي فيه دكالة كثير الحجر والحزونة فكمنوا فيه كمناء ليخرجوا على عبد المؤمن اذا سلكه فمن الاتفاق الحسن له انه قصدهم من غير الجهة التي فيها الكمناء فانحل عليهم ما قدروه وفارقوا ذلك الموضع فاخذهم السيف فدخلوا البحر فقتل اكثرهم وغنمت ابلهم واغنامهم واموالهم وسبي نساؤهم وذراريهم فبيعت الجارية الحسناء بدراهم يسيرة وعاد عبد المؤمن الى مراكش مظفرا منصورا وثبت ملكه وخافه الناس في جميع المغرب واذعنوا له بالطاعة

ذكر حصر مدينة كتندة

في هذه السنة يعني سنة اربع عشرة وخمسمائة خرج ملك من ملوك الفرنج بالاندلس يقال له ابن ردمير فسار حتى انتهى الى كتندة وهي بالقرب من مرسية في شرق الاندلس فحصرها وضيق على اهلها وكان امير المسلمين علي بن يوسف حينئذ بقرطبة ومعه جيش كثير من المسلمين والاجناد المتطوعة فسيرهم الى ابن ردمير فالتقوا واقتتلوا اشد القتال وهزمهم ابن ردمير هزيمة منكرة وكثر القتل في المسلمين وكان فيمن قتل ابو عبد الله بن الفراء قاضي المرية وكان من العلماء العاملين والزهاد في الدنيا العادلين في القضاء

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة كسر بلك بن ارتق عفراس الرومي وقتل من الروم خمسة آلاف رجل على قلعة سرمان من بلد ابلستين واسر عفراس وكثيرا من عسكره وفيها اغار جوسلين الفرنجي صاحب الرها على جيوش العرب والتركمان وكانوا نازلين بصفين غربي الفرات وغنم من اموالهم وخيلهم ومواشيهم شيئا كثيرا ولما عاد خرب بزاعة وفيها اسلم اتابك طغتكين صاحب دمشق مدينة تدمر والشقيف وفيها أمر السلطان محمود الامير جيوش بك بالمسير الى حرب أخيه طغرل فسار اليه فسمع طغرل واتابكه كنتغدي ذلك فسارا الى كنجة من بين يدي العسكر ولم يجر قتال وفيها في المحرم توفي خالصة الدولة ابو البركات احمد بن عبد الوهاب بن السيبي صاحب المخزن ببغداد وولي مكانه الكمال

ذلك الى ان عرفوا أشخاصهم وتتبعوهم وفيهم من هو من أولاد أصحاب المظاهر المتعممين فستروا أمرهم وأظهروا شخصا من رفقائهم ليس له شهرة وأخرجوه من البلد منفيا ونسبوا اليه الفعال وبهذا كشف ستر الفاعلين فيما بعد ويفتضحون بين العالم كما يأتي خبر ذلك في سنة سبع وعشرين وكذلك أخرجوا طائفة من القوادين والنساء الفواحش سكنوا بحارة الازهر واجتمعوا في اهله حتى ان اكابر الدولة وعساكرهم بل واهل البلد والسوقة جعلوا يعيرهم ودينهم ذكر الازهر واهله ونسبوا اليه كل رذيلة وقبيحة ويقولون نرى كل موبقة تظهر منه ومن أهله وبعد ان كان منبع الشريعة والعلم صار بعكس ذلك وقد ظهر منه قبل الزغلية والالحان الحرامية وامور غير ذلك مخفية (وفيه) طلب الباشا تمهيد الطريق الموصلة من القلعة الى الزلاقة التي أنشأها طريقا يصعد منها الى الجبل المقطم السابق ذكرها واراد ان يفرض على الاخطاط والحارات رجالا للعمل بعدد مخصوص ومن اعتذر عن الخروج والمساعدة يفرض عليه بدلا عنه او قدرا من الدراهم يدفعها

تغير البدل وأشيع هذا الامر واستحضر الاوباش على الطبول والزمور كما كانوا

ابو الفتوح حمزة بن طلحة المعروف بابن البقشلام والدعلم الدين الكاتب المعروف وفى جمادى الاولى منها توفى ابو سعد عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيرى الامام ابن الامام وكان اخذ العلم من قرابته والطريقة ايضا ثم استفاد ايضا من امام الحرمين ابى المعالى الجوينى وسمع الحديث من جماعة ورواه وكان حسن الوعظ سريع الخاطر ولما توفى جلس الناس فى البلاد البعيدة للعزاء به حتى فى بغداد برباط شيخ الشيوخ

(ثم دخلت سنة خمس عشرة وخمسمائة)

(ذكر اقطاع البرسقى الموصل)

فى هذه السنة فى صفر اقطع السلطان محمود مدينة الموصل واعمالها وما يضاف اليها كالجزيرة وسنجار وغيرها الاميرآقسنقر البرسقى وسبب ذلك انه كان فى خدمة السلطان محمود ناصحا له ملازما له فى حروبه كلها وكان له الاثر الحسن فى الحرب المذكورة بين السلطان محمود واخيه الملك مسعود وهو الذى احضر الملك مسعودا عند اخيه السلطان محمود فعظم ذلك عند السلطان محمود ولما حضر جيوش بك عند السلطان محمود وبقيت الموصل بغير امير ولى عليها البرسقى وتقدم الى سائر الامراء بطاعته وامره بمجاهدة الفرنج واخذ البلاد منهم فسار اليها فى عسكر كثير وملكها واقام يدبر امورها ويصلح احوالها

(ذكر وفاة الامير على وولاية ابنه الحسن افريقية)

فى هذه السنة توفى الامير على بن يحيى بن تميم صاحب افريقية فى العشر الاخير من ربيع الآخر وكان مولده بالمهدية وقد تقدم من حروبه واعماله ما يستدل به على علو همته ولما توفى ولى الملك بعده ابنه الحسن بعهد ابيه وقام بامر دولته صندل الخصى لانه كان عمره حينئذ اثنتى عشرة سنة لا يستقل بتدبير الملك فقام صندل فى الحفظ والاحتياط فلم تطل ايامه حتى توفى فوقع الاختلاف بين اصحابه وقواده كل منهم يقول انا المقدم على الجميع وبيدى الحل والشد فلم يزالوا كذلك الى ان فوض امور دولته الى قائد من اصحاب ابيه يقال له ابو عزيز موفق فصلحت الامور

(ذكر قتل امير الجيوش)

فى هذه السنة فى الثالث والعشرين من رمضان قتل امير الجيوش الافضل بن بدر الجمالى وهو صاحب الامر والحكم بمصر وكان ركب الى خزانة السلاح ليفرقه على الاجناد على جارى العادة فى الاعياد فسار ومعه عالم كثير من الرجالة والخيالة فتاذى بالغبار فامر بالبعد عنه وسار منفردا ومعه رجلان فصادفه رجلان بسوق الصياقلة فضرباه بالسكاكين فجرحاه وجاء الثالث من ورائه فضربه بسكين فى خاصرته فسقط عن دابته ورجع اصحابه فقتلوا الثلاثة وحملوه الى داره الافضل فدخل عليه الخليفة وتوجع له وساله عن الاموال فقال اما الظاهر منها فابو الحسن بن اسامة الكاتب يعرفه وكان

يفعلون فى قضية عمارة محمد باشا خسرو وثم ان ا ٢٠٠ الشيخ المهدى اجتمع بكتخدا بك وادخل عليه وهما ان محمد باشا خسرو لما فعل ذلك لم يتم له امر وعزل ولم تطل ايامه ونحن نطلب دوام دولتكم والاولى ترك هذا الامر فترك واذلك ولم يذكروه بعد

(واستهل شهر صفر الخير بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٠)

فيه قلد الباشا خليل افندى النظر على الروزنامجى وكتابه وسموه كاتب الذمة اى ذمة الميرى من الايراد والمصرف وكان ذلك عند فتح الطلب بالميرى عن السنة الجديدة فلا يكتب تحويل ولا تنبيه ولا تذكرة حتى يطلعوه عليها ويكتب عليها علامته فتكدر من ذلك الروزنامجى وباقى الكتبة وهذه اول دسيسة ادخلوها فى الروزنامه وابتداء فضيحتها وكشف سرها وذلك باغراء بعض الافندية الخاملين انهى اليهم ان الروزنامجى ومن معه من الكتاب يوفرون لانفسهم الكثير من الاموال الميرية ويتوسعون فيها وفى ذلك اجحاف بمال الخزينة وخليل افندى هذا كان كاتب الخزينة عند محمد باشا خسرو ولا يفيق من الشرب (وفيه) طلب الباشا ثلاثة اشخاص من كتبة الاقباط الذين كانوا متقيدين بقياس الاراضى بالمنوفية وضربهم وحبسهم لكونه بلغه عنهم انهم اخذوا البراطيل والرشوات على قياس طين اراضى بعض البلاد ونقصوا من القياس فيما ارتوى من الطين وهى

من

من أهل حلب وتولى أبوه قضاء القاهرة وأما الباطن فابن البطائحي يعرفه فقالا صدق فلما توفى الافضل نقل من أمواله ما لا يعلمه الا الله تعالى وبقي الخليفة في داره نحو أربعين يوما والكتاب بين يديه والدواب تحمل وتنقل ليلا ونهارا ووجد له من الاعلاق النفيسة والاشياء الغريبة القليلة الوجود ما لا يوجد مثله لغيره واعتقل أولاده وكان عمره سبعا وخمسين سنة وكانت ولايته بعد أبيه ثمانيا وعشرين سنة منها آخر أيام المستنصر وجميع أيام المستعلى الى هذه السنة من أيام الآمر وكان الاسماعيلية يكرهونه لاسباب منها تضييقه على امامهم وتركه ما يجب عندهم سلوكه معهم ومنها ترك معارضة أهل السنة في اعتقادهم والنهي عن معارضتهم واذنه للناس في اظهار معتقداتهم والمناظرة عليها فكثر الغرباء ببلاد مصر وكان حسن السيرة عادلا حكي انه لما قتل وظهر الظلم بعده اجتمع جماعة واستغاثوا الى الخليفة وكان من جملة قولهم انهم لعنوا الافضل فسألهم عن سبب لعنهم اياه فقالوا انه عدل وأحسن السيرة ففارقنا بلادنا وأوطاننا وقصدنا بلده لعدله فقد أصابنا بعده هذا الظلم فهو كان سبب ظلمنا فأحسن الخليفة اليهم وأمر بالاحسان الى الناس ومنها ان صاحبه الآمر باحكام الله صاحب مصر وضع عليه وسبب ذلك ما ذكرناه قبل ففسد الامر بينهما فاراد الآمران يضع عليه من يقتله اذا دخل عليه قصره للسلام او في أيام الاعياد فمنعه من ذلك ابن عمه أبو الميمون عبد المجيد وهو الذي ولي الامر بعده وقال له في هذا الفعل شناعة وسمعة لانه قد خدم دولتنا هو وأبوه خمسين سنة ولم يعلم الناس منهم الا النصح لنا والمحبة لدولتنا وقد سار ذلك في أقطار البلاد فلا يجوز أن يظهر منا هذه المكافاة الشنيعة ومع هذا فلا بد وان نقيم غيره مكانه ونعتمد عليه في منصبه متمكن مثله او ما يقاربه فيخاف أن نفعل به مثل فعلنا بهذا فيحذر من الدخول الينا خوفا على نفسه وان دخل علينا كان خائفا مستعدا للامتناع وفي هذا الفعل منهم ما يسقط المنزلة والرأى أن تراسل أبا عبد الله بن البطائحي فانه الغالب على أمر الافضل والمطلع على سره وتعده ان توليه منصبه وتطلب منه ان يدبر الامر في قتله لمن يقتله اذا ركب فاذا ظفرنا بمن قتله قتلناه وأظهرنا الطلب بدمه والحزن عليه فنبلغ غرضنا ويزول عنا قبح الاحدوثة ففعلوا ذلك فقتل كما ذكرناه ولما قتل ولي بعده أبو عبد الله بن البطائحي الامر ولقب المأمون وتحكم في الدولة فبقي كذلك حاكما في البلاد الى سنة تسع عشرة فصلب كما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عصيان سليمان بن ايلغازي على أبيه)

في هذه السنة عصى سليمان بن ايلغازي بن ارتق على أبيه بحلب وقد جاوز عمره عشرين سنة حمله على ذلك جماعة من عنده فسمع والده الخبر فسار مجدا لوقته ولم يشعر به سليمان حتى هجم عليه فخرج اليه معتذرا فامسك عنه وقبض على من كان اشار عليه بذلك منهم أمير كان قد التقطه ارتق والد ايلغازي ورباه اسمه ناصر فقلع عينيه وقطع لسانه

البدعة التي حدثت على الطين الري ونحوها القياسة وقد تقدم ذكرها غير مرة وحدوث في هذه السنة على الكامل لكثرة النيل وعموم الماء الاراضي على انه بقي الكثير من بلاد البحيرة وغيرها شراقي بسبب عدم حفر الترع وحبس المحبوس وتحسير الجسور واشتغال الفلاحين والملتزمين بالقرض والمظالم وعجزهم عن ذلك (وفي خامسه) طلب الباشا كشاف الاقاليم وشرع في تقرير فرضة على البلاد بما يقتضيه نظره ونظر كشاف الاقاليم والمعلمين القبط فقرروا على اعلاها ثمانين كيسا والادنى خمسة عشر كيسا ولم يتقيد بتحرير ذلك احد من الكتبة الذين يحررون ذلك بدفاتر ويوزعونها على مقتضى الحال ولم يعطوا بالمقادير اوراقا لملتزمي الحصص كما كانوا يفعلون قبل ذلك فان الملتزم كان اذا بلغه تقرير فرضة تدارك امره وذهب الى ديوان الكتبة واخذ علم القدر المقرر على حصته وتكفل بها واخذ منهم مهلة باجل معلوم وكتب على نفسه وثيقة وابقاها عندهم ثم يجتهد في تحصيل المبلغ من فلاحيه وان لم يسعفوه في الدفع وحولوا عليه الطلب دفعه من عنده ان كان ذا مقدرة أو استدانه ولو بالرباء ثم يستوفيه بعد ذلك من الفلاحين شيئا فشيئا كل ذلك حرصا على راحة فلاحي حصته وتأمينهم واستقرارهم في وطنهم ليحصل منهم المطلوب من المال الميري وبعض ما يقتاتون

ومنهم انسان من اهل حماة من بيت قرناص كان قد قدمه ايلغازي على أهل حلب وجعل اليه الرياسة فجازاه بذلك وقطع يديه ورجليه وسمل عينيه فمات واحضر ولده وهو سكران فاراد قتله فمنعه رقة الوالد فاستبقاه فهرب الى دمشق فارسل طغتكين يشفع فيه فلم يجبه الى ذلك واستناب بحلب سليمان ابن أخيه عبد الجبار بن ارتق ولقبه بدر الدولة وعاد الى ماردين

(ذكر اقطاع ميافارقين ايلغازي)

فى هذه السنة اقطع السلطان محمود مدينة ميافارقين للامير ايلغازي وسبب ذلك انه أرسل ولده حسام الدين تمرتاش وعمره سبع عشرة سنة الى السلطان ليشفع فى دبيس ابن صدقة ويبذل عنه الطاعة وحمل الاموال والخيل وغيرها وان يضمن الحلة كل يوم بالف دينار وفرس وكان المتحدث عنه القاضي بهاء الدين أبو الحسن على بن القاسم بن الشهرزوري فتردد الخطاب فى ذلك ولم ينفصل حال فلما أراد العود أقطع السلطان أباه مدينة ميافارقين وكانت مع الامير سكمان صاحب خلاط فتسلمها ايلغازي وبقيت فى يده ويد اولاده الى ان ملكها صلاح الدين يوسف بن ايوب سنة ثمانين وخمسمائة وسنذكر ذلك ان شاء الله تعالى

(ذكر حصر بلك بن بهرام الرها واسر صاحبها)

فى هذه السنة سار بلك بن بهرام ولد اخى ايلغازي الى مدينة الرها فحصرها وبها الفرنج وبقى على حصرها مدة فلم يظفر بها فرحل عنها فاتاه انسان تركمانى واعلمه ان جوسلين صاحب الرها وسروج قد جمع من عنده من الفرنج وهو عازم على كبسه وكان قد تفرق عن بلك اصحابه وبقى فى اربعمائة فارس فوقف مستعدا لقتالهم واقبل الفرنج فمن لطف الله تعالى بالمسلمين ان الفرنج وصلوا الى ارض قد نضب عنها الماء فصارت وحلا غاصت خيولهم فيه فلم تتمكن مع ثقل السلاح والفرسان من الاسراع والجرى فرماهم اصحاب بلك بالنشاب فلم يفلت منهم احد واسر جوسلين وجعل فى جلد جمل وخيط عليه وطلب منه ان يسلم الرها فلم يفعل وبذل فى فداء نفسه اموالا جزيلة واسرى كثيرة فلم يجبه الى ذلك وحمله الى قلعة خرتبرت فسجنه بها واسر معه ابن خالته واسمه كليام وكان من شياطين الكفار واسر ايضا جماعة من فرسانه المشهورين فسجنهم معه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة توفيت جدة السلطان محمود لابيه وهى والدة السلطان سنجر وكانت تركية تعرف بخاتون السفرية وكان موتها بمرو فجلس محمود ببغداد للعزاء بها وكان عزاء لم يشاهد مثله الناس وفيها توفى الخطير محمد بن الحسين الميذى ببلاد فارس وهو فى وزارة الملك سلجوق ابن السلطان محمد وكان قديما وزر للسلطانين بركيارق ومحمد وكان جوادا حليما سمع ان الابيوردى هجاه فلما سمع الهجو مضغ فعض على ابهامه وصفح عنه وخلع عليه ووصله وفيها توفى الشهاب ابو المحاسن عبد الرزاق بن عبد الله

بعضهم وقيل الهم وان لم يفعل ذلك شمول باستخلاص ذلك كاشف الناحية ومعينه على الناحية الاعوان بالطلب الحثيث وما ينضاف الى ذلك من حق طرق المعينين وكلفهم وان تأخر الدفع تكرر الارسال والطلب على النسق المشروح فيتضاعف الهم ور بما ضاع فى ذلك قدر الاصل المطلوب وزيادة عنه مرة او مرتين والذى يقبضونه يحسبونه بالفرط وهو فى كل ريال عشرة انصاف فضة يسمونها دوانى فيقبض المباشر من الريال تسعين نصفا فضة ويجعل التسعين ثمانين وذلك خلاف ما يقرره فى اوراق الرسم من خدم المباشرين من كتبة القبط فينكشف حال الفلاح ويبيع ما عنده من الغلة والبهيمة ثم يفر من بلدته الى غيرها فيطلبه الملتزم ويبعث اليه المعينين من كاشف الناحية عن طريق أيضا فربما اداه الحال ان كان خفيف العيال والحركة الى الفرار والخروج من الاقليم بالكلية وقد وقع ذلك حتى امتلأت البلاد الشامية والرومية من فلاحى قرى مصر الذين جلوا عنها وخرجوا منها وتغربوا عن اوطانهم من عظيم هول الجور واذا ضاق الحال بالملتزم كتب له عرضحال يشكو حاله وحال بلده او حصته وضعف حالها ويرجو التخفيف ويتجاسر وقدم عرضحاله الى الباشا يقال له هات التقسيط وخذ عن حصتك او بدلها او يعين له

وزير السلطان سنجر وهو ابن اخى نظام الملك وكان يتفقه قديما على امام الحرمين الجوينى فكان يفتى و يوقع ووزر بعده ابو طاهر سعد بن على بن عيسى القمى وتوفى بعد شهور فوزر بعده عثمان القمى وفيها فى جمادى الاولى اوقع اتابك طغتكين بطائفة من الفرنج فقتل منهم واسروا ارسل من الاسرى والغنيمة للسلطان وللخليفة وفيها تضعضع الركن اليمانى من البيت الحرام زاده الله شرفا من زلزلة وانهدم بعضه وتشعث بعض حرم النبى صلى الله عليه وسلم وتشعث غيره من البلاد وكان بالموصل كثير منها وفيها احترقت دار السلطان كان قد بناها مجاهد الدين بهروز للسلطان محمد ففرغت قبل وفاته بيسير فلما كان الآن احترقت وسبب الحريق أن جارية كانت تختضب ليلا فاسندت شمعة الى الخيش فاحترق وعلقت النار منه فى الدار واحترق فيها من زوجة السلطان محمود بنت السلطان سنجر مالا حد عليه من الجواهر والحلى والفرش والثياب واقيم الغسالون يخلصون الذهب وما امكن تخليصه وكان الجوهر جميعه قد هلك الا الياقوت الاحمر وترك السلطان الدار لم تجدد عمارتها وتطير منها لان اباه لم يتمتع بها ثم احترق فيها من اموالهم الشئ العظيم واحترق قبلها باسبوع جامع اصبهان وهو من اعظم الجوامع واحسنها احرقه قوم من الباطنية ليلا وكان السلطان قد عزم على اخذ حق البيع وتجديد المكوس بالعراق باشارة الوزير السميرمى عليه بذلك فتجدد من هذين الحريقين ما هاله واتعظ فاعرض عنه وفيها فى ربيع الآخر انقض كوكب عشاء وصار له نور عظيم وتفرق منه اعمدة عند انقضاضه وسمع عند ذلك صوت هدة عظيمة كالزلزلة وفيها ظهر بمكة انسان علوى وامر بالمعروف فكثر جمعه ونازع امير مكة ابن ابى هاشم وقوى امره وعزم على ان يخطب لنفسه فعاد ابن ابى هاشم وظفر به ونفاه عن الحجاز الى البحرين وكان هذا العلوى من فقهاء النظامية ببغداد وفيها الزم السلطان أهل الذمة ببغداد بالغيار فجرى فيه مراجعات انتهت الى ان قرر عليهم للسلطان عشرون الف دينار وللخليفة اربعة آلاف دينار وفيها حضر السلطان محمود واخوه الملك مسعود عند الخليفة فخلع عليهما وعلى جماعة من اصحاب السلطان منهم وزيره ابو طالب السميرمى وشمس الملك عثمان بن نظام الملك والوزير ابو نصر احمد بن محمد بن حامد المستوفى وعلى غيرهم من الامراء وفيها فى ذى القعدة وهو الحادى والعشرون من كانون الثانى سقط بالعراق جميعه من البصرة الى تكريت ثلج كثير وبقى على الارض خمسة عشر يوما وسمكه ذراع وهلكت اشجار النارنج والاترج والليمون فقال فيه بعض الشعراء

ياصدور الزمان ليس بوفر * ما رأيناه فى نواحى العراق

انما عم ظلمكم سائر الخلق * فشابت ذوائب الآفاق

وفيها هبت بمصر ريح سوداء ثلاثة أيام فاهلكت كثيرا من الناس وغيرهم من الحيوانات وفيها توفى ابو محمد القاسم بن على بن محمد بن عثمان الحريرى صاحب المقامات

ترتيبها وقدر فائظها على بعض الجهات الميرية من المكوس والجمارك التى أحدثوها فان سلم سنده وكان ممن يراعى جانبه حول الى بعض الجهات المذكورة صورة والا أهمل أمره وبعضهم باعها لقسم بما انكسر عليه من مال الفرض وقد وقع ذلك لكثير من اصحاب الذمم المتعددة انكسر عليهم مقادير عظيمة فنزل عن بعضها وخصم له ثمنها من المنكسر عليه من الفرضة وبقى عليه الباقى يطالب به فان حدثت فرضة أخرى قبل غلاق الباقى وقعد بها وضمت الى الباقى وقصرت يده لعجزه فلاحيه واستدان بالربا من العسكر تضاعف الحال وتوجه عليه الطلب من الجهتين فيضطر الى خلاص نفسه وينزل عما بقى تحت يده كالاول وقد يبقى عليه المكسر و يصبح فارغ اليد من الالتزام ومديونا وقد وقع ذلك لكثير كانوا اغنياء ذوى ثروة واصبحوا فقراء محتاجين من حيث لا يشعرون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (وفيه) تحركت همم الامراء المصريين القبليين الى الحضور الى ناحية مصر بعد ترداد الرسل والمكاتبات وحضور ديوان أفندى ورجوعه وحضور محمد بك المنفوخ أيضا وكل من حضر منهم انعم عليه الباشا والبسه الخلع ويقدم له التقادم و يعطيه المقادير العظيمة من الاكياس وقصده الباطنى صيدهم حتى انه كان أنعم على محمد بك المنفوخ بالتزام

المشهورة وهذا رسب بن عوض الهروي وكان قد سمع الحديث كثيرا

(ثم دخلت سنة ست عشرة وخمسمائة)

(ذكر طاعة الملك طغرل لاخيه السلطان محمود)

وفي المحرم من هذه السنة اطاع الملك طغرل أخاه السلطان محمودا وكان قد خرج عن طاعته كما ذكرناه وقصد اذربيجان في السنة الخالية ليتغلب عليها وكان أتابكه كنتغدي يحسن له ذلك ويقويه عليه فاتفق أنه مرض وتوفي في شوال سنة خمس عشرة وكان الامير آقسنقر الاحمديلي صاحب مراغة عند السلطان محمود ببغداد فاستأذنه في المضي الى اقطاعه فأذن له فلما سار عن السلطان ظن انه يقوم مقام كنتغدي من الملك طغرل فسار اليه واجتمع به واشار عليه بالمكاشفة لاخيه السلطان محمود وقال له اذا وصلت الى مراغة اتصل بك عشرة آلاف فارس وراجل فسار معه فلما وصلوا الى اردبيل اغلقت ابوابها دونهم فساروا عنها الى قريب تبريز فأتاهم الخبر ان السلطان محمودا سير الامير جيوش بك الى اذربيجان واقطعه البلاد وانه نزل مراغة في عسكر كثيف من عند السلطان فلما تيقنوا ذلك عدلوا الى خونج وانتقض عليهم ما كانوا فيه وراسلوا الامير شيركير الذي كان أتابك طغرل ايام ابيه يدعونه الى انجادهم وقد كان كنتغدي قبض عليه بعد موت السلطان محمد على ما ذكرناه ثم اطلقه السلطان سنجر فعاد الى اقطاعه أبهر وزنجان وكاتبوه فأجابهم واتصل بهم وسار معهم الى ابهر فلم يتم لهم ما ارادوا فراسلوا السلطان بالطاعة فأجابهم الى ذلك فاستقرت القاعدة أول هذه السنة وتمت

(ذكر حال دبيس بن صدقة وما كان منه)

قد ذكرنا سنة اربع عشرة حال دبيس بن صدقة وصلحه على يد برنقش الزكوي ومقامه بالحلة وعود برنقش الى السلطان ومعه منصور بن صدقة اخو دبيس وولده رهينة فلما علم الخليفة بذلك لم يرض به وراسل السلطان محمودا في ابعاد دبيس عن العراق الى بعض النواحي وتردد الخطاب في ذلك وعزم السلطان على المسير الى همذان فاعاد الخليفة الشكوى من دبيس وذكر انه يطالب الناس بحقود منها قتل ابيه وان يحضر السلطان آقسنقر البرسقي من الموصل ويوليه شحنكية بغداد والعراق ويجعله في وجه دبيس ففعل السلطان ذلك واحضر البرسقي فلما وصل اليه زوجه والدة الملك مسعود وجعله شحنة بغداد وامره بقتال دبيس ان تعرض الى البلاد وسار السلطان عن بغداد في صفر من هذه السنة وكان مقامه ببغداد سنة وسبعة اشهر وخمسة عشر يوما فلما فارق بغداد والعراق تظاهر دبيس بامور تأثر بها المسترشد بالله وتقدم الى البرسقي بالمسير اليه وازعاجه عن الحلة فارسل البرسقي الى الموصل واحضر عساكره وسار الى الحلة واقبل دبيس نحوه فالتقوا عند نهر بشير شرقي الفرات واقتتلوا فانهزم عسكر البرسقي وكان سبب الهزيمة انه رأى في ميسرته خللا وبها الامراء البكجية فامر بالقاء خيمته وان تنصب عند الميسرة ليقوى قلوب من بها فلما رأوا الخيمة وقد سقطت

عزل ديوان بولاق ثم عوضه منه ستمائة كيس وغير ذلك (وفيه) قلد الباشا نظر المهمات لصالح بن مصطفى كتخدا الرزاز وشغلوا ورشة الحدادين ومنافعهم وعددهم من بيت محمد افندي طبل الودنلي المعروف بناظر المهمات الى بيت صالح المذكور بناحية التبانة وكذلك العربجية وصناع الجلل والمدافع ونزعوا منه ايضا معمل البارود وكان تحت نظره وكذلك قاعة الفضة وجرك اليمان وغيره (وفيه وصلت) الاخبار من البلاد الرومية والشامية وغيرها بوقوع الزلزلة في الوقت الذي حصلت فيه بمصر الا انها كانت اعظم واشد واطول مدة وحصل في بلاد كريت التلافات كثيرة وهدمت اماكن ودورا كثيرة وهلك كثير من الناس تحت الردم وخسفت اماكن وتكسر على ساحل مالطه عدة مراكب وحصل ايضا باللاذقية خسف وحكى الناقلون ان الارض انشقت في جهة من اللاذقية فظهر في اسفلها ابنية انخسفت بها الارض قبل ذلك ثم انطبقت ثانيا (وفيه من الحوادث) ما وقع ببيت المقدس وهو انه لما احترقت القمامة الكبرى كما تقدم ذكر حرقها في العام الماضي عرضوا الى الدولة فبرز الامر السلطاني باعادة بنائها وعين لذلك اغا قبجي ودفع بيده مرسوم شريف فحضر الى القدس وحصل الاجتهاد في تشهيل مهمات ... طلبوها

فلتوها عن هزيمة فانهزموا وتبعهم الناس والبرسقى وقيل بل اعطى رقعة فيها ان جماعة من الامراء منهم اسمعيل البكجى يريدون الفتك به فانهزم وتبعه العسكر ودخل بغداد ثانى ربيع الآخر وكان فى جملة العسكر صهر بن النفيس بن مهذب الدولة احمد بن ابى الجبر وكان ناظرا بالبطيحة لريحان محكويه خادم السلطان لانها كانت من جملة اقطاعه وحضر ايضا المظفر بن حماد بن ابى الجبر وبينهما عداوة شديدة فالتقيا عند الانهزام بساباط نهر ملك فقتله المظفر ومضى الى واسط مختفيا وسار منها الى البطيحة وتغلب عليها وكاتب دبيسا واطاعه وامادبيس فانه لم يعرض لنهر ملك ولا غيره وارسل الى الخليفة انه على الطاعة ولولا ذلك لاخذ البرسقى وجميع من معه وسال ان يخرج الناظر الى القرى التى لخاص الخليفة لقبض دخلها وكانت الوقعة فى حزيران وحمى البلد فاجد الخليفة فعله وترددت الرسل بينهما فاستقرت القاعدة ان يقبض المسترشد بالله على وزيره جلال الدين ابى على بن صدقة ليعود الى الطاعة فقبض على الوزير ونهبت داره ودور اصحابه والمنتمين اليه وهرب ابن اخيه جلال الدين ابو الرضا الى الموصل ولما سمع السلطان خبر الوقعة قبض على منصور بن صدقة اخى دبيس وولده ورفعهما الى قلعة برجين وهى تجاور كرج ثم ان دبيسا امر جماعة من اصحابه بالمسير الى اقطاعهم بواسط فساروا اليها فمنعهم اتراك واسط فجهز دبيس اليهم عسكرا مقدمهم مهلهل ابن ابى العسكر وارسل الى المظفر بن ابى الجبر بالبطيحة ليتفق مع مهلهل ويساعده على قتال الواسطيين فاتفقا على ان تكون الوقعة تاسع رجب وارسل الواسطيون الى البرسقى يطلبون منه المدد فامدهم بجيش من عنده وعجل مهلهل فى عسكر دبيس ولم ينتظر المظفر ظنا منه انه بمفرده ينال منهم ما اراد و ينفرد بالفتح فالتقى هو والواسطيون ثامن رجب فانهزم مهلهل وعسكره وظفر الواسطيون واخذ مهلهل اسيرا وجماعة من اعيان العسكر وقتل ما يزيد على الف قتيل ولم يقتل من الواسطيين غير رجل واحد واما المظفر بن ابى الجبر فانه اصعد من البطيحة ونهب وافسد وجرى من اصحابه القبيح فلما قارب واسطا سمع بالهزيمة فعاد منحدرا وكان فى جملة ما اخذ العسكر الواسطى من مهلهل تذكرة بخط دبيس يامره فيها بقبض المظفر بن ابى الجبر ومطالبته باموال كثيرة اخذها من البطيحة فارسلوا الخط الى المظفر وقالوا هذا خط الذى تختاره وقد اسخطت الله تعالى والخلق كلهم لاجله فمال اليهم وصار معهم فلما جرى على اصحاب دبيس من الواسطيين ماذكرناه شمر عن ساعده فى الشر وبلغه ان السلطان كحل اخاه فجز شعره ولبس السواد ونهب البلاد واخذ كل ما للخليفة بنهر ملك فاجلى الناس الى بغداد وسار عسكر واسط الى النعمانية فاجلوا عنها عسكر دبيس واستولوا عليها وجرى بينهم هناك وقعة كان الظفر للواسطيين وتقدم الخليفة الى البرسقى بالتبريز الى حرب دبيس فبرز فى رمضان وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر قتل السميرمى)

وفى هذه السنة قتل الوزير الكمال ابو طالب السميرمى وزير السلطان محمود سلخ صفر

العمارة وشرعوا فى البناء على وضع احسن من الاول وتوسعوا فى مساحة جرمها وادخلوا فيها اماكن مجاورة لها واتقنوا البناء اتقانا عجيبا وجعلوا اسوارها وحيطانها بالحجر النحيت ونقلوا اليها من رخام المسجد الاقصى فقام عند ذلك جماعة من الاشراف الينكجرية وشنعوا على الاغا المعين وعلى كبار البلدة وتعصبوا حماية للدين قائلين ان الكنائس اذا خربت لا يجوز اعادتها الا بانقاضها ولا يجوز الاستعلاء بها ولا تشييدها ولا اخذ رخام الحرم القدسى ليوضع فى الكنيسة ومانعوا فى ذلك فارسل ذلك الاغا المعين الى يوسف باشا يعرفه عن المعارضين لاوامر الدولة فارسل يوسف باشا طائفة من عسكره فى عدة وافرة فوصلوا من طريق الغور وهو مسلك موصل الى القدس قريب المسافة خلاف الطريق المعتاد فدهموا الجماعة المعارضين على حين غفلة وحاصروهم فى دير وقتلوهم عن آخرهم وهم نيف وثلاثون نفرا وشيدوا القمامة كما ارادوا اعظم واضخم مما كانت عليه قبل حرقها فنسال المولى السلامة فى الدين

(واستهل شهر ربيع الاول بيوم الخميس سنة ١٢٢٠)

فيه وصلت الامراء المصريون القبالى الى ناحية بنى سويف وكثير من الاجناد الى مصر وترددت الرسل وحضر ديوان افندى ثم رجع ثانيا اليهم (وفيه امر الباشا) الكتاب

وكان قد برز مع السلطان ليسير الى همذان فدخل الحمام وخرج بين يديه الرجالة والخيالة وهو فى موكب عظيم فاجتاز بسوق المدرسة التى بناها خمارتكين التتشى واجتاز فى منفذ ضيق فيه حظائر الشوك فتقدم اصحابه لضيق الموضع فوثب عليه باطنى وضربه بسكين فوقعت فى البغلة وهرب الى دجلة وتبعه الغلمان فخلا الموضع فظهر رجل آخر فضربه بسكين فى خاصرته وجذبه عن البغلة الى الارض وضربه عدة ضربات وعاد اصحاب الوزير فحمل عليهم رجلان باطنيان فانهزموا منهما ثم عادوا وقد ذبح الوزير مثل الشاة فحمل قتيلا وبه نيف وثلاثون جراحة وقتل قاتلوه ولما كان فى الحمام كان المنجمون يأخذون له الطالع ليخرج فقالوا هذا وقت جيد وان تأخرت يفوت طالع السعد فاسرع وركب وأراد ان يأكل طعاما فمنعوه لاجل الطالع فقتل ولم ينفعه قولهم وكانت وزارته ثلاث سنين وعشرة اشهر وانتهب ماله واخذ السلطان خزانته ووزر بعده شمس الملك بن نظام الملك وكانت زوجة السميرمى قد خرجت هذا اليوم فى موكب كبير معها نحو مائة جارية وجمع من الخدم والجميع بمراكب الذهب فلما سمعن بقتله عدن حافيات حاسرات وقد تبدلن بالعز هوانا و بالمسرة احزانا فسبحان من لا يزول ملكه وكان السميرمى ظالما كثير المصادرة للناس سيئ السيرة فلما قتل اطلق السلطان ما كان جدده من المكوس وما وضعه على التجار والباعة

(ذكر القبض على ابن صدقة وزير الخليفة ونيابة على بن طراد)

فى جمادى الاولى قبض الخليفة على وزيره جلال الدين بن صدقة وقد تقدم ذكره قبل واقيم نقيب النقباء شرف الدين على بن طراد الزينبى فى نيابة الوزارة فارسل السلطان الى المسترشد بالله فى معنى وزارة نظام الملك ابى نصر احمد بن نظام الملك وكان اخا شمس الملك عثمان بن نظام الملك وزير السلطان محمود فاجيب الى ذلك واستوزر فى شعبان وكان قد وزر للسلطان محمد سنة خمسمائة ثم عزل ولزم داره ببغداد الى الآن فلما خلع على نظام الملك وجلس فى الديوان طلب ان يخرج ابن صدقة عن بغداد فلما علم ابن صدقة ذلك طلب من الخليفة ان يسير الى حديثة عانة ليكون عند الامير سليمان ابن مهارش فاجيب الى ما طلب وسار الى الحديثة فخرج عليه فى الطريق انسان من مفسدى التركمان يقال له يونس الحرامى فاسره ونهب اصحابه فخاف الوزير ان يعلم دبيس فارسل الى يونس وبذل له مالا يأخذه منه للعداوة التى بينهما فقرر امره مع يونس على الف دينار يحصل منها ثلثمائة ويؤخر الباقى الى ان يرسله من الحديثة وراسل عامل بلد الفرات فى تخليصه وانفاذ من يضمن الباقى الذى عليه فاعمل العامل الحيلة فى ذلك فاحضر انسانا فلاحا والبسه ثيابا فاخرة وطيلسانا واركبه وسير معه غلمانا وامره ان يمضى الى يونس ويدعى انه قاضى بلد الفرات ويضمن الوزير منه بما بقى من المال فسار السوادى الى يونس فلما حضر عند الوزير ويونس احترماه وضمن السوادى الوزير منه وقال له اقيم عندك الى ان يصل المال مع صاحب لك تنفذه مع الوزير فاعتقد يونس صدق ذلك واطلق الوزير ومعه جماعة من اصحابه فلما وصل الحديثة قبض على

بعمل حساب حسين افندى الروزنامجى عن السنتين الماضيتين وهما سنة ثلاث وعشرين واربع وعشرين وذلك باغراء البعض منهم فاستمروا فى عمل الحساب اياما فزاد لحسين افندى مائة وثمانون كيسا فلم يعجب الباشا ذلك واستخونهم فى عمل الحساب ثم الزمه بدفع اربعمائة كيس وقال انا كنت اريد منه ستمائة كيس وقد سامحته فى مائتين فى نظير الذى تأخر له وطلع فى صبحها الى الباشا وخلع عليه فروة باستقراره فى منصبه ونزل الى داره فلما كان بعد الغروب حضر اليه جماعة من العسكر فى هيئة مزعجة ومعهم مشاعل وطلبوا الدفاتر وهم يقولون معزول معزول واخذوا الدفاتر وذهبوا وحولوا عليه الحوالات بطلب الاربعمائة كيس فاجتهد فى تحصيلها ودفعها ثم ردوا له الدفاتر ثانيا (وفيه) حصلت كائنة احمد افندى المعروف باليتيم من كتاب الروزنامه وذلك ان الباشا كان بييت الازبكية فوصل اليه مكتوب من كاشف اقليم الدقهلية يعرفه فيه انه قاس قطعة ارض جارية فى اقطاع احمد افندى المذكور فوجد مساحتها اخلاف المقيد بدفتر المقياس الاول ومسقوط منها نحو الخمسمائة فدان وذلك من فعل المذكور ومخامرته مع النصارى الكتبة والمساحين لانهم يراعونه ويدلسون معه لان دفاتر الروزنامه بيده فلما قرأ المكتوب أمر

من

من معه منهم فاطلق يونس ذلك السوادي والمال الذي أخذه حتى أطلق الوزير اصحابه وعلم الحيلة التي تمت عليه ولما سار الوزير من عند يونس لقي انسانا انكره فاخذه فرأى معه كتابا من دبيس الى يونس يبذل ستة آلاف دينار ليسلم الوزير اليه وكان خلاصه من أعجب الاشياء

(ذكر قتل جيوش بك)

في هذه السنة قتل الامير جيوش بك الذي كان صاحب الموصل وقد ذكرنا خروجه على السلطان محمود وعوده الى خدمته فلما رضي عنه أقطعه أذربيجان وجعله مقدم عسكره فجرى بينه وبين جماعة من الامراء منافرة ومنازعات فاغروا به السلطان فقتله في رمضان على باب تبريز وكان تركيا من مماليك السلطان محمد عادلا حسن السيرة ولما ولي الموصل والجزيرة كان الاكراد بتلك الاعمال قد انتشروا وكثر فسادهم وكثرت قلاعهم والناس معهم في ضيق والطريق خائفة فقصدهم وحصر قلاعهم وفتح كثيرا منها ببلد الهكارية وبلد الزوزان وبلد البشنوية وخافه الاكراد وتولى قصدهم بنفسه فهربوا منه في الجبال والشعاب والمضايق وامنت الطرق وانتشر الناس واطمانوا وبقي الاكراد لا يجسرون أن يحملوا السلاح لهيبته

(ذكر وفاة ايلغازي واحوال حلب بعده)

في هذه السنة في شهر رمضان توفي ايلغازي بن ارتق بميافارقين وملك ابنه حسام الدين تمرتاش قلعة ماردين وملك ابنه سليمان ميافارقين وكان بحلب ابن اخيه بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق فبقي بها الى ان اخذها ابن عمه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة اقطع السلطان محمود الامير آقسنقر البرسقي مدينة واسط واعمالها مضافا الى ولاية الموصل وغيرها مما بيده وشحنكية العراق فلما أقطعها البرسقي سير اليها عماد الدين زنكي بن آقسنقر الذي كان والده صاحب حلب وامره بحمايتها فسار اليها في شعبان ووليها وقد ذكرنا اخبار زنكي في كتاب الباهر في ذكر ملكه وملك اولاده الذين هم ملوكنا الآن فينظر منه وفيها ظهر معدن نحاس بديار بكر قريبا من قلعة ذي القرنين وفيها ازداد الفرات زيادة عظيمة لم يعهد مثلها فدخل الماء الى ربض قلعة جعبر وكان الفرات حينئذ بالقرب منها فغرق أكثر دوره ومساكنه وحمل فرسا من الربض وألقاه من فوق السور الى الفرات وفيها بنيت مدرسة بحلب لاصحاب الشافعي وفيها توفيت ابنة السلطان سنجر زوجة السلطان محمود وفيها في شعبان قدم الى بغداد البرهان أبو الحسن علي بن الحسين الغزنوي وعقد مجلس الوعظ في جميع المواضع وورد بعده أبو القاسم علي بن يعلى العلوي ونزل رباط شيخ الشيوخ فوعظ في جامع القصر والتاجية ورباط سعادة وصار له قبول عند الحنابلة وحصل له مال كثير لانه أظهر موافقتهم وورد بعده أبو الفتوح الاسفرايني ونزل برباط شيخ الشيوخ

في الحال بالقبض على أحمد أفندي وصحبته وكان السيد محمد المحروقي حاضرا وكذلك علي كاشف الكبير الالفي فترجيا عند الباشا واخبراه بان المذكور مريض بالسرطان في رجله ولا يقدر على حركتها واستاذنه السيد المحروقي بان ياخذه الى داره فان داره باب من ابوابه فاجابه الى ذلك وركب في الحال ولحق بالمعينين وكانوا قد وصلوا اليه وازعجوه فمنعهم عنه واخذه الى داره وراجع الباشا في امره فقرر عليه ثمانين كيسا بعد أن قال اني كنت اريد أن اقول ثلثمائة كيس فسبق لساني فقلت مائة كيس وقد تجاوزت لاجلك عن عشرين كيسا وهو يقدر على اكثر من ذلك لانه يفعل كذا وكذا وعدد اشياء تدل على انه ذو غنية كبيرة منها انه لما سافر الى الباشا بدفتر الفرضة الى ناحية أسيوط طلع الى البلدة في هيئة وصحبته فرش ومحاحير وشخانات وكرارات وفراشون وخدم وكيلارجية ومصاحبية والحكيم والمزين فلما شاهد الباشا هيئته سال عنه وعن منصبه فقيل له انه جاجرت من كتبة الروزنامه فقال اذا كان جاجرت يعني تلميذ فكيف يكون باش جاجرت اوقلفاوات الاقليم فضلا عن كبيرهم الروزنامجي واي شئ ذلك واسر ذلك في نفسه وطفق يسال ويتجسس عن احوالهم لانه من طبعه الحقد والحسد والتطلع لما في

أيضا ووعظ في هذه المواضع وفي النظامية وأظهر مذهب الاشعري فصار له قبول كثير عند الشافعية وحضر مجلسه الخليفة المسترشد بالله وسلم اليه رباط الارجوانية والدة المقتدى بالله بدرب زاخي وفيها توفي عبدالله بن أحمد بن عمر أبو محمد السمرقندي أخو أبي القاسم بن السمرقندي ومولده بدمشق سنة أربع وأربعين وأربعمائة ونشا ببغداد وسمع الصريفيني وابن النقور وغيرهما وسافر الكثير وكان حافظا للحديث عالما به وفي ذي الحجة توفي عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف أبو طالب ومولده سنة ست وثلاثين وأربعمائة وسمع البرمكي والجوهري والعشاري وكان ثقة حافظا للحديث

(ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسمائة)

(ذكر مسير المسترشد بالله لحرب دبيس)

في هذه السنة كان الحرب بين الخليفة المسترشد بالله وبين دبيس بن صدقة وكان سبب ذلك ان دبيسا اطلق عفيفا خادم الخليفة وكان ماسورا عنده وحمله رسالة فيها تهديد للخليفة بارسال البرسقي الى قتاله وتقويته بالمال وان السلطان قتل أخاه وبالغ في الوعد ولبس السواد وجز شعره وحلف لينهبن بغداد ويخربها فاغتاظ الخليفة لهذه الرسالة وغضب وتقدم الى البرسقي بالتبرز الى حرب دبيس فبرز في رمضان سنة ست عشرة وتجهز الخليفة وبرز من بغداد واستدعى العساكر فأتاه سليمان بن مهارش صاحب الحديثة في عقيل وأتاه قرواش بن مسلم وغيرهما وأرسل دبيس الى نهر ملك فنهب وعمل أصحابه كل عظيم من الفساد فوصل أهله الى بغداد فامر الخليفة فنودي ببغداد لا يتخلف من الاجناد أحد ومن أحب الجندية من العامة فليحضر فجاء خلق كثير ففرق فيهم الاموال والسلاح فلما علم دبيس الحال كتب الى الخليفة يستعطفه ويساله الرضا عنه فلم يجب الى ذلك وأخرجت خيام الخليفة في العشرين من ذي الحجة من سنة ست عشرة فنادى أهل بغداد النفير النفير الغزاة الغزاة وكثر الضجيج من الناس وخرج منهم عالم كثير لا يحصون كثرة وبرز الخليفة رابع عشري ذي الحجة وعبر دجلة وعليه قباء اسود وعمامة سوداء وطرحة وعلى كتفه البردة وفي يده القضيب وفي وسطه منطقة حديد صيني ونزل الخيام ومعه وزير نظام الدين أحمد بن نظام الملك ونقيب الطالبيين ونقيب النقباء علي بن طراد وشيخ الشيوخ صدر الدين اسمعيل وغيرهم من الاعيان وكان البرسقي قد نزل بقرية جهارطاق ومعه عسكره فلما بلغهم خروج الخليفة عن بغداد عادوا الى خدمته فلما رأوا الشمسة ترجلوا باجمعهم وقبلوا الارض بالبعد منه ودخلت هذه السنة فنزل الخليفة مستهل المحرم بالحديثة بنهر الملك واستدعى البرسقي والامراء واستحلفهم على المناصحة في الحرب ثم ساروا الى النيل ونزلوا بالمباركة وعبى البرسقي أصحابه ووقف الخليفة من وراء الجميع في خاصته وجعل دبيس أصحابه صفا واحدا ميمنة وميسرة وقلبا وجعل الرجالة بين يدي الخيالة بالسلاح وكان قد وعد

اصحابه

قيدي الناس ولما قلد خليل افندي كتابة ٢٠٨ الذمة في الروزنامه كما تقدم انضم اليه المكار هون المذكور الذين كانوا خاملي الذكر بوجوده وتوصلوا الى باب الباشا وكتخدا بك وانهوا اليه انه يتصرف في الاموال الميرية كما يختار وان حسين أفندي الروزنامجي لا يخرج عن مراده واشارته وبيته مفتوح للضيفان ويجتمع عنده في كل ليلة عدة من الفقراء يثرد لهم الثريد في القصاع ويواسي الكثير من أهل العلم وغيرهم ويتعهد بكثير من الملتزمين بالفرض التي تقرر على حصصهم ويضعها في حسابه ويصبر عليهم حتى يوفوها له في طول الزمن ونحو ذلك وكل ما ذكر دليل على سعة الحال والمقدرة وأما الذنب الذي أخذه به فان القدر المذكور من الطين كان من الموات فاتفق المذكور مع شركائه ملتزمي الناحية وجرفوه وأحيوه وأصلحوه بعد ان كان خرسا ومواتا لا ينتفع به وجعلوه صالحا للزراعة وظن ان ذلك لا يدخل في المساحة فاسقطه منها فوقع له ما وقع وأسقطوا اسمه من كتاب الروزنامه ومنعوه منها وانقطع في داره وزاد به ألم رجله (وفيه انحرف) أيضا الباشا على الخواجا محمود حسن عزله من الجمارك والبزرجانية وأكل عليه المطلوب له وهو مبلغ الفان وخمسون كيسا

(واستهل شهر ربيع الثاني بيوم السبت سنه ١٢٢٠)

فيه وصلت الاخبار من البلاد الحجازية بنزول سيل عظيم حصل منه ضرر كثير وهدم دورا كثيرة بمكة

أصحابه بنهب بغداد وسبي النساء فلما تراءت الفئتان بادر أصحاب دبيس و بين أيديهم الاماء يضربن بالدفوف والمخانيث بالملاهي ولم يرفي عسكر الخليفة غير قارئ ومسبح وداع فقامت الحرب على ساق وكان مع أعلام الخليفة الامير كرباوي بن خراسان وفي الساقة سليمان بن مهارش وفي ميمنة عسكر البرسقي الامير أبو بكر بن الياس مع الامراء البكجية فحمل عنتر بن أبي العسكر في طائفة من عسكر دبيس على ميمنة البرسقي فتراجعت على أعقابها وقتل ابن أخ للامير أبي بكر البكجي وعاد عنتر وحمل حملة ثانية على هذه الميمنة فكان حالها في الرجوع على أعقابها كحالها الاول فلما رأى عسكر واسط ذلك ومقدمهم الشهيد عماد الدين زنكي بن آقسنقر حمل وهم معه على عنتر ومن معه وأتوهم من ظهورهم فبقي عنتر في الوسط وعماد الدين وعسكر واسط من ورائه والامراء البكجية بين يديه فاسر عنتر وأسر معه برك بن زائدة وجميع من معهما ولم يفلت أحد وكان البرسقي واقفا على نشز من الارض وكان الامير آق بوري في الكمين في خمسمائة فارس فلما اختلط الناس خرج الكمين على عسكر دبيس فانهزموا جميعهم وألقوا نفوسهم في الماء فغرق كثير منهم وقتل كثير ولما رأى الخليفة اشتداد الحرب جرد سيفه وكبر وتقدم الى الحرب فلما انهزم عسكر دبيس وحملت الاسرى الى بين يديه أمر الخليفة أن تضرب أعناقهم صبرا وكان عسكر دبيس عشرة آلاف فارس واثني عشر ألف راجل وعسكر البرسقي ثمانية آلاف فارس وخمسة آلاف راجل ولم يقتل من أصحاب الخليفة غير عشرين فارسا وحصل نساء دبيس وسراريه تحت الاسر سوى بنت ايلغازي و بنت عميد الدولة بن جهير فانه كان تركهما في المشهد وعاد الخليفة الى بغداد فدخلها يوم عاشوراء من هذه السنة ولما عاد الخليفة الى بغداد ثار العامة بها ونهبوا مشهد باب التبن وقلعوا أبوابه فانكر الخليفة ذلك وأمر نظر أمير الحاج بالركوب الى المشهد وتاديب من فعل ذلك وأخذ ما نهب ففعل وأعاد البعض وخفي الباقي عليه وأما دبيس بن صدقة فانه لما انهزم نجا بفرسه وسلاحه وأدركته الخيل ففاتها وعبر الفرات فرأته امرأة عجوز وقد عبر فقالت له دبير جئت فقال دبير من لم يجئ واختفى خبره بعد ذلك وأرجف عليه بالقتل ثم ظهر أمره انه قصد غزية من عرب نجد فطلب منهم ان يحالفوه فامتنعوا عليه وقالوا انا نسخط الخليفة والسلطان فرحل الى المنتفق واتفق معهم على قصد البصرة وأخذها فساروا اليها ودخلوها ونهبوا أهلها وقتل الامير سخت كمان مقدم عسكرها وأجلى أهلها فارسل الخليفة الى البرسقي يعاتبه على اهماله أمر دبيس حتى تم له من أمر البصرة ما أخربها فتجهز البرسقي للانحدار اليه فسمع دبيس ذلك ففارق البصرة وسار على البر الى قلعة جعبر والتحق بالفرنج وحضر معهم حصار حلب وأطمعهم في أخذها فلم يظفروا بها فعادوا عنها ثم فارقهم والتحق بالملك طغرل ابن السلطان محمد فاقام معه وحسن له قصد العراق وسنذكره سنة تسع وعشرين ان شاء الله تعالى

و جدة وأتلف كثيرا من البضائع للتجار وكوالة هدم بمكة خاصة ستمائة دار وكان ذلك في شهر صفر (وفيه) وصل الامراء المصريون الى ناحية الرقق وأوائلهم وصلوا الى دهشور وخرج اليهم الاتباع بالملاقاة من بيوتهم وأحبابهم وذهب اليهم مصطفى اغا الوكيل وعلي كاشف الصابونجي وديوان أفندي ثم الباشا ثم في اثرهم طوسون ابن الباشا وقدم له ابراهيم بك تقادم وأقام بوطاقه أياما ثم رجعوا وكثر ترداد المراسلات والاختلافات في أمر الشروط (وفي خامسه) حضر عثمان بك يوسف وصحبته صنجق آخر فطلعا الى القلعة وقابلا الباشا ثم رجعا وحضرا في ثاني يوم كذلك فخلع عليهما خلعا وأعطاهما أكياسا وأرسل الى ابراهيم بك هدايا والى سليم بك المحرمجي المرادي أيضا (وفي يوم الثلاثاء حادي عشره) وصل الجميع الى الجيزة ونصبوا وطاقهم خارج الجيزة وصحبتهم عربان وهوارة كثيرة وانتظروا ان الباشا يضرب لحضورهم مدافع فلم يفعل وقال ابراهيم بك سبحان الله ما هذا الاحتقار ألم أكن أمير مصر نيفا وأربعين سنة وتقلدت قائمقامية ولايتها ووزارتها مرارا وبآخرة صار من أتباعي وأعطيه خرجه من كيلاري ثم أحضر اغاوات باقي الامراء على صورة الصلح فلا يضرب لنا مدافع كما يفعل لحضور بعض الافرنج وتاثروا من ذلك واشيع في الناس

(ذكر ملك الفرنج حصن الاثارب)

في هذه السنة في صفر ملك الفرنج حصن الاثارب من اعمال حلب وسبب ذلك انهم كانوا قد اكثروا قصد حلب واعمالها بالاغارة والتخريب والتحريق وكان بحلب حينئذ بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق وهو صاحبها ولم يكن له بالفرنج قوة وخافهم فهادنهم على ان يسلم الاثارب ويكفوا عن بلاده فاجابوه الى ذلك وتسلموا الحصن وتمت الهدنة بينهم واستقام امر الرعية باعمال حلب وجلبت اليهم الاقوات وغيرها ولم تزل الاثارب بايدي الفرنج الى ان ملكها اتابك زنكي بن آقسنقر على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك بلك حران وحلب)

في هذه السنة في ربيع الاول ملك بلك بن بهرام مدينة حران وكان حصرها فلما ملكها سار منها الى مدينة حلب وسبب مسيره اليها انه بلغه ان صاحبها بدر الدولة قد سلم قلعة الاثارب الى الفرنج فعظم ذلك عليه وعلم عجزه عن حفظ بلاده فقوى طمعه في ملكها فسار اليها ونازلها في ربيع الاول وضايقها ومنع الميرة عنها واحرق زروعها فسلم اليه ابن عمه البلد والقلعة بالامان غرة جمادى الاولى من السنة وتزوج ابنة الملك رضوان وبقي مالكها الى ان قتل على ما نذكره

(ذكر الحرب بين الفرنج والمسلمين بافريقية)

قد ذكرنا ان الامير على بن يحيى صاحب افريقية لما استوحش من رجار صاحب صقلية جدد الاسطول الذي له وكثر عدده وعدده وكاتب امير المسلمين على بن يوسف ابن تاشفين بمراكش بالاجتماع معه على قصد جزيرة صقلية فلما علم رجار ذلك كف عن بعض ما كان يفعله فاتفق ان عليا مات سنة خمس عشرة وولى ابنه الحسن وقد ذكرناه فلما دخلت سنة ست سير امير المسلمين اسطولا ففتحوا نقوطرة بساحل بلاد قلوريه فلم يشك رجار ان عليا كان سبب ذلك فجد في تعمير الشواني والمراكب وحشد فاكثر ومنع من السفر الى افريقية وغيرها من بلاد الغرب فاجتمع له من ذلك ما لم يعهد مثله قيل كان ثلثمائة قطعة فلما انقطعت الطريق عن افريقية توقع الامير الحسن بن على خروج العدو الى المهدية فامر باتخاذ العدد وتجديد الاسوار وجمع المقاتلة فاتاه من اهل البلاد ومن العرب جمع كثير فلما كان في جمادى الآخرة سنة سبع عشرة سار الاسطول الفرنجي في ثلثمائة قطعة فيها الف فرس وفرس واحد الا انهم لما ساروا وامسوا على فرقتهم الريح وغرق منهم مراكب كثيرة ونازل من سلم منهم جزيرة قوصرة ففتحها وقتل من بها وسبي وغنموا وساروا عنها فوصلوا الى افريقية ونازلوا الحصن المعروف بالديماس أواخر جمادى الاولى فقاتلهم طائفة من العرب كانوا هناك والديماس حصن منيع في وسطه حصن آخر وهو مشرف على البحر وسير الحسن من عنده من الجموع الى الفرنج وأقام هو بالمهدية في جمع آخر يحفظها واخذ الفرنج حصن

الديماس

ثم عدى به الباشا من الغد للسلام على ابراهيم بك فلم يثبت وظهر انه لم يفعل وأصبح مبيز الى شبرا وبلس في قصره وحضر اليه شاهين بك الالفي في سفينة ووقع بينهما مكالمات ورجع من عنده عائدا الى الجيزة منفعل الخاطر ثم ان الباشا عرض عما ذكره فاجتمع اليه الجميع وبدا اللغط وكثرت القلقلة وعند ما وصل شاهين بك الى الجيزة أزعج حريمه واركبهن وارسلهن الى الفيوم ونقل متاعه وفرشه من قصر الجيزة في بقية اليوم وكسر المرايات وزجاج الشبابيك التي في مجالسه الخاصة ثم ركب في طوائفه واتباعه وخشداشينه ومماليكه وذهب الى عرضي اخوانه وقبيلته ونصب خيامه ووطاقه بجانبهم واجتمع بهم وتصافى معهم وقد كان حضر اليه عبد الرحمن بك تابع عثمان بك المرادي المعروف بالطنبرجي وحول دماغه واتفق معه على الانضمام اليهم والخروج عن الباشا ففعل ما فعل وجعلوه رئيس الامراء المرادية (وفي ذلك اليوم) عدى حسن باشا وصالح اغا قوج الى بر الجيزة وذهبا الى عرضي الامراء وسلما عليهم وتغديا عند شاهين بك وجرى بينهما وبين ابراهيم بك كلام كثير وقال له حسن باشا انكم وصلتم الى هنا لتمام الصلح على الشروط التي حصلت بينكم وبين الباشا والاتفاق الذي جرى باسيوط ويكون تمامه عند وصولكم

الديماس وجنود المسلمين محيطة بهم فلما كان بعد ايال اشتد القتال على الحصن الداخل فلما كان الليل صاح المسلمون صيحة عظيمة ارتجت لها الارض و كبروا فوقع الرعب فى قلوب الفرنج فلم يشكوا ان المسلمين يهجمون عليهم فبادروا الى شوانيهم وقتلوا بايديهم كثيرا من خيولهم وغنم المسلمون منها اربعمائة فرس ولم يسلم معهم غير فرس واحد وغنم المسلمون جميع ماتخلف عن الفرنج وقتلوا كل من عجز عن الطلوع الى المراكب فلما صعد الفرنج الى مراكبهم اقاموا بها ثمانية ايام لا يقدرون على النزول الى الارض فلما ايسوا من خلاص اصحابهم الذين فى الديماس ساروا والمسلمون يكبرون عليهم و يصيحون بهم واقامت عساكر المسلمين على حصن الديماس فى امم لايحصون كثرة فحصروه فلم يمكنهم فتحه لحصانته وقوته فلما عدم الماء على من به من الفرنج وضجروا من مواصلة القتال ليلا ونهارا فتحوا باب الحصن وخرجوا فقتلوا عن آخرهم وذلك يوم الاربعاء منتصف جمادى الآخرة من السنة وكانت مدة اقامتهم فى الحصن ستة عشر يوما ولما رجع الفرنج مقهورين أرسل الامير الحسن البشرى الى سائر البلاد وقال الشعراء فى هذه الحادثة فاكثروا وتركناذلك خوف التطويل

●(ذكر استيلاء الفرنج على خرتبرت واخذها منهم)●

فى هذه السنة فى ربيع الاول استولى الفرنج على خرتبرت من بلاد ديار بكر وسبب ذلك ان بلك بن بهرام بن ارتق كان صاحب خرتبرت فحصر قلعة كركر وهى تقارب خرتبرت فسمع الفرنج بالشام الخبر فسار بغدوين ملك الفرنج فى جموعه اليه ليرحله عنها خوفا ان يقوى علكها فلما سمع بلك بقربه منه رحل اليه والتقيا فى صفر واقتتلا فانهزم الفرنج واسر ملكهم ومعه جماعة من اعيان فرسانهم وحبسهم بقلعة خرتبرت وكان بالقلعة ايضا جوسلين صاحب الرها وغيره من مقدمى الفرنج كان قد اسرهم سنة خمس عشرة وسار بلك عن خرتبرت الى حران فى ربيع الاول فلكها فاعمل الفرنج الحيلة باستمالة بعض الجند فظهروا وملكوا القلعة فاما الملك بغدوين فانه اتخذ الليل جملا ومضى الى بلاده واتصل الخبر ببلك صاحبها فعاد فى عساكره اليها وحصرها وضيق على من بالقلعة واستعادها من الفرنج وجعل فيها من الجند من يحفظها وعاد عنها

●(ذكر قتل وزير السلطان وعود ابن صدقة الى وزارة الخليفة)●

فى هذه السنة قبض السلطان محمود على وزيره شمس الملك عثمان بن نظام الملك وقتله وسبب ذلك انه لما اشار على السلطان بالعود عن حرب الكرج وخالفه وكانت الخيرة فى مخالفته تغير عليه وذكر اعداؤه عنده بسوء ونبهوا على تهوره وقلة تحصيله ومعرفته بمصالح الدولة وفساد راى السلطان فيه ثم ان الشهاب ابا المحاسن وزير السلطان سنجر كان قد توفى وهو ابن اخى نظام الملك ووزر بعده ابو طاهر القمى وهو عدو للبيت النظامى فسعى مع السلطان سنجر حتى أرسل الى السلطان محمود يامره بالقبض على وزيره شمس الملك فصادف وصول الرسول وهو متغير عليه فقبض عليه وسلمه الى طغايرك فبعثه

الى الجيزة واجتماعكم وقد حصل فقال له ابراهيم بك وما هى الشروط قال هى ان تدخلوا تحت حكمه وطاعته وهو يوليكم المناصب التى تريدونها بشرط ان تقوموا بدفع الفرض التى يقررها على النواحى والغلال الميرية والخراج وتعيين من يريده منكم صحبة العساكر الموجهة الى البلاد الحجازية لفتح الحرمين وتكونوا معه امراء مطيعين وهو يعطيكم الايرادات والانعامات الجزيلة و يعمر لكم ماتريدونه من الدور والقصور التى لكم ولاتباعكم على طرفه لايكلفكم بشئ من الاشياء وقد رايتم وسمعتم مافعله من الاكرام والانعام على شاهين بك وما اعطاه من المماليك والجوارى الحسان وشفاعاته عنده لاترد واطلق له التصرف فى البر الغربى من رشيد الى الفيوم الى بنى سويف والبهنسا مما هو تحت حكمه و يراعى جانبه الى الغاية فقال له ابراهيم بك نعم انه فعل مع شاهين بك مالا تفعله الملوك فضلا عن الوزراء وليس ذلك لسابق معروف فعله شاهين بك معه ليستحق به ذلك بل هو لغرض سوء يكمنه فى نفسه وشبكة يصطاد بها غيره فاننا سبرنا احواله وخيانته وشاهدنا ذلك فى كثير ممن خدموه ونصحوا معه حتى ملكوه هذه المملكة قال ومن هم قال اولهم مخدومه محمد باشا خسرو ثم كتخداه وخازنداره عثمان اغا جنج الذى خامر معه وملك مع اخيه المرحوم

الى بلده خلخال فحبسه فيها ثم ان أبا نصر المستوفي الملقب بالعزيز قال للسلطان محمود لا نأمن ان يرسل السلطان سنجر يطلب الوزير وربما اتصل به لا نأمن شرا يحدث منه وكان بينهما عداوة فأمر السلطان بقتله فلما دخل عليه السياف ليقتله قال امهلني حتى أصلي ركعتين ففعل فلما صلى جعل يرتعد وقال للسياف سيفي اجود من سيفك فاقتلني به ولا تعذبني فقتل ثاني جمادى الآخرة فلما سمع الخليفة المسترشد بالله ذلك عزل اخاه نظام الدين احمد من وزارته وأعاد جلال الدين أبا علي بن صدقة الى الوزارة وأقام نظام الدين بالمخزن التي في المدرسة النظامية ببغداد وأما العزيز المستوفي فانه لم تطل أيامه حتى قتل على ما نذكره جزاء لسعيه في قتل الوزير

(ذكر ظفر السلطان محمود بالكرج)

في هذه السنة اشتدت نكاية الكرج في بلاد الاسلام وعظم الامر على الناس لا سيما أهل دربند شروان فسار منهم جماعة كثيرة من اعيانهم الى السلطان وشكوا اليه ما يلقون منهم واعلموه بما هم عليه من الضعف والعجز عن حفظ بلادهم فسار اليهم والكرج قد وصلوا الى شماخي فنزل السلطان في بستان هناك وتقدم الكرج اليه فلحق العسكر خوف شديد واشار الوزير شمس الملك عثمان بن نظام الملك على السلطان بالعود من هناك فلما سمع أهل شروان بذلك قصدوا السلطان وقالوا له نحن نقاتل مهما دمت عندنا وان تأخرت عنا ضعفت نفوس المسلمين وهلكوا فقبل قولهم وأقام بمكانه وبات العسكر على وجل عظيم وهم بنية المصاف فأتاهم الله بفرج من عنده والقى بين الكرج وقفجاق اختلافا وعداوة فاقتتلوا تلك الليلة ورحلوا شبه المنهزمين وكفى الله المؤمنين القتال واقام السلطان بشروان مدة ثم عاد الى همذان فوصلها في جمادى الآخرة

(ذكر الحرب بين المغاربة وعسكر مصر)

في هذه السنة وصل جمع كثير من لواتة من العرب الى ديار مصر فأفسدوا فيها ونهبوها وعملوا اعمالا شنيعة فجمع المأمون بن البطائحي الذي وزر بمصر بعد الافضل عسكر مصر وسار اليهم فقاتلهم فهزمهم وأسر منهم وقتل خلقا كثيرا وقرر عليهم خراجا معلوما كل سنة يقومون به وعادوا الى بلادهم وعاد المأمون الى مصر مظفرا منصورا

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في صفر أمر المسترشد بالله ببناء سور بغداد وان يجبى ما يخرج عليه من البلد فشق ذلك على الناس وجمع من ذلك مال كثير فلما علم الخليفة كراهة الناس لذلك أمر باعادة ما أخذ منهم فسروا بذلك وكثر الدعاء له وقيل ان الوزير احمد بن نظام الملك بذل من ماله خمسة عشر ألف دينار وقال نقسط الباقي على أرباب الدولة وكان أهل بغداد يعملون بأنفسهم فيه وكانوا يتناوبون العمل يعمل أهل كل محلة منفردين بالطبول والزمور وزينوا البلد وعملوا فيه القباب وفيها عزل نقيب العلويين وهدمت داره علي بن أفلح وكان الخليفة يكرمه فظهر انه ماعين لدبيس يطالعه بالاخبار وجعل

طاهر باشا القلعة واحرق سرايته ثم تسلط الاتراك على طاهر باشا حتى قتلوه في داره واظهر موالاتنا وصداقتنا ومساعدتنا وصير نفسه من عسكرنا واتحد بعثمان بك البرديسي واظهر له خلوص الصداقة والاخوة وعاهده بالايمان حتى اغراه على علي باشا الطرابلسي وجرى ما جرى عليه من القتل ونسب ذلك الينا ثم اشتغل معه على خيانته لاخيه الالفي واتباعه ثم سلط علينا العساكر بطلب العلوفه واشار على عثمان بك بطلب المال من الرعية حتى وقع ما وقع وخرجنا من مصر على الصورة التي خرجنا عليها ثم احضر احمد باشا خورشيد وولاه وزيرا وخرج هو لمحاربتنا ثم اتضح امره لاحمد باشا واراد الايقاع به فعجل العود الى مصر واوقع بينه وبين جنده حتى نفروا منه ونابذوه والقى الى السيد عمر والقاضي والمشايخ ان احمد باشا يريد الفتك بهم فهيجوا العامة والخاصة وجرى ما جرى من الحروب وحرق الدور وبذل السيد عمر جهده في النصح معه بما يظهره له من الحب والصداقة وراجت عليه احواله حتى تمكن امره وبلغ مراده واوقع به ما اوقع واخرجه من مصر وغربه عن وطنه ونقض العهود والمواثيق التي كانت بينه وبينه كما فعل بعمر بك وغيره وكل ذلك معلوم ومشاهد لكم واخبركم عمن يأمن لهذا ويعقد معه صلحا واعلم يا ولدي اننا كنا بمصر نحو العشرة آلاف الخليفة

الخليفة نقابة العلويين الى على بن طراد نقيب العباسيين وفيها جمع الامير بلك عساكره وسار الى غزاة بالشام فلقيه الفرنج فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم واسر بشر كثير من مقدميهم ورجالتهم وفيها كان فى أكثر البلاد غلاء شديد وكان أكثره بالعراق فبلغ ثمن الكارة الدقيق الخشكار ستة دنانير وعشرة قراريط وتبع ذلك موت كثير وأمراض زائدة هلك فيها كثير من الناس وفيها فى صفر توفى قاسم بن أبى هاشم العلوى الحسنى أمير مكة وولى بعده ابنه أبو فليتة وكان أعدل منه وأحسن سيرة فاسقط المكوس وأحسن الى الناس وفيها توفى عبد الله بن الحسن بن أحمد بن الحسن أبو نعيم بن أبى على الحداد الاصبهانى ومولده سنة ثلاث وستين وأربعمائة وهو من أعيان المحدثين سافر الكثير فى طلب الحديث وفيها سار طغتكين صاحب دمشق الى حمص فهجم المدينة ونهبها وأحرق كثيرا منها وحصرها وصاحبها قرجان بالقلعة فاستمد صاحبها طغان ارسلان فسار اليه فى جمع كثير فعاد طغتكين الى دمشق وفيها لقى أسطول مصر أسطول البنادقة من الفرنج فاقتتلوا وكان الظفر للبنادقة وأخذ من اسطول مصر عدة قطع وعاد الباقى سالما وفيها سار الامير محمود بن قراجة صاحب حماة الى حصن افامية فهجم على الربض بغتة فاصابه سهم من القلعة فى يده فاشتد المه فعاد الى حماة وقلع الزج من يده ثم عملت عليه فمات منه واستراح أهل عمله من ظلمه وجوره فلما سمع طغتكين صاحب دمشق الخبر سير الى حماة عسكرا فملكها وصارت فى جملة بلاده ورتب فيها واليا وعسكرا لحمايتها

(ثم دخلت سنة ثمان عشرة وخمسمائة)

(ذكر قتل بلك بن بهرام بن ارتق وملك تمرتاش حلب)

فى هذه السنة فى صفر قبض بلك بن بهرام بن ارتق صاحب حلب على الامير حسان البعلبكى صاحب منبج وسار اليها فحصرها فملك المدينة وحصر القلعة فامتنعت عليه فسار الفرنج اليه ليرحلوه عنها لئلا يقوى باخذها فلما قاربوه ترك على القلعة من يحصرها وسار فى باقى عسكره الى الفرنج فلقيهم وقاتلهم فكسرهم وقتل منهم خلقا كثيرا وعاد الى منبج فحصرها فبينما هو يقاتل من بها اتاه سهم فقتله لا يدرى من رماه واضطرب عسكره وتفرقوا وخلص حسان من الحبس فكان حسام الدين تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق مع ابن عمه بلك فحمله مقتولا الى ظاهر حلب وتسلمها فى العشرين من ربيع الاول من هذه السنة وزال الحصار عن قلعة منبج وعاد اليها صاحبها حسان واستقر تمرتاش بحلب واستولى عليها ثم انه جعل فيها نائبا له يثق اليه ورتب عنده ما يحتاج اليه من جند وغيرهم وعاد الى ماردين لانه رأى الشام كثيرة الحرب مع الفرنج وكان رجلا يحب الدعة والرفاهية فلما عاد الى ماردين أخذت حلب منه على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك الفرنج مدينة صور بالشام)

اواقل او اكثر ما بين مقدمى الوف وامراء وكشاف واكابر وجاقات ومماليك واجناد وطوائف وخدم واتباع مرفهى المعاش بانواع الملاذ كل امير مختص ومعتكف باقطاعه مع كثرة مصارفنا وانعاماتنا على اتباعنا ومن ينتسب الينا واسطة الجميع ممدودة فى الاوقات المعهودة ولا نعرف عسكرا ولا علوفة عسكر والقرى والبلاد مطمئنة والفلاحون ومشايخ البلاد مرتاحون فى اوطانهم ومضايفهم مفتوحة للواردين والضيفان مع ما كان يلزم علينا من المصارف الميرية ومرتبات الفقراء وخزينة السلطان وصرة الحرمين والحجاج وعوائد العربان وكلف الوزراء المتولين والاغوات والقابجية المعينين وخدمهم والهدايا السلطانية وغير ذلك وافندينا ما كفاه ايراد الاقليم وما احدثه من الجمارك والمكوس وما قرره على القرى والبلدان من فرض المال والغلال والجمال والخيول والتعدى على الملتزمين ومقاسمتهم فى فائظهم ومعاشهم وذلك خلاف مصادرات الناس والتجار فى مصر وقراها والدعاوى والشكاوى والتزايد فى الجمارك وما احدثه فى الضربخانه من ضرب القروش النحاس واستغراقها اموال الناس بحيث صار ايراد كل قلم من اقلام المكوس بايراد اقليم من الاقاليم ويبخل علينا بما نتعيش به نحن وعيالنا ومن بقى معنا من

اتباعنا ومماليكنا بل وقصده صيدنا وهلاكنا عن آخرنا فقال حسن باشا حاشا الله لم يكن ذلك ابدا انما يقول والدنا ابراهيم بك ولكن لا يخفاكم ان الله اعطاه ولاية هذا القطر وهو يؤتي الملك من يشاء ولا ترضى نفسه من يخالف عليه او يشاركه بالقهر والاستيلاء فاذا صار الصلح ووقع الصفاء اعطاكم فوق مامولكم فهز ابراهيم بك راسه وقال صحيح يكون خيرا وانفض المجلس ورجع حسن باشا وصالح قوج وعديا الى بر مصر (وفي تلك الليلة) خرج جميع من كان بمصر من الامراء والاجناد المصرية بخيلهم وهجنهم ومتاعهم وعدوا الى بر الجيزة ولم يبق منهم الا القليل واجتمعوا مع بعضهم وقسموا الامر بينهم ثلاثة اقسام قسم للمرادية وكبيرهم شاهين بك وقسم للمحمدية وكبيرهم علي بك ايوب وقسم للابراهيمية وكبيرهم عثمان بك حسن وكتبوا مكاتبات وارسلوها الى مشايخ العربان لم اقف على مضمونها (وفي يوم الجمعة) رابع عشره اوقفوا عساكر على ابواب المدينة يمنعون الخارجين من البلد حتى الخدم ومنعوا التعدية الى البر الغربي وجمعوا المراكب والمعادي الى البر الشرقي ونقلوا البضائع التي في مراكب التجار المعدة لسفر رشيد ودمياط المعروفة بالرواحل واخذوها اليهم وشرعوا في التعدية بطول يوم الجمعة والسبت وعدى الباشا آخر

كانت مدينة صور للخلفاء العلويين بمصر ولم تزل كذلك الى سنة ست وخمسمائة فكان بها وال من جهة الافضل امير الجيوش وزير الآمر باحكام الله العلوي يلقب عز الملك وكان الفرنج قد حصروها وضيقوا على اهلها ونهبوا بلدها غير مرة فلما كان سنة ست تجهز ملك الفرنج وجمع عساكره ليسير الى صور فخافهم اهل صور فارسلوا الى اتابك طغتكين صاحب دمشق يطلبون منه ان يرسل اليهم اميرا من عنده يتولاهم ويحميهم وتكون البلد له وقالوا له ان ارسلت الينا واليا وعسكرا والا سلمنا البلد الى الفرنج فسير اليهم عسكرا وجعل عندهم واليا اسمه مسعود وكان شهما شجاعا عارفا بالحرب ومكايدها وامده بعسكر وسير اليهم ميرة ومالا فرقه فيهم وطابت نفوس اهل البلد ولم تغير الخطبة للآمر صاحب مصر ولا السكة وكتب الى الافضل بمصر يعرفه صورة الحال ويقول متى وصل اليها من مصر من يتولاها ويذب عنها سلمتها اليه ويطلب ان الاسطول لا ينقطع عنها بالرجال والقوة فشكره الافضل على ذلك واثنى عليه وصوب رأيه فيما فعله وجهز اسطولا وسيره الى صور فاستقام احوال اهلها ولم تزل كذلك الى سنة ست عشرة بعد قتل الافضل فسير اليها اسطولا على جاري العادة وامر المقدم على الاسطول ان يعمل الحيلة على الامير مسعود الوالي بصور من قبل طغتكين ويقبض عليه ويتسلم البلد منه وكان السبب في ذلك ان اهل صور اكثروا الشكوى منه الى الآمر باحكام الله صاحب مصر بما يعتمده من مخالفتهم والاضرار بهم فسار الاسطول فارسى عند صور فخرج مسعود اليه للسلام على المقدم عليه فلما صعد الى المركب الذي فيه المقدم اعتقله ونزل البلد واستولى عليه وعاد الاسطول الى مصر وفيه الامير مسعود فاكرم واحسن اليه واعيد الى دمشق واما الوالي من قبل المصريين فانه طيب قلوب الناس وراسل طغتكين يخدمه بالدعاء والاعتضاد وان سبب ما فعل هو شكوى اهل صور من مسعود فاحسن طغتكين الجواب وبذل من نفسه المساعدة ولما سمع الفرنج بانصراف مسعود عن صور وتحكم المصريين فيها وحدثوا نفوسهم بملكها وشرعوا في الجمع والتاهب للنزول عليها وحصرها فسمع الوالي بها للمصريين الخبر فعلم انه لا قوة له ولا طاقة على دفع الفرنج عنها لقلة من بها من الجند والميرة فارسل الى الآمر بذلك فرأى ان يرد ولاية صور الى طغتكين صاحب دمشق فارسل اليه بذلك فملك صور ورتب بها من الجند وغيرهم ما ظن فيه كفاية وسار الفرنج اليهم ونازلوهم في ربيع الاول من هذه السنة وضيقوا عليهم ولازموا القتال فقلت الاقوات وسئم من بها القتال وضعفت نفوسهم وسار طغتكين الى بانياس ليقرب منهم ويذب عن البلد ولعل الفرنج اذا رأوا قربه منهم رحلوا فلم يتحركوا ولزموا الحصار فارسل طغتكين الى مصر يستنجدهم فلم ينجدوه وتمادت الايام واشرف اهلها على الهلاك فراسل حينئذ طغتكين صاحب دمشق وقرر الامر على ان يسلم المدينة اليهم ويمكنوا من بها من الجند والرعية من الخروج منها بما يقدرون عليه من اموالهم ورحالهم وغيرها فاستقرت القاعدة على ذلك وفتحت ابواب البلد وملكه الفرنج وفارقه اهله وتفرقوا في البلاد وحملوا

ما أطاقوا وتركوا ما عجزوا عنه ولم يعرض الفرنج الى احد منهم ولم يبق الا الضعيف عجز عن الحركة وملك الفرنج البلد في الثالث والعشرين من جمادى الاولى من السنة وكان فتحه وهنا عظيما على المسلمين فانه من أحصن البلاد وأمنعها فالله يعيده الى الاسلام ويقر أعين المسلمين بفتحه بمحمد وآله

(ذكر عزل البرسقي عن شحنكية العراق وولاية يرنقش الزكوي)

في هذه السنة عزل البرسقي عن شحنكية العراق ووليها سعد الدولة يرنقش الزكوي وسبب ذلك ان البرسقي تغير عنه المسترشد بالله فارسل الى السلطان محمود يلتمس منه ان يعزل البرسقي عن العراق ويعيده الى الموصل فاجابه السلطان الى ذلك وأرسل الى البرسقي يامره بالعود الى الموصل والاشتغال بجهاد الفرنج فلما علم البرسقي الخبر شرع في جباية الاموال ووصل نائب يرنقش فسلم اليه البرسقي الامر وارسل السلطان ولده الملك صغيرا مع امه الى البرسقي ليكون عنده فلما وصل الصغير الى العراق خرجت العساكر والمواكب الى لقائه وحملت له الاقامات وكان يوم دخوله يوما مشهودا وتسلمه البرسقي وسار الى الموصل وهو ووالدته معه ولما سار البرسقي الى الموصل كان عماد الدين زنكي بن آقسنقر بالبصرة قد سيره البرسقي اليها لحمايتها فاظهر من حمايته لها ما عجب منه الناس ولم يزل يقصد العرب ويقاتلهم في حللهم حتى ابعدوا الى البر فارسل اليه البرسقي يامره باللحاق به فقال لاصحابه قد ضجرنا مما نحن فيه كل يوم للموصل أمير جديد ونريد نخدمه وقد رأيت ان اسير الى السلطان فاكون معه فاشاروا عليه بذلك فسار اليه فقدم عليه باصبهان فاكرمه وأقطعه البصرة وأعاده اليها

(ذكر ملك البرسقي مدينة حلب)

في هذه السنة في ذي الحجة ملك آقسنقر البرسقي مدينة حلب وقلعتها وسبب ذلك ان الفرنج لما ملكوا مدينة صور على ما ذكرناه طمعوا وقويت نفوسهم وتيقنوا الاستيلاء على بلاد الشام واستكثروا من الجموع ثم وصل اليهم دبيس بن صدقة صاحب الحلة فاطمعهم طمعا ثانيا لاسيما في حلب وقال لهم ان اهلها شيعة وهم يميلون الي لاجل المذهب فمتى رأوني سلموا البلد الي وبذل لهم على مساعدته بذولا كثيرة وقال انني أكون ههنا نائبا عنكم ومطيعا لكم فساروا معه اليها وحصروها وقاتلوا قتالا شديدا ووطنوا نفوسهم على المقام الطويل وانهم لا يفارقونها حتى يملكوها وبنوا البيوت لاجل البرد والحر فلما رأى أهلها ذلك ضعفت نفوسهم وخافوا الهلاك وظهر لهم من صاحبهم تمرتاش الوهن والعجز وقلت الاقوات عندهم فلما رأوا ما دفعوا اليه من هذه الاسباب اعملوا الرأي في طريق يتخلصون به فرأوا انه ليس لهم غير البرسقي صاحب الموصل فارسلوا اليه يستنجدونه ويسألونه المجيء اليهم ليسلموا البلد اليه فجمع عساكره وقصدهم وارسل الى من بالبلد وهو في الطريق يقول انني لا أقدر على الوصول اليكم والفرنج يقاتلونكم الا اذا سلمتم القلعة الى نوابي وصار اصحابي فيها لانني لا أدري

العسكر من الاتراك والارنؤد والدلاة والسجمان بالجيزة وتحققت المفاقمة والامراء المصرية خلف السور في مقابلتهم واستمروا على ذلك الى ثاني يوم والناس متوقعون حصول الحرب بين الفريقين ولم يحصل وانتقل المصرية وترفعوا الى قبلي الجيزة بناحية دهشور وزنين (وفي يوم الاثنين والثلاثاء) انفق الباشا على العسكر وكان له مدة شهور ولم ينفق عليهم (وفي ليلة الثلاثاء) ركب الباشا ليلا وسافر الى ناحية كرداسة على جرائد الخيل ورجع في ثاني ليلة وكان سبب ركوبه انه بلغه ان طائفة من العربان مارين يريدون المصرية فاراد أن يقطع عليهم الطريق فلم يجد احدا وصادف نجعا مقيمين في محطة فنهب مواشيهم ورجع تعبا وانقطع عنه افراد من العسكر ومات بعضهم من العطش (وفي يوم الجمعة) ارتحل المصرية وترفعوا الى ناحية جرزا الهوى بالقرب من الرقق (وفيه) حضر مشايخ عربان اولاد علي للباشا فكساهم وخلع عليهم والبسهم شالات كشميري عدتها ثمان شالات وانعم عليهم بمائة وخمسين كيسا وحضر عند المصرية

عربان الهنادي ومشايخهم وانضموا اليهم (وفي يوم الاحد ثالث عشرينه)

طبعه من هذه الحادثة بعد ان حصلوا بالجيزة وكاد يتم قصده فيهم وخصوصا ما فعله شاهين بك الذى انفق عليه الوفا من الاموال ذهبت جميعها فى الفارغ البطال (وفى هذه الايام) اعنى منتصف شهر بشنس القبطى زاد النيل زيادة ظاهرة اكثر من ذراع وقصف واستمرايا ما ثم رجع الى حاله الاول وهذا من جملة عجائب الوقت

(واستهل شهر جمادى الاولى بيوم الاحد سنة ١٢٢٠)

فيه عمل الباشا ميدان رماحة بالجيزة فتقنطر به الحصان ووقع به الارض فاقاموه واصيب غلام من مماليكه برصاصة فمات ويقال ان الضارب لها كان قاصد الباشا فاخطاته واصابت ذلك المملوك والاجل حصن (وفيه) نبهوا على العسكر بالخروج فسعوا بالجد والعجلة فى قضاء اشغالهم ولوازمهم وطفقوا يخطفون حمير الناس وجمالهم ومن يصادفونه ويقدرون عليه من اهل البلد وخلافهم ويقولون فى غد مسافرون وراحلون لمحاربة المصريين والمصريون ايضا مستمرون فى منزلتهم لم ينتقلوا عنها (وفى خامسه) خرج حسن باشا وبرزخيامه بناحية الاثار وخرج ايضا محو بيك بعسكره وطوائفه ومعهم بيارق وسافر جملة عساكر فى المراكب ليرابطوا

ما يقدره الله تعالى اذا انا لقيت الفرنج فان انهزمنا منهم ولهيت حلب بعد اصحابى حتى احتمى انا وعسكرى بها فالم يبق منا احد حينئذ توخذ حلب وغيرها فاجابوه الى ذلك وسلموا القلعة الى نوابه فلما استقروا فيها واستولوا عليها سار فى العساكر التى معه فلما اشرف عليها رحل الفرنج عنها وهو يراهم فاراد من فى مقدمة عسكره ان يحمل عليهم فمنعهم هو بنفسه وقال قد كفينا شرهم وحفظنا بلدنا منهم والمصلحة تركهم حتى يتقرر امر حلب ونصلح حالها ونكثر ذخائرها ثم حينئذ نقصدهم ونقاتلهم فلما رحل الفرنج خرج أهل حلب ولقوه وفرحوا به واقام عندهم حتى اصلح الامور وقررها

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة انقطعت الامطار فى العراق والموصل وديار الجزيرة والشام وديار بكر وكثير من البلاد فقلت الاقوات وغلت الاسعار فى جميع البلاد ودام الى سنة تسع عشرة وفيها وصل منصور بن صدقة أخو دبيس الى بغداد تحت الاستظهار فرض بها فاحضر الخليفة الاطباء وامرهم بمعالجته واحضره عنده وجعل فى حجرة وأدخل اصحابه اليه وفيها سار دبيس من الشام بعد رحيله عن حلب وقصد الملك طغرل فاغراه بالخليفة واطمعه فى العراق وكان ما نذكره سنة تسع عشرة ان شاء الله تعالى وفيها مات الحسن بن الصباح مقدم الاسماعيلية صاحب الموت وقد تقدم من اخباره ما يعلم به محله من الشجاعة والرأى والتجربة وفيها ايضا توفى داود ملك الابخاز وشمس الدولة بن نجم الدين ايلغازى وفيها ثار أهل آمد بمن فيها من الاسماعيلية وكانوا قد كثروا فقتلوا منهم نحو سبعمائة رجل فضعف أمرهم بها بعد هذه الوقعة وفيها فى صفر توفى محمد بن مرزوق بن عبد الرزاق الزعفرانى وهو من اصحاب الخطيب البغدادى وفيها توفى أحمد بن على بن برهان أبو الفتح الفقيه المعروف بابن الحمامى لان أباه كان حماميا وكان حنبليا تفقه على ابن عقيل ثم صار شافعيا وتفقه على الغزالى والشاشى

(ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة)

(ذكر وصول الملك طغرل ودبيس بن صدقة الى العراق وعودهما عنه)

قد ذكرنا مسير دبيس بن صدقة الى الملك طغرل من الشام فلما وصل اليه لقيه وأكرمه واحسن اليه وجعله من اعيان خواصه وامرائه فحسن اليه دبيس قصد العراق وهون أمره عليه وضمن له أنه يملكه فسار معه الى العراق فوصلوا دقوقا فى عساكر كثيرة فكتب مجاهد الدين بهروز من تكريت يخبر الخليفة خبرهما فتجهز للمسير ومنعهما وأمر يرنقش الزكوى شحنة العراق ان يكون مستعدا للعبور بو جمع العساكر والامراء البكجية وغيرهم فبلغت عدة العساكر اثنى عشر ألفا سوى الرجالة وأهل بغداد وفرق السلاح وبرز خامس صفر وبين يديه أرباب الدولة رجالة وخرج من باب النصر وكان قد أمر بفتحه تلك الايام وسماه باب النصر ونزل صحراء الشماسية ونزل يرنقش عند السبتى ثم سار فنزل الخالص تاسع صفر فلما سمع طغرل بخروج الخليفة عدل الى طريق خراسان

خراسان وتفرق اصحابه في النهب والفساد ونزل هو برباط جلولاء فسار اليه الوزير جلال الدين بن صدقة في عسكر كثير فنزل الدسكرة وتوجه طغرل ودبيس الى الهارونية وسار الخليفة فنزل بالدسكرة هو والوزير واستقر الامر بين دبيس وطغرل ان يسيرا حتى يعبرا ديالى وتامرا ويقطعا جسر النهروان ويقيم دبيس ليحفظ المعابر ويتقدم طغرل الى بغداد فيملكها وينهبها فسارا على هذه القاعدة فعبرا تامرا ونزل طغرل بينه وبين ديالى وسار دبيس على أن يلحقه طغرل فقدر الله تعالى ان الملك طغرل لحقه حمى شديدة ونزل عليهم من المطر ما لم يشاهدوا مثله وزادت المياه وجاءت السيول والخليفة بالدسكرة وسار دبيس في مائتي فارس وقصد معرة النهروان وهو تعب سهران وقد لقي هو واصحابه من المطر والبلل ما آذاهم وليس معهم ما يأكلون ظنا منهم ان طغرل واصحابهم يلحقونهم فتأخروا لما ذكرناه فنزلوا جياعا قد نالهم البرد واذ قد طلع عليهم ثلاثون جملا تحمل الثياب المخيطة والعمائم والاقبية والقلانس وغيرها من الملبوس وتحمل ايضا انواع الاطعمة المصنوعة قد جاءت من بغداد الى الخليفة فاخذ دبيس الجميع فلبسوا الثياب الجدد ونزعوا الثياب الندية واكلوا الطعام وناموا في الشمس مما نالهم تلك الليلة وبلغ الخبر اهل بغداد فلبسوا السلاح وبقوا يحرسون الليل والنهار ووصل الخبر الى الخليفة والعسكر الذين معه ان دبيسا قد ملك بغداد فرحل من الدسكرة ووقعت الهزيمة على العسكر الى النهروان وتركوا اثقالهم ملقاة بالطريق لا يلتفت اليها احد ولولا أن الله تعالى لطف بهم بحمى الملك طغرل وتأخره والا كان قد هلك العسكر والخليفة ايضا واخذوا وكانت السواقي مملوءة بالوحل والماء من السيل فتمزقوا ولو لحقهم مائة فارس لهلكوا ووصلت رايات الخليفة ودبيس واصحابه نيام وتقدم الخليفة واشرف على ديالى ودبيس نازل غرب النهروان والجسر ممدود شرق النهروان فلما ابصر دبيس شمسة الخليفة قبل الارض بين يدي الخليفة وقال انا العبد المطرود فليعف امير المؤمنين عن عبده فرق الخليفة له وهم بصلحه حتى وصل الوزير ابن صدقة فثناه عن رأيه وركب دبيس ووقف بازاء عسكر برنقش الزكوي يحادثهم ويتماجن معهم ثم أمر الوزير الرجالة فعبروا ليمدوا الجسر آخر النهار فسار حينئذ دبيس عائدا الى الملك طغرل وسير الخليفة عسكرا مع الوزير في اثره وعاد الى بغداد فدخلها وكانت غيبته خمسة وعشرين يوما ثم ان الملك طغرل ودبيسا عادا وسارا الى السلطان سنجر فاجتازا بهمذان فقسطا على اهلها مالا كثيرا واخذوه وعاثوا في تلك الاعمال فبلغ خبرهم السلطان محمودا فجد السير اليهم فانهزموا من بين يديه وتبعتهم العساكر فدخلوا خراسان الى السلطان سنجر وشكيا اليه من الخليفة وبرنقش الزكوي

(ذكر فتح البرسقي كفرطاب وانهزامه من الفرنج)

في هذه السنة جمع البرسقي عساكره وسار الى الشام وقصد كفرطاب وحصرها فملكها من الفرنج وسار الى قلعة عزاز وهي من أعمال حلب من جهة الشمال وصاحبها

في البناء وقائم اخالية ليس بها احد من المصريين وفي كل يوم يخرج عساكر ثم يرجعون الى المدينة وهم مستعدون على خطف الدواب وحمير البطيخ وجمال السقائين والباشا يعدي الى بر مصر في كل يومين او ثلاثة ويطلع الى القلعة ثم يعود الى مخيمه في الجيزة وامتنع سفر المسافرين قبلي وبحري (وفي يوم الثلاثاء سابع عشره) بلغ الباشا ان الامراء المرادية والابراهيمية وغالب المصرية لهم مراسلات ومعاملات مع السيد سلامة النجاري واخيه وابن اخيه وانه يرسل لهم جميع ما يلزم من اسلحة وامتعة وخلافها بواسطة بعض عملائهم من العربان خفية وانه اشترى جملة اسلحة وخيول وثياب وغيرها واخذ أشياء من بيوت بعضهم لاجل ان يرسل الجميع اليهم وان جميع ذلك موجود عند المذكور الآن ومن جملة ايام حضر رسول من عندهم بدراهم ومعه حصان نعمان بك وهو عنده ايضا فامر بجلبه وحبسه وهجم منزله وضبط اوراقه وضبط ما يوجد بها ففعلوا ذلك وحبسوا معه ابن اخيه وازعجوهما وهجموا منزله فوجدوا فيه خمسة خيول وجملة اسلحة فطفقوا وبغوا ونهبوا امتاعه وبددوا اشغال كتب ابيه ولم يجدوا مكاتبات من الامراء القبالي ولا اثر لذلك بل انهم وجدوا جوابا من اخيه السيد احمد مضمونه انا عند وصولنا الى مكة المشرفة اشترينا اربعة

جوسلين فحصرها فاجتمعت الفرنج فارسها وراجلها وقصدوه ليرحلوه عنها فالتقى هو وضرب معهم مصافا واقتتلوا قتالا شديدا اصبروا كلهم فيه فانهزم المسلمون وقتل منهم وأسر كثير وكان عدد القتلى أكثر من ألف قتيل من المسلمين وعاد منهزما الى حلب فخلف بها ابنه مسعودا وعبر الفرات الى الموصل ليجمع العساكر ويعاود القتال وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر قتل المامون بن البطائحي)

فى هذه السنة فى رمضان قبض الآمر باحكام الله العلوى صاحب مصر على وزيره ابى عبد الله بن البطائحى الملقب بالمامون وصلبه واخوته وكان ابتداء امره ان اباه كان من جواسيس الافضل بالعراق فمات ولم يخلف شيئا فتزوجت امه وتركته فقيرا فاتصل بانسان يتعلم البناء بمصر ثم صار يحمل الامتعة بالسوق الكبير فدخل مع الحمالين الى دار الافضل أمير الجيوش مرة بعد أخرى فرآه الافضل خفيفا رشيقا حسن الحركة حلو الكلام فاعجبه فسال عنه فقيل هو ابن فلان فاستخدمه مع الفراشين ثم تقدم عنده وكثرت منزلته وعلت حالته حتى صار وزيرا وكان كريما واسع الصدر قتالا سفاكا للدماء وكان شديد التحرز كثير التطلع الى أحوال الناس من العامة والخاصة من سائر البلاد مصر والشام والعراق وكثرت الغمازون فى أيامه وأما سبب قتله فانه كان قد أرسل الامير جعفرا أخا الآمر ليقتل الآمر ويجعله خليفة وتقررت القاعدة بينهما على ذلك فسمع بذلك أبو الحسن بن أبى أسامة وكان خصيصا بالآمر قريبا منه وناله من الوزير اذى واطراح فحضر عند الآمر واعلمه الحال فقبض عليه وصلبه وهذا جزاء من قابل الاحسان بالاساءة

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة توفى شمس الدولة سالم بن مالك صاحب قلعة جعبر وتعرف قديما بقلعة دوس وفيها قتل القاضى ابو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروى بهمذان قتله الباطنية وكان قد مضى الى خراسان فى رسالة الخليفة الى السلطان سنجر فعاد فقتل وكان ذا مروءة غزيرة وتقدم كثيرا فى الدولة السلجوقية وفى هذه السنة توفى هلال بن عبد الرحمن ابن شريح بن عمر بن احمد وهو من ولد بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنيته ابو سعد طاف البلاد وسمع وقرا القرآن وكان موته بسمرقند

(ثم دخلت سنة عشرين وخمسمائة)

(ذكر حرب الفرنج والمسلمين بالاندلس)

فى هذه السنة عظم شان ابن ردمير الفرنجى بالاندلس واستطال على المسلمين فخرج فى عساكر كثيرة من الفرنج وجاس فى بلاد الاسلام وخاضها حتى وصل الى قريب قرطبة واكثر النهب والسبي والقتل فاجتمع المسلمون فى جيش عظيم زائد الحد فى الكثرة

وقصدوه

الخيول الجيدية بها العلامات التى افندينا ومنها وهى مرسلة لكم هى ان تفرزوا بتعليمها الافندينا وللمشار من الاسطبة والخيول التى عنده قال ان السلاح عندنا من قديم وله مددور بيته تدل على ذلك واما الخيول فمنها اربعة احضرتها هدية لافندينا وجاءت ضعيفة فابقيتها عندى حتى تتقوى واقدمها اليه والحصان الخامس اشتريته لنفسى من رجل عميلنا اتهمه عطوان احد من اهالى كفر حكيم اخبرنى انه اشتراه من ناحية صول ولما رايت فيه علامات الجودة وجاءت الاربعة خيول تركت ركوبه وابقيته معها حتى اقدم الجميع لافندينا وعند ذلك توجه محمد افندى طبيل للباشا وفهمه براءة ذمة المذكور واخبره بما صار وما وجدوه وما قاله المذكور وسعى فى ازالة هذه التهمة عنه وعرفه ان هذا الرجل مستقيم الاحوال وانه من وقت توظيفه معه لم ينظر عليه ما يخالف وصدق عليه الحاضرون فلما ظهر للباشا كذب التهمة وتحقق براءته وانه احضر هذه الخيول هدية له امر باطلاقه من السجن واسترجاع ما نهبته الاعوان من منزله وتخلق عليهم بسبب ذلك ثم امر باحضاره واحضار الخيول المهداة له فقبلها منه ثم ساله عن علامات الجودة وما يحمد فى الخيل وما يذم فيها فاجابه باجوبة مفيدة

وقصدوه فلم يكن له بهم طاقة فتحصن منهم في حصن منيع له اسمه ارنيسول فحصروه وكبسهم ليلا فانهزم المسلمون وكثر القتل فيهم وعادوا الى بلاده

(ذكر قصد بلاد الاسماعيلية بخراسان)

في هذه السنة امر الوزير المختص ابو نصر احمد بن الفضل وزير السلطان سنجر بغزو الباطنية وقتلهم اين كانوا وحيثما ظفر بهم ونهب اموالهم وسبي حريمهم وجهز جيشا الى طريثيث وهي لهم وجيشا الى بيهق من اعمال نيسابور وكان في هذه الاعمال قرية مخصوصة بهم اسمها طرز ومقدمهم بها انسان اسمه الحسين بن سمين وسير الى كل طرف من اعمالهم جمعا من الجند ووصاهم ان يقتلوا من لقوه منهم فقصد كل طائفة الى الجهة التي سيرت اليها فاما القرية التي باعمال بيهق فقصدها العسكر فقتلوا كل من بها وهرب مقدمهم وصعد منارة المسجد والقى نفسه منها فهلك وكذلك العسكر المنفذ الى طريثيث قتلوا من اهلها فاكثروا وغنموا من اموالهم وعادوا

(ذكر ملك الاسماعيلية قلعة بانياس)

في هذه السنة عظم امر الاسماعيلية بالشام وقويت شوكتهم وملكوا بانياس في ذي القعدة منها وسبب ذلك ان بهرام ابن اخت الاسداباذي لما قتل خاله ببغداد كما ذكرناه هرب الى الشام وصار داعي الاسماعيلية فيه وكان يتردد في البلاد ويدعو اوباش الناس وطغامهم الى مذهبه فاستجاب له منهم من لا عقل له فكثر جمعه الا انه يخفي شخصه فلا يعرف واقام بحلب مدة ونفق على ايلغازي صاحبها واراد ايلغازي ان يعتضد به لاتقاء الناس شره وشر اصحابه لانهم كانوا يقتلون كل من خالفهم وقصد من يتمسك بهم واشار ايلغازي على طغتكين صاحب دمشق بان يجعله عنده لهذا السبب فقبل رايه واخذه اليه فاظهر حينئذ شخصه واعلن دعوته فكثر اتباعه من كل من يريد الشر والفساد واعانه الوزير ابو طاهر بن سعد المزدغاني قصدا للاعتضاد به على ما يريد فعظم شره واستفحل امره وصار اتباعه اضعاف ما كانوا فلولا ان عامة دمشق يغلب عليهم مذاهب اهل السنة وانهم يشددون عليه فيما ذهب اليه لملك البلد ثم ان بهرام راى من اهل دمشق فظاظة وغلظة عليه فخاف عاديتهم فطلب من طغتكين حصنا ياوي اليه هو ومن اتبعه فاشار الوزير بتسليم قلعة بانياس اليه فسلمت اليه فلما سار اليها اجتمع اليه اصحابه من كل ناحية فعظم حينئذ خطبه وجلت المحنة بظهوره واشتد الحال على الفقهاء والعلماء واهل الدين لا سيما اهل السنة والستر والسلامة الا انهم لا يقدرون على ان ينطقوا بحرف واحد خوفا من سلطانهم اولا ومن شر الاسماعيلية ثانيا فلم يقدم احد على انكار هذه الحال فانتظروا بهم الدوائر

(ذكر قتل البرسقي وملك ابنه عز الدين مسعود)

في هذه السنة ثامن ذي القعدة قتل قسيم الدولة آقسنقر البرسقي صاحب الموصل بمدينة الموصل قتلته الباطنية يوم جمعة بالجامع وكان يصلي الجمعة مع العامة وكان قد

انقصنها فانعم عليه وضاعف مرتبه واحال عليه نظر مشترى الخيول (وفيه وصلت) الاخبار بان حسن باشا وصالح قوج وعابدين بك وعساكر الارنؤد وصلوا الى ناحية صول والبرنبل فوجدوا المصريين جعلوا متاريس ومدافع على البر لينعوا مرور المراكب فضاربوهم حتى اجلوهم عنها وملكوا المتاريس وقتل رجل من الاجناد وهو الذي كان محافظا على المتاريس يقال له ابراهيم اغا سقط به الجرف الى البحر فاخذوه اليهم ومعه آخر وقتلوهما وقطعوا رؤسهما وارسلوهما صحبة المبشرين الى الباشا فعلقوا الراسين بباب زويلة ولما بلغ الامراء المصريين اخذ المتاريس تاهبوا وساروا من اول الليل وهي ليلة السبت رابع عشره مكمنين وكاتمين امرهم فدهموا الارنؤد من كل ناحية فوقع بينهم مقتلة عظيمة واخذوا منهم عدة بالحياة واخذوا منهم اشياء وكان حسن باشا واخوه عابدين بك صعدا بمراكبهما الى قبلي المتاريس فاحترق من مراكب اخيه مركب والقى من فيها بانفسهم الى البحر فمنهم من نجا ومنهم من غرق واما مراكب حسن باشا فانه ساعدها الريح ايضا فسارت الى ناحية بني سويف ثم ان المصريين عدى منهم طائفة الى شرق اطفيح وانتقل بواديهم راجعين الى ناحية الجيزة قريبا من عرضي الباشا (وفي ليلة الخميس تاسع عشره) عدى الباشا الى

راى تلك الليلة فى منامه ان عدة من الكلاب ثاروا به فقتل بعضها ونال منه الباقى ما آذاه فقص رؤياه على اصحابه فاشاروا عليه بترك الخروج من داره عدة ايام فقال لا اترك الجمعة لشئ ابدا فغلبوا على رايه ومنعوه من قصد الجمعة فعزم على ذلك فاخذ المصحف يقرا فيه فاول ما راى وكان امر الله قدرا مقدورا فركب الى الجامع على عادته وكان يصلى فى الصف الاول فوثب عليه بضعة عشر نفسا عدة الكلاب التى رآها فجرحوه بالسكاكين فجرح هو بيده منهم ثلاثة وقتل رحمه الله وكان مملوكا تركيا خيرا يحب اهل العلم والصالحين ويرى العدل ويفعله وكان من خير الولاة يحافظ على الصلوات فى اوقاتها ويصلى من الليل متهجدا حكى لى والدى رحمه الله عن بعض من كان يخدمه قال كنت فراشا معه فكان يصلى كل ليلة كثيرا وكان يتوضأ هو بنفسه ولا يستعين باحد ولقد رأيته فى بعض ليالى الشتاء بالموصل وقد قام من فراشه وعليه فرجية صغيرة وبر وبيده ابريق فمشى نحو دجلة ليأخذ ماء فمنعنى البرد من القيام ثم انى خفته فقمت بين يديه لآخذ الابريق منه فمنعنى وقال يا مسكين ارجع الى مكانك فانه برد فاجتهدت لآخذ الابريق فلم يعطنى وردنى الى مكانى ثم توضأ وقام يصلى ولما قتل كان ابنه عز الدين مسعود بحلب يحفظها من الفرنج فارسل اليه اصحاب ابيه بالخبر فسار الى الموصل ودخلها اول ذى الحجة وأحسن الى أصحاب ابيه بها واقر وزيره المؤيد ابا غالب بن عبد الخالق بن عبد الرزاق على وزارته وأطاعه الامراء والاجناد وانحدر الى خدمة السلطان محمود فاحسن اليه وأعاده ولم يختلف عليه أحد من أهل بلاد ابيه ووقع البحث عن حال الباطنية والاستقصاء عن اخبارهم فقيل انهم كانوا يجلسون الى اسكاف بدرب ايليا فاحضر ووعده الاحسان ان اقر فلم يقر فهدد بالقتل فقال انهم وردوا من سنين لقتله فلم يتمكنوا منه الى الآن فقطعت يداه ورجلاه وذكره ورجم بالحجارة فمات ومن العجب ان صاحب انطاكية ارسل الى عز الدين بن البرسقى يخبره بقتل والده قبل ان يصل اليه الخبر وكان قد سمعه الفرنج قبله لشدة عنايتهم بمعرفة الاحوال الاسلامية ولما استقر عز الدين فى الولاية قبض على الامير بابكر بن ميكائيل وهو من اكابر الامراء وطلب منه ان يسلم ابن اخيه قلعة اربل الى الامير فضل وابى على ابنى ابى الهيجاء وكان ابن اخيه قد اخذها منه سنة سبع عشرة فراسل ابن اخيه فسلم اربل الى المذكورين

(ذكر الاختلاف الواقع بين المسترشد بالله والسلطان محمود)

كان قد جرى بين يرنقش الزكوى شحنة بغداد وبين نواب الخليفة المسترشد بالله نفرة تهدده الخليفة فيها فخافه على نفسه فسار عن بغداد الى السلطان محمود فى رجب من هذه السنة وشكا اليه وحذره جانب الخليفة واعلمه انه قد قاد العساكر ولقى الحروب وقويت نفسه ومتى لم تعاجله بقصد العراق ودخول بغداد ازداد قوة وجمعا ومنعك عنه وحينئذ يتعذر عليك ما هو الآن بيدك فتوجه السلطان نحو العراق فارسل اليه الخليفة يعرفه ما البلاد واهلها عليه من الضعف والوهن بسبب دبيس وافساد عسكره فيها وان الغلاء

برمصر وطلع الى القلعة فلما كان الليل وصل ٢٧٠ طائفة من المصريين الى المرابطين بخفارة عرضى الباشا واستاطوا بهم وساقوهم اليهم فانزعج العرضى وحصل فيهم ضجة فارسل طوسون باشا الى ابيه فركب ونزل من القلعة فى سادس ساعة من الليل وعدى الى البر الغربى وسمع سامعته ان الباشا عند ما نزل المعدية وسار بها فى البحر سمع واحدا يقول لآخر قدم حتى نقتل المصريين ونبدد شملهم ويكرر ذلك فارسل الباشا مركبا وارسل بعض اتباعه بها لينظروا هذين الشخصين ولاى شئ نزلا البحر فى هذا الوقت فلما ذهبوا الى الجهة التى سمع منها الصوت لم يجدوا أحدا وتفحصوا عنهما فلم يجدوهما فاعتقد من له اعتقاد منهم انهما من الاولياء وان الباشا مساعد باهل الباطن (وفى عشرينه) ظهر التفاشل بين الامراء المصريين وتبين ان الذين كانوا عدوا الى البر الشرقى هم ثلاثة امراء من الالفية وهم نعمان بك وامين بك ويحيى بك وذلك انهم لما تصالحوا مع الباشا واميرهم شاهين بك وهو الرئيس المنظور اليه ومطلق التصرف فى معظم البر الغربى والفيوم يتحكم فيهم وفى طوائف العربان واهالى البلاد والفلاحين بما يريد وكذلك أموال المعدى بناحية الاخصاص وانبابة والجيزى وغير ذلك وهو شئ له قدر كبير وزاد فيهم أيضا اضعاف المعتاد فيأخذ جميع

قداشتد بالناس لعدم الغلات والاقوات لهرب الاكرة عن بلادهم ويطلب منه ان يتاخر هذه الدفعة الى ان ينصلح حال البلاد ثم يعودا ليها فلا مانع له منها ويبذل له على ذلك مالا كثيرا فلما سمع السلطان هذه الرسالة قوى عنده ما قرره الزكوى وابى ان يجيب الى التاخر وصمم العزم وسار اليها مجدا فلما بلغ الخليفة الخبر عبر هو واهله وحرمه ومن عنده من اولاد الخلفاء الى الجانب الغربي في ذى القعدة مظهر الغضب والانتزاح عن بغداد ان قصدها السلطان فلما خرج من داره بكى الناس جميعهم بكاء عظيما لم يشاهد مثله فلما علم السلطان ذلك اشتد عليه وبلغ منه كل مبلغ فارسل يستعطف الخليفة ويساله العود الى داره فاعاد الجواب انه لابد من عودك هذه الدفعة فان الناس هلكى بشدة الغلاء وخراب البلاد وانه لايرى في دينه ان يزداد ما بهم وهو يشاهدهم فان عاد السلطان والارحل هو عن العراق لئلا يشاهد ما يلقى الناس بمجىء العساكر فغضب السلطان لقوله ورحل نحو بغداد واقام الخليفة بالجانب الغربى فلما حضر عيد الاضحى خطب الناس وصلى بهم فبكى الناس لخطبته وارسل عفيفا الخادم وهو من خواصه في عسكر الى واسط ليمنع عنها نواب السلطان فارسل السلطان اليه عماد الدين زنكى بن آقسنقر وكان له حينئذ البصرة وقد فارق البرسقى واتصل بالسلطان فاقطعه البصرة فلما وصل عفيف الى واسط سار اليه عماد الدين فنزل بالجانب الشرقى وكان عفيف بالجانب الغربى فارسل اليه عماد الدين يحذره القتال ويامره بالانتزاح عنها فابى ولم يفعل فعبر اليه عماد الدين واقتتلوا فانهزم عسكر عفيف وقتل منهم مقتلة عظيمة واسر مثلهم وتغافل عن عفيف حتى نجا للمودة كانت بينهما ثم ان الخليفة جمع السفن جميعها اليه وسد ابواب دار الخلافة سوى باب النوبى وامر حاجب الباب ابن الصاحب بالمقام فيه لحفظ الدار ولم يبق من حواشى الخليفة بالجانب الشرقى سواه ووصل السلطان الى بغداد فى العشرين من ذى الحجة ونزل بباب الشماسية ودخل بعض عسكره الى بغداد ونزلوا فى دور الناس فشكا الناس ذلك الى السلطان فامر باخراجهم وبقى فيها من له دار وبقى السلطان يراسل الخليفة بالعود ويطلب الصلح وهو يمتنع وكان يجرى بين العسكرين مناوشة والعامة من الجانب الغربى يسبون السلطان أفحش سب ثم ان جماعة من عسكر السلطان دخلوا دار الخلافة ونهبوا التاج وحجر الخليفة اول المحرم سنة احدى وعشرين وضج اهل بغداد من ذلك فاجتمعوا ونادوا الغزاة فاقبلوا من كل ناحية ولما رآهم الخليفة خرج من السرادق والشمسة على راسه والوزير بين يديه وامر بضرب الكوسات والبوقات ونادى باعلى صوته يا لهاشم وامر بتقديم السفن ونصب الجسر وعبر الناس دفعة واحدة وكان له فى الدار الف رجل مختفين فى السراديب فظهروا وعسكر السلطان مشتغلون بالنهب فاسر منهم جماعة من الامراء ونهب العامة دار وزير السلطان ودور جماعة من الامراء ودار عزيز الدين المستوفى ودار الحكيم اوحد الزمان الطبيب وقتل منهم خلق كثير فى الدروب ثم عبر الخليفة الى الجانب الشرقى ومعه ثلاثون الف مقاتل من اهل بغداد والسواد وامر

ذلك ويختص به وذلك خلاف انعامات الباشا عليه بالمئين من الاكياس ويشترى المماليك والجوارى الحسان ولا يدفع لهم ثمنا فيشكون الى الباشا فيدفعه الى اليسرجية من خزينته وهو منشرح الخاطر واخوانه يتاثرون لذلك وتاخذهم الغيرة ويطمعون فى جانبه وهو يقصر فى حقهم ولا يعطيهم الا النزر مع المن والتضجر وفيهم من هو اقدم منه هجرة ويرى فى نفسه انه احق بالتقدم منه ولما دنت وفاة استاذهم احضر شاهين بك وسلمه خزينته واوصاه بان يعطى لكل أمير من خشداشينه سبعة آلاف مشخص ولم يعطهم وطفق كلما اعطاهم شيئا حسبه عليهم من الوصية حتى اذا اعطى اليلك والبنش لنعمان بك مثلا يعطيه له أنقص من بنش أمين بك نصف ذراع ويقول هو قصير القامة ونحو ذلك فيعقدون ذلك عليه ويتشكون من خسته وتقصيره فى حقهم ويعلم الباشا ذلك فلما نقض شاهين بك عهده وانضم الى الخاسرين وخشداشينه المذكورون معه بالتنافر القلبى واسلهم الباشا سرا ووعدهم ومناهم بانهم اذا حضروا اليه وفارقوا شاهين بك الخائن المقصر فى حقهم أنزلهم منزلة شاهين بك وزيادة واختص بهم اختصاصا كبيرا فمالت نفوسهم لذلك القول واعتقدوا بحسب عقولهم صحته وانهم اذا رجعوا اليه هذه المرة ونبذوا الخاسرين اعتقد صداقتهم وخلوصهم

وزادقدرهم ومنزلتهم عنده وتذكروا عند ذلك ماكانوا فيه مدة اقامتهم بمصر من التنعم والراحة في العفو والتى

بحفر الخنادق فحفرت بالليل وحفظوا بغداد من عسكر السلطان ووقع الغلاء عند العسكر واشتد الامر عليهم وكان القتال كل يوم عليهم عند ابواب البلد وعلى شاطئ دجلة وعزم عسكر الخليفة على ان يكبسوا عسكر السلطان فغدر بهم الامير ابو الهيجاء الكردي صاحب اربل وخرج كانه يريد القتال فالتحق هو وعسكره بالسلطان وكان السلطان قد ارسل الى عماد الدين بواسط يأمره ان يحضر هو بنفسه ومعه المقاتلة في السفن وعلى الدواب في البر فجمع كل سفينة في البصرة الى بغداد وشحنها بالرجال المقاتلة واكثر من السلاح واصعد فلما قارب بغداد امر كل من معه في السفن وفي البر بلبس السلاح واظهار ما عندهم من الجلد والنهضة فسارت السفن في الماء والعسكر في البر على شاطئ دجلة قد انتشروا وملؤا الارض براً وبحراً فرأى الناس منظراً عجيباً كبر في اعينهم وملأ صدورهم وركب السلطان والعسكر الى لقائهم فنظروا الى ما لم يروا مثله وعظم عماد الدين في اعينهم وعزم السلطان على قتال بغداد حينئذ والجد في ذلك في البر والماء فلما رأى الامام المسترشد بالله الامر على هذه الصورة وخروج الامير ابي الهيجاء من عنده اجاب الى الصلح وترددت الرسل بينهما فاصطلحا واعتذر السلطان عما جرى وكان حليماً يسمع سبه باذنه فلا يعاقب عليه وعفا عن اهل بغداد جميعهم وكان اعداء الخليفة يشيرون على السلطان باحراق بغداد فلم يفعل وقال لا تساوي الدنيا فعل مثل هذا واقام ببغداد الى رابع شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين وحمل الخليفة من المال اليه كل ما استقرت القاعدة عليه واهدى له سلاحاً وخيلاً وغير ذلك فمرض السلطان ببغداد فاشار عليه الاطباء بمفارقتها فرحل الى همذان فلما وصلها عوفي

(ذكر مصاف بين طغتكين اتابك والفرنج بالشام)

في هذه السنة اجتمعت الفرنج وملوكها وقمامصتها وكنودها وساروا الى نواحي دمشق فنزلوا بمرج الصفر عند قرية يقال لها شقحب بالقرب من دمشق فعظم الامر على المسلمين واشتد خوفهم وكاتب طغتكين اتابك صاحبها امراء التركمان من ديار بكر وغيرها وجمعهم وكان هو قد سار عن دمشق الى جهة الفرنج واستخلف بها ابنه تاج الملوك بوري فكان بها كلما جاءت طائفة احسن ضيافتهم وسيرهم الى ابيه فلما اجتمعوا سار بهم طغتكين الى الفرنج فالتقوا اواخر ذي الحجة واقتتلوا واشتد القتال فسقط طغتكين عن فرسه فظن اصحابه انه قتل فانهزموا وركب طغتكين فرسه ولحقهم وتبعهم الفرنج وبقي التركمان لم يقدروا ان يلحقوا بالمسلمين في الهزيمة فتخلفوا فلما رأوا فرسان الفرنج قد تبعوا المنهزمين وان معسكرهم وراجلهم ليس له مانع ولا حام حملوا على الرجالة فقتلوهم ولم يسلم منهم الا الشريد ونهبوا معسكر الفرنج وخيامهم واموالهم وجميع ما معهم وفي جملته كنيسة فيها من الذهب والجواهر ما لا يقوم كثرة فنهبوا ذلك جميعه وعادوا الى دمشق سالمين لم يعدم منهم احد ولما رجع الفرنج من اثر المنهزمين وراوا رجالتهم قتلى واموالهم منهوبة تمموا منهزمين لا يلوي الاخ على اخيه

عمروها بالجيزة والبيوت التى اتخذوها بداخل المدينة والزاهية والفرش الوطيئة وتحركت فلمتهم للنساء والسرارى التى انعم عليهم الباشا بها وقالوا انا الغربة وتعب الجسم والخاطر والانزعاج والحروب والالقاء بنفوسنا في المهالك وعدم الراحة في النوم واليقظة فردوا الجواب بالاجابة وعتبوا عليه ايضا ما حاك في نفوسهم بشرط طرح المؤاخذة والعفو الكامل بواسطة من يعتقد صدقه فاجابهم لكل ما سألوه وعتبوه بواسطة مصطفى كاشف المورلى وهو معدود سابقا منهم وانفصل عنهم وانتمى الى الخدا بك وصار من اتباعه فعند ذلك شرعوا في مناكدة اخيهم شاهين بك ومفارقته وعقدوا معه مجلسا وقالوا له قاسمنا في ربع المملكة التى خصونا به في القسمة التى شرطوها فانا شركاؤك فان ابراهيم بك قسم مع جماعته وكذلك عثمان بك وعلى بك ايوب فقال لهم وما هو الذى ملكناه حتى اقاسمكم فيه فقالوا انت تحيف علينا وتختص بالشئ دوننا فانك لما اصطلحنا معك مع الباشا صرفلك في البر الغربي اختصصت بايراده وهو كذا وكذا دوننا ولم تشركنا معك في شئ ولولا ان الباشا كان يراعينا ويواسينا من عنده لمتنا جوعا فنحن لانرافقك ولا

وكان

وكان هذا من الغريب ان طائفتين تتنزهان كل واحدة منهما من صاحبتها

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة حصر الفرنج رفنية من ارض الشام وهى بيد المسلمين وضيقوا عليها فملكوها وفيها توفى ابو الفتح احمد بن محمد بن محمد الغزالى الواعظ وهو اخو الامام ابى حامد محمد وقد ذمه ابو الفرج بن الجوزى باشياء كثيرة منها روايته فى وعظه الاحاديث التى ليست بصحيحة والعجب انه يقدح فيه بهذا وتصانيفه هو ووعظه محشو به مملوء منه نسأل الله ان يعيذنا من الوقيعة فى الناس ثم ياليت شعرى اما كان للغزالى حسنة تذكر مع ماذكر من المساوى التى نسبها اليه لئلا ينسب الى الهوى والغرض

(ثم دخلت سنة احدى وعشرين وخمسمائة)

(ذكر ولاية الشهيد اتابك زنكى شحنكية العراق)

فى هذه السنة فى ربيع الآخر اسند السلطان محمود شحنكية العراق الى عماد الدين زنكى بن آقسنقر وكان سبب ذلك ان عماد الدين لما اصعد من واسط فى التجمل والجمع الذى ذكرناه وقام فى حفظ واسط والبصرة وتلك النواحى القيام الذى عجز غيره عنه عظم فى صدر السلطان وصدور امرائه فلما عزم السلطان على المسير عن بغداد نظر فيمن يصلح ان يلى شحنكية العراق يامن معه من الخليفة فاعتبر امراءه واعيان دولته فلم ير فيهم من يقوم فى هذا الامر مقام عماد الدين فاستشار فى ذلك فكل اشار به وقالوا لا يقدر على رقع هذا الخرق واعادة ناموس هذه الولاية ولا تقوى نفس احد على ركوب هذا الخطر غير عماد الدين زنكى فوافق ما عنده فاسند اليه الولاية وفوضها اليه مضافة الى ماله من الاقطاع وسار عن بغداد وقد اطمان قلبه من جهة العراق فكان الامر كما ظن

(ذكر عود السلطان عن بغداد ووزارة انوشروان بن خالد)

فى هذه السنة فى عاشر ربيع الآخر سار السلطان محمود عن بغداد بعد تقرير القواعد بها ولما عزم على المسير حمل اليه الخليفة الخلع والدواب الكثيرة فقبل ذلك جميعه وسار ولما بعد عن بغداد قبض على وزيره ابى القاسم على بن القاسم الانساباذى فى رجب لانه اتهمه بممالأة المسترشد بالله وقيامه فى امره واتمام الصلح مقاما ظهر اثره فسعى به اعداؤه فلما قبض عليه ارسل السلطان الى بغداد احضر شرف الدين انوشروان بن خالد وكان مقيما بها فلما علم بذلك جاءته الهدايا من كل احد حتى من الخليفة وسار عن بغداد خامس شعبان فوصل الى السلطان وهو باصبهان فخلع عليه خلع الوزارة وبقى فيها نحو عشرة اشهر ثم استعفى منها وعزل نفسه وعاد الى بغداد فى شعبان سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة واما الوزير ابو القاسم فانه بقى مقبوضا الى ان خرج السلطان سنجر الى الرى سنة اثنتين وعشرين فاخرجه من الحبس فى ذى الحجة واعاده الى وزارة

نصبك ولا نحارب معك حتى تظهر لنا ما نقاتل معك عليه وتزايد وامعه فى المكالمة والمعاتبة والمفاقة ثم انفصلوا عنه ونقلوا اخيامهم الى ناحية البحر واعتزلوه وفارقوا مرضى الجميع فلما علم بذلك ابراهيم بك الكبير تنكد خاطره وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اى شئ هذا الفشل وخساقة العقل والتفرق بعد الالتئام والاجتماع وذهب اليهم ليصالحهم ويضمن لهم كل ما طلبوه وما معوا فيه عند تملكهم وقال لهم ان كنتم محتاجين فى هذا الوقت لمصرف انا اعطيكم من عندى عشرين الف ريال اقسموها بينكم وعودوا المضر بكم معنا فامتنعوا من صلحهم مع شاهين بك فرجع ابراهيم بك يريد اخذ شاهين بك اليهم فامتنع من ذهابه اليهم وقال انا لست محتاجا اليهم وان ذهبوا قلدت امراء خلافهم وعندى من يصلح لذلك ويكون مطيعا لى دونهم فان هؤلاء يرون انهم احق منى بالرياسة والجماعة شرعوا فى التعدية وانتقلوا الى البر الشرقى وحال البحر بين الفريقين ووصل اليهم مصطفى كاشف المورلى بمرسوم الباشا واجتمعوا معه عند عبدالله اغا المقيم بناحية بنى سويف وضرب لهم شنكا ومدافع ثم انهم عزموا على الحضور الى مصر فوصلوا

فصل ٣٠ يخ ل عا فى يوم الخميس خامس عشرينه وقابلوا الباشا وخلع عليهم واعطاهم تقادم

السلطان محمود وهي الوزارة الثانية

ذكر وفاة عز الدين بن البرسقي وولاية عماد الدين زنكي الموصل واعمالها

في هذه السنة توفي عز الدين مسعود بن البرسقي وهو صاحب الموصل وكان موته بمدينة الرحبة وسبب مسيره اليها انه لما استقامت اموره في ولايته وراسل السلطان محمودا وخدم له ولاية ما كان ابوه يتولاه من الموصل وغيرها فاجاب السلطان الى ما طلب فرتب الامور وقررها فكثر جنده وكان شجاعا شهما فطمع في التغلب على بلاد الشام فجمع عساكره وسار الى الشام يريد قصد دمشق فابتدأ بالرحبة فوصل اليها ونازلها وقام يحاصرها فاخذه مرض حاد وهو يحاصرها فتسلم القلعة ومات بعد ساعة فندم من بها على تسليمها اليه ولما مات بقي مطروحا على بساط لم يدفن وتفرق عنه عسكره ونهب بعضهم بعضا فشغلوا عنه ثم دفن بعد ذلك وقام بعده اخ له صغير واستولى على البلاد مملوك للبرسقي يعرف بالجاولي ودبر امر الصبي وارسل الى السلطان يطلب ان يقرر البلاد على ولد البرسقي وبذل الاموال الكثيرة على ذلك وكان الرسول في هذا الامر القاضي بهاء الدين ابو الحسن علي بن القاسم الشهرزوري وصلاح الدين محمد امير حاجب البرسقي فحضرا دركاه السلطان ليخاطبا في ذلك وكانا يخافان جاولي ولا يرضيان بطاعته والتصرف بما يحكم به فاجتمع صلاح الدين ونصير الدين جقر الذي صار نائبا عن اتابك عماد الدين بالموصل وكان بينهما مصاهرة فذكر له صلاح الدين ما ورد فيه وافشى اليه سره فخوفه نصير الدين من جاولي وقبح عنده طاعته وقرر في نفسه انه انما ابقاه وامثاله لحاجته اليهم ومتى اجيب الى مطلوبه لا يبقى على احد منهم وتحدث معه في المخاطبة في ولاية عماد الدين زنكي وضمن له الولايات والاقطاع الكثيرة وكذلك للقاضي بهاء الدين الشهرزوري فاجابه الى ذلك واحضره معه عند القاضي بهاء الدين وخاطباه في هذا الامر وضمنا له كل ما اراده فوافقهما على ما طلبا وركب هو وصلاح الدين الى دار الوزير وهو حينئذ شرف الدين انوشروان بن خالد وقالا له قد علمت انت والسلطان ان ديار الجزيرة والشام قد تمكن الفرنج منها وقويت شوكتهم بها فاستولوا على اكثرها وقد اصبحت ولايتهم من حدود ماردين الى عريش مصر ما عدا البلاد الباقية بيد المسلمين وقد كان البرسقي مع شجاعته وتجربته وانقياد العساكر اليه يكف بعض عاديتهم وشرهم فمذ قتل ازداد طمعهم وهذا ولده طفل صغير ولا بد للبلاد من رجل شهم شجاع ذي رأي وتجربة يذب عنها ويحفظها ويحمي حوزتها وقد انهينا الحال لئلا يجري خلل او وهن على الاسلام والمسلمين فيختص اللوم بنا ويقال لم لا انهيتم الينا جلية الحال فرفع الوزير قولهما الى السلطان فاستحسنه وشكرهما عليه واحضرهما واستشارهما فيمن يصلح للولاية فذكرا جماعة منهم عماد الدين زنكي وبذلا عنه تقربا الى خزانة السلطان مالا جليلا فاجاب السلطان الى توليته لما يعلمه من كفايته لما يليه فاحضره وولاه البلاد كلها وكتب منشوره بها وسار قبدأ بالبوازيج ليملكها ويتقوى

ورجعوا الى مصر بهم ناحية الآثار وصحبتهم ستة عشر من كشافهم والجميع يزيدون عن المائتين وانعم عليهم الباشا بما فتى كيس لكل كبير من الاربعة عشرون كيسا ومائة وعشرون كيسا لبقيتهم واشتروا دورا واسعة وشرعوا في تعميرها وزخرفتها على طرف الباشا فاشترى امين بك دار عثمان كتخدا المنفوخ بدرب سعادة من عتقائه ودفع له الباشا ثمنها واعطى لكل امير منهم سبعة آلاف ريال ليصرفها فيما يحتاج اليه في العمارة واللوازم وحولهم بذلك على المعلم غالي ولما تحقق شاهين بك انضمامهم قلدا اربعة من اتباعه امرياتهم واعطاهم بيرقا وخيولا وضم لهم مماليك وطوائف وعمت حيلة الباشا التي احكمها بمكره وعند ذلك اشيع في الاقاليم القبلي والبحري تفرقهم وتفاشلهم ورجع من كان عازما من القبائل والعربان عن الانضمام اليهم وطلبوا الامان من الباشا وحضروا اليه ودخلوا في طاعته وانعم عليهم وكساهم وكانت اهالي البلاد عندما حصلت هذه الحادثة عصت عن دفع الفرض والمغارم وطردوا المعينين وتعطل الحال وخصوصا عندما شاع غلبة المصريين على الارنؤد وتفرقت عنهم العربان الذين كانوا انضموا اليهم وأطاع المخالف والعاصي والممانع وكلها أسباب لبروز المقدور المستور في غيبه سبحانه

بها

وتعالى (وفى أواخره) حضر كثير من عسكر الدلاة من الجهة الشامية وكذلك حضر أتراك من على ظهر البحر كثيرون (واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٠) فى ثالثه يوم الخميس قلد الباشا ديوان أفندى نظر مهمات الحرمين والتأهب لسفر الحجاز لمحاربة الوهابية وسكن ببيت قصبة رضوان كل ذلك مع توجه الهمة والاستعداد لمحاربة الامراء المصريين والمذكورين بناحية قنطرة اللاهون (وأما حسن باشا وصالح قوج وعابدين بك ومن معهم) فانهم صعدوا الى قبلى وملكوا البنادر الى حد جرجا واستقر دبوس اوغلى بمنية ابن خصيب (وفى يوم السبت خامسه) ارتحل الباشا بعساكره من الجيزة وانتقل الى جزيرة الذهب ونودى فى المدينة بخروج العساكر المقيمين بمصر ولا يتخلف منهم احد فزاد تعديهم وخطفهم الحمير والجمال والرجال الفلاحين وغيرهم لتسخيرهم فى خدمتهم وفى المراكب عوضا عن النوتية والملاحين الذين هربوا وتركوا سفائنهم فكانوا يقبضون على كل من يصادفونه ويحبسونهم فى الحواصل ببولاق واتفق انهم حبسوا نحو ستين نفرا فى حاصل مظلم واغلقوه عليهم وتركوهم من غير اكل ولا شرب اياما حتى ماتوا عن اخرهم وانحدر قبطان بولاق واعوانه فى طلب المراكب من بحر النيل فكانوا يقبضون على المراكب الواصلة إلى

بها ويجعلها ظهره لانه خاف من جاولى انه ربما صده عن البلاد فلما دخل البوازيج سار عنها الى الموصل فلما سمع جاولى بقربه من البلاد خرج الى تلقيه ومعه جميع العسكر فلما رآه جاولى نزل عن فرسه وقبل الارض بين يديه وعاد فى خدمته الى الموصل فدخلها فى رمضان واقطع جاولى الرحبة وسيره اليها واقام بالموصل يصلح امورها ويقرر قواعدها فولى نصير الدين دزدارية القلعة بالموصل وجعل اليه سائر دزدارية القلاع وجعل صلاح الدين محمد اميرا حاجبا وبهاء الدين قاضى قضاة بلاده جميعها وزاده املاكا واقطاعا واحتراما وكان لا يصدر الا عن رايه فلما فرغ من امر الموصل سار عنها الى جزيرة ابن عمرو بها مماليك البرسقى فامتنعوا عليه فحصرهم وراسلهم وبذل لهم البذول الكثيرة ان سلموا فلم يجيبوه الى ذلك فجد فى قتالهم وبينه وبين البلد دجلة فامر الناس فالقوا انفسهم فى الماء ليعبروه الى البلد ففعلوا وعبر بعضهم سباحة وبعضهم فى السفن وبعضهم فى الاكلاك وتكاثروا على اهل الجزيرة وكانوا قد خرجوا عن البلد الى ارض بين الجزيرة ودجلة تعرف بالزلاقة ليمنعوا من يريد من عبور دجلة فلما عبر العسكر اليهم قاتلوهم ومانعوهم فتكاثر عسكر عماد الدين عليهم فانهزم اهل البلد ودخلوه وتحصنوا باسواره واستولى عماد الدين على الزلاقة فلما راى من بالبلد ذلك ضعفوا ووهنوا وايقنوا ان البلد يملك سلما او عنوة فارسلوا يطلبون الامان فاجابهم الى ذلك وكان هو ايضا مع عسكره بالزلاقة فسلموا البلد اليه فدخله هو وعسكره ثم ان دجلة زادت تلك الليلة زيادة عظيمة لحقت سور البلد وصارت الزلاقة ماء فلو اقام ذلك اليوم لغرق هو وعسكره ولم ينج منهم احد فلما راى الناس ذلك ايقنوا بسعادته وايقنوا ان امرا هذا ابتداؤه لعظيم ثم سار عن الجزيرة الى نصيبين وكانت لحسام الدين تمرتاش صاحب ماردين فلما نازلها سار حسام الدين الى ابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان بن ارتق وهو صاحب حصن كيفا وغيرها فاستنجده على اتابك زنكى فوعده النجدة بنفسه وجمع عسكره وعاد تمرتاش الى ماردين وارسل رقاعا على اجنحة الطيور الى نصيبين يعرف من بها من العسكر انه وابن عمه سائران فى العسكر الكثير اليهم وازاحة عماد الدين عنهم ويامرهم بحفظ البلد خمسة ايام فبينما اتابك فى خيمته اذ سقط طائر على خيمة تقابله فامر به فصيد فراى فيه رقعة فقراها وعرف ما فيها فامر ان يكتب غيرها يقول فيها انى قصدت ابن عمى ركن الدولة وقد وعدنى النصرة وجمع العساكر وما يتاخر عن الوصول اكثر من عشرين يوما ويامرهم بحفظ البلد هذه المدة الى ان يصلوا وجعلها فى الطائر وارسله فدخل نصيبين فلما وقف من بها على الرقعة سقط فى ايديهم وعلموا انهم لا يقدرون ان يحفظوا البلد هذه المدة فارسلوا الى الشهيد وصالحوه وسلموا البلد اليه فبطل على تمرتاش وداود ما كانا عزما عليه وهذا من غريب ما يسمع فلما ملك نصيبين سار عنها الى سنجار فامتنع من بها عليه ثم صالحوه وسلموا البلد اليه وسير منها الشحن الى الخابور فملكه جميعه ثم سار الى حران وهى للمسلمين وكانت الرها وسروج والبيرة وتلك النواحى جميعها للفرنج واهل حران معهم فى ضر عظيم وضيق شديد لخلو البلاد

من حام يذب عنها وسلطان يمنعها فلما قارب حران خرج اهل البلد واطاعوه وسلموا اليه فلما ملكها ارسل الى جوسلين صاحب الرها وتلك البلاد وراسله وهادنه مدة يسيرة وكان غرضه ان يتفرغ لاصلاح البلاد وجند الاجناد وكان اهم الامور اليه ان يعبر الفرات الى الشام ويملك مدينة حلب وغيرها من البلاد الشامية فاستقر الصلح بينهم وامن الناس ونحن نذكر ملك حلب ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قتل معين الملك ابو نصر احمد بن الفضل وزير السلطان سنجر قتلته الباطنية وكان له في قتالهم آثار حسنة ونية صالحة فرزقه الله الشهادة وفيها ولى السلطان شحنكية بغداد مجاهد الدين بهروز لما سار اتابك زنكي الى الموصل وفيها رتب الحسن بن سلمان في تدريس النظامية ببغداد وفيها اوقع السلطان سنجر بالباطنية في ألموت فقتل منهم خلقا كثيرا قيل كانوا يزيدون على عشرة آلاف نفس وتوفي هذه السنة علي بن المبارك ابو الحسن المقرى المعروف بابن الفاعوس الحنبلي ببغداد في شوال وكان صالحا وفي شوال توفي محمد بن عبد الملك بن ابراهيم بن احمد ابو الحسن بن ابي الفضل الهمذاني الفرضي صاحب التاريخ

(ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة)

(ذكر ملك اتابك عماد الدين زنكي مدينة حلب)

في هذه السنة اول المحرم ملك عماد الدين زنكي بن آقسنقر مدينة حلب وقلعتها ونحن نذكر كيف كان سبب ملكها فنقول قد ذكرنا ملك البرسقي لمدينة حلب وقلعتها سنة ثمان عشرة واستخلافه بها ابنه مسعودا ولما قتل البرسقي سار مسعود عنها الى الموصل وملكها واستناب بحلب اميرا اسمه قومان ثم انه ولى عليها اميرا اسمه قتلغ ابه وسيره بتوقيع الى قومان بتسليمها فقال بيني وبين عز الدين علامة فلم ارها ولا اسلم الا بها وكانت العلامة بينهما صورة غزال وكان مسعود بن البرسقي حسن التصوير فعاد قتلغ ابه الى مسعود وهو يحاصر الرحبة فوجده قد مات فعاد الى حلب مسرعا وعرف الناس موته فسلم الرئيس فضائل بن بديع البلد واطاعه المقدمون به واستنزلوا قومان من القلعة بعد ان صح عنده وفاة صاحبه مسعود واعطوه الف دينار فتسلم قتلغ القلعة في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة احدى وعشرين فظهر منه بعد ايام جور شديد وظلم عظيم ومد يده الى اموال الناس لاسيما التركات فانه اخذها وتقرب اليه الاشرار فنفرت قلوب الناس منه وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق الذي كان قديما صاحبها فاطاعه اهلها وقاموا ليلة الثلاثاء ثاني شوال فقبضوا على كل من كان بالبلد من اصحاب قتلغ ابه وكان اكثرهم يشربون في البلد صبيحة العيد وزحفوا الى القلعة فتحصن قتلغ ابه فيها بمن معه فحصروه ووصل الى حلب حسان صاحب منبج وحسن صاحب بزاعة لاصلاح الامر فلم ينصلح وسمع الفرنج بذلك فتقدم جوسلين بعسكره الى

مصر بالغلال والبضائع والبغاز يلقون شحنها الى الاحجة لهم بها على شطوط النيل ويأتون بالمراكب الى بولاق والجيزة الان يعطوهم براطيل على تركهم الغلة بالمراكب حتى يصلوا بها الى ساحل بولاق فيخرجونها منها ثم يأخذون المركب وهكذا كان دأبهم بطول هذه المدة (وفي عاشره) ارتحل الباشا من جزيرة الذهب يريد محاربة المصريين (وفي منتصفه) ورد الخبر بان حسين بك تابع حسين بك المعروف بالوشاش الالفي أراد الهروب والمجيء الى الباشا فقبض عليه شاهين بك واهانه وسلب نعمته وكتفه واركبه على جمل مغطى الراس وارسله الى الواحات فاحتال وهرب وحضر الى عرضي الباشا فاكرمه وانعم عليه واعطاه خمسين كيسا واستمر عنده (وفي خامس عشرينه) وصلت الاخبار بان الباشا ملك قناطر اللاهون وان المصريين ارتحلوا الى ناحية البهنسا ولم يقع بينهم كبير محاربة وان الباشا استولى على الفيوم وأرسل الباشا هدايا الى من في سرايته ولكتخدا بك من ظرائف الفيوم مثل ماء الورد والعنب والفاكهة وغير ذلك واستولى على ما كان مودعا للمصريين من الغلال بالفيوم (وفي أواخره) وصلت اخبار من ناحية الشام بان طائفة من الوهابية حضروا وابيتوا الى تلك الجهة فتوجه يوسف باشا الى المزيريب وحصن الى

الى المدينة فصونع بمال فعاد عنها ثم وصل بعده صاحب انطاكية فى جمع من الفرنج فخندق الحلبيون حول القلعة فمنع الداخل والخارج اليها من ظاهر البلد واشرف الناس على الخطر العظيم الى منتصف ذى الحجة من السنة وكان عماد الدين قد ملك الموصل والجزيرة فسير الى حلب الامير سنقر دراز والامير حسن قراقوش وهما من اكابر امراء البرسقى وقد صاروا معه فى عسكر قوى ومعه التوقيع من السلطان بالموصل والجزيرة والشام فاستقر الامر ان يسير بدر الدولة بن عبد الجبار وقتلغ ابه الى الموصل الى عماد الدين فسارا اليه وأقام حسن قراقوش بحلب واليا عليها ولاية مستعارة فلما وصل بدر الدولة وقتلغ ابه الى عماد الدين اصلح بينهما ولم يرد واحدا منهما الى حلب وسير حاجبه صلاح الدين محمدا الباغيسيانى اليها فى عسكر فصعد الى القلعة ورتب الامور وجعل فيها واليا وسار عماد الدين زنكى الى الشام فى جيوشه وعساكره فملك فى طريقه مدينة منبج وبزاعة وخرج اهل حلب اليه فالتقوه واستبشروا بقدومه ودخل البلد واستولى عليه ورتب اموره واقطع اعماله الاجناد والامراء فلما فرغ من الذى اراده قبض على قتلغ ابه وسلمه الى ابن بديع فسمله بداره بحلب فمات قتلغ ابه واستوحش ابن بديع فهرب الى قلعة جعبر واستجار بصاحبها فاجاره وجعل عماد الدين فى رياسة حلب ابا الحسن على بن عبد الرزاق ولولا ان الله تعالى من على المسلمين بملك اتابك لبلاد الشام لملكها الفرنج لانهم كانوا يحصرون بعض البلاد الشامية واذا علم ظهير الدين طغتكين بذلك جمع عساكره وقصد بلادهم وحصرها واغار عليها فيضطر الفرنج الى الرحيل لدفعه عن بلادهم فقدر الله تعالى انه توفى هذه السنة فخلا لهم الشام من جميع جهاته من رجل يقوم بنصرة اهله فلطف الله بالمسلمين بولاية عماد الدين ففعل بالفرنج ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر قدوم السلطان سنجر الى الرى)

فى هذه السنة خرج السلطان سنجر من خراسان الى الرى فى جيش كثير وكان سبب ذلك ان دبيس بن صدقة لما وصل اليه هو والملك طغرل على ما ذكرناه لم يزل يطمعه فى العراق ويسهل عليه قصده ويلقى فى نفسه ان المسترشد بالله والسلطان محمودا متفقان على الامتناع منه ولم يزل به حتى اجابه الى المسير الى العراق فلما سار وصل الى الرى وكان السلطان محمود بهمذان فارسل اليه السلطان سنجر يستدعيه اليه لينظر هل هو على طاعته ام قد تغير على ما زعم دبيس فلما جاءه الرسول بادر الى المسير الى عمه فلما وصل اليه أمر العسكر جميعه بلقائه وأجلسه معه على التخت وبالغ فى اكرامه وأقام عنده الى منتصف ذى الحجة ثم عاد السلطان سنجر الى خراسان وسلم دبيسا الى السلطان محمود ووصاه باكرامه واعادته الى بلده ورجع محمود الى همذان ودبيس معه ثم سارا الى العراق فلما قاربا بغداد خرج الوزير الى لقائه وكان قدومه تاسع المحرم سنة ثلاث وعشرين وكان الوزير ابو القاسم الانسابادى قد قبض السلطان محمود عليه فلما اجتمع بالسلطان سنجر امر باطلاقه فاطلقه وقرره سنجر فى وزارة ابنته التى زوجها

قلعتها واستعدا اليهم بجيش وحاربوهم وطاردوهم ثم اضطربت الاخبار واختلفت الاقوال *(واستهل شهر رجب بيوم الخميس سنة ١٢٢٠)* فيه وردت الاخبار بورود قزلار اغا من طرف الدولة وعلى يده أوامر وخلعة وسيف وخنجر لمحمد على باشا وصحبته أيضا مهمات وآلات مراكب ولوازم حروب لسفر البلاد الحجازية ومحاربة الوهابية وهو يسمى عيسى أغا وانه طلع الى ثغر سكندرية (وفى يوم السبت عاشره) الموافق لسادس مسرى القبطى أوفى النيل وحصلت الجمعية وحضر كتخدا بك والقاضى وباقى الاعيان وكسر السد بحضرتهم فى صبحها يوم الاحد وجرى الماء فى الخليج (وفيه) وصل الاغا شبرا وعملوا له هناك شنكا وحراقات وتعليقات قبالة القصر الذى انشاه الباشا بساحل شبرا وخرجوا لملاقاته فى صبحها بعد ثلاث ليال فى يوم الثلاثاء ثالث عشره وعملوا له موكبا عظيما وطلع الى القلعة وضربوا عند طلوعه الى القلعة مدافع وهذا الاغا اسمر اللون حبشى مخصى لطيف الذات متعاظم فى نفسه قليل الكلام وفى حال مروره كان بجانبه شخصان ينثران الذهب والفضة الاسلامبولى على الناس المتفرجين وحضر صحبته وصحبة اتباعه السكة الجديدة التى ضربت باسلامبول من الذهب والفضة وهى دراهم فضة خالصة من الغش زنة

بالسلطان محمود فلما وصل معه الى بغداد اعاده محمود الى وزارته فى الرابع والعشرين من المحرم وهى وزارته الثانية

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة ثامن صفر توفى اتابك طغتكين صاحب دمشق وهو من مماليك الملك تتش ابن ألب أرسلان وكان عاقلا خيرا كثير الغزوات والجهاد للفرنج حسن السيرة فى رعيته مؤثرا للعدل فيهم وكان لقبه ظهير الدين ولما توفى ملك بعده ابنه تاج الملوك بورى وهو اكبر اولاده بوصية من والده له بالملك واقر وزير ابيه ابا على طاهر بن سعد المزدقانى على وزارته وفيها منتصف رجب توفى الوزير جلال الدين أبو على بن صدقة وزير الخليفة وكان حسن السيرة جميل الطريقة متواضعا محبا لاهل العلم مكرما لهم وله شعر حسن فمنه فى مدح المسترشد بالله

وجدت الورى كالماء طعما ورقة ✽ وان أمير المؤمنين زلاله

وصورت معنى العقل شخصا مصورا ✽ وان امير المؤمنين مثاله

ولولا طريق الدين والشرع والتقى ✽ لقلت من الاعظام جل جلاله

واقيم فى النيابة بعده شرف الدين على بن طراد الزينبى ثم جعل وزيرا وخلع عليه آخر شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وعشرين ولم يوزر للخلفاء من بنى العباس هاشمى غيره وفيها هبت ريح شديدة اسودت لها الآفاق وجاءت بتراب احمر يشبه الرمل وظهر فى السماء اعمدة كانها نار فخاف الناس وعدلوا الى الدعاء والاستغفار فانكشف عنهم ما يخافونه

(ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة)

﴿ذكر قدوم السلطان محمود الى بغداد﴾

فى هذه السنة فى المحرم قدم السلطان محمود بغداد بعد عوده من عند عمه السلطان سنجر ومعه دبيس بن صدقة ليصلح حاله مع الخليفة المسترشد بالله فتاخر دبيس عن السلطان ثم دخل بغداد ونزل بدار السلطان واسترضى عنه الخليفة فامتنع الخليفة من الاجابة الى ان تولى دبيس شيئا من البلاد وبذل مائة الف دينار لذلك وعلم اتابك زنكى ان السلطان يريد ان يولى دبيس الموصل فبذل مائة الف دينار وحضر بنفسه الى خدمة السلطان فلم يشعر السلطان به الا وهو عنده بالستر وحمل معه الهدايا الجليلة فاقام عند السلطان ثلاثة ايام وخلع عليه واعاده الى الموصل وخرج السلطان يتصيد فعمل له شيخ المزرفة دعوة عظيمة امتار منها جميع عسكر السلطان وادخله الى حمام فى داره وجعل فيه عوض الماء ماء الورد فاقام السلطان الى رابع جمادى الآخرة وسار عنها الى همذان وجعل بهروز على شحنكية بغداد وسلمت اليه الحلة ايضا

﴿ذكر مافعله دبيس بالعراق وعود السلطان الى بغداد﴾

الدرهم منها درهم وزن كامل ستة عشر قيراطا يصرف بخمسة وعشرين نصفا من الانصاف المعاملة العددية المستعملة فى معاملة الناس الآن وكذلك قطعة مضروبة وزن درهمين بالدرهم الوزنى تصرف بخمسين وكذلك قطعة مضروبة وزنها اربعة دراهم وتصرف بمائة نصف وقطعة وزنها ثمانية دراهم وتصرف بمائتين وكذلك ذهب فندقلى اسلامى يصرف بار بعمائة نصف وأربعين نصفا ونصفه وربعه (وفى يوم الجمعة سادس عشره) حضر الاغا المذكور الى المسجد الحسينى وصلى به الجمعة وخرج وهو يفرق على الفقراء والمتجدين ارباع الفندقلية واعطى خدمة الضريح وخدمة المسجد قروشا اسلامبولى فى صرر أقل ما فى الصرة الواحدة عشرة قروش (وفى يوم السبت سابع عشره) عملوا دوانا بالقلعة واحضروا خلعة وصلت صحبة الاغا المذكور أرسلها صحبة خازنداره والبسوها لابن الباشا وجعلوه باشا ميرميران وابن الباشا المذكور ولد مراهق صغير يسمى اسمعيل وضربوا شنكا ومدافع وأشيع انه وصلت مبشرون من الجهة القبلية بنصرة الباشا على المصريين وأرسلوا بذلك أوراقا للاعيان أخبروا فيها بوقوع الحرب بين الفريقين ليلة السبت أو يوم السبت عاشر رجب (وفى ليلة الثلاثاء عشرينه) ارسلوا تنابيه الى المشايخ بالحضور من الغد لما

لما رحل السلطان الى همذان ماتت زوجته وهي ابنة السلطان سنجر وهي التى كانت تعني باردبيس وتدافع عنه فلما ماتت انحل أمر دبيس ثم ان السلطان مرض مرضا شديدا فاخذ دبيس ابنا له صغيرا وقصد العراق فلما سمع المسترشد بالله بذلك جند الاجناد وحشد وكان بهروز بالحلة فهرب منها فدخلها دبيس فى شهر رمضان فلما سمع السلطان الخبر عن دبيس احضر الاميرين قزلو والاحمديلي وقال انتما ضمنتما دبيسا مني وأريده منكما فسار الاحمديلي الى العراق الى دبيس ليكف شره عن البلاد ويحضره الى السلطان فلما سمع دبيس الخبر ارسل الى الخليفة يستعطفه ويقول ان رضيت عني فانا أرد أضعاف ما اخذت وأكون العبد المملوك فترددت الرسل ودبيس يجمع الاموال والرجال فاجتمع معه عشرة آلاف فارس وكان قد وصل فى ثلثمائة فارس ووصل الاحمديلي بغداد فى شوال وسار فى اثر دبيس ثم ان السلطان سار الى العراق فلما سمع دبيس بذلك أرسل اليه هدايا جليلة المقدار وبذل ثلثمائة حصان منعلة بالذهب ومائتي ألف دينار ليرضى عنه السلطان والخليفة فلم يجبه الى ذلك ووصل السلطان الى بغداد فى ذى القعدة فلقيه الوزير الزينبي وأرباب المناصب فلما تيقن دبيس وصوله رحل الى البرية وقصد البصرة وأخذ منها أموالا كثيرة وما للخليفة والسلطان هناك من الدخل فسير السلطان اثره عشرة آلاف فارس ففارق البصرة ودخل البرية

(ذكر قتل الاسماعيلية بدمشق)

قد ذكرنا فيما تقدم قتل ابراهيم الاسداباذي ببغداد وهرب ابن اخته بهرام الى الشام وملكه قلعة بانياس ومسيره اليها ولما فارق دمشق اقام له بها خليفة يدعوا الناس الى مذهبه فكثروا وانتشروا وملك هو عدة حصون من الجبال منها القدموس وغيره وكان بوادى التيم من اعمال بعلبك أصحاب مذاهب مختلفة من النصيرية والدرزية والمجوس وغيرهم وأميرهم اسمه الضحاك فسار اليهم بهرام سنة اثنتين وعشرين وحصرهم وقاتلهم فخرج اليه الضحاك فى ألف رجل وكبس عسكر بهرام فوضع السيف فيهم وقتل منهم مقتلة كثيرة وقتل بهرام وانهزم من سلم وعادوا الى بانياس على أقبح صورة وكان بهرام قد استخلف فى بانياس رجلا من أعيان أصحابه اسمه اسمعيل فقام مقامه وجمع شمل من عاد اليه منهم وبث دعاته فى البلاد وعاضده المزدقانى أيضا وقوى نفسه على ما عنده من الامتعاض بهذه الحادثة والهم بها ثم ان المزدقانى أقام بدمشق عوض بهرام انسانا اسمه أبو الوفا فقوى أمره وعلا شأنه وكثر أتباعه وقام بدمشق فصار المستولى على من بها من المسلمين وحكمه أكثر من حكم صاحبها تاج الملوك ثم ان المزدقانى راسل الفرنج ليسلم اليهم مدينة دمشق ويسلموا اليه مدينة صور واستقر الامر بينهم على ذلك وتقرر بينهم الميعاد يوم جمعة ذكروه وقرر المزدقانى مع الاسماعيلية أن يحتاطوا ذلك اليوم بابواب الجامع فلا يمكنوا أحدا يخرج منه ليجىء الفرنج ويملكوا

لانفارعدوها ويكون حضورهم بالمشهد الحسيني فبات الناس في ارتياب وظنون وتخامين فلما اصبح اليوم حضر شيخ السادات وهو الناظر على اوقاف المشهد الى قبة المدفن وحضر الشيخ البكرى واغلقوا باب القبة ومنعوا الناس من العبور بالمسجد متشوفين لثمرة هذا الاجتماع وكل من حضر من الاشياخ المشاهير استاذنوا له وادخلوه الى القبة وحضر الشيخ الامير والشيخ المهدى وتاخر حضور الشيخ الشرقاوى لكونه كان يبيت فى بولاق ثم حضر الاغا المذكور ودخل الى القبة وصحبته ظرف من خشب ففتحه واخرج منه لوحا طوله ازيد من ذراعين فى عرض ذراع ونصف مكتوب فيه البسملة بخط الثلث مموه بالذهب وهى بخط يد السلطان محمود وتحتها طرة العلامة السلطانية فعلقوه على مقصورة المقام وقرؤا الفاتحة ودعا السيد محمد المنزلاوى خطيب المسجد بدعوات للسلطان ولما فرغ دعا أيضا السيد بدر الدين المقدسى ثم خلع على المشايخ خلعا وفرق ذهبا ثم خرج الجميع وركبوا الى دورهم فكان هذا الجمع جمع مضف لاغير (وفى يوم الجمعة) ركب الاغا المذكور وذهب الى ضريح السادات الوفائية بالقرافة بصحبة الشيخ المتولى خلافتهم فزار مقابرهم وعلق هناك لوحا ايضا وفرق دراهم وخلع على الشيخ المذكور خلعة (ومن

البلاد فبلغ الخبر تاج الملوك صاحب دمشق فاستدعى المزدقاني اليه فحضر وخلا معه فقتله تاج الملوك وعلق راسه على باب القلعة ونادى في البلد بقتل الباطنية فقتل منهم ستة آلاف نفس وكان ذلك منتصف رمضان من السنة وكفى الله المسلمين شرهم ورد على الكافرين كيدهم ولما تمت هذه الحادثة بدمشق على الاسماعيلية خاف اسمعيل والى بانياس ان يثور به وبمن معه الناس فيهلكوا فراسل الفرنج وبذل لهم تسليم بانياس اليهم والانتقال الى بلادهم فاجابوه فسلم القلعة اليهم وانتقل هو ومن معه من اصحابه الى بلادهم ولقوا شدة وذلة وهوانا وتوفى اسمعيل اوائل سنة اربع وعشرين وكفى الله المؤمنين شرهم

(ذكر حصر الفرنج دمشق وانهزامهم)

لما بلغ الفرنج قتل المزدقاني والاسماعيلية بدمشق عظم عليهم ذلك وتاسفوا على دمشق حيث لم يتم لهم ملكها وعمتهم المصيبة فاجتمعوا كلهم صاحب القدس وصاحب انطاكية وصاحب طرابلس وغيرهم من الفرنج وقمامصتهم ومن وصل اليهم في البحر للتجارة والزيارة فاجتمعوا في خلق عظيم نحو الفي فارس واما الراجل فلا يحصى وساروا الى دمشق ليحصروها ولما سمع تاج الملوك بذلك جمع العرب والتركمان فاجتمع معه ثمانية آلاف فارس ووصل الفرنج في ذي الحجة فنازلوا البلد وارسلوا الى اعمال دمشق لجمع الميرة والاغارة على البلاد فلما سمع تاج الملوك ان جمعا كثيرا قد ساروا الى حوران لنهبه واحضار الميرة سير اميرا من امرائه يعرف بشمس الخواص في جمع من المسلمين اليهم وكان خروجهم في ليلة شاتية كثيرة المطر ولقوا الفرنج من الغد فواقعوهم واقتتلوا وصبر بعضهم لبعض فظفر بهم المسلمون وقتلوهم فلم يفلت منهم غير مقدمهم ومعه اربعون رجلا واخذوا ما معهم وهي عشرة آلاف دابة موقرة وثلثمائة اسير وعادوا الى دمشق لم يمسهم قرح فلما علم من عليها من الفرنج ذلك القى الله في قلوبهم الرعب فرحلوا عنها شبه المنهزمين واحرقوا ما تعذر عليهم حمله من سلاح وميرة وغير ذلك وتبعهم المسلمون والمطر شديد والبرد عظيم يقتلون كل من تخلف منهم فكثر القتلى منهم وكان نزولهم ورحيلهم في ذي الحجة من هذه السنة

(ذكر ملك عماد الدين زنكى مدينة حماة)

في هذه السنة ملك عماد الدين زنكى بن آقسنقر صاحب الموصل مدينة حماة وسبب ذلك انه عبر الفرات الى الشام واظهر انه يريد جهاد الفرنج وارسل الى تاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق يستنجده ويطلب منه المعونة على جهادهم فاجاب الى المراد وارسل من اخذ له العهود والمواثيق فلما وصلت الوثيقة جرد عسكرا من دمشق مع جماعة من الامراء وارسل الى ابنه سونج وهو بمدينة حماة يامره بالنزول الى العسكر والمسير معهم الى زنكى ففعل ذلك فساروا جميعهم فوصلوا اليه فاكرمهم واحسن لقاءهم وتركهم اياما ثم انه غدر بهم فقبض على سونج ولد تاج الملوك وعلى جماعة الامراء

الحوادث) البدعية من هذا القبيل ان عثمان اغا المتولى اغات مستحفظان سولت له نفسه عمارة مشهد الراس وهو راس زيد بن على زين العابدين ابن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم ويعرف هذا المشهد عند العامة بزين العابدين وبذلك اشتهر ويقصدونه بالزيارة صبح يوم الاحد فلما كانت الحوادث ومجيء الفرنسيس اهملوا ذلك وتخرب المشهد واهيلت عليه الاتربة فاجتهد عثمان اغا المذكور في تعميره ذلك فعمره وزخرفه وبيضه وعمل به سترا وتاجا ليوضعا على المقام وارسل فنادى على اهل الطرق الشيطانية المعروفين بالاشاير وهم السوقة وارباب الحرف المرذولة الذين ينسبون انفسهم لارباب الضرائح المشهورين كالاحمدية والرفاعية والقادرية والبرهامية ونحو ذلك واكد في حضورهم قبل الجمع بايام ثم انهم اجتمعوا في يوم الاحد خامس عشرينه بانواع من الطبول والزمامير والبيارق والاعلام والشراميط والخرق الملونة والمصبغة ولهم انواع من الصياح والنباح والجلبة والصراخ الهائل حتى ملؤا النواحى والاسواق وانتظموا وساروا وهم يصيحون ويترددون ويتجاوبون بالصلوات والآيات التى يحرفونها وانواع التوسلات ومناداة اشياخهم ايضا المنتسبين اليهم باسمائهم كقولهم برفع الصوت وضرب الطبلات المقدمين

المقدمين ونهب خيامهم وما فيها من الكراع واعتقلهم بحاجب وهرب من سواهم وسار من يومه الى حماة فوصل اليها وهى خالية من الجند الحماة الذابين فملكها واستولى عليها ورحل عنها الى حمص وكان صاحبها قرجان بن قراجه معه فى عسكره وهو الذى أشار عليه بالغدر بولد تاج الملوك فقبض عليه ونزل على حمص وحصرها وطالب من قرجان صاحبها ان يأمر نوابه وولده الذين فيها بتسليمها فأرسل اليهم بالتسليم فلم يقبلوا منه ولا التفتوا الى قوله فأقام عليها محاصرا لها ومقاتلا لأن فيها جماعة طويلة فلم يقدر على ملكها فرحل عنها عائدا الى الموصل واستصحب معه سونج بن تاج الملوك ومن معه من الامراء الدمشقيين وترددت الرسل فى اطلاقهم بينه وبين تاج الملوك واستقر الامر على خمسين ألف دينار فأجاب تاج الملوك الى ذلك ولم ينتظم بينهم أمر

❁(ذكر عدة حوادث)❁

فى هذه السنة ملك بعد صاحب انطاكية حصن القدموس من المسلمين وفى هذه السنة أيضا وثب الاسماعيلية على عبد اللطيف بن الخجندى رئيس الشافعية باصبهان فقتلوه وكان ذا رياسة عظيمة وتحكم كثير وفى هذه السنة توفى الامام ابو القاسم اسعد بن ابى نصر الميهنى الفقيه الشافعى مدرس النظامية ببغداد وله طريقة مشهورة فى الخلاف وتفقه على أبى المظفر السمعانى وكان له قبول عظيم عند الخليفة والسلطان وسائر الناس وفيها توفى حمزة بن هبة الله بن محمد بن الحسن الشريف العلوى الحسنى النيسابورى سمع الحديث الكثير ورواه ومولده سنة تسع وعشرين وأربعمائة وجمع مع شرف النسب شرف النفس والتقوى وكان زيدى المذهب

(ثم دخلت سنة أربع وعشرين وخمسمائة)

❁(ذكر ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند من محمد خان وملك محمود بن محمد خان المذكور)❁

فى هذه السنة فى ربيع الاول ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند وسبب ذلك انه كان قد رتب فيها لما ملكها أولا ارسلان خان محمد بن سليمان بن بغراخان داود وقد أصابه فالج فاستناب ابناله يعرف بنصر خان وكان شهما شجاعا وكان بسمرقند انسان علوى فقيه مدرس اليه الحل والعقد والحكم فى البلد فاتفق هو ورئيس البلد على قتل نصر خان فقتلاه ليلا وكان أبوه محمد خان غائبا فعظم عليه واشتد وكان له ابن آخر غائب فى بلاد تركستان فأرسل اليه واستدعاه فلما قارب سمرقند خرج العلوى ورئيس البلد الى استقباله فقتل العلوى فى الحال وقبض على الرئيس وكان والده ارسلان خان قد ارسل الى السلطان سنجر رسولا يستدعيه ظنا منه ان ابنه لا يتم امره مع العلوى والرئيس فتجهز سنجر وسار يريد سمرقند فلما ظفر ابن ارسلان خان بهما ندم على استدعاء السلطان سنجر فأرسل اليه يعرفه انه قد ظفر بالعلوى والرئيس وانه وابنه على الطاعة وساله العود الى خراسان فغضب سنجر من ذلك واقام اياما فبينما هو فى الصيد

راكب معهم والستر المصنوع مركب على أعواد وعليه العمامة مرفوعة وتوسط الستر على خشب ومتعلقين حوله بالصياح والمقارع يمنعون ايدى الناس الذين يمدون أيديهم للتمسح والتبرك من الرجال والنساء والصبيان المتفرجين ويرمون الخرق والطرح حتى انهم يرخونها من الطيقان بالحبال لتصل الى ذلك التمثال لينالوا جزأ من بركته ولم يزالوا سائرين به على هذا النمط والحالة تزداد كثرة حتى وصلوا الى ذلك المشهد خارج البلدة بالقرب من كوم الجارح حيث الجراة وصنع فى ذلك اليوم والليلة اطعمة واعطة للمعتمعين وباتوا على ذلك الى ثانى يوم (وفيه) بعث عيسى اغا الواصل نجيب افندى الى الباشا يخبره بحضوره و بالغرض الذى حضر من اجله و يستدعيه للمجى (وفى يوم الجمعة) غايته وردت اخبار بوقوع حرابة بين الباشا والمصريين وقتل بين الفريقين مقتلة عظيمة عند جمة والبدرمان وكانت الغلبة للباشا على المصريين واخذوا منهم اسرى وحضر الى الباشا جماعة من الامراء الالفية بامان وهرب الباقون

وصعدوا الى قبلى فعملوا الذلك اليوم شنكا ومدافع ثلاثة ايام كل يوم ثلاث مرات

اذ راى اثنى عشر رجلا فى السلاح التام فقبض عليهم وعاقبهم فاقروا ان محمدخان ارسلهم ليقتلوه فقتلهم ثم سار الى سمرقند فملكها عنوة ونهب بعضها ومنع من الباقى وتحصن منه محمدخان ببعض تلك الحصون فاستنزله السلطان سنجر بامان بعد مدة فلما نزل اليه اكرمه وارسله الى ابنته زوجة السلطان سنجر فبقى عندها الى ان توفى واقام سنجر بسمرقند مدة حتى اخذ المال والسلاح والخزائن وسلم البلد الى الامير حسن تكين وعاد الى خراسان فلم يلبث حسن تكين أن مات فملك سنجر بعده عليها محمود بن محمد خان بن سليمان بن داود المقدم ذكره وقيل ان السبب غير ما ذكرناه وسرد ذكره سنة ست وثلاثين للحاجة الى ذكره هناك

ﻫ(ذكر فتح عماد الدين زنكي حصن الاثارب وهزيمة الفرنج)ﻫ

لما فرغ عماد الدين زنكي من أمر البلاد الشامية حلب واعمالها وما ملكه وقرر قواعده عاد الى الموصل وديار الجزيرة ليستريح عسكره ثم امرهم بالتجهز للغزاة فتجهزوا واعدوا واستعدوا وعاد الى الشام وقصد حلب فقوى عزمه على قصد حصن الاثارب ومحاصرته لشدة ضرره على المسلمين وهذا الحصن بينه وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ بينها وبين انطاكية وكان من به من الفرنج يقسمون حلب على جميع اعمالها الغربية حتى على رحا اهل حلب بظاهر باب الجنان بينها وبين البلد عرض الطريق وكان اهل البلد معهم فى ضر شديد وضيق كل يوم قد اغاروا عليهم ونهبوا اموالهم فلما راى الشهيد هذه الحال صمم العزم على حصر هذا الحصن فسار اليه ونازله فلما علم الفرنج بذلك جمعوا فارسهم وراجلهم وعلموا أن هذه وقعة لها ما بعدها فحشدوا وجمعوا ولم يتركوا من طاقتهم شيئا الا واستنفدوه فلما فرغوا من أمرهم ساروا نحوه فاستشار اصحابه فيما يفعل وكل اشار بالعود عن الحصن فان لقاء الفرنج فى بلادهم خطر لا يدرى على اى شئ تكون العاقبة فقال لهم ان الفرنج متى راونا قد عدنا من ايديهم طمعوا وساروا فى اثرنا وخربوا بلادنا ولابد من لقائهم على كل حال ثم ترك الحصن وتقدم اليهم فالتقوا واصطفوا للقتال وصبر كل فريق لخصمه واشتد الامر بينهم ثم ان الله تعالى انزل نصره على المسلمين فظفروا وانهزم الفرنج اقبح هزيمة ووقع كثير من فرسانهم فى الاسر وقتل منهم خلق كثير وتقدم عماد الدين الى عسكره بالانجاز وقال هذا اول مصاف عملناه معهم فلنذقهم من باسنا ما يبقى رعبه فى قلوبهم ففعلوا ما أمرهم ولقد اجتزت بتلك الارض سنة اربع وثمانين وخمسمائة ليلا فقيل لى ان كثيرا من العظام باق الى ذلك الوقت فلما فرغ المسلمون من ظفرهم عادوا الى الحصن فتسلموه عنوة وقتلوا واسروا كل من فيه واخربه عماد الدين وجعله دكا وبقى الى الآن خرابا ثم سار منه الى قلعة حارم وهى بالقرب من انطاكية فحصرها وهى ايضا للفرنج فبذل له اهلها نصف دخل بلد حارم وهادنوه فاجابهم الى ذلك وعاد عنهم وقد استدار المسلمون بتلك الاعمال وضعفت قوى الكافرين وعلموا ان البلاد قد جاءها ما لم يكن لهم فى حساب وصار قصاراهم حفظ ما بايديهم بعد ان كانوا قد طمعوا فى ملك الجميع

ﻫ(ذكر

ﻫ(واستهل شهر شعبان بيوم السبت سنة ١٢٢٠)ﻫ فيه حضر الباشا وقت الغروب الى [illegible] ليلون وطلع من البحر من [illegible]طرا والمعيصرة وركب من هناك خيولا من خيول العرب وطلع الى القلعة على حين غفلة وضربوا فى ذلك الوقت مدافع اعلاما بحضوره (وفى ثانى ليلة) صعد اليه عيسى اغا المذكور عند الغروب وقابله وسلم عليه (وفى يوم الاثنين ثالثه) عمل الباشا ديوانا وركب ذلك الاغا من بيت عثمان اغا الوكيل الكائن بدرب الجماميز فى موكب وطلع الى القلعة وقرأ المرسوم الذى وصل صحبته بالمعنى السابق وهو الامر بالخروج الى الحجاز والبس الباشا الخلعة والسيف بحضرة الجمع وضربوا مدافع كثيرة عقب ذلك (وفيه) وردت الاخبار بمجىء يوسف باشا والى الشام الى ثغر دمياط وكان من خبر وروده على هذه الصورة انه لما ظهر أمره واتته ولاية الشام فاقام العدل وابطل المظالم واستقامت أحواله وشاع أمر عدله النسبى فى البلدان فثقل امره على غيره من الولاة واهل الدولة لمخالفته طرائقهم فقصدوا عزله وقتله فارسلوا له ولوالى مصر اوامر بالخروج الى الحجاز فحصل التوانى وفى اثناء ذلك حضر فرقة من العربان الوهابيين وخرج اليهم يوسف باشا المذكور وحصن المزيريب كما تقدم ورجع الى الشام وتفرقت الجموع ثم وصل

(ذكر ملك عماد الدين زنكي أيضا مدينة سرجي ودارا)

لما فرغ من امر الاتارب وتلك النواحي عاد الى ديار الجزيرة وكان قد بلغه عن حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي صاحب ماردين وابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان صاحب حصن كيفا قوارص فعاد اليهم وحصر مدينة سرجي وهي بين ماردين ونصيبين فاجتمع حسام الدين وركن الدولة وصاحب آمد وغيرهم وجمعوا خلقا كثيرا من التركمان بلغت عدتهم عشرين الفا وساروا اليه فتصافوا بتلك النواحي فهزمهم عماد الدين وملك سرجي فحكى لي والدي قال لما انهزم ركن الدولة داود قصد بلد جزيرة ابن عمر ونهبه فبلغ الخبر عماد الدين فسار نحو الجزيرة واراد دخول بلد داود ثم عاد عنه لضيق مسالكه وخشونة الجبال التي في الطريق وسار الى دارا فملكها وهي من القلاع في تلك الاعمال

(ذكر وفاة الآمر وخلافة الحافظ العلوي)

في هذه السنة ثاني ذي القعدة قتل الآمر باحكام الله ابو علي بن المستعلي العلوي صاحب مصر خرج الى متنزه له فلما عاد وثب عليه الباطنية فقتلوه لانه كان سيئ السيرة في رعيته وكانت ولايته تسعا وعشرين سنة وخمسة اشهر وعمره اربعا وثلاثين سنة وهو العاشر من ولد المهدي عبيد الله الذي ظهر بسجلماسة وبنى المهدية بافريقية وهو ايضا العاشر من الخلفاء العلويين من أولاد المهدي أيضا ولما قتل لم يكن له ولد بعده فولي بعده ابن عمه الميمون عبد المجيد ابن الامير ابي القاسم بن المستنصر بالله ولم يبايع بالخلافة وانما بويع له لينظر في الامر نيابة حتى يكشف عن حمل ان كان للآمر فتكون الخلافة فيه ويكون هو نائبا عنه ومولد الحافظ بعسقلان لان اباه خرج من مصر اليها في الشدة فاقام بها فولد ابنه عبد المجيد هناك ولما ولي استوزر ابا علي احمد بن الافضل بن بدر الجمالي واستبد بالامر وتغلب على الحافظ وحجر عليه واودعه في خزانة ولا يدخل اليه الا من يريده أبو علي وبقي الحافظ له اسم لا معنى تحته ونقل ابو علي كل ما في القصر الى داره من الاموال وغيرها ولم يزل الامر كذلك الى أن قتل ابو علي سنة ست وعشرين فاستقامت امور الحافظ وحكم في دولته وتمكن من ولايته وبلاده

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفيت الخاتون ابنة السلطان سنجر وهي زوجة السلطان محمود وفيها قتل بغدوين الفرنجي صاحب انطاكية وفيها توفي نصير الدين محمود بن مؤيد الملك بن نظام الملك في شعبان ببغداد ووقع الحريق في داره بعد وفاته وفي حظائر الحطب والسوق التتشي فذهب من الناس أموال كثيرة وفيها وزر الرئيس أبو الذواد المفرج بن الحسن ابن الصوفي لصاحب دمشق تاج الملوك وفيها كان الرصد بالدار السلطانية شرقي بغداد تولاه البديع الاصطرلابي ولم يتم وفيها ظهر ببغداد عقارب طيارة ذوات شوكتين فنال الناس منها خوف شديد واذى عظيم وفيها في ذي الحجة خرج الملك

عيسى أغا هذا وعلى يده مراسيم بولاية سليمان باشا على الشام وعزل يوسف باشا واشاعوا ذلك وخروج سليمان باشا تابع الجزار من عكا في جمع وخروج يوسف باشا بجموعه ايضا فتحاربا فانهزم يوسف باشا ونزل بالمزة واستعجل الرجوع الى الشام فقامت عليه عساكره ونهبوا متاعه وخرج سليمان باشا تابع الجزار من عكا وتفرق عنه جماعته الا القليل وترك ثقله وامواله ونزل في مركب ومعه نحو الثلاثين نفرا وحضر الى مصر ملتجئا لواليها محمد علي باشا لان بينهما صداقة ومراسلات فلما وصلت الاخبار بوصوله ارسل الى ملاقاته طاهر باشا وحضر صحبته الى مصر وانزله بمنزل مطل على بركة الازبكية وعين له ما يكفيه وارسل اليه هدايا وخيولا وما يحتاج اليه (وفي هذه) الايام انحل سد ترعة الفرعونية وانفتح منه شرم واندفع فيه الماء فضج الناس وتعين لسده هاديوان افندي واحضروا مراكب واحجارا واخشابا وغاب يومين ثم رجع واتسع الخرق واستمر عمر بك تابع الاشقر مقيما عليها لخفارتها وليمنع مرور المراكب ويقوي ردمها لئلا تقهرها المياه فيزداد اتساع الخرق (وفي هذه الايام) توقفت زيادة النيل فكان يزيد من بعد الوفاء قليلا ثم ينقص قليلا ثم يرجع النقص وهكذا فاشار البعض بالاجتماع بالاستسقاء بالازهر فتجمع القليل ثم تفرقوا

مسعود بن محمد من خراسان وكان عند عمه السلطان سنجر ووصل الى ساوه ووقع الارجاف ان عزمه على مخالفة اخيه السلطان محمود قوى وان عمه سنجر امره بذلك فاستشعر السلطان محمود وسار عن بغداد الى همذان فلما وصل الى كرمانشاهان وصل اليه اخوه الملك مسعود وخدمه ولم يظهر للارجاف اثر فاقطعه السلطان مدينة كنجة واعمالها وسيره اليها وفيها كانت زلزلة عظيمة فى ربيع الاول بالعراق وبلاد الجبل والموصل والجزيرة فخربت كثيرا وفيها ملك السلطان محمود قلعة الموت وفيها توفى ابراهيم بن عثمان بن محمد ابو اسحق الغزى من اهل غزة مدينة بفلسطين من الشام ومولده سنة احدى واربعين واربعمائة وهو من الشعراء المجيدين فن قوله من قصيدة يصف فيها الاتراك

فى فتية من جيوش الترك ماتركت * للرعد كراتهم صوتا ولا صيتا
قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة * حسنا وان قوتلوا كانوا عفاريتا

وله فى الزهد

انما هذه الحياة متاع * والسفيه الغوى من يصطفيها
ما مضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التى انت فيها

وفيها توفى الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن احمد بن محمد الدباس ابو عبد الله النحوى الشاعر المعروف بالبارع اخو ابى الكرم بن فاخر النحوى لامه ولد سنة ثلاث واربعين واربعمائة وله شعر مليح فنه قوله

ردى على الكرى ثم اهجرى سكنى * فقد قنعت بطيف منك فى الوسن
لا تحسبى النوم قد اوحشت اطلبه * الا رجاء خيال منك يؤنسنى
تركتنى والهوى فردا اغالبه * ونام ليلك عن همم يؤرقنى

وهى طويلة وفيها توفى هبة الله بن القاسم بن محمد بن عطاء بن محمد ابو سعد المهروانى النيسابورى ومولده سنة احدى وثلاثين واربعمائة وكان محدثا حافظا صالحا

(ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة)

(ذكر اسر دبيس بن صدقة وتسليمه الى عماد الدين زنكى)

فى هذه السنة فى شعبان اسر تاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق الامير دبيس ابن صدقة صاحب الحلة وسلمه الى اتابك الشهيد زنكى بن آقسنقر وسبب ذلك انه لما فارق البصرة على ما ذكرناه جاءه قاصد من الشام من صرخد يستدعيه اليها لان صاحبها كان خصيا فتوفى هذه السنة وخلف جارية سرية له فاستولت على القلعة وما فيها وعلمت انها لا يتم لها ذلك الا بان تتصل برجل له قوة ونجدة فوصف لها دبيس بن صدقة وكثرة عشيرته وذكر لها حاله وما هو عليه بالعراق فارسلت تدعوه الى صرخد لتتزوج به وتسلم القلعة وما فيها من مال وغيره اليه فاخذ الادلاء معه وسار من ارض العراق الى الشام فضل به الادلاء بنواحى دمشق فنزل بناس من كلب كانوا شرقى

وذلك يوم الثلاثاء رابعه وخرج النصارى الاقباط يستسقون ايضا واجتمعوا بالروضة ومعهم القسافة والرهبان وهم راكبون الخيول والرهوانات والبغال والحمير فى تجمل زائد وصحبتهم طائفة من اتباع الباشا بالعصى المفضضة وعملوا فى ذلك اليوم سيانة وحانات وقهوات واسمطة وسكردانات عند جيز العبد ويقولون ان النيل لما توقفت زيادته فى العام الذى قبل العام الماضى وخرج الناس يستسقون بجامع عمرو وخرج النصارى فى ثانى يوم فزاد النيل تلك الليلة وذلك لا اصل له على انه لا استغراب للزيادة فى اوانها وهذه الايام ايضا اواخر مسرى وايام النسئ وفيها قوة الزيادة وايام النوروز (وفى يوم السبت) خرج المشايخ والناس الى جامع عمرو بمصر القديمة وارسلوا تلك الليلة فجمعوا الاطفال من مصر وبولاق فحضر الكثير وخطبوا وصلوا واضربالمجتمعين الجوع فى ذلك اليوم ولم يجدوا ما يا كلونه (وفى ثانى يوم) نقص النيل واستمر ينقص فى كل يوم (وفى يوم الخميس) ثالث عشره حضرت العساكر والتجريدة الى نواحى الآثار والبساتين ودخلوا فى صبحة يوم الجمعة رابع عشره بطموشهم وحملاتهم حتى ضاقت بهم الارض وحضر صحبتهم الكثير من الاجناد المصرية مسرى ومستامنين (وفيه) حضر يوسف باشا المنفصل عن الغوطه

الغوطة فاخذوه وحملوه الى تاج الملوك صاحب دمشق فحبسه عنده وسمع اتابك عماد الدين زنكي الخبر وكان دبيس يقع فيه وينال منه فارسل الى تاج الملوك يطلب منه دبيسا ليسلمه اليه ويطلق ولده ومن معه من الامراء المأسورين وان امتنع من تسليمه سار الى دمشق وحصرها وخربها ونهب بلدها فاجاب تاج الملوك الى ذلك وارسل اتابك سونج بن تاج الملوك والامراء الذين معه وارسل تاج الملوك دبيسا فايقن دبيس بالهلاك ففعل زنكي معه خلاف ما ظن واحسن اليه وحمل له الاقامات والسلاح والدواب وسائر امتعة الخزائن وقدمه حتى على نفسه وفعل معه ما يفعل مع اكابر الملوك ولما سمع المسترشد بالله بقبضه بدمشق ارسل سديد الدولة بن الانبارى وابا بكر بن بشر الجزرى من جزيرة ابن عمر الى تاج الملوك يطلب منه ان يسلم دبيسا اليه لما كان متحققا به من عداوة الخليفة فسمع سديد الدولة بن الانبارى بتسليمه الى عماد الدين وهو فى الطريق فسار الى دمشق ولم يرجع وذم اتابك زنكي بدمشق واستخف به وبلغ الخبر عماد الدين فارسل الى طريقه من يأخذه اذا عاد فلما رجع من دمشق قبضوا عليه وعلى ابن بشر وحملوهما اليه فاما ابن بشر فاهانه وجرى فى حقه مكروه واما ابن الانبارى فحبسه ثم ان المسترشد بالله شفع فيه فاطلق ولم يزل دبيس مع زنكي حتى انحدر معه الى العراق على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود)

فى هذه السنة فى شوال توفى السلطان محمود ابن السلطان محمد بهمذان وكان قبل مرضه قد خاف وزيره ابو القاسم الانساباذى من جماعة من الامراء واعيان الدولة منهم عزيز الدين ابو نصر احمد بن حامد المستوفى والامير انوشتكين المعروف بشيركير وولده عمر وهو امير حاجب السلطان وغيرهم فاما عزيز الدين فارسله مقبوضا عليه الى مجاهد الدين بهروز بتكريت ثم قتل بها واما شيركير وولده فقتلا فى جمادى الآخرة ثم ان السلطان مرض وتوفى فى شوال واقعد ولده الملك داود فى السلطنة باتفاق من الوزير ابى القاسم واتابكه آقسنقر الاحمديلى وخطب له فى جميع بلاد الجبل واذربيجان ووقعت الفتنة بهمذان وسائر بلاد الجبل ثم سكنت فلما اطمان الناس وسكنوا سار الوزير بامواله الى الرى فامن فيها حيث هى للسلطان سنجر وكان عمر السلطان محمود لما توفى نحو سبع وعشرين سنة وكانت ولايته للسلطنة اثنتى عشرة سنة وتسعة اشهر وعشرين يوما وكان حليما كريما عاقلا يسمع ما يكره ولا يعاقب عليه مع القدرة قليل الطمع فى اموال الرعايا عفيفا عنها كافا لاصحابه عن التطرق الى شئ منها

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ثار الباطنية بتاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق فجرحوه جرحين فبرأ احدهما وتنسر الآخر وبقى فيه الا انه يجلس للناس ويركب معهم على ضعف فيه وفيها توفى الامير ابو الحسن بن المستظهر بالله اخو المسترشد بالله فى رجب

الشام ونزل بقصر شبرا وضربوا لحضوره مدافع ثم انتقل الى الازبكية وسكن هناك كما تقدم ذكره (وفى خامس عشرينه) زاد النيل ورجع ما كان انقصه وزاد على ذلك نحو قيراطين وندت الى اواخر توت واطمان الناس (وفى غايته) سافر عيسى اغا بعد ما قبض ما اهداه اليه الباشا له ولمخدومه من الهدايا والاكياس والتحف والسكاكر والشرابات والاقمشة الهندية وغير ذلك ونزل لتشييعه عثمان اغا الوكيل وسافر صحبته محب افندى (وفى اواخره) سافر سليمان بك البواب لمصالحة الامراء المنهزمين على يد حسن باشا

(واستهل شهر رمضان بيوم الاحد سنة ١٢٣٥)

فى سابع عشره قبض الباشا على المعلم غالى كبير المباشرين الاقباط والمعلم فلتيوس والمعلم جرجس الطويل والمعلم فرنسيس اخى المعلم غالى وباقى اعيان المباشرين فاما غالى وفلتيوس فنزلوا بهما تلك الليلة الى بولاق وانزلوهما فى مركب ليسافرا الى دمياط وحبسوا الباقين بالقلعة وختموا على دورهم ووجدوا عند المعلم غالى نيفا وستين جارية بيضاء وسوداء وحبشية ثم قلدوا المباشرة الى المعلم منصور ضريوف الذى كان معلم ديوان الجمرك ببولاق سابقا والمعلم بشارة ورزق الله الصباغ مشاركا معه ثم انزلوا النصارى المعتقلين من القلعة الى بيت ابراهيم بك الدفتردار

وفيها في شوال توفي الحسن بن سلمان بن عبد الله ابو علي الفقيه الشافعي لواعظ مدرس النظامية ببغداد واصله من الزوزان والخطيب ابو نصر احمد بن عبد القاهر المعروف بابن الطوسي خطيب الموصل توفي في ربيع الاول وحماد بن مسلم الدباس الرحبي الزاهد المشهور صاحب الكرامات وسمع الحديث وله اصحاب وتلامذة كثيرون ساروا ورأيت الشيخ ابا الفرج بن الجوزي قد ذمه وثلبه ولهذا الشيخ اسوة بغيره من الصالحين فان ابن الجوزي قد صنف كتابا سماه تلبيس ابليس لم يبق فيه على احد من سادة المسلمين وصالحيهم وهبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشيباني الكاتب ومولده سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة سمع ابا علي بن المذهب وابا طالب بن غيلان وغيرهما وهو راوي مسند احمد بن حنبل والغيلانيات وغيرها ومحمد بن الحسن ابن علي بن الحسن ابو غالب الماوردي ولد سنة خمسين واربعمائة بالبصرة وسمع الحديث الكثير وروى سنن ابي داود السجستاني وكان صالحا

(ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة)

*(ذكر قتل ابي علي وزير الحافظ ووزارة يانس وموته)

في هذه السنة في المحرم قتل الافضل ابو علي بن الافضل بن بدر الجمالي وزير الحافظ لدين الله العلوي صاحب مصر وسبب قتله انه كان قد حجر على الحافظ ومنعه ان يحكم في شيء من الامور قليل او جليل واخذ ما في قصر الخلافة الى داره واسقط من الدعاء ذكر اسمعيل الذي هو جدهم واليه تنسب الاسمعيلية وهو ابن جعفر بن محمد الصادق واسقط من الاذان حي على خير العمل ولم يخطب للحافظ وامر الخطباء ان يخطبوا له بالقاب كتبها لهم وهي السيد الافضل الاجل سيد ممالك ارباب الدول والمحامي عن حوزة الدين وناشر جناح العدل على المسلمين الاقربين والابعدين ناصر امام الحق في حالتي غيبته وحضوره والقائم بنصرته بماضي سيفه وصائب رايه وتدبيره امين الله على عباده وهادي القضاة الى اتباع شرع الحق واعتماده ومرشد دعاة المؤمنين بواضح بيانه وارشاده مولى النعم ورافع الجور عن الامم ومالك فضيلتي السيف والقلم ابو علي احمد ابن السيد الاجل الافضل شاهنشاه امير الجيوش وكان امامي المذهب يكثر ذم الآمر والتناقص به فنفر منه شيعة العلويين ومماليكهم وكرهوه وعزموا على قتله فخرج في العشرين من المحرم من هذه السنة الى الميدان يلعب بالكرة مع اصحابه فكمن له جماعة منهم مملوك افرنجي كان للحافظ فخرجوا عليه فحمل الفرنجي عليه فطعنه فقتله وحزوا راسه وخرج الحافظ من الخزانة التي كان فيها ونهب الناس دار ابي علي واخذ منها ما لا يحصى وركب الناس والحافظ الى داره فاخذ ما بقي فيها وحمله الى القصر وبويع يومئذ الحافظ بالخلافة وكان قد بويع له بولاية العهد وان يكون كفيلا للحمل ان كان للآمر فلما بويع بالخلافة استوزر ابا الفتح يانس الحافظي في ذلك اليوم بعينه ولقب امير الجيوش وكان عظيم الهيبة بعيد الغور كثير

الشر

وهم الازبكية وفيهم برجيس الطويل واخوه حنا وجريس وفرنسيس اخو غالي ويعقوب كاتبه وغيرهم واشباهه واهل وانسابهم ثم دار الشغل فيه وسعت الساعون في المصالحة من غالي ورفقائه الى ان تم الامر على اربعة وعشرين الف كيس ونزل له فرمان الرضا والخلع والبشائر وذلك في آخر رمضان

(واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة ١١٢٠) فيه نوبت طبلخانة الباشا الى بيت المعلم غالي واستمروا يضربون النوبة التركية ثلاثة ايام العيد ببيته وكذلك الطبل الشامي وباقي الملاعيب وترمى لهم الخلع والبقاشيش (وفي سابعه) حضر المعلم غالي وطلع الى القلعة وخلع عليه الباشا خلع الرضا والبسه فروة سمور وانعم عليه ونزل له عن اربعة آلاف كيس من اصل الاربعة وعشرين الف كيس المطلوبة في المصالحة ونزل الى داره وامامه الجاويشية والاتباع بالعصي المفضضة وجلس بدكة داره واقبل عليه الاعيان من المسلمين والنصارى للسلام عليه والتهنئة له بالقدوم المبارك واما المعلم منصور ضريون يجبروا خاطره بان قيدوه بخدمة بيت ابراهيم بك ابن الباشا الدفتردار وقيدوا رفيقه في خدم اخرى (وفي يوم الخميس) عاشر شوال حضر شاهين بك الالفي ومن معه الى مصر ونصب وطاقه بناحية

الشر فخافه الحافظ على نفسه وتخيل منه باناس فاحتاط ولم يأكل عنده شيئا ولا شرب فاحتال عليه الحافظ بان وضع له فراشه في بيت الطهارة وماء مسموما فاغتسل به فوقع الدود في سفله وقيل له متى قمت من مكانك هلكت فكان يعالج بان يجعل اللحم الطري في المحل فيعلق به الدود فيخرج ويجعل عوضه فقارب الشفاء فقيل للحافظ انه قد صلح وان تحرك هلك فركب اليه الحافظ كانه يعوده فقام له ومشى بين يديه وقعد الحافظ عنده ثم خرج من عنده فتوفي من ليلته وكان موته في السادس والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة ولما مات بانس استوزر الحافظ ابنه حسنا وخطب له بولاية العهد وسيرد ذكر قتله سنة تسع وعشرين وانما ذكرت القاب ابي علي تعجبا منها ومن حماقة ذلك الرجل فان وزير صاحب مصر وحدها اذا كان هكذا فينبغي ان يكون وزير السلاطين السلجوقية كنظام الملك وغيره يدعون الربوبية على ان بمصر هكذا تولد الا ترى الى فرعون يقول انا ربكم الاعلى والى اشياء اخر لا نطيل بذكرها

(ذكر حال السلطان مسعود والملك سلجوق شاه وداود واستقرار السلطنة بالعراق لمسعود)

لما توفي السلطان محمود ابن السلطان محمد وخطب ببلاد الجبل واذربيجان لولده الملك داود على ما ذكرناه سار الملك داود من همذان في ذي القعدة من سنة خمس وعشرين الى زنجان فاتاه الخبر ان عمه السلطان مسعودا قد سار من جرجان ووصل الى تبريز واستولى عليها فسار الملك داود اليه وحصره بها وجرى بينهما قتال الى سلخ المحرم سنة ست وعشرين ثم اصطلحا وتأخر الملك داود مرحلة وخرج السلطان مسعود من تبريز واجتمعت عليه العساكر وسار الى همذان وارسل يطلب الخطبة ببغداد وكانت رسل الملك داود قد تقدمت في طلب الخطبة فاجاب المسترشد بالله ان الحكم في الخطبة الى السلطان سنجر من اراد خطب له وارسل الى السلطان سنجر ان لا يأذن لاحد في الخطبة فان الخطبة ينبغي ان تكون له وحده فوقع ذلك منه موقعا حسنا ثم ان السلطان مسعودا كاتب عماد الدين زنكي صاحب الموصل وغيرها يستنجده ويطلب مساعدته فوعده النصر فقوي بذلك نفس مسعود على طلب السلطنة ثم ان الملك سلجوق شاه ابن السلطان محمد سار ومعه اتابكه قراجة الساقي صاحب فارس وخوزستان في عسكر كثير الى بغداد فوصل اليها قبل وصول السلطان مسعود ونزل في دار السلطان واكرمه الخليفة واستحلفه لنفسه ثم وصل رسول السلطان مسعود يطلب الخطبة ويتهدد ان منعها فلم يجب الى ما طلبه فسار حتى نزل عباسية الخالص وبرز عسكر الخليفة وعسكر سلجوق شاه وقراجة الساقي نحو مسعود الى ان يفرغ من حرب اتابك عماد الدين زنكي وسار يوما وليلة الى المعشوق وواقع عماد الدين زنكي فهزمه واسر كثيرا من اصحابه وسار زنكي منهزما الى تكريت فعبر فيها دجلة وكان الدزدار بها حينئذ نجم الدين ايوب فاقام له المعابر فلما عبر امن الطلب وسار الى بلاده لاصلاح حاله وحال رجاله وهذا

البساتين وذلك بعد ان تمموا الصلح على يد حسن باشا بواسطة سليمان بك البواب فلما استقر بخيامه ومرضيه بمصر حضر مع رفقائه وقابل الباشا وهو ببيت الازبكية فتبش في وجهه فقال شاهين بك نرجو سماح افندينا وعفوه عما اذنبناه فقال نعم من قبل مجيئكم بزمان وهو مصر لهم على كل كريهة واخلى له بيت محمد كتخدا الاشقر بجوار طاهر باشا بالازبكية وفرشوه ونظموه ووعدهم برجوعه الى الجيزة في مناصبه كما كان حتى يتحول منها محرم بك صهر الباشا لانه عند انتقال شاهين بك من الجيزة عدى اليها محرم بك بحريمه وهي ابنة الباشا وسكن القصر بعسكره وكذلك اسكن كبار اتباعه وخواصه القصور التي كان يسكنها الالفية وكذلك البيوت والدور فوعده بالرجوع الى محله وظن بخسافة عقله صحة ذلك وحضر صحبة شاهين بك جملة من العسكر والدلاة وغيرهم واستمرت جمالهم وامتعتهم تدخل الى المدينة ارسالا في عدة ايام (وفي يوم الجمعة) عمل الباشا ديوانا بالازبكية في بيت ابنه ابراهيم بك الدفتردار واجتمع عنده المشايخ والوجاقلية وغيرهم فتكلم الباشا وقال يا احبابنا لا يخفاكم احتياجي الى الاموال الكثيرة لنفقات العساكر والمصاريف والمهمات والايراد لا يكفي ذلك فلزم الحال لتقرير الفرض على البلاد والاطيان وقد اجحف

الفعل من نجم الدين أيوب كان سبب الاتصال به والمصير في جملته حتى آل بهم الامر الى ملك مصر والشام وغيرهما على ما نذكره واما السلطان مسعود فانه سار من العباسية الى الملكية ووقعت الطلائع بعضها على بعض ثم لم تزل المناوشة تجري بينه وبين أخيه سلجوقشاه يومين وارسل سلجوقشاه الى قراجة يستحثه على المبادرة فسار يعاوعبر دجلة الى الجانب الشرقي فلما علم السلطان مسعود بانهزام عماد الدين زنكي رجع الى ورائه وارسل الى الخليفة يعرفه وصول السلطان سنجر الى الري وانه عازم على قصد الخليفة وغيره وان رأيتم ان نتفق على قتاله ودفعه عن العراق ويكون العراق لوكيل الخليفة فانا موافق على ذلك فاعاد الخليفة الجواب يستوقفه وترددت الرسل في الصلح فاصطلحوا على ان يكون العراق لوكيل الخليفة وتكون السلطنة لمسعود ويكون سلجوقشاه ولي عهده وتحالفوا على ذلك وعاد السلطان مسعود الى بغداد فنزل بدار السلطان ونزل سلجوقشاه في دار الشحنكية وكان اجتماعهم في جمادى الاولى

(ذكر الحرب بين السلطان مسعود وعمه السلطان سنجر)

لما توفي السلطان محمود سار السلطان سنجر الى بلاد الجبال ومعه الملك طغرل ابن السلطان محمد وكان عنده قد لازمه فوصل الى الري ثم سار منها الى همذان فوصل الخبر الى الخليفة المسترشد بالله والسلطان مسعود بوصوله الى همذان فاستقرت القاعدة بينهما على قتاله وان يكون الخليفة معهم وتجهز الخليفة فتقدم قراجة الساقي والسلطان مسعود وسلجوقشاه نحو السلطان سنجر وتاخر المسترشد بالله عن المسير معهم فارسل الى قراجة والزمه وقال ان الذي تخاف من سنجر آجلا انا أفعله عاجلا فبرز حينئذ وسار على تريث وتوقف الى ان بلغ الى خانقين واقام بها وقطعت خطبة سنجر من العراق جميعه ووصلت الاخبار بوصول عماد الدين زنكي ودبيس بن صدقة الى قرب بغداد فاما دبيس فانه ذكر ان السلطان سنجر أقطعه الحلة وارسل الى المسترشد بالله يضرع ويسال الرضا عنه فامتنع من اجابته الى ذلك واما عماد الدين زنكي فانه ذكر ان السلطان سنجر قد اعطاه شحنكية بغداد فعاد المسترشد بالله الى بغداد وامر اهلها بالاستعداد للمدافعة عنها وجند اجنادا جعلهم معهم ثم ان السلطان مسعودا وصل الى دادمرج فلقيهم طلائع السلطان سنجر في خلق كثير فتاخر السلطان مسعود الى كرمانشاهان ونزل السلطان سنجر في اسداباذ في مائة ألف فارس فسار مسعود واخوه سلجوقشاه الى جبلين يقال لهما كاو وماهي فنزلا بينهما ونزل السلطان سنجر كنكور فلما سمع بانحرافهم اسرع في طلبهم فرجعوا الى ورائهم مسيرة اربعة أيام في يوم وليلة فالتقى العسكران بعولان عند الدينور وكان مسعود يدافع الحرب بانتظار القدوم المسترشد فلما نازله السلطان سنجر لم يجد بدا من المصاف وجعل سنجر على ميمنته طغرل ابن أخيه محمد وقماج وامير اميران وعلى ميسرته خوارزمشاه اتسز بن محمد مع جمع من الامراء وجعل مسعود على ميمنة قراجة الساقي والامير قزل وعلى ميسرته يرنقش بازدار و يوسف

حاورش

فالشباه اليها حتى بطلت وخربت القرى وتعطلت المزارع وبارت الأطيان ولا يمكنني دفع ذلك بالكلية والقصدان تدبروا لنا تدبيرا وطريقا لتحصيل المال من غير ضرر ولا اجحاف على اهل القرى وتعود مصلحة التدبير عليهم وعلينا فقال الجميع الراي لك فقال اني فوضت الراي في تدبير الامور السابقة لجماعة الكتبة وهم الافندية والاقباط فوجدت الجميع خائنين واني دبرت رايا لا تدخله التهمة وهو ان من المعلوم أن جميع الحصص لها سندات ومعين بها مقدار الميري والفائظ فنقرر على كل حصة قدر ميريها وفائظها اما سنة أو سنتين فلا يضر ذلك بالملتزمين ولا بالفلاحين فانتبذ ايوب كتخدا الفلاح وهو كبير الاختيارية وقال لكن يا أفندينا الى مساواة الناس فان حصص كثير من المشايخ مرفوع ما عليها من المغارم و يرجع تتميم الغرامة على حصص الشركاء فحنق من كلامه الشيخ الشرقاوي وقال له انت رجل سوء وثار عليه في المشايخ الحاضرين وزاد فيهم الصياح فقام الباشا من المجلس وتركهم وذهب بعيدا عنهم وهم يترادون يتشاجرون فارسل اليهم الباشا الترجمان وقال انكم وشنتم على الباشا وتكدر خاطره من صياحكم فسكتوا وقاموا من المجلس وذهبوا الى دورهم وهم منفعلون المزاج

جاووش وغيرهما وكان قزل قد واطأ سنجر على الانهزام ووقعت الحرب وقامت على ساق وكان يوما مشهودا فحمل قراجة الساقي على القلب وفيه السلطان سنجر في عشرة آلاف فارس من شجعان العسكر وبين يديه الفيلة فلما حمل قراجة على القلب رجع الملك طغرل وخوارزمشاه الى وراء ظهره فصار قراجة في الوسط فقاتل الى ان جرح عدة جراحات وقتل كثير من اصحابه واخذوا سيرا وبه جراحات كثيرة فلما رأى السلطان مسعود ذلك انهزم وسلم من المعركة وقتل يوسف جاووش وحسين أزبك وهما من اكابر الامراء وكانت الوقعة ثامن رجب من هذه السنة فلما تمت الهزيمة على مسعود نزل سنجر واحضر قراجة فلما حضر قراجة سبه وقال له يا مفسد أي شئ كنت ترجو بقتالي قال كنت ارجو ان أقتلك واقيم سلطانا احكم عليه فقتله صبرا وارسل الى السلطان مسعود يستدعيه فحضر عنده وكان قد بلغ خونج فلما رآه قبله واكرمه وعاتبه على العصيان عليه ومخالفته واعاده الى كنجة واجلس الملك طغرل ابن اخيه محمد في السلطنة وخطب له في جميع البلاد وجعل في وزارته ابا القاسم الانساباذي وزير السلطان محمود وعاد الى خراسان فوصل الى نيسابور في العشرين من رمضان سنة ست وعشرين واما المسترشد بالله فكان منه ما نذكره

●(ذكر مسير عماد الدين زنكي الى بغداد وانهزامه)●

لما سار المسترشد بالله من بغداد وبلغه انهزام السلطان مسعود عزم على العود الى بغداد فاتاه الخبر بوصول عماد الدين زنكي الى بغداد ومعه دبيس بن صدقة وكان السلطان سنجر قد كاتبهما وامرهما بقصد العراق والاستيلاء عليه فلما علم الخليفة بذلك اسرع العود اليها وعبر الى الجانب الغربي وسار فنزل بالعباسية ونزل عماد الدين بالمنارية من دجيل والتقيا بحصن البرامكة سابع عشري رجب فابتدأ زنكي فحمل على ميمنة الخليفة وبها جمال الدولة اقبال فانهزم وامنه وحمل نظر الخادم من ميسرة الخليفة على ميمنة عماد الدين ودبيس وحمل الخليفة بنفسه واشتد القتال فانهزم دبيس واراد عماد الدين الصبر فرأى الناس قد تفرقوا عنه فانهزم ايضا وقتل من العسكر جماعة واسر جماعة وبات الخليفة هناك ليلته وعاد من الغد الى بغداد

●(ذكر حال دبيس بعد الهزيمة)●

وفيها عاد دبيس بعد انهزامه المذكور يلوذ ببلاد الحلة وتلك النواحي وجمع جمعا وكانت تلك الولاية بيد اقبال المسترشدي فامده بعسكر من بغداد فالتقى هو ودبيس فانهزم دبيس واختفى في اجمة هناك وبقي ثلاثة أيام لم يطعم شيئا ولم يقدر على التخلص منها حتى أخرجه جمال على ظهره ثم جمع جمعا وقصد واسط وانضم اليه عسكرها وبختيار وشاق وابن أبي الجبر ولم يزل فيها الى ان دخلت سنة سبع وعشرين فنفذ اليهم يرنقش بازدار واقبال الخادم المسترشدي في عسكر فاقتتلوا في الماء والبر فانهزم الواسطيون ودبيس وأسر بختيار وشاق وغيره من الامراء

●(ذكر وفاة تاج الملوك صاحب دمشق)●

وأهل كلام أيوب كذا واتفق غرض الباشا أوهو باغرائه ثم شرعوا في تحرير الدفاتر وتبديل الكيفيات وكان في العزم أولا ان يجعلها على ذمم الاطيان شارقا وغارقا بما فيها من الاوسية التي للملتزمين والارزاق ومسموح مشايخ البلاد وذكر ذلك في المجلس فقيل له ان الاوسية معايش الملتزمين والرزق قسمان قسم داخل في زمام اطيان البلد ومحسوب في مساحة فلاحتها وقسم خارج عن زمامها والقسمان من الارصادات على الخيرات وعلى جهات البر والصدقة والمساجد والاسبلة والمكاتب والاحواض لسقي الدواب وغير ذلك فيلزم منه ابطال هذه الخيرات وتعطيلها فقال الباشا ان المساجد غالبها متخرب ومتهدم فقالوا والله عليك بالفحص والتفتيش والزام المتولي على المسجد بعمارته اذا كان ايراده راتبا الى آخر ما قيل (وفي يوم الاثنين حادي عشرينه) قتلوا شخصا من الاجناد الالفية وقطعوا رأسه بباب الخرق بسبب انه قتل زوجته من غير جرم يوجب قتلها

●(واستهل شهر ذي القعدة بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٠)●

(في ثانيه) سافر الباشا الى ثغر سكندرية ليكشف على عمارة الابراج والاسوار ويبيع الغلال التي جمعها من البلاد في الفرض التي فرضت عليهم وكذلك ما أحضره من البلاد القبلية فجمعوا المراكب وشحنوها بالغلال وأرسلها

في هذه السنة في رجب توفي تاج الملوك بوري بن طغتكين صاحب دمشق وسبب موته ان الجرح الذي كان به من الباطنية وقد ذكرناه اشتد عليه الآن واضعفه واسقط قوته فتوفي في الحادي والعشرين من رجب ووصى بالملك بعده لولده شمس الملوك اسمعيل ووصى بمدينة بعلبك واعمالها لولده شمس الدولة محمد وكان بوري كثير الجهاد شجاعا مقداما سد مسد أبيه وفاق عليه وكان ممدحا أكثر الشعراء مدائحه لاسيما ابن الخياط وملك بعده ابنه شمس الملوك وقام بتدبير الامر بين يديه الحاجب يوسف بن فيروز شحنة دمشق وهو حاجب أبيه واعتمد عليه وابتدأ امره بالرفق بالرعية والاحسان اليهم فكثر الدعاء له والقصاد عليه

(ذكر ملك شمس الملوك حصن اللبوة وحصن رأس وحصره بعلبك)

في هذه السنة ملك شمس الملوك اسمعيل صاحب دمشق حصن اللبوة وحصن رأس وسبب ذلك انهما كانا لابيه تاج الملوك وفي كل واحد منهما مستحفظ يحفظه فلما ملك شمس الملوك بلغه ان أخاه شمس الدولة محمدا صاحب بعلبك قد راسلهما واستمالهما اليه فسلما الحصنين اليه وجعل فيهما من الجند ما يكفيهما فلم يظهر بذلك أثر بل راسل أخاه بلطف يقبح هذه الحال ويطلب ان يعيدهما اليه فلم يفعل فاغضى على ذلك وتجهز من غير ان يعلم احد وسار هو وعسكره آخر ذي القعدة فطلب جهة الشمال ثم عاد مغربا فلم يشعر من بحصن اللبوة الا وقد نزل عليهم وزحف لوقته فلم يتمكنوا من نصب منجنيق ولا غيره فطلبوا الامان فبذله لهم وتسلم الحصن من يومه وسار من آخر النهار الى حصن رأس فبغتهم وجرى الامر فيه على تلك القضية وتسلمه وجعل فيهما من يحفظهما ثم رحل الى بعلبك وحصرها وفيها اخوه شمس الدولة محمد وقد استعد وجمع في الحصن ما يحتاج اليه من رجال وذخائر فحصرهم شمس الملوك وزحف في الفارس والراجل وقاتله اهل البلد على السور ثم زحف عدة مرات فملك البلد بعد قتال شديد وقتلى كثيرة وبقي الحصن فقاتله وفيه اخوه ونصب المجانيق ولازم القتال فلما رأى اخوه شمس الدولة شدة الامر ارسل يبذل الطاعة ويسأل ان يقر على ما بيده وجعله ابوه باسمه فاجابه الى مطلوبه واقر عليه بعلبك واعمالها وتحالفوا وعاد شمس الملوك الى دمشق وقد استقامت له الامور

(ذكر الحرب بين السلطان طغرل والملك داود)

في هذه السنة في رمضان كانت الحرب بين الملك طغرل وبين ابن اخيه الملك داود بن محمود وكان سببها ان السلطان سنجر اجلس الملك طغرل في السلطنة كما ذكرناه وعاد الى خراسان لانه بلغه ان صاحب ما وراء النهر احمد خان قد عصى عليه فبادر الى العود لتلافي ذلك الخرق فلما عاد الى خراسان عصى الملك داود على عمه طغرل وخالفه وجمع العساكر باذربيجان وبلاد كنجة وسار الى همذان فنزل مستهل رمضان عند قرية يقال لها وهان بقرب همذان وخرج اليه طغرل وعبى كل واحد منهما اصحابه ميمنة وميسرة وكان على ميمنة السلطان طغرل ابن برسق وعلى ميسرته قزل وعلى مقدمته قراسنقر وكان على ميمنة داود يرنقش الزكوي ولم يقاتل فلما رأى التركمان ذلك نهبوا خيمه وبركه جميعه ووقع

الى الاسكندرية ليبيعها على الافرنج فباع عليهم ازيد من مائتي الف اردب كل اردب بمائة قرش وسعرها بمصر ثمانية عشر قرشا وهو لم يشترها ولم تكن عليه بمال بل اخذها من زراعات الفلاحين من اصل ما فرضه عليهم من الظلم مع تطفيف الكيل عليهم والزامهم بكلفة شيله واجرة نقله الى المحل الذي يلزمونهم بوضعه فيه وأخذ من الافرنج في ثمنه أصناف النقود من الذهب المشخص البندقي والمجر والفرانسه وعروض البضائع من الجوخ المتنوعة والدودة التي يقال لها القرمز والقزدير واصناف البضائع الافرنكية واحدث وهو بالاسكندرية احداثا ومكوسا

(واستهل شهر ذي الحجة الحرام بيوم الاحد سنة ١٢٢٠)

في ثاني عشرينه حضر الباشا من الاسكندرية الى مصر وذلك يوم الجمعة آخر النهار وحضر في العشية الى بيت الازبكية وبات عند حريمه وطلع في صبح يوم السبت الى القلعة وضربوا مدافع كثيرة لحضوره وبذلك علم الناس حضوره وانقضت السنة بحوادثها التي قصصنا بعضها اذ لا يمكن استيفاؤها للتباعد عن مباشرة الامور وعدم تحققها على الصحة وتحريف النقلة وزياداتهم ونقصهم في الرواية فلا اكتب حادثة حتى اتحقق صحتها بالتواتر والاشتهار وغالبها من الامور الكلية التي لا تقبل الكثير من التحريف وربما أخرت الحادثة

الخلف في عسكر داود فلما راى اتابك آقسنقر الاحمديلي ذلك ولى هاربا وتبعه الناس في الهزيمة وقبض طغرل على برنقش الزكوي وعلى جماعة من الامراء واما الملك داود فانه لما انهزم بقي متحيرا الى اوائل ذي القعدة فقدم بغداد ومعه اتابك آقسنقر الاحمديلي فاكرمه الخليفة وانزله بدار السلطان وكان الملك مسعود بكنجة فلما سمع انهزام الملك داود توجه نحو بغداد على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قبض المسترشد بالله على وزيره شرف الدين علي بن طراد الزينبي واستوزر انوشروان بن خالد بعد ان امتنع وسال الاقالة وفي هذه السنة قتل أحمد بن حامد بن محمد ابو نصر المستوفي السلطان محمود الملقب بالعزيز بقلعة تكريت وقد تقدم سبب ذلك سنة خمس وعشرين وفي المحرم منها قتل محمد بن محمد بن الحسين ابو الحسين بن أبي يعلى ابن الفراء الحنبلي مولده في شعبان في سنة احدى وخمسين واربعمائة وسمع الحديث من الخطيب ابي بكر وابن الحسين بن المهتدي وغيرهما وتفقه قتله اصحابه غيلة واخذوا ماله وفي جمادى الاولى توفي احمد بن عبيد الله بن كادش ابو العز العكبري وكان محدثا مكثرا وتوفي فيها ابو الفضل عبد الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء وكان اديبا وله شعر حسن فمنه ما كتبه الى جلال الدين بن صدقة الوزير

امولانا جلال الدين يا من * اذكره بخدمتي القديمه
الم تك قد عزمت على اصطناعي * فاذا صد عن تلك العزيمه

(ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة)

(ذكر ملك شمس الملوك بانياس)

في هذه السنة في صفر ملك شمس الملوك صاحب دمشق حصن بانياس من الفرنج وسبب ذلك أن الفرنج استضعفوه وطمعوا فيه وعزموا على نقض الهدنة التي بينهم فتعرضوا الى أموال جماعة من تجار دمشق بمدينة بيروت وأخذوها فشكا التجار الى شمس الملوك فراسل في اعادة ما أخذوه وكرر القول فيه فلم يردوا شيئا فحملته الانفة من هذه الحالة والغيظ على ان جمع عسكره وتاهب ولا يعلم أحد أين يريد ثم سار وسبق خبره أواخر المحرم من هذه السنة ونزل على بانياس أول صفر وقاتله لساعته وزحف اليه زحفا متتابعا وكانوا غير متاهبين وليس فيه من المقاتلة من يقوم به وقرب من سور المدينة وترجل بنفسه وتبعه الناس من الفارس والراجل ووصلوا الى السور فنقبوه ودخلوا البلد عنوة والتجا من كان من جند الفرنج الى الحصن وتحصنوا به فقتل من البلد كثيرا من الفرنج واسر كثيرا ونهبت الاموال وقاتل القلعة قتالا شديدا ليلا ونهارا فملكها رابع صفر بالامان وعاد الى دمشق فوصلها سادسه وأما الفرنج فانهم لما سمعوا نزوله على بانياس شرعوا يجمعون عسكرا يسيرون به اليه فاتاهم خبر فتحها فبطل ما كانوا فيه

(ذكر حرب بين المسلمين والفرنج)

في هذه السنة في صفر سار ملك الفرنج صاحب البيت المقدس في خيالته ورجالته الى

قيد حادثة حتى اثبتها او يحدث غيرها او انساها فاكتبها في طيارة حتى اقيدها في محلها ان شاء الله تعالى عند تهذيب هذه الكتابة وكل ذلك من تشويش البال وتكدر الحال وهم العيال وكثرة الاشتغال وضعف البدن وضيق العطن (ومن حوادثها) احداث عدة مكوس زيادة على ما احدث على الارز والكتان والحرير والحطب والملح وغير ذلك مما لم يصل الينا خبره حتى غلت أسعارها الى الغاية وكان سعر الدرهم الحرير نصفين فصار بخمسة عشر نصفا وكنا نشتري القنطار من الحطب الرومي في اوانه بثلاثين نصفا وفي غير أوانه باربعين نصفا فصار بثلثمائة نصف وكان الملح ياتي من ارضه بثمن القفاف التي يوضع فيها لاغير ويبيعه الذين ينقلونه الى ساحل بولاق الاردب بعشرين نصفا واردبه ثلاثة أرادب ويشتريه المسبب بمصر بذلك السعر لان اردبه أردبان ويبيعه ايضا بذلك السعر ولكن اردبه واحدا فالتفاوت في الكيل لافي السعر فلما احتكر صار الكيل لا يتفاوت وسعره الآن اربعمائة وخمسون نصفا والتزم به من التزم واوقف رجاله في موارده البحرية لمنع من ياخذ منه شيئا من المراكب المارة بالسعر الرخيص من اربابه ويذهب به الى قبلي او نحو ذلك (ومنها) وهي من الحوادث الغريبة انه ظهر بالتل الكائن خارج رأس الصوة المعروفة

اطراف أعمال حلب فتوجه اليه الامير اسوار النائب بحلب فيمن عنده من العسكر وانضاف اليه كثير من التركمان فاقتتلوا عند قنسرين فقتل من الطائفتين جماعة كثيرة وانهزم المسلمون الى حلب وتردد ملك الفرنج في اعمال حلب فعاد اسوار وخرج اليه فيمن معه من العسكر فوقع على طائفة منهم فاوقع بهم واكثر القتل فيهم والاسر فعاد من سلم منهزما الى بلادهم وانجبر ذلك المصاب بهذا الظفر ودخل أسوار حلب ومعه الاسرى ورؤس القتلى وكان يوما مشهودا ثم ان طائفة من الفرنج من الرها قصدوا أعمال حلب للغارة عليها فسمع بهم اسوار فخرج اليهم هو والامير حسان البعلبكى فاوقعوا بهم وقتلوهم عن آخرهم فى بلد الشمال واسروا من لم يقتل ورجعوا الى حلب سالمين

﴿ذكر عود السلطان مسعود الى السلطنة وانهزام الملك طغرل﴾

قد تقدم ذكر انهزام السلطان مسعود من عمه السلطان سنجر وعوده الى كنجة وولاية الملك طغرل السلطنة وانه تحارب هو والملك داود ابن اخيه محمود وانهزام داود ودخوله بغداد فلما بلغ السلطان مسعودا انهزام داود وقصده بغداد سار هو الى بغداد ايضا فلما قاربها لقيه داود وترجل وخدمه ودخلا بغداد ونزل مسعود بدار السلطنة فى صفر من هذه السنة وخاطب فى الخطبة له فاجيب الى ذلك وخطب له ولداود بعده وخلع عليهما ودخلا الى الخليفة فاكرمهما ووقع الاتفاق على مسير مسعود وداود الى اذربيجان وان يرسل الخليفة معهما عسكرا فساروا فلما وصلوا الى مراغة حمل آقسنقر الاحمديلى مالا كثيرا واقامة عظيمة وملك مسعود سائر بلاد اذربيجان وانهزم من بها من الامراء مثل قراسنقر وغيره من بين يديه وتحصن منهم كثير بمدينة اردبيل فقصدهم وحصرهم بها وقتل منهم مقتلة عظيمة وانهزم الباقون ثم سار بعد ذلك الى همذان لحرب اخيه الملك طغرل فلما سمع طغرل بقربه برز الى لقائه فاقتتلوا الى الظهر ثم انهزم طغرل وقصد الرى واستولى السلطان مسعود على همذان فى شعبان ولما استقر مسعود بهمذان قتل آقسنقر الاحمديلى قتله الباطنية فقيل ان السلطان مسعودا وضع عليه من قتله ثم ان طغرل لما بلغ قم عاد الى اصبهان ودخلها واراد التحصن بها فسار اليه اخوه مسعود ليحاصره بها فراى طغرل ان اهل اصبهان لا يطاوعونه على الحصار فرحل عنهم الى بلاد فارس واستولى مسعود على اصبهان وفرح اهلها به وسار من اصبهان نحو فارس يقتص اثر اخيه طغرل فوصل الى موضع بقرب البيضاء فاستامن اليه امير من امراء اخيه معه اربعمائة فارس فامنه فخاف طغرل من عسكره ان يتحازوا الى اخيه فانهزم من بين يديه وقصد الرى فى رمضان وقتل وزيره ابا القاسم الانساباذى فى الطريق وفى شوال قتله غلمان الامير شيركير الذى سعى فى قتله كما تقدم ذكره وسار السلطان مسعود يتبعه فلحقه بموضع يقال له ذكراو فوقع بينهما المصاف هناك فلما اشتبكت الحرب انهزم الملك طغرل فوقع عسكره فى ارض قد نضب عنها الماء وهى وحل فاسر منهم جماعة من الامراء منهم الحاجب تنكر وابن بغرا فاطلقهم السلطان مسعود ولم يقتل فى هذا المصاف الانفر يسير ورجع السلطان مسعود الى همذان

﴿تم الجزء العاشر ويليه الجزء الحادى عشر اوله ذكر حصر المسترشد بالله الموصل﴾

المعروف بباب الوزير فى وهدة بين التلول نار كامنة بداخل الآن بالمطابق قبالة الباب الاتربة واشتهر امرها وشاع ذكرها وزاد ظهورها فى اواخر هذه السنة فيظهر من خلال التراب ثقب ويخرج منها الدخان بروائح مختلفة كرائحة الخرق البالية وغير ذلك وكثر ترداد الناس للاطلاع عليها افواجا افواجا نساء ورجالا واطفالا فيمشون عليها وحولها ويجدون حرارتها تحت ارجلهم فيحفرون قليلا فتظهر النار مثل نار الدمس فيقربون منها الخرق والحلفاء ونحو ذلك فتدق فيها النار وتورى ويصعد منها الدخان وان غوصوا فيها اخشبة او قصبة احترقت ولما شاع ذلك واخبروا بها كتخدا بك نزل اليها بجمع من اكابره واتباعه وغيرهم وشاهد ذلك فامروا الى الشرطة بصب الماء عليها واهالة الاتربة من اعالى التل فوقها ففعلوا ذلك واحضروا السقائين وصبوا عليها بالقرب ماء كثيرا واهالوا عليها الاتربة وبعد يومين صارت الناس المتجمعة والاطفال يحفرون تحت ذلك الماء المصبوب قليلا فتظهر النار ويظهر دخانها فيقربون منها الخرق والحلفاء والبيدكات فتورى وتدخن واستمر الناس يغدون ويروحون للفرجة عليها نحو شهرين وشاهدت ذلك فى جملتهم ثم بطل ذلك

(فهرسة الجزء العاشر من تاريخ الكامل)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿تمت﴾

﴿فهرست الجزء العاشر من تاريخ العلامة الجبرتي﴾

(تمت)



(ما شاء الله كان)

الجزء الحادي عشر من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير الجزري الملقب بعز الدين رحمه الله تعالى

وبهامشه التاريخ المسمى عجائب الآثار في التراجم والاخبار للوذعي العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الحنفي رحمة الله تعالى عليه

الطبعة الاولى بالمطبعة الازهرية المصرية سنة ١٣٠١ هجرية



(ذكر حصر المسترشد بالله الموصل)

في هذه السنة (٥٢٧) حصر المسترشد بالله مدينة الموصل في العشرين من شهر رمضان وسبب ذلك ما تقدم من قصة الشهيد زنكي ببغداد على ما ذكرناه قبل فلما كان الآن قصد جماعة من الامراء السلجقية باب المسترشد بالله وصاروا معه فقوي بهم واشتغل السلاطين السلجقية بالخلف الواقع بينهم فارسل الخليفة الشيخ بهاء الدين أبا الفتوح الاسفرايني الواعظ الى عماد الدين زنكي برسالة فيها خشونة زادها أبو الفتوح زيادة ثقة بقوة الخليفة وناموس الخلافة فقبض عليه عماد الدين زنكي واهانه ولقيه بما يكره فارسل المسترشد بالله الى السلطان مسعود يعرفه الحال الذي جرى من زنكي ويعلمه انه على قصد الموصل وحصرها وتمادت الايام الى شعبان فسار عن بغداد في النصف منه في ثلاثين ألف مقاتل فلما قارب الموصل فارقها أتابك زنكي في بعض عسكره وترك الباقي بها مع نائبه نصير الدين جقر دزدارها والحاكم في دولته وامرهم بحفظها ونازلها الخليفة وقاتلها وضيق على من بها وأما عماد الدين فانه سار الى سنجار وكان يركب كل ليلة ويقطع الميرة عن العسكر ومتى ظفر باحد من العسكر أخذه ونكل به وضاقت الامور بالعسكر أيضا وتواطا جماعة من الجصاصين بالموصل على تسليم البلد فسعى بهم فاخذوا وصلبوا وبقي الحصار على الموصل نحو ثلاثة أشهر ولم يظفر منها بشيء ولا بلغه عن بها وهن ولا قلة ميرة وقوت فرحل عنها عائدا الى بغداد فقيل ان نصرا الخادم

(ومنها) انه نودي في اواخر السنة على صرف المحبوب بزيادة صرفه ثلاثين نصفا وكان يصرف بمائة واثنين وخمسين من زيادات الناس في معاملاتهم فكانوا ينادون بالنقص ورجوعها الى ما كان قبل الزيادة ويعاقبون على التزايد (وفي هذه الايام) نودي بالزيادة وذلك بحسب الاغراض والمقاصد والمقتضيات ومراعاة مصالح انفسهم لا المصلحة العامة هذا مع نقص عياره ووزنه عما كان عليه قبل المناداة وكذلك نقصوا وزن القروش وجعلوا القرش على النصف من القرش الاول ووزنه درهمين وكان اربعة دراهم وفي الدرهمين ربع درهم فضة هذا مع عدم الفضة العددية ووجودها بايدي الناس والصيارف واذا اراد انسان صرف قرش واحد من غيره صرفه بنقص ربع العشر واخذ بدله قطعا صغارا افرنجية يصرف منها الواحدة باثني عشر واخرى بعشرة واخرى بخمسة ولكنها جيدة العيار وهم الآن يجمعونها ويضربونها بما يزاد عليها من النحاس وهو ثلاثة ارباعها قروشا لان القطعة الصغيرة

وصل

وصل اليه من عسكر السلطان وابلغه عن عسكر السلطان مسعود ما أوجب مسيره وعوده الى بغداد وقيل بلغه ان السلطان مسعودا عزم على قصد بغداد فعاد بالجملة وانه رحل عنها منحدرا في شبارة في دجلة فوصل الى بغداد يوم عرفة

(ذكر ملك شمس الملوك مدينة حماة)

وفي هذه السنة ايضا في شوال ملك شمس الملوك اسمعيل بن تاج الملوك صاحب دمشق مدينة حماة وقلعتها وهي للاتابك زنكي بن آقسنقر أخذها من تاج الملوك كما ذكرنا ولما ملك شمس الملوك قلعة بانياس أقام بدمشق الى شهر رمضان من هذه السنة وسار الى حماة في العشر الاخير منه وسبب طمعه انه بلغه ان المسترشد بالله يريد ان يحصر الموصل فطمع وكان الوالي بحماة قد سمع الخبر فتحصن واستكثر من الرجال والذخائر ولم يبق احد من أصحاب شمس الملوك الا أشار عليه بترك قصدها لقوة صاحبها فلم يسمع منهم وسار اليها وحصر المدينة وقاتل من بها يوم العيد وزحف اليها من وقته فتحصنوا منه وقاتلوه فعاد عنهم ذلك اليوم فلما كان الغد بكر اليهم وزحف الى البلد من جوانبه فملكه قهرا وعنوة وطلب من به الامان فامنهم وحصر القلعة ولم تكن في الحصانة والعلو على ما هي اليوم فان تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين قطع جبلها وعملها هكذا في سنين كثيرة فلما حصرها عجزوا الوالي بها عن حفظها فسلمها اليه فاستولى عليها وعلى ما بها من ذخائر وسلاح وغير ذلك وسار منها الى قلعة شيزر وبها صاحبها من بني منقذ فحصرها ونهب بلدها فراسله صاحبها وصانعه بمال حمله اليه فعاد عنه الى دمشق فوصل اليها في ذي القعدة من السنة المذكورة

(ذكر هزيمة صاحب طرابلس الفرنجي)

وفي هذه السنة عبر الى الشام جمع كثير من التركمان من بلاد الجزيرة وأغاروا على بلاد طرابلس وغنموا وقتلوا كثيرا فخرج القمص صاحب طرابلس في جموعه فانزاح التركمان من بين يديه فتبعهم فعادوا اليه وقاتلوه فهزموه وأكثروا القتل في عسكره ومضى هو ومن سلم معه الى قلعة بعرين فتحصنوا فيها وامتنعوا عن التركمان فحصرهم التركمان فيها فلما طال الحصار عليهم نزل صاحب طرابلس ومعه عشرون فارسا من أعيان أصحابه سرا فنجوا وساروا الى طرابلس وترك الباقين في بعرين يحفظونها فلما وصل الى طرابلس كاتب جميع الفرنج فاجتمع عنده منهم خلق كثير وتوجه بهم نحو التركمان ليرحلهم عن بعرين فلما سمع التركمان بذلك قصدوهم ولقوهم وقتل بينهم خلق كثير وأشرف الفرنج على الهزيمة فجمعوا انفسهم وعادوا على حمية الى رفنية وتعذر على التركمان اللحاق بهم الى وسط بلادهم فعادوا عنهم راجعين

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة اشترى الاسمعيلية بالشام قلعة حصن القدموس من صاحبه ابن عمرون وصعدوا اليه وقاموا بحرب من يجاورهم من المسلمين والفرنج وكانوا كلهم

وكل ذلك نقص واختلاس اموال الناس من حيث لا يشعرون

(واما من مات في هذه السنة ممن له ذكر) فمات الفقيه الفريد والعلامة المفيد الشيخ صلي الحصاوي الشافعي ولا أعلم له ترجمة وانما رأيته يقرر الدروس ويفيد الطلبة في الفقه والمعقول ويشهد الفضلاء بفضله ورسوخه وكان على طريقة المتقدمين في الانقطاع للافادة وعدم الرفاهية والرضا بما قسم له منعكفا في حاله وعرض بالبرودة ولم ينقطع عن ملازمة الدروس حتى توفي في منتصف جمادى الثانية من السنة وصلي عليه بالازهر ودفن في تربة المجاورين بالصحراء *ومات المعلم جرجس الجوهري القبطي كبير المباشرين بالديار المصرية وهو أخو المعلم ابراهيم الجوهري ولما مات أخوه في زمن رياسة الامراء المصرية تعين مكانه في الرياسة على المباشرين والكتبة وبيده حل الامور وربطها في جميع الاقاليم المصرية نافذ الكلمة وافر الحرمة وتقدم في أيام الفرنسيس فكان رئيس الرؤساء وكذلك عند مجيء الوزير والعثمانيين وقدموه واجلوه لما يسديه اليهم من الهدايا والرغائب حتى كانوا يسمونه جرجس افندي ورأيته بمجلس بجانب محمد باشا خسرو وبجانب شريف افندي الدفتردار ويشرب بحضرتهم

يكرهون مجاورتهم وفيها وقع الخلف بالشام فقاتل بعضهم بعضا ولم تجر لهم بذلك عادة قبل هذه السنة وقتل بينهم جماعة وفيها في جمادى الآخرة أغار الامير سوار مقدم عسكر زنكي بحلب على ولاية تل باشر فغنم الكثير فخرج اليه الفرنج في جموع كثيرة فقاتلوه فظفر بهم وأكثر القتل فيهم وكان عدة القتلى نحو ألف قتيل وعاد سالما

وفيها تاسع ربيع الآخر وثب على شمس الملوك صاحب دمشق بعض مماليك جده طغدكين فضربه بسيف فلم يعمل فيه شيئا وتكاثر عليه مماليك شمس الملوك فأخذوه وقرروه ما الذي حمله على ما فعل فقال أردت اراحة المسلمين من شرك وظلمك ولم يزل يضرب حتى أقر على جماعة انهم وضعوه على ذلك فقتلهم شمس الملوك بغير تحقيق وقتل معهم أخاه سونج فعظم ذلك على الناس ونفروا عنه وفيها توفي الشيخ أبو الوفاء الفارسي وكان له جنازة مشهودة حضرها أعيان بغداد وفيها في رجب توفي القاضي أبو العباس أحمد بن سلامة بن عبد الله بن مخلد المعروف بابن الرطبي الفقيه الشافعي قاضي الكرخ وتفقه على أبي اسحق وأبي نصر بن الصباغ وسمع الحديث ورواه وكان قريبا من الخليفة يؤدب أولاده وتوفي أبو الحسين علي بن عبد الله بن نصر المعروف بابن الزاغوني الفقيه الحنبلي الواعظ وكان ذا فنون توفي في المحرم وتوفي علي بن يعلى بن عوض بن القاسم الهروي كان واعظا وله بخراسان قبول كثير وسمع الحديث فأكثر ومحمد بن أحمد بن علي أبو عبد الله الحراني وهو من أولاد محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وكان محمد يلقب بالديباج لحسنه وأصله من مكة وهو من أهل نابلس وكان مغاليا في مذهب الاشعري وكان يعظ توفي في صفر وفيها توفي أبو فليتة أمير مكة وولي الامارة بعده ابنه القاسم وفيها توفي العز بن هبة الله بن علي الشريف العلوي الحسيني فجأة بنيسابور وكان جده نقيب النقباء بخراسان وعرض على العز هذا نقابة العلويين فامتنع وعرض عليه وزارة السلطان فامتنع ولزم الانقطاع والاشتغال بامر آخرته وفيها توفي قاضي قضاة خراسان أبو سعيد محمد بن أحمد بن صاعد وكان خيرا صالحا

(ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة)

(ذكر ملك شمس الملوك شقيف تيرون ونهبه بلد الفرنج)

في هذه السنة في المحرم سار شمس الملوك اسمعيل صاحب دمشق منها الى شقيف تيرون وهو في الجبل المطل على بيروت وصيدا وكان بيد الضحاك بن جندل رئيس وادي التيم قد تغلب عليه وامتنع به فتحاماه المسلمون والفرنج يحتمي على كل طائفة بالآخرين فسار شمس الملوك اليه في هذه السنة وأخذه منه في المحرم وعظم أخذه على الفرنج لان الضحاك كان لا يتعرض الى شيء من بلادهم المجاورة له فخافوا شمس الملوك فجمعوا عساكرهم فلما اجتمعت ساروا الى بلد حوران فخربوا أمهات البلد ونهبوا ما أمكنهم نهبه وكان شمس الملوك لما رآهم يجمعون جمع هو أيضا وحشد وحضر عنده جمع

الضان وغيره ويراعون جانبه ويشاورونه في الامور وكان عظيم النفس ويعطي العطايا ويفرق على جميع الاعيان عند قدوم شهر رمضان الشموع العسلية والسكر والارز والكساوي والبن ويعطي ويهب وبنى عدة بيوت بحارة الونديك والازبكية وانشا دارا كبيرة وهي التي يسكنها الدفتردار الآن ويعمل فيها الباشا وابنه الدواوين عند قنطرة الدكة وكان يقف على ابوابه الحجاب والخدم ولم يزل على حالته حتى ظهر المعلم غالي وتداخل في هذا الباشا وفتح له الابواب لاخذ الاموال والمترجم يدافع في ذلك واذا طلب الباشا طلبا واستعان المعلم جرجس يقول له هذا لا يتيسر تحصيله فيأتي المعلم غالي فيتسهل له الامور ويفتح له ابواب التحصيل فضاق خناق المترجم وخاف على نفسه فهرب الى قبلي ثم حضر بامان كما تقدم وانحط قدره ولازمته الامراض حتى مات في اواخر شعبان وانقضى وخلا الجو للمعلم غالي وتعين بالتقدم ووافق الباشا في اغراضه الكلية والجزئية وكل شيء له بداية وله نهاية والله اعلم

(واستهلت سنة ست وعشرين ومائتين والف)

فكان اول المحرم يوم السبت فيه اظهر الباشا الاهتمام بامر الحجاز والتجهيز للسفر وركب في ليلة الجمعة سابعه الى السويس وسافر صحبته كثير

السيد محمد المحروقى وقام باحتياجاته ولوازمه فلما وصل الى السويس * جهز الداوات التى وصلت بالمحمل وسفر عدة
من المراكب التى انشاها
ليقبضوا على الداوات والسفن
التى بالاساكل وحوزها
واستولى على البن الذى وجده
ببندر السويس للتجار فلما
وصل خبر ذلك الى مصر فغلا
سعر البن وزاد حتى وصل الى
خمسين ريالا فرانسه بعد ان
كان بستة وثلاثين عنها اثنا
عشر الف فضة وخمسمائة
نصف فضة

*(واستهل شهر صفر الخير
بيوم الاحد سنة ١٢٢٦)*

فى ثانيه يوم الاثنين حضر
الباشا من السويس الى مصر
فى سادس ساعة من الليل
فضربوا فى صبحها مدافع
لحضوره وقد حضر على هجين
بمفرده ولم يصحبه الا رجل بدوى
على هجين ايضا ليدله على
الطريق وقطع المسافة فى
احدى عشرة ساعة وحضر من
كان بصحبته فى ثانى يوم وهم
مجدون السفر وحضر السيد
محمد المحروقى بحموله فى اليوم
الثالث واخبروا ان الباشا
انزل من ساحل السويس
خمسة مراكب من المراكب
التى انشاها باحتياجاتها
ولوازمها وعساكرها ووجههم
الى ناحية اليمن ليقبضوا على
ما يجدونه من المراكب وان
الصناع مجتهدون فى العمل فى
مراكب كبار بمحل الخيول
والعساكر واللوازم (فيه) حضر صالح اغاقوج حاكم اسيوط وتناقلت الاخبار عن الامراء المصريين القبليين بانهم

كثير من التركمان وغيرهم فنزل بازاء الفرنج وجرت بينهم مناوشة عدة ايام ثم ان شمس
الملوك نهض ببعض عسكره وجعل الباقى قبالة الفرنج وهم لا يشعرون وقصد بلدهم
طبرية والناصرة وعكا وما يجاورها من البلاد فنهب وخرب واحرق وسبى النساء
والذرية وامتلات ايدى من معه من الغنائم واتصل الخبر بالفرنج فانزعجوا ورحلوا فى
الحال لا يلوى اخ على اخيه وطلبوا بلادهم واما شمس الملوك فانه عاد الى عسكره على غير
الطريق الذى سلكه الفرنج فوصل سالما ورأى الفرنج بلادهم خرابا فقت فى
اعضادهم وتفرقوا وراسلوا فى تجديد الهدنة فهادنهم شمس الملوك فى ذى القعدة
السنة

(ذكر عود الملك طغرل الى الجبل وانهزام الملك مسعود)

فى هذه السنة عاد الملك طغرل بن محمد بن ملكشاه ملك بلاد الجبل جميعها واجلى عنها
اخاه السلطان مسعودا وسبب ذلك ان مسعودا لما عاد من حرب اخيه طغرل بلغه
عصيان داود ابن اخيه السلطان محمود باذربيجان فسار اليه وحصره بقلعة روئين دز وكان
قد تحصن بها واشتغل بحصره فجمع الملك طغرل العساكر واستمال بعض قواد مسعود ولم
يزل يفتح البلاد فكثرت عساكره وقصد مسعودا فلما كان بقزوين سار مسعود نحوه
فلما تراءى العسكران فارق مسعودا من امرائه من كان قد استماله طغرل فبقى فى قلة
من العسكر فولى منهزما اواخر رمضان وارسل الى المسترشد بالله فى القدوم لبغداد فاذن
له وكان نائبه باصفهان البقش السلاحى ومعه الملك سلجوق شاه فلما سمع بانهزام
مسعود قصد بغداد ايضا فنزل سلجوق شاه بدار السلطان فاكرمه الخليفة وانفذ اليه
عشرة آلاف دينار ثم قدم مسعود بغداد واكثر اصحابه ركاب جمال لعدم ما يركبونه ولقى
فى طريقه شدة فارسل اليه الخليفة الدواب والخيام والآلات وغيرها من الاموال
والثياب فدخل الدار السلطانية ببغداد منتصف شوال وقام طغرل بهمذان

(ذكر حصر اتابك زنكى آمد وملكه قلعة الصور)

فى هذه السنة اجتمع اتابك زنكى وتمرتاش صاحب ماردين وقصدا مدينة آمد
فحصراها فارسل صاحبها الى داود بن سقمان صاحب حصن كيفا يستنجده فجمع
عساكره وغيرها وسار نحو آمد ليرحلهما عنها فالتقوا على باب آمد وتصافوا فى جمادى
الآخرة فاقتتلوا فانهزم داود وعاد مفلولا وقتل جماعة من عسكره واقام زنكى وتمرتاش
على آمد محاصرين لها وقطعا الشجر وشعثا البلد ثم عادا عنها من غير بلوغ غرض فقصد
زنكى قلعة الصور من ديار بكر وحصرها وضايقها فملكها فى رجب من هذه السنة
واتصل به ضياء الدين ابو سعيد بن الكفرتوثى فاستوزره زنكى وكان حسن الطريقة
عظيم الرياسة والكفاية محبا للخير

(ذكر ملك زنكى قلاع الاكراد الحميدية)

فى هذه السنة استولى عماد الدين زنكى على جميع قلاع الاكراد الحميدية منها قلعة

العقر وقلعة شوش وغيرهما وكان لما ملك الموصل اقر صاحبها الامير عيسى الحميدى على ولايتها واعمالها ولم يعترضه على شئ مما هو بيده فلما حضر المسترشد الى الموصل حضر عيسى هذا عنده وجمع الاكراد عنده فاكثر فلما رحل المسترشد عن الموصل امر زنكى ان تحصر قلاعهم فحصرت مدة طويلة وقوتلت قتالا شديدا الى ان ملكت هذه السنة فاطمأن اذا أهل السواد المجاورون لهؤلاء القوم فانهم كانوا معهم فى ضائقة كبيرة من نهب اموالهم وخراب البلاد

(ذكر ملك قلاع الهكارية وكواشى)

وحكى عن بعض العلماء من الاكراد ممن له معرفة باحوالهم ان اتابك زنكى لما ملك قلاع الحميدية واجلاهم عنها خاف أبو الهيجاء بن عبد الله صاحب قلعة اشب والجزيرة ونوشى فارسل الى أتابك زنكى من استحلفه له وحمل اليه مالا وحضر عند زنكى بالموصل فبقى مدة ثم مات فدفن بتل توبة ولما سار عن اشب الى الموصل اخرج ولده أحمد بن أبى الهيجاء منها خوفا ان يتغلب عليها واعطاه قلعة نوشى وهذا أحمد هو والد على بن احمد المعروف بالمشطوب من أكابر امراء صلاح الدين بن ايوب بالشام ولما اخرجه ابوه من اشب استناب بها كرديا يقال له باو الارجى فلما مات أبو الهيجاء سار ولده احمد من نوشى الى اشب ليملكها فمنعه باو واراد حفظها لولد صغير لابى الهيجاء اسمه على فسار زنكى بعسكره فنزل على اشب وملكها وسبب ملكها ان اهلها نزلوا كلهم الى القتال فتركهم زنكى حتى قاربوه واستجرهم حتى ابعدوا عن القلعة ثم عطف عليهم فانهزموا ووضع السيف فيهم فاكثر القتل والاسر وملك زنكى القلعة فى الحال واحضر جماعة من مقدمى الاكراد فيهم باو فقتلهم وعاد عنها الى الموصل ثم سار عنها وفى غيبته ارسل نصير الدين جقر نائب زنكى وخرب اشب وحلى كهيجة ونوشى وقلعة الجلاب وهى قلعة العمادية وارسل الى قلعة الشعبانى وفرح وكوشر والزعفران والفى وسروة وهى حصون المهرانية فحصرها فملك الجميع واستقام امر الجبل والزوزان وامنت الرعايا من الاكراد واما باقى قلاع الهكارية جبل صور وهرور والملاسى ومابرما وباوخا وباكزا ونسباس فان قراجا صاحب العمادية فتحها من مدة طويلة بعد قتل زنكى وهذا قراجا كان اميرا قد اقطعه زين الدين على بلد الهكارية بعد قتل زنكى ولم اعلم تاريخ فتح هذه القلاع فلهذا ذكرته ههنا وحكى غير هذا بعض فضلاء الاكراد وخالف فيه فقال ان زنكى لما فتح قلعة اشب وخربها وبنى قلعة العمادية ولم يبق فى الهكارية الا صاحب جبل صور وصاحب هرور ولم يكن لهما شوكة يخاف منها عاد الى الموصل فخافه اصحاب القلاع الجبلية فاتفق ان عبد الله بن عيسى بن ابراهيم صاحب الربيه والفى وفرح وغيرها توفى وملكها بعده ولده على وكانت والدته خديجة بنت الحسن اخت ابراهيم وعيسى وهما من الامراء مع زنكى وكانا بالموصل فارسلها ولدها على الى اخويها وطلب له الامان من زنكى وحلفاه له ففعل ونزل الى خدمة زنكى واقره على قلاعه واشتغل زنكى بفتح قلاع الهكارية وكان الشعبانى بيد امير من المهرانية اسمه الحسن بن عمر فاخذه

نحضروا الى الطينة ورجعوا الى ناحية قنا وقوص وخرج اليهم أحمد اغا لاظ وتحارب معهم وقتل من عسكره عدة وافرة (وفيه) قلد الباشا ابنه طوسون باشا سارى عسكر الركب الموجه الى الحجاز واخرجوا جيشهم الى ناحية قبة العزب ونصبوا عرضيا وخياما واظهر الباشا الاجتهاد الزائد والعجلة وعدم التوانى ونوه بتسفير عساكر لناحية الشام لتمليك يوسف باشا الحله وسارى عسكرهم شاهين بك الالفى ونحو ذلك من الايهامات وطلب من المنجمين ان يختاروا وقتا صالحا لالباس ابنه خلعة السفر فاختاروا له الساعة الرابعة من يوم الجمعة فلما كان يوم الخميس رابعه طاف الاى جاويش بالاسواق على صورة الهيئة القديمة فى المناداة على المواكب العظيمة وهو لابس الضامة والطبق على راسه وراكب حمارعال وامامه مقدم بعكاز وحوله قابجية ينادون بقولهم يارن ألاى ويكررون ذلك فى أخطاط المدينة وطافوا باوراق التنابيه على كبار العسكر والبيتبات والامراء المصرية الالفية وغيرهم يطالبونهم للحضور فى باكر النهار الى القلعة ليركب الجميع بتجملاتهم وزينتهم امام الموكب فلما اصبح يوم الجمعة سادسه ركب الجميع وطلعوا الى القلعة وطلع المصرية بمماليكهم واتباعهم واجنادهم فدخل الامراء عند الباشا وصبحوا عليه منه

وجلسوا معه حصة وشربوا القهوة وتضاحك معهم ثم انجر الموكب على الوضع الذى رتبوه فانجر طائفة الدلاة واميرهم المسمى ازون على ومن خلفهم الوالى والمحتسب والاغا والوجاقلية والالداشات المصرية ومن تزيا بزيهم ومن خلفهم طوائف العسكر الرجالة والخيالة والبيكباشيات وارباب المناصب منهم وابراهيم اغا أغات الباب وسليمان بك البواب يذهب ويجى ويرتب الموكب وكان الباشا قد بيت مع حسن باشا وصالح قوج والكتخدا فقط غدر المصرية وقتلهم واسر بذلك فى صبحها ابراهيم اغا اغات الباب فلما انجر الموكب وفرغ طائفة الدلاة ومن خلفهم من الوجاقلية والالداشات المصرية وانفصلوا من باب العزب فعند ذلك امر صالح قوج بغلق الباب وعرف طائفته بالمراد فالتفتوا ضاربين بالمصرية وقد انحصروا باجمعهم فى المضيق المنحدر الحجر المقطوع فى اعلى باب العزب مسافة ما بين الباب الاعلى الذى يتوصل منه الى رحبة سوق القلعة الى الباب الاسفل وقد اعد واعدة من العساكر اوقفوهم على علاوى النقر الحجر والحيطان التى به فلما حصل الضرب من التحتانيين اراد الامراء الرجوع القهقرى فلم يمكنهم ذلك لانتظام الخيول فى مضيق النقر واخذهم ضرب البنادق والقرابين من خلفهم ايضا وعلم العسكر الواقفون

منه وقربه منه لكبره وقلة اعماله وكان نصير الدين جقر يكره عليا صاحب الربية وغيرها فحسن لزنكى القبض عليه فاذن له فى ذلك فقبض عليه ثم ندم زنكى على قبضه فارسل الى نصير الدين ان يطلقه فرآه قد مات قيل ان نصير الدين قتله ثم ارسل العسكر الى قلعة الربية فنازلوها بغتة فلكرها فى ساعة واسروا كل من بها من ولد على واخوته واخواته وكانت والدة على خديجة غائبة فلم توجد فلما سمع زنكى الخبر بفتح الربية سره وأمر ان تسير العساكر الى باقى القلاع التى لعلى فسارت العساكر فحصروها فرأوها منيعة فراسلهم زنكى ووعدهم الاحسان فاجابوه الى التسليم على شرط ان يطلق كل من فى السجن منهم فلم يجبهم الى ذلك الا أن يسلموا ايضا قلعة كواشى فمضت خديجة والدة على الى صاحب كواشى واسمه خول وهرون وهو من المهرانية فسالته النزول عن كواشى فاجابها الى ذلك وتسلم زنكى القلاع واطلق الاسرى فلم يسمع بمثل هذا فقال ينزل من مثل كواشى لقول امرأة فاما ان يكون اعظم الناس مروأة لا يرد من دخل بيته واما ان يكون اقل الناس عقلا واستقامت ولاية الجبال

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة أوقع الدانشمند صاحب ملطية بالامير نجم الدين بالشام وقتل كثيرا منهم وفيها اصطلح الخليفة وأتابك زنكى وفيها فى ربيع الاول عزل انوشروان بن خالد عن وزارة الخليفة وفيها توفيت ام المسترشد بالله وفيها سير المسترشد عسكرا الى تكريت يحصرون مجاهد الدين بهروز فصانع عنها بمال فعادوا عنه وفيها اجتمع من العساكر السنجرية مع الامير ارغش وحصروا قلعة كردكوه بخراسان وهى للاسماعيلية وضيقوا على أهلها وطال حصرها وعدمت عندهم الاقوات فاصاب أهلها تشنج وكزاز وعجز كثير منهم عن القيام فضلا عن القتال فلما ظهرت امارات الفتح رحل الامير ارغش فقيل انهم حملوا اليه مالا كثيرا واعلاقا نفيسة فرحل عنهم وفيها توفى الامير سليمان ابن مهارش العقيلى امير بنى عقيل وولى الامارة بعده اولاده مع صغر سنهم وطيف بهم فى بغداد رعاية لحق جدهم مهارش فانه هو الذى كان الخليفة القائم بامر الله عنده لما فعل به البساسيرى ما ذكرنا وفيها توفى الفقيه أبو على الحسن بن ابراهيم بن فرهون الشافعى الفارقى ومولده سنة ثلاث وثلاثين واربعمائة وتفقه على أبى عبد الله الكازرونى فلما توفى الكازرونى انحدر الى بغداد وتفقه على أبى اسحق الشيرازى وابى نصر الصباغ وولى القضاء بواسط وكان خيرا فاضلا لا يوارى ولا يحابى أحدا فى الحكم وفيها توفى عبد الله بن محمد بن أحمد بن الحسن وأبو محمد بن أبى بكر الفقيه الشافعى تفقه على أبيه وكان يعظ ويكثر فى كلامه من التجانس فمن ذلك قوله أين القدود العالية والخدود الوردية مثلت بها والله العافية والوردية وهما مقبرتان بنهر معلى ومن شعره

الدمع دما يسيل من اجفانى * ان عشت مع البكى فما أجفانى
سجنى شجنى وهمنى همانى * العاذل بالملام قد سمانى *
والذكر لهم يزيد فى اشجانى * والنوح مع الحمام قد أشجانى

ضاقت بي ما دمتني اعطاني * والبين بدا لهم زم قد اعطاني

وفيها توفى ابن ابي الصلت الشاعر ومن شعره يذم ثقيلا

لي صديق عجبت كيف استطاعت * هذه الارض والجبال تقله
انا ارعاه مكرما و بقلبي * منه ما يتلف الخيال اقله
هو مثل المشيب اكره رؤيا * ه ولكن اصونه واجله

وله ايضا

ساد صغار الناس من عصرنا * لادام من عصر ولا كانا
كالدست مهما ان ينقضي * صار به البيدق فرزانا

وفيها توفى محمد بن علي بن عبد الوهاب ابو رشيد الفقيه الشافعي من اهل طبرستان وسمع الحديث ايضا ورواه وكان زاهدا عابدا اقام بالجزيرة وهي جزيرة ابن عمر سنين منفردا يعبد الله سبحانه وتعالى وعاد الى آمل وقبره بها

(ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة)

(ذكر وفاة الملك طغرل وملك مسعود بلد الجبل)

قد ذكرنا قدوم السلطان مسعود الى بغداد منهزما من اخيه الملك طغرل وان الخليفة اكرمه وحمل اليه ما يحتاج اليه مثله وامره بالمسير الى همذان وجمع العساكر ومنازعة اخيه طغرل في السلطنة والبلاد ومسعود يعد ويدافع الايام والخليفة يحثه على ذلك ووعده ان يسير معه بنفسه وامران يبرز خيامه الى باب الخليفة وكان قد اتصل الامير البقش السلاحي وغيره من الامراء بالخليفة وطلبوا خدمته فاجابهم وصاروا معه واتفق ان انسانا اخذ ووجد معه ملطفات من طغرل الى هؤلاء الامراء بالاقطاع لهم فلما رأى الخليفة ذلك قبض على امير منهم اسمه غلبك ونهب ماله فاستشعر غيره من الامراء الذين مع الخليفة فهربوا الى عسكر السلطان مسعود فارسل الخليفة اليه في اعادتهم اليه فلم يفعل واحتج باشياء فعظم ذلك على الخليفة وحدث بينهما نفرة ووحشة اوجبت تاخره عن المسير معه وارسل اليه يلزمه بالمسير معه امرا جزما فبينما الامر على هذا اذ جاءه الخبر بوفاة اخيه طغرل وكانت وفاته في المحرم من هذه السنة وكان مولده سنة ثلاث وخمسمائة في المحرم وكان خيرا عاقلا عادلا قريبا الى الرعية محسنا اليهم وكان قبل موته قد خرج من داره يريد السفر لقتال اخيه مسعود فدعا له الناس فقال ادعوا بالخير للمسلمين ولما توفي ووصل الخبر الى مسعود سار من ساعته نحو همذان واقبلت العساكر جميعها اليه واستوزر شرف الدين انوشروان بن خالد وكان قد خرج بصحبته هو واهله ووصل مسعود الى همذان واستولى عليها واطاعته البلاد جميعها واهلها

(ذكر قتل شمس الملوك وملك اخيه)

في هذه السنة رابع عشر ربيع الآخر قتل شمس الملوك اسمعيل بن تاج الملوك بوري ابن طغدكين صاحب دمشق وسبب قتله انه ركب طريقا من الظلم ومصادرات العمال

بالاولى المراد فضربوا ايضا فاسا نظروا ٨ ما حل بهم سقط في ايديهم وارتبكوا في انفسهم وتحيروا في امرهم ووقع منهم اشخاص كثيرة فنزلوا عن الخيول واقتحم شاهين بك وسليمان بك البواب وآخرون في عدة من مماليكهم راجعين الى فوق والرصاص نازل عليهم من كل ناحية ونزعوا ما كان عليهم من الفراوي والثياب الثقيلة ولم يزالوا سائرين وشاهرين سيوفهم حتى وصلوا الى الرحبة الوسطى المواجهة لقاعة الاعمدة وقد سقط اكثرهم واصيب شاهين بك وسقط الى الارض فقطعوا رأسه واسرعوا بها الى الباشا لياخذوا عليها البقشيش وكان الباشا عندما ساروا بالموكب ركب من ديوان السراية وذهب الى البيت الذي به الحريم وهو بيت اسمعيل افندي الضربخانه واما سليمان بك البواب فهرب من حلاوة الروح وصعد الى حائط البرج الكبير فتابعوه بالضرب حتى سقط وقطعوا رأسه ايضا وهرب كثير الى بيت طوسون باشا يظن الالتجاء به والاحتماء فيه فقتلوهم واسرف العسكر في قتل المصريين وسلب ما عليهم من الثياب ولم يرحموا احدا واظهروا كامن حقدهم وضبعوا فيهم وفيمن رافقهم متجملا معهم من اولاد الناس واهالي البلد الذين تزيوا بزيهم لزينة الموكب وهم يصرخون ويستغيثون ومنهم من يقول انا لست جنديا ولا مملوكا

وغيرهم

وغيرهم في اعمال البلد وبالغ في العقوبات لاستخراج الاموال وظهر منه بخل زائد ودناءة نفس بحيث انه لا يانف من اخذ الشيء الحقير بالعدوان الى غير ذلك من الاخلاق الدنيئة وكرهه اهله واصحاب ابيه ورعيته ثم انه ظهر عنه انه كاتب عماد الدين زنكي انه يسلم اليه دمشق ويحثه على سرعة الوصول واخلى المدينة من الذخائر والاموال ونقل الجميع الى صرخد وتابع الرسل الى زنكي يحثه على الوصول اليه ويقول له ان اهملت المجيء سلمت البلد الى الفرنج فسار زنكي فظهر الخبر بذلك فامتعض اصحاب ابيه وجده واقلقهم وذكروا الحال لوالدته فساءها واشفقت منه ووعدتهم بالراحة من هذا الامر ثم انها ارتقبت الفرصة في الخلوة من غلمانه فلما راته على ذلك امرت غلمانها بقتله فقتل وامرت بالقائه على موضع في الدار ليشاهده غلمانه واصحابه فلما رأوه قتيلا سروا بمصرعه وبالراحة من شره وكان مولده سابع جمادى الآخرة سنة ست وخمسمائة وقيل كان سبب قتله ان والده كان له صاحب اسمه يوسف بن فيروز وكان متمكنا منه ما كنا في دولته ثم في دولة شمس الملوك بعده فاتهم بام شمس الملوك ووصل الخبر اليه بذلك فهم بقتل يوسف فهرب منه الى تدمر وتحصن بها واظهر الطاعة لشمس الملوك فاراد قتل امه فبلغها الخبر فقتلته خوفا منه والله اعلم ولما قتل ملك بعده اخوه شهاب الدين محمود بن تاج الملوك وحلف له الناس واستقر له الملك بعده والله اعلم

(ذكر حصر اتابك زنكي دمشق)

في هذه السنة حصر اتابك زنكي دمشق ونازلها اول جمادى الاولى وسببه ما ذكرنا من رسال شمس الملوك صاحبها اليه واستدعائه ليسلمها اليه فلما وصلت كتبه ورسله سار اليها فقتل شمس الملوك قبل وصوله ولما عبر الفرات ارسل اليه رسلا في تقرير قواعد التسليم فراوا الامر قد فات الا انهم اكرموا واحسن اليهم واعيدوا باجمل هيئة وعرفوا زنكي بقتل شمس الملوك وان القواعد عندهم مستقرة لشهاب الدين والكلمة متفقة على طاعته فلم يحفل زنكي بهذا الجواب وسار الى دمشق فنازلها واجفل اهل السواد اليها واجتمعوا فيها على محاربته ونزل اولا شمالها ثم انتقل الى ميدان الحصى وزحف وقاتل فرأى قوة ظاهرة وشجاعة عظيمة واتفاقا تاما على محاربته وقام معين الدين انز مملوك جده طغدكين في هذه الحادثة بدمشق قياما مشهودا وظهر من معرفته بامور الحصار والقتال وكفايته ما لم يروا ما كان سبب تقدمه واستيلائه على الامور بعد ما نذكر ان شاء الله تعالى فبينما هو يحاصرها وصل رسول الخليفة المسترشد بالله وهو ابو بكر بن بشر الجزري من جزيرة ابن عمر يخلع الاتابك زنكي ويامره بصلح صاحب دمشق الملك البارسلان محمود الذي مع اتابك زنكي فرحل عنها لليلتين مضتا من جمادى الاولى من السنة المذكورة

(ذكر قتل حسن بن الحافظ)

وآخر يقول انا لست من قبيلتهم فلم يرقوا الصارخ ولا الشاكي ولا مستغيث وتتبعوا ٩ المتشتتين والمصر باثنين في نواحي القلعة وزواياها والذين فروا ودخلوا في البيوت والاماكن وقبضوا على من امسك حيا ولم يمت من الرصاص او تخلفا من الموكب وجاء السامع الكلام كالجدمك الكيلار جي ويحيى ملك الالفي وعلي كاشف الكبير فسلبوا ثيابهم وجمعوهم الى السجن تحت مجلس كتخدا بك ثم احضروا ايضا المشاعلي لرمي اعناقهم في حوش الديوان واحدا بعد واحد من ضحوة النهار الى ان مضى حصة من الليل في المشاعل حتى امتلأ الحوش من القتلى ومن مات من المشاهير المعروفين وانصرع في طريق القلعة قطعوا راسه وسحبوا جثته الى باقي الجثث حتى انهم ربطوا في رجلي شاهين بك ويديه حبالا وسحبوه على الارض مثل الحمار الميت الى حوش الديوان هذا ما حصل بالقلعة واما اسفل المدينة فانه عندما اغلق باب القلعة وسمع من بالرميلة صوت الرصاص وقعت الكرشة في الناس وهرب من كان واقفا بالرميلة من الاجناد في انتظار الموكب وكذلك المتفرجون واتصلت الكرشة باسواق المدينة فانزعجوا وهرب من كان بالحوانيت لانتظار الفرجة واغلق الناس حوانيتهم

وقد ذكرنا سنة ست وعشرين وخمسمائة ان الحافظ لدين الله صاحب مصر استوزر ابنه حسنا وخطب له بولاية العهد فبقى الى هذه السنة ومات مسموما وسبب ذلك انه كان جريا على سفك الدماء وكان فى نفس الحافظ على الامراء الذين أعانوا أبا على بن الافضل حقد ويريد الانتقام منهم من غير أن يباشر ذلك بنفسه فاستوزر ابنه وأمره بذلك فتغلب على الامر جميعه واستبد به ولم يبق لابيه معه حكم وقتل من الامراء المصريين ومن أعيان البلاد جمعا حتى قيل انه قتل فى ليلة واحدة أربعين أميرا فلما رأى أبوه تغلبه عليه أخرج له خادما من خدم القصر الاكابر فجمع الجموع وحشد من الرجالة خلقا كثيرا وتقدم الى القاهرة ليقاتل حسنا وخرج حسن اليه وأرسل له جماعة من خواصه وأصحابه فقاتلوهم فانهزم الخادم وقتل الرجال الذين معه وعبر الباقون الى الجيزة فاستكان الحافظ فصير تحت الحجر ثم ان الباقين من الامراء المصريين اجتمعوا واتفقوا على قتل حسن وارسلوا الى أبيه الحافظ وقالوا له اما انك تسلم ابنك الينا لنقتله او نقتلكما جميعا فاستدعى ولده اليه واحتاط عليه وأرسل الى الامراء بذلك فقالوا لا نرضى الا بقتله فرأى انه ان سلمه اليهم طمعوا فيه وليس الى ابقائه سبيل فاحضر طبيبين كانا له احدهما مسلم والآخر يهودى فقال لليهودى نريد سما نسقيه لهذا الولد ليموت ونخلص من هذه الحادثة فقال أنا لا اعرف غير النقوع وماء الشعير وما شاكل هذا من الادوية فقال انا اريد ما اخلص به من هذه المصيبة فقال له لا أعرف شيئا فاحضر المسلم وأمره بذلك فصنع له شيئا فسقاه الولد فمات لوقته فارسل الحافظ الى الجند يقول لهم انه قد مات فقالوا نريد ان ننظر اليه فاحضر بعضهم عنده فرأوا وظنوه قد عمل حيلة فجرحوا أسافل رجليه فلم يجر منها دم فعلموا موته ودفن حسن وأحضر الحافظ الطبيب المسلم وقال له اخرج من عندنا من القصر وجميع مالك من الانعام والجامكية باق عليك وأحضر اليهودى وقال أعلم انك تعرف ما طلبته منك ولكنك عاقل فتقيم فى القصر عندنا وكان حسن سيئ السيرة ظالما جريا على سفك الدماء وأخذ الاموال فهجاه الشعراء فمن ذلك ما قال المعتمد ابن الانصارى صاحب الترسل المشهور

لم تأت يا حسن بين الورى حسنا ❁ ولم تر الحق فى دنيا ولا دين
قتل النفوس بلا جرم ولا سبب ❁ والجور فى أخذ أموال المساكين
لقد جمعت بلا علم ولا أدب ❁ تيه الملوك واخلاق المجانين

وقيل ان الحافظ لما رأى ابنه تغلب على الملك وضع عليه من سقاه السم فمات والله اعلم ولما مات حسن استوزر الحافظ الامير تاج الدولة بهرام وكان نصرانيا فتحكم واستعمل الارمن على الناس فاستذلوا المسلمين وسنذكر أخباره سنة احدى وثلاثين وخمسمائة ان شاء الله تعالى

❁(ذكر مسير المسترشد الى حرب السلطان مسعود وانهزامه)❁

فى هذه السنة كان الحرب بين الخليفة المسترشد بالله وبين السلطان مسعود فى شهر رمضان

وليس لاحد علم بما حصل وظنوا ظنونا وعند ما تحقق العسكر حصول الواقعة وقتل الامراء انثنوا كالجراد المنتشر الى بيوت الامراء المصريين ومن جاورهم طالبين النهب والغنيمة فولجوها بغتة ونهبوها نهبا ذريعا وهتكوا الحرائر والحريم وسحبوا النساء والجوارى والخوندات والستات وسلبوا ما عليهن من الحلى والجواهر والثياب واظهروا الكامن فى نفوسهم ولم يجدوا مانعا ولا رادعا و بعضهم قبض على يد امراة ليأخذ منها السوار فلم يتمكن من نزعها بسرعة فقطع يد المراة وحل بالناس فى بقية ذلك اليوم من الفزع والخوف وتوقع المكروه ما لا يوصف لان المماليك والاجناد تداخلوا وسكنوا فى جميع الحارات والنواحى وكل امير له دار كبيرة فيها عياله واتباعه ومماليكه وخيوله وجماله وله دار ودا ران صغار فى داخل العطف ونواحى الازهر والمشهد الحسينى يوزعون فيها ما يخافون عليه لظنهم بعدها وحمايتها بحرمة الخطة وصونها عند وقوع الحوادث وكثير من كبار العسكر مجاورون لهم فى جميع النواحى و يرمقون احوالهم و يطلعون على اكثر حركاتهم وسكناتهم و يتداخلون فيهم و يعاشرونهم و يسامرونهم بالليل ويظهرون لهم الصداقة والمحبة وقلوبهم محشوة من الحقد عليهم والكراهة لهم بل وبجميع

رمضان وسبب ذلك ان السلطان مسعودا لما سافر من بغداد الى همذان بعد موت
اخيه طغرل وملكها فارقه جماعة من أعيان الامراء منهم يرنقش بازدار وقزل آخر
وسنقر الخمارتكين والى همذان وعبد الرحمن بن طغايرك وغيرهم خائفين منه
مستوحشين ومعهم عدد كثير ومعهم دبيس بن صدقة وأرسلوا الى الخليفة يطلبون منه
الامان ليحضروا فى خدمته فقيل له انها مكيدة لان دبيسا معهم وساروا الى خوزستان
واتفقوا مع برسق بن برسق فارسل الخليفة اليهم سديد الدولة بن الانبارى بتوقيعات الى
الامراء المذكورين بتطييب نفوسهم والامر بحضورهم وكان الامراء المذكورون قد
عزموا على قبض دبيس والتقرب الى الخليفة بحمله اليه فبلغه ذلك فهرب الى
السلطان مسعود وسار الامراء الى بغداد فى رجب فاكرمهم الخليفة وحمل اليهم الاقامات
والخلع وقطعت خطبة السلطان مسعود من بغداد وبرز الخليفة فى العشرين من رجب
على عزم المسير الى قتال مسعود وأقام فى الشفيعى فعصى عليه بكبه صاحب البصرة
فهرب اليها فراسله وبذل له الامان فلم يعد اليه وتريث الخليفة عن المسير وهؤلاء
الامراء يحسنون له الرحيل ويسهلون عليه الامر ويضعفون عنده أمر السلطان مسعود
فسير مقدمته الى حلوان فنهبوا البلاد وافسدوا ولم ينكر عليهم شيئا ثم سار الخليفة ثامن
شعبان ولحق به فى الطريق الامير برسق بن برسق فبلغت عدتهم سبعة آلاف فارس
وتخلف بالعراق مع اقبال خادم المسترشد بالله ثلاثة آلاف فارس وكان السلطان مسعود
بهمذان فى نحو ألف وخمسمائة فارس وكان أكثر أصحاب الاطراف يكاتبون الخليفة
ويبذلون له الطاعة فتريث فى طريقه فاستصلح السلطان مسعود أكثرهم حتى عادوا
اليه فصار فى نحو خمسة عشر ألف فارس وتسلل جماعة كثيرة من عسكر الخليفة حتى بقى
فى خمسة آلاف وارسل أتابك زنكى نجدة فلم يلحق وأرسل الملك داود ابن السلطان
محمود وهو باذربيجان الى الخليفة يشير بالميل الى الدينور ليحضر بنفسه وعسكره فلم
يفعل المسترشد وسار حتى بلغ داي مرج فعبى أصحابه فجعل فى الميمنة يرنقش بازدار ونور
الدولة سنقر وقزل آخر وبرسق بن برسق وجعل فى الميسرة جاولى وبرسق شراب سلار
وغلبك الذى كان الخليفة قد قبض عليه وأخرجه من محبسه ولما سمع السلطان مسعود
خبرهم سار اليهم مجدا فواقعهم بداي مرج عاشر رمضان وانحازت ميسرة الخليفة الى
السلطان مسعود فصارت معه واقتتلت ميمنة الخليفة وميسرة السلطان قتالا ضعيفا
ودارت عساكر السلطان حول عساكر الخليفة وهو ثابت لم يتحرك من مكانه وانهزم
عسكره وأخذ هو أسيرا ومعه جمع كثير من أصحابه منهم الوزير شرف الدين على بن طراد
الزينبى وقاضى القضاة وصاحب المخزن ابن طلحة وابن الانبارى والخطباء والفقهاء
والشهود وغيرهم وانزل الخليفة فى خيمة وغنموا ما فى معسكره وكان كثيرا فحمل الوزير
وقاضى القضاة وابن الانبارى وصاحب المخزن وغيرهم من الاكابر الى قلعة سرجهان
وباع الباقون نفوسهم بالثمن دون الطفيف ولم يقتل فى هذه المعركة احد وهذا العجب

ابناء العرب فلما حصلت هذه الحادثة بادروا التحصيل ما مولهم واظهروا ما كان عظيما فى صدورهم وخصوصا
منها التشفى فى النساء فان
العظيم منهم كان اذا خطب
ادنى امرأة ليتزوج بها فلا
ترضى به وتعافه وتأنف
قربه وان ألح عليها استجارت
بمن يحميها منه والا هربت من
بيتها واختفت شهورا وذلك
بخلاف ما اذا خطبها أسفل
شخص من جنس المماليك
اجابته فى الحال واتفق انه
لما اصطلح الباشا مع الالفية
وطلبوا البيوت ظهر كثير من
النساء المستترات المختفيات
وتنافسن فى زواجهم وعملن
لهم الكساوى وقدمن لهم
التقادم وصرفن عليهم لوازم
البيوت التى تلزم الازواج
لزوجاتهم كل ذلك بمرأى من
الاتراك يحقدونه فى قلوبهم
وفيهم من حمى جاره وصان
دياره ومانع اعلاهم أدناهم
وقليل ماهم وذلك لغرض
يبتغيه وامر يرتجيه فانه
بعد ارتفاع النهب كانوا
يقبضون عليهم من البيوت
فيستولى الذى حماه ودافع
عنه على داره وما فيها وانتهبت
دور كثيرة من المجاورين لهم
أولدور اتباعهم بادنى شبهة
وبغير شبهة اويدخلون بحجة
التفتيش ويقولون عندكم
مملوك اوسمعنا أن عندكم
وديعة لمملوك وبات الناس
واصبحوا على ذلك ونهب فى هذه الحادثة من الاموال والامتعة مالا يقدر قدره ويحصيه الا الله سبحانه وتعالى

ما يحكى وعاد السلطان الى همذان وامر فنودى من تبعنا الى همذان من البغادده
قاتلناه فرجع الناس كلهم على اقبح حال لا يعرفون طريقا وليس معهم ما يحملهم
وسير السلطان الامير بك آبه المحمودى الى بغداد شحنة فوصلها سلخ رمضان ومعه عبيد
فقبضوا جميع املاك الخليفة واخذوا غلاتها وثار جماعة من عامة بغداد فكسروا
المنبر والشباك ومنعوا من الخطبة وخرجوا من الاسواق يحثون التراب على رؤسهم
ويبكون ويصيحون وخرج النساء حاسرات فى الاسواق يلطمن واقتتل اصحاب
الشحنة وعامة بغداد فقتل من العامة ما يزيد على مائة وخمسين قتيلا وهرب الوالى
وحاجب الباب واما السلطان فانه سار فى شوال من همذان الى مراغة لقتال الملك
داود ابن اخيه محمود وكان قد عصى عليه فنزل على فرسخين من مراغة والمسترشد معه
فترددت الرسل بين الخليفة وبين السلطان فى الصلح فاستقرت القاعدة على ما نذكره
ان شاء الله والله الموفق

(ذكر قتل المسترشد بالله وخلافة الراشد بالله)

لما قبض المسترشد بالله ابو منصور بن الفضل بن المستظهر بالله ابى العباس احمد على
ما ذكرناه جعله السلطان مسعود فى خيمة ووكل به من يحفظه وقام بما يجب من خدمته
وترددت الرسل بينهما فى تقرير قواعد الصلح على مال يؤديه الخليفة وان لا يعود يجمع
العساكر وان لا يخرج من داره فاجاب السلطان الى ذلك واركب الخليفة وحمل
الغاشية بين يديه ولم يبق الا ان يعود الى بغداد فوصل الخبر ان الامير قران خوان قد ورد
رسولا من السلطان سنجر فتأخر مسير المسترشد لذلك وخرج الناس مع السلطان مسعود الى
لقائه وفارق الخليفة بعض من كان موكلا به وكانت خيمته منفردة عن العسكر فقصده
اربعة وعشرون رجلا من الباطنية ودخلوا عليه فقتلوه وجرحوه ما يزيد على عشرين
جراحة ومثلوا به فجدعوا انفه واذنيه وتركوه عريانا وقتل معه نفر من اصحابه منهم ابو
عبد الله بن سكينة وكان قتله يوم الاحد سابع عشر ذى القعدة على باب مراغة وبقى حتى
دفنه اهل مراغة واما الباطنية فقتل منهم عشرة وقيل بل قتلوا جميعهم والله اعلم وكان
عمره لما قتل ثلاثا واربعين سنة وثلاثة اشهر وكانت خلافته سبع عشرة سنة وستة
اشهر وعشرين يوما وامه ام ولد وكان شهما شجاعا كثير الاقدام بعيد الهمة واخباره
المذكورة تدل على ما ذكرناه وكان فصيحا بليغا حسن الخط ولقد رايت خطه فى غاية
الجودة ورايت اجوبته على الرقاع من احسن ما يكتب وافصحه ولما قتل المسترشد
بالله بويع ابنه الراشد بالله ابو جعفر المنصور ولقب الراشد بالله وكان ابوه قد بايع له
بولاية العهد فى حياته وجددت له البيعة بعد قتله يوم الاثنين السابع والعشرين من
ذى القعدة وكتب السلطان مسعود الى بك آبه الشحنة ببغداد بان يبايع له وحضر الناس
البيعة وحضر بيعته احد وعشرون رجلا من اولاد الخلفاء وبايع له الشيخ ابو النجيب
ووعظه وبالغ فى الموعظة واما جمال الدولة المسترشدى فكانه كان ببغداد فى طائفة

كتخدا المتولى خدمة على بساتين الباشا التى انشاها بشبرا وبيت الامير عثمان اغا الوردانى ومصطفى كاشف المورلى والافندية الكتبة وغيرهم واصبح يوم السبت والنهب والقتل والقبض على المتوارين والمختفين مستمر ويدل البعض على البعض او يغمز عليه وركب الباشا فى الضحوة ونزل من القلعة وحوله اغواته الكبار مشاة وامامه الصفاشية والجاويشية بزينتهم وملابسهم الفاخرة والجميع مشاة ليس فيهم راكب سواه وهم محدقون به واماما ومن خلفه عدة وافرة والفرح والسرور بقتل المصريين ونهبهم والظفر بهم طافح من وجوههم فكان كلما مر على ابواب الدور والقلقات والضابطين وقف عليهم ووبخهم على النهب وعدم منعهم لذلك والحال انهم هم الذين كانوا ينهبون اولا ويتبعهم غيرهم فمر على العقادين الرومى والشوائين فخرج اليه شخص من تجار المغاربة يسمى العربى الحلو وصرخ فى وجهه وهو يقول ايش هذا الحال وايش انا علاقة حتى ينهبنا العسكر ونحن ناس فقراء مغاربة متسببون ولسنا مماليك ولا اجنادا فوقف اليه وارسل معه نفرا الى داره فوجدوا بها شخصين

من العسكر فلما جرت هذه الحادثة عبر الى الجانب الغربي واصعد الى تكريت وراسل مجاهد الدين بهروز وحلفه وصعد اليه الى القلعة

(ذكر مسير السلطان سنجر الى غزنه وعوده عنها)

في هذه السنة في ذي القعدة سار السلطان سنجر من خراسان الى غزنه وسبب ذلك انه نقل اليه عن صاحبها بهرام شاه انه تغير عن طاعته وانه قد مد يده الى ظلم الرعايا واغتصاب اموالهم وكان السلطان سنجر هو الذي ملك غزنة وقد ذكرناه سنة تسع وخمسمائة فلما سمع هذه الاخبار المزعجة سار الى غزنة لياخذها او يصلحه فلما راى الطريق ابعد ادركهم شتاء شديد البرد كثير الثلج وتعذرت عليهم الاقوات والعلوفات فشكا العسكر الى السلطان ذلك وذكروا له ما هم فيه من الضيق وتعذر ما يحتاجون اليه فلم يجب عنه بغير التقدم أمامه فلما قارب غزنة ارسل بهرام شاه الى سنجر رسولا يتضرع ويسال الصفح عن جرمه والعفو عن ذنبه فارسل اليه سنجر المقرب جوهرا الخادم وهو اكبر امير عنده ومن جملة اقطاعه مدينة الري في جواب رسالته يجيبه عن العفو عنه ان حضر عنده وعاد الى طاعته فلما وصل الى بهرام شاه اجابه الى ما طلب منه من الطاعة وحمل المال والحضور عنده بنفسه واظهر من الطاعة والانقياد لما يحكم به السلطان سنجر شيئا كثيرا وعاد المقرب جوهر ومعه بهرام شاه الى سنجر فلما قاربه سبق المقرب الى السلطان سنجر واعلمه بوصول بهرام شاه وانه بكرة غد يكون عنده وعاد المقرب الى بهرام شاه ليجيء بين يديه وركب سنجر من الغد في موكبه لتلقيه وتقدم بهرام شاه ومعه المقرب فلما عاين موكب سنجر والشتر على رأسه نكص على عقبيه عائدا فامسك المقرب عنانه وقبح فعله وخوفه عاقبة ذلك فلم يرجع وولى هاربا ولم يصدق بنجاته ظنا منه ان سنجر ياخذه ويملك بلده وتبعه طائفة من اصحابه وخواصه ولم يعرج على غزنة وسار سنجر الى غزنة فدخلها وملكها واحتوى على جميع ما فيها وجبى اموالها وكتب الى بهرام شاه يلومه على ما فعله ويحلف له انه ما اراد به شرا ولا له في بلده مطمع ولا هو ممن تلون صنيعته وتعقب حسنته معه سيئة وانما قصده لاصلاحه فاعاد بهرام شاه الجواب يعتذر ويتنصل ويقول ان الخوف منعه من الحضور ولا لوم على من خاف من السلطان وتضرع في عوده الى الاحسان فاجابه سنجر الى ان يعيد عليه بلده وفارق غزنة عائدا الى بلاده فوصل الى بلخ في شوال سنة ثلاثين وخمسمائة واستقر ملك غزنة لبهرام شاه ورجع اليها

(ذكر قتل دبيس بن صدقة بالتاريخ)

في هذه السنة قتل السلطان مسعود دبيس بن صدقة على باب سرادقه بظاهر مدينة خوى امر غلاما ارمنيا بقتله فوقف على رأسه وهو ينكت الارض باصبعه فضرب رقبته وهو لا يشعر وكان ابنه صدقة بالحلة فاجتمع اليه عسكر أبيه ومماليكه وكثر جمعه واستامن اليه الامير قتلغ تكين وامر السلطان مسعود بك آبه ان ياخذ الحلة فسار بعض عسكره

احدهما تركي والآخر بلدي وهما يلتقطان آخر النهب وما سقط من النهابين فامر بقتلهما فاخذوهما الى باب الخرق وقطعوا رؤسهما ثم انه عطف على جهة الكعكيين فلاقاه من اخبره بان المشايخ مجتمعون وفي انتظاره الركوب لملاقاته والسلام عليه والتهنئة بالظفر فقال أنا اذهب اليهم ولم يزل في سيره حتى دخل الى بيت الشيخ الشرقاوي وجلس عنده ساعة لطيفة وكان قد التجا الى الشيخ شخصان من الكشاف المصرية فكلمه في شانهما وترجى عنده في اعتاقهما من القتل وان يؤمنهما على انفسهما وقال له لا تفضح شيبتي يا ولدي واقبل شفاعتي واعطهما محرمة الامان فاجابه الى ذلك وقال له شفاعتك مقبولة ولكن نحن لا نعطي محارم وأنا أمانى بالقول او نكتب ورقة ونرسلها اليك بالامان فاطمان الشيخ لذلك ثم قام الباشا وركب وطلع الى القلعة وارسل ورقة الى الشيخ يطلبهما فقال لهما الشيخ ان الباشا ارسل هذه الورقة يؤمنكما ويطلبكما اليه فقالا وما يفعل بذهابنا اليه فلا شك في انه يقتلنا فقال الشيخ لا يصح ذلك ولا يكون كيف انه ياخذكم من بيتي ويقتلكم بعد ان قبل شفاعتي فذهبا مع الرسول فعندما وصلا الى الحوش وهو مملوء بالقتلى وضرب الرقاب واقع في المحبوسين والمحضرين قبضوا عليهما واودجاق ضمنهم وفي ذلك اليوم نزل طوسون ابن الباشا

الى المدائن واقاموا مدة ينتظرون لحاق بك آبه فلم يسر اليهم جبنا وعجزا عن قصد الخليفة لكثرة العسكر بجامع صدقة وبقي صدقة بالحلة الى ان قدم السلطان مسعود الى بغداد سنة احدى وثلاثين وخمسمائة فقصده وأصلح حاله معه ولزم باب السلطان ومثل هذه الحادثة يقع كثيرا وهو قرب موت المتعادين فان دبيسا كان يعادي المسترشد بالله و يكره خلافته ولم يكن يعلم ان السلاطين انما كانوا يبقون عليه ليجعلوه عدة لمقارنة المسترشد فلما زال السبب زال المسبب والله اعلم بذلك

(ذكر حصر عسكر يحيى المهدية)

في هذه السنة سير يحيى بن العزيز بن حماد صاحب بجاية عسكرا يحصروا المهدية وبها صاحبها الحسن بن علي بن تميم بن المعز بن باديس وكان سبب ذلك ان الحسن أحب ميمون بن زيادة أمير طائفة كبيرة من العرب ومال اليه وأكثر الانعام عليه فحسده غيره من العرب فساروا الى يحيى بن العزيز بإولادهم وحملوهم رهائن عنده وطلبوا منه أن يرسل معهم عسكرا ليملكوا المهدية فاجابهم الى ذلك وهو متباطئ فاتفق انه وصله كتب من بعض مشايخ المهدية بمثل ذلك فوثق الى ما أتاه وسير عسكرا كثيرا واستعمل عليهم قائدا كبيرا من فقهاء أصحابه يقال له مطرف بن حمدون وكان هذا يحيى بن العزيز هو وآباؤه يحضرون المعز بن باديس وأولاده بعده فسارت العساكر الفارس والراجل ومعهم من العرب جمع كثير حتى نزلوا على المهدية وحصروها برا وبحرا وكان مطرف يظهر التقشف والتورع عن الدماء وقال انما أتيت الآن لاتسلم البلد بغير قتال فخاب ظنه فبقي أياما لم يقاتل ثم انهم باشروا فظهر أهل المهدية عليهم وأثروا فيهم وتتابع القتال وفي كل ذلك الظفر لاهل البلد وقتل من الخارجين الجم الغفير وجمع مطرف عسكره برا وبحرا المايئس من التسليم وقاتل أشد قتال فملكت شوانيه شاطئ البحر وقربوا من السور فاشتد الامر فامر الحسن بفتح الباب وخرج أوّل الناس وحمل هو ومن معه عليهم وقال انا الحسن فلما سمع من يقاتله ذلك سلموا عليه وانهزموا عنه اجلالا له ثم اخرج الحسن شوانيه تلك الساعة من الميناء فاخذ من تلك الشواني أربع قطع وهرب الباقون ثم وصلت نجدة من رجار الفرنجي صاحب صقلية في البحر في عشرين قطعة فحصرت شواني صاحب بجاية فامرهم الحسن باطلاقها فاطلقوها ثم وصل ميمون بن زيادة في كثير من العرب لنصرة الحسن فلما رأى ذلك مطرف وان النجدات تأتي الحسن في البر والبحر علم انه لاطاقة له بهم فرحل عن المهدية خائبا وأقام رجار الفرنجي مظهر للحسن انه مهادنه وموافقه وهو مع ذلك يعمر الشواني ويكثر عددها وآلاتها

(ذكر استيلاء الفرنج على جزيرة جربة)

كانت جزيرة جربة من بلاد افريقية قد استوت في كثرة عمارتها وخيراتها غير ان اهلها طغوا فلا يدخلون تحت طاعة سلطان و يعرفون بالفساد وقطع الطريق فخرج

وقت نزول ابيه وشق المدينة وقتل شخصا من النهابين ايضا فارتفع النهب وانكف العسكر من ذلك ولولا نزول الباشا وابنه في صبح ذلك اليوم لنهب العسكر بقية المدينة وحصل منهم غاية الضرر وأما القبض على الاجناد و المماليك فستمر وكذلك كل من كان يشبههم في الملبس والزي وأكثر من كان يقبض عليهم عساكر حسن باشا الارنؤدي فيكبسون عليهم في الدور وفي الاماكن التي توار وافيها واستدلوا عليهم فيقبضون على من يقبضون عليه و ينهبون من الاماكن مايمكنهم حمله وثياب النساء وحليهن و يسحبون الواحد والاثنين او أكثر بينهم و يأخذون عمائمهم وثيابهم ومافي جيوبهم في اثناء الطريق واذا كان كبيرا او اميرا يستحي منه طلبوه بالرفق فاذا ظهر لهم قالوا له سيدنا حسن باشا يستدعيك اليه فلاتخش من شئ و يطمئن قليلا و يظن انهم يجيرونه وعلى اي حال لايسعه الا الاجابة لانه ان امتنع اخذوه قهرا فاذا خرج من الدار استصحبه جماعة منهم وطلع البواقي الى الدار فاخذوا ماقدروا عليه ولحقوا بهم و يجري على المأخوذ مايجري على امثاله من المأخوذين والبعض توارى والتجا الى طائفة الدلاة وتزيا بشكلهم ولبس لهم طرطورا وأجاروه وهرب كثير في ذلك اليوم اليها

اليها جمع من الفرنج أهل صقلية فى اسطول كثير وجم غفير فيه من مشهورى فرسان الفرنج جماعة فنزلوا بساحتها وأداروا المراكب بجهاتها واجتمع أهلها وقاتلوا قتالا شديدا فوقع بين الفريقين وقعات عظيمة فثبت أهل جربة فقتل منهم بشر كثير فانهزموا وملك الفرنج الجزيرة وغنموا أموالها وسبوا حريمها ونساءها وأطفالها وهلك أكثر رجالها ومن بقى منهم أخذوا لانفسهم أمانا من صاحب صقلية وافتكوا أسراهم وسبيهم وحريمهم والله أعلم بذلك

(ذكر ملك الفرنج حصن روطة من بلاد الاندلس)

فى هذه السنة اصطلح المستنصر بالله بن هود والسليطين الفرنجى صاحب طليطلة مدة عشر سنين وكان السليطين قد أدمن غزو بلاد المستنصر وقتالها حتى ضعف صاحبها من مقاومته لقلة جنوده وكثرة الفرنج فرأى ان يصالحه مدة يستريح فيها هو وجنوده ويستعدون للمعاودة فترددت الرسل بينهم فاستقر الصلح على ان يسلم المستنصر الى السليطين حصن روطة وهو من امنع الحصون واحصنها فاستقرت القاعدة واصطلحوا وتسلمت منه الفرنج الحصن وفعل المستنصر فعلة لم يفعلها قبله أحد

(ذكر حصر ابن ردمير مدينة افراغة وهزيمته وموته)

وفى هذه السنة حصر ابن ردمير الفرنجى لعنه الله مدينة افراغة من شرق الاندلس وكان الامير تاشفين بن على بن يوسف بمدينة قرطبة أميرا على الاندلس لابيه فجهز الزبير ابن عمرو اللمتونى من قرطبة ومعه الفافارس وسير معه ميرة كثيرة الى افراغة وكان يحيى ابن غانية الامير المشهور أمير مرسية وبلنسية من شرق الاندلس واليه الامر بها لامير المسلمين على بن يوسف فتجهز فى خمسمائة فارس وكان عبد الله بن عياض صاحب مدينة لاردة فتجهز فى مائتى فارس فاجتمعوا وحملوا الميرة وساروا حتى أشرفوا على مدينة افراغة وجعل الزبير الميرة أمامه وابن غانية أمام الميرة وابن عياض أمام ابن غانية وكان شجاعا وكذلك جميع من معه وكان ابن ردمير فى اثنى عشر ألف فارس فاحتقر جميع الواصلين من المسلمين فقال لاصحابه اخرجوا وخذوا هذه الهدية التى أرسلها المسلمون اليكم وأدركه العجب فنفذ قطعة كبيرة من جيشه فلما قربوا من المسلمين حمل عليهم ابن عياض وكسرهم ورد بعضهم على بعض وقتل فيهم والتحم القتال وجاء ابن ردمير بنفسه وعساكره جميعا مدلين بكثرتهم وشجاعتهم فحمل ابن غانية وابن عياض فى صدورهم واشتد الامر بينهم وعظم القتال فكثر القتل فى الفرنج وخرج فى الحال اهل افراغة جميعهم ذكرهم وانثاهم صغيرهم وكبيرهم الى خيام الفرنج فاشتغل الرجال بقتل من وجدوا فى العسكر واشتغل النساء بالنهب وحملوا جميع ما وجدوه هناك الى المدينة من قوت وعدد وآلات وسلاح وغير ذلك وبينما المسلمون والفرنج فى القتال اذ وصل اليهم الزبير فى عسكره فانهزم ابن ردمير وعسكره ولم يسلم منهم الا القليل ولحق ابن ردمير بمدينة سرقسطة فلما رأى ما قتل من اصحابه مات مفجوعا بعد عشرين يوما من

وخرجوا الى قبلى وبعضهم تزيا بزى نساء الفلاحين وخرج فى ضمن الفلاحات اللاتى يبعن الجلة والجبنة وذهبوا فى ضمنهم وفر من نجا منهم الى الشام وغيرها واما كتخدا بك فانه لشدة بغضه فيهم صار لا يرحم منهم احدا فكان كل من احضروه ولو فقيرا هرما من مماليك الامراء الاقدمين يامر بضرب عنقه وارسل اوراقا الى كشاف النواحى والاقاليم بقتل كل من وجدوه بالقرى والبلدان فوردت الرؤس فى ثانى يوم من النواحى فيضعونها بالرميلة وعلى مصطبة السبيل المواجه لباب زويلة وكان كثير من الاجناد بالارياف لتحصيل الفرض التى تعهدوا بدفعها عن فلاحيهم وانقضت اجلتهم وطولبوا بالدفع والفلاحون قصرت ايديهم ولم يقبلوا للملتزمين عذرا فى التاخير فلم يسعهم الا الذهاب بانفسهم لاجل خلاص المطلوب منهم للديوان فعندما وصلت الاوامر الى كشاف الاقاليم بقتل الكائنين بالبلاد بادروا بقتل من يمكنهم قتله ومن بعد عنهم ارسلوا لهم العساكر فى محلاتهم فيدهمونهم على حين غفلة ويقتلونهم وينهبون متاعهم وما جمعوه من المال ويرسلون برؤسهم او يتحيلون على القبض عليهم وقتلهم فصار يصل فى كل يوم العدد من الرؤس من قبلى وبحرى ويضعونها على باب زويلة وباب القلعة ولم يقبلوا شفاعة فى احد ابدا ويعطون الامان للبعض فاذا حضروا قبضوا عليهم وشلحوهم

المزيمة وكان اشد ملوك الفرنج باسا واكثرهم تجردا لحرب المسلمين واعظمهم صبرا كان ينام على طارقته بغير وطاء وقيل له ألا تتسرى من بنات أكابر المسلمين اللاتي سبيت منهم فقال الرجل المحارب ينبغي ان يعاشر الرجال لا النساء وأراح الله منه وكفى المسلمين شره

* (ذكر عدة حوادث) *

في هذه السنة في شعبان زلزلت الارض بالعراق والموصل وبلاد الجبل وغيرها وكانت زلزلة شديدة وهلك فيها كثيرا من الناس والله أعلم

(ثم دخلت سنة ثلاثين وخمسمائة)

* (ذكر الحرب بين عسكر الراشد وعسكر السلطان) *

في هذه السنة وصل يرنقش الزكوي من عند السلطان مسعود يطالب الخليفة بما كان قد استقر على المسترشد من المال وهو أربعمائة ألف دينار فذكر انه لا شيء عنده وان المال جميعه كان مع المسترشد بالله فنهب ثم بلغ الراشد بالله ان يرنقش يريد الهجوم على دار الخلافة وتفتيشها لياخذ المال فجمع العساكر لمنعها وامر عليهم كجابه واعاد عمارة السور فلما علم يرنقش بذلك اتفق هو وبك ابه شحنة بغداد وهم من امراء السلطان على ان يهجموا على دار الخليفة يوم الجمعة فبلغ ذلك الراشد بالله فاستعد لمنعهم وركب يرنقش ومعه العسكر والامراء البكجية ومحمد بن عكر في نحو خمسة آلاف فارس ولقيهم عسكر الخليفة فاخرجوا عسكر السلطان الى دار السلطان فساروا الى طريق خراسان ثم انحدر بك ابه الى واسط وسار يرنقش الى البندنيجين ونهبت العامة دار السلطان

* (ذكر اجتماع اصحاب الاطراف على حرب مسعود ببغداد وخروجهم عن طاعته) *

في هذه السنة اجتمع كثير من الامراء واصحاب الاطراف على الخروج عن طاعة السلطان مسعود فسار الملك داود ابن السلطان محمود في عسكر اذربيجان الى بغداد فوصلها في رابع صفر ونزل بدار السلطان ووصل اتابك عماد الدين زنكي بعده من الموصل ووصل يرنقش بازدار صاحب قزوين وغيرهما والبقش الكبير صاحب اصفهان وصدقة بن دبيس صاحب الحلة ومعه عنتر بن أبي العسكر الجاواني يدبره ويتمم امره وابن برسق وابن الاحمديلي وخرج اليهم من عسكر بغداد كجابه والطرنطاي وغيرهما وجعل الملك داود في شحنكية بغداد يرنقش بازدار وقبض الخليفة الراشد بالله على ناصح الدولة أبي عبد الله الحسن بن جهير استاذ الدار وهو كان السبب في ولايته وعلى جمال الدولة اقبال المسترشدي وكان قدم اليه من تكريت وعلى غيرهما من اعيان دولته فتغيرت نيات اصحابه عليه وخافوه فاما جمال الدولة فان اتابك زنكي شفع فيه شفاعة قبلها الامام فاطلق وصار اليه ونزل عنده وخرج موكب الخليفة مع وزيره جلال الدين ابي الرضا ابن صدقة الى عماد الدين لتهنئته بالقدوم فاقام الوزير عنده

بيانهم وقتلوهم والباشا يعلم من كتخداه شدة الكراهة لجنس المماليك فقوض له الامر فيهم حتى انه كان بينه و بين محمد اغا الكتخدا الجاويشية سابقا بعض منافرة من مدة سابقة اولكونه صاهر بعض الالفية وزوجه ابنته وكان غائبا ببلدة يقال لها الفرعونية جارية في اقطاعه وتعهدها عليها من الفرضة فذهب اليها بنفسه ليستخلص منها الفرضة والمال الاميرى فارسل الكتخدا بك الى كاشف المنوفية قبل الحادث بيوم يامره فيه بامره فارسل اليه طائفة من العسكر دخلوا عليه في الفجرية وهو يتوضا لصلاة الصبح فقتلوه وقطعوا رأسه وأحضروها الى مصر وكانوا ياتون باشخاص من بقايا البيوت القديمة فيمثلونهم بين يدي الكتخدا فيسالهم فيخبرون عن أنفسهم ونسبتهم فيكذبهم ويامر بهم الى الحبس الاعلى حتى يتبين أمرهم فاما تدركهم الالطاف فينجون بعد معاينة الموت وهذا في النادر فقتل في هذه الحادثة اكثر من ألف انسان أمراء وأجناد وكشاف ومماليك ثم صاروا يحملون رممهم على الاخشاب ويرمونهم عند المغسل بالرميلة ثم يرفعونهم ويلقونهم في حفر من الارض فوق بعضهم البعض لا يتميز الامير عن غيره وسلخوا عدة رؤس من رؤس العظماء والقوا بجاجمهم المسلوخة على الرمم في تلك الحفر فكانت هذه الكائنة من أشنع الحوادث التي لم يتفق مثلها ولم ينح وساله

وساله ان يمنعه من الخليفة فاجابه الى ذلك وعاد الموكب بفيروزبروا ارسل زنكي من حرس دار الوزير من النهب ثم اصلح حاله مع الخليفة واعاده الى وزارته وكذلك ايضا عبر عليه قاضي القضاة الزينبي وسار معه الى الموصل ثم ان الخليفة جد في عمارة السور فارسل له الملك داود من قلع ابوابه واخرب قطعة منه فانزعج الناس ببغداد ونقلوا اموالهم الى دار الخلافة وقطعت خطبة السلطان مسعود وخطب للملك داود ودوجرت الايمان بين الخليفة والملك داود وعماد الدين زنكي وارسل الخليفة الى اتابك زنكي مائتي الف دينار لينفقها ووصل الملك سلجوق شاه الى واسط فدخلها وقبض على الامير بك ابه ونهب ماله وانحدر أتابك زنكي اليه لدفعه عنها واصطلحا وعاد زنكي الى بغداد وعبر الى طريق خراسان وحث على جمع العساكر للقاء السلطان مسعود وسار الملك داود نحو طريق خراسان فنهب العسكر البلاد ووصلت الاخبار بمسير السلطان مسعود الى بغداد وفارق الملك داود واتابك زنكي فعادا اتابك زنكي الى بغداد وفارق الملك داود واظهر له انه يمضي الى مراغة اذا فارق السلطان مسعود همذان فبرز الراشد بالله الى طاهر بغداد اول رمضان وسار الى طريق خراسان ثم عاد بعد ثلاثة ايام ونزل عند جامع السلطان ثم دخل الى بغداد خامس رمضان وارسل الى داود وسائر الامراء يامرهم بالعود الى بغداد فعادوا ونزلوا في الخيام وعزموا على قتال السلطان مسعود من داخل سور بغداد ووصلت رسل السلطان مسعود يبذل من نفسه الطاعة والموافقة للخليفة والتهديد لمن اجتمع عنده فعرض الخليفة الرسالة عليهم فكلهم رأى قتاله فقال لهم الخليفة وانا ايضا معكم على ذلك

(ذكر ملك شهاب الدين حمص)

في هذه السنة في الثاني والعشرين من ربيع الاول تسلم شهاب الدين محمود صاحب دمشق مدينة حمص وقلعتها وسبب ذلك ان اصحابها أولاد الامير خيرخان بن قراجا والوالي بها من قبلهم ضجروا من كثرة تعرض عسكر عماد الدين زنكي اليها والى اعمالها وتضييقهم على من بها من جندي وعامي فراسلوا شهاب الدين في ان يسلموها اليه ويعطيهم عوضا عنها تدمر فاجابهم الى ذلك وسار اليها وتسلمها منهم في التاريخ المذكور وسلم اليهم تدمر واقطع حمص مملوك جده معين الدين انر وجعل فيها نائبا عنه ممن يثق اليه من اعيان أصحابه وعاد عنها الى دمشق ولما رأى عسكر زنكي بحلب وحماة خروج حمص عن أيديهم تابعوا الغارات الى بلدها والنهب له والاستيلاء على كثير منه فجرى بينهم عدة وقائع وأرسل شهاب الدين الى زنكي في المعنى واستقر الصلح بينهم وكف كل منهم عن صاحبه

(ذكر الفتنة بدمشق)

في هذه السنة وقعت الفتنة بدمشق بين صاحبها والجند وسبب ذلك ان الحاجب يوسف بن فيروز كان اكبر حاجب عند أبيه وجده ثم انه خاف أباه شمس الملوك وهرب

الالفية الاحمد بك زوج عديلة هانم بنت ابراهيم بك الكبير فانه كان ١٧ غائبا بناحية بوش وامين بك تسلق من القلعة وهرب الى ناحية الشام وعمر بك ايضا الالفي كان مسافرا في ذلك اليوم الى الفيوم فقتلوه هنالك وبعثوا برأسه بعد خمسة ايام ومعها نحو الخمسة عشر رأسا وأرسل دبوس اوغلي حاكم المنية خمسة وثلاثين رأسا وحضر من ناحية بحرى غير ذلك كثير (واما من قتل في ذلك اليوم ممن له ذكر وبلغني خبره) فهم شاهين بك كبير الالفية ويحيى بك ونعمان بك وحسين بك الصغير ومصطفى بك الصغير ومراد بك وعلى بك هؤلاء من الالفية ومن غيرهم احمد بك الكيلارجي ويوسف بك ابو دياب وحسن بك صالح ومرزوق بك ابن ابراهيم بك الكبير وسليمان بك البواب واحمد بك تابعه ورشوان بك وابراهيم بك تابعاه وقاسم بك تابع مراد بك الكبير وسليم بك الدمرجي ورستم بك الشرقاوي ومصطفى بك ايوب ومصطفى بك تابع عثمان بك حسن وعثمان بك ابراهيم وذو الفقار تابع جوجو وهو رجل كبير من الاقدمين البطالين هرب هو ومصطفى بك الجداوي وآخر عند صالح بك السلحدار والتجؤا اليه وطمنهم وارسل يخبرهم فحضر الامر بقطع رؤسهم فاحضر المشاعلي وقطع رؤسهم في مقعده وأرسلها ومن الامراء الكشاف الالفية فهم على

منه الى تدمر فلما كان فى هذه السنة سأل ان يحضر الى دمشق وكان يخاف جماعة المماليك لانه كان اساء اليهم وعاملهم أقبح معاملة فكلهم عليه حنق لاسيما فى الحادثة التى خرج فيها شمس الملوك وقد تقدمت فانه اشار بقتل جماعة برأيه و بقتل سونج بن تاج الملوك فصاروا كلهم أعداء مبغضين فلما طلب الامان والحضور الى دمشق أجيب الى ذلك فانكر جماعة الامراء والمماليك قربه وخافوه ان يفعل بهم مثل فعله الاول فلم يزل يتوصل معهم حتى حلف لهم واستحلفهم وشرط على نفسه انه لا يتولى من الامور شيئا ثم انه جعل يدخل نفسه فى كثير من الامور فاتفق اعداؤه على قتله فبينما هو يسير مع شهاب الدين والى جانبه امير اسمه بزاوش يحادثه اذ ضربه بزاوش بالسيف فقتله فحمل ودفن فى تربة والده بالعقيبة ثم ان بزاوش والمماليك خافوا فلم يدخلوا البلد ونزلوا بظاهره وارسلوا يطلبون قواعد استطالوا فيها فاجابهم الى البعض فلم يقبلوا منه ثم ساروا الى بعلبك وبها شمس الملوك محمد بن تاج الملوك صاحبها فصاروا معه فالتحق بهم كثير من التركمان وغيرهم وشرعوا فى العيث والفساد واقتضت الحال مراسلتهم وملاطفتهم واجابتهم الى ما طلبوا واستقرت الاحوال على ذلك وحلف كل منهم لصاحبه فعادوا الى ظاهر دمشق ولم يدخلوا البلد وخرج شهاب الدين صاحب دمشق اليهم واجتمع بهم وتجددت الايمان وصار بزاوش مقدم العسكر واليه الحل والعقد وذلك فى شعبان وزال الخلف ودخلوا البلد والله أعلم

(ذكر غزاة العسكر الاتابكى الى بلاد الفرنج)

فى هذه السنة فى شعبان اجتمعت عساكر أتابك زنكى صاحب حلب وحماة مع الامير اسوار نائبه بحلب وقصدوا بلاد الفرنج على حين غفلة منهم وقصدوا أعمال اللاذقية ولم يتمكن أهلها من الانتقال عنها والاحتراز فنهبوا منها ما يزيد عن الوصف وقتلوا وأسروا وفعلوا فى بلاد الفرنج ما لم يفعله بهم غيرهم وكان الاسرى سبعة آلاف أسير ما بين رجل وامرأة وصبى ومائة الف رأس من الدواب ما بين فرس وبغل وحمار وبقر وغنم وأما ما سوى ذلك من الاقمشة والعين والحلى فيخرج عن الحد وأخربوا بلد اللاذقية وما جاورها ولم يسلم منها الا القليل وخرجوا الى شيزر بما معهم من الغنائم سالمين منتصف رجب فامتلأ الشام من الاسارى والدواب وفرح المسلمون بذلك فرحا عظيما ولم يقدر الفرنج على شئ يفعلونه مقابل هذه الحادثة عجزا منهم ووهنا وضعفا

(ذكر وصول السلطان مسعود الى العراق وتفرق اصحاب الاطراف ومسير الراشد بالله الى الموصل)

قيل لما بلغ السلطان مسعودا اجتماع الملك داود والامراء ببغداد على خلافه وخطب للملك داود ابن اخيه السلطان محمود جمع العساكر وسار الى بغداد فنزل بالملكية فسار بعض العسكر حتى شارفوا عسكره وطاردوهم وكان فى الجماعة زين الدين على امير من امراء اتابك زنكى ثم عادوا ووصل السلطان فنزل على بغداد وحصرها وجميع العساكر

كاشف الخازندار وعثمان كاشف الحبشى ويحيى كاشف ومرزوق كاشف وعبد العزيز كاشف ورشوان كاشف وسليم كاشف طظر وقايد كاشف وجعفر كاشف وعثمان كاشف ومحمد كاشف ابو قطية واحمد كاشف الفلاح واحمد كاشف صهر محمد اغا وخليل كاشف وعلى كاشف قيطاس واحمد كاشف ومومى كاشف وغير ذلك ممن لم يحضرنى اسماؤهم وهم كثيرون وختم الله للجميع بالخير فانه بلغنى عن عاينهم بالمحبوس وفى حال القتل انهم كانوا يقرؤن القرآن وينطقون بالشهادتين والاستغفار وبعضهم طلب ماء وتوضأ وصلى ركعتين قبل ان يرمى عنقه ومن لم يجد ماء تيمم ولاشتغال أهل المقتولين بانفسهم وما حصل لهم من النهب والسلب والتشتيت عن اوطانهم لم يعوا ولم يسألوا عن موتاهم غير ام مرزوق بك ابن ابراهيم بك الكبير فانها وجدت عليه وجدا عظيما وطلبته فى القتلى فعرفوا جثته بعلامة فيه وجمجمته بكونه كان كريم العين فاخرجوه وكفنوه ودفنوه فى تربتهم وذلك بعد مضى يومين من الحادثة واجتمع عندها الكثير من اهل المقتولين ونسائهم واقاموا على ذلك شهورا (وفى يوم الحادثة) ارسل محرم بك صهر الباشا حاكم الجيزة فجمع مال المصرية باقليم الجيزة فى الربيع من الخيول والجمال والهجن وغيرها فكان شيئا كثيرا (وفى ثامنه) نودى على نساء فيها

فيها وثارا لعيارون ببغداد وسائر محالها وافسدوا ونهبوا وقتلوا حتى انه وصل صاحب الاتابك زنكي ومعه كتب فخرجوا عليه وأخذوها منه وقتلوه فحضر جماعة من اهل المحال عند الاتابك زنكي واشاروا عليه بنهب المحال الغربية فليس فيها غير عيار ومفسد فامتنع من ذلك ثم أرسل بنهب الحريم الظاهري فاخذ منه من الاموال الشئ الكثير وسبب ذلك ان العيارين فيه واخذوا أموال الناس ونهبت العساكر غير الحريم من المحال وحصرهم السلطان نيفا وخمسين يوما فلم يظفر بهم فعاد الى النهروان عازما على العود الى همذان فوصله طرنطاى صاحب واسط ومعه سفن كثيرة فعاد اليها وعبر فيها الى غربي دجلة واراد العسكر البغدادى منعه فسبقهم الى العبور واختلفت كلمتهم فعاد الملك داود الى بلاده فى ذى القعدة وتفرق الامراء وكان عماد الدين زنكي بالجانب الغربي فعبر اليه الخليفة الراشد بالله وسار معه الى الموصل فى نفر يسير من اصحابه فلما سمع السلطان مسعود بمفارقة الخليفة وزنكي بغداد سار اليها واستقر بها ومنع اصحابه من الاذى والنهب وكان وصوله منتصف ذى القعدة فسكن الناس واطمانوا بعد الخوف الشديد وامر فجمع القضاة والشهود والفقهاء وعرض عليهم اليمين التى حلف بها الراشد بالله لمسعود وفيها بخط يده انى متى جندت أو خرجت أو لقيت أحدا من اصحاب السلطان بالسيف فقد خلعت نفسى من الامر فافتوا بخروجه من الخلافة وقيل غير ذلك وسنذكره فى خلافة المقتفى لامر الله وكان الوزير شرف الدين على بن طراد وصاحب المخزن كمال الدين بن البقشلانى وابن الانبارى مع السلطان لانهم عنده مذ اسرهم مع المسترشد بالله فقدحوا فى الراشد ووافقهم على ذلك اصحاب المناصب ببغداد الا اليسير لانهم كانوا يخافونه وكان قد قبض بعضهم وصادر بعضا واتفقوا على ذمه فتقدم السلطان بخلعه واقامة من يصلح فخلع وقطعت خطبته فى بغداد فى ذى القعدة وسائر البلاد وكانت خلافته أحد عشر شهرا واحد عشر يوما وقتله الباطنية على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر خلافة المقتفى لامر الله)

لما قطعت خطبة الراشد بالله استشار السلطان جماعة من اعيان بغداد منهم الوزير على بن طراد وصاحب المخزن وغيرهما فيمن يصلح ان يلى الخلافة فقال الوزير احد عمومة الراشد وهو رجل صالح قال من هو وقال من لا قدر ان افصح باسمه لئلا يقتل فتقدم اليهم بعمل محضر فى خلع الراشد فعملوا محضرا ذكروا فيه ما ارتكبه من أخذ الاموال واشياء تقدح فى الامامة ثم كتبوا فتوى ما تقول العلماء فيمن هذه صفته هل يصلح للامامة أم لا فافتوا ان من هذه صفته لا يصلح ان يكون اماما فلما فرغوا من ذلك حضروا القاضى أبا طاهر بن الكرخى فشهدوا عنده بذلك فحكم بفسقه وخلعه وحكم بعده غيره ولم يكن قاضى القضاة حاضرا فانه كان عند اتابك زنكي بالموصل ثم ان شرف الدين الوزير ذكر للسلطان أبا عبد الله الحسين وقيل محمد بن المستظهر بالله ودينه وعقله

المقتولين بالامان وان يحضرن الى بيوتهن و يسكن فيها مع ذويها صاروت ١٩ بلاقم فرجع البعض وهن اللاتى لم يحصل لهن كثير الضرر وبقى البعض فى اختفائه وانعم الباشا على خواصه بالبيوت عافيها فنزلوها وسكنوها والدوا النساء الخواتم وجددوا الفرش والاوانى وغالبها من المنهوبات وانعم ببيت شاهين بك على حسين اغا من اقاربه ولم يحصل به ماحصل بغيره لكونه ملاصقا لبيت طاهر باشا وارسل الباشا طائفة من العسكر جلسوا على بابه واما احمد بك الالفى فانه وصله النذير فانتقل من بوش وذهب عند الامراء القبالى ولما وصلتهم اخبار هذه الحادثة وبلغ ابراهيم بك موت ولده على هذه الصورة اقاموا العزاء على اخوانهم ولبسوا السواد (وفى ثانى يوم الوقعة) حضر احد الكشاف رسولا من عند الامراء القبليين يطلبون العفو من الباشا وان يعطيهم جهة يتعيشون منها فوعده برد الجواب فى غير الوقت فاهمله ومالادرى ماتم له (وفيه) قلد الباشا مصطفى بك ابن اخته وجعله كبيرا على طائفة الدلاة وكان احضره من ناحية الشرقية ليذهب الى قبلى واقام بدله فى كشوفية الشرقية على كاشف بن احمد كتخدا من المصرلية (وفى ثامن عشره) عدى مصطفى بك المذكور الى برالجيزة ليسافر الى قبلى ونصب وطاقه بجرى القصر وعدى ايضا الباشا واقام بالقصر وشرع عسكره

البلاد في التعدية ليلا ونهارا ٢٠ (وفيه ايضا) خرج عدة من عسكر الدلاة نحو الخمسمائة نفر الى ناحية قبة العزب

وعفته وابن جانبه فحضر السلطان دار الخلافة ومعه الوزير شرف الدين الزينبي وصاحب المخزن ابن البقشلاني وغيرهما وأمر باحضار الامير أبي عبد الله بن المستظهر من المكان الذي يسكن فيه فاحضر وأجلس في الميمنة ودخل السلطان اليه والوزير وتحالفا وقرر الوزير القواعد بينهما وخرج السلطان من عنده وحضر الامراء وأرباب المناصب والقضاة والفقهاء وبايعوا ثامن عشر ذي الحجة ولقب المقتفي لامر الله قيل سبب اللقب انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يلي الخلافة بستة أيام وهو يقول له ان هذا الامر يصير اليك فاقتف بي فلقب بذلك ولما استخلف سيرت الكتب الحكمية بخلافته الى سائر الامصار واستوزر شرف الدين علي بن طراد الزينبي فارسل الى الموصل وأحضر قاضي القضاة أبا القاسم علي بن الحسين الزينبي ابن عم الوزير وأعاده الى منصبه وقرر كمال الدين حمزة بن طلحة على منصبه صاحب المخزن وجرت الامور على أحسن نظام وبلغني ان السلطان مسعودا أرسل الى الخليفة المقتفي لامر الله في تقرير اقطاع يكون لخاصته فكان جوابه ان في الدار ثمانين بغلا تنقل الماء من دجلة فلينظر السلطان ما يحتاج اليه من يشرب هذا الماء ويقوم به فتقررت القاعدة على ان يجعل له ما كان للمستظهر بالله فاجاب الى ذلك وقال السلطان لما بلغه قوله لقد جعلنا في الخلافة رجلا عظيما والمقتفي عم الراشد هو والمسترشد ابنا المستظهر وليا الخلافة وكذلك السفاح والمنصور اخوان وكذلك المهدي والرشيد اخوان وكذلك الواثق والمتوكل اخوان وأما ثلاثة اخوة ولوا الخلافة فالامين والمامون والمعتصم وهم أولاد الرشيد والمكتفي والمقتدر والقاهر بنو المعتضد والراضي والمتقي والمطيع بنو المقتدر واما أربعة اخوة ولوها فالوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك بن مروان لا يعرف غيرهم وحين استقرت الخلافة للمقتفي أرسل اليه الراشد بالله رسولا من الموصل مع رسول اتابك زنكي وكان كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري فاحضر في الديوان وسمعت رسالته وحكى لي والدي عنه قال لما حضرت الديوان قيل لي تبايع أمير المؤمنين فقلت أمير المؤمنين عندنا في الموصل وله في اعناق الخلق بيعة متقدمة وطال الكلام وعدت الى منزلي فلما كان الليل جاءتني امرأة عجوز سرا واجتمعت بي وابلغتني رسالة عن المقتفي لامر الله مضمونها عتابي على ما قلته واستنزالي عنه فقلت غدا أخدم خدمة يظهر أثرها فلما كان الغد حضرت الى الديوان وقيل لي في معنى البيعة فقلت أنا رجل فقيه قاض ولا يجوز لي ان ابايع الآن يثبت عندي خلع المتقدم فاحضروا الشهود وشهدوا عندي في الديوان بما أوجب خلعه فقلت هذا ثابت لا كلام فيه ولكن لا بد لنا في هذه الدعوى من نصيب لان أمير المؤمنين قد حصل له خلافة الله في أرضه والسلطان فقد استراح ممن كان يقصده ونحن باي شئ نعود فرجع الامر الى الخليفة فامر ان يعطى اتابك زنكي صريفين ودرب هرون وجرى ملكا وهي من خاص الخليفة ويزاد في القابه وقال هذه قاعدة لم يسمح بها لاحد من زعماء الاطراف ان يكون لهم نصيب من خاص الخليفة وكانت بيعة كمال الدين سنة احدى وثلاثين وخمسمائة ولما عاد كمال

ليسافروا الى بلادهم فاستمروا في قضاء اشغالهم اياما ثم سافروا (وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه) ارتحل مصطفى بك وانتقل الى ناحية الشيخ عثمان مسافرا الى قبلي وعدى الباشا راجعا الى مصر (وفيه حضر) ططريان من الروم يبشران بالعفو عن يوسف باشا المنفصل عن الشام وقبل فيه ترجي باشة مصر وشفاعته (وفي يوم الاربعاء خامس عشرينه) احضروا من ناحية قبلي أربعة وستين شخصا واكثرهم من الذين كانوا مستوطنين بالبلاد من بقايا البيوت القديمة الذين العديدة ومحترفين فلما احضروهم الى مصر القديمة أبقوهم الى الليل في محبس ثم اوقدوا المشاعل بساحل البحر وقطعوا رؤسهم ورموا بجثثهم الى البحر واتوا بالرؤس فوضعوها تجاه باب زويلة ايراها الناس كما راوا غيرها

(واستهل شهر ربيع الاول بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٦) * وفي يوم الاحد سادسه عمل الباشا لابنه طوسون باشا موكبا عظيما ونبهوا في ليلتها على اجتماع العسكر في صبحها ونزل هو الى جامع الغورية ليتفرج على الموكب وصحبته

حسن باشا واستعد لذلك التبيذ المحروقي وفرش له بالجامع المذكور فروشا ومراتب ووسائد فمر الموكب وفي اوله الدين

الدين الشهرزوري سيره لي بده المحضر الذي عمل بخلع الراشد فحكم به قاضي القضاة الزينبي بالموصل وكان عند اتابك زنكي

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عزل السلطان مسعود وزيره شرف الدين انوشروان بن خالد وعاد الى بغداد وأقام بداره معزولا ووزر ومن بعده كمال الدين أبو البركات بن سلمة الزركزيني وهو من خراسان وفيها ثار العيارون ببغداد عند اجتماع العساكر بها وفتكوا في البلد ونهبوا الاموال ظاهرا وكثر الشر فقصد الشحنة شارع دار الرقيق وطلب العيارين فثار عليه أهل المحال الغربية فقاتلهم واحرق الشارع فاحترق فيه خلق كثير ونقل الناس أموالهم الى الحريم الطاهري فدخله الشحنة ونهب منه مالا كثيرا ثم وقعت فتنة ببغداد بين اهل باب الازج وبين اهل المأمونية وقتل بينهم جماعة ثم اصطلحوا وفيها سار قراسنقر في عساكر كثيرة في طلب الملك داود ابن السلطان محمود فاقام السلطان مسعود ببغداد ولم يزل قراسنقر يطلب داود حتى ادركه عند مراغة فالتقيا وتصافا واقتتل العسكران قتالا عظيما فانهزم داود واقام قراسنقر باذربيجان واما داود فانه قصد خوزستان فاجتمع عليه هناك عساكر كثيرة من التركمان وغيرهم فبلغت عدتهم نحو عشرة آلاف فارس فقصد تستر وحاصرها وكان عمه الملك سلجوق شاه ابن السلطان محمد بواسط فارسل الى أخيه السلطان مسعود يستمده فامده بالعساكر فسار الى داود وهو يحاصر تستر فتصافا فانهزم سلجوق شاه وفيها توفي محمد بن حمويه أبو عبد الله الجويني وهو من مشايخ الصوفية المشهورين وله كرامات كثيرة ورواية الحديث وتوفي ايضا محمد بن عبد الله بن أحمد بن حبيب العامري الصوفي مصنف شرح الشهاب وأنشد لما احتضر

ها قد مددت يدي اليك فردها ❊ بالعفو لا بشماتة الاعداء

وتوفي أيضا ابو عبد الله محمد بن الفضل بن احمد الفراوي الصاعدي راوي صحيح مسلم عن عبد الغافر الفارسي وطريقه اليوم اعلى الطرق واليه الرحلة من الشرق والغرب وكان فقيها مناظرا طريفا يخدم الغرباء بنفسه وكان يقال الفراوي ألف رواي رحمه الله ورضي عنه

(ثم دخلت سنة احدى وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر تفرق العساكر عن السلطان مسعود)

في هذه السنة في المحرم اذن السلطان مسعود للعساكر التي عنده ببغداد بالعود الى بلادهم لما بلغه ان الراشد بالله قد فارق اتابك زنكي من الموصل فانه كان يتمسك بالعساكر عنده خوفا ان ينحدر به الى العراق فيملكه عليه فلما راداذن باذن للامير صدقة بن دبيس صاحب الحلة زوجه ابنته تمسكا به وقدم على السلطان مسعود جماعة من الامراء الذين حاربوه مع الملك داود منهم البقش السلاحي وبرسق بن برسق صاحب تستر وسنقر الخمارتكين شحنة همذان فرضي عنهم وأمنهم وولى البقش شحنكية بغداد

الرجالة أرنؤود واتراك وسجمان وهم كثيرون مختلطون من غير ترتيب مدة طويلة ثم كبارهم ركبانا بطوائفهم ثم الوالي والمحتسب وأغات مستحفظان ثم طوائف صاحب الموكب وجنائبه وكذا جنبه ثم الجاويشية والسعاة والملازمون ثم طوسون باشا وخلفه أتباعه واغواته ثم الكتخدا وهو محمد كتخدا المعروف بالبرديسي وهو الذي كان كتخدا الالفي وصحبته الخازندار وخلفهم النوبة التركية ولما انقضى أمر الموكب دعاه المحروقي الى منزله فنزل معه من باب السر الذي بالجامع المعروف بالغوري وصحبته حسن باشا وتوجهوا الى بيت المحروقي وتغدى عنده هو واتباعه وخواصه وأحضر له آلات الطرب واستمر هناك الى آخر النهار في حظ وكيف وقدم له المحروقي تقادم هدية ثم ركب عائدا الى محله (وفي يوم الاثنين رابع عشره) نزل الباشا الى ترعة الفرعونية للاهتمام بسدها ونقل الاحجار في المراكب مستمر فاقام عند السد أربع ليال وذهب الى الاسكندرية عندما أتته الاخبار بورود مراكب الانكليز لاجل مشترى الغلال فذهب ليبيع عليهم الغلال التي جمعها فباع عليهم كل اردب بمائة قرش رومي عنها أربعة آلاف فضة وأكثروا جتهد ببناء اسوار الاسكندرية

فسف الناس وظلمهم وكان السلطان مسعود بعد تفرق العساكر عنه قد بقي معه ألف فارس وتزوج الخليفة فاطمة أخت السلطان مسعود في رجب والصداق مائة ألف دينار وكان الوكيل في قبول النكاح وزير الخليفة علي بن طراد الزينبي والوكيل عن السلطان وزيره الزركزيني ووثق السلطان حيث صار الخليفة وصدقة بن دبيس بن صدقة صهر يه وحيث سار الراشد بالله من عند زنكي الاتابك والله أعلم

(ذكر عزل بهرام عن وزارة الحافظ ووزارة رضوان)

في هذه السنة في جمادي الاولى هرب تاج الدولة بهرام وزير الحافظ لدين الله العلوي صاحب مصر وكان قد استوزر بعد قتل ابنه حسن سنة تسع وعشرين وخمسمائة وكان نصرانيا أرمنيا فتمكن في البلاد واستعمل الارمن وعزل المسلمين واساء السيرة فيهم وأهانهم هو والارمن الذين ولاهم وطمعوا فيهم فلم يكن في اهل مصر من انف من ذلك الا رضوان بن الريحيني فانه لما ساءه ذلك وأقلقه جمع جمعا كثيرا وقصد القاهرة فسمع به بهرام فهرب الى الصعيد من غير حرب ولا قتال وقصد مدينة اسوان فمنعه واليها من الدخول اليها وقاتله فقتل السودان من الارمن كثيرا فلما لم يقدر على الدخول الى اسوان أرسل الى الحافظ يطلب الامان فأمنه فعاد الى القاهرة فحبس بالقصر فبقي مدة ثم ترهب وخرج من الحبس واما رضوان فانه وزر للحافظ ولقب بالملك الافضل وهو أول وزير للمصريين لقب بالملك ثم فسد ما بينه وبين الحافظ فعمل الحافظ في اخراجه فثار الناس عليه منتصف شوال في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وهرب من داره وتركها بما فيها فنهب الناس منها مالا يحد ولا يحصى وركب الحافظ فسكن الناس ونقل ما بقي في دار رضوان الى قصره واما رضوان فسار يريد الشام يستنجد الاتراك ويستنصرهم فارسل اليه الحافظ الامير ابن مصال ليرده بالامان والعهد انه لا يؤذيه فرجع الى القاهرة فحبسه الحافظ عنده في القصر وقيل انه توجه الى الشام وهو الصحيح وقصد صرخد فوصل اليها في ذي القعدة ونزل على صاحبها أمين الدولة كمشتكين فاكرمه وعظمه واقام عنده ثم سار الى مصر سنة اربع وثلاثين وخمسمائة ومعه عسكر فقاتل المصريين عند باب النصر وهزمهم وقتل منهم جماعة كثيرة واقام ثلاثة أيام فتفرق عنه كثير ممن معه فعزم على العود الى الشام فارسل اليه الحافظ الامير ابن مصال فرده وحبسه عنده في القصر وجمع بينه وبين عياله واهله فاقام في القصر الى سنة ثلاث واربعين فنقب الحبس وخرج منه وقد اعدت له خيل فهرب عليها وعبر النيل الى الجيزة فحشد وجمع المغاربة وغيرهم وعاد الى القاهرة فقاتل المصريين عند جامع ابن طولون وهزمهم ودخل القاهرة ونزل عند جامع الاقمر فارسل الى الحافظ يطلب منه مالا ليفرقه على عادتهم فانهم كانوا اذا وزروا وزيرا أرسلوا اليه عشرين الف دينار ليفرقها فارسل الحافظ عشرين الف دينار فقسمها وكثر عليه الناس وطلب زيادة فارسل اليه عشرين الف دينار ففرقها فتفرق الناس وخفوا

عنه

ونجعلها ابراجا وحصونا وارسل فطلب البنائين والصناع فجمعوهم من كل ناحية وطالت غيبته هناك واقامته لتتميم أغراضه وامن مشايخ عربان أولاد علي المستولين على البحيرة وتحيل عليهم فلما حضروا اليه قبض عليهم وقرر عليهم أموالا عظيمة ثم خلع عليهم وعوقهم وارسل العساكر فنهبت نجوعهم وسبوا نساءهم واولادهم ومواشيهم وأما كتخدا ابك فانه بمصر يقرر الفرض على البلاد هو والكتبة حسب أوامر مخدومه ونظموا كيفية أخرى وهي أنهم جمعوا الميري والمضاف والفائظ والرزق ايراد أربع سنوات وكتبوا بها مراسيم بنصف المقرر ليقبض في دفعتين وبعد أن تقرر النصف الاول ويحصل منه ما تحصل ويبقى الباقي مع النصف الآخر ويطلب من اربابه ولابد لا مسامحة في شئ منه ومن تكفل بما تقرر على حصته والزم نفسه بدفعه وكتب على نفسه وثيقة لاجل طولب به حتى قبل حلول الاجل لاحتياج المهمات فتتوجه عليه الحوالات بيد العساكر فينزلون بداره ويلازمونها ويضيقون أنفاسه ويكلفونه مالا يطيق فلا يجد ملجأ ولا خلاصا الا باحد الشيئين اما الدفع باي وجه كان واما يتنزل عن حصته بالفراغ للديوان ولا يبقى بيده ما يتقوت به هو وعياله ويصبح فقير الاملاك شيأ ان لم يكن له ايراد من جهة أخرى

عنه فاذا الصوت قد وقع وخرج اليه جمع كثير من السودان وضعهم الحافظ عليه فحملوا على غلمانه فقاتلوهم فقام ليركب فقدم اليه بعض أصحابه فرسا ليركبه فلما اراد ركوبه ضرب الرجل رأسه بالسيف فقتله وحمل رأسه الى الحافظ فارسله الى زوجته فوضع في حجرها فالقت به وقالت هكذا يكون الرجال ولم يستوزر الحافظ احدا وباشر الامور بنفسه الى ان مات

(ذكر فتح المسلمين حصن وادى ابن الاحمر من الفرنج)

وفي هذه السنة في رجب سار عسكر دمشق مع مقدمهم الامير بزاوش الى طرابلس الشام فاجتمع معه كثير من الغزاة المتطوعة والتركمان أيضا خلق كثير فلما سمع القمص صاحبها بقربهم من ولايته سار اليهم في جموعه وحشوده فقاتلهم وانهزم الفرنج وعادوا الى طرابلس في صورة سيئة قد قتلت فرسانهم وشجعانهم فلما عادوا انهب المسلمون من اعمالهم اكثرها وحصروا حصن وادى ابن الاحمر وضيقوا عليه فملكوه عنوة ونهبوا مافيه وقتلوا المقاتلة وسبوا الحريم والذرية واسروا الرجال فافتدوا انفسهم بمال جزيل وعاد المسلمون الى دمشق سالمين والله أعلم

(ذكر حصار زنكي مدينة حمص)

في هذه السنة في شعبان سار أتابك زنكي الى مدينة حمص وقدم اليها حاجبه صلاح الدين محمد الباغيسياني وهو أكبر أمير معه وكان ذا مكر وحيل أرسله ليتوصل مع من فيها ليسلموها اليه فوصل اليها وفيها معين الدين أنز وهو الوالي عليها والحاكم فيها وهو ايضا اكبر أمير بدمشق وحمص اقطاعه كما سبق ذكره فلم ينفذ فيه مكره فوصل حينئذ زنكي اليها وحصرها وعاود مراسلة أنز في التسليم غير مرة تارة بالوعد وتارة بالوعيد واحتج بانها ملك صاحبه شهاب الدين وانها بيده أمانة ولا يسلمها الا عن غلبة فاقام عليها الى العشرين من شوال ورحل عنها من غير بلوغ غرض الى بعرين فحصرها وكان منه ومن الفرنج ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك زنكي قلعة بعرين وهزيمة الفرنج)*

وفي هذه السنة في شوال سار أتابك زنكي من حمص كما ذكرناه وحصر قلعة بعرين وهي للفرنج تقارب مدينة حماة وهي من أمنع الحصون وأحصنها فلما نزل عليها قاتلها وزحف اليها فجمع الفرنج فارسهم وراجلهم وساروا في قضهم وقضيضهم وملوكهم وقمامصتهم وكنودهم الى أتابك زنكي ليرحلوه عن بعرين فلم يرحل وصبر لهم الى ان وصلوا اليه فلقيهم وقاتلهم أشد قتال رآه الناس وصبر الفريقان ثم أجلت الوقعة عن هزيمة الفرنج واخذتهم سيوف المسلمين من كل جانب واحتمى ملوكهم بحصن بعرين لقربه منهم فحصرهم المسلمون ومنع أتابك زنكي عنهم كل شئ حتى الاخبار فكان من به منهم لا يعلم شيئا من أخبار بلادهم لشدة ضبط الطرق وهيبته على جنوده

(واستهل شهر ربيع الثاني سنة ١٢٢٦) والكتخدا يتنوع في استجلاب الاموال ويتحيل في استخراجها بانواع من الحيل فمنها انه يرسل الى أهل حرفة من الحرف ويأمرهم ببيع بضاعتهم بنصف ثمنها ويظهر انه يريد الشفقة والرأفة بالناس ويرخص لهم في اسعار المبيعات وان أرباب الحرف تعدوا الحدود في غلاء الاسعار فيجتمع اهل الحرفة ويضجون ويأتون بدفاترهم وبيان رأس مالهم وما ينضاف اليه من غلو جزئيات تلك البضاعة وما استحدث عليها من الجمارك والمكوس وغلو الاجر في البحر والبر فلا يستمع لقولهم ولا يقبل لهم عذرا ويأمر بهم الى الحبس فعند ذلك يطلبون الخلاص ويصالحون على انفسهم بقدر من المال يدفعونه ويوزعون ذلك على افرادهم فيما بينهم ثم يزيدون في سعر تلك البضاعة ليعوضوا غرامتهم من الناس معتذرين بتلك الغرامة وما حل بهم من الخسارة ثم تستمر الزيادة على الدوام واظن استمرار الغرامة ايضا فجمع بهذه الكيفية اموالا عظيمة وهي في الحقيقة سلب اموال الناس من الاغنياء والفقراء (وفي اواخره) حضر الباشا من الاسكندرية على حين غفلة فبات بقصر شبرا ثم حضر الى بيت الازبكية فاقام به يومين ثم طلع الى القلعة (وفيه وصلت) عساكر كثيرة من الارنؤد والاتراك حتى غصت بهم المدينة فلا يكاد المار

يقع بصره الا عليهم امام وخلف و يداخل الازقة والعطف وذلك بخلاف الذين افرزهم وابقاهم في الاسكندرية
ومن هو بالجهات والاقاليم القبلية والبحرية وما يعلم بنود ربك الا هو (وفيه) هتم الباشا بتشهيل العرضي اهتماما زائدا وفرض على البلاد جمالا واتباناً وغلالا

(واستهل شهر جمادى الأولى سنة ١٢٢٦)

فيه ورد قاصد من الديار الرومية وعلى يده بشارة بانه ولد للسلطان مولودة أنثى فعملوا لها شنكا وهي مدافع تضرب من ابراج القلعة في الاوقات الخمسة ثلاثة ايام (وفيه) قرضوا فرضة بغال على مياسير الناس واهل الحرف بغلة وبغلتين وثلاثة والذي لم يكن عنده بغلة تلزم بالشراء او انه يدفع ثمنها كيسا عشرون الف فضة (وفيه) انقطع الوارد من الديار الحجازية وغلا سعر البن حتى وصل الى مائتين وسبعين نصف فضة كل رطل وقل وجوده من الاسواق والدكاكين فلا يوجد الا مع المشقة وصنع الناس القهوة من انواع الحبوب المحمصة كالشعير والقمح والفول و برز العاقول وغيره مخلوطا مع البن وبغير خلط

(واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٢٦)

في عشرينه خرج الباشا الى البركة وطلب الجمال وقوافل العرب وشهل طائفة من العسكر للسفر الى السويس فاهتموا بالدخول والخروج من المدينة وطفقوا يخطفون (ذكر

ثم ان القسوس والرهبان دخلوا بلاد الروم وبلاد الفرنج وما والاها من بلاد النصرانية مستنفرين على المسلمين واعلموهم ان زنكي ان اخذ قلعة بعرين ومن فيها من الفرنج ملك جميع بلادهم في أسرع وقت لعدم الحامي عنها وان المسلمين ليس لهم نية الا قصد البيت المقدس فحينئذ اجتمعت النصرانية وساروا على الصعب والذلول وقصدوا الشام مع ملك الروم وكان منهم ما نذكره واما زنكي فانه جد في قتال الفرنج فصبروا وقلت عليهم الميرة والذخيرة فانهم كانوا غير مستعدين ولم يكونوا يعتقدون ان احدا يقدر عليهم بل كانوا يتوقعون ملك باقي البلاد بالشام فلما قلت الذخيرة اكلوا دوابهم واذعنوا بالتسليم ليؤمنهم ويتركهم يعودون الى بلادهم فلم يجبهم الى ذلك فلما سمع بقرب ملك الروم من الشام واجتماع من بقي من الفرنج اعطى لمن في الحصن الامان وقرر عليهم تسليم الحصن ومن المال خمسين الف دينار يحملونها اليه فاجابوه الى ذلك فخرجوا وسلموا اليه فلما فارقوه بلغهم اجتماع من اجتمع بسببهم فندموا على التسليم حيث لا ينفعهم الندم وكان لا يصلهم شيء من الاخبار البتة فلهذا سلموه وكان زنكي في مدة مقامه عليهم فتح المعرة وكفرطاب من الفرنج فكان اهلها واهل سائر الولايات التي بينها وبين حلب وحماة مع اهل بعرين في الخزي لان الحرب بينهم قائمة على ساق والنهب والقتل لا يزال بينهم فلما ملك امن الناس وعمرت البلاد وعظم دخلها وكان فتحا مبينا ومن رآه علم صحة قولي ومن أحسن الاعمال ما عمله زنكي مع اهل المعرة فان الفرنج لما ملكوها كانوا قد اخذوا املاكهم فلما فتحها زنكي الآن حضر من بقي من اهلها ومعهم اعقاب من هلك وطلبوا املاكهم فطلب منهم كتبها فقالوا ان الفرنج اخذوا كل ما لنا والكتب التي للاملاك فيها فقال اطلبوا دفاتر حلب وكل من عليه خراج على ملك يسلم اليه ففعلوا ذلك واعاد على الناس املاكهم وهذا من أحسن الافعال واعدلها

(ذكر خروج ملك الروم من بلاده الى الشام)

قد تقدم ان الفرنج ارسلوا الى ملك القسطنطينية يستصرخون به ويعرفونه ما فعله زنكي فيهم ويحرضونه على لحاق البلاد قبل ان تملك ولا ينفعه حينئذ المجيء فتجهز وسار مجدا فابتدأ وركب البحر وسار الى مدينة انطاكية وهي له على ساحل البحر فارسى فيها واقام ينتظر وصول المراكب التي فيها اثقاله وسلاحه فلما وصلت سار عنها الى مدينة نيقية فحصرها وان اصحابها صالحوه على مال يؤدونه اليه وقيل بل ملكها وسار عنها الى مدينة اذنة ومدينة المصيصة وهما بيد ابن ليون الارمني صاحب قلاع الدروب فحصرهما وملكهما ورحل الى عين زربة فحصرها وملكها عنوة وملك تل حمدون وحمل اهله الى جزيرة قبرس وعبر مينا الاسكندرية وخرج الى الشام فحصر مدينة انطاكية في ذي القعدة وضيق على اهلها وبها صاحبها الفرنجي ريمند فترددت الرسل اليهم ومشوا بينهم فتصالحا ورحل عنها الى بغراس ودخل منها الى بلد ابن ليون الارمني فبذل له ابن ليون أموالا كثيرة ودخل في طاعته والله اعلم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة رابع عشر ربيع الاول ظهر بالشام سحاب اسود واظلمت له الدنيا وصار الجو كالليل المظلم ثم طلع بعد ذلك سحاب احمر كأنه النار واضاءت له الدنيا وهبت ريح عاصفة القت كثيرا من الشجر وكان اشد ذلك بحوران ودمشق وجاء بعده مطر شديد وبرد كبار وفيها عاد شهاب الدين ابو الفوارس المسيب بن علي بن الحسين المعروف بابن الصوفي من صرخد الى دمشق وكان قد اخرج هو واهله من دمشق الى صرخد فبقوا فيها الى الآن وعاد وولي ابو الفوارس الرياسة بدمشق وحكم فيها حكما ماضيا وكان ذا رياسة عظيمة ومروأة ظاهرة وفيها كثرت الامراض ببغداد وكثر الموت فجاءة باصفهان وهمذان وفيها سار اتابك زنكي الى دقوقا فحصرها وملكها بعد ان قاتل على قلعتها قتالا شديدا وفيها توفي ابو سعيد احمد بن محمد بن ثابت الخجندي رئيس الشافعية باصفهان وتفقه على والده ودرس بالنظامية باصفهان وتوفي ابو القاسم هبة الله بن احمد بن عمر الحريري ومولده يوم عاشوراء سنة خمس وثلاثين واربعمائة وهو آخر من روى عن ابي الحسن زوج الحرة وقد روى الخطيب ابو بكر بن ثابت عن زوج الحرة ايضا وكانت وفاة الخطيب سنة ثلاث وستين واربعمائة

(ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر ملك اتابك زنكي حمص وغيرها من عمل دمشق)

وفي هذه السنة في المحرم وصل اتابك زنكي الى حماة وسار منها الى بقاع بعلبك فملك حصن المجدل وكان لصاحب دمشق وراسله مستحفظ بانياس واطاعه وهو ايضا لصاحب دمشق وسار الى حمص فحصرها وادام قتالها فلما نازل ملك الروم حلب رحل عنها الى سلمية فلما انجلت حادثة الروم على ما نذكره عاود منازلة حمص وارسل الى شهاب الدين صاحب دمشق يخطب اليه امه ليتزوجها واسمها زمرد خاتون ابنة جاولي وهي التي قتلت ابنها شمس الملوك وهي التي بنت المدرسة بظاهر دمشق المطلة على وادي شقرا ونهر بردى فتزوجها وتسلم حمص مع قلعتها وحملت الخاتون اليه في رمضان وانما حمله على التزوج بها ما رأى من تحكمها في دمشق فظن انه يملك البلد بالاتصال اليها فلما تزوجها خاب امله ولم يحصل على شيء فاعرض عنها

(ذكر وصول ملك الروم الى الشام وملكه بزاعة وما فعله بالمسلمين)

قد ذكرنا سنة احدى وثلاثين وخمسمائة خروج ملك الروم من بلاده وشغله بالفرنج وابن ليون فلما دخلت هذه السنة وصل الى الشام وخافه الناس خوفا عظيما وقصد بزاعة فحصرها وهي مدينة لطيفة على ستة فراسخ من حلب فمضى جماعة من اعيان حلب الى اتابك زنكي وهو يحاصر حمص فاستغاثوا به واستنصروه فسير معهم كثيرا من العساكر فدخلوا الى حلب ليحفظوها من الروم ان حصروها ثم ان ملك الروم قاتل بزاعة

وركبوها فانقبض الناس وانكمش غالبهم عن الركوب لمصالحهم واخفوا حميرهم وبغالهم واقام الباشا ثلاثة ايام جهة البركة ثم ركب الى السويس (وفيه) وردت مراكب وداوات وفيها البن وذلك باستدعاء الباشا لها من ناحية جدة والبن لاجل حمل العساكر واللوازم وانحل سعر البن قليلا

(واستهل شهر رجب سنة ١٢٢٦)

في ثاني عشرينه يوم الاثنين الموافق لسابع مسرى القبطي أوفى النيل اذرعه وكسر السد في صبحها يوم الثلاثاء بحضرة كتخدا بك والباشا غائب بالسويس

(واستهل شهر شعبان سنة ١٢٢٦)

في ثانيه سافر ديوان افندي بمن بقي من العساكر البحرية وفي يوم الثلاثاء ثامنه حضر الباشا من السويس وشرع في تشهيل العساكر البرية (وفي خامس عشره) خرج الباشا الى العادلية واجتهد في تشهيل سفر العساكر البرية اجتهادا كبيرا وجمع من أهل كل حرفة طائفة وكذلك من أهل كل صنعة والذي يعجز عن السفر يخرج عنه بدلا وتعين من الفقهاء للسفر الشيخ محمد

 المهدي من الشافعية ومن الحنفية السيد احمد الطحطاوي وشيخ حنبلي ووصل من ناحية الشام وكانوا

يسفروا بإحضار السيد حسن كريت المالكي ٢٦ من رشيد والشيخ علي خفاجي من دمياط فحضرا واعتذرا فأعفيا من السفر ورجعا الى بلديهما

(وفي هذا الشهر ظهر نجم له ذنب في جهة الشمال) بين بنات نعش الصغرى وبين منار بنات نعش الكبرى ورأسه جهة المغرب وذنبه صاعد الى جهة المشرق وله شعاع مستطيل في مقدار الرمح واستمر يظهر في كل ليلة والناس ينظرون اليه ويتحدثون به ويسألون الفلكيين عنه ويبحثون عن دلالته وعن الملاحم المصنفة في ذوات الاذناب واستمر ظهوره قريبا من ثلاثة اشهر واضمحل بعض جرمه ومشى الى ناحية الجنوب وقرب من النسر الطائر

(واستهل شهر رمضان بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٦) وفي يوم الخميس تاسعه ارتحل العسكر من الحصوة ونزلوا ببركة الحج (وفي يوم الاحد ثاني عشره) ارتحلوا من البركة فكان مدة مكث العرضي من يوم خروج الموكب الى يوم ارتحالهم من البركة قريبا من ستة اشهر ونصف والناس في أمر مريج في كل شئ (وفيه) خرج السيد محمد المحروقي ليسافر بصحبة الركب وخرج في موكب جليل لانه هو المشار اليه في رياسة الركب ولوازمه واحتياجاته وأمور العربان ومشايخها وأوصى الباشا ولده طوسون باشا أمير العسكر بان الخطيب

ونصب عليها منجنيقات وضيق على من بها فملكها بالامان في الخامس والعشرين من رجب ثم غدر باهلها فقتل منهم وأسر وسبى وكان عدة من جرح فيها من اهلها خمسة آلاف وثمانمائة نفس وتنصر قاضيها وجماعة من اهلها نحو أربعمائة نفس واقام الروم بعد ملكها عشرة ايام يتطلبون من اختفى فقيل لهم ان جمعا كثيرا من اهل هذه الناحية قد نزلوا المغارات فدخنوا عليهم وهلكوا في المغاير ثم رحلوا الى حلب من الغد في خيلهم ورجلهم فخرج اليهم أحداث حلب فقاتلهم قتالا شديدا فقتل من الروم وجرح خلق كثير وقتل بطريق جليل القدر عندهم وعادوا خاسرين واقاموا ثلاثة ايام فلم يروا فيها طمعا فرحلوا الى قلعة الاثارب فخاف من فيها من المسلمين فهربوا عنها تاسع شعبان فملكها الروم وتركوا فيها سبايا بزاعة والاسرى ومعهم جمع من الروم يحفظونهم ويحمون القلعة وساروا فلما سمع الامير اسوار بحلب ذلك رحل فيمن عنده من العسكر الى الاثارب فاوقع بمن فيها من الروم فقتلهم وخلص الاسرى والسبي وعادوا الى حلب واما عماد الدين زنكي فانه فارق حمص وسار الى سلمية فنازلها وعبر ثقله الفرات الى الرقة وأقام جريدة ليتبع الروم ويقطع عنهم الميرة واما الروم فانهم قصدوا قلعة شيزر فانها من امنع الحصون وانما حصروها لانها لم تكن لزنكي فلا يكون له في حفظها اهتمام وانما كانت للامير ابي العساكر سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني فنازلوها وحصروها ونصبوا عليها ثمانية عشر منجنيقا فارسل صاحبها الى زنكي يستنجده فسار اليه فنزل على نهر العاصي بالقرب منها بينها وبين حماة وكان يركب كل يوم ويسير الى شيزر هو وعساكره ويقفون بحيث يراهم الروم ويرسل السرايا فتأخذ من ظفرت به منهم ثم انه ارسل الى ملك الروم يقول له انكم قد تحصنتم مني بهذه الجبال فانزلوا منها الى الصحراء حتى نلتقي فان ظفرت بكم ارحت المسلمين منكم وان ظفرتم استرحتم واخذتم شيزر وغيرها ولم يكن له بهم قوة وانما كان يرهبهم بهذا القول واشباهه فاشار فرنج الشام على ملك الروم بمصافته وهونوا امره عليه فلم يفعل وقال اتظنون ان ليس له من العسكر الا ما ترون انما هو يريد ان تلقوه فيجيئه من نجدات المسلمين ما لا حد له وكان زنكي يرسل ايضا الى ملك الروم يوهمه بان فرنج الشام خائفون منه فلو فارق مكانه تخلفوا عنه ويرسل الى فرنج الشام يخوفهم من ملك الروم ويقول لهم ان ملك بالشام حصنا واحدا ملك بلادكم جميعا فاستشعر كل من صاحبه فرحل ملك الروم عنها في رمضان وكان مقامه عليها اربعة وعشرين يوما وترك المجانيق وآلات الحصار فسار اتابك زنكي يتبع ساقة العسكر فظفر بكثير ممن تخلف منهم واخذ جميع ما تركوه ولما كان الفرنج على بزاعة ارسل زنكي القاضي كمال الدين أبا الفضل محمد بن عبد الله ابن القاسم الشهرزوري الى السلطان مسعود يستنجده ويطلب العساكر فمضى الى بغداد وانهى الحال الى السلطان وعرفه عاقبة الاهمال وانه ليس بينه وبين الروم الا ان يملك حلب وينحدر مع الفرات الى بغداد فلم يجد عنده حركة فوضع انسانا من اصحابه يوم جمعة فمضى الى جامع القصر ومعه جماعة من رنود العجم وامرهم ان يثوروا بهم اذا طلع

الخطيب المنبر ويصيح ويصيحون معه واسلاماه وادين محمداه ويشق ثيابه ويرمي عمامته من راسه ويخرج الى دار السلطان والناس معه يستغيثون كذلك ووضع انسانا آخر يفعل بجامع السلطان مثله فلما صعد الخطيب المنبر قام ذلك الرجل ولطم راسه والقى عمامته وشق ثوبه واولئك معه وصاحوا فبكى الناس وتركوا الصلاة ولعنوا السلطان وساروا من الجامع يتبعون الشيخ الى دار السلطان يستغيثون ويبكون فخاف السلطان فقال احضروا الى ابن الشهرزوري فاحضر فقال كمال الدين لقد خفت منه مما رايت فلما دخلت قال لى اى فتنة أثرت فقلت مافعلت شيئا انا كنت في بيتي وانما الناس يغارون للدين والاسلام ويخافون عاقبة هذه الحالة واني فقال اخرج الى الناس ففرقهم عنا واحضر غدا واختر من العسكر ماتريد ففرقت الناس وعرفتهم ما امر به من تجهيز العساكر وحضرت الغد الى الديوان فجهزوا الى طائفة عظيمة من الجيش فارسلت الى نصير الدين بالموصل اعرفه ذلك واخوفه من العسكر ان طرقوا البلاد فانهم يملكونها فاعاد الجواب يقول البلاد لاشك ماخوذة فلأن ياخذها المسلمون خير من أن ياخذها الكافرون فشرعنا في التحميل واذا قد وصلني كتاب اتابك زنكي من الشام يخبر برحيل ملك الروم ويامرني بان لا استصحب من العسكر احدا فعرفت السلطان ذلك فقال العسكر قد تجهزت ولا بد من الغزاة الى الشام فاعد الجهد وبذل الحزم له ولاصحابه حتى عاد العسكر ولما عاد ملك الروم عن شيزر مدح الشعراء اتابك زنكي واكثروا فمن ذلك ماقاله المسلم بن الخضر بن قسيم الحموي من جملة قصيدة اولها

بعزمك ايها الملك العظيم * تذل لك الصعاب وتستقيم

ومن جملتها هذه الابيات

ألم تر ان كلب الروم لما * تبين انه الملك الرحيم
فجاء فطبق الفلوات خيلا * كأن الجحفل الليل البهيم
وقد نزل الزمان على رضاه * ودان لخطبه الخطب العظيم
فحين رميته بك في خميس * تيقن ان ذلك لا يدوم
وابصر في المفاضة منك جيشا * فاحرب لا يسير ولا يقيم
كأنك في العجاج شهاب نور * توقد وهو شيطان رجيم
أراد بقاء مهجته فولى * وليس سوى الحمام له حميم

وهي قصيدة طويلة ومن عجيب ما يحكى ان ملك الروم لما عزم على حصر شيزر سمع من بها ذلك فقال الامير مرشد بن علي صاحبها وهو ينسخ مصحفا اللهم بحق من انزلته عليه ان قضيت بمجيء ملك الروم فاقبضني اليك فتوفي بعد أيام

(ذكر الحرب بين السلطان مسعود والملك داود ومن معه من الامراء)

لما فارق الراشد بالله اتابك زنكي من الموصل سار نحو اذربيجان فوصل مراغة وكان الامير منكبرس صاحب فارس ونائبه بخوزستان الامير بوزابة والامير عبد الرحمن

لا يفعل شيئا من الاشياء الا بمشورته واطلاعه ولا ينفذ امرا من الامور الا بعد مراجعته (وفيه) ووردت الاخبار بان العساكر البحرية ملكوا ينبع البحر ونهبوا ما كان فيه من ودائع التجار وذلك انه كان بمرساة الينبع عدة مراكب وداوات والشريف غالب امير مكة يكاتب الباشا ويراسله ويظهر له النصح والصداقة وخلوص المودة والباشا ايضا يراسله ويكاتبه وارسل له السيد سلامة النجاري والسيد محمد المنلا الترجمان المحروقي بمراسلات وجوابات مرارا عديدة فكانا هما السفير بينهما وايضا الشريف في كل كتابة مع كل مرسل يعاهد الباشا ويعاقده ويواعده بنصر عساكره متى وصلت وينافق للطرفين الذي هو العثماني والوهابي وباطنه مع الوهابي لخوفه منه وعدم قدرته عليه فيظهر له الموافقة والامتثال وانه معه على العهود التي عاهده عليها من ترك الظلم واجتناب البدع ونحو ذلك ويميل باطنا للعثمانيين لكونه على طريقتهم ومذاهبهم وتعاقد مع الباشا انه متى وصلت عساكره قام بنصرتهم وساعدهم بكليته وجميع همته وارسل الى المراكب الكائنة بمرساة الينبع بان ينقلوا ما فيها من مال التجار وغيرهم ويودعوه قلعة الينبع تحت يده وزبره وترك معه نحو الخمسمائة من عسكره واخذ المراكب وسقها من بضائعه وبهاره وبنه وارسلها الى السويس لتباع

طغايرك خلخان والملك دا ود ابن السلطان محمود مستشعرين من السلطان مسعود خائفين منه فتجمعوا ووافقوا الراشد على الاجتماع لتكون ايديهم واحدة ويردوه الى الخلافة فاجابهم الى ذلك الا انه لم يجتمع معهم ووصل الخبر الى السلطان مسعود وهو ببغداد باجتماعهم فسار عنها فى شعبان نحوهم فالتقوا ببنجين كشت فاقتتلوا فهزمهم السلطان مسعود وأخذ الامير منكبرس أسيرا فقتل بين يديه صبرا وتفرق عسكر مسعود فى النهب واتباع المنهزمين وكان بوزابة وعبد الرحمن طغايرك على نشز من الارض فرأيا السلطان مسعودا وقد تفرق عسكره عنه فحملا عليه وهو فى قلة فلم يثبت لهما وانهزم وقبض بوزابة على جماعة من الامراء منهم صدقة بن دبيس صاحب الحلة ومنهم ولد اتابك قراسنقر صاحب اذربيجان وعنتر بن ابى العسكر وغيرهم وتركهم عنده فلما بلغه قتل صاحبه منكبرس قتلهم اجمعين وصار العسكران منهزمين وكان هذا من اعجب الاتفاق وقصد السلطان مسعود اذربيجان وقصد الملك داود همذان ووصل الراشد بعد الوقعة فاختلفت آراء الجماعة فبعضهم اشار بقصد العراق والتغلب عليه وبعضهم اشار باتباع السلطان مسعود للفراغ منه فان ما بعده يهون عليهم وكان بوزابة اكبر الجماعة فلم يرد ذلك وكان غرضه المسير الى بلاد فارس واخذها بعد قتل صاحبها منكبرس قبل ان يمتنع من بها عليه فبطل عليهم ما كانوا فيه وساروا اليها فملكها وصارت له مع خوزستان وسار سلجوق شاه ابن السلطان محمد الى بغداد ليملكها فخرج اليه البقش الشحنة بها ونظر الخادم امير الحاج وقاتلوه وكان عاجزا مستضعفا ولما قتل صدقة بن دبيس اقر السلطان مسعود الحلة على اخيه محمد ابن دبيس وجعل معه مهلهل بن أبى العسكر أخا عنتر المقتول يدبره ولما كان البقش شحنة ببغداد يقاتل سلجوق شاه ثار العيارون ببغداد ونهبوا الاموال وقتلوا الرجال وزاد أمرهم حتى كانوا يقصدون أرباب الاموال ظاهرا ويأخذون منهم ما يريدون ويحملون الامتعة على رؤس الحمالين فلما عاد الشحنة قتل منهم وصلب وغلت الاسعار وكثر الظلم منه وأخذ المستورين بحجة العيارين فجلا الناس عن بغداد الى الموصل وغيرها من البلاد

(ذكر قتل الراشد بالله)

لما وصل الراشد بالله الى همذان وبها الملك داود وبوزابة ومن معهما من الامراء والعساكر على ما تقدم ذكره ثم سار الى خوزستان مع الملك داود ومعهما خوارزم شاه فقاربا الجزيرة فسار السلطان مسعود ليمنعهم من العراق فعاد الملك داود الى فارس وعاد خوارزم شاه الى بلاده بقى الراشد وحده فلما أيس من عساكر العجم سار الى أصفهان فلما كان الخامس والعشرون من رمضان وثب عليه نفر من الخراسانية الذين كانوا فى خدمته فقتلوه وهو يريد القيلولة وكان فى أعقاب مرض برئ منه ودفن بظاهر اصفهان بشهرستان فركب من معه فقتلوا الباطنية ولما وصل الخبر الى بغداد جلسوا للعزاء به

يهم ثم توسق بمهمات العسكر البحرية فلما وصلت مراكب العساكر البحرية والقت مراسيها قبالة الينبع احتاجوا الى الماء فلم يسعفوهم بالماء فطلع طائفة من العسكر الى البر فى طلب عين الماء فمانعهم من عندها من المرابط فقاتلوهم وطردوهم ومنعوهم من الماء وفى حال رجوعهم رموا عليهم من القلعة المدافع والرصاص والحال ان الامر مبهم على الفريقين فعند ذلك استعدت العساكر لحاربة من بالقلعة واحتاطوا بها وضربوا عليها القنابر والمدافع وركبوا على سورها سلالم وصعدوا عليها وتسلقوا على سور القلعة من غير مبالاة بالرصاص النازل عليهم من الكائنين بالقلعة فملكوا القلعة وقتلوا من كان بها ولم ينج منهم الا الوزير ومعه ستة أنفار خرجوا هاربين على الخيول ونهبوا كل ما كان بالينبع من الودائع والاموال والاقمشة والبن وسبوا النساء والبنات الكائنات بالبندر واخذوهن اسرى ويبيعوهن على بعضهم البعض ووصل المبشرون بذلك فى عشر ينه فضربوا لذلك مدافع من القلعة كثيرة وعملوا شنكا وطافت المبشرون على بيوت الاعيان ليأخذوا منهم البقاشيش وأرسلوا بتلك البشارة شخصا معينا كبيرا الى اسلامبول يبشرون أهل الدولة وسلطان الاسلام وكان ذلك أول فتح حصل *(واستهل شهر شوال بيوم الجمعة سنة ١٢٢٦)*

في بيت النوبة يوما واحدا وكان أبيض أشقر حسن اللون مليح الصورة مهيبا شديد القوة والبطش قال أبو بكر الصولي الناس يقولون ان كل سادس يقوم بامر الناس من أول الاسلام لابد من أن يخلع وربما قتل قال فتأملت ذلك فرأيته كما قيل فان أول من قام بامر هذه الامة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن رضي الله عنهم فخلع ثم معاوية ويزيد ابنه ومعاوية بن يزيد ومروان وعبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير فخلع ثم عبد الملك وأخوه سليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام ابنا عبد الملك والوليد بن يزيد بن عبد الملك فخلع وقتل ثم لم ينتظم امر بني أمية ثم ولي السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد والامين فخلع وقتل والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين فخلع وقتل والمعتز والمهتدي والمعتمد والمعتضد والمكتفي والمقتدر فخلع ثم رد ثم قتل ثم القاهر والراضي والمتقي والمستكفي والمطيع والطائع فخلع ثم القادر والقائم والمقتدي والمستظهر والمسترشد والراشد فخلع وقتل قلت وفي هذا نظر لان البيعة لابن الزبير كانت قبل البيعة لعبد الملك ابن مروان وكونه جعله بعده لا وجه له والصولي انما ذكر الى أيام المطيع لله ومن بعده ذكره غيره

(ذكر حال ابن بكران العيار)

في هذه السنة في ذي الحجة عظم امر ابن بكران العيار ببغداد والعراق وكثرت اتباعه وصار يركب ظاهرا في جمع من المفسدين وخافه الشريف أبو الكرم الوالي ببغداد فامر أبا القاسم ابن اخيه حامي باب الازج ان يشتد اليهم ويلبس سراويل فتوته ليأمن شره وكان ابن بكران يكثر المقام بالسوادة ومعه رفيق له يعرف بابن البزاز فانتهى امرهما الى انهما ارادا ان يضربا باسمهما سكة في الانبار فارسل الشحنة والوزير شرف الدين الزينبي الى الوالي ابي الكرم وقالا اما ان تقتل ابن بكران واما ان نقتلك فاحضر ابن أخيه وعرفه ما جرى وقال له اما ان تختارني ونفسك واما ان تختار ابن بكران فقال انا أقتله وكان لابن بكران عادة يجيء في بعض الليالي الى ابن اخي أبي الكرم فيقيم في داره ويشرب عنده فلما جاء على عادته وشرب اخذ ابو القاسم سلاحه ووثب به فقتله وأراح الناس من شره ثم أخذ بعده بيسير رفيقه ابن البزاز وصلب وقتل معه جماعة من الحرامية فسكن الناس واطمأنوا وهدأت الفتنة

(ذكر قتل الوزير الدركزيني ووزارة الخازن)

في هذه السنة قبض السلطان مسعود على وزيره العماد أبي البركات بن سلمة الدركزيني واستوزر بعده كمال الدين محمد بن الحسين الخازن وكان الكمال شهما شجاعا عادلا نافذ الحكم حسن السيرة ازال المكوس ورفع المظالم وكان يقيم مؤنة السلطان ووظائفه وجمع له خزائن كثيرة وكشف اشياء كثيرة كانت مستورة يخان فيها ويسرق فثقل على المتصرفين وارباب الاعمال فاوقعوا بينه وبين الامراء لاسيما قراسنقر صاحب

وكان حقه ان يكون بيوم السبت لان الهلال لم يكن موجودا ليلة الجمعة ولم يره ليلة السبت الا النادر من الناس وكان قوسه ليلة السبت عشر درجات (وفي سادس عشره) وصلت هجانة ومكاتبات من عساكر البر يخبرون بوصولهم الى بندر المويلح في اليوم السابع من الشهر وكان العيد عندهم بمغاير شعيب يوم السبت (وفيه) خرجت تجريدة لتسافر الى قبلي لمحاربة من بقي من الامراء المصريين بناحية ابريم

(واستهل شهر ذي القعدة بيوم الاحد سنة ١٢٢٦)

فيه وصلت حجاج مغاربة في عدة مراكب على ظهر البحر وتلف منهم نحو ثلاثة مراكب وحضر بعدهم بايام الركب الطرابلسي ونزل بساحل بولاق (وفي سادسه) حضر أيضا الركب الفاسي وفيهم ابن سلطان الغرب مولاي ابراهيم ابن مولاي سليمان فاعتنى الباشا بشانه وارسل كتخدا بك لملاقاته وقدم له تقادم واعدوا له منزلا على كاشف بالقرب من بيت المحروقي لينزل فيه وتقيد بخدمته الرئيس حسن المحروقي وهو واشيهم لمطبخه وكلف طعامه فلما عدى طلع الى القلعة وقابل الباشا ونزل الى المنزل الذي أعد له وامامه قواسة أتراك وطرادون وأشخاص أتراك يضربون على طبلات وامامه جميع المغاربة مشاة ويأمرون الناس الجالسين بالحوانيت بالقيام له على أقدامهم فاقام تحية

ازربيجان فانه فارق السلطان وارسل يقول اما ان تغدرا من الوزير واما خدمنا سلطانا آخر فاشار من حضر من الامراء بقتله وحذروه فتنة لاتتلافى فقتله على كره منه وارسل راسه الى قراسنقر فرضي وكانت وزارته سبعة اشهر وكان قتله سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ووزر بعده ابو العز طاهر بن محمد البروجردي وزير قراسنقر ولقب عز الملك وضاقت الامور على السلطان مسعود واستقطع الامراء البلاد بغير اختياره ولم يبق له شئ من البلاد البتة الااسم السلطنة لاغير

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة ملك حسام الدين تمرتاش ايلغازي صاحب ماردين قلعة الهتاخ من بلاد ديار بكر اخذها من بعض بني مروان الذين كانوا ملوك ديار بكر جميعها وهذا آخر من بقي فسبحان الحي الدائم الذي لايزول ملكه ولا يتطرق اليه النقص ولا التغيير وفيها انقطعت كسوة الكعبة لما ذكرناه من الاختلاف فقام بكسوتها رامشت التاجر الفارسي كساها من الثياب الفاخرة بكل ماوجد اليه سبيلا فبلغ ثمن الكسوة ثمانية عشر الف دينار مصرية وهو من التجار المسافرين الى الهند كثير المال وفيها توفيت زبيدة خاتون ابنة السلطان بركيارق زوج السلطان مسعود وتزوج بعدها سفري ابنة دبيس بن صدقة في جمادى الاولى وتزوج ابنة قاورت وهو من البيت السلجقي الا انه كان لايزال يعاقر الخمر ليلا ونهارا فلهذا اسقط اسمه وذكره وفيها اقتل السلطان مسعود ابن البقش السلاحي شحنة بغداد وكان قد ظلم الناس وعسفهم وفعل مالم يفعله غيره من الظلم فقبض عليه وسيره الى تكريت فسجنه بها عند مجاهد الدين بهروز ثم امر بقتله فلما ارادوا قتله القى بنفسه في دجلة فغرق فاخذ رأسه وحمل الى السلطان وجعل السلطان شحنة العراق مجاهد الدين بهروز فعمل اعمالا صالحة منها انه عمل مسناة النهروان واصلحها وكان حسن السيرة كثير الاحسان وفيها درس الشيخ ابو منصور بن الرزاز بالنظامية ببغداد وفيها ارسل الخليفة الى اتابك زنكي في اطلاق قاضي القضاة الزينبي فاطلق وانحدر الى بغداد فخلع عليه الخليفة واقره على منصبه وفيها كان بخراسان غلاء شديد ودامت مدته وعظم امره حتى اكل الناس الكلاب والسنانير وغيرهما من الدواب وتفرق اكثر اهل البلاد من الجوع وفيها توفي طغان ارسلان صاحب بدليس وارزن من ديار بكر وولي بعده ابنه قرتي واستقام له الامر وفيها في شهر صفر جاءت زلزلة عظيمة بالشام والجزيرة وديار بكر والموصل والعراق وغيرها من البلاد فخربت كثيرا منها وهلك تحت الهدم عالم كثير وفيها توفي احمد بن محمد بن ابي بكر بن ابي الفتح الدينوري الفقيه الحنبلي ببغداد وكان ينشد كثيرا هذه الابيات

تمنيت ان تمسي فقيها مناظرا * بغير عناء والجنون فنون
وليس اكتساب المال دون مشقة * تلقيتها فالعلم كيف يكون

وفيها توفي محمد بن عبد الملك بن عمر ابو الحسن الكرخي ومولده سنة ثمان وخمسين

أيام حتى قضى أشغاله وفي ثالث المدة تغدو اليه وتروح رسل الباشا وأرسل له هدية وذخيرة من كل صنف سكر وعسل وسمن ودقيق وبقسماط وأشياء أخر وبارود وأعطى له الف بندقية لضرب الرصاص وبرز في عاشره وسافر وافى ثاني عشره (وفي يوم الخميس تاسع عشره) وصلت هجانة على ايديهم مكاتبات خطابا الى الباشا وغيره وفيهم الخبر بان العسكر البري اجتمع مع العسكر البحري واخذوا ينبع البر من غير حرب وان العربان اتت اليهم افواجا وقابلوا طوسون باشا وكساهم وخلع عليهم ثم انقطعت الاخبار

(واستهل شهر ذي الحجة سنة ١٢٢٦)

في منتصفه وصلت هجانة ومعهم رؤس قتلى ومكاتبات مؤرخة في منتصف شهر القعدة مضمونها انهم وصلوا الى ينبع البر في حادي عشرين شوال واجتمع هناك العسكران البري والبحري وانهم ملكوا قرية ابن جبارة من الوهابية وتسمى قرية السويق وفر ابن جبارة هاربا وحضرت عربان كثيرة وقابلوا ابن الباشا وانهم مقيمون وقت تاريخه في منزلة الينبع منتظرين وصول الذخيرة وعاق المراكب ريح الشتاء المخالف وانه ورد عليهم خبر ليلة اربعة عشر شهره بان جماعة من كبار الوهابية حضروا بنحو سبعة آلاف خيال وفيهم عبدالله بن مسعود وعثمان المضايفي ومعهم مشاة وقصدوا ابن يدهموا العرضي على واربعمائة

وار بعمائة وكان فقيها محدثا سمع الحديث بكرخ واصفهان وهمذان وغيرها وفى شعبان منها توفى القاضى أبو العلاء صاعد بن الحسين بن اسمعيل بن صاعد وهو ابن عم القاضى ابى سعيد وولى القضاء بنيسابور بعد ابى سعيد

(ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر الحرب بين السلطان سنجر وخوارزم شاه)

فى هذه السنة فى المحرم سار السلطان سنجر الى خوارزم شاه وهو ابن ملكشاه محاربا لخوارزم شاه اتسز بن محمد وسبب ذلك ان سنجر بلغه ان اتسز يحدث نفسه بالامتناع عليه وترك الخدمة له وان هذا الامر قد ظهر على كثير من اصحابه وامرائه فاوجب ذلك قصده واخذ خوارزم شاه يجمع عساكره وتوجه نحوه فلما أقرب من خوارزم شاه فى عساكره خرج خوارزم شاه اليه فى عساكره فلقيه مقابلا والتقى كل واحد منهما عساكره واصحابه فاقتتلوا فلم يكن للخوارزمية قوة بالسلطان فلم يثبتوا وولوا منهزمين وقتل منهم خلق كثير ومن جملة القتلى ولد خوارزم شاه فحزن عليه ابوه حزنا عظيما ووجد وجدا شديدا وملك سنجر خوارزم واقطعها غياث الدين سليمان شاه ولد أخيه محمد ورتب له وزيرا واتابكا وحاجبا وقرر قواعده وعاد الى مرو فى جمادى الآخرة من هذه السنة فلما فارق خوارزم عائدا انتهز خوارزم شاه الفرصة فرجع اليها وكان اهلها يكرهون العسكر السنجرى ويؤثرون عودة خوارزم شاه فلما عاد أعانوه على ملك البلد ففارقها سليمان شاه واختلفا بعد الاتفاق ففعل خوارزم شاه فى خراسان سنة ست وثلاثين وخمسمائة ما نذكره ان شاء الله

(ذكر قتل محمود صاحب دمشق وملك اخيه محمد)

فى هذه السنة فى شوال قتل شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بورى بن طغدكين صاحب دمشق على فراشه غيلة قتله ثلاثة من غلمانه هم خواصه وأقرب الناس اليه فى خلوته وجلوته وكانوا ينامون عنده فقتلوه وخرجوا من القلعة وهرب واحد منهم واخذ الآخران فصلبا وكتب معين الدين انز من دمشق الى اخيه جمال الدين محمد بن بورى صاحب بعلبك وهو بها بصورة الحال واستدعاه ليملك بعد اخيه فحضر فى اسرع وقت فلما دخل البلد جلس للعزاء باخيه وحلف له الجند واعيان الرعية وسكن الناس وفوض امر دولته الى معين الدين انز مملوك جده وزاد فى علو مرتبته وصار هو الجملة والتفصيل واقطعه بعلبك وزوجه بامه وكان انز خيرا عاقلا حسن السيرة فجرت الامور عنده على احسن نظام

(ذكر ملك زنكى بعلبك)

فى هذه السنة فى ذى القعدة سار عماد الدين اتابك زنكى بن آقسنقر الى بعلبك فحصرها ثم ملكها وسبب ذلك ان محمودا صاحب دمشق لما قتل كانت والدته زمرد خاتون عند

بين غفلة فخرج اليهم شديد شيخ الحويطات ومعه طوائفه وولاة وعساكر فوافاهم ا م قبل شروق الشمس ووقع بينهم القتال والوهابية يقولون هاه يامشركون وانجلت الحرب عن هزيمة الوهابية وغنموا منهم نحو سبعين هجينا من الهجن الجياد محملة ادوات وكانت الحرب بينهم مقدار ساعتين هذا ملخص ما ذكره وفى الاجوبة التى حضرت (وفى يوم الجمعة خامس عشرينه) وصلت قافلة من السويس وحضر فيها جاويش باشا وصحبته مكاتبات وحضر ايضا السيد احمد الطهطاوى والشيخ الحنبلى واخبروا ان العرضى ارتحل من ينبع البر فى سابع عشر ذى القعدة ووصلوا الى منزلة الصفراء والجديدة ونصبوا عرضيهم وخيامهم ووطاقاتهم بالقرب من الجبال فوجدوا هنالك متاريس واحجارا فغاربوا على اول متراس حتى اخذوه ثم اخذوا متراسا آخر وصعدت العساكر الى قلل الجبال فهالهم كثرة الجيش وسارت الخيالة فى مضيق الجبال هذا والحرب قائمة فى اعلى الجبال يوما وليلة الى بعد الظهيرة من يوم الاربعاء ثالث عشرى القعدة فما يشعر الشقلانيون الا والعساكر الذين فى الاعالى هابطون منهزمون فانهزموا جميعا وولوا الادبار وطلبوا جميعا الفرار وتركوا خيامهم واحمالهم واثقالهم وطفقوا ينهبون ويخطفون ماخف عليهم من امتعة رؤسائهم فكان القوى منهم ياخذ

أتابك زنكي بحلب قد تزوجها ووجدت لقتل ولدها وجداً شديداً وحزنت عليه وأرسلت إلى زنكي وهو بديار الجزيرة تعرفه الحادثة وتطلب منه أن يقصد دمشق ويطلب بثأر ولدها فلما وقف على هذه الرسالة بادر في الحال من غير توقف ولا تريث وسار مجداً ليجعل ذلك طريقاً إلى ملك البلد وعبر الفرات عازماً على قصد دمشق فاحتاط من بها واستعدوا واستكثروا من الذخائر ولم يتركوا شيئاً مما يحتاجون إليه إلا وبذلوا الجهد في تحصيله وأقاموا ينتظرون وصوله إليهم فترك هم وسار إلى بعلبك وقيل كان السبب في ملكها أنها كانت لمعين الدين أنر كما ذكرناه وكان له جارية يهواها فلما تزوج بأم جمال الدين سيرها إلى بعلبك فلما سار زنكي إلى الشام عازماً على قصد دمشق سير إلى أنر يبذل له البذول العظيمة ليسلم إليه دمشق فلم يفعل وسار أتابك إلى بعلبك فوصل إليها في العشرين من ذي الحجة في السنة فنازلها في عساكره وضيق عليها وجد في محاربتها ونصب عليها من المنجنيقات أربعة عشر عدداً ترمي ليلاً ونهاراً فأشرف من بها على الهلاك وطلبوا الأمان وسلموا إليه المدينة وبقيت القلعة وبها جماعة من الشجعان شجعان الأتراك فقاتلهم فلما أيسوا من معين ونصير طلبوا الأمان فأمنهم فسلموا إليه القلعة فلما نزلوا منها وملكها غدر بهم وأمر بصلبهم فصلبوا ولم ينج منهم إلا القليل فاستقبح الناس ذلك من فعله واستعظموه وخافه غيرهم وحذروه لا سيما أهل دمشق فقالوا لو ملكنا لفعل بنا مثل فعله بهؤلاء فازدادوا نفوراً وجدوا في محاربته ولما ملك زنكي بعلبك أخذ الجارية التي كانت لمعين الدين أنر بها فتزوجها بحلب فلم تزل بها إلى أن قتل فسيرها ابنه نور الدين محمود إلى معين الدين أنر وهي كانت أعظم الأسباب في المودة بين نور الدين وبين أنر والله أعلم

(ذكر استيلاء قراسنقر على بلاد فارس وعوده عنها)

وفي هذه السنة جمع أتابك قراسنقر صاحب أذربيجان عساكر كثيرة وسار طالباً بثأر أبيه الذي قتله بوزابة في المصاف المقدم ذكره فلما قارب السلطان مسعوداً أرسل إليه يطلب منه قتل وزيره الكمال فقتله كما ذكرناه فلما قتل سار قراسنقر إلى بلاد فارس فلما قاربها تحصن بوزابة منه في القلعة البيضاء ووطئ قراسنقر البلاد وتصرف فيها وليس له دافع ولا مانع إلا أنه لم يمكنه المقام وملك المدن التي في فارس فسلم البلاد إلى الملك سلجوق شاه ابن السلطان محمود وقال له هذه البلاد لك فاملك الباقي وعاد إلى أذربيجان فنزل حينئذ بوزابة من القلعة سنة أربع وثلاثين وهزم سلجوق شاه وملك البلاد وأسر سلجوق شاه وسجن في قلعة بفارس

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في صفر توفي الوزير شرف الدين أنوشروان بن خالد معزولاً ببغداد وحضر جنازته وزير الخليفة فمن دونه ودفن في داره ثم نقل إلى الكوفة فدفن في مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكان فيه تشيع وهو كان السبب في عمل

متاع رفيقه الضعيف ويأخذ دابته ويركبها ورعاة تلك واخذ دابته وساروا طالبين الوصول الى السفائن بساحل البريك لانهم كانوا اعدوا عدة مراكب بساحل البريك من باب الاحتياط ووقع في قلوبهم الرعب واعتقدوا ان القوم في اثرهم والحال انه لم يتبعهم احد لانهم لا يذهبون خلف المدبر ولو تبعوهم ما بقي منهم شخص واحد فكانوا يصرخون على القطائر فتاتي اليهم القطيرة وهي لا تسع الا القليل فيتكاثرون ويتزاحمون على النزول فيها فيصعد منهم الجماعة ويمنعون البواقي من اخوانهم فان لم يمتنعوا مانعوهم بالبنادق والرصاص حتى كانوا من شدة حرصهم وخوفهم واستعجالهم على النزول في القطائر يخوضون في البحر الى رقابهم وكانما العفاريت في اثرهم تريد خطفهم وكثير من العسكر والخدم لما شاهدوا الازدحام على اسكلة البريك ذهبوا مشاة الى ينبع البحر ووقع التشتت في الدواب والاحمال والخلائق من الخدم وغيرهم ورجع طوسون باشا الى ينبع البحر بعد ان تغيب يوما عن معسكره حتى انهم ظنوا فقده ورجع ايضا المحروقي وديوان افندي واستقروا بالينبع وترك المحروقي خيامه بما فيها استنزل بها طائفة من العسكر المنهزمين وهم على جهد من التعب والجوع فوجدوا بها الماء كل والحلاوات وأنواع الملبسات والكعك المصنوع بالعجمية والسكر المكرر والقربيات

المقامات الحريرية وكان رجلا عاقلا شهما دينا خيرا وزر للخليفة المسترشد وللسلطان محمود وللسلطان مسعود وكان يستقيل من الوزارة فيجاب الى ذلك ثم يخطب اليها فيجيب كارها وفيها قدم السلطان مسعود بغداد فى ربيع الاول وكان الزمان شتاء وصار يشتى بالعراق ويصيف بالجبال ولما قدمها أزال المكوس وكتب الالواح بازالتها ووضعت على أبواب الجوامع والاسواق وتقدم ان لا ينزل جندى فى دار عامى من اهل بغداد الا باذن فكثر الدعاء له والثناء عليه وكان السبب فى ذلك الكمال الخازن وزير السلطان وفيها فى صفر كانت زلازل كثيرة هائلة بالشام والجزيرة وكثير من البلاد وكان اشدها بالشام وكانت متوالية عشر ليال كل ليلة عشر دفعات فخرب كثير من البلاد ولا سيما حلب فان أهلها لما كثرت عليهم فارقوا البلاد والبيوت وخرجوا الى الصحراء وعدوا الليلة واحدة جاءتهم ثمانين مرة ولم تزل بالشام تتعاهدهم من رابع صفر الى تاسع عشره وكان معها صوت وهزة شديدة وفيها أغار الفرنج على اعمال بانياس فسار عسكر دمشق فى اثرهم فلم يدركوهم فعادوا وفيها توفى أبو القاسم طاهر بن طاهر الشحامى النيسابورى بها ومولده سنة ست واربعين واربعمائة وكان اماما فى الحديث مكثرا عالى الاسناد وتوفى عبد الله بن احمد بن عبد القاهر بن محمد ابن يوسف أبو القاسم بن ابى الحسين البغدادى بها ومولده سنة اثنتين وخمسين واربعمائة وعبد العزيز بن عثمان بن ابراهيم بن محمد الاسدى البخارى كان قاضى بخارا وكان من الفقهاء أولاد الائمة حسن السيرة وتوفى محمد بن شجاع بن أبى بكر بن على ابن ابراهيم اللفتوانى الاصفهانى باصفهان فى جمادى الآخرة ومولده سنة ست وتسعين واربعمائة وسمع الحديث الكثير باصفهان وبغداد وغيرهما

●(ثم دخلت سنة اربع وثلاثين وخمسمائة)●

●(ذكر حصار اتابك زنكى دمشق)●

فى هذه السنة حصر أتابك زنكى دمشق مرتين فاما المرة الاولى فانه سار اليها فى ربيع الاول من بعلبك بعد الفراغ من أمرها وتقريرة واعدها واصلاح ما تشعث منها بحصرها فنزل بالبقاع وأرسل الى جمال الدين محمد صاحبها يبذل اليه بلدا يقترحه ليسلم اليه دمشق فلم يجبه الى ذلك فرحل وقصد دمشق فنزل على داريا ثالث عشر ربيع الاول فالتقت الطلائع واقتتلوا وكان الظفر لعسكر زنكى وعاد الدمشقيون منهزمين فقتل كثير منهم ثم تقدم زنكى الى المصلى فنزل هناك ولقيه جمع كثير من جند دمشق واحداثها ورجالة الغوطة فقاتلوه فانهزم الدمشقيون واخذهم السيف فقتل فيهم واكثر واسر كذلك ومن سلم عاد جريحا وأشرف البلد ذلك اليوم على الاخذ وان يملك لكن عاد زنكى وامسك عنه عشرة أيام وتابع الرسل الى صاحب دمشق وبذل له بعلبك وحمص وغيرهما مما يختاره من البلاد فمال الى ان يسلم وامتنع غيره من اصحابه من ذلك

والخشكنانكات والمربيات وانواع الشرابات فوقعوا عليها اكلا ونهبا ولما تحققوا أن العرب لم تتبعهم ولم تأت فى اثرهم أقاموا على ذلك يومين حتى استوفوا أغراضهم وشبعت بطونهم وارتاحت أبدانهم ثم لحقوا باخوانهم فكانوا هم اثبت القوم واعقلهم ولو كان على غير قصد منهم فكان مدة أقامة المعسكر والعرضى بينبع البحر أربعة وعشرين يوما وأما الخيالة فانهم اجتمعوا وساروا راجعين الى المويلح وقد اجهدهم التعب وعدم الذخيرة والعليق حتى حكوا انهم كانوا قبل الواقعة يعلقون على الجمل بنصف قدح قمح مسوس وكانت علائقهم فى كل يوم اربعمائة وخمسين اردبا وأما طوسون فان كبار العسكر قامت عليه واسمعوه الكلام القبيح وكادوا يقتلونه فنزل فى سفينة وخلص منهم وحضر من ناحية القصير وحضر الكثير من اتباعه وخدمه متفرقين الى مصر فاما الذين ذهبوا الى المويلح فهم تامر كاشف وحسين بك دالى باشا وآخرون فاقاموا هناك فى انتظار اذن الباشا فى رجوعهم الى مصر أو عدم رجوعهم وأما صالح أغا قوج فانه عندما نزل السفينة كر راجعا الى القصير واستقل برأيه لانه يرى فى نفسه العظمة وانه الاحق بالرياسة ويسفه راى طوسون باشا ويقول هؤلاء الصغار كيف يصلحون لتدبير الحروب ويصرح بمثل هذا الكلام وازيد منه وكان هو

اول منهزم وصل كل ذلك الباشا بمكاتبات ٣٤ ولده طوسون فحقد في نفسه وتمم ذلك بسرعة رجوعه الى القصير

ولم ينتظر اذنا في الرجوع او المكث ولما حصل ذلك لم يتزلزل الباشا واستمر على همته في تجهيزه عساكر اخرى وبرزوا الى خارج البلدة وفرض على البلاد جمالا ذكر انها من اصل الغرائم والفرض في المستقبل وكذلك فرض غلالا فكان المفروض على اقليم الشرقية خاصة اثنى عشر الف اردب بعناية علي كاشف قابله الله بما يستحق وانقضت السنة بحوادثها التي منها هذه الحادثة واظنها طويلة الذيل (ومنها) ان النيل هبط قبل الصليب بايام قليلة بعد ان بلغ في الزيادة مبلغا عظيما حتى غرق الزرع الصيفي والدراوي ولما انحسر عن الارض زرعوا البرسيم والوقت صائف والحرارة مستجنة في الارض فتولدت فيه الدودة واكلت الذي زرع فبذروه ثانيا فاكلته ايضا وفحش امر الدودة جدا في الزرع البدري وخصوصا باقليم الجيزة والقليوبية والمنوفية بل وباقي الاقاليم (ومنها) ان الباشا احدث ديوانا ورتبوه ببيت البكري القديم بالازبكية واظهر ان هذا الديوان لمحاسبة ما يتعلق به من البلاد ومحاسباتها والقصد الباطني غير ذلك وقيد به ابراهيم كتخدا الرزاز والشيخ احمد يوسف كاتب حسين افندي الروزنامجي وما انضم

وخوفوه عاقبة فعله وان يفعل ويغدر كما فعل باهل بعلبك فلما لم يسلموا اليه عاد القتال والزحف ثم ان جمال الدين محمدا صاحب دمشق مرض ومات ثامن شعبان وطمع زنكي حينئذ في البلد وزحف اليه زحفا شديدا ظنا منه انه ربما يقع بين المقدمين والامراء خلاف فيبلغ به الغرض وكان ما امله بعيدا فلما مات جمال الدين ولي بعده مجير الدين ابق ولده وتولى ترتيب دولته معين الدين انز فلم يظهر لموت ابيه اثر مع ان عدوهم على باب المدينة فلما رأى انز ان زنكي لا يفارقهم ولا يزول عن حصرهم راسل الفرنج واستدعاهم الى نصرته وان يتفقوا على دفع زنكي عن دمشق وبذل لهم بذولا وان يحصر بانياس ويأخذها ويسلمها اليهم وخوفهم من زنكي ان ملك دمشق فعلموا صحة قوله وعلموا انه ان ملكها لا يبقى لهم معه بالشام مقام وان الفرنج اجتمعوا وعزموا على المسير الى دمشق ليجتمعوا مع صاحبها وعسكرها على قتال زنكي فحين علم زنكي بذلك سار الى حوران خامس رمضان عازما على قتال الفرنج قبل ان يجتمعوا بالدمشقيين فلما سمع الفرنج خبره لم يفارقوا بلادهم فلما رآهم كذلك عاد الى حصر دمشق ونزل بعذرا شماليها سادس شوال فاحرق عدة قرى من المرج والغوطة ورحل عائدا الى بلاده ووصل الفرنج الى دمشق واجتمعوا بصاحبها وقد رحل زنكي فعادوا فسار معين الدين انز الى بانياس في عسكر دمشق وهي في طاعة زنكي كما تقدم ذكره ليحصرها ويسلمها الى الفرنج وكان واليها قد سار قبل ذلك منها بجمعه الى مدينة صور للاغارة على بلادها فصادفه صاحب انطاكية وهو قاصد الى دمشق نجدة لصاحبها على زنكي فاقتتلا فانهزم المسلمون واخذ والي بانياس فقتل ونجا من سلم منهم الى بانياس وجمعوا معهم كثيرا من البقاع وغيرها وحفظوا القلعة فنازلها معين الدين فقاتلهم وضيق عليهم ومعه طائفة من الفرنج فاخذها وسلمها الى الفرنج واما الحصر الثاني لدمشق فان اتابك لما سمع الخبر بحصر بانياس عاد الى بعلبك ليدفع عنها من يحصرها فاقام هناك فلما عاد عسكر دمشق بعد ان ملكوها وسلموها الى الفرنج فرق اتابك زنكي عسكره على الاغارة على حوران واعمال دمشق وسار هو جريدة مع خواصه فنازل دمشق سحرا ولم يعلم به احد من اهلها فلما اصبح الناس ورأوا عسكره خافوا وارتج البلد واجتمع العسكر والعامة على السور وفتحت الابواب وخرج الجند والرجالة فقاتلوه فلم يمكن زنكي عسكره من الاقدام في القتال لان عامة عسكره كانوا قد تفرقوا في البلاد والنهب والتخريب وانما قصد دمشق لئلا يخرج منها عسكر الى عسكره وهم متفرقون فلما اقتتلوا ذلك اليوم قتل بينهم جماعة ثم احجم زنكي عنهم وعاد الى خيامه ورحل الى مرج راهط واقام ينتظر عودة عسكره فعادوا اليه وقد ملؤوا ايديهم من الغنائم لانهم طرقوا البلاد واهلها غافلون فلما اجتمعوا عنده رحل بهم عائدا الى بلادهم

(ذكر ملك زنكي شهرزور واعمالها)

في هذه السنة ملك اتابك زنكي شهرزور واعمالها وما يجاورها من الحصون وكانت

بيد

اليوم من الكتبة المسلمين دون الاقباط ليحرروا به قوائم المصروف والمضاف والباقى فكانوا يجلسون لذلك كل يوم ماعدا يوم الجمعة ثم تطرق الحال لسور بلاد الباشا وهو ان الكثير من الفلاحين لما سمعوا بذلك أتوا من كل ناحية الى مصر وكتبوا عرضحالات الى كتخدا بك والباشا يتظلمون من استاذيهم وينهون انهم يزيدون عليهم زيادات فى قوائم المصروف ويشددون عليهم فى طلب الفرض او بواقيها فيدفعهم الباشا او الكتخدا الى ذلك الديوان المحدث لينظر فى امورهم ويصحبهم معين تركى مباشر ياتى بالملتزم ايضا والفلاحين والشاهد والصراف وقوائم المصروف لاجل المحاققة فعند ذلك يتعنت ابراهيم كتخدا فى القوائم ويطلب قوائم السنين الماضية المختومة ونحو ذلك ولما فشا هذا الامر واشيع فى البلدان اتت طوائف الفلاحين افواجا الى هذا الديوان يطلبون الملتزمين ويخاصمونهم ويكلفونهم فيكون امرا مهولا وغاية فى الزحام والعياط والشياط وكذلك رفعوا المعلم منصور ومن معه من الكتبة من مباشرة ديوان افندينا ابراهيم بك الدفتردار وقيدوا بدلهم السيد محمد غانم الرشيدى ومحمد افندى سليم ومن انضم اليهم واظهر الباشا انه يفعل ذلك لما علمه من خيانة الاقباط والقصد الخفى خلاف ذلك وهو الاستيلاء

بيد قبجاق بن ارسلان تاش التركمانى وكان حكمه نافذا على قاصى التركمان ودانيهم وكلمته لا تخالف يرون طاعته فرضا فتحامى الملوك قصده ولم يتعرضوا لولايته لانها منيعة كثيرة المضايق فعظم شانه وازداد جمعه واتاه التركمان من كل فج عميق فلما كان هذه السنة سير اليه أتابك زنكى عسكرا فجمع اصحابه ولقيهم فتصافوا واقتتلوا فانهزم قبجاق واستبيح عسكره وسار الجيش الاتابكى فى اعقابهم فحصروا الحصون والقلاع فملكوها جميعها وبذلوا الامان لقبجاق فصار اليهم وانخرط فى سلك العساكر ولم يزل هو وبنوه فى خدمة البيت على احسن قضية الى بعد سنة ستمائة بقليل وفارقوها

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة جرى بين امير المؤمنين المقتفى لامر الله وبين الوزير شرف الدين على بن طراد الزينبى منافرة وسببها ان الوزير كان يعترض الخليفة فى كل ما يامر به فنفر الخليفة من ذلك فغضب الوزير ثم خاف فقصد دار السلطان فى سميرية وقت الظهر ودخل اليها واحتمى بها فارسل اليه الخليفة فى العود الى منصبه فامتنع وكانت الكتب تصدر باسمه واستنيب قاضى القضاة الزينبى وهو ابن عم الوزير وارسل الخليفة الى دار السلطان رسلا فى معنى الوزير فارخص له السلطان فى عزله فحينئذ اسقط اسمه من الكتب واقام بدار السلطان ثم عزل الزينبى من النيابة وناب سديد الدولة بن الانبارى وفيها قتل المقرب جوهر وهو من خدم السلطان سنجر وكان قد حكم فى دولته جميعها ومن جملة اقطاعه الرى ومن مماليكه عباس صاحب الرى وكان سائر عسكر السلطان سنجر يخدمونه ويقفون ببابه وكان قتله بيد الباطنية وقف له جماعة منهم بزى النساء واستغاثوا به فوقف يسمع كلامهم فقتلوه فلما قتل جمع صاحبه عباس العساكر وقصد الباطنية فقتل منهم واكثر وفعل بهم ما لم يفعله غيره ولم يزل يغزوهم ويقتل فيهم ويخرب بلادهم الى ان مات وفيها زلزلت كنجة وغيرها من اعمال اذربيجان واران الا ان اشدها كان بكنجة فخرب منها الكثير وهلك عالم لا يحصون كثرة قيل كان الهلكى مائتى ألف وثلاثين ألفا وكان من جملة الهلكى ابنان لقراسنقر صاحب البلاد وتهدمت قلعة هناك لمجاهد الدين بهروز وذهب له فيها من الذخائر والاموال شئ عظيم وفيها شرع مجاهد الدين بهروز فى عمل النهر وانات سكر سكراعة بما يرد الماء الى مجراه الاول وحفر مجرى الماء القديم وخرق اليه مجراه تاخذ من ديالى ثم استحال بعد ذلك وجرى الماء ناحية من السكر وبقى السكر فى البر لا ينتفع به احد ولم يتعرض احد الى رده الى مجراه عند السكر الى وقتنا هذا وفيها انقطع الغيث ببغداد والعراق ولم يجئ غير مرة واحدة فى اذار ثم انقطع ووقع الغلاء وعدمت الاقوات وفيها فى جمادى الآخرة دخل الخليفة بفاطمة خاتون بنت السلطان مسعود وكان يوم حملها الى دار الخليفة يوما مشهودا واغلقت بغداد عشرة ايام وزينت وتزوج السلطان مسعود بابنة الخليفة وفيها فى ربيع الاول توفى القاضى ابو الفضل يحيى ابن قاضى دمشق المعروف بالزكى

(ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر مسير جهاردانكي الى العراق وما كان منه)

في هذه السنة امر السلطان مسعود الامير اسمعيل المعروف بجهاردانكي والبقش كون خر بالمسير الى خوزستان وفارس واخذهما من بوزابة واطلق لهم نفقة على بغداد فسارا فقيمين معهما الى بغداد فمنعهم مجاهد الدين بهروز عن دخولها فلم يقبلوا منه فارسل الى المعابر فخسفها وغرقها واجد في عمارة السور وسد باب الظفرية وباب كلواذى واغلق باقى الابواب وعلق عليها السلاسل وضرب الخيام للمقاتلة فلما علما بذلك عبرا بصرصر وقصدا الحلة فمنعاه منها فقصدا واسط فخرج اليهم الامير طرنطاى وتقاتلوا فانهزم طرنطاى ودخلوا واسطا فنهبوها ونهبوا بلد فرسان والنعمانية ولقيهم طرنطاى الى حماد بن أبي الخير صاحب البطيحة ووافقهم عسكر البصرة وفارق اسمعيل والبقش عسكرهما وصارا مع طرنطاى فضعف أولئك فصار الى تستر واستشفع اسمعيل الى السلطان فعفا عنه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة وصل رسول من السلطان سنجر ومعه بردة النبي صلى الله عليه وسلم والقضيب وكانا قد أخذا من المسترشد فاعادهما الآن الى المقتفى وفي هذه السنة توفي اتابك قراسنقر صاحب اذربيجان واران بمدينة اردبيل وكان مرضه السل وطال به و كان من مماليك الملك طغرل وسلمت اذربيجان واران الى الامير جاولى الطغرلى وكان قراسنقر عظم محله على سلطانه وخافه السلطان وفيها كان بين اتابك زنكى وبين داود سقمان بن ارتق صاحب حصن كيفا حرب شديد وانهزم داود وملك زنكى من بلاده قلعة بهمرد وأدركه الشتاء فعاد الى الموصل وفيها ملك الاسماعيلية حصن مصياف بالشام وكان واليه مملوكا لبني منقذ أصحاب شيزر فاحتالوا عليه ومكروا به حتى صعدوا اليه وقتلوه وملكوا الحصن وهو بايديهم الى الآن وفيها توفي سديد الدولة بن الانبارى واستوزر الخليفة بعده نظام الدين أبا نصر محمد بن محمد بن جبير وكان قبل ذلك استاذ الدار وفيها توفي يرنقش بازدار صاحب قزوين وفيها في رجب ظفر ابن الدانشمند صاحب ملطية وغيرها من تلك النواحي بجمع من الروم فقتلهم وغنم ما معهم وفيها في رمضان سارت طائفة من الفرنج فخرج اليهم العسكر الذي بعسقلان فقاتلهم فظفر المسلمون وقتلوا من الفرنج كثيرا فعادوا منهزمين وفيها بنيت المدرسة الكمالية ببغداد بناها كمال الدين أبو الفتوح بن طلحة صاحب المخزن ولما فرغت درس فيها الشيخ ابو الحسن بن الخل وحضره ارباب المناصب وسائر الفقهاء وفيها في رجب مات القاضي ابو بكر بن محمد بن عبد الباقى الانصارى قاضى المارستان عن نيف وسبعين سنة وله الاسناد العوالى بالحديث وكان عالما بالمنطق والحساب والهيئة وغيرها من علوم الاوائل وهو آخر من حدث في الدنيا عن اسحق البرمكى والقاضى أبي بكر الطبرى وأبي طالب العشارى وأبي محمد الجوهرى وغيرهم وتوفي الامام الحافظ ابو القاسم اسمعيل

والاشغواذ السكاكى والجزلى وقطع منفعة الغير ولو قليلا فيضرب هذا بهذا والناس اعداء بعضهم لبعض وقلوبهم متنافرة فيغرى هذا بذاك وذاك بهذا ومن الناس من سمى هذا الديوان ديوان الفتنة (ومنها) الزيادة الفاحشة في صرف المعاملة والنقص في وزنها وعيارها وذلك ان حضرة الباشا أبقى دار الضرب على ذمته وجعل خاله ناظرا عليها وقرر لنفسه عليها في كل شهر خمسمائة كيس بعد أن كان شهريتها ايام نظارة المحروقى خمسين كيسا في كل شهر ونقصوا وزن القروش نحو النصف عن القرش المعتاد وزادوا في خلطه حتى لا يكون فيه مقدار ربعه من الفضة الخالصة و يصرف بأربعين نصفا وكذلك المحبوب نقصوا من عياره ووزنه ولما كان الناس يتساهلون في صرف المحبوب والريال الفرانسه و يقبضونها في خلاص الحقوق من المماطلين والمفلسين وفي المبيعات الكاسدة بالزيادة لضيق المعايش حتى وصل صرف الريال الى مائتين وخمسين نصفا والمحبوب الى مائتين وثمانين ثم زاد الحال في التساهل في الناس بالزيادة أيضا عن ذلك فينادى الحاكم بمنع الزيادة ويمشى الحال أياما قليلة و يعود لما كان أو أزيد فتحصل المناداة أيضا و يعاقبون بالتشديد والتنكيل بمن يفعل ذلك و يقبض عليه أعوان الحاكم ويحبس ويضرب ويغرمونه

ابن

ابن محمد بن الفضل الاصفهانى عشر ذى الحجة ومولده سنة تسع وخمسين وله التصانيف المشهورة وتوفى يوسف بن أيوب بن يوسف بن الحسين بن يعقوب الهمذانى من أهل بوزنجرد من قرى همذان وكان مقيما بمرو وتفقه على أبى اسحق الشيرازى وروى الحديث واشتغل بالرياضات والمجاهدات ووعظ ببغداد فقام اليه متفقه يقال له ابن السقاء وساله وآذاه فى السؤال فقال اسكت انى أشم منك ريح الكفر فسار الرجل الى بلد الروم وتنصر وفيها مات أبو القاسم على بن أفلح الشاعر المشهور

(ثم دخلت سنة ست وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر انهزام السلطان سنجر من الاتراك الخطا وملكهم ماوراء النهر)

ثم ذكر أصحاب التواريخ فى هذه الحادثة أقاويل نحن نذكرها جميعها للخروج من اختلافها وعهدتها فنقول فى هذه السنة فى المحرم وقيل فى صفر انهزم السلطان سنجر من الترك الكفار وسبب ذلك ان سنجر كان قد قتل ابنا لخوارزم شاه اتسز بن محمد كما ذكرناه قبل فبعث خوارزم شاه الى الخطا وهم بما وراء النهر يطمعهم فى البلاد ويروج عليهم أمرها وحثهم على قصد مملكة السلطان سنجر فساروا فى ثلثمائة ألف فارس وسار اليهم سنجر فى عساكره فالتقوا بما وراء النهر واقتتلوا أشد قتال وانهزم سنجر وعساكره وقتل منهم مائة ألف قتيل منهم اثنا عشر ألفا كلهم صاحب عمامة وأربعة آلاف امرأة واسرت زوجة السلطان سنجر وتم السلطان منهزما الى ترمذ وسار منها الى بلخ ولما انهزم سنجر قصد خوارزم شاه مدينة مرو فدخلها مراغمة للسلطان سنجر وقتل بها وقبض على أبى الفضل الكرمانى الفقيه الحنفى وعلى جماعة من الفقهاء وغيرهم من أعيان البلد ولم يزل السلطان سنجر مسعودا الى وقتنا هذا لم تنهزم له راية ولما تمت عليه هذه الهزيمة أرسل الى السلطان مسعود وأذن له فى التصرف فى الرى وما يجرى معها على قاعدة أبيه السلطان محمد وامره ان يكون مقيما فيها بعساكره بحيث ان دعت حاجة استدعاه لاجل هذه الهزيمة فوصل عباس صاحب الرى الى بغداد بعساكره وخدم السلطان مسعودا خدمة عظيمة وسار السلطان الى الرى امتثالا لامر عمه سنجر وقيل ان بلاد تركستان وهى كاشغر وبلاد بلاساغون وختن وطراز وغيرها مما يجاورها من بلاد ماوراء النهر كانت بيد الملوك الخانية الاتراك وهم مسلمون من نسل افراسياب التركى الا انهم مختلفون وكان سبب اسلام جده شبق قراخاقان انه راى فى منامه كأن رجلا نزل من السماء فقال بالتركية ما معناه اسلم تسلم فى الدنيا والآخرة فاسلم فى منامه واصبح فاظهر اسلامه فلما مات قام مقامه ابنه موسى بن شبق ولم يزل الملك بتلك الناحية فى اولاده الى ارسلان خان بن محمد بن سليمان بن داود بغراخان بن ابراهيم الملقب بطبغاج خان بن ايلك الملقب بنصر ارسلان بن على بن موسى بن شبق فخرج على قدرخان فانتزع الملك منه فقتل سنجر قدرخان كما ذكرناه سنة اربع وتسعين واربعمائة واعاد الملك الى ارسلان خان وثبت قدمه وخرج خوارج فاستصرخ السلطان سنجر فنصره واعاده

والامر لله وحده (واما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر) فلم يمت من مشاهير الفقهاء من له شهرة ولا ذكر (وأما الامراء

غراه ثم وزعها مثلوا به وخرموا أنفه وصلبوه على حانوته وعلقوا الريال فى أنفه وردعا الغيره وفى أثناء ذلك اذا بالمناداة بان يكون صرف الريال بمائتين وسبعين والمحبوب بثلثمائة وعشرة فاستمع وتعجب من هذه الاحكام الغريبة التى لم يطرق سمع سامع مثلها هذا مع عدم الفضة العددية فى ايدى الناس فيدور الشخص بالقرش وهو ينادى على صرفه بنقص أربعة انصاف نصف يوم حتى يصرفه بقطع افرنجية منها ماهو باثنى عشر أو خمسة وعشرين أو خمسة فقط أو يشترى من يريد الصرف شيئا من الزيات أو الخضرى أو الجزار ويبقى عنده الكسور الباقية بعده بغلاقها فيعود اليه مرارا حتى يتحصل عنده غلاقها وليس هو فقط بل أمثاله كثير وسبب شحة الفضة العددية انه يضرب منها كل يوم بالضربخانه ألوف مؤلفة ياخذها التجار بزيادة مائة نصف فى كل ألف يرسلونها الى بلاد الشام والروم ويعوضون بدلها فى الضربخانه الفرانسه والذهب لانها تصرف فى تلك البلاد باقل مما تصرف به فى مصر وزاد الحال بعد هذا التاريخ حتى استقر على صرف الالف مائتين وتقرر ذلك فى حساب الميرى فيدفع الصارف ثلاثين قرشا عنها ألف ومائتان ويأخذ الالف فقط والفرانسه والمحبوب بحسابه المتعارف بذلك الحساب

الى ملكه وكان من جنده نوع من الاتراك يقال لهم القارغلية والاتراك الغزية الذين
نهبوا خراسان على ما نذكره ان شاء الله وهم نوعان نوع يقال لهم اجق واميرهم طوطى
ابن داديك وقوم يقال لهم برق واميرهم بقاله قرغوت بن عبد الحميد فحسن الشريف
الاشرف بن محمد بن ابى شجاع العلوى السمرقندى لولد ارسلان خان المعروف بنصر خان
طلب الملك من ابيه واطمعه فسمع محمد بن خان الخبر فقتل الابن والشريف الاشرف
وجرت بين ارسلان خان وبين جنده القارغلية وحشة دعتهما الى العصيان عليه
وانتزاع الملك منه فعاودوا الاستعانة بالسلطان سنجر فعبر جيحون بعساكره سنة اربع
وعشرين وخمسمائة وكان بينهما مصاهرة فوصل الى سمرقند وهرب القارغلية من بين
يديه واتفق ان السلطان سنجر خرج الى الصيد فراى خيالة فقبض عليهم فقررهم
فاقروا ان ارسلان خان وضعهم على قتله فعاد الى سمرقند فحصر ارسلان خان بالقلعة
فملكها واخذه اسيرا وسيره الى بلخ فمات بها وقيل بل غدر به سنجر واستضعفه فملك البلد
منه فاشاع عنه ذلك فلما ملك سمرقند استعمل عليها بعده قلج طمغاج ابا المعالى
الحسن بن على بن عبد المؤمن المعروف بحسن تكين وكان من اعيان بيت الخانية الى
الآن الآن ارسلان خان اطرحه فلما ولى سمرقند وكان هذا حسن ابن اخت سنجر لم
تطل ايامه فمات عن قليل فاقام سنجر مقامه الملك محمود بن ارسلان خان محمد بن سليمان
ابن داود بغراخان وهو ابن الذى اخذ منه سنجر سمرقند وكان هذا محمود ابن اخت سنجر
وكان قبل ذلك سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة قد وصل الاعور وهو كوخان الصينى
الى حدود كاشغر فى عدد كثير لا يعلمهم الا الله فاستعد له صاحب كاشغر وهو الخان احمد
ابن الحسن وجمع جنوده فخرج اليه والتقوا فاقتتلوا وانهزم الاعور الصينى وقتل كثير
من اصحابه ثم انه مات فقام مقامه كوخان الصينى وهو بلسان الصين لقب لاعظم
ملوكهم وخان لقب لملوك الترك فمعناه اعظم الملوك وكان يلبس لبسة ملوكهم من
المقنعة والخمار وكان مانويا ولما خرج من الصين الى تركستان انضاف اليه الاتراك
الخطا وكانوا قد خرجوا قبله من الصين وهم فى خدمة الخانية اصحاب تركستان وكان
ارسلان خان محمد بن سليمان يسير على ستة عشر الف خركاه ومنزلهم على الدروب التى
بينه وبين الصين يمنعون احدا من الملوك ان يتطرق الى بلاده وكان لهم على ذلك جرايات
واقطاعات فاتفق انه وجد عليهم فى بعض السنين فمنعهم عن نسائهم لئلا يتوالدوا فعظم
عليهم ولم يعرفوا وجها يقصدونه وتحير وافاتفق ان اجتاز بهم قفل عظيم فيه الاموال
الكثيرة والامتعة النفيسة فاخذوه واحضروا التجار وقالوا لهم ان كنتم تريدون
اموالكم فعرفونا بلدا كثيرة المرعى فسيحا يسعنا ويسع اموالنا فاتفق راى التجار على
بلد بلاساغون فوصفوه لهم فاعادوا اليهم اموالهم واخذوا الموكلين الذين كانوا بهم لمنعهم
عن نسائهم وكتفوهم واخذوا نساءهم وساروا الى بلاساغون وكان ارسلان خان
يغزوهم ويكثر جهادهم فخافوه وخافوا عظيما فلما طال ذلك عليهم وخرج كوخان الصينى
انضافوا اليه ايضا فعظم شانهم وتضاعف جمعهم وملكوا بلاد تركستان وكانوا اذا

فقد تقدم ذكرهم) وما وقع لهم ومقتلهم اجمالا فاغنى عن التكرار فالله يرحمنا اجمعين

٭(ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين وألف)٭

وما تجدد بها من الحوادث
فكان ابتداء المحرم بالرؤية
يوم الخميس فى عاشره وصل
كثير من كبار العسكر الذين
تخلفوا بالمويلح بحضرتهم حسين
بك دالى باشا وغيره فوصلوا
الى قبة النصر جهة العادلية
ودخلت عساكرهم المدينة شيئا
فشيئا وهم فى اسوا حال من
الجوع وتغير الالوان وكآبة
المنظر والسحن ودوابهم وجمالهم
فى غاية الهي ويدخلون الى المدينة
فى كل يوم ثم دخل أكابرهم الى
بيوتهم وقد سخط عليهم الباشا
ومنع أن لا يأتيه منهم أحد ولا
يراه وكانهم كانوا قادرين على
النصرة والغلبة وفرطوا فى ذلك
ويلومهم على الانهزام والرجوع
وطفقوا يتهم بعضهم البعض فى
الانهزام فتقول الخيالة سبب
هزيمتنا القرابة وتقول القرابة
بالعكس ولقد قال لى بعض
أكابرهم من الذين يدعون
الصلاح والتورع أين لنا بالنصر
وأكثر عساكرنا على غير الملة
وفيهم من لا يتدين بدين ولا
ينتحل مذهبا وصحبتنا صناديق
المسكرات ولا يسمع فى عرضينا
اذان ولا تقام به فريضة ولا
يخطر فى بالهم ولا خاطرهم
شعائر الدين والقوم اذا دخل
الوقت أذن المؤذنون وينتظمون
صفوفا خلف امام واحد
بخشوع وخضوع واذا حان وقت الصلاة والحرب قائمة أذن المؤذن وصلوا صلاة الخوف فتتقدم طائفة

ملكوا المدينة لا يغيرون على اهلها شيئا بل يأخذون من كل بيت دينارا من اهل البلاد وغيرها من القرى واما المزدرعات وغير ذلك فلا اهلها وكل من اطاعهم من الملوك شد في وسطه شبه لوح فضة فتلك علامة من اطاعهم ثم ساروا الى بلاد ما وراء النهر فاستقبلهم الخاقان محمود بن محمد من حدود خجندة في رمضان سنة احدى وثلاثين وخمسمائة واقتتلوا فانهزم الخاقان محمود بن محمد وعاد الى سمرقند فعظم الخطب على اهلها واشتد الخوف والحزن وانتظروا البلاء صباحا ومساء وكذلك اهل بخارا وغيرهما من بلاد ما وراء النهر وارسل الخاقان محمود الى السلطان سنجر يستمده وينهي اليه ما لقي المسلمون ويحثه على نصرتهم فجمع العساكر فاجتمع عنده ملوك خراسان صاحب سجستان والغور وملك غزنة وملك مازندران وغيرهم فاجتمع اليه اكثر من مائة الف فارس وبقي العرض ستة اشهر وسار سنجر الى لقاء الترك فعبروا الى ما وراء النهر في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وخمسمائة فشكا اليه محمود بن محمد خان من الاتراك القارغلية فقصدهم سنجر فالتجؤا الى كوخان الصيني ومن معه من الكفار واقام سنجر بسمرقند فكتب اليه كوخان كتابا يتضمن الشفاعة في الاتراك القارغلية ويطلب منه أن يعفو عنهم فلم يشفعه فيهم وكتب اليه يدعوه الى الاسلام ويهدده ان لم يجب اليه ويتوعده بكثرة عساكره ووصفهم وبالغ في قتالهم بانواع السلاح حتى قال وانهم يشقون الشعر بسهامهم فلم يرض هذا الكتاب وزير السلطان طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك فلم يصغ اليه وسير الكتاب فلما قرئ الكتاب على كوخان امر بنتف لحية الرسول واعطاه ابرة وكلفه شق شعرة من لحيته فلم يقدر يفعل ذلك فقال كيف يشق غيرك شعرة بسهم وانت عاجز عن شقها بابرة واستعد كوخان للحرب وعنده جنود الترك والصين والخطا وغيرهم وقصد السلطان سنجر فالتقى العسكران وكانا كالبحرين العظيمين بموضع يقال له قطوان وطاف بهم كوخان حتى الجأهم الى واد يقال له درغم وكان على ميمنة سنجر الامير قماج وعلى ميسرته ملك سجستان والابطال وراءهم فاقتتلوا خامس صفر سنة ست وثلاثين وخمسمائة وكانت الاتراك القارغلية الذين هربوا من سنجر من أشد الناس قتالا ولم يكن ذلك اليوم من عسكر السلطان سنجر احسن قتالا من صاحب سجستان فاجلت الحرب عن هزيمة المسلمين فقتل منهم ما لا يحصى من كثرتهم واشتمل وادي درغم على عشرة آلاف من القتلى والجرحى ومضى السلطان سنجر منهزما واسر صاحب سجستان والامير قماج وزوجة السلطان سنجر وهي ابنة ارسلان خان فاطلقهم والحسام عمر بن عبد العزيز بن مازة البخاري الفقيه الحنفي المشهور ولم يكن في الاسلام وقعة أعظم من هذه ولا أكثر ممن قتل فيها بخراسان واستقرت دولة الخطا والترك الكفار بما وراء النهر وبقي كوخان الى رجب من سنة سبع وثلاثين وخمسمائة فمات فيه وكان جميلا حسن الصورة لا يلبس الا الحرير الصيني له هيبة عظيمة على أصحابه ولم يسلط أميرا على اقطاع بل كان يعطيهم من عنده ويقول متى أخذوا الاقطاع ظلموا وكان لا يقدم أميرا على أكثر من مائة فارس حتى لا يقدر

للعرب وتتأخر الاخرى الصلاة وعسكرنا يتعجبون من ذلك لانهم لم يسمعوا به فضلا عن رؤيته وينادون في معسكرهم هلموا الى حرب المشركين الحالقين الذقون المستبيحين الزنا واللواط الشاربين الخمور التاركين الصلاة الآكلين الربا القاتلين الانفس المستحلين المحرمات وكشفوا عن كثير من قتلى العسكر فوجدوهم غلفا غير مختونين ولما وصلوا بدرا واستولوا عليها وعلى القرى والخيوف وبها اخيار الناس وبها أهل العلم والصلحاء نهبوهم وأخذوا نساءهم وبناتهم وأولادهم وكتبهم فكانوا يفعلون فيهم ويبيعونهم من بعضهم لبعض ويقولون هؤلاء الكفار الخوارج حتى اتفق ان بعض أهل بدر الصلحاء طلب من بعض العسكر زوجته فقال له حتى تبيت معي هذه الليلة وأعطيها لك من الغد (وفيه) خرج العسكر المجرد الى السويس وكبيرهم بونابارته الخازندار ليذهب لمحافظة الينبع صحبة طوسون باشا (وفيه) وصل جماعة من الانكليز وصحبتهم هدية الى الباشا وفيها طيور ببغاء هندية خضر الالوان وملونة وريالات فرانسة نقود معبأة في براميل وحديد وآلات ومجيئهم وحضورهم في طلب أخذ الغلال وفي كل يوم تسافر المراكب المشحونة بالغلال الى بحري وكلما وردت مراكب سيرت الى بحري حتى شحت الغلال وغلا سعرها وارتفعت من السواحل والرقع ولا يكاد يباع الا مادون الويبة وكان سعر الاردب من اربعمائة نصف

على الصبيان عليه وكان ينهى اصحابه عن الظلم وينهى عن السكر ويعاقب عليه ولا ينهى عن الزنا ولا يقبحه وملك بعده ابنته فلم تطل مدتها حتى ماتت فملك بعدها امها زوجة كوخان وابنه محمد وبقي ما وراء النهر بيد الخطا الى ان اخذه منهم علاء الدين محمد خوارزم شاه سنة اثنتي عشرة وستمائة على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ما فعله خوارزم شاه بخراسان)

قد ذكرنا قبل قصد السلطان سنجر خوارزم واخذها من خوارزم شاه اتسز وعوده اليها وقتل ولد خوارزم شاه وانه هو الذي راسل الخطا واطمعهم في بلاد الاسلام فلما لقيهم السلطان سنجر وعاد منهزما سار خوارزم شاه الى خراسان فقصد سرخس في ربيع الاول من السنة فلما وصل اليها لقي الامام ابا محمد الزيادي وكان قد جمع بين الزهد والعلم فاكرمه خوارزم شاه اكراما عظيما ورحل من هناك الى مرو الشاهجان فقصده الامام احمد الباخرزي وشفع في اهل مرو وسال ان لا يتعرض اليهم احد من العسكر فاجابه الى ذلك ونزل بظاهر البلد واستدعى ابا الفضل الكرماني الفقيه واعيان اهلها وثار عامة مرو وقتلوا بعض اهل خوارزم شاه واخرجوا اصحابه من البلد واغلقوا ابوابه واستعدوا للامتناع فقاتلهم خوارزم شاه ودخل مدينة مرو سابع عشر ربيع الاول من السنة وقتل كثيرا من اهلها وممن قتل ابراهيم المروزي الفقيه الشافعي وعلي بن محمد بن ارسلان وكان ذا فنون كثيرة من العلم وقتل الشريف علي بن اسحق الموسوي كان راس فتنة ومقدم شر وقتل كثيرا من اعيان اهلها وعاد الى خوارزم واستصحب معه علماء كثيرا من اهلها منهم ابو الفضل الكرماني وابو منصور العبادي والقاضي الحسين بن محمد الارسابندي وابو محمد الخرقي الفيلسوف وغيرهم ثم سار في شوال من السنة الى نيسابور فخرج اليه جماعة من فقهائها وعلمائها وزهادها وسالوه ان لا يفعل باهل نيسابور ما فعل باهل مرو فاجابهم الى ذلك لكنه استقصى في البحث عن اموال اصحاب السلطان فاخذها وقطع خطبة السلطان سنجر اول ذي القعدة وخطب له فلما ترك الخطيب ذكر السلطان سنجر وذكر خوارزم شاه صاح الناس وثاروا وكادت الفتنة تثور والشر يعود جديدا وانما منع الناس ذووا الراي والعقل نظرا في العاقبة فقطعت الى اول المحرم سنة سبع وثلاثين فاعيدت خطبة السلطان سنجر ثم سير خوارزم شاه جيشا الى اعمال بيهق فاقاموا بها يقاتلون اهلها خمسة ايام ثم سار عنها ذلك الجيش ينهبون البلاد وعملوا بخراسان اعمالا عظيمة ومنع السلطان من مقاتلة اتسز خوارزم شاه لاجل قوة الخطا بما وراء النهر ومجاورتهم وملك خوارزم شاه هذه البلاد وغيرها من خراسان

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة ملك اتابك زنكي بن اقسنقر مدينة الحديثة ونقل من كان بها من آل مهراش الى الموصل ورتب اصحابه فيها وفيها ايضا خطب لزنكي بمدينة آمد وصار

صاحبها

الى الف ومائتين والقول كذلك وربما كان سعره ازيد من القمح لقلته فانه هاف زرعه في هذه السنة ولم يتحصل من ومنه الا نحو التقاوي وحصل للناس في هذه الايام شدة بسبب ذلك ثم بعد قليل وردت غلال وانحلت الاسعار وتواجدت الغلال بالسواحل والرقع (وفي منتصفه) حضر رجل نصراني من جبل الدروز وتوصل الى الباشا وعرفه انه يحسن الصناعة بدار الضرب ويوفر عليه كثيرا من المصاريف وانها بانحو الخمسمائة صانع وان يقوم بالعمل باربعين شخصا لا غير وانه يصنع آلات وعدد الضرب القروش وغيرها ولا يحتاج الى وقود نيران ولا كثير من العمل فصدق الباشا قوله وامر بان يفرد له مكان ويضم اليه ما يحتاجه من الرجال والحدادين والصناع ليعمل لصناعته العدد والآلات التي يحتاجها وشرع في اشغاله واستمر على ذلك شهورا (وفيه) التفت الباشا الى خدمة الضربخانه وافنديتها وطمعت نفسه في مصادرتهم واخذ الاموال لما يرى عليهم من التجمل في الملابس والمراكب لان من طبعه داء الحسد والشره والطمع والتطلع لما في ايدي الناس وارزاقهم وكان ينظر اليهم ويرمقهم وهم يغدون ويروحون الى الضربخانه هم واولادهم راكبون البغال والرهوانات المجملة وحولهم الخدم والاتباع فيسال عنهم ويستقبح

صاحبها فى طاعتــه وكان قبل ذلك مواقعا لداود على قتال زنـكى فلما رأى قوة زنـكى صار معـه وفيها عزل مجـاهد الدين بهروز عن شحنـكية بغـداد ووليها قزل امير اخور وهو من مماليك السلطان محمود وكان له بروجرد والبصرة فاضيف اليه شحنـكية بغداد ثم وصل السلطان الى بغداد فرأى من تبسط العيارين وفسـادهم ما ساءه فاعاد بهروز الى الشحنكيـة فتاب كثير منهم ولم ينتفع الناس بذلك لان ولد الوزير واخا امرأة السلطان كانا يقاسمان العيارين فلم يقدر بهروز على منعهم وفيها تولى عبد الرحمن طغايرك حجبة السلطان واستولى على المملـكة وعزل الامير تبرالطغرلى عنها وآل امره الى ان مشى فى ركاب عبـد الرحمن وفيها توفى ابراهيم السـهاوى مقـدم الاسماعيلية فاخرجه ولد عباس صاحب الرى فى تابوته وفيهـا حج كمال الدين بن طلحـة صاحب المخزن وعاد وقد لبس ثياب الصوفية وتخلى عن جميع ما كان عليه واقام فى داره مرعى الجانب محروس القاعدة وفيها وصل السلطان الى بغداد وكان الوزير الزينبى بدار السلطان كما ذكرناه فسال السـلطان ان يشفع فيه ليرده الخليفة الى داره فارسل السلطان وزيره الى دار الخلافة ومعه الوزير شرف الدين الزينبى وشفع ان يعود الى داره فاذن له فى ذلك واعاد اخاه الى نقابة النقباء فـلزم الوزير داره ولم يخرج منها الا الى الجامع وفيها اغار عسـكر اتابك زنـكى من حلب على بلاد الفرنج فنهبوا واحرقوا وظفروا بسرية الفرنج فقتلوا فيهم واكثروا فـكان عدة القتلى سبعمائة رجل وفيها افسدت خفاجة بالعراق فسير السلطان مسعود سرية اليهم من العسكر فنهبوا حللهم وقتلوا من ظفروا به منهم وعادوا سالمين وفيها سـير رجار الفرنجى صاحب صـقليـة اسطولا الى أطراف افريقيـة فاخذوا مراكب سـيرت من مصر الى الحسن صاحب افريقية وغدر بالحسن ثم راسله الحسن وجدد الهـدنة لاجـل حمل الغلات من صقلية الى افريقية لان الغلاء كان فيها شـديدا والموت كثيرا وفيها توفى أبو القاسم عبـد الوهاب بن عبد الواحـد الحنبلى الدمشـقى وكان عالما وفيها توفى ضيـاء الدين أبو سـعيد الكفرتوثى وزير اتابك زنكى وكان حسـن السيرة فى وزارته كريما رئيسا وفيها توفى أبو محمـد بن طاوس امام الجامع بدمشق فى المحرم وكان رجلا صالحا فاضلا وفيها توفى أبو القاسم اسمعيل بن احمد بن عمر بن أبى الاشعث المعروف بابن السمرقندى ولد بدمشق سنة اربع وخمسين واربعمائة وكان مكثرا من الحديث عالى الرواية

(ثم دخلت سـنة سبع وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر ملك عماد الدين أتابك زنـكى قلعة أشب وغيرها من الهكارية)

فى هـذه السـنة ارسل أتابك زنكى جيشا الى قلعة أشب وكانت أعظم حصون الاكراد الهـكارية واحصنها وبها اموالهم واهلهم فحصروها وضيقوا على من بها فاملكوها فامر باخرابها وبناء القلعة المعروفة بالعمادية عوضا عنها وكانت هذه القلعة العمادية حصنا عظيـما من حصونهـم فخربوه لـكبره لانه كبير جدا وكانوا يعجزون عن حفظه فخربت

عن أحوالهم ودورهم ومصارفهم وقد اتفق انه رأى شخصا خرج آخر الصناع وهو راكب رهوانا وحوله ثلاثة من الخدم فسال عنه فقيل له ان هذا البواب الذى يغلـق باب الضربخانه بعد خروج الناس منها ويفتحه لهم فى الصـباح فسـال عن مرتبـه فى كل يوم فعرفوه ان له فى كل يوم قرشين لا غير فقـال ان هذا المرتب له لا يكفى خدمه الذين هم حوله فـكيف بصرف داره وعليق دوابه وجميع لوازمه مما ينفقه ويحتاجه فى تجملاته وملابسه وملابس اهـله وعيـاله ان هؤلاء الناس كلهم سراق وكل ما هـم فيـه من السرقـة والاختلاس ولا بد من اخراج الامـوال التى اختلسوهـا وجمعوها وتناجى فى ذلك مع المعـلم غالى وقرنائه ثم طلب اولا اسمعيل افندى ليلا وهو الافندى الكبير وقال له عرفنى خيانة فلان النصرانى وفلان اليهودى المورده فقال لا أعلم على أحد منهم خيانة وهذا شئ يدخل بالميزان ويخرج بالميزان ثم صرفه واحضر النصرانى وقال له عرفنى بخيانة اسمعيل افنـدى واولاده والمداد وابراهـيم افندى الخضراوى الجتام وغيره فلم يزد على ما قاله اسمعيل افندى ثم احضر الحاج سالم الجواهرجى وهدده فلم يزد على قول الجماعة شيئا فقال الجميع شركاء بعضهم البعض ومتفقون على خيانتى ثم امر بحبس الحاج سالم واحضر شخصا آخر من الجواهرجية يسمى صالح الدنف والبسه فروة وجعله

الآن أشب وعمرت العمادية واغاسميت العمادية نسبة الى لقبه وكان نصير الدين جقر نائبه بالموصل قد فتح أكثر القلاع الجبلية

(ذكر حصر الفرنج طرابلس الغرب)

وفي هذه السنة سارت مراكب الفرنج من صقلية الى طرابلس الغرب فحصروها وسبب ذلك ان أهلها في أيام الامير الحسن صاحب أفريقية لم يدخلوا أبدا في طاعته ولم يزالوا مخالفين مشاقين له قد قدموا عليهم من بني مطروح مشايخ يدبرون أمرهم فلما رآهم ملك صقلية كذلك جهز اليهم جيشا في البحر فوصلوا اليهم تاسع ذي الحجة فنازلوا البلد وقاتلوه وعلقوا الكلاليب في سوره ونقبوه فلما كان الغد وصل جماعة من العرب نجدة لاهل البلد فقوي أهل طرابلس بهم فخرجوا الى الاسطول فحملوا عليهم حملة منكرة فانهزموا هزيمة فاحشة وقتل منهم خلق كثير ولحق الباقون بالاسطول وتركوا الاسلحة والاثقال والدواب والآلات فنهبها العرب وأهل البلد ورجع الفرنج الى صقلية فجهزوا أسلحتهم وتجهزوا الى المغرب فوصلوا الى جيجل فلما رآهم أهل البلد هربوا الى البراري والجبال فدخلها الفرنج وسبوا من أدركوا فيها وهدموها وأحرقوها وأخربوا القصر الذي بناه يحيى بن العزيز بن حماد للنزهة ثم عادوا

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة خرج حسن أمير الامراء على السلطان سنجر بخراسان وفيها توفي محمد بن دانشمند صاحب ملطية والثغر واستولى على بلاده الملك مسعود بن قلج أرسلان صاحب قونية وهو من السلجوقية وفيها خرج من الروم عسكر كثير الى الشام فحصروا الفرنج بانطاكية فخرج صاحبها واجتمع بملك الروم وأصلح حاله معه وعاد الى مدينته ومات في رمضان من هذه السنة ثم ان ملك الروم بعد أن صالح صاحب انطاكية سار الى طرابلس فحصرها ثم سار عنها وفيها قبض السلطان مسعود على الامير ترشك وهو من خواص الخليفة وممن ربي عنده وفي داره فساء ذلك الخليفة ثم أطلقه السلطان حفظا لقلب الخليفة وفيها كان بمصر وباء عظيم فهلك منه أكثر البلاد

(ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر صلح الشهيد السلطان مسعود وأتابك زنكي)

في هذه السنة وصل السلطان مسعود الى بغداد على عادته في كل سنة وجمع العساكر وتجهز لقصد أتابك زنكي وكان حقد عليه حقدا شديدا وسبب ذلك ان أصحاب الاطراف الخارجين على السلطان مسعود كانوا يخرجون عليه على ما تقدم ذكره فكان ينسب ذلك الى أتابك زنكي ويقول هو الذي سعى فيه وأشار به لعلمه انهم كلهم كانوا يصدرون عن رأيه فكان اتابك زنكي لا شك يفعل ذلك لئلا يخلو السلطان فيتمكن منه ومن غيره فلما تفرغ السلطان هذه السنة جمع العساكر ليسير الى بلاده فسير أتابك يستعطفه ويستميله فارسل اليه السلطان ابا عبد الله بن الانباري في تقرير

في خدمة الحاج سالم ثم ركب الباشا الى بيت ٤٢ الازبكية وطلب اسمعيل افندي ليلاهو واولاده فاحضر وهم بجماعة من العسكر في صورة هائلة وهددهم بالقتل وأمر باحضار المشاعل فاحضروه وأوقدوا المشاعل وسعت المتكلمون في العفو عنهم من القتل وقرروا عليهم مبلغا عظيما من الاكياس التزموا بدفعه خوفا من القتل ففرضوا على الحاج سالم بمفرده سبعمائة وخمسين كيسا وعلى ابراهيم المداد مائتي كيس وعلى أحمد أفندي الوزان مائتي كيس وعلى اولاد الشيخ السحيمي مائتي كيس لان لهم بها آلاتهم ووظائف يستغلون أجرتها وأخذ الجماعة في تحصيل ما فرض عليهم فشرعوا في بيع أمتعتهم وجهات ايرادهم ورهنوا وتداينوا بالربا وحولت عليهم الحوالات لطف الله بنا وبهم

(واستهل شهر صفر الخير بيوم الجمعة سنة ١٢٢٧)

في سابعه يوم الخميس حضر السيد محمد المحروقي الى مصر ووصل من طريق القصير ثم ركب بحر النيل ولم يحضر الشيخ المهدي بل تخلف عنه بقناوقوص لبعض اغراضه (وفيه) ألبس الباشا صالح اغا السلحدار خلعة وجعله سر عسكر التجريدة المتوجهة على طريق البر الى الحجاز وكذلك البس باقي الكشاف (وفي يوم الاحد) عاشره ورد نجيب وعلى يده مرسوم بشارة بمولود ولد للسلطان محمود وتسمى مرادو صحبته ايضا مقرر للباشا على ولاية مصر فضربوا مدافع

الصلح

القواعد فاستقرت القاعدة على مائة ألف دينار يحملها الى السلطان ليعود عنه فحمل عشرين ألف دينار وأكثرها عروض ثم تنقلت الاحوال بالسلطان الى ان احتاج الى مداراة اتابك وأطلق له الباقي استمالة له وحفظا لقلبه وقعود السلطان عنه كان سببه حصانة بلاده وكثرة عساكره وأمواله ومن جيد الرأي مافعله الشهيد في هذه الحادثة فانه كان ولده الاكبر سيف الدين غازي لا يزال عند السلطان سفرا وحضرا بامر والده فارسل اليه ثانية وأرسل اليه نائبه بها نصير الدين جقر فيقول له ليمنعه عن الدخول الى الموصل والوصول اليه فهرب غازي وبلغ الخبر والده فارسل اليه يأمره بالعودة الى السلطان ولم يجتمع به وأرسل معه رسولا الى السلطان يقول له ان ولدي هرب خوفا من السلطان لما رأى تغيره على وقد اعدته الى الخدمة ولم اجتمع به فانه مملوكك والبلاد لك فحل ذلك من السلطان محلا عظيما

﴿ذكر ملك اتابك بعض ديار بكر﴾

وفي هذه السنة سار اتابك زنكي الى ديار بكر ففتح منها عدة بلاد وحصون فمن ذلك مدينة طنزة ومن ذلك مدينة اسعرد ومدينة حيزان وحصن الروق وحصن مطليس وحصن باتسية وحصن ذي القرنين وغير ذلك مما لم يبلغ غيره هذه الاماكن وأخذ أيضا من بلد ماردين مما هو بيد الفرنج جملين والموزر وتل موزر وغيرها من حصون جوسلين ورتب امور الجميع وخلى فيها من الاجناد من يحفظها وقصد مدينة آمد وحاني فحصرهما وأقام بتلك الناحية مصلحا لما فتحه ومحاصرا لما لم يفتحه

﴿ذكر امر العيارين ببغداد﴾

وفي هذه السنة زاد امر العيارين وكثر الاذى منهم من الطلب بسبب ابن الوزير وابن قاورت اخي زوجة السلطان لانهما كان لهما نصيب من الذي يأخذه العيارون وكان النائب في شحنكية بغداد مملوكا اسمه ايلدكز وكان صارما مقداما ظالما فحمله الاقدام الى ان حضر عند السلطان فقال له السلطان ان السياسة قاصرة والناس قد هلكوا فقال يا سلطان العالم اذا كان عقيد العيارين ولد وزيرك واخا امرأتك فاي قدرة لي على المفسدين وشرح له الحال فقال له الساعة تخرج وتكبس عليهما اين كانا وتصلبهما فان فعلت والا صلبتك فاخذ خاتمه وخرج فكبس على ابن الوزير فلم يجده فاخذ من كان عنده وكبس على ابن قاورت فاخذه وصلبه فاصبح الناس وهرب ابن الوزير وشاع الامر ورؤي ابن قاورت مصلوبا فهرب اكثر العيارين وقبض على من اقام وكفي الناس شرهم

﴿ذكر حصر سنجر خوارزم وصلحه مع خوارزم شاه﴾

قد ذكرنا سنة اثنتين وثلاثين مسير سنجر الى خوارزم وملكه لها وعود اتسز خوارزم شاه اليها وأخذها وما كان منه بخراسان بعد ذلك فلما كان في هذه السنة سار السلطان سنجر الى خوارزم شاه فجمع خوارزم شاه عساكره وتحصن بالمدينة ولم يخرج منها لقتال

لزوجته وطلع الى القلعة في موكب وقرئت المراسيم وعملوا شنكا ومدافع تضرب في الاوقات الخمسة سبعة أيام من القلعة والازبكية وبولاق والجيزة ﴿واستهل شهر ربيع الاول سنة ١٢٢٧﴾ فيه حضر ابراهيم بك ابن الباشا من الجهة القبلية (وفي منتصفه) حضر احمد اغا لاظ الذي كان امير ابقنا وقوص وباقي الكشاف بعد ان راكوا جميع البلاد القبلية والاراضي وفرضوا عليها الاموال على كل فدان سبعة ريالات وهو شئ كثير جدا واحصوا جميع الرزق الاحباسية المرصدة على المساجد والبر والصدقة بالصعيد ومصر فبلغت ستمائة الف فدان واشاعوا بانهم يطلقون للمرصد على المساجد خاصة نصف المفروض وهو ثلاثة ريال ونصف فضجت اصحاب الرزق وحضر الكثير منهم يستغيثون بالمشايخ فركبوا الى الباشا وتكلموا معه في شان ذلك وقالوا له هذا يترتب عليه خراب المساجد فقال واين المساجد العامرة التي لم يرض بذلك يرفع يده وأما المساجد المتخربة وارتب لها ما يكفيها ولم يفد كلامهم فائدة فنزلوا الى بيوتهم (وفي اواخره) انتقل السيد محمد كريم النقيب من دمياط الى طندتا وسكن بها (وسبب) ذلك انه لما طالت اقامته بدمياط وهو ينتظر الفرج وقد ابطا عليه وهو ينتقل من المكان الذي هو فيه الى مكان آخر على شاطئ البحر ويتشاغل بعمارة خان انشاه هناك والحرس ملازمون له ولم يزل حتى ورد عليه صديق افندي قاضي العسكر فكلمه

لعلمه انه لا يقوى لسنجر وكان القتال يجري بين الفريقين من وراء السور فاتفق في يوم من بعض الايام ان هجم امير من امراء سنجر اسمه سنقر على البلد من الجانب الغربي فلم يبق غير ملكه قهرا وعنوة وكان منقال التاجي هجم من الشرق فانهزم منقال من البلد وبقي سنقر وحده في البلد فقوي عليه خوارزم شاه اتسز فاخرجه من البلد وبقي سنجر وحده واشتد في حفظه فلما رأى السلطان قوة البلد وامتناعه عزم على العود الى مرو ولم يمكنه عن غير قاعدة تستقر بينهما فاتفق ان خوارزم شاه ارسل رسولا يبذل المال والطاعة والخدمة ويعود الى ما كان عليه من الانقياد فاجابه الى ذلك واصطلحا وعاد سنجر الى مرو واقام خوارزم شاه بخوارزم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة سير اتابك زنكي عسكرا الى مدينة عانة من اعمال الفرات فملكوها وفيها في المحرم توفي ابو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن احمد الانماطي الحافظ ببغداد ومولده سنة اثنتين وستين واربعمائة وفيها توفي ابو الفتوح محمد بن الفضل ابن محمد الاسفرايني الواعظ من اهل اسفراين من خراسان واقام مدة ببغداد يعظ وسار الى خراسان فلما مات حضر الغزنوي عزاءه ببغداد وبكى واكثر فقال بعض اصحاب ابي الفتوح للغزنوي كلاما اغلظ له فيه فلما قام الغزنوي لامه بعض تلامذته على حضوره العزاء وكثرة البكاء وقال له كنت مهاجرا لهذا الرجل فلما مات حضرت عزاءه واكثرت البكاء واظهرت الحزن قال كنت ابكي على نفسي كان يقال فلان وفلان فمن يعدم النظير ايقن بالرحيل وانشد هذه الابيات

ذهب المبرد وانقضت ايامه * وسينقضي بعد المبرد ثعلب

بيت من الآداب اصبح نصفه * خربا وباقي نصفه فسيخرب

فتزودوا من ثعلب فبمثل ما * شرب المبرد عن قليل يشرب

اوصيكم ان تكتبوا انفاسه * ان كانت الانفاس مما يكتب

وفيها توفي الوزير شرف الدين علي بن طراد الزينبي في رمضان معزولا ودفن بداره بباب الازج ثم نقل الى الحربية وفيها توفي ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري النحوي المفسر وزمخشر احدى قرى خوارزم

(ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر فتح الرها وغيرها من البلاد الجزرية)

في هذه السنة سادس جمادى الآخرة فتح اتابك عماد الدين زنكي بن آقسنقر مدينة الرها [illegible] من بلاد الجزيرة [illegible] بلاد الجزيرة وشرهم [illegible] الى [illegible] آمد ونصيبين [illegible]

[illegible]

سنة ١٢٢٧)*
في رابعه وصل الحجاج المغاربة ووصل ايضا مولاي ابراهيم ابن السلطان سليمان سلطان الغرب وسبب تاخرهم الى هذا الوقت انهم اتوا من طريق الشام وهلك الكثير من فقرائهم المشاة واخبروا انهم قضوا مناسكهم وحجوا وزاروا المدينة واكرمهم الوهابية اكراما زائدا وذهبوا ورجعوا من غير طريق العسكر (وفي عاشره) حضر تامر كاشف وحويلك وعبد الله اغا وهم الذين كانوا حضروا الى المويلح بعد الهزيمة فاقاموا به مدة ثم ذهبوا الى ينبع البحر عند طوسون باشا ثم حضروا في هذه الايام باستدعاء الباشا وكان حويلك في مركب من مراكب الباشا الكبار التي انشاها فانكسر على شعب وهلك من عسكره اشخاص ونجا هو ومن بقي معه واخبروا عنه انه كان اول من تقدم في الفرهو وحسين بك فقتل من عسكرهما الكثير من دون البقية الذين استعجلوا الفرار (وفيه) خرجت [illegible] زنفرضه على نسق [illegible] الاول [illegible] [illegible] في دفعة واحدة ويأخذ من اصل حسابها الغلال من الاجران بحساب ثمانية ريال كل اردب ويجمع غلال كل اقليم في نواحي يعينوها

الاعمال مع غيرها عماه وغرب الفرات لجوسلين وكان صاحب رأى الفرنج والمقدم على عساكرهم لما هو عليه من الشجاعة والمكر وكان اتابك يعلم انه متى قصد حصرها اجتمع فيها من الفرنج من يمنعها فيتعذر عليه ملكها لما هى عليه من الحصانة فاشتغل بديار بكر ليوهم الفرنج انه غير متفرغ الى قصدهم فلما رأوه انه غير قادر على ترك الارتقية وغيرهم من ملوك ديار بكر حيث انه محارب لهم اطمانوا وفارق جوسلين الرها وعبر الفرات الى بلاده الغربية فجاءت عيون اتابك اليه فاخبروه فنادى في العسكر بالرحيل وان لا يتخلف عن الرها احد من غد يومه وجمع الامراء عنده وقال قدموا الطعام وقال لا يأكل معى على مائدتى هذه الا من يطعن غدا معى بباب الرها فلم يتقدم اليه غير امير واحد وصبى لا يعرف لما يعلمون من اقدامه وشجاعته وان احدا لا يقدر على مساواته فى الحرب فقال الامير لذلك الصبى ما انت فى هذا المقام فقال اتابك دعه فوالله انى ارى وجها لا يتخلف عنى وسار والعساكر معه ووصل الى الرها وكان هو اول من حمل على الفرنج وحمل ذلك الصبى وحمل فارس من خيالة الفرنج على اتابك عرضا فاعترضه ذلك الامير فطعنه فقتله وسلم الشهيد ونازل البلد وقاتله ثمانية وعشرين يوما فزحف اليه عدة دفعات وقدم النقابين فنقبوا سور البلد ولج فى قتاله خوفا من اجتماع الفرنج والمسير اليه واستنقاذ البلد منه فسقطت البدنة التى نقبها النقابون واخذ البلد عنوة وقهرا وحصر قلعته فملكها أيضا ونهب الناس الاموال وسبوا الذرية وقتلوا الرجال فلما رأى اتابك البلد اعجبه ورأى ان تخريب مثله لا يجوز فى السياسة فامر فنودى فى العساكر برد ما أخذوه من الرجال والنساء والاطفال الى بيوتهم واعادة ما غنموه من اثاثهم وامتعتهم فردوا الجميع عن آخره لم يفقد منه شئ الا الشاذ النادر الذى اخذ وفارق من اخذه العسكر فعاد البلد على حاله الاول وجعل فيه عسكرا يحفظه وتسلم مدينة سروج وسائر الاماكن التى كانت بيد الفرنج شرقى الفرات ما عدا البيرة فانها حصينة منيعة وعلى شاطئ الفرات فسار اليها وحصرها وكانوا قد اكثروا ميرتها ورجالها فبقى على حصارها الى أن رحل عنها على ما نذكره ان شاء الله تعالى (حكى) أن بعض العلماء بالانساب والتواريخ قال كان صاحب جزيرة صقلية قد ارسل سرية فى البحر الى طرابلس الغرب وتلك الاعمال فنهبوا وقتلوا وكان بصقلية انسان من العلماء المسلمين وهو من أهل الصلاح وكان صاحب صقلية يكرمه ويحترمه ويرجع الى قوله ويقدمه على من عنده من القسوس والرهبان وكان اهل ولايته يقولون انه مسلم بهذا السبب فى بعض الايام كان جالسا فى منظرة تشرف على البحر واذ قد اقبل مركب لطيف واخبره من فيه ان عسكره دخل بلاد الاسلام وغنموا وقتلوا وظفروا وكان المسلم الى جانبه وقد اغفى فقال له الملك يا فلان اما تسمع ما يقولون قال لا قال انهم يخبرونى بكذا وكذا أين كان محمد عن تلك البلاد واهلها قال له كان قد غاب عنهم وشهد فتح الرها وقد فتحها المسلمون الآن فضحك [illegible] الفرنج فقال الملك لا تضحكوا والله ما يقول الا الحق فبعد ايام وصلت الاخبار من

تساق الى الاسكندرية وتباع على الافرنج فتنحط الغلال وغلا سعرها مع كون الفلاح لا يقدر على رفع غلته المتحصلة له من زراعة ارضه التى غرم عليها المغارم بطول السنة بل تؤخذ منه قهرا مع الاجحاف فى الثمن والكيل بحيث يكال الاردب اردبا ونصفا ثم يلزمونه بحمله الى المحل المعد لذلك ويلزم ايضا باجرة الكيال وعوائد المباشرين لذلك من الاعوان وخدمة الكشوفية واجرة المعادى وبعض البلاد يطلق له الاذن بدفع المطلوب بالثمن والبعض النصف غلال والنصف الآخر دراهم حسب رسم المعلم غالى وامره واذنه فانه هو المرخص فى الامر والنهى فيبيع المأذون له غلته باقصى قيمة برأى من المسلمين الآخر الذى لم تسعده الاقدار وحضر الكثير من الفلاحين وازدحموا بباب المعلم غالى وتركوا بيادرهم وتعطلوا عن الدراس (وفى) ليلة الاثنين خامس عشره ذهب الباشا الى قصر شبرا وسافر تلك الليلة الى ثغر الاسكندرية وحضر ابنه ابراهيم بك الى الجهة القبلية وكذلك احمد اغا لاظ اغلى وقبض الامراء (وفيه) ورد الخبر بان العسكر القبلى ذهبوا خلف الامراء القبليين الفارين الى خلف ابريم وضيقوا عليهم الطرق وسدوا خيولهم وجمالهم وتفرق عنهم خدمهم واضمحل حالهم وحضر عدة من مماليكهم واجنادهم الى ناحية أسوان بامان من الاتراك فقبضوا عليهم

فرنج الشام بفتحها * وحكى لى جماعة من أهل الدين والصلاح ان انسانا صالحا رأى الشهيد فى النوم فقال له مافعل الله بك قال غفر لى بفتح الرها

(ذكر قتل نصير الدين جقر وولاية زين الدين على كوجك قلعة الموصل)

فى هذه السنة فى ذى القعدة قتل نصير الدين جقر نائب اتابك زنكى بالموصل والاعمال جميعها التى شرق الفرات وسبب قتله ان الملك الب ارسلان المعروف بالخفاجى ولد السلطان محمود كان عند اتابك الشهيد وكان يظهر للخلفاء والسلطان مسعود واصحابه بالاطراف ان هذه البلاد لهذا الملك وأنا نائبه فيها وكان ينتظر وفاة السلطان مسعود ليخطب له بالسلطنة ويملك البلاد باسمه وكان هذا الملك بالموصل هذه السنة ونصير الدين يقصده كل يوم ليقوم بخدمته اذ عرضت له فحسن له بعض المفسدين طلب الملك وقال له ان قتلت نصير الدين ملكت الموصل وغيرها من البلاد ولا يبقى مع اتابك زنكى فارس واحد فوقع هذا منه موقعا حسنا وظنه صدقا فلما دخل نصير الدين اليه وثب عليه من عنده من اجناد اتابك ومماليكه فقتلوه وألقوا برأسه الى أصحابه ظنا منهم ان اصحابه يتفرقون ويخرج الملك ويملك البلد وكان الامر خلاف ماظنوه فان اصحابه واصحاب اتابك الذين فى خدمته لما رأوا رأسه قاتلوا من بالدار مع الملك واجتمع معهم الخلق الكثير وكانت دولة اتابك مملوأة بالرجال والاجناد ذوى الرأى والتجربة ثم دخل اليه القاضى تاج الدين يحيى بن الشهرزورى ولم يزل به يخدعه وكان فيما قال له لما رآه منزعجا يامولانا لم تحرد من هذا الكلب هذا واستاذه مماليكك والحمد لله الذى أراحنا منه ومن صاحبه على يدك وما الذى يقعدك فى هذه الدار قم لتصعد القلعة وتاخذ الاموال والسلاح وتملك البلد وتجمع الجند وليس دون الموصل مانع فقام معه وأصعده القلعة فلما قاربها اراد من بها من النقيب والاجناد القتال فتقدم اليهم القاضى تاج الدين وقال لهم افتحوا الباب وتسلموه وافعلوا به ما اردتم ثم فتح الباب ودخل الملك والقاضى اليها ومعهما من اعان على قتل نصير الدين فسجنوا ونزل القاضى وبلغ الخبر اتابك زنكى وهو يحاصر قلعة البيرة وقد اشرف على ملكها فخاف ان تختلف البلاد الشرقية بعد قتل نصير الدين ففارق البيرة وارسل زين الدين على بن بكتكين الى قلعة الموصل واليا على ما كان نصير الدين يتولاه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قبض السلطان مسعود على وزيره البروجردى ووزر بعده المرزبان بن عبيد الله ابن نصر الاصفهانى وسلم اليه البروجردى فاستخرج امواله ومات مقبوضا وفيها كان اتابك عماد الدين زنكى يحاصر البيرة وهى للفرنج شرق الفرات بعد ملك الرها وهى من امنع الحصون وضيق عليها وقارب ان يفتحها فجاءه خبر قتل نصير الدين نائبه بالموصل فرحل عنها وارسل نائبا الى الموصل واقام ينتظر الخبر فخاف من بالبيرة من الفرنج ان يعود اليهم وكانوا يخافونه خوفا شديدا فارسلوا الى نجم الدين صاحب ماردين

وقتلوهم عن آخرهم وفعلوا قبل ذلك بغيرهم كذلك (وفى اواخره) سافر عدة من عسكر المغاربة الى الينبع ووصل جملة كبيرة من عسكر الاروام الى الاسكندرية فصرف عليهم الباشا علائف وحضروا الى مصر وانتظموا فى سلك من بها ويعين منهم للسفر من يعين (وفيه) وقعت حادثة بخط الجامع الازهر وهو انه من مدة سابقة من قبل العام الماضى كان يقع بالخطة ونواحيها من الدور والحوانيت سرقات وضياع امتعة وتكرر ذلك حتى ضج الناس وكثر لغطهم وضاع تخمينهم فمن قائل انهم مسترعيات يدخلون من نواحى السور ويتفرقون فى الخطة ويفعلون ما يفعلون ومنهم من يقول ان ذلك فعل طائفة من العسكر الذين يقال لهم الحيطة فى بلادهم الى غير ذلك ثم فى تاريخه سرق من بيت امرأة رومية صندوق ومتاع فاتهمت أشخاصا من العميان المجاورين بزاويتهم تجاه مدرسة الجوهرية الملاصقة للازهر فقبض عليهم الاغا وقررهم فانكروا وقالوا لسنا سارقين وانما سمعنا فلانا سمعوه وهو محمد بن ابى القاسم الدرقاوى المغربى المنفصل عن مشيخة رواق المغاربة ومعه أخوته وآخرون نعرفه بصوته وهم يتذاكرون فى ذلك ونحن نسمعهم فلما تحققوا ذلك وشاع بين الناس والاشياخ ذهب بعضهم الى ابى القاسم وخاطبوه وكلموه سرا وخوفوه من

ماردين وصاحبها فملكها المسلمون وفيها اخرج اسطول الفرنج من صقلية الى ساحل افريقية والغرب ففتحوا مدينة برشك وقتلوا أهلها وسبوا حريمهم وباعوه بصقلية على المسلمين وفيها توفى تاشفين بن على بن يوسف صاحب المغرب وكانت ولايته تزيد على أربع سنين وولى بعده أخوه وضعف أمر الملثمين وقوى عبد المؤمن وقد ذكرنا ذلك سنة أربع عشرة وخمسمائة وفيها فى شوال ظهر كوكب عظيم له ذنب من جانب المشرق و بقى الى نصف ذى القعدة ثم غاب ثم طلع من جانب الغرب فقيل هو هو وقيل بل غيره وفيها كانت فتنة عظيمة بين الامير هاشم بن فليتة بن القاسم العلوى الحسينى أمير مكة والامير نظر الخادم أمير الحاج فنهب اصحاب هاشم الحجاج وهم فى المسجد يطوفون ويصلون ولم يرقبوا فيهم الا ولا ذمة وفيها فى ذى الحجة توفى عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله بن حمدويه أبو المعالى المروزى بمرو وسافر الكثير وسمع الحديث الكثير وبنى بمرو رباطا ووقف فيه كتبا كثيرة وكان كثير الصدقة والعبادة وتوفى محمد بن عبد الملك ابن حسن بن ابراهيم بن خيرون أبو منصور المقرى فى رجب ومولده فى رجب سنة أربع وخمسين وأربعمائة وهو آخر من روى عن الجوهرى بالاجازة وفى ذى الحجة منها توفى أبو منصور سعيد بن محمد بن عمر المعروف بابن الرزاز مدرس النظامية ببغداد ومولده سنة اثنتين وستين وأربعمائة وتفقه على الغزالى والشاشى ودفن فى تربة الشيخ أبى اسحق

(ثم دخلت سنة اربعين وخمسمائة)

(ذكر اتفاق بوزابة وعباس على منازعة السلطان)

فى هذه السنة سار بوزابة صاحب فارس وخوزستان وعساكره الى قاشان ومعه الملك محمد ابن السلطان محمود ووصل اليهما الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد واجتمع بوزابة والامير عباس صاحب الرى واتفقا على الخروج عن طاعة السلطان مسعود وملكا كثيرا من بلاده ووصل الخبر اليه وهو ببغداد ومعه الامير عبد الرحمن طغايرك وهو أمير حاجب حاكم فى الدولة وكان ميله اليهما فسار السلطان فى رمضان عن بغداد ونزل بها الامير مهلهل ونظر وجماعة من غلمان بهروز وسار السلطان وعبد الرحمن معه فتقارب العسكران ولم يبق الا المصاف فلحق سليمان شاه باخيه مسعود وشرع عبد الرحمن فى تقرير الصلح على القاعدة التى ارادوها واضيف الى عبد الرحمن ولاية اذربيجان وارانية الى ما بيده وصار أبو الفتح بن دارست وزير السلطان مسعود وهو وزير بوزابة فصار السلطان معهم تحت الحجر وارسلوا بك ارسلان بن بلنكرى المعروف بخاص بك وهو ملازم السلطان وتربيته وصار فى خدمته عبد الرحمن ليحقن دمه وصار الجماعة فى خدمة السلطان بالصورة لا بالمعنى والله اعلم

*(ذكر استيلاء على بن دبيس بن صدقة على الحلة)

فى هذه السنة سار على بن دبيس الى الحلة هاربا فملكها وكان سبب ذلك ان السلطان

العاقبة وكان المذكور جعل نفسه مريضا ومنقطعا فى داره فغالطهم فقالوا له نحن قصدنا

بخطابك التستر على اهل الخرقة المنتسبين الى الازهر فى العمل بالشريعة واخذ العلم أوما علمت ما قد جرى فى العام السابق من حادثة الزغل وغير ذلك فلم يزالوا به حتى وعدهم انه يتكلم مع اولاده ويفحصون على ذلك بنباهتهم ونجابتهم (وفى اليوم الثالث) وقيل الثانى ارسل ابو القاسم المذكور فاحضر السيد احمد الذى يقال له جندى المطبخ وابن اخيه وهما اللذان يتعاطيان الحسبة والاحكام بخط الازهر ويتكلمان على الباعة والخضرية والجزارين الكائنين بالخطة فلما حضرا عنده عاهدهما وحلفهما بان يسترا عليه وعلى اولاده ولا يفضحاهم ويبعدا عنهم هذه القضية واخبرهما بان ولده لم يزل يتفحص بفطانته حتى عرف السارق ووجد بعض الامتعة ثم فتح خزانة بمجلسه واخرج منها امتعة فسألوه عن الصندوق فقال هو باق عند من هو عنده ولا يمكن احضاره فى النهار فاذا كان آخر الليل انتظروا ولدى محمدا هذا عند جامع الفاكهانى بالعقادين الرومى وهو يأتيكم بالصندوق مع سارقه فاقبضوا عليه واتركوا اولادى ولا تذكروهم ولا تتعرضوا لهم فقالوا له

* كذلك وحضر الجندى وابن اخيه فى الوقت الذى وعدهم به وصحبتهما اشخاص من اتباع الشرطة ووقفوا

لما اراد الرحيل من بغداد اشار عليه مهلهل ان يحبس علي بن دبيس بقلعة تكريت فعلم ذلك فهرب في جماعة يسيرة نحو خمسة عشر فمضى الى الازبز وجمع بني اسد وغيرهم وسار الى الحلة وبها اخوه محمد بن دبيس فقاتله فانهزم محمد وملك علي الحلة واستهان السلطان امره اولا فاستفحل وضم اليه جمعا من غلمانه وغلمان ابيه واهل بيته وعساكرهم وكثر جمعهم فسار اليه مهلهل فيمن معه في بغداد من العسكر وضرب معه مصافا فكسرهم وعادوا منهزمين الى بغداد وكان اهلها يتعصبون لعلي بن دبيس وكانوا يصيحون اذا راوا مهلهلا وبعض اصحابه يا علي كله وكثر ذلك منهم بحيث امتنع مهلهل من الركوب ومد علي يده في اقطاع الامراء بالحلة وتصرف فيها وصار شحنة بغداد ومن بها على وجل منه وجمع الخليفة جماعة وجعلهم على السور لحفظه وراسل عليا فاعاد بانني العبد المطيع مهما رسم لي فعلت فسكن الناس ووصلت الاخبار بعد ذلك ان السلطان مسعودا تفرق خصومه عنه فازداد سكون الناس لذلك

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس هذه السنة قايماز الارجواني صاحب امير الحاج نظر واحتج تنظر بان بركه نهب في كسرة الحاج وان بينه وبين امير مكة من الحروب ما لا يمكنه معه الحج وفيها اتصل بالخليفة من اخيه ابي طالب ما كرهه فضيق عليه واحتاط على غيره من اقاربه وفيها ملك الفرنج لعنهم الله مدينة شنترين وباجه وماردة واشبونة وسائر المعاقل المجاورة لها من بلاد الاندلس وكانت للمسلمين فاختلفوا فطمع العدو واخذ هذه المدن وقوي بها وتمكن وتبقى ملك بلاد الاسلام بالاندلس نخيب الله ظنه وكان ما نذكره وفيها سار اسطول الفرنج من صقلية فحصروا جزيرة قرقنة من افريقية فقتلوا رجالها وسبوا حريمهم فارسل الحسن صاحب افريقية الى رجار ملك صقلية يذكره بالعهود التي بينهم فاعتذر بانهم غير مطيعين له وفي هذه السنة توفي مجاهد الدين بهروز الغياثي وكان حاكما بالعراق نيفا وثلاثين سنة وبرنقش الزكوي صاحب اصفهان وكان ايضا شحنة بالعراق وهو خادم ارمني لبعض التجار وتوفي الامير اياز شحنة بغداد والشيخ ابو منصور موهوب ابن احمد بن الخضر الجواليقي اللغوي ومولده في ذي الحجة سنة خمس وستين واربعمائة وهو تلميذ ابي زكريا التبريزي وكان يؤم المقتفي امير المؤمنين وتوفي احمد بن محمد ابن الحسن بن علي بن احمد بن سليمان ابو سعد بن ابي الفضل الاصفهاني ومولده سنة ثلاث وستين واربعمائة وروى الحديث الكثير وكان على سيرة السلف كثير الاتباع للسنة رحمة الله عليه

(ثم دخلت سنة احدى واربعين وخمسمائة)

(ذكر ملك الفرنج طرابلس الغرب)

في هذه السنة ملك الفرنج لعنهم الله طرابلس الغرب وسبب ذلك ان رجار ملك صقلية جهز اسطولا كثيرا وسيره الى طرابلس فاحاطوا بها برا وبحرا ثالث المحرم فخرج اليهم

قد استظاره شجاعته القاه... كها في مخضر اليم وصحبته شخص صرماتي فقال لهم مكانكم حتى ناتيكم ثم طلعا الى ربع بعطفة الاغاطيين ورجعا في الحال بالصندوق حامله الصرماتي على راسه فقبضوا على ذلك الصرماتي واخذوه بالصندوق الى بيت الاغا فضربوه بالضرب وهو يقول انا لست وحدي وشركائي ابن ابي القاسم واخواه وآخر يسمى شلاطة وابن عبد الرحيم الجميع خمسة اشخاص فذهب الاغا واخبر كتخدا بك فامره بطلب اولاد ابي القاسم فارسل اليه ورقة يطلبهم فاجابه بان اولاده حاضرون عنده بالازهر من طلبة العلم وليسوا بسارقين فيا للاختصار اخذهم الاغا واحضر ذلك الصرماتي معهم لاجل المحاققة فلم يزل يذكر لابن ابي القاسم ما تكونوا عليه في سرحاتهم القديمة والجديدة ويقول له اما كنا كذا وكذا وفعلنا ما هو كذا في ليلة كذا واقتسمنا ما هو كذا وكذا ويقيم عليه ادلة وقرائن وامارات ويقول له انت رئيسنا وكبيرنا في ذلك كله ولا تعتني الى احيه ولا صرحة الاشارتك فعند ذلك لم يسع ابن ابي القاسم الا الانكار واقر واعترف هو واخوته وعبسوا سوية واما شلاطة ورفيقه فانهما تغيبا وهربا واختفيا وشاعت القضية في المدينة وكثر القال والقيل في اهل الازهر ونواحيه وتذكروا قضية الدراهم الزغل التي ظهرت قبل تاريخه وتذكروا اهلها

اهلها وأنشبوا القتال فدامت الحرب بينهم ثلاثة أيام فلما كان اليوم الثالث سمع الفرنج بالمدينة ضجة عظيمة وخلت الاسوار من المقاتلة وسبب ذلك ان أهل طرابلس كانوا قبل وصول الفرنج بأيام يسيرة قد اختلفوا فاخرج طائفة منهم بني مطروح وقدموا عليهم رجلا من الملثمين قدم يريد الحج ومعه جماعة فولوه امرهم فلما نازلهم الفرنج اعادت الطائفة الاخرى بني مطروح فوقع الحرب بين الطائفتين وخلت الاسوار فانتهز الفرنج الفرصة ونصبوا السلالم وطلعوا على السور واشتد القتال فملكت الفرنج المدينة عنوة وقهرا بالسيف فسفكوا دماء أهلها وسبوا نساءهم واخذوا اموالهم وهرب من قدر على الهرب والتجا الى البربر والعرب فنودي بالامان في كافة الناس فرجع كل من فر منها واقام الفرنج ستة أشهر حتى حصنوا سورها وحفروا خنادقها ولما عادوا اخذوا رهائن أهلها ومعهم بنو مطروح والملثم ثم اعادوا رهائنهم وولوا عليها رجلا من بني مطروح واخذوا رهائنه وحده واستقامت أمور المدينة والزم أهل صقلية والسفن والروم بالسفر اليها فانعمرت سريعا

‏(ذكر حصر زنكي حصن جعبر وفنك)

وفي هذه السنة سار أتابك زنكي الى حصن جعبر وهو مطل على الفرات وكان بيد سالم بن مالك العقيلي سلمه السلطان ملكشاه الى أبيه لما اخذ منه حلب وقد ذكرناه فحصره وسير جيشا الى قلعة فنك وهي تجاور جزيرة ابن عمر بينهما فرسخان فحصرها ايضا وصاحبها حينئذ الامير حسام الدين الكردي البشنوي وكان سبب ذلك انه كان لا يريد ان يكون في وسط بلاده ما هو ملك غيره حزما واحتياطا فنازل قلعة جعبر وحصرها وقاتله من بها فلما طال عليه ذلك ارسل الى صاحبها مع الامير حسان المنبجي لمودة كانت بينهما في معنى تسليمها وقال له تضمن عني الاقطاع الكثير والمال الجزيل فان اجاب الى التسليم والا فقل له والله لاقيمن عليك الى ان املكها عنوة ثم لا ابقي عليك ومن الذي يمنعك مني فصعد اليه حسان وادى اليه الرسالة ووعده وبذل له ما قيل له فامتنع من التسليم فقال له حسان فهو يقول لك من يمنعك من قتالي ومن يمنعك مني فقال يمنعني منه الذي منعك من الامير بلك فعاد حسان واخبر الشهيد بامتناعه ولم يذكر له هذا فقتل اتابك بعد ايام وكانت قصة حسان مع بلك ابن أخي ايلغازي ان حسانا كان صاحب منبج فحصره بلك وضيق عليه فبينما هو كذلك في بعض الايام يقاتله جاءه سهم لا يعرف من رماه فقتله وخلص حسان من الحصر وقد تقدم ذكره وكان هذا القول من الاتفاق الحسن ولما قتل اتابك زنكي رحل العسكر الذين كانوا يحاصرون قلعة فنك عنها وهي بيد عقاب صاحبها الى الآن ومعتهم يذكرون ان لهم بها نحو ثلاثمائة سنة ولهم مقصد حسن وفيهم وفاء وعصبية يأخذون بيد كل من يلتجئ اليهم ويقصدهم ولا يسلمونه الى طالبه كائنا من كان قريبا ام غريبا

‏(ذكر قتل اتابك عماد الدين زنكي وشيء من سيرته)

أقوالاً أخر واجتمع كثير من الذين سرق لهم فتهم رجل يبيع السمن أخذ من مخزنه عنده مواعين سمن وصينية القطاطري التي يعمل عليها الكنافة وامتعة وفرش وجدت في ثلاثة اماكن وخاتم ياقوت ذكروا انه بيع بجملة دنانير وعقد لؤلؤ وغير ذلك واستمر وأياما والناس يذهبون الى الاغاوية يذكرون ما سرق لهم ويسالهم فيقرون باشياء دون أشياء ويذكرون ضياع أشياء تصرفوا فيها وباعوها او اكلوا بثمنها ثم اتفق الحال على المرافعة في المحكمة الكبيرة فذهبوا بالجميع واجتمع العالم الكثير من الناس وأصحاب السرقات وغيرهم نساء ورجالا وادعوا على هؤلاء الاشخاص المقبوض عليهم فاحضروا بعض ما ادعوا به عليهم وقالوا أخذنا ولم يقولوا سرقنا وبرأ محمد بن أبي القاسم أخويه وقال انهما لم يكونا معنا في شيء من هذا وحصل الاختلاف في ثبوت القطع بلفظ أخذنا وقد حضرت دعوى أخرى مثل هذه على رجل صباغ ثم ان القاضي كتب اعلاما للكتخدا بك بصورة الواقع وفوض الامر اليه فامر بهم الى بولاق وانزلوهم عند القبطان وصحبتهم أبوهم ابو القاسم فاقاموا أياما ثم ان كتخدا بك أمر بقطع أيدي الثلاثة وهم محمد بن ابي القاسم الدرقاوي ورفيقه الصرماتي والصباغ الذي ثبتت عليه السرقة في الحادثة الإخرى فقطعوا أيدي الثلاثة في بيت

فى هذه السنة لخمس مضين من ربيع الآخر قتل أتابك الشهيد عماد الدين زنكى بن آقسنقر صاحب الموصل والشام وهو يحاصر قلعة جعبر على ماذ كرناه قتله جماعة من مماليكه ليلا غيلة وهربوا الى قلعة جعبر فصاحوا على من بها من أهلها من العسكر يعلمونهم بقتله واظهروا الفرح فدخل اصحابه اليه فادركوه وبه رمق (حدثنى والدى) عن بعض خواصه قال دخلت اليه فى الحال وهو حى فحين رآنى ظن أنى اريد قتله فاشار الى باصبعه السبابة يستعطفنى فوقعت من هيبته فقلت يا مولاى من فعل هذا فلم يقدر على الكلام وفاضت نفسه رحمه الله قال وكان حسن الصورة اسمر اللون مليح العينين قد وخطه الشيب وكان قد زاد عمره على ستين سنة لانه كان لما قتل والده صغيرا كما ذكرناه قبل ولما قتل دفن بالرقة وكان شديد الهيبة على عسكره ورعيته عظيم السياسة لا يقدر القوى على ظلم الضعيف وكانت البلاد قبل ان يملكها خرابا من الظلم وتنقل الولاة ومجاورة الفرنج فعمرها وامتلأت اهلا وسكانا (حكى لى والدى) قال رأيت الموصل واكثرها خراب بحيث يقف الانسان قريب محلة الطبالين ويرى الجامع العتيق والعرصة ودار السلطان ليس بين ذلك عمارة قط وكان الانسان لا يقدر على المشى الى الجامع العتيق الا ومعه من يحميه لبعده عن العمارة وهو الآن فى وسط العمارة وليس فى هذه البقاع المذكورة كلها ارض براح قال وحدثنى ايضا انه وصل الى الجزيرة فى الشتاء فدخل الامير عز الدين الدبيسى وهو من اكابر امرائه ومن جملة اقطاعه مدينة دقوقا ونزل فى دار انسان يهودى فاستغاث اليهودى الى اتابك وانهى حاله اليه فنظر الى الدبيسى فتاخر ودخل البلد واخرج بركه وخيامه قال فلقد رأيت غلمانه ينصبون خيامه فى الوحل وقد جعلوا على الارض تبنا يقيهم الطين وخرج فنزلها وكانت سياسته الى هذا الحد وكانت الموصل من اقل البلاد فاكهة فصارت فى ايامه وما بعدها من اكثر البلاد فواكه ورياحين وغير ذلك وكان ايضا شديد الغيرة ولا سيما على نساء الاجناد وكان يقول ان لم تحفظ نساء الاجناد والا فسدن لكثرة غيبة ازواجهن فى الاسفار وكان اشجع خلق الله أما قبل ان يملك فيكفيه انه حضر مع الامير مودود صاحب الموصل مدينة طبرية وهى للفرنج فوصلت طعنته باب البلد واثرت فيه وحمل أيضا على قلعة عقر الحميدية وهى على جبل عال فوصلت طعنته الى سورها الى اشياء اخر واما بعد الملك فقد كان الاعداء محدقين ببلاده وكلهم يقصدها ويريدون اخذها وهو لا يقنع بحفظها حتى انه لا ينقضى عليه عام حتى يفتح من بلادهم فقد كان الخليفة المسترشد بالله مجاوره فى ناحية تكريت وقصد الموصل وحصرها ثم الى جانبه من ناحية شهرزور وتلك الناحية السلطان مسعود ثم ابن سقمان صاحب خلاط ثم داود بن سقمان صاحب حصن كيفا ثم صاحب آمد وماردين ثم الفرنج من مجاورة ماردين الى دمشق ثم اصحاب دمشق فهذه الولايات قد اختلطت بولايته من كل جهاتها فهو يقصد هذا مرة وهذا مرة ويأخذ من هذا ويصانع هذا الى ان ملك من كل من يليه طرفا من بلاده وقد اتينا على أخباره فى كتاب الباهر فى تاريخ دولته ودولة اولاده فليطلب من هناك

القبطان ثم انزلوهم فى مركب وصحبتهم ابوهم أبو القاسم وولداه الآخران اللذان لم تقطع أيديهما وشفر وهم الى الاسكندرية وذلك فى منتصف شهر جمادى الاولى من السنة

(واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الخميس سنة ١٢٢٧)

فيه حضر الثلاثة أشخاص المقطوعين الايدى وذلك انهم لما وصلوا الى الاسكندرية وكان الباشا هناك تشفع فيهم المتشفعون عنده قائلين انه جرى عليهم الحد بالقطع فلا حاجة الى نفيهم وتغريبهم فامر بنفى أبى القاسم وولديه الصغيرين الى أبى قير ورجع ولده الآخر مع رفيقه الصرماتى والصباغ الى مصر فحضروا اليها وذهبوا الى دورهم وأما ابن أبى القاسم فذهب الى داره وسلم على والدته ونزل الى السوق يطوف على أصحابه ويسلم عليهم وهو يتألم مما حصل فى نفسه ولا يظهر ذلك لشدة وقاحته وجودة صفعه وغلاظة وجهه بل يظهر التجلد وعدم المبالاة بما وقع له من التنكيل وكسوف البال ومر فى السوق والاطفال حوله وخلفه وامامه يتفرجون عليه ويقولون انظروا الحرامى وهو لا يبالى بهم ولا يلتفت اليهم حتى قيل انه ذهب الى مسجد خرب بالباطنية ودعا اليه غلاما يهواه بناحية الدرب الاحمر فجلس معه حصة من النهار ثم فارقه وذهب الى داره واشتد به الالم لان الذى باشر قطع يده لم يحسن القطع فمات فى اليوم

هناك

﴿ذكر ملك ولديه سيف الدين غازى ونور الدين محمود﴾

لما قتل اتابك زنكى اخذ نور الدين محمود ولده خاتمه من يده وكان حاضرا معه وسار الى حلب فملكها وكان حينئذ يتولى ديوان زنكى ويحكم فى دولته من اصحاب العمائم جمال الدين محمد بن على وهو المنفرد بالحكم ومعه امير حاجب صلاح الدين محمد الباغيسيانى فاتفقا على حفظ الدولة وكان مع الشهيد اتابك الملك الب ارسلان ابن السلطان محمود فركب ذلك اليوم واجتمعت العساكر اليه وحضر عنده جمال الدين وصلاح الدين وحسنا له الاشتغال بالشرب والمغنيات والجوارى وادخلاه الرقة فبقى بها اياما لا يظهر ثم سار الى ماكسين فدخلها واقام بها اياما وجمال الدين يحلف الامراء لسيف الدين غازى ابن أتابك زنكى ويسيرهم الى الموصل ثم سار من ماكسين الى سنجار وكان سيف الدين قد وصل الى الموصل فلما وصلوا الى سنجار ارسل جمال الدين الى الدزدار يقول له يرسل الى ولد السلطان يقول له انى مملوكك ولكن تبغى الموصل فان ملكتها سلمت اليك سنجار فسار الى الموصل فاخذه جمال الدين وقصد به مدينة بلد وقد بقى معه من العسكر القليل فاشار عليه بعبور دجلة فعبرها الى الشرق فى نفر يسير وكان سيف الدين غازى بمدينة شهرزور وهى اقطاعه فارسل اليه زين الدين على نائب ابيه بالموصل يستدعيه الى الموصل فحضر قبل وصول الملك فلما علم جمال الدين بوصول سيف الدين الى الموصل ارسل اليه يعرفه قلة من معه فارسل اليه بعض عسكره فقبضه وحبس فى قلعة الموصل واستقر ملك سيف الدين البلاد وبقى اخوه نور الدين بحلب وهى له وسار اليه صلاح الدين الباغيسيانى مدبرا امره والقائم بدولته وحفظها وقد استقصينا شرح هذه الحادثة فى التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية

﴿ذكر عصيان الرها﴾

لما قتل أتابك كان جوسلين الفرنجى الذى كان صاحب الرها فى ولايته وهى تل باشر وما يجاورها فراسل أهل الرها وعامتهم من الارمن وحملهم على العصيان والامتناع من المسلمين وتسليم البلد اليه فاجابوه الى ذلك وواعدهم يوما يصل اليهم فيه وسار فى عساكره الى الرها وملك البلد وامتنعت القلعة عليه بمن فيها من المسلمين فقاتلهم فبلغ الخبر الى نور الدين محمود بن زنكى وهو بحلب فسار مجدا اليها فى عسكره فلما قاربها خرج جوسلين هاربا عائدا الى بلده ودخل نور الدين المدينة ونهبها حينئذ وسبى اهلها وفى هذه الدفعة نهبت وخلت من اهلها ولم يبق بها منهم الا القليل وكثير من الناس يظن انها نهبت لما فتحها الشهيد وليس كذلك وبلغ الخبر الى سيف الدين غازى بعصيان الرها فسير العساكر اليها فسبقه الملك نور الدين الى البلد واستباحه وهم فى الطريق فعادوا ومن اعجب ما يحكى ان زين الدين على الذى كان نائب الشهيد واولاده بقلعة الموصل جاءه هدية أرسلها اليه نور الدين من هذا الفتح وفى الجملة

الثالث (وفى هذا الشهر) وما قبله وردت عساكر كثيرة من الاتراك وعينوا للسفر وخرجوا الى مخيم العرضى خارج بابى النصر والفتوح فكانوا يخرجون مساء ويدخلون فى الصباح ويقع منهم ما يقع من اخذ الدواب وخطف بعض النساء والاولاد كعادتهم (وفى ليلة الخميس) ثانى عشرينه حضر الباشا من الاسكندرية ليلا وصحبته حسن باشا الى القصر بشبرا وطلع فى صبحها الى القلعة وضربوا لقدومه مدافع من الابراج فكان مدة غيبته فى هذه المدة شهرين وسبعة ايام واجتهد فيها فى عمارة سور المدينة وابراجها وحصنها تحصينا عظيما وجعل بها جبخانات وبارودا ومدافع وآلات حرب ولم تزل العمارة مستمرة بعد خروجه منها على الرسم الذى رسمه لهم واخذ جميع ما ورد عليه من مراكب التجار من البضائع على ذمته ثم باعه للمتسببين بما احب من الثمن وورد من ناحية بلاد الافرنج كثير من البن الافرنجى وحبه اخضر وجرمه اكبر من حب البن اليمنى الذى ياتى الى مصر فى مراكب الحجاز اخذه فى جملة ما اخذ فى معاوضة الغلال ورماه على باعة البن بمصر بثلاثة وعشرين فرانسه القنطار والتجار يبيعونه بالزيادة ويخلطونه مع البن اليمنى وفى ابتداء وروده كان يباع رخيصا لانه دون البن اليمنى فى الطعم واللذة فى شربه وتعاطيه وبينهما فرق ظاهر يدركه صاحب الكيف البتة

جارية فلما دخل اليها وخرج من عندها وقد اغتسل قال لمن عنده تعلمون ما جرى لي في يومنا هذا قالوا لا قال لما فتحنا الرها امس الشهيد وقع في يدي من السبي جارية رائعة اعجبني حسنها ومال قلبي اليها فلم يكن بأسرع من ان امر الشهيد فنودي برد السبي والمال المنهوب وكان مهيبا مخوفا فرددتها وقلبي متعلق بها فلما كان الآن جاءتني هدية نور الدين وفيها عدة جوار وفيها تلك الجارية فوطئتها خوفا ان تقع مثل تلك الردة

ذكر استيلاء عبد المؤمن على جزيرة الاندلس

في هذه السنة سير عبد المؤمن بن علي جيشا الى جزيرة الاندلس فملكوا ما فيها من بلاد الاسلام وسبب ذلك ان عبد المؤمن لما كان يحاصر مراكش جاء اليه جماعة من اعيان الاندلس منهم أبو جعفر أحمد بن محمد بن حمدين ومعهم مكتوب يتضمن بيعة أهل البلاد التي هم فيها لعبد المؤمن ودخولهم في زمرة أصحابه الموحدين واقامتهم لامره فقبل عبد المؤمن ذلك منهم وشكرهم عليه وطيب قلوبهم وطلبوا منه النصرة على الفرنج فجهز جيشا كثيفا وسيره معهم وعمر اسطولا وسيره في البحر فسار الاسطول الى الاندلس وقصدوا مدينة اشبيلية وصعدوا في نهرها وبها جيش من الملثمين فحصروها برا وبحرا وملكوها عنوة وقتل فيها جماعة من الناس فسكنوا واستولت العساكر على البلاد وكان لعبد المؤمن بها

ذكر قتل عبد الرحمن طغايرك وعباس صاحب الري

في هذه السنة قتل السلطان مسعود امير حاجب دولته عبد الرحمن طغايرك وهو صاحب خلخال وبعض اذربيجان والحاكم في دولة السلطان وليس للسلطان معه حكم وكان سبب قتله ان السلطان لما ضيق عليه عبد الرحمن وبقي معه شبه الاسير ليس له في البلاد حكم حتى ان عبد الرحمن قصد غلاما كان للسلطان وهو بك ارسلان المعروف بابن خاص بك بن بلنكري وقد رباه السلطان وقربه فابعده عنه وصار لا يراه وكان في خاص بك عقل وتدبير وجودة قريحة وتوصل لما يريده بعقله فجمع عبد الرحمن العساكر وخاص بك فيهم وقد استقر بينه وبين السلطان مسعود ان يقتل عبد الرحمن فاستدعى خاص بك جماعة ممن يثق بهم وتحدث معهم في ذلك فكل منهم خاف الاقدام عليه الا رجلا اسمه زنكي وكان جاندارا فانه بذل من نفسه ان يبدأه بالقتل ووافق خاص بك على القيام في الامر جماعة من الامراء فبينما عبد الرحمن في موكبه ضربه زنكي الجاندار بمقرعة حديد كانت في يده على رأسه فسقط الى الارض فاجهز عليه خاص بك واعانه على حمايته زنكي والقائمين معه من كان واطأه على ذلك من الامراء وكان قتله بظاهر جنزة وبلغ الخبر الى السلطان مسعود وهو ببغداد ومعه الامير عباس صاحب الري وعسكره اكثر من عسكر السلطان فانكر ذلك وامتعض منه فداراه السلطان ولطف به واستدعى الامير البقش كون خر وتتر وهو امير الحجف وتتر الذي كان حاجبا فلما قوي بهما احضر عباسا اليه في داره فلما دخل اليه منع اصحابه من الدخول معه وعدلوا به الى

اغا الوكيل تابع سعيد اغا فعمل الباشا ديوانا يوم الاحد وقرئ المرسوم وخلع على كتخدا بك خلعة الوكالة وخلعة اخرى باستمراره في الكتخدائية على عادته وركب في موكب الى داره فلما استقر في ذلك ارسل في ثاني يوم فاحضر الكتبة من بيت عثمان اغا وامرهم بعمل حسابه من ابتداء سنة ١٢٢١ لغاية تاريخه فشرعوا في ذلك واصبح عثمان اغا المذكور مسلوب النعمة بالنسبة لما كان فيه وبطالب بما دخل في طرفه وانتزعت منه بلاد الوكالة وتعلقات الحرمين واوقافهما وغير ذلك

(وفي يوم الخميس غايته) وصل صالح قوج ويحويك وسليمان اغا وخليل اغا من ناحية الينبع على طريق القصير من الجهة القبلية وذهبوا الى دورهم

(واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة ١٢٢٧)

في ثالثه طلع الجماعة الواصلون الى القلعة وسلموا على الباشا وخاطره منحرف منهم ومتكدر عليهم لانه طلبهم للحضور مجردين بدون عساكرهم ليتشاور معهم بحضور العمدة عساكرهم وقد كان ثبت عنده انهم هم الذين كانوا اسبابا للهزيمة لمخالفتهم على ابنه واضطرابهم وتقصيرهم في نفقات العساكر ومبادرتهم للهرب والهزيمة عند اللقاء ونزولهم بخاصتهم الى

جرة وقالوا له اخلع الزردية فقال ان لي مع السلطان ايمانا وعهودا فلكموه وخرج له غلمان أعدوا لذلك فحينئذ تشهد وخلع الزردية والقاها وضربوه بالسيوف واحتزوا راسه والقوه الى اصحابه ثم ألقوا جسده ونهب رحله وانزعج البلد لذلك وكان عباس من غلمان السلطان محمود حسن السيرة عادلا في رعيته كثير الجهاد للباطنية قتل منهم خلقا كثيرا وبنى من رؤسهم منارة بالري وحصر قلعة ألموت ودخل الى قرية من قراهم فالقى فيها النار فاحرق كل من فيها من رجل وامرأة وصبي وغير ذلك وقتل بالجانب الغربي فارسلت ابنته فحملته الى الري فدفنته هنالك وكان مقتله في ذي القعدة ومن الاتفاق العجيب ان العبادي كان يعظ يوما فحضره عباس فاسمع بعض اهل المجلس ورمى بنفسه نحو الامير عباس فضربه اصحابه ومنعوه خوفا عليه لانه كان شديد الاحتراس من الباطنية لا يزال لابسا الزردية لا تفارقه الغلمان الاجلاد فقال له العبادي كم هذا الاحتراز والله لئن قضي عليك بامر لتحلن انت بيدك ازرار الزردية فينفذ القضاء فيك وكان والله كما قال وقد كان السلطان استوزر ابن دارست وزير بوزابة كارها على ما تقدم ذكره فعزله الآن لانه اختار العزل والعود الى صاحبه بوزابة فلما عزله قرر معه ان يصلح له بوزابة ويزيل ما عنده من الاشمئزاز بسبب قتل عبد الرحمن وعباس فسار الوزير وهو لا يعتقد النجاة فوصل الى بوزابة وكان ما نذكره

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة حبس السلطان مسعود اخاه سليمان شاه بقلعة تكريت وفيها توفي الامير جاولي الطغرلي صاحب ارانية وبعض اذربيجان وكان قد تحرك للعصيان وكان موته فجاءة مدقوسا فنزف دما فمات وتوفي شيخ الشيوخ صدر الدين اسمعيل بن أبي سعيد الصوفي مات ببغداد ودفن بظاهر رباط الدوري بباب البصرة ومولده سنة أربع وستين واربعمائة وقام في منصبه ولده عبد الرحيم وفيها توفي مسعود بن بلال شحنة بغداد وسار السلطان عنها وفيها كان بالعراق جراد كثير أكل اكثر البلاد وفيها ورد العبادي الواعظ رسولا من السلطان سنجر الى الخليفة ووعظ ببغداد وكان له قبول بها وحضر مجلسه السلطان مسعود فمن دونه واما العامة فانهم كانوا يتركون أشغالهم لحضورهم مجلسه والمسابقة اليه وفيها بعد قتل الشهيد زنكي بن آقسنقر قصد صاحب دمشق حصن بعلبك وحصره وكان به نجم الدين أيوب بن شاذي فخاف ان اولاد زنكي لا يمكنهم انجاده بالعاجل فصالحه وسلم القلعة اليه واخذ منه اقطاعا ومالا وملكه عشر قرى من بلاد دمشق وانتقل أيوب الى دمشق فسكنها واقام بها وفي هذه السنة في ربيع الآخر توفي عبد الله بن علي بن أحمد المقرى ابن بنت الشيخ أبي منصور ومولده في شعبان سنة أربع وستين واربعمائة وكان مقرئا نحويا محدثا وله تصانيف في القراآت

(ثم دخلت سنة اثنتين واربعين وخمسمائة)

(ذكر قتل بوزابة)

المراكب وما حصل بينهم وبين ابنه ماوسون باشا من المكالمات فلم يزالوا مقيمين في بيوتهم ٥٣ ببولاق ومصر والامر بينهم

وبين الباشا على السكوت نحو العشرين يوما وامرهم في ارتجاج واضطراب وعساكرهم مجتمعة حولهم ثم ان الباشا امر بقطع خرجهم وعلائفهم فعند ذلك تحققوا منه المقاطعة (وفي رابع عشرينه) ارسل اليهم علائفهم المنكسرة وقدرها الف وثمانمائة كيس جميعها ريالات فرانسه وامر بحملها على الجمال ووجهه اليهم بالسفر فشرعوا في بيع بلادهم وتعلقاتهم وضاق ذرعهم وتكدر طبعهم الى الغاية وعسر عليهم مفارقة ارض مصر وما صاروا فيه من التنعم والرفاهية والسيادة والامارة والتصرف في الاحكام والمساكن العظيمة والزوجات والسراري والخدم والعبيد والجواري فان الاقل منهم له البيتان والثلاثة من بيوت الامراء ونسائهم اللاتي قتلت ازواجهن على أيديهم وظنوا ان البلاد صفت لهم حتى ان النساء المترفهات ذوات البيوت والايرادات والالتزامات صرن يعرضن انفسهن عليهم ليحتمين فيهم بعد ان كن يعفنهم ويأنفن من ذكرهم فضلا عن قربهم (وفيه) ورد اغاقابجي من دار السلطنة وعلى يده مرسوم بالبشارة بولد ولد للسلطان فعملوا له دبوانا يوم الاحد رابع عشرينه وطلع الاغا المذكور في موكب الى القلعة وقرئ ذلك المرسوم وصحبته الامراء وضربوا

تفنكجي ومدافع واستمروا على ذلك ثلاثة ايام في وقت كل أذان كأيام الاعياد (وفي يوم الثلاثاء) مات احمد

بك وهو من عظماء الارنؤد واركانهم وكان عنده مايلقه قطع خرج المذكورين ارسل الى الباشا يقول له اقطع خرجي واعطني عيلوفة عساكري واسافر مع اخواني فنعه الباشا واظهر الرافة به فتغير طبعه وزاد قهره وتعرض جسمه فارسل اليه الباشا حكيمه فسقاه شربة وفصده فمات من ليلته فخرجوا بجنازته من بولاق ودفنوه بالقرافة الصغرى وخرج امامه صالح اغا وسليمان اغا وطاهر اغا وهم راكبون امامه وطوائف الارنؤد عدد كبير مشاة حوله

(واستهل شهر شعبان بيوم الاحد سنة ١٢٢٧)

في رابعه يوم الاربعاء الموافق لسابع مسرى القبطي اوفى النيل المبارك اذرعه ونزل الباشا في صبح يوم الخميس في جمع غفير وعدة وافرة من العساكر وكسر السد بحضرته وحضرة القاضي وجرى الماء في الخليج ومنع المراكب من دخولها الخليج (وفي منتصفه) سافر سليمان اغا وحجو بك بعد ان قضوا اشغالهم وباعوا تعلقاتهم وقبضوا علائفهم (وفي يوم الخميس تاسع عشره) سافر صالح اغا قوج وصحبته نحو المائتين من اختارهم من عساكره الارنؤدية وتفرق عنه الباقون وانضموا الى حسن باشا واخيه عابدين بك وغيرهما (وفي يوم

لما اتصل بالامير بوزابة قتل عباس جمع عساكره من فارس وخوزستان وسار الى اصفهان فحصرها وسير عسكرا آخر الى همذان وعسكرا ثالثا الى قلعة الماهكي من بلد اللحف فاما عسكره بالماهكي فانه سار اليهم الامير البقش كون خر فقدهم عن أعماله وكانت اقطاعه ثم ان بوزابة سار عن اصفهان يطلب السلطان مسعودا فراسله السلطان في الصلح فلم يجب اليه وسار مجدا فالتقيا بمرج قراتكين وتصافا فاقتتل العسكران فانهزم منه السلطان مسعود وميسرته واقتتل القلبان أشد قتال واعظمه صبر فيه الفريقان وصار الحرب بينهما فسقط بوازبة عن فرسه بسهم أصابه وقيل بل عثر به الفرس فاخذ أسيرا وحمل الى السلطان فقتل بين يديه وانهزم أصحابه لما أخذ هو اسيرا وبلغت هزيمة العسكر السلطاني من الميمنة والميسرة الى همذان وخراسان وقتل من الفريقين خلق كثير وكان هذا الحرب من أعظم الحروب الكائنة بين الاعاجم

(ذكر طاعة أهل قابس للفرنج وغلبة المسلمين عليها)

كان صاحب مدينة قابس قبل هذه السنة انسان اسمه رشيد فتوفي وخلف اولادا فعمد مولى له اسمه يوسف الى ولده الصغير واسمه محمد فولاه الامر واخرج ولده الكبير معمرا واستولى يوسف على البلد وحكم على محمد لصغر سنه وجرى منه أشياء من التعرض الى حرم سيده والعهدة على ناقله وكان من جملتهن امرأة من بني قرة فارسلت الى اخوتها تشكو اليهم ماهي فيه فجاء اخوتها لاخذها فمنعهم منها وقال هذه حرمة مولاي ولم يسلمها فسار بنو قرة ومعمر بن رشيد الى الحسن صاحب افريقية وشكوا اليه ما يفعل يوسف فكاتبه الحسن في ذلك فلم يجبه وقال لئن لم يكف الحسن عني والا سلمت قابس الى صاحب صقلية فجهز الحسن العسكر اليه فلما سمع يوسف بذلك ارسل الى رجار الفرنجي صاحب صقلية وبذل له الطاعة وقال له اريد منك خلعة وعهدا بولاية قابس لاكون نائبا عنك كما فعلت مع بني مطروح اصحاب طرابلس فسير اليه رجار الخلعة والعهد فلبسها وقرئ العهد بجمع الناس فجد حينئذ الحسن في تجهيز العسكر الى قابس فساروا اليها ونازلوها وحصروها فثار أهل البلد بيوسف لما اعتمده من طاعة الفرنج وسلموا البلد الى عسكر الحسن وتحصن يوسف في القصر فقاتلوه حتى فتحوه واخذ يوسف أسيرا فتولى عذابه معمر بن رشيد وبنو قرة فقطعوا ذكره وجعلوه في فيه وعذب بانواع العذاب وولي معمر قابس مكان أخيه واخذ بنو قرة أختهم وهرب عيسى أخو يوسف وولد يوسف وقصدوا رجار صاحب صقلية فاستجاروا به وشكوا اليه ما لقوا من الحسن فغضب لذلك وكان ما نذكره سنة ثلاث واربعين وخمسمائة من فتح المهدية ان شاء الله تعالى وهذا الذي كان من يوسف والله أعلم

(ذكر حادثة ينبغي ان يحتاط العاقل من مثلها)

كان هذا يوسف صاحب قابس قد ارسل رسولا الى رجار صاحب صقلية فاجتمع هو

والحسين

الجمعة) برزت خيام الباشا الى خارج باب النصر وعزم على الخروج والسفر بنفسه ٥٥ الى الحجاز وقد اطمان خاطره
عندما سافر الجماعة المذكورون
لانه لما قطع خرجهم ورواتبهم
وامرهم بالسفر جهز عساكرهم
اليهم وخيولهم واخذوا الدور
والبيوت ببولاق وسكنوها
وصارت لهم صورة هائلة
وكثرت القالة وتخوف الباشا
منهم وتحذرونه على خاصته
وسفاشيته وغيرهم بالملازمة
والمبيت بالقلعة وغير ذلك
(وفى يوم السبت حادى
عشرينه) اجتمعت العساكر
وانجر الموكب من باكر النهار
فكان اولهم طوائف الدلاة
ثم العساكر كابرهم وحسن
باشا واخوه عابدين بك وهو
ماش على اقدامه فى طوائفه
امام الباشا ثم الباشا وكتخدا
بك واغواتهم الصقلية
وطوائفهم وخلفهم الطبلخانات
وعند ركوبه من القلعة ضربوا
عدة مدافع فكان مدة
مرورهم نحو خمس ساعات
وجروا امام الموكب ثمانية
عشر مدفعا وثلاث قنابر
*(واستهل شهر رمضان بيوم
الاثنين سنة ١٢٢٧)*
فى رابع عشرينه وردت
هجانة مبشرون باستيلاء
الاتراك على عقبة الصفراء
والجديدة من غير حرب بل
بالمخادعة والمصالحة مع العرب
وتدبير شريف مكة ولم يجدوا
بها احدا من الوهابيين فعند
ماوصلت هذه البشارة ضربوا مدافع كثيرة ثلاث ليال من القلعة وظهر فيهم الفرح والسرور (وفى ثالث الليلة)

والحسين رسول صاحب المهدية عنده فجرى بين الرسولين مناظرة فذكر رسول
يوسف الحسن وما نال منه وذمه ثم انهما عادا فى وقت واحد وركبا البحر كل واحد منهما
فى مركبه فارسل رسول الحسن رقعة على جناح طائر يخبره بما كان من رسول يوسف
فسير الحسن جماعة من اصحابه فى البحر فاخذوا رسول يوسف واحضروه عند الحسن
فسبه وقال ملكت الفرنج بلاد الاسلام وطولت لسانك بذمي ثم اركبه جملا وعلى راسه
جلاجل وطيف به فى البلد ونودى عليه هذا جزاء من سعى ان يملك الفرنج بلاد المسلمين
فلما توسط المهدية ثار به العامة فقتلوه بالحجارة

(ذكر ملك الفرنج المرية وغيرها من الاندلس)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى حصر الفرنج مدينة المرية من الاندلس وضيقوا عليها
برا وبحرا فملكوها عنوة واكثروا القتل بها والنهب وملكوا ايضا مدينة بياسة وولاية
جيان وكلها بالاندلس ثم استعادها المسلمون بعد ذلك منهم على ما نذكره ان شاء
الله تعالى

(ذكر ملك نور الدين محمود بن زنكي عدة مواضع من بلاد الفرنج)

فى هذه السنة دخل نور الدين محمود بن زنكي صاحب حلب بلاد الفرنج ففتح منها مدينة
ارتاح بالسيف ونهبها وحصر مابولة وبصرفوت وكفرلاثا وكان الفرنج بعد قتل والده
زنكي قد طمعوا وظنوا انهم بعده يستردون ما اخذه فلما رأوا من نور الدين هذا الجد
فى اول امره علموا ان ما أملوه بعيد وخاب ظنهم وامالهم

(ذكر اخذ الحلة من على بن دبيس وعوده اليها)

فى هذه السنة كثر فساد اصحاب على بن دبيس بالحلة وما جاورها وكثرت الشكاوى منه
فاقطع السلطان مسعود الحلة سلار كرد فسار اليها من همذان ومعه عسكر وانضاف
اليه جماعة من عسكر بغداد وقصدوا الحلة فجمع على عسكره وحشد والتقى العسكران
بطير اباذ فانهزم على وملك سلار كرد الحلة واحتاط على اهل على ورجعت العساكر
واقام هو بالحلة وبمماليكه واصحابه وسار على بن دبيس فلحق بالبقش كون خر وكان
باقطاعه فى اللحف متجنيا على السلطان فاستنجده فسار معه الى واسط واتفق هو
والطرنطاى وقصدوا الحلة فاستنقذوها من سلار كرد فى ذى الحجة وفارقها سلار كرد وعاد
الى بغداد

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى خطب للمستنجد بالله يوسف بن المقتفى لامر الله بولاية
العهد وفيها ولى عون الدين يحيى بن هبيرة كتابة ديوان الزمام ببغداد وولى زعيم الدين
يحيى بن جعفر المخزن وفيها فى ربيع الاول مات ابو القاسم طاهر بن سعيد بن ابى
سعيد بن ابى الخير الميهنى شيخ رباط البسطامى ببغداد وفى ربيع الآخر توفيت فاطمة
خاتون بنت السلطان محمد زوجة المقتفى لامر الله وفى رجب منها مات ابو الحسن محمد بن

المظفر بن على ابن المسلمة ابن رئيس الرؤساء ومولده سنة أربع وثمانين وكان قد تصوف وجعل داره التى فى القصر رباطا للصوفية وفيها سار سيف الدين غازى بن زنكى الى قلعة دارا فملكها وغيرها من بلد ماردين ثم سار الى ماردين وحصرها وخرب بلدها ونهبه وكان سبب ذلك ان أتابك زنكى لما قتل تطاول صاحب ماردين وصاحب الحصن الى ما كان قد فتحه من بلادهما فأخذاه فلما ملك سيف الدين وتمكن سار الى ماردين وحصرها وفعل ببلدها الافاعيل العظيمة فلما رأى صاحبها وهو حينئذ حسام الدين تمرتاش ما يفعل فى بلده قال كنا نشكو من أتابك الشهيد وأين ايامه لقد كانت اعيادا قد حصرنا غير مرة فلم يأخذ هو ولا احد من عسكره مخلاة تبن بغير ثمن ولا تعدى هو وعسكره حاصل السلطان وارى هذا ينهب البلاد ويخربها ثم راسله وصالحه وزوجه ابنته ورحل سيف الدين عنه وعاد الى الموصل وجهزت ابنة حسام الدين وسيرت اليه فوصلت وهو مريض قد اشفى على الموت فلم يدخل بها وبقيت عنده الى ان توفى وملك قطب الدين مودود فتزوجها على ما نذكره ان شاء الله تعالى وفيها اشتد الغلاء بافريقية ودامت ايامه فان اوله كان سنة سبع وثلاثين وخمسمائة وعظم الامر على اهل البلاد حتى اكل بعضهم بعضا وقصد أهل البوادى المدن من الجوع فاغلقها اهلها دونهم وتبعه وباء وموت كثير حتى خلت البلاد وكان اهل البيت لا يبقى منهم أحد وسار كثير منهم الى صقلية فى طلب القوت ولقوا أمرا عظيما

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة

ذكر ملك الفرنج مدينة المهدية بافريقية

قد ذكرنا سنة احدى وأربعين وخمسمائة مسير أهل يوسف صاحب قابس الى رجار ملك صقلية واستغاثتهم به فغضب لذلك وكان بينه وبين الحسن بن على بن يحيى بن تميم ابن المعز بن باديس الصنهاجى صاحب افريقية صلح وعهود الى مدة سنتين وعلم انه فاته فتح البلاد فى هذه الشدة التى أصابتهم وكانت الشدة دوام الغلاء فى جميع المغرب من سنة سبع وثلاثين الى هذه السنة وكان اشد ذلك منه سنة اثنتين واربعين فان الناس فارقوا البلاد والقرى ودخل أكثرهم الى مدينة صقلية واكل الناس بعضهم بعضا وكثر الموت فى الناس فاغتنم رجار هذه الشدة فعمر الاسطول واكثر منه فبلغ نحو مائتين وخمسين شينيا مملوأة رجالا وسلاحا وقوتا وسار الاسطول عن صقلية ووصل الى جزيرة قوصرة وهى ما بين المهدية وصقلية فصادفوا بها مركبا وصل من المهدية فأخذ أهله واحضروا بين يدى جرجى مقدم الاسطول فسألهم عن حال افريقية ووجد فى المركب قفص حمام فسألهم هل ارسلوا منها فحلفوا بالله انهم لم يرسلوا شيئا فأمر الرجل الذى كان الحمام صحبته ان يكتب بخطه اننا لما وصلنا جزيرة قوصرة وجدنا بها مراكب من صقلية فسألناهم عن الاسطول المخذول فذكروا انه اقلع الى جزائر القسطنطينية واطلق الحمام فوصل الى المهدية فسر الامير الحسن والناس واراد جرجى بذلك ان يصل بغتة ثم سار

وقدرء

عشر اسعد اغا الاغا ما كم قنا ونواحيها وكان من خبره انه لما وصلت اليه الحجاج الذين سافروا فى الشهر الماضى وهم صالح اغا وسليمان اغا وبجوبك ومن معهم واجتمعوا على المذكور وتشاكوا اهم واسر واليهم واضمروا فى نفوسهم انهم اذا وصلوا الى مصر ووجدوا الباشا منحرفا منهم او امرهم بالخروج والعود الى الحجاز امتنعوا عليه وخالفوه وان قطع خرجهم واعطاهم علائفهم بارزوه ونابذوه وحاربوه واتفق احمد اغا المذكور معهم على ذلك وانه متى حصل هذا المذكور ارسلوا اليه فيأتيهم على الفور بعسكره وجنده وينضم اليه الكثير من المقيمين بمصر من طوائف الارنؤد كعابدين بك وحسن باشا وغيرهم بعسا كرهم لاتحادالجنسية فلما حصل وصول المذكورين وقطع الباشا رواتبهم وخرجهم واعطاهم علائفهم المنكسرة وامرهم بالسفر ارسلوا الى احمد اغا الاغا المذكور بالحضور بحكم اتفاقهم معه فتقاعس واحب ان يبدى لنفسه عذرا فى شقاقه مع الباشا فارسل اليه مكتوبا يقول له فيه ان كنت قطعت خرج اخوانى وعزمت على سفرهم من مصر واخراجهم منها فاقطع ايضا خرجى ودعنى اسافر معهم فاخفى الباشا تلك المكاتبة واخر ورود الرسول ويقال له الجالامه بما اضمروه فيما بينهم حتى اعطى للمذكورين علائفهم على الكامل ودفع لصالح اغا كل

وقدر وصولهم الى المهدية وقت السحر ليحيط بها قبل ان يخرج اهلها فلو تم له ذلك لم يسلم منهم احد فقدر الله تعالى أن ارسل عليهم ريحا هائلا فلم يقدروا على السير الا بالمقاذيف فطلع النهار ثانى صفر من هذه السنة قبل وصولهم فرآهم الناس فلما راى جرجى ذلك وان الخديعة فاتته ارسل الى الامير الحسن يقول انما جئت بهذا الاسطول طالبا بثار محمد بن رشيد صاحب قابس ورده اليها واما انت فبيننا وبينك عهود وميثاق الى مدة ونريد منك عسكرا يكون معنا فجمع الحسن الناس من الفقها والاعيان وشاورهم فقالوا نقاتل عدونا فان بلدنا حصين فقال اخاف ان ينزل الى البر ويحصرنا برا وبحرا ويحول بيننا وبين الميرة وليس عندنا ما يقوتنا شهرا فنؤخذ قهرا وانا ارى سلامة المسلمين من الاسر والقتل خيرا من الملك وقد طلب منى عسكرا الى قابس فان فعلت فما يحل لى معونة الكفار على المسلمين وان امتنعت يقول انتقض ما بيننا من الصلح وليس يريد الا ان يثبطنا حتى يحول بيننا وبين البر وليس لنا بقتاله طاقة والراى ان نخرج بالاهل والولد وننزل عن البلد فمن اراد ان يفعل كفعلنا فليبادر معنا وامر فى الحال بالرحيل واخذ معه من حضره وما خف حمله وخرج الناس على وجوههم باهليهم واولادهم وما خف من اموالهم واثاثهم ومن الناس من اختفى عند النصارى وفى الكنائس وبقى الاسطول فى البحر تمنعه الريح من الوصول الى المهدية الى ثلثى النهار فلم يبق فى البلد من عزم على الخروج احد فوصل الفرنج ودخلوا البلد بغير مانع ولا دافع ودخل جرجى القصر فوجده على حاله لم ياخذ الحسن منه الا ما خف من ذخائر الملوك وفيه جماعة من حظاياه ورأى الخزائن مملوأة من الذخائر النفيسة وكل شئ غريب يقل وجود مثله فختم عليه وجمع سرارى الحسن من قصره وكان عدة من ملك منهم من زيرى بن منادا الى الحسن تسعة ملوك ومدة ولايتهم مائة سنة وثمانين سنة من احدى وستين وثلثمائة الى سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وكان بعض القواد قد ارسله الحسن الى رجار برسالة فاخذ لنفسه واهله منه امانا فلم يخرج معهم ولما ملك المدينة نهبت مقدار ساعتين ونودى بالامان فخرج من كان مستخفيا واصبح جرجى من الغد فارسل الى من قرب من العرب فدخلوا اليه فاحسن اليهم واعطاهم اموالا جزيلة وارسل من جند المهدية الذين تخلفوا بها جماعة ومعهم امان لاهل المهدية الذين خرجوا منها ودواب يحملون عليها الاطفال والنساء وكانوا قد اشرفوا على الهلاك من الجوع ولهم بالمهدية خبايا وودائع فلما وصل اليهم الامان رجعوا فلم يمض غير جمعة حتى رجع اكثر اهل البلد واما الحسن فانه سار باهله واولاده وكانوا اثنى عشر ولدا ذكرا غير الاناث وخواص خدمه قاصدا الى محرز بن زياد وهو بالمعلقة فلقيه فى طريقه امير من العرب يسمى حسن بن ثعلب فطلب منه مالا انكسر له فى ديوانه فلم يمكن الحسن اخراج مال لئلا يؤخذ فسلم اليه ولده يحيى رهينة وسار فوصل فى اليوم الثانى الى محرز وكان الحسن قد فضله على جميع العرب واحسن اليه ووصله بكثير من المال فلقيه محرز لقاء جميلا وتوجع لما حل به فاقام عنده شهورا والحسن كاره للاقامة فاراد المسير الى ديار مصر الى

عاما طلبه وارده حتى انه كان انشا مسجدا بساحل بولاق بجوار داره وبنى له منارة ظريفة واشترى له عقارا وأمكنة وقفها على مصالح ذلك المسجد وشعائره فدفع له الباشا جميع ما صرفه عليه وثمن العقار وغيره ولم يترك لهم مطالبة يحتجون بها فى التاخير واعطى الكثير من رواتبهم لحسن باشا وعابدين بك أخيه فمالوا عنهم وفارقهم الكثير من عسكرهم وانضموا الى اجناسهم المقيمين عند حسن باشا واخيه فرتبوا لهم العلائف معهم واكثرهم مستوطنون ومتزوجون بل ومتناسلون ويصعب عليهم مفارقة الوطن وما صاروا فيه من التنعم ولا يهون بعطلق الحيوان استبدال النعيم بالجحيم ويعلمون عاقبة ما هم صائرون اليه لانه فيما بلغنا ان من سافر منهم الى بلاده قبض عليه حاكمها واخذ منه ما معه من المال الذى جمعه من مصر وما معه من المتاع واودعه السجن ويفرض عليه قدرا فلا يطلقه حتى يقوم بدفعه على ظن ان يكون اودع شيئا عند غيره فيشترى نفسه به او يشتريه اقاربه او يرسل الى مصر مراسلة لعشيرته واقاربه فتاخذهم عليه الغيرة فيرسلون له ما فرض عليه ويفتدونه والا فيموت بالسجن او يطلق مجردا او يرجع الى حالته التى كان عليها فى السابق من الخدم الممتهنة والاحتطاب من الجبل والتكسب بالصنائع الدنيئة ببيع الاسقاط والكروش

الخليفة الحافظ العلوى واشترى مركبا السفره فسمع جرجى الفرنجى فجهز شوانى لياخذه فعاد الحسن عن ذلك وعزم على المسير الى عبد المؤمن بالمغرب فارسل كبارا ولاده يحيى وتميما وعليا الى يحيى بن العزيز وهو من بنى حماد وهما اولاد عم يستاذنه فى الوصول اليه وتجديد العهد به والمسير من عنده الى عبد المؤمن فاذن له يحيى فسار اليه فلما وصل لم يجتمع به يحيى وسيره الى جزيرة بنى مزغنان هو واولاده ووكل به من يمنعهم من التصرف فبقوا كذلك الى ان ملك عبد المؤمن بجاية سنة سبع واربعين فحضر عنده وقد ذكرنا حاله هناك ولما استقر جرجى بالمهدية سير اسطولا بعد اسبوع الى مدينة سفاقس وسير اسطولا آخر الى مدينة سوسة فاما سوسة فان اهلها لما سمعوا خبر المهدية وكان واليها على بن الحسن الامير فخرج الى ابيه وخرج الناس لخروجه فدخلها الفرنج بلا قتال ثانى عشر صفر واما سفاقس فان اهلها اتاهم كثير من العرب فامتنعوا بهم فقاتلهم الفرنج فخرج اليهم اهل البلد فاظهر الفرنج الهزيمة وتبعهم الناس حتى ابعدوا عن البلد ثم عطفوا عليهم فانهزم قوم الى البلد وقوم الى البرية وقتل منهم جماعة ودخل الفرنج البلد فملكوه بعد قتال شديد وقتلى كثيرة واسر من بقى من الرجال وسبى الحريم وذلك فى الثالث والعشرين من صفر ثم نودى بالامان فعاد اهلها اليها وافتكوا حرمهم واولادهم ورفق بهم وباهل سوسة والمهدية وبعد ذلك وصلت كتب من رجار لجميع اهل افريقية بالامان والمواعيد الحسنة ولما استقرت احوال البلاد سار جرجى فى اسطول الى قلعة اقليبية وهى قلعة حصينة فلما وصل اليها سمعت به العرب فاجتمعوا اليها ونزل اليهم الفرنج فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم خلق كثير فرجعوا خاسرين الى المهدية وصار للفرنج من طرابلس الغرب الى قريب تونس ومن المغرب الى دون القيروان والله أعلم

(ذكر حصر الفرنج دمشق وما فعل سيف الدين غازى بن زنكى)

فى هذه السنة سار ملك الالمان من بلاده فى خلق كثير وجمع عظيم من الفرنج عازما على قصد بلاد الاسلام وهو لا يشك فى ملكها بايسر قتال لكثرة جموعه وتوفر امواله وعدده فلما وصل الى الشام قصده من به من الفرنج وخدموه وامتثلوا امره ونهيه فامرهم بالمسير معه الى دمشق ليحصرها ويملكها بزعمه فساروا معه ونازلوها وحصروها وكان صاحبها مجير الدين ابق بن محمد بن بورى بن طغدكين وليس له من الامر شئ وانما الحكم فى البلد لمعين الدين انز مملوك جده طغدكين وهو الذى اقام مجير الدين وكان معين الدين عاقلا عادلا خيرا حسن السيرة فجمع العساكر وحفظ البلد واقام الفرنج يحاصرونهم ثم انهم زحفوا سادس ربيع الاول بفارسهم وراجلهم فخرج اليهم أهل البلد والعسكر فقاتلوهم وصبروا لهم وفيمن خرج للقتال الفقيه حجة الدين يوسف بن ذى باس الفندلاوى المغربى وكان شيخا كبيرا فقيها صالحا فلما رآه معين الدين وهو راجل قصده وسلم عليه وقال له يا شيخ أنت معذور لكبر سنك ونحن نقوم بالذب عن المسلمين وساله أن يعود فلم يفعل

والمؤاجرة فى حمل الامتعة ونحو ذلك فلذلك يختارون الاقامة ويتركون مخاديمهم خصوصا والخسة من طباعهم هذا والباشا يستحث صالح اغا ورفقاءه فى الرحيل حيث لم يبق له عذر فى التاخير فعند ما نزلوا فى المراكب وانحدروا فى النيل احضر الباشا الجا المذكور وهو عبارة عن الافندى المخصوص بكتابة سره وايراده ومصرفه واعطاه جواب الرسالة مضمونها تطمينه وتامينه ويذكر له انه صعب عليه وتاثر من طلبه المقاطعة وطلبه المفارقة وعدد له اسباب انحرافه عن صالح اغا ورفقائه وما استوجبوا به ما حصل لهم من الاخراج والابعاد واما هو فلم يحصل منه ما يوجب ذلك وانه باق على ما يعهده من المودة والمحبة فان كان ولا بد من قصده وسفره فهو لا يمنعه من ذلك فياتى بجميع اتباعه ويتوجه بالسلامة اينما شاء والا بان صرف عن نفسه هذا الهاجس فليحضر فى القنبوة فى قلة ويترك وطاقه واتباعه ليواجهه ويتحدث معه فى مشورته وانتظام اموره التى لا يتضمنها هذا الكتاب ويعود الى محل ولايته وحكمه مكرما فراج عليه ذلك التمويه وركن الى زخرف القول وظن ان الباشا لا يصله بمكروه ولا يواجهه بقبيح من القول فضلا عن الفعل لانه كان عظيما فيهم ومن الرؤساء المعدودين صاحب همة وشهامة واقدام جسورا فى الحروب

وقال له قد بعت واشترى منى فوالله لا اقلته ولا استقلته يعنى قول الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة وتقدم فقاتل الفرنج حتى قتل عند النيرب نحو نصف فرسخ عن دمشق وقوى الفرنج وضعف المسلمون فتقدم ملك الالمان حتى نزل بالميدان الاخضر فايقن الناس بانه يملك البلد وكان معين الدين قد ارسل الى سيف الدين غازى بن اتابك زنكى يدعوه الى نصرة المسلمين وكف العدو عنهم فجمع عساكره وسار الى الشام واستصحب معه أخاه نور الدين محمودا من حلب فنزلوا بمدينة حمص وأرسل الى معين الدين يقول له قد حضرت ومعى كل من يحمل السلاح من بلادى فاريد ان يكون نوابى بمدينة دمشق لاحضر والقى الفرنج فان انهزمت دخلت انا وعسكرى البلد واحتمينا به وان ظفرنا فالبلد لكم لا انازعكم فيه فارسل الى الفرنج يتهددهم ان لم يرحلوا عن البلد فكف الفرنج عن القتال خوفا من كثرة الجراح وربما اضطروا الى قتال سيف الدين فابقوا على نفوسهم فقوى اهل البلد على حفظه واستراحوا من ملازمة الحرب وارسل معين الدين الى الفرنج الغرباء يقول لهم ان ملك المشرق قد حضر فان رحلتم والا سلمت البلد اليه وحينئذ تندمون وارسل الى فرنج الشام يقول لهم باى عقل تساعدون هؤلاء علينا وانتم تعلمون انهم ان ملكوا دمشق أخذوا ما بايديكم من البلاد الساحلية واما انا فان رأيت الضعف عن حفظ البلد سلمته الى سيف الدين وانتم تعلمون انه ان ملك دمشق لا يبقى لكم معه مقام فى الشام فاجابوه الى التخلى عن ملك الالمان وبذل لهم تسليم حصن بانياس اليهم واجتمع الساحلية بملك الالمان وخوفوه من سيف الدين وكثرة عساكره وتتابع الامداد اليه وانه ربما أخذ دمشق وتضعف عن مقاومته ولم يزالوا به حتى رحل عن البلد وتسلموا قلعة بانياس وعاد الفرنج الالمانية الى بلادهم وهى بزوراء القسطنطينية وكفى الله المؤمنين شرهم وقد ذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى تاريخ دمشق ان بعض العلماء حكى له انه رأى الفندلاوى فى المنام فقال له ما فعل الله بك واين أنت فقال غفر لى وانا فى جنات عدن على سرر متقابلين

(ذكر ملك نور الدين محمد بن زنكى حصن العزيمة)

لما سار الفرنج عن دمشق رحل نور الدين الى حصن العزيمة وهو للفرنج فملكه وسبب ذلك ان ملك الالمان لما خرج الى الشام كان معه ولد الفنش صاحب طليطلة وهو من اولاد اكابر ملوك الفرنج وكان جده هو الذى اخذ طرابلس الشام من المسلمين فاخذ حصن العزيمة وتملكه واظهر انه يريد اخذ طرابلس من القمص فارسل القمص الى نور الدين محمود وقد اجتمع هو ومعين الدين انر بيعلبك يقول له ولمعين الدين ليقصدا حصن العزيمة ويملكاه من ولد الفنش فسارا اليه مجدين فى عساكرهما وارسلا الى سيف الدين وهو بحمص يستنجدانه فامدهما بعسكر كثير مع الامير عز الدين ابى بكر الدبيسى صاحب جزيرة ابن عمر وغيرها فنازلوا الحصن وحصروه وبه ابن الفنش وامتنع به

والخطوب وهو الذى مهد البلاد القبلية واخلاها من الاجناد المصرية فلما خلت الديار منهم واستقر هو بقنا وقوص وهو مطلق التصرف وصالح اغا قوج بالاسيوطية ثم ان الباشا وجه صالح اغا الى الحجاز وقلد ابنه ابراهيم باشا ولاية الصعيد فكان يناقض عليه احمد اغا المذكور فى افعاله ويمانعه التعدى على اطيان الناس وارزاق الاوقاف والمساجد ويحل عقد ابراماته فيرسل الى ابيه بالاخبار فيحقد ذلك فى نفسه ويظهر خلافه ويتغافل واحمد اغا المذكور على جليته وخلوص نيته فلما وصلته الرسالة اعتقد صدقه وبادر بالحضور فى قلة من اتباعه حسب اشارته وطلع الى القلعة ليلة السبت وهى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان فعبر عند الباشا وسلم عليه فحادثه وعاتبه ونقم عليه اشياء وهو يجاوبه ويرادده حتى ظهر عليه الغيظ فقام كتخدا بك وابراهيم اغا فاخذاه وخرجا من عند الباشا ودخلا الى مجلس ابراهيم اغا وجلسوا يتحدثون وصار الكتخدا وابراهيم اغا يلاطفان معه القول واشارا عليه بان يستمر معهما الى وقت السحور وسكون حدة الباشا فيدخلون اليه ويتسحرون معه فاجابهم الى رأيهم وامر من كان بصحبته من العسكر وهم نحو الخمسين بالنزول الى محلهم فامتنع كبيرهم وقال لا اذهب واترك وحيدا فقال الكتخدا وما الذى يصيبه وهو مثل ى ومن

فرحف المسلمون اليه غير مرة وتقدم اليه النقابون فنقبوا السور فاستسلم حينئذ من به من الفرنج فملكه المسلمون واخذوا كل من به من فارس وراجل وصبي وامرأة وفيهم ابن الفنش واخربوا الحصن وعادوا الى سيف الدين وكان مثل ابن الفنش كما قيل خرجت النعامة تطلب قرنين فعادت بغير اذنين

(ذكر الخلف بين السلطان مسعود وجماعة من الامراء ووصولهم الى بغداد وما كان منهم بالعراق)

فى هذه السنة فارق السلطان مسعود جماعة من اكابر الامراء وهم من اذربيجان ايلدكز المسعودي صاحب كنجة وارانية وقيصر ومن الجبل البقش كونخر وتتر الحاجب وهو مسعودي ايضا وطرنطاى المحمودي شحنة واسط والدكز وقرقوب وابن طغايرك وكان سبب ذلك ميل السلطان الى خاص بك واطراحه لهم فخافوا ان يفعل بهم مثل فعله بعبد الرحمن وعباس وبوزابة ففارقوه وساروا نحو العراق فلما بلغوا حلوان خاف الناس ببغداد وعمال العراق وغلت الاسعار وتقدم الامام المقتفي لامر الله باصلاح السور وترميمه وارسل الخليفة اليهم بالعبادي الواعظ فلم يرجعوا الى قوله ووصلوا الى بغداد فى ربيع الآخر والملك محمد ابن السلطان محمود معهم ونزلوا بالجانب الشرقي وفارق مسعود بلال شحنة بغداد البلد وفارق الخليفة وسار الى تكريت وكانت له فعظم الامر على اهل بغداد ووصل اليهم على بن دبيس صاحب الحلة فنزل بالجانب الغربي فجند الخليفة اجنادا يحتمي بهم ووقع القتال بين الامراء وبين عامة بغداد ومن بها من العساكر واقتتلوا عدة دفعات ففي بعض الايام انهزم الامراء الاعاجم من عامة بغداد مكرا وخديعة وتبعهم العامة فلما ابعدوا عادوا عليهم وصار بعض العسكر من ورائهم ووضعوا السيف فقتل من العامة خلق كثير ولم يبقوا على صغير ولا كبير وفتكوا فيهم فاصيب اهل بغداد بما لم يصابوا بمثله وكثر القتلى والجرحى واسر منهم خلق كثير فقتل البعض وشهر البعض ودفن الناس من عرفوا ومن لم يعرف ترك طريحا بالصحراء وتفرق العسكر فى المحال الغربية فاخذوا من اهلها الاموال الكثيرة ونهبوا بلد دجيل وغيره واخذوا النساء والولدان ثم ان الامراء اجتمعوا ونزلوا مقابل التاج وقبلوا الارض واعتذروا وترددت الرسل بينهم وبين الخليفة الى آخر النهار وعادوا الى خيامهم ورحلوا الى النهروان فنهبوا البلاد وافسدوا فيها وعاد مسعود بلال شحنة بغداد من تكريت الى بغداد ثم ان هؤلاء الامراء تفرقوا وفارقوا العراق وتوفي الامير قيصر باذربيجان هذا كله والسلطان مسعود مقيم ببلد الجبل والرسل بينه وبين عمه السلطان سنجر متصلة وكان السلطان سنجر قد ارسل اليه يلومه على تقديم خاص بك ويأمره بابعاده ويتهدده بانه ان لم يفعل يقصده ويزيله عن السلطنة وهو يغالط ولا يفعل فسار السلطان سنجر الى الري فلما علم السلطان مسعود بوصوله سار اليه وترضاه واستنزله عما فى نفسه فسكن وكان اجتماعهما سنة اربع واربعين على ما نذكره ان شاء الله تعالى

بلدى وان أصيب بذى كث ٦٠ اتاقبلة عند ذلك نزلوا وفارقوه وبقى عنده من لا يستغنى عنه فى الخدمة فعند ذلك أتاه من يستدعيه الى الباشا فلما كان خارج المجلس قبضوا عليه وأخذوا سيفه وسلاحه ونزلوا به الى تحت سلم الركوب وأشعل الضوى المشعل وأداروا كتافه ورموا رقبته ورفعوه فى الحال وغسلوه وكفنوه ودفنوه وذلك فى سادس ساعة من الليل واصبح الخبر شائعا فى المدينة واحضر الباشا الخجا وطولب بالتعريف عن أمواله وودائعه وعين فى الحال باشجاويش ليذهب الى قناويختم على داره ويضبط ماله من الغلال والاموال وطلبت الودائع من هى عنده التى استدلوا عليها بالاوراق فظهر له ودائع فى عدة أماكن وصناديق مال وغير ذلك ولم يتعرض لمنزله ولا لحريمه

(واستهل شهر شوال بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٧)

فى رابعه يوم السبت قدم قابجى من اسلامبول وعلى يده مقرر للباشا بولاية مصر على السنة الجديدة ومعه فروة تخصوص الباشا فلما وصل الى بولاق فنزل كتخدا بك لملاقاته فركب فى موكب جليل وخلفه النوبة التركية وشق من وسط البلد وصعد الى القلعة وحضر الاشياخ وأكابر دولتهم وقرئ المرسوم بحضرة الجميع فلما انقضى الديوان ضربوا عدة مدافع من القلعة (وفيه) ألبس شيخ السادات ابن أخيه سيدى احمد خلعة وتاجا وجعله وكيلا

ذكر

(ذكر انهزام الفرنج بيغرى)

في هذه السنة هزم نور الدين محمود بن زنكي الفرنج بمكان اسمه بغرى من ارض الشام وكانوا قد تجمعوا ليقصدوا اعمال حلب ليغيروا عليها فعلم نور الدين فسار اليهم في عسكره فالتقوا بيغرى واقتتلوا قتالا شديدا اجلت المعركة عن انهزام الفرنج وقتل كثير منهم وأسر جماعة من مقدميهم ولم ينج من ذلك الجمع الا القليل وارسل من الغنيمة والاسارى الى اخيه سيف الدين والى الخليفة ببغداد والى السلطان مسعود وغيرهم وفي هذه الوقعة يقول ابن القيسراني في قصيدته التي اولها

يا ليت ان الصد مصدود * اولا فليت النوم مردود

ومنها ما هو في ذكر نور الدين

وكيف لا يثني على عيشنا الـ * ـمحمود والسلطان محمود
وصارم الاسلام لا ينثني * الا وشلو الكفر مقدود
مكارم لم تك موجودة * الا ونور الدين موجود
وكم له من وقعة يومها * عند ملوك الكفر مشهود

(ذكر ملك الغورية غزنة وعودهم عنها)

في هذه السنة قصد سورى بن الحسين ملك الغور مدينة غزنة فملكها وسبب ذلك ان اخاه ملك الغورية قبله محمد بن الحسين كان قد صاهر بهرام شاه مسعود بن ابراهيم صاحب غزنة وهو من بيت سبكتكين فعظم شانه بالمصاهرة وعلت همته فجمع جموعا كثيرة وسار الى غزنة ليملكها وقيل انما سار اليها مظهرا الخدمة والزيارة وهو يريد المكر والغدر فعلم به بهرام شاه فاخذه وحبسه ثم قتله فعظم قتله على الغورية ولم يمكنهم الاخذ بثاره ولما قتل ملك بعده اخوه سام بن الحسين فمات بالجدري وملك بعده أخوه الملك سورى بن الحسين بلاد الغور والله اعلم وقوى أمره وتمكن في ملكه فجمع عسكره من الفارس والراجل وسار الى غزنة طالبا بثار أخيه المقتول وقاصدا ملك غزنة فلما وصل اليها ملكها في جمادى الاولى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وفارقها بهرام شاه الى بلاد الهند وجمع جموعا كثيرة وعاد الى غزنة وعلى مقدمته السلار الحسين وابراهيم العلوي امير هندوستان وكان عسكر غزنة الذين اقاموا مع سورى بن الحسين الغورى قد خدموه قلوبهم مع بهرام شاه واعطاهم ظواهرهم مع سورى فلما التقى سورى وبهرام شاه رجع عسكر غزنة الى بهرام شاه وصاروا معه وسلموا اليه سورى ملك الغورية وملك بهرام شاه غزنة في المحرم سنة أربع وأربعين وصلب الملك سورى مع السيد الماهياني في المحرم ايضا من السنة وكان سورى أحد الاجواد له الكرم الغزير والمروءة العظيمة حتى انه كان يرمي الدراهم في المقاليع الى الفقراء لتقع بيد من تقع ومن يتفق له ثم عاود الغورية وملكوها وخربوها وقد ذكرناه سنة سبع وأربعين وذكرنا هناك ابتداء دولة الغورية لانهم في ذلك الوقت عظم محلهم وفارقوا الجبال وقصدوا خراسان

بان يذهب الى الباشا ويقابله ليخلع عليه وارسل صحبته محمد افندي فقال مبارك واشار اليه محمد افندي بان يخلع عليه فروة فقال الباشا ان محمد جعلته نائبا عنه ووكيلا فلبس له عندي تلبيس لانه لم يتقلدها بالاصالة من عندي فقام ونزل من غير شيء الى داره بجوار المشهد الحسيني (وفي يوم الخميس ثالث عشرينه) سافر مصطفى بك دالي باشا بجميع الدلاة وغيرهم من العسكر الى الحجاز وحصل للناس في هذا الشهر عدة كربات منها وهو اعظمها عدم وجود الماء العذب وذلك في وقت النيل وجريان الخليج من وسط المدينة حتى كاد الناس يموتون عطشا وذلك بسبب اخذهم الحمير للسخرة والرجال لخدمة العسكر المسافرين وغلوهم في القرب التي تشترى لنقل الماء فان الباشا اخذ جميع القرب الموجودة بالوكالة عند الخليلية وما كان بغيرها ايضا حتى ارسل الى القدس والخليل فاحضر جميع ما كان بهما وبلغت الغاية في غلو الاثمان حتى بيعت القربة الواحدة التي كان ثمنها مائة وخمسين نصفا بالف وخمسمائة نصف ويأخذون ايضا الجمال التي تنقل الماء بالروايا الى الاسبلة والصهاريج وغيرهما من الخليج فامتنع الجميع عن السراح والخروج واحتاج العسكر ايضا الى الماء فوقفوا

وملاشانهم وفي بعض الخلف كما ذكرناه والله أعلم

(ذكر ملك الفرنج مدنا من الاندلس)

في هذه السنة ملك الفرنج بالاندلس مدينة طرطوشة وملكوا معها جميع قلاعها وحصونها لاردة وافراغة ولم يبق للمسلمين في تلك الجهات شئ الا واستولى الفرنج على جميعه لاختلاف المسلمين بينهم وبقي بايديهم الى الآن

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفي أبو بكر المبارك بن الكامل بن أبي غالب البغدادي المعروف بأبو بالخفاف سمع الحديث الكثير وكان مفيد بغداد وفيها غلت الاسعار بالعراق وتعذرت الاقوات بسبب العسكر الوارد وقدم اهل السواد الى بغداد منهزمين قد أخذت أموالهم وهلكوا جوعا وعريا وكذلك أيضا كان الغلاء في أكثر بلاد خراسان وبلاد الجبل واصفهان وديار فارس والجزيرة والشام واما المغرب فكان اشد غلاء بسبب انقطاع الغيث ودخول العدو اليها وفيها توفي ابراهيم بن نبهان الرقي ومولده سنة تسع وخمسين وأربعمائة وصحب الغزالي والشاشي وروى الجمع بين الصحيحين للحميدي عن مصنفه وفيها في ذي القعدة توفي الامام ابو الفضل الكرماني الفقيه الحنفي امام خراسان

(ثم دخلت سنة اربع واربعين وخمسمائة)

(ذكر وفاة سيف الدين غازي بن اتابك زنكي وبعض سيرته وملك اخيه قطب الدين)

في هذه السنة توفي سيف الدين غازي بن اتابك زنكي صاحب الموصل بها بمرض حاد ولما اشتد مرضه أرسل الى بغداد واستدعى أوحد الزمان فحضر عنده فرأى شدة مرضه فعالجه فلم ينجع فيه الدواء وتوفي أواخر جمادى الآخرة وكانت ولايته ثلاث سنين وشهرا وعشرين يوما وكان حسن الصورة والشباب وكانت ولادته سنة خمسمائة ودفن بالمدرسة التي بناها بالموصل وخلف ولدا ذكرا فرباه عمه نور الدين محمود واحسن تربيته وزوجه ابنة أخيه قطب الدين مودود فلم تطل أيامه وتوفي في عنفوان شبابه فانقرض عقب سيف الدين وكان كريما شجاعا عاقلا وكان يصنع كل يوم لعسكره طعاما كثيرا بكرة وعشية فاما الذي بكرة فيكون مائة رأس غنم جيدة وهو أول من حمل على رأسه السنجق وأمر الاجناد أن لا يركبوا الا بالسيف في أوساطهم والدبوس تحت أركبهم فلما فعل ذلك اقتدى به أصحاب الاطراف وبنى المدرسة الاتابكية العتيقة بالموصل وهي من أحسن المدارس ووقفها على الفقهاء الحنفية والشافعية وبنى رباطا للصوفية بالموصل أيضا على باب المشرعة ولم تطل ايامه ليفعل ما في نفسه من الخير وكان عظيم الهمة ومن جملة كرمه انه قصده شهاب الدين الحيص بيص وامتدحه بقصيدته التي أولها

بالطرق يرصدون ورود السقائين او غيرهم من الفقراء والذين ينقلون الماء بالبلاليص والجرار و رؤسهم فيوجد على كل موردة من الموارد عدة من العسكر وهم واقفون بالاسلحة ينتظرون من يستقي من السقائين أو غيرهم فكان الخدم والنساء والفقراء والبنات والصبيان ينقلون بطول النهار والليل بالاوعية الكبيرة والصغيرة على رؤسهم بمقدار ما يكفيهم للشرب وبيعت القربة الواحدة بخمسة عشر نصف فضة وأكثر وشح وجود اللحم وغلا في الغر زيادة على غلو سعره المستمر حتى بيع بثمانية عشر نصف فضة كل رطل هذا ان وجد والجاموس الجفيط بأربعة عشر وطلبوا للسفر طائفة من القبانية ومن الخبازين ومن أرباب الصنائع والحرف وشددوا عليهم الطلب في أواخر الشهر فتغيبوا وهربوا فسمرت بيوتهم وحوانيتهم وكذلك الخبازون والفرانون بالطوابين والافران حتى عدم الخبز من الاسواق ولم يجد أصحاب البيوت فرنا يخبزون فيه عجينهم فمن الناس القادر على الوقود من يخبز عجينه في داره أو عند جاره الذي يكون عنده فرن او عند بعض الفرانين الذي تكون فرنه مداخل عطفة مستورة خفية أو ليلا من الخوف من العسكر والمرصدين لهم وكذلك عدم وجود التبن بسبب رصد العسكر في الطرق لاخذ ما ياتي به الفلاحون الام

الامير الك الجدفى زى شاعر * وقد نحلت شوقا فروع المنابر

فوصله بالف دينار عين سوى الخلع وغيرها ولما توفى سيف الدين غازى كان أخوه قطب الدين مقيما بالموصل فاتفق جمال الدين الوزير وزين الدين على أمير الجيش على تمليكه فاحضروه واستحلفوه وحلفوا له واركبوه الى دار السلطنة وزين الدين فى ركابه واطاعه جميع بلاد اخيه سيف الدين كالموصل والجزيرة ولما ملك تزوج الخاتون ابنة حسام الدين تمرتاش التى كان قد تزوجها اخوه سيف الدين وتوفى قبل الدخول بها وهى أم أولاد قطب الدين سيف الدين وعز الدين وغيرهما من أولاده

(ذكر استيلاء نور الدين على سنجار)

لما ملك قطب الدين مودود الموصل بعد أخيه سيف الدين غازى كان أخوه الاكبر نور الدين محمود بالشام وله حلب وحماة فكاتبه جماعة من الامراء وطلبوه وفيهن كاتبه المقدم عبد الملك والد شمس الدين محمد وكان حينئذ مستحفظا لسنجار فارسل اليه يستدعيه ليتسلم سنجار فسار جريدة فى سبعين فارسا من امراء دولته فوصل الى ماكسين فى نفر يسير قد سبق أصحابه وكان يوما شديد المطر فلم يعرفهم الذى يحفظ الباب فاخبر الشحنة ان نفرا من التركمان المجتدين قد دخلوا البلد فلم يستتم كلامه حتى دخل نور الدين الدار على الشحنة فقام اليه وقبل يده ولحق به باقى اصحابه ثم سار الى سنجار فوصلها وليس معه غير ركابى وسلاحدار ونزل بظاهر البلد وارسل الى المقدم يعلمه بوصوله فرآه الرسول وقد سار الى الموصل وترك ولده شمس الدين محمدا بالقلعة فاعلمه بمسير والده الى الموصل واقام من لحق أباه بالطريق فاعلمه بوصول نور الدين فعاد الى سنجار فسلمها اليه فدخلها نور الدين وارسل الى فخر الدين قرا ارسلان صاحب الحصن يستدعيه اليه لمودة كانت بينهما فوصل اليه فى عسكره فلما سمع اتابك قطب الدين وجمال الدين وزين الدين بالموصل بذلك جمعوا عساكرهم وساروا نحو سنجار فوصلوا الى تل يعفر وترددت الرسل بينهم بعد ان كانوا عازمين على قصده بسنجار فقال لهم جمال الدين ليس من الراى محاقته وقتاله فانا نحن قد عظمنا محله عند السلطان وما هو بصدده من الغزاة وجعلنا انفسنا دونه وهو يظهر للفرنج تعظيمنا وانه تبعنا ولا يزال يقول لهم ان كنتم كما يحب والا سلمت البلاد لصاحب الموصل وحينئذ يفعل بكم ويصنع فاذا لقيناه فان هزمناه طمع السلطان فينا ويقول هذا الذى كانوا يعظمونه ويحتمون به اضعف منهم وقد هزموه وان هو هزمنا طمع فيه الفرنج ويقولون ان الذين كان يحتمى بهم اضعف منه وقد هزمهم وبالجملة فهو ابن اتابك واشار بالصلح وساروا اليه فاصطلح وسلم سنجار الى اخيه قطب الدين وسلم مدينة حمص والرحبة بارض الشام اليه وبقى الشام له وديار الجزيرة لاخيه واتفقا وعاد نور الدين الى حلب واخذ معه ما كان قد ادخره ابوه عماد الدين اتابك فيها من الخزائن وكانت كثيرة جدا

(ذكر وفاة الحافظ وولاية الظافر ووزارة ابن السلار)

من الارياف فيخطفونه قبل وصوله الى المدينة وحصل بسبب هذه الاحوال المذكورة شبكات ومشاجرات وضرب وقتل وتجريح أبدان ولولا خوف العسكر من الباشا وشدته عليهم حتى بالقتل اذا وصلت الشكوى اليه لحصل أكثر من ذلك

(واستهل شهر ذى القعدة بيوم الجمعة سنة ١٢٢٧)

فى سابعه يوم الخميس سافر الباشا هجانا الى السويس وصحبته حسن باشا (وفى يوم الجمعة خامس عشره) وصل مبشرون من ناحية الحجاز وهم أتراك على الهجن والخبر عنهم ان عساكرهم وصلوا الى المدينة المنورة ونزلوا بفنائها (وفى يوم الاحد سابع عشره) رجع الباشا من ناحية السويس الى مصر (وفيه) وردت أخبار اطائفة الفرنساوية وقنصلهم المقيمين بمصر بان بونابارته وعساكر الفرنساوية زحفوا فى جمع عظيم على بلاد المسكوب ووقع بينهم حروب عظيمة فكانت الهزيمة على المسكوب وانكسروا كسرة قوية وكتبوا بذلك أوراقا وألصقوها بحيطان دوائرهم وحاراتهم ولما حضر الباشا طلع اليه القنصل وأخبره بتلك الاخبار وأطلعه على الكتب الواردة من بلادهم (وفى ليلة الثلاثاء) عدى الباشا الى برالجيزة وأمر بخروج العساكر الى البر الغربى وعدى أيضا كتخدا بك وذلك بسبب ان عربان أولاد على نزلوا بناحية الفيوم بجمع عظيم وأكلوا

في هذه السنة في جمادى الآخرة توفي الحافظ لدين الله عبد المجيد ابن الامير أبي القاسم ابن المستنصر بالله العلوي صاحب مصر وكانت خلافته عشرين سنة الاخمسة أشهر وعمره نحو امن سبع وسبعين سنة ولم يزل في جميعها محكوما عليه يحكم عليه وزراؤه حتى انه جعل ابنه حسنا وزيرا وولي عهده فحكم عليه واستبد بالامر دونه وقتل كثيرا من أمراء دولته وصادر كثيرا فلما رأى الحافظ ذلك سقاه سما فمات وقد ذكرناه ولم يل الامر من العلويين المصريين من أبوه غير خليفة غير الحافظ والعاضد وسيرد ذكر نسب العاضد وولي الخلافة بعده ابنه الظافر بامر الله ابو منصور واسمعيل بن عبد المجيد الحافظ واستوزر ابن مصال فبقي أربعين يوما يدبر الامور فقصده العادل بن السلار من ثغر الاسكندرية ونازعه في الوزارة وكان ابن مصال قد خرج من القاهرة في طلب بعض المفسدين من السودان فخالفه العادل الى القاهرة وصار وزيرا وسير عباس بن أبي الفتوح بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي في عسكر وهو ربيب العادل الى ابن مصال فظفر به وقتله وعاد الى القاهرة واستقر العادل وتمكن ولم يكن للخليفة معه حكم وأما سبب وصول عباس الى مصر فان جده يحيى اخرج ابا الفتوح من المهدية فلما توفي يحيى وولي بعده بلاد أفريقية ابنه علي بن يحيى بن تميم بن يحيى صاحب أفريقية اخرج اخاه ابا الفتوح والد عباس من افريقية سنة تسع وخمسمائة فسار الى الديار المصرية ومعه زوجته بلارة ابنة القاسم بن تميم بن المعز بن باديس وولده عباس هذا وهو صغير يرضع ونزل أبو الفتوح بالاسكندرية فاكرم واقام بها مدة يسيرة وتوفي وتزوجت بعده امرأته بلارة بالعادل بن السلار وشب العباس وتقدم عند الظافر حتى ولي الوزارة بعد العادل فان العادل قتل في المحرم سنة ثمان واربعين قيل وضع ربيبه عباس من قتله فلما قتل ولي الوزارة بعده وتمكن منها وكان جلدا حازما ومع هذا ففي ايامه اخذ الفرنج عسقلان واشتد وهن الدولة بذلك وفي ايامه اخذ نور الدين محمود دمشق من مجير الدين ابق وصار الامر بعد هذا الى ان اخذت مصر منهم على ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى

(ذكر عود جماعة من الامراء الى العراق)

في هذه السنة في رجب عاد البقش كون خر والطرنطاي وابن دبيس ومعهم ملكشاه ابن السلطان محمود الى العراق وراسلوا الخليفة في الخطبة لملكشاه فلم يلتفت اليهم وجمع العساكر وحصن بغداد وارسل الى السلطان مسعود يعرفه بالحال فوعده بالوصول الى بغداد فلم يحضر وكان سبب ذلك ما ذكرناه من وصول عمه السلطان سنجر الى الري في معنى خاص بك فلما وصل الى الري سار اليه السلطان مسعود ولقيه واسترضاه فرضي عنه فلما علم البقش بمراسلة الخليفة الى مسعود نهب النهروان وقبض على الامير علي بن دبيس في رمضان فلما علم الطرنطاي بذلك هرب الى النعمانية ووصل السلطان مسعود الى بغداد منتصف شوال ورحل البقش كون خر من النهروان واطلق

الزروفات فخرج اليهم حسن اغا الشماشرجي فوزن نفقته معهم فرأى انه لايقاومهم لكثرتهم فحضر الى مصر وأخبر الباشا وتحرك الباشا للخروج اليهم ثم بعقبه أرسل لهم وخادعهم فحضر اليه دلاؤهم فأخذ منهم رهائن وخلع عليهم وكساهم وأعطاهم واحتاجهم وعين لهم جهات وشرط عليهم ان لا يتعدوها ثم رجع وعدى الى بر مصر في ليلة الخميس حادي عشرينه (وفي سادس عشرينه) نهب العرب القافلة القادمة من السويس بحمل بضائع التجار وغيرهم وقتلوا العسكر الذين بصحبتهم وخفارتهم وأخذوا الجمال باحمالها وذهبوا بها الى ناحية الوادي والجمال المذكورة على ملك الباشا واتباعه لانهم صيروا لهم جمالا واعدوها لحمل البضائع ويأخذون أجرتها لانفسهم بدلا عن جمال العرب وذلك من جملة الامور التي احتكروها وطمعوا وحسدوا في كل شئ ولم ينج من الجمال الا البعض الذين سبقوهم وهم كذلك فحنق لذلك الباشا وأرسل في الحال مراسلات الى سليمان باشا حافظ عكا يعلمه بذلك ويلزمه باحضارها ويتوعده ان ضاع منها عقال بعير والذي ذهب بالمراسلة ابراهيم أفندي المهردار

(واستهل شهر ذي الحجة بيوم السبت سنة ١٢٢٧) في عاشره يوم الاضحى وردت هجانة من ناحية الحجاز وعلى يدهم البشائر بالاستيلاء على

علي بن دبيس فلما وصل السلطان الى بغداد قصده علي والقى بنفسه بين يديه واعتذر فرضي عنه وذكر بعض المؤرخين هذه الحادثة سنة اربع واربعين وذكر ايضا مثلها سنة ثلاث واربعين فظنهما حادثتين وانا اظنها واحدة ولكنا تبعناه في ذلك ونبهنا عليه

(ذكر قتل البرنس صاحب انطاكية وهزيمة الفرنج)

في هذه السنة غزا نور الدين محمود بن زنكي بلاد الفرنج من ناحية انطاكية وقصد حصن حارم وهو للفرنج فحصره وخرب ربضه ونهب سواده ثم رحل الى حصن انب فحصره ايضا فاجتمعت الفرنج مع البرنس صاحب انطاكية وحارم وتلك الاعمال وساروا الى نور الدين ليرحلوه عن انب فلقيهم واقتتلوا قتالا عظيما وباشر نور الدين القتال ذلك اليوم فانهزم الفرنج اقبح هزيمة وقتل منهم جمع كثير واسر واملهم وكان ممن قتل البرنس صاحب انطاكية وكان عاتيا من عتاة الفرنج وعظيما من عظمائهم ولما قتل البرنس ملك بعده ابنه بيمند وهو طفل فتزوجت امه ببرنس آخر ليدبر البلد الى ان يكبر ابنها واقام معها بانطاكية ثم ان نور الدين غزاهم غزوة اخرى فاجتمعوا ولقوه فهزمهم وقتل فيهم واسر وكان فيمن اسر البرنس الثاني زوج ام بيمند فتمكن حينئذ بيمند بانطاكية واكثر الشعراء مديح نور الدين وتهنئته بهذا الظفر فان قتل البرنس كان عظيما عند الطائفتين وممن قال فيه القيسراني الكاتب في القصيدة المشهورة التي اولها

هذي العزائم لاماتدعي القضب * وذي المكارم لاماقالت الكتب
وهذه الهمم اللاتي متى خطبت * تعثرت خلفها الاشعار والخطب
صافحت يا ابن عماد الدين ذروتها * براحة للمساعي دونها تعب
مازال جدك يبني كل شاهقة * حتى بنى قبة اوتادها الشهب
أغرت سيوفك بالافرنج راجفة * فؤاد رومية الكبرى لها يجب
ضربت كبشهم منها بقاصمة * أودى بها الصلب وانحطت بها الصلب
طهرت أرض الاعادي من دمائهم * طهارة كل سيف عندها جنب

(ذكر الخلف بين صاحب صقلية وملك الروم)

في هذه السنة اختلف رجار الفرنجي صاحب صقلية وملك القسطنطينية وجرى بينهما حروب كثيرة ودامت عدة سنين فاشتغل بعضهم ببعض عن المسلمين ولولا ذلك لملك رجار جميع بلاد افريقية وكان القتال بينهم برا وبحرا والظفر في جميع ذلك لصاحب صقلية حتى ان اسطوله في بعض السنين وصل الى مدينة القسطنطينية ودخل فم الميناء واخذوا عدة شواني من الروم واسروا جمعا منهم ورمى الفرنج طاقات قصر الملك بالنشاب وكان الذي يفعل هذا بالروم والمسلمين جرجي وزير صاحب صقلية فمرض عدة امراض منها البواسير والحصا ومات سنة ست واربعين وخمسمائة فسكنت الفتنة واستراح الناس من شره وفساده ولم يكن عند صاحب صقلية من يقوم مقامه بعده

(ذكر عدة حوادث)

قلعة المدينة المنورة ونزول المتولى بها على حكمهم وان القاصد الذى اتت بشارته وصل الى السويس وصحبته مفاتيح المدينة فحصل للباشا بذلك سرور عظيم وضربوا مدافع وشنكا بعد مدافع العيد وانتشرت المبشرون على بيوت الاعيان لاجل اخذ البقاشيش (وفي يوم الثلاثاء حادي عشره) وصل القادمون الى العادلية فعملوا لقدومهم شنكا عظيما وضربوا مدافع كثيرة من القلعة وبولاق والجيزة وخارج قبة العزب حيث العرضي المعد للسفر وايضا ضربوا بنادق كثيرة متتابعة من جميع الجهات حتى من اسطحة البيوت الساكنين بها واستمر ذلك اكثر من ساعتين فلكيتين فكان شيئا مهولا مزعجا واشيع في الناس دخول الواصلين في موكب واختلفت رواياتهم وخرج الباشا الى ناحية العادلية فاصطف الناس على مساطب الدكاكين والسقائف للفرجة فلما كان قريب الغروب دخل طائفة من العسكر وصحبتهم بعض اشخاص راكبين على الهجن وفي يد احدهم كيس اخضر وبيد الآخر كيس احمر بداخلهما المكاتبات والمفاتيح وعاد الباشا من ليلته وصعد الى القلعة هذا والمدافع والشنك يعمل في كل وقت من الاوقات الخمسة وفي الليل وفي صبح يوم الاربعاء شق الاغا والوالي واغات التبديل

فى هذه السنة زلزلت الارض زلزلة عظيمة فقيل ان جبلا مقابل حلوان ساخ فى الارض وفيها ولى أبو المظفر يحيى بن هبيرة وزارة الخليفة المقتفى لامر الله وكان قبل ذلك صاحب ديوان الزمام وظهر له كفاية عظيمة عند نزول العساكر بظاهر بغداد وحسن قيام فى ردهم فرغب الخليفة فيه فاستوزره يوم الاربعاء رابع ربيع الآخر سنة اربع واربعين وكان القمر على تربيع زحل فقيل له لو أخرت لبس الخلعة لهذه التربيعات فقال واى سعادة اكبر من وزارة الخليفة ولبسها ذلك اليوم وفيها فى المحرم توفى قاضى القضاة على بن الحسين الزينبى وولى القضاء عماد الدين ابو الحسن على بن أحمد الدامغانى وفيها فى المحرم رخصت الاسعار بالعراق وكثرت الخيرات وخرج اهل السواد الى قراهم وفيها توفى الامير نظر امير الحاج وكان قد سار بالحاج الى الحلة فمرض واشتد مرضه واستخلف على الحاج قايماز الارجوانى وعاد الى بغداد مريضا فتوفى فى ذى القعدة وكان خصيا عاقلا خيرا له معروف كثير وصدقات وافرة وفيها توفى احمد بن نظام الملك الذى كان وزير السلطان محمد والمسترشد بالله وفيها توفى على بن رافع بن خليفة الشيبانى وهو من اعيان خراسان وله مائة وسبع سنين شمسية ومات الامام مسعود الصوافى فى المحرم منها وفيها توفى معين الدين أنز نائب أبق صاحب دمشق وهو كان الحاكم والامر اليه وكان ابق صورة اميرا معنى تحتها وفيها توفى القاضى أحمد بن محمد بن الحسين الارجانى أبو بكر قاضى تستر وله شعر حسن فمنه قوله

ولما بلوت الناس اطلب عندهم * اخا ثقة عند اعتراض الشدائد
تطلعت فى حالى رخاء وشدة * وناديت فى الاحياء هل من مساعد
فلم أر فيما ساءنى غير شامت * ولم أر فيما سرنى غير حاسد
تمتعتما يا ناظرى بنظرة * واوردتما قلبى أمر الموارد
اعينى كفا من فؤادى فانه * من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

وفيها توفى أبو عبد الله عيسى بن هبة الله بن عيسى البزاز وكان ظريفا وله شعر حسن كتب اليه صديق له رقعة وزاد فى خطابه فاجابه

قد زدتنى فى الخطاب حتى * خشيت نقصا من الزياده
فاجعل خطابى خطاب مثلى * ولا تغير على عاده *

(ثم دخلت سنة خمس واربعين وخمسمائة)

(ذكر أخذ العرب الحجاج)

فى هذه السنة رابع عشر المحرم خرج العرب زعب ومن انضم اليهم على الحجاج بالغرابى بين مكة والمدينة فاخذوهم ولم يسلم منهم الا القليل وكان سبب ذلك ان نظر أمير الحاج لما عاد من الحلة على ما ذكرناه وصار على الحاج قايماز الارجوانى وكان حدثا غرا فسار بهم الى مكة فلما رأى أمير مكة قايماز استصغره وطمع فى الحاج وتلطف قايماز الحال معه الى ان عادوا فلما سار عن مكة سمع باجتماع العرب فقال للحاج من المصلحة أن لا نمضى

واماهم المناداة على الناس بتزيين الاسواق وما فيها من الحوانيت والدور ووقود القناديل والتعاليق ويسهرون ثلاث ليال بايامها اولها يوم الخميس وآخرها يوم السبت الذى هو خامس عشره واخرجوا وطاقات وخياما الى خارج بابى النصر والفتوح وخرج الباشا فى ثانى يوم الى ناحية العادلية وهو ليلة يوم الزينة وعملوا حراقات ونفوطا وصواريخ ومدافع من كل ناحية مدة ايام الزينة وكتبت البشائر الى جميع النواحى وانعم الباشا بامريات ومناصب على عشرين شخصا من خواصه وعين لطيف بك اغات المفتاح المتوجه الى دار السلطنة بالبشائر والمفاتيح صحبته وسافر فى صبح يوم الزينة على طريق البر وتعين خلافه ايضا للسفر بالبشائر الى البلاد الرومية والشامية والاساكل الاسلامية مثل بلاد الانضول والروملى وورودس وسلانيك وازمير وكريت وغيرها (وفى اواخره) وردت الاخبار المترادفة بوقوع الطاعون الكثير باسلامبول فاشار الحكماء على الباشا بعمل كورنتينه بالاسكندرية على قاعدة اصطلاح الافرنج ببلادهم فلا يدعون احدا من المسافرين الواردين فى المراكب من الديار الرومية يصعد الى البر الا بعد مضى اربعين يوما من وروده واذا مات بالمركب احد فى اثناء المدة استانفوا الاربعين (وفيه) وشى بعض اليهود على الحاج سالم الجواهرجى المباشر لايراد الى

الى المدينة فضج اليهم وتهددوه بالشكوى منه الى السلطان سنجر فقال لهم فاعطوا العرب مالا ليستكفي به شرهم فامتنعوا من ذلك فسار بهم الى الغرابي وهو منزل يخرج اليه من مضيق جبلين فوقفوا على فم مضيق وقاتلهم قايماز ومن معه فلما رأى عجزه أخذ لنفسه امانا وظفروا بالحجاج وغنموا اموالهم وجميع ما معهم وتفرق الناس في البر وهلك منهم خلق كثير لا يحصون كثرة ولم يسلم الا القليل فوصل بعضهم الى المدينة وتحملوا منها الى البلاد وأقام بعضهم مع العرب حتى توصل الى البلاد ثم ان الله تعالى اقتص للحاج من زعب فلم يزل الوافي في نقص وذلة ولقد رأيت شابا منهم بالمدينة سنة ست وسبعين وخمسمائة وجرى بيني وبينه مفاوضة قلت له فيها انني والله كنت اميل اليك حتى سمعت انك من زعب فنفرت وخفت شرك فقال لم فقلت بسبب أخذكم الحاج فقال لي انا لم ادرك ذلك الوقت وكيف رأيت الله صنع بنا والله ما افلحنا ولا نجحنا قل العدد وطمع العدو فينا

(ذكر فتح حصن فاميا)

في هذه السنة فتح نور الدين محمود بن الشهيد زنكي حصن فاميا من الفرنج وهو مجاور شيزر وحماة على تل عال من أحصن القلاع وأمنعها فسار نور الدين اليه وحصره وبه الفرنج وقاتلهم وضيق على من بها منهم فاجتمع من بالشام من الفرنج وساروا نحوه ليرحلوه عنهم فلم يصلوا الا وقد ملكه وملأه ذخائر وسلاحا ورجالا وجميع ما يحتاج اليه فلما بلغه مسير الفرنج اليه رحل عنه وقد فرغ من امر الحصن وسار اليهم يطلبهم فحين رأوا ان الحصن قد ملك وقوة عزم نور الدين على لقائهم عدلوا عن طريقه ودخلوا بلادهم وراسلوه في المهادنة وعاد سالما مظفرا ومدحه الشعراء وذكروا هذا الفتح فمن ذلك قول ابن الرومي من قصيدة أولها

اسنى الممالك ما أطلت منارها * وجعلت مرهفة الدسار دسارها
واحق من ملك البلاد واهلها * رؤف تكنف عدله اقطارها

ومنها في وصف الحصن

ادركت ثارك في البغاة وكنت يا * مختار امة أحمد مختارها
ضاهت نجومك فوقها ولطالما * باتت تنافثها النجوم شرارها
عاريه الزمن المعير معالما * منك المغيرة فاسترد معارها
امست مع الشعرى العبور واصبحت * شعراء تستقل الفحول شوارها

وهي طويلة

(ذكر حصر الفرنج قرطبة ورحيلهم عنها)

في هذه السنة سار السليطين وهو الادفونش وهو صاحب طليطلة واعمالها وهو من ملوك الجلالقة نوع من الفرنج في اربعين الف فارس الى مدينة قرطبة فحصرها وهي في ضعف وغلاء فبلغ الخبر الى عبد المؤمن وهو بمراكش فجهز عسكرا كثيرا وجهز

الذهب والفضة الى الضربخانه وانعزل منها كما ذكر في وسط السنة وذلك عند ٦٧ وورود الرجل النصراني الدرزي الشامي بانه كان في أيام مباشرته للايراد يضرب لنفسه دنانير خارجة عن حساب الميري خاصة به فامر الباشا باثبات ذلك وتحقيقه فحصل كلام كثير والحاج سالم يجحد ذلك وينكره فقال له أيوب تابعك الذي كان ينزل آخر النهار بالخرج على حماره في كل يوم بحجة الانصاف الحديدية التي يفرقها على الصيارف بالمدينة وأكثر ما في الخرج خاص بك فاحضروا أيوب المذكور وطلبوه الشهادة فقال لا اشهد ولا أعلم ولم يحصل هذا مطلقا ولا يجوز لي ولا يخلصني من الله ان أتهم الرجل بالباطل فقال اليهودي هذا رفيقه وصاحبه وخادمه ولا يمكنه انه يخبر ويقر الا اذا خوف وعوقب واذا ثبت قولي فانه يطلع عليه ستة آلاف كيس فلما سمع الباشا قول اليهودي ستة آلاف كيس أمر بحبس الحاج سالم ثم أحضروا أخوته والحاج أيوب وسجنوهم وضربوهم والباشا يطالب بستة آلاف كيس كما قال اليهودي واستمروا على ذلك أياما وذلك الحبس عند قراعلي بجوار بيت الحريم بالازبكية وسبب خصومة شمعون اليهودي مع الحاج سالم انهم احتجوا على اليهودي باشياء وقرروا عليه غرامة أيضا فطلب من الحاج سالم المساعدة وقال له ساعدني كما ساعدتك في غرامتك فقال الحاج سالم انك لم تساعدني بمال من عندك بل هو من حسابي

مقدمهم اباز كريا يحيى بن برموز ونفذهم الى قرطبة فلما قربوا منها فلم يقصدوا ان يلقوا عسكر السليطين فى الوطاء وارادوا الاجتماع باهل قرطبة ليمنعوها لخطر العاقبة بعد القتال فسلكوا الجبال الوعرة والمضايق المتشعبة فساروا نحو خمسة وعشرين يوما فى الوعر فى مسافة اربعة أيام فى السهل فوصلوا الى الجبل المطل على قرطبة فلما رآهم السليطين وتحقق أمرهم رحل عن قرطبة وكان فيها القائد أبو الغمر السائب من ولد القائد بن غلبون وهو من ابطال اهل الاندلس وامرائها فلما رحل الفرنج خرج منها لوقته وصعد الى ابن برموز وقال له انزلوا عاجلا وادخلوا البلد ففعلوا وباتوا فيها فلما أصبحوا من الغد رأوا عسكر السليطين على رأس الجبل الذى كان فيه عسكر عبد المؤمن فقال لهم أبو الغمر هذا الذى خفته عليكم لانى علمت ان السليطين ما اقام الا طالبا لكم فان من الموضع الذى كان فيه طريق سهلة ولو لحقكم هنالك نال مراده منكم ومن قرطبة فلما رأى السليطين انهم قد فاتوه علم انه لم يبق له طمع فى قرطبة فرحل عائدا الى بلاده وكان حصره لقرطبة ثلاثة اشهر والله اعلم

(ذكر ملك الغورية هراة)

فى هذه السنة سار ملك الغور الحسن بن الحسين من بلاد الغور الى هراة فحصرها وكان اهلها قد كاتبوه وطلبوا أن يسلموها اليه هربا من ملك الاتراك لهم وزوال هيبة السلطنة عنهم فامتنع اهل هراة عليه ثلاثة ايام ثم خرجوا اليه وسلموا البلد واطاعوه فاحسن اليهم وافاض عليهم النعم وغمرهم بالعدل واظهر طاعة السلطان سنجر والقيام على الوفاء له والانقياد اليه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة أمر علاء الدين محمود بن مسعود الغالب على اطرابلس بالمغرب بالحطبة ...

فى هذه السنة أمر علاء الدين محمد بن مسعود الغالب على اطرطر بثيث اقامة الخطبة للخليفة ولبس السواد ففعل الخطيب ذلك فسار به عمه واقاربه ومن وافقهم وقاتلوه وكسروا المنبر وقتلوا الخطيب وكان فعل علاء الدين هذا لان اباه كان مسلما فلما تغلب الاسماعيلية على طرطر بثيث اظهر موافقتهم وابطن اعتقاد الشريعة وكان يناظر على مذهب الشافعى وازدادة قدما بطر بثيث وجرت امورها بارادته فلما حضره الموت اوصى ان يغسله فقيه شافعى واوصى الى ابنه علاء الدين ان امكنه ان يعيد فيها اظهار شريعة الاسلام فعل فلما رأى من نفسه قوة فعله فلم يتم له وفيها كثر المرض بالعراق لاسيما ببغداد وكثر الموت أيضا فيها ففارقها السلطان مسعود وفيها توفى الامير على بن دبيس بن صدقة صاحب الحلة باسداباذ واتهم طبيبه محمد بن صالح بالمواطاة عليه فمات الطبيب بعده بقريب وفيها استوزر عبد المؤمن صاحب بلاد المغرب اباجعفر بن ابى أحمد الاندلسى وكان ماسورا عنده فوصف له بالعقل وجودة الكتابة فاخرجه من الحبس واستوزره وهو أول وزير كان للموحدين وفى هذه السنة فى المحرم جلس يوسف الدمشقى مدرسا فى النظامية ببغداد وكان جلوسه بغير امر الخليفة

معك فقال اليهودى ألست كنت اداري ٦٨ عليك فيما تفعله واتسع الكلام بينهما وحضرة الباشا واعوانه مترقبون لحادث يستخرجون به الاموال باى وجه كان ويتقولون ويوقعون بين هذا وهذا والناس اعداء لبعضهم البعض تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ثم ان السيد محمدا المحروقى خاطب الباشا فى شان الحاج سالم وحاف له ان الغرامة الاولى تأخر عليه منها ثلثمائة كيس استدانها من الاوربيين ودفعها وهى باقية عليه الى الآن ومطلوبة منه وذلك بعد ان باع أملاكه وحصة التزامه فاذا كان ولابد من تغريمه ثانيا فانا نمهل اصحاب الديون ونقوم بدفع الثلثمائة كيس المطلوبة للداينين وندفعها للخزينة فاجابه لذلك وأمر بالافراج عن الحاج سالم واخوته ومن معه فدفعوا القراء على المتولى سجنهم وعقوبتهم واتباعه سبعة أكياس (وفيه) اشتد الامر على اسمعيل افندى أمين عيار الضربخانه واولاده بالطلب من أرباب الحوالات مثل دالى باشاوخلافه وضيق العسكر المعينون عليهم منافسهم ولازموا دورهم ولم يجدوا شافعا ولادافعا ولا رافعا فباعوا أملاكهم وعقاراتهم وفراشهم ومصاغ حريمهم واوانيهم وملابسهم وكان الباشا أخذ من اسمعيل افندى المذكور دار التى بالقلعة عندما انتقل الى القلعة فامر باخلائها ففعل ونزل الى

فمنع يوم الجمعة من دخول الجامع فصلى فى جامع السلطان ومنع من التدريس فتقدم السلطان مسعود الى الشيخ أبى النجيب بان يدرس فيها فامتنع بغير امر الخليفة فاستخرج السلطان اذن الخليفة فى ذلك فدرس منتصف المحرم من السنة وفيها توفى أبو عبد الله محمد ابن على بن مهران الفقيه الشافعى تفقه على الهراسى وولى قضاء نصيبين ثم ترك القضاء وتزهد فاقام بجزيرة ابن عمر ثم انتقل الى جبل بيلد المحصن فى زاوية وكان له كرامات ظاهرة وفيها مات الحسن بن ذى النون بن أبى القاسم بن ابى الحسن الاسعردى ابو المفاخر النيسابورى سمع الحديث الكثير وكان فقيها اديبا دائم الاشتغال يعظ الناس وكان مما ينشد

ماتت الكرام وولوا وانقضوا ومضوا ۞ ومات من بعدهم تلك الكرامات
وخلفونى فى قوم ذوى سفه ۞ لو ابصروا طيف ضيف فى الكرى ماتوا

۞(ثم دخلت سنة ست واربعين وخمسمائة)۞

۞(ذكر انهزام نور الدين من جوسلين واسر جوسلين بعد ذلك)۞

فى هذه السنة جمع نور الدين محمود عسكره وسار الى بلاد جوسلين الفرنجى وهى شمال حلب منها تل باشر وعين تاب واعزاز وغيرها وعزم على محاصرتها واخذها وكان جوسلين لعنه الله فارس الفرنج غير مدافع قد جمع الشجاعة والراى فلما علم بذلك جمع الفرنج فاكثروسار نحو نور الدين فالتقوا واقتتلوا فانهزم المسلمون وقتل منهم واسر جمع كثير وكان فى جملة من أسر سلاحدار نور الدين فاخذه جوسلين ومعه سلاح نور الدين فسيره الى الملك مسعود بن قلج أرسلان صاحب قونية واقصرا وقال له هذا سلاح زوج ابنتك وسيأتيك بعده ما اعظم منه فلما علم نور الدين الحال عظم عليه ذلك وعمل الحيلة على جوسلين وهجر الراحة لياخذ بثاره واحضر جماعة من امراء التركمان وبذل لهم الرغائب ان هم ظفروا بجوسلين وسلموه اليه اما قتيلا أو اسيرا لانه علم انه متى قصده بنفسه احتمى بجموعه وحصونه فجعل التركمان عليه العيون فخرج متصيدا فلحقت به طائفة منهم وظفروا به فصانعهم على مال يؤديه اليهم فاجابوه الى اطلاقه اذا حضر المال فارسل فى احضاره فمضى بعضهم الى أبى بكر بن الداية نائب نور الدين بحلب فاعلمه الحال فسير عسكرا معه فكبسوا اولئك التركمان وجوسلين معهم فاخذوه اسيرا واحضروه عنده وكان أسره من أعظم الفتوح لانه كان شيطانا عاتيا شديدا على المسلمين قاسى القلب وأصيبت النصرانية كافة باسره ولما أسر سار نور الدين الى قلاعه فملكها وهى تل باشر وعين تاب واعزاز وتل خالد وقورس والراوندان وبرج الرصاص وحصن البارة وكفرسود وكفرلاثا ودلوك ومرعش ونهر الجوز وغير ذلك من أعماله فى مدة يسيرة نذكر تفصيلها وكان نور الدين كلما فتح منها حصنا نقل اليه من كل ما يحتاج اليه الحصون خوفا من نكبة تلحق المسلمين من الفرنج فتكون بلادهم غير محتاجة الى ما يمنعها من العدو ومدحه الشعراء فممن قال فيه القيسرانى من قصيدة فى ذكر جوسلين

دار تجارة الروم بالقرب من دار ابنه محمد افندى فاتخذ الباشا دار اسمعيل افندى دار الحريم واسكنهم بها لانها دار عظيمة جليلة عمرها المذكور وصرف عليها فى الايام الخالية أموالا جمة فلما استولى عليها الباشا اسكن بها حريمه وجواريه وسراريه ولما قرر عليه غرامته اسقط عنه منها عشرين كيسا لا غير وجعلها فى ثمن داره المذكورة وذلك لا يقوم بثمن رخامها فقط فلما اشتد الحال باسمعيل افندى اشار عليه بعض المتشفعين بان يكتب له عرضحال ويطلع به الى الباشا صحبة المعلم غالى كبير الاقباط المباشرين ففعل ودخل معه المعلم غالى الى الباشا فعندما رآه مقبلا صحبة المذكور اشار اليه بالرجوع ولم يدعه يتكلم فرجع بقهره ونزل الى داره فمرض وتوفى بعد أيام الى رحمة الله تعالى ومات قبله ولده حسن أفندى وبقى جميع الطلب على ولده محمد افندى فحصل له مشقة زائدة وباع اثاث بيته واوانيه وكتبه التى اقتناها وحصلها بالشراء والاستكتاب فباعها بابخس الاثمان على الصحافين وغيرهم وطال عليه الحال وانقضت مواعيد المداينين له فطالبوه وكربوه فتداين من غيرهم بالربا والزيادة وهكذا والله يحسن لنا وله العاقبة (وفيه) قدم الى الاسكندرية قليون من بلاد الانكليز فيه بضائع واشيا للباشا ومنها خمسون ألف كيس نقود اثمن غلال وخيول ياخذونها من مصر

كما أهدت الاقدار للقمص اسره * وأسعد قرن من حواه الاسر
طغى وبغى عدوا على غلوائه * فأوبقه الكفران عدوا والكفر
وامست عزاز كاسمها بك عزة * تشق على الفسرين لوانها وكر
فسم وامال الدنيا ضياء وبهجة * فبالافق الداجي الى ذا السنى فقر
كأنى بهذا العزم لافل حده * واقصاه بالاقصى وقد قضى الامر
وقد أصبح البيت المقدس طاهرا * وليس سوى جارى الدماء له طهر

(ذكر حصر غرناطة والمرية من بلاد الاندلس)

فى هذه السنة سير عبد المؤمن جيشا كثيفا نحو عشرين ألف فارس الى الاندلس مع أبى حفص عمر بن يحيى الهنتاتى وسير معهم نساءهم فسكن بهن مفردات عليهن البرانس السود ليس معهن غير الخدم ومتى قرب منهن رجل ضرب بالسياط فلما قطعوا الخليج ساروا الى غرناطة وبها جمع من المرابطين فحصروها وعسكروا وضيقوا عليها فجاء اليه احمد بن ملحان صاحب مدينة وادى آش واعمالها بجماعته ووحدوا وصاروا معه وأتاه ابراهيم بن همشك صهر ابن مردنيش صاحب جيان وأصحابه ووحدوا وصاروا أيضا معه فكثر جيشه وحرضوه على المسارعة الى ابن مردنيش ملك بلاد شرق الاندلس ليبغته بالحصار قبل أن يتجهز فلما سمع ابن مردنيش ذلك خاف على نفسه فارسل الى ملك برشلونة من بلاد الفرنج يخبره ويستنجده ويحثه على الوصول اليه فسار اليه الفرنجى فى عشرة آلاف فارس وسار عسكر عبد المؤمن فوصلوا الى حة بالقوارة وبينها وبين مرسية التى هى مقر ابن مردنيش مرحلة فسمعوا بوصول الفرنج فرجع وحصر مدينة المرية وهى للفرنج عدة شهور فاشتد الغلاء فى العسكر وعدمت الاقوات فرحلوا منها وعادوا الى اشبيلية فاقاموا بها

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى ربيع الآخر توفى العبادى الواعظ واسمه المظفر بن اردشير بخوزستان وكان الخليفة المقتفى لامر الله قد سيره فى رسالة الى الملك محمد ابن السلطان محمود ليصلح بينه وبين بدر الحواثرى فتوفى هناك وجلس ولده ببغداد للعزاء واقيم بحاجب من الديوان العزيز وكان ابنه يجلس ويعظ ويذكر والده ويبكى هو والناس كافة ونقل العبادى الى بغداد ودفن بالشونيزى ومولده سنة احدى وتسعين واربعمائة وسمع الحديث من ابى بكر السروى وزاهر الشحامى وغيرهما وفيها انفجر بثق النهروان الذى اتهم بهروز بكثرة الزيادة فى تامرا واهمال أمرها حتى عظم ذلك وتضرر به الناس وفيها سار الامير فرخ فى طائفة من عسكر السلطان سنجر الى طريثيث بخراسان وأغار على بلاد الاسماعيلية فنهب وسبى وخرب وأحرق المساكن وفعل بهم افاعيل عظيمة وعاد سالما

(ثم دخلت سنة سبع واربعين وخمسمائة)

غرضهم ومطلوبهم فى القياس والقيافة أخذوه ولو بافلى ثمن والا تركوه (وفيه) ايضا ارسل الباشا لجميع كشاف الوجه القبلى بحجز جميع الغلال والحجر عليها بالطرقة فلا يدعون احدا يبيع ولا يشترى شيئا منها ولا يسافر بشئ منها فى مركب مطلقا ثم طلبوا ما عند اهل البلاد من الغلال حتى ما هو مدخر فى دورهم للقوت فاخذوه ايضا ثم زادوا فى الامر حتى صاروا يكبسون الدور ويأخذون ما يجدون من الغلال قل او كثر ولا يدفعون له ثمنا بل يقولون لهم نحسب لكم ثمنه من مال السنة القابلة ويشحنون بذلك جميع مراكب الباشا التى استعدها وأعدها لنقل الغلال ثم يسيرون بها الى بحرى فتنقل الى مراكب الافرنج بحساب مائة قرش عن كل اردب وانقضت السنة ولم تنقض حوادثها بل استمر ما حدث بها كالتى قبلها وزيادة (فمنها) ما احاط به علمنا وذكرنا بعضه ومنها مالم يحط به علمنا واحاط ونسيناه بحدوث غيره قبل التثبت ومنها ان الباشا عمل ترسخانه عظيمه بساحل بولاق واتخذ عدة مراكب بالاسكندرية مخصوص جلب الاخشاب المتنوعة وكذلك الحطب الرومى

(ذكر ملك عبد المؤمن بجاية وملك بني حماد)

في هذه السنة سار عبد المؤمن بن علي الى بجاية وملكها وملك جميع ممالك بني حماد وكان لما أراد قصدها سار من مراكش الى سبتة سنة ست وأربعين فأقام بها مدة يعمل الاسطول ويجمع العساكر القريبة منه وأما ما هو على طريقه الى بجاية من البلاد فكتب اليهم ليتجهزوا ويكونوا على الحركة أي وقت طلبهم والناس يظنون انه يريد العبور الى الاندلس فأرسل في قطع السابلة عن بلاد شرق المغرب برا وبحرا وسار من سبتة في صفر سنة سبع وأربعين فأسرع السير وطوى المراحل والعساكر تلقاه في طريقه فلم يشعر اهل بجاية الا وهو في اعمالها وكان ملكها يحيى بن العزيز بن حماد آخر ملوك بني حماد وكان مولعا بالصيد واللهو لا ينظر في شيء من أمور مملكته قد حكم فيها بنو حمدون فلما اتصل الخبر بميمون بن حمدون جمع العسكر وسار عن بجاية نحو عبد المؤمن فلقيهم مقدمته وهي تزيد على عشرين ألف فارس فانهزم اهل بجاية من غير قتال ودخلت مقدمة عبد المؤمن بجاية قبل وصول عبد المؤمن بيومين وتفرق جميع عسكر يحيى بن العزيز وهربوا برا وبحرا وتحصن يحيى بقلعة قسطنطينية الهواء وهرب اخواه الحرث وعبد الله الى صقلية ودخل عبد المؤمن بجاية وملك جميع بلاد ابن العزيز بغير قتال ثم ان يحيى نزل الى عبد المؤمن بالامان فامنه وكان يحيى قد فرح لما أخذت بلاد افريقية من الحسن بن علي فرحا ظهر عليه فكان يذمه ويذكر معايبه فلم تطل المدة حتى أخذت بلاده ووصل الحسن بن علي الى عبد المؤمن في جزائر بني مزغنان وقد ذكرنا سنة ثلاث وأربعين سبب مصيره اليها واجتمعا عنده فارسل عبد المؤمن يحيى ابن العزيز الى بلاد المغرب وأقام بها وأجرى عليه شيئا كثيرا وأما الحسن بن علي فانه احسن اليه وألزمه صحبته وأعلى مرتبته فلزمه الى ان فتح عبد المؤمن المهدية فجعله فيها وأمر واليها ان يقتدي برأيه ويرجع الى قوله ولما فتح عبد المؤمن بجاية لم يتعرض الى مال أهلها ولا غيره وسبب ذلك ان بني حمدون استامنوا فوفى لهم بامانه

(ذكر ظفر عبد المؤمن بصنهاجة)

لما ملك عبد المؤمن بجاية تجمعت صنهاجة في أمم لا يحصيها الا الله تعالى وتقدم عليهم رجل اسمه ابو قصبة واجتمع معهم من كتامة ولواتة وغيرها خلق كثير وقصدوا حرب عبد المؤمن فارسل اليهم جيشا كثيرا ومقدمهم ابو سعيد يخلف وهو من الخمسين فالتقوا في عرض الجبل شرقي بجاية فانهزم ابو قصبة وقتل اكثر من معه ونهبت اموالهم وسبيت نساؤهم وذراريهم ولما فرغوا من صنهاجة ساروا الى قلعة بني حماد وهي من احصن القلاع واعلاها لا ترام على رأس جبل شاهق لا يكاد الطرف يحققها لعلوها ولكن القدر اذا جاء لا يمنع منه معقل ولا جيوش فلما رأى اهلها عساكر الموحدين هربوا منها في رؤس الجبال وملكت القلعة واخذ جميع ما فيها من مال وغيره وحمل الى عبد المؤمن فقسمه بين اصحابه

ايضا ويأتي الى ديوان الكمرك ببولاق فيؤخذ كمركه أي مكسه وهو راجع اليه ايضا الى ان استقر سعر القنطار الواحد من الحطب بثلثمائة وخمسة عشر نصف فضة واجرة حمله من بولاق الى مصر ثلاثة عشر نصف فضة واجرة تكسيره مثل ذلك فيكون مجموع ذلك ثلثمائة واربعين نصف فضة القنطار وقد اشتريناه قبل استيلاء هذه الدولة بثلاثين نصفا واجرة حمله في المركب عشرة انصاف واجرته من بولاق الى مصر ثلاثة انصاف وتكسيره كذلك فيكون مجموع ذلك ستة واربعين نصفا وكذلك فعل في انواع الاخشاب الكرستة والحديد والرصاص والقصدير وجميع المجلوبات واستمر ينشئ في المراكب الكبار والصغار التي تسرح في النيل من قبلي الى بحري ومن بحري الى قبلي ولا يبطل الانشاء والاعمال والعمل على الدوام وكل ذلك على ذمته ومرمتها وعمارتها ولوازمها وملاحوها باجرتهم على طرفه لا بالضمان كما كان في السابق ولهم قومة ومباشرون متقيدون بذلك الليل والنهار (ومنها) وهي من الحوادث الغريبة التي لم يتفق في هذه الاعصار مثلها ان في اواخر ربيع الآخر احترق بحر النيل وجف بحر بولاق وكثرت فيه الرمال وعلت فوق بعضها حتى صارت مثل التلول وانحسر الماء حتى كان الناس يمشون الى قريب انبابة بعدما كانت

(ذكر وفاة السلطان مسعود وملك ملكشاه محمد بن محمود)

في هذه السنة أول رجب توفي السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه بهمذان وكان مرضه حمى حادة نحو اسبوع وكان مولده سنة اثنتين وخمسمائة في ذي القعدة ومات معه سعادة البيت السلجوقي فلم يقم له بعده راية يعتد بها ولا يلتفت اليها

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

وكان رحمه الله حسن الاخلاق كثير المزاح والانبساط مع الناس فمن ذلك ان اتابك زنكي صاحب الموصل ارسل اليه القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري في رسالة فوصل اليه وأقام معه في العسكر فوقف يوما على خيمة الوزير حتى قارب اذان المغرب فعاد الى خيمته فاذن المغرب وهو في الطريق فرأى انسانا فقيها في خيمة فنزل اليه فصلى معه المغرب ثم ساله كمال الدين من اين هو فقال انا قاضي مدينة كذا فقال له كمال الدين القضاة ثلاثة قاضيان في النار وهو انا وانت وقاض في الجنة وهو من لم يعرف ابواب هؤلاء الظلمة ولا يراهم فلما كان الغد ارسل السلطان واحضر كمال الدين اليه فلما دخل عليه ورآه ضحك وقال القضاة ثلاثة فقال كمال الدين نعم يا مولانا فقال والله صدقت ما اسعد من لا يرانا ولا نراه ثم امر ان تقضى حاجته واعاده من يومه وكان كريما عفيفا عن الاموال التي للرعايا حسن السيرة فيهم من اصلح السلاطين سيرة والينهم عريكة سهل الاخلاق لطيفا فمن ذلك انه اجتاز يوما في بعض اطراف بغداد فسمع امرأة تقول لاخرى انظري الى السلطان فوقف وقال حتى تجيء هذه الست تنظر الينا وله فضائل كثيرة ومناقب جمة وكان عهد الى ملكشاه ابن اخيه السلطان محمود فلما توفي خطب له الامير خاص بك ورتب الامور وقررها بين يديه واذعن له جميع العسكر بالطاعة ولما وصل الخبر الى بغداد بموت السلطان مسعود هرب الشحنة بها وهو مسعود بلال الى تكريت واستظهر الخليفة المقتفي لامر الله على دار مسعود ودور اصحاب السلطان ببغداد واخذ كل ما لهم فيها وكل من كان عنده وديعة لاحد منهم احضرها بالديوان وجمع الخليفة الرجال والعساكر واكثر التجنيد وتقدم باراقة الخمور من اماكن اصحاب السلطان ووجد في دار مسعود بلال شحنة بغداد كثير من الخمر فاريق ولم يكن الناس يظنون انه يشرب الخمر لانه حج وقبض على المؤيد الالوسي الشاعر وعلى الحيص بيص الشاعر ثم اطلق الحيص بيص واعيد عليه ما اخذ منه ثم ان السلطان ملكشاه سير سلاركرد في عسكر الى الحلة فدخلها فسار اليه مسعود بلال شحنة بغداد واظهر له الاتفاق معه فلما اجتمعا قبض عليه مسعود بلال وغرقه واستبد بالحلة فلما علم الخليفة ذلك جهز العساكر اليه مع عون الدين بن هبيرة فسار اليه فلما قاربوا الحلة عبر مسعود بلال الفرات اليهم وقاتلهم فانهزم من عسكر الخليفة ونادى اهل الحلة بشعار الخليفة فلم يدخلها وعمت الهزيمة عليه وعلى اصحابه فعاد الى تكريت وملك عسكر الخليفة الحلة وسير الوزير عسكرا الى الكوفة وعسكرا الى واسط فملكوهما ثم ان عساكر

السلطان

وكذلك بحر مصر القديمة بقي مخاضا وفقدت أهل القاهرة الماء الحلو واشتد بالناس العطش بسبب ذلك وبسبب تحجير السقائين ونادى الآغا والوالي على أن يكون حمل القربة الكبيرة باثني عشر نصف فضة واستهل شهر بشنس القبطي فزاد النيل في أوله في ليلة واحدة نحو ذراع ثم كان يزيد في كل يوم وليلة مثل دفعات أواخر أبيب ومسرى وجرى بحر بولاق ومصر القديمة وغطى الرمال وسارت فيه المراكب الكبار منحدرة ومقلعة وغرقت المقاثي مثل البطيخ والخيار والعبد اللاوي وما كان مزروعا بالسواحل وهو شيء كثير جدا واستمرت الزيادة نحو عشرين يوما حتى تغير وابيض وكاد يحمر وداخل الناس من ذلك وهم عظيم من هذه الزيادة التي في غير وقتها حتى اعتقدوا انه وفى أذرع الوفاء قبل نزول النقطة ولم يعهد مثل ذلك وكان ذلك رحمة من الله بعبيده الفقراء العطاش ثم اني طالعت في تاريخ الحافظ المقريزي المسمى بالسلوك في دول الملوك فذكر مثل هذه النادرة في سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ولما ترادفت هذه الزيادات خرج الوالي الى قنطرة السد وجمع الفعلة للعمل في سد فم الخليج ونادى على ترح الخليج وتنظيفه وكسح اوساخه وقطع ارضه ثم وقفت الزيادة

السلطان وصلت الى واسط ففارقها عسكر الخليفة فلما سمع الخليفة ذلك تجهز بنفسه وسار عن بغداد الى واسط ففارقها العسكر السلطاني وملكها الخليفة وسار منها الى الحلة ثم عاد الى بغداد فوصلها تاسع عشر ذي القعدة وكانت غيبته خمسة وعشرين يوما ثم ان خاص بك بن بلنكرى قبض على الملك ملكشاه الذي خطب له بالسلطنة بعد مسعود وارسل الى اخيه الملك محمد سنة ثمان واربعين وهو بخوزستان يستدعيه وكان قصده أن يحضر عنده فيقبضه ويخطب لنفسه بالسلطنة فسار الملك محمد اليه فلما وصل اجلسه على تخت السلطنة اوائل صفر وخطب له بالسلطنة وخدمه وبالغ في خدمته وحمل له هدايا عظيمة جليلة المقدار ثم انه دخل الى الملك محمد ثاني يوم وصوله فقتله محمد وقتل معه زنكى الجاندار والقى برأسهما فتفرق اصحابهما ولم ينتطح فيهما عنزان وكان ايدغدى التركماني المعروف بشملة مع خاص بك فنهاه عن الدخول الى الملك محمد فلم ينته فقتل ونجا شملة فنهب جشير الملك محمد ومضى طالبا خوزستان واخذ محمد من موال خاص بك شيئا كثيرا واستقر محمد في السلطنة وتمكن وبقي خاص بك ملقى حتى اكلته الكلاب وكان صبيا تركمانيا اتصل بالسلطان مسعود فتقدم على سائر الامراء ثم كان هذا خاتمة امره

(ذكر الحرب بين نور الدين محمود وبين الفرنج)

في هذه السنة تجمعت الفرنج وحشدت الفارس والراجل وساروا نحو نور الدين وهو ببلاد جوسلين ليمنعوه عن ملكها فوصلوا اليه وهو بدلوك فلما قربوا منه رجع اليهم ولقيهم وجرى المصاف بينهم عند دلوك واقتتلوا اشد قتال رآه الناس وصبر الفريقان ثم انهزم الفرنج وقتل منهم واسر كثير وعاد نور الدين الى دلوك فملكها واستولى عليها ومما قيل في ذلك

اعدت بعصرك هذا الانيق * فتوح النبي وأعصارها
فواطات ياحبذا أحديها * واسمرت من بدرا بدارها
وكان مهاجرها تابعيك * وانصار رأيك انصارها
فجددت اسلام سلمانها * وعمر جدك عمارها
ومايوم انب الاكذا * لذيل طال بالنوع اشبارها
صدمت عزيمتها صدمة * أذابت مع الماء احجارها
وفي تل باشر باشرتهم * بزحف تسور اسوارها
وان دالكتهم دلوك فقد * شددت فصدقت اخبارها

(ذكر الحرب بين سنجر والغورية)

في هذه السنة كان بين السلطان سنجر وبين الغورية حرب وكانت دولتهم أول ما قد ظهرت واول من ملك منهم رجل اسمه الحسين بن الحسن ملك جبال الغور ومدينة

يل نقص قليلا وزاد في اوان الزيادة على العادة واوفى أذرعه في ايامه المعتادة فسبحان الفعال (ومنها) شحة الغلال وخلو السواحل منها فلا يجد الناس الاما بقي بايدي فلاحي الجهات البحرية القريبة فيحملونه على الحمير الى العرصات والرقع ويبيعونه على الناس كل أردب باربعة وعشرين قرشا خلاف المكس والكلف واستقر مكس الاردب الواحد اربعة وثلاثين نصف فضة واجرته اذا كان من طريق البحر من المنوفية أونحوها مائة نصف واقل واكثر وأجرته من بولاق الى مصر خمسة وعشرون نصفا (ومنها) انه لما انتظم له ملك بلاد الصعيد ولم يبق له فيه منازع وقلد امارته لابنه ابراهيم باشا ورسم بان يضبط جميع أطيان بلاد الصعيد حتى الرزق الاحباسية المرصدة على المساجد والخيرات الكائنة بمصر وغيرها واوقاف سلاطين مصر المتقدمين وخيراتهم ومساجدهم ومكاتبهم وصهاريجهم ووظائف المدرسين والمقرئين وغير ذلك ففعل ذلك وراك الاراضي باسرها وشاع انه جعل على كل فدان من اراضي الرزق والاوقاف ثلاثة ريالات لاغير وعلى باقي فدادين الاطيان ثمانية ريالات خلاف التبارى وهو مزاوع الذرة فجعل على كل عود من عيدان القطوة

فيروز كوه وهي تقارب اعمال غزنة وقوى أمره وتلقب بعلاء الدين وتعرض الى اعمال ثم جمع جيشا وقصد هراة فحاصرها فانهب عسكره باب واوبة ومار باد من هراة الروذ وسار الى بلخ وحصرها فقاتله الاميرقاج ومعه جمع من الغز فغدروا به وصاروا مع الغوري فملك بلخ فلما سمع السلطان سنجر بذلك سار اليه ليمنعه فثبت له علاء الدين واقتتلوا فانهزم الغورية واسر علاء الدين وقتل من الغورية خلق كثير لاسيما الرجالة واحضر السلطان سنجر علاء الدين بين يديه وقال له يا حسين لو ظفرت بي ما كنت تفعل فاخرج له قيد فضة وقال كنت اقيدك بهذا واحملك الى فيروز كوه فخلع عليه سنجر ورده الى فيروز كوه فبقى بها مدة ثم انه قصد غزنة وملكها حينئذ بهرام شاه بن مسعود بن محمود بن سبكتكين فلم يثبت بها بين يدى علاء الدين بل فارقها الى مدينة كرمان وهي مدينة بين غزنة والهند وسكانها قوم يقال لهم ابغان وليست هذه بالولاية المعروفة بكرمان فلما فارق بهرام شاه غزنة ملكها علاء الدين الغوري واحسن السيرة في اهلها واستعمل عليهم اخاه سيف الدين واجلسه على تخت المملكة وخطب لنفسه ولاخيه سيف الدين بعده ثم عاد علاء الدين الى بلد الغور وامر اخاه ان يخلع على اعيان البلد خلعا نفيسة ويصلهم بصلات سنية ففعل ذلك واحسن اليهم فلما جاء الشتاء ووقع الثلج وعلم اهل غزنة ان الطريق قد انقطع اليهم فكاتبوا بهرام شاه الذى كان صاحبها واستدعوه اليهم فسار نحوهم في عسكره فلما قارب البلد ثار اهله على سيف الدين فاخذوه بغير قتال وكان العلويون هم الذين تولوا اسره وانهزم الذين كانوا معه فمنهم من نجا ومنهم من اخذ ثم انهم سودوا وجه سيف الدين واركبوه بقرة واطافوا به البلد ثم صلبوه وقالوا فيه اشعارا يهجونه وغنوا بها حتى النساء فلما بلغ الخبر الى اخيه علاء الدين الحسين قال شعرا معناه ان لم اقلع غزنة في مرة واحدة فلست الحسين ابن الحسين ثم توفي بهرام شاه وملك بعده ابنه خسرو شاه وتجهز علاء الدين الحسين وسار الى غزنة سنة خمسين وخمسمائة فلما بلغ الخبر الى خسرو شاه سار عنها الى لهاوور وملكها علاء الدين ونهبها ثلاثة ايام واخذ العلويين الذين اسروا اخاه فالقاهم من رؤس الجبال وخرب المحلة التي صلب فيها واخذ النساء اللواتي قيل عنهن انهن كن يغنين بهجاء اخيه والغورية فادخلهن حماما ومنعهن من الخروج حتى متن فيه واقام بغزنة حتى اصلحها ثم عاد الى فيروز كوه ونقل معه من اهل غزنة خلقا كثيرا وحملهم المخالي مملوءة ترابا فبنى به قلعة في فيروز كوه وهي موجودة الى الآن وتلقب بالسلطان المعظم وحمل الجتر على عادة السلاطين السلجوقية وقد تقدم سنة ثلاث واربعين وخمسمائة من اخبارهم وفيه مخالفة لهذا في بعض الامر وكلا سمعناه ورأيناه في مصنفاتهم فلهذا ذكرنا الامرين واقام الحسين على ذلك مدة واستعمل ابنى اخيه وهما غياث الدين وشهاب الدين

(ذكر ملك غياث الدين وشهاب الدين الغوريين)

ليعتنوا بالات فرضي أصحاب الرزق والاطيان بهذا التنظيم وظنوا استمراره فان الكثير من المرتزقة ما كان يحصل له من مزارعي رزقته مقدار ما يحصل له على هذا الحساب (ومنها) انه رسم له بالحجر على جميع حصص الالتزام فلم يبق لاربابها شيئا الا ما ندر وهو شيء قليل جدا واحتج في ذلك باستيلاء الامراء المصريين عليها عندما خرجوا من مصر واقاموا بالبلاد القبلية فوضعوا أيديهم على ذلك وانه حاربهم وطردهم وقتلهم وورث ما كان بايديهم بحق اوباطل وسموه المضبوط واما ما كان بايدي اربابه ايام استيلاء المصريين وهم الملتزمون القاطنون بالبلاد القبلية او بمصر ممن يراعي جانبه فانه اذا عرض حاله وطلب اذنا في التصرف واخبر بانه كان مفروجا عنه أيام استيلاء المصريين واثبت ذلك بالكشف من الروزنامه وغيرها فاما ان يؤذن له في التصرف أو يقال له نعوضك بدلها من البلاد المصرية ويسوف وتتمادى الايام أو يحيل ذلك على ابنه ابراهيم باشا ويقول أنا لا علاقة لي في البلاد القبلية والامر فيها لابراهيم باشا واذا ذهب لابراهيم باشا يقول له أنا أعطيك الفائظ فان رضي أعطاه شيئا نزرا ووعده بالاعطاء وان لم يرض قال له هات لي اذنا من افندينا وكل منهما امام مرتحل أو مسافر أو أحدهما حاضر

لما قوي امر عمهما علاء الدين الحسين بن الحسين استعمل العمال والامراء على البلاد وكان ابنا أخيه وهما غياث الدين ابو الفتح محمد بن سام وشهاب الدين ابو المظفر محمد بن سام فيمن استعمل على بلد من بلاد الغور اسمه سنجة وكان غياث الدين يلقب حينئذ شمس الدين ويلقب الآخر شهاب الدين فلما استعملهما احسنا السيرة في عملهما وعدلا وبذلا الاموال فمال الناس اليهما وانتشر ذكرهما فسعى بهما من يحسدهما الى عمهما علاء الدين وقال انهما يريدان الوثوب بك وقتلك والاستيلاء على الملك فارسل عمهما يستدعيهما اليه فامتنعا وكانا قد علما الخبر فلما امتنعا جهز اليهما عسكرا مع قائد يسمى خروش الغوري فلما التقوا انهزم خروش ومن معه وأسر هو وابقيا عليه واحسنا اليه وخلعا عليه واظهرا عصيان عمهما وقطعا خطبته فتوجه اليهما علاء الدين وسارا هما ايضا اليه فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم علاء الدين واخذ اسيرا وانهزم عسكره فنادى فيهم ابنا اخيه بالامان فاحضرا عمهما واجلساه على التخت ووقفا في خدمته فبكى علاء الدين وقال هذان صبيان قد فعلا ما لو قدرت عليه منهما لم افعله واحضر القاضي في الحال وزوج غياث الدين بابنته وجعله ولي عهده وبقي كذلك الى ان مات فلما توفي ملك غياث الدين بعده وخطب لنفسه في الغور وغزنة بالملك وبقي كذلك الى ان ملك الغز غزنة بعد موت علاء الدين طمعوا فيها بموته وبقيت بايديهم خمس عشرة سنة يصبون على اهلها العذاب ويتابعون الظلم كعادتهم في كل بلدة ملكوها ولولا انهم لما ملكوا احسنوا السيرة في الرعايا اول ملكهم لم يزل الغز بغزنة هذه المدة وغياث الدين يقوى أمره ويحسن السيرة والناس يميلون اليه ويقصدونه محبة له

(ذكر ملك غياث الدين غزنة وما جاورها من البلاد)

لما قوي امر غياث الدين جهز جيشا كثيفا مع أخيه شهاب الدين الى غزنة فيه أصناف الغورية والخلج والخراسانية فساروا الى غزنة فلقيهم الغز وقاتلوهم فانهزم الغورية وثبت شهاب الدين فيمن ثبت معه على صاحب علمهم فقتله واخذ العلم وتركه على حاله فتراجع الغز ولم يكونوا علموا بما كان من شهاب الدين فلما وصلوا الى علمهم فكلما جاء اليه طائفة قتلهم فاتى على اكثرهم ودخل غزنة وتسلمها واحسن السيرة في اهلها وأفاض العدل وسار من غزنة الى كرمان وشنوران فملكهما ثم تعدى الى ماء السند وعمل على العبور الى بلد الهند وقصد لهاوور وبها يومئذ خسرو شاه بن بهرام شاه المقدم ذكر والده فلما سمع خسرو شاه بذلك سار فيمن معه الى ماء السند فمنعه من العبور فرجع عنه وقصد فرشابور فملكها وما يليها من جبال الهند واعمال الافغان والله أعلم

(ذكر ملك شهاب الدين لهاوور)

لما ملك شهاب الدين جبال الهند قوي امره وجنانه وعظمت هيبته في قلوب الناس واحبوه لحسن سيرته فلما خرج الشتاء واقبل الربيع من سنة تسع وسبعين وخمسمائة سار نحو لهاوور في جمع عظيم وحشد كثير من خراسان والغور وغيرهم فعبر الى لهاوور

والآخر غائب فيصير صاحب الحاجة كالجملة المعترضة بين الشارط والمشروط وأمثال ذلك كثير (ومنها) الاستيلاء على جميع مزارع الارز بالبحر الغربي والشرقي ورتب لهم مباشرين وكتابا يصرفون عليهم من الكلاف والتقاوي والبهائم ويؤخذ ذلك جميعه من حساب الفرض التي قررها على النواحي وعند استغلال الارز يرفعونها بايديهم ويسعرونها بما يريدونه ويستوفون المصاريف ومعاليم القومة والمباشرين المعين لهم وان فضل بعد ذلك شيء اعطوه للمزارع أو اخذوه منه واعطوه ورقة يحاسب بها في المستقبل وفرض على كل دائرة من دوائر الارز خمسة أكياس في كل سنة خلاف المقرر القديم وعلى كل عود ثلاثة أكياس فاذا كان وقت الحصاد وزنوه شعيرا على أصحاب الدوائر والمناشر حتى اذا اصلح وابيض حسبوا كلفه من أصل المقرر عليهم فان زاد لهم شيء اعطوهم به ورقة وحاسبوا بها من قابل وابطل تعامل المزارعين مع التجار الذين كانوا معتادين بالصرف عليهم واستقر الحال الى ان صار جميعه أصلا وفرعا لديوان الباشا ويباع الموجود على ذمته لاهل الاقاليم المتسببين وغيرهم وهو عن كل اردب مائة قرش بل وزيادة وللافرنج وبلاد الروم والشام بما لا ادري (ومنها) انه حصل بين عبد الله اغا بكتاش الترجمان وبين النصراني الدرزي منافسة وهو الذي حضر

وحصرها وارسل الى صاحبها خسروشاه والى اهلها يتهددهم ان منعوه واعلمهم انه لا يزول حتى يملك البلد وبذل لخسروشاه الامان على نفسه واهله وماله ومن الاقطاع ما اراد وان يزوج ابنته بابن خسروشاه على ان يطا بساطه ويخطب لاخيه فامتنع عليه وأقام شهاب الدين محاصرا له مضيقا عليه فلما رأى أهل البلد والعسكر ضعفت نياتهم فى نصرة صاحبهم فخذلوه فارسل لما رأى ذلك قاضى البلد والخطيب يطلبون له الامان فاجابه شهاب الدين الى ذلك وحلف له وخرج اليه ودخل الغورية الى المدينة وبقى كذلك شهرين مكرما عند شهاب الدين فورد رسول من غياث الدين الى شهاب الدين يامره بانفاذ خسروشاه اليه

(ذكر انقراض دولة سبكتكين)

لما انفذ غياث الدين الى اخيه شهاب الدين يطلب انفاذ خسروشاه اليه امره شهاب الدين بالتجهز والمسير فقال انا لا اعرف اخاك ولا لى حديث الا معك ولا يمين الا فى عنقك فمناه وطيب قلبه وجهزه وسيره مع ولده واصحبهما جيشا يحفظونهما فسارا كارهين فلما بلغا فرشابور خرج اهلها اليهما يبكون ويدعون لهما فزجرهم الموكلون بهما وقالوا سلطان يزور سلطانا آخر لاى شئ تبكون وضربوهم فعادوا وخرج ولد خطيبها الى خسروشاه متوجعا له قال فلما دخلت عليه اعلمته رسالة أبى وقلت انه قد اعتزل الخطابة ولا حاجة بى الى خدمة غيركم فقال لى سلم عليه واعطانى فرجية وقطا ومصلى من عمل الصوفية وقال هذه تذكرة بيك عند ابى فسلمها اليه وقل له درمع الدهر كيفما دار وانشد بلسان فصيح

ولس كعهد الدار يا ام مالك ● ولكن احاطت بالرقاب السلاسل

قال فانصرفت الى ابى وعرفته الحال فبكى وقال قد ايقن الرجل بالهلاك ثم رحلوا فلما بلغوا بلد الغور لم يجتمع بهما غياث الدين بل امر بهما فرفعا الى بعض القلاع فكان آخر العهد بهما وهو آخر ملوك آل سبكتكين وكان ابتداء دولتهم سنة ست وستين وثلثمائة فتكون مدة ولايتهم مائتى سنة وثلاث عشرة سنة تقريبا وكان ملوكهم من أحسن الملوك سيرة ولا سيما جدهم محمود فان آثاره فى الجهاد معروفة وأعماله للآخرة مشهورة

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ● قوم بآبائهم أو مجدهم قعدوا

فتبارك الذى لا يزول ملكه ولا تغيره الدهور فاف لهذه الدنيا الدنية تفعل هذا بابنائها نسال الله تعالى ان يكشف عن قلوبنا حتى نراها بعين الحقيقة وان يقبل بنا اليه وان يشغلنا به عما سواه انه على كل شئ قدير هكذا ذكر بعض فضلاء خراسان أن خسرو شاه آخر ملوك آل سبكتكين وقد ذكر غيره انه توفى فى الملك وملك بعده ابنه ملكشاه وستذكره فى سنة تسع وخمسين وخمسمائة وبالجملة فابتداء دولة الغورية عندى فيها

من جبل الدروز ويسمى الياس واجتمع بمصر على من اوصله الى الباشا وهو بكتاش وخلافه وعرفوه عن صناعته وانه يعمل آلات باسهل مما يصنعه صناع الضربخانه ويوفر على الباشا كذا وكذا من الاموال التى تذهب فى الدواليب والكلف وما ياخذه المباشرون من المكاسب لانفسهم وافرد له بقعة خاصة به بجانب الضربخانه وامر بحضور ما يطلبه اليه من الحديد والصناع واستمر على ذلك شهورا ولما تمم الآلة صنع قروشا وضربها ناقصة فى الوزن والعيار وجعل كتابتها على نسق القروش الرومية ووزن القرش درهمان وربع وفيه من الفضة الخالصة الربع بل اقل والثلاثة ارباع نحاس وكان المرتب فى الاموال من النحاس فى كل يوم قنطارين فضوعف الى ستة قناطير حتى غلا سعر النحاس والاوانى المتخذة منه فبلغ سعر الرطل النحاس المستعمل مائة واربعين نصف فضة بعد ان كان سعره فى الازمان السابقة أربعة عشر نصفا والقراضة سبعة أنصاف أو اقل ثم زاد الطلب للضربخانه الى عشرة قناطير فى كل يوم والمباشر لذلك كله بكتاش افندى ثم ان بكتاش افندى المذكور انحرف على ذلك الدرزى وذلك باغراء المعلم وحصل بينهما مناقشة بين يدى الباشا والمعلم غالى بينهم وانحط الامر فى ذلك المجلس على منع الدرزى من مباشرة العمل ووثب

خلف

خاف لو ينكشف الحق فاصلحه ان شاء الله تعالى

❁(ذكر الخطبة لغياث الدين بالسلطنة)❁

لما استقر ملكهم بلهاوور واتسعت مملكتهم وكثرت عساكرهم وأموالهم كتب غياث الدين الى اخيه شهاب الدين باقامة الخطبة له بالسلطنة وتلقب بالقاب السلاطين كان لقبه شمس الدين فتلقب غياث الدين والدنيا معين الاسلام قسيم امير المؤمنين ولقب اخاه بمعز الدين ففعل شهاب الدين ذلك وخطب له بالسلطنة

❁(ذكر ملك غياث الدين هراة وغيرها من خراسان)❁

لما فرغ شهاب الدين من اصلاح امر لهاوور وتقرير قواعدها سار الى اخيه غياث الدين فلما اجتمع به استقر رأيهما على المسير الى خراسان وقصد مدينة هراة ومحاصرتها فسارا في العساكر الكثيرة اليها وكان بها جماعة من الاتراك السنجرية فنازلا البلد وحصراه وضيقا على من به فاستأمنوا اليهما وارسلوا يطلبون الامان منهما فاجاباهم الى ذلك وامناهم فتسلما البلد واخرجا من فيه من الامراء السنجرية واستناب فيه غياث الدين خرنك الغوري وسار غياث الدين وأخوه الى فوشنج فملكاها ثم الى باذغيس وكالين وبيوار فملكاها ايضا وتسلم ذلك جميعه غياث الدين وأحسن السيرة في أهل البلاد ورجع الى فيروز كوه ورجع شهاب الدين الى غزنة وكان ينبغي ان حوادث الغورية تذكر في السنين وانما جمعناها ليتلو بعضها بعضا ولان فيها ما لم يعرف تاريخه وتركناه بحاله

❁(ذكر ملك شهاب الدين مدينة آجرة من بلد الهند)❁

لما رجع شهاب الدين من خراسان الى غزنة اقام بها حتى اراح واستراح هو وعساكره ثم سار الى بلد الهند فحاصر مدينة آجرة وبها ملك من ملوك الهند فلم يظفر منه بطائل وكان للهندي زوجة غالبة على امره فراسلها شهاب الدين انه يتزوجها فاعادت الجواب انها لا تصلح له وانها لها ابنة جميلة تزوجه اياها فارسل اليها يجيبها الى التزويج بابنتها فسقت زوجها سما فمات وسلمت البلد اليه فلما تسلمه اخذ الصبية فاسلمت وتزوجها وحملها الى غزنة واجرى عليها الجرايات الوافرة ووكل بها من علمها القرآن وتشاغل عنها فتوفيت والدتها ثم توفيت هي بعد عشر سنين ولم يرها ولم يقربها فبنى لها مشهدا ودفنها فيه واهل غزنة يزورون قبرها ثم عاد الى بلد الهند فذل له صعابها وتيسر له فتح الكثير من بلادهم ودوخ ملوكهم وبلغ منهم ما لم يبلغه احد قبله من ملوك المسلمين

❁(ذكر ظفر الهند على المسلمين)❁

لما اشتدت نكاية شهاب الدين في بلاد الهند واثخانه في اهلها واستيلاؤه عليهم اجتمع ملوكهم وتآمروا بينهم ووبخ بعضهم بعضا فاتفق رأيهم على الاجتماع والتعاضد على حربه فجمعوا عساكرهم وحشدوا وأقبل اليهم الهنود من كل فج عميق على الصعب والذلول

له الباشا اربعة اكياس لمصرفه في كل شهر ومنعوا ايضا من كان معهم من نصارى الشوام من الطلوع الى الضربخانة واستمر بكتاش افندي ناظرا عليها ودقق على ارباب الوظائف والخدم ليأخذ بذلك وجاهة عند مخدومه ثم ان الباشا بعد أيام امر بنفي الدرزي من مصر وجميع اهله واولاده وانقضى امره بعد ان تعلموا تلك الصناعة منه وفي تلك المدة بلغ ايراد الضربخانة لخزينة الباشا في كل شهر الفا وخمسمائة كيس وكان الذي يرد منها في زمن المصريين ثلاثين كيسا في كل شهر او اقل من ذلك فلما التزم بها السيد احمد المحروقي اوصلها الى خمسين واستمرت على ابنه السيد محمد كذلك مدة فانتبذ لها محمد افندي طبل المعروف بناظر المهمات وزاد عليها ثلاثين كيسا وبقيت تحت نظارة المحروقي بذلك القدر ثم ان الباشا عزل السيد محمدا المحروقي عنها وابقاها على ذمته وقيد خاله في نظارتها ولم يزل الباشا يلعب هذه الملاعيب حتى بلغت هذا المبلغ المستمر وربما تزيد وذلك خلاف الغرامات والمصادرات لاربابها ثم وشى له على عبد الله اغا بكتاش بانه يزيد في وزن القروش وينقص منه من القدر المحدود فاذا حسب القدر المنقوص وحمل معدله في مدة نظارته تحصل منه مقدار عظيم من الاكياس فلما نوقش في ذلك قال هذا الامر يسئل فيه صاحب العيار فاحضروه واحضروا

محمد افندى ابن اسمعيل افندى بدفتره وفحاقوا فى الحساب فسقط منهم خمسة أكياس لم تدخل الحساب فقالوا اين

وحدّثوا بجدهم وحديدهم وكان الحاكم على جميع الملوك المجتمعين امراة هى من اكبر ملوكهم فلما سمع باجتماعهم ومسيرهم اليه تقدم هو ايضا اليهم فى عسكر عظيم من الغورية والخلج والخراسانية فالتقوا واقتتلوا لم يكن بينهم كثير قتال حتى انهزم المسلمون وركبهم الهنود يقتلون ويأسرون واثخنوا فيهم واصاب شهاب الدين ضربة بطلت منها يده اليسرى وضربة أخرى على رأسه فسقط منها الى الارض وحجز الليل بين الفريقين فاحس شهاب الدين بجماعة من غلمانه الاتراك فى ظلمة الليل وهم يطلبونه فى القتلى ويبكون وقد رجع الهنود الى ورائهم فكلمهم وهو فى ما به من الجهد فاتوا اليه مسرعين وحملوه على رؤسهم رجالة يتناوبون حمله حتى بلغوا مدينة آجرة مع الصباح وشاع خبر سلامته فى الناس فجاؤا اليه يهنؤنه من أقطار البلاد فاول ما عمل انه أخذ امراء الغورية الذين انهزموا عنه وأسلموه فملا مخالى خيلهم شعيرا وحلف انهم لم يأكلوه ليضربن أعناقهم فاكلوه ضرورة وبلغ الخبر الى أخيه غياث الدين فارسل اليه يلومه على عجلته واقدامه وانفذ اليه جيشا عظيما

(ذكر ظفر المسلمين بالهند)

لما سلم شهاب الدين وعاد الى آجرة واتاه المدد من أخيه غياث الدين وعاد الهنود جددوا سلاحهم ووفروا جموعهم واقاموا عوض من قتل منهم وسارت ملكتهم وهم معها فى عدد يضيق عنه الفضاء فراسلها شهاب الدين يخدعها بانه يتزوجها فلم تجبه الى ذلك وقالت اما الحرب واما ان تسلم بلاد الهند وتعود الى غزنة فاجابها الى العود الى غزنة وانه يستاذن أخاه غياث الدين فعل ذلك مكرا وخديعة وكان بين العسكرين نهر وقد حفظ الهنود المخاضات فلا يقدر احد من المسلمين ان يجوزه واقاموا ينتظرون ما يكون من جواب غياث الدين بزعمهم فبينما هم كذلك اذ وصل انسان هندى الى شهاب الدين واعلمه انه يعرف مخاضا قريبا من عسكر الهنود وطلب ان يرسل معه جيشا يعبرهم المخاض ويكبسون الهنود وهم غارون آمنون فخاف شهاب الدين أن تكون خديعة ومكرا فاقام له ضمناء من أهل آجرة والمولتان فارسل معه جيشا كثيفا وجعل عليهم الامير الحسين بن خرميل الغورى وهو الذى صار بعد صاحب هراة وكان من الشجاعة والرأى بالمنزلة المشهورة فسار الجيش مع الهندى فعبروا النهر فلم يشعر الهنود الا وقد خالطهم المسلمون ووضعوا السيف فيهم فاشتغل الموكلون بحفظ المخاضات فعبر شهاب الدين وباقى العساكر واحاطوا بالهنود واكثروا القتل فيهم ونادوا بشعار الاسلام فلم ينج من الهنود الا من عجز المسلمون عن قتله واسره وقتلت ملكتهم وتمكن شهاب الدين بعد هذه الوقعة من بلاد الهند وامن معرة فسادهم والتزموا له بالاموال وسلموا اليه الرهائن وصالحوه واقطع مملوكه قطب الدين أيبك مدينة دهلى وهى كرسى الممالك التى فتحها من الهند فارسل عسكرا من الخلج مع محمد بن بختيار فملكوا من بلاد الهند مواضع ما وصل اليها مسلم قبله حتى قاربوا حدود الصين من جهة المشرق وقد

ذهبت هذه الخمسة أكياس فطفقوا ينظرون الى بعضهم فقال المورد الحق ان هذه الخمسة أكياس من حساب محمد افندى ومدلوبة له وتجاوز عنها القلان اليهودى المورد من مدة سابقة فالتفت الباشا الى محمد افندى وقال له لاى شئ تجاوزت لليهودى عن هذا القدر فقال نعلمى انه خلى ليس عنده شئ فاخذتنى الرأفة عليه وتركت مطالبته حتى يحصل له اليسار فقال كيف تتبرع بمالى على اليهودى فقال انه من حسابى فقال ومن اين كان لك ذلك وأمر به فبطحوه وضربوه بالعصى ثم أقاموه وأضافوا الخمسة أكياس على باقى الغرامة المطلوبة منه التى هو متحير فى تحصيلها ولو بالاستدانة من الربويين كما قال القائل

شكوت الى الطبيب آلام جسمى ... وعن جور الطبيب اليك أشكو
كذا رواه تحت هذا السطر غير مقروء في الطبعة؟

من نظارة الضربخانة فلم يجبه الى ذلك واستمر فى تلك الخدمة مكرها خائفا من عواقبها (ومنها) ان الريال

حدثني صديق لي من التجار بوقعة بين تشبه هاتين الوقعتين المذكورتين وبينهما بعض الخلاف وقد ذكرناهما سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفي يعقوب الكاتب ببغداد وكان يسكن بالمدرسة النظامية بحضر متولي التركات وختم على الغرفة التي كان يسكنها بالمدرسة فثار الفقهاء وضربوا المتولي وهذه عادتهم فيمن يموت بها وليس له وارث فقبض حاجب الباب على رجلين من الفقهاء وعاقبهما وحبسهما فاغلق الفقهاء المدرسة والقوا كرسي الوعاظ في الطريق وصعدوا سطح المدرسة ليلا واستغاثوا وتركوا الادب وكان حينئذ مدرسهم الشيخ أبا النجيب فجاء وألقى نفسه تحت التاج يعتذر فعفي عنه وفيها توفي حسام الدين تمرتاش صاحب ماردين وميافارقين وكانت ولايته نيفا وثلاثين سنة وتولى بعده ابنه نجم الدين ألبي وفيها مات أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الارموي الشافعي المحدث ومولده سنة تسع وخمسين واربعمائة وفيها توفي أبو الاسعد عبد الرحمن القشيري في شوال وهو شيخ شيوخ خراسان وفيها في المحرم باض ديك ببغداد بيضة وباض بازي بيضتين وباضت نعامة لا ذكر معها بيضة

(ثم دخلت سنة ثمان واربعين وخمسمائة)

(ذكر انهزام سنجر من الغز ونهبهم خراسان وما كان منهم)

في هذه السنة في المحرم انهزم السلطان سنجر من الاتراك الغز وهم طائفة من الترك مسلمون كانوا بما وراء النهر فلما ملك الخطا أخرجوهم منه كما ذكرنا فقصدوا خراسان وكانوا خلقا كثيرا فاقاموا بنواحي بلخ يرعون في مراعيها وكان لهم أمراء اسم أحدهم دينار والآخر بختيار والآخر طوطي والآخر أرسلان والآخر جغر والآخر محمود فاراد الامير قماج وهو مقطع بلخ ابعادهم فصانعوه بشيء بذلوه له فعاد عنهم فاقاموا على حالة حسنة لا يؤذون أحدا ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ثم ان قماج عاودهم وأمرهم بالانتقال عن بلده فامتنعوا وانضم بعضهم الى بعض واجتمع معهم غيرهم من طوائف الترك فسار قماج اليهم في عشرة آلاف فارس فجاء اليه أمراؤهم وسالوه ان يكف عنهم ويتركهم في مراعيهم ويعطونه من كل بيت مائتي درهم فلم يجبهم الى ذلك وشدد عليهم في الانتزاح عن بلده فعادوا عنه واجتمعوا وقاتلوه فانهزم قماج ونهبوا ماله ومال عسكره واكثروا القتل في العسكر والرعايا واسترقوا النساء والاطفال وعملوا كل عظيمة وقتلوا الفقهاء وخربوا المدارس وانتهت الهزيمة بقماج الى مرو وبها السلطان سنجر فاعلمه الحال فراسلهم سنجر يتهددهم فامرهم بمفارقة بلاده فاعتذروا وبذلوا بذلا كثيرا ليكف عنهم ويتركهم في مراعيهم فلم يجبهم الى ذلك وجمع عساكره من أطراف البلاد واجتمع معه ما يزيد على مائة ألف فارس وقصدهم ووقع بينهم حرب شديدة فانهزمت عساكر سنجر وانهزم هو ايضا وتبعهم الغز قتلا واسرا فصار قتلى العسكر كالتلال وقتل علاء الدين

الفرانسة بلغ في مصارفته من الفضة العددية الى مائتين وثمانين نصفا بل وزيادة خمسة أنصاف فنودي عليه بنقص عشرة وشددوا في ذلك وبعد أيام نودي بنقص عشرة أخرى فخسر الناس حصة من اموالهم ثم ان ذلك القرش الذي يضاف اليه من الفضة ربع درهم ووزن الريال تسعة دراهم فضة فيكون الريال الواحد بما يضاف اليه من النحاس على هذا الحساب ستة وثلاثين قرشا يخرج منها ثمن الريال ستة قروش ونصف وكلفة الشغل في الجملة قرش او قرشان يبقى بعد ذلك سبعة وعشرون قرشا ونصف وهو المكسب في الريال الواحد وهو من جملة سلب الاموال لان صاحب الريال اذا اراد صرفه أخذ بدله ستة قروش ونصفا وفيها من الفضة درهم ونصف وثمن وهي بدل التسعة دراهم التي هي وزن الريال ثم زيد في الطنبور نغمة وهي الحجر على الفضة العددية فلا يصرفون شيئا منها الصيارف ولا لغيرهم الا بالفرط وهو اربعة قروش على كل الف فيعطى الضربخانة تسعة وعشرون قرشا زلاطا ويأخذ الف فضة عنها خمسة وعشرون قرشا ثم زادوا بعد ذلك في الفرط فجعلوه خمسة قروش فيعطى الفا ومائتين ويأخذ بدلها الفا فانظر الى هذه الزيادة والرذالة وكذا السفالة (ومنها) استمرار غلاء الاسعار في كل شئ وخصوصا في الاقوات

قماج واسر السلطان سنجر واسر معه جماعة من الامراء فاما الامراء فضربوا اعناقهم واما السلطان سنجر فان امراء الغز اجتمعوا وقبلوا الارض بين يديه وقالوا نحن عبيدك لانخرج عن طاعتك فقد علمنا انك لم ترد قتالنا وانما حملت عليه فانت السلطان ونحن العبيد فمضى على ذلك شهران او ثلاثة ودخلوا معه الى مرو وهي كرسي ملك خراسان وطلبها منه بختيار اقطاعا فقال السلطان هذه دار الملك ولا يجوز ان تكون اقطاعا لاحد فضحكوا منه وحبق له بختيار بفمه فلما راى ذلك نزل عن سرير الملك ودخل خانكاه مرو وتاب عن الملك واستولى الغز على البلاد وظهر منهم من الجور ما لم يسمع بمثله وولوا على نيسابور واليا فقسط على الناس كثيرا وعسفهم وضربهم وعلق في الاسواق ثلاث غرائر وقال اريد ملء هذه ذهبا فثار عليه العامة فقتلوه ومن معه فركب الغز ودخلوا نيسابور ونهبوها نهبا مجحفا وجعلوها قاعا صفصفا وقتلوا الكبار والصغار واحرقوها وقتلوا القضاة والعلماء في البلاد كلها فممن قتل الحسين بن محمد الارسابندي والقاضي على بن مسعود والشيخ محيي الدين محمد بن يحيى واكثر الشعراء في مراثي محمد بن يحيى فممن قال فيه على بن ابراهيم الكاتب

مضى الذي كان يحيى الدرمن فيه • يسيل بالفضل والافضال واديه
مضى ابن يحيى الذي قد كان صوب حيا • لابرشهر ومصباحا لداجيه
خلا خراسان من علم ومن ورع • لما نعاه الى الآفاق ناعيه
لما اماتوه مات الدين وا اسفا • من ذا الذي بعد محيي الدين يحييه

ويتعذر وصف ما جرى منهم بتلك البلاد جميعها ولم يسلم من خراسان شئ لم تنهبه الغز غير هراة ودهستان لانها كانت حصينة فامتنعت وقد ذكر بعض مؤرخي خراسان من اخبارهم ما فيه زيادة وضوح وقال ان هؤلاء الغز قوم انتقلوا من نواحي الثغر من اقاصي الترك الى ماوراء النهر في ايام المهدي واسلموا واستنصر بهم المقنع صاحب المخاريق الشعبذة حتى تم امره فلما سارت العساكر اليه خذله هؤلاء الغز واسلموه وهذه عادتهم في كل دولة كانوا فيها وفعلوا مثل ذلك مع الملوك الخاقانية الا ان الاتراك القارغلية قهروهم وطردوهم عن اوطانهم فدعاهم الامير زنكي بن خليفة الشيباني المستولي على حدود طخارستان اليه وانزلهم بلاده وكانت بينه وبين الامير قماج عداوة احكمتها الايام للمجاورة التي بينهما وكل منهما يريد أن يعلو على الآخر ويحكم عليه فتقوى بهم زنكي وساروا معه الى بلخ لمحاربة قماج فكاتبهم قماج فمالوا اليه وخذلوا زنكي عند الحرب فاخذ زنكي وابنه اسيرين فقتل قماج ابن زنكي وجعل يطعم اباه لحمه ثم قتل الاب ايضا واقطع قماج الغز مواضع واباحهم مراعي بلاده فلما قام الحسين بن الحسين الغوري وقصد بلخ خرج اليه قماج وعساكره ومعه الغز ففارقه الغز وانضموا الى الغوري حتى ملك مدينة بلخ فسار السلطان سنجر الى بلخ ففارقها الغوري بعد قتال انهزم منه ثم دخل الى السلطان سنجر لعجزه عن مقاومته ورده الى غزنة وبقي الغز بنواحي طخارستان وفي نفس قماج منهم الغيظ العظيم لما فعلوه معه فاراد صرفهم عن

بلاده

التي لا يستغني عنها الغني والفقير في كل وقت بسبب الاحداثات والمكوس التي ترتبت على كل شئ ومنها المأكولات كاللحم والسمن والعسل والسكر وغير ذلك مثل الخضارات وابطال جميع المذابح خلاف مذبح الحسينية والتزم به المحتسب بمبلغ عظيم مع كفاية لحم الباشا واكابر دولته بالثمن القليل ويوزع الباقي على الجزارين باسعار الاعلى الذي يخرج منه ثمن لحوم الدولة من غير ثمن فينزل الجزار بما يكون معه من الغنمة او الاثنين الجفيط الى بيت او عطفة مستورة فتزدحم عليه المتبعون له والمنتظرون اليه ويقع بينهم من المضاربة والمشاجرة ما لا يوصف وثمن الرطل اثنا عشر نصفا وقد يزيد على ذلك ولا ينقص عن الاثني عشر وكذلك الخضراوات التي كانت تباع جزافا تباع باقصى القيمة حتى ان الخس مثلا الذي كان يباع كل عشرة اعداد بنصف واحد صارت الواحدة تباع بنصف وقس على ذلك باقي الخضراوات وان الباشا لما وضع يده على الاراضي القريبة وانشا السواقي تجاه القصر والبستان بناحية شبرا وحرث الاراضي الخرس وزرع فيها انواع الخضراوات واجرى عليها المياه وقيد لخدمتها المرابعين ايضا والمزارعين بالمواجرة والمباشر على ذلك كله ذوالفقار كتخدا وعندما يبدو صلاح البقول والخضراوات يبيعها

بلاده فتجمعوا وانضم اليهم طوائف من الترك وقدموا عليهم ارسلان موقا التركي بجمع قماج عسكره ولقيهم فاقتتلوا يوما كاملا الى الليل فانهزم قماج وعسكره واسر هو وابنه أبو بكر فقتلوهما واستولوا على نواحي بلخ وعاثوا فيها وافسدوا بالنهب والقتل والسلب وبلغ السلطان سنجر الخبر فجمع عساكره وسار اليهم فراسلوه يعتذرون ويتنصلون فلم يقبل عذرهم ووصل اليهم مقدمة السلطان وفيها محمد بن ابي بكر بن قماج المقتول والمؤيد اي ابه في المحرم من سنة ثمان واربعين وخمسمائة ووصل بعدهم السلطان سنجر فالتقاه الغز بعد ان ارسلوا يعتذرون ويبذلون الاموال والطاعة والانقياد الى كل ما يؤمرون به فلم يقبل سنجر ذلك منهم وسار اليهم فلقوه وقاتلوه وصبروا له ودام قتالهم فانهزم عسكر سنجر وهو معهم فتوجهوا الى بلخ على اقبح صورة وتبعهم الغز واقتتلوا مرة ثانية فانهزم السلطان سنجر أيضا ومضى منهزما الى مرو في صفر من السنة فقصد الغز اليها فلما سمع العسكر الخراساني بقربهم منهم اجفلوا من بين أيديهم هاربين لما دخل في قلوبهم من خوفهم والرعب منهم فلما فارقها السلطان والعسكر دخلها الغز ونهبوها افحش نهب واقبحه وذلك في جمادى الاولى من السنة وقتل بها كثير من أهلها وأعيانها منهم قاضي القضاة الحسن بن محمد الارسابندي والقاضي علي بن مسعود وغيرهما من الائمة العلماء ولما خرج سنجر من مرو قصد بوزابة وأخذه الغز اسيرا واجلسوه على تخت السلطنة على عادته وقاموا بين يديه وبذلوا له الطاعة ثم عاودوا الغارة على مرو في رجب من السنة فمنعهم أهلها وقاتلوهم قتالا شديدا بذلوا فيه جهدهم وطاقتهم ثم انهم عجزوا فاستسلموا اليهم فنهبوها اقبح من النهب الاول لم يتركوا بها شيئا وكان قد فارق سنجر جميع أمراء خراسان ووزيره طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك ولم يبق عنده غير نفر يسير من خواصه وخدمه فلما وصلوا الى نيسابور أحضروا الملك سليمان شاه ابن السلطان محمود فوصل الى نيسابور تاسع عشر جمادى الآخرة من السنة فاجتمعوا عليه وخطبوا له بالسلطنة وسار في هذا الشهر جماعة من العسكر السلطاني الى طائفة كثيرة من الغز فاوقعوا بهم وقتلوا منهم كثيرا وانهزم الباقون الى امرائهم الغزية فاجتمعوا معهم ولما اجتمعت العساكر على الملك سليمان شاه وساروا الى مرو يطلبون الغز فبرز الغز اليهم فساعة رآهم العسكر الخراساني انهزموا وولوا على ادبارهم وقصدوا نيسابور وتبعهم الغز فمروا بطوس وهي معدن العلماء والزهاد فنهبوها وسبوا نساءها وقتلوا رجالها وخربوا مساجدها ومساكن أهلها ولم يسلم من جميع ولاية طوس الا البلد الذي فيه مشهد علي بن موسى الرضا ومواضع أخر يسيرة لها أسوار وممن قتل من أعيان أهلها امامها محمد المارشكي ونقيب العلويين بها علي الموسوي وخطيبها اسمعيل بن الحسن وشيخ شيوخها محمد بن محمد وافنوا من بها من الشيوخ الصالحين وساروا منها الى نيسابور فوصلوا اليها في شوال سنة تسع واربعين ولم يجدوا دونها مانعا ولا مدافعا فنهبوها نهبا ذريعا وقتلوا أهلها فاكثروا حتى ظنوا انهم لم يبقوا بها احدا حتى انه أحصي في محلتين خمسة عشر الف قتيل من الرجال دون النساء والصبيان

المتسببين فيها باغلى ثمن وهم يبيعونها على الناس بما أحبوا وشاع بين الناس

اضافة ذلك الى الباشا فيقولون كرنب الباشا ولفت الباشا وملوخية الباشا وبخل الباشا وقرنبيط الباشا وزرع أيضا بستانه من أنواع الزهور العجيبة المنظر المتنوعة الاشكال من الاحمر والاصفر والازرق والملون أتوا بنقائلها من بلاد الروم فنجبت وافلحت وليس لها الاحسن المنظر فقط ولا رائحة لها اصلا (ومنها) ان ديوان المكس ببولاق الذي يعبرون عنه بالكمرك لم يزل يتزايد فيه المتزايدون حتى اوصلوه الى الف وخمسمائة كيس في السنة وكان في زمن المصريين يؤدي من يلتزمه ثلاثين كيسا مع محاباة الكثير من الناس والعفو عن كثير من البضائع لمن ينسب الى الامراء واصحاب الوجاهة من اهل العلم وغيرهم فلا يتعرضون له ولو تحامى في بعض اتباعهم ولو بالكذب ويعاملون غيرهم بالرفق مع التجاوز الكثير ولا ينبشون المتاع ولا رباط الشيء المحزوم بل على الصندوق او المحزوم قدر يسير معلوم فلما ارتفع امره الى هذه المقادير صاروا لا يعفون عن شيء مطلقا ولا يسامحون أحدا ولو كان عظيما من العلماء أو من غيرهم وكان من عادة التجار اذا بعثوا الى شركائهم محزوما

من الاقمشة الرخيصة مثل العاتكي والتابامبي جعلوا بداخل طيها أشياء من

وسبوا نساءها واطفالها واخذوا اموالها وبقى القتلى فى الدروب كالتلال بعضهم فوق بعض واجتمع اكثر أهلها بالجامع المنيعى تحصنوا به فحصرهم الغز فعجز اهل نيسابور عن منعهم فدخل الغز اليهم فقتلوهم عن آخرهم وكانوا يطلبون من الرجال المال فاذا اعطاهم أحد قتلوه وقتلوا كثيرا من أئمة العلماء والصالحين منهم محمد بن يحيى الفقيه الشافعى الذى لم يكن فى زمانه مثله كان رحلة الناس من اقصى الغرب والشرق اليه ورثاه جماعة من العلماء منهم أبو الحسن على بن أبى القاسم البيهقى فقال

يا سافكا دم عالم متبحر * قد طار فى اقصى الممالك صيته
بالله قل لى يا ظلوم ولا تخف * من كان محيى الدين كيف تميته

ومنهم الزاهد عبد الرحمن بن عبد الصمد الاكاف وأحمد بن الحسين الكاتب سبط القشيرى وأبو البركات الفراوى والامام على الصباغ المتكلم وأحمد بن محمد بن حامد وعبد الوهاب الملقاباذى والقاضى صاعد بن عبد الملك بن صاعد والحسن بن عبد الحميد الرازى وخلق كثير من الائمة والزهاد والصالحين واحرقوا ما بها من خزائن الكتب ولم يسلم الا بعضها وحصروا شارستان وهى منيعة فاحاطوا بها وقاتلهم أهلها من فوق سورها وقصدوا جوين وبذلوا نفوسهم لله تعالى وحموا بيضتهم والباقى أتى النهب والقتل عليه ثم قصدوا اسفراين فنهبوها وخربوها وقتلوا فى أهلها فاكثروا وممن قتل عبد الرشيد الاشعثى وكان من أعيان دولة السلطان فتركها وأقبل على الاشتغال بالعلم وطلب الآخرة وأبو الحسن الفندورجى وكان من ذوى الفضائل لا سيما فى علم الادب ولما فرغ الغز من جوين واسفراين عادوا الى نيسابور فنهبوا ما بقى فيها بعد النهب الاول وكان قد لحق بشهرستان كثير من أهلها فحصرهم الغز واستولوا عليها ونهبوا ما كان فيها لاهلها ولاهل نيسابور وهتكوا الحرم والاطفال وفعلوا ما لم يفعله الكفار مع المسلمين وكان العيارون أيضا ينهبون نيسابور اشد من نهب الغز ويفعلون اقبح من فعلهم ثم ان السلطان سليمان شاه ضعف وكان قبيح السيرة سيئ التدبير وان وزيره طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك توفى فى شوال سنة ثمان واربعين فضعف أمره واستوزر سليمان شاه بعده ابنه نظام الملك أبا على الحسن بن طاهر واختل أمر دولته بالكلية ففارق خراسان فى صفر سنة تسع واربعين وعاد الى جرجان فاجتمع الامراء وراسلوا الخان محمود بن محمد بن بغراخان وهو ابن أخت السلطان سنجر وخطبوا له على منابر خراسان واستدعوه اليهم فملكوه أمورهم وانقادوا له فى شوال سنة تسع واربعين وخمسمائة وساروا معه الى الغز وهم يحاصرون هراة وجرت بينهم حروب كان الظفر فى اكثرها للغز ورحلوا فى جمادى الاولى من سنة خمسين وخمسمائة وسار معهم من على هراة الى مرو وعاودوا المصادرة لاهلها وسار الخان محمود بن محمد الى نيسابور وقد غلب عليها المؤيد على ما نذكره وراسل الغز فى الصلح فاصطلحوا فى رجب من سنة خمسين وخمسمائة هدنة على دخل وسيرد باقى اخبارهم سنة اثنتين وخمسين

(ذكر ملك المؤيد نيسابور وغيرها)

الاقمشة الغالية فى الثمن مثل المقصبات الحلبى والكشميرى والهندى ونحو ذلك فتندرج معها فى قلة المكرك وفى هذا الاوان يحلون رباط الحزوم ويفتحون الصناديق ويفتشون المتاع ويهتكون ستره ويحصون عدده ويأخذون عشره أى من كل عشرة واحدا أو ثمنه كما يبيعه التاجر غاليا أو رخيصا حتى البوابيج والاخفاف والمسوت التى تجلب من الروم يفتحون صناديقها ويعدونها بالواحد ويأخذون عشورها عينا أو ثمنا ويفعل ذلك ايضا متولى كمرك الاسكندرية ودمياط واسلامبول والشام فبذلك غلت أسعار البضائع من كل شئ لفحش هذه الامور وخصوصا فى الاقمشة الشامية والحلبية والرومية المنسوجة من القطن والحرير والصوف فان عليها بمفردها مكوسا فاحشة قبل نسجها وكان الدرهم الحرير فى السابق بنصف فضة فصار الآن بخمسة عشر نصفا وما يضاف اليه من الاصباغ وكلف الصناع والمكوس المذكورة فبذلك بلغ الغاية فى غلو الثمن فيباع الثوب الواحد من القماش الشامى المسمى بالالاجة الذى كانت قيمته فى السابق مائتى نصف فضة بالفين فضة مع ما يضاف اليه من ربح البائع وطمع التاجر والنعل الرومى الذى كان يباع بستين نصفا صار يباع باربعمائة نصف والذراع الواحد من الجوخ

كان

كان للسلطان سنجر مملوك اسمه أي ابه ولقبه المؤيد فلما كانت هذه الفتنة تقدم وعلا شانه واطاعه كثير من الامراء فاستولى على نيسابور وطوس ونسا وابيورد وشهرستان والدامغان وازاح الغز عن الجميع وقتل منهم خلقا كثيرا واحسن السيرة وعدل فى الرعية واستمال الناس ووفر الخراج على اهله وبالغ فى مراعاة ارباب البيوت فاستقرت البلاد له ودانت له الرعية لحسن سيرته وعظم شانه وكثرت جموعه فراسله خاقان محمود بن محمد فى تسليم البلاد والحضور عنده فامتنع وترددت الرسل بينهم حتى استقر على المؤيد مال يحمله الى الملك محمود فكف عنه محمود واقام المؤيد بالبلاد وهو والسلطان محمود

ذكر ملك اينانج الرى

كان اينانج احد مماليك السلطان سنجر فلما كان من فتنة الغز ما ذكرناه هرب من خراسان ووصل الى الرى فاستولى عليها واقام بها وراسل السلطان محمد شاه بن محمود صاحب همذان واصفهان وغيرهما يخدمه وهاداه وارضاه واظهر له الطاعة وبقى بها الى ان مات السلطان محمد شاه فاستولى على عدة بلاد تجاور الرى فاملكها فعظم امره وعلا شانه وصارت عساكره عشرة آلاف فارس فلما ملك سليمان شاه همذان على ما نذكره حضر عنده واطاعه لانسه به كان أيام مقام سليمان شاه بخراسان فتقوى أمره بذلك

ذكر قتل ابن السلار وزير الظافر ووزارة عباس

فى هذه السنة فى المحرم قتل العادل بن السلار وزير الظافر بالله قتله ربيبه عباس بن ابى الفتوح بن يحيى الصنهاجى اشار اليه بذلك الامير اسامة بن منقذ ووافق عليه الخليفة الظافر بالله فامر ولده نصرا فدخل على العادل وهو عند جدته ام عباس فقتله وولى الوزارة بعده ربيبه عباس وكان عباس قد قدم من المغرب كما ذكرناه الى مصر وتعلم الخياطة وكان خياطا حسنا فلما تزوج ابن السلار بامه احبه واحسن تربيته فجازاه بان قتله وولى بعده وكانت الوزارة فى مصر لمن غلب والخلفاء وراء الحجاب والوزراء كالمتملكين وقل ان وليها احد بعد الافضل الا بحرب وقتل وما شاكل ذلك فلذلك ذكرناهم فى تراجم مفردة والله اعلم

ذكر الحرب بين العرب وعساكر عبد المؤمن

فى هذه السنة فى صفر كانت الحرب بين عساكر عبد المؤمن والعرب عند مدينة سطيف وسبب ذلك ان العرب وهم بنو هلال والاثبج وعدى ورياح وزغبة وغيرهم من العرب لما ملك عبد المؤمن بلاد بنى حماد اجتمعوا من أرض طرابلس الى اقصى المغرب وقالوا ان جاورنا عبد المؤمن اجلانا من المغرب وليس الرأى الا القاء الجد معه واخراجه من البلاد قبل ان يتمكن وتحالفوا على التعاون والتظافر وان لا يخون بعضهم بعضا وعزموا على لقائه بالرجال والاهل والمال ليقاتلوه قتال الحريم واتصل الخبر بالملك رجار الفرنجى صاحب صقلية فارسل الى امراء العرب وهم محرز بن زياد وجبارة

الذى كان يباع بمائة نصف فضة يبلغ فى الثمن الى ألف نصف فضة وهكذا مما يستقصى تتبعه ولا تستقصى مفرداته ويتولى هذه الاحتكارات كل من تزايد فيها من اى ملة كان من نصارى القبط او الشوام او الاروام او من يدعى الاسلام وهم الاقل فى الاشياء الهون والمتولى الآن فى ديوان كمرك بولاق شخص نصرانى رومى يسمى كرابيت من طرف طاهر باشا لانه مختص بارادة وان كرابيت من جنسه وعنده قواسة اتراك يحجزون متاع الناس ويقبضون على المسلمين ويسجنونهم ويضربونهم حتى يدفعوا ما عليهم واذا عثروا بشخص اخفى عنهم شيئا حبسوه وضربوه وسبوه ونكلوا به والزموه بغرامة مجازاة لفعله والعجب ان بضائع المسلمين يؤخذ عشرها يعنى من العشرة واحد وبضائع الافرنج والنصارى ومن ينتسب اليهم يؤخذ عليها من المائة اثنان ونصف وكذلك احدث عدة اشياء واحتكارات فى كثير من البضائع مثل السكر الذى يأتى من ناحية الصعيد وزيادات فى المكوس القديمة خلاف الحدثات وذلك ان من كان بطالا او كاسد الصنعة او قليل الكسب او خامل الذكر فيعمل فكرته فى شئ مهمل مغفول عنه ويسعى الى الحضرة بواسطة المتقربين او بعرضحال يقول فيه ان الداعى للحضرة يطلب الالتزام بالصنف الفلانى ويقوم

ابن كامل وحسن بن ثعلب وعيسى بن حسن وغيرهم يحثهم على لقاء عبد المؤمن ويعرض عليهم ان يرسل اليهم خمسة آلاف فارس من الفرنج يقاتلون معهم على شرط ان يرسلوا اليه الرهائن فشكروه وقالوا ما بنا حاجة الى نجدته ولا نستعين بغير المسلمين وساروا في عدد لا يحصى وكان عبد المؤمن قد رحل من بجاية الى بلاد المغرب فلما بلغه خبرهم جهز من الموحدين ما يزيد على ثلاثين الف فارس واستعمل عليهم عبد الله بن عمر الهنتاتي وسعد الله بن يحيى وكان العرب اضعافهم فاستجرهم الموحدون وتبعهم العرب الى ان وصلوا الى ارض سطيف بين جبال فحمل عليهم عسكر عبد المؤمن والعرب على غير اهبة والتقى الجمعان واقتتلوا اشد قتال واعظمه فانجلت المعركة عن انهزام العرب ونصرة الموحدين وترك العرب جميع ما لهم من اهل ومال واثاث ونعم فاخذ الموحدون جميع ذلك وعاد الجيش الى عبد المؤمن بجميعه فقسم جميع الاموال على عسكره وترك النساء والاولاد تحت الاحتياط ووكل بهم من الخدم الخصيان من يخدمهم ويقوم بحوائجهم وامر بصيانتهم فلما وصلوا معه الى مراكش انزلهم في المساكن الفسيحة واجرى لهم النفقات الواسعة وامر عبد المؤمن ابنه محمدا ان يكاتب امراء العرب ويعلمهم ان نساءهم واولادهم تحت الحفظ والصيانة وانه قد بذل لهم الامان والكرامة فلما وصل كتاب محمد الى العرب سارعوا الى المسير الى مراكش فلما وصلوا اليها اعطاهم عبد المؤمن نساءهم واولادهم واحسن اليهم واعطاهم اموالا جزيلة فاسترق قلوبهم بذلك واقاموا عنده وكان بهم حفيا واستعان بهم على ولاية ابنه محمد العهد على ما نذكره سنة احدى وخمسين

(ذكر ملك الفرنج مدينة بونة وموت رجار وملك ابنه غليالم)

في هذه السنة سار اسطول رجار ملك الفرنج بصقلية الى مدينة بونة وكان المقدم عليهم فتاه فيلب المهدوي فحصرها واستعان بالعرب عليها فاخذها في رجب وسبى اهلها وملك ما فيها غير انه اغضى عن جماعة من العلماء والصالحين حتى خرجوا باهليهم واموالهم الى القرى فاقام بها عشرة ايام وعاد الى المهدية و بعض الاسرى معه وعاد الى صقلية فقبض رجار عليه لما اعتمده من الرفق بالمسلمين في بونة وكان فيلب يقال انه وجميع فتيانه مسلمون يكتمون ذلك وشهدوا عليه انه لا يصوم مع الملك وانه مسلم فجمع له رجار الاساقفة والقسوس والرهبان فحكموا بان يحرق فاحرق في رمضان وهذا اول وهن دخل على المسلمين بصقلية ولم يمهل الله رجار بعده الا يسيرا حتى مات في العشر الاول من ذي الحجة من السنة وكان مرضه الخوانيق وكان عمره قريب ثمانين سنة وكان ملكه نحو عشرين سنة ولما مات ملك بعده ابنه غليالم وكان فاسد التدبير سيئ التصوير فاستوزر مايو البرصاني فاساء التدبير فاختلفت عليه حصون من جزيرة صقلية و بلاد قلورية وتعدى الامر الى افريقية على ما نذكره

(ذكر وفاة بهرام شاه صاحب غزنه)

المقريزية العامرة بكذا من الاكياس في كل سنة فاذا فعل ذلك تنبه المشار اليه فيمد بالانجاز ويؤخر ايانا فتتسامع المتكالبون على امثال ذلك فيزيدون على الطالب حتى تستقر الزيادة على شخص اما هو او خلافه ويقيد اسمه بدفتر الروزنامه ويفعل بعد ذلك الملتزم ما يريده وما يقرره على ذلك الصنف ويتخذ له اعوانا وخدمة واتباعا يتولون استخلاص المقررات ويجعلون لانفسهم اقدارا خارجة عن الذي يأخذه كبيرهم والذي تولى كبر ذلك وفتح بابه نصارى الاروام والارمن وتراسوا بذلك وعلت اسافلهم ولبسوا الملابس الفاخرة وركبوا البغال والرهوانات واخذوا بيوت الاعيان التي بمصر القديمة وعمروها وزخرفوها وعملوا فيها بساتين وجنائن وذلك خلاف البيوت التي لهم بداخل المدينة ويركب الكلب منهم وحوله وامامه عدة من الخدم والقواسة يطردون الناس من امامه وخلفه ولم يدعوا شيئا خارجا عن المكس حتى الفحم الذي يجلب من الصعيد والحطب السنط والرتم وحطب الذرة الذي كان يباع منه كل مائة حزمة بمائة نصف فلما احتكروه صار يباع كل مائة حزمة بالف ومائتي نصف وبسبب ذلك تشحطت اشياء كثيرة وغلت اثمانها مثل الجبس والجير وكل ما كان يحتاج للوقود حتى الخبازين في الافران فاننا ادركنا الاردب من

في هذه السنة في رجب توفى السلطان بهرام شاه بن مسعود بن ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة بها وكانت ولاية بهرام شاه ستا وثلاثين سنة وكان عادلا حسن السيرة جميل الطريقة محبا للعلماء مكرما لهم باذلا لهم الاموال الكثيرة جامعا للكتب تقرأ بين يديه ويفهم مضمونها ولما مات ملك ولده خسروشاه الملك بعده

(ذكر ملك الفرنج مدينة عسقلان)

في هذه السنة ملك الفرنج بالشام مدينة عسقلان وكانت من جملة مملكة الظافر بالله العلوى المصرى وكان الفرنج كل سنة يقصدونها ويحصرونها فلا يجدون الى ملكها سبيلا وكان الوزراء بمصر لهم الحكم في البلاد والخلفاء معهم اسم لا معنى تحته وكان الوزراء كل سنة يرسلون اليها من الذخائر والاسلحة والاموال والرجال من يقوم بحفظها فلما كان في هذه السنة قتل ابن السلار على ما ذكرناه واختلفت الاهواء في مصر وولى عباس الوزارة والى ان استقرت قاعدة اغتنم الفرنج اشتغالهم عن عسقلان فاجتمعوا وحصروها فصبر اهلها وقاتلوهم قتالا شديدا حتى انهم بعض الايام قاتلوا خارج السور وردوا الفرنج الى خيامهم مقهورين وتبعهم اهل البلد اليها فأيس حينئذ الفرنج من ملكه فبيناهم على عزم الرحيل اذ قد أتاهم الخبر ان البلد قد وقع بين أهله خلاف وقتل منهم قتلى فصبروا وكان سبب هذا الاختلاف انهم لما عادوا عن قتال الفرنج قاهرين منصورين ادعى كل طائفة منهم ان النصرة من جهتهم كانت وانهم هم الذين ردوا الفرنج خاسرين فعظم الخصام بينهم الى ان قتل من احدى الطائفتين قتيل واشتد الخطب وعظم حينئذ وتفاقم الشر ووقعت الحرب بينهم فقتل بينهم قتلى فطمع الفرنج وزحفوا اليه وقاتلوا عليه فلم يجدوا من يمنعهم فملكوه

(ذكر حصر عسكر الخليفة تكريت وعودهم عنها)

في هذه السنة سير الخليفة المقتفى لامر الله عسكرا الى تكريت ليحصروها وأرسل معهم مقدما عليهم ابن الوزير عون الدين بن هبيرة وترشك وهو من خواص الخليفة وغيرهما فجرى بين ابن الوزير وترشك منافرة أوجبت أن كتب ابن الوزير يشكو من ترشك فأمر الخليفة بالقبض على ترشك فعرف ذلك فأرسل الى مسعود بلال صاحب تكريت فصالحه وقبض على ابن الوزير ومن معه من المقدمين وسلمهم الى مسعود بلال فانهزم العسكر وغرق منه كثير وسار مسعود بلال وترشك من تكريت الى طريق خراسان فنهبا وافسدا فسار المقتفى من بغداد لدفعهما فهربا من بين يديه فقصد تكريت فحصرها اياما وجرى له مع أهلها حروب من وراء السور فقتل من العسكر جماعة بالنشاب فعاد الخليفة عنها ولم يملكها

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة وصلت مراكب من صقلية فيها جمع من الفرنج فنهبوا مدينة تنيس بالديار المصرية وفيها كان بين السكرج بارمينية وبين صلتق صاحب ارزن الروم

الجبس بثمانية عشر نصف فضة والآن بمائتين واربعين نصفا وكذلك ادركنا ٨٠ القنطار من الجبير بعشرة انصاف والآن بمائة وعشرين والحال في الزيادة (ومنها) ان الباشا شرع في عمارة قصر العيني وكان قد تلاشى وخربته العسكر واخذت اخشابه ولم يبق فيه ولا الجدران فشرع في انشائه وتعميره وتجديده على هذه الصورة التي هو عليها الآن على وضع الابنية الرومية (ومنها) انه هدم سراية القلعة وما اشتملت عليه من الاماكن فهدم المجالس التي كانت بها والدواوين وديوان قايتباى وهو المقعد المواجه للداخل الى الحوش علو الكلار الذي به الاعمدة وديوان الغورى الكبير وما اشتمل عليه من المجالس التي كانت تجلس بها الافندية والقلفاوات امام الدواوين وشرع في بنائها على وضع آخر واصطلاح رومى واقاموا اكثر الابنية من الاخشاب ويبنون الاعالى قبل بناء السفل واشيع انهم وجدا خبايا تبها ذخائر الملوك مصر الاقدمين (ومنها) ان الباشا ارسل لقطع الاشجار المحتاج اليها في عمل المراكب مثل التوت والنبق من جميع البلاد القبلية والبحرية فانبث المعينون لذلك في البلاد فلم يبقوا من ذلك الا القليل لمصانعة اصحابه بالرشا والبراطيل حتى يتركوا لهم ما يتركون ويجتمع بترسخانة الاخشاب لصناعة المراكب مع ما ينضم اليها من الاخشاب الرومية شيء عظيم جدا يتجه به

مصاف وحرب شديد وانهزم صلتق وأسره الكرج ثم أطلقوه وفيها توفى أبو العباس احمد بن أبي غالب الوراق المعروف بابن الطلاية الزاهد البغدادي بها وكان من الصالحين وله حديث ورواية وتوفى عبد الملك بن عبد الله بن أبي سهل أبو الفتح بن أبي القاسم الكروخي الهروي راوي جامع الترمذي ومولده سنة اثنتين ومن طريقه سمعناه

❁(ثم دخلت سنة تسع وأربعين وخمسمائة)❁

❁(ذكر قتل الظافر وولاية ابنه الفائز)❁

في هذه السنة في المحرم قتل الظافر بالله أبو المنصور اسمعيل بن الحافظ لدين الله عبد المجيد العلوي صاحب مصر وكان سبب قتله ان وزيره عباسا كان له ولد اسمه نصر فاحبه الظافر وجعله من ندمائه الذين لا يقدر على فراقهم ساعة واحدة فاتفق أن قدم من الشام مؤيد الدولة الامير اسامة بن منقذ الكناني في وزارة ابن السلار واتصل بعباس فحسن له قتل العادل بن السلار زوج أمه فقتله وولاه الظافر الوزارة فاستبد بالامر وتم له ذلك وعلم الامراء والاجناد أن ذلك من فعل ابن منقذ فعزموا على قتله فخلا بعباس وقال له كيف تصبر على ما أسمع من قبيح القول قال وما ذاك قال الناس يزعمون ان الظافر يفعل بابنك نصر وكان نصر خصيصا بالظافر وكان ملازما له ليله ونهاره وكان من أجمل الناس صورة وكان الظافر يتهم به فانزعج لذلك وعظم عليه وقال كيف الحيلة قال تقتله فيذهب عنا العار فذكر الحال لولده نصر فاتفقا على قتله وقيل ان الظافر أقطع نصر بن عباس قرية قليوب وهي من أعظم قرى مصر فدخل اليه مؤيد الدولة بن منقذ وهو عند أبيه عباس قال له نصر قد اقطعني مولانا قرية قليوب فقال له مؤيد الدولة ما هي في مهرك بكثير فعظم عليه وعلى أبيه وأنف من هذه الحال وشرع في قتل الظافر فامر ابنه فحضر نصر عند الظافر وقال له اشتهي ان تجيء الى داري لدعوة صنعتها ولا تكثر من الجمع فمشى معه في نفر يسير من الخدم ليلا فلما دخل الدار قتله ومن معه وأفلت خويدم صغير اختبأ فلم يروه ودفن القتلى في داره وأخبر اباه عباسا الخبر فبكر الى القصر وطلب من الخدم الخصيصين بخدمة الظافر أن يطلبوا له اذنا في الدخول عليه لامر يريد ان يأخذ رأيه فيه فقالوا انه ليس في القصر فقال لا بد منه وكان غرضه ان ينفي التهمة عنه بقتله وان يقتل كل من بالقصر ممن يخاف ان ينازعه فيمن يقيمه في الخلافة فلما الح عليهم عجزوا عن احضاره فبينما هم يطلبونه حائرين دهشين لا يدرون ما الخبر اذ وصل اليهم الخويدم الصغير الذي شاهد قتله وقد هرب من دار عباس عند غفلتهم عنه واخبرهم بقتل الظافر فخرجوا الى عباس وقالوا له سل ولدك عنه فانه يعرف اين هو لانهما خرجا جميعا فلما سمع ذلك منهم قال اريد ان اعترض القصر لئلا يكون قد اغتاله احد من أهله فاستعرض القصر فقتل اخوين للظافر وهما يوسف وجبريل واجلس الفائز بنصر الله ابا القاسم عيسى بن الظافر بامر الله اسمعيل ثاني يوم قتل ابوه وله من العمر خمس سنين فحمله عباس على كتفه واجلسه على سرير

منه الناظر من كثرته وكلما انقص منه شئ في العمل اجتمع خلافه اكثر منه (ومنها) ان احمد اغا أغا كتخدا بك لما تقلد وكالة دار السعادة ونظارة الحرمين انضم اليه ابالس الكتبة لتحرير الايراد والمصرف وحرروا الاحكار المقررة على الاماكن والاطيان التي ابرمها النظار السابقون المدد الطويلة وجعلوا عليها قدرا من المال يقبض في كل سنة بجهة وقف اصله على عادة مصر السابقة واللاحقة في استئجار الاوقاف من نظارها والاطيان والاماكن المستأجرة من اوقاف الحرمين وتوابعها كالدشيشة والخاصكية والمحمدية والمرادية وغير ذلك كثير جدا ففتحوا هذا الباب وتسلطوا على الناس في طلب ما بايديهم من السندات وحجج التأجرات فاذا اطلعوا عليها فلا يخلو اما ان تكون المدة قد انقضت ومضت او بقي منها بقية من السنين فان كان بقي منها بقية زادوا في الاجرة المؤجلة التي هي الحكر مثلها او مثليها بحسب حال المحل ورواجه وان كانت المدة قد انقضت ومضت استولوا على عين المحل وضبطوه او جددوا له تأجيرا وزادوا في حكره ويكون ذلك لمصلحة جسيمة وعلى كلتا الحالتين لا بد من التغريم والمصالحات الجوانية والبرانية للكتاب والمباشرين والخدم والمعينين ثم المرافعة الى القاضي ودفع المحاصيل والرسوم والتسجيل وكتابة الملك

الملك وبايع له الناس واخذ عباس من القصر من الاموال والجواهر والاعلاق النفيسة ما اراد ولم يترك فيه الا مالا خير فيه

(ذكر وزارة الملك الصالح بن رزيك)

كان السبب في وزارة الملك الصالح بن رزيك ان عباسا لما قتل الظافر واقام الفائز ظن ان الامر يتم له على ما يريده فكان الحال خلاف ما اعتقده فان الكلمة اختلفت عليه وثار به الجند والسودان وصار اذا امر بالامر لا يلتفت اليه ولا يسمع قوله فارسل من بالقصر من النساء والخدم الى الصالح طلائع بن رزيك يستغيثون به وارسلوا اشعورهم على الكتب وكان في منية بنى خصيب والياعليها وعلى أعمالها وليست من الاعمال الجليلة وانما كانت اقرب الاعمال اليهم وكان فيه شهامة فجمع ليقصد عباسا وسار اليه فلما سمع عباس ذلك خرج من مصر نحو الشام بما معه من الاموال التى لا تحصى كثرة والتحف والاشياء التى لا توجد الا هناك مما كان أخذه من القصر فلما سار وقع به الفرنج فقتلوه واخذوا جميع ما معه فتقووا به وسار الملك الصالح فدخل القاهرة باعلام سود وثياب سود حزنا على الظافر والشعور التى أرسلت اليه من القصر على رؤس الرماح وكان هذا من الفال العجيب فان الاعلام السود العباسية دخلتها وازالت الاعلام العلوية بعد خمس عشرة سنة ولما دخل الصالح القاهرة خلع عليه خلع الوزارة واستقر في الامر واحضر الخادم الذى شاهد قتل الظافر فاراه موضع دفنه فاخرجه ونقله الى مقابرهم بالقصر ولما قتل الفرنج عباسا اسروا ابنه فارسل الملك الصالح الى الفرنج وبذل لهم مالا واخذه منهم فسار من الشام مع أصحاب الصالح فلم يكلم احدا منهم كلمة واحدة الى ان رأى القاهرة فانشد

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا ✽ صروف الليالى والجدود العواثر

وأدخل القصر فكان آخر العهد به فانه قتل وصلب على باب زويلة واستقصى الصالح البيوت الكبار والاعيان بالديار المصرية فاهلك اهلها وابعدهم عن ديارهم واخذ اموالهم فمنهم من هلك ومنهم من تفرق في البلاد والحجاز واليمن وغيرها فعل ذلك خوفا منهم ان يثوروا عليه وينازعوه في الوزارة وكان ابن منقذ قد هرب مع عباس فلما قتل هرب الى الشام

(ذكر حصر تكريت ووقعة بكمزا)

في هذه السنة ارسل الخليفة المقتفى لامر الله رسولا الى والى تكريت بسبب من عندهم من المأسورين وهم ابن الوزير وغيره فقبضوا على الرسول فسير الخليفة عسكرا اليهم فخرج اهل تكريت فقاتلوا العسكر ومنعوه من الدخول الى البلد فسار الخليفة بنفسه مستهل صفر فنزل على البلد فهرب أهله فدخل العسكر فشعثوا ونهبوا بعضه ونصب على القلعة ثلاثة عشر منجنيقا فسقط من اسوارها برج وبقى الحصر كذلك الى الخامس والعشرين من ربيع الاول وأمر الخليفة بالقتال والزحف فاشتد القتال وكثر القتلى ولم

البنائين والنجارين والنشارين والخراطين والزامهم في عمائر الدولة بمصر وغيرها بالاجارة والتسخير واختفى الكثير منهم وابطل صناعته واغلق من له حانوت حانوته فيطلبه كبير حرفته الملزم باحضاره عند معمار باشا فاما أنه يلازم الشغل او يفتدى نفسه او يقيم بدلا عنه ويدفع له الاجرة من عنده فترك الكثير صناعته واغلق حانوته وتكسب بحرفة اخرى فتعطل بذلك احتياجات الناس في التعمير والبناء بحيث ان من اراد ان يبنى له كانونا أو مدودا لدابته تحير في أمره وأقام أياما في تحصيل البناء وما يحتاجه من الطين والجير والقصرمل وكان الباشا اشترى ألف حمار وحملوا لها مزابل وأعدوها لنقل أتربة عمائره وشيل القصرمل من مستوقدات الحمامات بالمدينة وبولاق ونودى في المدينة بمنع الناس كافة عن اخذ شئ من القصرمل فكان الذى تلزمه الضرورة لشئ منه ان كان قليلا أخذه كالسرقة في الليل من المستوقد باغلى ثمن وان كان كثيرا لا ياخذه الا بفرمان بالاذن من كتخدا بك بعد أن كان شيئا مبتذلا وليس له قيمة ينقلونه اذا كثر بالمستوقدات الى الكيمان بالاجرة وان احتاجه الناس في أبنيتهم اما نقلوه على حميرهم أو نقله خدمة المستوقد باجرتهم

يبلغ منها غرضا فرحل عائدا الى بغداد فدخلها آخر الشهر ثم امر الوزير عون الدين بن هبيرة بالعود الى محاصرتها والاستعداد والاستكثار من الآلات للحصار فسار اليها سابع ربيع الآخر ونازلها وضيق عليها فوصل الخبر بان مسعود بلال وصل الى شهرابان ومعه البقش كون خر وترشك وعسكر كثير ونهبوا البلاد فعاد الوزير الى بغداد وكان سبب وصول هذا العسكر انهم حثوا الملك محمدا بن السلطان محمود على قصد العراق فلم يتهيأ له ذلك فسير هذا العسكر وانضاف اليهم خلق كثير من التركمان فخرج الخليفة اليهم فارسل بلال مسعود الى تكريت واخرج منها الملك ارسلان ابن السلطان طغرل بن محمد وكان محبوسا بتكريت وقال ان هذا سلطان نقاتل بين يديه بازاء الخليفة والتقى العسكران عند بكمزا بالقرب من بعقوبا ودام بينهم المناوشة والمحاربة ثمانية عشر يوما ثم انهم التقوا آخر رجب فاقتتلوا فانهزمت ميمنة عسكر الخليفة وبعض القلب حتى بلغت الهزيمة بغداد ونهبت خزائنه وقتل خازنه فحمل الخليفة بنفسه هو وولي عهده وصاح يا آل هاشم كذب الشيطان وقرأ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وحمل باقي العسكر معه فانهزم مسعود والبقش وجميع من معهم ووقعت الهزيمة وظفر الخليفة بهم وغنم عسكره جميع مال التركمان من دواب وغنم وغير ذلك فبيع كل كبش بدانق وكانوا قد حضروا بنسائهم واولادهم وخركاواتهم وجميع مالهم فاخذ جميعه ونودي من أخذ من اولاد التركمان ونسائهم شيئا فليرده فردوه واخذ البقش كون خر الملك ارسلان وانهزم الى بلد اللحف وقلعة الماهكي وفي هذه الحرب غدر بنو عوف من عسكر الخليفة ولحقوا بالعجم ومضى هندي الكردي ايضا معهم وكان الملك محمد قد ارسل عسكرا مع خاص بك بن آقسنقر نجدة لكون خر فلما وصلوا الى الراذان بلغهم خبر الهزيمة فعاد ورجع الخليفة الى بغداد فدخلها اوائل شعبان فوصل الخبر ان مسعود بلال وترشك قصدا مدينة واسط فنهبوا وخربوا فسير الخليفة الوزير ابن هبيرة في عسكر خامس عشر شعبان فانهزم العجم فلحقهم عسكر الخليفة ونهب منهم شيئا كثيرا وعاد الى بغداد فلقب الوزير سلطان العراق ملك الجيوش وسير الخليفة عسكرا الى بلد اللحف فاخذوه وصار في جملته واما الملك ارسلان بن طغرل فان البقش اخذه معه الى بلده فارسل اليه الملك محمد يقول له ليحضر عنده وارسلان معه فمات البقش كون خر في رمضان في هذه السنة وبقي ارسلان مع ابن البقش وحسن الجاندار فحملاه الى الجبل فخاف السلطان محمد ان يصل ارسلان الى زوج امه ابي بكر فيجعله ذريعة الى قهر البلاد فلم ينفعه حذره واتصل ارسلان بابي بكر زوج امه فصار معه وهو اخو بهلوان ابن ايلدكز لامه وطغرل الذي قتله خوارزم شاه ولد ارسلان هذا وكان طغرل آخر السلجوقية

(ذكر ملك نور الدين محمود مدينة دمشق)

في هذه السنة في صفر ملك نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر مدينة دمشق واخذها

من

كل فردين بنصف وأقل وأزيد ونحو ذلك كما اذا ضاع لانسان مفتاح خشب لا يجد نجارا يصنع له مفتاحا آخر الا خفية ويطلب عنه خمسة عشر نصف فضة وكان من عادة المفتاح نصف فضة ان كان كبيرا او نصف نصف ان كان صغيرا (ومنها) ان الذي التزم بعمل البارود قرر على نفسه مائتي كيس واحتكر جميع لوازمه مثل الفحم وحطب الترمس والذرة والكبريت فقرر على كل صنف من ذلك قدرا من الاكياس وابطل الذين كانوا يعملون في السباخ بالكيمان ويستخرجون منه ملح البارود ثم يؤخذ منهم عبيطا الى المعمل فيكررونه حتى يخرج ملحا ابيض يصلح للعمل وهي صناعة قذرة ممتهنة فابطلهم منها وبنى احواضا بدلا عن الصناديق وجعلها مقسمة وطلاها بالخافقي وعمل ساقية واجرى الماء منها الى تلك الاحواض واوقف العمال لذلك بالاجرة يعملون في السباخ المذكور (ومنها) شحة الحطب الرومي في هذه السنة واذا ورد منه شي حجزه الباشا لاحتياجاته فلا يرى الناس منه شيئا فكان الحطابة يبيعون بدله خشب الاشجار المقطوعة من القطر المصري وافضلها السنط فيباع منه الحملة بثلثمائة نصف فضة واجرة حمالها عشرة وتكسيرها عشرة وعز وجود الفحم ايضا حتى بيعت الاقة بعشرين نصفا وذلك لانقطاع الجالب الا ما يأتي قليلا

من صاحبها مجير الدين أنر بن محمد بن بوري بن طغدكين اتابك وكان سبب حرصه على ملكها ان الفرنج لما ملكوا في العام الماضي مدينة عسقلان لم يكن لنور الدين طريق الى ازعاجهم عنها لاعتراض دمشق بينه وبين عسقلان فلما ملك الفرنج عسقلان طمعوا في دمشق حتى انهم استعرضوا كل من بها من مملوك وجارية من النصارى فمن اراد المقام بها تركوه ومن اراد العود الى وطنه اخذوه قهرا شاء صاحبه ام ابى وكان لهم على اهلها كل سنة قطيعة يأخذونها منهم فكان رسلهم يدخلون البلد ويأخذونها منهم فلما راى نور الدين ذلك خاف ان يملكها الفرنج فلا يبقى حينئذ للمسلمين بالشام مقام فاعمل الحيلة في اخذها حيث علم انها لا تملك قوة لان صاحبها متى راى غلبة ممن يقصده راسل الفرنج واستعان بهم لئلا يملكها من يقوى بها على قتالهم فراسل مجير الدين صاحبها واستماله وواصله بالهدايا واظهر له المودة حتى وثق اليه فكان نور الدين يقول له في بعض الاوقات ان فلانا قد كاتبني في تسليم دمشق يعني بعض امراء مجير الدين فكان يبعد الذي قيل عنه ويأخذ اقطاعه فلما لم يبق عنده من الامراء احد قدم أميرا يقال له عطاء بن حفاظ السلمي الخادم وكان شهما شجاعا وفوض اليه امر دولته فكان نور الدين لا يتمكن معه من أخذ دمشق فقبض عليه مجير الدين وقتله فسار نور الدين حينئذ الى دمشق وكان قد كاتب من بها من الاحداث واستمالهم فوعدوه بالتسليم اليه فلما حصر نور الدين البلد أرسل مجير الدين الى الفرنج يبذل لهم الاموال وتسليم قلعة بعلبك اليهم لينجدوه ويرحلوا نور الدين عنه فشرعوا في جمع فارسهم وراجلهم ليرحلوا نور الدين عن البلد فالى ان اجتمع لهم ما يريدون تسلم نور الدين البلد فعادوا بخفي حنين وأما كيفية تسليم دمشق فانه لما حصرها ثار الاحداث الذين راسلهم فسلموا اليه البلد من الباب الشرقي وملكه وحصر مجير الدين في القلعة وراسله في تسليمها وبذل له اقطاعا من جملته مدينة حمص فسلمها اليه وسار الى حمص وأعطاه عوضا عنها بالس فلم يرضها وسار منها الى العراق واقام ببغداد وابتنى بها دارا بالقرب من النظامية وتوفي بها

(ذكر قصد الاسماعيلية خراسان والظفر بهم)

في هذه السنة في ربيع الآخر اجتمع جمع كثير من الاسماعيلية من قهستان بلغت عدتهم سبعة آلاف رجل ما بين فارس وراجل وساروا يريدون خراسان لاشتغال عساكرها بالغز وقصدوا أعمال خواف وما يجاورها فلقيهم الامير فرخشاه بن محمود الكاساني في جماعة من حشمه وأصحابه فعلم أن لا طاقة له بهم وسار عنهم وأرسل الامير محمد بن انز وهو من أكبر أمراء خراسان وانجعهم يعرفه الحال وطلب منه المسير اليهم بعسكره ومن قدر عليه من الامراء ليجتمعوا عليهم ويقاتلوهم فسار محمد بن انز في جماعة من الامراء وكثير من العسكر واجتمعوا هو وفرخشاه ودافعوا الاسماعيلية وقاتلوهم وطال الحرب بينهم ثم نصر الله المسلمين وانهزم الاسماعيلية وكثر القتل فيهم واخذهم السيف من كل مكان وهلك أعيانهم وسادتهم بعضهم قتل وبعضهم أسر ولم يسلم منهم

من ناحية الصعيد مع العسكر يتسببون فيه ويبيعونه بالغلي عن كل حصيرة ٩٨ بأثني عشر قرشا وخمسة عشر قرشا وهي دون القنطار وكانت تباع في السابق بستين نصفا وهي قرش ونصف وغير ذلك امور واحداثات وابتداعات لا يمكن استقصاؤها ولم يصل الينا خبرها اذ لا يصل الينا الا ما تعلقت به اللوازم والاحتياجات الكلية وقد يستدل بالبعض على الكل (واما من مات في هذه السنة ممن له ذكر) فمات الشيخ الامام العلامة والنحرير الفهامة الفقيه الاصولي النحوي شيخ الاسلام والمسلمين الشيخ عبد الله بن حجازي بن ابراهيم الشافعي الازهري الشهير بالشرقاوي شيخ الجامع الازهر ولد ببلدة تسمى الطويلة بشرقية بلبيس بالقرب من القرين في حدود الخمسين بعد المائة وتربى بالقرين فلما ترعرع وحفظ القرآن قدم الى الجامع الازهر وسمع الكثير من الشهابين الملوي والجوهري والحفني واخيه يوسف والدمنهوري والبليدي وعطية الاجهوري ومحمد الفارسي وعلي المنفيسي الشهير بالصعيدي وعمر الطحلاوي وسمع الموطا فقط على علي بن العربي الشهير بالسقاط وبآخره تلقن بالسلوك والطريقة على شيخنا الشيخ محمود الكردي ولازمه وحضر معنا في اذكاره وجمعياته ودرس الدروس بالجامع الازهر وبمدرسة

الا القليل الشر بدوخلت قلاعهم وحصونهم من حام ومانع فلولا اشتغال العساكر بالغز لكانوا املكوها بغير تعب ولا مشقة وأراحوا المسلمين منهم ولكن الله امروهو بالغ

(ذكر ملك نور الدين تل باشر)

فى هذه السنة أو التى بعدها ملك نور الدين محمود بن زنكى قلعة تل باشر وهى شمالى حلب من أمنع القلاع وسبب ملكها ان الفرنج لما راوا ملك نور الدين دمشق خافوه وعلموا انه يقوى عليهم ولا يقدرون على الانتصاف منه لما كانوا يرون منه قبل ملكها فراسله من بهذه القلعة من الفرنج وبذلوا له تسليمها فسير اليهم الامير حسان المنبجى وهو من اكابر امرائه وكان اقطاعه ذلك الوقت مدينة منبج وهى تقارب تل باشر وامره ان يسير اليها ويتسلمها فسار اليها وتسلمها منهم وحصنها ورفع اليها من الذخائر ما يكفيها سنين كثيرة

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة مات استاذ دار ابو الفتوح عبد الله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء وكان له صدقات ومعروف كثير ومجالسة للفقراء ولما مات ولى ابنه الاكبر عضد الدين ابو الفرج محمد بن عبد الله ما كان الى ابيه وتوفى عبد الرحمن بن عبد الصمد بن احمد ابن على ابو القاسم الاكاف النيسابورى كان زاهدا عابدا فقيها مناظرا وكان السلطان سنجر يزوره ويتبرك بدعائه وكان ربما حجبه فلا يمكنه من الدخول اليه وفيها توفى ثقة الدولة ابو الحسن على بن محمد الزوينى الغزوينى وكان يخدم أبا نصر محمد بن الفرج الابرى وزوجه ابنته شهدة الكاتبة فقربه المقتفى لامر الله وكله فبنى مدرسة بباب الازج

(ثم دخلت سنة خمسين وخمسمائة)

فى هذه السنة سار الخليفة المقتفى لامر الله الى دقوقا فحصرها وقاتل من بها ثم رحل عنها لانه بلغه ان عسكر الموصل قد تجهز والمسير لمنعه عنها فرحل ولم يبلغ غرضا وفيها استولى شملة التركمانى على خوزستان وصاحبها حينئذ ملكشاه محمود بن محمد فسير الخليفة اليه عسكرا فلقيهم شملة فى رجب وقاتلهم فانهزم عسكر الخليفة وأسروجوههم ثم احسن اليهم شملة وأطلقهم وأرسل يعتذر فقبل عذره وسار الى خوزستان فملكها وأزاح عنها ملكشاه ابن السلطان محمود بن محمد وفيها سار الغز الى نيسابور فملكوها بالسيف ودخلوها وقتلوا محمد بن يحيى الفقيه الشافعى ونحوا من ثلاثين ألفا وكان السلطان سنجر له اسم السلطنة وهو معتقل لا يلتفت اليه حتى انه أراد كثيرا من الايام ان يركب فلم يكن له من يحمل سلاحه فشده على وسطه وركب وكان اذا قدم اليه طعام يدخر منه ما يأكله وقتا آخر خوفا من انقطاعه عنه لتقصيرهم فى واجبه ولانهم ليس هذا مما يعرفونه وفيها وثب قوس الارمن بمدينة آنى فاخذوها من الامير شداد وسلموها

على سعة فضله من ذلك حاشيته على التحرير وشرح نظم يحيى العمريطى وشرح العقائد المشرقية والمتن له ايضا وشرح مختصر فى العقائد والفقه والتصوف مشهور فى بلاد داغستان وشرح رسالة عبد الفتاح العادلى فى العقائد ومختصر الشمائل وشرحه له ورسالة فى لا اله الا الله ورسالة فى مسئلة أصولية فى جمع الجوامع وشرح الحكم والوصايا الكردية فى التصوف وشرح وود محرر للبكرى ومختصر المغنى فى النحو وغير ذلك ولما اراد السلوك فى طريق الخلوتية ولقنه الشيخ الحفنى الاسم الاول حصل له وله واختلال فى عقله ومكث بالمارستان أياما ثم شفى ولازم الاقراء والافادة ثم تلقن من شيخنا الشيخ محمود الكردى وقطع الاسماء عليه والبسه التاج وواظب على مجالسته وكان فى قلة من خشونة العيش وضيق المعيشة فلا يطبخ فى داره الا نادرا وبعض معارفه يواسونه ويرسلون اليه الصحفة من الطعام او يدعونه ليأكل معهم ولما عرفه الناس واشتهر ذكره فواصله بعض تجار الشوام وغيرهم بالزكوات والهدايا والصلات فراج حاله وتجمل بالملابس وكبر تاجه ولما توفى الشيخ الكردى كان المترجم من جملة خلفائه وضم اليه أشخاصا من الطلبة

وسلموها الى أخيه فضلون وفيها في ذي الحجة قتل الاتراك القارغلية طمغاج خان بن محمد بما وراء النهر والقوه في الصحراء ونسبوه الى أشياء قبيحة وكان مدة ملكه مستضعفا غير مهيب وفيها توفي أبو الفضل محمد بن ناصر بن علي البغدادي الحافظ الاديب وكان مشهورا بالفضل وكان شافعيا وصار حنبليا مغاليا ومولده سنة سبع وستين وأربعمائة في شعبان وكان موته أيضا في شعبان وفيها كان بالعراق وما جاوره من البلاد زلزلة كبيرة في ذي الحجة وفيها توفي يحيى الغساني الحموي الموصلي وكان فاضلا خيرا وتاج الدين أبو طاهر يحيى بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري قاضي جزيرة ابن عمر

(ثم دخلت سنة احدى وخمسين وخمسمائة)

(ذكر عصيان الجزائر وافريقية على ملك الفرنج بصقلية وما كان منهم)

قد ذكرنا سنة ثمان وأربعين وخمسمائة موت رجار ملك صقلية وملك ولده غليالم وانه كان فاسد التدبير فخرج عن حكمه عدة من حصون صقلية فلما كان هذه السنة قوي طمع الناس فيه فخرج من طاعته جزيرة جربة وجزيرة قرقنة وأظهروا الخلاف عليه وخالف عليه أهل افريقية فاول من أظهر الخلاف عليه عمر بن أبي الحسين الفرياني بمدينة سفاقس وكان رجار قد استعمل عليها لما فتحها أباه أبا الحسين وكان من العلماء الصالحين فاظهر العجز والضعف وقال استعمل ولدي فاستعمله وأخذ أباه رهينة الى صقلية فلما اراد المسير اليها قال لولده عمر اني كبير السن وقد قارب أجلي فمتى امكنتك الفرصة في الخلاف على العدو فافعل ولا تراقبهم ولا تنظر في اني اقتل واحسب اني قد مت فلما وجد هذه الفرصة دعا اهل المدينة الى الخلاف وقال يطلع جماعة منكم الى السور وجماعة يقصدون مساكن الفرنج والنصارى جميعهم ويقتلونهم كلهم فقالوا له ان سيدنا الشيخ والدك نخاف عليه قال هو امرني بهذا واذا قتل بالشيخ الوف من الاعداء فما مات فلم تطلع الشمس حتى قتلوا الفرنج عن آخرهم وكان ذلك اول سنة احدى وخمسين وخمسمائة ثم اتبعه يحيى بن مطروح بطرابلس وبعده محمد بن رشيد بقابس وسار عسكر عبد المؤمن الى بونة فملكها وخرج جميع افريقية عن حكم الفرنج ما عدا المهدية وسوسة وارسل عمر بن ابي الحسين الى زويلة وهي مدينة بينها وبين المهدية نحو ميدان يحرضهم على الوثوب على من معهم فيها من النصارى ففعلوا ذلك وقدم عرب البلاد الى زويلة فاعانوا اهلها على من بالمهدية من الفرنج وقطعوا الميرة عن المهدية فلما اتصل الخبر بغليالم ملك صقلية احضر أبا الحسين وعرفه ما عمل ابنه فامره ان يكتب اليه ينهاه عن ذلك ويامره بالعود الى طاعته ويخوفه عاقبة فعله فقال من قدم على هذا لا يرجع بكتاب فارسل ملك صقلية اليه رسولا يتهدده ويامره بترك ما ارتكبه فلم يمكنه عمر من دخول البلد يومه ذلك فلما كان الغد خرج اهل البلد جميعهم ومعهم جنازة والرسول يشاهدهم فدفنوها وعادوا وارسل عمر الى الرسول يقول له هذا ابي قد دفنته وقد جلست للعزاء به فاصنعوا به ما اردتم فعاد الرسول الى غليالم فاخبره بما صنع عمر بن

والمجاورين الذين يحضرون في درسه يأتون اليه في كل ليلة عشاء يذكرون معه ويعمل لهم في بعض الاحيان ثريدا ويذهب بهم الى بعض البيوت فيما تم المولى وليالي السبع والجمع المعتادة ومعهم منشدون ومولهون ومن يقرأ الاعشار عند ختم المجلس فيأكلون العشاء ويسهرون حصة من الليل في الذكر والانشاد والتوله وينادون في انشادهم بقولهم يا بكري مدد يا حفني مدد يا شرقاوي مدد ثم يأتون اليهم بالطاري وهو الطعام بعد انقضاء المجلس ثم يعطونهم أيضا دراهم ثم اشترى له دار الحارة كتامة المسماة بالعينية وساعده في ثمنها بعض من يعاشره من المياسير وترك الذهاب الى البيوت الا في النادر واستمر على حالته حتى مات الشيخ أحمد العروسي فتولى بعده مشيخة الجامع الازهر فزاد في تكبير عمامته وتعظيمها حتى كان يضرب بعظمها المثل وكانت تعارضت فيه وفي الشيخ مصطفى الصاوي ثم حصل الاتفاق على الترجيح وان الشيخ الصاوي يستقر في وظيفة التدريس بالمدرسة الصلاحية المجاورة لضريح الامام الشافعي بعد صلاة العصر وهي من وظائف مشيخة الجامع ولما تولاها الشيخ العروسي تعدى على الوظيفة المذكورة الشيخ محمد المصيلحي الضرير وكان يرى في نفسه انه أحق بالمشيخة من العروسي فلم ينازعه فيها لحصول الشر فلما مات المصيلحي

ابي الحسين فاخذ اباه وصلبه فلم يزل يذكر الله تعالى حتى مات واما اهل زويلة فانهم كثر جمعهم بالعرب واهل سفاقس وغيرهم فحصروا المهدية وضيقوا عليها وكانت الاقوات بالمهدية قليلة فسير اليهم صاحب صقلية عشرين شينيا فيها الرجال والطعام والسلاح فدخلوا البلد وارسلوا الى العرب وبذلوا لهم مالا ليهزموا وخرجوا من الغد فقاتلوا هم واهل زويلة فانهزمت العرب وبقي اهل زويلة واهل سفاقس وركبوا في البحر فنجوا وبقي اهل زويلة فحمل عليهم الفرنج فانهزموا الى زويلة فوجدوا أبوابها مغلقة فقاتلوا تحت السور وصبروا حتى قتل اكثرهم ولم ينج الاقليل فتفرقوا ومضى بعضهم الى عبد المؤمن فلما قتلوا هرب من سلم من الحرم والصبيان والشيوخ في البر ولم يعرجوا على شيء من اموالهم ودخل الفرنج زويلة فقتلوا من وجدوا فيها من النساء والاطفال ونهبوا الاموال واستقر الفرنج بالمهدية الى ان اخذها منهم عبد المؤمن على مانذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر القبض على سليمان شاه وحبسه بالموصل)

في هذه السنة قبض زين الدين على كوجك نائب قطب الدين مودود بن زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل على الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد بن ملكشاه وكان سليمان شاه عند عمه السلطان سنجر قديما وقد جعله ولي عهده وخطب له على منابر خراسان فلما جرى لسنجر مع الغز ما ذكرناه وتقدم على عسكر خراسان وضعفوا عن الغز مضى الى خوارزم شاه فزوجه ابنة اخيه اتسيس ثم بلغه عنه ما كرهه فابعده فجاء الى اصفهان فمنعه شحنتها من الدخول فمضى الى قاشان فسير اليه محمد شاه ابن اخيه محمود بن محمد عسكرا ابعدوه عنها فسار الى خوزستان فمنعه ملكشاه عنها فقصد اللحف ونزل البندنيجين وارسل رسولا الى الخليفة المقتفي يعلمه بوصوله وترددت الرسل بينهما الى ان استقر الامر على ان يرسل زوجته تكون رهينة فارسلها الى بغداد ومعها كثير من الجواري والاتباع وقال قد ارسلت هؤلاء رهائن فان اذن امير المؤمنين في دخول بغداد فعلت والا رجعت فاكرم الخليفة زوجته ومن معها واذن له في القدوم اليه فقدم ومعه عسكر خفيف يبلغون ثلثمائة رجل فخرج ولد الوزير ابن هبيرة لتلقيه ومعه قاضي القضاة والنقيبان ولم يترجل له ابن الوزير ودخل بغداد وعلى رأسه الشمسة وخلع عليه الخليفة واقام ببغداد الى ان دخل المحرم من سنة احدى وخمسين وخمسمائة فاحضر فيه سليمان شاه الى دار الخليفة واحضر قاضي القضاة والشهود واعيان العباسيين وحلف للخليفة على النصح والموافقة ولزوم الطاعة وانه لا يتعرض الى العراق بحال فلما حلف خطب له ببغداد ولقب بالقاب ابيه غياث الدنيا والدين وباقي القابه وخلع عليه خلع السلطنة وسير معه من عسكر بغداد ثلاثة آلاف فارس وجعل الامير قويدان صاحب الحلة اميرحاجب معه وسار نحو بلاد الجبل في ربيع الاول وسار الخليفة الى حلوان وارسل الى ملكشاه ابن السلطان محمود اخي السلطان محمد صاحب همذان

فلما مات العروسي وتولى المترجم المشيخة اتفقوا على بقاء الصاوي في الوظيفة ومضى على ذلك اشهر ثم ان المتعصبين على الشرقاوي وسوسوا له وحرضوه على أخذ الوظيفة وان مشيخته لاتتم الا بها وكان مطواعا فكلم في ذلك الشيخ محمد بن الجوهري وأيوب بك الدفتردار ووافقاه على ذلك واغرياه وذهب بجماعته ومن انضم اليهم وهم كثيرون وقرأ بها درسا فلم يحتمل الصاوي ذلك وتشاور مع ذوي الراي والمكايد من رفقائه كالشيخ بدوي الهيتمي واضرابه فبيتوا امرهم وذهب الشيخ مصطفى الى رضوان كتخدا ابراهيم بك الكبير وله به صداقة ومعاملة ومقارضة فساعه في مبلغ كان عليه له فعند ذلك اهتم رضوان كتخدا المذكور وحضر عند الشرقاوي وتكلم معه وافحمه ثم اجتمع وافى ثاني يوم ببيت الشرقاوي وحضر الصاوي وعزوته وباقي الجماعة فقال الشرقاوي اشهدوا ياجماعة ان هذه الوظيفة استحقاقي وانا نزلت عنها الى الشيخ مصطفى الصاوي فقال له الصاوي ارجع اما الآن فلا ولا جميلة لك الآن في ذلك وباكته بكلام كثير وبانفاذ رأي من حوله وغير ذلك وانفض المجلس على منعه من الوظيفة واستمرار وغيرها

وغيرها يدعوه الى موافقته فقدم فى الفى فارس فخلف كل منهما صاحبه وجعل ملكشاه ولى عهد سليمان شاه وامدهما الخليفة بالمال والاسلحة وغيرها فساروا واجتمعوا هم وايلدكز فصاروا فى جمع كبير فلما سمع السلطان محمد خبرهم ارسل الى قطب الدين مودود صاحب الموصل ونائبه زين الدين يطلب منهما المساعدة ويبذل لهما البذول الكثيرة ان ظفر فاجاباه الى ذلك واتفقا فقويت نفسه وسار الى لقاء سليمان شاه ومن اجتمع معه من عساكره ووقعت الحرب بينهم فى جمادى الاولى واشتد القتال بين الفريقين فانهزم سليمان شاه ومن معه وتشتت العسكر ووصل من عسكر الخليفة وكانوا ثلاثة آلاف رجل نحو من خمسين رجلا ولم يقتل منهم احد وانما اخذت خيولهم واموالهم وتشتتوا وجاؤا متفرقين وفارق سليمان شاه ايلدكز وسار نحو بغداد على شهرزور فخرج اليه زين الدين على فى جماعة من عسكر الموصل وكان بشهرزور والامير بزان مقطعها من جهة زين الدين وسارا فوقفا على طريق سليمان شاه فاخذاه اسيرا وحمله زين الدين الى قلعة الموصل وحبسه بها مكرما محترما الى ان كان من امره ما نذكره سنة خمس وخمسين ان شاء الله فلما قبض سليمان شاه ارسل زين الدين الى السلطان محمد يعرفه ذلك ووعده المعاضدة على كل ما يريده منه والمساعدة له والله أعلم

(ذكر حصر نور الدين قلعة حارم)

فى هذه السنة سار نور الدين محمود بن زنكى الى قلعة حارم وهى للفرنج ثم لبيمند صاحب انطاكية وهى تقارب انطاكية من شرقيها وحصرها وضيق على اهلها وهى قلعة منيعة فى نحور المسلمين فاجتمعت الفرنج من قرب منها ومن بعد وساروا نحوه ليرحلوه عنها وكان بالحصن شيطان من شياطينهم يعرفون عقله ويرجعون الى رايه فارسل اليهم يقول انا نقدر على حفظ القلعة وليس بنا ضعف فلا تخاطروا انتم باللقاء فانه ان هزمكم اخذها وغيرها والراى مطاولته فارسلوا اليه وصالحوه على ان يعطوه نصف اعمال حارم فاصطلحوا على ذلك ورحل عنهم فقال بعض الشعراء

ألبست دين محمد يانوره * عزا له فوق السها آساد
ما زلت تشمله بمياد القنا * حتى تثقف عوده المياد
لم يبق مذ ارهفت عزمك دونه * عدد يراع به ولا استعداد
ان المنابر لو تطيق تكلما * حمدتك عن خطبائها الاعواد
ملقى باطراف القريحة كلما * طرفاه ضرب صادق وجلاد
حاموا فلما عاينوا خوض الردى * حاموا فراتس كيدهم او كادوا
ورأى البرنس وقد تبرنس ذلة * حزم الحارم والمصاد مصاد
من منكر ان ينسف السيل الربا * وابوه ذاك العارض المداد
أو ان يعيد الشمس كاسفة السنى * نار لها ذاك الشهاب زناد

الضاوى فيها الى ان مات فعادت الى المترجم عند ذلك من غير منازع وواظب الاقراء فيها مدة وطالب سنة الضريح يعملونها فعاطلوه فتشاجر معهم وسبهم فشكوه للعاضدين لهم وهم أهل المكايد من الفقهاء وغيرهم وتعصبوا عليه وانهوا الى الباشا وضموا الى ذلك اشياء حتى اغروا عليه صدره واتفقوا على عزله من المشيخة ثم انحط الامر على ان يلزم داره ولا يخرج منها ولا يتداخل فى شئ من الاشياء فكان ذلك اياما ثم عفا عنه الباشا بشفاعة القاضى فركب وقابله ولكن لم يعد الى القراءة فى الوظيفة بل استناب فيها بعض الفقهاء وهو الشيخ محمد الشبراوينى ولما حضرت الفرنساوية الى مصر فى سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف ورتبوا ديوانا لاجراء الاحكام بين المسلمين جعلوا المترجم رئيس الديوان وانتفع فى ايامهم بما يتحصل اليه من المعلوم المرتب له عن ذلك وقضايا وشفاعات لبعض الاجناد المصرية وحصالات على ذلك واستيلاء على تركات وودائع خرجت اربابها فى حادثة الفرنساوية وهلكوا واتسعت عليه الدنيا وزاد طمعه فيها واشترى دار ابن بيره بظاهر الازهر وهى دار واسعة من مساكن الامراء الاقدمين وزوجته بنت الشيخ على الزعفرانى هى التى تدبر امره وتحرز كل ما يأتيه ويجمعه ولا يروح ولا يغدو الا عن امرها ومشورتها

لا ينفع الآباء ما سمكوا من العلياء حتى يرفع الاولاد
وهي طويلة

(ذكر وفاة خوارزم شاه اتسز وغيره من الملوك)

في هذه السنة تاسع جمادى الآخرة توفي خوارزم شاه اتسز بن محمد بن انوشتكين وكان قد اصابه فالج فتعالج منه فلم يبرأ فاستعمل ادوية شديدة الحرارة بغير امر الاطباء فاشتد مرضه وضعفت قوته فتوفي وكان يقول عند الموت ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه وكانت ولادته في رجب سنة تسعين واربعمائة ولما توفي ملك بعده ابنه ارسلان فقتل نفرا من اعمامه وسمل أخاله فمات بعد ثلاثة ايام وقيل بل قتل نفسه وارسل الى السلطان سنجر وكان قد هرب من أسر الغز على ما نذكره يبذل الطاعة والانقياد فكتب له منشورا بولاية خوارزم وسير الخلع له في رمضان فبقي في ولايته سالما كما آمنا وكان اتسز حسن السيرة كافا عن أموال رعيته منصفا لهم محبوبا اليهم مؤثرا للاحسان والخير اليهم وكان الرعية معه بين امن غامر وعدل شامل وفي سابع عشر الشهر المذكور توفي أبو الفوارس بن محمد بن ارسلان شاه ملك كرمان وملك بعده ابنه سلجوق شاه وفيها توفي الملك مسعود بن قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش صاحب قونية وما يجاورها من بلاد الروم وملك بعده ابنه قلج ارسلان

(ذكر هرب السلطان سنجر من الغز)

في هذه السنة في رمضان هرب السلطان سنجر بن ملكشاه من اسر الغز وجماعة من الامراء الذين معه وساروا الى قلعة ترمذ واستظهر بها على الغز وكان خوارزم شاه اتسز بن محمد بن انوشتكين والخاقان محمود بن محمد يقصدان الغز فيقاتلانهم فبين معهما فكانت الحرب بينهم سجالا وغلب كل واحد من الغز والخراسانيين على ناحية من خراسان فهو بها كل دخلها لا رأس لهم يجمعهم وسار السلطان سنجر من ترمذ الى جيحون يريد العبور الى خراسان فاتفق ان مقدم الاتراك القارغلية واسمه علي بك توفي وكان أشد شيء على السلطان سنجر وعلى غيره كثير الشر والفساد واثارة الفتن فلما توفي اقبلت القارغلية على السلطان سنجر وكذلك غيرهم من سائر الامم من اقاصي البلاد وادانيها وعاد الى دار ملكه بمرو في رمضان فكانت مدة اسره مع الغز من سادس جمادى الاولى سنة ثمان واربعين الى رمضان سنة احدى وخمسين وخمسمائة

(ذكر البيعة لمحمد بن عبد المؤمن بولاية عهد ابيه)

في هذه السنة امر عبد المؤمن بالبيعة لولده محمد بولاية عهده وكان الشرط والقاعدة بين عبد المؤمن وبين عمر ان يلي عمر الامر بعد عبد المؤمن فلما تمكن عبد المؤمن من الملك وكثر اولاده احب ان ينقل الملك اليهم فاحضر امراء العرب من هلال وزغب وعدي وغيرهم اليه ووصلهم واحسن اليهم ووضع عليهم من يقول لهم ليطلبوا من عبد المؤمن ويقولوا له نريد ان تجعل لنا ولي عهد من ولدك يرجع الناس اليه بعدك ففعلوا ذلك

فلم

وهي ام ولده سيدي علي الموجود الآن وكانت قبل زواجه بها في قلة من العيش فلما كثرت عليه الدنيا اشترت الاملاك والعقار والحمامات والحوانيت بما يغل ايراده مبلغا في كل شهر له صورة وعمل مهم الزواج لابنه المذكور في ايام محمد باشا خسرو سنة سبع عشرة ومائتين والف ودعا اليه الباشا واعيان الوقت فاجتمع اليه شيء كثير من الهدايا ولما حضر اليه الباشا انعم على ابنه باربعة اكياس عنها ثمانون ألف درهم وذلك خلاف البقاشيش واتفق للمترجم في ايام الامراء المصرية ان طائفة المجاورين بالازهر من الشرقاويين يقطنون بمدرسة الطيبرسية بباب الازهر وعمل لهم المترجم خزائن برواق معمر فوقع بينهم وبين بعض المجاورين بها مشاجرة فضربوا نقيب الرواق فتعصب لهم الشيخ ابراهيم السجيني شيخ الرواق على الشرقاويين ومنعوهم من الطيبرسية وخزائنها وقهروا المترجم وطائفته فتوسط بامراء فلم يفده فتحضر عنده في درسه الى عديلة هانم ابنة ابراهيم بك فكلمت زوجها ابراهيم بك المعروف بالوالي بان يبني له مكانا خاصا بطائفته فاجابه الى ذلك واخذ مكانا امام الجامع المجاور لمدرسة الجوهرية من غير ثمن واضاف اليه قطعة اخرى وانشأ ذلك رواقا خاصا بهم ونقل اليه الاحجار والعامود الرخام الذي بوسطه من جامع الملك الظاهر

فلم يجبهم اكراما لعمر لعلو منزلته في الموحدين وقال لهم ان الامر لابي حفص عمر فلما علم عمر ذلك خاف على نفسه فحضر عند عبد المؤمن واجاب الى خلع نفسه فحينئذ بويع لمحمد بولاية العهد وكتب الى جميع بلاده بذلك وخطب له فيها جميعها فاخرج عبد المؤمن في ذلك اليوم من الاموال شيئا كثيرا

(ذكر استعمال عبد المؤمن اولاده على البلاد)

في هذه السنة استعمل عبد المؤمن اولاده على البلاد فاستعمل ولده ابا محمد عبد الله على بجاية واعمالها واستعمل ابنه ابا الحسن عليا على فاس واعمالها وولى ابنه ابا سعيد سبتة والجزيرة الخضراء ومالقة وكذلك غيرهم ولقد سلك في استعمالهم طريقا عجيبا وذلك انه كان قد استعمل على البلاد شيوخ الموحدين المشهورين من اصحاب المهدي محمد بن تومرت وكان يتعذر عليه ان يعزلهم فاخذ اولادهم وتركهم عنده يشتغلون في العلوم فلما مهروا فيها وصاروا يقتدى بهم قال لآبائهم اني اريد ان تكونوا عندي استعين بكم على ما انا بصدده ويكون اولادكم في الاعمال لانهم علماء فقهاء فاجابوا الى ذلك وهم فرحون مسرورون فولى اولادهم ثم وضع عليهم بعضهم من يعتمد عليه فقال اني ارى امرا عظيما قد فعلتموه فارقتم فيه الحزم والادب فقالوا وما هو فقال اولادكم في الاعمال واولاد امير المؤمنين ليس لهم منها شيء مع ما فيهم من العلم وحسن السياسة واني اخاف ان ينظر في هذا فتسقط منزلتكم عنده فعلموا صدق القائل فحضروا عند عبد المؤمن وقالوا نحب ان تستعمل على البلاد السادة اولادك فقال لا افعل فلم يزالوا حتى فعل ذلك لهم بسؤالهم اياه

(ذكر حصر السلطان محمد بغداد)

في هذه السنة في ذي الحجة حصر السلطان محمد بغداد وسبب ذلك ان السلطان محمد بن محمود كان قد ارسل الى الخليفة يطلب ان يخطب له ببغداد والعراق فامتنع الخليفة من اجابته الى ذلك فسار من همذان في عساكر كثيرة نحو العراق ووعده اتابك قطب الدين صاحب الموصل ونائبه زين الدين علي بارسال العساكر اليه نجدة له على حصر بغداد فقدم العراق في ذي الحجة سنة احدى وخمسين واضطرب الناس ببغداد وارسل الخليفة يجمع العساكر فاقبل خطلوبرس في عسكر واسط وحل مهلهل الى الحلة فاخذها واهتم الخليفة وعون الدين بن هبيرة بامر الحصار وجمع جميع السفن وقطع الجسر وجعل الجميع تحت التاج ونودي منتصف المحرم سنة اثنتين وخمسين ان لا يقيم احد بالجانب الغربي فاجفل الناس واهل السواد ونقلت الاموال الى حريم دار الخلافة وخرب الخليفة قصر عيسى والمربعة والقرية والمسنجدة والنجمي ونهب اصحابه ما وجدوا وخرب اصحاب محمد شاه نهر القلائين والتوثة وشارع ابن رزق الله وباب الميدان وقطفتا واما اهل الكرخ واهل باب البصرة فانهم خرجوا الى عسكر محمد وكسبوا معهم اموالا كثيرة وعبر السلطان محمد فوق حراقة الى الجانب الغربي ونهبت اوانا واتصل به

بيبرس خارج الحسينية وهو تحت نظر الشيخ ابراهيم السجيني ليكون ذلك نكاية له نظير تعصبه عليه وجعل به قوائم وخزائن واشترى له غلالا من جرايات الشون واضافها الى اخباز الجامع وادخلها في دفتره يستلمها خباز الجامع ويصرفها خبزا قرصة لاهل ذلك الرواق في كل يوم ووزعها على الانفار الذين اختارهم من اهل بلاده ومما اتفق للمترجم ان بخارج باب البرقية خانكاه انشأتها خوند طغاي الناصرية بالصحراء على يمنة السالك الى وهدة الجبانة المعروفة الآن بالبستان وكان الناظر عليها شخص من شهود المحكمة يقال له ابن الشاهيني فلما مات تقرر في نظرها المترجم واستولى على جهات ايرادها فلما ولج الفرنساوية اراضي مصر واحدثوا القلاع فوق التلول والاماكن المستعلية حوالي المدينة هدموا منارة هذه الخانكاه وبعض الحوائط الشمالية وتركوها على ذلك فلما ارتحلوا عن ارض مصر بقيت على وضعها في التخريب وكانت ساقيتها تجاه بابها في علوة يصعد اليها بزلقان ويجري الماء منها الى الخانكاه على حائط مبني وبه قنطرة يمر من تحتها المارون وتحت الساقية حوض لسقي الدواب وقد ادركنا ذلك وشاهدنا دوران الثور في الساقية ثم ان المترجم ابطل تلك الساقية وبنى مكانها زاوية وعمل لنفسه بها مدفنا وعقد عليه قبة

زين الدين هناك وساروا فنزل محمد شاه عند الرملة وفرق الخليفة السلاح على الجند والعامة ونصب المنجنيقات والعرادات فلما كان في العشرين من المحرم ركب عسكر محمد شاه وزين الدين على ووقفوا عند الرقة ورموا بالنشاب الى ناحية التاج فعبر اليهم عامة بغداد فقاتلوهم ورموهم بالنفط وغيره ثم جرى بينهم عدة حروب وفي ثالث صفر عاودوا القتال واشتدت الحرب وعبر كثير من أهل بغداد سباحة وفي السفن فقتلوا وكان يوما مشهودا ولم تزل الحرب بينهم كل وقت وعمل الجسر على دجلة وعبر عليه أكثر العسكر الى الجانب الشرقي وصار القتال في الجانبين وبقي زين الدين في الجانب الغربي وأمر الخليفة فنودي كل من جرح فله خمسة دنانير فكان كلما جرح انسان يحضر عند الوزير فيعطيه خمسة دنانير فاتفق ان بعض العامة جرح جرحا ليس بكبير فحضر الوزير يطلب الدنانير فقال له الوزير ليس هذا الجرح بشيء فعاود القتال فضرب فانشقت جوفه وخرج شيء من شحمها فحمل الى الوزير فلما رآه قال يا مولانا الوزير ايرضيك هذا فضحك منه واضعف له ووكل به من يعالج جراحته الى ان برئ وتعذرت الاقوات في العسكر الا ان اللحم والفواكه والخضر كثيرة وكانت الغلات ببغداد كثيرة لان الوزير كان يفرقها في الجند عوض الدنانير فيبيعونها فلم تزل الاسعار عندهم رخيصة الا ان اللحم والفاكهة والخضر قليل عندهم واشتد الحصار على اهل بغداد لانقطاع المواد عنهم وعدم المعيشة لاهلها وكان زين الدين وعسكر الموصل غير مجدين في القتال لاجل الخليفة والمسلمين وقيل لان نور الدين محمود بن زنكي وهو اخو قطب الدين صاحب الموصل الاكبر ارسل الى زين الدين يلومه على قتال الخليفة ففتروا وأقصروا ولم تزل الحرب في أكثر الايام وعمل السلطان محمد شاه اربعمائة سلم ليصعد الرجال فيها الى السور وزحفوا وقاتلوا ففتح اهل بغداد ابواب البلد وقالوا اي حاجة بكم الى السلاليم هذه الابواب مفتحة فادخلوا منها فلم يقدروا على ان يقربوها فبينما الامر على ذلك اذ وصل الخبر الى السلطان محمد ان اخاه ملكشاه وايلدكز صاحب بلاد اران ومعه الملك ارسلان ابن الملك طغرل بن محمد وهو ابن امرأة ايلدكز قد دخلوا همذان واستولوا عليها واخذوا أهل الامراء الذين مع محمد شاه واموالهم فلما سمع محمد شاه ذلك جد في القتال لعله يبلغ منها ما فلم يقدر على شيء ورحل عنها نحو همذان في الرابع والعشرين من ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وعاد زين الدين الى الموصل وتفرق ذلك الجمع على عزم العود اذا فرغ محمد شاه من اصلاح بلاده فلم يعودوا يجتمعون وفي كثرة حروبهم لم يقتل بينهم الا نفر يسير وانما الجراح كانت كثيرة ولما ساروا نهبوا بعقوبا وغيرها من طريق خراسان ولما رحل العسكر عن بغداد اصاب أهلها امراض شديدة حادة وموت كثير للشدة التي مرت بهم واما ملكشاه وايلدكز ومن معهما فانهم ساروا من همذان الى الري فخرج اليهم اينانج شحنتها وقاتلهم فهزموه فارسل الملك محمد الامير سقمس ابن قيماز الحرامي في عسكر نجدة لاينانج فسار سقمس وكان ايلدكز وملكشاه ومن معهما قد عادوا من الري يريدون محاصرة الخليفة فلقيهم سقمس وقاتلهم

ويجعل تحتها مقصورة بداخلها تابوت عال مربع وعلى اركانه عساكر فضة وبنى بجانبها قصرا ملاصقا لها يحتوي على اروقة ومساكن ومطبخ وكلار وذهبت الساقية في ضمن ذلك وجعلها بئرا وعليه خرزة يملؤن منها بالدلو ونسيت تلك الساقية وانطمست معالمها وكأنها لم تكن وقد ذكر هذه الخانكاه العلامة المقريزي في خططه عند ذكر الخوانك لا بأس بايراد ما نصه للمناسبة فقال خانكاه ام انوك هذه الخانكاه خارج باب البرقية بالصحراء انشأتها الخاتون طغاي تجاه تربة الامير طاشتمر الساقي فجاءت من اجل المباني وجعلت بها صوفية وقراء ووقفت عليها الاوقاف الكثيرة وقررت لكل جارية من جواريها مرتبا يقوم بها ثم ترجمها بقوله طغاي الخوندة الكبرى زوج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وأم ابنه الامير انوك كانت من جملة امائه فاعتقها وتزوجها ويقال انها اخت الامير آقبغا عبد الواحد وكانت بديعة الحسن باهرة الجمال رأت من السعادة ما لم يره غيرها من نساء ملوك الترك بمصر وتنعمت في ملاذ ما وصل سواها لمثلها ولم يدم السلطان على محبة امرأة سواها وصارت خوندة بعد ابنة توكاي اكبر نسائه حتى من ابنة الامير تنكز وحج بها القاضي كريم الدين الكبير واحتفل بامرها وحمل لها البقول في محاير طين على ظهور الجمال واخذ لها الابقار الحلابة

فهزموه وثم بواهب كرهوا ثقالهم فاحتاج الملك محمد الى الاسراع فسار فلما بلغ حلوان بلغه ان ايلدكز بالدينور واتاه رسول من نائبه اينانج انه دخل همذان واعاد الخطبة له فيها فقويت نفسه وهرب شملة صاحب خوزستان الى بلاده وتفرق اكثر جمع ايلدكز وملكشاه وبقيا في خمسة آلاف فارس فعادا الى بلادهما شبه الهارب ولما دخل محمد شاه همذان اراد التجهز لقصد بلاد ايلدكز فابتدأ به مرض السل وبقي به الى ان مات

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الاول أطلق ابو الوليد البدر ابن الوزير ابن هبيرة من حبس تكريت ولما قدم بغداد خرج اخوه والموكب يتلقونه وكان يوما مشهودا وكان مقامه في الحبس يزيد على ثلاث سنين وفيها احترقت بغداد في ربيع الآخر وكثر الحريق بها واحترق درب فراشا ودرب الدواب ودرب اللبان وخرابة ابن جردة والظفرية والخاتونية ودار الخلافة وباب الازج وسوق السلطان وغير ذلك وفيها في شوال قصد الاسماعيلية طبس بخراسان فأوقعوا بها وقعة عظيمة واسروا جماعة من اعيان دولة السلطان ونهبوا اولادهم ودوابهم وقتلوا فيهم وفيها في ذي القعدة توفي شيخ الاسلام ابو المعالي الحسن ابن عبيد الله بن احمد بن محمد المعروف بابن الرزاز بنيسابور وهو من اعيان الافاضل وفي هذه السنة توفي فريد الدين بن بيسان رئيس آمد والحاكم فيها على صاحبها وولي ما كان اليه بعده ابنه كمال الدين ابو القاسم وتوفي ابو الحسن علي بن الحسين الغزنوي الواعظ المشهور ببغداد وكان قدم اليها سنة ست عشرة وخمسمائة وكان له قبول عظيم عند السلاطين والعامة والخلفاء الا ان المقتفي اعرض عنه بعد موت السلطان مسعود لاقبال السلطان عليه وكان موته في المحرم وتوفي ابو الحسن بن الخل الفقيه الشافعي شيخ الشافعية ببغداد وكان يؤم بالخليفة في الصلاة وتوفي ابن الآمدي الشاعر وهو من اهل النيل من اعيان الشعراء في طبقة الغزي والارجاني وكان عمره قد زاد على تسعين سنة وفيها قتل مظفر بن حماد بن ابي الخير صاحب البطيحة قتله نفيس بن فضل ابن ابي الخير في الحمام وولي بعده وفيها توفي الواوا الحلبي الشاعر المشهور وفيها في رمضان توفي الحكيم ابو جعفر بن محمد البخاري باسفرايين وكان عالما بعلوم الحكماء الاوائل

(ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة)

(ذكر الزلازل بالشام)

في هذه السنة في رجب كان بالشام زلازل كثيرة قوية خربت كثيرا من البلاد وهلك فيها ما لا يحصى كثرة فخرب منها بالمرة حماة وشيزر وكفر طاب والمعرة وافامية وحمص وحصن الاكراد وعرقة واللاذقية وطرابلس وانطاكية واما ما لم يكثر فيه الخراب ولكن خرب اكثره فجميع الشام وتهدمت اسوار البلاد والقلاع فقام نور الدين محمود

فسارت معها طول الطريق لاجل اللبن الطري والجبن وكان يقلى لها الجبن في الغداء والعشاء وناهيك بمن وصل الى مداومة البقل والجبن واللبن في كل يوم بطريق الحج فما عساه يكون بعد ذلك وكان القاضي كريم الدين وامير مجلس وعدة من الامراء يترجلون عند النزول ويسيرون بين يدي محفتها ويقبلون الارض لها كما يفعلون بالسلطان ثم حج بها الامير بشتاك في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة وكان الامير تنكز اذا جهز من دمشق تقدمة السلطان لابد ان يكون لخوند طغاي منها جزء وافر فلما مات السلطان الملك الناصر استمرت عظمتها من بعده الى ان ماتت في شهر شوال سنة تسع واربعين وسبعمائة ايام الوباء عن ألف جارية وثمانين خصيا واموال كثيرة جدا وكانت عفيفة طاهرة كثيرة الخير والصدقات والمعروف جهزت سائر جواريها وجعلت على قبرها بقبة المدرسة الناصرية بين القصرين قراء ووقفت على ذلك وقفا وجعلت من جملته خبزا يفرق على الفقراء ودفنت بهذه الخانكاه وهي من احسن الاماكن الى يومنا هذا انتهى كلامه (يقول) الحقير اني دخلت هذه الخانكاه في اواخر القرن الماضي فوجدت بها روحانية لطيفة وبها مساكن وسكان قاطنون بها وفيهم اصحاب الوظائف مثل المؤذن والوقاد والكناس والملاء وخلت

فى ذلك المقام المرضى وخاف على بلاد الاسلام من الفرنج حيث خربت الاسوار فجمع عساكره واقام باطراف البلاد فلم يزل كذلك حتى فرغ من اسوار البلاد واما كثرة القتلى فيكفى ان معلما كان بالمدينة وهى مدينة حماة ذكر عنه انه فارق المكتب لمهم عرض له فجاءت الزلزلة فخربت البلد وسقط المكتب على الصبيان جميعهم قال المعلم فلم يات أحد يسال عن صبى كان له بالمكتب

(ذكر ملك نور الدين حصن شيزر)

نبتدئ بذكر هذا الحصن ولمن كان قبل ان يملكه نور الدين محمود بن زنكى فنقول هذا الحصن قريب من حماة بينهما نصف نهار وهو على جبل عال منيع لا يسلك اليه الا من طريق واحدة وكان لآل منقذ الكنانيين يتوارثونه من ايام صالح بن مرداس الى أن انتهى الامر الى ابى المرهف نصر بن على بن نصر بن منقذ بعد ابيه ابى الحسن على وكان بيده الى ان مات سنة احدى وتسعين واربعمائة وكان شجاعا كريما فلما حضره الموت استخلف اخاه ابا سلامة مرشد بن على فقال والله لا وليته ولاخرجن من الدنيا كما دخلتها وكان عالما بالقرآن وهو والد مؤيد الدولة اسامة بن منقذ وولاها اخاه الاصغر سلطان بن على واصطحبا اجمل صحبة مدة من الزمان فاولد مرشد عدة اولاد ذكور وكبروا وسادوا ومنهم عز الدولة أبو الحسن على ومؤيد الدولة اسامة وغيرهما ولم يولد لاخيه سلطان ولد ذكر الى ان كبر فجاءه اولاد ذكور فحسد اخاه على ذلك وخاف اولاد اخيه على اولاده وسعى بينهم المفسدون فغيروا كلا منهما على اخيه فكتب سلطان الى اخيه مرشد ابيات شعر يعاتبه على اشياء بلغته عنه فاجابه بشعر فى معناه رأيت اثبات ما تمس الحاجة اليه منه وهى هذه الابيات

ظلوم أبت فى الظلم الا تماديا ✽ وفى الصد والهجران الا تغاليا

شكت هجرنا والذنب فى ذاك ذنبها ✽ فيا عجبا من ظالم جاء شاكيا

وطاوعت الواشين فى وطالما ✽ عصيت عذولا فى هواها وواشيا

ومال بها تيه الجمال الى القلى ✽ وهيهات ان امسى لها الدهر قاليا

ولا ناسيا ما أودعت من عهودها ✽ وان هى أبدت جفوة وتناسيا

ولما اتانى من قريضك جوهر ✽ جمعت المعالى فيه لى والمعانيا

وكنت هجرت الشعر حينا لانه ✽ تولى برغمى حين ولى شبابيا

وأين من الستين لفظ مفرق ✽ اذا رمت ادنى القول منه عصانيا

وقلت اخى يرعى بنى واسرتى ✽ ويحفظ عهدى فيهم وذماميا

ويجزيهم مالم اكلفه فعله ✽ لنفسى فقد اصدنه من تراثيا

فمالك لما ان حنى الدهر صعدتى ✽ وثلم منى صارما كان ماضيا

تنكرت حتى صار برك قسوة ✽ وقربك منى جفوة وتناسيا

واصبحت صفر الكف مما رجوته ✽ ارى الياس قد عفى سبيل رجائيا

الى مدفن الواقفة وعلى قبرها تركيبة من الرخام الابيض وعند راسها خشبة شريفة كبيرة على كرسى بخط جليل وهى مذهبة وعليها اسم الواقفة رحمها الله تعالى فلو ان الشيخ المترجم عمر هذه الخانكاه بدل هذا الذى ارتكبه من تخريبها لكان له بذلك منقبة وذكر حسن فى حياته وبعد مماته وبالله التوفيق ✽ وللمترجم طبقات جمعها فى تراجم الفقهاء الشافعية المتقدمين والمتاخرين من أهل عصره ومن قبلهم من أهل القرن الثانى عشر نقل تراجم المتقدمين من طبقات السبكى والاسنوى وأما المتاخرون فنقلهم من تاريخنا هذا بالحرف الواحد وأظن ان ذلك آخر تاليفاته وعمل تاريخا قبله مختصرا فى نحو اربعة كراريس عند قدوم الوزير يوسف باشا الى مصر وخروج الفرنساوية منها واهداه اليه عد فيه ملوك مصر وذكر فى آخره خروج الفرنسيس ودخول العثمانية فى نحو ورقتين وهو فى غاية البرود وغلط فيه غلطات منها انه ذكر الاشرف شعبان ابن الامير حسين بن الناصر محمد بن قلاوون فجعله ابن السلطان حسن ونحو ذلك ولم يزل المترجم حتى تعلل ومات فى يوم الخميس ثانى شهر شوال من السنة وصلى عليه بالازهر فى جمع كثير ودفن بمدفنه الذى بناه لنفسه كما ذكر ووضعوا على تابوته المذكور عمامة كبيرة أكبر من طبيزيته التى

صلى اتى ما حلت حماعهدته * ولا غيرت هذى السنون ودادیا
فلا غرو عند الحادثات فانني * اراك يميني والانام شماليا
تحل بها عذراء لو قرنت بها * نجوم السماء لم تعدد دراريا
تحلت بدر من صفاتك زانها * كازان منظوم اللآلى الغوانيا
وعش بانيا للمجد ما كان واهيا * مشيدا من الاحسان ما كان هاويا

وكان الامر بينهما فيه تماسك فلما توفي مرشد سنة احدى وثلاثين وخمسمائة قلب اخوه لاولاده ظهر المجن وبادأهم بما يسوءهم واخرجهم من شيزر فتفرقوا وقصد اكثرهم نور الدين وشكوا اليه ما لقوا من عمهم فغاظه ذلك ولم يمكنه قصده والاخذ بثارهم واعادتهم الى وطنهم لاشتغاله بجهاد الفرنج وبخوفه ان يسلم شيزر الى الفرنج ثم توفي سلطان وولي بعده أولاده فبلغ نور الدين عنهم مراسلة الفرنج فاشتد حنقه عليهم وانتظر فرصة تمكنه فلما خربت القلعة هذه السنة بما ذكرناه من الزلزلة لم ينج من بني منقذ الذين بها احد وسبب هلاكهم اجمعين أن صاحبها منهم كان قد ختن ولدا له وعمل دعوة الناس واحضر جميع بني منقذ عنده في داره وكان له فرس يحبه ولا يكاد يفارقه واذا كان في مجلس اقيم الفرس على بابه وكان المهر في ذلك اليوم على باب الدار فجاءت الزلزلة فقام الناس ليخرجوا من الدار فرمح الفرس رجلا كان أولهم فقتله وامتنع الناس من الخروج فسقطت الدار عليهم كلهم وخربت القلعة وسقط سورها وكل بناء فيها ولم ينج منها الا الشريد فبادر اليها بعض أمراء نور الدين وكان بالقرب منها فصعد اليها وتسلمها نور الدين منه فملكها وعمر أسوارها ودورها واعادها جديدة

(ذكر وفاة الدبيسي صاحب جزيرة ابن عمر واستيلاء قطب الدين مودود على الجزيرة)

كانت الجزيرة لاتابك زنكي فلما قتل سنة احدى واربعين اقطعها ابنه سيف الدين غازي للامير أبي بكر الدبيسي وكان من أكابر أمراء والده فبقيت بيده الى الآن وتمكن منها وصار بحيث يتعذر على قطب الدين أخذها منه فمات في ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين ولم يخلف ولدا فاستولى عليها مملوك له اسمه غلبك وأطاعه جندها فحصرهم مودود ثلاثة أشهر ثم تسلمها من غلبك في صفر من سنة ثلاث وخمسين وأعطاه عوضها اقطاعا كثيرة

(ذكر وفاة السلطان سنجر)

في هذه السنة في ربيع الاول توفي السلطان سنجر بن ملكشاه ابن الب ارسلان أبو الحرث اصابه قولنج ثم بعده اسهال فمات منه ومولده بسنجار من ديار الجزيرة في رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة وسكن خراسان واستوطن مدينة مرو ودخل بغداد مع أخيه السلطان محمد واجتمع معه بالخليفة المستظهر بالله فعهد الى محمد بالسلطنة وجعل سنجر ولي عهده فلما مات محمد خوطب لسنجر بالسلطان واستقام أمره وأطاعه

كان يلبسها في حياته بكثير وعموها بشاش أخضر وعصبوها بشال كشميري احمر ووقف شخص عند باب مقصورته وبيده مقرعة يدعو الناس لزيارته ويأخذ منهم دراهم ثم ان زوجته وابنها ومن يلوذ بهم ابتدعوا له مولدا وعيدا في أيام مولد العفيفي وكتبوا بذلك فرمانا من الباشا ونادى به تابع الشرطة باسواق المدينة على الناس بالاجتماع والحضور لذلك المولد وكتبوا اوراقا ورسائل للاعيان واصحاب المظاهر وغيرهم بالحضور ونصبوا ذبائح واحضروا الطباخين وفراشين مدوا السمط بها انواع الاطعمة والحلاوات والمحمرات والخشافات لمن حضر من الفقهاء والمشايخ والاعيان وارباب الاشاير والبدع ونصبوا قبالة تلك القبة صوارى علقوا بها قناديل وبيارق وشراريب حمرا وصفراء يلوحها الريح واجتمع حول ذلك من غوغاء الناس وعملوا قهاوى وبياعين الحلوا والمخللات والترمس المملح والفول المقلي ودهسوا ما بتلك البقعة من قبور الاموات وأوقدوا بها النيران وصبوا عليها القاذورات مع ما يلحقهم من البول والغائط وأماضحة الاوباش والاولاد وصراخهم وفرقعتهم بالبارود وصياحهم وضجيجهم فقد شاهدنا به ما كنا نسمعه من عفاريت الترب وضرب المثل بهم فهم أقبح منهم فان العفاريت الحقيقية لم نر لهم أفعالا مثل هذه ولما مات

السلاطين وخطب له على أكثر منابر الاسلام بالسلطنة نحوا من عشرين سنة وكان قبلها يخاطب بالملك عشرين سنة ولم يزل أمره عاليا وجده متراقيا الى ان أسره الغز على ماذكرناه ثم انه خلص بعد مدة وجمع اليه أطرافه وكاد يعود اليه ملكه فادركه اجله وكان مهيبا كريما رفيقا بالرعية وكانت البلاد فى زمانه آمنة ولما مات دفن فى قبة بناها لنفسه سماها دار الآخرة ولما وصل خبر موته الى بغداد قطعت خطبته ولم يجلس له فى الديوان للعزاء ولما حضر السلطان سنجر الموت استخلف على خراسان الملك محمود ابن محمد بن بغراخان وهو ابن أخت السلطان سنجر فاقام بها خائفا من الغز فقصد جرجان يستظهر بها وعاد الغز الى مرو وخراسان واجتمع طائفة من عساكر خراسان على أى ابه المؤيد فاستولى على طرف من خراسان وبقيت خراسان على هذا الاختلال الى سنة أربع وخمسين وراسل الغز الملك محمودا على مانذكره سنة ثلاث وخمسين وسألوه ان يحضر عندهم ليملكوه عليهم فلم يثق اليهم وخافهم على نفسه فارسل ابنه اليهم فاطاعوه مديدة ثم لحق بهم الملك محمود على ماتذكره سنة ثلاث وخمسين

(ذكر ملك المسلمين مدينة المرية وانقراض دولة الملثمين بالاندلس)

فى هذه السنة انقرضت دولة الملثمين بالاندلس وملك أصحاب عبد المؤمن مدينة المرية من الفرنج وسبب ذلك ان عبد المؤمن لما استعمل ابنه أبا سعيد على الجزيرة الخضراء ومالقة عبر أبو سعيد البحر الى مالقة واتخذها دارا وكاتبه ميمون بن بدر اللتونى صاحب غرناطة ان يوحد ويسلم اليه غرناطة فقبل أبو سعيد ذلك منه وتسلم غرناطة فسار ميمون الى مالقة باهله وولده فتلقاه أبو سعيد وأكرمه ووجهه الى مراكش فاقبل عليه عبد المؤمن وانقرضت دولة الملثمين ولم يبق لهم الاجزيرة ميورقة مع حمو بن غانية فلما ملك أبو سعيد غرناطة جمع الجيوش وسار الى مدينة المرية وهى بايدى الفرنج اخذوها من المسلمين سنة اثنتين واربعين وخمسمائة فلما نازلها وافاه الاسطول من سبتة وفيه خلق كثير من المسلمين فحصروا المرية برا وبحرا وجاء الفرنج الى حصنها فحصرهم فيها ونزل عسكره على الجبل المشرف عليها وبنى أبو سعيد سورا على الجبل المذكور الى البحر وعمل عليه خندقا فصارت المدينة والحصن الذى فيه الفرنج محصورا بهذا السور والخندق ولا يمكن من ينجدهما من أن يصل اليهما فجمع الادفونش ملك الفرنج بالاندلس المعروف بالسليطين فى اثنى عشر ألف فارس من الفرنج ومعه محمد بن سعد ابن مردنيش فى ستة آلاف فارس من المسلمين وراموا الوصول الى المدينة ودفع المسلمين عنها فلم يطيقوا ذلك فرجع السليطين وابن مردنيش خائبين فمات السليطين فى عوده قبل ان يصل الى طليطلة وتمادى الحصار على المرية ثلاثة اشهر فضاقت الميرة وقلت الاقوات على الفرنج فطلبوا الامان ليسلموا الحصن فاجابهم أبو سعيد اليه وامنهم وتسلم الحصن ورحل الفرنج فى البحر عائدين الى بلادهم فكان ملكهم المرية مدة عشر سنين

(ذكر

الشيخ المترجم وعرفوه على موته ثلاثة ايام . . واجتمع المشايخ فى يوم الاحد خامسه وطلعوا الى القلعة ودخلوا الى الباشا وذكروا له موت المترجم ويستأذنونه فيمن يجعلونه شيخا على الازهر فقال لهم الباشا اعملوا رأيكم واختاروا شخصا يكون خاليا عن الاغراض وأنا أقلده ذلك فقاموا من مجلسه ونزلوا الى بيوتهم واختلفت آراؤهم فالبعض اختار الشيخ المهدى والبعض ذكر الشيخ محمدا الشنوانى واما الشيخ محمد الامير فانه امتنع من ذلك وكذلك ابن الشيخ العروسى والشيخ الشنوانى المذكور منعزل عنهم وليس له درس بالازهر ويقرأ دروسه بجامع الفاكهانى الذى فى العقادين وبيده وظائف خدم الجامع وعند فراغه من الدروس يغير ثيابه ويكنس المسجد ويغسل القناديل ويعمرها بالزيت والفتائل حتى يكنس المراحيض فلما بلغه انهم ذكروه تغيب ثم ان الباشا أمر القاضى وهو بهجة أفندى بان يجمع المشايخ عنده ويتفقوا على شخص يجتمع رأيهم عليه بالشرط المذكور فارسل اليهم القاضى وجمعهم وذلك فى يوم الثلاثاء سابعه وحضر فقهاء الشافعية مثل القويسنى والفضالى وكثير من المجاورين والشوام والمغاربة فقال القاضى هل بقى أحد فقالوا لم يكن احد غائبا عن الحضور الا ابن العروسى والمهدى والشنوانى فارسلوا

(ذكر غزو صاحب طبرستان الاسماعيلية)

في هذه السنة جمع شاه مازندران رستم بن علي بن شهريار عسكره وسار ولم يعلم احدا جهة مقصده وسلك المضايق وجد السير الى بلد ألموت وهي للاسماعيلية فاغار عليها واحرق القرى والسواد وقتل فاكثر وغنم أموالهم وسبى نساءهم واسترق ابناءهم فباعهم في السوق وعاد سالما غانما وانخذل الاسماعيلية ودخل عليهم من الوهن مالم يصابوا بمثله وخرب من بلادهم مالا يعمر في السنين الكثيرة

(ذكر اخذ حجاج خراسان)

في هذه السنة في ربيع الاول سار حجاج خراسان فلما رحلوا عن بسطام اغار عليهم جمع من الجند الخراسانية قد قصدوا طبرستان فاخذوا من امتعتهم وقتلوا نفرا منهم وسلم الباقون وساروا من موضعهم فبينما هم سائرون اذ طلع عليهم الاسماعيلية فقاتلهم الحجاج قتالا عظيما وصبروا صبرا عظيما فقتل اميرهم فانخزلوا والقوا بايديهم واستسلموا وطلبوا الامان والقوا اسلحتهم مستأمنين فاخذهم الاسماعيلية وقتلوهم ولم ينج منهم الا شرذمة يسيرة وقتل فيهم من الائمة العلماء والزهاد والصلحاء جمع كثير وكانت مصيبة عظيمة عمت بلاد الاسلام وخصت خراسان ولم يبق بلد الا وفيه المأتم فلما كان الغد طاف شيخ في القتلى والجرحى ينادي يا مسلمون يا حجاج ذهب الملاحدة وانا رجل مسلم فمن اراد الماء سقيته فمن كلمه قتله واجهز عليه فهلكوا اجمعون الا من سلم وولى هاربا وقليل ما هم

(ذكر الحرب بين المؤيد والامير اىناق)

قد ذكرنا تقدم الامير أي ابه مملوك السلطان سنجر وتقدمه على عساكر خراسان وحسده جماعة من الامراء منهم الامير اىناق وهو من الامراء السنجرية وانحرف عنه وكان تارة يقصد خوارزمشاه وتارة مازندران وتارة يظهر الموافقة للمؤيد ويبطن المخالفة فلما كان الآن فارق مازندران ومعه عشرة آلاف فارس قد اجتمع معه كل من يريد الغارة على البلاد وكل منحرف عن المؤيد وقصد خراسان واقام بنواحي نسا وابيورد لا يظهر المخالفة للمؤيد بل يراسله بالموافقة والمعاضدة له ويبطن ضدها وانتقل المؤيد من المكاتبة الى المكاشفة وسار اليه جريدة فاغار عليه واوقع به فتفرق عنه جموعه ونجا بحشاشة نفسه وغنم المؤيد وعسكره كل مال اىناق ومضى منهزما الى مازندران وكان ملكها رستم بينه وبين اخ له اسمه علي تنازع على الملك وقد قوي رستم فلما وصل اىناق الى مازندران قتل عليا وحمل راسه الى اخيه رستم فعظم ذلك على رستم واشتد واستشاط غضبا وقال آكل لحمي ولا اطعمه غيري ولم يزل اىناق يتردد في خراسان بالنهب والغارة لاسيما مدينة اسفراين فانه اكثر من قصدها حتى خربت فراسله السلطان محمود بن محمد والمؤيد يدعوانه الى الموافقة فامتنع فسارا اليه في العساكر فلما قارباه اتاهما كثير من عسكره فمضى من بين ايديهما الى طبرستان في صفر سنة ثلاث وخمسين فتبعاه في

اليهم فحضر العروسي والهيثمي فقال واين الشنواني فلابد من حضوره فارسلوا له فتغيب ورجع وبيده ورقة ويقول الرسول انه له ثلاثة أيام غائبا عن داره وترك هذه الورقة عند اهله وقال ان طلبوني اعطوهم هذه الورقة فاخذها القاضي وقراها جهارا يقول فيها بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم لحضرة شيخ الاسلام اننا نزلنا عن المشيخة للشيخ بدوي الهيثمي الى آخر ما قال فعندما سمع الحاضرون ذلك القول قاموا قومة واكثرهم طائفة الشوام وقال بعضهم هو لم يثبت له مشيخة حتى انه ينزل عنها لغيره وقال كبارهم من المدرسين لا يكون شيخا الا من يدرس العلوم ويفيد الطلبة وزادوا في اللغط فقال القاضي ومن الذي ترضونه فقالوا نرضى الشيخ المهدي وكذلك قال البقية وقاموا وصافحوه وقرؤا الفاتحة وكتب القاضي اعلاما الى الباشا بما حصل وانفض الجمع وركب الشيخ المهدي الى بيته في كبكبة حوله وخلفه المشايخ وطوائف المجاورين وشربوا الشربات واقبلت عليه الناس للتهنئة وانتظر جواب الاعلام بقية ذلك اليوم فلم يأت الجواب ومضى اليوم الثاني والمدبرون يدبرون شغلهم واحضروا الشيخ الشنواني من المكان الذي كان متغيبا فيه بمصر القديمة وعمه واشغلهم واحضر والسيد منصور اليافاوي المنفصل عن مشيخة

عساكرهما فارسل شاه مازندران يطلب الصلح فاجابه واصطلحوا وحمل شاه مازندران اموالا جليلة وهدايا نفيسة وسير ايثاق ابنه رهينة فعاد عنه

(ذكر الحرب بين المؤيد وسنقر العزيزى)

كان سنقر العزيزى من امراء السلطان سنجر وممن يساوى ايضا المؤيد اى ابه فلما اشتغل المؤيد بحرب ايثاق سار سنقر من عسكر السلطان محمود بن محمد الى هراة ودخلها وبها جماعة من الاتراك وتحصن بها فاشير عليه بان يعتضد بالملك الحسين ملك الغورية فلم يفعل واستبد بنفسه منفردا الا انه راى اختلاف الامراء على السلطان محمود بن محمد فطمع وحدث نفسه بالقوة فقصده المؤيد الى هراة فلما وصل اليها قاتل من بها شيئا من قتال ثم ان الاتراك مالوا الى المؤيد وواطاؤه وانقطع خبر سنقر العزيزى من ذلك الوقت ولم يعلم ما كان منه فقيل انه سقط عن فرسه فمات وقيل بل اغتاله الاتراك فقتلوه وتقدم السلطان محمود الى ولاية هراة فى عساكره وجنوده والتحق به جماعة من عسكر سنقر بالامير ايثاق واغاروا على طوس وقراها فبطلت الزروع والحرث واستولى الخراب على البلاد وعمت الفتن أطراف خراسان واصابهم العين فانهم كانوا ايام السلطان سنجر فى ارغد عيش وآمنه وهذا دأب الدنيا لا يصفو نعيمها وخيرها من كدر وشوائب وآفات وقلما يخلص شرها من خير فنسأل الله ان يحسن لنا العون والعقبى بمحمد وآله

(ذكر ملك نور الدين بعلبك)

فى هذه السنة ملك نور الدين محمود بعلبك وقلعتها وكانت بيد انسان يقال له ضحاك البقاعى منسوب الى بقاع بعلبك وكان قد ولاه اياها صاحب دمشق فلما ملك نور الدين دمشق امتنع ضحاك بها فلم يمكن نور الدين محاصرته لقربه من الفرنج فتلطف الحال معه الى الآن فملكها واستولى عليها

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قلع الخليفة المقتفى لامر الله باب الكعبة وعمل عوضه بابا مصفحا بالفضة المذهبة وعمل لنفسه من الباب الاول تابوتا يدفن فيه اذا مات وفيها توفى محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت أبو بكر الخجندى رئيس أصحاب الشافعى باصفهان وسمع الحديث بها من ابى على الحداد وكان صدرا مقدما عند السلاطين وكان ذا حشمة عظيمة وجاه عريض ووقعت لموته فتنة عظيمة باصفهان وقتل فيها خلق كثير وفيها كان بخراسان غلاء شديد اكلت فيه سائر الدواب حتى الناس وكان بنيسابور طباخ فذبح انسانا علويا وطبخه وباعه فى الطبيخ ثم ظهر عليه وانه فعل ذلك فقتل وأسفر الغلاء وصلحت أحوال الناس وفيها توفى القاضى أبو العباس احمد بن بختيار بن على المايداى الواسطى قاضيا وكان فقيها عالما وفيها فى ربيع الآخر توفى القاضى برهان الدين ابو القاسم منصور بن ابى سعد محمد بن ابى نصر احمد الصاعدى قاضى نيسابور وكان من ائمة

الفقهاء

الشوام ليلا ليعيدوه الى مشيخة الشوام وعندما الشيخ قاسم المتولى جماله وما اتفقه الذين تطاولوا فى مجلس القاضى بالكلام وجمعوا بقية المشايخ آخر الليل وركبوا فى الصباح الى القلعة فقابلوا الباشا فخلع على الشيخ محمد الشنوانى فروة سمور وجعله شيخا على الازهر وكذلك على السيد منصور اليافاوى ليكون شيخا على رواق الشوام كما كان فى السابق ثم نزلوا وركبوا وصحبتهم اغات الينكجرية بهيئة الموكب وعلى راسه الجوزة الكبيرة وامامه الملازمون بالبراقع والريش على رؤسهم ومازالوا سائرين حتى دخلوا حارة خوشقدم فنزلوا بدار ابن الزاهى لان دار الشيخ الشنوانى صغيرة وضيقة لا تسع ذلك الجمع والذى أنزله فى ذلك المنزل السيد محمد المحروقى وقام له بجميع الاحتياجات وارسل من الليل الطباخين والفراشين والاغنام والارز والحطب والسمن والعسل والسكر والقهوة وأوقف عبيده وخدمه لخدمة القادمين للسلام والتهنئة ومناولة القهوة والشربات والبخور وماء الورد وازدحمت الناس عليه وأتوا افواجا اليه وكان ذلك يوم الثلاثاء رابع عشره ووصل الخبر الى الشيخ المهدى ومن معه وحصل لهم كسوف وبطلت مشيخته ولما كان يوم الجمعة حضر الشيخ الجديد الى الازهر وصلى الجمعة وحضر باقى المشايخ وعملوا الختم للشيخ الشرقاوى وحصل ازدحام

الفقهاء الحنفية

(ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة)

(ذكر الحرب بين سنقر وارغش)

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين سنقر الهمذاني وارغش المسترشدي وسببها ان سنقر الهمذاني كان قد نهب سواد بغداد بطريق خراسان وكثر جمعه فخرج الخليفة المقتفي لامر الله في جمادى الاولى بنفسه بطلبه فلما وصل الى بلد اللحف قال له الامير خطلو برس انا اكفيك هذا المهم وكان بينه وبين سنقر مودة فركب اليه وتلاقيا وجرى بينهما عتاب طويل لاجل خروجه عن طاعة الخليفة فاجاب سنقر الى الطاعة وعاد خطلو برس واصلح حاله فاقطعه بلد اللحف والامير ارغش المسترشدي فلما توجها الى اللحف جرى بينهما منازعة فاراد سنقر قبض ارغش فرآه محترزا فصار با واقتتلا قتالا شديدا وغدر بارغش اصحابه فعاد منهزما الى بغداد وانفرد سنقر ببلد اللحف وخطب فيه للملك محمد فسير من بغداد عسكرا لقتاله مقدمهم خطلو برس فجرت بينهما حرب شديدة انهزم في آخرها سنقر وقتلت رجاله ونهبت امواله التي في العسكر وسار هو الى قلعة الماهكي واخذ ما كان له فيها واستخلف فيها بعض غلمانه وسار هو الى همذان فلم يلتفت اليه الملك محمد شاه فعاد الى قلعة الماهكي

(ذكر الحرب بين شملة وقايماز السلطاني)

في هذه السنة ايضا كان قتال بين شملة صاحب خوزستان ومعه ابن مكاية وبين قايماز السلطاني في ناحية بادرايا فجمعا عسكرهما وسارا اليه فاتاه الخبر بذلك وهو يشرب فلم يحفل بذلك وركب اليهم في نحو ثلثمائة فارس وكان معجبا بنفسه فحمل عليهم واختلط بهم فاحدقوا به وقاتل اشد قتال فانهزم اصحابه واخذ هو اسيرا فتسلمه انسان تركماني كان له عليه دم لانه قتل ابنا للتركماني فقتله بابنه وارسل برأسه الى محمد شاه وارسل الخليفة عسكرا لقتال شملة ومن معه فانزاحوا من بين أيديهم ولحقوا بالملك ملكشاه بخوزستان فهلك كثير منهم بالبرد

(ذكر معاودة الغز الفتنة بخراسان)

كان الاتراك الغزية قد اقاموا ببلخ واستوطنوها وتركوا النهب والقتل ببلاد خراسان واتفقت الكلمة بها على طاعة السلطان خاقان محمود بن محمد ارسلان وكان المتولي لامور دولته المؤيد اي ابه وعن رأيه يصدر محمود فلما كان هذه السنة في شعبان سار الغز من بلخ الى مرو وكان السلطان محمود بسرخس في العساكر فسار المؤيد في طائفة من العسكر اليهم فاوقع بطائفة منهم وظفر بهم ولم يزل يتبعهم الى ان دخلوا الى مرو اوائل رمضان وغنم من اموالهم وقتل كثيرا وعاد الى سرخس فاتفق هو والسلطان محمود على قصد الغز وقتالهم فجمعا العساكر وحشدا وسارا الى الغز فالتقوا سادس شوال من هذه السنة وجرت بينهم حرب طال مداها فبقوا يقتتلون من يوم الاثنين

عظيم وخصوصا التفرج على الشيخ الجديد وكأنه لم يكن طول دهره بينهم ولا يلتفتون اليه وبعد فراغ الختم انشد المنشد قصيدة يرثى بها المتوفى من نظم الشيخ عبد الله العدوي المعروف بالقاضي وانفض الجمع * ومات الاستاذ المكرم بقية السلف الصالحين ونتيجة الخلف المعتقد الشيخ محمد المكنى أبا السعود ابن الشيخ محمد جلال ابن الشيخ محمد افندي المكنى بابي المكارم ابن السيد عبد المنعم ابن السيد محمد المكنى بابي السرور صاحب الترجمة ابن السيد القطب الملقب بابي السرور البكري الصديقي العمري من جهة الام تولى خلافة سجادتهم في سنة سبع عشرة ومائتين والف عندما عزل ابن عمه السيد خليل البكري ولم تكن الخلافة في فرعهم بل كانت في اولاد الشيخ أحمد بن عبد المنعم وآخرهم السيد خليل المذكور فلما حضرت العثمانية الى مصر واستقر في ولايتها محمد باشا خسرو سعى في السيد خليل الكارهون له وأنهوا اليه فيه ورموه بالقبائح ومنها تداخله في الفرنسيس وامتزاجه بهم وعزلوه من نقابة الاشراف وردت للسيد عمر مكرم ولم يكتفوا بذلك وذكروا انه لا يصلح لخلافة البكرية فقال الباشا وهل موجود في اولادهم في خلافة قالوا نعم وذكروا المترجم فمن ذكروه وانه قد طعن في السن وفقير من المال فقال الباشا الفقر لا ينفي النسب وأمر له

سابع شوال الى نصف الليل من ليلة الاربعاء الحادى عشر من الشهر تواقعوا عدة وقعات متتابعة ولم يكن بينهما راحة ولا نزول الا لما لا بد منه انهزم الغز فيها ثلاث دفعات وعادوا الى الحرب فلما اسفر الصبح يوم الاربعاء انكشفت الحرب عن هزيمة عساكر خراسان وتفرقهم فى البلاد وظفر الغز بهم وقتلوا فأكثروا فيهم واما الجرحى والاسرى فاكثر من ذلك وعاد المؤيد ومن سلم معه الى طوس فاستولى الغز على مرو واحسنوا السيرة واكرموا العلماء والائمة مثل تاج الدين أبى سعد السمعانى وشيخ الاسلام على البلخى وغيرهما واغاروا على سرخس وخربت القرى وجلى اهلها وقتل من أهل سرخس نحو عشرة آلاف قتيل ونهبوا طوس أيضا وقتلوا أهلها الا القليل وعادوا الى مرو وأما السلطان محمود بن محمد الخان والعساكر التى معه فلم يقدروا على المقام بخراسان من الغز فساروا الى جرجان ينتظرون ما يكون من الغز فلما دخلت سنة اربع وخمسين وخمسمائة أرسل الغز الى السلطان يسألونه أن يحضر عندهم ليملكوه أمرهم فلم يثق بهم وخافهم على نفسه فارسلوا يطلبون منه ابنه جلال الدين محمدا ليملكوه أمرهم ويصدروا عن أمره ونهيه فى قليل الامور وكثيرها وترددت الرسل واحتاط السلطان محمود لولده بالعهود والمواثيق وتقرير القواعد ثم سيره من جرجان الى خراسان فلما سمع الامراء الغزية بقدومه ساروا من مرو الى طريقه فالتقوه بنيسابور واكرموه وعظموه ودخل نيسابور واتصلت به العساكر الغزية واجتمعوا عنده فى الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وخمسمائة ثم ان السلطان محمودا سار من جرجان الى خراسان فى الجيوش التى معه من الامراء السنجرية وتخلف عنه المؤيد اى ابه فوصل الى حدود نسا وابيورد واقطع نسا الامير اسمه عمر بن حمزة النسوى فقام فى حفظها المقام المرضى ومنع عنها ايدى المفسدين واقام السلطان محمود بظاهر نسا حتى انسلخ جمادى الآخرة من السنة ولما كان الغز بنيسابور هذه السنة أرسلوا الى طوس يدعونهم الى الطاعة والموافقة فامتنع أهل راذكان من اجابتهم الى ذلك واغتروا بسور بلدهم وبما عندهم من الشجاعة والقوة والعدة الوافرة والذخائر الكثيرة فقصدها طائفة من الغز وحصروهم وملكوا البلد وقتلوا فيه ونهبوا فأكثروا ثم عادوا الى نيسابور وساروا مع جلال الدين محمد ابن السلطان محمود الخان الى بيهق وحصروا سابزوار سابع عشر جمادى الآخرة سنة اربع وخمسين وخمسمائة فامتنع اهلها عليهم وقام بامرهم النقيب عماد الدين على بن محمد بن يحيى العلوى الحسينى نقيب العلويين واجتمعوا معه ورجعوا الى امره ونهيه ووقفوا عند اشارته فامتنعوا على الغز وحفظوا البلد منهم وصبروا على القتال فلما رأى الغز امتناعهم عليهم وقوتهم ارسلوا اليهم يطلبون الصلح فاصطلحوا ولم يقتل من اهل سابزوار فى تلك الحروب غير رجل واحد ورحل الملك جلال الدين والغز عن سابزوار فى السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة اربع وخمسين وخمسمائة وساروا الى نسا وابيورد

بفرس وسرج وعباءة كعادة مركوبهم فاحضروه والبسوه التاج والفرجية وخلع عليه الباشا فروة سمور وانعم عليه بخمسة أكياس وأن يأخذ له فائظا فى بعض الاقطاعات ويعفى من الحلوان وسكن بدارجهة باب الخرق وراج أمره واشتهر ذكره من حينئذ وسار سيرا حسنا مقرونا بالكمال جاريا على نسق قطانه بحسب الحال ويقتدى كم لديه خلفاء الطرائق الصورية وأصحاب الاشاير البدعية كالاحمدية والرفاعية والبرهامية والقادرية فيفصل قوانينهم العادية وينتقل فى أوائل شهر ربيع الاول الى دار بالازبكية بدرب عبد الحق فيعمل هنالك وليمة المولد النبوى على العادة وكذلك مولد المعراج فى شهر رجب بزاوية الدشطوطى خارج باب العدوى ولم يزل على حالته وطريقته مع انكسار النفس الى أن ضعفت قواه وتعلل ولازم الفراش فعند ذلك طلب الشيخ الشنوانى وباقى المشايخ وعرفهم ان مرضه الذى هو به مرض الموت لانه بلغ التسعين وزيادة وانه عهد بالخلافة على سجادتهم لولده السيد محمد لانه بالغ رشيد والتمس منهم بان يركبوا معه من الغد ويطلعوا الى القلعة ويقابلوا به الباشا فاجابوه الى ذلك وركبوا من الغد بصحبته الى القلعة فخلع عليه الباشا فروة سمور ونزل الى داره بالازبكية بدرب عبد الحق وتوفى المترجم فى اواخر شهر شوال من السنة

(ذكر

●(ذكر اسر المؤيد وخلاصه)●

قد ذكرنا ان المؤيد اى ابه تخلف من السلطان ركن الدين محمود بن محمد بجرجان فلما كان الآن سار من جرجان الى خراسان فنزل بقرية من قرى خبوشان اسمها زانك و بها حصن فسمع الغز بوصوله الى زانك فساروا اليه وحصروه فيه فخرج منها هاربا فرآه واحد من الغز فاخذه فوعده بمال جزيل ان اطلقه فقال الغزى واين المال فقال هو مودع فى بعض هذه الجبال فسار هو والغزى فوصلا الى جدار قرية فيها بساتين وعيون فقال للفارس المال ههنا وصعد الجدار ونزل من ظهره ومضى هاربا فرأى الغز قد ملؤا الارض فدخل قرية فعرفه طحان فيها فاعلم زعيم القرية به وطلب منه مركبا فاتاه بما اراد واعانه على الوصول الى نيسابور فوصل اليها واجتمعت العساكر وقوى امره وعاد الى حاله واحسن الى الطحان وبالغ فى الاحسان اليه

●(ذكر اجتماع السلطان محمود مع الغز وعودهم الى نيسابور)●

لما عاد الغز ومعهم الملك محمد بن محمود الخان الى نسا وأبيورد كما ذكرناه خرج والده السلطان محمود الخان وكان هناك فمن معه من العساكر الخراسانية فاجتمع بهم واتفقت الكلمة على طاعته واراد عمارة البلاد وحفظها فلم يقدر على ذلك فلما اجتمعوا ساروا الى نيسابور وبها المؤيد اى ابه فى شعبان فلما سمع بقربهم منه رحل عنها الى خواف فى سادس عشره ووصلوا اليها فى الحادى والعشرين منه ونزلوا فيه وخافهم الناس خوفا عظيما فلم يفعلوا بهم شيئا وساروا عنها فى السادس والعشرين منه الى سرخس ومرو وكان بها الفقيه المؤيد بن الحسين الموفق رئيس الشافعية وله بيت قديم وهو من أجناد الامام أبى سهل الصعلوكى وله مصاهرة الى بيت أبى المعالى الجوينى وهو المقدم فى البلد والمشار اليه وله من الاتباع مالا يحصى فاتفق ان بعض اصحابه قتل انسانا من الشافعية اسمه أبو الفتوح الفستقانى خطأ وهذا أبو الفتوح له تعلق بنقيب العلويين بنيسابور وهو ذخر الدين أبو القاسم زيد بن الحسن الحسينى وكان هذا النقيب هو الحاكم هذه المدة بنيسابور فغضب من ذلك وارسل الى الفقيه المؤيد يطلب منه القاتل ليقتص منه ويتهدده ان لم يفعل فامتنع المؤيد من تسليمه وقال لا مدخل لك مع اصحابنا انما حكمك على الطائفة العلويين فجمع النقيب اصحابه ومن يتبعه وقصد الشافعية فاجتمعوا له وقاتلوه فقتل منهم جماعة ثم ان النقيب احرق سوق العطارين واحرقوا سكة سعادا يضا وسكة باغ طاهر ودار امام الحرمين ابى المعالى الجوينى وكان الفقيه المؤيد الشافعى بها الاصهر الذى بينهم وعظمت المصيبة على كافة الناس وجمع بعد ذلك المؤيد الفقيه جموعا من طوس واسفراين وجوين وغيرهم وقتلوا واحدا من اتباع النقيب زيد يعرف بابن الحاجى الاشنانى فاهتم العلويون ومن معهم فاقتتلوا ثامن عشر شوال من سنة اربع وخمسين وقامت الحرب على ساق واحرقت المدارس والاسواق والمساجد وكثر القتل فى الشافعية فالتجأ المؤيد الشافعى فى شرذمة

وحضر واجنازته الى الازهر فصلوا عليه وذهبوا به الى القرافة ودفن بمشهد . . ا اسلافهم رحمه الله تعالى ومات الاجل المكرم المهذب فى نفسه النادرة فى ابناء جنسه محمد افندى الودنلى الذى عرف بناظر المهمات و يعرف ايضا بطبل اى الاعرج لانه كان به عرج قدم الى مصر فى ايام قدوم الوزير يوسف باشا وولاه محمد باشا خسرو كشوفية اسيوط ثم رجع الى مصر فى ولاية محمد على باشا فجعله ناظرا على مهمات الدولة وسكن ببيت سليمان افندى ميتو بعطفة ابى كلبة بناحية الدرب الاحمر فتقيد بعمل الخيام والسروج والبيرقات ولوازم الحروب فضاقت عليه الدار فاشترى بيت ابن الدالى بالجبودية بالقرب من قنطرة عمر شاه وهى دار واسعة عظيمة متخربة هى وما حولها من الدور والرباع والحوانيت فعمرها وسكن بها ورتب بها ورشات ارباب الاشغال والصنائع والمهمات المتعلقة بالدولة كسبك المدافع والجلل والقنابر والمكاحل والعربات وغير ذلك من الخيام والسروج ومصاريف طوائف العساكر الطبجية والعربجية والرماة وعمر ما حول تلك الدار من الرباع والحوانيت والمسجد الذى بجواره ومكتبا لاقراء الاطفال ورتب تدريسا فى

١٤ يم مل ١١ المسجد المذكور بعد العصر وقرر فيه السيد احمد الطحطاوى الحنفى ومعه عشرة

الى قلعة فرخك وقصر باع الشافعية من القتال ثم انتقل المؤيد الى قرية من قرى طوس و بطلت دروس الشافعية بنيسابور وخرب البلد وكثر القتل فيه

❁(ذكر حصر صاحب ختلان ترمذ وعوده وموته)❁

فى هذه السنة فى رجب سار الملك ابو شجاع فرخشاه وهو يزعم انه من اولاد بهرام جور وقد تقدم ذكره ايام كسرى ابرويز الى ترمذ وحصرها وكان سبب ذلك انه كان فى طاعة السلطان سنجر فلما خرج عليها الغز طلبه ليحضر معه حربه لهم فجمع عسكره واظهر انه واصل فى من عنده من العساكر اليه واقام ينتظر ما يكون منه فانفذ له حضر وقال له سبقتنى بالحرب وان كان الظفر للغز قال لهم انما اتاخرت محبة وارادة ان تملكوا فلما انهزم سنجر وكان ماذكرناه بقى الى الآن فسار الى ترمذ ليحصرها فجمع صاحبها فيروزشاه احمد بن ابى بكر بن قماج عسكره ولقيه ليمنعه فاقتتلوا فانهزم فيروزشاه ومضى منهزما لا يلوى على شئ فاصابه فى الطريق قولنج فمات منه

❁(ذكر عود المؤيد الى نيسابور وتخريب ما بقى منها)❁

فى هذه السنة عاد المؤيد اى ابه الى نيسابور فى عساكره ومعه الامام المؤيد الموفق الشافعى الذى تقدم ذكر الفتنة بينه وبين ذخر الدين نقيب العلويين وخروجه من نيسابور فلما خرج منها صار مع المؤيد وحضر مع المؤيد وحضر معه حصار نيسابور وتحصن النقيب العلوى بشارستان واشتد الخطب وطال الحرب وسفكت الدماء وهتكت الاستار وخربوا ما بقى من نيسابور من الدور وغيرها وبالغ الشافعية ومن معهم فى الانتقام فخربوا المدرسة الصندلية لاصحاب ابى حنيفة وخربوا غيرها وحصروا فهذه وهذه الفتنة استأصلت نيسابور ثم رحل المؤيد اى ابه عنها الى بيهق فى شوال من سنة اربع وخمسين وخمسمائة كان ينبغى ان تكون هذه الحوادث الغزية الواقعة فى سنة اربع وخمسين مذكورة فى سنتها وانما قدمناها ههنا ليتلو بعضها بعضا فيكون احسن لسياقتها

❁(ذكر ملك ملكشاه خوزستان)❁

فى هذه السنة ملك ملكشاه ابن السلطان محمود بلد خوزستان واخذه من شملة التركمانى وسبب ذلك ان الملك محمد ابن السلطان محمود لما عاد من حصار بغداد كما ذكرناه مرض وبقى مريضا بهمذان ومضى أخوه ملكشاه الى قم وقاشان ونهبها والاهما ونهبها جميعها وصادر أهلها وجمع أموالا كثيرة فراسله أخوه محمد شاه يأمره بالكف عن ذلك ليجعله ولى عهده فى الملك فلم يفعل ومضى الى اصفهان فلما قاربها ارسل رسولا الى ابن الخجندى وأعيان البلد فى تسليم البلد اليه فامتنعوا من ذلك وقالوا الاخ فى رقابنا يمين ولا نغدر به فحينئذ شرع ملكشاه فى الفساد والمصادرة لاهل القرى فلما سمع محمد شاه الخبر سار عن همذان وعلى مقدمته كردبازوه الخادم فتفرقت جموع ملكشاه عند قرسين فلحق به قويدان وكان قد فارق المقتفى لامر الله واتفق مع سنقر الهمذانى فلحقا كلاهما

من الطلبة ورتب لهم الف عثمانى تصرف لهم من الروزنامه وللاطفال وكسوتهم خلاف ذلك و يشترى فى عيد الاضحى جواميس وكباشا يذبح منها و يفرق على الفقراء والموظفين ويرسل الى أصحابه عدة كباش فى عيد الاضحية الى بيوتهم الكبش والكبشين على قدر مقادرهم ويرسل فى كل ليلة من ليالى رمضان عدة قصاع مملوءة بالثريد واللحم الى الفقراء بالجامع الازهر واتفق ان الباشا قصد تعمير المجراة والسواقى التى تنقل الماء من النيل الى القلعة وكانت قد تهدمت وتخربت وتلاشت و بطل عملها مدة سنين فاحضروا المعمارجية فهولوا عليه أمرها وأخبروه انها تحتاج خمسمائة كيس تنفق فى عمارتها فعرض ذلك على المترجم فقال له انا اعمرها بمائة كيس قال كيف تقول قال بل بثمانين كيسا والتزم بذلك ثم شرع فى عمارتها حتى اتمها على ماهى عليه الآن واهدى اليه رجال دولتهم عدة أثوار معونة له فعمر أيضا سواقيها وأدارها و جرى فيها الماء الى القلعة ونواحيها وانتفع بها أهل تلك الجهات ورخص الماء وكثر فى تلك الاخطاط وكانوا قاسوا شدة من عدم الماء عدة سنين ومما عد من مناقبه ان القلقات المقيدين بالمراكز وابواب المدينة كانوا ياخذون من الواردين والداخلين والخارجين والمسافرين من

به وحسناله قصد بغداد فسار من بلد خوزستان الى واسط ونزل بالجانب الشرقي وهم على غاية الضر من الجوع فنهبوا القرى نهبا فاحشا ففتح بثق بتلك الناحية فغرق منهم كثير ونجا ملكشاه ومن سلم معه وساروا الى خوزستان فمنعه شملة من العبور فراسله ليمكنه من العبور الى أخيه الملك محمد شاه فلم يجبه الى ذلك وكاتب حينئذ الاكراد السكر الذين هناك واستخدم اليه ففرحوا به ونزل اليه من تلك الجبال خلق كثير فاطاعوه فرحل ونزل على كرخانا وطلب من شملة الحرب فالآن له شملة القول وقال انا خطب لك وأكون معك فلم يقبل منه فاضطر شملة الى الحرب فجمع عسكره وقصده فلقيه ملكشاه ومعه سنقر الهمذاني وقويدان وغيرهما من الامراء فاقتتلوا فانهزم شملة وقتل كثير من اصحابه وصعد الى قلعته دندرزين وملك ملكشاه البلاد وجبى الاموال الكثيرة واظهر العدل وتوجه الى ارض فارس

(ذكر الحرب بين التركمان والاسماعيلية بخراسان)

كان بنواحي قهستان طائفة من التركمان فنزل اليهم جمع من الاسماعيلية من قلاعهم وهم ألف وسبعمائة فاوقعوا بالتركمان فلم يجدوا الرجال وكانوا قد فارقوا بيوتهم فنهبوا الاموال واخذوا النساء والاطفال واحرقوا ما لم يقدروا على حمله وعاد التركمان فراوا ما فعل بهم فتبعوا أثر الاسماعيلية فادركوهم وهم يقتسمون الغنيمة فكبروا وحملوا عليهم ووضعوا فيهم السيف فقتلوهم كيف شاؤا حتى أفنوهم قتلا وأسرا ولم ينج الا تسعة رجال لا غير

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة كثر فساد التركمان أصحاب ترجم الايوائي بالجبل فسير اليهم من بغداد عسكر مقدمهم منكبرس المسترشدي فلما قاربهم اجتمع التركمان فالتقوا واقتتلوا هم ومنكبرس فانهزم التركمان اقبح هزيمة وقتل بعضهم وأسر بعض وحملت الرؤس والاسارى الى بغداد وفيها حج الناس فلما وصلوا الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وصل لهم الخبر ان العرب قد اجتمعت لتاخذهم فتركوا الطريق وسلكوا طريق خيبر فوجدوا مشقة شديدة ونجوا من العرب وفيها توفي الشيخ نصر بن منصور بن الحسين العطار أبو القاسم الحراني ومولده بحران سنة أربع وثمانين واربعمائة واقام ببغداد وكثر ماله وصدقاته ايضا وكان يقرأ القرآن وهو والد ظهير الدين الذي حكم في دولة المستضيء بامر الله على ما نذكره ان شاء الله وفيها توفي أبو الوقت عبد الاول ابن عيسى بن شعيب السجزي ببغداد وهو سجزي الاصل هروي المنشا وكان قدم الى بغداد سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة يريد الحج فسمع الناس بها عليه صحيح البخاري وكان عالي الاسناد فتأخر لذلك عن الحج فلما كان هذه السنة عزم على الحج فمات وفيها توفي يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد أبو الفضل الحصكفي الاديب بميافارقين وله شعر حسن ورسائل جيدة مشهورة وكان يتشيع ومولده بطنزة فمن شعره

وخليع بت اعذله ✱ ويرى عذلي من العبث

الفلاحين وغيرهم ومعهم أشياء أو أحمال ولو حطبا أو برسيما أو تبنا أو سرجينا دراهم على كل شئ ولو امرأة فقيرة معها او على راسها مقطف مثلا وجميع البهائم تبيعه في الشارع وتقتات بثمنه فيحجزونها ويدعونها تمر حتى تدفع لهم نصف فضة ثم ياخذون أيضا من ذلك الشئ و ياخذون على كل حمل حمارا وبغل أو جمل نصف فضة واذا اشترى شخص من ساحل بولاق أو مصر القديمة اردب غلة أو حملة حطب لعياله أخذ منه المتقيدون عند قنطرة الليمون فاذا خلص منهم استقبله الكائنون بالباب الحديد وهكذا سائر الطرق التي يدخل منها المارة الى المدينة ويخرجون مثل باب النصر وباب الفتوح وباب الشعرية وباب العدوي وطرق الازبكية وباب القرافة والبرقية وطرق مصر القديمة فسعى المترجم بابطال ذلك وتكلم مع الباشا وعرفه تضرر الناس وخصوصا الفقراء وهؤلاء المتقيدون لهم علائف يقبضونها من الباشا كغيرهم وهذا قدر زائد فرخص له في ابطال هذا الامر وكتب له بيورلدي بمنع هؤلاء المركوزين عن أخذ شئ من الناس جملة كافية وقيد بكل مركز شخصا من اتباعه لمراقبتهم واشاع ذلك في الناس فانكفوا وامتنعوا عن اخذ شئ من عامة الناس وكانوا يجمعون من ذلك مقادير من الفضة العددية يتقاسمونها آخر النهار وذلك خلاف ما يأخذونه من الاشياء المحمولة كالجبن

قلت ان الخمر مخبثة * قال حاشاها من الخبث
قلت فالارفات تتبعها * قال طيب العيش فى الرفث
قلت منها القئ * قال اجل * شرفت عن مخرج الحدث
وساسلوها فقلت متى * قال عند الكون فى الجدث

(ثم دخلت سنة اربع وخمسين وخمسمائة)

ذكر ملك عبد المؤمن مدينة المهدية من الفرنج وملكه جميع افريقية قد ذكرنا سنة ثلاث واربعين وخمسمائة ملك الفرنج مدينة المهدية من صاحبها الحسن بن تميم بن المعز ابن باديس الصنهاجى وذكرنا ايضا سنة احدى وخمسين ما فعله الفرنج بالمسلمين فى زويلة المجاورة للمهدية من القتل والنهب فلما قتلهم الفرنج ونهبوا اموالهم هرب منهم جماعة وقصدوا عبد المؤمن صاحب المغرب وهو بمراكش يستجيرونه فلما وصلوا اليه ودخلوا عليه اكرمهم واخبروه بما جرى على المسلمين وانه ليس فى ملوك الاسلام من يقصد سواه ولا يكشف هذا الكرب غيره فدمعت عيناه واطرق ثم رفع رأسه وقال ابشروا لانصرنكم ولو بعد حين وامر بانزالهم واطلق لهم الفى دينار ثم امر بعمل الروايا والقرب وما يحتاج اليه العساكر فى السفر وكتب الى جميع نوابه فى الغرب وكان قد ملك الى قريب تونس يامرهم بحفظ جميع ما يتحصل من الغلات وان يترك فى سنبله ويخزن فى مواضعه وان يحفروا الآبار فى الطرق ففعلوا جميع ما امرهم به وجمعوا الغلات ثلاث سنين ونقلوها الى المنازل وطينوا عليها فصارت كانها تلال فلما كان فى صفر من هذه السنة سار عن مراكش وكان اكثر اسفاره فى صفر فسار يطلب افريقية واجتمع من العساكر مائة الف مقاتل ومن الاتباع والسوقة امثالهم وبلغ من حفظه لعساكره انهم كانوا يمشون بين الزروع فلا تتأذى بهم سنبلة واذا نزلوا صلوا جميعهم مع امام واحد بتكبيرة واحدة لا يتخلف منهم احد كائنا من كان وقدم بين يديه الحسن بن على بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجى وكان صاحب المهدية وافريقية وقد ذكرنا سبب مصيره عند عبد المؤمن فلم يزل يسير الى ان وصل الى مدينة تونس فى الرابع والعشرين من جمادى الآخرة من السنة وبها صاحبها احمد بن خراسان واقبل اسطوله فى البحر فى سبعين شينيا وطريدة وشلندى فلما نازلها ارسل الى اهلها يدعوهم الى طاعته فامتنعوا فقاتلهم من الغد اشد قتال فلم يبق الا اخذها ودخول الاسطول اليها فجاءت ريح عاصف منعت الموحدين من دخول البلد فرجعوا ليباكروا القتال ويملكوه فلما جن الليل نزل سبعة عشر رجلا من اعيان اهله الى عبد المؤمن يسألونه الامان لاهل بلدهم فاجابهم الى الامان لهم فى انفسهم واهليهم واموالهم لمبادرتهم الى الطاعة واما من عداهم من اهل البلد فيؤمنهم فى انفسهم واهاليهم ويقاسمهم على اموالهم واملاكهم نصفين وان يخرج صاحب البلد هو واهله فاستقر ذلك وتسلم البلد وارسل اليه من يمنع العسكر من الدخول وارسل امناء ليقاسموا الناس على اموالهم واقام عليها

والزبد والخيار والقثاء وأنواع البطيخ والفاكهة والبرسيم والاحطاب والخضارات وغير ذلك * ومن مناقبه أيضا ان الجاويشية والقواسة الاتراك المختصين بخدمة الباشا والكتخدا كان من عوائدهم القبيحة انهم فى كل يوم جمعة يلبسون أحسن ملابسهم وينتشرون بالمدينة ويطوفون على بيوت الاعيان وأرباب المظاهر واصحاب المناصب ويأخذون منهم البقاشيش ويسمونها الجمعية فاما الآن يصطبح أحدهم ذكر ويجلس بمجلسه الاواثنان أو ثلاثة عابرون عليه من غير استئذان فيقفون قبالته وبايديهم العصى المفضضة فيعطيهم القرشين أو الثلاثة بحسب منصبه ومقامه فاذا ذهبوا وانصرفوا حضر اليه خلافهم وهكذا ولا يرون فى ذلك ثقلا ولا رذالة بل يرون ان ذلك من اللازمات الواجبة فلا يكفى أحد المقصودين الخمسون قرشا أو أقل او أكثر فى ذلك اليوم تذهب سبهللا فكان منهم من ينقطع فى حريمه ذلك اليوم او يتوارى و يتغيب عن منزله فاذا صادفوه مرة أخرى ذاكروه فيما فاتهم فى السابق فاما سامحوه واما شنعوا عليه بتركها وطالبوه بها ان لم يكن ممن يخشونه فنسى أيضا المترجم مع الباشا فى منعهم من ذلك * ومن مساويه انه اول من فتح باب الزيادة فى متحصل الضربخانه حتى تنبه الباشا من ذلك الوقت لاهل الضربخانه واوقع بهم ما تقدم ذكره

ثلاثة ايام وعرض الاسلام على من بها من اليهود والنصارى فمن أسلم سلم ومن امتنع قتل واقام اهل تونس بها باجرة تؤخذ من نصف مساكنهم وسار عبد المؤمن منها الى المهدية والاسطول يحاذيه فى البحر فوصل اليها ثامن عشر رجب وكان حينئذ بالمهدية اولاد ملوك الفرنج وابطال الفرسان وقد اخلوا زويلة وبينها وبين المهدية غلوة سهم فدخل عبد المؤمن زويلة وامتلأت بالعساكر والسوقة فصارت مدينة معمورة فى ساعة ومن لم يكن له موضع من العسكر نزل بظاهرها وانضاف اليه من صنهاجة والعرب واهل البلاد ما يخرج عن الاحصاء واقبلوا يقاتلون المهدية مدة ايام فلا يؤثر فيها لحصانتها وقوة سورها وضيق موضع القتال عليها لان البحر دائر باكثرها فكأنها كف فى البحر وزندها متصل بالبر وكانت الفرنج تخرج شجعانهم الى اطراف العسكر فتنال منه ويعودون سريعا فامر عبد المؤمن أن يبنى سور من غرب المدينة يمنعهم من الخروج وأحاط الاسطول بها فى البحر وركب عبد المؤمن فى شينى ومعه الحسن بن على الذى كان صاحبها وطاف بها فى البحر فهاله ما رأى من حصانتها وعلم انها لا تفتح بقتال برا ولا بحرا وليس لها الا المطاولة وقال للحسن كيف نزلت عن مثل هذا الحصن فقال لقلة من يوثق به وعدم القوت وحكم القدر فقال صدقت وعاد من البحر وأمر بجمع الغلات والاقوات وترك القتال فلم يمض غير قليل حتى صار فى العسكر كالجبلين من الحنطة والشعير فكان من يصل الى العسكر من بعيد يقولون متى حدثت هذه الجبال فيقال لهم هى حنطة وشعير فيعجبون من ذلك وتمادى الحصار وفى مدته أطاع سفاقس عبد المؤمن ومدينة طرابلس وجبال نفوسة وقصور افريقية وما والاها وفتح مدينة قابس بالسيف وسير ابنه أبا محمد عبد الله فى جيش ففتح بلادا ثم ان اهل مدينة قفصة لما رأوا تمكن عبد المؤمن اجمعوا على المبادرة الى طاعته وتسليم المدينة اليه فتوجه صاحبها يحيى بن تميم بن المعز ومعه جماعة من اعيانها وقصدوا عبد المؤمن فلما اعلمه حاجبه بهم قال له عبد المؤمن قد اشتبه عليك ليس هؤلاء اهل قفصة فقال له لم يشتبه على قال له عبد المؤمن كيف يكون ذلك والمهدى يقول ان اصحابنا يقطعون اشجارها ويهدمون اسوارها ومع هذا فنقبل منهم ونكف عنهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا فارسل اليهم طائفة من اصحابه ومدحه شاعر منهم بقصيدة اولها

ماهز عطفيه بين البيض والاسل ● مثل الخليفة عبد المؤمن بن على

فوصله بالف دينار ولما كان فى الثانى والعشرين من شعبان من السنة جاء اسطول صاحب صقلية فى مائة وخمسين شينيا غير الطرائد وكان قد وفد من جزيرة يابسة من بلاد الاندلس وقد سبى أهلها وأسرهم وحملهم معه فارسل اليهم ملك الفرنج يأمرهم بالمجىء الى المهدية فقدموا فى التاريخ فلما قاربوا المهدية حطوا شرعهم ليدخلوا المينا فخرج اليهم أسطول عبد المؤمن وركب العسكر جميعه ووقفوا على جانب البحر فاستعظم الفرنج ما رأوه من كثرة العساكر ودخل الرعب قلوبهم وبقى عبد المؤمن يمرغ وجهه على الارض ويبكى ويدعو للمسلمين بالنصر واقتتلوا فى البحر فانهزمت شوانى الفرنج واعادوا

ومنها احداث المكس على اللبان والحناء والصمغ على ما قيل

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

وبالجملة فمن رأس العين يأتى الكدر كما قاله الليث بن سعد لما سأله الرشيد وقال له يا أبا الحرث ما صلاح بلدكم فقال له اما صلاح امر زراعتها وخصبها فبالنيل واما صلاح احكامها فمن رأس العين يأتى الكدر فقال له صدقت ذكر ذلك الحافظ بن حجر فى الترجمة الغيثية فى الترجمة الليثية وعلى كل فكان المترجم احسن من رأينا فى هذه الدولة وكان قريبا من الخير وفعله مواظبا على الصلوات الخمس فى اوقاتها ملازما على الاشتغال ومطالعة الكتب والممارسة فى دقائق الفنون واقتنى كتبا كثيرة فى سائر الفنون واستنباط الصنائع حتى انه صنع الجوخ الملون الذى يعمل ببلاد الافرنج ويجلب الى الآفاق ويلبسه الناس للتجمل وكان قبل وجوده بمصر وغلا ثمنه فعمل عدة انوال ومناسج غريبة الوضع واحضر اشخاصا من النساجين فنسجوا الصوف بعد غزله مدات حددها لهم فى الطول والعرض ثم يتسلمه رجال أعدهم لتخميره وتلبيده بالقلى والصابون منشورا ومطويا بكيفيات فى اوقات وايام عاشرته لهم فى العمل واشارته ثم يضعونه مطويا فى احواض من خشب تجرى مزفتة تملأ بالماء من ساقية صنعها لخصوص ذلك يصب منها

القلوع وتبعهم المسلمون فاخذوا منهم سبع شوانى ولو كان معهم شوانى لاخذوا اكثرها وكان امرا عجيبا وفتحا قريبا وعاد اسطول المسلمين مظفرا منصورا وفرق فيهم عبد المؤمن الاموال ويئس أهل المهدية حينئذ من النجدة وصبروا على الحصار ستة أشهر الى آخر شهر ذى الحجة من السنة فنزل حينئذ من فرسان الفرنج الى عبد المؤمن عشرة وسألوه الامان لمن فيها من الفرنج على انفسهم واموالهم ليخرجوا منها ويعودوا الى بلادهم وكان قوتهم قد فنى حتى اكلوا الخيل فعرض عليهم الاسلام ودعاهم اليه فلم يجيبوا ولم يزالوا يترددون اليه اياما بالكلام اللين فاجابهم الى ذلك وامنهم واعطاهم سفنا فركبوا فيها وساروا وكان الزمان شتاء فغرق اكثرهم ولم يصل منهم الى صقلية الا النفر اليسير وكان صاحب صقلية قد قال ان قتل عبد المؤمن اصحابنا بالمهدية قتلنا المسلمين الذين هم بجزيرة صقلية واخذنا حرمهم واموالهم فاهلك الله الفرنج غرقا وكان مدة ملكهم المهدية اثنتى عشرة سنة ودخل عبد المؤمن المهدية بكرة عاشوراء من المحرم سنة خمس وخمسين وخمسمائة وسماها عبد المؤمن سنة الاخماس وأقام بالمهدية عشرين يوما فرتب احوالها وأصلح ما انثلم من سورها ونقل اليها الذخائر من الاقوات والرجال والعدد واستعمل عليها بعض اصحابه وجعل معه الحسن بن على الذى كان صاحبها وأمره ان يقتدى برأيه فى افعاله وأقطع الحسن بها اقطاعا واعطاه دورا نفيسة يسكنها وكذلك فعل باولاده ورحل من المهدية اول صفر من السنة الى بلاد الغرب

(ذكر ايقاع عبد المؤمن بالعرب)

لما فرغ عبد المؤمن من امر المهدية واراد العود الى الغرب جمع امراء العرب من بنى رياح الذين كانوا بافريقية وقال لهم قد وجبت علينا نصرة الاسلام فان المشركين قد استفحل امرهم بالاندلس واستولوا على كثير من البلاد التى كانت بايدى المسلمين وما يقاتلهم احد مثلكم فبكم فتحت البلاد اول الاسلام وبكم يدفع عنها العدو الآن ونريد منكم عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والشجاعة يجاهدون فى سبيل الله فاجابوا بالسمع والطاعة فحلفهم على ذلك بالله تعالى وبالمصحف فحلفوا ومشوا معه الى مضيق جبل زغوان وكان منهم انسان يقال له يوسف بن مالك وهو من أمرائهم ورؤس القبائل فيهم فجاء الى عبد المؤمن بالليل وقال له سرا ان العرب قد كرهت المسير الى الاندلس وقالوا ما غرضه الا اخراجنا من بلادنا وانهم لا يفون بما حلفوا عليه فقال يأخذ الله عز وجل الغادر فلما كان الليلة الثانية هربوا الى عشائرهم ودخلوا البر ولم يبق منهم الا يوسف ابن مالك فسماه عبد المؤمن يوسف الصادق ولم يحدث عبد المؤمن فى أمرهم شيأ وسار مغربا يحث السير حتى قرب من القسطنطينية فنزل فى موضع مخصب يقال له وادى النساء والفصل ربيع والكلأ مستحسن فأقام به وضبط الطرق فلا يسير من العسكر احد البتة ودام كذلك عشرين يوما فبقى الناس فى جميع البلاد لا يعرفون لهذا العسكر خبرا مع كثرته وعظمه ويقولون ما أزعجه الا خبر وصله من الاندلس فحث لاجله فى

الماء الى تلك الاحواض تديرها الاثوار وهى تلك الاحواض دقاقات شبيهة بدقاقات الارز تتحرك فى صعودها وهبوطها من ترس خاص يدور بدوران الساقية وما يفيض من ماء الاحواض يجرى الى بستان زرعه حول ذلك فيسقى ما به من الاشجار والمزارع فلا يذهب الماء هدرا ثم يخرجونه بعد ذلك ويبردخونه ويصبغونه بانواع الاصباغ ويضعونه فى مكبس كبير يقال له التخت صنعه لذلك وعند ذلك يتم عمله فكان الناس يذهبون للتفرج على ذلك لغرابته عندهم ثم حضر اليه شخص فرنساوى واشار عليه باشارات فى تغيير الدقاقات وافسد العمل واشتغل هو بكثرة المهمات فتكاسل عن اعادتها ثانيا وبطل ذلك وكان مع كثرة اشغاله ومصاريفه ليس له كاتب بل يكتب ويحسب لنفسه وبين يديه عدة دفاتر لكل شئ دفتر مخصوص ولا يشغله شئ عن شئ ولما اتسعت دائرته وكثرت حاشيته واجتمعت فيه عدة مناصب مضافة لنظر المهمات مثل معمل البارود وقاعة الفضة ومدابغ الجلود وغير ذلك فكان كتخدا بك يحقد عليه فى الباطن لامور بينهما حتى قيل ان نفسه طمحت فى الكتخدائية فكان يتصدر فى الامور والقضايا ويرافع ويدافع ويهزل مع الباشا ويضاحكه ويرادده ويدخل عليه من غير استئذان ولم يزل الكتخدا يأتى فيه الدسائس

السير فعادت العرب الذين أجفلوا امامه من البرية الى البلاد لما امنوا جانبه وسكنوا البلاد التي الفوها واستقروا في البلاد فلما علم عبد المؤمن برجوعهم جهز اليهم ولديه ابا محمد وابا عبد الله في ثلاثين الف مقاتل من اعيان الموحدين وشجعانهم فجدوا السير وقطعوا المفاوز فما شعر العرب الا والجيش قد اقبل بغتة من ورائهم من جهة الصحراء ليمنعوهم الدخول اليها ان راموا ذلك وكانوا قد نزلوا جنوبا من القيروان عند جبل يقال له جبل القرن وهم زهاء ثمانين الف بيت والمشاهير من مقدميهم ابو محفوظ محرز بن زياد ومسعود بن زمام البلاط وجبارة بن كامل وغيرهم فلما اطلت عساكر عبد المؤمن عليهم اضطربوا واختلفت كلمتهم ففر مسعود وجبارة بن كامل ومن معهما من عشائرهما وثبت محرز بن زياد وأمرهم بالثبات والقتال فلم يلتفتوا اليه فثبت هو ومن معه من جمهور العرب فناجزهم الموحدون القتال في العشر الاوسط من ربيع الآخر من السنة وثبت الجمعان واشتد العراك فاتفق ان محرز بن زياد قتل ورفع رأسه على رمح فانهزمت جموع العرب عند ذلك واسلموا البيوت والحريم والاولاد والاموال وحمل جميع ذلك الى عبد المؤمن وهو بذلك المنزل فأمر بجعل النساء العربيات الصرائح وجعلهن معه تحت الحفظ والبر والصيانة الى بلاد الغرب وفعل معهن مثل ما فعل في حريم الاثبج ثم اقبلت اليه وفود رياح مهاجرين في طلب حريمهم كما فعل الاثبج فاجمل الصنيع لهم ورد الحريم اليهم فلم يبق منهم احد الا صار عنده وتحت حكمه وهو يخفض لهم الجناح ويبذل فيهم الاحسان ثم انه جهزهم الى ثغور الاندلس على الشرط الاول وجمعت عظام العرب القتلى في هذه المعركة عند جبل قرن فبقيت دهرا طويلا كالتل العظيم تلوح للناظرين من مكان بعيد وبقيت افريقية مع نواب عبد المؤمن آمنة ساكنة لم يبق فيها من امراء العرب خارج عن طاعته الا مسعود البلاط بن زمام وطائفته في اطراف البلاد

(ذكر غرق بغداد)

في هذه السنة ثامن ربيع الآخر كثرت الزيادة في دجلة وخرق القورج فوق بغداد واقبل المد الى البلد فامتلأت الصحارى وخندق البلد وأفسد الماء السور ففتح فيه فتحة يوم السبت تاسع عشر الشهر فوقع بعض السور عليها افسدها ثم فتح الماء فتحة اخرى واهملوها ظنا انها تنفس عن السور لئلا يقع فغلب الماء وتعذر سده فغرق قراح ظفر والاجمة والمختارة والمقتدية ودرب القبار وخرابة ابن جردة والريان وقراح القاضي وبعض القطيعة وبعض باب الازج وبعض المأمونية وقراح ابي الشحم وبعض قراح ابن رزين وبعض الظفرية ودب الماء تحت الارض الى اماكن فوقعت واخذ الناس يعبرون الى الجانب الغربي فبلغت المعبرة عدة دنانير ولم يكن يقدر عليها ثم نقص الماء وتهدم السور وبقي الماء الذي داخل السور عليها يدب في المحال التي لم يركبها الماء فكثر الخراب وبقيت المحال لا تعرف وانما هي تلول فاخذ الناس حدود

ويحمل معقل الاشغال التي تحت نظره ويعرف الباشا بها يشوفر من ذلك حتى نزعه من نظارة جميع المهمات وقلدها صالح كتخدا الرزاز وعما نقمه عليه ان الكتخدا احضر لزيارة المشهد الحسيني في عصرية يوم من رمضان ثم ركب متوجها الى داره قبيل الغروب فصادف في طريقه عدة قصاع كبار مغطاة تحملها الرجال فسأل عنها فعرفوه ان المترجم يرسلها في كل ليلة من ليالي رمضان الى فقراء الجامع الازهر وبها الثريد واللحم فامتعض من ذلك وعرف الباشا انه يؤالف الناس ويتودد اليهم باموالك ونحو ذلك واستمر المترجم بطالا نحو السنتين ولم يتضعضع ولم يظهر عليه تغير ونظامه ومطبخه على حاله وطعامه مبذول ورواتبه جارية وفي تلك المدة اشتغل بمطالعة الكتب والممارسة والمدارسة وعاني الحسابيات وصناعة التقويم حتى مهر في ذلك وعمل الدستور السنوي وما يشتمل عليه من تقويم الكواكب السيارة وتداخل التواريخ والاهلة والاجتماعات والاستقبالات وطوالع التحاويل والتصبيات ويصنع بيده أيضا الصنائع الفائقة مثل الظروف التي تأتي من بلاد الهند والافرنج والروم ويضع فيها السكينة بحبارهم واقلامهم فيصنعها ولامن الخشب الرقيق والقرطاس المقوى الملاصق ويصبغها وينقشها بانواع الليق ويعدها على النقوشات بالسندروس المحلول ويضعها في صندوق

دوrهم بالتخمين واما الجانب الغربي فغرقت فيه مقبرة احمد بن حنبل وغيرها من المقابر وانخسفت القبور المبنية وخرج الموتى على رأس الماء وكذلك المشهد والحربية وكان امرا عظيما

●(ذكر عود سنقر الهمذاني الى اللحف وانهزامه)●

في هذه السنة عاد سنقر الهمذاني الى اقطاعه وهو قلعة الماهكي وبلد اللحف وكان الخليفة قد اقطعه للامير قايماز العميدي ومعه اربعمائة فارس فارسل اليه سنقر يقول له ارحل عن بلدي فامتنع فسار اليه وجرى بينهما قتال شديد انهزم فيه العميدي ورجع الى بغداد بأسوأ حال فبرز الخليفة وسار في عساكره الى سنقر فوصل الى النعمانية وسير العساكر مع ترشك ورجع الى بغداد ومضى ترشك نحو سنقر الهمذاني فتوغل سنقر في الجبال هاربا ونهب ترشك ما وجد له ولعسكره من مال وسلاح وغير ذلك وأمر وزيره بقتل من رأى من أصحابه ونزل على الماهكي وحصرها اياما ثم عاد الى البندنيجين وأرسل الى بغداد بالبشارة وأما سنقر فانه لحق بملكشاه فاستنجده فسير معه خمسمائة فارس فعاد ونزل على قلعة هناك وأفسد أصحابه في البلاد وأرسل ترشك الى بغداد يطلب نجدة فجاءته فاراد سنقر أن يكبس ترشك فعرف ذلك فاحترز فعدل سنقر الى المخادعة فارسل رسولا الى ترشك يطلب منه ان يصلح حاله مع الخليفة فاحتبس ترشك الرسول عنده وركب فيمن خف من أصحابه فكبس سنقر ليلا فانهزم هو وأصحابه وكثر القتل فيهم وغنم ترشك أموالهم ودوابهم وكل مالهم ونجا سنقر جريحا

●(ذكر الفتنة بين عامة استراباذ)●

في هذه السنة وقع في استراباذ فتنة عظيمة بين العلويين ومن يتبعهم من الشيعة وبين الشافعية ومن معهم وكان سببها ان الامام محمدا البزوي وصل الى استراباذ فعقد مجلس الوعظ وكان قاضيها ابو نصر سعد بن محمد بن اسمعيل النعيمي شافعي المذهب ايضا فثار العلويون ومن يتبعهم من الشيعة بالشافعية ومن يتبعهم باستراباذ ووقعت بين الطائفتين فتنة عظيمة انتصر فيها العلويون فقتل من الشافعية جماعة وهرب القاضي ونهبت داره ودور من معه وجرى عليهم من الامور الشنيعة ما لا حد عليه فسمع شاه مازندران الخبر فاستعظمه وانكر على العلويين فعلهم وبالغ في الانكار مع انه شديد التشيع وقطع عنهم ميرايات كانت لهم ووضع الجبايات والمصادرات على العامة فتفرق كثير منهم وعاد القاضي الى منصبه وسكنت الفتنة

●(ذكر وفاة الملك محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه)●

في هذه السنة توفي السلطان محمد بن محمود بن محمد وهو الذي حاصر بغداد طالبا السلطنة وعاد عنها فاصابه سل وطال به فمات بباب همذان وكان مولده في ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة فلما حضره الموت امر العساكر فركبت واحضر امواله وجواهره وحظاياه ومماليكه فنظر الى الجميع من طيارة تشرف على ما تحتها فلما رآه

من الزجاج صنعه مخصوص تلك الاشياء والقبورات وجفاف دهانه بحرارة الشمس المحجوب بالزجاج عن الهواء والغبار وعندما تمامها تكون في غاية الحسن والظرافة والبهجة بحيث لا يشك من يراها بانها من صناعة الهند او الافرنج المتقنين الصناعة وكان كلما سمع بشخص ذي معرفة لصناعة من الصنائع او المعارف اجتهد في تحصيلها وتلقيها عنه باي وجه كان ولو ببذل الرغائب واعد بمنزله اماكن لاشخاص من ارباب المعارف ينزلهم بها ويجري عليهم النفقات والكساوي حتى يجتني ثمار معارفهم وصنائعهم ويجتمع عنده في كل ليلة جمعة جماعة من القراء التي مساكنهم قريبة من داره فيذكرا الله معهم حصة من الليل ثم يفرق فيهم دراهم ولما طال به الاهمال وقصور الاحوال والباشا قليل الاقامة بمصر واكثر ايامه غائب عنها فحسن بباله الرحلة من مصر الى الديار الرومية ويذهب الى بلاده فاستاذن الباشا عند وداعه وهو متوجه الى ناحية قبلي فاذن له واخذ في اسباب السفر فارسل الكتخدا الى الباشا ودس اليه كلاما فارسل بمنعه وبرتب له خرجا لمطبخه فتعوق عن السفر على غير خاطره وفي اوائل السنة حضرت اليه والدته وابنته وزوجها فانزلهم في دار تجاه داره واجرى عليهم ما يحتاجون اليه من النفقة

بكى وقال هذه العساكر والاموال والمماليك والسراري ما ارى يدفعون عني مقدار ذرة ولا يزيدون في اجلي لحظة وامر بالجميع فرفع بعد ان فرق منه شيئا كثيرا وكان عظيما كريما عاقلا كثير التاني في اموره وكان له ولد صغير فسلمه الى آقسنقر الاحمديلي وقال له انا اعلم ان الناس لا تطيع مثل هذا الطفل وهو وديعة عندك فارحل به الى بلادك فرحل الى مراغة فلما مات اختلفت الامراء فطائفة طلبوا ملكشاه اخاه وطائفة طلبوا سليمان شاه وهم الاكثر وطائفة طلبوا ارسلان الذي مع ايلدكز فاما ملكشاه فانه سار من خوزستان ومعه دكلا صاحب فارس وشملة التركماني وغيرهما فوصل الى اصفهان فسلمها اليه ابن الخجندي وجمع له مالا انفقه عليهم وارسل الى العساكر بهمذان يدعوهم الى طاعته فلم يجيبوه لعدم الاتفاق بينهم ولان اكثرهم كان يريد سليمان شاه

﴿ذكر اخذ حران من نور الدين وعودها اليه﴾

في هذه السنة مرض نور الدين محمود بن زنكي صاحب حلب مرضا شديدا ارجف بموته وكان بقلعة حلب ومعه اخوه الاصغر امير اميران فجمع الناس وحصر القلعة وكان شيركوه وهو اكبر امراء نور الدين بحمص فبلغه خبر موته فسار الى دمشق ليتغلب عليها وبها اخوه نجم الدين ايوب فانكر عليه ايوب ذلك وقال اهلكتنا والمصلحة ان تعود الى حلب فان كان نور الدين حيا خدمته في هذا الوقت وان كان قد مات فانا في دمشق نفعل ما تريد من ملكها فعاد الى حلب مجدا وصعد القلعة واجلس نور الدين في شباك يراه الناس وكلمهم فلما رأوه حيا تفرقوا عن اخيه امير اميران فسار الى حران فملكها فلما عوفي نور الدين قصد حران ليخلصها فهرب اخوه منه وترك اولاده بحران في القلعة فملكها نور الدين وسلمها الى زين الدين علي نائب اخيه قطب الدين صاحب الموصل ثم سار نور الدين بعد اخذ حران الى الرقة وبها اولاد امير ك الجاندار وهو من اعيان الامراء وقد توفي وبقي اولاده فنازلها فشفع جماعة من الامراء فيهم فغضب من ذلك وقال هلا شفعتم في اولاد اخي لما اخذت منهم حران وكانت الشفاعة فيهم من احب الاشياء الي فلم يشفعهم واخذها منهم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة مرض الخليفة المقتفي لامر الله واشتد مرضه وعوفي فضربت البشائر ببغداد وفرقت الصدقات من الخليفة ومن ارباب الدولة وغلقت البلد اسبوعا وفيها عاد ترشك الى بغداد ولم يشعر به احد الا وقد القى نفسه تحت التاج ومعه سيف وكفن وكان قد عصى على الخليفة والتحق بالعجم فعاد الآن فرضي عنه واذن له في دخول دار الخلافة واعطي مالا وفيها في جمادى الاولى ارسل محمد بن انز صاحب قهستان عسكرا الى بلد الاسماعيلية من الجبال فقتلوا كثيرا من العسكر واسروا الامير الذي كان مقدما عليهم اسمه قيمة وهو صهر ابن انز فبقي عندهم اسيرا عدة شهور حتى زوج ابنته من رئيس الاسماعيلية علي بن الحسن وخلص من الاسر وفيها توفي شرف الدين علي بن

فاتفق ان صهره المذكور حلف يمينا بالطلاق الثلاث وحنث فيه ففرق بينه وبين ابنته وطرده فشكاه الى كتخدا بك فكلمه في شأنه فلم يقبل وقال لا يجوز ان احلل المحرم لاجلك واستمر صهره يتردد على الكتخدا ويلقي ما يلقيه في حقه من النميمة ويذكر له عنه في حقه ما يزيده غيظا وكراهة ويقول له انه يجمع اناسا في كل ليلة جمعة يقرؤن ويدعون عليك وعلى مخدومك وذكر له انه يقول لكم ان قصده السفر الى بلده وانما قصده السفر الى اسلامبول ليحتج على مخدومه الاول لكونه تولى قبودان باشا ودرياسة الدونانمة ويقول عندما اكون بدار السلطنة افعل وافعل واخبرهم بحقيقة هؤلاء وافاعيلهم وانقض عليهم امرهم وذكر له ايضا انه استخرج من احكام النجوم التي يعانيها ان الباشا يحصل له نكبة بعد مدة قريبة ويحصل ما يحصل من الفتن فيريد الخروج من مصر قبل وقوع ذلك ونحو ذلك فلما رجع الباشا من سفرته توسل المترجم بالكتخدا في ان يأخذ له اذنا من الباشا بالسفر وهو لا يعلم سريرته ففاوض الباشا في ذلك والقى اليه ما القاه حتى اوغر صدره منه ثم رد عليه بقوله اني استأذنت الباشا فلم يسهل به مفارقتك وقال ان كان من ضيق في المعيشة فاطلق له في كل شهر كيسين منها اربعون الف نصف فضة

ابي القاسم منصور بن ابي سعد الساعدي قاضي نيسابور في شهر رمضان وكان موته بالري ودفن في مقبرة محمد بن الحسن الشيباني صاحب ابي حنيفة رضي الله عنهما وكان القاضي حنفيا ايضا

(ثم دخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة)

(ذكر مسير سليمان شاه الى همذان)

في هذه السنة سار سليمان شاه من الموصل الى همذان ليتولى السلطنة وقد تقدم سبب قبضه واخذه الى الموصل وسبب مسيره اليها ان الملك محمد ابن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه لما مات ارسل اكابر الامراء من همذان الى اتابك قطب الدين مودود ابن زنكي صاحب الموصل يطلبون منه ارسال الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد بن ملكشاه اليهم ليولوه السلطنة فاستقرت القاعدة بينهم ان يكون سليمان شاه سلطانا وقطب الدين اتابكه وجمال الدين وزير قطب الدين وزير السليمان شاه وتحالفوا على هذا وجهز سليمان شاه بالاموال الكثيرة والبرك والدواب والآلات وغير ذلك مما يصلح للسلاطين وسار معه زين الدين علي وعسكر الموصل الى همذان فلما قاربوا بلاد الجبل اقبلت العساكر اليهم ارسالا كل يوم يلقاه طائفة وامير فاجتمع مع سليمان شاه عسكر عظيم فخافهم زين الدين على نفسه لانه راى من تسلطهم على السلطان واطراحهم للادب معه ما اوجب الخوف معه فعاد الى الموصل فحين عاد عنه لم ينتظم امره ولم يتم له ما اراده وقبض العسكر عليه بباب همذان في شوال سنة ست وخمسين وخطبوا لارسلان شاه ابن الملك طغرل وهو الذي زوج ايلدكز باءه وسيذكر مشروحا ان شاء الله تعالى

(ذكر وفاة الفائز وولاية العاضد العلويين)

في هذه السنة توفي الفائز بنصر الله ابو القاسم عيسى بن اسمعيل الظافر صاحب مصر وكانت خلافته ست سنين ونحو شهرين وكان له لما ولي خمس سنين كما ذكرناه ولما مات دخل الصالح بن رزيك القصر واستدعى خادما كبيرا وقال له من ههنا يصلح للخلافة فقال ههنا جماعة وذكر اسماءهم وذكر له منهم انسانا كبير السن فامر باحضاره فقال له بعض اصحابه سرا لا يكون عباس احزم منك حيث اختار الصغير وترك الكبار واستبد بالامر فاعاد الصالح الرجل الى موضعه وامر حينئذ باحضار العاضد لدين الله ابي محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ ولم يكن ابوه خليفة وكان العاضد ذلك الوقت مراهقا قارب البلوغ فبايع له بالخلافة وزوجه الصالح ابنته ونقل معها من الجهاز ما لا يسمع بمثله وعاشت بعد موت العاضد وخروج الامر من العلويين الى الاتراك وتزوجت

(ذكر وفاة الخليفة المقتفي لامر الله وشيء من سيرته)

في هذه السنة ثاني ربيع الاول توفي امير المؤمنين المقتفي لامر الله ابو عبد الله محمد بن المستظهر بالله ابي العباس احمد بن المقتدي بامر الله رضي الله عنه بعلة التراقي وكان

فلما قال له ذلك قال اما لا يكفيني هذا المقدار فان كان فيطلق لي خمسة اكياس فقال لم يرض بازيد مما ذكرته لك وكل ذلك مجادعة من السكتخدا ليحقق ما حشمده في صدر مخدومه ومازال يتردد في طلب الاذن حتى اذن له واضمر له القتل بعد خروجه من مصر فعند ذلك باع داره وما استجده حولها والبستان خارج قناطر السباع ومازاد عن حاجته من الاشياء والامتعة واشترى عبيدا وجواري وقضى لوازمه وسافر الى رشيد فعندما مضى من نزوله يومان او ثلاثة كتبوا الى خليل بك حاكم الاسكندرية مرسوما بقتله فبلغه خبر ذلك وهو بثغر رشيد فلم يصدقه وقال اي ذنب استوجب به القتل ولو اراد قتلي ما الذي يمنعه منه وانا عنده بمصر وانا سافرت باذنه وودعته وقبلت يديه وطرفه واخذت خاطره وهو مبشوش معي كعادته فلما حصل بالاسكندرية واستقر بالسفينة ومضى ايام وهم ينتظرون اعتدال الريح والاذن من الحاكم بالاقلاع ووصل المرسوم الى خليل بك فارسل اليه في وقت يدعوه ليتغدى معه في رأس التين ونظر الى خليل بك وهو واقف في انتظاره على بعد منه فوق صلوة فاجاب وخرج من السفينة فوصل اليه جماعة من العسكر واحاطوا به فتحقق عند ذلك ما كان بلغه وهو برشيد ونظر الى خليل بك فلم يره فقال

مولده

مولده ثانى عشر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين واربعمائة وأمه أم ولد تدعى باعى وكانت خلافته اربعا وعشرين سنه وثلاثة اشهر وستة عشر يوما ووافق أباه المستظهر بالله فى علة التراقى وماتا جميعا فى ربيع الاول وكان حليما كريما عادلا حسن السيرة من الرجال ذوى الراى والعقل الكثير وهو اول من استبد بالعراق منفردا عن سلطان يكون معه من اول أيام الديلم الى الآن واول خليفة تمكن من الخلافة وحكم على عسكره واصحابه من حين تحكم المماليك على الخلفاء من عهد المستنصر الى الآن الا ان يكون المعتضد وكان شجاعا مقداما مباشر الحروب بنفسه وكان يبذل الاموال العظيمة لاصحاب الاخبار فى جميع البلاد حتى كان لا يفوته منها شئ

(ذكر خلافة المستنجد بالله)

وفى هذه السنه بويع المستنجد بالله امير المؤمنين واسمه يوسف وامه ام ولد تدعى طاوس بعد موت والده وكان للمقتفى حظية وهى ام ولده ابى على فلما اشتد مرض المقتفى وايست منه ارسلت الى جماعة من الامراء وبذلت لهم الاقطاعات الكثيرة والاموال الجزيلة ليساعدوها على ان يكون ولدها الامير ابو على خليفة فقالوا كيف الحيلة مع ولى العهد فقالت اذا دخل على والده قبضت عليه وكان يدخل الى ابيه كل يوم فقالوا لابد لنا من احد من ارباب الدولة فوقع اختيارهم على ابى المعالى بن الكيا الهراسى فدعوه الى ذلك فاجابهم على ان يكون وزيرا فبذلوا له ما طلب فلما استقرت القاعدة بينهم وعلمت أم ابى على أحضرت عدة من الجوارى واعطتهن السكاكين وأمرتهن بقتل ولى العهد المستنجد بالله وكان له خصى صغير يرسله كل وقت يتعرف اخبار والده فرأى الجوارى بايديهن السكاكين ورأى بيد أبى على وامه سيفين فعاد الى المستنجد فاخبره وأرسلته هى الى المستنجد تقول له ان والده قد حضره الموت ليحضر ويشاهده فاستدعى استاذ دار عضد الدولة واخذه معه وجماعة من الفراشين ودخل الدار وقد لبس الدرع واخذ بيده السيف فلما دخل ثار به الجوارى فضرب واحدة منهن فجرحها وكذلك اخرى وصاح ودخل استاذ الدار ومعه الفراشون فهرب الجوارى وأخذ اخاه أبا على وامه فسجنهما واخذ الجوارى فقتل منهن وغرق منهن ودفع الله عنه فلما توفى المقتفى لامر الله جلس للبيعة فبايعه أهله وأقاربه وأولهم عمه ابو طالب ثم اخوه ابو جعفر بن المقتفى وكان أكبر من المستنجد ثم بايعه الوزير ابن هبيرة وقاضى القضاة وارباب الدولة والعلماء وخطب له يوم الجمعة ونثرت الدنانير والدراهم (حكى عنه) الوزير عون الدين بن هبيرة انه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام منذ خمس عشرة سنة وقال لى يبقى ابوك فى الخلافة خمس عشرة سنة فكان كما قال صلى الله عليه وسلم قال ثم رايته قبل موت ابى المقتفى باربعة اشهر فدخل بى فى باب كبير ثم ارتقى الى راس جبل وصلى بى ركعتين ثم ألبسنى قميصا ثم قال لى قل اللهم اهدنى فيمن هديت وذكر دعاء القنوت ولما ولى الخلافة اقر ابن هبيرة على وزارته واصحاب الولايات على ولاياتهم وازال المكوس

امولوفى حتى اتوضأ واصلى ركعتين وقام من حلاوة الروح والقى بنفسه فى البحر فضربوا عليه بالرصاص واخرجوه وعمه واقتله واخرجوا صناديقه واخذوا ما فيها من الكتب لان الباشا ارسل بطلبها واخذ ما معه من المال والدراهم خليل بك فاعطى لولده جانبا منه وأذن له بالسفر مع عياله وانقضى امره ووصلت الكتب الى سراية الباشا واودعت عند ولى خوجا وتبدد الكثير منها وفرق منها عدة على غير اهلها وكانت قتلته فى اواخر شهر صفر من السنة والله اعلم

(ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين والف)

(استهل المحرم بيوم الاثنين سنة ١٢٢٨)

فيه وصل الخبر من الجهة القبلية بان ابراهيم بك ابن الباشا قبض على احمد افندى ابن حافظ افندى الذى بيده دفاتر الرزق الاحباسية وشنقه وضرب قاسم افندى ابن امين الدين كاتب الشهر علقة قوية وكان والده اصحبهما معه ليباشرا معه الامور ويعرفاه الاحوال وكان قاسم افندى خصيصا به مثل الوزير والصاحب والنديم ورتب له الباشا فى كل سنة ثمانين كيسا خلاف الخروج والكساوى وشرط عليه المناصحة فى كشف المستورات وما يكون فيه تحصيل الاموال فيكانه قصر فى كشف بعض الاشياء وارسل الى والده يعلمه بخيانته هو وكاتب الارزاق

والضرائب وقبض على القاضي ابن المرخم وكان بئس الحاكم واخذ منه مالا كثيرا واخذت كتبه فاحرق منها في الرحبة ما كان من علوم الفلاسفة فكان منها كتاب الشفاء لابن سينا وكتاب اخوان الصفا وما يشابهما وقدم عضد الدين بن رئيس الرؤساء وكان استاذ الدار ومكنه وتقدم الى الوزير ان يقوم له وعزل قاضي القضاة ابا الحسن علي بن احمد الدامغاني ورتب مكانه ابا جعفر عبد الواحد الثقفي وخلع عليه

(ذكر الحرب بين عسكر خوارزمشاه والاتراك البرزية)

في هذه السنة في ربيع الاول سار طائفة من عسكر خوارزمشاه الى اجنه وهجموا على يغمرخان بن اودك ومن معه من الاتراك البرزية فاوقعوا بهم واكثروا القتل فانهزم يغمرخان وقصد السلطان محمود بن محمد الخان والاتراك الغزية الذين معه وتوسل اليهم بالقرابة وظن يغمرخان ان اختيار الدين ايناق هو الذي هيج الخوارزمية عليه فطلب من الغز انجاده

(ذكر احوال المؤيد بخراسان هذه السنة)

قد ذكرنا سنة ثلاث وخمسين عود المؤيد اي ابه الى نيسابور وتمكنه منها وان ذلك كان سنة اربع وخمسين فلما دخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة ورأى المؤيد تحكمه في نيسابور وتمكنه في دولته وكثرة جنده وعسكره أحسن السيرة في الرعية لاسيما أهل نيسابور فانه جبرهم وبالغ في الاحسان اليهم وشرع في اصلاح اعمالها واصلاح ولاياتها فسير طائفة من عسكره الى ناحية اسقيل وكان بها جمع قد تمردوا واكثروا العيث والفساد في البلاد وطال تماديهم في طغيانهم فارسل اليهم المؤيد يدعوهم الى ترك الشر والفساد ومعاودة الطاعة والاصلاح فلم يقبلوا ولم يرجعوا عما هم عليه فسير اليهم سرية كثيرة فقاتلوهم واذاقوهم عاقبة ما صنعوا واكثروا القتل فيهم وخربوا حصنهم وسار المؤيد من نيسابور الى بيهق فوصلها رابع عشر ربيع الآخر من السنة وقصد منها حصن خسروجرد وهو حصن منيع بناه كيخسرو الملك قبل فراغه من قتل افراسياب وفيه رجال شجعان فامتنعوا على المؤيد فحصرهم ونصب عليهم المجانيق وجد في القتال فصبر أهل الحصن حتى نفد صبرهم ثم ملك المؤيد القلعة واخرج كل من فيها ورتب فيها من يحفظها وعاد منها الى نيسابور في الخامس والعشرين من جمادى الاولى من السنة ثم سار الى هراة فلم يبلغ منها غرضا فعاد الى نيسابور وقصد مدينة كندر وهي من اعمال طريثيث وقد تغلب عليها رجل اسمه احمد كان خربنده واجتمع معه جماعة من الرنود وقطاع الطريق والمفسدين فخربوا كثيرا من البلاد وقتلوا كثيرا من الخلق وغنموا من الاموال ما لا يحصى وعظمت المصيبة بهم على خراسان وزاد البلاء فقصدهم المؤيد فتحصنوا بالحصن الذي لهم فقوتلوا اشد قتال ونصب عليهم العرادات والمنجنيقات فاذعن هذا الخربنده احمد الى طاعة المؤيد والانخراط في سلك اصحابه واشياعه فقبله احسن قبول واحسن اليه وانعم عليه ثم انه عصى على المؤيد

واثهما منهمكان في ملاذهما فاذن له في فعله بهما ماذكر واخذ ما كانا جمعاه لانفسهما واظهر انه انما فعل بهما ذلك عقوبة على ارتكابهما المعصية (وفي عشرينه) حضر ابراهيم بك المذكور الى مصر وفيه حصلت منافسة بين حسين افندي الروزنامجي و بين شخصين من كتابه وهما مصطفى افندي باش جاجرت وقيطاس افندي واصل ذلك باغراء باطني على حسين افندي فرفعا امرهما الى الباشا وعرفاه عن مصارف وامور يفعلها حسين افندي ويخفيها عن الباشا وانه اذا حوسب على السنين الماضية يطلع عليه ألوف من الاكياس فعند ما سمع ذلك امرهما بمباشرة حسابه عن اربع سنوات متقدمة فخرجا من عنده واخذا صحبتهما مباشرا تركيا ونزلوا على حين غفلة بعد العصر وتوجهوا الى منزل اخيه عثمان افندي المرجي ففتحوا خزانة الدفاتر واخذوها بتمامها الى بيت ابن الباشا ابراهيم بك الدفتردار واجتمعوا في صبحها للمحاققة والحساب مع اخيه عثمان افندي المذكور واستمروا في المناقشة والمحاققة عدة ايام مع المرافعة والمدافعة والميل الكلي على حسين افندي و يذهبون في كل ليلة يخبرون الباشا بما يفعلون و بالقدر الذي ظهر عليه فيعجبه ذلك ويثني عليهما و يحرضهما على التدقيق فتنتفخ اوداجهما ويزيدان في المناقشة والمدافعة والمرافعة

وتحصن بحصنه فاخذه المؤيد منه قهرا وعنوة وقيده واحتاط عليه ثم قتله واراح المسلمين منه ومن شره وفساده وقصد المؤيد في شهر رمضان ناحية بيهق عازما على قتالهم لخروجهم عن طاعته فلما قاربها اتاه زاهد من اهلها ودعاه الى العفو عنهم والحلم عن ذنوبهم ووعظه وذكره فاجاب الى ذلك ورحل عنهم فارسل السلطان محمود ابن محمد الخان وهو مع الغز الى المؤيد بتقرير نيسابور وطوس واعمالها عليه ورد الحكم فيها اليه فعاد الى نيسابور رابع ذي القعدة من السنة ففرح الناس بما تقرر بينه وبين الملك محمود وبين الغز من ابقاء نيسابور عليه ليزول الخلف والفتن عن الناس

(ذكر الحرب بين شاه مازندران ويغمرخان)

لما قصد يغمرخان الغز وتوسل اليهم لينصروه على ايثاق لظنه انه هو الذي حسن للخوارزمية قصده فاجابوه الى ذلك وساروا معه على طريق نسا وابيورد ووصلوا الى الامير ايثاق فلم يجد لنفسه بهم قوة فاستنجد شاه مازندران فجاءه ومعه من الاكراد والديلم والاتراك والتركمان الذين يسكنون نواحي ابسكون جمع كثير فاقتتلوا ودامت الحرب بينهم وانهزم الاتراك الغزية والبرزية من شاه مازندران خمس مرات ويعودون وكان على ميمنة شاه مازندران الامير ايثاق فحملت الاتراك الغزية عليه لما يسوا من الظفر بقلب شاه مازندران فانهزم ايثاق وتبعه باقي العسكر ووصل شاه مازندران الى سارية وقتل من عسكره اكثرهم وحكي ان بعض التجار كفن ودفن من هؤلاء القتلى سبعة آلاف رجل واما ايثاق فانه قصد في هربه خوارزم واقام بها وسار الغز من المعركة الى دهستان وكان الحرب قريبا منها فنقبوا سورها واوقعوا باهلها ونهبوهم اوائل سنة ست وخمسين وخمسمائة بعد ان خربوا جرجان وفرقوا اهلها في البلاد وعادوا الى خراسان

(ذكر وفاة خسروشاه صاحب غزنة وملك ابنه بعده)

في هذه السنة في رجب توفي السلطان خسروشاه بن بهرام شاه بن مسعود بن ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان عادلا حسن السيرة في رعيته محبا للخير واهله مقربا للعلماء محسنا اليهم راجعا الى قولهم وكان ملكه تسع سنين وملك بعده ابنه ملكشاه فلما ملك نزل علاء الدين الحسين ملك الغور الى غزنة فحصرها وكان الشتاء شديدا والثلج كثيرا فلم يمكنه المقام عليها فعاد الى بلاده في صفر سنة ست وخمسين

(ذكر الحرب بين ايثاق وبغراتكين)

في هذه السنة منتصف شعبان كان بين الامير ايثاق والامير بغراتكين برغش الجركاني حرب وكان ايثاق قد سار الى بغراتكين في آخر اعمال جوين فنهب واخذ امواله وكل ماله وكان ذا نعمة عظيمة واموال جسيمة فانهزم بغراتكين منها وخلاها فافتتحها ايثاق واستغنى بها وقويت نفسه بسببها وكثرت جموعه وقصده الناس واما بغراتكين

في الحساب وخمسين افندي على جليته ويظن انه على عادته في كونه مطلق التصرف في الاموال الميرية ويبلغها اذا سئل فيها القائم بالدولة ايرادا ومصرفا ليكون اجمالا لا تفصيلا لكونه امينا وعدلا وكان الايراد والمصرف محررا ومضبوطا في الدفاتر التي بايدي الافندية الكتاب ومن انضم اليهم من كتاب اليهود في دفاترهم ايضا بالعبراني لتكون كل فرقة شاهدة وضابطة على الاخرى فلما استقل هذا الباشا بمملكة الديار المصرية واستغول في تحصيل الاموال باي وجه واستحدث اقلام المكوس وجعلها في دفاتر تحت ايدي الافندية وكتبة الروزنامه فصارت من جملة الاموال الميرية في قبضها وصرفها وتحاويلها والباشا مرخي العنان للروزنامجي ومرخص له في الاذن والتصرف والروزنامجي كذلك مرخي العنان لاحد خواص كتابه المعروف باحمد اليتيم لفطانته ودرايته فكان هو المشار اليه من دون الجميع ويتطاول عليهم ويمقت من فعل فعلا دون اطلاعه ويحاسبه ولو كان كبيرا او اعلى منزلة منه في فنه فيمتلئ غيظا وينقطع عن حضور الديوان فيهمله ولا يسال عنه والافندي الكبير لا يخرج عن رايه لكونه سادا مسد الجميع فدبروا على احمد افندي المذكور وحفروا له واغروا به حتى نكبه الباشا وصادره في ثمانين كيسا ويخدمه

فانه ارسل الى المؤيد صاحب نيسابور وسار في جماعة ومعه دوادمن اصحابه فتلقاه المؤيد بالقبول

(ذكر وفاة ملكشاه بن محمود)

في هذه السنة توفي ملكشاه ابن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان باصفهان مسموما وكان سبب ذلك انه لما كثر جمعه باصفهان ارسل الى بغداد وطلب ان يقطعوا خطبة عمه سليمان شاه ويخطبوا له و يعيدوا القواعد بالعراق الى ما كانت اولا والاقصدهم فوضع الوزير عون الدين بن هبيرة خصيا كان خصيصا به يقال له اغلبك الكوهرائيني فمضى الى بلاد العجم واشترى جارية من قاضي همذان بالف دينار وباعها من ملكشاه وكان قد وضعها على سمه ووعدها امورا عظيمة على ذلك وسمته في لحم مشوى فاصبح ميتا وجاء الطبيب الى دكلا وشملة فعرفهما انه مسموم فعرفوا ان ذلك من فعل الجارية فاخذت وضربت واقرت وهرب اغلبك ووصل الى بغداد ووفى له الوزير بجميع ما استقر الحال عليه ولما مات اخرج اهل اصفهان اصحابه من عندهم وخطبوا لسليمان شاه واستقر ملكه بتلك البلاد وعاد شملة الى خوزستان فاخذ ما كان ملكشاه تغلب عليه منها

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة حج اسد الدين شيركوه بن شاذى مقدم جيوش نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام وشيركوه هذا هو الذى ملك الديار المصرية وسيرد ذكره ان شاء الله تعالى وفيها ارسل زين الدين على نائب قطب الدين صاحب الموصل رسولا الى المستنجد يعتذر مما جناه من مساعدة محمد شاه في حصار بغداد و يطلب أن يؤذن له في الحج فارسل اليه يوسف الدمشقي مدرس النظامية وسليمان بن قتلمش يطيبان قلبه عن الخليفة و يعرفانه الاذن في الحج فحج ودخل الى الخليفة فاكرمه وخلع عليه وفيها توفي قايماز الارجوانى أمير الحاج سقط عن الفرس وهو يلعب بالاكرة فسال مخه من مناخيره واذنيه فمات وفيها في ربيع الآخر توفي محمد بن يحيى بن على بن مسلم أبو عبد الله الزبيدى من أهل زبيد مدينة باليمن مشهورة وقدم بغداد سنة تسع واربعين وخمسمائة وكان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وكان نحويا واعظا وصحبه الوزير ابن هبيرة مرة وكان موته ببغداد

(ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمسمائة)

(ذكر الفتنة ببغداد)

في هذه السنة في ربيع الاول خرج الوزير ابن هبيرة من داره الى الديوان والغلمان يطرقون له وارادوا ان يردوا باب المدرسة الكمالية بدار الخليفة فمنعهم الفقهاء وضربوهم بالآجر فشهر أصحاب الوزير السيوف وأرادوا ضربهم فمنعهم الوزير ومضى الى الديوان فكتب الفقهاء مطالعة يشكون أصحاب الوزير فامر الخليفة بضرب

الفقهاء

لحسين افندى في اربعمائة كيس وانقطع احمد افندى من حضور الديوان وتقدم المتأخر وضم الباشا الى ديوانهم من طرفه خليل افندى وسموه كاتب الذمة بمعنى انه لا يكتب تحويلا ولا ورقة ميرى ولا خلاف ذلك مما يسطر في ديوانهم حتى يطلع عليه خليل افندى المذكور ويرسم عليه علامته فاحاط علمه بجميع اسرارهم وكل قليل يستخبر منه الباشا فيحيطه بمعلوماته ولم يزل حتى تحول ديوانهم وانتقل الى بيت خليل افندى تجاه منزل ابراهيم بك ابن ابراهيم باشا بالازبكية وترأس بالديوان قاسم افندى كاتب الشهر وقريبه قيطاس افندى ومصطفى افندى باش جاجرت و بعد مدة اشهر سافر ابراهيم بك وأخذ صحبته قاسم افندى على الصورة المتقدمة والروزنامجى وولده محمد افندى يراعيان جانب رفيقيه ولا يتعرضان لهما فيما يتصدران له و يضمانه في عهدتهما فلما وصل الخبر بنكبة ابراهيم بك لقاسم افندى فعند ذلك قصر معهما وأظهر ابن الروزنامجى مكمون غيظه في حقهما ومانعهما أيضا وخشن القول لهما فاتفقا على انهاء الحال الى باب الباشا ففعلا ماذكر وكان حسين افندى عندما استاذن الباشا في صرف الجامكية السائرة العامة والخاصة فاذن له في صرف مايتعلق بمشايخ العلم والافندية الكتبة والسيد محمد المحروقي بالكامل

الفقهاء وقاديهم ونفيهم من الدار فضى استاذ الدار وعاقبهم هناك واختفى مدرسهم الشيخ أبو طالب ثم ان الوزير اعطى كل فقير دينارا واستحل منهم واعادهم الى المدينة وظهر مدرسهم

❁(ذكر قتل ترشك)❁

في هذه الايام قصد جمع من التركمان الى البندنيجين فامر الخليفة بتجهيز عسكر اليهم وان يكون مقدمهم ترشك وكان في اقطاعه بلد اللحف فارسل اليه الخليفة يستدعيه فامتنع من المجيء الى بغداد وقال يحضر العسكر فانا اقاتل بهم وكان عازما على الغدر فجهز العسكر وساروا اليه وفيهم جماعة من الامراء فلما اجتمعوا بترشك قتلوه وارسلوا رأسه الى بغداد وكان قتل مملوكا للخليفة فدعا اولياء المقتول وقيل لهم ان امير المؤمنين قد اقتص لابنكم ممن قتله

❁(ذكر قتل سليمان شاه والخطبة لارسلان)❁

في هذه السنة في ربيع الآخر قتل السلطان سليمان شاه ابن السلطان محمد بن ملكشاه وسبب ذلك انه كان فيه تهور وخرق وبلغ به شرب الخمر حتى انه شربها في رمضان نهارا وكان يجمع المساخر ولا يلتفت الى الامراء فاهمل العسكر أمره وصاروا لا يحضرون بابه وكان قد رد جميع الامور الى شرف الدين كردباز الخادم وهو من مشايخ الخدم السلجوقية يرجع الى دين وعقل وحسن تدبير فكان الامراء يشكون اليه وهو يسكنهم فاتفق انه شرب يوما بظاهر همذان في الكشك فحضر عنده كردباز فلامه على فعله فامر سليمان شاه من عنده من المساخرة فعبثوا بكردباز حتى ان بعضهم كشف له سوأته فخرج مغضبا فلما صحا سليمان أرسل اليه يعتذر فقبل عذره الا انه تجنب الحضور عنده فكتب سليمان الى اينانج صاحب الري يطلب منه ان ينجده على كردباز فوصل الرسول واينانج مريض فاعاد الجواب يقول اذا افقت من مرضي حضرت اليك بعسكري فبلغ الخبر كردباز فازداد استيحاشا فارسل اليه سليمان يوما يطلبه فقال اذا جاء اينانج حضرت واحضر الامراء واستحلفهم على طاعته وكانوا كارهين لسليمان لخلقه فاول ما عمل ان قتل المساخرة الذين لسليمان وقال انما افعل ذلك للملك ثم اصطلحا وعمل كردباز دعوة عظيمة حضرها السلطان والامراء فلما صار السلطان سليمان شاه في داره قبض عليه كردباز وعلى وزيره ابي القاسم محمود بن عبد العزيز الحامدي وعلى أصحابه في شوال سنة خمس وخمسين وخمسمائة فقتل وزيره وخواصه وحبس سليمان شاه في قلعة ثم أرسل اليه من خنقه وقيل بل حبسه في دار مجد الدين العلوي رئيس همذان وفيها قتل وقيل بل سقي سما فمات والله أعلم وأرسل الى ايلدكز صاحب ارانية واكثر بلاد اذربيجان يستدعيه اليه ليخطب للملك ارسلان شاه الذي معه وبلغ الخبر الى اينانج صاحب الري فسار ينهب البلاد الى ان وصل الى همذان فتحصن كردباز فطلب منه اينانج ان يعطيه مصافا فقال انا لا احارب الا حتى

وما عداهم ربع استحقاقهم وكتب له فرمانا بذلك فقال له الروزنامجي في بعضهم من يستحق المراعاة كبعض أهل العلم الخاملين واهل الحرمين المهاجرين ومستوطنين بمصر بعيالهم وليس لهم ايراد يتعيشون منه الا ماهو مرتب لهم من العلائف في كل سنة وكذلك بعض الملتزمين الذين اعتادوا سداد ما عليهم من الميري وبعضه بما لهم من الاتلافات والعلائف والغلال فقال له النظر في ذلك لرأيك فان هذا شيء يعسر ضبط جزئياته فاعتمد ذلك وطفق يفعل في البعض بالنصف والبعض بالثلث او الثلثين واما العامة والارامل فيصرف لهم الربع لا غير حسب الامر ويقاسون في تحصيل ربع استحقاقهم الشدائد من السعي وتكرار الذهاب والتسويف والرجوع في الاكثر من غير شيء مع بعد المسافة وفيهم الكثير من العواجز فلما ترافعوا في الحساب مانع المتصدر فيما زاد على الربع وطلع الى الباشا فعرفه بذلك فقال الباشا لا تخصموا له الا ما كان باذني وفرماني وما كان بدون ذلك فلا وانكر الحال السابق منه له وقال هو متبرع فيما فعله فتاخر عليه مبلغ كبير في مدة أربع سنوات وكذلك كان يحول عليه حوالات لكبار العسكر برسول من أتباعه فلا بد معه المانعة ويدفع القدر المحول عليه بدون فرمان اتكالا على الحالة التي هو معه عليها

وصل الاتابك الاعظم ايلدكز وسار ايلدكز في عساكره جميعها تزيد على عشرين ألف فارس ومعه ارسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملكشاه فوصل الى همذان فلقيهم كردبازو وانزله دار المملكة وخطب لارسلان شاه بالسلطنة بتلك البلاد وكان ايلدكز اتابكه والبهلوان حاجبه وهو أخوه لامه وكان ايلدكز هذا أحد مماليك السلطان مسعود وامرائه في أول امره فلما ملك اقطعه اران وبعض اذربيجان واتفق الحروب والاختلاف فلم يحضر عند احد من السلاطين السلجوقية وعظم شانه وقوى امره وتزوج بام الملك ارسلان شاه فولدت له اولادا منهم البهلوان محمد وقزل ارسلان عثمان وقد ذكرنا سبب انتقال ارسلان شاه اليه وبقي عنده الى الآن فلما خطب له بهمذان ارسل ايلدكز الى بغداد يطلب الخطبة لارسلان شاه ايضا وان تعاد القواعد الى ما كانت عليه ايام السلطان مسعود فاهين رسوله واعيد اليه على اقبح حالة واما اينانج صاحب الري فان ايلدكز راسله ولاطفه فاصطلحا وتحالفا على الاتفاق وتزوج البهلوان بن ايلدكز بابنة اينانج ونقلت اليه بهمذان

(ذكر الحرب بين ابن آقسنقر وعسكر ايلدكز)

لما استقر الصلح بين ايلدكز واينانج أرسل الى ابن آقسنقر الاحمديلي صاحب مراغة يدعوه الى الحضور في خدمة السلطان ارسلان شاه فامتنع من ذلك وقال ان كففتم عني والا فعندي سلطان وكان عنده ولد محمد شاه بن محمود كما ذكرناه وكان الوزير ابن هبيرة قد كاتبه يطمعه في الخطبة لولد محمود شاه فجهز ايلدكز عسكرا مع ولده البهلوان فبلغ الخبر الى ابن آقسنقر فارسل الى شاه ارمن صاحب خلاط وحالفه وصارا يدا واحدة فسير اليه شاه ارمن عسكرا كثيرا واعتذر عن تاخره بنفسه لانه في ثغر لا يمكنه مفارقته فقوى بهم ابن آقسنقر وكثر جمعه وسار نحو البهلوان فالتقيا على نهر اسبيرود فاشتد القتال بينهم فانهزم البهلوان اقبح هزيمة ووصل هو وعسكره الى همذان على اقبح صورة واستامن اكثر اصحابه الى ابن آقسنقر وعاد الى بلده منصورا

(ذكر الحرب بين ايلدكز واينانج)

لما مات ملكشاه ابن السلطان محمود كما ذكرناه أخذ طائفة من اصحابه ابنه محمودا وانصرفوا به نحو بلاد فارس فخرج عليهم صاحبها زنكي بن دكلا السلغري فاخذه منهم وتركه في قلعة اصطخر فلما ملك ايلدكز والسلطان ارسلان شاه الذي معه البلاد وارسل ايلدكز الى بغداد يطلب الخطبة للسلطان كما ذكرناه شرع الوزير عون الدين ابو المظفر يحيى بن هبيرة وزير الخليفة في اثارة اصحاب الاطراف عليه وراسل الاحمديلي وكان ما ذكرناه وكاتب زنكي بن دكلا صاحب بلاد فارس يبذل له ان يخطب للملك الذي عنده وهو ابن ملكشاه وعلق الخطبة له بظفره بايلدكز فخطب ابن دكلا للملك الذي عنده وانزله من القلعة وضرب الطبل على بابه خمس نوب وجمع عساكره وكاتب اينانج صاحب الري يطلب منه الموافقة وسمع ايلدكز الخبر فحشد وجمع وكثر عسكره

فربطوا عليه في كثير من ذلك وثاثم عليه مبلغ كبير أيضا فجمعوا حساب سنة واحدة على هذا النسق فبلغت نحو الالاف كيس ومائتي كيس وكسور تبلغ في الاربع سنوات خمسة آلاف كيس فتقلق حسين افندي وتحير في امره وزاد وسواسه ولم يجد مغيثا ولا شافعا ولا دافعا (وفي اواخره) عمل الباشا مهما لختان ابن بونابارته الخازندار الغائب ببلاد الحجاز وعمل له زفة في يوم الجمعة بعد الصلاة اجتمع الناس للفرجة عليها (وفيه) ايضا زاد الارجاف بحصول الطاعون ووقع الموت منه بالاسكندرية فامر الباشا بعمل كورنتينه بثغر رشيد ودمياط والبرلس وشبرا وأرسل الى الكاشف الذي بالبحيرة بمنع المسافرين المارين من البر وأمر ايضا بقراءة صحيح البخاري بالازهر وكذلك يقرؤن بالمساجد والزوايا سورة الملك والاحقاف في كل ليلة بنية رفع الوباء فاجتمعوا الافقيه لا بالازهر نحو ثلاثة أيام ثم تركوا ذلك وتكاسلوا من الحضور (وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه) كسفت الشمس وقت الضحوة وكان المنكسف نحو ثلاثة ارباع الجرم وكانت الشمس في برج الدلو أيام الشتاء فاظلم الجو الا قليلا ولم ينتبه له كثير من الناس لظنهم انها غيوم متراكمة لانهم في فصل الشتاء

(واستهل شهر صفر بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٨) فيه في أخريات النهار هبت ريح جنوبية غربية عاصفة باردة وجوعه

وجوهه فكانت اربعين الفا وسار الى أصفهان يريد بلاد فارس وارسل الى زنكي بن
دكلا يطلب منه الموافقة وان يعود يخطب لارسلان شاه فلم يفعل وقال ان الخليفة قد
اقطعني بلاده وانا سائر اليه فرحل ايلدكز وبلغه ان جشير الارسلان بوقا وهو امير من
امراء زنكي وفي اقطاعه ارجان بالقرب منه فانفذ سرية للغارة عليه فاتفق ان ارسلان
بوقا عزم على تغيير الخيل التي معه فاضعفها واخذ عوضها من ذلك الجشير فسار في
عسكره الى الجشير فصادف العسكر الذي سيره ايلدكز لاخذ دوابه فقاتلهم واخذهم
وقتلهم وارسل الرؤس الى صاحبه فكتب بذلك الى بغداد وطلب المدد وعده بذلك
وكان الوزير عون الدين بن هبيرة ايضا قد كاتب الامراء الذين مع ايلدكز يحثهم على
طاعته ويضعف رأيهم ويحرضهم على مساعدة زنكي بن دكلا واينانج وكان اينانج قد
برز من الري في عشرة آلاف فارس فارسل اليه ابن آقسنقر الاحمديلي خمسة آلاف
فارس وهرب ابن البازدار صاحب قزوين وابن طغيرك وغيرهما فلحقوا باينانج وهو
في صحراء ساوة واما ايلدكز فانه استشار نصحاءه فاشاروا بقصد اينانج لانه اهم فرحل
اليه ونهب زنكي سهيرم وغيرها فرد ايلدكز اليه اميرا في عشرة آلاف فارس يحفظ
البلاد فسار زنكي اليهم فلقيهم وقاتلهم فانهزم عسكر ايلدكز اليه فجد ايلدكز وارسل
يطلب عساكر اذربيجان فجاءته مع ولده قزل ارسلان وسير زنكي بن دكلا عسكرا كثيرا
الى اينانج واعتذر عن الحضور بنفسه عنده لخوفه على بلاده من شملة صاحب
خوزستان فسار ايلدكز الى اينانج وتدانى العسكران فالتقوا تاسع شعبان وجرى بينهم
حرب عظيمة اجلت عن هزيمة اينانج فانهزم اقبح هزيمة وقتلت رجاله ونهبت امواله
ودخل الري وتحصن في قلعة طبرك وحصر ايلدكز الري ثم شرع في الصلح واقترح اينانج
اقتراحات فاجابه ايلدكز اليها واعطاه جرباذقان وغيرها وعاد ايلدكز الى همذان وكان
ينبغي ان تتأخر هذه الحادثة والتي قبلها وانما قدمت لتتبع اخواتها

ذكر وفاة ملك الغور وملك ابنه محمد

في هذه السنة في ربيع الآخر توفي الملك علاء الدين الحسين بن الحسين الغوري ملك
الغور بعد انصرافه عن غزنة وكان عادلا من احسن الملوك سيرة في رعيته ولما مات
ملك بعده ابنه سيف الدين محمد واطاعه الناس واحبوه وكان قد صار في بلادهم جماعة
من دعاة الاسماعيلية وكثر اتباعهم فاخرجهم من تلك الديار جميعها ولم يبق فيها منهم
احد وراسل الملوك وهاداهم واستمال المؤيد اي ابه صاحب نيسابور وطلب موافقته

ذكر الفتنة بنيسابور وتخريبها

كان اهل العيث والفساد بنيسابور قد طمعوا في نهب الاموال وتخريب البيوت وفعل
ما ارادوا فاذا نهوا لم ينتهوا فلما كان الآن تقدم المؤيد اي ابه بقبض اعيان نيسابور
منهم نقيب العلويين أبو القاسم زيد بن الحسن الحسيني وغيره وحبسهم في ربيع الآخر
سنة ست وخمسين وقال انتم الذين اطمعتم الرنود والمفسدين حتى فعلوا هذه الفعال ولو

واستمرت العصر يوم السبت وكانت قوتها يوم الجمعة أثارت غبارا أصفر ووما الامر غيم مطبق وقتام ورش مطر قليل
في بعض الاوقات (وفي يوم
الثلاثاء سابعه) وردت بشائر
من البلاد الحجازية باستيلاء
العساكر على جدة ومكة من
غير حرب وذلك انه لما انهزمت
الاتراك في العام الماضي
ورجعوا على الصورة التي
رجعوا عليها مشتتين
ومتفرقين وفيهم من حضر من
طريق السويس ومنهم من
أتى من البر ومنهم من حضر من
ناحية القصير وفي الباشا من
استعجل بالهزيمة والرجوع
من غير امره ويخشى صولته
و يرى في نفسه انه أحق
بالرياسة منه مثل صالح قوج
وسليمان وجوو أخرجهم
من مصر واستراح منهم ثم قتل
أحد أغالاط جدد ترتيبا آخر
وعرفه كبراء العرب الذين
استمالهم وانقد رجوا معه وشيخ
الحويطات أن الذي حصل
لهم انما هو من العرب الموهبين
وهم عرب حرب والصفراء
وانهم مجهودون والوهابية
لا يعطونهم شيئا ويقولون لهم
قاتلوا عن دينكم و بلادكم
فاذا بذلتم لهم الاموال وأغدقتم
عليهم بالانعام والعطاء ارتدوا
ورجعوا وصاروا معكم
وملكوكم البلاد فاجتهد
الباشا في جمع الاموال باي
وجه كان واستانف الطلب
ورتب الامور وأشاع الخروج
بنفسه ونصب العرضي خارج باب النصر وذلك في شهر شعبان وخرج بالموكب كما

اردتم منعهم لامتنعوا وقتل من أهل الفساد جماعة نخربت نيسابور بالكلية ومن جملة ماخرب مسجد عقيل وكان مجمعا لاهل العلم وفيه خزائن الكتب الموقوفة وكان من اعظم منافع نيسابور وخرب أيضا من مدارس الحنفية ثمان مدارس ومن مدارس الشافعية سبع عشرة مدرسة واحرق خمس خزائن للكتب ونهب سبع خزائن كتب وبيعت بابخس الاثمان هذا ما امكن احصاؤه سوى مالم يذكر

(ذكر خلاص السلطان محمود ونهب طوس وغيرها من خراسان)

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة قصد السلطان محمود بن محمد الخان وهو ابن أخت السلطان سنجر وقد ذكرنا انه ملك خراسان بعده ففى هذه السنة حصر المؤيد صاحب نيسابور بشاذياخ وكان الغز مع السلطان محمود فدامت الحرب الى آخر شعبان سنة ست وخمسين وخمسمائة ثم ان محمودا اظهر انه يريد دخول الحمام فدخل الى شهرستان آخر شعبان كالهارب من الغز واقاموا على نيسابور الى آخر شوال ثم عادوا راجعين فعاثوا فى القرى ونهبوها ونهبوا طوس نهبا فاحشا وحضروا المشهد الذى لعلى بن موسى وقتلوا كثيرا ممن فيه ونهبوهم ولم يعرضوا للقبة التى فيها القبر فلما دخل السلطان محمود الى نيسابور امهله المؤيد الى ان دخل رمضان من سنة سبع وخمسين وخمسمائة واخذه وكحله واعماه واخذ ما كان معه من الاموال والجواهر والاعلاق النفيسة وكان يخفيها خوفا عليها من الغز لما كان معهم وقطع المؤيد خطبته من نيسابور وغيرها مما هو فى تصرفه وخطب لنفسه بعد الخليفة المستنجد بالله واخذ ابنه جلال الدين محمد الذى كان قد ملكه الغز امرهم قبل ابيه وقد ذكرنا ذلك وسمله ايضا وحبسهما ومعهما جواريهما وحشمهما وبقيا فيها فلم تطل ايامهما ومات السلطان محمود ثم مات ابنه بعده من شدة وجده لموت ابيه والله اعلم

(ذكر عمارة شاذياخ نيسابور)

كانت شاذياخ قد بناها عبد الله بن طاهر بن الحسين لما كان اميرا على خراسان للمأمون وسبب عمارتها انه رأى امرأة جميلة تقود فرسا تريد تسقيه فسألها عن زوجها فاخبرته به فاحضره وقال له خدمة الخيل بالرجال اشبه فلم تقعد انت فى دارك وترسل امرأتك مع فرسك فبكى الرجل وقال له ظلمك يحملنا على ذلك فقال وكيف قال لانك تنزل الجند معنا فى دورنا فان خرجت انا وزوجتى بقى البيت فارغا فياخذ الجندى ما فيه وان سقيت انا الفرس فلا آمن على زوجتى من الجندى فرأيت ان أقيم فى البيت وتخدم زوجتى الفرس فعظم الامر عليه وخرج من البلد لوقته ونزل فى الخيام وامر الجند فخرجوا من دور الناس وبنى شاذياخ دارا له ولجنده وسكنها وهم معه ثم انها دثرت بعد ذلك فلما كان أيام السلطان الب ارسلان ذكرت له هذه القصة فامر بتجديدها ثم انها تشعثت بعد ذلك فلما كان الآن وخربت نيسابور ولم يمكن حفظها والغز تطرق البلاد وتنهبها امر المؤيد حينئذ بعمل سورها وسد ثلمه وسكناه ففعل ذلك وسكنها هو والناس

تقدم وجلس بالصيوان وقرر السفر فى المقدمة بونابارته الخازندار وأعطاه صناديق الاموال والكساوى وارفق معه عابدين بك ومن يصحبهما ووالطلب على الخروج الى العرضى والرجوع تارة الى القلعة وتارة الى الازبكية والجيزة وقصر شبرا ويعمل الرماحة والميدان فى يومى الخميس والاثنين والمصاف على طرائق حرب الافرنج وسافر بونابارته فى اواخر شعبان واستمر العرضى منصوبا والطلب كذلك مطلوبا والعساكر واردة من بلادها على طريق الاسكندرية ودمياط ويخرج الكثير الى العرضى ويستمرون على الدخول الى المدينة فى الصباح لقضاء اشغالهم والرجوع آخريات النهار مع تعدى أذاهم للباعة والحمارة وغيرهم ولما غدر الباشا باحمد أغا لاظ وقتله فى اواخر رمضان ولم يبق احد ممن يخشى سطوته وسافر عابدين بك فى شوال وارتحل بعده بنحو شهر مصطفى بك دالى باشا وصحبته عدة وافرة من العسكر ثم سافر أيضا يحيى اغا ومعه نحو الخمسمائة وهكذا كل قليل نرحل طائفة بعد أخرى والعرضى كما هو وميدان الرماحة كذلك ولما وصل بونابارته الى ينبع البر أخذوا فى تأليف العربان واستمالتهم وذهب اليهم ابن شديد الحويطى ومن معه وتقابلوا مع شيخ حرب ولم يزالوا به حتى وافقهم وحضروا به الى بونابارته فاكرمه وخلع عليه الخلع وكذلك على من حضر من اكابر العربان فالبسهم

معه

معه وخربت حينئذ نيسابور وكل خراب ولم يبق فيها الا نفر

●(ذكر قتل الصالح بن رزيك ووزارة ابنه رزيك)●

في هذه السنة في شهر رمضان قتل الملك الصالح ابو الغارات طلائع بن رزيك الارمني وزير العاضد العلوي صاحب مصر وكان سبب قتله انه تحكم في الدولة التحكم العظيم واستبد بالامر والنهي وجباية الاموال اليه لصغر العاضد ولانه هو الذي ولاه ووتر الناس فانه اخرج كثيرا من اعيانهم وفرقهم في البلاد ليامن وثوبهم عليه ثم انه زوج ابنته من العاضد فعاداه ايضا الحرم من القصر فارسلت عمة العاضد الاموال الى أمراء المصريين ودعتهم الى قتله وكان اشدهم عليه في ذلك انسان يقال له ابن الداعي فوقفوا له في دهليز القصر فلما دخل ضربوه بالسكاكين على دهش فجرحوه جراحات مهلكة الا انه حمل الى داره وفيه حياة فارسل الى العاضد يعاتبه على الرضا بقتله مع اثره في خلافته فاقسم العاضد انه لا يعلم بذلك ولم يرض به فقال ان كنت بريا فسلم عمتك الى حتى انتقم منها فامر باخذها فارسل اليها فاخذها قهرا واحضرت عنده فقتلها ووصى بالوزارة لابنه رزيك ولقب العادل فانتقل الامر اليه بعد وفاة أبيه وللصالح أشعار حسنة بليغة تدل على فضل غزير فمنها في الافتخار

أبى الله الا أن يدوم لنا الدهر ● ويخدمنا في ملكنا العز والنصر
علمنا بان المال تفنى الوفه ● ويبقى لنا من بعده الاجر والذكر
خلطنا الندى بالباس حتى كأننا ● سحاب لديه البرق والرعد والقطر
قرانا اذا رحنا الى الحرب مرة ● قرانا ومن أضيافنا الذئب والنسر
كما اننا في السلم نبذل جودنا ● ويرتع في انعامنا العبد والحر

وكان الصالح كريما فيه ادب له شعر جيد وكان لاهل العلم عنده انفاق ويرسل اليهم العطاء الكثير بلغه أن الشيخ أبا محمد بن الدهان النحوي البغدادي المقيم بالموصل قد شرح بيتا من شعره وهو هذا

تجنب سمعي ما يقول العواذل ● وأصبح لي شغل من الغزو شاغل

فجهز اليه هدية سنية ليرسلها اليه فقتل قبل ارسالها وبلغه ايضا ان انسانا من أعيان الموصل قد اثنى عليه بمكة فارسل اليه كتابا يشكره ومعه هدية وكان الصالح اماميا لم يكن على مذهب العلويين المصريين ولما ولي العاضد الخلافة وركب سمع الصالح ضجة عظيمة فقال ما الخبر فقيل انهم يفرحون بالخليفة فقال كأني بهؤلاء الجهلة وهم يقولون ما مات الاول حتى استخلف هذا وما علموا انني كنت من ساعة استعرضهم استعراض الغنم قال عمارة دخلت الى الصالح قبل قتله بثلاثة أيام فناولني قرطاسا فيه بيتان من شعره وهما

نحن في غفلة ونوم وللمو ● ت عيون يقظانة لا تنام
قد رحلنا الى الحمام سنينا ● ليت شعري متى يكون الحمام

الاموال واعطى لشيخ حرب مائة الف فرانسه عين وحضر باقي المشايخ فخلع عليهم وفرق فيهم فخص شيخ حرب بمفرده ثمانية عشر الف فرانسه ثم رتب لهم علائف تصرف لهم في كل شهر لكل شخص خمسة فرانسه وغرارة قمحا وغرارة عدس فعند ذلك ملكوهم الارض والذي كان متامرا بالمدينة من جنسهم فاستمالوه ايضا وسلم لهم المدينة وكل ذلك بمخامرة الشريف غالب امير مكة وتدبيره واشاراته فلما تم ذلك أظهر الشريف غالب امره وملكهم مكة والمدينة وكان ابن مسعود الوهابي حضر في الموسم وحج ثم ارتحل الى الطائف وبعد رحيله فعل الشريف غالب فعله وسيلقى جزاءه ولما وصلت البشائر بذلك في يوم الثلاثاء سابعه ضربوا مدافع كثيرة ونودي في صبح ذلك بزينة المدينة ومصر وبولاق فزينوا خمسة ايام اولها الاربعاء وآخرها الاحد وقاسى الناس في ليالي هذه الايام العذاب الاليم من شدة البرد والصقيع وسهر الليل الطويل وكان ذلك في قوة فصل الشتاء وكل صاحب حانوت جالس فيها وبين يديه مجمرة نار يتدفا ويصطلي بحرارتها وهو ملتف بالعباءة والاكسية الصوف أو اللحاف وخرج الباشا من ليلة الاربعاء المذكور ونصبت

فكان آخر عهدي به وقال عمارة أيضا ومن عجيب الاتفاق انى انشدت ابنه قصيدة أقول فيها

ابوك الذى تسطو الليالى بحده * وأنت يمين ان سطا وشمال
لرتبته العظمى وان طال عمره * اليك مصير واجب ومآل
تخالسك اللحظ المصون ودونها * حجاب شريف لا انقضا وحجال

فانتقل الامر اليه بعد ثلاثة أيام

* (ذكر الحرب بين العرب وعسكر بغداد) *

فى هذه السنة فى شهر رمضان اجتمعت خفاجة الى الحلة والكوفة وطالبوا بوسومهم من الطعام والتمر وغير ذلك فنعهم أمير الحاج ارغش وهو مقطع الكوفة ووافقه على منعه الامير قيصر شحنة الحلة وهما من مماليك الخليفة فافسدت خفاجة ونهبوا سواد الكوفة والحلة فاسرى اليهم الامير قيصر شحنة الحلة فى مائتين وخمسين فارسا وخرج اليه ارغش فى عسكر وسلاح فانتزحت خفاجة من بين أيديهم وتبعهم العسكر الى رحبة الشام فارسل خفاجة يعتذرون و يقولون قد قنعنا بلبن الابل وخبز الشعير وانتم تمنعونا رسومنا وطلبوا الصلح فلم يجبهم ارغش وقيصر وكان قد اجتمع مع خفاجة كثير من العرب فتصافوا واقتتلوا وارسلت العرب طائفة الى خيام العسكر ورحالهم فحالوا بينهم وبينها وحمل العرب حملة منكرة فانهزم العسكر وقتل كثير منهم وقتل الامير قيصر وأسرت جماعة أخرى وجرح أمير الحاج جراحة شديدة ودخل الرحبة فحماه شحنتها واخذ له الامان وسيره الى بغداد ومن نجا مات عطشا فى البرية وكان اماء العرب يخرجن بالماء يسقين الجرحى فاذا طلبه منهن أحد من العسكر أجهزن عليه وكثر النوح والبكاء ببغداد على القتلى وتجهز الوزير عون الدين بن هبيرة والعساكر معه تخرج فى طلب خفاجة فدخلوا البرية وخرجوا الى البصرة ولما دخلوا البر عاد الوزير الى بغداد وأرسل بنو خفاجة يعتذرون ويقولون بغى علينا وفارقنا البلاد فتبعونا واضطررنا الى القتال وسالوا العفو عنهم فاجيبوا الى ذلك

* (ذكر حصر المؤيد شارستان) *

فى هذه السنة حصر المؤيد اى ابه مدينة شارستان قريب نيسابور وقاتله أهلها ونصب المجانيق والعرادات فصبر أهلها خوفا على انفسهم من المؤيد وكان مع المؤيد جلال الدين الموفق الفقيه الشافعى فبينما هو راكب اذ وصل اليه حجر منجنيق فقتله خامس جمادى الآخرة من السنة وتعدى الحجر منه الى شيخ من شيوخ بيهق فقتله فعظمت المصيبة بقتل جلال الدين على أهل العلم خصوصا أهل السنة والجماعة وكان فى عنفوان شبابه رحمه الله لما قتل ودام الحصار الى شعبان سنة سبع وخمسين وخمسمائة فنزل خواجكى صاحبها بعدما كثر القتل ودام الحصر وكان لهذه القلعة ثلاثة رؤساءهم ارباب النهى والامر وهم الذين حفظوها وقاتلوا احدهم خواجكى هذا والثانى داعى ابن

الخيام وخرجت الجمال المحملة باللوازم من الفرش والاوانى وازيار الماء والبارود لعمل الشنانك والحراقات

وفى كل يوم يعمل مرماح وشنك عظيم مهول بالمدافع وبنادق الرصاص المتواصلة من غير فاصل مثل الرعود والطبول من طلوع الشمس الى قريب الظهر وفى أول يوم من ايام الرمى أصيب ابراهيم بك ابن الباشا برصاصة فى كتفه اصابت شخصا من السواس ونفذت منه اليه وهى باردة فتعال بسببها وخرج بعد يومين فى عربة الى العرضى ثم رجع ولما كان يوم الاحد وقت الزوال ركب الباشا وطلع الى القلعة وقلعوا خيام الشنك وحملوا الجمال ودخلت طوائف العسكر واذن للناس بقلع الزينة ونزول التعاليق وكان الناس قد عمروا القناديل واشاعوا انها سبعة أيام فلما حصل الاذن بالرفع فكانما نشطوا من عقال وخلصوا من السجون لما قاسوه من البرد والسهر وتعطيل الاشغال وكسادا لصنائع والتكاليف بالاطاقة لهم به وفيهم من لا يملك قوت عياله او تعمير سراجه فيكلف مع ذلك هذه التكاليف وكتب الباشا بالبشائر الى دار السلطنة وارسلها صحبة أمين جاويش وكذلك الى جميع النواحى وانعم بالمناصب على خواصه *(وفى هذا الشهر)* وردت اخبار بوقوع امطار

ابن محمد ابن ابي حرب العلوي والثالث الحسين بن ابي طالب العلوي الفارسي فنزلوا كلهم ايضا الى المؤيد اي ابه فمن معهم من اشياعهم واتباعهم فاما خواجكي فانه اثبت عليه انه قتل زوجته ظلما وعدوانا واخذ مالها فقتل بها وملك المؤيد شارستان وصفت له فنهبها عسكره الا انهم لم يقتلوا امرأة ولا سبوها

(ذكر ملك الكرج مدينة انى)

في هذه السنة في شعبان اجتمعت الكرج مع ملكهم وساروا الى مدينة انى من بلاد اران وملكوها وقتلوا فيها خلقا كثيرا فانتدب لهم شاه أرمن بن ابراهيم بن سكمان صاحب خلاط وجمع العساكر واجتمع معه من المطوعة خلق كثير وسار اليهم فلقوه وقاتلوه فانهزم المسلمون وقتل أكثرهم واسر كثير منهم وعاد شاه ارمن مهزوما لم يرجع معه غير اربعمائة فارس من عسكره

(ذكر ولاية عيسى مكة حرسها الله تعالى)

كان أمير مكة هذه السنة قاسم بن فليتة بن قاسم بن ابي هاشم العلوي الحسيني فلما سمع بقرب الحجاج من مكة صادر المجاورين وأعيان اهل مكة واخذ كثيرا من اموالهم وهرب من مكة خوفا من أمير الحاج أرغش وكان قد حج هذه السنة زين الدين على بن بكتكين صاحب جيش الموصل ومعه طائفة صالحة من العسكر فلما وصل امير الحاج الى مكة رتب مكان قاسم بن فليتة عمه عيسى بن قاسم بن هاشم فبقى كذلك الى شهر رمضان ثم ان قاسم بن فليتة جمع جمعا كثيرا من العرب أطمعهم في مال له بمكة فاتبعوه فسار بهم اليها فلما سمع عمه عيسى فارقها ودخلها قاسم فاقام بها اميرا اياما ولم يكن له مال يوصله الى العرب ثم انه قتل قائدا كان معه حسن السيرة فتغيرت نيات أصحابه عليه وكاتبوا عمه عيسى فقدم عليهم فهرب وصعد جبل أبي قبيس فسقط عن فرسه فاخذه أصحاب عيسى وقتلوه فعظم عليه قتله فاخذه وغسله ودفنه بالمعلى عند أبيه فليتة واستقر الامر بعده لعيسى والله أعلم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة سار عبد المؤمن بن على الى جبل طارق وهو على ساحل الخليج مما يلي الاندلس فعبر المجاز اليه وبنى عليه مدينة حصينة واقام بها عليه عدة شهور وعاد الى مراكش وفيها في المحرم وردنيسابور جمع كثير من تركمان بلاد فارس ومعهم اغنام كثيرة للتجارة فباعوها واخذوا الثمن ونزلوا على مرحلتين من طابس كنكلي وباتوا هنالك فنزل اليهم الاسماعيلية وكبسوهم ليلا ووضعوا السيف فيهم فقتلوا ولوا كثروا ولم ينج منهم الا الشريد وغنم الاسماعيلية جميع ما معهم من مال وعروض وعادوا الى قلاعهم وفيها كثرت الامطار في اكثر البلاد ولا سيما خراسان فان الامطار توالت فيها من العشرين من المحرم الى منتصف صفر لم تنقطع ولا راى الناس فيها شمسا وفيها كان بين الكرج وبين الملك صلتق بن على صاحب ارزن الروم قتال وحرب انهزم فيه صلتق وعسكره

في ثلوج كثيرة بناحية بحري وبالاسكندرية ورشيد بحدود الغربية والمنوفية والبحيرة وشدة ترددمات من ذلك أناس و بهائم والزروع البدرية وطفح على وجه الماء اسماك موتى كثيرة فكان موج البحر يلقيه على الشطوط وغرق كثير من السفن من الرياح العواصف التي هبت في أول الشهر (وفي سابعه) يوم وصول البشارة احضر الباشا حسين افندي الروزنامجي وخلع عليه خلعة الابقاء على منصبه في الروزنامه وقرر عليه الفين وخمسمائة كيس وذلك انهم لما رافعوه في الحساب على الطريقة المذكورة ارسل اليه الباشا يطلب خمسمائة كيس من اصل الحساب فضاق خناقه ولم يجد له شافعا ولا ذا رحمة فارسل ولده الى محمود بك الدويدار يستجير فيه وليكون واسطة بينه وبين الباشا وهو رجل ظاهره خلاف باطنه فذهب معه الى الباشا فبش في وجهه ورحب به واجلسه محمود بك في ناحية من المجلس وتناجى هو مع الباشا ورجع اليه يقول له انه يقول ان الحساب لم يتم الى هذا الحين وانه ظهر على ايلك تاريخ امس خمسة آلاف كيس وزيادة وانا تكلمت معه وتشفعت عنده في ترك باقي الحساب والمسامحة في نصف المبلغ والكسور فيكون الباقي الفين وخمسمائة كيس تقومون بدفعها فقال ومن اين لنا هذا القدر العظيم وقد عزلنا من

واسمه هو وكانت اخته شاه بانوار قد تزوجها شاه ارمن بن سكمان بن ابراهيم بن سكمان صاحب خلاط فارسلت الى الملك الكرج هدية جليلة المقدار وطلبت منه ان يفاديها باخيها فاطلقه فعاد الى ملكه وفيها قصد صاحب صيدا من الفرنج نور الدين محمودا صاحب الشام ملتجئا اليه فامنه وسير معه عسكرا يمنعه من الفرنج ايضا فظهر عليهم في الطريق كمين للفرنج فقتلوا من المسلمين جماعة وانهزم الباقون وفيها ملك قرا ارسلان صاحب حصن كيفا قلعة شاتان وكانت لطائفة من الاكراد يقال لهم الجوقية فلما ملكها خربها واضاف ولايتها الى حصن طالب وفيها توفي الكمال حمزة بن على بن طلحة صاحب المخزن كان جليل القدر ايام المسترشد بالله وولي المقتفي وبنى مدرسة لاصحاب الشافعي بالقرب من داره ثم حج وعاد ولبس الفوط وزي الصوفية وترك الاعمال فقال بعض الشعراء فيه

يا عضد الاسلام يا من سمت * الى العلا همته الفاخره
كانت لك الدنيا فلم ترضها * ملكا فاخلدت الى الآخره

وبقي منقطعا في بيته عشرين سنة ولم يزل محترما يغشاه الناس كافة

* (ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمسمائة)

* (ذكر فتح المؤيد طوس وغيرها) *

في هذه السنة في السابع والعشرين من صفر نازل المؤيد أي ابه ابا بكر جاندار بقلعة وسكرة نحو من طوس وكان قد تحصن بها وهي حصينة منيعة لا ترام فقاتله واعانه اهل طوس على ابي بكر لسوء سيرته كانت فيهم وظلمه فلما رأى أبو بكر ملازمة المؤيد ومواصلة القتال عليه خضع وذل ونزل من القلعة بالامان في العشرين من ربيع الاول من السنة فلما نزل منها حبسه المؤيد وامر بتقييده ثم سار منها الى كرستان وصاحبها ابو بكر فاخر فنزل من قلعته وهي من امنع الحصون على رأس جبل عال وصار في طاعة المؤيد ودان له ووافقه وسير جيشا في جمادى الآخرة منها الى اسفراين فتحصن رئيسها عبد الرحمن بن محمد بن علي الحاج بالقلعة وكان ابوه كريم خراسان على الاطلاق ولكن كان عبد الرحمن هذا بئس الخلف فلما تحصن احاط به العسكر المؤيدي واستنزلوه من الحصن وحملوه مقيدا الى الشاذياخ وحبس بها وقيل في ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وملك المؤيد ايضا قهندز نيسابور واستدارت مملكة المؤيد حول نيسابور وعادت الى ما كانت عليه قبل الان اهلها انتقلوا الى شاذياخ وخربت المدينة العتيقة وسير المؤيد جيشا الى خواف وبها عسكر مع بعض الامراء اسمه ارغش فكمن ارغش جمعا في تلك المضايق والجبال وتقدم الى عسكر المؤيد فقاتلهم وطلع الكمين فانهزم عسكر المؤيد وقتل منهم جمع وعاد الباقون الى المؤيد بنيسابور وسير جيشا الى بوشنج هراة وهي في طاعة الملك محمد بن الحسين الغوري فحصروها واشتد الحصار عليها وقام القتال والزحف فسير الملك محمد الغوري جيشا اليها ليمنع عنها فلما قاربوا هراة فارقها

العسكر

المنصب ايضا حتى كنا انداين ولا يامننا الناس اذا كان القدر دون هذا ايضا فرجع الى الباشا وعاد اليه يقول له لم يكن تضعيف القدر سوى ما سامح فيه واما المنصب فهو عليكم رق غد يطلع والدك و يتجدد عليه الابقاء وينكمد الخصم وعلى الله السداد ونهض وقبل يده وتوجه فنزل الى دارهم وأخبر والده بما حصل فزاد كربه ولم يسعه الا التسليم وركب في صبحها وطلع الى الباشا فخلع عليه ونزل الى داره بقهره وشرع في بيع تعلقاته وما يتحصل لديه (وفي يوم الاثنين ثالث عشره) خلع الباشا على مصطفى افندي ونزل الى داره واتاه الناس يهنؤنه بالمنصب (وفي يوم الاربعاء ثالث عشرينه) وردت بشائر بتملكهم الطائف وهروب المضايفي منها فعملوا شنكا وضربوا مدافع كثيرة من القلعة وغيرها ثلاثة أيام في كل وقت اذان وشرع الباشا في تشهيل ولده اسمعيل باشا بالبشارة ليسافر الى اسلامبول وتاريخ تملكها في سادس عشرين المحرم (وفي هذه الايام) ابتدعوا تحرير الموازين وعملوا لذلك ديوانا بالقلعة وامروا بابطال الموازين الباعة واحضار ما عندهم من الصنج فيزنون الصنجة فان كانت زائدة او ناقصة اخذوها وابقوها عندهم وان كانت محررة الوزن ختموها بختم واخذوا على كل ختم صنجة ثلاثة انصاف

العسكر الذى يحصرها وعادوا عنها وصفت تلك الولاية للغورية

❊(ذكر اخذ ابن مردنيش غرناطة من عبد المؤمن وعودها اليه)❊

فى هذه السنة أرسل اهل غرناطة من بلاد الاندلس وهى لعبد المؤمن الى الامير ابراهيم ابن همشك صهر ابن مردنيش فاستدعوه اليهم ليسلموا اليه البلد وكان قد وحد وصار من أصحاب عبد المؤمن وفى طاعته وممن يحرضه على قصد ابن مردنيش فلما وصل اليه رسل اهل غرناطة سار معهم اليها فدخلها وبها جمع من أصحاب عبد المؤمن فامتنعوا بحصنها فبلغ الخبر ابا سعيد عثمان بن عبد المؤمن وهو بمدينة مالقة فجمع الجيش الذى كان عنده وتوجه الى غرناطة لنصرة من فيها من اصحابهم فعلم بذلك ابراهيم بن همشك فاستنجد ابن مردنيش ملك البلاد بشرق الاندلس فارسل اليه الفى فارس من انجاد اصحابه ومن الفرنج الذين جندهم معه فاجتمعوا بنواحى غرناطة فالتقواهم ومن بغرناطة من عسكر عبد المؤمن قبل وصول ابى سعيد اليهم فاشتد القتال بينهم فانهزم عسكر عبد المؤمن وقدم أبو سعيد واقتتلوا أيضا فانهزم كثير من اصحابه وثبت معه طائفة من الاعيان والفرسان المشهورين والرجالة والاجلاد حتى قتلوا عن آخرهم وانهزم حينئذ أبو سعيد ولحق بمالقة وسمع عبد المؤمن الخبر وكان قد سار الى مدينة سلا فسير فى الحال ابنه أبا يعقوب يوسف فى عشرين ألف مقاتل فيهم جماعة من شيوخ الموحدين فجدوا المسير فبلغ ذلك ابن مردنيش فسار بنفسه وجيشه الى غرناطة ليعين ابن همشك فاجتمع منهم بغرناطة جمع كثير فنزل ابن مردنيش فى الشريعة بظاهرها ونزل العسكر الذى أمر به ابن همشك اولا وهم الفا فارس بظاهر القلعة الحمراء ونزل ابن همشك بباطن القلعة الحمراء فيمن معه ووصل عسكر عبد المؤمن الى جبل قريب من غرناطة فاقاموا فى سفحه اياما ثم سيروا سرية اربعة آلاف فارس فبيتوا العسكر الذى بظاهر القلعة الحمراء وقاتلوهم من جهاتهم فما لحقوا يركبون فقتلوهم عن آخرهم وأقبل عسكر عبد المؤمن بجملته فنزلوا بضواحى غرناطة فعلم ابن مردنيش وابن همشك انهم لا طاقة لهم بهم ففروا فى الليلة الثانية ولحقوا ببلادهم واستولى الموحدون على غرناطة فى باقى السنة المذكورة وعاد عبد المؤمن من مدينة سلا الى مراكش

❊(ذكر حصر نور الدين حارم)❊

فى هذه السنة جمع نور الدين محمود بن زنكى بن آقسنقر صاحب الشام العساكر بحلب وسار الى قلعة حارم وهى للفرنج غربى حلب فحصرها وجد فى قتالها فامتنعت عليه بحصانتها وكثرة من بها من فرسان الفرنج ورجالهم وشجعانهم فلما علم الفرنج ذلك جمعوا فارسهم وراجلهم من سائر البلاد وحشدوا واستعدوا وساروا نحوه ليرحلوه عنها فلما قاربوه طلب منهم المصاف فلم يجيبوه اليه وراسلوه وتلطفوا الحال معه فلما رأى انه لا يمكنه أخذ الحصن ولا يجيبونه الى المصاف عاد الى بلاده وممن كان معه فى هذه الغزوة مؤيد الدولة اسامة بن مرشد بن منقذ الكنانى وكان من الشجاعة فى الغاية فلما عاد الى

فضة وهى النصف اوقية والاوقية الى الرطل الذى يكون وزنه غير محرر بعطونه رطلا من حديد ويدفع ثمنه مائة نصف فضة والنصف رطل خمسون وهكذا وهو باب يجتمع منه اكياس كثيرة (وفيه) أيضا طلب الباشا من عربان الفوائد غرامة سبعين الف فرانسه فعصوا ورحلوا باقليم الجيزة واخذوا المواشى وشلحوا من صادفوه وخرج كاشف الجيزة عليهم فصادف منهم اباعر محملة امتعة لهم وصحبتهم نساء واولاد فاخذهم ورجع بهم (وفيه) سافر ابراهيم بك ابن الباشا الى ناحية قبلى ووصلت الاخبار بوقوع الطاعون بالاسكندرية فاشتد خوف الباشا والعسكر مع قساوتهم وعسفهم وعدم رحمتهم

❊(واستهل شهر ربيع الاول بيوم الخميس سنة ١٢٢٨)❊

(فيه) قلدوا شخصا يسمى حسين البرلى وهو الكتخدا عند كتخدا بك وجعلوه فى منصب بيت المال وعزلوا رجب اغا وكان انسانا سهلا لا باس به فلما تولى هذا ارسل بجميع مشايخ الخطط والحارات وقيد عليهم بانهم يخبرونه بكل من مات من ذكر أو انثى ولو كان ذا اولاد وورثة او غير ذلك وكذلك على حوانيت الاموات وارسل فرامانات الى بلاد الارياف والبنادر بمعنى ذلك (وفى يوم الاحد رابعه) طلب الباشا حسين افندى الروزنامجى وطلب منه ما قرره عليه وكان

حاجب دخل الى مسجد شيزر وكان قد دخله فى العام الماضى سائرا الى الحج فلما دخله الآن كتب على حائطه

لك الحمد يا مولاى كم لك منة * على وفضل لا يحيط به شكرى
نزلت بهذا المسجد العام قافلا * من الغزو موفورا النصيب من الاجر
ومنه رحلت العيس فى عامى الذى * مضى نحو بيت الله والركن والحجر
فأديت مفروضى واسقطت ثقل ما * تحملت من وزر الشبيبة عن ظهرى

(ذكر ملك الخليفة قلعة الماهكى)

فى هذه السنة فى رجب ملك الخليفة المستنجد بالله قلعة الماهكى وسبب ذلك ان سنقر الهمذانى صاحبها سلمها الى أحد مماليكه ومضى الى همذان فضعف هذا المملوك عن مقاومة ما حولها من التركمان والاكراد فاشير عليه ببيعها من الخليفة فراسل فى ذلك فاستقرت على خمسة عشر ألف دينار وسلاح وغير ذلك من الامتعة وعدة من القرى فسلمها وتسلم ما استقر له واقام ببغداد وهذه القلعة لم تزل من أيام المقتدر بالله بايدى التركمان والاكراد الى الآن

(ذكر الحرب بين المسلمين والكرج)

فى هذه السنة فى شعبان اجتمعت الكرج فى خلق كثير يبلغون ثلاثين ألف مقاتل ودخلوا بلاد الاسلام وقصدوا مدينة دوين اذربيجان فملكوها ونهبوها وقتلوا من أهلها وسوادها نحو عشرة آلاف قتيل واخذوا النساء سبايا واسروا كثيرا وأعروا النساء وقادوهن حفاة عراة واحرقوا الجامع والمساجد فلما وصلوا الى بلادهم انكر نساء الكرج ما فعلوا بنساء المسلمين وقلن لهم قد احوجتم المسلمين الى أن يفعلوا بنا مثل ما فعلتم بنسائهم وكسونهن ولما بلغ الخبر الى شمس الدين ايلدكز صاحب اذربيجان والجبل واصـ[illegible] جمع عساكره وحشدها وانضاف اليه شاه ارمن بن سكمان القطبى صاحب [illegible]ط وابن آقسنقر صاحب مراغة وغيرها فاجتمعوا فى عسكر كثير يزيدون [illegible] مقاتل وساروا الى بلاد الكرج فى صفر سنة ثمان وخمسين ونهبوها وسبوا [illegible] والصبيان وأسروا الرجال ولقيهم الكرج واقتتلوا أشد قتال صبر فيه الفريقان ودامت الحرب بينهم أكثر من شهر وكان الظفر للمسلمين فانهزم الكرج وقتل منهم كثير وأسر كذلك وكان سبب الهزيمة ان بعض الكرج حضر عند ايلدكز فاسلم على يديه وقال له تعطينى عسكرا حتى اسير بهم فى طريق أعرفها واجىء الى الكرج من ورائهم وهم لا يشعرون فاستوثق منه وسير معه عسكرا وواعده يوما يصل فيه الى الكرج فلما كان ذلك اليوم قاتل المسلمون الكرج فبينما هم فى القتال وصل ذلك الكرجى الذى أسلم ومعه العسكر وكبروا وحملوا على الكرج من ورائهم فانهزموا وكثر القتل فيهم والاسر وغنم المسلمون من أموالهم ما لا يدخل تحت الاحصاء لكثرته فانهم كانوا متيقنين الظفر لكثرتهم فخيب الله ظنهم وتبعهم المسلمون يقتلون

وما هذا التأخير وانا محتاج الى المال فقال لم يبق عندى شئ وقد بعت التزامى واملاكى وبيتى وتداينت من الروزنامجى حتى وفيت خمسمائة كيس وها انا بين يديك فقال له هذا كلام لا يروج على ولا ينفعك بل أخرج المال المدفون فقال لم يكن عندى مال مدفون واما الذى اخبرك عنه فيذهب فيخرجه من محله فحنق منه وسبه وقبض على لحيته ولطمه على وجهه وجرد السيف ليضربه فترجى فيه الكتخدا والحاضرون فامر به فبطحوه وامر القواسة الاتراك بضربه فضربوه بالعصى المفضضة التى بايديهم بعد ان ضربه هو بيده عدة عصى وشج جبهته حتى أتوا عليه ثم أقاموه وألبسوه فروته وحملوه وهو مغشى عليه واركبوه حمارا واحاط به خدمه واتباعه حتى اوصلوه الى منزله وارسل معه جماعة من العسكر يلازمونه ولا يدعونه يدخل الى حريمه ولا يصل اليهم منه احد وركب فى اثره محمود بك الدويدار بامر الباشا وعبر داره ودار اخيه عثمان افندى المذكور واخذه صحبته الى القلعة وحبسوه واولاده واخواه فانهم تغيبوا من وقت الطلب واختفوا ونزل اليه فى اليوم الثانى ابراهيم اغا اغات الباب

يقتلون ويأسرون ثلاثة أيام بلياليها وعاد المسلمون منصورين قاهرين

● (ذكر عدة حوادث) ●

فى هذه السنة وصل الحجاج الى منى ولم يتم الحج لاكثر الناس لصدهم عن دخول مكة والطواف والسعى فمن دخل يوم النحر مكة طاف وسعى وكمل ومن تأخر عن ذلك منع دخول مكة لفتنة جرت بين أمير الحاج وأمير مكة كان سببها ان جماعة من عبيد مكة أفسدوا فى الحاج بمنى فنفر عليهم بعض اصحاب أمير الحاج فقتلوا منهم جماعة ورجع من سلم الى مكة وجمعوا جمعا وأغاروا على جمال الحاج وأخذوا منها قريبا من ألف جمل فنادى أمير الحاج فى جنده فركبوا بسلاحهم ووقع القتال بينهم فقتل جماعة ونهب جماعة من الحاج وأهل مكة فرجع أمير الحاج ولم يدخل مكة ولم يقم بالزاهر غير يوم واحد وعاد كثير من الناس رجالة لقلة الجمال ولقوا شدة وممن حج هذه السنة جدتنا أم أبينا ففاتها الطواف والسعى فاستفتت لها الشيخ الامام أبو القاسم بن البزرى فقال تدوم على ما بقى عليها من احرامها وان أحبت تفدى وتحل من احرامها الى قابل وتعود الى مكة فتطوف وتسعى فتكمل الحجة الاولى ثم تحرم احراما ثانيا وتعود الى عرفات فتقف وترمى الجمار وتطوف وتسعى فتصير لها حجة ثانية فبقيت على احرامها الى قابل وحجت وفعلت كما قال فتم حجها الاول والثانى وفيها نزل بخراسان برد كثير عظيم المقدار واخر نيسان وكان أكثره بجوين ونيسابور وما والاهما فاهلك الغلات ثم جاء بعده مطر كثير دام عشرة أيام وفيها فى جمادى الآخرة وقع الحريق ببغداد احترق سوق الطيوريين والدور التى تليه مقابلها الى سوق الصفرة الجديد والخان الذى فى الرحبة ودكاكين البزوريين وغيرها وفيها توفى الكيا الصباحى صاحب ألموت مقدم الاسماعيلية وقام ابنه مقامه فاظهر التوبة وأعاده ومن معه الصلوات وصيام شهر رمضان وأرسلوا الى قزوين يطلبون من يصلى بهم ويعلمهم حدود الاسلام فارسلوا اليهم وفيها فى رمضان درس شرف الدين يوسف الدمشقى فى المدرسة النظامية ببغداد وكان مدرسا بمدرسة أبى حنيفة وكان موته فى ذى القعدة وفيها توفى صدقة بن وزير الواعظ وفيها فى المحرم توفى الشيخ عدى بن مسافر الزاهد المقيم ببلد الهكارية من أعمال الموصل وهو من الشام من بلد بعلبك فانتقل الى الموصل وتبعه أهل السواد والجبال بتلك النواحى وأطاعوه وحسنوا الظن فيه وهو مشهور جدا

(ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة)

● (ذكر وزارة شاور للعاضد بمصر ثم وزارة الضرغام بعده) ●

فى هذه السنة فى صفر وزر شاور للعاضد لدين الله العلوى صاحب مصر وكان ابتداء أمره ووزارته انه كان يخدم الصالح بن رزيك ولزمه فاقبل عليه الصالح وولاه الصعيد وهو أكبر الاعمال بعد الوزارة فلما ولى الصعيد ظهرت منه كفاية عظيمة وتقدم زائد واستمال الرعية والمقدمين من العرب وغيرهم فعظم أمره على الصالح ولم يمكنه

يطالبه بغلاق ثمانمائة كيس وقتئذ فقال له وكيف احصل شيئا وانا رجل ضعيف ولتى عثمان عند كم فى الترسيم وهو الذى يعينى ويقضى اشغالى واخذتم دفاترى المختصة باحوالى مع ما اخذتموه من الدفاتر فاقام عنده ابراهيم اغا برهة ثم ركب الى الباشا وكلمه فى ذلك فاطلقوا له اخاه ليسعى فى التحصيل (وفى حادى عشره) عدى الباشا الى بر الجيزة بقصد السفر الى بلاد الفيوم واخذ صحبته كتبة مباشرين مسلمين ونصارى واشاع ان سفره الى الصعيد ليكشف على الاراضى ورووكها وارتحل فى ليلة الثلاثاء ثالث عشره بعدان وجه ابنه اسمعيل الى الديار الرومية فى تلك الليلة بالبشارة (وفى خامس عشرينه) حضر لطيف اغا راجعا من اسلامبول وكان قد توجه ببشارة فتح الحرمين واخبروا انه لما وصل الى قرب دار السلطنة خرج لملاقاته الاعيان وعند دخوله الى البلدة عملوا له موكبا عظيما مشى فيه اعيان الدولة واكابرها وصحبته عدة مفاتيح زعموا انها مفاتيح مكة وجدة والمدينة وضعوها على صفائح الذهب والفضة وامامها البخورات فى مجامر الذهب والفضة والعطر والطيب وخلفهم الطبول والزمور وعملوا له شنكا ومدافع وانعم عليه السلطان واعطاه خلعا وهدايا وكذلك

عزله فاستدام استعماله لئلا يخرج من طاعته فلما جرح الصالح كان من جملة وصيته لولده العادل انه لا يغير على شاور فانني انا اقوى منك وقد ندمت على استعماله ولم يمكني عزله فلا تغيروا ما به فيكون لكم منه ما تكرهون فلما توفى الصالح من جراحته وولى ابنه العادل الوزارة حسن له اهله عزل شاور واستعمال بعضهم مكانه وخوفوه منه ان اقره على عمله فارسل اليه بالعزل فجمع جموعا كثيرة وسار الى القاهرة بهم فهرب منه العادل بن الصالح بن رزيك فاخذ وقتل فكانت مدة وزارته ووزارة ابيه قبله تسع سنين وشهرا واياما وصار شاور وزيرا وتلقب بامير الجيوش واخذ اموال بنى رزيك وودائعهم وذخائرهم واخذ منه ايضا طى والكامل ابنا شاور شيئا كثيرا وتفرق كثير منها وجحدوظهرت عليهم عند انتقال الدولة عن شاور والمصريين الى الاتراك ثم ان الضرغام جمع جموعا كثيرة ونازع شاورفى الوزارة فى شهر رمضان وظهر امره وانهزم شاور منه الى الشام على ما نذكره سنة تسع وخمسين وخمسمائة وصار ضرغام وزيرا كان هذه السنة ثلاثة وزراء العادل بن رزيك وشاور وضرغام فلما تمكن ضرغام من الوزارة قتل كثيرا من الامراء المصريين لتخلوله البلاد من منازع فضعفت الدولة بهذا السبب حتى خرجت البلاد عن أيديهم

(ذكر وفاة عبد المؤمن وولاية ابنه يوسف)

فى هذه السنة فى العشرين من جمادى الآخرة توفى عبد المؤمن بن على صاحب بلاد المغرب وافريقية والاندلس وكان قد سار من مراكش الى سلا فمرض بها ومات ولما حضره الموت جمع شيوخ الموحدين من أصحابه وقال لهم قد جربت ابنى محمدا فلم أره يصلح لهذا الامر وانما يصلح له ابنى يوسف وهو أولى بها فقدموه ووصاهم به وبايعوه ودعى بامير المؤمنين وكتموا موت عبد المؤمن وحمل من سلا فى محفة بصورة مريض الى ان وصل الى مراكش وكان ابنه ابو حفص فى تلك المدة حاجبا لابيه فبقى مع أخيه على مثل حاله مع أبيه يخرج فيقول للناس أمير المؤمنين أمر بكذا ويوسف يقعد مقعد ابيه الى ان كملت المبايعة له فى جميع البلاد واستقرت قواعد الامور له ثم اظهر موت ابيه عبد المؤمن فكانت ولايته ثلاثة وثلاثين سنة وشهورا وكان عاقلا حازما سديد الرأى حسن السياسة للامور كثير البذل للاموال الا انه كان كثير السفك لدماء المسلمين على الذنب الصغير وكان يعظم أمر الدين ويقويه ويلزم الناس فى سائر بلاده بالصلاة ومن رآه وقت الصلاة غير مصل قتل وجمع الناس بالغرب على مذهب مالك فى الفروع وعلى مذهب أبى الحسن الاشعرى فى الاصول وكان الغالب على مجلسه أهل العلم والدين المرجع اليهم والكلام معهم ولهم

(ذكر ملك المؤيد اعمال قومس والخطبة للسلطان ارسلان بخراسان)

فى هذه السنة سار المؤيد أى ابه صاحب نيسابور الى بلاد قومس فملك بسطام ودامغان واستناب بقومس مملوكه تنكز فاقام تنكز بمدينة بسطام فجرى بين تنكز وبين شاه

اكابر الدولة وانعم عليه الدفتكار بطرخسين وصار يقال له لطيف باشا (وفيه) ووردت الاخبار بقدوم قبوجي باشا ومعه خلع واطواخ للباشا وعدة اطواخ وولايات لمن يختار تقليده فاحتفل الباشا به عندما وصلته اخباره وارسل الى امراء الثغور بالاسكندرية ودمياط بالاعتناء بملاقاته عند وروده على ثغرهما (وفيه) حضر خليل بك حاكم الاسكندرية الى مصر فرارا من الطاعون لانه قد فشا بها ومات اكثر عسكره واتباعه

(واستهل شهر ربيع الثانى بيوم الاحد سنة ١٢٢٨)

(فى ثامنه) حضر الباشا على حين غفلة من الفيوم الى الجيزة واخبروا انه لما وصل الى ناحية بنى سويف ركب بغلة سريعة العدو ومعه بعض خواصه على الهجن والبغال فوصل الى الفيوم فى اربع ساعات وانقطع اكثر المرافقين له ومات منهم سبعة عشر هجينا (وفى يوم الثلاثاء عاشره) عملوا مولد المشهد الحسينى المعتاد وتقيد لتنظيمه السيد المحروقى الذى تولى النظارة عليه وجلس ببيت السادات المجاور للمشهد بعد ان اخلوه له وفى ذلك اليوم امر الباشا بعمل كورنتينه بالجيزة ونوه باقامته بها وزاد به الخوف والوهم من الطاعون لحصول القليل منه بمصر وهلك الحكيم الفرنساوى و بعض

مازندران اختلاف أدى الى الحرب فجمع كل منهما عسكره والتقوا أوائل ذى الحجة فى هذه السنة واقتتلوا فانهزم عسكر مازندران وأخذت اسلابهم وقتل منهم طائفة كبيرة ولما ملك المؤيد بلاد قومس أرسل اليه السلطان ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه خلعا نفيسة والوية معقودة وهدية جليلة وامره ان يهتم باشغال بلاد خراسان و يتولى ذلك جميع وان يخطب له فلبس المؤيد الخلع فخطب له فى البلاد التى هى بيده وكان السبب فى هذا اتابك شمس الدين ايلدكز فانه كان هو الذى يحكم فى مملكة ارسلان وليس لارسلان غير الاسم وكان بين ايلدكز و بين المؤيد مودة ذكرناها عند قتل المؤيد فلما اطاع المؤيد السلطان ارسلان خطب له ببلاده وهى قومس ونيسابور وطوس واعمال نيسابور جميعها ومن نسا الى طبس كنكلى وكان يخطب لنفسه بعد ارسلان وكانت الخطبة فى جرجان ودهستان لخوارزمشاه بن ارسلان بن اتسز و بعده للامير ايثاق وكانت الخطبة فى مرو و بلخ وهراة وسرخس وهذه البلاد بيد الغز الا هراة فانها بيد الامير ايتكين وهو مسالم للغز فكانوا يخطبون للسلطان سنجر فيقولون اللهم اغفر للسلطان السعيد المبارك سنجر و بعده للامير الذى هو الحاكم فى تلك البلاد

(ذكر قتل الغز ملك الغور)

فى هذه السنة فى رجب قتل سيف الدين محمد بن الحسين الغورى ملك الغور قتله الغز وسبب ذلك انه جمع عساكره وحشد فاكثر وسار من جبال الغور يريد الغز وهم ببلخ واجتمعوا وتقدموا اليه فاتفق ان ملك الغور خرج من معسكره فى جماعة من خاصته جريدة فسمع به امراء الغز فساروا يطلبونه مجدين قبل ان يعود الى معسكره فاوقعوا به فقاتلهم اشد قتال رآه الناس فقتل ومعه نفر ممن كان معه واسر طائفة وهربت طائفة فلحقوا بعسكرهم وعادوا الى بلادهم منهزمين لا يقف الاب على أبيه ولا الاخ على أخيه وتركوا كل ما معهم بحاله ونجوا بنفوسهم فكان عمر ملك الغور لما قتل نحو عشرين سنة وكان عادلا حسن السيرة فمن عدله وخوفه عاقبة الظلم انه حاصر اهل هراة فلما ملكها أراد عسكره ان ينهبوها فنزل على درب المدينة واحضر الاموال والثياب فاعطى جميع عسكره منها وقال هذا خير من ان تنهبوا أموال المسلمين وتسخطوا الله تعالى فان الملك يبقى على الكفر ولا يبقى على الظلم ولما قتل عاد الغز الى بلخ ومرو وقد غنموا شيئا كثيرا من العسكر الغورى لان أهله تركوه ونجوا

(ذكر انهزام نور الدين محمود من الفرنج)

فى هذه السنة انهزم نور الدين محمود بن زنكى من الفرنج تحت حصن الاكراد وهى الوقعة المعروفة بالبقيعة تحت حصن الاكراد حاصراله وعازما على قصد طرابلس ومحاصرتها فبينما الناس يوما فى خيامهم وسط النهار لم يرعهم الا ظهور صلبان الفرنج من وراء الجبل الذى عليه حصن الاكراد وذلك ان الفرنج اجتمعوا واتفق رأيهم على

نصارى اروام وهم يعتقدون صحة الشكر وتثليثه وانها تمنع الطاعون وقاضى الشريعة الذى هو قاضى العسكر يحقق قولهم و يمشى على مذهبهم ولرغبة الباشا فى الحياة الدنيا وكذلك أهل دائرته وخوفهم من الموت يصدقون قولهم حتى انه اتفق انه مات بالمحكمة عند القاضى شخص من اتباعه فامر بحرق ثيابه وغسل المحل الذى مات فيه وتبخيره بالبخورات وكذلك غسل الاوانى التى كان يمسها وبخروها وأمروا أصحاب الشرطة انهم يامرون الناس واصحاب الاسواق بالكنس والرش والتنظيف فى كل وقت وقشر الثياب واذا ورد عليهم مكاتبات خرقوها بالسكاكين ودخنوها بالبخور قبل ورودها ولما عزم الباشا على كورنتينة الجيزة ارسل فى ذلك اليوم بان ينادوا بها على سكانها بان من كان يملك قوته وقوت عياله ستين يوما واحب الاقامة فليمكث بالبلدة والا فليخرج منها ويذهب و يسكن حيث أراد فى غيرها ولهم مهلة اربع ساعات فانزعج سكان الجيزة وخرج من خرج وأقام من أقام وكان ذلك وقت الحصاد ولهم مزارع وأسباب مع مجاوريهم من اهل القرى ولا يخفى احتياجات الشخص لنفسه وعياله وبهائمه فمنعوا جميع ذلك حتى سدوا خروق السور والابواب ومنعوا المعادى مطلقا وأقام الباشا ببيت الازبكية لا يجتمع

كبسة المسلمين نهارا فانهم يكونون آمنين فركبوا من وقتهم ولم يتوقفوا وجدوا حتى يجمعوا عساكرهم وساروا مجدين فلم يشعر بذلك المسلمون الا وقد قربوا منهم فارادوا منعهم فلم يطيقوا ذلك فارسلوا الى نور الدين يعرفونه الحال فرهقهم الفرنج بالحملة فلم يثبت المسلمون وعادوا يطلبون معسكر المسلمين والفرنج فى ظهورهم فوصلوا معا الى العسكر النورى فلم يتمكن المسلمون من ركوب الخيل وأخذ السلاح الا وقد خالطوهم فاكثروا القتل والاسر وكان اشدهم على المسلمين الدوقس الرومى فانه كان قد خرج من بلاده الى الساحل فى جمع كثير من الروم فقاتلوا محتسبين فى زعمهم فلم يبقوا على احد وقصدوا خيمة نور الدين وقد ركب فيها فرسه ونجا بنفسه ولسرعته ركب الفرس والشبحة فى رجله فنزل انسان كردى قطعها فنجا نور الدين وقتل الكردى فاحسن نور الدين الى مخلفيه ووقف عليهم الوقوف ونزل نور الدين على بحيرة قدس بالقرب من حمص وبينه وبين المعركة اربعة فراسخ وتلاحق به من سلم من العسكر وقال له بعضهم ليس من الراى ان تقيم ههنا فان الفرنج ربما حملهم الطمع على المجىء الينا فنؤخذ ونحن على هذا الحال فوبخه واسكته وقال اذا كان معى الف فارس لقيتهم ولا ابالى بهم ووالله لا استظل بسقف حتى آخذ بثارى وثار الاسلام ثم ارسل الى حلب ودمشق واحضر الاموال والثياب والخيام والسلاح والخيل فاعطى الناس عوض ما اخذ منهم جميعه بقولهم فعاد العسكر كأن لم تصبه هزيمة وكل من قتل اعطى اقطاعه لاولاده واما الفرنج فانهم كانوا عازمين على قصد حمص بعد الهزيمة لانها اقرب البلاد اليهم فلما بلغهم نزول نور الدين بينها وبينهم قالوا لم يفعل هذا الا وعنده قوة يمنعنا بها ولما راى اصحاب نور الدين كثرة خرجه قال له بعضهم ان لك فى بلادك ادرارات وصدقات كثيرة على الفقهاء والفقراء والصوفية والقراء فلو استعنت فى هذا الوقت لكان اصلح فغضب من ذلك وقال والله انى لا ارجو النصر الا باولئك فانما ترزقون وتنصرون بضعفائكم كيف اقطع صلات قوم يقاتلون عنى وانا نائم على فراشى بسهام لا تخطئ واصرفها الى من لا يقاتل عنى الا اذا رآنى بسهام قد تصيب وقد تخطئ وهؤلاء القوم لهم نصيب فى بيت المال كيف يحل لى ان اعطيه غيرهم ثم ان الفرنج راسلوا نور الدين يطلبون منه الصلح فلم يجبهم وتركوا عند حصن الاكراد من يحميه وعادوا الى بلادهم

(ذكر اجلاء بنى اسد من العراق)

فى هذه السنة امر الخليفة المستنجد بالله باهلاك بنى أسد أهل الحلة المزيدية لما ظهر من فسادهم ولما كان فى نفس الخليفة منهم من مساعدتهم السلطان محمدا لما حصر بغداد فامر يزدن بن قماج بقتالهم واجلائهم من البلاد وكانوا منبسطين فى البطائح والاولا يقدر عليهم فتوجه يزدن اليهم وجمع عساكر كثيرة من فارس وراجل وأرسل الى ابن معروف مقدم المنتفق وهو بارض البصرة فجاء فى خلق كثير وحصرهم وسكر عنهم الماء وصابرهم مدة فارسل الخليفة يعتب على يزدن و يعجزه و ينسبه الى

فأخذ من الناس الى يوم الجمعة فعدى فى ذلك اليوم وقت الفجر وطلع الى قصر الجيزة واوقف مركبين الاولى ببر الجيزة والاخرى فى مقابلتها ببر مصر القديمة فاذا ارسل الكتخدا او المعلم غالى اليه مراسلة ناولها المرسل للقيد بذلك فى طرف مزراق بعد تبخير الورقة بالشيح واللبان والكبريت و يتناولها منه الآخر بمزراق آخر على بعد منهما وعاد راجعا فاذا قرب من البر تناولها المنتظر له ايضا بمزراق وغمسها فى الخل وبخرها بالبخور المذكور ثم يوصلها لحضرة المشار اليه بكيفية اخرى فاقام اياما وسافر الى الفيوم ورجع كما ذكر وارسل بمماليكه ومن يعز عليه ويخاف عليه من الموت الى اسيوط (وفى يوم السبت سابعه) نودى بالاسواق بان السيد محمدا المحروقى شاه بندر التجار بمصر وله الحكم على جميع التجار واهل الحرف والمتسببين فى قضاياهم وقوانينهم وله الامر والنهى فيهم (وفيه) وصل الى مصر عدة كبيرة من العساكر الرومية على طريق دمياط ونصبوا لهم وطاقا خارج باب النصر وحضر فيهم نحو الخمسمائة نفر ارباب صنائع بنائين ونجارين وخراطين فانزلوهم بوكالة بخط الخليفة (وفى يوم الاحد ثامنه) تقلد الحسبة الخواجا محمود حسن ولبس الخلعة وركب وشق المدينة وامامه الميزان فرسم برد الموازين الى الارطال

موافقته

موافقته في التشييع وكان يزدن يتشيع هو وابن معروف في قتالهم والتضييق عليهم وسد مسالكهم في الماء فاستسلموا حينئذ فقتل منهم اربعة آلاف قتيل ونودي فيمن بقي من وجد بعد هذا في الحلة المزيدية فقد حل دمه فتفرقوا في البلاد ولم يبق منهم بالعراق من يعرف وسلمت بطائحهم الى ابن معروف وبلادهم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة وقع في بغداد حريق في باب درب فراشا الى مشرعة الصباغين من الجانبين وفيها في رجب توفي سديد الدولة أبو عبد الله بن عبد الكريم بن ابراهيم بن عبد الكريم المعروف بابن الانباري كاتب الانشاء بديوان الخلافة وكان فاضلا اديبا ذا تقدم كثير عند الخلفاء والسلاطين وخدم من سنة ثلاثين وخمسمائة الى الآن في ديوان الخلافة وعاش حتى قارب تسعين سنة وتوفي في رمضان هبة الله بن الفضل بن عبد العزيز بن محمد المتوثي وسمع الحديث وهو من الشعراء المشهورين الا انه كثير الهجو ومن شعره

يا من هجرت ولا تبالي * هل ترجع دولة الوصال
هل اطمع يا عذاب قلبي * ان ينعم في هواك بالي
الطرف كما عهدت باك * والجسم كما ترين بالي
ما ضرك أن تعلليني * في الوصل بموعد محال
اهواك وأنت حظ غيري * يا قاتلتي فما احتيالي

وهي اكثر من هذا

﴿ثم دخلت سنة تسع وخمسين وخمسمائة﴾

﴿ذكر مسير شيركوه وعساكر نور الدين الى ديار مصر وعودهم عنها﴾

في هذه السنة في جمادى الاولى سير نور الدين محمود بن زنكي عسكرا كثيرا الى مصر وجعل عليهم الامير اسد الدين شيركوه بن شاذي وهو مقدم عسكره واكبر امراء دولته واشجعهم وسنذكر سنة اربع وستين سبب اتصاله بنور الدين وعلو شانه عنده ان شاء الله تعالى وكان سبب ارسال هذا الجيش ان شاور وزير العاضد لدين الله العلوي صاحب مصر نازعه في الوزارة ضرغام وغلب عليها فهرب شاور منه الى الشام ملتجئا الى نور الدين ومستجيرا به فاكرم مثواه واحسن اليه وانعم عليه وكان وصوله في ربيع الاول من السنة وطلب منه ارسال العساكر معه الى مصر ليعود الى منصبه ويكون لنور الدين ثلث دخل البلاد بعد اقطاعات العساكر ويكون شيركوه مقيما بعساكره في مصر ويتصرف هو بامر نور الدين واختياره فبقي نور الدين يقدم الى هذا الغرض رجلا ويؤخر اخرى فتارة يحمله رعاية قصد شاور بابه وطلب الزيادة في الملك والتقوي على الفرنج وتارة يمنعه خطر الطريق وان الفرنج فيه وتخوف ان شاور ان استقرت قاعدته ربما لا يفي ثم قوي عزمه على ارسال الجيوش فتقدم بتجهيزها وازاحة

الزباق التي عيرة الرطل منها اربع عشرة اوقية في جميع الادهان والخضراوات على العادة القديمة ونقص من اسعار اللحم وغيره ففرح الناس بذلك ولكن لم يستمر ذلك (وفي يوم الاربعاء حادي عشره) بين الظهر والعصر كانت السماء مصحية والشمس مضيئة صافية فماهو الا والسماء والجو طلع به غيم وقتام ورياح نكباء غربية جنوبية واظلم ضوء الشمس وارعدت رعدتين الثانية اعظم من الاولى وبرق ظهر ضوؤه وامطرت مطرا متوسطا ثم سكن الريح وانجلت السماء وقت العصر وكان ذلك سابع بشنس القبطي وآخر يوم من نيسان الرومي فسبحان الملك الفعال مغير الشؤن والاحوال وحصل في تاليه يوم الجمعة مثل ذلك الوقت ايضا غيوم ورعود كثيرة ومطر أزيد من اليوم الاول

(واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٢٨)

(في ثاني عشره) وصل في النيل على طريق دمياط اغا من طرف الدولة يقال له قبوجي باشا السلطان فاعتنى الباشا بشأنه وحضر الى قصره بشبرا وأمر باحضار عدة من المدافع وآلات الشنك وعملوا أمام القصر بساحل النيل تعاليق وقناديل وقدات و نبه على الطوائف بالاجتماع بعلامتهم وزينتهم ووصل الاغا المذكور يوم الاحد فخرج الاغوات

عالها وكان هوى أسد الدين فى ذلك وعنده من الشجاعة وقوة النفس مالا يبالى
بمخافة فتجهز وساروا جميعا وشاور فى صحبتهم فى جمادى الاولى من سنة تسع وخمسين
وتقدم نور الدين الى شيركوه ان يعيد شاور الى منصبه وينتقم له ممن نازعه فيه وسار نور
الدين الى طرف بلاد الفرنج مما يلى دمشق بعساكره ليمنع الفرنج من التعرض
لاسد الدين ومن معه فكان قصارى الفرنج حفظ بلادهم من نور الدين ووصل أسد الدين
والعساكر معه الى مدينة بلبيس فخرج اليهم ناصر الدين اخو ضرغام بعسكر المصريين
ولقيهم فانهزم وعاد الى القاهرة ووصل أسد الدين فنزل على القاهرة اواخر جمادى
الآخرة فخرج ضرغام من القاهرة سلخ الشهر فقتل عند مشهد السيدة نفيسة وبقى يومين
ثم حمل ودفن فى القرافة وقتل أخوه فارس المسلمين وخلع على شاور مستهل رجب وأعيد
الى الوزارة وتمكن منها وأقام اسد الدين بظاهر القاهرة فغدر به شاور وعاد عما كان
قرره لنور الدين من البلاد المصرية ولاسد الدين أيضا وأرسل اليه يأمره بالعود الى الشام
فاعاد الجواب بالامتناع وطلب ما كان قد استقر بينهم فلم يجبه شاور اليه فلما
رأى ذلك أرسل الى نوابه فتسلموا مدينة بلبيس وحكم على البلاد الشرقية فارسل شاور
الى الفرنج يستمدهم ويخوفهم من نور الدين ان ملك مصر وكان الفرنج قد ايقنوا
بالهلاك ان تم ملكه لها فلما ارسل شاور يطلب منهم أن يساعدوه على اخراج أسد الدين
من البلاد جاءهم فرج لم يحتسبوه وسارعوا الى تلبية دعوته ونصرته وطمعوا فى تملك
الديار المصرية وكان قد بذل لهم مالا على المسير اليه وتجهزوا وساروا فلما بلغ نور الدين
ذلك سار بعساكره الى اطراف بلادهم ليمتنعوا من المسير فلم يمنعهم ذلك لعلمهم ان
الخطر فى مقامهم اذا ملك أسد الدين مصر أشد فتركوا فى بلادهم من يحفظها وسار ملك
القدس فى الباقين الى مصر وكان قد وصل الى الساحل جمع كثير من الفرنج فى البحر
لزيارة البيت المقدس فاستعان بهم الفرنج الساحلية فاعانوهم فسار بعضهم معهم
وأقام بعضهم فى البلاد لحفظها فلما قارب الفرنج مصر فارقها أسد الدين وقصد مدينة
بلبيس فاقام بها هو وعسكره وجعلها له ظهرا يتحصن به فاجتمعت العساكر المصرية
والفرنج ونازلوا أسد الدين شيركوه بمدينة بلبيس وحصروه بها ثلاثة اشهر وهو ممتنع
بها مع ان سورها قصير جدا وليس لها خندق ولا فصيل يحميها وهو يغاديهم القتال
ويراوحهم فلم يبلغوا منه غرضا ولا نالوا منه شيئا فبينما هم كذلك أذ أتاهم الخبر بهزيمة
الفرنج على حارم وملك نور الدين حارم ومسيره الى بانياس على ما نذكره ان شاء الله تعالى
فحينئذ سقط فى أيديهم وارادوا العودة الى بلادهم ليحفظوها فراسلوا أسد الدين فى
الصلح والعود الى الشام ومفارقة مصر وتسليم ما بيده منها الى المصريين فاجابهم الى
ذلك لانه لم يعلم ما فعله نور الدين بالشام بالفرنج ولان الاقوات والذخائر قلت عليه
وخرج من بلبيس فى ذى الحجة فحدثنى من رأى أسد الدين حين خرج من بلبيس قال
اخرج اصحابه بين يديه وبقى فى آخرهم وبيده لت من حديد يحمى ساقتهم والمسلمون
والفرنج ينظرون اليه قال فاتاه فرنجى من الغرباء الذين خرجوا من البحر فقال له اما

والسغاشية والصقلية وهم لابسون القواويق وجميع العساكر الخيالة ليلا فلما طلعت الشمس حتى اجتمعوا بابه رهم
بجهة شبرا وانتظموا فى موكب
ودخلوا من باب النصر ويقدمهم
طوائف الدلاة واكابرهم
ويتلوهم أرباب المناصب مثل
الاغا والوالى والمحتسب وبواقى
وجاقات المصرية ثم موكب
كتخدا بك وبعده موكب
الاغا الواصل وفى اثره ما وصل
معه من الخلع وهى اربع بقجج
وخنجران مجوهران وسيف
وثلاث شلنجات عليها ريش
مجوهرة وخلف ذلك العساكر
الخيالة والتفكجية وخلفهم
النوبة التركية فكان مدة
مرورهم نحو ساعتين وربع
وليس فيهم رجالة مشاة سوى
الخدم وقليل عسكر مشاة واما
بقية العسكر فهم متفرقون
بالاسواق والازقة كالجراد
المنتشر خلاف من يرد منهم فى كل
وقت من الاجناس المختلفة
براو بحرا فن الخلع الواردة ما هو
مختص بالباشا وهو فروة وخنجر
وريشة بشلنج وأطواخ ولابنه
ابراهيم بك مثل ذلك
واسكنوا ذلك الاغا ورفيقه
واتباعهما بمنزل ابراهيم بك
ابن الباشا بالازبكية بقنطرة
الدكة وارسل باحضار ولده من
ناحية قبلى فحضر على الهجن
ولبس الخلعة بولايته على
الصعيد فنزل بالجيزة وعدى
الى بر مصر عند أبيه بقصر شبرا
ولبس الخلعة وأقام عند أبيه
ثلاث ايال ثم عدى الى برالجيزة وعندما وصل الى البر امر بتغريق السفينة بما فيها من

تخاف ان يغدر بك هؤلاء المصريون والفرنج وقد أحاطوا بك وباصحابك ولا يبقى لكم بقية فقال شيركوه ياليتهم فعلوه حتى كنت ترى ما افعله كنت والله أضع السيف فلا يقتل منا رجل حتى يقتل منهم رجال وحينئذ يقصدهم الملك العادل نور الدين وقد ضعفوا وفني شجعانهم فنملك بلادهم ونهلك من بقي والله لو أطاعني هؤلاء لخرجت اليكم من أول يوم ولكنهم امتنعوا فصلب على وجهه وقال كنا نعجب من فرنج هذه البلاد ومبالغتهم في صفتك وخوفهم منك والآن فقد عذرناهم ثم رجع عنه وسار شيركوه الى الشام فوصل سالما وكان الفرنج قد وضعوا له على مضيق في الطريق رصدا ليأخذوه أو ينالوا منه ظفرا فعلم بهم فعاد عن ذلك الطريق ففيه يقول عمارة

اخذتم من الافرنج كل ثنية * وقلتم لأيدي الخيل مري على مري
لئن نصبوا في البر جسرا فانكم * عبرتم ببحر من حديد على الجسر

ولفظة مري في آخر البيت الاول اسم ملك الفرنج

(ذكر هزيمة الفرنج وفتح حارم)

في هذه السنة في شهر رمضان فتح نور الدين محمود بن زنكي قلعة حارم من الفرنج وسبب ذلك ان نور الدين لما عاد منهزما من البقيعة تحت حصن الاكراد كما ذكرناه قبل فرق الاموال والسلاح وغير ذلك من الآلات على ما تقدم فعاد العسكر كأنهم لم يصابوا واخذ في الاستعداد للجهاد والاخذ بثاره واتفق مسير بعض الفرنج مع ملكهم الى مصر كما ذكرناه فاراد ان يقصد بلادهم ليعودوا عن مصر فارسل الى اخيه قطب الدين مودود صاحب الموصل وديار الجزيرة والى فخر الدين قرا ارسلان صاحب حصن كيفا والى نجم الدين البي صاحب ماردين وغيرهم من اصحاب الاطراف يستنجدهم فاما قطب الدين فانه جمع عسكره وسار مجدا وفي مقدمته زين الدين علي امير جيشه واما فخر الدين صاحب الحصن فبلغني عنه انه قال له ندماؤه وخواصه على اي شيء عزمت فقال على القعود فان نور الدين قد تحشف من كثرة الصوم والصلاة وهو يلقي نفسه في المهالك فكلهم وافقه على هذا الراي فلما كان الغد امر بالتجهز للغزاة فقال له اولئك ما عدا مما بدا فارقناك امس على حالة فنراك اليوم على ضدها فقال ان نور الدين قد سلك معي طريقا ان لم انجده خرج أهل بلادي عن طاعتي واخرجوا البلاد عن يدي فانه قد كاتب زهادها وعبادها والمنقطعين عن الدنيا يذكر لهم ما لقي المسلمون من الفرنج وما نالهم من القتل والاسر ويستمد منهم الدعاء ويطلب ان يحثوا المسلمين على الغزاة فقد قعد كل واحد من اولئك ومعه اصحابه واتباعه وهم يقرؤن كتب نور الدين ويبكون ويلعنونني ويدعون علي فلا بد من المسير اليه ثم تجهز وسار بنفسه واما نجم الدين فانه سير عسكرا فلما اجتمعت العساكر سار نحو حارم فحصرها ونصب عليها المجانيق وتابع الزحف اليها فاجتمع من بقي بالساحل من الفرنج فجاؤا في حدهم وحديدهم وملوكهم وفرسانهم وقسوسهم ورهبانهم واقبلوا اليه من كل حدب ينسلون وكان المقدم عليهم البرنس بيمند صاحب انطاكية وقمص

الفرش ثم أخرجه وهاوكذلك أمر من معه من الرجال بالغطوس في الماء وغسل ثيابهم كل ذلك ١٣ خوفا من رائحة الطاعون ونطيرا وهروبا من الموت (وفي خامس عشرينه) سافر ابراهيم بك راجعا الى الصعيد (وفيه حضر) عرضي الباشا الذي كان سافر في ربيع الاول الى الجهة القبلية ومعه الكتبة أيضا المسلمون لتحرير حساب الاقباط ومساحة الاراضي (وفي أواخره) نودي على أهل الجيزة باستمرار الكورنتينه شهري رجب وشعبان وان يعطوا لهم فسحة للتسببين والباعة ثلاثة أيام وكذلك لمن يخرج او اذا دخل لا يخرج اذا كان عنده ما يكفيه ويكفي عياله في مدة الشهرين والثلاثة أيام المفسح لهم فيها ليقضوا أشغالهم واحتياجاتهم فخرج أهل البلدة باسرهم ولم يبق منهم الا القليل النادر القادر وأيضا تفرقوا في البلاد وبقي الكثير منهم حول البلدة وفي الغيطان حول بيادرهم واجرانهم وعملوا لهم اعشاشا تظلهم من حر الشمس ووهج الهجير وينادي المقيم بالبلدة بحاجته من أعلى السور لرفيقه أو صاحبه الذي هو خارج البلدة فيجيبه ويرد جوابه من مكان بعيد ولا يمكنونهم من تناول الاشياء وأما العسكر فانهم يدخلون ويخرجون ويقضون حوائجهم ويشترون الخضراوات والبطيخ وغيره ويبيعونه على المقيمين بالبلدة باغلى الاثمان واذا أراد أحد من اهل البلدة الخروج منعوه

صاحب طرابلس واسمه القمص وابن جوسلين وهو من مشاهير الفرنج والدوك وهو مقدم كبير من الروم وجمعوا الفارس والراجل فلما قاربوه رحل عن حارم الى ارتاح طمعا ان يتبعوه فيتمكن منهم ببعدهم عن بلادهم اذا لقوه فساروا فنزلوا على عم ثم علموا عجزهم عن لقائه فعادوا الى حارم فلما عادوا تبعهم نور الدين في ابطال المسلمين على تعبية الحرب فلما تقاربوا اصطفوا للقتال فبدأ الفرنج بالحملة على ميمنة المسلمين وفيها عسكر حلب وصاحب الحصن فانهزم المسلمون فيها وتبعهم الفرنج فقيل كانت تلك الهزيمة من الميمنة على اتفاق ورأى دبروه وهو ان يتبعهم الفرنج فيبعدوا عن راجلهم فيميل عليهم من بقي من المسلمين بالسيوف فاذا عاد فرسانهم لم يلقوا راجلا يلجؤن اليه ولا وزرا يعتمدون عليه ويعود المنهزمون في آثارهم فيأخذهم المسلمون من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم فكان الامر على ما دبروه فان الفرنج لما تبعوا المنهزمين عطف عليهم زين الدين علي في عسكر الموصل على راجل الفرنج فافناهم قتلا واسرا وعادت خيالتهم ولم يمعنوا في الطلب خوفا على راجلهم فعاد المنهزمون في آثارهم فلما وصل الفرنج راوا رجالهم قتلى واسرى فسقط في ايديهم وراوا انهم قد هلكوا وبقوا في الوسط قد احدق بهم المسلمون من كل جانب فاشتدت الحرب وقامت على ساق وكثر القتل في الفرنج وتمت عليهم الهزيمة فعدل حينئذ المسلمون عن القتل الى الاسر فاسروا ما لا يحد وفي جملة الاسرى صاحب انطاكية والقمص صاحب طرابلس وكان شيطان الفرنج واشدهم شكيمة على المسلمين والدوك مقدم الروم وابن جوسلين وكان عدة القتلى تزيد على عشرة آلاف قتيل واشار المسلمون على نور الدين بالمسير الى انطاكية وتملكها لخلوها من حام يحميها ومقاتل يذب عنها فلم يفعل وقال اما المدينة فامرها سهل واما القلعة فمنيعة وربما سلموها الى ملك الروم لان صاحبها ابن اخيه ومجاورة بيمند احب الي من مجاورة صاحب قسطنطينية وبث السرايا في تلك الاعمال فنهبوها واسروا اهلها وقتلوهم ثم انه فادى برنس بيمند صاحب انطاكية واشترى من المسلمين خلقا كثيرا فاطلقهم

(ذكر ملك نور الدين قلعة بانياس من الفرنج ايضا)

في ذي الحجة من هذه السنة فتح نور الدين محمود قلعة بانياس وهي بالقرب دمشق وكانت بيد الفرنج من سنة ثلاث واربعين وخمسمائة ولما فتح حارم أذن لعسكر الموصل وديار بكر بالعود الى بلادهم واظهر انه يريد طبرية فجعل من بقي من الفرنج همتهم حفظها وتقويتها فسار مجدا الى بانياس لعلمه بقلة من فيها من الحماة المانعين عنها ونازلها وضيق عليها وقاتلها وكان في جملة عسكره اخوه نصرة الدين امير اميران فاصابه سهم فاذهب احدى عينيه فلما رآه نور الدين قال له لو كشف لك عن الاجر الذي أعد لك لتمنيت ذهاب الاخرى وجد في حصارها فسمع الفرنج فجمعوا فلم تتكامل عدتهم حتى فتحها على ان الفرنج كانوا قد ضعفوا بقتل رجالهم بحارم وأسرهم فملك القلعة وملأها ذخائر وعدة

الديار الرومية واصل وعلى يده مرسوم شريف بالمحكمة في يوم الاحد ثامن عشرينه بحضرة كتخدا بك والقاضي والمشايخ وأكابر الدولة والجم الغفير من الناس ومضمونه الامر للخطباء في المساجد يوم الجمعة على المنابر بان يقولوا عند الدعاء للسلطان فيقولوا السلطان ابن السلطان بتكرير لفظ السلطان ثلاث مرات محمود خان ابن السلطان عبد الحميد خان ابن السلطان أحمد خان الغازي خادم الحرمين الشريفين لانه استحق ان ينعت بهذه النعوت لكون عساكره افتتحت بلاد الحرمين وطردت الخوارج واخرجتهم منها لان المفتي أفتاهم بانهم كفار لتكفيرهم المسلمين ويجعلونهم مشركين ولخروجهم على السلطان وقتلهم الانفس وان من قاتلهم يكون مغازيا ومجاهدا وشهيدا اذا قتل ولما انقضى المجلس ضربوا مدافع كثيرة من القلعة وبولاق والجيزة وعملوا شنكا واستمر ضربهم المدافع عند كل أذان عشرة أيام وذلك ونحوه من الخوذ

(واستهل شهر رجب سنة ١٢٢٨)

(في منتصفه) حضر بونابارته الخازندار من الديار الحجازية على طريق القصير (وفي اواخره) سافر قهوجي باشا الذي تقدم

وبالاوشاطر الفرنج فى اعمال طبرية قوة وردوا الدعلى الاعمال التى لم يشاطرهم عليها مالا فى كل سنة ووصل خبر ملك حارم وحصن بانياس الى الفرنج بمصر فصالحوا شيركوه وعادوا ليدركوا بانياس فلم يصلوا الا وقد ملكها ولما عاد منها الى دمشق كان بيده خاتم بفص ياقوت من احسن الجوهر وكان يسمى الجبل لكبره وحسنه فسقط من يده فى شعراء بانياس وهى كثيرة الاشجار ملتفة الاغصان فلما ابعد عن المكان الذى ضاع فيه علم به فاعاد اصحابه فى طلبه ودلهم على المكان الذى كان آخر عهده به فيه وقال اظنه هناك سقط فعادوا اليه فوجدوه فقال بعض الشعراء الشاميين اظنه ابن منير يمدحه ويهنئه بهذه الغزاة ويذكر الجبل الياقوت

ان يمتر الشكاك فيك بانك الـ ‍ مهدى مطفى جمرة الدجال

فلعودة الجبل الذى اضللته ٭ بالامس بين غياطل وجبال

لم يعطها الا سليمان وقد ٭ نبت الربابوشك الاعجال

وهو ابن داود ملكك انه ٭ كسر يرده عن كل حد عالى

فلوالبحار السبعة استهوينه ٭ وأمرتهن قذفنه فى الحال

ولما فتح الحصن كان معه ولد معين الدين أنز الذى سلم بانياس الى الفرنج فقال له للمسلمين بعد الفتح فرحة واحدة ولك فرحتان فقال كيف ذاك قال لان اليوم برد الله جلدو الدك من نار جهنم

٭(ذكر اخذ الاتراك غزنة من ملكشاه وعوده اليها)٭

فى هذه السنة قصد بلاد غزنة الاتراك المعروفون بغزونهبوها وخربوها وقصدوا غزنة وبها صاحبها ملكشاه بن خسروشاه المحمودى فعلم انه لا طاقة له بهم ففارقها وسار الى مدينة لهاوور وملك الغز مدينة غزنة وكان المقيم بامرهم أميرا اسمه زنكى بن على بن خليفة الشيبانى ثم ان صاحبها ملكشاه جمع وعاد الى غزنة ففارقها زنكى وعاد ملكها ملكشاه ودخلها فى جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وخمسمائة وتمكن فى دار ملكه

٭(ذكر وفاة جمال الدين الوزير وشئ من سيرته)٭

فى هذه السنة توفى جمال الدين أبو جعفر محمد بن على بن ابى منصور الاصفهانى وزير قطب الدين صاحب الموصل فى شعبان مقبوضا وكان قد قبض عليه سنة ثمان وخمسين فبقى فى الحبس نحو سنة حكى لى انسان صوفى يقال له ابو القاسم كان مختصا بخدمته فى الحبس قال لم يزل مشغولا فى محبسه بامر آخرته وكان يقول كنت اخشى ان انقل من الدست الى القبر فلما اتفق ان مرض قال لى فى بعض الايام يا أبا القاسم اذا جاء طائر ابيض الى الدار فعرفنى قال فقلت فى نفسى قد اختلط عقله فلما كان الغد اكثر السؤال عنه واذا طائر أبيض لم أر مثله قد سقط فقلت جاء الطائر فاستبشر ثم قال جاء الحق واقبل على الشهادة وذكر الله تعالى الى ان توفى فلما توفى طار ذلك الطائر فعلمت انه رأى شيئا

ذكر حضوره بالخلع والشلنجات والخناجر بعدما اعطى خدمته مبلغا من الاكياس واصحب معه الباشا هدية عظيمة لصاحب الدولة واكابرها وقدره من الذهب العين اربعون الف دينار ومن النصفيات يعنى نصف الدينار ستون الفا ومن فروق البن خمسمائة فرق ومن السكر المكرر مرتين مائة قنطار ومن المكرر مرة واحدة مائتى قنطار ومائتا قدر صينى الذى يقال له اسكى معدن مملوءة بالمربيات وأنواع الشربات الممسك المطيب المختلف الانواع ومن الخيول خمسون جوادا مرختة بالجوهر والنمدكش (١) واللؤلؤ والمرجان وخمسون حصانا من غير رخوت واقمشة هندية كشميرى ومقصبات وشاهى ومهترخان فى عدة تعابى بقچ وبخور عود وعنبر وأشياء أخرى (وفيه) ايضا حضر اغا يقال له جانم افندى وصحبته مرسوم قرئ بالديوان فى يوم الاثنين مضمونه البشارة بمولود ولد للسلطان وسموه عثمان واجتمع لسماع ذلك المشايخ والاعيان وضربوا بعد قراءته شنكا ومدافع واستمر ذلك سبعة ايام فى كل وقت من الاوقات الخمسة (وفى يوم الثلاثاء عشرينه) الموافق لثالث عشر مسرى القبطى أوفى النيل المبارك أذرعه ونودى بذلك فى الاسواق على العادة وكثر اجتماع

١٨ يخ مل ١١

غوغاء الناس للخروج الى الروضة وناحية السد والولائم فى البيوت المطلة على الخليج

ثم ما يحصل من اجتماع الاخلاط امام جري الماء كما هو المعتاد في كل سنة وانه اذا نودي بالوفاء حصل ذلك الاجتماع في تلك الليلة وكسروا السد في صبحها عادة لا تتخلف فيما نعلم فلما كان آخر النهار ورد الخبر بان الباشا أمر بتاخير فتح الخليج الى يوم الخميس ثانيه فكان كذلك وخرج الباشا في صبح يوم الخميس وكسر السد وجرى الماء في الخليج وتكلف أرباب الدور المطلة على الخليج كلفة ثانية لضيفانهم

(واستهل شهر رمضان بيوم الجمعة سنة ١٢٢٨)

(وفي خامسه) يوم الثلاثاء حضر ابن الباشا المسمى باسمعيل من الديار الرومية ووصل الى ساحل النيل بشبرا وضربوا لوصوله مدافع من القلعة وبولاق وشبرا والجيزة وتقدم انه توجه بشارة الحرمين وأكرمته الدولة وأعطوه أطواخا (وفي عاشره) حضر قاصد من الديار الرومية ووصل الى ساحل النيل وصحبته بشارة بمولودة ولدت لحضرة السلطان فعملوا الديوان بالقلعة واجتمع به المشايخ والاعيان وأكابر الدولة وقرئ الفرمان الواصل في شان ذلك وفي مضمونه الامر للكافة بالفرح والسرور وعمل الشنك وبعد الفراغ من ذلك ضربت المدافع من ابراج القلعة واستمر ضربها في كل وقت أذان خمسة ايام وهذا لم يعهد في الدول الماضية الا للاولاد الذكور واما الاناث

الى معناه ودفن بالموصل عند فتح الكرامي رحمة الله عليهما فحو سنة ثم نقل الى المدينة فدفن بالقرب من حرم النبي صلى الله عليه وسلم في رباط بناه لنفسه وقال لابي القاسم بيني وبين أسد الدين شيركوه عهد من مات منا قبل صاحبه حمله الى المدينة فدفنه بها في التربة التي عملتها فاذا أنا مت فامض اليه وذكره فلما توفي سار أبو القاسم الى شيركوه في المعنى فقال له شيركوه كم تريد فقال اريد اجرة جمل يحمله وجمل يحملني وزادي فانتهره وقال مثل جمال الدين يحمل هكذا الى مكة وأعطاه مالا صالحا يحمل معه جماعة يحجون عن جمال الدين وجماعة يقرؤن عليه بين يدي تابوته اذا حمل واذا نزل عن الجمل واذا وصل الى مدينة يدخل اولئك القراء ينادون للصلاة عليه فيصلى عليه في كل بلدة يجتاز بها واعطاه أيضا مالا للصدقة عنه فصلى عليه في تكريت وبغداد والحلة وفيد ومكة والمدينة وكان يجتمع له في كل بلد من الخلق ما لا يحصى ولما أرادوا الصلاة عليه بالحلة صعد شاب على موضع مرتفع وأنشد باعلى صوته

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما * سرى جوده فوق الركاب ونائله

يمر على الوادي فتثني رماله * عليه وبالنادي فتثني أرامله

فلم نريا كان أكثر من ذلك اليوم فطافوا به حول الكعبة وصلوا عليه بالحرم الشريف وبين قبره وقبر النبي صلى الله عليه وسلم خمسة عشر ذراعا وأما سيرته فكان رحمه الله اسخى الناس وأكثرهم بذلا للمال رحيما بالخلق متعطفا عليهم عادلا فيهم فمن اعماله الحسنة انه جدد بناء مسجد الخيف بمنى وغرم عليه أموالا كثيرة جسيمة وبنى الحجر بجانب الكعبة وزخرف الكعبة وذهبها وعملها بالرخام ولما اراد ذلك ارسل الى المقتفي لامر الله هدية جليلة وطلب منه ذلك وارسل الى الامير عيسى امير مكة هدية كبيرة وخلعا سنية منها عمامة شراها بثلثمائة دينار حتى مكنه من ذلك وعمر ايضا المسجد الذي على جبل عرفات والدرج التي يصعد فيها اليه وكان الناس يلقون شدة في صعودهم وعمل بعرفات أيضا مصانع للماء واجرى الماء اليها من نعمان في طرف معمولة تحت الارض فخرج عليها مال كثير وكان يجري الماء في المصانع كل سنة أيام عرفات وبنى سورا على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى فيد وبنى لها ايضا فصيلا وكان يخرج على باب داره كل يوم للصعاليك والفقراء مائة دينار أميري هذا سوى الادرارات والتعهدات للائمة والصالحين وارباب البيوت ومن ابنيته العجيبة التي لم ير الناس مثلها الجسر الذي بناه على دجلة عند جزيرة ابن عمر بالحجر المنحوت والحديد والرصاص والكلس فقبض قبل ان يفرغ وبنى عندها ايضا جسرا كذلك على النهر المعروف بالارماد وبنى الربط وقصده الناس من اقطار الارض ويكفيه ان ابن الخجندي رئيس أصحاب الشافعي باصفهان قصده وابن الكافي قاضي همذان فاخرج عليهما مالا عظيما وكانت صدقاته وصلاته من اقاصي خراسان الى حدود اليمن وكان يشتري الاسرى كل سنة بعشرة آلاف دينار هذا من الشام حسب سوى ما يشتري من الكرج حكى لي والدي عنه قال كثيرا ما كنت ارى جمال الدين اذا قدم اليه الطعام باخذ منه

ومن

ومن الحلوى ويتركه فى خبز بين يديه فكنت إما ومن يراه تظن انه يحمله الى أم ولده على فاتفق انه فى بعض السنين جاء الى الجزيرة مع قطب الدين وكنت اتولى ديوانها وحمل جاريته ام ولده الى دارى لتدخل الحمام فبقيت فى الدار اياما فبينما انا عنده فى الخيام وقد اكل الطعام فعل كما كان يفعل ثم تفرق الناس فقمت فقال اقعد فقعدت فلما خلا المكان قال لى قد آثرتك اليوم على نفسى فاتنى فى الخيام ما يمكننى ان افعل ما كنت افعله خذ هذا الخبز واجعله انت فى كمك فى هذا المنديل واترك الحماقة من رأسك وعد الى بيتك فاذا رأيت فى طريقك فقيرا يقع فى نفسك انه مستحق فاقصد أنت بنفسك واطعمه هذا الطعام قال ففعلت ذلك وكان معى جمع كثير ففرقتهم فى الطريق لئلا يرونى افعل ذلك وبقيت فى غلمانى فرأيت فى موضع انسانا اعمى وعنده أولاده وزوجته وهم من الفقر فى حال شديد فنزلت عن دابتى اليهم واخرجت الطعام واطعمتهم اياه وقلت للرجل تجىء غدا بكرة الى دار فلان اعنى دارى ولم اعرفه نفسى فاتنى آخذ لك من صدقة جمال الدين شيئا ثم ركبت اليه العصر فلما رآنى قال ما الذى فعلت فى الذى قلت لك فاخذت اذكر له شيئا يتعلق بدولتهم فقال ليس عن هذا اسألك انما اسألك عن الطعام الذى سلمته اليك فذكرت له الحال ففرح ثم قال بقى انك لو قلت للرجل يجىء اليك هو واهله فتكسوهم وتعطيهم دنانير وتجرى لهم كل شهر دنانير قال فقلت له قد قلت للرجل حتى يجىء الى فازداد فرحا وفعلت بالرجل ما قال ولم يزل يصل اليه رسمه حتى قبض وله من هذا كثير فمن ذلك انه تصدق بثيابه من على بدنه فى بعض السنين التى تعذرت الاقوات فيها

(ذكر اجلاء القارغلية من وراء النهر)

كان خان خانان الصينى ملك الخطا قد فوض ولاية سمرقند وبخارا الى الخان جغرى خان بن حسن تكين واستعمله عليهما وهو من بيت الملك قديم الابوة فبقى فيهما مدبرا لامورها فلما كان الآن ارسل اليه ملك الخطا باجلاء الاتراك القارغلية من أعمال بخارا وسمرقند الى كاشغر وان يتركوا حمل السلاح ويشتغلوا بالزراعة وغيرها من الاعمال فتقدم جغرى خان اليهم بذلك فامتنعوا فالزمهم والح عليهم بالانتقال فاجتمعوا وصارت كلمتهم واحدة فكثروا وساروا الى بخارا فارسل الفقيه محمد بن عمر بن برهان الدين عبد العزيز بن مازة رئيس بخارى الى جغرى خان يعلمه ذلك ويحثه على الوصول اليهم بعساكره قبل ان يعظم شرهم وينهبوا البلاد وارسل اليهم ابن مازة يقول لهم ان الكفار بالامس لما طرقوا هذه البلاد امتنعوا عن النهب والقتل وانتم مسلمون غزاة يقبح بكم مد الايدى الى الاموال والدماء وانا ابذل لكم من الاموال ما ترضون به لتكفوا عن النهب والغارة فترددت الرسل بينهم فى تقرير القاعدة وابن مازة يطاول بهم ويمادى الايام الى ان وصل جغرى خان فلم يشعر الاتراك القارغلية الا وقد دهمهم جغرى خان فى جيوشه وجموعه بغتة ووضع السيف فيهم فانهزموا وتفرقوا واكثر القتل فيهم والنهب

فليفر لمن ذكر (وفى ليلة الاربعاء سابع عشرينه) عمل الباشا جمعية ببيت الازبكية واحضر الاعيان والمشايخ والقضاة الثلاثة وهم بهجت افندى المنفصل عن قضاء مصر وصديق افندى المتوجه الى قضاء مكة المنفصل عن قضاء مصر العام الذى قبله والقاضى المتوجه الى المدينة فعقدوا عقد ابنه اسمعيل باشا على ابنة عارف بك التى حضرت بصحبته من الديار الرومية وعقدوا عقد اخته ابنة الباشا على محمد افندى الذى تقلد الدفترادرية ولما تم ذلك قدموا لهم تعابى بقج فى كل واحدة اربع قطع من الاقمشة الهندية وهى شال كشميرى وطاقة مجر وطاقة قطنى هندى وطاقة شاهى وفرقوا على الدون من الناس الحاضرين محارم ثم ان الباشا شرع فى الاهتمام الى سفر الحجاز وتشهيل المطاليب واللوازم فمن جملة ذلك اربعون صندوقا من الصفيح المشمع داخلها بالشمع والمصطكى وبالخشب من خارج وفوق الخشب جلود البقر المدبوغ ليودع بها ماء النيل المغلى لشربه وشرب خاصته ومثلها فى كل شهر يتقيد بعمل ذلك وغيره السيد المحروقى ويرسله فى كل شهر

(واستهل شهر شوال يوم الاحد سنة ١٢٢٨)

(فى سابعه يوم السبت) اداروا كسوة الكعبة وكانت مصنوعة من نحو خمس سنوات ومودوعة فى مكان بالمشهد

واختفى طائفة منهم فى الغياض والآجام ثم ظفر بهم أصحاب جغرى خان فقطعوا دابرهم ودفعوا عن بخارا ونواحيها ضررهم وخلت الارض منهم

(ذكر استيلاء سنقر على الطالقان وغرشستان)

فى هذه السنة استولى الامير صلاح الدين سنقر وهو من مماليك السنجرية على بلاد الطالقان واغار على حدود غرشستان وتابع الغارات عليها حتى ملكها فصارت الولايتان له وبحكمه وله فيها حصون منيعة وقلاع حصينة وصالح الامراء الغزية وحمل لهم الاتاوة كل سنة

(ذكر قتل صاحب هراة)

كان صاحب هراة ايتكين بينه وبين الغورية مهادنة فلما توفى ملك الغور محمد طمع فى بلادهم فغزاهم غير مرة ونهب واغار فلما كان فى شهر رمضان من هذه السنة جمع ايتكين جموعه وسار الى بلاد الغور وساروا الى باميان والى ولاية بست والرخج فقاتله صاحبها طغرل تكين بن نقش العلكى من قبل الغورية فظهروا الى باميان واستولى على بست والرخج فسلمهما الى بعض اولاد ملوك الغور واما ايتكين فانه توغل فى بلاد الغور فاتاه أهلها وقاتلوه وصدوه وصدقوا القتال فانهزم عسكره وقتل هو فى المعركة

(ذكر ملك شاه مازندران قومس وبسطام)

قد ذكرنا استيلاء المؤيد صاحب نيسابور على قومس وبسطام وتلك البلاد وانه استناب بها مملوكه تنكز فلما كان هذه السنة جهز شاه مازندران جيشا واستعمل عليهم أميرا له يعرف بسابق الدين القزوينى فسار الى دامغان فملكها فجمع تنكز من عنده من العساكر وسار اليه الى دامغان فخرج اليه القزوينى فوصل الى تنكز على غرة منه فلم يشعر هو وعسكره الا وقد كبسهم القزوينى ووضع السيف فيهم فتفرقوا وولوا منهزمين واستولى عسكر شاه مازندران على تلك البلاد وعاد تنكز الى المؤيد صاحب نيسابور واشتغل بالغارة على بسطام وبلاد قومس

(ذكر عصيان غمارة بالمغرب)

لما تحقق الناس موت عبد المؤمن سنة تسع وخمسين ثارت قبائل غمارة مع مفتاح بن عمرو وكان مقدما كبيرا وتبعوه باجمعهم وامتنعوا فى جبالهم وهى معاقل مانعة وهم أمة فتجهز اليهم أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ومعه أخواه عمرو وعثمان فى جيش كبير من الموحدين والعرب وتقدموا اليهم فاقتتلوا سنة احدى وستين وخمسمائة فانهزمت غمارة وقتل منهم كثير وفيمن قتل مفتاح بن عمرو مقدمهم وجماعة من أعيانهم ومقدميهم وملكوا بلادهم عنوة وكان هناك قبائل كثيرة يريدون الفتنة فانتظروا ما يكون من غمارة فلما قتلوا ذلت تلك القبائل وانقادوا الى الطاعة ولم يبق متحرك لفتنة ومعصية فسكنت الدهماء فى جميع المغرب

(ذكر عدة حوادث)

الحسينى فاخرجوها فى مستهل الشهر وقد توقفت لطول المدة فطلوها وموهوها وكان عليها اسم السلطان مصطفى فغيروه وكتبوا اسم السلطان محمود فاجتمع الناس للفرجة عليها وكان المباشر لها الريس حسن المحروقى وركب فى موكبها (وفى ليلة السبت رابع عشره) خرج محمد على باشا مسافرا الى الحجاز وكان خروجه وقت طلوع الفجر من يوم السبت المذكور الى بركة الحاج وخرج الاعيان والمشايخ لوداعه بعد طلوع النهار فاخذوا خاطره ورجعوا آخر النهار وركب هو متوجها الى السويس بعد مضى ثمان ساعات وربع من النهار وبرزت الخيالة والسفاشية الى خارج باب النصر ليذهبوا على طريق البر وقبل خروج الباشا بيومين قدمت هجانة مبشرون بالقبض على عثمان المضايفى بناحية الطائف وكان قد جرد على الطائف فبرز اليه الشريف غالب وصحبته عساكر الاتراك والعربان فحاربوه وحاربهم فاصيب جواده فنزل الى الارض واختلط بالعسكر فلم يعرفوه فخرج من بينهم ومشى وتباعد عنهم نحو اربع ساعات فصادفه جماعة من جند الشريف فقبضوا عليه واصابته جراحة وعندما سقط من بين قومه ارتفع الحرب فيما بين الفريقين أخريات النهار ولما أحضروه الى الشريف غالب جعل فى رقبته الجنزير

في هذه السنة أغار الامير محمد بن أنز على بلد الاسماعيلية بخراسان وأهلها غافلون فقتل منهم وغنم وأسر وسبي وأكثر وملأ أصحابه أيديهم من ذلك وفيها توفى أبو الفضل نصر ابن خلف ملك سجستان وعمره أكثر من مائة سنة ومدة ملكه ثمانون سنة وملك بعده ابنه شمس الدين ابو الفتح أحمد بن نصر وكان أبو الفضل ملكا عادلا عفيفا عن رعيته وله آثار حسنة في نصرة السلطان سنجر في غير موقف وفيها خرج ملك الروم من القسطنطينية في عساكر لا تحصى وقصد بلاد الاسلام التي بيد قلج أرسلان وابن دانشمند فاجتمع التركمان في تلك البلاد في جمع كبير فكانوا يغيرون على اطراف عسكره ليلا فاذا أصبح لا يرى احدا وكثر القتل في الروم حتى بلغت عدة القتلى عشرات ألوف فعاد الى القسطنطينية ولما عاد ملك المسلمون منه عدة حصون وفيها توفى الامام عمر الخوارزمي خطيب بلخ ومفتيها وا لقاضي ابو بكر المحمودي صاحب التصانيف والاشعار وله مقامات بالفارسية على نمط مقامات الحريري بالعربية

●(ثم دخلت سنة ستين وخمسمائة)●

●(ذكر وفاة شاه مازندران وملك ابنه بعده)●

في هذه السنة ثامن ربيع الاول توفى شاه مازندران رستم بن علي بن شهريار بن قارن ولما توفى كتم ابنه علاء الدين الحسن موته اياما حتى استولى على سائر الحصون والبلاد ثم اظهره فلما ظهر خبر وفاته اظهر ايناق صاحب جرجان ودهستان المنازعة لولده في الملك ولم يرع حق ابيه عليه فانه لم يزل يذب عنه ويحميه اذا التجأ اليه واسكن الملك عقيم ولم يحصل من منازعته على شئ غير سوء السمعة وقبح الاحدوثة

●(ذكر حصر المؤيد نسا ورحيلهم عنها)●

كان المؤيد قد سير جيشا الى مدينة نسا لحصر وها الى جمادى الاولى من هذه السنة فسير خوارزمشاه بن اوسلان بن اتسز جيشا الى نسا فلما قاربوها رحل عنها عسكر المؤيد وعادوا الى نيسابور أواخر جمادى الاولى وسار عسكر المؤيد الى عسكر خوارزم لانهم توجهوا الى نيسابور فتقدم العسكر المؤيدي ليردوهم عنها فلما سمع العسكر الخوارزمي بهم عاد عنهم وصار صاحب نسا في طاعة خوارزمشاه والخطبة له فيها وسار عسكر خوارزم الى دهستان فالتجأ صاحبها الامير ايناق الى المؤيد صاحب نيسابور بعد تمكن الوحشة بينهما فقبله المؤيد احسن قبول وسير اليه جيشا كثيفا فاقاموا عنده حتى دفع الضرر عن نفسه وبلده من جهة طبرستان واما دهستان فان عسكر خوارزم غلبوا عليها وصار لهم فيها شحنة

●(ذكر استيلاء المؤيد على هراة)●

قد ذكرنا قتل صاحب هراة سنة تسع وخمسين فلما قتل تجهز الامراء الغزية وساروا الى هراة وحصروها وقد تولى امرها انسان يلقب اثير الدين وكان له ميل الى الغز وهو يجار بهم ظاهرا ويراسلهم باطنا فهلك لهذا السبب خلق كثير من أهل هراة فاجتمع

والضايفي هذا زوج اخت الشريف وخرج عنه وانضم الى الوهابيين فكان اعظم اعوانهم وهو الذي كان يحارب لهم ويقاتل ويجمع قبائل العربان ويدعوهم عدة سنين ويوجه السرايا على المخالفين ويغامره واشتهر لذلك ذكره في الاقطار وهو الذي كان افتتح الطائف وحارب بها وحاصرها وقتل الرجال وسبي النساء وهدم قبة ابن عباس الغريبة الشكل والوصف وكان هو المحارب للعسكر مع عربان حرب في العام الماضي بناحية الصفراء والجديدة وهزمهم وشتت شملهم ولما قبضوا عليه احضروه الى جدة واستمر في الترسيم عند الشريف اياما ثم بعد ذلك وجاهه عند الاتراك الذي هو على ملتهم ويتحقق لديهم نصحه لهم ومسالمته اياهم وسيلقى قريبا منهم جزاء فعله ووبال امره كما سيتلى عليك بعضه بعد قليل

●(واستهل شهر ذى القعدة بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٨) (وفي أوائله) وردت أخبار من الجهة الرومية بان عساكر العثمانيين استولوا على بلاد بلغارد من ايدي طائفة الصرب وكانوا استولوا عليها نيفا واربعين سنة والله اعلم بصحة ذلك (وفيه عزل) محمود حسن من الحسبة وتقلدها عثمان اغا المعروف بالورداني (وفي خامس عشره) وصل عثمان المضايفي بصحبة المتسفرين معه الى الريدانية آخر الليل واشيع ذلك فلما طلعت الشمس ضربوا مدافع من

اليه اهلها فقتلوه وقام مقامه أبو الفتوح بن علي بن فضل الله الطغرائي فارسل اهلها الى المؤيد اي ابه صاحب نيسابور بالطاعة والانقياد اليه فسير اليهم مملوكه سيف الدين تنكز في جيش وسير جيشا آخر فاغاروا على سرخس ومرو فاخذوا دواب الغز وعادوا سالمين فلما سمع الغز بذلك رحلوا عن هراة الى مرو

(ذكر الحرب بين قلج ارسلان وبين ابن الدانشمند)

في هذه السنة كانت الفتنة بين الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان صاحب قونية وما يجاورها من بلد الروم وبين ياغي ارسلان بن دانشمند صاحب ملطية وما يجاورها من بلد الروم وجرى بينهما حرب شديدة وسببها ان قلج ارسلان تزوج ابنة الملك صلتق بن علي بن أبي القاسم فسيرت الزوجة الى قلج ارسلان مع جهاز كثير لا يعلم قدره فاغار ياغي صاحب ملطية عليه واخذ العروس وما معها واراد ان يزوجها بابن أخيه ذي النون بن محمد بن دانشمند فامرها بالردة عن الاسلام فزوجها من ابن اخيه فجمع قلج ارسلان عسكره وسار الى ابن دانشمند فالتقيا واقتتلا فانهزم قلج ارسلان وانتهى الى ملك الروم واستنصره فارسل اليه جيشا كثيرا ثم اتفق ان ياغي ارسلان بن دانشمند في تلك الايام ومَلَك قلج ارسلان بعض بلاده واصطلح هو والملك ابراهيم بن محمد ابن دانشمند لانه ملك البلاد بعد عمه ياغي ارسلان واستولى ذو النون بن محمد بن دانشمند على مدينة قيسارية وملك شاهان شاه بن مسعود أخو قلج ارسلان على مدينة انكورية واستقرت القواعد بينهم واتفقوا

(ذكر الفتنة بين نور الدين وقلج ارسلان)

في هذه السنة كانت وحشة متأكدة بين نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام وبين قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان صاحب الروم أدت الى الحرب والتضاغن فلما بلغ خبرها الى مصر كتب الصالح بن رزيك وزير صاحب مصر الى قلج ارسلان ينهاه عن ذلك ويأمره بموافقته وكتب فيه شعرا

تقول ولكن اين من يتفهم * ويعلم وجه الرأي والرأي مبهم
وما كل من قاس الامور وساسها * يوفق للامر الذي هو أحزم
وما احد في الملك يبقى مخلدا * وما احد مما قضى الله يسلم
امن بعد ما ذاق العدا طعم حربكم * بفيهم وكانت وهي صاب وعلقم
رجعتم الى حكم التنافس بينكم * وفيكم من الشحناء نار تضرم
اما عندكم من يتقي الله وحده * اما في رعايا كم من الناس مسلم
تعالوا لعل الله ينصر دينه * اذا ما نصرنا الدين نحن وانتم
وننهض نحو الكافرين بعزمة * بامثالها تحوى البلاد وتقسم

وهي اطول من هذا كذا ذكر بعض العلماء هذه الحادثة وان الصالح ارسل بهذا الشعر فان كان الشعر للصالح فينبغي ان تكون الحادثة قبل هذا التاريخ ويحتمل ان

القلعة اهلا وسهلا وسرورا بوصوله اسيرا وركب صالح بك السلحدار في عدة كبيرة وخرجوا لملاقاته واحضاره فلما واجهه صالح بك نزع من عنقه الحديد واركبه هجينا ودخل به الى المدينة وامامه الجاويشية والقواسة الاتراك وبايديهم العصي المفضضة وخلفه صالح بك وطوائفه وطلعوا به الى القلعة وادخله الى مجلس كتخدا بك وصحبته حسن باشا وطاهر باشا وباقي اعيانهم ونجيب افندي قبي كتخدا الباشا ووكيله بباب الدولة وكان متأخرا عن السفر ينتظر قدوم المضايفي ليأخذه بصحبته الى دار السلطنة فلما دخل عليهم اجلسوه معهم ولاطفوه ساعة وهو يجيبهم من جنس كلامهم باحسن خطاب وافصح جواب وفيه سكون وتؤدة في الخطاب وظاهر عليه آثار الامارة والحشمة والنجابة ومعرفة مواقع الكلام حتى قال الجماعة لبعضهم البعض يا اسفا على مثل هذا اذا ذهب الى اسلامبول يقتلونه ولم يزل يتحدث معهم حصة ثم احضروا الطعام فتغدوا كلهم ثم اخذه كتخدا بك الى منزله فاقام عنده مكرما الى ان تمم نجيب افندي اشغاله فاركبوه وتوجهوا به الى بولاق وانزلوه في السفينة مع نجيب افندي ووضعوا في رقبته الجنزير وانحدروا الى بين الديار الرومية وذلك يوم الاثنين حادي عشرينه (وفي اواخره) وصلت اخبار بان مسعود الوهابي ارسل

ان يكون هذا التنافس كان ايام الصالح فكتب الابيات ثم امتد الى الآن

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في صفر وقع في اصفهان فتنة عظيمة بين صدر الدين عبد اللطيف بن الخجندي وغيره من اصحاب المذاهب بسبب التعصب للمذاهب فدام القتال بين الطائفتين ثمانية ايام متتابعة قتل فيها خلق كثير واحترق وهدم كثير من الدور والاسواق ثم افترقوا على اقبح صورة وفيها بنى الاسماعيلية قلعة بالقرب من قزوين فقيل لشمس الدين ايلدكز عنها فلم يكن له انكار لهذه الحال خوفا من شرهم وغائلتهم فتقدموا بعد ذلك الى قزوين فحصروها وقاتلهم اهلها اشد قتال رآه الناس وحكى لي بعض اصدقائنا بل مشايخنا من الائمة الفضلاء قال كنت بقزوين اشتغل بالعلم وكان بها انسان يقود جمعا كبيرا وكان موصوفا بالشجاعة وله عصابة حمراء اذا قاتل عصب بها رأسه قال فكنت احبه واشتهي الجلوس معه قال فبينما انا عنده يوما واذا هو يقول كاني بالملاحدة وقد قصدوا البلد غدا فخرجنا اليهم وقاتلناهم فكنت اول الناس وانا متعصب بهذه العصابة فقاتلناهم فلم يقتل غيري ثم ترجع الملاحدة ويرجع اهل البلد قال فوالله لما كان الغد اذ قد وقع الصوت بوصول الملاحدة فخرج الناس قال فذكرت قول الرجل فخرجت والله وليس لي همة الا اني انظر هل يصح ماقال ام لا قال فلم يكن الا قليل حتى عاد الناس وهو محمول على ايديهم قتيلا بعصابته الحمراء وذكروا انه لم يقتل بينهم غيره فبقيت متعجبا من قوله كيف صح ولم يتغير منه شئ ومن اين له هذا اليقين ولما حكى لي هذه الحكاية لم اساله عن تاريخها وانما كان في هذه المدة في تلك البلاد فلهذا اثبتها هذه السنة على الظن والتخمين وفيها قبض المؤيد اي ابه صاحب نيسابور على وزيره ضياء الملك محمد بن ابي طالب سعد بن ابي القاسم محمود الرازي وحبسه واستوزر بعده نصير الدين ابابكر محمد بن ابي نصر محمد المستوفي وهو من اعيان الدولة السنجرية وفي هذه السنة وردت الاخبار ان الناس حجوا سنة تسع وخمسين ولقوا شدة وانقطع منهم خلق كثير في فيد والثعلبية وواقصة وغيرها وهلك كثير ولم يمض الحجاج الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الاسباب ولشدة الغلاء فيها وعدم ما يقتات ووقع الوباء في البادية وهلك منهم عالم لا يحصون وهلكت مواشيهم وكانت الاسعار بمكة غالية وفيها في صفر قبض المستنجد بالله على الامير توبة بن العقيلي وكان قد قرب منه قربا عظيما بحيث يخلو معه واحبه المستنجد محبة كثيرة فحسده الوزير ابن هبيرة فوضع كتبا من العجم مع قوم وامرهم ان يتعرضوا فيؤخذوا ففعلوا ذلك واخذوا واحضروا عند الخليفة فاظهروا الكتب بعد الامتناع الشديد فلما وقف الخليفة عليها خرج الى نهر الملك يتصيد وكانت حلل توبة على الفرات فحضر عنده فامر بالقبض عليه فقبض وادخل بغداد ليلا وحبس فكان آخر العهد به فلم يمتع الوزير بعده بالحياة بل مات بعد ثلاثة اشهر وكان توبة من اكمل العرب مروءة وعقلا وسخاء واجازة

قصادا من طرفه الى ناحية جدة فقابلوا طوسون باشا والشريف غالب فخلع عليهم واخذهم الى ابيه فقاطبهم وسألهم عما جاؤا فيه فقالوا الامير مسعود الوهابي يطلب الافراج عن المضايق ويفتدي بمائة الف فرانسه وكذلك يريد اجراء الصلح بينه وبينكم وكف القتال فقال لهم فانه سافر الى الدولة وأما الصلح فلا نأباه بشروط وهو ان يدفع لنا كل ما صرفناه على العساكر من اول ابتداء الحرب الى وقت تاريخه وان يأتي بكل ما اخذه واستلمه من الجواهر والذخائر التي كانت بالحجرة الشريفة وكذلك ثمن ما استهلك منها وان يأتي بعد ذلك ويتلاقى معي واتعاهد معه ويتم صلحنا بعد ذلك وان ابى ذلك ولم يأت فنحن ذاهبون اليه فقالوا له اكتب له جوابا فقال لا اكتب جوابا لانه لم يرسل معكم جوابا ولا كتابا وكما ارسلكم بمجرد الكلام فعودوا اليه كذلك فلما اصبح الصباح وقت انصرافهم امر باجتماع العساكر فاجتمعوا ونصبوا ميدان الحرب والرمي المتتابع من البنادق والمدافع ليشاهد الرسل ذلك ويروه ويخبروا عنه مرسلهم

(واستهل شهر ذي الحجة الحرام بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٨)

(في ليلة الاحد تاسع عشره) وقعت كائنة لطيف باشا وذلك ان المذكور مملوك الباشا اهداه له عارف بك وهو عارف افندي ابن خليل باشا المنفصل عن قضاء مصر

المفتاح وصار له حرمة زائدة وكلمة في باب الباشا وشهرة فلما وصلت النصرة العسكر واستولوا على المدينة واتوا بمفاتيح زعموا انها مفاتيح المدينة كان هو المتعين بها للسفر للديار الرومية بالبشارة للدولة وارسلوا صحبته مضيان الذي كان متآمرا بالمدينة ولما وصل الى دار السلطنة ووصلت اخباره احتفل اهل الدولة بشأنه احتفالا زائدا ونزلوا للاقاته في المركب في مسافة بعيدة ودخلوا الى اسلامبول في موكب جليل وابهة عظيمة الى الغاية وسعت اعيان الدولة وعظماؤها بين يديه مشاة وركبانا وكان يوم دخوله يوما مشهودا وقتلوا مضيان المذكور في ذلك اليوم وعلقوه على باب السراية وعملوا شنانك ومدافع وافراحا وولائم وانعم السلطان على لطيف المذكور واعطاه اطواخا وارسل اليه اعيان الدولة الهدايا والتحف ورجع الى مصر في ابهة زائدة وداخله الغرور وتعاظم في نفسه ولم يحتفل الباشا بامره كذلك اهل دولته لكونه من جنس المماليك وايضا قد تأسست عداوتهم في نفوسهم وكراهتهم له اشد من كراهتهم لابناء جنسهم وخصوصا قد داخلهم فانه اشد الناس عداوة وبغضا في جنس المماليك وطفق يلقي لمخدومه ما يغير خاطره عليه

واجتمع فيه من خلال الكمال ما تفرق في الناس وفيها في ربيع الاول توفي الشهاب محمود بن عبد العزيز الحامدي الهروي وزير السلطان ارسلان ووزير اتابك شمس الدين ايلدكز وفيها توفي عون الدين الوزير ابن هبيرة واسمه يحيى بن محمد بن المظفر وزير الخليفة وكان موته في جمادى الاولى ومولده سنة تسعين واربعمائة ودفن بالمدرسة التي بناها للحنابلة بباب البصرة وكان حنبلي المذهب ودينا خيرا عالما يسمع حديث النبي صلى الله عليه وسلم وله فيه التصانيف الحسنة وكان ذا رأي سديد وتأفق على المقتفي نفاقا عظيما حتى ان المقتفي كان يقول لم يزر لبني العباس مثله ولما مات قبض على اولاده واهله وتوفي بهذه السنة محمد بن سعيد البغدادي بالموصل وله شعر حسن فمن قوله

> افدى الذي وكلني حبه * بطول اعلالي واامراضي
> ولست ادري بعد ذا كله * اساخط مولاي ام راضي

وفيها توفي الشيخ الامام ابو القاسم عمر بن عكرمة بن البزري الشافعي تفقه على الفقيه الكيا الهراسي وكان واحد عصره في الفقه تأتيه الفتاوى من العراق وخراسان وسائر البلاد وهو من جزيرة ابن عمر

(ثم دخلت سنة احدى وستين وخمسمائة)

(ذكر فتح المنيطرة من الفرنج)

في هذه السنة فتح نور الدين محمود بن زنكي حصن المنيطرة من الشام وكان بيد الفرنج ولم يحشد له ولا جمع عساكره وانما سار اليه جريدة على غرة منهم وعلم انه ان جمع العساكر حذروا فسار اليه جريدة وانتهز الفرصة وحصره وجد في قتاله فاخذه عنوة وقهرا وقتل من بها وسبى وغنم غنيمة كثيرة فان الذين به كانوا آمنين فاخذتهم خيل الله بغتة وهم لا يشعرون ولم يجتمع الفرنج لدفعه الا وقد ملكه ولو علموا انه جريدة في قلة من العساكر لاسرعوا اليه وانما ظنوه انه في جمع كثير فلما ملكه تفرقوا وايسوا من رده

(ذكر قتل خطلوبرس مقطع واسط)

في هذه السنة قتل خطلوبرس مقطع واسط قتله ابن اخي شملة صاحب خوزستان وسبب ذلك ان ابن شنكا وهو ابن اخي شملة كان قد صاهر منكبرس مقطع البصرة فاتفق ان المستنجد بالله قتل منكبرس سنة تسع وخمسين وخمسمائة فلما قتل قصد ابن شنكا البصرة ونهب قراها فارسل من بغداد الى كشتكين صاحب البصرة يعاديه ابن شنكا فقال انا عامل لست بصاحب جيش يعني انه ضامن لا يقدر على اقامة عسكر فطمع ابن شنكا واصعد الى واسط ونهب سوادها فجمع خطلوبرس مقطعها جمعا وخرج الى قتاله وكاتب ابن شنكا الامراء الذين مع خطلوبرس فاستمالهم ثم قاتلهم فانهزم عسكره فقتله واخذ ابن شنكا علم خطلوبرس فنصبه فلما رآه اصحابه

ظلموه باقيا فعلوا يعودون اليه وكل من رجع اخذه ابن شنكا فقتله او اسره

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة خرج الكرج فى جمع كثير واغاروا على بلدان حتى بلغوا كنجة فقتلوا واسروا وسبوا كثيرا ونهبوا اموالا لا تحصى وفيها توفى الحسن بن العباس بن رستم ابو عبد الله الاصفهانى الرستمى الشيخ الصالح وهو مشهور يروى عن أحمد بن خلف وغيره وفيها فى ربيع الآخر توفى الشيخ عبد القادر بن أبى صالح أبو محمد الجيلى المقيم ببغداد ومولده سنة سبعين واربعمائة وكان من الصلاح على حال وهو حنبلى المذهب ومدرسته ورباطه مشهوران ببغداد

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وستين وخمسمائة﴾

﴿ذكر عود اسد الدين شيركوه الى مصر﴾

قد ذكرنا سنة تسع وخمسين وخمسمائة مسير اسد الدين شيركوه الى مصر وما كان منه وعوده الى الشام فلما وصل الى الشام أقام على حاله فى خدمة نور الدين الى الآن وكان بعد عوده منها لا يزال يتحدث بها وبقصدها وكان عنده من الحرص على ذلك كثير فلما كان هذه السنة تجهز وسار فى ربيع الآخر فى جيش قوى وسير معه نور الدين جماعة من الامراء فبلغت عدتهم الفى فارس وكان كارها لذلك ولكن لما رأى جد أسد الدين فى المسير لم يمكنه الا ان يسير معه جمعا خوفا من حادث يتجدد عليهم فيضعف الاسلام فلما اجتمع معه عسكره سار الى مصر على البر وترك بلاد الفرنج على يمينه فوصل الديار المصرية فقصد اطفيح وعبر النيل عندها الى الجانب الغربى ونزل بالجيزة مقابل مصر وتصرف فى البلاد الغربية وحكم عليها واقام نيفا وخمسين يوما وكان شاور لما بلغه مجىء اسد الدين اليهم قد ارسل الى الفرنج يستنجدهم فاتوه على الصعب والذلول طمعا فى ملكها وخوفا ان يملكها اسد الدين فلا يبقى لهم فى بلادهم مقام معه ومع نور الدين فالرجاء يقودهم والخوف يسوقهم فلما وصلوا الى مصر عبروا الى الجانب الغربى وكان اسد الدين وعساكره قد ساروا الى الصعيد فبلغ مكانا يعرف بالبابين وسارت العساكر المصرية والفرنج وراءه فادركوه بها فى الخامس والعشرين من جمادى الآخرة وكان ارسل الى المصريين والفرنج جواسيس فعادوا اليه واخبروه بكثرة عددهم وعددهم وجدهم فى طلبه فعزم على قتالهم الا انه خاف من اصحابه ان تضعف نفوسهم عن القتال فى هذا المقام الخطر الذى عطبهم فيه اقرب من سلامتهم لقلة عددهم وبعدهم عن اوطانهم وبلادهم وخطر الطريق فاستشارهم فكلهم اشاروا عليه بعبور النيل الى الجانب الشرقى والعود الى الشام وقالوا ان نحن انهزمنا وهو الذى يغلب على الظن فالى اين نلتجئ وبمن نحتمى وكل من فى هذه الديار من جندى وعامى وفلاح عدو لنا فقام امير من مماليك نور الدين يقال له شرف الدين برغش صاحب شقيف وكان شجاعا وقال من يخاف القتل والاسر فلا يخدم الملوك بل يكون فى بيته مع امرأته والله لئن عدنا الى نور

ومنها انه يضم اليه اجناسه من المماليك البطالين ليكونوا عزوته

ويفترون به بحيث ان الباشا فوض اليه الامر ان ظهر منه شئ فى غيابه وسافر الباشا فى اثر ذلك واستمر لطيف باشا مع الجماعة فى صلف وهم يحدقون عليه ويرصدون حركاته ويتوقعون ما يوجب الايقاع به وهو فى غفلة وتيه لا يظن بهم سوءا فطلب من الكتخدا الزيادة فى رواتبه وعلائفه لسعة دائرته وكثرة حواشيه ومصاريفه فقال له الكتخدا انا لست صاحب الامر وقد كان هنا ولم يزدك شيئا فراسله وكاتبه فان امر بشئ فانا لا اخالف ما امر به وتزايد هو والحاضرون فى الكلام والمفاقة ففارقهم على غير حالة ونزل الى داره وارسل فى العشية الى مماليك الباشا ليحضروا اليه فى الصباح ليعمل معهم ميدان رماحة على العادة واسر اليهم ان يصحبوا ما خف من متاعهم واسلحتهم فلما اصبحوا استعدوا كما اشار اليهم وشدوا خيولهم ووصل خبرهم الى الكتخدا فطلب كبيرهم وساله فاخبره ان لطيف باشا طلبهم ليعمل معهم رماحة فقال ان هذا اليوم ليس هو موعد الرماحة ومنعهم من الركوب وفى الحال احضر حسن باشا وطاهر باشا واحمد اغا المسمى بونابارته الخازندار

١٩ يخ مل ١١ وصالح بك السلحدار وابراهيم أغا أغات الباب وعمو بك وخلافهم ودبوس اوغلى

الدين من غير غلبة ولا بلاء نعذر فيه ايا خذن ما النامن اقطاع وجامكية وليعودن علينا بجميع ما أخذناه منذ خدمناه الى يومنا هذا ويقول تاخذون اموال المسلمين وتفرون من عدوهم وتسلمون مثل مصر الى الكفار والحق بيده فقال اسد الدين هذا الرأى وبه اعمل وقال ابن اخيه صلاح الدين مثله وكثر الموافقون لهم واجتمعت الكلمة على القتال فاقام بمكانه حتى أدركه المصريون والفرنج وهو على تعبية وجعل الاثقال فى القلب يتكثر بها ولانه لم يمكنه ان يتركها بمكان آخر فينهبها اهل البلاد وجعل صلاح الدين فى القلب وقال له ولمن معه ان المصريين والفرنج يجعلون حملتهم على القلب ظنا منهم انى فيه فاذا حملوا عليكم فلا تصدقوهم القتال ولا تهلكوا نفوسكم واندفعوا قدامهم بين ايديهم فاذا عادوا عنكم فارجعوا فى أعقابهم واختار هو من شجعان عسكره جمعا يثق بهم و يعرف صبرهم فى الحرب ووقف بهم فى الميمنة فلما تقاتل الطائفتان فعل الفرنج ما ذكره وحملوا على القلب فقاتلهم من به قتالا يسيرا وانهزموا بين أيديهم غير متفرقين وتبعهم الفرنج فحمل حينئذ أسد الدين فيمن معه على من تخلف من الذين حملوا من المسلمين والفرنج الفارس والراجل فهزمهم ووضع السيف فيهم فأثخنوا وأكثروا القتل والاسر فلما عاد الفرنج من اثر المسلمين رأوا عسكرهم مهزوما والارض منهم قفرا فانهزموا ايضا وكان هذا من أعجب ما يؤرخ ان ألفى فارس تهزم عساكر مصر وفرنج الساحل

(ذكر ملك أسد الدين الاسكندرية وعوده الى الشام)

لما انهزم المصريون والفرنج من أسد الدين بالبابين سار الى ثغر الاسكندرية وجبى ما فى القرى على طريقه من الاموال ووصل الى الاسكندرية فتسلمها بمساعدة من أهلها سلموها اليه فاستناب بها صلاح الدين ابن أخيه وعاد الى الصعيد فملكه وجبى أمواله واقام به حتى صام رمضان واما المصريون والفرنج فانهم عادوا واجتمعوا على القاهرة واصلحوا حال عساكرهم وجمعوا وساروا الى الاسكندرية فحصروا صلاح الدين بها واشتد الحصار وقل الطعام على من بها فصبر أهلها على ذلك وسار أسد الدين من الصعيد اليهم وكان شاور قد افسد بعض من معه من التركمان فوصل رسل الفرنج والمصريين يطلبون الصلح وبذلوا له خمسين ألف دينار سوى ما اخذه من البلاد فاجاب الى ذلك وشرط على الفرنج ان لا يقيموا بالبلاد ولا يتملكوا منها قرية واحدة فاجابوا الى ذلك واصطلحوا وعادوا الى الشام وتسلم المصريون الاسكندرية فى نصف شوال ووصل شيركوه الى دمشق ثامن عشر ذى القعدة واما الفرنج فانهم استقر بينهم وبين المصريين ان يكون لهم بالقاهرة شحنة وتكون ابوابها بيد فرسانهم ليمتنع نور الدين من انفاذ عسكر اليهم ويكون لهم من دخل مصر كل سنة مائة ألف دينار هذا كله استقر مع شاور فان العاضد لم يكن له معه حكم لانه قد حجر عليه وحجبه عن الامور كلها وعاد الفرنج الى بلادهم بالساحل الشامى وتركوا بمصر جماعة من مشاهير فرسانهم وكان الكامل

شجاع

واسمعيل باشا ابن الباشا ومحمود بك الدويدار وتوافق الجميع على الايقاع به واصبحوا يوم السبت مجتمعين وقد بلغه الخبر واخذوا عليه الطرق وارسلوا يطلبونه للحضور فى مجلسهم فامتنع وقال ما المراد من حضورى فنزل اليه دبوس أوغلى وخدعه فلم يقبل فركب وعاد اليه ثانيا يامره بالخروج من مصر ان لم يحضر مجلسهم فقال اما الحضور فلا يكون واما الخروج فلا اخالف فيه بشرط ان يكون بكفالة حسن باشا أو طاهر باشا فانى لا آمن ان يتبعونى ويقتلونى خصوصا وقد اوقفوا بجميع الطرق ففارقه دبوس اوغلى فتحير فى امره وأمر بشد الخيول واراد الركوب فلم يتسع له ذلك ولم يزل فى نقض وابرام الى الليل فشركوا الجهات وابواب المدينة ايضا بالعساكر وكثر جمعهم بالقلعة وابوابها وفى تاسع ساعة من الليل نزل حسن باشا ومحمود بك فى نحو الالفين من العسكر واحتاطوا بداره بسويقة العزى وقد اغلق داره فصاروا يضربون عليه بالبنادق والقرابين الى آخر الليل فلما اعياهم ذلك هجموا على دور الناس التى حوله وتسلقوا عليه من الاسطحة ونزلوا الى سطح داره وقتلوا من صادفوه من عسكره واتباعه واختفى هو فى مخباة اسفل الفا رمع ستة اشخاص من الجوارى ومملوك واحد وعلم بمكانهم اغات الحريم فداروا بالدار يفتشون عليه

شجاع بن شاور قد ارسل الى نور الدين مع بعض الامراء ينهى محبته وولاءه ويسأله الدخول في طاعته وضمن على نفسه انه يفعل هذا ويبذل مالا يحمله كل سنة فاجابه الى ذلك وحمل اليه مالا جزيلا فبقي الامر على ذلك الى ان قصد الفرنج مصر سنة اربع وستين وخمسمائة فكان ما نذكره هناك ان شاء الله تعالى

ذكر ملك نور الدين صافيثا وعريمة

في هذه السنة جمع نور الدين العساكر فسار اليه اخوه قطب الدين من الموصل وغيره فاجتمعوا على حمص فدخل نور الدين بالعساكر بلاد الفرنج فاجتازوا على حصن الاكراد فاغاروا ونهبوا وقصدوا عرقة فنازلوها وحصروها وحصروا حلبة واخذوها وخربوها وسارت عساكر المسلمين في بلادهم يمينا وشمالا تغير وتخرب البلاد وفتحوا العريمة وصافيثا وعادوا الى حمص فصاموا بها رمضان ثم ساروا الى بانياس وقصدوا حصن هونين وهو للفرنج ايضا من امنع حصونهم ومعاقلهم فانهزم الفرنج عنه واحرقوه فوصل نور الدين من الغد فهدم سوره جميعه واراد الدخول الى بيروت فتجدد في العسكر خلف اوجب التفرق فعاد قطب الدين الى الموصل واعطاه نور الدين مدينة الرقة على الفرات وكانت له فاخذها في طريقه وعاد الى الموصل

ذكر قصد ابن سنكا البصرة

في هذه السنة عاود ابن سنكا قصد البصرة ونهب بلدها وخربه من الجهة الشرقية وسار الى مطارا فخرج اليه كمشتكين صاحب البصرة وواقعه فاجتمع بشرف الدين ابي جعفر بن البلدي الناظر فيها وهو مما اقطعهما ارغش واتصلت الاخبار بان ابن سنكا واصل الى واسط فخاف الناس منه خوفا شديدا فلم يصل اليها

ذكر قصد شملة العراق

في هذه السنة وصل شملة صاحب خوزستان الى قلعة الماهكي من اعمال بغداد وارسل الى الخليفة المستنجد بالله يطلب شيئا من البلاد ويشتط في الطلب فسير الخليفة اكثر عساكره اليه ليمنعوه وارسل اليه يوسف الدمشقي يلومه ويحذره عاقبة فعله فاعتذر بان ايلدكز والسلطان ارسلا قشاه اقطعا الملك الذي عنده وهو ولد ملكشاه البصرة وواسط وعرض التوقيع بذلك وقال انا اقنع بثلث ذلك فعاد الدمشقي بذلك فامر الخليفة بلعنه وانه من الخوارج وجمعت العساكر وسيرت الى ارغش المسترشدي وكان بالنعمانية هو وشرف الدين ابو جعفر بن البلدي ناظر واسط مقابل شملة ثم ان شملة ارسل قلج ابن اخيه في طائفة من العسكر لقتال طائفة من الاكراد فركب ارغش في بعض العسكر الذي عنده وسار الى قلج فاسر قلج وبعض اصحابه وسيرهم الى بغداد وبلغ شملة وطلب الصلح فلم تقع الاجابة اليه ثم ان ارغش سقط عن فرسه بعد الوقعة فمات وبقي شملة مقيما مقابل عسكر الخليفة فلما علم انه لا قدرة له عليهم رحل وعاد الى بلاده وكانت مدة سفره اربعة اشهر

فلم يجدوه فنهبوا جميع ما في الدار ولم يتركوا ١٤٧ بها شيئا وسبوا الحريم والجواري والمماليك والعبيد وكذلك ما حوله وما جاوره من دور الناس ودور حواشيه وهم نيف وعشرون دارا حتى حوانيت الباعة وغيرهم التي بالخطة ودار على كتخدا صالح الفلاح هذا ما جرى بتلك الناحية وباقي نواحي المدينة لا يدرون بشيء من ذلك الا انهم لما طلع نهار يوم الاحد وخرج الناس الى الاسواق والشوارع وجدوا العساكر ماشية وابواب البلد مغلقة وحصول العساكر مجتمعة ومنهم من بعده ومعه شيء من المنهوبات فامتنع الناس من فتح الحوانيت والقهاوي التي من عادتهم التبكير بفتحها وظنوا ظنا واستمر لطيف باشا بالخبأة الى الليل واشتد به الخوف وتيقن ان العبيد الطواشي سينم عليه ويعرفهم بمكانه فلما اظلم الليل وفتر فوارس النهب والتفتيش وخلا المكان خرج من الخبأة بمفرده ونط من الاسطحة حتى خلص الى دار خازنداره وصحبته كبير عسكره وآخر يسمى يوسف كاشف دياب من بقايا الاجناد المصرية وباتوا بقية تلك الليلة ويوم الاثنين والكتخدا واهل دولته يدأبون في الفحص والتفتيش عليه ويتهمون كثيرا من الناس بمعرفة مكانه ومحمود بك داره بالقرب من داره اوقف اشخاصا من عسكره على الاسطحة ليلا ونهارا للرصد وكان المذكور له اعتقاد في شخص يسمى حسن افندي البلبلي

وليلبس لفظا تركي علم على الجمس الجوهر اى المقلى ومن شان حسن افندى هذا انه يرسل درويش يدخل الى

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة عصى غازى بن حسان المنبجى على نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام وكان نور الدين قد اقطعه مدينة منبج فامتنع عليه فيها فسير اليه عسكرا فحصروه واخذوها منه واقطعها نور الدين اخاه قطب الدين ينال بن حسان وكان عادلا خيرا محسنا الى الرعية جميل السيرة فبقى فيها الى ان اخذها منه صلاح الدين يوسف بن ايوب سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وفيها توفى فخر الدين قرا ارسلان بن داود بن سقمان بن ارتق صاحب حصن كيفا واكثر ديار بكر ولما اشتد مرضه ارسل الى نور الدين محمود صاحب الشام يقول له بيننا صحبة فى جهاد الكفار واريد ان ترعى بها ولدى ثم توفى وملك بعده ولده محمد فقام نور الدين الشامى بنصرته والذب عنه بحيث ان اخاه قطب الدين مودودا صاحب الموصل اراد قصد بلاده فارسل اليه اخوه نور الدين يمنعه ويقول له ان قصدته أو تعرضت الى بلاده منعتك قهرا فامتنع من قصده وفيها توفى ابو المعالى محمد ابن الحسين بن حمدون الكاتب ببغداد وكان على ديوان الزمام فقبض عليه فمات محبوسا وفيها توفى قماج المسترشدى والد الامير يزدن وهو من أكابر الامراء ببغداد

(ثم دخلت سنة ثلاث وستين وخمسمائة)

(ذكر فراق زين الدين الموصل وتحكم قطب الدين فى البلاد)

فى هذه السنة فارق زين الدين على بن بكتكين النائب عن قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل خدمة صاحبه بالموصل وسار الى اربل وكان هو الحاكم فى الدولة واكثر البلاد بيده منها اربل وفيه بيته واولاده وخزائنه ومنها شهرزور وجميع القلاع التى معها وجميع بلد الهكارية وقلاعه منها العمادية وغيرها وبلد الحميدية وتكريت وسنجار وحران وقلعة الموصل هو بها وكان قد اصابه طرش وعمى أيضا فلما عزم على مفارقة الموصل الى بيته باربل سلم جميع ما كان بيده من البلاد الى قطب الدين مودود وبقى معه اربل حسب وكان شجاعا عاقلا حسن السيرة سليم القلب ميمون النقيبة لم ينهزم من حرب قط وكان كريما كثير العطاء للجند وغيرهم مدحه الحيص بيص بقصيدة فلما اراد ان ينشد قال أنا لا أعرف ما يقول ولكنى اعلم انه يريد شيئا فامر له بخمسمائة دينار وفرس وخلعة مجموع ذلك الف دينار ولم يزل باربل الى ان مات بها بهذه السنة ولما فارق زين الدين قلعة الموصل سلمها قطب الدين الى فخر الدين عبد المسيح وحكمه فى البلاد فعمر القلعة وكانت خرابا لان زين الدين كان قليل الالتفات الى العمارة وسار عبد المسيح سيرة شديدة وسياسة عظيمة وهو خصى أبيض من مماليك زنكى اتابك عماد الدين

(ذكر الحرب بين البهلوان وصاحب مراغة)

فى هذه السنة أرسل آقسنقر الاحمديلى صاحب مراغة الى بغداد يسال ان يخطب للملك الذى هو عنده وهو ولد السلطان محمد شاه ويبذل انه لا يطا ارض العراق ولا يطلب شيئا

بيوت الاعيان والاكابر من الناس الاتراك وغيرهم وفى جيوبه من ذلك الحمص فيفرق على اهل المجلس منه ويلاطفهم ويضاحكهم ويمزح معهم ويعرف باللغة التركية ويجانس الفريقين فمن اعطاه شيئا اخذه ومن لم يعطه لم يطلب منه شيئا وبعضهم يقول له انظر ضميرى اوقال فيعد على سبحته ازواجا وافرادا ثم يقول ضميرك كذا وكذا فيضحكون منه فوشى بحسن افندى هذا الى كتخدا بك وباقى الجماعة بانه كان يقول لطيف باشا انه يلى سيادة مصر واحكامها ويقول له هذا وقت انتهاز الفرصة فى غيبة الباشا ونحو ذلك وجمعوا الدعوى وانه كان يعتقد صحة كلامه ويزوره فى داره ورتب له ترتيبا واشاعوا انه اراد ان يضم اليه اجناس المماليك والخاملين من العساكر وغيرهم ويعطيهم نفقات ويريد اثارة فتنة ويقتال الكتخدا بك وحسن باشا وامثالهما على حين غفلة ويملك القلعة والبلد وان الجلبى يغريه على ذلك وكل وقت يقول له جاء وقتك ونحو ذلك من الكلام الذى المولى جل جلاله أعلم بصحته فارسل كتخدا بك الى الجلبى فحضر بين يديه فى يوم الاثنين فسأله عنه فقال لا ادرى فقال

غير

غيرة الشيء وطلب ما لا يحمله اذا اجيب الى ما التمسه فاجيب بتطييب قلبه وبلغ الخبر ايلدكز صاحب البلاد فساءه ذلك وجهز عسكرا كثيفا وجعل المقدم عليهم ابنه البهلوان وسيرهم الى آقسنقر فوقعت بينهم حرب اجلت عن هزيمة آقسنقر وتحصنه بمراغة ونازله البهلوان وحصره وضيق عليه ثم ترددت الرسل بينهم فاصطلحوا وعاد البهلوان الى أبيه بهمذان

●(ذكر عدة حوادث)●

في هذه السنة استوزر الخليفة المستنجد بالله شرف الدين أبا جعفر أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن البلدي وكان ناظرا بواسط اباز في ولايتها عن كفاية تامة فاحضره الخليفة واستوزره وكان عضد الدين ابو الفرج بن رئيس الرؤساء قد تحكم تحكما عظيما فتقدم الخليفة الى ابن البلدي بكف يده وايدي اهله واصحابه ففعل ذلك ووكل بتاج الدين اخي استاذ الدار وطالبه بحساب نهر الملك لانه كان يتولاه من أيام المقتفي وكذلك فعل بغيره فحصل بذلك اموال جمة وخافه استاذ الدار على نفسه فحمل مالا كثيرا وفي هذه السنة توفي عبد الكريم بن محمد بن منصور ابو سعيد بن ابي المظفر السمعاني المروزي الفقيه الشافعي وكان مكثرا من سماع الحديث سافر في طلبه وسمع منه ما لم يسمعه غيره ورحل الى ما وراء النهر وخراسان دفعات ودخل الى بلد الجبل واصفهان والعراق والموصل والجزيرة والشام وغير ذلك من البلاد وله التصانيف المشهورة منها ذيل تاريخ بغداد وتاريخ مدينة مرو وكتاب النسب وغير ذلك احسن فيها ما شاء وقد جمع مشيخته فزادت عدتهم على أربعة آلاف شيخ وقد ذكره ابو الفرج بن الجوزي فقطعه فمن جملة قوله فيه انه كان يأخذ الشيخ ببغداد ويعبر به الى فوق نهر عيسى فيقول حدثني فلان بما وراء النهر وهذا بارد جدا فان الرجل سافر الى ما وراء النهر حقا وسمع في عامة بلاده من عامة شيوخه فاي حاجة به الى هذا التدليس البارد وانما ذنبه عند ابن الجوزي انه شافعي وله اسوة بغيره فان ابن الجوزي لم يبق على احد الا مكثري الحنابلة وفيها توفي قاضي القضاة ابو البركات جعفر بن عبد الواحد الثقفي في جمادى الآخرة وفيها توفي يوسف الدمشقي مدرس النظامية بخوزستان وكان قد سار رسولا الى شملة وفيها توفي الشيخ ابو النجيب السهروردي الصوفي الفقيه وكان من الصالحين المشهورين ودفن ببغداد

●(ثم دخلت سنة اربع وستين وخمسمائة)●

●(ذكر ملك نور الدين قلعة جعبر)●

في هذه السنة ملك نور الدين محمود بن زنكي قلعة جعبر اخذها من صاحبها شهاب الدين مالك بن علي بن مالك العقيلي وكانت بيده وبيد آبائه من قبله من أيام السلطان ملكشاه وقد تقدم ذكر ذلك وهي من امنع القلاع واحصنها مطلة على الفرات من الجانب الشرقي واما سبب ملكها فان صاحبها نزل منها يتصيد فاخذه بنو كلاب وحملوه

اثار في حسابك هل ضد ام لا فامسك بيمينه وعدها كعادته وقال انكم تجدونه وتقتلونه ثم ان الكتخدا اشار الى اعوانه فاخذوه ونزلوا به واركبوه على حماره وذهبوا به الى بولاق فانزلوه في مركب وانحدروا به الى شلقان وشلحوه من ثيابه واغرقوه في البحر (وفي ذلك اليوم) عرفهم اغات حريم لطيف باشا بمدان هددوه وقرروه عن محل استاذه واخبرهم انه في الخباة وأراهم المكان ففتحوه فوجدوا به الجواري الستة والمملوك ولم يجدوه معهم فسالوهم عنه فقالوا انه كان معنا وخرج في ليلة امس ولم نعلم اين ذهب فاخرجوهم واخذوا ما وجدوه في الخباة من متاع وسروج ومصاغ ونقود وغير ذلك فلما كان بعد الغروب من ليلة الثلاثاء اشتد بلطيف باشا الخوف والقلق فاراد ان ينتقل من بيت الخازندار الى مكان آخر فطلع الى السطح وصعد على حائط يريد النزول منها هو ورفيقه البيوكباشي ليخلص الى حوش مجاور لتلك الدار فنظرهما شخص من العسكر المرصدا على سطح دار محمود بك الدويدار فصاح على القريبين منه لينتبهوا له فعندما صاح ضربه لطيف باشا رصاصة فاصابته وتنبهت المرصدون بالنواحي عند سماع الصيحة وبندقة الرصاصة وتسارعوا اليه من كل ناحية وقبضوا عليه وعلى رفيقه واتوا بهما الى

الى نور الدين فى رجب سنة ثلاث وستين فاعتقله واحسن اليه ورغبه فى الاقطاع والمال ليسلم اليه القلعة فلم يفعل فعدل الى الشدة والعنف وتهدده فلم يفعل فسير اليها نور الدين عسكرا مقدمه الامير فخر الدين مسعود بن على الزعفرانى فحصرها مدة فلم يظفر منها بشئ فامدهم بعسكر آخر وجعل على الجميع الامير مجد الدين أبا بكر المعروف بابن الداية وهو رضيع نور الدين وأكبر امرائه فحصرها ايضا فلم ير له فيها مطمعا فسلك مع صاحبها طريق اللين وأشار عليه ان يأخذ من نور الدين العوض ولا يخاطر فى حفظها بنفسه فقبل قوله وسلمها فاخذ عوضا عنها سروج واعمالها والملاحة التى بين بلد حلب وباب بزاعة وعشرين ألف دينار معجلة وهذا اقطاع عظيم جدا الا انه لا حصن فيه وهذا آخر أمر بنى مالك بالقلعة ولكل أمر أمد ولكل ولاية نهاية بلغنى انه قيل لصاحبها ايما أحب اليك واحسن مقاما سروج والشام أم القلعة فقال هذا اكثر مالا واما العز ففارقناه بالقلعة

(ذكر ملك اسد الدين مصر وقتل شاور)

فى هذه السنة فى ربيع الاول سار اسد الدين شيركوه بن شاذى الى ديار مصر فملكها ومعه العساكر النوريه وسبب ذلك ما ذكرناه من تمكن الفرنج من البلاد المصرية وانهم جعلوا لهم فى القاهرة شحنة وتسلموا ابوابها وجعلوا لهم فيها جماعة من شجعانهم واعيان فرسانهم وحكموا على المسلمين حكما جائرا وركبوهم بالاذى العظيم فلما رأوا ذلك وان البلاد ليس فيها من يردهم أرسلوا الى ملك الفرنج بالشام وهو مرى ولم يكن للفرنج مذ ظهروا بالشام مثله شجاعة ومكرا ودهاء يستدعونه ليملكها واعلموه خلوها من موانع وهونوا أمرها عليه فلم يجبهم فاجتمع اليه فرسان الفرنج وذوو الرأى منهم واشاروا عليه بقصدها وتملكها فقال لهم الرأى عندى اننا لا نقصدها ولا طمعة لنا فيها واموالها تساق الينا نتقوى بها على نور الدين وان نحن قصدناها لنملكها فان صاحبها وعساكره وعامة بلاده وفلاحيها لا يسلمونها الينا ويقاتلونا دونها ويحملهم الخوف منا على تسليمها الى نور الدين ولئن صار له فيها مثل اسد الدين فهو هلاك الفرنج واجلاؤهم من أرض الشام فلم يقبلوا قوله وقالوا له انها لا مانع فيها ولا حامى والى ان يتجهز عسكر نور الدين ويسير اليها نكون نحن قد ملكناها وفرغنا من أمرها وحينئذ يتمنى نور الدين منا السلامة فسار معهم على كره وشرعوا يتجهزون ويظهرون انهم يريدون قصد مدينة حمص فلما سمع نور الدين شرع ايضا يجمع عساكره وأمرهم بالقدوم عليه وجد الفرنج فى السير الى مصر فقدموها ونازلوا مدينة بلبيس وملكوها قهرا مستهل صفر ونهبوها وقتلوا فيها وأسروا وكان جماعة من أعيان المصريين قد كاتبوا الفرنج ووعدوهم النصرة عداوة منهم لشاور ومنهم ابن الخياط وابن فرجلة فقوى جنان الفرنج وساروا من بلبيس الى مصر فنزلوا على القاهرة عاشر صفر وحصروها فخاف الناس منهم ان يفعلوا بهم كما فعلوا باهل بلبيس فحملهم الخوف منهم

محمود بك ثبات عنده ورعت المبشرون الى بيوت الاعيان يبشرونهم بالقبض عليه ويأخذون على ذلك البقاشيش فلما طلع نهار يوم الثلاثاء طلع به محمود بك الى القلعة وقد اجتمع اكابرهم بديوان الكتخدا واتفقوا على قتله ووافقهم على ذلك اسمعيل ابن الباشا بعد عفوه عليه لانه فى الاصل مملوك صهره عارف بك فعندما وصل الى الدرج قبض عليه الاعوان وهو بجانب محمود بك فقبض بيده على علاقة سيفه وهو يقول له بالتركى مرظندايم يعنى اناف عرضك ومانت يده على قيطان السيف فاخرج بعضهم سكينا وقطع القيطان وجذبوه الى اسفل سلم الركوبة واخذوا عمامته وضربه المشاعلى بالسيف ضربات ووقع الى الارض ولم ينقطع عنقه فكملوا ذبحه مثل الشاة وقطعوا راسه وفعلوا برفيقه كذلك وعلقوا رؤسهما تجاه باب زويلة طول النهار (وفى ثانى يوم وهو يوم الاربعاء ثانى عشرينه) احضروا ايضا يوسف كاشف دياب وقتلوه ايضا عند باب زويلة وانقضى امرهم والله اعلم بحقيقة الحال وفتح اهل الاسواق حوانيتهم بعد ما تخيل الناس بانها ستكون فتنة عظيمة وان العسكر ينهبون المدينة وخصوصا السكاشون بالعرضى خارج باب النصر فانهم جياع وبردانون وغالبهم مفلس لان معظمهم من الجدد الواردين

علي الامتناع فحفظوا البلد وقاتلوا دونه وبذلوا جهدهم في حفظه فلوان الفرنج احسنوا
السيرة في بلبيس ملكوا مصر والقاهرة ولكن الله تعالى حسن لهم ذلك اي ما فعلوا
ليقضي الله امراً كان مفعولا وامر شاور باحراق مدينة مصر تاسع صفر وامر اهلها
بالانتقال منها الى القاهرة وان ينهب البلد فانتقلوا وبقوا على الطرق ونهبت المدينة
وافتقر اهلها وذهبت اموالهم ونعمتهم قبل نزول الفرنج عليهم بيوم خوفا ان يملكها
الفرنج فبقيت النار تحرقها اربعة وخمسين يوما وارسل الخليفة العاضد الى نور الدين
يستغيث به ويعرفه ضعف المسلمين عن دفع الفرنج وارسل في الكتب شعور النساء
وقال هذه شعور نسائي من قصري يستغثن بك لتنقذهن من الفرنج فشرع في تسيير
الجيوش واما الفرنج فانهم اشتدوا في حصار القاهرة وضيقوا على اهلها وشاور هو
المتولي للامر والعساكر والقتال فضاق به الامر وضعف عن ردهم فاخلد الى اعمال
الحيلة فارسل الى ملك الفرنج يذكر له مودته ومحبته له قديما وان هواه معه لخوفه من
نور الدين والعاضد وانما المسلمون لا يوافقونه على التسليم اليه ويشير بالصلح
واخذ مال لئلا يتسلم البلاد نور الدين فاجابه الى ذلك على ان يعطوه الف الف دينار
مصرية يعجل البعض ويمهل بالبعض فاستقرت القاعدة على ذلك وراى الفرنج ان
البلاد قد امتنعت عليهم وربما سلمت الى نور الدين فاجابوا كارهين وقالوا ناخذ المال
فنتقوى به ونعاود البلاد بقوة لا نبالي معها بنور الدين ومكروا ومكر الله والله خير
الماكرين فعجل لهم شاور مائة الف دينار وسألهم الرحيل عنه ليجمع لهم المال
فرحلوا قريبا وجعل شاور يجمع لهم المال من اهل القاهرة ومصر فلم يتحصل
له الا قدر لا يبلغ خمسة آلاف دينار وسببه ان اهل مصر كانوا قد احترقت دورهم
وما فيها وما سلم نهب وهم لا يقدرون على الاقوات فضلا عن الاقساط واما اهل
القاهرة فالاغلب على اهلها الجند وغلمانهم فلهذا تعذرت عليهم الاموال وهم
في خلال هذا يراسلون نور الدين بما الناس فيه وبذلوا له ثلث بلاد مصر وان يكون
اسد الدين مقيما عندهم في عسكر واقطاعهم من البلاد المصرية ايضا خارجا عن الثلث
الذي لهم وكان نور الدين لما وصله كتب العاضد بحلب ارسل الى اسد الدين يستدعيه
اليه فخرج القاصد في طلبه فلقيه على باب حلب وقد قدمها من حمص وكانت اقطاعه
وكان سبب وصوله ان كتب المصريين وصلته ايضا في المعنى فسار ايضا الى نور الدين
واجتمع به وعجب نور الدين من حضوره في الحال وسره ذلك وتفاءل به وامر بالتجهيز
الى مصر واعطاه مائتي الف دينار سوى الثياب والدواب والاسلحة وغير ذلك وحكمه
في العسكر والخزائن واختار من العسكر الفي فارس واخذ المال وجمع ستة آلاف
فارس وسار هو ونور الدين الى باب دمشق فوصلها سلخ صفر ورحل الى رأس الماء
واعطى نور الدين كل فارس ممن مع اسد الدين عشرين دينارا معونة غير محسوبة من
جامكيته واضاف الى اسد الدين جماعة اخرى من الامراء منهم مملوكه عز الدين جرديك
وعز الدين قلج وشرف الدين برغش وعين الدولة الياروقي وقطب الدين ينال بن

الذين لم يحصل لهم كسب من نهب او حادث واقع ادركوه ولولا انهم اوقفوا اصلا كرعند الابواب منعتهم من العبور
لحصل منهم غاية الضرر
(وانقضت السنة) وحوادثها
التي ربما استمرت الى ماشاء
الله بدوامها وانقضائها (فمنها)
ان الباشا لما فرغ من امر
الجهة القبلية بعدما ولى ابنه
ابراهيم باشا عليها وحرر اراضي
الصعيد وقاس جملة اراضيه
وفدنه وضبطه باجمعه ولم يترك
منه الا ماقل وضبط لديوانه
جميع الاراضي المصرية
والاقطاعات التي كانت
للملتزمين من الامراء والهوارة
وذوي البيوت القديمة والرزق
الاحباسية والسواقي
والمتاجرات والمرصد على
الاهالي والخيرات وعلى البر
والصدقة وغير ذلك مثل
مصارف الولاية التي وقفها
اهالي الخير المتقدمون لاربابها
رغبة منهم في الخير وتوسعة
على الفقراء المحتاجين وذوي
البيوت والدواوير المفتوحة
المعدة لاطعام الطعام للضيفان
والواردين والقاصدين
وابناء السبيل والمسافرين
فمن ذلك ان بناحية سهاج
دار الشيخ عارف وهو رجل
مشهور كاسلافه ومعتقد بتلك
الناحية وغيرها ومنزله محط
الرحال الوافدين والقاصدين
من الاكابر والاصاغر
والفقراء والمحتاجين فيقري
الكل بما يليق بهم ويرتب
لهم التراتيب والاحتياجات وعند انصرافهم بعد قضاء اشغالهم يزودهم ويهاديهم بالغلال والسمن والعسل

بالتمر والاغنام وهذا دأبه ودأب اسلافه من قبله على الدوام والاستمرار ورزقته المرصدة التي يزرعها ويتفق

منها ستمائة فدان فضبطوها ولم يسمحوا لهم بها الا بمائة فدان بعد التوسط والترجي والتشفع وامثال ذلك بجرجا واسيوط ومنفلوط وفرشوط ونحوها واذا قال المتشفع والمترجي للحاكم ينبغي مراعاة مثل هذا ومسامحته لانه يطعم الطعام وتنزل بداره الضيفان فيقول ومن كلفه بذلك فيقال له وكيف يفعل اذا نزلت به الضيوف على حسب ما اعتادوه فيقول يشترون ما يأكلون بدراهمهم من اكياسهم او يغلقون ابوابهم ويستقلون بانفسهم وعيالهم ويقتصدون في معايشهم فيعتادون ذلك وهذا الذي يفعلونه تبذير واسراف ونحو ذلك على حسب حالهم وشأنهم في بلادهم ويقول الديوان احق بهذا فان عليه مصاريف ونفقات ومهمات ومحاربات الاعداء وخصوصا افتتاح بلاد الحجاز ولما حضر ابراهيم باشا الى مصر وكان ابوه على اهبة السفر الى الحجاز حضر الكثير من اهالي الصعيد يشكون ما نزل بهم ويستغيثون ويتشفعون بوجهاء المشايخ وغيرهم فاذا خاطب الباشا في شيء من ذلك يعتذر بانه مشغول البال واهتمامه

بالسفر وانه اناط امر الجهة القبلية واحكامها وتعلقاتها بابنه ابراهيم باشا وان الدولة

حسان المنجبي وصلاح الدين يوسف بن ايوب اخي شيركوه وعلى كره منه وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم احب نور الدين مسير صلاح الدين وفيه ذهاب بيته وكره صلاح الدين المسير وفيه سعادته وملكه وسيرد ذلك عند موت شيركوه ان شاء الله تعالى وسار اسد الدين شيركوه من راس الماء مجدا منتصف ربيع الاول فلما قارب مصر رحل الفرنج الى بلادهم بخفي حنين خائبين مما املوا وسمع نور الدين بعودهم فسره ذلك وامر بضرب البشائر في البلاد وبث رسله في الآفاق مبشرين بذلك فانه كان فتحا جديدا لمصر وحفظا لبلاد الشام وغيرها فاما اسد الدين فانه وصل الى القاهرة سابع جمادى الآخرة ودخل اليها واجتمع بالعاضد لدين الله وخلع عليه وعاد الى خيامه بالخلعة العاضدية وفرح به اهل مصر واجريت عليه وعلى عسكره الجرايات الكثيرة والاقامات الوافرة ولم يمكن شاور المنع من ذلك لانه رأى العساكر كثيرة مع شيركوه وهوى العاضد معهم فلم يتجاسر على اظهار ما في نفسه وشرع يماطل اسد الدين في تقرير ما كان بذل لنور الدين من المال واقطاع الجند وافراد ثلث البلاد لنور الدين وهو يركب كل يوم الى اسد الدين ويسير معه ويعده ويمنيه وما يعدهم الشيطان الا غرورا ثم انه عزم على ان يعمل دعوة يدعو اليها اسد الدين والامراء الذين معه ويقبض عليهم ويستخدم من معهم من الجند فيمنع بهم البلاد من الفرنج فنهاه ابنه الكامل وقال له والله لئن عزمت على هذا الامر لاعرفن شيركوه فقال له ابوه والله لئن لم نفعل هذا لنقتلن جميعا فقال صدقت ولأن نقتل ونحن مسلمون والبلاد اسلامية خير من ان نقتل وقد ملكها الفرنج فانه ليس بينك وبين عود الفرنج الا ان يسمعوا بالقبض على شيركوه وحينئذ لو مشى العاضد الى نور الدين لم يرسل معه فارسا واحدا ويملكون البلاد فترك ما كان عزم عليه ولما رأى العسكر النوري مطل شاور خافوا شره فاتفق صلاح الدين يوسف بن ايوب وعز الدين جرديك وغيرهم على قتل شاور فنهاهم اسد الدين فسكتوا وهم على ذلك العزم من قتله فاتفق ان شاور قصد عسكر اسد الدين على عادته فلم يجده في الخيام كان قد مضى يزور قبر الشافعي رضي الله تعالى عنه فلقيه صلاح الدين يوسف وجرديك في جمع من العسكر وخدموه واعلموه بان شيركوه في زيارة قبر الامام الشافعي فقال نمضي اليه فساروا جميعا فسايره صلاح الدين وجرديك والقوه الى الارض عن فرسه فهرب اصحابه عنه فاخذ اسيرا فلم يمكنهم قتله بغير امر اسد الدين فتوكلوا بحفظه وسيروا أعلموا اسد الدين فحضر ولم يمكنه الا اتمام ما عملوه وسمع الخليفة العاضد صاحب مصر الخبر فارسل الى اسد الدين يطلب منه رأس شاور وتابع الرسل بذلك فقتل وارسل رأسه الى العاضد في السابع عشر من ربيع الآخر ودخل اسد الدين القاهرة فرأى من اجتماع الخلق ما خافهم على نفسه فقال لهم امير المؤمنين يعني العاضد يامركم بنهب دار شاور فتفرق الناس عنه اليها فنهبوها وقصد هو قصر العاضد فخلع عليه خلع الوزارة ولقب الملك المنصور امير الجيوش وسار بالخلع الى دار الوزارة وهي التي كان فيها شاور فلم ير فيها ما يقعد عليه واستقر في الامر وغلب عليه ولم يبق له مانع ولا

منازع واستعمل على الاعمال من يثق اليه من اصحابه واقطع البلاد لعساكره واما الكامل بن شاور فانه لما قتل أبوه دخل القصر هو واخوته معتصمين به فكان آخر العهد بهم فكان شيركوه يتأسف عليه كيف عدم لانه بلغه ما كان منه مع ابيه في منعه من قتل شيركوه وكان يقول وددت انه بقي لاحسن اليه جزاء لصنيعه

(ذكر وفاة اسد الدين شيركوه)

لما ثبت قدم اسد الدين وظن انه لم يبق له منازع اتاه اجله حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فتوفي يوم السبت الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة اربع وستين وخمسمائة وكانت ولايته شهرين وخمسة ايام واما ابتداء امره وسبب اتصاله بنور الدين فانه كان هو واخوه نجم الدين ايوب ابنا شاذي من بلد دوين من أذربيجان واصلهما من الاكراد الروادية وهذا القبيل هم اشرف الاكراد فقدما العراق وخدما مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد فرأى من نجم الدين عقلا وافرا وحسن سيرة وكان اكبر من شيركوه فجعله مستحفظا لقلعة تكريت وهي له فسارا اليها ومعه اخوه شيركوه فلما انهزم اتابك الشهيد زنكي بن آقسنقر بالعراق من قراجا الساقي على ما ذكرناه سنة ست وعشرين وخمسمائة وصل منهزما الى تكريت فخدمه نجم الدين وأقام له السفن فعبر دجلة هناك وتبعه اصحابه فاحسن ايوب صحبتهم وسيرهم ثم ان شيركوه قتل انسانا بتكريت لملاحاة بينهما فاخرجهما بهروز من القلعة فسارا الى الشهيد زنكي فاحسن اليهما وعرف لهما خدمتهما واقطعهما اقطاعا حسنا فلما ملك قلعة بعلبك جعل ايوب مستحفظا بها فلما قتل الشهيد حصر عسكر دمشق بعلبك وهو بها فضاق عليه الامر وكان سيف الدين غازي بن زنكي مشغولا عنه باصلاح البلاد فاضطر الى تسليمها اليهم فسلمها على اقطاع ذكره فاجيب الى ذلك وصار من اكبر الامراء بدمشق واتصل اخوه اسد الدين شيركوه بنور الدين محمود بعد قتل زنكي وكان يخدمه في ايام والده فقربه وقدمه ورأى منه شجاعة يعجز غيره عنها فزاده حتى صار له حمص والرحبة وغيرهما وجعله مقدم عسكره فلما اراد نور الدين ملك دمشق امره فراسل اخاه ايوب وهو بها وطلب منه المساعدة على فتحها فاجاب الى ذلك على ما يريده منه على اقطاع ذكره له ولاخيه وقرى يتملكانها فاعطاهما ما طلبا وفتح دمشق على ما ذكرناه ووفى لهما وصارا اعظم امراء دولته فلما أراد ان يرسل العساكر الى مصر لم ير لهذا الامر العظيم والمقام الخطر غيره فارسله ففعل ما ذكرناه أولا وآخرا والله أعلم

(ذكر ملك صلاح الدين مصر)

لما توفي اسد الدين شيركوه كان معه صلاح الدين يوسف ابن اخيه ايوب بن شاذي قد سار معه على كره منه للسير حكى لي عنه بعض اصدقائنا ممن كان قريبا اليه خصيصا به قال لما وردت كتب العاضد على نور الدين يستغيث به من الفرنج ويطلب ارسال

قلعته ولاية الصعيد فانا الاعلاقة لى بذلك واذا خوطب ابناء جابهم بعد الحاجة بما تقدم ذكره ونحو ذلك واذا قيل له هذا على مسجد فيقول كشفت على المساجد فوجدتها خرابا والنظار عليها ايا كانوا الامراء والخزينة أولى منهم ويكفيهم انى أسامحهم فيما اكلوه في السنين الماضية والذى وجدته عامرا اطلقت له ما يكفيه وزيادة وانى وجدت لبعض المساجد اطيانا واسعة وهي خراب ومعطلة والمسجد يكفيه مؤذن واحد وأجرته نصفان وامام مثل ذلك واما فرشه واسراجه فانى أرتب له راتبا من الديوان في كل سنة فاذا تكرر عليه الرجاء أحال الامر على أبيه ولا يمكن العود اليه لحركاته وتنقلاته وكثرة اشغاله وزوغانه ولما زاد الحال بكثرة المشتكين والواردين وبرز الباشا للسفر بل وسافر بالفعل فلم يمكث بعده ابنه الا اياما قليلة يبيت بالجيزة ليلة وعند اخيه بولاق ليلة اخرى ثم سافر راجعا الى الصعيد يتمم ما بقي عليه لاهله من العذاب الشديد فانه فعل بهم فعل التتار عندما جالوا بالاقطار واذل اعزة اهله واساء اسوأ السوء معهم في فعله فيسلب نعمهم واموالهم ويأخذ ابقارهم واغنامهم ويحاسبهم على ما كان في تصرفهم واستهلكوه او يحتج عليهم

بذنب لم يقترفوه ثم يقبض عليهم المغارم الهائلة والمقادير من الاموال التي ليست ايديهم

العساكر احضرني واعلمني الحال وقال عضى الى عمك اسد الدين بحمص مع رسولي اليه ليحضر وحثه انت على الاسراع فما يحتمل الامر التأخير ففعلت وخرجنا من حلب فما كنا على ميل من حلب حتى لقيناه قادما في هذا المعنى فامره نور الدين بالمسير فلما قال له نور الدين ذلك التفت عمي الى فقال لي تجهز يا يوسف فقلت والله لو اعطيت ملك مصر ما سرت اليها فلقد قاسيت بالاسكندرية وغيرها مالا انساه ابدا فقال لنور الدين لابد من مسيره معي فتأمر به فامرني نور الدين وانا استقيل وانقضى المجلس وتجهز اسد الدين ولم يبق غير المسير قال لي نور الدين لابد من مسيرك مع عمك فشكوت اليه الضائقة وعدم البرك فاعطاني ما تجهزت به فكأنما اساق الى الموت فسرت معه وملكها ثم توفي فملكني الله تعالى مالا كنت اطمع في بعضه واما كيفية ولايته فان جماعة من الامراء النورية الذين كانوا بمصر طلبوا التقدم على العساكر وولاية الوزارة العاضدية بعده منهم عين الدولة الياروقي وقطب الدين ينال وسيف الدين المشطوب الهكاري وشهاب الدين محمود الحارمي وهو خال صلاح الدين وكل واحد من هؤلاء يخطبها وقد جمع اصحابه ليغالب عليها فارسل العاضد الى صلاح الدين احضره عنده وخلع عليه وولاه الوزارة بعد عمه وكان الذي حمله على ذلك ان اصحابه قالوا له ليس في الجماعة اضعف ولا اصغر سنا من يوسف والرأي أن يولى فانه لا يخرج من تحت حكمنا ثم نضع على العساكر من يستميلهم الينا فيصير عندنا من الجنود من نمنع بهم البلاد ثم نأخذ يوسف أو نخرجه فلما خلع عليه لقب الملك الناصر ولم يطعه احد من اولئك الامراء الذين يريدون الامر لانفسهم ولا خدموه وكان الفقيه عيسى الهكاري معه فسعى مع المشطوب حتى اماله اليه وقال له ان هذا الامر لا يصل اليك مع عين الدولة والحارمي وغيرهما ثم قصد الحارمي وقال هذا صلاح الدين هو ابن اختك وعزه وملكه لك وقد استقام له الامر فلا تكن اول من يسعى في اخراجه عنه ولا يصل اليك فمال اليه ايضا ثم فعل مثل هذا بالباقين وكلهم اطاع غير عين الدولة الياروقي فانه قال أنا لا أخدم يوسف وعاد الى نور الدين بالشام ومعه غيره من الامراء وثبت قدم صلاح الدين ومع هذا فهو نائب عن نور الدين وكان نور الدين يكاتبه بالامير الاسفهسلار ويكتب علامته على رأس الكتاب تعظيما عن ان يكتب اسمه وكان لا يفرده بكتاب بل يكتب الامير الاسفهسلار صلاح الدين وكافة الامراء بالديار المصرية يفعلون كذا واستمال صلاح الدين قلوب الناس وبذل الاموال فمالوا اليه واحبوه وضعف امر العاضد ثم ارسل صلاح الدين يطلب من نور الدين ان يرسل اليه اخوته واهله فارسلهم اليه وشرط عليهم طاعته والقيام بامره ومساعدته وكلهم فعل ذلك واخذ اقطاعات الامراء المصريين فاعطاها أهله والامراء الذين معه وزادهم فازدادوا له حبا وطاعة قد اعتبرت التواريخ فرأيت كثيرا من التواريخ الاسلامية التى يمكن ضبطها ورأيت كثيرا ممن يبتدئ الملك تنتقل الدولة عن صلبه الى بعض اهله وأقاربه منهم أول الاسلام معاوية بن أبي سفيان اول من ملك من اهل بيته فتنتقل

اليها ثالثة ويلزمهم بتحصيلها وغلاتها وتحصيلها فتعجز ايديهم عن الاتمام فعند ذلك يجرى عليهم انواع الآلام من الضرب والتعليق والكى بالنار والتحريق فانه بلغنى والعهدة على الناقل انه ربط الرجل ممدودا على خشبة طويلة وامسك بطرفيها الرجال وجعلوا يقلبونه على النار المضرمة مثل الكباب وليس ذلك ببعيد على شاب جاهل سنه دون العشرين عاما وحضر من بلده ولم ير غير ما هو فيه لم يؤدبه مؤدب ولا يعرف شريعة ولا مامورات ولا منهيات وسمعت ان قائلا قال له وحق من اعطاك قال ومن هو الذى اعطانى قال له ربك قال له انه لم يعطنى شيئا والذى اعطانى ابى فلو كان الذى قلت فانه كان يعطينى وانا ببلدى وقد جئت وعلى رأسى قبع مزفت مثل المقلاة فلهذا لم تبلغه دعوى ولم يتخلق الا بالاخلاق التى ربوه عليها والده وهى تحصيل المال باى وجه كان فانزل باهل الصعيد الذل والهوان فلقد كان به من المقادم والهوارة كل شهم يستحى الرئيس من مكالمته والنظر اليه بالملابس الفاخرة والاكراك السمور والخيول المسومة والانعام والاتباع والجند والعبيد والاكام الواسعة والمضايف والانعامات والاغداقات والتصدقات خصوصا أكابرهم المشهورون وهمام وما أدراك ماهمام وقد تقدم

الملك من اعقابه الى بنى مروان من بنى عمه ثم من بعده السفاح اول من ملك من بنى العباس انتقل الملك من اعقابه الى اخيه المنصور ثم السامانية اول من استبد منهم نصر بن احمد فانتقل الملك عنه الى اخيه اسمعيل بن احمد واعقابه ثم يعقوب الصفار وهو أول من ملك من أهل بيته فانتقل الملك الى أخيه عمرو واعقابه ثم عماد الدولة ابن بويه أول من ملك من أهله انتقل الملك عنه الى اخويه ركن الدولة وعز الدولة ثم خلص فى أعقاب ركن الدولة ومعز الدولة ثم خلص فى اعقاب ركن الدولة ثم الدولة السلجوقية أول من ملك منهم طغرلبك انتقل الملك الى أولاد أخيه داود ثم هذا شيركوه كما ذكرناه انتقل الملك الى اعقاب أخيه أيوب ثم ان صلاح الدين لما انشا الدولة وعظمها وصار كانه أول لها نقل الملك الى اعقاب اخيه العادل ولم يبق بيد اعقابه غير حلب وهذه أعظم الدول الاسلامية ولولا خوف التطويل لذكرنا أكثر من هذا والذى اظنه السبب فى ذلك ان الذى يكون أول دولة يكثر و يأخذ الملك وقلوب من كان فيه متعلقة به فلهذا يحرمه الله اعقابه ومن يفعل ذلك من اجلهم عقوبة له

●(ذكر وقعة السودان بمصر)●

فى هذه السنة فى اوائل ذى القعدة قتل مؤتمن الخلافة وهو خصى كان بقصر العاضد اليه الحكم فيه والتقدم على جميع من يحويه فاتفق هو وجماعة من المصريين على مكاتبة الفرنج واستدعائهم الى البلاد والتقوى بهم على صلاح الدين ومن معه وسيروا الكتب مع انسان يثقون اليه واقاموا ينتظرون جوابه وسار ذلك القاصد الى البئر البيضاء فلقيه انسان تركمانى فراى معه نعلين جديدين فاخذهما منه وقال فى نفسه لو كانا مما يلبسه هذا الرجل لكانا خلقين فانه رث الهيئة وارتاب به وبهما فاتى به صلاح الدين ففتقهما فراى الكتاب فيهما فقرأه وسكت عليه وكان مقصود مؤتمن الخلافة ان يتحرك الفرنج الى الديار المصرية فاذا وصلوا اليها خرج صلاح الدين فى العساكر الى قتالهم فيثور مؤتمن الخلافة بمن معه من المصريين على متخلفيهم فيقتلونهم ثم يخرجون باجمعهم يتبعون صلاح الدين فياتونه من وراء ظهره والفرنج من بين يديه فلا يبقى لهم باقية فلما قرأ الكتاب سال عن كاتبه فقيل رجل يهودى فاحضر فامر بضربه وتقريره فابتدأ واسلم واخبره الخبر واخفى صلاح الدين الحال وان مؤتمن الخلافة استشعر فلازم القصر ولم يخرج منه خوفا واذا خرج لم يبعد من صلاح الدين وصلاح الدين لا يظهر له شيئا من الطلب لئلا ينكر ذلك فلما طال الامر خرج من القصر الى قرية له تعرف بالخرقانية للتنزه فلما علم به صلاح الدين ارسل اليه جماعة فاخذوه وقتلوه واتوا براسه وعزل جميع الخدم الذين يتولون امر قصر الخلافة واستعمل على الجميع بهاء الدين قراقوش وهو خصى ابيض وكان لا يجرى فى القصر صغير ولا كبير الا بامره فغضب السودان لقتل مؤتمن الخلافة للجنسية ولانه كان يتعصب لهم فحشدوا وجمعوا وافزادت عدتهم على خمسين الفا وقصدوا حرب الاجناد

فى ترجمته مما يغنى عن الاعادة فخربت دورالجميع وتشتتوا وماتوا غير باقوهن عسر عليه مفارقة وطنه جرى عليه ماجرى على غيره وصار فى عداد المزارعين وقد رأيت بعض بنى همام وقد حضروا الى مصر ليعرضوا حالهم على الباشا لعله يرفق بهم ويساعهم فى بعض ماضبطه ابنه من تعلقاتهم يتعيشون به وهم أولاد عبد الكريم وشاهين ولدى همام الكبير ومعهم حريمهم وجواريهم وزوجة عبد الكريم ويقولون لها الست الكبيرة وهى أم أولاده فلما وصلوا الى ساحل مصر القديمة ورأى ارباب ديوان المكس الجوارى وعدتهن ثلاثة حجزوهن وطالبوهم بكمركهن فقالوا هؤلاء جوارنا الخدمة وليستوا مجلوبين للبيع فلم يعبؤا بذلك وقبضوا منهم ماقبضوه ثم انهم لم يتمكنوا من الباشا وكان اذ ذاك قد توجه الى الفيوم وعاد الى العرضى مسافرا الى الحجاز فاستقروا بمصر حتى نفدت نفقاتهم ورأيتهم مرة مارين بالشارع وهم مخلقنون وفيهم صغير مراهق واتفق انهم تفاقموا مع ابن عمهم وهو عمرو وشكوه الى مصطفى بك دالى باشا بانه حاف عليهم فى أشياء من استحقاقهم دعوى مفلس على مفلس فاحضره وحبسه مدة وما ادرى ما حصل لهم بعد ذلك وهكذا ● تخفض العالى وتعلى من سفل يا اللهم انا نعوذ بك من زوال النعم ونزول النقم

●(واما من مات فى هذه السنة)●

الصلاحية فاجتمع العسكر أيضا وقاتلوهم بين القصرين وكثر القتل فى الفريقين فارسل صلاح الدين الى محلتهم المعروفة بالمنصورة فاحرقها على اموالهم واولادهم فلما اتاهم الخبر بذلك ولوا منهزمين فركبهم السيف واخذت عليهم افواه السكك فطلبوا الامان بعد ان كثر فيهم القتل فاجيبوا الى ذلك فاخرجوا من مصر الى الجيزة فعبر اليهم شمس الدولة اخو صلاح الدين الاكبر فى طائفة من العسكر فابادهم بالسيف ولم يبق منهم الا القليل الشريد وكفى الله تعالى شرهم والله اعلم

(ذكر ملك شملة فارس واخراجه عنها)

فى هذه السنة ملك شملة صاحب خوزستان بلاد فارس واخرج عنها وسبب ذلك ان زنكى بن دكلا صاحبها اساء السيرة مع عسكره فارسلوا الى شملة بخوزستان وحسنوا له قصد فارس فجمع عساكره وتجهز وسار اليها فخرج اليه زنكى بن دكلا ووقعت بينهم حرب خامر فيها اصحاب زنكى عليه فانهزم فى شرذمة من عسكره ونجا بنفسه وقصد الاكراد الشوانكار والتجا اليهم فاجاره صاحبها واحسن ضيافته ونزل شملة بلاد فارس فملكها فاساء السيرة الى اهلها ونهب ابن اخيه ابن شنكا البلاد فتغيرت بواطن اهلها عليه واجتمع الى زنكى بعض العسكر الذين خامروا عليه لما راوا من سوء سيرة شملة واستعاد زنكى بلاده ورجع الى ملكه وعاد شملة الى بلاد خوزستان

(ذكر ملك ايلدكز الرى)

فى هذه السنة ملك ايلدكز مدينة الرى والبلاد التى كانت بيد اينانج وسبب ذلك ان ايلدكز كان قد استقر الامر بينه وبين اينانج على مال يؤديه الى ايلدكز فمنعه سنتين فارسل ايلدكز يطلب المال فاعتذر بكثرة غلمانه وحاشيته فتجهز ايلدكز وقصد الرى فالتقاه اينانج وجار بينهما حرب فانهزم اينانج ومضى منهزما فتحصن بقلعة طبرك فحصره ايلدكز فيها وراسل جماعة من مماليكه فاطمعهم فى الاقطاعات والاموال والاحسان العظيم ليقتلوا اينانج فقتلوه وكانوا جماعة كثيرة وسلموا البلد الى ايلدكز فرتب فيه عمر بن على ياغ وعاد الى همذان ولم يف للغلمان الذين قتلوا اينانج وسلموا البلد اليه بما وعدهم وقال مثل هؤلاء ينبغى ان لا يستخدموا وابعدهم عنه وتفرقوا فى البلاد فسار بعضهم وهو الذى تولى قتله الى خوارزمشاه فصلبه خوارزمشاه نكالا بما فعل بصاحبه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة رؤى فى دار الخليفة رجل غريب فى الطريق التى يركب فيه وفى يده سكين صغيرة وفى يده الاخرى سكين كبيرة فاخذوه وقرروه فقال أنا من حلب فحبس وعوقب البواب ولم يعلم من أين دخل وفيها قبض ابن البلدى وزير الخليفة على الحسين بن محمد المعروف بابن السينى وعلى أخيه الاصغر وكانا ابنى عمة عضد الدين استاذ الدار وكان الاصغر عامل البيمارستان فقطعت يده ورجله قيل كان عنده

وفاة الاستاذ الشهير والجهبذ الشهير ١٥٦ الرئيس المفضل والفريد المبجل نادرة عصره ووحيد دهره الشيخ شمس الدين محمد أبو الانوار بن عبد الرحمن المعروف بابن عارفين سبط بنى الوفاء وخليفة السادات الحنفاء وشيخ سجادتها ومحط رحال سيادتها وشهرته غنية عن مزيد الافصاح ومناقبه أظهر من البيان والايضاح وأمه السيدة صفية بنت الاستاذ جمال الدين يوسف ابى الارشاد بن وفا تزوج بها الخواجا عبد الرحمن المعروف بعارفين فاولدها المترجم وأخاه الشيخ يوسف وكان أسن منه فتربى مع اخيه فى حجر السيادة والصيانة والحشمة وقرأ القرآن وتولع بطلب العلم وحضر دروس اشياخ الوقت وتلقى طريقة اسلافه واورادهم واحزابهم عن خاله الاستاذ شمس الدين محمد ابو الاشراق ابن وفا عن عمه الشيخ عبد الخالق من أبيه الشيخ يوسف ابى الارشاد عن والده ابى التخصيص عبد الوهاب الى آخر السند المنتهى الى الاستاذ ابى الحسن الشاذلى ولازم العلامة القدوة الشيخ موسى البجيرمى فحضر عليه كما ذكره فى برنامج شيوخه أم البراهين وشرح المصنف عليها والآجرومية وشرحها للشيخ خالد وشرح الستين مسئلة للعلال المحلى وهو اول اشياخه ثم لازم الشيخ خليلا المغربى فحضر عليه شرح ايساغوجى لشيخ الاسلام زكريا الانصارى

صنج

صنج يقبض بها و يحمل الى الديوان بالصنج الصحيحة وقيل غير ذلك وحمل الى البيمارستان فمات به وكان شاعرا فمن شعره وهو محبوس هذه الابيات

سلام على اهلى وصحبي وجلاسي * ومن فى فؤادى ذكرهم راسب راسى
أعالج فيكم كل هم ولا أرى * لداء هموى غير رؤيتكم آسى
لقد ابدت الايام لى كل شدة * تشيب لها الاكباد فضلا عن الراس
فيا ابنة عبد الله صبرا على الذى * لقيت فهذا الحكم من مالك الناس
فلو أبصرت عيناك ذلى بكيت لى * بدمع سوى بالمدامع رجاس
أقول لقلبي والهموم تنوشه * وقد حدثته النفس بالضر والياس
فلوهم طيف من خيالى يزوركم * لمانعه دون المغالق حراسى
وما حذرى الا على النفس لا على * سواها لانى حلف فقر وافلاس

وفيها توفى المعمر بن عبد الواحد بن رجا ابو احمد الاصفهانى الحافظ يروى عن أصحاب أبى نعيم وكان موته بالبادية ذاهبا الى الحج فى ذى القعدة وفى رجب منها توفى الشيخ أبو محمد الفارقى المتكلم على الناس وكان أحد الزهاد له كرامات كثيرة وكان يتكلم على الخاطر وكلامه مجموع مشهور وفيها مات جعيفر الرقاص من ندماء دار الخلافة وفى شوال منها توفى القاضى أبو الحسن على بن يحيى القرشى الدمشقى وفى ذى الحجة توفى نجم الدين بن محمد بن على بن القاسم الشهرزورى قاضى الموصل وولى ابنه حجة الدين عبد القاهر القضاء

(ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمائة)

(ذكر حصر الفرنج دمياط)

فى هذه السنة فى صفر نزل الفرنج على مدينة دمياط من الديار المصرية وحصروها وكان الفرنج بالشام لما ملك أسد الدين شيركوه مصر قد خافوه وأيقنوا بالهلاك وكاتبوا الفرنج الذين بصقلية والاندلس وغيرها يستمدونهم و يعرفونهم ما تجدد من ملك الاتراك مصر وانهم خائفون على البيت المقدس منهم فارسلوا جماعة من القسوس والرهبان يحرضونهم على الحركة فامدوهم بالاموال والرجال والسلاح واتعدوا النزول على دمياط ظنا منهم أنهم يملكونها ويتخذونها ظهرا يملكون به الديار المصرية فرد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا فالى أن دخلوا كان أسد الدين قد مات وملك صلاح الدين فاجتمعوا عليها وحصروها وضيقوا على من بها فارسل اليها صلاح الدين العساكر فى النيل وحشر فيها كل من عنده وأمدهم بالاموال والسلاح والذخائر وأرسل الى نور الدين يشكو ما هم فيه من المخافة ويقول انى ان تاخرت عن دمياط ملكها الفرنج وان سرت اليها خلفنى المصريون فى أهلها بالشر وخرجوا عن طاعتى وساروا فى أثرى والفرنج امامى فلا يبقى لنا باقية فسير نور الدين العساكر اليه أرسالا يتلو بعضها بعضا ثم سار هو بنفسه الى بلاد الفرنج الشامية فنهبها وأغار عليها واستباحها

وشرح العصام على السمرقندية والفاكهى على القطر ومتن التوضيح والاشمونى على الخلاصة ورسالة الوضع والمغنى وحضر دروس شيخ الشيوخ الشيخ أحمد الجيرى الملوى فى صحيح البخارى والشيخ عبد السلام على الجوهرة وأجازه بمرويانه ومؤلفاته الاجازة العامة وكذلك أجازه الشيخ احمد الجوهرى الشافعى اجازة عامة واجازة خاصة بطريقة مولاى عبد الله الشريف ولازم وقرأ وشارك ولده الشيخ محمد الجوهرى الصغير وحضر ايضا دروس الاستاذ الحفنى فى شرح التلخيص للسعد التفتازانى وشرح التحرير لشيخ الاسلام وشرح الالفية لابن عقيل والاشمونى وحضر دروس الشيخ عمر الطحلاوى المالكى فى شرح الآجرومية للشيخ خالد وشيئا من شرح الهمزية للعلامة ابن حجر وشيئا من تفسير الجلالين والبيضاوى وحضر الشيخ مصطفى السندوبى الشافعى فى شرح ابن القاسم الغزى على أبى شجاع وعلى السيد البليدى فى شرح التهذيب للخبيصى وعلى الشيخ عطية الاجهورى الشافعى فى شرح الخطيب على أبى شجاع وشرح التحرير لشيخ الاسلام وتفسير الجلالين وعلى الشيخ محمد الدارى شرح السلم لمصنفه وشرح التحرير وعلى الشيخ أحمد القوصى شرح الورقات الكبير لابن قاسم العبادى وسمع المسلسل بالاولية من عالم أهل المغرب فى وقته الشيخ محمد بن سودة التاودى الفاسى الم...

فوصلت الغارات الى مالم تكن تبلغه قبل لخلو البلاد من مانع فلما رأى الفرنج تتابع العساكر الى مصر ودخول نور الدين الى بلادهم ونهبها وتخريبها رجعوا خائبين لم يظفروا بشيء ووجدوا بلادهم خرابا وأهلها بين قتيل وأسير فكانوا موضع المثل خرجت النعامة تطلب قرنين رجعت بلا اذنين وكان مدة مقامهم على دمياط خمسين يوما أخرج فيها صلاح الدين أموالا لا تحصى حكي انه قال ما رأيت اكرم من العاضد ارسل الى مرة لمقام الفرنج على دمياط الف الف دينار مصرية سوى الثياب وغيرها

(ذكر حصر نور الدين الكرك)

في هذه السنة في جمادى الآخرة سار نور الدين الى بلاد الفرنج فحصر الكرك وهو من امنع المعاقل على طرف البر وكان سبب ذلك ان صلاح الدين ارسل الى نور الدين يطلب ان يرسل اليه والده نجم الدين ايوب فجهزه نور الدين وسيره وسير معه عسكرا واجتمع معه من التجار خلق كثير وانضاف اليهم من كان له مع صلاح الدين انس وصحبة فخاف نور الدين عليهم من الفرنج فسار في عساكره الى الكرك فحصره وضيق عليه ونصب عليه المجانيقات فاتاه الخبر ان الفرنج قد جمعوا له وساروا اليه وقد جعلوا في مقدمتهم اليه ابن هنفري وقريب بن الرقيق وهما فارسا الفرنج في وقتهما فرحل نور الدين نحو هذين المقدمين ليلقاهما ومن معهما قبل ان يلحق بهما باقي الفرنج فلما قاربهما رجعا القهقرى واجتمعا بباقي الفرنج وسلك نور الدين وسط بلادهم ينهب ويحرق ما على طريقه من القرى الى ان وصل الى بلاد الاسلام فنزل على عشترا واقام ينتظر حركة الفرنج ليلقاهم فلم يبرحوا من مكانهم فاقام هو حتى اتاهم خبر الزلزلة الحادثة فرحل واما نجم الدين أيوب فانه وصل الى مصر سالما هو ومن معه وخرج العاضد الخليفة التقاه اكراما له

(ذكر غزوة اسرية نوريه)

كان شهاب الدين الياس بن ايلغازي بن ارتق صاحب قلعة البيرة قد سار في عسكره وهو في مائتي فارس الى نور الدين وهو بعشترا فلما وصل الى قرية اللبوة وهي من عمل بعلبك ركب متصيدا اذ صادف ثلثمائة فارس من الفرنج قد ساروا للاغارة على بلاد الاسلام سابع عشر شوال فوقع بعضهم على بعض واقتتلوا واشتد القتال وصبر الفريقان لاسيما المسلمون فان الف فارس لا يصبرون لحملة ثلثمائة فارس افرنجية وكثر القتلى بين الطائفتين فانهزم الفرنج وعمهم القتل والاسر فلم يفلت منهم الا من لا يعتد به وسار شهاب الدين برؤس القتلى وبالاسرى الى نور الدين فركب نور الدين والعسكر فلقوهم فرأى نور الدين في الرؤس راس مقدم الاسبتار صاحب حصن الاكراد وكان من الشجاعة بمحل كبير وكان شجا في حلوق المسلمين

(ذكر الزلزلة وما عملته بالشام)

في هذه السنة ايضا ثاني عشر شوال كانت زلازل عظيمة متتابعة هائلة لم ير الناس مثلها

عشدور ووده بمصر في ... بقصد الحج وكتب له اجازة بخطه مع سنده واجازه ايضا بدلائل الخيرات واحزاب الشاذلي وكذلك تلقى الاجازة من الاستاذ المسلك عبد الوهاب بن عبد السلام العفيفي المرزوقي وتلقى ايضا من امام الحرم المكي الشيخ ابراهيم ابن الرئيس محمد الزمزمي الاجازة بالمسبعات واستجازه وايضا بالاسلافه من الاحزاب وكناه بابي الفوز وذلك في سنة تسع وسبعين ومائة والف بمكة سنة حجة المترجم

(وصل) ولما مات السيد محمد ابو هادي وانقرضت بموته سلسلة اولاد الظهور وذلك في سنة ست وسبعين ومائة والف تاقت نفس المترجم لخلافة بيتهم وتهيأ لذلك ولبس التاج ايضا والعصابة التي يجعلونها عليه فلم يتم له ذلك وعورض بسيدى احمد بن اسمعيل بك المعروف بالدالي المكنى بابي الامداد لانه في طبقته في النسب وامه السيدة ام المفاخر ابنة الشيخ عبد الخالق باتفاق ارباب الحل والعقد لكونه من بيت الامارة وقد صار منزلهم كمنازل الامراء في الاتساع والتانق والمجالس المزخرفة والقيعان والقصور وفي ضمنه البستان بالنخيل والاشجار وما يجتنى منها من الفواكه والثمار لان معظم الوجاهة والسيادة في هذه الازمان بالمساكن الانيقة

وعمت اكثر البلاد من الشام والجزيرة والموصل والعراق وغيرها من البلاد واشدها كان بالشام فخربت كثيرا من دمشق وبعلبك وحمص وحماة وشيزر وبعرين وحلب وغيرها وتهدمت اسوارها وقلاعها وسقطت الدور على أهلها وهلك منهم ما يخرج عن الحد فلما اتاه الخبر سار الى بعلبك ليعمر ما انهدم من سورها وقلعتها فلما وصلها اتاه خبر باقي البلاد وخراب أسوارها وقلاعها وخلوها من أهلها فجعل ببعلبك من يعمرها ويحفظها وسار الى حمص ففعل مثل ذلك ثم الى حماة ثم الى بعرين وكان شديد الحذر على سائر البلاد من الفرنج ثم اتى مدينة حلب فرأى فيها من آثار الزلزلة ما ليس بغيرها من البلاد فانها كانت قد اتت عليها وبلغ الرعب ممن نجا كل مبلغ وكانوا لا يقدرون يأوون مساكنهم خوفا من الزلزلة فاقام بظاهرها وباشر عمارتها بنفسه فلم يزل كذلك حتى احكم اسوار البلاد وجوامعها واما بلاد الفرنج فان الزلازل ايضا عملت بها كذلك فاشتغلوا بعمارة بلادهم خوفا من نور الدين عليها فاشتغل كل منهم بعمارة بلاده خوفا من الآخر

(ذكر وفاة قطب الدين مودود بن زنكي وملك ابنه سيف الدين غازي)

في هذه السنة في ذي الحجة مات قطب الدين مودود بن زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل بالموصل وكان مرضه حمى حادة ولما اشتد مرضه وصى بالملك بعده لابنه الاكبر عماد الدين زنكي وعدل عنه الى ابنه الآخر سيف الدين غازي وانما صرف الملك عن ابنه الاكبر عماد الدين زنكي بن مودود لان القيم بامور دولته والمقدم فيها كان خادما له يقال له فخر الدين عبد المسيح وكان يكره عماد الدين لانه كان طوع عمه نور الدين لكثرة مقامه عنده ولانه زوج ابنته وكان نور الدين يبغض عبد المسيح فاتفق فخر الدين وخاتون ابنة حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي وهي والدة سيف الدين على صرف الملك عن عماد الدين الى سيف الدين فدخل عماد الدين الى عمه نور الدين مستنصرا به ليعينه على اخذ الملك لنفسه وتوفي قطب الدين وعمره نحو اربعين سنة وكان ملكه احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ونصفا وكان فخر الدين هو المدبر للامور والحاكم في الدولة وكان قطب الدين من احسن الملوك سيرة واعفهم عن اموال رعيته محسنا اليهم كثير الانعام عليهم محبوبا الى كبيرهم وصغيرهم عطوفا على شريفهم ووضيعهم كريم الاخلاق حسن الصحبة لهم فكأن القائل اراده بقوله

خلق كماء المزن طيب مذاقة * والروضة الغناء طيب نسيم
كالسيف لكن فيه حلم واسع * عمن جنى والسيف غير حليم
كالغيث الا أن وابل جوده * ابدا وجود الغيث غير مقيم
كالدهر الا انه ذو رحمة * والدهر قاسي القلب غير رحيم

وكان سريع الانفعال للخير بطيئا عن الشر جم المناقب قليل المعايب رحمه الله ورضي عنه وعن جميع المسلمين بمنه وكرمه انه جواد كريم

والملابس الفاخرة وكثرة الايراد والخدم والحشم خصوصا ان اقترن بذلك شئ من المزايا المتعدية من بذل الاحسان واكرام الضيفان فعند ذلك يصير به قطب الزمان وفريد العصر والاوان فلو فرضنا ان شخصا اجتمعت فيه اوصاف الكمالات المعنوية والمعارف اللدنية وخلا عما ذكر وكان صعلوكا قليل المال كثير العيال فلا يعد في الرجال ولا يلتفت اليه بحال حكم الهية واحكام ربانية فلما تقلدها سيدي احمد المذكور دون المترجم بقي متطلعا يسلي نفسه بالاماني ثم قصد الحج في سنة تسع وسبعين كما ذكر فلما عاد من الحج تزوج بوالدة الشيخ محمد ابي هادي واسكنها بمنزل ملاصق لدار الخليفة توصلا وتقربا لما اموله ولم تطل مدة الشيخ ابي الامداد وتوفي سنة اثنتين وثمانين كما ذكرناه في ترجمته وعند ذلك لم يبق للمترجم معارض وقد مهد احواله وتثبت أمره مع من يخشى صولته ومعارضته من الاشياخ وغيرهم ودفن السيد احمد وركب المترجم في صبحها مع اشياخ الوقت والشيخ احمد البكري وجماعة الحزب وتقدمهم الى الرباط بالخرنفش ودخل الى خلوة جدهم فجلس بها ساعة وقرأ ارباب الحزب وظيفتهم ثم ركب مع المشايخ الى امير البلدة وكان اذذاك على بك فخلع عليه وركبوا الى دارهم وعمل سيادتهم المعهودة واصبح متقلدا خلافة اسلافهم ومشيخة سجادتهم فكان له ما

(ذكر حالة ينبغي للملوك ان يحترزوا من مثلها)

حدثني والدي رحمه الله قال كنت اتولى بجزيرة ابن عمر لقطب الدين كما علمتم فلما كان قبل موته بيسير أتانا كتاب من الديوان بالموصل يامرون بمساحة جميع بساتين العقيمة وهذه العقيمة هي قرية تحاذي الجزيرة منها دجلة ولها بساتين كثيرة بعضها يمسح فيؤخذ منه على كل جريب شيء معلوم وبعضها عليه خراج وبعضها مطلق من الجميع قال وكان لي فيها ملك كثير فكنت اقول ان المصلحة ان لا يغير على الناس شيء وما أقول هذا لاجل ملكي فانني انا امسح ملكي واختار بذلك ان يدوم الدعاء من الناس للدولة فجاء في كتاب النائب يقول لا بد من المساحة قال فاظهرت الامر وكان بها قوم صالحون لي بهم انس وبيننا مودة فجاء في الناس كلهم واولئك معهم يطلبون المراجعة فاعلمتهم اني راجعت وما أجبت الى ذلك فجاءني منهم رجلان اعرف صلاحهما وطلبا مني المعاودة ومخاطبة ثانية ففعلت فاصروا على المساحة فعرفتهما الحال قال فما مضى الا عدة أيام واذ قد جاءني الرجلان فلما رايتهما ظننت انهما جاآ يطلبان المعاودة فعجبت منهما وأخذت اعتذر اليهما فقالا ما جئنا اليك في هذا وانما جئنا نعرفك ان حاجتنا قضيت قال فظننت انهما قد ارسلا الى الموصل الى من يشفع لهما فقلت من الذي خاطب في هذا بالموصل فقالا الان حاجتنا قد قضيت من السماء ولكافة أهل العقيمة قال فظننت أن هذا مما قد حدثا به نفوسهما ثم قاما عني فلم يمض غير عشرة أيام واذا قد جاءنا كتاب من الموصل يامرون باطلاق المساجين والمحبوسين والمكوس ويامرون بالصدقة ويقال ان السلطان يعني قطب الدين مريض يعني على حالة شديدة ثم بعد يومين أو ثلاثة جاءنا الكتاب بوفاته فعجبت من قولهما واعتقدته كرامة لهما وصار والدي بعد ذلك يكثر اكرامهما واحترامهما ويزورهما

(ذكر الحرب بين عساكر ابن عبد المؤمن وابن مردنيش)

كان محمد بن سعيد بن مردنيش ملك شرق الاندلس قد اتفق هو والفرنج وامتنع على عبد المؤمن وابنه بعده فاستفحل امره لاسيما بعد وفاة عبد المؤمن فلما كان هذه السنة جهز اليه يوسف بن عبد المؤمن جيشا فجاسوا بلاده وخربوها واخذوا مدينتين من بلاده وانضاف اليهما عسكره وجنوده واقاموا ببلاده مدة ينتقلون فيها ويجبون امواله

(ذكر وفاة صاحب كرمان والخلف بين اولاده)

في هذه السنة توفي الملك طغرل بن قاورت صاحب كرمان واختلف اولاده بهرام شاه وارسلان شاه وهو الاكبر وجرى بينهما قتال انهزم فيه بهرام شاه الى خراسان فدخل على المؤيد صاحب نيسابور واستنجده فانجده بعسكر سار بها الى كرمان فجرى بين الاخوين حرب ظفر فيها بهرام شاه وهرب ارسلان شاه فقصد اصفهان مستجيرا بايلدكز فانفذ معه عسكرا واستنقذوا البلاد من بهرام شاه وسلموها الى اخيه ارسلان شاه فعاد بهرام شاه الى نيسابور مستجيرا بالمؤيد صاحبها فاقام عنده فاتفق ان أخاه ارسلان شاه مات فسار

الى

اهلا وسهلا وتقدم على اخيه الشيخ يوسف مع كونه أسن منه لما فيه من زيادة الفضيلة ولما تبطنه من عقائده وسلامة صدر اخيه وحسن ظنه فيه وانتظام امره واحسن سلوكه بشهامة وحشمة ورآسة وتؤدة وأدب مع الاشياخ والاقران وتحبب الى ارباب المظاهر والاكابر واستجلاب الخواطر وسلوك الطرائق الحميدة والتباعد عن الامور المخلة بالمروءة والاخذ بالحزم والرفق مع الاشتغال في بعض الاحيان بالمطالعة والمذاكرة في المسائل الدينية والادبية ومعاشرة الفضلاء ومجالستهم والمنافسة معهم في النكات واقتناء الكتب من كل فن كل ذلك مع الجد والتحصيل للاسباب الدنيوية وما يتوصل به الى كثرة الايراد بحسن تداخل وجميل طريقة مبعدة عما يخل بالمقدار بحيث يعضي مرامه من العظيم وجميل الفضل له ويراسل ويكاتب ويشاح على ادنى شيء ويحاسب ولا يدفع لارباب الاقلام عوائدهم المقررة في الدفاتر بل يرون ان اخذها منه من الكبائر وكذلك دواوين المكوس المبني على الاجحاف فكل ما نسب له فيه سافه ومعاف وكلما طال لامد زاد المدد وخصوصا اذا تقلبت الدول وارتفعت السفل كان الاسبق القديم في اعينهم هو الجليل العظيم وهم لديه صغار لا ينظر اليهم الا بعين الاحتقار ولما انقرضت بقايا الشيوخ الذين

الى كرمان فملكها واقام بها بغير منازع

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة كثرت الاذية من عبد الملك بن محمد بن عطاء وتطرق الى بلاد حلوان وتهب وافسدوا وأخذ من الحجاج فانفذ اليه من بغداد عسكر فنازلوه فى قلاعه وضايقوه ونهبوا امواله واموال أهله حتى اذعن بالطاعة ولا يعاود أذى الحجاج ولا غيرهم فعاد عنهم العسكر وفيها توفى مجد الدين ابو بكر بن الداية وهو رضيع نور الدين وكان أعظم الامراء منزلة عنده وله فى اقطاعه حلب وحارم وقلعة جعبر فلما توفى رد نور الدين ما كان له الى أخيه شمس الدين على بن الداية وفيها فى شعبان توفى احمد بن صالح بن شافع أبو الفضل الجيلى وهو من مشهورى المحدثين (الجيلى) بالجيم والياء تحتها نقطتان

(ثم دخلت سنة ست وستين وخمسمائة)

(ذكر وفاة المستنجد بالله)

فى هذه السنة تاسع ربيع الآخر توفى المستنجد بالله ابو المظفر يوسف بن المقتفى لامر الله ابى عبد الله محمد بن المستظهر بالله وقد تقدم باقى النسب فى غير موضع وامه أم ولد اسمها طاوس وقيل نرجس رومية ومولده مستهل ربيع الآخر سنة عشر وخمسمائة وكان أسمر تام القامة طويل اللحية وكان سبب موته انه مرض واشتد مرضه وكان قد خافه استاذ الدار عضد الدين أبو الفرج بن رئيس الرؤساء وقطب الدين قايماز المقتفوى وهو حينئذ أكبر أمير ببغداد فلما اشتد مرض الخليفة اتفقا ووضعا الطبيب على ان يصف له ما يؤذيه فوصف له دخول الحمام فامتنع لضعفه ثم انه دخل واغلق عليه بابه فمات وهكذا سمعت عن غير واحد ممن يعلم الحال وقيل ان الخليفة كتب الى وزيره مع طبيبه ابن صفية يامره بالقبض على استاذ الدار وقطب الدين وصلبهما فاجتمع ابن صفية باستاذ الدار واعطاه خط الخليفة فقال له تعود وتقول انى أوصلت الخط الى الوزير ففعل ذلك وحضر استاذ الدار قطب الدين ويزدن وأخاه تنامش وعرض الخط عليهم فاتفقوا على قتل الخليفة فدخل اليه يزدن وقايماز الحميدى فحملاه الى الحمام وهو يستغيث والقياه واغلقا الباب عليه وهو يصيح الى ان مات رحمه الله وكان وزيره ابا جعفر بن البلدى وبينه وبين استاذ الدار وبين قطب الدين عداوة مستحكمة لان المستنجد بالله كان يامره باشياء تتعلق بهما فيفعلها اذ كانا يظنان انه هو الذى يسعى بهما فلما مرض المستنجد وارجف بموته ركب الوزير ومعه الامراء والاجناد وغيرهما بالعدد فلم يتحقق عنده خبر موته فارسل اليه عضد الدين يقول ان أمير المؤمنين قد خف ما به من المرض واقبلت العافية فخاف الوزير ان يدخل دار الخلافة بالجند فربما انكر عليه ذلك فعاد الى داره وتفرق الناس عنه وكان عضد الدين وقطب الدين قد استعدا للهرب لما ركب الوزير خوفا منه ان دخل الدار ان ياخذهما فلما عاد اغلق استاذ الدار ابواب الدار واظهروا وفاة المستنجد واحضر هو وقطب الدين ابنه ابا محمد الحسن

كان يهابهم ويخضع لهم ويتأدب معهم وكانوا على طرائق الاقدمين فى العفة والاجتماع عما يخل بتعظيم العلم واهله والتباعد عن بنى الدنيا الا بقدر الضرورة وخلف من بعدهم من هم على خلاف ذلك وهم اعاظم مدرسى الوقت فاحدقوا به واكثروا من التردد عليه وعلى موائده وبالغوا فى تعظيمه وتقبيل يده ومدحوه بالقصائد البليغة طمعا فى صلاته وجوائزه القليلة وحصول الشهرة لهم وزوال الخمول والتعارف بمن يتردد الى داره من الامراء والاكابر وزادهو أيضا وجها ووجاهة بجمالستهم ولا يريهم فضلا بسعيهم اليه ويزداد كبرا وتيها وبلغ به انه لا يقوم لاكثرهم اذا دخل عليه ومنهم من يدخل بغاية الادب فيضم ثيابه ويقول عند مشاهدته يامولاى ياواحد فيجيبه هو بقوله يامولاى يادائم ياعلى ياحكيم فاذا حصل بالقرب منه يحوذراعين حبا على ركبتيه ومد يديه لتقبيل يده او طرف ثوبه واما الادون فلا يقبل الا طرف ثوبه وكذلك اتباعه وخدمه الخواص واذا كان من اهل الذمة اوكبار المباشرين وقبلوا يده وخاطبهم فى اشغاله وهم قيام وانصرفوا طلب الطست والابريق وغسل يده بالصابون لازالة اثر أفواههم ولا يكتب فى ردا قصة الا بقول خير ولا يقطع غالب اوقاته مع مجالسيه وخاصته

وبايعاه بالخلافة ولقباه المستضيء بامر الله وشرطا عليه شروطا ان يكون عضد الدين وزيرا وابنه كمال الدين استاذ الدار وقطب الدين امير العسكر فاجابهم الى ذلك ولم يتول الخلافة من اسمه الحسن الا الحسن بن علي بن ابي طالب والمستضيء بامر الله واتفقا في الكنية والكرم فبايعه اهل بيته البيعة الخاصة يوم توفي ابوه وبايعه الناس من الغد في التاج بيعة عامة واظهر من العدل اضعاف ما عمل ابوه وفرق اموالا جليلة المقدار وسلم الوزير ابن البلدي فسقط في يده وقرع سنه ندما على ما فرط في عوده حيث لا ينفعه واتاه من يستدعيه للجلوس للعزاء والبيعة للمستضيء فمضى الى دار الخلافة فلما دخلها صرف الى موضع وقتل وقطع قطعا والقي في دجلة رحمه الله واخذ جميع ما في داره فرأيا فيها خطوط المستنجد بالله بامره فيها بالقبض عليهما وخط الوزير قد راجعه في ذلك وصرفه عنه فلما وقفا عليها عرفا براءته مما كانا يظنان فيه فندما حيث فرطا في قتله وكان المستنجد بالله من احسن الخلفاء سيرة مع الرعية عادلا فيهم كثير الرفق بهم واطلق كثيرا من المكوس ولم يترك بالعراق منها شيئا وكان شديدا على اهل العيث والفساد والسعاية بالناس (بلغني) انه قبض على انسان كان يسعى بالناس فاطال حبسه فشفع فيه بعض اصحابه المختصين بخدمته وبذل عنه عشرة آلاف دينار فقال انا اعطيك عشرة آلاف دينار وتحضر لي انسانا آخر مثله لاكف شره عن الناس ولم يطلقه ورد كثيرا من الاموال على اصحابها ايضا وقبض على القاضي ابن المرخم واخذ منه مالا كثيرا فاعاده على اصحابه ايضا وكان ابن المرخم ظالما جائرا في احكامه

(ذكر ملك نور الدين الموصل واقرار سيف الدين عليها)

لما بلغ نور الدين محمودا وفاة اخيه قطب الدين مودود صاحب الموصل وملك ولده سيف الدين غازي الموصل والبلاد التي كانت لابيه بعده وفاته وقام فخر الدين عبد المسيح بالامر معه وتحكمه عليه وكان يبغض فخر الدين لما يبلغه عنه من خشونة سياسته فقال انا اولى بتدبير اولاد اخي وملكهم وسار عند انقضاء العزاء جريدة في قلة من العسكر وعبر الفرات عند قلعة جعبر مستهل المحرم من هذه السنة وقصد الرقة فحصرها واخذها ثم سار الى الخابور فملكه جميعه وملك نصيبين واقام بها فجمع العساكر فاتاه بها نور الدين محمد بن قرا ارسلان بن داود صاحب حصن كيفا وكثر جمعه وكان قد ترك اكثر عساكره بالشام لحفظ ثغوره فلما اجتمعت العساكر سار الى سنجار فحصرها ونصب عليها المجانيق وملكها وسلمها الى عماد الدين ابن اخيه قطب الدين وكان قد جاءته كتب الامراء الذين بالموصل سرا يبذلون له الطاعة ويحثونه على الوصول اليهم فسار الى الموصل فاتى مدينة بلد وعبر دجلة عندها مخاضة الى الجانب الشرقي وسار فنزل شرقي الموصل على حصن نينوى ودجلة بينه وبين الموصل ومن العجب ان يوم نزوله سقط من سور الموصل بدنة كبيرة وكان سيف الدين غازي قد سير عز الدين مسعود بن قطب الدين الى اتابك شمس الدين ايلدكز صاحب همذان وبلد الجبل واذربيجان واصفهان والري

ومشاهير به الآباء انتقاد اهل مصره وغبية فاغالب اهل عصره وتنبسط نفسه لذلك واليه يصغى كلا ان الانسان ليطغى وفي سنة تسعين ومائة والف ورد الى مصر عبد الرزاق افندي رئيس الكتاب ومن اكابر اهل الدولة فتداخل معه واصطحب به واهدى اليه هدايا واستدعاه واضافه وحضر في ذلك العام محمد باشا المعروف بالعزتي واليا على مصر فانهى اليه بمعونة الرئيس المذكور احتياج زاوية اسلافه للعمارة ودعا الباشا لزيارة قبورهم في يوم المولد المعتاد السنوي وذكر له المقصود واظهر له بعض الخلل وزين له ذلك الفعل وانه من تمام الشعائر الاسلامية والمشاهد التي يجب الاعتناء بشانها والسعي والطواف بحرمها وكان المعين والسفير والمساعد في ذلك ايضا شيخنا محدث العصر السيد محمد مرتضى وهو عند العثمانيين مقبول القول وكان عبد الرزاق الرئيس يتلقى عنه المسلسلات والاجازات وقرأ عليه مقامات الحريري فاجاب الباشا ووعد باتمام ذلك وكاتب الدولة وورد الامر باطلاق خمسين كيسا المصرف العمارة من خزينة مصر فشرع في هدم حوائطها ووسعها عن وضعها الاصلي واندرس في جدرانها قبور ومدافن وحوطها وزخرفها بالنقوش وانواع الرخام الملون والمموه بالذهب والاعمدة الرخام ثم كاتب الدولة

وارى و تلك الاعمال يستنفده على عمه نور الدين فارسل اليه ابانكز رسولا الى نور الدين ينهاه عن التعرض الى الموصل و يقول له ان هذه البلاد للسلطان فلا تقصدها فلم يلتفت اليه وقال للرسول قل لصاحبك انا اصلح لاولاد اخى منك فلم تدخل نفسك بيننا وعند الفراغ من اصلاح بلادهم يكون الحديث معك على باب همذان فانك قد ملكت هذه المملكة العظيمة واهملت الثغور حتى غلب الكرج عليها وقد بليت انا ولى مثل ربع بلادك بالفرنج وهم اشجع العالم فاخذت معظم بلادهم واسرت ملوكهم ولا يحل لى السكوت عنك فانه يجب علينا القيام بحفظ ما اهملت وازالة الظلم عن المسلمين فاقام نور الدين على الموصل فعزم من بها من الامراء على مجاهرة فخر الدين عبد المسيح بالعصيان وتسليم البلد الى نور الدين فعلم ذلك فارسل الى نور الدين فى تسليم البلد اليه على ان يقره بيد سيف الدين و يطلب لنفسه الامان ولماله فاجابه الى ذلك وشرط ان فخر الدين يأخذه معه الى الشام و يعطيه عنده اقطاعا يرضيه فتسلم البلد ثالث عشر جمادى الاولى من هذه السنة ودخل القلعة من باب السر لانه لما بلغه عصيان عبد المسيح عليه حلف أن لا يدخلها الا من احصن موضع فيها ولما ملكها أطلق ما بها من المكوس وغيرها من ابواب المظالم وكذلك فعل بنصيبين وسنجار والخابور وهكذا كان جميع بلاده من الشام ومصر ووصله وهو على الموصل يحاصرها خلعة من الخليفة المستضىء بامر الله فلبسها ولما ملك الموصل خلعها على سيف الدين ابن أخيه وأمره وهو بالموصل بعمارة الجامع النورى وركب هو بنفسه الى موضعه فرآه وصعد منارة مسجد أبى حاضر فاشرف منها على موضع الجامع فامر أن يضاف الى الارض التى شاهدها ما يجاورها من الدور والحوانيت وأن لا يؤخذ منها شئ بغير اختيار أصحابه وولى الشيخ محمد الملا عمارته وكان من الصالحين الاخيار فاشترى الاملاك من أصحابها باوفر الاثمان وعمره فخرج عليه أموال كثيرة وفرغ من عمارته سنة ثمان وستين وخمسمائة وأما نور الدين فانه عاد الى الشام واستناب فى قلعة الموصل خصيا كان له اسمه كمشتكين ولقبه سعد الدين وأمر سيف الدين ان لا ينفرد عنه بقليل من الامور ولا بكثير وحكمه واقطع مدينة سنجار لعماد الدين ابن أخيه قطب الدين فلما فعل ذلك قال كمال الدين ابن الشهرزورى هذا طريق الى اذى يحصل لبيت اتابك لان عماد الدين كبير لا يرى طاعة سيف الدين وسيف الدين هو الملك لا يرى الاغضاء لعماد الدين فيحصل الخلف و يطمع الاعداء فكان كذلك على ما نذكره سنة سبعين وخمسمائة وكان مقام نور الدين بالموصل اربعة وعشرين يوما واستصحب معه فخر الدين عبد المسيح وغير اسمه فسماه عبد الله واقطعه اقطاعا كبيرا

(ذكر غزوة صلاح الدين بلاد الفرنج وفتح ايله)

وفى هذه السنة سار صلاح الدين ايضا عن مصر الى بلاد الفرنج فاغار على اعمال

وانهى ان ذلك القدر لم يكف وان العمارة لم تكمل والاحسان بالاتمام فاعطاه الدخيتين كيسا اخرى واتمها على هذا الوضع الذى هى عليه الآن وأنشأ حولها مساكن ومخادع ووسع القصر اللاصق لها المختص به لجلوسه ومواضع الحريم أيام الموالد وأرسل فى اثر ذلك كتخداه ووزيره الشيخ ابراهيم السندوبى الى دار السلطنة بمكاتبات وعرض لرجال الدولة والتمس رفع ما على قرية زفتا وغيرها مما فى حوزه من الالتزام من المال الميرى الذى يدفع الى الديوان فى كل سنة وكان ابراهيم المذكور غاية فى الدهاء والحيل الساسانية والتصنعات الشيطانية والتلبيسات الوهمية وتقليبات الملامتية فتمم مرامه بما ابتدعه من المخرقة والايهامات الملفقة ولم يدفع ما جرت به العادة من العوائد بل اجتلب خلاف ذلك فوائد ولما حضر حسن باشا الجزايرلى الى مصر على رأس القرن وخرج الامراء المصريون الى الجهة القبلية واستباح أموالهم وقبض على نسائهم وأولادهم وأمر بانزالهم بسوق المزاد و بيعهم زاعما انهم أرقاء لبيت المال وفعل ذلك فاجتمع الاشياخ وذهبوا اليه فكان المخاطب له المترجم قائلا له أنت أتيت الى هذه البلدة وأرسلك السلطان الى اقامة العدل ورفع الظلم كما تقول اولبيع الاحرار وامهات الاولاد وهتك الحريم فقال هؤلاء ارقاء

عسقلان والرملة وهجم على ربض غزة فنهبه وأتاه ملك الفرنج فى قلة من العسكر مسرعين لرده عن البلاد فقاتلهم وهزمهم وافلت ملك الفرنج بعد ان اشرف ان يؤخذ اسيرا وعاد الى مصر وعمل مراكب مفصلة وحملها قطعا على الجمال فى البر وقصد ايلة فجمع قطع المراكب والقاها فى البحر وحصر ايلة برا وبحرا وفتحها فى العشر الاول من ربيع الآخر واستباح اهلها وما فيها وعاد الى مصر

(ذكر ما اعتمده صلاح الدين بمصر هذه السنة)

كان بمصر دار للشحنة تسمى دار المعونة يحبس فيها من يريد حبسه فهدمها صلاح الدين وبناها مدرسة للشافعية وازال ما كان فيها من الظلم وبنى دار العدل مدرسة للشافعية ايضا وعزل قضاة المصريين وكانوا شيعة واقام قاضيا شافعيا فى مصر فاستناب القضاة الشافعية فى جميع البلاد فى العشرين من جمادى الآخرة

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة اشترى تقى الدين عمر ابن أخى صلاح الدين منازل العز بمصر وبناها مدرسة للشافعية وفيها اغار شمس الدولة توران شاه اخو صلاح الدين على الاعراب الذين بالصعيد وكانوا قد أفسدوا فى البلاد ومدوا أيديهم فكفوا عما كانوا يفعلونه وفيها مات القاضى ابن الخلال من اعيان الكتاب المصريين وفضلائهم وكان صاحب ديوان الانشاء بها وفيها وقع حريق ببغداد فى درب المطبخ وفى خرابة ابن جردة وفيها توفى الامير نصر بن المستظهر بالله عم المستنجد بالله وجده وهو آخر من مات من أولاد المستظهر بالله وكان موته فى ذى القعدة ودفن فى الترب بالرصافة وفيها جعل ظهير الدين ابو بكر نصر بن العطار صاحب المخزن ببغداد ولقب ظهير الدين وفيها حج بالناس الامير طاشتكين المستنجدى وكان نعم الامير رحمه الله

(ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة)

(ذكر اقامة الخطبة العباسية بمصر وانقراض الدولة العلوية)

فى هذه السنة فى ثانى جمعة من المحرم قطعت خطبة العاضد لدين الله أبى محمد الامام عبد الله بن يوسف بن الحافظ لدين الله أبى الميمون عبد المجيد بن أبى القاسم محمد بن المستنصر بالله ابى تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله ابى الحسن على بن الحاكم بامر الله ابى على المنصور ابن العزيز بالله ابى منصور بن نزار بن المعز لدين الله ابى تميم معد بن المنصور بالله ابى الظاهر اسمعيل بن القائم بامر الله ابى القاسم محمد بن المهدى بالله ابى محمد عبيد الله وهو اول العلويين من هذا البيت الذين خطب لهم بالخلافة وخوطبوا بامرة المؤمنين وكان سبب الخطبة العباسية بمصر ان صلاح الدين يوسف بن ايوب لما ثبت قدمه بمصر وازال المخالفين له وضعف امر الخليفة بها العاضد وصار قصره يحكم فيه صلاح الدين ونائبه قراقوش وهو خصى كان من اعيان الامراء الاسدية كلهم يرجعون اليه فكتب اليه نور الدين محمود بن زنكى يامره بقطع الخطبة

لبيت المال فقال له هذا الابيوزو لا يقال به احد فاغتاظ غيظا شديدا وطلب كاتب ديوانه وقال له اكتب اسماء هؤلاء واخبر السلطان بمعارضتهم لاوامره فقال له السيد محمود البنوفرى اكتب ماتريد بل نحن نكتب اسماءنا بخطنا فافحم وانكف عن اتمام قصده وايضا تتبع اموالهم وودائعهم وكان ابراهيم بك الكبير قد اودع عند المترجم وديعة وكذلك مراد بك اودع عند محمد افندى البكرى وديعة وعلم ذلك حسن باشا فارسل عسكرا الى السيد البكرى فلم تسعه المخالفة وسلم ما عنده وارسل كذلك يطلب من المترجم وديعة ابراهيم بك فامتنع من دفعها قائلا ان صاحبها لم يمت وقد كتبت على نفسى وثيقة فلا أسلم ذلك مادام صاحبها فى قيد الحياة فاشتد غيظ الباشا منه وقصد البطش به فحماه الله منه ببركة الانتصار لحق فكان يقول لم ارفى جميع الممالك التى وجبتها من اجترأ على مخالفتى مثل ذا الرجل فانه أحرق قلبى لما ارتحل من مصر ورجع المصريون الى دولتهم حصل من مراد بك فى حق السيد البكرى ما حصل وغرمه مبلغا ليما باع فيه اقطاعه فى نظير تفريطه فى وديعته واحتج عليه بامتناع نظيره وحصل له قهر ومرض بسببه وتسلسل المرض حتى مات و يقال ان مراد بك ا وصل اليه الحكيم ودس له السم فى العلاج ثم مات رحمه الله

العاضد بتواقامة الخطبة المستضيئية فامتنع صلاح الدين واعتذر بالخوف من قيام اهل الديار المصرية عليهم لميلهم الى العلويين وكان صلاح الدين يكره قطع الخطبة لهم ويريد بقاءهم خوفا من نور الدين فانه كان يخافه ان يدخل الى الديار المصرية يأخذها منه فكان يريد ان يكون العاضد معه حتى ان قصده نور الدين امتنع به وباهل مصر عليه فلما اعتذر الى نور الدين بذلك لم يقبل عذره والح عليه بقطع خطبته والزمه الزاما لافسحة له فى مخالفته وكان على الحقيقة نائب نور الدين واتفق ان العاضد مرض هذا الوقت مرضا شديدا فلما عزم صلاح الدين على قطع خطبته استشار امراءه فمنهم من اشار به ولم يفكر فى المصريين ومنهم من خافهم الا انه ما يمكنه الا امتثال امر نور الدين وكان قد دخل الى مصر انسان اعجمى يعرف بالامير العالم رأيته انا بالموصل فلما راى ما هم فيه من الاحجام وان احدا لا يتجاسر يخطب للعباسى قال انا ابتدئ بالخطبة له فلما كان اول جمعة من المحرم صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للمستضئ ففعلوا ذلك فلم ينتطح فيها عنزان وكتب بذلك الى سائر بلاد مصر ففعلوا وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلمه احد من اهله واصحابه بقطع الخطبة وقالوا ان عوفى فهو يعلم وان توفى فلا ينبغى ان تفجعه بمثل هذه الحادثة قبل موته فتوفى يوم عاشوراء ولم يعلم بقطع الخطبة ولما توفى جلس صلاح الدين للعزاء واستولى على قصر الخلافة وعلى جميع ما فيه فحفظه بهاء الدين قراقوش الذى كان قد رتبه قبل موت العاضد فحمل الجميع الى صلاح الدين وكان من كثرته يخرج عن الاحصاء وفيه من الاعلاق النفيسة والاشياء الغريبة ما تخلو الدنيا عن مثله ومن الجواهر التى لم توجد عند غيرهم فمنه الحبل الياقوت وزنه سبعة عشر درهما او سبعة عشر مثقالا انا لا اشك فانى رأيته ووزنته واللؤلؤ الذى لم يوجد مثله ومنها النصاب الزمرد الذى طوله اربع اصابع فى عرض عقد كبير ووجد فيه طبل كان بالقرب من موضع العاضد وقد احتاطوا بالحفظ فلما رأوه ظنوه عمل لاجل اللعب فيه فسخروا من العاضد فاخذه انسان فضرب به فضرط فتضاحكوا منه ثم آخر كذلك وكان كل من ضرب به ضرط فالقاه احدهم فكسره فاذا الطبل لاجل القولنج فندموا على كسره لما قيل لهم ذلك وكان فيه من الكتب النفيسة المعدومة المثل ما لا يعد فباع جميع ما فيه ونقل اهل العاضد الى موضع من القصر ووكل بهم من يحفظهم واخرج جميع من فيه من امة وعبد فباع البعض واعتق البعض ووهب البعض وخلا القصر من سكانه كأن لم يغن بالامس فسبحان الحى الدائم الذى لا يزول ملكه ولا تغيره الدهور ولا يقرب النقص حماه ولما اشتد مرض العاضد ارسل الى صلاح الدين يستدعيه فظن ذلك خديعة فلم يمض اليه فلما توفى علم صدقه فندم على تخلفه عنه وكان يصفه كثيرا بالكرم ولين الجانب وغلبة الخير على طبعه وانقياده وكان فى نسبه تسع خطب لهم بالخلافة وهم الحافظ والمستنصر والظاهر والحاكم والعزيز والمعز والمنصور والقائم والمهدى ومنهم من لم يخطب له بالخلافة ابوه يوسف بن الحافظ وجد ابيه وهو الامير ابو القاسم محمد بن

وكانت منه هفوة ولا بد للجواد من كبوة ومن لم ينظر فى العواقب فليس له الدهر بصاحب حتى قيل انه هو الذى عرف حسن باشا عن ذلك لينال به زيادة فى الحظوة عنده ويترك منها حصة لنفسه بقرينة ما ظهر عليه فى عقب ذلك من التوسع وقد غلب على ظنه بل وظن غالب الناس انقراض المصريين وغفلوا عن تقلبات الدهر فى كل حين واما المترجم فانه لما اخذ بالحزم سلم ورد الامانة الى صاحبها حين قدم وحسنت فيهم سيرته وزادت عندهم محبته وفى عقب ذلك نزل السيد محمد افندى البكرى المذكور عن وظيفة نظر المشهد الحسينى للمترجم وارسل اليه بصندوق دفاتر الوقف وكان نظر المشهد بيدهم مدة طويلة ووعده المترجم بان يبدله عنه وظيفة النظر على وقف الشافعى فلما حصل الفراغ واحتوى على الدفاتر نكث وطمع فى الوظيفتين بل ومد يده الى غيرهما لعدم من يعارضه ولا يدافعه من الامراء وغيرهم مثل نظر المشهد النفيسى والزينبى وباقى الاضرحة الكثيرة الايراد التى يصادبها الدنيا من كل ناد وتاتيها الخلائق بالقربانات وانواع النذورات واخذ يحاسب المباشرين وخدمة الاضرحة المذكورة على الايرادات والنذورات ويحاققهم على الذرات ويسبهم ويشتمهم ويضربهم بالجريد المحمص على ارجلهم وفعل ذلك بالسيد بدوى

المستنصر وبقى من خطب له بالخلافة وليس من آبائه المستعلى والآمر والظافر والفائز وجميع من خطب له منهم بالخلافة أربعة عشر خليفة منهم بافريقية المهدى والقائم والمنصور والمعز الى ان سار الى مصر ومنهم بمصر المعز المذكور وهو أوّل من خرج اليها من افريقية والعزيز والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلى والآمر والحافظ والظافر والفائز والعاضد وجميع مدة ملكهم من حين ظهر المهدى بسجلماسة فى ذى الحجة من سنة تسع وتسعين ومائتين الى ان توفى العاضد مائتان واثنتان وسبعون سنة وشهرا تقريبا وهذا دأب الدنيا لم تعط الا واستردت ولم تحل الا وتمررت ولم تصف الا وتكدرت بل صفوها لا يخلو من الكدر وكدرها قد يخلو من الصفو ونسال الله تعالى ان يقبل بقلوبنا اليه ويرينا الدنيا حقيقة ويزهدنا فيها ويرغبنا فى الآخرة انه سميع الدعاء قريب من الاجابة ولما وصلت البشارة الى بغداد بذلك ضربت البشائر بها عدة أيام وزينت بغداد وظهر من الفرح والجذل ما لا حد عليه وسيرت الخلع مع عماد الدين صندل وهو من خواص الخدم المقتفوية والمقدمين فى الدولة لنور الدين وصلاح الدين فسار صندل الى نور الدين وألبسه الخلعة وسير الخلعة التى لصلاح الدين وللخطباء بالديار المصرية والاعلام السود ثم ان هذا صندلا صار استاذ دار الخليفة المستضىء بامر الله ببغداد وكان يدرى الفقه على مذهب الشافعى وسمع الحديث ورواه ويعرف اشياء حسنة وفيه دين وله معروف كثير وهو من محاسن بغداد

(ذكر الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين باطنا)

فى هذه السنة جرت امور اوجبت أن تاثر نور الدين من صلاح الدين ولم يتظاهر ذلك وكان سببه ان صلاح الدين يوسف بن ايوب سار عن مصر فى صفر من هذه السنة الى بلاد الفرنج غازيا ونازل حصن الشوبك وبينه وبين الكرك يوم وحصره وضيق على من به من الفرنج وأدام القتال وطلبوا الامان واستمهلوه عشرة ايام فاجابهم الى ذلك فلما سمع نور الدين بما فعله صلاح الدين سار عن دمشق قاصدا بلاد الفرنج أيضا ليدخل اليهم من جهة اخرى فقيل لصلاح الدين ان دخل نور الدين بلاد الفرنج وهم على هذه الحال انت من جانب ونور الدين من جانب ملكها ومتى زال الفرنج عن الطريق واخذ ملكهم لم يبق بديار مصر مقام مع نور الدين وان جاء نور الدين اليك وانت ههنا فلا بد لك من الاجتماع به وحينئذ يكون هو المتحكم فيك بما شاء ان شاء تركك او لا فقد لا تقدر على الامتناع عليه والمصلحة الرجوع الى مصر فرحل عن الشوبك عائدا الى مصر ولم ياخذه من الفرنج وكتب الى نور الدين يعتذر باختلال البلاد المصرية لامور بلغته عن بعض شيعته العلويين وانهم عازمون على الوثوب بها فانه يخاف عليها من البعد عنها ان يقوم اهلها على من تخلف بها فيخرجوهم وتعود ممتنعة واطال الاعتذار فلم يقبلها نور الدين منه وتغير عليه وعزم على قصد مصر واخراجه عنها وظهر

ذلك

مباشر المشهد الحسينى وهو من وجهاء الناس الذين يخشى جانبهم ومشهور ومذكور فى المصر وغيره وكان معظم انقباض السيد البكرى ونزوله عن نظر المشهد ضيق صدره من المذكور ومنا كدته له واستيلائه على المحل ومحصول الوقف والتقصير فى مصارفه اللازمة وينسب التقصير للناظر وكان رحمه الله عظيم الهمة يغلب عليه الحياء والمسامحة ويرى خلاف ذلك من سفاسف الامور فتنصل من ذلك وترك فعله لغيره فلما اوقع المترجم بالسيد بدوى وباقى عظماء السدنة ما اوقع انقمع الباقون وذلوا وخافوه اشد الخوف ووشوا على بعضهم البعض وطفق يطالبهم بالنذور والشموع والاغنام والعجول وما يتحصل من صندوق الضريح من المال وكانوا يختصون بذلك كله واقلهم فى رفاهية من العيش وجمع المال مع السفالة والشحاذة حتى من الفقير المعدم المفلس والكسرة الناشفة وكان اذا أراد الايقاع بشخص او اهانته وخشى عاقبة ذلك أ ولو ما يلحقه ممن ينتصر له مهد له الطريق ثم احتال الايقاع به فانه لما أراد ضرب السيد بدوى طاف على الشيخ العروسى وأمثاله واوهمهم ما فى نفسه وامتدت يده ايضا الى شهود بيت القاضى فكان اذا بلغه ان احدهم كتب حجة استبدال او اجارة مكان مدة طويلة لناظر او مستحق وكان ذلك المكان

ذلك فسمع صلاح الدين الخبر فجمع اهله وفيهم ابوه نجم الدين ايوب وخاله شهاب الدين الحارمي ومعهم سائر الامراء واعلمهم ما بلغه من عزم نور الدين وحركته اليه واستشارهم فلم يجبه احد بكلمة واحدة فقام تقي الدين عمر ابن اخي صلاح الدين فقال اذا جاءنا قاتلناه ومنعناه عن البلاد ووافقه غيره من اهلهم فشتمهم نجم الدين ايوب وانكر ذلك واستعظمه وشتم تقي الدين واقعده وقال لصلاح الدين انا ابوك وهذا خالك شهاب الدين ونحن اكثر محبة لك من جميع من ترى والله لو رايت انا وهذا خالك نور الدين لم يمكننا الا ان نقبل بين يديه ولو امرنا ان نضرب عنقك بالسيف لفعلنا فاذا كنا نحن هكذا فما ظنك بغيرنا وكل من تراه عندك من الامراء لو راى نور الدين وحده لم يتجاسروا على الثبات على سروجهم وهذه البلاد له ونحن مماليكه ونوابه فيها فان أراد سمعنا واطعنا والراي ان تكتب كتابا مع نجاب تقول فيه بلغني انك تريد الحركة لاجل البلاد فاي حاجة الى هذا يرسل المولى نجابا يضع في رقبتي منديلا ويأخذني اليك وما ههنا من يمتنع وقام الامراء وغيرهم وتفرقوا على هذا فلما خلا به أيوب قال له باي عقل فعلت هذا اما تعلم ان نور الدين اذا سمع عزمنا على منعه ومحاربته جعلنا أهم الوجوه اليه وحينئذ لا نقوى عليه واما الآن اذا بلغه ما جرى وطاعتنا له تركنا واشتغل بغيرنا والاقدار تعمل عملها والله لو أراد نور الدين قصبة من قصب السكر لقاتلته انا عليها حتى أمنعه او اقتل ففعل صلاح الدين ما أشار به فترك نور الدين قصده واشتغل بغيره فكان الامر كما ظنه أيوب فتوفي نور الدين ولم يقصده وملك صلاح الدين البلاد وكان هذا من أحسن الآراء وأجودها

(ذكر غزوة الى الفرنج بالشام)

وفي هذه السنة خرج مركبان من مصر الى الشام فارسيا بمدينة لاذقية فاخذهما الفرنج وهما مملوآن من الامتعة والتجارة وكان بينهم وبين نور الدين هدنة فنكثوا وغدروا فارسل نور الدين اليهم في المعنى واعادة ما اخذوه من اموال التجار فغالطوه واحتجوا بامور منها ان المركبين كانا قد انكسرا ودخلهما الماء وكان الشرط ان كل مركب ينكسر ويدخله الماء يأخذونه فلم يقبل مغالطتهم وجمع العساكر وبث السرايا في بلادهم بعضها نحو انطاكية وبعضها نحو طرابلس وحصر هو حصن عرقة وخرب ربضه وارسل طائفة من العسكر الى حصن صافيثا وعريمة فاخذهما عنوة ونهب وخرب وغنم المسلمون غنائم كثيرة وعادوا اليه وهو بعرقة فسار في العساكر جميعها الى ان قارب طرابلس ينهب ويخرب ويحرق ويقتل واما الذين ساروا الى انطاكية ففعلوا في ولايتها مثل ما فعل في ولاية طرابلس فراجعه الفرنج وبذلوا جميع ما اخذوه من المركبين وتجديد الهدنة معهم فاجابهم الى ذلك واعادوا ما اخذوا وهم صاغرون وقد خربت بلادهم وغنمت اموالهم

(ذكر وفاة ابن مردنيش وملك يوسف بن عبد المؤمن بلاده)

يؤول بعد انقراض مستحقيه لضريح من الاضرحة التي تحت نظره واحضر ذلك الكاتب ووبخه ولعنه ولم يضربه وابطل تلك المكاتبة ومحاها من سجل القاضي او يصالحونه على تنفيذ ذلك مع انها لا تؤول الى تلك الجهة الا بعد سنين واعوام متطاولة وقد نص علماء الشرع على ان الوقف والنذر للقبور والاضرحة باطل فان قيل بصرفه على الفقراء قلنا ان سدنة هذه الاضرحة ليسوا بفقراء بل هم الآن اغنى الناس والفقراء حقيقة خلافهم من اولاد الناس الذين لا كسب لهم والكثير من اهل العلم الخاملين والذين يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ولما استولى المترجم على وظيفة نظر المشهد الحسيني قهر السيد بدوي المباشر المذكور واخذ دار سكنه شرقي المسجد واخرجه منها وهدمها وانشاها دارا لنفسه ينزل بها ايام المولد المعتاد ويأتي اليها في كل جمعة او جمعتين ولما تم بناؤها ونظامها وقرب وقت ايام المولد انتقل اليها بخدمه وحريمه وتقدم الى حكام الشرطة بامر الناس والمناداة على اهل الاسواق والحوانيت بالسهر بالليل ووقود السرج والقناديل خمس عشرة ليلة المولد وكان في السابق ليلة واحدة واحدث في تلك الليالي سيارات وجمعيات وطبولا وزمورا ومناور ومشاعل وجمع خلائق من اوباش العالم الذين ينتسبون الى الطرائق كالاحمدية

في هذه السنة توفي الامير محمد بن سعد بن مردنيش صاحب البلاد بشرق الاندلس وهي مرسية وبلنسية وغيرهما ووصى اولاده ان يقصدوا بعد موته الامير ابا يعقوب يوسف وكان قد اجتاز الى الاندلس في مائة الف مقاتل قبل موت ابن مردنيش فحين رآهم فرح بهم وسر بقدومهم عليه وتسلم بلادهم وتزوج اختهم واكرمهم وعظم امرهم ووصلهم بالاموال الجزيلة واقاموا معه

(ذكر عبور الخطا جيحون والحرب بينهم وبين خوارزمشاه)

في هذه السنة عبر الخطا نهر جيحون يريدون خوارزم فسمع صاحبها خوارزمشاه ايل ارسلان بن اتسز فجمع عساكره وسار الى امويه ليقاتلهم ويصدهم فمرض واقام بها وسير بعض جيشه مع امير كبير اليهم فلقيهم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم الخوارزميون واسر مقدمهم ورجع به الخطا الى ماوراء النهر وعاد خوارزمشاه الى خوارزم مريضا

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة اتخذ نور الدين بالشام الحمام الهوادي وهي التي يقال لها المناسيب وهي تطير من البلاد البعيدة الى اوكارها وجعلها في جميع بلاده وسبب ذلك انه لما اتسعت بلاده وطالت مملكته وعرضت اكنافها وتباعدت اوائلها عن اواخرها ثم انها جاورت بلاد الفرنج وكانوا ربما نازلوا حصنا من ثغوره فالى ان يصل الخبر ويصل اليهم قد بلغوا غرضهم منه فامر بالحمام ليصل الخبر اليه في يومه واجرى الجرايات على المرتبين لحفظها واقامتها فحصل منها الراحة العظيمة والنفع الكبير للمسلمين وفيها عزل الخليفة المستضيء بامر الله وزيره عضد الدين ابا الفرج بن رئيس الرؤساء لان قطب الدين قايماز الزمه بعزله فلم يمكنه مخالفته وفيها مات ابو محمد عبد الله بن احمد الخشاب اللغوي وكان عالما بالعربية وسمع الحديث وفيها مات البوري الفقيه الشافعي تفقه على محمد بن يحيى وقدم بغداد ووعظ وكان يذم الحنابلة وكثرت اتباعه فاصابه اسهال فمات هو وجماعة من اصحابه فقيل ان الحنابلة اهدوا له حلوا فاكل منها فمات وكل من اكل منها وفيها مات القرطبي ابو بكر يحيى بن سعدون بن تمام الازدي الاندلسي وكان اماما في القراءة والنحو وغيره من العلوم زاهدا عابدا انتفع به الناس في كثير من البلاد ولا سيما اهل الموصل فانه اقام بها وفيها توفي رحمه الله

(ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسمائة)

(ذكر وفاة خوارزمشاه ايل ارسلان وملك ولده سلطانشاه وبعده ولده الآخر تكش وقتل المؤيد وملك ابنه)

في هذه السنة توفي خوارزمشاه ايل ارسلان بن اتسز بن محمد بن انوشتكين قد عاد من قتال الخطا مريضا فتوفي وملك بعده سلطانشاه محمود ودبرت والدته المملكة والعساكر وكان ابنه الاكبر علاء الدين تكش مقيما في الجند قد اقطعه ابوه اياها فلما بلغه موت ابيه وتولية اخيه الصغير انف من ذلك وقصد ملك الخطا واستمده على اخيه واطمعه

وعبارات تشمئز منها الطباع وأمرهم بان يجروا من تحت داره ودعا أمراء البلدة في ظرف تلك الايام متفرقين ودعا عابدين باشا يوم المولد ولما سكن بتلك الدار وهي قبالة الميضاة والمراحيض فكان يتضرر من الرائحة فقصد ابطالها من تلك الجهة فاشترى دارا قبلي المسجد وهي بجانب حائط المسجد الجنوبية الفاصلة بينها و بين المسجد وأدخل منها جانبا في المسجد وزاد فيه مقدار باكية وجعلها مرتفعة عن أرض المسجد درجة لتمتاز عن البناء القديم وجعل به محرابا ومن خلفه خلوة يسلك اليها من باب بصدر الليوان المذكور الى فسحة لطيفة امام الخلوة وبالخلوة شباك مطل على الليوان الصغير الذي بقبة الضريح وانشأ في باقي من الدار ميضاة ومراحيض وفتح لها بابا من داخل المسجد من آخره بجانب باب السبيل وأبطل الميضاة القديمة لانحراف مزاجه وتاذيه من رائحتها وتحول عبور الناس من داخل وخارج الى هذه الجديدة واتت عليها عدة ايام ففاحت الروائح على المصلين ومن بالمسجد وما انضاف الى ذلك أيضا من البلل والتقذير من أوحال الاوباش لقربها من المسجد فلغط الناس ومن يحضر في أوقات الصلاة

فى الاموال وذخائر خوارزم فسير معه جيشا كثيفا مقدمهم قرما فساروا حتى قاربوا
خوارزم فخرج سلطانشاه وأمه الى المؤيد واهدى له هدية جليلة المقدار ووعده أموال
خوارزم وذخائرها فاغتر بقوله وجمع جيوشه وسار معه حتى بلغ سوبرلى بليدة على
عشرين فرسخا من خوارزم وكان تكش قد عسكر بالقرب منها فتقدم اليهم فلما تراءى
الجمعان انهزم عسكر المؤيد وكسر المؤيد وأخذ اسيرا وجىء به الى خوارزمشاه تكش فأمر
بقتله فقتل بين يديه صبرا وهرب سلطانشاه وأخذ الى دهستان فقصده خوارزمشاه تكش
فافتتح المدينة عنوة فهرب سلطانشاه واخذت امه فقتلها تكش وعاد الى خوارزم ولما عاد
المنهزمون الى نيسابور ملكوا طغانشاه ابابكر بن المؤيد واتصل به سلطانشاه ثم سار
من هنالك الى غياث الدين ملك الغورية فاكرمه وعظمه واحسن ضيافته واما علاء
الدين تكش فانه لما ثبت قدمه بخوارزم اتصلت به رسل الخطا بالاقتراحات والتحكم
كعادتهم فاخذته حمية الملك والدين وقتل احد اقارب الملك وكان قد ورد اليه ومعه
جماعة ارسله ملكهم فى مطالبة خوارزمشاه بالمال فامر خوارزمشاه اعيان خوارزم
فقتل كل واحد منهم رجلا من الخطا فلم يسلم منهم احد ونبذوا الى ملك الخطا عهده
وبلغ ذلك سلطانشاه فسار الى ملك الخطا واغتنم الفرصة بهذه الحال واستنجده على أخيه
علاء الدين تكش وزعم له أن أهل خوارزم معه يريدونه ويختارون ملكه عليهم ولو
رأوه لسلموا البلد اليه فسير معه جيشا كثيرا من الخطا مع قرما ايضا فوصلوا الى خوارزم
فحصروها فامر خوارزمشاه علاء الدين باجراء ماء جيحون عليهم فكادوا يغرقون
فرحلوا ولم يبلغوا منها غرضا ولحقهم الندم حيث لم ينفعهم ولام واسلطانشاه وعنفوه
فقال لهم لو ارسلت معى جيشا الى مرو فاستخلصتها من يد دينار الغزى وكان قد استولى
عليها من حين كانت فتنة الغز الى الآن فسير معه جيشا فنزل على سرخس على غرة
من اهلها وهجم على الغز فقتل مقتلة عظيمة فلم يترك وابها احدا منهم والقى دينار
ملكهم نفسه فى خندق القلعة فاخرج منه ودخل القلعة وتحصن بها وسار سلطانشاه الى
مرو فملكها وعاد الخطا الى ماوراء النهر وجعل سلطانشاه دأبه قتال الغز والقتل فيهم
والنهب منهم فلما عجز دينار عن مقاومته ارسل الى نيسابور الى طغانشاه بن المؤيد
يقول له ليرسل اليه من يسلم اليه قلعة سرخس فارسل اليه جيشا مع امير اسمه قراقوش
فسلم اليه دينار القلعة ولحق بطغانشاه فقصد سلطانشاه سرخس وحصر قلعتها وبلغ
ذلك طغانشاه فجمع جيوشه وقصد سرخس فلما التقى هو وسلطانشاه فر طغان
شاه الى نيسابور وذلك سنة ست وسبعين وخمسمائة فاخلى قراقوش قلعة سرخس
ولحق بصاحبه وملكها سلطانشاه ثم أخذ طوس والزام وضيق الامر على طغان
شاه بعلو همته وقلة قراره وحرصه على طلب الملك وكان طغانشاه يحب الدعة ومعاقرة
الخمر فلم يزل الحال كذلك الى ان مات طغانشاه سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة فى المحرم
وملك ابنه سنجرشاه فغلب عليه مملوك جده المؤيد اسمه منكلى تكين فتفرق الامراء
أنفة من تحكمه واتى اكثرهم سلطانشاه وسار الملك دينار الى كرمان ومعه الغز

من أثر الدخان المخليل والنبار وشحوا القاعة وقاموا قومتوا حلة و أغلقوا الباب وأبطلوا تلك الميضاة ومنعوا
من دخولها وساعدهم
المتصوفون من اجناسهم
فانكسف بال الترجمان لذلك
ولم يمكنه تنفيذ فعله وأعاد
الميضاة القديمة كما كانت
وجعل المستجدة مربطا للحمير
يستقل ابرته بعدان ازال
تلك الميضاة وعفا اثر ذلك
وكان بناء هذه الزيادة سنة
ست بعد المائتين ثم زاد فى
منزل سكنهم زيادة من ناحية
البركة المعروفة ببركة الفيل
خلف البستان أخذ فى تلك
الزيادة مقدارا كبيرا من
ارض البركة وانشاء مجلسا
مربعا متسعا مطلا على البركة
من جهتيه وبوسطه عامود
من الرخام وبلط دور قاعته
بالرخام وجعل به مخدعا
وخارجه فسحة كبيرة
وشبابيكها مطلة على البركة
وصارت القاعة القديمة
المعروفة بالغزال الملتفت
بابها فى ضمن الفسحة وبها
باب القيطون وسمى هذه
المنشية الاسعدية وبتلك
الفسحة باب يدخل منه الى
منافع ومرافق ثم عن له التغيير
والتبديل لاوضاع البيت
من ناحية اخرى فهدم
الساتر على القاعة الكبيرة
وفسحتها وهى التى يسمونها
بام الافراح وهى من انشاء
الشيخ أبى التخصيص وهى
أعظم المجالس التى بدارهم مزخرفة بالنقوش الذهب والقيشانى الصينى

فملكها واما منكلى تكين فانه اساء السيرة فى الرعية واخذ اموالهم وقتل بعض الامراء فسمع خوارزمشاه بذلك فسار اليه فحصره بنيسابور فى ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة فحصرها شهرين فلم يظفر بها وعاد الى خوارزم ثم رجع سنة ثلاث وثمانين الى نيسابور فحصرها وطلبوا منه الامان فامنهم فسلموا البلد اليه فقتل منكلى تكين واخذ سنجر شاه واكرمه وانزله بخوارزم واحسن اليه فارسل الى نيسابور يستميل اهلها ليعودوا اليهم فسمع به خوارزمشاه فاخذ سنجر شاه فسمله وكان قد تزوج بامه وزوجه بابنته فماتت فزوجه باخته وبقى عنده الى ان مات سنة خمس وتسعين وخمسمائة ذكر هذا ابو الحسن بن أبى القاسم البيهقى فى كتاب مشارب التجارب وقد ذكر غيره من العلماء بالتواريخ هذه الحوادث مخالفة لهذا فى بعض الامور مع تقديم وتاخير ونحن نوردها فقال ان تكش خوارزمشاه بن ارسلان اخرج اخاه سلطان شاه من خوارزم وكان قد ملكها بعد موت ابيه فجاء الى مرو فملكها وازاح الغز عنها فخرجوا اياما ثم عادوا عليه فاخرجوه منها وانتهبوا خزائنه وقتلوا اكثر رجاله فعبر الى الخطا فاستنجدهم وضمن لهم مالا وجاء بجيش عظيم فاخرج الغز عن مرو وسرخس ونسا وابيورد وملكها ورد الخطا فلما ابعدوا كاتب غياث الدين الغورى يطلب منه ان ينزل عن هراة وبوشنج وبادغيس وما والاها ويتوعده ان هو لم ينزل عن ذلك فاجابه غياث الدين يطلب منه اقامة الخطبة له بمرو وسرخس وما ملكه من بلاد خراسان فلما سمع الرسالة سار عن مرو وشن الغارات على بادغيس وبيوار وما والاها وحصر بوشنج ونهب الرساتيق وصادر الرعايا فلما سمع غياث الدين ذلك لم يرض لنفسه ان يسير هو بل سير ملك سجستان وكاتب ابن اخته بهاء الدين سام صاحب باميان باللحاق به لان اخاه شهاب الدين كان بالهند والزمان شتاء فجاء بهاء الدين ابن اخت غياث الدين وملك سجستان ومن معهما من العساكر ووافق ذلك وصول سلطان شاه الى هراة فلما علم بوصولهم عاد الى مرو من غير ان يقاتلها واحرق كل ما مر به من البلاد ونهب واقام بمرو الى الربيع واعاد مراسلة غياث الدين فى المعنى فارسل الى اخيه شهاب الدين يعرفه الحال فنادى فى عساكره بالرحيل لساعته وعاد الى خراسان واجتمع هو واخوه غياث الدين وملك سجستان وغيرهم من العساكر وقصدوا سلطان شاه فلما علم ذلك جمع عساكره واجتمع عليه من الغز والمفسدين وقطاع الطريق ومن عنده طمع خلق كثير فنزل غياث الدين ومن معه فى الطالقان ونزل سلطان شاه بمرو الروذ وتقدم عسكر الغورية اليه وتواعدوا المصاف وبقوا كذلك شهرين والرسل تتردد بين غياث الدين وبين سلطان شاه وشهاب الدين يطلب من اخيه غياث الدين الاذن فى الحرب فلا يتركه وتقرر الامر على ان يسلم غياث الدين الى سلطان شاه بوشنج وبادغيس وقلاع بيوار وكره ذلك شهاب الدين وبهاء الدين صاحب باميان الا انهما لم يخالفا غياث الدين وفى آخر الامر حضر رسول سلطان شاه عند غياث الدين وحضر الامراء ليكتب العهد فقال الرسول ان سلطان شاه يطلب ان يحضر شهاب الدين وبهاء الدين هذا الامر فارسل غياث الدين

بتقسيم حيطانها والرخام الملون و بها الفسقية والسلسبيل والقمريات الملونة فكشف حائطها وادخل فسحتها فى رحبة الحوش وهدم القاعة الاخرى التى كان يصعد اليها بسلم من الفسحة الاخرى وابطل الحواصل التى اسفلها وساواها بالارض وعمل بها فسقية بالرخام ومرافقها من داخلها و بها باب يتوصل منه الى الحريم وسماها الانوارية نسبة لكنيته وامامها فسحة عظيمة دوان بدكك وكراسى بجانب البستان وبها الطرقة والدهليز الممتد بوسط البستان الموصل الى القاعة المسماة بالغزال والاسعدية وهدم المقعد القديم الذى به العامود وقناطره وما كان بظاهر الحاصل المسمى بحاصل السجادة من الحواصل السفلية وجعله مسجدا يصلى فيه الجمعة ونصب فيه منبرا للخطبة وذلك لبعد المساجد الجامعة عن داره وتعاظمه عن السعى الكثير والاختلاط بالعامة واخذ قطعة وافرة من بيت كتخدا الجاويشية ووسع بها البستان وغرس بها الاشجار والرياحين والثمار وافنى غالب عمره فى تحصيل الدنيا وتنظيم المعاش والرفاهية واقتناء كل مرغوب للنفس وشراء الجوارى والمماليك والعبيد والحبوش والخصيان والتانق فى المآكل والمشارب والملابس واستخراج الادهار والمضربات والمركبات المفرحة والمدهشة للقوة وتعاظم فى نفسه وتعالى على البهما

اليهما فاعاد الجواب انا مماليكك ومهما تفعله لايمكننا الخالفتك فبينما الناس
مجتمعون فى تحرير الامر واذ قد اقبل مجد الدين العلوى الهروى اليه وكان خصيصا
بغياث الدين بحيث يفعل فى ملكه ما يختار فلا يخالف فجاء العلوى وبده فى يد
الب غازى ابن اخت غياث الدين وقد كتبوا الكتاب وقد احضر غياث الدين اخاه
شهاب الدين وبهاء الدين سام ملك باميان فجاء العلوى كانه يسارر غياث الدين
ووقف فى وسط الحلقة وقال الرسول يا فلان تقول للسلطان شاه قد تم لك الصلح من
جانب السلطان الاعظم ومن شهاب الدين وبهاء الدين ويقول لك العلوى خصمك
انا ومولانا الب غازى بيننا وبينك السيف ثم صرخ صرخة ومزق ثيابه وحثى التراب
على راسه واقبل على غياث الدين وقال له هذا واحد طرده اخوه واخرجه فريدا وحيدا
لم يترك له ما ملكناه باسيافنا من الغزو الاتراك والسنجرية فاذا سمع هذا عنا يجىء
اخوه يطلب منازعته والهند وجميع ما بيدك فحرك غياث الدين راسه ولم يفه بكلمة
فقال ملك سجستان العلوى اترك الامر ينصلح فلما لم يتكلم غياث الدين منع العلوى
قال شهاب الدين لجاوشيته نادوا فى العسكر بالتجهز للحرب والتقدم الى مرو الروذ وقام
وانشد العلوى بيتا من الشعر عجميا معناه ان الموت تحت السيوف اسهل من الرضا
بالدنية فرجع الرسول الى سلطان شاه واعلمه الحال فرتب عساكره للمصاف
والتقى الفريقان واقتتلوا فصبروا الحرب فانهزم سلطان شاه وعسكره واخذ اكثر
اصحابه اسارى فاطلقهم غياث الدين ودخل سلطان شاه مرو فى عشرين فارسا ولحق به
من اصحابه نحو الف وخمسمائة فارس ولما سمع خوارزمشاه تكش بما جرى لاخيه
سار من خوارزم فى الفى فارس وارسل الى جيحون ثلاثة آلاف فارس يقطعون
الطريق على اخيه ان اراد الخطا وجد فى السير ليقبض على اخيه قبل ان يقوى فاتت
الاخبار سلطان شاه بذلك فلم يقدر على عبور جيحون الى الخطا فسار الى غياث الدين
وكتب اليه يعلمه قصده اليه فكتب الى هراة وغيرها من بلاده باكرامه واحترامه
وحمل الاقامات اليه ففعل به ذلك وقدم على غياث الدين والتقاه واكرمه وانزله معه
فى داره وانزل اصحاب سلطان شاه كل انسان منهم عند من هو فى طبقته فانزل الوزير
عند وزيره والعارض عند عارضه وكذلك غيره واقام عنده حتى انسلخ الشتاء
فارسل علاء الدين بن خوارزمشاه الى غياث الدين يذكر ما صنعه اخوه سلطان شاه
من تخريب بلاده وجمع العساكر عليه ويشير بالقبض عليه ورده اليه فانزل الرسول
واذا قد اتى كتاب نائبه بهراة يخبره ان كتاب خوارزمشاه جاءه يتهدده فاجابه
انه لا يظهر لخوارزمشاه انه اعلمه بالحال واحضر الرسول وقال له يقول لعلاء الدين
اما قولك ان سلطان شاه اخرب البلاد واراد ملكها فلعمرى انه ملك وابن ملك وله
همة عالية واذا اراد الملك فمثله اراده وللامور مدبر يوصلها الى مستحقها وقد التجأ الى
وينبغى ان تنزاح عن بلاده وتعطيه نصيبه مما خلفه ابوه ومن الاملاك التى خلف
والاموال واحلف لكما بيننا على المودة والمصافاة وتخطب لى بخوارزم وتزوج اخى

ابناء جنسه حتى انه ترفع على لبس التاج وحضور الهيا بالازهر ليلة المعراج وكذا الحضور فى مجلس وردهم
الذى هو محل عزهم وفخرهم
وصار يلبس قاووقا بعمامة
خضراء تشبها باكابر الامراء
وبعدا عن التشبه بالمتعممين
والفقهاء والمقرئين ولما طالت
ايامه وماتت اقرانه والذين
كان يستحى منهم ويهابهم
وتقلبت عليه الدول
واندرجت اكابر الامراء وتامر
اتباعهم ومماليكهم الذين
كانوا يقومون على اقدامهم
بين يدى مخاديمهم واسيادهم
جلوس بالادب مع المترجم
لا جرم كانت هيبته فى قلوبهم
اعظم من اسلافهم واستصغاره
هو لهم كذلك فكان يصدعهم
بالكلام وينفذ امره فيهم
ويذكر الامير الكبير بقوله
ولدنا الامير فلان وحوائجه
عندهم مقضية وكلامه
لديهم مسموع وشفاعته مقبولة
واوامره نافذة فيهم وفى
حواشيهم وحريماتهم واتفق
ان بعض اعاظم المباشرين
من الاقباط توقف معه فى امر
فاحضره ولعنه وسبه وكشف
راسه وضربه على دماغه بزنجة
من الجلد ولم يراع حرمة اميره
وهو اذ ذاك امير البلد ولما
شكا الى مخدومه ما فعل به
قال له وما تريد ان اصنع بشيخ
عظيم ضرب نصرانيا فرحم
الله عظامهم واتفق ايضا
ان جماعة من اولاد البلد
ووجوهاتها اجتمعوا ليلة نزل بعض اصحابهم وتباسطوا واخذ بعضهم يسخر ويقلد بعض اصحاب المظالم فوشى

شهاب الدين باختك فلما سمع خوارزمشاه الرسالة امتعض لذلك وكتب الى غياث
الدين كتابا يتهدده بقصد بلاده فجهز غياث الدين العساكر مع ابن اخت ألب غازي
وصاحب سجستان وسيرهما مع سلطان شاه الى خوارزم وكتب الى المؤيد صاحب
نيسابور يستنجده وكان قد صار بينهما مصاهرة زوج المؤيد ابنه طغان شاه بابنة
غياث الدين فجمع المؤيد عساكره واقام بظاهر نيسابور على طريق خوارزم وكان
خوارزمشاه قد سار عن خوارزم الى لقاء عسكر الغورية الذين مع اخيه سلطان شاه
وقد نزلوا بطرف الرمل فبينما هو في مسيره اتاه خبر المؤيد انه قد جمع عساكره وانه
على قصد خوارزم اذا فارقها فوقع في قلبه وعاد الى خوارزم فاخذ امواله وذخائره وعبر
جيحون الى الخطا واخلى خوارزم فوقع بها خبط عظيم فحضر جماعة من أعيانها
عند الب غازي وسالوا ارسال أمير معهم يضبط البلد فخاف ان تكون مكيدة فلم
يفعل فبينما هم على ذلك توفي سلطان شاه سلخ رمضان سنة تسع وثمانين وخمسمائة
فكتب الب غازي الى غياث الدين يعلمه الخبر فكتب اليه يامره بالعود اليه فرجع
ومعه اصحاب سلطان شاه فامر غياث الدين بان يستخدموا واقطع الاجناد الاقطاعات
الجيدة وكلهم قابل احسانه بكفران وسنذكر باقي اخبارهم ولما سمع خوارزمشاه
تكش بوفاة اخيه عاد الى خوارزم وارسل الى سرخس ومرو شحنة فجهز اليهم امير
هراة عمر المرغني جيشا فاخرجوهم وقال حتى نستاذن السلطان غياث الدين وارسل
خوارزمشاه رسولا الى غياث الدين يطلب الصلح والمصاهرة وسير مع رسوله جماعة
من فقهاء خراسان والعلويين ومعهم وجيه الدين محمود بن محمود وهو الذي جعل
غياث الدين شافعيا وكان له عنده منزلة كبيرة فوعظوه وخوفوه الله تعالى واعلموه ان
خوارزمشاه يراسلهم يتهددهم بانه يجيء بالاتراك والخطا ويستبيح حريمهم واموالهم
وقالوا له اما ان تحضر انت بنفسك وتجعل مرو دار ملكك حتى ينقطع طمع
الكافرين ويامن أهلها واما ان تصالح خوارزمشاه فاجاب الى الصلح وترك معارضة
البلاد فلما سمع من بخراسان من الغز بذلك طمعوا في البلاد فعاودوا النهب والاحراق
والتخريب فسمع خوارزمشاه فجمع عساكره وحضر بخراسان ودخل مرو وسرخس
ونسا وابيورد وغيرها واصلح البلاد وتطرق الى طوس وهي للمؤيد صاحب نيسابور فجمع
المؤيد جيوشه وسار اليه فلما سمع خوارزمشاه بسيره اليه عاد الى خوارزم فلما وصل
الى الرمل اقام بطرفه فلما سمع المؤيد بعودة خوارزمشاه طمع فيه وتبعه فلما سمع
خوارزمشاه بذلك ارسل الى المناهل التي في البرية فالقى فيها الجيف والتراب بحيث لم
يمكن الانتفاع بها فلما توسط المؤيد البرية طلب الماء فلم يجده فجاء خوارزمشاه اليه
وهو على تلك الحال ومعه الماء على الجمال فاحاط به فاما عسكره فاستسلموا باسرهم
وجيء بالمؤيد اسيرا الى خوارزمشاه فامر بضرب عنقه فقال له يا مخنث هذا فعال الناس
فلم يلتفت اليه وقتله وحمل راسه الى خوارزم فلما قتل ملك نيسابور ملك ما كان له ابنه
طغان شاه فلما كان من قابل جمع خوارزمشاه عساكره وسار الى نيسابور فحاصرها

وقاتلها

للترجمة بعضهم وانهم اذا رجوه في مغاربتهم فتسماهم واحضرهم واحدا بعد واحد وعززهم بالضرب والاهانة
فكان كل قليل يقع في يده
الضرب والاهانة لافراد من
الناس وكذلك فلاحو
الحصص التي حازها والتزم
بها فانه زاد في خراجهم عن
شركائه ويفرض عليهم
زيادات ويحبسهم عليها
شهورا ويضربهم بالكرابيج
وبالجملة فقد قلب الموضوع
وغير الرسم المطبوع بعد ان
كان منزلهم محل ملوك ورشاد
وولاية واعتقاد فصار كبيت
حاكم الشرطة يخافه من غلط
او في غلطة ويتحاماه الناس
من جميع الاجناس وجلساؤه
ومرافقوه لا يعارضونه في شيء
بل يوافقونه ولا يتكلمون
معه الا بميزان وملاحظة
الاركان ويتأدبون معه في رد
الجواب وحذف كاف الخطاب
ونقل الضمائر عن وضعها
في غالب الالفاظ بل كلها
حتى في الآثار المروية
والاحاديث النبوية وغير
ذلك من المبالغات وتحسين
العبارات والوصف بالمناقب
الجليلة والاوصاف الجميلة
حتى ان السيد حسينا
المنزلاوي الخطيب كان ينشئ
خطبا يخطب بها يوم الجمعة
التي يكون المترجم حاضرا
فيها بالمشهد الحسيني وبزاويتهم
ايام المولد ويدرج فيها الاطراء
العظيم في المترجم والتوسل
به في كشف المهمات وتفريج الكروب وغفران الذنوب حتى اني سمعته الا يقول بعد الصلاة لم يبق على

وقتلها فتبعه طغان شاه واخذ دوزق بجماعته وحمله معه الى خوارزم وملك نيسابور وما كان لطغان شاه وقوى امره هـذا الذى ذكر فى هذه الرواية مخالف لما تقدم ولو امكن الجمع بين الروايتين لفعلت فان احدهما قد قدم ما أخره الآخر فلهذا اوردنا جميع ما قالاه ولبعد البلاد عنا لم نعلم اى القولين اصح لنذكره ونترك الآخر وانما اوردتها فى موضع واحد لان ايام سلطان شاه لم تطل له ولا لعقابه حتى تتفرق على السنين فلهذا اوردتها متتابعة

●(ذكر غارة الفرنج على بلد حوران وغارة المسلمين على بلد الفرنج)●

فى هذه السنة فى ربيع الاول اجتمعت الفرنج وساروا الى بلد حوران من اعمال دمشق للغارة عليه وبلغ الخبر الى نور الدين وكان قد برز ونزل هو وعسكره بالكسوة فسار اليهم مجدا وقدم مجموعه عليهم فلما علموا بقربه منهم دخلوا الى السواد وهو من اعمال دمشق أيضا ولحقهم المسلمون فتخطفوا من ساقتهم ونالوا منهم وسار نور الدين فنزل فى عشترا وسير منها سرية الى أعمال طبرية فشنوا الغارات عليها فنهبوا وسبوا واسروا وخربوا فسمع الفرنج ذلك فرحلوا اليهم ليمنعوا عن بلادهم فلما وصلوا كان قد فرغ المسلمون من نهبهم وغنيمتهم وعادوا وعبروا النهر وادركهم الفرنج فوقف مقابلهم شجعان المسلمين وحماتهم فقاتلوهم فاشتد القتال وصبر الفريقان الفرنج يرومون أن يلحقوا الغنيمة فيردوها والمسلمون يريدون ان يمنعوهم عنها ليبعد بها من قد سار معها فلما طال القتال بينهم وأبعدت الغنيمة وسلمت مع المسلمين عاد الفرنج ولم يقدروا أن يستردوا منها شيئا

●(ذكر مسير شمس الدولة الى بلد النوبة)●

فى هذه السنة فى جمادى الاولى سار شمس الدولة توران شاه بن أيوب أخو صلاح الدين الاكبر من مصر الى بلد النوبة فوصل الى أول بلادهم ليتغلب عليه ويملكه وكان سبب ذلك ان صلاح الدين وأهله كانوا يعلمون ان نور الدين كان على عزم الدخول الى مصر فاستقر الراى بينهم أنهم يتملكون اما بلاد النوبة أو بلاد اليمن حتى اذا وصل اليهم نور الدين لقوه وصدوه عن البلاد فان قووا على منعه أقاموا بمصر وان عجزوا عن منعه ركبوا البحر ولحقوا بالبلاد التى قد افتتحوها فجهز شمس الدولة وسار الى اسوان ومنها الى بلد النوبة فنازل قلعة اسمها ابريم فحصرها وقاتله اهلها فلم يكن لهم بقتال العسكر الاسلامى قوة لانهم ليس لهم جنة تقيهم السهام وغيرها من آلة الحرب فسلموها فملكها واقام بها ولم ير البلاد دخلا يرغب فيه ويحتمل المشقة لاجله وقوتهم الذرة فلما راى عدم الحاصل وقشف العيش مع مباشرة الحروب ومعاناة التعب والمشقة تركها وعاد الى مصر بما غنم وكان عامة غنيمتهم العبيد والجوارى

●(ذكر ملبح بن ليون بالروم)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى هزم مليح بن ليون الارمنى صاحب بلاد الدروب المجاورة

الخطيب الا انى يقول اركبوا معجبوا واه بدواشيخ السادات ولما قدمت الفرنساوية الى الديار المصرية فى اوائل سنة ثلاث عشرة ومائتين والف لم يتعرضوا له فى شئ وراعوا جانبه وافرجوا عن تعلقاته وقبلوا شفاعاته وتردد اليه كبيرهم واطاعوهم وعمل لهم ولائم وكنت اصاحبه فى الذهاب الى مساكنهم والتفرج على صنائعهم ونقوشهم وتصاويرهم وغرائبهم الى ان حضر ركب العثمانيين فى سنة خمسة عشرة وحصلت بينهم المصالحة على انتقال الفرنساوية من ارض مصر ورجوعهم الى بلادهم على شروط اشترطوها بينهم وبين وزير الدولة العثمانية (ومنها) حسابات تدفع اليهم وأخرى تخصم عليهم وظن المترجم وخلافه اتمام الامر والارتحال لا محالة فعند ذلك لحقه الطمع فذكر مصلحة دفعها لكاتب جيشهم فى قطر الافراج عن تعلقاته وأوسل يطلبها من بوسليك مدبر الجمهور وكذلك ماقبضه ترجمانه فقال هذه واشدلابد منها ودخلت فى حساب الجمهور وتغير خاطرهم منه وكانت منه هفوة ترتب عليها بينهم و بينه الجفوة ولما انتقض الصلح وحصلت المخالفة ووقعت المحاربة فى داخل المدينة وترست العساكر الاسلامية واهل البلد فى النواحى والجهات وانقطع الجالب عن اهل البلد مدة ستة وثلاثين يوما التزم اغنياء الناس واصحاب المظاهر

بحلب عسكر الروم من القسطنطينية وسبب ذلك ان نور الدين كان قد استخدم مليح المذكور واقطعه اقطاعا سنيا وكان ملازم الخدمة لنور الدين ومشاهدا لحروبه مع الفرنج ومباشر الها وكان هذا من جيد الراى وصائبه فان نور الدين لما قيل له فى معنى استخدامه واعطائه الاقطاع فى بلاد الشام قال استعين به على قتال اهل ملته وارفه طائفة من عسكرى تكون بازائه لتمنعه من الغارة على البلاد المجاورة له وكان مليح ايضا يتقوى بنور الدين على من يجاوره من الارمن والروم وكانت مدينة اذنة والمصيصة وطرسوس بيد ملك الروم صاحب القسطنطينية فاخذها مليح منهم لانها تجاور بلاده فسير اليه ملك الروم جيشا كثيفا وجعل عليهم بعض اعيان البطارقة من اقاربه فلقيهم مليح ومعه طائفة من عسكر نور الدين فقاتلهم وصدقهم القتال وصابرهم فانهزمت الروم وكثر فيهم القتل والاسر وقويت شوكة مليح وانقطع امل الروم من تلك البلاد وارسل مليح الى نور الدين كثيرا من غنائمهم ومن الاسرى ثلاثين رجلا من مشهوريهم واعيانهم فسير نور الدين بعض ذلك الى الخليفة المستضئ بامر الله وكتب يعتد بهذا الفتح لان بعض جنده فعلوه

(ذكر وفاة ايلدكز)

فى هذه السنة توفى اتابك شمس الدين ايلدكز بهمذان وملك بعده ابنه محمد البهلوان ولم يختلف عليه احد وكان ايلدكز هذا مملوكا للكمال السميرمى وزير السلطان محمود فلما قتل الكمال كما ذكرناه سار ايلدكز الى السلطان محمود فلما ولى السلطان مسعود السلطنة ولاه ارانية فمضى اليها ولم يعد يحضر عند السلطان مسعود ولا غيره ثم ملك اكثر اذربيجان وبلاد الجبل وهمذان وغيرها واصفهان والرى وما والاها من البلاد وخطب بالسلطنة لابن امرأته ارسلان شاه بن طغرل وكان عسكره خمسين الف فارس سوى الاتباع واتسع ملكه من باب تفليس الى مكران ولم يكن للسلطان ارسلان معه حكم انما كان له جراية تصل اليه وبلغ من تحكمه عليه انه شرب ليلة فوهب ما فى خزانته وكان كثيرا فلما سمع ايلدكز بذلك استعاده جميعا وقال له متى اخرجت المال فى غير وجهه اخذته ايضا من غير وجهه وظلمت الرعية وكان ايلدكز عاقلا حسن السيرة يجلس بنفسه للرعية ويسمع شكاويهم وينصف بعضهم من بعض

(ذكر وصول الترك الى افريقية وملكهم طرابلس وغيرها)

فى هذه السنة سار طائفة من الترك من ديار مصر مع قراقوش مملوك تقى الدين عمر بن اخى صلاح الدين يوسف بن ايوب الى جبال نفوسة واجتمع به مسعود بن زمام المعروف بمسعود البلاط وهو من اعيان الامراء هناك وكان خارجا عن طاعة عبد المؤمن فاتفقا وكثر جمعهما ونزلا على طرابلس الغرب فحاصراها وضيقا على اهلها ثم فتحت فاستولى عليها قراقوش واسكن اهله قصرها وملك كثيرا من بلاد افريقية ما خلا المهدية وسفاقس وقفصة وتونس وما والاها من القرى والمواضع وصار مع قراقوش عسكر كثير

الاهتمام والاتفاق على الفساد بين ... ولما تأثر فى جهتهم ونواحيهم والتزم المترجم كثيرة الاتفاق من نحوله فلما انقضت ايام المحاربة وانتصر الفرنساوية ورجع الوزير ومن معه الى جهة الشام منهزمين فعند ذلك انتقم الفرنساوية من المبارزين لهم باخذ المال بدلا عن الارواح وقبضوا على المترجم وحبسوه واهانوه اياما وفرضوا عليه قدرا عظيما من المال ولم يدفعه كما ذكرنا ذلك مفصلا فى محله وقيل ان الذى زاد الفرنساوية اغراء به مرادبك حين اصطلح معهم وعمل لهم ضيافة ببر الجيزة وسببه انه لما دهمت الفرنساوية وطلعوا الاسكندرية ووصل الخبر الى مصر اجتمع الامراء بالمعاطب وطلبوا المشايخ ليتشاوروا فى هذا الحادث فتكلم المترجم وخاطبهم بالتوبيخ وقال كل هذا سوء فعالكم وظلمكم وآخر امرنا معكم ملكتمونا الافرنج وشافه مرادبك وخصوصا بافعالك وتعديك أنت وامرائك على متاجرهم واخذ بضائعهم واهانتهم فحقدها عليه وكتمها فى نفسه حتى اصطلح مع الفرنساوية والقى اليهم ما القاه ففعلوا به ما ذكر وذلك فى ثانى يوم الضيافة فلما رجع العثمانية فى السنة الثانية الى مصر بمعونة الانكليز وصاروا بالقرب من المدينة حبسوا المترجم مع من حبس بالقلعة من ارباب المظاهر خوفا من احداثهم

كثير

كثير فحكم على تلك البلاد بمساعدة العرب بما جبلت عليه من التخريب والنهب والافساد بقطع الاشجار والثمار وغير ذلك فجمع بها اموالا عظيمة وجعلها بمدينة قابس وقويت نفسه وحدثته بالاستيلاء على جميع افريقية لبعد ابي يعقوب بن عبد المؤمن صاحبها عنها وكان ما سنذكره ان شاء الله

●(ذكر غزو ابن عبد المؤمن الفرنج بالاندلس)●

في هذه السنة جمع أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن عساكره وسار من اشبيلية الى الغزو فقصد بلاد الفرنج ونزل على مدينة وبذي وهي بالقرب من طليطلة شرقا منها وحصرها واجتمعت الفرنج على ابن الفنش ملك طليطلة في جمع كثير فلم يقدموا على لقاء المسلمين فاتفق ان الغلاء اشتد على المسلمين وعدمت الاقوات عندهم وهم في جمع كثير فاضطروا الى مفارقة بلاد الفرنج فعادوا الى اشبيلية وأقام يعقوب بها الى سنة احدى وسبعين وخمسمائة وهو على ذلك يجهز العساكر ويسيرها الى غزو بلاد الفرنج في كل وقت فكان له فيها عدة وقائع وغزوات ظهر فيها للعرب من الشجاعة ما لا يوصف وصار الفارس من العرب يبرز بين الصفين ويطلب مبارزة الفارس المشهور من الفرنج فلا يبرز اليه أحد ثم عاد أبو يعقوب الى مراكش

●(ذكر نهب نهاوند)●

في هذه السنة نهب عسكر شملة نهاوند وسبب ذلك ان شملة كان أيام ايلدكز لا يزال يطلب منه نهاوند لكونها مجاورة بلاده ويبذل فيها الاموال فلا يجيبه الى ذلك فلما مات ايلدكز وملك بعده ولده محمد البهلوان وسار الى اذربيجان لاصلاحها انفذ شملة ابن اخيه ابن شنكا لاخذ نهاوند وبلغ أهل البلد الخبر فتحصنوا وحصرهم وقاتلهم وقاتلوه وأفحشوا في سبه فلما علم انه لا طاقة له بهم رجع الى تستر وهي قريبة منها وأرسل أهل نهاوند الى البهلوان يطلبون منه نجدة فتأخرت عنهم فلما اطمأنوا خرج ابن شنكا من تستر في خمسمائة فارس وسار يوما وليلة فقطع أربعين فرسخا حتى وصل الى نهاوند وضرب البوق وأظهر انه من أصحاب البهلوان لانه جاءهم من ناحيته ففتح أهل البلد له الابواب فدخله فلما توسط قبض على القاضي والرؤساء وصلبهم ونهب البلد وقطع أنف الوالي وأطلقه وتوجه نحو ماسبذان قاصدا العراق

●(ذكر قصد نور الدين بلاد قلج ارسلان)●

في هذه السنة سار نور الدين محمود بن زنكي الى مملكة عز الدين قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان وهي ملطية وسيواس واقصرا وغيرها ملازما على حربه وأخذ بلاده منه وكان سبب ذلك ان ذا النون بن الدانشمند صاحب ملطية وسيواس قصده قلج ارسلان وأخذ بلاده وأخرجه عنها طريدا فريدا فسار الى نور الدين مستجيرا به وملتجئا اليه فاكرم نزله وأحسن اليه وحمل له ما يليق أن يحمل الى الملوك ووعده النصرة والسعي في رد ملكه اليه ثم انه أرسل الى قلج ارسلان يتشفع في اعادة ملكه فلم يجبه الى ذلك فسار

فتنة بالبلدة ومات ولده الذى كان سماه محمد انور الله وهو معوق وعمره ٧ ٥ ، فاذنوا له فى حضوره جنازة ولده فنزل وصحبته شخص حربى منهم فلازمه حتى واراه وعاد به ذلك الحربى الى القلعة وكان هذا الولد مراهقا له من العمر اثنتا عشرة سنة كان فى أمله ان يكون هو الخليفة فى بيتهم من بعده ويأبى الله الا ما يريد ولما انفصل الامر وارتحل الفرنساوية من ارض مصر ودخل اليها يوسف باشا الوزير ومن معه تقدم المترجم يشكو اليه حاله وما اصابه وادعى الفقر والاملاق مع ان الفرنساوية لم يحجزوا عنه شيئا من تعلقاته وايراده وجعل شكواه وما حصل له سلما للافراج عن جميع تعلقاته وايراده من غير حلوان كغيره من الناس وزاد على ذلك اشياء ومطالب ومساعدات ودعا الوزير الى داره وافراد رجال الدولة الذين بيدهم مقاليد الامور وعاد الى حالته فى التعاظم والكبرياء وارتحل الوزير بعد استقرار محمد باشا خسرو على ولاية مصر وكان معوجا وكذلك شريف افندى الدفتردار فرمح فى غفلتهما واستكثر من التحصيل والايراد الى ان تقلبت الاحوال وعادت المصريين فى سنة ثمان عشرة ثم خروجهم وما وقع من الحوادث التى تقدم ذكرها واستقر محمد على باشا وثبتت قدمه بمعونة العامة والسيد عمر مكرم بمملكة مصر وشرع فى تمهيد مقاصده فكان السيد عمر

نور الدين اليه فابتدأ بكيسون وبهنسى ومرعش ومرزبان فملكها وما بينها وكان ملكه لمرعش أوائل ذي القعدة والباقي بعدها فلما ملكها سير طائفة من عسكره الى سيواس فملكوها وكان قلج ارسلان لما سار نور الدين الى بلاده قد سار من طرفها التي تلي الشام الى وسطها وراسل نور الدين يستعطفه ويسأله الصلح فتوقف نور الدين عن قصده رجاء ان ينصلح الامر بغير حرب فأتاه عن الفرنج ما أزعجه فاجابه الى الصلح وشرط عليه ان ينجده بعسكر الى الغزاة وقال له أنت مجاور الروم ولا تغزوهم وبيدك قطعة كبيرة من بلاد الاسلام ولابد من الغزاة معي فاجابه الى ذلك وبقي سيواس على حالها بيد نواب نور الدين وهي لذي النون فبقي العسكر في خدمة ذي النون الى ان مات نور الدين فلما مات رحل عسكره عنها وعاد قلج ارسلان وملكها وهي بيد أولاده الى الآن سنة نيف وعشرين وستمائة ولما كان نور الدين في هذه السفرة جاءه رسول كمال الدين أبي الفضل محمد بن عبد الله بن الشهرزوري من بغداد ومعه منشور من الخليفة بالموصل والجزيرة واربل وخلاط والشام وبلاد قلج ارسلان وديار مصر

(ذكر رحيل صلاح الدين من مصر الى الكرك وعوده عنها)

في هذه السنة في شوال رحل صلاح الدين يوسف بن أيوب من مصر بعساكرها جميعها الى بلاد الفرنج يريد حصر الكرك والاجتماع مع نور الدين عليه والاتفاق على قصد بلاد الفرنج من جهتين كل واحد منهما في جهة بعسكره وسبب ذلك ان نور الدين لما أنكر على صلاح الدين عوده من بلاد الفرنج في العام الماضي وأراد نور الدين قصد مصر وأخذها منه أرسل يعتذر ويعد من نفسه بالحركة على ما يقرره نور الدين فاستقرت القاعدة بينهما ان صلاح الدين يخرج من مصر ويسير نور الدين من دمشق فأيهما سبق صاحبه يقيم الى أن يصل الآخر اليه وتواعدا على يوم معلوم يكون وصولهما فيه فسار صلاح الدين عن مصر لان طريقه أبعد وأشق ووصل الى الكرك وحصره وأما نور الدين فانه لما وصل اليه كتاب صلاح الدين برحيله من مصر فرق الاموال وحصل الازواد وما يحتاج اليه وسار الى الكرك فوصل الى الرقيم وبينه وبين الكرك مرحلتان فلما سمع صلاح الدين بقربه خافه هو وجميع أهله واتفق رأيهم على العود الى مصر وترك الاجتماع بنور الدين لانهم علموا انه ان اجتمعا كان عزله على نور الدين سهلا فلما عاد أرسل الفقيه عيسى الى نور الدين يعتذر عن رحيله بانه كان قد استخلف أباه نجم الدين أيوب على ديار مصر وانه مريض شديد المرض ويخاف أن يحدث حادث الموت فتخرج البلاد عن أيديهم وأرسل معه من التحف والهدايا ما يجل عن الوصف فجاء الرسول الى نور الدين وأعلمه ذلك فعظم عليه وعلم المراد من العود الا انه لم يظهر للرسول تأثرا بل قال له حفظ مصر أهم عندنا من غيرها وسار صلاح الدين الى مصر فوجد أباه قد قضى نحبه ولحق بربه وكلمة تقول لقائلها دعني وكان سبب موت نجم الدين انه ركب يوما فرسا بمصر فنفر به الفرس نفرة كبيرة شديدة فسقط عنه فحمل الى قصره وقيذا وبقي أياما

ومات

في المنفذ برهل اخراجه من مصر وجمع المشايخ واحضر المترجم وخلع عليه وقلده النقابة واخرج السيد عمر من مصر منفيا الى دمياط وذلك في سنة اربع وعشرين كما تقدم ووافق فعله ذلك غرض المترجم بل ربما كان بمعونته لحقده الباطني على السيد عمر وتشوفه الى النقابة وادعائه انها كانت بيتهم لكون الشيخ ابي هادي تولاها اياما ثم تولاها بعده ابو الامداد ثم نزل عنها لمحمد افندي البكري الكبير فلم يزل في نفس المترجم التطلع لنقابة الاشراف ويصرح بقوله انها من وظائفنا القديمة واحضر بها مرسوما من دار السلطنة واخفاه ولم يظهره مدة حياة محمد افندي البكري الكبير فلما مات وتقلدها ولده محمد افندي ادعاها واظهر المرسوم وشاع خبر ذلك فاجتمع الجم الغفير من الاشراف بالمشهد الحسيني ممانعين وقائلين لا نرضاه نقيبا ولا حاكما علينا فلم يتم له مراده فلما توفي محمد افندي الصغير ظن انه لم يبق له فيها منازع فلا يشعر الا وقد تقلدها السيد عمر بمعونة مراد بك وابراهيم بك لصحبته معهما ومرافقته لهما في الغربة حين كان المصريون بالصعيد فسكت على ضغن وغيظ يخفيه تارة ويظهره اخرى وخصوصا وهو يرى ان السيد عمر في ذلك دون ذلك بكثير فلما اخرج الفرنساوية ودخل الوزير الى مصر وصحبته السيد عمر متقلدا

للنقابة كما كان وانفصل عنها السيد خليل البكري وارتفع شان السيد عمر وزاد امره بمباشرة الوقائع وولاية محمد

ومات في السابع والعشرين من ذي الحجة وكان خيرا عاقلا حسن السيرة كريما جوادا كثير الاحسان الى الفقراء والصوفية واهل العلم وقد تقدم من ذكره وابتداء أمره وأمر أخيه شيركوه ما لا حاجة الى اعادته

❁(ذكر عدة حوادث)❁

في هذه السنة زادت دجلة زيادة كثيرة أشرفت بها بغداد على الغرق في شعبان وسدوا أبواب الدروب ووصل الماء الى قبة أحمد بن حنبل ووصل الى النظامية ورباط شيخ الشيوخ واشتغل الناصر بالعمل في القورج ثم نقص وكفي الناس شره وفيها وقعت النار ببغداد من درب بهروز الى باب جامع القصر ومن الجانب الآخر من حجر النحاس الى دار أم الخليفة وفيها أغار بنو حزن من خفاجة على سواد العراق وسبب ذلك ان الحماية كانت لهم لسواد العراق فلما تمكن يزدن من البلاد وتسلم الحلة أخذها منهم وجعلها لبني كعب من خفاجة وأغار بنو حزن على السواد فسار يزدن في عسكر ومعه الغضبان الخفاجي وهو من بني كعب لقتال بني حزن فبينما هم سائرون ليلا رمى بعض الجند الغضبان بسهم فقتله لفساده وكان في السواد فلما قتل عاد العسكر الى بغداد وأعيدت خفارة السواد الى بني حزن وفيها خرج ترجم الايوائي في جمع من التركمان في حياة ايلدكز وتطرق اعمال همذان ونهب الدينور واستباح الحريم وسمع ايلدكز الخبر وهو بنقجوان فسار مجدا فخف من عسكره فقصده فهرب ترجم الى ان قارب بغداد وتبعه ايلدكز فظن الخليفة انها حيلة ليصل الى بغداد بغتة فشرع في جمع العساكر وعمل السور فارسل الى ايلدكز الخلع والالقاب الكبيرة فاعتذر انه لم يقصد الا كف ترجم وفيها توفي الامير يزدن وهو من اكابر أمراء بغداد وكان يتشيع فوقع بسببه فتنة بين السنية والشيعة بواسط لان الشيعة جلسوا له للعزاء وأظهر السنية الشماتة به فآل الامر الى القتال فقتل بينهم جماعة ولما مات اقطع اخوه تنامش ما كان لاخيه وهي مدينة واسط ولقب علاء الدين وفيها ارسل نور الدين محمود بن زنكي رسولا الى الخليفة وكان الرسول القاضي كمال الدين ابا الفضل محمد بن عبد الله الشهرزوري قاضي بلاده جميعها مع الوقوف والديوان وحمله رسالة مضمونها الخدمة للديوان وما هو عليه من جهاد الكفار وفتح بلادهم ويطلب تقليدا بما بيده من البلاد مصر والشام والجزيرة والموصل وبما في طاعته كديار بكر وما يجاور ذلك كخلاط وبلاد قلج ارسلان وان يعطي من الاقطاع بسواد العراق ما كان لابيه زنكي وهو صريفين ودرب هرون والتمس ارضا على شاطئ دجلة يبني بها مدرسة للشافعية ويوقف عليها صريفين ودرب هرون فاكرم كمال الدين اكراما لم يكرمه رسول قبله واجيب الى ما التمسه فمات نور الدين قبل الشروع في بناء المدرسة رحمه الله

❁(ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة)❁

❁(ذكر ملك شمس الدولة زبيد وغيرها من بلاد اليمن)❁

علي باشا وصار بيده الحل والعقد والامر والنهي والمرجع في الامور الكلية والجزئية والمترجم يحقد عليه في الباطن ويظهر له خلافه وهو الآخر كذلك كقول الشاعر

أصادقه كرها ويظهر انه
صديقي كرها والعداوة تشتد
ولست بعتدله بصداقة
كانه مني بها ليس يعتد
وذلك الا في عالم وهو عالم
فعلي منه أتى مثله عند
ولكنني اخشاه وهو يخافني
فيخفي ويبدو بيننا البغض والود

فلما اخرج الباشا السيد عمر وتقلد المترجم النقابة وبلغ مأموله عند ذلك أظهر الكامن في نفسه وصرح بالمكروه في حق السيد عمر ومن ينتمي اليه او يواليه وسطر فيه عرضا محضرا الى الدولة نسب اليه فيه انواعا من الموبقات التي منها انه ادخل جماعة من الاقباط في دفتر الاشراف وقطع اناسا من الشرفاء المستحقين وصرف راتبهم للاقباط المدخلين ومنها انه تسبب في خراب الاقليم واثارة الفتن وموالاة البغاة المصريين وتطميعهم في المملكة حتى انه وعدهم بالهجوم على البلدة يوم قطع الخليج في غفلة الباشا

 والنـ ين والعسا كر وانه هو والذي اغرى المصريين على قتل علي باشا برغل

قدذكرنا قبل ان صلاح الدين يوسف بن ايوب صاحب مصر واهله كانوا يخافون من نور الدين محمود أن يدخل الى مصر فيأخذها منهم فشرعوا في تحصيل مملكة يقصدونها و يتملكونها تكون عدة لهم ان اخرجهم نور الدين من مصر ساروا اليها واقاموا بها فسيروا شمس الدولة تورانشاه بن ايوب وهو اخو صلاح الدين الاكبر الى بلد النوبة فكان ما ذكرناه فلما عاد الى مصر استأذنوا نور الدين في ان يسير الى اليمن لقصد عبد النبي صاحب زبيد لاجل قطع الخطبة العباسية فاذن في ذلك وكان بمصر شاعر اسمه عمارة من اهل اليمن فكان يحسن لشمس الدولة قصد اليمن ويصف البلاد له و يعظم ذلك في عينه فزاده قوله رغبة فيها فشرع يتجهز و يعد الازواد والروايا والسلاح وغيره من الآلات وجند الاجناد فجمع وحشد وسار عن مصر مستهل رجب فوصل الى مكة اعزها الله تعالى ومنها الى زبيد وفيها صاحبها المتغلب عليها المعروف بعبد النبي فلما قرب منها رآه اهلها فاستقل من معه فقال لهم عبد النبي كانكم بهؤلاء وقد حمى عليهم الحر فهلكوا الا اكلة رام فخرج اليهم بعسكره فقاتلهم شمس الدولة ومن معه فلم يثبت اهل زبيد وانهزموا ووصل المصريون الى سور زبيد فلم يجدوا عليه من يمنعهم فنصبوا السلالم وصعدوا السور فملكوا البلد عنوة ونهبوه واكثروا النهب واخذوا عبد النبي اسيرا وزوجته المدعوة بالحرة وكانت امرأة صالحة كثيرة الصدقة لاسيما اذا حجت فان فقراء الحاج كانوا يجدون عندها صدقة دارة وخيرا كثيرا ومعروفا عظيما فلما اسر شمس الدولة عبد النبي وسلم شمس الدولة عبد النبي الى بعض امرائه يقال له سيف الدولة مبارك بن كامل من بني منقذ اصحاب شيزر وامره ان يستخرج منه الاموال فاعطاه منها شيئا كثيرا ثم انه دلهم على قبر كان قد صنعه لوالده و بنى عليه بنية عظيمة وله هنالك دفائن كثيرة فاعلمهم بها فاستخرجت الاموال من هنالك وكانت جليلة المقدار واما الحرة فانها ايضا كانت تدلهم على ودائع لها فاخذ منها مالا كثيرا ولما ملكوا زبيد واستقر الامر لهم بها ودانت اهلها واقيمت فيها الخطبة العباسية اصلحوا احوالها وساروا الى عدن وهي على البحر ولها مرسى عظيم وهي فرضة الهند والزنج والحبشة وعمان وكرمان وكيش وفارس وغير ذلك وهي من جهة البر من امنع البلاد واحصنها وصاحبها انسان اسمه ياسر فلو اقام بها ولم يخرج عنها لعادوا خائبين وانما حمله جهله وانقضاء مدته على الخروج اليهم ومباشرة قتالهم فسار اليهم وقاتلهم فانهزم ياسر ومن معه وسبقهم بعض عسكر شمس الدولة فدخلوا البلد قبل اهله فملكوه واخذوا صاحبها ياسرا اسيرا وارادوا نهب البلد فمنعهم شمس الدولة وقال ما جئنا لنخرب البلاد وانما جئنا لنملكها ونعمرها وننتفع بدخلها فلم ينهب احد منها شيئا فبقيت على حالها وثبت ملكه واستقر امره ولما مضى الى عدن كان معه عبد النبي صاحب زبيد ماسورا فلما دخل الى عدن قال سبحان الله كنت قد علمت انى ادخل الى عدن في موكب كبير فانا انتظر ذلك واسر به ولم اكن اعلم انني ادخلها على هذا الحال ولما فرغ شمس الدولة من امر عدن عاد الى زبيد وحصر ما في الجبل من

الحصون

الطرابلسي حسين قدم واليا على مصر وهو الذي كاتب الانكليز وطمعهم في البلاد مع الالفي حين حضر والى اسكندرية وملكوها ونصر الله عليهم العساكر الاسلامية وغير ذلك من عبارات عكس القضية وتنميق الاغراض النفسانية وكتب الاشياخ عليه خطوطهم وطبعوا ختومهم ماعدا الطهطاوي الحنفي فانه تنحى عن الشرور وامتنع من شهادة الزور فاوسعوه سخطا ومقتا وعزلوه من الافتا وقد تقدم خبر ذلك في حوادث سنة اربع وعشرين وانما المعنى باعادة ذلك هنا تتمة لترجمة المشار اليه وحذرا من نقصها مع النسيان لا كثر جلها فلو سلمت الفكرة من النسيان لفاقت سيرته كان وكان وفي سنة ست وعشرين انشا دارا عظيمة بجانب المنزل وصرف بجملا من المال وانشا بها مجالس وقاعات ورواشن ومنافع ومرافق وفساقي وانشا فيها بستانا غرس فيه انواع الاشجار المثمرة وادخل به ما حازه من دور الامراء المتخربة وكان السيد خليل البكري اشترى دار ايدرب القرن وذلك بعد خروج الفرنساوية وتحول امره وعزله من مشيخة البكرية والنقابة وانشا بها بستانا انيقا وانشا قصرا مرتفعا ولده مطلا على البستان فلما توفي السيد خليل تعدي على ولده سيدي احمد وقهره واخذ منه ذلك البستان بابخس الاثمان وخلطه ببستان الدار

الحصون فملك قلعة تعزوهي من احصن القلاع و بها تكون خزائن صاحب زبيد وملك ايضا قلعة التعكر والجند وغيرهما من المعاقل والحصون واستناب بعدن عزالدين عثمان بن الزنجيلي وبزبيد سيف الدولة مبارك بن منقذ وجعل فى كل قلعة نائبا من اصحابه والتى ملكوه باليمن جرانه ودام واحسن شمس الدولة الى اهل البلاد واستصفى طاعتهم بالعدل والاحسان وعادت زبيد الى احسن احوالها من العمارة والامن بعد خرابها

●(ذكر قتل جماعة من المصريين ارادوا الوثوب بصلاح الدين)●

فى هذه السنة ثانى رمضان صلب صلاح الدين يوسف بن ايوب جماعة ممن اراد الوثوب به بمصر من أصحاب الخلفاء العلويين وسبب ذلك ان جماعة من الشيعة منهم عمارة بن ابى الحسن اليمنى الشاعر وعبد الصمد الكاتب والقاضى العويرس وداعى الدعاة وغيرهم من جند المصريين ورجالتهم السودان وحاشية القصر وافقهم جماعة من أمراء صلاح الدين وجنده واتفق رأيهم على استدعاء الفرنج من صقلية ومن ساحل الشام الى ديار مصر على شئ بذلوه لهم من المال والبلاد فاذا قصدوا البلاد فان خرج صلاح الدين بنفسه اليهم ثاروا هم فى القاهرة ومصر واعادوا الدولة العلوية وعاد من معه من العسكر الذين وافقوهم عنه فلا يبقى له مقام مقابل الفرنج وان كان صلاح الدين يقيم ويرسل العساكر اليهم ثاروا به واخذوه اخذا باليد لعدم الناصر له وقال لهم عمارة وانا قد ابعدت أخاه الى اليمن خوفا ان يسد مسده وتجتمع الكلمة عليه بعده وارسلوا الى الفرنج وصقلية والساحل فى ذلك وتقررت القاعدة بينهم ولم يبق الا رحيل الفرنج وكان من لطف الله بالمسلمين ان الجماعة المصريين ادخلوا معهم زين الدين على بن نجا الواعظ والقاضى المعروف بابن نجية ورتبوا الخليفة والوزير والحاجب والداعى والقضاة الا ان بنى رزيك قالوا يكون الوزير منا و بنى شاور والقاضى قالوا يكون الوزير منا فلما علم ابن نجا الحال حضر عند صلاح الدين وأعلمه حقيقة الامر فامره بملازمتهم ومخالطتهم ومواطاتهم على ما يريدون يفعلونه وتعريفه ما يتجدد اولا باول ففعل ذلك وصار يطالعه بكل ما عزموا عليه ثم وصل رسول من ملك الفرنج بالساحل بهدية ورسالة وهو فى الظاهر اليه والباطن الى اولئك الجماعة وكان يرسل اليهم بعض النصارى وتأتيه رسلهم فاتى الخبر الى صلاح الدين من بلاد الفرنج بجلية الحال فوضع صلاح الدين على الرسول بعض من يثق اليه من النصارى وداخله فاخبره الرسول بالخبر على حقيقته فقبض حينئذ على المقدمين فى هذه الحادثة منهم عمارة وعبد الصمد الكاتب والعويرس وغيرهم وصلبهم وقيل فى كشف امرهم ان عبد الصمد المذكور كان اذا لقى القاضى الفاضل الصلاحى يخدمه ويتقرب اليه بجهده وطاقته فلقيه يوما فلم يلتفت اليه فقال القاضى الفاضل ماهذا الا لسبب وخاف أن يكون قد صار له باطن مع صلاح الدين فاحضر على بن نجا الواعظ واخبره الحال وقال أريد تكشف لى

الجديد فهو فى سوره واحاطه واقام حائطا بينه وبين دار المذكور وطمسها واعماها ١٧٩١ وسدت الحائط شبابيك ذلك القصر واظلمته ولم يزل كلما طال عمره زاد كبره وقل بره وتعدى شره ولما ضعفت قواه تقاعد عن القيام لاعاظم الناس اذا دخل عليه متحججا بالاعياء والضعف ولازم استعمال المنعشات والمركبات المفرحة ولا يصلح العطار ما أفسد الدهر (وفى شهر شوال) من السنة التى توفى فيها احضر ابن اخيه سيدى احمد الذى تولى المشيخة بعده والبسه خلعة وتاجا وجعله وكيلا عنه فى نقابة الاشراف واركبه فرسا بعباءة وارسله الى الباشا صحبة سيدى محمد المعروف بابى دفية وامامه جاويشية النقابة على العادة فلما دخلا الى الباشا وعرفه المرسول بان عمه اقامه وكيلا عنه فقال مبارك فاشار اليه ان يلبسه خلعة فقال ان موكله البسه ولم يتقلدها بالاصالة ولو كنت قلدته انا كنت اخلع عليه والبسه فقام ونزل الى داره التى اسكنه بها عمه وهى الدار التى عند المشهد الحسينى وحضر اليه الناس للسلام والتهنئة وفى هذه السنة ايضا عن للترجم ان يزيد فى المسجد الحسينى زيادة مضافة لزيادته الاولى التى كان زادها فى سنة ست ومائتين والف فهدم الحائط التى كان بناها الجنوبية وادخل القصبة التى كان عمل بها الميضأة و زاد بائكة أخرى بوصف عواميد وصارت

الامر فسعى فى كشفه فلم يره من جانب صلاح الدين شيئا فعدل الى الجانب الآخر فكشف الحال وحضر عند القاضى الفاضل واعلمه فقال تحضر الساعة عند صلاح الدين وتنهى الحال اليه فحضر عند صلاح الدين وهو فى الجامع فذكر له الحال فقام وأخذ الجماعة وقررهم فاقروا فامر بصلبهم وكان عمارة بينه وبين الفاضل عداوة من أيام العاضد وقبلها فلما أراد صلبه قام القاضى الفاضل وخاطب صلاح الدين فى اطلاقه وظن عمارة انه يحرض على هلاكه فقال اصلاح الدين يامولانا لا تسمع منه فى حقى فغضب الفاضل وخرج وقال صلاح الدين لعمارة انه كان يشفع فيك فندم ثم اخرج عمارة ليصلب فطلب ان يمر به على مجلس الفاضل فاجتازوا به عليه فاغلق بابه ولم يجتمع به فقال عمارة

عبد الرحيم قد احتجب ✱ ان الخلاص هو العجب

ثم صلب هو والجماعة ونودى فى أجناد المصريين بالرحيل من ديار مصر ومفارقتها الى أقاصى الصعيد واحتيط على من بالقصر من سلالة العاضد وغيره من أهله وأما الذين فاقوا على صلاح الدين من جنده فلم يعرض لهم ولا أعلمهم انه علم بحالهم وأما الفرنج فان فرنج صقلية قصدوا الاسكندرية على ما نذكره ان شاء الله تعالى لانهم لم يتصل بهم ظهور الخبر عند صلاح الدين وأما فرنج الساحل الشامى فانهم لم يتحركوا لعلمهم بحقيقة الحال وكان عمارة شاعرا مفلقا فمن شعره

لو ان قلبى يوم كاظمة معى ✱ لملكته وكظمت فيض الادمع
قلب كفاك من الصبابة انه ✱ لبى نداء الظاعنين وما دعى
ما القلب أول غادر فالومه ✱ هى شيمة الايام مذ خلقت معى
ومن الظنون الفاسدات توهمى ✱ بعد اليقين بقاءه فى أضلعى

وله أيضا

لى فى هوى الرشأ العذرى اعذار ✱ لم يبق لى مذ اقر الدمع انكار
لى فى القدود وفى لثم الخدود وفى ✱ ضم النهود لبانات وأوطار
هذا اختيارى فوافق ان رضيت به ✱ اولا فدعنى وما أهوى وأختار

وله ديوان شعر مشهور فى غاية الحسن والرقة والملاحة

✱(ذكر وفاة نور الدين محمود بن زنكى رحمه الله)✱

فى هذه السنة توفى نور الدين محمود بن زنكى بن آقسنقر صاحب الشام وديار الجزيرة ومصر يوم الاربعاء حادى عشر شوال بعلة الخوانيق ودفن بقلعة دمشق ونقل منها الى المدرسة التى انشاها بدمشق عند سوق الخواصين ومن عجيب الاتفاق انه ركب ثانى شوال والى جانبه بعض الامراء الاخيار فقال له الامير سبحان من يعلم هل نجتمع هنا فى العام المقبل ام لا فقال نور الدين لا تقل هكذا بل سبحان من يعلم هل نجتمع بعد شهر ام لا فمات نور الدين رحمه الله بعد احد عشر يوما ومات الامير قبل الحول فاخذ كل منهما

مع القديمة ليبوانا او اسدا وشرع فى بناء دار عظيمة لينزل فيها وثمت بجميع حالة فى أيام المولد وغيره وهو شاخص الدار التى نزل عنها لابن اخيه فتكون هذه بعيدة عن روائح الميضاة القديمة وتكون بالشارع وغير من تحتها حوانيت الاشاير ولا يحتاجون الى تعديهم المسجد ودخولهم من طريق باب القبة وجعل بالحائط الفاصل بين الزيادة والدار المستجدة شبابيك مطلة على المسجد لينظر منها المجالس والوقودات من يكون بالدار من الحريم وغيرهم فانشاه والاوقد قرب اتمام ذلك الا وقد زاد به الاعياء والمرض وانقطع عن النزول من الحريم وعمت الزيادة ولم يبق الا اتمام الدار فيستعجل ويشتم المشد والمهندس وينسب اليهم اهمال استعداد العمال ويقول قد قرب المولد ولم تكمل الدار فاين نجلس ايام المولد هذا وكل يوم يزيد مرضه وتورمت قدماه وضعف عن الحركة وهو يقول ذلك ويؤمل الحياة فلما زاد به الحال وتحقق الرحيل الى مغفرة المولى الجليل اوصى لاتباعه بدراهم ولذى الفقار الذى كان كتخدا الا لفى والآن فى خوالة بستان الباشا الذى بشبرا بخمسمائة ريال لكون زوجته خشداشة حريمه وهما من جوارى اسمعيل ملنا الكبير وليكون معينا لها ومساعدا فى مهماتها ولسيدى محمد ابى دفية مثلها فى نظير خدمته وتقيده وملازمته بها

بما قاله وكان قد شرع يتجهز للدخول الى مصر لاخذها من صلاح الدين يوسف بن أيوب فانه رأى منه فتورا فى غزو الفرنج من ناحيته وكان يعلم انه انما يمتنع صلاح الدين من الغزو والخوف منه ومن الاجتماع به فانه يؤثر كون الفرنج فى الطريق ليمتنع بهم من نور الدين فارسل الى الموصل وديار الجزيرة وديار بكر يطلب العساكر للغزاة وكان عزمه أن يتركها مع ابن أخيه سيف الدين غازى صاحب الموصل والشام ويسير هو بعساكره الى مصر فبينما هو يتجهز لذلك أتاه امر الله الذى لامرد له حكى لى طبيب كان يخدم نور الدين وهو من حذاق الاطباء قال استدعانى نور الدين فى مرضه الذى توفى فيه مع غيرى من الاطباء فدخلنا اليه وهو فى بيت صغير بقلعة دمشق وقد تمكنت الخوانيق منه وقارب الهلاك فلا يكاد يسمع صوته وكان يخلو فيه للتعبد فابتدأ به المرض فلم ينتقل عنه فلما دخلنا ورأينا ما به قلت له كان ينبغى ان لا تؤخرا حضارنا الى ان يشتد بك المرض الآن وينبغى ان تعجل الانتقال من هذا الموضع الى مكان فسيح مضىء فله اثر فى هذا المرض وشرعنا فى علاجه واشرنا بالفصد فقال ابن ستين لا يفتصد وامتنع منه فعالجناه بغيره فلم ينجع فيه الدواء وعظم الداء ومات رحمه الله ورضى عنه وكان اسمر طويل القامة ليس له لحية الا فى حنكه وكان واسع الجبهة حسن الصورة حلو العينين وكان قد اتسع ملكه جدا وخطب له بالحرمين الشريفين وباليمن لما دخلها شمس الدولة بن ايوب وملكها وكان مولده سنة احدى عشرة وخمسمائة وطبق ذكره الارض بحسن سيرته وعدله وقد طالعت سير الملوك المتقدمين فلم ار فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز احسن من سيرته ولا اكثر تحريا منه للعدل وقد اتينا على كثير من ذلك فى كتاب الباهر من اخبار دولتهم ولنذكر ههنا نبذة لعل يقف عليها من له حكم فيقتدى به فمن ذلك زهده وعبادته وعلمه فانه كان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف الا فى الذى يخصه من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة ومن الاموال المرصدة لمصالح المسلمين ولقد شكت اليه زوجته من الضائقة فاعطاها ثلاث دكاكين فى حمص كانت له يحصل له منها فى السنة نحو العشرين دينارا فلما استقلتها قال ليس لى الا هذا وجميع ما بيدى انا فيه خازن للمسلمين لا اخونهم فيه ولا اخوض نار جهنم لاجلك وكان يصلى كثيرا بالليل وله فيه اوراد حسنة وكان كما قيل

جمع الشجاعة والخشوع لربه ✱ ما احسن المحراب فى المحراب

وكان عارفا بالفقه على مذهب ابى حنيفة ليس عنده فيه تعصب وسمع الحديث واسمعه طلبا للاجر واما عدله فانه لم يترك فى بلاده على سعتها مكسا ولا عشرا بل اطلقها جميعها فى مصر والشام والجزيرة والموصل وكان يعظم الشريعة ويقف عند احكامها واحضره انسان الى مجلس الحكم فمضى معه اليه وارسل الى القاضى كمال الدين بن الشهرزورى يقول قد جئت محاكما فاسلك معى ما تسلك مع الخصوم وظهر الحق له فوهبه الخصم الذى احضره وقال اردت ان أترك له ما يدعيه انما خفت ان يكون الباعث لى على ذلك الكبر والانفة من الحضور الى مجلس الشريعة فحضرت ثم وهبته ما يدعيه وبنى

له واوصى أن لا يغسل الا على سريره المندى الذى كان ينام عليه فى حياته ليكون غسله على السرير حتى فى حال الموت فلما كان يوم الاحد ثامن عشر ربيع الاول من السنة انقضى نحبه وتوفى الى رحمة الله تعالى وقت العصر وبات بالمنزل ميتا فلما اصبح يوم الاثنين غسل وكفن كما اوصى على السرير وخرجوا بجنازته من المنزل ووصلوا بها الى الازهر فصلى عليه بعد ما انشد المنشد مرثية من انشاء العلامة الشيخ حسن العطار وجعل براعة استهلالها الاشارة الى ما كان عليه المترجم من التعاظم والتفاخر فقال ✱

سلام على الدنيا فقد ذهب الفخر

ثم حمل الى مشهد اسلافه بالقرافة ودفن فى التربة التى اعدها لنفسه بجانب مقام جدهم وتقلد مشيخة سجادتهم فى ذلك اليوم السيد احمد ابن الشيخ يوسف وهو ابن عمه وعصبته وكنيته ابو الاقبال باجماع من الخاص والعام وجلس هو واخوه سيدى يحيى لتلقى العزاء وفى الصباح حضر الى الرباط بالخرنفش وكان بزاوية الرباط المذكور خلوة جدهم اقام بها حين حضر من الغرب الى مصر وعادتهم اذا تولى شخص منهم المشيخة لابد ان يأتى فى الصباح ويدخل الخلوة فيجلس بها حصة لطيفة فيتبرك بها وتلبث الولاية فلما كان المترجم هدم حائط تلك الخلوة زاعما انه طاعة اولياته وانه لم يات من يصلح للمشيخة سواه وكانه اتخذ

دار العدل في بلاده وكان يجلس هو والقاضي فيما ينصف المظلوم ولو انه يهودي من الظالم ولو انه ولده او اكبر امير عنده واما شجاعته فاليها النهاية وكان في الحرب يأخذ قوسين وتركشين ليقاتل بهما فقال له القطب النساوي الفقيه بالله عليك لا تخاطر بنفسك وبالاسلام فان اصبت في معركة لا يبقى من المسلمين احد الا اخذه السيف فقال له نور الدين ومن محمود حتى يقال له هذا من قبلي من حفظ البلاد والاسلام ذلك الله الذي لا اله الا هو وأما ما فعله من المصالح فانه بنى اسوار مدن الشام جميعها وقلاعها فمنها دمشق وحمص وحماة وحلب وشيزر وبعلبك وغيرها وبنى المدارس الكثيرة الحنفية والشافعية وبنى الجامع النوري بالموصل وبنى البيمارستانات والخانات في الطرق وبنى الخانكاهات في جميع البلاد وأوقف على الجميع الوقوف الكثيرة سمعت ان حاصل وقفه كل شهر تسعة آلاف دينار صوري وكان يكرم العلماء وأهل الدين ويعظمهم ويقوم اليهم ويجلسهم معه وينبسط معهم ولا يرد لهم قولا ويكاتبهم بخط يده وكان وقورا مهيبا مع تواضعه وبالجملة فحسناته كثيرة ومناقبه غزيرة لا يحتملها هذا الكتاب

(ذكر ملك ولده الملك الصالح)

لما توفي نور الدين قام ابنه الملك الصالح اسمعيل بالملك بعده وكان عمره احدى عشرة سنة وحلف له الامراء والمقدمون بدمشق واقام بها واطاعه الناس بالشام وصلاح الدين بمصر وخطب له بها وضرب السكة باسمه وتولى تربيته الامير شمس الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم وصار مدبر دولته فقال له كمال الدين صاحب مصر هو من أصحاب نور الدين والمصلحة ان نشاوره في الذي نفعله ولا نخرجه من بيننا فيخرج عن طاعتنا ويجعل ذلك حجة علينا وهو أقوى منا لانه قد انفرد اليوم بملك مصر فلم يوافق هذا القول اغراضهم وخافوا ان يدخل صلاح الدين ويخرجهم فلم يمض غير قليل حتى وردت كتب صلاح الدين الى الملك الصالح يعزيه ويهنئه بالملك وارسل دنانير مصرية عليها اسمه ويعرفه ان الخطبة والطاعة له كما كانت لابيه فلما سار سيف الدين غازي صاحب الموصل وملك البلاد الجزرية على ما نذكره فارسل صلاح الدين أيضا الى الملك الصالح يعتبه حيث لم يعلمه قصد سيف الدين بلاده وأخذها ليحضر في خدمته ويكف سيف الدين وكتب الى كمال الدين والامراء يقول لو ان نور الدين يعلم ان فيكم من يقوم مقامي او يثق اليه مثل ثقته الى لسلم اليه مصر التي هي أعظم ممالكه وولاياته ولو لم يعجل عليه الموت لم يعهد الى احد بتربية ولده والقيام بخدمته غيري واراكم قد تفردتم بمولاي وابن مولاي دوني وسوف أصل الى خدمته واجازي انعام والده بخدمة يظهر أثرها وأجازي كلا منكم على سوء صنيعه في ترك الذب عن بلاده وتمسك ابن المقدم وجماعة الامراء بالملك الصالح ولم يرسلوه الى حلب خوفا أن يغلب عليهم شمس الدين علي بن الداية فانه كان أكبر الامراء النورية وانما منعهم من الاتصال به

ملك عهدا وميثاقا ولم يعلم ان ربه لم يزل خلاقا ٢ ١٨ وان الولاية ليست بفعل العبد ولا بالسعي والقصد قال تعالى في محكم آياته الله أعلم حيث يجعل رسالاته وقال سبحانه الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون وان اولياؤه الا المتقون نسأله التوفيق والهداية والحفظ من اسباب الغواية ولما كان ذلك واحيوا اجراء العادة القديمة حضر المتولي وصحبته اشياخ الوقت والسيد محمد المحروقي وجماعة الحزب وغيرهم من المتفرجين وقد جعلوا على محل الخلوة ساترا بدل الحائط المهدوم ودخل المتولي خلفها وقرا جماعة الحزب شيئا من القرآن ثم قام النقيب مع الشيخ البكري فتلقوا الشيخ فخرج على الحاضرين متطيلسا وصافحهم وركب بصحبتهم الى القلعة فخلع عليه كتخدا بك خلعة سمور وقاموا ونزلوا الى زاويتهم بالقرافة وامامهم جماعة الحزب وجاويشية النقابة فجلسوا حصة وقرؤا حزابهم ثم ركب ورجع الى المنزل وجلس مع اخيه لعمل المأتم والقراءة الجمعية على العادة وارسل كتخدا بك ساعيا بخبر موته الى الباشا بالفيوم لانه لما سافر الى جهة بحري ووصل الى ناحية بني سويف ركب بغلة سريعة العدو وركب خلفه خواصه بالهجن والبغال فوصلها في اربع ساعات وانقطع اكثر والقيام

والقيام بخدمته مرض لحقه وكان هو واخوته بحلب وأمرها اليهم وعساكرها معهم فى حياة نور الدين و بعده ولما عجز عن الحركة أرسل الى الملك الصالح يدعوه الى حلب ليمتنع به البلاد الجزرية من سيف الدين ابن عمه قطب الدين فلم يمكنه الامراء الذين معه من الانتقال الى حلب لما ذكرناه

(ذكر ملك سيف الدين البلاد الجزرية)

كان نور الدين قبل ان يمرض قد أرسل الى البلاد الشرقية الموصل وديار الجزيرة وغيرها يستدعى العساكر منها للجهة الغزاة والمراد غيرها وقد تقدم ذكره فسار سيف الدين غازى بن قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل فى عساكره وعلى مقدمته الخادم سعد الدين كمشتكين الذى كان قد جعله نور الدين بقلعة الموصل مع سيف الدين فلما كانوا ببعض الطريق وصلت الاخبار بوفاة نور الدين فاما سعد الدين فانه كان فى المقدمة فهرب جريدة وأما سيف الدين فاخذ كل ما كان له من برك وغيره وعاد الى نصيبين فملكها وأرسل الشحن الى الخابور فاستولوا عليه واقطعه وسار هو الى حران فحصرها عدة أيام وبها مملوك لنور الدين يقال له قايماز الحرانى فامتنع بها وأطاع بعد ذلك على ان تكون حران له ونزل الى خدمة سيف الدين فقبض عليه وأخذ حران منه وسار الى الرها فحصرها وملكها وكان بها خادم خصى اسود لنور الدين فسلمها وطلب عوضها قلعة الزعفران من أعمال جزيرة ابن عمر فاعطيها ثم أخذت منه ثم صار الى ان يستعطى ما يقوم به ويقوته وسير سيف الدين الى الرقة فملكها وكذلك سروج واستكمل جميع بلاد الجزيرة سوى قلعة جعبر فانها كانت منيعة وسوى راس عين فانها كانت لقطب الدين صاحب ماردين وهو ابن خال سيف الدين فلم يتعرض اليها وكان شمس الدين على بن الداية وهو أكبر الامراء النورية بحلب مع عساكرها فلم يقدر على العبور الى سيف الدين ليمنعه من أخذ البلاد لفالج كان به فأرسل الى دمشق يطلب الملك الصالح فلم يرسل اليه لما ذكرناه ولما ملك سيف الدين الجزيرة قال له فخر الدين عبد المسيح وكان قد وصل اليه من سيواس بعد موت نور الدين وهو الذى أقر له الملك بعد أبيه فظن ان سيف الدين يرعى له ذلك فلم يجن ثمرة ما غرس وكان عنده كبعض الامراء فقال له الرأى ان تعبر الى الشام فليس به مانع فقال له أكبر امرائه وهو امير يقال له عز الدين محمود المعروف بزلفندار قد ملكت اكثر ما كان لابيك والمصلحة ان تعود فرجع الى قوله وعاد الى الموصل ليقضى الله أمرا كان مفعولا

(ذكر حصر الفرنج بانياس وعودهم عنها)

لما مات نور الدين محمود صاحب الشام اجتمعت الفرنج وساروا الى قلعة بانياس من اعمال دمشق فحصروها فجمع شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم العسكر عنده بدمشق فخرج عنها وراسلهم ولاطفهم ثم اغلظ لهم فى القول وقال لهم ان انتم صالحتمونا وعدتم عن بانياس فنحن على ما كنا عليه والا فنرسل الى سيف الدين صاحب

القوجهين معه ومات منهم سبعة عشر هجينا ورجع الساقى بعد ثلاثة ايام بجواب الرسالة ومضمونها عدم التعرض لورثة المتوفى حتى يقدم الباشا من غيبته فبقى الامر على السكوت اربعة عشر يوما وحضر الباشا ليلة الاحد ثامن ربيع الآخر فبمجرد وصوله الى الجيزة ارسل بالختم على منزلهم فما يشعرون الا وحسين كتخدا الكتخدا بك و بيت المال واصل اليهم ومعه آخرون فختموا على المجالس التى بالحريم ومجلس الجلوس الرجالى ختموا على خزائنه وقبضوا على الكاتب القبطى المسمى عبد القدوس والفراش وحبسوهما وعدى الباشا من ليلته الى بر مصر وطلع الى القلعة فركب اليه فى صبحها المشايخ وصحبتهم ابن أخى المتوفى وهو الذى تولى المشيخة فخاطبوه وقالوا له كلاما معناه ان بيوت الاشياخ مكرمة ولم تجر العادة بالختم على أماكنهم وخصوصا ان هذا المتوفى كان عظيما فى بابه وأنتم أخبر به وكان لكم به مزيد عناية ومراعاة فقال نعم انى لا اريد اهانة بيتهم ولا اطمع فى شئ مما يتعلق بمشيختهم ولا وظائفهم القديمة ولا بخفا لكم ان المتوفى كان طماعا وجماعا للمال وطالت مدته وحاز التزامات واقطاعات وكان لا يحب قرابته ولا يخصهم بشئ بل كتب ما حازه لزوجته وهى جارية ثمنها الفا قرش او اقل او اكثر ولم يكتب لاولاد اخيه

الموصل ونعلمه ونصالحه ونستنجده ونرسل الى صلاح الدين بمصر فنستنجده ونقصد بلادكم من جهاتها كلها ولا تقومون لنا وأنتم تعلمون ان صلاح الدين كان يخاف ان يجتمع بنور الدين والآن فقد زال ذلك الخوف واذا طلبناه الى بلادكم فلا يمتنع فعلموا صدقه فصالحوه على شئ من المال أخذوه واسرى اطلقوا لهم كانوا عند المسلمين وتقررت الهدنة فلما سمع صلاح الدين بذلك انكره واستعظمه وكتب الى الملك الصالح والامراء الذين معه يقبح لهم ما فعلوه ويبذل من نفسه قصد بلاد الفرنج ومقارعتهم وازعاجهم عن قصد شئ من بلاد الملك الصالح وكان قصده أن يصير له طريق الى بلاد الشام ليتملك البلاد والامراء الشاميون انما صالحوا الفرنج خوفا منه ومن سيف الدين غازى صاحب الموصل فانه كان قد أخذ البلاد الجزرية وخافوا منه ان يعبر الى الشام فرأوا صلح الفرنج اصلح من ان يجيء هذا من الغرب وهذا من الشرق وهم مشغولون عن ردهم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في المحرم وقع الحريق ليلا ببغداد فاحترق أكثر الظفرية ومواضع غيرها ودام الحريق الى بكرة وطفئت النار وفيها في شعبان بنى ابن شنكا وهو ابن أخي شملة صاحب خوزستان قلعة بالقرب من الماهكي ليتقوى بها على الاستيلاء على تلك الاعمال فسير اليه الخليفة العساكر من بغداد لمنعه فالتقوا فحمل بنفسه على الميمنة فهزمها واقتتل الناس قتالا عظيما وأسر ابن أخي شملة وحمل رأسه الى بغداد فعلق بباب النوبي وهدمت القلعة وفيها في رمضان وكان الزمان ربيعا توالت الامطار في ديار بكر والجزيرة والموصل فدامت أربعين يوما ما رأينا الشمس فيها غير مرتين كل مرة مقدار لحظة وخربت المساكن وغيرها وكثر الهدم ومات تحته كثير من الناس وزادت دجلة زيادة عظيمة وكان اكثرها ببغداد فانها زادت على كل زيادة تقدمت منذ بنيت بغداد بذراع وكسر وخاف الناس الغرق وفارقوا البلد وأقاموا على شاطئ دجلة خوفا من انفتاح القورج وغيره وكانوا كلما انفتح موضع بادروا بسده ونبع الماء في البلاليع وخرب كثيرا من الدور ودخل الماء الى البيمارستان العضدي ودخلت السفن من الشبابيك التي له فانها كانت قد تقلعت فمن الله تعالى على الناس بنقص الماء بعد ان أشرفوا على الغرق وفيها في جمادى الاولى كانت الفتنة ببغداد بين قطب الدين قايماز والخليفة وسببها ان الخليفة أمر باعادة عضد الدين بن رئيس الرؤساء الى الوزارة فمنع منه قطب الدين وأغلق باب النوبي وباب العامة وبقيت دار الخليفة كالمحاصرة فأجاب الخليفة الى ترك وزارته فقال قطب الدين لا أقنع الا باخراج عضد الدين من بغداد فأمر بالخروج منها فالتجأ الى صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن اسمعيل فأخذه الى رباطه وأجاره ونقله الى دار الوزير بقطفتا فأقام بها ثم عاد الى بيته في جمادى الآخرة وفيها سقط الامير أبو العباس أحمد ابن الخليفة وهو الذى صار خليفة من قبة عالية الى أرض

شيئا فلا يسعني ان امنه تختص بذلك كله والخزينة اولى بها لاحتياجات مصاريف العساكر وعلوفة الخوارج واستخلاص الحرمين وخزينة السلطان وانا ارفع الختم وعاية لخواطركم فدعوا له وقاموا الى مجلس الكتخدا وخلع على الشيخ المتولى فروة سمور اخرى وقلد السيد محمدا الدواخلى نقابة الاشراف وخلع عليه فروة سمور عوضا عن سيدى احمد ابى الاقبال المتولى على خلافة السادات فانفصل من النقابة ونزلت الجاويشية ولوازم النقابة مثل باش جاويش والكاتب امام الدواخلى وخلفه وقلد السيد المحروقى نظارة المشهد الحسينى عوضا عن المتوفى وكان فرغ بها لابن اخيه فلم ينفذ الباشا ذلك وفى ثانى يوم حضر الاعوان الى بيت السادات وفكوا الختوم وطلبوا اسقاء الحريم فاخذوه معهم واوجعوه بالضرب واحضروا البناء وسالوهما عن محل الخبايا ثم رجعوا الى المنزل ففتحوا مخباة مسدودة بالبناء فوجدوا بها قوالب مسافد قطيفة غير محشوة ووجدوا نحاسا وقطنا واوانى صينى فتركوا ذلك وذهبوا وابقوا بالدار عدة من العسكر فباتوا بها ثم رجعوا فى ثالث يوم وفتحوا مخباة اخرى فوجدوا بها اكياسا مربوطة فظنوا بداخلها المال ففتحوها فوجدوا بها بن قهوة وبغيرها صابون وشمع عسل ولم يجدوا شيئا من المال فتركوا تلك الاشياء ونزلوا الى قاعة التاج

التاج ومعه غلام له اسمه نجاح فالقى نفسه بعده وسلم ابن الخليفة ونجا فقيل لنجاح لم القيت نفسك فقال ما كنت أريد البقاء بعد مولاى فرعى له الامير أبو العباس ذلك فلما صار خليفة جعله شرابيا وصارت الدولة جميعها بحكمه ولقبه الملك الرحيم عز الدين وبالغ فى الاحسان اليه والتقديم له وخدمه جميع الامراء بالعراق والوزراء وغيرهم وفيها فى رمضان وقع ببغداد برد كبار ما رأى الناس مثله فهدم الدور وقتل جماعة من الناس وكثيرا من المواشى فوزنت بردة منه فكانت سبعة أرطال وكان عامته كالنارنج يكسر الاغصان هكذا ذكره أبو الفرج بن الجوزى فى تاريخه والعهدة عليه وفيها كانت وقعة عظيمة بين المؤيد صاحب نيسابور وبين شاه مازندران قتل فيها كثير من الطائفتين فانهزم شاه مازندران ودخل المؤيد بلد الديلم وخربها وقتل باهلها وعاد عنها وفيها وقعت وقعة كبيرة بين أهل باب البصرة وأهل باب الكرخ وسببها ان الماء لما زاد سكر أهل باب الكرخ سكرا ورد الماء عنهم فغرق مسجد فيه شجرة فانقلعت فصاح أهل الكرخ انقلعت الشجرة لعن الله العشرة فقامت الفتنة فتقدم الخليفة الى علاء الدين تنامش فمال على أهل باب البصرة لانه كان شيعيا وأراد دخول المحلة فمنعه أهلها واغلقوا الابواب ووقفوا على السور وأراد احراق الابواب فبلغ ذلك الخليفة فانكره أشد انكار وأمر باعادة تنامش فعاد ودامت الفتنة اسبوعا ثم انفصل الحال من غير توسط سلطان وفيها عبر ملك الروم خليج القسطنطينية وقصد بلاد قلج ارسلان فجرى بينهما حرب استظهر فيها المسلمون فلما رأى ملك الروم عجزه عاد الى بلده وقد قتل من عسكره وأسر جماعة كثيرة وفيها فى جمادى الاولى مات أحمد بن على بن المعمر بن محمد بن عبد الله أبو عبد الله العلوى الحسينى نقيب العلويين ببغداد وكان يلقب الطاهر وسمع الحديث الكثير ورواه وكان حسنة أهل بغداد وفيها توفى الحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد بن محمد العطار الهمذانى سافر الكثير فى طلب الحديث وقراءة القرآن واللغة وكان من اعيان المحدثين وكان له قبول عظيم ببلده عند العامة والخاصة

٭(ثم دخلت سنة سبعين وخمسمائة)٭

٭(ذكر وصول اسطول صقلية الى مدينة الاسكندرية وانهزامهم منها)٭

فى هذه السنة ظفر أهل الاسكندرية وعسكر مصر باسطول الفرنج من صقلية وكان سبب ذلك ما ذكرناه من ارسال أهل مصر الى ملك الفرنج بساحل الشام والى صاحب صقلية ليقصدوا ديار مصر ليثوروا بصلاح الدين ويخرجوه من مصر فجهز صاحب صقلية اسطولا كثيرا عدته مائتى شينى تحمل الرجالة وستا وثلاثين طريدة تحمل الخيل وست مراكب كبار تحمل آلة الحرب وأربعين مركبا تحمل الازواد وفيها من الراجل خمسون ألفا ومن الفرسان ألف وخمسمائة منها خمسمائة تركبلى وكان المقدم عليهم ابن عم صاحب صقلية وسيره الى الاسكندرية من ديار مصر فوصلوا

بحاوسه وفتشوا الخزانة فوجدوا بها نقودا فعدوها وحصروها فبلغت مائة وسبعة وعشرين كيسا فاخذوها ثم سعى السيد محمد المحروقى فى مصالحة الباشا حتى قرر عليهم الف كيس وخمسين كيسا وخمسة اكياس برانى لبيت المال وخصموا منها الذى وجدوه بالخزانة وطولبوا بالباقى وذلك بعد التشديد والتهديد على الزوجة وتوعدوها بالتغريق فى البحر ان لم تظهر المال وامر الكاتب بحساب ايراده ومصرفه فى كل سنة وما صرفه فى الابنية ونظر ما يتبقى بعد ذلك فى مدة سنين ماضية فلم يزل السيد محمد المحروقى يدافع و يسعى حتى تقرر القدر المذكور والتزم هو بدفعه وحولت عليه الحوالات وضبط الباشا حصص الالتزام التى كانت باسم الزوجة ومنها قلقشندة بالقليوبية وسوادة ودفرينة بالجهة القبلية وغير ذلك وبعد انقضاء عدة الزوجة استاذن السيد المحروقى الباشا فى عقد نكاحها على ابن أخى المتوفى الذى هو السيد احمد ابو الاقبال الذى تولى خلافة بيتهم فاذن بذلك فحضر فى الحال واجرى العقد بعد ان حكمت عليه بطلاق التى فى عصمته وهى جاريتها زوجته بها فى حياة عمه ورزق منها اولادا واستقر المشار اليه فى المنزل خليفة وشيخا على سجادتهم ومحل سيادتهم وسكن معه اخوه سيدى يحيى زادهما الله توفيقا وخيرا

اليها في السادس والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وستين على حين غفلة من أهلها وطمأنينة فخرج أهل الاسكندرية بسلاحهم وعدتهم ليمنعوهم من النزول وابعدوا عن البلد فمنعهم الوالي عليهم من ذلك وأمرهم بملازمة السور ونزل الفرنج الى البر مما يلي البحر والمنارة وتقدموا الى المدينة ونصبوا عليها الدبابات والمنجنيقات وقاتلوا أشد قتال وصبر لهم أهل البلد ولم يكن عندهم من العسكر الا القليل ورأى الفرنج من شجاعة اهل الاسكندرية وحسن سلاحهم ما راعهم وسيرت الكتب بالحال الى صلاح الدين يستدعونه لدفع العدو عنهم ودام القتال اول يوم الى آخر النهار ثم عاود الفرنج القتال اليوم الثاني وجدوا ولازموا الزحف حتى وصلت الدبابات الى قريب السور ووصل ذلك اليوم من العساكر الاسلامية كل من كان في اقطاعه وهو قريب من الاسكندرية فقويت بهم نفوس اهلها واحسنوا القتال والصبر فلما كان اليوم الثالث فتح المسلمون باب البلد وخرجوا منه على الفرنج من كل جانب وهم غارون وكثر الصياح من كل الجهات فارتاع الفرنج واشتد القتال فوصل المسلمون الى الدبابات فاحرقوها وصبروا للقتال فانزل الله نصره عليهم وظهرت اماراته ولم يزل القتال الى آخر النهار ودخل أهل البلد اليه وهم فرحون مستبشرون بما رأوا من تباشير الظفر وقوتهم وفشل الفرنج وفتور حربهم وكثرة القتل والجراح في رجالتهم وأما صلاح الدين فانه لما وصله الخبر سار بعساكره وسير مملوكاً له ومعه ثلاث جنائب ليجد السير عليها الى الاسكندرية يبشر بوصوله وسير طائفة من العسكر الى دمياط خوفاً عليها واحتياطاً لها فسار ذلك المملوك فوصل الاسكندرية من يومه وقت العصر والناس قد رجعوا من القتال فنادى في البلد بمجيء صلاح الدين والعساكر مسرعين فلما سمع الناس ذلك عادوا الى القتال وقد زال ما بهم من تعب وألم الجراح وكل منهم يظن ان صلاح الدين معه فهو يقاتل قتال من يريد ان يشاهد قتاله وسمع الفرنج بقرب صلاح الدين في عساكره فسقط في أيديهم وازدادوا تعباً وفتوراً فهاجمهم المسلمون عند اختلاط الظلام ووصلوا الى خيامهم فغنموها بما فيها من الاسلحة الكثيرة والتجملات العظيمة وكثر القتل في رجالة الفرنج فهرب كثير منهم الى البحر وقربوا شوانيهم الى الساحل ليركبوا فيها فسلم بعضهم وركب وغرق بعضهم وغاص بعض المسلمين في الماء وخرق بعض شواني الفرنج فغرقت فخاف الباقون من ذلك فولوا هاربين واحتمى ثلثمائة من فرسان الفرنج على رأس تل فقاتلهم المسلمون الى بكرة ودام القتال الى ان أضحى النهار فغلبهم أهل البلد وقهروهم فصاروا بين قتيل واسير وكفى الله المسلمين شرهم

(ذكر خلاف الكنز بصعيد مصر)

وفي اول هذه السنة خالف الكنز بصعيد مصر واجتمع اليه من رعية البلاد والسودان والعرب وغيرهم خلق كثير وكان هناك أمير من الصلاحية في اقطاعه وهو أخو الامير

واتفاقا واشرق نجم المتصدر على افق السعادة اشراقا فهو ابو الاقبال المتحلى بالجمال والكمال

في المهد ينطق عن سعادة جده
أثر النجابة واضح البرهان
ان الهلال اذا رأيت نموه
ايقنت ان سيزيد في اللمعان

(ومات) الشيخ الناسك محمد بن عبد الرحمن اليوسي المغربي ورد الى مصر وحج ورجع ونزل بدار الحاج مصطفى المعين العطار منجمعاً عن خلطة الناس والسعي على طريقة جيدة وهذا كره حسنة ويأتي اليه الناس يزورونه ويتبركون به ويسألونه الدعاء ويستفهمون منه مسائل فيجيب كل انسان بما يتيسر منه بتواضع وانكسار وتزهيد في الدنيا وتمرض سنين وتوفي يوم الثلاثاء ثامن عشرين المحرم وصلي عليه بالازهر في مشهد حافل ودفن بجانب الخطيب الشربيني بتربة المجاورين وهي القرافة الكبرى

(ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائتين وألف)

(استهل المحرم بيوم الجمعة) فيه في ليلة الجمعة ثامنه وردت مكاتبات من الديار الحجازية وفيها الاخبار بان الباشا قبض على الشريف غالب أمير مكة وقبض على اولاده الثلاثة وارسله صحبة عبيد طواشية من عبيده وارسلهم الى جدة وانزلهم في مركب من مراكبه وهي واصلة بهم والذي وصل بالخبر وصل في مركب صغيرة تسمى السنبوك سبقتهم في الحضور الى

أبي الهيجاء السمين فقتله الكنز فعظم قتله على أخيه وهو من أكبر الامراء واشجعهم فسار الى قتال الكنز وسير معه صلاح الدين جماعة من الامراء وكثيرا من العسكر ووصلوا الى مدينة طود فاحتمت عليهم فقاتلوا من بها وظفروا بهم وقتلوا منهم كثيرا وذلوا بعد العز وقهروا واستكانوا ثم سار العسكر بعد فراغهم من طود الى الكنز وهو في طغيانه بعمه فقاتلوه فقتل هو ومن معه من الاعراب وغيرهم وأمنت بعده البلاد واطمان اهلها

(ذكر ملك صلاح الدين دمشق)

في هذه السنة سلخ ربيع الاول ملك صلاح الدين يوسف بن ايوب مدينة دمشق وسبب ذلك ان نور الدين لما مات وملك ابنه الملك الصالح بعده كان بدمشق وكان سعد الدين كمشتكين قد هرب من سيف الدين غازي الى حلب كما ذكرناه فاقام بها عند شمس الدين علي بن الداية فلما استولى سيف الدين على البلاد الجزرية خاف ابن الداية أن يعبر الى حلب فيملكها فارسل سعد الدين الى دمشق ليحضر الملك الصالح ومعه العساكر الى حلب فلما قارب دمشق سير اليه شمس الدين محمد بن المقدم عسكرا فنهبوه وعاد منهزما الى حلب فاخلف عليه ابن الداية عوض ما أخذ منه ثم ان الامراء الذين بدمشق نظروا في المصلحة فعلموا ان مسيره الى حلب اصلح للدولة من مقامه بدمشق فارسلوا الى ابن الداية يطلبون ارسال سعد الدين لياخذ الملك الصالح فجهزه وسيره * وعلى نهرها براقش تجني * فسار الى دمشق في المحرم من هذه السنة وأخذ الملك الصالح وعاد الى حلب فلما وصلوا اليها قبض سعد الدين على شمس الدين بن الداية واخوته وعلى رئيس بن الخشاب رئيس حلب ومقدم الاحداث بها ولولا مرض شمس الدين بن الداية لم يتمكن من ذلك واستبد سعد الدين بتربية الملك الصالح فخاف ابن المقدم وغيره من الامراء الذين بدمشق وقالوا ان استقر امر حلب أخذ الملك الصالح وسار به الينا وفعل مثل ما فعل بحلب وكاتبوا سيف الدين غازي صاحب الموصل ليعبر الفرات اليهم ليسلموا اليه دمشق فلم يفعل وخاف ان تكون مكيدة عليه ليعبر الفرات ويسير الى دمشق فيمنع عنها ويقصده ابن عمه وعسكر حلب من وراء ظهره فيهلك أشار عليه بهذا زلفندار عز الدين والجبان يقدر البعيد من الشر قريبا ويرى الجبن حزما كما قال

يرى الجبناء ان الجبن حزم * وتلك طبيعة الرجل الجبان

ولما أشار عليه بهذا الرأي زلفندار قبله وامتنع من قصد دمشق وراسل سعد الدين والملك الصالح وصالحهما على ما أخذه من البلاد فلما امتنع عن العبور الى دمشق عظم خوفهم وقالوا حيث صالحهم سيف الدين لم يبق له مانع عن المسير الينا فكاتبوا حينئذ صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب مصر واستدعوه ليملكوه عليهم وكان كبيرهم في ذلك شمس الدين بن المقدم ومن أشبه أباه فما ظلم وقد ذكرنا مخامرة أبيه في تسليم سنجار سنة اربع واربعين وخمسمائة فلما وصلت الرسل الى صلاح الدين بذلك لم يلبث وسار جريدة في سبعمائة فارس والفرنج في طريقه فلم يبال بهم فلما وطئ

السويس واخبروا ايضا في المكاتبة انه لما قبض عليهم احضر يحيى ابن الشريف سرور وقلده الامارة عوضا عن عمه غالب وقبضوا ايضا على وزيره الذي بجدة واصحبوه معهم وقلدوا مكانه في السكمارك شخصا من الاتراك يسمى علي الوجاقلي فلما وصل الهجان بهذه المكاتبة الى السيد محمد المحروقي ليلا ركب من وقته الى كتخدا بك في بيته واطلعه على المكاتبات فلما طلع النهار نهار يوم الجمعة ضربوا عدة مدافع من القلعة اعلاما وسرورا بذلك (وفيه) احتفل كتخدا بك بعمل مهم ايضا لزواج اسمعيل باشا ابن محمد علي باشا ومحمد بك الدفتردار على ابنة الباشا واسمعيل باشا على ابنة عارف بك ابن خليل باشا التي احضرها صحبته من اسلامبول وقد تقدم ذكر العقد عليهما في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان من السنة الماضية قبل توجه الباشا الى الحجاز فالزم كتخدا بك السيد محمد المحروقي بتنظيم الفرح والاحتياجات واللوازم واتفقوا على ان يكون نصبة الفرح ببركة الازبكية تجاه بيت حريم الباشا وطاهر باشا وتعمل الولائم واجتماع المدعوين ببيت طاهر باشا والمطبخ بجوار ثب بيت الصابونجي وارسلوا اوراق التنابيه للمدعوين على طبقات الناس بالترتيب ونصبوا بوسط البركة عدة صواري لاجل الوقدات والقناديل التي تعمل عليها التصاوير من القناديل فترى من البعد

أرض الشام قصد بصرى وكان بها حينئذ صاحبها وهو من جملة من كاتبه فخرج ولقيه فلما رأى قلة من معه خاف على نفسه واجتمع بالقاضي الفاضل وقال ما أرى معكم عسكرا وهذا بلد عظيم لا يقصد بمثل هذا العسكر ولو منعكم من به ساعة من النهار أخذكم أهل السواد فان كان معكم مال سهل الامر فقالوا هنا مال كثير يكون خمسين ألف دينار فضرب صاحب بصرى على رأسه وقال هلكتم واهلكتمونا وجميع ما كان معهم عشرة آلاف دينار ثم سار صلاح الدين الى دمشق فخرج كل من بها من العسكر اليه فلقوه وخدموه ودخل البلد ونزل في دار والده المعروفة بدار العقيقي وكانت القلعة بيد خادم اسمه ريحان فاحضر صلاح الدين كمال الدين بن الشهرزوري وهو قاضي البلد والحاكم في جميع اموره من الديوان والوقف وغير ذلك وأرسله الى ريحان ليسلم القلعة اليه وقال انا مملوك الملك الصالح وما جئت الا لانصره واخدمه واعيد البلاد التي أخذت منه اليه وكان يخطب له في بلاده كلها فصعد كمال الدين الى ريحان ولم يزل معه حتى سلم القلعة فصعد صلاح الدين اليها وأخذ ما فيها من الاموال وأخرجها واتسع بها وثبت قدمه وقويت نفسه وهو مع هذا يظهر طاعة الملك الصالح ويخاطبه بالمملوك والخطبة والسكة باسمه

(ذكر ملك صلاح الدين مدينتي حمص وحماة)

لما استقر ملك صلاح الدين لدمشق وقرر أمرها استخلف بها أخاه سيف الاسلام طغدكين بن ايوب وسار الى مدينة حمص مستهل جمادى الاولى وكانت حمص وحماة وقلعة بعرين وسلمية وتل خالد والرها من بلد الجزيرة في اقطاع الامير فخر الدين مسعود الزعفراني فلما مات نور الدين لم يمكنه المقام بها لسوء سيرته في أهلها ولم يكن له في قلاع هذه البلاد حكم انما فيها ولاة لنور الدين وكان بقلعة حمص وال يحفظها فلما نزل صلاح الدين على حمص حادي عشر الشهر المذكور راسل من فيها بالتسليم فامتنعوا فقاتلهم من الغد فملك البلد وأمن أهله وامتنعت عليه القلعة وبقيت ممتنعة الى ان عاد من حلب على مانذكره ان شاء الله وترك بمدينة حمص من يحفظها ويمنع من بالقلعة من التصرف وان تصعد اليهم ميرة وسار الى مدينة حماة وهو في جميع أحواله لا يظهر الا طاعة الملك الصالح بن نور الدين وانه انما خرج لحفظ بلاده عليه من الفرنج واستعادة ما أخذه سيف الدين غازي صاحب الموصل من البلاد الجزرية فلما وصل الى حماة ملك المدينة مستهل جمادى الآخرة وكان بقلعتها الامير عز الدين جورديك وهو من المماليك النورية فامتنع من التسليم الى صلاح الدين فارسل اليه صلاح الدين يعرفه ما هو عليه من طاعة الملك الصالح وانما يريد حفظ بلاده عليه فاستحلفه جورديك على ذلك وسيره الى حلب في اجتماع الكلمة على طاعة الملك الصالح وفي اطلاق شمس الدين علي وحسن وعثمان أولاد الداية من السجن فسار جورديك الى حلب واستخلف بقلعة حماة أخاه ليحفظها فلما وصل جورديك الى حلب قبض عليه كمشتكين وسجنه

ثم ركب او سبعين متقابلين او شجرة او هلال على جمل او كتابة مثل ماشاء الله ونحو ذلك ووصفوا بوسطها البركة

مدافع صفين متقابلين ونصب بهلوان الحبل حبله اوله من تجاه بيت الباشا وآخره برأس المنارة التي جهة حارة القوالة خلف رصيف الخشاب حيث الابنية المتخربة في الحوادث الماضية بالقرب من القشلة وعمارات محمد باشا خسرو والتي لم تكمل وبهلوان آخر شامي بالناحية الاخرى وانتقل السيد محمد المحروقي من داره الى بيت الشرايبي تجاه جامع أزبك لاجل مباشرة المهمات فلما اصبح يوم السبت وهو يوم الابتداء ودعوة الاشياخ رتبوهم فرقتين فرقة تاتي ضحوة النهار واخرى بعد العصر واجتمع بالازبكية أصناف أرباب الملاعيب والمغزلكين والجنباذية والحبيظلية والحواة والقرداتية والرقاصين والبرامكة وغير ذلك أصناف وأشكال فاحتفلت واقبل من كل ناحية اصناف الناس رجال ونساء واطارب واباعدوا كابر واصاغر وعساكر وفلاحون ويهود ونصارى وادوام لاجل التفرج حتى ازدحمت الطرق الموصلة الى الازبكية من جميع النواحي باصناف الناس الذاهبين والراجعين والمترددين واستمر ضرب المدافع من ليلة السبت المذكور الى ليلة الجمعة التالية الاخرى ليلا ونهارا والحرائق والنفوط والسواريخ فلما

فلما علم أخوه بذلك سلم القلعة الى صلاح الدين فملكها

﴿ذكر حصر صلاح الدين حلب وعوده عنها وملك قلعة حمص وبعلبك﴾

لما ملك صلاح الدين حماة سار الى حلب فحصرها ثالث جمادى الآخرة فقاتله اهلها وركب الملك الصالح وهو صبي وعمره اثنتا عشرة سنة وجمع أهل حلب وقال لهم قد عرفتم احسان ابى اليكم ومحبته لكم وسيرته فيكم وانا يتيمكم وقد جاء هذا الظالم الجاحد احسان والدى اليه يأخذ بلدى ولا يراقب الله تعالى ولا الخلق وقال من هذا كثيرا وبكى فابكى الناس فبذلوا له الاموال والانفس واتفقوا على القتال دونه والمنع عن بلده وجدوا فى القتال وفيهم شجاعة قد ألفوا الحرب واعتادوها حيث كان الفرنج بالقرب منهم فكانوا يخرجون و يقاتلون صلاح الدين عند جبل جوشن فلا يقدر على القرب من البلد وأرسل سعد الدين الى سنان مقدم الاسماعيلية وبذل له أموالا كثيرة ليقتلوا صلاح الدين فارسلوا جماعة منهم الى عسكره فلما وصلوا رآهم امير اسمه خمارتكين صاحب قلعة بوقبيس فعرفهم لانه جارهم فى البلاد كثير الاجتماع بهم والقتال لهم فلما رآهم قال لهم ما الذى اقدمكم وفى اى شئ جئتم فجرحوه جراحات مثخنة وحمل احدهم على صلاح الدين ليقتله فقتل دونه وقاتل الباقون من الاسماعيلية فقتلوا جماعة ثم قتلوا وبقى صلاح الدين محاصرا لحلب الى سلخ جمادى الآخرة ورحل عنها مستهل رجب وسبب رحيله ان القمص الصنجيلى صاحب طرابلس كان قد اسره نور الدين على حارم سنة تسع وخمسين وخمسمائة وبقى فى الحبس الى هذه السنة فاطلقه سعد الدين بمائة ألف وخمسين ألف دينار صورية وألف اسير فلما وصل الى بلده اجتمع الفرنج عليه يهنئونه بالسلامة وكان عظيما فيهم من اعيان شياطينهم فاتفق ان مرى ملك الفرنج لعنه الله مات اول هذه السنة وكان اعظم ملوكهم شجاعة واجودهم رأيا ومكرا ومكيدة فلما توفى خلف ابنا مجذوما عاجزا عن تدبير الملك فملكه الفرنج صورة لا معنى تحتها وتولى القمص ريمند تدبير الملك الحل والعقد عن أمره يصدرون فارسلوا اليه من حلب يطلبون منه ان يقصد بعض البلاد التى بيد صلاح الدين ليرحل عنهم فسار الى حمص ونازلها سابع رجب فلما تجهز لقصده سمع صلاح الدين الخبر فرحل عن حلب فوصل الى حماة ثامن رجب بعد نزول الفرنج على حمص بيوم ثم رحل الى الرستن فلما سمع الفرنج بقربه رحلوا عن حمص ووصل صلاح الدين اليها فحصر القلعة الى ان ملكها فى الحادى والعشرين من شعبان من السنة فصار اكثر الشام بيده ولما ملك حمص سار منها الى بعلبك وبها خادم اسمه يمن وهو وال عليها من أيام نور الدين فحصرها صلاح الدين فارسل يمن يطلب الامان له ولمن عنده فامنهم صلاح الدين وتسلم القلعة رابع عشر رمضان من السنة المذكورة

﴿ذكر حصر سيف الدين اخاه عماد الدين بسنجار﴾

لما ملك صلاح الدين دمشق وحمص وحماة كتب الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين

فى الليل واستمر باب الملاعيب والبهلوانات على الحبال وكذلك احتفل النصارى وعملوا وقدات وحراقات تجاه حاراتهم ومساكنهم وصادف ذلك عيد الميلاد وعملوا لهم مراجيح وملاعيب (وفى اثناء ذلك) وقع التنبيه على أصحاب الحرف والصنائع بعمل عربات مشكلة وممثلة بحرفتهم وصنائعهم ليمشوا بها فى زفة العروس فاعتنى أهل كل حرفة وصناعة بتنميق وتزيين شكله وتباهوا وتناظروا وتفاخروا على بعضهم البعض فكان كل من سولت له نفسه وحدثه الشيطان باحداث شئ فعله وذهب الى المتعين لذلك فيعطيه ورقة لان ذلك لم يكن لاناس مخصوصة او عدده قدر بل بتحكماتهم والزام بعضهم البعض فيفرض رئيس الحرفة على أشخاص أهلها فرائض ودراهم يجمعها منهم و ينفقها على العربة وما يلزمها من أخشاب وحبال وحمير او خيل اورجال يسحبونها وما يكتريه او يستعيره لزينتها من المزركشات والمقصبات و الطلعيات وادوات الصنعة التى تتميز بها عن غيرها فتصير فى الشكل كانها حانوت والبائع جالس فيها كالحلوانى وامامه الاوانى فيها انواع الحلوا والسكرى وحوله اوانى الملبس واقماع السكر معلقة حوله والشربات والشربتلى والعطار والحريرى والعقاد والبلسدى والرومى والزيات

الى ابن عمه سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود يستنجده على صلاح الدين ويطلب ان يسير اليه ليقصدوا صلاح الدين ويأخذوا البلاد منه فجمع سيف الدين عساكره وكاتب اخاه عماد الدين زنكي صاحب سنجار ويأمره ان ينزل اليه بعساكره ليجتمعوا على المسير الى الشام فامتنع من ذلك وكان صلاح الدين قد كاتب عماد الدين واطمعه في الملك لانه هو الكبير فحمله الطمع على الامتناع على اخيه فلما راى سيف الدين امتناعه جهز اخاه عز الدين مسعودا في عسكر كثير ومعظم عسكره وسيره الى الشام وجعل المقدم على العسكر اكبر امير معه يقال له عز الدين محمود ويلقب ايضا زلفندار وجعله المدبر للامر وسار سيف الدين الى سنجار فحصرها في شهر رمضان وقاتلها وجد في القتال وامتنع عماد الدين بها وجد في حفظها والذب عنها قدام الحصار عليها فبينما هو يحاصرها اتاه الخبر بانهزام عسكره الذي مع اخيه عز الدين مسعود من صلاح الدين فراسل حينئذ اخاه عماد الدين وصالحه على ما بيده ورحل الى الموصل وثبت قدم صلاح الدين بعد هذه الهزيمة وخافه الناس وترددت الرسل بينه وبين سيف الدين غازي في الصلح فلم يستقر حال

❊(ذكر انهزام سيف الدين من صلاح الدين وحصر مدينة حلب)❊

في هذه السنة سار عسكر سيف الدين مع اخيه عز الدين وعز الدين زلفندار الى حلب واجتمع معهما عساكر حلب وساروا كلهم الى صلاح الدين ليحاربوه فارسل صلاح الدين الى سيف الدين يبذل تسليم حمص وحماة وان يقر بيده مدينة دمشق وهو فيها نائب الملك الصالح فلم يجب الى ذلك وقال لا بد من تسليم جميع ما اخذ من بلاد الشام والعود الى مصر وكان صلاح الدين يجمع عساكره ويتجهز للحرب فلما امتنع سيف الدين من اجابته الى ما بذل سار في عساكره الى عز الدين مسعود وزلفندار فالتقوا تاسع عشر رمضان بالقرب من مدينة حماة بموضع يقال له قرون حماة وكان زلفندار جاهلا بالحرب والقتال غير عالم بتدبيرها مع جبن فيه الا انه قد رزق سعادة وقبولا من سيف الدين فلما التقى الجمعان لم يثبت العسكر السيفي وانهزم ولا يلوي اخ على اخيه وثبت عز الدين اخو سيف الدين بعد انهزام اصحابه فلما راى صلاح الدين ثباته قال اما ان هذا اشجع الناس او انه لا يعرف الحرب وامر اصحابه بالحملة عليه فحملوا فازالوه عن موقفه وتمت الهزيمة وتبعهم صلاح الدين وعسكره حتى جازوا معسكرهم وغنموا منهم غنائم كثيرة وآلة وسلاحا عظيما ودواب فارهة وعادوا بعد طول البيكار مستريحين وعاد المنهزمون الى حلب وتبعهم صلاح الدين فنازلهم بها محاصرا لها ومقاتلا وقطع حينئذ خطبة الملك الصالح بن نور الدين وازال اسمه عن السكة في بلاده ودام محاصرا لهم فلما طال الامر عليهم راسلوه في الصلح على ان يكون له ما بيده من بلاد الشام ولهم ما بايديهم منها فاجابهم الى ذلك وانتظم الصلح ورحل عن حلب في العشر الاول من شوال ووصل الى حماة ووصلت اليه بها خلع الخليفة مع رسوله

❊(ذكر

والحدادون والنجارون والخياط والقزاز ١٩٠ والحباك والنشار وهو ينشر الخشب بمنشاره المعلق والطحان والفران ومعه القرن وهو يخبز فيه والقطاطري والجزار وحوله لحم الغنم ومثله جزار الجاموس والكبابجي والنيفاوي وقلاء الجبن والسماك والجبارين والجباسين بالحجر والثور يدور به وهو ماش بالعربة والبناء والمبلط والمبيض النحاس والبناء والسكري تتمة احدى وتسعون عربة وفيهم حتى المراكبي في قفة كبيرة كامل العدة والقلوع تمشي على الارض على العجل خلاف اربع عربات المختصة بالعروس فلما كان يوم الاربعاء سحبوا تلك العربات وانجروا بجواكبهم وطبولهم وزمورهم وامام كل عربة اهل حرفتها وصناعها مشاة خلف الطبول والزمور وهم مزينون بالملابس وملابسهم الفاخرة واكثرها مستعارة فكانوا ينزلون الى البركة من ناحية باب الهواء ويمرون من تحت بيت الباشا الى ناحية رصيف الخشاب وباقي كبير الحرفة بورقته الى المتعينين لملاقاتهم فينعم عليه بخلعة ودراهم فيعطى لبعض شال كشميري وللبعض فضة والبعض طاقة قصب او قطني او اربعة ذرع جوخ على قدر مقام الصنعة واهلها واستمر زورهم من اول النهار الى بعد الغروب واصطفوا باسرهم عند رصيف الخشاب ولما اصبح يوم الخميس

(ذكر ملك صلاح الدين قلعة بعرين)

في هذه السنة في العشر الآخر من شوال ملك صلاح الدين قلعة بعرين من الشام وكان صاحبها فخر الدين مسعود بن الزعفراني وهو من اكابر الامراء النورية فلما رأى قوة صلاح الدين نزل منها واتصل بصلاح الدين وظن ان صلاح الدين يكرمه ويشاركه في ملكه ولا ينفرد عنه بامر مثل ما كان مع نور الدين فلم ير من ذلك شيئا ففارقه ولم يكن بقي له من اقطاعه التي كانت له في الايام النورية غير بعرين ونائبه بها فلما صالح صلاح الدين الملك الصالح بحلب عاد الى حماة وسار منها الى بعرين وهي قريبة منها فحصرها ونصب عليها المنجنيقات وأدام قتالها فسلمها واليها بالامان فلما ملكها عاد الى حماة فاقطعها خاله شهاب الدين محمود بن تكش الحارمي وأقطع حمص ناصر الدين ابن عمه شيركوه وسار منها الى دمشق فدخلها أواخر شوال من السنة

(ذكر ملك البهلوان مدينة تبريز)

في هذه السنة ملك البهلوان بن ايلدكز مدينة تبريز وهي من جملة بلاد آقسنقر الاحمديلي وسبب ذلك ان البهلوان سار الى مراغة وحصرها وكان ابن آقسنقر الاحمديلي قد مات ووصى بالملك لابنه فلك الدين فقصده البهلوان ونزل على قلعة رويندز وحصرها فامتنعت عليه فتركها وحصر مراغة وسير أخاه قزل ارسلان في جيش الى مدينة تبريز فحصرها أيضا وكان البهلوان يقاتل أهل مراغة فظفروا بطائفة من عسكره فخلع عليهم صدر الدين قاضي مراغة وأطلقهم فحسن ذلك عند البهلوان وشرع القاضي في الصلح على ان يسلم تبريز الى البهلوان فاجيب الى ذلك واستقرت القاعدة عليه وحلف كل واحد منهما لصاحبه وتسلم البهلوان تبريز وأعطاها اخاه قزل ارسلان ورحل عن مراغة بعسكره

(ذكر وفاة شملة)

في هذه السنة مات شملة التركماني صاحب خوزستان وكان قد كثرت ولايته وعظم شانه وبنى عدة حصون وبقي كذلك زيادة على عشرين سنة وكان سبب موته انه قصد بعض التركمان فعلموا بذلك فاستغاثوا بشمس الدين البهلوان بن ايلدكز صاحب عراق العجم فسير اليهم جيشا فاقتتلوا فاصاب شملة سهم ثم اخذ اسيرا وولده وابن اخيه وتوفي بعد يومين وهو من التركمان الافشرية ولما مات ملك ابنه بعده

(ذكر هرب قطب الدين قايماز من بغداد)

في هذه السنة في شوال سير علاء الدين تنامش وهو من اكابر الامراء ببغداد وكان قطب الدين قايماز زوج اخته عسكرا الى العراق فنهبوا اهله وبالغوا في اذاهم فجاء منهم جماعة الى بغداد واستغاثوا فلم يغاثوا لضعف الخليفة مع قايماز وتنامش وتحكمهما عليه فقصدوا جامع القصر واستغاثوا فيه ومنعوا الخطيب وفاتت الصلاة اكثر الناس فانكر الخليفة ما جرى فلم يلتفت قطب الدين وتنامش الى ما فعل واحتقروه فلاجرم لم يمهلهم

دقبوا مرو والزفة وعين لترتيبها اشخاصا ومنهم السيد محمد دربالة الشمسي وهو كبير المنتظمين وكان خروجها من بيت الحريم وهو الذي كان سكن الشيخ خليل البكري وذهبوا وانجروا على طريق الموسكي على قنطرة الربيع الى باب زويلة الى الغورية الى بين القصرين الى سوق مرجوش الى باب الحديد الى بولاق الى سراية اسمعيل باشا التي جددوها قبلي بولاق قريبا من الشون فلم تصل الى منزلها الا عند الغروب وكان في اول الزفة طائفة من العسكر الدلاة ثم والى الشرطة ثم المحتسب ثم موكب اغات الينكجرية وبعدهم المساخر والنقاقير وعدتها عشرة نقاقير وعلى كل نقارة تفصيلة ثم العربات المذكورة وفيها أيضا تجار الغورية وطائفة تجار خان الخليلي في موكب حفل وتجار الجمزاوي من نصارى الشوام وغيرهم وكان يوما مشهودا اجتمعت فيه الخلائق للفرجة في طرقها حتى طريق بولاق واكترى الناس الاماكن المطلة على الشارع والحوانيت باغلى الاثمان ولما وصلت العروس الى قصرها ضربوا اعدة مدافع من بولاق والازبكية والجيزة وكان العزم على عمل المهم الثاني والابتداء فيه من يوم السبت الذي بعد الجمعة فرسم وابتاخيره الى الجمعة الاخرى لتأخر أم العريس ومن يصحبها من النساء وآذن ببولاق تلك الجمعة واستمرت

الله تعالى لاحتقارهم الدعاء وازدرائهم أهله فلما كان خامس ذى القعدة قصد قطب الدين قايماز أذى ظهير الدين بن العطار وكان صاحب المخزن وهو خاص الخليفة وله به عناية تامة فلم يراع الخليفة فى صاحبه فارسل اليه يستدعيه ليحضر عنده فهرب فاحرق قطب الدين داره وحالف الامراء على المساعدة والمظاهرة له وجمعهم وقصدوا دار الخليفة لعلمه ان ابن العطار فيها فلما علم الخليفة ذلك ورأى الغلبة صعد الى سطح داره وظهر للعامة وأمر خادما فصاح واستغاث وقال للعامة مال قطب الدين لكم ودمه لى فقصد الخلق كلهم دار قطب الدين للنهب فلم يمكنه المقام لضيق الشوارع وغلبة العامة فهرب من داره من باب فتحه فى ظهرها لكثرة الخلق على بابها وخرج من بغداد ونهبت داره وأخذ منها من الاموال مالا يعد ولا يحصى فروى فيها من التنعم ماليس لاحد مثله فمن جملة ذلك ان بيت الطهارة الذى كان له فيه سلسلة ذهب من السقف الى محاذى وجه القاعد على الخلاء وفى اسفلها كرة كبيرة ذهب مخرمة محشوة بالمسك والعنبر ليشمها اذا قعد فتشتت انسان وقطعها ودخل بعض الصعاليك فاخذ عدة اكياس مملوءة دنانير وكان الاقوياء قد وقفوا على الباب يأخذون مايخرج به الناس فلما أخذ ذلك الصعلوك الاكياس قصد المطبخ فاخذ منه قدرا مملوءة طبيخا وألقى الاكياس فيها وحملها على رأسه والناس يضحكون منه فيقول انا أريد شيئا اطعمه عيالى اليوم فنجا بما معه فاستغنى بعد ذلك فظهر المال ولم يبق من نعمة قطب الدين فى ساعة واحدة قليل ولا كثير ولما خرج من البلد تبعه تنامش وجماعة من الامراء فنهبت دورهم ايضا واخذت أموالهم واحرق أكثرها وسار قطب الدين الى الحلة ومعه الامراء فسير الخليفة اليه صدر الدين عبد الرحيم شيخ الشيوخ فلم يزل به يخدعه حتى سار عن الحلة الى الموصل على البر فلحقه ومن معه عطش عظيم فهلك أكثرهم من شدة الحر والعطش ومات قطب الدين قبل وصوله الى الموصل فحمل ودفن بظاهر باب العمادى وقبره مشهور هناك وهذا عاقبة عصيان الخليفة وكفران الاحسان والظلم وسوء التدبير فانه ظلم اهل العراق وكفر احسان الخليفة الذى كان قد غمره ولو أقام بالحلة وجمع العساكر وعاد الى بغداد لاستولى على الامور كلها كما كان فان عامة بغداد كانوا يريدونه وكان قوى بالاحسان على البلاد فاطاعوه ولما مات فى ذى الحجة وصل علاء الدين تنامش الى الموصل فاقام مدة ثم أمره الخليفة بالقدوم الى بغداد فعاد اليها وبقى بها الى ان مات بغير اقطاع وكان هذا آخر أمرهم ولما أقام قطب الدين بالحلة امتنع الحاج من السفر فتأخروا الى ان رحل عنها فدخلوا من الكوفة فى ثمانية عشر يوما وهذا مالم يسمع بمثله وفات كثيرا منهم الحج ولما هرب قطب الدين خلع الخليفة على عضد الدين الوزير واعيد الى الوزارة قال بعض الشعراء فى قطب الدين وتنامش هذه الابيات

ان كنت معتبرا بملك زائل * وحوادث عنقية الادلاج
فدع العجائب والتواريخ الاولى * وانظر الى قيماز وابن افاج

بصحبة الصوارى والحبال والآلات على حمالها بالازبكية (وفى يوم الاحد سابع عشره) وصل الشريف غالب شريف مكة الى مصر القديمة وقد أتت به السفينة من القلزم الى مرساة ثغر القصير فتلقاه ابراهيم باشا وحضر بصحبته الى قنا وقوص ثم ركب النيل بمن معه من أولاده وعبيده والعسكر الواصلين بصحبته وحضر الى مصر القديمة فلما وصل الخبر الى كتخدا بك ضربوا عدة مدافع من القلعة اعلاما بوصوله واكراما على حد قوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم وركب صالح بك السلحدار واحمد أغا اخو كتخدا بك فى طائفة لملاقاته واحضاره وهيؤا له مكانا بمنزل احمد أغا اخى كتخدا بك بعطفة ابن عبد الله بك بخط السروجية لينزل فيه وانتظره الكتخدا هناك وبصحبته بونابارته الخازندار ومحمود بك ومحو بك وابراهيم أغا أغات الباب والسيد محمد المحروقى فلما وصل الى الدار نزل الكتخدا والجماعة ولاقوه عند سلم الركوبة وقبلوا يده ولزم الكتخدا بيده تحت ابطه حتى صعد الى محل الجلوس الذى أعدوه له واستمر الكتخدا قائما على قدميه حتى أذن له فى الجلوس هو وباقى الجماعة وعرفه الكتخدا عن السيد محمد المحروقى فتقدم وقبل يده فقام له وسلم عليه وجلس بحذاء الكتخدا ليترجم عنه فى الكلام ويؤانسوه ويطمنوا خاطره ثم ان الكتخدا

عطف الزمان عليهما فسقاهما * من كاسه صرفا بغير مزاج
فتبدد لوابعد القصور وظلها * ونعيمها بهامة وفجاج
فليعذر الباقون من امثالها * نكبات دهر خائن مزعاج

وكان قطب الدين كريما طلق الوجه محبا للعدل والاحسان كثير البذل للمال والذى كان جرى منه انما كان يحمله عليه تامش ولم يكن بارادته

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة مات زعيم الدين صاحب المخزن واسمه يحيى بن عبد الله بن محمد بن المعمر ابن جعفر ابو الفضل وحج بالناس عدة سنين واليه الحكم فى الطريق وتاب عن الوزارة وتنقل فى هذه الاعمال اكثر من عشرين سنة وكان يحفظ القرآن

(ثم دخلت سنة احدى وسبعين وخمسمائة)

(ذكر انهزام سيف الدين من صلاح الدين)

فى هذه السنة عاشر شوّال كان المصاف بين سيف الدين غازى بن مودود وبين صلاح الدين يوسف بن ايوب بتل السلطان على مرحلة من حلب على طريق حماة وانهزم سيف الدين وسبب ذلك انه لما انهزم اخوه عز الدين مسعود من صلاح الدين فى العام الماضى وصالح سيف الدين اخاه عماد الدين صاحب سنجار عاد الى الموصل وجمع عساكره وفرق فيهم الاموال واستنجد صاحب حصن كيفا وصاحب ماردين وغيرهما فاجتمعت معه عساكر كثيرة بلغت عدتهم ستة آلاف فارس فسار الى نصيبين فى ربيع الاوّل من هذه السنة واقام بها فاطال المقام حتى انقضى الشتاء وهو مقيم فضجر العسكر ونفدت نفقاتهم وصار العود الى بيوتهم مع الهزيمة أحب اليهم من الظفر لما يتوقعونه ان ظفروا من طول المقام بالشام بعد هذه المدة ثم سار الى حلب فنزل اليه سعد الدين كمشتكين الخادم مدبر دولة الملك الصالح ومعه عسكر حلب وكان صلاح الدين فى قلة من العساكر لانه كان صالح الفرنج فى المحرم من هذه السنة على ما نذكره ان شاء الله وقد سير عساكره الى مصر فارسل يستدعيها فلو عاجلوه لبلغوا غرضهم منه لكنهم تريثوا وتأخروا عنه فجاءته عساكره فسار من دمشق الى ناحية حلب ليلقى سيف الدين فالتقى العسكران بتل السلطان وكان سيف الدين قد سبقه فلما وصل صلاح الدين كان وصوله العصر وقد تعب هو واصحابه وعطشوا فالقوا انفسهم الى الارض ليس فيهم حركة فاشار على سيف الدين جماعة بقتالهم وهم على هذا الحال فقال زلفندار ما بنا هذه الحاجة الى قتال هذا الخارجى فى هذه الساعة غدا بكرة ناخذهم كلهم فترك القتال الى الغد فلما اصبحوا اصطفوا للقتال فجعل زلفندار وهو المدبر للعسكر السيفى اعلامهم فى وهدة من الارض لا يراها الا من هو بالقرب منها فلما لم يرها الناس ظنوا ان السلطان قد انهزم فلم يثبتوا وانهزموا ولم يلو اخ على أخيه ولم يقتل بين الفريقين مع كثرتهم غير رجل واحد ووصل سيف الدين الى حلب وترك بها أخاه عز الدين مسعودا فى جمع من

اعتذر له باشتغاله باحوال الدولة واستاذنه فى الذهاب الى ديوانه وعرفه ان اخاه ينوب عنه فى الخدمة ولوازمه فقبل عذره وقام منصرفا هو وباقى الجماعة ماعدا السيد محمد المحروقى ومحمود بك فان الكتخدا امرهما بالتخلف عنده ساعة فجلسا معه وتغديا بصحبته ومعه أولاده الثلاثة وعبيده ثم انصرفا الى منزلهما ولم ياذن الكتخدا لاحد من الاشياخ أو غيرهم من التجار بالسلام عليه والاجتماع به والذى بلغنا فى كيفية القبض عليه انه لما ذهب الباشا الى مكة واستمر هو وابنه طوسون باشا مع الشريف غالب على المصادقة والمسالمة والمصافاة وجدد معه العهود والايمان فى جوف الكعبة بان لا يخون احد صاحبه وكان الباشا يذهب اليه فى قلة وهو الآخر ياتى اليه والى ابنه كذلك واستمروا على ذلك فلما كان خامس عشر يوما من ذى القعدة دعاه طوسون باشا اليه فاتى اليه كعادته فى قلة فوجد بالدار عساكر كثيرة فعندما استقر به المجلس وصل عابدين بك فى عدة وافرة وطلع الى المجلس فدنا منه واخذ الجنبية من حزامه وقال له انت مطلوب للدولة فقال سمعا وطاعة ولكن حتى اقضى اشغالى فى ظرف ثلاثة ايام واتوجه فقال لا سبيل الى ذلك والسفينة حاضرة فى انتظارك فحصل فى جماعة الشريف وعبيده رجة وصعدوا على ابراج سرايته وارادوا الحرب فارسل اليهم الباشا يقول لهم ان

العسكر ولم يقم هو وعبر الفرات وسار الى الموصل وهو لا يصدق انه ينجو وظن أن
صلاح الدين يعبر الفرات ويقصده بالموصل فاستشار وزيره جلال الدين ومجاهد
الدين قايماز في مفارقة الموصل والاعتصام بقلعة عقر الحميدية فقال له مجاهد
الدين أرأيت ان ملكت الموصل عليك أتقدر ان تمتنع ببعض ابراج الفصيل فقال لا
فقال برج في الفصيل خير من العقر وما زال الملوك ينهزمون ويعاودون الحرب
واتفق هو والوزير على شد أزره وتقوية قلبه فثبت ثم اعرض عن زلفندار وعزله
واستعمل مكانه على امارة الجيوش مجاهد الدين قايماز على ما نذكره ان شاء الله وقد
ذكر العماد الكاتب في كتاب البرق الشامي في تاريخ الدولة الصلاحية أن سيف
الدين كان عسكره في هذه الوقعة عشرين ألف فارس ولم يكن كذلك انما كان على
التحقيق يزيدون على ستة آلاف فارس اقل من خمسمائة فانني وقفت على جريدة
العرض وترتيب العسكر للمصاف ميمنة وميسرة وقلبا وجاليشية وغير ذلك وكان المتولي
لذلك والكاتب له أخي مجد الدين أبا السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم رحمه
الله وانما قصد العماد أن يعظم أمر صاحبه بانه هزم بستة آلاف عشرين ألفا والحق
احق ان يتبع ثم يا ليت شعري كم هي الموصل واعمالها الى الفرات حتى يكون لها
وفيها عشرون الف فارس

(ذكر ما ملكه صلاح الدين بعد الكسرة من بلاد الصالح بن نور الدين)

لما انهزم سيف الدين وعسكره ووصلوا الى حلب عاد سيف الدين الى الموصل كما
ذكرناه وترك بحلب اخاه عز الدين مسعودا في طائفة من العسكر نجدة للملك الصالح
واما صلاح الدين فانه لما استولى على اثقال العسكر الموصلي هو وعسكره وغنموها
واستعوا بها وقووا سار الى بزاعة فحصرها وقاتله من بالقلعة ثم تسلمها وجعل فيها من
يحفظها وسار الى مدينة منبج فحصرها آخر شوال وبها صاحبها قطب الدين ينال بن
حسان المنبجي وكان شديد العداوة لصلاح الدين والتحريض عليه والاطماع فيه
والطعن فيه فصلاح الدين حنق عليه مهدد له فاما المدينة فملكها ولم تمتنع عليه وبقي
القلعة وبها صاحبها قد جمع اليها الرجال والسلاح والذخائر فحصره صلاح الدين
وضيق عليه وزحف الى القلعة فوصل النقابون الى السور فنقبوها وملكوها عنوة
وغنم العسكر الصلاحي كل ما فيها واخذ صاحبها اسيرا فاخذ صلاح الدين كل ماله
وأصبح فقيرا لا يملك نقيرا ثم اطلقه صلاح الدين فسار الى الموصل فاقطعه سيف الدين
غازي مدينة الرقة ولما فرغ صلاح الدين من منبج سار الى قلعة اعزاز فنازلها ثالث
ذي القعدة من السنة وهي من احصن القلاع وامنعها فنازلها وحصرها وأحاط بها
وضيق على من فيها ونصب عليها المنجنيقات وقتل عليها كثير من العسكر فبينما
صلاح الدين يوما في خيمة لبعض امرائه يقال له جاولي وهو مقدم الطائفة الاسدية
اذ وثب عليه باطني فضربه بسكين في رأسه فجرحه فلولا ان المغفر الزرد كان تحت
القلنسوة

وقع منكم من حرب احرقت البلدة وقتلت استاذكم وارسل لهم ايضا الشريف يكفهم عن ذلك وكان بها الولاة الثلاثة فيهم الشيخ احمد تركي وهو من خواص الشريف وخدمهم وقال لهم لم يكن هناك باس وانما والدكم مطلوب في مشاورة مع الدولة ويعود بالسلامة وحضرة الباشا يريد ان يقلد كبيركم نيابة عن ابيه الى حين رجوعه ولم يزل حتى انخدع كبيرهم لكلامه وقاموا معه فذهب بهم الى محل خلاف الذي به والدهم محتفظا بهم وفي الوقت احضر الباشا الشريف يحيى بن سرور وهو ابن اخي الشريف غالب وخلع عليه وقلده امارة مكة ونودي في البلدة باسمه وعزل الشريف غالب حسب الاوامر السلطانية واستمر الشريف غالب اربعة ايام عند طوسون باشا ثم اركبوه واصحبوا معه عدة من العسكر وذهبوا به وباولاده الى بندر جدة وانزلوهم السفينة وساروا بها من ناحية القصير من صعيد مصر وحضر كما ذكر (وفي يوم الاربعاء) وصل قاصد من الديار الرومية وعلى يده مثالان فعمل كتخدا بك ديوانا في صبيحة يوم الخميس حادي عشر منه قرئ ذلك وهما مثالان يتضمن احدهما التقرير على باشا على ولاية مصر على سنة الجديدة والثاني الاخبار والبشارة باستيلاء العثمانيين على بلاد الصرب ولما فرغوا من قراءتهما

القلنسوة لقتله فامسك صلاح الدين يد الباطني بيده الا انه لا يقدر على منعه من الضرب بالكلية انما يضرب ضربا ضعيفا فبقي الباطني يضرب به في رقبته بالسكين وكان عليه كزاغند فكانت الضربات تقع في زيق الكزاغند فتقطعه والزردية تمنعها من الوصول الى رقبته لبعد اجله فجاء امير من امرائه اسمه يازكش فامسك السكين بكفه فجرحه الباطني ولم يطلقها من يده الى ان قتل الباطني وجاء آخر من الاسماعيلية فقتل ايضا وثالث فقتل وركب صلاح الدين الى خيمته كالمذعور لا يصدق بنجاته ثم اعتبر جنده فمن انكره ابعده ومن عرفه اقره على خدمته ولازم حصار اعزاز ثمانية وثلاثين يوما كل يوم اشد قتالا مما قبله وكثرت النقوب فيها فاذعن من بها وسلموا القلعة اليه فتسلمها حادي عشر ذي الحجة

(ذكر حصر صلاح الدين مدينة حلب والصلح عليها)

لما ملك صلاح الدين قلعة اعزاز رحل الى حلب فنازلها منتصف ذي الحجة وحصرها وبها الملك الصالح ومن معه من العساكر وقد قام العامة في حفظ البلد القيام المرضي بحيث انهم منعوا صلاح الدين من القرب من البلد لانه كان اذا تقدم للقتال خسر هو واصحابه وكثر الجراح فيهم والقتل وكانوا يخرجون ويقاتلونه ظاهر البلد فترك القتال واخلد للمطاولة وانقضت سنة احدى وسبعين ودخلت سنة اثنتين وسبعين وهو محاصر لها ثم ترددت الرسل بينهم في الصلح في العشرين من المحرم فوقعت الاجابة اليه من الجانبين لان اهل حلب خافوا من طول الحصار فانهم ربما ضجروا وضعفوا وصلاح الدين رأى انه لا يقدر على الدنو من البلد ولا على قتال من به فاجاب ايضا وتقررت القاعدة في الصلح للجميع للملك الصالح ولسيف الدين صاحب الموصل ولصاحب الحصن وصاحب ماردين وتحالفوا واستقرت القاعدة ان يكونوا كلهم عونا على الناكث الغادر فلما انفصل الامر رحل عن حلب بعد ان اعاد قلعة اعزاز الى الملك الصالح فانه اخرج الى صلاح الدين اختا له صغيرة طفلة فاكرمها صلاح الدين وحمل لها شيئا كثيرا وقال لها ما تريدين قالت اريد قلعة اعزاز وكانوا قد علموها ذلك فسلمها اليهم ورحل الى بلد الاسماعيلية

(ذكر الفتنة بمكة وعزل اميرها واقامة غيره)

في هذه السنة في ذي الحجة كان بمكة حرب شديدة بين امير الحاج طاشتكين وبين الامير مكثر بن عيسى امير مكة وكان الخليفة قد امر امير الحاج بعزل مكثر واقامة اخيه داود مقامه وسبب ذلك انه كان قد بنى قلعة على جبل ابي قبيس فلما سار الحاج عن عرفات لم يبيتوا بالمزدلفة وانما اجتازوا بها فلم يرموا الجمار انما بعضهم رمى بعضها وهو سائر ونزلوا الابطح فخرج اليهم ناس من اهل مكة فحاربوهم وقتل من الفريقين جماعة وصاح الناس الغزاة الى مكة فهجموا عليها فهرب امير مكة مكثر فصعد الى القلعة التي بناها على جبل ابي قبيس فحصروه بها ففارقها وسار عن مكة وولي اخوه داود الامارة

ضربوا عدة مدافع من القلعة وفي عصرية ذلك اليوم حضر حريم الباشا من بولاق الى الازبكية في عربات فضربوا لحضورهن مدافع من الازبكية وشرعوا في عمل المهم الثاني لابنة الباشا على الدفتردار وافتتحوا ذلك من ليلة السبت على النسق المتقدم وعملوا العزائم والولائم واحتفلوا ازيد من المهم الاول واحضروا الشريف غالبا واعدوا له مكانا بيت الشرايبي على حدته هو واولاده ليتفرجوا على الملاعيب والبهلوانات نهارا والشنك والحراقات ليلا وعلى الشريف واولاده الحرس ولا يجتمع بهم احد على الوجه والصورة التي كانوا عليها بالمنزل الذي انزلوا فيه فلما كان في يوم الاربعاء اجتمع ارباب العربات واصحابها وقد زادوا عن الاولى خمسة عشر عربة وفيهم معمل الزجاج وباتوا بنواحي البركة على النسق المتقدم ونصبوا لهم خياما تقيهم من البرد والمطر لان الوقت شات ولما اصبح يوم الخميس انجرت العربات وموكب الزفة من ناحية باب الهواء على قنطرة الموسكي على باب الخرق على درب الجماميز وعطفوا من الصليبة على المظفر على السروجية على قصبة رضوان بك على باب زويلة على شارع الغورية على الجمالية على سوق مرجوش على بين السورين على الازبكية على باب الهواء الى المنزل الذي اعدوه لها وهو بيت ابنة اسمعيل بك

ونهب كثيرا من الحاج وأخذوا من اموال التجار والمقيمين بها شيئا كثيرا واحرقوا دورا كثيرة ومن اعجب ماجرى فيها ان انسانا زراقا ضرب دارا بقارورة نفط فاحرقها وكانت لايتام فاحرقت مافيها ثم أخذ قارورة أخرى ليضرب بها مكانا آخر فاتاه حجر فاصاب القارورة فكسرها فاحترق هو بها فبقي ثلاثة ايام يعذب بالحريق ثم مات

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في شهر رمضان انكسفت الشمس جميعها واظلمت الارض حتى بقي الوقت كانه ليل مظلم وظهرت الكواكب وكان ذلك ضحوة النهار يوم الجمعة التاسع والعشرين منه وكنت حينئذ صبيا بظاهر جزيرة ابن عمر مع شيخ لنا من العلماء اقرأ عليه الحساب فلما رأيت ذلك خفت خوفا شديدا وتمسكت به فقوى قلبي وكان عالما بالنجوم أيضا وقال لي الآن ترى هذا جميعه انصرف فانصرف سريعا وفيها ولى الخليفة المستضيء بامر الله حجبة الباب أباطالب نصر بن علي الناقد وكان يلقب في صغره قنبرا فصاروا يصيحون بهذا اللقب اذا ركب فامر الخليفة ان يركب معه جماعة من الاتراك ويمنعون الناس من ذلك فامتنعوا فلما كان قبل العيد خلع عليه ليركب في الموكب فاشترى جماعة من أهل بغداد من القنابر شيئا كثيرا وعزموا على ارسالها في الموكب اذا رأوا ابن الناقد فانهى ذلك الى الخليفة وقيل له يصير الموكب ضحكة فعزله وولى ابن المعوج وفيها في ذي الحجة يوم العيد وقعت فتنة ببغداد بين العامة وبين الاتراك بسبب أخذ جمال النصر فقتل بينهم جماعة ونهب شيء كثير من الاموال ففرق الخليفة أموالا جليلة فيمن نهب ماله وفيها زلزلت بلاد العجم من جهة العراق الى ماوراء الري وهلك فيها خلق كثير وتهدمت دور كثيرة وأكثر ذلك كان بالري وقزوين وفيها في ربيع الآخر استوزر سيف الدين غازي صاحب الموصل جلال الدين اباالحسن ابن جمال الدين محمد بن علي وكان جمال الدين وزير البيت الاتابكي وقد تقدمت أخباره وهو المشهور بالجود والافضال ولما ولي جلال الدين الوزارة ظهرت منه كفاية عظيمة ومعرفة تامة بقوانين الوزارة وله مكاتبات وعهود حسنة مدونة مشهورة وكان جوادا فاضلا خيرا وكان عمره لما ولي الوزارة خمسا وعشرين سنة وفيها في ذي الحجة استناب سيف الدين أيضا عنه بقلعة الموصل مجاهد الدين قايماز وفوض اليه الامور وكان قبل ذلك اليه الامر بمدينة اربل واعمالها وكان رحمه الله من صالحي الامراء وأرباب المعروف بنى كثيرا من الجوامع والخانات في الطرق والقناطر على الانهار والربط وغير ذلك من أبواب البر وكان دائم الصدقة كثير الاحسان عادل السيرة رحمه الله وفيها قبض الخليفة على سنجر المقتفوي استاذ الدار ورتب مكانه أبا الفضل هبة الله ابن علي بن هبة الله بن الصاحب وفيها في رمضان قدم شمس الدولة توران شاه بن ايوب الذي ملك اليمن الى دمشق ولما سمع ان أخاه صلاح الدين ملكها حن الى الوطن والاتراب ففارق اليمن وسار الى الشام وأرسل من الطريق الى اخيه صلاح الدين يعلمه بوصوله وكتب في الكتاب شعرا من قول ابن المنجم المصري

وهي بنت ابراهيم بك وكانت متزوجة باسمعيل بك ولما مات تزوج بها مملوكه محمد أغا ويعرف بالالفي وقد تولى اغاوية مستحفظان في هذه الدولة واعتنى بهذه الدار وعمر بها مكانا بين مداخل الحريم وزخرفها ونقشها نقشا بديعا صناعة صناع العجم واستمروا في نقشها سنتين ولما مات المذكور في اوائل هذه السنة واستمر هو ساكنا فيها وانزل الباشا عنده القاضي المنفصل عن قضاء مصر المعروف ببهجة افندي وقاضي مكة صادق افندي حين حضر من اسلامبول ثم امره الباشا بالخروج منها واخلائها لاجل ان يسكن بها ابنته هذه المزفوفة فخرجوا منها في اوائل شوال وكذلك سافر القاضيان الى الحجاز بصحبة الباشا وعند ذلك بيضوها وزادوا في زخرفتها وفرشوها بانواع الفرش الفاخرة ونقلوا اليها جهاز العروس والصناديق وماقدم اليها من الهدايا والامتعة والجواهر والتحف من الاعيان وزوجاتهم حتى من نساء الامراء المصريين المنكوبين وقد تكلفوا فوق طاقتهم وباعوا واستدانوا وغرموا في النقوط والتقادم والهدايا في هذين المهمين ما اصبحوا به مجردين ومديونين وكان اذا قدمت احدى المشهورات منهن هدية تعرضوها على ام العروسين التي هي زوجة الباشا فقلبت ما فيها من المصاغ والجوهر والمقصبات والى

والى صلاح الدين اشكوانني * من بعده مضنى الجوانح مولع
جزعا لبعد الدار منه ولم أ كن * لولا هواه لبعد دار ابزع
فلا ركبن اليه متن عزائمى * ويخب بى ركب الغرام ويوسع
ولاقطعن من النهار هواجرا * قلب النهار بحرها يتقطع
ولاسرين الليل لا يسرى به * طيف الخيال ولا البروق اللمع
واقدمن اليه قلبي مخبرا * انى بجسمى من قريب اتبع
حتى اشاهد منه اسعد طلعة * من افقها صبح السعادة يطلع

وفى هذه السنة فى المحرم برز صلاح الدين من دمشق وقد عظم شانه بما ملكه من بلاد الشام و بكسره عسكر الموصل فخافه الفرنج وغيرهم وعزم على دخول بلادهم ونهبه والاغارة عليه فارسلوا اليه يطلبون الهدنة معه فاجابهم اليها وصالحهم فامر العساكر المصرية بالعود الى مصر والاستراحة الى ان يعاود طلبهم وشرط عليهم انه متى أرسل يستدعيهم لا يتاخرون فساروا اليها وأقاموا بها الى ان استدعاهم للعرب مع سيف الدين على ماذكرناه وفيها مات ابو الحسن على بن عساكر البطائحى المقرى وكان قد سمع الحديث الكثير و رواه وكان نحويا جيدا وفى ذى الحجة منها توفى ابو سعد محمد ابن سعيد بن محمد بن الرزاز سمع الحديث و رواه وله شعر جيد فمن ذلك انه كتب اليه بعض اصدقائه مكاتبة وضمنها شعرا فاجابه

يا من اياديه تغنى من يعددها * وليس يحصى مداها من لها يصف
عجزت عن شكر ما أوليت من كرم * وصرت عبدا ولى فى ذلك الشرف
اهديت منظوم شعر كله درر * فكل ناظم عقد عنده يقف
اذا أتيت بيت منه كان لنا * قصرا ودر المعانى فوقه شرف
وان أتيت أنا بيتا يناقضه * أتيت لكن ببيت سقفه يكف
ما كنت منه ولا من أهله أبدا * وانما حين ادنو منه اقتطف

(ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة) *

*(ذكر نهب صلاح الدين بلاد الاسماعيلية) *

لما رحل صلاح الدين من حلب على ماذكرناه قبل قصد بلاد الاسماعيلية فى المحرم ليقاتلهم بما فعلوه من الوثوب عليه وارادة قتله فنهب بلادهم وخربه واحرقه وحصر قلعة مصياث وهى اعظم حصونهم واحصن قلاعهم فنصب عليها المنجنيقات وضيق على من بها ولم يزل كذلك فارسل سنان مقدم الاسماعيلية الى شهاب الدين الحارمى صاحب حماة وهو خال صلاح الدين يساله ان يدخل بينهم و يصلح الحال و يشفع فيهم و يقول له ان لم تفعل قتلناك وجميع أهل صلاح الدين فشفع فيهم وسال الصفح عنهم فاجابه الى ذلك وصالحهم ورحل عنهم وكان عسكره قد ملوا من طول البيكار وقد امتلأت أيديهم من غنائم عسكر الموصل ونهب بلاد الاسماعيلية فطلبوا العود الى بلادهم للاستراحة فاذن لهم وسار هو الى مصر مع عسكرها لانه كان قد طال عهده عنها

وغيرها فان الجبتها تركتها والا مرت بردها قائلة هذا مقام فلانة التى كانت بنت امير مصر اوزوجته فتتكلف المسكينة الزيادة ونحو ذلك مع ما يلحقها من كسر الخاطر وانكساف البال ثم ادخلوا العروس الى تلك الدار عندما وصلت بالزفة (ومما حصل) انه قبل مرور موكب الزفة بيومين طاف اصحاب الشرطة ومعهم رجال وبايديهم مقياس فكلما مروا بناحية اوطريق يضيق عن القياس هدموا ما عارضهم من مساطب الدكاكين اوغيرها من الجهتين لاتساع الطريق لمرور العربات والملاعيب وغيرها فاتلفوا كثيرا من الابنية ونودى فى يوم الاربعاء بزينة الحوانيت والطرق التى تمر عليها الزفة بالعروس (ومما حصل) من الحوادث السماوية انه فى يوم الخميس المذكور عندما توسطت الزفة فى مرورها بوسط المدينة اطبق الجو بالغيام وامطرت السماء مطرا غزيرا حتى تبحرت الطرق وتوحلت الارض وابتلت الخلائق من النساء والرجال المجتمعين للفرجة وخصوصا الكائنين بالسقائف وفوق الحوانيت والمساطب واما المتعينون للمشى فى الموكب ولابد الذين لامفر لهم من ذلك ولا مهرب فاختل نظامهم وابتلت ثيابهم وتكدرت طباعهم وانتقضت اوضاعهم وزادت وساوسهم وتلفت ملابسهم وهطل الغيث على الابريسم والحرير والشالات الكرخانه والسليمى

ولم يمكنه المضي اليه اذ هما تقدم خوفا على بلاد الشام فلما انهزم سيف الدين وحصر هو حلب وملك بلادها واصلحها وأمن على البلاد فسار الى مصر وأمر ببناء سور على مصر والقاهرة والقلعة التى على جبل المقطم دوره تسعة وعشرون الف ذراع وثلثمائة ذراع بالذراع الهاشمى ولم يزل العمل فيه الى ان مات صلاح الدين

(ذكر ظفر للمسلمين بالفرنج والفرنج بالمسلمين)

كان شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم صاحب بعلبك فأتاه خبر ان جمعا من الفرنج قد قصدوا البقاع من اعمال بعلبك واغاروا عليها فسار اليهم وكمن لهم فى الشعراء والغياض وأوقع بهم وقتل فيهم واكثر واسر نحو مائتى رجل منهم وسيرهم الى صلاح الدين وكان شمس الدولة توران شاه اخو صلاح الدين وهو الذى ملك اليمن قد وصل الى دمشق كما ذكرناه وهو فيها فسمع ان طائفة من الفرنج قد خرجوا من بلادهم الى اعمال دمشق فسار اليهم واقيهم عند عين الجر فى تلك المروج فلم يثبت لهم وانهزم عنهم فظفروا بجمع من اصحابه فاسر وهم منهم سيف الدين ابو بكر بن السلار وهو من اعيان الجند الدمشقيين واجترأ الفرنج بعدها وانبسطوا فى تلك الولاية وجبروا الكسر الذى ناله منهم ابن المقدم

(ذكر عصيان صاحب شهرزور على سيف الدين وعوده الى طاعته)

فى هذه السنة عصى شهاب الدين محمد بن برز صاحب شهرزور على سيف الدين غازى وكان فى طاعته وتحت حكمه وكان سبب ذلك ان مجاهد الدين قايماز كان متوليا مدينة اربل وكان بينه وبين ابن برز عداوة محكمة فلما استناب سيف الدين مجاهد الدين بالموصل خاف ابن برز ان يناله منه أذى فاظهر الامتناع من النزول الى الخدمة فارسل اليه جلال الدين وزير سيف الدين كتابا يأمره بمعاودة الطاعة ويحذره عاقبة المخالفة وهو من أحسن الكتب وأبلغها فى هذا المعنى ولولا خوف التطويل لذكرته فليطلب من مكاتباته فلما وصل اليه الكتاب والرسول بادر الى حضور الخدمة بالموصل وزال الخلف

(ذكر فرج بعد شدة يتعلق بالتاريخ)

بالقرب من جزيرة ابن عمر حصن منيع من امنع المعاقل اسمه فنك وهو على رأس جبل عال وهو للاكراد البشنوية له بايديهم نحو ثلثمائة سنة وكان صاحبه هذه السنة أميرا منهم اسمه ابراهيم وله أخ اسمه عيسى قد أخرجه منه وهو لا يزال يسعى فى أخذه من أخيه ابراهيم فاطاعه بعض بطانة ابراهيم وفتح باب السر ليلا وأصعد منه الى رأس القلعة نيفا وعشرين رجلا فقبضوا على ابراهيم ومن عنده ولم يكن عنده الا نفر من خواصه وهذه قلة على صخرة كبيرة مرتفعة عن سائر القلعة ارتفاعا كثيرا وبها يسكن الامير واهله وخواصه وباقى الجند فى القلعة تحت القلة فلما قبضوا ابراهيم جعلوه فى خزانة وضربه بعضهم بسيف فى يده على عاتقه فلم يصنع شيئا فلما جعل فى الخزانة وكل به

الابو الكشميرى وما زينت به العربات من أنواع ٩٨١ المزركش والمقصبات وتقلدت على من بداخلها من القيان والاغانى الصبيان وكثير من الناس وقع بعد ما تزحلق وصار ثوبه بالوحل أبلق ومنهم من ترك الزفة وولى هاربا فى سطحه يمسح يديه فى الحيط ساقطا بما سن الوطر يطا وتصارخت الحمير وتعثرت البياجير وانهدم تنور الزجاج ولم ينفع به العلاج وتلف للناس شئ كثير ولا يدفع قضاء الله حيلة ولا تدبير ولم تصل العروس الى دارها الا قبيل دنو الشمس من غروبها وعند ذلك انجلى الجو وانكشفت بيوت النو ووافق ذلك اليوم ثالث عشر طوبه من شهور القبط المسوبه وحصل بذلك الغيث العميم النفع لمزارع الغلة والبرسيم (وفيه) وردت مكاتبات من العقبة فيها الاخبار بوصول قافلة الحج صحبة المحمل وأميرها مصطفى بك دالى باشا (وفى يوم الجمعة) تاسع عشرينه وصل كثير من الحجاج الاتراك وغيرهم وردوا فى البحر الى بندر السويس ووصل تابع قهوجى باشا واخبر عنه انه فارق مخدومه من العقبة ونزل فى مركب مع أم عابدين بك وحضر الى السويس

(واستهل شهر صفر بيوم الاحد سنة ١٢٢٩) مما وقع فى ذلك اليوم من الحوادث ان صناع البارود الكائنين بباب اللوق جعلوا

رجلين وصعد الباقون الى سطح القلة ولا يشكون ان القلعة لهم لاما نع عنها ووصل من الغد بكرة الامير عيسى ليتسلم القلعة وبينهما دجلة وكانت امرأة الامير ابراهيم فى خزانة أخرى وفيها شباك حديد ثقيل يشرف الى القلعة فذبته بيدها فاقلع وجند زوجها فى القلعة لا يقدرون على شئ فلما قلعت الشباك ارادت ان تدلى حبلا ترفع به الرجال اليها فلم يكن عندها غير ثياب خام فوصلت بعضها ببعض ودلتها الى القلعة وشدت طرفيها عندها فى عود فاصعدت اليها عشرة رجال ولم يكن يراهم الذين على السطح ورأى الامير عيسى وهو على جانب دجلة الرجال يصعدون فصاح هو ومن معه الى أولئك الذين على السطح ليحذروا وكان كلما صاحوا صاح أهل القلعة لتختلف الاصوات فلا يفهم الذين على السطح فينزلون ويمنعون من ذلك فلما اجتمع عندها عشرة رجال أرسلت مع خادم عندها الى زوجها قدح شراب وامرته ان يقرب منه كأنه يسقيه الشراب ويعرفه الحال ففعل ذلك وجلس بين يديه ليسقيه وعرفه الحال فقال ازدادوا من الرجال فاصعدت عشرين رجلا وخرجوا من عندها فمد ابراهيم يده الى الرجلين الموكلين به فاخذ شعورهما وامر الخادم بقتلهما وكان عنده فقتلهما بسلاحهما فخرج واجتمع باصحابه وارادوا فتح القلعة ليصعد اليه أصحابه من القلة فلم يجد المفاتيح وكانت مع أولئك الرجال الذين على السطح فاضطروا الى الصعود الى سطح القلعة ليأخذوا أصحاب عيسى فعلموا الحال فجاؤا ووقفوا على رأس المرق فلم يقدر احد يصعد فاخذ بعض أصحاب ابراهيم ترسا وجعله على رأسه وحصل فى الدرجة وصعدوقاتل القوم على رأس المرق حتى صعد أصحابه فقتلوا الجماعة وبقى منهم رجل القى نفسه من السطح فنزل الى اسفل الجبل فتقطع فلما رأى عيسى ما حل باصحابه عاد خائبا مما امله واستقر الامير ابراهيم فى قلعته على حاله

(ذكر نهب البندنيجين)

فى هذه السنة وصل الملك الذى بخوزستان عند شملة وهو ابن ملكشاه بن محمود الى البندنيجين فخربها ونهبها وفتك فى الناس وسبى حريمهم وفعل كل قبيح ووصل الخبر الى بغداد فخرج الوزير عضد الدين وعرض العسكر ووصل عسكر الحلة وواسط مع طاشتكين امير الحاج وغزغلى وساروا نحو العدو فلما سمع بوصولهم فارق مكانه وعاد وكان معه من التركمان جمع كثير فنهبهم عسكر بغداد ورجعوا من غير أمر بالعود فانكر عليهم ذلك وامروا بالعود الى مواقفهم فعادوا اوائل شهر رمضان وقد رجع الملك فنهب من البندنيجين ما كان سلم فى الاول ووقعت بينهم وبين الملك وقعة ثم افترقوا فمضى الملك وفارق ولاية العراق

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى أقيمت الصلاة فى الجامع الذى بناه فخر الدولة بن المطلب

نحو عشرة أحمال من الجمال اوعية ملآنة بارود او هى الظروف المصنوعة من الجلود التى تسمى البطط يريدون بها القلعة فخرجوا من باب الحرق الى ناحية تحت الربع فلما وصلوا تجاه مسجد سوق الشمع وبصحبة الجمال شخص عسكرى فتشاجر مع الجمال ورد عليه القول فخنق منه فضرب به بفرد الطبنجة فاصابت احدى البطط فالتهبت بالنار وسرت الى باقى الاحمال فالتهب الجميع وصعدا الى عنان السماء فاحترقت السقيفة المظلة على الشارع وما بناحيتها من البيوت والذى اسفلها من الحوانيت وكذلك من صادف مروره فى ذلك الوقت واحترق ذلك العسكرى والجمال فيمن احترق واتفق مرور امرأة من النساء المحتشمات مع رفيقتها فاحترقت ثيابها مع رفيقتها وذهبت تجرى والنار ترعى فيها وكانت دارها بالقريب من تلك الناحية فما وصلت الى الدار حتى احترق ما عليها من الثياب واحترق اكثر جسدها ووصلت الاخرى بعدها وهى محترقة وعريانة فماتت من ليلتها ولحقتها الاخرى فى ضحوة اليوم الثانى ومات فى هذه الحادثة اكثر من المائة نفس من رجال ونساء وأطفال وصبيان واما الجمال فاخذوها الى بيت الى الشوارب وهى سود محترقة الجلود وفيها من خرجت عينه فاما يعالجوها او ينحروها وكل هذا الذى

بقصر المأمون غربى بغداد وفيها أمر صلاح الدين ببناء المدرسة التى على قبر الشافعى رضى الله عنه بمصر وعمل بالقاهرة بيمارستان ووقف عليهما الوقوف العظيمة الكبيرة وفيها رأيت بالموصل خروفين ببطن واحد ودو رأسين ورقبتين وظهرين وثمانى قوائم كانهما خروفان ببطن واحد ووجه أحدهما الى وجه الآخر وهذا من العجائب وفيها انقض كوكب اضاءت له الارض اضاءة كثيرة وسمع له صوت عظيم وبقى أثره فى السماء مقدار ساعة وذهب وفيها توفى تاج الدين ابو على الحسن بن عبد الله بن المظفر ابن رئيس الرؤساء أخو الوزير عضد الدين وزير الخليفة وفيها فى المحرم توفى القاضى كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى قاضى دمشق وجميع الشام واليه الوقوف بها والديوان وكان جوادا فاضلا رئيسا ذا عقل ومعرفة فى تدبير الدول رحمه الله و رضى عنه

(ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة)

(ذكر انهزام صلاح الدين بالرملة)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى سار صلاح الدين يوسف بن ايوب من مصر الى ساحل الشام لقصد غزاة بلاد الفرنج وجمع معه عساكره وجنوده فلم يزالوا يجدون السير حتى وصلوا الى عسقلان فى الرابع والعشرين منه فنهبوا واسروا وقتلوا واحرقوا وتفرقوا فى تلك الاعمال مغيرين فلما رأوا أن الفرنج لم يظهر لهم عسكر ولا اجتمع لهم من يحمى البلاد من المسلمين طمعوا وانبسطوا وساحوا فى الارض آمنين ووصل صلاح الدين الى الرملة عازما على ان يقصد بعض حصونهم ليحصره فوصل الى نهر فازدحم الناس للعبور فلم يرعهم الا والفرنج قد أشرفت عليهم باطلابها وابطالها وكان مع صلاح الدين بعض العسكر لان اكثرهم تفرقوا فى طلب الغنيمة فلما رآهم وقف لهم فيمن معه وتقدم بين يديه محمد ابن أخى صلاح الدين فباشر القتال بنفسه بين يدى عمه فقتل من أصحابه جماعة وكذلك من الفرنج وكان لتقى الدين ولد اسمه احمد وهو من أحسن الشباب أول ما تكاملت لحيته فامره ابوه بالحملة عليهم فحمل عليهم وقاتلهم وعاد سالما قد اثر فيهم اثرا كثيرا فامره بالعودة اليهم ثانية فحمل عليهم فقتل شهيدا ومضى حميدا رحمه الله ورضى عنه وكان اشد الناس قتالا ذلك اليوم الفقيه عيسى رحمه الله وتمت الهزيمة على المسلمين وحمل بعض الفرنج على صلاح الدين فقاربه حتى كاد يصل اليه فقتل الفرنجى بين يديه وتكاثر الفرنج عليه فمضى منهزما يسير قليلا ويقف ليلحقه العسكر الى ان دخل الليل فسلك البرية الى أن مضى فى نفر يسير الى مصر ولقوا فى طريقهم مشقة شديدة وقل عليهم القوت والماء وهلك كثير من دواب العسكر جوعا وعطشا وسرعة سير وأما العسكر الذين كانوا دخلوا بلاد الفرنج فى الغارة فان اكثرهم ذهب ما بين قتيل واسير وكان من جملة من اسر الفقيه عيسى الهكارى وهو من اعيان الاسدية وكان جمع العلم والدين والشجاعة واسر ايضا اخوه الظهير وكانا قد سارا منهزمين فضلا الطريق

الى مصر وترك الحاج بالدار الحمراء فبات فى داره واصبح عائدا الى البركة فدخل مع المحمل يوم الاربعاء ودخل الحاج واتعبهم بحيث انه اخذ المسافة فى احد وعشرين يوما وسبب حضور المذكور انه ذهب بعساكره وعساكر الشريف من الطائف الى ناحية تربة والمتآمر عليها امرأة فقاتلتهم وانهزم منها ثم هزيمة فنقم عليه الباشا وامره بالذهاب الى مصر مع المحمل (وفيه) ارسل الباشا يستدعى ثنتين او ثلاثة عينهن من محاظيه وصحبتهن خمسة من الجوارى السود الاسطاوات فى الطبخ وعمل انواع الفطور فارسلوهن فى ذلك اليوم الى السويس وصحبتهن نفيسة القهرمانة وهى من جواريه ايضا وكانت زوجا القاضى اوغلى المحتسب الذى مات بالحجاز فى العام الماضى (وفيه) ايضا وصل حريم الشريف غالب فعينوا له دارا يسكنها من حريمه جهة سويقة العزى فسكنها ومعه ولاده وعليهم المحافظون استولى الباشا على موجودات الشريف غالب من نقود وامتعة وودائع ومخبآت شركة وتجارات وبن و بهار نقود بمكة وجدة والمخا واليمن شئ لا يعلم قدره الا الله

فاخـذا ومعهما جماعة من اصحابهما وابنين فى الامر فافتدى صلاح الدين الفقيه عيسى بستين الف دينار وجماعة كثيرة من الاسرى ووصل صلاح الدين الى القاهرة نصف جمادى الآخرة ورأيت كتابا كتبه صلاح الدين بخط يده الى اخيه شمس الدولة تورانشاه وهو بدمشق يذكر الوقعة وفى أوله

ذكرتك والخطى يخطر بيننا * وقد نهلت منا المثقفة السمر

ويقول فيه لقد أشرفنا على الهلاك غير مرة وما انجانا الله سبحانه منه الا لامر يريده سبحانه

* وما ثبتت الا وفى نفسها أمر *

(ذكر حصر الفرنج مدينة حماة)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى حصر الفرنج أيضا مدينة حماة وسبب ذلك انه وصل من البحر الى الساحل الشامى كند كبير من الفرنج من أكبرها واغيتهم فرأى صلاح الدين بمصر قد عاد منهزما فاغتنم خلو البلاد لان شمس الدولة بن أيوب كان بدمشق ينوب عن صلاح الدين وليس عنده كثير من العسكر وكان أيضا كثير الانهماك فى اللذات مائلا الى الراحات فجمع ذلك الكند الفرنجى من بالشام من الفرنج وفرق فيهم الاموال وسار الى مدينة حماة فحصرها وبها صاحبها شهاب الدين محمود الحارمى خال صلاح الدين وهو مريض شديد المرض وكان طائفة من العسكر الصلاحى بالقرب منها فدخلوا اليها واعانوا من بها وقاتل الفرنج على البلد قتالا شديدا وهجموا بعض الايام على طرف منه وكادوا يملكون البلد قهرا وقسرا فاجتمع اهل البلد مع العسكر الى تلك الناحية واشتد القتال وعظم الخطب على الفريقين واستقتل المسلمون وحاموا عن الانفس والاهل والمال فاخرجوا الفرنج من البلد الى ظاهره ودام القتال ظاهر البلد ليلا ونهارا وقويت نفوس المسلمين حين اخرجوهم من البلد وطمعوا فيهم وأكثروا فيهم القتل فرحل الفرنج حينئذ خائبين وكفى الله المسلمين شرهم فساروا الى حارم فحصروها وكان مقامهم على حماة اربعة ايام ولما رحل الفرنج عن حماة مات صاحبها شهاب الدين الحارمى وكان له ابن من احسن الناس شبابا مات قبله بثلاثة ايام

(ذكر قتل كمشتكين وحصر الفرنج حارم)

فى هذه السنة قبض الملك الصالح بن نور الدين على سعد الدين كمشتكين وكان المتولى لامر دولته والحاكم فيها وسبب قبضه انه كان بحلب انسان من اعيان اهلها يقال له ابو صالح بن العجمى وكان مقدما عند نور الدين محمود فلما مات نور الدين تقدم ايضا فى دولة ولده الملك الصالح وصار بمنزلة الوزير الكبير المتمكن لكثرة اتباعه بحلب وصار كل من كان يحسد كمشتكين انضم الى صالح وقوى جنانه وكثر سواده وكان عنده اقدام وجراءة فصار واحد الدولة بحلب ومن يصدر الجماعة عن رايه وامره فبينما هو فى بعض الايام فى الجامع وثب به الباطنية فقتلوه ومضى شهيدا وتمكن بعده سعد الدين وقوى حاله فلما قتل احال الجماعة قتله على سعد الدين وقالوا هو وضع الباطنية

واخرجوا حريمه وجواريه من سراينه بما عليهن من الثياب بعدما فتشوهن تفتيشا فاحشا وهتك حرمته فلا اللهم مالك الملك هذا الشريف غالب انتزع من مملكته وخرج من دولته وسيادته وامواله وذخائره وانسل من ذلك كله كالشعرة من العجين حتى انه لما ركب وخرج مع العسكر وهم متوجهون به الى جدة اخذوا ما فى جيوبه فليعتبر من يعتبر وكل الذى وقع له وما سيقع له بعد من التغريب وغيره فيما جناه من الظلم ومخالفة الشريعة والطمع فى الدنيا وتحصيلها باى طريق نسال الله السلامة وحسن العاقبة (وفى يوم الخميس) خامسه طاف الاغا أيضا باسواق المدينة وامامه المناداة على ابواب الخانات والوكائل من التجار بانهم لا يتعاملون فى بيع البن والبهار والاصناف الريال المتعارف فى معاملة الناس وهو الذى يصرف تسعين نصفا الان باعة البن لا يسعون فى بيعه الا الفرانسه ولا يقبضون فى ثمنه الا اياها باعيانها ولا يقبلون خلافها من جنس المعاملات فيحصل بذلك تعب للمتسببين الفقراء والقطاعين ومن يشترى بالقنطار او دونه فبهذه المناداة يدفع المشترى ما يشاء من جنس المعاملات قروشا او ذهبا او فرانسه اوای

٥ بقرش من المعاملات ويحسبه المعاملة والريال المعروف بين الناس الذى يصرفه

عليه حتى قتلوه وذكروا ذلك للملك الصالح ونسبوه الى العجز وانه ليس له حكم وان سعد الدين قد تحكم عليه واحتقره واستصغره وقتل وزيره ولم يزالوا به حتى قبض عليه وكانت قلعة حارم لسعد الدين قد اقطعه اياها الملك الصالح فامتنع من بها بعد قبضه وحصنوا فيها فسير سعد الدين اليها تحت الاستظهار ليامر اصحابه بتسليمها الى الملك الصالح فامرهم بذلك فامتنعوا فعذب كمشتكين واصحابه يرونه ولا يرحمونه فمات في العذاب واصر اصحابه على الامتناع والعصيان فلما راى الفرنج ذلك ساروا الى حارم من حماة في جمادى الاولى على ما ذكرناه منهم انهم لا ناصر لهم وان الملك الصالح صبي قليل العسكر وصلاح الدين بمصر فاغتنموا هذه الفرصة ونازلوها واطالوا المقام عليها مدة اربعة اشهر ونصبوا عليها المنجنيقات والسلالم فلم يزالوا كذلك الى ان بذل لهم الملك الصالح مالا وقال لهم ان صلاح الدين واصل الى الشام وربما يسلم القلعة من بها اليه فاجابوا حينئذ الى الرحيل عنها فلما رحلوا عنها سير اليها الملك الصالح جيشا فحصروها وقد بلغ الجهد منهم بحصار الفرنج وصاروا كانهم طلائع وكان قد قتل من اهلها وجرح كثير فسلموا القلعة الى الملك الصالح فاستناب بها مملوكا كان لابيه اسمه سرخك

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في المحرم خطب السلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه المقيم عند ايلدكز بهمذان وكان ابوه ارسلان قد توفي وفيها سابع شوال هبت ببغداد ريح عظيمة فزلزلت الارض واشتد الامر على الناس حتى ظنوا ان القيامة قد قامت فبقي ذلك ساعة ثم انجلت وقد وقع كثير من الدور ومات فيها جماعة كثيرة وفيها رابع ذي القعدة قتل عضد الدين ابو الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء ابي القاسم بن المسلمة وزير الخليفة وكان قد عزم على الحج فعبر دجلة ليسير وعبر معه ارباب مناصب وهو في موكب عظيم وتقدم الى اصحابه ان لا يمنعوا عنه احدا فلما وصل الى باب قطيبا لقيه كهل فقال انا مظلوم وتقدم ليسمع الوزير كلامه فضربه بسكين في خاصرته فصاح الوزير قتلني ووقع من الدابة وسقطت عمامته فغطى رأسه بكمه وضرب الباطني بسيف وعاد الى الوزير فضربه واقبل حاجب الباب ابن المعوج لينصر الوزير فضربه الباطني بسكين وقيل بل ضربه رفيق كان للباطني ثم قتل الباطني ورفيقه وكان لهما رفيق ثالث فصاح وبيده سكين فقتل ولم يعمل شيئا واحرقوا ثلاثتهم وحمل الوزير الى دار له هناك وحمل حاجب الباب مجروحا الى بيته فمات هو والوزير وحمل الوزير فدفن عند ابيه بمقبرة الرباط عند جامع المنصور وكان الوزير قد رأى في المنام انه معانق عثمان بن عفان وحكى عنه ولده انه اغتسل قبل خروجه وقال هذا غسل الاسلام وانا مقتول بلا شك وكان مولده في جمادى الاولى سنة اربع عشرة وخمسمائة وكان ابوه استاذ دار المقتفي لامر الله فلما مات ولي هو مكانه فبقي كذلك الى ان مات المقتفي فاقره المستنجد على ذلك ورفع قدره فلما ولي المستضيء استوزره وكان حافظا للقرآن سمع الحديث وله معروف كثير وكانت داره مجمعا للعلماء وختمت اعماله بالشهادة وهو على

تسعون نصفا فضة واذا سعى سعر القنطار فلا يسعى الا بهذا الريال وهذه المشاداة باشارة السيد محمد المحروقي

بسبب ما كان يقع من تعطيل الاسباب (وفيه) سافر محمود بك وصحبته المعلم غالي للكشف عن قياس الاراضي البحرية التي نزل اليها القياسون بصحبة مباشريهم من النصارى والمسلمين من وقت انحسار الماء عن الاراضي وانتشروا بالاقاليم البحرية وهم يقيسون بقصبة تنقص عن القصبة القديمة (وفي يوم الاثنين) تاسعه وصل حريم الشريف غالب من السويس فانزلوهن بيت السيد محمد المحروقي وعدتهن خمسة احداهن جارية بيضاء والاربعة حبشيات ومعهن جواري سود وطواشية وحضر اليهم سيدهم وصحبته احمد اغا اخو كتخدا بك وصحبتهم نحو العشرين نفرا من العسكر واستمر الجميع مقيمين بمنزل المذكور وهو يجري عليهم النفقات اللائقة بهم والمصاريف وفصل لهم كساوي من مقصبات وكشميري وتفاصيل هندية (وفي يوم السبت) رابع عشره خرج محمد بك الى ناحية الآثار بعساكره ليسافر من ساحل القصير الى الحجاز باستدعاء الباشا فاستمر مقيما هناك عدة ايام لمخالفة الريح وارتحل في اواخره وفي اوائل هذا الشهر بل والذي قبله عملوا كورنتينه في اسكندرية ودمياط

قصد الحج وفيها كانت فتنة ببغداد وسببها انه حضر قوم من مسلمى المدائن الى بغداد فشكوا من يهودها وقالوا ان لنا مسجدا نؤذن فيه ونصلى وهو مجاور الكنيسة فقال لنا اليهود قد آذيتمونا بكثرة الاذان فقال المؤذن ما نبالى بذلك فاختصموا وكانت فتنة استظهر فيها اليهود فجاء المسلمون يشكون منهم فامر ابن العطار وهو صاحب المخزن بحبسهم ثم اخرجوا فقصدوا جامع القصر واستغاثوا قبل صلاة الجمعة فخفف الخطيب الخطبة والصلاة فعادوا يستغيثون فاتاهم جماعة من الجند ومنعوهم فلما رأى العامة ما فعل بهم غضبوا نصرة للاسلام فاستغاثوا وقالوا أشياء قبيحة وقلعوا طوابيق الجامع ورجموا الجند فهربوا ثم قصد العامة دكاكين المخلطين لان اكثرهم يهود فنهبوها وأراد حاجب الباب منعهم فرجموه فهرب منهم وانقلب البلد وخربوا الكنيسة التى عند دار البساسيرى واحرقوا التوراة وأمر الخليفة أن تنقض الكنيسة التى بالمدائن وتجعل مسجدا ونصب بالرحبة أخشاب ليصلب عليها قوم من المفسدين فظنها العامة نصبت تخويفا لهم لاجل ما فعلوا فعلقوا عليها فى الليل جرذانا ميتة وأخرج جماعة من الحبس لصوص فصلبوا عليها وفيها فى شعبان قبض سيف الدين غازى صاحب الموصل على وزيره جلال الدين على بن جمال الدين لغير جرم ولا عجز ولا تقصير بل لعجز سيف الدين فان جلال الدين كان بينه وبين مجاهد الدين قايماز مشاحنة فقال مجاهد الدين لسيف الدين لابد من قبض الوزير فقبض عليه كارها لذلك ثم شفع فيه ابن رئيس آمد لصهر بينهما فاخرج وسار الى آمد فمرض بها وعاد الى دنيسر فمات سنة خمس وسبعين وعمره سبع وعشرون سنة وحمل الى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم فدفن عند والده فى الرباط الذى بناه بها وكان رحمه الله من محاسن الدنيا جمع كرما وعلما ودينا وعفة وحسن سيرة واستحلفه سيف الدين أنه لا يمضى الى صلاح الدين لانه خاف ان يمضى اليه للمودة التى كانت بين جمال الدين وبين نجم الدين أيوب واسد الدين شيركوه فبلغنى ان صلاح الدين طلبه فلم يقصده لليمين وفيها اجتمع الفرنج طائفة منهم وقصدوا اعمال حمص فنهبوها وغنموا وأسروا وسبوا فسار ناصر الدين محمد بن شيركوه صاحب حمص وسبقهم ووقف على طريقهم وكمن لهم فلما وصلوا اليه خرج اليهم هو والكمين ووضعوا السيف فيهم فقتل اكثرهم وأسر جماعة من مقدميهم ومن سلم منهم لم يفلت الا وهو مثخن بالجراح واسترد منهم جميع ما غنموا وفرده على أصحابه وفيها فى ربيع الآخر توفى صدقة بن الحسين الحداد الذى ذيل تاريخ الزاغونى ببغداد وفيها فى جمادى الاولى توفى محمد بن احمد بن عبد الجبار الفقيه الحنفى المعروف بالمشطب ببغداد

(ثم دخلت سنة اربع وسبعين وخمسمائة)

(ذكر قصد الفرنج مدينة حماة ايضا)

فى هذه السنة فى ربيع الاول سار جمع كثير من الفرنج بالشام الى مدينة حماة وكثر

(واستهل شهر ربيع الاول ١٢٢٩) فيه رجع محمود بك والمعلم غالى من شرحتهما (وفيه) انتقل الشريف غالب بعياله من بيت السيد محمد المحروقى الى المنزل الذى أعدوه له وهو بيت لطيف باشا بسويقة العزى بعد ما اصلحوه وبيضوه واسكنوه به وعليه اليسق والعسكر الملازمون لبابه (وفيه) أبرز كتخدا بك فرمانا وصل اليه من الباشا يتضمن ضبط جميع الالتزام لطرف الباشا ورفع أيدى الملتزمين عن التصرف بل الملتزم يأخذ فائظه من الخزينة فلما اشيع ذلك ضج الناس وكثر فيهم اللغط واجتمعوا على المشايخ فطلعوا الى كتخدا بك وسالوه فقال ذم ورد من أفندينا أمر بذلك ولا يمكننى مخالفته فقالوا له كيف تقطعون معايش الناس وأرزاقهم وفيهم أرامل وعواجز وللواحدة قيراط اونصف قيراط يتعيشن من ايراده فينقطع عنهن فقال يأخذن الفائظ من الخزينة العامرة فرادده وناقشوه وهو يهون و يقرب و يبعد الى ان قالوا له نكتب للباشا عرضحال وننتظر الجواب فاجابهم الى ذلك من باب المسايرة وفك المجلس وشرع الشيخ المهدى فى ترصيف العرضحال فكتبوه وختموا عليه بعد امتناع البعض الذى ليس له التزام وكثر اللغط فيهم بسبب ذلك (وفى خامسه) حضر جمع كثير من النساء الملتزمات الى الجامع

جمعهم من الفرسان والرجالة طمعا في النهب والغارة فشنوا الغارة ونهبوا وخربوا القرى واحرقوا وأسروا وقتلوا فلما سمع العسكر المقيم بحماة ساروا اليهم وهم قليل متوكلين على الله تعالى فالتقوا واقتتلوا وصدق المسلمون القتال فنصرهم الله تعالى وانهزم الفرنج وكثر القتل والاسر فيهم واستردوا ما غنموه من السواد وكان صلاح الدين قد عاد من مصر الى الشام في شوال من السنة المتقدمة وهو نازل بظاهر حمص فحملت الرؤس والاسرى والاسلاب اليه فأمر بقتل الاسرى فقتلوا

(ذكر عصيان ابن المقدم على صلاح الدين وحصر بعلبك وأخذ البلد منه)

في هذه السنة عصى شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم على صلاح الدين ببعلبك وكانت له قد سلمها اليه صلاح الدين لما فتحها جزاء له حيث سلم اليه ابن المقدم دمشق على ما سبق ذكره فلم تزل بيده الى الآن فطلب شمس الدولة محمد بن أيوب أخو صلاح الدين منه بعلبك وألح عليه في طلبها لان تربيته ومنشاه كان بها وكان يحبها ويختارها على غيرها من البلاد وكان الاكبر فلم يمكن صلاح الدين مخالفته فأمر شمس الدين بتسليمها الى أخيه ليعوضه عنها فلم يجب الى ذلك وذكر العهود التي له وما اعتمده معه من تسليم البلاد اليه فلم يصغ اليه وألح في أخذها وسار ابن المقدم اليها واعتصم بها فوجه اليه صلاح الدين عسكرا وحصره بها مدة ثم رحل عنها من غير ان يأخذها وترك عليه عسكرا يحصره فلما طال عليه الحصار أرسل الى صلاح الدين يطلب العوض عنها ليسلمها اليه فعوضه عنها وسلمها فأقطعها صلاح الدين اخاه شمس الدولة

(ذكر الغلاء والوباء العام)

في هذه السنة انقطعت الامطار بالكلية في سائر البلاد الشامية والجزيرة والعراقية والديار البكرية والموصل وبلاد الجبل وخلاط وغير ذلك واشتد الغلاء وكان عاما في سائر البلاد فبيعت الغرارة الحنطة بدمشق وهي اربعة عشر مكوكا بالموصلي بعشرين دينارا صورية عتق وكان الشعير بالموصل كل ثلاثة مكاكي بدينار أميري وفي سائر البلاد ما يناسب ذلك واستسقى الناس في اقطار الارض فلم يسقوا وتعذرت الاقوات واكلت الناس الميتة وما ناسبها ودام كذلك الى آخر سنة خمس وسبعين ثم تبعه بعد ذلك وباء شديد عام ايضا كثر فيه الموت وكان مرض الناس شيئا واحدا وهو البرسام وكان الناس لا يلحقون يدفنون الموتى الا ان بعض البلاد كان أشد من البعض ثم ان الله تعالى رحم العباد والبلاد والدواب وارسل الامطار وأرخص الاسعار ومن عجيب ما رأيت اني قصدت رجلا من العلماء الصالحين بالجزيرة لاسمع عليه شيئا من حديث النبي صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان سنة خمس وسبعين والناس في اشد ما كانوا غلاء وقنوطا من الامطار وقد توسط الربيع ولم تجئ قطرة واحدة من المطر فبينا انا جالس ومعي جماعة ننتظر الشيخ واذ قد اقبل انسان تركماني قد اثر عليه الجوع وكأنه قد أخرج من قبر فبكى وشكا الجوع فارسلت من يشتري له

الازهر وصرخوا في وجوه الفقهاء وأبطلوا الدروس وبددوا صناديقهم وأوراقهم فتفرقوا وذهبوا الى دورهم وكان قد اجتمع معهم الكثير من العامة واستمروا في هرج الى بعد العصر ثم جاءهم من يقول لهم كلاما كذبا سكن به حدتهم فانفض الجمع وذهب النساء وهن يقلن نأتي في كل يوم على هذا المنوال حتى يفرجوا عن حصصنا ومعايشنا وأرزاقنا وفي ظن الناس وغفلتهم ان في الامر بقية أو انهم يدفعون الرزية وما علموا ان البساط قد انطوى وكل قد ضل وأضل وغوى ومال عن الصراط واتبع الهوى وكلب الجور قد كشر أنيابه وعوى ولم يجد له طاردا ولا معارضا ولا معاندا ولما وصل الخبر الى كتخدا بك طلب بعض المشايخ وقال له ما خبر هذه الجمعية بالازهر فقال له بسبب ما بلغهم عن قطع معاشهم قال ومن قطع معاشهم وانما انتم الذين تسلطونهم على هذه الفعال لاغراضكم ولا بد أني استخبر على من أغراهم واخرج من حقه وطلب على أغا الوالي وقال له اخبرني عن هؤلاء النساء من أي البيوت فقال وما علمي ومن يميزهن وغالبهن واكثرهن نساء العساكر ولا قدرة لي على منعهن وانفض المجلس وبردت همتهم وانكمشوا وشرعوا في تنفيذ ما أمر وابه وترتيبه وتنظيمه (وفيه) حضر محمود بك والمعلم غالي فاقاما اياما وسافرا في ثالث عشره (وفيه) احضروا خبزا

خبز افتتاح احضاره لعدمه وهو يبكي ويتمرغ على الارض ويشكو الجوع فلم يبق فينا الا من يبكي رحمة له والناس قد غيمت السماء وجاءت نقط من المطر متفرقة فضج الناس واستغاثوا ثم جاء الخبز فاكل التركماني بعضه واخذ الباقي ومشى واشتد المطر ودام المطر من ثلث الليلة

(ذكر غارات الفرنج على بلاد المسلمين)

في هذه السنة في ذي القعدة اجتمع الفرنج وساروا الى بلد دمشق مع ملكهم فاغاروا على اعمالها فنهبوها واسروا وقتلوا وسبوا فارسل صلاح الدين فرخشاه ولد اخيه في جمع من العسكر اليهم وأمره انه اذا قاربهم يرسل اليه يخبره على جناح طائر ليسير اليه وتقدم اليه أن يامر اهل البلاد بالانتزاح من بين يدي الفرنج فسار فرخشاه في عسكره يطلبهم فلم يشعر الا والفرنج قد خالطوه فاضطر الى القتال فاقتتلوا أشد قتال رآه الناس والقى فرخشاه نفسه عليهم وغشي الحرب ولم يكلها الى سواه فانهزم الفرنج ونصر المسلمون عليهم وقتل من مقدميهم جماعة ومنهم هنفري وما ادراك ما هنفري كان يضرب به المثل في الشجاعة والراي في الحرب وكان بلاء صبه الله على المسلمين فاراح الله من شره وقتل غيره من اضرابه ولم يبلغ عسكر فرخشاه الف فارس وفيها ايضا اغار البرنس صاحب انطاكية ولاذقية على شيزر المسلمين بشيزر واخذه واغار صاحب طرابلس على جمع كثير من التركمان فاجحف باموالهم وكان صلاح الدين على بانياس على مانقل كره ان شاء الله فسير ولد اخيه تقي الدين عمر الى حماة وابن عمه ناصر الدين محمد ابن شيركوه الى حمص وامرهما بحفظ البلاد وحياطة اطرافها من العدو رحمهم الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

ليلة النصف من ربيع الآخر انكسف القمر بحو ثلث الليل الاخير وغاب منكسفا وفيها ايضا في التاسع والعشرين انكسفت الشمس وقت العصر فغربت منكسفة وفي هذه السنة في شعبان توفي الحيص بيص الشاعر واسمه سعد بن محمد بن سعد ابو الفوارس وكان قد سمع الحديث ومدح الخلفاء والسلاطين والاكابر وشعره مشهور فمنه قوله

كلما اوسعت حلمي جاهلا • اوسع الفحش له فحش المقال
واذا شاردة فهت بها • سبقت حر النعامى والشمال
لا تلمني في شقائي بالعلا • رغد العيش لربات الحجال
سيف عز زانه رونقه • فهو بالطبع غني عن صقال

وفي المحرم ماتت شهدة بنت احمد بن عمر بن الابري وسمعت الحديث من السراج وطراد وغيرهما وعمرت حتى قاربت مائة سنة وسمع عليها خلق كثير الحديث لعلو اسنادها

(ثم دخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة)

(ذكر تخريب الحصن الذي بناه الفرنج عند مخاضة الاحزان)

حسن أغا صرم المعروف بنجاتي من اقليم المنوفية وهو مريض وتوفي في ثاني يوم ودفن (وفي خامس عشره) مر الاغا والوالي واغات التبديل وهم يامرون الناس بكنس الاسواق ورشها حالا في ذلك الوقت من غير تاخير فابتدر الناس ونزلوا من حوانيتهم وبايديهم المكانس يكنسون بها تحت حوانيتهم ثم يرشونها (وفي تاسع عشره) حضر الشريف عبد الله ابن الشريف سرور ارسله الباشا الى مصر من ناحية القصير منفيا من أرض الحجاز فانزلوه بمنزل احمد اغا اخي كتخدا بك محجورا عليه ولم يجتمع بعمه ولم يره (وفيه) كثر الطلب لريال الفرانسه بسبب احتياج دار الضرب وما يرسل الى الباشا من ذلك والزموا التجار باحضار جملة من ذلك ويأخذون بدلها قروشا فوزعوا مقادير على افرادهم بما يحتمله وجمعوا ما قدروا عليه منها (وفيه) شنق شخص يسمى صالحا عند باب زويلة واستمر معلقا يومين وسبب ذلك انه يدعي الجذب والولاية وتزوج بامرأة وأخذ متاعها ومالها وحصل لها خلل في عقلها فانهوا امره الى كتخدا بك فامر بحبسه واستخلصوا منه جانبا مما أخذه من متاع المرأة وكثر كلام الناس في حقه فامر الكتخدا بشنقه (وفي اواخره) حضر ابراهيم بك ابن الباشا من الجهة القبلية ونزل بالبيت الذي اشتراه بناحية الجمالية بدرب الشيط وهو

كان الفرنج قد بنوا حصنا منيعا يقارب بانياس عند بيت يعقوب عليه السلام ويكان يعرف بمخاضة الاحزان فلما سمع صلاح الدين بذلك سار من دمشق الى بانياس واقام بها وبث الغارات على بلاد الفرنج ثم سار الى الحصن وحصره ليخبره ثم يعود اليه عند اجتماع العساكر فلما نازل الحصن قاتل من به من الفرنج ثم عاد عنه فلما دخلت سنة خمس وسبعين لم يفارق بانياس بل اقام بها وخيله تغير على بلاد العدو وارسل جماعة من عسكره مع جالبي الميرة فلم تشعر الا والفرنج مع ملكهم قد خرجوا عليهم فارسلوا الى صلاح الدين يعرفونه الخبر فسار فى العساكر مجدا حتى وافاهم وهم فى القتال فقاتل الفرنج قتالا شديدا وحملوا على المسلمين عدة حملات كادوا يزيلونهم عن مواقفهم ثم انزل الله نصره على المسلمين وهزم المشركين وقتلت منهم مقتلة كثيرة ونجا ملكهم فريدا واسر منهم كثير منهم ابن بيرزان صاحب الرملة ونابلس وهو اعظم الفرنج محلا بعد الملك واسروا ايضا اخا صاحب جبيل وصاحب طبرية ومقدم الداوية ومقدم الاسبتارية وصاحب جينين وغيرهم من مشاهير فرسانهم وطواغيتهم فاما ابن بيرزان فانه فدى نفسه بمائة الف وخمسين الف دينار صورية واطلاق الف اسير من المسلمين وكان اكثر العمل فى هذا اليوم لعز الدين فرخشاه ابن اخى صلاح الدين وحكى عنه قال ذكرت فى تلك الحال بيتى المتنبي وهما

فان تكن الدولات قسما فانها * لمن يرد الموت الزؤام تؤل
ومن هون الدنيا على النفس ساعة * وللبيض فى هام الكماة صليل

فهان الموت فى عينى فالقيت نفسى اليه وكان ذلك سبب الظفر ثم عاد صلاح الدين الى بانياس من موضع المعركة وتجهز للدخول الى ذلك الحصن ومحاصرته فسار اليه فى ربيع الاول واحاط به وقوى طمعه بالهزيمة المذكورة فى فتحه وبث العساكر فى بلاد الفرنج للاغارة ففعلوا ذلك وجمعوا من الاخشاب والزرجون شيئا كثيرا ليجعله متاريس للمنجنيقات فقال له جاولى الاسدى وهو مقدم الاسدية ومن اكابر الامراء الراى اننا نجربهم بالزحف اول مرة ونذوق قتال من به وننظر الحال معهم فان استضعفناهم والا فنصب المنجنيقات ما يفوت فقبل رايه وامر فنودى بالزحف اليه والجد فى قتاله فزحفوا واشتد القتال وعظم الامر فصعد انسان من العامة بقميص خلق فى باشورة الحصن وقاتل على السور لما علاه وتبعه غيره من اضرابه ولحق بهم الجند فملكوا الباشورة فصعد الفرنج حينئذ منها الى اسوار الحصن ليحموا نفوسهم وحصنهم الى ان ياتيهم المدد وكان الفرنج قد جمعوا بطبرية فاحتاط المسلمون فى قتال الحصن خوفا من وصول الفرنج اليهم وازاحتهم عنه وادركهم الليل فامر صلاح الدين بالمبيت بالباشورة الى الغد ففعلوا فلما كان الغد اصبحوا نقبوا الحصن وعمقوا النقب واشعلوا النيران فيه وانتظروا سقوط السور فلم يسقط لعرضه فانه كان تسعة اذرع بالنجارى يكون الذراع ذراعا ونصفا فانتظروه يومين فلم يسقط فامر صلاح الدين باطفاء النار التى فى النقب فحمل الماء والقى عليها فانطفئت وعاد النقابون فنقبوا وخرقوا السور والقوا

نيه

بواشا احمد بن عمر (واستهل شهر) حضر هجين اغا من ناحية الحجاز برسالة من عند الباشا باستعجال حسن باشا الحضور الى الحجاز وكان قبل ذلك بايام ارسل يطلب سبعة آلاف عسكرى وسبعة آلاف كيس فشرع كتخدا بك فى استكتاب اشخاص من اخلاط العالم ما بين مغاربة وصعايدة وفلاحى القرى فكان كل من ضاق به الحال فى معاشه يذهب ويعرض نفسه فيكتبونه وان كان وجيها جعله اميرا على مائة او مائتين ويعطيه اكياسا يفرقها فى انفاره ويشترى فرسا وسلاحا ويتقلد بسيف وطبنجات وكذلك انفاره ويلبسون قناطيش ولباسا مثل لبس العسكر ويعلق له زنته با رود تحت ابطه ويأخذ على كتفه بندقية ويمشون امام كبيرهم مثل الموكب وفيهم اشخاص من الفعلة الذين يستعملون فى شيل التراب والطين فى العمائر وبرابرة وارسل الكتخدا الى الفيوم وغيرها يطلب رجال من امثال ذلك وجمعوا الكثير من ارباب الصنائع مثل الخبازين والفرانين والنجارين والحدادين والبيطارة وغيرهم من ارباب الصنائع ويصحبونهم قهرا فاغلق الفرانون مخابزهم وتعطل خبز الناس اياما (وفيه) وورد الطلب لحسن باشا فشرع فى تشهيل احواله ولوازم سفره ثم حضر هجين اغا باستعجاله

فيه النار فسقط يوم الخميس لست بقين من ربيع الاول ودخل المسلمون الحصن عنوة وأسروا كل من فيه واطلقوا من كان به من اسارى المسلمين وقتل صلاح الدين كثيرا من اسرى الفرنج وأدخل الباقين الى دمشق فعجنوا وأقام صلاح الدين بمكانه حتى هدم الحصن وعفى اثره والحقه بالارض وكان قد بذل للفرنج ستين الف دينار مصرية ليهدموه بغير قتال فلم يفعلوا ظنا منهم انه اذا بقى بناؤه تمكنوا به من كثير من بلاد الاسلام واما الفرنج فاجتمعوا بطبرية ليحموا الحصن فلما اتاهم الخبر باخذه فت في اعضادهم فتفرقوا الى بلادهم واكثر الشعراء فيه فمن ذلك قول صديقنا النشو بن نفاذة رحمه الله

هلاك الفرنج اتى عاجلا ✱ وقد آن تكسير صلبانها
ولو لم يكن قد دنا حتفها ✱ لما عمرت بيت احزانها

وقول على بن محمد الساعاتى الدمشقى

اتسكن أوطان النبيين عصبة ✱ تمين لدى أيمانها وهى تحلف
نصحتكم والنصح للدين واجب ✱ ذروا بيت يعقوب فقد جاء يوسف

✱(ذكر الحرب بين عسكر صلاح الدين وعسكر قلج ارسلان)✱

فى هذه السنة كان الحرب بين عسكر صلاح الدين يوسف بن أيوب ومقدمهم ابن أخيه تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب وبين عسكر الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان صاحب بلاد قونية واقصرا وسببها ان نور الدين محمود بن زنكى بن آقسنقر رحمه الله كان قد أخذ قديما من قلج ارسلان حصن رعبان وكان بيد شمس الدين بن المقدم الى الآن فطمع فيه قلج ارسلان بسبب ان الملك الصالح بحلب بينه وبين صلاح الدين فارسل اليه من يحصره فاجتمع عليه جمع كثير يقال كانوا عشرين الفا فارسل اليهم صلاح الدين تقى الدين فى ألف فارس فواقعهم وقاتلهم وهزمهم وأصلح حال تلك الولاية وعاد الى صلاح الدين ولم يحضر معه تخريب حصن الاحزان فكان يفتخر ويقول هزمت بالف مقاتل عشرين ألفا

✱(ذكر وفاة المستضىء بامر الله وخلافة الناصر لدين الله)✱

فى هذه السنة فى ثانى ذى القعدة توفى الامام المستضىء بامر الله أمير المؤمنين ابو محمد الحسن بن يوسف المستنجد رضى الله عنه وامه ام ولد أرمنية تدعى غضة وكانت خلافته نحو تسع سنين وسبعة أشهر وكان مولده سنة ست وثلاثين وخمسمائة وكان عادلا حسن السيرة فى الرعية كثير البذل للاموال غير مبالغ فى أخذ ما جرت العادة باخذه وكان الناس معه فى أمن عام واحسان شامل وطمأنينة وسكون لم يروا مثله وكان حليما قليل المعاقبة على الذنوب محبا للعفو والصفح عن المذنبين فعاش حميدا ومات سعيدا رضى الله عنه فلقد كانت ايامه كما قيل

كأن ايامه من حسن سيرته ✱ مواسم الحج والاعياد والجمع

لداوالضرب بسبب احضار الفرانسه وقد قلت بايدى الناس جدا الكثرة أخذها والطلب لها وانقطاع مجيئها من بلادها فحبسوهم وضربوهم ونزلوا فى أسواطال متصيرين وذلك ان راتب الضربخانه سبعة آلاف فى كل يوم عنها ثلاثة وستون ألف درهم وقدرها ثلاث مرات من النحاس يضربون ذلك قروشا حتى بلغ سعر النحاس القراضة مائة وعشرين نصفا فضة (وفى تاسعه) حضر محمود بك الدويدار والمعلم غالى من مرحتهما الى مصر وهما المتآمران على مباشرة قياس الاراضى وتشهيل المال المفروض وسبب حضورهما ان ابراهيم باشا أرسل بطلبهما للحضور لينشأ ومعهما فى أمر فاقاما أربعة أيام وعادا راجعين الى شغلهما (وفى منتصفه) سافر ابراهيم باشا ثانيا الى أسيوط وذهب صحبته اخوه اسمعيل باشا والبيكات الصنجق خوفا وهروبا من الطاعون (وفيه) كمل تعمير الجامع الذى عمره دوس اوغلى الذى بقرب داره التى بغيط العدة وهو جامع جوهر العينى وكان قد تخرب فهدمه جميعه وانشاه وزخرفه ونقل لعمارته انقاضا كثيرة واخشابا ورخاما من بيت ابى الشوارب وعمل به منبرا بديع الصنعة واستخلص جهة اوقافه اطيانا واماكن

بالخروج منها بعد العصر يوم السبت ومن لا يريد الخروج فلا يخرج بعد ذلك ومن خرج فلا يدخل وامهلوهم الى الغروب فخرجوا بامتعتهم واطفالهم واولادهم واوانيهم الى خارج البلدة وبات الاكثر منهم تحت السماء لضيق الوقت على الرحيل الى بلدة اخرى وخرج ايضا الكثير من عساكرهم واتباعهم ممن لا يريد المقام والحبس فكانوا كلما وجدوا من حمل متاعه من اهل البلدة على حمار ليذهب الى جهة يستقربها رموا به الى الارض واخذوا الحمار وحصل لاهل الجيزة فى تلك الليلة ما لا مزيد عليه من الكرب والجلاء عن اوطانهم وكل ذلك بمجرد الوهم مع قلة وجود الطين الا النزر اليسير (وفى ثالث عشرينه) سافرت خزينة المال المطلوبة الى الباشا الى جهة السويس واصحبوا معها عدة كبيرة من عسكر الدلاة لخفارتها وقدرها ألفان وخمسمائة كيس جميعها قروش

(شهر جمادى الاولى سنة ١٢٢٩)

(استهل بيوم الجمعة) فى ثالثه خرج حسن باشا بعساكره ونزل بوطاقه وخيامه التى نصبت له بالعادلية قبل خروجه بيومين (وفى رابعه) وصلت هجانة من ناحية الحجاز بطلب حسين بك دالى باشا واخشاب

وو زراة عضد الدين ابو الفرج بن رئيس الرؤساء الى ان قتل فى ذى القعدة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ولما قتل حكم فى الدولة ظهير الدين ابو بكر منصور بن نصر المعروف بابن العطار وكان خيرا حسن السيرة كثير العطاء وتمكن تمكنا كثيرا فلما مات المستضىء قام ظهير الدين بن العطار فى أخذ البيعة لولده الناصر لدين الله أمير المؤمنين فلما تمت البيعة صار الحاكم فى الدولة استاذ الدار مجد الدين أبا الفضل بن الصاحب وفى سابع ذى القعدة قبض على ابن العطار ظهير الدين ووكل عليه فى داره ثم نقل الى التاج وقيد ووكل به وطلبت ودائعه وأمواله وفى ليلة الاربعاء ثامن عشر ذى القعدة أخرج ميتا على رأس حمال سرا فغمز به بعض الناس فثار به العامة فالقوه عن رأس الحمال وكشفوا سوأته وشدوا فى ذكره حبلا وسحبوه فى البلد وكانوا وضعوا بيده مغرفة يعنى انها قلم وقد غمسوها فى العذرة ويقولون وقع لنا يا مولانا الى غير هذا من الافعال الشنيعة ثم خلص من أيديهم ودفن هذا فعلهم به مع حسن سيرته فيهم وكفه عن اموالهم وأعراضهم وسيرت الرسل الى الآفاق لأخذ البيعة فسير صدر الدين شيخ الشيوخ الى البهلوان صاحب همذان واصفهان والرى وغيرها فامتنع من البيعة فراجعه صدر الدين وأغلظ له فى القول حتى انه قال لعسكره فى حضرته ما هذا عليكم طاعة ما لم يبايع أمير المؤمنين بل يجب عليكم ان تخلعوه من الامارة وتقاتلوه فاضطر الى البيعة والخطبة وأرسل رضى الدين القزوينى مدرس النظامية الى الموصل لاخذ البيعة فبايع صاحبها وخطب للخليفة الناصر لدين الله فى السنة

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة هبت ريح سوداء مظلمة بالديار الجزرية والعراق وغيرها وعمت اكثر البلاد من الظهر الى ان مضى من الليل ربعه وبقيت الدنيا مظلمة لا يكاد الانسان يبصر صاحبه وكنت حينئذ بالموصل فصلينا العصر والمغرب والعشاء الآخرة على الظن والتخمين وأقبل الناس على التضرع والتوبة والاستغفار وظنوا ان القيامة قد قامت فلما مضى مقدار ثلث الليل زال ذلك الظلام والعتمة التى غطت السماء فنظرنا فرأينا النجوم فعلمنا مقدار ما مضى من الليل لان الظلام لم يزد بدخول الليل وكان كل من يصل من جهة من الجهات يخبر بمثل ذلك وفيها فى ذى القعدة نزل شمس الدولة اخو صلاح الدين عن بعلبك وطلب عوضا عنها الاسكندرية فاجابه صلاح الدين الى ذلك واقطع بعلبك لعز الدين فرخشاه ابن أخيه فسار اليها وجمع أصحابه وأغار على بلاد الفرنج حتى وصل الى قلعة صفد وهى مطلة على طبرية فسبى وأسر وغنم وخرب وفعل فى الفرنج افاعيل عظيمة وأما شمس الدولة فانه سار الى مصر وأقام بالاسكندرية واذا أراد الله ان يقبض رجلا بارض جعل له اليها حاجة فانه اقام بها الى ان مات بها وفيها فارب الجامع الذى بناه مجاهد الدين قايماز بظاهر الموصل من جهة باب الجسر الفراغ واقيمت فيه الصلوات الخمس والجمعة وهو من احسن الجوامع وفيها توفى احمد ابن عبد الرحمن الصوفى شيخ رباط الزوزنى وسمع الحديث وكان يصوم الدهر ويعبد

الحق

الحق بن عبد الخالق بن يوسف سمع الحديث ورواه وهو من بيت الحديث والقاضى عمر بن على بن الخضر ابو الحسن الدمشقى سمع الحديث ورواه وولى قضاء الحريم وعلى بن احمد اليزيدى سمع الحديث الكثير وله وقف كتب كثيرة ببغداد وكان زاهدا خيرا صالحا ومحمد بن على بن حمزة بن على الاقساسى نقيب العلويين بالكوفة وكان ينشد كثيرا

رب قوم فى خلائقهم * عرر قد صير واغررا
ستر المال القبيح لهم * سترى ان زال ما سترا

ومحمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن سديد الدولة الانبارى كاتب الانشاء بعد أبيه وأبو الفتوح نصر بن عبد الرحمن الدامغانى الفقيه كان مناظرا حسن المناظرة كثير العبادة ودفن عند قبر أبى حنيفة

(ثم دخلت سنة ست وسبعين وخمسمائة)

(ذكر وفاة سيف الدين صاحب الموصل وولاية أخيه عز الدين بعده)

فى هذه السنة ثالث صفر توفى سيف الدين غازى بن مودود بن زنكى صاحب الموصل وديار الجزيرة وكان مرضه السل وطال به ثم أدركه فى آخره برسام ومات ومن عجيب ما يحكى ان الناس خرجوا سنة خمس وسبعين يستسقون لانقطاع الغيث وشدة الغلاء وخرج سيف الدين فى موكبه فثار به الناس وقصدوه بالاستغاثة وطلبوا منه ان يأمر بالمنع من بيع الخمر فاجابهم الى ذلك فدخلوا البلد وقصدوا مساكن الخمارين وخربوا ابوابها ودخلوها ونهبوها واراقوا ما بها من خمور وكسروا الظروف وعملوا ما لا يحل فاستغاث اصحاب الدور الى نواب السلطان وخصوا بالشكوى رجلا من الصالحين يقال له ابو الفرج الدقاق ولم يكن فى الذى فعله العامة من النهب وما لا يجوز فعله انما هو اراق الخمور ونهى العامة عن الذى يفعلونه فلم يسمعوا منه فلما شكى الخمارون منه احضر بالقلعة وضرب على رأسه فسقطت عمامته فلما اطلق لينزل من القلعة نزل مكشوف الراس فارادوا تغطيته بعمامته فلم يفعل وقال والله لا غطيت رأسى حتى ينتقم الله لى ممن ظلمنى فلم يمض غير ايام حتى توفى الزردار الذى تولى اذاه ثم تبعه مرض سيف الدين واستمر الى ان مات وعمره حينئذ نحو ثلاثين سنة وكانت ولايته عشر سنين وثلاثة أشهر وكان حسن الصورة مليح الشباب تام القامة أبيض اللون وكان عاقلا وقورا قليل الالتفات اذا ركب واذا جلس عفيفا لم يذكر عنه ما ينافى العفة وكان غيورا شديد الغيرة لا يدخل دوره غير الخدم الصغار فاذا كبر أحدهم منعه وكان لا يحب سفك الدماء ولا أخذ الاموال على شح فيه وجبن ولما اشتد مرضه اراد ان يعهد بالملك لابنه معز الدين سنجر شاه وكان عمره حينئذ اثنتى عشرة سنة فخاف على الدولة من ذلك لان صلاح الدين يوسف بن أيوب كان قد تمكن بالشام وقوى أمره وامتنع أخوه عز الدين مسعود بن مودود من الاذعان لذلك والاجابة اليه فاشار الامراء الاكابر ومجاهد الدين قايماز بان يجعل الملك بعده فى عز الدين أخيه لما هو

واحتياجات وجمال والذى أخبر به المخبرون عن الباشا وعساكره ان طوسون باشا وعابدين بك ركبوا بعساكرهم على ناحية تربة التى بها المرأة التى يقال لها غالية فوقعت بينهم حروب ثمانية ايام ثم رجعوا منهزمين ولم يظفروا بطائل ولان العربان نفرت طباعهم من الباشا لما حصل منه فى حق الشريف من القبض عليه وهابوا لكثير من الاشراف وانضموا الى الاخصام وتفرقوا فى النواحى ومنهم شخص يقال له الشريف راجح فاتى من خلف العسكر وقت قيام الحرب وحاربهم ونهب الذخيرة والاحمال وقطع عنهم المدد واخبروا أن الجمال قل وجودها عند الباشا ويشتريها من العربان المسالمين له باغلى ثمن واخبروا أيضا انه واقع بالحرمين غلاء شديد لقلة الجالب واحتكار الباشا للغلال الواصلة اليه من مصر فيبيعه حتى على عسكره باغلى ثمن مع التحجير على المسافرين والحجاج فى استصحابهم شيئا من الحب والدقيق فيفتشون متاعهم فى السويس ويأخذون ما يجدونه معهم مما يتزودون به فى سفرهم من القمح أو الدقيق وما يكون معهم من الفرانسه لنفقتهم واعطوهم بدلها من القروش (وفيه) بلغ صرف الريال الفرانسه من الفضة العددية ثمانمائة وعشرين نصفا عنها ثمانية قروش والمشخص عشرون قرشا وقل وجود

عليه من كبر السن والشجاعة والعقل وقوة النفس وان يعطي ابنيه بعض البلاد ويكون مرجعهما الى عز الدين عمهما والمتولي لامرهما مجاهد الدين قايماز ففعل ذلك وجعل الملك في اخيه واعطى جزيرة ابن عمر وقلاعها لولده سنجرشاه وقلعة عقر الحميدية لولده الصغير ناصر الدين كسك فلما توفي سيف الدين ملك بعده الموصل والبلاد أخوه عز الدين وكان المدبر للدولة مجاهد الدين وهو الحاكم في الجميع واستقرت الامور ولم يختلف اثنان

﴿ذكر مسير صلاح الدين لحرب قلج ارسلان﴾

في هذه السنة سار صلاح الدين يوسف بن أيوب من الشام الى بلاد قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان وهي ملطية وسيواس وما بينهما وقونية ليحاربه وسبب ذلك ان نور الدين محمد بن قرا ارسلان بن داود صاحب حصن كيفا وغيره من ديار بكر كان قد تزوج ابنة قلج ارسلان المذكور وبقيت عنده مدة ثم انه احب مغنية فتزوجها ومال اليها وحكمت في بلاده وخزائنه واعرض عن ابنة قلج ارسلان وتركها نسيا منسيا فبلغ اباها الخبر فعزم على قصد نور الدين واخذ بلاده فارسل نور الدين الى صلاح الدين يستجير به ويسأله كف يد قلج ارسلان عنه فارسل صلاح الدين الى قلج ارسلان في المعنى فاعاد الجواب انني كنت قد سلمت الى نور الدين عدة حصون تجاور بلاده لما تزوج ابنتي فحيث آل الامر معه الى ما يعلمه فانا اريد ان يعيد الى ما اخذه مني وترددت الرسل بينهما فلم يستقر حال فيهما فهادن صلاح الدين الفرنج وسار في عساكره وكان الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين محمود بها فتركها ذات اليسار وسار على تل باشر الى رعبان فاتاه بها نور الدين محمد واقام عنده فلما سمع قلج ارسلان بقربه منه أرسل اليه أكبر أمير عنده ويقول له ان هذا الرجل فعل مع ابنتي كذا ولا بد من قصد بلاده وتعريفه محل نفسه فلما وصل الرسول واجتمع بصلاح الدين وادى الرسالة امتعض صلاح الدين لذلك واغتاظ وقال للرسول قل لصاحبك والله الذي لا اله الا هو لئن لم يرجع لاسيرن الى ملطية وبيني وبينها يومان ولا انزل عن فرسي الا في البلد ثم أقصد جميع بلاده وآخذها منه فرأى الرسول أمرا شديدا فقام من عنده وكان قد رأى العسكر وما هو عليه من القوة والتجمل وكثرة السلاح والدواب وغير ذلك ليس عنده ما يقاربه فعلم انه ان قصدهم أخذ بلادهم فارسل اليه من الغد يطلب ان يجتمع به فاحضره فقال له اريد ان أقول شيئا من عندي ليس رسالة عن صاحبي وأحب ان تنصفني فقال له قل قال يا مولانا ما هو قبيح بك وأنت من أعظم السلاطين واكبرهم شانا ان تسمع الناس عنك أنك صالحت الفرنج وتركت الغزو ومصالح المملكة واعرضت عن كل ما فيه صلاح لك ولرعيتك وللمسلمين عامة وجمعت العساكر من اطراف البلاد البعيدة والقريبة وسرت وخسرت أنت وعساكرك الاموال العظيمة لاجل قحبة مغنية ما يكون عذرك عند الله تعالى ثم عند الخليفة وملوك الاسلام وكافة العالم

القرانسه والمشخص بل والصبوب المصري بايدي الناس جدا ثم نودي على أن يصرف الريال بسبعة قروش والمقبض بستة عشر قرشا وشددوا في ذلك ونكلوا بمن يخالف ذلك وعاقبوا من زاد على ذلك في قبض اثمان المبيعات وأطلقوا في الناس جواسيس وعيونا فمن عثروا عليه في مبيع أو غيره انه قبض بالزيادة أحاطوا به واخذوه وعاقبوه بالحبس والضرب والتغريم وربما أرسلوا من طرفهم اشخاصا متنكرين يأتي احدهم للبائع فيساومه السلعة كانه مشتر ويدفع له في ضمن الثمن ريالا أو مقبضا ويحسبه بحسابه الاول ويناكره في ذلك فربما تجاوز البائع خوفا من بوار سلعته وخصوصا اذا كانت البيعة رابحة أو بيعة استفتاح على زعم الباعة وقلة الزبون بسبب وقف حال الناس وافلاسهم فما هو الا أن يتباعد عنه يسيرا فما يشعر الا وهو بين يدي الاعوان ويلاقي وعده (وفي منتصفه) وصلت قافلة من السويس فيها جملة من العسكر المتمرضين ونحو العشرة من كبارهم نفاهم الباشا الى مصر وفيهم حجو أوغلي ودالي حسن وعلي اغا درمنلي وترجوا وحسن اغا ازرجنلي ومصطفى ميسوا واحمد اغا قبور (وفيه ايضا) خرج عسكر المغاربة ومن معهم من الاجناس المختلفة الى مصر العتيقة ليذهبوا من ناحية القصير الى الحجاز واما محمد بك فانهم لم يزل بقنا واحسب

واحسب أن أحدا ما يواجهك بهذا أما يعلمون ان الامر كذا ثم احسب ان قلج ارسلان
مات وهذه ابنته قد أرسلتني اليك تستجيرك وتسالك أن تنصفها من زوجها فان فعلت
فهو الظن بك ان لا تردها فقال والله الحق بيدك وان الامر لكما تقول ولكن هذا
الرجل دخل علي واستجار بي ويقبح بي تركه لكنك أنت اجتمع به واصلح الحال بينكم
على ما تحبون وانا اعينكم عليه واقبح فعله ووعد من نفسه بكل جميل فاجتمع الرسول
بصاحب الحصن وتردد القول بينهم فاستقر ان صاحب الحصن يخرج المغنية عنه
بعد سنة وان كان لا يفعل ينزل صلاح الدين عن نصرته ويكون هو وقلج ارسلان عليه
واصطلحوا على ذلك وعاد صلاح الدين عنه الى الشام وعاد نور الدين الى بلاده فلما
انقضت المدة اخرج نور الدين المغنية عنه فتوجهت الى بغداد وأقامت بها الى ان
ماتت

ذكر قصد صلاح الدين بلد ابن ليون الارمني

وفيها قصد صلاح الدين بلد ابن ليون الارمني بعد فراغه من امر قلج ارسلان وسبب
ذلك ان ابن ليون الارمني كان قد استمال قوما من التركمان وبذل لهم الاموال فامرهم
ان يرعوا مواشيهم في بلاده وهي بلاد حصينة كلها حصون منيعة والدخول اليها
صعب لانها مضايق وجبال وعرة ثم غدر بهم وسبى حريمهم وأخذ أموالهم واسر رجالهم
بعد ان قتل منهم من حان اجله ونزل صلاح الدين على النهر الاسود وبث الغارات على
بلاده فخاف ابن ليون على حصن له على رأس جبل ان يؤخذ فخربه واحرقه فسمع
صلاح الدين بذلك فاسرع السير اليه فادركه قبل ان ينقل ما فيه من ذخائر واقوات
فغنمها وانتفع المسلمون بما غنموه فارسل ابن ليون يبذل اطلاق من عنده من
الاسرى والسبي واعادة اموالهم على ان يعودوا عن بلاده فاجابه صلاح الدين الى ذلك
واستقر الحال واطلق الاسرى واعيدت اموالهم وعاد صلاح الدين عنه في جمادى
الآخرة

ذكر ملك يوسف بن عبد المؤمن مدينة قفصة بعد خلاف صاحبها عليه

في هذه السنة سار ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الى افريقية وملك قفصة وكان
سبب ذلك ان صاحبها علي بن المعز المعتز لما رأى دخول الترك الى افريقية
واستيلاءهم على بعضها وانقياد العرب اليهم طمع أيضا في الاستبداد والانفراد عن
يوسف وكان في طاعته فاظهر ما في نفسه وخالعه واظهر العصيان ووافقه اهل قفصة
فقتلوا كل من كان عندهم من الموحدين اصحاب ابي يعقوب وكان ذلك في شوال سنة
اثنتين وسبعين وخمسمائة فارسل والي بجاية الى يوسف بن عبد المؤمن يخبره باضطراب
امور البلاد واجتماع كثير من العرب الى قراقوش التركي الذي دخل الى افريقية وقد
تقدم ذكر ذلك وما جرى في قفصة من قتل الموحدين ومساعدة اهل قفصة صاحبهم
على ذلك فشرع في سد الثغور التي يخافها بعد مسيره فلما فرغ من جميع ذلك تجهز

وصلت قافلة وفيه [illegible] من
اهل مكة والمدينة وسفار
وبضائع تجارة بن والقشة
وبياض شيء كثير وقد اتت
الى جدة من تجارات الشريف
غالب ولم يبلغهم خبر
الشريف غالب وما حصل له
فلما حضر واوضع الباشا يده
عليه جميعه وأرسله الى مصر
فتولى ذلك السيد محمد المحروقي
وفرقها على التجار بالثمن
الذي قدره عليهم وألزمهم أن
لا يدفعوه الا فراقسه (وفي
هذا الشهر) وصل الخبر بموت
الشيخ مسعود كبير الوهابية
وتولى مكانه ابنه عبد الله
(وفيه) خرج طائفة الكتبة
والاقباط والروزنامجي
والجامكية وذهب الجميع الى
جزيرة شلقان لتحرير وادفاتر
على الروك الذي راكوه من
قياس الاراضي وزيادة الاطيان
وجفل الكثير من الفلاحين
واهالي الارياف وتركوا
أوطانهم وزروعهم ودهمهم
هذا الواقع لكونهم لم يعتادوه
ويألفوه وباعوا شيئهم
ودفعوا اثمانها في الذي طلع
عليهم في الزيادات الهائلة
وسيعودون مثل الكلاب
ويعتادون سلخ الاهاب وأما
الملتزمون فبقوا حيارى
باهتين وارتفع أيدي تصرفهم
في حصصهم ولا يدرون عاقبة
أمرهم منتظرين رحمة ربهم
وآرونت [illegible] عادوهم عندهم من زرع وماياتهم الى ان أذن لهم الكتخدا بذلك وكتب لهم أوراقا وتوجهوا بانفسهم

العسكر وسار الى افريقية سنة خمس وسبعين ونزل على مدينة قفصة وحصرها ثلاثة اشهر وهى بلد حصينة واهلها انجاد وقطع شجرها فلما اشتد الامر على صاحبها واهلها خرج منها مستخفيا لم يشعر به احد من اهل قفصة ولا من عسكره وسار الى خيمة يوسف وعرف حاجبه انه قد حضر الى امير المؤمنين يوسف فدخل الحاجب واعلم يوسف بوصول صاحب قفصة الى باب خيمته فعجب منه كيف اقدم على الحضور عنده بغير عهد وأمر بادخاله عليه فدخل وقبل يده وقال قد حضرت أطلب عفو أمير المؤمنين عنى وعن أهل بلدى وان يفعل ما هو اهله واعتذر فرق له يوسف فعفا عنه وعن اهل البلد وتسلم المدينة أول سنة ست وسبعين وسير على بن المعز صاحبها الى بلاد المغرب فكان فيها مكرما عزيزا واقطعه ولاية كبيرة ورتب يوسف لقفصة طائفة من أصحابه الموحدين وحضر مسعود بن زمام امير العرب عند يوسف ايضا فعفا عنه وسيره الى مراكش وسار يوسف الى المهدية فاتاه بها رسول ملك الفرنج صاحب صقلية يلتمس منه الصلح فهادنه عشر سنين وكانت بلاد افريقية مجدبة فتعذر على العسكر القوت وعلف الدواب فسار الى المغرب مسرعا والله اعلم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة توفى شمس الدولة توران شاه بن ايوب اخو صلاح الدين الاكبر بالاسكندرية وكان قد اخذها من أخيه اقطاعا فاقام بها فتوفى وكان له اكثر بلاد اليمن ونوابه هناك يحملون اليه الاموال من زبيد وعدن وما بينهما من البلاد والمعاقل وكان اجود الناس واسخاهم كفا يخرج كل ما يحمل اليه من أموال اليمن ودخل الاسكندرية ودخلها فى بلاد اخيه صلاح الدين وامواله نافذ ومع هذا فلما مات كان عليه نحو مائتى الف دينار مصرية دين فوفاها أخوه صلاح الدين عنه لما دخل الى مصر فانه لما بلغه خبر وفاته سار الى مصر فى شعبان من السنة واستخلف بالشام عز الدين فرخشاه ابن اخيه شاهنشاه وكان عاقلا حازما شجاعا وفيها توفى ابو طاهر أحمد بن محمد بن سلفة الاصفهانى بالاسكندرية وكان حافظ الحديث وطالبه سافر فى طلب الكثير وتوفى أيضا فى المحرم على بن عبد الرحيم المعروف بابن العصار اللغوى ببغداد وسمع الحديث وكان من اصحاب ابن الجواليقى

(ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمائة)

(ذكر غزاة الى بلد الكرك من الشام)

فى هذه السنة سار فرخشاه نائب صلاح الدين بدمشق الى أعمال كرك ونهبها وسبب ذلك ان البرنس ارناط صاحب الكرك كان من شياطين الفرنج ومردتهم وأشدهم عداوة للمسلمين فتجهز وجمع عسكره ومن أمكنه الجمع وعزم على المسير فى البر الى تيماء ومنها الى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم للاستيلاء على تلك النواحى الشريفة وسمع عز الدين فرخشاه ذلك فجمع العساكر الدمشقية وسار الى بلده ونهبه وخربه وعاد

أو من ينوب عن عقد ومعو أراد ضم زوجه ولم يجد من يطعمهم وتطاولوا عليهم بالالسنة فيقول الحرفوش منهم اذا دعى للشغل باجرته روح انظر غيرى أنا مشغول فى شغلى أنتم ايش بقاكم فى البلاد قد انقضت أيامكم احنا صرنا فلاحين الباشا وقد كانوا مع الملتزمين أذل من العبيد المشترى فربما ان العبد يهرب من سيده اذا كلفه فوق طاقته أو اهانه بالضرب وأما الفلاح فلا يمكنه ولا يسهل به ان يترك وطنه وأولاده وعياله و يهرب واذا هرب الى بلدة أخرى واستعلم استاذه مكانه أحضره قهرا وازداد ذلا ومقتا واهانة وكان من طرائقهم انه اذا آن وقت الحصاد والتخضير طلب الملتزم أوقائم مقامه الفلاحين فينادى عليهم الخفير أمس اليوم المطلوبين فى صبحه بالتبكير الى شغل الملتزم فمن تخلف لعذر أحضره الخفير أو المشد وسحبه من شنبه واشبعه سبا وشتما وضربا وهو المسمى عندهم بالعونة والسخرة واعتادوا ذلك بل يرونه من اللازم الواجب وهذا خلاف ما يلقونه من الاذلال والتحكم من مشايخهم والشاهد والنصرانى الصراف وهو العمدة والعهدة خصوصا عند قبض المال فيغالطهم و يناكرهم وهم له أطوع من استاذهم وامره نافذ فيهم فيامر راعى معام بحبس من شاء أو ضربه محتجا عليهم بيواقى لا يدفعوها واذا أغلق احدهم ما عليه من المال الذى وجب عليه فى فاقة

الى طرف بلادهم واقام بها ليمنع البرنس من المسلمين فامتنع من مقصده فلما طال مقام كل واحد منهما فى مقابلة الآخر علم البرنس أن المسلمين لا يعودون حتى تفرق جمعه وانقطع طمعه من الحركة فعاد فرخشاه الى دمشق وكفى الله المؤمنين شر الكفار

(ذكر تلبيس ينبغى أن يحتاط من مثله)

كان سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ الكنانى ينوب عن شمس الدولة أخى صلاح الدين باليمن وتحكم فى الاموال والبلاد بعد ان فارقها شمس الدولة كما ذكرنا وكان هواه بالشام لانه وطنه فارسل الى شمس الدولة يطلب الاذن له فى المجىء اليه فاذن له فى المجىء فاستناب بزبيد اخاه حطان بن كامل بن منقذ الكنانى وعاد الى شمس الدولة وكان معه بمصر فمات شمس الدولة وبقى مع صلاح الدين فقيل عنه انه أخذ اموال اليمن وادخرها وسعى به اعداؤه فلم يعارضه صلاح الدين فلما كان هذه السنة وصلاح الدين بمصر اصطنع سيف الدولة طعاما وعمل دعوة كبيرة ودعا اليها اعيان الدولة الصلاحية بقرية تسمى العدوية وارسل اصحابه يتجهزون من البلد ويشترون ما يحتاجون اليه من الاطعمة وغيرها فقيل لصلاح الدين ان ابن منقذ يريد الهرب واصحابه يتزودون له ومتى دخل اليمن اخرجه عن طاعتك فارسل صلاح الدين فاخذه والناس عنده وحبسه فلما سمع صلاح الدين جلية الحال علم ان الحيلة تمت لاعدائه فى قبضه فخفف ما كان عنده وسهل أمره وصانعه على ثمانين ألف دينار مصرية سوى ما حقها من الحمل لاخوة صلاح الدين واصحابه واطلقه واعاده الى منزلته وكان اديبا شاعرا

(ذكر ارسال صلاح الدين العساكر الى اليمن)

فى هذه السنة سير صلاح الدين جماعة من امرائه منهم صارم الدين قتلغ أبه والى مصر الى اليمن للاختلاف الواقع بها بين نواب اخيه شمس الدولة وهم عز الدين عثمان بن الزنجيلى والى عدن وحطان بن منقذ والى زبيد وغيرهما فانه لما بلغهم وفاة صاحبهم اختلفوا وجرت بين عز الدين عثمان وبين حطان حرب وكل واحد منهما يروم ان يغلب الآخر على ما بيده واشتد الامر فخاف صلاح الدين أن يطمع اهل البلاد فارسل هؤلاء الامراء اليها واستولى قتلغ أبه على زبيد وازال حطان عنها ثم مات قتلغ ابه فعاد حطان الى امارة زبيد واطاعه الناس لجوده وشجاعته

(ذكر وفاة الملك الصالح وملك ابن عمه عز الدين مسعود مدينة حلب)

فى هذه السنة فى رجب توفى الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين محمود صاحب حلب بها وعمره نحو تسع عشرة سنة ولما اشتد مرضه وصف له الاطباء شرب الخمر للتداوى فقال لا أفعل حتى استفتى الفقهاء فاستفتى فافتاه فقيه من مدرسى الحنفية بجواز ذلك فقال له ارأيت ان قدر الله تعالى بقرب الاجل أيؤخره شرب الخمر فقال له الفقيه لا فقال والله لا لقيت الله سبحانه وقد استعملت ما حرمه على ولم يشربه فلما

المصروف وطلب من المعلم ورده وهى ورقة الغلاق وعده لوقت آخر حتى يحضر حسابه فلا يقدر الفلاح على مراددته خوفا منه فاذا سأله من بعد ذلك قال له بقى عليك حبتان من فدان أو نحو بتان أو نحو ذلك ولا يعطيه ورقة الغلاق حتى يستوفى منه قدر المال او يصانعه بالهدية والرشوة وغير ذلك امور واحكام خارجة عن ادراك البهيمية فضلا عن البشرية كالشكاوى ونحوها وذلك كما اذا تشاجر احدهم مع آخر على أمر جزئى بادر احدهم بالحضور الى الملتزم وتمثل بين يديه قائلا اشكو اليك فلانا بمائة ريال مثلا فبمجرد قوله ذلك يامر بكتابة ورقة خطابا الى قائممقام او المشايخ باحضار ذلك الرجل المشتكى واستخلاص القدر الذى ذكره الشاكى قليلا او كثيرا او حبسه وضربه حتى يدفع ذلك القدر ويرسل الورقة مع بعض اتباعه ويكتب بهامشها اجرة طريقه قليلا او كثيرا ويسمونه حق الطريق فعند وصوله اول شئ يطالب به الرجل حق الطريق المعين ثم الشكوى فان بادر ودفعها والا حبس اوحضر به المعين الى بيت استاذه فيوعده الحبس و يعاقبه بالضرب حتى يوفى القدر الذى تلفظ به الشاكى وان تاخر عن حضوره وحضور المعين اردفه بآخر وحق طريق الآخر كذلك ويسمونها الاستعجالية وغير ذلك احكام وامور غير معقولة المعنى قدر بواطليها واعتادوها لا يرون

ايس من نفسه احضر الامراء وسائر الاجناد ووصاهم بتسليم البلد الى ابن عمه عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى و استحلفهم على ذلك فقال له بعضهم ان عماد الدين ابن عمك ايضا وهو زوج اختك وكان والدك يحبه ويؤثره وهو تولى تربيته وليس له غير سنجار فلو اعطيته البلد لكان أصلح وعز الدين له من البلاد من الفرات الى همذان ولا حاجة به الى بلدك فقال له ان هذا لم يغب عنى ولكن قد علمتم ان صلاح الدين قد تغلب على عامة بلاد الشام سوى ما بيدى ومتى سلمت حلب الى عماد الدين يعجز عن حفظها وان ملكها صلاح الدين لم يبق لاهلنا معه مقام وان سلمتها الى عز الدين امكنه حفظها بكثرة عساكره وبلاده فاستحسنوا قوله وعجبوا من جودة فطنته مع شدة مرضه وصغر سنه ثم مات وكان حليما كريما عفيف اليد والفرج واللسان ملازما للدين لا يعرف له شئ مما يتعاطاه الملوك والشباب من شرب خمر أوغيره حسن السيرة فى رعيته عادلا فيهم ولما قضى نحبه ارسل الامراء الى اتابك عز الدين يستدعونه الى حلب فسار هو ومجاهد الدين قايماز الى الفرات وارسل أحضر الامراء عنده من حلب فحضروا وساروا جميعا الى حلب ودخلها فى العشرين من شعبان وكان صلاح الدين حينئذ بمصر ولولا ذلك لزاحمهم عليها وقاتلهم فلما اجتاز فى طريقه اليها من الفرات كان تقى الدين عمر ابن اخى صلاح الدين بمدينة منبج فسار عنها هاربا الى حماة وثار أهل حماة ونادوا بشعار عز الدين فاشار عسكر حلب على عز الدين بقصد دمشق واطمعوه فيها وفى غيرها من بلاد الشام واعلموه محبة اهلها له ولاهل بيته فلم يفعل وقال بيننا يمين فلا نغدر به واقام بحلب عدة شهور ثم سار عنها الى الرقة

(ذكر تسليم حلب الى عماد الدين واخذ سنجار عوضا عنها)

لما دخل عز الدين الى الرقة جاءته رسل اخيه عماد الدين صاحب سنجار يطلب ان يسلم اليه حلب ويأخذ عوضا عنها مدينة سنجار فلم يجبه الى ذلك ولج عماد الدين فى ذلك وقال ان سلمتم الى حلب والا سلمت انا سنجار الى صلاح الدين فاشار حينئذ جماعة من الامراء بتسليمها اليه وكان اشدهم فى ذلك مجاهد الدين قايماز فلم يمكن عز الدين مخالفته لتمكنه فى الدولة وكثرة عساكره وبلاده واعان مجاهد الدين على ذلك خوفه من عز الدين لانه عظم فى نفسه وكثر معه العسكر وكان الامراء الحلبيون لا يلتفتون الى مجاهد الدين ويسلكون معه من ترك الادب ما يفعله عسكر الموصل فاستقر الامر على تسليم حلب الى عماد الدين واخذ سنجار عوضا عنها فسار عماد الدين فتسلمها وسلم سنجار الى اخيه وعاد الى الموصل وكان صلاح الدين بمصر قد بلغه خبر ملك عز الدين حلب فعظم الامر عليه وخاف ان يسير منها الى دمشق وغيرها ويملك الجميع وأيس من حلب فلما بلغه ملك عماد الدين لها برز من مصر من يومه وسار الى الشام وكان من الوهن على دولة عز الدين ما نذكره ان شاء الله

(ذكر حصر صاحب ماردين قلعة البيرة ومصر صاحبها مع صلاح الدين)

كيها باسا والاعيان وقد سلط الله على هؤلاء الفلاحين بسوء افعالهم وعدم ديانتهم وخيانتهم واضرارهم لبعضهم البعض من لا يرحمهم ولا يعفو عنهم كما قال فيهم البدر الحجازى وسبعة بالفلح قد ابتليت لما حووه من قبيح الفعال شيوخهم أستاذهم والمشد والقتل فيما بينهم والقتال مع النصارى كاشف الناحيه وزد عليها كدهم فى اشتغال وفقرهم ما بين عينيهم مع اسوداد الوجه هذا النكال واذا التزم بهم ذو رحمة ازدروه فى أعينهم واستهانوا به وبخدمه وماطلوه فى الخراج وسموه باسماء النساء وتمنوا زوال التزامه بهم وولاية غيره من الجبارين الذين لا يخافون ربهم ولا يرحمهم لينالوا بذلك اغراضهم بوصول الاذى لبعضهم وكذلك اشياخهم اذا لم يكن الملتزم ظالما يتمكنون هم ايضا من ظلم فلاحيهم لانهم لم يحصل لهم رواج الا بطلب الملتزم الزيادة والمغارم فيأخذون لانفسهم فى ضمنها ما احبوا ويوزعوا خراج اطيانهم وزراعاتهم على الفلاحين وقد انخرم هذا الترتيب بما حدث فى هذه الدولة من قياس الاراضى والفدن وما سيحدث بعد ذلك من الاحداثات التى تبدو قرائنها شيئا بعد شئ (وفى ثانى عشرينه) برز حسن بك دالى باشا خيامه الى خارج باب النصر وخرج هو فى ثانى يوم فى موكب ونزل بوطاقه ليتوجه الى الحجاز على طريق

كانت قلعة البيرة وهي مطلة على الفرات من ارض الجزيرة لشهاب الدين الارتقي وهو ابن عم قطب الدين ايلغازي بن البي بن تمرتاش بن ايلغازي بن ارتق صاحب ماردين وكان في طاعة نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام فمات شهاب الدين وملك القلعة بعده ولده وصار في طاعة عز الدين مسعود صاحب الموصل فلما كان هذه السنة ارسل صاحب ماردين الى عز الدين يطلب منه ان يأذن له في حصر البيرة واخذها فاذن له في ذلك فسار في عسكره الى قلعة سميساط وهي له ونزل بها وسير العسكر الى البيرة فحصرها فلم يظفر منها بطائل الا انهم لازموا الحصار فارسل صاحبها الى صلاح الدين وقد خرج من ديار مصر على ما نذكره يطلب منه ان ينجده ويرحل العسكر الماردانى عنه و يكون هو في خدمته كما كان ابوه في خدمة نور الدين فاجابه الى ذلك وارسل رسولا الى صاحب ماردين يشفع فيه ويطلب ان يرحل عسكره عنه فلم يقبل شفاعته واشتغل صلاح الدين بما نذكره من الفرنج فلما رأى صاحب ماردين طول مقام عسكره على البيرة ولم يبلغوا منها غرضا امرهم بالرحيل عنها وعاد الى ماردين فسار صاحبها الى صلاح الدين وكان معه حتى عبر معه الفرات على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة كثرت المنكرات ببغداد فاقام حاجب الباب جماعة لاراقة الخمور واخذ المفسدات فبينما امرأة منهن في موضع علمت بمجيء اصحاب حاجب الباب فاضطجعت واظهرت انها مريضة وارتفع انينها فرأوها على تلك الحال فتركوها وانصرفوا فاجتهدت بعدهم ان تقوم فلم تقدر وجعلت تصيح الكرب الكرب الى ان ماتت وهذا من اعجب ما يحكى وفيها في عاشر ذي الحجة توفي الامير همام الدين تتر صاحب قلعة تكريت بالمزدلفة كان قد استخلف الامير عيسى ابن اخيه مودود وحج فتوفي ودفن بالمعلى مقبرة مكة وفيها في شعبان توفي عبد الرحمن بن محمد بن ابي سعيد ابو البركات النحوي المعروف بابن الانباري ببغداد وله تصانيف حسنة في النحو وكان فقيها صالحا وفيها توفي ابراهيم بن محمد بن مهران الفقيه الشافعي بجزيرة ابن عمر وكان فاضلا كثير الورع

(ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة)

(ذكر مسير صلاح الدين الى الشام واغارته على الفرنج)

في هذه السنة خامس المحرم سار صلاح الدين عن مصر الى الشام ومن عجيب ما يحكى من التطير انه لما برز من القاهرة اقام بخيمته حتى تجتمع العساكر والناس عنده واعيان دولته والعلماء وارباب الآداب فمن بين مودع له وسائر معه وكل منهم يقول شيئا في الوداع والفراق وما هم بصدده من السفر وفي الحاضرين معلم لبعض اولاد

يتساقط على الدور والاسطحة والازقة مثل الغمام وافسد كثيرا من الاشجار وانقطع اثره في ثاني يوم (وفي يوم الاثنين) عاشره ارتحل حسن باشا من ناحية الشيخ قمر الى بركة الحج (وفي) منتصفه حضر الروزنامجي والافندية بعد ان استملى منهم القبط الدفاتر واسماء الملتزمين ومقادير حصصهم ثم حضر محمود بك والمعلم غالي ومن معهم من الكتبة الاقباط وظهر للناس عند حضورهم نتيجة ما صنعوه ونظموه ورتبوه من قياس الاراضي وروك البلاد وهوان الاراضي زادت في القياس بالقصبة التي قاسوا بها وحدودها مقدار الثلث او الربع حتى قاسوا الرزق الاحباسية باسماء اصحابها وزارعيها واطيان الوسايا على حدتها حتى الاجران وما لا يصلح للزراعة وما يصلح من البور الصالح وغير الصالح فلما تم ذلك حسبوها بزياداتها بالافدنة ثم جعلوها ضرائب منها ضريبة خمسة عشر ريالا واربعة عشر واثنى عشر واحد عشر وعشرة مال الفدان بحسب جودة الاقليم والارض فبلغ ذلك مبلغا عظيما بحيث ان البلدة التي كانت يفرض عليها في مغارم الفرض التي كانوا افرضوها قبل ذلك في سنيهم الماضية و يقشكي منها الفلاحون والملتزمون

فاخرج راسه من بين الحاضرين وانشد

تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار

فانقبض صلاح الدين بعد انبساطه وتطير وتنكد المجلس على الحاضرين فلم يعد اليها الى ان مات مع طول المدة ثم سار عن مصر وتبعه من التجار واهل البلاد ومن كان قصد مصر من الشام بسبب الغلاء بالشام وغيره عالم كثير فلما سار جعل طريقه على ايلة فسمع ان الفرنج قد جمعوا له ليحاربوه ويصدوه عن المسير فلما قارب بلادهم سير الضعفاء والاثقال مع أخيه تاج الملوك بوري الى دمشق وبقي هو في العساكر المقاتلة لا غير فشن الغارات باطراف بلادهم واكثر ذلك ببلد الكرك والشوبك فلم يخرج اليه منهم احد ولا أقدم على الدنو منه ثم سار فوصل الى دمشق فوصلها حادي عشر صفر من السنة

(ذكر ملك المسلمين شقيفا من الفرنج)

في هذه السنة ايضا في صفر فتح المسلمون بالشام شقيفا من الفرنج يعرف بحبس جلدك وهو من اعمال طبرية مطل على السواد وسبب فتحه ان الفرنج لما بلغهم مسير صلاح الدين من مصر الى الشام جمعوا له وحشدوا الفارس والراجل واجتمعوا بالكرك بالقرب من الطريق لعلهم ينتهزون فرصة أو يظفرون بنصرة وربما عاقوا المسلمين عن المسير بان يقفوا على بعض المضايق فلما فعلوا ذلك خلت بلادهم من ناحية الشام فسمع فرخشاه الخبر فجمع من عنده من عساكر الشام ثم قصد بلاد الفرنج واغار عليها ونهب دبورية وما يجاورها من القرى وأسر الرجال وقتل واكثر وسبى النساء وغنم الاموال وفتح منهم الشقيف وكان على المسلمين منه أذى شديد ففرح المسلمون بفتحه فرحا عظيما وارسل الى صلاح الدين بالبشارة فلقيه في الطريق ففت ذلك في عضد الفرنج وانكسرت شوكتهم

(ذكر ارسال سيف الاسلام الى اليمن وتغلبه عليه)

في هذه السنة سير صلاح الدين أخاه سيف الاسلام طغدكين الى بلاد اليمن وامره بملكها وقطع الفتن بها وفوض اليه امرها وكان بها حطان بن منقذ كما ذكرناه قبل وكتب عز الدين عثمان الزنجيلي متولي عدن الى صلاح الدين يعرفه باختلال البلاد ويشير بارسال بعض أهله اليها لان حطان كان قوي عليه فخافه عثمان فجهز صلاح الدين اخاه سيف الاسلام وسيره الى بلاد اليمن فوصل الى زبيد فخافه حطان بن منقذ واستشعر منه وتحصن في بعض القلاع فلم يزل به سيف الاسلام يؤمنه ويهدي اليه ويتلطفه حتى نزل اليه فاحسن صحبته وعمل معه ما لم يكن يتوقعه من الاحسان فلم يثق حطان به وطالب منه دستورا ليقصد الشام فامتنع من اجابته اظهارا للرغبة في كونه عنده فلم يزل حطان يراجعه حتى أذن له فاخرج اثقاله وامواله ودوابه واهله وأصحابه وكل ماله وسير الجميع بين يديه فلما كان الغد دخل الى سيف الاسلام ليودعه فقبض عليه واسترجع جميع ماله فاخذه عن آخره لم يسلم منه قليل ولا كثير ثم سجنه في بعض القلاع

وكان

ويستثنون ويبقى منها بواقي ويحرزون منها الف ريال طالع عليها في هذه اللقمة عشرة آلاف ريال الى مائة الف واقل واكثر واحضر الملا ابراهيم اغا الرزاز والشيخ احمد يوسف وخلع عليهما خلعتين وجعلوا لهما ديوانا خاصا لمن يلتزم بالقدر الذي يحرر على حصته التي في تصرفه فيعطونه ورقة تصرف ويكتب على نفسه وثيقة باجل معلوم يقوم بدفع ذلك ويتصرف في حصته بشرط ان لا يملك و(نه) الأطيان الاوسية ان شاء زرعها واخذ غلتها وان شاء ايجرها لمن شاء وليس له من مال الخراج الا المال الحر المعين بسند الديوان المعروف بالتقسيط وما زاد في قياس الارض من طين الفلاحة والاوسية فهو للميري قل او كثر واما الرزق الاحباسية المرصدة على البر والصدقة ولاهل المساجد والاسبلة والمكاتب والخيرات فانهم مسحوها بقياسهم فما وجدوه زائدا عن الحد الاصلي جعلوه للديوان وما بقي قيدوه وحرروه باسم واضع اليد عليه او اسم واقفها وزارعها او معليه لمزارع الحاضر وقت القياس وسؤال المباشرين وقرروا عليها المال مثل ضريبة البلد فان اثبتها صاحبها وكان بيده سند جديد من أيام الوزير وشريف افندي وما بعده على سبقة لوقت تاريخه قيدوا له نصف مال تاجيرها والنصف الثاني الباقي

وكان آخر العهد به فقيل انه قتله وكان فى جملة ما أخذه منه من الاموال الذهب العين فى سبعين غلافا زردية مملوءة ذهبا عينا وامار عز الدين عثمان الزنجبيلى فانه لما سمع ما جرى على حطان خاف فسار نحو الشام خائفا يترقب وسير معظم أمواله فى البحر فصادفهم مراكب فيها اصحاب سيف الاسلام فاخذوا كل مال عز الدين ولم يبق له الا ما صحبه فى الطريق وصفت زبيد وعدن وما معهما من البلاد لسيف الاسلام

❁(ذكر اغارة صلاح الدين على الغور وغيره من بلاد الفرنج واعمالها)❁

لما وصل صلاح الدين الى دمشق كما ذكرناه اقام اياما يريح ويستريح هو وجنده ثم سار الى بلاد الفرنج فى ربيع الاول فقصد طبرية فنزل بالقرب منها وخيم فى الاقحوانة من الاردن وجاءت الفرنج بجموعها فنزلت بطبرية فسير صلاح الدين فرخشاه ابن أخيه الى بيسان فدخلها قهرا وغنم ما فيها وقتل وسبى وجعف الغور غارة شعواء فعم اهله قتلا وأسرا وجاءت العرب فاغارت على جينين واللجون وتلك الولاية حتى قاربوا مرج عكا وسار الفرنج من طبرية فنزلوا تحت جبل كوكب فتقدم صلاح الدين اليهم وأرسل العساكر عليهم يرمونهم بالنشاب فلم يبرحوا ولم يتحركوا للقتال فامر ابنى أخيه تقى الدين عمر وعز الدين فرخشاه فحملا على الفرنج فيمن معهما فقاتلوا قتالا شديدا ثم ان الفرنج انحازوا على حاميتهم فنزلوا غفربلا فلما رأى صلاح الدين ما قد اثخن فيهم وفى بلادهم عاد عنهم الى دمشق

❁(ذكر حصر بيروت)❁

ثم انه سار عن دمشق الى بيروت فنهب بلدها وكان قد امر الاسطول المصرى بالمجىء فى البحر اليها فساروا ونازلوها واغاروا عليها وعلى بلدها وسار صلاح الدين فوافاهم ونهب ما لم يصل الاسطول اليه وحصرها عدة أيام وكان عازما على ملازمتها الى ان يفتحها فاتاه الخبر وهو عليها أن البحر قد القى بطسة للفرنج فيها جمع عظيم منهم الى دمياط كانوا قد خرجوا لزيارة البيت المقدس فاسروا من بها بعد ان غرق منهم كثير فكان عدة الاسرى الفا وستمائة وستا وسبعين اسيرا فضربت بذلك البشائر

❁(ذكر عبور صلاح الدين الفرات وملكه ديار الجزيرة)❁

فى هذه السنة عبر صلاح الدين الفرات الى الديار الجزرية وملكها وسبب ذلك ان مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين على بن بكتكين وهو مقطع حران كان قد اقطعه اياها عز الدين اتابك المدينة والقلعة تقوية واعتمادا ارسل الى صلاح الدين وهو يحاصر بيروت يعلمه أنه معه محب لدولته ووعده النصرة له اذا عبر الفرات ويطمعه فى البلاد ويحثه على الوصول فسار صلاح الدين عن بيروت ورسل مظفر الدين تترى اليه يحثه على المجىء فجد صلاح الدين فى السير مظهرا انه يريد حصر حلب تسترا للحال فلما قارب الفرات سار اليه مظفر الدين فعبر الفرات واجتمع به فقصد البيرة وهى قلعة منيعة على الفرات من الجانب الجزرى وكان صاحبها قد سار مع صلاح الدين وفى

الديوان ورسموا لكاتب الرزق ان يعمل ديوانا لذلك ومعه عدة من الكتبة وباقى اليه الناس باوراق سنداتهم فمن وجد بيده سندا جديدا كتب له صورة قيد الكشف بموجب ما هو بدفتره فى ورقة فيذهب بها الى الديوان فيقيدون ذلك بعد البحث والتعنت من الطرفين ويقع الاشتباه الكثير فى اسماء اربابها واسماء حيضانها وغيطانها فيكلفون صاحب الحاجة باثبات ما ادعاه ويكتب له أوراقا لمشايخ الناحية وقاضيها باثبات ما يدعيه ويعود مسافرا ويقاسى ما يقاسيه من مشقة السفر والمصرف ومعاكسة المشايخ وقاضى الناحية ثم يعود الى الديوان بالجواب ثم يمكن الاحتجاج عليه بحجة اخرى وربما كان سعيه وتعبه على فدان واحد او اقل او اكثر وازدحم الناس على بيت كاتب الرزق وانفتح له بذلك باب لانه لا يكتب كشفا حتى يأخذ عليه دراهم تعينت على قدر الافدنة واضاع الكثير من الناس ما تلقوه عن اسلافهم وما كانوا يرتزقون منه واهملوا تجديد السندات واتكلوا على ما بايديهم من السندات القديمة لجهلهم او ظنهم انقضاء الامر وعدم دوام الحال وتغير الدولة وعود النسق الاول او لفقرهم وعدم قدرتهم على ما يتدعونه من كثرة المصاريف التي تصرف على تجديد السند

طاعته وقد ذكرنا سبب ذلك قبل فعبر هو وعسكره الفرات على الجسر الذى عند البيرة وكان عز الدين صاحب الموصل ومجاهد الدين لما بلغهما وصول صلاح الدين الى الشام قد جمعا العسكر وسارا الى نصيبين ليكونا على اهبة واجتماع لئلا يتعرض صلاح الدين الى حلب ثم تقدما الى دارا فنزلا عندها فجاءهما امر لم يكن فى الحساب فلما بلغهما عبور صلاح الدين الفرات عادا الى الموصل وارسلا الى الرها عسكرا يحميها ويمنعها فلما سمع صلاح الدين ذلك قوى طمعه فى البلاد ولما عبر صلاح الدين الفرات كاتب الملوك اصحاب الاطراف ووعدهم وبذل لهم البذول على نصرته فاجابه نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب الحصن الى ما طلب منه لقاعدة استقرت بينهما لما كان نور الدين عنده بالشام فانه استقر الحال ان صلاح الدين يحصر آمد ويملكها ويسلمها اليه وسار صلاح الدين الى مدينة الرها فحصرها فى جمادى الاولى وقاتلها أشد قتال فحدثنى بعض من كان بها من الجند انه عد فى غلاف رمح اربعة عشر خرقا وقد خرقته السهام ووالى الزحف عليها وكان بها حينئذ مقطع وهو الامير فخر الدين مسعود الزعفرانى فحيث رأى شدة القتال اذعن الى التسليم وطلب الامان وسلم البلد وصار فى خدمة صلاح الدين فلما ملك المدينة زحف الى القلعة فسلمها اليه الدزدار الذى بها على مال أخذه فلما ملكها سلمها الى مظفر الدين مع حران ثم سار عنها على حران الى الرقة فلما وصل اليها كان بها مقطعها قطب الدين ينال بن حسان المنبجى ففارقها الى عز الدين اتابك وملكها صلاح الدين وسار الى الخابور وقرقيسيا وماكسين وعرابان فملك جميع ذلك فلما استولى على الخابور وجميعه سار الى نصيبين فملك المدينة لوقتها وبقيت القلعة فحصرها عدة أيام فملكها ايضا وأقام بها ليصلح شأنها ثم اقطعها أميرا كان معه يقال له ابو الهيجاء السمين وسار عنها ومعه نور الدين صاحب الحصن وأتاه الخبر ان الفرنج قصدوا دمشق ونهبوا القرى ووصلوا الى داريا وأرادوا تخريب جامعها فارسل النائب بدمشق اليهم جماعة من النصارى يقول لهم ان اخربتم الجامع جددنا عمارته وأخربنا كل بيعة لكم فى بلادنا ولا نمكن أحدا من عمارتها فتركوه ولما وصل الخبر الى صلاح الدين بذلك أشار عليه من يتعصب لعز الدين بالعود فقال يخربون قرى ونملك عوضها بلادا ونعود نعمرها ونقوى على قصد بلادهم ولم يرجع فكان كما قال

(ذكر حصر صلاح الدين الموصل)

لما ملك صلاح الدين نصيبين جمع امراءه وارباب المشورة عنده واستشارهم باى البلاد يبدأ وايها يقصد بالموصل ام بسنجار ام بجزيرة ابن عمر فاختلفت آراؤهم فقال له مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين لا ينبغى ان يبدأ بغير الموصل فانها فى ايدينا لا مانع لها فان عز الدين ومجاهد الدين متى سمعا بمسيرنا اليها تركاها وسارا عنها الى بعض القلاع الجبلية ووافقه ناصر الدين محمد ابن عمه شيركوه وكان قد بذل لصلاح الدين مالا كثيرا ليقطعه الموصل اذا ملكها وقد أجابه صلاح الدين الى ذلك فاشار بهذا الرأى

لهواه

واشتغال مال الحماية التى قدرها شريف افندى على أراضى الرزق عن كل فدان عشرة انصاف او خمسة فكثير من الناس استعظم ذلك واعتمد على أوراقه القديمة فضاعت عليه رزقته وانحلت وأخذها الغير والذى لم يرض بالتوت بل ولا حصل حظيه رضى بالولاش وكان الشان فى امر الرزق ان أراضيها تزيد عن موقوع أراضى البلاد زيادة كثيرة وخراجها أقل من خراج اراضى البلاد الذى يقال له المال الحر الاصلى وليس عليها مصاريف ولا مغارم ولا تكاليف فالمزارع من الفلاحين اذا كان تحت يده تابير رزقة او رزقتين فانه يكون مغبوطا ومحسودا فى اهل بلده ويدفع لصاحب الاصل القدر المقرر والمزارع يتلقى ذلك سلفا عن خلف ولا يقدر صاحب الاصل ان يزيد عليه زيادة وخصوصا اذا كانت تحت يد بعض مشايخ البلاد فلا يقدر احد ان يتعدى عليه من الفلاحين ويستأجرها من صاحبها وان فعل لا يقدر على حمايتها والكثير من الرزق واسعة القياس جدا ومالها قليل جدا وخصوصا فى الاراضى القبلية فان غالبها رزق وشراوى ومتأخرات لم تمسح ولم يعلم لها فدادين ولا مقادير وقد تزيد ايضا بانحسار البحر عن سواحلها او كذلك فى البلاد البحرية ولكن دون ذلك ومعظم اراضى الرزق القبلية مرصدة على جهات الاوقاف

لمواه فسار صلاح الدين الى الموصل وكان عز الدين صاحبها ومجاهد الدين نائبه قد جمعا بالموصل العساكر الكثيرة ما بين فارس وراجل واظهر امن السلاح وآلات الحصار ما حارت له الابصار وبذلا الاموال الكثيرة واخرج مجاهد الدين من ماله كثيرا واصطلى الامور بنفسه فاحسن تدبيرها وشحنوا ما بقى بايديهم من البلاد كالجزيرة وسنجار والموصل واربل وغيرها من البلاد بالرجال والسلاح والاموال وسار صلاح الدين حتى قارب الموصل وترك عسكره وانفرد هو ومظفر الدين وابن عمه ناصر الدين بن شيركوه ومعهم نفر من اعيان دولته وقربوا من البلد فلما قربوا ورآه وحققه رأى ما هاله وملأ صدره وصدور أصحابه فانه رأى بلدا عظيما كبيرا ورأى السور والفصيل قد ملئا من الرجال وليس فيها شرافة الا وعليها رجل يقاتل سوى من عليه من عامة البلد المتفرجين فلما رأى ذلك علم انه لا يقدر على اخذه وانه يعود خائبا فقال لناصر الدين ابن عمه اذا رجعنا الى المعسكر فاحمل ما بذلت من المال فنحن معك على القول فقال قد رجعت عما بذلت من المال فان هذا البلد لا يرام فقال له ولمظفر الدين غررتمانى وأطمعتمانى فى غير مطمع ولو قصدت غيره قبله لكان اسهل أخذا بالاسم والهيبة التى حصلت لنا ومتى نازلناه وعدنا منه ينكسر ناموسنا ويقل حدنا وشوكتنا ثم رجع الى معسكره وصبح البلد وكان نزوله عليه فى رجب فنازله وضايقه ونزل محاذى باب كندة وأنزل صاحب الحصن بباب الجسر وانزل أخاه تاج الملوك عند الباب العمادى وانشب القتال فلم يظفر وخرج اليه يوما بعض العامة فنالوا منه ولم يمكن عز الدين ومجاهد الدين احدا من العسكر يخرجون لقتال بل الزموا الاسوار ثم ان تقى الدين أشار على عمه صلاح الدين بنصب منجنيق فقال مثل هذا البلد لا ينصب عليه منجنيق ومتى نصبناه أخذوه ولو نحن بنا برجا بدنة من يقدر على الدخول للبلد وفيه هذا الخلق الكثير فالح تقى الدين وقال نجرب به فنصب منجنيقا فنصب عليه من البلد تسعة منجنيقات وخرج جماعة من العامة فاخذوه وجرى عنده قتال كثير فاخذ بعض العامة لالكة من رجليه فيها المسامير الكثيرة ورمى بها اميرا يقال له جاولى الاسدى مقدم الاسدية وكبيرهم فاصاب صدره فوجد لذلك ألما شديدا وأخذ اللالكة وعاد عن القتال الى صلاح الدين وقال قد قاتلنا اهل الموصل بحماقات ما رأينا بعد مثلها وألقى اللالكة وحلف انه لا يعود يقاتل عليها انفة حيث ضرب بها ثم ان صلاح الدين رحل من قرب البلد ونزل متأخرا خوفا من البيات فانه اقربه كان لا يأمن ذلك وكان سببه أيضا ان مجاهد الدين اخرج فى بعض الليالى جماعة من باب السر الذى للقلعة ومعهم المشاعل فكان أحدهم يخرج من الباب وينزل الى دجلة مما يلى عين الكبريت ويطفئ المشعل فرأى العسكر الناس يخرجون فلم يشكوا فى الكبسة فحملهم ذلك على الرحيل والتأخر ايبعد عن البيات على اهل الموصل وكان صدر الدين شيخ الشيوخ رحمه الله قد وصل اليه قبل نزوله على الموصل ومعه بشير الخادم وهو من خواص الخليفة الناصر لدين الله فى الصلح فاقاما معه على الموصل

بمصر وغيرها والراضعون ايديهم عليها لايدفعون بجهاتها ولا لمستحقيها الا ما هو مرتب ومقرر من الزمن الاول السابق وهو شئ قليل وليتهم لو دفعوه فان فى اوقاف السلاطين المتقدمة القطعة من الاراضى التى عبرتها اكثر من الف فدان وخراجها خمسون زكيبة والزكيبة خمس ويبات او من الدراهم الفان فضة واقل واكثر وهى تحت يد بعض كبراء البلاد يزرعها ويأخذ منها الالوف من الارادب من اجناس الغلال ويضن ويبخل بدفع ذلك القدر اليسير لجهة وقفه ويكسر السنة على السنة فان كانت يد صاحب الاصل قوية اوكان واضع اليد فيه خيرية وقليل ماهم دفع لاربابها غلتها بعد ان يرد الخمسين الى الاربعين بالتكسير والخلط ثم يبخس الثمن جدا فان كان ثمن الاردب اربعمائة حسبه باربعين نصفا او اقل فيعود ثمن الخمسين زكيبة الى ثمن زكيبتين وقس على ذلك والذى يكون تحت يده شئ من اطيان هذه الاوقاف وورثها من بعده ذريته فزرعوها وتقاسموها معتقدين ملكيتها تلقوها بالارث من مورثهم ولا يرون ان لاحد سواهم فيها حقا ولا يهون بهم دفع شئ لاربابه ولو قل الا قهرا وبالجملة ما اصاب الناس الا ما كسبت ايديهم ولا جنوا الا ثمرات اعمالهم وكان معظم ادارات دوائر عظماء النواحى وتوسعاتهم

وترددت الرسل الى عز الدين ومجاهد الدين في الصلح فطلب عز الدين اعادة البلاد التي أخذت منهم فاجاب صلاح الدين الى ذلك بشرط ان تسلم اليه حلب فامتنع عز الدين ومجاهد الدين ثم نزل عن ذلك واجاب الى تسليم البلاد بشرط ان يتركوا انجاد صاحب حلب عليه فلم يجيبوا الى ذلك أيضا وقال عز الدين هو أخي وله العهود والمواثيق ولا يسعني ان انكثها ووصلت ايضا رسل قزل ارسلان صاحب اذربيجان ورسل شاه ارمن صاحب خلاط في المعنى فلم ينتظم امر ولاتم صلح فلما رأى صلاح الدين انه لا ينال من الموصل غرضا ولا يحصل على غير العناء والتعب وان من بسنجار من العساكر الموصلية يقطعون طريق من يقصدونه من عساكره واصحابه سار من الموصل اليها

(ذكر ملكه مدينة سنجار)

سار صلاح الدين عن الموصل الى سنجار سيرعا هد الدين اليها عسكرا قوة لها ونجدة فسمع بهم صلاح الدين فمنعهم من الوصول اليها واوقع بهم واخذ سلاحهم ودوابهم وسار اليها ونازلها وكان بها شرف الدين اميرامیران هندوا اخو عز الدين صاحب الموصل في عسكر معه فحصر البلد وضايقه والح في قتاله فكاتبه بعض امراء الاكراد الذين به من الزرزارية وخامر معه واشار بقصده من الناحية التي هو بها ليسلم اليه البلد فطرقه صلاح الدين ليلا فسلم اليه ناحيته فلك الباشورة لاغير فلما سمع شرف الدين الخبر استكان وخضع وطلب الامان فامن ولو قاتل على تلك الناحية لاخرج العسكر الصلاحي عنها ولو امتنع بالقلعة لحفظها ومنعها ولكنه عجز فلما طلب الامان اجابه صلاح الدين اليه فامنه وملك البلد وسار شرف الدين ومن معه الى الموصل واستقر جميع ما ملكه صلاح الدين بملك سنجار فانه كان قصدان يسترده المواصلة اذا فارقه لانه لم يكن فيه حصن غير الرها لاغير فلما ملك سنجار صارت على الجميع كالسور واستناب بها سعد الدين بن معين الدين انز وكان من اكابر الامراء واحسنهم صورة ومعنى

(ذكر عود صلاح الدين الى حران)

لما ملك صلاح الدين سنجار وقرر قواعدها سار الى نصيبين فلقيه اهلها شاكين من ابي الهيجاء السمين باكين من ظلمه متاسفين على دولة عز الدين وعدله فيهم فلما سمع ذلك انكر على ابي الهيجاء ظلمه وعزله عنهم واخذه معه وسار الى حران وفرق عساكره ليستريحوا وبقي جريدة في خواصه وثقات اصحابه وكان وصوله اليها اوائل ذي القعدة من السنة

(ذكر اجتماع عز الدين وشاه ارمن)

في هذه السنة في ذي الحجة اجتمع اتابك عز الدين صاحب الموصل وشاه ارمن صاحب خلاط على قتال صلاح الدين وسبب ذلك ان رسل عز الدين ترددت الى شاه ارمن يستنجده ويستنصره على صلاح الدين فارسل شاه ارمن الى صلاح الدين عدة رسل

ق

وشكايتهم من هذه الارزاق التي كانت تحت ايديهم بغير استحقاق الى ان سلط الله عليهم من اشحوذ على جميع ذلك وسلب عنهم ما كانوا فيه من النعمة وتشتتوا في النواحي وتغربوا من اوطانهم وخربت دورهم ومضايفهم وذهبت سيادتهم وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد او تسمع لهم ركزا وفي بعض الارزاق من مات اربابه وخربت جهاته ونسي امره وبقي تحت يد من هو تحت يده من غير شئ اصلا وقد اخبرني بنحو ذلك شمس الدين ابن جودة من مشايخ برما بالمنوفية عند ما أحضر الى مصر في وقت هذا النظام انه كان في حوزهم الف فدان لا علم للملتزم ولا غيره بها وذلك خلاف ما بايديهم من الرزق التي يزرعونها بالمال اليسير وخلاف المرصد على مساجد بلادهم التي لم يبق لها اثر وكذلك الاسبلة وغيرها واطيانهم تحت ايديهم من غير شئ وخلاف فلاحتهم القاهرة بالمال القليل لمصارف الحج لانها كانت من جملة البلاد الموقوفة على مهمات امير الحاج وقد انفسخ ذلك كله (وفيه) اخبر المخبرون ان مراكب الموسم وصلت في هذا العام الى جدة وكان لها مدة سنين ممتنعة عن الوصول خوفا من جور الشريف وزواله وتملك الدولة البلاد وظنهم فيهم العدل فاطمانوا وعبوا متاجرهم

في الشفاعة اليه بالكف عن الموصل وما يتعلق بعز الدين فلم يجبه الى ذلك وغالطه فارسل اليه اخيرا مملوكه سيف الدين بكتمر الذي ملك خلاط بعد شاه ارمن فاتاه وهو يحاصر سنجار يطلب اليه ان يتركها ويرحل عنها وقال له ان رحل عنها والا فتهدده بقصده ومحاربته فابلغه بكتمر الشفاعة فسوفه في الجواب رجاء ان يفتحها فلما راى بكتمر ذلك ابلغه الرسالة بالتهديد وفارقه غضبان ولم يقبل منه خلعة ولا صلة واخبر صاحبه الخبر وخوفه عاقبة الاهمال والتواني عن صلاح الدين فسار شاه ارمن من خلاط وكان مخيما بظاهرها وسار الى ماردين وصاحبها حينئذ قطب الدين بن نجم الدين البي وهو ابن اخت شاه ارمن وابن خال عز الدين وحموه لان عز الدين كان قد زوج ابنة قطب الدين وحضر مع شاه ارمن دولة شاه صاحب بدليس وارزن وسار اتابك عز الدين من الموصل في عسكره جريدة من الاثقال وكان صلاح الدين قد ملك سنجار وسار عنها الى حران وفرق عساكره فلما سمع باجتماعهم سير الى تقي الدين ابن اخيه وهو بحماة يستدعيه فوصل اليه مسرعا واشار عليه بالرحيل وحذره منه آخرون وكان هوى صلاح الدين في الرحيل فرحل الى راس عين فلما سمعوا برحيله تفرقوا فعاد شاه ارمن الى خلاط واعتذر بانه اجتمع العساكر واعود ورجع عز الدين الى الموصل واقام قطب الدين بماردين وسار صلاح الدين فنزل بحرزم تحت ماردين عدة ايام

(ذكر الظفر بالفرنج في بحر عيذاب)

في هذه السنة عمل البرنس صاحب الكرك اسطولا وفرغ منه بالكرك ولم يبق الا جمع قطعه بعضها الى بعض وحملها الى بحر ايلة وجمعها في اسرع وقت وفرغ منها وشحنها بالمقاتلة وسيرها فساروا في البحر وافترقوا فرقتين فرقة اقامت على حصن ايلة يحصرونه ويمنعون اهله من ورود الماء فنال اهله شدة شديدة وضيق عليهم واما الفرقة الثانية فانهم ساروا نحو عيذاب وافسدوا في السواحل ونهبوا واخذوا ما وجدوا من المراكب الاسلامية ومن فيها من التجار وبغتوا الناس في بلادهم على حين غفلة منهم فانهم لم يعهدوا بهذا البحر فرنجيا لا تاجرا ولا محاربا وكان بمصر الملك العادل ابو بكر بن ايوب ينوب عن اخيه صلاح الدين فعمر اسطولا وسيره وفيه جمع كثير من المسلمين ومقدمهم حسام الدين لؤلؤ الحاجب وهو متولي الاسطول بديار مصر وكان مظفرا فيه شجاعا كريما فسار لؤلؤ مجدا في طلبهم فابتدا بالذين على ايلة فانقض عليهم انقضاض العقاب على صيده فقاتلهم فقتل بعضهم واسر الباقي وسار من وقته بعد الظفر يقص اثر الذين قصدوا عيذاب فلم يرهم وكانوا قد اغاروا على ما وجدوه بها وقتلوا من لقوه عندها وساروا الى غير ذلك المرسى ليفعلوا كما فعلوا فيه وكانوا عازمين على الدخول الى الحجاز مكة والمدينة حرسهما الله تعالى واخذ الحاج ومنعهم عن البيت الحرام والدخول بعد ذلك الى اليمن فلما وصل لؤلؤ الى عيذاب ولم يرهم سار يقفو اثرهم فبلغ رابغ وساحل الحوراء وغيرهما فادركهم بساحل الحوراء فاوقع بهم هناك

وحضروا الحجة فجمع الباشا مكوسهم فبلغت اربعة وعشرين لكا واللك الواحد مائة الف فرانسا فيكون اربعة وعشرين مائة الف فرانسا فقبضها منهم بضائع ونقودا وحسب البضائع بابخس الاثمان ثم التفت الى التجار الذين اشتروا البضائع وقال لهم اني طلبت منكم مرارا ان تقرضوني المال فادعيتم الافلاس ولما حضر الموسم بادرتم باخذه وظهرت اموالكم التي كنتم تبخلون بها فلا بد ان تقرضوني ثلثمائة الف فرانسه فصالحوه على مائتي الف دفعوها له نقودا وبضائع مشتروات بهم حسبها لهم العشرة ستة ثم فرض على اهل المدينة ثلاثين الف فرانسه

(واستهل شهر رجب سنة ١٢٢٩)

في خامسه حضر بواعدة مدافع واخبروا بوصول بشارة وان عساكرهم حاربوا قنفذة واستولوا عليها ولم يجدوا بها غير اهلها (وفي سادسه) سار حسين بك دالي باشا بعساكره الخيالة برا (وفيه) عزم على السفر والد محرم بك زوج ابنة الباشا الى بلاده وذلك بعد عوده من الحجاز فارسلوا الى الاعيان تنابيه بالامر لهم بهاداته ففعلوا وعبوا له بقجا وبنا وارزا واقمشة هندية وحلاوية كل امير على قدر مقامه (وفي ليلة الاثنين) قامت جمعات في وقت اذان العشاء زلزلة نحو دقيقتين وكان المؤذنون طلعوا على المنارات وشرعوا في الاذان فلما اهتزت بهم

فلما راوا العطب وشاهدوا الهلاك خرجوا الى البر واعتصموا ببعض تلك الشعاب فنزل لؤلؤ من مراكبه اليهم وقاتلهم أشد قتال وأخذ خيلا من الاعراب الذين هناك فركبها وقاتلهم فرسانا ورجالة فظفر بهم وقتل اكثرهم وأخذ الباقين اسرى وأرسل بعضهم الى منى لينحروا بها عقوبة لمن رام اخافة حرم الله تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم وعاد بالباقين الى مصر فقتلوا جميعهم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في جمادى الاولى توفي عز الدين فرخشاه ابن اخي صلاح الدين وكان ينوب عنه بدمشق وهو ثقته من أهله وكان اعتماده عليه اكثر من جميع اهله وامرائه وكان شجاعا كريما فاضلا عالما بالادب وغيره وله شعر جيد من بين اشعار الملوك وكان ابتداء مرضه انه خرج من دمشق الى غزو الفرنج فمرض وعاد مريضا فمات ووصل خبر موته الى صلاح الدين وقد عبر الفرات الى الديار الجزرية فاعاد شمس الدين محمد بن المقدم الى دمشق ليكون مقدما على عسكرها وفيها مات فخر الدولة ابو المظفر الحسن بن هبة الله بن المطلب كان ابوه وزير الخليفة وأخوه استاذ الدار فتصوف هو من زمن الصبا وبنى مدرسة ورباطا ببغداد عند عقد المصطنع وبنى جامعا بالجانب الغربي منها وفيها توفي الامير أبو منصور هاشم ولد المستضيء بامر الله ودفن عند أبيه وفيها توفي أبو العباس أحمد بن علي بن الرفاعي من سواد واسط وكان صالحا ذا قبول عظيم عند الناس وله من التلامذة ما لا يحصى

(ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمسمائة)

(ذكر ملك صلاح الدين آمد وتسليمها الى صاحب الحصن)

قد ذكرنا نزول صلاح الدين بحوزم تحت ماردين فلم ير اطمعه وجها وسار عنها الى آمد على طريق البارعية وكان نور الدين محمد بن قرا ارسلان يطالبه في كل وقت بقصدها وأخذها وتسليمها اليه على ما استقرت القاعدة بينهما فوصل الى آمد سابع عشر ذي الحجة من سنة ثمان وسبعين ونازلها وأقام يحاصرها وكان المتولي لامرها والحاكم فيها بهاء الدين بن نيسان وكان صاحبها وليس له من الامر شيء مع ابن نيسان فلما نازلها صلاح الدين اساء ابن نيسان التدبير ولم يعط الناس من الذخائر شيئا ولا فرق فيهم دينارا واحدا ولا قوتا وقال لاهل البلد قاتلوا عن نفوسكم فقال له بعض اصحابه ليس العدو بكافر حتى يقاتلوا عن نفوسهم فلم يفعل شيئا وقاتلهم صلاح الدين ونصب المنجنيقات وزحف اليها وهي الغاية في الحصانة والمنعة بها وبسورها يضرب المثل وابن نيسان على حاله من الشح بالمال وتصرفه تصرف من ولت سعادته وأدبرت دولته فلما رأى الناس ذلك منه هانوا بالقتال وجنحوا الى السلامة وكانت ايام ابن نيسان قد طالت وثقلت على اهل البلد لسوء سيرته وضنيه وتضييقه عليهم في مكاسبهم فالناس كارهون لها محبون لانقراضها وامر صلاح الدين ان يكتب على السهام الى اهل البلد يعدهم الخير

والاحسان

ظن كل من كان على منارة سقوطها فاسرعوا بالنزول فلما علموا انها زلزلة طلعوا واعادوا الاذان وسقط من شرافة الجامع الازهر شرافة وتحركت الارض ايضا في خامس ساعة من الليل ولكن دون الاولى وكذلك وقت الشروق هزة لطيفة (وفي حادي عشره) هرب الشريف عبد الله ابن الشريف سرور في وقت الفجرية ولم يشعروا بهروبه الا بعد الظاهر فلما بلغ كتخدا بك الخبر فتكدر لذلك وارسل الى مشايخ الحارات وغيرهم وبث العربان في الجهات فلما كان ليلة السبت حضروا به في وقت الغروب وقد حجزوه بحلوان واتوا به الى بيت السيد محمد المحروقي فاخذه الى كتخدا بك فارسله الى بيت اخيه احمد اغا ومن ذلك الوقت ضيقوا عليه ومنعوه من الخروج والدخول بعد ان كان مطلق السراح يخرج من بيت احمد اغا ويذهب الى بيت عمه الشريف غالب ويعود وحده فعند ذلك ضيقوا عليه وعلى عمه ايضا (وفي يوم الخميس تاسع عشره) حضر المشايخ عند كتخدا بك وعاودوه في الخطاب فيما احدثوه على الرزق وعرفوه انه يلزم من هذا الاحداث ابطال المساجد والشعائر فتنصل من ذلك وقال هذا شيء لا علاقة لي فيه وهذا شيء امر به افندينا ومحمود بك والمعلم غالي ثم كلموه ايضا في صرف الجامكية المعروفة بالسائرة والدعاوي للفقراء والعامة

والاحسان ان اطاعوه ويتهددهم ان قاتلوه فزادهم ذلك تقاعدا وتخاذلا واحبوا ملكه وتركوا القتال فوصل النقابون الى السور فنقبوه وعلقوه فلما رأى الجند واهل البلد ذلك طمعوا في ابن نيسان واشتطوا في المطالب فحين صارت الحال الى ذلك اخرج ابن نيسان نساءه الى القاضي الفاضل وزير صلاح الدين يسأله ان يأخذ له الامان ولاهله وماله وان يؤخره ثلاثة ايام حتى ينقل ماله بالبلد من الاموال والذخائر فسعى له الفاضل في ذلك فاجابه صلاح الدين اليه فسلم البلد في العشر الاول من المحرم هذه السنة واخرج خيمه الى ظاهر البلد ورام نقل ماله فتعذر ذلك عليه لزوال حكمه عن اصحابه واطراحهم امره ونهيه فارسل الى صلاح الدين يعرفه الحال ويسأله مساعدته على ذلك فامر له بالدواب والرجال فنقل البعض وسرق البعض وانقضت الايام الثلاث قبل الفراغ فمنع من الباقي وكانت ابراج المدينة مملوأة من انواع الذخائر فتركها بحالها ولو اخرج البعض منها لحفظ البلد وسائر نعمه وامواله لكن اذا اراد الله امرا هيأ اسبابه فلما تسلمها صلاح الدين سلمها الى صاحب الحصن نور الدين فقيل له قبل تسليمها ان هذه المدينة فيها من الذخائر ما يزيد على الف الف دينار فلو اخذت ذلك واعطيته جندك وسلمت البلد اليه فارغا لكان راضيا فانه لا يطمع في غيره فامتنع من ذلك وقال ما كنت لاعطيه الاصل وابخل بالفرع فلما تسلم نور الدين البلد اصطنع دعوة عظيمة ودعا اليها صلاح الدين وامراءه ولم يكن دخل البلد وقدم له ولاصحابه من التحف والهدايا اشياء كثيرة

(ذكر ملك صلاح الدين تل خالد وعينتاب من اعمال الشام)

لما فرغ صلاح الدين من امر آمد سار الى الشام وقصد تل خالد وهو من اعمال حلب فحصرها ورماها بالمنجنيق فنزل اهلها وطلبوا الامان فامنهم وتسلمها في المحرم ايضا ثم سار منها الى عينتاب فحصرها وبها ناصر الدين محمد وهو اخو الشيخ اسمعيل الذي كان خازن نور الدين محمود بن زنكي وصاحبه وكان قد سلمها اليه نور الدين فبقيت معه الى الآن فلما نازله صلاح الدين ارسل اليه يطلب ان يقر الحصن بيده وينزل الى خدمته ويكون تحت حكمه وطاعته فاجابه صلاح الدين الى ذلك وحلف له عليه فنزل اليه وصار في خدمته وكان ايضا في المحرم من هذه السنة

(ذكر وقعتين مع الفرنج في البحر والشام)

في هذه السنة في العاشر من المحرم سار اسطول المسلمين من مصر في البحر فلقوا بطسة فيها نحو ثلثمائة من الفرنج بالسلاح التام ومعهم الاموال والسلاح الى فرنج الساحل فقاتلوهم وصبر الفرنج وكان الظفر للمسلمين واخذوا الفرنج اسرى وقتلوا بعضهم وابقوا بعضهم اسرى وغنموا ما معهم وعادوا الى مصر سالمين وفيها ايضا سارت عصابة كبيرة من الفرنج من نواحي الداروم الى نواحي مصر ليغيروا وينهبوا فسمع بهم المسلمون فخرجوا اليهم على طريق صدر وايلة فانتزح الفرنج من بين ايديهم فنزلوا بماء يقال

فوعدهم بصرفها وقت ما يحصل المال فان الخزينة فارغة من المال (وفي يوم السبت) حضر محمود بك والمعلم غالي من سرحتهما فذهب اليهما المشايخ في ثاني يوم ثم خاطبوهما بالكلام في شان الرزق فاجابهم المعلم غالي بقوله يا اسيادنا هذا امر مفروغ منه بامر افندينا من عام اول من قبل سفره فلا تتعبوا خاطركم وواجب عليكم مساعدته خصوصا في خلاص كعبتكم ونبيكم من ايدي الخوارج فلم يردوا عليه جوابا وانصرفوا (وفي يوم الاحد تاسع عشرينه) حصل كسوف شمس وكان ابتداؤه بعد الشروق ومقداره قريبا من ثلثي الجرم وتم انجلاؤه في ثاني ساعة من النهار وكانت الشمس ببرج السرطان اربعا وعشرين درجة في حادي عشر ابيب القبطي (وفيه) وصلت القافلة من ناحية السويس واخبر الواصلون عن واقعة قنفدة وما حصل بها بعد دخول العسكر اليها وذلك انهم لما ركبوا اليها برا وبحرا وكبيرهم محمود بك وزعيم اوغلي وشريف اغا فوجدوها خالية فطلعوا اليها وملكوها من غير ممانع ولا مدافع وليس بها غير اهلها وهم اناس ضعاف فقتلوهم وقطعوا آذانهم وارسلوها الى مصر ليرسلوها الى اسلامبول وعندما علم العرب بان يحيى الاتراك حلوا منها ويقال لهم عرب العسير ترافعوا عنها وكبيرهم يسمى

له السبيلة وسبقوا المسلمين اليه فاتاهم المسلمون وهم عطاش قد أشرفوا على الهلاك فرأوا الفرنج قد ملكوا الماء فاغاث الله سبحانه وتعالى بلطفه سحابة عظيمة فمطروا منها حتى رووا وكان الزمان قيظا والحر شديد فى برمهالك فلما رأوا ذلك قويت نفوسهم ووثقوا بنصر الله لهم وقاتلوا الفرنج فنصرهم الله عليهم فقتلوهم ولم يسلم منهم الا الشريد الفريد وغنم المسلمون مامعهم من سلاح ودواب وعادوا منصورين قاهرين بفضل الله

(ذكر ملك صلاح الدين حلب)

فى هذه السنة سار صلاح الدين من عينتاب الى حلب فنزل عليها فى المحرم أيضا فى الميدان الاخضر واقام به عدة ايام ثم انتقل الى جبل جوشن فنزل باعلاه واظهر انه يريد ان يبنى مساكن له ولاصحابه وعساكره واقام عليها اياما والقتال بين العسكرين كل يوم وكان صاحب حلب عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى ومعه العسكر النورى وهم مجدون فى القتال فلما راى كثرة الخرج كانه شح بالمال فحضر يوما عنده بعض اجناده وطلبوا منه شيئا فاعتذر بقلة المال عنده فقال له بعضهم من يريد ان يحفظ مثل حلب يخرج الاموال ولو باع حلى نسائه فمال حينئذ الى تسليم حلب واخذ العوض منها وارسل مع الامير طمان الياورقى وكان يميل الى صلاح الدين انه يسلم حلب ويأخذ عوضها سنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج وجرت اليمين على ذلك وباعها باوكس الاثمان أعطى حصنا مثل حلب واخذ عوضها قرى ومزارع فنزل منها ثامن عشر صفر وتسلمها صلاح الدين فعجب الناس كلهم من ذلك وقبحوا ما اتى حتى ان بعض عامة حلب احضر اجانة وماء وناداه أنت لا يصلح لك الملك وانما يصلح لك ان تغسل الثياب واسمعوه المكروه واستقر ملك صلاح الدين بملكها وكان متزلزلا فثبت قدمه بتسلمها وكان على شفا جرف هار واذا أراد الله أمرا فلا مرد له وسار عماد الدين الى البلاد التى اعطيها فتسلمها واخذ صلاح الدين حلب واستقر الحال بينهما ان عماد الدين يحضر فى خدمة صلاح الدين بنفسه وعسكره اذا استدعاه لا يحتج بحجة ومن الاتفاقات العجيبة ان محيى الدين بن الزكى قاضى دمشق مدح صلاح الدين بقصيدة منها

وفتحكم حلبا بالسيف فى صفر * مبشر بفتوح القدس فى رجب

فوافق فتح القدس فى رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة على مانذكره ان شاء الله تعالى ومما كتبه القاضى الفاضل فى المعنى عن صلاح الدين فاعطيناه عن حلب كذا وكذا وهو صرف على الحقيقة أعطيناه الدراهم ونزلنا عن القرى وأحرزنا العواصم وكتب أيضا أعطيناه مالم يخرج عن اليد يعنى انه متى شاء أخذه لعدم حصانته وكان فى جملة من قتل على حلب تاج الملوك بورى أخو صلاح الدين الاصغر وكان فارسا شجاعا كريما حليما جامعا لخصال الخير ومحاسن الاخلاق طعن فى ركبته فانفكت فمات منها بعد ان استقر الصلح بين عماد الدين وصلاح الدين على تسليم حلب قبل ان يدخلها صلاح الدين فلما استقر منه الصلح حضر صلاح الدين عند أخيه يعوده وقال له هذه

ماهى فلما استقر بها الاتراك ومضى عليهم بها نحو ثمانية أيام رجعوا عليهم واحاطوا بهم ومنعوهم الماء فعند ذلك ركبوا عليهم وحاربوهم فانهزموا وقتل الكثير منهم وتجاهر وبك بنفسه فى نحو سبعة انفار وكذلك زعيم اوغلى وشريف اغا فنزلوا فى سفينة وهربوا فغضب الباشا وقد كان أرسل لهم نجدة من الشقاسية الخيالة فغار بهم العرب ورجعوا منهزمين من ناحية البر وتواتر هذا الخبر

(واستهل شهر شعبان بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٩)

فى ثانيه حضر ميش أغا من الديار الحجازية وعلى يده فرمانات خطابا لدبوس اوغلى وآخرين يستدعيهم الى الحضور بعساكرهم وكان دبوس اوغلى فى بلده البرلس فتوجه اليه الطلب وكذلك شرع كتخدا بك فى استكتاب عساكر اتراك ومغاربة وعربان وغير ذلك (وفى رابعه) سافر طائفة من العسكر وأرسل كتخدا بك يمنع الحجاج الواردين من بلاد الروم وغيرهم من النزول الى السفائن الكائنة بساحل السويس والقصير وبان يمهلوهم لاجل نزول العساكر المسافرين وبتأخير الحجاج وذلك انه لما وصلت البشائر الى الديار الرومية بفتح الحرمين وخلاص مكة وجدة والطائف والمدينة ووصول ابن مضيان والمضايفى وغيرهم الى دار السلطنة وهروب الوهابيين الى بلادهم فعملوا ولائم وافراحا وتهانى هذه

هذه حلب قد اخذناها وهي لك فقال ذلك لو كان وانا حي ووالله لقد اخذتها غالية حيث تقدم مثل صلاح الدين وابكى ولما خرج عماد الدين الى صلاح الدين وقد عمل له دعوة احتفل فيها فبينما هم في سرور اذجاء انسان فاسر الى صلاح الدين بموت اخيه فلم يظهر هلعا ولا جزعا وأمر بتجهيزه سرا ولم يعلم عماد الدين ومن معه في الدعوة واحتمل الحزن وحده لئلا يتنكد ما هم فيه وكان هذا من الصبر الجميل

(ذكر فتح صلاح الدين حارم)

لما ملك صلاح الدين حلب كان بقلعة حارم وهي من اعمال حلب بعض المماليك النورية واسمه سرخك وولاه عليها الملك الصالح عماد الدين فامتنع من تسليمها الى صلاح الدين فراسله صلاح الدين في التسليم وقال له اطلب من الاقطاع ما اردت ووعده الاحسان فاشتط في الطلب وترددت الرسل بينهم فراسل الفرنج ليحتمي بهم فسمع من معه من الاجناد انه راسل الفرنج فخافوا ان يسلمها اليهم فوثبوا عليه وقبضوه وحبسوه وراسلوا صلاح الدين يطلبون منه الامان والانعام فاجابهم الى ما طلبوا وسلموا اليه الحصن فرتب به دزدارا بعض خواصه واما باقي قلاع حلب فان صلاح الدين أقر عينتاب بيد صاحبها كما تقدم وأقطع تل خالد لامير يقال له داروم الياروقي وهو صاحب تل باشر واما قلعة اعزاز فان عماد الدين اسمعيل كان قد خربها فاقطعها صلاح الدين لامير يقال له سليمان بن جندر فعمرها وأقام صلاح الدين بحلب الى ان فرغ من تقرير قواعدها واحوالها ودواوينها واقطع اعمالها وأرسل منها فجمع العساكر من جميع بلاده

(ذكر القبض على مجاهد الدين وما حصل من الضرر بذلك)

في هذه السنة في جمادى الاولى قبض عز الدين مسعود صاحب الموصل على نائبه مجاهد الدين قايماز وكان اليه الحكم في جميع البلاد واتبع في ذلك هوى من أراد المصلحة لنفسه ولم ينظر في مضرة صاحبه وكان الذي أشار بذلك عز الدين محمود زلفندار وشرف الدين أحمد بن أبي الخير الذي كان أبوه صاحب الغراف وهما من أكابر الامراء فلما أراد القبض عليه لم يقدم على ذلك لقوة مجاهد الدين فاظهر انه مريض وانقطع عن الركوب عدة أيام فدخل اليه مجاهد الدين وحده وكان خصيا لا يمتنع من الدخول على النساء فلما دخل عليه قبض عليه وركب لوقته الى القلعة فاحتوى على الاموال التي لمجاهد الدين وخزائنه وولى زلفندار قلعة الموصل بعد مجاهد الدين وجعل ابن صاحب الغراف أمير حاجب وحكمهما في دولته وكان تحت حكم مجاهد الدين حينئذ اربل وأعمالها ومعه فيها زين الدين يوسف بن زين الدين علي وهو صبي صغير ليس له من الحكم شيء والحكم والعسكر الى مجاهد الدين وتحت حكمه أيضا جزيرة ابن عمر وهي لمعز الدين سنجر شاه بن سيف الدين غازي بن مودود وهو أيضا صبي والحكم والنواب والعسكر لمجاهد الدين وبيده أيضا شهرزور واعمالها ونوابه فيها ودقوقا ونائبه فيها وقلعة عقر الحميدية

وكتبت مراسيم سلطانية الى بلاد الرومللي والاناضول بالبشائر بالفتح والاذن والترخيص والاطلاق لمن يريد الحج الى الحرمين بالأمن والامان والرفاهية والراحة فتحركت همم مريدي الحج لان لهم سنين وهم ممتنعون ومتخوفون من ورود الحج فعند ذلك اقبلوا أفواجا بحريمهم وأولادهم ومتاعهم حتى ان كثيرا من المتصوفين منهم باع داره وتعلقاته وعزم على الحج والمجاورة بالحرمين باهله وعياله ولم يبلغهم استمرار الحروب وما بالحرمين من الغلاء والقحط الا عند وصولهم الى ثغر اسكندرية ولم يحققوها الا بمصر فوقعوا في حيرة ما بين مصدق ومكذب فمنهم من قصد السفر ولم يرجع عن عزمه وسلم الامر لله ومنهم من تأخر بمصر الى ان ينكشف له الحال وقرروا على كل شخص من المسافرين في مراكب السويس عشرين فرانسه وذلك خلاف اجرة متاعه وما يتزود به في سفره فانهم يزنونه بالميزان وعلى كل اقة قدر معلوم من الدراهم واما من يسافر في بحر النيل على جهة القصير في مراكب الباشا فيؤخذ على رأس كل شخص من مصر القديمة الى ساحل قنا ثلاثون قرشا ثم عليه اجرة حمله من قنا الى القصير ثم اجرة بحر القلزم ان وجد سفينة حاضرة والا تأخر اما بالقصير او السويس حتى يتيسر له النزول ويقاسي

وتائبه فيها ولم يبق لعز الدين مسعود بعد ان اخذ صلاح الدين البلاد الجزرية سوى الموصل وقلعتها بيد مجاهد الدين وهو على الحقيقة الملك واسمه عز الدين فلما قبض عليه امتنع صاحب اربل من طاعة عز الدين واستبد وكذلك أيضا صاحب جزيرة ابن عمر وأرسل الخليفة الى دقوقا فحصرها واخذها ولم يحصل لعز الدين مسعود غير شهرزور والعقر وصارت اربل والجزيرة أضر شئ على صاحب الموصل وأرسل صاحبها الى صلاح الدين بالطاعة له والكون فى خدمته وكان الخليفة الناصر لدين الله قد أرسل صدر الدين شيخ الشيوخ ومعه بشير الخادم الخاص الى صلاح الدين فى الصلح مع عز الدين صاحب الموصل وسير عز الدين معه القاضى محيي الدين أبا حامد بن الشهرزورى فى المعنى فاجاب صلاح الدين الى ذلك وقال ليس لكم مع الجزيرة واربل حديث فامتنع محيي الدين من ذلك وقال هما لنا فلم يجب صلاح الدين الى الصلح الا بان تكون اربل والجزيرة معه فلم يتم أمره وقوى طمع صلاح الدين فى الموصل بقبض مجاهد الدين فلما رأى صاحب الموصل الضرر بقبض مجاهد الدين قبض على شرف الدين أحمد بن صاحب العراق وزلفندار وعفو بعقلهما ثم أخرج مجاهد الدين على مانذكره ان شاء الله

(ذكر غزو بيسان)

لما فرغ صلاح الدين من أمر حلب جعل فيها ولده الملك الظاهر غازى وهو صبي وجعل معه الامير سيف الدين يازكج وكان أكبر الامراء الاسدية وسار الى دمشق وتجهز للغزو ومعه عساكر الشام والجزيرة وديار بكر وسار الى بلد الفرنج فعبر نهر الاردن تاسع جمادى الآخرة من السنة فرأى أهل تلك النواحى قد فارقوها خوفا فقصد بيسان فاحرقها وخربها وأغار على ماهناك فاجتمع الفرنج وجاؤا الى قبالته فحين رأوا كثرة عساكره لم يقدموا عليه فاقام عليهم وقد استندوا الى جبل هناك وخندقوا عليهم فاحاط بهم وعساكر الاسلام ترميهم بالسهام وتناوشهم القتال فلم يخرجوا وأقاموا كذلك خمسة أيام وعاد المسلمون عنهم سابع عشر الشهر لعل الفرنج يطمعون ويخرجون فيستدرجونهم ليبلغوا منهم غرضا فلما رأى الفرنج ذلك لم يطمعوا أنفسهم فى غير السلامة وأغار المسلمون على تلك الاعمال يمينا وشمالا ووصلوا فيها الى مالم يكونوا يطمعون فى الوصول اليه والاقدام عليه فلما كثرت الغنائم معهم رأوا العود الى بلادهم بما غنموا مع الظفر أولى فعادوا الى بلادهم على عزم الغزو

(ذكر غزو الكرك وملك العادل حلب)

لما عاد صلاح الدين والمسلمون من غزوة بيسان تجهزوا للغزو الكرك فسار اليه فى العساكر وكتب الى أخيه العادل أبى بكر بن أيوب وهو نائبه بمصر يأمره بالخروج بجميع العساكر الى الكرك وكان العادل قد أرسل الى صلاح الدين يطلب منه مدينة حلب وقلعتها فاجابه الى ذلك وأمره ان يخرج معه باهله وماله فوصل صلاح الدين

مايقاسيه فى مدة انتظاره وخصوصا فى الماء وغلو ثمنه ورداءته ولايسافر شخص و يتحرك من مصر الاباذن كتقدابك و يعطيه مرسوما بالاذن و بلغنى أن الذين خرجوا من اسلامبول خاصة بقصد الحج نحو العشرة آلاف خلاف من وصل من بلاد الرومنلى والانضول وغيرهما وحضر الكثير من اعيانهم مثل امام السلطان وغيره فنزل البعض بمنزل عثمان اغا وكيل دار السعادة سابقا والبعض بمنزل السيد محمد المحروقى و بيت شيخ السادات ومنهم من استاجر دورا فى الخانات والوكائل (وفيه) حضر قاصد من باب الدولة وعلى يده مرسوم مضمونه الامر باسترجاع ما اخذ من الشريف غالب من المال والذخائر اليه وكان الباشا ارسل الى الدولة بسبحتى لؤلؤ عظام من موجودات الشريف فحضر بهما ذلك القبجى وردهما الى الشريف غالب ثم سافر ذلك القبجى بالاوامر الى الباشا بالحجاز (وفى سابعه) وصلت هجانة باستعجال العساكر وتوالى حضور المعانة بخصوص الاستعجال (وفى يوم السبت تاسع عشره) انزلوا الشريف غالبا الى بولاق بحريمه وأولاده وعبيده وكان قد وصل الى مصر أغا معين بقصد سفر المذكور الى سلانيك فنزل صحبته الى بولاق وصالحوه عما أخذ منه من المال وغيره بخمسمائة كيس فارادوا دفعها له قروشا فامتنع قائلا

الدين الى الكرك في رجب ووافاه أخوه العادل في العسكر المصري وكثر جمعه وتمكن من حصره وصعد معه المسلمون الى ربضه وملكه وحصر الحصن من الربض وتحكم عليه في القتال ونصب عليه سبع منجنيقات لا تزال ترمي بالحجارة ليلا ونهارا وكان صلاح الدين يظن ان الفرنج لا يمكنونه من حصر الكرك وانهم يبذلون جهدهم في رده عنه فلم يستصحب معه من آلات الحصار ما يكفي لمثل ذلك الحصن العظيم والمعقل المنيع فرحل عنه منتصف شعبان وسير تقي الدين ابن أخيه الى مصر نائبا عنه ليتولى ما كان أخوه العادل يتولاه واستصحب اخاه العادل معه الى دمشق وأعطاه مدينة حلب وقلعتها وأعمالها ومدينة منبج وما يتعلق بها وسيره اليها في شهر رمضان من السنة واحضر ولده الظاهر منها الى دمشق

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة فتح الرباط الذي بناه ام الخليفة بالمأمونية وفيها في ذي الحجة توفي مكرم ابن بختيار أبو الخير الزاهد ببغداد وروى الحديث وكان كثير البكاء وفي جمادى الآخرة توفي محمد بن بختيار بن عبد الله ابو عبد الله المولد الشاعر ويعرف بالابله فمن جملة شعره

اراق دمي لا بل اراق دمي * ظلما بظلم من ريقه الشبم

ذو قامة كالقضيب ناضرة * وناظر من سقامه سقمي

حصلت من وعده لي اصدق الوعد ومن وصله على التهم

(ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمائة)

(ذكر اطلاق مجاهد الدين من الحبس وانهزام العجم)

في هذه السنة في المحرم اطلق اتابك عز الدين صاحب الموصل مجاهد الدين قايماز من الحبس بشفاعة شمس الدين البهلوان صاحب همذان وبلاد الجبل وسيره الى البهلوان وأخيه قزل يستنجدهما على صلاح الدين فسار الى قزل اولا وهو صاحب اذربيجان فلم يمكنه من المضي الى البهلوان وقال مهما تختاره انا افعله وجهز معه عسكرا كثيرا نحو ثلاثة آلاف فارس وساروا نحو اربل ليحصروها فلما قاربوها افسدوا في البلاد وخربوها ونهبوا وسبوا واخذوا النساء قهرا ولم يقدر مجاهد الدين على منعهم فسار اليهم زين الدين يوسف صاحب اربل في عسكره فلقيهم وهم متفرقون في القرى ينهبون ويحرقون فانتهز الفرصة فيهم بتفرقهم والتقى بنفسه وعسكره على اول من لقيه منهم فهزمهم وتمت الهزيمة على الجميع وغنم الاربليون اموالهم ودوابهم وسلاحهم وعاد العجم الى بلادهم منهزمين وعاد صاحب اربل الى بلده مظفرا غانما وعاد مجاهد الدين الى الموصل فكان يحكي اني مازلت انتظر العقوبة من الله تعالى على سوء افعال العجم فاني رأيت منهم مالا كنت اظنه يفعله مسلم بمسلم وكنت انهاهم فلا يسمعون حتى كان من الهزيمة ما كان

(ذكر وفاة يوسف بن عبد المؤمن وولاية ابنه يعقوب)

انهم اخذوا اما الى ذهبا وشخصا وفرانسه فكيف آخذ بدل ذلك شيأ الا انفع بها في غير مصر فاعطوه مائتي كيس ذهبا وفرانسه وتحول بالباقي وكيله مكي الخولاني ثم زودوه وأعطوه سكرا وبنا وارزا وشربات وغير ذلك ونزل مسافرا الى المراكب صحبة المعين الى الحجاز من ناحية القصير وبرز ابن باشة طرابلس وصحبته عساكر ايضا الى ناحية العادلية وآخر يقال له ذنجه بك ومعهم نحو الالف خيال من العرب والمغاربة على طريق البر الى الحجاز (وفي يوم الخميس) رابع عشرينه الموافق لسادس شهر مسرى القبطي أوفى النيل المبارك اذرعه فداروا بالرايات ونودي بالوفاء وكسروا السد في صبح يوم الجمعة بحضرة كتخدا بك والقاضي والجم الغفير من العساكر (وفي اواخره) وصلت الاخبار بان الباشا توجه الى الطائف وأبقى حسن باشا بمكة

(واستهل شهر رمضان بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٩)

في رابعه حضر موسى أغا تفكجي باشا من الديار الحجازية وكان فيمن باشر حرابة قنفدة ومن جملة من انهزم بها وهلكت جميع عساكره وخدمه ورجع الى مصر وصحبته أربعة انفار من الخدم (وفي عاشره) خرجت العساكر المجردة لسفر الحجاز الى بركة الحج وهم مغاربة وعربان وارتحلوا يوم الاحد ثاني عشره (وفي يوم الاربعاء خامس عشره) برز دبوس اوغلى

في هذه السنة سار ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الى بلاد الاندلس وجاز البحر اليها في جمع عظيم من عساكر المغرب فانه جمع وحشد الفارس والراجل فلما عبر الخليج قصد غربي البلاد فحصر مدينة شنترين وهي للفرنج شهرا فاصابه بها مرض فمات منه في ربيع الاول وحمل في تابوت الى مدينة اشبيلية من الاندلس وكانت مدة ملكه اثنتين وعشرين سنة وشهرا ومات من غير وصية بالملك لاحد من اولاده فاتفق رأي قواد الموحدين واولاد عبد المؤمن على تمليك ولده ابي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن فملكوه من الوقت الذي مات فيه ابوه لئلا يكونوا بغير ملك يجمع كلمتهم لقربهم من العدو فقام في ذلك احسن قيام واقام راية الجهاد واحسن السيرة في الناس وكان دينا مقيما للحدود في الخاص والعام فاستقامت له الدولة وانقادت اليه باسرها مع سعة اقطارها ورتب ثغور الاندلس وشحنها بالرجال ورتب المقاتلة في سائر بلادها واصلح احوالها وعاد الى مراكش وكان ابوه يوسف حسن السيرة وكان طريقه الين من طريق ابيه مع الناس يحب العلماء ويقربهم ويشاورهم وهم اهل خدمته وخاصته واحبه الناس ومالوا اليه واطاعه من البلاد ما امتنع على ابيه وسلك في جباية الاموال ما كان ابوه ياخذه ولم يتعده الى غيره واستقامت له البلاد بحسن فعله مع اهلها ولم يزل كذلك الى ان توفي رحمه الله تعالى

(ذكر غزو صلاح الدين الكرك)

في هذه السنة في ربيع الآخر سار صلاح الدين من دمشق يريد الغزو وجمع عساكره فاتته من كل ناحية وممن اتاه نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب الحصن وكتب الى مصر ليحضر عسكرها عنده على الكرك فنازل الكرك وحصره وضيق على من به وامر بنصب المنجنيقات على ربضه واشتد القتال فملك المسلمون الربض وبقي الحصن وهو والربض على سطح جبل واحد الا ان بينهما خندقا عظيما عمقه نحو ستين ذراعا فامر صلاح الدين بالقاء الاحجار والتراب فيه ليطمه فلم يقدر احد على الدنو منه لكثرة الرمي عليهم بالسهام من الجرخ والقوس والاحجار من المنجنيقات فامر ان يبني بالاخشاب واللبن ما يمكن الرجال يمشون تحت السقائف ويلقون في الخندق ما يطمه ومنجنيقات المسلمين مع ذلك ترمي الحصن ليلا ونهارا وارسل من فيه من الفرنج الى ملوكهم وفرسانهم يستمدونهم ويعرفونهم عجزهم وضعفهم عن حفظ الحصن فاجتمعت الفرنج عن آخرها وساروا الى نجدتهم عجلين فلما بلغ الخبر بسيرهم الى صلاح الدين رحل عن الكرك الى طريقهم ليلقاهم ويصافهم ويعود بعد ان يهزمهم الى الكرك فقرب منهم وخيم ونزل ولم يمكنه الدنو منهم لخشونة الارض وصعوبة المسلك اليهم وضيقه فاقام اياما ينتظر خروجهم من ذلك المكان ليتمكن منهم فلم يبرحوا منه خوفا على نفوسهم فلما راى ذلك رحل عنهم عدة فراسخ وجعل بازائهم من يعلمه بسيرهم فساروا ليلا الى الكرك فلما علم صلاح الدين ذلك علم انه لا يتمكن حينئذ

خارج باب الفتوح لمسافر بعساكره الى الحجاز وكذلك حسن اغا سرششمه ونصبوا خيامهم واستمروا يخرجون من المدينة ويدخلون غدوا وعشيا وهم ياكلون ويشربون جهارا في نهار رمضان ويقولون نحن مسافرون ومجاهدون ويمرون بالاسواق ويجلسون على المساطب وبايديهم الاقصاب والشبكات التي يشربون فيها الدخان من غير احتشام ولا حياء ويجوزون بحارات الحسينية على القهاوي في الضحوة فيجدونها مغلوقة فيسالون عن القهوجي ويطلبونه ليفتح لهم القهوة ويوقد لهم النار ويغلي لهم القهوة ويسقيهم فربما هرب القهوجي واختفى منهم فيكسرون الباب وينهبون آلاته واوانيه فما يسعه الا المجيء وايقاد النار واشنع من ذلك انه اجتمع بناحية عرضيهم وخيامهم الجم الكثير من النساء الخواطي والبغايا ونصبوا لهن خياما واخصاصا وانضم اليهن بياع البوظة والعرقي والحشاشون والغوازي والرقاصون وامثال ذلك واجتمع معهم الكثير من الفساق واهل الاهواء والعياق من اولاد البلد فكانوا جمعا عظيما ياكلون الحشيش ويشربون المسكرات ويزنون ويلوطون ويشربون الجوزة ويلعبون القمار جهارا في نهار رمضان ولياليه مختلطين مع العساكر كانما سقط عن الجميع التكاليف وخلصوا

ولا

ولا يبلغ غرضه فسار الى مدينة نابلس ونهب كل ما على طريقه من البلاد فلما وصل الى نابلس احرقها واخربها وقتل فيها واسر وسبي فاكثر وسار عنها الى سبسطية وبها مشهد زكريا عليه السلام وبها كنيسة وبها جماعة اسرى من المسلمين فاستنقذهم ورحل الى جينين فنهبها واخربها وعاد الى دمشق ونهب ما على طريقه واخربه وبث السرايا في طريقه يمينا وشمالا يغنمون ويخربون ووصل الى دمشق

(ذكر ملك الملثمين بجاية وعودها الى اولاد عبد المؤمن)

في هذه السنة في شعبان خرج علي بن اسحق المعروف بابن غانية وهو من اعيان الملثمين الذين كانوا ملوك المغرب وهو حينئذ صاحب جزيرة ميورقة الى بجاية فملكها وسبب ذلك انه لما سمع بوفاة يوسف بن عبد المؤمن عمر اسطوله فكان عشرين قطعة وسار في جموعه فارسى في ساحل بجاية وخرج خيله ورجاله من الشواني فكانوا نحو مائتي فارس من الملثمين واربعة آلاف راجل فدخل مدينة بجاية بغير قتال لانه اتفق ان واليها سار عنها قبل ذلك بايام الى مراكش ولم يترك فيها جيشا ولا ممانعا لعدم عدو يحفظها منه فجاء الملثم ولم يكن في حسابهم انه يحدث نفسه بذلك فارسى بها ووافقه جماعة من بقايا دولة بني حماد وصاروا معه فكثر جمعه بهم وقويت نفسه فسمع خبره والي بجاية فعاد من طريقه ومعه من الموحدين ثلثمائة فارس فجمع من العرب والقبائل الذين في تلك الجهات نحو الف فارس فسمع بهم وبقربهم منه فخرج اليهم وقد صار معه قدر الف فارس وتواقفوا ساعة فانضاف جميع الجموع التي كانت مع والي بجاية الى الملثم فانهزم حينئذ والي بجاية ومن معه من الموحدين وساروا الى مراكش وعاد الملثم الى بجاية فجمع جيشه وخرج الى اعمال بجاية فاطاعه جميعها الا قسطنطينية الهوى فحصرها الى ان جاء جيش من الموحدين من مراكش في صفر سنة احدى وثمانين وخمسمائة الى بجاية في البر والبحر وكان بها يحيى وعبد الله اخوا علي ابن اسحق الملثم فخرجا منها هاربين ولحقا باخيهما فرحل عن القسطنطينية وسار الى افريقية وكان سبب ارسال الجيش من مراكش ان والي بجاية وصل الى يعقوب ابن يوسف صاحب المغرب وعرفه ما جرى ببجاية واستيلاء الملثمين عليها وخوفه عاقبة التواني فجهز العساكر في البر عشرين الف فارس وجهز الاسطول في البحر في خلق كثير واستعادوها

(ذكر وفاة صاحب ماردين وملك ولده)

في هذه السنة مات قطب الدين ايلغازي بن نجم الدين البي بن تمرتاش بن ايلغازي ابن ارتق صاحب ماردين وملك بعده ابنه حسام الدين بولق ارسلان وهو طفل وقام بتربيته وتدبير مملكته نظام الدين البقش مملوك ابيه وكان شاه ارمن صاحب خلاط خال قطب الدين فحكم في دولته وهو رتب البقش مع ولده وكان البقش دينا خيرا عادلا حسن السيرة سليما فاحسن تربية الولد وتزوج امه فلما كبر الولد لم يكنه النظام

من الحساب وتنعت من شاهدته بينه محمود بك المهردار الذى هو اعظم اعيانهم وهو المتولى على قياس الاراضي مع المعلم غالي وهو جالس في ديوانهم المخصوص بالقرب من سويقة اللالا وهو يشرب في النارجيلة التنباك ويأتونه بالقداحة جهارا ويقول انا مسافر الشرقية لعمل نظام الاراضي (وفي) غايته وصلت هجانة باستعجال العساكر

(واستهل شهر شوال بيوم الخميس سنة ١٢٢٩)

في ليلته قلدوا عبد الله كاشف الدرندلي اميرا على ركب الحاج (وفي يوم السبت ثالثه) خرج دبوس اوغلي في موكب الى مخيمه وكذلك حسن اغا سرششمه ليسافر الى الحجاز (وفي يوم السبت حادي عشره) نزلوا بكسوة الكعبة بالطبول والزمور الى المشهد الحسيني واجتمع الناس على عادتهم للفرجة (وفيه) انتقل محمود بك والمعلم غالي الى بيت حسن اغا نجاتي وعملوا ديوانهم فيه واتلفوا الجنينة التي به وجلسوا تحت اشجارها وربطوا الاقباط حميرهم فيها وشرع محمود بك في عمارة الجهة القبلية منه وانزوت صاحبة المنزل في ناحية منه (وفي سابع عشره) ارتحل دبوس اوغلي وحسن اغا سرششمه ومن معهم من العساكر من منزلهم متوجهين الى الديار الحجازية (وفي يوم الخميس ثاني عشرينه) رسم كتخدا بك بنفي طائفة من الفقهاء من ناحية طندتا الى ابي قير بسبب فتيا افتوها

من مملكته تخبط وهوج كان فيه وكان لنظام الدين هذا مملوك اسمه لؤلؤ قد تحكم في دولته وحكم فيها فكان يحمل النظام على ما يفعله مع الولد ولم يزل الامر كذلك الى ان مات الولد وله اخ أصغر منه لقبه قطب الدين فرتبه النظام في الملك وليس له منه الا الاسم والحكم الى النظام ولؤلؤ فبقي كذلك الى سنة احدى وستمائة فمرض النظام البقش فاتاه قطب الدين يعوده فلما خرج من عنده خرج معه لؤلؤ وضرب قطب الدين بسكين معه فقتله ثم دخل الى النظام وبيده السكين فقتله أيضا وخرج وحده ومعه غلام له والقى الرأسين الى الاجناد وكانوا كلهم قد انشاهم النظام ولؤلؤ فاذعنوا له بالطاعة فلما تمكن أخرج من أراد وترك من أراد واستولى على قلعة ماردين واعمالها وقلعة البارعية وصور وهو الى الآن حاكم فيها حازم في افعاله

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفي صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحمن بن شيخ الشيوخ اسمعيل بن شيخ الشيوخ ابي سعيد أحمد في شعبان وكان قد سار في ديوان الخلافة رسولا الى صلاح الدين ومعه شهاب الدين بشير الخادم في معنى الصلح بينه و بين عز الدين صاحب الموصل فوصل دمشق وصلاح الدين يحصر الكرك فاقام الى ان عاد فلم يستقر في الصلح امر ومرضا وطلبا العودة الى العراق فاشار عليهما صلاح الدين بالمقام الى ان يصطلحا فلم يفعلا وسارا في الحر فمات بشير بالسخنة ومات صدر الدين بالرحبة ودفن بمشهد البوق وكان واحد زمانه قد جمع بين رياسة الدين والدنيا وكان ملجأ لكل خائف صالحا كريما حليما وله مناقب كثيرة ولم يستعمل في مرضه هذا دواء توكلا على الله تعالى وفيها توفي عبد اللطيف بن محمد بن عبد اللطيف الخجندي الفقيه الشافعي رئيس اصفهان وكان موته بباب همذان وقد عاد من الحج وله شعر فمنه

بالحمى دار سقاها مدمعي * يا سقى الله الحمى من مربع
ليت شعري والاماني صلة * هل الى وادي الغضى من مرجع
أذنت علوة للواشي بنا * ما على علوة لو لم تسمع
أو تحرت رشدا فيما وشى * أو عفت عني فما ذنبي معي

رحمه الله ورضي عنه وأرضاه

(ثم دخلت سنة احدى وثمانين وخمسمائة)

(ذكر حصر صلاح الدين الموصل ورحيله عنها لوفاة شاه أرمن)

في هذه السنة حصر صلاح الدين يوسف بن ايوب الموصل مرة ثانية وكان مسيره من دمشق في ذي القعدة من السنة الماضية فوصل الى حلب وأقام بها الى ان خرجت السنة وسار منها فعبر الى ارض الجزيرة فلما وصل حران قبض على مظفر الدين كوكبري ابن زين الدين الذي كان سبب ملكه الديار الجزرية وسبب قبضه عليه ان مظفر الدين كان يراسل صلاح الدين كل وقت و يشير عليه بقصد الموصل و يحسن له ذلك

في حادثة ببلدهم وقضى بها قاضيهم واثبت الدعوى الى ديوان مصر فطلبوا الى اعادة الدعوى بمحضر واوترافعوا الى قاضي العسكر واثبتوا عليهم الخطا فرسم بنفي الشاكي والمفتيين والقاضي رابعهم (وفي يوم السبت رابع عشرينه) عملوا موكب خروج المحمل واستعد الناس للفرجة على عادتهم فكان عبارة عن نحو مائة جمل تحمل روايا الماء والقرب وعدة من طائفة الدلاة على رؤسهم طراطير سود ذلابق وأمير الحاج على شكلهم وخلفه أرباب الاشاير بيبارقهم وشراميطهم وطبولهم وزمورهم وجوقاتهم وخلفهم المحمل فكان مدة مرورهم مع تقطيعهم وعدم نظامهم نحو ساعتين فاين ما كان يعمل من المواكب بمصر التي يضرب بحسنها وترتيبها ونظامها المثل في الدنيا فسبحان مغير الشؤن والاحوال (وفيه) خرجت زوجة الباشا الكبيرة وهي أم اولاده تريد الحج الى خارج باب النصر في ثلاثة تختوت والمسفر بها بونابارته الخازندار وقد حضر لوداعها ولدها ابراهيم باشا من الصعيد وخرج لتشييعها هو واخوه اسمعيل باشا وصحبتهما محرم بك زوج ابنتها حاكم الجيزة ومصطفى بك دالي باشا و يقال انه أخوها وكذلك محمد بك الدفتردار زوج ابنتها أيضا وطاهر باشا وصالح بك السلحدار وارتحلت

ويقوى طمعه حتى انه طلب له اذا سار اليها خمسين الف دينار فلما وصل صلاح الدين الى حران لم يف له بما بذل من المال وأنكر ذلك فقبض عليه ووكل به ثم اطلقه واعاد اليه مدينتى حران والرها وكان قد أخذهما منه وانما أطلقه لانه خاف انحراف الناس عنه بالبلاد الجزرية لانهم كلهم علموا انما اعتمد مظفر الدين معه من تمليك البلاد فاطلقه وسار صلاح الدين عن حران فى ربيع الاول فحضر عنده عساكر الحصن ودارا ومعز الدين سنجرشاه صاحب الجزيرة وهو ابن اخى عز الدين صاحب الموصل وكان قد فارق طاعة عمه بعد قبض مجاهد الدين وسار مع صلاح الدين الى الموصل فلما وصلوا الى مدينة بلد سيرا اتابك عز الدين والدته الى صلاح الدين ومعها ابنة عمه نور الدين محمود بن زنكى وغيرهما من النساء وجماعة من اعيان الدولة يطلبون منه المصالحة ويبذلوا له الموافقة والانجاد بالعساكر ليرد عنهم وانما ارسلهن لانه وكل من عنده ظنوا انهن اذا طلبن منه الشام اجابهن الى ذلك لاسيما ومعهم ابنة مخدومه وولى نعمته نور الدين فلما وصلن اليه انزلهن واحضر اصحابه واستشارهم فيما يفعله ويقوله فاشار اكثرهم باجابتهن الى ما طلبن منه وقال له الفقيه عيسى وعلى بن احمد المشطوب وهما من بلد الهكارية من اعمال الموصل مثل الموصل لا يترك لامرأة فان عز الدين ما ارسلهن الا وقد عجز عن حفظ البلد ووافق ذلك هواه فاعادهن خائبات واعتذر باعذار غير مقبولة ولم يكن ارسالهن عن ضعف وهن انما ارسلهن طلبا لدفع الشر بالتى هى أحسن فلما عدن رحل صلاح الدين الى الموصل وهو كالمتيقن انه يملك البلد وكان الامر بخلاف ذلك فلما قارب البلد نزل على فرسخين منه وامتد عسكره فى تلك الصحراء بنواحى الحلة المراقية وكان يجرى بين العسكرين مناوشات بظاهر الباب العمادى وكنت اذ ذاك بالموصل وبذل العامة نفوسهم غيظا وحنقا لرده النساء فرأى صلاح الدين ما لم يكن يحسبه فندم على رده النساء ندامة الكسعى حيث فاته الذكر وملك البلد وعاد على الذين أشاروا بردهن باللوم والتوبيخ وجاءته كتب القاضى الفاضل وغيره ممن ليس له هوى فى الموصل يقبحون فعله وينكرونه واتاه وهو على الموصل زين الدين يوسف بن زين الدين صاحب اربل فانزله ومعه اخوه مظفر الدين كوكبرى وغيرهما من الامراء بالجانب الشرقى من الموصل وسير من المنزلة على بن احمد المشطوب الهكارى الى قلعة الجزيرة من بلد الهكارية فحصرها واجتمع عليه من الاكراد الهكارية كثير وبقى هناك الى ان رحل صلاح الدين عن الموصل وكان عامة الموصل يعبرون دجلة فيقاتلون من بالجانب الشرقى من العسكر ويعودون ولما كان صلاح الدين يحاصر الموصل بلغ اتابك عز الدين صاحبها ان نائبه بالقلعة يكاتبه فمنعه من الصعود الى القلعة وعاد يقتدى برأى مجاهد الدين وكان قد اخرجه كما ذكرناه ويصدر عن رايه وضبط الامور واصلح ما كان فسد من الاحوال حتى آل الامر الى الصلح على ما نذكره ان شاء الله وحضر عند صلاح الدين انسان بغدادى اقام بالموصل ثم خرج الى صلاح الدين فاشار عليه بقطع دجلة عن الموصل الى ناحية نينوى

ومنه بها الى سادس عشرينه الى بندر السويس وفى ذلك اليوم برزت عساكر المغاربة وغيرهم ممن تعسكر وارتحل امير الحج من الحصوة الى البركة (وفى يوم الثلاثاء) خرجت عساكر كثيرة مجردين للسفر (وفى يوم الخميس تاسع عشرينه) ارتحل امير الحج ومن معه من البركة فى تاسع ساعة من النهار وفى ذلك اليوم هبت رياح غربية شمالية باردة واشتد هبوبها اواخر النهار واطبقت السماء بالغيوم والقتام وابرق البرق برقا متتابعا وارعدت رعدا له دوى متصل ولما قرب من سمت رؤسنا كان له صوت عظيم مزعج ثم نزل مطر غزير استمر نحو نصف ساعة ثم سكن بعد ان تبحرت منه الازقة والطرق وكان ذلك اليوم رابع شهر بابه القبطى (وفيه) ورد الخبر من السويس ان امراة الباشا لما وصلت الى هناك وجدت عالما كبيرا من الحجاج المختلفة الاجناس ممنوعين من نزول المراكب فصرخوا فى وجهها وشكوا اليها تخلفهم وان امير البندر مانعهم من النزول فى المراكب وبذلك المنع يفوتهم الحج الذى تجشموا الاسفار وصرفوا ايضا الاموال من اجله وهم فى مشقة عظيمة من عدم الماء ولا يمكنهم الرجوع لعدم من يحملهم وان امير البندر يشتط عليهم فى الاجرة وياخذ على كل راس خمسة عشر فرانسا فحلفت انها لا تنزل الى المركب حتى ينزل جميع من بالسويس

وقال ان دجلة اذا نقلت عن الموصل عطش اهلها فملكناها بغير قتال فظن صلاح الدين ان قوله صدق فعزم على ذلك حتى علم انه لا يمكن قطعه بالكلية فان المدة تطول والتعب يكثر ولا فائدة وراءه وقبحه عنده اصحابه فاعرض عنه واقام بمكانه من اول ربيع الآخر الى ان قارب آخره ثم رحل عنها الى ميافارقين وكان سبب ذلك ان شاه ارمن صاحب خلاط توفي بها تاسع ربيع الآخر فوصل الخبر بوفاته في العشرين منه فعزم على الرحيل اليها وتملكها حيث ان شاه أرمن لم يخلف ولدا ولا احدا من اهل بيته يملك بلاده بعده وانما قد استولى عليها مملوك له اسمه بكتمر ولقبه سيف الدين فاستشار صلاح الدين أمراءه ووزراءه فاختلفوا فامامن هواه بالموصل فيشير بالمقام وملازمة الحصار لها وامامن يكره أذى البيت الاتابكي فانه أشار بالرحيل وقال ان ولاية خلاط اكبر واعظم وهي سائبة لا حافظ لها وهذه لها سلطان يحفظها ويذب عنها واذا ملكنا تلك سهل امر هذه وغيرها فتردد في امره فاتفق انه جاءه كتب جماعة من اعيان خلاط من اهلها وأمرائها يستدعونه ليسلموا اليه البلد فسار عن الموصل وكانت مكاتبة من كاتبه خديعة ومكرا فان شمس الدين البهلوان بن ايلدكز صاحب اذربيجان وهمذان وتلك المملكة قد قصدهم ليأخذ البلاد منهم وكان قبل ذلك قد زوج شاه أرمن على كبر سنه بنتا له ليجعل ذلك طريقا الى ملك خلاط واعمالها فلما بلغهم مسيره اليهم كاتبوا صلاح الدين يستدعونه اليهم ليسلموا البلد اليه ليدفعوا به البهلوان ويدفعوه بالبهلوان ويبقى البلد بايديهم فسار صلاح الدين وسير في مقدمته ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه ومظفر الدين بن زين الدين وغيرهما فساروا الى خلاط ونزلوا بطوانة بالقرب من خلاط وسار صلاح الدين الى ميافارقين واما البهلوان فانه سار الى خلاط ونزل قريبا منها وترددت رسل اهل خلاط بينهم وبينه وبين صلاح الدين ثم انهم اصلحوا أمرهم مع البهلوان وصاروا من حزبه وخطبوا له

(ذكر وفاة نور الدين صاحب الحصن)

في هذه السنة توفي نور الدين محمد بن قرا ارسلان بن داود صاحب الحصن وآمد لما كان صلاح الدين على الموصل وخلف ابنين فملك الاكبر منهما واسمه سقمان ولقبه قطب الدين وتولى تدبير الامور وزيره القوام بن سماقا الاسعردي وكان عماد الدين بن قرا ارسلان قد سيره اخوه نور الدين في عساكره الى صلاح الدين وهو يحاصر الموصل وهو معه فلما بلغه خبر وفاة اخيه سار ليملك البلاد بعده لصغر أولاده فتعذر عليه ذلك فسار الى خرت برت فملكها وهي بيد اولاده الى سنة عشرين وستمائة ولما حضر صلاح الدين ميافارقين حضر عنده ولد نور الدين فاقره على ملك أبيه ومن جملته آمد وكانوا خافوا ان يأخذها منهم فلم يفعل وردهم الى بلادهم وشرط عليهم ان يراجعوه فيما يفعلونه ويصدرون عن امره ونهيه ورتب معه أميرا لقبه صلاح الدين من أصحاب أبيه

(ذكر ملك صلاح الدين ميافارقين)

من الحجاج المراكب ولا يؤخذ منهم الا القدر الذي يجعلونه على كل فرد منهم فكان ما سكنت به همته الكرمة صار لها به منقبة حميدة وذكرا حسنا وفرجا لهؤلاء الخلائق بعد الشدة

(واستهل شهر ذي القعدة بيوم السبت سنة ١٢٢٩)

وفي يوم الاثنين نادى المنادي بوقود قناديل سهاري على البيوت والوكائل وكل اربع دكاكين قنديل (وفي ثامنه) جرسوا شخصا واركبوه على حمار بالمقلوب وهو قابض بيده على ذنب الحمار وعمموه بمصارين ذبيحة وعلى كتفه كرش بعد ان حلقوا نصف لحيته وشواربه قيل ان سبب ذلك أنه زور حجة تقرير على اماكن تتعلق بامراة اجنبية وباع بعض الاماكن وكانت تلك المراة غائبة بمصر فلما حضرت وجدت مكانها مسكونا بالذي اشتراه فرفعت قصتها الى كتخدا بيك ففعل به ذلك بعد وضوح القضية (وفي ثاني عشره) سافر عبد الله ابن الشريف سرور الى الحجاز باستدعاء من الباشا فاعطوه أكياسا وقضى أشغاله وخرج مسافرا (وفيه) وقعت حادثة بحارة المغاربين بين شخصين من الدلاتية وصحبا خلف غلام بدوي جميل تغصبوه عسكريا مع طائفة المغاربة يدعي أحدهما أن له عنده دراهم فهرب منهما الى الخطة المذكورة ورمحا خلفه وبيد كل منهما سيفه مسلولا فدخل الغلام الى عطفة الحمام وفزعت عليهما المغاربة لما

لما سار صلاح الدين الى خلاط جعل طريقه على ميافارقين مطمع ملكها حيث كان صاحبه قطب الدين صاحب ماردين قد توفى كما ذكرنا وملك بعده ابنه وهو طفل وكان حكمها الى شاه أرمن وعسكره فيها فلما توفى طمع فى اخذها فلما نازلها رآها مشحونة بالرجال وبها زوجة قطب الدين المتوفى ومعها بنات لها منه وهى أخت نور الدين محمد صاحب الحصن فأقام صلاح الدين عليها يحصرها من أول جمادى الاولى وكان المقدم على اجنادها أمير اسمه برنقش ولقبه أسد الدين وكان شجاعا شهما يحفظ البلد فأحسن اليه واشتد القتال عليه ونصب المجانيقات والعرادات فلم يصل صلاح الدين الى ما يريد منها فلما رأى ذلك عدل من القوة والحرب الى اعمال الحيلة فراسل امرأة قطب الدين المقيمة بالبلد يقول لها ان أسد الدين برنقش قد مال الينا فى تسليم البلد ونحن نرعى حق أخيك نور الدين فيك بعد وفاته ونريد أن يكون لك فى هذا الامر نصيب وأنا أزوج بناتك باولادى وتكون ميافارقين وغيرها لك وبحكمك ووضع من أرسل الى الاسد يعرفه ان الخاتون قد مالت للقاربة والانقياد الى السلطان وان من بخلاط قد كاتبوه ليسلموا اليه فخذ لنفسك واتفق ان رسولا وصله من خلاط يبذلون له الطاعة وقالوا له من الاستدعاء اليهم ما كانوا يقولونه فأمر صلاح الدين الرسول فدخل الى ميافارقين وقال للاسد أنت عمن تقاتل وأنا قد جئت فى تسليم خلاط الى صلاح الدين فسقط فى يده وضعفت قوته وأرسل يقترح اقطاعا ومالا فاجيب الى ذلك وسلم البلد سلخ جمادى الاولى وعقد النكاح لبعض أولاده على بعض بنات خاتون وأقر بيدها قلعة هتاخ لتسكن فيها هى وبناتها

(ذكر عود صلاح الدين الى بلد الموصل والصلح بينه وبين اتابك عز الدين)

لما فرغ صلاح الدين من امر ميافارقين واحكم قواعدها وقرر اقطاعاتها وولاياتها اجمع على العود الى الموصل فسار نحوها وجعل طريقه على نصيبين فوصل الى كفرزمار والزمان شتاء فنزلها فى عساكره وعزم على المقام بها واقطاع جميع بلاد الموصل وأخذ غلاتها ودخلها واضعاف الموصل بذلك اذ علم انه لا يمكنه التغلب عليها وكان نزوله فى شعبان وأقام بها شعبان ورمضان وترددت الرسل بينه وبين عز الدين صاحب الموصل وصار مجاهد الدين يراسل ويتقرب وكان قوله مقبولا عند سائر الملوك لما علموا من صحته فبينما الرسل تتردد فى الصلح اذ مرض صلاح الدين وسار من كفرزمار عائدا الى حران فلحقته الرسل بالاجابة الى ما طلب فتقرر الصلح وحلف على ذلك وكانت القاعدة ان يسلم اليه عز الدين شهرزور وأعمالها وولاية القرابلى وجميع ما وراء الزاب من أعمال وان يخطب له على منابر بلاده ويضرب اسمه على السكة فلما حلف أرسل رسله فحلف عز الدين له وتسلم البلاد التى استقرت القاعدة على تسليمها ووصل صلاح الدين الى حران فاقام بها مريضا وأمنت الدنيا وسكنت الدهماء وانحسمت مادة الفتن وكان ذلك بتوصل مجاهد الدين قايماز رحمه الله واما صلاح الدين فانه طال مرضه بحران كان عنده من أهله اخوه الملك العادل وله حينئذ حلب وولده الملك العزيز عثمان

يسهرون القاطنون بتلك الناحية وضربوا عليهما بنادق فسقط حصان أحد الدلاة وأصيب راكبه وهرب رفيقه الى كتخدا بك فاخبره فامر باحضار كبراء المغاربة وطالبهم بالضارب فلم يتبين امره وقبضوا على الغلام الهارب فحبسوه وفى ذلك الوقت حصل فى الناس فزعة واغلقت اهل سوق الغورية والشوائين والفحامين حوانيتهم وبقى ذلك الغلام محبوسا ومات الدلاتى المضروب فى ليلة السبت خامس عشره فاحضروا ذلك الغلام الى باب زويلة وقطعوا رأسه ظلما ولم يكن هو الضارب (وفى عشرينه) سافر ابن باشت طرابلس وسافر معه عسكر المغاربة الخيالة

(واستهل شهر ذى الحجة الحرام ختام سنة ١٢٢٩)

فى اوله ورد نجاب من الحجاز واخبر بموت طاهر افندى وهو افندى ديوان الباشا وكان موته فى شهر شوال بالمدينة حتف أنفه وورد الخبر ايضا بصلح الشريف راجح مع الباشا وانه قابله واكرمه وانعم عليه بالفى كيس واخبر ايضا بانه تركه الباشا بناحية الكلاخة وهى ما بين الطائف وتربة وانقضت السنة بحوادثها

(واما من مات فى هذه السنة)

فمات العمدة الفاضل الفقيه النبيه الشيخ حسين المعروف بابن الكاشف الدمياطى وعرف بالرشيدى تعاطى ماله لم والتخام من الامرية والجندية

واشتد مرضه حتى أيسوا من عافيته فحلف الناس لاولاده وجعل لكل منهم شيئا من البلاد معلوما وجعل أخاه العادل وصيا على الجميع ثم انه عوفى وعاد الى دمشق فى المحرم سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ولما كان مريضا بحران كان عنده ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه وله من الاقطاع حمص والرحبة فسار من عنده الى حمص فاجتاز بحلب واحضر جماعة من الدمشقيين وواعدهم على تسليم البلد اليه اذا مات صلاح الدين وأقام بحمص ينتظر موته ليسير الى دمشق فيملكها فعوفى وبلغه الخبر على جهته فلم يمض غير قليل حتى مات ابن شيركوه ليلة عيد الاضحى فانه شرب الخمر وأكثر منه فاصبح ميتا فذكروا ان صلاح الدين وضع انسانا يقال له الناصح بن العميد وهو من دمشق فحضر عنده ونادمه وسقاه سما فلما أصبحوا من الغد لم يروا الناصح فسألوا عنه فقيل انه سار من ليلته الى صلاح الدين فكان هذا مما قوى الظن فلما توفى أعطى أقطاعه لولده شيركوه وعمره اثنتا عشرة سنة وخلف ناصر الدين من الاموال والخيل والآلات شيئا كثيرا فحضر صلاح الدين فى حمص واستعرض تركته وأخذ أكثرها ولم يترك الا ما لا خير فيه وبلغنى ان شيركوه بن ناصر الدين حضر عند صلاح الدين بعد موت أبيه بسنة فقال له الى أين بلغت من القرآن فقال الى قوله تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا فعجب صلاح الدين والحاضرون من ذكائه

(ذكر الفتنة بين التركمان والاكراد بديار الجزيرة والموصل)

فى هذه السنة ابتدأت الفتنة بين التركمان والاكراد بديار الجزيرة والموصل وديار بكر وخلاط والشام وشهرزور واذربيجان وقتل فيها من الخلق ما لا يحصى ودامت عدة سنين وتقطعت الطرق ونهبت الاموال واريقت الدماء وكان سببها ان امرأة من التركمان تزوجت بانسان تركمانى واجتازوا فى طريقهم بقلعة من الزوزان الاكراد فجاء اهلها وطلبوا من التركمان وليمة العرس فامتنعوا من ذلك وجرى بينهم كلام صاروا منه الى القتال فنزل صاحب تلك القلعة فاخذ الزوج فقتله فهاجت الفتنة وقام التركمان على ساق وقتلوا جمعا كثيرا من الاكراد وثار الاكراد فقتلوا من التركمان ايضا كذلك وتفاقم الشر ودام ثم ان مجاهد الدين قايماز رحمه الله جمع عنده جمعا من رؤساء الاكراد والتركمان واصلح بينهم واعطاهم الخلع والثياب وغيرها واخرج عليهم مالا جما فانقطعت الفتنة وكفى الله شرها وعادوا الى ما كانوا عليه من الطمانينة والامان

(ذكر ملك الملثمين والعرب أفريقية وعودها الى الموحدين)

قد ذكرنا سنة ثمانين ملك على بن اسحق الملثم بجاية وارسال يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن العساكر واستعادتها فسار الى افريقية فلما وصل اليها اجتمع سليم ورياح ومن هناك من العرب وانضاف اليهم الترك الذين كانوا قد دخلوا من مصر مع شرف الدين قراقوش وقد تقدم ذكر وصوله اليها ودخل أيضا من أتراك مصر مملوك لتقى

وحضر اشياخ العصر ولازم حضور الشيخ

عبد الله الشرقاوى وانتقل من مذهب الحنفية الى الشافعية لملازمته لهم فى المعقول والمنقول وتلقى عن السيد مرتضى أسانيد الحديث والمسلسلات وحفظ القرآن فى مبدأ أمره برشيد وجوّده على السيد صديق وحفظ شيئا من المتون قبل مجيئه الى مصر وأكب على الاشتغال بالازهر وتزيا بزى الفقهاء بلبس العمامة والفرجية وتصدر ودرس فى الفقه والمعقول وغيرهما ولما وصل محمد باشا الى ولاية مصرا جتمع عليه عند قلعة أبى قير فجعله اماما يصلى خلفه الاوقات وحضر معه الى مصر ولم يزل مواظبا على وظيفته وانتفع بنسبته اليه واقتنى حصصا واقطاعات وتقلد قضايا مناصب البلاد البنادر واخذ ممن يتولاها الجعالات والهدايا وأخذ ايضا نظر وقف ازبك وغيره ولم يزل تحت نظره بعد انفصال محمد باشا خسرو واستمر المذكور على القراءة والاقراء حتى توفى اواخر السنة (ومات) الفاضل الشيخ عبد الرحمن الجمل وهو اخو الشيخ سليمان الجمل تفقه على اخيه ولازم دروسه وحضر غيره من اشياخ العصر ومشى على طريقة اخيه فى التقشف والانجماع عن خلطة الناس ولما مات اخوه وكان يملى الدروس بجامع المشهد الحسينى بين المغرب والعشاء على جمع من مجاورى الازهر والعامه تصدر للاقراء فى محله فى ذلك الوقت

الدين

الدين ابن أخي صلاح الدين اسمه بوزابه فكثر جمعهم وقويت شوكتهم فلما اجتمعوا بلغت عدتهم مبلغا كثيرا وكلهم كاره لدولة الموحدين واتبعوا جميعهم علي بن اسحق الملثم لانه من بيت المملكة والرياسة القديمة وانقادوا اليه ولقبوه بامير المسلمين وقصدوا بلاد افريقية فملكوها جميعها شرقا وغربا الا مدينتين تونس والمهدية فان الموحدين اقاموا بها وحفظوها على خوف وضيق وشدة وانضاف الى المفسد الملثم كل مفسد في تلك الارض ومن يريد الفتنة والنهب والفساد والشر فخربوا البلاد والحصون والقرى وهتكوا الحرم وقطعوا الاشجار وكان الوالي على افريقية حينئذ عبد الواحد بن عبد الله الهنتاتي وهو بمدينة تونس فارسل الى ملك المغرب يعقوب وهو بمراكش يعلمه الحال وقصد الملثم جزيرة باشرا وهي بقرب تونس تشتمل على قرى كثيرة فنازلها واحاط بها فطلب اهلها منه الامان فامنهم فلما دخلها العسكر نهبوا جميع ما فيها من الاموال والدواب والغلات وسلبوا الناس حتى ثيابهم وامتدت الايدي الى النساء والصبيان وتركوهم هلكى فقصدوا مدينة تونس فاما الاقوياء فكانوا يخدمون ويعملون ما يقوم بقوتهم واما الضعفاء فكانوا يستعطون ويسألون الناس ودخل عليهم فصل الشتاء فاهلكهم البرد ووقع فيهم الوباء فاحصى الموتى منهم فكانوا اثني عشر الفا هذا من موضع واحد فما الظن بالباقي ولما استولى الملثم على افريقية قطع خطبة اولاد عبد المؤمن وخطب للامام الناصر لدين الله الخليفة العباسي وارسل اليه يطلب الخلع والاعلام السود وقصد في سنة اثنتين وثمانين مدينة قفصة فحصرها فاخرج اهلها الموحدين من عسكر ولد عبد المؤمن وسلموها الى الملثم فرتب فيها جندا من الملثمين والاتراك وحصنها بالرجال مع حصانتها في البناء واما يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن فانه لما وصله الخبر اختار من عساكره عشرين الف فارس من الموحدين وقصد قلة العسكر لقلة القوت في البلاد ولما جرى فيها من التخريب والاذى وسار في صفر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فوصل الى مدينة تونس وارسل ستة آلاف فارس مع ابن اخيه فساروا الى علي بن اسحق الملثم ليقاتلوه وكان بقفصة فوافوه وكان مع الموحدين جماعة من الترك فغدروا عليهم فانهزم الموحدون وقتل جماعة من مقدميهم وكان ذلك في ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين فلما بلغ يعقوب الخبر اقام بمدينة تونس الى نصف رجب من السنة ثم خرج فيمن معه من العساكر يطلب الملثم والاتراك فوصل اليهم فالتقوا بالقرب من مدينة قابس واقتتلوا فانهزم الملثم ومن معه فاكثر الموحدون القتل حتى كادوا يفنونهم فلم ينج منهم الا القليل فقصدوا البر ورجع يعقوب من يومه الى قابس ففتحها واخذ منها اهل قراقوش واولاده وحملهم الى مراكش وتوجه الى مدينة قفصة فحصرها ثلاثة اشهر وقطع اشجارها وخرب ما حولها فارسل اليه الترك الذين فيها يطلبون الامان لانفسهم ولاهل البلد فاجابهم الى ذلك وخرج الاتراك منها سالمين وسير الاتراك الى الثغور لما رأى من شجاعتهم ونكايتهم في العدو وتسلم يعقوب البلد وقتل من فيه من الملثمين وهدم اسواره وترك المدينة مثل قرية وظهر ما انذر به

فقرأ الشمايل والمواهب والجلالين ولم يزل على حالته حتى توفي ثاني عشر ذي الحجة ٢٣٠ (ومات) الشيخ المفيد محمد الاسناوي الشهير بجاد المولى ممن جاور بالازهر وحضر دروس اشياخ الوقت من اهل عصره ولازم الشيخ عبد الله الشرقاوي في دروسه وبه تخرج وواظب عليه في مجالس الذكر وتلقى عنه طريقة الخلوتية والبسه التاج وتقدم في خطابة الجمعة والاعياد بالجامع الازهر بدلا من الشيخ عبد الرحمن البكري عندما رفعوها عنه وخطب بجامع عمرو بمصر العتيقة يوم الاستسقاء عندما قصرت زيادة النيل في سنة ثلاث وعشرين وتأخر في الزيادة عن اوانه ولما حضر محمد باشا خسروا الى مصر وصلى صلاة الجمعة بالازهر في سنة سبع عشرة خلع عليه بعد الصلاة فروة سمور فكان يخرجها من الخزنة ويلبسها وقت خطبة الجمعة والاعياد وواظب على قراءة الكتب للمبتدئين كالشيخ خالد والازهرية ثم قرأ شرح الاشموني على الخلاصة واشتهر ذكره وعلا امره في اقل زمن وكان فصيحا مفوها في التقرير والالقاء لتفهيم الطلبة ولم يزل على حالة حميدة في حسن السلوك والطريقة حتى توفي في شهر الحجة وقد ناهز الاربعين

(سنة ثلاثين ومائتين وألف)

(استهل المحرم بيوم الثلاثاء)

(في خامسه) وصل نجاب من الحجاز وعلى يده مكاتبات بالاخبار عن الباشا والحجاج بانهم حجوا ووقفوا بعرفة وقضوا

المهدي بن تومرت فانه قال انها تخرب اسوارها وتقطع أشجارها وقد تقدم ذكر ذلك فلما فرغ يعقوب من أمر قفصة واستقامت افريقية عاد الى مراكش وكان وصوله اليها سنة أربع وثمانين وخمسمائة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة فارق الرضي ابو الخير اسمعيل القزويني الفقيه الشافعي بغداد وكان مدرس النظامية بها وعاد الى قزوين ودرس فيها بعده الشيخ أبو طالب المبارك صاحب ابن الخل وكان من العلماء الصالحين وفيها كان بين أهل الكرخ ببغداد وبين أهل باب البصرة فتنة عظيمة جرح فيها كثير منهم وقتل ثم أصلح النقيب الطاهر بينهم وفيها توفي الفقيه مهذب الدين عبد الله بن اسعد الموصلي وكان عالما بمذهب الشافعي وله نظم ونثر اجاد فيه وكان من محاسن الدنيا وكانت وفاته بحمص

(ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة)

(ذكر نقل العادل من حلب والملك العزيز الى مصر واخراج الافضل من مصر الى دمشق واقطاعه اياها)

في هذه السنة اخرج صلاح الدين ولده الافضل عليا من مصر الى دمشق واقطعه اياها واخذ حلب من أخيه العادل وسيره مع ولده العزيز عثمان الى مصر وجعله نائبا عنه واستدعى تقي الدين منها وسبب ذلك انه كان قد استناب تقي الدين بمصر كما ذكرناه وجعل معه ولده الاكبر الافضل عليا فارسل تقي الدين يشكو من الافضل ويذكر انه قد عجز عن جباية الخراج معه لانه كان حليما كريما اذا اراد تقي الدين معاقبة أحد منعه فاحضر ولده الافضل وقال لتقي الدين لا تحتج في الخراج وغيره بحجة وتغير عليه بذلك وظن انه يريد اخراج ولده الافضل لينفرد بمصر حتى يملكها اذا مات صلاح الدين فلما قوي هذا الخاطر عنده احضر اخاه العادل من حلب وسيره الى مصر ومعه ولده العزيز عثمان واستدعى تقي الدين الى الشام فامتنع من الحضور وجمع الاجناد والعساكر ليسير الى المغرب الى مملوكه قراقوش وكان قد استولى على جبال نفوسة وبرقة وغيرها وقد كتب اليه يرغبه في تلك البلاد فتجهز للسفر اليه واستصحب معه أجناد العسكر وأكثر منهم فلما سمع ذلك صلاح الدين ساءه وعلم انه ان أرسل اليه يمنعه لم يجبه فارسل اليه يقول له اريد ان تحضر عندي لاودعك وأوصيك بما تفعله فلما حضر منعه وزاد في اقطاعه فصار اقطاعه حماة ومنبج والمعرة وكفرطاب وميافارقين وجبل جور بجميع أعمالها وكان تقي الدين قد سير في مقدمته مملوكه بوزابة فاتصل بقراقوش وكان منهم ما ذكرناه سنة احدى وثمانين وخمسمائة وقد بلغني من خبير باحوال صلاح الدين انه انما حمله على أخذ حلب من العادل واعادة تقي الدين الى الشام ان صلاح الدين لما مرض بحران على ما ذكرناه أرجف بمصر انه قد مات فجرى من تقي الدين حركات من يريد ان يستبد بالملك فلما عوفي صلاح الدين بلغه ذلك فارسل الفقيه عيسى الهكاري

المناسك (وفي تاسعه) حضر ابراهيم باشا من الجهة القبلية الى داره بالجمالية (وفي عاشره) يوم الخميس وصل في ليلته قابجي وعلى يده تقرير للباشا من الحجاز الى ساحل القصير فضربوا لذلك مدافع من القلعة (وفي صبحها) خرج ابن الباشا وأخوه وكذلك اكابر دولتهم الى ناحية البساتين ومنهم من عدى النيل الى البر الغربي للاقامة على مقتضى عادته في مجالسه في الحظ والروح على حساب مضي الايام من يوم وصوله الى القصير فغابوا في انتظاره حتى انقضى النهار ثم رجعوا (وفي صبح اليوم الثاني) خرجوا ثم عادوا الى دورهم آخر النهار واستمروا على الخروج والرجوع ثلاثة ايام ولم يحضر وكثر لغط الناس عند ذلك واختلفت رواياتهم وأقاويلهم مدة أيام ليلا ونهارا ثم ظهر كذب هذا الخبر وان الباشا لم يزل بارض الحجاز وقيل ان سبب اشاعة خبر مجيئه انه وصل الى ساحل القصير سفينة بها سبعة عشر شخصا من العسكر فسألهم الوكيل الكائن بالقصير عن مجيئهم فاجابوه انهم مقدمة الباشا وانه واصل في اثرهم فعندما سمع جوابهم ارسل خطابا الى كاتب من الاقباط بقنا يعرفه بقدوم الباشا فكتب ذلك القبطي خطابا الى وكيل شخص من اعيان كتبة الاقباط باسيوط يسمى المعلم بشارة فعندما وصله الجواب أرسل جوابا الى موكله بشارة المذكور بمصر بذلك الخبر وفي الحال طلع به الى القلعة وأعطاه لابراهيم باشا وكان

وكان كبير القدر عنده مطاعا في الجند الى مصر وأمره باخراج تقي الدين والمقام بمصر فسار مجدا فلم يشعر تقي الدين الا وقد دخل الفقيه عيسى الى داره بالقاهرة وارسل اليه يامره بالخروج منها فطلب ان يمهل الى ان يتجهز فلم يفعل وقال تقيم خارج المدينة وتتجهز فخرج وأظهر انه يريد الدخول الى الغرب فقال له اذهب حيث شئت فلما سمع صلاح الدين الخبر ارسل اليه يطلبه فسار الى الشام فاحسن اليه ولم يظهر له شيئا مما كان لانه كان حليما كريما صبورا رحمه الله واما أخذ حلب من العادل فان السبب فيه انه كان من جملة جندها امير كبير اسمه سليمان بن جندر بينه و بين صلاح الدين صحبة قديمة قبل الملك وكان صلاح الدين يعتمد عليه وكان عاقلا ذا مكر ودهاء فاتفق ان الملك العادل لما كان بحلب لم يفعل معه ما كان يظنه وقدم غيره عليه فتأثر بذلك فلما مرض صلاح الدين وعوفي سار الى الشام فسايره يوما سليمان بن جندر يجري حديث مرضه فقال له سليمان باي رأى كنت تظن انك تمضي الى الصيد فلا يخالفونك بالله ما تستحي ان يكون الطائر أهدى منك الى المصلحة قال وكيف ذلك وهو يضحك قال اذا أراد الطائر ان يعمل عشا لفراخه قصد اعالي الشجر ليحمي فراخه وانت سلمت الحصون الى اهلك وجعلت اولادك على الارض هذه حلب بيد اخيك وحماة بيد تقي الدين وحمص بيد ابن شيركوه وابنك العزيز مع تقي الدين بمصر يخرجه اي وقت اراد وهذا ابنك الآخر مع اخيك في خيمة يفعل به ما اراد فقال له صدقت واكتم هذا الامر ثم اخذ حلب من اخيه واخرج تقي الدين من مصر ثم اعطى اخاه العادل حران والرها وميافارقين ليخرجه من الشام ومصر لتبقى لاولاده فلم ينفعه ما فعل لما اراد الله تعالى نقل الملك عن اولاده على ما نذكره

(ذكر وفاة البهلوان وملك اخيه قزل)

في هذه السنة في أولها توفي البهلوان محمد بن ايلدكز صاحب بلد الجبل والري واصفهان واذربيجان وارانية وغيرها من البلاد وكان عادلا حسن السيرة عاقلا حليما ذا سياسة حسنة للملك وكانت تلك البلاد في ايامه آمنة والرعايا مطمئنة فلما مات جرى باصفهان بين الشافعية والحنفية من الحروب والقتل والاحراق والنهب ما يجل عن الوصف وكان قاضي البلد راس الحنفية وابن الخجندي راس الشافعية وكان بمدينة الري ايضا فتنة عظيمة بين السنية والشيعة وتفرق اهلها وقتل منهم وخربت المدينة وغيرها من البلاد ولما مات البهلوان ملك اخوه قزل ارسلان واسمه عثمان وكان السلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه مع البهلوان والخطبة له في البلاد بالسلطنة وليس له من الامر شيء وانما البلاد والامراء والاموال بحكم البهلوان فلما مات البهلوان خرج طغرل عن حكم قزل ولحق به جماعة من الامراء والجند فاستولى على بعض البلاد وجرت بينه وبين قزل حروب نذكرها ان شاء الله تعالى

(ذكر اختلاف الفرنج بالشام وانحياز القمص صاحب طرابلس الى صلاح الدين)

فانتقل به ابراهيم باشا الى مجلس كتخدا بك فخلع كتخدا بك على بشارة خلعة وأمر بضرب المدافع ونزلت المبشرون وانتشروا بالبشائر الى بيوت الاعيان وأخذوا البقاشيش ولما حصل التراخي والتباطؤ والتأخر في الحضور بعد الاشاعة أخذ الناس في اختلاف الروايات والاقاويل كعادتهم فمنهم من يقول انه حضر مهزوما ومنهم من يقول مجروحا ومنهم من يثبت موته والشيء الذي أوجب في الناس هذه التخليطات ما شاهدوه من حركات اهل الدولة وانتقال نسائهم من المدينة وطلوعهم الى القلعة بمتاعهم واخلاء الكثير منهم البيوت وانتقال طائفة الارنؤد من الدور المتباعدة واجتماعهم وسكناهم بناحية خطة عابدين وكذلك انتقل ابراهيم باشا الى القلعة ونقل اليها الكثير من متاعه واغرب من هذا كله اشاعة اتفاق عظماء الدولة على ولاية ابراهيم باشا على الاحكام عوضا عن أبيه في يوم الخميس و رتبوا له موكبا يركب فيه ذلك اليوم و يشق من وسط المدينة واجتمع الناس للفرجة عليه واصطفوا على المساطب والدكاكين فلم يحصل وظهر كذب ذلك كله وبطلانه واتفق في اثناء ذلك من زيادة الاوهام والتخيلات ان رضوان كاشف المعروف بالشعراوي سد باب داره التي بالشارع بخط باب الشعرية وفتح له بابا صغيرا من داخل العطفة التي بظاهره فاوشى بعض مبغضيه الى كتخدا بك

كان القمص صاحب طرابلس واسمه ريمند بن ريمند الصنجيلي قد تزوج بالقومصة صاحبة طبرية وانتقل اليها واقام عندها بطبرية ومات ملك الفرنج بالشام وكان مجذوما واوصى بالملك الى ابن اخت له وكان صغيرا فكفله القمص وقام بسياسة الملك وتدبيره لانه لم يكن للفرنج ذلك الوقت اكبر منه شانا ولا اشجع ولا اجود رايا منه فطمع في الملك بسبب هذا الصغير فاتفق ان الصغير توفي فانتقل الملك الى امه فبطل ما كان القمص يحدث نفسه به ثم ان هذه الملكة هويت رجلا من الفرنج الذين قدموا الشام من الغرب اسمه كي فتزوجته ونقلت الملك اليه وجعلت التاج على راسه واحضرت البطرك والقسوس والرهبان والاسبتارية والداوية والباروفية واعلمتهم انها قد ردت الملك اليه واشهدتهم عليها بذلك فاطاعوه ودانوا له فعظم ذلك على القمص وسقط في يديه وطولب بحساب ما جبي من الاموال مدة ولاية الصبي فادعى انه انفقه عليه وزاده ذلك نفورا وجاهر بالمشاققة والمباينة وراسل صلاح الدين وانتمى اليه واعتضد به وطلب منه المساعدة على بلوغ غرضه من الفرنج ففرح صلاح الدين والمسلمون بذلك ووعده النصرة والسعي له في كل ما يريد وضمن له انه يجعله ملكا مستقلا للفرنج قاطبة وكان عنده جماعة من فرسان القمص فاطلقهم فحل ذلك عنده اعظم محل واظهر طاعة صلاح الدين ووافقه على ما فعل جماعة من الفرنج فاختلفت كلمتهم وتفرق شملهم وكان ذلك من اعظم الاسباب الموجبة لفتح بلادهم واستنقاذ البيت المقدس منهم على ما نذكره ان شاء الله وسير صلاح الدين السرايا من ناحية طبرية فشنت الغارات على بلاد الفرنج وخرجت سالمة غانمة فوهن الفرنج بذلك وضعفوا وتجرأ المسلمون عليهم وطمعوا فيهم

(ذكر غدر البرنس ارناط)

كان البرنس ارناط صاحب الكرك من اعظم الفرنج واخبثهم واشدهم عداوة للمسلمين واعظمهم ضررا عليهم فلما راى صلاح الدين ذلك منه قصده بالحصر مرة بعد مرة وبالغارة على بلاده كرة بعد اخرى فذل وخضع وطلب الصلح من صلاح الدين فاجابه الى ذلك وهادنه وتحالفا وترددت القوافل من الشام الى مصر ومن مصر الى الشام فلما كان هذه السنة اجتاز به قافلة عظيمة غزيرة الاموال كثيرة الرجال ومعها جماعة صالحة من الجند فغدر اللعين بهم واخذهم عن آخرهم وغنم اموالهم ودوابهم وسلاحهم واودع السجون من اسره منهم فارسل اليه صلاح الدين يلومه ويقبح فعله وغدره ويتوعده ان لم يطلق الاسرى والاموال فلم يجب الى ذلك واصر على الامتناع فنذر صلاح الدين نذرا أن يقتله ان ظفر به فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

كان المنجمون قديما وحديثا قد حكموا ان هذه السنة التاسع والعشرين من جمادى الآخرة تجتمع الكواكب الخمسة في برج الميزان ويحدث باقترانها رياح شديدة فلم يكن

فعلته في هذا الوقت والناس يزدادبهم الوهم ويعتقدون صحة مادار بينهم من الاكاذيب وخصوصا كونه من الاعيان المعروف بن فطلبه كتخدا بك وقال له لاي شئ سددت باب دارك وما الذي قاله المنجم لك فقال ان طائفة من العسكر تشاجروا بالخطة ودخلوا الى الدار وازعجونا فسددتها من ناحية الشارع بعدها من الشر وخوفا مما جرى على داري سابقا من النهب فلم يلتفت لكلامه وامر بقتله فشفع فيه صالح بك السلحدار وحسن اغا محرم اغات مستحفظان فعفا عنه من القتل وامر بضربه فبطحوه وضربوه بالعصي ثم نزل بصحبته الاغا الى داره وفتح الباب كما كان (وفي رابع عشرينه) وصلت مكاتبات من الديار الحجازية من عند الباشا وخلافه مؤرخة في ثالث عشر ذي الحجة يذكرون فيها ان الباشا بمكة وطوسون باشا ابنه بالمدينة وحسن باشا واخاه عابدين بك وخلافهم بالكلاخة ما بين الطائف وتربة

(واستهل شهر صفر الخير بيوم الخميس سنة ١٢٣٠)

في خامس عشرينه نودي بنقص مصارفة اصناف المعاملة وقد وصل صرف الريال الفرانسه من الفضة العددية الى ثلثمائة واربعين نصفا ثمانية قروش ونصف فنودي عليه بنقص نصف قرش والمحبوب وصل الى عشرة قروش فنودي عليه بتسعة قروش وشددوا في هذه المناداة تشديدا زائدا وقتل كل من زاد على ذلك من غير اذاك

لذلك صحة ولم يهب من الرياح شئ البتة حتى ان الغلال الحنطة والشعير تأخر نجازها لعدم الهواء الذى يذرى به الفلاحون فأكذب الله احدوثة المنجمين وأخزاهم وفيها توفى عبد الله بن برى بن عبد الجبار بن برى النحوى المصرى وكان اماما فى النحو رحمه الله تعالى

(ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة)

اتفق أول هذه السنة يوم السبت وهو يوم النوروز السلطانى ورابع عشر اذار سنة ألف وأربعمائة وثمان وتسعين اسكندرية وكان القمر والشمس فى الحمل واتفق أول سنة العرب وأول سنة الفرس التى جددوها اخيرا وأول سنة الروم والشمس والقمر فى أول البروج وهذا يبعد وقوع مثله

(ذكر حصر صلاح الدين الكرك)

فى هذه السنة كتب صلاح الدين الى جميع البلاد يستنفر الناس للجهاد وكتب الى الموصل وديار الجزيرة واربل وغيرها من بلاد الشرق والى مصر وسائر بلاد الشام يدعوهم الى الجهاد ويحثهم عليه ويأمرهم بالتجهز له بغاية الامكان ثم خرج من دمشق أواخر المحرم فى عسكرها وحلقتها الخاص فسار الى رأس الماء وتلاحقت به العساكر الشامية فلما اجتمعوا جعل عليهم ولده الملك الافضل عليا ليجتمع اليه من يرد اليه منها وسار هو الى بصرى جريدة وكان سبب مسيره وقصده اليها انه أتته الاخبار ان البرنس ارناط صاحب الكرك يريدان يقصد الحجاج ليأخذهم من طريقهم واظهر انه اذا فرغ من أخذ الحجاج يرجع الى طريق العسكر المصرى يصدهم عن الوصول الى صلاح الدين فسار الى بصرى ليمنع البرنس ارناط من طلب الحجاج ويلزم بلده خوفا عليه وكان من الحجاج جماعة من اقاربه منهم محمد بن لاجين وهو ابن اخت صلاح الدين وغيره فلما سمع ارناط بقرب صلاح الدين من بلده لم يفارقه وانقطع عما طمع فيه فوصل الحجاج سالمين فلما وصلوا وفرغ سره من جهتهم سار الى الكرك وبث سراياه من هناك على ولاية الكرك والشوبك وغيرهما فنهبوا وخربوا واحرقوا والبرنس محصور لا يقدر على المنع عن بلده وسائر الفرنج قد لزموا طرق بلادهم خوفا من العسكر الذى مع ولده الافضل فتمكن من الحصر والنهب والحريق والتخريب هذا فعل صلاح الدين

(ذكر الغارة على بلد عكا)

ارسل صلاح الدين الى ولده الافضل يأمره ان يرسل قطعة صالحة من الجيش الى بلد عكا ينهبونه ويخربونه فسير مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين وهو صاحب حران والرها وأضاف اليه قايماز النجمى ودلدرم الياروقى وهما من اكابر الامراء وغيرهما وساروا ليلا وصبحوا صفورية أواخر صفر فخرج اليهم الفرنج فى جمع من الداوية والاسبتارية وغيرهما فالتقوا هناك وجرت بينهم حرب تشيب لها المفارق السود ثم أنزل الله تعالى

معارضة وكتبوا مراسيم الى جميع البنادر وفيها التشديد والتهديد والانتقام ممن يزيد (وفى أواخره) التزم المعلم غالى بمال الجزية التى تطلب من النصارى على خمسة وثمانين كيسا وسبب ذلك ان بعض اتباع المقيد لقبض الجوالى قبض على شخص من النصارى وكان من قسوسهم وشدد عليه فى الطلب واهانه فانهوا الامر الى المعلم غالى ففعل ذلك قصدا لمنع الايذاء عن ابناء جنسه ويكون الطلب منه عليهم ومنع المتظاهرين بالاسلام عنهم

(واستهل شهر ربيع الاول يوم السبت سنة ١٢٣٠)

فى تاسعه وصلت قافلة طيارى من الحجاز قدم صحبتها السيد عبد الله الاقاصى ومعها هجانة من الحجاز وعلى يدهم مكاتبات وفيها الاخبار والبشرى بنصرة الباشا على العرب وانه استولى على تربة وغنم منها جمالا وغنائم واخذ منهم اسرى فلما وصلت الاخبار بذلك انطلق المبشرون الى بيوت الاعيان لاخذ البقاشيش وضربوا فى صبحها مدافع كثيرة من القلعة (وفى يوم الثلاثاء حادى عشره) كان المولد النبوى فنودى فى صبحه بزينة المدينة وبولاق ومصر القديمة ووقود القناديل والسهر ثلاثة أيام بلياليها فلما أصبح يوم الاربعاء والزينة بحالها الى بعد اذان العصر نودى برفعها ففرح أهل الاسواق بازالتها ورفعها لما يحصل لهم من التكاليف

تصرهم على المسلمين فانهزم الفرنج وقتل منهم جماعة وأسر الباقون وفيمن قتل مقدم الاسبتارية وكان من فرسان الفرنج المشهورين وله النكايات العظيمة في المسلمين ونهب المسلمون ماجاورهم من البلاد فغنموا وسبوا وعادوا سالمين وكان عودهم على طبرية وبها القمص فلم ينكر ذلك فكان فتحا كثيرا فان الداوية والاسبتارية هم جمرة الفرنج وسيرت البشائر الى البلاد بذلك

(ذكر عود صلاح الدين الى عسكره ودخوله الى الفرنج)

لما اتت صلاح الدين البشارة بهزيمة الاسبتارية والداوية وقتل من قتل منهم واسر من اسر منهم عاد عن الكرك الى العسكر الذى مع ولده الملك الافضل وقد تلاحقت سائر الامراء والعساكر واجتمع بهم وساروا جميعا وعرض العسكر فبلغت عدتهم اثنى عشر الف فارس ممن له الاقطاع والجامكية سوى المتطوعة فعبى عسكره قلبا وجناحين وميمنة وميسرة وجاليشية وساقة وعرف كل منهم موضعه وموقفه وامره بملازمته وسار على تعبية فنزل بالاقحوانة بقرب طبرية وكان القمص قد انتمى الى صلاح الدين كما ذكرنا وكتبه متصلة اليه يعده النصرة ويمنيه المعاضدة وما يعدهم الشيطان الا غرورا فلما راى الفرنج العساكر الاسلامية وتصميم العزم على قصد بلادهم ارسلوا الى القمص البطرك والقسوس والرهبان وكثيرا من الفرسان فانكروا عليه انتماءه الى صلاح الدين وقالوا له لا شك انك اسلمت والا لم تصبر على فعل المسلمين امس بالفرنج يقتلون الداوية والاسبتارية ويأسرونهم ويجتازون بهم عليك وانت لا تنكر ذلك ولا تمنع عنه ووافقهم على ذلك من عنده من عسكر طبرية وطرابلس وتهدده البطرك انه يحرمه ويفسخ عليه نكاح زوجته الى غير ذلك من التهديد فلما راى القمص شدة الامر عليه خاف واعتذر وتنصل وتاب فقبلوا عذره وغفروا زلته وطلبوا منه الموافقة على المسلمين والموازرة على حفظ بلادهم فاجابهم الى المصالحة والانضمام اليهم والاجتماع بهم وسار معهم الى ملك الفرنج واجتمعت كلمتهم بعد فرقتهم ولم تغن عنهم من الله شيئا وجمعوا فارسهم وراجلهم ثم ساروا من عكا الى صفورية وهم يقدمون رجلا ويؤخرون اخرى قد ملئت قلوبهم رعبا

(ذكر فتح صلاح الدين طبرية)

لما اجتمع الفرنج وساروا الى صفورية جمع صلاح الدين امراءه واستشارهم فاشار اكثرهم عليه بترك اللقاء وان يضعف الفرنج بشن الغارات واخراب الولايات مرة بعد مرة فقال له بعض امرائه الراى عندى اننا نجوس بلادهم وننهب ونخرب ونحرق ونسبى فان وقف احد من عسكر الفرنج بين ايدينا لقيناه فان الناس بالمشرق يلعنوننا ويقولون ترك قتال الكفار واقبل يريد قتال المسلمين والراى ان نفعل فعلا نعذر فيه ونكف الالسنة عنا فقال صلاح الدين الراى عندى ان نلقى بجمع المسلمين جمع الكفار فان الامور لا تجرى بحكم الانسان ولا نعلم قدر الباقى من اعمارنا ولا ينبغى ان نفرق هذا

الجمع

والسمر فى البرد والهواء شوصا وقد حصل فى آخر ليلة رياح شديدة باردة (وفى هذه الايام) سافر محمود بك والمعلم غالى ومن يصحبهما من النصارى الاقباط وأخذوا معهم طائفة من الكتبة الافندية المختصين بالروزنامه ومنهم محمد افندى ابن حسين افندى المنفصل عن الروزنامه ونزلوا لاعادة قياس الاراضى وتحرير الرى والشراقى وسبقهم القياسون بالاقصاب نزلوا وسرحوا قبلهم بنحو عشرة أيام وشرع كشاف النواحى فى قبض الترويجة من المزارعين وفرضوا على كل فدان الادنى تسعة ريالات الى خمسة عشر بحسب جودة الاراضى ورداءتها وهذا الطلب فى غير وقته لانه لم يحصل حصاد للزرع وليس عند الفلاحين ما يقتاتون منه ومن العجب انه لم يقع مطر فى هذه السنة ابدا ومضت ايام الشتاء ودخل فصل الربيع ولم يقع غيث ابدا سوى ما كان يحصل فى بعض الايام من غيوم واهوية غربية ينزل مع هبوبها بعض رشاش قليل لا تبتل الارض منه ويجف بالهواء بمجرد نزوله (وفى أواخره) ورد لحضرة الباشا هدية من بلاد الانكليز وفيها طيور مختلفة الاجناس والاشكال كبار وصغار وفيها ما يتكلم ويحاكى وآلة مصنوعة لنقل الاثقال لها الطلمبه وهى تنقل الماء الى المسافة البعيدة ومن الاسفل الى العلو ومرآة زجاج بحفف كبيرة قطعة واحدة

الجمع الابعد الجد بالجهاد ثم رحل من الاقحوانة اليوم الخامس من نزوله بها وهو يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر فسار حتى خلف طبرية وراء ظهره وصعد جبلها وتقدم حتى قارب الفرنج فلم يرمنهم احدا ولا فارقوا خيامهم فنزل وامر العسكر بالنزول فلما جنه الليل جعل فى مقابل الفرنج من يمنعهم من القتال ونزل جريدة الى طبرية وقاتلها ونقب بعض ابراجها واخذ المدينة عنوة فى ليلة ولجا من بها الى القلعة التى لها فامتنعوا بها وفيها صاحبتها ومعها اولادها فنهب المدينة واحرقها فلما سمع الفرنج بنزول صلاح الدين الى طبرية وملكه المدينة وأخذ ما فيها واحراقها واحراق ما تخلف عنه لا يحتمل اجتمعوا للشورة فاشار بعضهم بالتقدم الى المسلمين وقتالهم ومنعهم عن طبرية فقال القمص ان طبرية لى ولزوجتى وقد فعل صلاح الدين بالمدينة ما فعل وبقى القلعة وفيها زوجتى وقد رضيت ان ياخذ القلعة وزوجتى وما لنا بها ويعود فوالله لقد رأيت عساكر الاسلام قديما وحديثا ما رأيت مثل هذا العسكر الذى مع صلاح الدين كثرة وقوة واذا أخذ طبرية لا يمكنه المقام بها فتى فارقها وعاد عنها اخذناها وان اقام بها لا يقدر على المقام بها الا بجميع عساكره ولا يقدرون على الصبر طول الزمان عن أوطانهم واهليهم فيضطر الى تركها ونفتك من اسر منا فقال له برنس ارناط صاحب الكرك قد اطلت فى التخويف من المسلمين ولا شك انك تريدهم وتميل اليهم والا ما كنت تقول هذا واما قولك انهم كثيرون فان النار لا يضرها كثرة الحطب فقال انا واحد منكم ان تقدمتم تقدمت وان تأخرتم تأخرت وسترون ما يكون فقوى عزمهم على التقدم الى المسلمين وقتالهم فرحلوا من معسكرهم الذى لزموه وقربوا من عساكر الاسلام فلما سمع صلاح الدين بذلك عاد عن طبرية الى عسكره وكان قريبا منه وانما كان قصده بمحاصرة طبرية ان يفارق الفرنج مكانهم ليتمكن من قتالهم وكان المسلمون قد نزلوا على الماء والزمان قيظ شديد الحر فوجد الفرنج العطش ولم يتمكنوا من الوصول الى ذلك الماء من المسلمين وكانوا قد افنوا ما هناك من ماء الصهاريج ولم يتمكنوا من الرجوع خوفا من المسلمين فبقوا على حالهم الى الغد وهو يوم السبت وقد اخذ العطش منهم واما المسلمون فانهم طمعوا فيهم وكانوا من قبل يخافونهم فباتوا يحرض بعضهم بعضا وقد وجدوا ريح النصر والظفر وكلما رأوا حال الفرنج خلاف عادتهم مما ركبهم من الخذلان زاد طمعهم وجرأتهم فاكثروا التكبير والتهليل طول ليلتهم ورتب السلطان تلك الليلة الجاليشية وفرق فيهم النشاب

(ذكر انهزام الفرنج بحطين)

اصبح صلاح الدين والمسلمون يوم السبت لخمس بقين من ربيع الآخر فركبوا وتقدموا الى الفرنج فركب الفرنج ودنا بعضهم من بعض الا ان الفرنج قد اشتد بهم العطش وانخذلوا فاقتتلوا واشتد القتال وصبر الفريقان ورمى جاليشية المسلمين من النشاب ما كان كالجراد المنتشر فقتلوا من خيول الفرنج كثيرا هذا القتال بينهم

وساعة تضرب بمقامات موسيقى فى كل ربع يمضى من الساعة بأنغام مطربة وشمعدان به حركة غريبة كلما طالت فتيلة الشمعة تحرك حركة لطيفة فيخرج منه شخص لطيف من جانبه فيقط راس الفتيلة بمقص لطيف بيده ويعود راجعا الى داخل الشمعدان هذا ما بلغنى عمن ادعى انه شاهد ذلك (وفيه) عملوا تسعيرة على المبيعات والمأكولات مثل اللحم والسمن والجبن والشمع ونادوا بنقص اسعارها نقصا فاحشا وشددوا فى ذلك بالتنكيل والشنق والتعليق وخزم الآناف فارتفع السمن والزبد والزيت من الحوانيت وأخفوه وطفقوا يبيعونه فى العشيات بالسعر الذى يختارونه على الزبون وأما السمن فلكثرة طلبه لاهل الدولة شح وجوده واذا ورد منه شئ خطفوه واخذوه من الطريق بالسعر الذى سعره الحاكم وانعدم وجوده عند القبانية واذا بيع منه شئ بيع سرا باقصى الثمن وأما السكر والصابون فبلغا الغاية فى غلو الثمن وقلة الوجود لان ابراهيم باشا احتكر السكر باجمعه الذى يأتى من الصعيد وليس بغير الجهة القبلية شئ منه فيبيعه على ذمته وهو فى الحقيقة لابيه ثم صار نفس الباشا يعطى لاهل المطابخ بالثمن الذى يعنيه عليهم ويشاركهم فى ربحه فزاد غلو ثمنه على الناس وبيع الرطل من السكر الصعيدى الذى كان يباع بخمسة أنصاف فضة بثمانين نصفا وأما

والفرنج قد بعوا نفوسهم براجلهم وهم يقاتلون سائرين نحو طبرية لعلهم يردون الماء فلما علم صلاح الدين منه قصدهم صدهم عن مرادهم ووقف بالعسكر في وجوههم وطاف بنفسه على المسلمين يحرضهم ويامرهم بما يصلحهم وينهاهم عما يضرهم والناس يأتمرون لقوله ويقفون عندنهيه فحمل مملوك من مماليكه الصبيان حملة منكرة على صف الفرنج فقاتل قتالا عجب منه الناس ثم تكاثر الفرنج عليه فقتلوه فحين قتل حمل المسلمون حملة منكرة فضعضعوا الكفار وقتلوا منهم كثيرا فلما راى القمص شدة الامر علم انهم لا طاقة لهم بالمسلمين فاتفق هو وجماعة وحملوا على من يليهم وكان المقدم من المسلمين في تلك الناحية تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين فلما رأى حملة الفرنج حملة مكرو ب علم انه لا سبب الى الوقوف في وجوههم فامر اصحابه ان يفتحوا لهم طريقا يخرجون منه وكان بعض المتطوعة قد القى في تلك الارض نارا وكان الحشيش كثيرا فاحترق وكانت الريح فحملت حر النار والدخان اليهم فاجتمع عليهم العطش وحر الزمان وحر النار والدخان وحر القتال فلما انهزم القمص سقط في ايديهم وكادوا يستسلمون ثم علموا انهم لا ينجيهم من الموت الا الاقدام عليه فحملوا حملات متداركة كادوا يزيلون المسلمين على كثرتهم من مواقفهم لولا لطف الله بهم الا ان الفرنج لا يحملون حملة فيرجعون الا وقد قتل منهم فوهنوا لذلك وهنا عظيما فاحاط بهم المسلمون احاطة الدائرة بقطرها فارتفع من بقي من الفرنج الى تل بناحية حطين وارادوا ان ينصبوا خيامهم ويحموا نفوسهم به فاشتد القتال عليهم من سائر الجهات ومنعوهم عما ارادوا ولم يتمكنوا من نصب خيمة غير خيمة ملكهم لا غير واخذ المسلمون صليبهم الاعظم الذي يسمونه صليب الصلبوت ويذكرون ان فيه قطعة من الخشبة التي صلب عليها المسيح عليه السلام بزعمهم فكان اخذه عندهم من اعظم المصائب عليهم وايقنوا بعده بالقتل والهلاك هذا والقتل والاسر يعملان في فرسانهم ورجالتهم فبقي الملك على التل في مقدار مائة وخمسين فارسا من الفرسان المشهورين والشجعان المذكورين فحكى في عن الملك الافضل ولد صلاح الدين قال كنت الى جانب ابي في ذلك المصاف وهو اول مصاف شاهدته فلما صار ملك الفرنج على التل في تلك الجماعة حملوا حملة منكرة على من بازائهم من المسلمين حتى الحقوهم بوالدي قال فنظرت اليه وقد علته كآبة واربد لونه وامسك بلحيته وتقدم وهو يصيح كذب الشيطان قال فعاد المسلمون على الفرنج فرجعوا فصعدوا الى التل فلما رأيت الفرنج قد عادوا والمسلمون يتبعونهم صحت من فرحي هزمناهم فعاد الفرنج فحملوا حملة ثانية مثل الاولى الحقوا المسلمين بوالدي وفعل مثل ما فعل اولا وعطف المسلمون عليهم فالحقوهم بالتل فصحت انا ايضا هزمناهم فالتفت والدي الي وقال اسكت ما نهزمهم حتى تسقط تلك الخيمة قال فهو يقول لي واذا الخيمة قد سقطت فنزل السلطان وسجد شكرا لله تعالى وبكى من فرحه وكان سبب سقوطها ان الفرنج لما حملوا تلك الحملات ازدادوا عطشا وقد كانوا يرجون الخلاص في بعض تلك الحملات مما هم فيه فلم يجدوا الى الخلاص

الصابون ففرضوا على تجاره غرامة فامتنع وجوده وبيع الرطل الواحد منه خفية بستين نصفا واكثر وفي هذه الايام غلا سعر الحنطة والفول وبيع الاردب بالف ومائتي نصف فضة خلاف الكلف والاجرة مع ان الاهراء والشون ببولاق ملآنة بالغلال وياكلها السوس ولا يخرجون منها للبيع شيئا حتى قيل لكتخدا بك في اخراج شئ منها يباع في الناس فلم ياذن وكانه لم يكن ماذونا من مخدومه

(واستهل شهر ربيع الثاني بيوم الاثنين سنة ١٢٣٠) في ثامنه عمل محرم بك الكورنتينه بالجيزة على نسق السنة الماضية من اخراج الناس وازعاجهم تطيرا وخوفا من الطاعون (وفيه) خوزقوا شيخ عرب بلي فيما بين قبة العزب والهمايل بعد حبسه اربعة اشهر (وفي يوم الجمعة ثامن عشرينه) ضربت مدافع واشيع الخبر بوصول شخص عسكري بمكاتبات من الباشا وخلافه والخبر بقدوم الباشا وانتشرت المبشرون الى بيوت الاعيان واصحاب المظاهر على عاداتهم لاخذ البقاشيش فمن قائل انه وصل الى القصير ومن قائل انه نزل الى السفينة بالبحر ومنهم من يقول انه حضر الى السويس ثم اختلفت الروايات وقالوا ان الذي وصل الى السويس حريم الباشا فقط ثم تبين كذب هذه الاقاويل وانها مكاتبات فقط مؤرخة اواخر شهر صفر

طريقا فنزلوا عن دوابهم وجلسوا على الارض فصعد المسلمون اليهم فالقوا خيمة الملك واسروهم عن بكرة أبيهم وفيهم الملك واخوه والبرنس أرناط صاحب الكرك ولم يكن في الفرنج أشد منه عداوة للمسلمين واسروا أيضا صاحب جبيل وابن هنفرى ومقدم الداوية وكان من أعظم الفرنج شانا واسروا أيضا جماعة من الداوية وجماعة من الاسبتارية وكثر القتل والاسر فيهم فكان من يرى القتلى لا يظن انهم اسروا واحدا ومن يرى الاسرى لا يظن انهم قتلوا أحدا وما أصيب الفرنج منذ خرجوا الى الساحل وهو سنة احدى وتسعين وأربعمائة الى الآن بمثل هذه الوقعة فلما فرغ المسلمون منهم نزل صلاح الدين في خيمته وأحضر ملك الفرنج عنده وبرنس صاحب الكرك واجلس الملك الى جانبه وقد أهلكه العطش فسقاه ماء مثلوجا فشرب وأعطى فضله برنس صاحب الكرك فشرب فقال صلاح الدين ان هذا الملعون لم يشرب الماء باذنى فينال أمانى ثم كلم البرنس وقرعه بذنوبه وعدد عليه غدراته وقام اليه بنفسه فضرب رقبته وقال كنت نذرت دفعتين أن أقتله ان ظفرت به احداهما لما أراد المسير الى مكة والمدينة والثانية لما اخذ القفل غدرا فلما قتله وسحب واخرج ارتعدت فرائص الملك فسكن جاشه وامنه واما القمص صاحب طرابلس فانه لما نجا من المعركة كما ذكرناه وصل الى صور ثم قصد طرابلس ولم يلبث الا اياما قلائل حتى مات غيظا وحنقا مما جرى على الفرنج خاصة وعلى دين النصرانية عامة

(ذكر عود صلاح الدين الى طبرية وملك قلعتها مع المدينة)

لما فرغ صلاح الدين من هزيمة الفرنج اقام بموضعه باقي يومه واصبح يوم الاحد عاد الى طبرية ونازلها فارسلت صاحبتها تطلب الامان لها ولاولادها واصحابها ومالها فاجابها الى ذلك فخرجت بالجميع فوفى لها فسارت آمنة ثم امر بالملك وجماعة من اعيان الاسرى فارسلوا الى دمشق وامر بمن اسر من الداوية والاسبتارية ان يجمعوا ليقتلهم ثم علم ان من عنده اسير لا يسمح به لما يرجو من فدائه فبذل في كل اسير من هذين الصنفين خمسين دينارا مصرية فاحضر عنده في الحال مائتا اسير منهم فامر بهم فضربت اعناقهم واخص هؤلاء بالقتل لانهم اشد شوكة من جميع الفرنج فاراح الناس من شرهم وكتب الى نائبه بدمشق ليقتل من دخل البلد منهم سواء كان له او لغيره ففعل ذلك ولقد اجتزت بموضع الوقعة بعدها بنحو سنة فرايت الارض ملأى من عظامهم تبين على البعد منها المجتمع بعضه على بعض ومنها المفترق هذا سوى ما جحفته السيول واخذته السباع في تلك الآكام والوهاد

(ذكر فتح مدينة عكا)

لما فرغ صلاح الدين من طبرية سار عنها يوم الثلاثاء ووصل الى عكا يوم الاربعاء وقد صعد أهلها على سورها يظهرون الامتناع والحفظ فعجب هو والناس من ذلك لانهم

وانه عازم على الذهاب الى ناحية قنفدة ثم ينزل بعد ذلك الى البحر ويأتى الى مصر ووصل الخبر بوفاة الشيخ ابراهيم كاتب الصرة

(واستهل شهر جمادى الاولى بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٠)

في سادسه يوم الاحد ضربت مدافع بعد الظهيرة لورود مكاتبة بان الباشا استولى على ناحية من النواحي جهة قنفدة (وفي يوم الجمعة ثامن عشره) وصل المحمل الى بركة الحج وصحبته من بقي من رجال الركب مثل خطيب الجبل والصيرفي والمهلبية ووردت مكاتبات بالقبض على طامى الذى جرى منه ما جرى في وقائع قنفدة السابقة وقتله العساكر فلم يزل راجح الذى اصطلح مع الباشا ينصب له الحبائل حتى صاده وذلك انه عمل لابن اخيه مبلغا من المال ان هو اوقعه في شركه فعمل له وليمة ودعاه الى محله فاتاه آمنا فقبض عليه واقتاله طمعا في المال وأتوا به الى عرضى الباشا وجهه الى بندر جدة في الحال وأنزلوه السفينة وحضروا به الى السويس وعجلوا بحضوره فلما وصل الى البركة والمحمل اذ ذاك بها خرجت جميع العساكر في ليلة الاثنين حادي عشره وانجروا في صبحها طوائف وخلفهم المحمل وبعد مرورهم

علموا ان عساكرهم من فارس وراجل بين قتيل واسير وانهم لم يسلم منهم الا القليل الا انه نزل يومه وركب يوم الخميس وقد صمم على الزحف الى البلد وقتاله فبينما هو ينظر من اين يزحف ويقاتل اذ خرج كثير من أهلها يضرعون ويطلبون الامان فاجابهم الى ذلك وأمنهم على انفسهم وأموالهم وخيرهم بين الاقامة والظعن فاختاروا الرحيل خوفا من المسلمين وساروا عنها متفرقين وحملوا ما امكنهم حمله من أموالهم وتركوا الباقي على حاله ودخل المسلمون اليها يوم الجمعة مستهل جمادى الاولى وصلوا بها الجمعة في جامع كان للمسلمين قديما ثم جعله الفرنج بيعة ثم جعله صلاح الدين جامعا وهذه الجمعة أول جمعة اقيمت بالساحل الشامي بعد ان ملكه الفرنج وسلم البلد الى ولده الافضل واعطى جميع ما كان فيه للداوية من اقطاع وضياع وغير ذلك الفقيه عيسى وغنم المسلمون ما بقي مما لم يطق الفرنج حمله وكان من كثرته يعجز الاحصاء عنه فرأوا فيها من الذهب والجوهر والسقلاط والبندقي والشكر والسلاح وغير ذلك من أنواع الامتعة كثيرا فانها كانت مقصد التجار الفرنج والروم وغيرهم من اقصى البلاد وأدناها وكان كثير منها قد خزنه التجار وسافروا عنه لكساده فلم يكن له من ينقله ففرق صلاح الدين وابنه الافضل ذلك جميعه على اصحابهما وا كثر ذلك فعله الافضل لانه كان مقيما بالبلد وكانت شيمته في الكرم معروفة واقام صلاح الدين بعكا عدة ايام لاصلاح حالها وتقرير قواعدها

●(ذكر فتح مجدل يابا)●

لما هزم صلاح الدين الفرنج ارسل الى اخيه العادل بمصر يبشره بذلك ويامره بالمسير الى بلاد الفرنج من جهة مصر بمن بقي عنده من العسكر ومحاصرة ما يليه منها فسارع الى ذلك وسار عن مصر فنازل حصن مجدل يابا وحصره وغنم ما فيه وورد كتابه بذلك الى صلاح الدين وكانت بشارة كبيرة

●(ذكر فتح عدة حصون)●

في مدة مقام صلاح الدين بعكا تفرق عسكره الى الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف والفولة وغيرها من البلاد المجاورة لعكا فملكوها ونهبوها واسروا رجالها وسبوا نساءها واطفالها وقدموا من ذلك بما سد الفضاء وسير تقي الدين فنزل على تبنين ليقطع الميرة عنها وعن صور وسير حسام الدين عمر بن لاجين في عسكر الى نابلس فاتى سبسطية وبها قبر زكريا فاخذه من ايدي النصارى وسلمه الى المسلمين ووصل الى نابلس فدخلها وحصر قلعتها واستنزل من فيها بالامان وتسلم القلعة وأقام أهل البلد به وأقرهم على أملاكهم وأموالهم

●(ذكر فتح يافا)●

لما خرج العادل من مصر وفتح مجدل يابا كما ذكرنا سار الى مدينة يافا وهي على الساحل فحصرها وملكها عنوة ونهبها واسر الرجال وسبي الحريم وجرى على أهلها ما لم يجر على

احد

وتمثلوا ايضا المذكور وهو راكب على هجين وفي رقبته الحديد والجنزير مربوطا في عنق الهجين وصورته رجل شهم عظيم الهيئة وهو لابس عباءة عبدانية ويقرأ وهو راكب وعملوا في ذلك اليوم شنكا ومدافع وحضر أيضا عابدين بك وتوجه الى داره في ليلة الاثنين

●(واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الخميس سنة ١٢٣٠) في خامسه وصلت عساكر في داوات الى السويس وحضروا الى مصر وعلى رؤسهم شلنجات فضة اعلاما واشارة بانهم مجاهدون وعائدون من غزو الكفار وانهم افتتحوا بلاد الحرمين وطردوا المخالفين لديانتهم حتى ان طوسون باشا وحسن باشا كتبا في امضائهما على المراسلات بعد اسمهما لفظة المغازي والله اعلم بخلقه (وفي تاسعه) اخرجوا عساكر كثيرة وجوهم الى الثغور ومحافظة الاسا كل خوفا من طارق يطرق الثغور لانه اشيع ان بونابارته كبير الفرنساوية خرج من الجزيرة التي كان بها ورجع الى فرانسا وملكها وأغار على بلاد الجورنه وخرج بعمارة كبيرة لا يعلم قصده الى اي جهة يريد فربما طرق ثغر الاسكندرية او دمياط على حين غفلة وقيل غير ذلك وسئل كتخدا بك عن سبب خروجهم فقال خوفا عليهم من الطاعون ولئلا يوخموا المدينة لانه وقع في هذه السنة

احدمن اهل تلك البلاد وكان عندى جارية من اهلها وانا بحلب ومعها طفل عمره نحو سنة فسقط من يدها فانسلخ وجهه فبكت عليه كثيرا فسكنتها واعلمتها انه ليس بولدها مايوجب البكاء فقالت ماله ابكى انما ابكى لما جرى علينا كان لى ستة اخوة كلهم هلكوا جميعهم وزوج واختان لا اعلم ما كان منهم هذا من امراة واحدة والباقى بالنسبة ورايت بحلب امراة فرنجية قد جاءت مع سيدها الى باب فطر قسيدها فخرج صاحب البيت فكلمهم ثم اخرج امراة فرنجية فحين راتها الاخرى صاحتا واعتنقتا وهما يصرخان و يبكيان وسقطتا الى الارض ثم قعدتا يتحدثان واذهما اختان وكان لهما اعدة من الاهل ليس لهما علم باحدمنهم

(ذكر فتح تبنين وصيدا وجبيل وبيروت)

فاما تبنين فقد ذكرنا انفاذ صلاح الدين تقى الدين ابن اخيه الى تبنين فلما وصلها نازلها واقام عليها فراى حصرها لايتم الابوصول عمه صلاح الدين اليه فارسل اليه يعلمه الحال ويحثه على الوصول اليه فرحل ثامن جمادى الاولى ونزل عليه حادى عشره فحصرها وضايقها وقاتلها بالزحف وهى من القلاع المنيعة على جبل فلما ضاق عليهم الامر واشتد الحصر اطلقوا من عندهم من اسرى المسلمين وهم يزيدون على مائة رجل فلما دخلوا العسكر احضرهم صلاح الدين وكساهم واعطاهم نفقة وسيرهم الى اهليهم وبقى الفرنج كذلك خمسة ايام ثم ارسلوا يطلبون الامان فامنهم على انفسهم فسلموها اليه ووفى لهم وسيرهم الى مامنهم واما صيدا فان صلاح الدين لما فرغ من تبنين رحل عنها الى صيدا فاجتاز فى طريقه بصرفند فاخذها صفوا عفوا بغير قتال وسار عنها الى صيدا وهى من مدن الساحل المعروفة فلما سمع صاحبها بمسيره نحوه سار عنها وتركها فارغة من مانع ومدافع فلما وصلها صلاح الدين تسلمها ساعة وصوله وكان ملكها التاسع بقين من جمادى الاولى واما بيروت فهى من احصن مدن الساحل وانزهها واطيبها فلما فتح صلاح الدين صيدا سار عنها من يومه نحو بيروت ووصل اليها من الغد فراى اهلها قد صعدوا على سورها واظهروا القوة والجلد والعدد وقاتلوا على سورها قتالا شديدا واغتروا بحصانة البلد وظنوا انهم قادرون على حفظه وزحف المسلمون اليهم مرة بعد مرة فبينما الفرنج يقاتلون اذ سمعوا من البلد جلبة عظيمة وغلبة زائدة فاتاهم من اخبرهم ان البلد قد دخله المسلمون من الناحية الاخرى قهرا وغلبة فارسلوا ينظرون ما الخبر واذا ليس له صحة فارادوا تسكين من به فلم يمكنهم ذلك لكثرة ما اجتمع فيه من السواد فلما خافوا على انفسهم من الاختلاف الواقع ارسلوا يطلبون الامان فامنهم على انفسهم واموالهم وتسلمها فى التاسع والعشرين من جمادى الاولى من السنة فكان مدة حصرها ثمانية ايام واما جبيل فان صاحبها كان من جملة الاسرى الذين سيروا الى دمشق مع ملكهم فتحدث مع نائب صلاح الدين بدمشق فى تسليم جبيل على شرط اطلاقه فعرف صلاح الدين بذلك فاحضره مقيدا عنده تحت الاستظهار والاحتياط

وكان بالطاعون وهلك الكثير من العسكر واهل البلدة والاطفال والجوارى والعبيد خصوصا السودان فانه لم يبق منهم الا القليل النادر وخلت منهم الدور (وفى منتصفه) اخرج كتخدا بك صدقة تفرق على الاولاد الايتام الذين يقرؤن بالكتاتيب ويدعون برفع الطاعون فكانوا يجمعونهم ويأتى بهم فقهاؤهم الى بيت حسين كتخدا الكتخدا عند حيضان مصلى و يدفعون لكل صغير ورقة بها ستون نصفا فضة ياخذ منها جزأ الذى يجمع الطائفة منهم و يدعى انه معلمهم زيادة عن حصته لان معظم المكاتب مغلوقة وليس بها احد بسبب تعطيل الاوقاف وقطع ايرادهم وصار لهذه الاطفال جلبة وغوغاء فى ذهابهم ورجوعهم فى الاسواق وعلى بيت الذى تقسم عليهم

(واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة ١٢٣٠)

فى سادسه يوم الاربعاء وصلت هجانة من ناحية قبلى واخبروا بوصول الباشا الى القصير فخلع عليهم كتخدا بك كساوى ولم يأمر بعمل شنك ولامدافع حتى يتحقق صحة الخبر (وفى ليلة الجمعة ثامنه) احترق بيت طاهر باشا بالازبكية والبيت الذى بجواره ايضا (وفى يوم الجمعة) المذكور قبيل العصر ضربت مدافع كثيرة من القلعة والجيزة وذلك عندما ثبت وتحقق ورود الباشا الى قنا وقوص ووصل اصحاح بيم

وكان العسكر حينئذ على بيروت فسلم حصنه واطلق اسرى المسلمين الذين به واطلقه صلاح الدين كما شرط له وكان هذا صاحب جبيل من اعيان الفرنج واصحاب الراى والمكر والشر به يضرب المثل بينهم وكان للمسلمين منه عدو ازرق وكان اطلاقه من الاسباب الموهنة للمسلمين على ماياتى بيانه

(ذكر خروج المركيش الى صور)

لما انهزم القمص صاحب طرابلس من حطين الى مدينة صور فاقام بها وهى أعظم بلاد الشام حصانة وأشدها امتناعا على من رامها فلما رأى السلطان قد ملك تبنين وصيدا وبيروت خاف ان يقصد صلاح الدين صور وهى فارغة ممن يقاتل فيها ويحميها ويمنعها فلا يقوى على حفظها وتركها وسار الى مدينة طرابلس فبقيت صور شاغرة لامانع لها ولا عاصم من المسلمين فلو بدأ بها صلاح الدين قبل تبنين وغيرها الاخذها بغير مشقة لكنه استعظمها لحصانتها فاراد ان يفرغ باله مما يجاورها من نواحيها ليسهل أخذها فكان ذلك سبب حفظها وكان أمر الله قدرا مقدورا واتفق ان انسانا من الفرنج الذين داخل البحر يقال له المركيش لعنه الله خرج فى البحر بمال كثير للزيارة والتجارة ولم يشعر بما كان من الفرنج فارسى بعكا وقد رابه مارأى من ترك عوائد الفرنج عند وصول المراكب من الفرح وضرب الاجراس وغير ذلك ومارأى أيضا من زى اهل البلد فوقف ولم يدر ماالخبر وكانت الريح قد ركدت فارسل الملك الافضل اليه بعض اصحابه فى سفينة يبصر من هو ومايريد فاتاه القاصد فسأله المركيش عن الاخبار لما انكره فاخبره بكسرة الفرنج واخذ عكا وغيرها واعلمه ان صور بيد الفرنج وعسقلان وغيرها وحكى الامر له على وجهه فلم يمكنه الحركة لعدم الريح فرد الرسول يطلب الامان ليدخل البلد بما معه من متاع ومال فاجيب الى ذلك فردده مرارا كل مرة يطلب شيئا لم يطلبه فى المرة الاولى وهو يفعل ذلك انتظار الهبوب الهواء ليسير به فبينما هو فى مراجعاته اذهبت الريح فسار نحو صور وسير الملك الافضل الشوانى فى طلبه فلم يدركوه فاتى صور وقد اجتمع بها من الفرنج خلق كثير لان صلاح الدين كان كلما فتح مدينة من عكا وبيروت وغيرهما مماذكرنا اعطى أهلها الامان فساروا كلهم الى صور وكثر الجمع بها الا انهم ليس لهم رأس يجمعهم ولا مقدم يقاتل بهم وليسوا اهل حرب وهم عازمون على مراسلة صلاح الدين وتسليم البلد اليه فاتاهم المركيش وهم على ذلك العزم فردهم عنه وقوى نفوسهم وضمن لهم حفظ المدينة وبذل مامعه من الاموال وشرط عليهم ان تكون المدينة وأعمالها له دون غيره فاجابوه الى ذلك فاخذ أيمانهم عليه واقام عندهم ودبر احوالهم وكان من شياطين الانس حسن التدبير والحفظ وله شجاعة عظيمة وشرع فى تحصينها فجدد حفر خنادقها وعمل اسوارها وزاد فى حصانتها واتفق من بها على الحفظ والقتال دونها

(ذكر فتح عسقلان ومايجاورها)

لما

وركب للسلام عليه جميع نساء الاتابر والاعيان بهداياهم وتقادمهم ومنعوا

الباشلو طلعوا الى قصر شبرا المارين من المسافرين والفلاحين الواصلين من الارياف المرور من تحت القصر الذى هو الطريق المعتادة للمسافرين فكانوا يذهبون ويمرون من طريق يتحدثونها منعطفة خلاف تلك الطريق ومسبعدة بمسافة طويلة (وفى ليلة الخميس رابع عشره) انخسف جرم القمر جميعه بعد الساعة الثالثة وكان فى آخر برج القوس (وفى ليلة الجمعة خامس عشره) وصل الباشا الى الجيزة ليلا فاقام بها الى آخر الليل ثم حضر الى داره بالازبكية فاقام بها يومين وحضر كتخدا بك واكابر دولته للسلام عليه فلم ياذن لاحد وكذلك مشايخ الوقت ذهبوا ورجعوا ولم يجتمع به أحد سوى ثانى يوم وترادفت عليه التقادم والهدايا من كل نوع من اكابر الدولة والنصارى باجناسهم خصوصا الارمن وخلافهم بكل صنف من التحف حتى السرارى البيض بالحلى والجواهر وغير ذلك واشيع فى الناس فى المصر وفى القرى بانه تاب عن الظلم وعزم على اقامة العدل وانه نذر على نفسه انه اذا رجع منصورا واستولى على ارض الحجاز أفرج للناس عن حصصهم ورد الارزاق الاحباسية الى اهلها وزادوا على هذه الاشاعة انه فعل

لما ملك صلاح الدين بيروت وجبيل وغيرهما كان امر عسقلان والقدس اهم عنده لاسباب منها انهما على طريق مصر يقطع بينهما وبين الشام وكان يختار ان تتصل الولايات له ليسهل خروج العسكر منها ودخولهم اليها ولما في فتح القدس من الذكر الجميل والصيت العظيم الى غير ذلك من الاغراض فسار عن بيروت نحو عسقلان واجتمع باخيه العادل ومن معه من عساكر مصر ونازلوها يوم الاحد سادس عشر جمادى الآخرة وكان صلاح الدين قد احضر ملك الفرنج ومقدم الداوية اليه من دمشق وقال لهما ان سلمتما البلاد الى فلكما الامان فارسلا الى من بعسقلان من الفرنج يامرانهم بتسليم البلد فلم يسمعوا أمرهما وردوا عليهما اقبح رد وجبهوهما بما يسوءهما فلما رأى السلطان ذلك جد في قتال المدينة ونصب المجانيق عليها وزحف مرة بعد اخرى وتقدم النقابون الى السور فنالوا منه شيئا هذا وملكهم يكرر المراسلات اليهم بالتسليم ويشير عليهم ويعدهم انه اذا اطلق من الاسر اضرم البلاد على المسلمين نارا واستنجد بالفرنج من البحر واجلب الخيل والرجل من اقاصي بلاد الفرنج وادانيها وهم لا يجيبون الى ما يقول ولا يسمعون ما يشير به ولما رأوا انهم كل يوم يزدادون ضعفا ووهنا واذا قتل منهم الرجل لا يجدون له عوضا ولا لهم نجدة ينتظرونها راسلوا صلاح الدين في تسليم البلد على شروط اقترحوها فاجابهم صلاح الدين اليها وكانوا قتلوا في الحصار اميرا كبيرا من المهرانية فخافوا عند مفارقة البلد ان عشيرته يقتلون منهم بثاره فاحتاطوا فيما اشترطوا لانفسهم فاجيبوا الى ذلك جميعه وسلموا المدينة سلخ جمادى الآخرة من السنة وكانت مدة الحصار اربعة عشر يوما وسيرهم صلاح الدين ونساءهم واموالهم واولادهم الى بيت المقدس ووفى لهم بالامان

(ذكر فتح البلاد والحصون المجاورة لعسقلان)

لما فتح صلاح الدين عسقلان اقام بظاهرها وبث السرايا في اطراف البلاد المجاورة لها ففتحوا الرملة والداروم وغزة ومشهد ابراهيم الخليل عليه السلام وتبنين وبيت لحم وبيت جبريل والنظرون وكل ما كان للداوية

(ذكر فتح البيت المقدس)

لما فرغ صلاح الدين من امر عسقلان وما يجاورها من البلاد على ما تقدم وكان قد ارسل الى مصر اخرج الاسطول الذي بها في جمع من المقاتلة ومقدمهم حسام الدين لؤلؤ الحاجب وهو معروف بالشجاعة والشهامة ويمن النقيبة فاقاموا في البحر يقطعون الطريق على الفرنج كلما رأوا لهم مركبا غنموه وشانيا اخذوه فحين وصل الاسطول وخلا سره من تلك الناحية سار عن عسقلان الى البيت المقدس وكان به البطرك المعظم عندهم وهو اعظم شانا من ملكهم وبه ايضا باليان بن بيرزان صاحب الرملة وكانت مرتبته عندهم تقارب مرتبة الملك وبه ايضا من خلص من فرسانهم من حطين وقد جمعوا وحشدوا واجتمع اهل تلك النواحي عسقلان وغيرها فاجتمع به كثير من

ذلك في البلاد القبلية ورد كل شيء الى اصله وتساقلوا ذلك في جميع النواحي وباتوا يتخيلونه في احلامهم ولما مضى من وقت حضوره ثلاثة ايام كتبوا اوراقا لمشاهير الملتزمين مضمونها انه بلغ حضرة افندينا ما فعله الاقباط من ظلم الملتزمين والجور عليهم في فائظهم فلم يرض بذلك والحال انكم تحضرون بعد ار بعة ايام وتحاسبون على فائظكم وتقبضونه فان افندينا لا يرضى بالظلم وعلى الاوراق امضاء الدفتردار ففرح اكثر المغفلين بهذا الكلام واعتقدوا صحته واشاعوا ايضا انه نصب تجاه قصر شبرا خوازيق للمعلم غالي واكابر القبط (وفي رابع عشرينه) حضر الكثير من اصحاب الارزاق الكائنين بالقرى والبلاد مشايخ واشرافا وفلاحين ومعهم بيارق واعلام مستبشرين وفرحين بما سمعوه واشاعوه وذهبوا الى الباشا وهو يعمل رماحة بناحية القبة يرمي ببنادق كثيرة وميدان تعليم فلما رآهم واخبروه عن سبب مجيئهم فامر بضربهم وطردهم ففعلوا بهم ذلك ورجعوا خائبين (وفيه) حضر محمود بك والمعلم غالي من سرحتهما وقابلا الباشا وخلع عليهما وكساهما والبسهما فراوي سمور فركب المعلم غالي وعليه الخلعة وشق من وسط المدينة وخلفه عدة كثيرة من الاقباط ليراه الناس ويكمد

الخلق كلهم يرى الموت أيسر عليه من أن يملك المسلمون البيت المقدس ويأخذوه منهم
ويرى أن يبذل نفسه وماله وأولاده بعض ما يجب عليه من حفظه وحصنوه تلك الايام
بما وجدوا اليه سبيلا وصعدوا على سوره بحدهم وحديدهم مجتمعين على حفظه
والذب عنه بجهدهم وطاقتهم مظهرين العزم على المناضلة دونه بحسب استطاعتهم
ونصبوا المنجنيقات ليمنعوا من يريد الدنو منه والنزول عليه ولما قرب صلاح الدين
منه تقدم أمير في جماعة من اصحابه غير محتاط ولا حذر فلقيه جمع من الفرنج قد خرجوا
من القدس ليكونوا يزكا فقاتلوه وقاتلهم فقتلوه وقتلوا جماعة ممن معه فاهم المسلمين
قتله وفجعوا بفقده وساروا حتى نزلوا على القدس منتصف رجب فلما نزلوا عليه رأى
المسلمون على سوره من الرجال ما هالهم وسمعوا لاهله من الجلبة والضجيج من وسط
المدينة ما استدلوا به على كثرة الجمع وبقي صلاح الدين خمسة أيام يطوف حول المدينة
لينظر من اين يقاتله لانه في غاية الحصانة والامتناع فلم يجد عليه موضع قتال الا من
جهة الشمال نحو باب عمود او كنيسة صهيون فانتقل الى هذه الناحية في العشرين
من رجب ونزلها ونصب تلك الليلة المنجنيقات فاصبح من الغد وقد فرغ من نصبها ورمى
بها ونصب الفرنج على سور البلد منجنيقات ورموا بها وقوتلوا أشد قتال رآه أحد من
الناس كل واحد من الفريقين يرى ذلك دينا وحتما واجبا فلا يحتاج فيه الى باعث
سلطاني بل كانوا يمنعون ولا يمتنعون ويزجرون ولا ينزجرون وكان خيالة الفرنج كل
يوم يخرجون الى ظاهر البلد يقاتلون ويبارزون فيقتل من الفريقين وممن استشهد
من المسلمين الامير عز الدين عيسى بن مالك وهو من اكابر الامراء وكان ابوه صاحب
قلعة جعبر وكان يباشر القتال بنفسه كل يوم فقتل الى رحمة الله تعالى وكان محبوبا
الى الخاص والعام فلما رأى المسلمون مصرعه عظم عليهم ذلك وأخذ من قلوبهم فحملوا
حملة رجل واحد فازالوا الفرنج عن مواقفهم فادخلوهم بلدهم ووصل المسلمون الى
الخندق فجاوزوه والتصقوا الى السور فنقبوه وزحف الرماة يحمونهم والمنجنيقات
توالي الرمي لتكشف الفرنج عن الاسوار ليتمكن المسلمون من النقب فلما نقبوه
حشوه بما جرت به العادة فلما رأى الفرنج شدة قتال المسلمين وتحكم المنجنيقات بالرمي
المتدارك وتمكن النقابين من النقب وانهم قد اشرفوا على الهلاك اجتمع مقدموهم
يتشاورون فيما يأتون ويذرون فاتفق رأيهم على طلب الامان وتسليم البيت المقدس
الى صلاح الدين فارسلوا جماعة من كبرائهم واعيانهم في طلب الامان فلما ذكروا ذلك
للسلطان امتنع من اجابتهم وقال لا افعل بكم الا كما فعلتم باهله حين ملكتموه سنة
اثنتين وتسعين واربعمائة من القتل والسبي وجزاء السيئة بمثلها فلما رجع الرسل
خائبين محرومين أرسل باليان بن بيرزان وطلب الامان لنفسه ليحضر عند صلاح الدين
في هذا الامر وتحريره فأجيب الى ذلك وحضر عنده ورغب في الامان وسأل فيه فلم
يجبه الى ذلك واستعطفه فلم يعطف عليه واسترحمه فلم يرحمه فلما ايس من ذلك قال له
ايها السلطان اعلم اننا في هذه المدينة في خلق كثير لا يعلمهم الا الله تعالى وانما يفترون

الاعداء ويبطل ماقيل من التقولات ثم اقام مدة وجيزة ايام قليلة ورجع لاشغالهما وتتميم افعالهما من تحرير
القياس وجبي الاموال وكانا
ارسلا قبل حضورهما عدة
كثيرة من الجمال الحاملة
للاموال في كل يوم قطارات
بعضها اثر بعض من الشرقية
والغربية والمنوفية وباقي
الاقاليم (وفيه) حضر شيخ
طرهونة بجهة قبلي ويسمى
كريم بضم الكاف وفتح الراء
وتشديد الياء وسكون الميم
وكان عاصيا على الباشا ولم
يقابله ابدا ولم يزل يحتال
عليه ابراهيم باشا ويصالحه
ويمنيه حتى اتى اليه وقابله
وامنه فلما حضر الباشا ابوه
من الحجاز اتاه على امان ابنه
وقدم معه هدية واربعين من
الابل فقبل هديته ثم امر برمي
عنقه بالرميلة

*(واستهل شهر شعبان
سنة ١٢٣٠)*

والناس في امر مريج من قطع
ارزاقهم وارباب الالتزامات
والحصص التي ضبطها الباشا
ورفع ايديهم عن التصرف في
شئ منها خلا طين الاوسية
فانه سامحهم فيه سوى ما زاد
عن الروك الذي قاسوه فانه
لديوانه ووعدهم بصرف
المال الحر المعين بالسند
الديواني فقط بعد التحرير
والمطابقة ومناقضة الكتبة
الاقباط في القوائم واقاموا
منتظرين الحجاز وعده اياما
يغدون ويروحون ويسالون الكتبة ومن له وصلة بهم وقد ضاق خناقهم من التفليس

عن

عن القتال رجاء الامان ظنا منهم انك تجيبهم اليه كما اجبت غيرهم وهم يكرهون الموت ويرغبون فى الحياة فاذا رأينا الموت لابد منه فوالله لنقتلن أبناءنا ونساءنا ونحرق أموالنا وأمتعتنا ولا نترككم تغنمون منها دينارا ولا درهما ولا تسبون وتأسرون رجلا ولا امرأة واذا فرغنا من ذلك اخربنا الصخرة والمسجد الاقصى وغيرهما من المواضع ثم نقتل من عندنا من اسارى المسلمين وهم خمسة آلاف أسير ولا نترك لنا دابة ولا حيوانا الا قتلناه ثم خرجنا اليكم كلنا فاتلنا كم قتال من يريد ان يحمى دمه ونفسه وحينئذ لا يقتل الرجل حتى يقتل امثاله ونموت اعزاء او نظفر كراما فاستشار صلاح الدين اصحابه فاجمعوا على اجابتهم الى الامان وان لا يخرجوا ويحملوا على ركوب ما لا يدرى عاقبة الامر فيه عن أى شئ تنجلى ونحسب انهم اسارى بايدينا فنبيعهم نفوسهم بما يستقر بيننا وبينهم فاجاب صلاح الدين حينئذ الى بذل الامان للفرنج فاستقر أن يؤخذ من الرجل عشرة دنانير يستوى فيه الغنى والفقير ويزن الطفل من الذكور والبنات دينارين وتزن المرأة خمسة دنانير فمن ادى ذلك الى اربعين يوما فقد نجا ومن انقضت الاربعون يوما عنه ولم يؤد ما عليه فقد صار مملوكا فبذل باليان بن بيرزان عن الفقراء ثلاثين الف دينار فاجيب الى ذلك وسلمت المدينة يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب وكان يوما مشهودا ورفعت الاعلام الاسلامية على اسواره ورتب صلاح الدين على ابواب البلد فى كل باب امينا من الامراء ليأخذوا من اهله ما استقر عليهم فاستعملوا الخيانة ولم يؤدوا فيه امانة واقتسم الامناء الاموال وتفرقت أيدى سبا ولو اديت فيه الامانة لملأ الخزائن وعم الناس فانه كان فيه على الضبط ستون الف رجل ما بين فارس وراجل سوى من يتبعهم من النساء والولدان ولا يعجب السامع من ذلك فان البلد كبير واجتمع اليه من تلك النواحى من عسقلان وغيرها والداروم والرملة وغزة وغيرها من القرى بحيث امتلأت الطرق والكنائس وكان الانسان لا يقدر ان يمشى ومن الدليل على كثرة الخلق ان اكثرهم وزن ما استقر من القطيعة واطلق باليان بن بيرزان ثمانية عشر الف رجل وزن عنهم ثلاثين الف دينار وبقى بعد هذا جميعه من لم يكن معه ما يعطى واخذ اسيرا ستة عشر الف آدمى ما بين رجل وامرأة وصبى هذا بالضبط واليقين ثم ان جماعة من الامراء ادعى كل واحد منهم ان جماعة من رعيته اقطاعه مقيمون بالبيت المقدس فيطلقهم ويأخذ قطيعتهم وكان جماعة من الامراء يلبسون الفرنج زى الجند المسلمين ويخرجونهم ويأخذون منهم قطيعة قرروها واستوهب جماعة من صلاح الدين عددا من الفرنج فوهبهم لهم فاخذوا قطيعتهم وبالجملة فلم يصل الى خزائنه الا القليل وكان بالقدس بعض نساء الملوك من الروم وقد ترهبت واقامت به ومعها من الحشم والعبيد والجوارى خلق كثير ولها من الاموال والجواهر النفيسة شئ عظيم فطلبت الامان لنفسها ومن معها فامنها وسيرها وكذلك ايضا اطلق ملكة القدس التى كان زوجها الذى اسره صلاح الدين قد ملك الفرنج بسببها ونيابة عنها كان يقوم بالملك واطلق مالها وحشمها واستاذنته فى المصير

وقطع الايراد ورضوا بالاقل وتشوفوا لحصوله وكل قليل يعدون بسداد بعد ايام او ثلاثة ايام حتى تحرر الدفاتر فاذا تحررت قيل ان الباشا امر بتغييرها وتحريرها على نسق آخر ويكرر ذلك ثانيا وثالثا على حسب تفاوت المتحصل فى السنين وما يتوفر فى الخزينة قليلا او كثيرا (وفيه) وصل رجل تركى على طريق دمياط يزعم انه عاش من العمر زمنا طويلا وانه ادرك اوائل القرن العاشر ويذكر انه حضر الى مصر مع السلطان سليم وادرك وقته وواقعته مع السلطان الغورى وكان فى ذلك الوقت تابعا لبعض البيرقدارية وشاع ذكره وحكى من رآه ان ذاته تخالف دعواه وامتحنه البعض فى مذاكرة الاخبار والوقائع فحصل منه تخليط ثم امر الباشا بنفيه وابعاده فانزلوه فى مركب وغاب خبره فيقال انهم اغرقوه والله اعلم (وفى خامس عشرينه) حملوا الديوان ببيت الدفتردار وفتحوا باب صرف الفائظ على ارباب حصص الالتزام فجعلوا يعطون منه جانبا واكثر ما يعطونه نصف القدر الذى قرروه واقل وازيد قليلا (وفيه) امر الباشا لجميع العساكر بالخروج الى الميدان لعمل التعليم والرماحة خارج باب النصر حيث قبة العزب فخرجوا من ثلث الليل الاخير

الى زوجها وكان حينئذ محبوسا بقلعة نابلس فاذن لها فاتته واقامت عنده واتته ايضا امراة للبرنس ارناط صاحب الكرك وهو الذى قتله صلاح الدين بيده يوم المصاف بحطين فشفعت فى ولد لها ماسور فقال لها صلاح الدين ان سلمت الكرك اطلقته فسارت الى الكرك فلم يسمع منها الفرنج ولم يسلموه فلم يطلق ولدها ولكنه اطلق مالها ومن تبعها وخرج البطرك الكبير الذى للفرنج ومعه من اموال البيع منها الصخرة والاقصى وقمامة وغيرها مالا يعلمه الا الله تعالى وكان له من المال مثل ذلك فلم يعرض له صلاح الدين فقيل له لياخذ ما معه يقوى به المسلمين فقال لا اغدر به ولم ياخذ منه غير عشرة دنانير وسير الجميع ومعهم من يحميهم الى مدينة صور وكان على راس قبة الصخرة صليب كبير مذهب فلما دخل المسلمون البلد يوم الجمعة تسلق جماعة منهم الى اعلى القبة ليقلعوا الصليب فحين صعدوا صاح الناس كلهم وقاوا احدا من البلد ومن ظاهره المسلمون والفرنج اما المسلمون فكبروا فرحا واما الفرنج فصاحوا تفجعا وتوجعا فسمع الناس صيحة كادت الارض ان تميد بهم لعظمها وشدتها فلما ملك البلد وفارقه الكفار امر صلاح الدين باعادة الابنية الى حالها القديم فان الداوية بنوا غربى الاقصى ابنية ليسكنوها وعملوا فيها ما يحتاجون اليه من هرى ومستراح وغير ذلك وادخلوا بعض الاقصى فى ابنيتهم فاعيد الى الاول وامر بتطهير المسجد والصخرة من الاقذار والانجاس ففعل ذلك اجمع ولما كان الجمعة الاخرى رابع شعبان صلى المسلمون فيه الجمعة ومعهم صلاح الدين وصلى فى قبة الصخرة وكان الخطيب والامام محيي الدين ابن الزكى قاضى دمشق ثم رتب فيه صلاح الدين خطيبا واماما برسم الصلوات الخمس وامر ان يعمل له منبر فقيل له ان نور الدين محمودا كان قد عمل بحلب منبرا امر الصناع بالمبالغة فى تحسينه واتقانه وقال هذا قد عملناه لينصب بالبيت المقدس فعمله النجارون فى عدة سنين لم يعمل فى الاسلام مثله فامر باحضاره فحمل من حلب ونصب بالقدس وكان بين عمل المنبر وحمله ما يزيد على عشرين سنة وكان هذا من كرامات نور الدين وحسن مقاصده رحمه الله ولما فرغ صلاح الدين من صلاة الجمعة تقدم بعمارة المسجد الاقصى واستنفاد الوسع فى تحسينه وترصيفه وتدقيق نقوشه فاحضروا من الرخام الذى لا يوجد ومن الفص المذهب القسطنطيني وغير ذلك مما يحتاجون اليه قد ادخر على طول السنين فشرعوا فى عمارته ومحوا ما كان فى تلك الابنية من الصور وكان الفرنج فرشوا الرخام فوق الصخرة وغيبوها فامر بكشفها وكان سبب تغطيتها بالفرش ان القسيسين باعوا كثيرا منها للفرنج الواردين اليهم من داخل البحر للزيارة فكانوا يشترونه بوزنه ذهبا رجاء بركتها وكان احدهم اذا دخل الى بلاده باليسير منها بنى له الكنيسة ويجعل فى مذبحها فخاف بعض ملوكهم ان تفنى فامر بها ففرش فوقها حفظا لها فلما كشفت نقل اليها صلاح الدين المصاحف الحسنة والربعات الجيدة ورتب القراء وادر عليهم الوظائف الكثيرة فعاد الاسلام هناك غضا طريا وهذه المكرمة من فتح البيت المقدس لم يفعلها بعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه غير صلاح

الدين

وأشعلوا الرماحة والبندقة المتواصلة المتتابعة مثل الرعود على طريقة الافرنج وقلك من قبيل الفجر الى الضحوة ولما انقضى ذلك رجعوا داخلين الى المدينة فى كبكبة عظيمة حتى زحموا الطرق بخيولهم من كل ناحية وداسوا اشخاصا من الناس بخيولهم بل وحميرا ايضا واشيع ان الباشا قصده احصاء العسكر وترتيبهم على النظام الجديد واوضاع الافرنج ويلبسهم الملابس المقمطة ويغير شكلهم وركب فى ثانى يوم الى بولاق وجمع عساكر ابنه اسمعيل باشا وصففهم على الطريقة المعروفة بالنظام الجديد وعرفهم قصده فعل ذلك بجميع العساكر ومن ابى ذلك قابله بالضرب والطرد والنفي بعد سلبه حتى من ثيابه ثم ركب من بولاق وذهب الى شبرا وحصل فى العسكر قلقلة ولغط وتناجوا فيما بينهم وتفرق الكثير منهم من مخاديمهم واكابرهم ووافقهم على النفور بعض اعيانهم واتفقوا على غدر الباشا ثم ان الباشا ركب من قصر شبرا وحضر الى بيت الازبكية ليلة الجمعة ثامن عشرينه وقد اجتمع عنده عابدين بك بداره جماعة من اكابرهم فى ولمة وفيهم محو بك وعبد الله اغا صاري جلة وحسن اغا الازرنجلي فتفاوضوا

الدين رحمه الله وكفاه ذلك فخرا وشرفا واما الفرنج من اهله فانهم اقاموا وشرعوا فى بيع ما لا يمكنهم حمله من امتعتهم وذخائرهم واموالهم وما لا يطيقون حمله وباعوا ذلك بارخص الثمن فاشتراه التجار من اهل العسكر واشتراه النصارى من اهل القدس الذين ليسوا من الفرنج فانهم طلبوا من صلاح الدين ان يمكنهم من المقام فى مساكنهم ويأخذ منهم الجزية فاجابهم الى ذلك فاستقروا فاشتروا حينئذ من اموال الفرنج وترك الفرنج ايضا اشياء كثيرة لم يمكنهم بيعها من الاسرة والصناديق والبتيات وغير ذلك وتركوا ايضا من الرخام الذى لا يوجد مثله من الاساطين والالواح والفص وغيره شيئا كثيرا ثم ساروا

٭(ذكر رحيل صلاح الدين الى صور ومحاصرتها)٭

لما فتح صلاح الدين البيت المقدس اقام بظاهره الى الخامس والعشرين من شعبان يرتب امور البلد واحواله وتقدم بعمل الربط والمدارس فجعل دار الاسبتار مدرسة للشافعية وهى فى غاية ما يكون من الحسن فلما فرغ من امر البلد سار الى مدينة صور وكانت قد اجتمع فيها من الفرنج عالم كثير وقد صار المركيش صاحبها والحاكم فيها وقد ساسهم احسن سياسة وبالغ فى تحصين البلد ووصل صلاح الدين الى عكا واقام بها اياما فلما سمع المركيش بوصوله اليها جد فى عمل سور صور وخنادقها وتعميقها ووصلها من البحر الى البحر من الجانب الآخر فصارت المدينة كالجزيرة فى وسط الماء لا يمكن الوصول اليها ولا الدنو منها ثم رحل صلاح الدين من عكا فوصل الى صور تاسع شهر رمضان فنزل على نهر قريب البلد بحيث يراه حتى اجتمع الناس وتلاحقوا وسار فى الثانى والعشرين من رمضان فنزل على تل يقارب سور البلد بحيث يرى القتال وقسم القتال على العسكر كل جمع منهم له وقت معلوم يقاتلون فيه بحيث أن يتصل القتال على أهل البلد على ان الموضع الذى يقاتلون منه قريب المسافة يكفيه الجماعة اليسيرة من أهل البلد لحفظه وعليه الخنادق التى قد وصلت من البحر الى البحر فلا يكاد الطير يطير عليها فان المدينة كالكف فى البحر والساعد متصل بالبر والبحر من جانبى الساعد والقتال انما هو فى الساعد فزحف المسلمون مرة بالمنجنيقات والعرادات والجروخ والدبابات وكان اهل صلاح الدين يتناوبون القتال مثل ولده الافضل وولده الظاهر غازى واخيه العادل بن ايوب وابن اخيه تقى الدين وكذلك سائر الامراء وكان للفرنج شوانى وحراقات يركبون فيها فى البحر ويقفون من جانبى الموضع الذى يقاتل المسلمون منه اهل البلد فيرمون المسلمين من جانبيهم بالجروخ ويقاتلونهم وكان ذلك يعظم عليهم لان اهل البلد يقاتلونهم من بين ايديهم واصحاب الشوانى يقاتلونهم من جانبيهم فكانت سهامهم تنفذ من احد الجانبين الى الجانب الآخر لضيق الموضع فكثرت الجراحات فى المسلمين والقتل ولم يتمكنوا من الدنو الى البلد فارسل صلاح الدين الى الشوانى التى جاءته من مصر وهى عشر قطع وكانت بعكا فاحضرها برجالها

بينهم امر الباشا وما هو شارع فيه واتفقوا على الهجوم عليه فى داره بالازبكية فى الفجرية ثم ان عابدين بك غافلهم وتركهم فى انسهم وخرج متنكرا مسرعا الى الباشا واخبره ورجع الى اصحابه فاسرع الباشا فى الحال الركوب فى سادس ساعة من الليل وطلب عساكر طاهر باشا فركبوا معه وحوط المنزل بالعساكر ثم اختلف الطريق وذهب على ناحية الناصرية ومرى الاشاب وصعد الى القلعة وتبعه من يثق به من العساكر وانخرم امر المتوافقين ولم يسعهم الرجوع عن عزيمتهم فساروا الى بيت الباشا يريدون نهبه فمانعهم المرابطون وتضاربوا بالرصاص والبنادق وقتل بينهم اشخاص ولم ينالوا غرضا فساروا الى ناحية القلعة واجتمعوا بالرميلة وقرا ميدان وتحيروا فى امرهم واشتد غيظهم وعلموا ان وقوفهم بالرميلة لا يجدى شيئا وقد اظهروا المخاصمة ولا غمرة تعود عليهم فى رجوعهم وسكونهم بل ينكسف بالهم وتنذل انفسهم ويلحقهم اللوم من اقرانهم الذين لم ينضموا اليهم فاجمع رأيهم لسوء طباعهم وخبث عقيدتهم وطرائقهم انهم يتفرقون فى شوارع المدينة وينهبون متاع الرعية واموالهم فاذا

ومقاتلتها وسدتها وكانت فى البحر تمنع شوانى اهل صور من الخروج الى قتال المسلمين فتمكن المسلمون حينئذ من القرب من البلد ومن قتاله فقاتلوه برا وبحرا وضايقوا حتى كادوا يظفرون فساءت الاقدار بما لم يكن فى الحساب وذلك ان خمس قطع من شوانى المسلمين باتت فى بعض تلك الليالى مقابل ميناصور ليمنعوا من الخروج منه والدخول اليه فباتوا ليلتهم يحرسون وكان مقدمهم عبد السلام المغربى الموصوف بالحذق فى صناعته وشجاعته فلما كان وقت السحر امنوا فناموا فما شعروا الا بشوانى الفرنج قد نازلتهم وضايقتهم فاوقعت بهم فقتلوا من ارادوا قتله وأخذوا الباقين بمراكبهم وادخلوهم ميناصور والمسلمون فى البر ينظرون اليهم ورمى جماعة من المسلمين أنفسهم من الشوانى فى البحر فمنهم من سبح فنجا ومنهم من غرق وتقدم السلطان الى الشوانى الباقية بالمسير الى بيروت لعدم انتفاعه بها لقلتها فسارت فتبعها شوانى الفرنج فحين رأى من فى شوانى المسلمين الفرنج مجدين فى طلبهم ألقوا نفوسهم فى شوانيهم الى البر فنجوا وتركوها فاخذها صلاح الدين ونقضها وعاد الى مقاتلة صور فى البر وكان ذلك قليل الجدوى لضيق المجال وفى بعض الايام خرج الفرنج فقاتلوا المسلمين من وراء خنادقهم فاشتد القتال بين الفريقين ودام الى آخر النهار وكان خروجهم قبل العصر واسر منهم فارس كبير مشهور بعد ان كثر القتال والقتل عليه من الفريقين لما سقط فلما اسر قتل وبقوا كذلك مدة ايام

ذكر الرحيل عن صور الى عكا وتفريق العساكر

لما رأى صلاح الدين ان امر صور يطول رحل عنها وهذه كانت عادته متى ثبت البلد بين يديه ضجر منه ومن حصاره فرحل عنه وكان هذه السنة لم يطل مقامه على مدينة بل فتح الجميع فى الايام القريبة كما ذكرناه بغير تعب ولا مشقة فلما رأى هو واصحابه شدة امر صور ملوها وطلبوا الانتقال عنها ولم يكن لاحد ذنب فى امرها غير صلاح الدين فانه هو جهز اليها جنود الفرنج وامدها بالرجال والاموال من اهل عكا وعسقلان والقدس وغير ذلك كما سبق ذكره كان يعطيهم الامان ويرسلهم الى صور فصار فيها فرسان الفرنج بالساحل باسرهم واموال التجار وغيرهم فحفظوا المدينة وراسلوا الفرنج داخل البحر يستمدونهم فاجابوهم بالتلبية لدعوتهم ووعدوهم بالنصرة وامروهم بحفظ صور لتكون دار هجرتهم يحتمون بها ويلجؤن اليها فزادهم ذلك حرصا على حفظها والذب عنها وسنذكر ان شاء الله ما صار اليه الامر بعد ذلك ليعلم ان الملك لا ينبغى ان يترك الحزم وان ساعدته الاقدار فلأن يعجز حازما خير له من ان يظفر مفرطا مضيعا للحزم واعذر له عند الناس ولما اراد الرحيل استشار امراءه فاختلفوا فالجماعة يقولون الرأى ان نرحل فقد جرح الرجال وقتلوا وملوا وفنيت النفقات وهذا الشتاء قد حضر والشوط بطين فنريح ونستريح فى هذا البرد فاذا جاء الربيع اجتمعنا وعاودناها وغيرها وكان هذا قول الاغنياء منهم وكانهم خافوا ان السلطان يقترض

قملوا الثالث فيكثر جمعهم وتقوى شوكتهم ويشاركهم المتخلفون عنهم رغبة الجميع فى القبائح الذميمة ويعودون بالغنيمة ويتوصلون من الحواصل ولا يضيع سعيهم فى الباطل كما يقال فى المثل ما قدر على ضرب الحمار فضرب البردعة ونزلوا على وسط قصبة المدينة على الصليبية على السروجية وهم يكسرون ويهشمون ابواب الحوانيت المغلوقة وينهبون ما فيها لان الناس لما تسامعوا بالحركة اغلقوا حوانيتهم وابوابهم وتركوا اسبابهم طلبا للسلامة وعندما شاهد باقيهم ذلك اسرعوا اللحوق وبادروا معهم النهب والخطف بل وشاركهم الكثير من الشطار والزعر والعامة المقلين والجياع ومن لا دين له وعند ذلك كثر جمعهم ومضوا على طريقهم الى قصبة رضوان الى داخل باب زويلة وكسروا حوانيت السكرية واخذوا ما وجدوه من الدراهم وما احبوه من اصناف السكر فى ملوايا كانوا يحملون ويبددون الذى لم ياخذوه ويلقونه تحت الارجل فى الطريق وكسروا اوانى الحلو وقدور المربيات وفيها ما هو من الصينى والبياغورى والافرنجى ومجامع الاشربة واقراص الحلو الملونة والرشال والملبس والفانيد والجماض والبنفسج وسيدانى باكلوا

منهم ما ينفقه فى العسكر اذا أقام لخلو الخزائن وبيوت الاموال من الدرهم والدينار فانه كان يخرج كل ما يحمل اليه منها وقالت الطائفة الاخرى الرأى ان نصابر البلد ونضايقه فهو الذى يعتمدون عليه من حصونهم ومتى أخذناه منهم انقطع طمع من داخل البحر من هذا الجانب وأخذنا باقى البلاد صفوا عفوا فبقى صلاح الدين مترددا بين الرحيل والاقامة فلما رأى من يرى الرحيل اقامته أخل بما يرد اليه من المحاربة والرمى بالمنجنيق واعتذر بجراح رجالهم وانهم قد أرسلوا بعضهم ليحضروا نفقاتهم والعلوفات لدوابهم والاقوات لهم الى ذلك من الاعذار فصار وامقيمين بغير قتال فاضطر الى الرحيل فرحل عنها آخر شوال وكان أول كانون الاول الى عكا فاذن العساكر جميعها بالعود الى أوطانهم والاستراحة فى الشتاء والعود فى الربيع فعادت عساكر الشرق والموصل وغيرها وعساكر الشام وعساكر مصر وبقى حلقته الخاص مقيما بعكا فنزل بقلعتها ورد أمر البلد الى عزالدين جورديك وهو من أكابر المماليك النورية جمع الديانة والشجاعة وحسن السيرة

●(ذكر فتح هونين)●

لما فتح صلاح الدين تبنين امتنع من بهونين من سلمها وهى من أحصن القلاع وامنع فلم ير التعريج عليها ولا الاشتغال بمحاصرتها بل سير اليها جماعة من العسكر والامراء فحصروها ومنعوا من حمل الميرة اليها واشتغل بما تقدم ذكره من فتح عسقلان والبيت المقدس وغير ذلك فلما كان يحاصر مدينة صور أرسل من فيها يطلبون الامان فامنهم فسلموا ونزلوا منها فوفى لهم بامانهم

●(ذكر حصر صفد وكوكب والكرك)●

لما سار صلاح الدين الى عكا الان جعل على قلعة كوكب وهى مطلة على الاردن من يحصرها ويحفظ الطريق للمجتازين الا يتزل من به من الفرنج يقطعونه وسير طائفة اخرى من العسكر أيضا الى قلعة صفد فحصروها وهى مطلة على مدينة طبرية وكان حصن كوكب للاسبتار وحصن صفد للداوية وهما قريبان من حطين موضع المصاف فلجأ اليهما جمع ممن سلم من الداوية والاسبتار فحفظوهما فلما حصرهما المسلمون استراح الناس من شرمن فيهما واتصلت الطرق حتى كان يسير فيها المنفرد فلا يخاف وكان مقدم الجماعة الذين يحصرون قلعة كوكب أميرا يقال له سيف الدين وهو أخو جاولى الاسدى وكان شهما شجاعا يرجع الى دين وعبادة فاقام عليه الى آخر شوال وكان أصحابه يحرسون نوبا مرتبة فلما كان آخر ليلة من شوال غفل الذين كانت نوبتهم فى الحراسة وكان قد صلى ورده من الليل الى السحر وكانت ليلة كثيرة الرعد والبرق والريح والمطر فلم يشعر المسلمون وهم نازلون الا والفرنج قد خالطوهم بالسيوف ووضعوا السلاح فيهم فقتلوهم أجمعين وأخذوا ما كان عندهم من طعام وسلاح وغيره وعادوا الى قلعتهم فقووا بذلك قوة عظيمة أمكنهم ان يحفظوا قلعتهم الى ان

ويحملوا هم واتباعهم ومن انضاف لهم من الاوباش البلدية والحرافيش والجعيدية يلقون ما فضل منهم على قارعة الطريق بحيث صار السوق من حد باب زويلة الى المناخلية مع اتساعه وطوله مرسوما ومنقوشا بالوان السكاكر واقراص الاشربة الملونة واعسال المربيات سائلة على الارض وكان اهل ذلك السوق المتسببون جددوا وطبخوا انواع المربيات والاشربة عندورود الفواكه وكثرتها فى اوانها وهو هذا الشهر المبارك مثل الخوخ والتفاح والبرقوق والتوت والقرع المسير والحصرم والسفرجل وملؤا الاوعية وصفوها فى حوانيتهم للبيع وخصوصا على موسم شهر رمضان ومضوا فى سيرهم الى العقادين الرومى والغورية والاشرفية وسوق الصاغة ووصلت طائفة الى سوق مرجوش فكسروا ابواب الحوانيت والركائل والخانات ونهبوا ما فى حواصل التجار من الاقمشة الهلاوى والسيز والحرير والزردخان ولما وصلت طائفة الى راس خان الخليلى وارادوا العبور والنهب فزعت فيهم الاتراك والارنؤد الذين يتعاطون التجارة اليسا كنون بخان اللبن والنحاس وغيرهما وضربوا

أخذت أو أخرسنة أربع وثمانين على ماسنذكره إن شاء الله وأتى الخبر إلى صلاح الدين بذلك عند رحيله عن صور فعظم ذلك عليه مضافا إلى ما ناله من أخذ شواتيه ومن فيها ورحيله عن صور ثم رتب على حصن كوكب الأمير قايماز النجمي في جماعة أخرى من الاجناد فحصروها

(ذكر الفتنة بعرفات وقتل ابن المقدم)

في هذه السنة يوم عرفة قتل شمس الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم بعرفات وهو أكبر الامراء الصلاحية وقد تقدم من ذكره ما فيه كفاية وسبب قتله انه لما فتح المسلمون البيت المقدس طلب اذنا من صلاح الدين ليحج ويحرم من القدس ويجمع في سنته بين الجهاد والحج وزيارة الخليل عليه السلام ومن بالشام من مشاهد الانبياء وبين زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين فاذن له وكان قد اجتمع تلك السنة من الحجاج بالشام الخلق العظيم من البلاد والعراق والموصل وديار الجزيرة وخلاط وبلاد الروم ومصر وغيرها ليجمعوا بين زيارة بيت المقدس ومكة فجعل ابن المقدم أميرا عليهم فساروا حتى وصلوا الى عرفات سالمين ووقفوا في تلك المشاعر وأدوا الواجب والسنة فلما كان عشية عرفة تجهز هو وأصحابه ليسيروا من عرفات فأمر بضرب كوساته التي هي امارة الرحيل فضرب بها اصحابه فأرسل اليه أمير الحاج العراقي وهو مجير الدين طاشتكين ينهاه عن الافاضة من عرفات قبله ويأمره بكف اصحابه عن ضرب كوساته فأرسل اليه يقول اني ليس لي معك تعلق انت أمير الحاج العراقي وأنا أمير الحاج الشامي وكل منا يفعل ما يراه ويختاره وسار ولم يقف ولم يسمع قوله فلما رأى طاشتكين اصراره على المخالفة ركب في أصحابه واجناده وتبعه من غوغاء الحاج العراقي وبطاطيهم وطماعتهم العالم الكثير والجم الغفير وقصدوا حاج الشام مهولين عليهم فلما قربوا منهم خرج الامر من الضبط وعجزوا عن تلافيه فهجم طماعة العراق على حاج الشام وفتكوا فيهم وقتلوا جماعة ونهبت أموالهم وسبيت جماعة من نسائهم الا انهن رددن عليهم وجرح ابن المقدم عدة جروح وكان يكف أصحابه عن القتال ولو أذن لهم لانتصفوا منهم وزاد لكنه راقب الله تعالى وحرمة المكان واليوم فلما أثخن بالجراحات أخذه طاشتكين الى خيمته وانزله عنده ليمرضه ويستدرك الفارط في حقه وساروا تلك الليلة من عرفات فلما كان الغد مات بمنى ودفن بمقبرة المعلى ورزق الشهادة بعد الجهاد وشهود فتح البيت المقدس رحمه الله تعالى

(ذكر قوة السلطان طغرل على قزل)

في هذه السنة قوي أمر السلطان طغرل وكثر جمعه وملك كثيرا من البلاد فأرسل قزل الى الخليفة يستنجده ويخوفه من طغرل ويبذل من نفسه الطاعة والتصرف على ما يختارونه وارسل طغرل رسولا الى بغداد يقول أريد ان يتقدم الديوان بعمارة دار السلطنة لاسكنها اذا وصلت فأكرم رسول قزل ووعد بالنجدة وورد رسول

الخرجية الساكنون بالرباع بباب الزهومة جعلوا يرمون عليهم من الطبقات بالرصاص حتى ردوهم ومنعوهم وكذلك تعصبت طائفة المغاربة الساكنون بالفحامين وحارة السكاكين رموا عليهم بالرصاص وطردوهم عن تلك الناحية وأغلقوا البوابات التي على رؤس العطف وجلس عند كل درب اناس ومن فوقهم اناس من اهل الخطة بالرصاص تمنع الواصل اليهم ووصلت طائفة الى خان الجزاوي فعالجوا فتح بابه حتى كسروا الخوخة التي في الباب وعبروا الخان وكسروا حواصل التجار من نصارى الشوام وغيرهم ونهبوا ما وجدوه من المقود وانواع الاقمشة الهندية والشامية والمقصبات وبالات الجوخ والقطيفة والاسطوفة وانواع الاطلس والالاجات والسلاوي والجنفس والصندل والحبر وانواع الشيت والحرير الخام والابريسم وغير ذلك وتبعهم الخدم والعامة في النهب واخرجوا ما في الدكاكين والحواصل من انواع الاقمشة واخذوا ما عجبهم واختاروه وانتقوه وتركوا ما تركوه ولم يقدروا على حمله مطروحا على الارض ورديف الخان وخارج السوق يطؤن عليه بالارجل

السلطان طغرل بغير جواب وأمر الخليفة بنقض دار السلطنة فهدمت الى الارض وعفى اثرها

(ذكر ملك شرستي من الهند وانهزام المسلمين بعدها)

في آخر هذه السنة سار شهاب الدين الغوري ملك غزنة الى بلاد الهند وقصد بلاد اجمير وتعرف بولاية السوالك واسم ملكهم كولة وكان شجاعا شهما فلما دخل المسلمون بلاده ملكوا مدينة تبرندة وهي حصن منيع عامر وملكوا اشرستي وملكوا كوة رام فلما سمع ملكهم جمع العساكر فاكثر وسار الى المسلمين فالتقوا وقامت الحرب على ساق وكان مع الهند اربعة عشر فيلا فلما اشتدت الحرب انهزمت ميمنة المسلمين وميسرتهم فقال لشهاب الدين بعض خواصه قد انكسرت الميمنة والميسرة فانج بنفسك لا يهلك المسلمون فاخذ شهاب الدين الرمح وحمل على الهنود فوصل الى الفيلة فطعن فيلا منها في كتفه وجرح الفيل لا يندمل فلما وصل شهاب الدين الى الفيلة زرقه بعض الهنود بحربة فوقعت الحربة في ساعده فنفذت الحربة من الجانب الآخر فوقع حينئذ الى الارض فقاتل عليه أصحابه ليخلصوه وحرصت الهنود على اخذه وكان عنده حرب لم يسمع بمثله وأخذه اصحابه فركبوا فرسه وعادوا به منهزمين فلم يتبعهم الهنود فلما أبعدوا عن موضع الوقعة بمقدار فرسخ أغمي على شهاب الدين من كثرة خروج الدم فحمله الرجال على اكتافهم في محفة اليد أربعة وعشرين فرسخا فلما وصل الى لهاوور أخذ الامراء الغورية وهم الذين انهزموا ولم يثبتوا وعلق على كل واحد منهم عليق شعير وقال أنتم دواب ما أنتم امراء وسار الى غزنة وأمر بعضهم فمشى اليها ماشيا فلما وصل الى غزنة أقام بها ليستريح الناس ونذكر ما فعله بملك الهند الذي هزمه سنة ثمان وثمانين ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الاول قتل مجد الدين ابو الفضل بن الصاحب وهو استاذ دار الخليفة امر الخليفة بقتله وكان متحكما في الدولة ليس للخليفة معه حكم وكان هو القيم بالبيعة له وظهر له أموال عظيمة اخذ جميعها وكان حسن السيرة عفيفا عن الاموال وكان الذي سعى به انسان من اصحابه وصنائعه يقال له عبيد الله بن يونس فسعى به الى الخليفة وقبح آثاره فقبض عليه وقتله وفيها في ربيع الآخر وقع حريق في الحظائر ببغداد احترقت احطاب كثيرة وسببه ان فقيها بالمدرسة النظامية كان يطبخ طعاما يأكله فغفل عن النار والطبيخ فعلقت النار واتصلت فاحترقت جميعها واحترق درب السلسلة وغيره مما يجاوره وفيها في شوال استوزر الخليفة الناصر لدين الله ابا المظفر عبيد الله بن يونس ولقبه جلال الدين ومشى ارباب الدولة في ركابه حتى قاضي القضاة وكان ابن يونس من شهوده وكان يمشي ويقول لعن الله طول العمر وفيها في المحرم توفي عبد المغيث بن زهير الحربي ببغداد وكان من اعيان الحنابلة قد سمع الحديث الكثير

والنعالات ويعدو القوى على الضعيف فياخذ ما معه من الاشياء الثمينة وقتل بعضهم البعض وكسروا أبواب الدكاكين التي خارج الخان بالخطة واخرجوا ما فيها من التحف والاواني الصيني والزجاج المذهب والكاسات البلور والصحون والاطباق والفناجين البيشة وأنواع الخردة وأخذ واما اعجبهم وما وجدوه من نقود ودراهم وهشموا البواقي وكسروه والقوه على الارض تحت الارجل شقافا متنوعة وكذلك فعلوا بسوق البندقانيين وما به من حوانيت العطارين وطرحوا أنواع الاشياء العطرية بوسط الشارع تداس بالارجل أيضا وفعلوا ما لا خير فيه من نهب أموال الناس والاتلاف ولولا الذين تصدوا لدفعهم ومنعهم بالبنادق والسكرانك وغلق البوابات لكان الوقع افظع من ذلك ولنهبوا ايضا البيوت وفجروا بالنساء والعياذ بالله ولكن الله سلم وشاركهم في فعلهم الكثير من الاوباش والمغاربة المتداعين أيضا فانهم أخذوا اشياء كثيرة وكانوا يقبضون على من يمر بهم ممن يقدرون عليه من النهابين ويأخذون ما معهم لانفسهم واذا هشمت العساكر حانوتا وخطفوا منها شيئا ويلحقهم من يطردهم عنها باستاصل اللاحقون ما فيها واستباح

وصنف كتابا فى فضائل يزيد بن معاوية اتى فيه بالعجائب وقد رد عليه ابو الفرج بن الجوزى وكان بينهما عداوة وفيها توفى قاضى القضاة ابو الحسن بن الدامغانى وولى القضاء للمقتفى بعده وقت الزينبى ثم للمستنجد باقه ثم عزل ثم اعيد الى المستضىء بامر الله وفيها توفى على بن خطاب بن ظفر الشيخ الصالح من جزيرة ابن عمر وكان من الاولياء ارباب الكرامات صحبته انا مدة فلم ار مثله حسن خلق وسمت وكرم وعبادة رحمه الله وفيها ولدت امراة من سواد بغداد بنتا لها اسنان وفيها توفى نصر بن فتيان بن مطر ابو الفتح بن المنى الفقيه الحنبلى لم يكن لهم مثله رحمه الله تعالى

(تم الجزء الحادى عشر من تاريخ الكامل لابن الاثير ويليه)
(الجزء الثانى عشر اوله ثم دخلت سنة اربع وثمانين وخمسمائة)

الناس أموال بعضهم البعض وكان هذا الحادث الذى لم نسمع بنظيره فى دولة من الدول فى ظرف خمس ساعات وذلك من قبيل صلاة الجمعة الى قبيل العصر حصل للناس هذه المدة اليسيرة من الانزعاج والخوف الشديد ونهب الاموال واتلاف الاسباب والبضائع مالا يوصف ولم تصل الجمعة فى ذلك اليوم واغلقت المساجد الكائنة بداخل المدينة واخذ الناس حذرهم ولبسوا اسلحتهم واغلقوا البوابات وقعدوا على الكرانك والمرابط والمتاريس وسهروا الليالى واقاموا على الحذر والتحفظ والخوف اياما وليالى

(فهرسة الجزء الحادى عشر من تاريخ الكامل لابن الاثير)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفه

صحيفة

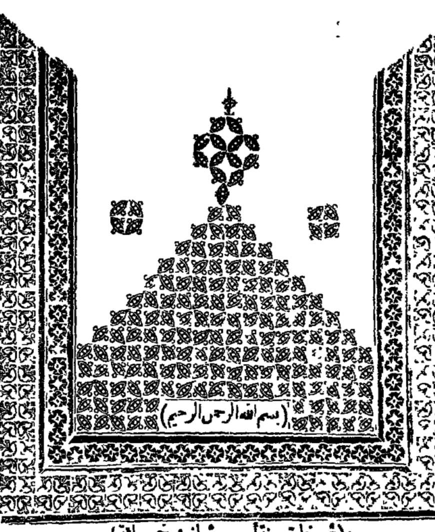


(ما شاء الله كان)

الجزء الثاني عشر من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين رحمه الله تعالى

وبهامشه التاريخ المسمى عجائب الآثار في التراجم والأخبار للعلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الحنفي رحمة الله تعالى عليه

الطبعة الأولى بالمطبعة الأزهرية المصرية سنة ١٣٠١ هجرية



(ثم دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة)

(ذكر حصر صلاح الدين كوكب)

في هذه السنة في المحرم انحسر الشتاء فسار صلاح الدين من عكا فيمن تخلف عنده من العسكر الى قلعة كوكب فحصرها ونازلها ظنا منه ان ملكها سهلا وان أخذها عجلا وهو في قلة من العسكر متيسر فلما رآها عالية منيعة والوصول اليها متعذر وكان عنده منها ومن صفد والكرك المقيم المقعد لان البلاد الساحلية من عكا الى جهة الجنوب كانت قد ملك جميعها ما عدا هذه الحصون وكان يختار أن لا يبقى في وسطها ما يشغل قلبه ويقسم همه ويحتاج الى حفظه ولئلا ينال الرعايا والمجتازين منهم الضرر العظيم فلما حصر كوكب ورآها منيعة يبطئ ملكها وأخذها رحل عنها وجعل عليها قايماز النجمي متقدما لحصاره وكان رحيله عنها في ربيع الاول وأتاه رسل الملك قلج ارسلان وقزل ارسلان وغيرهما يهنئونه بالفتح والظفر وسار من كوكب الى دمشق ففرح الناس بقدومه وكتب الى البلاد جميعا باجتماع العساكر بها واقام بها الى ان سار الى الساحل بالبلاد الشامية

(ذكر رحيل صلاح الدين الى بلاد الفرنج)

(وفي يوم السبت تاسع عشرينه) الموافق لآخر يوم من شهر ابيب انقبطي اوفى النيل المبارك اذرعه وكان ذلك اليوم ايضا ليلة رؤية هلال رمضان فصادف حصول الموسمين في آن واحد ولم يعمل فيهما موسم ولا شنك على العادة ولم يركب المحتسب ولا ارباب الحرف بموكبهم وطبولهم وزمورهم وكذلك شنك قطع الخليج وما كان يعمل في ليلته من المهرجان في النيل وسواحله وعند السد وكذلك في صبحه وفي البيوت المطلة على الخليج فبطل ذلك جميعه ولم يشعر بهما احد وصام الناس باجتهادهم وكان وفاء النيل في هذه السنة من النوادر فان النيل لم تحصل فيه الزيادة بطول الايام التي مضت من شهر أبيب الاشيئا يسيرا حتى حصل في الناس وهم زائد بغلاء سعر الغلة ورفعوه امن

لما أراد صلاح الدين المسير عن دمشق حضر عنده القاضي الفاضل مودعاله ومستشيرا وكان مريضا فودعه وسار عن دمشق منتصف ربيع الاول الى حمص فنزل على بحيرة قدس غربى حمص وجاءته العساكر فاول من أتاه من أصحاب الاطراف عماد الدين زنكى ابن مودود بن آقسنقر صاحب سنجار ونصيبين والخابور وتلاحقت العساكر من الموصل وديار الجزيرة وغيرها فاجتمعت عليه وكثرت عنده فسار حتى نزل تحت حصن الاكراد من الجانب الشرقى وكنت معه حينئذ فاقام يومين وسار جريدة وترك أثقال العسكر موضعها تحت الحصن ودخل الى بلاد الفرنج فاغار على صافيثا والعريمة ويحمور وغيرها من البلاد والولايات ووصل الى قريب طرابلس وأبصر البلاد وعرف من أين يأتيها وأين يسلك منها ثم عاد الى معسكره سالما وقد غنم العسكر من الدواب على اختلاف أنواعها مالا حد له وأقام تحت حصن الاكراد الى آخر ربيع الآخر

(ذكر فتح جبلة)

لما أقام صلاح الدين تحت حصن الاكراد أتاه قاضى جبلة وهو منصور بن نبيل يستدعيه اليه ليسلمها اليه وكان هذا القاضى عند بيمند صاحب انطاكية وجبلة مسموع الكلمة له الحرمة الوافرة والمنزلة العالية وهو يحكم على جميع المسلمين بجبلة ونواحيها وعلى ما يتعلق بالبيمند فحملته الغيرة للدين على قصد السلطان وتكفل له بفتح جبلة ولاذقية والبلاد الشمالية فسار صلاح الدين معه رابع جمادى الاولى فنزل بانطرطوس سادسه فرأى الفرنج قد أخلوا المدينة واحتموا فى برجين حصينين كل واحد منهما قلعة حصينة ومعقل منيع فخرب المسلمون دورهم ومساكنهم وسور البلد ونهبوا ما وجدوه من ذخائرهم وكان الداوية باحد البرجين فحصرهما صلاح الدين فنزل اليه من فى أحد البرجين بامان وسلموه فامنهم وخرب البرج وألقى حجارته فى البحر وبقى الذى فيه الداوية لم يسلموه وكان معهم مقدمهم الذى أسره صلاح الدين يوم المصاف وكان قد أطلقه لما ملك البيت المقدس فهو الذى حفظ هذا الحصن فخرب صلاح الدين ولاية انطرطوس ورحل عنها وأتى مرقية وقد أخلاها أهلها ورحلوا عنها وساروا الى المرقب وهى من حصونهم التى لا ترام ولا تحدث أحدا نفسه بملكه لعلوه وامتناعه وهو للاسبتار والطريق تحته فيكون الحصن على يمين المجتاز الى جبلة والبحر عن يساره والطريق مضيق لا يسلكه الا الواحد بعد الواحد فاتفق ان صاحب صقلية من الفرنج قد سير نجدة الى فرنج الساحل فى ستين قطعة من الشوانى وكانوا بطرابلس فلما سمعوا بمسير صلاح الدين جاؤا ووقفوا فى البحر تحت المرقب فى شوانيهم ليمنعوا من يجتاز بالسهام فلما رأى صلاح الدين ذلك أمر بالطارقيات والجفتيات فصفت على الطريق مما يلى البحر من أول المضيق الى آخره وجعل وراءها الرماة فمنعوا الفرنج من الدنو اليهم فاجتاز المسلمون عن آخرهم حتى عبروا المضيق ووصلوا الى جبلة

السواحل والعرصات ففاض المولى فى النيل واندفعت فيه الزيادة العظيمة ٣ وفى ايا ثمين اوفى أذرعه قبل مظنته فان الوفاء لا يقع فى الغالب الا فى شهر مسرى ولم يحصل فى أواخر ابيب الا فى النادر وانى لم أدركه فى سنين عمرى اوفى فى ابيب الا مرة واحدة وذلك فى سنة ثلاث وثمانين ومائة والف فتكون المدة بين ثلاث وهذه المدة سبعا وأربعين سنة (وفيه ارسل الباشا بطلب السيد محمد المحروقى) فطلع اليه وصحبته عدة كبيرة من عسكر المغاربة لخفارته فلما واجهه قال له هذا الذى حصل للناس من نهب اموالهم فى صحائفى والقصد انكم تتقدمون لارباب المنهوبات وتجمعونهم بديوان خاص طائفة بعد اخرى وتكتبون قوائم لكل طائفة بما ضاع لها على وجه التحرير والصحة وانا اقوم لهم بدفعه بالغا ما بلغ فشكر له ودعاله ونزل الى داره وعرف الناس بذلك وشاع بينهم فحصل لاربابه بعض الاطمئنان وطلع الى الباشا كبار العسكر مثل عابدين بك ودبوس اوغلى وحجو بك ومحو بك واعتذروا وتنصلوا وذكروا واقروا ان هذا الواقع اشتركت فيه طوائف العسكر وفيهم من طوائفهم وعساكرهم ولا يخفاه خبث طباعهم فتقدم اليهم بان يتقيدوا بالفحص واحضار ما حازوه واخذه كل من طوائفهم وعساكرهم وشدد عليهم فى الامر بذلك فاجابوه بالسمع

ثامن عشر جمادى الاولى وتسلمها وقت وصوله وكان قاضيها قد سبق اليها ودخل فلما وصل صلاح الدين رفع اعلامه على سورها وسلمها اليه وتحصن الفرنج الذين كانوا بها بحصنها واحتموا بقلعتها فما زال قاضي جبلة يخوفهم ويرغبهم حتى استنزلهم بشرط الامان وان يأخذوها ثم يكونون عنده الى ان يطلق الفرنج رهائنهم من المسلمين من أهل جبلة وكان بيمند صاحبها قد أخذ رهائن القاضي ومسلمي جبلة وتركهم عنده بانطاكية فاخذ القاضي رهائن الفرنج وجاء رؤساء أهل الجبل الى صلاح الدين بطاعة أهله وهو من أمنع الجبال واشقها مسلكا وفيه حصن يعرف بيكسرائيل بين جبلة ومدينة حماة فملكه المسلمون وصار الطريق في هذا الوقت عليه من بلاد الاسلام الى العسكر وكان الناس يلقون شدة في سلوكه وقرر صلاح الدين أحوال جبلة وجعل فيها الحفظها الامير سابق الدين عثمان بن الداية صاحب شيزر وسار عنها

(ذكر فتح لاذقية)

لما فرغ السلطان من أمر جبلة وسار عنها الى لاذقية فوصل اليها في الرابع والعشرين من جمادى الاولى فترك الفرنج المدينة لعجزهم عن حفظها وصعدوا الى حصنين لها على الجبل فامتنعوا بهما فدخل المسلمون المدينة وحصروا القلعتين اللتين فيهما الفرنج وزحفوا اليهما ونقبوا الاسوار ستين ذراعا وعلقوه وعظم القتال واشتد الامر عند الوصول الى السور فلما أيقن الفرنج بالعطب ودخل اليهم قاضي جبلة فخوفهم من المسلمين فطلبوا الامان فامنهم صلاح الدين ورفعوا الاعلام الاسلامية الى الحصنين وكان ذلك في اليوم الثالث من النزول عليها وكانت عمارة اللاذقية من أحسن الابنية واكثرها زخرفة مملوءة بالرخام على اختلاف أنواعه فخرب المسلمون كثيرا منها ونقلوا رخامها وشعثوا كثيرا من بيعها التي قد غرم على كل واحدة منها الاموال الجليلة المقدار وسلمها الى ابن اخيه تقي الدين عمر فعمرها وحصن قلعتها حتى اذا رآها اليوم من رآها ينكرها فلا يظن ان هذه تلك وكان عظيم الهمة في تحصين القلاع والغرامة لوافرة عليها كما فعل بقلعة حماة

(ذكر حال اسطول صقلية)

لما نازل صلاح الدين لاذقية وصل اسطول صقلية الذي تقدم ذكره فوقف بازاء مينا لاذقية فلما سلمها الفرنج الذين بها الى صلاح الدين عزم اهل هذا الاسطول على اخذ من يخرج منها من اهلها غيظا وحنقا حيث سلموها واسر يعا فسمع بذلك اهل لاذقية فاقاموا وبذلوا الجزية وكان سبب مقامهم ثم ان مقدم هذا الاسطول طلب من السلطان الامان ليحضر عنده فامنه وحضر وقبل الارض بين يديه وقال ما معناه انك سلطان رحيم كريم وقد فعلت بالفرنج ما فعلت فذلوا فتركهم يكونون مماليكك وجندك تفتح بهم البلاد والممالك وترد عليهم بلادهم والا جاءك من البحر ما لا طاقة لك به فيعظم عليك الامر ويشتد الحال فاجابه صلاح الدين بنحو من كلامه من اظهار

ؤ الطاعية وامتثلوا لامره ٤ واخذوا في جمع ما يمكنهم وارساله الى القلعة وركبوا وشقوا بشوارع المدينة وامامهم المناداة بالامان واحضر الباشا المعمار وامره بجمع النجارين والمعمرين واشغالهم في تعمير ما تكسر من اخشاب الدكاكين والاسواق ويدفع لهم اجرتهم وكذلك الاخشاب على طرف الميرى *(واستهل شهر رمضان بيوم الاثنين سنة ١٢٣٠)* والناس في امر مريج وتخوف شديد وملازمون للسهر على الكرانك ويتحاشون المشي والذهاب والمجيء وكل اهل خطة ملازم لخطته وحارته وكل وقت يذكرون وينقلون بينهم روايات وحكايات ووقائع مزعجات وتطاولت ايدي العساكر بالتعدي والاذية والقتل والقتل لمن ينفردون به من الرعية (وفي ثاني ليلة) طلع السيد محمد المحروقي وطلع صحبته الشيخ محمد الدواخلي نقيب الاشراف وابن الشيخ العروسي وابن الصاوي المتعينون في مشيخة الوقت وصحبتهم شيخ الغورية وطائفته وقد ابتدؤا بهم في املاء ما نهب لهم من حوانيتهم بعد ما حرر ودا عند السيد محمد المحروقي وتحليفهم بعد الاملاء على صدق دعواهم وبعد التحليف والمحاققة يتجاوزون بعضه لحضرة الباشا ثم يثبتون له البعض في قايمة فقرر لاهل الغورية خاصة مائة وثمانون كيسا فدفع لهم

القوة والاستهانة بكل من يجيء من البحر وانهم ان خرجوا اذاقهم ما اذاق اصحابهم من القتل والاسر فاذا قلب على وجهه ورجع الى اصحابه

(ذكر فتح صهيون وعدة من الحصون)

ثم رحل صلاح الدين عن لاذقية في السابع والعشرين من جمادى الاولى وقصد قلعة صهيون وهي قلعة منيعة شاهقة في الهواء صعبة المرتقى على قرنة جبل يطيف بها واد عميق فيه ضيق في بعض المواضع بحيث ان حجر المنجنيق يصل منه الى الحصن الا ان الجبل متصل بها من جهة الشمال وقد عملوا لها خندقا عميقا لا يرى قعره وخمسة اسوار منيعة فنزل صلاح الدين على هذا الجبل الملتصق بها ونصبت عليه المنجنيقات ورماها وتقدم الى ولده الظاهر صاحب حلب فنزل على المكان الضيق من الوادي ونصب عليه المنجنيقات ايضا فرمى الحصن منه وكان معه من الرجالة الحلبيين كثير وهم في الشجاعة بالمنزلة المشهورة ودام رشق السهام من قسي اليد والجرخ والزنبورك والزيار فجرح أكثر من بالحصن وهم يظهرون التجلد والامتناع وزحف المسلمون اليهم ثاني جمادى الآخرة فتعلقوا بقرنة من ذلك الجبل قد أغفل الفرنج احكامها فتسلقوا منها بين الصخور حتى التحقوا بالسور الاول فملكوا منها ثلاثة وغنموا ما فيها من أبقار ودواب وذخائر وغير ذلك واحتمى الفرنج بالقلة التي للقلعة فقاتلهم المسلمون عليها فنادوا وطلبوا الامان فلم يجبهم صلاح الدين اليه فقرروا على أنفسهم مثل قطيعة البيت المقدس وتسلم الحصن وسلمه الى أمير يقال له ناصر الدين منكورس صاحب قلعة ابي قبيس فحصنه وجعله من أحصن الحصون ولما ملك المسلمون صهيون تفرقوا في تلك النواحي فملكوا حصن بلاطنوس كان من به من الفرنج قد هربوا منه وتركوه خوفا ورعبا وملك أيضا حصن العيذو وحصن الجماهرتين فاتسعت المملكة الاسلامية بتلك الناحية الا ان الطريق اليها من البلاد الاسلامية على عقبة بكسرائيل شاق شديد لان الطريق السهلة كانت غير مسلوكة لان بعضها بيد الاسماعيلية وبعضها بيد الفرنج

(ذكر فتح حصن بكاس والشغر)

ثم سار صلاح الدين عن صهيون ثالث جمادى الآخرة فوصل الى قلعة بكاس فرأى الفرنج قد اخلوها وتحصنوا بقلعة الشغر فملك قلعة بكاس بغير قتال وتقدم الى قلعة الشغر وهي وبكاس على الطريق السهل المسلوك الى لاذقية وجبلة والبلاد التي افتتحها صلاح الدين من بلاد الشام الاسلامية فلما نازلها رآها منيعة حصينة لا ترام ولا يوصل اليها بطريق من الطرق الا انه أمر بمزاحفتهم ونصب المنجنيق عليهم ففعلوا ذلك ورمى بالمنجنيق فلم يصل من أحجاره الى القلعة شيء الا القليل الذي لا يؤذي فبقي المسلمون عليها اياما لا يرون فيها طمعا واهلها غير مهتمين بالقتال لامتناعهم عن ضرر يتطرق اليهم وبلاء ينزل عليهم فبينما صلاح الدين جالس وعنده اصحابه وهم في ذكر

ثلثيها واخرلهم الثلث وهو ستون كيسا يستوفونها اقساطا بعد ان امن من ضمان ظهر لهم منها شئ او من الخزينة ولازم الجماعة الطلوع والنزول في كل ليلة لتحرير بواقي المنهوبات وايضا استقر لاهل خان الحمزاوي نحو من ثلاثة آلاف كيس كذلك ولطائفة السكرية نحو من سبعين كيسا خصمت لهم من ثمن السكر الذي يبتاعونه من الباشا واستمر الباشا بالقلعة يدبر اموره ويجلب قلوب الناس من الرعية والاكابر دولته بما يفعله من بذل المال ورد المنهوبات حتى ترك الناس يسخطون على العسكر ويترضون عنه ولو لم يفعل ذلك وثارت العساكر هذه الثورة ولم يقع منهم نهب ولا تعدلما عدتهم الرعية واجتمعت عليهم اهالي القرى وارباب الاقطاعات لشدة نكايتهم من الباشا بضبط الرزق والالتزامات وقياس الاراضي وقطع المعايش وذلك من سوء تدبير العسكر وسعادة الباشا وحسن سياسته باستجلابه الخواطر وتملقه بالكلام اللين والتصنع ويلوم على فعل العسكر ويقول بمسمع الحاضرين ماذنب الناس معهم خصوصا خصامهم معي اوما الرعية هاأنا لي منزل بالازبكية فيه اموال وجواهر وامتعة واشياء كثيرة وسراية ابني اسمعيل باشا ببولاق ومنزل الدفتردار ونحو ذلك ويتحوقل ويعمل فكرته ويدبر امره في امر العسكر وعضمائهم

القلعة واعمال الحيلة في الوصول اليها فقال بعضهم هذا الحصن كما قال الله تعالى فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا فقال صلاح الدين أو يأتي الله بنصر من عنده وفتح فبينما هم في هذا الحديث اذ قد أشرف عليهم فرنجي ونادى بطلب الامان لرسول يحضر عند صلاح الدين فاجيب الى ذلك ونزل رسول وسال انتظارهم ثلاثة أيام فان جاءهم من يمنعهم والا سلموا القلعة بما فيها من ذخائر ودواب وغير ذلك فاجابهم اليه وأخذ رهائنهم على الوفاء به فلما كان اليوم الثالث سلموها اليه واتفق انه يوم الجمعة سادس عشر جمادى الآخرة وكان سبب استمهالهم انهم أرسلوا الى البيمند صاحب انطاكية وكان هذا الحصن له يعرفونه انهم محصورون ويطلبون منه أن يرحل عنهم المسلمين فان فعل والا سلموها وانما فعلوا ذلك لرعب قذفه الله تعالى في قلوبهم والا فلو أقاموا الدهر الطويل لم يصل اليهم أحد ولا يبلغ المسلمون منه غرضا فلما تسلم صلاح الدين الحصن سلمه الى أمير يقال له قلج وأمره بعمارته ورحل عنه

(ذكر فتح سرمينية)

لما كان صلاح الدين مشتغلا بهذه القلاع والحصون سير ولده الظاهر غازي صاحب حلب فحصر سرمينية وضيق على أهلها واستنزلهم على قطيعة قررها عليهم فلما انزلهم وأخذ منهم القطيعة هدم الحصن وعفى أثره وعالى بنيانه وكان فيه وفي هذه الحصون من أسارى المسلمين الجم الغفير فاطلقوا وأعطوا كسوة ونفقة وكان فتحه في يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الآخرة واتفق ان فتح هذه المدن والحصون جميعها من جبلة الى سرمينية مع كثرتها كان في ست جمع مع انها في أيدي أشجع الناس واشدهم عداوة للمسلمين فسبحان من اذا أراد أن يسهل الصعب فعل وهي جميعها من اعمال انطاكية ولم يبق لها سوى القصير وبغراس ودربساك وسيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى في مكانه

(ذكر فتح برزية)

لما رحل صلاح الدين من قلعة الشغر سار الى قلعة برزية وكانت قد وصفت له وهي تقابل حصن افامية وتناصفها في اعمالها وبينهما بحيرة تجتمع من ماء العاصي وعيون تتفجر من جبل برزية وغيره وكان اهلها أضر شيء على المسلمين يقطعون الطريق ويبالغون في الاذى فلما وصل اليها نزل شرقيها في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة ثم ركب من الغد وطاف عليها ينظر موضعا يقاتلها منه فلم يجده الا من جهة الغرب فنصب له هناك خيمة صغيرة ونزل فيها ومعه بعض العسكر جريدة لضيق المواضع وهذه القلعة لا يمكن ان تقاتل من جهة الشمال والجنوب البتة فانه لا يقدر احد ان يصعد جبلها من هاتين الجهتين وأما الجانب الشرقي فيمكن الصعود منه لكن لغيره قاتل لعلوه وصعوبته واما جهة الغرب فان الوادي المطيف بجبلها قد ارتفع هناك ارتفاعا كثيرا حتى قارب القلعة بحيث يصل منه حجر المنجنيق والسهام فنزله

المسلمون

وينقم عليهم ويعطيهم الأموال ٦ الكثيرة والاكياس العديدة لانفسهم وعساكرهم وتنبذ طائفة منهم ويقولون نحن لم ننهب ولم يحصل لنا كسب فيعطيهم ويفرق فيهم المقادير العظيمة فانعم على عابدين بك بالف كيس واعطى غيره دون ذلك (وفي اثناء ذلك) اخرج جرده من عسكر الدلاة ليسافروا الى الديار الحجازية فبرزوا الى خارج باب الفتوح حيث المكان المسمى بالشيخ قمر ونصبوا هناك وطاقهم وخرجت احمالهم واثقالهم (وفي ليلة الخميس) ثارت طائفة الطبجية وخاضوا وضجوا وهم نحو الاربعمائة وطلبوا نفقة فامر لهم بخمسة وعشرين كيسا ففرقت فيهم فسكتوا وفي يوم الخميس المذكور نزل كتخدا بك وشق من وسط المدينة ونزل عند جامع الغورية وجلس فيه ورسم لاهل السوق بفتح حوانيتهم وان يجلسوا فيها فامتثلوا وفتحوا الحوانيت وجلسوا على تخوف بكل ذلك مع عدم الراحة والهدو وتوقع المكروه والتطير من العسكر وتعدي السفهاء منهم في بعض الاحايين والتحرز والاحتراس واما النصارى فانهم حصنوا مساكنهم ونواحيهم وحاراتهم وسدوا المنافذ وبنوا اكرانك واستعدوا بالاسلحة والبنادق وامدهم الباشا بالبارود وآلات الحرب دون المسلمين حتى انهم استاذنوا كتخدا بك في سد بعض الحارات النافذة التي يخشون وقوع الضرر منها فمنع من

المسلمون ونصبوا عليه المجانيق ونصب اهل القلعة عليها منجنيقا ابطلها ورأيت انا من رأس جبل عال يشرف على القلعة لكنه لا يصل منه شيء اليها امرأة ترمي من القلعة من المنجنيق وهي التي أبطلت منجنيق المسلمين فلما رأى صلاح الدين ان المنجنيق لا ينتفعون به عزم على الزحف ومكاثرة اهلها بجموعه فقسم عسكره ثلاثة اقسام قسم يزحف فاذا تعبوا وكلوا عادوا وزحف القسم الثاني فاذا تعبوا وضجروا عادوا وزحف القسم الثالث ثم يدور الدور مرة بعد اخرى حتى يتعب الفرنج وينصبوا فانهم لم يكن عندهم من الكثرة ما يتقسمون كذلك فاذا تعبوا واعيوا اسلموا القلعة فلما كان الغد وهو السابع والعشرون من جمادى الآخرة تقدم احد الاقسام وكان المقدم عليهم عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي صاحب سنجار وزحفوا وخرج الفرنج من حصنهم فقاتلهم على فصيلهم ورماهم المسلمون بالسهام من وراء الجفتيات والجنويات والطارقيات ومشوا اليهم حتى قربوا الى الجبل فلما قاربوا الفرنج عجزوا عن الدنو منهم لخشونة المرتقى وتسلط الفرنج عليهم لعلو مكانهم بالنشاب والحجارة فانهم كانوا يلقون الحجارة الكبار فتتدحرج الى اسفل الجبل فلا يقوم لها شيء فلما تعب هذا القسم انحدروا وصعد القسم الثاني وكانوا جلوسا ينتظرونهم وهم حلقة صلاح الدين الخاص فقاتلوا قتالا شديدا وكان الزمان حرا شديدا فاشتد الكرب على الناس وصلاح الدين في سلاحه يطوف عليهم ويحرضهم وكان تقي الدين ابن اخيه كذلك فقاتلوهم الى قريب الظهر ثم تعبوا ورجعوا فلما رآهم صلاح الدين قد عادوا تقدم اليهم وبيده جماق يردهم وصاح في القسم الثالث وهم جلوس ينتظرون نوبتهم فوثبوا ملبين وساعدوا اخوانهم وزحفوا معهم فجاء الفرنج ما لا قبل لهم به وكان اصحاب عماد الدين قد استراحوا فقاموا ايضا معهم فحينئذ اشتد الامر على الفرنج وبلغت القلوب الحناجر وكانوا قد اشتد تعبهم ونصبهم فظهر عجزهم عن القتال وضعفهم عن حمل السلاح لشدة الحر والقتال فخالطهم المسلمون فعاد الفرنج يدخلون الحصن فدخل المسلمون معهم وكان طائفة قليلة في الخيام شرقي الحصن فرأوا الفرنج قد اهملوا ذلك الجانب لانهم لم يروا فيه مقاتلا وليكثروا في الجهة التي فيها صلاح الدين فصعدت تلك الطائفة من العسكر فلم يمنعهم مانع فصعدوا ايضا الحصن من الجهة الاخرى فالتقوا مع المسلمين الداخلين مع الفرنج فملكوا الحصن عنوة وقهرا ودخل الفرنج القلة التي للحصن واحاط بها المسلمون وارادوا نقبها وكان الفرنج قد رفعوا من عندهم من أسرى المسلمين الى سطح القلة وارجلهم في القيود والخشب المثقوب فلما سمعوا تكبير المسلمين في نواحي القلعة كبروا في سطح القلة وظن الفرنج ان المسلمين قد صعدوا على السطح فاستسلموا والقوا بايديهم الى الاسر فملكها المسلمون عنوة ونهبوا ما فيها واسروا وسبوا من فيها واخذوا صاحبها واهله وامست خالية لا ديار بها واوى المسلمون النار في بعض بيوتها فاحترقت ومن العجب ما يحكى من السلامة انني رأيت رجلا من المسلمين على هذه القلعة قد جاء من طائفة من المؤمنين ثم الى القلعة الى

ذلك واما النصارى فلم يتبعهم وقد تقدم ذكر قدومه مع رضوان كاشف عند ماسلك ٧ بابيدا ره ووقفه من جهة أخرى وعزره وضربه وبهدله بوسط الديوان (وفيه) وصل نجيب أفندي وهو في كتخدا الباشا عند الدولة الى بولاق فركب اليه كتخدا بك وأكابر الدولة والاغا والوالي وقابلوه ونظموا له موكبا من بولاق الى القلعة ودخل من باب النصر وحضر صحبته خلع برسم الباشا وولده طوسون باشا وسيفان وشلنجان وهدايا واحقاق نشوق مجوهرة وعملوا لوصوله شنكا ومدافع من القلعة وبولاق (وفيه) ارتحل الدلاة المسافرون الى الحجاز ودخل جوبك الى المدينة بطائفته (وفي ضحوة) ذلك اليوم بعد انفضاض أمر الموكب حصل في الناس زعجة وكرشات وأغلقوا البرابات والدروب واتصل هذا الانزعاج بجميع النواحي حتى الى بولاق ومصر القديمة ولم يظهر لذلك أصل ولا سبب من الاسباب مطلقا (وفي تلك الليلة) ألبس الباشا جوبك خلعة وتوجه بطرطور طويل وجعله أميرا على طائفة من الدلاة وانخلع هو وأتباعه من طريقتهم التركية التي كانوا عليها وهؤلاء الطائفة التي يقال لهم دلاة ينسبون أنفسهم الى حضرة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه واكثرهم من نواحي الشام وجبال الدروز والمتاولة وتلك النواحي يركبون الاكاديش

طائفة أخرى من المسلمين جنوبي القلعة وهو يعدو في الجبل مرضا فالقيت عليه الحجارة وجاءه حجر كبير لو ناله لبحه فنزل عليه فناداه الناس يحذرونه فالتفت ينظر ما الخبر فسقط على وجهه من عثرة فاسترجع الناس وجاء الحجر اليه فلما قاربه وهو منبطح على وجهه لقيه حجر آخر ثابت في الارض فوق الرجل فضرب به المنحدر فارتفع عن الارض وجاز الرجل ثم عاد الى الارض من جانبه الآخر لم ينله منه أذى ولا ضرر وقام يعدو حتى لحق باصحابه فكان سقوطه سبب نجاته فتعست ام الجبان واما صاحب برزية فانه أسر هو واصحابه وامراته واولاده ومنهم بنت له معها زوجها فتفرقهم العسكر فارسل صلاح الدين في الوقت وبحث عنهم واشتراهم وجمع شمل بعضهم ببعض فلما قارب انطاكية اطلقهم وسيرهم اليها وكانت امراة صاحب برزية اخت امراة بيمند صاحب انطاكية وكانت تراسل صلاح الدين وتهاديه و تعلمه كثيرا من الاحوال التي تؤثر فاطلق هؤلاء لاجلها

(ذكر فتح دربساك)

لما فتح صلاح الدين حصن برزية رحل عنه من الغد فاتى جسر الحديد وهو على العاصي بالقرب من انطاكية فاقام عليه حتى وافاه من تخلف عنه من عسكره ثم سار منه الى قلعة دربساك فنزل عليها ثامن رجب وهي من معاقل الداوية الحصينة وقلاعهم التي يدخرونها لحمايتهم عند نزول الشدائد فلما نزل عليها نصب المنجنيقات وتابع الرمي بالحجارة فهدمت من سورها شيئا يسيرا فلم يبال من فيه بذلك فامر بالزحف عليها ومهاجمتها فبادرها العسكر بالزحف وقاتلوها وكشفوا الرجال عن سورها وتقدم النقابون فنقبوا منها برجا وعلقوه فسقط واتسع المكان الذي يريد المقاتلة يدخلون منه وعادوا يومهم ذلك ثم باكروا الزحف من الغد وكان من فيه قد ارسلوا الى صاحب انطاكية يستنجدونه فصبروا واظهروا الجلد وهم ينتظرون جوابه اما بانجادهم وازاحة المسلمين عنهم واما بالتخلي عنهم ليقوم عذرهم في التسليم فلما علموا عجزه عن نصرتهم وخافوا هجوم المسلمين عليها واخذهم بالسيف وقتلهم واسرهم ونهب اموالهم طلبوا الامان فامنهم على شرط ان لا يخرج احد الا بثيابه التي عليه بغير مال ولا سلاح ولا اثاث بيت ولا دابة ولا شيء مما بها ثم اخرجهم منه وسيرهم الى انطاكية و كان فتحه تاسع عشر رجب

(ذكر فتح بغراس)

ثم سار عن دربساك الى قلعة بغراس فحصرها بعد ان اختلف اصحابه في حصرها فمنهم من اشار به ومنهم من نهى عنه وقال هو حصن حصين وقلعة منيعة وهو بالقرب من انطاكية ولا فرق بين حصره وحصرها ويحتاج ان يكون اكثر العسكر في اليزك مقابل انطاكية فاذا كان الامر كذلك قل المقاتلون عليها ويتعذر الوصول اليها فاستخار الله تعالى وسار اليها وجعل اكثر عسكره يزكا مقابل انطاكية يغيرون على اعمالها وكانوا

حذرين

وعلى رؤسهم الطراطير المنود مصنوعة من جلود الغنم الصغار طول الطرطور نحو ذراع واذا دخل الكنيف نزعه من على راسه و وضعه على عتبة الكنيف وما ادرى اذلك تعظيم له عن مصاحبته معه في الكنيف او لخوف وحذر من سقوطه ان اصدم باسكفة الباب في صحن المرحاض او الملاقى وهؤلاء الطائفة مشهورة في دولة العثمانيين بالشجاعة والاقدام في الحروب ويوجد فيهم من هو على طريقة حميدة ومنهم دون ذلك وقليل منهم ولكونهم من عمام النظام ودينهم التباين اجناسه واتراكه خلاف الاجناس الغريبة ومن بقي من اولئك يكون تبعا لا متبوعا (وفي يوم الثلاثاء سادس عشره) حصل مثل ذلك المتقدم من الانزعاج والكرشات بل اكثر من المرة الاولى و رمحت الرامحون واغلقت الحوانيت وطلبت الناس السقائين الذين ينقلون الماء من الخليج وبيعت القربة بعشرة انصاف فضة والراوية باربعين فنزل الاغاوات التبديل وامامهم المناداة بالامان و ينادون على العساكر ايضا ومنعهم من حمل البنادق و يامرون الناس بالتحفظ واستمر هذا الامر والارتجاج الى قبيل العصر وسكن الحال و كثر مرور السقائين وبيعت القربة بخمسة انصاف والراوية بخمسة عشر ولم يظهر

حذرين من الخوف من اهلها ان يغفلوا القريبيهم منها وصلاح الدين في بعض اصحابه على القلعة يقاتلها ونصب المنجنيقات فلم يؤثر فيها شيئا لعلوها وارتفاعها فغلب على الظنون تعذر فتحها وتأخر ملكها وشق على المسلمين قلة الماء عندهم الا ان صلاح الدين نصب الحياض وامر بحمل الماء اليها فخفف الامر عليهم فبينما هو على هذه الحال اذ قد فتح باب القلعة وخرج منه انسان يطلب الامان فاجيب الى ذلك فاذن له في الحضور فحضر وطلب الامان لمن في الحصن حتى يسلموه اليه بما فيه على قاعدة دربساك فاجابهم الى ما طلبوا فعاد الرسول ومعه الاعلام الاسلامية فرفعت على راس القلعة ونزل من فيها وتسلم المسلمون القلعة بما فيها من ذخائر واموال وسلاح وامر صلاح الدين بتخريبه فخرب وكان ذلك مضرة عظيمة على المسلمين فان ابن ليون صاحب الارمن خرج اليه من ولايته وهو مجاوره فجدد عمارته واتقنه وجعل فيه جماعة من عسكره يغيرون منه على البلاد فتأذى بهم السواد الذي لحلب وهو الى الآن بايديهم

(ذكر الهدنة بين المسلمين وصاحب انطاكية)

لما فتح صلاح الدين بغراس عزم على التوجه الى انطاكية وحصرها فخاف البيمند صاحبها من ذلك واشفق منه فارسل الى صلاح الدين يطلب الهدنة وبذل اطلاق كل اسير عنده من المسلمين فاستشار من عنده من اصحاب الاطراف وغيرهم فاشار اكثرهم باجابته الى ذلك ليعود الناس ليستريحوا ويجددوا ما يحتاجون اليه فاجاب الى ذلك واصطلحوا ثمانية اشهر اولها اول تشرين الاول وآخرها آخر ايار وسير رسوله الى صاحب انطاكية يستحلفه ويطلق من عنده من الاسرى وكان صاحب انطاكية في هذا الوقت اعظم الفرنج شأنا واكثرهم ملكا فان الفرنج قد سلموا اليه طرابلس بعد موت القمص وجميع اعمالها مضافا الى ما كان له لان القمص لم يخلف ولدا فلما سلمت اليه طرابلس جعل ولده الاكبر فيها نائبا عنه واما صلاح الدين فانه عاد الى حلب ثالث شعبان فدخلها وسار منها الى دمشق وفرق العساكر الشرقية كعماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار والخابور وعسكر الموصل وغيرها ثم رحل من حلب الى دمشق وجعل طريقه على قبر عمر بن عبد العزيز فزاره وزار الشيخ الصالح أبا زكريا المغربي وكان مقيما هناك وكان من عباد الله الصالحين وله كرامات ظاهرة وكان مع صلاح الدين الامير عز الدين أبو الفليتة قاسم بن المهنا العلوي الحسيني وهو أمير مدينة النبي صلى الله عليه وسلم كان قد حضر عنده وشهد معه مشاهده وفتوحه وكان صلاح الدين قد تبرك برؤيته وتيمن بصحبته وكان يكرمه كثيرا وينبسط معه ويرجع الى قوله في اعماله كلها ودخل دمشق أول شهر رمضان فاشير عليه بتفريق العساكر فقال ان العمر قصير والاجل غير مأمون وقد بقي بيد الفرنج هذه الحصون كوكب وصفد والكرك وغيرها ولابد من الفراغ منها فانها في وسط بلاد الاسلام ولا يؤمن شر أهلها وان اغفلناهم ندمنا فيما بعد والله أعلم

مذكورة ايضا وتقول الناس بطول نهار ذلك اليوم اصنافا وانواعا من الروايات ٩ والاقاويل التي لا اصل لها (وفي يوم الاربعاء) سابع عشره حضر الشريف راجح من الحجاز ودخل المدينة وهو راكب على هجين وصحبته خمسة انفار على هجن ايضا ومعهم اشخاص من الارنؤد من اتباع حسن باشا الذي بالحجاز فطلعوا به الى القلعة ثم انزلوه الى منزل احمد اغا اخي كتخدا بك (وفي ليلة الخميس) قلد الباشا عبد الله اغا المعروف بصاري جله وجعله كبيرا على طائفة من الينكجرية ايضا وجعل على راسه الطربوش الطويل المرخى على ظهره كما هي عادتهم هو واتباعه وكان من جملة المتهومين بالمخامرة على الباشا (وفيه) برز امر الباشا لكبار العسكر بركوب جميع عساكرهم الخيول ومنعهم من حمل البنادق ولا يكون منهم راجل او حامل للبندقية الا من كان من اتباع الشرطة والاحكام مثل الوالي والاغا واغات التبديل ولازم كتخدا بك وايوب اغا تابع ابراهيم اغا اغات التبديل والوالي المرور بالشوارع والجلوس في مراكز الاسواق مثل الغورية والجمالية وباب الحمزاوي وباب زويلة وباب الخرق واكثر اتباعهم مفطرون في نهار رمضان ومتجاهرون بذلك من غير احتشام ولا مبالاة بانتهاك حرمة شهر

(ذكر فتح الكرك وما يجاوره)

كان صلاح الدين قد جعل على الكرك عسكرا يحصره فلازموا الحصار هذه المدة الطويلة حتى فنيت ازوادا الفرنج وذخائرهم واكلوا دوابهم وصبروا حتى لم يبق للصبر مجال فراسلوا الملك العادل أخا صلاح الدين وكان جعله صلاح الدين على قلعة الكرك في جمع من العسكر يحصرها و يكون مطلعا على هذه الناحية من البلاد لما ابعد هو الى درب ساك وبغراس فوصلته رسل الفرنج من الكرك يبذلون تسليم القلعة اليه و يطلبون الامان فاجابهم الى ذلك وأرسل الى مقدم العسكر الذى يحصرها في المعنى فتسلم القلعة منهم وآمنهم وتسلم أيضا ما يقاربه من الحصون كالشوبك وهرمز والوعيرة والسلع وفرغ القلب من تلك الناحية وألقى الاسلام هناك جرانه وأمنت قلوب من في ذلك الصقع من البلاد كالقدس وغيره فانهم كانوا من بتلك الحصون وجلين ومن شرهم مشفقين

(ذكر فتح قلعة صفد)

لما وصل صلاح الدين الى دمشق وأشير عليه بتفريق العساكر وقال لا عدمن الفرنج من صفد وكوكب وغيرها اقام بدمشق الى منتصف رمضان وسار عن دمشق الى قلعة صفد فحصرها وقاتلها ونصب عليها المنجنيقات وادام الرمى اليها ليلا ونهارا بالحجارة والسهام وكان اهلها قد قارب ذخائرهم وازوادهم ان تفنى في المدة التى كانوا فيها محاصرين فان عسكر صلاح الدين كان يحاصرهم كما ذكرناه فلما راى اهلها جد صلاح الدين فى قتالهم خافوا ان يقيم الى ان يفنى ما بقى معهم من اقواتهم وكانت قليلة و يأخذهم عنوة ويهلكهم او انهم يضعفون عن مقاومته قبل فناء ما عندهم من القوت فيأخذهم فارسلوا يطلبون الامان فامنهم وتسلمها منهم فخرجوا عنها وساروا الى مدينة صور وكفى الله المؤمنين شرهم فانهم كانوا وسط البلاد الاسلامية

(ذكر فتح كوكب)

لما كان صلاح الدين يحاصر صفد اجتمع من بصور من الفرنج وقالوا ان فتح المسلمون قلعة صفد لم تبق كوكب ولو انها معلقة بالكوكب وحينئذ ينقطع طمعنا من هذا الطرف من البلاد فاتفق رايهم على انفاذ نجدة لها سرا من رجال وسلاح وغير ذلك فاخرجوا مائتى رجل من شجعان الفرنج واجلادهم فساروا الليل مستخفين واقاموا النهار مكمنين فاتفق من قدر الله تعالى ان رجلا من المسلمين الذين يحاصرون كوكب خرج متصيدا فلقى رجلا من تلك النجدة فاستغربه بتلك الارض فضربه ليعلمه بحاله وما الذى اقدمه الى هناك فاقر بالحال ودله على اصحابه فعاد الجندى المسلم الى قايماز النجمى وهو مقدم ذلك العسكر فاعلمه الخبر والفرنجى معه فركب فى طائفة من العسكر الى الموضع الذى قد اختفى فيه الفرنج فكبسهم فاخذهم وتتبعهم فى الشعاب والكهوف فلم يفلت منهم احد فكان معهم مقدمان من فرسان الاسبتار فحملوا الى

صلاح

الصنوبر يجلسون على الحوانيت والمساطب ياكلون و يشربون الدخان و ياتى احدهم و بيده شبك الدخان فيدفى مجمرته لانف ابن البلد على غفلة منه و ينفخ فيه على سبيل السخرية والهذيان بالصائم وزادوا فى الغى والتعدى وخطف النساء نهارا وجهارا حتى اتفق ان شخصا منهم ادخل امراة الى جامع الاشرفية وزنى بها فى المسجد بعد صلاة الظهر فى نهار رمضان (وفى اواخره) عملوا حساب اهل سوق مرجوش فبلغ ذلك اربعمائة وخمسين كيسا قبضوا ثلثيها وتاخر لهم الثلث كل ذلك خلاف النقود لهم ولغيرهم مثل تجار الجمزاوى وهو شئ كثير ومبالغ عظيمة فان الباشا منع من ذكرها وقال لاى شئ يؤخرون فى حوانيتهم وحواصلهم النقود ولا يتجرون فيها واتفق ان تاجر من اهل سوق امير الجيوش انه ذهب من حاصله من حواصل الخان ثمانية آلاف فرانسه فلم يذكرها ومات قهرا وكذلك ضاع لاهل خان الجمزاوى من صرو الاموال والنقود والودائع والرهونات والمصاغ والجوهر مما رهنه النساء على ثمن ما يشترونه من التجار والتفاصيل والمقصبات او على ما يتاخر عليهم من الاثمان مالا يدخل تحت الحصر و يستحيا من ذكره وضاع لرجل يبيع الفسيخ والبطارخ تجاه الجمزاوى من حانوته اربعة آلاف فرانسه فلم يذكرها وامثال

صلاح الدين وهو على صفد فاحضرهما ليقتلهما وكانت عادته قتل الداوية والاسبتارية لشدة عداوتهم المسلمين وشجاعتهم فلما امر بقتلهما قال له احدهما ما اظن ينالنا سوء وقد نظرنا الى طلعتك المباركة ووجهك الصبيح وكان رحمه الله كثير العفو يفعل الاعتذار والاستعطاف فيه فيعفو ويصفح فلما سمع كلامهما لم يقتلهما وامر بهما فسجنا ولما فتح صفد سار منها الى كوكب ونازلها وحصرها وارسل الى من بها من الفرنج يبذل لهم الامان ان سلموا وتهددهم بالقتل والسبي والنهب ان امتنعوا فلم يسمعوا قوله واصروا على الامتناع فجد في قتالهم ونصب عليهم المنجنيقات وتابع رمي الاحجار اليهم وزحف مرة بعد مرة وكانت الامطار كثيرة لا تنقطع ليلا ولا نهارا فلم يتمكن المسلمون من القتال على الوجه الذي يريدونه وطال مقامهم عليها وفي آخر الامر زحف اليها دفعات متناوبة في يوم واحد ووصلوا الى باشورة القلعة ومعهم النقابون والرماة يحمونهم بالنشاب عن قوس اليد والجروخ فلم يقدر احدهم ان يخرج رأسه من اعلى السور فنقبوا الباشورة فسقطت وتقدموا الى السور الاعلى فلما رأى الفرنج ذلك اذعنوا بالتسليم وطلبوا الامان فامنهم وتسلم الحصن منهم منتصف ذي القعدة وسيرهم الى صور فوصلوا اليها واجتمع بها من شياطين الفرنج وشجعانهم كل صنديد فاشتدت شوكتهم وحميت جمرتهم وتابعوا الرسل الى من بالاندلس وصقلية وغيرها من جزائر البحر يستغيثون ويستنجدون والامداد كل قليل تأتيهم وكان ذلك كله بتفريط صلاح الدين في اطلاق كل من حصره حتى عض بنانه ندما واسفا حيث لم ينفعه ذلك واجتمع للمسلمين بفتح كوكب وصفد من حد ايلة الى اقصى اعمال بيروت لا يفصل بينه غير مدينة صور وجميع اعمال انطاكية سوى القصير ولما ملك صلاح الدين صفد سار الى البيت المقدس فعيد فيه عيد الاضحى ثم سار منه الى عكا فاقام بها حتى انسلخت السنة

(ذكر ظهور طائفة من الشيعة بمصر)

في هذه السنة ثار بالقاهرة جماعة من الشيعة عدتهم اثنا عشر رجلا ليلا ونادوا بشعار العلويين يال علي يال علي وسلكوا الدروب ينادون ظنا منهم ان رعية البلد يلبون دعوتهم ويخرجون معهم فيعيدون الدولة العلوية ويخرجون بعض من بالقصر محبوسا منهم ويملكون البلد فلم يلتفت احد منهم اليهم ولا اعارهم سمعه فلما رأوا ذلك تفرقوا خائفين فاخذوا وكتب بذلك الى صلاح الدين فاهمه امرهم وازعجه فدخل عليه القاضي الفاضل فاخبره الخبر فقال القاضي الفاضل ينبغي ان تفرح بذلك ولا تحزن ولا تهتم حيث علمت من بواطن رعيتك المحبة لك والنصح وترك الميل الى عدوك ولو وضعت جماعة يفعلون مثل هذه الحالة لتعلم بواطن اصحابك ورعيتك وخسرت الاموال الجليلة عليهم لكان قليلا فسري عنه وكان هذا القاضي الفاضل صاحب دولة صلاح الدين واكبر من بها وسيأتي من مناقبه عند وفاته ما تراه

وطول الشهر وذلك على خلاف عادته فانه لا يقدر على الاستقرار مكانا اياما وطبيعته الحركة حتى في الكلام وكبار العساكر والسيد محمد المحروقي ومن يصحبه من المشايخ ونقيب الاشراف مستمرون على الطلوع والنزول في كل يوم وليلة وللتقيد بالمنهوبين ديوان خاص وفرق الباشا كساوى العيد على اربابها ولم يظهر في هذه القضية تشخيص معين والكثير من العساكر الذين يمشون مع الناس في الاسواق يظهرون الخلاف والسخط ويظهر منهم التعدي ويخاطفون عمائم الناس والنساء جهارا ويتوعدون الناس بعودهم في النهب وكأنما بينهم وبين اهل البلدة عداوة قديمة او ثارات يخلصونها منهم وفيهم من يظهر التأسف والتندم واللوم على المتعدين ويسفه رأيهم وهو المحروم الذي غاب عن ذلك وبالجملة فكل ذلك تقادير الهية وقضايا سماوية ونقمة حلت باهل الاقليم واهله من كل ناحية نسأل الله العفو والسلامة وحسن العاقبة ومما اتفق ان بعض الناس زاد بهم الوهم فنقل ماله من حانوته او حاصله الكائن ببعض الوكائل او الخانات الى منزله او حرز آخر فسرقها السراق وحانوته او حاصله لم يصبه ما اصاب غيره وتعدد

ذكر انهزام عسكر الخليفة من السلطان طغرل

في هذه السنة جهز الخليفة الناصر لدين الله عسكرا كثيرا وجعل المقدم عليهم وزيره جلال الدين عبيد الله بن يونس وسيرهم الى مساعدة قزل ليكف الناس طغرل عن البلاد فسار العسكر ثالث صفر الى ان قارب همذان فلم يصل قزل اليهم واقبل طغرل اليهم فالتقوا ثامن ربيع الاول بداي مرج عند همذان واقتتلوا فلم يثبت عسكر بغداد بل انهزموا وتفرقوا وثبت الوزير قائما ومعه مصحف وسيف فاتاه من عسكر طغرل من اسره واخذ ما معه من خزانه وسلاح ودواب وغير ذلك وعاد العسكر الى بغداد متفرقين وكنت حينئذ بالشام في عسكر صلاح الدين يريد الغزاة فاتاه الخبر مع النجابين بمسير العسكر البغدادي فقال كانكم وقد وصل الخبر بانهزامهم فقال له بعض الحاضرين وكيف ذلك فقال لاشك ان اصحابي واهلي اعرف بالحرب من الوزير واطوع في العسكر منه ومع هذا فما ارسل احدا منهم في سرية للحرب الا واخاف عليه وهذا الوزير غير عارف بالحرب وقريب العهد بالولاية ولا يراه الامراء اهلا ان يطاع وفي مقابلة سلطان شجاع قد باشر الحرب بنفسه ومن معه يطيعه وكان الامر كذلك ووصل الخبر اليه بانهزامهم فقال لاصحابه كنت اخبرتكم بكذا وكذا وقد وصل الخبر بذلك ولما عادت عساكر بغداد منهزمة قال بعض الشعراء وهو احمد بن الواثق بالله

اتركونا من حادثات الجريمه * طلعة طلعة تكون وخيمه
بركات الوزير قد شملتنا * فلهذا امورنا مستقيمه
خرجت جنده تريد خراسا * ن بجيش ابابهات عظيمه
بخيول ر...دة وعديد * وسيوف مجربات قديمه
ووزير وطاق طنب ونقش * وخيول معدة للهزيمه
هم راوا غرة العدو فقد ابد * لوا وانحل عقد العزيمه
واتوا ولا يخفى حنين * بوجوه ودقباح ذميمه
لو راى صاحب الزمان ولونا * من افعالهم وقبح الجريمه
قابل الكل بالنكال ونادى * لك بهاسبة عليهم مقيمه

كان ينبغي ان تتقدم هذه الحادثة وانما اخرتها لتتبع الحوادث المتقدمة بعضها بعضا لتعلق كل واحدة منها بالاخرى

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة توفي شيخنا ابو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن سويدة التكريتي كان عالما بالحديث وله تصانيف حسنة وفيها توفيت سلجوقة خاتون بنت قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان زوجة الخليفة وكانت قبله زوجة نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب الحصن فلما توفي عنها تزوجها الخليفة ووجد الخليفة عليها وجدا عظيما ظهر للناس كلهم وبنى على قبرها تربة بالجانب الغربي والى جانب التربة رباطه المشهور

نظير ذلك لاشخاص كثيرة وذلك من فعل اهل البادية يراقبون بعضهم بعضا ويدا ويرونهم في اوقات الغفلات في مثل هذه الحركات ومنهم من اتهم خدمه واتباعه وتهددهم وشكاهم الى حكام الشرطة ويغرم مالا على ذلك ايضا وهم بريئون ولا يفيده الا ارتكاب الاثم والفضيحة وعداوة الاهل والخدم وزيادة الغرم وغالب ما بايدي التجار اموال الشركاء والودائع والرهونات ويطالبه اربابها ومنهم من قابل الديانة وذهب من حانوته اشياء وابقى اشياء فادعى ضياع الكل لقوة الشبهة

واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٠

وهو يوم عيد الفطر وكان في غاية البرودة والخمول عديم البهجة من كل شيء لم يظهر فيه من علامات الاعياد الا فطر الصائمين ولم يغير احد ملبوسه بل ولا فصل ثيابا مطلقا ولا شيئا جديدا ومن تقدم له ثوب وقطعه وفصله في شعبان تأخر عند الخياط رهونا على مصاريفه ولوازمه لتعطل جميع الاسباب من بطانة وعقادة وغيرها حتى انه اذا مات ميت لم يدرك اهله كفنه الا بمشقة عظيمة وكسد في هذا العيد سوق الحياكين وما اشبههم من لوازم الاعياد ولم يعمل فيه كعك ولا شريك ولا سمك مالح ولا نقل ولم يخرجوا الى الجبانات والمدافن ايضا كعادتهم

ولانصبوا خياما على المقابر ولم يحسن في هذه الحادثة الامتناع هذه الامور وخصوصا خروج النساء الى المقابر فانه لم يخرج منهن الا بعض حرافيشهن على تخوف ووقع لبعضهن من العسكر ما وقع عند باب النصر والجامع الاحمر (وفي ثالثه) نزل الباشا من القلعة من باب الجبل وهو في عدة من عسكر الدلاة والاتراك الخيالة والمشاة وصحبته عابدين بك وذهب الى ناحية الآثار فعيد على يوسف باشا المنفصل عن الشام لانه مقيم هناك لتغيير الهواء بسبب مرضه ثم عدى الى الجيزة وبات بها عند صهره محرم بك ولما أصبح ركب السفائن وانحدر الى شبرا وبات بقصره ورجع الى منزله بالازبكية ثم طلع الى القلعة (وفي يوم الثلاثاء ثامنه) عمل ديوانا وجمع المشايخ المتصدرين وخاطبهم بقوله انه يريد ان يفرج عن حصص الملتزمين ويترك لهم وساياهم يؤجرونها ويزرعونها لانفسهم ويرتب نظاما لاجل راحة الناس وقد أمر الافندية كتاب الروزنامه بتحرير دفاتر وأمهلهم اثني عشر يوما يحررون في ظرفها الدفاتر على الوجه المرضي فاثنوا عليه خيرا ودعوا له فقال الشيخ الشنواني ونرجو من افندينا ايضا الافراج عن الرزق الاحباسية كذلك فقال كذلك بتفرقة محاسبات الملتزمين ويحررها على الوجه المرضي ايضا ومن اراد منهم ان يتصرف في حصته ويلتزم

بالرملة وفيها توفي علاء الدين تنامش وحمل تابوته الى مشهد الحسين عليه السلام وفيها توفي خادم الخليفة وكان أكبر امير ببغداد ومات ابو الفرج بن النقور العدل ببغداد وسمع الحديث الكثير وهو من بيت الحديث رحمه الله

(ثم دخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة)

(ذكر فتح شقيف ارنوم)

في هذه السنة في ربيع الاول سار صلاح الدين الى شقيف ارنوم وهو من أمنع الحصون ليحصره فنزل بمرج عيون فنزل صاحب الشقيف وهو ارناط صاحب صيدا وكان هذا ارناط من اعظم الناس دهاء ومكرا فدخل اليه واجتمع به وأظهر له الطاعة والمودة وقال له أنا محب لك ومعترف باحسانك وأخاف أن يعرف المركيس ما بيني وبينك فينال أولادي وأهلي منه أذى فانهم عنده فاشتهي أن تمهلني حتى أتوصل في تخليصهم من عنده وحينئذ احضر أنا وهم عندك وتسلم الحصن اليك واكون أنا وهم في خدمتك نقنع بما تعطينا من اقطاع فظن صلاح الدين صدقه فاجابه الى ما سال فاستقر الامر بينهما أن يتسلم الشقيف في جمادى الآخرة واقام صلاح الدين بمرج عيون ينتظر الميعاد وهو قلق مفكر لقرب انقضاء مدة الهدنة بينه وبين البيمند صاحب انطاكية فامر تقي الدين ابن أخيه أن يسير فيمن معه من عساكره ومن ياتي من بلاد المشرق ويكون مقابل انطاكية لئلا يغير صاحبها على بلاد الاسلام عند انقضاء الهدنة وكان أيضا منزعج الخاطر كثير الهم لما بلغه من اجتماع الفرنج بمدينة صور وما يتصل بهم من الامداد في البحر وان ملك الفرنج الذي كان قد أسره صلاح الدين وأطلقه بعد فتح القدس قد اصطلح هو والمركيس بعد اختلاف كان بينهما وانهم قد اجتمعوا في خلق لا يحصى فانهم قد خرجوا من مدينة صور الى ظاهرها فكان هذا واشباهه مما يزعجه ويخاف من ترك الشقيف وراء ظهره والتقدم الى صور وبها الجموع المتوافرة فتنقطع الميرة عنه الا انه مع هذه الاشياء مقيم على العهد مع ارناط صاحب الشقيف وكان ارناط في مدة الهدنة يشتري الاقوات من سوق العسكر والسلاح وغير ذلك مما يحصن به شقيفه وكان صلاح الدين يحسن الظن واذا قيل له عنه مما هو فيه من المكر وان قصده المطاولة الى ان يظهر الفرنج من صور وحينئذ يبدي صفحته ويظهر مخالفته لا يقبل فيه فلما قارب انقضاء الهدنة تقدم صلاح الدين من معسكره الى القرب من شقيف ارنوم وأحضر عنده ارناط وقد بقي من الاجل ثلاثة أيام فسأله في معنى تسليم الشقيف فاعتذر باولاده وأهله وان المركيس لم يمكنهم من المجيء اليه وطلب التاخير مدة أخرى فحينئذ علم السلطان مكره وخداعه فاخذه وحبسه وأمره بتسليم الشقيف فطلب قسيسا ذكره ليحمل رسالة الى من بالشقيف يسلموه فاحضروه عنده فساره بما لم يعلم وافضى ذلك القسيس الى الشقيف فاظهر أهله العصيان فسير صلاح الدين ارناط الى دمشق وسجنه وتقدم الى الشقيف فحصره وضيق عليه وجعل

عليه من يحفظه ويمنعه عن الذخيرة والرجال

(ذكر وقعة اليزك مع الفرنج)

لما كان صلاح الدين بمرج عيون وعلى الشقيف جاءته كتب من أصحابه الذين جعلهم يزكا في مقابل الفرنج على صور يخبرونه فيها ان الفرنج قد أجمعوا على عبور الجسر الذي لصور وعزموا على حصار صيدا فسار صلاح الدين جريدة في شعبان أصحابه سوى من جعله على الشقيف فوصل اليهم وقد فات الامر وذلك ان الفرنج قد فارقوا صور وساروا واما المقدمهم فلقيهم اليزك على مضيق هناك وقاتلوهم ومنعوهم وجرى لهم معهم حرب شديدة يشيب لها الوليد وأسروا من الفرنج جماعة وقتلوا جماعة وقتل من المسلمين أيضا جماعة منهم مملوك لصلاح الدين كان من أشجع الناس فحمل وحده على صف الفرنج فاختلط بهم وضربهم بسيفه يمينا وشمالا فتكاثروا عليه فقتلوه رحمه الله ثم ان الفرنج عجزوا عن الوصول الى صيدا فعادوا الى مكانهم

(ذكر وقعة ثانية للغزاة المتطوعة)

لما وصل صلاح الدين الى اليزك وبلغته تلك الوقعة أقام عندهم في خيمة صغيرة ينتظر عودة الفرنج لينتقم منهم ويأخذ بثأر من قتلوه من المسلمين فركب في بعض الايام في مدة يسيرة على أن ينظر الى مخيم الفرنج من الجبل ليعمل بمقتضى ما يشاهده وظن من هناك من غزاة العجم والعرب المتطوعة انه على قصد المصاف والحرب فساروا وأمجدين وأوغلوا في أرض العدو مبعدين وفارقوا الحزم وخلفوا السلطان وراء ظهورهم وقاربوا الفرنج فأرسل صلاح الدين عدة من الامراء يردونهم ويحمونهم الى أن يخرجوا فلم يسمعوا ولم يقبلوا وكان الفرنج قد اعتقدوا أن وراءهم كمينا فلم يقدموا عليهم فأرسلوا من ينظر حقيقة الامر فأتاهم الخبر انهم منقطعون عن المسلمين وليس وراءهم ما يخاف فحملت الفرنج عليهم حملة رجل واحد فقاتلوهم فلم يلبثوا أن أفنوهم وقتل معهم جماعة من المعروفين وشق على صلاح الدين والمسلمين ما جرى عليهم وكان ذلك بتفريطهم في حق أنفسهم رحمهم الله ورضي عنهم وكانت هذه الوقعة تاسع جمادى الاولى فلما راى صلاح الدين ذلك انحدر من الجبل اليهم في عسكره فحملوا على الفرنج فألحقوهم الى الجسر وقد أخذوا طريقهم فألقوا أنفسهم في الماء فغرق منهم نحو مائة دارع سوى من قتل وعزم السلطان على مصابرتهم ومحاصرتهم فتسامع الناس فقصدوه واجتمع معه خلق كثير فلما رأى الفرنج ذلك عادوا الى مدينة صور فلما عادوا اليها عاد صلاح الدين الى تبنين ثم الى عكا ينظر حالها ثم عاد الى العسكر والمخيم

(ذكر وقعة ثالثة)

لما عاد صلاح الدين الى العسكر أتاه الخبر ان الفرنج يخرجون من صور للاحتطاب والاحتشاش متبددين فكتب الى من بعكا من العسكر وواعدهم يوم الاثنين ثامن

خلاص ما تحرر فانما من المال الميرى بجهة الديوان من الفلاحين بموجب المساحة والقياس صرفناه فيها والا أبقاها على طرفنا ويقبض فائظه الذى يقع عليه التحرير من الخزينة نقدا وعدا قدره واله ايضا وسكتوا فقال لهم تكلموا فانى ما طلبتكم الا للمشاورة معكم فلم يفتح الله عليهم بكلمة يقولها احدهم غير الدعاء له على ان الكلام ضائع لانها حيل ومخادعة تروج على اهل الغفلات ويتوصل بها الى ابرازما يرومه من المرادات وعند ذلك انفض المجلس وانطلقت المبشرون على الملتزمين بالبشائر وعزل الالتزام وتصرفهم ويأخذون منهم البقاشيش مع ان الصورة معلولة والكيفية مجهولة ومعظم السبب في ذكره ذلك انه عظم حصص الالتزام كان بايدى العساكر وعظمائهم وزوجاتهم وقد انحرفت طباعهم وتكدرت امزجتهم بمنعهم عنه وحجزهم عن التصرف ولم يسهل بهم ذلك فمنهم من كظم غيظه وفى نفسه ما فيها ومنهم من لم يطق الكتمان وبارز بالمخالفة والتسلط على من لا جناية عليه فلذلك الباشا اعلن فى ديوانه بهذا الكلام ليسمع منهم لتسكن حدتهم وتبرد حرارتهم الى ان يتم امر تدبيره معهم (وفيه) وصلت هجانة واخباره مكاتبات من الديار الحجازية بوقوع الصلح بين طوسون

جمادى

جمادى الآخرة ليلاقوهم من الجانبين ورتب كمناء فى موضع من تلك الاودية والشعاب واختار جماعة من شجعان عسكره وأمرهم انهم اذا حمل عليهم الفرنج قاتلوهم شيئا من قتال ثم تطاردوا لهم واروهم العجز عن مقاتلتهم فاذا تبعهم الفرنج استجروهم الى ان يجوزوا موضع الكمين ثم يعطفوا عليهم ويخرج الكمين من خلفهم فخرجوا على هذه العزيمة فلما تراءى الجمعان والتقت الفئتان انف فرسان المسلمين ان يظهروا الهزيمة وثبتوا فقاتلوهم وصبر بعضهم لبعض واشتد القتال وعظم الامر ودامت الحرب وطال على الكمناء الانتظار فخافوا على اصحابهم فخرجوا من مكامنهم نحوهم مسرعين واليهم قاصدين فوافوهم وهم فى شدة الحرب فازداد الامر شدة على شدة وكان فيهم اربعة امراء من ربيعة طى وكانوا يجهلون تلك الارض فلم يسلكوا مسلك أصحابهم فسلكوا الوادى ظنا منهم انه يخرج بهم الى أصحابهم وتبعهم بعض مماليك صلاح الدين فلما رآهم الفرنج بالوادى علموا انهم جاهلون فاتوهم وقاتلوهم واما المملوك فانه نزل عن فرسه وجلس على صخرة وأخذ قوسه بيده وحمى نفسه وجعلوا يرمونه بسهام الزنبورك وهو يرميهم فجرح منهم جماعة وجرحوه بجراحات كثيرة فسقط فاتوه وهو بآخر رمق فتركوه وانصرفوا وهم يحسبونه ميتا ثم ان المسلمين جاؤا من الغد الى موضعهم فرأوا القتلى ورأوا المملوك حيا فحملوه فى كساء وهو لا يكاد يعرف من الجراحات فايسوا من حياته وعرضوا عليه الشهادة وبشروه بالشهادة فتركوه ثم عادوا اليه فرأوه وقد قويت نفسه فاقبلوا عليه بعذر وب فعوفى ثم كان بعد ذلك لا يحضر شهدا الا كان له فيه الاثر العظيم

(ذكر مسير الفرنج الى عكا ومحاصرتها)

لما كثر جمع الفرنج بصور على ما ذكرناه من ان صلاح الدين كان كلما فتح مدينة أو قلعة اعطى أهلها الامان وسيرهم اليها باموالهم ونسائهم وأولادهم فاجتمع بها منهم عالم كثير لا يعد ولا يحصى ومن الاموال ما لا يفنى على كثرة الانفاق فى السنين الكثيرة ثم ان الرهبان والقسس وخلقا كثيرا من مشهوريهم وفرسانهم لبسوا السواد واظهروا الحزن على خروج البيت المقدس من أيديهم وأخذهم البترك الذى كان بالقدس ودخل بهم بلاد الفرنج يطوف بهم جميعا ويستنجدون أهلها ويستجيرون بهم ويحثونهم على الاخذ بثار البيت المقدس وصوروا المسيح عليه السلام وجعلوا صورة رجل عربى والعربى يضربه وقد جعلوا الدماء على صورة المسيح عليه السلام وقالوا لهم هذا المسيح يضربه محمد نبي المسلمين وقد جرحه وقتله فعظم ذلك على الفرنج فحشروا وحشدوا حتى النساء فانهم كان معهم على عكا عدة من النساء يبارزن الاقران على ما نذكره ان شاء الله تعالى ومن لم يستطع الخروج استأجر من يخرج عوضه او يعطيهم مالا على قدر حالهم فاجتمع لهم من الرجال والاموال ما لا يتطرق اليه الاحصاء (ولقد حدثنى) بعض المسلمين المقيمين بحصن الاكراد وهو من اجناد أصحابه الذين سلموه الى الفرنج قديما

باشا وعبدالله بن مسعود الذى تولى بعد موت أبيه كبيرا على الوهابية وان عبدالله المذكور ترك الحروب والقتال وأذعن للطاعة وحقن الدماء وحضر من جماعة الوهابية نحو العشرين نفرا من الانفار الى طوسون باشا ووصل منهم اثنان الى مصر فكان الباشا لم يعجبه هذا الصلح ولم يظهر عليه علامات الرضا بذلك ولم يحسن نزل الواصلين ولما اجتمعا به وخاطبهما عاتبهما على المخالفة فاعتذرا وذكرا ان الامير مسعودا المتوفى كان فيه عناد وحدة مزاج وكان يريد الملك واقامة الدين واما ابنه الامير عبدالله فانه لين الجانب والعريكة ويكره سفك الدماء على طريقة سلفه الامير عبد العزيز المرحوم فانه كان مسالما للدولة حتى ان المرحوم الوزير يوسف باشا حين كان بالمدينة كان بينه وبينه غاية الصداقة ولم يقع بينهما منازعة ولا مخالفة فى شئ ولم يحصل التفاقم والخلاف الا فى ايام الامير مسعود ومعظم الامر الشريف غالب بخلاف الامير عبدالله فانه احسن السير وترك الخلاف وأمن الطرق والسبل للحجاج والمسافرين ونحو ذلك من الكلمات والعبارات المستحسنات وانقضى المجلس وانصرفا الى المحل الذى امرا بالنزول فيه ومعهما بعض اتراك ملازمون لصحبتهما مع اتباعهما فى الركوب والذهاب والاياب فانه اطلق لهما الاذن الى اى محل اراده

وكان هذا الرجل قد قدم على ما كان منه من موافقة الفرنج في الغارة على بلاد الاسلام والقتال معهم والسعي معهم وكان سبب اجتماعي به ما اذكره سنة تسعين وخمسمائة ان شاء الله تعالى قال لي هذا الرجل انه دخل مع جماعة من الفرنج من حصن الاكراد الى البلاد البحرية التي للفرنج والروم في اربع شواني يستنجدون قال فانتهى بنا التطواف الى رومية الكبرى فخرجنا منها وقد ملأنا الشواني نقرة (وحدثني) بعض الاسرى منهم ان له والدة ليس لها ولد سواه ولا يملكون من الدنيا غير بيت باعته وجهزته بثمنه وسيرته لاستنقاذ البيت المقدس فاخذ اسيرا وكان عند الفرنج من الباعث الديني والنفساني ما هذا حده فخرجوا على الصعب والذلول برا وبحرا من كل فج عميق ولولا الله تعالى لطف بالمسلمين واهلك ملك الالمان لما خرج على ما نذكره عند خروجه الى الشام والا كان يقال ان الشام ومصر كانتا للمسلمين فهذا كان سبب خروجهم فلما اجتمعوا بصور وموج بعضهم في بعض ومعهم الاموال العظيمة والبحر يمدهم بالاقوات والذخائر والعدد والرجال من بلادهم فضاقت عليهم صور باطنها وظاهرها فارادوا قصد صيدا وكان ما ذكرناه فعادوا واتفقوا على قصد عكا ومحاصرتها ومصابرتها فساروا اليها بفارسهم وراجلهم وقضهم وقضيضهم ولزموا البحر في مسيرهم لا يفارقونه في السهل والوعر الضيق والسعة ومراكبهم تسير مقابلهم في البحر فيها سلاحهم وذخائرهم ولتكون عدة لهم ان جاءهم ما لا قبل لهم به ركبوا فيها وعادوا وكان رحيلهم ثامن رجب ونزولهم على عكا في منتصفه ولما كانوا سائرين كان يزك المسلمين يتخطفونهم ويأخذون المنفرد منهم ولما رحلوا جاء الخبر الى صلاح الدين برحيلهم فسار حتى قاربهم ثم جمع امراءه واستشارهم هل يكون المسير محاذاة الفرنج ومقاتلتهم وهم سائرون أو يكون في غير الطريق التي سلكوها فقالوا لا حاجة بنا الى احتمال المشقة في مسايرتهم فان الطريق وعر وضيق ولا يتهيأ لنا ما نريد منهم والرأي اننا نسير في الطريق المهيع ونجتمع عليهم عند عكا فنفرقهم ونمزقهم فعلم ميلهم الى الراحة المعجلة فوافقهم وكان رأيه مسايرتهم ومقاتلتهم وهم سائرون وقال ان الفرنج اذا نزلوا الصقوا بالارض فلا يتهيأ لنا ازعاجهم ولا نيل الغرض منهم والرأي قتالهم قبل الوصول الى عكا فخالفوه فتبعهم وساروا على طريق كفركنا فسبقهم الفرنج وكان صلاح الدين قد جعل في مقابل الفرنج جماعة من الامراء يسايرونهم ويناوشونهم القتال ويتخطفونهم ولم يقدم الفرنج عليهم مع قلتهم فلو ان العساكر اتبعت رأي صلاح الدين في مسايرتهم ومقاتلتهم قبل نزولهم على عكا لكان بلغ غرضه وصدهم عنها ولكن اذا اراد الله امرا هيأ اسبابه ولما وصل صلاح الدين الى عكا رأى الفرنج قد نزلوا عليها من البحر الى البحر من الجانب الآخر ولم يبق للمسلمين اليها طريق فنزل صلاح الدين عليهم وضرب خيمته على تل كيسان وامتدت ميمنته الى تل العياضية وميسرته الى النهر الجاري ونزلت الاثقال بصفورية وسير الكتب الى الاطراف باستدعاء العساكر فاتاه عسكر الموصل وديار بكر وسنجار وغيرها من بلاد الجزيرة واتاه تقي الدين ابن اخيه واتاه مظفر الدين بن

فكانا يركبان ويمران بالشوارع باتباعهما ومن يصحبهما او يتفرجان على البلد واهلها ودخلا الى الجامع الازهر في وقت لم يكن به احد من المتصدرين للاقراء والتدريس وسألوا عن اهل مذهب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه وعن الكتب الفقهية المصنفة في مذهبه فقيل انقرضوا من ارض مصر بالكلية واشتريا نسخا من كتب التفسير والحديث مثل الخازن والكشاف والبغوي والكتب الستة المجمع على صحتها وغير ذلك وقد اجتمعت بهما مرتين فوجدت منهما انسا وطلاقة لسان واطلاعا وتضلعا ومعرفة بالاخبار والنوادر ولهما من التواضع وتهذيب الاخلاق وحسن الادب في الخطاب والتفقه في الدين واستحضار الفروع الفقهية واختلاف المذاهب فيها ما يفوق الوصف واسم احدهما عبد الله والآخر عبد العزيز وهو الاكبر حسا ومعنى (وفي يوم السبت تاسع عشره) خرجوا بالمحمل الى الحصوة خارج باب النصر وشقوا به من وسط المدينة وامير الركب شخص من الدلاة يسمى اوزون اوغلي وفوق راسه طرطور الدلاتية ومعظم الموكب من عساكر الدلاة وعلى رؤسهم الطراطير السود بذاتهم المستبشعة وقد عدم الاهتمام المعتاد في كل شيء فتنقبض نفس الطبيعة وتتكدر النفس اذا شاهدت ذلك او سمعت به

زين الدين وهو صاحب سروان والرها وكانت الامداد تاتى المسلمين فى البر وتاتى الفرنج فى البحر وكان بين الفريقين مدة مقامهم على عكا حروب كثيرة مابين صغيرة وكبيرة منها اليوم المشهور ومنها ماهو دون ذلك وما عداها كان قتالا يسيرا من بعضهم مع بعض فلا حاجة الى ذكره ولما نزل السلطان عليهم لم يقدر على الوصول اليهم ولا الى عكا حتى انسلخ رجب ثم قاتلهم مستهل شعبان فلم ينل منهم ما يريد وبات الناس على تعبية فلما كان الغد باكرهم القتال بجده وحديده واستدار عليهم من سائر جهاتهم من بكرة الى الظهر وصبر الفريقان صبرا حار له من رآه فلما كان وقت الظهر حمل عليهم تقى الدين حملة منكرة من الميمنة على من يليه منهم فازاحهم عن مواقفهم فركب بعضهم بعضا لا يلوى اخ على اخ والتجؤا الى من يليهم من اصحابهم واجتمعوا بهم واخلوا نصف البلد وملك تقى الدين مكانهم والتصق بالبلد وصار ما اخلوه بيده ودخل المسلمون البلد وخرجوا منه واتصلت الطرق وزال الحصر عمن فيه وادخل صلاح الدين اليه من اراد من الرجال وما اراد من الذخائر والاموال والسلاح وغير ذلك ولو ان المسلمين لزموا قتالهم الى الليل لبلغوا ما ارادوه فان الصدمة الاولى روعة لكنهم لما نالوا منهم هذا القدر اخلدوا الى الراحة وتركوا القتال وقالوا نباكرهم غدا ونقطع دابرهم وكان فى جملة من ادخله صلاح الدين الى عكا من جملة الامراء حسام الدين ابو الهيجاء السمين وهو من اكابر امراء عسكره وهو من الاكراد الحكمية من بلد اربل وقتل من الفرنج هذا اليوم جماعة كبيرة

•(ذكر وقعة اخرى ووقعة العرب)•

ثم ان المسلمين نهضوا الى الفرنج من الغد وهو سادس شعبان عازمين على بذل جهدهم واستنفاد وسعهم فى استئصالهم فتقدموا على تعبيتهم فرأوا الفرنج حذرين محتاطين قد ندموا على ما فرطوا فيه بالامس وهم قد حفظوا اطرافهم ونواحيهم وشرعوا فى حفر خندق يمنع من الوصول اليهم فالح المسلمون عليهم فى القتال فلم يتقدم الفرنج اليهم ولا فارقوا مرابضهم فلما رأى المسلمون ذلك عادوا عنهم ثم ان جماعة من العرب بلغهم ان الفرنج تخرج من الناحية الاخرى الى الاحتطاب وغيره من اشغالهم فكمنوا لهم فى معاطف النهر ونواحيه سادس عشر شعبان فلما خرج جمع من الفرنج على عادتهم حملت عليهم العرب فقتلوهم عن آخرهم وغنموا ما كان معهم وحملوا الرؤس الى صلاح الدين فاحسن اليهم واعطاهم الخلع

•(ذكر الوقعة الكبرى على عكا)•

لما كان بعد هذه الوقعة المذكورة بقى المسلمون الى العشرين من شعبان كل يوم يغدون القتال مع الفرنج ويراوحونه والفرنج لا يظهرون من معسكرهم ولا يفارقونه ثم ان الفرنج اجتمعوا للمشورة فقالوا ان عسكر مصر لم يحضر والحال مع صلاح الدين هكذا فكيف يكون اذا حضر ورأى ان نلقى المسلمين غدا لعلنا نظفر بهم قبل اجتماع

وقد كانت نضارة الموكب السالفة فى ايام المصريين ونظامها وحسنها وترتيبها وفخامتها وجمالها وزينتها التى لم يكن لها نظير فى الربع المعمور ويضرب بها المثل فى الدنيا كما قال قائلهم فيها

مصر السعيدة مالها من مثيل
فيها ثلاثة من المنا والسرور
موكب السلطان وبحر الوفا
ومحمل الهادى نهار يدور

فقد فقدت هذه الثلاثة فى جملة المفقودات (وفى ثالث عشرينه) وصل قابجى وعلى يده تقرير ولاية مصر لمحمد على باشا على السنة الجديدة فعملوا لذلك الواصل موكبا من بولاق الى القلعة وضربوا مدافع وشنكا وبنادق

•(واستهل شهر ذى القعدة الحرام بيوم الاربعاء سنة ١٢٣٠)•

(فى سادس عشره) سافر الباشا الى الاسكندرية واخذ صحبته عابدين بك واسمعيل باشا ولده وغيرهما من كبرائهم وعظمائهم وسافر ايضا نجيب افندى وسليمان اغا وكيل دار السعادة سابقا تابع صالح بك المصرى المجهزين الى دار السلطنة واصحب الباشا الى الدولة اكابرها الهدايا من الخيول والمهارى والسروج المكللة بالذهب واللؤلؤ والمخيش وتعابى الاقمشة الهندية المتنوعة من الكشمير والمنصبات والتحف ومن الذهب المضروب السكة اربعة قناطير مصرية قيمتها ثلثمائة فى الوزن والعيار وعدة قناطير ومن السكر المكرر

مرارا وأنواع الشراب خافاه في القدور والصيني وغير ذلك (وفيه وردت الاخبار) بوصول طوسون باشا الى الطور

العساكر والامداد اليهم وكان كثير من عسكر صلاح الدين غائبا عنه بعضهم مقابل انطاكية ليردوا غائلة البيمند صاحبها عن أعمال حلب وبعضهم في حمص مقابل طرابلس ليحفظ ذلك الثغر أيضا وعسكر في مقابل صور لحماية ذلك البلد وعسكر بمصر ليكونوا بثغر دمياط والاسكندرية وغيرهما والذي بقي من عسكر مصر كانوا لم يصلوا لطول بيكارهم كما ذكرناه قبل وكان هذا مما أطمع الفرنج في الظهور الى قتال المسلمين واصبح المسلمون على عادتهم منهم من يتقدم الى القتال ومنهم من هو في خيمته ومنهم من قد توجه في حاجته من زيارة صديق وتحصيل ما يحتاج اليه هو واصحابه ودوابه الى غير ذلك فخرج الفرنج من معسكرهم كأنهم الجراد المنتشر يدبون على وجه الارض قد ملؤها طولا وعرضا وطلبوا ميمنة المسلمين وعليها تقي الدين عمر ابن اخي صلاح الدين فلما رأى ان الفرنج نحوه قاصدين حذرهم واصحابه فتقدموا اليه فلما قربوا منه تأخر عنهم فلما راى صلاح الدين الحال وهو في القلب امد تقي الدين برجال من عنده ليتقوى بهم وكان عسكر ديار بكر وبعض الشرقيين في جناح القلب فلما راى الفرنج قلة الرجال في القلب وان كثيرا منهم قد سار نحو الميمنة مددا لهم عطفوا على القلب فحملوا حملة رجل واحد فاندفعت العساكر بين ايديهم منهزمين وثبت بعضهم فاستشهد جماعة منهم كالامير مجلي بن مروان والظهير اخي الفقيه عيسى وكان والي البيت المقدس قد جمع بين الشجاعة والعلم والدين وكالحاجب خليل الهكاري وغيرهم من الشجعان الصابرين في مواطن الحرب ولم يبق بين ايديهم في القلب من يردهم فقصدوا التل الذي عليه خيمة صلاح الدين فقتلوا من مروا به ونهبوا وقتلوا عند خيمة صلاح الدين جماعة منهم شيخنا جمال الدين ابو علي بن رواحة الحموي وهو من اهل العلم وله شعر حسن وما ورث الشهادة من بعيد فان جده عبد الله بن رواحة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل يوم موتة وهذا قتله الفرنج يوم عكا وقتلوا غيره وانحدروا الى الجانب الآخر من التل فوضعوا السيف فيمن لقوه وكان من لطف الله تعالى بالمسلمين ان الفرنج لم يلقوا خيمة صلاح الدين ولو القوها لعلم الناس وصولهم اليها وانهزام العساكر بين ايديهم فكانوا انهزموا اجمعون ثم ان الفرنج نظروا وراءهم فرأوا امدادهم قد انقطعت عنهم فرجعوا خوفا ان ينقطعوا عن اصحابهم وكان سبب انقطاعهم ان الميمنة وقفت مقابلتهم فاحتاج بعضهم يقف مقابلها وحملت ميسرة المسلمين على الفرنج فاشتغل المدد بقتال من بها عن الاتصال باصحابهم وعادوا الى طرف خنادقهم فحملت الميسرة على الفرنج الواصلين الى خيمة صلاح الدين فصادفوهم وهم راجعون فقاتلوهم وثار بهم غلمان العسكر وكان صلاح الدين لما انهزم القلب قد تبعهم يناديهم ويأمرهم بالكرة ومعاودة القتال فاجتمع معه منهم جماعة صالحة فحمل بهم على الفرنج من وراء ظهورهم وهم مشغولون بقتال الميسرة فاخذتهم سيوف الله من كل جانب فلم يفلت منهم احد بل قتل اكثرهم واخذ الباقون اسرى وفي جملة

من

فهرعت أكابرهم واعيانهم الى ملاقاته واخذوا في الاهتمام واحضار الهدايا والتقادم وركبت الخوندات والنساء والستات أفواجا أفواجا يطلعن الى القلعة يهنين والدته بقدومه (وفي غايته) وصل طوسون باشا الى السويس فضربوا مدافع اعلاما بقدومه وحضر نجيب افندي راجعا من الاسكندرية لاجل ملاقاته لانه كتخداه اليوم ايضا عند الدولة كما هو لوالده

(واستهل شهر ذي الحجة الحرام بيوم الجمعة سنة ١٢٣٠)

(في رابعه يوم الاثنين) نودي بزينة الشارع الاعظم لدخول طوسون باشا سرورا بقدومه فلما اصبح يوم الثلاثاء خامسه احتفل الناس بزينة الحوانيت بالشارع وعملوا له موكبا حافلا ودخل من باب النصر وعلى رأسه الطلخان وشعار الوزارة وطلع الى القلعة وضربوا في ذلك اليوم مدافع كثيرة وشنكا وحراقات (وفي ليلة الجمعة خامس عشره) سافر طوسون باشا المذكور الى الاسكندرية ليراه ابوه ويسلم هو عليه ويرى هو ولده المولود في غيبته

يسمى عباس [illegible]

من أسر مقدم الداوية الذى كان قد أسره صلاح الدين وأطلقه فلما ظفر به الآن قتله وكانت عدة القتلى سوى من كان الى جانب البحر نحو عشرة آلاف قتيل فامر بهم فالقوا فى النهر الذى يشرب الفرنج منه وكان عامة القتلى من فرسان الفرنج فان الرجالة لم يلحقوهم وكان فى جملة الاسرى ثلاث نسوة فرنجيات كن يقاتلن على الخيل فلما أسرن والقى عنهن السلاح عرفن انهن نساء وأما المنهزمون من المسلمين فمنهم من رجع من طبرية ومنهم من جاوز الاردن وعاد ومنهم من بلغ دمشق ولولا ان العساكر تفرقت فى الهزيمة لكانوا بلغوا من الفرنج الاستئصال والاهلاك مرادهم على ان الباقين بذلوا جهدهم وجدوا فى القتال وصمموا على الدخول مع الفرنج فى معسكرهم لعلهم يفزعون منهم فجاءهم الصريخ بان رحالهم وأموالهم قد نهبت وكان سبب هذا النهب ان الناس لما رأوا الهزيمة حملوا أثقالهم على الدواب فثار بهم اوباش العسكر وغلمانه فنهبوها واتوا عليه وكان فى عزم صلاح الدين أن يباكرهم القتال والزحف فرأى اشتغال الناس بما ذهب من أموالهم وهم يسعون فى جمعها وتحصيلها فامر بالنداء باحضار ما اخذ فاحضر منه ما ملأ الارض من المفارش والعيب المملوءة والثياب والسلاح وغير ذلك فرد الجميع على أصحابه ففاته ذلك اليوم ما أراده من ردع الفرنج واصطلام الباقين منهم

(ذكر رحيل صلاح الدين عن الفرنج وتمكنهم من حصر عكا)

لما قتل من الفرنج ذلك العدد الكثير جافت الارض من نتن ريحهم وفسد الهواء والجو ووجدت الامزجة فسادا وانحرف مزاج صلاح الدين وحدث له قولنج مبرح كان يعتاده فحضر عنده الامراء وأشاروا عليه بالانتقال من ذلك الموضع وترك مضايقة الفرنج وحسنوه له وقالوا قد ضيقنا على الفرنج ولو أرادوا الانفصال عن مكانهم لم يقدروا والرأى اننا نبعد عنهم بحيث يتمكنون من الرحيل والعود فان رحلوا فقد كفينا شرهم وكفوا شرنا وان أقاموا عاودنا القتال ورجعنا معهم الى ما نحن فيه ثم ان مزاجك منحرف والالم شديد ولو وقع ارجاف لهلك الناس والرأى على كل تقدير البعد عنهم ووافقهم الاطباء على ذلك فاجابهم اليه الى ما يريد الله ان يفعله واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال فرحلوا الى الخروبة رابع شهر رمضان وأمر من بعكا من المسلمين بحفظها واغلاق أبوابها والاحتياط واعلمهم بسبب رحيله فلما رحل هو وعساكره امن الفرنج وانبسطوا فى تلك الارض وعادوا وحصروا عكا واحاطوا بها من البحر الى البحر ومراكبهم أيضا فى البحر تحصرها وشرعوا فى حفر الخندق وعمل السور من التراب الذى يخرجونه من الخندق وجاؤا بما لم يكن فى الحساب وكان اليزك كل يوم يواقعهم وهم لا يقاتلون ولا يتحركون انما هم معتمدون بحفر الخندق والسور عليهم ليتحصنوا به من صلاح الدين ان عاد الى قتالهم فحينئذ ظهر رأى المشيرين بالرحيل وكان اليزك كل يوم يخبرون صلاح الدين بما يصنع الفرنج ويعظمون الامر عليه وهو مشغول بالمرض لا يقدر على النهوض اليهم ... بعضهم بان يرسل العساكر

ارساله الى دار السلطنة فلم يتسهل بابيه ذلك ومن عليه مفارقته وخصوصا كونه لم يره وسافر صحبته طوسون باشا نجيب افندى عائدا الى الاسكندرية (وفى يوم السبت عشرينه) حضر طوسون باشا الى مصر راجعا من الاسكندرية فى تطريدة ومعه ولده فكانت مدة غيبته ذهابا وايابا ثمانية أيام فطلع الى القلعة وصار ينزل الى بستان بطريق بولاق ظاهر التبانة عمره كتخدابك وبنى به قصرا فيقيم به غالب الايام التى اقامها بمصر وانقضت السنة وما تجدد فيها من استمرار المبتدعات والمكوس والتحكير واهمال السوقة والمتسببين حتى عم غلو الاسعار فى كل شئ حتى باع سعر كل صنف عشرة امثال سعره فى الايام الخالية مع الحجر على الايراد وأسباب المعاش فلا يهنأ بعيش فى الجملة الا من كان مكاسا أو فى خدمة من خدم الدولة مع كونه على خطر فانه وقع لكثير ممن تقدم فى منصب أو خدمة انه حوسب وأهين والزم بما رفعوه فيه وقد استهلكه فى نفقات نفسه وحواشيه فباع ما يملكه واستدان واصبح مديونا مدينا وصارت المعايش ضنكا وخصوصا ما وقع فى اختلاف المعاملات والنقود والزيادة فى صرفها واسعارها واحتياج الباعة والتجار والمتسببين بذلك وبما يحدثونه عليهم من المكوس مع ضعفهم ايضا وحصول ما يحصل له الاسواق ويباعي

جميعها اليها ليمنعهم من الخندق والسور و يقاتلوهم و يتخلف هو عنهم فقال اذا لم احضر معهم لا يفعلون شيئا وربما كان من الشر اضعاف ماترجوه من الخير فتأخر الامر الى ان عوفى فتمكن الفرنج وعملوا ما ارادوا واحكموا أمورهم وحصنوا نفوسهم بما وجدوا اليه السبيل وكان من بعكا يخرجون اليهم كل يوم و يقاتلونهم و ينالون منهم بظاهر البلد

(ذكر وصول عسكر مصر والاسطول المصرى فى البحر)

فى منتصف شوال وصلت العساكر المصريه ومقدمها الملك العادل سيف الدين ابو بكر ابن ايوب فلما وصل قويت نفوس الناس به وبمن معه واشتدت ظهورهم واحضر معه من آلات الحصار من الدرق والطارقيات والنشاب والاقواس شيئا كثيرا ومعهم من الرجالة الجم الغفير وجمع صلاح الدين من البلاد الشامية راجلا كثيرا وهو على عزم الزحف اليهم بالفارس والراجل ووصل بعده الاسطول المصرى ومقدمه الامير لؤلؤ وكان شهما شجاعا مقداما خبيرا بالبحر والقتال فيه ميمون النقيبة فوصل بغتة فوقع على بطسة كبيرة للفرنج فغنمها وغنم منها اموالا كثيرة وميرة عظيمة فادخلها الى عكا فسكنت نفوس من بها بوصول الاسطول وقوى جنانهم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى صفر خطب لولى العهد ابى نصر محمد ابن الخليفة الناصر لدين الله ببغداد ونثرت الدنانير والدراهم وارسل الى البلاد فى اقامة الخطبة ففعل ذلك وفيها فى شوال ملك الخليفة تكريت وسبب ذلك ان صاحبها وهو الامير عيسى قتله اخوته وملكوا القلعة بعده فسير الخليفة اليهم عسكرا فحصروها وتسلموها ودخل اصحابه الى بغداد فاعطوا اقطاعا وفيها فى صفر فتح الرباط الذى بناه الخليفة بالجانب الغربى من بغداد وحضر الخلق العظيم فكان يوما مشهودا وفى هذه السنة فى رمضان مات شرف الدين ابو سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن ابى عصرون الفقيه الشافعى بدمشق وكان قاضيها و ضر وولى القضاء بعده ابنه وكان الشيخ من اعيان الفقهاء الشافعية وفيها فى ذى القعدة توفى الفقيه ضياء الدين عيسى الهكارى بالخروبة مع صلاح الدين وهو من اعيان امراء عسكره ومن قدماء الاسدية وكان فقيها جنديا شجاعا كريما ذا عصبية ومروءة وهو من اصحاب الشيخ الامام ابى القاسم بن البرزى تفقه عليه بجزيرة ابن عمر ثم اتصل باسد الدين شيركوه فصار امامه له فرأى من شجاعته ماجعل له اقطاعا وتقدم عند صلاح الدين تقدما عظيما وفيها فى صفر توفى شيخنا ابو العباس احمد بن عبد الرحمن ابن وهبان المعروف بابن افضل الزمان بمكة وكان رحمه الله عالما متبحرا فى علوم كثيرة خلاف فقه مذهبه والاصولين والحساب والفرائض والنجوم والهيئة والمنطق وغير ذلك وختم اعماله بالزهد ولبس الخشن واقام بمكة حرسها الله تعالى مجاورا فتوفى بها وكان من احسن الناس صحبة وخلقا وفيها فى ذى القعدة مات ابو طالب المبارك بن المبارك

الكرخى

الخضارات والجزارين والزياتين فانهم يدفعون ماهو مرتب عليهم للمحتسب مياومة ومشاهرة ويخلصون اضعافه من الناس ولا رادع لهم بل يسعرون لانفسهم حتى ان البطيخ فى اوان كثرته تباع الواحدة التى كانت تساوى نصفين بعشرين وثلاثين والرطل من العنب الشرقاوى الذى كان يباع فى السابق بنصف واحد يبيعونه يوما بعشرة ويوما بأثنى عشر ويوما بثمانية وقس على ذلك الخوخ والبرقوق والمشمش واما الزبيب والتين واللوز والبندق والجوز والاشياء التى يقال لها اليميش التى تجلب من بلاد الروم فبلغت الغاية فى الثمن بل قد لا توجد فى اكثر الاوقات وكذلك مايجلب من الشام مثل المسلين والقمر الدين والمشمش الحموى والعناب وكذلك الفستق والصنوبر وغير ذلك مايطول شرحه ويزداد بطول الزمان قيمه

(ومات) فى هذه السنة العلامة الاوحد والفهامة الامجد محقق عصره ووحيد دهره الجامع لاشتات العلوم والمنفرد بتحقيق المنطوق والمفهوم بقية الفضلاء المتقدمين والمتميز عن المتأخرين الشيخ محمد بن احمد بن عرفة الدسوقى المالكى ولد ببلدة دسوق من قرى مصر وحضر الى مصر وحفظ القرآن وجوّده على الشيخ محمد المنير ولازم حضور دروس الشيخ

الكرخي مدرس النظامية وكان من اصحاب ابي الحسن بن الخل وكان صالحا خيرا له عند الخليفة والعامة حرمة عظيمة وجاه عريض وكان حسن الخط يضرب به المثل

(ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة)

●(ذكر وقعة الفرنج واليزك وعود صلاح الدين الى منازلة الفرنج)●

قد ذكرنا رحيل صلاح الدين عن عكا الى الخروبة لمرضه فلما برأ اقام بمكانه الى ان ذهب الشتاء وفي مدة مقامه بالخروبة كان يزكه وطلائعه لا تنقطع عن الفرنج فلما دخل صفر من سنة ست وثمانين وخمسمائة سمع الفرنج ان صلاح الدين قد سار للصيد ورأى العسكر الذي في اليزك عندهم قليلا وان الوحل الذي في مرج عكا كثير يمنع من سلوكه من اراد ان ينجد اليزك فاغتنموا ذلك وخرجوا من خندقهم على اليزك وقت العصر فقاتلهم المسلمون ورموا انفسهم بالنشاب واحجم الفرنج عنهم حتى فني نشابهم فحملوا عليهم حينئذ حملة رجل واحد فاشتد القتال وعظم الامر وعلم المسلمون انه لا ينجيهم الا الصبر وصدق القتال فقاتلوا قتال مستقتل الى ان جاء الليل وقتل من الفريقين جماعة كثيرة وعاد الفرنج الى خندقهم ولما عاد صلاح الدين الى العسكر سمع خبر الوقعة فندب الناس الى نصر اخوانهم فأتاه الخبر ان الفرنج عادوا الى خندقهم فاقام ثم انه رأى الشتاء قد ذهب وجاءته العساكر من البلاد القريبة منه دمشق وحمص وحماة وغيرها فتقدم من الخروبة نحو عكا فنزل بتل كيسان وقاتل الفرنج كل يوم ليشغلهم عن قتال من بعكا من المسلمين فكانوا يقاتلون الطائفتين ولا يسامون

●(ذكر احراق الابراج ووقعة الاسطول)●

كان الفرنج في مدة مقامهم على عكا قد عملوا ثلاثة ابراج من الخشب عالية جدا طول كل برج منها في السماء ستون ذراعا وعملوا كل برج منها خمس طبقات كل طبقة مملوءة من المقاتلة وقد جمع اخشابها من الجزائر فان مثل هذه الابراج العظيمة لا يصلح لها من الخشب الا القليل النادر وغشوها بالجلود والخل والطين والادوية التي تمنع النار من احراقها واصلحوا الطرق لها وقدموها نحو مدينة عكا من ثلاث جهات وزحفوا بها في العشرين من ربيع الاول فاشرفت على السور وقاتل من بها من عليه فانكشفوا وشرعوا في طم خندقها فاشرف البلد على ان يملك عنوة وقهرا فارسل اهلها الى صلاح الدين انسانا سبح في البحر فاعلمه ما هم فيه من الضيق وما قد اشرفوا عليه من اخذهم وقتلهم فركب هو وعساكره وتقدموا الى الفرنج وقاتلهم من جميع جهاتهم قتالا عظيما دائما يشغلهم عن مكاثرة البلد فتفرق الفرنج فرقتين فرقة تقاتل صلاح الدين وفرقة تقاتل اهل عكا الا ان الامر قد خف عمن بالبلد ودام القتال ثمانية ايام متتابعة آخرها الثامن والعشرون من الشهر وسئم الفريقان القتال وملوا منه لملازمته ليلا ونهارا والمسلمون قد تيقنوا استيلاء الفرنج على البلد لما رأوا من عجز من فيه عن دفع الابراج فانهم لم يتركوا حيلة الا عملوها فلم يفد ذلك ولم يغن عنهم شيئا وتابعوا رمي

على الصعيدي والشيخ الدردير وتلقى الكثير من المعقولات عن الشيخ محمد الجناجي ٢١ الشهير بالشافعي وهو مالكي ولازم الوالد حسنا الجبرتي مدة طويلة وتلقى عنه وبواسطة الشيخ محمد بن اسمعيل النفراوي علم الحكمة والهيئة والهندسة وفن التوقيت وحضر عليه ايضا في فقه الحنفية وفي المطول وغيره برواق الجبرت بالازهر وتصدر للاقراء والتدريس وافادة الطلبة وكان فريدا في تحويل المعاني وتبيين المباني يحل كل مشكل بواضح تقريره ويفتح كل مغلق برائق تحريره ودرسه مجمع اذكياء الطلاب والمهرة من ذوي الافهام والالباب مع لين جانب وديانة وحسن خلق وتواضع وعدم تصنع واطراح تكلف جاريا على سجيته لا يرتكب ما يتكلفه غيره من التعاظم وفخامة الالفاظ ولهذا كثر الآخذون عنه والمترددون اليه وله تأليفات واضحة العبارات سهلة المأخذ ملتزمة بتوضيح المشكلات تآليفه حاشية على مختصر السعد على التلخيص وحاشية على شرح الشيخ الدردير على سيدي خليل في فقه المالكية وحاشية على شرح الجلال المحلي على البردة وحاشية على الكبرى للسنوسي وحاشية على شرحه الصغرى وحاشية على شرح الرسالة الوضعية ... وكتابته في مسودات لم يتيسر له جمعها ولم تزل على حالتها في

النفط الطيار عليها فلم يؤثر فيها فايقنوا بالبوار والهلاك فاتاهم الله بنصر من عنده واذن من احراق الابراج وكان سبب ذلك ان انسانا من اهل دمشق كان مولعا بجمع آلات النفاطين وتحصيل عقاقير تقوى عمل النار فكان من يعرفه يلومه على ذلك وينكره عليه وهو يقول هذه حالة لم اباشرها بنفسي انما اشتهي معرفتها وكان بعكا لامر يريده الله فلما رأى الابراج قد نصبت على عكا شرع في عمل ما يعرفه من الادوية المقوية للنار بحيث لا يمنعها شئ من الطين والخل وغيرهما فلما فرغ منها حضر عند الامير قراقوش وهو متولى الامور بعكا والحاكم فيها وقال له يامر المنجنيقي ان يرمى في المنجنيق المحاذى لبرج من هذه الابراج ما اعطيه حتى احرقه وكان عند قراقوش من الغيظ والخوف على البلد ومن فيه ما يكاد يقتله فازداد غيظا بقوله وحرد عليه فقال له قد بالغ اهل هذه الصناعة في الرمى بالنفط وغيره فلم يفلحوا فقال له من حضر لعل الله تعالى قد جعل الفرج على يد هذا ولا يضرنا ان نوافقه على قوله فاجابه الى ذلك وامر المنجنيقي بامتثال امره فرمى عدة قدور نفطا وادوية ليس فيها نار فكان الفرنج اذا راوا القدر لا يحرق شيئا يصيحون ويرقصون ويلعبون على سطح البرج حتى علم ان الذى القاه قد تمكن من البرج القى قدرا مملوأة وجعل فيها النار فاشتعل البرج والقى قدرا ثانية وثالثة فاضطرمت النار في نواحى البرج واعجلت من في طبقاته الخمس عن الهرب والخلاص فاحترق هو ومن فيه وكان فيه من الزرديات والسلاح شئ كثير وكان طمع الفرنج بما راوا ان القدور الاولى لا تعمل يحملهم على الطمانينة وترك السعى في الخلاص حتى عجل الله لهم النار في الدنيا قبل الآخرة فلما احترق البرج الاول انتقل الى الثانى وقد هرب من فيه لخوفهم فاحرقه وكذلك الثالث وكان يوما مشهودا لم ير الناس مثله والمسلمون ينظرون ويفرحون وقد اسفرت وجوههم بعد الكآبة فرحا بالنصر وخلاص المسلمين من القتل لانهم ليس فيهم احد الا وله في البلد اما نسيب واما صديق وحمل ذلك الرجل الى صلاح الدين فبذل له الاموال الجزيلة والاقطاع الكثيرة فلم يقبل منه الحبة الفرد وقال انما عملته لله تعالى ولا اريد الجزاء الا منه وسيرت الكتب الى البلاد بالبشائر وارسل يطلب العساكر الشرقية فاول من اتاه عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى وهو صاحب سنجار وديار الجزيرة ثم اتاه علاء الدين ولد عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى سيره ابوه مقدما على عسكره وهو صاحب الموصل ثم وصل زين الدين يوسف صاحب اربل وكان كل منهم اذا وصل يتقدم الى الفرنج بعسكره وينضم اليه غيرهم ويقاتلونهم ثم ينزلون ووصل الاسطول من مصر فلما سمع الفرنج بقربه جهزوا الى طريقه اسطولا ليلقاه ويقاتله فركب صلاح الدين في العساكر جميعها وقاتلهم من جهاتهم ليشتغلوا بقتاله عن قتال الاسطول ليتمكن من دخول عكا فلم يشتغلوا عن قصده بشئ فكان القتال بين الفريقين برا وبحرا وكان يوما مشهودا لم يؤرخ مثله واخذ المسلمون من الفرنج مركبا بما فيه من الرجال والسلاح واخذ الفرنج من المسلمين مثل ذلك الا ان القتل في الفرنج كان اكثر منه في المسلمين ووصل

الافادة والاقتباس وخطه حسن وخلقه احسن الى ان تعلل وتوفى يوم الاربعاء الحادى والعشرين من شهر ربيع الثانى وخرجوا بجنازته من درب الدليل وصلى عليه بالازهر في مشهد حافل ودفن بتربة المجاورين بالمدفن الذى بداخل الحل الذى يسمى بالطاولية وقام بكلفة تجهيزه وتكفينه ومصاريف جنازته ومدفنه الجناب المكرم السيد محمد المحروقى وكذلك مصاريف المأتم بمنزله وأرسل من قيده لذلك من اتباعه بادارة المطبخ ولوازمه من الاغنام والسمن والارز والعسل والحطب والفحم والقهوة وجميع الاحتياجات للقرّاء والمقرئين ومن ياتى للتعزية اولاده جزاه الله خيرا واستمر اجراؤه لذلك في الثلاث جمع المعتادة بالمنزل وما يعمل في صبح يوم الجمعة بالمدفن من الكعك والشريك الذى يفرق على الفقراء والحاضرين والتربية والخدمة وقد رثاه امثل من عنه اخذ واكمل من له تلمذ صاحبنا العلامة وصديقنا الفهامة المنفرد الآن بالعلوم الحكمية والمشار اليه في العلوم الادبية صاحب الانشاء البديع والنظم الذى هو كزهر الربيع الشيخ حسن العطار حفظه الله من الاغيار بقوله شعرا

احادث دهر قد الم فاوجعا * وحل بنادى جمعنا فتصدعا

اتمصال فينا البين اعظم صولة * فلم يخل من وقع المصيبة موضعا

وجاءت خطوب الدهر تترى فكلما *

الاسطول الاسلامى سالما

ذكر وصول ملك الالمان الى الشام وموته

فى هذه السنة خرج ملك الالمان من بلاده وهم نوع من الفرنج من أكثرهم عددا واشدهم باسا وكان قد ازعجه ملك الاسلام البيت المقدس فجمع عساكره وازاح علتهم وسار عن بلاده وطريقه على القسطنطينية فارسل ملك الروم بهذا الى صلاح الدين يعرفه الخبر ويعده انه لا يمكنه من العبور فى بلاده فلما وصل ملك الالمان الى القسطنطينية عجز ملكها عن منعه من العبور لكثرة جموعه لكنه منع عنهم الميرة ولم يمكن احدا من رعيته من حمل ما يريدونه اليهم فضاقت بهم الازواد والاقوات وساروا حتى عبروا خليج القسطنطينية وصاروا على ارض بلاد الاسلام وهى مملكة الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش بن سلجوق فلما وصلوا الى اوائلها ثار بهم التركمان الاوج فما زالوا يسايرونهم ويقتلون من انفرد ويسرقون ما قدروا عليه وكان الزمان شتاء والبرد يكون فى تلك البلاد شديدا والثلج متراكما فاهلكهم البرد والجوع والتركمان فقل عددهم فلما قاربوا مدينة قونية خرج اليهم الملك قطب الدين ملك شاه بن قلج ارسلان ليمنعهم فلم يكن له بهم قوة فعاد الى قونية وبها أبوه قد حجر ولده المذكور عليه وتفرق أولاده فى بلاده وتغلب كل واحد منهم على ناحية منها فلما عاد عنهم قطب الدين أسرعوا السير فى أثره فنازلوا قونية وأرسلوا الى قلج ارسلان هدية وقالوا له ما قصدنا بلادك ولا أردناها وانما قصدنا البيت المقدس وطلبوا منه ان يأذن لرعيته فى اخراج ما يحتاجون اليه من قوت وغيره فأذن فى ذلك فأتاهم ما يريدون فشبعوا وتزودوا وساروا ثم طلبوا من قطب الدين ان يأمر رعيته بالكف عنهم وان يسلم اليهم جماعة من امرائه رهائن وكان يخافهم فسلم اليهم نيفا وعشرين أميرا كان يكرههم فساروا بهم معهم ولم يمتنع اللصوص وغيرهم من قصدهم والتعرض اليهم فقبض ملك الالمان على من معه من الامراء وقيدهم فمنهم من هلك فى أسره ومنهم من فدى نفسه وسار ملك الالمان حتى أتى بلاد الارمن وصاحبها لافون بن اصطفانة بن ليون فامدهم بالاقوات والعلوفات وحكمهم فى بلاده وأظهر الطاعة لهم ثم ساروا نحو انطاكية وكان فى طريقهم نهر فنزلوا عنده ودخل ملكهم اليه ليغتسل فغرق فى مكان منه لا يبلغ الماء وسط الرجل وكفى الله شره وكان معه ولد له فصار ملكا بعده وسار الى انطاكية فاختلف أصحابه عليه فأحب بعضهم العود الى بلاده فتخلف عنه وبعضهم مال الى تمليك أخ له فعاد أيضا وسار فيمن صحت نيته له فعرضهم وكانوا نيفا واربعين الفا ووقع فيهم الوباء والموت فوصلوا الى انطاكية وكأنهم قد نبشوا من القبور فتبرم بهم صاحبها وحسن لهم المسير الى الفرنج على عكا فساروا على جبلة ولاذقية وغيرهما من البلاد التى ملكها المسلمون وخرج أهل حلب وغيرها اليهم واخذوا منهم خلقا كثيرا ومات اكثرهم فبلغوا طرابلس وأقاموا بها أياما فكثر فيهم الموت فلم يبق منهم الا نحو الف رجل فركبوا فى

مضى سادة يعقبه آخر مسرعا * وحل بنا ما لم نسكن فى حسابه * من الدهر ما أبكى العيون وأفزعا
خطوب زمان لو عادى أقلها * بشامخ رضوى او ثبير تضعضعا
واصبح شان الناس ما بين عائد * مريضا واتيان للحبيب مشيعا
لقد كان روض العيش بالامن يانعا * فاضحى هشيما ظله متقشعا
ايحسن ان لا يبذل الشخص مهجة * ويبكى دما ان افنت العين ادمعا
وقد سار بالاحباب فى حين غفلة * سرير المنايا عاجلا متسرعا
وفى كل يوم روعة بعد روعة * فلله ما قاسى الفؤاد وروعا
عزاء بنى الدنيا فتدرعه * لكاس مرير الموت كل تجرعا
عينا لقد جل المصاب بشيخنا الذ * سرق وعاد القلب بالهم مترعا
وشابت قلوب لا مفارق عندما * تنكرت الاسماع صوت الذى نعا
فللناس عذر فى البكاء وللاسى * عليه وأماقى السواء فتجزعا
وكيف وقد ماتت علوم بفقده * لقد كان فيها جهبذا يا سميذعا
فمن بعده يجلو دجنة شبهة * ويكشف عن سر الدقائق مقنعا
وان ذو احتجاج قد تعثر فهمه * فيا ليت شعرى من يقول له لعا
يقرر فن البيان بمنطق * بديع معانيه يتوج مسمعا
وسار مسير الشمس غرب علومه * ففى كل افق اشرقت فيه مطلعا
وأبقى بنا . ثالثه بينه اداذى * بيت الله لابن لارى مهيعا * وحل بنا تحريرا كل مشكل * فلم يبق للاشكال فى ذلك مطمعا

البحر الى الفرنج الذين على عكا ولما وصلوا ورأوا ما نالهم في طريقهم وما هم فيه من الاختلاف عادوا الى بلادهم فغرقت بهم المراكب ولم ينج منهم أحد وكان الملك قلج ارسلان يكاتب صلاح الدين باخبارهم ويعده انه يمنعهم من العبور في بلاده فلما عبروها وخلفوها أرسل يعتذر بالعجز عنهم لان أولاده حكموا عليه وحجروا عليه وتفرقوا عنه وخرجوا عن طاعته وأما صلاح الدين عند وصول الخبر بعبور ملك الالمان فانه استشار أصحابه فشار كثير منهم عليه بالمسير الى طريقهم ومحاربتهم قبل ان يتصلوا بمن على عكا فقال بل نقيم الى ان يقربوا منا وحينئذ نفعل ذلك لئلا يستسلم من بعكا من عساكرنا لكنه سير من عنده من العساكر منها عسكر حلب وجبلة ولاذقية وشيزر وغير ذلك الى اعمال حلب ليكونوا في اطراف البلاد يحفظونها من عاديتهم وكان حال المسلمين كما قال الله عز وجل (اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا) فكفى الله شرهم ورد كيدهم في نحرهم ومن شدة خوفهم ان بعض امراء صلاح الدين كان له ببلاد الموصل قرية وكان اخي رحمه الله يتولاها فحصل دخلها من حنطة وشعير وتبن فارسل اليه في بيع الغلة فوصل كتابه يقول لا تبع الحبة الفرد واستكثر لنا من التبن ثم بعد ذلك وصل كتابه يقول تبيع الطعام فما بنا حاجة اليه ثم ان ذلك الامير قدم الموصل فسألناه عن المنع من بيع الغلة ثم الاذن فيها بعد مدة يسيرة فقال لما وصلت الاخبار بوصول ملك الالمان أيقنا اننا ليس لنا بالشام مقام فكتبت بالمنع من بيع الغلة لتكون ذخيرة لنا اذا جئنا اليكم فلما أهلكهم الله تعالى واغنى عنها كتبت ببيعها والانتفاع بثمنها

(ذكر وقعة للمسلمين والفرنج على عكا)

وفي هذه السنة في العشرين من جمادى الآخرة خرجت الفرنج فارسها وراجلها من وراء خنادقهم وتقدموا الى المسلمين وهم كثير لا يحصى عددهم وقصدوا نحو عسكر مصر ومقدمهم الملك العادل ابو بكر بن ايوب وكان المصريون قد ركبوا واصطفوا للقاء الفرنج فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانحاز المصريون عنهم ودخل الفرنج خيامهم ونهبوا أموالهم فعطف المصريون عليهم فقاتلوهم من وسط خيامهم فاخرجوهم منها وتوجهت طائفة من المصريين نحو خنادق الفرنج فقطعوا المدد عن أصحابهم الذين خرجوا وكانوا متصلين كالنمل فلما انقطعت امدادهم القوا بايديهم واخذتهم السيوف من كل ناحية فلم ينج منهم الا الشريد وقتل منهم مقتلة عظيمة يزيد عدد القتلى على عشرة آلاف قتيل وكانت عساكر الموصل قريبة من عسكر مصر وكان مقدمهم علاء الدين خرمشاه بن عز الدين مسعود صاحب الموصل فحملوا أيضا على الفرنج وبالغوا في قتالهم ونالوا منهم نيلا كثيرا هذا جميعه ولم يباشر القتال أحد من الحلقة الخاص التي مع صلاح الدين ولا أحد من الميسرة وكان بها عماد الدين زنكي صاحب سنجار وعسكر

فاى كتاب لم يفلت ختامه ع اذا ماسواه من تماصيه ضيعا ومن يتقى تعداد حسن خصاله فليس ملوما ان اطال وأشبعا
فالصدق هون للقائل ان يقل
اصاب مكان القول فيه موسعا
تواضع للطلاب فانتفعوا به
على انه بالحلم زاد ترفعا
وكان حليما واسع الصدر ماجدا
تقيا نقيا زاهدا متورعا
سعى في اكتساب المجد طول
حياته
ولم يره في غير ذلك مسرعا
ولم تلهه الدنيا بزخرف صورة
عن العلم كيما ان تغر وتخدعا
لقد صرف الاوقات في العلم
والتقى
فكان لها بالصالحات مضيعا
تقدناه لكن نفعه الدهر دائم
وما مات من ابقى علوما لمن وعى
يجوزى بالحسنى وتوج بالرضا
وفوبل بالاكرام من له دعا
(ومات) الاستاذ الفريد
واللوذعي المجيد الامام
العلامة والنحرير الفهامة
الفقيه النحوى الاصولى
الجدلى المنطقى الشيخ محمد
المهدى الحفنى ووالده من
الاقباط وأسلم وهو صغير دون
البلوغ على يد الشيخ الحفنى
ولاحت عليه انظاره واشرقت
عليه انواره وفارق اهله
وتبرأ منهم وحضنه الشيخ
ورباه واحبه واستمر بمنزله
مع اولاده واعتنى بشأنه وقرأ
القرآن ولما ترعرع اشتغل
بطلب العلم وحفظ المتون
والفية النحو والمتون ولازم
دروس الشيخ الحفنى الشيخ ابو ... وغيرهما من اشياخ الوقت مثل الشيخ العدوى

اربل وغيرهم ولما جرى على الفرنج هذه الحادثة تحدثت جرتهم ولانت عريكتهم واشار المسلمون على صلاح الدين بمباكرتهم القتال ومناجزتهم وهم على هذه الحال من الهلع والجزع فاتفق انه وصله من الغد كتاب من حلب يخبر فيه بموت ملك الالمان وما أصاب اصحابه من الموت والقتل والاسر وما صار أمرهم اليه من القلة والذلة واشتغل المسلمون بهذه البشرى والفرح بها عن قتال من بازائهم وظنوا ان الفرنج اذا بلغهم هذا الخبر ازدادوا وهنا على وهنهم وخوفا على خوفهم فلما كان بعد يومين أتت الفرنج امداد في البحر مع كند من الكنود البحرية يقال له الكندهري ابن اخي ملك افرنسيس لابيه وابن اخي ملك انكلتار لامه ووصل معه من الاموال شيء كثير يفوق الاحصاء فوصل الى الفرنج بعد الاجناد وبذل الاموال فعادت نفوسهم قوية واطمانت وأخبرهم ان الامداد واصلة اليهم يتلو بعضها بعضا فتماسكوا وحفظوا مكانهم ثم اظهروا انهم يريدون الخروج الى لقاء المسلمين وقتالهم فانتقل صلاح الدين من مكانه الى الخروبة في السابع والعشرين من جمادى الآخرة ليتسع المجال وكانت المنزلة قد انتنت بريح القتلى ثم ان الكندهري نصب منجنيقا ودبابات وعرادات فخرج من بعكا من المسلمين فاخذوها وقتلوا عندها كثيرا من الفرنج ثم ان الكندهري بعد أخذ منجنيقاته أراد ان ينصب منجنيقا فلم يتمكن من ذلك لان المسلمين بعكا كانوا يمنعون من عمل ستائر يستتر بها من يرمي من المنجنيق فعمل تلا من تراب بالبعد من البلد ثم ان الفرنج كانوا ينقلون التل الى البلد بالتدريج ويستترون به ويقربونه الى البلد فلما صار من البلد بحيث يصل من عنده حجر منجنيق نصبوا وراءه منجنيقين وصار التل سترة لهما وكانت الميرة قد قلت بعكا فارسل صلاح الدين الى الاسكندرية يأمرهم بانفاذ الاقوات والحلوم وغير ذلك في المراكب الى عكا فتأخر انفاذها فسير الى نائبه بمدينة بيروت في ذلك فسير بطسة عظيمة مملوءة من كل ما يريدونه وأمر من بها فلبسوا ملبس الفرنج وتشبهوا بهم ورفعوا عليها الصلبان فلما وصلوا الى عكا لم يشك الفرنج انها لهم فلم يتعرضوا لها فلما حاذت ميناء عكا أدخلوها فسر بها المسلمون وانتعشوا وقويت نفوسهم وتبلغوا بما فيها الى ان أتتهم الميرة من الاسكندرية وخرجت طائفة من الفرنج من داخل البحر في نحو ألف مقاتل فاخذت بنواحي الاسكندرية واخذت من هناك ثم ان الفرنج وصلهم كتاب من البابا وهو كبيرهم الذي يصدرون عن أمره وقوله عندهم كقول النبيين لا يخالف والمحروم عنده من حرمه والمقرب من قربه وهو صاحب رومية الكبرى يأمرهم بملازمة ما هم بصدده ويعلمهم انه قد ارسل الى جميع الفرنج يأمرهم بالمسير الى نجدتهم براو بحرا ويعلمهم بوصول الامداد اليهم فازدادوا قوة وطمعا

* ذكر خروج الفرنج من خنادقهم *

ثم تتابعت الامداد الى الفرنج وصار عند الكندهري جمع كثير بالامر [illegible] وصلت معه عزموا على الخروج من خنادقهم ومناجزة المسلمين فتركوا على عكا من يحصرها

والشيخ عطية الاجهوري والشيخ الدردير والبيلي والجمل والخرشي وعبد الرحمن المقري والشرقاوي وغيرهم واجتهد في التحصيل ليلا ونهارا ومهر وانجب ولازم في غالب مجالس الذكر عن الشيخ الدردير بعد وفاة الشيخ الحفني وتصدر للتدريس في سنة تسعين ومائة والف ولما مات الشيخ محمد القلباوي سنة اثنتين وتسعين جلس مكانه بالازهر وقرا شرح الالفية لابن عقيل ولازم الاقراء وتقرير الدروس مع الفصاحة وحسن البيان والتفهيم وسلاسة التعبير وايضاح العبارات وتحقيق المشكلات وعلا امره واشتهر ذكره وبعد صيته ولم يزل امره ينمو واسمه يسمو مع حسن السمت ووجاهة الطلعة وجمال الهيئة وبشاشة الوجه وطلاقة اللسان وسرعة الجواب واستحضار الصواب في ترداد الخطاب ومسايرة الاصحاب وصاهر الشيخ محمدا الحريري الحنفي على ابنته واقبلت عليه الدنيا وتداخل في الاكابر وقبل منهم حظا وافرا حسن معاشرته وحلاوة الفاظه وتنمق كلامه ورضي اشغاله وقضاياهم بين حواشيهم وحرماتهم ويخاطب كلا بما يليق به ويناسبه واتحد بإسمعيل بك كتخدا حسن باشا الجزايرلي وعاشره واكثر من الترداد عليه فلما أتقنه ولا يتعصر واستريا فقهه وانتصب على الوعظ والنزول الى القلعة و يبيت

ويقاتل اهلها وخرجوا حادي عشر شوال في عدد كالرمل كثرة وكالنار جمرة فلما رأى صلاح الدين ذلك نقل اثقال المسلمين الى ميمون وهو على ثلاثة فراسخ عن عكا وكان قد عاد اليه من فرق من عساكره لما هلك ملك الالمان ولقي الفرنج على تعبية حسنة وكان أولاده الافضل علي والظاهر غازي والظافر مما يلي القلب وأخوه العادل أبو بكر في الميمنة ومعه عساكر مصر ومن انضم اليه وكان في الميسرة عماد الدين صاحب سنجار وتقي الدين صاحب حماة ومعز الدين سنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر مع جماعة من امرائه واتفق ان صلاح الدين أخذه مغص كان يعتاده فنصب له خيمة صغيرة على تل مشرف على العسكر ونزل فيها ينظر اليهم فسار الفرنج شرقي نهر هناك حتى وصلوا الى رأس النهر فشاهدوا عساكر الاسلام وكثرتها فارتاعوا لذلك ولقيهم الجالشية وامطروا عليهم من السهام ما كاد يستر الشمس فلما رأوا ذلك تحولوا الى غربي النهر ولزمهم الجالشية يقاتلونهم والفرنج قد تجمعوا ولزم بعضهم بعضا وكان غرض الجالشية ان تحمل الفرنج عليهم فيلقاهم المسلمون ويلتحم القتال فيكون الفصل ويستريح الناس وكان الفرنج قد ندموا على مفارقة خنادقهم فلزموا امكانهم وباتوا ليلتهم تلك فلما كان الغد عادوا نحو عكا ليعتصموا بخنادقهم والجالشية في اكتافهم يقاتلونهم تارة بالسيوف وتارة بالرماح وتارة بالسهام وكلما قتل من الفرنج قتيل أخذوه معهم لئلا يعلم المسلمون ما اصابهم فلولا ذلك الالم الذي حدث بصلاح الدين لكانت هي الفصل وانما الله أمر هو بالغه فلما بلغ الفرنج خنادقهم ولم يكن لهم بعدها ظهور ومنه عاد المسلمون الى خيامهم وقد قتلوا من الفرنج خلقا كثيرا وفي الثالث والعشرين من شوال أيضا كمن جماعة من المسلمين وتعرض للفرنج جماعة أخرى فخرج اليهم اربعمائة فارس فقاتلهم المسلمون شيئا من قتال وتطاردوا لهم وتبعهم الفرنج حتى جازوا الكمين فخرجوا عليهم فلم يفلت منهم أحد واشتد الغلاء على الفرنج حتى بلغت غرارة الحنطة اكثر من مائة دينار صوري فصبروا على هذا وكان المسلمون يحملون اليهم الطعام من البلدان منهم الامير اسامة مستحفظ بيروت كان يحمل الطعام وغيره ومنهم سيف الدين علي بن أحمد المعروف بالمشطوب كان يحمل من صيدا أيضا اليهم وكذلك من عسقلان وغيرها ولولا ذلك لهلكوا جوعا خصوصا في الشتاء عند انقطاع مراكبهم عنهم بتهيج البحر

(ذكر تسيير البدل الى عكا والتفريط فيه حتى أخذت)

لما هجم الشتاء وعصفت الرياح خاف الفرنج على مراكبهم التي عندهم لانها لم تكن من المينا فسيروها الى بلادهم صور والجزائر فانفتح الطريق الى عكا في البحر فارسل اهلها الى صلاح الدين يشكون الضجر والملالة والسآمة وكان بها الامير حسام الدين أبو الهيجاء السمين متقدما على جندها فامر صلاح الدين باقامة البدل وانفاذه اليها واخراج من فيها وأمر اخاه الملك العادل بمباشرة ذلك فانتقل الى جانب البحر ونزل تحت جبل حيفا وجمع المراكب والشواني وكلما جاء جماعة من العسكر سيرهم اليها وأخرج

عنده مطالب الليالي وأنعم عليه بالخلع والعطايا والكساوى ورتب له وظائف في الضربخانة والسلخانة والجمرك ووقع في ولايته الطاعون الذي افنى غالب امراء مصر واهلها وذلك سنة خمس ومائتين والف فاختص بما احبه مما انحل عن الموتى من اقطاعات ورزق وغيرها وزادت ثروته ورغبته وسعيه في اسباب تحصيل الدنيا وعاني الشركات والمتاجر في كثير من الاشياء مثل الكتان والقطن والارز وغير ذلك من الاصناف والتزم بعدة حصص بالبحيرة مثل شابور وخلافها بالمنوفية والجيزة والغربية وابتنى دارا عظيمة بالازبكية بناحية الرويعي بما يقابلها من الجهة الاخرى عند الساباط ولما حضرت الفرنساوية الى الديار المصرية وخافهم الناس وخرج الكثير من الاعيان وغيرهم هاربا من مصر تأخر المترجم عن الخروج ولم يتباعد كغيره عن المداخلة فيهم بل اجتمع بهم وواصلهم وانضم اليهم وسايرهم ولاطفهم في اغراضهم واحبوه واكرموه وقبلوا شفاعاته ووثقوا بقوله فكان هو المشار اليه في دولتهم مدة اقامتهم بمصر والواسطة العظمى بينهم وبين الناس في قضاياهم وحوائجهم واوراقه واوامره نافذة عند ولاة اعمالهم حتى لقب عندهم وعند الناس بكاتم السر ولما رتبوا الديوان الذي رتبوه لاجراء الاحكام بين المسلمين في قضاياهم ودعاويهم كان

عوضهم قد حصل اليها عشر ون اميرا وكان بها ستون اميرا فكان الذين دخلوا قليلا بالنسبة الى الذين خرجوا وأهمل نواب صلاح الدين تجنيد الرجال وانفاذهم وكان على خزانة ماله قوم من النصارى وكانوا اذا جاءهم جماعة قد جندوا تعنتوهم بانواع شتى تارة باقامة معرفة وتارة بغير ذلك فتفرق بهذا السبب خلق كثير وانضاف الى ذلك توانى صلاح الدين ووثوقه بنوابه واهمال النواب فانحسر الشتاء والامر كذلك وعادت مراكب الفرنج الى عكا وانقطع الطريق الا من سابح ياتى بكتاب وكان من جملة الامراء الذين دخلوا الى عكا سيف الدين على بن أحمد المشطوب وعز الدين أرسل مقدم الاسدية بعد جاولى وغيرهم وكان دخولهم عكا أول سنة سبع وثمانين وكان قد اشار جماعة على صلاح الدين بان يرسل الى من بعكا النفقات الواسعة والذخائر والاقوات الكثيرة ويامرهم بالمقام فانهم قد جربوا وتدربوا واطمأنت نفوسهم على ماهم فيه فلم يفعل وظن فيهم الضجر والملل وأن ذلك يحملهم على الضجر والفشل فكان الامر بالضد

ذكر وفاة زين الدين يوسف صاحب اربل ومسير اخيه مظفر الدين اليها

كان زين الدين يوسف بن زين الدين على صاحب اربل قد حضر عند صلاح الدين بعسكره فمرض ومات ثامن عشر شهر رمضان وذكر العماد الكاتب فى كتابه البرق الشامى قال جئنا الى مظفر الدين نعزيه باخيه وظنناه بالحزن وليس له أخ غيره ولا ولد يشغله عنه فاذا هو فى شغل شاغل عن العزاء مهتم بالاحتياط على ماخلفه وهو جالس فى خيام اخيه المتوفى وقد قبض على جماعة من امرائه واعتقلهم وحمل عليهم وما اغفلهم منهم بلداجى صاحب قلعة خفتيذكان وارسل الى صلاح الدين يطلب منه اربل لينزل عن حران والرها فاقطعه اياها واضاف اليها شهرزور واعمالها ودربند قرابلى وبنى قفجاق ولما مات زين الدين كاتب من كان باربل مجاهد الدين قيماز لهواهم فيه وحسن سيرته كانت فيهم وطلبوه اليهم ليملكوه فلم يجسر هو ولا صاحبه عز الدين أتابك مسعود بن مودود على ذلك خوفا من صلاح الدين وكان اعظم الاسباب فى تركها ان عز الدين كان قد قبض على مجاهد الدين فتمكن زين الدين من اربل ثم ان عز الدين أخرج مجاهد الدين من القبض وولاه نيابته وقد ذكرنا ذلك اجمع فلما ولاه النيابة عنه لم يمكنه وجعل معه انسانا كان من بعض غلمان مجاهد الدين فكان يشاركه فى الحكم ويحل عليه ما يعقده فلحق مجاهد الدين من ذلك غيظ شديد فلما طلب الى اربل قال لمن يثق اليه لا أفعل لئلا يحكم فيها فلان ويكف يدى عنها فخاف مظفر الدين اليها وملكها وبقى غصة فى حلق البيت الاتابكى لا يقدرون على اخذها وسنذكر ما تجدد منهم مرة بعد أخرى ان شاء الله تعالى

ذكر ملك الفرنج مدينة شلب وعودها الى المسلمين

فى هذه السنة ملك ابن الرنك وهو من ملوك الفرنج غرب بلاد الاندلس مدينة شلب وهى من كبار مدن المسلمين بالاندلس واستولى عليها فوصل الخبر بذلك الى الامير

هو المشار اليه فيه وخدمة الديوان الموظفون فيه تحت اوامره واذا ركب او مشى يمشون حوله وامامه وبايديهم العصى يوسعون له الطريق وراج أمره فى أيامهم جدا وزاد ايراده وجمعه واحتوى بلادا وجهات وارزاقا واقاموه وكيلا عنهم فى اشياء كثيرة وبلاد وقرى يجبى اليه خراجها ويصرف منها ما يصرفه ويأتيه الفلاحون منها ومن غيرها بالهدايا والاغنام والسمن والعسل وماجرت به العادة ويتقدمون اليه بدعاويهم وشكاويهم ويفعل بهم ما كان يفعله أرباب الالتزامات من الحبس والضرب واخذ المصالح وصار له اعوان واتباع وخدم من وجهاء الناس ومن دونهم يرسل منهم لجبى الاموال من القرى وفى مراسلاته فى القضايا العامة ويبعث الامان للفارين والهاربين والمتخوفين من الفرنسيس الراحلين الى بلاد الشام والمختفين بالقرى من الاجناد وغيرهم فيرسل اليهم اوراقا بالعود الى اوطانهم اما باستدعائهم وطلبهم ذلك واما من باب الشفقة والمعروف منه عليهم ويحمى دورهم وحريمهم ويانعهم فى غيابهم ويكون له منة العظيمة التى يستحق بها الجوائز الجزيلة وبالجملة فكان بوجوده وتصدره فى تلك الايام النفع العام سد بعقله ثغورا واسعة وخروقا ودارى برايه جروحا وفتوقا لاسيما ايام المنازع والخصومات

أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب والاندلس فجهز العساكر الكثيرة وسار الى الاندلس وعبر المجاز وسير طائفة كثيرة من عسكره في البحر ونازلها وحصرها وقاتل من بها قتالا شديدا حتى ذلوا وسألوا الامان فأمنهم وسلموا البلد وعادوا الى بلادهم وسير جيشا من الموحدين ومعهم جمع كثير من العرب فقصدوا اربع مدن كان الفرنج قد ملكوها قبل ذلك باربعين سنة وفتكوا في الفرنج فخافهم ملك طليطلة من الفرنج وارسل يطلب الصلح فصالحه خمس سنين وعاد ابو يوسف الى مراكش وامتنع من هذه الهدنة طائفة من الفرنج لم يرضوها ولا امكنهم اظهار الخلاف فبقوا متوقفين حتى دخلت سنة احدى وتسعين وخمسمائة فتحركوا وسنذكر خبرهم هناك ان شاء الله تعالى

(ذكر الحرب بين غياث الدين وسلطان شاه بخراسان)

كان سلطان شاه أخو خوارزم شاه قد تعرض الى بلاد غياث الدين ومعز الدين ملكي الغورية من خراسان فجهز غياث الدين وخرج من فيروزكوه الى خراسان سنة خمس وثمانين وخمسمائة فبقي يتردد بين بلاد الطالقان وبنجده ومرو وغيرها يحارب سلطان شاه فلم يزل كذلك الى ان دخلت سنة ست وثمانين فجمع سلطان شاه عساكره وقصد غياث الدين فتصافا واقتتلا فانهزم سلطان شاه وأخذ غياث الدين بعض بلاده وعاد الى غزنة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الاول تسلم الخليفة الناصر لدين الله حديثة عانة وكان سير اليها جيشا حصروها سنة خمس وثمانين فقاتلوا عليها قتالا شديدا ودام الحصار وقتل من الفريقين خلق كثير فلما ضاقت عليهم الاقوات سلموها على اقطاع عينوها ووصل صاحبها واهلها الى بغداد فاعطوا اقطاعا ثم تفرقوا في البلاد واشتدت الحاجة بهم حتى رأيت بعضهم وانه يتعرض بالسؤال الى بعض خدم الناس نعوذ بالله من زوال نعمته وتحول عافيته وفي هذه السنة توفي مسعود بن النادر وكان مكثرا من الحديث حسن الخط خيرا ثقة وفيها توفي ابو حامد محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري بالموصل كان قاضيها وقبلها ولي قضاء حلب وجميع الاعمال وكان رئيسا جوادا ذا مروءة عظيمة يرجع الى دين واخلاق

(ثم دخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة)

(ذكر حصر عز الدين صاحب الموصل الجزيرة)

في هذه السنة في ربيع الاول سار اتابك عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل الى جزيرة ابن عمر فحصرها وكان بها صاحبها سنجر شاه بن سيف الدين غازي ابن مودود وهو ابن أخي عز الدين وكان سبب حصره ان سنجر شاه كان كثير الاذى لعمه عز الدين والشناعة عليه والمراسلة الى صلاح الدين في حقه تارة يقول انه يريد قصد

والتنازع وما يكدر طباع الفرنساوية من مخارق الرعية فيتلافاه بآرائه وكياسته ويسكن حدتهم بملاطفاته والمفتة ايامهم وتنكست اعلامهم وارتحلوا عن الاقطار المصرية ووردت الدولة العثمانية كان المترجم اعظم المتصدرين في مقابلتهم واوجه الوجهاء في مخاطبتهم ومكالمتهم ولم يتأخر عن حلبته في ظهوره ولازمهم في عشياته وبكوره وبهرهم بتحيله واحتياله واستمالهم بسحره وحباله واتحد بشريف افندي الدفتردار وواظبه الليل والنهار وعمم معه اغراضه في جميع تعلقاته وتقرير وظائفه والتزاماته ومسموحاته واستجد غير ذلك مما ينتقيه من الديوان وكل ذلك من غير مقابلة ولا حلوان وتزوج بعدة زوجات ورزق اولادا ذكورا واناثا منهم الشيخ محمد امين وهو من ابنة الشيخ الحريري وتمذهب حنفيا على مذهب جده وآخر يسمى محمدا تقي الدين توفي في حياة والده من نحو خمس عشرة سنة او اكثر عن نحو عشرين سنة وكان مالكيا باشارة ابيه والشيخ عبد الهادي وتوفي بعد ابيه وكان شافعي المذهب وعقدوا له درسا بعد موت أبيه فلم تطل ايامه وزوج اولاده وبناته وعمل لهم مهمات وافراحا استجلب بها هدايا من اعيان المسلمين والنصارى والنساء الاكابر والتجار وغيرهم ثم احترقت داره التي انشاها بالازبكية في حادثة

بولاق

بلادك وتارة يقول انه يكاتب اعداءك ويحثهم على قصدك الى غير ذلك من الامور المؤذية وعز الدين يصبر على ما يكره لامور تارة للرحم وتارة خوفا من تسليمها الى صلاح الدين فلما كان في السنة الماضية سار صاحبها الى صلاح الدين وهو على عكا في جملة من سار من أصحاب الاطراف وأقام عنده قليلا وطلب دستور العود الى بلده فقال له صلاح الدين عندنا من أصحاب الاطراف جماعة منهم عماد الدين صاحب سنجار وغيرها وهو أكبر منك ومنهم ابن عمك عز الدين وهو أصغر منك وغيرهم ومتى فتحت هذا الباب اقتدى بك غيرك فلم يلتفت الى قوله وأصر على ذلك وكان عند صلاح الدين جماعة من أهل الجزيرة يستغيثون على سنجر شاه لانه ظلمهم واخذ اموالهم واملاكهم فكان يخافه لهذا ولم يزل في طلب الاذن في العود الى البلد الى عيد الفطر من سنة ست وثمانين فركب ثالث العيد سنجر شاه وجاء الى خيمة صلاح الدين واذن لاصحابه في المسير فساروا بالاثقال وبقي جريدة فلما وصل الى خيمة صلاح الدين ارسل يطلب الاذن وكان صلاح الدين قد بات محموما وقد عرق فلم يمكن ان ياذن له فبقي كذلك مترددا على باب خيمته الى ان اذن له فلما ادخل عليه هنأه بالعيد واكب عليه يودعه فقال له ما علمنا بعزمك على الحركة فتصبر علينا حتى نرسل ما جرت به العادة فلا يجوز ان تنصرف عنا بعد مقامك عندنا على هذا الوجه فلم يرجع وودعه وانصرف وكان تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين قد اقبل من بلده حماة في عسكره فكتب اليه صلاح الدين يامره باعادة سنجر شاه طوعا او كرها فحكى لي من تقي الدين قال ما رأيت مثل سنجر شاه لقيته بعقبة فيق فسألته عن سبب انصرافه فقال لي فقلت له رجعت بالحال ولا يليق ان تنصرف بغير تشريف السلطان وهديته فيضيع تعبك وسألته العود فلم يصغ الى قولي فكلمني كانني بعض مماليكه فلما رأيت ذلك منه قلت له ان رجعت بالتي هي احسن والا اعدتك كرها فنزل عن دابته واخذ ذيلي وقال قد استجرت بك وجعل يبكي فعجبت من حماقته اولا وذلته ثانيا فعاد معي فلما عاد بقي عند صلاح الدين عشرة ايام وكتب صلاح الدين الى عز الدين اتابك يامره بقصد الجزيرة ومحاصرتها واخذها وانه يرسل الى طريق سنجر شاه ليقبض عليه اذا عاد فخاف عز الدين ان صلاح الدين قد فعل ذلك مكيدة ليشنع عليه بنكث العهد فلم يفعل شيأ من ذلك بل ارسل اليه يقول اريد خطك بذلك وهذا امثاله بالجزيرة فترددت الرسل في ذلك الى ان انقضت سنة ست وثمانين فاستقرت القاعدة بينهما فسار عز الدين الى الجزيرة فحصرها اربعة أشهر وأياما آخرها شعبان والحال كذلك اذ استقرت القاعدة بينه وبين سنجر شاه على يد رسول صلاح الدين فانه كان قد ارسل بعد قصدها يقول ان صاحب سنجار وصاحب اربل وغيرهما قد شفعا في سنجر شاه فاستقر الصلح على ان لعز الدين نصف اعمال الجزيرة ولسنجر شاه نصفها وتكون الجزيرة بيد سنجر شاه من جملة النصف وعاد عز الدين الى الموصل وكان صلاح الدين بعد ذلك يقول قد قيل لي عن احد شيء من الشر فرأيته الا كان دون ما يقال فيه الا سنجر شاه فانه كان يقال لي عنه

القرنساوية مع العثمانية والمصريين عند مجيء الوزير المرة الاولى فشرع في بناء دار عند باب الشعرية ولم يتمها بل تركها واهملها وهي منهدمة ولم يحدث بها شيئا من الابنية ثم انه تزوج بابنة الشيخ احمد العشاري وكانت تحت بعض الاجناد في دار جهة التبانة بالقرب من سوق السلاح وسويقة العزي يذهب اليها في بعض الاحيان واشترى دارا عظيمة بناحية الموسكي وكانت لبعض عتقى بقايا الامراء الاقدمين وهي دار واسعة الارجاء ذات رحبتين متسعتين والرحبة الخارجة التي يسلك اليها من باب الزقاق الكبير على ظهر قنطرة الخليج التي تعرف الآن بقنطرة الحفناوي لقربها من داره وبهذه الدار مجالس وقيعان متسعة ومن جملتها قاعة عظيمة ذات ثلاثة لواوين مفروشة ارضها وحيطانها بانواع الرخام الملون والقيشاني مطلة على بستان عظيم مغروس بانواع الاشجار وهو من ضمن حقوق الدار وينتهي حدود هذه الدار الى حارة الناصرة والى كرم الشيخ سلامة وحارة الافرنج من الناحية الاخرى ولما تم له شراؤها وعقد عقد شرائها من اصحابها ودفع لهم بعض دراهم بقصد العربون وكتب حجة المشتري بمكتوبها اخذ بعدهم بدفع الثمن وعاطلهم كعادته في دفع الحقوق ثم تركهم وسافر الى دمياط وجعل يطوف البلاد التي تحت التزامه وغيرها مثل المحلة

أشياء استعظمتها فلما رأيته صغر في عيني ما قيل *

(ذكر عبور تقي الدين الفرات وملكه حران وغيرها من البلاد الجزرية ومسيره الى خلاط وموته)

في هذه السنة في صفر سار تقي الدين من الشام الى البلاد الجزرية حران والرها كان قد أقطعه اياها عمه صلاح الدين بعد أخذها من مظفر الدين مضافا الى ما كان له بالشام وقرر معه انه يقطع البلاد للجند ويعودوهم معه ليتقوى بهم على الفرنج فلما عبر الفرات واصلح حال البلاد سار الى ميافارقين وكانت له فلما بلغها تجدد له طمع في غيرها من البلاد المجاورة لها فقصد مدينة حاني من ديار بكر فحصرها وملكها وكان في سبعمائة فارس فلما سمع سيف الدين بكتمر صاحب خلاط عليك ذلك جمع عساكره وسار اليه فاجتمعت عساكره أربعة آلاف فارس فلما التقوا اقتتلوا فلم يثبت عسكر خلاط لتقي الدين بل انهزموا وتبعهم تقي الدين ودخل بلادهم وكان بكتمر قد قبض على مجد الدين بن رشيق وزير صاحبه شاه ارمن وسجنه في قلعة هناك فلما انهزم كتب الى مستحفظ القلعة يأمره بقتل ابن رشيق فوصل القاصد وتقي الدين قد نازل القلعة فأخذ الكتاب وملك القلعة واطلق ابن رشيق وسار الى خلاط فحصرها ولم يكن في كثرة من العسكر فلم يبلغ منها غرضا فعاد عنها وقصد ملازكرد وحصرها وضيق على من بها وطال مقامه عليها فلما ضاق عليهم الامر طلبوا منه المهلة اياما ذكروها فاجابهم اليها ومرض تقي الدين فمات قبل انقضاء الاجل بيومين وتفرقت العساكر عنها وحمله ابنه واصحابه ميتا الى ميافارقين وعاد بكتمر فقوي أمره وثبت ملكه بعد ان اشرف على الزوال وهذا الحادثة من الفرج بعد الشدة فان ابن رشيق نجا من القتل و بكتمر نجا من ان يؤخذ

(ذكر وصول الفرنج من الغرب في البحر الى عكا)

وفي هذه السنة وصلت امداد الفرنج في البحر الى الفرنج الذين على عكا وكان اول من وصل منهم الملك فليب ملك افرنسيس وهو من اشرف ملوكهم نسبا وان كان ملكه ليس بالكثير وكان وصوله اليها ثاني عشر ربيع الاول ولم يكن في الكثرة التي ظنوها وانما كان معه ست بطس كبار عظيمة فقويت به نفوس من على عكا منهم والحوا في قتال المسلمين الذين فيها وكان صلاح الدين بشفرعم فكان يركب كل يوم و يقصد الفرنج ليشغلهم بالقتال عن مزاحفة البلد وارسل الى الامير اسامة مستحفظ بيروت يأمره بتجهيز ما عنده من الشواني والمراكب وتشحينها بالمقاتلة وتسييرها في البحر ليمنع الفرنج من الخروج الى عكا ففعل ذلك وسير الشواني في البحر فصادفت خمسة مراكب مملوءة رجالا من أصحاب ملك انكلتار الفرنجي وكان قد سيرهم بين يديه وتأخر هو بجزيرة قبرس ليملكها فاقتتلت شواني المسلمين مع مراكب الفرنج فاستظهر المسلمون عليهم وأخذوهم وغنموا ما معهم من قوت ومتاع ومال وأسروا الرجال وكتب أيضا صلاح الدين الى من

بالقرب

المتبيرة وساعدها والاسكندرية وغاب نحو ٣ الخمس سنوات ومات في غيبته بعض اصحاب الدار التي اشتراها منه وبقي من مستحقيها امرأة فكانت تتظلم وتشتكي وترسله فعرضت امرها الكتخدا بك الباشا الى ان حضر الى مصر وقبضت منه وهي مضلة ما امكنها من ثمن استحقاقها وبنى ابنه المسمى ياسين بقطعة من ارضها دارا بجهة حارة المناصرة على البستان وبقناطره ونافذة اليه وجعل لها بابا من المناصرة ينفذ منه الى الازبكية وقنطرة الامير حسين أنفق عليها جملة كبيرة من المال بحيث ان المرخمين والمواق شغلهم نحو اربع سنوات خلاف من عداهم من ارباب الاشغال وتجهيز الادوات من الاخشاب وغيرها من انواع الاحتياجات ويتعاطى ابنه المذكور التجارة ايضا والشركة في كثير من الاصناف خلاف الايراد الواسع الخاص به ولما رجع المترجم من سرحته الى مصر اقام مصاحبا لتيسير المحمول وتعيد لالقاء الدروس بالازهر اشهرا ويعاني مع ذلك الاشتغال والتولع بعلم الصنعة ومطالعة ما صنف فيها ويدبر مع بعض اصحابه في دورهم باغراضه من ماله الى ان بدت الوحشة بين الباشا والسيد عمر مكرم فتولى المدعي عليه سراه وباقي الجماعة حسدا وطمعا الخاص فيهم الامر دونه حتى اوقعوا به كما تقدم ذكر ذلك في حوادث

بالقرب من النواب له يأمرهم بعمل ذلك ففعلوا وأما الفرنج الذين على عكا فانهم لازموا قتال من بها ونصبوا عليها سبع منجنيقات رابع جمادى الاولى فلما رأى صلاح الدين ذلك تحول من شفرعم ونزل عليهم لئلا يتعب العسكر كل يوم في المجيء اليهم والعود عنهم فقرب منهم وكانوا كلما تحركوا للقتال ركب وقاتلهم من وراء خندقهم فكانوا يشتغلون بقتاله فيخف القتال عمن بالبلد ثم وصل ملك انكلتار ثالث عشر جمادى الاولى وكان قد استولى في طريقه على جزيرة قبرس وأخذها من الروم فانه لما وصل اليها غدر بصاحبها وملكها جميعا فكان ذلك زيادة في ملكه وقوة للفرنج فلما فرغ منها سار منها الى من على عكا من الفرنج فوصل اليهم في خمس وعشرين قطعة كبار مملوأة رجالا وأموالا فعظم به شر الفرنج واشتدت نكايتهم في المسلمين وكان رجل زمانه شجاعة ومكرا وجلدا وصبرا وبلي المسلمون منه بالداهية التي لا مثل لها ولما وردت الاخبار بوصوله أمر صلاح الدين بتجهيز بطسة كبيرة مملوأة من الرجال والعدد والاقوات فجهزت وسيرت من بيروت وفيها سبعمائة مقاتل فلقيها ملك انكلتار مصادفة فقاتلها وصبر من فيها على قتالها فلما أيسوا من الخلاص نزل مقدم من بها الى أسفلها وهو يعقوب الحلبي مقدم الجنداوية يعرف بغلام ابن شقتين فخرقها خرقا واسعا لئلا يظفر الفرنج بمن فيها وما معهم من الذخائر فغرق جميع ما فيها وكانت عكا محتاجة الى رجال لما ذكرناه من سبب نقصهم ثم ان الفرنج عملوا دبابات وزحفوا بها فخرج المسلمون وقاتلوهم بظاهر البلد وأخذوا تلك الكباش فلما رأى الفرنج أن ذلك جميعه لا ينفعهم عملوا تلا كبيرا من التراب مستطيلا وما زالوا يقربونه الى البلد ويقاتلون من ورائه لا ينالهم من البلد أذى حتى صار على نصف غلوة فكانوا يستظلون به ويقاتلون من خلفه فلم يكن للمسلمين فيه حيلة لا بالنار ولا بغيرها فحينئذ عظمت المصيبة على من بعكا من المسلمين فأرسلوا الى صلاح الدين يعرفونه حالهم فلم يقدر لهم على نفع

﴿ذكر ملك الفرنج عكا﴾

في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة استولى الفرنج لعنهم الله على مدينة عكا وكان أول وهن دخل على من بالبلد أن الامير سيف الدين علي بن احمد المشطوب المعروف بالمشطوب كان فيها ومعه عدة من الامراء كان هو أمثلهم وأكبرهم فخرج الى ملك افرنسيس وبذل له تسليم البلد بما فيه على أن يطلق المسلمين الذين فيه ويمكنهم من اللحاق بسلطانهم فلم يجبه الى ذلك فعاد علي بن احمد الى البلد فوهن من فيه وضعفت نفوسهم وتخاذلوا وهمتهم أنفسهم ثم ان أميرين ممن كان بعكا لما رأوا ما عمله المشطوب وان الفرنج لم يجيبوا الى الأمان اتخذوا الليل جملا وركبوا في شيء صغير وخرجوا سرا من أصحابهم ولحقوا بعسكر المسلمين وهم عز الدين أرسل الاسدي وابن عز الدين جاولي وسنقر الوشاقي ومعهم غيرهم فلما أصبح الناس ورأوا ذلك ازدادوا وهنا

لسنة أربع وعشرين وفي أثناء هذه الحادثة طلب من الباشا أن ثاني قبض استحقاقه من ١٢٢٤ من غلال الانبارق مدة غيابه فأمر بدفعها له من الخزينة نقدا بالثمن الذي قدره لنفسه وهو خمسة وعشرون كيسا وفي اليوم الذي خرج فيه السيد عمر أنعم عليه الباشا أيضا بنظر وقف سنان باشا ونظر ضريح الشافعي بعرضه له بطلب النظرين وكانا تحت يد السيد عمر يتحصل منهما مال كثير وعند ذلك رجع الى حالته الاولى التي كان قد انقبض عن بعضها من كثرة السعي والتردد على الباشا وأكابر دولته في القضايا والشفاعات وأمور الالتزام والفائظ والرزق والاطيان وما يتعلق به في بلاد الصعيد والفيوم ومحاسبة الشركاء وازدحمت عليه الناس وشرع يقرأ بالازهر فاذا حضر اجتمع حول درسه طائفة من الناس فاذا فرغ تكبكب عليه أرباب الدعاوى والفتاوى في كتب هذا وبعد ذلك ويسوف آخر يذهب من يريد أن يذهب معه لحاجته فيقطع نهاره وليله طوافا وسعيا وذهابا وإيابا لا يستقر بمكان ولا يظفر به صاحب حاجة الا نادرا ولا يبيت في بيت من بيوته الا في الجمعة مرة أو مرتين ويتفق مجيئه الى داره بعد العشاء الاخيرة وغالب لياليه في غيرها واذا غاب لا يعلم طريقه الا بعض أتباعه ويذهب الى بولاق مثلا فيقيم بها عدة أيام ولياليَ يتنقل في الاماكن عند

الى وهنهم وضعفا الى ضعفهم وايقنوا بالعطب ثم ان الفرنج ارسلوا الى صلاح الدين في معنى تسليم البلد فاجابهم الى ذلك والشرط بينهم ان يطلق من اسراهم بعدد من في البلد ليطلقوا هم من بعكا وان يسلموا اليهم صليب الصلبوت فلم يقنعوا بما بذل فارسل الى من بعكا من المسلمين يأمرهم ان يخرجوا من عكا يدا واحدة ويتركوا البلد بما فيه ووعدهم انه يتقدم الى تلك الجهة التي يخرجون منها بعساكره ويقاتل الفرنج فيها ليلحقوا به فشرعوا في ذلك واشتغل كل منهم باستصحاب ما يملكه فما فرغوا من اشغالهم حتى اسفر الصبح فبطل ما عزموا عليه لظهوره فلما عجز الناس عن حفظ البلد زحف اليهم الفرنج بحدهم وحديدهم فظهر من بالبلد على سوره يحركون اعلامهم ليراها المسلمون وكانت هي العلامة اذا اخترمهم امر فلما راى المسلمون ذلك ضجوا بالبكاء والعويل وحملوا على الفرنج من جميع جهاتهم طلبا منهم ان الفرنج يشتغلون عن الذين بعكا وصلاح الدين يحرضهم وهو في اولهم وكان الفرنج قد خفوا عن خنادقهم ومالوا الى جهة البلد فقرب المسلمون من خنادقهم حتى كادوا يدخلونها عليهم ويضعون السيف فيهم فوقع الصوت فعاد الفرنج ومنعوا المسلمين وتركوا في مقابلة من بالبلد من يقاتلهم فلما راى المشطوب ان صلاح الدين لا يقدر على نفع ولا يدفع عنهم ضرا خرج الى الفرنج وقرر معهم تسليم البلد وخروج من فيه باموالهم وانفسهم وبذل لهم عن ذلك مائتي الف دينار وخمسمائة اسير من المعروفين واعادة صليب الصلبوت واربعة عشر الف دينار للمركيس صاحب صور فاجابوه الى ذلك وحلفوا له عليه وان يكون مدة تحصيل المال والاسرى الى شهرين فلما حلفوا له سلم البلد اليهم ودخلوه سلما فلما ملكوه غدروا واحتاطوا على من فيه من المسلمين وعلى اموالهم وحبسوهم واظهروا انهم يفعلون ذلك ليصل اليهم ما بذل لهم وراسلوا صلاح الدين في ارسال المال والاسرى والصليب حتى يطلقوا من عندهم فشرع في جمع المال وكان هو لا مال له انما يخرج ما يصل اليه من دخل البلاد اولا باول فلما اجتمع عنده من المال مائة الف دينار جمع الامراء واستشارهم فاشاروا بان لا يرسل شيئا حتى يعاود يستحلفهم على اطلاق اصحابه وان يضمن الداوية ذلك لانهم اهل دين يرون الوفاء فراسلهم صلاح الدين في ذلك فقالت الداوية لا نحلف ولا نضمن لاننا نخاف غدر من عندنا وقال ملوكهم اذا سلمتم الينا المال والاسرى والصليب فلنا الخيار فيمن عندنا فحينئذ علم صلاح الدين عزمهم على الغدر فلم يرسل اليهم شيئا واعاد الرسالة اليهم وقال نحن نسلم اليكم هذا المال والاسرى والصليب ونعطيكم رهنا على الباقي وتطلقوا اصحابنا وتضمن الداوية الرهن ويحلفون على الوفاء لهم فقالوا لا نحلف انما ترسل الينا المائة الف دينار التي حصلت والاسرى والصليب ونحن نطلق من اصحابكم من نريد ونترك من نريد حتى يجيء باقي المال فعلم الناس حينئذ غدرهم وانما يطلقون غلمان العسكر والفقراء والاكراد ومن لا يؤبه له ويمسكون عندهم الامراء وارباب الاموال ويطلبون منهم الفداء فلم يجبهم السلطان الى ذلك فلما كان يوم الثلاثاء السابع والعشرين

شركائه ومن يعاملهم من الامناء والخواصين والابزارية وغيرهم أو يذهب الى بلده نهية بالجيزة او غيرها فيقيم اياما ايضا وكذا دابه قديما واذا قيل له في ذلك قال انا ابتني ظهر بغلتي وعلى ما كان فيه من الغنى وكثرة الايراد والمصرف تراه مفقود اللذة عديم الراحة البدنية والنفسية واعما ذلك لاولاده والمقيمين ايضا بداره ويتفق انه يذبح بداره الثلاثة اغنام ضيوف من النساء عند الحريم ولا يأكل منها شيئا بل يتركها ويذهب الى بعض غرضه ببولاق مثلا ويتغدى بالجبن الحلوم او الفسيخ او البطارخ ويبيت باي مكان ولو على فرش وحصير في اي محل كان ولما مات الشيخ سليمان الفيومي عن زوجته المعروفة بالصحراوية وكانت من نساء القدماء مشهورة بالغنى وكثرة الايراد وتزوجت بالشيخ الفيومي حياة اخيها وكانت طاعنة في السن واشترت له جارية بيضاء واعتقتها وزوجته بها ولم يدخل بها ومات عنها وعن زوجته الاخرى ثم ماتت الصحراوية المذكورة لا عن وارث فتعين من طرف المترجم ووضع يده على دارها ومالها وجواريها وتعلقاتها من عقار والتزام وغيره وزوج الجارية لابنه عبد الهادي وكانها استقصت بماله ونوالها في تحقيق ديمها حدّ الباشا وعين العساكر ان يجتازها ...ون ... ومن اهل العلم مكان المتدين

لذلك انزعج منه السيد احمد المحروقى وانعم عليه بكساوى وترحيلة النفقة فلما وقعت الهزيمة بالصفراء رجع مع

من رجب ركب الفرنج وخرجوا الى ظاهر البلد بالفارس والراجل وركب المسلمون اليهم وقصدوهم وحملوا عليهم فانكشفوا عن مواقفهم واذا اكثر من كان عندهم من المسلمين قتلى قد وضعوا فيهم السيف واستبقوا الامراء والمقدمين ومن كان له مال وقتلوا من سواهم من سوادهم واصحابهم ومن لا مال له فلما رأى صلاح الدين ذلك تصرف في المال الذي كان جمعه وسير الاسرى والصليب الى دمشق

❊(ذكر رحيل الفرنج الى ناحية عسقلان وتخريبها)❊

لما فرغ الفرنج لعنهم الله من اصلاح أمر عكا برزوا منها فى الثامن والعشرين من رجب وساروا مستهل شعبان نحو حيفا مع شاطئ البحر لا يفارقونه فلما سمع صلاح الدين برحيلهم نادى فى عسكره بالرحيل فساروا وكان على اليزك ذلك اليوم الملك الافضل ولد صلاح الدين ومعه سيف الدين اياز كوش وعز الدين جورديك وعدة من شجعان الامراء فضايقوا الفرنج فى مسيرهم وارسلوا عليهم من السهام ما كاد يحجب الشمس ووقعوا على ساقة الفرنج فقتلوا منها جماعة وأسروا جماعة وارسل الافضل الى والده يستمده ويعرفه الحال فامر العساكر بالمسير اليه فاعتذروا بانهم ما ركبوا اهبة الحرب وانما كانوا على عزم المسير لا غير فبطل المدد وعاد ملك الانكتار الى ساقة الفرنج فحماها وجمعهم وساروا حتى أتوا حيفا فنزلوا بها ونزل المسلمون بقيمون قرية بالقرب منهم واحضر الفرنج من عكا عوض من قتل منهم واسر ذلك اليوم وعوض ما هلك من الخيل ثم ساروا الى قيسارية والمسلمون يسايرونهم ويتخطفون منهم من قدروا عليه فيقتلونه لان صلاح الدين كان قد اقسم انه لا يظفر باحد منهم الا قتله بمن قتلوا من كان بعكا فلما قاربوا قيسارية لاصقهم المسلمون وقاتلوهم اشد قتال فنالوا منهم نيلا كثيرا ونزل الفرنج بها وبات المسلمون قريبا منهم فلما نزلوا خرج من الفرنج جماعة فابعدوا عن جماعتهم فاوقع بهم المسلمون الذين كانوا فى اليزك فقتلوا منهم واسروا منهم ثم ساروا من قيسارية الى ارسوف وكان المسلمون قد سبقوهم اليها ولم يمكنهم مسايرتهم لضيق الطريق فلما وصل الفرنج اليهم حمل المسلمون عليهم حملة منكرة الحقوهم بالبحر ودخله بعضهم فقتل منهم كثير فلما رأى الفرنج ذلك اجتمعوا وحملت الخيالة على المسلمين حملة رجل واحد فولوا منهزمين لا يلوى أحد على احد وكان كثير من الخيالة والسوقة قد القوا القيام وقت الحرب قريبا من المعركة فلما كان ذلك اليوم كانوا على حالهم فلما انهزم المسلمون عنهم قتل منهم كثير والتجأ المنهزمون الى القلب وفيه صلاح الدين فلو علم الفرنج انها هزيمة لتبعتهم وتمت الهزيمة وهلك المسلمون لكن كان بالقرب من المسلمين شعراء كثيرة الشجر فدخلوها وظنوها مكيدة فعادوا وزال عنهم ما كانوا فيه من الضيق وقتل من الفرنج كند كبير من طواغيتهم وقتل من المسلمين مملوك لصلاح الدين اسمه اياز الطويل وهو من الموصوفين بالشجاعة والشهامة لم يكن فى زمانه مثله فلما نزل الفرنج نزل المسلمون

الراجعين ولما توفى الشيخ الشرقاوى تعين المترجم لمشيخة الجامع ثم انتقضت عليه وقلدوها الشيخ الشنوانى كما تقدم ذكر ذلك فلم يظهر الا الانشراح وعدم التأثر من الانكساف وحضر اليه الشيخ الشنوانى فخلع عليه فروة سمور خاص وزاد فى اكرامه وبآخرة تملك دارا بالكعكيين على نهر بقعة فى مشترواته وهى التى كانت سكن الشيخ الحفنى قبل سكناه بالموسكى ثم تملكها الشيخ المرحوم عبد الرحمن العريشى ثم ابن الخنفرى ثم لا ادرى لمن آلت بعد ذلك فلما اخذها شرع فى تجديدها وتعميرها وفتح بها رحبة واسعة واحضر اخشابا كثيرة واحجارا وبلاطا ورخاما وبجانبها زاوية قديمة بها مدافن فهدمها وادخلها فى الدار واخرج عظام الموتى من قبورهم ودفنهم بتربة المجاورين كما اخبرنى عن ذلك من اثق به وعمل مكان الزاوية قاعة لطيفة بخارجها فسحة يتوصل اليها من حوش الدار وجعل مكان قبور شبابيك وعليها ضربيق واسكن فى تلك الدار احدى زوجاته وهى التى كانت تحت الشيخ الدعجيى الدمياطى تزوج بها بدمياط واحضرها الى مصر واتم بها عمارة الدار ومعها ضرتها التى كانت من نشابور وا كثر

واعتقة خيلهم بايديهم ثم سار الفرنج الى يافا فنزلوها ولم يكن بها أحد من المسلمين فملكوها ولما كان من المسلمين بارسوف من الهزيمة ما ذكرناه سار صلاح الدين منهم الى الرملة واجتمع بأثقاله بها وجمع الامراء واستشارهم فيما يفعل فاشاروا عليه بتخريب عسقلان وقالوا له قد رأيت ما كان منا بالامس واذا جاء الفرنج الى عسقلان ووقفنا في وجوههم نصدهم عنها فهم لا شك يقاتلونا لننزاح عنها وينزلون عليها فاذا كان ذلك عدنا الى مثل ما كنا عليه على عكا ويعظم الامر علينا لان العدو قد قوي باخذ عكا وما فيها من الاسلحة وغيرها ونحن قد ضعفنا بما خرج عن أيدينا ولم تطل المدة حتى نستجد غيرها فلم تسمح نفسه بتخريبها وندب الناس الى دخولها وحفظها فلم يجبه أحد الى ذلك وقالوا ان أردت حفظها فادخل أنت معنا او بعض أولادك الكبار والا فما يدخلها منا أحد لئلا يصيبنا ما أصاب اهل عكا فلما رأى الامر كذلك سار الى عسقلان وأمر بتخريبها فخربت تاسع عشر شعبان وألقيت حجارتها في البحر وهلك فيها من الاموال والذخائر التي للسلطان والرعية ما لا يمكن حصره وعفى أثرها حتى لا يبقى للفرنج في قصدها مطمع ولما سمع الفرنج بتخريبها اقاموا مكانهم ولم يسيروا اليها وكان المركيس لعنه الله لما أخذ الفرنج عكا قد احس من ملك انكلتار بالغدر به فهرب من عنده الى مدينة صور وهي له وبيده وكان رجل الفرنج رأيا وشجاعة وكل هذه الحروب هو اثارها فلما خربت عسقلان أرسل الى ملك انكلتار يقول له مثلك لا ينبغي ان يكون ملكا ويتقدم على الجيوش تسمع ان صلاح الدين قد خرب عسقلان وتقيم مكانك يا جاهل لما بلغك انه قد شرع في تخريبها كنت سرت اليه مجدا فرحلته وملكتها صفوا عفوا بغير قتال ولا حصار فانه ما خربها الا وهو عاجز عن حفظها وحق المسيح لو انني معك كانت عسقلان اليوم بايدينا لم يخرب منها غير برج واحد فلما خربت عسقلان رحل صلاح الدين عنها ثاني شهر رمضان ومضى الى الرملة فخرب حصنها وخرب كنيسة لدوفي مدة مقامه لتخريب عسقلان كانت العساكر مع الملك العادل ابي بكر بن أيوب تجاه الفرنج ثم سار صلاح الدين الى القدس بعد تخريب الرملة فاعتبره وما فيه من سلاح وذخائر وقرر قواعده وأسبابه وما يحتاج اليه وعاد الى المخيم ثامن رمضان وفي هذه الايام خرج ملك انكلتار من يافا ومعه نفر من الفرنج من معسكرهم فوقع به نفر من المسلمين فقاتلوهم قتالا شديدا وكاد ملك انكلتار يؤسر ففداه بعض أصحابه بنفسه فتخلص الملك وأسر ذلك الرجل وفيها أيضا كانت وقعة بين طائفة من المسلمين وطائفة من الفرنج انتصر فيها المسلمون

(ذكر رحيل الفرنج الى نطرون)

لما رأى صلاح الدين ان الفرنج قد لزموا يافا ولم يفارقوها وشرعوا في عمارتها رحل من منزلته الى النطرون ثالث عشر رمضان وخيم به فراسله ملك انكلتار يطلب المهادنة فكانت الرسل تتردد الى الملك العادل أبي بكر بن أيوب أخي صلاح الدين فاستقرت

من المبيت فيامع استمرار العمارة فلما كان في آخر المحرم توعك اياما ثم عوفي وذهب الى الحمام وهناه الناس بالعافية ومشى الى جيرانه يتحدث عندهم كعادته مثل الخواجا سيدي محمد ابن الحاج طاهر والسيد صالح الفيومي فخرج ليلة الجمعة الثاني من شهر صفر وذهب عند عثمان بن سلامة السناوي فتحدث عندهم حصة من الليل وتفكهوا ثم قام ذاهبا الى داره ماشيا على اقدامه وصحبته صاحبنا الشيخ خليل الصفتي يحادثه حتى وصل الى داره المذكورة وانصرف الشيخ خليل الى داره ايضا ومضى نحو ساعة واذا بتابع الشيخ المهدي يناديه ويطلبه اليه فقام في الحين ودخل اليه فوجده راقدا في المكان الذي نبش من القبو رجس يده فقال له النساء انه ميت واخبرت زوجته انه جامعها ثم استلقى وفارق الدنيا وارسلوا الى اولاده فحضروا وحملوه في تابوت الى الدار الكبيرة بالموسكي ليلا وشاع موته وجهز وصلى عليه بالازهر في مشهد حافل جدا ودفن عند الشيخ الحفني بجانب القبر (فسبحان الحي الذي لا يموت) فرحم الله عبدا زهد في الفاني وعمل لما بعده ونظر الى هذه الدار بعين الاعتبار نسأله التوفيق بالقاعة وحسن الخاتمة عن نحو خمس وسبعين سنة وحاصل امر المرحوم المترجم

القاعدة ان انكلتار يزوج اخته من العادل ويكون القدس وما بايدي المسلمين من بلاد الساحل للعادل ويكون عكا وما بيد الفرنج من البلاد لاخت انكلتار مضافا الى مملكة كانت لها داخل البحر قد ورثتها من زوجها وان يرضى الداوية بما يقع الاتفاق عليه فعرض العادل ذلك على صلاح الدين فاجاب اليه فلما ظهر الخبر اجتمع القسيسون والاساقفة والرهبان الى اخت انكلتار وانكروا عليها فامتنعت من الاجابة وقيل كان المانع منه غير ذلك والله أعلم وكان العادل وملك انكلتار يجتمعان بعد ذلك ويتجاريان حديث الصلح وطلب من العادل ان يسمعه غناء المسلمين فاحضر له مغنية تضرب بالجنك فغنت له فاستحسن ذلك ولم يتم بينهم صلح وكان ملك انكلتار يفعل ذلك خديعة ومكرا ثم ان الفرنج أظهروا العزم على قصد بيت المقدس فسار صلاح الدين الى الرملة جريدة وترك الاثقال بالنطرون وقرب من الفرنج وبقى عشرين يوما ينتظرهم فلم يبرحوا فكان بين الطائفتين مدة المقام عدة وقعات في كلها ينتصر المسلمون على الفرنج وعاد صلاح الدين الى النطرون ورحل الفرنج من يافا الى الرملة ثالث ذى القعدة على عزم قصد البيت المقدس فقرب بعضهم من بعض فعظم الخطب واشتد الحذر فكان كل ساعة يقع الصوت في العسكرين بالقتال فلقوا من ذلك شدة شديدة واقبل الشتاء وحالت الاحوال والامطار بينهما

(ذكر مسير صلاح الدين الى القدس)

لما راى صلاح الدين ان الشتاء قد هجم والامطار والية متتابعة والناس منها في ضنك وحرج ومن شدة البرد ولبس السلاح والسهر في تعب دائم وكان كثير من العساكر قد طال بيكارها فاذن لهم في العود الى بلادهم للاستراحة والاراحة وسار هو الى البيت المقدس فيمن بقى معه فنزلوا جميعا داخل البلد فاستراحوا مما كانوا فيه ونزل هو بدار الاقساء مجاورة بيعة قمامة وقدم اليه عسكر مصر مقدمهم الامير ابو الهيجاء السمين فقويت نفوس المسلمين بالقدس وسار الفرنج من الرملة الى النطرون ثالث ذى الحجة على عزم قصد القدس فكانت بينهم وبين يزك المسلمين وقعات اسر المسلمون في وقعة منها نيفا وخمسين فارسا من مشهورى الفرنج وشجعانهم وكان صلاح الدين لما دخل القدس أمر بعمارة سوره وتجديد ما رث منه فحكم الموضع الذى ملك البلد منه وأتقنه وأمر بحفر خندق خارج الفصيل وسلم كل برج الى أمير يتولى عمله فعمل ولده الافضل من ناحية باب عمود الى باب الرحمة وارسل اتابك عز الدين مسعود صاحب الموصل جماعة من الحجارين فعملوا قطعة عند الباب الولى فعملوا هنالك برجا وبدنة وكذلك جميع الامراء ان الحجارة قلت عند العمالين فكان صلاح الدين رحمه الله يركب وينقل الحجارة بنفسه على دابته من الاماكن البعيدة فيقتدى به العسكر فكان يجمع عنده من العمال في اليوم الواحد من يعملون عدة ايام

(ذكر عود الفرنج الى الرملة)

انه كان من فحول العلماء يدرس الكتب الصعاب في المعقول والمنقول بالتحقيق والتدقيق ويقررها بالخاص وانتفع عليه الكثير من الطلبة ومنهم الآن مدرسون مشتهرون وممیزون بين نظرائهم من اهل العصر واستمر على طريقة اهل العلم السابقين وبعض اللاحقين ولم يشتغل بالانهماك على الدنيا الكان نادرة عصره واداه ذلك الى قطع الاشتغال واذا شرع في الاقراء فلا يتم الكتاب في الغالب ويحضر الدرس في الجمعة يوما او يومين ويهمل كذلك ولم يصنف تاليفا ولا رسالة في فن من الفنون مع تاهله لذلك ولم يعان الشعر ولا النظم ونثره في المراسلات ونحوها متوسط في بعض القوافي السهلة وتقيد بقراءة الحكم لابن عطاء الله بعد العصر في رمضان ثلاث سنين الاخيرة

(ومات) الاستاذ العلامة والنحرير الفهامة الفقيه النبيه المهذب المتواضع الشيخ مصطفى بن محمد بن يوسف ابن عبد الرحمن الشهير بالصفوى القلعاوى الشافعي ولد في شهر ربيع الاول من سنة ثمان وخمسين ومائة والف وتفقه على الشيخ الملوى والحفنى والبراوى والحفنى ولازم شيخنا الشيخ احمد العروسى وانتفع عليه واذن له في الفتيا عن لسانه وجمع من تقريراته وتقيداته من تحقيقاته والف وصنف وكتب حاشية على ابن قاسم الغزى على ابى شجاع في

في العشرين من ذي الحجة عاد الفرنج الى الرملة وكان سبب عودهم انهم كانوا ينقلون ما يريدونه من الساحل فلما ابعدوا عنه كان المسلمون يخرجون على من يجلب لهم الميرة فيقطعون الطريق ويغنمون ما معهم ثم ان ملك انكلتار قال لمن معه من الفرنج الشاميين صوروا لي مدينة القدس فاني ما رأيتها فصوروها له فرأى الوادي يحيط بها ما عدا موضعا يسيرا من جهة الشمال فسأل عن الوادي وعن عمقه فاخبر انه عميق وعر المسالك فقال هذه مدينة لا يمكن حصرها ما دام صلاح الدين حيا وكلمة المسلمين مجتمعة لاننا ان نزلنا في الجانب الذي يلي المدينة بقيت سائر الجوانب غير محصورة فيدخل اليهم منها الرجال والذخائر وما يحتاجون اليه وان نحن افترقنا فنزل بعضنا من جانب الوادي وبعضنا من الجانب الآخر جمع صلاح الدين اصحابه وواقع احدى الطائفتين ولم يمكن الطائفة الاخرى انجاد اصحابهم لانهم ان فارقوا مكانهم خرج من بالبلد من المسلمين فغنموا ما فيه وان تركوا فيه من يحفظه وساروا وانجدوا اصحابهم فالى ان يتخلصوا من الوادي ويلحقوا بهم قد فرغ صلاح الدين منهم هذا سوى ما يتعذر علينا من ايصال ما يحتاج اليه من العلوفات والاقوات فلما قال لهم ذلك علموا صدقه ورأوا قلة الميرة عندهم وما يجري للجالبين لها من المسلمين فاشاروا عليه بالعود الى الرملة فعادوا خائبين خاسرين

(ذكر قتل قزل ارسلان)

في شعبان من هذه السنة قتل قزل ارسلان واسمه عثمان بن ايلدكز وقد ذكرنا انه ملك البلاد بعد وفاة اخيه البهلوان ملك اران واذربيجان وهمذان واصفهان والري وما بينهما واطاعه صاحب فارس وخوزستان واستولى على السلطان طغرل فاعتقله في بعض القلاع ودانت له البلاد وفي آخر امره سار الى اصفهان والفتن بها متصلة من لدن توفي البهلوان الى ذلك الوقت فتعصب على الشافعية واخذ جماعة من اعيانهم وصلبهم وعاد الى همذان وخطب لنفسه بالسلطنة وضرب النوب الخمس ثم انه دخل ليلة قتل الى منزله لينام وتفرق اصحابه فدخل اليه من قتله على فراشه ولم يعرف قاتله فاخذ حاجبه صاحب بابه ظنا وتخمينا وكان كريما حسن الاخلاق يحب العدل ويؤثره ويرجع الى حلم وقلة عقوبة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قدم معز الدين قيصر شاه بن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم على صلاح الدين في رمضان وكان سبب قدومه ان والده عز الدين قلج ارسلان فرق مملكته على اولاده واعطى ولده هذا ملطية واعطى ولده قطب الدين ملك شاه سيواس فاستولى قطب الدين على ابيه وحجر عليه وازال حكمه والزمه ان يأخذ ملطية من اخيه ويسلمها اليه فخاف معز الدين فسار الى صلاح الدين ملتجئا اليه معتضدا به فاكرمه صلاح الدين وزوجه ابنة اخيه الملك العادل وامتنع قطب الدين من قصده وعاد معز الدين

الى

القلة وحاشية على شرح المطول للسعد التفتازاني على التلخيص وشرح شرح السمرقندي على الرسالة العضدية في علم الوضع وله منظومة في آداب البحث وشرحها ومنظومة لمتن التهذيب في المنطق وشرحها وديوان شعر سماه اتحاف الناظرين في مدح سيد المرسلين وعدة من الرسائل في معضلات المسائل وغير ذلك وكان سكنه بقلعة الجبل ويأتي في كل يوم الى الازهر للاقراء والافادة فلما امر الباشا سكان القلعة باخلائها والنزول منها الى المدينة فنزلوا الى المدينة وتركوا دورهم واوطانهم نزل المترجم مع من نزل وسكن بحارة امير الجيوش جهة باب الشعرية ولم يزل هناك حتى تمرض اياما وتوفي ليلة السبت سابع عشري شهر رمضان وصلي عليه بالازهر ودفن بزاوية الشيخ سراج الدين البلقيني بحارة بين السيارج رحمه الله تعالى فانه كان من احسن من رأينا سمتا وعلما وصلاحا وتواضعا وانكسارا وانجماعا عن خلطة الكثير من الناس مقبلا على شأنه راضيا مرضيا طاهرا نقيا لطيف المزاج جدا محبوبا للناس عفا الله عنه وغفر لنا وله *(ومات)* الشيخ الفاضل الاجل الامثل والوجيه المفضل الشيخ حسين بن حسن كناني بن علي المنصوري الحنفي تفقه على خاله الشيخ مصطفى بن سليمان المنصوري والشيخ

الى ملطية فى ذى القعدة وحدثنى من اثق به قال رايت صلاح الدين وقد ركب ليودع هذا عز الدين فترجل له عز الدين وترجل صلاح الدين وودعه راجلا فلما اراد الركوب عضده هذا عز الدين وركب وسوى ثيابه علاء الدين خرمشاه بن عز الدين صاحب الموصل قال فعجبت من ذلك وقلت ما تبالى يا ابن ايوب اى موتة تموت يركبك ملك سلجوقى وابن اتابك زنكى وفيها توفى حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين وهو ابن اخت صلاح الدين وعلم الدين سليمان بن جندر وهو من اكابر امراء صلاح الدين ايضا وفى رجب توفى الصفى بن القابض وكان متولى دمشق لصلاح الدين يحكم فى جميع بلاده

(ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة)

(ذكر عمارة الفرنج عسقلان)

فى هذه السنة فى المحرم رحل الفرنج نحو عسقلان وشرعوا فى عمارتها وكان صلاح الدين بالقدس فسار ملك انكلتار جريدة من عسقلان الى يزك المسلمين فواقعهم وجرى بين الطائفتين قتال شديد انتصف بعضهم من بعض وفى مدة مقام صلاح الدين بالقدس ما برحت سراياه تقصد الفرنج فتارة تواقع طائفة منهم وتارة تقطع الميرة عنهم ومن جملتها سرية كان مقدمها فارس الدين ميمون القصرى وهو من مقدمى المماليك الصلاحية خرج على قافلة كبيرة للفرنج واخذها وغنم ما فيها

(ذكر قتل المركيس وملك الكندهرى)

فى هذه السنة فى ثالث عشر ربيع الآخر قتل المركيس الفرنجى لعنه الله صاحب صور وهو اكبر شياطين الفرنج وكان سبب قتله ان صلاح الدين راسل مقدم الاسماعيلية وهو سنان ان ارسل من يقتل ملك انكلتار وان قتل المركيس فله عشرة آلاف دينار فلم يمكنهم قتل ملك انكلتار ولم يره سنان مصلحة لهم لئلا يخلو وجه صلاح الدين من الفرنج ويتفرغ لهم وشره فى اخذ المال فعدل الى قتل المركيس فارسل رجلين فى زى الرهبان واتصلا بصاحب صيدا وابن بارزان صاحب رملة وكانا مع المركيس بصور فاقاما معهما ستة اشهر يظهران العبادة فانس بهما المركيس ووثق اليهما فلما كان بهذا التاريخ عمل الاسقف بصور دعوة للمركيس فحضرها واكل طعامه وشرب مدامه وخرج من عنده فوثب عليه الباطنيان المذكوران فجرحاه جراحا وثيقة وهرب احدهما ودخل كنيسة يختفى فيها فاتفق ان المركيس حمل اليها ليشد جراحه فوثب عليه ذلك الباطنى فقتله وقتل الباطنيان بعده ونسب الفرنج قتله الى وضع من ملك انكلتار لينفرد بملك الساحل الشامى فلما قتل ولى بعده مدينة صور كندهرى من داخل البحر يقال له الكندهرى وتزوج بالملكة فى ليلته ودخل بها وهى حامل وليس الحمل عندهم مما يمنع النكاح وهذا الكندهرى هو ابن اخت ملك فرنسيس من ابيه وابن اخت ملك انكلتار من امه وملك هذا الكندهرى بلاد الفرنج بالساحل بعد عود ملك انكلتار وعاش الى سنة اربع وتسعين وخمسمائة

محمد الدلجى والشيخ احمد الفارسى والشيخ محمد الدبركى والشيخ محمد المصيلحى واقرأ ٣٧ فى فقه المذهب دروسا فى حل جده لامه بالازهر وسكن داره بحارة الجبانية على بركة الفيل مع اخيه الشيخ عبد الرحمن ثم انتقلا فى حوادث الفرنساوية الى حارة الازهر ولما كانت حادثة السيد عمر مكرم النقيب من مصر الى دمياط وكتبوا فيه عرضا للدولة وامتنع السيد احمد الطحطاوى من الشهادة عليه كما تقدم وتعصبوا عليه وعزلوه من مشيخة الحنفية قلدوها المترجم فلم يزل فيها حتى تمرض وتوفى يوم الثلاثاء تاسع عشرى المحرم وصلى عليه بالازهر ودفن بتربة المجاورين رحمه الله وايانا (ومات) البليغ النجيب والنبيه الاريب نادرة الزمان وفريد الاوان اخونا ومحبنا فى الله تعالى ومن اجله السيد اسمعيل بن سعد الشهير بالخشاب كان ابوه نجارا ثم فتح له مخزنا لبيع الخشب تجاه تكية الكلشنى بالقرب من باب زويلة وولد له المترجم واخوه ابراهيم ومحمد وهو اصغرهما فتولع السيد اسمعيل المترجم بحفظ القرآن ثم بطلب العلم ولازم حضور السيد على المقدسى وغيره من افاضل الوقت وتحبب فى فقه الشافعية والمعقول بقدر الحاجة وتثقيف اللسان والفروع الفقهية الواجبة والفرائض وتنزل فى حرفة الشهادة بالمحكمة الكبيرة لضرورة التكسب فى المعاش ومصارف العيال وتمسك بمطالعة الكتب الادبية

فسقط من سطح خات وكان عاقلا كثير المداراة والاحتمال ولما رحل ملك انكلتار الى بلاده أرسل هذا كندهري الى صلاح الدين يستعطفه ويستميله يطلب منه خلعة وقال انت تعلم ان لبس القباء والشربوش عند نا عيب وأنا البسهما منك محبة لك فانفذ اليه خلعة سنية منها القباء والشربوش فلبسهما بعكا

(ذكر نهب بني عامر البصرة)

في هذه السنة في صفر اجتمع بنو عامر في خلق كثير واميرهم عميرة وقصدوا البصرة وكان الاميربها اسمه محمد بن اسمعيل ينوب عن مقطعها الامير طغرل مملوك الخليفة الناصر لدين الله فوصلوا اليها يوم السبت سادس صفر فخرج اليهم الامير محمد فيمن معه من الجند فوقعت الحرب بينهم بدرب الميدان بجانب الخريبة ودام القتال الى آخر النهار فلما جاء الليل ثلم العرب في السور عدة ثلم ودخلوا البلد من الغد فقاتلهم اهل البلد فقتل بينهم قتلى كثيرة من الفريقين ونهبت العرب الخانات بالشاطئ وبعض محال البصرة وعبر أهلها الى شاطئ الملاحين وفارق العرب البلد في يومهم وعاد اهله اليه وكان سبب سرعة العرب في مفارقة البلد انهم بلغهم ان خفاجة والمنتفق قد قاربوهم فساروا اليهم وقاتلوهم اشد قتال فظفرت عامر وغنمت أموال خفاجة والمنتفق وعادوا الى البصرة بكرة الاثنين وكان الامير قد جمع من اهل البصرة والسواد جمعا كثيرا فلما عادت عامر قاتلهم اهل البصرة ومن اجتمع معهم فلم يقوموا للعرب وانهزموا ودخل العرب البصرة ونهبوها وفارق البصرة اهلها ونهبت اموالهم وجرت امور عظيمة ونهبت القسامل وغيرها يومين وفارقها العرب وعاد اهلها اليها وقد رايت هذه القصة بعينها في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة والله اعلم

(ذكر ما كان من ملك انكلتار)

في تاسع جمادى الاولى من هذه السنة استولى الفرنج على حصن الداروم فخربوه ثم ساروا الى البيت المقدس وصلاح الدين فيه فبلغوا بيت نوبة وكان سبب طمعهم ان صلاح الدين فرق عساكره الشرقية وغيرها لاجل الشتاء وليستريحوا وليحضر البدل عوضهم وسار بعضهم مع ولده الافضل واخيه العادل الى البلاد الجزرية لما نذكره ان شاء الله تعالى وبقي من حلقته الخاص بعض العساكر المصرية فظنوا انهم ينالون غرضا فلما سمع صلاح الدين بقربهم منه فرق ابراج البلد على الامراء وسار الفرنج من بيت نوبة الى قلونية سلخ الشهر وهي فرسخين من القدس فصبر المسلمون عليهم البلاء وتابعوا ارسال السرايا فبلى الفرنج منهم بما لا قبل لهم به وعلموا انهم اذا نازلوا القدس كان الشر اليهم اسرع والتسلط عليهم امكن فرجعوا القهقرى وركب المسلمون أكتافهم بالرماح والسهام ولما بعد الفرنج عن يافا سير صلاح الدين سرية من عسكره اليها فقاربوها وكمنوا عندها فاجتاز بهم جماعة من فرسان الفرنج مع قافلة فخرجوا عليهم فقتلوا منهم واسروا وغنموا وكان ذلك آخر جمادى الاولى

والتصوف والتاريخ واولع بذلك وحفظ اشياء كثيرة من الاشعار والمراسلات وحكايات الصوفية وتمالكوا فيه من الحقائق حتى صار نادرة عصره في المحاضرات والمحاورات واستحضار المناسبات والماجريات وقال الشعر الرائق ونثر النثر الفائق وصحب بسبب ما احتوى عليه من دماثة الاخلاق ولدقة السجايا وكرم الشمائل وخفة الروح كثيرا من ارباب المظاهر والرؤساء من الكتاب والامراء والتجار وتنافسوا في صحبته وتفاخروا بمجالسته ومنهم مصطفى بك المهدي امير الحاج وحسن افندي العربية وشيخ السادات وغيرهم من الاماثل فيرتاحون لمنادمته ويتنقلون على طيب مفاكهته وحسن مخاطبته ولطف عباراته وكان الوقت اذ ذاك غاصا بالاكابر والرؤساء وارباب الفضائل والناس في بلهنية من العيش وأمن من المخاوف والطيش وللمترجم رحمه الله قوة استحضار في ابداء المناسبات بحسب ما يقتضيه حال المجلس فكان يجانس ويشاكل كل جليس بما يدخل عليه السرور في الخطاب ويجلب عقله بلطف محادثته كما يفعل بالعقول الشراب ولما رتب الفرنساوية ديوانا لقضايا المسلمين تعين المترجم في كتابة التاريخ لحوادث الديوان وما يقع فيه من ذلك اليوم لان القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية في جميع دواوينهم واماكن احكامهم ثم يجمعون المتفرق في ملخص (ذكر

(ذكر استيلاء الفرنج على عسكر المسلمين وقفل)

في تاسع جمادى الآخرة بلغ الفرنج الخبر بوصول عسكر من مصر ومعهم قفل كبير ومقدم العسكر فلك الدين سليمان أخو العادل لأمه ومعه عدة من الامراء فأسرى الفرنج اليهم فواقعوهم بنواحي الخليل فانهزم الجند ولم يقتل منهم أحد من المشهورين انما قتل من الغلمان والاصحاب وغنم الفرنج خيامهم وآلاتهم وأما القفل فانه أخذ بعضه وصعد من نجا جبل الخليل فلم يقدم الفرنج على اتباعهم ولو اتبعوهم نصف فرسخ لأتوا عليهم وتمزق من نجا من القفل وتقطعوا واتوا واشتدة الى ان اجتمعوا وحكى لي بعض أصحابنا وكنا قد سيرنا معه شيئا للتجارة الى مصر وكان قد خرج في هذا القفل قال لما أوقع الفرنج علينا كنا قد رفعنا أحمالنا للسير فحملوا علينا وأوقعوا بنا فضربت جمالي وصعدت الجبل ومعي عدة أحمال لغيري فلحقنا قوم من الفرنج فاخذوا الاحمال التي في صحبتي وكنت بين أيديهم بمقدار رمية سهم فلم يصلوا الي فنجوت بما معي وسرت لا ادري أين أقصد اذ قد لاح لي بناء كبير على جبل فسألت عنه فقيل لي هذا الكرك فوصلت اليه ثم عدت منه الى القدس سالما وسار هذا الرجل من القدس سالما فلما بلغ براعة عند حلب أخذه الحرامية فنجا من العطب وهلك عند ظنه السلامة

(ذكر مسير الافضل والعادل الى بلاد الجزيرة)

قد تقدم ذكر موت تقي الدين عمر بن صلاح الدين واستيلاء ولده ناصر الدين محمد على بلاد الجزيرة فلما استولى عليها أرسل الى صلاح الدين يطلب تقريرها عليه مضافا الى ما كان لابيه بالشام فلم ير صلاح الدين ان مثل تلك البلاد تسلم الى صبي فما أجابه الى ذلك فحدثته نفسه بالامتناع على صلاح الدين لاشتغاله بالفرنج فطلب الافضل علي بن صلاح الدين من أبيه ان يقطعه ما كان لتقي الدين وينزل عن دمشق فأجابه الى ذلك وأمره بالمسير اليها فسار الى حلب في جماعة من العسكر وكتب صلاح الدين الى أصحاب البلاد الشرقية مثل صاحب الموصل وصاحب سنجار وصاحب الجزيرة وصاحب ديار بكر وغيرها يأمرهم بانفاذ العساكر الى ولده الافضل فلما رأى ولد تقي الدين ذلك علم انه لا قوة له بهم فراسل الملك العادل عم أبيه يسأله اصلاح حاله مع صلاح الدين فأنهى ذلك الى صلاح الدين وأصلح حاله وقرر قاعدته بان يقرر له ما كان لابيه بالشام وتؤخذ منه البلاد الجزرية واستقرت القاعدة على ذلك واقطع صلاح الدين البلاد الجزرية وهي حران والرها وسميساط وميافارقين وحاني العادل وسيره الى ابن تقي الدين ليتسلم منه البلاد ويسيره الى صلاح الدين وسيعيد الملك الافضل ان أدركه فسار العادل فلحق الافضل بحلب فأعاده الى أبيه وعبر العادل الفرات وتسلم البلاد من ابن تقي الدين وجعل نوابه فيها واستصحب ابن تقي الدين معه وعاد الى صلاح الدين بالعسكر وكان عوده في جمادى الآخرة من هذه السنة

(ذكر عود الفرنج الى عكا)

يرفع في مجلسهم بعد ان يطبعوا منه نسخا عديدة يوزعونها في جميع الجيش حتى لمن يكون منهم في غير المصر من قرى الارياف فتجد أخبار الامس معلومة للجليل والحقير منهم فلما رتبوا ذلك الديوان كما ذكر كان هو المتقيد برقم كل ما يصدر في الخاص من أمر او نهي او خطاب أو جواب او خطا او صواب وقرروا له في كل شهر سبعة آلاف نصف فضة فلم يزل متقيدا في تلك الوظيفة مدة ولاية عبد الله جاك منو حتى ارتحلوا من الاقليم مضافة لما هو فيه من حرفة الشهادة بالمحكمة ودبرانهم هذا صحوة يومين في الجمعة فجمع من ذلك عدة كراريس ولا أدري ما فعل بها وبعد ان رجع صاحبنا العلامة الشيخ حسن العطار من سياحته مازج المذكور وخالطه ورافقه وواعقه ولازمه فكانا كثيرا ما يبيتان معا ويقطعان الليل باحاديث أرق من نسيم السحر وألطف من اتساق نظم الدرر وكثيرا ما كانا يتنادمان بداري لما بيني وبينهما من الصحبة الاكيدة والمودة العتيدة فكانا يرتاحان عندي ويطرحان التكلفات التي هي على النفس شديدة ويتمثلان بقول من قال في انقباض وحشمة فاذا رأيت أهل الوفاء والكرم أرسلت نفسي على سجيتها وقلت ما قلت غير محتشم ثم يتجاذبان أطراف الكلام ويجولان في كل فن من الفنون الادبية والتواريخ والمحاضرات فتارة

لما عاد الملك الافضل فيمن معه وعاد الملك العادل وابن تقي الدين فيمن معهما من عساكرهما ولحقتهم العساكر الشرقية عسكر الموصل وعسكر ديار بكر وعسكر سنجار وغير ذلك من البلاد واجتمعت العساكر بدمشق أيقن الفرنج انهم لا طاقة لهم بها اذا فارقوا البحر فعادوا نحو عكا يظهرون العزم على قصد بيروت ومحاصرتها فامر صلاح الدين ولده الافضل أن يسير اليها في عسكره والعساكر الشرقية جميعها معارضا للفرنج في مسيرهم نحوها فسار الى مرج العيون واجتمعت العساكر معه فاقام هنالك ينتظر مسير الفرنج فلما بلغهم ذلك أقاموا بعكا ولم يفارقوها

(ذكر ملك صلاح الدين يافا)

لما رحل الفرنج نحو عكا كان قد اجتمع عند صلاح الدين عسكر حلب وغيره فسار الى مدينة يافا وكانت بيد الفرنج فنازلها وقاتل من بها منهم وملكها في العشرين من رجب بالسيف عنوة ونهبها المسلمون وغنموا ما فيها وقتلوا الفرنج واسروا كثيرا وكان بها اكثر ما اخذوه من عسكر مصر والقفل الذي كان معهم وقد ذكر ذلك وكان جماعة من المماليك الصلاحية قد وقفوا على ابواب المدينة وكل من خرج من الجند ومعه شيء من الغنيمة اخذوه منه فان امتنع ضربوه واخذوا ما معه قهرا ثم زحفت العساكر الى القلعة فقاتلوا عليها آخر النهار وكادوا يأخذونها فطلب من بالقلعة الامان على انفسهم وخرج البترك الكبير الذي لهم ومعه عدة من اكابر الفرنج في ذلك وترددوا وكان قصدهم منع المسلمين عن القتال فادركهم الليل وواعدوا المسلمين ان ينزلوا بكرة غد ويسلموا القلعة فلما اصبح الناس طالبهم صلاح الدين بالنزول عن الحصن فامتنعوا واذ قد وصلهم نجدة من عكا وادركهم ملك انكلتار فاخرج من بيافا من المسلمين واتاه المدد من عكا وبرز الى ظاهر المدينة واعترض المسلمين وحده وحمل عليهم فلم يتقدم اليه احد فوقف بين الصفين واستدعى طعاما من المسلمين ونزل فاكل فامر صلاح الدين عسكره بالحملة عليهم والجد في قتالهم فتقدم اليه بعض امرائه يعرف بالجناح وهو اخو المشطوب بن علي بن احمد الهكاري فقال له يا صلاح الدين قل لمماليكك الذين اخذوا امس الغنيمة وضربوا الناس بالجماقات يتقدمون فيقاتلون اذا كان القتال فنحن واذا كانت الغنيمة فلهم فغضب صلاح الدين من كلامه وعاد عن الفرنج وكان رحمه الله حليما كريم المقدرة ونزل في خيامه واقام حتى اجتمعت العساكر وجاء اليه ابنه الافضل واخوه العادل وعساكر الشرق فدخل بهم الى الرملة لينظر ما يكون منه ومن الفرنج فلزم الفرنج يافا ولم يبرحوا منها

(ذكر الهدنة مع الفرنج وعود صلاح الدين الى دمشق)

في العشرين من شعبان من هذه السنة عقدت بين المسلمين والفرنج هدنة لمدة ثلاث سنين وثمانية أشهر اولها هذا التاريخ وافق اول ايلول وسبب الصلح ان ملك انكلتار لما رأى اجتماع العساكر وانه لا يمكنه مفارقة ساحل البحر وليس بالساحل للمسلمين

يتشاكيان تغير الزمان وتكدر الاخوان * وأخرى يترنمان بمحاسن الغزلان وما وقع لهما من صد وهجران ووصل واحسان فكانت تجري بينهما منادمات أرق من زهر الرياض وافتك بالعقول من الحدق المراض وهما حينئذ فريدا وقتهما ووحيدا عصرهما لم يعز في ذلك الوقت بثالث انيس ثم من يدانيهما فضلا عن مساواتهما في تلك الشؤون التي أربت على المثاني والمثالث واستمرت صحبتهما وتزايدت على طول الايام مودتهما حتى توفي المترجم وبقي بعده الشيخ حسن فريدا ممن يشاكله ويناشده ويتبارى معه ويحاوره فسكت بعد حسن البيان وترك نظم الشعر والنثر الا بقدر الضرورة ونفاق أهل العصر وذلك لتفاقم الخطوب وتزايد الكروب وفقد الاخوان وعدم الخلان واشتغل بما هو خير من ذلك وابقى ثوابا فيما هنالك من تقرير العلوم وتحقيقها والتاليفات المتنوعة في الفنون المختلفة وتنميقها وهو الآن على ما هو عليه من السعي في خدمة العلم واقراء الكتب الصعبة وله بذلك شهرة بين الطلاب وقد جمع المذكور للمترجم ديوان شعره وهو صغير الحجم له شهرة بين المتادبين بعصرهم له عناية ووفور رغبة وقد كان له فيه غلو زائد وتادب في الجلوس والحديث اذا عدفيه ولم عليه هذه الامور حتى كان لا يخاطبه الا بضمير الغيبة

بلد يطمع فيه وقد طالت غيبته عن بلاده راسل صلاح الدين في الصلح وأظهر من ذلك ضد ما كان يظاهره أولا فلم يجبه صلاح الدين الى ما طلب ظنا منه انه يفعل ذلك خديعة ومكرا وأرسل يطلب منه المصاف والحرب فأعاد الفرنجي رسله مرة بعد مرة وترك تتمة عمارة عسقلان وعن غزة والداروم والرملة وأرسل الى الملك العادل في تقرير هذه القاعدة فأشار هو وجماعة الامراء بالاجابة الى الصلح وعرفوه ما عند العسكر من الضجر والملل وما قد هلك من أسلحتهم ودوابهم ونفد من نفقاتهم وقالوا ان هذا الفرنجي انما طلب الصلح ليركب البحر ويعود الى بلاده فان تأخرت اجابته الى ان يجيء الشتاء وينقطع الركوب في البحر نحتاج نبقى ههنا سنة أخرى وحينئذ يعظم الضرر على المسلمين وأكثروا القول له في هذا المعنى فأجاب حينئذ الى الصلح فحضر رسل الفرنج وعقدوا الهدنة وتحالفوا على هذه القاعدة وكان في جملة من حضر عند صلاح الدين باليان بن بارزان الذي كان صاحب الرملة ونابلس فلما حلف صلاح الدين قال له ما عمل احد في الاسلام ما عملت ولا هلك من الفرنج مثل ما هلك منهم هذه المدة فانا احصينا من خرج الينا في البحر من المقاتلة فكانوا ستمائة الف رجل ما عاد منهم الى بلادهم من كل عشرة واحد بعضهم قتلتهم انت وبعضهم مات وبعضهم غرق ولما انفصل امر الهدنة اذن صلاح الدين للفرنج في زيارة بيت المقدس فزاروه وتفرقوا وعادت كل طائفة الى بلادها وأقام بالساحل الشامي ملكا على الفرنج والبلاد التي بايديهم الكندهري وكان خير الطبع قليل الشر رفيقا بالمسلمين محبا لهم وتزوج بالملكة التي كانت تملك بلاد الفرنج قبل ان يملكها صلاح الدين كما ذكرناه واما صلاح الدين فانه بعد عقد الهدنة سار الى البيت المقدس وأمر باحكام سوره وعمل المدرسة والرباط والبيمارستان وغير ذلك من مصالح المسلمين ووقف عليها الوقوف وصام رمضان بالقدس وعزم على الحج والاحرام منه فلم يمكنه ذلك فسار عنه خامس شوال نحو دمشق واستناب بالقدس اميرا اسمه جورديك وهو من المماليك النورية ولما سار عنه جعل طريقه على الثغور الاسلامية كنابلس وطبرية وصفد وتبنين وبيروت وتعهد هذه البلاد وأمر باحكامها فلما كان في بيروت اتاه بيمند صاحب انطاكية واعمالها واجتمع به وخدمه فخلع عليه صلاح الدين وعاد الى بلاده ثم عاد رحل صلاح الدين الى دمشق فدخلها في الخامس والعشرين من شوال وكان يوم دخوله اليها يوما مشهودا وفرح الناس به فرحا عظيما لطول غيبته وذهاب العدو عن بلاد الاسلام

(ذكر وفاة قلج ارسلان)

في هذه السنة منتصف شعبان توفي الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش بن سلجق بمدينة قونية وكان له من البلاد قونية واعمالها واقصرا وسيواس وملطية وغير ذلك من البلاد وكانت مدة ملكه نحو تسع وعشرين سنة وكان ذا سياسة حسنة وهيبة عظيمة وعدل وافر وغزوات كثيرة الى بلاد الروم

منى وعما وقع ذلك في بعض آيات وأحاديث كما قدمنا الاشارة بذلك في ٤١ ترجمته وكان ذلك يوافق غرضه لما جبل عليه من التعاظم وقد كان جلساؤه لما رأوا اعجبته لذلك يتشبهون بالمترجم في سلوك هذه الشؤن مع انه لا داعي ولا باعث لارتكاب هذه المعاصي طلبا لمرضاة من هو كثير التلون على جلسائه وانما الناس شأنهم التقليد وفي طباعهم الميل الى ارباب الدنيا ولو لم ينلهم منهم شئ ولم يكن للمترجم شئ يعاب به الا هذه الارتكابات ولما وردت الفرنساوية لمصر اتفق ان علق شابا من رؤساء كتابهم كان جميل الصورة لطيف الطبع عالما ببعض العلوم العربية مائلا الى اكتساب النكات الادبية فصيح اللسان بالعربي يحفظ كثيرا من الشعر فلتلك المجانسة مال كل منهما للآخر ووقع بينهما توادد وتصاف حتى كان لا يقدر أحدهما على مفارقة الآخر فكان المترجم تارة يذهب لداره وتارة يزوره هو ويقع بينهما من لطف المحاورة ما يتعجب منه وعند ذلك قال المترجم الشعر الرائق ونظم الغزل الفائق (فمما قاله فيه)

علقته لؤلؤي الثغر باسمه
فيه خلعت عذارى بل حلا نسكي

ما سكنه الروح طوعا ثم قلت له
لسانه وهو يثني الجيد من ضحك

فلما كبر فرق بلاده على اولاده فاستضعفوه ولم يلتفتوا اليه وحجر عليه ولده قطب الدين وكان قلج ارسلان قد استناب فى مدينة ملكه رجلا يعرف باختيار الدين حسن فلما غلب قطب الدين على الامر قتل حسنا ثم اخذ والده وسار به الى قيسارية لياخذها من اخيه الذى سلمها اليه ابوه فحصرها مدة فوجد والده قلج ارسلان فرصة فهرب ودخل قيسارية وحده فلما علم قطب الدين ذلك عاد الى قونية واقصرا فملكهما ولم يزل قلج ارسلان يتنقل من ولد الى ولد وكل منهم يتبرم به حتى مضى الى ولده غياث الدين كيخسرو صاحب مدينة برغلو فلما رآه فرح به وخدمه وجمع العساكر وسار هو معه الى قونية فملكها وسار الى اقصرا ومعه والده قلج ارسلان فحصرها فمرض ابوه فعاد به الى قونية فتوفى بها ودفن هناك وبقى ولده غياث الدين فى قونية مالكا لها حتى اخذها منه اخوه ركن الدين سليمان على ما نذكره ان شاء الله تعالى وقد حدثنى بعض من اتى اليه من اهل البلاد بحكاية وكان قد وصل تلك البلاد بغير هذا ونحن نذكره قال ان قلج ارسلان قسم بلاده بين اولاده فى حياته فسلم دوقاط الى ابنه ركن الدين سليمان وسلم قونية الى ولده كيخسرو غياث الدين وسلم انقرة وهى التى تسمى انكورية الى ولده محيى الدين وسلم ملطية الى ولده معز الدين قيصرشاه وسلم ابلستين الى ولده مغيث الدين وسلم قيسارية الى ولده نور الدين محمود وسلم سيواس واقصرا الى ولده قطب الدين وسلم نكسار الى ولد آخر وسلم اماسيا الى ولد اخيه هذه امهات البلاد وينضاف الى كل بلد من هذه ما يجاورها من البلاد الصغار التى ليست مثل هذه ثم انه ندم على ذلك واراد ان يجمع الجميع لولده الاكبر قطب الدين وخطب له ابنة صلاح الدين يوسف صاحب مصر والشام ليقوى به فلما سمع باقى اولاده بذلك امتنعوا عليه وخرجوا عن طاعته وزال حكمه عنهم فسار يتردد بينهم على سبيل الزيارة فيقيم عند كل واحد منهم مدة وينتقل الى الآخر ثم انه مضى الى ولده كيخسرو صاحب قونية على عادته فخرج اليه ولقيه وقبل الارض بين يديه وسلم قونية اليه وتصرف عن امره فقال لكيخسرو اريد اسير الى ولدى الملعون محمود وهو صاحب قيسارية وتجيء انت معى لآخذها منه فتجهز وسار معه وحصر محمودا بقيسارية فمرض قلج ارسلان وتوفى عليها فعاد كيخسرو وبقى كل واحد من الاولاد على البلد التى بيده وكان قطب الدين صاحب اقصرا وسيواس اذا اراد ان يسير من احدى المدينتين الى الاخرى يجعل طريقه على قيسارية وبها اخوه نور الدين محمود وليست على طريقه انما كان يقصدها ليظهر المودة لاخيه والمحبة له وفى نفسه الغدر فكان اخوه محمود يقصده ويجتمع به ففى بعض المرات نزل بظاهر البلد على عادته وحضر اخوه محمود عنده غير محتاط فقتله قطب الدين والقى راسه الى اصحابه واراد اخذ البلد فامتنع من به من اصحاب اخيه عليه ثم انهم سلموه اليه على قاعدة استمرت بينهم وكان عند محمود امير كبير وكان يحذره من اخيه قطب الدين ويخوفه فلم يصغ اليه وكان جوادا كثير الخير والتقدم فى الدولة عند نور الدين فلما قتل قطب الدين اخاه قتل حسن نامه والقاه على الطريق فجاء كلب يأكل من

اذا غزا الفجر جيش الليل وانهزمت ٭ منه عساكره الاسود الحالك ٭ بغافقى وجبين الصبح مشرقة ٭

عليه من شفق آثار ومعترك
فى حلة من اديم الليل رصعها
بشهل انجمه فى قبة الفلك
كانت بدرابه حفت نجوم دجا
فى اسود من ظلام الليل محتبك
وافى وولى بعقل غير مختبل
من الشراب وستر غير منهتك

(وله فى آخر يسمى ريح)

ادرها على زهر الكواكب والزهر
واشراق ضوء البدر فى صفحة النهر
وهات على نغم المثانى فعاطنى
على خدك الحمر حمراء كالجمر
ووجه لجين الكاس من ذهب الطلا
وخضب بنانى من سنى الراح بالتبر
وهاك عقودا من لآلى حبابها
فم الكاس عنها قد تبسم بالبشر
ومزق رداء الليل واجن وردها
دجاه وطف بالشمس فينا الى الفجر
واصل بنار الخد قلبى واطفه
ببرد ثناياك الشهية والثغر
اريج ذكى المسك انفاسك التى
اريج شذاها قد تنم عن عطر
معنبرة يسرى النسيم بطيبها
فتغدو رياض الزهر طيبة النشر
وفى ذابل الاجفان كالبيض طرفه ٭ مكحلة اجفانه بالسود بالسحر رشا فاتك الالحاظ عيناه غادرت ٭ بجمه

فؤادي في دمعي ذماسا الابريق طويل نجاد السيف الى غضب * * شقيق المها تاهي اليها تاحل الخصر

بجمعه فثار الناس وقالوا لا سمعا ولا طاعة هذا رجل مسلم وله ههنا مدرسة وتربة وصدقات دارة وافعال حسنة لا نتركه تأكله الكلاب فامر به فدفن في مدرسته وبقي أولاد قلج ارسلان على حالهم ثم ان قطب الدين مرض ومات فسار أخوه ركن الدين سليمان صاحب دوقاط الى سيواس وهي تجاوره فملكها ثم سار منها الى قيسارية واقصرا ثم بقي مديدة وسار الى قونية وبها اخوه غياث الدين كيخسرو بها وملكها ففارقها غياث الدين الى الشام ثم الى بلاد الروم وكان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى ثم سار بعد ذلك ركن الدين الى نكسار واماسيا فملكها وسار الى ملطية سنة سبع وتسعين وخمسمائة فملكها وفارقها أخوه معز الدين الى الملك العادل أبي بكر بن أيوب وكان هذا معز الدين تزوج ابنة العادل فاقام عنده واجتمع لركن الدين ملك جميع الاخوة ما عدا انقرة فانها منيعة لا يوصل اليها فجعل عليها عسكرا يحصرها صيفا وشتاء ثلاث سنين فتسلمها سنة احدى وستمائة ووضع على اخيه الذي كان بها من يقتله اذا فارقها فلما سار عنها قتل وتوفي ركن الدين في تلك الايام ولم يسمع خبر قتل اخيه بل عاجله الله تعالى لقطع رحمه وانما اوردنا هذه الحادثة ههنا لتتبع بعضها بعضا ولاني لم أعلم تواريخ كل حادثة منها لاثبته فيه

(ذكر ملك شهاب الدين اجمير وغيرها من الهند)

قد ذكرنا سنة ثلاث وثمانين غزوة شهاب الدين الغوري الى بلد الهند وانهزامه وبقي الى الآن وفي نفسه الحقد العظيم على الجند الغورية الذين انهزموا وما ألزمهم من الهوان فلما كانت هذه السنة خرج من غزنة وقد جمع عساكره وسار يطلب غزوة الهندي الذي هزمه تلك النوبة فلما وصل الى برشاور تقدم اليه شيخ من الغورية كان يدل عليه فقال له قد قربنا من العدو وما يعلم أحد اين نمضي ولا من نقصد ولا ترد على الامراء سلاما وهذا لا يجوز فعله فقال له السلطان اعلم انني منذ هزمني هذا الكافر ما نمت مع زوجتي ولا غيرت ثياب البياض عني وانا سائر الى عدوي ومعتمد على الله تعالى لا على الغورية ولا على غيرهم فان نصرني الله سبحانه ونصر دينه فمن فضله وكرمه وان انهزمنا فلا تطلبوني فيمن انهزم ولو هلكت تحت حوافر الخيل فقال له الشيخ سوف ترى بني عمك من الغورية ما يفعلون فينبغي أن تكلمهم وترد سلامهم ففعل ذلك وبقي امراء الغورية يتضرعون ويقولون سوف ترى ما نفعل وسار الى أن وصل الى موضع المصاف الاول وجازه مسيرة أربعة أيام وأخذ عدة مواضع من بلاد العدو فلما سمع الهندي تجهز وجمع عساكره وسار يطلب المسلمين فلما بقي بين الفئتين مرحلة عاد شهاب الدين وراءه والكافر في أعقابه أربع منازل فارسل الكافر اليه يقول له اعطي يدك انك تصافني في باب غزنة حتى اجيء وراءك والافنحن متقلون ومثلك لا يدخل البلاد شبيه اللصوص ثم يخرج هاربا ما هذا فعل السلاطين فاعاد الجواب اني لا أقدر على حربك وتم على حاله عائدا الى أن بقي بينه وبين بلاد الاسلام ثلاثة أيام والكافر في اثره

رقيق حواشي الطبع يغني حديثه
عن اللؤلؤ المنظوم والنظم والنثر
يعير الرماح اللدن عادل قده
ويزري الدراري ضوء مبسمه الدر
ويحكيه اغصان الربا في شمائل
فيرفل في أثواب أوراقها الخضر
وفوق سنى ذاك الجبين غياهب
من الشعر تبدو دونها طلعة البدر
ولما وقفنا للوداع عشية
وأمسى بروحي يوم جد النوى سيري
بكيت لتوديعي فابدى شقائقا
مكللة من لؤلؤ الطل بالقطر
ولما نظم الشيخ حسن مرثيته التي يقول فيها شعرا
اما فؤادي فمنك ما انتقلا
فلم تخيرت في الهوى بدلا
فاجاب
يا معرضا عن محبه الدنف
ومغرما بالجمال والصلف
ومن به زاد في الهوى شغفي
اما كفى يا ظلوم ما حصلا
حتى جعلت الصدود والملل مذهب
فتش فؤادي فليس فيه سوى
شخصك ايها المليح ثوى
قد ضل قلبي لسكنه وغوى
وهكذا من يحب معتدلا
لم يلق الا تاسفا وقلا
مشرب
وهي طويلة مذكورة في ديوانه عارضه المترجم المذكور فيها
بقوله في معشوقه الذي ذكرناه يهتز كالغصن ماس معتدلا * إطلع بدرا عليه قد سدلا

يتبعه حتى يلحقه قريبا من مرتبه فجرد شهاب الدين من عسكره سبعين ألفا وقال أريد هذه الليلة تدورون حتى تكونوا وراء عسكر العدو وعند صلاة الصبح تأتون انتم من تلك الناحية وأنا من هذه الناحية ففعلوا ذلك وطلع الفجر ومن عادة الهنود انهم لا يبرحون من مضاجعهم الى ان تطلع الشمس فلما اصبحوا حمل عليهم عسكر المسلمين من كل جانب وضربت الكوسات فلم يلتفت ملك الهند الى ذلك وقال من يقدم على انا هذا والقتل قد كثر في الهنود والنصرة قد ظهرت للمسلمين فلما رأى ملك الهند ذلك احضر فرساله سابقا وركب ليهرب فقال له اعيان اصحابه انك حلفت لنا انك لا تخلينا وتهرب فنزل عن الفرس وركب الفيل ووقف موضعه والقتال شديد والقتل قد كثر في اصحابه فانتهى المسلمون اليه وأخذوه أسيرا وحينئذ عظم القتل والاسر في الهنود ولم ينج منهم الا القليل واحضر الهندي بين يدي شهاب الدين فلم يخدمه فاخذ بعض الحجاب بلحيته وجذبه الى الارض حتى أصاب جبينه واقعده بين يدي شهاب الدين فقال له شهاب الدين لو استأسرتني ما كنت تفعل بي فقال الكافر قد استعملت لك قيدا من ذهب اقيدك به فقال شهاب الدين بل نحن ما نجعل لك من القدر ما نقيدك وغنم المسلمون من الهنود اموالا كثيرة وامتعة عظيمة وفي جملة ذلك اربعة عشر فيلا من جملتها الفيل الذي جرح شهاب الدين في تلك الوقعة وقال ملك الهند لشهاب الدين ان كنت طالب بلاد فما بقي فيها من يحفظها وان كنت طالب مال فعندي اموال تحمل اجمالك كلها فسار شهاب الدين وهو معه الى الحصن الذي له يعول عليه وهو اجمير فاخذه واخذ جميع البلاد التي تقاربه واقطع جميع البلاد لمملوكه قطب الدين ايبك وعاد الى غزنة وقتل ملك الهند

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قبض على امير الحاج طاشتكين ببغداد وكان نعم الامير عادلا في الحاج رفيقا بهم محبا لهم له اوراد كثيرة من صلوات وصيام وكان كثير الصدقة لا جرم وقفت اعماله بين يديه فخلص من السجن على ما نذكره ان شاء الله تعالى وفيها خرج السلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل من الحبس بعد مدة قزل ارسلان بن ايلدكز والتقى هو وقتلغ اينانج بن البهلوان بن ايلدكز فانهزم اينانج الى الري على ما نذكره ان شاء الله تعالى سنة تسعين وخمسمائة وفيها في رجب توفي الامير السيد علي بن المرتضى العلوي الحنفي مدرس جامع السلطان ببغداد وفي شعبان منها توفي ابو علي الحسن بن هبة الله ابن البوقي الفقيه الشافعي الواسطي وكان عالما بالمذهب انتفع به الناس

(ثم دخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة)

(ذكر وفاة صلاح الدين وبعض سيرته)

في هذه السنة في صفر توفي صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شاذي صاحب مصر والشام والجزيرة وغيرها بدمشق ومولده بتكريت وقد ذكرنا سبب انتقالهم منها وملكهم مصر سنة اربع وستين وخمسمائة وكان سبب مرضه انه خرج يتلقى الحاج فعاد ومرض

تزرى بسمر الرماح ان خطرا * ساحر جفن لمهجتي نهد راه علم عيني البكاء والسهرا * فكيف ابغي بحبه بدلا

وليس لي عنه جار او عدلا مهرب

وصاح نور الجبين ابلجه

اغيد عذب الرضاب اذ لجه

وجه غرامي عليه منجه

فلست اصغي لعاذل عذلا

كلا وعنه لا احول ولا ارغب

(وبقيتها في ديوانه) وقال فيه أيضا وهو مما يغنى به

أدرها على زهر الكواكب والزهر

واشراق نور البدر في صفحة النهر

الى آخرها ولم يزل المترجم على حالته ورقته ولطافته مع ما كان عليه من كرم النفس والعفة والنزاهة والتولع بمعالي الامور والتكسب وكثرة الانفاق وسكنى الدور الواسعة والحزم وكان له صاحب يسمى احمد العطار بباب الفتوح توفي وتزوج بزوجته وهي نصف واقام معها نحو ثلاثين سنة ولها ولد صغير من المتوفى فتبناه ورباه ورفهه بالملابس واشفق به اضعاف والد بولده ولما بلغ عمل له مهما وزوجه ودعا الناس الى ولائمه وانفق عليه في ذلك انفاقا كثيرة وبعد نحو سنة عرض ذلك الغلام اشهرا فصرف عليه وعلى معالجته جملة من المال ومات فجزع عليه جزعا شديدا ويبكي وينتحب وعمل له مأتما وعزاء واختارت امه

من

من يومه مرضا حادا بقي به ثمانية ايام وتوفي رحمه الله وكان قبل مرضه قد احضر ولده الافضل عليا واخاه الملك العادل ابا بكر واستشارهما فيما يفعل وقال قد تفرغنا من الفرنج وليس لنا في هذه البلاد شاغل فاي جهة نقصد فاشار عليه أخوه العادل بقصد خلاط لانه كان قد وعده اذا أخذها ان يسلمها اليه واشار ولده الافضل بقصد بلد الروم التي بيد اولاد قلج ارسلان وقال هي اكثر بلادا وعسكرا ومالا واسرع ماخذا وهي ايضا طريق الفرنج اذا خرجوا على البر فاذا ملكناها منعناهم من العبور فيها فقال كلاكما مقصر ناقص الهمة بل اقصد انا بلد الروم وقال لاخيه تأخذ انت بعض اولادي وبعض العسكر وتقصد خلاط فاذا فرغت انا من بلد الروم جئت اليكم وندخل منها اذربيجان ونتصل ببلاد العجم فما فيها من يمنع عنها ثم اذن لاخيه العادل في المضي الى الكرك وكان له وقال له تجهز واحضر لتسير فلما سار الى الكرك مرض صلاح الدين وتوفي قبل عوده وكان رحمه الله كريما حليما حسن الاخلاق متواضعا صبورا على ما يكره كثير التغافل عن ذنوب أصحابه يسمع من أحدهم ما يكره ولا يعلمه بذلك ولا يتغير عليه وبلغني أنه كان يوما جالسا وعنده جماعة فرمى بعض المماليك بعضا بسرموز فاخطأته ووصلت الى صلاح الدين فاخطأته ووقعت بالقرب منه فالتفت الى الجهة الاخرى يكلم جليسه ليتغافل عنها وطلب مرة الماء فلم يحضر وعاود الطلب في مجلس واحد خمس مرات فلم يحضر فقال يا أصحابنا والله قد قتلني العطش فاحضر الماء فشربه ولم ينكر التواني في احضاره وكان مرة قد مرض مرضا شديدا أرجف عليه بالموت فلما برئ منه وادخل الحمام كان الماء حارا فطلب ماء باردا فاحضره الذي يخدمه فسقط من الماء شيء على الارض فناله منه شيء فتألم له لضعفه ثم طلب البارد ايضا فاحضر فلما قاربه سقطت الطاسة على الارض فوقع الماء جميعه عليه فكاد يهلك فلم يزد على ان قال للغلام ان كنت تريد قتلي فعرفني فاعتذر اليه فسكت عنه واما كرمه فانه كان كثير البذل لا يقف في شيء يخرجه ويكفي دليلا على كرمه انه لما مات لم يخلف في خزانته غير دينار واحد صوري واربعين درهما ناصرية وبلغني انه اخرج في مدة مقامه على عكا قبالة الفرنج ثمانية عشر الف دابة من فرس وبغل سوى الجمال واما العين والثياب والسلاح فانه لا يدخل تحت الحصر ولما انقرضت الدولة العلوية بمصر أخذ من ذخائرهم من سائر الانواع ما يفوت الاحصاء ففرقه جميعه واما تواضعه فانه كان ظاهرا لم يتكبر على احد من اصحابه وكان يعيب الملوك المتكبرين بذلك وكان يحضر عنده الفقراء والصوفية ويعمل لهم السماع فاذا قام احدهم لرقص او سماع يقوم له فلا يقعد حتى يفرغ الفقير ولم يلبس شيئا مما ينكره الشرع وكان عنده علم ومعرفة وسمع الحديث واسمعه وبالجملة فكان نادرا في عصره كثير المحاسن والافعال الجميلة عظيم الجهاد في الكفار وفتوحه تدل على ذلك وخلف سبعة عشر ولدا ذكرا

﴿ذكر حال أهله وأولاده بعده﴾

دفنته بجامع الكردي بالحسينية ورتبت له رواتب وقراء واتخذت مسكنا ملاصقا القبر واقامت بنحو الثلاثين سنة مع دوام عمل الشريك والكعك بالعجمية والسكر وطبخ الاطعمة للقرائين والزائرين ثم ملازمة الميت واتخاذ مذكر في كل جمعة على الدوام والمترجم طوع يدها في كل ما طلبته وما كانت به تسخيرا من الله تعالى وكل ما وصل الى يده من حرام او حلال فهو مستهلك عليها وعلى أقاربها وخدمها لا لذة له في ذلك حسية ولا معنوية لانها في ذاتها عجوز شوهاء وهو في نفسه نحيف البنية ضعيف الحركة جدا بل معدومها وابتلى بحصر البول وسلسه القليل مع الحرقة والتألم استدام بها مدة طويلة حتى لزم الفراش اياما وتوفي يوم السبت ثاني شهر الحجة الحرام بمنزله الذي استأجره بدرب قرمز بين القصرين وصلينا عليه بالازهر في مشهد حافل ودفن عند ابنه المذكور بالحسينية وكثيرا ما كنت أتذكر قول القائل

ومن تراه باولاد السوى فرحا
في عقله عزه ان شئت واندب
أولاد صلب الفتى قلت منافعهم
فكيف يلمح نفع الابعد الجنب

مع انه كان كثير الانتقاد على غيره فيما لا يبدأ في فعله واتقياده الى هذه المرأة وحواشيها نسأل الله السلامة والعافية وحسن العاقبة كما قيل من تكملة ما تقدم

لما مات صلاح الدين بدمشق كان معه بها ولده الاكبر الافضل نور الدين علي وكان قد حلف له العساكر جميعهم غير مرة في حياته فلما مات ملك دمشق والساحل والبيت المقدس وبعلبك وصرخد وبصرى وبانياس وهونين وتبنين وجميع الاعمال الى الداروم وكان ولده الملك العزيز عثمان بمصر فاستولى عليها واستقر ملكه بها وكان ولده الظاهر غازي بحلب فاستولى عليها وعلى جميع اعمالها مثل حارم وتل باشر واعزاز وبرزية ودربساك ومنبج وغير ذلك وكان بحماه محمود بن تقي الدين عمه فاطاعه وصار معه وكان بحمص شيركوه بن محمد بن شيركوه فاطاع الملك الافضل وكان الملك العادل بالكرك قد سار اليه كالذي كرنا فامتنع فيه ولم يحضر عند احد من أولاد أخيه فارسل اليه الملك الافضل يستدعيه ليحضر عنده فوعده ولم يفعل فاعاد راسلته وخوفه من الملك العزيز صاحب مصر ومن اتابك عز الدين صاحب الموصل فانه كان قد سار عنها الى بلاد العادل الجزرية على ما نذكره ويقول له ان حضرت جهزت العساكر وسرت الى بلادك حفظتها وان اقمت قصدك أخي الملك العزيز لما بينكما من العداوة واذا ملك عز الدين بلادك فليس له دون الشام مانع وقال لرسوله ان حضر معك والا فقل له قد امرني ان سرت اليه بدمشق عدت معك وان لم تفعل أسير الى الملك العزيز احالفه على ما يختار فلما حضر الرسول عنده وعده بالمجيء فلما رأى ان ليس معه منه شيء غير لوعدا بلغه ما قيل له في معنى موافقة العزيز فحينئذ سار الى دمشق وجهز الافضل معه عسكرا من عنده وارسل الى صاحب حمص وصاحب حماة والى اخيه الملك الظاهر بحلب يحثهم على انفاذ العساكر مع العادل الى البلاد الجزرية ليمنعها من صاحب الموصل ويخوفهم ان هم لم يفعلوا ومما قال لاخيه الظاهر قد عرفت صحبة أهل الشام لبيت أتابك فوالله ان ملك عز الدين حران ليقومن أهل حلب عليك ولتخرجن منها وانت لا تعقل وكذلك يفعل في أهل دمشق فاتفقت كلمتهم على تسيير العساكر معه فجهزوا عساكرهم وسيروها الى العادل وقد عبر الفرات فعسكر عساكرهم بنواحي الرها بمرج الريحان وسنذكر ما كان منه ان شاء الله تعالى

(ذكر مسير اتابك عز الدين الى بلاد العادل وعوده بسبب مرضه)

لما بلغ اتابك عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل وفاة صلاح الدين جمع أهل الرأي من اصحابه وفيهم مجاهد الدين قايماز كبير دولته والمقدم على كل من فيها وهو نائبه فيهم واستشارهم فيما يفعل فسكتوا فقال له بعضهم وهو أخي مجد الدين أبو السعادات المبارك أنا أرى انك تخرج مسرعا جريدة فيمن خف من اصحابك وحلقتك الخاص وتتقدم الى الباقين باللحاق بك وتعطي من هو محتاج الى شيء ما يتجهز به ويلحق بك الى نصيبين وتكاتب اصحاب الاطراف مثل مظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل وسنجر شاه ابن اخيك صاحب جزيرة ابن عمر واخاك عماد الدين صاحب سنجار ونصيبين تعرفهم انك قد سرت وتطلب منهم المساعدة وتبذل لهم

فلا سرور سوى نفع بعافية ● وتحسن ختم وما يأتي من الشغب ● ٤٦ ● وامن نار ذكير القبر ثم ما ● يكون بعد من الاهوال والتعب

(واستهلت سنة احدى وثلاثين ومائتين وألف)

(استهل شهر المحرم بيوم السبت) وحاكم مصر وصاحبها واقطاعها وثغورها وكذلك بندر جدة ومكة والمدينة المنورة وبلاد الحجاز محمد علي باشا وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولاظ محمد الذي هو كتخدا بك قائمقامه هو المتصدر لاجراء الاحكام بين الناس عن امر مخدومه وابراهيم آغا آغات الباب والدفتردار محمد افندي صهر الباشا والروزنامجي مصطفى افندي تابع محمد افندي باش جاكرت سابقا وغيطاس افندي سرجي وسليمان افندي السكاكيني باشمحاسب ورفيقه احمد افندي باش قلفة وصالح بك السلحدار وحسن اغا آغات الينكجرية وعلي اغا الشعراوي زعيم مصر وهو الوالي واغات التبديل احمد اغا وهو اخو حسن اغا المذكور وكاتب الخزينة ولي خوجه ورئيس كتبة الاقباط المعلم غالي واولاد الباشا ابراهيم باشا حاكم الصعيد وطوسون باشا فاتح بلاد الحجاز واسمعيل باشا ببولاق ومحرم بك صهر الباشا ايضا على ابنته بالجيزة احمد اغا المعروف ببونابارته الخازندار وباقي كشاف الاقاليم واكابر اعيانهم مثل

اليمين

اليمين على ما يلتمسونه فتى رأوك قد سرت خافوك وان اجابك اخوك صاحب سنجار ونصيبين الى الموافقة والا بدأت بنصيبين اخذتها وتركت فيها من يحفظها ثم سرت نحو الخابور وهو له ايضا فاقطعه وتركت عسكره مقابل اخيك يمنعه من الحركة ان اراده او قصدت الرقة فلا تمتنع عليك وتسير الى حران والرها فليس فيها من يحفظها لا صاحب ولا عسكر ولا ذخيرة فان العادل اخذهما من ابن تقي الدين ولم يقم فيهما ما يصلح حالهما وكان القوم يتكلمون على قوتهم فلم يظنوا هذا الحادث فاذا فرغت من ذلك الطرف عدت الى من امتنع من طاعتك فقاتلته وليس وراءك ما تخاف عليه فان بلدك عظيم لا يبالي بكل من وراءك فقال مجاهد الدين المصلحة اننا نكاتب اصحاب الاطراف وناخذ رأيهم في الحركة ونستميلهم فقال له اخي ان اشار وابترك الحركة تقبلون منهم قال لا قال فانهم لا يشيرون الا بتركها لانهم لا يريدون ان يقوى هذا السلطان خوفا منه وكاني بهم يغالطونكم مهما كانت البلاد الجزرية فارغة من صاحب وعسكر فاذا جاء اليها من يحفظها جاهروكم بالعداوة ولم يمكنه اكثر من هذا القول خوفا من مجاهد الدين حيث راى ميله الى ما تكلم به فاتفقوا على ان يكاتبوا اصحاب الاطراف فكاتبوهم فكل اشار بترك الحركة الى ان ينظر ما يكون من اولاد صلاح الدين وعمهم وتثبطا ثم ان مجاهد الدين كرر المراسلات الى عماد الدين صاحب سنجار يعده ويستميله فبينما هم على ذلك اذ جاءهم كتاب الملك العادل من الماث بالقرب من دمشق وقد سار عن دمشق الى بلاده يذكر فيه موت اخيه وان البلاد قد استقرت لولد الملك الافضل والناس متفقون على طاعته وانه هو المدبر لدولة الافضل وتدسيره في عسكر جم كثير العدد لقصد ماردين لما بلغه ان صاحبها تعرض الى بعض القرى التي له وذكر من هذا الحوشيات كثيرا فظنوه حقا وان قوله لاريب فيه ففتروا عن الحركة وذلك الراى فسيروا الجواسيس فاتتهم الاخبار بانه في ظاهر حران في خيم تحت خيمة لا غير فعاودوا التحرك والى ان تقررت القواعد بينهم وبين صاحب سنجار واقبلت العساكر الشامية التي سيرها الافضل وغيره الى العادل فامتنع بها وسار اتابك عز الدين عن الموصل الى نصيبين واجتمع هو واخوه عماد الدين بها وساروا نحو سنجار نحو الرها وكان العادل قد عسكر قريبا منها بمرج الريحان فخافهم خوفا عظيما فلما وصل اتابك عز الدين الى تل موزن مرض بالاسهال فاقام عدة ايام فضعفت منه الحركة وكثر مجيء الدم منه فخاف الهلاك فترك العساكر مع اخيه عماد الدين وعاد جريدة في مائتي فارس ومعه مجاهد الدين واخي مجد الدين فلما وصل الى دنيسر استولى عليه الضعف فاحضر اخي وكتب وصية ثم سار فدخل الموصل وهو مريض اول رجب

﴿ذكر وفاة اتابك عز الدين وشيء من سيرته﴾

في هذه السنة توفي اتابك عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن آق سنقر صاحب الموصل بالموصل وقد ذكرنا عوده اليها مريضا فبقي في مرضه الى التاسع والعشرين

دبوس اوغلي وحسن اغا مرشمة وجعوبك ومعوبك وخلافهم (وفي ذلك اليوم) قبض كتخدا بك على المعلم غالي وامر بحبسه وكذلك اخوه المسمى فرنسيس وخازنداره المعلم سمعان وذلك عن امر عند وصوله من الاسكندرية لانه حول عليه الطلب بستة آلاف كيس تاخر اداؤها اياه من حسابه القديم فاعتذر بعدم القدرة على ادائها في الحين لانها بواقي على اربابها وهو ساع في تحصيلها وطلب المهلة الى رجوع الباشا من غيبته فارسل الكتخدا بمقالته واعتذاره الى الباشا وانتبذ طائفة من الاقباط في الحط على غالي مع الكتخدا وعرفوه انه اذا حوسب يظهر عليه ثلاثون الف كيس فقال لهم وان لم يتاخر عليه هذا القدر تكونوا ملزومين به الى الخزينة فاجابوه الى ذلك فارسل يعرف الباشا بذلك فورد الامر بالقبض عليه وعلى اخيه وخازنداره وحبسهم وعزله ومطالبته بستة آلاف كيس القديمة اولا ثم حسابه بعد ذلك فاحضر المرافعين عليه وهم المعلم جرجس الطويل ومنقريوس البتنوني وحنا الطويل والبسهم خلعا على رياسة الكتاب عوضا عن غالي ومن يليه واستمر غالي في الحبس ثم احضره مع اخيه وخازنداره فضربوا اخاه امامه ثم امر بضربه فقال وانا ضربا ايضا فنعم ثم ضربوه على رجليه بالكرابيج ورفع وكرر عليه الضرب وضرب سمعان الف كرباج

من شعبان فتوفي رحمه الله ودفن بالمدرسة التي انشاها مقابل دار المملكة وكان قد بقي ما يزيد على عشرة ايام لا يتكلم الا بالشهادتين وتلاوة القرآن واذا تكلم بغيرهما استغفر الله ثم عاد الى ما كان عليه فرزق خاتمة خير رضي الله عنه وكان رحمه الله خير الطبع كثير الخير والاحسان لاسيما الى شيوخ قد خدموا اباه فانه كان يتعهدهم بالبر والاحسان والصلة والاكرام ويرجع الى قولهم ويزور الصالحين ويقربهم ويشفعهم وكان حليما قليل المعاقبة كثير الحيا لم يكلم جليساله الا وهو مطرق وما قال في شئ يسئل لا حياء وكرم طبع وكان قد حج ولبس بمكة حرسها الله خرقة التصوف وكان يلبس تلك الخرقة كل ليلة ويخرج الى مسجد قد بناه في داره ويصلي فيه نحو ثلث الليل وكان رقيق القلب شفيقا على الرعية بلغني عنه انه قال بعض الايام اني سهرت الليلة كثيرا وسبب ذلك اني سمعت صوت نائحة فظننت ان ولد فلان قد مات وكان قد سمع انه مريض قال فضاق صدري وقمت من فراشي ادور في السطح فلما طال على الامر ارسلت خادما الى الجاندارية فارسل منهم واحدا يستعلم الخبر فعاد وذكر انسانا لا اعرفه فسكن بعض ما عندي فنمت ولم يكن الرجل الذي ظن ان ابنه مات من أصحابه انما كان من رعيته كان ينبغي ان تتأخر وفاته وانما قدمناها لتتبع أخباره بعضها بعضا

(ذكر قتل بكتمر صاحب خلاط)

في هذه السنة أول جمادى الاولى قتل سيف الدين بكتمر صاحب خلاط وكان بين قتله وموت صلاح الدين شهران فانه أسرف في اظهار الشماتة بموت صلاح الدين فلم يمهله الله تعالى ولما بلغه موت صلاح الدين فرح فرحا كثيرا وعمل تختا جلس عليه ولقب نفسه بالسلطان المعظم صلاح الدين وكان لقبه سيف الدين فغيره وسمى نفسه عبد العزيز وظهر منه اختلال وتخليط وتجهز ليقصد ميافارقين يحصرها فادركته منيته وكان سبب قتله ان هزاردينارى وهو أيضا من مماليك شاه أرمن ظهير الدين كان قد قوى وكثر جمعه وتزوج ابنة بكتمر فطمع في الملك فوضع عليه من قتله فلما قتل ملك بعده هزاردينارى بلاد خلاط وأعمالها وكان بكتمر دينا خيرا صالحا كثير الخير والصلاح والصدقة محبا لاهل الدين والصوفية كثير الاحسان اليهم قريبا منهم ومن سائر رعيته محبوبا اليهم عادلا فيهم وكان جوادا شجاعا عادلا في رعيته حسن السيرة فيهم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة شتى شهاب الدين ملك غزنة في برشاور وجهز مملوكه ايبك في عساكر كثيرة فادخله بلاد الهند يغنم ويسبي ويفتح من البلاد ما يمكنه فدخلها وعاد وخرج هو وعساكره سالما قد ملؤا أيديهم من الغنائم وفيها في رمضان توفي سلطان شاه صاحب مرو وغيرها من خراسان وملك أخوه علاء الدين تكش بلاده وسنذكره سنة تسعين ان شاء الله وفيها أمر الخليفة الناصر لدين الله بعمارة خزانة الكتب بالمدرسة النظامية

ببغداد

نخشى اشرف على الهلاك ووجدوا في جيبه ألف شخص بندقي وشاتي محبوب منها اثنان وعشرون ألف قرش ثم بعد ايام افرجوا عن اخيه وسمعان ليسعيا في التحصيل وهلك سمعان واستمر غالي في السجن وقد زعموا عنه وعن اخيه العقاب الثلاثون (وفي عاشره) رجع الباشا من غيبته من الاسكندرية واول ما بدا به اخراج العساكر مع كبرائهم الى ناحية بحرى وجهة البحيرة والثغور فنصبوا خيامهم بالبر الغربي والشرقي تجاه الرحمانية واخذوا صحبتهم مدافع وبارودا وآلات الحرب واستمر خروجهم في كل يوم وذلك من مكايده معهم وابعادهم عن مصر جزاء فعلتهم المتقدمة فخرجوا ارسالا

(واستهل شهر صفر الخير سنة ١٢٣١)

(فيه) تشفع جون الحكيم في المعلم غالي واخذه من الحبس الى داره والعساكر مستمرون في التشهيل والخروج وهم لا يعلمون المراد بهم وكثرت الروايات والاخبار والايهامات والظنون ومعنى الشعر في بطن الشاعر

(واستهل شهر ربيع الاول سنة ١٢٣١)

(فيه) سافر طوسون باشا واخوه اسمعيل باشا الى ناحية رشيد وتحسبوا عرضهم ما عندا الجادو ناحية ابي منصور وحسين بك دالي باشا وخلافه

ببغداد ونقل اليها من الكتب النفيسة التى لا يوجد مثلها وفيها فى ربيع الاول فرغ من عمارة الرباط الذى أمر بانشائه الخليفة أيضا بالحريم الظاهرى غربى بغداد على دجلة وهو من أحسن الربط ونقل اليه كتبا كثيرة من أحسن الكتب وفيها ملك الخليفة قلعة من بلاد خوزستان وسبب ذلك ان صاحبها سوسيان بن شملة جعل فيها دزدارا فاساء السيرة مع جندها فغدر به بعضهم فقتله ونادوا بشعار الخليفة فارسل اليها وملكها وفيها انقض كوكبان عظيمان وسمع صوت هدة عظيمة وذلك بعد طلوع الفجر وغلب ضوءهما القمر وضوء النهار وفيها مات الامير داود بن عيسى ابن محمد بن أبى هاشم امير مكة وما زالت مكة تكون له تارة ولاخيه مكثر تارة الى ان مات

(ثم دخلت سنة تسعين وخمسمائة)

(ذكر الحرب بين شهاب الدين وملك بنارس الهندى)

كان شهاب الدين الغورى ملك غزنة قد جهز مملوكه قطب الدين وسيره الى بلد الهند للغزاة فدخلها فقتل فيها وسبي وغنم وعاد فلما سمع به ملك بنارس وهو أكبر ملك فى الهند ولايته من حد الصين الى بلاد ملاوا طولا ومن البحر الى مسيرة عشرة أيام من لهاوور عرضا وهو ملك عظيم فعندها جمع جيوشه وحشرها وسار يطلب بلاد الاسلام ودخلت سنة تسعين فسار شهاب الدين الغورى من غزنة بعساكره نحوه فالتقى العسكران على ماخون وهو نهر كبير يقارب دجلة بالموصل وكان مع الهندى سبعمائة فيل ومن العسكر على ما قيل ألف ألف رجل ومن جملة عسكره عدة امراء مسلمين كانوا فى تلك البلاد آبا عن جد من أيام السلطان محمود بن سبكتكين يلازمون شريعة الاسلام ويواظبون على الصلوات وأفعال الخير فلما التقى المسلمون والهنود اقتتلوا فصبر الكفار لكثرتهم وصبر المسلمون لشجاعتهم ثم انهزم الكفار ونصر المسلمون وكثر القتل فى الهنود حتى امتلأت الارض وجيفت وكانوا لا يأخذون الا الصبيان والجوارى واما الرجال فيقتلون وأخذ منهم تسعين فيلا وباقى الفيلة قتل بعضها وانهزم بعضها وقتل ملك الهنود ولم يعرفه أحد الا انه كانت اسنانه قد ضعفت اصولها فامسكوها بشريط الذهب فلذلك عرفوه فلما انهزم الهنود دخل شهاب الدين بلاد بنارس وحمل من خزائنها على ألف وار بعمائة جمل وعاد الى غزنة ومعه الفيلة التى أخذها من جملتها فيل ابيض حدثنى من رآه لما اخذت الفيلة وقدمت الى شهاب الدين وامرت بالخدمة فخدمت جميعها الا الابيض فانه لم يخدم ولا يعجب احد من قولنا الفيلة تخدم فانها تفهم ما يقال لها ولقد شاهدت فيلا بالموصل وفيله يحدثه فيفعل ما يقوله له

(ذكر قتل السلطان طغرل وملك خوارزم شاه الرى ووفاة اخيه سلطان شاه)

قد ذكرنا سنة ثمان وثمانين خروج السلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمد ابن ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقى من الحبس وملكه همذان وغيرها وكان قد جرى

مثل حسن اغا ارزحنلى ومحو بك وصارى جله وجو بك بجهة البحيرة وكل ذلك توماين وتلبيس العساكر بكونه اخرج حتى اولاده العزاز للمحافظة وكذلك الكثير من كبرائهم الى جهة البحر الشرقى ودمياط (وفى ثانى عشره صبيحة المولد النبوى) طلب الباشا المشايخ فلما جلسوا أجلسهم وفيهم الشيخ البكرى أحضر واخلعه والبسوها اله على منصب نقابة الاشراف عوضا عن السيد محمد المحروقى وفاوضه فى ذلك ورأى ان يقلده اياه فاعتذر السيد محمد المحروقى واستعفى وقال انا متقيد بخدمة افندينا ومهمات المتاجر والعرب والحجاز فقال قد قلدتك اياها فاعطها لمن شئت فذكر انها كانت مضافة للشيخ البكرى وهو اولى من غيره فلما حضروا وتكاملوا البسوه الخلعة واستصوب الجماعة ذلك وانصرفوا وفى الحال كتب فرمان باخراج الدواخلى منفيا الى قرية دسوق فنزل اليه السيد احمد الملا الترجمان وصحبته قواس تركى وبيده الفرمان فدخلوا اليه على حين غفلة وكان بداخل حريمه لم يشعر بشئ ثم جاءه خرج اليهم فاعطوه الفرمان فلما قراه غاب عن حواسه واجاب بالطاعة وامروه بان يركب فركب بغلته وسار ابه الى بولاق الى المنزل الذى كان شراه بعد موت ولده والشيخ سالم الشرقاوى

بينه وبين قتلغ اينانج بن البهلوان صاحب البلاد حرب انهزم فيها قتلغ اينانج وتحصن بالرى وسار طغرل الى همذان وارسل قتلغ اينانج الى خوارزم شاه علاء الدين تكش يستنجده فسار اليه فى سنة ثمان وثمانين فلما تقارب اندم قتلغ اينانج على استدعاء خوارزم شاه وخاف على نفسه فمضى من بين يديه وتحصن فى قلعة له فوصل خوارزم شاه الى الرى وملكها وحصر قلعة طبرك ففتحها فى يومين وراسله طغرل واصطلحا وبقيت الرى فى يد خوارزم شاه فرتب فيها عسكرا يحفظها وعاد الى خوارزم لانه بلغه ان اخاه سلطان شاه قد قصد خوارزم فجد فى السير خوفا عليها فاتاه الخبر وهو فى الطريق ان اهل خوارزم منعوا سلطان شاه عنها ولم يقدر على القرب منها وعاد عنها خائبا فشتى خوارزم شاه بخوارزم فلما انقضى الشتاء سار الى مرو لقصد اخيه سنة تسع وثمانين فترددت الرسل بينهما فى الصلح فبينما هم فى تقرير الصلح واذ قد ورد على خوارزم شاه رسول من مستحفظ قلعة سرخس لاخيه سلطان شاه يدعوه ليسلم اليه القلعة لانه قد استوحش من صاحبه سلطان شاه فسار خوارزم شاه اليه مجدا فتسلم القلعة وصار معه وبلغ ذلك سلطان شاه فمات ذلك فى عضده وتزايد كمده فمات سلخ رمضان سنة تسع وثمانين وخمسمائة فلما سمع خوارزم شاه بموته سار من ساعته الى مرو فتسلمها وتسلم مملكة اخيه سلطان شاه جميعها وخزائنه وارسل الى ابنه علاء الدين محمد وكان يلقب حينئذ قطب الدين وهو بخوارزم فاحضره فولاه نيسابور وولى ابنه الكبير ملكشاه مرو وذلك فى ذى الحجة سنة تسع وثمانين فلما دخلت سنة تسعين وخمسمائة قصد السلطان طغرل بلد الرى فأغار على من به من اصحاب خوارزم شاه ففر منه قتلغ اينانج ابن البهلوان وارسل الى خوارزم شاه يعتذر ويسال انجاده مرة ثانية ووافق ذلك وصول رسول الخليفة الى خوارزم شاه يشكو من طغرل ويطلب منه قصد بلاده ومعه منشور باقطاعه البلاد فسار من نيسابور الى الرى فتلقاه قتلغ اينانج ومن معه بالطاعة وساروا معه فلما سمع السلطان طغرل بوصوله كانت عساكره متفرقة فلم يقف ليجمعها بل سار اليه فيمن معه فقيل له ان الذى يفعله ليس برأى والمصلحة ان تجمع العساكر فلم يقبل وكان فيه شجاعة بل تمم مسيره فالتقى العسكران بالقرب من الرى فحمل طغرل بنفسه فى وسط عسكر خوارزم شاه فاحاطوا به والقوه عن فرسه وقتلوه فى الرابع والعشرين من شهر ربيع الاول وحمل رأسه الى خوارزم شاه فسيره من يومه الى بغداد فنصب بها بباب النوبى عدة ايام وسار خوارزم شاه الى همذان وملك تلك البلاد جميعها وكان الخليفة الناصر لدين الله قد سير عسكرا الى نجدة خوارزم شاه وسير له الخلع السلطانية مع وزيره مؤيد الدين بن القصاب فنزل على فرسخ من همذان فارسل اليه خوارزم شاه يطلبه اليه فقال مؤيد الدين ينبغى ان تحضر انت وتلبس الخلعة من خيمتى وترددت الرسل بينهما فى ذلك فقيل لخوارزم شاه انها حيلة عليك حتى تحضر عنده ويقبض عليك فحمل خوارزم شاه اليه قصد الاخذه فاندفع بين يديه الى بعض الجبال فامتنع به فرجع خوارزم شاه الى همذان ولما ملك همذان وتلك البلاد سلمها الى

وانسل مما كان فيه كانسلال الشعر من العجين وتفرق الجمع الذى كان حوله وشرع الاشياخ فى تنميق عرضحال عن لسانهم بامر الباشا بتعداد جنايات الدواخلى وذنوبه وموجبات عزله وان ذلك بترجيهم والتماسهم عزله ونفيه ويرسل ذلك العرضحال لنقيب الاشراف بدار السلطنة لان الذى يكون نقيبا بمصر نيابة عنه ويرسل اليه الهدية فى كل سنة فالذى نقموه عليه من الذنوب انه تطاول على حسين افندى شيخ رواق الترك وسبه وحبسه من غير جرم وذلك انه اشترى منه جارية حبشية بقدر من الفرانسه فلما اقبضه الثمن اعطاه بدلها قروشا بدون الفرط الذى بين المتعاملين فتوقف السيد حسين وقال اما تعطينى العين التى وقع عليها الانفصال او تكمل فرط النقص وتشاحا وادى ذلك الى سبه وحبسه وهو رجل كبير متضلع ومدرس وشيخ رواق الاتراك بالازهر وهذه القضية سابقة على حادثة نفيه بنحو سنتين (ومنها) ايضا انه تطاول على السيد منصور اليافى بسبب فتيا رفعت اليه وهى ان امراة وقفت وقفا فى مرض موتها وافتى بصحة الوقف على قول ضعيف فسبه فى ملا من الجمع واراد ضربه ونزع عمامته من على راسه (ومنها) ايضا انه يعارض القاضى فى احكامه وينقض محاصيله ويكتب فى بيته

قتلغ اينانج واقطع كثيرا منها المماليكه وجعل المقدم عليهم مياجق وعاد الى خوارزم

(ذكر مسير وزير الخليفة الى خوزستان وملكها)

في هذه السنة في شعبان خلع الخليفة الناصر لدين الله على النائب في الوزارة مؤيد الدين ابي عبد الله محمد بن علي المعروف بابن القصاب بخلع الوزارة وحكم في الولاية وبرز في رمضان وسار الى بلاد خوزستان وولي الاعمال بها وصار له فيها اصحاب واصدقاء ومعارف وعرف البلاد ومن اي وجه يمكن الدخول اليها والاستيلاء عليها فلما ولي ببغداد نيابة الوزارة اشار على الخليفة بان يرسله في عسكر اليها ليملكها له وكان عزمه انه اذا ملك البلاد واستقر فيها اقام مظهر الطاعة مستقلا بالحكم فيها ليامن على نفسه فاتفق ان صاحبها ابن شملة توفي واختلف اولاده بعده فراسل بعضهم مؤيد الدين يستنجده لما بينهم من الصحبة القديمة فقوي الطمع في البلاد فجهزت العساكر وسيرت معه الى خوزستان فوصلها سنة احدى وتسعين وجرى بينه وبين اصحاب البلاد مراسلات ومحاربات عجزوا عنها وملك مدينة تستر في المحرم وملك غيرها من البلاد وملك القلاع منها قلعة الناظر وقلعة كاكرد وقلعة لاموج وغيرها من الحصون والقلاع وانفذ بني شملة اصحاب بلاد خوزستان الى بغداد فوصلوا في ربيع الاول

(ذكر حصر العزيز مدينة دمشق)

في هذه السنة وصل الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين وهو صاحب مصر الى مدينة دمشق فحصرها وبها اخوه الاكبر الملك الافضل علي بن صلاح الدين وكنت حينئذ بدمشق فنزل بنواحي ميدان الحصى فارسل الافضل الى عمه الملك العادل ابي بكر بن ايوب وهو صاحب الديار الجزرية يستنجده وكان الافضل غاية الواثق به والمعتمد عليه وقد سبق ما يدل على ذلك فسار الملك العادل الى دمشق هو والملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب وناصر الدين محمد بن تقي الدين صاحب حماة واسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص وعسكر الموصل وغيرها كل هؤلاء اجتمعوا بدمشق واتفقوا على حفظها علما منهم ان العزيز ان ملكها اخذ بلادهم فلما راى العزيز اجتماعهم علم انه لا قدرة له على البلد فترددت الرسل حينئذ في الصلح فاستقرت القاعدة على ان يكون البيت المقدس وما جاوره من اعمال فلسطين للعزيز وتبقى دمشق وطبرية واعمالها الغور للافضل على ما كانت عليه وان يعطي الافضل اخاه الملك الظاهر جبلة ولاذقية وان يكون للعادل بمصر اقطاعه الاول واتفقوا على ذلك وعاد العزيز الى مصر ورجع كل واحد من الملوك الى بلده

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة كانت زلزلة في ربيع الاول بالجزيرة والعراق وكثير من البلاد سقطت منها الجبانة التي عند مشهد امير المؤمنين علي عليه السلام وفيها في جمادى الآخرة اجتمعت زعب وغيرها من العرب وقصدوا مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فخرج

وعندما سطروه وعمموه وختموا عليه ختومهم وارسلوه الى اسلامبول على ان جنايانه عند الباشا ليست هذه النكات الفارغة بل ولا علم له بها ولا التفات واعما هي اشياء وراء ذلك كله ظهر بعضها وخفي عنا باقيها وذلك ان الباشا يحب الشوكة ونفوذ اوامره في كل مرام ولا يصطفي ويحب الا من لا يعارضه ولو في جزئية او يفتح له بابا يهب منه ريح الدراهم والدنانير او يدله على فائدة كسب اوربح من اي طريق او سبب من اي ملة كان ولما حصلت واقعة قيام العسكر في اواخر السنة الماضية واقام الباشا بالقلعة بدبر امره فيهم والزم اعيان المتظاهرين الطلوع اليه في كل ليلة واجل المتعممين الدواخلي لكونه معدودا في العلماء ونقيبا على الاشراف وهي رتبة الوالي عند العثمانيين فداخله الغرور وظن ان الباشا قد حصل في ورطة يطلب النجاة منها بفعل القربات والنذور ولكونه رآه يسترضي خواطر الرعية المنهوبين ويدفع لهم اثمانها ويستميل كبار العساكر وينعم عليهم بالمقادير الكثيرة من الاكياس والمال ويسترسل معه في المسامرة والمسايرة ولين الخطاب والمذاكرة والمضاحكة فلما راى اقبال الباشا عليه زاد طمعه في الاسترسال معه فقال

اليهم هاشم بن قاسم أخو أمير المدينة فقاتلهم فقتل هاشم وكان أمير المدينة قد توجه الى الشام فلهذا طمعت العرب فيه وفيها توفى القاضى أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الصمد الطرسوسى الحلبى بها فى شعبان وكان من عباد الله الصالحين رحمه الله تعالى

(ثم دخلت سنة احدى وتسعين وخمسمائة)

(ذكر ملك وزير الخليفة همذان وغيرها من بلاد العجم)

قد ذكرنا ملك مؤيد الدين بن القصاب بلاد خوزستان فلما ملكها سار منها الى ميسان من أعمال خوزستان فوصل اليه قتلغ اينانج بن البهلوان صاحب البلاد وقد تقدم ذكر تغلب خوارزم شاه عليها ومعه جماعة من الامراء فاكرمه وزير الخليفة وأحسن اليه وكان سبب مجيئه أنه جرى بينه وبين عسكر خوارزم شاه ومقدمهم مياجق مصاف عند زنجان واقتتلوا فانهزم قتلغ اينانج وعسكره وقصد عسكر الخليفة ملتجئا الى مؤيد الدين الوزير فاعطاه الوزير الخيل والخيام وغير ذلك مما يحتاج اليه وخلع عليه وعلى من معه من الامراء ورحلوا الى كرمانشاه ورحل منها الى همذان وكان بها ولد خوارزم شاه ومياجق والعسكر الذين معه فلما قاربهم عسكر الخليفة فارقها الخوارزميون وتوجهوا الى الرى واستولى الوزير على همذان فى شوال من هذه السنة ثم رحل هو وقتلغ اينانج خلفهم فاستولوا على كل بلد جازوا به منها خرقان ومزدغان وساوة وآوة وساروا الى الرى ففارقها الخوارزميون الى خوار الرى فسير الوزير خلفهم عسكر ففارقها الخوارزميون الى دامغان وبسطام وجرجان فعاد عسكر الخليفة الى الرى فأقاموا بها فاتفق قتلغ ينانج ومن معه من الامراء على الخلاف على الوزير وعسكر الخليفة لانهم رأوا البلاد قد خلت من عسكر خوارزم شاه فطمعوا فيها فدخلوا الرى فحصرها وزير الخليفة ففارقها قتلغ اينانج وملكها الوزير ونهبها العسكر فامر الوزير بالنداء بالكف عن النهب وسار قتلغ اينانج ومن معه من الامراء الى مدينة آوة وبها شحنة الوزير فمنعهم من دخولها فساروا عنها ورحل الوزير فى اثرهم نحو همذان فبلغه وهو فى الطريق ان قتلغ اينانج قد اجتمع معه عسكر وقصد مدينة كرج وقد نزل على در بند هناك فقصدهم الوزير فلما قرب منهم التقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم قتلغ اينانج ونجا بنفسه ورحل الوزير من موضع المصاف الى همذان فنزل بظاهرها ودام نحو ثلاثة أشهر فوصله رسول خوارزم شاه تكش وكان قد قصدهم منكرا أخذه البلاد من عسكره ويطلب اعادتها وتقرير قواعدها والصلح فلم يجب الوزير الى ذلك فسار خوارزم شاه مجدا الى همذان وكان الوزير مؤيد الدين بن القصاب قد توفى فى أوائل شعبان فوقع بينه وبين عسكر الخليفة مصاف نصف شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة فقتل بينهم كثير من العسكرين وانهزم عسكر الخليفة وغنم الخوارزميون منهم شيئا كثيرا وملك خوارزم شاه همذان ونبش الوزير من قبره وقطع

راسه

له الله يحفظ حضرة افندينا وينصره ٢ على اعدائه والمخالفين له ونرجو من احسانه بعد هدوء سره وتسكين هذه الفتنة ان ينعم علينا ويجرينا على عوائدنا فى الحمايات والمسامحات فى خصوص ما يتعلق بنا من حصص الالتزام والرزق فاجابه بقوله نعم يكون ذلك ولابد من الراحة لكم ولكافة الناس فدعا له وآنس فؤاده وقال الله تعالى يحفظ افندينا وينصره على اعدائه كذلك يكون تمام ما اشرتم به من الراحة لكافة الناس الافراج عن الرزق الاحباسية على المساجد والفقراء فقال نعم ووعده مواعيد عرقوبية فكان الدواخلى اذا نزل من القلعة الى داره يحكى فى مجلسه ما يكون بينه وبين الباشا من امثال هذا الكلام ويذيعه فى الناس ولما امر الباشا الكتاب بتحرير حساب الملتزمين على الوجه المرضى بديوان خاص لرجال دائرة الباشا واكابر العسكر وذلك بالقلعة تطييبا لخواطرهم وديوان آخر فى المدينة لعامة الملتزمين فيحررون للخاصة بالقلعة ما فى قوائم مصروفهم وما كانوا يأخذونه من المضاف والبرانى والهدايا وغير ذلك والديوان العام التحتانى بخلاف ذلك فلما راى الدواخلى ذلك الترتيب قال للباشا وانا الفقير محسوب بكم من رجال الدائرة فقال نعم وجود واقواتهم الا كابر واكابر الدولة وانعم عليه

رأسه وسيره الى خوارزم وأظهروا انه قتله في المعركة ثم ان خوارزم شاه أتاه من خراسان ما أوجب ان يعود اليها فترك البلاد وعاد الى خراسان

❁(ذكر غزو ابن عبد المؤمن الفرنج بالاندلس)❁

في هذه السنة في شعبان غزا أبو يوسف يعقوب بن عبد المؤمن صاحب بلاد المغرب والاندلس بلاد الفرنج بالاندلس وسبب ذلك ان الفنش ملك الفرنج بها ومقر ملكه مدينة طليطلة كتب الى يعقوب كتابا نسخته باسمك اللهم فاطر السموات والارض أما بعد أيها الامير فانه لا يخفى على كل ذي عقل لازب ولا ذي لب ثاقب انك أمير الملة الحنيفية كما انا أمير الملة النصرانية وانك من لا يخفى عليه ما هو عليه رؤساء الاندلس من التخاذل والتواكل واهمال الرعية واشتغالهم على الراحات وأنا أسومهم الخسف واخلي الديار واسبي الذراري وأمثل بالكهول وأقتل الشباب ولا عذر لك في التخلف عن نصرتهم وقد أمكنتك يد القدرة وأنتم تعتقدون ان الله فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم والآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فقد فرض عليكم قتال اثنين منا بواحد منكم ونحن الآن نقاتل عددا منكم بواحد منا ولا تقدرون دفاعا ولا تستطيعون امتناعا ثم حكي لي عنك أنك أخذت في الاحتفال وأشرفت على ربوة القتال وتماطل نفسك عاما بعد عام تقدم رجلا وتؤخر أخرى ولا أدري الجبن أبطأ بك أم التكذيب بما أنزل عليك ثم حكي لي عنك انك لا تجد سبيلا للحرب لعلك ما يسوغ لك التقحم فيها فها أنا أقول لك ما فيه الراحة لك وأعتذر عنك ولك ان توفيني بالعهود والمواثيق والايمان ان تتوجه بجملة من عندك في المراكب والشواني وأجوز اليك بجملتي وأبارزك في أعز الاماكن عندك فان كانت لك فغنيمة عظيمة جاءت اليك وهدية مثلت بين يديك وان كانت لي كانت يدي العليا عليك واستحققت امارة الملتين والتقدم على الفئتين والله يسهل الارادة ويوفق السعادة بمنه لا رب غيره ولا خير الا خيره فلما وصل كتابه وقرأه يعقوب كتب في أعلاه هذه الآية ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون واعاده اليه وجمع العساكر العظيمة من المسلمين وعبر المجاز الى الاندلس وقيل كان سبب عبوره الى الاندلس ان يعقوب لما قاتل الفرنج سنة ست وثمانين وصالحهم بقي طائفة من الفرنج لم ترض الصلح كما ذكرناه فلما كان الآن جمعت تلك الطائفة جمعا من الفرنج وخرجوا الى بلاد الاسلام فقتلوا وسبوا وغنموا واسروا وعاثوا فيها عيثا شديدا فانتهى ذلك الى يعقوب فجمع العساكر وعبر المجاز الى الاندلس في جيش يضيق عنه الفضاء فسمعت الفرنج بذلك فجمعت قاصيهم ودانيهم واقبلوا اليه مجدين على قتاله واثقين بالظفر لكثرتهم فالتقوا تاسع شعبان شمالي قرطبة عند قلعة رباح بمكان يعرف بمرج الحديد فاقتتلوا قتالا شديدا فكانت الدائرة اولا على المسلمين ثم عادت على الفرنج فهزموا اقبح هزيمة وانتصر المسلمون عليهم وجعل الله كلمة الذين كفروا السفلى وكلمته

الباشا بأ كياس أيضا كثيرة زيادة على ذلك فلما راق الحال ورتب الباشا امور مصر العشر اخذ يذكر الباشا بالحجاز والوعد ويكرر القول عليه وعلى كتخدا بك بقوله انتم تكذبون علينا ونحن نكذب على الناس واخذ يتطاول على كتبة الاقباط بسبب امور يلزمهم ويكلفهم باتمامها وعذرهم يخفى عنه في تأخيرها فيكلمهم بحضرة الكتخدا ويشتمهم ويقول لبعضهم اما اعتبرتم بما حصل للمعلم غالي فيحقدون عليه ويشكرن منه للباشا والكتخدا وغير ذلك امور امثل تعرضه للقاضي في قضاياه وتشكيه منه واتفق انه لما حضر ابراهيم باشا من الجهة القبلية وكان بصحبته احمد جلبي ابن ذي الفقار كتخدا الفلاح وكانه كان كتخداه بالصعيد وتشكت الناس من افاعيله واغواته ابراهيم باشا فاجتمع به الدواخلي عند السيد محمد المحروقي وحضر قبل ذلك اليه للسلام عليه وفي كل مرة يونجه بالكلام ويلومه على افاعيله بالقول الخشن في ملا من الناس فذهب الى الباشا وبالغ في الشكوى ويقول فيها انا عوت في خدمة افندينا جهدي وأظهرت من الخبايا ما عجز عنه غيري فيجزى عليه من هذا الشيخ ما اسمعنيه من قبيح القول وتجبيهي بين الملا واذا كان حب الافندينا فلا يكره نفعه ولا النصح في خدمته وامثال ذلك فيحقق صاحب هذه الامور هي التي اوغرت صدر الباشا

على الدواخلي مع انها في الحقيقة ليست خلافا عند من فيه قابلية للخير وانا اقول ان الذي وقع لهذا الدواخلي

هي العليا والله عزيز حكيم وكان عدد من قتل من الفرنج مائة الف وستة واربعين الفا واسر ثلاثة عشر الفا وغنم المسلمون منهم شيئا عظيما فمن الخيام مائة الف وثلاثة واربعون الفا ومن الخيل ستة واربعون الفا ومن البغال مائة الف ومن الحمير مائة الف وكان يعقوب قد نادى في عسكره من غنم شيئا فهو له سوى السلاح واحصى ما حمل اليه منه فكان زيادة على سبعين الف لبس وقتل من المسلمين نحو عشرين الفا ولما انهزم الفرنج اتبعهم ابو يوسف فرآهم قد اخذوا قلعة رباح وساروا عنها من الرعب والخوف فملكها وجعل فيها واليا وجندا يحفظونها وعاد الى مدينة اشبيلية واما الفنش فانه لما انهزم حلق راسه ونكس صليبه وركب حمارا واقسم ان لا يركب فرسا ولا بغلا حتى تنصر النصرانية فجمع جموعا عظيمة وبلغ الخبر بذلك الى يعقوب فارسل الى بلاد الغرب مراكش وغيرها يستنفر الناس من غير اكراه فاتاه من المتطوعة والمرتزقين جمع عظيم فالتقوا في ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة فانهزم الفرنج هزيمة قبيحة وغنم المسلمون ما معهم من الاموال والسلاح والدواب وغيرها وتوجه الى مدينة طليطلة فحصرها وقاتلها قتالا شديدا وقطع اشجارها وشن الغارة على ما حولها من البلاد وفتح فيها عدة حصون فقتل رجالها وسبى حريمها وخرب دورها وهدم اسوارها فضعفت النصرانية حينئذ وعظم امر الاسلام بالاندلس وعاد يعقوب الى اشبيلية فاقام بها فلما دخلت سنة ثلاث وتسعين سار عنها الى بلاد الفرنج وذلوا واجتمع ملوكهم وارسلوا يطلبون الصلح فاجابهم اليه بعد ان كان عازما على الامتناع مريدا لملازمة الجهاد الى ان يفرغ منهم فاتاه خبر علي بن اسحق الملثم الميورقي انه فعل بافريقية ما نذكره من الافاعيل الشنيعة فترك عزمه وصالحهم مدة خمس سنين وعاد الى مراكش آخر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة

(ذكر فعلة الملثم بافريقية)

لما عبر ابو يوسف يعقوب صاحب المغرب الى الاندلس كما ذكرناه واقام مجاهدا ثلاث سنين انقطعت اخباره عن افريقية فقوي طمع علي بن اسحق الملثم الميورقي وكان بالبرية مع العرب فعاود قصد افريقية فانبث جنوده في البلاد فخربوها واكثروا الفساد فيها فمحيت آثار تلك البلاد وتغيرت وصارت خالية من الانيس خاوية على عروشها واراد المسير الى بجاية ومحاصرتها لاشتغال يعقوب بالجهاد واظهر انه اذا استولى على بجاية سار الى المغرب فوصل الخبر الى يعقوب بذلك فصالح الفرنج على ما ذكرناه وعاد الى مراكش عازما على قصده واخراجه من البلاد كما فعله سنة احدى وثمانين وخمسمائة وقد ذكرناه

(ذكر ملك عسكر الخليفة اصفهان)

في هذه السنة جهز الخليفة الناصر لدين الله جيشا وسيره الى اصفهان ومقدمهم سيف الدين طغرل مقطع بلد اللحف من العراق وكان باصفهان عسكر لخوارزم شاه

لما هو قصاص وجزاء فعله في السيد عمر مكرم فانه كان من اكبر الساعين عليه الى ان عزلوه واخرجوه من مصر والجزاء من جنس العمل كما قيل

فقل للشامتين بنا افيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا

ولما جرى على الدواخلي ما جرى من العزل والنفي اظهر الكثير من نظرائه المتفقهين الشماتة والفرح وعملوا ولائم وعزائم ومضاحكات كما يقال

امور تضحك السفهاء منها
ويبكي من عواقبها اللبيب

وقد زالت هيبتهم ووقارهم من النفوس وانهمكوا في الامور الدنيوية والحظوظ النفسانية والوساوس الشيطانية ومشاركة الجهال في المآتم والمسارعة الى الولائم في الافراح والمآتم يتكالبون على الاسمطة كالبهائم فتراهم في كل دعوة ذاهبين وعلى الخوانات راكعين وللكباب والمحمرات خاطفين وعلى ما وجب عليهم من النصح تاركين (وفي اواخره) شرعوا في عمل مهم عظيم بعزل ولي افندي ويقال له ولي خوجه وكاتب الخزينة العامرة وهو من طائفة الارنؤد واختص به الباشا واستامنه على الامور وضم اليه دفتر الايراد من جميع وجوه جبايات الاموال

مع ولده وكان اهل اصفهان يكرهونهم فكاتب صدر الدين الخجندى رئيس الشافعية باصفهان الديوان ببغداد يبذل من نفسه تسليم البلد الى من يصل من الديوان من العساكر وكان يعد الحاكم باصفهان على جميع اهلها فسيرت العساكر فوصلوا الى اصفهان ونزلوا بظاهر البلد وفارقه عسكر خوارزم شاه وعادوا الى خراسان وتبعهم بعض عسكر الخليفة فتخطفوا منهم واخذوا من ساقة العسكر من قدروا عليه ودخل عسكر الخليفة الى اصفهان وملكوها

(ذكر ابتداء حال كوكجه وملكه بلد الرى وهمدان وغيرها)

لما عاد خوارزم شاه الى خراسان كما ذكرنا اتفق المماليك الذين للبهلوان والامراء وقدموا على انفسهم كوكجه وهو من اعيان البهلوانية واستولوا على الرى وما جاورها من البلاد وساروا الى اصفهان لاخراج الخوارزمية منها فلما قاربوها سمعوا بعسكر الخليفة عندها فارسل الى مملوك الخليفة سيف الدين طغرل يعرض نفسه على خدمة الديوان ويظهر العبودية وانه انما قصد اصفهان فى طلب العساكر الخوارزمية وحيث رآهم فارقوا اصفهان سار فى طلبهم فلم يدركهم وسار عسكر الخليفة من اصفهان الى همذان واما كوكجه فانه تبع الخوارزمية الى طبس وهى من بلاد الاسماعيلية وعاد فقصد اصفهان وملكها وارسل الى بغداد يطلب ان يكون له الرى وخوار الرى وساوه وقم وقاجان وما ينضم اليها من حد مزدغان وتكون اصفهان وهمذان وزنجان وقزوين لديوان الخليفة فاجيب الى ذلك وكتب له منشور بما طلب وارسلت له الخلع فعظم شانه وقوى امره وكثرت عساكره وتعظم على اصحابه

(ذكر حصر العزيز دمشق ثانية وانهزامه عنها)

وفى هذه السنة ايضا خرج الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين من مصر فى عساكره الى دمشق يريد حصرها فعاد عنها منهزما وسبب ذلك ان من عنده من مماليك ابيه المعروفين بالصلاحية فخر الدين جركس وسراسنقر وقراجا وغيرهم كانوا منحرفين عن الافضل على بن صلاح الدين لانه كان قد اخرج من عنده منهم مثل ميمون القصرى وسنقر الكبير وايلك وغيرهم فكانوا لا يزالون يخوفون العزيز من اخيه ويقولون ان الاكراد والمماليك الاسدية من عسكر مصر يريدون اخاك ونخاف ان يميلوا اليه ويخرجوك من البلاد والمصلحة ان تاخذ دمشق فخرج فى العام الماضى وعاد كما ذكرناه فتجهز هذه السنة ليخرج فبلغ الخبر الى الافضل فسار من دمشق الى عمه الملك العادل فاجتمع به بقلعة جعبر ودعاه الى نصرته وسار من عنده الى حلب الى اخيه الملك الظاهر غازى فاستنجد به وسار الملك العادل من قلعة جعبر الى دمشق فسبق الافضل اليها ودخلها وكان الافضل لثقته به قد امر نوابه بادخاله الى القلعة ثم عاد الافضل من حلب الى دمشق فراسل مقدم الاسدية وهو سيف الدين اياز كوش وغيره منهم ومن الاكراد وهو ابو الهيجاء السمين وغيره الى الافضل والعادل بالانحياز اليهما وان يكونوا معهما ويامرهما بالاتفاق على العزيز واخراجه من دمشق ليسلموا اليهما وكان سبب

من خراج البلاد والمحدثات وحسابات المباشرين وانشادها واعطيه فى خطة باب اللوق على البركة المعروفة بباقى الشوارب وادخل فيها عدة بيوت بجانبيها ونجزها على نسق واصطلاح الابنية الافرنجية والرومية وتانق فى زخرفتها واتساعها واستمرت العمارة بها نحو السنتين ولما كملت وتمت احضروا القاضى والمشايخ وعقدوا لولده على ابنتين من اقارب الباشا بحضرة الاعيان ومن ذكر واحتفلوا بعمل المهم احتفالا زائدا وتقيد السيد محمد المحروقى بالمصاريف والتنظيم واللوازم كما كان فى افراح اولاد الباشا واجتمعت الملاعيب والبهلوانات بالبركة وما حولها وبالشارع وعلقوا تعاليق قناديل وتجفات واحمال بالوروزنات واجتمع الناس للفرجة وبالليل حراقات ونفوط ومدافع وسواريخ سبع ليال متوالية وعملت الزفة يوم الخميس واجتمعت العربات لارباب الحرف كما تقدم فى العام الماضى بل ازيد وذلك لان الباشا لم يشاهد افراح اولاده لكونه كان غائبا بالديار الحجازية وحضر الباشا للفرجة وجلس بمدرسة الغورية بقصد الفرجة وعمل له السيد محمد المحروقى الغداء وخرجوا بالزفة من اوائل النهار وداروا بها دورة طويلة فلم يمروا بسوق الغورية الا قرب الغروب واخر النهار *(واستهل شهر ربيع الثانى سنة ١٢٣١)*

الانحراف عن العزيز وميلهم الى الافضل ان العزيز لما ملك مصر مال الى المماليك الناصرية وقدمهم ووثق بهم ولم يلتفت الى هؤلاء الامراء فانفوا من ذلك ومالوا الى أخيه وارسلوا الى الافضل والعادل فاتفقا على ذلك واستقرت القاعدة بحضور رسل الامراء أن الافضل يملك الديار المصرية ويسلم دمشق الى عمه الملك العادل وخرجا من دمشق فانحازوا اليهما من ذكرنا فلم يمكن العزيز المقام بل عاد منهزما يطوى المراحل خوف الطلب ولا يصدق بالنجاة وتساقط اصحابه عنه الى أن وصل الى مصر واما العادل والافضل فانهما ارسلا الى القدس وفيه نائب العزيز فسلمه اليهما وساراقمن معهما من الاسدية والاكراد الى مصر فرأى العادل انضمام العساكر الى الافضل واجتماعهم عليه فخاف انه ياخذ مصر ولا يسلم اليه دمشق فارسل حينئذ سرا الى العزيز يامره بالثبات وان يجعل بمدينة بلبيس من يحفظها وتكفل بانه يمنع الافضل وغيره من مقاتلة من بها فجعل العزيز الناصرية ومقدمهم فخر الدين جركس بها ومعهم غيرهم ووصل العادل والافضل الى بلبيس فنازلوا من بها من الناصرية واراد الافضل مناجزتهم او تركهم بها والرحيل الى مصر فمنعه العادل من الامرين وقال هذه عساكر الاسلام فاذا اقتتلوا في الحرب فمن يرد العدو الكافر ومابنا حاجة الى هذا فان البلاد لك وبحكمك ومتى قصدت مصر والقاهرة واخذتهما قهرا زالت هيبة البلاد وطمع فيها الاعداء وليس فيها من يمنعك عنها وسلك معه مثل هذا فطالت الايام وارسل الى العزيز سرا يامره بارسال القاضي الفاضل وكان مطاعا عند البيت الصلاحي لعلو منزلته كانت عند صلاح الدين فحضر عندهما واجرى ذكر الصلح وزاد القول ونقص وانفسخت العزائم واستقر الامر على ان يكون للافضل القدس وجميع البلاد بفلسطين وطبرية والاردن وجميع ما بيده ويكون للعادل اقطاعه الذى كان قديما ويكون مقيما بمصر عند العزيز وانما اختار ذلك لان الاسدية والاكراد لا يريدون العزيز فهم يجتمعون معه فلا يقدر العزيز على منعه عما يريد فلما استقر الامر على ذلك وتعاهدوا عاد الافضل الى دمشق وبقى العادل بمصر عند العزيز

(ذكر عدة حوادث)

فى ذى القعدة تاسع عشره وقع حريق عظيم ببغداد بعقد المصطنع فاحترقت المربعة التى بين يديه ودكان ابن البخيل الهراس وقيل كان ابتداؤها من دار ابن البخيل

(ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة)

(ذكر ملك شهاب الدين بهنكر وغيرها من بلد الهند)

فى هذه السنة سار شهاب الدين الغورى صاحب غزنة الى بلد الهند وحصر قلعة بهنكر وهى قلعة عظيمة منيعة فحصرها فطلب اهلها منه الامان على ان يسلموا اليه فامنهم وتسلمها واقام عندها عشرة ايام حتى رتب جندها واحوالها وسار عنها الى قلعة كوالير وبينهما مسيرة خمسة أيام وفى الطريق نهر فجازه ووصل الى كوالير وهى قلعة منيعة

يجرى مستمر وافصح الباشا وذكر فى كلامه فى مجالسه وبين السر فى اخراجهم من

وخروج العساكر الى ناحية المدينة بان العساكر قد كثروا وفى اقامتهم بالبلدة مع كثرتهم ضرر وافساد وضيق على الرعية مع عدم الحاجة اليهم داخل البلدة والاولى والاحوط ان يكونوا خارجها وحولها مرابطين لحفظ الثغور من طارق على حين غفلة او حادث خارجى وليس لهم الارواتبهم وعلائقهم تاتيهم فى اماكنهم ومراكزهم والسر الخفى اخراج الذين قصدوا غدره وخيانته ووقع بسبب حركتهم ما وقع من النهب والازعاج فى اواخر شعبان من السنة الماضية وكان قد بدأ باخراج اولاده وخواصه من تحيته واحدا بعد واحد وامر الى اولاده سرا فى ضميره واصحب مع ولده طوسون باشا شخصا من خواصه يسمى احمد اغا البخورجى المدللى واخذ طوسون باشا فى تدبير الايقاع مع من يريده فبدأ بمحو بك وهو اعظمهم واكثرهم جندا فاخذ فى تأليف عساكره حتى لم يبق معه الا القليل ثم ارسل اليه فى وقت يطلب محو بك عنده فى مشورة فذهب اليه احمد اغا المدللى المذكور وأسر اليه مايراده واشار اليه بعدم الذهاب فركب محو بك فى الحال وذهب عند الدلاة فأرسلوا الى مصطفى بك وهو كبير على طائفة من الدلاة واخو زوجة الباشا وقريبه

-صينة على جبل لا يصل اليها حجر منجنيق ولا نشاب وهي كبيرة فاقام عليها صفر جميعه يحاصرها فلم يبلغ منها غرضا فراسله من بها في الصلح فاجابهم اليه على أن يقر القلعة بايديهم على مال يحملونه اليه فحملوا اليه فيلا حمله ذهب فرحل عنها الى بلاد آي وسور فاغار عليها ونهبها وسبى وأسر ما يعجز العاد حصره ثم عاد الى غزنة سالما

(ذكر ملك العادل مدينة دمشق من الافضل)

في هذه السنة في السابع والعشرين من رجب ملك الملك العادل ابو بكر بن ايوب مدينة دمشق من ابن اخيه الافضل علي بن صلاح الدين وكان أبلغ الاسباب في ذلك وثوق الافضل بالعادل وانه بلغ من وثوقه انه أدخله بلده وهو غائب عنه ولقد ارسل اليه اخوه الظاهر غازي صاحب حلب يقول له أخرج عمنا من بيننا فانه لا يجيء علينا منه خير ونحن ندخل لك تحت كل ما تريد وأنا أعرف به منك وأقرب اليه فانه عمي مثل ما هو عمك وانا زوج ابنته ولو علمت انه يريد لنا خيرا لكنت انا اولى به منك فقال له الافضل انت سيء الظن في كل احد أي مصلحة لعمنا في أن يؤذينا ونحن اذا اجتمعت كلمتنا وسيرنا معه العساكر من عندنا كلنا ملك من البلاد اكثر من بلادنا ونربح سوء الذكر وهذا كان أبلغ الاسباب ولا يعلمها كل احد وأما غير هذا فقد ذكرنا مسير العادل والافضل الى مصر وحصارهم بلبيس وصلحهم مع الملك العزيز بن صلاح الدين ومقام العادل معه بمصر فلما اقام عنده استماله وقرر معه انه يخرج معه الى دمشق ويأخذها من أخيه ويسلمها اليه فسار معه من مصر الى دمشق وحصروها واستمالوا أميرا من امراء الافضل يقال له العزيز بن ابي غالب الحمصي وكان الافضل كثير الاحسان اليه والاعتماد عليه والوثوق به فسلم اليه بابا من أبواب دمشق يعرف بالباب الشرقي ليحفظه فمال الى العزيز والعادل ووعدهما انه يفتح لهم الباب ويدخل العسكر منه الى البلد غفلة ففتحه اليوم السابع والعشرين من رجب وقت العصر وادخل الملك العادل منه ومعه جماعة من اصحابه فلم يشعر الافضل الا وعمه في دمشق وركب الملك العزيز ووقف بالميدان الاخضر غربي دمشق فلما رأى الافضل ان البلد قد ملك خرج الى أخيه وقت المغرب واجتمع به ودخلا كلاهما البلد واجتمعا بالعادل وقد نزل في دار أسد الدين شيركوه وتحادثوا فاتفق العادل والعزيز على ان أوهما الافضل انهما يبقيان عليه البلد خوفا انه يجمع من عنده من العسكر ويثور بهما ومعه العامة فاخرجهم من البلد لان العادل لم يكن في كثرة وعاد الافضل الى القلعة وبات العادل في دار شيركوه وخرج العزيز الى الخيم فبات فيها وخرج العادل من الغد الى جوسقه وهو عسكره في البلد في كل يوم يخرج الافضل اليهما ويجتمع بهما وبقوا كذلك اياما ثم ارسلا اليه وامراه بمفارقة القلعة وتسليم البلد على قاعدة ان يعطى قلعة صرخد له ويسلم جميع اعمال دمشق فخرج الافضل ونزل في جوسق بظاهر البلد غربي دمشق وتسلم العزيز القلعة ودخلها واقام بها يوما وهو يجلس في مجلس شرابه مع اخذ منه

والى اسمعيل باشا ابن الباشا ليتوسطا في صلح محو بك مع الباشا وليعفو ويذهب الى بلاده فارسلا الى الباشا بالخبر وبما نقله احمد اغا المدللي الى محو بك فسفه رايه في تصديق المقالة وفي هروبه عند الدلالة ثم يقول لولا ان في نفسه خيانة لما فعل ما فعل من التصديق والهروب وكان طوسون باشا لما جرى من احمد اغا ما جرى من نقل الخبر لمحو بك مقته وارسل الى ابيه يعلمه بذلك فطلبه للحضور اليه بمصر فلما مثل بين يديه وبخه وعزره بالكلام وقال له ترمي الفتن بين اولادي وكبار العسكر ثم امر بقتله فنزلوا به الى باب زويلة وقطعوا راسه هنالك وترك مرميا طول النهار ثم رفعوه الى داره وعملوا له في صبحها مشهدا ودفنوه (وفيه) حضر اسمعيل باشا ومصطفى بك الى مصر (وفي اواخره) حضر شخص يسمى سليم كاشف من الاجناد المصريه مرسلا من عند بقاياهم من الامراء واتباعهم الذين رماهم الزمن بكلكله واقصاهم وابعدهم عن اوطانهم واستوطنوا دنقله من بلاد السودان يتقوتون مما يزرعونه بايديهم من الدخن وبينهم وبين اقصى الصعيد مسافه طويله نحو من اربعين يوما وقد طال عليهم الامد ومات اكثرهم ووقع ضرر في ناسهم مثل عثمان بك حسن وسليم اغا واحمد اغا شويكار وغيرهم

الخمر جرى على لسانه انه يعيد البلاد الى الافضل فنقل ذلك الى العادل في وقته فحضر المجلس في ساعته والعزيز سكران فلم يزل به حتى سلم البلاد اليه وخرج منه وعاد الى مصر وسار الافضل الى صرخد وكان العادل يذكر ان الافضل سعى في قتله فلهذا اخذ البلاد منه وكان الافضل ينكر ذلك ويتبرأ منه والله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون

●(ذكر عدة حوادث)●

في هذه السنة هبت ريح شديدة بالعراق واسودت لها الدنيا ووقع رمل أحمر واستعظم الناس ذلك وكبروا واشتعلت الاضواء بالنهار وفيها قتل صدر الدين محمود بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت الخجندي رئيس الشافعية باصفهان قتله فلك الدين سنقر الطويل شحنة اصفهان بها وكان قدم بغداد سنة ثمان وثمانين وخمسمائة واستوطنها وولي النظر في المدرسة النظامية ببغداد ولما سار مؤيد الدين بن القصاب الى خوزستان سار في صحبته فلما ملك الوزير اصفهان أقام ابن الخجندي بها في بيته وملكه ومنصبه فجرى بينه وبين سنقر الطويل شحنة اصفهان للخليفة منافرة فقتله سنقر وفي رمضان درس مجير الدين أبو القاسم محمود بن المبارك البغدادي الفقيه الشافعي بالمدرسة النظامية ببغداد وفي شوال منها اثبت نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي الرازي في الوزارة ببغداد وكان قد توجه الى بغداد لما ملك ابن القصاب الري وفيها ولي أبو طالب يحيى بن سعيد بن زيادة ديوان الانشاء ببغداد وكان كاتبا مفلقا وله شعر جيد وفي صفر منها توفي الفخر محمود بن علي القوفاني الفقيه الشافعي بالكوفة عائدا من الحج وكان من اعيان اصحاب محمد بن يحيى وفي رجب منها توفي أبو الغنائم محمد بن علي بن المعلم الشاعر الهرثي والهرث بضم الهاء و الثاء المثلثة قرية من اعمال واسط عن احدى وتسعين سنة وفي رابع شعبان منها توفي الوزير مؤيد الدين أبو الفضل محمد بن علي بن القصاب بهمذان وقد ذكرنا من كفايته ونهضته ما فيه كفاية

●(ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة)●

●(ذكر ارسال الامير أبي الهيجاء الى همذان وما فعله)●

وصل الى بغداد امير كبير من امراء مصر اسمه أبو الهيجاء ويعرف بالسمين لانه كان كثير السمن وكان من أكابر أمراء مصر وكان في اقطاعه أخيرا البيت المقدس وغيره مما يجاوره فلما ملك العزيز والعادل مدينة دمشق من الافضل أخذ القدس منه ففارق الشام وعبر الفرات الى الموصل ثم انحدر الى بغداد لانه طلب من ديوان الخلافة فلما وصل اليها أكرم اكراما كثيرا ثم أمر بالتجهيز والمسير الى همذان مقدما على العساكر البغدادية فسار اليها والتقى عندها بالملك اوزبك بن البهلوان وامير علم وابنه وابن اسطمش وغيرهم وهم قد كاتبوا الخليفة بالطاعة فلما اجتمع بهم وثقوا اليه ولم يحذروه فقبض على اوزبك وابن سطمش وابن قراجه وافقه من امير علم فلما وصل الخبر بذلك

ممن لاصلة لنا بخبرة اخبارهم لبعد المسافة حتى على اول منازلهم وبقي من لم يمت منهم ابراهيم بك الكبير وعبد الرحمن بك تابع عثمان بك المرادي وعثمان بك يوسف واحمد بك الالفي زوج عديلة ابنة ابراهيم بك الكبير وعلي بك ايوب وبواقي صغار الامراء والمماليك على ظن حياتهم وقد كبر سن ابراهيم بك الكبير وعجزت قواه ووهن جسمه فلما طالت عليهم الغربة أرسلوا هذا المرسل بمكاتبة الى الباشا يستعطفونه و يسألون فضله ويرجون مراحمه بان ينعم عليهم بالامان على نفوسهم ويأذن لهم بالانتقال من دنقلة الى جهة من أراضي مصر يقيمون بها ايضا ويتعيشون فيها باقل العيش تحت امانه ويدفعون ما يجب عليهم من الخراج الذي يقرره عليهم ولا يتعدون مراسمه واوامره فلما حضر وقابل الباشا وتكلم معه وسأله عن حالهم وشأنهم ومن مات ومن لم يمت منهم وهو يخبره خبرهم ثم امره بالانصراف الى محله الذي نزل فيه الى ان يرد عليه الجواب وانعم عليه بخمسة اكياس فاقام اياما حتى كتب له جواب رسالته مضمونه انه اعطاهم الامان على انفسهم بشروط شرطها عليهم ان خالفوا منها شرطا واحدا كان امانهم منقوضا وعهدهم منكوثا ويحل بهم ما حل بمن تقدمهم ومن الشروط انهم اذا عزموا على الانتقال من

اهل الذى هم فيه يرسلون امامهم نجابا بالخبر بخبرهم ونحو كم سيهم واشتغالهم لياتيهم

الى بغداد انكرت هذه الحال على ابى الهيجاء وامر بالافراج عن الجماعة وسيرت لهم الخلع من بغداد تطييبا لقلوبهم فلم يمكنوا بعد هذه الحادثة ولا امنوا ففارقوا ابا الهيجاء السمين ففارق الديوان فلم يرجع اليه ولم يمكنه ايضا المقام فعاد يريد اربل لانه من بلادها فتوفي قبل وصوله اليها وهو من الاكراد الحكمية من بلد اربل

(ذكر ملك العادل يافا من الفرنج وملك الفرنج بيروت من المسلمين وحصر الفرنج تبنين ورحيلهم عنها)

في هذه السنة في شوال ملك العادل أبو بكر بن أيوب مدينة يافا من الساحل الشامي وهو بيد الفرنج لعنهم الله وسبب ذلك ان الفرنج كان قد ملكهم الكندهري على ما ذكرناه قبل وكان الصلح قد استقر بين المسلمين والفرنج أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله تعالى فلما توفي وملك أولاده بعده كما ذكرناه جدد الملك العزيز الهدنة مع الكندهري وزاد في مدة الهدنة وبقي ذلك الى الآن وكان بمدينة بيروت أمير يعرف باسامة وهو مقطعها فكان يرسل الشواني تقطع الطريق على الفرنج فاشتكى الفرنج من ذلك غير مرة الى الملك العادل بدمشق والى الملك العزيز بمصر فلم يمنعا اسامة من ذلك فارسلوا الى ملوكهم الذين داخل البحر يشكون اليهم ما يفعل بهم المسلمون ويقولون ان لم تنجدونا والا أخذ المسلمون البلاد فامدهم الفرنج بالعساكر الكثيرة وكان أكثرهم من ملك الالمان وكان المقدم عليهم قس يعرف بالخنصلير فلما سمع العادل بذلك ارسل الى العزيز بمصر يطلب العساكر وارسل الى ديار الجزيرة والموصل يطلب العساكر فاتته الامراء واجتمعوا على عين جالوت فاقاموا شهر رمضان وبعض شوال ورحلوا الى يافا وملكوا المدينة وامتنع من بها بالقلعة التي لها فخرب المسلمون المدينة وحصروا القلعة فملكوها عنوة وقهرا بالسيف في يومها وهو يوم الجمعة وأخذ كل ما بها غنيمة وأسرا وسبيا ووصل الفرنج من عكا الى قيسارية ليمنعوا المسلمين عن يافا فوصلهم الخبر بملكها فعادوا وكان سبب تأخرهم ان ملكهم الكندهري سقط من موضع عال بعكا فمات فاختلفت أحوالهم فتأخروا لذلك وعاد المسلمون الى عين جالوت فوصلهم الخبر بان الفرنج على عزم قصد بيروت فرحل العادل والعسكر في ذي القعدة الى مرج العيون وعزم على تخريب بيروت فسار اليها جمع من العسكر وهدموا سور المدينة سابع ذي الحجة وشرعوا في تخريب دورها وتخريب القلعة فمنعهم اسامة من ذلك وتكفل بحفظها ورحل الفرنج من عكا الى صيدا وعاد عسكر المسلمين من بيروت فالتقوا هم والفرنج بنواحي صيدا وجرى بينهم مناوشة فقتل من الفريقين جماعة وحجز بينهم الليل وسار الفرنج تاسع ذي الحجة فوصلوا الى بيروت فلما قاربوها هرب منها اسامة وجميع من معه من المسلمين فملكوها صفوا عفوا بغير حرب ولا قتال وكانت غنيمة باردة فارسل العادل الى صيدا من خرب ما كان بقي منها فان صلاح الدين كان قد خرب أكثرها وسارت العساكر الاسلامية الى صور فقطعوا اشجارها

من أعيانه للاقائم الثاني اذا حلوا بارض الصعيد لا يأخذون من أهل النواحي كلفة ولا دجاجة ولا رغيفا واحدا وانما الذي يتعين للاقائم يقوم لهم بما يحتاجون اليه من مؤنة وعليق ومصروف الثالث انى لا أقطعهم شيئا من الاراضي والنواحي ولا اقامة في جهة من جهات أراضي مصر بل يأتون عندي وينزلون على حكمي ولهم ما يليق بكل واحد منهم من المسكن والتعيين والمصروف ومن كان ذا قوة قلدته منصبا أو خدمة تليق به او ضممته الى بعض الاكابر من رؤساء العسكر وان كان ضعيفا او هرما اجريت عليه نفقة لنفسه وعياله الرابع انهم اذا حصلوا بمصر على هذه الشروط وطلبوا شيئا من اقطاع او رزقة او قنطرة او اقل مما كان في تصرفهم في الزمن الماضي او نحو ذلك انتقض معي عهدهم وبطل اماني لهم عند فقد شرط واحد من هذه الشروط وهي سبعة غاب عن ذهني باقيها فسبحان المعز المذل مقلب الاحوال ومغير الشؤن فمن العبر انه لما حضر المصريون ودخلوا الى مصر بعد مقتل طاهر باشا وثاروا وتحكموا فكانت عساكر الاتراك في خدمتهم ومن ارذل طوائفهم وعلائفهم تصرف عليهم من ايدى كتابهم واتباعهم وابراهيم بك هو الامير الكبير وراتب محمد على باشا هذا

وخربوا ما لها من قرى وابراج فلما سمع الفرنج بذلك رحلوا من بيروت الى صور واقاموا عليها ونزل المسلمون عند قلعة هونين واذن للعساكر الشرقية بالعود ظنا منه ان الفرنج يقيمون ببلادهم واراد ان يعطي العساكر المصرية دستورا بالعود فاتاه الخبر منتصف المحرم ان الفرنج يريدون ان يحصروا حصن تبنين فسير العادل اليه عسكرا يحمونه ويمنعون عنه ورحل الفرنج من صور ونازلوا تبنين اول صفر سنة اربع وتسعين وقاتلوا من به وجدوا في القتال ونقبوه من جهاتهم فلما علم العادل بذلك ارسل الى العزيز بمصر يطلب منه ان يحضر هو بنفسه ويقول له ان حضرت والا فلا يمكن حفظ هذا الثغر فسار العزيز مجدا فمن بقي معه من العساكر واما من بحصن تبنين فانهم لما راوا النقوب قد خربت القلعة ولم يبق الا ان يملكوها بالسيف نزل بعض من فيها الى الفرنج يطلب الامان على انفسهم واموالهم ليسلموا القلعة وكان المرجع الى القسيس الخنصلير من اصحاب ملك الالمان فقال لهؤلاء المسلمين بعض الفرنج الذين من ساحل الشام ان سلمتم الحصن استاسركم هذا وقتلكم فاحفظوا انفسكم فعادوا كأنهم يراجعون من في القلعة ليسلموا فلما صعدوا اليها اصروا على الامتناع وقاتلوا قتال من يحمي نفسه فحموها الى ان وصل الملك العزيز الى عسقلان في ربيع الاول فلما سمع الفرنج بوصوله واجتماع المسلمين وان الفرنج ليس لهم ملك يجمعهم وان امرهم الى امراة وهي الملكة فاتفقوا وارسلوا الى ملك قبرس واسمه هيمرى فاحضروه وهو اخو الملك الذي اسر بحطين كما ذكرناه فزوجوه بالملكة زوجة الكندهرى وكان رجلا عاقلا يحب السلامة والعافية فلما ملكهم لم يعد الى الزحف على الحصن ولا قاتل واتفق وصول العزيز اول شهر ربيع الآخر ورحل هو والعساكر الى جبل الخليل الذي يعرف بجبل عاملة فاقاموا اياما والامطار متداولة فبقي الى ثالث عشر الشهر ثم سار وقارب الفرنج وارسل رماة النشاب فرموهم ساعة وعادوا ورتب العساكر ليزحف الى الفرنج ويجد في قتالهم فرحلوا الى صور خامس عشر الشهر المذكور ليلا ثم رحلوا الى عكا فسار المسلمون فنزلوا اللجون وتراسلوا في الصلح وتطاول الامر فعاد العزيز الى مصر قبل انفصال الحال وسبب رحيله ان جماعة من الامراء وهم ميمون القصري واسامة وسرا سنقر والجاف وابن المشطوب وغيرهم قد عزموا على الفتك به وبفخر الدين جركس مدبر دولته والله سبحانه وتعالى اعلم بذلك فلما سمع بذلك سار الى مصر وبقي العادل وترددت الرسل بينه وبين الفرنج في الصلح في شعبان سنة اربع وتسعين فلما انتظم الصلح عاد العادل الى دمشق وسار منها الى ماردين من ارض الجزيرة فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر وفاة سيف الاسلام وملك ولده)

في شوال من هذه السنة توفي سيف الاسلام طغتكين بن ايوب اخو صلاح الدين وهو صاحب اليمن بزبيد وقد ذكرنا كيف ملكها وكان شديد السيرة مضيقا على رعيته يشتري

والذين الذي عينه له من كثرة ... وزيادة من سوء المنقلب ورجع سليم كاشف المرسل اليهم بالجواب المشتمل على ما فيه من الشروط (وفيه) امر الباشا بحبس احمد افندي المعارجي بدار الضرب وحبس ايضا عبد الله بكتاش ناظر الضربخانه واحتج عليهما باختلاسات يختلسانها واستمرا اياما حتى قرر عليهما نحو السبعمائة كيس وعلى الحاج سالم الجواهرجي وهو الذي يتعاطى ايراد الذهب والفضة الى شغل الضربخانه مثلها ثم اطلق المذكوران ليحصلا ما تقرر عليهما وكذلك اطلق الحاج سالم وشرعوا في التحصيل بالبيع والاستدانة واشتد القهر بالحاج سالم ومات على حين غفلة وقيل انه ابتلع فص الماس وكان عليه ديون باقية من التي استدانها في المرة الاولى والغرامة السابقة

(ومن النوادر الغريبة والاتفاقات العجيبة) انه لما مات ابراهيم بك المذكور بالضربخانه قبل تاريخه تزوج بزوجته احمد افندي المعارجي المذكور فلما عوق احمد افندي خافت زوجته المذكورة ان يدهمها امر مثل الختم على الدار او نحو ذلك فجمعت مصاغها وما تخاف عليه مما خف حمله وثقل ثمنه وربطته في صرة واودعتها عند امراة من معارفه ... وضعتها في بيت تلك المراة ... واخذت تلك الصرة وذهب بها الى ... اموال

اموال التجار لنفسه ويبيعها كيف شاء وارادملك مكة حرسها الله تعالى فارسل الخليفة الناصر لدين الله الى اخيه صلاح الدين فى المعنى فمنعه من ذلك وجمع من الاموال ما لا يحصى حتى انه من كثرته كان يسبك الذهب ويجعله كالطاحون ويدخره ولما توفى ملك بعده ابنه اسمعيل وكان اهوج كثير التخليط بحيث انه ادعى انه قرشى من بنى امية وخطب لنفسه بالخلافة وتلقب بالهادى فلما سمع عمه الملك العادل ذلك ساءه واهمه وكتب اليه يلومه ويوبخه ويامره بالعود الى نسبه الصحيح ويترك ما ارتكبه مما يضحك الناس منه فلم يلتفت اليه ولم يرجع واضاف الى ذلك انه اساء السيرة مع اجناده وامرائه فوثبوا عليه فقتلوه وملكوا بعده اميرا من مماليك ابيه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى ربيع الآخر توفى أبو بكر عبد الله بن منصور بن عمران الباقلانى المقرى الواسطى بها عن ثلاث وسبعين سنة وثلاثة اشهر وايام وهو آخر من بقى من اصحاب القلانسى وفى جمادى الآخرة توفى قاضى القضاة أبو طالب على بن البخارى ببغداد ودفن بتربته فى مشهد باب التبن وفيها فى ربيع الآخر توفى ملكشاه بن خوارزمشاه تكش بنيسابور وكان أبوه قد جعله فيها واضاف اليه عسكرا جميع بلاده التى بخراسان وجعله ولى عهده فى الملك وخلف ولدا اسمه هندوخان فلما مات جعل فيها ابوه خوارزمشاه بعده ولده الآخر قطب الدين محمدا وهو الذى ملك بعد ابيه وكان بين الاخوين عداوة مستحكمة افضت الى ان محمدا لما ملك بعد ابيه هرب هندوخان بن ملكشاه منه على ما نذكره وفيها توفى شيخنا ابو القاسم يعيش بن صدقة بن على الفراتى الضرير الفقيه الشافعى كان اماما فى الفقه مدرسا صالحا كثير الصلاح سمعت عليه كثيرا لم ار مثله رحمه الله تعالى ولقد شاهدت منه عجبا يدل على دينه وارادته بعمله وجه الله تعالى وذلك أنى كنت اسمع عليه ببغداد سنن ابى عبد الرحمن النسائى وهو كتاب كبير والوقت ضيق لانى كنت مع الحجاج قد عدنا من مكة حرسها الله فبينما نحن نسمع عليه ومع اخى الاكبر مجد الدين ابى السعادات اذ قد أتاه انسان من اعيان بغداد وقال له قد برز الامر الشريف بالحضور لامر كذا فقال انا مشغول بسماع هؤلاء السادة ووقتهم يفوت والذى يرسم لا يفوت فقال انا لا احسن اذكر هذا فى مقابل امر الخليفة فقال لا عليك قل قد قال ابو القاسم لا احضر حتى يفرغ السماع فسالناه المشى معه فلم يفعل ذلك وقال اقرؤا فقرأنا فبكر فحضر غلام لنا وذكر ان امير الحاج الموصلى قد رحل فعظم الامر علينا فقال ولم عظم عليكم العود الى اهلكم وبلدكم فقلنا لاجل فراغ هذا الكتاب فقال اذا رحلتم استعيروا دابة واركبها واسير معكم وانتم تقرؤن فاذا فرغتم عدت فمضى الغلام ليتزود ونحن نقرا فعاد وذكر ان الحاج لم يرحلوا ففرغنا من الكتاب فانظر الى هذا الدين المتين يرد امر الخليفة وهو يخافه ويرجوه ويريد يسير معنا ونحن غرباء لا يخافنا ولا يرجونا

(ثم دخلت سنة اربع وتسعين وخمسمائة)

دار امرأة من اقاربه بالقرب من جامع مسكة وقال لها احفظى عندك هذه الصرة حتى ارجع ونزل الى اسفل الدار فنادته المراة اصبر حتى آتيك بشئ تاكله فقال نعم فانى جيعان وجلس اسفل الدار ينتظر اتيانها له بما ياكله وصادف مجئ زوج المراة تلك الساعة فوجده فرحب به وهو يعلم بحاله ويكره مجيئه الى داره وطلع الى زوجته فوجد بين يديها تلك الصرة فسالها عنها فاخبرته ان قريبها المذكور اتى بها اليها حتى يعود لاخذها فجسها فوجدها ثقيلة فنزل فى الحال ودخل على محمد افندى سليم من اعيان جيران الخطة فاخبره فحضر محمد افندى أنفارا من الجيران ايضا وفيهم الخطا المنسوب الى احد اغاوات المقتول ودخل الجميع الى الدار وذلك الحرامى جالس ومشتغل بالاكل فوكلوا به الخدم وحضروا تلك الصرة وفتحوها فوجدوا بها مصاغا وكيسا بداخله انصاف فضة عددية ذكروا ان عدتها اربعون الفا ولكنها من غير ختم وبدون نقش السكة فاخذوا ذلك وتوجهوا لكتخدا بك وصحبتهم الحرامى فسالوه وهددوه فاقر واخبر عن المكان الذى اختلسها منه فاحضر واصاحبة المكان فقالت هو وديعة عندى زوجة احمد افندى المدايرجى فثبت لديهم خيانته واختلاسه وسئل احمد افندى فحلف انه لا يعلم بشئ من ذلك وان زوجته كانت زوجا لابراهيم

(ذكر وفاة عماد الدين وملك ولده قطب الدين محمد)

في هذه السنة في المحرم توفي عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي بن آقسنقر صاحب سنجار ونصيبين والخابور والرقة وقد تقدم ذكر كيف ملكها سنة تسع وستين وكان رحمه الله عادلا حسن السيرة في رعيته عفيفا عن اموالهم واملاكهم متواضعا يحب اهل العلم والدين ويحترمهم ويجالسهم ويرجع الى اقوالهم الا انه كان بخيلا شديد البخل وملك بعده ابنه قطب الدين محمد وتولى تدبير دولته مجاهد الدين يرنقش مملوك ابيه وكان دينا خيرا عادلا حسن السيرة كثير البر والاحسان الى الفقراء وكان رحمه الله شديد التعصب لمذهب الحنفية كثير الذم للشافعية فمن تعصبه انه بنى مدرسة للحنفية بسنجار وشرط ان يكون النظر للحنفية من اولاده دون الشافعية وشرط ان يكون البواب والفراش على مذهب ابي حنيفة وشرط للفقهاء طبيخا يطبخ ذلك كل يوم وهذا نظر حسن رحمه الله

(ذكر ملك نور الدين نصيبين)

في هذه السنة في جمادى الاولى سار نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل الى مدينة نصيبين فملكها واخذها من ابن عمه قطب الدين محمد وسبب ذلك ان عمه عماد الدين كان له نصيبين فتطاول نوابه بها واستولوا على عدة قرى من اعمال بين النهرين من ولاية الموصل وهي تجاور نصيبين فبلغ الخبر مجاهد الدين قايماز القائم بتدبير مملكة نور الدين بالموصل كلها والمرجوع اليه فيها فلم يعلم مخدومه بذلك لما علم من قلة صبره على احتمال مثل هذا وخاف ان يجري خلف بينهم فارسل من عنده رسولا الى عماد الدين في المعنى وقبح هذا الفعل الذي فعله النواب بغير امره وقال انني ما اعلمت نور الدين بالحال لئلا يخرج عن يدك فانه ليس كوالده وأخاف ان يبدو منه ما يخرج الامر فيه عن يدي فاعاد الجواب انهم لم يفعلوا الا ما امرتهم به وهذه القرى من اعمال نصيبين فترددت الرسل بينهما فلم يرجع عماد الدين عن اخذها فحينئذ اعلم مجاهد الدين نور الدين بالحال فارسل نور الدين رسولا من مشايخ دولته ممن خدم جدهم الشهيد زنكي ومن بعده وحمله رسالة فيها بعض الخشونة فمضى الرسول فلحق عماد الدين قد مرض فلما سمع الرسالة لم يلتفت وقال لا اعيد ملكي فاشار الرسول من عنده حيث هو من مشايخ دولتهم بترك وتسليم ما اخذه وحذره عاقبة ذلك فاغلظ عليه عماد الدين القول وعرض بذم نور الدين واحتقاره فعاد الرسول وحكى لنور الدين جلية الحال فغضب نور الدين وعزم على المسير الى نصيبين واخذها من عمه فاتفق ان عمه مات وملك بعده ابنه فقوي طمعه فمنعه مجاهد الدين فلم يمتنع وتجهز وسار اليها فلما سمع قطب الدين صاحبها سار اليها من سنجار في عسكره ونزل عليها ليمنع نور الدين عنها فوصل نور الدين وتقدم الى البلد وكان بينهما نهر فخاضه بعض امرائه وقاتل من بازائه فلم يثبتوا له فعبر جميع العسكر النوري وتمت الهزيمة على قطب الدين فقصد هو ونائبه

المادة فلعل ذلك عندها من ايامه وسئلت هي ايضا عن تحقيق ذلك فقالت الصحيح ان ابراهيم المداد كان اشترى هذه الدراهم من شخص مغربي عندما نهب عسكر المغاربة الضربخانه في وقت حادثة الامراء المصريين وخروجهم من مصر عندما قامت عليهم عسكر الاتراك فلم يزيلوا الشبهة عن احمد افندي بل زادت وكانت هذه النادرة من عجائب الاتفاق فقدروا ثمنها وخصموها من المطلوب منه (وفي يوم الخميس عشرينه) حصلت جمعية ببيت البكري وحضر المشايخ وخلافهم وذلك بامر باطني من صاحب الدولة وتذكروا ما يفعله قاضي العسكر من الجور والطمع في اخذه اموال الناس والمحاصيل وذلك ان القضاة الذين ياتون من باب السلطنة كانت لهم عوائد وقوانين قديمة لا يتعدونها في ايام الامراء المصريين فلما استولت هؤلاء الاروام على الممالك والقاضي منهم فحش امرهم وزاد طمعهم وابتدعوا بدعا وابتكروا حيلا لسلب اموال الناس والايتام والارامل وكلما ورد قاض ورأى ما ابتكره الذي كان قبله احدث هو الآخر اشياء يمتاز بها عن سلفه حتى فحش الامر وتعدى ذلك لقضايا اكابر الدولة وكتخدا بك بل بالباشا وصارت فرجة واعراضهم لا يحتشمون منه ولا يراعون خليلا ولا كبيرا

مجاهد الدين برنقش الى قلعة نصيبين وأدركهم الليل فخرجوا منها هاربين الى حران وراسلوا الملك العادل أبا بكر بن أيوب صاحب حران وغيرها وهو بدمشق وبذلوا له الاموال الكثيرة لينجدهم ويبعد نصيبين اليهم وأقام نور الدين بنصيبين فلما ملكها فتضعضع عسكره بكثرة الامراض وعودهم الى الموصل وموت كثير منهم ووصل العادل الى الديار الجزرية فحينئذ فارق نور الدين نصيبين وعاد الى الموصل في شهر رمضان فلما فارقها تسلمها قطب الدين وممن توفي من امراء الموصل عز الدين جورديك وشمس الدين عبد الله بن ابراهيم وفخر الدين عبد الله بن عيسى المهرانيان ومجاهد الدين قايماز وظهير الدين بولق بن بلنكري وجمال الدين محاسن وغيرهم ولما عاد نور الدين الى الموصل قصد العادل قلعة ماردين فحصرها وضيق على اهلها على ما نذكره ان شاء الله تعالى

ذكر ملك الغورية مدينة بلخ من الخطا الكافرة

في هذه السنة ملك بهاء الدين سام بن محمد بن مسعود وهو ابن اخت غياث الدين وشهاب الدين صاحب غزنة وغيرها وله باميان مدينة بلخ وكان صاحبها تركيا اسمه ازبه وكان يحمل الخراج كل سنة الى الخطا بما وراء النهر فتوفي في هذه السنة فسار بهاء الدين سام الى المدينة فملكها وتمكن منها وقطع الحمل الى الخطا وخطب لغياث الدين وصارت من جملة بلاد الاسلام بعد ان كانت في طاعة الكفار

ذكر انهزام الخطا من الغورية

وفي هذه السنة عبر الخطا نهر جيحون الى ناحية خراسان بعد توالي البلاد وافسدوا فلقيهم عسكر غياث الدين الغوري وقاتلهم فانهزم الخطا وكان سبب ذلك ان خوارزم شاه تكش كان قد سار الى بلاد الري وهمذان واصفهان وما بينهما من البلاد وملكها وتعرض الى عساكر الخليفة وأظهر طلب السلطنة والخطبة ببغداد فارسل الخليفة الى غياث الدين ملك الغور وغزنة يأمره بقصد بلاد خوارزم شاه ليعود عن قصد العراق وكان خوارزم شاه قد عاد الى خوارزم فراسله غياث الدين يقبح له فعله ويتهدده بقصد بلاده وأخذها فارسل خوارزم شاه الى الخطا يشكو اليهم من غياث الدين ويقول ان لم تدركوه بانفاذ العساكر والا أخذ غياث الدين بلاده كما أخذ مدينة بلخ وقصد بعد ذلك بلادهم ويتعذر عليهم منعه ويعجزون عنه ويضعفون عن رده عما وراء النهر فجهز ملك الخطا جيشا كثيفا وجعل مقدمهم المعروف بطاينكو وهو كالوزير فساروا وعبروا جيحون في جمادى الآخرة وكان الزمان شتاء وكان شهاب الدين الغوري اخو غياث الدين ببلاد الهند والعساكر معه وغياث الدين به من النقرس ما يمنعه من الحركة انما يحمل في محفة ولدى يقود الجيش ويباشر الحروب اخوه شهاب الدين فلما وصل الخطا الى جيحون سار خوارزم شاه الى طوس عازما على قصد هراة ومحاصرتها وعبر الخطا نهر جيحون الى بلاد الغور مثل كرزبان وشبرغان

ولاجليلا وكان المعتاد القديم انه اذا ورد القاضي في أول السنة التوتية التزم بالقضية بعض المميزين من رجال المحكمة بقدر معلوم يقوم بدفعه للقاضي وكذلك تقرير الوظائف كانت بالفراغ او المحلول وله شهريات على باقي المحاكم الخارجة كالصالحية وباب سعادة والخرق وباب الشعرية وباب زويلة وباب الفتوح وطيلون وقناطر السباع وبولاق ومصر القديمة ونحو ذلك وله ايضا جوامك وغلال من الميري وليس له غير ذلك الا معلوم الامضاء وهو خمسة انصاف فضة فاذا احتاج الناس في قضاياهم ومواريثهم احضروا شاهدا من المحكمة القريبة منهم فيقضي فيما يقتضيه ويعطونه جرته وهو يكتب التوثيق او حجة المبايعة او التوريث ويجمع العدة من الاوراق في كل جمعة او شهر ثم يمضيها من القاضي ويدفع له معلوم الامضاء لا غير واما القضايا لمثل العلماء والامراء فبالمسامحة والاكرام وكان القضاة يخشون صولة فقهاء وقتكم وهم يصدعون بالحق ولا يداهنون فيه فلما تغيرت الاحوال وتحكمت الاتراك وقضاتها ابتدعوا بدعا شتى منها ابطال نواب الحكم وابطال القضاة الثلاثة خلاف مذهب الحنفي وان تكون جميع الدعاوى بين يديه ويدي نائبه وبعد الانفصال يأمرهم بالذهاب الى كتخداه ليدفع

وغيرهما وقتلوا وأسروا ونهبوا وسبوا كثيرا لا يحصى فاستغاث الناس بغياث الدين فلم يكن عنده من العساكر ما يلقاهم بها فراسل الخطا بهاء الدين سام ملك باميان يأمرونه بالافراج عن بلخ وانه يحمل ما كان من قبله يحمله من المال فلم يجبهم الى ذلك وعظمت المصيبة على المسلمين بما فعله الخطا فانتدب الامير محمد بن جربك الغوري وهو مقطع الطالقان من قبل غياث الدين وكان شجاعا وكاتب الحسين بن خرميل وكان بقلعة كرزبان واجتمع معهما الامير حروش الغوري وساروا بعساكرهم الى الخطا فبيتوهم وكبسوهم ليلا ومن عادة الخطا انهم لا يخرجون من خيامهم ليلا ولا يفارقونها فأتاهم هؤلاء الغورية وقاتلوهم واكثروا القتل في الخطا وانهزم من سلم منهم من القتل وأين ينهزمون والعسكر الغوري خلفهم وجيحون بين أيديهم وظن الخطا ان غياث الدين قد قصدهم في عساكره فلما اصبحوا وعرفوا من قاتلهم وعلموا ان غياث الدين بمكانه قويت قلوبهم وثبتوا عامة نهارهم فقتل من الفريقين خلق عظيم ولحقت المتطوعة بالغوريين وأتاهم مدد من غياث الدين وهم في الحرب فثبت المسلمون وعظمت نكايتهم في الكفار وحمل الامير حروش على قلب الخطا وكان شيخا كبيرا فاصابه جراحة توفي منها ثم ان محمود بن جربك وابن خرميل حملا في اصحابهما وتنادوا ان لا يرمي احد بقوس ولا يطعن برمح وأخذوا اللتوت وحملوا على الخطا فهزموهم والحقوهم بجيحون فمن صبر قتل ومن القى نفسه في الماء غرق ووصل الخبر الى ملك الخطا فعظم عليه وأرسل الى خوارزم شاه يقول له انت قتلت رجالي واريد من كل قتيل عشرة آلاف دينار وكان القتلى اثني عشر الفا وانفذ اليه من رده الى خوارزم والزموه بالحضور عنده فارسل حينئذ خوارزم شاه الى غياث الدين يعرفه حاله مع الخطا ويشكو اليه ويستعطفه غير مرة فاعاد الجواب يأمره بطاعة الخليفة واعادة ما أخذه الخطا من بلاد الاسلام فلم ينفصل بينهما حال

(ذكر ملك خوارزم شاه مدينة بخارا)

لما ورد رسول ملك الخطا على خوارزم شاه بما ذكرناه اعاد الجواب ان عسكرك انما قصد انتزاع بلخ ولم يأتوا الى نصرتي ولا اجتمعت بهم ولا امرتهم بالعبور وان كنت فعلت ذلك فانا مقيم بالمال المطلوب مني ولكن حيث عجزتم انتم عن الغورية عدتم علي بهذا القول وهذا المطلب واما انا فقد اصلحت الغورية ودخلت في طاعتهم ولا طاعة لكم عندي فعاد الرسول بالجواب فجهز ملك الخطا جيشا عظيما وسيره الى خوارزم فحصرها فكان خوارزم شاه يخرج اليهم كل ليلة ويقتل منهم خلقا عظيما وأتاه من المتطوعة خلق كثير فلم يزل هذا فعلهم حتى على اكثرهم فدخل الباقون الى بلادهم ورحل خوارزم شاه في آثارهم وقصد بخارا فنازلها وحصرها وامتنع أهلها منه وقاتلوه مع الخطا حتى انهم أخذوا كلبا أعور وألبسوه قباء وقلنسوة وقالوا هذا خوارزم شاه لانه كان أعور وطافوا به على السور ثم ألقوه في منجنيق الى العسكر وقالوا

الحصول فيطلب منهم المقادير الخارجة عن المعقول وذلك خلاف الرشوات الخفية والمصالحات السرية واضاف التقرير والقسمة لنفسه ولا يلتزم بها احد من الشهود كما كان في السابق واذا دعي بعض الشهود لكتابة توثيق او مبايعة او تركة فلا يذهب لا بعد ان يأذن له القاضي او يصحبه جوخدار ليباشر القضية وله نصيب ايضا وزاد طمع هؤلاء الجوخدارية حتى لا يرضون بالقليل كما كان في اول الامر وتخالف معهم اشخاص بمصر من حاذ بهم وصاروا عند المتولي لما انفتح لهم هذا الباب واذا ضبطوا تركة من التركات وبلغت مقدارا اخرجوا القاضي العشر من ذلك ومعلوم الكاتب والجوخدار والرسول ثم التجهيز والتكفين والمصرف والديون وما بقي بعد ذلك يقسم بين الورثة فيتفق ان الوارث واليتيم لا يبقى له شيء ويأخذ من ارباب الديون عشر ديونهم ايضا ويأخذ من محاليل وظائف التقارير معلوم سنتين او ثلاثة وقد كان يصالح عليها بادنى شيء والا كراما وابتدع بعضهم الفحص عن وظائف القبانية والموازين وطلب تقاريرهم القديمة ومن اين تلقوها وتعلل عليهم بعدم الاهلية وقرر وقيدها على اسم الفقراء والمسوءه الاقلاف وجمع من هذا النوع مقدارا عظيما من المال ثم محاسبات

ده اسلطانكم وكان الخوارزميون يسبونهم و يقولون يا أجناد الكفار أنتم قد ارتددتم عن الاسلام فلم يزل هذا دأبهم حتى ملك خوارزم شاه البلاد بعد أيام يسيرة عنوة وعفا عن أهلها واحد من اليهم وفرق فيهم مالا كثيرا واقام بها مدة ثم عاد الى خوارزم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ذي الحجة توفي ابو طالب يحيى بن سعيد بن زيادة كاتب الانشاء بديوان الخليفة وكان عالما فاضلا له كتابة حسنة وكان رجلا عاقلا خيرا كثير النفع للناس وله شعر جيد وفيها حصر الملك العادل أبو بكر بن أيوب قلعة ماردين في شهر رمضان وقاتل من بها وكان صاحبها حسام الدين يولق ارسلان بن ايلغازي بن البي بن تمرتاش بن ايلغازي بن أرتق كل هؤلاء ملوك ماردين وقد تقدم من اخبارهم ما يعلم به محلهم وكان صبيا والحاكم في بلاده ودولته مملوك أبيه النظام يرنقش وليس لصاحبه معه حكم البتة في شئ من الامور ولما حصر العادل ماردين ودام عليها اسلم اليه بعض اهلها الربض غادرة منهم فنهب العسكر أهله نهبا قبيحا وفعلوا بهم افعالا عظيمة لم يسمع بمثلها فلما تسلم الربض تمكن من حصر القلعة وقطع الميرة عنها وبقي عليها الى ان رحل عنها سنة خمس وتسعين على ما نذكره ان شاء الله وفيها توفي الشيخ ابو علي الحسن بن مسلم ابن ابي الحسن القادسي الزاهد المقيم بقادسية القادسية التي ينسب اليها قرية بنهر عيسى من أعمال بغداد وكان من عباد الله الصالحين العاملين ودفن بقريته وأبو المجد علي ابن ابي الحسن علي بن الناصر بن محمد الفقيه الحنفي مدرس أصحاب أبي حنيفة ببغداد وكان من اولاد محمد بن الحنفية ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

(ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة)

(ذكر وفاة الملك العزيز وملك أخيه الافضل ديار مصر)

في هذه السنة في العشرين من المحرم توفي الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف ابن أيوب صاحب ديار مصر وكان سبب موته انه خرج الى الصيد فوصل الى الفيوم متصيدا فرأى ذئبا فركض فرسه في طلبه فعثر الفرس فسقط عنه في الارض ولحقته حمى فعاد الى القاهرة مريضا فبقي كذلك الى ان توفي فلما مات كان الغالب على أمره مملوكه والده فخر الدين جهاركس وهو الحاكم في بلده فاحضر انسانا كان عندهم من أصحاب الملك العادل أبي بكر بن أيوب وأرسله نحو مزميتا وسيره الى العادل وهو يحاصر ماردين كما ذكرناه ويستدعيه ليملكه البلاد فسار القاصد مجدا فلما كان بالشام رأى بعض اصحاب الافضل علي بن صلاح الدين فقال له قل لصاحبك ان اخاه العزيز توفي وليس في البلاد من يمنعها فليسر اليها فليس دونها مانع وكان الافضل محبوبا في الناس يريدونه فلم يلتفت الافضل الى هذا القول واذ قد وصله رسل الامراء من مصر يدعونه اليها ليملكوه وكان السبب في ذلك ان الامير سيف الدين يازكج مقدم الاسدية والفرقة الاسدية والامراء الاكراد يريدونه ويميلون اليه وكان المماليك الناصرية

نظار الاوقاف والعزل والتولية فيهم والمصالحات على ذلك وقرر على نصارى الاقباط والاروام قدرا عظيما في كل سنة بصحة المحاسبة على الدبور والكنائس ومما هو زائد الشناعة ايضا انه اذا ادعى مبطل على انسان دعوى لا اصل لها بان قال ادعى عليه بكذا او كذا من المال وغيره كتب المقيد ذلك القول حقا كان او باطلا معقولا او غير معقول ثم يظهر بطلان الدعوى أو صحة بعضها فيطالب الخصم بحصول القدر الذي ادعاه المدعي وسطره الكاتب يدفعه المدعى عليه للقاضي على دور النصف الواحد او يحبس عليه حتى يوفيه وذلك خلاف ما يؤخذ من الخصم الآخر وحصل نظيرها لبعض من هو منتمي لكتخدا باك فحبس على الحصول فارسل الكتخدا يترجى في اطلاقه والمصالحة عن بعضه فابى فعند ذلك حنق الكتخدا وارسل من اعوانه من استخرجه من الحبس ومن الزيادات في تعمة الطنبور كتابة الاعلامات وهو انه اذا حضر عند القاضي دعوى بقاصد من عند الكتخدا او الباشا فيقضي فيها وقضى فيها لاحد الخصمين طلب المقضي له اعلاما بذلك الى الكتخدا او الباشا ليرجع به مع القاصد تقييدا واثباتا فعند ذلك لا يكتب له ذلك الاعلام لا بما يرضيه لا يرضيه الا ان يسلخ من جلده طاقا وطاقين وقد حكمت عليه

الذين هم مماليك أبيه يكرهونه فاجتمع سيف الدين مقدم الاسدية وفخر الدين جهاركس مقدم الناصرية ليتفقوا على من يولونه الملك فقال فخر الدين نولي ابن الملك العزيز فقال سيف الدين انه طفل وهذه البلاد ثغر الاسلام ولا بد من قيم بالملك يجمع العساكر ويقاتل بها والرأي ان نجعل الملك في هذا الطفل الصغير ونجعل معه بعض أولاد صلاح الدين يدبره الى ان يكبر فان العساكر لا تطيع غيرهم ولا تنقاد لامير فاتفقا على هذا فقال جهاركس فمن يتولى هذا فاشار يازكج بغير الافضل فجرى بينه وبين جهاركس منازعة لئلا يتهم وينفر جهاركس عنه فامتنع من ولايته فلم يزل يذكر من أولاد صلاح الدين واحدا بعد آخر الى ان ذكر آخرهم الافضل فقال جهاركس هو بعيد عنا وكان بصرخد مقيما فيها من حين أخذت منه دمشق فقال يازكج نرسل اليه من يطلبه مجدا فاخذ جهاركس يغالطه فقال يازكج نمضي الى القاضي الفاضل ونأخذ رأيه فاتفقا على ذلك وارسل يازكج يعرفه ذلك ويشير بتمليك الافضل فلما اجتمعا عنده وعرفاه صورة الحال أشار بالافضل فارسل يازكج في الحال القصاد وراءه فسار عن صرخد لليلتين بقيتا من صفر متنكرا في تسعة عشر نفسا لان البلاد كانت للعادل ويضبط نوابه الطرق لئلا يجوز الى مصر ليجيء العادل ويملكها فلما قارب الافضل القدس وقد عدل عن الطريق المؤدي اليه لقيه فارسان قد أرسلا اليه من القدس فاخبراه ان من بالقدس قد صار في طاعته وجد في السير فوصل الى بلبيس خامس ربيع الاول ولقيه اخوته وجماعة الامراء المصرية وجميع الاعيان فاتفق ان أخاه الملك المؤيد مسعودا صنع له طعاما وصنع له فخر الدين مملوك أبيه طعاما فابتدأ بطعام أخيه ليمين حلفها أخوه انه يبدأ به فظن جهاركس انه فعل هذا انحرافا عنه وسوء اعتقاد فيه فتغيرت نيته وعزم على الهرب فحضر عند الافضل وقال ان طائفة من العرب قد اقتتلوا ولئن لم تمض اليهم تصلح بينهم يؤدي ذلك الى فساد فاذن له الافضل في المضي اليهم ففارقه وسار مجدا حتى وصل الى البيت المقدس ودخله وتغلب عليه ولحقه جماعة من الناصرية منهم قراجة الزركش وسراسنقر وأحضروا عندهم ميمونا القصري صاحب نابلس وهو أيضا من المماليك الناصرية فقويت شوكتهم به واجتمعت كلمتهم على خلاف الافضل وأرسلوا الى الملك العادل وهو على ماردين يطلبونه اليهم ليدخلوا معه الى مصر ليملكوها فلم يسر اليهم لانه كانت أطماعه قد قويت في أخذ ماردين وقد عجز من بها عن حفظها وانه يأخذها والذي يريدونه لا يفوته وأما الافضل فانه دخل الى القاهرة سابع ربيع الاول وسمع هرب جهاركس فاهمه ذلك وترددت الرسل بينه وبينهم ليعودوا اليه فلم يزدادوا الا بعدا ولحق بهم جماعة من الناصرية أيضا فاستوحش الافضل من الباقين فقبض عليهم وهم شقيرة وأيبك فطيس والبكي الفارس وكل هؤلاء بطل مشهور ومقدم مذكور سوى من ليس مثلهم في التقدم وعلو القدر وأقام الافضل بالقاهرة وأصلح الامور وقرر القواعد والمرجع في جميع الامور الى سيف الدين يازكج

الصورة وقابوا الباشا او الكتخدا ملازم له وينتهي ويساعد كتخدا القاضي عليه ويسليه على ذلك الظفر والنصرة على الخصم مع ان الفرنساوية الذين كانوا لا يتدينون بدين لما قلدوا الشيخ احمد العريشي القضاء بين المسلمين بالمحكمة حددوا له حدا في أخذ المحاصيل لا يتعداه بان يأخذ على المائة اثنين فقط له منها جزء والكتاب جزء فلما زاد الحال وتعدى الى أهل الدولة وتبواهذه الجمعية فلما تكاملوا بمجلس بيت البكري كتبوا عرضا محضرا ذكروا فيه بعض هذه الاحداثات والتمسوا من ولي الامر رفعها ويرجون من المراحم ان يجري القاضي ويسلك في الناس طريقا من احدى الطرق الثلاث اما الطريقة التي كان عليها القضاة في زمن الامراء المصريين واما الطريقة التي كانت في زمن الفرنساوية او الطريقة التي كانت ايام مجيء الوزير وهي الاقرب والاوفق وقد اخترناها ورضيناها بالنسبة لما هم عليه الآن من الجور • وتمموا العرض محضرا وأطلعوا عليه الباشا فارسله الى القاضي فامتثل الامر وسهل بالعجل على مضض منه ولم تسعه المخالفة

•(واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٣١)•

في منتصفه ورد الخبر بموت •بسه دلي بك دالي باشا بناحية الاسكندرية وهو قريب الباشا واخو زوجته

(ذكر

(واستهل شهر رجب الاصم بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢١) (في ثالثه يوم الخميس) ٩٧ قبل الغروب حصل في الناس انزعاج ولغط ونقل اصحاب الحوانيت بضائعهم منها مثل سوق الغورية ومرجوش وخان الحمزاوي وخان الخليلي وغيرهم ولم يظهر لذلك سبب من الاسباب واصبح الناس مبهوتين وانعطوا عوت الباشا وحضر اغات الينكجرية واغات التبديل الى الغورية واقاما بطول النهار وهما يأمر ان الناس بالسكون وفتح الدكاكين وكذلك على اغا الوالي بباب زويلة واصبح يوم السبت فركب الباشا وخرج الى قبة العزب وعمل رماحة وملعبا ورجع الى شبرا وحضر كتخدا بك الى سوق الغورية وجلس بالمدفن وامر بضرب شيخ الغورية فبطحوه على الارض في وسط السوق وهو مرشوش بالماء وضربه الاتراك بعصيهم ثم رفعوه الى داره ثم امر الكتخدا بكتابة اصحاب الدكاكين الذين نقلوا متاعهم فشرعوا في ذلك وهرب الكثير منهم وحبسهم في داره ثم ركب الكتخدا ومر في طريقه على خان الحمزاوي وطلب البواب والساهر بين يديه امر بضربه كذلك وضرب ايضا شيخ مرجوش ومباشر خان الخليلي ونصارى الحمزاوي فلم يتعرض لهم

(واستهل شهر شعبان بيوم الخميس سنة ١٢٢١) (فيه) من الحوادث ان بعض العيارين من السراق تعدوا

(ذكر حصر الافضل مدينة دمشق وعوده عنها)

لما ملك الافضل مصر واستقر بها ومعه ابن اخيه الملك العزيز واسم الملك له لصغره واجتمعت الكلمة على الافضل بها وصل اليه رسول اخيه الملك الظاهر غازي صاحب حلب ورسل ابن عمه اسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص يحثانه على الخروج الى دمشق واغتنام الفرصة بغيبة العادل عنها وبذلا له المساعدة بالمال والنفس والرجال فبرز من مصر منتصف جمادى الاولى من السنة على عزم المسير الى دمشق واقام بظاهر القاهرة الى ثالث رجب ورحل فيه وتعوق في مسيره ولو بادر وعجل المسير لملك دمشق لكنه تأخر فوصل الى دمشق ثالث عشر شعبان فنزل عند جسر الخشب على فرسخ ونصف من دمشق وكان العادل قد ارسل اليه نوابه بدمشق يعرفونه قصد الافضل لهم ففارق ماردين وخلف ولده الكامل محمدا في جميع العساكر على حصارها وسار جريدة فجد في السير فسبق الافضل فدخل دمشق قبل الافضل بيومين وأما الافضل فانه تقدم الى دمشق من الغد وهو رابع عشر شعبان ودخل ذلك اليوم بعينه طائفة يسيرة من عسكره الى دمشق من باب السلامة وسبب دخولهم ان قوما من اجناده من بيوتهم مجاورة الباب اجتمعوا بالامير مجد الدين اخي الفقيه عيسى الهكاري وتحدثوا معه في ان يقصدوا هو والعسكر باب السلامة ليفتحوه لهم فاراد مجد الدين ان يختص بفتح الباب وحده فلم يعلم الافضل ولا اخذ معه احدا من الامراء بل سار وحده بمفرده ومعه نحو خمسين فارسا من اصحابه ففتح له الباب فدخله هو ومن معه فلما رآهم عامة البلد نادوا بشعار الافضل واستسلم من به من الجند ونزلوا عن الاسوار وبلغ الخبر الى الملك العادل فكاد يستسلم وتماسك واما الذين دخلوا البلد فانهم وصلوا الى باب البريد فلما راى عسكر العادل بدمشق قلة عددهم وانقطاع مددهم وثبوا بهم فاخرجوهم منه وكان الافضل قد نصب خيمة بالميدان الاخضر وقرب عسكره الى باب الحديد وهو من ابواب البلد وقدر الله تعالى ان شير على الافضل بالانتقال الى ميدان الحصى ففعل ذلك فقويت نفوس من فيه وضعفت نفوس العسكر المصري ثم ان الامراء الاكراد منهم تحالفوا وصاروا يدا واحدة يعضد بعضهم بعضا فغضب احدهم بغضب الباقين فظن الافضل وقوع الاسدية انهم فعلوا ذلك لوقعة بينهم وبين الدمشقيين فرحلوا من مواضعهم وتأخروا في العشرين من شعبان ووصل اسد الدين شيركوه صاحب حمص الى الافضل الخامس والعشرين من شعبان ووصل بعده الملك الظاهر صاحب حلب ثاني عشر شهر رمضان وزادوا الزحف الى دمشق منعهم الملك الظاهر وكان باطنه موحشا له ولم يشعر اخوه الافضل بذلك واما الملك العادل فانه لما راى كثرة العساكر وتتابع الامداد الى الافضل عظم عليه فارسل الى مماليكه الناصرية بالبيت المقدس يستدعيهم اليه فساروا وسلخ شعبان فوصل خبرهم الى الافضل فسير اسد الدين صاحب حمص ومعه جماعة من الامراء الى طريقهم ليمنعوهم فسلكوا غير طريقهم

بقاء اولئك ودخلوا دمشق خامس رمضان فقوى العادل بهم قوة عظيمة وأيس الافضل ومن معه من دمشق وخرج عسكر دمشق فى شوّال فكبسوا العسكر المصري فوجدوهم قد حذروهم فعادوا عنهم خاسرين وأقام العسكر على دمشق ما بين قوة وضعف وانتصار وتخاذل حتى أرسل الملك العادل خلف ولده الملك الكامل محمد وكان قد رحل عن ماردين على ما نذكره ان شاء الله تعالى وهو بحران فاستدعاه اليه بعسكره فسار على طريق البر فدخل الى دمشق ثانى عشر صفر سنة ست وتسعين وخمسمائة فعند ذلك رحل العسكر عن دمشق الى ذيل جبل الكسوة سابع عشر صفر واستقر أن يقيموا بحوران حتى يخرج الشتاء فرحلوا الى رأس الماء وهو موضع شديد البرد فتغير العزم عن المقام واتفقوا على ان يعود كل منهم الى بلده فعاد الظاهر صاحب حلب واسد الدين صاحب حمص الى بلادهما وعاد الافضل الى مصر فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر وفاة يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وولاية ابنه محمد)

فى هذه السنة ثامن عشر ربيع الآخر وقيل جمادى الاولى توفى ابو يوسف يعقوب ابن ابى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب والاندلس بمدينة سلا وكان قد سار اليها من مراكش وكان قد بنى مدينة محاذية لسلا وسماها المهدية من احسن البلاد وانزهها فسار اليها يشاهدها فتوفى بها وكانت ولايته خمس عشرة سنة وكان ذا جهاد للعدو ودين وحسن سيرة وكان يتظاهر بمذهب الظاهرية واعرض عن مذهب مالك فعظم امر الظاهرية فى ايامه وكان بالمغرب منهم خلق كثير يقال لهم الحزمية منسوبون الى ابى محمد بن حزم رئيس الظاهرية الا انهم مغمورون بالمالكية ففى ايامه ظهروا وانتشروا ثم فى آخر ايامه استقضى الشافعية على بعض البلاد ومال اليهم

(ذكر عصيان اهل المهدية على يعقوب وطاعتهم لولده محمد)

كان ابو يوسف يعقوب صاحب المغرب لما عاد من افريقية كما ذكرناه سنة احدى وثمانين وخمسمائة استعمل ابا سعيد عثمان وابا على يونس بن عمر اينتى وهما وابوهما من اعيان الدولة فولى عثمان مدينة تونس وولى اخاه المهدية وجعل قائد الجيش بالمهدية محمد بن عبد الكريم وهو شجاع مشهور فعظمت نكايته فى العرب فلم يبق منهم الا من يخافه فاتفق انه اتاه الخبر بان طائفة من عوف نازلون بمكان فخرج اليهم وعدل عنهم حتى جازهم ثم اقبل عائدا يطلبهم واتاهم الخبر بخروجه اليهم فهربوا من بين يديه فلقيهم امامهم فهربوا وتركوا المال والعيال من غير قتال فاخذ الجميع ورجع الى المهدية وسلم العيال الى الوالى واخذ من الاسلاب والغنيمة ما شاء وسلم الباقى الى الوالى والى الجند ثم ان العرب من بنى عوف قصدوا ابا سعيد بن عمر اينتى فوحدوا وصاروا من حزب الموحدين واستجاروا به فى رد عيالهم واموالهم فاحضر محمد بن عبد الكريم وامره

على قهوة الباشا بشبرا وسرقوا جميع ما بالذهبية من الاوانى والبكارج والفناجين والظروف فاحضر الباشا بعض آغاوات الدرك بتلك الناحية وألزمه باحضار السراق والمسروق ولا يقبل له عذرا فى التاخير ولو يصالح على نفسه بخزينة او اكثر من المال ولا يكون غير ذلك ابدا والا تنكل به نكالا عظيما وهو المأخوذ بذلك فترجى فى طلب المهلة فامهله اياما وحضر بخمسة اشخاص واحضروا المسروق بتمامه لم ينقص منه شئ وامر بالسراق فخوزقوهم فى نواحى متفرقين بعد أن قرروهم على امثالهم وعرفوا عن اماكنهم وجمع منهم زيادة على الخمسين وشنق الجميع فى نواح متفرقة بالاقاليم مثل القليوبية والغربية والمنوفية (وفى منتصفه) يوم الجمعة الموافق لرابع مسرى القبطى اوفى النيل اذرعه وفتح سد الخليج يوم السبت (وفيه) وقع من النوادر ان امرأة ولدت مولودا برأسين وأربعة ايد وله وجهان متقابلان والوجهان بكتفيهما مفروقان من حد الرأس وقيل لحد الصدر والبطن واحدة وثلاثة أرجل واحدى الارجل لها عشرة أصابع فيقال انه أقام يوما وليلة حيا ومات وشاهده خلق كثير وطلعوا به الى القلعة ورآه كتخدا بيك وكل من كان حاضرا بديوانه

باعادة

باعادة ما اخذ لهم من النعم فقال احد الجند ولا اقدر على رده فاغلظ له فى القول واراد ان يبطش به فاستمهله الى ان يرجع الى المهدية ويسترد من الجند ما يجده عندهم وما عدم منه غرم العوض عنه من ماله فامهله فعاد الى المهدية وهو خائف فلما وصلها جمع اصحابه واعلمهم ما كان من ابى سعيد وطالعهم على موافقته فى خلافه فقبض على ابى على يونس وتغلب على المهدية وما بكها فارسل اليه ابو سعيد فى معنى اطلاق اخيه يونس فاطلقه على اثنى عشر الف دينار فلما ارسلها اليه ابو سعيد فرقها فى الجند واطلق يونس وجمع ابو سعيد العساكر واراد قصده ومحاصرته فارسل محمد بن عبد الكريم الى على بن اسحق الملثم فخالفه واعتضد به فامتنع ابو سعيد من قصده ومات يعقوب وولى ابنه محمد فسير عسكرا مع عمه فى البحر وعسكرا آخر فى البر مع ابن عمه الحسن بن ابى حفص بن عبد المؤمن فلما وصل عسكر البحر الى بجاية وعسكر البر الى قسنطينة الهوى هرب الملثم ومن معه من العرب من بلاد افريقية الى الصحراء ووصل الاسطول الى المهدية فتمسك محمد بن عبد الكريم مما لقى من ابى سعيد وقال انا على طاعة امير المؤمنين محمد ولا اسلمها الى ابى سعيد وانما اسلمها الى من يرسله امير المؤمنين فارسل محمد من يتسلمها منه وعاد الى الطاعة

٭(ذكر رحيل عسكر الملك العادل عن ماردين)٭

فى هذه السنة زال الحصار عن ماردين ورحل عسكر الملك العادل عنها مع ولده الملك الكامل وسبب ذلك ان الملك العادل لما حصر ماردين عظم ذلك على نور الدين صاحب الموصل وغيره من ملوك ديار بكر والجزيرة وخافوا ان ملكها لا يبقى عليهم الا ان العجز منعهم عن منعه فاجابوه على طاعته فلما توفى العزيز صاحب مصر وملك الافضل مصر كما ذكرناه وبينه وبين العادل اختلاف فارسل الافضل عسكر مصر من عنده وارسل الى نور الدين صاحب الموصل وغيره من الملوك يدعوهم الى موافقته فاجابوه الى ذلك فسار الملك العادل عن ماردين الى دمشق كما ذكرناه وبرز نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل عنها ثانى شعبان وسار الى دنيسر فنزل عليها ووافقه ابن عمه قطب الدين محمد بن زنكى بن مودود صاحب سنجار وابن عمه الآخر سنجرشاه بن غازى بن مودود صاحب جزيرة ابن عمر فاجتمعوا كلهم بدنيسر الى ان عيدوا عيد الفطر ثم ساروا عنها سادس شوال ونزلوا بحرزم وتقدم العسكر الى تحت الجبل ايرتا دوا موضعا للنزول وكان اهل ماردين قد عدمت الاقوات عندهم وكثرت الامراض فيهم حتى ان كثيرا منهم كان لا يطيق القيام فلما راى النظام وهو الحاكم فى دولة صاحبها ذلك ارسل الى ابن العادل فى تسليم القلعة اليه الى اجل معلوم ذكره على شرط ان يترك هو يدخل اليهم من الميرة ما يقوتهم حسب فاجابهم الى ذلك وقحا لقواعلبه ورفعوا اعلامه على راس القلعة وجعل ولد العادل بباب القلعة اميرا لا يترك يدخلها من الاطعمة الا ما يكفيهم يوما بيوم فعطى من بالقلعة ذلك الامير

ان فى تاسع عشره علق شخص عسكرى غلاما من اولاد البلد وصار يتبعه فى الطرقات الى ان صادفه ليلة بالقرب من جامع الماس بالشارع فقبض عليه واراد الفعل به فى الطريق فخادعه الغلام وقال له ان كان ولا بد فادخل بنا فى مكان لا يرانا فيه احد من الناس فدخل معه درب حلب المعروف الآن بدرب الحمام خير ملك حديد وهناك دور الامراء التى صارت خرائب فحل العسكرى سراويله فقال له الغلام ارنى بتاعك فلعله يكون عظيما لا اتحمله جميعه وقبض عليه وكان بيده موسى مخفية فى يده الاخرى فقطع ذكره بتلك الموسى سريعا وسقط العسكرى مغشيا عليه وتركه الغلام وذهب فى طريقه وحضر رفقاء ذلك العسكرى وحملوه واحضروا له سليمان الجراحى فقطع ما بقى من مذاكيره واخذ فى معالجته ومداواته ولم يمت العسكرى

٭(واستهل شهر شوال بيوم الاحد سنة ١٢٣١)٭

وكان عيده يوم الاحد وذلك ان فى اواخر رمضان حضر جماعة من دمنهور البحيرة واخبروا عن اهل دمنهور انهم صاموا يوم الخميس فطلب الباشا حضورهم [illegible]

شيئا فمكنهم من ادخال الذخائر الكثيرة فبينما هم كذلك اذ اتاهم خبر وصول نور الدين
صاحب الموصل فقويت نفوسهم وعزموا على الامتناع فلما تقدم عسكره الى ذيل
جبل ماردين قدر الله تعالى ان الملك الكامل بن العادل نزل بعسكره من ربض ماردين
الى لقاء نور الدين وقتاله ولو اقاموا بالربض لم يمكن نور الدين ولا غيره الصعود اليهم ولا
ازالتهم لكن نزلوا ليقضي الله امرا كان مفعولا فلما انحدروا من الجبل اقتتلوا وكان
من عجيب الاتفاق ان قطب الدين صاحب سنجار كان قد واعد العسكر العادلي ان ينهزم
اذا التقوا ولم يعلم بذلك احد من العسكر فقدر الله تعالى انه لما نزل العسكر العادلي
واصطفت العساكر للقتال الجات قطب الدين الضرورة بالزحمة الى ان وقف في سفح
جبل ماردين ليس اليه طريق للعسكر العادلي ولا يرى الحرب الواقعة بينهم وبين
نور الدين ففاته ما اراده من الانهزام فلما التقى العسكران واقتتلوا حمل ذلك اليوم
نور الدين بنفسه واصطلى الحرب الناس انفسهم بين يديه فانهزم العسكر العادلي
وصعدوا في الجبل الى الربض واسر منهم كثير فحملوا الى بين يدي نور الدين
فاحسن اليهم ووعدهم الاطلاق اذا انفصلوا ولم يظن ان الملك الكامل ومن معه
يرحلون عن ماردين سريعا فجاءهم امر لم يكن في الحساب فان الملك الكامل لما صعد
الى الربض رأى اهل القلعة قد نزلوا الى الذين جعلوهم بالربض من العسكر فقاتلوهم
ونالوا منهم ونهبوا فالقى الله الرعب في قلوب الجميع فاجمعوا رأيهم على مفارقة الربض
ليلا فرحلوا ليلة الاثنين سابع شوال وتركوا كثيرا من اثقالهم ورحالهم وما اعدوه
فاخذه اهل القلعة ولو ثبت العسكر العادلي بمكانه لم يمكن احدا ان يقرب منهم ولما رحلوا
نزل صاحب ماردين حسام الدين يولق بن ايلغازي الى نور الدين ثم عاد الى حصنه وعاد
اتابك الى دنيسر ورحل عنها الى رأس عين على عزم قصد حران وحصرها فاتاه رسول من
الملك الظاهر يطلب الخطبة والسكة وغير ذلك فتغيرت نية نور الدين وفتر عزمه عن
حصرها فعزم على العود الى الموصل فهو يقدم الى العود رجلا ويؤخر اخرى اذ اصابه
مرض فتحقق عزم العود الى الموصل فعاد اليها وارسل رسولا الى الملك الافضل والملك
الظاهر يعتذر عن عوده بمرضه فوصل الرسول ثاني ذي الحجة اليهم وهم على دمشق وكان
عود نور الدين من سعادة الملك العادل فانه كان هو وكل من عنده ينتظرون ما يجيء من
اخباره فان من بحران استسلموا فقدر الله تعالى انه عاد فلما عاد جاء الملك الكامل
الى حران وكان قد سار عن ماردين الى ميافارقين فلما رجع نور الدين سار الكامل
الى حران وسار الى ابيه بدمشق على ما ذكرناه فازداد به قوة والافضل ومن معه ضعفا

(ذكر الفتنة بفيروزكوه من خراسان)

في هذه السنة كانت فتنة عظيمة بعسكر غياث الدين ملك الغور وغزنة وهو بفيروز
كوه عمت الرعية والملوك والامراء وسببها ان الفخر محمد بن عمر بن الحسين الرازي
الامام المشهور الفقيه الشافعي كان قدم الى غياث الدين مفارقا لبهاء الدين سام صاحب
باميان وهو ابن اخت غياث الدين فاكرمه غياث الدين واحترمه وبالغ في اكرامه وبنى

بذلك هلال رمضان و يكون تمامه يوم الجمعة واخبر جماعة ايضا انهم رأوا هلال شوال ليلة السبت وكان
قوسه في حساب قواعد الاهلة
ثلاث الليلة قليلا جدا ولم يرى
ثاني ليلة منه الابصر واعما
اشتبه على الرائين لان المريخ
كان مقارنا للزهرة في برج
الشمس من خلفها وبينهما
وبين الشمس رؤيا بعدها في
شعاع الشمس شبه الهلال
فظن الراؤن انه الهلال فلينتبه
لذلك فان ذلك من الدقائق
التي تخفى على اهل الفطانة
فضلا عن غيرهم من العوام
الذين يسارعون الى افساد
العبادات حسبة بالظنون
الكاذبة لاجل ان يقال
شهد فلان ونحو ذلك (وفي
اواخره) قلد الباشا شخصا من
اقاربه يسمى شريف اغا على
دواوين المبتدعات وضم اليه
جماعة من الكتبة ايضا
المسلمين والاقباط وجعلوا
ديوانهم ببيت ابي الشوارب
وعمروه عمارة عظيمة وواظبوا
الجلوس فيه كل يوم لتحرير
المبتدعات ودفاتر المكوس

(واستهل شهر ذي القعدة سنة ١٢٣١)

(فيه) انهدم جانب من
السواقي التي انشاها الباشا
بشبرا على حين غفلة وتدفق
عليها النيل فتهدمت
وتكسرت اخشابها وسقط
معها اشخاص كانوا حولها
فنجا منهم من نجا وغرق منهم
من غرق وكان الباشا بقصر شبرا متفرجا عليه وهو يرى ذلك وانقضت السنة واخبار بعض حوادثها واستمرار

له

له مدرسة بهراة بالقرب من الجامع فقصدها الفقهاء من البلاد فعظم ذلك على الكرامية وهم كثيرون بهراة واما الغورية فكلهم كرامية وكرهوه وكان أشد الناس عليه الملك ضياء الدين وهو ابن عم غياث الدين وزوج ابنته فاتفق أن حضر الفقهاء من الكرامية والحنفية والشافعية عند غياث الدين بفيروز كوه للمناظرة وحضر فخر الدين الرازى والقاضى مجد الدين عبد المجيد بن عمر المعروف بابن القدوة وهو من الكرامية الهيصمية وله عندهم محل كبير لزهده وعلمه وبيته فتكلم الرازى فاعترض عليه ابن القدوة وطال الكلام فقام غياث الدين فاستطال عليه الفخر وسبه وشتمه وبالغ فى أذاه وابن القدوة لا يزيد على أن يقول لا يفعل مولانا الا واخذك الله استغفر الله فانفصلوا على هذا وقام ضياء الدين فى هذه الحادثة وشكى الى غياث الدين وذم الفخر ونسبه الى الزندقة ومذهب الفلاسفة فلم يصغ غياث الدين اليه فلما كان الغد وعظ ابن عم المجد بن القدوة بالجامع فلما صعد المنبر قال بعد أن حمد الله وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين أيها الناس انا لا نقول الا ما صح عندنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما علم ارسطاطاليس وكفريات ابن سينا وفلسفة الفارابى فلا نعلمها فلأى حال يشتم بالامس شيخ من شيوخ الاسلام يذب عن دين الله وعن سنة نبيه وبكى وضج الناس وبكى الكرامية واستغاثوا وأعانهم من يؤثر بعد الفخر الرازى من السلطان وثار الناس من كل جانب وامتلأ البلد فتنة وكادوا يقتتلون ويجرى بينهم ما يهلك فيه خلق كثير فبلغ ذلك السلطان فأرسل جماعة من عنده الى الناس وسكنهم ووعدهم باخراج الفخر من عندهم وتقدم اليه بالعود الى هراة فعاد اليها

(ذكر مسير خوارزم شاه الى الرى)

فى هذه السنة فى ربيع الاول سار خوارزم شاه علاء الدين تكش الى الرى وغيرها من بلاد الجبل لانه بلغه ان نائبه بها مياجق قد تغير عن طاعته فسار اليه فخافه مياجق فجعل يفر من بين يديه وخوارزم شاه فى طلبه يدعوه الى الحضور عنده وهو يمتنع فاستأمن أكثر أصحابه الى خوارزم شاه وهرب هو فتحصن بقلعة من اعمال مازندران فامتنع بها فسير العساكر فى طلبه فأخذه منها وأحضر بين يدى خوارزم شاه فأمر بحبسه بشفاعة أخيه فيه وسيرت الخلع من الخليفة لخوارزم شاه ولولده قطب الدين محمد وتقليد ما بيده من البلاد فلبس الخلعة واشتغل بقتال الملاحدة فافتتح قلعة على باب قزوين تسمى ارسلان كشاه وانتقل الى حصار الموت فقتل عليها صدر الدين محمد بن الوزان رئيس الشافعية بالرى وكان قد تقدم عنده تقدما عظيما قتله الملاحدة وعاد خوارزم شاه الى خوارزم فوثب الملاحدة على وزيره نظام الملك مسعود بن على فقتلوه فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين فسير خوارزم شاه ولده قطب الدين بقصد الملاحدة فقصد قلعة ترشيش وهى من قلاعهم فحصرهم فاذعنوا له بالطاعة وصالحوه على مائة ألف دينار

ما تجدد فيها من المبتدعات التى لا حصر لها (منها) الحجر على المزارع التى يزرعها الفلاحون فى الأ...

يدفعون خراجها من السكر والسمسم والعصفر والنيلة والقطن والقرطم واذا بدا صلاحه لا يبيعون منه شيئا كعادتهم وانما يشتريه الباشا بالثمن الذى يفرضه ويقدره على يد امناء النواحى والكشاف ويحملونه الى المحل الذى يؤمرون بحمله اليه ويعطى لهم الثمن او يحسب لهم من اصل المال فان احتاجوا الشئ من ذلك اشتروه بالثمن الزائد المفروض وكذلك القمح والفول والشعير لا يبيعون منه شيئا لغير طرف الباشا بالثمن المفروض والكيل الوافى (ومنها) الامر لكشاف الاقاليم بالمناداة العامة بالمنع لمن يأخذ او يأكل من الفول الاخضر والحمص والحلبة وان المعينين فى الخدم والمباشرين وكشاف النواحى لا يأخذون شيئا من الفلاحين كعادتهم من غير ثمن فمن عثر عليه بأخذ شئ ولو رغيفا او تبنا او من رجيع البهائم حصل له مزيد الضرر ولو كان من الاعاظم وكذلك الامر بتحكيم ذوات المواشى التى تسرح للرعى حوالى الجسور والغيطان (ومنها) ان نصرانيا من الارمن التزم بقلع الابزار التى تأتى من بلاد الصعيد

مثل الكبة ... والترمس والانيسون والسكمون والكراويا ونحو ذلك بقدر كبير من الاكياس ويتولى هو

ففارقها وانعم صالحهم لانه بلغه خبر مرض ابيه وكانوا يراسلونه بالصلح فلا يفعل فلما سمع بمرض ابيه لم يرحل حتى صالحهم على المال المذكور والطاعة ورحل

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الاول توفي مجاهد الدين قايماز رحمه الله بقلعة الموصل وهو الحاكم في دولة نور الدين والمرجوع اليه فيها وكان ابتداء ولايته قلعة الموصل في ذي الحجة سنة احدى وسبعين وخمسمائة وولي اربل سنة تسع وخمسين وخمسمائة فلما مات زين الدين علي كوجك سنة ثلاث وستين بقي هو الحاكم فيها ومعه من يختاره من اولاد زين الدين ليس لواحد منهم معه حكم وكان عاقلا اديبا خيرا فاضلا يعرف الفقه على مذهب ابي حنيفة ويحفظ من التاريخ والاشعار والحكايات شيئا كثيرا وكان كثير الصوم يصوم من كل سنة نحو اربعة اشهر وله اوراد كثيرة حسنة كل ليلة ويكثر الصدقة وكان له فراسة حسنة فيمن يستحق الصدقة ويعرف الفقير المستحق ويبرهم وبنى عدة جوامع منها الجامع الذي بظاهر الموصل بباب الجسر وبنى الربط والمدارس والخانات في الطرق وله من المعروف شئ كثير رحمه الله فلقد كان من محاسن الدنيا وفيها فارق غياث الدين صاحب غزنة وبعض خراسان مذهب الكرامية وصار شافعي المذهب وكان سبب ذلك انه كان عنده انسان يعرف بالفخر مبارك شاه يقول الشعر بالفارسية متفننا في كثير من العلوم فاوصل الى غياث الدين الشيخ وجيه الدين ابا الفتح محمد بن محمود المرورودي الفقيه الشافعي فاوضح له مذهب الشافعي وبين له فساد مذهب الكرامية فصار شافعيا وبنى المدارس للشافعية وبنى بغزنة مسجدا لهم ايضا واكثر مراعاتهم فسعى الكرامية في اذى وجيه الدين فلم يقدرهم الله تعالى على ذلك وقيل ان غياث الدين واخاه شهاب الدين لما ملكا في خراسان قيل لهما ان الناس في جميع البلاد يزرون على الكرامية ويحتقرونهم والرأي ان تفارقا مذاهبهم فصارا شافعيين وقيل ان شهاب الدين كان حنفيا والله اعلم وفي هذه السنة توفي ابو القاسم يحيى بن علي بن فضلان الفقيه الشافعي وكان اماما فاضلا ودرس ببغداد وكان من اذين اصحاب محمد بن يحيى يحيى النيسابوري

(ثم دخلت سنة ست وتسعين وخمسمائة)

(ذكر ملك العادل الديار المصرية)

قد ذكرنا سنة خمس وتسعين حصر الافضل والظاهر ولدي صلاح الدين دمشق ورحيلهما الى راس الماء على عزم المقام بحوران الى ان يخرج الشتاء فلما اقاموا براس الماء وجد العسكر بردا شديدا لان البرد في ذلك المكان في الصيف موجود فكيف في الشتاء فتغير العزم على المقام واتفقوا على ان يعود كل انسان منهم الى بلده ويعودوا الى الاجتماع فتفرقوا تاسع ربيع الاول فعاد الظاهر وصاحب حمص الى بلادهما وسار الافضل الى مصر فوصل بلبيس فاقام بها ووصلته الاخبار بان عمه

ثم اصحابه ويبيعوا بالثمن الذي يفرضه ومقدار ما التزم بدفعه من الاكياس للخزينة على ما بلغنا خمسمائة كيس وكانت في ايام الامراء المصريين عشرة اكياس لاغير فلما تولى علي وكالة دار السعادة صالح بك المهدي زادها عشرة اكياس وكانت وكالة الابزار والقطن وقفا مصطفى اغا دار السعادة سابقا على خيرات الحرمين وخلافهما فلما كانت هذه الدولة تولاها شخص على مائتي كيس وعند ذلك سعر الابزار اضعاف الثمن الاصلي ومن داخل الابزار التمر الابريمي والسلطاني والخوص والقاطف والسلب والليف وبلغ سعر المقطف الذي يسع الكيلة من البر خمسة وعشرين نصفا وكان يباع بنصف او نصفين ان كان جيدا وفي الجملة باقل من ذلك (ومنها) ان كرابيت معلم ديوان الكمرك ببولاق التزم بشيخة الحمامية واحدث عليها وعلى توابعها حوادث وعلى النساء البلانات في كل جمعة قدرا من الدراهم وجعل لنفسه يوما في كل جمعة ياخذ ايراده من كل حمام (ومنها) ما حصل في هذه السنة من شحة الصابون وعدم وجوده بالاسواق ومع السراحين وهو شئ لا يستغنى عنه الغني ولا الفقير وذلك ان تجاره بوكالة الصابون زادوا في ثمنه محتجين بما عليهم من المغارم والرواتب لاهل الدولة فيامر الكتخدا ويه بامر سعر بثمن فيدعون الخسران

الملك العادل قد سار من دمشق قاصدا مصر ومعه المماليك الناصرية وقد حلفوه على ان يكون ولد الملك العزيز هو صاحب البلاد وهو المدبر للملك الى ان يكبر فساروا على هذا وكان عسكر مصر قد تفرق عن الافضل من الخشى فسار كل منهم الى اقطاعه ليربعوا دوابهم فرام الافضل جمعهم من أطراف البلاد فأعجله الامر عن ذلك ولم يجتمع منهم الا طائفة يسيرة ممن قرب اقطاعه ووصل العادل فاشار بعض الناس على الافضل ان يحفر بسور بلبيس ويقيم بالقاهرة واشار غيرهم بالتقدم الى أطراف البلاد ففعل ذلك فسار عن بلبيس ونزل موضعا يقال له السانح فى طرف البلاد والتقى هو والعادل سابع ربيع الآخر فانهزم الافضل ودخل القاهرة ليلا وفى تلك الليلة توفى القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى كاتب الانشاء لصلاح الدين ووزيره فحضر الافضل الصلاة عليه وسار العادل فنزل على القاهرة وحصرها فجمع الافضل من عنده من الامراء واستشارهم فرأى منهم تخاذلا فارسل رسولا الى عمه فى الصلح وتسليم البلاد اليه واخذ العوض عنها وطلب دمشق فلم يجبه العادل فنزل عنها الى حران والرها فلم يجبه فنزل الى ميافارقين وحانى وجبل جور فاجابه الى ذلك وتحالفوا عليه وخرج الافضل من مصر ليلة السبت ثامن عشر ربيع الآخر واجتمع بالعادل وسار الى صرخد ودخل العادل الى القاهرة يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر ولما وصل الافضل الى صرخد ارسل من تسلم ميافارقين وحانى وجبل جور فامتنع نجم الدين ايوب ابن الملك العادل من تسليم ميافارقين وسلم ما عداها فترددت الرسل بين الافضل والعادل فى ذلك والعادل يزعم ان ابنه عصاه فامسك عن المراسلة فى ذلك لعلمه ان هذا فعل بامر العادل ولما ثبت قدم العادل بمصر قطع خطبة الملك المنصور ابن الملك العزيز فى شوال من السنة وخطب لنفسه وحقق الجند فى اقطاعاتهم واعترضهم فى اصحابهم ومن عليهم من العسكر المقرر فتغيرت لذلك نياتهم فكان ما نذكره سنة سبع وتسعين ان شاء الله

(ذكر وفاة خوارزم شاه)

فى هذه السنة فى العشرين من رمضان توفى خوارزم شاه تكش بن ارسلان صاحب خوارزم وبعض خراسان والرى وغيرها من البلاد الجبالية بشهرستانه بين نيسابور وخوارزم وكان قد سار من خوارزم الى خراسان وكان به خوانيق فاشار عليه الاطباء بترك الحركة فامتنع وسار فلما بلغ شهرستانه اشتد مرضه ومات ولما اشتد مرضه ارسلوا الى ابنه قطب الدين محمد يستدعونه ويعرفونه شدة مرض أبيه فسار اليهم وقد مات أبوه فولى الملك بعده ولقب علاء الدين لقب أبيه وكان لقبه قطب الدين وأمر فحمل أبوه ودفن بخوارزم فى تربة عملها فى مدرسة بناها كبيرة عظيمة وكان عادلا حسن السيرة له معرفة حسنة وتعلم يعرف الفقه على مذهب أبى حنيفة ويعرف الاصول وكان ولده على شاه باصفهان فارسل اليه أخوه خوارزم شاه محمد يستدعيه فسار اليه ونهب أهل اصفهان خزانته ورحله فلما وصل الى أخيه ولاه حرب خراسان وتقدم على

وعدم الربح وتكرر الحال فيه المرة بعد المرة ويشتكون من قلة الجلوب الى ان سعر رطله بستة وثلاثين نصفا فلم يرتضوا ذلك وبالغوا فى التشكى فطلب قواعهم وعمل حسابهم وزادهم خمسة انصاف فى كل رطل وحلف ان لا يزيد على ذلك وهم مصممون على دعوى الخسران فارسل من اتباعه شخصا تركيا لمباشرة البيع وعدم الزيادة فياتى الى الخان فى كل يوم يباشر البيع على من يشترى بذلك الثمن لاربابه ويمكث مقدار ساعتين من النهار ويغلق الحواصل ويرفع البيع اثنائى يوم وفى ظرف هاتين الساعتين تزدحم العسكر على الشراء ولا يتمكن خلافهم من أهل البلد من اخذ شئ وتخرج العسكر فيبيعون من الذى اشتروه على الناس بزيادة فاحشة فياخذ الرطل بقرش ويبيعه على غيره بقرشين ورفع التشكى الى كتخدا فامر ببيعه عند باب زويلة فى السبيلين المواجه احدهما للباب والسبيل الذى أنشأته الست نفيسه المرادية عند الخان تجاه الجامع المؤيدى ليسهل على العامة تحصيله وشراؤه فلم يزدد الحال الا عسرا وذلك ان البائع يجلس داخل السبيل ويغلق عليه بابه ويتناول من خروق الشبابيك من المشترى الثمن ويناوله الصابون فازدحمت

 العساكر على الشراء ويتهافتون بايديهم وارجلهم على شبابيك السبيلين

بجندها وسلم اليه نيسابور وكان هندوخان ملكشاه بن خوارزم شاه تكش يخاف عمه محمدا فهرب منه ونهب كثيرا من خزائن جده تكش لما مات وكان معه وسار الى مرو ولما سمع غياث الدين ملك غزنة وفاة خوارزمشاه أمر ان لا تضرب نوبته ثلاثة أيام وجلس للعزاء على ما بينهما من العداوة والمحاربة فعل ذلك عقلا منه ومروأة ثم ان هندوخان جمع جمعا كثيرا بخراسان فسير اليه عمه خوارزم شاه جيشا مقدمهم جقر التركي فلما سمع هندوخان بمسيرهم هرب عن خراسان وسار الى غياث الدين يستنجده على عمه فاكرم لقاءه وانزاله واقطعه ووعده النصرة فاقام عنده ودخل جقر مدينة مرو وبها والدة هندوخان وأولاده فاستظهر عليهم واعلم صاحبه فامره بارسالهم الى خوارزم مكرمين فلما سمع غياث الدين ذلك أرسل الى محمد بن جربك صاحب الطالقان يامره ان يرسل الى جقر يتهدده ففعل وسار من الطالقان فاخذ مرو الروذ والخمس قرى وتسمى بالفارسية بنج ده وأرسل الى جقر يامره باقامة الخطبة بمرو لغياث الدين او يفارق البلد فاعاد الجواب يتهدد ابن جربك ويتوعده وكتب اليه سرا يساله ان ياخذ له أمانا من غياث الدين ليحضر خدمته فكتب الى غياث الدين بذلك فلما قرأ كتابه علم ان خوارزم شاه ليس له قوة فلهذا طلب جقر الانحياز اليه فقوى طمعه في البلاد وكتب الى اخيه شهاب الدين يامره بالخروج الى خراسان ليتفقا على اخذ بلاد خوارزم شاه محمد

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في جمادى الآخرة وثب الملاحدة الاسماعيلية على نظام الملك مسعود ابن علي وزير خوارزم شاه تكش فقتلوه وكان صالحا كثير الخير حسن السيرة شافعي المذهب بنى للشافعية بمرو جامعا مشرفا على جامع الحنفية فتعصب شيخ الاسلام وهو مقدم الحنابلة بها فيهم وله الرياسة وجمع الاوباش فاحرقه فانفذ خوارزم شاه فاحضر شيخ الاسلام وجماعة ممن سعى في ذلك فاغرمهم مالا كثيرا وبنى الوزير أيضا مدرسة عظيمة بخوارزم وجامعا وجعل فيها خزانة كتب وله آثار حسنة بخراسان باقية ولما مات خلف ولدا صغيرا فاستوزره خوارزم شاه رعاية لحق أبيه فاشير عليه ان يستعفي فارسل يقول انني صبي لا أصلح لهذا المنصب الجليل فيولي السلطان فيه من يصلح له الى ان أكبر فان كنت أصلح فانا المملوك فقال خوارزم شاه لست اعفيك وأنا وزيرك فكن مراجعي في الامور فانه لا يقف منها شئ فاستحسن الناس هذا ثم ان الصبي لم تطل ايامه فتوفي قبل خوارزم شاه بيسير وفي هذه السنة في ربيع الاول توفي شيخنا ابو الفرج عبد المنعم ابن عبد الوهاب بن كليب الحراني المقيم ببغداد وله ست وتسعون سنة وشهران وكان عالي الاسناد في الحديث وكان ثقة صحيح السماع وفي ربيع الآخر منها توفي القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني الكاتب لم يكن في زمانه أحسن كتابة منه ودفن بظاهر مصر بالقرافة وكان دينا كثير الصدقة والعبادة وله وقوف كثيرة على الصدقة وفك الاسارى وكان يكثر الحج والمجاورة مع اشتغاله بخدمة السلطان وكان السلطان

والعامة أسفلهم لا يتمكنون من اخذ شئ ويمنعون من يزاحمهم فيكون على السبيل ضجة وصياح من الفريقين فا يسمع ابن البلد الفقير المضطر الآن يشتري من العسكري بما احب والا رجع الى منزله من غير شئ واستمر الحال على هذا المنوال اياما وفي بعض الاحايين يكثر وجود الصابون بين ايدي الباعة بوسط السوق ولا تجد عليه مزاحمة وامام البائع كوم عظيم وهو ينتظر من يشتري وذلك في غالب الاسواق مثل الغورية والاشرفية وباب زويلة والبندقانيين والجهات الخارجية ثم يصبحون فلا يوجد منه شئ ويرجع الازدحام على السيلان كالاول (ومنها) ان الباشا اطلق المناداة في البلدة وندب جماعة من المهندسين والمباشرين للكشف على الدور والمساكن فان وجدوا به او ببعضه خللا أمروا صاحبه بهدمه وتعميره فان كان يعجز عن ذلك فيؤمر بالخروج منها واخلائها ويعاد بناؤها على طرف الميري وتصير من حقوق الدولة وسبب هذه النكتة انه بلغ الباشا سقوط دار ببعض الجهات ومات تحت ردمها ثلاثة اشخاص من سكانها فامر بالمناداة وأرسل المهندسين فالامر بما ذكر فنزل بأهل البلد من الكرب أمر عظيم مع ما هم فيه من الافلاس وقطع الايراد وغلو الاسعار

صلاح الدين يعظمه ويحترمه ويكرمه ويرجع الى قوله رحمهما الله تعالى

(ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة)

(ذكر ملك الملك الظاهر صاحب حلب منبج وغيرها من الشام وحصره هو وأخوه الافضل مدينة دمشق وعودهما عنها)

قد ذكرنا قبل ملك العادل ديار مصر وقطعه خطبة الملك المنصور ولد الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب وانه لما فعل ذلك لم يرضه الامراء المصريون وخبثت نياتهم في طاعته فراسلوا اخويه الظاهر بحلب والافضل بصرخد وتكررت المكاتبات والمراسلات بينهم يدعونهما الى قصد دمشق وحصرها ليخرج الملك العادل اليهم فاذا خرج اليهم من مصر أسلموه وصاروا معهما فتملكا البلاد وكثر ذلك حتى فشا الخبر واتصل بالملك العادل وانضاف الى ذلك ان النيل لم يزد بمصر الزيادة التي تركب الارض ليزرع الناس فكثر الغلاء فضعفت قوة الجند وكان فخر الدين جهاركس قد فارق مصر الى الشام هو وجماعة من المماليك الناصرية لحصار بانياس ليأخذها لنفسه بامر العادل وكانت لامير كبير تركي اسمه بشارة قد اتهمه العادل فامر جهاركس بذلك وكان أمير من امراء العادل يعرف بعز الدين أسامة قد حج هذه السنة فلما عاد من الحج وقارب صرخد نزل الملك الافضل فلقيه وأكرمه ودعاه الى نفسه فاجابه وحلف له وعرفه الافضل جلية الحال وكان أسامة من بطانة العادل وانما حلف لينكشف له الامر فلما فارق الافضل أرسل الى العادل وهو بمصر يعرفه الخبر جميعه فارسل الى ولده الذي بدمشق يامره بحصر الافضل بصرخد وكتب الى اياس جركس وميمون القصري صاحب بلبيس وغيرهما من الناصرية يامرهم بالاجتماع مع ولده على حصر الافضل وسمع الافضل الخبر فسار الى أخيه الظاهر بحلب مستهل جمادى الاولى من السنة ووصل الى حلب عاشر الشهر وكان الظاهر قد أرسل اميرا كبيرا من امرائه الى عمه العادل فمنعه العادل من الوصول اليه وأمره بان يكتب رسالته فلم يفعل وعاد لوقته فتحرك الظاهر لذلك وجمع عسكره وقصد منبج فملكها السادس والعشرين من رجب وسار الى قلعة نجم وحصرها فتسلمها سلخ رجب وأما الملك المعظم عيسى بن العادل المقيم بدمشق فانه سار الى بصرى وأرسل الى جهاركس ومن معه وهم على بانياس يحصرونها يدعوهم اليه فلم يجيبوه الى ذلك بل غالطوه فلما طال مقامه على بصرى عاد الى دمشق وأرسل الامير اسامة اليهم يدعوهم الى مساعدته فاتفق انه جرى بينه وبين ليكا الفارس بعض المماليك الكبار الناصرية منافرة اغلظ له ليكا القول وتعدى الى الفعل باليد وثار العسكر جميعه على اسامة فاستذم بميمون فامنه وأعاده الى دمشق واجتمعوا كلهم عند الملك [illegible] خضر بن صلاح الدين وانزلوه من صرخد وأرسلوا الى الملك الظاهر والافضل يحثونهما على الوصول اليهم والملك الظاهر يتربص ويتعوق فرحل من منبج الى حماة في عشرين يوما وأقام على حماة يحصرها وبها صاحبها ناصر الدين

على ان من كان له نوع مقدرة على الهدم والبناء لا يجد من أدواته شيئا بحسب التعسير الواقع على ارباب الاشغال واستعمال الجميع في عمائر الباشا واكابر الدولة حتى ان الانسان اذا احتاج لبناء كانون لا يجد من يبنيه ولا يقدر على تحصيل صانع او فاعل او اخذ شيء من رماد الحمام الا بغرامات ومن حصل شيئا من ذلك على طريق السرقة في غفلة وعثر عليه تنكلوا به وبرئيس الحمام وحمير الباشا وهي ازيد من الفي حمار تنقل بالمزابل والسرقانيات طول النهار ما يوجد بالحمامات من الرماد وتنقل ايضا الطوب والدبش والاتربة وانقاض البيوت المنهدمة لعمل العمائر بالقلعة وغيرها فترى الاسواق والعطف مزدحمة بقطارات الحمير الذاهبة والراجعة واذا هدم انسان داره التي أمروه بهدمها وصل اليه في الحال قطار من الحمير لاخذ الطوب الذي يتساقط الا ان يكون من اهل القدرة على منعهم وربما كانت هذه الاوامر حيلة على اخذ الانقاض واما الاتربة فتبقى بحالها حتى في طرق المارة للعجز عن نقلها فترى غالب الطرق والنواحي مردومة بالاتربة واما الهدم ونقل الانقاض من البيوت الكبار والدور الواسعة التي كانت مساكن الامراء المصريين بكل ناحية وخصوصا بركة الفيل وجهة الحبانية فهو مستمر حتى بقيت خرابا خرائب ودعائم قائمة وكيمان

محمد بن تقى الدين الى تاسع عشر شهر رمضان فاصدلحا وحمل له ابن تقى الدين ثلاثين ألف دينار صورية وساروا عنها الى حمص وسار منها الى دمشق على طريق بعلبك فنزلوا عليها عند مسجد القدم فلما نزلوا على دمشق أتاهم المماليك الناصرية مع الملك الظافر خضر ابن صلاح الدين وكانت القاعدة استقرت بين الظاهر وأخيه الافضل أنهم اذا ملكوا دمشق تكون بيد الافضل و يسيرون الى مصر فاذا ملكوها تسلم الظاهر دمشق فيبقى الشام جميعه له وتبقى مصر للافضل وسلم الافضل صرخد الى زين الدين قراجة مملوك والده ليحضر فى خدمته وأنزل والدته وأهله منها وسيرهم الى حمص فاقاموا عند أسد الدين شيركوه صاحبها وكان الملك العادل قد سار من مصر الى الشام فنزل على مدينة نابلس وسير جماعة من العسكر الى دمشق ليحفظها فوصلوا قبل وصول الظاهر والافضل وحضر فخر الدين جهاركس وغيره من الناصرية فوصلوا قبل وصول الظاهر والافضل وزحفوا الى دمشق وقاتلوها رابع عشر ذى القعدة واشتد القتال عليها فالتصق الرجال بالسور فادركهم الليل فعادوا وقد قوى الطمع فى أخذها ثم زحفوا اليها مرة ثانية وثالثة فلم يبق الا ملكها الا ان العسكر صعد الى سطح خان ابن المقدم وهو ملاصق السور فلو لم يدركهم الليل لملكوا البلد فلما أدركهم الليل وهم عازمون على الزحف بكرة وليس لهم عن البلد مانع حسد الظاهر أخاه الافضل فارسل اليه يقول له تكون دمشق له وبيده و يسير العساكر معه الى مصر فقال له الافضل قد علمت ان والدتى وأهلى وهم اهلك أيضا على الارض ليس لهم موضع يأوون اليه فاحسب ان هذا البلد لك تعيرنا اياه ليسكنه اهلى هذه المدة الى ان يملك مصر فلم يجبه الظاهر فى ذلك ولج فلما رأى الافضل ذلك الحال قال للناصرية وكل من جاء اليهم من الجند ان كنتم جئتم الى فقد اذنت لكم فى العود الى العادل وان كنتم جئتم الى أخى الظاهر فانتم وهو اخبر وكان الناس كلهم يريدون الافضل فقالوا ما نريد سواك والعادل احب الينا من اخيك فاذن لهم فى العود فهرب فخر الدين جهاركس وزين الدين قراجة الذى اعطاه الافضل صرخد فمنهم من دخل دمشق ومنهم من عاد الى اقطاعه فلما انفسخ الامر عليهم عادوا الى تجديد الصلح مع العادل فترددت الرسل بينهم واستقر الصلح على ان يكون للظاهر منبج وافامية وكفرطاب وقرى معينة من المعرة و يكون للافضل سميساط وسروج ورأس العين وجملين ورحلوا عن دمشق أول المحرم سنة ثمان وتسعين فقصد الافضل حمص فاقام بها وسار الظاهر الى حلب ووصل العادل الى دمشق تاسع المحرم وسار الافضل اليه من حمص فاجتمع به بظاهر دمشق وعاد من عنده الى حمص وسار منها اليه ليتسلم سميساط فتسلمها وتسلم باقى ما استقر له برأس العين و سروج وغيرها .

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(ذكر ملك غياث الدين واخيه ما كان لخوارزم شاه بخراسان)

قد ذكرنا مسير محمد بن خرميل من الطالقان واستيلاءه على مرور وذو سوال جقر التركى نائب علاء الدين محمد خوارزم شاه بمرو أن يكون فى جملة عسكر غياث الدين ولما وصل

هائلة واختلطت بها الطرق واصبحت موحشة ولامارى بها حتى للبوم بعد ان كانت مراتع غزلان فكنت كا

وايتها أتذكر قول القائل

هذى منازل اقوام عهدتهم
فى خفض عيش نعيم ماله خطر
صاحت بهم نوب الايام فارتحلوا
الى القبور فلا عين ولا اثر

وكذلك بولاق التى كانت منتزه الاحباب والرفاق فانه تسلط عليها كل من سليمان اغا السلحدار واسمعيل باشا فى الهدم واخذ انقاض الابنية لابنيتهم بجزيرة الوسطى بين انبابة والجزيرة الوسطى بين انبابة و بولاق فان سليمان اغا انشأ بستانا كبيرا بين انبابة وسوره و بنى به قصرا وسواقى واخذ يهدم ابنية بولاق من الوكائل والدور وينقل احجارها وانقاضها فى المراكب ليلا ونهارا الى البر الآخر واسمعيل باشا كذلك انشأ بستانا وقصرا بالجزيرة وشرع ايضا فى اتساع سرايته ومحل سكنه ببولاق واخذ الدور والمساكن والوكائل من حد الشون القديم الى آخر وكالة الابزار العظيمة طولا فيهدمون الدور وغيرها من غير مانع ولا شافع و ينقلون الانقاض الى محل البناء وكذلك ولى خوجه شرع فى بناء قصر بالروضة ببستان فهو الآخر يهدم ما يهدمه من مصر القديمة و ينقل انقاضه لبنائه وهلك قبل اتمامه واما اصارى الارمن وما ادراك ما الارمن الذين هم اخصاء الدولة

كتاب ابن خرميل الى غياث الدين في معنى جقر يعلم ان هذا انما دعاه الى الانتماء اليهم
ضعف صاحبه فارسل الى اخيه شهاب الدين يستدعيه الى خراسان فسار من غزنة في
عساكره وجنوده وعدته وما يحتاج اليه وكان بهراة الامير عمر بن محمد المرغني نائبا عن
غياث الدين وكان يكره خروج غياث الدين الى خراسان فاحضره غياث الدين واستشاره
فاشار بالكف عن قصدها وترك المسير اليها فانكر عليه ذلك واراد ابعاده عنه ثم تركه
ووصل شهاب الدين في عساكره وعساكر سجستان وغيرها في جمادى الاولى من هذه
السنة فلما وصلوا الى ميمنة وهي قرية بين الطالقان وكرزبان وصل الى شهاب الدين
كتاب جقر مستحفظ مرو يطلبه ليسلمها اليه فاستأذن أخاه غياث الدين فاذن له فسار
اليها فخرج أهلها مع العسكر الخوارزمي وقاتلوه فامر اصحابه بالحملة عليهم والجد في قتالهم
فحملوا عليهم فادخلوهم البلد وزحفوا بالفيلة الى ان قاربوا السور فطلب أهل البلد
الامان فامنهم وكف الناس عن التعرض اليهم وخرج جقر الى شهاب الدين فوعده
الجميل ثم حضر غياث الدين الى مرو بعد فتحها فاخذ جقر وسيره الى هراة مكرما وسلم
مرو الى هندوخان بن ملكشاه بن خوارزم شاه تكش وقد ذكرنا هربه من عمه خوارزم
شاه محمد بن تكش الى غياث الدين ووصاه بالاحسان الى أهلها ثم سار غياث الدين الى
مدينة سرخس فاخذها صلحا وسلمها الى الامير زنكي بن مسعود وهو من أولاد عمه
واقطعه معها نسا وابيورد ثم سار بالعساكر الى طوس فاراد الامير الذي بها ان يمتنع
فيها ولا يسلمها فاغلق باب البلد ثلاثة أيام فبلغ الخبز ثلاثة امنان بدينار ركني فضج
أهل البلد عليه فارسل الى غياث الدين يطلب الامان فامنه فخرج اليه فخلع عليه وسيره
الى هراة ولما ملكها ارسل الى علي شاه بن خوارزم شاه تكش وهو نائب اخيه علاء
الدين محمد بنيسابور يأمره بمفارقة البلد ويحذره ان أقام سطوة اخيه شهاب الدين وكان
مع علي شاه عسكر من خوارزم شاه فاتفقوا على الامتناع من تسليم البلد وحصروه وخربوا
ما بظاهره من العمارة وقطعوا الاشجار وسار غياث الدين الى نيسابور فوصل اليها اوائل
رجب وتقدم عسكر اخيه شهاب الدين الى القتال فلما رأى غياث الدين ذلك قال لولده
محمود قد سبقنا عسكر غزنة بفتح مرو وهم يريدون يفتحون نيسابور ويتصلون بالاسم
فاحمل الى البلد ولا ترجع حتى تصل السور فحمل وحمل معه وجوه الغورية فلم يردهم
احد عن السور حتى اصعدوا علم غياث الدين عليه فلما رأى شهاب الدين علم اخيه على
السور قال لاصحابه اقصدوا ابناء هذه الناحية واصعدوا السور من ههنا واشار الى مكان
فيه فسقط السور منه لما فضج الناس بالتكبير فدهش الخوارزميون واهل البلد ودخل
الغورية البلد وملكوه عنوة ونهبوه ساعة من نهار فبلغ الخبر الى غياث الدين فامر
بالنداء من نهب مالا أو آذى احدا فدمه حلال فعاد الناس ما نهبوه عن آخره ولقد
حدثني بعض أصدقائنا من التجار وكان بنيسابور في هذه الحادثة نهب من متاعي شيء
من جملته سكر فلما سمع العسكر النداء ردوا جميع ما اخذوا مني وبقي لي بساط وشيء من
السكر مع جماعة فطلبته منهم فقالوا أما السكر فكلناه فقال ان لا يسمع احد وان اردت

الآن فانهم انشؤا دورا وقصورا وبساتين بمصر القديمة لسكنهم فهم يهدمون ايضا وينقلون لابنيتهم
ماشاؤا ولا حرج عليهم وانما
الحرج والمنع والحجر والهدم
على المسلمين من اهل البلدة
فقط (ومنها) ان الباشا امر
ببناء مساكن للعسكر الذين
اخرجهم من مصر بالاقاليم
يسمونها القشلات بكل جهة
من اقاليم الارياف لسكن
العساكر المقيمين بالنواحي
لتضررهم من الاقامة الطويلة
بالخيام في الحر والبرد واحتياج
الخيام في كل حين الى تجديد
وترقيع وكثير خدمة وهي جمع
قشلة بكسر القاف وسكون
الشين وهي في اللغة التركية
المكان الشتوي لان الشتاء في
لغتهم يسمى قش بكسر القاف
وسكون الشين فكتب مراسيم
الى النواحي بسائر القرى
بالامر لهم بعمل الطوب اللبن
ثم حرقه وحمله الى محل البناء
وفرضوا على كل بلد وقرية قدرا
وعددا معينا فيفرض على
القرية مثلا خمسمائة الف لبنة
واكثر بحسب كبر القرية
وصغرها فيجمع كاشف
الناحية مشايخ القرى ثم
يفرض على كل شيخ قدرا
وعددا من الفين عشرين الفا
او ثلاثين الفا واكثر واقل
ويلزم بضربه وحرقه ورفعه
وحمله مدة ثلاثين يوما
وفرضوا على كل قرية ايضا
مقادير من افلاق النخل
ومقادير من الجريد ثم فرضوا عليهم ايضا اشخاصا من الرجال لحمل الاشغال والعمائر يستعملونهم في فعالة تلك

عنه اعطيناك فقالت انتم في حل منه ولم يكن البساط مع اولئك قال فمشيت الى باب البلد مع النظارة فرايت البساط الذي لي قد القي عند باب البلد لم يجسر احد يأخذه فاخذته وقلت هذا لي فطلبوا مني من يشهد به فاحضرت من شهد لي واخذته ثم ان الخوارزميين تحصنوا بالجامع فاخرجهم اهل البلد فاخذهم الغورية ونهبوا اموالهم واخذ علي شاه بن خوارزم شاه واحضر عند غياث الدين راجلا فانكر ذلك على من احضره وعظم الامر فيه وحضرت دابة كانت لعلي شاه وقال لغياث الدين اهكذا يفعل باولاد الملوك فقال لا بل هكذا واخذ بيده واقعده معه على السرير وطيب نفسه وسير جماعة الامراء الخوارزمية الى هراة تحت الاستظهار واحضر غياث الدين ابن عمه وصهره على ابنته ضياء الدين محمد بن ابي علي الغوري وولاه حرب خراسان وخراجها ولقبه علاء الدين وجعل معه وجوه الغورية وحل الى هراة وسلم علي شاه الى اخيه شهاب الدين واحسن الى اهل نيسابور وفرق فيهم مالا كثيرا ثم رحل بعده شهاب الدين الى ناحية قهستان فوصل الى قرية فذكر له ان اهلها اسماعيلية فامر بقتل المقاتلة ونهب الاموال وسبي الذراري وخرب القرية فجعلها خاوية على عروشها ثم سار الى كناباد وهي من المدن التي جميع اهلها اسماعيلية فنزل عليها وحصرها فارسل صاحب قهستان الى غياث الدين يشكو اخاه شهاب الدين ويقول بيننا عهد فما الذي بدا منا حتى تحاصر بلادي واشتد خوف الاسماعيلية الذين بالمدينة من شهاب الدين فطلبوا الامان ليخرجوا فامنهم واخرجهم وملك المدينة وسلمها الى بعض الغورية فاقام بها الصلوات وشعار الاسلام ورحل شهاب الدين فنزل على حصن آخر للاسماعيلية فوصل اليه رسول اخيه غياث الدين فقال الرسول معي تقدم من السلطان فلا يجري حردان فعلته فقال لا ارحل قال اذن افعل ما امرني قال افعل فسل سيفه وقطع اطناب سرادق شهاب الدين وقال رحل بتقدم السلطان فرحل شهاب الدين والعسكر وهو كاره الى بلد الهند ولم يقم بغزنة غضبا لما فعله اخوه معه

(ذكر قصد نور الدين بلاد العادل والصلح بينهما)

في هذه السنة ايضا تجهز نور الدين ارسلان صاحب الموصل وجمع عساكره وسار الى بلاد الملك العادل بالجزيرة حران والرها وكان سبب حركته ان الملك العادل لما ملك مصر على ما ذكرناه قبل اتفق نور الدين والملك الظاهر صاحب حلب وصاحب ماردين وغيرهما على ان يكونوا يدا واحدة متفقين على منع العادل عن قصد احدهم فلم تجدد حركة الافضل والظاهر ارسلا الى نور الدين ليقصد البلاد الجزرية فسار عن الموصل في شعبان من هذه السنة وسار معه ابن عمه قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي صاحب سنجار ونصيبين وصاحب ماردين ووصل الى رأس العين وكان الزمان قيظا فكثرت الامراض في عسكره وكان بحران ولد العادل يلقب بالملك الفائز ومعه عسكر يحفظ البلاد فلما وصل نور الدين الى رأس العين جاءت رسل الفائز ومن معه من اكابر

ادوات العمارة في النواحي حتى الاسكندرية وخلافها ولهم اجرة اعمالهم في كل يوم لكل شخص سبعة انصاف فضة لا غير ولمن يعمل اللبن اجرة ايضا واثمن الافلاق والجريد قدر معلوم لكنه قليل (ومنها) انه توجه الامر لكشاف النواحي عند انكشاف الماء عن الاراضي بان يتقدموا الى الفلاحين بان من كان زارعا في العام الماضي فدانا كتان او قمح او شعير او قطن فليزرع في هذه السنة اربعة افدنة ضعف ما تقدم لان المزارعين عزموا على عدم زراعة هذه الاشياء لما حصل لهم من اخذ ثمرات متاعهم وزراعاتهم التي دفعوا خراجها ولا يجدون القيمة التي كانوا يبيعون بها مع قلة الخراج الذي كانوا يماطلون فيه للملتزمين السابقين مع التظلم والتشكي فيزرع الزارع ما يزرعه من هذه الاشياء من التقاوي المتروكة في مخزنه ثم يبيع الفدان من الكتان الاخضر في غيطه ان كان مستعجلا بالثمن الكثير والا ابقاه الى تمام صلاحه فيجمعه ويدقه ويبيع ما يبيعه من البزر خاصة باغلى ثمن ثم يتمم خدمته من التعطين والنشر والتجبير الى ان يصفي وينظف من ادرانه وخشوناته ويصلح للغزل والنسج فيباع حينئذ للارطية والارطال وكذا القطن والنيلة والعصفر فلما وقع عليهم التحجير وحرموا

الامراء يطلبون الصلح ويرغبون فيه وكان نور الدين قد سمع بان الصلح بدا بينه بين الملك العادل والملك القاهر والافضل وانضاف الى ذلك كثرة الامراض فى عسكره فاجاب اليه وحلف الملك الفائز ومن عنده من اكابر الامراء على القاعدة التى استقرت وحلفوا انهم يحلفون الملك العادل له فان امتنع كانوا معه عليه وحلف هو للملك العادل وسارت الرسل من عنده ومن عند ولده فى طلب اليمين من العادل فاجاب الى ذلك وحلف له واستقرت القاعدة وامنت البلاد وعاد نور الدين الى الموصل فى ذى القعدة من السنة

﴿ذكر ملك شهاب الدين نهرواله﴾

لما سار شهاب الدين من خراسان على ما ذكرناه لم يعم بغزنة وقصد بلاد الهند وأرسل مملوكه قطب الدين ايبك الى نهرواله فوصلها سنة ثمان وتسعين فلقيه عسكر الهنود فقاتلوه قتالا شديدا فهزمهم ايبك واستباح معسكرهم وما لهم فيه من الدواب وغيرها وتقدم الى نهرواله فملكها عنوة وهرب ملكها فجمع وحشد فكثر جمعه وعلم شهاب الدين انه لا يقدر على حفظها الا بان يقيم هو فيها او يخليها من اهلها فيتعذر عليه ذلك فان البلد عظيم هو اعظم بلاد الهند واكثرها اهلا فصالح صاحبها على مال يؤديه اليه عاجلا وآجلا واعادها كرهها وسلمها الى صاحبها

﴿ذكر ملك ركن الدين ملطية من اخيه وارزن الروم﴾

فى هذه السنة فى شهر رمضان ملك ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان مدينة ملطية وكانت لاخيه معز الدين قيصرشاه فسار اليه وحصره اياما وملكها وسار منها الى ارزن الروم وكانت لولد الملك ابى محمد بن صلتق وهم بيت قد ملكوا أرزن الروم مدة طويلة فلما سار اليها وقارب بها خرج صاحبها اليه ثقة به ليقرر معه الصلح على قاعدة يؤثرها ركن الدين فقبض عليه واعتقله عنده واخذ البلد وكان هذا آخر اهل بيته ملكوا فتبارك الله الحى القيم الذى لا يزول ملكه ابدا سرمدا

﴿ذكر وفاة سقمان صاحب آمد وملك اخيه محمود﴾

فى هذه السنة توفى قطب الدين سقمان بن محمد بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان صاحب آمد وحصن كيفا سقط من سطح جوسق كان له بظاهر حصن كيفا فمات وكان شديد الكراهة لاخيه محمود مبغضا له قد ابعده وتركه بحصن منصور فى آخر بلادهم واتخذ مملوكا اسمه اياس فزوجه اخته واحبه حبا شديدا وجعله ولى عهده فلما توفى ملك بعده عدة ايام وتهدد وزيرا كان لقطب الدين وغيره من امراء الدولة فارسلوا الى اخيه محمود سرا يستدعونه فسار مجدا فوصل الى آمد وقد سبقه اليها اياس مملوك اخيه فلم يقدم على الامتناع فتملك محمود البلاد جميعها وملكها وحبس المملوك وبقى مدة محبوسا ثم شفع له صاحب بلاد الروم فاطلق من الحبس وسار الى الروم فصار امير من امراء الدولة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

من المكاسب التى كانوا يتوسعون بها فى معايشهم باقتناء المواشى والحلى النساء قالوا اما عدنا نزرع هذه الاشياء وظنوا ان يتركوا على هواهم ونسوا مكر اوليائهم فنزل عليهم الامر والالزام بزرع الضعف فضجوا وترجوا واستشفعوا ورضوا بمقدار العام الماضى فمنهم من سومح ومنهم من لم يسامح وهو دو المقدرة وبعد اتمامه وكمال صلاحه يؤخذ بالثمن المفروض على طرف الميرى ويباع لمن يشترى من اربابه او خلافهم بالثمن المقدر وربح زيادته لطرف حضرة الباشا مع التضييق والحجر البليغ والفحص عن الاختلاس فمن عثر واطلع عليه باختلاس شئ ولو قليلا عوقب عقابا شديدا ليرتدع خلافه والكتبة والموظفون لتحرير كل صنف ووزنه وضبطه فى تنقلات اطواره وعند تسليم الصناع ونتج من ذلك واثمر عزة الاشياء وغلو الاسعار على الناس منها ان المقطع القماش الذى كان ثمنه ثلاثين نصفا بلغ سعره عشرة قروش مع عزة وجدانه بالاسواق المعدة لبيعه مثل سوق مرجوش وخلافه خلا الطوادين به والثوب البطانة الذى كان ثمنه قرشين بلغ ثمنه سبعة قروش وادركناه فى الازمان السابقة يباع بعشرين نصفا وبلغ ثمن الثوب من البفتة الهلاوى اربعة عشر قرشا وكان يباع فيما ادركناه بدكان التاجر بستين نصفا

فى هذه السنة اشتد الغلاء بالبلاد المصرية لعدم زيادة النيل وتعذرت الاقوات حتى اكل الناس الميتة وأكل بعضهم بعضا ثم لحقهم عليه وباء وموت كثير أفنى الناس وفى شعبان منها تزلزلت الارض بالموصل وديار الجزيرة كلها والشام ومصر وغيرها فاثرت فى الشام آثارا قبيحة وخربت كثيرا من الدور بدمشق وحمص وحماة وانخسفت قرية من قرى بصرى وأثرت فى الساحل الشامى أثرا كثيرا فاستولى الخراب على طرابلس وصور وعكا ونابلس وغيرها من القلاع ووصلت الزلزلة الى بلاد الروم وكانت بالعراق يسيرة لم تهدم دورا وفيها ولد ببغداد طفل له رأسان وذلك ان جبهته مفروقة بمقدار ما يدخل فيها ميل وفى هذه السنة فى شهر رمضان توفى ابو الفرج عبد الرحمن بن على ابن الجوزى الحنبلى الواعظ ببغداد وتصانيفه مشهورة وكان كثير الوقيعة فى الناس لاسيما فى العلماء المخالفين لمذهبه والموافقين له وكان مولده سنة عشر وخمسمائة وفيها ايضا توفى عيسى بن نصير النميرى الشاعر وكان حسن الشعر وله أدب وفضل وكان موته ببغداد وفيها توفى العماد أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد بن محمد وله باللام المشددة وهو العماد الكاتب الاصفهانى كتب لنور الدين محمود بن زنكى ولصلاح الدين يوسف بن ايوب رضى الله عنهما وكان كاتبا مفلقا قادرا على القول وفيها جمع عبد الله بن حمزة العلوى المتغلب على جبال اليمن جموعا كثيرة فيها اثنا عشر ألف فارس ومن الرجالة ما لا يحصى كثرة وكان قد انضاف اليه من جند المعز بن اسمعيل بن سيف الاسلام طغدكين بن أيوب صاحب اليمن خوفا منه وايقنوا بهلاك البلاد واقتسموها وخافهم ابن سيف الاسلام خوفا عظيما فاجتمع قواد عسكر ابن حمزة ليلا ليتفقوا على رأى يكون العمل بمقتضاه وكانوا اثنى عشر قائدا فنزلت عليهم صاعقة اهلكتهم جميعهم فاتى الخبر ابن سيف الاسلام فى باقى الليلة بذلك فسار اليهم مجدا فاوقع بالعسكر المجتمع فلم يثبتوا له وانهزموا بين يديه ووضع السيف فيهم فقتل منهم ستة آلاف قتيل او اكثر من ذلك وثبت ملكه واستقر امره وفيها وقع فى بنى عنزة بارض الشراة بين الحجاز واليمن وباء عظيم وكانوا يسكنون فى عشرين قرية فوقع الوباء فى ثمان عشرة قرية فلم يبق منهم احد وكان الانسان اذا قرب من تلك القرى يموت ساعة ما يقاربها فتحاماها الناس وبقيت ابلهم واغنامهم لا مانع لها واما القريتان الاخريان فلم يمت فيهما احد ولا احسوا بشئ مما كان فيه اولئك

(ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وخمسمائة)

(ذكر ملك خوارزم شاه ما كان اخذه الغورية من بلاده)

قد ذكرنا فى سنة سبع وتسعين ملك غياث الدين واخيه شهاب الدين ما كان لخوارزم شاه محمد بن تكش بخراسان ومرو ونيسابور وغيرها وعودهما عنها بعد أن اقطعا البلاد ومسير شهاب الدين الى الهند فلما اتصل بخوارزم شاه علاء الدين محمد ابن تكش عود العساكر الغورية عن خراسان ودخول شهاب الدين الهند أرسل الى

وقس على ذلك وبسبب التعبير على النيلة غلا صبغ ثياب الفقراء حتى بلغ صبغ الذراع الواحد نصف قرش والله يلطف بحال خلقه وما دام تو زون له امراة مطاعة فالميل فى الجمر (ومنها) استمر التعبير على الارز ومزارعه على مثل هذا النسق بحيث ان الزراعين له المتعبانين فيه لا يمكنون من اخذ حبة منه فيؤخذ باجمعه لطرف الباشا بما قدره من الثمن ثم يخدم ويضرب ويبيض فى المداور والمدقات والمناشر باجرة العمال على طرفه ثم يباع بالثمن المفروض واتفق ان شخصا من ابناء البلد يسمى حسين جلبي عجوة ابتكر بفكره صورة دائرة وهى التى يدقون بها الارز وعمل لها مثالا من الصفيح تدور باسهل طريقة بحيث ان الآلة المعتادة اذا كانت تدور باربعة اثوار فيدير هذه ثوران وقدم ذلك المثال الى الباشا فاعجبه وانعم عليه بدراهم وامره بالمسير الى دمياط و يبني بها دائرة و يهندسها برايه ومعرفته واعطاه مرسوما بما يحتاجه من الاخشاب والحديد والمصرف ففعل وصح قوله ثم فعل اخرى برشيد وراج أمره بسبب ذلك (ومنها) ان الباشا لما رأى هذه النكتة من حسين شلبي هذا قال ان فى اولاد مصر نجابة وقابلية للمعارف فامر ببنا مكتب بحوش السراية ويرتب فيه جملة من اولاد

البلد ومماليك الباشا وجعل معلمهم حسن افندى المعروف بالدرويش الموصلى يقرر لهم قواعد الحساب والهندسة وعلم المقادير والقياسات والارتفاعات واستخراج المجهولات مع مشاركة شخص رومى يقال له روح الدين افندى بل واشخاص من الافرنج واحضر لهم آلات هندسية متنوعة من اشغال الانكليز ياخذون بها الابعاد والارتفاعات والمساحة ورتب لهم شهريات وكساوى فى السنة واستمروا على الاجتماع بهذا المكتب وسموه مهندس خانه فى كل يوم من الصباح الى بعد الظهيرة ثم ينزلون الى بيوتهم ويخرجون فى بعض الايام الى الخلاء لتعلم مساحات الاراضى وقياساتها بالاقصاب وهو الغرض المقصود للباشا (ومنها) استمرار الانشاء فى السفن الكبار والصغار لنقل الغلال من قبلى وبحرى لناحية الاسكندرية لتباع على الافرنج من سائر اصناف الحبوب فيشحنون السفن من سواحل البلاد القبلية وتاتى الى ساحل بولاق ومصر العتيقة فيصبونها كيمانا هائلة عظيمة صاعدة فى الهواء وتصل المراكب البحرية لنقلها فتصبح ولا يبقى شئ منها وياتى غيرها وتعود كما كانت بالامس

١١ يخ ل ١٢ ومثل ذلك بساحل رشيد واما الحبوب البحرية فانها لا تاتى الى هذه السواحل

غياث الدين يعاتبه ويقول كنت اعتقد ان تخلف على بعد ابى وان تنصرنى على الخطا وتردهم عن بلادى فحيث لم تفعل فلا اقل من ان لا تؤذينى وتاخذ بلادى والذى اريده ان تعيد ما اخذته منى الى والا انتصرت عليك بالخطا وغيرهم من الاتراك ان عجزت عن اخذ بلادى فاننى انما شغلنى عن منعكم عنها الاشتغال بعزاء والدى وتقرير امر بلادى والا فما انا بعاجز عنكم وعن اخذ بلادك خراسان وغيرها فاغالطه غياث الدين فى الجواب ليمهد الايام بالمراسلات ويخرج اخوه شهاب الدين من الهند بالعساكر فان غياث الدين كان عاجزا باستيلاء النقرس عليه فلما وقف خوارزم شاه على رسالة غياث الدين ارسل الى علاء الدين الغورى نائب غياث الدين بخراسان يامره بالرحيل عن نيسابور ويتهدده ان لم يفعل فكتب علاء الدين الى غياث الدين بذلك ويعرفه ميل اهل البلد الى الخوارزميين فاعاد غياث الدين جوابه يقوى قلبه ويعده النصرة والمنع عنه وجمع خوارزم شاه عساكره وسار عن خوارزم نصف ذى الحجة سنة سبع وتسعين وخمسمائة فلما قارب نسا وابيورد هرب هندوخان ابن اخى ملكشاه من مرو الى غياث الدين بفيروزكوه وملك خوارزم شاه مدينة مرو وسار الى نيسابور وبها علاء الدين فحصره وقاتله قتالا شديدا وطال مقامه عليها وراسله غير مرة فى تسليم البلد اليه وهو لا يجيب الى ذلك انتظارا للمدد من غياث الدين فبقى نحو شهرين فلما ابطات عليه النجدة ارسل الى خوارزم شاه يطلب الامان لنفسه ولمن معه من الغورية وانه لا يتعرض اليهم بحبس ولا غيره من الاذى فاجابه الى ذلك وحلف لهم وخرجوا من البلد واحسن خوارزم شاه اليهم ووصلهم بمال جليل وهدايا كثيرة وطلب من علاء الدين ان يسعى فى الصلح بينه وبين غياث الدين واخيه فضمنه الى ذلك وسار الى هراة وفيها اقطاعه ولم يمض الى غياث الدين تجنبا عليه لتاخر امداده ولما خرج الغورية من نيسابور احسن خوارزم شاه الى الحسين بن خرميل وهو من اعيان امرائهم زيادة على غيره وبالغ فى اكرامه فقيل ان من ذلك اليوم استحلفه لنفسه وان يكون معه بعد غياث الدين واخيه شهاب الدين ثم سار خوارزم شاه الى سرخس وبها الامير زنكى فحصره اربعين يوما وجرى بين الفريقين حروب كثيرة وضاقت الميرة على اهل البلد لا سيما الحطب فارسل زنكى الى خوارزم شاه يطلب منه ان يتاخر عن باب البلد حتى يخرج هو واصحابه ويترك البلد له فراسله خوارزم شاه فى الاجتماع به ليحسن اليه والى من معه فلم يجبه الى ذلك واحتج بقرب نسبه من غياث الدين فابعد خوارزم شاه عن باب البلد بعساكره فخرج زنكى فاخذ من الغلات وغيرها التى فى المعسكر ما اراد لا سيما من الحطب وعاد الى البلد واخرج منه من كان قد ضاق به الامر وكتب الى خوارزم شاه العود اجهد فندم حيث لم ينفعه الندم ورحل عن البلد وترك عليه جماعة من الامراء يحصرونه فلما ابعد خوارزم شاه سار محمد بن جربك من الطالقان وهو من امراء الغورية وارسل الى زنكى امير سرخس يعرفه انه يريد يكبس الخوارزميين لئلا ينزعج اذا سمع الغلبة وسمع الخوارزميون الخبر ففارقوا سرخس وخرج زنكى ولقى محمد بن جربك وعسكرا فى مرو الروذ واخذا خراجها وما يجاورها فسير

اليهم خوارزم شاه عسكرا مع خاله فلقيهم محمد بن جربك وقاتلهم وحمل بابك في يده على صاحب علم الخوارزمية فضربه فقتله وألقى علمهم وكسر كوساتهم فانقطع صوتها عن العسكر ولم يروا أعلامهم فانهزموا وركبهم الغورية قتلا وأسرا نحو فرسخين فكانوا ثلاثة آلاف فارس وابن جربك في تسعمائة فارس وغنم جميع عسكرهم فلما سمع خوارزم شاه ذلك عاد الى خوارزم وأرسل الى غياث الدين في الصلح فاجابه عن رسالته مع أمير كبير من الغورية يقال له الحسين بن محمد المرغني ومرغن من قرى الغور فقبض عليه خوارزم شاه

(ذكر حصر خوارزم شاه هراة وعوده عنها)

لما أرسل خوارزم شاه الى غياث الدين في الصلح وأجابه عن رسالته مع الحسين المرغني مغالطة قبض خوارزم شاه على الحسين وسار الى هراة ليحاصرها فكتب الحسين الى أخيه عمر بن محمد المرغني امير هراة يخبره بذلك فاستعد للحصار وكان سبب قصد خوارزم شاه حصار هراة ان رجلين اخوين ممن كان يخدم محمدا سلطان شاه اتصلا بغياث الدين بعد موت سلطان شاه فأكرمهما غياث الدين واحسن اليهما يقال لاحدهما الامير الحاجي فكاتبا خوارزم شاه واطمعاه في البلد وضمنا له تسليمه اليه فسار لذلك ونازل المدينة وحصرها فسلم الامير عمر المرغني امير البلد مفاتح الابواب اليهما وجعلهما على القتال ثقة منه بهما وظنا منه انهما عدوا خوارزم شاه تكش وابنه محمد بعده فاتفق ان بعض الخوارزمية اخبر الحسين المرغني عند خوارزم شاه بحال الرجلين وانهما ماهما الاذان يدبران خوارزم شاه ويأمرانه بما يفعل فلم يصدقه وأتاه بخط الامير حاجي فأخذه وأرسله الى أخيه عمر امير هراة فاخذهما واعتقلهما واخذ اصحابهما ثم ان الب غازي وهو ابن اخت غياث الدين جاء في عسكر من الغورية فنزل على خمسة فراسخ من هراة فكان يمنع الميرة عن عسكر خوارزم شاه ثم ان خوارزم شاه سير عسكرا الى اعمال الطالقان للغارة عليها فلقيهم الحسن بن جربك فقاتلهم فظفر بهم فلم يفلت منهم احد وسار غياث الدين من فيروزكوه الى هراة في عسكره فنزل برباط زرين بالقرب من هراة ولم يقدم على خوارزم شاه لقلة عسكره لان اكثر عساكره كانت مع اخيه بالهند وغزنة فاقام خوارزم شاه على هراة اربعين يوما وعزم على الرحيل لانه بلغه انهزام اصحابه بالطالقان وقرب غياث الدين وكذلك ايضا قرب الب غازي وسمع ايضا ان شهاب الدين قد خرج من الهند الى غزنة وكان وصوله اليها في رجب من هذه السنة فخاف ان يصل بعساكره فلا يمكنه المقام على البلد فارسل الى امير البلد عمر المرغني فصالحه على مال حمله اليه وارتحل عن البلد واما شهاب الدين فانه لما وصل الى غزنة بلغه الخبر بما فعله خوارزم شاه بخراسان وملكه لها فسار الى خراسان فوصل الى بلخ ومنها الى باميان ثم الى مرو عازما على حرب خوارزم شاه وكان نازلا هناك فالتقت اوائل عسكريهما واقتتلوا قتالا شديدا فقتل من الفريقين خلق كثير ثم ان خوارزم شاه

بل تذهب من سواحلها الى تجيث هي برشيد ثم الى الاسكندرية ولما بطل البغاز جمعوا الحمير الكثيرة والجمال ينقلون عليها على طريق البر بالاجرة القليلة فكانت تموت من قلة العلف ومشقة الطريق وتوسق بها السفن الواصلة بالطلب الى بلاد الافرنج بالثمن عن كل اردب من البر ستة آلاف فضة واما الفول والشعير والحلبة والذرة وغيرها من الحبوب والادهان فاسعارها مختلفة و يعوض بالبضائع والنقود من الفرانسة معباة في صناديق صغيرة تحمل الثلاثة منها على بعير الى الخزينة وهي مصفحة بالحديد يمرون بها قطارات الى القلعة وعند قلة الغلال ومضى وقت الحصاد يتقدم الى كشاف النواحي القبلية والبحرية بفرض مقادير من الغلال على البلدان والقرى فيلزمون مشايخ البلدان بما تقرر على كل بلد من القمح والفول والذرة ليجمعوه ويحصلوه من الفلاحين وهم ايضا يعاملون بفلاحي بلادهم ثم يعاملون بجورهم واغراضهم ويأخذون الاقوات المدخرة للعيال وذلك بالثمن عن كل اردب من البرمثمانية ريالات يعطى له نصفها ويبقى له النصف الثاني ليحسب له من اصل المال الذي سيطالب به في العام القابل (ومنها) ان الباشا اصطلح له ان ينشئ بالمحل المعروف براس الوادي بشرقية

بلبيس سواقي وعمارات ومزارع واشجار توت وزيتون فذهب هنالك وكذلك من اراضيه فوجدها مقسمة

ارتحل عن مكانه شبه المنهزم وقطع القناطر وقتل الامير سنقر صاحب نيسابور لانه اتهمه بالمخامرة عليه وتوجه شهاب الدين الى طوس فاقام بها ثلاث الشتوة على عزم المسير الى خوارزم ليحصرها فاتاه الخبر بوفاة اخيه غياث الدين فقصد هراة وترك ذلك العزم

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة درس مجد الدين ابو علي يحيى بن الربيع الفقيه الشافعي بالنظامية ببغداد في ربيع الاول وفيها توفيت بنفشة جارية الخليفة المستضيء بامر الله وكان كثير الميل اليها والمحبة لها وكانت كثيرة المعروف والاحسان والصدقة وفيها ايضا توفي الخطيب عبد الملك بن زيد الدولعي خطيب دمشق وكان فقيها شافعيا والدولعية قرية من اعمال الموصل

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وخمسمائة

ذكر حصر العادل ماردين وصلحه مع صاحبها

في هذه السنة في المحرم سير الملك العادل ابو بكر بن ايوب صاحب دمشق ومصر عسكرا مع ولده الملك الاشرف موسى الى ماردين فحصروها وشنوا على اعمالها وانضاف اليه عسكر الموصل وسنجار وغيرهما ونزلوا بحرزم تحت ماردين ونزل عسكر من قلعة البارعية وهي لصاحب ماردين يقطعون الميرة عن العسكر العادلي فسار اليهم طائفة من العسكر العادلي فاقتتلوا فانهزم عسكر البارعية وثار التركمان وقطعوا الطريق في تلك الناحية واكثروا الفساد وتعذر سلوك الطريق الا للجماعة من ارباب السلاح فسار طائفة من العسكر العادلي الى راس العين لاصلاح الطرق وكف عادية الفساد واقام ولد العادل ولم يحصل له غرض فدخل الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف صاحب حلب في الصلح بينهم وارسل الى عمه العادل في ذلك فاجابه الى ما طلب على قاعدة ان يحمل له صاحب ماردين مائة الف وخمسين الف دينار يكون صرف الدينار احد عشر قيراطا من اميري ويخطب له ببلاده ويضرب اسمه على السكة ويكون عسكره في خدمته اي وقت طلبه واخذ الظاهر عشرين الف دينار من النقد المذكور وقرية القرادي من اعمال شبختان فرحل ولد العادل عن ماردين

ذكر وفاة غياث الدين ملك الغور وشيء من سيرته

في هذه السنة في جمادى الاولى توفي غياث الدين ابو الفتح محمد بن سام الغوري صاحب غزنة وبعض خراسان وغيرها واخفيت وفاته وكان اخوه شهاب الدين بطوس عازما على قصد خوارزم شاه فاتاه الخبر بوفاة اخيه فسار الى هراة فلما وصل اليها جلس للعزاء باخيه في رجب واظهرت وفاته حينئذ وخلف غياث الدين من الولد ابنا اسمه محمود ولقب بعد موت ابيه غياث الدين وسنورد من اخباره كثيرا ولما سار شهاب الدين من طوس استخلف بمرو الامير محمد بن جربك فسار اليه جماعة من الامراء الخوارزمية فخرج اليهم محمد ليلا وبيتهم فلم ينج منهم الا القليل وانفذ الاسرى والرؤس الى هراة

وخالية من المزارع وهي اراضي رمال واودية فوكل اناسا لاصلاحها وتمهيدها وان يحفروا بها جملة من السواقي تزيد عن الالف ساقية ويبنوا ابنية وبساتين ويزرعوا اشجار التوت الغريبة والقرو اشجارا كثيرة من الزيتون لاجل الصابون وشرعوا في العمل والحفر والبناء وفي انشاء توابيت خشب للسواقي تصنع ببيت الجيجي بالتبانة وتحمل على الجمال الى راس الوادي شيئا بعد شيء وامر ايضا ببناء جامع الظاهر بيبرس خارج الحسينية وان يعمل مصبنة لصناعة الصابون وطبخه مثل الذي يصنع ببلاد الشام وتوكل بذلك السيد احمد بن يوسف فخر الدين وعمل به احواضا كبيرة للزيت والقلي (ومن المتجددات) ايضا محل بخطة تحت الربع يعمل به وتسبك اوان ودسوت من النحاس في غاية الكبر والعظم (ومنها) شغل البارود وصناعته بالمكان والصناع المعدة لذلك بجزيرة الروضة بالقرب من المقياس بعد ان يستخرجوه من كيمان السباخ في احواض مبنية ومخفقة ثم يكررونه بالطبخ حتى يكون مهيئا غاية في البياض والجودة كالذي يجلب من بلاد الانكليز والمتقيد كبيرا على صناعه شخص افرنكي ولهم معالم

قام شهاب الدين بالاستعداد لقصد خوارزم على طريق الرمل وجهز خوارزم شاه جيشا وسيرهم مع برفور التركي الى قتال محمد بن جربك فسمع بهم فخرج اليهم ولقيهم على عشرة فراسخ من مرو فاقتتلوا قتالا شديدا قتل بين الفريقين خلق كثير وانهزم الغورية ودخل محمد بن جربك مرو في عشرة فرسان وجاء الخوارزميون فحصروه خمسة عشر يوما فضعف عن الحفظ فارسل في طلب الامان فحلفوا له ان خرج اليهم على حكمهم انهم لا يقتلونه فخرج اليهم فقتلوه واخذوا كل ما معه وسمع شهاب الدين الخبر فعظم عليه وترددت الرسل بينه وبين خوارزم شاه فلم يستقر الصلح واراد العود الى غزنة فاستعمل على هراة ابن اخيه البغاري وفلك الملك علاء الدين محمد بن ابي علي الغوري على مدينة فيروزكوه وجعل اليه حرب خراسان وامر كل ما يتعلق بالمملكة واتاه محمود ابن اخيه غياث الدين فولاه مدينة بست واسفرار وتلك الناحية وجعله بمعزل من الملك جميعه ولم يحسن الخلافة عليه بعد ابيه ولا على غيره من اهله فمن جملة فعله ان غياث الدين كانت له زوجة كانت مغنية فهويها وتزوجها فلما مات غياث الدين قبض عليها وضربها ضربا مبرحا وضرب ولدها غياث الدين وزوج اختها واخذ اموالهم واملاكهم وسيرهم الى بلاد الهند فكانوا في اقبح صورة وكانت قد بنت مدرسة ودفنت فيها اباها وامها واخاها فهدمها ونبش قبور الموتى ورمى بعظامهم منها واما سيرة غياث الدين واخلاقه فانه كان مظفرا منصورا في حروبه لم تنهزم له راية قط وكان قليل المباشرة للحروب وانما كان له دهاء ومكر وكان جوادا حسن الاعتقاد كثير الصدقات والوقوف بخراسان بنى المساجد والمدارس بخراسان لاصحاب الشافعي وبنى الخانقاهات في الطرق واسقط المكوس ولم يتعرض الى مال احد من الناس ومن مات ببلده يسلم ماله الى اهل بلده من التجار فان لم يجد احدا يسلمه الى القاضي ويختم عليه الى ان يصل من ياخذه بمقتضى الشرع وكان اذا وصل الى بلد عم احسانه اهله والفقهاء واهل الفضل يخلع عليهم ويفرض لهم الاعطيات كل سنة من خزانته ويفرق الاموال في الفقراء وكان يراعي كل من وصل الى حضرته من العلويين والشعراء وغيرهم وكان فيه فضل غزير وادب مع حسن خط وبلاغة وكان رحمه الله ينسخ المصاحف بخطه ويوقفها في المدارس التي بناها ولم يظهر منه تعصب على مذهب ويقول التعصب في المذاهب من الملك قبيح لانه كان شافعي المذهب فهو يميل الى الشافعية من غير ان يطمعهم في غيرهم ولا اعطاهم ما ليس لهم

(ذكر اخذ الظاهر قلعة نجم من اخيه الافضل)

في هذه السنة اخذ الظاهر غازي قلعة نجم من اخيه الافضل وكانت في جملة ما اخذ من العادل لما صالحه سنة سبع وتسعين فلما كان هذه السنة اخذ العادل من الافضل سروج وجملين وراس العين وبقي بيده سميساط وقلعة نجم فارسل الظاهر اليه يطلب منه قلعة نجم وضمن له انه يشفع الى عمه العادل في اعادة ما اخذه منه فلم يعطه فتهدده بان

تصرف في كل شهر ومكان ايضا بالقلعة عند باب الينكجرية لسبك المدافع وعملها وقياساتها وهندستها والبنبات وارتفاعها ومقاديرها ومعي ذلك المكان الطبخانه وعليه رئيس وكتبة وصناع ولهم شهريات (ومنها) شدة رغبة الباشا في تحصيل الاموال والزيادة من ذلك من اي طريق بعد استيلائه على البلاد والاقطاعات والرزق الاحباسية وابطال الفراغ والبيع والشراء والحلول عن الموتى من ذلك والعلوفات وغلال الانبار ونحو ذلك فكل من مات عن حصته اورزقته اومرتب انحل بموته ما كان على اسمه وضبط واضيف الى ديوانه ولوله اولادا وكان هو كتبه باسم اولاده وماتت اولاده قبله انحل عنه واصبح هو واولاده من غير شئ فان عرض حاله على الباشا امر بالكشف عن ايراده فان وجدوا بالدفاتر جهة اووظيفة اخرى قيل له هذه تكفيك وان لم يوجد في حوزه خلافها امر له بشئ يستغله من اقلام المكوس اما قرش اونصف قرش في كل يوم اونحو ذلك هذا مع التفاته ورغبته في انواع التجارات والشركات وانشاء السفن ببحر الروم والقلزم واقام له وكلاء بسائر الاسا كل حتى ببلاد فرانسه والانكليز ومالطه وازمير وتونس والنابلطان والونديك والبنادقة والهند واعطى اناسا جملا عظيمة من

يكون البلاد اليه ولم تزل الرسل تتردد حتى سلمها اليه في شعبان وطلب منه ان يعوضه قرى او مالا فلم يفعل وكان هذا من اقبح ما سمع عن ملك يزاحم اخاه في مثل قلعة نجم مع خستها وحقارتها وكثرة بلاده وعدمها لاخيه واما العادل فانه لما اخذ سروج وراس العين من الافضل ارسل والدته اليه لتسأل في ردها فلم يشفعها وردها خائبة ولقد عوقب البيت الصلاحي بما فعله ابوهم مع البيت الاتابكي فانه لما حصر الموصل سنة ثمانين وخمسمائة ارسل صاحب الموصل والدته وابنة عمه نور الدين اليه يسألانه ان يعود فلم يشفعهما فجرى لاولاده هذا وردت زوجته خائبة كما فعل ولما راى الافضل عمه واخاه قد اخذا ما كان بيده ارسل الى ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان صاحب ملطية وقونية وما بينهما من البلاد يبذل له الطاعة وان يكون في خدمته ويخطب له ببلده ويضرب السكة باسمه فاجابه ركن الدين الى ذلك وارسل له خلعة فلبسها الافضل وخطب له بسميساط في سنة ستمائة وصار في جملته

(ذكر ملك الكرج مدينة دوين)

في هذه السنة استولى الكرج على مدينة دوين من اذربيجان ونهبوها واستباحوها واكثروا القتل في اهلها وكانت هي وجميع بلاد اذربيجان للامير ابي بكر بن البهلوان وكان على عادته مشغولا بالشرب ليلا ونهارا لا يفيق ولا ينظر في امر مملكته ورعيته وجنده قد القى الجميع عن قلبه وسلك طريق من ليس له علاقة وكان اهل تلك البلاد قد اكثروا الاستغاثة اليه واعلامه بقصد الكرج بلادهم بالغارة مرة بعد اخرى فكأنهم ينادون صخرة صماء فلما حصر الكرج هذه السنة مدينة دوين سار منهم جماعة يستغيثون فلم يغثهم وخوفه جماعة من امرائه عاقبة اهماله وتوانيه واصراره على ما هو فيه فلم يصغ اليهم فلما طال الامر على اهلها ضعفوا وعجزوا واخذهم الكرج عنوة بالسيف وفعلوا ما ذكرنا ثم ان الكرج بعد ان استقر امرهم بها احسنوا الى من بقي من اهلها فالله تعالى ينظر الى المسلمين ويسهل لثغورهم من يحفظها ويحميها فانها مستباحة لاسيما هذه الناحية فانا لله وانا اليه راجعون فقد بلغنا من فعل الكرج باهل دوين من القتل والسبي والاسر ما تقشعر منه الجلود

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة احضر الملك العادل محمدا ولد العزيز صاحب مصر الى الرها وذلك انه لما قطع خطبته من مصر سنة ست وتسعين كما ذكرناه خاف شيعة ابيه ان يجتمعوا عليه ويصير له معهم فتنة فنقله سنة ثمان وتسعين الى دمشق ثم نقله هذه السنة الى الرها فاقام بها ومعه جميع اخوته واخواته ووالدته ومن يخصه وفيها في رجب توفي الشيخ وجيه الدين محمد بن محمود المروروذي الفقيه الشافعي وهذا الذي كان السبب في ان صار غياث الدين شافعيا وفي ربيع الاول منها توفي ابو الفتح عبيد الله بن ابي المعمر الفقيه الشافعي المعروف بالمستملي ببغداد وله خط حسن وفي ربيع الآخر توفيت

اموال يسافرون بها ويجلبون البضائع ويجعل لهم الثلث في الربح في نظير سفرهم ٨٥ وخدمتهم فمن ذلك انه اعطى للرئيس حسن المحروقي خمسمائة الف فرانسه يسافر بها الى الهند ويشتري البضائع الهندية ويأتي بها الى مصر ولشخص نصراني ايضا ستمائة الف فرانسه وكذلك لمن يذهب الى بيروت وبلاد الشام ليشتري القز والحرير وغير ذلك وعمل بمصر اماكن ومصانع لنسج القطاني التي يتخذها الناس في ملابسهم من القطن والحرير وكذلك الجنفس والصندل واحتكر ذلك باجمعه وابطل دواليب الصناع لذلك ومعلميهم واقامهم يشتغلون وينسجون في المناسج التي احدثها بالاجرة وابطل مكاسبهم ايضا وطرائقهم التي كانوا عليها ويأخذ من ذلك ما يحتاجه في اليلكات والكساوي وما زاد يرميه على التجار وهم يبيعونه على الناس باغلى ثمن وبلغ ثمن الدرهم من الحرير خمسة وعشرين نصفا بعد ان كان يباع بنصفين (ومنها) انه ابطل ديوان المنيرة وهي عبارة عما يؤخذ من المعاشات وهي المراكب التي تغدو وتروح لموارد الارياف مثل شيبين الكوم ومنوف والبلاد البحرية وعليها ضرائب وفرائض للملتزم بذلك وهو شخص يسمى عليا الجزار وسبب ذلك ان معظم المراكب التي تصعد بحر النيل وتنحدر منه اسماء لباشا ولم يبق لغيره الا القليل جدا والعمل والانشاء بالترسخانة مستمر

زمرد خاتون ام الخليفة الناصر لدين الله واخرجت جنازتها ظاهرة وصلى الخلق الكثير عليها ودفنت في التربة التي بنتها لنفسها وكانت كثيرة المعروف

(ثم دخلت سنة ستمائة)

(ذكر حصار خوارزم شاه هراة ثانية)

في هذه السنة اول رجب وصل خوارزم شاه محمد الى مدينة هراة فحصرها وبها البب غازي ابن اخت شهاب الدين الغوري ملك غزنة بعد مراسلات جرت بينه وبين شهاب الدين في الصلح فلم يتم وكان شهاب الدين قد سار عن غزنة الى لهاوور عازما على غزو الهند فاقام خوارزم شاه على حصار هراة الى سلخ شعبان وكان القتال دائما والقتل من الفريقين كثيرا وممن قتل رئيس خراسان وكان كبير القدر يقيم بمشهد طوس وكان الحسين بن خرميل بكرزبان وهي اقطاعه فارسل الى خوارزم شاه يقول له ارسل الى عسكر الفيلم اليهم اقيلة وخزانة شهاب الدين فارسل اليه الف فارس من اعيان عسكره الى كرزبان فخرج عليه هو والحسين بن محمد المرغني فقتلوهم الا القليل فبلغ الخبر الى خوارزم شاه فسقط في يديه وقدم على انفاذ العسكر وارسل الى الب غازي يطلب منه ان يخرج اليه من البلد ويخدمه خدمة سلطانية ليرحل عنه فلم يجبه الى ذلك فاتفق ان الب غازي مرض واشتد مرضه فخاف ان يشتغل بمرضه فيملك خوارزم شاه البلد فاجاب الى ما طلب منه واستحلفه على الصلح واهدى له هدية جليلة وخرج من البلد ليخدمه فسقط الى الارض ميتا ولم يشعر احد بذلك وارتحل خوارزم شاه عن البلد واحرق المجانيق وسار الى سرخس فاقام بها

(ذكر عود شهاب الدين من الهند وحصر خوارزم وانهزامه من الخطا)

في هذه السنة في رمضان عاد شهاب الدين الغوري الى خراسان من قصد الهند وسبب ذلك انه بلغه حصر خوارزم شاه هراة وموت الب غازي نائبه بها فعاد حنقا على خوارزم شاه فلما بلغ ميمند عدل الى طريق اخرى قاصدا الى خوارزم فارسل خوارزم شاه يقول له ارجع الى لاحاربك والا سرت الى هراة ومنها الى غزنة وكان خوارزم شاه قد سار من سرخس الى مرو فاقام بظاهرها فاعاد اليه شهاب الدين جوابه لعلك تنهزم كما فعلت تلك الدفعة لكن خوارزم تجمعنا وفرق خوارزم شاه عساكره واحرق ما جمعه من العلف ورحل سابق شهاب الدين الى خوارزم فسبقه اليها فقطع الطريق واجرى المياه فيها فتعذر على شهاب الدين سلوكها واقام اربعين يوما يصلحها حتى امكنه الوصول الى خوارزم والتقى العسكران بسوقرة ومعناه الماء الاسود فجرى بينهم قتال شديد كثرت القتلى فيه بين الفريقين وممن قتل من الغورية الحسين المرغني وغيره واسر جماعة من الخوارزمية فامر شهاب الدين بقتلهم فقتلوا وارسل خوارزم شاه الى الاتراك الخطا يستنجدهم وهم حينئذ اصحاب ما وراء النهر فاستعدوا وساروا الى بلاد الغورية ولما بلغ شهاب الدين ذلك عاد عن خوارزم فلقي اوائلهم في صحراء اندخوي اول صفر سنة احدى وستمائة فقتل

اهل البلد وام والرؤساء والملاحون يخدمون فيها بالاجرة وعمارة شغلها واسبابها وجميع احتياجاتها على طرف الترسخانة والثالث مباشرون وكتاب وامناء يكتبون ويقيدون الصادر والوارد وهذه الترسخانة بساحل بولاق بها الاخشاب الكثيرة والمتنوعة وما يصلح للعمائر والمراكب وياتي اليها المجلوب من البلاد الرومية والشامية فاذا ورد شيء من انواع الاخشاب سمعه والغشابة بشيء يسير منه بالثمن لزائد ورفع الباقي الى الترسخانة وجميع الاخشاب الواردة والاحطاب جميعها في متاجر الباشاوليس اشعارها لاما كان من داخل متاجره وهو قليل (ومن النوادر) انه وصل من بلاد الانكليز سواقي بالات الحديد تدور بالماء حيث يستقيم دورانها على بحر النيل (ومنها) انها شاجسر ممتدا من ناحية تنمرة الليمون على جهة السبيل الحجار بقرب بولاق ممتدا الى شبرا على خط مستقيم وزرعوا بجانبيه اشجار التوت وعلى هذا النسق جسور وطرق الارياف والاقاليم (ومنها) ان اللحم قل وجوده من اول شهر رجب الى غاية السنة وعلا سعره مع رداءته وهزاله حتى بيع الرطل بعشرين نصفا وازيد واقل مع ما فيه من العظام والاجزاء المقطوعة ونشفت وسبب ذلك رواتب الدولة وامعدة ما ثمن الغالي فيستعوض الجزار ونخسارتهم من المساس وكان

البعض من العسكر يشترى الاغنام ويذبحها ويبيعها بالثمن الغالى وينقص الوزن ولا يقدر ابن البلد على مراجعته (ومنها) ان ابراهيم اغا الذى كان كتخدا ابراهيم باشا قلده الباشا كشوفية المنوفية فمن أفاعيله انه يطلب مشايخ البلدة او القرية فيسال الشخص منهم على من شيء فيقول استاذ البلدة فيقول له فى أى وقت فيقول سنة كذا فيقول وما الذى قدمته له فى شيء اختلك ويهدده او يحبسه على الانكار او يخبر من بادئ الامر ويقول أعطيته كذا وكذا اما دراهم او اغناما فيأمر الكاتب بتقييده وتحريره وضبطه على الملتزم وسطر بذلك دفترا وأرسله الى الديوان ليخصم على الملتزمين من فائظهم المحرر لهم بالديوان فيتفق ان المحرر عليه يزيد على القدر المطلوب له فيطالب بالباقى او يخصم عليه من السنة القابلة (ومنها) التحجير على القصب الفارسى فلا يتمكن احد من شراء شيء منه ولو قصبة واحدة لان يحتاج من كتخدا بك من يكتب ورقة فى عمرة او شباك او لدوارات الحسر برا فتصادف ان السلطان أخذ قرما بقدر احتياجه واحتاج الى رسائط ومعالجات واحتياجات حتى يظفر بمطلوبه (ومنها) وهى من عكس الاوضاع ان الباشا عمل همته فى اعادة سد الاعظم الممتد الواصل الى الاسكندرية وقد كان اتسع

فيهم وأسر كثيرا فلما كان اليوم الثانى دهمه من الخطا ما لا طاقة له بهم فانهزم المسلمون هزيمة قبيحة وبقى شهاب الدين فى نفر يسير وقتل بيده اربعة افيال له لانها اعيت واخذ الكفار فيلين ودخل شهاب الدين اندخوى فيمن معه وحصره الكفار ثم صالحوه على ان يعطيهم فيلا آخر ففعل وخلص ووقع الخبر فى جميع بلاده بانه قد عدم وكثرت الاراجيف بذلك ثم وصل الى الطالقان فى سبعة نفر وقد قتل اكثر عسكره ونهبت خزائنه جميعها فلم يبق منها شيء فاخرج له الحسين بن خرميل صاحب الطالقان خياما وجميع ما يحتاج اليه وسار الى غزنة واخذ معه الحسين بن خرميل لانه قيل له عنه انه شديد الخوف لانهزامه وانه قال اذا سار السلطان هربت الى خوارزم شاه فاخذه معه وجعله أمير حاجب ولما شاع الخبر بقتل شهاب الدين جمع تاج الدين الدز وهو مملوك اشتراه شهاب الدين أصحابه وقصد قلعة غزنة ليصعد اليها فمنعه مستحفظها فعاد الى داره فاقام بها وأفسد الخلج وسائر المفسدين فى البلاد وقطعوا الطرق وقتلوا كثيرا فلما عاد شهاب الدين الى غزنه بلغه ما فعله الدز واراد قتله فشفع فيه سائر المماليك فاطلقه ثم اعتذر وسار شهاب الدين فى البلاد فقتل من المفسدين من تلك الامم نفرا كثيرا وكان له أيضا مملوك آخر اسمه ايبك بال ترفه لم من المعركة ولحق بالهند ودخل لمولتان وقتل نائب السلطان بها وملك البلد واخذ الاموال السلطانية وأساء السيرة فى الرعية واخذ اموالهم وقال قتل السلطان وأنا السلطان ولم يجد له على ذلك ويحسنه له انسان فيه عمر بن يزان وكان زنديقا ففعل ما أمره وجمع المفسدين واخذ الاموال فخوف الطريق فبلغ خبره الى شهاب الدين فسار الى الهند وأرسل اليه عسكرا فاخذوه ومعه عمر بن يزان فقتلهما اقبح قتلة وقتل من وافقهما فى جمادى الآخرة من سنة احدى وستمائة ولما رآهم قتلى قرأ انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا الآية وامر شهاب الدين فى جميع بلاده بالتجهز لغزو الخطا واخذ بثارهم وقيل كان سبب انهزامه انه لما عاد الى الخطا من خوارزم سير عسكره فى المفازة التى فى طريقه لقلة الماء وكان الخطا قد نزلوا على طرف المفازة فكلما خرج من أصحابه طائفة فتكوا فيهم بالقتل والاسر ومن سلم من عسكره انهزم نحو البلاد ولم يرجع اليه أحد يعلم الحال وجاء شهاب الدين فى ساقة العسكر فى عشرين ألف فارس ولم يعلم الحال فلما خرج من البرية لقيه الخطا مستريحين وهو ومن معه قد تعبوا واعيوا وكان الخطا اضعاف أصحابه فقاتلهم عامة نهاره وحمى نفسه منهم وحصروه فى اندخوى فجرى بينهم فى عدة أيام اربعة عشر مصافا منها مصاف واحد كان من العصر الى بكرة الغد ثم انه بعد ذلك سير طائفة من عسكره ليلا سرا وأمرهم ان يرجعوا اليه بكرة كأنهم قد أتوه مددا من بلاده ففعلوا ذلك فخافه الخطا وقال لهم صاحب سمرقند وكان مسلما وهو فى طاعة الخطا وقد خاف على الاسلام والمسلمين ان هم ظفروا بشهاب الدين فقتلوه ان هذا رجل لا تجد قط اضعف منه لم يخرج من المفازة ومع ضعفه وتعبه وقلة من معه

لم تقدر به والامداد أتته وكان عسكره ساكرا وقد أقبلت من كل طريق وحينئذ فطلب الخلاص منه فلا تقدر عليه والرأى انا الصلح معه فاجابوا الى ذلك فارسلوا اليه في الصلح وكان صاحب سمرقند قد أرسل اليه وعرفه الحال سرا وأمره باظهار الامتناع من الصلح أولا والاجابة اليه أخيرا فلما أتته الرسل امتنع وأظهر القوة بانتظار الامداد وطال الكلام فاصطلحوا على ان الخطا لا يعبرون النهر الى بلاده ولا يعبر الى بلادهم ورجعوا عنه وخلص هو وعاد الى بلاده والباقي نحو ما تقدم

(ذكر قتل طائفة من الاسماعيلية بخراسان)

في هذه السنة وصل رسول الى شهاب الدين الغوري من عند مقدم الاسماعيلية بخراسان برسالة انكرها فأمر علاء الدين محمد بن أبي علي متولي بلاد الغورية بالمسير اليهم ومحاصرة بلادهم فسار في عساكر كثيرة الى قهستان وسمع به صاحب زوزن فقصده وسار معه وفارق خدمة خوارزم شاه ونزل علاء الدين على مدينة قاين وهي للاسماعيلية وحصرها وضيق على اهلها ووصل خبر قتل شهاب الدين صنى ماتذكره فصالح اهلها على ستين ألف دينار ركنية ورحل عنهم وقصد حصن كاخك فاخذه وقتل المقاتلة وسبي الذرية ورحل الى هراة ومنها الى فيروز كوه

(ذكر ملك القسطنطينية من الروم)

في هذه السنة في شعبان ملك الفرنج مدينة القسطنطينية من الروم وأزالوا ملك الروم عنها وكان سبب ذلك ان ملك الروم بها تزوج أخت ملك افرنسيس وهو من أكبر ملوك الفرنج فرزق منها ولدا ذكرا ثم وثب على الملك اخ له فقبض عليه وملك البلد منه وسمل عينيه وحبسه فهرب ولده ومضى الى خاله مستنصرا به على عمه فاتفق ذلك وقد اجتمع كثير من الفرنج ليخرجوا الى بلاد الشام لاستنقاذ البيت المقدس فاخذوا ولد الملك معهم وجعلوا طريقهم على القسطنطينية قصد الاصلاح الحال بينه وبين عمه ولم يكن له طمع في سوى ذلك فلما وصلوا خرج عمه في عساكر الروم محاربا لهم فوقع القتال بينهم في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وخمسمائة فانهزمت الروم ودخلوا البلد فدخله الفرنج معهم فهرب ملك الروم الى اطراف البلاد وقيل ان ملك الروم لم يقاتل الفرنج بظاهر البلد وانما حصروه فيه وكان بالقسطنطينية من الروم من يريد الصبي فالقوا النار في البلد فاشتغل الناس بذلك ففتحوا بابا من أبواب المدينة فدخلها الفرنج وخرج ملكها هاربا وجعل الفرنج الملك في ذلك الصبي وليس له من الحكم شئ وأخرجوا اباه من السجن الا ان الفرنج هم الحكام في البلد فثقلوا الوطأة على اهله وطلبوا منهم اموالا عجزوا عنها وأخذوا اموال البيع وما فيها من ذهب وفضة وغير ذلك حتى ما على الصلبان وما هو على صورة المسيح عليه السلام والحواريين وما على الاناجيل من ذلك ايضا فعظم ذلك على الروم وحملوا منه خطبا عظيما فعمدوا الى ذلك الصبي الملك فقتلوه واخرجوا الفرنج من البلد واغلقوا الابواب واستحضروا الملك وكان ذلك في جمادى الاولى سنة ستمائة

فاقام

أمره وقرب من مدة سنتين وزجف منه ماء البحر المالح وأتلف أراضي كثيرة وخرب منه قرى ومزارع وتعطلت بسببه الطرق والمسالك وعجزت الدولة في أمره ولم يزل يتزايد في التهور وزحف المياه المالحة على الاراضي حتى وصلت الى خليج الاشرفية التي يستقي منها صهاريج الثغر فكانوا يحسرون عليه بالاتربة والطين فلما اعتنى الباشا بتعمير الاسكندرية وتشييد أركانها وابراجها وتحصينها ولم تزل بها العمارات اعتنى أيضا بامر الجسر وارسل اليه المباشرين والقومة والرجال والفعلة والنجارين والبنائين والمسامير وآلات الحديد والاحجار والنورة والاخشاب العظيمة والسهوم والبرابخ حتى تممه وكانت مدة مدة لم تمكن احدا من ملوك هذه الازمان فلو وفقه الله لشئ من العدالة مع ما فيه من العزم والرياسة والشهامة والتدبير والمطاولة لكان اعجوبة زمانه وفريد أوانه وأما أمر المعاملة فلم يزل حاله في التزايد حتى وصل صرف الريال الفرانسه الى تسعة قروش وهو أربعة امثال الريال المتعارف ولما بطل ضرب القروش من العام الماضي ضربوا بدلها نصف قروش وأرباعها وأثمانها وتصرف بالفرط والانصاف الحديدية لا تروج الا بأيدي الناس الاماثل جدا

فأقام الفرنج بظاهره محاصرين للروم وقاتلوهم ولازموا قتالهم ليلا ونهارا وكان الروم قد ضعفوا ضعفا كثيرا فارسلوا الى السلطان ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان صاحب قونية وغيرها من البلاد يستنجدونه فلم يجد الى ذلك سبيلا وكان بالمدينة كثير من الفرنج مقيمين يقاربون ثلاثين ألفا ولعظم البلد لا يظهر أمرهم فتواضعوا هم والفرنج الذين بظاهر البلد ووثبوا فيه وألقوا النار مرة ثانية فاحترق نحو ربع البلد وفتحوا الابواب فدخلوها ووضعوا السيف ثلاثة أيام وفتكوا بالروم قتلا ونهبا فأصبح الروم كلهم ما بين قتيل أو فقير لا يملك شيئا ودخل جماعة من اعيان الروم الكنيسة العظمى التي تدعى سوفيا فجاء الفرنج اليها فخرج اليهم جماعة من القسيسين والاساقفة والرهبان بايديهم الانجيل والصليب يتوسلون بهم الى الفرنج ليبقوا عليهم فلم يلتفتوا اليهم وقتلوهم أجمعين ونهبوا الكنيسة وكانوا ثلاثة ملوك دوقس البنادقة وهو صاحب المراكب البحرية وفي مراكبه ركبوا الى القسطنطينية وهو شيخ اعمى اذا ركب تقاد فرسه والآخر يقال له المركيس وهو مقدم الافرنسيس والآخر يقال له كند افلند وهو اكثرهم عددا فلما استولوا على القسطنطينية اقترعوا على الملك فخرجت القرعة على كند افلند فاعادوا القرعة ثانية وثالثة فخرجت عليه فملكوه والله يؤتي ملكه من يشاء وينزعه ممن يشاء فلما خرجت القرعة عليه ملكوه عليها وعلى ما يجاورها وتكون لدوقس البنادقة الجزائر البحرية مثل جزيرة اقريطش وجزيرة رودس وغيرهما ويكون لمركيس الافرنسيس البلاد التي هي شرقي الخليج مثل ازنيق ولاذيق فلم يحصل لاحد منهم شيء غير الذي اخذ القسطنطينية واما الباقي فلم يسلم من به من الروم واما البلاد التي كانت لملك القسطنطينية شرقي الخليج المجاورة لبلاد ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان ومن جملتها ازنيق ولاذيق فانها تغلب عليها بطريق كبير من بطارقة الروم اسمه لشكري وهي بيده الى ان توفي

﴿ذكر انهزام نور الدين صاحب الموصل من العساكر العادلية﴾

في هذه السنة في العشرين من شوال انهزم نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل من العساكر العادلية وسبب ذلك ان نور الدين كان بينه وبين عمه قطب الدين محمد بن زنكي صاحب سنجار وحشة مستحكمة ولا فاتفقوا وسار معه الى ميافارقين سنة خمس وتسعين وقد ذكرناه فلما كان الآن ارسل الملك العادل ابو بكر بن ايوب صاحب مصر ودمشق وبلاد الجزيرة الى قطب الدين واستماله فمال اليه وخطب له فلما سمع نور الدين ذلك سار الى مدينة نصيبين سلخ شعبان وهي لقطب الدين فحصرها وملك المدينة وبقيت القلعة فحصرها عدة ايام فبينما هو يحاصرها وقد اشرف على ان يتسلمها اتاه الخبر ان مظفر الدين كوكبري بن زين الدين علي صاحب اربل قد قصد اعمال الموصل فنهب نينوى واحرق غلاتها فلما بلغه ذلك من نائبه المرتب بالموصل بحفظها سار عن نصيبين الى الموصل على عزم العبور الى بلد اربل ونهبه مجازاة عن فعل

فاذا اراد انسان منها دفع في ابدال العشرة قروش منها اربعمائة نصف فضة زيادة على البدل ان كان ذهبا او فرانسة او قروشا ووصل صرف البندقي الى ثمانمائة نصف والجر ثمانية عشر قروشا والمحبوب المصري الى اربعمائة والاسلامبولي الى اربعمائة وثمانين كل ذلك اسماء لا مسميات لانعدام الانصاف مع انه يضرب منها المقادير والقناطير ياخذها التجار الشاميون والروميون بالفرط ثم يرسلونها متاجر بدلا عن البضائع لان الريال في تلك البلاد صرفه ثلثمائة نصف فقط فيكون فيه من الربح ستون نصفا في كل ريال ولما علم الباشا ذلك جعل يرسل لوكلائه بالشام في كل شهر الف كيس من الفضة العددية ويأتيه بدلها فرانسة فيضيف عليها ثلاثة امثالها نحاسا ويضرب بها فضة عددية فيربح فيها ربحا بدون حد عظيما وهكذا من هذا الباب فقط (ومن حوادث السنة) الاتفاقية واقعة الانكليز مع اهل الجزائر وهو ان لاهل الجزائر صولة واستعدادا وغزوات في البحر ويغزون مراكب الافرنج ويغتنمون منها غنائم ويأخذون منهم اسرى وتحت ايديهم من اسارى الانكليز وغيرهم شيء كثير ومينتهم حصينة يدور بها سور خارج في بحر كصفر لدائرة في غاية الضخامة والمتانة ذو ابراج مشحونة بالمدافع والقنابر

صاحبها بلده فوصل الى مدينة بلد وعاد مظفر الدين الى بلده وتحقق نور الدين ان الذي قيل له وقع فيه زيادة فسار الى تل اعفر من بلده وهي لصاحب سنجار وحصرها وأخذها ورتب امورها واقام عليها سبعة عشر يوما وكان الملك الاشرف موسى ابن الملك العادل ابن ايوب قد سار من مدينة حران الى راس عين نجدة لقطب الدين صاحب سنجار ونصيبين وقد اتفق هو ومظفر الدين صاحب اربل وصاحب الحصن وآمد وصاحب جزيرة ابن عمر وغيرهم على ذلك وعلى منع نور الدين من أخذ شئ من بلاده وكلهم خائفون منه ولم يمكنهم الاجتماع وهو على نصيبين فلما فارقها نور الدين سار الاشرف اليها وأتاه أخوه نجم الدين صاحب ميافارقين وصاحب الحصن وصاحب الجزيرة وصاحب دارا وساروا عن نصيبين نحو بلد البقعاء قريبا من بوشرى وسار نور الدين من تل اعفر الى كفر زمار وعزم على المطاولة ليتفرقوا فأتاه كتاب من بعض مماليكه يسمى جرديك وقد أرسله يتجسس اخبارهم يقلل الجمع في عينه ويطمعه فيهم ويقول ان أذنت لي لقيتهم بعسكري فسار حينئذ نور الدين الى بوشرى فوصل اليها من الغد الظهر وقد تعبت دوابه وأصحابه ولقوا شدة من الحر فنزل بالقرب منهم أقل من ساعة وأتاه الخبر ان عساكر الخصم قد ركبوا فركب هو وأصحابه وساروا نحوهم فلم يروا لهم أثرا فعاد الى خيامه ونزل هو وعساكره وتفرق كثير منهم في القرى لتحصيل العلوفات وما يحتاجون اليه فجاءه من أخبره بحركة الخصم وقصده فركب نور الدين وعسكره وتقدموا اليهم وبينهم نحو فرسخين فوصلوا وقد ازداد تعبهم والخصم مستريح فالتقوا واقتتلوا فلم يطل الحرب بينهم حتى انهزم عسكر نور الدين وانهزم هو أيضا وطلب الموصل فوصل اليها في أربعة أنفس وتلاحق الناس وأتى الاشرف ومن معه فنزلوا في كفر زمار ونهبوا البلاد نهبا قبيحا وأهلكوا ما لم يصلح لهم لا سيما مدينة بلد فانهم أفحشوا في نهبها ومن أعجب ما سمعنا ان امرأة كانت تخبز فرأت النهب فألقت سوارين كانتا في يديها في التنور وهربت فجاء بعض الجند ونهب ما في البيت فرأى فيه بيضا فأخذه وجعله في التنور ليشويه كله فرأى السوارين فيها فأخذهما وطال مقامهم والرسل تتردد في الصلح فوقف الامر على اعادة تل اعفر ويكون الصلح على القاعدة الاولى وتوقف نور الدين في اعادة تل اعفر فلما طال الامر سلمها اليهم واصطلحوا أوائل سنة احدى وستمائة وتفرقت العساكر من البلاد

ذكر خروج الفرنج بالشام الى بلاد الاسلام والصلح معهم

في هذه السنة خرج كثير من الفرنج في البحر الى الشام وسهل الامر عليهم بذلك لملكهم قسطنطينية وارسوا بعكا وعزموا على قصد البيت المقدس حرسه الله واستنقاذه من المسلمين فلما استراحوا بعكا ساروا ونهبوا كثيرا من بلاد الاسلام بنواحي الاردن وسبوا وفتكوا في المسلمين وكان الملك العادل بدمشق فارسل في جمع العساكر من بلاد الشام ومصر وسار فنزل عند الطور بالقرب من عكا لمنع الفرنج من قصد بلاد الاسلام ونزل الفرنج بمرج عكا وأغاروا على كفر كنا فأخذوا كل من بها وأموالهم والامراء يحثون

العادل

والمرابطين والمسار بين ومراكبهم من داخله فوصل اليهم بعض مراكب الانكليز ومعهم رسوم من السلطان العثماني ليفتدوا أساراهم بمال فأعطوهم ما يزيد عن الالف أسير ودفعوا عن كل رأس أسير مائة وخمسين فرانسا ورجعوا من حيث أتوا وبعد مدة وصل منهم بعض سفائن الى خارج الميناء رافعين أعلام السلم والصلح فعبروا داخل الميناء من غير ممانع ونزل منهم انفار في فلوكة وبيدهم رسوم بطلب باقي الاسرى فامتنع حاكمهم من ذلك وترددوا في المخاطبات وفي اثناء ذلك وصلت عدة مراكب من مراكبهم وشلنبات وهي المراكب الصغار المعدة للحرب وعبروا مع مساعدة الريح الى الميناء وثار الحرب والضراب بطرائقهم المستعدة فحرقوا مراكب اهل الجزائر مع المضاربة ايضا من اهل المدينة مع تمام استعدادهم وسرعة استعداد الخصم ومدافع الابراج الداخلة لا تصيب الشلنبات الصغيرة المتسفلة وهم لا يخطئونهم ثم هم في شدة الغارة والحرب اذ قيل لحاكمهم ان عساكره الاتراك تركوا الغارة واشتغلوا بنهب البلدة واحراق الدور فقط في مدة احتار في امره ما بين قتال العدو والواصل او قتال عسكره ومنعهم وكفهم عن النهب والاحراق والفساد وهذا شأنهم فلم يسعه الا خفض الاعلام وطلب الامان من الانكليز وبعد ذلك ابطلوا الحرب وكفوا عن الضراب

العادل على قصد بلادهم ونهبها فلم يفعل فبقوا كذلك الى ان انقضت السنة وذلك سنة احدى وستمائة فاصطلحوا والفرنج على دمشق واعمالها وما بيد العادل من الشام ونزل لهم عن كثير من المناصفات في الرملة وغيرها واعطاهم ناصرة وغيرها وسار نحو الديار المصرية فقصد الفرنج مدينة حماة فلقيهم صاحبها ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فقاتلهم وكان في قلة فهزموه الى البلد فخرج العامة الى قتالهم فقتل الفرنج منهم جماعة وعاد الفرنج

(ذكر قتل كوكجة ببلاد الجبل وولاية ايتغمش)

قد ذكرنا قبل تغلب كوكجة مملوك البهلوان على الري وهمذان وبلد الجبل وبقي الآن وكان قد اصطنع مملوكا آخر كان للبهلوان اسمه ايتغمش وقدمه وأحسن اليه ووثق به فجمع ايتغمش الجموع من المماليك وغيرهم ثم قصد كوكجة فتصافا واقتتل الفريقان فقتل كوكجة في الحرب واستولى ايتغمش على البلاد وأخذها وازبك ابن البهلوان له اسم الملك وايتغمش هو المدبر له والقيم بأمر المملكة وكان ثم ما شهدها ظالما وكان كوكجة عادلا حسن السيرة رحمه الله

(ذكر وفاة ركن الدين بن قلج ارسلان وملك ابنه بعده)

وفي هذه السنة سادس ذي القعدة توفي ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان بن مسعود ابن قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش بن سلجوق صاحب ديار الروم ما بين ملطية وقونية وكان موته بمرض القولنج في سبعة أيام وكان قبل مرضه بخمسة أيام قد غدر بأخيه صاحب انكورية وتسمى أيضا انقرة وهي مدينة منيعة وكان مشاققا لركن الدين فحصره عدة سنين حتى ضعف وقلت الاقوات عنده فاذعن بالتسليم على عوض يأخذه فعوضه قلعة في اطراف بلاده وحلف له عليها فنزل أخوه عن مدينة انقرة وسلمها ومعه ولدان له فوضع ركن الدين عليه من أخذه وأخذ اولاده معه فقتله فلم يمض غير خمسة ايام حتى اصابه القولنج فمات واجتمع الناس بعده على ولده قلج ارسلان وكان صغيرا فبقي في الملك الى بعض سنة احدى وستمائة واخذ منه على ما نذكره ان شاء الله وكان ركن الدين شديدا على الاعداء قيما بأمر الملك الا ان الناس كانوا ينسبونه الى فساد الاعتقاد كان يقال انه يعتقد مذهب الفلاسفة وكان كل من يرمى بهذا المذهب يأوي اليه ولهذه الطائفة منه حسان كثير الا انه كان عاقلا يحب ستر هذا المذهب لئلا ينفر الناس عنه حكي لي عنه انه كان عنده انسان وكان يرمى بالزندقة ومذهب الفلاسفة وهو قريب منه فحضر يوما عنده فقيه فتناظرا فاظهر شيئا من اعتقاد الفلاسفة فقام الفقيه اليه ولطمه وشتمه بحضرة ركن الدين وركن الدين ساكت وخرج الفقيه فقال لركن الدين يجري على مثل هذا في حضرتك ولا تنكره فقال لو تكلمت لقتلنا جميعا ولا يمكن اظهار ما تريده انت

(ذكر قتل الباطنية بواسط)

وترددوا في الصلح على شرائطهم التي منها تسليم بواقي الاسرى واسترداد المال و٩ الذي سلموه في الفداء السابق حالا من غير مهلة فكان ذلك وتسلموا الاسرى وفيهم من كان صغيرا واسلم وقرأ القرآن واتفقوا على المتاركة والمهادنة زمنا مقداره سنة اشهر ورجعوا الى بلادهم بالظفر والاسرى والامرقة وحده ثم ان الجزائرلية اجتهدوا في تعمير ما تهدم وتخرب من السور والابراج والجامع في الحرب وكذلك ما اخربه عساكرهم الذين هم اعدى من الاعداء واضر ما يكون على الاسلام واهله وصارت الاخبار بذلك في الآفاق وامدهم سلطان المغرب مولاي سليمان وبعث اليهم مراكب عوضا عن الذي تلف من مراكبهم فارسل اليهم معمرين وادوات ولوازم عمارات وكذلك حاكم تونس وغيرها ومن السلطان العثماني ايضا ولم يتفق فيما نعلم لاهل الجزائر مثل هذه الحادثة الهائلة ولا اشنع منها وكانت هذه الواقعة غرة شهر شوال من السنة وهو يوم عيد الفطر وكان عيدا عليهم في غاية الشناعة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(واما من مات في هذه السنة ممن له ذكر) مات الشيخ الفهامة والنحرير العلامة الفقيه النحوي الاصولي ابراهيم البيبوني البجيرمي الشافعي وهو ابن اخت الشيخ موسى البجيرمي الشيخ الصالح المقتصد الورع الزاهد حضر

في هذه السنة في رمضان قتل الباطنية بواسط وسبب كونهم بها وقتلهم انه ورد اليها رجل يعرف بالر كم محمد بن طالب بن عصية واصله من القاروب من قرى واسط وكان باطنيا ملحدا ونزل بمجاور الدور بني الهروي وغشيه الناس وكثر اتباعه وكان ممن يغشاه رجل يعرف بحسن الصابوني فاتفق انه اجتاز بالسويقة فكلمه رجل نجار في مذهبهم فرد عليه الصابوني ردا غليظا فقام اليه النجار وقتله وتسامع الناس بذلك فوثبوا وقتلوا من وجدوا ممن ينتسب الى هذا المذهب وقصدوا دار ابن عصية وقد اجتمع اليه خلق من اصحابه واغلقوا الباب وصعدوا الى سطحها ومنعوا الناس عنهم فصعدوا اليهم من بعض الدور من على السطح وتحصن من بقي في الدار باغلاق الابواب والمارق فكسروها ونزلوا فقتلوا من وجدوا في الدار واحرقوا وقتل ابن عصية وفتح الباب وهرب منهم فقتلوا وبلغ الخبر الى بغداد وانحدر فخر الدين ابو البدر بن امسينا الواسطي لاصلاح الحال وتسكين الفتنة

(ذكر استيلاء محمود على مرباط وغيرها من حضرموت)

في هذه السنة استولى انسان اسمه محمود بن محمد الحميري على مدينة مرباط وظفار وغيرهما من حضرموت وكان ابتداء امره انه له مركب يكريه في البحر للتجار ثم وزر لصاحب مرباط وفيه كرم وشجاعة وحسن سيرة فلما توفي صاحب مرباط ملك المدينة بعده واطاعه الناس محبة له لكرمه وسيرته ودامت ايامه بها فلما كان سنة تسع عشرة وستمائة خرب مرباط وظفار وبنى مدينة جديدة على ساحل البحر بالقرب من مرباط وعندها عين عذبة كبيرة اجراها الى المدينة وعمل عليها سورا وخندقا وحصنها وسماها الاحمدية وكان يحب الشعر ويكثر الجائزة عليه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة خرج اسطول من الفرنج الى الديار المصرية فنهبوا مدينة فوة واقاموا خمسة ايام يسبون وينهبون وعسكر مصر مقابلهم بينهم النيل ليس لهم وصول اليهم لانهم لم تكن لهم سفن وفيها كانت زلزلة عظيمة عمت اكثر البلاد مصر والشام والجزيرة وبلاد الروم وصقلية وقبرس ووصلت الى الموصل والعراق وغيرها وخربت من مدينة صور سورها واثرت في كثير من الشام وفيها في رجب اجتمع جماعة من الصوفية برباط شيخ الشيوخ ببغداد وفيهم صوفي اسمه احمد بن ابراهيم الداري من اصحاب شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن اسمعيل رحمهم الله ومعهم مغن يغني بقول الشاعر

اعاد لتي الهوى ● كفى بمشيبي عذل
شباب كأن لم يكن ● وشيب كأن لم يزل
وحق ليالي الوصال ● وآخرها والاول
وصفرة لون المحب عند استماع العذل
لئن عاد عيشي بكم ● حلا العيش لي واتصل

جل الاشياخ المتقدمين وهو في عداد الطبقة الاولى ودرس وافاد وانتفع به الطلبة بل غالب الناس وكان طارحا للتكلف متقشفا مع التواضع والانكسار ملازما على العبادة مستحضر الفروع الفقهية والمعقولية والمناسبات الشعرية والشواهد النحوية والادبية جيدا لمحافظة لاهل مجالسته ومؤانسته ولم يزل على حالته وافادته والجماعة ومعتقده حتى تمرض وتوفي يوم السبت منتصف المحرم من السنة عن نحو الخمسة وسبعين وصلى عليه بالازهر في مشهد حافل رحمه الله تعالى وايانا

(ومات) الشيخ العلامة الاصولي الفقيه النحوي علي الحصاوي الشافعي نسبة الى بلدة بالقليوبية تسمى الحصة حضر الى الجامع الازهر صغيرا وحفظ القرآن والمتون وحضر دروس الاشياخ كالشيخ علي العدوي المنسفيسي الشهير بالصعيدي والشيخ عبد الرحمن النحريري الشهير بالمقسري ولازم الشيخ سليمان الجمل وبه تخرج وحضر على الشيخ عبد الله الشرقاوي مصطلح الحديث وكان يحفظ جمع الجوامع مع شرحه للجلال المحلي في الاصول ومختصر السعد ويقرأ الدروس ويفيد الطلبة وكان انسانا حسنا مهذبا متواضعا ولا يرى لنفسه مقاما على معاناة الفقر في جد وبه من التعيش مع العفة وعدم التطلع لغيره

فتحرك

فتحرك الجماعة عادة الصوفية فى السماع وطرب الشيخ المذكور وتواجد ثم سقط مغشيا عليه فحركوه فاذا هو ميت فصلى عليه ودفن وكان رجلا صالحا وفيها توفى ابو الفتوح اسعد بن محمود العجلى الفقيه الشافعى باصبهان فى صفر وكان اماما فاضلا وفى رمضان منها توفى قاضى هراة عمدة الدين الفضل بن محمود بن صاعد الساوى وولى بعده ابنه صاعد

(ثم دخلت سنة احدى وستمائة)

(ذكر ملك كيخسرو بن قلج ارسلان بلاد الروم من ابن اخيه)

فى هذه السنة فى رجب ملك غياث الدين كيخسرو بن قلج ارسلان بلاد الروم التى كانت بيد اخيه ركن الدين سليمان وكان سبب ملك غياث الدين لها ان ركن الدين كان قد اخذها كان لاخيه غياث الدين وهو مدينة قونية فهرب غياث الدين منه وقصد الشام الى الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين صاحب حلب فلم يجد عنده قبولا وقصر به فسار من عنده وتقلب فى البلاد الى ان وصل الى القسطنطينية فاحسن اليه ملك الروم واقطعه واكرمه فاقام عنده وتزوج بابنة بعض البطارقة الكبار وكان لهذا البطريق قلعة من عمل القسطنطينية فلما ملك الفرنج القسطنطينية هرب غياث الدين الى حميه وهو بقلعته فانزله عنده وقال له نشترك فى هذه القلعة ونقنع بدخلها فاقام عنده فلما مات اخوه سنة ستمائة كما ذكرناه اجتمع الامراء على ولده وخالفهم الاتراك الاوج وهم كثير بتلك البلاد وانف من اتباعهم وارسل الى غياث الدين يستدعيه اليه ليملكه البلاد فسار اليه فوصل فى جمادى الاولى اجتمع به وكثر جمعه وقصد مدينة قونية ليحصرها وكان ولد ركن الدين والعساكر بها فاخرجوا اليه طائفة من العسكر فلقوه فهزموه فبقى حيران لا يدرى اين يتوجه فقصد بلدة صغيرة يقال لها اوكرم بالقرب من قونية فقدر الله تعالى ان اهل مدينة اقصرا وثبوا على الوالى فاخرجوه منها ونادوا بشعار غياث الدين فلما سمع اهل قونية بما فعله اهل اقصرا قالوا نحن اولى بفعل هذا لانه كان حسن السيرة فيهم لما كان ملكهم فنادوا باسمه ايضا واخرجوا من عندهم واستدعوه فحضر عندهم وملك المدينة وقبض ابن اخيه ومن معه واتاه الله الملك وجمع له البلاد جميعها فى ساعة واحدة فسبحان من اذا اراد امرا هيأ اسبابه وكان اخوه قيصرشاه الذى كان صاحب ملطية لما اخذها ركن الدين منه سنة سبع وتسعين خرج منها وقصد الملك العادل ابا بكر بن ايوب لانه كان زوج ابنته مستنصرا به فامره بالمقام بمدينة الرها فاقام بها فلما سمع بملك اخيه غياث الدين سار اليه فلم يجد عنده قبولا انما اعطاه شيئا وامره بمفارقة البلاد فعاد الى الرها واقام بها فلما استقر ملك غياث الدين سار اليه الافضل صاحب سميساط فلقيه بمدينة قيسارية وقصده ايضا نظام الدين صاحب خرتبرت وصار معه فعظم شانه وقوى امره

(ذكر حصر صاحب آمد خرتبرت ورجوعه عنها)

صابرا على ما كدره وحتى وباخره اصيب فى شدقه بداء الفالج انقطع بسببه اشهرا ثم انجلى عنه بيسير مع سلامة حواسه وعاد الى الاقراء والافادة ولم يزل على حسن حاله ورضاه وانشراح صدره وعدم تضجره وشكواه للمخلوقين الى ان توفى فى شهر جمادى الثانية سنة احدى وثلاثين ومائتين والف رحمه الله وايانا * (ومات) الشيخ العلامة والنحرير الفهامة السيد احمد بن محمد بن اسمعيل من ذرية السيد محمد الدوقاطى الطهطاوى الحنفى والده رومى حضر الى ارض مصر متقلدا القضاء بطهطا بلدة بالقرب من اسيوط بالصعيد الادنى فتزوج بامرأة شريفة فولد له منها المترجم واخوه السيد اسمعيل ولم يزل مستوطنا بها الى ان مات وترك ولديه المذكورين واختالهما حضر المترجم الى مصر فى سنة احدى وثمانين ومائة والف وكان قد بدا نبات لحيته بعدما حفظ القرآن ببلده وقرأ شيئا من الفقه فدخل الازهر ولازم الحضور فى الفقه على الشيخ احمد الحماقى والمقدسى والحريرى والشيخ مصطفى الطائى والشيخ عبد الرحمن العريشى حضر عليه من اول كتاب الدر المختار الى كتاب البيوع وتمم حضوره على المرحوم الوالد مع الجماعة لتوجه الشيخ عبد الرحمن لدار السلطنة لبعض المقتضيات عن امر على بك فى سنة ثلاث وثمانين ومائة والف التمس الجماعة

كانت خرت برت لعماد الدين بن قرا ارسلان فمات وملكها بعده ابنه نظام الدين ابو بكر والتجأ الى ركن الدين بن قلج ارسلان و بعده الى اخيه غياث الدين ليمتنع به من ابن عمه ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا ارسلان فامتنع به وكان صاحب آمد ملتجئا الى الملك العادل وفي طاعته وحضر مع ابنه الملك الاشرف قتال صاحب الموصل على شرط انه يسير معه عسا كره ويأخذ له خرت برت واغاطمع فيها بموت ركن الدين فلما دخلت هذه السنة طلب ما كان استقر الامر عليه فسار معه الملك الاشرف وعسا كر ديار الجزيرة من سنجار و جزيرة ابن عمر والموصل وغيرها وكان نزولهم عليها في شعبان وفي رمضان تسلموا ربضها وكان صاحبها قد اجتمع بغياث الدين بعد ان ملك البلاد الرومية وصار معه في طاعته فلما نزل صاحب آمد على خرت برت خاطب صاحبها غياث الدين يستنجده بعسكر يرحلهم عنه فجهز عسكرا كثيرا عدتهم ستة آلاف فارس وسيرهم مع الملك الافضل صاحب سميساط فلما وصل العسكر الى ملطية فارق صاحب آمد ومن معه من خرت برت ونزلوا الى الصحراء وحصروا الحبيرة المعروفة بحبيرة سهنين و بها حصنان احدهما لصاحب آمد والآخر لصاحب خرت برت فحصره وزاحفه ففتحه ثاني ذي الحجة ووصل صاحب خرت برت مع العسكر الرومي الى خرت برت فرحل صاحب آمد عن الحبيرة وقوى الحصن الذي فتحه فيها فازاح علته ورحل الى خلف مرحلة ونزل وترددت الرسل والعسكر الرومي يطلب اعادة الحبيرة وصاحب آمد يمتنع من ذلك فلما طال الامر بقي الحصن بيد صاحب آمد وانفصل العسكران وعاد كل فريق الى بلاده

(ذكر الفتن ببغداد)

في سابع عشر شعبان جرت فتنة ببغداد بين اهل باب الازج واهل المأمونية وسببها ان اهل باب الازج قتلوا سبعا وارادوا ان يطوفوا به فمنعهم اهل المأمونية فوقعت الفتنة بينهما عند البستان الكبير فجرح منهم خلق كثير وقتل جماعة وركب صاحب الباب لتسكين الفتنة فجرح فرسه فعاد فلما كان الغد سار اهل المأمونية الى باب الازج فوقعت بينهم فتنة شديدة وقتال بالسيوف والنشاب واشتد الامر فنهبت الدور القريبة منهم ومشى الركن بن عبد القادر و يوسف في تسكين الناس وركب الاتراك فصاروا يبيتون تحت المنظرة لمنع اهل الفتنة من الاجتماع فسكنوا وفي العشرين منه جرت فتنة بين اهل دقفتا والمربية من محال الجانب الغربي بسبب قتل سبع ايضا اراد اهل دقفتا ان يجتمعوا و يطوفوا به فمنعهم اهل القرية ان يجروا به عندهم فاقتتلوا وقتل بينهم عدة قتلى فارسل اليهم عسكر من الديوان لتلافي الامر ومنع الناس من الفتنة فامتنعوا وفي تاسع رمضان كانت فتنة بين اهل سوق السلطان والجعفرية منشؤها ان رجلين من المحلتين اختصما وتوعد كل واحد منهما صاحبه فاجتمع اهل المحلتين واقتتلوا في مقبرة الجعفرية فسير اليهم من الديوان من تلافى الامر وسكنه فلما كثرت الفتن وثب امير كبير من مماليك الخليفة ومعه جماعة كثيرة فطاف

تكملة الكتاب على الوالد فاجابهم الى ذلك فكانوا يأتون التلقي عنه في المنزل والمترجم معهم وفي اثناء ذلك قرأت مع المترجم على الوالد متن نور الايضاح بعد انصراف الجماعة عن الدرس وتخلف المترجم وذلك لعلو السند فان الوالد تلقاه عن ابن المؤلف وهو عن جد الوالد عن المؤلف وجد الوالد والمؤلف سميان بحسن فهو من عجيب الاتفاق وكان المترجم يلازم مع الفقير في اصبحة فكنت معه في غالب الاوقات اما في الجامع او في المنزل للصداقة طبعه وقرب سني من سنه وكان الوالد يرى ذلك ويسالني عنه اذا تخلف في بعض الاحيان و يقول ابن رفيقك الصعيدي فكان يعيدني ويفهمني ما يصعب على فهمه ولم يزل يداب في الاشتغال والطلب مع جودة ذهنه وخلو باله وتفرغه والفقير بخلاف ذلك وتلقى المترجم الحديث سماعا واجازة عن كل من الشيخ حسن الجداوي والشيخ محمد الامير والشيخ عبد العليم الفيومي ثلاثتهم عن الشيخ علي العدوي المنفيسي عن الشيخ محمد عقيلة بسنده المشهور ولم يزل يترشح للافادة والتدريس وكان مسكنه بناحية الصليبة وجلس للاقراء بالمدرسة الشيخونية والصرغتمشية احتف به سكان تلك الناحية واكابرهم واحبوه واشانه واسكنوه في دار تليق به وهادوه وواسوه واكرموه وكانت تلك الناحية

في البلد وقتل جماعة ممن فيه شبهة فسكن الناس

(ذكر غارة الكرج على بلاد الاسلام)

في هذه السنة اغارت الكرج على بلاد الاسلام من ناحية اذربيجان فاكثروا العيث والفساد والنهب والسبي ثم اغاروا على ناحية خلاط من ارمينية فاوغلوا في البلاد حتى بلغوا ملازكرد ولم يخرج اليهم احد من المسلمين يمنعهم فجاسوا خلال البلاد ينهبون ويأسرون وكلما تقدموا تأخرت عساكر المسلمين منهم ثم انهم رجعوا فالله تعالى ينظر الى الاسلام واهله وييسر لهم من يحمي بلادهم ويحفظ ثغورهم ويغزو اعداءهم وفيها اغارت الكرج على بلاد خلاط فاتوا الى ارجيش ونواحيها فنهبوا وسبوا وخربوا البلاد وساروا الى حصن التين من اعمال خلاط وهو مجاور ارزن الروم فجمع صاحب خلاط عسكره وسار الى طغرل شاه ولد قلج ارسلان صاحب ارزن الروم فاستنجده على الكرج فسير عسكره جميعه معه فتوجهوا نحو الكرج فلقوهم وتصافوا واقتتلوا فانهزمت الكرج وقتل زكري الصغير وهو من اكابر مقدميهم وهو الذي كان مقدم هذا العسكر من الكرج والمقاتل يومئذ وغنم المسلمون ما معهم من الاموال والسلاح والكراع وغير ذلك وقتلوا منهم خلقا كثيرا واسروا كذلك وعاد الى بلاده

(ذكر الحرب بين امير مكة وامير المدينة)

وفي هذه السنة ايضا كانت الحرب بين الامير قتادة الحسيني امير مكة وبين الامير سالم ابن قاسم الحسيني امير المدينة ومع كل واحد منهما جمع كثير فاقتتلوا قتالا شديدا وكانت الحرب بذي الحليفة بالقرب من المدينة وكان قتادة قد قصد المدينة ليحصرها ويأخذها فلقيه سالم بعد ان قصد الحجرة على ساكنها الصلاة والسلام فصلى عندها ودعا وسار فلقيه فانهزم قتادة وتبعه سالم الى مكة فحصره بها فارسل قتادة الى من مع سالم من الامراء فافسدهم عليه فمالوا اليه وحالفوه فلما راى سالم ذلك رحل عنه عائدا الى المدينة وعاد امر قتادة قويا

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في يوم الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة قطعت خطبة ولي العهد واظهر خط قرئ بدار الوزير نصير الدين بن مهدي الرازي وانه خط ولي العهد الامير ابي نصر ابن الخليفة الى ابيه الناصر لدين الله امير المؤمنين يتضمن العجز عن القيام بولاية العهد ويطلب الاقالة وشهد عدلان انه خطه وان الخليفة اقاله وعمل بذلك محضر شهد فيه القضاة والعدول والفقهاء وفي هذه السنة ولدت امرأة ببغداد ولدا له رأسان واربع ارجل ويدان ومات في يومه وفيها ايضا وقع الحريق في خزانة السلاح التي للخليفة فاحترق فيها منه شيء كثير وبقيت النار يومين وسار ذكر هذا الحريق في البلدان فحمل الملوك من السلاح الى بغداد شيئا كثيرا وفي هذه السنة وقع الثلج بمدينة هراة اسبوعا كاملا فلما سكن جاء بعده سيل من الجبل من باب سرا خرب كثيرا من البلد ودوى من

غاروقيا كابرها وانفرد المترجم عندهم لسكونه على مذهبهم واصله من جنس الاتراك وخلو تلك النواحي من اهل العلم وخصوصا الاحناف وملازمة المترجم الحالة المحمودة من الافادة مع شرف النفس والتباعد عما يخل بالمروءة الا ما يأتيه عفوا فازدادت محبتهم له ووثقوا فيما يقضيه ثم تصدى لوقف الشيخونيتين وايرادهما واستخلاص اماكنهما وشرع في تعميرهما وساعده على ذلك كل من كان يحب الاصلاح فجدد عمارة المسجد والتكية وانشأ بها صهريجا وفي اثناء ذلك انتقل باهله الى دار مليحة بجوار المسجد بالدرب المعروف بدرب الميضأة ووقف سابانيها على المسجد كل ذلك والمترجم لم ينقطع عن الحضور الى الازهر في كل يوم ويقرأ دروسه ايضا بالجامع ولما كثرت جماعته انتقل الى المدرسة العينية بالقرب من الازهر ولما عمر محمد افندي اودنلي الجامع المجاور لمنزله تجاه القنطرة المعروفة بعمار شاه والمكتب قرر المترجم في درس الحديث بها في كل يوم بعد العصر وقرر له عشرة من الطلبة ورتب للشيخ والطلبة معلوما وافرا يقبض من الديوان ولما مات الشيخ ابراهيم الحريري تعين المترجم لمشيخة الحنفية فتقلدها على امتناع منه فاستمر الى ان اخرج السيد عمر مكرم من مصر منفيا وكتبوا في شانه عرضحال الى الدولة نسبوا اليه فيه اشياء لم تحصل منه

حصنه قطعة عظيمة وجاء بعده برد شديد اهلك الثمار فلم يكن بها تلك السنة شئ الا اليسير وفيها في شعبان خرج عسكر من الغور يقدمهم الامير زنكى بن مسعود الى مدينة مرو فلقيهم نائب خوارزم شاه بمدينة سرخس وهو الامير جقر وكمن لهم كمينا فلما وصلوا اليه هزمهم واخذوجوه الغورية اسرى فلم يفلت منهم الا القليل واخذ اميرهم زنكى اسيرا فقتل صبرا وعلقت رؤسهم عروابا ما وفيها في ذى القعدة سار الامير عماد الدين عمر بن الحسين الغورى صاحب بلخ الى مدينة ترمذ وهى للاتراك الخطا فافتتحها عنوة وجعل بها ولده الاكبر وقتل من بها من الخطا ونقل العلويين منها الى بلخ وصارت ترمذ دار اسلام وهى من امنع الحصون واقواها وفيها توفى صدر الدين السجزى شيخ خانكاه السلطان بهراة وفيها في صفر توفى ابو على الحسن بن محمد بن عبدوس الشاعر الواسطى وهو من الشعراء المجيدين واجتمعت به بالموصل وردها مادحا لصاحبها نور الدين ارسلان شاه وغيره من المقدمين وكان نعم الرجل حسن الصحبة والعشرة وفيها اجتمع ببغداد رجلان اعميان على رجل اعمى ايضا وقتلاه طمعا ان يأخذا منه شيئا فلم يجدا معه ما يأخذانه وادركهما الصباح فهربا من الخوف يريدان الموصل ورئى الرجل مقتولا ولم يعلم قاتله فاتفق ان بعض اصحاب الشحنة اجتاز من الحريم في خصومة جرت فرأى الرجلين الضريرين فقال ان معه هذان اللذان قتلا الاعمى يقوله مزحا فقال احدهما هذا والله قتله فقال الآخر بل انت قتلته فاخذا الى صاحب الباب فاقرا فقتل احدهما وصلب الآخر على باب المسجد الذى قتلا فيه الرجل

(ثم دخلت سنة اثنتين وستمائة)

ذكر الفتنة بهراة

فى هذه السنة فى المحرم ثار العامة بهراة وجرت فيه فتنة عظيمة بين اهل السوقين الحدادين والصفارين قتل فيها جماعة ونهبت الاموال وخربت الديار فخرج امير البلد ليكفهم فضربه بعض العامة بحجر فناله منه الم شديد واجتمع الغوغاء عليه فرفع الى القصر الفيروزى واختفى اياما الى ان سكنت الفتنة ثم ظهر

ذكر قتال شهاب الدين الغورى بنى كوكر

قد ذكرنا انهزام شهاب الدين محمد بن سام الغورى صاحب غزنة من الخطا الكفار وان الخبر ظهر ببلاده انه عدم من المعركة لم يقف اصحابه له على خبر فلما اشتهر هذا الخبر ثار المفسدون فى اطراف البلاد وكان ممن افسد دانيال صاحب جبل الجودى فانه كان قد اسلم فلما بلغه الخبر ارتد عن الاسلام وتابع بنى كوكر ومساكنهم فى جبال بين لهاوور والمولتان حصينة منيعة وكانوا قد اطاعوا شهاب الدين وحملوا اليه الخراج فلما بلغهم خبر عدمه ثاروا فيمن معهم من قبائلهم وعشائرهم واطاعهم صاحب جبل الجودى وغيره من القاطنين بتلك الجبال ومنعوا الطريق من لهاوور وغيرها الى

غزنة

وطلبوا الشهادة فيها فامتنع فشنعوا عليه وبالتوافق الحطاعلية وعزلوه من المشيخة وقلدوها الشيخ حسينا المنصورى فلما مات المذكور اعيد المترجم الى مشيخة الحنفية وذلك فى غرة شهر صفر سنة ألف ومائتين وثلاثين والبس الخلع من الشيخ الشنوانى شيخ الجامع ثم من الباشا وباقى المشايخ ارباب الظاهر ولم يختلف عليه اثنان وفى هذه السنة استاذن الفقير فى بناء مقبرة يدفن فيها اذا مات بجوار الشيخ أبى جعفر الطحاوى بالقرافة لكونه ناظرا عليها فاذنت له وذلك فبنى له قبرا بجانب مقام الاستاذ ولما توفى دفن فيه وكانت وفاته ليلة الجمعة بعد الغروب خامس عشر شهر رجب سنة احدى وثلاثين ومائتين والف وله من المآثر حاشية على الدر المختار شرح تنوير الابصار فى أربع مجلدات جمع فيها المواد التى على الكتاب وضم اليها غيرها (ومات) النجيب الاريب والنادرة العجيب اعجوبة الزمان وبهجة الخلان حسن افندى المعروف بالدرويش الموصلى كما اخبر عن نفسه الذكى الالمعى والسميذع اللوذعى كان انسانا عجيبا فى نفسه عميرا شهيرا فى مصره طاف البلاد والنواحى وجال فى الممالك والضواحى واطلع على عجائب المخلوقات وعرف الكثير من الالسن واللغات ويعتزى

سهل جبيل وعالنا كل جبيل فرقة ينتسب الى فارس واخرى الى بنى مضحك الناس فكأنه المعنى بما قيل

غزنة فلما بلغ شهاب الدين من قتل مملوكه ايدكبال وقد ذكرناه ارسل الى نائبه بلهاوور والمولتان وهو محمد بن ابى على يأمره بحمل المال لسنة ستمائة وسنة احدى وستمائة ليتجهز به لحرب الخطا فاجاب ان اولاد كوكر قد قطعوا الطريق ولا يمكنه ارسال المال وحضر جماعة من التجار وذكروا ان قفلا كبيرا اخذه اولاد كوكر ولم ينج منه الا القليل فامر شهاب الدين مملوكه ايبك مقدم عساكر الهند ان يراسل بنى كوكر يدعوهم الى الطاعة ويتهددهم ان لم يجيبوا ففعل ذلك فقال ابن كوكر لاى معنى لم يرسل السلطان الينا رسولا فقال له الرسول وما قدركم انتم حتى يرسل اليكم وانما مملوكه يبصركم رشدكم ويتهددكم فقال ابن كوكر لو كان شهاب الدين حيا لراسلنا وقد كنا ندفع الاموال اليه فحيث عدم فقل لايبك يترك لنا لهاوور وما والاها وفرشابور ونحن نصالحه فقال الرسول نفذ انت جاسوسا تنقل اليه ياتيك بخبر شهاب الدين من فرشابور فلم يصغ الى قوله فرده فعاد واخبر بما سمع ورأى فامر شهاب الدين مملوكه قطب الدين ايبك بالعود الى بلاده وجمع العساكر وقتال بنى كوكر فعاد الى دهلى وامر عساكره بالاستعداد فاقام شهاب الدين فى فرشابور الى نصف شعبان من سنة احدى وستمائة ثم عاد الى غزنة فوصلها اول رمضان وامر بالنداء فى العساكر بالتجهز لقتال الخطا وان المسير يكون اول شوال فتجهزوا لذلك فاتفق ان الشكايات كثرت من بنى كوكر وما يتعهدونه من اخافة السبيل وانهم قد انفذوا شحنة الى البلاد ووافقهم اكثر الهنود وخرجوا من طاعة اميرلهاوور والمولتان وغيرهما ووصل كتاب الوالى يذكر ما قد دهمه منهم وان عماله قد اخرجهم بنو كوكر وجبوا الخراج وان ابن كوكر مقدمهم ارسل اليه ليترك له لهاوور والبلاد والا قتله ويقول له ان لم يحضر السلطان شهاب الدين بنفسه ومعه العساكر والا خرجت البلاد من يده وتحدث الناس بكثرة من معهم من الجموع وما لهم من القوة فتغير عزم شهاب الدين حينئذ عن غزو الخطا واخرج خيامه وسار عن غزنة خامس ربيع الاول سنة اثنتين وستمائة فلما سار وابعد انقطعت اخباره عن الناس بغزنة وفرشابور حتى ارجف الناس بانهزامه وكان شهاب الدين لما سار عن فرشابور اتاه خبر ابن كوكر انه نازل فى عساكره ما بين جيلم وسودرة فجد السير اليه فدهمه قبل الوقت الذى كان يقدر وصوله فيه فقتلوا قتالا شديدا يوم الخميس لخمس بقين من ربيع الآخر من بكرة الى العصر واشتد القتال فبينما هم فى القتال واذ قد اقبل قطب الدين ايبك فى عساكره فنادوا بشعار الاسلام وحملوا حملة صادقة فانهزم الكوكرية ومن انضم اليهم وقتلوا بكل مكان وقصدوا اجمة هناك فاحتموا بها واضرموا نارا فكان احدهم يقول لصاحبه لا تترك المسلمين يقتلونك ثم يلقى نفسه فى النار فيلقى صاحبه نفسه بعده فيها فعمهم الفناء قتلا وحرقا فبعدا للقوم الظالمين وكان اهلهم واموالهم معهم لم يفارقوها فغنم المسلمون منهم ما لم يسمع بمثله حتى ان المماليك كانوا يباعون كل خمسة بدينار ركنى ونحوه وهرب ابن كوكر بعد ان قتل اخوته واهله واما ابن داتيال صاحب جبل الجودى فانه جاء ليلا الى قطب الدين ايبك فاستجار به فاجاره وشفع فيه الى شهاب

ملوراء ان اذا لاقيت ذا ابن
وان رأيت معديا فعدنانى
هذا مع فصاحة لسان وقوة
جنان والمشاركة فى كل فن
من الرياضيات والادبيات
حتى يظن سامعه انه مجيد فى
ذلك الفن منفرد به وليس
الامر كذلك وانما ذلك بقوة
الفهم والحفظ وما فيه من
القابلية فيستغنى بذلك عن
التلقى من الاشياخ وايضا
فقد انقرض اهل الفنون
فيحفظ اصطلاحات الفن
واوضاع اهله ويبرزه فى الفاظ
ينمقها ويحسنها ويذكر اسماء
كتب مؤلفة واشياخا وحكما
يقل الاطلاع عليها او الوصول
اليها ولمعرفته باللغات خالط
كل ملة حتى يظن كل اهل
ملة انه واحد منهم ويحفظ
كثيرا من الشبه والمدركات
العقلية والبراهين الفلسفية
واهمل الواجبات الشرعية
والفرائض القطعية وربما قلد
كلام الملحدين وشكوك
المارقين ويرلق لسانه فى
بعض المجالس بغلطات من
ذلك ووساوس فلذلك طعن
الناس عليه فى الدين واخرجوه
عن اعتقاد المسلمين وساءت
فيه الظنون وكثر عليه الطاعنون
وصرحوا بعده وتبعا كانوا
يخفونه فى حياته لاتقاء شره
وسطواته وكان له تداخل

 عجيب فى الاعيان ومع كل اهل دولة وزمان ورؤساء الكتبة والمباشرين من الاقباط

الدين فشفعه فيهم وأخذ منه قلعة الجودى فلما فرغ منهم سار نحوها وولي من أهلها ويسكن روعهم وامر الناس بالرجوع الى بلادهم والتجهيز لحرب الخطا وأقام شهاب الدين بلهاوور الى سادس عشر رجب وعاد نحو غزنة وأرسل الى بهاء الدين سام صاحب باميان ليتجهز للمسير الى سمرقند ويعمل جسر اليعبر هو وعساكره عليه

(ذكر الظفر بالتيراهية)

كان من جملة الخارجين المفسدين أيضا على شهاب الدين التيراهية فانهم خرجوا الى حدود سوران ومكرهان للغارة على المسلمين فأوقع بهم نائب تاج الدين الدز مملوك شهاب الدين بتلك الناحية ويعرف بالخلجي وقتل منهم خلقا كثيرا وحمل رؤس المعروفين فعلقت ببلاد الاسلام وكانت فتنة هؤلاء التيراهية على بلاد الاسلام عظيمة قديما وحديثا وكان اذا وقع بايديهم أسير من المسلمين عذبوه بانواع العذاب وكان أهل فرشابور معهم في ضر شديد لانهم يحيطون بتلك الولاية من جوانبها لاسيما آخر أيام سبكتكين فان الملوك ضعفوا وقوى هؤلاء عليهم وكانوا يغيرون على اطراف البلاد وكانوا كفارا لادين لهم يرجعون اليه ولا مذهب يعتمدون عليه الا انهم كانوا اذا ولد لاحدهم بنت وقف على باب داره ونادى من يتزوج هذه من يقبلها فان أجابه أحد تركها والا قتلها ويكون للمرأة عدة أزواج فاذا كان أحدهم عندها جعل مداسه على الباب فاذا جاء غيره من أزواجها ورأى مداسه عاد ولم يزالوا كذلك حتى اسلم طائفة منهم آخر أيام شهاب الدين الغورى فكفوا عن البلاد وسبب اسلامهم انهم أسروا انسانا من فرشابور فعذبوه فلم يمت ودامت ايامه عندهم فاحضره يوما مقدمهم وسأله عن بلاد الاسلام وقال له لو حضرت انا عند شهاب الدين ماذا كان يعطيني فقال له كان يعطيك الاموال والاقطاع ويرد اليك حكم جميع البلاد التي لكم فأرسله الى شهاب الدين في الدخول في الاسلام فعاد ومعه رسول بالخلع والمنشور بالاقطاع فلما وصل اليه الرسول سار هو وجماعة من اهله الى شهاب الدين فاسلموا وعادوا وكان للناس بهم راحة فلما كانت هذه الفتنة واختلفت البلاد نزل اكثرهم من الجبال فلم يكن لهذه الطائفة بهم قدرة ليمنعوهم فافسدوا وعملوا ما ذكرناه

(ذكر قتل شهاب الدين الغورى)

في هذه السنة اول ليلة من شعبان قتل شهاب الدين ابو المظفر محمد بن سام الغورى ملك غزنة وبعض خراسان بعد عوده من لهاوور بمنزل يقال له دميك وقت صلاة العشاء وكان سبب قتله ان نفرا من الكفار الكوكرية لزموا عسكره عازمين على قتله لما فعل بهم من القتل والاسر والسبي فلما كان هذه الليلة تفرق عنه اصحابه وكان قد عاد ومعه من الاموال ما لا يحد فانه كان عازما على قصد الخطا والاستكثار من العساكر وتفريق المال فيهم وقد امر عساكر الهند باللحاق به وامر عساكر الخراسانية بالتجهز الى ان يصل اليهم فأتاه الله من حيث لم يحتسب ولم يغن عنه ما جمع من مال وسلاح ورجال لكن

والمسابقين بالمعرفة الزائدة واستجلاب الفائدة لا تمل مجالسته ولا معاشرته وبالجملة فلما رغب الباشا في انشاء محل لمعرفة علم الحساب والهندسة والمساحة تعين المترجم رئيسا ومعلما لمن يكون متعلما بذلك المكتب وذلك انه تداخل بتحيلاته لتعليم مماليك الباشا الكتابة والحساب ونحو ذلك ورتب له خروجا وشهرية ونجب تحت يده بعض المماليك في معرفة الحسابيات ونحوها واعجب الباشا ذلك فذاكره وحسن له بان يفرد مكانا للتعليم ويضم الى مماليكه من يريد التعليم من اولاد الناس فأمر بانشاء ذلك المكتب وحضر اليه اشياء من آلات الهندسة والمساحة والهيئة الفلكية من بلاد الانكليز وغيرهم واستجلب من اولاد البلد ما ينيف على الثمانين شخصا من الشبان الذين فيهم قابلية للتعليم ورتبوا لكل شخص شهريه وكسوة في آخر السنة فكان يسعى في تحصيل كسوة الفقير منهم ليتجمل بها بين اقرانه ويواسي من يستحق المواساة ويشترى لهم الحمير مساعدة لطلوعهم ونزولهم الى القلعة فيجتمعون للتعليم في كل يوم من الصباح الى بعد الظهر واضيف اليه آخر حضر من اسلامبول له معرفة بالحسابيات والهندسيات لتعليم من يكون عجميا لا يعرف العربية مساعد المترجم في التعليم يسمى روح الدين افندى فاستمر انحوا

لكن كان على نية صالحة من قتال الكفار فلما تفرق عنه اصحابه وبقي وحده في خركاه ثار اولئك النفر فقتل احدهم بعض الحرس بباب سرادق شهاب الدين فلما قتلوه صاح ثار اصحابه من حول السرادق لينظروا ما بصاحبهم فاخلوا مواقفهم وكثر الزحام فاغتنم الكوكر بتغفلهم عن الحفظ فدخلوا على شهاب الدين وهو في الخركاه فضربوه بالسكاكين اثنتين وعشرين ضربة فقتلوه فدخل عليه اصحابه فوجدوه على مصلاه قتيلا وهو ساجد فاخذوا اولئك الكفار فقتلوهم وكان فيهم اثنان مختونان وقيل انما قتله الاسماعيلية لانهم خافوا خروجه الى خراسان وكان له عسكر يحاصر بعض قلاعهم على ما ذكرناه فلما قتل اجتمع الامراء عند وزيره مؤيد الملك بن خواجا سجستان فتحالفوا على حفظ الخزانة والملك ولزوم السكينة الى ان يظهر من يتولاه واجلسوا شهاب الدين وخيطوا جراحه وجعلوه في المحفة وساروا به ورتب الوزير الامور وسكن الناس بحيث لم ترق محجمة دم ولم يوجد في احد شئ وكانت المحفة محفوفة بالحشم والوزير والعسكر والشمسة على حاله في حياته وتقدم الوزير الى أمير دار العسكر باقامة السياسة وضبط العسكر وكانت الخزانة التي في صحبته الفي حمل ومائتي حمل وشغب الغلمان الاتراك الصغار لينهبوا المال فمنعهم الوزير والامراء الكبار من المماليك وهو صونج صهر الدز وغيره وامروا كل من له اقطاع عند قطب الدين ايبك مملوك شهاب الدين ببلاد الهند بالعود اليه وفرقوا فيهم اموالا كثيرة فعادوا وسار الوزير ومعه من له اقطاع واهل بغزنة وعلموا انه يكون بين غياث الدين محمود بن غياث الدين اخي شهاب الدين الاكبر وبين بهاء الدين صاحب باميان وهو ابن اخت شهاب الدين حروب شديدة وكان ميل الوزير والاتراك وغيرهم الى غياث الدين محمود وكان الامراء الغورية يميلون الى بهاء الدين سام صاحب باميان فارسل كل طائفة الى من يميلون اليه يعرفونه قتل شهاب الدين وجلية الامور وجاء بعض المفسدين من أهل غزنة فقال للمماليك ان فخر الدين الرازي قتله ولا كم لانه هو اوصل من قتله فوضع من خوارزمشاه فثاروا به ليقتلوه فهرب وقصد مؤيد الملك الوزير فاعلمه الحال فسيره سرا الى مامنه ولما وصل العسكر والوزير الى فرشابور اختلفوا فالغورية يقولون نسير الى غزنة على طريق مكرهان وكان غرضهم ان يقربوا من باميان ليخرج صاحبها بهاء الدين سام فيملك الخزانة وقال الاتراك بل نسير على طريق سوران وكان مقصودهم ان يكونوا قريبا من تاج الدين الدز مملوك شهاب الدين وهو صاحب كرمان مدينة بين غزنة ولهاوور وليست بكرمان التي تجاور بلاد فارس ليحفظ الدز الخزانة ويرسلوا من كرمان الى غياث الدين يستدعونه الى غزنة ويملكونه وكثر بينهم الاختلاف حتى كادوا يقتتلون فتوصل مؤيد الملك مع الغورية حتى اذنوا له وللاتراك باخذ الخزانة والمحفة التي فيها شهاب الدين والمسير على كرمان وساروا هم على طريق مكرهان ولقي الوزير ومن معه مشقة عظيمة وخرج عليهم الامم الذين في تلك الجبال التيراهية واوغان وغيرهم فنالوا من اطراف العسكر الى ان وصلوا الى كرمان فخرج

من تسعة اشهر ومات المترجم وذلك انه افتصد فوقع الى القلعة فخنق على بعض المتعلمين وضربة فافضات الرفادة فسال منه دم كثير فحم حمى مختلطة واستمر اياما وتوفي ودفن بجامع السراج البلقيني بين السيارج وعند ذلك ازداد قول الشامتين وصرحوا بما كانوا يخفونه في حياته فيقول البعض مات رئيس الملحدين وآخر يقول انهدم ركن الزندقة ونسبوا اليه ان عنده الكتاب الذي الفه ابن الراوندي لبعض اليهود وسماه دافع القرآن وانه كان يقرؤه ويعتقده واخبروا بذلك كتخدا بيك فطلب كتبه وتصفحوها فلم يجدوا بها ذلك الكتاب وما كفى مبغضيه وحاسديه من الشناعات حتى رأوا له منامات شنيعة تدل على انه من اهل النار والله اعلم بخلقه وبالجملة فكان غريبا في بابه وكانت وفاته يوم الخميس سابع عشري جمادى الثانية من السنة وانفرد برياسة المكتب روح الدين افندي المذكور

*(ومات) الاجل المكرم الشريف غالب بسلانيك وهو المنفصل عن امارة مكة وجدة والمدينة وما انضاف الى ذلك من بلاد الحجاز فكانت امارته نحوا من سبع وعشرين سنة فانه تولى بعد موت الشريف سرور في سنة ثلاث ومائتين والف وكان من دهاة العالم واخباره ومناقبه تحتاج الى مجلدين ولم يزل حتى سلط الله عليه باعيله هذا الباشا

اليهم تاج الدين الدز يستقبلهم فلما عاين المحفة وفيها شهاب الدين ميتا نزل وقبل الارض على عادته في حياة شهاب الدين وكشف عنه فلما رآه ميتا خرق ثيابه وصاح وبكى فابكى الناس وكان يوما مشهودا

(ذكر ما فعله الدز)

كان الدز من أول مماليك شهاب الدين وأكبرهم واقدمهم وأكبرهم محلا عنده بحيث ان أهل شهاب الدين كانوا يخدمونه ويقصدونه في اشغالهم فلما قتل صاحبه طمع ان يملك غزنة فاول ما عمل انه سأل الوزير مؤيد الملك عن الاموال والسلاح والدواب فاخبره بما خرج من ذلك وبالباقي معه فانكر الحال واساء أدبه في الجواب وقال ان الغورية قد كاتبوا بهاء الدين سام صاحب باميان ليملكوه غزنة وقد كتب الى غياث الدين محمود وهو مولاي يأمرني انني لا أترك أحدا يقرب من غزنة وقد جعلني نائبه فيها وفي سائر الولاية المجاورة لها لانه مشتغل بأمر خراسان وقال الوزير انه قد امرني أيضا ان أسلم الخزانة منك فلم يقدر على الامتناع لميل الاتراك اليه فسلمها اليه وسار بالمحفة والمماليك والوزير الى غزنة فدفن شهاب الدين في التربة بالمدرسة التي انشاها ودفن ابنته فيها وكان وصوله اليها في الثاني والعشرين من شعبان من السنة

(ذكر بعض سيرة شهاب الدين)

كان رحمه الله شجاعا مقداما كثير الغزو الى بلاد الهند عادلا في رعيته حسن السيرة فيهم حاكما بينهم بما يوجبه الشرع المطهر وكان القاضي بغزنة يحضر داره من كل أسبوع السبت والاحد والاثنين والثلاثاء ويحضر معه أمير حاجب وأمير دار وصاحب التربة فيحكم القاضي وأصحاب السلطان ينفذون أحكامه على الصغير والكبير والشريف والوضيع وان طلب أحد الخصوم الحضور عنده أحضره وسمع كلامه وأمضى عليه أولاه حكم الشرع فكانت الامور جارية على أحسن نظام (وحكى عنه) انه لقيه صبي علوي عمره نحو خمس سنين فدعا له وقال لي خمسة أيام ما أكلت شيئا فعاد من الركوب لوقته ومعه الصبي فنزل في داره واطعم العلوي طيب الطعام بحضرته ثم اعطاه مالا بعد أن احضر اباه وصله اليه وفرق في سائر العلويين مالا عظيما (وحكى) ان تاجرا من مراغة كان بغزنة وله على بعض مماليك شهاب الدين دين مبلغه عشرة آلاف دينار فقتل المملوك في حرب كانت له فرفع التاجر حاله فأمر بان يقرأ قطاع المملوك بيد التاجر الى ان يستوفي دينه ففعل ذلك (وحكى عنه) انه كان يحضر العلماء بحضرته فيتكلمون في المسائل الفقهية وغيرها وكان فخر الدين الرازي يعظ في داره فحضر يوما فوعظ وقال في آخر كلامه ياسلطان لا سلطانك يبقى ولا تلبيس الرازي وان مردنا الى الله فبكى شهاب الدين حتى رحمه الناس لكثرة بكائه وكان رقيق القلب وكان شافعي المذهب مثل اخيه قيل وكان حنفيا والله اعلم

(ذكر مسير بهاء الدين سام الى غزنة وموته)

الرل بخادمه حتى تمكن ١٠٠ منه وقبض عليه وارسله الى بلده سلانيك ونحو ج من سلطنته وسيادته الى بلاد التربة ونهبت أمواله وماتت أولاده وجواريه ثم مات هو في هذه السنة (ومات) الامير مصطفى بك الى باشا وهو قريب الباشا ونسيبه أيضا وكان من أعاظم أركان دولته شهير الذكر موصوفا بالاقدام والشجاعة ومات بالاسكندرية ولما وصل خبره الى الباشا اغتم غما شديدا وتأسف عليه وكان الباشا ولاه كشوفية الشرقية وقرن به على كاشف فاقام بها نحو السنتين ومهد البلاد وأخاف العربان واذلهم وقتل منهم الكثير وجمع لمخدومه أموالا جمة وكان جسيما بطينا يأكل التيس الخصي وحده ويشرب عليه الزق من الشراب ثم يتبعه بشالية أو نصفين من اللبن ويستلقي نائما مثل العجل العظيم ذي الخوار الا انه كان يقضي حاجة من التجا اليه ويحب أولاد الناس ويواسيهم ويتجاوز عن الكثير ويعطي ما يلزمه من الحقوق لاربابها ولما تحققت اخته التي هي زوج الباشا وكذلك والدته امرتا باحضار رمته الى مصر ويدفن عند قومهم وتعين لذلك سليمان اغا السلحدار فسافر الى الاسكندرية ووضعه في صندوق نزلت على تابوته ووصل به بعد اثني عشر يوما من موته وكان وصوله في

لما ملك غياث الدين ابو الفتح محمد بن سام باميان اقطعها ابن عمه شمس الدين محمد بن مسعود وزوجه اخته فاتاه منها ولدا اسمه سام فبقي فيها الى ان توفي وملك بعده ابنه الاكبر واسمه عباس وامه تركية فغضب غياث الدين واخوه شهاب الدين في ذلك وارسلا من احضر عباسا عندهما فاخذا الملك منه وجعلا ابن اختهما سام ملكا على باميان وتلقب بهاء الدين وعظم شانه وعمله وجمع الاموال لهما ثم البلاد بعد خاله واحبه امراء الغورية حبا شديدا وعظموه فلما قتل خاله شهاب الدين سار بعض الامراء الغورية الى بهاء الدين سام فاخبره بذلك فلما بلغه قتله كتب الى من بغزنة من الامراء الغورية يامرهم بحفظ البلد ويعرفهم انه على الطريق سائرا اليهم وكان والي قلعة غزنة ويعرف باميرداد قد ارسل ولده الى بهاء الدين سام يستدعيه الى غزنة فاعاد جوابه انه تجهز ويصل اليه ويعده الجميل والاحسان وكتب بهاء الدين الى علاء الدين محمد بن ابي علي ملك الغور يستدعيه اليه والى غياث الدين محمود بن غياث الدين والى ابن خرميل والى هراة يامرهما باقامة الخطبة له وحفظ ما بايديهما من الاعمال ولم يظن ان احدا يخالفه فاقام اهل غزنة ينتظرون وصوله او وصول غياث الدين محمود والاتراك ويقولون لا نترك غير ابن سيدنا يعنون غياث الدين يدخل غزنة والغورية يتظاهرون بالميل الى بهاء الدين ومنع غيره فسار من باميان الى غزنة في عساكره ومعه ولداه علاء الدين محمود وجلال الدين فلما سار عن باميان مرحلتين وجد صداعا فنزل يستريح ينتظر خفته عنه فازداد الصداع وعظم الامر عليه فايقن بالموت فاحضر ولديه وعهد الى علاء الدين وامرهما بقصد غزنة وحفظ مشايخ الغورية وضبط الملك وبالرفق بالرعايا وبذل الاموال وامرهما ان يصالحا غياث الدين على ان يكون له خراسان وبلاد الغور ويكون لهما غزنة وبلاد الهند

(ذكر ملك علاء الدين غزنة واخذها منه)

لما فرغ بهاء الدين من وصيته توفي فسار ولداه الى غزنة فخرج امراء الغورية واهل البلد فلقوهما وخرج الاتراك معهم على كره منهم ودخلوا البلد وملكوه ونزل علاء الدين وجلال الدين دار السلطنة مستهل رمضان وكانوا قد وصلوا في ضر وقلة من العسكر واراد الاتراك منعهم فنهاهم مؤيد الملك وزير شهاب الدين لقلتهم ولاشتغال غياث الدين بابن خرميل والي هراة على ما نذكره فلم يرجعوا ولما استقرا بالقلعة ونزلا بالدار السلطانية راسلهما الاتراك بان يخرجا من الدار والا قاتلوهما فاعطياهم اموالا كثيرة واستحلفاهم فحلفوا واستثنوا غياث الدين محمودا وانفذا خلعا الى تاج الدين الدز وهو باقطاعه مع رسول وطلباه الى طاعتهما ووعداه بالاموال والزيادة في الاقطاع وامارة الجيش والحكم في جميع الممالك فاتاه الرسول فلقيه وقد سار عن كرمان في جيش كثير من الترك والخلج والغز وغيرهم فابلغه الرسالة فلم يلتفت اليه وقال قل لهما يعودان الى باميان وفيها كفاية فاني قد امرني مولاي غياث الدين ان اسير الى غزنة

ثالث ساعة من ليلة الجمعة ثامن عشري جمادى الثانية وذهبوا به الى المدفن في المشاعل من خلف الجراة فلما وصلوا الى المدفن ارادوا انزاله الى القبر بالصندوق فلم يمكنهم فكسروا الصندوق فنبعت رائحته وقد تهرى فهرب كل من كان حاضرا فكبوه على حصير ولفوه فيه وانزلوه الى الحفرة وغشي على الحفارين ونزعت النفوس من رائحة اخشاب الصندوق فحثوا عليه الاتربة وليس من يتذكر او يعتبر (ومات) ايضا حسن اغا كتخدا الشويش مطعونا وولى الباشا عوضه السيد احمد الملا الترجمان (ومات) ايضا سليمان اغا كتخدا رشيد (ومات) الامير الكبير الشهير بابراهيم بك المحمدي من اعيان امراء الالوف المصريين ومات بدنقلة متغربا عن مصر وضواحيها وهو من مماليك محمد بك ابي الذهب تقلد الامرة والامارة في سنة اثنتين وثمانين ومائة والف في ايام علي بك الكبير وتقلد مشيخة البلد ورياسة مصر بعد موت استاذه في سنة تسع وثمانين ومائة والف مع مشاركة خشداشه مراد بك وباقي امرائهم والجميع راضون برياسته وامارته لا يخالفهم ولا يخالفونه ويراعي جانب الصغير منهم قبل الكبير ويحرص على جمعية امرهم والفة قلوبهم فطالت ايامه وتولى قائم مقامية مصر على الوزراء نحو العشرة مرار وطلع اميرا على الحج في سنة ست وثمانين

وامتنعوا منها فان عادا الى بلدهما والا فعلت بهما وبمن معهما ما يكرهون وردمامعه من الهدايا والخلع ولم يكن قصد الدز بهذا حفظ بيت صاحبه وانما أراد ان يجعل هذا طريقا الى ملك غزنة لنفسه فعاد الرسول وأبلغ علاء الدين رسالة الدز فارسل وزيره وكان قبله وزير أبيه الى باميان وبلخ وترمذ وغيرها من البلاد ليجمع العساكر ويعود اليه فارسل الدز الى الاتراك الذين بغزنة يعرفهم ان غياث الدين أمره ان يقصد غزنة ويخرج علاء الدين وأخاه منها فحضروا عند وزير علاء الدين وطلبوا منه سلاحا ففتح خزانة السلاح فهرب ابن الوزير الى علاء الدين وقال له قد كان كذا وكذا فلم يقدران يفعل شيئا وسمع مؤيد الملك وزير شهاب الدين فركب وأنكر على الخازن تسليم المفاتيح وأمره فاسترد ما نهبه الترك جميعه لانه كان مطاعا فيهم ووصل الدز الى غزنة فاخرج اليه علاء الدين جماعة من الغورية ومن الاتراك وفيهم صونج صهر الدز فاشار عليه أصحابه ان لا يفعل و ينتظر العسكر مع وزيره فلم يقبل منهم وسيرا لعساكر فالتقوا خامس رمضان فلما التقوا خدعه الاتراك وعادوا معه على عسكر علاء الدين فقاتلوهم فهزموهم وأسروا مقدمهم وهو محمد بن علي بن حردون ودخل عسكر الدز المدينة فنهبوا بيوت الغورية والبامانية وحصر الدز القلعة فخرج جلال الدين منها في عشرين فارسا وسار عن غزنة فقالت له امرأة تستهزئ به الى اين عضى خذ الجتر والشمسة معك ما أقبح خروج السلاطين هكذا فقال لها انك ستر ين ذلك اليوم وافعل بكم ما تقرون به بالسلطنة لي وكان قد قال لاخيه احفظ القلعة الى ان آتيك بالعساكر فبقي الدز يحاصرها وأراد من مع الدز نهب البلد فنهاهم عن ذلك وأرسل الى علاء الدين يامره بالخروج من القلعة وتهدده ان لم يخرج منها وترددت الرسل بينهما في ذلك فاجاب الى مفارقتها والعود الى بلده وارسل من حلف له الدز ان لا يؤذيه ولا يعترض اليه ولا الى أحد ممن يخلف له وسار عن غزنة فلما رآه الدز وقد نزل من القلعة عدل الى تربة شهاب الدين مولاه ونزل اليها ونهب الاتراك ما كان مع علاء الدين والقوه عن فرسه واخذوا ثيابه وتركوه عريانا بسراو يله فلما سمع الدز ذلك أرسل اليه بدواب وثياب ومال واعتذر اليه فاخذ ما لبسه وترك الباقي فلما وصل الى باميان لبس ثياب سواد وركب حمارا فاخرج والده مراكب ملوكية وملابس جميلة فلم يركب ولم يلبس وقال اريد ان يرانى الناس وما صنع بي أهل غزنة حتى اذا عدت اليها وخربتها ونهبتها لا يلومني أحد ودخل دار الامارة وشرع في جمع العساكر

(ذكر ملك الدز غزنة)

قد ذكرنا استيلاء الدز على الاموال والسلاح والدواب وغير ذلك مما كان صحبة شهاب الدين وأخذه من الوزير مؤيد الملك فجمع له العساكر من انواع الناس الاتراك والخلج والغز وغيرهم وسار الى غزنة وجرى له مع علاء الدين ما ذكرنا فلما خرج علاء الدين من غزنة اقام الدز بداره اربعة ايام يظهر طاعة غياث الدين الا انه لم يامر الخطيب بالخطبة

وتولى الدفتردارية في سنة سبع وثمانين وكلاهما في حياة استاذه واشترى المماليك الكثيرة ورباهم واعتقهم وامر وقلد منهم صناجق وكشافا واسكنهم الدور الواسعة واعطاهم الاقطاعات ومات الكثير منهم في حياته واقام خلافهم من مماليكه وراى اولاد اولاده بل واولادهم ومازال بولده واقام في الامارة نحو ثمان واربعين سنة وتنعم فيها وقاسى في اواخر امره شدائد واغترابا عن الاهل والاوطان وكان موصوفا بالشجاعة والفروسية وباشر عدة حروب وكان ساكن الجاش صبورا ذا تؤدة وحلم قريبا للانقياد للحق متجنبا للهزل الا نادرا مع الكمال والحشمة لا يحب سفك الدماء مرخصا لخشداشينه في افاعليهم كثير التغافل عن مساويهم مع معارضتهم له في كثير من الامور وخصوصا مراد بك واتباعه فيغضي ويتجاوز ولا يظهر غضبا ولا خلافا ولا تأثرا حرصا على دوام الالفة وعدم المشاغبة وان حدث فيما بينهم ما يوجب وحشة تلافاه واصلحه وكان هذا الاهمال والترخص والتغافل سببا لمبادي الشرور فانهم تمادوا في التعدي وداخلهم الغرور وغرتهم الغفلة عن عواقب الامور واستصغروا من عداهم وامتدت ايديهم لاخذ اموال التجار وبضائع الافرنج الفرنساوية وغيرهم بدون الثمن مع الحقارة لهم ولغيرهم وعدم المبالاة بالخطبة

بالخطبة له ولا لغيره وانما يخطب للخليفة ويترحم على شهاب الدين الشهيد حسب
فلما كان في اليوم الرابع احضر مقدمي الغورية والاتراك وذم من كاتب علاء الدين
وابناه وقبض على امير داروالى غزنة فلما كان الغد وهو سادس عشر رمضان احضر
القضاة والفقهاء والمقدمين واحضر ايضا رسول الخليفة وهو الشيخ مجد الدين ابو على
ابن الربيع الفقيه الشافعي مدرس النظامية ببغداد وكان قد ورد الى غزنة رسولا الى
شهاب الدين فقتل شهاب الدين وهو بغزنة فارسل اليه والى قاضى غزنة يقول له انى
اريد ان انتقل الى الدار السلطانية وان اخاطب بالملك ولا بد من حضورك والمقصود
من هذا ان تستقر امور الناس فحضر عنده فركب الدز والناس في خدمته وعليه
ثياب الحزن وجلس في الدار في غير مجلس كان يجلس فيه شهاب الدين فتغيرت له الاث
نيات كثير من الاتراك لانهم كانوا يطيعونه ظنا منهم انه يريد الملك لغياث الدين
فحيث راوه يريد الانفراد تغيروا عن طاعته حتى ان بعضهم بكى غيظا من فعله واقطع
الاقطاعات الكثيرة وفرق الاموال الجليلة وكان عند شهاب الدين جماعة من اولاد
ملوك الغور وسمرقند وغيرهم فانفوا من خدمة الدز وطلبوا منه ان يقصدوا خدمة
غياث الدين واخيه صاحب باميان وارسل غياث الدين الى الدز يشكره ويثنى عليه
لاخراج اولاد بهاء الدين من غزنة وسير له الخلع وطلب منه الخطبة والسكة فلم يفعل
واعاد الجواب فغالطه وطلب منه ان يخاطبه بالملك وان يعتقه من الرق لان غياث
الدين ابن اخى سيده لا وارث له سواه وان يزوج ابنه بابنة الدز فلم يجبه الى ذلك واتفق
ان جماعة من الغوريين من عسكر صاحب باميان اغاروا على اعمال كرمان وسوران
وهى اقطاع الدز القديمة فغنموا وقتلوا فارسل صهره صونج في عسكر فقرا عسكر
الباميان فظفر بهم وقتل منهم كثيرا وانفذ رؤسهم الى غزنة فنصبت بها واجرى الدز
في غزنة رسوم شهاب الدين وفرق في اهلها اموالا جليلة المقدار والزم مؤيد الملك ان
يكون وزيرا له فامتنع من ذلك فالح عليه فاجابه على كره منه فدخل على مؤيد الملك
صديق له يهنئه فقال بماذا تهنئنى من بعد ركوب الجواد بالحمار وانشد

ومن ركب الثور بعد الجوا ۞ د انكر اطلاقه والغبب

بيننا الدز يأتى الى بابى الف مرة حتى آذن له في الدخول اصبح على بابه ولولا حفظ النفس
مع هؤلاء الاتراك لكان لى حكم آخر

۞(ذكر حال غياث الدين بعد قتل عمه)۞

واما غياث الدين محمود بن غياث الدين فانه كان في اقطاعه وهو بست واسفرار وكان
الملك علاء الدين بن محمد بن ابى على قد ولاه شهاب الدين بلاد الغور وغيرها من ارض
الداور فلما بلغه قتله سار الى فيروزكوه خوفا ان يسبقه اليها غياث الدين فيملك البلد
وياخذ الخزائن التى بها وكان علاء الدين حسن السيرة من اكابر بيوت الغورية الا ان
الناس كرهوه لميلهم الى غياث الدين وابى الامراء من خدمته مع وجود ولد غياث الدين

والا كثرات بسلطانهم الذى يدعون انهم في طاعته مع مخالفة اوامره ومنع خزينته واحتقار الولاة ومنعهم من
التصرف والحجر عليهم فلا
يصل للولى عليهم الا بعض
صدقاتهم الى ان تحرك عليهم
حسن باشا الجزائرلى في سنة
مائتين والف وحضر على
الصورة التى حضر فيها وساعدته
الرعية وخرجوا من المدينة
الى الصعيد وانتهكت حرمتهم
ثم رجعوا بعد الفصل في سنة
ست ومائتين الى امارتهم
ودولتهم وعادوا الى حالتهم
الاولى بل وازيد منها في
التعدى فاوجب ذلك ركوب
الفرنساوية عليهم ولم يزل
الحال يتزايد والاهوال يتلو
بعضها بعضا حتى انقلبت
اوضاع الديار المصرية وزالت
حرمتها بالكلية وادى الحال
بالمترجم الى الخروج والتشتيت
والتشريد هو ومن بقى من
عشيرته الى بلاد العبيد
يزرعون الدخن ويتقوتون
منه وملابسهم القمصان التى
يلبسها الجلابة في بلادهم
الى ان وردت الاخبار بموته
في شهر ربيع الاول من السنة
واما جملة اخباره فقد تقدمت
في ضمن السوابق والماجريات
واللواحق (ومات) الامير
الاجل احمد اغا الخازندار
المعروف ببونابارته وهو ايضا
شهير الذكر من اعاظم الدولة
وقد تقدم كثير من اخباره
وسفره الى الحجاز وكان عمر
دارا عظيمة على بركة الازبكية بجهة الرويعى ثم عمل مهما لكبير الزواج ابنه وهو اذ ذاك مريض في حياض

سلطانهم ولانه كان كراميا غاليا في مذهبه وأهل فيروزكوه شافعية والزمهم ان يجعلوا
الاقامة مثنى فلما وصل الى فيروزكوه أحضر جماعة من الامراء منهم محمد المرغني واخوه
ومحمد بن عثمان وهم من أكابر الامراء وحلفهم على مساعدته على قتال خوارزمشاه
وبهاء الدين صاحب باميان ولم يذكر غياث الدين احتقارا له فحلفوا له ولولده من بعده
وكان غياث الدين بمدينة بست لم يتحرك في شيء انتظارا لما يكون من صاحب باميان
لانهما كانا قد تعاهدا أيام شهاب الدين ان تكون خراسان لغياث الدين وغزنة والهند
لبهاء الدين وكان بهاء الدين أقوى فلهذا لم يفعل شيئا فلما بلغه خبر موت بهاء الدين جلس
على التخت وخطب لنفسه بالسلطنة عاشر رمضان وحلف الامراء الذين قصدوه وهم
اسمعيل الخلجي وسونج أمير شكار وزنكي بن خرجوم وحسين الغوري صاحب
تكياباذ وغيرهم وتلقب بألقاب أبيه غياث الدين وكتب الى علاء الدين محمد بن أبي علي
وهو بفيروزكوه يستدعيه اليه ويستعطفه ليصدر عن رأيه ويسلم مملكته اليه وكتب
الى الحسين بن خرميل والى هراة مثل ذلك أيضا ووعده الزيادة في الاقطاع فاما علاء
الدين فأغلظ له في الجواب وكتب الى الامراء الذين معه يتهددهم فرحل غياث الدين
الى فيروزكوه فأرسل علاء الدين عسكرا مع ولده وفرق فيهم مالا كثيرا وخلع عليهم
ليمنعوا غياث الدين فلقوه قريبا من فيروزكوه فلما تراءى الجمعان كشف اسمعيل
الخلجي المغفر عن وجهه وقال الحمد لله ان الاتراك الذين لا يعرفون آباءهم لم يضيعوا
حق التربية وردوا ابن ملك باميان وانتم مشايخ الغورية الذين انعم عليكم والد هذا
السلطان ورباكم واحسن اليكم كفرتم الاحسان وجئتم تقاتلون ولده أهذا فعل
الاحرار فقال محمد المرغني وهو مقدم العسكر الذين يصدرون عن رأيه لا والله ثم ترجل
عن فرسه والقى سلاحه وقصد غياث الدين وقبل الارض بين يديه وبكى بصوت عال
وفعل سائر الامراء كذلك فانهزم أصحاب علاء الدين مع ولده فلما بلغه الخبر خرج عن
فيروزكوه هاربا نحو الغور وهو يقول أنا أمضي اجاور بمكة فانفذ غياث الدين خلفه من
رده اليه فأخذه وحبسه وملك فيروزكوه وفرح به أهل البلد وقبض غياث الدين على
جماعة من أصحاب علاء الدين الكرامية وقتل بعضهم ولما دخل غياث الدين فيروزكوه
ابتدأ بالجامع فصلى فيه ثم ركب الى دار أبيه فسكنها وأعاد رسوم أبيه واستخدم حاشيته
وقدم عليه عبد الجبار بن محمد الكيراني وزير أبيه واستوزره وسلك طريق أبيه في
الاحسان والعدل ولما فرغ غياث الدين من علاء الدين لم يكن له همة الا ابن خرميل
بهراة واجتذابه الى طاعته فكاتبه وراسله واتخذه أبا واستدعاه اليه وكان ابن خرميل
قد بلغه موت شهاب الدين ثامن رمضان فجمع أعيان الناس منهم قاضي هراة صاعد
ابن الفضل النيسابوري وعلي بن عبد الخلاق بن زياد مدرس النظامية بهراة
وشيخ الاسلام رئيس هراة ونقيب العلويين ومقدمي المحال وقال لهم قد بلغني وفاة
السلطان شهاب الدين وأنا في ثغر خوارزمشاه وأخاف الحصار وأريد ان تحلفوا لي على
المساعدة على كل من نازعني فأجابه القاضي وابن زياد انا نحلف على كل الناس الا ولد

غياث

الموت حتى اشيع في الناس انه يوم زفة العروس ثم مات بعد أيام قليلة مضت من الشهر وذلك يوم الاربعاء ثالث شهر
جمادى الثانية (وماتت)
الست الجليلة خاتون وهي
سرية علي بك بلوط قبان
الكبير وكانت عظيمة
و بنى لها الدار العظيمة على
بركة الازبكية بدرب عبد
الحق والساقية والطاحون
بجانبها ولما مات علي بك
وقام مراد بك فتزوج بها
وعمرت طويلا مع العز
والسيادة والكلمة النافذة
واكثر نساء الامراء من
جواريها ولم يات بعد الست
شويكار من اشتهر ذكره
وخبره سواها ولما كان أيام
الفرنساوية واصطلح معهم
مراد بك حصل لها منهم غاية
الكرامة ورتبوا لها من ديوانهم
في كل شهر مائة الف نصف
فضة وشفاعتها عندهم مقبولة
لاترد وبالجملة فانها كانت
من الخيرات ولها على الفقراء
بر واحسان ولها من المآثر
الخان الجديد والصهريج
داخل باب زويلة توفيت
يوم الخميس لعشرين من
شهر جمادى الاولى بمنزلها
المذكور بدرب عبد الحق
ودفنت بحوشهم في القرافة
الصغرى بجوار الامام الشافعي
واضيفت الدار الى الدولة
وسكنها بعض اكابرها
وسبحان الحي الذي لا يموت
(ومات) المقر الكريم
المخدوم احمد باشا الشهير بطوسون ابن حضرة الوزير محمد علي باشا ملك الاقاليم

غياث الدين فقد عليهما فلما وصل كتاب غياث الدين خاف ميل الناس اليه فغالطه
في الجواب وكان ابن خرميل قد كاتب خوارزمشاه يطلب منه ان يرسل اليه عسكرا
ليصير في طاعته ويمتنع به على الغورية فطلب منه خوارزمشاه انفاذ ولده رهينة
ويرسل اليه عسكرا فسير ولده الى خوارزمشاه فكتب خوارزمشاه الى عسكره الذين
بنيسابور وغيرها من بلاد خراسان يامرهم بالتوجه الى هراة وان يكونوا يتصرفون بامر
ابن خرميل ويمتثلون امره هذا وغياث الدين يتابع الكتب الى ابن خرميل وهو يحتج
بشئ بعد شئ انتظار العسكر خوارزمشاه ولا يؤيسه من طاعته ولا يخطب له ويطيعه
طاعة غير مستوية ثم ان الامير على بن ابى على صاحب كالوين اطلع غياث الدين على حال
ابن خرميل فعزم غياث الدين على التوجه الى هراة فثبطه بعض الامراء الذين معه
واشاروا عليه بانتظار آخر امره وترك معاجلته واستشار ابن خرميل القاضي في امر غياث
الدين فقال له على بن عبد الخلاق بن زياد مدرس النظامية بهراة وهو متولي وقوف
خراسان التي بيد الغورية جميعها ينبغي ان تخطب للسلطان غياث الدين وتترك
المغالطة اني اخاف على نفسي فامض أنت وتوثق لي منه وكان قصده ان يبعده عن
نفسه فمضى برسالته الى غياث الدين واطلعه على ما يريد ابن خرميل يفعله من الغدر به
والميل الى خوارزمشاه وحثه على قصد هراة وقال له انا اسلمها اليك ساعة تصل اليها
ووافقه بعض الامراء وخالفه غيرهم وقال ينبغي ان لا تترك له حجة فترسل اليه تقليدا
بولاية هراة ففعل ذلك وسيره مع ابن زياد وبعض اصحابه ثم ان غياث الدين كاتب
ميران بن قيصر صاحب الطالقان يستدعيه اليه فتوقف وارسل الى صاحب مرو
ليسير اليه فتوقف ايضا فقال له اهل البلدان لم تسلم البلد الى غياث الدين وتتوجه
والا سلمناك وقيدناك وارسلناك اليه فاضطر الى المجئ الى فيروزكوه فخلع عليه غياث
الدين واقطعه اقطاعات شتى واقطع الطالقان سونج مملوك ابيه المعروف باميرشكار

(ذكر استيلاء خوارزمشاه على بلاد الغورية بخراسان)

قد ذكرنا مكاتبة الحسين بن خرميل والي هراة خوارزمشاه ومراسلته في الانتماء اليه
والطاعة له وترك طاعة الغورية وخداعه لغياث الدين ومغالطته له بالخطبة له والطاعة
انتظارا لوصول عسكر خوارزمشاه ووصول رسول غياث الدين وابن زياد بالخطبة فقال
يوم الجمعة تخطب له فاتفق قرب عسكر خوارزمشاه منهم فلما كان يوم الجمعة قيل له
في معنى الخطبة فقال نحن في شغل اهم منها بوصول هذا العدو وطالت المجادلات بينهم في
ذلك وهو مصر على الامتناع منها ووصل عسكر خوارزمشاه فلقيهم ابن خرميل وانزلهم
على باب البلد فقالوا له قد امرنا خوارزمشاه اننا لا نخالف لك امرا فشكرهم على ذلك وكان
يخرج اليهم كل يوم واقام لهم الوظائف الكثيرة واتاه الخبر ان خوارزمشاه نزل على بلخ
فحاصرها فلقيه صاحبها وقاتله بظاهر البلد فلم ينزل بالقرب منها فنزل على اربعة فراسخ
فندم ابن خرميل على طاعة خوارزمشاه وقال لخواصه لقد اخطانا حيث صرنا مع هذا
الرجل فانني اراه عاجزا وشرع في اعادة العسكر فسال الامراء ان خوارزمشاه قد ارسل

المصرية والحجازية والثغور وما اضيف اليها وقد تقدم ذكر رجوعه من البلاد الحجازية وتوجهه الى
الاسكندرية ورجوعه الى
مصر ثم عوده الى ناحية رشيد
وعرضي خيامه جهة الجهاد
بالعسكر على الصورة المذكورة
وهو ينتقل من العرضي الى
رشيد ثم الى برنبال والى منصورة
والعزب ولما رجع في هذه
المرة اخذ صحبته من مصر
المغنين وارباب الآلات
المطربة بالعود والقانون
والناي والكمنجات وهم
ابراهيم الوراق والحبابي وقشوة
ومن معهم من باقي رفقائهم
فذهب ببعض خواصه الى
رشيد ومعه الجماعة
المذكورون فاقاما اياما وحضر
اليه من جهة الروم جوار
وغلمان ايضا رقاصون فانتقل
بهم الى دمر برنبال ففي ليلة
حلوله بها نزل به ما نزل به
من المقدور فتمرض بالطاعون
وعلمل نحو عشر ساعات
وانقضى نحبه وذلك ليلة
الاحد سابع شهر القعدة
وحضره خليل افندي قولل
حاكم رشيد وعندما خرجت
روحه انتفخ جسمه وتغير
لونه الى الزرقة فغسلوه وكفنوه
ووضعوه في صندوق من
الخشب ووصلوا به في السفينة
منتصف ليلة الاربعاء عاشره
وكان والده بالجيزة فلم يتجاسروا
على اخباره فذهب اليه احمد اغا
اخو كتخدا بك فلما علم

١٤ تخ مل ١١ بوصوله ليلا امتنع من حضوره في ذلك الوقت تأخيره عنه ثم ورد الى شبرا منة وعكا فركب

الى غياث الدين يقول له انني على العهد الذي بيننا وانا تركت ما كان لابيك
بخراسان والمصلحة ان ترجعوا حتى ننظر ما يكون فعادوا وارسل اليهم الهدايا الكثيرة
وكان غياث الدين حيث اتصل به وصول عسكر خوارزمشاه الى هراة أخذ اقطاع ابن
خرميل وارسل الى كرزبان واخذ كل ماله بها من مال واولاد ودواب وغير ذلك واخذ
أصحابه في القيود وأتاه كتب من يميل اليه من الغورية يقولون له ان رأيك غياث
الدين فتلك ولما سمع أهل هراة بما فعل غياث الدين باهل ابن خرميل وماله عزموا على
قبضه والمكاتبة الى غياث الدين بانفاذ من يتسلم البلد و كتب القاضي صاعد قاضي
هراة وابن زياد الى غياث الدين بذلك فلما سمع ابن خرميل بما فعله غياث الدين باهله
وبما عزم عليه أهل هراة خاف ان يعاجله بالقبض فحضر عند القاضي وأحضر اعيان
البلد والان لهم القول وتقرب اليهم وأظهر طاعة غياث الدين وقال قد رددت عسكر
خوارزمشاه وأريد ارسل رسولا الى غياث الدين بطاعتي والذي اوثره منكم ان تكتبوا
معه كتابا بطاعتي فاستحسنوا قوله و كتبوا له بما طلب وسير رسوله الى فيروزكوه وأمره
اذا جنه الليل أن يرجع على طريق نيسابور ويلحق عسكر خوارزمشاه ويجد السير فاذا
لحقهم ردهم اليه ففعل الرسول ما امره ولحق العسكر على يومين من هراة فامرهم
بالعود فعادوا فلما كان اليوم الرابع من مسير الرسول وصلوا الى هراة والرسول بين
ايديهم فلقيهم ابن خرميل وادخلهم البلد والطبول تضرب بين ايديهم فلما دخلوا اخذ
ابن زياد الفقيه فسمله واخرج القاضي صاعدا من البلد فسار الى غياث الدين
بفيروزكوه واخرج من عنده من الغورية وكل من يعلم انه يريدهم وسلم ابواب البلد الى
الخوارزمية واما غياث الدين فانه برز من فيروزكوه نحو هراة وارسل عسكرا فاخذوا
حشيرا كان لاهل هراة فخرج الخوارزمية فشنوا الغارة على هراة الروذ وغيره فامر
غياث الدين عسكره بالتقدم الى هراة وجعل المقدم عليهم علي بن ابي علي واقام هو
بفيروزكوه فلما بلغه ان خوارزمشاه في بلخ فسار العسكر وعلى يزكه الامير اميران بن
قيصر الذي كان صاحب الطالقان فارسل الى ابن خرميل يعرفه انه على اليزك ويامره
بالمجيء اليه فانه لا يمنعه وحلف له على ذلك فسار ابن خرميل في عسكره فكبس عسكر
غياث الدين فلم يلحقوا يركبون خيولهم حتى خالطوهم فقتلوا فيهم فكف ابن خرميل
اصحابه عن الغور يتخوفا ان يهلكوا وغنم واسر اسمعيل الخلجي وأقام بمكانه وأرسل
عسكره فشنوا الغارة على البلاد باذغيس وغيرها وعظم الامر على غياث الدين فعزم على
المسير الى هراة بنفسه فاتاه الخبر ان علاء الدين صاحب باميان قد عاد الى غزنة على
ما نذكره فاقام ينتظر ما يكون منهم ومن الدز واما بلخ فان خوارزمشاه لما بلغه قتل
شهاب الدين أخرج من كان عنده من الغوريين الذين كان أسرهم في المصاف على
باب خوارزم وخلع عليهم وأحسن اليهم واعطاهم الاموال وقال ان غياث الدين أخي
ولا فرق بيني و بينه فمن أحب منكم المقام عندي فليقم ومن أحب ان يسير اليه فانني
اسيره ولو أراد مني ما أراد نزلت له عنه وعهد الى محمد بن علي بن بشير وهو من أكابر

في المحل المقصود الى ثم برا وطلع الى القصر وصار يصرخ بالشبادخ ويقول ابن هو فلم يتجاسر احد ان يصرح بموته
وكانوا اذهبوا به وهو في
السفينة الى بولاق وارسوا
به عند الترسخانه وأقبل
كتخدا بك على الباشا فرآه
يبكي فانزعج انزعاجا شديدا
وكاد ان يقع على الارض
ونزل السفينة فاتى بولاق
آخر الليل وانطلقت الرسل
لاخبار الاعيان فركبوا
بأجمعهم الى بولاق وحضر
القاضي والاشياخ والسيد
المحروقي ثم نصبوا تختا ساترا
على السفينة واخرجوا
الناووس والدم والصديد
يقطر منه ونادوا القلافطة
فسدوا خروقه ومنافسه ونصبوا
عودا عند رأسه ووضعوا
عليه تاج الوزارة المسمى
بالطلخان واشهروا الجنازة
من غير ترتيب والجميع
مشاة امامه وخلفه وليس
فيها من جوقات الجنائز المعتادة
كالفقهاء واولاد الكتاتيب
والاحزاب شيء من ساحل
بولاق على طريق المدابغ
وباب الخرق على الدرب
الاحمر على التبانة الى الرميلة
فصلوا عليه بمصلى المؤمنين
وذهبوا به الى المدفن الذي
أعده الباشا لنفسه واوتاه
كل هذه المسافة ووالده خلف
نعشه ينظر اليه ويبكي
ومع الجنازة أربعة من
الخيم تحمل القروش ورباعيات الذهب يدراهم انصاف عملة ينثرونها على

الامراء

الامراء الغورية فاحسن اليه واقطعه استمالة للغورية وجعله سفيرا بينه وبين صاحب بلخ فسير اخاه على شاه بين يديه فى عسكر الى بلخ فلما قاربها خرج اليه عماد الدين عمر بن الحسين الغورى اميرها فدفعه عن النزول عليها فنزل على اربعة فراسخ عنها فارسل الى اخيه خوارزمشاه يعلمه قوتهم فسار اليها فى ذى القعدة من السنة فلما وصل الى بلخ خرج صاحبها فقاتلهم فلم يقو بهم لكثرتهم فنزلوا فصار يوقع بهم ليلا فكانوا معه على اقبح صورة فاقام صاحب بلخ محاصرا وهو ينتظر المدد من اصحابه اولاد بهاء الدين صاحب باميان وكانوا قد اشتغلوا عنه بغزنة على ما ذكرناه وعلى ما نذكره ان شاء الله تعالى فاقام خوارزمشاه على بلخ اربعين يوما كل يوم يركب الى الحرب فيقتل من اصحابه كثير ولا يظفر بشئ فراسل صاحبها عماد الدين مع محمد بن على بن بشير الغورى وبذل له بذلا كثيرا ليسلم اليه البلد فلم يجبه الى ذلك وقال لا اسلم البلد الا الى اصحابه فعزم على المسير الى هراة فلما سار اصحابه اولاد بهاء الدين صاحب باميان الى غزنة المرة الثانية على ما نذكره ان شاء الله تعالى واسرهم تاج الدين الدز عاد عن ذلك العزم وارسل محمد بن على بن بشير الى عماد الدين ثانيا يعرفه حال اصحابه واسرهم وانه لا يبقى عليه حجة ولا له فى التاخر عنه عذر فدخل اليه ولم يزل يخدعه تارة يرغبه وتارة يرهبه حتى اجاب الى طاعة خوارزمشاه والخطبة له وذكر اسمه على السكة وقال انا اعلم انه لا يفى له وارسل من يستحلفه على ما اراد فتم الصلح وخرج الى خوارزمشاه فخلع عليه واعاده الى بلده وكان سلخ ربيع الاول سنة ثلاث وستمائة ثم سار خوارزمشاه الى كرزبان ليحاصرها وبها على بن ابى على وارسل الى غياث الدين يقول ان هذه كان قد اقطعها عمك لابن خرميل فتنزل عنها فامتنع وقال بينى وبينكم السيف فارسل اليه خوارزمشاه مع محمد بن على بن بشير فرغبه وآيسه من نجدة غياث الدين ولم يزل به حتى نزل عنها وسلمها وعاد الى فيروزكوه فامر غياث الدين بقتله فشفع فيه الامراء فتركه وسلم خوارزمشاه كرزبان الى ابن خرميل ثم ارسل الى عماد الدين صاحب بلخ يطلبه اليه ويقول قد حضرهم ولا غنى عن حضورك فانت اليوم من اخص اوليائنا فحضر عنده فقبض عليه وسيره الى خوارزم ومضى هو الى بلخ فاخذها واستناب بها جعفرا التركى

(ذكر ملك خوارزمشاه ترمذ وتسليمها الى الخطا)

لما اخذ خوارزمشاه مدينة بلخ سار عنها الى مدينة ترمذ مجدا وبها ولد عماد الدين الذى كان صاحب بلخ فارسل اليه محمد بن على بن بشير يقول له ان اباك قد صار من اخص اصحابى واكابر امراء دولتى وقد سلم الى بلخ وانما ظهر لى منه ما انكرته فسيرته الى خوارزم مكرما محترما واما انت فتكون عندى اخا ووعده واطمعه الكثير فخدعه محمد بن على فراى صاحبها ان خوارزمشاه قد حصره من جانب والخطا قد حصروه من جانب آخر واصحابه قد اسرهم الدز بغزنة فضعفت نفسه وارسل من يستحلف له خوارزمشاه فحلف له وتسلم منه ترمذ وسلمها الى الخطا فلهذا كتب بها خوارزمشاه

الارض وعلى الكيمان وعن يمين المكتخدا ويساره شخصان يتناول منهما قراطيس الفضة يفرق على من يتعرض له من الفقراء والصبيان فاذا تكاثروا عليه نثر ما بقى فى يده عليهم فيشتغلون عنه بالتقاطها من الارض فكان جملة ما فرق وبدر من الانصاف العددية فقط خمسة وعشرين كيسا من الخمسمائة الف فضة وذلك خلاف القروش ايضا والربعيات الذهب وساقوا امام الجنازة ستة رؤس من الجواميس الكبار اخذ منها خدمة التربة ومن حولهم وخدمة ضريح الامام الشافعى ولم ينل الفقراء الا ما فضل عنهم واخرجوا لاسقاط صلاة المتوفى خمسة واربعين كيسا تناولها فقراء الازهر وفرقت بجامع القاكهانى بحسب الاغراض للغنى منهم اضعاف قسم الفقير واكثر الفقراء من الفقهاء لم ينالوا الا القليل ولما وصلوا الى المدفن هدموا التربة وانزلوه فيها بتابوته الخشب لتعسر اخراجه منه بسبب انتفاخه وتهريه حتى انهم كانوا يطلقون حول تابوته البخورات فى المجامر الذهب والرائحة غالبة على ذلك وليس ثم من يتعظ او يعتبر ولما مات لم يخبروا والدته بموته الا بعد دفنه فجزعت عليه جزعا شديدا ولبست السواد وكذلك جميع نسائهم واتباعهم وصبغوا ابراقعهم بالسواد والزرقة وكذلك من ينافقهم من الناس حتى لطخوا ابواب البيوت ببولاق

مسببة عظيمة وذكرنا فيها في عاجل الامر ثم ظهر للناس بعد ذلك انه اغما سلمها اليهم ليتمكن بذلك من ملك خراسان ثم يعود اليهم فيأخذها وغيرها منهم لانه لما ملك خراسان وقصد بلاد الخطا واخذها وافناهم ظهر على الناس انه فعل ذلك خديعة ومكرا غفر الله له

(ذكر عود اصحاب باميان الى غزنة)

قد ذكرنا قبل وصول الدز التركي الى غزنة واخراجه علاء الدين وجلال الدين ولدى بهاء الدين سام صاحب باميان منها بعد ان ملكها واقام هو في غزنة من عاشر رمضان سنة اثنتين وستمائة الى خامس ذي القعدة من السنة يحسن السيرة ويعدل في الرعية واقطع البلاد للاجناد فبعضهم اقام وبعضهم سارا الى غياث الدين ولم يخطب لاحد ولا لنفسه وكان يعد الناس بان رسولى عند مولاى غياث الدين فاذا عاد خطبت له ففرح الناس بقوله وكان يفعل ذلك مكرا وخديعة بهم وبغياث الدين لانه لو لم يظهر ذلك لفارقه اكثر الاتراك وسائر الرعايا وكان حينئذ يضعف عن مقاومة صاحب باميان فكان يستخدم الاتراك وغيرهم بهذا القول واشباهه فلما ظفر بصاحب باميان على ما نذكره اظهر ما كان يضمره فبينما هو في هذا اتاه الخبر بقرب علاء الدين وجلال الدين ولدى بهاء الدين صاحب باميان في العساكر الكثيرة وانهم قد عزموا على نهب غزنة واستباحة الاموال والانفس فخاف الناس خوفا شديدا وجهز الدز كثيرا من عسكره وسيرهم الى طريقهم فلقوا اوائل العسكر فقتل من الاتراك وادركهم العسكر فلم يكن لهم قوة بهم فانهزموا وتبعهم عسكر علاء الدين يقتلون ويأسرون فوصل المنهزمون الى غزنة فخرج عنها الدز منهزما يطلب بلده كرمان فادركه بعض عسكر باميان نحو ثلاثة آلاف فارس فقاتلهم قتالا شديدا فردهم عنه وأحضر من كرمان مالا كثيرا وسلاحا ففرقه في العسكر واما علاء الدين واخوه فانهما تركا غزنة لم يدخلاها وسارا في اثر الدز فهرب منهم فساروا الى كرمان فنهب الناس بعضهم بعضا وملك علاء الدين كرمان وامنوا اهلها وعزموا على العود الى غزنة ونهبها فسمع اهلها بذلك فقصدوا القاضي سعيد بن مسعود وشكوا اليه حالهم فمشى الى الوزير علاء الدين المعروف بالصاحب واخبره بحال الناس فطيب قلوبهم واخبرهم غيره ممن يثقون اليه انهم مجمعون على النهب فاستعدوا وضيقوا ابواب الدروب والشوارع واعدوا القرابات والاحجار وجاءت التجار من العراق والموصل والشام وغيرها وشكوا الى اصحاب السلطان فلم يسكنهم احد فقصدوا داود مجد الدين بن الربيع رسول الخليفة واستغاثوا به فسكنهم ووعدهم الشفاعة فيهم وفي اهل البلد فارسل الى امير كبير من الغورية يقال له سليمان بن سيسر وكان شيخا كبيرا يرجعون الى قوله يعرفه الحال ويقول له يكتب الى علاء الدين واخيه يتشفع في الناس ففعل وبالغ في الشفاعة وخوفهم من اهل البلد ان اصروا على النهب فاجابوه الى العفو عن الناس بعد مراجعات كثيرة وكانوا قد

وغيرها بالوحل وامتنع الناس بالامر عليهم من عمل الافراح ودق الطبول والقاووقية الباشا واسمعيل باشا وطاهر باشا حتى ما يفعله دراويش المولوية في تكاياهم عند المقابلة من النساى والطبل اربعين يوما واقاموا عليه العزاء عند القبر وعدة من الفقهاء والمقرئين يتناوبون قراءة القرآن مدة الاربعين يوما ويمدوا الاسمطة وما كل وكل من يحتاجونه ثم ترادفت عليهم العطايا من والدته واخوانه والواردين من اقاربه وغيرهم على حد قول القائل مصائب قوم عند قوم فوائد ومات وهو مقتبل الشبيبة لم يبلغ العشرين وكان ابيض جسيما كما قد دارت لحيته بطلا شجاعا جوادا له ميل لاولاد العرب منقادا لملة الاسلام ويعترض على ابيه في افعاله تخاف سطوته العسكر وتهابه ومن اقترف ذنبا صغيرا قتله مع احسانه وعطاياه للنقادمنهم ولامرائه ولغالب الناس اليه ميل وكانوا يرجون تأمره بعد ابيه ويأبى الله الا ما يريد (ومات) الوزير المعظم يوسف باشا المنفصل عن امارة الشام وحضر الى مصر من نحو ثلاث سنوات هاربا وملتجئا الى حاكم مصر وذلك في اواخر سنة سبع وعشرين ومائتين والف واصله من الاكراد الدكرلية وينسب الى الاكراد الملة وابتدأ امره باتخاذه من يعرفه انه هرب من اهله وعمره اذ ذاك نحو

وعدوا من معهم من العساكر بنهب غزنة فوضوهم من الخزانة فسكن الناس وعاد العسكر الى غزنة اواخر ذى القعدة ومعهم الخزانة التى اخذها الدز من مؤيد الملك لما عاد ومعه شهاب الدين قتيلا فكانت مع ما اضيف اليها من الثياب والدين تسعمائة حمل ومن جملة ما كان فيها من الثياب الممزج المنسوج بالذهب اثنا عشر الف ثوب وعزم علاء الدين ان يستوزر مؤيد الملك فمنع اخوه جلال الدين فاحضره وخلع عليه على كراهة منه الخلعة واستوزره فلما سمع علاء الدين بذلك قبض على مؤيد الملك وقيده وحبسه فتغيرت نيات الناس واختلفوا ثم ان علاء الدين وجلال الدين اقتسما الخزانة وجرى بينهما من المشاحنة فى القسمة ما لا يجرى بين التجار فاستدل بذلك الناس على انهما لا يستقيم لهما حال لبخلهما واختلافهما وندم الامراء على ميلهم اليهما وتركهم غياث الدين مع ما ظهر من كرمه واحسانه ثم ان جلال الدين وعمه عباسا سارا فى بعض العسكر الى باميان وبقى علاء الدين بغزنة فاساء وزيره عماد الملك السيرة مع الاجناد والرعية ونهب اموال الاتراك حتى انهم باعوا امهات اولادهم وهن يبكين ويصرخن ولا يلتفت اليهن

(ذكر عود الدز الى غزنة)

لما سار جلال الدين من غزنة واقام بها اخوه علاء الدين جمع الدز ومن معه من الاتراك عسكرا كثيرا وعادوا الى غزنة فوصلوا الى كلوا فملكوها وقتلوا جماعة من الغورية ووصل المنهزمون الى كرمان فسار الدز اليهم وجعل على مقدمته مملوكا كبيرا من مماليك شهاب الدين اسمه ايدكز التتر فى الفى فارس من الخلج والاتراك والغز والغورية وغيرهم وكان بكرمان عسكر لعلاء الدين مع امير يقال له ابن المؤيد ومعه جماعة من الامراء منهم ابو على بن سليمان بن سيسر وهو وابوه من اعيان الغورية وكانا مشتغلين باللعب واللهو والشرب لا يفتران عن ذلك فقيل لهما ان عسكر الاتراك قد قربوا منكم فلم يلتفتا الى ذلك ولا تركا ما كانا عليه فهجم عليهم ايدكز التتر ومن معه من الاتراك فلم يمهلوهم يركبون خيولهم فقتلوا عن آخرهم منهم من قتل فى المعركة ومنهم من قتل صبرا ولم ينج الا من تركه الاتراك عمدا ولما وصل الدز ورأى امراء الغورية كلهم قتلى قال كل هؤلاء قاتلونا فقال ايدكز التتر لا بل قتلناهم صبرا فلامه على ذلك ووبخه واحضر راس ابن المؤيد بين يديه فسجد شكرا لله تعالى وامر بالمقتولين ففسلوا ودفنوا وكان فى جملة القتلى ابو على بن سليمان ابن سيسر ووصل الخبر الى غزنة فى العشرين من ذى الحجة من هذه السنة فصلب علاء الدين الذى جاء بالخبر فتغيمت السماء وجاء مطر شديد خرب بعض غزنة وجاء بعده برد كبار مثل بيض الدجاج فضج الناس الى علاء الدين بانزال المصلوب فانزله آخر النهار فانكشفت الظلمة وسكن ما كانوا فيه وملك الدز كرمان واحسن الى اهلها وكانوا فى شدة مع اولئك ولما صح الخبر عند علاء الدين ارسل وزيره الصاحب الى اخيه جلال الدين فى باميان يخبره بحال الدز ويستنجده وكان قد اعد العساكر ليسير الى بلخ يرحل

عشرة سنة فوصل الى حماة وتعاطى بيع الحشيش والمرجتين والروث ثم خدم عند رجل يسمى ملا حسين مدة سنين الى ان البسه قلبق ثم خدم بعده ملا اسمعيل باشكاتش وتعلم الفروسية والرماحة فلعب يوما فى القمار وخسر فيه وخاف على نفسه فخرج هاربا الى عمر اغا باسيلى من اشراقات ابراهيم باشا المعروف بالازدن فتوجه معه الى غزة وكان مع المترجم جواد اشقر من جياد الخيل فقلد على اغا تسلم غزة عمر اغا المذكور وجعله دالى باشا ففى بعض الايام طلب المتسلم من المترجم الجواد فقال له ان تقلدتنى دالى باشا قدمته لك فاجابه الى ذلك وعزل عمر اغا وقلد المترجم المنصب عوضا عنه وامتنع من اعطائه ذلك الجواد واقام فى خدمته مدة فوصل مرسوم من احمد باشا الجزار خطابا للمترجم بالقبض على المتسلم واحضاره الى طرفه وان فعل ذلك ينعم عليه بمبلغ خمسين كيسا ومائة بيرق ففعل ذلك واوقع القبض على على اغا المتسلم وتوجه الى عكا بلدة الجزار فقال المتسلم للمترجم فى اثناء الطريق تعلم ان الجزار رجل سفاك دماء فلا توصلنى اليه وان كان وعدك بمال انا اعطيك اضعافه واطلقنى اذهب حيث شاء الله ولا تشاركه فى دمى فلم يجبه الى ذلك واوصله الى الجزار فحبسه ثم قتله ورماه فى البحر واقام المترجم بباب الجزار اياما ثم ارسل اليه يامره بالذهاب

عنها خوارزمشاه فلما اتاه هذا الخبر ترك بلخ وسار الى غزنة وكان اكثر عسكره من الغورية قد فارقوه وفارقوا اخاه وقصدوا غياث الدين فلما كانوا بحذى الجنة وصل الدز الى غزنة ونزل هو وعسكره بازاء قلعة غزنة وحصر علاء الدين وجرى بينهم قتال شديد وامر الدز فنودى في البلد بالامان وتسكين الناس من اهل البلد والغورية وعسكر باميان واقام الدز محاصر القلعة فوصل جلال الدين في اربعة آلاف من عسكر باميان وغيرهم فرحل الدز الى طريقهم وكان مقامه الى ان سار اليهم اربعين يوما فلما سار الدز سير علاء الدين من كان عنده من العسكر وامرهم ان ياتوا الدز من خلفه ويكون اخوه من بين يديه فلا يسلم من عسكره احد فلما خرجوا من القلعة سار سليمان بن بسير الغورى الى غياث الدين بفيروز كوه فلما وصل أكرمه وعظمه وجعل أميردار فيروز كوه وكان ذلك في صفر سنة ثلاث وستمائة واما الدز فانه سار الى طريق جلال الدين فالتقوا بقرية بلق فاقتتلوا قتالا صبر وافيه فانهزم جلال الدين وعسكره وأخذ جلال الدين اسيرا واتى الى الدز فلما رآه ترجل وقبل يده وامر بالاحتياط عليه وعاد الى غزنة وجلال الدين معه اسير والف اسير من الباميانية وغنم اصحابه اموالهم ولما عاد الى غزنة ارسل الى علاء الدين يقول له ليسلم القلعة اليه والا قتل من عنده من الاسرى فلم يسلمها فقتل منهم اربعمائة أسير بازاء القلعة فلما رأى علاء الدين ذلك أرسل مؤيد الملك يطلب الامان فامنه الدز فلما خرج قبض عليه ووكل به وباخيه من يحفظهما وقبض على وزيره لسوء سيرته وكان هندوخان بن ملكشاه بن خوارزمشاه تكش مع علاء الدين بقلعة غزنة فلما خرج منها قبض عليه أيضا وكتب الى غياث الدين بالفتح وأرسل اليه الاعلام وبعض الاسرى

(ذكر قصد صاحب مراغة وصاحب اربل اذربيجان)

في هذه السنة اتفق صاحب مراغة وهو علاء الدين هو ومظفر الدين كوكبرى صاحب اربل على قصد اذربيجان وأخذها من صاحبها أبي بكر بن البهلوان لاشتغاله بالشرب ليلا ونهارا وتركه النظر في أحوال المملكة وحفظ العساكر والرعايا فسار صاحب اربل الى مراغة واجتمع هو وصاحبها علاء الدين وتقدما نحو تبريز فلما علم صاحبها أبو بكر أرسل الى ايتغمش صاحب بلاد الجبل همذان واصفهان والرى وما بينهما من البلاد وهو مملوك أبيه البهلوان وهو في طاعة أبي بكر الا انه قد غلب على البلاد فلا يلتفت الى أبي بكر فأرسل اليه أبو بكر يستنجده ويعرفه الحال وكان حينئذ ببلد الاسماعيلية فلما أتاه الخبر سار اليه في العساكر الكثيرة فلما حضر عنده أرسل الى صاحب اربل يقول له انا كنا نسمع عنك انك تحب أهل العلم والخير وتحسن اليهم فكنا نعتقد فيك الخير والدين فلما كان الآن ظهر لنا منك ضد ذلك لقصدك بلاد الاسلام وقتال المسلمين ونهب أموالهم واثارة الفتنة فاذا كنت كذلك فما لك عمل تجيء الينا وأنت صاحب قرية ونحن لنا من باب خراسان الى خلاط والى اربل واحسب انك هزمت هذا اما تعلم ان له مماليك أنا أحدهم ولو أخذ من كل قرية شحنة

الى سنين ير بد قانه لاشيرفيه . . . الخيانة لمخدومه فذهب الى حماة واقام عند اغاته اسمعيل اغا وهو متول من طرف عبد الله باشا المعروف بابن العظم فاقام في خدمته كالدرجي زمن نحو الثلاث سنوات وكان بين عبد الله باشا واحمد باشا الجزار عداوة فتوجه عبد الله باشا الى الدورة فارسل الجزار عساكره ليقطع عليه الطريق فسلك طريقا آخرى فلما وصل الى جنيني وهي مدينة قريبة من بلاد الجزار وبها الجزار وعساكره عليه فلما تقارب العسكران وتسامعت اهل النواحي امتنعوا من دفع الاموال له وسمع عبد الله باشا الارحيل وتوجه الى ناحية نابلس مسافة يومين وحاصر بلدة تسمى صوفين واخذ مدافع من يافا وادام محاصرتها ستة ايام ثم طلبوا الامان فامنهم ورحل عنهم الى طرف الجبل مسيرة نصف ساعة وفرق عساكره لقبض اموال الميرى من البلاد واقام هو في قليل من العسكر فوصل اليه خيال وقت العصر في يوم من الايام يخبره بوصول عساكر الجزار وانه لم يكن بينه وبينهم الا نصف ساعة وهم خمسة آلاف مقاتل فارتبك في أمره وارسل الى النواحي فحضر اليه من حضر وهم نحو الثلثمائة خيال وهو بقرية نحو الثمانين فامر بالحرب فلم تثار بما له كثرة عساكر المدة وايقنوا بالهلاك ثم تقدم اغاته ترجم الى العسكر وأشار عليهم بالثبات وقال

ومن كل مدينة عشرة رجال لاجتمع له اضعاف عسكرك فالمصلحة انك ترجع الى بلدك وانما أقول لك هذا ابقاء عليك ثم سار نحوه عقيب هذه الرسالة فلما سمعها مظفر الدين وبلغه مسير ايتغمش عزم على العود فاجتهد به صاحب مراغة ليقيم بمكانه ويسلم عسكره اليه وقال له انني قد كاتبني جميع امراء ايتغمش ووعدوني اذا قصدتهم فلم يقبل مظفر الدين من قوله وعاد الى بلده وسلك الطريق الشاقة والمضايق الصعبة والعقاب الشاهقة خوفا من الطلب ثم ان أبا بكر وايتغمش قصدا مراغة وحصراها فصالحهما صاحبها على تسليم قلعة من حصونه الى أبي بكر هي كانت سبب الاختلاف واقطعه ابو بكر مدينتي استوا وارمية وعادا عنه

(ذكر ايقاع ايتغمش بالاسماعيلية)

وفي هذه السنة سار ايتغمش الى بلاد الاسماعيلية المجاورة لقزوين فقتل منهم مقتلة كبيرة ونهب وسبى وحصر قلاعهم ففتح منها خمس قلاع وصمم العزم على حصر الموت واستئصال أهلها فاتفق ما ذكرنا من حركة صاحب مراغة وصاحب اربل واستدعاه الامير ابو بكر ففارق بلادهم وسار الى أبي بكر كما ذكرناه

(ذكر وصول عسكر خوارزم الى بلاد الجبل وما كان منهم)

وفي هذه السنة سار من عسكر خوارزم طائفة كبيرة نحو عشرة آلاف فارس باهليهم وأولادهم فوصلوا الى زنكان وكان ايتغمش صاحبها مشغولا مع صاحب اربل وصاحب مراغة واغتنموا خلو البلاد فلما عاد مظفر الدين الى بلده وانفصل الحال بين ايتغمش وصاحب مراغة سار ايتغمش نحو الخوارزمية فلقيهم وقاتلهم فاشتد القتال بين الطائفتين ثم انهزم الخوارزميون واخذهم السيف فقتل منهم واسر خلق كثير ولم ينج منهم الا الشريد وسبي نساؤهم وغنمت أموالهم وكانوا قد افسدوا في البلاد بالنهب والقتل فلقوا عاقبة فعلهم

(ذكر الغارة من ابن ليون على اعمال حلب)

وفي هذه السنة توالت الغارة من ابن ليون الارمني صاحب الدروب على ولاية حلب فنهب وحرق وأسر وسبى فجمع الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف صاحب حلب عساكره واستنجد غيره من الملوك فجمع كثيرا من الفارس والراجل وسار عن حلب نحو ابن ليون وكان ابن ليون قد نزل في طرف بلاده مما يلي بلد حلب فليس اليه طريق لان جميع بلاده لا طريق اليها الا من جبال وعرة ومضايق صعبة فلا يقدر غيره على الدخول اليها لا سيما من ناحية حلب فان الطريق منها متعذر جدا فنزل الظاهر على خمسة فراسخ من حلب وجعل على مقدمته جماعة من عسكره مع أمير كبير من مماليك أبيه يعرف بميمون القصري ينسب الى قصر الخلفاء العلويين بمصر لان اباه منهم أخذه فاتفق ان الظاهر سير ميرة وسلاحا الى حصن له مجاور لبلاد ابن ليون اسمه دربساك وأمر ميمون ان يرسل طائفة من العسكر الذين عنده الى طريق هذه الذخيرة ليسيروا معها

لم يكن غير ذلك فاتفقنا ان فررنا هلكنا عن آخرنا وتقدم المترجم مع اغاته ملا اسمعيل وتبعهم العسكر ووجهوا واوسط خيل العدو وصدقوا الحملة حملة واحدة فحصلت في العدو الهزيمة وركبوا أقفيتهم وتبعهم المترجم حتى حال الليل بينهم فرجعوا برؤس القتلى والقلائع فلما اصبح النهار عرضوها على الوزير وهي نحو الالف رأس والف قليعة فخلع عليهم وشكرهم وارتحلوا الى دمشق وذهب المترجم مع اغاته الى مدينة حماة واستمر هناك الى ان حضر الوزير الاعظم يوسف باشا المعروف بالمعدن الى دمشق بسبب الفرنساوية ففارق المترجم مخدومه في نحو السبعين خيالا وجعل يدور باراضي حماة بطالا ويقال له قپس فراسل الجزار لينضم اليه وكان الجزار عند حضور الوزير انفصل حكمه عن دمشق ووجهت ولايتها الى عبد الله باشا العظم فلما بلغ المترجم ذلك توجه الى اغاته عبد الله باشا بالمعرة فاكرمه عبد الله باشا وقلده دالي باشا كبيرا على جميع الخيالة حتى على اغاته ملا اسمعيل اغا واقام بدمشق مدة الى ان حاصر عبد الله باشا مدينة طرابلس فوصل اليه الخبر بان عساكر الجزار استولوا على دمشق وبلادها فركب عبد الله باشا وذهب الى دمشق ودخلها ثاني عيد رمضان وفي ثانيه وصل خبر ذلك الى الجزار فكاتب عساكر عبد الله

الى در بساك ففعل ذلك وسير جماعة كثيرة من عسكره وبقى فى قلة فبلغ الخبر الى ابن ليون فقصدوا فاه وهو مخف من العسكر فقاتله واشتد القتال بينهم فارسل ميمون الى الظاهر يعرفه وكان بعيدا عنه فطالت الحرب بينهم وحمى ميمون نفسه واثقاله على قلة من المسلمين وكثرة من الارمن فانهزم المسلمون ونال العدو منهم فقتل واسر وكذلك ايضا فعل المسلمون بالارمن من كثرة القتل وظفر الارمن باثقال المسلمين فغنموها وساروا بها فصادفهم المسلمون الذين كانوا قد ساروا مع الذخائر الى در بساك فلم يشعروا بالحال فلم يرعهم الا العدو وقد خالطهم ووضع السيف فيهم فاقتتلوا أشد قتال ثم انهزم المسلمون أيضا وعاد الارمن الى بلادهم سالمين واعتصموا بجبالهم وحصونهم

ذكر نهب الكرج ارمينية

فى هذه السنة قصدت الكرج فى جموعها ولاية خلاط من ارمينية ونهبوا وقتلوا واسروا وسبوا أهلها كثيرا وجاسوا خلال الديار آمنين ولم يخرج اليهم من خلاط من يمنعهم فبقوا متصرفين فى النهب والسبى والبلاد شاغرة لا مانع لها لان صاحبها صبى والمدبر لدولته ليست له تلك الطاعة على الجند فلما اشتد البلاء على الناس تذامروا وحرض بعضهم بعضا واجتمعت العساكر الاسلامية التى بتلك الولاية جميعها وانضاف اليهم من المتطوعة كثير فساروا جميعهم نحو الكرج وهم خائفون فرأى بعض الصوفية الاخيار الشيخ محمدا البستى وهو من الصالحين وكان قد مات فقال له الصوفى أراك هاهنا فقال جئت لمساعدة المسلمين على عدوهم فاستيقظ فرحا بمحل البستى من الاسلام وأتى الى مدبر العسكر والقيم بامره وقص عليه رؤياه ففرح بذلك وقوى عزمه على قصد الكرج وسار بالعساكر اليهم فنزل منزلا فوصلت الاخبار الى الكرج فعزموا على كبس المسلمين فنقلوا من موضعهم بالوادى الى اعلاه فنزلوا فيه ليكبسوا المسلمين اذا أظلم الليل فأتى المسلمين الخبر فقصدوا الكرج واحاطوا بهم وأعليهم رأس الوادى وأسفله وهو واد ليس اليه غير هذين الطريقين فلما رأى الكرج ذلك ايقنوا بالهلاك وسقط فى أيديهم وطمع المسلمون فيهم وضايقوهم وقاتلوهم فقتلوا منهم كثيرا وأسروا مثلهم ولم يفلت من الكرج الا القليل وكفى الله المسلمين شرهم بعد ان كانوا أشرفوا على الهلاك

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة توفى الامير طاشتكين مجير الدين أمير الحاج بتستر وكان قد ولاه الخليفة على جميع خوزستان وكان أميرا على الحاج سنين كثيرة وكان خيرا صالحا حسن السيرة كثير العبادة يتشيع ولما مات ولى الخليفة على خوزستان مملوكه سنجر وهو صهر طاشتكين زوج ابنته وفيها قتل سنجر بن مقلد بن سليمان بن مهارش أمير عبادة بالعراق وكان سبب قتله انه سعى بابيه مقلد الى الخليفة الناصر لدين الله فامر بالتوكيل على أبيه فبقى مدة ثم اطلقه الخليفة ثم ان سنجر اقتتل اخاله اسمه ع

باشا يستميلهم لانه معظمهم غرباء فاتفقوا على خيانته والقبض عليه وتسليمه الى الجزار وصلى ذلك وتنبه

فركب فى بعض مماليكه وخاصته الى وطاق المترجم وهو اذذاك دالى باشا واعلمه الخبر وانه يريد النجاة بنفسه فركب بمن معه واخرجه من بين العسكر وقهرا عنهم واوصله الى شوش بغداد ثم ذهب على الهجن الى بغداد ورجع المترجم الى جهة فقبل وصوله اليها ورد عليه مرسوم الجزار يستدعيه فذهب اليه فجعله مقدم ألف وقائد باش الجردة فسافر الى الحجاز لملاقاة وكان امير الحاج الشامى اذذاك سليمان باشا عوضا عن مخدومه احمد باشا الجزار فلما حصلوا فى نصف الطريق وصلهم خبر موت الجزار فرجع يوسف المترجم الى الشام واستولى اسمعيل باشا على عكا وتوجه منصب ولاية الشام الى ابراهيم باشا المعروف بقطر اغاسى أى اغات البغال وفى فرمان ولايته الامر بقطع رأس اسمعيل باشا وضبط مال الجزار فذهب المترجم بخيله واتباعه الى ابراهيم باشا وخدم عنده وركب الى عكا وحصروها وحطوا فى ارض الكردانى مسيرة ساعة من عكا وكانت الحرب بينهم وبين عساكر اسمعيل باشا نحو العشرة آلاف والمترجم يباشر الوقائع

مكل رقعة ... سالى ... فى يوم من الايام لم يشعروا الا وعسكر اسمعيل باشا اتاهم ... اليهم من طريق فاوقعوا

فاوغر بهذه الاسباب صدور اهله واخوته فلما كان هذه السنة فى شعبان نزل بارض المشوق وركب فى بعض الايام ومعه اخوته وغيرهم من اصحابه فلما انفرد عن اصحابه ضربه اخوه على بن مقلد بالسيف فسقط الى الارض فنزل اخوته اليه فقتلوه وفيها تجهز غياث الدين خسروشاه صاحب مدينة الروم الى مدينة طرابزون وحصر صاحبها لانه كان قد خرج عن طاعته فضيق عليه فانقطعت لذلك الطرق من بلاد الروم والروس وقفجاق وغيرها برا وبحرا ولم يخرج منهم احد الى بلاد غياث الدين فدخل بذلك ضرر عظيم على الناس لانهم كانوا يتجرون معهم ويدخلون بلادهم ويقصدهم التجار من الشام والعراق والموصل والجزيرة وغيرها فاجتمع منهم بمدينة سيواس خلق كثير فحيث لم ينفتح الطريق تاذوا اذى كثيرا فكان السعيد منهم من عاد الى راس ماله وفيها تزوج ابو بكر بن البهلوان صاحب اذربيجان واران بابنة ملك الكرج وسبب ذلك ان الكرج تابعت الغارات منهم على بلاده لما راوا من عجزه وانهماكه فى الشرب واللعب وما جانسهما واعراضه عن تدبير الملك وحفظ البلاد فلما راى هو ايضا ذلك ولم يكن عنده من الحمية والانفة من هذه المناحس ما يترك ما هو مصر عليه وانه لا يقدر على الذب عن البلاد عدل الى الذب عنها بايره فخطب ابنة ملكهم فتزوجها فكف الكرج عن النهب والاغارة والقتل فكان كما قيل اغمد سيفه وسل ايره وفيها حمل الى ازبك خروف وجهه صورة آدمى وبدنه بدن خروف وكان هذا من العجائب وفيها توفى القاضى ابو محمد بن محمد المانداى الواسطى بها وفيها فى شوال توفى فخر الدين مبارك شاه بن الحسن المرورودى وكان حسن الشعر بالفارسية والعربية وله منزلة عظيمة عند غياث الدين الكبير صاحب غزنة وهراة وغيرهما وكان له دار ضيافة فيها كتب وشطرنج فالعلماء يطالعون الكتب والجهال يلعبون بالشطرنج وفيها فى ذى الحجة توفى ابو الحسن على بن على بن سعادة الفارقى الفقيه الشافعى ببغداد وبقى مدة طويلة معيدا بالنظامية وصار مدرسا بالمدرسة التى انشأتها ام الخليفة الناصر لدين الله وكان مع علمه صالحا طلب للنيابة فى القضاء ببغداد فامتنع فالزم بذلك فوليه يسيرا ثم فى بعض الايام مشى الى جامع ابن المطلب فنزل ولبس مئزر صوف غليظا وغير ثيابه وامر الوكلاء وغيرهم بالانصراف واقام به حتى سكن الطلب عنه وعاد الى داره بغير ولاية وفيها وقع الشيخ ابو موسى المكى المقيم بمقصورة جامع السلطان ببغداد من سطح الجامع فمات وكان رجلا صالحا كثير العبادة وفيها ايضا توفى العفيف ابو المكارم المفرج بن على بن مصلا البندنيجى ببغداد وكان رجلا صالحا منقطعا الى العبادة رحمه الله

(ثم دخلت سنة ثلاث وستمائة)

(ذكر ملك عباس باميان وعودها الى ابن اخيه)

فى هذه السنة ملك عباس باميان من علاء الدين وجلال الدين ولدى اخيه بهاء الدين وسبب ذلك ان عسكر باميان لما انهزموا من الدز وعادوا اليها اخبروا ان علاء الدين وجلال الدين اسروا وان الدز ومن معه غنموا ما فى ايديهم ما اخذوه برايهما المعروف

ابنوى فركب المترجم واخذ صحبته ثلاثة مدافع وتلاقى معهم وقاتلهم وهزمهم الى ان حصرهم بقرية تسمى دعوق ثم اخرجهم بالامان الى وطاقه واكرمهم وعمل لهم ضيافة ثلاثة ايام ثم ارسلهم الى عكا بغير امر الوزير ثم توجه ابراهيم باشا الى الدورة وصحبته المترجم وتركوا سليمان باشا مكانهم وخرج اسمعيل باشا من عكا واغلقت ابوابها فاتفقت عساكره وقبضوا عليه وسلموه الى ابراهيم باشا فعند ذلك برز امر ابراهيم باشا بتسليم عكا الى سليمان باشا وذهب بالمرسوم المترجم فادخله اليها ورجع الى مخدومه وذهب معه الى الدورة ثم عاد معه الى الشام وورد الامر بعزل ابراهيم باشا عن الشام وولاية عبد الله باشا المعروف بالعظم على يد باشت بغداد فخرج المترجم لملاقاته من على حلب فقلده الى باشا على جميع العسكر فلما وصل الى الشام ولاه على حوران واربد والقنيطرة ليقبض اموالها فاقام نحو السنة ثم توجه صحبة الباشا مع الحج وتلاقوا مع الوهابية فى الجديدة فحاربهم المترجم وهزمهم وحجوا واعتمروا ورجعوا ومكثوا الى السنة الثانية فخرج عبد الله باشا بالحج وابقى المترجم نائبا عنه بالشام فلما وصل الى المدينة المنورة منعه الوهابيون ورجع من غير حج ووصل خبر ذلك الى الدولة فورد الامر بعزل

بالصاحب من الاموال كثيرا ومن الجواهر وغيرها من التحف واخذ فيلا وسار الى خوارزم شاه يستنجده على الدز ليسير معه عسكرا يستخلص به صاحبيه فلما فارق باميان ورأى عمه عباس خلو البلاد منه ومن ابني اخيه جمع اصحابه وقام في البلد فملكه وصعد الى القلعة فملكها واخرج اصحاب ابني اخيه علاء الدين وجلال الدين منها فبلغ الخبر الى الوزير السائر الى خوارزم شاه فعاد الى باميان وجمع الجموع الكثيرة وحصر عباسا في القلعة وكان مطاعا في جميع مملكة بهاء الدين وولديه من بعده واقام محاصرا الا انه لم يكن معه من المال ما يقوم بما يحتاج اليه انما كان معه ما اخذه ليحمله الى خوارزم شاه فلما خلص جلال الدين من اسر الدز على ما ذكره وسار الى باميان فوصل الى ارصف وهي مدينة باميان وجاء اليه وزير ابيه الصاحب واجتمع به وسار الى القلاع وراسلوا عباسا المتغلب عليها ولاطفوه فسلم الجميع الى جلال الدين وقال انما حفظتها خوفا ان يأخذها خوارزم شاه فاستحسن فعله وعاد الى ملكه

(ذكر ملك خوارزم شاه الطالقان)

لما سلم خوارزم شاه ترمذ الى الخطا سار منها الى ميمنة واندخوي وكتب الى سونج امير شكار نائب غياث الدين محمود بالطالقان يستميله فعاد الرسول خائبا لم يجبه سونج الى ما اراد منه وجمع عسكره وخرج يحارب خوارزم شاه فالتقوا بالقرب من الطالقان فلما تقابل العسكران حمل سونج وحده منفردا حتى قارب عسكر خوارزم شاه فالقى نفسه الى الارض ورمى سلاحه عنه وقبل الارض وسال العفو فظن خوارزم شاه انه سكران فلما علم انه صاح ذمه وسبه وقال من يثق الى هذا واشباهه ولم يلتفت اليه واخذ ما بالطالقان من مال وسلاح ودواب وانفذه الى غياث الدين مع رسول وحمله رسالة تتضمن التقرب اليه والملاطفة له واستناب بالطالقان بعض اصحابه وسار الى قلاع كالوين وبيوار فخرج اليه حسام الدين علي بن ابي علي صاحب كالوين وقاتله على رؤس الجبال فارسل اليه خوارزم شاه يتهدده ان لم يسلم اليه فقال اما انا فمملوك وهذه الحصون هي امانة بيدي ولا اسلمها الا الى صاحبها فاستحسن خوارزم شاه منه هذا واثنى عليه وذم سونج ولما بلغ غياث الدين خبر سونج وتسليم الطالقان الى خوارزم شاه عظم عنده وشق عليه فسلاه اصحابه وهونوا الامر ولما فرغ خوارزم شاه من الطالقان سار الى هراة فنزل بظاهرها ولم يمكن ابن خرميل احدا من الخوارزميين ان يتطرق بالاذى الى اهلها وانما كان يجتمع منهم الجماعة بعد الجماعة فيقطعون الطريق وهذه عادة الخوارزميين ووصل رسول غياث الدين الى خوارزم شاه بالهدايا ورأى الناس عجبا وذلك ان الخوارزميين لا يذكرون غياث الدين الكبير والد هذا غياث الدين ولا يذكرون ايضا شهاب الدين اخاه وهما احيانا الا بالغوري وصاحب غزنة وكان وزير خوارزم شاه الآن مع عظم شانه وقلة هذا غياث الدين لا يذكره الا بمولانا السلطان مع ضعفه وعجزه وقلة بلاده واما ابن خرميل فانه سار من هراة في جمع من عسكر خوارزم شاه فنزل على اسفزار في صفر وكان

صاحبها

ثم خرج بنفسه الى الحج بل ارسل الاحسن عوضا عنه فمنع ايضا من الحج فلما كانت القابلة انفتح عليه امر الدورة وعصى عليه بعض البلاد فخرج اليها وحاصر بلدة تسمى كردانية ووقع له فيها مشقة كبيرة الى ان ملكها بالسيف وقتل اهلها ثم توجه الى جبل نابلس وقهرهم وجبى منهم اموالا عظيمة ثم رجع الى الشام واستقام امره وحسنت سيرته وسلك طريق العدل في الاحكام واقام الشريعة والسنة وابطل البدع والمنكرات واستتاب الخواطئ وزوجهن ونفق يفرق الصدقات على الفقراء واهل العلم والغرباء وابن السبيل وامر بترك الاسراف في المآكل والملابس وشاع خبر عدله في النواحي ولكن ثقل ذلك على اهل البلاد بترك مألوفهم ثم انه ركب الى بلاد النصيرية وقاتلهم وانتصر عليهم وسبى نساءهم واولادهم وكان خيرهم بين الدخول في الاسلام او الخروج من بلادهم فامتنعوا وحاربوا وانخذلوا وبيعت نساؤهم واولادهم فلما شاهدوا ذلك اظهروا الاسلام تقية فعفا عنهم وعمل بظاهر الحديث بتركهم في البلاد ورحل عنهم الى طرابلس وحاصرها بسبب عصيان اميرها بو باشا عن الـ[illegible] ثم اقام محاصرا لها عشرة اشهر حتى ملكها واستولى

صاحبها قد توجه الى غياث الدين فحصرها وارسل الى من بها يقسم بالله لئن سلموها ان يؤمنهم وان امتنعوا أقام عليهم الى ان يأخذهم فاذا اخذهم قهرا لا يبقى على كبير ولا صغير فخافوا فسلموها فى ربيع الاول فامنهم ولم يتعرض الى أهلها بسوء فلما اخذها ارسل الى حرب بن محمد صاحب سجستان يدعوه الى طاعة خوارزم شاه والخطبة له ببلاده فاجابه الى ذلك وكان غياث الدين قد راسله قبل ذلك فى الخطبة والدخول فى طاعته فغالطه ولم يجبه الى ما طلب ولما كان خوارزم شاه على هراة عاد اليها القاضى صاعد بن الفضل الذى كان ابن خرميل قد أخرجه من هراة فى العام الماضى وسار الى غياث الدين فعاد الآن من عنده فلما وصل قال ابن خرميل لخوارزم شاه ان هذا يميل الى الغورية ويريد دولتهم ووقع فيه فحبسه خوارزم شاه بقلعة زوزن وولى القضاء بهراة الصفى ابا بكر بن محمد السرخسى وكان ينوب عن صاعد وابنه فى القضاء بهراة

(ذكر حال غياث الدين مع الدز وايبك)

لما عاد الدز الى غزنة واسر علاء الدين واخاه جلال الدين كما ذكرناه وكتب اليه غياث الدين يطالبه بالخطبة له فاجابه فى هذه المدة اشد منه فيما تقدم فاعاد غياث الدين اليه يقول اما ان تخطب لنا واما ان تعرفنا ما فى نفسك فلما وصل الرسول بهذا احضر خطيب غزنة وامره يخطب لنفسه بعد الترحم على شهاب الدين فخطب لتاج الدين الدز بغزنة فلما سمع الناس ذلك ساءهم وتغيرت نياتهم ونيات الاتراك الذين معه ولم يروه اهلا ان يخدموه وانما كانوا يطيعونه ظنا منهم انه ينصر دولة غياث الدين فلما خطب لنفسه ارسل الى غياث الدين يقول له بماذا تشتط على وتتحكم هذه الخزانة نحن جمعناها باسيافنا وهذا الملك قد أخذته وانت قد اجتمع عندك الذين هم أساس الفتنة واقطعتهم الاقطاعات ووعدتنى بامور لم تف بها فان انت اعتقتنى خطبت لك وحضرت خدمتك فلما وصل الرسول أجابه غياث الدين الى عتق الدز بعد الامتناع الشديد والعزم على مصالحة خوارزم شاه على ما يريد وقصد غزنة ومحاربته بها فلما اجابه الى العتق اشهد عليه به واشهد عليه أيضا بعتق قطب الدين ايبك مملوك شهاب الدين ونائبه ببلاد الهند وارسل الى كل واحد منهما الف قباء والف قلنسوة ومناطق الذهب وسيوفا كثيرة وجترين ومائة رأس من الخيل وارسل الى كل واحد منهما رسولا فقبل الدز الخلع ورد الجتر وقال نحن عبيد ومماليك والجتر له اصحاب وسار رسول ايبك اليه وكان بفرشابور وقد ضبط المملكة وحفظ البلاد ومنع المفسدين من الفساد والاذى والناس معه فى امن فلما قرب الرسول منه لقيه على بعد وترجل وقبل حافر الفرس ولبس الخلعة وقال اما الجتر فلا يصلح للمماليك واما العتق فمقبول وسوف اجازيه بعبودية الابد واما خوارزم شاه فانه ارسل الى غياث الدين يطلب منه ان يتصاهرا ويطلب منه ابن خرميل صاحب هراة الى طاعته ويسير معه فى العساكر الى غزنة فاذا ملكها من الدز اقتسموا المال أثلاثا ثلثا لخوارزم شاه وثلثا لغياث الدين وثلثا للعسكر فاجابه الى ذلك

على قلعتها ونهبت منها أموال التجار وغيرهم ثم ارتحل الى دمشق واقام بها مدة فطرقه خبر الوهابية انهم حضروا الى المزيريب فبادر مسرعا وخرج الى لقائهم فلما وصل الى المزيريب وجدهم قد ارتحلوا من غير قتال فاقام هنالك اياما فوصل اليه الخبر بان سليمان باشا وصل الى الشام وملكها فعاد مسرعا الى الشام وتلاقى مع عسكر سليمان باشا وتحارب العسكران الى المساء وبات كل منهم فى محله ففى نصف الليل فى غفلتهم والمترجم نائم وعساكره ايضا هامدة فلم يشعروا الا وعساكر سليمان باشا كبستهم فحضر اليه كتخداه وايقظه من منامه وقال له ان لم تسرع والا قبضوا عليك فقام فى الحين وخرج هاربا وصحبته ثلاثة اشخاص من مماليكه فقط ونهبت امواله وبرقه وزالت عنه سيادته فى ساعة واحدة ولم يزل حتى وصل الى حماة فلم يتمكن من الدخول اليها ومنعه اهلها عنها وطردوه فذهب الى سيجر وارتحل منها الى بلدة يعمل بها البارود ومنها الى بلدة تسمى ريحة ونزل عند سعيد اغا فاقام عنده ثلاثة ايام ثم توجه الى نواحى انطاكية بصحبته جماعة من عند سعيد اغا المذكور ثم الى السويدة ولم يبق معه سوى فرس واحد ثم انه ارسل الى محمد على باشا صاحب مصر واستأذنه فى حضوره الى مصر فكاتبه بالحضور اليه والترحيب به فوصل الى مصر فى التاريخ

ولم يبق الا الصلح فوصل الخبر الى خوارزم شاه بموت صاحب مازندران فسار عن هراة الى مرو وسمع الدز بالصلح فجزع لذلك جزعا عظيما ظهر اثره عليه وارسل الى غياث الدين يقول له ما حملك على هذا فقال حملني عليه عصيانك وخلافك على فسار الدز الى تكياباذ فاخذها والى بست وتلك الاعمال فملكها وقطع خطبة غياث الدين منها وأرسل الى صاحب سجستان يامره باعادة الترحم على شهاب الدين وقطع خطبة خوارزم شاه وأرسل الى ابن خرميل صاحب هراة بمثل ذلك وتهددهما بقصد بلادهما فخافه الناس ثم ان الدز أخرج جلال الدين صاحب باميان من اسره وسير معه خمسة آلاف فارس مع ايدكز التتر مملوك شهاب الدين الى باميان ليعيدوه الى ملكه ويزيلوا ابن عمه عنه وزوجه ابنته وسار ومعه ايدكز فلما خلا به لامه على لبسه خلعة الدز وقال انتم ما رضيتم تلبسون خلعة غياث الدين وهو اكبر سنا منكم واشرف بيتا تلبس خلعة هذا المابون يعني الدز ودعاه الى العود معه الى غزنة واعلمه ان الاتراك كلهم مجمعون على خلاف الدز فلم يجبه الى ذلك فقال ايدكز فانتي لا اسير معك وعاد الى كابل وهي اقطاعه فلما وصل ايدكز الى كابل لقيه رسول من قطب الدين ايبك الى الدز يقبح له فعله ويامره باقامة خطبة غياث الدين ويخبره انه قد خطب له في بلاده ويقول له ان لم يخطب له هو ايضا بغزنة ويعود الى طاعته والا قصده وحاربه فلما علم ايدكز ذلك قويت نفسه على محاربة الدز وصمم العزم على قصد غزنة ووصل ايضا رسول ايبك الى غياث الدين بالهدايا والتحف وبشير باجابة خوارزم شاه الى ما طلب الآن وعند الفراغ من امر غزنة تسهل امور خوارزم شاه وغيره وانفذ له ذهبا ما عليه اسمه فكتب ايدكز الى ايبك يعرفه عصيان الدز على غياث الدين وما فعله في البلاد وانه على عزم مشاققة الدز وهو ينتظر امره فاعاد ايبك جوابه يامره بقصد غزنة فان حصلت له القلعة أقام بها الى ان ياتيه وان لم تحصل له القلعة وقصده الدز انحاز اليه او الى غياث الدين او يعود الى كابل فسار الى غزنة وكان جلال الدين قد كتب الى الدز يخبره خبر ايدكز وما عزم عليه فكتب الدز الى نوابه بقلعة غزنة يامرهم بالاحتياط منه فوصلها ايدكز اول رجب من السنة وقد حذروه فلم يسلموا اليه القلعة ومنعوه منها فامر أصحابه بنهب البلد فنهبوا عدة مواضع منه فتوسط القاضي الحال بان سلم اليه من الخزانة خمسين الف دينار ركنية واخذ له من التجار شيئا آخر وخطب ايدكز بغزنة لغياث الدين وقطع خطبة الدز ففرح الناس بذلك وكان مؤيد الملك ينوب عن الدز بالقلعة ووصل الخبر الى الدز بوصول ايدكز الى غزنه ووصول رسول ايبك اليه ففت في عضده وخطب لغياث الدين في تكياباذ واسقط اسمه من الخطبة فخطب له ورحل الى غزنة فلما قاربها رحل ايدكز عنها الى بلد الغور فاقام في تمران وكتب الى غياث الدين يخبره بحاله وانفذ اليه المال الذي اخذه من الخزانة ومن اموال الناس فارسل اليه خلعا واعتقه وخاطبه بملك الامراء ورد عليه المال الذي كان اخذه من الخزانة وقال له اما مال الخزانة فقد اعدناه اليك لتخرجه واما اموال التجار واهل البلد فقد ارسلته مع رسولي ليعاد الى اربابه لئلا

المذكورة الاغاه صاحب مصر ١١٤٦ واكرمه وقدم اليه خيولا وقماشا ومالا وانزله بدار واسعة بالازبكية ورتب له خروجا زائدا من لحم وخبز وسمن وارز وحطب وجميع اللوازم المحتاج اليها وانعم عليه بجوار وغير ذلك واقام بمصر هذه المدة وارسل في شانه الى الدولة وقبلت شفاعة محمد على باشا فيه ووصله العفو والرضا واعطا ولاية الشام وحصلت فيه علة ذات الصدر فكان يظهر به شبه السلعة مع الفواق بصوت يسمعه من يكون بعيدا عنه ويذهب اليه جماعة الحكماء من الافرنج وغيرهم ويطالع في كتب الطب مع بعض الطلبة من المجاورين فلم ينجع فيه علاج وانتقل الى قصر الآثار بقصد تبديل الهواء ولم يزل مقيما هناك حتى اشتد به المرض ومات في ليلة السبت العشرين من شهر ذي القعدة وحملت جنازته من الآثار الى القرافة من ناحية الخلاء ودفن بالحوش الذي أنشاه الباشا وأعده لموتاه وكانت مدة اقامته بمصر نحو الستة سنوات فسبحان الحي الذي لا يموت الدائم الملك السلطان

(ودخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائتين والف)

(استهل المحرم) بيوم الخميس وحاكم مصر والمتولي عليها وعلى ضواحيها وثغورها من حد رشيد ودمياط الى أسوان وأقصى الصعيد وبلاد الكاشف وبحر السويس وساحل القلزم وجدة ومكة والمدينة والآثار

تفتح دولتنا بالظلم وقد عوضت عنه ضعفه وارسل اموال الناس الى غزنة الى قاضى غزنة وامره ان يرد المال المتقدم الى اربابه فامتنع القاضى الحال الى الدز واشار عليه بالخطبة لغياث الدين وقال انا اسعى فى الوصلة بينكما والصلح فأمره بذلك فبلغ الخبر الى غياث الدين فارسل الى القاضى ينهاه عن المجىء اليه وقال لا تسأل فى عبد ابق قد بان فساده واتضح عناده فاقام بغزنة هو والدز وسير غياث الدين عسكرا الى ايدكز التتر فاقام معه وسير الدز عسكرا الى روين كان وهى لغياث الدين وقد اقطعها لبعض الامراء فهجموا على صاحبها فنهبوا امواله واخذوا اولاده فجاء وحده الى غياث الدين فقتضى الحال ان سار غياث الدين الى بست وتلك الولاية فاستردها واحسن الى اهلها واطلق لهم خراج سنة لما نالهم من الدز من الاذى

(ذكر وفاة صاحب مازندران والخلف بين اولاده)

فى هذه السنة توفى حسام الدين اردشير صاحب مازندران وخلف ثلاثة اولاد فملك بعده ابنه الاكبر واخرج اخاه الاوسط من البلاد فقصد جرجان وبها الملك على شاه بن خوارزمشاه تكش اخو خوارزمشاه محمد وهو ينوب عن اخيه فيها فشكا اليه ما صنع به اخوه من اخراجه من البلاد وطلب منه ان ينجده عليه ويأخذ له البلاد ليكون فى طاعته فكتب على شاه الى اخيه خوارزمشاه فى ذلك فامره بالمسير معه الى مازندران واخذ البلاد له واقامة الخطبة لخوارزمشاه فيها فساروا عن جرجان فاتفق ان حسام الدين صاحب مازندران مات فى ذلك الوقت وملك البلاد بعده اخوه الاصغر واستولى على القلاع والاموال فوصل على شاه البلاد ومعه صاحب مازندران فنهبوها وخربوها وامتنع منهم الاخ الصغير بالقلاع واقام بقلعة كورا وهى التى فيها الاموال والذخائر وحصره فيها بعد ان ملكوا سائر البلاد مثل سارية وآمل وغيرهما من البلاد والحصون وخطب لخوارزمشاه فيها جميعها فصارت فى طاعته وعاد على شاه الى جرجان واقام ابن ملك مازندران فى البلاد مالكها جميعها سوى القلعة التى فيها اخوه الاصغر وهو يراسله ويستميله ويستعطفه واخوه لا يرد جوابا ولا ينزل عن حصنه

(ذكر ملك غياث الدين كيخسرو مدينة انطاكية)

فى هذه السنة ثالث شعبان ملك غياث الدين كيخسرو صاحب قونية وبلد الروم مدينة انطاكية بالامان وهى للروم على ساحل البحر وسبب ذلك انه كان حصرها قبل هذا التاريخ واطال المقام عليها وهدم عدة ابراج من سورها ولم يبق الا فتحها عنوة فارسل من بها من الروم الى الفرنج الذين بجزيرة قبرس وهى قريبة منها فاستنجدوهم فوصل اليها جماعة منهم فعند ذلك يئس غياث الدين منها ورحل عنها وترك طائفة من عسكره بالقرب منها بالجبال التى بينها وبين بلاده وامرهم بقطع الميرة عنها فاستمر الحال على ذلك مدة حتى ضاق باهل البلد واشتد الامر عليهم فطلبوا من الفرنج الخروج لدفع المسلمين عن مضايقتهم فظن الفرنج ان الروم يريدون اخراجهم من المدينة بهذا السبب فوقع

الحجازية بأسرها محمد على باشا القوللى ووزيره وكتخداه محمد أغا لاظ والدفتردار محمد بك صهر الباشا وزوج ابنته وأغات الباب ابراهيم اغا ومدبر امور البلاد والاطيان والرزق والمساحات وقبض الاموال الميرية وحساباتها ومصارفها محمود بك الخازندار والسلحدار سليمان اغا وحاكم الوجه القبلى محمد بك الدفتردار صهر الباشا وعوض ابراهيم باشا ولد الباشا لانفصاله عن امارة الوجه القبلى وسفره الى الحجاز آنفا لمحاربة الوهابيين وباقى امراء الدولة مثل عابدين بك واسمعيل باشا ابن الباشا وخليل باشا وهو الذى كان حاكم الاسكندرية سابقا وشريف اغا وحسين بك والى باشا وحسين بك الشماشرجى وحسن بك الشماشرجى الذى كان حاكما بالفيوم وغير هؤلاء وحسن اغا اغات الينكجرية وواحد اغا اغات التبديل وعلى اغا الوالى وكاتب الروزنامه مصطفى افندى وحسن باشا بالديار الحجازية وشاه بندر التجار السيد محمد المحروقى وهو المتعين لمهمات الاسفار وقوافل العربان ومخاطبتهم وملاقاة الاخبار الواصلة من الديار الحجازية والمتوجه اليها واجر المحمول وشحنة السفن ولوازم الصادرين والواردين والمتسببين والمقيمين والراحلين والمتعهد بجميع فرق القبائل والعشائر وغوائلهم ومحاكاتهم وارغابهم وارهابهم وسياستهم على اختلاف اخلاقهم وطباعهم وهو المتعين ايضا

الخلاف بينهم فاقتتلوا فارسل الروم الى المسلمين وطلبوهم ليسلموا اليهم البلد فوصلوا اليهم واجتمعوا معهم على قتال الفرنج فانهزم الفرنج ودخلوا الحصن فاعتصموا به فارسل المسلمون يطلبون غياث الدين وهو بمدينة قونية فسار اليه مجدا في طائفة من عسكره فوصلها ثانى شعبان وتقرر الحال بينه وبين الروم وتسلم المدينة ثالثه وحصر الحصن الذى فيه الفرنج وتسلمه وقتل كل من كان به من الفرنج

(ذكر عزل ولد بكتمر صاحب خلاط وملك بلبان ومسير صاحب ماردين الى خلاط وعوده)

وفى هذه السنة قبض عسكر خلاط على صاحبها ولد بكتمر وملكها بلبان مملوك شاه ارمن بن سكمان وكتب اهل خلاط الى ناصر الدين ارتق بن ايلغازى بن البى بن تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق يستدعونه اليها وسبب ذلك ان ولد بكتمر كان صبيا جاهلا فقبض على الامير شجاع الدين قتلغ مملوك من مماليك شاه ارمن وهو كان اتابكه ومدبر بلاده وكان حسن السيرة مع الجند والرعية فلما قتله اختلفت الكلمة عليه من الجند والعامة واشتغل هو باللهو واللعب وادمان الشرب فكاتب جماعة من اهل خلاط وجماعة من الجند ناصر الدين صاحب ماردين يستدعونه اليهم وانما كاتبوه دون غيره من الملوك لان اباه قطب الدين ايلغازى كان ابن اخت شاه ارمن بن سكمان وكان شاه ارمن قد حلف له الناس فى حياته لانه لم يكن له ولد فلما تجددت بعده هذه الحادثة تذكروا تلك الايمان وقالوا نستدعيه ونملكه فانه من اهل شاه ارمن فكاتبوه وطلبوه اليهم ثم ان بعض مماليك شاه ارمن اسمه بلبان وكان قد جاهر ولد بكتمر بالعداوة والعصيان سار من خلاط الى ملازكرد وملكها واجتمع الاجناد عليه وكثر جمعه وسار الى خلاط فملكها واتفق وصول صاحب ماردين اليها وهو يظن ان احدا لا يمتنع عليه ويسلمون اليه المدينة فنزل قريبا من خلاط عدة ايام فارسل اليه بلبان يقول له ان اهل خلاط قد اتهموك بالميل اليك وهم ينفرون من العرب والرأى انك ترحل عائدا مرحلة واحدة وتقيم فاذا تسلمت البلد سلمته اليك لانى لا يمكننى ان املكه انا ففعل صاحب ماردين ذلك فلما ابعد عن خلاط ارسل اليه يقول له تعود الى بلدك والا جئت اليك واوقعت بك وبمن معك وكان فى قلة من الجيش فعاد الى ماردين وكان الملك الاشرف موسى بن العادل ابى بكر بن ايوب صاحب حران وديار الجزيرة قد ارسل الى صاحب ماردين لما سمع انه يريد قصد خلاط يقول له ان سرت الى خلاط قصدت بلدك وانما خاف ان يملك خلاط فيقوى عليهم فلما سار الى خلاط جمع الاشرف العساكر وسار الى ولاية ماردين فاخذ دخلها واقام بدنيسر حتى تجبى الاموال اليه فلما فرغ منه عاد الى حران فكان مثل صاحب ماردين كما قيل خرجت تطلب قرنين عادت بلا اذنين واما بلبان فانه جمع العسكر وحشد وحصر خلاط وضيق على اهلها وبها ولد بكتمر فجمع من عنده بالبلد من الاجناد والعامة وخرج اليه

فصل قضايا التجار والباعة وارباب الحرف البلدية وفصل خصوماتهم ومشاجراتهم وتاديب المتصرفين منهم والنصابين وبعوثات الباشا ومراسلاته ومكاتباته وتجاراته وشركاته وابتداعاته واجتهاده فى تحصيل الاموال من كل وجه واى طريق ومتابعة توجيه السرايا والعساكر والذخائر الى نواحى الحجاز للاغارة على بلاد الوهابية واخذ الدرعية مستمر لا ينقطع والعرضى منصوب خارج باب النصر وباب الفتوح واذا ارتحلت طائفة خرجت اخرى مكانها (وفيه) سومحت ارباب الحرف والباعة والزياتون والجزارون والحضرية والخبازون ونحوهم من المسانهات والمشاهرات واليوميات الموظفة عليهم للمحتسب ونودى برفعها امام المحتسب فى الاسواق وعوض المحتسب عنها خمسة اكياس فى كل شهر يستوفيها من الخزينة العامرة وعملوا تسعيرا بترخيص اسعار المبيعات بدلا عما كانوا يغرمونه للمحتسب ولكن من غير مراعاة النسبة والمعادلة فى غالب الاصناف فان العادة عند اقبال وجود الفاكهة او الخضراوات تباع باغلى ثمن لعزتها وقلتها حينئذ وشهوة الطباع واشتياق النفوس لجديد الاشياء وزهدها فى القديم الذى تكرر استمراره وتعاطيه كما يقال لكل جديد لذة فلم يراعوا ذلك ولم ينظروا الى اصول الاشياء

فالتقوا فانهزم بلبان ومن معه من بين يديه وعاد الى الذي بيده من البلاد وهو ملازكرد وارجيش وغيرهما من الحصون وجمع العساكر واستكثر منها وعاود حصار خلاط وضيق على أهلها فاضطرهم الى خذلان ولد بكتمر لصغره وجهله بالملك واشتغاله بلهوه ولعبه ثم قبضوا عليه في القلعة وأرسلوا الى بلبان وحلفوه على ما أرادوا وسلموا اليه البلد وابن بكتمر واستولى على جميع اعمال خلاط وسجن ابن بكتمر في قلعة هناك واستقر ملكه فسبحان من اذا أراد امرا هيأ اسبابه بالامس يقصدها شمس الدين محمد ابن البهلوان وصلاح الدين يوسف بن ايوب فلم يقدر واحد منهما عليها والآن يقهر هذا المملوك العاجز القاصر عن الرجال والبلاد والاموال فيملكها بأسهل سعي واعفوا ثم ان نجم الدين ايوب بن العادل صاحب ميافارقين سار نحو ولاية خلاط وكان قد استولى على عدة حصون من اعمالها منها حصن موش ومدينته فلما قارب خلاط أظهر له بلبان العجز عن مقابلته فطمع وا وغل في القرب فأخذه بلبان الطريق وقاتله فهزمه ولم يفلت من اصحابه الا القليل وهم جرحى وعاد الى ميافارقين

(ذكر ملك الكرج مدينة قرس وموت ملكة الكرج)

في هذه السنة ملك الكرج حصن قرس من اعمال خلاط وكانوا قد حصروه مدة طويلة وضيقوا على من فيه واخذ وادخل الولاية عدة سنين وكل من نزل خلاط لا ينجدهم ولا يسعى في راحة تصل اليهم وكان الوالي بها يواصل رسله في طلب النجدة وازاحة من عليه من الكرج فلا يجاب له دعاء فلما طال الامر عليه ورأى ان لا ناصر له صالح الكرج على تسليم القلعة على مال كثير واقطاع يأخذه منهم وصارت دار شرك بعد ان كانت دار توحيد فانا لله وانا اليه راجعون ونسال الله ان يسهل للاسلام واهله نصرا من عنده فان ملوك زماننا قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم وظلمهم عن سد الثغور وحفظ البلاد ثم ان الله تعالى نظر الى قلة ناصر الاسلام فتولى فماتت ملكة الكرج واختلفوا فيما بينهم وكفى الله شرهم الى آخر السنة

(ذكر الحرب بين عسكر الخليفة وصاحب كرستان)

في هذه السنة في رمضان سار عسكر الخليفة من خوزستان مع مملوكه سنجر وهو كان المتولي لتلك الاعمال وليها بعد ورت طاشتكين امير الحاج لانه زوج ابنة طاشتكين الى جبال كرستان وصاحبها يعرف بابي طاهر وهي جبال منيعة بين فارس واصبهان وخوزستان فقاتلوا اهلها وعادوا منهزمين وسبب ذلك ان مملوكا للخليفة الناصر لدين الله اسمه قشتمر من اكابر مماليكه كان قد فارق الخدمة لتقصير رآه من الوزير نصير الدين العلوي الرازي واجتاز بخوزستان وأخذ منها ما أمكنه ولحق بابي طاهر صاحب كرستان فاكرمه وعظمه وزوجه ابنته ثم توفي ابو طاهر فقوي امر قشتمر واطاعه اهل تلك الولاية فامر سنجر بجمع العساكر وقصده وقتاله ففعل سنجر ما امر به وجمع العساكر وسار اليه فارسل قشتمر يعتذر ويسال ان لا يقصده ويخرج الى

ايضا فان غالب الاصناف داخل في المكرات وزيادة المكوس الحادثة في هذه السنين وما يضاف الى ذلك من طمع الباعة والسوقة وغشهم وقبحهم وعدم ديانتهم وخبث طباعهم فلما نودي بذلك وسمع الناس رخص المبيعات ظنوا بغفلتهم حصول الرخاء ونزلوا على المبيعات مثل الكلاب السعرانة وخطفوا ما كان بالاسواق بموجب التسعيرة من اللحم وأنواع الخضراوات والفاكهة والادهان فلما اصبح اليوم الثاني لم يوجد بالاسواق شئ من ذلك واغلقت الفكهانية حوانيتهم واخفوا ما عندهم وطفقوا يبيعونه خفية وفي الليل بالثمن الذي يرتضونه والمحتسب يكثر الطواف بالاسواق ويتجسس عليهم ويقبض على من اغلق حانوته او وجد هاخلية او عثر عليه انه باع بالزيادة وينكل بهم ويسحبهم مكشوفين الرؤس مشنوقين وموثقين بالحبال ويضربهم ضربا مؤلما ويصلبهم بمفارق الطرق مخزومين الانوف ومعلق فيها النوع المزاد في ثمنه فلم يرتجعوا عن عادتهم ثم ان هذه المناداة والتسعيرة ظاهرها الرفق بالرعية ورخص الاسعار وباطنها المكر والتحيل والتوصل لما سيظهر بعد من قريب وذلك ان ولي الامر لم يكن له من الشغل الا صرف همته وعقله وفكره في تحصيل المال والمكاسب وقطع ارزاق المسترزقين وتحجير الاحتكار بجميع الاسباب

الخروج من العبودية فلم يقبل عذره فجمع اهل تلك الاعمال ونزل الى العسكر فلقيهم فهزمهم وارسل الى صاحب فارس بن دكلا وشمس الدين ايتغمش صاحب اصبهان وهمذان والري يعرفهما الحال و يقول انني لا قوة لي بعسكر الخليفة لما اضيف اليهم عساكر اخرى من بغداد وعادوا الى حربي وحينئذ لا اقدر بهم وطلب منهما النجدة وخوفهما من عسكر الخليفة ان ملك تلك الجبال فاجاباه الى ما طلب فقوي جنانه واستمر على حاله

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قتل صبي صبيا آخر ببغداد وكانا يتعاشران وعمر كل واحد منهما يقارب عشر سنين فقال احدهما للآخر الساعة اضربك بهذه السكين يمازحه بذلك واهوى نحوه بها فدخلت في جوفه فمات فهرب القاتل ثم اخذ وامر به ليقتل فلما ارادوا قتله طلب دواة وبيضاء وكتب فيها من قوله

تقدمت على الكريم بغير زاد * من الاعمال بل قلب سليم
وسوء الظن ان تعتد زادا * اذا كان القدوم على كريم

وفيها حج برهان الدين صدر جهان محمد بن احمد بن عبد العزيز بن مازة البخاري رئيس الحنفية ببخارا وهو كان صاحبها على الحقيقة يؤدي الخراج الى الخطا وينوب عنهم في البلد فلما حج لم تحمد سيرته في الطريق ولم يصنع معروفا وكان قد اكرم ببغداد عند قدومه من بخارا فلما عاد لم يلتفت اليه لسوء سيرته مع الحاج وسماه الحجاج صدر جهنم وفيها في شوال مات شيخنا ابو الحرم مكي بن ريان بن شبة النحوي المقري بالموصل وكان عارفا بالنحو واللغة والقراآت لم يكن في زمانه مثله وكان ضريرا وكان يعرف سوى هذه العلوم من الفقه والحساب وغير ذلك معرفة حسنة وكان من خيار عباد الله وصالحيهم كثير التواضع لا يزال الناس يشتغلون عليه من بكرة الى الليل وفيها فارق امير الحاج مظفر الدين سنقر مملوك الخليفة المعروف بوجه السبع الحاج بموضع يقال له المرخوم ومضى في طائفة من اصحابه الى الشام وسار الحاج ومعهم الجند فوصلوا سالمين ووصل هو الى الملك العادل ابي بكر بن ايوب فاقطعه اقطاعا كثيرا بمصر واقام عنده الى ان عاد الى بغداد سنة ثمان وستمائة في جمادى الاولى فانه لما قبض الوزير امن على نفسه وارسل يطلب العود فاجيب اليه فلما وصل اكرمه الخليفة واقطعه الكرفة وفيها في جمادى الآخرة توفي ابو الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز الاسكندراني المعروف بابن النطروني في مارستان بغداد وكان قد مضى الى الميورقي في رسالة بافريقية فحصل له منه عشرة آلاف دينار مغربية ففرقها جميعها في بلده على معارفه واصدقائه وكان فاضلا خيرا نعم الرجل رحمه الله وله شعر حسن وكان فهما بعلم الادب واقام بالموصل مدة واشتغل على الشيخ ابي الحرم واجتمعت به كثيرا عند الشيخ ابي الحرم رحمه الله

ولا يتقرب اليه من يريده الا بمساعدته على مراداته ومقاصده ومن كان بخلاف ذلك فلا حظ له معه مطلقا
ومن تجاسر عليه من الوجهاء بنصح او فعل مناسب ولو على سبيل التشفع حقد عليه وربما اقصاه وابعده وعاداه معاداة من لا يصفو ابدا وعرفت طباعه واخلاقه في دائرته وبطانته فلم يمكنهم الا الموافقة والمساعدة في مشروعاته اما رهبة او خوفا على سياداتهم ورياساتهم ومناصبهم واما رغبة وطمعا في توصل للرياسة والسيادة وهم الاكثر خصوصا اعداء الملة من نصارى الارمن وامثالهم الذين هم الآن اخصاء حضرته ومجالسته وهم شركاؤه في انواع المتاجر وهم اصحاب الرأي والمشورة وليس لهم شغل ودرس الا في تربية ثروتهم ووجاهتهم عند مخدومهم وموافقة اغراضه وتحسين مخترعاته وربما ذكروه ونبهوه على اشياء تركها وغفل عنها من المبتدعات وما يتحصل منها من المال والمكاسب التي يسترزقها ارباب تلك الحرفة لمعاشهم ومصاريف عيالهم ثم يقع الفحص على اصل الشيء وما يتفرع منه وما يؤول اذا احكم امره وانتظم ترتيبه وما يتحصل منه بعد التسعير الذي يجعلونه مصاريف الكتبة والمباشرين ثم تبرز مبادئه في قالب العدل والرفق بالرعية والمساواة الالتفات الى أمر

ثم

المذابح والسلخانه ومايحصل منها وما يكتسبه الموظفون فيها فاول ما بدؤا به ابطال جميع المذابح التي بجهات مصر والقاهرة وبولاق خلاف السلخانه السلطانية التي خارج الحسينية وتولى رياستها شخص من الاتراك ثم سعرت هذه التسعيرة بجعل الرطل الذي يبيعه القصاب بسبعة انصاف فضة وثمنه على القصاب من المذبح ثمانية انصاف ونصف وكان يباع قبل هذه التسعيرة بالزيادة الفاحشة فشح وجود اللحم واغلقت حوانيت الجزارين وخسروا في شراء الاغنام وذبحها وبيعها بهذا السعر وانهي امر شحة اللحم الى ولي الامر وان ذلك من قلة المواشي وغلو اثمان مشترواتها على الجزارين وكثرة رواتب الدولة والعساكر واشيع انه امر بمراسيم الى كشاف الاقاليم قبلي وبحري بشراء الاغنام من الارياف لخصوص رواتبه ورواتب العسكر والخاصة واهل الدولة ويترك ما يذبحه جزارو المذبح لاهل البلدة وعند ذلك ترخص الاسعار ثم تبين خلاف ذلك وان هذه الاشاعة توطئة وتقدمة لما سيتلى عن قريب (وفي منتصفه) وصلت اغنام وعجول وجواميس من الارياف هزيلة وازدادت باقامتها هزالا من الجوع وعدم مراعاتها فذبحوا منها بالمذابح اقل من المعتاد ووزعت على الجزارين فيخص الشخص منهم الاثنان او الثلاثة فعند

(ثم دخلت سنة اربع وستمائة)

(ذكر ملك خوارزمشاه ما وراء النهر وما كان بخراسان من الفتن واصلاحها)

في هذه السنة عبر علاء الدين محمد بن خوارزمشاه نهر جيحون لقتال الخطا وسبب ذلك ان الخطا كانوا قد طالت ايامهم ببلاد تركستان وما وراء النهر وثقلت وطأتهم على اهلها ولهم في كل مدينة نائب يجبي اليهم الاموال وهم يسكنون الخركاهات على عادتهم قبل ان يملكوا وكان مقامهم بنواحي اوزكند وبلاساغون وكاشغر وتلك النواحي فاتفق ان سلطان سمرقند وبخارا ويلقب خان خانان يعني سلطان السلاطين وهو من اولاد الخانية عريق النسب في الاسلام والملك انف وضجر من تحكم الكفار على المسلمين فارسل الى خوارزمشاه يقول له ان الله عز وجل قد اوجب عليك بما اعطاك من سعة الملك وكثرة الجنود ان تستنقذ المسلمين وبلادهم من ايدي الكفار وتخلصهم مما يجري عليهم من التحكم في الاموال والابشار ونحن نتفق معك على محاربة الخطا ونحمل اليك ما نحمله اليهم ونذكر اسمك في الخطبة وعلى السكة فاجابه الى ذلك وقال اخاف انكم لا توفون لي فسير اليه صاحب سمرقند وجوه اهل بخارا وسمرقند بعد ان حلفوا صاحبهم على الوفاء بما تضمنه وضمنوا عنه الصدق والثبات على ما بذل وجعلوا عنده رهائن فشرع في اصلاح امر خراسان وتقرير قواعدها فولى اخاه علي شاه طبرستان مضافة الى جرجان وامره بالحفظ والاحتياط وولى الامير كزلك خان وهو من اقارب امه واعيان دولته نيسابور وجعل معه عسكرا وولى الامير جلدك مدينة الجام وولى الامير امين الدين ابا بكر مدينة زوزن وكان هذا امين الدين جمالا ثم صار اكبر الامراء وهو الذي ملك كرمان على ما نذكره ان شاء الله تعالى وقرر الامير الحسين على هراة وجعل معه فيها الف فارس من الخوارزمية وصالح غياث الدين محمودا على ما بيده من بلاد الغور وكرمسير واستناب في مرو وسرخس وغيرهما من خراسان نوابا وامرهم بحسن السياسة والحفظ والاحتياط وجمع عساكره جميعها وسار الى خوارزم وتجهز منها وعبر جيحون واجتمع بسلطان سمرقند وسمع الخطا فحشدوا وجمعوا وجاؤا اليه فجرى بينهم وقعات كثيرة ومغاورات فتارة له وتارة عليه

(ذكر قتل ابن خرميل وحصر هراة واسر خوارزمشاه وخلاصه)

ثم ان ابن خرميل صاحب هراة رأى سوء معاملة عسكر خوارزمشاه للرعية وتعديهم الى الاموال فقبض عليهم وحبسهم وبعث رسولا الى خوارزمشاه يعتذر ويعرفه ما صنعوا فعظم عليه ولم يمكنه معاقبته لاشتغاله بقتال الخطا فكتب اليه يستحسن فعله ويأمره بانفاذ الجند الذين قبض عليهم لحاجته اليهم وقال له اني قد امرت عز الدين جلدك بن طغرل صاحب الجام ان يكون عندك لما اعلمه من عقله وحسن سيرته وارسل الى جلدك يأمره بالمسير الى هراة وامره ان يحتال في القبض على حسين بن خرميل ولو اول ساعة يلقاه فسار جلدك في الفي فارس وكان ابوه طغرل ايام السلطان

وعبروا اليها بهراة فهوالها بالاشواق يختارها على جميع خراسان فلما قارب هراة امر ابن خرميل الناس بالخروج لتلقيه وكان الحسين وزير يعرف بخواجه الصاحب وكان كبيرا قد حنكته التجارب فقال لابن خرميل لاتخرج الى لقائه ودعه يدخل اليك منفردا فانني اخاف ان يغدر بك وان يكون خوارزمشاه امره بذلك فقال لايجوز ان يقدم مثل هذا الامير ولا القيه واخاف ان يضغن ذلك على خوارزمشاه وما اظنه يتجاسر على فخرج اليه الحسين بن خرميل فلما بصر كل واحد منهما بصاحبه ترجل للالتقاء وكان جلدك قد امر اصحابه بالقبض عليه فاختلطوا بهما وحالوا بين ابن خرميل واصحابه وقبضوا عليه فانهزم اصحابه ودخلوا المدينة واخبروا الوزير بالحال فامر باغلاق الباب والطلوع الى الاسوار واستعد للحصار ونزل جلدك على البلد وارسل الى الوزير يبذل له الامان ويتهدده ان لم يسلم البلد بقتل ابن خرميل فنادى الوزير بشعار غياث الدين محمود الغورى وقال لجلدك لا اسلم البلد اليك ولا الى الغادر ابن خرميل وانما هو لغياث الدين ولابيه قبله فقدموا ابن خرميل الى السور فخاطب الوزير وامره بالتسليم فلم يفعل فقتل ابن خرميل وهذه عاقبة الغدر فقد تقدم من اخباره عند شهاب الدين الغورى مايدل على غدره وكفرانه الاحسان ممن احسن اليه فلما قتل ابن خرميل كتب جلدك الى خوارزمشاه بجلية الحال فانفذ خوارزمشاه الى كزلك خان والى نيسابور والى امين الدين ابى بكر صاحب زوزن يامرهما بالمسير الى هراة وحصارها واخذها فسارا في عشرة آلاف فارس فنزلوا على هراة وراسلوا الوزير بالتسليم فلم يلتفت اليهم وقال ليس لكم من المحل مايسلم اليكم مثل هراة لكن اذا وصل السلطان خوارزمشاه سلمتها اليه فقاتلوه وجدوا في قتاله فلم يقدروا عليه وكان ابن خرميل قد حصن هراة وعمل لها اربعة اسوار محكمة وحفر خندقها وشحنها بالميرة فلما فرغ من كل ما اراد قال بقيت اخاف على هذه المدينة شيئا واحدا وهو ان تسكر المياه التي لها اياما كثيرة ثم ترسل دفعة واحدة فتغرق اسوارها فلما حصرها هؤلاء سمعوا قول ابن خرميل فسكروا المياه حتى اجتمعت كثيرا ثم اطلقوه على هراة فاحاطت بها ولم تصل الى السور لان ارض المدينة مرتفعة فامتلأ الخندق ماء وصار حولها وحلا فانتقل العسكر عنهم ولم يمكنهم القتال لبعدهم عن المدينة وهذا كان قصد ابن خرميل ان يمتلئ الخندق ماء ويمنع الوحل من القرب من المدينة فاقام مدة حتى نشف الماء فكان قول ابن خرميل من احسن الحيل ونعود الى قتال خوارزمشاه الخطا واسره واما خوارزمشاه فانه دام القتال بينه وبين الخطا في بعض الايام اقتتلوا واشتد القتال ودام بينهم ثم انهزم المسلمون هزيمة قبيحة واسر كثير منهم وقتل كثير وكان من جملة الاسرى خوارزمشاه وامير معه امير كبير يقال له فلان بن شهاب الدين مسعود واسرهما رجل واحد ووصلت العساكر الاسلامية الى خوارزم ولم يروا السلطان معهم فارسلت اخت كزلك خان صاحب نيسابور وهو يحاصر هراة واعلمته الحال فلما اتاه الخبر سار عن هراة ليلا الى نيسابور واحس به الامير امين الدين ابو بكر صاحب زوزن فاراد

هو

مايصل الى حانوته وهو مثل الحرامى فيقتاطفها العساكر التى بتلك الخطة وتزدحم الناس فلا ينوبهم شئ وتذهب في لمح البصر ثم امتنع وجودها واستمر الحال والناس لايجدون مايخبزونه لعيالهم وكذلك امتنع وجود الخضراوات فكان الناس لايحصلون القوت الابغاية المشقة واقتاتوا بالفول المصلوق والعدس والبصار ونحو ذلك وانعدم وجود السمن والزيت والشيرج وزيت البزر وزيت القرطم لاحتكارها لجهة الميرى واغلقت المعاصر والسيارج وامتنع وجود الشمع العسل والشمع المصنوع من الشحم لاحتكار الشحم والحجز على عمال الشمع فلا يصنعه الشماعون ولاغيرهم ونودى على بيع الموجود منه باربعة وعشرين نصفا وكان يباع بثلاثين واربعين فاخفوه وطفقوا يبيعونه خفية بما احبوا وانعدم وجود بيض الدجاج لجعلهم العشرة منه باربعة انصاف وكان قبل المناداة اثنان بنصف وكل ذلك والمحتسب يطوف بالاسواق والشوارع ويشدد على الباعة ويؤلمهم بالضرب والتجريس وفقد وجود الدجاج فلا يكاد يوجد بالاسواق دجاجة لانه نودى على الدجاجة باثني عشر نصفا وكان الثمن عنها قبل ذلك خمسة وعشرين فاكثر (واستهل شهر صفر الخير سنة ١٢٣٢)ه

هو ومن عنده من الامراء منه مخافة ان يجرى بينهم حرب يضمحل بسببها اهل هراة فهم يخرجون اليهم فيبلغون منهم ما يريدونه فامسكوا عن معارضته وكان خوارزمشاه قد خرب سور نيسابور لما ملكها من الغورية فشرع كزلك خان يعمره وادخل اليها الميرة واستكثر من الجند وعزم على الاستيلاء على خراسان ان صح فقد السلطان و بلغ خبر عدم السلطان الى اخيه على شاه وهو بطبرستان فدعا الى نفسه وقطع خطبة اخيه واستعد لطلب السلطنة واختلطت خراسان اختلاطا عظيما واما السلطان خوارزمشاه فانه لما اسر قال له ابن شهاب الدين مسعود يجب ان تدع السلطنة فى هذه الايام وتصير خادما لعلى احتال فى خلاصك فشرع يخدم ابن مسعود و يقدم له الطعام ويخلع ثيابه وخفه و يعظمه فقال الرجل الذى اسرهما لابن مسعود ارى هذا الرجل يعظمك فمن انت فقال انا فلان وهذا غلامى فقام اليه واكرمه وقال لولا ان القوم عرفوا بك لاطلقتك ثم تركه اياما فقال له ابن مسعود انى اخاف ان يرجع المنهزمون فلا يرانى اهلى معهم فيظنون انى قتلت فيعملون العزاء والمأتم وتضيق صدورهم لذلك ثم يقتسمون مالى فاهلك واحب ان تقرر على شيئا من المال حتى احمله اليك فقرر عليه مالا وقال له اريد ان تأمر رجلا عاقلا يذهب بكتابى الى اهلى ويخبرهم بعافيتى ويحضر معه من يحمل المال ثم قال ان اصحابكم لا يعرفون اهلنا ولكن هذا غلامى اثق به و يصدقه اهلى فاذن له الخطائى بانفاذه فسيره وارسل معه الخطائى فرسا وعدة من الفرسان يحمونه فساروا حتى قاربوا خوارزم وعاد الفرسان عن خوارزمشاه ووصل خوارزمشاه الى خوارزم فاستبشر به الناس وضربت البشائر وزينوا البلد واتته الاخبار بما صنع كزلك بنيسابور وبما صنع اخوه على شاه بطبرستان

●(ذكر ما فعله خوارزمشاه بخراسان)●

لما وصل خوارزمشاه الى خوارزم اتته الاخبار بما فعله كزلك خان واخوه على شاه وغيرهم فسار الى خراسان وتبعته العساكر فتقطعت ووصل هو اليها فى اليوم السادس ومعه ستة فرسان و بلغ كزلك خان وصوله فاخذ امواله وعساكره وهرب نحو العراق و بلغ اخاه على شاه خبره فخافه وسار على طريق قهستان ملتجئا الى غياث الدين محمود الغورى صاحب فيروزكوه فتلقاه واكرمه وانزله عنده واما خوارزمشاه فانه دخل نيسابور واصلح امرها وجعل فيها نائبا وسار الى هراة فنزل عليها مع عسكره الذين يحاصرونه واحسن الى اولئك الامراء ووثق بهم لانهم صبروا على تلك الحال ولم يتغيروا ولم يبلغوا من هراة غرضا لحسن تدبير ذلك الوزير فارسل خوارزمشاه الى الوزير يقول له انك وعدت عسكرى انك تسلم المدينة اذا حضرت وقد حضرت فسلم فقال لا افعل لانى اعرف انكم غدارون لا تبقون على احد ولا اسلم البلد الا الى غياث الدين محمود فغضب خوارزمشاه من ذلك وزحف اليه بعساكره فلم يكن فيه حيلة فاتفق جماعة من اهل هراة وقالوا اهلك الناس من الجوع والقلة وقد تعطلت علينا معايشنا وقد مضى سنة وشهر وكان الوزير يعد بتسليم البلد الى خوارزمشاه اذا وصل اليه وقد حضر خوارزمشاه

فيه حضر المعلم غالى من الجهة القبلية ومعه كاتبات من جهة بلاد الدفتردار الذى تولى امارة الصعيد عوضا عن ابراهيم باشا ابن الباشا الذى توجه الى البلاد الحجازية لمحاربة الوهابية يذكر فيها نصح المعلم غالى وسعيه فى فتح ابواب تحصيل الاموال للخزينة وانه ابتكر اشياء وحسابات يحصل منها مقادير كثيرة من المال فقوبل بالرضا والاكرام وخلع عليه الباشا واختص به وجعله كاتب سره ولازم خدمته واخذ فيما ندب اليه وحضر لاجله التى منها حسابات جميع الدفاتر واقلام المبتدعات ومباشريها وحكام الاقاليم (وفيه) تجردت عدة عساكر ترك ومغاربة الى الحجاز وصحبتهم ارباب صنائع وحرف (وفيه) ارسل الباشا الى بندر السويس اخشابا وادوات عمارة و بلاطا كذان وحديدا وصناعا بقصد عمارة قصر مخصوص اذا نزل هنالك

●(واستهل شهر ربيع الاول سنة ١٢٣٢)●

فيه شحت المبيعات والغلال والادهان وغلا سعر الحبوب وقل وجودها فى الرقع والسواحل فكان الناس لا يحصلون شيئا منها الا بغاية المشقة (وفيه) عزل الباشا حكام الاقاليم والكشاف ونوابهم وطلبهم للحضور وامر بحسابهم وما اخذوه من الفلاحين زيادة على ما فرضه لهم وارسل من قبله اشخاصا فى تشير للفحص والتجسس على ماعسى يكون اخذوه

ولم يسلم ويجب ان يحتال فى تسليم البلد والخلاص من هذه الشدة التى نحن فيها فانتهى ذلك الى الوزير فبعث اليهم جماعة من عسكره وأمرهم بالقبض عليهم فمضى الجند اليهم فثارت فتنة فى البلد عظم خطبها فاحتاج الوزير الى تداركها بنفسه فمضى لذلك فكتب من البلد الى خوارزمشاه بالخبر وزحف الى البلد واهله مختلطون فخربوا برجين من السور ودخلوا البلد فملكوه وقبضوا على الوزير فقتله خوارزمشاه وملك البلد وذلك سنة خمس وستمائة واصلح حاله وسلمه الى خاله امير ملك وهو من اعيان امرائه فلم تزل بيده حتى هلك خوارزمشاه واما ابن شهاب الدين مسعود فانه اقام عند الخطا مدة فقال له الذى استأسره يوما ان خوارزمشاه قد عدم فاى شئ عندك من خبره فقال له اما تعرفه قال لا قال هو اسيرك الذى كان عندك فقال لم لا عرفتنى حتى كنت اخدمه واسير بين يديه الى مملكته قال خفتكم عليه فقال الخطائى سر بنا اليه فسارا اليه فاكرمهما واحسن اليهما وبالغ فى ذلك

﴿ذكر قتل غياث الدين محمود﴾

لما سلم خوارزمشاه هراة الى خاله امير ملك وسار الى خوارزم أمره ان يقصد غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد بن سام الغورى صاحب الغور وفيروزكوه وان يقبض عليه وعلى اخيه على شاه بن خوارزمشاه و يأخذ فيروزكوه من غياث الدين فسار امير ملك الى فيروزكوه وبلغ ذلك الى محمود فارسل يبذل الطاعة ويطلب الامان فاعطاه ذلك فنزل اليه محمود فقبض عليه امير ملك وعلى على شاه اخى خوارزمشاه فسألاه ان يحملهما الى خوارزمشاه ليرى فيهما رايه فارسل الى خوارزمشاه يعرفه الخبر فامره بقتلهما فقتلا فى يوم واحد واستقامت خراسان كلها لخوارزمشاه وذلك سنة خمس وستمائة ايضا وهذا غياث الدين هو آخر ملوك الغورية ولقد كانت دولتهم من احسن الدول سيرة واعدلها واكثرها جهادا وكان محمود هذا عادلا حليما كريما من اكرم الملوك اخلاقا رحمه الله تعالى

﴿ذكر عود خوارزمشاه الى الخطا﴾

لما استقرام خراسان لمحمد خوارزمشاه وعبر نهر جيحون جمع له الخطا جمعا عظيما وسار واليه والمقدم عليهم شيخ دولتهم القائم مقام الملك فيهم المعروف بطاينكوه وكان عمره قد جاوز مائة سنة ولقى حروبا كثيرة وكان مظفرا حسن التدبير والعقل واجتمع خوارزمشاه وصاحب سمرقند وتصافوا هم والخطا سنة ست وستمائة فجرت حروب لم يكن مثلها اشد وصبر وانهزم الخطا هزيمة منكرة وقتل منهم واسر خلق لا يحصى وكان فى من اسر طاينكوه مقدمهم وجىء به الى خوارزمشاه فاكرمه واجلسه على سريره وسيره الى خوارزم ثم قصد خوارزمشاه الى بلاد ما وراء النهر فملكها مدينة مدينة وناحية ناحية حتى بلغ اوزكند وجعل نوابه فيها وعاد الى خوارزم ومعه سلطان سمرقند وكان من احسن الناس صورة فكان أهل خوارزم يجتمعون حتى ينظروا

منهم من غير ثمن فاخذوا يقررون المشايخ والفلاحين ويقررون اثمان مفرق الاشياء من غنم اودجاج اوتبن او عليق او بيض اوغير ذلك فى المدة التى اقامها احدهم بالناحية فحصل للكثير من قائم مقاماتهم الضرر وكذلك من انتمى اليهم فمنهم من اضطر وباع فرسه واستدان (وفيه) حضر على كاشف من شرقية بلبيس معزولا عن كشوفيتها وقلدها خلافه وكان كاشفا بالاقليم عدة سنوات وكذلك جرى لكاشف المنوفية والغربية وحضر ايضا حسن بك الشماشرجى من الفيوم معزولا ووجهه الباشا الى ناحية درنة لمحاربة اولاد على

﴿واستهل شهر ربيع الثانى سنة ١٢٣٢﴾

فيه حصل الحجز والمنع على من يذبح شيئا من المواشى فى داره اوغيرها ولا يأخذ الناس لحوم اطعمتهم الامن المذبح واوقفت عساكر بالطرق رصدا لمن يدخل المدينة بشئ من الاغنام وذلك انه لما نزلت المراسيم الى الكشاف بشترى المواشى من الفلاحين وارسالها الى المكان الذى أعده الباشا لذلك ويؤخذ منها مقدار ما يذبح بالسلخانه فى كل يوم لرواتب الدولة والبيع طلب كشاف النواحى شراء الاغنام والعجول والجواميس بالثمن القليل من اربابها فهرب الكثير من الفلاحين باغنامهم ويخرجون

اليه

اليه فزوجه خوارزمشاه بابنته ورده الى سمرقند وبعث معه شحنة يكون بسمرقند على ما كان رسم الخطا

ذكر غدر صاحب سمرقند بالخوارزميين

لما عاد صاحب سمرقند اليها ومعه شحنة لخوارزمشاه وأقام معه نحو سنة فرأى سوء سيرة الخوارزميين وقبح معاملتهم ندم على مفارقة الخطا فارسل الى ملك الخطا يدعوه الى سمرقند ليسلمها اليه ويعود الى طاعته وأمر بقتل كل من في سمرقند من الخوارزمية ممن سكنها قديما وحديثا وأخذ اصحاب خوارزمشاه فكان يجعل الرجل منهم قطعتين ويعلقهم في الاسواق كما يعلق القصاب اللحم وامادى في الاساءة ومضى الى القلعة ليقتل زوجته ابنة خوارزمشاه فاغلقت الابواب ووقفت بجوار بها تمنعه وأرسلت اليه تقول انا امرأة وقتل مثلي قبيح ولم يكن مني اليك ما استوجب به هذا منك ولعل تركي احمد عاقبة فاتق الله فيَّ فتركها ووكل بها من يمنعها التصرف في نفسها ووصل الخبر الى خوارزمشاه فقامت قيامته وغضب غضبا شديدا وأمر بقتل كل من بخوارزم من الغرباء فمنعته أمه عن ذلك وقالت ان هذا البلد قد أتاه الناس من أقطار الارض ولم يرض كلهم بما كان من هذا الرجل فأمر بقتل أهل سمرقند فنهته امه فانتهى وأمر عساكره بالتجهيز الى ما وراء النهر وسيرهم ارسالا كلما تجهز جماعة عبروا يعبرون فعبر منهم خلق كثير لا يحصى ثم عبر هو بنفسه في آخرهم ونزل على سمرقند وانفذ الى صاحبها يقول له قد فعلت ما لم يفعله مسلم واستحللت من دماء المسلمين ما لا يفعله عاقل لا مسلم ولا كافر وقد عفا الله عما سلف فاخرج من البلاد وامض حيث شئت فقال لا أخرج وافعل ما بدا لك فأمر عساكره بالزحف فاشار عليه بعض من معه بان يأمر بعض الامراء اذا قصدوا البلد ان يقصدوا الدرب الذي يسكنه التجار فيمنع من نهبه والتطرق اليهم بسوء فانهم غرباء وكلهم كارهون لهذا الفعل فامر بعض الامراء بذلك وزحف ونصب السلاليم على السور فلم يكن باسرع من ان أخذوا البلد واذن لعسكره بالنهب وقتل من يجدونه من أهل سمرقند فنهب البلد وقتل أهله ثلاثة أيام فيقال انهم قتلوا منهم مائتي الف انسان وسلم ذلك الدرب الذي فيه الغرباء فلم يعدم منهم الفرد ولا الآدمي الواحد ثم امر بالكف عن النهب والقتل ثم زحف الى القلعة فرأى صاحبها ما ملأ قلبه هيبة وخوفا فارسل يطلب الامان فقال لا امان لك عندي فزحفوا عليها فملكوها واسروا صاحبها واحضروه عند خوارزمشاه فقبل الارض فطلب العفو فلم يعف عنه وامر بقتله فقتل صبرا وقتل معه جماعة من اقاربه ولم يترك احدا ممن ينسب الى الخانية ورتب فيها وفي سائر البلاد نوابه ولم يبق لاحد معه في البلاد حكم

ذكر الوقعة التي افنت الخطا

لما فعل خوارزمشاه بالخطا ما ذكرناه مضى من سلم منهم الى ملكهم فانه لم يحضر الحرب فاجتمعوا عنده وكان طائفة عظيمة من التتر قد خرجوا من بلادهم حدود الصين قديما

من القرية ليلا ويدخلون المدينة ويسرون بها في الاسواق ويبيعونها بما احبوا من الثمن على الناس فانعكس الناس على شرائها منهم لجودتها ويشترك الجماعة في الشاة فيذبحونها ويقسمونها بينهم وذلك لقلة وجدان اللحم كما سبقت الاشارة اليه وان تيسر وجوده فيكون من بلاد ريفنا فان في كل يوم ترد الجمال الكثيرة من بحري وقبلي الى المكان المعد لها ولم يكن ثم من يراعيها بالعلف والسقي فتهزل وتضعف فلما كثر ورود الفلاحين بالاغنام وشراء الناس لها ووصل خبر ذلك الى الباشا فامر بوقوف عساكر على مفارق الطرق خارج المدينة من كل ناحية ويأخذون الشاة من الفلاحين اما بالثمن او يذهب صاحبها معها الى المذبح فتذبح في يومها او من الغد ويوزن اللحم خالصا ويعطى لصاحبها ثمنه عن كل رطل ثمانية فضة ونصف ويوزن على الجزارين بذلك الثمن بما فيه من القلب والكبد والمصران والمذاكير والفرج بما فيه من الزبل ايضا والجزارون يبيعونها على من يشتري لشدة الطلب بزيادة النصف والنصفين بل والثلاثة والاربعة ان كان به نوع جودة واما الاسقاط من الرؤس والجلود والكروش فهو ولا يبيع وكذلك يفعل فيما يرد لخاصة الناس من الاغنام يفعل بها كذلك ولا بأخذ الاجود

ونزلوا وراء بلاد تركستان وكان بينهم وبين الخطا عداوة وحروب فلما سمعوا بما فعله خوارزمشاه بالخطا قصدوهم مع ملكهم كشلى خان فلما رأى ملك الخطا ذلك أرسل الى خوارزمشاه يقول له اما ما كان منك من أخذ بلادنا وقتل رجالنا فعفو عنه وقد اتى من هذا العدو من لا قبل لنا به وانهم ان انتصروا علينا وملكونا فلا دافع لهم عنك والمصلحة تسير الينا بعساكرك وتنصرنا على قتالهم ونحن نحلف لك اننا اذا ظفرنا بهم لا نتعرض الى ما أخذت من البلاد ونقنع بما في أيدينا وأرسل اليه كشلى خان ملك التتر يقول ان هؤلاء الخطا أعداؤك وأعداء آبائك وأعداؤنا فساعدنا عليهم ونحلف أننا اذا انتصرنا عليهم لا نقرب بلادك ونقنع بالمواضع التى ينزلونها فاجاب كلا منهما انى معك وعاضدك على خصمك وسار بعساكره الى أن نزل قريبا من الموضع الذى تصافوا فيه فلم يخالطهم مخالطة يعلم بها انه من احدهما فكانت كل طائفة منهم تظن انه معها وتواقع الخطا والتتر فانهزم الخطا هزيمة عظيمة فمال حينئذ خوارزمشاه وجعل يقتل ويأسر وينهب ولم يترك أحدا ينجو منهم فلم يسلم منهم الا طائفة يسيرة مع ملكهم فى موضع من نواحى الترك يحيط به جبال ليس اليه طريق الا من جهة واحدة تحصنوا فيه وانضم الى خوارزمشاه منهم طائفة وساروا فى عسكره وانفذ خوارزمشاه الى كشلى خان ملك التتر يمن عليه بانه حضر لمساعدته ولولاه ما تمكن من الخطا فاعترف له كشلى خان بذلك مدة ثم ارسل اليه يطلب منه المقاسمة على بلاد الخطا وقال كما اننا اتفقنا على ابادتهم ينبغى ان نقتسم بلادهم فقال ليس لك عندى غير السيف ولستم باقوى من الخطا شوكة ولا اعز ملكا فان قنعت بالمسالمة والا سرت اليك وفعلت بك شرا مما فعلت بهم وتجهز وسار حتى نزل قريبا منهم وعلم خوارزمشاه انه لا طاقة له به فكان يراوغه فاذا سار الى موضع قصد خوارزمشاه اهله واثقالهم فنهبها واذا سمع ان طائفة سارت عن موطنهم سار اليها فاوقع بها فارسل اليه كشلى خان يقول له ليس هذا فعل الملوك هذا فعل اللصوص والا ان كنت سلطانا كما تقول فيجب أن نلتقى فاما ان تهزمنى وتملك البلاد التى بيدى واما ان افعل أنا بك ذلك فكان يغالطه ولا يجيبه الى ما طلب لكنه امر اهل الشاش وفرغانة واسفيجاب وكاسان وما حولها من المدن التى لم يكن فى الدنيا انزه منها ولا احسن عمارة بالجلاء عنها واللحاق ببلاد الاسلام ثم خرب جميعها خوفا من التتر ان يملكوها ثم اتفق خروج هؤلاء التتر الآخر الذين خربوا الدنيا وملكهم جنكزخان التمرجى على كشلى خان التترى الاول فاشتغل بهم كشلى خان عن خوارزمشاه فخلا وجهه فعبر النهر الى خراسان

(ذكر ملك نجم الدين ابن الملك العادل خلاط)

فى هذه السنة ملك الملك الاوحد نجم الدين ايوب ابن الملك العادل ابى بكر بن ايوب مدينة خلاط وسبب ذلك انه كان بمدينة ميافارقين من جهة ابيه فلما كان من ملك بلبان خلاط ما ذكرناه قصد هو مدينة موش وحصرها واخذها واخذ غيرها مما يجاورها وكان

بلبان

وراتبه فى كل يوم من المذبح (وفيه) شح وجود الغلال فى الرقع والسواحل حتى امتنع وجود الخبز فى الاسواق فأمر الباشا بجانب غلة ففرقت على الرقع وبيعت على الناس وهى الف اردب انقضت فى يومين ولا يبيعون ازيد من كيلة او كيلتين وبيع الاردب بالف ومائتين وخمسين نصفا (وفيه) افرد محل لعمل الشمع الذى يعمل من الشحوم بعطفة ابن عبد الله بك جهة السروجية واحتكروا لاجل ذلك جميع الشحوم التى من المذبح وغيره وامتنع وجود الشمع من حوانيت الدهانين ومنعوا من يعمل شيئا من الشمع فى داره او فى القرايب الزجاج وتتبعوا من يكون عنده شئ منها فاخذوها منه وحذروا من عمله خارج المعمل كل التحذير وسعروا رطله باربعة وعشرين نصفا

(واستهل شهر جمادى الاولى سنة ١٢٣٢)

(فيه) حول معمل الشمع الى جهة الحسينية عند الدرب الذى يعرف بالسبع والضبع (وفيه) ارتحلت عساكر مجردة الى الحجاز (وفيه) برزت اوامر الى كشاف النواحى باحصاء عدد اغنام البلاد والقرى ويفرض عليها كل عشر شياه واحدة من اعظمها اما كبش او نعجة باولادها يجمعون ذلك ويرسلون به الى مجمع اغنام الباشا وفرض ايضا على كل فدان رطلا من السمن يجمع

بلبان لم تثبت قدمه حتى يمنعه فلما ملكها طمع في خلاط فسار اليها فهزمه بلبان كما ذكرناه ايضا فعاد الى بلاده وجمع وحشد وسير اليه ابوه جيشا فقصد خلاط فسار اليه بلبان فتصافا واقتتلا فانهزم بلبان وتمكن نجم الدين من البلاد وازداد منها ودخل بلبان خلاط واعتصم بها وارسل رسولا الى مغيث الدين طغرل شاه بن قلج ارسلان وهو صاحب ارزن الروم يستنجده على نجم الدين فحضر بنفسه ومعه عسكره فاجتمعا وهزما نجم الدين وحصرا موش فاشرف الحصار على ان يملك فغدر ابن قلج ارسلان بصاحب خلاط وقتله طمعا في البلاد فلما قتله سار الى خلاط فمنعه اهلها عنها فسار الى ملازكرد فرده اهلها ايضا وامتنعوا عليه فلم يحصل في شئ من البلاد مطمعا عاد الى بلاده فارسل اهل خلاط الى نجم الدين يستدعونه اليهم ليملكهم فحضر عندهم وملك خلاط واعمالها سوى اليسير منها وكره الملوك المجاورون له ملكه لها خوفا من ابيه وكذلك ايضا خافه الكرج وكرهوه وتتابعوا الغارات على اعمال خلاط وبلادها ونجم الدين مقيم بخلاط لا يقدر على مفارقتها فلقي المسلمون من ذلك اذى شديدا واعتزل جماعة من عسكر خلاط واستولوا على حصن وان وهو من اعظم الحصون وامنعها وعصوا على نجم الدين واجتمع اليهم جمع كثير وملكوا مدينة ارجيش فارسل نجم الدين الى ابيه الملك العادل يعرفه الحال ويطلب منه نجدة وان يمده بعسكر فسير اليه اخاه الملك الاشرف موسى بن العادل في عسكر فاجتمعا في عسكر كثير وحصرا قلعة وان وبها الخلاطية وجدوا في قتالهم فضعف اولئك عن مقاومتهم فسلموها صلحا وخرجوا منها وتسلمها نجم الدين واستقر ملكه بخلاط واعمالها وعاد اخوه الاشرف الى بلاده حران والرها

(ذكر غارات الفرنج بالشام)

وفي هذه السنة كثر الفرنج الذين بطرابلس وحصن الاكراد واكثروا الاغارة على بلد حمص وولاياتها ونازلوا مدينة حمص وكان جمعهم كثيرا فلم يكن لصاحبها اسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه بهم قوة ولا يقدر على دفعهم ومنعهم فاستنجد الظاهر غازي صاحب حلب وغيره من ملوك الشام فلم ينجده احد الا الظاهر فانه سير له عسكرا اقاموا عنده ومنعوا الفرنج عن ولايته ثم ان الملك العادل خرج من مصر بالعساكر الكثيرة وقصد مدينة عكا فصالحه صاحبها الفرنجي على قاعدة استقرت من اطلاق اسرى من المسلمين وغير ذلك ثم سار الى حمص فنزل على بحيرة قدس وجاءته عساكر الشرق وديار الجزيرة ودخل الى بلاد طرابلس وحاصر موضعا يسمى القليعات واخذه صلحا واطلق صاحبه وغنم ما فيه من دواب وسلاح وخربه وتقدم الى طرابلس فنهب واحرق وسبى وغنم وعاد الى بحيرة قدس وترددت الرسل بينه وبين الفرنج في الصلح فلم تستقر قاعدة ودخل الشتاء وطلبت العساكر الشرقية العود الى بلادهم قبل البرد فنزل طائفة من العسكر بحمص عند صاحبها وعاد الى دمشق فشتى بها وعادت عساكر ديار الجزيرة الى اماكنها وكان سبب خروجه من مصر بالعساكر ان اهل قبرس الفرنج اخذوا عدة قطع

الارطال مشايخ البلاد من الفلاحين عند كشاف النواحي ويرسلونها الى مصر وتسبب هذه الحدثة انه لما عملت التسعيرة وتسعر رطل الصابون بستة وعشرين نصفا وبيعه الصابون والزيات بزيادة نصفين امتنع وجوده وظهوره فياتي به الفلاح ليلا في الخفية ويبيعه للزبون او للمتسبب بما احب ويبيعه المتسبب ايضا بالزيادة لمن يريده سرا فيبيعون الرطل بار بعين وخمسين ويزيد على ذلك غش المتسبب وخلطه بالدقيق والقرع والشحم وعكر اللبن فيصفو على النصف ولا يقدر مشتريه على رد غشه للبائع لانه ما حصله الا بغاية المشقة والعزة والانكار والمنع وان فعل لا يجد من يعطيه ثانيا وتقف طائفة من العسكر بالطرق ليلا وفي وقت الغفلات يرصدون الواردين من الفلاحين ويأخذونه منهم بالقهر ويعطونهم ثمنه بالسعر المرسوم ويحتكرونه هم ايضا ويبيعونه لمن يشتريه منهم بالزيادة الفاحشة فامتنع وروده الا في النادر خفية مع الغرر او الخفارة والتحامي في بعض العساكر من امثالهم واشتد الحال في انعدام الصابون حتى على اكابر الدولة فعند ذلك ابتدع الباشا هذه البدعة وفرض على كل فدان من طين الزراعات رطلا من الصابون ويعطي في ثمن الرطل عشرين نصف فضة وتشتمله بقية بل ما منهم من هذه النازلة وطوايب المزارع

من أسرى أهل مصر وأمروا من فيها فأرسل العادل الى صاحب عكا في ردما أخذوا ويقول نحن على صلح فلم غدرتم باصحابنا فاعتذر بأن أهل قبرس ليس لى عليهم حكم وان مرجعهم الى الفرنج الذين بالقسطنطينية ثم ان أهل قبرس ساروا الى القسطنطينية بسبب غلاء كان عندهم تعذرت عليهم الاقوات وعاد حكم قبرس الى صاحب عكا وأعاد العادل مراسلته فلم ينفصل حال فخرج بالعساكر وفعل بعكا ما ذكرنا فاجابه حينئذ صاحبها الى ماطلب وأرسل الاسرى

٥(ذكر الفتنة بخلاط وقتل كثير من أهلها)٥

لما تم ملك خلاط وأعمالها للملك الاوحد نجم الدين بن العادل سار عنها الى ملازكرد ليقرر قواعدها أيضا ويفعل ما ينبغى أن يفعله فيها فلما فارق خلاط وثب أهلها على من بها من العسكر فاخرجوه من عندهم وعصوا وحصروا القلعة وبها أصحاب الاوحد ونادوا بشعار شاه ارمن وان كان ميتا يعنون بذلك رد الملك الى أصحابه ومماليكه فبلغ الخبر الى الملك الاوحد فعاد اليهم وتدواقاه عسكر من الجزيرة فقوى بهم وحصر خلاط فاختلف أهلها فمال اليه بعضهم حسدا للآخرين فملكها وقتل بها خلقا كثيرا من أهلها وأسر جماعة من الاعيان فسيرهم الى ميافارقين وكان كل يوم يرسل اليهم فيقتل منهم جماعة فلم يسلم الا القليل وذل أهل خلاط بعد هذه الوقعة وتفرقت كلمة الفتيان وكان الحكم لهم وكفى الناس شرهم فانهم كانوا قد صاروا يقيمون ملكا ويقتلون آخر والسلطنة عندهم لا حكم لها وانما الحكم لهم واليهم

٥(ذكر ملك أبى بكر بن البهلوان مراغة)٥

فى هذه السنة ملك الامير نصرة الدين أبو بكر بن البهلوان صاحب اذربيجان مدينة مراغة وسبب ذلك ان صاحبها علاء الدين قراسنقر مات هذه السنة وولى بعده ابن له طفل وقام بتدبير دولته وتربيته خادم كان لابيه فعصى عليه أمير كان مع أبيه وجمع جمعا كثيرا فارسل اليه الخادم من عنده من العسكر فقاتلهم ذلك الامير فانهزموا واستقر ملك ولد علاء الدين الا انه لم تطل أيامه حتى توفى فى أول سنة خمس وستمائة وانقرض أهل بيته ولم يبق منهم أحد فلما توفى سار نصرة الدين أبو بكر من تبريز الى مراغة فملكها واستولى على جميع مملكة آل قراسنقر ماعدا قلعة روين دز فانه اعتصم بها الخادم وعنده الخزائن والذخائر فامتنع بها على الامير أبى بكر

٥(ذكر عزل نصير الدين وزير الخليفة)٥

كان هذا نصير الدين ناصر بن مهدى العلوى من أهل الرى من بيت كبير فقدم بغداد لما ملك مؤيد الدين بن القصاب وزير الخليفة الرى ولقى من الخليفة قبولا فجعله نائب الوزارة ثم جعله وزيرا وحكم ابنه صاحب المخزن فلما كان فى الثانى والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة عزل وأغلق بابه وكان سبب عزله انه أساء السيرة مع أكابر مماليك الخليفة فمنهم أمير الحاج مظفر الدين سنقر المعروف بوجه السبع فانه

بقدار مايزرعه من الافدنة اوطالامن السعر ومن لم يكن متأخرا عنده شئ من معن بهيمته أولم يكن له بهيمة اواحتاج الى تكملة موجود عنده فيشترى من يوجد عنده باغلى ثمن ليرد ما عليه اضطرارا واجراء وفاقا (وفيه) حصل الاذن بدخول مادون العشرة من الاغنام الى المدينة وكذلك الاذن ان يشترى شيئا منها من الاسواق وسبب اطلاق الاذن بذلك مجئ بعض اغنام الى اكابر الدولة ولاغنى عن ذلك لاذنى منهم ايضا وحجزوا عن وصولها الى دورهم فشكوا الى الباشا فاطلق الاذن فيما دون العشرة (وفيه) ايضا امتنع وجود الغلال بالعرصات والسواحل بسبب احتكارها واستمرار انجرارها ونقلها فى المراكب قبلى وبحرى الى جهة الاسكندرية للبيع على الافرنج بالثمن الكثير كما تقدم ووجهت المراسيم الى كشاف النواحى بمنع بيع الفلاحين غلالهم ان يشترى منهم من المتسببين والتراسين وغيرهم وبان كل ما احتاجوا لبيعه عما خرج لهم من زراعتهم يؤخذ للطرف الميرى بالثمن المفروض بالكيل الوافى واشتد الحال فى هذا الشهر وماقبله حتى قل وجود الخبز من الاسواق بل امتنع وجوده فى بعض الايام واقبلت الفقراء نساء ورجالا الى لوتعرقا [illegible] من غير شئ وزاد ضجيجهم والتشكى وبلغ الخبر الباشا

هربه من يده الى الشام سنة ثلاث وستمائة فارق الحاج بالمرخوم وأرسل يعتذر ويقول ان الوزير يريد أن لا يبقى فى خدمة الخليفة أحدا من مماليكه ولا شك انه يريد أن يدعى الخلافة وقال الناس فى ذلك فاكثروا وقالوا الشعر فمن ذلك قول بعضهم

الا مبلغ عنى الخليفة أحمدا * توقى وقيت السوء ما أنت صانع
وزيرك هذا بين أمرين فيهما * فعالك ياخير البرية ضائع
فان كان حقا من سلالة أحمد * فهذا وزير فى الخلافة طامع
وان كان فيما يدعى غير صادق * فاضيع ما كانت لديه الصنائع

فعزله وقيل فى سبب ذلك غيره ولما عزل أرسل الى الخليفة يقول انى قدمت الى ههنا وليس لى دينار ولا درهم وقد حصل لى من الاموال والاعلاق النفيسة وغير ذلك ما يزيد على خمسة آلاف دينار و يسال أن يؤخذ منه الجميع و يمكن من المقام بالمشهد اسوة ببعض العلويين فاجابه انا ما انعمنا عليك بشئ فنوينا اعادته ولو كان ملء الارض ذهبا ونفسك فى أمان الله وأماننا ولم يبلغنا عنك ما تستوجب به ذلك غير ان الاعداء قد أكثروا فيك فاختر لنفسك موضعا تنتقل اليه موقرا محترما فاختار أن يكون تحت الاستظهار من جانب الخليفة لئلا يتمكن منه العدو فتذهب نفسه ففعل به ذلك وكان حسن السيرة قريبا الى الناس حسن اللقاء لهم والانبساط معهم عفيفا عن أموالهم غير ظالم لهم فلما قبض عاد أمير الحاج من مصر فى الخدمة العادلية وعاد أيضا قشتمر وأقيم فى النيابة فى الوزارة فخر الدين أبو البدر محمد بن أحمد بن امسينا الواسطى الا انه لم يكن متحكما

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة ليلة الاربعاء لخمس بقين من رجب زلزلت الارض وقت السحر وكنت حينئذ بالموصل ولم تكن بها شديدة وجاءت الاخبار من كثير من البلاد بها زلزلات ولم تكن بالقوية وفيها أطلق الخليفة الناصر لدين الله جميع حق البيع وما يؤخذ من أرباب الامتعة من المكوس من سائر المبيعات وكان مبلغا كثيرا وكان سبب ذلك أن بنتا لعز الدين نجاح شرابى الخليفة توفيت فاشترى لها بقرة لتذبح و يتصدق بلحمها عنها فرفع اليه حساب ثمنها ومؤنة البقرة فكانت كثيرة فوقف الخليفة على ذلك وأمر باطلاق المؤنة جميعها وفيها فى شهر رمضان أمر الخليفة ببناء دور فى المحال ببغداد ليفطر فيها الفقراء وسميت دور الضيافة يطبخ فيها اللحم الضأن و الخبز الجيد عمل ذلك فى جانبى بغداد وجعل فى كل دار من يوثق بامانته وكان يعطى كل انسان قدحا مملوأ من الطبيخ واللحم ومنا من الخبز فكان يفطر كل ليلة على طعامه خلق لا يحصون كثرة وفيها زادت دجلة زيادة كثيرة ودخل الماء فى خندق بغداد من ناحية باب كلواذى فخيف على البلد من الغرق فاهتم الخليفة بسد الخندق وركب فخر الدين نائب الوزارة وعز الدين الشرابى ووقفا ظاهر البلد فلم يبرحا حتى سد الخندق وفيها توفى الشيخ حنبل

فاطلق ايضا الف اردب توزع على الرقم ويباع على الناس امار بع واحد او كيلة فقط وكل ربع بثمنه قرش فيكون الاردب باربعة وعشرين قرشا (وفيه) حضر حسن بك الشرقى من ناحية درنة و بلاد اخرى يقال لها سيوة وصحبته فرقة من اولاد على وذلك ان اولاد على افترقوا فرقتين احداهما طائعة والاخرى عاصية عن الطاعة وتحازوا الى هذه الناحية فحضر الباشا عليهم حسن بك المذكور فغار عليهم فهزمهم وهزموه ثانيا فرجع الى مصر فضم اليه الباشا جملة من العساكر واصحب معه الفرقة الاخرى الطائعة فسار الجميع ودهموهم على حين غفلة وتقدم محاربهم اخوانهم الطائعة وقتلوا منهم واغاروا على مواشيهم واباعرهم واغنامهم فارسلوا المنهوبات الى جهة الفيوم وفى ظن العرب ان الغنائم تطيب لهم وحضر حسن بك وصحبته كبار العرب من أولاد على الطائعين وفى ظنهم الفوز بالغنيمة وان الباشا لا يطمع فيها لكون النصرة كانت بايديهم وانه يشكرهم ويزيدهم انعاما وكانوا نزلوا ببر الجيزة وحضر حسن بك الى الباشا فطلب كبار العرب ليخلع عليهم و يكسوهم فلما حضروا اليه أمر بحبسهم واحضار الغنيمة من ناحية الفيوم بتمامها فحضروا بعد ايام واطلقهم فيقال ان الاغنام ستة عشر الف رأس

ابن عبد الله بن الفرج المكبر بجامع الرصافة وكان عالي الاسناد روى عن ابن الحصين مسند أحمد بن حنبل وله اسناد حسن وقدم الموصل وحدث بها وبغيرها

(ثم دخلت سنة خمس وستمائة)

(ذكر ملك الكرج ارجيش وعودهم عنها)

في هذه السنة سارت الكرج في جموعها الى ولاية خلاط وقصدوا مدينة ارجيش فحصروها وملكوها عنوة ونهبوا جميع ما بها من الاموال والامتعة وغيرها وأسروا وسبوا أهلها واحرقوها وخربوها بالكلية ولم يبق بها من أهلها أحد فاصبحت خاوية على عروشها كأن لم تغن بالامس وكان نجم الدين أيوب صاحب ارمينية بمدينة خلاط وعنده كثير من العساكر فلم يقدم على الكرج لاسباب منها كثرتهم وخوفه من أهل خلاط لما كان أسلف اليهم من القتل والاذى وخاف أن يخرج منها فلا يمكن من العود اليها فلما لم يخرج الى قتال الكفار عادوا الى بلادهم سالمين لم يذعرهم ذاعر وهذا جميعه وان كان عظيما شديدا على الاسلام وأهله فانه يسير بالنسبة الى ما كان منذ كره سنة أربع عشرة الى سنة سبع عشرة وستمائة

(ذكر قتل سنجرشاه وملك ابنه محمود)

في هذه السنة قتل سنجرشاه بن غازي بن مودود بن زنكي بن آقسنقر صاحب جزيرة ابن عمر وهو ابن عم نور الدين صاحب الموصل قتله ابنه غازي ولقد سلك ابنه في قتله طريقا عجيبا يدل على مكر ودهاء وسبب ذلك ان سنجر كان سيئ السيرة مع الناس كلهم من الرعية والجند والحريم والاولاد وبلغ من قبيح فعله مع اولاده انه سير ابنيه محمودا ومودودا الى قلعة فرح من بلد الزوزان واخرج ابنه هذا الى دار بالمدينة اسكنه فيها ووكل به من يمنعه من الخروج وكانت الدار الى جانب بستان لبعض الرعية فكان يدخل اليه منه الحيات والعقارب وغيرهما من الحيوان المؤذي ففي بعض الايام اصطاد حية وسيرها في منديل الى ابيه لعله يرق له فلم يعطف عليه فاعمل الحيلة حتى نزل من الدار التي كان بها واختفي ووضع انسانا كان يخدمه فخرج من الجزيرة وقصد الموصل واظهر انه غازي بن سنجر فلما سمع نور الدين بقربه منها ارسل نفقة وثيابا وخيلا وامره بالعود وقال ان اباك يتجنى لنا الذنوب التي لم نعملها ويقبح ذكرنا فاذا صرت عندنا جعل ذلك ذريعة للشناعات والشناعات ونقع معه في صداع لا ينادى وليده فسار الى الشام واما غازي بن سنجر فانه تسلق الى دار ابيه واختفى عند بعض سراريه وعلم به كثير من بالدار فسترت عليه بغضا للابيه وتوقعا للخلاص منه لشدته عليهن فبقي كذلك وترك ابوه الطلب له ظنا منه انه بالشام فاتفق ان اباه في بعض الايام شرب الخمر بظاهر البلد مع ندمائه فكان يقترح على المغنين ان يغنوا في الفراق وما شاكل ذلك ويبكي ويظهر في قوله قرب الاجل ودنو الموت وزوال ما هو فيه فلم يزل كذلك الى آخر النهار وعاد الى داره وسكر عند بعض حظاياه فلي الليل دخل الخلاء وكان ابنه عند تلك الحظية

فدخل

اوا كثر من الجمال ثمانية آلاف جمل وناقة وقيل اكثر من ذلك (وفيه) فجرت عمارة السواقي التي انشاها الباشا بالارض المعروفة برأس الوادي بناحية شرقية بلبيس قيل انها تزيد على الف ساقية وهي سواقي دواليب خشب تعمل في الارض التي يكون منبع الماء فيها قريبا واستمر الصناع مدة مستطيلة في عمل آلاتها عند بيت الجبجي وهو بيت الرزاز الذي بجهة التبانة بقرب المحجر وتحمل على الجمال الى الوادي وهناك المباشرون للعمل المقيدون بذلك وغرسوا بها اشجار التوت الكثيرة لتربية دود القز واستخراج الحرير كما يكون بنواحي الشام وجبل الدروز ثم برزت الاوامر الى جميع بلاد الشرقية باشخاص انفار من الفلاحين البطالين الذين لم يكن لهم اطيان فلاحة يستوطنون بالوادي المذكور وتبنى لهم كفور يسكنون فيها ويتعاطون خدمة السواقي والمزارع ويتعلمون صناعة تربية القز والحرير واستجلب اناسا من نواحي الشام والجبل من اصحاب المعرفة بذلك ويرتب للجميع نفقات الى حين ظهور النتيجة ثم يكونون شركاء في ربع المتحصل ولما برزت المراسيم بطلب الاشخاص من بلاد الشرق اشيع في جميع قرى الاقاليم المصرية اشاعات وتقولوا اقاويل منها ان الباشا بالطلب من كل بلدة عشرة من الـ بيان ابن اثنين وعشرة من البنات يزوجهم بهن ويمهرهن

ودخل اليه فضربه بالسكين اربع عشرة ضربة ثم ذبحه وتركه ملقى ودخل الحمام وقعد يلعب مع الجوارى فلو فتح باب الدار واحضر الجند واستحلفهم لملك البلد لكنه امن واطمان ولم يشك فى الملك فاتفق ان بعض الخدم الصغار خرج الى الباب واعلم استاذدار سنجر الخبر فاحضر اعيان الدولة وعرفهم ذلك واغلق الابواب على غازى واستحلف الناس لمحمود بن سنجر شاه وارسل اليه احضره من فرح ومعه اخوه مودود فلما حلف الناس وسكنوا فتحوا باب الدار على غازى ودخلوا عليه لياخذوه فمانعهم عن نفسه فقتلوه والقوه على باب الدار فاكلت الكلاب بعض لحمه ثم دفن باقيه ووصل محمود الى البلد وملكه ولقب بمعز الدين لقب ابيه فلما استقر اخذ كثيرا من الجوارى اللواتى لابيه فغرقهن فى دجلة ولقد حدثنى صديق لنا انه راى بدجلة فى مقدار غلوة سهم سبع جوار مغرقات منهن ثلاث قد احرقت وجوههن بالنار فلم اعلم سبب ذلك الحريق حتى حدثتنى جارية اشتريتها بالموصل من جواريه ان محمودا كان ياخذ الجارية فيجعل وجهها فى النار فاذا احترقت القاها فى دجلة وباع من لم يغرقه منهن فتفرق اهل تلك الدار ايدى سبا وكان سنجر شاه قبيح السيرة ظالما غاشما كثير المخاتلة والمواربة والنظر فى دقيق الامور وجليلها لا يمتنع من قبيح يفعله مع رعيته وغيرهم من اخذ الاموال والاملاك والقتل والاهانة وسلك معهم طريقا وعرا من قطع الالسنة والانوف والآذان واما اللحى فانه حلق منها ما لا يحصى وكان جل فكره فى ظلم يفعله وبلغ من شدة ظلمه انه كان اذا استدعى انسانا ليحسن اليه لا يصل الا وقد قارب الموت من شدة الخوف واستعلى فى ايامه السفهاء ونفقت سوق الاشرار والساعين بالناس فخرب البلد وتفرق اهله لا جرم سلط الله عليه اقرب الخلق اليه فقتله ثم قتل ولده غازى وبعد قليل قتل ولده محمود اخاه مودودا وجرى فى داره من التحريق والتغريق ما ذكرنا بعضه ولو رمنا شرح قبيح سيرته لطال والله تعالى بالمرصاد لكل ظالم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة ثانى محرم توفى ابو الحسن ورام بن ابى فراس الزاهد بالحلة السيفية وهو منها وكان صالحا وفى صفر توفى الشيخ مصدق بن شبيب النحوى وهو من اهل واسط وفى شعبان توفى القاضى محمد بن احمد بن المندائى الواسطى بها وكان كثير الرواية للحديث وله اسناد عال وهو آخر من حدث بمسند احمد بن حنبل عن ابن الحصين وفيه توفى القوام ابو فراس نصر بن ناصر بن مكى المدائنى صاحب المخزن ببغداد وكان اديبا فاضلا كامل المروءة يحب الادب واهله ويحب الشعر ويحسن الجوائز عليه ولما توفى ولى بعده ابو الفتوح المبارك ابن الوزير عضد الدين ابى الفرج بن رئيس الرؤساء واكرم واعلى محله فبقى متوليا الى سابع ذى القعدة وعزل لعجزه وفيها كانت زلزلة عظيمة بنيسابور وخراسان وكان اشدها بنيسابور وخرج اهلها الى الصحراء اياما حتى سكنت وعادوا الى مساكنهم

من ماله وبرتبة م نفقات الى بدو صلاح المزارع ثم اشاعوا الطلب للصبيان النير مختونين ليرسلهم الى بلاد الافرنج ليتعلموا الصنائع التى لم تكن بارض مصر وشاع ذلك فى اهل القرى وثبت ذلك عندهم فختن الجميع صبيانهم ومنهم من ارسل ابنه او بنته وغيبها عند معارفه بالمدينة الى غير ذلك من الاقاويل التى لم يثبت منها الا ما ذكر اولا من ان المطلوب جلب الفلاحين البطالين من بلاد الشرقية لا غير وقد تعمر هذا الوادى بالسواقى والاشجار والسكان من جميع الاجناس وانشئا دنيا جديدة مقسمة لم يكن لها وجود قبل ذلك بل كانت برية خرابا وفضاء واسعا (وفيه) سافر جملة من عساكر الاتراك والمغاربة وكبيرهم ابراهيم اغا الذى كان كتخدا ابراهيم باشا ثم تولى كشوفية المنوفية وصحبته خزينة وجبخانه ومطلوبات لمخدومه

(واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٢)

(فى اواخره) حضر الى مصر ابن يوسف باشا حاكم طرابلس ومعه اخوه اصغر منه يستاذنان الباشا فى حضور والدهما الى مصر فارا من والده وكان ولاه على ناحية درنة وبنى غازى فحصل منه ما غير خاطر والده عليه وعزم على ان يجرد عليه فارسل اولاده الى صاحب مصر يهديه ويستاذن فى الحضور

(ثم دخلت سنة ست وستمائة)

(ذكر ملك العادل الخابور ونصيبين وحصر سنجار وعوده عنها واتفاق نور الدين ارسلان شاه ومظفر الدين)

فى هذه السنة ملك العادل أبو بكر بن أيوب بلد الخابور ونصيبين وحصر مدينة سنجار والجميع من اعمال الجزيرة وهى بيد قطب الدين محمد بن زنكى بن مودود وسبب ذلك ان قطب الدين المذكور كان بينه وبين ابن عمه نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل عداوة مستحكمة وقد تقدم ذكر ذلك فلما كان سنة خمس وستمائة حصلت مصاهرة بين نور الدين والعادل فان ولد العادل تزوج بابنة لنور الدين وكان لنور الدين وزراء يحبون ان يشتغل عنهم فحسنوا له مراسلة العادل والاتفاق معه على ان يقتسما بالبلاد التى لقطب الدين وبالولاية التى لولد سنجر شاه بن غازى بن مودود وهى جزيرة ابن عمر وأعمالها فيكون ملك قطب الدين للعادل وتكون الجزيرة لنور الدين فوافق هذا القول هوى نور الدين فارسل الى العادل فى المعنى فاجابه الى ذلك مستبشرا وجاءه ما لم يكن يرجوه لانه علم انه متى ملك هذه البلاد اخذ الموصل وغيرها وأطمع نور الدين أيضا فى ان يعطى هذه البلاد اذا ملكها لولده الذى هو زوج ابنة نور الدين ويكون مقامه فى خدمته بالموصل واستقرت القاعدة على ذلك وتحالفا عليها فبادر العادل الى المسير من دمشق الى الفرات فى عساكره وقصد الخابور فاخذه فلما سمع نور الدين بوصوله كأنه خاف واستشعر فاحضر من يرجع الى رأيهم وقولهم وعرفهم وصول العادل واستشارهم فيما يفعله فاما من أشار عليه فسكتوا وكان فيهم من لم يعلم هذه الحال فعظم الامر وأشار بالاستعداد للحصار وجمع الرجال وتحصيل الذخائر وما يحتاج اليه فقال نور الدين نحن فعلنا ذلك وخبره الخبر فقال باى رأى تجىء الى عدوك هو أقوى منك وأكثر جمعا وهو بعيد منك متى تحرك لقصدك تعلم به فلا يصل الا وقد فرغت من جميع ما تريده تسعى حتى يصير بيامنك ويزداد قوة الى قوته ثم ان الذى استقر بينكما انه له يملكه أولا بغير تعب ولا مشقة وتبقى انت لا يمكنك أن تفارق الموصل الى الجزيرة وتحصرها والعادل ههنا هذا ان وفى لك بما استقرت القاعدة عليه لا يجوز ان تفارق الموصل وان عاد الى الشام لانه قد صار له ملك خلاط وبعض ديار بكر وديار الجزيرة جميعها والجميع بيد اولاده فمتى سرت من الموصل امكنهم أن يحولوا بينك وبينها فما زدت على أن آذيت نفسك وابن عمك وقويت عدوك وجعلته شعارك وقد فات الامر وليس يجوز الا ان تقف معه على ما استقر بينكما لئلا يجعل ذلك حجة ويبتدئ بك هذا والعادل قد ملك الخابور ونصيبين وسار الى سنجار فحصرها وكان فى عزم صاحبها قطب الدين ان يسلمها الى العادل بعوض يأخذه عنها فنعه من ذلك أمير كان معه اسمه أحمد بن برتقش مملوك أبيه زنكى وقام بحفظ المدينة والذب عنها وجهز نور الدين عسكرا مع ولده الملك القاهر ليسيروا الى الملك العادل

الى مصر والاقبياء اليه فاذن له فى الحضور وهو ابن اخى الذى بمصر اولا وسافر مع الباشا الى الحجاز ورجع الى مصر واستمر ساكنا بالسبع قاعات (وفيه) وصل الخبر بان ابراهيم اغا الذى سافر مع الجردة لما وصل الى العقبة امر من بصحبته من المغاربة والعسكر بالرحيل فلما ارتحلوا ركب هو فى خاصته وذهب على طريق الشام (وفى ليلة الاربعاء سادس عشره) وصل جراد كثير ليلا ونزل ببستان الباشا بشبرا وتعلق بالاشجار والزهور وصاحت الخولة والبستانجية وارسل الباشا الى الحسينية وغيرها فجمعوا مشاعل كثيرة واوقدوها وضربوا بالطبول والصنوج النحاس لطرده وامر الباشا لكل من جمع منه رطلا فله قرشان فجمع الصبيان والفلاحون منه كثيرا (ثم فى ليلة السبت تاسع عشره) قبل الغروب وصل جراد كثير من ناحية المشرق مارا بين السماء والارض مثل السحاب وكان الريح ساكنا فسقط منه الكثير على الجناين والمزارع والمقاثى فلما كان فى نصف الليل هبت رياح جنوبية واستمرت واشتدهبوبها عند انتصاف النهار وأثارت غبار الصفر وعيوفا بالجو ودامت الى بعد العصر يوم السبت فطردت ذلك الجراد واذهبته فسبحان الحكيم المدبر اللطيف (وفى يوم الاحد) طاف مناداة بعوده آخر

فبينما الامر على ذلك اذ جاءهم امر لم يكن لهم في حساب وهو ان مظفر الدين كوكبري صاحب اربل ارسل وزيره الى نور الدين يبذل من نفسه المساعدة على منع العادل عن سنجار وان الاتفاق معه على ما يريده فوصل الرسول ليلا فوقف مقابل دار نور الدين وصاح فعبر اليه سفينة عبر فيها واجتمع بنور الدين ليلا وابلغه الرسالة فاجاب نور الدين الى ما طلب من الموافقة وحلف له على ذلك وعاد الوزير من ليلته فسار مظفر الدين واجتمع هو ونور الدين ونزلا بعسا كرهما بظاهر الموصل وكان سبب ما فعله مظفر الدين ان صاحب سنجار ارسل ولده الى مظفر الدين يستشفع به الى العادل ليبقى عليه سنجار وكان مظفر الدين يظن انه لو شفع في نصف ملك العادل لشفعه لاثره الجميل في خدمته وقيامه في الذب عن ملكه غير مرة كما تقدم فشفع اليه فلم يشفعه العادل ظنا منه انه بعد اتفاقه مع نور الدين لا يلتفت الى مظفر الدين فلما رده العادل في شفاعته راسل نور الدين في الموافقة عليه ولما وصل الى الموصل واجتمع بنور الدين ارسلا الى الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين وهو صاحب حلب والى كيخسرو بن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم بالاتفاق معهما فكلاهما اجاب الى ذلك وتداعوا على الحركة وقصد بلاد العادل ان امتنع من الصلح والابقاء على صاحب سنجار وارسلا ايضا الى الخليفة الناصر لدين الله ليرسل رسولا الى العادل في الصلح ايضا فقويت حينئذ نفس صاحب سنجار على الامتناع ووصلت رسل الخليفة وهو هبة الله بن المبارك بن الضحاك استاذ الدار والامير آق باش وهو من خواص مماليك الخليفة وكبارهم فوصلا الى الموصل وسارا منها الى العادل وهو يحاصر سنجار وكان من معه لا يناصحونه في القتال لا سيما اسد الدين شيركوه صاحب حمص والرحبة فانه كان يدخل اليها الاغنام وغيرها من الاقوات ظاهرا ولا يقاتل عليها وكذلك غيره فلما وصل رسول الخليفة الى العادل اجاب اولا الى الرحيل ثم امتنع عن ذلك وغالط واطال الامر لعله يبلغ منها غرضا فلم ينل منها ما امله واجاب الى الصلح على ان له ما اخذ وتبقى سنجار لصاحبها واستقرت القاعدة على ذلك وتحالفوا على هذا كلهم وعلى ان يكونوا يدا واحدة على الناكث منهم ورحل العادل عن سنجار الى حران وعاد مظفر الدين الى اربل وبقي كل واحد من الملوك في بلده وكان مظفر الدين عند مقامه بالموصل قد زوج ابنتين له بولدين لنور الدين وهما عز الدين مسعود وعماد الدين زنكي

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الاول عزل فخر الدين بن امسينا عن نيابة الوزارة للخليفة والزم بيته ثم نقل الى المخزن على سبيل الاستظهار عليه وولي بعده نيابة الوزارة مكين الدين محمد بن محمد بن برز القمي كاتب الانشاء ولقب مؤيد الدين ونقل الى دار الوزارة مقابل باب النوبي وفيها في شوال توفي مجد الدين يحيى بن الربيع الفقيه الشافعي مدرس النظامية ببغداد وفيها توفي فخر الدين ابو الفضل محمد بن عمر بن خطيب الري الفقيه

بالاسواق ويقول في ندائه من كان مريضا او به رمد او جراحة او ادرة فليذهب الى خان بالموسكي به اربعة من حكماء الافرنج اطباء يداوونه من غير مقابلة شيء فتعجب الناس من هذا وتحاكوه وسعوا الى جهتهم لطلب التداوي (وفيه) حضر ابن باشت طرابلس ودخل الى المدينة وصحبته نحو الماتي نفر من اتباعه فانزله الباشا في منزل ام مرزوق بك بحارة عابدين واجرى عليه النفقات والرواتب له ولاتباعه (وفي يوم الخميس حادي عشرينه) وصل خبر الاطباء ومناداتهم الى كتخدا بك فاحضر حكيم باشا وساله فانكر معرفتهم وانه لا علم عنده بذلك فامر باحضارهم وسالهم فخلطوا في الكلام فامر باخراجهم من البلدة ونفوهم في الحال وذهبوا الى حيث شاء الله ولو فعل مثل هذه الفعلة بعض المسلمين لجوزي بالقتل او الخازوق وكان صورة جلوسهم ان يجلس احدهم خارج المكان والآخر من داخل وبينهما ترجمان ويأتي مريد العلاج الى الاول وهو كانه الرئيس فيجس نبضه او يبضه وكانه عرف علته ويكتب له ورقة فيدخل مع الترجمان بها الآخر بداخل المكان فيعطيه شيئا من الدهن او السفوف او الحب المركب ويطلب منه اما قرشا او قرشين او خمسة بحسب الحال وذلك ثمن الدواء لا غير وشاع ذلك وتسامع به الناس واكثرهم معلول ومن

الشافعي صاحب التصانيف المشهورة في الفقه والاصولين وغيرهما وكان امام الدين في عصره و بلغني ان مولده سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وفيها في سلخ ذي الحجة توفي أخي مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الكاتب مولده في احد الربيعين سنة أربع وأربعين وكان عالما في عدة علوم منها الفقه والاصولان والنحو والحديث واللغة وله تصانيف مشهورة في التفسير والحديث والنحو والحساب وغريب الحديث وله رسائل مدونة وكان كاتبا مفلقا يضرب به المثل ذا دين متين ولزوم طريق مستقيم رحمه الله ورضي عنه فلقد كان من محاسن الزمان ولعل من يقف على ما ذكرته يتهمني في قولي ومن عرفه من اهل عصرنا يعلم اني مقصر وفيها توفي المجد المطرزي النحوي الخوارزمي وكان اماما في النحو له فيه تصانيف حسنة وفيها توفي المؤيد بن عبد الرحيم بن الاخوة باصفهان وهو من اهل الحديث رحمه الله

(ثم دخلت سنة سبع وستمائة)

(ذكر عصيان سنجر مملوك الخليفة بخوزستان ومسير العساكر اليه)

كان قطب الدين سنجر مملوك الخليفة الناصر لدين الله قد ولاه الخليفة خوزستان بعد طاشتكين امير الحاج كما ذكرناه فلما كان سنة ست وستمائة بدا منه تغير عن الطاعة فروسل في القدوم الى بغداد فغالط ولم يحضر وكان يظهر الطاعة و يبطن التغلب على البلاد فبقي الامر كذلك الى ربيع الاول من هذه السنة فتقدم الخليفة الى مؤيد الدين نائب الوزارة والى عز الدين بن نجاح الشرابي خاص الخليفة بالمسير بالعساكر اليه بخوزستان واخراجه عنها فساروا في عساكر كثيرة فلما تحقق سنجر قصدهم اليه فارق البلاد ولحق بصاحب شيراز وهو اتابك عز الدين سعد بن دكلا ملتجئا اليه فاكرمه وقام دونه ووصل عسكر الخليفة الى خوزستان في ربيع الآخر بغير ممانعة فلما استقروا في البلاد راسلوا سنجر يدعونه الى الطاعة فلم يجب الى ذلك فساروا الى ارجان عازمين على قصد صاحب شيراز فادركهم الشتاء فاقاموا واشهروا والرسل مترددة بينهم وبين صاحب شيراز فلم يجبهم الى تسليمه فلما دخل شوال رحلوا يريدون شيراز فحينئذ ارسل صاحبها الى الوزير والشرابي يشفع فيه و يطلب العهد له على ان لا يؤذى فاجيب الى ذلك وسلمه اليهم هو وماله وأهله فعادوا الى بغداد وسنجر معهم تحت الاستظهار وولى الخليفة بلاد خوزستان مملوكه ياقوتا امير الحاج ووصل الوزير الى بغداد في المحرم سنة ثمان وستمائة هو والشرابي والعساكر وخرج أهل بغداد الى تلقيهم ودخلوا وسنجر معهم راكبا على بغل باكاف وفي رجله سلسلتان في يد كل جندي سلسلة و بقي محبوسا الى ان دخل صفر فجمع الخلق الكثير من الامراء والاعيان الى دار مؤيد الدين نائب الوزارة فاحضر سنجر وقرر بامور نسبت اليه منكرة فاقر بها فقال مؤيد الدين للناس قد عرفتم ما تقتضيه السياسة من عقوبة هذا الرجل وقد عفا أمير المؤمنين عنه وأمر بالخلع عليه فلبسها وعاد الى داره فعجب الناس من ذلك وقيل

طبيعتهم التقليد والرغبة في الوارد الغريب فتكاثروا وتزاحموا عليهم فجمعوا في الايام القليلة جملة من الدراهم واستلطاف الناس طريقتهم هذه بخلاف ما يفعله الذين يدعون التطبيب من الافرنج واصطلاحهم اذا دعي الواحد منهم لمعالجة المريض فاول ما يبدأ به نقل قدمه بدراهم يأخذها اما ريال فرانسه او اكثر بحسب الحال والمقام ثم يذهب الى المريض فيجسه و يزعم انه عرف علته ومرضه و يطاول على المريض داءه وعلاجه ثم يقاول على سعيه في معالجته بمقدار من الفرانسه اما خمسين او مائة او اكثر بحسب مقام العليل و يطلب نصف الجعالة ابتداء و يجعل على كل مرة من الترددات عليه جعالة ايضا ثم يزاوله بالعلاجات التي تجددت عندهم وهي مياه مستقطرة من الاعشاب او ادهان كذلك يأتون بها للمرضى في قوارير الزجاج اللطيفة في المنظر يسمونها باسماء بلغاتهم و يعربونها بمعن البادزهر واكسير الخاصة ونحو ذلك فان شفى الله العليل اخذ منه بقية ما قاوله عليه او امانه طالب الورثة بباقي الجعالة وثمن الادوية طبق ما يدعيه واذا قيل له انه قد مات قال في جوابه اني لم اضمن اجله وليس على الطبيب منع الموت ولا تطويل العمر وفيهم من جعل له في كل يوم عشرة من الفرانسه (وفيه) راى رايه حضرة الباشا حفر

ان

ان أتابك سعد نهب مال سنجر وخزانته ودوابه وكل ماله ولاصحابه وسيرهم فلما وصل سنجر الى الوزير والشرابي طلبوا المال فارسل شيئا يسيرا والله أعلم

ذكر وفاة نور الدين أرسلان شاه وشيء من سيرته

في هذه السنة أواخر رجب توفي نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل وكان مرضه قد طال ومزاجه قد فسد وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة واحد عشر شهرا وكان شهما شجاعا ذا سياسة للرعايا شديدا على أصحابه فكانوا يخافونه خوفا شديدا وكان ذلك مانعا من تعدي بعضهم على بعض وكان له همة عالية أعاد ناموس البيت الاتابكي وجاهه وحرمته بعد ان كانت قد ذهبت وخافه الملوك وكان سريع الحركة في طلب الملك الا انه لم يكن له صبر فلهذا لم يتسع ملكه ولو لم يكن له من الفضيلة الا انه لما رحل الكامل بن العادل عن ماردين كما ذكرنا سنة خمس وتسعين وخمسمائة عف عنها وأبقاها على صاحبها ولو قصدها وحصرها لم يكن فيها قوة الامتناع لان من كان بها كانوا قد هلكوا وضجروا ولم يبق لهم رمق فابقاها على صاحبها ولما ملك استغاث اليه انسان من التجار وسأل عن حاله فقيل انه قد أدخل قماشه الى البلد ليبيعه فلم يتم له البيع ويريد اخراجه وقد منع من ذلك فقال من منعه فقيل ضامن البز يريد منه ماجرت به العادة من المكس وكان القيم بتدبير مملكته مجاهد الدين قايماز وهو الى جانبه فسأله عن العادة كيف هي فقال ان اشترط صاحبه اخراج متاعه مكن من اخراجه وان لم يشترط ذلك لم يخرج حتى يؤخذ ماجرت العادة باخذه فقال والله ان هذه العادة مدبرة انسان لا يبيع متاعه لاي شيء يؤخذ منه ماله فقال مجاهد الدين لا شك في فساد هذه العادة وقال اذا قلت أنا وأنت انها عادة فاسدة فما المانع من تركها وتقدم باخراج مال الرجل وأن لا يؤخذ الامنه باع وسمعت أخي مجد الدين أبا السعادات رحمه الله وكان من أكثر الناس اختصاصا به يقول ماقلت له يوما فعل خير فامتنع منه بل بادر اليه بفرح واستبشار واستدعى في بعض الايام أخي المذكور فركب الى داره فلما كان بباب الدار لقيته امرأة وبيدها رقعة وهي تشكو وتطلب عرضها على نور الدين فاخذها فلما دخل اليه جاراه في مهم له فقال قبل كل شيء تقف على هذه الرقعة وتقضي شغل صاحبتها فقال لا حاجة الى الوقوف عليها عرفنا ايش فيها فقال والله لا أعلم الا اني رايت امراة بباب الدار وهي متظلمة شاكية فقال نعم عرفت حالها ثم انزعج فظهر منه الغيظ والغضب وعنده رجلان هما القيمان بامور دولته فقال لاخي ابصر الى أي شيء قد دفعت مع هذين هذه المراة كان لها ابن وقد مات في الموصل وهو غريب وخلف قماشا ومملوكين فاحتاط نواب بيت المال على القماش واحضر والمملوكين اليناوبقيا عندنا ننتظر من يستحق التركة لياخذها فحضرت هذه المراة ومعها كتاب حكمي بان المال الذي مع ولدها لها فتقدمنا بتسليم مالها اليها وقلت لهذين اشتريا المملوكين منها وانصفاها في الثمن فعادا وقالا لم يتم بيننا بيع لانها طلبت ثمنا كثيرا فامرتهما باعادة المملوكين اليها من

بحر عميق يجري الحركة عميقة تصغر ايضا بالاسكندرية تسير فيها السفن بالقلال وغيرها ومبدؤها من مبدا خليج الاشرفية عند الرحمانية فطلب لذلك خمسين الف فاس ومسحة يصنعها صناع الحديد وامر بجمع الرجال من القرى وهم مائة الف فلاح توزع على القرى والبلدان للعمل والحفر بالاجرة وبرزت الاوامر بذلك فارتبك امر الفلاحين ومشايخ البلاد لان الامر برز بحضور المشايخ وفلاحيهم فشرعوا في التشهيل وما يتزودون به في البرية ولا يدرون مدة الاقامة فمنهم من يقدرها بالسنة ومنهم باقل او اكثر

(واستهل شهر رجب بيوم الاحد سنة ١٢٣٣)

(في ثانيه يوم الاثنين) الموافق لثاني عشر بشنس القبطي وسابع ايار الرومي قبل الغروب بنحو ساعة تغير الجو بسحاب وقتام وحصل رعد متتابع واعقبه مطر بعد الغروب ثم انجلى ذلك والسبب في ذكر مثل هذه الجزئية شيآن الاول وقوعها في غير زمانها لما فيه من الاعتبار بخرق العوائد الثاني الاحتياج اليها في بعض الاحيان في العلامات السماوية وبالاكثر في الوقائع العامية فان العامة لا يؤرخون غالبا بالاعوام والشهور بل بحادثة ارضية او سماوية خصوصا اذا حصلت في غير وقتها او لحدة او معركة او فصل او مرض عام او موت كبير او امير فانه يسئل الشخص عن وقت مولده

مدة شهرين واكثر والى الآن ما عدت سمعت لها حديثا وظننت انها اخذت مالها ولا شك انهم لم يسلما المملوكين اليها وقد استغاثت اليهما فلم ينصفاها فغاثت اليك وكل من رأى هذه المرأة تشكو وتستغيث يظن انى انا منعتها من مالها فيذمنى وينسبنى الى الظلم وليس لى علم وكل هذا فعل هذين أشتهى ان تسلم انت المملوكين وتسلمهما اليها فاخذت المرأة مالها وعادت شاكرة داعية وله من هذا الجنس كثير لا نطول بذكره

❁(ذكر ولاية ابنه الملك القاهر)❁

لما حضر نور الدين الموت أمران يرتب فى الملك بعده ولده الملك القاهر عز الدين مسعود وأحلف له الجند واعيان الناس وكان قد عهد اليه قبل موته بمدة فجدد العهد له عند وفاته واعطى ولده الاصغر عماد الدين زنكى قلعة عقر الحميدية وقلعة شوش وولايتها وسيره الى العقر وامران يتولى تدبير مملكتهما ويقوم بحفظها والنظر فى مصالحها اتابكه الامير بدر الدين لؤلؤ لما رأى من عقله وسداده وحسن سياسته وتدبيره وكمال خلال السيادة فيه وكان عمر القاهر حينئذ عشر سنين ولما اشتد مرضه وايس من نفسه أمره الاطباء بالانحدار الى الحامة المعروفة بعين القيارة وهى بالقرب من الموصل فانحدر اليها فلم يجد بها راحة وازداد ضعفا فاخذه بدر الدين واصعده فى الشبارة الى الموصل فتوفى فى الطريق ليلا ومعه الملاحون والاطباء بينه وبينهم ستر وكان مع بدر الدين عند نور الدين مملوكان فلما توفى نور الدين قال لهما لا يسمع احد بموته وقال للاطباء والملاحين لا يتكلم احد فقد نام السلطان فسكتوا ووصلوا الى الموصل فى الليل فامر الاطباء والملاحين بمفارقة الشبارة لئلا يروه ميتا وابعدوا فحمله هو والمملوكان وأدخله الدار وتركه فى الموضع الذى كان فيه ومعه المملوكان ونزل على بابه من يثق اليه لا يمكن أحدا من الدخول والخروج وقعد مع الناس يمضى امورا كان يحتاج الى اتمامها فلما فرغ من جميع ما يريده اظهر موته وقت العصر ودفن ليلا بالمدرسة التى أنشاها مقابل داره وضبط البلد تلك الليلة ضبطا جيدا بحيث ان الناس فى البلد لم يزالوا ترددين لم يعدم من احد مقدار الحبة الفرد واستقر الملك لولده وقام بدر الدين بتدبير الدولة والنظر فى مصالحها

❁(ذكر عدة حوادث)❁

فى هذه السنة فى شهر ربيع الآخر درس القاضى ابو زكريا بن القاسم بن المفرج قاضى تكريت بالمدرسة النظامية ببغداد استدعى من تكريت اليها وفيها نقصت دجلة بالعراق نقصا كثيرا حتى كان يجرى الماء ببغداد فى نحو خمسة اذرع وامر الخليفة ان يكرى دجلة فجمع الخلق الكثير وكانوا كلما حفروا شيئا عاد الرمل وغطاه وكان الناس يخوضون دجلة فوق بغداد وهذا لم يعهد مثله وحج بالناس هذه السنة علاء الدين محمد ولد الامير مجاهد الدين ياقوت امير الحاج وكان قد ولاه الخليفة خوزستان وجعله هو امير الحاج وجعل معه من يدبر الحاج لانه كان صبيا وفيها فى العشرين من ربيع

الآخر

او مولد ابنه او ابنته او موت ابيه او سنة بلوغه سن الرشد يقول كان بعد الحادثة الفلانية بكذا من الايام ثم لا يدرى فى اى شهر وعام وخصوصا اذا طال الزمان بعدها وقد تكرر الاحتياج الى تحرير الوقت فى مسائل شرعية فى مجالس الشرع فى مثل الحضانة والعدة والنفقة وسن اليأس ومدة غيبة المفقود بان يتفق قولهم على ان الصبى ولد يوم السيل الذى هدم القبور أو يوم موت الامير فلان أو الواقعة الفلانية ويختلفون فى تحقيق وقتها وعند ذلك يحتاجون الى السؤال عمن عساه يكون أرخ وقتها وفى غير وقت الاحتياج يسخرون بمن يشغل بعض أوقاته بشئ من ذلك لاعتيادهم اهمال العلوم التى كان يعتنى بتدوينها الاوائل الا بقدر اقامة الناموس الذى يحصلون به الدنيا ولولا تدوين العلوم وخصوصا علم الاخبار ما وصل الينا شئ منها ولا الشرائع الواجبة ولا يشك شاك فى فوائد التدوين وخصائصه بنص التنزيل قال تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين (وفى عاشره) وصلت هجانة وأخبار عن ابراهيم باشا من الحجاز بانه وصل الى عنيزة حتى الموتان فوقع بينه وبين الوهابية وقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذ

الآخر وتوفي ضياء الدين احمد عبد الوهاب بن علي بن عبد الله الامير البغدادي ببغداد وهو سبط صدر الدين اسمعيل شيخ الشيوخ وعمره سبع وثمانون سنة وشهور وكان صوفيا فقيها عدثا سمعنا منه الكثير رحمه الله وكان من عباد الله الصالحين كثير العبادة والصلاح وفيها توفي شيخنا ابو حفص عمر بن محمد بن المعمر بن طبرزد البغدادي وكان عالي الاسناد

(ثم دخلت سنة ثمان وستمائة)

(ذكر استيلاء منكلي على بلاد الجبل واصفهان وغيرها وهرب ايتغمش)

في هذه السنة في شعبان قدم ايتغمش صاحب همدان واصفهان والري وما بينهما من البلاد الى بغداد هاربا من منكلي وسبب ذلك ان ايتغمش كان قد عظم في البلاد وعظم شانه وانتشر صيته وكثر عسكره حتى انه حصر صاحبه أبابكر بن البهلوان صاحب هذه البلاد اذربيجان واران كما ذكرناه فلما كان الآن خرج عليه مملوك اسمه منكلي ونازعه في البلاد وكثر اتباعه وأطاعه المماليك البهلوانية فاستولى عليها وهرب منه شمس الدين ايتغمش الى بغداد فلما وصل اليها أمر الخليفة بالاحتفال به في اللقاء فخرج الناس كافة وكان يوم وصوله مشهودا ثم قدمت زوجته في رمضان في محمل فاكرمت وانزلت عند زوجها وأقام ببغداد الى سنة عشر وستمائة فسار عنها فكان من امره ما نذكره

(ذكر نهب الحاج بمنى)

وفي هذه السنة نهب الحاج بمنى وسبب ذلك ان باطنيا وثب على بعض أهل الامير قتادة صاحب مكة فقتله بمنى ظنا منه انه قتادة فلما سمع قتادة ذلك جمع الاشراف والعرب والعبيد وأهل مكة وقصدوا الحاج ونزلوا عليهم من الجبل ورموهم بالحجارة والنبل وغير ذلك وكان أمير الحاج ولد الامير ياقوت المقدم ذكره وهو صبي لا يعرف كيف يفعل فخاف وتحير وتمكن امير مكة من نهب الحاج فنهبوا منهم من كان في الاطراف واقاموا على حالهم الى الليل فاضطرب الحاج وباتوا بأسوا حال من شدة الخوف من القتل والنهب فقال بعض الناس لامير الحاج لينتقل بالحاج الى منزلة حجاج الشام فامر بالرحيل فرفعوا اثقالهم على الجمال واشتغل الناس بذلك فطمع العدو فيهم وتمكن من النهب والتحق من سلم بحجاج الشام فاجتمعوا بهم ثم رحلوا الى الزاهر ومنعوا من دخول مكة ثم اذن لهم في ذلك فدخلوها وتمموا حجهم وعادوا ثم أرسل قتادة ولده وجماعة من اصحابه الى بغداد فدخلوها ومعهم السيوف مسلولة والاكفان فقبلوا العتبة واعتذروا مما جرى على الحاج

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة اظهر الاسماعيلية ومقدمهم جلال الدين بن ولان بن حسن بن الصباح

منهم اسرى ونحيا ما ومدفعين فضربوا لتلك الاخبار مدافع سرور وايذانا بالخبر (وفي يوم الاربعاء ثامن عشره) سافر الباشا الى اسكلة السويس وصحبته السيد محمد المحروقي ليتلقى سفائنه الواصلة بالبضائع الهندية

(واستهل شهر شعبان بيوم الاثنين سنة ١٢٣٢)

(فيه) رجع الباشا من السويس وأدخلوا البضائع الواصلة ثلاث خانات توضع في حواصلها ثم توزع على الباعة بالثمن الذي يفرضه (وفيه) وصل الخبر ايضا بوصول سفائن الى بندر جدة وفيها ثلاثة من الفيلة (وفيه) قوي اهتمام الباشا لحفر الترعة الموصلة الى الاسكندرية كما تقدم وان يكون عرضها عشرة اقصاب والعمق اربعة اقصاب بحسب علو الاراضي وانخفاضها وتعينت كشاف الاقاليم لجمع الرجال وفرضوا اعدادهم بحسب كثرة اهل القرية وقلتها وعلى كل عشرة اشخاص شخص كبير وجعت الغلقان ولكل غلق فاس وثلاثة رجال لخدمته واعطوا كل شخص خمسة عشر قرشا رحيلة ولكل شخص ثلاثون نصفا في اجرته كل يوم وقت العمل وحصل الاهتمام لذلك في وقت اشتغال الفلاحين بالحصيدة والدراس وزراعة الذرة التي هي معظم قوتهم شرعوا في تشهيل احتياجاتهم وشراء القرب للماء فان بتلك

الانتقال عن فعل المحرمات واستحلالها وأمر باقامة الصلوات وشرائع الاسلام ببلادهم من خراسان والشام وأرسل مقدمهم رسلا الى الخليفة وغيره من ملوك الاسلام يخبرهم بذلك وارسل والدته الى الحج فاكرمت ببغداد اكراما عظيما وكذلك بطريق مكة وفيها سلخ جمادى الآخرة توفى ابو حامد محمد بن يونس بن منعة الفقيه الشافعى بمدينة الموصل وكان اماما فاضلا اليه انتهت رياسة الشافعية لم يكن فى زمانه مثله وكان حسن الاخلاق كثير التجاوز عن الفقهاء والاحسان اليهم رحمه الله وفيها فى شهر ربيع الاول توفى القاضى ابو الفضائل على بن يوسف بن احمد بن الآمدى الواسطى قاضيها وكان نعم الرجل وفيها فى شعبان توفى المعين ابو الفتوح عبد الواحد بن ابى احمد بن على الامين شيخ الشيوخ ببغداد وكان موته بجزيرة كاس مضى اليها رسولا من الخليفة وكان من اصدقائنا وبيننا وبينه مودة متأكدة وصحبة كثيرة وكان من عباد الله الصالحين رحمه الله ورضى عنه وله كتابة حسنة وشعر جيد وكان عالما بالفقه وغيره ولما توفى رتب اخوه زين الدين عبد الرزاق بن ابى احمد وكان ناظرا على المارستان العضدى فتركه واقتصر على الرباط وفيها فى ذى الحجة توفى محمد بن يوسف بن محمد بن عبيد الله النيسابورى الكاتب الحسن الخط وكان يؤدى طريقة ابن البواب وكان فقيها حاسبا متكلما وفيها توفى عمر بن مسعود ابى العز ابو القاسم البزاز البغدادى بها وكان من الصالحين يجتمع اليه الفقراء كثيرا ويحسن اليهم وتوفى أيضا ابو سعيد الحسن بن محمد بن الحسن بن حمدون الثعلبى العذرى وهو ولد مصنف التذكرة وكان عالما

(ثم دخلت سنة تسع وستمائة)

(ذكر قدوم ابن منكلى بغداد)

فى هذه السنة فى المحرم قدم محمد بن منكلى المستولى على بلاد الجبل الى بغداد وسبب ذلك ان أباه منكلى لما استولى على بلاد الجبل وهرب ايتغمش صاحبها منها الى بغداد خاف أن يساعده الخليفة ويرسل معه العساكر فيعظم الامر عليه لانه لم يكن قد تمكن فى البلاد فارسل ولده محمدا ومعه جماعة من العسكر فخرج الناس ببغداد على طبقاتهم يلتقونه وانزل واكرم وبقى ببغداد الى ان قتل ايتغمش فخلع عليه وعلى من معه واكرموا وسيرهم الى أبيه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قبض الملك العادل أبو بكر بن ايوب صاحب مصر والشام على أمير اسمه اسامة كان له اقطاع كثيرة من جملتها حصن كوكب من اعمال الاردن بالشام وأخذ منه حصن كوكب وخربه وعفى أثره ومن بعده بنى حصنا بالقرب منه على جبل يسمى الطور وهو معروف هناك وشحنه بالرجال والذخائر والسلاح وفيها توفى الفقيه محمد بن اسمعيل بن ابى الصيف اليمنى فقيه الحرم الشريف بمكة

(ثم دخلت سنة عشر وستمائة)

البرية لا يوجد الماء الا بعض الحفائر التى يحفرها اهل البادية الماء وقد تخرج مالحة لانها أراض سبخة وتدين جماعة من مهندسخانه ونزلوا مع كبيرهم لمساحتها وقياسها فقاسوا من فم ترعة الاشرفية حيث الرحمانية الى حد الحفر المراد بقرب عمود السوارى الذى بالاسكندرية فبلغ ذلك ستة وعشرين الف قصبة ثم قاسوا من اول الترعة القديمة المعروفة بالناصرية وابتداؤها من المكان المعروف بالعطف عند مدينة فوة فكان اقل من ذلك ينقص عنه خمسة آلاف قصبة وكسر فوقع الاختيار على ان يكون ابتداؤها هناك (وفى اثناء ذلك) زاد النيل قبل المناداة عليه بالزيادة وذلك فى منتصف بؤنه القبطى وغرق المقاثى من البطيخ والخيار والعبدلاوى واهمل امر الحفر فى الترعة المذكورة الى ما بعد النيل واستردت الدراهم التى اعطيت للفلاحين لاجل الترحيلة وفرحوا بذلك الاهمال وقد كان اطلق الباشا المصارف فيها اربعة آلاف كيس من تحت الحساب ورجع المهندسون الى مصر وقد صوروا صورتها فى كواغد ليطلع عليها الباشا عيانا وكان رجوعهم فى ثامن عشر شعبان (وفيه) تقلد ابراهيم اغا المعروف باغات الباب امرته ليم الاصناف والمحدثات وعمل معدلاتها البيان مرقات

ذكر قتل ايتغمش

في هذه السنة في المحرم قتل ايتغمش الذي كان صاحب همذان وقد ذكرنا سنة ثمان انه قدم الى بغداد وأقام بها فانعم عليه الخليفة وشرفه بالخلع واعطاه الكوسات وما يحتاج اليه وسيره الى همذان فسار في جمادى الآخرة عن بغداد قاصدا الى همذان فوصل الى بلاد ابن ترجم واجتمعا واقام ينتظر وصول عساكر بغداد اليه ليسير معه على قاعدة استقرت بينهم وكان الخليفة قد عزل سليمان بن ترجم عن الامارة على عشيرته من الترككان لاتوانية وولى اخاه الاصغر فارسل سليمان الى منكلي يعرفه بحال ايتغمش ومضى هو على وجهه فاخذوه فقتلوه وحملوا رأسه الى منكلي وتفرق من معه من اصحابه في البلاد لا يلوي أخ على اخيه ووصل الخبر بقتله الى بغداد فعظم على الخليفة ذلك وارسل الى منكلي ينكر عليه ما فعل فاجاب جوابا شديدا وتمكن من البلاد وقوي أمره وكثرت جموعه وعساكره وكان من أمره ما نذكره ان شاء الله

ذكر عدة حوادث

حج بالناس في هذه السنة أبو فراس بن جعفر بن فراس الحلي نيابة عن امير الحاج ابن ياقوت ومنع ابن ياقوت عن الحج لما جرى للحاج في ولايته وفيها في المحرم توفي الحكيم المهذب علي بن احمد بن مقبل الطبيب المشهور وكان اعلم أهل زمانه بالطب وروى الحديث وكان مقيما بالموصل وبها مات وكان كثير الصدقة حسن الاخلاق وله تصنيف حسن في الطب وفيها توفي اسمعيل بن علي البغدادي الفقيه الحنبلي صاحب ابن المني وفيها توفي ايضا احمد بن مسعود التركستاني الفقيه الحنفي ببغداد وهو مدرس مشهد أبي حنيفة وفيها في جمادى الاولى توفي معز الدين أبو المعالي سعد بن علي المعروف بابن حديد الذي كان وزير الخليفة الناصر لدين الله وكان قد الزم بيته ولما توفي حمل تابوته الى مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام بالكوفة وكان حسن السيرة في وزارته كثير الخير والنفع للناس

ثم دخلت سنة احدى عشرة وستمائة

ذكر ملك خوارزمشاه علاء الدين كرمان ومكران والسند

هذه الحادثة لا اعلم الحقيقة اي سنة كانت انما هي اما هذه السنة او قبلها بقليل او بعدها بقليل لان الذي أخبرنا بها كان من اجناد الموصل وسافر الى تلك البلاد وأقام بها عدة سنين وسار مع الامير أبي بكر الذي فتح كرمان ثم عاد فاخبرني بها على شك من وقتها وقد حضرها فقال خوارزمشاه محمد بن تكش كان من جملة أمراء أبيه أمير اسمه أبو بكر ولقبه تاج الدين وكان في ابتداء أمره جمالا يكري الجمال في الاسفار ثم جاءته السعادة فاتصل بخوارزمشاه وصار سيروان جمال فرأى منه جلدا وامانة فقدمه الى ان صار من أعيان امراء عسكره فولاه مدينة زوزن وكان عاقلا ذا رأي وحزم وشجاعة فتقدم عند خوارزمشاه تقدما كثيرا ووثق به اكثر من جميع امراء دولته فقال أبو بكر لخوارزمشاه

وتحقيقات المتقلدين امر كل صنف من الاصناف بعد البحث والتفتيش والتفحص على دقائق الاشياء (وفيه) وصل نحو المائتي شخص من بلاد الروم ارباب صنائع معمرين ونجارين وحدادين وبنائين وهم ما بين ارمني وابزيجي ونحو ذلك (وفيه) ايضا اهتم الباشا ببناء حائط بحري رشيد عند الطينة على يمين البغاز وشماله ليحصر فيما بينهما الماء ولا تطمى الرمال وقت ضعف النيل ويقع بسبب ذلك عطب المراكب وتلف أموال المسافرين وقد كمل ذلك في هذا الشهر وهذه الفعلة من أعظم الهمم الملوكية التي لم يسبق بمثلها (وفي عشرينه) شنق شخص بباب زويلة بسبب الزيادة في المعاملة وعلقوا باذنه سهريات فرانسه مع ان الزيادة سارية في المبيعات والمشتريات من غير انكار (وفيه) أيضا خرم المحتسب آناف أشخاص من الجزارين في نواحي وجهات متفرقة وعلق في آنافهم قطعا من اللحم وذلك بسبب الزيادة في ثمن اللحم وبيعهم له بما أحبوه من الثمن في بعض الاماكن خفية لان الجزارين اذا نزلوا باللحم من المذبح وا كثره هزيل وضاني ومعز والقليل من المناسب الجيد فيعلقون الردىء بالحوانيت ويبيعونه جهارا بالثمن المسعر ويخفون الجيد ويبيعونه في بعض الاماكن بما يحبون (وفي يوم الخميس خامس عشرينه) وصلت الاقبال الثلاثة من السويس احدها

ان بلاد كرمان مجاورة لبلادى فلوأضاف السلطان الى عسكر الماسكتها فى أسرع وقت فسيرمعه عسكرا كثيرا فمضى الى كرمان وصاحبها اسمه حرب بن محمد بن ابى الفضل الذى كان صاحب سجستان ايام السلطان سنجر فقاتله فلم يكن له به قوة وضعف فملك ابو بكر بلاده فى اسرع وقت وسار منها الى نواحى مكران فملكها كلها الى السند من حدود كابل وسار الى هرمز مدينة على ساحل بحر مكران فاطاعه صاحبها واسمه ملنك وخطب بها لخوارزمشاه وحمل عنها مالا وخطب له بقلهات وبعض عمان لان اصحابها كانوا يطيعون صاحب هرمز وسبب طاعتهم له مع بعد الشقة والبحر يقطع بينهم انهم يتقربون اليه بالطاعة ليامن اصحاب المراكب التى تسير اليهم عنده فان هرمز مرسى عظيم ومجمع للتجار من اقاصى الهند والصين واليمن وغيرها من البلاد وكان بين صاحب هرمز وبين صاحب كيش حروب وغارات وكل منهما ينهى اصحاب المراكب ان ترسى ببلاد خصمه وهم كذلك الى الآن وكان خوارزمشاه يصيف بنواحى سمرقند لاجل التتر اصحاب كشلى خان لئلا يقصد بلاده وكان سريع السير اذا قصد جهة سبق خبره

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قتل مؤيد الملك الشهرى وكان قد وزر لشهاب الدين الغورى ولتاج الدين الدز بعده وكان حسن السيرة جميل الاعتقاد محسنا الى العلماء واهل الخير يزورهم ويبرهم ويحضر الجمعة ماشيا وحده وكان سبب قتله ان بعض عسكر الدز كرهوه وكان كل سنة يتقدم الى البلاد الحارة بين يدى الدز اول الشتاء فسار هذه السنة كعادته فجاءه اربعون نفرا اتراكا وقالوا له السلطان يقول لك تحضر جريدة فى عشرة نفر لمهم تجدد فسار معهم جريدة فى عشرة مماليك فلما وصلوا الى نهر قريب من ماء السند قتلوه وهربوا ثم انهم ظفر بهم خوارزمشاه محمد فقتلهم وفيها فى رجب توفى الركن ابو منصور عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلى البغدادى ببغداد وكان قد ولى عدة ولايات وكان يتهم بمذهب الفلاسفة حتى انه راى ابوه يوما عليه قميصا بخاريا فقال ماهذا القميص فقال بخارى فقال ابوه هذا عجب مازلنا نسمع مسلم والبخارى واما كافر والبخارى ماسمعنا واخذت كتبه قبل موته بعدة سنين واظهرت فى ملا من الناس ورؤى فيها من تبخير النجوم ومخاطبة زحل بالالهية وغير ذلك من الكفريات ثم احرقت بباب العامة وحبس ثم افرج عنه بشفاعة ابيه واستعمل بعد ذلك وفيها ايضا توفى ابو العباس احمد بن هبة الله بن العلاء المعروف بابن الزاهد ببغداد وكان عالما بالنحو واللغة وفى شعبان منها توفى ابو المظفر محمد بن على بن البل الدورى الواعظ ودفن برباط على نهر عيسى ومولده سنة عشر وخمسمائة وفى شوال منها توفى عبد العزيز بن محمود بن الاخضر وكان من فضلاء المحدثين وله سبع وثمانون سنة

(ثم دخلت سنة اثنتى عشرة وستمائة)

زويلة على الدرب الاحمر وذهبوا بها الى قراميدان وهرولت الناس والصبيان للفرجة عليها وذهبوا خلفها وازدحموا فى الاسواق لرؤيتها وكذلك العسكر والدلاة ركبانا ومشاة وعلى ظهر الفيل الكبير مقعد من خشب

(واستهل شهر رمضان يوم الثلاثاء سنة ١٢٣٢)

وعملت الرؤية تلك الليلة وركب المحتسب وكذا مشايخ الحرف كعادتهم واثبتوا رؤية الهلال تلك الليلة وكان هم الرؤية جدا (وفى صبح ذلك اليوم) عزل عثمان اغا الوردانى من الحسبة وتقلدها مصطفى كاشف كرد وذلك لما تكرر على سمع الباشا افعال السوقة وانحرافهم وقلة طاعتهم وعدم مبالاتهم بالضرب والايذاء وخزم الانوف والتجريس قال فى مجلس خاصته لقدرى حكمى فى الاقاليم البعيدة فضلا عن القريبة وخافنى العربان وقطاع الطريق وغيرهم خلاف سوقة مصر فانهم لايرتدعون بمايفعله فيهم ولاة الحسبة من الاهانة والايذاء فلابدلهم من شخص يقهرهم ولا يرحمهم ولا يهملهم فوقع اختياره على مصطفى كاشف كرد هذا فقلده ذلك واطلق له الاذن فعند ذلك ركب فى كبكبة وخلفه عدة من الخيالة وترك شعار ذكر

(ذكر قتل منكلى وولاية أغلمش ما كان بيده من الممالك)

في هذه السنة في جمادى الاولى انهزم منكلى صاحب همذان واصفهان والرى وما بينها من البلاد ومضى هاربا فقتل وسبب ذلك انه كان قد ملك البلاد كما ذكرناه وقتل ايتغمش فارسل اليه من الديوان الخليفى رسول ينكر ذلك عليه وكان اوحش الامير اوزبك بن البهلوان صاحب اذربيجان وهو صاحبه ومخدومه فارسل الخليفة اليه يحرضه على منكلى ويعده النصرة وارسل ايضا الى جلال الدين الاسماعيلى صاحب قلاع الاسماعيلية ببلاد العجم الموت وغيرها يامره بمساعدة اوزبك على قتال منكلى واستقرت القاعدة بينهم على ان يكون للخليفة بعض البلاد ولاوزبك بعضها ويعطى جلال الدين بعضها فلما استقرت القواعد على ذلك جهز الخليفة عسكرا كثيرا وجعل مقدمهم مملوكه مظفر الدين سنقر الملقب بوجه السبع وارسل الى مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين على كوجك وهو اذ ذاك صاحب اربل وشهرزور واعمالها يامره ان يحضر بعساكره ويكون مقدم العساكر جميعها واليه المرجع في الحرب فحضر وحضر معه عسكر الموصل وديار الجزيرة وعسكر حلب فاجتمعت عساكر كثيرة وساروا الى همذان فاجتمعت العساكر كلها فانزاح منكلى من بين ايديهم وتعلق بالجبال وتبعوه فنزلوا بسفح جبل هو في اعلاه بالقرب من مدينة كرج وضاقت الميرة والاقوات على العسكر الخليفى جميعه ومن معهم فلو أقام منكلى بموضعه لم يمكنهم المقام عليه اكثر من عشرة أيام لكنه طمع فنزل ببعض عسكره من الجبل مقابل الامير أوزبك فحملوا عليه فلم يثبت اوزبك ومضى منهزما فعاد اصحاب منكلى وصعدوا الجبل وعاد اوزبك الى خيامه فطمع منكلى حينئذ ونزل من الغد في جميع عسكره واصطفت العساكر للحرب واقتتلوا اشد قتال يكون فانهزم منكلى وصعد الجبل فلو اقام بمكانه لم يقدر احد على الصعود اليه وكان قصاراهم العود عنه لكنه اتخذ الليل جملا وفارق موضعه ومضى منهزما فاتبعه نفر يسير من عسكره وفارقه الباقون وتفرقوا ايدى سبا واستولى عسكر الخليفة وأوزبك على البلاد فاعطى جلال الدين ملك الاسماعيلية من البلاد ما كان استقر له واخذ الباقى أوزبك فسلمه الى اغلمش مملوك اخيه وكان قد توجه الى خوارزمشاه علاء الدين محمد وبقى عنده ثم عاد عنه وشهد الحرب وابلى فيها فولاه اوزبك البلاد وعاد كل من العسكر الى بلادهم واما منكلى فانه مضى منهزما الى مدينة ساوة وبها شحنة هو صديق له فارسل اليه يستأذنه في الدخول الى البلد فاذن له ودخل اليه وخرج فلقيه وقبل الارض بين يديه وادخله البلد وأنزله في داره ثم أخذ سلاحه وأراد ان يقيده ويرسله الى اغلمش فسأله ان يقتله هو ولا يرسله فقتله وارسل راسه الى اوزبك وارسله اوزبك الى بغداد وكان يوم دخوله يوما مشهودا الا انه لم تتم المسرة للخليفة بذلك فانه وصل ومات ولده في تلك الحال فاعيد ودفن

(ذكر وفاة ابن الخليفة)

المنصب من المقدمين والخدم الذين يتقدمونه وكذلك الذى امامه بالميزان ومن بايديهم الكرابيج لضرب المستحق والمنقص في الوزن وبات يطوف على الباعة ويضرب بالدبوس هشما بادنى سبب ويعاقب بقطع شحمة الاذن فاغلقوا الحوانيت و منعوا وجود الاشياء حتى ما جرت به العادة في رمضان من عمل الكعك والرقاق المعروف بالبقسمير وغيره فلم يلتفت لامتناعهم وغلقهم الحوانيت وزاد في العسف ولم يرجع عن سعيه واجتهاده ولازم على السعي والطواف ليلا ونهارا لاينام الليل بل ينام لحظة وقت مايدركه النوم في اى مكان ولو على مصطبة حانوت وأخذ يتفحص على السمن والجبن ونحوه المخزون في الحواصل ويخرجه ويدفع ثمنه لاربابه بالسعر المفروض ويوزعه لارباب الحوانيت ليبيعوه على الناس بزيادة نصف او نصفين في كل رطل وذهب الى بولاق ومصر القديمة فاستخرج منهما شيئا كثيرا ومعظم ذلك في مخازن للعسكر فان العسكر كانوا يرصدون الفلاحين وغيرهم فيما ياخذونه منهم بالسعر المفروض وهو مائتان وأربعون في العشرة منه ثم يبيعونه على المتسببين اليه بما احبوا من الزيادة الفاحشة فلم يراع جانبهم واستخرج مخبآتهم قهرا عنهم ومن خالف عليه منهم ضربهم وأخذ سلاحهم ونكل به وذهب في بعض الاوقات الى بولاق فاخرج من حاصه

في هذه السنة في العشرين من ذي القعدة توفي ولد الخليفة وهو الاصغر وكان يلقب الملك المعظم واسمه أبو الحسن علي وكان أحب ولدي الخليفة اليه وقد رشحه لولاية العهد بعده وعزل ولده الاكبر عن ولاية العهد واطرحه لاجل هذا الولد وكان رحمه الله كريما كثير الصدقة والمعروف حسن السيرة محبوبا الى الخاص والعام وكان سبب موته انه اصابه اسهال فتوفي وحزن عليه الخليفة حزنا لم يسمع بمثله حتى انه أرسل الى اصحاب الاطراف ينهاهم عن انفاذ رسول اليه يعزيه بولده ولم يقرأ كتابا ولا سمع رسالة وانقطع وخلا بهمومه واحزانه وروي عليه من الحزن والجزع ما لم يسمع بمثله ولما توفي أخرج نهارا ومشى جميع الناس بين يدي تابوته الى تربة جدته عند قبر معروف الكرخي فدفن عندها ولما ادخل التابوت اغلقت الابواب وسمع الصراخ العظيم من داخل التربة فقيل ان ذلك صوت الخليفة واما العامة ببغداد فانهم وجدوا عليه وجدا شديدا ودامت المناحات عليه في اقطار بغداد ليلا ونهارا ولم يبق ببغداد محلة الا وفيها النوح ولم تبق امرأة الا واظهرت الحزن وما سمع ببغداد مثل ذلك في قديم الزمان وحديثه وكان موته وقت وصول رأس منكلي الى بغداد فان الموكب امر بالخروج الى لقاء الرأس فخرج الناس كافة فلما دخلوا بالرأس الى رأس درب حبيب وقع الصوت بموت ابن الخليفة فاعيد الرأس وهذا دأب الدنيا لا يصفو ابدا افراحها من ترح وقد تخلص مصائبها من شائبة الفرح

(ذكر ملك خوارزمشاه غزنة واعمالها)

في هذه السنة في شعبان ملك خوارزمشاه محمد بن تكش مدينة غزنة واعمالها وسبب ذلك ان خوارزمشاه لما استولى على عامة خراسان وملك باميان وغيرها أرسل الى تاج الدين صاحب غزنة وقد تقدمت اخباره حتى ملكها يطلب منه ان يخطب له ويضرب السكة باسمه ويرسل اليه فيلا واحدا ليصالحه ويبقي بيده غزنة ولا يعارضه فيها فاحضر الامراء واعيان دولته واستشارهم وكان فيهم اكبر امير اسمه قتلغ تكين وهو من مماليك شهاب الدين الغوري ايضا واليه الحكم في دولة الدز وهو النائب عنه بغزنة فقال ارى ان تخطب له وتعطيه ما طلب وتستريح من الحرب والقتال وليس لنا بهذا السلطان قوة تقاتل الجماعة مثل قوله فاجاب الى ما طلب منه وخطب لخوارزمشاه وضرب السكة باسمه وارسل اليه فيلا واعاد رسوله اليه ومضى الى الصيد فارسل قتلغ تكين من غزنة الى خوارزمشاه يطلبه ليسلم اليه غزنة فسار مجدا وسبق خبره فسلم اليه قتلغ تكين غزنة وقلعتها فلما دخل اليها قتل من بها من عسكر الغورية لاسيما الاتراك فوصل الخبر الى الدز بذلك فقال ما فعل قتلغ تكين وكيف ملك القلعة مع وجوده فيها فقيل هو الذي احضره وسلمها اليه فمضى هو ومن معه الى لهاوور واقام خوارزمشاه بغزنة فلما تمكن منها احضر قتلغ تكين فقال له كيف حالك مع الدز وكان عالما به وانما اراد ان تكون له الحجة عليه فقال كذا انا مملوك شهاب الدين ولم يكن الدز يقيم بغزنة الا

يبعض الوكائل ثلثمائة وخمسين ماعونا لكبير من العسكر فضر اليه بطائفته فلم يلتفت اليه ووبخه وقال له انتم عساكر لكم الرواتب والعلائف والجوم والاسمان وخلافها ثم تحتكرون ايضا اقوات الناس وتبيعونها عليهم بالثمن الزائد واعطاه الثمن المفروض وحمل المواعين على الجمال الى الامكنة التي اعدها لها عند باب الفتوح وعند ما رأى ارباب الحوانيت الجد وعدم الاهمال والتشديد عليهم فتح المغلق منهم حانوته واظهروا مخبآتهم امامهم وملؤا السدريات والصوت من السمن وانواع الجبن خوفا من بطش المحتسب وعدم رحمته بهم ويقف بنفسه على باعة البطيخ والقاوون (وفي منتصف شهر رمضان) وصلوا برمة ابراهيم بك الكبير من دنقلة وذلك انه لما وصل خبر موته استأذنت زوجته أم ولده الباشا في ارسال امرأة تدعى نفيسة لاحضار رمته فأذن بذلك وعضى المتسفرة فيما بلغني عشرة اكياس وكتب خاما كتبت له شاف لوجه لقبلي بالمساعدة وسافرت وحضرت به في تابوت وقد جف جلده على عظمه بخرقته وذلك بعد موته بخمسة شهور وعملوا له مشهدا وامامه كذارة ودفنوه بالقرافة الصغرى عند ابنه مرزوق بك (وفي ليلة الخميس سابع عشره) طلب المحتسب حجاج الخضري الشهير بشواحي

اربعة اشهر الصيف وانا الحاكم فيها والمرجع الى في كل الامور فقال له خوارزمشاه اذا كنت لا ترعى لرفيقك ومن احسن اليك صحبته واحسانه فكيف يكون حالى انا معك وما الذى تصنع مع ولدى اذا تركته عندك فقبض عليه وأخذ منه امواله وكانت جملتها ثلاثون دابة من اصناف الاموال والامتعة واحضر اربعمائة مملوك فلما اخذ ماله قتله وترك ولده جلال الدين بغزنة مع جماعة من عسكره وامرائه وقيل ان ملك خوارزمشاه غزنة كان سنة ثلاث عشرة وستمائة

●(ذكر استيلاء الدز على لهاوور وقتله)●

لما هرب الدز من غزنة الى لهاوور لقيه صاحبها ناصر الدين قباجة وهو من مماليك شهاب الدين الغوري ايضا وله من البلاد لهاوور وملتان واوجه وديبل وغير ذلك الى ساحل البحر ومعه نحو خمسة عشر الف فارس وكان قد بقي مع الدز نحو الف وخمسمائة فارس فوقع بينهما مصاف واقتتلوا فانهزمت ميمنة الدز وميسرته واخذت الفيلة التى معه ولم يبق له غير فيلين معه فى القلب فقال الفيال اذا انا ملازم بسعادتك وامر احد الفيلين ان يحمل على العلم الذى لقباجة ياخذه وامر الفيل الآخر الذى له ايضا ان ياخذ الجتر الذى له فاخذه ايضا والفيلة المعلمة تفهم ما يقال لها هذا رأيناه فحمل الفيلان وحمل معهما الدز فيمن بقي عنده من العسكر وكشف رأسه وقال بالعجمية ما معناه اما ملك واما هلاك واختلط الناس بعضهم ببعض وفعل الفيلان ما امرهما الفيال من اخذ العلم والجتر فانهزم قباجة وعسكره وملك الدز مدينة لهاوور ثم سار الى بلاد الهند ليملك مدينة دهلة وغيرها مما بيد المسلمين وكان صاحب دهلة امير اسمه الترمش ولقبه شمس الدين وهو من مماليك قطب الدين ايبك مملوك شهاب الدين ايضا كان قد ملك الهند بعد سيده فلما سمع به الترمش سار اليه فى عسكره كلها فلقيه عند مدينة سمانا فاقتتلوا فانهزم الدز وعسكره واخذ وقتل وكان الدز محمود السيرة فى ولايته كثير العدل والاحسان الى الرعية لاسيما التجار والغرباء ومن محاسن عمله انه كان له اولاد ولهم معلم يعلمهم فضرب المعلم احدهم فمات فاحضره الدز وقال له يا مسكين ما حملك على هذا فقال والله ما اردت الا تاديبه فاتفق انه مات فقال صدقت واعطاه نفقة وقال له تغيب فان امه لا تقدر على الصبر فربما اهلكتك ولا اقدر امنع عنك فلما سمعت ام الصبي بموته طلبت الاستاذ لتقتله فلم تجده فسلم وكان هذا من احسن ما يحكى عن احد من الناس

●(ذكر عدة حوادث)●

فى هذه السنة توفى الوجيه المبارك بن ابى الازهر سعيد بن الدهان الواسطى النحوى الضرير كان فخر العراق فاضلا قرأ على الكمال بن الانبارى وعلى غيره وكان حنبليا فصار حنفيا ثم صار شافعيا فقال فيه ابو البركات بن زيد التكريتي

الا مبلغا عنى الوجيه رسالة ● وان كان لا تجدى لديه الرسائل

الرميلة فاخذه الى الجمالية وشنقه على السبيل المجاور لحارة المبيضة وذلك فى سادس ساعة من الليل وقت السحور وتركوه معلقا مثلها من الليلة القابلة ثم اذن برفعه فاخذه اهله ودفنوه وحجاج هو الذى تقدم ذكره غير مرة فى واقعة خورشيد باشا وغيرها وكان مشهورا بالاقدام والشجاعة طويل القامة عظيم الهمة وكان شيخا على طوائف الخضرية صاحب صولة وكلمة بتلك النواحى ومكارم اخلاق وهو الذى بنى البوابة بآخر الرميلة عند عرصة الغلة ايام الفتنة واختفى مرارا بعد تلك الحوادث وانضم الى الالفى ثم حضر الى مصر بامان ولم يزل على حالته فى هدو وسكون ولم يؤخذ فى هذه بجرم فعله يوجب شنقه بل قتل مظلوما كمقد سابق وزجرا لغيره (وفى يوم الاثنين) ثامن عشرين شهر رمضان الموافق لسادس مسرى القبطى اوفى النيل اذرعه فنودى بالوفاء وكسر السد صبح يوم الثلاثاء بحضرة كتخدا بك والقاضى وغيره وجرى الماء فى الخليج ولم يقع فيه مهرجان مثل العادة هذا والمحتسب مواظب على السروح ليلا ونهارا ويعاقب بجرح الآذان والضرب بالدبوس واقعد بعض صناع الكنافة على صوانيهم التى على النار وامر بكنس الاسواق ومواظبة رشها بالماء ووقود القناديل على ابواب الدور وعلى كل ثلاثة من الحوانيت قنديل ويركب آخر الليل ثم يذهب الى بولاق

تذهبت النعمان بعد ابن حنبل * وفارقته اذ اعوزتك المآكل
وما اخترت رأى الشافعى تدينا * ولكنما تهوى الذى هو حاصل
وعما قليل انت لاشك صائر * الى مالك فافطن لما انا قائل

(ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وستمائة)

(ذكر وفاة الملك الظاهر)

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة توفى الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف بن ايوب وهو صاحب مدينة حلب ومنبج وغيرهما من بلاد الشام وكان مرضه اسهالا وكان شديد السيرة ضابطا لاموره كلها كثير الجمع للاموال من غير جهاتها المعتادة عظيم العقوبة على الذنب لا يرى الصفح وله مقصد يقصده كثير من اهل البيوتات من اطراف البلاد والشعراء واهل الدين وغيرهم فيكرمهم ويجرى عليهم الجارى الحسن ولما اشتدت علته عهد بالملك بعده لولد له صغير اسمه محمد ولقبه الملك العزيز غياث الدين عمره ثلاث سنين وعدل عن ولد كبير لان الصغير كانت امه ابنة عمه الملك العادل ابى بكر بن ايوب صاحب مصر ودمشق وغيرهما من البلاد فعهد بالملك له ليبقى عمه البلاد عليه ولا ينازعه فيها ومن اعجب ما يحكى ان الملك الظاهر قبل مرضه ارسل رسولا الى عمه العادل بمصر يطلب منه ان يحلف لولده الصغير فقال العادل سبحان الله اى حاجة الى هذه اليمين الملك الظاهر مثل بعض اولادى فقال الرسول قد طلب هذا واختاره ولا بد من اجابته اليه فقال العادل كم من كبش فى المرعى وخروف عند القصاب وحلف وتفق فى تلك الايام ان توفى الملك الظاهر والرسول فى الطريق ولما عهد الظاهر الى ولده بالملك جعل اتابكه ومربيه خادما روميا اسمه طغرل ولقبه شهاب الدين وهو من خيار عباد الله كثير الصدقة والمعروف ولما توفى الظاهر احسن هذا شهاب الدين السيرة فى الناس وعدل فيهم وازال كثيرا من السنن الجارية واعاد املاكا كانت قد اخذت من اربابها وقام بتربية الطفل احسن قيام وحفظ بلاده واستقامت الامور بحسن سيرته وعدله وملك ما كان يتعذر على الظاهر ملكه فمن ذلك تل باشر كان الملك الظاهر لا يقدر ان يتعرض اليه فلما توفى ملكها كيكاوس ملك الروم كما نذكره ان شاء الله تعالى انتقلت الى شهاب الدين وما اقبح بالملوك وابناء الملوك ان يكون هذا الرجل الغريب المنفرد احسن سيرة واعف عن اموال الرعية واقرب الى الخير منهم ولا اعلم اليوم فى ولاة امور المسلمين احسن سيرة منه فالله يبقيه ويدفع عنه فلقد بلغنى عنه كل حسن وجميل

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى المحرم وقع بالبصرة برد كثير وهو مع كثرته عظيم القدر وقيل كان اصغره مثل النارنجة الكبيرة وقيل فى اكبره ما يستحى الانسان ان يذكره فكسر كثيرا من رؤس النخيل وفى المحرم ايضا سير الخليفة الناصر لدين الله ولدى ابنه المعظم

ليتلقى الواردين بالبطيخ الاخضر والاصفر ويعرف عدة الشروات ويأمرهم بدفع مكوسها المفروضة ثم يأمرهم بالذهاب الى مراكز بيعهم ولا يبيعون شيئا حتى يأتيهم بنفسه او يحضره من يرسله من طرفه ثم يعود طائفا عليهم فيحصى ما فى فرش احدهم عددا و يميز الكبير بثمن والصغير بثمن و يترك عند البائع من يباشره او يقف هو بنفسه و يبيع على الناس بما فرضه ويعطى اصحابه الثمن والربح فيراه قدر بح العشرة قروش وا كثر بعد مكسه ومصادرته فيقول له ما يكفى مثلك ربح هذا القدر حتى تطمع ايضا فى الزيادة عليه وهو مع ذلك يكرو يطوف على غيرهم ويحلق على ما يرد من السمن الوارد الذى تقرر على المزارعين فيزنه منهم بالسعر المفروض وهو اربعة وعشرون نصف الرطل و يرد عليهم القوارع و يعطيه للبائع بالثمن المقرر وهو ستة وعشرون وهم يبيعونه بزيادة نصفين فى كل رطل وهو ثمانية وعشرون وينال الناس باسهل وجدان سالما من الخلط والغش ويأمرهم بعادة ما عسى يوجد فيه من المرتة والعكار الى موعينه يوزن مع فوارغه ورصد ايضا ما يرد للناس ولولا كبر لدونه من السمن فيسبق البعض و يأخذ الباقى بالثمن وكذلك ما يأتيهم من البطيخ و نحو ذلك ولو كان لصاحب المدينة حسب انه لما بذلك كل ذلك

على الى تستر وهما المؤيد والموفق وسارمعهما مؤيد الدين الذي ناب عن الوزارة وعز الدين الشرابي فاقاما بها يسيرا ثم عاد الموفق مع الوزير والشرابي الى بغداد وانوه بيوم الآخر وفيها في صفر هبت ببغداد ريح سوداء شديدة كثيرة الغبار والقتام والقت رملا كثيرا وقلعت كثيرا من الشجر فخاف الناس وتضرعوا ودامت من العشاء الآخرة الى ثلث الليل وانكشفت وفيها توفي التاج زيد بن الحسن بن زيد الكندي ابو اليمن البغدادي المولد والمنشا تنقل بالشام فاقام بدمشق وكان اماما في النحو واللغة وله الاسناد العالي في الحديث وكان ذا فنون كثيرة من انواع العلوم رحمه الله

(ثم دخلت سنة اربع عشرة وستمائة)

(ذكر ملك خوارزمشاه بلد الجبل)

في هذه السنة سار خوارزمشاه علاء الدين محمد بن تكش الى بلاد الجبل فملكها وكان سبب حركته في هذا الوقت اشياء احدها انه كان قد استولى على ماوراء النهر وظفر بالخطا وعظم امره وعلا شانه واطاعه القريب والبعيد ومنها انه كان يهوى ان يخطب له ببغداد ويلقب بالسلطان وكان الامر بالضد لانه كان لا يجد من ديوان الخلافة قبولا وكان سبيله اذا ورد الى بغداد ان يقدم غيره عليه ونعني في عسكره مثله الذي يقدم سبيله عليه فكان اذا سمع ذلك يغضبه ومنها ان اغلمش لما ملك بلاد الجبل خطب له فيها جميعها كما ذكرناه فلما قتله الباطنية غضب له وخرج اشلا لتخرج البلاد عن طاعته فسار مجدا في عساكر تطبق الارض فوصل الى الري فملكها وكان اتابك سعد بن دكلا صاحب بلاد فارس لما بلغه مقتل اغلمش جمع عساكره وسار نحو بلاد الجبل طمعا في تملكها لخلوها عن حام ومانع فوصل الى اصفهان فاطاعه اهلها وسار منها يريد الري ولم يعلم بقدوم خوارزمشاه فلقيه مقدمة خوارزمشاه فقاتلهم عساكر اتابك الديار قد اجتمعت لقتاله ومنعه عن البلاد فقاتلهم وجد في محاربتهم حتى كاد يهزمهم فبينما هو كذلك واذ هو قد ظهر له جتر خوارزمشاه فسال عنه فاخبر به فاستسلم وانهزمت عساكره واخذ اسيرا وحمل الى بين يدي خوارزمشاه فاكرمه ووعده الاحسان والجميل وامنه على نفسه واستحلفه على ... وستقرت القاعدة بينهما على ان يسلم بعض البلاد اليه ويبقى بعضها واطلقه وسير معه جيشا الى بلاد فارس ليسلم اليهم ما استقرت القاعدة عليه فلما قدم وجد ولده الاكبر اباه قد تغلب على بلاد فارس فمنعه من تسليم ابيه ثم انه ملك البلاد كما نذكره وخطب فيها لخوارزمشاه وسار خوارزمشاه الى ... فملكها قطعها ممن ... الملك عارض جيشه وعوض اهلها ثم سار الى تبريز وزنجان وغيرها مما كان بغير سلطان ولا مدافع ثم سار الى همذان فملكها واقطع البلاد لاصحابه ودخلت صفوف ... كذلك تم ... جميع البلاد واستقرت القاعدة بينه وبين ... البهلوان صاحب اذربيجان وارانية ان يخطب له ... في بلاده ويدخل في طاعته ثم عزم على المسير الى بغداد

والهلاوية وخلافهم وطلب قوانم مشترواتهم والنظر في مكاييلهم فضاق خناق اكثر الناس من ذلك لكونهم لم يعتادوه من محتسب قبله وكانه وصله خبر ولاة الحسبة واحكامهم في الدول المصرية القديمة فان وظيفة امين الاحتساب وظيفة قضاء وله التحكم والعدالة والتكلم على جميع الاشياء وكان لا يتولاها الا المتضلع من جميع المعارف والعلوم والقوانين ونظام العدالة حتى على من يتصدر لتحرير العلوم فيحضر مجلسه ويباحثه فان وجد فيه اهلية للالقاء اذن له بالتصدر والا منعه حتى يستكمل وكذلك الاطباء والجراحية حتى البيطارية والبزدرية ومعلمو الاطفال في المكاتب ومعلمو السباحة في الماء والنظر في سوق المراكب في الاسفار واحمال الدواب في نقل الاشياء ومقادير روايا الماء مما يطول شرحه وفي ذلك مؤلف الشيخ ابن الرفعة وقد يسهل بعض ذلك مع العدالة وعدم الاحتكار وطمع المتولى وتطلعه لما في ايدي الناس وارزاقهم (ومما يحكى) ان الرشيد سال الليث ابن سعد فقال له يا ابا الحرث

فقدم بين يديه اميرا كبيرا فى خمسة عشر الف فارس واقطعه حلوان فسار حتى وصل اليها ثم اتبعه باميرآخر فلما سار عن همذان يومين او ثلاثة سقط عليهم من الثلج مالم يسمع بمثله فهلكت دوابهم ومات كثير منهم وطمع فيهم بنو برجم الاتراك وبنو هكار الاكراد فتخطفوهم فلم يرجع منهم الى خوارزمشاه الا اليسير فتطير خوارزمشاه من ذلك الطريق وعزم على العود الى خراسان خوفا من التتر لانه ظن انه يقضى حاجته ويفرغ من ارادته فى المدة اليسيرة فخاب ظنه ورأى البيكار بين يديه طويلا فعزم على العود فولى همذان اميرا من اقاربه من جهة والدته يقال له طائيسى وجعل فى البلاد جميعها ابنه ركن الدين وجعل معه متوليا الامر دولته عماد الملك الساوى وكان عظيم القدر عنده وكان يحرض على قصد العراق وعاد خوارزمشاه الى خراسان فوصل الى مرو فى المحرم سنة خمس عشرة وستمائة وسار من وجهه الى ماوراء النهر ولما قدم الى نيسابور جلس يوم الجمعة عند المنبر وامر الخطيب بترك الخطبة للخليفة الناصر لدين الله وقيل انه قد مات وكان ذلك فى ذى القعدة سنة اربع عشرة وستمائة ولما قدم مرو قطع الخطبة بها وكذلك ببلخ وبخارا وسرخس وبقى خوارزم وسمرقند وهراة لم تقطع الخطبة فيها الا عن قصد لتركها لان البلاد كانت لا تعارض من اشباه هذا ان احبوا خطبوا وان ارادوا قطعوا فبقيت كذلك الى ان كان منه ما كان وهذه من جملة سعادات هذا البيت الشريف العباسى لم يقصده احد باذى الا لقيه فعله وخبث نيته لا سيما لم يمهل هذا خوارزمشاه حتى جرى له ما نذكره مما لم يسمع بمثله فى الدنيا قديما ولا حديثا

(ذكر ما جرى لاتابك سعد مع اولاده)

لما قتل ايغلمش صاحب بلاد الجبل همذان واصفهان وما بينهما من البلاد جمع اتابك سعد بن دكلا صاحب فارس عساكره وسار من بلاده الى اصفهان فملكها واطاعه اهلها فطمع فى تلك البلاد جميعها فسار من اصفهان الى الرى فلما وصل اليها لقى عساكر خوارزمشاه قد وصلت كما ذكرناه فعزم على محاربة مقدمة العسكر فقاتلها حتى كاد يهزمها فظهرت عساكر خوارزمشاه ورأى الجتر فسقط فى يديه والقى نفسه وضعفت قوته وقوة عسكره فولوا الادبار واخذ اتابك سعد اسيرا واحضر بين يدى خوارزمشاه فاكرمه وطيب نفسه ووعده الاحسان واستصحبه معه الى ان وصل الى اصفهان فسيره منها الى بلاده وهى تجاورها وسير معه عسكرا مع امير كبير ليتسلم منه ما كان استقر بينهما فانهما اتفقا على ان يكون لخوارزمشاه بعض البلاد ولاتابك سعد بعضها وتكون الخطبة لخوارزمشاه فى البلاد جميعها وكان اتابك سعد قد استخلف ابنه على البلاد فلما سمع الابن باسر ابيه خطب لنفسه بالمملكة وقطع خطبة ابيه فلما وصل ابوه ومعه عسكر خوارزمشاه امتنع الابن من تسليم البلاد الى ابيه وجمع لما تروخ جيشا لقيه فلما تراءى الجمعان انحازت عساكره الى صاحبهم اتابك

احكامها فى راس العين باقى (وفى اواخر رمضان) زاد المحتسب فى تضمينات الطنبور وهو انه ارسل مناديه فى مصر القديمة ينادى على نصارى الارمن والاروام والشوام باخلاء البيوت التى عمروها وزخرفوها وسكنوا بها بالانشاء والملك والمؤاجرة المطلة على النيل وان يعودوا الى زيهم الاول من لبس العمائم الزرق وعدم ركوبهم الخيول والبغال والرهوانات الفارهة واستقدامهم المسلمين فتقدم اعاظمهم الى الباشا بالشكوى وهو راض عن جانبهم لانهم صاروا اخصاء الدولة وجلساء الحضرة وندماء الصحبة (وايضا) نادى مناديه على المردان وحلق اللحى بانهم يتركونها ولا يحلقونها وجميع العسكر وغالب الاتراك يحلقون لحاهم ولو طعن فى السن فاشيع فيهم ان يامرهم بترك لحاهم وذلك خرم لقواعدهم بل يرونه من الكبائر وكذلك السيد محمد المحروقى بسبب تعرضه الى بضائع التجار واهل الغورية عن ذلك منوط به (وفى اثناء ذلك) ورد الى عابدين بك مراكب من فارس الجمال لى حاجها من ساحل بولاق فبلغ خبرها المحتسب فاخذها وادخلها مخزنه وعادت الجمال فارغة واخبروا عابدين بك بحجز المحتسب فارسل عدة من العسكر فلم يجدوا من الذهب و... سعدوه ولم يكن المحتسب حاضرا واتفق انه ضرب شيئا

من عسكر المذكور وارتودي بالدبوس حتى كاد يموت فاشتد بها بين بك الحنق وركب الى كتخدا بك وشنع على المحتسب وتعددت الشكاوي وصادفت في زمن واحد فانهى الامر الى الباشا فتقدم اليه بكف المحتسب عن هذه الافعال فاحضره الكتخدا وزجره وأمره أن لا يتعدى حكمه الباعة ومن كان يسري عليهم أحكام من كان في منصبه قبله وان يكون أمامه الميزان ويؤدب المستحق بالكرابيج دون الدبوس

●(واستهل شهر شوال بيوم الخميس سنة ١٢٣٢)●

فترك السروح في أيام العيد واشيع بين السوقة عزله فاظهروا الفرح ورفعوا ما كان ظاهرا بين أيديهم من السمن والجبن واخفوه عن الاعين ورجعوا الى حالتهم الاولى في الغش والخيانة وغلاء السعر واغلق بعضهم الحانوت وخرجوا الى المتنزهات وعملوا ولائم (وفي رابعه) شنقوا عدة اشخاص في اماكن متفرقة قيل انهم سراق وزغلية وكانوا مسجونين في ايام رمضان ولم يركب المحتسب حسب الامر بل اركب خازنداره وشق بالميزان عوضا عنه ثم ركب هو ايضا وبيده الدبوس لكن دون الحالة الاولى في الجبروت ولم يسر حكمه على النصارى فضلا من غيرهم (وفي عاشره يوم السبت) نزلوا بكسوة الكعبة من القلعة وشقوا بها من وسط الشارع الى المشهد الحسيني (وفي يوم السبت سابع عشره)

سعد وتركوا ابنه في خاصته فحمل على أبيه فلما رآه أبوه ظن انه لم يعرفه فقال له أنا فلان فقال اياك أردت فحينئذ امتنع منه وولى الابن منهزما ووصل أتابك سعد الى البلاد فدخلها ملكا لها وأخذ ابنه أسيرا فحبسه الى الآن الا انني سمعت الآن وهو سنة عشرين وستمائة انه قد خفف حبسه ووسع عليه ولما عاد خوارزمشاه الى خراسان غدر سعد بالامير الذي عنده فقتله ورفع عن طاعة خوارزمشاه واشتغل خوارزمشاه بالحادثة العظمى التي شغلته عن هذا وغيره لكن الله انتقم له بابنه غياث الدين كما ذكرناه سنة عشرين وستمائة لان سعدا كفر احسان خوارزمشاه وكفر الاحسان عظيم العقوبة

●(ذكر ظهور الفرنج الى الشام ومسيرهم الى ديار مصر وملكهم مدينة دمياط وعودها الى المسلمين)●

كان من أول هذه الحادثة الى آخرها اربع سنين غير شهر وانما ذكرناها ههنا لان ظهورهم كان فيها وسقناها سياقة متتابعة ليتلو بعضها بعضا فنقول في هذه السنة وصلت امداد الفرنج في البحر من رومية الكبرى وغيرها من بلاد الفرنج في الغرب والشمال الا ان المتولي لها كان صاحب رومية لانه ينزل عند الفرنج بمنزلة عظيمة لا يرون مخالفة أمره ولا العدول عن حكمه فيما سرهم وساءهم فجهز العساكر من عنده مع جماعة من مقدمي الفرنج وأمر غيره من ملوك الفرنج ان يسير بنفسه أو يرسل جيشا ففعلوا ما أمرهم فاجتمعوا بعكا من ساحل الشام وكان الملك العادل ابو بكر بن ايوب بمصر فسار منها الى الشام فوصل الى الرملة ومنها الى لد وبرز الفرنج من عكا ليقصدوه فسار العادل نحوهم فوصل الى نابلس عازما على ان يسبقهم الى أطراف البلاد مما يلي عكا ليحميها منهم فساروا هم فسبقوه فنزل على بيسان من الاردن فتقدم الفرنج اليه في شعبان عازمين على محاربته لعلمهم انه في قلة من العسكر لان العساكر كانت متفرقة في البلاد فلما رأى العادل قربهم منه لم ير ان يلقاهم في الطائفة التي معه خوفا من هزيمة تكون عليه وكان حازما كثير الحذر ففارق بيسان نحو دمشق ليقيم بالقرب منها ويرسل الى البلاد ويجمع العساكر فوصل الى مرج الصفر فنزل فيه وكان اهل بيسان وتلك الاعمال لما رأوا الملك العادل عندهم اطمأنوا فلم يفارقوا بلادهم ظنا منهم ان الفرنج لا يقدمون عليه فلما قدموا سار وعلى غرة من الناس فلم يقدر على النجاة الا القليل فاخذ الفرنج كل ما في بيسان من ذخائر قد جمعت وكانت كثيرة وغنموا شيئا كثيرا ونهبوا البلاد من بيسان الى بانياس وبثوا السرايا في القرى ووصلت الى خسفين ونوى وأطراف البلاد ونازلوا بانياس وأقاموا عليها ثلاثة أيام ثم عادوا عنها الى مرج عكا ومعهم من الغنائم والسبي والاسرى ما لا يحصى كثرة سوى ما قتلوا واحرقوا واهلكوا فاقاموا اياما استراحوا ثم جاؤا الى صور وقصدوا بلد الشقيف ونزلوا بينهم وبين بانياس مقدار فرسخين فنهبوا البلاد صيدا والشقيف وعادوا الى عكا وكان هذا من نصف رمضان الى العيد والذي سلم من تلك البلاد كان

مختفيا حتى قدر على النجاة ولقد بلغني ان العادل لما سار الى مرج الصفر رأى في طريقه رجلا يحمل شيئا وهو يمشي تارة ويقعد تارة ليستريح فعدل العادل اليه وحده فقال له يا شيخ لا تعجل وارفق بنفسك فعرفه الرجل فقال يا سلطان المسلمين انت لا تعجل فانا اذا رأيناك قد سرت الى بلادك وتركتنا مع الاعداء كيف لا نعجل وبالجملة الذي فعله العادل هو الحزم والمصلحة لئلا يخاطر بالقاء على حال تفرق من العساكر ولما نزل العادل على مرج الصفر سير ولده الملك المعظم عيسى وهو صاحب دمشق في قطعة صالحة من الجيش الى نابلس ليمنع الفرنج عن البيت المقدس

ذكر حصر الفرنج قلعة الطور وتخريبها

لما نزل الفرنج بمرج عكا تجهزوا واخذوا معهم آلة الحصار من مجانيق وغيرها وقصدوا قلعة الطور وهي قلعة منيعة على رأس جبل بالقرب من عكا كان العادل قد بناها عن قريب فتقدموا اليها وحصروها وزحفوا اليها وصعدوا في جبلها حتى وصلوا الى سورها وكادوا يملكونه فاتفق ان بعض المسلمين ممن فيها قتل بعض ملوكهم فعادوا عن القلعة وتركوها وقصدوا عكا وكان مدة مقامهم على الطور سبعة عشر يوما ولما فارقوا الطور اقاموا قريبا ثم ساروا في البحر الى ديار مصر على ما نذكره ان شاء الله تعالى فتوجه الملك المعظم الى قلعة الطور فخربها الى ان الحقها بالارض لانها بالقرب من عكا ويتعذر حفظها

ذكر حصر الفرنج دمياط الى ان ملكوها

لما عاد الفرنج من حصار الطور اقاموا بعكا الى ان دخلت سنة خمس عشرة وستمائة فساروا في البحر الى دمياط فوصلوا في صفر فارسوا على بر الجيزة بينهم وبين دمياط النيل فان بعض النيل يصب في البحر المالح عند دمياط وقد بني في النيل برج كبير منيع وجعلوا فيه سلاسل من حديد غلاظ ومدوها في النيل الى سور دمياط لتمنع المراكب الواصلة من البحر المالح ان تصعد في النيل الى ديار مصر ولولا هذا البرج وهذه السلاسل لكانت مراكب العدو لا يقدر احد على منعها عن اقاصي ديار مصر وادانيها فلما نزل الفرنج على بر الجيزة وبينهم وبين دمياط النيل بنوا عليهم سورا وجعلوا خندقا يمنعهم ممن يريدهم وشرعوا في قتال من بدمياط وعملوا آلات ومرمات وابراجا يزحفون بها في المراكب الى هذا البرج ليقاتلوه ويملكوه وكان البرج مشحونا بالرجال وقد نزل الملك الكامل ابن الملك العادل وهو صاحب دمياط وجميع ديار مصر بمنزلة تعرف بالعادلية بالقرب من دمياط والعساكر متصلة من عنده الى دمياط ليمنع العدو من العبور الى ارضها وادام الفرنج قتال البرج وتابعوه فلم يظفروا منه بشيء وكسرت مرماتهم وآلاتهم ومع هذا فهم ملازمون لقتاله فبقوا كذلك اربعة اشهر ولم يقدروا على اخذه ثم بعد ذلك ملكوا البرج فلما ملكوه قطعوا السلاسل لتدخل مراكبهم من البحر المالح في النيل ويتحكموا في البر فنصب الملك الكامل

زوال الشمس وخرج امير الركب ... الى خارج باب النصر ووصل ... حجاج كثيرة من ناحية المغرب الى بر انبابة وبولاق واتفقوا يشترون الاغنام من الفلاحين ويذبحونها ويبيعونها ببولاق وطرقها على الناس جزافا من غير وزن ويذهب الكثير من الناس الى الشراء منهم فيقعون في الغبن الفاحش والزيادة على السعر بالضعف و... كثر ضررهم في الشراء منهم ... من المذبح من اغنام الباشا المحضرة من البلاد والقرى وقد هزلت من السفر والاقامة بالجوع والعطش ويموت الكثير منها فيسلمونه ويرتبونه على الجزارين بالبيع للناس وفيه المتغير الرائحة وما تعافه النفوس وبسبب ذلك اضطر الناس الى الشراء من هؤلاء الاجناس بالغبن وتحمل سوء اخلاقهم وحصل بينهم وبين بعض العسكر شرور وقتل بينهم قتلى وتجاريح والمشار وحكام الوقت يتغافلون عنهم خوفا من وقوع الفتن ثم ارتحلوا لانهم كثروا وملؤوا الازقة والنواحي وحضر ايضا ركب الفاسي وفيه ولد السلطان سليمان ومن بصحبته فاحتفل الباشا بهم وتقيد السيد محمد المحروقي بملاقاتهم ولوازمهم وانزلوهم في منزل ... واجريت عليهم النفقات ... ويوم ... (في ثامن عشرينه) رتحل الحج المصري من البركة ...

عوض السلاسل جسرا عظيما امتنعوا به من سلوك النيل ثم انهم قاتلوا عليه ايضا قتالا شديدا كثيرا متتابعا حتى قطعوه فلما قطع اخذ الملك الكامل عدة مراكب كبار وملاها وخرقها وغرقها في النيل فمنعت المراكب من سلوكه فلما رأى الفرنج ذلك قصدوا خليجا هناك يعرف بالازرق كان النيل يجري عليه قديما فحفروا ذلك الخليج وعمقوه فوق المراكب التي جعلت في النيل واجروا الماء فيه الى البحر المالح واصعدوا مراكبهم فيه الى موضع يقال له بورة على ارض الجيزة ايضا مقابل المنزلة التي فيها الملك الكامل ليقاتلوه من هنالك فانهم لم يكن لهم اليه طريق يقاتلونه فيها كانت دمياط تحجز بينهم وبينه فلما صاروا في بورة حاذوه فقاتلوه في الماء وزحفوا اليه غير مرة فلم يظفروا بطائل ولم يتغير على اهل دمياط شيء لان الميرة والامداد متصلة بهم والنيل يحجز بينهم وبين الفرنج فهم ممتنعون لا يصل اليهم اذى وابوابها مفتحة وليس عليهم من الحصر ضيق ولا ضرر فاتفق لما يريد الله عز وجل ان الملك العادل توفي في جمادى الآخرة من سنة خمس عشرة وستمائة على ما نذكره ان شاء الله فضعفت نفوس الناس لانه السلطان حقيقة واولاده وان كانوا ملوكا الا انهم بحكمه والامر اليه وهو ملكهم البلاد فاتفق موته والحال هكذا من مقاتلة العدو وكان من جملة الامراء بمصر امير يقال له عماد الدين احمد بن علي ويعرف بابن المشطوب وهو من الاكراد الهكارية وهو اكبر امير بمصر وله لفيف كثير وجميع الامراء ينقادون اليه ويطيعونه لاسيما الاكراد فاتفق هذا الامير مع غيره من الامراء وارادوا ان يخلعوا الملك الكامل من الملك ويملكوا اخاه الملك الفائز بن العادل ليصير الحكم اليهم عليه وعلى البلاد فبلغ الخبر الى الكامل ففارق المنزلة ليلا جريدة وسار الى قرية يقال لها اشموم طناح فنزل عندها واصبح العسكر وقد فقدوا سلطانهم فركب كل انسان منهم هواه ولم يقف الاخ على اخيه ولم يقدروا على اخذ شيء من خيامهم وذخائرهم واموالهم واسلحتهم الا اليسير الذي يخف حمله وتركوا الباقي بحاله من ميرة وسلاح ودواب وخيام وغير ذلك ولحقوا بالكامل واما الفرنج فانهم اصبحوا من الغد فلم يروا من المسلمين احدا على شاطئ النيل كجاري عادتهم فبقوا لا يدرون ما الخبر واذ قد اتاهم من اخبرهم الخبر على حقيقته فعبروا حينئذ النيل الى بر دمياط آمنين بغير منازع ولا ممانع وكان عبورهم في العشرين من ذي القعدة سنة خمس عشرة وستمائة فغنموا ما في عسكر المسلمين فكان عظيما يعجز العادين وكان الملك الكامل قد فارق الديار المصرية لانه لم يثق باحد من عسكره وكان الفرنج ملكوا الجميع بغير تعب ولا مشقة فاتفق من لطف الله تعالى بالمسلمين ان الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل وصل الى اخيه الكامل بعد هذه الحركة بيومين والناس في امر مريج فقوي به قلبه واشتد ظهره وثبت جنانه واقام بمنزلته واخرجوا ابن المشطوب الى الشام فاتصل بالملك الاشرف وصار من جنده ثم عبر الفرنج الى ارض دمياط اجتمعت العرب على اختلاف قبائلها ونهبوا البلاد المجاورة لدمياط وقطعوا الطريق وافسدوا وبالغوا في الافساد فكانوا اشد على المسلمين من الفرنج وكان اضر شيء على اهل دمياط انها

وكانت الحوادث في هذه السنة كثيرة من سائر الاجناس اتراك وططر وبشناق وجركس وفلاحين ومن سائر الاجناس وجمع الكثير من المسافرين على بحر القلزم الى الحجازيين السويس لقلة المراكب التي تحملهم وغصت المدينة من كثرة الزحام زيادة على ما بها من ازدحام العساكر واخلاط العالم من فلاحي القرى المشتغلين والمسافرين ومن يرد من الآفاق والبلاد الشامية ونصارى الروم والارمن والدلاة والواردين والذين استدعاهم الباشا من الدروز والمتاولة والنصيرية وغيرهم لعمل الصنائع والمزارع وشغل الحرير وما استجده بوادي الشرق حتى ان الانسان يقاسي الشدة والهول اذا مر بالشارع من كثرة الازدحام ومرور الخيالة وحمير الاوسية والجمال التي تحمل الاتربة والانقاض والاحجار لعمائر الدولة سوى ما عداها من حمول الاحطاب والبضائع والتراسين حتى الزحمة في داخل العطف الضيقة وزيادة على ذلك كثرة الكلاب بحيث يكون في القطعة من الطريق نحو الخمسين ثم صياحها ونباحها المستمر وخصوصا في الليل على المارين وتشاجرها مع بعضها مما يزعج النفوس ويمنع الهجوع وقد احسن الفرنساوية بتتبعهم الكلاب فانهم لما استمروا وتكرر مرورهم ونظروا الى كثرة الكلاب من غير حاجة ولا

لم يكن بها من العسكر احد لان السلطان ومن معه من العساكر كانوا عندها يمنعون العدو منها فاتتهم هذه الحركة بغتة فلم يدخلها احد من العسكر وكان ذلك من فعل ابن المشطوب لاجرم لم يمهله الله واخذه اخذة رابية على ما نذكره ان شاء الله تعالى واحاط الفرنج بدمياط وقاتلوها برا وبحرا وعملوا عليهم خندقا يمنعهم ممن يريدهم من المسلمين وهذه كانت عادتهم واداموا القتال واشتد الامر على اهلها وتعذرت عليهم الاقوات وغيرها وسئموا القتال وملازمته لان الفرنج كانوا يتناوبون القتال عليهم لكثرتهم وليس بدمياط من الكثرة ما يجعلون القتال بينهم مناوبة ومع هذا فصبروا صبرا لم يسمع بمثله وكثر القتل فيهم والجراح والموت والامراض ودام الحصار عليهم الى السابع والعشرين من شعبان سنة ست عشرة وستمائة فعجز من بقي من اهلها عن الحفظ لقلتهم وتعذر القوت عندهم فسلموا البلد الى الفرنج في هذا التاريخ بالامان فخرج منهم قوم واقام آخرون لعجزهم عن الحركة فتفرقوا ايدي سبا

●(ذكر ملك المسلمين دمياط من الفرنج)●

لما ملك الفرنج دمياط اقاموا بها وبثوا سراياهم في كل ما جاورهم من البلاد ينهبون ويقتلون فجلا اهلها عنها وشرعوا في عمارتها وتحصينها وبالغوا في ذلك حتى انها بقيت لا ترام واما الملك الكامل فانه اقام بالقرب منهم في اطراف بلاده يحميها ولما سمع الفرنج في بلادهم بفتح دمياط على اصحابهم اقبلوا يهرعون من كل فج عميق واصبحت دار هجرتهم وعاد الملك المعظم صاحب دمشق الى الشام فخرب البيت المقدس في ذي القعدة من السنة وانما فعل ذلك لان الناس كافة خافوا الفرنج واشرف الاسلام وكافة اهله وبلاده على خطة خسف في شرق الارض وغربها اقبل التتر من المشرق حتى وصلوا الى نواحي العراق واذربيجان واران وغيرها على ما نذكره ان شاء الله تعالى واقبل الفرنج من المغرب فملكوا مثل دمياط في الديار المصرية مع عدم الحصون المانعة بها من الاعداء واشرف سائر البلاد بمصر والشام على ان تملك وخافهم الناس كافة وصاروا يتوقعون البلاء صباحا ومساء واراد اهل مصر الجلاء عن بلادهم خوفا من العدو ولات حين مناص والعدو قد احاط بهم من كل جانب ولو مكنهم الكامل من ذلك لتركوا البلاد خاوية على عروشها وانما منعوا منه فثبتوا وتابع الملك الكامل كتبه الى اخويه المعظم صاحب دمشق والملك الاشرف موسى بن العادل صاحب ديار الجزيرة وارمينية وغيرهما يستنجدهما ويحثهما على الحضور بانفسهما فان لم يكن فيرسلان العساكر اليه فسار صاحب دمشق الى الاشرف بنفسه فرآه مشغولا عن نجدته بما دهمه من اختلاف الكلمة عليه وزوال الطاعة عن كثير ممن كان يطيعه ونحن نذكر ذلك سنة خمس عشرة وستمائة ان شاء الله عند وفاة الملك القاهر صاحب الموصل فلينظر من هناك فعذره وعاد عنه وبقي الامر كذلك مع الفرنج واما الملك الاشرف فزال الخلف من بلاده ورجع الملوك الخارجون عن طاعته اليه

منفعة سوى الهيبة والعوام وخصوصا عليهم لغرابة اشكالهم فطاف عليها طائف منهم بالهم المحموم فاصبح النهار الا وجميعها وهي مطروحة بجميع الشوارع فكان الناس والصغار يسحبونها كذلك بالحبال الى الخلاء واستراحت الارض ومن فيها منها فالله يكشف عنا مطلق الكرب في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه

●(واستهل شهر ذي القعدة سنة ١٢٣٢)●

في خامسه يوم الاربعاء وليلة الخميس ارتحل ركب الحجاج المغاربة من الحصوة (وفي اواخره) حصل الامر للفقهاء بالازهر بقراءة صحيح البخاري فاجتمع الكثير من الفقهاء والمجاورين وفرقوا بينهم اجزاء وكراريس من البخاري يقرؤون فيها في مقدار ساعتين من النهار بعد الشروق فاستمروا على ذلك خمسة ايام وذلك بقصد حصول النصر لابراهيم باشا عن الوهابية وقد طالت مدة انقطاع الاخبار عنه وحصل لابيه قلق زائد ولما انقضت ايام قراءة البخاري نزل للفقهاء عشرون كيسا فرقت عليهم وكذلك على اطفال المكاتب

●(واستهل شهر ذي الحجة بيوم الاحد سنة ١٢٣٢)●

في رابعه شنقوا اشخاصا قيل انهم خمسة قيل انهم حرامية (وفيه) وصلت الاقيال الثلاثة في دار السلطنة صحبة اغا باشا المرسلة ثلاثة مروج

واستقامت

واستقامت له الامور الى سنة ثمان عشرة وستمائة والملك الكامل مقابل الفرنج فلما دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة لم يزل الملك الاشرف عن انجاده فارسل يستنجده واخاه صاحب دمشق فصار صاحب دمشق يحثه على المسير ففعل وسار الى دمشق فيمن معه من العساكر وأمر الباقين باللحاق به الى دمشق وأقام بها ينتظرهم فاشار عليه بعض أمرائه ونصحه بانفاذ العساكر والعود الى بلاده خوفا من اختلاف يحدث فلم يقبل قولهم وقال قد خرجت للجهاد ولابد من اتمام ذلك العزم فسار الى مصر وكان الفرنج قد ساروا عن دمياط الفارس والراجل وقصدوا الملك الكامل ونزلوا مقابله بينهما خليج من النيل يسمى بحر أشمون وهم يرمون بالمنجنيق والجرخ الى عسكر المسلمين وقد تيقنوا هم وكل الناس انهم يملكون الديار المصرية وأما الاشرف فانه سار حتى وصل مصر فلما سمع أخوه الكامل بقربه منهم توجه اليه فلقيه واستبشر هو وكافة المسلمين باجتماعهما لعل الله يحدث بذلك نصرا وظفرا وأما الملك المعظم صاحب دمشق فانه سار أيضا الى ديار مصر وقصد دمياط ظنا منه ان أخويه وعسكريهما قد نازلوها وقيل بل أخبر في الطريق أن الفرنج قد توجهوا الى دمياط فسابقهم اليها ليلقاهم من بين أيديهم وأخواه من خلفهم والله أعلم ولما اجتمع الاشرف بالكامل استقر الامر بينهما على التقدم الى خليج من النيل يعرف ببحر المحلة فتقدموا اليه فقاتلوا الفرنج وازدادوا قربا وتقدمت شواني المسلمين من النيل وقاتلوا شواني الفرنج فاخذوا منها ثلاث قطع بمن فيها من الرجال وما فيها من الاموال والسلاح ففرح المسلمون بذلك واستبشروا وتفاءلوا وقويت نفوسهم واستطالوا على عدوهم هذا يجري والرسل مترددة بينهم في تقرير قاعدة الصلح وبذل المسلمون لهم تسليم البيت المقدس وعسقلان وطبرية وصيدا وجبلة واللاذقية وجميع ما فتحه صلاح الدين ماعدا الكرك ليسلموا دمياط فلم يرضوا وطلبوا ثلثمائة ألف دينار عوضا عن تخريب القدس ليعمروه بها فلم يتم بينهم أمر وقالوا لابد من الكرك فبينما الامر في هذا وهم يمتنعون فاضطر المسلمون الى قتالهم وكان الفرنج لاقتدارهم في نفوسهم لم يستصحبوا معهم ما يقوتهم عدة أيام ظنا منهم ان العساكر الاسلامية لاتقوم لهم وان القرى والسواد جميعه يبقى بايديهم يأخذون منه ما ارادوا من الميرة لامر يريده الله تعالى بهم فعبر طائفة من المسلمين الى الارض التي عليها الفرنج ففجروا النيل فركب الماء اكثر تلك الارض ولم يبق للفرنج جهة يسلكون منها غير جهة واحدة فيها ضيق فنصب الكامل حينئذ الجسور على النيل عند أشمون وعبرت العساكر عليها فملكت الطريق الذي يسلكه الفرنج ان ارادوا العود الى دمياط فلم يبق لهم خلاص واتفق في تلك الحال انه وصل اليهم مركب كبير للفرنج من اعظم المراكب يسمى مرمة وحوله عدة حراقات تحميه والجميع مملوءة من الميرة والسلاح وما يحتاجون اليه فوقع عليها شواني المسلمين وقاتلوهم فظفروا بالمرمة وبما معها من الحراقات وأخذوها فلما رأى الفرنج ذلك سقط في أيديهم ورأوا انهم قد ضلوا الصواب بمفارقة دمياط في أرض يجهلونها هذا وعساكر المسلمين محيطة

ذهب وفيها ... مرصع بجوهر وخيول وكباش ونقود وأقمشة هندية وسكاكر وأرز ١٠١ (وفيه) وصل فيل آخر كبير ورواه من وسط المدينة وذهبوا به الى رحبة بيت السيد محمد المحروقي وتقوا به في أواخر النهار والناس تجتمع للفرجة عليه الى أواخر النهار ثم طلعوا به الى القلعة واوقفوه بالطبخانه وهي محل عمل المدافع وحضر بصحبته شخص يدعي العلم والمعرفة بالطب والحكمة ومعه مجلد كبير في حجم الوسادة يحتوي على الكتب الستة الحديثية وخطه دقيق قال انه نسخه بيده ونزل ببيت السيد محمد المحروقي وركب له معجون الجواهر انفق فيه جملة من المال وكحلا وركب ايضا تراكيب لغيره وشرط عليهم في الاستعمال بعد مضي ستة اشهر ومشى منها بعد شهرين وثلاثة واقام اياما ثم سافر راجعا الى صنعاء (وفي يوم الثلاثاء عاشره) كان عيد النحر ولم يرد فيه مواش كثيرة كالاعياد السابقة من الاغنام والجواميس التي تأتي من الارياف فكانت تزدحم منها الاسواق لكثرتها والوكائل والرميلة فلم يرد الا النزر القليل قبل النحر بيومين ويباع بالثمن الغالي ولم يذبح الجزارون في ايام النحر للبيع كعادتهم الا القليل منهم مع التصبير على الجلود وعلى من يشتريها وتباع لطرف الدولة بالثمن الرخيص جدا ❊ واتصف المنسم استمرار ما يحدد فيما من الحوادث التي منها ما حدث في آخر السنة من

بهم يرمونهم بالنشاب ويحملون على أطرافهم فلما اشتد الأمر على الفرنج أحرقوا خيامهم ومجانيقهم وأثقالهم وأرادوا الزحف الى المسلمين ومقاتلتهم لعلهم يقدرون على العود الى دمياط فرأوا ما أملوه بعيدا وحيل بينهم وبين ما يشتهون لكثرة الوحل والمياه حولهم والوجه الذي يقدرون على سلوكه قد ملكه المسلمون فلما تيقنوا أنهم قد أحيط بهم من سائر جهاتهم وأن ميرتهم قد تعذر عليهم وصولها وأن المنايا قد كشرت لهم عن أنيابها ذلت نفوسهم وتنكست صلبانهم وضل عنهم شيطانهم فراسلوا الملك الكامل والأشرف يطلبون الأمان ليسلموا دمياط بغير عوض فبينما المراسلات مترددة اذ أقبل جيش كبير لهم رهج شديد وجلبة عظيمة من جهة دمياط فظنه المسلمون نجدة أتت للفرنج فاستشعروا واذا هو الملك المعظم صاحب دمشق قد وصل اليهم وكان قد جعل طريقه على دمياط لما ذكرناه فاشتد ظهور المسلمين وازداد الفرنج خذلانا ووهنا وتمموا الصلح على تسليم دمياط واستقرت القاعدة والأيمان سابع رجب من سنة ثمان عشرة وستمائة وانتقل ملوك الفرنج وكنودهم وقمامصتهم الى الملك الكامل والأشرف رهائن على تسليم دمياط ملك عكا ونائب البابا صاحب رومية وكندريش وغيرهم وكتبوا الى من بها من الفرنج وأرسلوا قسوسهم ورهبانهم الى دمياط في تسليمها فلم يمتنع من بها وسلموها الى المسلمين تاسع رجب المذكور وكان يوما مشهودا ومن العجب أن المسلمين لما تسلموها وصلت للفرنج نجدة في البحر فلو سبقوا المسلمين اليها لامتنعوا من تسليمها ولكن سبقهم المسلمون ليقضي الله أمرا كان مفعولا ولم يبق بها من أهلها الا آحاد وتفرقوا أيدي سبا بعضهم سار عنها باختياره وبعضهم مات وبعضهم أخذه الفرنج ولما دخلها المسلمون رأوها حصينة قد حصنها الفرنج تحصينا عظيما بحيث بقيت لا ترام ولا يوصل اليها وأعاد الله سبحانه وتعالى الحق الى نصابه ورده الى أربابه وأعطى المسلمين ظفرا لم يكن في حسابهم فانهم كانت غاية أمانيهم أن يسلموا البلاد التي أخذت منهم بالشام ليعيدوا دمياط فرزقهم الله اعادة دمياط وبقيت البلاد بأيديهم على حالها فالله المحمود المشكور على ما أنعم به على الاسلام والمسلمين من كف عادية هذا العدو وكفاهم شر التتر على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في المحرم كانت ببغداد فتنة بين أهل المأمونية وبين أهل باب الأزج بسبب قتل سبع وزاد الشر بينهم واقتتلوا فجرح بينهم كثير فحضر نائب الباب وكفهم عن ذلك فلم يتركوا وأسمعوه ما يكره فأرسل من الديوان أمير من مماليك الخليفة فرد أهل كل محلة الى محلتهم وسكنت الفتنة وفيها كثر الفأر ببلد دجيل من أعمال بغداد فكان الانسان لا يقدر أن يجلس الا ومعه عصا يرد الفأر عنه وكان يرى الكثير منه ظاهرا يتبع بعضه بعضا وفيها زادت دجلة زيادة عظيمة لم يشاهد في قديم الزمان مثلها وأشرفت بغداد على الغرق فركب الوزير وكافة الأمراء والأعيان وجمعوا الخلق

الحرير وضبط أقوال الحياكة سواء كان الى الحبش والقل والحصير في سائر الأقاليم المصرية طولا وعرضا قبلي وبحري من الاسكندرية ودمياط الى أقصى بلاد الصعيد والفيوم وكل ناحية تحت حكم هذا المتولي وانتصبت لهذا الباب دواوين ببيت محمد ربك الخازندار وأيضا ببيت السيد محمد المحروقي وبحضرة من ذكر والمعلم غالي ومتولي كبر ذلك والمتصدي لأبوابه المعلم يوسف كساب الشامي والمعلم منصور أبو سرابيون القبطي ورتبوا لضبط ذلك كتابا ومباشرين يترددون بالنواحي والبلدان والقرى وما يلزم لهم من المصاريف والمعاليم والمشاهرات ما يكفيهم في نظير تقيدهم وخدمتهم وهم المتعينون لذلك فيحصرون ما يكون موجودا على الأنوال بأماكنه من القماش والبز والأكسية الصوف المعروفة بالزعابيط والدفافي ويكتبون عدده على ذمة الصانع ويحضرون ملازمه حتى اذا تم نسجه دفعوا لصاحبه ثمنه بالفرض الذي يفرضونه وان أراده صاحبه أخذه منهم بالثمن الذي يقدرونه بعد الختم عليه من طرفهم بعلامة

العظيم من العامة وغيرهم لعمل القورج حول البلد وقلق الناس لذلك وانزعجوا وعاينوا الهلاك واعدوا السفن لينجوا فيها وظهر الخليفة للناس وحثهم على العمل وكان مما قال لهم لو كان يفدى ما أرى بمال او غيره لفعلت ولو دفع بحرب لفعلت ولكن امر الله لا يرد ونبع الماء من البلاليع والآبار من الجانب الشرقي وغرق كثير منه وغرق مشهد ابي حنيفة وبعض الرصافة وجامع المهدي وقرية الملكية والكشك وانقطعت الصلاة بجامع السلطان واما الجانب الغربي فتهدم اكثر القرية ونهر عيسى والشطيات وخربت البساتين ومشهد باب التبن ومقبرة احمد بن حنبل والحريم الطاهري وبعض باب البصرة والدور التي على نهر عيسى واكثر محلة دقاقنا وفيها توفي احمد بن ابي الفضائل عبد المنعم بن ابي البركات محمد بن طاهر بن سعيد بن فضل الله ابن سعيد بن ابي الخير الميهني الصوفي ابو الفضل شيخ رباط الخليفة ببغداد وكان صالحا من بيت التصوف والصلاح

(ثم دخلت سنة خمس عشرة وستمائة)

(ذكر وفاة الملك القاهر وولاية ابنه نور الدين وما كان من الفتن بسبب موته الى ان استقرت الامور)

في هذه السنة توفي الملك القاهر عز الدين مسعود بن ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن آق سنقر صاحب الموصل ليلة الاثنين لثلاث بقين من شهر ربيع الاول وكانت ولايته سبع سنين وتسعة اشهر وكان مرضه انه اخذته حمى ثم فارقته العد وبقي يومين موعوكا ثم عاودته الحمى مع قيء كثير وكرب شديد وقلق متتابع ثم بردبدنه وعرق وبقي كذلك الى وسط الليل ثم توفي وكان كريما حليما قليل الطمع في اموال الرعية كافا عن اذى يوصله اليهم مقبلا على لذاته كعاداتهم او يبادر بها المرت وكان عنده رقة شديدة ويكثر ذكر الموت حكى لي بعض من كان يلازمه قال كنا ليلة قبل وفاته بنصف شهر عنده فقال لي قد وجدت ضجرا من القعود فقم بنا نتمشى الى الباب العمادي قال فقمنا نخرج من داره نحو الباب العمادي فوصل التربة التي عملها لنفسه عند داره فوقف عندها مفكرا لا يتكلم ثم قال لي والله ما نحن في شيء اليس مصيرنا الى ههنا وندفن تحت الارض واطال الحديث في هذا ونحوه ثم عاد الى الدار فقلت له لا تمشي الى الباب العمادي فقال ما بقي عندي نشاط الى هذا ولا الى غيره ودخل داره وتوفي بعد ايام واصيب اهل بلاده بمرته وعظم عليهم فقده وكان محبوبا اليهم قريبا من قلوبهم ففي كل دار لاجل رزقه وعويل ولما حضرته الوفاة اوصى بالملك لولده الاكبر نور الدين ارسلان شاه وعمره نحو عشر سنين وجعل الوصي عليه والمدبر لدولته بدر الدين لؤلؤا وهو الذي كان يتولى دولة القاهر ودولة ابيه نور الدين قبله وقد تقدم من اخباره ما يعرف به محله وسيرد منها ما يظهر به للناظر بصيرته فلما قضى نحبه قام بدر الدين بامر نور الدين واجلسه في مملكة ابيه وارسل الى الخليفة يطلب له التقليد

تاديبا على اختلاسه وتحذير الغير هذا شأن الموجود الحاصل عند النساجين واستئناف العمل الجديد فان الموكل بالناحية ومباشر بها يستدعون من كل قرية شخصا معروفا من مشايخها فيقيمونه وكيلا ويعطونه مبلغا من الدراهم ويامرونه باحصاء الانوال والشغالين والبطالين منهم في دفتر فيامرون البطالين بالنسج على الانوال التي ليس لها اصناع باجرتهم كغيرهم على طرف الميرى ويدفع المتوكل لشخصين او ثلاثة دراهم يطوفون بها على النساء اللاتي يغزلن الكتان بالنواحي ويجعلونه اذرعا فيشترون ذلك منهن بالثمن المفروض ويأتون به الى النساجين ثم تجمع اصناف الاقمشة في اماكن للبيع بالثمن الزائد وجعلوا لبيعها اماكنة مثل خان ابو طقية وخان الجلاد وبه يجلس المعلم كمعان ومن معه وغير ذلك وبلغ ثمن الثوب القطن الذي يقال له البطانة الى ثلثمائة نصف فضة بعدما كان يشترى بمائة نصف واقل واكثر بحسب الرداءة والجودة وادركناه يباع في الزمن السابق بعشرين نصفا وبلغ ثمن المقطع القماش الغليظ الى ستمائة نصف فضة وكان يباع باقل من ثلث ذلك وقس على ذلك باقي الاصناف وهذه

٣ ... بثه على ٣ ابتدعه نشئ ابدع الحدد ثقال ضرر عام لغني و الفقير والجليل والحقير والحكم لله

والتشريف وأرسل الى الملوك وأصحاب الاطراف المجاورين لهم يطلب تجديد العهد لنور الدين على القاعدة التي كانت بينهم وبين أبيه فلم يصبح الا وقد فرغ من كل ما يحتاج اليه وجلس للعزاء وحلف الجند والرعايا وضبط المملكة من التزلزل وانفذ مع صغر السلطان وكثرة الطامعين في الملك فانه كان معه في البلاد اعمام ابيه وكان عم عماد الدين زنكي بن ارسلان شاه بولايته وهي قلعة عقر الحميدية يحدث نفسه بالملك لا يشك في ان الملك يصير اليه بعد أخيه فرقع بدر الدين ذلك الخرق ورتق ذلك الفتق وتابع الاحسان والخلع على كافة الناس وغير ثياب الحداد عنهم فلم يخص بذلك شريفا دون مشروف ولا كبيرا دون صغير وأحسن السيرة وجلس لكشف ظلامات الناس وانصف بعضهم من بعض وبعد أيام وصل التقليد من الخليفة لنور الدين بالولاية ولبدر الدين بالنظر في أمر دولته والتشريف لهما ايضا واتتهم رسل الملوك بالتعزية وبذل ما طلب منهم من العهود واستقرت القواعد لهما

(ذكر ملك عماد الدين زنكي قلاع الهكارية والزوزان)

قد ذكرنا عند وفاة نور الدين سنة سبع وستمائة انه اعطى ولده الاصغر زنكي قلعتي العقر وشوش وهما بالقرب من الموصل فكان تارة يكون بالموصل وتارة بولايته يجتنب لكثرة تلونه وكان بقلعة العمادية مستحفظ من مماليك جده عز الدين مسعود بن مودود قيل انه يجري له مع زنكي مراسلات في معنى تسليم العمادية اليه فنمى الخبر بذلك الى بدر الدين فجرده بالعزل مع أمير كبير وجماعة من الجند لم يمكنه الامتناع وسلم القلعة الى نائب بدر الدين كذلك وجعل بدر الدين في غير العمادية من القلاع نوابا له وكان نور الدين بن ارسلان شاه لا يزال مريضا من جروح كانت به وغيرها من الامراض وكان يحتجب المرض لا يركب ولا يظهر للناس فارسل زنكي الى من بالعمادية من الجند يقول ان ابن اخي توفي ويريد بدر الدين يملك البلاد وانا احق بملك آبائي وأجدادي فلم يزل حتى استمال الجند فسلموا اليه ثامن عشر رمضان سنة خمس عشرة وستمائة وقبضوا على نائب بدر الدين وعلى من معه فوصل الخبر الى بدر الدين ليلا فجد في الامر [illegible] من وقته بالرحيل فساروا مجدين الى العمادية وبها زنكي ليحصروه فيها فلم يصلوا [illegible] الا وقد فرغ من تدبير العساكر فساروا الى العمادية وحصروها وكان الزمان شتاء والبرد شديدا والثلج كثيرا فلم يتمكنوا من قتال من بها لكنهم اقاموا يحصرونه وقام مظفر الدين كوكبري بن زين الدين صاحب اربل في نصر عماد الدين وقد كان تقدم بينه وبين بدر الدين ما ذكرناه من الايمان والعهود التي من جملتها انه لا يتعرض الى شيء من اعمال الموصل ومنها القلاع الهكارية والزوزان باجمعها ومتى تعرض اليها [illegible] واعاد نور الدين وبدر الدين على منعه [illegible] ثم [illegible] هذا ورضي منه بالسكوت لا له ولا عليهم فلم يفعل واظهر مضادته [illegible] عماد الدين زنكي حينئذ لم تمكن مكاثرة زنكي بالرجال والعساكر لقرب

العيني الكبير (ومنها) أن المشار اليه هدم القصر الذي بلا[illegible] وأعاد انشاءه على الهيئة الرومية التي ابتدعوها بما ترهم بعصرو هدموه وعمروه وبيضوه في ايام قليلة وذلك انه بات هناك ليلتين فاعجبه هواؤه فاختار بناءه على هواه وعند تمامه وتنظيمه بالفرش والزخارف جعل يتردد الى المبيت به بعض الاحيان مع السراري والغلمان كما ينتقل من قصر الجزيرة وشبرا والازبكية والقلعة وغيرها من سرايات اولاده واصهاره والمدة الواحدة النهار (ومنها) ان طائفة من الافرنج الانكليز قصدوا الاطلاع على الاهرام المشهورة الكائنة بالجيزة غربي الفسطاط لان [illegible] ورغبتهم الاطلاع على الاشياء المتغربات والفحص عن جزئيات وخصوصا الاثار القديمة [illegible] البلاد [illegible] تصاوير [illegible] التي في المغارات و[illegible] بالصعيد القبلية وغيرها [illegible] الاول [illegible] [illegible]

[illegible]

هذا الحصن من الموصل واعلم الان ان العسكر البدري حاصر العمادية وبها زنكي ثم ان بعض الامراء من عسكر الموصل ممن لا علم له بالحرب وكان شجاعا وهو حديث الامارة اراد ان يظهر شجاعته ليزداد بها تقدما واشار على من هناك من العسكر بالتقدم الى العمادية ومباشرتها بالقتال وكانوا قد تأخروا عنها شيئا يسيرا لشدة البرد والثلج فلم يوافقوه وفجر رأيه فتركهم ورحل متقدما اليهم ليلا فاضطروا الى اتباعه خوفا عليه من اذى يصيبه ومن معه فساروا اليه على غير تعبية لضيق المسالك ولانه اعجلهم عن ذلك وحكم الثلج عليهم ايضا فسمع زنكي ومن معه فنزلوا ولقوا اوائل الناس واهل مكة اخبر بشعابها فلم يثبتوا لهم وانهزموا وعادوا الى منزلتهم ولم يقف العسكر عليهم فاضطروا الى العود فلما عادوا راسل زنكي باقي قلاع الهكارية والزوزان واستدعاهم الى طاعته فاجابوه وسلموها اليه فجعل فيها الولاة وتسلمها وحكم فيها

ذكر اتفاق بدر الدين مع الملك الاشرف

لما رأى بدر الدين خروج القلاع عن يده واتفاق مظفر الدين وعماد الدين عليه ولم ينفع معهما اللين ولا الشدة وانهما لا يزالان يسعيان في اخذ بلاده ويتعرضان الى اطرافها بالنهب والاذى ارسل الى الملك الاشرف موسى ابن الملك العادل وهو صاحب ديار الجزيرة كلها الا القليل وصاحب خلاط وبلادها يطلب منه الموافقة والمعاضدة وانتمى اليه وصار في طاعته مخرضا في ذلك موافقته فاجابه الاشرف بالقبول والفرح به والاستبشار وبذل له المساعدة والمعاضدة والمحاربة دونه واستعادة ما اخذ من القلاع التي كانت له وكان الملك الاشرف حينئذ بحلب نازلا بظاهرها لما ذكرناه من تعرض كيكاوس ملك بلاد الروم التي بيد المسلمين قونية وغيرها الى اعمالها وملكوا بعض قلاعها فارسل الى مظفر الدين يقبح هذه الحالة ويقول له ان هذه القاعدة تقررت بيننا بحضور رسلك وانك تكون على النكث الى ان ترجع الى الحق ولا بد من اعادة ما اخذ من بلد الموصل لنقوم على اليمين التي استقرت بيننا فان امتنعت واصررت على معاضدة زنكي ونصرته فاني اجيء بنفسي وعساكري واقصد بلادك وغيرها واسترد ما اخذتموه واعيده الى صاحبه والمصلحة ان توافق وتعود الى الحق لنجعل شغلنا جميع العساكر وقصد الديار المصرية واجلاء الفرنج عنها قبل ان يعظم خطبهم ويستطير شرهم فلم تحصل الاجابة منه الى شيء من ذلك وكان ناصر الدين محمود صاحب الحصن وآمد قد خرج عن موافقة الاشرف وقصد بعض بلاده ونهبها وكذلك صاحب ماردين وتقدم مظفر الدين فلما رأى الاشرف ذلك جهز عسكرا وسيره الى نصيبين نجدة لبدر الدين ان احتاج اليهم

ذكر انهزام عماد الدين زنكي من العسكر البدري

لما عاد العسكر البدري من حصار العمادية وبها زنكي كما ذكرناه قويت نفسه وعاد الى قلعة العقر التي له ليتسلط على اعمال الموصل بالصحراء فان بلد الجبل

البلاد ووجه المقبور مصور على تمثال صورته التي كان عليها في حال حياته وتماثيل آدمية من الحجر الصواني الاسود المنقط الذي لا يعمل فيه الحديد جالسين على كراسي واضعين ايديهم على الركب وبيد كل واحد شبه مفتاح بين اصابعه اليسرى والشخص مع كرسيه قطعة واحدة مفرغ معه اطول من قامة الرجل الطويل وعلو رأسه نصف دائرة منه في علو الشبر وهم شبه العبيد المشوهين الصورة وهم ستة على مثال واحد كانما افرغوا في قالب واحد يحمل الواحد منهم الجملة من العتالين وفيهم السابع من رخام ابيض جميل الصورة واحضروا ايضا رأس صنم كبير دفعوا في اجرة السفينة التي احضروه فيها ستة عشر كيسا منها ثلثمائة وعشرون الف نصف فضة وارسلوها الى بلادهم لتباع هناك باضعاف ما صرفوه عليها وذلك عندهم من جملة المتاجر في الاشياء الغريبة ولما سمعت بالصور المذكورة ذهبت بصحبة ولدنا الشيخ مصطفى باكير المعروف بالساعاتي وسيدي ابراهيم المهدي الانكليزي الى بيت قنصل بدرب البرابرة بالقرب من كوم الشيخ سلامة جهة الازبكية وشاهدت ذلك كما ذكرته وتعجبنا من صناعتهم وتشبيههم وصلابة هذه الباقية على مر السنين والقرون التي لا يعلم قدرها الا علام الغيوب وارادوا الاطلاع

على الاهرام واذن لهم صاحب المملكة فذهب والبهلوانيه واخيه واحضر والفعلة والمساحي والقفان يعبروا الى داخلها واخرجوا منها اتربة كثيرة من زبل الوطواط وغيره ونزلوا الى الزلاقة وقلعوا منها ترابا كثيرا وزبلا فانتهوا الى بيت مربع من الحجر المصوت غير مسلوك هذا ما بلغنا عنهم وحفروا حوالي الرأس العظيمة التي بالقرب من الاهرام التي تسميها الناس رأس ابي الهول فظهر انه جسم كامل عظيم من حجر واحد ممتد كانه رابض على بطنه رافع رأسه وهي التي يراها الناس وباقي جسمه مغيب بما انهال عليه من الرمل وساعداه من مرفقيه ممتدان امامه وبينهما شبه صندوق مربع له استدارة من سماق احمر عليه نقوش شبه قلم البربا وفي داخله صورة سبع مجسم من حجر مدهون بدهان احمر وابيض باسط ذراعيه في هيئة الكلاب رفعوه ايضا الى بيت القنصل ورأيته يوم ذلك وقيس المرتفع من جسم ابي الهول من صدره الى اعلى رأسه فكان اثنين وثلاثين ذراعا وهي نحو الربع من باقي جسمه واقاموا في هذا العمل نحوا من اربعة اشهر

(واما من مات في هذه السنة من المشاهير)

فمات العالم العلامة الفاضل الفهامة صاحب التحقيقات الرائقة والتصانيف الفائقة شيخ شيوخ اهل العلم وصدر

كان قد فرغ منه ومعه مظفر الدين بطائفة كثيرة من العسكر فلما اتصل الخبر ببدر الدين سير طائفة من عسكره الى اطراف بلد الموصل يحمونها فاقاموا على اربعة فراسخ من الموصل ثم انهم اتفقوا وابيتهم على المسير الى زنكي وهو عند العقر في عسكره ومحاربته ففعلوا ذلك ولم يأخذوا امر بدر الدين بل اعلموه بمسيرهم جريدة ليس معهم الا سلاحهم ودواب يقاتلون عليها فساروا ليلتهم وصبحوا زنكي بكرة الاحد لاربع بقين من المحرم من سنة ست عشرة وستمائة فالتقوا واقتتلوا تحت العقر وعظم الخطب فانزل الله نصره على العسكر البدري فانهزم عماد الدين وعسكره وسار الى اربل منهزما وعاد العسكر البدري الى منزلته التي كان بها وحضرت الرسل من الخليفة الناصر لدين الله ومن الملك الاشرف في تجديد الصلح فاصطلحوا وتحالفوا بحضرة الرسل

(ذكر وفاة نور الدين صاحب الموصل وملك اخيه)

ولما تقرر الصلح توفي نور الدين ارسلان شاه ابن الملك القاهر صاحب الموصل وكان لا يزال مريضا بعدة امراض فرتب بدر الدين في الملك بعده اخاه ناصر الدين وله من العمر نحو ثلاث سنين ولم يكن للقاهر ولد غيره وحلف له الجند وركبه فطابت نفوس الناس لان نور الدين كان لا يقدر على الركوب لمرضه فلما ركب هذا علموا ان لهم سلطانا من البيت الاتابكي فاستقروا واطمأنوا وسكن كثير من الشغب بسببه

(ذكر انهزام بدر الدين من مظفر الدين)

لما توفي نور الدين وملك اخوه ناصر الدين تجدد لمظفر الدين ولعماد الدين طمع لصغر ناصر الدين فجمعا الرجال وتجهزا للحركة فظهر ذلك وقصد بعض اصحابهم طرف ولاية الموصل بالنهب والفساد وكان بدر الدين قد سير ولده الاكبر في جمع صالح من العسكر الى الملك الاشرف بحلب نجدة له بسبب اجتماع الفرنج بمصر وهو يريد ان يدخل بلاد الفرنج التي بساحل الشام وينهبها ويخربها ليعود بعض من بدمياط الى بلادهم فيخف الامر على الملك الكامل صاحب مصر فلما رأى بدر الدين تحرك مظفر الدين وعماد الدين وان بعض عسكره بالشام ارسل الى عسكر الملك الاشرف الذي بنصيبين يستدعيهم ليعتضد بهم وكان المقدم عليهم مملوك الاشرف اسمه ايبك فسار الى الموصل رابع رجب سنة ست عشرة فلما رآهم بدر الدين استقلهم لانهم كانوا اقل من العسكر الذي له بالشام ومنهم وشرع ايبك على عبور دجلة وقصد بلاد اربل فمنعه بدر الدين من ذلك وامره بالاستراحة فنزل بظاهر الموصل اياما واصر على عبور دجلة فعبرها بدر الدين موافقة له ونزلوا على فرسخين من الموصل شرقي دجلة فلما سمع مظفر الدين ذلك جمع عسكره وسار اليهم ومعه زنكي فعبر الزاب وسبق خبره فسمع به بدر الدين فعبى اصحابه وجعل ايبك في الجاليشية ومعه شجعان اصحابه واكثرهم معه منهم بحيث انه لم يبق معه الا اليسير وجعل في ميسرته اميرا كبيرا وطلب الانتقال عنها الى الميمنة فنقله فلما كان وقت العشاء الآخرة عاد ذلك الامير الطلب بالانتقال من الميمنة الى الميسرة

الخصم

والخصم بالقرب منهم فمنعه بدر الدين وقال متى انتقلت انت ومن معك فى هذا الليل ربما ظنه الناس هزيمة فلا يقف احد فاقام بمكانه وهو فى جمع كبير من العسكر فلما انتصف الليل سار ايبك فامره بدر الدين بالمقام الى ان يصبح لقرب العدو منهم فلم يقبل وجهله بالحرب فاضطر الناس لاتباعه فتقطعوا فى الليل والظلمة والتقوا هم والخصم فى العشرين من رجب على ثلاثة فراسخ من الموصل فاما عز الدين فانه تيامن والتحق بالميمنة وحمل فى اطلابه هو والميمنة على ميسرة مظفر الدين فهزمها وبها زنكى وكان الامير الذى انتقل الى الميمنة قد ابعد عنها فلم يقاتل فلما رأى ايبك قد هزم الميسرة تبعه وتقدم اليهم مظفر الدين فيمن معه فى القلب لم يتفرق واقام بمكانه الوقوف فعاد الى الموصل وعبر دجلة الى القلعة ونزل منها الى البلد فلما رآه الناس فرحوا به وساروا معه وقصد باب الجسر والعدو بازائه بينهما دجلة فنزل مظفر الدين فيمن سلم معه من عسكره وزايل حصن نينوى فاقام ثلاثة ايام فلما رأى اجتماع العسكر البدرى بالموصل وانهم لم يفقد منهم الا اليسير وبلغه الخبر ان بدر الدين يريد العبور اليه ليلا بالفارس والراجل على الجسور وفى السفن ويكبسه فرحل ليلا من غير ان يضرب كاسا او بوقا وعادوا الحوار بل للماعبر والزاب نزلوا ثم جاءت الرسل وسعوا فى الصلح فاصطلحوا على ان كل من بيده شئ هوله وتقررت العهود والايمان على ذلك

(ذكر ملك عماد الدين قلعة كواشى وملك بدر الدين تل يعفر وملك الملك الاشرف سنجار)

كواشى هذه من احصن قلاع الموصل واعلاها وامنعها وكان الجند الذين بها لما رأوا ما فعل اهل العمادية وغيرها من التسليم الى زنكى وانهم قد تحكموا فى القلاع لا يقدر احد على الحكم عليهم احبوا ان يكونوا كذلك فخرجوا نواب بدر الدين عنهم وامتنعوا بها وكانت رهائنهم بالموصل وهم يظهرون طاعة بدر الدين ويبطنون المخالفة فترددت الرسل فى عودهم الى الطاعة فلم يفعلوا وراسلوا زنكى فى المجىء اليهم وتسلم القلعة واقام عندهم فوصل مظفر الدين يذكر بالايمان القريبة العهد ويطلب منه اعادة كواشى فلم تقع الاجابة الى ذلك فارسل حينئذ بدر الدين الى الملك الاشرف وهو بحلب يستنجده فسار وعبر الفرات الى حران واختلفت عليه الامور من عدة جهات منعته من سرعة المسير وسبب هذا الاختلاف ان مظفر الدين كان يراسل الملوك اصحاب الاطراف يستميلهم ويحسن لهم الخروج على الاشرف ويخوفهم منه اذا خلا وجهه فاجابه الى ذلك عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم وصاحب آمد وحصن كيفا وصاحب ماردين واتفقوا كلهم على طاعة كيكاوس وخطبوا له فى بلادهم وقد ذكرنا ما كان بينه وبين الاشرف عند منبج لما قصد بلاد حلب فهو موغر الصدر عليه فاتفق ان كيكاوس مات فى ذلك الوقت وكفى الاشرف وبدر الدين شره ولا حد الا ما اخص عنك لرجاء وكان مظفر الدين قد راسل جماعة من الامراء

صدور اهل الفهم المتفنن فى العلوم كلها نقليها وعقليها وأدبيها اليه انتهت الرياسة فى العلوم بالديار المصرية وباهت مصر ما سواها بتحقيقاته البهية استنبط الفروع من الاصول واستخرج نفائس الدرر من بحور المعقول والمنقول واودع الطروس فوائد وقلدها عوائد فرائد الاستاذ الشيخ محمد بن محمد بن احمد بن عبد القادر بن عبد العزيز بن محمد السنباوى المالكى الازهرى الشهير بالامير وهو لقب جده الادنى احمد وسببه ان احمد وأباه عبد القادر كان لهما امرة بالصعيد واخبرنى المترجم من لفظه ان أصلهم من المغرب نزلوا بمصر عند سيدى عبد الوهاب ابى التخصيص كما اخبر عن ذلك وتاتى لهم ثم التزموا بحصة بناحية سنبو وارتحلوا اليها وقطنوا بها وبها ولد المترجم وكان مولده فى شهر ذى الحجة سنة اربع وخمسين ومائة وألف باخبار والديه وارتحل معهما الى مصر وهو ابن تسع سنين وكان قد ختم القرآن فجوده على الشيخ المنير على طريقة الشاطبية والدرة وحبب اليه طلب العلم فاول ما حفظ متن الآجرومية وسمع سائر الصحيح والشفاء على سيدى على بن العربى السقاط وحضر دروس أعيان عصره واجتهد فى التحصيل ولازم دروس الشيخ الصعيدى فى الفقه وغيره من ذاك المعقول وحضر على السيد البليدى شرح السعد على

الدين مع الاشرف واستمالهم فاجابوه منهم احمد بن على بن المشطوب الذى ذكرنا له فعل على دمياط ما فعل وهوا كبر امير معه ووافقه غيره منهم عز الدين محمد بن بدر الحميدى وغيرهما وفارقوا الاشرف ونزلوا بدنيسر تحت ماردين ليجتمعوا مع صاحب آمد ويمنعوا الاشرف من العبور الى الموصل لمساعدة بدر الدين فلما اجتمعوا هناك عاد صاحب آمد الى موافقة الاشرف وفارقهم واستقر الصلح بينهما وسلم اليه الاشرف مدينة حانى وجبل جور وضمن له أخذ دارا وسلمها اليه فلما فارقهم صاحب آمد انحل امرهم فاضطر بعض أولئك الامراء الى العود الى طاعة الاشرف وبقى ابن المشطوب وحده فسار الى نصيبين ليسير الى اربل فخرج اليه شحنة نصيبين فيمن عنده من الجند فقتلوا فانهزم ابن المشطوب وتفرق من معه من الجمع ومضى منهزما فاجتاز بطرف بلد سنجار فسير اليه صاحبها فروخ شاه بن زنكى بن مودود بن زنكى عسكرا فهزموه واخذوه أسيرا وحملوه الى سنجار وكان صاحبها موافقا للاشرف وبدر الدين فلما صار عنده ابن المشطوب حسن له مخالفة الاشرف فاجابه الى ذلك واطلقه فاجتمع معه من يريد الفساد فقصدوا البقعاء من عمل الموصل ونهبوا فيها عدة قرى وعادوا الى سنجار ثم ساروا وهو معهم الى تل يعفر وهى لصاحب سنجار ليقصدوا بلد الموصل وينهبوا تلك الناحية فلما سمع بدر الدين بذلك سير اليه عسكرا فقاتلوهم فمضى منهزما وصعد الى تل يعفر واحتمى بها منهم ونازلوه وحصروه فيها فسار بدر الدين من الموصل اليه يوم الثلاثاء تاسع عشر من ربيع الاول سنة سبع عشرة وستمائة وجد فى حصره وزحف اليها مرة بعد اخرى فملكها سابع عشر ربيع الآخر من هذه السنة واخذ ابن المشطوب معه الى الموصل فسجنه بها ثم اخذه منه الاشرف فسجنه بحران الى ان توفى فى ربيع الآخر سنة تسع عشرة وستمائة ولقاه الله عقوبة ما صنع بالمسلمين بدمياط واما الملك الاشرف فانه لما اطاعه صاحب الحصن وآمد وتفرق الامراء كما ذكرناه رحل من حران الى دنيسر فنزل عليها واستولى على بلد ماردين وشحن عليه واقطعه ومنع الميرة عن ماردين وحصره معه صاحب آمد وترددت الرسل بينه وبين صاحب ماردين فى الصلح فاصطلحوا على ان يأخذ الاشرف رأس العين وكان هو قد اقطعها لصاحب ماردين ويأخذ منه ايضا ثلاثين الف دينار ويأخذ منه صاحب آمد الموزر من بلد شبختان فلما تم الصلح سار الاشرف من دنيسر الى نصيبين يريد الموصل فبينما هو فى الطريق لقيه رسل صاحب سنجار يبذل تسليمها اليه ويطلب العوض عنها مدينة الرقة وكان السبب فى ذلك اخذ تل يعفر منه فانخلع قلبه وانضاف الى ذلك ان ثقاته ونصحاءه خانوه وزادوه رعبا وخوفا لانهم تهددوه فتعذروا به قبل ان يتعلق بهم ولانه قطع رحمه وقتل اخاه الذى ملك سنجار بعد ابيه فقتله كما ذكرناه ان شاء الله وملكها فلقاه الله سوء فعله ولم يمتعه بها فلما تيقن رحيل الاشرف تحير فى امره فارسل فى التسليم اليه فاجابه الاشرف الى العوض وسلم اليه الرقة وتسلم سنجار مستهل جمادى الاولى سنة سبع عشرة وستمائة وفارقها صاحبها واخوته باهليهم واموالهم وكان هذا آخر ملوك البيت الاتابكى بسنجار

ءقاله النسق والاربعين النبوية ووقع الموطا على هلال المغرب وعالمه الشيخ محمد التاودى بن سودة بالجامع

لازهر سنة ووروده بقصد الحج ولازم المرحوم الوالد حسنا الجبرتى سنين وتلقى عنه الفقه الحنفى وغير ذلك من الفنون كالهيئة والهندسة والفلكيات والاوفاق والحكمة عنه وبواسطة تلميذه الشيخ محمد بن اسمعيل النفراوى المالكى وكتب له اجازة مثبتة فى برنامج شيوخه وحضر الشيخ يوسف الحفنى فى آداب البحث وبانت سعاد وعلى الشيخ محمد الحفنى اخيه مجالس من الجامع الصغير والشمايل والنجم الغيطى فى المولد وعلى الشيخ احمد الجوهرى فى شرح الجوهرة الشيخ عبد السلام وسمع منه المسلسل بالاولية وتلقى عنه طريق الشاذلية من سلسلة مولاى عبد الله الشريف وشملته اجازة الشيخ الملوى وتلقى عنه مسائل فى اواخر ايام تقنعه بالمنزل وعدم الخروج وتصدر لالقاء الدروس فى حياة شيوخه ونما امره واشتهر فضله خصوصا بعد موت اشياخه وشاع ذكره فى الآفاق وخصوصا ببلاد المغرب وتاتيه الصلات من سلطان المغرب وتلك النواحى فى كل عام ويرسل تعيينه الطالبون لاخذ عنه وتلقى منه وتوجه بعض متصبات الى دار ... سنة والى هنالك دروسا حضره بها علماؤهم وشهدوا

فيسحان

فسبحان الحى الدائم الذى ليس لملكه آخر وكان مدة ملكهم لها اربعا وتسعين سنة وهذا دأب الدنيا بابنائها فتعسا لمامن دار ما اغدرها باهلها

(ذكر وصول الاشرف الى الموصل والصلح مع مظفر الدين)

لما ملك الاشرف سنجار سار يريد الموصل ليجتازها فقدم بين يديه عساكره فكان يصل كل يوم منهم جمع كثير ثم وصل هو فى آخرهم يوم الثلاثاء تاسع عشر جمادى الاولى من السنة المذكورة وكان يوم وصوله مشهودا واتاه رسل الخليفة ومظفر الدين فى الصلح وبذل تسليم القلاع المأخوذة جميعها الى بدر الدين ما عدا قلعة العمادية فانها تبقى بيد زنكى وان المصلحة قبول هذا القول لئلا يقع الاشتغال بجهاد الفرنج وطال الحديث فى ذلك نحو شهرين ثم رحل الاشرف يريد مظفر الدين صاحب اربل فوصل الى قرية السلامية بالقرب من نهر الزاب وكان مظفر الدين نازلا عليه من جانب اربل فاعاد الرسل وكان العسكر قد طال بيكاره والناس قد ضجروا وناصر الدين صاحب آمد يميل بهواه الى مظفر الدين فاشار بالاجابة الى ما بذل واعانه عليه غيره فوقعت الاجابة اليه واصطلحوا على ذلك وجعل لتسليمها اجل وحمل زنكى الى الملك الاشرف يكون عنده رهينة الى حين تسليم القلاع وسلمت قلعة العقر وقلعة شوش ايضا وهما لزنكى الى نواب الاشرف رهنا على تسليم ما استقر من القلاع فاذا سلمت اطلق زنكى واعيد عليه قلعة العقر وقلعة شوش وحلفوا على هذا وسلم الاشرف الى زنكى القلعتين وعاد الى سنجار وكان رحيله عن الموصل ثانى شهر رمضان من سنة سبع عشرة وستمائة فارسلوا الى القلاع لتسلم الى نواب بدر الدين فلم يسلم اليهم غير قلعة جل صور من اعمال الهكارية واما باقى القلاع فان جندها اظهروا الامتناع من ذلك ومضى الاجل ولم يسلم لاجل صور ولازم عماد الدين زنكى لشهاب الدين غازى ابن الملك العادل وخدمه وتقرب اليه فاستعطف له اخاه الملك الاشرف فمال اليه واطلقه وازال نوابه من قلعة العقر وشوش وسلمهما اليه وبلغ بدر الدين عن الملك الاشرف ميل الى قلعة تل يعفر وانها كانت لسنجار من قديم الزمان وحديثا وطال الحديث فى ذلك فسلمها اليه بدر الدين

(ذكر عود قلاع الهكارية والزوزان الى بدر الدين)

لما ملك زنكى قلاع الهكارية والزوزان لم يعمل مع اهلها ما ظنوه من الاحسان والانعام بل فعل ضده وضيق عليهم وكان يبلغهم افعال بدر الدين مع جنده ورعاياه واحسانه اليهم وحفظ الاموال عليهم فكانوا يريدون العود اليه ويمنعهم الخوف منه لما اسلفوه من ذلك فلما كان الآن عيل صبرهم فارسلوا الى بدر الدين فى المحرم سنة ثمانى عشرة وستمائة فى تسليم اليه وطلبوا منه اليمين والعفو عنهم وذكروا شيئا من اقطاع يكون لهم فاجيبهم الى ذلك وارسل الى الملك الاشرف يستاذنه فى ذلك فاذن له وعاد زنكى من عند الاشرف بجمع جمعه وحصر قلعة العمادية فلم ينل منهم

بفضله واستجازوه واجازه ويجيزه من اشياخه وصنف عدة مؤلفات اشتهرت بايدى الطلبة وهى فى غاية التحرير منها مصنف فى فقه مذهبه سماه المجموع حاذى به مختصر خليل جمع فيه الراجح فى المذهب وشرحه شرحا نفيسا وقد صار كل منهما مقبولا فى ايام شيخه العدوى حتى كان اذا توقف شيخه فى موضع يقول هاتوا مختصر الامير وهى منقبة شريفة وشرح مختصر خليل وحاشية على المغنى لابن هشام وحاشية على الشيخ عبد الباقى على المختصر وحاشية على الشيخ عبد السلام على الجوهرة وحاشية على شرح الشذور لابن هشام وحاشية على الازهرية وحاشية على الشنشورى على الرحبية فى الفرائض وحواش على المعراج وحاشية على شرح الملوى على السمرقندية ومؤلف سماه مطلع النيرين فيما يتعلق بالقدرتين واتحاف الانس فى الفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس ورفع التلبيس عما يسئل به ابن خميس وثمر الثمام فى شرح آداب الفهم والافهام وحاشية على المجموع وتفسير سورة القدر ومن نظمه قوله متغزلا

ايها السيد المدال ضاعت * فى الهوى ضيعتى واقسمت تسكو
بالك الله لا تمل لسواقى * وتحكم ولو بساقيه تشكى
ذات رنة فى تطول شكاة * كل شئ تحبه وتشير شرته *(ومنه فى تشبيه)* يا حسن لون الشمس عند غروبها *

غرضا وأعاد واراسله بدر الدين في التسليم اليه فكتب الى الملك الاشرف في المعنى وبذل له قلعة جديدة ونصيبين وولاية بين النهرين ليأذن له في أخذها فأذن له فارسل اليها النواب وتسلموها واحسن الى اهلها ورحل زنكي عنها ووفى له بدر الدين بما بذله له فلما سمع جند باقي القلاع بما فعلوا وما وصلهم من الاحسان والزيادة رغبوا كلهم في التسليم فسير اليهم النواب واتفقت كلمة اهلها على طاعته والانقياد اليه والعجب ان العساكر اجتمعت من الشام والجزيرة وديار بكر وخلاط وغيرها في استعادة هذه القلاع فلم يقدروا على ذلك فلما تفرقوا حضر اهلها وسألوا ان تؤخذ منهم فعادت صفوا عفوا بغير منة ولقد احسن من قال

لا سهل الا ما جعلت سهلا * وان تشا تجعل الحزن سهلا

فتبارك الله الفعال لما يريد لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع وهو على كل شيء قدير

(ذكر قصد كيكاوس ولاية حلب وطاعة صاحبها للاشرف وانهزام كيكاوس)

في هذه السنة سار عز الدين كيكاوس بن كيخسرو ملك الروم الى ولاية حلب قصدا للتغلب عليها ومعه الافضل بن صلاح الدين يوسف وسبب ذلك انه كان بحلب رجلان فيهما شر كثير وسعاية بالناس فكانا ينقلان الى صاحبها الملك الظاهر بن صلاح الدين عن رعيته فأوغروا صدره فلقي الناس منهما شدة فلما توفي الظاهر وولي الامر شهاب الدين طغرل ابعدهما وغيرهما ممن يفعل فعلهما وسد هذا الباب على فاعله ولم يطرق اليه احد من اهله فلما رأى الرجلان كساد سوقهما لزما بيوتهما وثار بهما الناس وآذوهما وتهددوهما بما كانا اسلفاه من الشر فخافا ففارقا حلب وقصدا كيكاوس فاطمعاه فيها وقررا في نفسه انه متى قصدها لا يثبت بين يديه وانه يملكها ويهون عليه ملك ما بعدها فلما عزم على ذلك اشار عليه ذوو الرأي من اصحابه وقالوا له لا يتم لك هذا الا بان يكون معك احد من بيت أيوب ليسهل على أهل البلاد وجندها الانقياد اليه وهذا الافضل بن صلاح الدين هو في طاعتك والمصلحة انك تستصحبه معك وتقرر بينكما قاعدة فيما تفتحانه من البلاد فمتى كان معك أطاعك الناس وسهل عليك ما تريد فأحضر الافضل من سميساط اليه واكرمه وحمل اليه شيئا كثيرا من الخيل والخيام والسلاح وغير ذلك واستقرت القواعد بينهما ان يكون ما يفتحه من حلب واعمالها للافضل وهو في طاعة كيكاوس والخطبة له في ذلك اجمع ثم يقصدون ديار الجزيرة فما يفتحونه مما بيد الملك الاشرف مثل حران والرها من البلاد الجزرية تكون لكيكاوس وجرت الايمان على ذلك وجمعوا العساكر وساروا فملكوا قلعة رعبان فتسلمها الافضل فمال الناس حينئذ اليهما ثم سارا الى قلعة تل باشر وفيها صاحبها ابن بدر الدين دلدرم الياروقي فحصروه وضيقوا عليه وملكوها منه فأخذها كيكاوس لنفسه ولم يسلمها الى الافضل فاستشعر الافضل من ذلك وقال هذا اول الغدر وخاف انه ان ملك حلب يفعل به هكذا فلا يحصل الا ان يكون قد قلع بيته بغيره ففترت نيته واعرض عما كان يفعله وكذلك ايضا اهل البلاد كانوا يظنون ان

تخيلت ان الشمس والبدر تحتها
وقد بسطت منها عليه بوارق
مليح أتى المرآة ينظر وجهه
في وجهها من وجهه الضوء دائق

(وله ايضا)

يا مالك القلب من بين الملاح وان
توهم الغير ان القلب مشترك
انى اغار على حظي لديك فمر
ايضا على قلب صب فيك مرتبك
وقل لهم ينثنوا عنه قد تواه
نفوس سومهم طرق الردى سلكوا
توهموا انهم حلوا وقد ملكوا
ويعلم الله ما حلوا وما ملكوا
يا سيد الكل يا قطب الجمال ومن
في دولة الحسن يروى انه الملك
ما كان قلبي يهوى الغير يا املي
فعمت زعمهم اذ اهل الهوى هلكوا
واستقص بين وارفع حجب شانك لي
ليشتفي خاطر بالفكر معترك
يلطف ذاتك لا تقطع رجاء فتى
على عيوبه بالعهد متمسك

(وله ايضا)

دع الدنيا فليس بها سرور
يتم ولا من الاحزان تسلم
وتفرض انه قد تم ترضا
بتم زواله امر محتم
فكن فيها غريبا يتم سعى
الى دار بقا فيها تنعم
ودع لا يدهش شوقا ...
بعز نفوسه علم ... غير ماش من منشد نهج وابذل ... والهوان التصحيح

الافضل يملكها فسهل عليهم الامر فلما رأوا ضد ذلك وقفوا واما شهاب الدين اتابك ولد الظاهر صاحب حلب فانه ملازم قلعة حلب لا ينزل منها ولا يفارقها البتة وهذه كانت عادته مذمات الظاهر خوفا من ثائر يثور به فلما حدث هذا الارجاف ان بمصر وهور بما سلم أهل البلد والجند المدينة الى الافضل لميلهم اليه فارسل الى الملك الاشرف ابن الملك العادل صاحب الديار الجزرية وخلاط وغيرها يستدعيه لتكون ما اعتمد له ويخطبون له ويجعل السكة باسمه ويأخذ من اعمال حلب ما اختار ولان ولد الظاهر هو ابن اخته فاجاب الى ذلك وسار اليهم في عساكره التي عنده وأرسل الى الباقين يطلبهم اليه وسره ذلك للمصلحة العامة لجميعهم وأحضر اليه العرب من طي وغيرهم ونزل بظاهر حلب ولما اخذ كيكاوس تل باشر كان الافضل يشير بمعاجلة حلب قبل اجتماع العساكر بها وقبل أن يحتاطوا ويتجهزوا فعاد عن ذلك وصار يقول الرأى ان نقصد منبج وغيرها لئلا يبقى لهم وراء ظهورنا شئ قصدا للتمادي ومرور الزمان في لا شئ فتوجهوا من تل باشر الى جهة منبج وتقدم الاشرف نحوهم وسارت العرب في مقدمته وكان طائفة من عسكر كيكاوس نحو ألف فارس قد سبقت مقدمة له فالتقوا هم والعرب ومن معهم من العسكر الاشرفي فاقتتلوا فانهزم عسكر كيكاوس وعادوا اليه منهزمين واكثر العرب الاسر منهم والنهب لجودة خيلهم ودبر خيل الروم فلما وصل اليه اصحابه منهزمين لم يثبت بل ولى على أعقابه يطوى المراحل الى بلاده خائفا يترقب فلما وصل الى اطرافها اقام وانما فعل هذا لانه صبي وغر لا معرفة له بالحرب والا فلعسا كرهم برحت تقع مقدماتها بعضها على بعض فسار حينئذ الاشرف فملك رعبان وحصر تل باشر وبها جمع من عسكر كيكاوس فقاتلوه حتى فتحوا فأخذت القلعة منهم واطلقهم الاشرف فلما وصلوا الى كيكاوس جعلهم في دار واحرقها عليهم فهلكوا فعظم ذلك على الناس كافة واستقبحوه واستضعفوه لاجرم لم تمهله الله تعالى وعجل عقوبته ولم تدم قدرته وشدة عقوبته وعدم الرحمة في قلبه ومات عقيب هذه الحادثة وسلم الاشرف تل باشر وغيرها من بلد حلب الى شهاب الدين اتابك صاحب حلب وكان عازما على اتباع كيكاوس ويدخل بلاده فاتاه الخبر بوفاة ابيه الملك العادل فاقتضت المصلحة العود الى حلب لان الفرنج بديار مصر ومثل ذلك السلطان العظيم اذا توفي ربما جرى خلل في البلاد لا تعرف العاقبة فيه فعاد اليها وكفي كل منهما ذى صاحبه

(ذكر وفاة الملك العادل وملك أولاده بعده)

توفي الملك العادل أبو بكر بن أيوب سابع جمادى الآخرة من سنة خمس عشرة وستمائة وقد ذكرنا ابتداء دولته عندما ملك عمه أسد الدين شيركوه ديار مصر سنة أربع وستين وخمسمائة فلما مات أخذ وصار الملك لصلاح الدين يوسف بن أيوب ديار مصر بعد عمه وهو الى انه استخلفه بمصر ثقة به في بلاد عظيمة وغاب عنها مدة وعمره نحو خمس وسبعين

وكان رحمه الله رقيق القلب لطيف المزاج ينزعج طبعه من غير انزعاج يكاد الوهم يؤلمه وسماع المناكر يوهنه ويسقمه وبآخره ضعفت قواه وتراخت اعضاه وزادت شكواه ولم يزل يتعلل ويزداد تأوهه ويتململ و الامراض به تسلسل وداعي المنون عنه لا يتحول الى ان توفي يوم الاثنين عاشر ذي القعدة الحرام وكان له مشهد حافل جدا ودفن بالصحراء بجوار مدفن الشيخ عبد الوهاب العفيفي بالقرب من عمارة السلطان قايتباي وكثر عليه الاسف والحزن وخلف ولده العلامة النحرير الشيخ محمد الامير وهو الآن احد الصدور كوالده يقرأ الدروس ويفيد الطلبة ويحضر الدواوين والمجالس العالية بارك الله فيه *(ومات الشيخ الفقيه العلامة الشيخ خليل المدابغي)* لكونه يسكن بحارة المدابغ حضر دروس الاشياخ من الطبقة الاولى وحصل الفقه والمعقول واشتهر فضله مع فقره وانجماعه عن الناس متقشفا متواضعا ويكتسب من الكتابة بالاجرة ولم يتجمل بالملابس ولا بزى الفقهاء يظن الجاهل به انه من جملة العوام توفي يوم الاثنين ثامن عشر ذي القعدة من سنة *(ومات الشيخ النبيه الورع الشيخ علي ... وكان ملازما لاقراء الدروس ببولاق

كان يأتى عليه الى الجامع الازهر فلم يتخلف عن عادته ويأتى ماشيا ثم بعد مدة حتى اشفق عليه بعض المشفقين من اهالى بولاق واشترواله حمارا ولم يزل على حالته وانكساره حتى توفى يوم الخميس ثامن شهر ذى القعدة من السنة رحمه الله وايانا وجمعنا فى مستقر رحمته آمين *(ومات من أكابر الدولة المعين ولى افندى)* ويقال له ولى خوجا وهو كاتب خزينة الباشا وانشا الدار العظيمة التى بناحية باب اللوق وأدخل فيها عدة بيوت ودورا جليلة تجاهها وملاصقة لها من الجهتين وبعضها متصل على البركة المعروفة ببركة الشقاف وتقدم فى اخبار العام الماضى ان الباشا اهرد وزوج ابنته بعض اقارب الباشا محمد حسين به من قبل الذى يقال له شريف اغا وآخر عمل له مهما عظيما احتفل فيه الى الغاية وزفة وشنكا كل ذلك وهو متمرض الى ان مات فى ثانى عشرين وسبعمائة في وضيعته تركته فوجد له كثيرا من النقود والجواهر والامتعة وغير ذلك سبحان الحى الذى لا يموت *(واستهلت سنة ثلاث

السيرة فلما توفى أخوه صلاح الدين ملك دمشق كان كرنا ويقى مالكا للبلاد الى لا .. ن فلما ظهر الفرنج كان كرنا سنة أربع عشرة وستمائة قصدهم وخرج الصغر فلما ساروا الفرنج الى ديار مصر انتقل هو الى عالقين فاقام به ومرض وتوفى وحمل الى دمشق فدفن بالتربة التى له وكان عاقلا ذا رأى سديد ومكر شديد وخديعة صبورا حليما ذا أناة يسمع مايكره ويغض عليه حتى كأنه لم يسمعه كثير الخرج وقت الحاجة لا يقف فى شئ واذا لم تسكن حاجة فلا وكان عمره خمسا وسبعين سنة وشهورا لان مولده كان فى المحرم من سنة أربعين وخمسمائة وملك دمشق فى شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة من الافضل ابن اخيه وملك مصر فى ربيع الآخر من سنة ست وتسعين منه أيضا ومن أعجب ما رأيت من مناقاة الطوالع انه لم يملك الافضل مملكة قط الا وأخذها منه عمه العادل فأول ذلك ان صلاح الدين أعطى ابنه الافضل حران والرها وميافارقين سنة ست وثمانين بعد وفاة تقى الدين فسار اليها فلما وصل الى حلب أرسل أبوه الملك العادل بعده فرده من حلب وأخذ هذه البلاد منه ثم ملك الافضل بعد وفاة ابيه مدينة دمشق فاخذها منه ثم ملك مصر بعد وفاة اخيه الملك العزيز فاخذها أيضا منه ثم ملك صرخد فاخذها منه وأعجب من هذا انى رأيت بالبيت المقدس سار يتمن الرخام ملقاة فى بيعة صهيون ليس يوجد مثلها فقال القس الذى بالبيعة هذه كان قد أخذها الملك الافضل لينقلها الى دمشق ثم ان العادل اخذها بعد ذلك من الافضل طلبها منه فاخذها وهذا غاية وهو من أعجب ما يحكى وكان العادل قد قسم البلاد فى حياته بين أولاده فجعل بمصر الملك الكامل محمدا وبدمشق والقدس وطبرية والاردن والكرك وغيرها من الحصون المجاورة لها ابنه المعظم عيسى وجعل بعض ديار الجزيرة وميافارقين وخلاط واعمالها لابنه الملك الاشرف موسى واعطى الرها لولده شهاب الدين غازى واعطى قلعة جعبر لولده الحافظ ارسلان شاه فلما توفى ثبت كل منهم فى المملكة التى اعطاه اياها ابوه واتفقوا اتفاقا حسنا لم يجر بينهم من الاختلاف ما جرت العادة أن يجرى بين اولاد الملوك بعد آبائهم بل كانوا كالنفس الواحدة كل منهم يثق الى الآخر بحيث يحضر عنده منفردا من عسكره ولا يخافه فلا جرم زاد ملكهم ورأوا من نفاذ الامر والحكم مالم يره ابوهم ولعمرى انهم نعم الملوك فيهم الحلم والجهاد والذب عن الاسلام وفى نوبة دمياط كفاية واما الملك الاشرف فليس للمال عنده محل بل يمطره مطرا كثيرا كعفته عن مال الرعية دائم الاحسان لا يسمع سعاية ساع

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى ذى القعدة رحل الملك الكامل بن العادل عن ارض دمياط لانه بلغه ان جماعة من الامراء قد اجتمعوا على تمليك اخيه الفائز عوضه فخافهم ففارق منزلته وانتقل الفرنج اليها وحصروا حينئذ دمياط برا وبحرا وتمكنوا من ذلك وقد تقدم سنة تصل منه اربع عشرة وستمائة وفيها فى المحرم توفى شرف الدين محمد بن علوان

ابن مهاجر الفقيه الشافعي وكان مدرسا في عدة مدارس بالموصل وكان صالحا كثير الخير والدين سليم القلب رحمه الله وفيها توفي عز الدين نجاح الشرابي خاص الخليفة واقرب الناس اليه وكان الحاكم في دولته كثير العدل والاحسان والمعروف والعصبية للناس وأما عقله وتدبيره فاليه كانت النهاية وبه يضرب المثل وفيها توفي علي بن نصر ابن هرون ابو الحسن الحلي النحوي الملقب بالحجة قرأ على ابن الخشاب وغيره

(ثم دخلت سنة ست عشرة وستمائة)

(ذكر وفاة كيكاوس وملك كيقباذ اخيه)

في هذه السنة توفي الملك الغالب عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن قلج ارسلان صاحب قونية واقصرا وملطية وما بينهما من بلاد الروم وكان قد جمع عساكره وحشد وسار الى ملطية على قصد بلاد الملك الاشرف لقاعدة استقرت بينه وبين ناصر الدين صاحب آمد ومظفر الدين صاحب اربل وكانوا قد خطبوا له وضربوا اسمه على السكة في بلادهم واتفقوا على الملك الاشرف وبدر الدين بالموصل فسار كيكاوس الى ملطية ليمنع الملك الاشرف عن المسير الى الموصل نجدة لصاحبها بدر الدين لعل مظفر الدين يبلغ من الموصل غرضا وكان قد علق به السل فلما اشتد مرضه عاد عنها فتوفي وملك بعده اخوه كيقباذ وكان محبوسا قد حبسه اخوه كيكاوس لما اخذ البلاد واشار عليه بعض اصحابه بقتله فلم يفعل فلما توفي لم يخلف ولدا يصلح للملك لصغرهم فاخرج الجند كيقباذ وملكوه ومن بغي عليه لينصرنه الله وقيل بل ارسل كيكاوس لما اشتد مرضه فاحضره عنده من السجن ووصى له بالملك وحلف الناس له فلما ملك خالفه عمه صاحب ارزن الروم وخاف ايضا من الروم المجاورين لبلاده فارسل الى الملك الاشرف وصالحه وتعاهدا على المصافاة والتعاضد وتصاهرا وكفي الاشرف شر تلك الجهة وتفرغ باله لاصلاح ما بين يديه ولقد صدق القائل وجدك طعان بغير سنان وهذا ثمرة حسن النية فانه حسن النية لرعيته واصحابه كاف عن اذى يتطرق اليهم منه غير قاصد الى البلاد المجاورة لبلاده مع ضعف اصحابها وقوته لا جرم تأتيه البلاد صفوا عفوا

(ذكر موت صاحب سنجار وملك ابنه ثم قتل ابنه وملك أخيه)

وفي هذه السنة ثامن صفر توفي قطب الدين محمد بن زنكي بن مودود بن زنكي صاحب سنجار وكان كريم الاخلاق حسن السيرة في رعيته حسن المعاملة مع التجار كثير الاحسان اليهم واما اصحابه فكانوا معه في ارغد عيش يعمهم باحسانه ولا يخافون أذاه وكان عاجزا عن حفظ بلده مسلما الامور الى نوابه ولما توفي ملك بعده ابنه عماد الدين شاهنشاه وركب الناس معه وبقي مالكا لسنجار عدة شهور وسار الى تل يعفر وهي له فدخل عليه أخوه عمر بن محمد بن زنكي ومعه جماعة فقتلوه وملك أخوه عمر بعده فبقي كذلك الى ان سلم سنجار الى الملك الاشرف على ما نذكره ان شاء الله تعالى ولم يتمتع بملكه الذي قطع

محمد علي باشا وهو المتصرف في اقليم مصر بسواحلها والاقطار الحجازية وضواحيها وبيده ازمة الثغور الاسلامية ووزيره محمد بك لاظ المعروف بكتخدا بك وهو قائم مقامه في حال غيابه وحضوره والمتصدر في ديوان الاحكام الكلية والجزئية وفصل الخصومات ومباشرة الاحوال نافذ الكلمة وافر الحرمة واغات الباب ابراهيم اغا ومتولي ايضا امر تعديل الاصناف ليوفر على الخزينة ما ياكله المتولي على كل صنف ويحقق امره فيشدد الفحص في المكيل والموزون والمذروع حتى يستخرج الخبايا ولو قليلا فيجتمع من القليل الكثير من الاموال فيحاسب المتولي مدة ولايته فيجتمع له مالا قدرة له على وفاء بعضه لان ذلك شيء قد استهلك في عدة ايدي اشخاص واتباع ويلزم الكبير بادائه ويقاسي ما يقاسيه من الحبس والضرب وسلب النعمة ومكابدة الاهوال وسلحدار الباشا سليمان اغا عوضا عن صالح بك السلحدار لا سامحه الله عنها في العام السابق وهو المسلط على اخذ الاماكن وهدمها وبنائها خانات ورباعا وحوانيت فياتي الى الجهة التي يختار البناء فيها ويشرع في هدمها ويأتيه اربابها ليعطيهم اثمانها كما هي في حججهم القديمة وهو شيء نادر بالنسبة لغلو اثمان العقارات في هذا الوقت لهدوء الحرب وكثرة الرغبة في العمارة وتنافس الناس فيها حتى ان المكان الذي كان يؤجر بالقليل صار

رحمه واراق الدم الحرام لاجله ولما سلم سنجار أخذ عوضها الرقة ثم أخذت منه عن قريب وتوفي بعد أخذها منه بقليل وعدم روحه وشبابه وهذه عاقبة قطيعة الرحم فان صلتها تزيد في العمر وقطيعتها تهدم العمر

(ذكر اجلاء بني معروف عن البطائح وقتلهم)

في هذه السنة في ذي القعدة أمر الخليفة الناصر لدين الله الشريف معد المتولي بلاد واسط ان يسير الى قتال بني معروف فتجهز وجمع معه من الرجالة من تكريت والحديثة والانبار والحلة والكوفة وواسط والبصرة وغيرها خلقا كثيرا وسار اليهم ومقدمهم حينئذ معلى بن معروف وهم قوم من ربيعة وكانت بيوتهم غربي الفرات تحت سوراء وما يتصل بذلك من البطائح وكثر فسادهم وأذاهم لما يقاربهم من القرى وقطعوا الطريق وافسدوا في النواحي المقاربة لبطيحة العراق فشكا أهل تلك البلاد الى الديوان منهم فأمر معدا ان يسير اليهم في الجموع فسار اليهم فاستعد بنو معروف لقتاله فاقتتلوا بموضع يعرف بالمقير وهو تل كبير بالبطيحة بقرب العراف وكثر القتل بينهم ثم انهزم بنو معروف وكثر القتل فيهم والاسر والغرق وأخذت اموالهم وحملت رؤس كثيرة من القتلى الى بغداد في ذي الحجة من السنة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في المحرم انهزم عماد الدين زنكي من عسكر بدر الدين وفيها في العشرين من رجب انهزم بدر الدين من مظفر الدين صاحب اربل وعاد مظفر الدين الى بلده وقد تقدم ذلك مستوفى في سنة خمس عشرة وستمائة وفيها في السابع والعشرين من شعبان ملك الفرنج مدينة دمياط وقد ذكرنا سنة اربع عشرة وستمائة وفيها توفي افتخار الدين عبد المطلب بن الفضل الهاشمي العباسي الفقيه الحنفي رئيس الحنفية بحلب روى الحديث عن عمر البسطامي نزيل بلخ وعن أبي سعد السمعاني وغيرهما وفيها توفي ابو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري الضرير النحوي وفيها توفي ابو الحسن علي بن أبي محمد القاسم بن علي بن الحسن بن عبد الله الدمشقي الحافظ ابن الحافظ المعروف بابن عساكر وكان قد قصد خراسان وسمع بها الحديث فأكثر وعاد الى بغداد فوقع على القفل حرامية فجرح وبقي ببغداد وتوفي في جمادى الاولى رحمه الله

(ثم دخلت سنة سبع عشرة وستمائة)

(ذكر خروج التتر الى بلاد الاسلام)

لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها كارها لذكرها فانا أقدم اليه رجلا وأؤخر اخرى فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الاسلام والمسلمين ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك فياليت أمي لم تلدني ويا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا الا اني حثني جماعة من الاصدقاء على تسطيرها وانا متوقف ثم رأيت ان ترك ذلك لا يجدي نفعا فنقول هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى

بالأجر بعشرة أمثال الاجرة القديمة ونحو ذلك ومحمود بك الخازندار وخدمته قبض أموال البلاد والاطيان والرزق وما ينتمي بذلك من الدعاوى والشكاوى ودبوانه بخط سويقة اللالا والمعلم غالي كاتب سر الباشا ورئيس الاقباط وكذلك الدفتردار محمد بك صهر الباشا وحاكم الجهة القبلية والروزنامجي مصطفى افندي واغات مستحفظان حسن اغا ابو لوان والزعيم علي اغا الشعراوي ومصطفى اغا كرد المحتسب وقد بردت همتهما كان عليه ورجع الحال في قلة الأدهان كالاول وازدحم الناس على محل الشمع فلا يحصل الطالب منه شيئا الا بشق الانفس وكذلك انعدم وجود بيض الدجاج لعدم المجلوب ووقوف العسكر ورصدهم من يكون معه شئ منه من الفلاحين الداخلين الى المدينة من القرى فيأخذونه منهم بدون القيمة حتى بيعت البيضة الواحدة بنصفين وأما المعاملة فلم يزل أمرها في اضطراب بالزيادة والنقص وتكرار المناداة كل قليل وصرف الريال الفرانسه الى اربعمائة نصف فضة والمحبوب الى اربعمائة وثمانين والبندقي الى تسعمائة نصف والمجر الى ثمانمائة نصف واما هذه الانصاف العددية التي تذكر في اسماء لا وجود لمسمياتها في الايدي (وفي ثاني عشره)

التى عقمت الايام والليالى عن مثلها عمت الخلائق وخصت المسلمين فلو قال قائل ان العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم الى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا فان التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها ومن اعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله بختنصر ببنى اسرائيل من القتل وتخريب البيت المقدس وما البيت المقدس بالنسبة الى ما خرب هؤلاء الملاعين من البلاد التى كل مدينة منها اضعاف البيت المقدس وما بنو اسرائيل بالنسبة الى من قتلوا فان اهل مدينة واحدة ممن قتلوا اكثر من بنى اسرائيل ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة الى ان ينقرض العالم وتفنى الدنيا الا يأجوج ومأجوج واما الدجال فانه يبقى على من اتبعه ويهلك من خالفه وهؤلاء لم يبقوا على احد بل قتلوا النساء والرجال والاطفال وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الاجنة فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لهذه الحادثة التى استطار شررها وعم ضررها وسارت فى البلاد كالسحاب استدبرته الريح فان قوما خرجوا من اطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاساغون ثم منها الى بلاد ما وراء النهر مثل سمرقند وبخارا وغيرهما فيملكونها ويفعلون باهلها ما نذكره ثم تعبر طائفة منهم الى خراسان فيفرغون منها ملكا وتخريبا وقتلا ونهبا ثم يجاوزونها الى الرى وهمذان وبلاد الجبل وما فيه من البلاد الى حد العراق ثم يقصدون بلاد اذربيجان وارانية ويخربونها ويقتلون اكثر اهلها ولم ينج الا الشريد النادر فى اقل من سنة هذا ما لم يسمع بمثله ثم لما فرغوا من اذربيجان وارانية ساروا الى دربند شروان فملكوا مدنه ولم يسلم غير القلعة التى بها ملكهم وعبروا عندها الى بلاد اللان واللكز ومن فى ذلك الصقع من الامم المختلفة فاوسعوهم قتلا ونهبا وتخريبا ثم قصدوا بلاد قفجاق وهم من اكثر الترك عددا فقتلوا كل من وقف لهم فهرب الباقون الى الغياض ورؤس الجبال وفارقوا بلادهم واستولى هؤلاء التتر عليها فعلوا هذا فى اسرع زمان لم يلبثوا الا بمقدار مسيرهم لا غير ومضى طائفة اخرى غير هذه الطائفة الى غزنة واعمالها وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان ففعلوا فيها مثل فعل هؤلاء واشد هذا ما لم يطرق الاسماع مثله فان الاسكندر الذى اتفق المؤرخون على انه ملك الدنيا لم يملكها فى هذه السرعة انما ملكها فى نحو عشر سنين ولم يقتل احدا انما رضى من الناس بالطاعة وهؤلاء قد ملكوا اكثر المعمور من الارض واحسنه واكثره عمارة واهلا واعدل اهل الارض اخلاقا وسيرة فى نحو سنة ولم يبت احد من البلاد التى لم يطرقوها الا وهو خائف يتوقعهم ويترقب وصولهم اليه ثم انهم لا يحتاجون الى ميرة ومدد يأتيهم فانهم معهم الاغنام والبقر والخيل وغير ذلك من الدواب يأكلون لحومها لا غير واما دوابهم التى يركبونها فانها تحفر الارض بحوافرها وتأكل عروق النبات لا تعرف الشعير فهم اذا نزلوا منزلا لا يحتاجون الى شئ من خارج واما ديانتهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شيئا فانهم يأكلون جميع الدواب حتى الكلاب والخنازير وغيرها ولا يعرفون نكاحا بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال فاذا جاء الولد لا يعرف

سافر الباشا الى جهة الاسكندرية لمحاسبة الشركاء والنظر فى بيع الغلال والمتاجر ١٠٦٥ والمراسلات (وفى تاسع عشره) ارتحلت عساكر اتراك ومغاربة مجردة الى الحجاز

●(واستهل شهر صفر بيوم الاربعاء سنة ١٢٣٣)● فى ثالث عشره وصل الكثير من حجاج المغاربة (وفى يوم الجمعة) سابع عشره وصل جاويش الحاج وفى ذلك اليوم وقت العصر ضربوا عدة مدافع من القلعة لبشارة وصلت من ابراهيم باشا بانه حصلت له نصرة وملك بلدة من بلاد الوهابية وقبض على اميرها ويسمى عتيبة وهو طاعن فى السن (وفى يوم الثلاثاء حادى عشرينه) وصل ركب الحاج المصرى والمحمل وامير الحاج من الدلاة

●(واستهل شهر ربيع الاول بيوم الجمعة سنة ١٢٣٣)● فيه وصل قبجى من دار السلطنة فعملوا له موكبا وطلع الى القلعة وضربوا له شنكا سبعة ايام وهى مدافع تضرب فى كل وقت من الاوقات الخمسة (وفى هذا الشهر) انعدم وجود القناديل الزجاج وبيع القنديل الواحد الذى كان ثمنه خمسة انصاف بستين نصفا اذا وجد

●(واستهل شهر ربيع الثانى بيوم السبت سنة ١٢٣٣)● ووافقه أيضا اول امشير القبطى

(وفى منتصفه) سافر زلاد صحار المغرب والكثير من حجاج المغاربة وكانوا فى غاية الكثرة بحيث ازدحمت منهم

اياه ولقد بلى الاسلام والمسلمون فى هذه المدة بمصائب لم يبتل بها احد من الامم منها هؤلاء التتر قبحهم الله اقبلوا من المشرق ففعلوا الافعال التى يستعظمها كل من سمع بها وستراها مشروحة متصلة ان شاء الله تعالى ومنها خروج الفرنج لعنهم الله من المغرب الى الشام وقصدهم ديار مصر وملكهم ثغر دمياط منها واشرفت ديار مصر والشام وغيرها على ان يملكوها لولا لطف الله تعالى ونصره عليهم وقد ذكرناه سنة اربع عشرة وستمائة ومنها ان الذى سلم من هاتين الطائفتين فالسيف بينهم مسلول والفتنة قائمة على ساق وقد ذكرناه ايضا فانا لله وانا اليه راجعون نسأل الله ان ييسر للاسلام والمسلمين نصرا من عنده فان الناصر والمعين والذاب عن الاسلام معدوم واذا اراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال فان هؤلاء التتر انما استقام لهم هذا الامر لعدم المانع وسبب عدمه ان خوارزمشاه محمدا كان قد استولى على البلاد وقتل ملوكها وافناهم وبقى هو وحده سلطان البلاد جميعها فلما انهزم منهم لم يبق فى البلاد من يمنعهم ولا من يحميها ليقضى الله امرا كان مفعولا وهذا حين نذكر ابتداء خروجهم الى البلاد

●(ذكر خروج التتر الى تركستان وما وراء النهر وما فعلوه)●

فى هذه السنة ظهر التتر الى بلاد الاسلام وهم نوع كثير من الترك ومساكنهم جبال طمغاج من نحو الصين وبينها وبين بلاد الاسلام ما يزيد على ستة اشهر وكان السبب فى ظهورهم ان ملكهم ويسمى بجنكزخان المعروف بتموجين كان قد فارق بلاده وسار الى نواحى تركستان وسير جماعة من التجار والاتراك ومعهم شئ كثير من النقرة والقندر وغيرهما الى بلاد ما وراء النهر سمرقند وبخارا ليشتروا له ثيابا للكسوة فوصلوا الى مدينة من بلاد الترك تسمى اوترار وهى آخر ولاية خوارزمشاه وكان له نائب هناك فلما وردت عليه هذه الطائفة من التتر ارسل الى خوارزمشاه يعلمه بوصولهم ويذكر له ما معهم من الاموال فبعث اليه خوارزمشاه يامره بقتلهم واخذ ما معهم من الاموال وانفاذه اليه فقتلهم وسير ما معهم وكان شيئا كثيرا فلما وصل الى خوارزمشاه فرقه على تجار بخارا وسمرقند واخذ ثمنه منهم وكان بعد ان ملك ما وراء النهر من الخطا قد سد الطرق عن بلاد تركستان وما بعدها من البلاد وان طائفة من التتر ايضا كانوا قد خرجوا قديما والبلاد للخطا فلما ملك خوارزمشاه البلاد بما وراء النهر من الخطا وقتلهم واستولى هؤلاء التتر على تركستان كاشغار وبلاساغون وغيرها صاروا يحاربون عساكر خوارزمشاه فلذلك منع الميرة عنهم من الكسوات وغيرها وقيل فى سبب خروجهم الى بلاد الاسلام غير ذلك مما لا يذكر فى بطون الدفاتر

فكان ما كان مما لست اذكره ● فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

فلما قتل نائب خوارزمشاه اصحاب جنكزخان ارسل جواسيس الى جنكزخان لينظر ما هو وكم مقدار ما معه من الترك وما يريد ان يعمل فمضى الجواسيس وسلكوا المفازة والجبال التى على طريقهم حتى وصلوا اليه فعادوا بعد مدة طويلة واخبروه بكثرة عددهم وانهم يخرجون عن الاحصاء وانهم من اصبر خلق الله على القتال

بالشواق المدينة وبولاق وما بينهما من جميع الطرق فكانوا يشترون الاغنام من الفلاحين ويذبحونها ويبيعونها على الناس جزافا من غير وزن بعد ان يتركوا لانفسهم مقدار حاجتهم فذهب الكثير لشرائه منهم بسبب رداءة اللحم الموجود بحوانيت الجزارين ولو وقف عليهم بالثمن الزائد (وفى اواخره) حضر مبشر من ناحية الديار الحجازية يخبر بنصرة حصلت لابراهيم باشا وانه استولى على بلدة تسمى الشقراء وان عبد الله بن مسعود كان بها فخرج منها هاربا الى الدرعية ليلا وان بين عسكر الاتراك والدرعيين مسافة يومين فلما وصل هذا المبشر ضربوا القدوم مدافع من ابراج القلعة وذلك وقت الغروب من يوم الاربعاء سادس عشرينه

●(واستهل شهر جمادى الاولى بيوم الاحد سنة ١٢٣٣)●

فيه نودى على طائفة المخالفين للملة من الاقباط والاروام بان يلزموا زيهم من الازرق والاسود ولا يلبسوا العمائم البيض لانهم خرجوا عن الحد فى كل شئ ويتعممون بالشيلان الكشميرى الملونة والغالية فى الثمن ويركبون الرهوانات والبغال والخيول وامامهم وخلفهم الخدم بايديهم العصى يطردون الناس عن طريقهم ولا يظن الرائى لهم الا انهم من اعيان الدولة ويلبسون الاسلحة وتخرج الطائفة منهم الى الخلاء

لا

ويعملون لهم نشانا يضربون عليه بالبنادق الرصاص وغيرذلك فسالحسن هذا النوع لودام (وفي يوم السبت حادي عشريه) حضر الباشا من غيبته بالاسكندرية اواخرالنهار وضربوا لقدومه مدافع فبات بقصر شبرا وطلع في صبحها الى القلعة فضربوا بها مدافع ايضا فكان مدة غيبته بالاسكندرية مقدار بحسة اشهر وتسعة ايام (وفي اواخره) وصل هجان من شرق الحجاز ببشارة بان ابراهيم باشا استولى على بلد كبيرمن بلاد الوهابية ولم يبق بينه وبين الدرعية الاثمان عشرة ساعة فضربوا شنكا ومدافع (وفيه) وصل هجان من حسن باشا الذى بجدة بمراسلة يخبرفيها بعصيان الشريف حمود بناحية يمن الحجاز وانه حاصر من بتلك النواحي من العساكر وقتلهم ولم ينج منهم الا القليل وهو من فرعلى جوائد الخيل (ووقع فيه ايضا) الاهتمام في تجريد عساكر للسفر وارسل الباشا بطلب خليل باشا للحضور من ناحية بحرى هو ونحلافه وحصل الامر بقراءة صحيح البخارى بالازهر فقرئ يومين وفرق على مجاورى الازهر عشرة اكياس وكذلك فرقت دراهم على أولاد المكاتب

●(واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٣٣)●

في منتصف ليلة الثلاثاء حصل خسوف القمر في سادس ساعة من الليل وكان الخسف ... من قرصه ... وحصل الامر ايضا بقراءة صحيح البخارى

لا يعرفون هزيمة وانهم يعملون ما يحتاجون اليه من السلاح بايديهم فندم خوارزمشاه على قتل اصحابهم واخذ اموالهم وحصل عنده فكر زائد فاحضر الشهاب الخيوقي وهو فقيه فاضل كبير المحل عنده لا يخالف ما يشير به فحضر عنده فقال له قد حدث امر عظيم لابد من الفكر فيه فاخبرابك في الذى نفعله وذلك انه قد تحرك الينا خصم من ناحية الترك في كثرة لا تحصى فقال له في عساكرك كثرة وتكاتب الاطراف وتجمع العساكر ويكون النفير عاما فانه يجب على المسلمين كافة مساعدتك بالمال والنفس ثم تذهب بجميع العساكر الى جانب سيحون وهو نهر كبير يفصل بين بلاد الترك وبلاد الاسلام فتكون هناك فاذا جاء العدو وقد سار مسافة بعيدة لقيناه ونحن مستريحون وهو وعساكره قد مسهم النصب والتعب فجمع خوارزمشاه امراءه ومن عنده من ارباب المشورة فاستشارهم فلم يوافقوه على رأيه بل قالوا الراى ان نتركهم يعبرون سيحون الينا ويسلكون هذه الجبال والمضايق فانهم جاهلون بطرقها ونحن عارفون بها فنقوى حينئذ عليهم ونهلكهم فلا ينجو منهم احد فبينما الاتراك كذلك اذ ورد رسول من هذا اللعين جنكزخان معه جماعة يتهدد خوارزمشاه ويقول تقتلون اصحابي وتاخذون اموالهم استعدوا للحرب فاني واصل اليكم بجمع لا قبل لكم به وكان جنكزخان قد سار الى تركستان فملك كاشغار وبلاساغون وجميع البلاد وازال عنها التتر الاولى فلم يظهر لهم خبر ولا بقى لهم اثر بل بادوا كما اصاب الخطا وارسل الرسالة المذكورة الى خوارزمشاه فلما سمعها خوارزمشاه امر بقتل رسوله فقتل وامر بحلق لحى الجماعة الذين كانوا معه واعادهم الى صاحبهم جنكزخان يخبرونه بما فعل بالرسول ويقولون له ان خوارزمشاه يقول لك انا سائر اليك ولو انك في آخر الدنيا حتى انتقم وافعل بك كما فعلت باصحابك وتجهز خوارزمشاه وسار بعد الرسول مبادرا ليسبق خبره ويكبسهم فادمن السير فمضى وقطع مسيرة اربعة اشهر فوصل الى بيوتهم فلم ير فيها الا النساء والصبيان والاطفال فاوقع بهم وغنم الجميع وسبى النساء والذرية وكان سبب غيبة الكفار عن بيوتهم انهم ساروا الى محاربة ملك من ملوك الترك يقال له كشلوخان فقاتلوه وهزموه وغنموا امواله وعادوا فلقيهم في الطريق الخبر بما فعل خوارزمشاه بمخلفيهم فجدوا السير فادركوه قبل ان يخرج عن بيوتهم وتصافوا للحرب واقتتلوا قتالا لم يسمع بمثله فبقوا في الحرب ثلاثة ايام بلياليها فقتل من الطائفتين ما لا يعد ولم ينهزم احد منهم اما المسلمون فانهم صبروا حمية للدين وعلموا انهم ان انهزموا لم يبق للمسلمين باقية وانهم يؤخذون لبعدهم عن بلادهم واما الكفار فصبروا لاستنقاذ اهليهم واموالهم واشتد بهم الامر حتى ان احدهم كان ينزل عن فرسه ويقاتل قرنه راجلا ويتضاربون بالسكاكين وجرى الدم على الارض حتى صارت الخيل تزلق من كثرته واستنفد الطائفتان وسعهم في الصبر والقتال هذا القتال جميعه مع ابن جنكزخان ولم يحضر ابوه الوقعة ولم يشعر بها فاحصى من قتل من المسلمين في هذه الوقعة فكانوا عشرين الفا واما من الكفار فلا يحصى من قتل منهم فلما كان الليلة الرابعة افترقوا فنزل بعضهم

ويقاتل بعض فلما اظلم الليل اوقد الكفار نيرانهم وتركوا بعالها وساروا وكذلك فعل
المسلمون ايضا كل منهم سئم القتال فاما الكفار فعادوا الى ملكهم جنكزخان واما
المسلمون فرجعوا الى بخارا فاستعد للحصار لعلمه بعجزه لان طائفة من عسكرهم لم يقدر
خوارزمشاه على ان يظفر بهم فكيف اذا جاؤا جميعهم مع ملكهم فامر اهل بخارا وسمرقند
بالاستعداد للحصار وجمع الذخائر للامتناع وجعل في بخارا عشرين الف فارس من
العسكر يحمونها وفي سمرقند خمسين الفا وقال لهم احفظوا البلد حتى اعود الى خوارزم
وخراسان واجمع العساكر واستنجد بالمسلمين واعود اليكم فلما فرغ من ذلك رحل
عائدا الى خراسان فعبر جيحون ونزل بالقرب من بلخ فعسكر هناك واما الكفار فانهم
رحلوا بعد ان استعدوا يطلبون ما وراء النهر فوصلوا الى بخارا بعد خمسة اشهر من وصول
خوارزمشاه وحصروها وقاتلوها ثلاثة ايام قتالا شديدا متتابعا فلم يكن للعسكر
الخوارزمي بهم قوة ففارقوا البلد عائدين الى خراسان فلما اصبح اهل البلد وليس عندهم
من العسكر احد ضعفت نفوسهم فارسلوا القاضي وهو بدر الدين قاضيخان ليطلب
الامان للناس فاعطوهم الامان وكان قد بقي من العسكر طائفة لم يمكنهم الهرب مع
اصحابهم فاعتصموا بالقلعة فلما اجابهم جنكزخان الى الامان فتحت ابواب المدينة يوم
الثلاثاء رابع ذي الحجة من سنة ست عشرة وستمائة فدخل الكفار بخارا ولم
يتعرضوا الى احد بل قالوا لهم كل ما هو للسلطان عندكم من ذخيرة وغيره اخرجوه الينا
وساعدونا على قتال من بالقلعة واظهروا عندهم العدل وحسن السيرة ودخل
جنكزخان بنفسه واحاط بالقلعة ونادى في البلد بان لا يتخلف احد ومن تخلف قتل
فحضروا جميعهم فامرهم بطم الخندق فطموه بالاخشاب والتراب وغير ذلك حتى ان
الكفار كانوا ياخذون المنابر وربعات القرآن فيلقونها في الخندق فانا لله وانا اليه
راجعون وبحق سمى الله نفسه صبورا حليما والا كان خسف بهم الارض عند فعل مثل
هذا ثم تابعوا الزحف الى القلعة وبها الخوارزمية اربعمائة فارس من المسلمين فبذلوا جهدهم
ومنعوا القلعة اثني عشر يوما يقاتلون جمع الكفار واهل البلد فقتل بعضهم ولم يزالوا
كذلك حتى زحفوا اليهم ووصل النقابون الى سور القلعة فنقبوه واشتد حينئذ القتال
ومن بها من المسلمين يرمون بكل ما يجدون من حجارة ونار وسهام فغضب اللعين ورد
اصحابه ذلك اليوم وباكرهم من الغد فجدوا في القتال وقد تعب من بالقلعة ونصبوا
وجاءهم ما لا قبل لهم به فقهرهم الكفار ودخلوا القلعة وقاتلهم المسلمون الذين فيها حتى
قتلوا عن آخرهم فلما فرغ من القلعة امر ان يكتب له رؤس البلد ورؤساؤهم ففعلوا
ذلك فلما عرضوا عليه امر باحضارهم فحضروا فقال اريد منكم النقرة التي باعكم
خوارزمشاه فانها لي ومن اصحابي اخذت وهي عندكم فاحضر كل من كان عنده شئ
منها بين يديه ثم امرهم بالخروج من البلد فخرجوا من البلد مجردين من اموالهم ليس مع
احد منهم غير ثيابه التي عليه ودخل الكفار البلد فنهبوه وقتلوا من وجدوا فيه واحاط
بالمسلمين فامر اصحابه ان يقتسموهم فاقتسموهم وكان يوما عظيما من كثرة البكاء من

الرجال

(وفيه) حصل كسوف للشمس في ثالث ساعة من النهار وكان المنكسف منها مقدار الثلث (وفي ذلك اليوم) ضربت مدافع لوصول بشارة من ابراهيم باشا بانه ملك حايل من الدرعية وان الوهابية محصورون وهو ومن معه من العربان محيطون بهم

(واستهل شهر شعبان سنة ١٢٣٣)

فيه حضر خليل باشا وحسين بك دالي باشا من الجهة البحرية ونزلوا ببيوتهم

(واستهل شهر رمضان بيوم الاحد سنة ١٢٣٣)

في منتصفه وصل مكاتيب واخبار بان ابراهيم باشا ركب الى جهة من نواحي الدرعية لامر يبتغيه وترك عرضيه فاغتنم الوهابية غيابه وكبسوا على العرضي على حين غفلة وقتلوا من العساكر عدة وافرة واحرقوا الجبخانة فعند ذلك قوي الاهتمام وارتحل جملة من العساكر في دفعات ثلاث برا وبحرا يتلو بعضهم بعضا في شعبان ورمضان وبرز عرضي خليل باشا الى خارج باب النصر وترددوا في الخروج والدخول واستباحوا الفطر في رمضان بحجة السفر فيجلس الكثير منهم بالاسواق ياكلون ويشربون ويدخنون جهارا وبايديهم قصبات الدخان ونحو ذلك من غير احتشام

الرجال والنساء والولدان وتفرقوا ايدي سبا وتمزقوا كل ممزق واقتسموا النساء ايضا
واصبحت بخارا خاوية على عروشها كأن لم تغن بالامس وارتكبوا من النساء العظيم
والناس ينظرون ويبكون ولا يستطيعون ان يدفعوا عن انفسهم شيئا مما نزل بهم
فمنهم من لم يرض بذلك واختار الموت على ذلك فقاتل حتى قتل وممن فعل ذلك
واختار ان يقتل ولا يرى ما نزل بالمسلمين الفقيه الامام ركن الدين امام زاده وولده
فانهم لما رأوا ما يفعل بالحرم قاتلوا حتى قتلوا وكذلك فعل القاضي صدر الدين خان
ومن استسلم اخذ اسيرا والقوا النار في البلد والمدارس والمساجد وعذبوا الناس بانواع
العذاب من طلب المال ثم رحلوا نحو سمرقند وقد تحققوا عجز خوارزمشاه عنهم وهم
بمكانه بين ترمذ وبلخ واستصحبوا معهم من سلم من اهل بخارا اسارى فساروا بهم مشاة
على اقبح صورة فكل من اعيا وعجز عن المشي قتل فلما قاربوا سمرقند قدموا الخيالة
وتركوا الرجالة والاسارى والاثقال وراءهم حتى تقدموا شيئا فشيئا ليكون ارعب
لقلوب المسلمين فلما رأى اهل البلد سوادهم استعظموه فلما كان اليوم الثاني وصل
الاسارى والرجالة والاثقال ومع كل عشرة من الاسارى علم فظن اهل البلد ان الجميع
عساكر مقاتلة واحاطوا بالبلد وفيه خمسون الف مقاتل من الخوارزمية واما عامة البلد
فلا يحصون كثرة فخرج اليهم شجعان اهله واهل الجلد والقوة رجالة ولم يخرج معهم من
العسكر الخوارزمي احد لما في قلوبهم من خوف هؤلاء الملاعين فقاتلهم الرجالة بظاهر
البلد فلم يزل التتر يتأخرون واهل البلد يتبعونهم ويطمعون فيهم وكان الكفار
قد كمنوا لهم كمينا فلما جاوزوا الكمين خرج عليهم وحالوا بينهم وبين البلد ورجع
الباقون الذين انشبوا القتال اولا فبقوا في الوسط واخذهم السيف من كل جانب فلم
يسلم منهم احد قتلوا عن آخرهم شهداء رضي الله عنهم وكانوا سبعين الفا على ما قيل
فلما رأى الباقون من الجند والعامة ذلك ضعفت نفوسهم وايقنوا بالهلاك فقال الجند
وكانوا اتراكا نحن من جنس هؤلاء ولا يقتلوننا فطلبوا الامان فاجابوهم الى ذلك ففتحوا
ابواب البلد ولم يقدر العامة على منعهم وخرجوا الى الكفار باهلهم واموالهم فقال لهم
الكفار ادفعوا الينا سلاحكم واموالكم ودوابكم ونحن نسيركم الى مأمنكم ففعلوا ذلك فلما
اخذوا اسلحتهم ودوابهم وضعوا السيف فيهم وقتلوهم عن آخرهم واخذوا اموالهم
ودوابهم ونساءهم فلما كان اليوم الرابع نادوا في البلد ان يخرج اهله جميعهم ومن
تأخر قتلوه فخرج جميع الرجال والنساء والصبيان ففعلوا مع اهل سمرقند مثل فعلهم
مع اهل بخارا من النهب والقتل والسبي والفساد ودخلوا البلد فنهبوا ما فيه
واحرقوا الجامع وتركوا باقي البلد على حاله وافتضوا الابكار وعذبوا الناس بانواع
العذاب في طلب المال وقتلوا من لم يصلح للسبي وكان ذلك في المحرم سنة سبع عشرة
وستمائة وكان خوارزمشاه بمنزلته كلما اجتمع اليه عسكر سيره الى سمرقند فيرجعون
ولا يقدمون على الوصول اليها نعوذ بالله من الخذلان سير مرة عشرة آلاف فارس فعادوا
وسير عشرين الفا فعادوا ايضا

ولا احترام لشهر الصوم وفى اعتقادهم الخروج بقصد الجهاد وغزو الكفار المخالفين لدين الاسلام وانقضى شهر
الصوم والباشا متكدر
الخاطر ومتقلق ومنتظر ورود
خبر يسر به ساعه
●(واستهل شهر شوال بيوم
الاثنين سنة ١٢٢٣)●
وكان هلاله عسر الرؤية
جدا فحضر جماعة من الاتراك
الى المحكمة وشهدوا برؤيته
(وفى ذلك اليوم) الموافق
لثامن عشرى شهر ابيب
القبطى اوفى النيل اذرعه
فاخروا فتح سد الخليج ثلاثة
ايام العيد ونودى بالوفاء
يوم الاربعاء وحصل الجمع
يوم الخميس رابعه وحضر
فتح الخليج كتخدا بك والقاضى
ومن له عادة بالحضور فكان
جمعا وازدحاما عظيما من
اخلاط العالم فى جهة السد
والروضة تلك الليلة واشتعلت
النار فى الحريقة واحترق
فيها اشخاص ومات بعضهم
(وفى سادسه يوم السبت)
خرج خليل باشا المعين الى
السفر فى موكب وشق من
وسط المدينة وخرج من باب
النصر وعطف على باب
الفتوح ورجع الى داره فى
قلة من اتباعه فى طريقه
التى خرج منها (وفيه) انتدب
مصطفى اغا المحتسب ونادى
فى المدينة وامر الناس بقطع
اراضى الطرقات والازقة
حتى العطف والحارات الغير
النافذة فحذا ارباب الحوانيت والبيوت يعملون بانفسهم فى قطع الارض والحفر ونقل

● (ذكر مسير التتر الى خوارزمشاه وانهزامه وموته) ●

لما ملك التتر سمرقند عمد جنكزخان لعنه الله وسير عشرين الف فارس وقال لهم اطلبوا خوارزمشاه اين كان ولو تعلق بالسماء حتى تدركوه وتأخذوه وهذه الطائفة تسميها التتر المغربة لانها سارت نحو غرب خراسان ليقع الفرق بينهم وبين غيرهم منهم لانهم هم الذين اوغلوا في البلاد فلما امرهم جنكزخان بالمسير ساروا وقصدوا موضعا يسمى فنج اب ومعناه خمس مياه فوصلوا اليه فلم يجدوا هناك سفينة فعملوا من الخشب مثل الاحواض الكبار والبسوها جلود البقر لئلا يدخلها الماء ووضعوا فيها سلاحهم وامتعتهم والقوا الخيل في الماء وامسكوا اذنابها وتلك الحياض التي من الخشب مشدودة اليهم فكان الفرس يجذب الرجل والرجل يجذب الحوض المملوء من السلاح وغيره فعبروا كلهم دفعة واحدة فلم يشعر خوارزمشاه الا وقد صاروا معه على ارض واحدة وكان المسلمون قد ملئوا منهم رعبا وخوفا وقد اختلفوا فيما بينهم الا انهم كانوا يتماسكون بسبب ان نهر جيحون بينهم فلما عبروه اليهم لم يقدروا على الثبات ولا على المسير مجتمعين بل تفرقوا ايدي سبا وطلب كل طائفة منهم جهة ورحل خوارزمشاه لا يلوي على شيء في نفر من خاصته وقصد نيسابور فلما دخلها اجتمع عليه بعض العسكر فلم يستقر حتى وصل اولئك التتر اليها وكانوا لم يتعرضوا في مسيرهم لشيء لا بنهب ولا قتل بل يجدون السير في طلبه لا يمهلونه حتى يجمع لهم فلما سمع بقربهم منه رحل الى مازندران وهي له ايضا فرحل التتر المغربون في اثره ولم يعرجوا على نيسابور بل تبعوه وكان كلما رحل عن منزلة نزلوها فوصل الى مرسى من بحر طبرستان تعرف باب سكون وله هناك قلعة في البحر فلما نزل هو واصحابه في السفن وصلت التتر فلما رأوا خوارزمشاه وقد دخل البحر وقفوا على ساحل البحر فلما ايسوا من لحاق خوارزمشاه رجعوا فهم الذين قصدوا الري وما بعدها على ما نذكره ان شاء الله هكذا ذكر لي بعض الفقهاء ممن كان ببخارا واسروه معهم الى سمرقند ثم نجا منهم ووصل الينا وذكر غيره من التجار ان خوارزمشاه سار من مازندران حتى وصل الى الري ثم منها الى همذان والتتر في اثره ففارق همذان في نفر يسير جريدة ليستر نفسه ويكتم خبره وعاد الى مازندران وركب في البحر الى هذه القلعة وكان هذا هو الصحيح فان الفقيه كان حينئذ ماسورا وهؤلاء التجار اخبروا انهم كانوا بهمذان ووصل خوارزمشاه ثم وصل بعده من اخبره بوصول التتر ففارق همذان وكذلك ايضا هؤلاء التجار فارقوها ووصل التتر اليها بعدهم ببعض نهار فهم يخبرون عن مشاهدة ولما وصل خوارزمشاه الى هذه القلعة المذكورة توفي فيها

● (ذكر صفة خوارزمشاه وشيء من سيرته) ●

● وهو علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش وكانت مدة ملكه احدى وعشرين سنة وشهورا تقريبا واتسع ملكه وعظم محله واطاعه العالم باسره ولم يملك بعد السلجوقية

الاتربة وحملوها من خوفهم ١٧٠ من اذيته ولهدم القناة والاجراء واشتغال جميع الترابين باستعمالهم في عمائر اهل الدولة فلو كان هذا الاهتمام في قطع ارض الخليج الذي يجري به الماء فانه لم تقطع ارضه وتقطع جريانه في ايام قليلة لعلو ارضه من الرمي وبما ينهدم عليه من الدور القديمة وما يلقيه السكان فيه من الاتربة وزاد على ذلك بهذه القضية القاء ما يحفرونه وينقلونه من اتربة الازقة والبيوت القديمة القريبة منه فيه ليلا ونهارا (وفي ثامنه) ارتحل خليل باشا مسافرا الى الحجاز من القلزم وعساكره الخيالة على طريق البر (وفي يوم السبت ثالث عشره) نزلوا بكسوة الكعبة الى المشهد الحسيني على العادة (وفي يوم الاثنين ثاني عشرينه) عمل الموكب لامير الحاج وهو حسين بك دالي باشا وخرج بالمحمل خارج باب النصر تجاه الهمائل ثم انتقل في يوم الاربعاء الى البركة وارتحل منها يوم الاثنين تاسع عشرينه وسافر الكثير من الحجاج واكثر فلاحي القرى والصعايدة ومن باقي الاجناس مثل المغاربة والقرمان والاتراك انفار قليلة (وفي ذلك اليوم) وصل قابجي وعلى يده تقرير بحضرة الباشا على السنة الجديدة وطلع الى القلعة في موكب وقرئ التقرير بحضرة الجمع وضربت مدافع كثيرة وكذلك

أحد

وصل قبله تاتجي مبشر بفرمان بشارة بولود ولد لحضرة السلطان فعمل له شنك ومدافع ثلاثة أيام في الاوقات الخمسة وذلك في منتصفه *

(واستهل شهر ذي القعدة يوم الاربعاء سنة ١٢٣٣)

وانقضى والباشا منفعل الخاطر لتاخر الاخبار وطول الانتظار وكل قليل يامر بقراءة صحيح البخاري بالازهر ويفرق على صغار المكاتب والفقراء دراهم واضيق صدره واشتغال فكره لا يستقر بمكان فيقيم بالقلعة قليلا ثم ينتقل الى قصر شبرا ثم الى قصر الآثار ثم الازبكية ثم الجيزة وهكذا

(واستهل شهر ذي الحجة الحرام بيوم الجمعة سنة ١٢٣٣)

(في سابعه) وردت بشائر من طريق الحجاز بمراسلة من عثمان اغا الوردانى أمير الينبع بان ابراهيم باشا استولى على الدرعية والوهابية فانسر الباشا لهذا الخبر سرورا عظيما وانجلى عنه الضجر والقلق وانعم على المبشر وعند ذلك ضربوا مدافع كثيرة من القلعة والجيزة وبولاق والازبكية وانتشر المبشرون على بيوت الاعيان لاخذ البقاشيش (وفي ثانى عشره) وصل المرسوم بكاتبات من السويس والينبع وذلك قبل العصر فاكثروا من ضرب المدافع من كل جهة واستمر الضرب من العصر الى المغرب بحيث ضرب بالقلعة خاصة الف مدفع وصادف ذلك شنك ايام العيد وعند ذلك امر بعمل مهرجان

أحد مثل ملكه فانه ملك من حد العراق الى تركستان وملك بلاد غزنة وبعض الهند وملك سجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبال وخراسان وبعض فارس وفعل بالخطا الافاعيل العظيمة وملك بلادهم وكان فاضلا عالما بالفقه والاصول وغيرهما وكان مكرما للعلماء محبا لهم محسنا اليهم يكثر مجالستهم ومناظراتهم بين يديه وكان صبورا على التعب وادمان السير غير متنعم ولا مقبل على اللذات انما همه في الملك وتدبيره وحفظه وحفظ رعاياه وكان معظما لاهل الدين مقبلا عليهم متبركا بهم (حكى) لي بعض خدم حجرة النبي صلى الله عليه وسلم وقد عاد من خراسان قال وصلت الى خوارزم فنزلت ودخلت الحمام ثم قصدت باب السلطان علاء الدين فحين حضرت لقيني انسان فقال ما حاجتك فقلت له انا من خدم حجرة النبي صلى الله عليه وسلم فامرني بالجلوس وانصرف عني ثم عاد الي واخذني وادخلني الى دار السلطان فتسلمني منه حاجب من حجاب السلطان وقال لي قد اعلمت السلطان خبرك فامر باحضارك عنده فدخلت اليه وهو جالس في صدر ايوان كبير فحين توسطت صحن الدار قام قائما ومشى الي بين يدي فاسرعت السير فلقيته في وسط الايوان فاردت ان اقبل يده فمنعني واعتنقني وجلس واجلسني الى جانبه وقال لي انت تخدم حجرة النبي صلى الله عليه وسلم فقلت نعم فاخذ يدي وامرها على وجهه وسالني عن حالنا وعيشنا وصفة المدينة ومقدارها واطال الحديث معي فلما خرجت من عنده قال لولا اننا على عزم السفر هذه الساعة لما ودعتك انا نريد ان نعبر جيحون الى الخطا وهذا طريق مبارك حيث رأينا من خدم حجرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم ودعني وارسل الي جملة كثيرة من النفقة ومضى وكان منه ومن الخطا ما ذكرناه وبالجملة فاجتمع فيه ما تفرق في غيره من ملوك العالم رحمه الله ولو اردنا ذكر مناقبه لطال

(ذكر استيلاء التتر المغربة على مازندران)

لما يئس التتر المغربة من ادراك خوارزمشاه عادوا فقصدوا بلاد مازندران فملكوها في اسرع وقت مع حصانتها وصعوبة الدخول اليها وامتناع قلاعها فانها لم تزل ممتنعة قديم الزمان وحديثه حتى ان المسلمين لما ملكوا بلاد الاكاسرة جميعها من العراق الى اقصى خراسان بقيت اعمال مازندران يؤخذ منهم الخراج ولا يقدرون على دخول البلاد الى ان ملكت ايام سليمان بن عبد الملك سنة تسعين وهؤلاء الملاعين ملكوها صفوا عفوا الامر يريده الله تعالى ولما ملكوا بلد مازندران قتلوا وسبوا ونهبوا واحرقوا البلاد ولما فرغوا من مازندران سلكوا نحو الري فرأوا في الطريق والدة خوارزمشاه ونساءه واموالهم وذخائرهم التي لم يسمع بمثلها من الاعلاق النفيسة وكان سبب ذلك ان والدة خوارزمشاه لما سمعت بما جرى على ولدها خافت ففارقت خوارزم وقصدت نحو الري لتصل الى اصفهان وهمذان وبلد الجبل تمتنع فيها فصادفوها في الطريق فاخذوها وما معها قبل وصولها الى الري فكان فيه ما ملأ

وزينة داخل المدينة وشار بجهاو بولاق ومصر القديمة والجيزة وشنك على بحر النيل تجاه البرج بقلعه

بولاق من انجبارين والخراطين والحدادين وتقيد قلك امين افندى المعمار وشرعوا فى العمل وحضر كشاف النواحى والاقاليم بعساكرهم واخرجوا الخيام والصواوين والوطاقات خارج باب النصر وباب الفتوح وذلك يوم الثلاثاء سادس عشر ينمونودى بالزينة واولها الاربعاء فشرع الناس فى زينة الحوانيت والخانات وابواب الدور ووقود القناديل والسهر والتاهر والفرح والملاعيب كل ذلك مع ما الناس فيه من ضيق الحال والنكد فى تحصيل اسباب المعاش وعدم مايسرجون به من الزيت والشيرج والزيت الحار وكذا السمن فانه شح وجوده ولا يوجد منه الا القليل عند بعض الزياتين ولا يبيع الزيات زيادة عن الاوقية وكذلك اللحم لا يوجد منه الا ما كان فى غاية الرداءة من لحم النعاج الهزيل وامتنع ايضا وجود القمح بالساحل وعرصات الغلة حتى الخبز امتنع وجوده بالاسواق ولما انهى الامر الى من لهم ولاية الامر فاخرجوا من شون الباشا مقدارا ليباع فى الرقع وقد اكله السوس ولا يباع منها ازيد من الكيلة اكثرها سوس وكذلك لما شكا الناس من عدم ما يسرجون به فى القناديل اطلقوا

اسمه

عيونهم وقلوبهم ومالم يشاهد الناس مثله من كل ضرب من المتاع ونفيس من الجوهر وغير ذلك وسيروا الجميع الى جنكزخان بسمرقند

(ذكر وصول التتر الى الرى وهمذان)

فى سنة سبع عشرة وستمائة وصل التتر لعنهم الله الى الرى فى طلب خوارزمشاه محمد لانهم بلغهم انه مضى منهزما منهم نحو الرى فجدوا السير فى اثره وقد انضاف اليهم كثير من عساكر المسلمين والكفار وكذلك ايضا من المفسدين ممن يريد النهب والشر فوصلوا الى الرى على حين غفلة من اهلها فلم يشعروا الا وقد وصلوا اليها وملكوها ونهبوها وسبوا الحريم واسترقوا الاطفال وفعلوا الافعال التى لم يسمع بمثلها ولم يقيموا ومضوا مسرعين فى طلب خوارزمشاه فنهبوا فى طريقهم كل مدينة وقرية مروا عليها وفعلوا فى الجميع اضعاف ما فعلوا فى الرى واحرقوا وخربوا ووضعوا السيف فى الرجال والنساء والاطفال فلم يبقوا على شئ وتموا على حالهم الى همذان وكان خوارزمشاه قد وصل اليها فى نفر من اصحابه ففارقها وكان آخر العهد به فلا يدرى ما كان منه فيما حكاه بعضهم عنه وقيل غير ذلك وقد ذكرناه فلما قاربوا همذان خرج رئيسها ومعه الحمل من الاموال والثياب والدواب وغير ذلك يطلب الامان لاهل البلد فامنوهم ثم فارقوها وساروا الى زنجان ففعلوا اضعاف ذلك ثم وصلوا الى قزوين فاعتصم اهلها منهم بمدينتهم فقاتلوهم وجدوا فى قتالهم ودخلوها عنوة بالسيف فاقتتلوا هم واهل البلد فى باطنه حتى صاروا يقتتلون بالسكاكين فقتل من الفريقين ما لا يحصى ثم فارقوا قزوين وعد القتلى من اهل قزوين فزادوا على اربعين الف قتيل

(ذكر وصول التتر الى اذربيجان)

لما هجم الشتاء على التتر فى همذان وبلد الجبل رأوا بردا شديدا وثلجا متراكما فساروا الى اذربيجان ففعلوا فى طريقهم بالقرى والمدن الصغار من القتل والنهب مثل ما تقدم منهم وخربوا واحرقوا ووصلوا الى تبريز وبها صاحب اذربيجان اوزبك بن البهلوان فلم يخرج اليهم ولا حدث نفسه بقتالهم لاشتغاله بما هو بصدده من ادمان الشرب ليلا ونهارا لا يفيق وانما ارسل اليهم وصالحهم على مال وثياب ودواب وحمل الجميع اليهم فساروا من عنده يريدون ساحل البحر لانه يكون قليل البرد ليشتوا عليه والمراعى به كثيرة لاجل دوابهم فوصلوا الى موقان وتطرقوا فى طريقهم الى بلاد الكرج فجاء اليهم من الكرج جمع كثير من العسكر نحو عشرة آلاف مقاتل فقاتلوهم فانهزمت الكرج وقتل اكثرهم وارسل الكرج الى اوزبك صاحب اذربيجان يطلبون منه الصلح والاتفاق معهم على دفع التتر فاصطلحوا ليجتمعوا اذا انحسر الشتاء وكذلك ارسلوا الى الملك الاشرف ابن الملك العادل صاحب خلاط وديار الجزيرة يطلبون منه الموافقة عليهم وظنوا جميعهم ان التتر يصبرون فى الشتاء الى الربيع فلم يفعلوا كذلك بل تحركوا وساروا نحو بلاد الكرج وانضاف اليهم مملوك تركى من مماليك اوزبك

اسمه اقوش وجمع اهل تلك الجبال والصحراء من التركمان والاكراد وغيرهم فاجتمع معه خلق كثير وراسل التتر في الانضمام اليهم فاجابوه الى ذلك ومالوا اليه للجنسية فاجتمعوا وساروا في مقدمة التتر الى الكرج فملكوا حصنا من حصونهم وخربوه ونهبوا البلاد وخربوها وقتلوا اهلها ونهبوا اموالهم حتى وصلوا الى قريب تفليس فاجتمعت الكرج وخرجت بحدها وحديدها اليهم فلقيهم اقوش اولا فيمن اجتمع اليه فاقتتلوا قتالا شديدا صبروا فيه كلهم فقتل من اصحاب اقوش خلق كثير وادركهم التتر وقد تعب الكرج من القتال وقتل منهم ايضا كثير فلم يثبتوا للتتر وانهزموا اقبح هزيمة وركبهم السيف من كل جانب فقتل منهم ما لا يحصى كثرة وكانت الوقعة في ذي القعدة من هذه السنة ونهبوا من البلاد ما كان سلم منهم ولقد جرى لهؤلاء التتر ما لم يسمع بمثله من قديم الزمان وحديثه طائفة تخرج من حدود الصين لا تنقضي عليهم سنة حتى يصل بعضهم الى بلاد ارمينية من هذه الناحية ويجاوزون العراق من ناحية همذان وتالله لا اشك ان من يجيء بعدنا اذا بعد العهد ويرى هذه الحادثة مسطورة ينكرها ويستبعدها والحق بيده فمتى استبعد ذلك فلينظر انا سطرنا نحن وكل من جمع التاريخ في ازماننا هذه في وقت كل من فيه يعلم هذه الحادثة استوى في معرفتها العالم والجاهل لشهرتها يسر الله للمسلمين والاسلام من يحفظهم ويحوطهم فلقد دفعوا من العدو الى عظيم ومن الملوك المسلمين الى من لا تتعدى همته بطنه وفرجه ولم ينل المسلمين اذى وشدة مذ جاء النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا الوقت مثل ما دفعوا اليه الآن هذا العدو الكافر التتر قد وطئوا بلاد ما وراء النهر وملكوها وخربوها وناهيك به سعة بلاد وتعدت طائفة منهم النهر الى خراسان فملكوها وفعلوا مثل ذلك ثم الى الري وبلد الجبل واذربيجان وقد اتصلوا بالكرج فغلبوهم على بلادهم والعدو الآخر الفرنج قد ظهر من بلادهم في اقصى بلاد الروم بين الغرب والشمال ووصلوا الى مصر فملكوا مثل دمياط واقاموا فيها ولم يقدر المسلمون على ازعاجهم عنها ولا اخراجهم منها وباقي ديار مصر على خطر فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ومن اعظم الامور على المسلمين ان سلطانهم خوارزم شاه محمدا قد عدم لا يعرف حقيقة خبره فتارة يقال مات عند همذان واخفي موته وتارة دخل اطراف بلاد فارس ومات هنالك واخفي موته لئلا يقصدها التتر في اثره وتارة يقال عاد الى طبرستان وركب البحر وتوفي في جزيرة هنالك وبالجملة فقد عدم ثم صح موته بحر طبرستان وهذا اعظم مثل خراسان وعراق العجم اصبح سائبا لا مانع له ولا سلطان يدفع عنه والعدو يجوس البلاد يأخذ ما اراد ويترك ما اراد على انهم لم يبقوا على مدينة الا خربوها كل ما مروا عليه نهبوه وما لا يصلح لهم احرقوه فكانوا يجمعون الابريسم تلالا ويلقون فيه النار وكذلك غيره من الامتعة

﴿ذكر ملك التتر مراغة﴾

الثر يأتين مقدارا من الشيرج في كل يوم يباع في الناس لوقود الزينة وفي كل يوم يطوف المنادي ويكرر المناداة بالشوارع على الناس بالسهر والوقود والزينة وعدم غلق الحوانيت ليلا ونهارا وانقضى العام بحوادثه ومعظمه استمر (فيها) وهو اعظمها شدة الاذية والضيق وخصوصا بذوي البيوت والمساتير من الناس بسبب قطع ايرادهم وارزاقهم من الغلال والجامكية السائرة والرزق الاحباسية وضبط الاموال التي تقدم ذكرها وكان يتعيش منها الوف من العالم ولما اشتد الضنك بالمترسمين وتكرر عرضهالهم امر لهم بصرف الثلث وتحول المصرفجي على بعض الجهات فكان كلما اجتمع لديه قدر يلحقه الطلب بحوالة من لوازم عساكر السفر المجردين وانقضى العام واكثر الناس لم يحصل على شئ وذلك لكثرة المصاريف ولا رساليات من القناطر والغلال والمؤن وخزائن المال من اصناف خصوص الريال الفرانسه والذهب البندقي والمحبوب الاسلامي بالاحمال وهي الاصناف الرائجة بتلك النواحي واما القروش فلا رواج لها الا بمصر وضواحيها فقط اخبرني احد اعيان كتاب الخزينة عن اجرة حمل الذخيرة على جمال العرب خاصة في مرة من المرات خمسة واربعين الف فرانسه وذلك من الينبع الى المدينة حسابا عن اجرة كل بعير ستة فرانسه يدفع نصفها امير الينبع والنصف

في صفر سنة ثمان عشرة وستمائة ملك التتر مدينة مراغة من اذربيجان وسبب ذلك انا ذكرنا سنة سبع عشرة وستمائة ما فعله التتر بالكرج وانقضت تلك السنة وهم في بلاد الكرج فلما دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة ساروا من ناحية الكرج لانهم رأوا ان بين ايديهم شوكة قوية ومضايق تحتاج الى قتال وصداع فعدلوا عنهم وهذه كانت عادتهم اذا قصدوا مدينة ورأوا عندها امتناعا عدلوا عنها فوصلوا الى تبريز وصانعهم صاحبها بمال وثياب ودواب فساروا عنه الى مدينة مراغة فحصروها وليس بها صاحب يمنعها لان صاحبها كانت امرأة وهي مقيمة بقلعة روين دز وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لن يفلح قوم ولوا امرهم امرأة فلما حصروها قاتلهم اهلها فنصبوا عليها المجانيق وزحفوا اليها وكانت عادتهم اذا قاتلوا مدينة قدموا من معهم من اسارى المسلمين بين ايديهم يزحفون ويقاتلون فان عادوا قتلوا فكانوا يقاتلون كرها وهم المساكين كما قيل كالاشقر ان تقدم ينحر وان تأخر يعقر وكانوا هم يقاتلون وراء المسلمين فيكون القتل في المسلمين الاسارى وهم بنجوة منه فقاتلوا اهلها عدة ايام ثم ملكوا المدينة عنوة وقهرا رابع صفر ووضعوا السيف في اهلها فقتل منهم ما يخرج عن الحد والاحصاء ونهبوا كل ما صلح لهم وما لا يصلح لهم احرقوه واختفى بعض الناس منهم فكانوا يأخذون الاسارى ويقولون لهم نادوا في الدروب ان التتر قد رحلوا فاذا نادى اولئك خرج من اختفى فيؤخذ ويقتل (وبلغني) ان امرأة من التتر دخلت دارا وقتلت جماعة من اهلها وهم يظنونها رجلا فوضعت السلاح واذا هي امرأة فقتلها رجل اخذته اسيرا (وسمعت) من بعض اهلها ان رجلا من التتر دخل دربا فيه مائة رجل فما زال يقتلهم واحدا واحدا حتى افناهم ولم يمد احد يده اليه بسوء ووضعت الذلة على الناس فلا يدفعون عن نفوسهم قليلا ولا كثيرا نعوذ بالله من الخذلان ثم رحلوا عنها نحو مدينة اربل ووصل الخبر الينا بذلك بالموصل فخفنا حتى ان بعض الناس هم بالجلاء خوفا من السيف وجاءت كتب مظفر الدين صاحب اربل الى بدر الدين صاحب الموصل يطلب منه نجدة من العساكر فسير جمعا صالحا من عسكره واراد ان يمضي الى طرف بلاده من جهة التتر ويحفظ المضايق لئلا يجوزها احد فانها جبال وعرة ومضايق لا يقدر ان يجوزها الا الفارس بعد الفارس ويمنعهم من الجواز اليه ووصلت كتب الخليفة ورسله الى الموصل والى مظفر الدين يأمر الجميع بالاجتماع مع عساكره بمدينة دقوقا ليمنعوا التتر فانهم ربما عدلوا عن جبال اربل لصعوبتها الى هذه الناحية ويطرقون العراق فسار مظفر الدين من اربل في صفر وسار اليه جمع من عسكر الموصل وتبعهم من المتطوعة كثير وارسل الخليفة ايضا الى الملك الاشرف يأمره بالحضور بنفسه في عساكره ليجتمع الجميع على قصد التتر وقتالهم فاتفق ان الملك المعظم ابن الملك العادل وصل من دمشق الى اخيه الاشرف وهو بحران يستنجده على الفرنج الذين بمصر وطلب منه ان يحضر بنفسه ليسيروا كلهم الى مصر ليستنقذوا دمياط من الفرنج فاعتذر الى الخليفة باخيه وقوة الفرنج وان لم يتداركها

الاقليم فهامير المدينة عند وصول ذلك ثم من المدينة الى الدرعية ما يبلغ المائة والالف بين الف فرانسة وهو شئ مستمر التكرار والبعوث ويحتاج الى كنوز قارون وهامان واكسير جابر بن حيان (ومنها) العمارة التى امر بانشائها الباشا المشار اليه بين السورين وحارة النصارى المعروفة بخميس العدس المتوصل منها الى جهة الخرنفش وذلك باشارة اكابر نصارى الافرنج ليجتمع بها ارباب الصنائع الواصلون من بلاد الافرنج وغيرهم وهي عمارة عظيمة ابتدأ فيها من العام الماضي واستمر واحدة في صناعة الآلات الاصولية التى يصطنع بها اللوازم مثل السندالات والمخارط للحديد والقواديم والمناشير والبرجات ونحو ذلك وافرد والكل حرفة وصناعة مكانا وصناعا يحتوى المكان على الانوال والدواليب والآلات الغريبة الوضع والتركيب لصناعة القطن وانواع الحرير والاقمشة والمقصبات (وفي اواخر هذا العام) جمعوا مشايخ الحارات والزموهم بجمع اربعة آلاف غلام من اولاد البلد ليشتغلوا تحت ايدي الصناع ويتعلموا ويأخذوا اجرة يومية ويرجعوا الى اهاليهم آواخر النهار وفيهم من يكون له القرش والقرشان والثلاثة بحسب الصناعة وما يناسبها وربما احتيج الى نحو العشرة آلاف غلام بعد اتمامها والمحتاج اليه في هذا الوقت

خرجت هي وغيرها وشرع يتجهز للمسير الى الشام ليدخل مصر وكان ما ذكرناه من استنقاذ دمياط فلما اجتمع مظفر الدين والعساكر بدقوقا سير الخليفة اليهم مملوكه قشتمر وهو اكبر أمير بالعراق ومعه غيره من الامراء في نحو ثمانمائة فارس فاجتمعوا هناك ليتصل بهم باقي عسكر الخليفة وكان المقدم على الجميع مظفر الدين فلما رأى قلة العسكر لم يقدم على قصد التتر (وحكى مظفر الدين) قال لما أرسل الى الخليفة في معنى قصد التتر قلت له ان العدو قوى وليس لي من العسكر ما ألقاه به فان اجتمع معي عشرة آلاف فارس استنقذت ما أخذ من البلاد فامرني بالمسير وواعدني بوصول العسكر فلما سرت لم يحضر عندي غير عدد لم يبلغوا ثمانمائة طواشي فاقمت وما رأيت المخاطرة بنفسي وبالمسلمين ولما سمع التتر باجتماع العساكر لهم رجعوا القهقرى ظنا منهم ان العسكر يتبعهم فلما لم يروا أحدا يطلبهم أقاموا وأقام العسكر الاسلامي عند دقوقا فلما لم يروا ان العدو يقصدهم ولا المدد يأتيهم تفرقوا وعادوا الى بلادهم

(ذكر ملك التتر همذان وقتل أهلها)

لما تفرق العسكر الاسلامي عاد التتر الى همذان فنزلوا بالقرب منها وكان لهم بها شحنة يحكم فيها فأرسلوا اليه يأمرونه ان يطلب من أهلها مالا وثيابا وكانوا قد استنفدوا أموالها في طول المدة وكان رئيس همذان شريفا علويا وهو من بيت رياسة قديمة له المدينة وهو الذي يسعى في أمور أهل البلد مع التتر ويوصل اليهم ما يجمعه من الاموال فلما طلبوا الآن منهم المال لم يجد أهل همذان ما يحملونه اليهم فحضروا عند الرئيس ومعه انسان فقيه قد قام في اجتماع الكلمة على الكفار قياما مرضيا فقالوا لهما هؤلاء الكفار قد افنوا اموالنا ولم يبق لنا ما نعطيهم وقد هلكنا من اخذهم اموالنا وما يفعله النائب عنهم بنا من الهوان وكانوا قد جعلوا بهمذان شحنة لهم يحكم في اهلها بما يختار فقال الشريف اذا كنا نعجز عنهم فكيف الحيلة فليس لنا الا مصانعتهم بالاموال فقالوا له انت اشد علينا من الكفار واغلظوا له في القول فقال انا واحد منكم فاصنعوا ما شئتم فاشار الفقيه باخراج شحنة التتر من البلد والامتناع فيه ومقاتلة التتر فوثب العامة على الشحنة فقتلوه وامتنعوا في البلد فتقدم التتر اليهم وحصروهم وكانت الاقوات متعذرة في تلك البلاد جميعها لخرابها وقتل اهلها وجلاء من سلم منهم فلا يقدر احد على الطعام الا قليلا واما التتر فلا يبالون لعدم الاقوات لانهم لا يأكلون الا اللحم ولانا كل دوابهم الا نبات الارض حتى انها تحفر بحوافرها الارض عن عروق النبات فتأكلها فلما حصروا همذان قاتلهم اهلها والرئيس والفقيه في اوائلهم فقتل من التتر خلق كثير وجرح الفقيه عدة جراحات وافترقوا ثم خرجوا من الغد فاقتتلوا اشد من القتال الاول وقتل ايضا من التتر اكثر من اليوم الاول وجرح الفقيه ايضا عدة جراحات وهو صابر وارادوا ايضا الخروج في اليوم الثالث فلم يطق الفقيه الركوب وطلب الناس الرئيس

القدر المذكور وهي كرنافة عظيمة صرف عليها مقادير عظيمة من الاموال (ومنها) انه ظهر باراضي الارز بالبحر الشرقي ناحية دمياط حيوان يخرج من البحر الشرقي في قدر الجاموس العظيم ولونه فيرعى الفدان من الزرع ثم يتقايا اكثره وكان ظهوره من العام الماضي فيجتمع عليه الكثير من اهل الناحية ويرجمونه بالحجارة ويضربون عليه بنادق الرصاص فلا تؤثر في جلده ويهرب الى البحر واتفق انه ابتلع رجلا الى ان اصيب في عينه وسقط وتكاثروا عليه وقتلوه وسلخوا جلده وحشوه تبنا واتوا به الى بولاق وتفرج عليه الباشا والناس واخبرني غير واحد ممن رآه انه اعظم من الجاموس الكبير طوله ثلاثة عشر قدما ولونه لونه وجلده املس وراسه عظيم يشبه راس ابن عرس وعيناه في اعلى دماغه واسع الفم وذنبه مثل ذنب السمك وارجله غلاظ مثل ارجل الفيل في اواخرها اربع ظلوف طوال واسفلها كخف الجمل وادخلوه الى بيت الافرنج وانعم به الباشا على بغوص الترجمان الارمني وهو يبيعه على الافرنج بثمن كبير (ومنها) ان امرأة يقال لها الشيخة رقيسة تتزر بئزر ابيض وبيدها خيزرانة وسبحة تطوف على بيوت الاعيان وتقرا وتصلي وتذكر في السبحة ونساء الاكابر يعتقدن فيها الصلاح ويسألن منها الدعاء وكذلك

الدلوي فلم يجدوه وكان قد هرب في سرب صنعه الى ظاهر البلد ووصل الى قلعة هناك على جبل حصينة فامتنع فيها فلما فقده الناس بقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون الا انهم اجتمعت كلمتهم على القتال الى ان يموتوا فاقاموا في البلد ولم يخرجوا منه وكان التتر قد عزموا على الرحيل لكثرة من قتل منهم فلما لم يروا احدا خرج اليهم من البلد طمعوا واستدلوا على ضعف اهله فقصدوهم وقاتلوهم في رجب من سنة ثمان عشرة وستمائة ودخلوا المدينة بالسيف وقاتلهم الناس في الدروب فبطل السلاح للزحمة واقتتلوا بالسكاكين فقتل من الفريقين ما لا يحصيه الا الله تعالى وقوي التتر على المسلمين فافنوهم قتلا ولم يسلم الا من كان عمل له نفقا يختفي فيه وبقي القتل في المسلمين عدة ايام ثم القوا النار في البلد فاحرقوه ورحلوا عنها الى مدينة اردويل وقيل كان السبب في ملكها ان اهل البلد لما شكوا الى الرئيس الشمس ما يفعل بهم الدلوي اشار عليهم بمكاتبة الخليفة لينفذ اليهم عسكرا مع امير يجمع كلمتهم فاتفقوا على ذلك فكتب الى الخليفة ينهي اليه ما هم عليه من الخوف والذل وما يرتكبه العدو من الصغار والخزي ويطلب نجدة ولو الف فارس مع امير يقاتلون معه ويجتمعون عليه فلما سار القصاد بالكتب ارسل بعض من علم بالحال الى التتر يعلمهم ذلك فارسلوا الى الطريق فاخذوهم واخذوا الكتب منهم وارسلوا الى الرئيس ينكرون عليه الحال فجحد فارسلوا اليه كتبه وكتب الجماعة فسقط في ايديهم وتقدم اليهم التتر حينئذ وقاتلوهم وجرى في القتال كما ذكرنا

(ذكر مسير التتر الى اذربيجان وملكهم اردويل وغيرها)

لما فرغ التتر من همذان ساروا الى اذربيجان فوصلوا الى اردويل فملكوها وقتلوا فيها واكثروا وخربوا اكثرها وساروا منها الى تبريز وكان قد قام بامرها شمس الدين الطغرائي وجمع كلمة اهلها وقد فارقها صاحبها اوزبك بن البهلوان وكان اميرا متخلفا لا يزال منهمكا في الخمر ليلا ونهارا يبقى الشهر والشهرين لا يظهر واذا سمع هيعة طار بجفلا له وله جميع اذربيجان واران وهو اعجز خلق الله عن البلاد من عدو يريدها او يقصدها فلما سمع بمسير التتر من همذان فارق هو تبريز وقصد نقجوان وسير اهله وثقاته الى خوي ليبعد عنهم فقام هذا الطغرائي بامر البلد وجمع الكلمة وقوى نفوس الناس على الامتناع وحذرهم عاقبة التخاذل والتواني وحصن البلد بجهده وطاقته فلما قارب التتر وسمعوا بما اهل البلد عليه من اجتماع الكلمة على قتالهم وانهم قد حصنوا المدينة واصلحوا اسوارها وخندقها ارسلوا يطلبون منهم مالا وثيابا فاستقر الامر بينهم على قدر معلوم من ذلك فسيروه اليهم فاخذوه ورحلوا الى مدينة سراو فنهبوها وقتلوا كل من فيها ورحلوا منها الى بيلقان من بلاد اران فنهبوا كل ما مروا به من البلاد والقرى وخربوا وقتلوا من ظفروا به من اهلها فلما وصلوا الى بيلقان حصروها فاستدعى اهلها منهم رسولا يقررون معه الصلح فارسلوا اليهم رسولا من اكابرهم ومقدميهم فقتله اهل

البلد

الرجال حتى بعض الفقهاء وتجتمع على الشيخ العالم الا معتقد الشيخ تعيلب الضرير ويكثر من مدحها الناس ويزدادون فيها اعتقادا ولما جعلت تخليل بك طوقان النابلسي مكان مفرد تاوي اليه على حدتها واذا دخلت بيتا من البيوت قام اليها الخدم واستقبلوها بقولهم نهارنا سعيد مبارك ونحو ذلك واذا دخلت على الستات قمن اليها وعظمنها وقبلن يدها وتبيت معهن ومع الجواري فذهبت يوما الى دار الشيخ عبد العليم الفيومي وباتت في شهر شوال فمرضت اياما وماتت فضجوا وتاسفوا عليها واحبوا تغيير ما عليها من الثياب فراوا شيئا عجبا ما بين افخاذها فظنوه صرة دراهم واذا هو آلة الرجال الخصيتان والذي فوقهما فبهت النساء وتعجبن واخبروا الشيخ تعيلب بذلك فقال استروا هذا الامر وغسلوه وكفنوه وواروه في التراب ووجدوا في جيبه مرآة وموسى وملقاطا وشاع امره واشتهر وتناقله الناس بالتحدث والتعجب (ومنها) زيادة النيل في هذا العام الزيادة المفرطة التي لم نسمع ولم نر مثلها حتى غرق الزروع الصيفية مثل الذرة والنيلة والسمسم والقصب والارز واكثر الجناين بحيث صار البحر وسواحله والملق لجة ماء وانهدم بسببه قرى كثيرة وغرق كثير من الناس والحيوان حتى كان الماء يبيع بين الناس

البلد فزحف التتر اليهم وقاتلوهم ثم انهم ملكوا البلد عنوة في شهر رمضان سنة ثمان عشرة ووضعوا السيف فلم يبقوا على صغير ولا كبير ولا امرأة حتى انهم يشقون بطون الحبالى ويقتلون الاجنة وكانوا يفجرون بالمرأة ثم يقتلونها وكان الانسان منهم يدخل الدرب فيه الجماعة فيقتلهم واحدا بعد واحد حتى يفرغ من الجميع لا يمد احد منهم اليه يدا فلما فرغوا منها استقصوا ما حولها من النهب والتخريب وساروا الى مدينة كنجة وهي ام بلاد اران فعلموا بكثرة اهلها وشجاعتهم لكثرة دربتهم بقتال الكرج وحصانتها فلم يقدموا عليها فارسلوا الى اهلها يطلبون منهم المال والثياب فحملوا اليهم ما طلبوا فساروا عنهم

●(ذكر وصول التتر الى بلاد الكرج)●

لما فرغ التتر من بلاد المسلمين باذربيجان واران بعضه بالملك وبعضه بالصلح ساروا الى بلاد الكرج من هذه الاعمال ايضا وكان الكرج قد اعدوا لهم واستعدوا وسيروا جيشا كثيرا الى طرف بلادهم ليمنعوا التتر عنها فوصل اليهم التتر فالتقوا فلم يثبت الكرج بل ولوا منهزمين فاخذهم السيف فلم يسلم منهم الا الشريد ولقد بلغني انهم قتل منهم نحو ثلاثين الفا ونهبوا ما وصلوا اليه من بلادهم وخربوها وفعلوا بها ما هو عادتهم فلما وصل المنهزمون الى تفليس وبها ملكهم جمع جمعا آخر وسيرهم الى التتر ايضا ليمنعوهم من توسط بلادهم فرأوا التتر وقد دخلوا البلاد لم يمنعهم جبل ولا مضيق ولا غير ذلك فلما رأوا فعلهم عادوا الى تفليس فاخلوا البلاد ففعل التتر فيها ما ارادوا من النهب والقتل والتخريب ورأوا بلادا كثيرة المضايق والدربندات فلم يتجاسروا على الوغول فيها فعادوا عنها وداخل الكرج منهم خوف عظيم حتى سمعت عن بعض اكابر الكرج وكان قدم رسولا انه قال من حدثكم ان التتر انهزموا او اسروا فلا تصدقوه واذا حدثتم انهم قتلوا فصدقوا فان القوم لا يفرون ابدا ولقد اخذنا اسيرا منهم فالقى نفسه من الدابة وضرب رأسه بالحجر الى ان مات ولم يسلم نفسه للاسر

●(ذكر وصولهم الى دربند شروان وما فعلوه)●

لما عاد التتر من بلد الكرج قصدوا دربند شروان فحصروا مدينة شماخي وقاتلوا اهلها فصبروا على الحصر ثم ان التتر صعدوا سورها بالسلاليم وقيل بل جمعوا كثيرا من الجمال والبقر والغنم وغير ذلك ومن قتلى الناس منهم وممن قتل من غيرهم والقوا بعضه فوق بعض فصار مثل التل وصعدوا عليه فاشرفوا على المدينة وقاتلوا اهلها فصبروا واشتد القتال ثلاثة ايام فاشرفوا على ان يؤخذوا فقالوا السيف لا بد منه فالصبر اولى بنا نموت كراما فصبروا تلك الليلة فانتنت تلك الجيف وانهضمت فلم يبق للتتر على السور استعلاء ولا تسلط على الحرب فعاودوا الزحف وملازمة القتال فضجر اهلها ومسهم التعب والكلال والاعياء فضعفوا فملك التتر البلد وقتلوا فيه كثيرا ونهبوا الاموال واستباحوها فلما فرغوا منه ارادوا عبور الدربند فلم يقدروا على ذلك فارسلوا رسولا

من وسط الدور واشتغلا بحر الجيزة بحر مصر الضيقة حتى كانت المراكب تمشي

فوق جزيرة الروضة وكثر ويل الفلاحين وصراخهم على ما غرق لهم من المزارع وخصوصا الذرة الذي هو معظم قوتهم وكثير من اهل البلاد نذبوا بالدفوف (ومنها) ان الباشا زاد في هذه السنة الخراج وجعل على كل فدان ... ة قروش وسبعة وثمانية وذكر انها مساعدة على حروب الحجاز والخوارج فدهي الفلاحون بها بين الداهيتين وهي زيادة النيل وزيادة الخراج في غير وقت واوان فان من عادة الفلاحين واهل القرى اذا انقضت ايام الحصاد والدراوي وشطبوا ما عليهم من مال الخراج للملتزمين ويكون ذلك في مبادي زيادة النيل وارتفع عنهم الطلب وارتحلت كشاف النواحي وقائمقام الملتزمين والصيارف والمعينون وخلت النواحي منهم فعند ذلك ترتاح نفوسهم وتجتمع حواسهم ويعملون اعراسهم ويجددون ملبوسهم ويزوجون بناتهم ويختنون صبيانهم ويشيدون بنيانهم ويصلحون جسورهم وجبوسهم فاذا اخذ النيل في الزيادة شرعوا في زراعة الصيفي الذي هو معظم قوتهم وكسبهم حتى اذا انحسر الماء وانكشفت الاراضي وآن اوان التخضير وزراعة الشتوي من البرسيم والغلة وجدوا ما يسدون به مال الجهة وما يرفعون به احوالهم

الى شروان شاه ملك دربند شروان يقولون له ليرسل اليهم رسولا يسعى بينهم في الصلح فارسل عشرة رجال من اعيان اصحابه فاخذوا احدهم فقتلوه ثم قالوا للباقين ان انتم عرفتمونا طريقا نعبر فيه فلكم الامان وان لم تفعلوا قتلناكم كما قتلنا هذا فقالوا لهم ان هذا الدربند ليس فيه طريق البتة ولكن فيه موضع هو اسهل ما فيه من الطرق فساروا معهم الى ذلك الطريق فعبروا فيه وخلفوه وراء ظهورهم

ذكر ما فعلوه باللان وقفجاق

لما عبر التتر دربند شروان ساروا في تلك الاعمال وفيها امم كثيرة منهم اللان واللكز وطوائف من الترك فنهبوا وقتلوا من اللكز كثيرا وهم مسلمون وكفار واوقعوا بمن عداهم من اهل تلك البلاد ووصلوا الى اللان وهم امم كثيرة وقد بلغهم خبرهم فجدوا وجمعوا عندهم جمعا من قفجاق فقاتلوهم فلم تظفر احدى الطائفتين بالاخرى فارسل التتر الى قفجاق يقولون نحن وانتم جنس واحد وهؤلاء اللان ليسوا منكم حتى تنصروهم ولا دينكم مثل دينهم ونحن نعاهدكم اننا لا نتعرض اليكم ونحمل اليكم من الاموال والثياب ما شئتم وتتركون بيننا وبينهم فاستقر الامر بينهم على مال حملوه وثياب وغير ذلك فحملوا اليهم ما استقر وفارقهم قفجاق فاوقع التتر باللان فقتلوا منهم واكثروا ونهبوا وسبوا وساروا الى قفجاق وهم آمنون متفرقون لما استقر بينهم من الصلح فلم يسمعوا بهم الا وقد طرقوهم ودخلوا بلادهم فاوقعوا بهم الاول فالاول واخذوا منهم اضعاف ما حملوا اليهم وسمع من كان بعيد الدار من قفجاق الخبر ففروا من غير قتال وابعدوا بعضهم اعتصم بالغياض وبعضهم بالجبال وبعضهم لحق ببلاد الروس واقام التتر في بلاد قفجاق وهي ارض كثيرة المراعي في الشتاء والصيف وفيها اماكن باردة في الصيف كثيرة المرعى واماكن حارة في الشتاء كثيرة المرعى وهي غياض على ساحل البحر ووصلوا الى مدينة سوداق وهي مدينة قفجاق التي منها مادتهم فانها على بحر خزرية والمراكب تصل اليها وفيها الثياب فتشترى منهم وتبيع عليهم الجواري والمماليك والبرطاسي والقندر والسنجاب وغير ذلك مما هو في بلادهم وبحر خزرية هذا بحر متصل بخليج القسطنطينية ولما وصل التتر الى سوداق ملكوها وتفرق اهلها منها فبعضهم صعد الجبال باهله وماله وبعضهم ركب البحر وسار الى بلاد الروم التي بيد المسلمين من اولاد قلج ارسلان

ذكر ما فعله التتر بقفجاق والروس

لما استولى التتر على ارض قفجاق وتفرق اهل قفجاق كما ذكرنا سار طائفة كثيرة منهم الى بلاد الروس وهي بلاد كثيرة طويلة عريضة تجاورهم واهلها يدينون بالنصرانية فلما وصلوا اليهم اجتمعوا كلهم واتفقت كلمتهم على قتال التتر ان قصدوهم واقام التتر بارض قفجاق مدة ثم انهم ساروا سنة عشرين وستمائة الى بلاد الروس فسمع الروس وقفجاق خبرهم وكانوا مستعدين لقتالهم فساروا الى طريق التتر ليلقوهم قبل ان يصلوا

الى

فيها هم التراجل وهاريث ١٧٨ و تقاوى واجر عمال ونحو ذلك لقدم واهله السنة بهاتين الآفتين الارضية والسماوية وترحل الكثير عن اهله ووطنه وكان ابتداء طلب هذه الزيادة قبل زيادة النيل ومجيء خبر النصرة فلما ورد خبر النصرة لم يرتفع ذلك (ومنها) الاضطراب في المعاملة بالزيادة والنقص والمناداة عليها كل قليل والتشكيل والترك وبلغ صرف البندقي ثمانمائة وثمانين نصف فضة والفرانسه اربعمائة نصف وعشرة والمحبوب اربعمائة واربعين وهو المصري واما الاسلامبولي فيزيد اربعين والمجر ثمانمائة نصف واما هذه الانصاف وهي الفضة العددية فهي اسماء من غير مسميات لتنميها واحتكارها فلا يوجد منها في المعاملة بايدي الناس الا النادر جدا ولا يوجد بالايدي في محقرات الاشياء وغيرها الا الجزا بالخمسة والعشرة والعشرين وتصرف من اليهود والصيارف بالقرط والنقص ومن حصل بيده شيء من الانصاف عض عليه بالنواجذ ولا يسمح باخراج شيء منها الا عند شدة الاضطرار اللازم (ومنها) ان السيد محمد المحروقي انشأ بركة الرطلي دارا وبستانا في محل الاماكن التي تخربت في الحوادث وذلك انه لما طرقت الفرنساوية الديار المصرية واختل النظام وجلا كثير الناس عن اوطانهم وخصوصا سكان

الامراف وبقيت دور البركة خالية من السكان وكان بها عدة من الدور الجليلة منها دار حسن كتخدا الشعراوى وتابعه مرجان بيك وداره على بحتة ايضا ودار على كتخدا الخربطلى ودار قاضى البهار ودار سليمان اغا ودار الحموى وخلاف ذلك دور كانت جارية فى وقف عثمان كتخدا القازدغلى وغيره وهذه الدور هى التى ادركناها بل وسكناها عدة سنين وكانت فى الزمن الاول عدة دور مختصرة يسكنها اهل الرفاهية من اهالى البلد وكان بها بيت البكرية القديم بالناحية الجنوبية تجاه زاوية جدهم الشيخ جلال الدين البكرى وكان الناس يرغبون فى سكناها لطيب هوائها وانكشاف الربع البحرى بهاولبس فى تجاهها من البر الآخر سوى الاشجار والمزارع ويعبرها المراكب والمعاش والقنج فى ايام النيل بالمتفرجين والمتنزهين واهل الخلاعة بمزاميرهم ومغانيهم ولصدى اصواتهم المطربة طرب آخر فلما انفسح عنها السكان تداعت الدور الى الخراب و بقيت مسكنا للبوم والغراب مدة اقامة الفرنساوية فلما حضر يوسف باشا الوزير فى المرة الاولى وذلك سنة اربع عشرة ومائتين والف وانتقض الصلح بينه وبين الفرنساوية وحصلت المفاقمة ووقعت الحروب داخل البلدة واحتاطت الفرنساوية بجهات البلد وجرى ما تقدم ذكره فى الحوادث السابقة وكان طائفة من

الى بلادهم ليمنعوهم منها فبلغ مسيرهم التتر فعادوا على اعقابهم راجعين فطمع الروس وقفجاق فيهم وظنوا انهم عادوا خوفا منهم وعجزا عن قتالهم فجدوا فى اتباعهم ولم يزل التتر راجعين واولئك يقفون اثرهم اثنى عشر يوما ثم ان التتر عطفوا على الروس وقفجاق فلم يشعروا بهم الا وقد لقوهم على غرة منهم لانهم كانوا قد امنوا التتر واستشعروا القدرة عليهم فلم يجتمعوا للقتال الا وقد بلغ التتر منهم مبلغا عظيما فصبر الطائفتان صبرا لم يسمع بمثله ودام القتال بينهم عدة ايام ثم ان التتر ظفروا واستظهروا فانهزم قفجاق والروس هزيمة عظيمة بعد ان اثخن فيهم التتر وكثر القتل فى المنهزمين فلم يسلم منهم الا القليل ونهب جميع ما معهم ومن سلم وصل الى البلاد على اقبح صورة لبعد الطريق والهزيمة وتبعهم كثير يقتلون و ينهبون و يخربون البلاد حتى خلا اكثرها فاجتمع كثير من اعيان تجار الروس واغنيائهم وحملوا ما يعز عليهم وساروا يقطعون البحر الى بلاد الاسلام فى عدة مراكب فلما قاربوا المرسى الذى يريدونه انكسر مركب من مراكبهم فغرق الا ان الناس نجوا وكانت العادة جارية ان السلطان له المركب الذى ينكسر فاخذ من ذلك شيئا كثيرا وسلم باقى المراكب واخبر من بها بهذه الحال

(ذكر عود التتر من بلاد الروس وقفجاق الى ملكهم)

لما فعل التتر بالروس ما ذكرناه ونهبوا بلادهم عادوا عنها وقصدوا بلغار اواخر سنة عشرين وستمائة فلما سمع اهل بلغار بقربهم منهم كمنوا لهم فى عدة مواضع وخرجوا اليهم فلقوهم واستجروهم الى ان جاوزوا موضع الكمناء فخرجوا عليهم من وراء ظهورهم فبقوا فى الوسط واخذهم السيف من كل ناحية فقتل اكثرهم ولم ينج منهم الا القليل قيل كانوا نحو اربعة آلاف رجل فساروا الى سقسين عائدين الى ملكهم جنكزخان وخلت ارض قفجاق منهم فعاد من سلم منهم الى بلادهم وكان الطريق منقطعا مذ دخلها التتر فلم يصل منهم شئ من البرطاسى والسنجاب والقندر وغيرها مما يحمل من تلك البلاد فلما فارقوها عادوا الى بلادهم واتصلت الطريق وحملت الامتعة كما كانت هذا اخبار التتر المغربة قد ذكرناها سياقة واحدة لئلا تنقطع

(ذكر ما فعله التتر بما وراء النهر بعد بخارا وسمرقند)

قد ذكرنا ما فعله التتر المغربة التى سيرها ملكهم جنكزخان لعنه الله الى خوارزمشاه واما جنكزخان فانه بعد ان سير هذه الطائفة الى خوارزمشاه و بعد انهزام خوارزمشاه من خراسان قسم اصحابه عدة اقسام فسير قسما منها الى بلاد فرغانة ليملكوها وسير قسما آخر منها الى ترمذ وسير قسما منها الى كلانة وهى قلعة حصينة على جانب جيحون من احصن القلاع وامنع الحصون فسارت كل طائفة الى الجهة التى امرت بقصدها ونازلتها واستولت عليها وفعلت من القتل والاسر والسبى والنهب والتخريب وانواع الفساد مثل ما فعل اصحابهم فلما فرغوا من ذلك عادوا الى ملكهم جنكزخان وهو بسمرقند فجهز جيشا عظيما مع احد اولاده وسيره الى خوارزم وسير جيشا آخر

فعبروا جيحون الى خراسان

﴿ذكر ملك التتر خراسان﴾

لما سار الجيش المنفذ الى خراسان عبروا جيحون وقصدوا مدينة بلخ فطلب أهلها الامان فامنوهم فسلم البلد سنة سبع عشرة وستمائة ولم يتعرضوا اليه بنهب ولا قتل بل جعلوا فيه شحنة وساروا وقصدوا الزوزان وميمند واندخوى وقاريات فملكوا الجميع وجعلوا فيه ولاة ولم يتعرضوا الى اهلها بسوء ولا أذى سوى انهم كانوا ياخذون الرجال ليقاتلوا بهم من يمتنع عليهم حتى وصلوا الى الطالقان وهي ولاية تشتمل على عدة بلاد وفيها قلعة حصينة يقال لها منصور كوه لا ترام علوا وارتفاعا وبها رجال يقاتلون شجعان فحصروها مدة ستة أشهر يقاتلون أهلها ليلا ونهارا ولا يظفرون منها بشئ فارسلوا الى جنكزخان يعرفونه عجزهم عن ملك هذه القلعة لكثرة من فيها من المقاتلة ولامتناعها بحصانتها فسار بنفسه وبمن عنده من جموعه اليهم وحصرها ومعه خلق كثير من المسلمين اسرى فامرهم بمباشرة القتال والا قتلهم فقاتلوا معه وأقام عليها أربعة اشهر اخرى فقتل من التتر عليها خلق كثير فلما رأى ملكهم ذلك أمر ان يجمع له من الحطب والاخشاب ما أمكن جمعه ففعلوا ذلك وصاروا يعملون صفا من خشب وفوقه صفا من تراب فلم يزالوا كذلك حتى صار تلا عاليا يوازي القلعة فاجتمع من بها وفتحوا بابها وخرجوا منها وحملوا حملة رجل واحد فسلم الخيالة منهم ونجوا وسلكوا تلك الجبال والشعاب واما الرجالة فقتلوا ودخل التتر القلعة وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الاموال والامتعة ثم ان جنكزخان جمع أهل البلاد التي أعطاهم الامان ببلخ وغيرها وسيرهم مع بعض أولاده الى مدينة مرو فدخلوا اليها وقد اجتمع بها من الاعراب والاتراك وغيرهم ممن نجا من المسلمين ما يزيد على مائتي ألف رجل وهم معسكرون بظاهر مرو وهم عازمون على لقاء التتر ويحدثون نفوسهم بالغلبة لهم والاستيلاء عليهم فلما وصل التتر اليهم التقوا واقتتلوا فصبر المسلمون واما التتر فلا يعرفون الهزيمة حتى ان بعضهم أسر فقال وهو عند المسلمين ان قيل ان التتر يقتلون فصدقوا وان قيل انهم ينهزمون فلا تصدقوا فلما رأى المسلمون صبر التتر واقدامهم ولوا منهزمين فقتل التتر منهم واسروا الكثير ولم يسلم الا القليل ونهبت اموالهم وسلاحهم ودوابهم وأرسل التتر الى ما حولهم من البلاد يجمعون الرجال لحصار مرو فلما اجتمع لهم ما أرادوا تقدموا الى مرو وحصروها وجدوا في حصرها ولازموا القتال وكان اهل البلد قد ضعفوا بانهزام ذلك العسكر وكثرة القتل والاسر فيهم فلما كان اليوم الخامس من نزولهم ارسل التتر الى الامير الذي بها متقدما على من فيها يقولون له لا تهلك نفسك واهل البلد واخرج الينا فنحن نجعلك امير هذه البلدة ونرحل عنك فارسل يطلب الامان لنفسه ولاهل البلد فامنهم فخرج اليهم فخلع عليه ابن جنكزخان واحترمه وقال له اريد ان تعرض على اصحابك حتى ننظر من يصلح لخدمتنا استخدمناه واعطيناه اقطاعا ويكون معنا فلما

الفرنساوية الى ناحية هذه البركة وملكوا التل المعروف بتل ابو الريش واخذوا يرمون بالمدافع والقنابر على اهل باب الشعرية وتلك النواحى فاشتعلت الحروب حتى خربت بيوت البركة وما كان بتلك النواحى من الدور التى بظاهرها وبقيت كيمانا فحسن ببال السيد المذكور ان يجعل له سكنا هنالك فاحتكر اراضى تلك الاماكن من اربابها مدة سابقة ثم تكاسل عن ذلك واشتغل بتوسعة دار سكنه التى بخطة الفحامين على دكة الحسبة القديمة حتى اتمها على الوضع الذى قصده ثم شرع فى السنة الماضية فى انشاء سكن مخصوص تزاهته فشرع فى تنظيف الاتربة واصلاح الارض وانشاء دار متسعة وقيعانا وفسحات وهى مفروشة بالرخام وحولها بستان وغرس به انواع الاشجار ودوالى الكروم وهى بمكان حسن كتغدا وما كان على ممتهن الدور نحو الثلاثين وانشا كاتبه السيد عمر الحسينى دارا عظيمة مخصوصة اخذ فيها باقى اراضى الاماكن وزخرفها وانتقل اليها باهله وعياله وجعلها دار السكناه صيفا وشتاء وبنى بخارجها بظاهرها حائطا يكون لدورهما سورا وجعل بها بوابة تفتح وتقفل وكان بجوار ذلك جامع متخرب يسمى جامع الكريشي فعمره ايضا السيد محمد المحروقى

حضر واعنده وتمكن منهم قبض عليهم وعلى اميرهم وكتفوهم فلما فرغ منهم قال لهم اكتبوا الى تجار البلد ورؤساءه وارباب الاموال فى بلدكم كتبوا الى ارباب الصناعات والحرف فى نسخة أخرى واعرضوا ذلك علينا ففعلوا ما امرهم فلما وقف على النسخ امر ان يخرج اهل البلد منه باهليهم فخرجوا كلهم ولم يبق فيها احد فجلس على كرسى من ذهب وامر ان يحضر اولئك الاجناد الذين قبض عليهم فأحضروا وضربت رقابهم صبرا والناس ينظرون اليهم و يبكون واما العامة فانهم قسموا الرجال والنساء والاطفال والاموال فكان يوما مشهودا من كثرة الصراخ والبكاء والعويل واخذوا ارباب الاموال فضربوهم وتهددوهم بانواع العقوبات فى طلب الاموال فربما مات أحدهم من شدة الضرب ولم يكن بقى له ما يفتدى به نفسه ثم انهم احرقوا البلد واحرقوا تربة السلطان سنجر ونبشوا القبر طلبا للمال فبقوا كذلك ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع امر بقتل أهل البلد كافة وقال هؤلاء عصوا علينا فقتلوهم أجمعين وامر باحصاء القتلى فكانوا نحو سبعمائة ألف قتيل فانا لله وانا اليه راجعون مما جرى على المسلمين ذلك اليوم ثم ساروا الى نيسابور فحصروها خمسة أيام وبها جمع صالح من العسكر الاسلامى فلم يكن لهم بالتتر قوة فملكوا المدينة وأخرجوا اهلها الى الصحراء فقتلوهم وسبوا حريمهم وعاقبوا من اتهموه بمال كما فعلوا بمرو واقاموا خمسة عشر يوما يخربون و يفتشون المنازل عن الاموال وكانوا لما قتلوا اهل مرو قيل لهم ان قتلاهم سلم منهم كثير ونجوا الى بلاد الاسلام فامروا باهل نيسابور ان تقطع رؤسهم لئلا يسلم من القتل احد فلما فرغوا من ذلك سيروا طائفة منهم الى طوس ففعلوا بها كذلك أيضا وخربوها وخربوا المشهد الذى فيه على بن موسى الرضى والرشيد حتى جعلوا الجميع خرابا ثم ساروا الى هراة وهى من أحصن البلاد فحصروها عشرة أيام فملكوها وأمنوا أهلها وقتلوا منهم البعض وجعلوا عندمن سلم منهم شحنة وساروا الى غزنة فلقيهم جلال الدين بن خوارزمشاه فقاتلهم وهزمهم على ما نذكره ان شاء الله فوثب أهل هراة على الشحنة فقتلوه فلما عاد المنهزمون اليهم دخلوا البلد قهرا وعنوة وقتلوا كل من فيه ونهبوا الاموال وسبوا الحريم ونهبوا السواد وخربوا المدينة جميعها واحرقوها وعادوا الى ملكهم جنكزخان وهو بالطالقان يرسل السرايا الى جميع بلاد خراسان ففعلوا بها كذلك ولم يسلم من شرهم وفسادهم شئ من البلاد وكان جميع ما فعلوه بخراسان سنة سبع عشرة

(ذكر ملكهم خوارزم وتخريبها)

واما الطائفة من الجيش التى سيرها جنكزخان الى خوارزم فانها كانت أكثر السرايا جميعها لعظم البلد فساروا حتى وصلوا الى خوارزم وفيها عسكر كبير واهل البلد معروفون بالشجاعة والكثرة فقاتلوهم أشد قتال سمع به الناس ودام الحصر لهم خمسة أشهر فقتل من الفريقين خلق كثير الا ان القتلى من التتر كانوا أكثر لان المسلمين

وأقام واشاعوا عنه وسقهو بيده واقام الخطبة آخر جمعة فى شهر المحرم

(وامامن مات فى هذه السنة) ممن له ذكر (فمات) شيخ الاسلام وعمدة الانام الفقيه العلامة والنحرير الفهامة الشيخ محمد الشنوانى نسبة الى شنوان الغرف الشافعى الازهرى شيخ الجامع الازهر من اهل الطبقة الثانية الفقيه النحوى المعقولى حضر الاشياخ اجلهم الشيخ فارس وكالصعيدى والدردير والفرماوى وتفقه على الشيخ فيىء البراوى ولازم دروسه وبه تخرج واقرأ الدروس وافاد الطلبة بالجامع المعروف بالغا كهانى بالقرب من دار سكناه بخشقدم مهذب النفس مع التواضع والانكسار والبشاشة لكل احد من الناس و يشمر ثيابه و يخدم بنفسه و يكنس الجامع ويسرج القناديل ولما توفى الشيخ عبدالله الشرقاوى اختاروه للمشيخة فامتنع وهرب الى مصر العتيقة بعدما جرى ماتقدم ذكره من تصدر الشيخ محمد المهدى فاحضروه قهرا عنه ونلبس بالمشيخة مع ملازمته لجامع الغاكهانى كعادته وأقبلت عليه الدنيا فلم يتهنا بها واعترته الامراض وتعلل بالزحير اشهرا ثم عوفى ثم ناكرة بالبرودة وانقطع بالدار كذلك اشهرا ولم يزل منقطعا حتى توفى يوم الاربعاء رابع عشرى المحرم وصلى عليه بالازهر فى مشهد عظيم ودفن بتربة المجاورين وله تآليف منها حاشية جليلة على شرح الشيخ عبد السلام

كان يجمع السور رفا وصل التتر الى ملكهم جنكزخان يطلبون المدد فامدهم بخلق كثير فلما وصلوا الى البلد زحفوا زحفا متتابعا فملكوا طرفا منه فاجتمع اهل البلد وقاتلوهم في طرف الموضع الذي ملكوا فلم يقدروا على اخراجهم ولم يزالوا يقاتلونهم والتتر يملكون منهم محلة بعد محلة وكلما ملكوا محلة قاتلهم المسلمون في المحلة التي تليهم فكان الرجال والنساء والصبيان يقاتلون فلم يزالوا كذلك حتى ملكوا البلد جميعه وقتلوا كل من فيه ونهبوا كل ما فيه ثم انهم فتحوا السكر الذي يمنع ماء جيحون عن البلد فدخله الماء فغرق البلد جميعه وتهدمت الابنية وبقي موضعه ماء ولم يسلم من اهله احد البتة فان غيره من البلاد قد كان يسلم بعض اهله منهم من يختفي ومنهم من يهرب ومنهم من يخرج ثم يسلم ومنهم من يلقي نفسه بين القتلى فينجو واما اهل خوارزم فمن اختفى من التتر غرقه الماء او قتله الهدم فاصبحت خرابا يبابا

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ● أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وهذا لم يسمع بمثله في قديم الزمان وحديثه نعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الخذلان بعد النصر فلقد عمت هذه المصيبة الاسلام واهله فكم من قتيل من اهل خراسان وغيرها الا ان القاصدين من التجار وغيرهم كانوا كثيرا مضى الجميع تحت السيف ولما فرغوا من خراسان وخوارزم عادوا الى ملكهم بالطالقان

● (ذكر ملك التتر غزنة وبلاد الغور) ●

لما فرغ التتر من خراسان وعادوا الى ملكهم جهز جيشا كثيفا وسيره الى غزنة وبها جلال الدين بن خوارزمشاه مالكا لها وقد اجتمع اليه من سلم من عسكر ابيه قيل كانوا ستين ألفا فلما وصلوا الى أعمال غزنة خرج اليهم المسلمون مع ابن خوارزمشاه الى موضع يقال له بلق فالتقوا هناك واقتتلوا قتالا شديدا وبقوا كذلك ثلاثة أيام ثم أنزل الله نصره على المسلمين فانهزم التتر وقتلهم المسلمون كيف شاؤا ومن سلم منهم عاد الى ملكهم بالطالقان فلما سمع أهل هراة بذلك ثاروا بالوالي الذي عندهم للتتر فقتلوه فسير اليهم جنكزخان عسكرا فملكوا البلد وخربوه كما ذكرناه فلما انهزم التتر أرسل جلال الدين رسولا الى جنكزخان يقول له في اي موضع تريد يكون الحرب حتى نأتي اليه فجهز جنكزخان عسكرا كثيرا أكثر من الاول مع بعض أولاده وسيره اليه فوصل الى كابل فتوجه العسكر الاسلامي اليهم وتصافوا هناك وجرى بينهم قتال عظيم فانهزم الكفار ثانيا فقتل كثير منهم وغنم المسلمون ما معهم وكان عظيما وكان معهم من أسارى المسلمين خلق كثير فاستنقذوهم وخلصوهم ثم ان المسلمين جرى بينهم فتنة لاجل الغنيمة وسبب ذلك ان أميرا منهم يقال له سيف الدين بغراق أصله من الاتراك الخلج كان شجاعا مقداما ذا رأي في الحرب ومكيدة واصطلى الحرب مع التتر بنفسه وقال لعسكر جلال الدين تأخروا انتم فقد ملئتم منهم رعبا وهو الذي كسر التتر على الحقيقة وكان من المسلمين أيضا امير كبير يقال له ملك خان بينه وبين خوارزمشاه

وسبب

في الخلوة مرة شهور ثم ابدى الطلبة وكان يجيد حفظ القرآن و يحضر مع فقهاء المجوقة في الليالي (وتقلد) المشيخة بعده الشيخ العلامة السيد محمد ابن شيخنا الشيخ احمد العروسي من غير منازع وباجماع اهل الوقت ولبس الخلع من بيوت الاعيان مثل البكري والسادات و باقي اصحاب المظاهر ومن يحب المظاهر (ومات) العمدة الشيخ محمد بن احمد بن محمد المعروف هو بالدواخلي الشافعي ويقال له السيد محمد لان اباه تزوج بفاطمة بنت السيد عبد الوهاب البرديني فولدله المترجم منها ونها باء الشرف وهم من محلة الداخل بالغربية وولد المترجم بمصر وتربى في حجر ابيه وحفظ القرآن واجتهد في طلب العلم وحضر الاشياخ من اهل وقته كالشيخ محمد عرفة الدسوقي والشيخ مصطفى الصاوي وغيرهم من اشياخ هذا العصر ولازم الشيخ عبد الله الشرقاوي في فقه مذهبه وغيره من المعقولات ملازمة كلية وانتسب له وصار من اخص تلامذته ولما مات السيد مصطفى الدمنهوري الذي كان بمنزلة كتخدا ه قام مقامه واشتهر به واقرأ الدروس الفقهية والمعقولية وحف به الطلبة وتداخل في قضايا الدعاوى والمصالح بين الناس واشتهر ذكره وخصوصا ايام الفرنساوية حين تقلد مشيخة رواق ديوانهم

فسبب هو وصاحب هراة فاختلف هذان الاميران في الغنيمة فاقتتلوا فقتل بينهم اخ لبغراق فقال بغراق انا اهزم الكفار و يقتل اخي لاجل هذا السحت فغضب وفارق العسكر وسار الى الهند فتبعه من العسكر ثلاثون الفا كلهم يريدونه فاستعطفه جلال الدين بكل طريق وسار بنفسه اليه فوعظه وذكره الجهاد وخوفه من الله تعالى وبكى بين يديه فلم يرجع وسار مفارقا فانكسر لذلك المسلمون وضعفوا فبينما هم كذلك اذ ورد الخبر ان جنكزخان قد وصل في جموعه وجيوشه فلما رأى جلال الدين ضعف المسلمين لاجل من فارقهم من العسكر ولم يقدر على المقام فسار نحو بلاد الهند فوصل الى ماء السند وهو نهر كبير فلم يجد من السفن ما يعبر فيه وكان جنكزخان يقص اثره مسرعا فلم يتمكن جلال الدين من العبور حتى ادركه جنكزخان في التتر فاضطر المسلمون حينئذ الى القتال والصبر لتعذر العبور عليهم وكانوا في ذلك كالاشقر ان تأخر يعقر وان تقدم ينحر فتصافوا واقتتلوا اشد قتال اعترفوا كلهم ان كل ما مضى من الحروب كان لعبا بالنسبة الى هذا القتال فبقوا كذلك ثلاثة ايام فقتل الامير ملك خان المقدم ذكره وخلق كثير وكان القتل في الكفار اكثر والجراح اعظم فرجع الكفار عنهم فابعدوا ونزلوا فلما رأى المسلمون انهم لا مدد لهم وقد ازدادوا ضعفا بمن قتل منهم وجرح ولم يعلموا بما اصاب الكفار من ذلك فارسلوا يطلبون السفن فوصلت وعبر المسلمون ليقضي الله امرا كان مفعولا فلما كان الغد عاد الكفار الى غزنة وقد قويت نفوسهم بعبور المسلمين الماء الى جهة الهند وبعدهم فلما وصلوا اليها ملكوها لوقتها لخلوها من العساكر والحامي فقتلوا اهلها ونهبوا الاموال وسبوا الحريم ولم يبق احد وخربوها واحرقوها وفعلوا بسوادها كذلك ونهبوا وقتلوا واحرقوا فاصبحت تلك الاعمال جميعها خالية من الانيس خاوية على عروشها كأن لم تغن بالامس

(ذكر تسليم الاشرف خلاط الى اخيه شهاب الدين غازي)

اول هذه السنة اقطع الملك الاشرف موسى بن العادل مدينة خلاط وجميع الاعمال ارمينية ومدينة ميافارقين من ديار بكر ومدينة حاني اخاه شهاب الدين غازي بن العادل واخذ منه مدينة الرها ومدينة سروج من بلاد الجزيرة وسيره الى خلاط اول سنة ثمان عشرة وستمائة وسبب ذلك ان الكرج لما قصد التتر بلادهم وهزموهم ونهبوها وقتلوا كثيرا من اهلها ارسلوا الى اوزبك صاحب اذربيجان واران يطلبون منه المهادنة والموافقة على دفع التتر وارسلوا الى الملك الاشرف في هذا المعنى وقالوا للجميع ان لم توافقونا على قتال هؤلاء القوم ودفعهم عن بلادنا وتحضروا بنفوسكم وعساكركم لهذا المهم والا صالحناهم عليكم فوصلت رسلهم الى الاشرف وهو يتجهز الى الديار المصرية لاجل الفرنج وكانوا عنده اهم لوجوه لاسباب اولها ان الفرنج كانوا قد ملكوا دمياط وقد اشرفت الديار المصرية على ان تملك فلو ملكوها لم يبق بالشام ولا غيره معهم ملك لاحد وثانيها ان الفرنج شديدة الشكيمة وطال يومهم فاذا ملكوا امر بلد لا يفارقونه الا بعد ان يعمروا من حقها يوما واحدا وثالثها ان الفرنج

واتفق في ايامهم اتفاقا عظيما من تصديه لقضايا نساء الامراء المصرية وغيرهم ومات والده فاحرز ميراثه وكذلك ما قتل عديله الحاج مصطفى البشتيلي في الحرابة ببولاق لاعن وارث فاستولى على تعلقاته واطيانه وبستانه التي ببشتيل واتسع حاله واشترى العبيد والجواري والخدم ولما اوقعوا الفرنساوية ودخلها العثمانيون انطوى الى السيد احمد المحروقي لانه كان يراسله سرا بالاخبار حين خرج مع العثمانيين في الكسرة الى الشام فلما رجع فراعاه وواساه ونوه بذكره عند اهل الدولة وفي ايام الامراء المصريين حين رجعوا الى مصر بعد قتل طاهر باشا في سنة ثمان عشرة واحتوى على رزق واطيان وحصص التزام ولبس الفراوي بالاقبية وركب البغال واحدق به الاشياخ والاتباع وعنده ميل عظيم للتقدم والرياسة ولا يقنع بالكثير ولما وقع ما وقع في ولاية محمد علي باشا وانفرد السيد عمر افندي في الرياسة وصار بيده مقاليد الامور ازداد به الحسد فكان هو من اكبر الساعين عليه مع مراصع المهدي وباقي الاشياخ حتى اوقعوا به واخرجه الباشا من مصر كما تقدم فعند ذلك صفا لهم الوقت وتقلد المترجم النقابة بعد موت الشيخ محمد بن وفا وركب الخيول ولبس التاج الكبير ومشت امامه الجاويشية والمقدمون وارباب الخدم وازدحم بيته

قد طلعوا فى كرسى مملكة البيت العادلى وهى مصر والترك يصلوا اليها ولم يجد اوزوا شيئا من بلادهم وليسوا ايضا ممن يريد المنازعة فى الملك وما غرضهم الا النهب والقتل وتخريب البلاد والانتقال من بلد الى آخر فلما اتاه رسل الكرج بما ذكرناه اجابهم يعتذر بالمسير الى مصر لدفع الفرنج ويقول لهم انني قد اقطعت ولاية خلاط لاخي وسيرته اليها ليكون بالقرب منكم وتركت عنده العساكر فمتى احتجتم الى نصرته حضر لدفع التتر وسار هو الى مصر كما ذكرناه

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة فى ربيع الآخر ملك شهاب الدين قلعة تل اعفر وفيها فى جمادى الاولى ملك الاشرف مدينة سنجار وفيها ايضا وصل الموصل واقام بظاهرها ثم سار يريد اربل لقصد صاحبها فترددت الرسل بينهم فى الصلح فاصطلحوا فى شعبان وقد تقدم هذا جميعه مفصلا سنة خمس عشرة وستمائة وفيها وصل التتر الى مراغة فملكوها وقتلوا كل من فيها ونهبوها وساروا عنها فوصلوا الى همذان فلقيهم رئيسها بالطاعة والحمل فابقوا على اهلها وساروا الى اذربيجان فخربوا وحرقوا البلاد وقتلوا وسبوا وعملوا ما لم يسمع بمثله وقد تقدم ايضا مفصلا وفيها توفى نصير الدين ناصر بن مهدى العلوى الذى كان وزير الخليفة وصلى عليه بجامع القصر وحضره ارباب الدولة ودفن بالمشهد وفيها توفى صدر الدين ابو الحسن محمد بن عمر بن حمويه الجوينى شيخ الشيوخ بمصر والشام وكان موته بالموصل وردها رسولا وكان فقيها فاضلا ومن بيت كبير من خراسان رحمه الله كان نعم الرجل وفيها عاد جمع بنى معروف الى مواضعهم من البطيحة وكانوا قد ساروا الى الاحسا والقطيف فلم يمكنهم المقام لكثرة اعدائهم فقصدوا اعنة البصرة وطلبوا منه ان يكاتب الديوان ببغداد بالرضا عنهم فكتب معهم بذلك وسيرهم مع اصحابه الى بغداد فلما قاربوا واسط لقيهم قاصد من الديوان بقتلهم فقتلوا

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة

ذكر وفاة قتادة امير مكة وملك ابنه الحسن وقتل امير الحاج

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة توفى قتادة بن ادريس العلوى ثم الحسنى امير مكة حرسها الله وكان عمره نحو سبعين سنة وكانت ولايته قد اتسعت من حدود اليمن الى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم وله قلعة ينبع بنواحى المدينة وكثر عسكره واستكثر من المماليك وخافته العرب فى تلك البلاد خوفا عظيما وكان فى اول ملكه لما ملك مكة حرسها الله حسن السيرة ازال عنها العبيد المفسدين وحمى البلاد واحسن الى الحجاج واكرمهم وبقى كذلك مدة ثم انه بعد ذلك اساء السيرة وجدد المكوس بمكة وفعل افعالا شنيعة ونهب الحاج فى بعض السنين كما ذكرناه ولما مات ملك بعده ابنه الحسن وكان له ابن آخر اسمه راجح مقيم فى العرب بظاهر مكة يفسد وينازع اخاه فى ملكه فلما سار حاج العراق كان الامير عليهم مملوكا من مماليك الخليفة الناصر لدين الله اسمه اقباش

با دبيب الدعاوى والشكاوى وعمر دارا وسكنها القديمة بكفر الطماعين وادخل فيها دورا وانشأ بجوارها مسجدا لطيفا وجعل فيه منبرا وخطبة وعمر دارا ببركة جنبق واسكنها احدى زوجاته وداخله الغرور وظن ان الوقت قد صفا له فاول ما ابتدأه الدهر من نكباته أن مات ولده احمد وكان قد ناهز البلوغ ولم يكن له من الاولاد الذكور غيره فوجد عليه وجدا شديدا حتى كان يتكلم بكلام تعيبه الناس عليه وعمل له ميتما ودفنه بمسجده بجانب بيته وعمل عليه مقاما ومقصورة مثل المقامات التى تقصد للزيارة وكان موته فى منتصف سنة تسع وعشرين ووقعت حادثة قومة العسكر على الباشا فى اواخر شهر شعبان من السنة المذكورة والمترجم اذ ذاك من اعيان الرؤس يطلع وينزل فى كل ليلة الى القلعة ويشار اليه ويحل ويعقد فى قضايا الناس ويسترسل معه الباشا كما تقدم ذكر ذلك وداخله الغرور الزائد ولقد تطاول على كبار الكتبة الاقباط وغيرهم ويراجع الباشا فى مطالبه بعد انقضاء الفتنة الى ان ضاق صدر الباشا منه وامر باخراجه ونفيه الى دسوق وذلك فى سنة احدى وثلاثين فاقام بها شهرا ثم توجه بشفاعة السيد المحروقى الى المحلة الكبرى فلم يزل بها مستقلا

وكان

وكان حسن السيرة مع الحاج في الطريق كثير الحماية فقصده راجح بن قتادة وطلب له والخليفة ما لا ليساعده على ملك مكة فاجابه الى ذلك ووصلوا الى مكة ونزلوا بالزاهر وتقدم الى مكة مقاتلا لصاحبها حسن وكان حسن قد جمع جموعا كثيرة من العرب وغيرها فخرج اليه من مكة وقاتله وتقدم امير الحاج من بين يدي عسكره منفردا وصعد الجبل ادلالا بنفسه وانه لا يقدم احد عليه فاحاط به اصحاب حسن وقتلوه وعلقوا رأسه فانهزم عسكر امير الحاج منهم واحاط اصحاب حسن بالحاج لينهبوهم فارسل اليهم حسن عمامته امانا للحجاج فعاد اصحابه ولم ينهبوا منهم شيئا وسكن الناس واذن لهم حسن في دخول مكة وفعل ما يريدونه من الحج والبيع وغير ذلك واقاموا بمكة عشرة ايام وعادوا فوصلوا الى العراق سالمين وعظم الامر على الخليفة فوصلت رسل حسن يعتذرون ويطلبون العفو عنه فاجيب الى ذلك وقيل في موت قتادة ان ابنه حسنا خنقه فمات وسبب ذلك ان قتادة جمع جموعا كثيرة وسار عن مكة يريد المدينة فنزل بوادي الفرع وهو مريض وسير اخاه على الجيش ومعه ابنه الحسن بن قتادة فلما ابعدوا بلغ الحسن ان عمه قال لبعض الجند ان اخي مريض وهو ميت لا محالة وطلب منهم ان يحلفوا له ليكون هو الامير بعد اخيه قتادة فحضر الحسن عند عمه واجتمع اليه كثير من الاجناد والمماليك الذين لابيه فقال الحسن لعمه قد فعلت كذا وكذا فقال لم افعل فامر حسن الحاضرين بقتله فلم يفعلوا وقالوا انت امير وهذا امير ولا نمد ايدينا الى احد كما فقال له غلامان لقتادة نحن عبيدك فمرنا بما شئت فامرهما ان يجعلا عمامة عمه في عنقه ففعلا ثم قتله فسمع قتادة الخبر فبلغ منه الغيظ كل مبلغ وحلف ليقتلن ابنه وكان على ما ذكرناه من المرض فكتب بعض اصحابه الى الحسن يعرفه الحال ويقول له ابدأ به قبل ان يقتلك فعاد الحسن الى مكة فلما وصلها قصد دار ابيه في نفر يسير فوجد على باب الدار جمعا كثيرا فامرهم بالانصراف الى منازلهم ففارقوا الدار وعادوا الى مساكنهم ودخل الحسن الى ابيه فلما رآه ابوه شتمه وبالغ في ذمه وتهديده فوثب اليه الحسن فخنقه لوقته وخرج الى الحرم الشريف واحضر الاشراف وقال ان ابي قد اشتد مرضه وقد امركم ان تحلفوا لي ان اكون انا اميركم فحلفوا له ثم انه اظهر تابوتا ودفنه ليظن الناس انه مات وكان قد دفنه سرا فلما استقرت الامارة بمكة له ارسل الى اخيه الذي بقلعة الينبع على لسان ابيه يستدعيه وكتم موت ابيه عنه فلما حضر اخوه قتله ايضا واستقر امره وثبت قدمه وفعل بامير الحاج ما تقدم ذكره فارتكب عظيما اقتل اباه وعمه واخاه في ايام يسيرة لا جرم لم يمهله الله سبحانه وتعالى نزع ملكه وجعله طريدا شريدا خائفا يترقب وقيل ان قتادة كان يقول شعرا فمن ذلك انه طلب ليحضر عند امير الحاج كما جرت عادة امراء مكة فامتنع فعوتب من بغداد فاجاب بابيات شعر منها

ولي كف ضرغام اذل ببطشها • واشري بها بين الورى وابيع
تظل ملوك الارض تلثم ظهرها • وفي وسطها للمجدبين ربيع
اأجعلها تحت الرحا ثم ابتغي • خلاصا لها اني اذا لرقيع

الحواس على طرف المزاج متمكن من الطباع وكل قليل يرسل السيد المحروق في ان يشفع فيه عند الباشا ليأذن له في الحج ومرة يحتج بالمرض ليموت في داره فلم يؤذن له في شيء من ذلك ولم يزل بالحالة حتى توفي في منتصف شهر ربيع الاول من السنة ودفن هناك وكان رحمه الله يميل الى الرياسة طبعا وفيه حدة مزاج وهي التي كانت سببا لموته باجله رحمه الله تعالى وايانا

(ومات) الصدر المعظم والدستور المكرم الوزير طاهر باشا ويقال انه ابن اخت محمد على باشا وكان ناظرا على ديوان الكمرك ببولاق وعلى الخمامير ومصارفه من ذلك وشرع في عمارة داره التي بالازبكية بجوار بيت الشرايبي تجاه جامع ازبك على طرف المجرى وهي في الاصل بيت المدني ومحمود حسن واحترق منه جانب ثم هدم اكثرهما وخرج بالجدار الى الرحبة واخذ منها جانبا وادخل فيه بيت رضوان كتخدا الذي يقال له ثلاثة ولية تسمية له باسم العامودين الرخام الملتقين على مكسلتي الباب الخارج وشيد البناء بخرجات في العلو متعددة وجعل بابه مثل باب القلعة ووضع في جهتيه العامودين المذكورين وصارت الدار كانها قلعة مشيدة في غاية من الفخامة فما هو الا ان قارب الاتمام وقد اعتراه المرض فسافر الى الاسكندرية بقصد تبديل الهواء فاقام

وما أنا إلا المسك في كل بلدة * يضوع وأما عندكم فيضيع

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة استعاد المسلمون مدينة دمياط بالديار المصرية من الفرنج وقد تقدم ذكرها مشروحا مفصلا وفيها في صفر ملك التتر مراغة وخربوها وأحرقوها وقتلوا أكثر أهلها ونهبوا أموالهم وسبوا حريمهم وسار التتر منها الى همذان وحصروها فقاتلهم أهلها وظفر بهم التتر وقتلوا منهم ما لا يحصى ونهبوا البلد وساروا الى اذربيجان فعادوا النهب ونهبوا ما بقي من البلاد ولم ينهبوه اولا ووصلوا الى بيلقان من بلاد اران فحصروها وملكوا وقتلوا أهلها حتى كادوا يفنونهم وقتل منهم كثير ونهبت اموالهم وأكثر بلادهم وقصدوا دربند شروان فحصروا مدينة شماخي وملكوها وقتلوا كثيرا من اهلها وساروا الى بلاد اللان واللكز ومن عندهم من الامم فأوقعوا ورحلوا من قفجاق واجلوهم عنها واستولوا عليها وساحوا في تلك الارض حتى وصلوا الى بلاد الروس وقد تقدم ذكر جميعه مستقصى وانما اوردناه ههنا جملة ليعلم الذي كان في هذه السنة من حوادثهم وفيها توفي صديقنا امين الدين ياقوت الكاتب الموصلي ولم يكن في زمانه من يكتب مايقاربه ولا من يؤدي طريقة ابن البواب مثله وكان ذا فضائل جمة من علم الادب وغيره وكان كثير الخير نعم الرجل مشهورا في الدنيا والناس متفقون على الثناء الجميل عليه والمدح له ولهم فيه اقوال كثيرة نظما ونثرا فمن ذلك ماقاله نجيب الدين الحسين بن علي الواسطي من قصيدة يمدحه بها

جامع شارد العلوم ولولا * ه لكانت ام الفضائل ثكلى
ذو يراع تخاف سطوته الاسد * وتعنو له الكتائب ذلا
واذا افتر ثغره عن سواد * في بياض فالبيض والسمر خجلى
أنت بدر والكاتب بن هلال * كأبيه لا فخر فيمن تولى

ومنها

ان يكن أولا فانك بالتفضيل * اولى لقد سبقت وصلى

وهي طويلة والكاتب بن هلال هو ابن البواب الذي هو أشهر من ان يعرف وفيها توفي جلال الدين الحسن وهو من أولاد الحسن بن الصباح الذي تقدم ذكره صاحب الموت وكردكوه وهو مقدم الاسماعيلية وقد ذكرنا انه كان قد أظهر شريعة الاسلام من الاذان والصلاة وولي بعده ابنه علاء الدين محمد

(ثم دخلت سنة تسع عشرة وستمائة)

(ذكر خروج طائفة من قفجاق الى اذربيجان وما فعلوه بالكرج وما كان منهم)

لما استولى التتر على أرض قفجاق تفرق قفجاق فطائفة قصدت بلاد الروس وطائفة تفرقت في جبالهم واجتمع طائفة كثيرة منهم وساروا الى دربند شروان وارسلوا الى صاحبه واسمه رشيد وقالوا له ان التتر قد ملكوا بلادنا ونهبوا أموالنا وقد قصدناك

ثلاثة أياما وتوفي في شهر جمادى الثانية واحضر وارمه في اواخر الشهر ودفنوه بمدفنه الذي بناه على بيته الزعفراني بجوار السيدة بقناطر السباع وترك ابنا مراهقا فابقاه الباشا على منصب ابيه وقطاسه وداره (ومات الامير) ايوب كتخدا الفلاح وهو مملوك الامير مصطفى جاويش تابع صالح الفلاح وكان آخر الاعيان المعينين من جماعة الفلاح المشهورين وله عزوة واتباع وبيته مفتوح للواردين ويحب العلماء والصلحاء ويتأدب معهم وكان الباشا يجله ويقبل شفاعته وكذلك أكابر الدولة في كل عصر وعلى كل حال كان لا بأس به توفي يوم الاربعاء لعشرين من شهر شعبان وقد جاوز سبعين رحمه الله تعالى

(واستهلت سنة اربع وثلاثين ومائتين وألف)

(واستهل المحرم بيوم السبت) وسلطان الاسلام السلطان محمود شاه ابن عبد الحميد بدار سلطنته اسلامبول ووالي مصر وحاكمها محمد علي باشا القوالي وكتخداه وباقي ارباب المناصب على حالهم وماهم عليه في العام الماضي (ووردت) الاخبار من شرق الحجاز والبشائر بنصرة حضرة ابراهيم باشا على الوهابية قبل استهلال السنة باربعة أيام فعند ذلك نودي بزينة المدينة سبعة أيام أولها الاربعاء سابع عشري الحجة ونصبت الصواوين خارج باب النصر عند المصايل

لتميم

انتم في بلادك ونحن مماليك لك ونفتح البلاد لك وانت سلطاننا فخذ منهم من ذلك
رهائنهم فاعادوا الرسالة اليه اننا نحن نرهن عندك اولادنا ونساءنا على الطاعة
والخدمة لك والانقياد لحكمك فاجابهم الى ما طلبوا فقالوا وان يمكنهم ليترددوا من
بلاده في كل عشرة عشرة فاذا اشتروا ما يحتاجون اليه فارقوا بلاده فاجابهم الى ذلك
فصاروا يدخلون متفرقين و يشترون ما يريدون ويخرجون ثم ان بعض كبرائهم
والمقدمين منهم جاء الى رشيد وقال انى كنت في خدمة السلطان خوارزمشاه وانا
مسلم والدين يحملني على نصحك اعلم ان قفجاق اعداؤك ويريدون الغدر بك فلا تمكنهم
من المقام ببلادك فاعطى عسكرا حتى اقاتلهم واخرجهم من البلاد ففعل ذلك وسلم
اليه طائفة من عسكره واعطاهم ما يحتاجون اليه من سلاح وغيره فساروا معه
فاوقعوا بطائفة من قفجاق فقتل منهم جماعة ونهب منهم فلم يتحرك قفجاق لقتال بل
قالوا نحن مماليك ملك شروان شاه رشيد ولولا ذلك لقاتلنا عسكره فلما عاد ذلك المقدم
القفجاقي ومعه عسكر رشيد سالمين فرح بهم ثم ان قفجاق فارقوا موضعهم فساروا
ثلاثة ايام فقال ذلك القفجاقي لرشيد اريد عسكرا اتبعهم فارسل من العسكر بما
اراد فسار يقفو اثر القفجاق فاوقع باواخرهم وغنم منهم وقصده جمع كثير من قفجاق
من الرجال والنساء يبكون وقد جزوا شعورهم ومعهم تابوت وهم محيطون به يبكون
حوله وقالوا له ان صديقك فلانا قد مات وقد اوصى ان نحمله اليك فتدفنه في اي
موضع شئت ونكون نحن عندك فحمله معه والذين يبكون عليه ايضا وعاد الى
شروان شاه رشيد واعلمه ان الميت صديق له وقد حمله معه وقد طلب اهله ان يكونوا
عنده في خدمته فامر ان يدخلوا البلد وانزلهم فيه فكان اولئك الجماعة يسيرون مع ذلك
المقدم ويركبون بركوبه ويصعدون معه الى القلعة التي لرشيد ويقعدون عنده ويشربون
معه هم ونساؤهم فاحب رشيد امرأة ذلك الرجل الذي قيل له انه ميت ولم يكن مات
وانما فعلوا هكذا مكيدة حتى دخلوا البلد والذي اظهروا موته معهم في المجلس ولا
يعرفه رشيد هو من اكبر مقدمي قفجاق فبقوا كذلك عدة ايام فكل يوم يجيء جماعة
من قفجاق متفرقين فاجتمع بالقلعة منهم جماعة وارادوا قبض رشيد وملك بلاده
ففطن لذلك فخرج عن القلعة من باب السر وهرب ومضى الى شروان وملك قفجاق
القلعة وقالوا لاهل البلد نحن خير لكم من رشيد واعادوا باقي اصحابهم اليهم واخذوا
السلاح الذي في البلد جميعه واستولوا على الاموال التي كانت لرشيد في القلعة ورحلوا
عن القلعة وقصدوا قبلة وهي للكرج فنزلوا عليها وحصروها فلما سمع رشيد بمفارقتهم
القلعة رجع اليها وملكها وقتل من بها من قفجاق ولم يشعر القفجاق الذين عند
قبلة بذلك فارسلوا طائفة منهم الى القلعة فقتلهم رشيد ايضا فبلغ الخبر الى القفجاق
فعادوا الى دربند فلم يكن لهم في القلعة طمع وكان صاحب قبلة لما كانوا يحصرونه قد
ارسل اليهم وقال لهم انا ارسل الى ملك الكرج حتى يرسل اليكم الخلع والاموال
ونجتمع نحن وانتم ونملك البلاد فكفوا عن نهب ولايته اياما ثم انهم مدوا ايديهم

وكذلك صيوان الباشا وباقي الامراء والاعيان نوبحوا باسرهم لعمل الشنك والحسراقي وانزجوا من
المدافع مائة مدفع وعشرة
وثمانيسل وقلاعا وسواقي
وسوار يخ وصورا من بارود
وبدواق عمل الشنك من يوم
الاربعاء فيضربون بالمدافع
مع رماحة الخيالة من أول
النهار مقدار ساعة زمانية
ودرجة قريبا من عشرين
درجة ضربا متتابعا لا يتخلله
سكون على طريقة الافرنج
في الحروب بحيث انهم
يضربون المدفع الواحد
اثنتي عشرة مرة وقيل أربع
عشرة مرة في دقيقة واحدة فعلى
هذا الحساب يزيد ضرب المدافع
في تلك المدة على ثمانين الف
مدفع بحيث يتخيل الانسان
اصواتها مع أصوات بنادق
الخيالة المتراكضين ذهابا وايابا
ورتبوا المدافع أربعة
صفوف ورسم الباشا ان
الخيالة ينقسمون كذلك
طوابير ويكمنون في الاماكن
ثم ينزلون متراكضين وهم
يضربون بالبنادق ويهجمون
على المدافع في حال اندفاعها
بالرمي فمن خطف شيئا من
أدوات الطبجية الرماة ياتي به
الى الباشا ويعطيه البقشيش
والانعام فمات بسبب ذلك
أشخاص وسواس ويكون
مبادئ نهايته وقوف الخيالة
نهاية ضبط جملة المدفع فانهم
عند طلوع الفجر يضربون
مدافع معمورة بالجال بعدد الطوابير تستعد الخيالة ويقف كل طابور ندرمي جملته وياخذون أهبتهم من

بالنهب والفساد ونهبوا بلاد قبلة جميعها وساروا الى قريب كنجة من بلاد اران وهي
للمسلمين فنزلوا هناك فارسل اليهم الامير بكنجة وهو مملوك لاوزبك صاحب اذربيجان
اسمه كوشخرة عسكرا فمنعهم من الوصول الى بلاده وسير رسولا اليهم يقول لهم قد غدرتم
بصاحب شروان وأخذتم قلعته وغدرتم بصاحب قبلة ونهبتم بلاده فما يثق بكم أحد
فاجابوا اننا ما جئنا الا قصدا لخدمة سلطانكم فمنعنا شروان شاه عنكم فلهذا قصدنا بلاده
وأخذنا قلعته ثم تركناها من غير خوف وأما صاحب قبلة فهو عدو لكم ولو أردنا أن
نكون عند الكرج لما كنا جعلنا طريقنا على در بند شروان فانه أصعب وأشق وابعد
وكنا جئنا الى بلادهم على عادتنا ونحن نوجه الرهائن اليكم فلما سمع هذا سار اليهم فسمع به
قفجاق فركب أميران منهم هما مقدماهم في نفر يسير وجاؤا اليه ولقوه وخدموه وقالوا له
قد أتيناك ثم بيده في قلة من العدد لتعلم اننا ما قصدنا الا الوفاء والخدمة لسلطانكم فامرهم
كوشخرة بالرحيل والنزول عند كنجة وتزوج ابنة أحدهم وأرسل الى صاحبه أوزبك
يعرفه حالهم فأمر لهم بالخلع والنزول بجبل كيلكون ففعلوا ذلك وخافهم الكرج فجمعوا
لهم ليكبسوهم فوصل الخبر بذلك الى كوشخرة أمير كنجة فأخبر قفجاق وأمرهم بالعود
والنزول عند كنجة فعادوا ونزلوا عندها وسار أمير من أمراء قفجاق في جمع منهم الى الكرج
فكبسهم وقتل كثيرا منهم وهزمهم وغنم ما معهم وأكثر القتل فيهم والاسر منهم وتمت
الهزيمة عليهم ورجع قفجاق الى جبل كيلكون فنزلوا فيه كما كانوا فلما نزلوا أراد الامير
الآخر من أمراء قفجاق ان يؤثر في الكرج مثل ما فعل صاحبه فسمع كوشخرة فأرسل اليه
ينهاه عن الحركة الى ان يكشف له خبر الكرج فلم يقف فسار الى بلادهم في طائفة ونهب
وخرب وأخذ الغنائم فسار الكرج من طريق يعرفونها وسبقوه فلما وصل اليهم قاتلوه
وحملوا عليه وعلى من معه على غرة وغفلة فوضعوا السيف فيهم وأكثروا القتل فيهم
واستنقذوا الغنائم منه فعاد هو ومن معه على أقبح حالة وقصدوا برذعة وأرسلوا
الى كوشخرة يطلبون ان يحضر عندهم هو بنفسه وعسكره ليقصدوا الكرج فيأخذوا
بثارهم منهم فلم يفعل وأخافهم وقال انتم خالفتم رأيي وعملتم برأيكم فلا أنجدكم بفارس
واحد فأرسلوا يطلبون الرهائن الذين لهم فلم يعطهم فاجتمعوا وأخذوا كثيرا من المسلمين
عوضا من الرهائن فثار بهم المسلمون من أهل البلاد وقاتلوهم فقتلوا منهم جماعة
كثيرة فخافوا وساروا نحو شروان وجازوا الى بلاد اللكز فطمع الناس فيهم المسلمون
والكرج واللكز وغيرهم فافنوهم قتلا ونهبا وأسرا وسبيا بحيث ان المملوك منهم
كان يباع في در بند شروان بالثمن البخس

ذكر نهب الكرج بيلقان

في هذه السنة في شهر رمضان سار الكرج من بلادهم الى بلاد اران وقصدوا مدينة بيلقان
وكان التتر قد خربوها ونهبوها كما ذكرناه قبل فلما سار التتر الى بلاد قفجاق عاد من سلم
من أهلها اليها وعمروا ما أمكنهم عمارته من سورها فبينما هم كذلك اذ أتاهم الكرج

ودخلوا

إلى ذلك الوقت الى بعد شروق الشمس ويبتدئون في الرمي والرماحة الخمسة المذكورة وبعد العشاء خيرة لا يعمل
كذلك كذلك يرمى المدافع
المتتالية المختلفة اصواتها
بدون الرماحة ومع المدافع
الحراقة والنفوط والسواريخ
التي تصعد في الهواء وفيها من
خشب الزان بدل القصب وكرتها
بارودها اعظم من تلك
بحيث انها تصعد من الاسفل
الى العلو مثل عامود النار
واشياء أخر لم يسبق قط اثرها
تتقن في عملها الافرنج وغيرهم
وحول محل الحراقة حلقة
دائرة متسعة ولها الوف من
المشاعل الموقدة وطلبوا
لعمل اكياس بارود المدافع
مائتي ألف ذراع من القماش
البز وكان راتب الارز الذي
يطبخ في القزانات ويفرق
في عرضي العساكر في كل
يوم اربعمائة اردب وما يتبعها
من السمن وهذا خلاف
مطابخ الاعيان وما يأتيهم
من بيوتهم من تعابي الاطعمة
وغيرها واستمر هذا الضرب
والشنك الى يوم الثلاثاء
رابع المحرم وأهل البلد
ملازمون السهر والزينة على
الحوانيت والنور ليلا ونهارا
وتكرار المناداة عليهم في
كل يوم وركب حضرة الباشا
وتوجه الى داره بالازبكية
وهدمت الصواوين والخيام
وبطل الرمي ودخلت العساكر
والبنبات بغناهم وبرعازتهم أفواجا الى المدينة وذهبوا الى دورهم ورفع الناس الزينة

وكان معظمها حيث مساكن الافرنج والارمن فلم تزل تشتغل في عمل التصاوير والتماثيل واشكال البرج

ونهبوا البلد وملكوه وكان المسلمون في تلك البلاد قوامن الكرج انهم اذا ظفروا ببلد صانعوهم بشيء من المال فيعودون عنهم فكانوا احسن الاعداء مقدرة فلما كان هذه الدفعة ظن المسلمون انهم يفعلون مثل ما تقدم فلم يبالغوا في الامتناع منهم ولا هربوا من بين أيديهم فلما ملك الكرج المدينة وضعوا السيف في اهلها وفعلوا من القتل والنهب ما فعلوه بما تقدم هذا جميعه يجري وصاحب بلاد اذربيجان اوزبك بن البهلوان بمدينة تبريز ولا يتحرك في صلاح ولا يتجه لخير بل قد قنع بالاكل وادمان الشرب والفساد فقبحه الله ويسر للمسلمين من يقوم بنصرهم وحفظ بلادهم بمحمد وآله

ذكر ملك بدر الدين قلعة شوش

في هذه السنة ملك بدر الدين صاحب الموصل قلعة شوش من اعمال الحميدية وبينها وبين الموصل اثنا عشر فرسخا وسبب ذلك انها كانت هي وقلعة العقر متجاورتين لعماد الدين زنكي بن ارسلان شاه وكان بينهما من الخلف ما تقدم ذكره فلما كان هذه السنة سار زنكي الى اذربيجان ليخدم صاحبها اوزبك بن البهلوان فاتصل به وصار معه واقطعه اقطاعات واقام عنده فسار بدر الدين الى قلعة شوش فحاصرها وضيق عليها وهي على رأس جبل عال فطال مقامه عليها فحصرها فعاد الى الموصل وترك عسكره محاصرها فاما طال الامر على من بها ولم يروا من يرحله عنهم ولا من ينجدهم سلموها على قاعدة استقرت بينهم من اقطاع وخلع وغير ذلك فتسلمها نوابه في الثامن والعشرين من ربيع الآخر وقرروا امورها وعادوا الى الموصل

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في العشرين من شعبان ظهر كوكب في السماء في الشرق كبير له ذؤابة طويلة غليظة وكان طلوعه وقت السحر فبقي كذلك عشرة ايام ثم انه ظهر اول الليل في الغرب مما يلي الشمال فكان كل ليلة يتقدم الى جهة الجنوب نحو عشرة اذرع في رأي العين فلم يزل يقرب من الجنوب حتى صار غربيا محضا ثم صار غربيا مائلا الى الجنوب بعد ان كان غربيا مما يلي الشمال فبقي كذلك الى آخر شهر رمضان من السنة ثم غاب وفيها توفي ناصر الدين محمود بن محمد قرا ارسلان صاحب حصن كيفا وآمد وكان ظالما قبيح السيرة في رعيته قيل انه كان يتظاهر بمذهب الفلاسفة في ان الاجساد لا تحشر كذبوا لعنهم الله ولما مات ملك ابنه الملك المسعود

ثم دخلت سنة عشرين وستمائة

ذكر ملك صاحب اليمن مكة حرسها الله تعالى

في هذه السنة سار الملك المسعود اتسز ابن الملك الكامل محمد صاحب مصر الى مكة وصاحبها حينئذ حسن بن قتادة بن ادريس العلوي الحسيني قد ملكها بعد ابيه كما ذكرناه وكان حسن قد اساء الى الاشراف والمماليك الذين كانوا لابيه وقد تفرقوا عنه

والقنوات الزجاج والبلور واشكال النجف ومعظمها في جهات المنيلين كالخليلي والغورية والجمالية وبعض الاماكن والخانات ملاهي واغاني وسماعات وقيان وجنك رقاصات هنا والتهيؤ والاشغال والاستعداد لعمل الدونانمة على بحر النيل ببولاق فصنعوا صورة قلعة بابراج وقباب وزوايا وانصاف دوائر وخورنقات وطيقان للمدافع وطلوها وبيضوها ونقشوها بالالوان والاصباغ وصورة باب مالطه وكذلك صورة بستان على سفائن وفيه الطين ومغروس به الاشجار ومحيط به دار بزين مصبوغ وبه دوالي العنب واشجار الموز والقلقاس والنخيل والرياحين في قصاري لطيفة على حافاته وصورة عربة تجرها أفراس وبها تماثيل وصور جالسين وواقفين وتمثال مجلس وبه جنك رقاصات من تماثيل مصورة تتحرك بآلات ابتكار بعض المبتكرين لان كل من تخيل بفكره شيئا عمله وباهو تصويرا ذهب الى الترسخانه حيث الاخشاب والصناع فيعمله على طرف الميري حتى يبرزه في الخارج ويأخذ على ابتكاره البقشيش واكثرها الخصوص المراقات

والدفوط والبارود والسواريخ وغير ذلك وبعد انقضاء السبعة ايام المذكورة حصل

ولم يبق عنده غير اخواله من غيره فوصل صاحب اليمن الى مكة ونهبها عسكره الى العصر فحدثني بعض المجاورين المتأهلين انهم نهبوها حتى اخذوا الثياب عن الناس وافقروهم وامر صاحب اليمن ان ينبش قبر قتادة ويحرق فنبشوه فظهر التابوت الذي دفنه ابنه الحسن والناس ينظرون اليه فلم يروا فيه شيئا فعلموا حينئذ ان الحسن دفن اباه سرا وانه لم يجعل في التابوت شيئا وذاق الحسن عاقبة قطيعة الرحم وعجل الله مقابلته وازال عنه ما قتل اباه واخاه وعمه لاجله خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين

(ذكر حرب بين المسلمين والكرج بارمينية)

في هذه السنة في شعبان سار صاحب قلعة سرماري وهي من اعمال ارمينية الى خلاط لانه كان في طاعة صاحب خلاط وهو حينئذ شهاب الدين غازي بن العادل ابي بكر بن أيوب فحضر عنده واستخلف ببلاده اميرا من امرائه فجمع هذا الامير جمعا وسار الى بلاد الكرج فنهب منها عدة قرى وعاد فسمعت الكرج بذلك فجمع صاحب دوين واسمه شلوة وهو من اكابر امراء الكرج عسكره وساروا الى سرماري فحصروها اياما ونهبوا بلدها وسوادها ورجع فسمع صاحب سرماري الخبر فعاد الى سرماري فوصل اليها في اليوم الذي رحل الكرج عنها فاخذ عسكره وتبعهم فاوقع بساقتهم فقتل منهم وغنم واستنقذ ما اخذوا من غنائم بلاده ثم ان صاحب دوين جمع عسكره وسار الى سرماري ليحصرها فوصل الخبر الى صاحبها بذلك فحصنها وجمع الذخائر وما يحتاج اليه فاتاه من اخبره ان الكرج نزلوا بواد بين دوين وسرماري وهو واد ضيق فسار بجميع عسكره جريدة وجد السير ليكبس الكرج فوصل الى الوادي الذي هم فيه وقت السحر ففرق عسكره فرقتين فرقة من اعلى الوادي وفرقة من اسفله وحملوا عليهم وهم غافلون ووضعوا السيف فيهم فقتلوا واسروا فكان في جملة الاسرى شلوة اميردوين في جماعة كثيرة من مقدميهم ومن سلم من الكرج عاد الى بلدهم على حال سيئة ثم ان ملك الكرج ارسل الى الملك الاشرف موسى بن العادل صاحب ديار الجزيرة وهو الذي اعطى خلاط واعمالها الامير شهاب الدين يقول له كنا نظن اننا على صلح والآن فقد عمل صاحب سرماري هذا العمل فان كنا على الصلح فنريد اطلاق اصحابنا من الاسر وان كان الصلح قد انفسخ بيننا فتعرفنا حتى ندبر امرنا فارسل الاشرف الى صاحب سرماري يامره باطلاق الاسرى وتجديد الصلح مع الكرج ففعل ذلك واستقرت قاعدة الصلح واطلق الاسرى

(ذكر الحرب بين غياث الدين وبين خاله)

في هذه السنة في جمادى الآخرة انهزم ايغان طائيسي وهو خال غياث الدين بن خوارزمشاه محمد بن تكش وهذا غياث الدين هو صاحب بلاد الجبل والري واصبهان وغير ذلك وله ايضا بلاد كرمان وكان سبب ذلك ان خاله ايغان طائيسي كان معه وفي خدمته وهو اكبر امير معه لا يصدر غياث الدين الا عن رأيه والحكم اليه في جميع

السكر من يوم الثلاثاء المذكور الى يوم الاحد التالي له من الجمعة الاخرى مدة خمسة أيام في اهتمام الجهد الناس من الاعيان وكل من له اسم من أكابر الناس واهل الدائرة والافندية الكتبة حتى الفقهاء ارباب المناصب والمظاهر ومشايخ الافتاء والنواب والمتفرجين في نصب الخيام بحافتي النيل واستأجروا الاماكن المطلة على البحر ولو من البعد وتنافسوا واشتطوا اربابها في الاجرة حتى بلغ اجرة احقر طبقة بمثل وكالة الفحم الى خمسمائة قرش وزيادة وكان الباشا امر بانشاء قصر مخصوص جلوسه بالجزيرة تجاه بولاق قبلي قصر ابنه اسمعيل باشا وتموا بياضه ونقاشه في هذه المدة القليلة فلما كان ليلة الاثنين وهو يوم عاشوراء خرج الباشا في ليلته وعدى الى القصر المذكور وخرج اهل الدائرة والاعيان الى الاماكن التي استأجروها وكذلك العامة افواجا واصبح يوم الاثنين المذكور فضربت المدافع الكثيرة التي صففوها بالبرين وزين اهالي بولاق اسواقهم وحوانيتهم وابواب دورهم ودقت الطبول والمزامير والنقرزانات في السفائن وغيرها وطبلخانة الباشا تضرب في كل وقت والمدافع الكثيرة في ضحوة كل يوم وعصره وبعد العشاء كذلك وتوقد المشاعل وتعمل اصناف الحراقات والسواريخ والنفوط والشعل وتتقابل القلاع المصنوعة على وجه المملكة

المملكة فلما عظم شأنه حدثته نفسه بالاستيلاء على الملك وحسن له ذلك غيره واطمعه فيه قيل ان الخليفة الناصر لدين الله اقطعه البلاد سرا وامره بذلك فقويت نفسه على الخلاف فاستفسد جماعة من العسكر واستمالهم فلما تم له امره اظهر الخلاف على غياث الدين وخرج من طاهر سقاوز بلك وسار في البلاد يفسد ويقطع الطريق وينهب ما امكنه من القرى وغيرها وانضاف اليه جمع كثير من اهل الفساد ومعه مملوك آخر اسمه ايبك الشامي كانا متفقين على العصيان فقوي بهما وساروا جميعهم الى غياث الدين ليقاتلوه ويملكوا بلاده ويخرجوه منها فجمع غياث الدين عسكره والتقوا بنواحي (٣) واقتتلوا فانهزم خال غياث الدين ومن معه وقتل من عسكره واسر كثير وعاد المنهزمون الى اذربيجان على اقبح حال واقام غياث الدين في بلاده وثبت قدمه

(حادثة غريبة لم يوجد مثلها)

كان اهل مملكة الكرج لم يبق منهم غير امرأة وقد انتهى الملك اليها فوليته وقامت بالامر فيهم وحكمت فطلبوا لها رجلا يتزوجها ويقوم بالملك نيابة عنها ويكون من اهل بيت مملكة فلم يكن فيهم من يصلح لهذا الامر وكان صاحب ارزن الروم هذا الوقت هو مغيث الدين طغرلشاه بن قلج ارسلان بن مسعود قلج ارسلان وبيته مشهور من اكابر ملوك الاسلام وهم من الملوك السلجوقية وله ولد كبير فارسل الى الكرج يطلب الملكة لولده ليتزوجها فامتنعوا من اجابته وقالوا لا نفعل هذا لاننا لا يمكننا ان يملك امرنا مسلم فقال لهم ان ابني يتنصر ويتزوجها فاجابوه الى ذلك فامر ابنه فتنصر ودان بالنصرانية وتزوج الملكة وانتقل اليها واقام عند الكرج حاكما في بلادهم واستمر على النصرانية نعوذ بالله من الخذلان ونسأله ان يجعل خير اعمالنا آخرها وخير ايامنا يوم نلقاه ثم كانت هذه الملكة الكرجية تهوى مملوكا لها فكان زوجها يسمع عنها القبائح ولا يمكنه الكلام لعجزه ثم انه يوما دخل عليها فرآها نائمة مع مملوكها في فراش فانكر ذلك وواجهها بالمنع منه فقالت ان رضيت بهذا والا فانت اخبر فقال اني لا ارضى بهذا فنقلته الى بلد آخر ووكلت به من يمنعه من الحركة وحجرت عليه وارسلت الى بلد اللان واحضرت رجلين كانا قد وصفا بحسن الصورة فتزوجت احدهما فبقي معها يسيرا ثم انها فارقته واحضرت انسانا آخر من كنجة وهو مسلم فطلبت منه ان يتنصر ليتزوجها فلم يفعل فارادت ان تتزوجه وهو مسلم فقام عليها جماعة الامراء ومعهم ايواني وهو مقدم العساكر الكرجية فقالوا لها قد افتضحنا بين الملوك بما تفعلين ثم تريدين ان يتزوجك مسلم وهذا لا يمكن منه ابدا والامر بينهم متردد والرجل الكنجي عندهم لم يجبهم الى الدخول في النصرانية وهي تهواه

(ذكر عدة حوادث)

(٣) هكذا بياض بالاصل

الماء ويرمون منها المدافع على هيئة المتاريس وفيها فوانيس وقناديل وهيئة بابها الظهر وابنه مسمقوصرة لها بدنات ويرى بداخلها سرج وشعل ويخرج منها حراقات وسواريخ وغالب هذه الاعمال من صناعة الافرنج واحضروا سفائن رومية صغيرة تسمى الشلنبات يرمى منها مدافع وشنابر وشيطيات وغلايين مما يسير في البحر المالح وفي جميعها وقدات وسرج وقناديل وكلها مزينة بالبيارق الحرير والاشكال المختلفة الالوان ودبوس اوغلي بيولاق السكرور وعنده ايضا الحراقات الكثيرة والشعل والمدافع والسواريخ وبالجيزة عباس بك ابن طوسون باشا والنصارى الارمن بمصر القديمة وبولاق والافرنج وابرز الجميع زينتهم وغاية تيلهم وحراقتهم وعند الاعيان حتى المشايخ في القنج والسفائن المعدة للسروح والتفرج والنزاهة والخروج عن الاوضاع الشرعية والادبية واستمروا على ما ذكر الى يوم الاثنين سابع عشره (وفي ذلك اليوم) وصل عبد الله بن مسعود الوهابي ودخل من باب النصر وصحبته عبد الله بكتاش قبطان السويس وهو راكب على هجين وبجانبه المذكور وامامه طائفة من الدلاة فضربوا عند دخوله مدافع كثيرة من القلعة وبولاق

في هذه السنة كان الجراد فأكثر البلاد واهلك كثيرا من الغلات والخضر بالعراق والجزيرة وديار بكر وكثير من الشام وغيرها وفيها في رمضان توفي عبد الرحمن بن هبة الله بن عساكر الفقيه الشافعي الدمشقي بها وكان غزير العلم عالما بالمذهب كثير الصلاح والزهد والخير رحمه الله وفيها تجمع العرب في خلق كثير على حجاج الشام وأرادوا قطع الطريق عليهم واخذهم وكان الامير على الحجاج شرف الدين يعقوب بن محمد وهو من اهل الموصل اقام بالشام وتقدم فيه فمنعهم بالرغبة والرهبة ثم صانعهم بمال وثياب وغير ذلك فاعطى الجميع من ماله ولم يأخذ من الحجاج الدرهم الفرد وفعل فعلا جميلا وكان عنده كثير من العلوم ويرجع الى دين متين

(ثم دخلت سنة احدى وعشرين وستمائة)

(ذكر عود طائفة من التتر الى الري وهمذان وغيرهما)

اول هذه السنة وصل طائفة من التتر من عند ملكهم جنكزخان وهؤلاء غير الطائفة الغربية التي ذكرنا اخبارها قبل وصول هؤلاء الري وكان من سلم من اهلها قد عادوا اليها وعمروها فلم يشعروا بالتتر الا وقد وصلوا اليهم فلم يمتنعوا عنهم فوضعوا في اهلها السيف وقتلوهم كيف شاؤوا ونهبوا البلد وخربوه وساروا الى ساوة ففعلوا بها كذلك ثم الى قم وقاشان وكانتا قد سلمتا من التتر اولا فانهم لم يقربوهما ولا اصاب اهلهما أذى فاتاهما هؤلاء وملكوهما وقتلوا اهلهما وخربوهما والحقوهما بغيرهما من البلاد الخراب ثم ساروا في البلاد يخربون ويقتلون وينهبون ثم قصدوا همذان وكان قد اجتمع بها كثير ممن سلم من اهلها فابادوهم قتلا وأسرا ونهبا وخربوا البلد وكانوا لما وصلوا الى الري رأوا بها عسكرا كثيرا من الخوارزمية فكبسوهم وقتلوا منهم وانهزم الباقون الى اذربيجان فنزلوا باطرافها فلم يشعروا الا والتتر أيضا قد كبسوهم ووضعوا السيف فيهم فولوا منهزمين فوصل طائفة منهم الى تبريز وأرسلوا الى صاحبها أوزبك ابن البهلوان يقولون ان كنت موافقنا فسلم الينا من عندك من الخوارزمية والا فعرفنا انك غير موافق لنا ولا في طاعتنا فعمد الى من عنده من الخوارزمية فقتل بعضهم وأسر بعضهم وحمل الاسرى والرؤس الى التتر وأنفذ معها من الاموال والثياب والدواب شيئا كثيرا فعادوا عن بلاده نحو خراسان فعلوا هذا وليسوا في كثرة كانوا نحو ثلاثة آلاف فارس وكان الخوارزمية الذين انهزموا منهم نحو ستة آلاف فارس وعسكر أوزبك اكثر من الجميع ومع هذا فلم تحدث نفسه ولا الخوارزمية بالامتناع منهم نسأل الله أن ييسر للاسلام والمسلمين من يقوم بنصرتهم فقد دفعوا الى أمر عظيم من قتل النفوس ونهب الاموال واسترقاق الاولاد وسبي الحريم وقتلهن وتخريب البلاد

(ذكر ملك غياث الدين بلاد فارس)

قد ذكرنا ان غياث الدين بن خوارزمشاه محمد كان بالري وله معها اصفهان وهمذان

لأجهما وانقضى امر الشنك وخلافه من ساحل النيل وبولاق ورفعوا الزينة وركب الباشا الى قصر شبرا

وبيت السفينة وانفض الجمع وذهبوا الى دورهم وكان ذلك من اغرب الاعمال التي لم يقع نظيرها بارض مصر ولا ما يقرب من ذلك ومطبخ الميري يطبخ به الارز والعسل النسق المتقدم والاطعمة ويرتق لارباب المظاهر مناقي وجبتي الغداء والعشاء خلاف المطابخ الخاصة بهم وما يأتيهم من بيوتهم واما العامة والمتفرجون من الرجال والنساء فخرجوا افواجا وكثر زحامهم في جميع الطرق الموصلة الى بولاق ليلا ونهارا باولادهم واطفالهم ركبانا ومشاة وقد ذهب في هاتين الملعبتين من الاموال ما لا يدخل تحت الحصر وأهل الاستحقاق يتلافون من القتل والتفليس مع ما هم فيه من غلاء الاسعار في كل شئ وانعدام الادهان وخصوصا السمن والشيرج والشحم فلا يوجد من ذلك الشئ اليسير الا بغاية المشقة ويكون على حانوت الدهان الذي يحصل عنده بعض السمن شدة الزحام والصياح ولا يبيع بازيد من خمسة انصاف وهي اوقية اثناعشر درهما يأتيها من الخاط واعوان المحتسب يصدون لمن يرد من الفلاحين والمسافرين بالسمن فيحجزونه لمطالب الدولة وما يخصهم ودورهم في هذه الولائم

وفيما بينهما من البلاد وله أيضا بلاد كرمان فلما ملك أبوه كان كرناه وصل التتر الى بلاده وامتنع باصفهان وحصره التتر فيها فلم يقدروا عليها فلما فارق التتر بلاده وساروا الى بلاد قفجاق عاد وملك البلاد وعمر ما امكنه منها واقام بها الى أواخر سنة عشرين وستمائة وجرى له ما ذكرناه في آخر سنة عشرين سار الى بلاد فارس فلم يشعر صاحبها وهو اتابك سعد بن دكلا الا وقد وصل غياث الدين الى اطراف بلاده فلم يتمكن من الامتناع فقصد قلعة اصطخر فاحتمى بها وسار غياث الدين الى مدينة شيراز وهي كرسي مملكة فارس وأكبرها واعظمها فملكها بغير تعب اول سنة احدى وعشرين وستمائة وبقي غياث الدين بها واستولى على اكثر البلاد ولم يبق بيد سعد الدين الا الحصون المنيعة فلما طال الامر على سعد الدين صالح غياث الدين على ان يكون لسعد الدين من البلاد قسم اتفقوا عليه ولغياث الدين الباقي واقام غياث الدين بشيراز واراد اقامة وعزم على ذلك لما سمع ان التتر قد عادوا الى الري والبلاد التي له وخربوها

(ذكر عصيان شهاب الدين غازي على اخيه الملك الاشرف واخذ خلاط منه)

كان الملك الاشرف موسى بن العادل ابي بكر بن ايوب قد اقطع اخاه شهاب الدين غازي مدينة خلاط وجميع اعمال ارمينية وأضاف اليها ميافارقين وحاني وجبل جور ولم يقنع بذلك حتى جعله ولي عهده في البلاد التي له جميعها وحلف له جميع النواب والعساكر في البلاد فلما سلم اليه ارمينية سار اليها كما ذكرناه واقام بها الى آخر سنة عشرين وستمائة فاظهر مغاضبة اخيه الملك الاشرف والتجني عليه والعصيان والخروج عن طاعته فراسله الاشرف يستميله ويعاتبه على ما فعل فلم يرعوو ولا ترك ما هو عليه بل اصر على ذلك واتفق هو واخوه المعظم عيسى صاحب دمشق ومظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل على الخلاف للاشرف والاجتماع على محاربته واظهروا ذلك وعلم الاشرف فارسل الى اخيه الكامل بمصر يعرفه ذلك وكان امتنع ين وطلب منه نجدة فجهز العساكر وارسل الى اخيه صاحب دمشق يقول له ان تحركت من بلدك سرت اليه واخذته وكان قد سار نحو ديار الجزيرة للميعاد الذي بينهم فلما وصلت اليه رسالة اخيه وسمع بتجهيز العساكر عاد الى دمشق واما صاحب اربل فانه جمع العساكر وسار الى الموصل فكان منه ما نذكره ان شاء الله واما الاشرف فانه لما اتفق عصيان اخيه جمع العساكر من الشام والجزيرة والموصل وسار الى خلاط فلما قرب منها خافه اخوه غازي ولم يكن له قوة على ان يلقاه محاربا ففرق عسكره في البلاد ليحفظها وانتظر ان يسير صاحب اربل الى ما يجاوره من الموصل وسنجار وان يسير اخوه صاحب دمشق الى بلاد الاشرف عند الفرات الرقة وحران وغيرهما فيضطر الاشرف حينئذ الى العود عن خلاط فسار الاشرف اليه وقصد خلاط وكان اهلها يريدونه ويختارون دولته لحسن سيرته كانت فيهم وسوء سيرة غازي فلما حصرها سلمها اهلها اليه يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الآخرة وبقي غازي في القلعة ممتنعا فلما جنه الليل نزل الى اخيه معتذرا ومتنصلا فعاتبه الاشرف وابقى عليه ولم يعاقبه على فعله لكن اخذ البلاد منه

والجمعيات ويدفع لهم عنه على موجب التسعيرة ثم يوزع ما يوزعه وهو الشيء القليل على المستبقين وهم يبيعونه على هذه الحالة ومثل ذلك الشيرج وخلافه حتى الجبن القريش (وفيه) وصل عبد الله الوهابي فذهبوا به الى بيت اسمعيل باشا ابن الباشا فاقام يومه وذهبوا به في صبحها عند الباشا بشبرا فلما دخل عليه قام له وقابله بالبشاشة واجلسه بجانبه وحادثه وقال له ما هذه المطاولة فقال الحرب سجال قال وكيف رأيت ابراهيم باشا قال ما قصر وبذل همته ونحن كذلك حتى كان ما كان قدره المولى فقال انا ان شاء الله تعالى اترجى فيك عند مولانا السلطان فقال المقدر يكون ثم البسه خلعة وانصرف عنه الى بيت اسمعيل باشا ببولاق ونزل الباشا في ذلك اليوم السفينة وسافر الى جهة دمياط وكان بصحبة الوهابي صندوق صغير من صفيح فقال له الباشا ما هذا فقال هذا ما اخذه ابي من الحجرة اصحبه معي الى السلطان وفتحه فوجد به ثلاثة مصاحف قرآنا مكانه ونحو ثلثمائة حبة لؤلؤ كبار وحبة زمرد كبيرة وبها شريط ذهب فقال له الباشا الذي اخذه من الحجرة اشياء كثيرة غير هذا فقال هذا الذي وجدته عند ابي فانه لم يستاصل كل ما كان في الحجرة لنفسه بل اخيذ كذلك كبار العرب واهل المدينة واغوات الحرم وشيخ مكة فقال الباشا

وابق عليه ميافارقين

(ذكر حصار صاحب اربل الموصل)

قد ذكرنا اتفاق مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين على صاحب اربل وشهاب الدين غازى صاحب خلاط والمعظم عيسى صاحب دمشق على قصد بلاد الملك الاشرف فاما صاحب دمشق فانه سار عنها مراحل يسيرة وعاد اليها لان أخاه صاحب مصر أرسل اليه يتهدده ان سار عن دمشق انه يقصدها ويحصرها فعاد واما غازى فانه استعصى فى خلاط وأخذت منه كما ذكرناه واما صاحب اربل فانه جمع عسكره وسار الى بلد الموصل وحصرها ونازلها يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة ظنا منه ان الملك الاشرف اذا سمع بنزوله عليها رحل من خلاط ويخرج غازى فى طلبه فتختبط أحواله وتقوى نفس صاحب دمشق على المجىء اليهم فلما نازل الموصل كان صاحبها بدر الدين لؤلؤ قد احكم امورها من استقدام الجند على الاسوار واظهار آلة الحصار واخراج الذخائر وانما قوى طمع صاحب اربل على حصر الموصل لان اكثر عسكرها كان قد سار الى الملك الاشرف الى خلاط وقد قل العسكر فيها وكان الغلاء شديدا فى البلاد جميعها والسعر فى الموصل كل ثلاث مكاكى بدينار فلهذا السبب أقدم على حصرها فلما نازلها أقام عشرة أيام ثم رحل عنها يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة وكان سبب رحيله انه رأى امتناع البلد عليه وكثرة من فيه وعندهم من الذخائر ما يكفيهم الزمان الكثير ووصل اليه خبر الملك الاشرف انه ملك خلاط فانفسخ عليه كل ما كان يؤمله من صاحبها ومن دمشق وبقى وحده متلبسا بالامر فلما وصلت الاخبار اليه بذلك سقط فى يده ورأى انه قد اخطأ الصواب فرحل عائدا الى بلده وأقام على الزاب ومدة مقامه على الموصل لم يقاتلها انما كان فى بعض الاوقات يجىء بعض الترك الذين له يقاتلون البلد فيخرج اليهم بعض الفرسان وبعض الرجالة فيجرى بينهم قتال ليس بالكثير ثم يتفرقون وترجع كل طائفة الى صاحبها

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة أول آب جاء ببغداد مطر برعد وبرق وجرت المياه بباب البصرة والحربية وكذلك بالموصل بحيث ان الناس كانوا يخوضون فى الماء والوحل بالموصل وفيها سار صاحب المخزن الى يعقوبا فى ذى القعدة فعسف أهلها فنقل اليه عن انسان منها انه يسبه فاحضره وأمر بمعاقبته وقال له لم تسبنى فقال له أنتم تسبون أبا بكر وعمر لاجل أخذهما فدك وهى عشر نخلات لفاطمة عليها السلام وأنتم تأخذون منى ألف نخلة ولا أتكلم فعفا عنه وفيها وقعت فتنة بواسط بين السنية والشيعة على جارى عادتهم وفيها قلت الامطار فى البلاد فلم يجىء منها شىء الى شباط ثم انها كانت تجىء فى الاوقات المتفرقة مجيئا قريبا لا يحصل منه الرى للزرع فجاءت الغلات قليلة ثم خرج عليها الجراد ولم يكن فى الارض من النبات ما يشتغل به عنها فاكلها الا القليل وكان كثيرا خارجا

اشياء من ذلك (وفى يوم الاربعاء تاسع عشره) سافر عبد الله بن سعود الى جهة

صحيح وبعدنا هذا الشريف
لاسكندرية وصحبته جماعة
من الططر الى دار السلطنة
ومعه خدم لزومه

(واستهل شهر صفر بيوم الاثنين سنة ١٢٣٤)

(فى ثالثه) وصل طائفة من الحجاج المغاربة يوم الاربعاء وصحبتهم حجاج كثير ممن لهم عائدة واهل القرى قد دخلوا لى حين غفلة وكان الرئيس فيهم شخص من كبار عرب اولاد على يسمى الجبالى وهذا لم يتفق نظيره فيما وعيناه وسببه امن الطريق وانكماش العربان وقطاع الطريق (وفيه) اخبر المخبرون بان الباشا اقام بدمياط اياما قليلة ثم توجه الى البرلس ونزل فى تقيرة وذهب الى الاسكندرية على ظهر البحر المالح وقد استعد اهاليها قدومه وزينوا البلد والذى تولى الاعتناء بذلك طائفة الفرنج فانهم نصبوا طريقا من باب البلد الى القصر الذى هو سكن الباشا جعلوا بناحيتيه يمنى ويسرى نواع الزينة والتماثيل التصاوير والبلور والزجاج المرايات وغير ذلك من البدع لبديعة الغريبة (وفى غايته) صل الحاج المصرى ودخلوا بالا شيئا فشيئا ومنهم من خل ليلا وخصوصا ليلة

لاثنين وفى صبحه دخل حسن باشا ارنؤد الذى كان مقيما بجدة وفى ذلك اليوم دخل

خارجا من الحد فغلت الاسعار في العراق والموصل وسائر ديار الجزيرة وديار بكر وغيرها وقلت الاقوات الا ان اكثر الغلاء كان بالموصل وديار الجزيرة

(ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وستمائة)

●(ذكر حصر الكرج مدينة كنجة)●

في هذه السنة سارت الكرج في جموعها الى مدينة كنجة من بلاد اران قصد الحصرها واعتدوا لها بما امكنهم من القوة لان اهل كنجة كثير عددهم قوية شوكتهم وعندهم شجاعة كبيرة من طول ممارستهم الحرب مع الكرج فلما وصلوا اليها وقاربوا قاتلوا اهلها عدة أيام من وراء السور ولم يظهر من اهلها احد ثم في بعض الايام خرج اهل كنجة ومن عندهم من العسكر من البلد وقاتلوا الكرج بظاهر البلد اشد قتال واعظمه فلما راى الكرج ذلك علموا انهم لا طاقة لهم بالبلد فرحلوا بعد ان اثخن اهل كنجة فيهم ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا

●(ذكر وصول جلال الدين بن خوارزمشاه الى خوزستان والعراق)●

في اول هذه السنة وصل جلال الدين بن خوارزمشاه محمد بن تكش الى بلاد خوزستان والعراق وكان مجيئه من بلاد الهند لانه كان وصل اليها لما قصد التتر غزنة وقد ذكرنا ذلك جميعه فلما تعذر عليه المقام ببلاد الهند سار عنها على كرمان ووصل الى اصفهان وهي بيد اخيه غياث الدين وقد تقدمت اخباره فملكها وسار عنها الى بلاد فارس وكان اخوه قد استولى على بعضها كما ذكرناه فاعاد ما كان اخوه اخذه منها الى اتابك سعد صاحبها وصالحه وسار من عنده الى خوزستان فحصر مدينة تستر في المحرم وبها الامير مظفر الدين المعروف بوجه السبع مملوك الخليفة الناصر لدين الله حافظا لها واميرا عليها فحصره جلال الدين وضيق عليه فحفظها وجه السبع وبالغ في الحفظ والاحتياط وتفرق الخوارزمية ينهبون حتى وصلوا الى بادرايا وباكسايا وغيرهما وانحدر بعضهم الى ناحية البصرة فنهبوا هنالك فسار اليهم شحنة البصرة وهو الامير ملتكين فاوقع بهم وقتل منهم جماعة فدام الحصار نحو شهرين ثم رحل عنها بغتة وكانت عساكر الخليفة مع مملوكه جمال الدين قشتمر بالقرب منه فلما رحل جلال الدين لم يقدر العسكر على منعه فسار الى ان وصل الى بعقوبا وهي قرية مشهورة بطريق خراسان بينها وبين بغداد نحو سبعة فراسخ فلما وصل الخبر الى بغداد تجهزوا للحصار واعدوا السلاح من الجروخ والقسي والنشاب والنفط وغير ذلك وعادت عساكر الخليفة الى بغداد واما عساكر جلال الدين فنهب البلاد واهلها وكان قد وصل هو وعسكره الى خوزستان في ضر شديد وجهد جهيد وقلة من الدواب والذي معهم فهو من الضعف الى حد لا ينتفع به فغنموا من البلاد جميعها واستغنوا واكثروا من اخذ الخيل والبغال فانهم كانوا في غاية الحاجة اليها وساروا من بعقوبا الى دقوقا فحصروها فصعد اهلها الى السور وقاتلوه وسبوه واكثروا من التكبير فعظم ذلك عنده وشق عليه وجد في قتالهم ففتحها عنوة وقهرا ونهبها

بواقي الحجاج الى منازلهم ●(واستهل شهر ربيع الاول بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٤)● (في صبحه) دخلوا بالمحمل المدينة واكثر الناس لم يشعر بدخوله وهذا لم يتفق في تأخر الحاج الى شهر ربيع الاول (وفي ليلة الثلاثاء ثامنه) احترق سوق الشرب والجملون الكائن اسفل جامع الغورية بما فيه من الحوانيت وبضائع التجار والاقمشة الهندية وخلافها فظهرت به النار من بعد العشاء الاخيرة فحضر الوالي واغات التبديل فوجدوا الباب الذي من جهة الغورية مغلقا من داخل وكذلك الباب الذي من الجهة الاخرى وهما في غاية المتانة فلم يزالوا يعالجون فتح الباب بالعتالات والسكك الى بعد نصف الليل والنار عمالة من داخل وهرب الخفير واحترق ليوان الجامع الغربي والدهليز واخذوا في الهدم وصب المياه الى ثلاث القصارين ومن صعد بقالعمل بسبب علو الحيطان الشاهقة والاخشاب العظيمة والاحجار الهائلة والعقود فلم تخمد لهب النار الا بعد حصة من النهار وسرحت النار في اخشاب الجامع التي بداخل البناء ولم يزل الدخان صاعدا منها وسقطت الشبابيك النحاس العظام وبقيت معلقة ومكانت واستمر العلاج في اطفاء الدخان ثلاثة ايام ولولا لطف المولى وتاخير فتح الباب الى نصف الليل فتمسك فيها بالحديد ولم تدخل فيه الهواء لو لم يكن كذلك لاحترق وسرحت

عنا كره وقتلوا كثيرا من اهلها فهرب من سلم منهم من القتل وتفرقوا فى البلاد ولما كان الخوارزميون على دقوقا سارت سرية منهم الى البت والراذان فهرب اهله الى تكريت فتبعهم الخوارزمية فجرى بينهم وبين عسكر تكريت وقعة شديدة فعادوا الى العسكر ولقد رأيت بعض اعيان اهل دقوقا وهم بنو يعلى وهم اغنياء فنهبوا وسلم احدهم ومعه ولدان له وشئ يسير من المال فسيرما سلم معه الى الشام مع الولدين ليتجر بما يقتعون به ويتقوته على نفوسهم فمات احد الولدين بدمشق واحتاط الحاكم على ما معهم فلقد رأيت اباهم على حالة شديدة لا يعلمها الا الله يقول اخذت الاملاك وقتل بعض الاهل وفارقنا من سلم منهم والوطن بهذا القدر الحقير اوردنا نكف به وجوهنا من السؤال ونصون انفسنا فقد ذهب الولد والمال ثم سار الى دمشق لياخذ ما سلم مع ابنه الآخر فاخذه وعاد الى الموصل فلم يبق غير شهر حتى توفى

* ان الشقى بكل حبل يخنق * واما جلال الدين فانه لما فعل باهل دقوقا ما فعل خافه اهل البوازيج وهى لصاحب الموصل فارسلوا اليه يطلبون منه ارسال شحنة اليهم يحميهم وبذلوا له شيئا من المال فاجابهم الى ذلك وسير اليهم من يحميهم قيل كان بعض اولاد جنكزخان ملك التتر اسره جلال الدين فى بعض حروبه مع التتر فاكرمه فاعادوا واقام بمكانه الى اواخر ربيع الآخر والرسل مترددة بينه وبين مظفر الدين صاحب اربل فاصطلحوا فسار جلال الدين الى اذربيجان وفى مدة مقام جلال الدين بخوزستان والعراق ثارت العرب فى البلاد يقطعون الطريق وينهبون القرى ويخيفون السبيل فنال الخلق منهم اذى شديد واخذوا فى طريق العراق قفلين عظيمين كانوا سائرين الى الموصل فلم يسلم منهم شئ البتة

(ذكر وفاة الملك الافضل وغيره من الملوك)

فى هذه السنة فى صفر توفى الملك الافضل على بن صلاح الدين يوسف بن ايوب فجاة بقلعة سميساط وكان عمره نحو سبع وخمسين سنة وقد ذكرنا سنة تسع وثمانين وخمسمائة عند وفاة والده رحمه الله ملكه مدينة دمشق والبيت المقدس وغيرهما من الشام وذكرنا سنة اثنتين وتسعين اخذ الجميع منه ثم ذكرنا سنة خمس وتسعين ملكه ديار مصر وذكرنا سنة ست وتسعين اخذها منه وانتقل الى سميساط واقام بها ولم يزل بها الى الآن فتوفى بها وكان رحمه الله من محاسن الزمان لم يكن فى الملوك مثله كان خيرا عادلا فاضلا حليما كريما قل ان عاقب على ذنب ولم يمنع طالبا وكان يكتب خطا حسنا وكتابة جيدة وبالجملة فاجتمع فيه من الفضائل والمناقب ما تفرق فى كثير من الملوك لاجرم حرم الملك والدنيا وعاداه الدهر ومات بموته كل خلق جميل وفعل حميد فرحمه الله ورضى عنه ورأيت من كتابته اشياء حسنة فما بقى على خاطرى منها انه كتب الى اصحابه لما اخذت دمشق منه كتابا من فصوله واما اصحابنا بدمشق فلا علم لى باحد منهم وسبب ذلك فى اى صديق سألت عنه ففى الذل وتحت الخمول والوطن واى ضد سالت عن حالته

سمعت

النار الى الحوانيت الملاصقة بها وهى كلها أخشاب وبعلوها اسقائف أخشاب كذلك ومن فوق الجميع السقيفة العظيمة الممتدة على السوق من أوله الى آخره وهى فى غاية العلو والارتفاع وكلها أخشاب وجنة وسهوم وبراطيم من أعلى ومن أسفل تحتها من الجهتين ومن ناحيتها الرباع والوكائل والدور وحيطان الجميع من الخنة والاخشاب العتيقة التى تشتعل بادنى حرارة فلو وصلت النار والعياذ بالله تعالى الى هذه السقيفة لما أمكن اطفاؤها وجميع كان سريقادوميا ولكن الله سلم

(وفى يوم السبت ثانى عشره) حضر السيد عمر افندى نقيب الاشراف سابقا وذلك انه لما حصلت الهمرة والمسرة للباشا فكتب اليه مكتوبا بالتهنئة وأرسله مع حفيده السيد صالح الى الاسكندرية فتلقاه بالبشاشة وسأله عن جده فيقول له بخير ويدعو لكم فقال له هل فى نفسه شئ أو حاجة نقضيها له فقال لا يطلب غير طول البقاء لحضرتكم ثم انصرف الى المكان الذى نزل به فارسل اليه فى ثانى يوم عثمان السلانكلى ليسأله ويستفسر منه عسى ان يشتهى من شافهة الباشا بذكره فلم يزل يلاطفه حتى قال لم يكن فى نفسه الا الحج الى بيت الله ان أذن له افندينا بذلك فلما عاد بالجواب أنعم عليه بذلك وأذن

سمعت ما اقتضيه اذني فتركت السؤال عنهم وهذا غاية الجودة في الاعتذار عن ترك السؤال عنهم ولما مات اختلف اولاده وعمهم قطب الدين موسى ولم يقو احد منهم على الباقين ليستبد بالامر ومات في هذه السنة صاحب ارزن الروم وهو مغيث الدين طغرل ابن قلج ارسلان وهو الذي سير ولده الى الكرج وتنصر وتزوج ملكة الكرج ولما مات ملك بعده ابنه ومات فيها ملك ارزنكان وتوفي فيها عز الدين الخضر بن ابراهيم بن ابي بكر بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان صاحب خرتبرت وملك بعده ابنه نور الدين ارتق شاه وكان المدبر لدولته ودولة والده معين الدين عبد الرحمن

ذكر خلع شروان شاه وظفر المسلمين بالكرج

في هذه السنة ثار على شروان شاه ولده فنزعه من الملك واخرجه من البلاد وملك بعده وسبب ذلك ان شروان شاه كان سيء السيرة كثير الفساد والظلم يتعرض الى اموال الرعايا واملاكهم وقيل ايضا انه كان يتعرض الى النساء والولدان فاشتدت وطأته على الناس فاتفق بعض العسكر مع ولده واخرجوا اباه من البلاد وملك الابن واحسن السيرة فاحبه العساكر والرعية وارسل الولد الى ابيه يقول له اني اردت ان اتركك في بعض القلاع واجري لك الجرايات الكثيرة ولكل من تحب ان يكون عندك والذي حملني على ما فعلت معك سوء سيرتك وظلمك لاهل البلاد وكراهيتهم لك ولدولتك فلما رأى الاب ذلك سار الى الكرج واستنصر بهم وقرر معهم ان يرسلوا معه عسكرا يعيدونه الى ملكه ويعطيهم نصف البلاد فسير وا معه عسكرا كثيرا فسار حتى قارب مدينة شروان فجمع ولده العسكر واعلمهم الحال وقال ان الكرج متى حصروا نار بما انتقروا بنا وحينئذ لا يبقى ابي على احد منا ويأخذ الكرج نصف البلاد وربما اخذوا الجميع وهذا امر عظيم والرأي اننا نسير اليهم جريدة ونلقاهم فان ظفرنا بهم فالحمد لله وان ظفروا بنا فالحصر بين ايدينا فاجابوه الى ذلك فخرج في عسكره وهم قليل نحو الف فارس ولقوا الكرج وهم في ثلاثة آلاف مقاتل فالتقوا واقتتلوا وصبر اهل شروان فانهزم الكرج وقتل كثير منهم واسر كثير ومن سلم عادبا سواحال وشروان شاه المخلوع معهم فقال له مقدموا الكرج انت مالنا في سببك خيرا ولا تؤاخذك بما كان منك فلا تقم ببلادنا ففارقهم وبقي مترددا في البلاد لا ياويه احد واستقر ولده في الملك واحسن الى الجند والرعية واعاد الى الناس املاكهم ومصادراتهم فاغتبطوا بولايته

ذكر ظفر المسلمين بالكرج ايضا

وفي هذه السنة ايضا سار جمع من الكرج من تفليس يقصدون اذربيجان والبلاد التي بيد اوزبك فنزلوا وادا ضيقا في الجبال لا يسلك الا الفارس معه الفرس فنزلوا آمنين من المسلمين استضعافا لهم واغترارا بحصانة موضعهم وانه لا طريق اليهم وركب طائفة من العساكر الاسلامية وقصدوا الكرج فوصلوا الى ذلك المضيق فجازوه مخاطرين فلم يشعر الكرج الا وقد غشيهم المسلمون ووضعوا فيهم السيف فقتلوهم

ليذهب الى مصر وان يقيم بداره الى اوان الحج ازشاء برا وان شاء بحرا وقال انا لا اتركه في القرية هذه المدة الا خوفا من الفتنة والآن لم يبق شيء من ذلك فانه اخي وبيني وبينه ما لا انساه من الصحبة والمعروف وكتب له جوابا بالاجابة وصورته بحروفه مظهر الشمائل سنيها حميد الشؤن وسميها سلالة بيت المجد الاكرم والدنا السيد عمر مكرم دام شانه اما بعد فقد ورد الكتاب اللطيف من الجناب الشريف تهنئة بما انعم الله علينا وفرحا بمواهب تأييده لدينا فكان ذلك مزيدا في السرور ومستدعيا للحمد والشكور وجلبة لثناكم واعلانا بنيل مناكم بجزيتم حسن الثنا مع كمال الوفا ونيل المنى هذا وقد بلغنا فحواكم عن طلبكم الاذن في الحج الى البيت الحرام وزيارة روضته عليه الصلاة والسلام للرغبة في ذلك والترجي لما هنالك وقد اذنا لكم في هذا المرام تقربا للذي الجلال والاكرام ورجاء لدعواتكم بتلك المشاعر العظام فلا تدعوا الابتهال ولا الدعاء لنا بالقال والحال كما هو الظن في الطاهرين والمأمول من الاصفياء المقبولين والواصل لكم جواب منا خطابا الى كتخدا تنا ولكم الاجلال والاحترام مع جزيل الثناء والسلام وارسل اليه المكتوب بصحبة حفيده السيد صالح وارسل الى كتخدا بك كتابا وصل اليه قبل قدومه فارسل

كيف شاؤوا وولى الباقون منهزمين لا يلوي والد على ولده ولا اخ على اخيه وله منهم جمع كثير صالح فعظم الامر عليهم وعزموا على الاخذ بثارهم والجد في قصد اذربيجان واستئصال المسلمين منه واخذوا يتجهزون على قدر عزمهم فبينما هم في ذلك اذ وصل اليهم الخبر بوصول جلال الدين بن خوارزمشاه الى مراغة على ما نذكره ان شاء الله فتركوا ذلك وارسلوا الى اوزبك صاحب اذربيجان يدعونه الى الموافقة على رد جلال الدين وخوفوه منه ان لم تتفق نحن وانت والا اخذنا ثم اخذك فعاجلهم جلال الدين قبل اتفاقهم واجتماعهم فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك جلال الدين اذربيجان)

في هذه السنة استولى جلال الدين على اذربيجان وسبب ذلك انه لما سار من دقوقا كما ذكرناه قصد مراغة فملكها واقام بها وشرع في عمارة البلد فاستحسنه فلما وصل اليه اتاه الخبر ان الامير ايغان طائيسي وهو خال اخيه غياث الدين قد قصد همذان قبل وصول جلال الدين بيومين وكان ايغان طائيسي هذا قد جمع عسكرا يقارب خمسين الف فارس ونهب كثيرا من اذربيجان وسار الى البحر من بلد اران فشتى هناك لقلة البرد ولما عاد الى همذان نهب اذربيجان ايضا مرة ثانية وكان سبب مسيره الى همذان ان الخليفة الناصر لدين الله راسله وامره بقصد همذان واقطعه اياها وغيرها فسار ليستولي عليها كما امر فسمع جلال الدين بذلك فسار جريدة اليه فوصل الى ايغان طائيسي ليلا وكان اذا نزل جعل حول عسكره جميع ما غنموا من اذربيجان واران من خيل وبغال وحمير وبقر وغنم فلما وصل جلال الدين احاط بالجميع فلما اصبح عسكر ايغان طائيسي ورأى العسكر والجتر الذي يكون على رأس السلطان علموا انه جلال الدين وسقط في ايديهم لانهم كانوا يظنونه عند دقوقا فارسل ايغان طائيسي زوجته وهي اخت جلال الدين تطلب له الامان فامنه واحضره عنده وانضاف عسكره الى جلال الدين وبقي ايغان طائيسي وحده الى ان اضاف اليه جلال الدين عسكرا غير عسكره وعاد الى مراغة واعجبه المقام بها وكان اوزبك بن البهلوان صاحب اذربيجان واران قد سار من تبريز الى كنجة خوفا من جلال الدين وارسل جلال الدين الى من في تبريز من وال وامير ورئيس يطلب منهم ان يتردد عسكره اليهم يمتارون فاجابوه الى ذلك واطاعوه فتردد العسكر اليها وباعوا واشتروا الاقوات والكسوات وغيرها ومدوا ايديهم الى اموال الناس فكان احدهم ياخذ الشيء ويعطي الثمن ما يريد فشكا بعض اهل تبريز الى جلال الدين منهم فارسل اليهم شحنة يكون عندهم وامره ان يقيم بتبريز ويكف ايدي الجند عن اهلها ومن تعدى على احد منهم صلبه فاقام الشحنة ومنع الجند من التعدي على احد من الناس وكانت زوجة اوزبك وهي ابنة السلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه مقيمة بتبريز وهي كانت الحاكمة في بلاد زوجها وهو مشغول بلذاته من اكل وشرب ولعب ثم ان اهل تبريز شكوا من الشحنة وقالوا انه

الى الكتخدا ترجمانه الى منزله ليبشره بذلك واشيع خبر مقدمه فكان الناس بين مصدق ومكذب حتى وصل في اليوم المذكور الى بولاق فركب من هناك وتوجه الى زيارة الامام الشافعي وطلع الى القلعة وقابل الكتخدا وسلم عليه وهنته الشعراء بقصائدهم واعطاهم الجوائز واستمر ازدحام الناس اياما ثم امتنع عن الجلوس في المجلس العام نهارا واعتكف بحجرته الخاصة فلا يجتمع به الا بعض من يريده من الافراد فانكف الكثير عن الترداد وذلك من حسن الرأي

(واستهل شهر ربيع الثاني بيوم السبت سنة ١٢٣٤)

(فيه) حصل الاهتمام بحفر الترعة المعروفة بالاشرفية الموصلة الى الاسكندرية وقد تقدم في العام الماضي بل والذي قبله اهتمام الباشا ونزل اليها المهندسون ووزنوا ارضها وقاسوا طولها وعرضها وعمقها المطلوب ثم اهمل امرها لقرب مجيء النيل وتركوا الشغل في مبدئها ولم يترك الشغل في منتهاها عند الاسكندرية بالقرب من عامود السواري فحفروا هناك منتهاها وهي بركة متسعة وحوطوها بالبناء المحكم المتين وهي مرسى المراكب التي تعبر منها الى الاسكندرية بدلا عن البغاز وهو ملتقى البحرين وما يقع فيه من تلف المراكب فتكون هذه اسلم واقرب واقل كلفة ان

يكافئنا

يكافئنا اكثر من طاقتنا فامر جلال الدين انه لا يعطى الا ما يقوم به لا غير ففعلوا ذلك وسار جلال الدين الى تبريز وحصرها خمسة أيام وقاتل اهلها قتالا شديدا وزحف اليها فوصل العسكر الى السور فاذعن اهلها بالطاعة وارسلوا يطلبون الامان منه لانه كان يذمهم ويقول قتلوا أصحابنا المسلمين وارسلوا رؤسهم الى التتر الكفار وقد تقدمت الحادثة سنة احدى وعشرين وستمائة فخافوا منه لذلك فلما طلبوا الامان ذكر لهم فعلهم باصحاب أبيه وقتلهم فاعتذروا بانهم لم يفعلوا شيئا من ذلك وانما ذلك صاحبهم ولم يكن لهم من القدرة ما يمنعونه فعذرهم وامنهم وطلبوا منه ان يؤمن زوجة اوزبك ولا يعارضها في الذى لها باذربيجان ومدينة خوى وغيرها من ملك ومال وغيره فاجابهم الى ذلك وملك البلد سابع عشر رجب من هذه السنة وسير زوجة اوزبك الى خوى ومعها طائفة من العسكر مع رجل كبير القدر عظيم المنزلة وامرهم بخدمتها فاذا وصلت الى خوى عادوا عنها ولما دخل جلال الدين الى تبريز أمران لا يمنعوا عنه احدا من اهلها فاتاه الناس مسلمين عليه فلم يحجبوا عنه واحسن اليهم وبث فيهم العدل ووعدهم الاحسان والزيادة منه وقال لهم قد رأيتم ما فعلت بمراغة من الاحسان والعمارة بعد أن كانت خرابا وسترون كيف اصنع معكم من العدل فيكم وعمارة بلادكم واقام الى يوم الجمعة وحضر الجامع فلما خطب الخطيب ودعا للخليفة قام قائما ولم يزل كذلك حتى فرغ من الدعاء وجلس ودخل الى كشك كان اوزبك قد عمره وانفق عليه من الاموال كثيرا فهو فى غاية الحسن مشرف على البساتين فلما طاف فيه خرج منه وقال هذا مسكن الكسالى لا يصلح لنا واقام أياما واستولى فيها على غيرها من البلاد وسير الجيوش الى بلاد الكرج

(ذكر انهزام الكرج من جلال الدين)

قد ذكرنا فيما تقدم من السنين ما كان الكرج يفعلونه في بلاد الاسلام خلاط واعمالها واذربيجان واران وارزن الروم ودربند شروان وهذه ولايات تجاور بلادهم وما كانوا يسفكون من دماء المسلمين وينهبون من أموالهم ويملكون من بلادهم والمسلمون معهم فى هذه البلاد تحت الذل والخزى كل يوم قد أغاروا وفتكوا فيهم وقاطعوهم على ما شاؤا من الاموال فكنا كلما سمعنا بشئ من ذلك سألنا الله تعالى نحن والمسلمون فى أن ييسر للاسلام والمسلمين من يحميهم وينصرهم ويأخذ بثارهم فان أوزبك صاحب اذربيجان منعكف على شهوة بطنه وفرجه لا يفيق من سكره وان أفاق فهو مشغول بالقمار بالبيض وهذا ما لم يسمع ان أحدا من الملوك فعله لا يهتدى لمصلحة ولا يغضب لنفسه بحيث ان بلاده مأخوذة وعساكره طماعة ورعيته قد قهروا وقد كان كل من أراد ان يجمع جمعا ويتغلب على بعض البلاد فعل كما ذكرناه من حال بغدى وايتغمش الشامى وايغان طائيسى فنظر الله تعالى الى أهل هذه البلاد المساكين بعين الرحمة فرحمهم ويسر لهم جلال الدين هذا ففعل بالكرج ما تراه وانتقم للاسلام والمسلمين منهم

جعث بل وأقرب مسافة ونزل الامر لكشاف الاقاليم بجمع الفلاحين والرجال على حساب تزادع الفدادين فيجمعون رجال القرية المزارعين ويدفعون للشخص الواحد عشرة ريالات ويخصم له مثلها من المال واذا كان له شريك واحب المقام لاجل الزرع الصيفي اعطاه حصته وزاده عليها حتى يرضى خاطره وزوده بما يحتاج اليه ايضا وعند العمل يدفع لكل شخص قرش فى كل يوم ويخرج اهل القرية افواجا ومعهم انفار من مشايخ البلاد ويجتمعون فى المكان المامورين باجتماعهم فيه ثم يسيرون مع الكاشف الذى بالناحية ومعهم طبول وزمور وبيارق ونجارون وبناؤن وحدادون وفرضوا على البلاد التى فيها النخيل غلقانا ومقاطف وعراجين وسلبا وعلى البنادر فؤسا ومساحي شئ كثير بالثمن وطلبوا ايضا طائفة الغواصين لانهم كانوا اذا اشتغلوا فى قطع الارض فى بعض المواضع منها ينبع الماء قبل الوصول الى الحد المطلوب (وفى يوم الخميس عشرينه) ورد مرسوم من الباشا بعزل كتخدا بك عن منصب الكتخدائية وتولية محمود بك فيها عوضا عنه وحضر محمود بك فى ذلك اليوم قادما من الاسكندرية وطلع الى القلعة وحضر ايضا حسن باشا وكان قد ذهب الى الاسكندرية ليسلم على الباشا لكونه كان بالديار الحجازية

وفيها في هذه السنة كان المصاف بين جلال الدين وبين الكرج في شهر شعبان فان جلال الدين من حين قصد الى هذه النواحي لا يزال يقول انى اريد أقصد بلاد الكرج وأقاتلهم وأملك بلادهم فلما ملك اذربيجان ارسل اليهم يؤذنهم بالحرب ويقول انا قد قصدنا التتر الذين فعلوا بابيك وهو أعظم منك ملكا وأكثر عسكرا وأقوى نفسا ما تعلمه وأخذوا بلادكم فلم تبالوا بهم وكان قصاراهم السلامة منا وشرعوا يجمعون العساكر فجمعوا ما يزيد على سبعين ألف مقاتل فسار اليهم فملك مدينة دوين وهي للكرج كانوا قد أخذوها من المسلمين كما ذكرناه وسار منها اليهم فلقوه وقاتلوه أشد قتال وأعظمه وصبر كل منهم لصاحبه فانهزم الكرج وأمران يقتلوا بكل طريق ولا يبقوا على أحد منهم فالذي تحققناه انه قتل منهم عشرون ألفا وقيل أكثر من ذلك فقيل الكرج جميعهم قتلوا وافترقوا وأسر كثير من أعيانهم ومن جملتهم شلوة فتمت الهزيمة عليهم ومضى ايواني منهزما وهو المقدم على الكرج جميعهم ومرجعهم اليه ومعولهم عليه وليس لهم ملك انما الملك امرأة ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة فلما انهزم ايواني أدركه الطلب فصعد قلعة لهم على طريقهم فاحتمى فيها وجعل جلال الدين عليها من يحصرها ويمنعه من النزول وفرق عساكره في بلاد الكرج ينهبون ويقتلون ويسبون ويخربون البلاد فلولا ما أتاه من تبريز مما أوجب عوده لملك البلاد بغير تعب ولا مشقة لان أهلها كانوا قد هلكوا فهم بين قتيل وأسير وطريد

﴿ذكر عود جلال الدين الى تبريز وملكه مدينة كنجة ونكاحه زوجة أوزبك﴾

لما فرغ جلال الدين من هزيمة الكرج ودخل البلاد وبث فيها عساكره أمرهم بالمقام بها مع أخيه غياث الدين وعاد الى تبريز وسبب عوده انه كان قد خلف وزيره شرف الملك في تبريز ليحفظ البلد وينظر في مصالح الرعية فبلغه عن رئيس تبريز وشمس الدين الطغرائي وهو المقدم على كل من في البلد وعن غيرهما من المقدمين انهم قد اجتمعوا وتحالفوا على الامتناع على جلال الدين واعادة البلد الى اوزبك وقالوا ان جلال الدين قد قصد بلاد الكرج فلا يقدر على المقام و يجتمع اوزبك والكرج ويقصدونه فينحل نظام امره وتتم عليه الهزيمة فبنوا امرهم على ان جلال الدين يسير الموبني الى بلاد الكرج و يتربث في الطريق احتياطا منهم فلما اتفقوا على ذلك اتى الخبر الى الوزير فارسل الى جلال الدين يعرفه الحال فاتاه الخبر وقد قارب بلاد الكرج فلم يظهر من ذلك شيئا وسار نحو الكرج فلقيهم وهزمهم فلما فرغ منهم قال لامراء عسكره انى قد بلغنى من الخبر كذا وكذا فنقيم ونحن في البلاد على ما انتم عليه من قتل من ظفرتم به وتخريب ما امكنكم من بلادهم فانى خفت ان اعرفكم قبل هزيمة الكرج لئلا يلحقكم وهن وخوف فاقاموا على حالهم وعاد هو الى تبريز وقبض على الرئيس والطغرائي وغيرهما فاما الرئيس فامران يطاف به على اهل البلد وكل من له عليه مظلمة فليأخذها منه وكان ظالما ففرح الناس بذلك ثم قتله واما الباقون فحبسوا فلما فرغ منهم

ايضا ابراهيم افندى من اسلامبول وهو ديوان افندى الباشا فتقلد في نظر الاطيان والرزق والالتزام عوضا عن محمود بك

﴿واستهل شهر جمادى الاولى سنة ١٢٣٤﴾

(في سابعه يوم الخميس) ضربت مدافع كثيرة وقت الشروق بسبب ورود نجابة من الديار الحجازية بنبأ قتل خليل باشا على عن الحجاز (وفيه) وصلت الاخبار ايضا عن عبد الله بن مسعود انه لما وصل الى اسلامبول طافوا به البلدة وقتلوه عند باب همايون وقتلوا اتباعه ايضا في نواح متفرقة فذهبوا مع الشهداء (وفيه) اشيع وصول قبجى كبير من طرف الدولة بخالله قهوجى باشا الى الاسكندرية وورد الامر بالاستعداد لحضوره مع الباشا فطلعوا بالمطابخ الى ناحية شبرا وطلبت الخيول من الربيع واستمر خروج العساكر ودخولهم وكذلك طبخ الاطعمة وفي كل يوم يشيعون الورود فلما بات احدهم ذكروا ان ذلك القابجى حين قرب من الاسكندرية ردته الريح الى رودس واستمر هذا الريح الى آخر الشهر (وفيه) قوى الاهتمام بامر حفر الترعة المتقدم ذكرها وجمعت الرجال والفلاحون من الاقاليم واستقام

واستقام له امر البلاد فتزوج زوجة اوزبك ابنة السلطان طغرل وانما صح له نكاحها لانه ثبت عن اوزبك انه حلف بطلاقها انه لا يقتل مملوكا له اسمه ٣ ثم قتله فلما وقع الطلاق بهذا اليمين نكحها جلال الدين واقام بتبريز مدة وسير منها جيشا الى مدينة كنجة فملكوها وفارقها اوزبك الى قلعة كنجة فتحصن فيها فبلغنى ان عساكر جلال الدين تعرضوا الى اعمال هذه القلعة بالنهب والاخذ فارسل اوزبك الى جلال الدين يشكو ويقول كنت لا ارضى بهذه الحال لبعض اصحابى فانا اسال ان تكف الايدى المتطرقة الى هذه الاعمال عنها فارسل جلال الدين اليها من يحميها من التعرض لها من اصحابه وغيرهم

(ذكر وفاة الخليفة الناصر لدين الله)

فى هذه السنة آخر ليلة من شهر رمضان توفى الخليفة الناصر لدين الله ابو العباس احمد بن المستضىء بامر الله ابى محمد الحسن بن المستنجد بالله ابى المظفر يوسف بن المقتفى لامر الله ابى العباس محمد بن المقتدى بامر الله ابى القاسم عبد الله بن الذخيرة محمد بن القائم بامر الله ابى جعفر عبد الله بن القادر بالله ابى العباس احمد بن اسحق بن المقتدر بالله ابى الفضل جعفر بن المعتضد بالله ابى العباس احمد بن الموفق ابى احمد محمد بن جعفر المتوكل على الله ولم يكن الموفق خليفة وانما كان ولى عهد اخيه المعتمد على الله فمات قبل المعتمد فصار ولده المعتضد بالله ولى عهد المعتمد على الله وكان المتوكل على الله ابن المعتصم بالله ابى اسحق محمد بن هرون الرشيد بن محمد المهدى بن ابى جعفر عبد الله المنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنهم

نسب كان عليه من شمس الضحى * نورا ومن فلق الصباح عمودا

فكان فى آبائه أربعة عشر خليفة وهم كل من له لقب والباقون غير خلفاء وكان فيهم من ولى العهد محمد بن القائم والموفق بن المتوكل وأما باقى الخلفاء من بنى العباس فلم يكونوا من آبائه فكان السفاح ابو العباس عبد الله اخا المنصور ولى قبله وكان موسى اخا الرشيد ولى قبله وكان محمد الامين وعبد الله المامون ابنا الرشيد اخوى المعتصم وليا قبله وكان محمد المنتصر بن المتوكل ولى بعده ثم ولى بعد المنتصر بالله المستعين بالله ابو العباس أحمد بن محمد بن المعتصم وولى بعد المستعين المعتز بالله محمد وقيل طلحة وهو ابن المتوكل وولى بعد المعتز المهتدى بالله محمد بن الواثق ثم ولى بعده المعتمد على الله احمد ابن المتوكل فالمنتصر والمعتز والمعتمد اخوة الموفق والمهتدى ابن عمه والموفق من اجداد الناصر لدين الله ثم ولى المعتضد بعد المعتمد وولى بعد المعتضد ابنه ابو محمد على المكتفى بالله وهو اخو المقتدر بالله وولى بعد المقتدر اخوه القاهر بالله ابو منصور محمد ابن المعتضد وولى بعد القاهر الراضى بالله ابو العباس محمد بن المقتدر ثم ولى بعده المتقى لله ابو اسحق ابراهيم بن المقتدر ثم ولى بعده المستكفى بالله ابو القاسم عبد الله بن المكتفى بالله على بن المعتضد ثم ولى بعده المطيع لله أبو بكر عبد الكريم فالقاهر اخو المقتدر والراضى والمتقى والمطيع بنوه والمستكفى ابن اخيه المكتفى ثم ولى الطائع لله بن

من ذلك الاقليم فمن اتم عمله المعدود انتقل الى مساعدة الآخرين وظهر فى حفر بعض الاماكن منها صورة اماكن ومساكن وقيعان وحمام بعقوده واحواضه ومغاطسه ووجد ظروف بداخلها فلوس نحاس كفرية قديمة واخرى لم تفتح لا يعلم مافيها رفعوها للباشا مع ثلاث (وفى يوم الاربعاء سابع عشرينه) حضر الباشا الى شبرا ووصل فى اثره طوبجى باشا وعملوا له موكبا فى صبيحة يوم الخميس وطلعوا الى القلعة ومع الاغا المذكور ما احضره برسم الباشا وولده ابراهيم باشا الذى بالحجاز وهو خلعتان سمور لكل واحد خلعة وخنجر بجوهر لكل واحد وشلنجان بجوهران وساعة جوهر وغير ذلك وقرئ الفرمان بحضرة الجمع وفيه الثناء الكثير على الباشا والعفو عمن بقى من الوهابية وبعد القراءة ضربت مدافع كثيرة وكذلك عند ورودهم واستمر ضرب المدافع ثلاثة ايام فى جميع الاوقات الخمس ونزل القابجى المذكور بيت طاهر باشا بالازبكية وحضر ايضا صحبته اطواخ لكل من عباس بك ابن طوسون باشا ابن الباشا ومحمد بك ابن طاهر باشا وفى ضمن الفرمان الاذن

٢٦ يخ مل ١٢ للباشا بتولية امريات وقبجيات لمن يختار (وفى صبحه يوم الجمعة) حضر الباشا على اربعة

(٣ كذا بياض بالاصل)

المقتدر ثم ولي بعده الطائع القادر بالله وهو من اجداد الناصر لدين الله ثم ولي بعده المستظهر بالله ثم ولي بعده ابنه المسترشد بالله ابو منصور وولي بعد المسترشد بالله ابنه الراشد ابو جعفر فالمسترشد اخو المقتفي والراشد ابن اخيه فجميع من ولي الخلافة ممن ليس في سياق نسب الناصر تسعة عشر خليفة وكانت ام الناصر ام ولد تركية اسمها زمرد وكانت خلافته ستا واربعين سنة وعشرة اشهر وثمانية وعشرين يوما وكان عمره نحو سبعين سنة تقريبا فلم يل الخلافة اطول مدة منه الا ما قيل عن المستنصر بالله العلوي صاحب مصر فانه ولي ستين سنة ولا اعتبار به فانه ولي وله سبع سنين فلا تصح ولايته وبقي الناصر لدين الله ثلاث سنين عاطلا عن الحركة بالكلية وقد ذهبت احدى عينيه والاخرى يبصر بها ابصارا ضعيفا وفي آخر الامر اصابه دوسنطاريا عشرين يوما ومات ووزر له عدة وزراء وقد تقدم ذكرهم ولم يطلق في طول مرضه شيئا كان احدثه من الرسوم الجائرة وكان قبيح السيرة في رعيته ظالما فخرب في ايامه العراق وتفرق اهله في البلاد واخذ املاكهم واموالهم وكان يفعل الشيء وضده فمن ذلك انه عمل دور الضيافة ببغداد ليفطر الناس عليها في رمضان فبقيت مدة ثم قطع ذلك ثم عمل دور الضيافة للحجاج فبقيت مدة ثم ابطلها واطلق بعض المكوس التي جددها ببغداد خاصة ثم اعادها وجعل جل همه في رمي البندق والطيور المناسيب وسراويلات الفتوة فبطل الفتوة في البلاد جميعها الا من يلبس منه سراويل يدعي اليه ولبس كثير من الملوك منه سراويلات الفتوة وكذلك ايضا منع الطيور المناسيب لغيره الا ما يؤخذ من طيوره ومنع الرمي بالبندق الا من ينتمي اليه فاجابه الناس بالعراق وغيره الى ذلك الا انسانا واحدا يقال له ابن السفت من بغداد فانه هرب من العراق ولحق بالشام فارسل اليه يرغبه في المال الجزيل ليرمي عنه وينسب في الرمي اليه فلم يفعل فبلغني ان بعض اصدقائه انكر عليه الامتناع من اخذ المال فقال يكفيني فخرا انه ليس في الدنيا احد الا يرمي للخليفة الا انا فكان غرام الخليفة بهذه الاشياء من اعجب الامور وكان سبب ما ينسبه العجم اليه صحيحا من انه هو الذي اطمع التتر في البلاد وراسلهم في ذلك فهو الطامة الكبرى التي يصغر عندها كل ذنب عظيم

(ذكر خلافة الظاهر بامر الله)

قد ذكرنا سنة خمس وثمانين وخمسمائة الخطبة للامير ابي نصر محمد ابن الخليفة الناصر لدين الله بولاية العهد في العراق وغيره من البلاد ثم بعد ذلك خلعه الخليفة من ولاية العهد وارسل الى البلاد في قطع الخطبة له وانما فعل ذلك لانه كان يميل الى ولده الصغير علي فاتفق ان الولد الصغير توفي سنة اثنتي عشرة وستمائة ولم يكن للخليفة ولد غير ولي العهد فاضطر الى اعادته الا انه تحت الاحتياط والحجر لا يتصرف في شيء فلما توفي ابوه ولي الخلافة واحضر الناس لاخذ البيعة وتلقب بالظاهر بامر الله وعنى ان اباه وجميع اصحابه ارادوا صرف الامر عنه فظهر وولي الخلافة بامر الله لا بسعي من احد ولما ولي الخلافة اظهر من العدل والاحسان ما اعاد به سنة العمرين فلو قيل انه لم يل الخلافة

بعد

اوشيفتى امراته بتبيات باشا وهم على بك السلانكلى ويحيى باشا وحسن اغا الوجاقلى كذلك وخليل افندى خاكم رشيد وشريف بك

(واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٣٤)

(فيه) حضر محمد بك الدفتردار من الجهة القبلية فاقام اياما وعاد الى قبلي وفي اواخره رجع الكثير من فلاحي الاقاليم الى بلادهم من الاشرفية وهم الذين اعوا والزمهم من العمل والمحروقات الكثيرين من الفلاحين من البرد ومقاساة التعب (وفي هذا الشهر) حصل بعض موت بالطاعون فداخل الناس وهم بسبب ما حدث في اكابر الدولة والنصارى من التعب وعمل الكورنتينات وهي التباعد من الملامسة وتبخير الاوراق والمجالس ونحو ذلك

(واستهل شهر رجب بيوم الاثنين سنة ١٢٣٤)

(في خامسه) مات عبود النصراني كاتب الخزينة وكان متهورا في السيرة في صناعته وعنده مشاركة ودعوى عريضة ودعوى علم ويتكلم بالمناسبات والآيات القرآنية ويضمن انشاءه آيات ومراسلاته آيات واحاديث ومسجعات واتخذ دار القيسرلي بدرب الجنينة وما حولها وانشاها دارا عظيمة وزخرفها وجعل بها بستانا ومجالس مفروشة بالرخام الملون وفساقي وشاذروانات وزجاج بلور وكل ذلك على طرف الميري

وله مرتب واسع وكان الباشا يحبه و يثق به و يقول لولا الامة لقلدته الدفتردارية (وفي سابعه) حضر الى مصر حاكم يافا المعروف بمحمد بك ابو نبوت معزولا عن ولايته فارسل الى الباشا يستأذنه في الحضور الى مصر فاطلق له الاذن فحضر فانزله بقصر العيني وصحبته نحو الخمسمائة مملوك واجناد واتباع واجتمع بالباشا واجله وسلم عليه واقام معه حصة من الليل ورتب له مرتبا عظيما وعين له ما يقوم بكفايته وكفاية اتباعه فمن جملة ما رتب له ثلاثة آلاف تذكرة كل تذكرة بالفين وستمائة نصف فضة في كل شهر وذلك خلاف المعين واللوازم من السمن والخبز والسكر والعسل والحطب والارز والفحم والشمع والصابون فمن الارز خاصة في كل يوم اردبان والعليق خمسة وعشرون اردبا في كل يوم (وفي يوم السبت ثالث عشره) سافر قهوجي باشا عائدا الى اسلامبول واحتفل به الباشا احتفالا زائدا وقدم له وخدومه وارباب الدولة من الاموال والهدايا والخيول والبن والارز والسكر والشربات وتعالى الاقمشة الهندية وغيرها شيئا كثيرا وكذلك قدم لدا كابر الدولة هدايا كثيرة ولانه لما حضر الى مصر قدم لهم هدايا فقابلوه باضعافها وعند ما سافر احتجب الباشا وامر كل من كان يلازم ديوانه بالانصراف والتحجب فتبكرت منهم من تكرر في داره ومنهم في القصور

بعد عمر بن عبد العزيز مثله لكان القائل صادقا فانه اعاد من الاموال المغصوبة في ايام ابيه وقبله شيئا كثيرا واطلق المكوس في البلاد جميعها وامر باعادة الخراج القديم في جميع العراق وان يسقط جميع ما جدده ابوه وكان كثيرا لا يحصى فمن ذلك ان قرية بعقوبا كان يحصل منها قديما نحو عشرة آلاف دينار فلما تولى الناصر لدين الله كان يؤخذ منها كل سنة ثمانون الف دينار فحضر اهلها واستغاثوا وذكروا ان املاكهم اخذت حتى صار يحصل منها هذا المبلغ فامر ان يؤخذ الخراج الاول وهو عشرة آلاف دينار فقيل له ان هذا المبلغ يصل الى المخزن فمن اين يكون العوض فاقام لهم العوض من جهات اخرى فاذا كان المطلق من جهة واحدة سبعين الف دينار فما الظن بباقي البلاد ومن افعاله الجميلة انه امر باخذ الخراج الاول من باقي البلاد جميعها فحضر كثير من اهل العراق وذكروا ان الاملاك التي كان يؤخذ منها الخراج قديما قد يبس اكثر اشجارها وخربت ومتى طولبوا بالخراج الاول لا يفي دخل الباقي بالخراج فامر ان لا يؤخذ الخراج الا من كل شجرة سليمة واما الذاهب فلا يؤخذ منه شيء وهذا عظيم جدا ومن ذلك ايضا ان المخزن كان له صنجة الذهب تزيد على صنجة البلد نصف قيراط يقبضون بها المال ويعطون بالصنجة التي للبلد يتعامل بها الناس فسمع بذلك فخرج خطه الى الوزير واوله ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم قد بلغنا ان الامر كذا وكذا فتعاد صنجة المخزن الى الصنجة التي يتعامل بها المسلمون واليهود والنصارى فكتب بعض النواب اليه يقول ان هذا مبلغ كثير وقد حسبناه فكان في السنة الماضية خمسة وثلاثين الف دينار فاعاد الجواب ينكر على القائل ويقول لو انه ثلثمائة الف وخمسون الف دينار يطلق وكذلك ايضا فعل في اطلاق زيادة الصنجة التي للديوان وهي في كل دينار حبة وتقدم الى القاضي ان كل من عرض عليه كتابا صحيحا بملك يعيده اليه من غير اذن واقام رجلا صالحا في ولاية الحشري وبيت المال وكان الرجل حنبليا فقال انني من مذهبي ان اورث ذوي الارحام فان اذن امير المؤمنين ان افعل ذلك وليت والا فلا فقال له اعط كل ذي حق حقه واتق الله ولا تتق سواه ومنها ان العادة كانت ببغداد ان الحارس بكل درب يبكر ويكتب مطالعة الى الخليفة بما تجدد في دربه من اجتماع بعض الاصدقاء ببعض على تنزه او سماع او غير ذلك ويكتب ما سوى ذلك من صغير وكبير فكان الناس من هذا في حجر عظيم فلما ولي هذا الخليفة جزاه الله خيرا اتته المطالعات على العادة فامر بقطعها وقال اي غرض لنا في معرفة احوال الناس في بيوتهم فلا يكتب احد الينا الا ما يتعلق بمصالح دولتنا فقيل له ان العامة تفسد بذلك ويعظم شرها فقال نحن ندعو الله في ان يصلحهم ومنها انه لما ولي الخلافة وصل صاحب الديوان من واسط وكان قد سار اليها ايام الناصر لتحصيل الاموال فاصعد ومعه من المال ما يزيد على مائة الف دينار وكتب مطالعة تتضمن ذكر ما معه ويستخرج الامر في جهته فاعاد الجواب بان يعاد الى اربابه فلا حاجة

لنا اليه فاعيد عليهم ومنها انه أخرج كل من كان في السجون وأمر باعادة ما أخذ منهم وأرسل الى القاضي عشرة آلاف دينار ليعطيها عن كل من هو محبوس في حبس الشرع وليس له مال ومن حسن نيته للناس ان الاسعار في الموصل وديار الجزيرة كانت غالية فرخصت الاسعار وأطلق حمل الاطعمة اليها وان يبيع كل من أراد البيع الغلة فحمل منها الكثير الذي لا يحصى فقيل له ان السعر قد غلا شيئا والمصلحة منع حمله فقال اولئك مسلمون وهؤلاء مسلمون وكما يجب علينا النظر في أمر هؤلاء كذلك يجب علينا النظر لأولئك وأمر ان يباع من الاهراء التي له طعام ارخص مما يبيع غيره ففعلوا ذلك فرخصت الاسعار عندهم ايضا اكثر مما كانت اولا وكان السعر في الموصل لما ولي كل مكوكين بدينار وثلثي قيراط فصار كل اربعة مكاكيك بدينار في أيام قليلة وكذلك باقي الاشياء من التمر والدبس والارز والسمسم وغيرها فالله تعالى يؤيده وينصره ويبقيه فانه غريب في هذا الزمان الفاسد ولقد سمعت عنه كلمة أعجبتني جدا وهي انه قيل له في الذي يخرجه ويطلقه من الاموال التي لا تسمح نفس ببعضها فقال لهم انا فتحت الدكان بعد العصر فاتركوني افعل الخير فكم أعيش وتصدق ليلة عيد الفطر من هذه السنة وفرق في العلماء واهل الدين مائة ألف دينار

(ذكر ملك بدر الدين قلعتي العمادية وهرور)

في هذه السنة ملك بدر الدين قلعة العمادية من اعمال الموصل وقد تقدم ذكر عصيان اهلها عليه سنة خمس عشرة وستمائة وتسليمها الى عماد الدين زنكي ثم عودهم الى طاعة بدر الدين وخلافهم على عماد الدين فلما عادوا الى بدر الدين أحسن اليهم وأعطاهم الاقطاع الكثير وملكهم القرى ووصلهم بالاموال الجزيلة والخلع السنية فبقوا كذلك مدة يسيرة ثم شرعوا يراسلون عماد الدين زنكي ومظفر الدين صاحب اربل وشهاب الدين غازي بن العادل لما كان بخلاط ويعدون كلا منهم بالانحياز اليه والطاعة له وأظهروا من المخالفة لبدر الدين ما كانوا يبطنونه فكانوا لا يمكنون ان يقيم عندهم من اصحاب بدر الدين الا من يريدونه ويمنعون من كرهوه فطال الامر وهو يحتمل فعلهم ويداريهم وهم لا يزدادون الا طمعا وخروجا من الطاعة وكانوا جماعة فاختلفوا فقوي بعضهم وهم اولاد خواجه ابراهيم وأخوه ومن معهم على الباقين فأخرجوهم من القلعة وغلبوا عليها واصروا على ما كانوا عليه من النفاق فلما كان هذه السنة سار بدر الدين اليهم في عساكره فأتاهم بغتة فحصرهم وضيق عليهم وقطع الميرة عنهم وأقام بنفسه عليهم وجعل قطعة من الجيش على قلعة هرور يحصرونها وهي من امنع الحصون وأحصنها لا يوجد مثلها وكان اهلها ايضا قد سلكوا طريق اهل العمادية من عصيان وطاعة ومخادعة فأتاهم العسكر وحصروهم وهم في قلة من الذخيرة فحصروها اياما ففني ما في القلعة فاضطر اهلها الى التسليم فسلموها ونزلوا منها وعاد العسكر الى العمادية فاقاموا عليها مع بدر الدين فبقي بدر الدين بعد اخذ هرور يسيرا وعاد الى الموصل وترك العسكر بحاله مقيما عليهم مع نائبه امين الدين لؤلؤ فبقي الحصار

وسافر معه قهوجي باشا سليمان آغا السلحدار وشربتشي باشا وآخرون لتشييعه الى الاسكندرية (وفي يوم الخميس ثامن عشره) حضر بواقي الوهابية بحريمهم واولادهم وهم نحو الاربعمائة نفس واسكنوا بالقشلة التي بالازبكية وابن عبد الله بن مسعود بدار عند جامع مسكة هو وخواصه من غير حرج عليهم وطفقوا يذهبون ويجيئون ويترددون على المشايخ وغيرهم ويمشون في الاسواق ويشترون البضائع والاحتياجات

(واستهل شهر شعبان سنة ١٢٣٤)

(وفيه) وصل جماعة هجانة من جهة الحجاز وصحبتهم ابن حمود أميرين الحجاز وذلك انه لما مات أبوه تأمر عوضه وأظهر الطاعة وعدم المخالفة للدولة فلما توجه خليل باشا الى اليمن أخلى له البلاد واعتزل في حصن له ولم يخرج لدفعه ومحاربته كما فعل أبوه وترددت بينهما المراسلات والمخادعات حتى نزل من حصنه وحضر عند خليل باشا فقبض عليه وأرسله مع الهجانة الى مصر (وفيه) صرفوا الفلاحين من العمل في الترعة لأجل حصاد الزرع ووجهوا عليهم طلب المال

(واستهل شهر رمضان سنة ١٢٣٤)

والباشا كرتن بشبرا ولم يطلع الى القلعة كعادته في شهر رمضان (وفي ثامن عشرينه) طلع الى القلعة وعيد بها *(واستهل شهر شوال بيوم الجمعة سنة ١٢٣٤)*

الى أول ذى القعدة فارسلوا يذعنون بالطاعة ويطلبون العوض عنها الدماء وحملوا فاستقرت القواعد على العوض من قلعة يحتمون فيها و اقطاع ومال وغير ذلك فاجابهم بدر الدين الى ما طلبوا وحضر نوابهم ليحلفوا بدر الدين فبينما هو يريد ان يحلف لهم وقد احضر من يشهد اليمين اذ قد وصل طائر من العمادية وعلى جناحه رقعة من امين الدين لؤلؤ يخبرانه قد ملك العمادية قهرا وعنوة واسر بني خواجه الذين كانوا تغلبوا عليه فامتنع بدر الدين من اليمين واما سبب غلبة امين الدين عليها فانه كان قد ولاه بدر الدين عليها لما عاد اهلها الى طاعته فبقي فيها مدة فاحسن اليهم واحسن السيرة فيهم واستمال جماعة منهم ليتقوى بهم على الحزب الذين عصوا اولا فمن الخبر اليهم فاساؤا مجاورته واستقالوا من ولاية الآمن ولا ينتهى اليهم ففارقهم الى الموصل وكان اولئك الذين استمالهم يكاتبونه ويراسلونه فلما حصرهم كانوا ايضا يكاتبونه في النشاب يخبرونه بكل ما يفعله اولاد خواجه من انفاذ رسول وغير ذلك وعاهدهم من الذخائر الا انهم لم يكونوا في الكثرة الى انهم يقهرون اولئك فلما كان الآن واستقرت القواعد من التسليم لم يذكر اولاد خواجه احدا من جندا لقلعة في نسخة اليمين بمال ولا غيره من أمان واقطاع فسخطوا هذه الحال وقالوا لهم قد حلفتم لانفسكم بالحصون والقرى والمال ونحن قد خربت بيوتنا لاجلكم فلم تذكرونا فاهانوهم ولم يلتفتوا اليهم فحضر عند امين الدين رجلان منهم ليلا وطلبوا منه ان يرسل اليهم جمعا يصعدونهم الى القلعة ويثبون باولئك ويأخذونهم فامتنع وقال اخاف ان لا يتم هذا الامر ويفسد علينا كل ما فعلناه فقالوا نحن نقبض عليهم غدا بكرة وتكونون انتم والعسكر على ظهر فاذا سمعتم النداء باسم بدر الدين وشعاره تصعدون الينا فاجابهم الى ذلك وركب بكرة هو والعسكر على العادة واما أولئك فانهم اجتمعوا وقبضوا على اولاد خواجه ومن معهم ونادوا بشعار بدر الدين فبينما العسكر قيام اذا الصوت من القلعة باسم بدر الدين فصعدوا اليها وملكوها وتسلم امين الدين اولاد خواجه فحبسهم وكتب الرقعة على جناح الطائر بالحال وملكوا القلعة صفوا عفوا بغير عوض وكان يريد ان يغرم مالا جليلا واقطاعا كثيرة وحصونا منيعا فتوفر الجميع عليه واخذ منهم كل ما احتقب وما ادخروه واذا اراد الله أمرا فلا مرد له

●(ذكر عدة حوادث)●

في هذه السنة ليلة الاحد والعشرين من صفر زلزلت الارض بالموصل وديار الجزيرة والعراق وغيرها زلزلة متوسطة وفيها اشتد الغلاء بالموصل وديار الجزيرة جميعها فاكل الناس الميتة والكلاب والسنانير فقل الكلاب والسنانير بعد ان كانت كثيرا ولقد دخلت يوما لى دارى فرأيت الجوارى يقطعن اللحم ليطبخوه فرأيت سنانير استكثرتها فعددتها فكانت اثنى عشر سنورا ورأيت اللحم في هذا الغلاء في الدار وليس عنده من يحفظه من السنانير لعدمها وليس بين المرتين كثير وغلا مع الطعام كل شئ فبيع الرطل الشيرج بقيراطين بعد ان كان بنصف قيراط قبل الغلاء وأما قبل ذلك فكان كل

(في رابع عشره) الموافق لآخر يوم من شهر أبيب نودي بوفاء النيل وكان الباشا سافر الى جهة الاسكندرية بسبب ترعة الاشرفية وأمر حكام الجهات بالارياف بجمع الفلاحين للعمل فاخذوا في جمعهم فكانوا يربطونهم قطارات بالحبال وينزلون بهم المراكب وتعطلوا عن زرع الدراوى الذي هو قوتهم وقاسوا شدة بعد رجوعهم من المرة الاولى بعد ما قاسوا ماقاسوه ومات الكثير منهم من البرد والتعب وكل من سقط اهالوا عليه من تراب الحفر ولو فيه الروح ولما رجعوا الى بلادهم للحصيدة طولبوا بالمال وزيد عليهم عن كل فدان حمل بعير من التبن وكيلة قمح وكيلة فول واخذ ما يبيعونه من الغلة بالثمن الدون والكيل الوافر فما هم الا والطلب للعود الى الشغل في الترعة ونزح المياه التي لا ينقطع نبعها من الارض وهي في غاية الملوحة والمرة الاولى كانت في شدة البرد وهذه المرة في شدة الحر وقلة المياه العذبة فينقلونها بالروايا على الجمال مع بعد المسافة وتأخر رى الاسكندرية (وفي سابع عشرينه) ارتحل ركب الحاج من البركة واميرالحاج عابدين بك اخو حسن باشا

●(واستهل شهر ذى القعدة سنة ١٢٣٤)●

والعمل في الترعة مستمر

●(واستهل شهر ذى الحجة سنة ١٢٣٤)● في منتصفه سافر الباشا الى الصعيد وسافر صحبته حسن

ستين رطلا بدينار ومن العجب ان الساق والجزر والسلجم بيع كل خمسة ارطال بدرهم
و بيع البنفسج كل ستة ارطال بدرهم و بيع في بعض الاوقات كل سبعة ارطال بدرهم
وهذا مالم يسمع بمثله ولقد راينا مالم نر ولا سمعنا بمثله فان الدنيا مازالت قديما وحديثا
اذ غلت الاسعار متى جاء المطر رخصت الا هذه السنة فان الامطار مازالت متتابعة من
اول الشتاء الى آخر الربيع وكلما جاء المطر غلت الاسعار وهذا مالم يسمع بمثله فبلغت
الحنطة مكوك وثلث بدينار وقيراط يكون وزنه خمسة واربعين رطلا دقيقا
بالبغدادي وكان الملح مكوك بدرهم فصار المكوك بعشرة دراهم وكان الارز مكوك
باثني عشر درهما فصار المكوك بخمسين درهما وكان التمر كل اربعة ارطال وخمسة
ارطال بقيراط فصار كل رطلين بقيراط ومن عجيب مايحكى ان السكر النادر الاسمر كان
كل رطل بدرهم وكان السكر الابلوج المصري النقي كل رطل بدرهمين فصار السكر
الاسمر كل رطل بثلاثة دراهم ونصف والسكر الابلوج كل رطل بثلاثة دراهم وربع
وسببه ان الامراض لما كثرت واشتد الوباء قال الناس هذه الامراض باردة والسكر
الاسمر حار فينفع منها والابلوج بارد يقويها وتبعهم الاطباء استمالة لقلوبهم وجهلهم
فغلا الاسمر بهذا السبب وهذا من الجهل المفرط ومازالت الاشياء هكذا الى اول
الصيف واشتد الوباء وكثر الموت والمرض في الناس فكان يحمل على النعش الواحد
عدة من الموتى فممن مات فيه شيخنا عبد الحسن بن عبد الله الخطيب الطوسي خطيب
الموصل وكان من صالحي المسلمين وعمره ثلاث وثمانون سنة وشهور وفيها انخسف
القمر ليلة الثلاثاء خامس عشر صفر وفيها هرب امير حاج العراق وهو حسام الدين ابو
فراس الحلي الكردي الورامي وهو ابن اخي الشيخ ورام كان عمه من صالحي المسلمين
وخيارهم من اهل الحلة السيفية فارق الحاج بين مكة والمدينة وسار الى مصر حكى لي
بعض اصدقائه انه انما حمله على الهرب كثرة الخرج في الطريق وقلة المعونة من
الخليفة ولما فارق الحاج خافوا خوفا شديدا من العرب فامن الله خوفهم ولم يرعهم
ذاعر في جميع الطريق ووصلوا آمنين الا ان كثيرا من الجمال هلك اصابها غدة
عظيمة لم يسلم الا القليل وفيها في آب جاء مطر شديد ورعد وبرق ودام حتى جرت
الاودية وامتلأت الطرق بالوحل ثم جاء الخبر من العراق والشام والجزيرة وديار بكر
انه كان عندهم مثله ولم يصل الينا احد الا واخبر ان المطر كان عندهم في ذلك التاريخ
وفيها كان في الشتاء ثلج كثير ونزلت بالعراق فسمعت انه نزل في جميع العراق حتى في
البصرة اما الى واسط فلا شك فيه واما البصرة فان الخبر لم يكثر عندنا بنزوله فيها وفيها
خربت قلعة الزعفران من اعمال الموصل وهي حصن مشهور يعرف قديما بدير
الزعفران وهو على جبل عال قريب من فرشابور وفيها ايضا خربت القلعة الجديدة من
بلد الهكارية من اعمال الموصل ايضا واضيف عملها وقراها الى العمادية وفيها في
ذي الحجة سار جلال الدين بن خوارزمشاه من تبريز الى بلد الكرج قاصدا الاخذ بلادهم
والانتقام منهم وخرجت السنة ولم يبلغنا انه فعل بهم شيئا ونحن نذكر ما فعله بهم سنة

باغا طاهر ومحمد اغا لاظ المنفصل عن الكتخدائية وحسن اغا ازرجانلي وغيرهم من اعيان الدولة (وفيه) وصل
الخبر بموت سليمان باشا حاكم
عكا وهو من مماليك احمد
باشا الجزار (وفي اواخره) وصل
ابن ابراهيم باشا وصحبته
حريم ابيه فضربوا لوصولهم
مدافع وعملوا الصغير موكبا
ودخل من باب النصر وشق
من وسط المدينة (وانقضت)
السنة وما تجدد بها من الحوادث
التي منها زيادة النيل الزيادة
المفرطة اكثر من العام
الماضي وهذا من النوادر
وهو الغرق في عامين متتابعين
واستمر ايضا في هذه السنة
الى منتصف هاتور حتى فات
اوان الزراعة وربما انقص
قليلا ثم يرجع في ثاني يوم
اكثر ما نقص

(ودخلت سنة خمس وثلاثين
ومائتين والف)

فكان اول المحرم بالهلال يوم
الخميس وفيه وما قبله بايام
حصل بالارياف بل و بداخل
المدينة انزعاجات بسبب تواتر
سرقات واشاعة سروح مناسر
وحراميه وعمر الناس ابواب
الدور والدروب وحصل منع
الناس من السير والمشي بالازقة
من بعد الغروب وصار
كتخدا بك واغات التبديل
والوالي يطوفون ليلا بالمدينة
وكل من صادفوه قبضوا عليه
وحبسوه ولو كان مما لا شبهة
فيه واستمر هذا الحال الى آخر الشهر (وفي سابع عشرينه) حضر الباشا من الصعيد بعد ان

ثلاث

ثلاث وعشرين وستمائة ان شاء الله وفيها ثالث شباط سقط ببغداد ثلج وبرد الماء بردا شديدا وقوى البرد حتى مات به جماعة من الفقراء وفيها في ربيع الاول زادت دجلة زيادة عظيمة واشتغل الناس باصلاح سكر القورج وخافوا فبلغت الزيادة قريبا من الزيادة الاولة ثم نقص الماء واستبشر الناس

(ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وستمائة)

(ذكر ملك جلال الدين تفليس)

في هذه السنة ثامن ربيع الاول فتح جلال الدين بن خوارزمشاه مدينة تفليس من الكرج وسبب ذلك انا قد ذكرنا سنة اثنتين وعشرين وستمائة الحرب بينه وبينهم وانهزامهم منه وعوده الى تبريز بسبب الخلف الواقع فيها فلما استقر الامر في اذربيجان عاد الى بلد الكرج في ذي الحجة من السنة وخرجت سنة اثنتين وعشرين وستمائة ودخلت هذه السنة فقصد بلادهم وقد عادوا وحشدوا وجمعوا من الامم المجاورة لهم اللان واللكز وقفجاق وغيرهم فاجتمعوا في جمع كثير لا يحصى فطمعوا بذلك ومنتهم انفسهم الاباطيل ووعدهم الشيطان الظفر وما يعدهم الشيطان الا غرورا فلقيهم وجعل لهم الكمين في عدة مواضع والتقوا واقتتلوا وولى الكرج منهزمين لا يلوى الاخ على اخيه ولا الوالد على ولده وكل منهم قد اهمته نفسه واخذتهم سيوف المسلمين من كل جانب فلم ينج منهم الا اليسير الشاذ الذي لا يعبأ به وأمر جلال الدين عسكره ان لا يبقوا على احد وان يقتلوا من وجدوا فتبعوا المنهزمين يقتلونهم واشار عليه اصحابه بقصد تفليس دار ملكهم فقال لا حاجة لنا الى ان نقتل رجالنا تحت الاسوار انما اذا افنيت الكرج اخذت البلاد صفوا عفوا ولم تزل العساكر تتبعهم وتستقصي في طلبهم الى ان كادوا يفنونهم فحينئذ قصد تفليس ونزل بالقرب منها وسار في بعض الايام في طائفة من العسكر وقصدها لينظر اليها ويبصر مواضع النزول عليها وكيفية قتالها فلما قاربها كمن اكثر العسكر الذي معه في عدة مواضع ثم تقدم اليها في نحو ثلاثة آلاف فارس فلما رآه من بها من الكرج طمعوا فيه لقلة من معه ولم يعلموا اما معهم فظهروا اليه وقاتلوه فتاخر عنهم فقوى طمعهم فظنوه منهزما فتبعوه فلما توسطوا العساكر خرجوا عليهم ووضعوا السيف فيهم فقتل اكثرهم وانهزم الباقون الى المدينة فدخلوها وتبعهم المسلمون فلما وصلوا اليها نادى المسلمون من اهلها بشعار الاسلام وباسم جلال الدين فالقى الكرج بايديهم واستسلموا الا انهم كانوا قد قتل رجالهم في الوقعات المذكورة فقل عددهم وملئت قلوبهم خوفا ورعبا فملك المسلمون البلد عنوة وقهرا بغير امان وقتل كل من فيه من الكرج ولم يبق على كبير ولا صغير الا من اذعن بالاسلام واقر بكلمتي الشهادة فانهم ابقى عليهم وامرهم فختنوا وتركهم ونهب المسلمون الاموال وسبوا النساء واسترقوا الاولاد ووصل الى المسلمين الذين بها بعض الاذى من قتل ونهب وغيره وهذه تفليس من احصن البلاد وامنعها وهي على جانبي نهر الكر وهو نهر

وصل في سرحته الى الشلال وكان الناس تقولوا على ذهابه الى قبلي اقاويل منها انه يريد التعريد على بواقي المصريين المنقطعين بدنقلة فانهم استفحل امرهم واستكثروا من شراء العبيد وصنعوا البارود والمدافع وغير ذلك ومنها انه يريد التعريد ايضا واخذ بلاد دارفور والنوبة وتمهيد طريق الوصول اليها ومنها انهم قالوا انه ظهر بتلك البلاد معدن الذهب والفضة والرصاص والزمرد وان ذهابه للكشف على ذلك وامتحانه وعمل معدله ومقدار ما يصرف عليه حتى يستخرج صافيه وبطل كل ما توهموه وخمنوه برجوعه واما قولهم من هذه المعادن فالذي تلخص من ذلك انه ظهر بارض احجار خضر تشبه الزمرد وليست اياه وبمكان آخر شئ اسود محرفش مثل خرء الحديد يخرج منه بعد العلاج والتصفية رصاص قليل فقد اخبرني اخونا الشيخ عمر الناوي المعروف بالمخلصي انه اخذ منه قطعة وذهب بها الى الصائغ ودقها ووضعها في بوط كبير وساق عليها بنار السبك وانكسر البوط فنقلها الى بوط آخر ولم يزل يعالجها طول النهار واحرق عليها زيادة عن القنطار من الفحم (وفيه) حضر ايضا جماعة من الوهابية وانزلوا بدار بحارة عابدين

(واستهل شهر صفر بيوم الجمعة سنة ١٢٣٠)

وغرته سافر محمد اغا المعروف بابونبوت الشمسي الى دار السلطنة باستدعاء من الدولة وذلك انه لما حضر الى مصر

كبير ولقد جل هذا الفتح وعظم موقعه في بلاد الاسلام وعند المسلمين فان الكرج كانوا قد استطالوا عليهم وفعلوا بهم ما ارادوا فكانوا يقصدون اى بلاد اذربيجان ارادوا فلا يمنعهم عنها مانع ولا يدفعهم عنها دافع وهكذا ارزن الروم حتى ان صاحبها لبس خلعة ملك الكرج ورفع على راسه علما منه في اعلاه صليب وتنصر ولده رغبة في نكاح ملكة الكرج وخوفا منهم ليدفع الشر عنه وقد تقدمت القصة وهكذا دربند شروان وعظم امرهم الى حد ان ركن الدين بن قلج ارسلان صاحب قونية واقصرا وملطية وسائر بلاد الروم التي للمسلمين جمع عساكره وحشد معها غيرها فاستكثر وقصد ارزن الروم وهي لاخيه طغرل شاه بن قلج ارسلان فاتاه الكرج وهزموه وفعلوا به و بعسكره كل عظيم وكان اهل دربند شروان معهم في الضنك والشدة واما ارمينية فان الكرج دخلوا مدينة ارجيش وملكوا قرس وغيرها وحصروا خلاط فلولا ان الله سبحانه من على المسلمين باسر ايوانى مقدم عساكر الكرج لملكوها فاضطر اهلها الى ان بذلوا لهم ضريبة في القلعة يضرب فيها الناقوس فرحلوا عنهم وقد تقدم تفصيل هذه الجملة ولم يزل هذا الثغر من اعظم الثغور ضررا على المجاورين من الفرس قبل الاسلام وعلى المسلمين بعدهم من اول الاسلام الى الآن ولم يقدم احد عليهم هذا الاقدام ولا فعل بهم هذه الافاعيل فان الكرج ملكوا تفليس سنة خمس عشرة وخمسمائة والسلطان حينئذ محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي وهو من اعظم السلاطين منزلة واوسعهم مملكة واكثرهم عساكر فلم يقدر على منعهم عنها هذا مع سعة بلاده فانه كان له الري واعمالها وبلد الجبل واصفهان وفارس وخوزستان والعراق واذربيجان واران وارمينية وديار بكر والجزيرة والموصل والشام وغير ذلك وعمه السلطان سنجر له خراسان وما وراء النهر فكان اكثر بلاد الاسلام بايديهم ومع هذا فانه جمع عساكره سنة تسع عشرة وخمسمائة وسار اليهم بعد ان ملكوها فلم يقدر عليهم ثم ملك بعده اخوه السلطان مسعود فكذلك وملك الدكز بلد الجبل والري واذربيجان واران واطاعه صاحب خلاط وصاحب فارس وصاحب خوزستان وجمع وحشد لهم وكان قصاراه ان يتخلص منهم ثم ابنه البهلوان بعده وكانت البلاد في ايام اولئك كثيرة الاموال والرجال فلم يحدثوا انفسهم بالظفر بهؤلاء حتى جاء هذا السلطان والبلاد خراب قد اضعفها الكرج اولا ثم استاصلتها التتر لعنهم الله على ما ذكرناه ففعل بهم هذه الافاعيل فسبحان من اذا اراد امرا قال له كن فيكون

(ذكر مسير مظفر الدين صاحب اربل الى الموصل وعوده عنها)

في هذه السنة في جمادى الآخرة سار مظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل الى اعمال الموصل قاصدا اليها وكان السبب في ذلك انه استقرت القاعدة بينه وبين جلال الدين ابن خوارزمشاه وبين الملك المعظم صاحب دمشق وبين صاحب آمد وبين ناصر الدين صاحب ماردين ليقصدوا البلاد التي بيد الاشرف ويتغلبوا عليها ويكون لكل منهم

وتولى منصب الباشا كما تقدم وكاتب الباشا في شأنه الى الدولة فحضر الامر بطلبه واوكد بالاكرام فعند ذلك هيأ له الباشا ما يحتاج اليه من هدية وغيرها وتعين للسفر صحبته خمسة وثلاثون شخصا ارسل اليهم الباشا كساوى وفراوى وترك باقي اتباعه بمصر انزلوهم في دار بسويقة اللالا وهم يزيدون عن المائتين ويصرف لهم الرواتب في كل يوم والشهرية (وفيه) وصل جماعة من عسكر المغاربة والعرب الذين كانوا ببلاد الحجاز وصحبتهم اسرى من الوهابية نساء و بنات وغلمانا نزلوا عند المقايل وطفقوا يبيعونهم على من يشتريهم مع انهم مسلمون واحرار (وفي منتصفه) مات مصطفى اغا وكيل دار السعادة سابقا ومات ايضا الشيخ عبد الرحمن القرشي الحنفي (وفي سابع عشره) وصل الحاج المصري ومات الكثير من الناس فيه بالحمى وكذلك كثرت الحمى بارض مصر وكأنها انتقلت من ارض الحجاز (وفي حادي عشرينه) وصل ابراهيم باشا ابن الباشا من ناحية القصير وكان قبل وروده بايام وصل خبر وصوله الى القصير وضربوا لذلك الخبر مدافع من القلعة وغيرها وركبت المبشرون لاخذ البقاشيش من الاعيان واجتمعت نساء اكابرهم عند والدته ونسائهم للتهنئة وتقدموا له القصر الذي كان انشاه ولي خوجه وعمه شريف بك

الذي تولى في منصبه وبالروضة بشاطئ النيل تجاه الجيزة وعند وصول المذكور عملوا جسرا من الروضة الى ساحل مصر القديمة على مراكب من البر الى البر وردموه بالاتربة من فوق الاخشاب (وفي ذلك اليوم) وصل قابجي من دار السلطنة بالبشارة بمولود ولد لحضرة السلطان وطلع الى القلعة في موكب (وفي يوم الخميس حادي عشر ينه) عند وصول ابراهيم باشا نودي بزينة المدينة سبعة ايام بلياليها فشرع الناس في تزيين الحوانيت والدور والخانات بما امكنهم وقدروا عليه من الملونات والمقصبات واما جهات النصارى وحاراتهم وخاناتهم فانهم ابدعوا في عمل تصاوير مجسمات وتماثيل واشكال غريبة وشكا الناس من عدم وجود الزيت والشيرج فرسموا بجملة قناطير شيرج تعطى للزياتين لتباع على الناس بقصد ذلك فياخذونها ويبيعونها باغلى ثمن بعد الاحتكار والكتمان (ولما اصبح) يوم الجمعة وقد عدى ابراهيم باشا الى بر مصر رتبوا له موكبا ودخل من باب النصر وشق المدينة وعلى راسه الطلخان السليمي من شعار الوزارة وقد ارخى لحيته بالحجاز وحضر والده الى جامع الغورية بقصد الفرجة على موكب ابنه وطلع بالموكب الى القلعة ثم رجع سائرا بالهيئة الكاملة الى جهة مصر القديمة ومر على الجسر وذهب الى قصره المذكور بالروضة واستمرت الزينة والوقود والسهر بالليل وعمل الحراقات وضرب المدافع في كل وقت من القلعة ومغاني وملاعب في مجامع الناس سبعة ايام بلياليها في مصر الجديدة والقديمة وبولاق وجميع

نصيب ذكره واستقرت القواعد بينهم على ذلك فبادر مظفر الدين الى الموصل وأما جلال الدين فانه سار من تفليس يريد خلاط فاتاه الخبر ان نائبه ببلاد كرمان واسمه بلاق حاجب قد عصى عليه على ما نذكره فلما اتاه الخبر بذلك ترك خلاط ولم يقصدها الان عسكره نهب بعض بلدها وخربوا كثيرا منه وسار مجدا الى كرمان فانفسخ جميع ما كانوا عزموا عليه الا ان مظفر الدين سار من اربل ونزل على جانب الزاب ولم يمكنه العبور الى بلد الموصل وكان بدر الدين قد أرسل من الموصل الى الاشرف وهو بالرقة يستنجده ويطلب منه أن يحضر بنفسه الموصل ليدفعوا مظفر الدين فسار منها الى حران ومن حران الى دنيسر فخرب بلد ماردين وأهلكه تخريبا ونهبا وأما المعظم صاحب دمشق فانه قصد بلد حمص وحماة وأرسل الى أخيه الاشرف يقول ان رحلت عن ماردين وحلب وأنا عن حمص وحماة وأرسلت الى مظفر الدين ليرجع عن بلد الموصل فرحل الاشرف عن ماردين وعاد كل منهم الى بلده وخربت أعمال الموصل وأعمال ماردين بهذه الحركة فانها كانت قد اجحف بها تتابع الغلاء وطول مدته وجلاء اكثر اهلها فاتتها هذه الحادثة فازدادت خرابا

(ذكر عصيان كرمان على جلال الدين ومسيره اليها)

في هذه السنة في جمادى الآخرة وصل الخبر الى جلال الدين ان نائبه بكرمان وهو امير كبير اسمه بلاق حاجب قد عصى عليه وطمع في البلاد ان يتملكها ويستبد بها لبعد جلال الدين عنها واشتغاله بما ذكرناه من الكرج وغيرهم وانه أرسل الى التتر يعرفهم قوة جلال الدين وملكه كثيرا من البلاد وان أخذ الباقي عظمت مملكته وكثرت عساكره وسار اليكم واخذ ما بايديكم من البلاد فلما سمع جلال الدين ذلك وكان قد سار يريد خلاط فتركها وسار الى كرمان يطوي المراحل أرسل بين يديه رسولا الى صاحب كرمان ومعه الخلع ليطمئن ويأتيه وهو غير محتاط ولا مستعد للامتناع منه فلما وصل الرسول علم ان ذلك مكيدة عليه لما يعرفه من عادته فاخذ ما يعز عليه وصعد الى قلعة منيعة فتحصن بها وجعل من يثق اليه من أصحابه في الحصون يمتنعون بها وأرسل الى جلال الدين يقول انني أنا العبد والمملوك ولما سمعت بمسيرك الى هذه البلاد أخليتها لك لانها بلادك ولو علمت انك تبقى على لحضرت بابك ولكني أخاف هذا جميعه والرسول يحلف له ان جلال الدين بتفليس وهو لا يلتفت الى قوله فعاد الرسول فعلم جلال الدين انه لا يمكنه أخذ ما بيده من الحصون لانه يحتاج أن يحصرها مدة طويلة فوقف بالقرب من اصفهان وأرسل اليه الخلع وأقره على ولايته فبينما الرسل تتردد اذ وصل رسول من وزير جلال الدين اليه من تفليس يعرفه ان عسكر الملك الاشرف الذي بخلاط قد هزموا بعض عسكره واوقعوا بهم ويحثه على العود الى تفليس فعاد اليها مسرعا

(ذكر الحرب بين عسكر الاشرف وعسكر جلال الدين)

لما سار جلال الدين الى كرمان ترك بمدينة تفليس عسكرا مع وزيره شرف الملك فقلت عليهم الميرة فساروا الى اعمال ارزن الروم فوصلوا اليها ونهبوها وسبوا النساء واخذوا من الغنائم شيئا كثيرا لا يحصى وعادوا فكان طريقهم على اطراف ولاية خلاط فسمع النائب عن الاشرف بخلاط وهو الحاجب حسام الدين علي الموصلي فجمع العسكر وسار اليهم فاوقع بهم واستنقذ ما معهم من الغنائم وغنم كثيرا مما معهم وعاد هو وعساكره سالمين فلما فعل ذلك شكا وزير جلال الدين منهم فارسل الى صاحبه بكرمان يعرفه الحال ويحثه على الوصول اليه ويخوفه عاقبة التوانى والاهمال فرجع وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر وفاة الخليفة الظاهر بامر الله)

في هذه السنة في الرابع عشر من رجب توفي الامام الظاهر بامر الله امير المؤمنين ابو نصر محمد بن الناصر لدين الله ابي العباس احمد بن المستضيء بامر الله وقد تقدم نسبه عند وفاة ابيه رضي الله عنهما فكانت خلافته تسعة اشهر واربعة عشر يوما وكان نعم الخليفة جمع الخشوع مع الخضوع لربه والعدل والاحسان الى رعيته وقد تقدم عند ذكر ولايته الخلافة من افعاله ما فيه كفاية ولم يزل كل يوم يزداد من الخير والاحسان الى الرعية فرضي الله عنه وارضاه واحسن منقلبه ومثواه فلقد جدد من العدل ما كان دارسا واذكر من الاحسان ما كان منسيا وكان قبل وفاته اخرج توقيعا الى الوزير بخطه على ارباب الدولة وقال الرسول امير المؤمنين يقول ليس غرضنا ان يقال برز مرسوم او نفذ مثال ثم لا يبين له اثر بل انتم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال فقرؤه فاذا في اوله بعد البسملة اعلموا انه ليس امهالنا اهمالا ولا اغضاؤنا اغفالا ولكن لنبلوكم ايكم احسن عملا وقد عفونا لكم ما سلف من اخراب البلاد وتشريد الرعايا وتقبيح الشريعة واظهار الباطل الجلي في صورة الحق الخفي حيلة ومكيدة وتسمية الاستئصال والاجتياح استيفاء واستدراكا لاغراض انتهزتم فرصها مختلسة من براثن ليث باسل وانياب اسد مهيب تتفقون بالفاظ مختلفة على معنى وانتم امناؤه وثقاته فتميلون رايه الى هواكم وتمزجون باطلكم بحقه فيطيعكم وانتم له عاصون ويوافقكم وانتم له مخالفون والآن قد بدل الله سبحانه بخوفكم امنا وبفقركم غنى وبباطلكم حقا ورزقكم سلطانا يقيل العثرة ولا يؤاخذ الا من اصر ولا ينتقم الا ممن استمر يامركم بالعدل وهو يريده منكم وينهاكم عن الجور وهو يكرهه لكم يخاف الله تعالى فيخوفكم مكره ويرجو الله تعالى ويرغبكم في طاعته فان سلكتم مسالك نواب خلفاء الله في ارضه وامنائه على خلقه والا هلكتم والسلام ولما توفي وجدوا في بيت في داره الوف رقاع كلها مختومة لم يفتحها فقيل له ليفتحها فقال لا حاجة لنا فيها كلها سعايات ولم

الانحطاط وربيع ابراهيم باشا من هذه البنية متماثلا في نفسه بداوة انتهى من الفرو ولا اثر يظهر عليه حتى ان المشايخ لما ذهبوا للسلام عليه والتهنئة بالقدوم فلما اقبلوا عليه وهو جالس في ديوانه لم يقم لهم ولم يرد عليهم السلام فجلسوا وجعلوا يهنئونه بالسلامة فلم يجبهم ولا بالاشارة بل جعل يحادث شخصا سخرية عنده وقاموا على مثل ذلك منصرفين ومنكسفين ومنكسري الخاطر

(واستهل شهر ربيع الاول بيوم الاحد سنة ١٢٣٠)

في ثامنه مات ابن ابراهيم باشا وهو الذي تقدم مجيئه الى مصر وعملوا له الموكب وعمره نحو ست سنوات وكان موته في اول الليل من ليلة الاحد فارسلوا التنابيه لاعيان الدولة والمشايخ فخرج البعض منهم في ثلث الليل الاخير الى مصر القديمة حيث المعادي لانه مات بقصر الجيزة فما طلع النهار حتى ازدحموا بمصر القديمة وما حضروا به الا قرب الزوال وانحدروا بالمشهد الى مدفنهم بالقرب من الامام الشافعي وعملوا له ماتما وفرقوا دراهم على الناس والفقهاء وغير ذلك ثم حكى المخبرون عن كيفية موته انه كان نائما في حجر دادته جارية سوداء فشاجرتها جارية بيضاء ورفصتها برجلها فاصابت الغلام فاضطرب ووصل الخبر الى ابيه فدخل اليهم وقبض على الجواري الحاضرات وحبسهن في مكان بالقصر وقال ان مات ولدي قتلتكن عن آخركن فمات من ليلته فخنق الجميع ازل والقاهن في البحر عاقين الدادة قيل اثنين خمسة وقيل ستة والله اعلم (وفي اواخره) انقضى امر الحفر بترعة الاسكندرية وتم

ازل علم الله سبحانه متولى الخلافة اشاق عليه تقصر المدة لخبث الزمان وفساد اهله واقول لكثير من اصدقائنا وما اخوفنى ان تقصر مدة خلافته لان زماننا واهله لا يستحقون خلافته فكان كذلك

﴿ذكر خلافة ابنه المستنصر بالله﴾

لما توفى الظاهر بامر الله بويع بالخلافة ابنه الاكبر ابو جعفر المنصور ولقب المستنصر بالله وسلك فى الخير والاحسان الى الناس سيرة ابيه رضى الله عنه وامر فنودى ببغداد باقامة العدل وان من كان له حاجة او مظلمة يطالع بها تقضى حاجته وتكشف مظلمته فلما كان اول جمعة أتت على خلافته أراد ان يصلى الجمعة فى المقصورة التى كان يصلى فيها الخلفاء فقيل له ان المطبق الذى يسلك فيه اليها خراب لا يمكن سلوكه فركب فرسا وسار الى الجامع جامع القصر ظاهرا يراه الناس بقميص ابيض وعمامة بيضاء بسكاكين حرير ولم يترك احدا يمشى معه من اصحابه للصلاة الى الموضع الذى كان يصلى فيه وسار هو ومعه خادمان وركابدار لا غير فصلى وعاد وكذلك الجمعة الثانية حتى اصلح له المطبق وكان السعر قد تحرك بعد وفاة الظاهر بامر الله رضى الله عنه فبلغت الكارة ثمانية عشر قيراطا فامر أن تباع الغلات التى له كل كارة بثلاثة عشر قيراطا فرخصت الاسعار واستقامت الامور

﴿ذكر الحرب بين كيقباذ وصاحب آمد﴾

فى هذه السنة فى شعبان سار علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قلج ارسلان ملك بلاد الروم الى بلاد الملك المسعود صاحب آمد وملك عدة من حصونه وسبب ذلك ما ذكرناه من اتفاق صاحب آمد مع جلال الدين خوارزمشاه والملك المعظم صاحب دمشق وغيرهما على خلاف الاشرف فلما رأى الاشرف ذلك ارسل الى كيقباذ ملك الروم وكانا متفقين يطلب منه أن يقصد بلد صاحب آمد و يحاربه وكان الاشرف حينئذ على ماردين فسار ملك الروم الى ملطية وهى له فنزل عندها وسير العساكر الى ولاية صاحب آمد ففتحوا حصن منصور وحصن شمكاراد وغيرهما فلما رأى صاحب آمد ذلك راسل الاشرف وعاد الى موافقته فارسل الاشرف الى كيقباذ يعرفه ذلك و يقول له ليعيد الى صاحب آمد ما أخذ منه فلم يفعل وقال لم اكن نائبا للاشرف يامرنى و ينهانى فاتفق ان الاشرف سار الى دمشق ليصلح اخاه الملك المعظم وأمر العساكر التى له بديار الجزيرة بمساعدة صاحب آمد ان أصر ملك الروم على قصده فسارت عساكر الاشرف الى صاحب آمد وقد جمع عسكره ومن ببلاده ممن يصلح للحرب وسار الى عسكر ملك الروم وهم يحاصرون قلعة الكختا فالتقوا هناك فى شوال فانهزم صاحب آمد ومن معه من العساكر هزيمة عظيمة وجرح كثير وأسر كثير وملك عسكر كيقباذ قلعة الكختا بعد

يبق من الشغل الا القليل ثم فتحوا الماشر ما خلاف فيها المعمول خوفا من غلبة البحر فجرى فيها الماء واختلط بالمياه المالحة التى نبعت من أرضها ولا الماء منها على بعض المواطن المسبخة وبها روبة عظيمة متوساخ على الارض وليس هناك جسور تمنع وصادف ايضا وقوع نوة واهوية سلا فيها البحر المالح على الجسر الكبير ووصل الى الترعة فاشيع فى الناس ان الترعة فسد أمرها ولم تصح وان المياه المالحة التى منها ومن البحر غرقت الاسكندرية وخرج أهلها منها الى ان تحقق الخبر بالواقع وهو دون ذلك ورجع المهندسون والفلاحون الى بلادهم بعد ما هلك معظمهم

﴿واستهل شهر ربيع الثانى سنة ١٢٣٠﴾

فى اوله عزل الباشا محمد بك الدفتردار عن امارة الصعيد وقلد عوضه احمد باشا ابن طاهر باشا وسافر فى خامسه (وفى سابعه) سافر الباشا الى الاسكندرية للكشف على الترعة وسافر بصحبته ابنه ابراهيم باشا ومحمد بك الدفتردار والكتخدا القديم ودبوس اوغلى (وفى ثالث عشره) حضر الباشا ومن معه من غيبتهم وقد انشرح خاطره لتمام الترعة وسلوك المراكب وسفرها فيها وكذلك سافرت فيها مراكب رشيد والتغاير بالبضائع واستراحوا من وعر البغاز والسفر فى المالح الى الاسكندرية والنقل والتحريم وانتظار الريح المناسب لاقتحام البغاز والبحر الكبير ولم يبق فى شغل الترعة الا الامر اليسير واصلاح بعض جسورها واتفق وقوع حادثة فى هذا الشهر وهو ان شخصا من الافرنج الانكليز يريد من

الاشلاخ ويتوسطه الى بلدة تسمى كفر [illegible] بالغيط ليصطاد الطير فضرب طيرا ببندقة فاصابت بعض الفلاحين في
رجله ومات في الحال فتصايح من

الارنؤود بيده هراوة او مسوقة فضربا الى ذلك الافرنجي وقال له اما تختشي

المهزبة وهي من أمنع الحصون والمعاقل فلما ملكوه عادوا الى صاحبهم

(ذكر حصر جلال الدين مدينتي آني وقرس)

في هذه السنة في رمضان عاد جلال الدين من كرمان كما ذكرناه الى تفليس وسار منها الى مدينة آني وهي للكرج وبها ايواني مقدم عساكر الكرج فيمن بقي معه من اعيان الكرج فحصره وسير طائفة من العسكر الى مدينة قرس وهي للكرج أيضا وكلاهما من احصن البلاد وامنعها فنازلهما وحصرهما وقاتل من بهما ونصب عليهما المجانيق وجد في القتال عليهما وحفظهما الكرج وبالغوا في الحفظ والاحتياط لخوفهم منه ان يفعل بهم ما فعل باشياعهم من قبل بمدينة تفليس وأقام عليهما الى ان مضى بعض شوال ثم ترك العسكر عليهما يحصرونهما وعاد الى تفليس وسار من تفليس مجدا الى بلاد ابخاز وبقايا الكرج فاوقع بمن فيها فنهب وقتل وسبي وخرب البلاد وأحرقها وغنم عساكره ما فيها وعاد منها الى تفليس

(ذكر حصر جلال الدين خلاط)

قد ذكرنا ان جلال الدين عاد من مدينة آني الى تفليس ودخل بلاد ابخاز وكان رحيله مكيدة لانه بلغه ان النائب عن الملك الاشرف وهو الحاجب حسام الدين علي بمدينة خلاط قد احتاط واهتم بالامر وحفظ البلد لقربه منه فعاد الى تفليس ليطمئن أهل خلاط وتركوا الاحتياط والاستظهار ثم يقصدهم بغتة فكانت غيبته ببلاد ابخاز عشرة ايام وعاد وسار مجدا على عادته فلولم يكن عنده من يراسل نواب الاشرف بالاخبار لفجاءهم على حين غفلة منهم وانما كان عنده بعض ثقاته يعرفهم أخباره وكتب اليهم يحذرهم فوصل الخبر اليهم قبل وصوله بيومين ووصل جلال الدين فنازل مدينة ملازكرد يوم السبت ثالث عشر ذي القعدة ثم رحل عنها فنازل مدينة خلاط يوم الاثنين خامس عشره فلم ينزل حتى زحف اليها وقاتل أهلها قتالا شديدا فوصل عسكره سور البلد وقتل بينهم قتلى كثيرة ثم زحف اليها مرة ثانية وقاتل أهل البلد قتالا عظيما فعظمت نكاية العسكر في أهل خلاط ووصلوا الى سور البلد ودخلوا الربض الذي له ومدوا أيديهم في النهب وسبي الحريم فلما رأى أهل خلاط ذلك تذامروا وحرض بعضهم بعضا فعادوا الى العسكر فقاتلوهم فاخرجوهم من البلد وقتل بينهم خلق كثير وأسر العسكر الخوارزمي من امراء خلاط جماعة وقتل منهم كثير وترجل الحاجب علي ووقف في نحر العدو وابلى بلاء عظيما ثم ان جلال الدين استراح عدة أيام وعاود الزحف مثل اول يوم فقاتلوه حتى ابعدوا عسكره عن البلد وكان أهل خلاط مجدين في القتال حريصين على المنع عن انفسهم لما رأوا من سوء سيرة الخوارزميين ونهبهم البلاد وما فيهم من الفساد فهم يقاتلون قتال من يمنع عن نفسه وحريمه وماله ثم أقام

ان يأتي اليك بعض الفلاحين ويضربك على راسك هكذا واشار بما في يده على راس الافرنجي لكونه لا يفهم لغته فاغتاظ من ذلك الافرنجي وضربه ببندقيته فسقط ميتا فاجتمع عليه الفلاحون وقبضوا على الافرنجي ورفعوا الارنؤدي المقتول وحضروا الى مصر وطلعوا بمجلس كتخدا بك واجتمع الكثير من الارنؤود وقالوا لابد من قتل الافرنجي فاستعظم الكتخدا ذلك لانهم يراعون جانب الافرنج الى الغاية فقال حتى نرسل الى القناصل ونحضرهم ليروا حكمهم في ذلك وأرسل باحضارهم وقد تكاثر الارنؤود واخذتهم الحمية وقالوا لاي شيء تؤخر قتله الى مشورة القناصل وان لم يقتل هذا في الوقت نزلنا الى حارة الافرنج ونهبناها وقتلنا كل من بها من الافرنج فلم يسع الكتخدا الا ان امر بقتله فنزلوا به الى الرميلة وقطعوا راسه وطلع ايضا القناصل في كبكبتهم وقد نفذ الامر وكان ذلك في غيبة الباشا

(واستهل شهر جمادى الاولى سنة ١٢٣٠)

فيه جرد الباشا حسن بك الشماشرجي حاكم الجيزة على سيوة من الجهة القبلية فتوجه اليها من البحيرة بجنده ومعه طائفة من العرب عليها
(وفيه) قوي عزم الباشا على الاغارة على نواحي السودان فمن قائل انه متوجه الى سنار ومن قائل الى دارفور وساري العسـ

ابنيه اسمعيل باشا وخلافه . ووجه الكثير من اللوازم الى الجهة القبلية وعمل البقسماط والذخيرة ببلاد قبلى والشرقية واهتم اهتماما عظيما وارسل أيضا باحضار مشايخ العربان والقبائل (وفيه) خرج الباشا الى ناحية القليوبية حيث الخيول بالربيع وخرج محو بك لضيافته بقلقشنده وأخرج خياما وجمالا كثيرة محملة بالفرش والنحاس وآلات المطبخ والارز والسمن والعسل والزيت والحطب والسكر وغير ذلك واضافه ثلاثة ايام وكذلك تمر كاشف الناحية وغيره وكذلك احضر له ضيافة ابن شديد شيخ الحويطات وابن الشوارى كبير قليوب وابن عمرو وكان صحبة الباشا ولداه ابراهيم باشا واسمعيل باشا وحسن باشا (وفى اثناء ذلك) ورد الخبر بموت عابدين بك اخو حسن باشا بالديار الحجازية وكذلك الكثير من اتباعه بالحمى فتكدر خاطرهم وبطلت الضيافات وحضر الباشا ومن معه فى اواخره لعمل العزاء والميتم والخبر الواردون بكثرة الحمى بالديار الحجازية حتى قالوا انه لم يبق من طائفة عابدين بك الا القليل جدا

(واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٣٠)

فى عشرينه وردت هدية من والى الشام فيها من الخيول الخاص منورة بعضها ملبس والباقى من غير سروج واشياء خزلاتعلمها (وفى اواخره) وورد الخبر بان حسن بك الشماشرجى استولى على سيوة (وفيه) ورد الخبر بانه وقع باسلامبول حريق كثير (وفيه) وورد الخبر ايضا من حلب بان احمد باشا المعروف بخورشيد الذى كان سابقا والى مصر استولى على حلب

عليها الى ان اشتد البرد ونزل شئ من الثلج فرحل عنها يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذى الحجة من السنة وكان سبب رحيله مع خوف الثلج ما بلغه عن التركمان الايوائية من الفساد ببلاد

(ذكر ايقاع جلال الدين بالتركمان الايوائية)

كان التركمان الايوائية قد تغلبوا على مدينة اشنو وارومية من نواحى اذربيجان وأخذوا الخراج من أهل خوى ليكفوا عنهم واغتروا باشتغال جلال الدين بالكرج وبعده بخلاط وازداد طمعهم وانبسطوا باذربيجان ينهبون ويقطعون الطريق والاخبار تاتى الى خوارزمشاه جلال الدين وهو يتغافل عنهم لاشتغاله بما هو أهم عنده وبلغ من طمعهم انهم قطعوا الطريق بالقرب من تبريز وأخذوا من تجار أهلها اشيئا كثيرا ومن جملة ذلك انهم اشتروا غنما من ارزن الروم وقصدوا بها تبريز فلقيهم الايوائية قبل وصولهم الى تبريز فاخذوا جميع ما معهم ومن جملته عشرون ألف رأس غنم فلما اشتد ذلك على الناس وعظم الشر أرسلت زوجة جلال الدين ابنة السلطان طغرل ونوابه فى البلاد اليه يستغيثون ويعرفونه ان البلاد قد خربها الايوائية وانه ان لم يلحقها والا هلكت بالمرة فاتفق هذا الى خوف الثلج فرحل عن خلاط وجد السير الى الايوائية وهم آمنون مطمئنون لعلمهم ان خوارزمشاه على خلاط وظنوا انه لا يفارقها فلولا هذا الاعتقاد لصعدوا الى جبال لهم منيعة شاهقة لا يرتقى اليها الا بمشقة وعناء فانهم كانوا اذا خافوا صعدوا اليها وامتنعوا بها فلم يرعهم الا والعساكر الجلالية قد احاطت بهم واخذهم السيف من كل جانب فاكثروا القتل فيهم والنهب والسبى واسترقوا الحريم والاولاد وأخذوا من عندهم ما لا يدخل تحت الحصر فرأوا كثيرا من الامتعة التى أخذوها من التجار بحالها فى الشدوات لم تحل هذا سوى ما كانوا قد حلوه وفصلوه فلما فرغ عاد الى تبريز

(ذكر الصلح بين المعظم والاشرف)

نذكر ههنا سبب الاختلاف فنقول لما توفى الملك العادل أبو بكر بن أيوب اتفق أولاده الملوك بعده اتفاقا حسنا وهم الملك الكامل محمد صاحب مصر والملك المعظم عيسى صاحب دمشق والبيت المقدس وما يجاورهما من البلاد والملك الاشرف موسى وهو صاحب ديار الجزيرة وخلاط واجتمعت كلمتهم على دفع الفرنج عن الديار المصرية ولما رحل الكامل عن دمياط لما كان الفرنج يحصرونها صادفه أخوه المعظم من الغد وقوى نفسه وثبت قدمه ولولا ذلك لكان الامر عظيما وقد ذكرنا ذلك مفصلا ثم انه عاد من مصر وسار الى أخيه الاشرف ببلاد الجزيرة مرتين يستنجده على الفرنج ويحثه على مساعدة أخيه الكامل ولم يزل به حتى أخذه وسار الى مصر وازالوا الفرنج

من الديار المصرية كما ذكرناه قبل فكان اتفاقهم سببا لحفظ بلاد الاسلام وسر الناس اجمعون بذلك فلما فارق الفرنج مصر وعاد كل من الملوك اولاد العادل الى بلده بقوا كذلك يسيرا ثم سار الاشرف الى اخيه الكامل بمصر فاجتاز باخيه المعظم بدمشق فلم يستصحبه معه واطال المقام بمصر فلا شك ان المعظم سار الى مدينة حماة وحصرها فارسل اليه اخواه من مصر ورحلاه عنها كارها فازداد نفورا وقيل انه نقل اليه عنهما انهما اتفقا عليه والله اعلم بذلك ثم انضاف الى ذلك ان الخليفة الناصر لدين الله رضي الله عنه كان قد استوحش من الكامل لما فعله ولده صاحب اليمن بمكة من الاستهانة بامير الحاج العراقي فاعرض عنه وعن اخيه الاشرف لاتفاقهما وقاطعهما وراسل مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين على صاحب اربل لعلمه بانحرافه عن الاشرف واستماله واتفقا على مراسلة المعظم وتعظيم الامر عليه فمال اليهما وانحرف عن اخويه ثم اتفق ظهور جلال الدين وكثرة ملكه فاشتد الامر على الاشرف بمجاورة جلال الدين خوارزمشاه ولاية خلاط ولان المعظم بدمشق يمنع عنه عساكر مصر ان تصل اليه وكذلك عساكر حلب وغيرها من الشام فراى الاشرف ان يسير الى اخيه المعظم بدمشق فسار اليه في شوال واستماله واصلحه فلما سمع الكامل بذلك عظم عليه وظن ان اتفاقهما عليه ثم انهما راسلاه واعلماه بنزول جلال الدين على خلاط وعظما الامر عليه واعلماه ان هذه الحال تقتضي الاتفاق لعمارة البيت العادلي وانقضت السنة والاشرف بدمشق والناس على مواضعهم ينتظرون خروج الشتاء وما يكون من الخوارزميين وسنذكر ما يكون سنة اربع وعشرين وستمائة ان شاء الله تعالى

(ذكر الفتنة بين الفرنج والارمن)

في هذه السنة جمع البرنس الفرنجي صاحب انطاكية جموعا كثيرة وقصد الارمن الذين في الدروب من بلاد ابن ليون فكان بينهم حرب شديدة وسبب ذلك ان ابن ليون الارمني صاحب الدروب توفي قبل ولم يخلف ولدا ذكرا انما خلف بنتا فملكها الارمن عليهم ثم علموا ان الملك لا يقوم بامراة فزوجوها من ولد البرنس فتزوجها وانتقل الى بلدهم واستقر في الملك نحو سنة ثم ندموا على ذلك وخافوا ان يستولي الفرنج على بلادهم فثاروا بابن البرنس فقبضوا عليه وسجنوه فارسل ابوه يطلب ان يطلق ويعاد في الملك فلم يفعلوا فارسل الى بابا ملك الفرنج برومية الكبرى يستاذنه في قصد بلادهم وهذا ملك رومية امره عند الفرنج لا يخالف فمنعه عنهم وقال انهم اهل ملتنا ولا يجوز قصد بلادهم فخالفه وارسل الى علاء الدين كيقباذ ملك قونية وملطية وما بينهما من بلاد المسلمين وصالحه ووافقه على قصد بلاد ابن ليون والاتفاق على قصدها فاتفقا على ذلك وجمع البرنس عساكره ليسير الى بلاد الارمن فخالف عليه الداوية والاسبتار

ثم انفصل عن اغاته ا واصيب بها انها اثيرة وذلك انه كان متوليا عليهم انفصل منه لما اوجب قيام اهل البلدة عليه وعزلوه واخرجوه وذلك من مدة سابقة فاستمر خارجها وكاتب الدولة في شانهم وقال ما قال في حقهم فبعثوا اوامر ومراسيم لولاة تلك النواحي بان يتوجهوا لمعونته على اهل جاب فاحتاطوا بالبلدة وحاربوها اشهرا حتى ملكوها وتمكنوا في اهلها وضربوا عليهم ضرائب عظيمة وغرم على ذلك (وفي اواخره) ايضا تقلد اغاوية مستحفظان مصطفى اغا كرد مضافة للحسبة عوضا عن حسن اغا الذي توفي في الحج فاخذ يعسف كعادته في مبادي توليته للحسبة وجعل يطوف ليلا ونهارا ويحتج على المارين بالليل بادني سبب فيضرب من يصادفه راجعا من سهر ونحوه او يقطع من اذنه او انفه

(واستهل شهر رجب يوم الجمعة سنة ١٢٣٠)

في ثالثه تقلد نظر الحسبة شخص يسمى حسين اغا المورلي وهو بخشونجي بساتين الباشا (وفيه) رجع حسن بك الشماشرجي من ناحية سيوة بعد ان استولى عليها وقبض من اهاليها مبلغا من المال والتمر وقرر عليها قدرا يقومون به في كل عام الى الخزينة (وفي عشرينه) سافر محمد اغا لاظ وهو المنفصل عن الكتخدائية الى قبلي يعني انه في مقدمة التجردة بتقدمها الى الشلال (وفي اواخره) وصل الخبر بموت خليل باشا بالديار الحجازية فخلع الباشا على اخيه احمد بك وهو ثالث اخوته وهو اوسطهم وقلده في منصب اخيه عوضا عنه واعطى البيرق واللوازم (وفي اواخره) توجه الباشا الى

ناحية الوادي لينظر ما تجدد به من العمائر والمزارع والسواقي وقد صار هذا الوادي اقليما على حدته وبه عدة قرى ومساكن ومزارع (واستهل شهر شعبان بيوم الاحد سنة ١٢٣٠) فيه سافر ابراهيم باشا الى القليوبية ثم الى المنوفية والغربية لقبض الخراج عن سنة تاريخه والطلب بالبواقي التي انكسرت على الفقراء وكان الباشا سامح في ذلك وتلك بواقي سبع سنين فكان يطلب مجموع ما على القرية من المال والبواقي في ظرف ثلاثة أيام ففزعت الفلاحون ومشايخ البلاد وتركوا غلالهم في الاجران وطفشوا في النواحي بنسائهم وأولادهم وكان يحبس من يجده من النساء ويضربهن فكان مجموع المال المطلوب تحصيله على ما اخبرني به بعض الكتاب مائة الف كيس (وفي منتصفه) حضر الباشا من ناحية الوادي (وفي اواخره) وقع حريق ببولاق في مغالق الخشب التي خلف جامع مرزه واقام الحريق نحو يومين حتى طفئ واحترق فيه الكثير من الخشب المعد للعمائر المعروف بالكرسنة والزفت وحطب الاشراق وغيره

(واستهل شهر رمضان بيوم الاثنين سنة ١٢٣٠) والاهتمام حاصل وكل قليل يخرج عساكر ومغاربة مسافرين الى بلاد السودان ومن جملة الطلب ثلاثة انفار من طلبة العلم يذهبون بصحبة التجريدة فوقع الاختيار على محمد افندي الاسيوطي قاضي اسيوط والسيد احمد البقلي الشافعيين والشيخ احمد السلاوي المغربي المالكي وقبضوا لمحمد افندي المذكور عشرين كيسا وكسوة ولكل واحد من الاثنين خمسة

وهما بجرة الفرنج فقالوا ان ملك رومية نهانا عن ذلك الا انه اطاعه غيرهم فدخل اطراف بلاد الارمن وهي مضايق وجبال وعرة فلم يتمكن من فعل ما يريدوا اما كيقباذ فانه قصد بلاد الارمن من جهته وهي اسهل مدخلا من جهة الشام فدخلها سنة اثنتين وعشرين وستمائة فنهبها واحرقها وحصر عدة حصون ففتح اربعة حصون وادركه الشتاء فعاد عنها فلما سمع بابا ملك الفرنج برومية ارسل الى الفرنج بالشام يعلمهم انه قد حرم البرنس فكان الداوية والاسبتارية وكثير من الفرنج لا يحضرون معه ولا يسمعون قوله وكان اهل بلاده وهي انطاكية وطرابلس اذا جاءهم عيد يخرج من عندهم فاذا فرغوا من عيدهم دخل البلد ثم انه ارسل الى ملك رومية يشكو من الارمن وانهم لم يطلقوا ولده فارسل الى الارمن يامرهم باطلاق ابنه واعادته الى الملك فان فعلوا والا فقد اذن له في قصد بلادهم فلما بلغتهم الرسالة لم يطلقوا ولده فجمع البرنس وقصد بلاد الارمن فارسل الارمن الى الاتابك شهاب الدين بحلب يستنجدونه ويخوفونه من البرنس ان استولى على بلادهم لانها تجاور اعمال حلب فامدهم بجند وسلاح فلما سمع البرنس ذلك صمم العزم على قصد بلادهم فسار اليهم وحاربهم فلم يحصل على غرض فعاد عنهم حدثني بهذا رجل من عقلاء النصارى ممن دخل تلك البلاد وعرف حالها وسالت غيره فعرف البعض وانكر البعض

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة انخسف القمر مرتين اولاهما ليلة رابع عشر صفر وفيها كانت اعجوبة بالقرب من الموصل حامة تعرف بعين القيارة شديدة الحرارة تسميها الناس عين ميمون ويخرج مع الماء قليل من القار فكان الناس يسبحون فيها دائما في الربيع والخريف لانها تنفع من الامراض الباردة كالفالج وغيره نفعا عظيما فكان من يسبح فيها يجد الكرب الشديد من حرارة الماء ففي هذه السنة برد الماء فيها حتى كان السابح فيها يجد البرد فتركوها وانتقلوا الى غيرها وفيها كثرت الذئاب والخنازير والحيات فقتل كثير فلقد بلغني ان ذئبا دخل الموصل فقتل فيها (وحدثني) صديق لنا له بستان بظاهر الموصل انه قتل فيه في سنة اثنتين وعشرين وستمائة جميع الصيف حيتين وقتل هذه السنة الى اول حزيران سبع حيات لكثرتها وفيها انقطع المطر بالموصل واكثر البلاد الجزرية من خامس شباط الى ثاني عشر نيسان ولم يجر شئ يعتد به لكنه سقط اليسير منه في بعض القرى فجاءت الغلات قليلة ثم خرج الجراد الكثير فازدادت الناس اذى وكانت الاسعار قد صلحت شيئا فعادت لكثرة الجراد غلت ونزل ايضا في كثير من القرى برد كبير اهلك زروع اهلها وافسدها واختلفت اقاويل الناس في اكبره كان وزن بردة مائتي درهم وقيل رطل وقيل غير ذلك الا انه اهلك كثيرا من الحيوان وانقضت هذه السنة

والغلاء باق واشتد بالموصل وفيها اصطاد صديق لنا ارنبا فرآه وله انثيان وذكر وفرج انثى فلما شقوا بطنها رأوا فيها خرقين سمعت هذا منه ومن جماعة كانوا معه وقالوا ما زلنا نسمع ان الارنب يكون سنة ذكرا وسنة انثى ولا نصدق بذلك فلما رأينا هذا علمنا انه قد حمل وهو انثى وانقضت السنة فصار ذكرا فان كان كذلك فيكون في الارانب كالخنثى من بني آدم يكون لاحدهم فرج الرجل وفرج الانثى فاني كنت بالجزيرة ولنا جار له بنت اسمها صفية فبقيت كذلك نحو خمس عشرة سنة واذ قد طلع لها ذكر رجل ونبتت لحيتها فكان لها فرج امرأة وذكر رجل وفيها ذبح انسان عندنا رأس غنم فوجد لحمه مرا شديد المرارة حتى رأسه واكارعه ومعلاقه وجميع اجزائه وهذا ما لم يسمع بمثله وفيها يوم الاربعاء الخامس والعشرين من ذي القعدة ضحوة النهار زلزلت الارض بالموصل وكثير من البلاد العربية والعجمية وكان اكثرها بشهرزور فانها خرب اكثرها لاسيما القلعة فانها اجحفت بها وخرب من تلك الناحية ست قلاع وبقيت الزلزلة تتردد فيها نيفا وثلاثين يوما ثم كشفها الله عنهم واما القرى بتلك الناحية فخرب اكثرها وفيها في رجب توفي القاضي حجة الدين ابو منصور المظفر بن عبد القاهر بن الحسن بن علي بن القاسم الشهرزوري قاضي الموصل بها وكان قد اضر قبل وفاته بنحو سنتين وكان عالما بالقضاء عفيفا نزها ذا رياسة كبيرة وله صلات دارة للمقيم والوارد رحمه الله فلقد كان من محاسن الدنيا ولم يخلف غير بنت توفيت بعده بثلاثة اشهر

⁕(ثم دخلت سنة اربع وعشرين وستمائة)⁕

⁕(ذكر دخول الكرج مدينة تفليس واحراقها)⁕

في هذه السنة في ربيع الاول وصل الكرج مدينة تفليس ولم يكن بها من العسكر الاسلامي من يقوم بحمايتها وسبب ذلك ان جلال الدين لما عاد من خلاط كما ذكرنا قبل واوقع بالايوائية فرق عساكره الى المواضع الحارة الكثيرة المرعى ليشتوا بها وكان عسكره قد اساؤا السيرة في رعية تفليس وهم مسلمون وعسفوهم فكاتبوا الكرج يستدعونهم اليهم ليملكوهم البلد فاغتنم الكرج ذلك لميل اهل البلد اليهم وخلوه من العسكر فاجتمعوا وكانوا بمدينتي قرس وآني وغيرهما من الحصون وساروا الى تفليس وكانت خالية كما ذكرناه ولان جلال الدين استضعفه الكرج لكثرة من قتل منهم ولم يظن فيهم حركة فملكوا البلد ووضعوا السيف فيمن بقي من اهله وعلموا انهم لا يقدرون على حفظ البلد من جلال الدين فاحرقوها جميعا واما جلال الدين فانه لما بلغه الخبر سار فيمن عنده من العساكر ليدركهم فلم ير منهم احدا كانوا قد فارقوا تفليس لما احرقوها

⁕(ذكر نهب جلال الدين بلد الاسماعيلية)⁕

عشر كيسا وكسوة ورتبوا المهزلات في كل سنة (وفي سابعه) وقع حريق في سراية القلعة فطلع الاغا والوالي واغات التبديل واهتموا باطفاء النار وطلبوا السقائين من كل ناحية حتى شح الماء ولا يكاد يوجد وكان ذلك في شدة الحر وتوافق
ذلك برؤيته ورمضان واقاموا في اطفاء النار يومين واحترق ناحية ديوان كتخدا بك ومجلس شريف بك وتلفت اشياء وامتعة ودفاتر حرقا ونهبا وذلك ان ابنية القلعة كانت من بناء الملوك المصرية بالاحجار والصخور والعقود وليس بها الا القليل من الاخشاب فهدموا ذلك جميعه وبنوا مكانه الابنية الرقيقة واكثرها من الخشب والاخشاب على طريق بناء اسلامبول والافرنج وزخرفوها وطلوها بالبياض الرقيق والادهان والنقوش وكله سريع الاشتعال حتى ان الباشا لما بلغه هذا الحريق وكان مقيما بشبرا تذكر بناء القلعة القديم وما كان فيه من المتانة ويلوم على تغيير الوضع السابق ويقول انا كنت غائبا بالحجاز والمهندسون وضعوا هذا البناء وقد تلف في هذا الحريق ما ينيف عن خمسة وعشرين الف كيس حرقا ونهبا ولما حصل هذا الحريق انتقلت الدواوين الى بيت طاهر باشا بالازبكية انقضى شهر رمضان

⁕(واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٠)⁕

وقع في تلك الليلة اضطراب في ثبوت الهلال لكونه كان عسر الرؤية جدا وشهد اثنان برؤيته ورد الواحد ثم حضر في ... ولم يزالوا كذلك الى آخر الليل ثم حكم به عند الفجر بعد ان صليت التراويح واوقدت المنارات وطاف المسحرون

في هذه السنة قتل الاسماعيلية أميرا كبيرا من امراء جلال الدين وكان قد اقطعه جلال الدين مدينة كنجة واعمالها وكان نعم الامير كثير الخير حسن السيرة ينكر على جلال الدين ما يفعله عسكره من النهب وغيره من الشر فلما قتل ذلك الامير عظم قتله على جلال الدين واشتد عليه فسار في عساكره الى بلاد الاسماعيلية من حدود ألموت الى كردكوه بخراسان فخرب الجميع وقتل اهلها ونهب الاموال وسبي الحريم واسترق الاولاد وقتل الرجال وعمل بهم الاعمال العظيمة وانتقم منهم وكانوا قد عظم شرهم وازداد ضررهم وطمعوا مذ خرج التتر الى بلاد الاسلام الى الآن فكف عاديتهم وقمعهم ولقاهم الله ما عملوا بالمسلمين

(ذكر الحرب بين جلال الدين والتتر)

لما فرغ جلال الدين من الاسماعيلية بلغه الخبر ان طائفة من التتر عظيمة قد بلغوا الى دامغان بالقرب من الري عازمين على بلاد الاسلام فسار اليهم وحاربهم واشتد القتال بينهم فانهزموا منه فاوسعهم قتلا وتبع المنهزمين عدة ايام يقتل ويأسر فبينما هو كذلك قد اقام بنواحي الري خوفا من جمع آخر للتتر اذ اتاه الخبر بان كثيرا منهم واصلون اليه فاقام يقتظرهم وسنذكر خبرهم سنة خمس وعشرين وستمائة

(ذكر دخول العساكر الاشرفية الى اذربيجان وملك بعضها)

في هذه السنة في شعبان سار الحاجب علي حسام الدين وهو النائب عن الملك الاشرف بخلاط والمقدم على عساكرها الى بلاد اذربيجان فيمن عنده من العساكر وسبب ذلك ان سيرة جلال الدين كانت جائرة وعساكره طامعة في الرعايا وكانت زوجته ابنة السلطان طغرل السلجوقي وهي التي كانت زوجة اوزبك بن البهلوان صاحب اذربيجان فتزوجها جلال الدين كما ذكرناه قبل وكانت مع اوزبك تحكم في البلاد جميعها ليس له ولا لغيره معها حكم فلما تزوجها جلال الدين اهملها ولم يلتفت اليها فخافته مع ما حرمته من الحكم والامر والنهي فارسلت هي واهل خوي الى حسام الدين الحاجب يستدعونه ليسلموا البلاد له فسار ودخل البلاد بلاد اذربيجان فملك مدينة خوي وما يجاورها من الحصون التي بيد امراء جلال الدين وملك مرند وكاتبه اهل مدينة نقجوان فمضى اليهم فسلموها اليه وقويت شوكتهم بتلك البلاد ولو داموا لملكوها جميعها انما عادوا الى خلاط واستصحبوا معهم زوجة جلال الدين ابنة السلطان طغرل الى خلاط وسنذكر باقي خبرهم سنة خمس وعشرين ان شاء الله تعالى

بطبلاتهم وتقعرت الشاس واصبح العيد باردا (وفي خامسه) سافر الباشا الى ثغر اسكندرية كعادته واقام ولده ابراهيم باشا للنظر في الاحكام والشكاوى والدعاوى وكانت اقامته بقصره الذي انشاه بشاطئ النيل تجاه مضرب النشاب وتعاظم في نفسه جدا ولما رجع ابراهيم باشا من سرحته شرع في عمل ٢١٧ مهم مختان عباس باشا ابن اخيه طوسون باشا وهو غلام في السادسة فشرعوا في ذلك في تاسع عشره ونصبوا خياما كثيرة تحت القصر وحضرت ارباب الملاعيب والحواة والمغزلكون والبهلوانيون وطبخت الاطعمة والحلواء والاسمطة واوقدت الوقدات بالليل من المشاعل والقناديل والشموع بداخل القصر وتعاليق القفصات البلور وغير ذلك ورسموا باحضار غلمان اولاد الفقراء فحضر الكثير منهم واحضروا المزينين فختنوا في اثناء ايام الفرح نحو الاربعمائة غلام ويفرشون لكل غلام طراحة ولحافا يرقد عليها حتى يبرأ جرحه ثم يعطى لكل غلام كسوة والف نصف فضة وفي كل ليلة يعمل شنك وحراقات ونفوط ومدافع بطول الليل ودعوا في اثناء ذلك كبار الاشياخ والقاضي والشيخ السادات والبكري وهو نقيب الاشراف أيضا والمفاتي وصار كل من دخل منهم يجلسونه من سكوت ولم يقم لواحد منهم ولم يرد على من يسلم ولا بالاشارة السلام ولم يكلمهم بكلمة يؤانسهم بها وحضرت المائدة فتعاطوا الذي تعاطوه حتى انقضى ٢٨ يح مل ١٢ المجلس وقاموا وانصرفوا من سكوت (وفي يوم الاربعاء) ثالث عشرينه خرجوا بالمحمل الى الحصوة وامير الحاج شخص من الفلاحين لم نعرف اسمه (وفي يوم الخميس) عملوا الزفة لعباس باشا ونزلوا به من القلعة على الدرب الاحمر على باب الخرق

الى القصر وختنوه فى ذلك اليوم وامتلأ ماشت المزين الذى ختنه بالدنانير من نقوط الاكابر والاعيان وخلعوا عليه فروة وشال كشميرى وأنعموا على باقى المزينين بثلاثين كيسا وانقضى ذلك (وفى يوم الثلاثاء) تاسع عشرينه الموافق لثالث مسرى القبطى اوفى النيل اذرعه ٢١٨ وكسر السد فى صبحها يوم الاربعاء وجرى الماء فى الخليج وذلك بحضرة كتخدا بك والقاضى (وفى هذا الشهر) حضر طائفة من بواقى الامراء المصرية من دنقلة الى بر الجيزة وهم نحو الخمسة وعشرين شخصا وملابسهم قمصان بيض لا غير فاقاموا فى خيمة ينتظرون الاذن وقد تقدم منهم الارسال بطلب الامان عندما بلغهم خروج التجاريد وحضر ابن صلى بك ايوب وطلب امانا لابيه فاجيبوا الى ذلك وارسل لهم امانا لاجمعهم ماعدا عبد الرحمن بك والذى يقال له المنفوخ فليس يعطيهما امانا ولما حضرت مراسلة الامان لعلى بك ايوب وتأهب للرحيل حقدوا عليه وقتلوه ووصل خبر موته فعملوا نعيه فى بيته سكن زوجته الكائن بشمس الدولة واكثروا من الندب والصراخ عدة ايام (وفى هذا الشهر ايضا) حضر أشخاص من بلاد العجم وصحبتهم هدية الى الباشا وفيها خيول فانزلوهم ببيت حسين بك الشماشرجى بناحية سويقة العزى

(واستهل شهر ذى القعدة بيوم الخميس سنة ١٢٣٥)

فى رابعه يوم الاحد وصل قبجى وعلى يده مرسوم تقرير للباشا بولاية مصر على السنة الجديدة وتقرير وخيصا آخر لولده ابراهيم باشا بولاية جدة وركب القابجى المذكور فى موكب من بولاق الى القلعة وقرئت المراسيم بحضرة كتخدا بك وابراهيم باشا واعيانهم وضربوا مدافع (وفيه) سافر اسمعيل باشا الى جهة قبلى وهو امير العسكر المعينة لبلاد

(ذكر وفاة المعظم صاحب دمشق وملك ولده)

فى هذه السنة توفى الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب صاحب دمشق يوم الجمعة سلخ ذى القعدة وكان مرضه دوسنطاريا وكان ملكه لمدينة دمشق من حين وفاة والده الملك العادل عشر سنين وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوما وكان عالما بعدة علوم فاضلا فيها منها الفقه على مذهب أبى حنيفة فانه كان قد اشتغل به كثيرا وصار من المتميزين فيه ومنها علم النحو فانه اشتغل به أيضا اشتغالا زائدا وصار فيه فاضلا وكذلك اللغة وغيرها وكان قد امر ان يجمع له كتاب فى اللغة جامع كبير فيه كتاب الصحاح للجوهرى ويضاف اليه ما فات الصحاح من التهذيب للازهرى والجمهرة لابن دريد وغيرهما وكذلك أيضا أمر بان يرتب مسند أحمد بن حنبل على الابواب ويرد كل حديث الى الباب الذى يقتضيه معناه مثاله ان يجمع أحاديث الطهارة وكذلك يفعل فى الصلاة وغيرها من الرقائق والتفسير والغزوات فيكون كتابا جامعا وكان قد سمع المسند من بعض أصحاب ابن الحصين ونفق العلم فى سوقه وقصده العلماء من الآفاق فاكرمهم واجرى عليهم الجرايات الوافرة وقربهم وكان يجالسهم ويستفيد منهم ويفيدهم وكان يرجع الى علم وصبر على سماع ما يكره لم يسمع أحد من يصحبه منه كلمة تسوءه وكان حسن الاعتقاد يقول كثيرا ان اعتقادى فى الاصول ما سطره أبو جعفر الطحاوى ووصى عند موته بان يكفن فى البياض ولا يجعل فى اكفانه ثوب فيه ذهب وان يدفن فى لحد ولا يبنى عليه بناء بل يكون قبره فى الصحراء تحت السماء ويقول فى مرضه لى عند الله تعالى فى أمر دمياط ما أرجو ان يرحمنى به ولما توفى ولى بعده ابنه داود ويلقب الملك الناصر وكان عمره قد قارب عشرين سنة

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة دام الغلاء فى ديار الجزيرة ودامت الاسعار تزيد قليلا وتنقص قليلا وانقطع المطر جميع شباط وعشرة أيام من اذار فازداد الغلاء فبلغت الحنطة كل مكوكين بالموصلى بدينار وقيراطين بالموصلى والشعير كل ثلاثة مكاكيك بالموصلى بدينار وقيراطين أيضا وكل شئ بهذه النسبة فى الغلاء وفيها فى الربيع قل لحم الغنم بالموصل وغلا سعره حتى بيع كل رطل لحم بالبغدادى بحبتين بالصنجة وربما زاد فى بعض الايام على هذا الثمن وحكى لى من يتولى بيع الغنم بالموصل انهم باعوا خروفا واحدا لا غير وفى بعضها خمسة ارؤس وفى بعضها ستة واقل واكثر وهذا ما لم يسمع بمثله ولا رأيناه فى جميع أعمارنا ولا حكى لنا مثله لان الربيع مظنة رخص اللحم لان التركمان والاكراد والسكيلكان ينتقلون من الامكنة التى شتوا بها الى الزوزان فيبيعون الغنم

النوبة كل ذلك والباشا الكبير على حاله بالاسكندرية (واستهل شهر ذي الحجة سنة ١٢٣٠) فيه توجه ابراهيم باشا الى ابيه بالاسكندرية فاقام هناك اياما وعاد في آخر الشهر فاقام بمصر اياما قليلة وسافر الى ناحية قبلي ليجمع ما بقي عند الناس من القمح والفول والعدس الالاتقاصة اف واخذوا كل سفينة غصبا وساقوا الجميع الى قبلي لحمل الغلال وجمعها في الشون البحرية لتباع على الافرنج والروم بالاثمان الغالية وانقضت السنة (ومن حوادثها) زيادة النيل الزيادة المفرطة وخصوصا بعد الصليب وقد كان حصل الاعتناء الزائد بامر الجسور بسبب ما حصل في العامين السابقين من التلف فلما حصلت هذه الزيادة بعد الصليب وطف الماء على اعلى الجسور وغرق مزارع الذرة والنيلة والقصب والارز والقطن واشجار البساتين وغالب اشجار الليمون والبرتقان بما عليها من الثمار وصار الماء ينبع من الارض الممنوعة نبعا ولا عاصم من امر الله وطال مكث الماء على الارض حتى فات أوان الزراعة ولم نسمع ولم نر في خوالي السنين تتابع الغرقات بل كان الغرق نادر الحصول ووصل ماء الخليج حتى سد غالب فرجات القناطر ونبع الماء من الاراضي الواطية القريبة من الخليج مثل غيط العدة وجامع الامير حسين ونحو ذلك (ومنها) ان ترعة الاسكندرية الحادثة لما تم حفرها وسموها بالمحمودية على اسم السلطان محمود وفتحوا الماء فيها دون المعادلات وامتلأت بالماء فلما بدأت الزيادة وزادت وطف الماء في المواضع الواطية وغرقت الاراضي ... دوا ذلك الشرم وأبقوا من داخله فيه ساعدة مراكب المسافرين فكانوا ينقلون منها الى مراكب البحر ومن البحر الى مراكبها

رخيصا وكان المعتاد كل سنة في هذا الفصل يكون ثمره كل ستة أرطال وسبعة بقيراط صار هذه السنة الرطل بحبتين وفيها ما شرا داروه والعشرون من ربيع الاول سقط الثلج مرتين وهذا غريب جدا لم يسمع بمثله فاهلك الازهار التي خرجت كزهر اللوز والمشمش والاجاص والسفرجل وغيرها ووصلت الاخبار من العراق بجميعه مثل ذلك فهلكت به ازهار الثمار ايضا وهذا اعجب من حال ديار الجزيرة والشام فانه اشد حرا من جميعها وفيها ظفر جمع من التركمان كانوا باطراف اعمال حلب بفارس مشهور من الفرنج الداوية بانطاكية فقتلوه فعلم الداوية بذلك فساروا وكبسوا التركمان فقتلوا منهم واسروا وغنموا من أموالهم فبلغ الى أتابك شهاب الدين المتولي لامور حلب فراسل الفرنج وتهددهم بقصد بلادهم واتفق ان عسكر حلب قتلوا فارسين كبيرين من الداوية ايضا فاذعنوا بالصلح وردوا الى التركمان كثيرا من اموالهم وحريمهم واسراهم وفيها في رجب اجتمع طائفة كثيرة من ديار بكر وأرادوا الاغارة على جزيرة ابن عمر وكان صاحب الجزيرة قد قتل فلما قصدوا بلد الجزيرة اجتمع اهل قرية كبيرة من بلد الجزيرة اسمها سلكون ولقوهم من ضحوة النهار الى العصر وطال القتال بينهم ثم حمل اهل القرية على الاكراد فهزموهم وقتلوا فيهم ونهبوا ما معهم وعادوا سالمين

(ثم دخلت سنة خمس وعشرين وستمائة)

(ذكر الخلف بين جلال الدين وأخيه)

في هذه السنة خاف غياث الدين بن خوارزمشاه وهو اخو جلال الدين من أبيه اخاه وخافه معه جماعة من الامراء واستشعروا منه وأرادوا الخلاص منه فلم يتمكنوا من ذلك الى ان خرجت التتر واشتغل بهم جلال الدين فهرب غياث الدين ومن معه وقصدوا خوزستان وهي من بلاد الخليفة فلم يمكنهم النائب بها من الدخول الى البلد خوفا ان تكون هذه مكيدة فبقي هنالك فلما طال عليه الامر فارق خوزستان وقصد بلاد الاسماعيلية فوصل اليهم واحتمى بهم واستجار بهم وكان جلال الدين قد فرغ من امر التتر وعاد الى تبريز فاتاه الخبر وهو بالميدان يلعب بالكرة ان اخاه قد قصد اصفهان فالقى الجو كان من يده وسار مجدا فسمع ان اخاه قد قصد الاسماعيلية ملتجئا اليهم ولم يقصد اصفهان فعاد الى بلاد الاسماعيلية ليخرب بلادهم ان لم يسلموا اليه اخاه وارسل يطلبه من مقدم الاسماعيلية فاعاد الجواب يقول ان اخاك قد قصدنا وهو سلطان ابن سلطان ولا يجوز لنا ان نسلمه لكن نحن نتركه عندنا ولا نمكنه ان يقصد شيئا من بلادك ونسألك ان تشفعنا فيه والضمان علينا بما قلنا ومتى كان منه ما تكرهه في بلادك فبلادنا حينئذ بين يديك تفعل فيها ما تختار فاجابهم الى ذلك واستحلفهم على

وبقي ماؤهما لما كان ستبرا واستمر أهل الثغر في جهد من قلة الماء العذب وبلغ ثمن الراوية قرشين (ومنها) انه لما وقع القياس في اراضي القرى قرر واسمحوا لمشايخ البلاد في نظير مضايفهم خمسة افدنة من كل مائة فدان وفي هذا العام بدفع مال المسموح سنتين وذلك عقب مطالبتهم بالخراج قبل اوانه وما صدقوا انهم غلقوه بببيع غلالهم بالنسيئة والاستدانة وبيع المواشي والامتعة ومصاغ النساء وكانوا أيضا طولبوا بالبواقي في السنين الخوالي التي كانوا عجزوا عنها ولم يزل ثرى الغلال في هذه السنة وكذلك الفول وغير الغلة والغوا كه ولما طولب مشايخ البلاد بمال المسموح ازداد كربهم فانهم يحاسبون على الواحد الف ريال واقل واكثر وقد قاسوا الشدائد في غلاق الخراج الخارج عن الحد وعدم زكاء الزرع وغرق مزارع النيلة والارز والقطن والقصب والكتان وغير ذلك (وفي اثر ذلك) فرضوا على الجواميس كل راس عشرون قرشا وعلى الجمل ستون قرشا وعلى الشاة قرش والرأس من المعز سبعة وعشرون نصفا وثلث والبقرة خمسة عشر والفرس كذلك (ومنها) احتكار الصابون وتحجير جميع الوارد على ذمة الباشا ثم سومح تجاره بشرط ان يكون جميع صابون الباشا ومرتباته ودائرته من غير ثمن وهو شيء كثير وسعر ثمنه على ستين نصفا بعد ان كان بخمسين جرداه نصف نقو (ومنها) ما احدث على البلح بانواعه وما يجلب من الصعيد والابريمي والشروع وأنواع العجوة حتى جريد النخل والليف والخوص يؤخذ جميع ذلك بالثمن القليل ويباع ذلك للمتسببين بالثمن الزائد وعلى الناس بازيد من ذلك وفي هذه السنة لم تثمر النخيل الا القليل جدا ولم يظهر البلح الاحمر في أيام وقرته ولم يوجد

الوقائع المذكورة وعادعنهم وقصد خلاطا على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر الحرب بين جلال الدين والتتر)

في هذه السنة عاود التتر الخروج الى الري وجرت بينهم وبين جلال الدين حروب كثيرة اختلف الناس فيها فمنا في عددها كان أكثرها عليه وفي الاخير كان الظفر له وكانت في أول حرب بينهم عجائب غريبة وكان هؤلاء التتر قد سخط ملكهم جنكزخان على مقدمهم وابعده عنه واخرجه من بلاده فقصد خراسان فرآها خرابا فقصد الري ليتغلب على تلك النواحي والبلاد فلقيه بها جلال الدين فقتلوا أشد قتال ثم انهزم جلال الدين وعاود ثم انهزم وقصد اصفهان وأقام بينها وبين الري وجمع عساكره ومن في طاعته فكان فيمن أتاه صاحب بلاد فارس وهو ابن اتابك سعد ملك بعد وفاة أبيه كما ذكرناه وعاد جلال الدين الى التتر فلقيهم فبينما هم مصطفون كل طائفة مقابل الاخرى انفرد غياث الدين أخو جلال الدين فيمن وافقه من الامراء على مفارقة جلال الدين واعتزلوا وقصدوا جهة فساروا اليها فلما رآهم التتر قد فارقوا العسكر ظنوهم يريدون أن يأتوهم من وراء ظهورهم ويقاتلوهم من جهتين فانهزم التتر لهذا الظن وتبعهم صاحب بلاد فارس وأما جلال الدين فانه لما رأى مفارقة أخيه اياه ومن معه من الامراء ظن ان التتر قد رجعوا خديعة ليستدرجوه فعاد منهزما ولم يجسر يدخل اصفهان لئلا يحصروه فمضى الى سميرم وأما صاحب فارس فلما ابعد في اثر التتر ولم ير جلال الدين ولا عسكره معه خاف التتر فعاد عنهم وأما التتر فلما لم يروا في آثارهم أحدا يطلبهم وقفوا ثم عادوا الى اصفهان فلم يجدوا في طريقهم من يمنعهم فوصلوا الى اصفهان فحصروها وأهلها يظنون ان جلال الدين قد عدم فبينما هم كذلك والتتر يحصرونهم اذ وصل قاصد من جلال الدين اليهم يعرفهم سلامته ويقول اني متوجه أو يجتمع الي من سلم من العسكر واقصدكم ونتفق انا وانتم على ازعاج التتر وترحلهم عنكم فارسلوا اليه يستدعونه اليهم ويعدونه النصرة والخروج معه الى عدوه وفيهم شجاعة عظيمة فسار اليهم واجتمع بهم وخرج أهل اصفهان معه فقاتلوا التتر فانهزم التتر اقبح هزيمة وتبعهم جلال الدين الى الري يقتل ويأسر فلما ابعدوا عن الري أقام بها وأرسل اليه ابن جنكزخان يقول ان هؤلاء ليسوا من أصحابنا انما نحن ابعدناهم عنا فلما امن جانب جنكزخان امن وعاد الى اذربيجان

(ذكر خروج الفرنج الى الشام وعمارة صيدا)

وفي هذه السنة خرج كثير من الفرنج من بلادهم التي هي في الغرب من صقلية وما وراءها من البلاد الى بلادهم التي بالشام عكا وصور وغيرهما من ساحل الشام فكثر جمعهم وكان قد خرج قبل هؤلاء جمع آخر أيضا الا انهم لم يمكنهم الحركة

بالاسواق الا انها قليلة وهو شئ ردئ ومع ذلك ليس بجيد ورطله بخمسة انصاف وهي ثمن العشرة ارطال في السابق وكذلك
العنب لم يظهر منه الا القليل وهو الفيومي والشرقاوي وقد التزم به من يعصره شرابا بأكياس كثيرة مثل غيره من الاصناف
وغير ذلك جزئيات لم يصل الينا علمها ومنها ما وصل الينا علمها واهملنا ذكرها (ومنها) ان حسن باشا سافر الى
الجهة القبلية وصحبته بعض
الافرنج الذين كان وشمس لهم
البلاد السياحة والغوص
باراضي الصعيد والفحص وحفر
الاراضي والكهوف والبرابي
واستخراج الآثار القديمة
والاحجار السالفة من التماثيل
والتصاوير ونواويس الموتى
وقطع الصخور بالبارود واشاعوا
انه ظهر لهم شئ يخرج من شئ يشبه
خام الرصاص او الحديد وبه
بعض بريق ذكروا انه معدن
اذا تصفى خرج منه فضة وذهب
واخبرني بعض من اثق بخبره
انه اخذ منه قطعة تزيد في
الوزن على رطلين وذهب بها
عند رجل صائغ فاوقد عليها
نحو قنطار من الفحم بطول
النهار فخرج منها في آخر الامر
وهو ينقلها من بوط الى آخر
بعد كسره قطعة مثل الرصاص
قدر الاوقية وذكروا ايضا ان
بالجبل احجارا سودا توقد في
النار مثل الفحم وذلك لانهم
اتوا بمثل ذلك من بلاد الافرنج
واوقدوها بالفحم فانه كريهة
الرائحة مثل الكبريت ولا
تصير رمادا بل تبقى على
جرمها مع تغير اللون ويحتاج
الى نقلها الى الكيمان وقالوا
ان بداخل جبال الصعيد كذلك فسافر حسن باشا بقصد استخراج هذه الاشياء وامثالها فاقام نحو ثلاثة أشهر وذلك بامر
الباشا الكبير وهم يكسرون الجبل بالبارود فظهر بالجبل بحص يسيل منه دهن اسود بزرقة ورائحته زنخة كبريتية يشبه
النفط وليس هو واتوا بشئ منه الى مصر وأوقدوا منه في السراج فاوقدوا منه سبعة مصابيح واتقطع واشيع في الناس قبل

والشروع في امر الحرب لاجل ان ملكهم الذي هو المقدم عليهم هو ملك الالمان ولقبه
انبرور وقيل معناه ملك الامراء ولان المعظم كان حيا وكان شهما شجاعا مقداما فلما توفي
المعظم كما ذكرناه وولي بعده ابنه وملك دمشق طمع الفرنج وظهروا من عكا وصور
وبيروت الى مدينة صيدا وكانت مناصفة بينهم وبين المسلمين وسورها خراب فعمروها
واستولوا عليها وازالوا عنها حكم المسلمين واتم لهم ذلك بسبب تخريب الحصون
القريبة منها تبنين وهونين وغيرهما وقد تقدم ذكر ذلك قبل مستقصى فعظمت شوكة
الفرنج وقوي طمعهم واستولى في طريقه على جزيرة قبرس وملكها وسار منها الى
عكا فارتاع المسلمون لذلك والله تعالى يخذله وينصر المسلمين بمحمد وآله ثم ان ملكهم
انبرور وصل الى الشام

(ذكر ملك كيقباذ ارزنكان)

وفي هذه السنة ملك علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قلج ارسلان وهو صاحب قونية
واقصرا وملطية وغيرها من بلاد الروم ارزنكان وسبب ملكه اياها ان صاحبها
بهرام شاه وكان قد طال ملكه لها وجاوز ستين سنة توفي ولم يزل في طاعة قلج ارسلان
واولاده بعده فلما توفي ملك بعده ولده علاء الدين داود شاه فارسل اليه كيقباذ يطلب
منه عسكرا ليسير معه الى مدينة ارزن الروم ليحصرها ويكون هو مع العسكر ففعل
ذلك وسار في عسكره اليه فلما وصل قبض عليه واخذ مدينة ارزنكان منه وله حصن
من امنع الحصون اسمه كماخ وفيه مستحفظ لداود شاه فارسل اليه ملك الروم يحصره
فلم يقدر العسكر على القرب منه لعلوه وارتفاعه وامتناعه فتهدد داود شاه ان لم يسلم كماخ
فارسل الى نائبه في التسليم فسلم القلعة الى كيقباذ واراد كيقباذ المسير الى ارزن الروم
لياخذها وبها صاحبها ابن عمه طغرل شاه بن قلج ارسلان فلما سمع صاحبها ذلك
ارسل الى الامير حسام الدين علي النائب عن الملك الاشرف بخلاط يستنجده واظهر
طاعة الاشرف فسار حسام الدين فيمن عنده من العساكر وكان قد جمعها من الشام
وديار الجزيرة خوفا من ملك الروم خافوا انه اذا ملك ارزن الروم يتعدى او يقصد خلاط
فسار الحاجب حسام الدين الى ارزن الروم ومنع عنها ولما سمع كيقباذ بوصول العساكر
اليها لم يتقدم على قصدها فسار من ارزنكان الى بلاده وكان قد اتاه الخبر ان الروم
الكفار المجاورين لبلاده قد ملكوا منه حصنا يسمى صنوب وهو من احصن القلاع
مطل على البحر بحر الخزر فلما وصل الى بلاده سير العسكر اليه وحصره برا وبحرا
فاستعاده من الروم وسار الى انطاكية ليشتي بها على عادته

(ذكر خروج الملك الكامل)

في هذه السنة في شوال سار الملك الكامل محمد ابن الملك العادل صاحب مصر الى الشام

فوصل الى البيت المقدس حرسه الله تعالى وجعله دار الاسلام أبدا ثم سار عنه ونزل بمدينة نابلس وشحن على تلك البلاد جميعها وكانت من أعمال دمشق وهو الى الملك المعظم فخاف أن يقصده ويأخذ دمشق منه فارسل الى عمه الملك الاشرف يستنجده ويطلبه ليحضر عنده بدمشق فسار اليه جريدة فدخل دمشق فلما سمع الكامل بذلك لم يتقدم اليه لان البلد منيع وقد صار به من يمنعه ويحميه وأرسل اليه الملك الاشرف يستعطفه ويعرفه انه ما جاء الى دمشق الا طاعة له وموافقة لاغراضه والاتفاق معه على منع الفرنج عن البلاد فأعاد الكامل الجواب يقول انني ما جئت الى هذه البلاد الا بسبب الفرنج فانهم لم يكن في البلاد من يمنعهم عما يريدونه وقد عمروا صيدا وبعض قيسارية ولم يمنعوا وأنت تعلم ان عمنا السلطان صلاح الدين فتح البيت المقدس فصار لنا بذلك الذكر الجميل على تقضي الاعصار وممر الايام فان أخذه الفرنج حصل لنا من سوء الذكر وقبح الاحدوثة ما يناقض ذلك الذكر الجميل الذي ادخره عمنا وأي وجه يبقى لنا عند الناس وعند الله تعالى ثم انهم ما يقنعون حينئذ بما أخذوه ويتعدون الى غيره وحيث قد حضرت أنت فأنا أعود الى مصر واحفظ انت البلاد ولست بالذي يقال عني اني قاتلت أخي أو حصرته حاشى الله تعالى وتأخر عن نابلس نحو الديار المصرية ونزل تل العجول فخاف الاشرف والناس قاطبة بالشام وعلموا انه ان عاد استولى الفرنج على البيت المقدس وغيره مما يجاوره لا مانع دونه فترددت الرسل وسار الاشرف بنفسه الى الكامل أخيه فحضر عنده وكان وصوله ليلة عيد الاضحية ومنعه من العود الى مصر فأقاما بمكانهما

(ذكر نهب جلال الدين بلاد ارمينية)

في هذه السنة وصل جلال الدين خوارزمشاه الى بلاد خلاط وتعدى خلاط الى صحراء موش وجبل جور ونهب الجميع وسبى الحريم واسترق الاولاد وقتل الرجال وخرب القرى وعاد الى بلاده ولما وصل الخبر الى البلاد الجزرية حران وسروج وغيرهما انه قد جاز خلاط الى جور وانه قد قرب منهم خاف أهل البلاد ان يجيء اليهم لان الزمان كان شتاء وظنوا انه يقصد الجزيرة ليشتي بها لان البرد بها ليس بالشديد وعزموا على الانتقال من بلادهم الى الشام ووصل بعض اهل سروج الى منبج من ارض الشام فأتاهم الخبر انه قد نهب البلاد وعاد فأقاموا وكان سبب عوده ان الثلج سقط ببلاد خلاط كثيرا لم يعهد مثله فأسرع العود

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة رخصت الاسعار بديار الجزيرة جميعها وجاءت الغلات لهم من الحنطة

يلحق صورته بل وصلت مكاتبات بانه خرج من الجبل عين تسيل بالزيت الطيب ولا ينقطع جريانها يكفي مصر واقطاعها بل والدنيا ايضا واخبرني بعض اتباعهم أن الذي صرف في هذه المرة نحو الالف كيس (ومن حوادث هذه السنة) الخارج عن ارض مصر ان السلطان محمودا تغير خاطره على علي باشا المعروف بتبه دلنلي حاكم بلاد الارنؤد وجرد عليه العساكر ووقع لهم معه حروب ووقائع واستولوا على اكثر البلاد التي تحت حكمه وتحصن هو في قلعة منيعة وعلي باشا هذا في مملكة واسعة وجنود كثيرة وله عدة اولاد متامرين كذلك وبلادهم بين بلاد الروملي والنمسا ويقال ان بعض أولاده دخل تحت الطاعة وكذلك الكثير من عساكره وبقي الامر على ذلك ودخل الشتاء وانقضت السنة ولم يتحقق عنه خبر (ومنها) أمر المعاملة وما يقع فيها من التخليط والزيادة حتى بلغ صرف الريال الفرانسه اثني عشر قرشا منها اربعمائة وثمانون نصفا والبندقي ألف فضة وكذلك المجر والفندقلي الاسلامبولي سبعة عشر قرشا والقرش الاسلامبولي يعني المضروب هناك المنقول الى مصر يصرف بقرشين ويبح يزيد عن المصري ستين نصفا وكذلك الفندقلي الاسلامبولي يصرف في بلدته باحد عشر قرشا وبمصر بسبعة عشر كما تقدم فتكون زيادته ستة قروش وكذلك الفرانسا في بلادها تصرف باربعة قروش وباسلامبول بسبعة وبمصر باثني عشر واما الانصاف العددية التي تذكر في المصارفات فلا وجود لها اصلا الا في النادر والشعير جدا واستغنى الناس عنها الغلو الاثمان في جميع المبيعات والمشتروات وصار الدينار الذي يقال له الخيساوية اي صرفه خمسة انصاف هو بدل النصف لانه لما بطل ضرب القروش بضربخانة مصر وعوض عنها انصاف القرش وربعه وثمنه

والشعير جيدا الآن الرخص لم يبلغ الأول الذي كان قبل الغلاء انما صارت الحنطة كل خمس مكاكيك بدينار والشعير كل سبعة عشر مكوكا بالموصلي بدينار

(ثم دخلت سنة ست وعشرين وستمائة)

(ذكر تسليم البيت المقدس الى الفرنج)

في هذه السنة اول ربيع الآخر تسلم الفرنج لعنهم الله البيت المقدس صانها اعاده الله الى الاسلام سريعا وسبب ذلك ما ذكرناه سنة خمس وعشرين وستمائة من خروج الانبرور ملك الفرنج من بلاد الفرنج داخل البحر الى ساحل الشام وكانت عساكره قد سبقته ونزلوا الساحل وافسدوا من يجاورهم من بلاد المسلمين ومضى اليهم وهم بمدينة صور طائفة من المسلمين يسكنون الجبال المجاورة لمدينة صور واطاعوهم وصاروا معهم وقوى طمع الفرنج بموت الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب صاحب دمشق ولما وصل الانبرور الى الساحل نزل بمدينة عكا وكان الملك الكامل صاحب مصر قد خرج من الديار المصرية يريد الشام بعد وفاة اخيه المعظم وهو نازل بتل العجول يريد ان يملك دمشق من صلاح الدين داود بن المعظم وهو صاحبها يومئذ وكان داود لما سمع بقصد عمه الملك الكامل له قد ارسل الى عمه الملك الاشرف صاحب البلاد الجزرية يستنجده ويطلب منه المساعدة على دفع عمه عنه فسار الى دمشق وترددت الرسل بينه وبين اخيه الملك الكامل في الصلح فاصطلحا واتفقا وسار الملك الاشرف الى الملك الكامل واجتمع به فلما اجتمعا ترددت الرسل بينهما وبين الانبرور ملك الفرنج دفعات كثيرة فاستقرت القاعدة على ان يسلموا اليه البيت المقدس ومعه مواضع يسيرة من بلاده ويكون باقي البلاد مثل الخليل ونابلس والغور وطبرية وغير ذلك بيد المسلمين ولا يسلم الى الفرنج الا البيت المقدس والمواضع التي استقرت معه وكان سور البيت المقدس خرابا قد خربه الملك المعظم وقد ذكرنا ذلك وتسلم الفرنج البيت المقدس واستعظم المسلمون ذلك واكبروه ووجدوا له من الوهن والتألم ما لا يمكن وصفه يسر الله فتحه وعوده الى المسلمين بمنه وكرمه آمين

(ذكر ملك الملك الاشرف مدينة دمشق)

وفي هذه السنة يوم الاثنين ثاني شعبان ملك الملك الاشرف ابن الملك العادل مدينة دمشق من ابن اخيه صلاح الدين داود بن المعظم وسبب ذلك ما ذكرناه ان صاحب دمشق لما خاف من عمه الملك الكامل ارسل الى عمه الاشرف يستنجده ويستعين به على دفع الكامل فسار اليه من البلاد الجزرية ودخل دمشق وفرح به صاحبها واهل

الذي هو البندقي لم يبق بالقطر الا ما كان موجودا قبل وهو كثير يتداول بايدي الناس واهل القرى ويعود الى الخزينة ويصرف في المصارف والمشاهرات وعلائف العساكر وهم كذلك يشترون لوازمهم فتذهب وتعود وهكذا فكور مع الفلك كلما دار ويصرف القرش عند الاحتياج الى صرفه بسبعة من البندقي بنقص الثمن فيه باعتبار كونها في مقام النصف يكون القرش بسبعة انصاف لا غير وباعتبار ذلك يكون الالف فضة بمائة وخمسة وسبعين فضة لان الخمسة وعشرين قرشا التي هي بدل الالف اذا نقصت في المصارفة الثمن تكون احدى وعشرين واذا ضربنا السبعة في الخمسة وعشرين كانت مائة وخمسة وسبعين وفيها من الفضة الخالصة دراهم لا غير واوزان هذه القطع مختلفة لا تجد قطعة وزن نظيرتها وفي ذلك غرط آخر والقليل في الكثير كثير والذي ادركناه في الزمن السابق ان هذه القروش لم يكن لها وجود بالقطر المصري البتة واول من احدثها بمصر علي بك الغازدغلي بعد الثمانين ومائة والف عندما استفحل امره واكثر من العساكر والنفقات واظهر العصيان على الدولة ولما استولى محمد بك المعروف بابي الذهب ابطلها وازالها من الاقليم وخسر الناس بسبب ابطالها حصة من اموالهم وفرحهم بابطالها لم يتأثروا بتلك الخسارة لكثرة الخير والمكاسب ولم يبق من اصناف المعاملة الا انواع الذهب الاسلامي والافرنجي والفرانسه ونصفه وربعه والفضة الصغيرة التي يقال لها نصف فضة مع رخاء الاسعار وكثرة المكاسب ويصرف هذا النصف بعدد من الافلس النحاس التي يقال لها الجدد اما عشرة او اثنا عشر اذا كانت مضروبة ومختومة او عشرين اذا كانت صغيرة وبخلاف ذلك ويقال

البلد وكانوا قد احتاطوا وهم يتجهزون للحصار فاحربا زاء ذلك وترك ما عزموا عليه من الاحتياط وخاف اصحابهما على المساعدة والحفظ له ولبلاده عليه وراسل الملك الكامل واصطلحا وظن صاحب دمشق انه معهما في الصلح وسار الاشرف الى اخيه الكامل واجتمعا في ذي الحجة من سنة خمس وعشرين يوم العيد وسار صاحب دمشق الى بيسان وأقام بها وعاد الملك الاشرف من عند اخيه واجتمع هو وصاحب دمشق ولم يكن الاشرف في كثير من العسكر فبينما هما جالسان في خيمة لهما واذ قد دخل عز الدين ايبك مملوك المعظم الذي كان صاحب دمشق وهو اكبر امير مع ولده فقال لصاحبه داود قم اخرج والا قبضت الساعة فاخرجه ولم يمكن الاشرف منعه لان ايبك كان قد اركب العسكر الذي له جميعه وكانوا اكثر من الذين مع الاشرف فخرج داود وسار هو وعسكره الى دمشق وكان سبب ذلك ان ايبك قيل له ان الاشرف يريد القبض على صاحبه وأخذ دمشق منه ففعل ذلك فلما عادوا وصلت العساكر من الكامل الى الاشرف وسار فنازل دمشق وحصرها وأقام محاصرا لها الى ان وصل اليه الملك الكامل فحينئذ اشتد الحصار وعظم الخطب على اهل البلد وبلغت القلوب الحناجر وكان من أشد الامور على صاحبها ان المال عنده قليل لان امواله بالكرك ولو ان قوته بعمه الاشرف لم يحضر منها شيئا فاحتاج الى أن باع حلى نسائه وملبوسهم وضاقت الامور عليه فخرج الى عمه الكامل وبذل له تسليم دمشق على ان يبقى عليه الكرك وقلعة الشوبك والغور ونابلس وتلك الاعمال وان يبقى على ايبك قلعة صرخد واعمالها وتسلم الكامل دمشق وجعل نائبه بالقلعة الى ان سلم اليه اخوه الاشرف حران والرها والرقة وسروج ورأس العين من الجزيرة فلما تسلم ذلك سلم قلعة دمشق الى اخيه الاشرف فدخلها واقام بها وسار الكامل الى الديار الجزرية فاقام بها الى ان استدعى اخاه الاشرف بسبب حصر جلال الدين خوارزمشاه مدينة خلاط فلما حضر عنده بالرقة عاد الكامل الى ديار مصر واما الاشرف فكان منه ما نذكره ان شاء الله تعالى

❁(ذكر القبض على الحاجب علي وقتله)❁

وفي هذه السنة ارسل الملك الاشرف مملوكه عز الدين ايبك وهو امير كبير في دولته الى مدينة خلاط وامره بالقبض على الحاجب حسام الدين علي بن حماد وهو المتولي لبلاد خلاط والحاكم فيها من قبل الاشرف ولم نعلم شيئا يوجب القبض عليه لانه كان مشفقا عليه ناصحا له حافظا لبلاده حسن السيرة مع الرعية ولقد وقف هذه المدة الطويلة في وجه خوارزمشاه جلال الدين وحفظ خلاط حفظا يعجز غيره عنه وكان مهتما بحفظ بلاده

لما العادة فكان غالب المعقرات يقضى بهذه الجدد بالتجديد واختلاف المعقرات وفي البيع والشراء وكان يجلب منها الكثير مع الحجاج المغاربة في الغالي ويبيعونها على أهل الاسواق بوزن الارطال ويحبون فيها فكان الفقير والاجير اذا اكتسب نصفا وصرفه بهذه الجدد كفاه نفقة يومه مع عياله الاسعار ويشترى منها خبزا وادما واذا احتاج الطابخ لوازم الطبخة في التقلية أخذ من البقال البصل والثوم والسلق والكسبرة والبقدونس والفجل والكراث والليمون الصنف او الصنفين او الثلاثة بالجديد الواحد وقد انعدمت هذه الجدد بالكلية واذا وجدت فلا ينتفع بها اصلا وصار النصف الفضة بمنزلة الجديد النحاس ولا وجود له أيضا وصارت الخمساوية بمنزلة النصف بل واحقر لانه كان يصرف بعدد كثير من الجدد وهذه بخمسة فقط فاذا أخذ الشخص شيئا من المعقرات بنصف او نصفين او ثلاثة ما كان يؤخذ بجديد او جديدين لم يجد عند البائع بقية الخمساوية فاما يترك الباقي لوقت احتياج آخر ان كان يعرفه والا تعطل واذا كان الانسان بالسوق ولحقه العطش فيشرب من السقاء الطواف ويعطيه جديدا او يملأ صاحب الحانوت ابريقه بجديد وفي هذه الايام اذا كان الشخص لم يكن معه بذلك يشرب به والا بقي عطشان حتى يشرب من داره ولا يهون عليه ان يدفع ثمن قربة في شربة ماء وذلك لعدم وجودها لنصف وكذلك الصدقة على الفقراء وامثالهم وقد كان الناس من وذبابا أرباب البيوت اذا زاد بعد ثمن اللحم والخضار نصف يسألون الخادم في اليوم الثاني عنه لكونه نصف المصروف ويحاسبونه عليه وكان صاحب العيال وذوو البيوت المحتوية على عدة اشخاص من عيال وجوار وخدم اذا ادخر الغلة والسمن والعسل

وذابا عنها وقد تقدم من ذكر قصده بلاد جلال الدين والاستيلاء على بعضها ما يدل على همة عالية وشجاعة تامة وصار لصاحبه بمنزلة عظيمة فإن الناس يقولون بعض غلمان الملك الاشرف يقاوم خوارزمشاه وكان رحمه الله كثير الخير والاحسان لا يمكن احدا من ظلم وعمل كثيرا من اعمال البر من الخانات في الطرق والمساجد في البلاد وبنى بخلاط بيمارستانا وجامعا وعمل كثيرا من الطرق واصلحها كان يشق سلوكها فلما وصل ايبك الى خلاط قبض عليه ثم قتله غيلة لانه كان عدوه واما قتل طهر اثر كفايته فان جلال الدين حصر خلاط بعد قبضه وملكها على ما نذكره ان شاء الله ولم يمهل الله ايبك بل انتقم منه سريعا فان جلال الدين أخذ ايبك أسيرا لما ملك خلاط مع غيره من الامراء فلما اصطلح الاشرف وجلال الدين اطلق الجميع وذكر ان ايبك قتل وكان سبب قتله ان مملوكا للحاجب علي كان قد هرب الى جلال الدين فلما أسر ايبك طلبه ذلك المملوك من جلال الدين ليقتله بصاحبه الحاجب علي فسلمه اليه فقتله وبلغني ان الملك الاشرف رأى في المنام كان الحاجب عليا قد دخل الى مجلس فيه ايبك فاخذ منديلا وجعله في رقبة ايبك وأخذه وخرج فاصبح الملك الاشرف وقال قد مات ايبك فاني رأيت في المنام كذا وكذا

(ذكر ملك الكامل مدينة حماة)

وفي هذه السنة أواخر شهر رمضان ملك الملك الكامل مدينة حماة وسبب ذلك ان الملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر وهو صاحب حماة توفي على ما نذكره ولما حضرته الوفاة حلف الجند واكابر البلد لولده الاكبر ويلقب بالملك المظفر وكان قد سيره أبوه الى الملك الكامل صاحب مصر لانه كان قد تزوج بابنته وكان لمحمد ولد آخر اسمه قلج ارسلان ولقبه صلاح الدين وهو بدمشق فحضر الى مدينة حماة فسلمت اليه واستولى على المدينة وعلى قلعتها فارسل الملك الكامل يامره أن يسلم البلد الى أخيه الاكبر فان اباه اوصى له به فلم يفعل وترددت الرسل في ذلك الى الملك المعظم صاحب دمشق فلم تقع الاجابة فلما توفي المعظم وخرج الكامل الى الشام وملك دمشق سير جيشا الى حماة فحصرها ثالث شهر رمضان وكان المقدم على هذا الجيش أسد الدين شيركوه صاحب حمص وأمير كبير من عسكره يقال له فخر الدين عثمان ومعهما ولد محمد تقي الدين الذي كان عند الكامل فبقي الحصار على البلد عدة أيام وكان الملك الكامل قد سار من دمشق ونزل على سلمية يريد العبور الى البلاد الجزرية حران وغيرها فلما نازلها قصده صاحب حماة صلاح الدين ونزل اليه من قلعته ولم يكن لذلك سبب الا امر الله تعالى فان صلاح الدين قال لاصحابه أريد النزول الى الملك الكامل فقالوا له ليس بالشام أحصن

والحطب ونحو ذلك يكفيه في مصروف يومه العشرة انصاف فضة او ينيف عليها ما يخص الهم والغم واما اليوم فلا يقوم مقامها العشرة فلوس وازيد للغلو والاسعار في كل شيء بسبب الحوادث والاحتكارات السابقة والمتجددة كل وقت في جميع الاصناف ولا يخفى ان اسباب الخراب التي نص عليها المتقدمون اجتمعت وتضاعفت في هذه السنين وهي زيادة الخراج واختلال المعاملة ايضا والمكوس وزاد على ذلك احتكار جميع الاصناف والاستيلاء على ارزاق الناس فلا تجد مرزوقا الا من كان في خدمة الدولة متوليا على نوع من أنواع المكوس أو مباشرا او كاتبا او صانعا في الصنائع المحدثة ولا يخلو من هفوة ينم بها عليه فيحاسب مدة استيلائه فيجتمع عليه جملة من الاكياس فيلزم بدفعها وربما باع داره ومتاعه فلا يبقى عاثا ما عليه فاما يهرب ان امكنه الهرب واما يبقى في الحبس هذا ان كان من ابناء العرب واهالي البلدة واما ان كان بخلاف ذلك فربما سومح او تصدى له من يخفف عنه او يدخله في منصب او شركة فيترفع حاله ويرجع احسن ما كان (ومما حدث) ايضا في هذه السنة الاستيلاء على صناعة الخيش والقصب والتلي الذي يصنع من الفضة للطرازات والقصبات والمناديل والمحارم ونحوها من الملابس وذلك باغراء بعض صناعهم وتحاسدهم وان مكسبها يزيد على الف كيس في السنة لان غالب

الحوادث باغراء الناس على بعضهم البعض وكذلك الاستيلاء على وكالة الجلابة التي يباع فيها الرقيق من العبيد والجواري السود وغيرهم من البضائع التي تجلب من بلاد السودان كسن الفيل والتمرهندي والشمع ورواية الماء وريش النعام وغير ذلك (ومنها) الحجر على سن الفيل وشمعه فيضبط جميعه بالديوانة

ن قلعتك وقد جمعت من الذخائر ما لاحد له فلاى شئ تنزل اليه ليس هذا برأى فاصر على النزول وأصروا على منعه فقال فى آخر الامر اتركونى انزل والا ألقيت نفسى من القلعة فحينئذ سكتوا عنه فنزل فى نفر يسير ووصل الى الكامل فاعتقله الى ان سلم مدينة حماة وقلعتها الى أخيه الاكبر الملك المظفر وبقى بيده قلعة بارين حسب فانها كانت له وكان هو كالباحث بظلفه على حتفه

(ذكر حصر جلال الدين خلاط وملكها)

وفى هذه السنة أوائل شوال حصر جلال الدين خوارزمشاه مدينة خلاط وهى للملك الاشرف وبها عسكره فامتنعوا بها وأعانهم أهل البلد خوفا من جلال الدين لسوء سيرته وأسرفوا فى الشتم والسفه فأخذه اللجاج معهم واقام عليهم جميع الشتاء محاصرا وفرق كثيرا من عساكره فى القرى والبلاد القريبة من شدة البرد وكثرة الثلج فان خلاط من أشد البلاد بردا واكثرها ثلجا وأبان جلال الدين عن عزم قوى وصبر تحار العقول منه ونصب عليها عدة منجنيقات ولم يزل يرميها بالحجارة حتى خرب بعض سورها فاعاد أهل البلد عمارته ولم يزل مصابرهم وملازمهم الى اواخر جمادى الاولى من سنة سبع وعشرين فزحف اليها زحفا متتابعا وملكها عنوة وقهرا يوم الاحد الثامن والعشرين من جمادى الاولى سلمها اليه بعض الامراء غدرا فلما ملك البلد صعد من فيه من الامراء الى القلعة التى لها وامتنعوا بها وهو ومنازلهم ووضع السيف فى اهل البلد وقتل من وجد منهم وكانوا قد قلوا فان بعضهم فارقوه خوفا وبعضهم خرج منه من شدة الجوع وبعضهم مات من القلة وعدم القوت فان الناس فى خلاط أكلوا الغنم ثم البقر ثم الجواميس ثم الخيل ثم الحمير ثم البغال والكلاب والسنانير وسمعنا انهم كانوا يصطادون الفار ويأكلونه وصبروا صبرا لم يلحقهم فيه أحد ولم يملك من بلاد خلاط غيرها وما سواها من البلاد لم يكونوا ملكوه وخربوا خلاط واكثروا القتل فيها ومن سلم هرب فى البلاد وسبوا الحريم واسترقوا الاولاد وباعوا الجميع فتمزقوا كل ممزق وتفرقوا فى البلاد ونهبوا الاموال وجرى على أهلها ما لم يسمع بمثله لاجرم لم يمهله الله تعالى وجرى عليه من الهزيمة بين المسلمين والتتر ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

فى أواخر هذه السنة قصد الفرنج حصن بارين بالشام ونهبوا بلاده وأعماله وأسروا وسبوا ومن جملة من ضروا به طائفة من التركمان كانوا نازلين فى ولاية بارين فاخذوا الجميع ولم يسلم منهم الا النادر الشاذ والله اعلم

ويباع رطل الشمع بستة قروش ولا يوجد الا ما كان مغشوشا ويباع خفية وكان رطله قبل الغلاء بثلاثة قروش فاذا وجدت مراكب الى الساحل نزل اليها المفتشون على الاشياء ومن جملتها الشمع فيأخذون ما يجدونه ويحسب لهم بالقياس ثمن فان أخفى شيئا وعثر واطلع عليه أخذوه بلا ثمن ونكلوا بالشخص الذى يجدون معه ذلك وسموه مرابيا ليرتدع غيره والمتولى على ذلك نصارى واعوانهم لادين لهم وقد عاف النحل فى هذه السنة وامتنع وجود العسل وكذلك ثمر النخيل بل والغلال فلم تزك فى هذه السنين مع كثرة الاسيال التى غرقت منها الاراضى بل وتعطل بسببها الزرع وزادت اثمانها وخصوصا الفول واما العدس فلا يوجد أيضا الا نادرا * وكذلك الترمس بالملاحة وتوابعها من زاد فى ماهما وبلغ ثمن الكيلة قرشا وكانت قبل ذلك بثلاثين نصفا وفيما ادركنا بثلاثة انصاف واما أجر الاجراء والفعلة والمعمرين فابتذل النصف بالقرش وكذلك ثمن الجير البلدى والجبس لان عمائر أهل الدولة مستديمة لاتنقضى أبدا ونقل الاتربة الى الكيمان على قطارات الجمال والحمير من شروق الشمس الى غروبها حتى سترعلوها الافق من كل ناحية واذا بنى أحدهم دارا فلا يكفيه فى ساحتها الكثير ويأخذ ما حولها من دور الناس بدون القيمة ليوسع بها داره ويأخذ ما بقى فى تلك الخطة لخاصته وأهل دائرته ثم يبنى اخرى كذلك لديوانه وجمعيته واخرى لعسكره وهكذا * واما (ثم سليمان أغا السلحدار فهو الداهية العظمى والمصيبة الكبرى فانه تسلط على بقايا المساجد والمدارس والتكايا التى بالصحراء ونقل احجاره الى داخل باب البرقية المعروف بالغريب وكذلك ما كان جهة باب النصر وجمعوا احجارها

(ثم دخلت سنة سبع وعشرين وستمائة)

(ذكر انهزام جلال الدين من كيقباذ والاشرف)

فى هذه السنة يوم السبت الثامن والعشرين من رمضان انهزم جلال الدين خوارزمشاه من علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم قونية واقصرا وسيواس وملطية وغيرها ومن الملك الاشرف صاحب دمشق وديار الجزيرة وخلاط وسبب ذلك ان جلال الدين كان قد اطاعه صاحب ارزن الروم وهو ابن عم علاء الدين ملك الروم وبينه وبين علاء الدين عداوة مستحكمة وحضر صاحب ارزن الروم عند جلال الدين على خلاط واعانه على حصرها فخافهما علاء الدين فارسل الى الملك الكامل وهو حينئذ بحران يطلب منه ان يحضر اخاه الاشرف من دمشق فانه كان مقيما بها بعد ان ملكها وتابع علاء الدين الرسل بذلك خوفا من جلال الدين فاحضر الملك الكامل اخاه الاشرف من دمشق فحضر عنده ووصل علاء الدين اليهما متتابعة يحث الاشرف على المجىء اليه والاجتماع به حتى قيل انه فى يوم واحد وصل الى الكامل والاشرف من علاء الدين خمسة رسل و يطلب مع الجميع وصول الاشرف اليه ولو وحده فجمع عساكر الجزيرة والشام وسار الى علاء الدين فاجتمعا بسيواس وسارا نحو خلاط فسمع جلال الدين بهما فسار اليهما مجدا فى السير فوصل اليهما بمكان يعرف بياسى جار (٣) وهو من اعمال ارزنجان فالتقوا هنالك وكان مع علاء الدين خلق كثير قيل كانوا عشرين الف فارس وكان مع الاشرف نحو خمسة آلاف الا انهم من العساكر الجيدة الشجعان لهم السلاح الكثير والدواب الفارهة من العربيات وكل منهم قد جرب الحرب وكان المقدم عليهم امير من امراء عساكر حلب يقال له عز الدين عمر بن على وهو من الاكراد الهكارية ومن الشجاعة فى الدرجة العليا وله الاوصاف الجميلة والاخلاق الكريمة فلما التقوا بهت جلال الدين لما رأى من كثرة العساكر لاسيما لما رأى عسكر الشام فانه شاهد من تجملهم وسلاحهم ودوابهم ما ملأ صدره رعبا فانشب عز الدين بن على القتال ومعه عسكر حلب فلم يقم لهم جلال الدين ولا صبر ومضى منهزما هو وعسكره لا يلوى الاخ على اخيه وتفرقت اصحابه وتمزقوا كل ممزق وعادوا الى خلاط فاستصحبوا معهم من فيها من اصحابهم وعادوا الى اذربيجان فنزلوا عند مدينة خوى ولم يكونوا قد استولوا على شئ من اعمال خلاط سوى خلاط ووصل الملك الاشرف الى خلاط فرآها خاوية على عروشها خالية من الاهل والسكان قد جرى عليهم ما ذكرناه قبل

خارج باب النصر واقام تجاهه خان الخليلى وكالة وجعل بها حواصل وطباقا واسكنها نصارى الاروام والارمن باجرة زائدة اضعاف الاجر المعتادة وكذلك غيرهم ممن رغب فى السكنى وفتح لها بابا يخرج منه الى وكالة الجلابة الشهيرة التى بالخرنفش لانها بظاهرها واجر الحوانيت كذلك باجرة زائدة فاجر الحانوت بثلاثين قرشا فى الشهر وكانت الحانوت تؤجر بثلاثين نصفا فى الشهر والعجب فى اقدام الناس على ذلك واسراعهم فى تأجرهم قبل فراغ بنائها مع ادعائهم قلة المكاسب ووقف الحال ولكنهم ايضا يستخرجونها من لحم الزبون وعظمه ثم اخذ بناحية داخل باب النصر مكانا متسعا يسمى حوش عطى بضم العين وفتح الطاء وسكون الياء كان عطا لدربان الطور ونحوهم اذا وردوا بقوا فيه هم بالفحم والقلى وغيره وكذلك اهالى شرقية بلبيس فانشا فى ذلك المكان ابنية عظيمة تحتوى على خانات متداخلة وحوانيت وقهاوى وساكن وطباق وسكن غالبها ايضا الارمن وخلافهم بالاجر الزائدة ثم انتقل الى جهة خان الخليلى فاخذ الخان المعروف بخان القهوة وما حوله من البيوت والاماكن والحوانيت والجامع ايضا ولذلك تصلى فيه الجمعة بالخطبة فهدم ذلك جميعه وانشا خانا كبيرا يحتوى على حواصل وطباق وحوانيت عدتها اربعون حانوتا اجرة كل حانوت ثلاثون قرشا فى كل شهر وانشأ وفق السبيل وبعض الحوانيت زاوية لطيفة بصدد اليهود عوضا عن الجامع ثم انتقل الى جهة الخرنفش بخط الامشاطية فاخذ اماكن ودورا وهدمها وهو الآن مجتهد فى تعميرها كذلك فكان يطلب رب المكان ليعطيه الثمن فلا يجد بدا من الاجابة فيدفع له ما سمحت به نفسه ان شاء عشر الثمن او اقل او ازيد بقليل

(ذكر ملك علاء الدين ارزن الروم)

قد ذكرنا ان صاحب ارزن الروم كان مع جلال الدين على خلاط ولم يزل معه وشهد معه المصاف المذكور فلما انهزم جلال الدين أخذ صاحب ارزن الروم أسيرا فاحضر عند علاء الدين كيقباذ ابن عمه فاخذه وقصد ارزن الروم فسلمها صاحبها اليه هي وما يتبعها من القلاع والخزائن وغيرها فكان كما قيل خرجت النعامة تطلب قرنين فعادت بلا اذنين وهكذا هذا المسكين جاء الى جلال الدين يطلب الزيادة وعده بشئ من بلاد علاء الدين فأخذ ماله وما بيده من البلاد وبقي أسيرا فسبحان من لا يزول ملكه

(ذكر الصلح بين الاشرف وعلاء الدين وبين جلال الدين)

لما عاد الاشرف الى خلاط ومضى جلال الدين منهزما الى خوى ترددت الرسل بينهما فاصطلحوا كل منهم على ما بيده واستقرت القواعد على ذلك وتحالفوا فلما استقر الصلح وجرت الايمان عاد الاشرف الى سنجار وسار منها الى دمشق فاقام جلال الدين ببلاده من أذربيجان الى ان خرج عليه التتر على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك شهاب الدين غازى مدينة ارزن)

كان حسام الدين صاحب مدينة ارزن من ديار بكر لم يزل مصاحبا للملك الاشرف مناصحا له مشاهدا جميع حروبه وحوادثه وينفق أمواله في طاعته ويبذل نفسه وعساكره في مساعدته فهو يعادى أعداءه ويوالى أولياءه ومن جملة موافقته انه كان في خلاط لما حصرها جلال الدين ولقى من الشدة والخوف ما لقيه بها وصبر الى أن ملكها جلال الدين فاسره جلال الدين وأراد ان يأخذ منه مدينة ارزن فقيل له ان هذا من بيت قديم عريق في الملك وانه ورث هذا ارزن من اسلافه وكان لهم سواها من البلاد فخرج الجميع من أيديهم فعطف عليه ورق له وأبقى عليه مدينته وأخذ عليه العهود والمواثيق انه لا يقاتله فعاد الى بلده وأقام به فلما جاء الملك الاشرف وعلاء الدين وصار بين جلال الدين سار شهاب الدين غازى ابن الملك العادل وهو أخو الاشرف وله مدينة ميافارقين ومدينة حانى وهو بمدينة ارزن فحصرها وملكها من صاحبها وعوضه عنها بمدينة حانى من ديار بكر وحسام الدين هذا نعم الرجل حسن السيرة كريم جواد لا يخلو بابه من جماعة يردون اليه يستمنحونه وسيرته جميلة في ولايته ورعيته وهو من بيت قديم يقال لهم بيت طغان ارسلان كان لهم مع ارزن بدليس ووسطان وغيرهما ويقال لهم بيت الاحدب وهذه البلاد معهم من أيام ملكشاه بن ألب ارسلان السلجوقى فاخذ بكتمر صاحب خلاط منهم بدليس أخذها من عم حسام الدين هذا لانه كان

وذلك الشفاعة او واسطة خير واذا قيل له اتق الله وقف ولا .... لا عبد الله لعدم تخريه ان يعتبر ... يعطيه لانهم يأتي بكشاف العاقل فيرجعوا بالقبض له وكان يثقل عليه لفظة وقف ويقول ايش يعني وقف واذا كان على المكان حكر لجهة وقف اصبح لا يدفعه ولا يلتفت لتلك اللفظة ايضا ويقم في اسرع وقت لنسفه وقوة مراسه على ارباب الاشغال والمؤنة ولا يطلق الفعلة الرواح بل يحبسهم على الدوام الى باكر النهار ويواظبونهم من آخر الليل بالضرب ويبتدئون في العمل من وقت صلاة الشافعي الى قبيل الغروب حتى في شدة الحر في رمضان واذا ضعفوا من الحر والعطش امرهم مشد العمارة بالشرب واحضر لهم السقاء ليسقيهم وظن أكثر الناس ان هذه العمائر اغاهي لخدومه لانه لا يسمع لشكوى احد فيه واشتد في هذا النار بخراب المساكن بالمدينة وضاقت باهلها لشمول الخراب وكثرة الاعراب وخصوصا المخالفين ملة فهم الآن أعيان الناس يتقلدون المناصب ويلبسون ثياب الاكابر ويركبون البغال والخيول المسومة والرهوانات وامامهم وخلفهم العبيد والخدم وبايديهم العصى يطردون الناس ويفرجون لهم الطرق ويتسرون بالجوارى بيضا وحبوشا ويسكنون المساكن العالية الجليلة يشترونها باغلى الاثمان ومنهم من له دار بالمدينة ودار مطلة على البحر للنزاهة ومنهم من عمر له دارا وصرف عليها ألوفا من الاكياس وكذلك أكابر الدولة لا مقيلا كل من كان في خطة على موافقا جميع دورها وأخذها من او بابها باى وجه وتوصلوا بتقليدهم مناصب البدع الى اذلال المسلمين لانهم يحتاجون الى كتبة وخدم واعوان والتحكم في اهل الحرفة بالضرب والشتم والحبس من غير انكار ويقف الشريف والعامى بين يدي

الكافر فليلا فضاقت بالناس المساكن وزادت قيمتها اضعاف الاضعاف وابدل لفظ الريال الذى كان يذكر فى قيم الاشياء بالكيس وكذلك الابر والاعرف كل شئ فى الازدياد والله لطيف بالعباد ولوا ردنا استيفاء بعض الكليات فضلا عن الجزئيات لطال المقال وامتد المجال وعشنا ومتنا ما نرى غير ما نرى ◎ تشابهت الهيماء وزاد ابهامها نسأل الله حسن اليقين وسلامة الدين

واتفق الصلاح الدين يوسف بن أيوب فقصده بكتمر لذلك وبقيت ارزن بيده هذا الى الآن فاخذت منه ولكل اول آخر فسبحان من لا اول له ولا آخر لبقائه

◎(ذكر ملك صونج قشيالوا قلعة رويندز)◎

وفى هذه السنة ظهر أمير من امراء التتر كان اسمه صونج ولقبه شمس الدين واسم قبيلته قشيالوا وقوى أمره وقطع الطريق وكثر جمعه وكان بين اربل وهمذان وهو ومن معه يقطعون الطريق ويفسدون فى الارض ثم انه تعدى الى قلعة منيعة اسمها سار وهى لمظفر الدين وقتل عندها اميرا كبيرا من أمراء مظفر الدين يعرف بعز الدين الحميدى فجمع مظفر الدين وأراد استعادتها منه فلم يمكنه لحصانتها ولكثرة الجموع مع هذا الرجل فاصطلحا على ترك القلعة بيده وكان عسكر لجلال الدين خوارزمشاه يحصرون قلعة رويندز وهى من قلاع اذربيجان من أحصن القلاع وامنعها لا يوجد مثلها وقد طال الحصار على من بها فاذعنوا بالتسليم فارسل جلال الدين بعض خواص أصحابه وثقاته ليتسلمها وارسل معه الخلع والمال لمن بها فلما صعد ذلك القاصد الى القلعة وتسلمها اعطى بعض من بالقلعة ولم يعط البعض واستذلهم وطمع فيهم حيث استولى على الحصن فلما رأى من لم يأخذ شيئا من الخلع والمال ما فعل بهم ارسلوا الى صونج يطلبونه ليسلموا اليه القلعة فسار اليهم فى أصحابه فسلموها اليه فسبحان من اذا اراد أمرا سهله هذه قلعة رويندز لم تزل تتقاصر عنها قدرة اكابر الملوك وعظمائهم من قديم الزمان وحديثه وتضرب الامثال بحصانتها لما أراد الله سبحانه وتعالى ان يملكها هذا الرجل الضعيف سهل له الامور فملكها بغير قتال ولا تعب وازال عنها اصحاب مثل جلال الدين الذى كل ملوك الارض تهابه وتخافه وكان اصحاب جلال الدين كما قيل رب ساع لقاعد فلما ملكها صونج طمع فى غيرها لا سيما مع اشتغال جلال الدين بما اصابه من الهزيمة ومجئ التتر فنزل من القلعة الى مراغة وهى قريب منها فحصرها فاتاه سهم غرب فقتله فلما قتل ملك رويندز اخوه ثم ان هذا الاخ الثانى نزل من القلعة وقصد اعمال تبريز ونهبها وعاد الى القلعة ليجعل فيها من ذلك النهب والغنيمة ذخيرة خوفا من التتر وكانوا قد خرجوا فصادفه طائفة من التتر فقتلوه واخذوا ما معه من النهب ولما قتل ملك القلعة ابن اخت له وكان هذا جميعه فى مدة سنتين فاف لدنيا لا تزال تتبع فرحة بترحة وكل حسنة بسيئة

◎(ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وستمائة)◎

◎(ذكر خروج التتر الى اذربيجان وما كان منهم)◎

(ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائتين والف)

(استهل شهر المحرم بيوم الاثنين) وفى اوائله حضر الباشا من الاسكندرية (وفيه) من الحوادث ان الشيخ ابراهيم الشهير بباشا المالكى بالاسكندرية قرر فى درس الفقه ان ذبيحة اهل الكتاب فى حكم الميتة لا يجوز اكلها وما ورد من اطلاق الآية فانه قبل ان يغيروا او يبدلوا فى كتبهم فلما سمع فقهاء الثغر ذلك انكروه واستغربوه ثم تكلموا مع الشيخ ابراهيم المذكور وعارضوه فقال انا لم اذكر ذلك بفهمى وعلمى وانما تلقيت ذلك عن الشيخ على الميلى المغربى وهو رجل عالم متورع موثوق بعلمه ثم انه ارسل الى شيخه المذكور بمصر يعلمه بالواقع فالف رسالة فى خصوص ذلك واطنب فيها فذكر اقوال المشايخ والخلافات فى المذاهب واعتمد قول الامام الطرطوشى فى المنع وعدم الحل وحشا الرسالة بالحط على علماء الوقت وحكامه وهى نحو الثلاثة عشر كراسة وارسلها الى الشيخ ابراهيم فقرأها على اهل الثغر فكثر اللغط والانكار خصوصا واهل الوقت اكثرهم مخالفون للملة وانتهى الامر الى الباشا فكتب مرسوما الى كتخدا بك بمصر وتقدم اليه بانه يجمع مشايخ الوقت لتحقيق المسئلة وارسل اليه بالرسالة ايضا المصنفة فاحضر كتخدا بك المشايخ وعرض عليهم الامر

فالطف الشيخ محمد العروسي العبارة وقال الشيخ علي الميلي رجل من العلماء تلقى من مشايخنا ومشايخهم لا ينكر علمه وفضله وهو منعزل عن خلطة الناس الا انه حاد المزاج وبعقله بعض خلل والاولى ان نجتمع به ونتذاكر في غير مجلسكم وننهي بعد ذلك الامر اليكم فاجتمعوا في ثاني يوم ٢٣ وارسلوا الى الشيخ علي يدعونه للمناظرة فابى من الحضور وارسل الجواب مع شخصين من مجاوري المغاربة يقولان انه لا يحضر مع الغوغاء بل يكون في مجلس خاص يتناظر فيه مع الشيخ محمد ابن الامير بحضرة الشيخ حسن القويسني والشيخ حسن العطار فقط لان ابن الامير يناقشه ويشن عليه الغارة فلما قالا ذلك القول تغير ابن الامير وارعد وابرق وتشاتم بعض من بالمجلس مع الرسل وعند ذلك امروا بحبسهما في بيت الاغا وامروا الاغا بالذهاب الى بيت الشيخ علي واحضاره بالمجلس ولو قهرا عنه فركب الاغا وذهب الى البيت المذكور فوجده قد تغيب فاخرج زوجته ومن معها من البيت وسمر البيت فذهبت الى بيت بعض الجيران ثم كتبوا عرضا محضرا وذكروا فيه بان الشيخ عليا مصر على خلاف الحق وابى عن حضور مجلس العلماء والمناظرة معهم في تحقيق المسئلة وهرب واختفى لكونه على خلاف الحق ولو كان على الحق ما اختفى ولا هرب والرأي لحضرة الباشا فيه اذا ظهر وكذلك في الشيخ ابراهيم باشا السكندري وختموا العرض وامضوه بالختوم الكثيرة وارسلوه الى الباشا وبعد ايام اطلقوا الشخصين من حبس الاغا ورفعوا الختم عن بيت الشيخ علي ورجع اهله اليه وحضر الباشا الى مصر في اوائل الشهر ورسم بنفي الشيخ ابراهيم باشا الى بني غازي ولم يظهر الشيخ علي من اختفائه * (واستهل شهر صفر بيوم الاربعاء سنة ١٢٣٦) * (وفي اوائله)

في اول هذه السنة وصل التتر من بلاد ما وراء النهر الى اذربيجان وقد ذكرنا قبل كيف ملكوا ما وراء النهر وما صنعوه بخراسان وغيرها من البلاد من النهب والتخريب والقتل واستقر ملكهم بما وراء النهر وعادت بلاد ما وراء النهر انعمرت وعمروا مدينة تقارب مدينة خوارزم عظيمة وبقيت مدن خراسان خرابا لا يجسر احد من المسلمين يسكنها واما التتر فكانوا تغير كل قليل طائفة منهم ينهبون ما يرونه بها فالبلاد خاوية على عروشها فلم يزالوا كذلك الى ان ظهر منهم طائفة سنة خمس وعشرين فكان بينهم وبين جلال الدين ما ذكرناه وبقوا كذلك فلما كان الآن وانهزم جلال الدين من علاء الدين كيقباذ ومن الاشرف كما ذكرناه سنة سبع وعشرين ارسل مقدم الاسماعيلية الملاحدة الى التتر يعرفهم ضعف جلال الدين بالهزيمة الكائنة عليه ويحثهم على قصده عقيب الضعف ويضمن لهم الظفر به للوهن الذي صاروا اليه وكان جلال الدين سيء السيرة قبيح التدبير لملكه لم يترك أحدا من الملوك المجاورين له الا عاداه ونازعه الملك وأساء مجاورته فمن ذلك انه أول ما ظهر في اصفهان وجمع العساكر قصد خوزستان فحصر مدينة ششتر وهي للخليفة فحصرها وسار الى دقوقا فنهبها وقتل فيها فاكثر وهي للخليفة أيضا ثم ملك اذربيجان وهي لاوزبك فملكها وقصد الكرج وهزمهم وعاداهم ثم عادى الملك الاشرف صاحب خلاط ثم عادى علاء الدين صاحب بلاد الروم وعادى الاسماعيلية ونهب بلادهم وقتل فيهم فاكثر وقرر عليهم وظيفة من المال كل سنة وكذلك غيرهم فكل من الملوك تخلى عنه ولم يأخذ بيده فلما وصلت كتب مقدم الاسماعيلية الى التتر يستدعيهم الى قصد جلال الدين بادر طائفة منهم فدخلوا بلاده واستولوا على الري وهمذان وما بينهما من البلاد ثم قصدوا اذربيجان فخربوا ونهبوا وقتلوا من ظفروا به من اهلها وجلال الدين لا يقدم على ان يلقاهم ولا يقدر على منعهم عن البلاد قد ملئ رعبا وخوفا وانضاف الى ذلك ان عسكره اختلفوا عليه وخرج وزيره عن طاعته في طائفة كثيرة من العسكر وكان السبب ان غريبا اظهر من قلة عقل جلال الدين ما لم يسمع بمثله وذلك انه كان له خادم خصي وكان جلال الدين يهواه واسمه قلج فاتفق ان الخادم مات فاظهر من الهلع والجزع عليه ما لم يسمع بمثله ولا لمجنون ليلى وامر الجند والامراء ان يمشوا في جنازته رجالة وكان موته بموضع بينه وبين تبريز عدة فراسخ فمشى الناس رجالة ومشى بعض الطريق راجلا فالزمه امراؤه ووزيره بالركوب فلما وصل الى تبريز ارسل الى اهل البلد فامرهم بالخروج من البلد لتلقي تابوت الخادم ففعلوا فانكر عليهم حيث لم يبعدوا ولم يظهروا من الحزن والبكاء اكثر مما فعلوا واراد معاقبتهم على ذلك فشفع فيهم امراؤه فتركهم ثم لم يدفن ذلك

حضر ابراهيم باشا من الجهة القبلية بعد ما طاف الفيوم ايضا واحضر معه جملة اشخاص قبض عليهم من المفسدين من العربان وهم في الجنازير الحديد وشقوا بهم البلد ثم حبسوهم * (واستهل شهر ربيع الاول بيوم الخميس سنة ١٢٣٦) * (وفي اواخره) حضر نحو العشرة اشخاص من الامراء المصرية البواقي في حالة رثة وضعف وضيم واحتياج واجتياح وكانوا ارسلوا وطلبوا الامان واجيبوا الى ذلك (وفيه) أشهروا العربان الذين احضرهم ابراهيم باشا معه وقتلوهم وهم اربعة اثنان بالرميلة واثنان بباب زويلة

(واستهل شهر ربيع الثاني بيوم السبت سنة ١٢٣٦)

(وفيه) أخرج الباشا عبد الله بك الدرندلي منفيا وكان عبد الله بك هذا يسكن بخطة الخرنفش وهو رجل فيه سكون قليل الاذى وملك بتلك الناحية دورا واماكن وله عزوة وعساكر واتباع وكان يجلس بحضرة الباشا وينادمه ويتوسع معه في الكلام والمسامرة وسبب تغير خاطر الباشا عليه انه جرى ذكر علي باشا تبدلان الارنؤدي وحروبه ومخالفة العساكر عليه فقال عبد الله المذكور ان العساكر يرون محاربة السلطان معصية أو كلاما هذا معناه فتغير وجه الباشا من ذلك القول ويقال انه أمر بقتله فتشفع فيه حسن باشا طاهر من القتل وان يخرج منفيا هكذا أشيع واستفيض وانضم الى ذلك انه قال لشريف بك أمين الخزنة عند تأخر علوفته خدمة نصراني احسن من خدمتكم مع المشاحة فبلغها شريف بك للباشا ايضا واوغر صدره عليه ودفع له الباشا علوفته وثمن ما حازه من الاماكن والاملاك ووصله ذلك على عدة جمال محملة بالدراهم وسافر في ثامنه على طريق البر وابقى حريمه واثقاله ليأتوه على سفن البحر (وفي سادس

ذلك الخصي وانما كان يستصحبه معه اين سار وهو يلطم و يبكي فامتنع من الاكل والشرب وكان اذا قدم له طعام يقول احملوا من هذا الى قلج ولا يتجاسر احد يقول انه مات فانه قيل له مرة انه مات فقتل القائل له ذلك انما كانوا يحملون اليه الطعام و يعودون يقولون انه يقبل الارض و يقول انني الآن أصلح مما كنت فلحق امراءه من الغيظ والانفة من هذه الحالة ما حملهم على مفارقة طاعته والانحياز عنه مع وزيره فبقي حيران لا يدري ما يصنع لا سيما لما خرج التتر فحينئذ دفن الغلام الخصي وراسل الوزير واستماله وخدعه الى ان حضر عنده فلما وصل اليه بقي اياما وقتله جلال الدين وهذه نادرة غريبة لم يسمع بمثلها

(ذكر ملك التتر مراغة)

وفي هذه السنة حصر التتر مراغة من اذربيجان فامتنع اهلها ثم اذعن اهلها بالتسليم على امان طلبوه فبذلوا لهم الامان وتسلموا البلد وقتلوا فيه الا انهم لم يكثروا القتل وجعلوا في البلد شحنة وعظم حينئذ شان التتر واشتد خوف الناس منهم باذربيجان فالله تعالى ينصر الاسلام والمسلمين نصرا من عنده فما نرى في ملوك الاسلام من له رغبة في الجهاد ولا في نصرة الدين بل كل منهم مقبل على لهوه ولعبه وظلم رعيته وهذا أخوف عندي من العدو وقال الله تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)

(ذكر وصول جلال الدين الى آمد وانهزامه عندها وما كان منه)

لما رأى جلال الدين ما يفعله التتر ببلاد اذربيجان وانهم مقيمون بها يقتلون وينهبون ويخربون السواد ويجبون الاموال وهم عازمون على قصده ورأى ما هو عليه من الوهن والضعف فارق اذربيجان الى بلاد خلاط وارسل الى النائب بها عن الملك الاشرف يقول له ما جئنا للحرب ولا للاذى انما خوف هذا العدو حملنا على قصد بلادكم وكان عازما على ان يقصد ديار بكر والجزيرة ويقصد باب الخليفة يستنجده وجميع الملوك على التتر ويطلب منهم المساعدة على دفعهم ويحذرهم عاقبة اهمالهم فوصل الى خلاط فبلغه ان التتر يطلبونه وهم مجدون في أثره فسار الى آمد وجعل اليزك في عدة مواضع خوفا من البيات فجاءت طائفة من التتر يقصدون أثره فوصلوا اليه على غير الطريق الذي فيه اليزك فاوقعوا به ليلا وهو بظاهر مدينة آمد فمضى منهزما على وجهه وتفرق من معه من العسكر في كل وجه فقصد طائفة من عسكره حران فاوقع بهم الامير صواب مقدم الملك الكامل بحران ومعه العسكر فاخذوا ما معهم

عشره) امر الباشا بقراءة صحيح البخاري بالجامع الازهر فاجتمعوا في يوم الاثنين سابع عشره وقرؤا في الاجزاء التي
لهاثة فضوها الى انتهاها واربعة ايام آخرها الخميس وفرقوا على اولاد المكاتب دراهم وكذلك على مجاوري الازهر في نظير قراءة
البخاري ﴿واستهل شهر جمادى الاولى بيوم الاحد سنة ١٢٣٦﴾ (فيه) حضر ابراهيم باشا ونزل
بقصره الجديد بل قصوره لانه
شاهدة قصور متصلة وبساتين
ومصانع متصلة متسعة
زخرفة قصر لديوانه وقصر
لحريمه وقصر لخصوص
عباس باشا ابن أخيه وغير ذلك
﴿واستهل شهر جمادى
الثانية بيوم الثلاثاء
سنة ١٢٣٦﴾
(فيه) عزم ابراهيم باشا على
اعادة قياس اراضي قرى
مصر واحضر من بلاد الصعيد
عدة كبيرة من القياسين نحو
الستين شخصا (وفي يوم
السبت خامسه) عدى الى
الجيزة تجاه القصور وجمع
القياسين والمهندسين وكذلك
مهندسي الافرنج وقاس كل
قياسته وكيفية عمله فعاند
المعلم غالي واحب تاييد اهل
حرفته من قياسي القبط وقال
كل منهم على الصحيح وعلم
ابراهيم باشا ان قياس المهندسين
وارباب المساحة اصح ولكن
فيه ابطاء فقال اريد الصحيح
ولكن مع السرعة بعد ان
عمل امتحانا ومثالا في قطعة
من الارض يظهر بها برهان
الصحة والتفاوت وامسى
الوقت فامرهم بالذهاب
والرجوع يوم الخميس الآتي فحضروا كذلك واشتغلوا يومهم بالعمل الى آخر النهار ثم اختار من مهندسي القبط
لاقباط طائفة وطرد الآخرين وسافر في رابع عشره الى ناحية شرق اطفيح واخذ من المهندسخانه كبيرها وصحبته
سبعة عشر شخصا وكذلك اشخاصا من الافرنج المهندسين وانتقصوا من القصبة في هذه المرة مقدار قبضة

من مال وسلاح ودواب وقصد طائفة منهم نصيبين والموصل وسنجار واربل وغير ذلك
من البلاد فتخطفهم الملوك والرعايا وطمع فيهم كل احد حتى الفلاح والكردي
والبدوي وغيرهم وانتقم منهم وجازاهم على سوء صنيعهم وقبيح فعلهم في خلاط
وغيرها وبما سعوا في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين فازداد جلال الدين ضعفا
الى ضعفه ووهنا الى وهنه بمن تفرق من عسكره وبما جرى عليهم فلما فعل التتر بهم
ذلك ومضى منهزما منهم دخلوا ديار بكر في طلبه لانهم لم يعلموا اين قصد ولا اي طريق
سلك فسبحان من بدل امنهم خوفا وعزهم ذلا وكثرتهم قلة فتبارك الله رب العالمين
الفعال لما يشاء

﴿ذكر دخول التتر ديار بكر والجزيرة وما فعلوه في البلاد من الفساد﴾

لما انهزم جلال الدين من التتر على آمد نهب التتر سواد آمد وارزن وميافارقين وقصدوا
مدينة اسعرد فقاتلهم اهلها فبذل لهم التتر الامان فوثقوا منهم واستسلموا فلما تمكن
التتر منهم بذلوا فيهم السيف وقتلوهم حتى كادوا يأتون عليهم فلم يسلم منهم الا من اختفى
وقليل ما هم (حكى) لي بعض التجار وكان قد وصل آمد انهم حزروا القتلى ما يزيد
على خمسة عشر الف قتيل وكان مع هذا التاجر جارية من اسعرد فذكرت ان سيدها
خرج ليقاتل وكان له ام فمنعته ولم يكن لها ولد سواه فلم يصغ الى قولها فمشت معه فقتلا
جميعا وورثها ابن اخ للام فباعها من هذا التاجر وذكرت من كثرة القتلى امرا عظيما
وان مدة الحصار كانت خمسة ايام ثم ساروا منها الى مدينة طنزة ففعلوا فيها كذلك
وساروا من طنزة الى واد بالقرب من طنزة يقال له وادي القريشية فيه طائفة من
الاكراد يقال لهم القريشية وفيه مياه جارية وبساتين كثيرة والطريق اليه ضيق
فقاتلهم القريشية فمنعوهم عنه وامتنعوا عليهم وقتل منهم كثير فعاد التتر ولم يبلغوا
منهم غرضا وساروا في البلاد لا مانع يمنعهم ولا احد يقف بين ايديهم فوصلوا الى ماردين
فنهبوا ما وجدوا من بلدها واحتمى صاحب ماردين واهل دنيسر بقلعة ماردين
وغيرهم ممن جاور القلعة احتمى بها ايضا ثم وصلوا الى نصيبين الجزيرة فاقاموا عليها
بعض نهار ونهبوا سوادها وقتلوا من ظفروا به وغلقت ابوابها فعادوا عنها ومضوا الى
بلد سنجار ووصلوا الى الجبال من اعمال سنجار فنهبوها ودخلوا الى الخابور فوصلوا
الى عرابان فنهبوا وقتلوا وعادوا ومضى طائفة منهم على طريق الموصل فوصلوا الى
قرية تسمى المؤنسة وهي على مرحلة من نصيبين بينها وبين الموصل فنهبوها واحتمى
اهلها وغيرهم بخان فيها فقتلوا كل من فيه (وحكى) لي عن رجل منهم انه قال اختفيت
منهم ببيت فيه تبن فلم يظفروا بي وكنت اراهم من نافذة في البيت فكانوا اذا ارادوا

(واستهل شهر رجب بيوم الخميس سنة ١٢٣٦) (فيه) سافر مماليك الباشا الى جهة اسيوط مثل العام الماضي ليكونوا هناك حذرا وخوفا عليهم من حدوث الطاعون بمصر (وفي سابع عشره) ارتحل محمد بيك الدفتردار وسافر الى دارفور بيلاد السودان بعدان تقدمه طوائف كثيرة عساكر اتراك ومغاربة (وفي خامس عشرينه) أمر الباشا بنفي محمد المعروف بالدرويش كتخدا محمود بك الذي هو الآن كتخدا بك والسيد احمد الرشيدي كاتب الرزق وسليمان افندي ناظر المدابغ والجلود ثلاثتهم الى قلعة أبي قير لمقتضيات واهية في خدم مناصبهم ومحمد كتخدا كان ناظرا على الجلود في العام الماضي قبل سليمان افندي المذكور (وفي اواخره) حضر جماعة من المماليك المصرية الذين كانوا بدنقلة فيهم ثلاثة صناجق أحدهم أحمد بك الالفي وهو زوج صديقة هانم بنت ابراهيم بك الكبير

(واستهل شهر شعبان بيوم الجمعة سنة ١٢٣٦)

(في ثامنه) يوم الجمعة عمل سليمان أغا السلحدار الجمعية بالجامع المعروف بالاحمر وكان قد تخرب ولم يبق به الا الجدران فتصدى لعمارته سليمان أغا المذكور وسقفه أيضا باخلاق النخيل والجريد والبوص وأقام له عمدا من الحجارة وجدد منبره وبلاطه وميضاته ومراحيضه وفرشه بالحصر وعمل به الجمعية في ذلك اليوم واجتمع به عالم كثيرون من الناس وخطب على منبره الشيخ محمد الامير وبعد انقضاء الصلاة قرأ درسا وأملى فيه حديث من بنى لله مسجدا وبعد انقضاء ذلك خلع عليه فروة وكذلك على الشيخ العروسي وعمل لهم شربات سكر (وفي يوم السبت ثالث عشرينه) حضر ابراهيم باشا من ناحية شرق اطفيح (وفي يوم الثلاء

قتل انسان فيقول لا بالله فيقتلونه فلما فرغوا من القرية ونهبوا ما فيها وسبوا الحريم رأيتهم وهم يلعبون على الخيل ويضحكون ويغنون بلغتهم يقول لا بالله ومضى طائفة منهم الى نصيبين الروم وهي على الفرات وهي من أعمال آمد فنهبوها وقتلوا فيها ثم عادوا الى آمد ثم الى بلد بدليس فتحصن اهلها بالقلعة وبالجبال فقتلوا فيها يسيرا وأحرقوا المدينة (وحكى) انسان من أهلها قال لو كان عندنا خمسمائة فارس لم يسلم من التتر احد لان الطريق ضيق بين الجبال والقليل يقدر على منع الكثير ثم ساروا من بدليس الى خلاط فحصروا مدينة من اعمال خلاط يقال لها باكرى وهي من احصن البلاد فملكوها عنوة وقتلوا كل من بها وقصدوا مدينة ارجيش من اعمال خلاط وهي مدينة كبيرة عظيمة ففعلوا كذلك وكان هذا في ذي الحجة ولقد حكى لي عنهم حكايات يكاد سامعها يكذب بها من الخوف الذي القاه الله سبحانه وتعالى في قلوب الناس منهم حتى قيل ان الرجل الواحد منهم كان يدخل القرية أو الدرب وبه جمع كثير من الناس فلا يزال يقتلهم واحدا بعد واحد لا يتجاسر أحد يمد يده الى ذلك الفارس ولقد بلغني ان انسانا منهم أخذ رجلا ولم يكن مع التتري ما يقتله به فقال له ضع رأسك على الارض ولا تبرح فوضع رأسه على الارض ومضى التتري أحضر سيفا فقتله به (وحكى) لي رجل قال كنت أنا ومعي سبعة عشر رجلا في طريق فجاءنا فارس من التتر وقال لنا حتى يكتف بعضنا بعضا فشرع أصحابي يفعلون ما أمرهم فقلت لهم هذا واحد فلم لا نقتله ونهرب فقالوا نخاف فقلت هذا يريد قتلكم الساعة فنحن نقتله فلعل الله يخلصنا فوالله ما جسر احد يفعل ذلك فاخذت سكينا وقتلته وهربنا فنجونا وامثال هذا كثير

(ذكر وصول طائفة من التتر الى اربل ودقوقا)

في هذه السنة في ذي الحجة وصل طائفة من التتر من اذربيجان الى اعمال اربل فقتلوا من على طريقهم من التركمان الايوائية والاكراد الجوزقان وغيرهم الى ان دخلوا بلد اربل فنهبوا القرى وقتلوا من ظفروا به من أهل تلك الاعمال وعملوا الاعمال الشنيعة التي لم يسمع بمثلها من غيرهم وبرز مظفر الدين صاحب اربل في عساكره واستمد عساكر الموصل فساروا اليه فلما بلغه عود التتر الى اذربيجان أقام في بلاده ولم يتبعهم فوصلوا الى بلد الكرخيني وبلد دقوقا وغير ذلك وعادوا سالمين لم يذعرهم احد ولا وقف في وجوههم فارس وهذه مصائب وحوادث لم ير الناس من قديم الزمان وحديثه ما يقاربها فالله سبحانه وتعالى يلطف بالمسلمين ويرحمهم ويرد هذا العدو عنهم وخرجت هذه السنة ولم تتحقق لجلال الدين خبرا ولا نعلم هل قتل أو اختفى لم يظهر نفسه خوفا

سادس عشريه) سافر بمن معه الى ناحية الشرقية ببلبيس ● (واستهل شهر رمضان بيوم الاحد سنة ١٢٣٤) ● وعملت الرؤية في ثالث الليلة كالعادة وركب فيها مشايخ الحرف والمحتسب وانتوا رؤية الهلال ثالث الليلة بعد مضي اربع ساعات من الليل ولم يحصل فيه من الحوادث ٢٣٤ غير تشاكي الاعيان وتعاليها بسوء فعل السوقة واظهار رديء المأكولات واخفاء جيدها وقد انقضى بخير

● (واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٤) ●

(في ثالثه) حضرت هجانة من اراضي نجد وصحبتهم اشخاص من كبار الوهابية مقيدون على الجمال وهم عمر بن عبد العزيز واولاده وابناء عمه وذلك انهم لما رجعوا الى الدرعية بعد رحيل ابراهيم باشا وعساكره وكان معهم مشاري بن مسعود وقد كانوا هربوا من الدرعية بعد ما رحل عنها ابراهيم باشا وتركي بن عبدالله ابن اخي عبد العزيز وولد عم مسعود الا مشاري فانه هرب من العسكر الذين كانوا مع اولاد مسعود وجماعتهم حين ارسلهم ابراهيم باشا الى مصر في الحمراء وهي قرية بين الجديدة وينبع البحر وذهب الى الدرعية واجتمع عليه من فر حين قدمت العساكر واخذوا في تعميرها ورجع اكثر اهلها وقدموا عليهم مشاري ودعا الناس الى طاعته فاجابه الكثير منهم فكادت تتسع دولته وتعظم شوكته فلما بلغ الباشا ذلك جهز له عساكر رئيسها حسين بك فاوثقوا مشاري وارسلوه الى مدمرغسات في الطريق وامر عمر واولاده وبنو عمه فتحصنوا في قلعة الرياض ملك المعروفة عند المتقدمين بحجر لهم مقوبينها وبين الدرعية اربع ساعات للقافلة فنزل عليهم حسين بك وحاربهم ثلاثة ايام او اربعة وطلبوا الامان لما علموا انهم لا طاقة لهم به فاعطاهم الامان على انفسهم فخرجوا اليه الا تركي فانه خرج

من التتر أو فارق البلاد الى غيرها والله اعلم

● (ذكر طاعة اهل اذربيجان للتتر) ●

في أول هذه السنة أطاع أهل بلاد اذربيجان جميعها التتر وحملوا اليهم الاموال والثياب الخطائي والخوئي والعتابي وغير ذلك وسبب طاعتهم ان جلال الدين لما انهزم على آمد من التتر وتفرقت عساكره وتمزقوا كل ممزق وتخطفهم الناس وفعل التتر بديار بكر والجزيرة واربل وخلاط ما فعلوا ولم يمنعهم احد ولا وقف في وجوههم فارس وملوك الاسلام منجحرون في الاثقاب وانضاف الى هذا انقطاع أخبار جلال الدين فانه لم يظهر له خبر ولا علموا له حالا سقط في ايديهم واذعنوا للتتر بالطاعة وحملوا اليهم ما طلبوا منهم من الاموال والثياب من ذلك مدينة تبريز التي هي اصل بلاد اذربيجان ومرجع الجميع اليها والى من بها فان ملك التتر نزل في عساكره بالقرب منها وارسل الى اهلها يدعوهم الى طاعته ويتهددهم ان امتنعوا عليه فارسلوا اليه المال الكثير والتحف من أنواع الثياب الابريسم وغيرها وكل شيء حتى الخمر وبذلوا له الطاعة فاعاد الجواب يشكرهم وطلب منهم ان يحضر مقدموهم عنده فقصده قاضي البلد ورئيسه وجماعة من اعيان اهله وتخلف عنهم شمس الدين الطغرائي وهو الذي يرجع الجميع اليه الا انه لا يظهر شيئا من ذلك فلما حضروا عنده سألهم عن امتناع الطغرائي فقالوا انه رجل منقطع ما له بالملوك تعلق ونحن الاصل فسكت ثم طلب ان يحضروا عنده من صناع الثياب الخطائي وغيرها ليستعمل للملك الاعظم فان هذا هو من اتباع ذلك الملك فاحضروا الصناع فاستعملهم في الذي ارادوا وزن أهل تبريز الثمن وطلب منهم خركاة لملكهم ايضا فعملوا له خركاة لم يعمل مثلها وعملوا غشاءها من الاطلس الجيد الزركش وعملوا من داخلها السمور والقندر فجاءت عليهم بجملة كثيرة وقرر عليهم من المال كل سنة شيئا كثيرا ومن الثياب كذلك وترددت رسلهم الى ديوان الخلافة والى جماعة من الملوك يطلبون منهم انهم لا ينصرون خوارزمشاه ولقد وقفت على كتاب وصل من تاجر من أهل الري كان قد انتقل الى الموصل واقام بها هو ورفقاء له ثم سافر الى الري في العام الماضي قبل خروج التتر فلما وصل التتر الى الري وأطاعهم اهلها وساروا الى أذربيجان سار هو معهم الى تبريز فكتب الى أصحابه بالموصل يقول ان الكافر لعنه الله ما نقدر نصفه ولا كثرة جموعه حتى لا تنقطع قلوب المسلمين فان الامر عظيم ولا تظنون ان هذه الطائفة التي وصلت الى نصيبين والخابور والطائفة الاخرى التي وصلت الى اربل ودقوقا كان قصدهم النهب انما ارادوا ان يعلموا هل في البلاد من يردهم أم لا فلما عادوا اخبروا ملكهم بخلو البلاد من مانع ومدافع وان البلاد خالية من

من القلعة ليلا وهرب وأما حسين بك فانه قيد الجماعة وارسلهم الى مصر فى أشهر المذكورين وهم الآن مقيمون بمصر بحطة الخندق قريبا من بيت جماعتهم الذين اتوا قبل هذا الوقت ٭ (واستهل شهر ذى القعدة بيوم الاربعاء سنة ١٢٣٦) (فيه) حضر ابراهيم باشا من سرحته بالشرقية بسبب قياس الاراضى والمساحة (وفى منتصفه) سافر الباشا الى الاسكندرية لداعى حركة الاروام وعصيانهم وخروجهم عن الذمة ووقوفهم بمراكب كثيرة العدد بالبحر وقطعهم الطريق على المسافرين واستئصالهم بالذبح والقتل حتى انهم اخذوا المراكب الخارجة من اسلامبول وفيها قاضى العسكر المتولى قضاء مصر ومن بها أيضا من السفار والحجاج فقتلوهم ذبحا عن آخرهم ومعهم القاضى وحريمه وبناته وجواريه وغير ذلك وشاع ذلك بالنواحى وانقطعت السبل فنزل الباشا الى الاسكندرية وشرع فى تشهيل مراكب مساعدة للدونانمه السلطانية وسيأتى تتمة هذه الحادثة وبعد سفر الباشا سافر أيضا ابراهيم باشا الى ناحية قبلى قاصدا بلاد النوبة

(واستهل شهر ذى الحجة بيوم الجمعة سنة ١٢٣٦) ٭ (فيه) خرجت عساكر كثيرة ومعهم رؤساؤهم وفيهم محو بك ومغاربة وآلات الحرب كالمدافع وجبخانات البارود والقنبر وجميع اللوازم قاصدين بلاد النوبة وما جاورها من بلاد السودان (وفيه) سافر أيضا محمد كتخدا لاظ المنفصل عن الكتخدائية الى اسنا ليتلقى القادمين ويشيع الذاهبين (وفيه) وصلت بشائر من جهة قبلى باستيلاء اسمعيل باشا على سنار بغير حرب ودخول أهلها تحت الطاعة فضربت لذلك الاخبار مدافع من القلعة (وانقضت هذه السنة) وما تجدد بها من الحوادث انقضى

ملك وعساكر فقوى طمعهم وهم مع الريبع يقصدونكم ومابقى عندكم مقام الا ان كان فى بلد الغرب فان عزمهم على قصد البلاد جميعها فانظروا لانفسكم هذا مضمون الكتاب فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم واما جلال الدين فالى آخر سنة ثمان وعشرين لم يظهر له خبر وكذلك الى سلخ صفر سنة تسع لم نقف له على حال والله المستعان

٭ (ذكر عدة حوادث) ٭

فى هذه السنة قلت الامطار بديار الجزيرة والشام لاسيما حلب واعمالها فانها كانت قليلة بالمرة وغلت الاسعار بالبلاد وكان اشدها غلاء حلب الا انه لم يكن بالشديد مثل ماتقدم فى السنين الماضية فاخرج اتابك شهاب الدين وهو والى الامر بحلب والمرجع الى امره ونهيه وهو المدبر لدولة سلطانها الملك العزيز ابن الملك الظاهر والمربى له من المال والغلات كثيرا وتصدق صدقات دارة وساس البلاد سياسة حسنة بحيث لم يظهر للغلاء اثر فجزاه الله خيرا وفيها بنى اسد الدين شيركوه صاحب حمص والرحبة قلعة عند سلمية وسماها شميمس وكان الملك الكامل لما خرج من مصر الى الشام قد خدمه أسد الدين ونصح له وله أثر عظيم فى طاعته والمقاتلة بين يديه فاقطعه مدينة سلمية فبنى هذه القلعة بالقرب من سلمية وهى على تل عال وفيها قصد الفرنج الذين بالشام مدينة جبلة وهى من جملة المدن المضافة الى حلب ودخلوا اليها واخذوا منها غنيمة واسرى فسير اتابك شهاب الدين اليهم العساكر مع أمير كان أقطعها فقاتل الفرنج وقتل منهم كثيرا واسترد الاسرى والغنيمة وفيها توفى القاضى ابن غانم بن العديم الحلبى الشيخ الصالح وكان من المجتهدين فى العبادة والرياضة والعاملين بعلمهم ولو قال قائل انه لم يكن فى زمانه اعبد منه لكان صادقا فرضى الله عنه وارضاه فانه من جلة شيوخنا سمعنا عليه الحديث وانتفعنا برؤيته وكلامه وفيها أيضا فى الثانى عشر من ربيع الاول توفى صديقنا أبو القاسم عبد المجيد بن العجمى الحلبى وهو واهل بيته مقدمو السنة بحلب وكان رجلا ذا مروءة غزيرة وخلق حسن وحلم وافر ورياسة كثيرة يحب اطعام الطعام واحب الناس اليه من يأكل طعامه ويقبل بره وكان يلقى اضيافه بوجه منبسط ولا يقعد عن ايصال راحة وقضاء حاجة فرحمه الله رحمة واسعة

٭ (ثم دخلت سنة تسع وعشرين وستمائة)

الى هنا وقف سواد براعته وحالت منيته بينه وبين أمنيته رحمه الله تعالى

ثم عقبها والبعض باق الى الآن (ومنها) توقف زيادة النيل وذلك انه لم يستتم أذرع الوفاء الى ثمانية عشر مسرى القبطى فهلع
فضجر الناس وضج الفلاحون (ومنها) أمر المعاملة التى زادت زيادة فاحشة حتى بلغ البندقى ألفا ومائتى نصف
والمجر والفندقلى عشرين قرشا منها ثمانمائة نصف وبلغ صرف الريال الفرانسه أربعة عشر قرشا منها خمسمائة نصف وستون نصفا وقس على ذلك باقى الاصناف (ومنها) غلو الاثمان فى جميع المبيعات من ملبوسات وما كولات والغلال حتى وصل الاردب الى ألف وخمسمائة نصف والرطل السمن الى خمسين نصفا والى ستين نصفا وقس على ذلك (وأما حادثة الاروام) التى هى باقية الى الآن وما وقع منهم من الافساد وقطع الطريق على المسافرين واستيلائهم على كل ما صادفوه من مراكب المسلمين وخروجهم عن الذمة وعصيانهم وما وقع معهم من الوقائع وما سينتهى حالهم اليه فسيتلى عليك ان شاء الله تعالى بكماله فى الجزء الآتى بعد ذلك والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب

(وجد بآخر بعض النسخ ما نصه)

الى هذا انتهى ما نقل من خط العلامة الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ حسن الجبرتى مؤرخ هذه المدة وما قبلها الغاية هذا التاريخ سنة ١٢٣٦ وهذا آخر الجزء الرابع وبعده توفى الشيخ ولم يكتب شيئا

(يقول المتوسل بالرسول الخاتم الفقير الى الله تعالى محمد قاسم)

نحمدك يا من أودعت تاريخ الاواخر والاوائل آيات بينات على انك المتفرد بالعز والملك الكامل ونشكرك يا من جعلت فى تتابع القرون وتقلب الاحوال وتغير الشؤن عظة لمن تدبر واعتبارا لمن تفكر وتبصر ونصلى ونسلم على رسولك المخصوص بالشرف الاعم والاخص المنزل عليه نحن نقص عليك أحسن القصص سيدنا محمد الآتى باصدق الاخبار وأبلغ الحكم وأبهر الآثار وعلى آله ذوى المناقب الجليلة وصحبه اولى المآثر الحميدة الجميلة (اما بعد) فقد تم طبع التاريخ المسمى الكامل لنادرة دهره المجتهد الفاضل العلامة النحرير ابى الحسن على المشهور بابن الاثير أفاض الله تعالى عليه هوامع احسانه وأسكنه بفضله مستقر رحمته ورضوانه وناهيك به من تاريخ تعقد عليه الخناصر لما أبرزه من مخبآت العرائس ومخبآت الذخائر ابتدأه مؤلفه رحمه الله من ابتداء الدنيا الى ان انتقل الى دار مولاه لقد جاد واجاد وبسط فى فدافد سيره عنان الجواد ان سئل اجاب واتى بالعجب العجاب يجنب مطالعه الخلال العاطلة ويكسبه الخصال الشريفة الفاضلة ويمرن النفوس ويؤدبها ويزكى الطباع ويهذبها بجدير بذوى الآداب والاطائف وعصابة الالباب والمعارف ان يسرحوا انظارهم نحو حدائقه ويشنفوا اسماعهم بجواهر رقائقه ويقتبسوا من مصباحه المنير ويلتمسوا من قاموسه الخضم الغزير فكم فيه لذوى الكياسة وقائع تتضح بها معالم السياسة وكم فيه للملوك والوزراء ما فيه حسن اعتبار واقتداء فهو نديم نفيس وجليس أنيس وسمير كل أمير بل أمير كل سمير ثم لا يخفى على ذى ذوق سليم وطبع ذكى قويم ان فن التاريخ مما يعض بالنواجذ عليه اذ المرجع فى اثبات الشرائع والاحكام اليه فلولاه ما استبانت للامم محجة ولا استقامت أساس دولة حجة ولا وصلت الينا سير الرسل والانبياء ولا وقائع الملوك والوزراء والامراء فلاجرم كان ذلك مطالع القرون الماضية ومصدر الاطلاع على عجائب المخلوقات فى العصور الخالية فكأنما المتحلى به عمر دهرا طويلا وشاهد جميع الاجيال جيلا فجيلا وهذا التاريخ من أبدع ما ألف فى هذا الفن مع براعة عبارة وتهذيب حسن وبديع صياغة وقويم تحرير وانيق صناعة تروق المهذب النحرير روضة يانعة الازهار متدفقة الجداول والانهار محلاة هوامشه بالتاريخ الفائق سبائك النضار الموسوم بعجائب الآثار فى التراجم والاخبار لمحرز قصب السبق فى مضمار العلوم وفائق الاقران فى اقتعاد صهوة الفهوم العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتى الحنفى امطره الله تعالى بغيوث احسانه وبره الخفى ولعمرى انه لتاريخ انتظمت عقود فرائده ووشيت مطارف فوائده اماط القناع وأفاض الاطلاع مع جزالة عبارته ولطف اشارته وحسن نادرته وجميل مسامرته

قص

قص فيه حوادث القرن الحادى عشر وبعض الثانى عشر محليا طروسه بتراجم الاعيان
والغرر مضمنا لذائذ البدائع منشآت حسان لبعض فضلاء ذلك الزمان تفوق حدائق
الازاهر ومطربات الاغانى والمزاهر فمن بين منثور يجلب الطرب والسرور ومنظوم
تلذه الاسماع و يسحر بلطفه الافئدة والطباع وفكاهات أدبية أشهى من
فواكه جنية وشوارد غريبة ونوادر عجيبة هذا وكان طبعه الفائق ووضعه البهيج
الرائق بالمطبعة الازهرية المصرية التى هى بحسن الطبع والتحرى حرية الكائنة
بمحروسة مصر القاهرة لازالت آهلة زاهية ناضرة مشمولا طبعه بملاحظة
صاحب الهمم العلية الشان حضرة الفاضل السيد محمد رمضان احد ذوى
ادارتها عيون الافاضل وخلاصة المجد وحلفاء الفضائل لازالت دار
الطباعة المذكورة بجميل انظارهم سائغة الموارد يانعة بازهار المنافع
واثمار الفوائد سارياذكرها فى سائر الاقطار طالعا كوكب
محاسنها طلوع الشمس فى رابعة النهار وتنفس صبح
طبعه فى أواسط شوال عام اثنين وثلثمائة
وألف من هجرة من طبعه الله تعالى على
أشرف الخصال صلى الله وسلم
عليه وعلى آله وأصحابه
الكرام ماتتابعت
الليالى والايام
آمين
تم

(فهرست الجزء الثاني عشر من تاريخ الكامل)

صحيفة

صحيفة

وحصر

(تمت)

(فهرست الجزء الثانى عشر من تاريخ العلامة الجبرتى)

(تمت)